إهداء
إلى من لها الفضل بعد الله
في هذا العمل
عفاف

التيسير في التفسير

تأليف الإمام

أبي حفص النسفي

نجم الدين عمر بن محمد بن أحمد النسفي الحنفي

٤٦١ - ٥٣٧ هـ

يطبع أول مرة محققاً على ثلاث نسخ خطية

تحقيق وتعليق

ماهر أديب حبوش

المجلد الأول

دار اللباب

بسم الله الرحمن الرحيم

التيسير
في
التفسير

(١)

حُقوق الطّبع محفُوظَة

الطبعَة الأولىٰ
١٤٤٠هـ-٢٠١٩م

يُمنع طباعةُ هذا الكتاب أو ترجمته أو تصويرُه ورقياً أو إلكترونياً
إلا بإذن خطي من الدار الناشرة
تحت المُساءلة الدُّنيوية والأُخروية

9 786052 279311

دار اللُّبَاب
للدِّراسَاتِ وتحقِيق التُّراثِ

DAR-ALLOBAB
Lubab Yazma Eserleri İhya ve İlmi Araştırma Yayınları

اسطنبول - تركيا
00905454729850
00902125255551
info@allobab.com

بيروت - لبنان
009615813966
0096170112990
Www.allobab.com

İskenderpaşa mh. Kıztaşı cd. No:7 D:5 Fatih (Özel Fatih Hastanesi Karşısı)

مقدمة التحقيق

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمدُ للهِ الكريمِ المنَّان، ذي الفضل والإحسان، والسَّطوة والسلطان، والصلاةُ والسلام على عبدِه ورسولِه المُختار، الذي أقامَ الشَّريعةَ وراغَمَ الكفَّار، صلَّى اللهُ عليه وعلى آلِه وصَحْبِه، الذين آمَنُوا به وتمسَّكوا بحَبْلِه، صلاةً تُشرَحُ بها القُلوب، ويَتيسَّرُ بها كلُّ مطلوب.

وبعد:

فإنَّ كتاب الله هو النورُ المُبِيْن، والطَّريقُ القَويم، والحقُّ المستَبِين، والصراطُ المستقيم، لا شيءَ أسطعُ من أعلامه، ولا حُكمَ أصدعُ مِن أحكامه، ولا كلامَ أفصحُ مِن بلاغته، ولا قولَ أرجحُ من فصاحته، ولا عملَ في ليلٍ أو نهارٍ ألذُّ مِن تِلاوته، فيه خبرُ مَن قَبْلَنا، ونبأُ مَن بعدَنا، وحُكْمُ ما بينَنا.

أَعجزَ الفصحاءَ، وحيَّر البُلغاء، وأعياهم أنْ يأتوا بسورةٍ مِن مِثْلِه، حتى شهِد بإعجازه الأعداءُ قبل الأصدقاء، وأيقنَ بصدقهِ الجاحدون والملحِدون؛ فإعجازُه وبلاغتُه وحسنُ نظامه يشهدُ للنبيِّ ﷺ بنبوَّته، وبأنه أعظمُ معجزاتِه، الباقيةِ على طولِ أيام الدهرِ وسنواتِه.

وقد كان النبيُّ من الأنبياءِ عليهم السلامُ يأتي بالآيةِ وتَنْقَضي بموته، فقَلَّ لذلك مَن يتَّبعه، وكَثُرَ أتْباعُ نبيِّنا ﷺ لكونِ معجزتِهِ الكبرى باقيةً بعدَه، فيؤمنُ باللهِ ورسولِهِ كثيرٌ ممَّن يسمعُ القرآن على ممرِّ الأزمان.

فلا غَرْوَ أنْ نَهَض العلماءُ منذُ فجرِ الدَّعوةِ مشمِّرينَ عن ساعِدِ الجِدِّ لشرحه وتفسيرِه، وبيانِ ما غَمضَ من معانيه، وحلِّ ما أَشْكَل على مَن يُعانيه.

ومِن أَجْلِ هذا ظَهَر على مَرِّ التَّاريخِ الإسلاميِّ تصانيفُ لا يَحْصُرُها العَدُّ، اخْتَلَفَتْ أساليبُها لكنَّ غايتَها كانت واحدةً، وهي تفسيرُ كتابِ الله، وإيصالُه إلى أجيالِ الأُمَّة جيلاً إثْرَ جيلٍ، وتفهيمُ الأُمَّةِ معانيَه، وما فيه مِن عِبَرٍ وأمثال، وحِكَمٍ وأحكام، وبلاغةٍ لا تُرام، وخيرٍ عمَّ الأَنام؛ لتُدْرِكَ هذه الأُمَّةُ عَظَمتَه، فتتمَسَّكَ به، وتجتهدَ في اتِّباعِه والعملِ بـمُقْتضاه، ودعوة الخلقِ إليه.

وهذه التصانيفُ كانت متفاوِتةً مِن حيثُ الفائدةُ، وبعضُها يقدَّمُ على بعضٍ، بل قد يكونُ بعضُها أصلاً والآخَرُ فَرْعاً، فإنَّ منها ما يُمْكِنُ أنْ يُعَدَّ فَرْداً في بابِه، وإماماً في محرابِه، وأساساً في موضوعِه، بحيثُ يُمْكِنُ أنْ يُقالَ مَثَلاً: إنَّ ما جاء بَعْدَه ليس كالذي كان قَبْلَه، فيُقالَ مثلاً: إنَّ ما أُلِّفَ قبل «تفسير الطبري» في التَّفسيرِ بالمأثورِ ليس كما أُلِّفَ بَعْدَهُ، وإنَّ ما كُتِبَ في معاني القرآنِ وبلاغته قبلَ «كشَّاف» الزَّمَخْشريِّ ليس كالذي كُتِبَ بعدَه، وإنَّ موضوعَ أحكامِ القرآنِ قبلَ «الجامع لأحكام القرآن» ليس كموضوعِه بَعْدَهُ، وإنَّ كُتبَ إعرابِ القرآنِ قبلَ «بحر» أبي حيَّانَ ليست كالتي أَعقبت «بحره».

وجاء مِن التفاسيرِ بعد تلك الأمَّهات ما هو تَبَعٌ لها، فهَذَّبَ ونَقَّحَ، وزادَ ورَجَّحَ، وشَرَحَ وصَحَّحَ، ومع أن هذه أيضاً لا تُنْكَر مكانتُها وفضلُها، لكنْ يَبْقَى الفضلُ للسَّابق ولو أجادَ اللَّاحِق.

وكان هناك كثيرٌ من التفاسير التي حَوَت فنونَ التفسير من الآثارِ والأحكامِ والمعاني والإعرابِ واللغة، لكنْ لم يكن فيها ما يجعلها متميِّزةً عن باقي التفاسير.

وهذا التفسيرُ الذي بين أيدينا لا يمكنُ إلا أنْ يعدَّ من تلك الأمَّهات، بل هو كتابٌ فريدٌ في بابه، لم يَنسجْ أحدٌ على مِنواله، جامعٌ للفرائد، زاخرٌ بالفوائد، قد خُطَّ بيدٍ دَرِبة خبيرة، ذاتِ فكرٍ ثاقبِ البصيرة، فمؤلِّفهُ قد فاق أقرانه علماً وفضلاً، وكُتبه في الفقه وغيره معروفةٌ شرقاً وغرباً، كما أنه عالمٌ باللغة والنحو مشهودٌ له بذلك، وهو مع ذلك من المتقدِّمين المعاصرين لأئمةِ التفسير الكبار أمثالِ الزمخشريِّ وابنِ عطية وطبقتهما، فلم ينهلْ من كتبهم، ولا اتَّكأ على أقوالهم، فتفسيرُه لذلك يعدُّ من المراجع الهامَّةِ التي استفاد منها كثيرٌ ممَّن جاء بعده من المفسِّرين وغيرهم، وذلك لِمَا حوَاهُ من العلوم والآثار، وما ضمَّه من النِّكاتِ والأفكار، والتي أكثرُها من إبداعه، لا نقلاً عن غيره كما هو شأنُ الكثير من المفسِّرين الذين يعوِّلون في تفاسيرهم على النقل عمَّن سبَقهم.

وقد سعى فيه المؤلِّف لتحقيقِ أمرين اثنين:

الأول: الارتقاءُ بالإيمان والتقوى، وذلك لكثرةِ ما حواه من المواعظ والحكَم، والتذكيرِ بالله، ونقل عباراتِ العلماءِ العاملين، وأهلِ الزهدِ المخلِصين.

والثاني: الارتقاءُ بالعلم بالقرآن لغةً وإعراباً، وتفسيراً وتأويلاً، مع حشد الأقوال ونقل الآثار، مما تفرَّد بكثير منه هذا التفسير، فما له في الكتب المطبوعة من نظير، وقد سماه:

«التيسير في التفسير»

فكان اسماً على مسمًّى، فهو ميسَّرٌ لمن قرأه، ميسِّرٌ معرفةَ التفسير على مَن طالَعه.

وقد أكرمَني الله سبحانه بتحقيقه بعد مدَّةٍ طويلةٍ من العملِ في كتبِ التفسير

تَنوفُ على خمسةَ عشرَ عاماً، طالعتُ خلالها غالبَ المشهورِ منها والمغمور، فخُضتُ غمارها، وغُصتُ في أعماقها، وعندما بدأت فيه كنتُ أظنه كباقي التفاسير لا يتميَّز عنها بشيء، ولم أكنْ أتوقَّع أنني سأجدُ فيه هذا الكمَّ الهائلَ من الفوائد والنِّكات، والرَّقائق والعِظَات، مع حسنِ الإشارة ومتانةِ العبارة، وسلامةِ الذوق، والذبِّ عن مذهبِ الحقّ.

فالعجَبُ كيف لم تمتدَّ إليه يدُ العناية إلى الآن، وبقي حبيسَ المكتبات يَنتظرُ مَن يمسحُ عنه غبارَ الإهمال، ويكشفُ عن أنواره ظلمةَ النسيان، مع أنه يفوقُ في فوائده كثيراً مما حقِّق وطُبع من كتب التفسير، فكان من فضلِ المولى عليّ أن أُوكلتْ هذه المهمةُ إليّ.

وكما يُقال: التيسيرُ علَامةُ الإذن، فقد يسَّر الله سبحانه لنا سبيل تحقيقه، وتهيَّأ لنا في سبيل ذلك كمٌّ كبيرٌ من النسخ الخطيةِ النَّفيسةِ الكاملة، ما لا يتيسَّر مثلُه في كثيرٍ من الكتب، فقمنا بالمقارنة بينها لانتقاءِ أفضل النسخ وأكثرِها دقةً وأقلِّها تحريفاً، وقد تمَّ لنا هذا المسعى بعون الله، واخترنا ثلاثةً من النسخ الخطية النَّفيسة، فتمَّ نسخ الكتاب ومقابلته من إحداها ثم مقابلتُه على الأخريين.

وقد كان من الصُّعوبات التي واجهتْنا أن الكتابَ لم يُطبع قبل الآن، ولا يوجد له، ولا حواشيَ أو شروح له يمكنُ الاستفادة منها، فكان علينا القيامُ بالمهمة كاملةً، وكانت تلك المهمةُ من الصعوبة بمكان، وذلك لكثرةِ ما فيه من أحاديثَ وآثار وأقوال، تحتاج للتخريج والشرح، وكذا لبيان حالِ المرفوعِ وما في حكمه، هذا مع كونِ أكثرِ الكتاب من إبداعِ المؤلِّف وإنشائه، وحتى ما ينقلُه فإنه يتصرَّف فيه فيزيدُ وينقص ويغيِّر، فلا تكاد تجدُ له في عباراته وأقواله سلَفاً يمكنُ الرجوعُ إليه لتصحيح تحريفٍ أو توضيحِ عبارة.

لكنْ مع كلِّ هذا قد يسَّر لنا سبحانه القيامَ بالمهمة خيرَ قيام، ليخرجَ الكتاب في النهايةِ بأبهى حلةٍ وأحسنِ حال، فنسألُ اللهَ سبحانه القَبول، فإنه خيرُ مأمول.

ومن أجل إتمامِ العملِ على أحسنِ وجه فقد قُمنا بكتابةِ مقدِّمة له تشتمِلُ على فصلين:

الأول: ترجمةُ المؤلف ترجمةً وافيةً بحيث تستوعِبُ كلَّ ما جاء عنه في المصادرِ المتوفرةِ لدينا، مع إعادةِ سبكِها وترتيبها، وقد استقصَيْنا لهذه الغايةِ كلَّ ما كُتب عنه تقريباً مما كان ترجمةً له، أو كان منبثًّا في كتبِ التراجم والأنسابِ وغيرها، الأمرُ الذي استغرَق تعباً وتدقيقاً لا يستهانُ بهما، وبالله التوفيق.

الثاني: كتابةُ مقدمةٍ للكتاب تتضمَّن تأكيد نسبة الكتاب للمؤلِّف، وأهمَّ المراجع التي نهلتْ منه ونهل منها، وطريقةَ مؤلِّفه في تأليفه، وأهمَّ المواضيعِ التي تناولها، هذا مع دراسةٍ مستفيضةٍ لخصائص هذا التفسير وما يميِّزه عن غيره من التفاسير.

وفي الختام نحمدُ الله أولاً وآخِراً على توفيقه وتيسيره، وما أنزل علينا من الرحمات، وامتنَّ به من البركات، في الجهدِ والفهمِ والأوقات.

كما نشكرُه سبحانه أن هيَّأ لهذا العملِ من الأساتذةِ الأخيار مَن بذَلوا غايةَ جهدهم ليرى هذا السِّفرُ العظيمُ النورَ بعد طولِ مكثٍ في غياهب الظلمات:

فنشكر أولاً دار اللباب للدراسات وتحقيق التراث التي حملتْ على عاتقها تحقيقَه وطبعَه وكلَّ ما يتعلَّق به متمثِّلةً **بمديرِها الأستاذِ أبي عبد الله محمد خلوف العبد الله**، والذي لولاه لَمَا خرجَ هذا الكتابُ إلى النور، فهو الذي استخرجه من بينِ

آلاف المخطوطات، وبسعيهِ ودأبه تمَّ تأمينُ نسخه الخطيَّة، وبمتابعته لكلِّ صغيرةٍ وكبيرةٍ تمَّ بفضلِ اللهِ الانتهاءُ منه على الوجه الأكمل.

كما نشكرُ الأساتذةَ توفيق التكلة، وفادي السيد، وخالد شمسو، وهادي الهندي، وخالد محمد ياسين علوان، الذين عملوا في نسخهِ ومقابلتهِ وإخراجه، وبذلوا لذلك جهوداً هائلةً لضمانِ الدقَّة والصِّحة وسلامةِ النصِّ. ونخص بالذكر الأستاذ **خالد محمد ياسين علوان** الذي بذل جهداً كبيراً في إتقان إخراج هذا الكتاب فنيًّا.

والشكرُ موصولٌ للإخوة الذين **ساعدوا في تحقيقِه**، وهم الأساتذةُ: **فادي المغربي، ومحمد سارية عجلوني، وجمال عبد الرحيم فارس.**

فنسألُ الله الرضا والقبول لنا جميعاً، وأن يوفِّقنا لخدمةِ كتابه العظيم، فهو أعظمُ عمل للمؤمن، وأكرمُه عند الله، وأرجاهُ للقَبول.

وكتبه

ماهر أديب حبوش

٢٦/ ٥/ ٢٠١٩

* * *

الفصل الأول

ترجمة الإمام النسفي[1]

١ ـ اسمه ونسبه ومولده ونشأته:

في مدينة «نَسَف» وفي أحد أيام سنةِ إحدى أو اثْنَتَين وسِتِّين وأربعِ مئةٍ كان سُطوعُ نجمِ الإمام نجم الدين شيخ زمانه، وعالمِ عصره وأوانه، ونَسَف بلدةٌ بين جَيحون وسمرقندَ وتسمَّى أيضاً: نخشب.

---

(١) تنظر ترجمته في «التحبير في المعجم الكبير» للسمعاني (١/ ٥٢٧)، و«معجم الأدباء» لياقوت الحموي (٥/ ٢٠٩٨)، و«ذيل تاريخ بغداد» لابن النجار (٥/ ٩٨)، و«العبر في خبر من غبر» للذهبي (٤/ ١٠٢)، و«سير أعلام النبلاء» للذهبي (٢٠/ ١٢٦)، و«بغية الطلب في تاريخ حلب» لابن العديم (١٠/ ٤٣٤٢)، و«مرآة الجنان» لليافعي (٣/ ٢٦٨)، و«الجواهر المضية في طبقات الحنفية» للقرشي (١/ ٣٩٤ ـ ٣٩٥)، و«لسان الميزان» لابن حجر (٤/ ٣٢٧)، و«تاج التراجم» لابن قطلوبغا (ص: ٢٢٠)، و«طبقات المفسرين» للسيوطي (ص: ٨٨)، و«طبقات المفسرين» للداودي (٢/ ٥ ـ ٧)، و«طبقات المفسرين» للأدنه وي (ص: ١٧١)، و«شذرات الذهب» لابن العماد (٦/ ١٨٩)، و«الفوائد البهية في تراجم الحنفية» للكنوي (ص: ١٤٩)، و«كشف الظنون» لحاجي خليفة (١/ ٢٤٧، ٢٩٦، ٤١٥، ٤١٨، ٥١٩، ٥٥٣، ٥٦٤، ٦٠٢، ٦٦٨، ٧٠٦، ٧٥٦)، و(٢/ ١١١٤، ١١٢٥، ١١٤٥، ١٢٣٠، ١٣٥٦، ١٦٠٢، ١٦٨٦، ١٧٣١، ١٨٦٧، ١٨٦٨، ١٨٧١، ١٩٢٩، ٢٠٢٧، ٢٠٤٨، ٢٠٥٤)، و«سلم الوصول إلى طبقات الفحول» لحاجي خليفة (٢/ ٤٢١)، و«هدية العارفين» للبغدادي (١/ ٧٨٣)، و«مفتاح السعادة ومصباح السيادة» لطاش كبري زاده (١/ ١٢٣ ـ ١٢٤)، و«فهرس الفهارس» لعبد الحي الكتاني (١/ ٢١٥)، و«نثل النبال» للحويني (٢/ ٥٨٩)، و«الأعلام» للزركلي (٥/ ٦٠).

وهو عمرُ بنُ محمدِ بنِ أحمدَ بنِ إسماعيلَ بنِ محمدِ بنِ عليِّ بنِ لُقْمانَ، النَّسَفيُّ ثم السمرقنديُّ، وهو مصنِّفُ تاريخِها الملقَّبِ بـ«القَنْد»، الإمامُ الزَّاهد نجمُ الدِّين أبو حَفْص.

أما نشأتُه فلم يَرِدْنا الكثيرُ عنها، لكن الذي يظهرُ من تلامذته ومشايخه ومكانتهم العالية أنه كان في مجتمعٍ يَزخرُ بالعلمِ والعلماء، وأنه قد تفاعَل مع هذا المجتمعِ منذ حداثةِ سنِّه، يدلُّ على ذلك مثلاً أنه قد رُوي عنه «أصول البزدوي» لفخرِ الإسلام البَزْدَوِيِّ كما سيأتي، وفخرُ الإسلام تُوفي سنة (٤٨٢هـ)، وكان من شيوخه أيضاً إسماعيل بن إبراهيم بن محمد أبو محمدٍ النُّوحيُّ المتوفى سنة (٤٨١هـ)، وكان العلامةُ صاحبُ الترجمة أيامَ موت هذين الإمامين في حوالي العشرين من عمره، ما يدلُّ على أن طلبه للعلم كان قبل ذلك بكثير، ولا شكَّ أن مَن بلغ شأوَه وصنَّف تصانيفَه لا بد وأن يكون قد طلَب العلم وهو صغير حدثُ السن.

وقد رحل الإمامُ النسفيُّ لأداء فريضةِ الحج، فمرَّ ببغدادَ وأخذ عن بعض علمائها، وحدَّث فيها عن شيوخه، قال ابن النجَّار: قدِم بغدادَ حاجًّا في سنة سبعٍ وخمس مئة، وسمع من أبي القاسم بنِ بَيَانٍ وغيره، وحدَّث بكتاب «تطويل الأسفار لتحصيل الأخبار» من جمعه وتأليفه، روى فيه عن عامة مشايخه.

٢ ـ علمه وثناء العلماء عليه:

هو عالمُ عصره، وفقيهُ زمانه، الذي ملأتْ تصانيفه طباقَ الأرض، وقد بلغتْ ما يقاربُ المئة في فنونٍ وألوانٍ شتَّى، من التفسير والفقه واللغة وغيرها، ويكفيكَ دلالةً على علمه ومكانته أنه تتلمذَ على يدِ كبار علماءِ عصره كفخر الإسلام البَزْدويِّ صاحب الأصول المشهورة، وأخيهِ العلَّامةِ أبي اليُسرِ البَزْدَوِيِّ، كما تتلمذ على يده

كبارُ العلماء الذين عمَّ صيتُهم الآفاق، وشغلت كتبُهم الناس، ومنهم العَلَّامة المُحَقق شيخ الإسلام عليُّ بن أبي بكر بن عبد الجَلِيل الفرغاني صاحب «الهدَايَة»، بل إنه كان أجلَّ مشايخه حيث صدَّر «مشيخته» التي جمعهَا لنَفسِهِ بِذكرِ الإمام نجم الدين، وذكرِ ابنِه أبي اللَّيْث أحمدَ بنِ عمر بعدَه، وقال: **سمعتُ نجم الدِّين عمر يَقُول: أَنا أروي الحَدِيث عَن خمس مئَة وَخمسين شَيخاً.**

وقد أثنى عليه كلُّ مَن عاصره أو جاء بعده، ولم يذكر فيه أحدٌ شيئاً سوى ما قاله السمعانيُّ من أنه لم يكن من أهلِ الحديث، وله فيه أوهامٌ وأخطاءٌ، وسيأتي كلامُ السمعاني، وسوف يأتي في هذه المقدِّمة إشارةٌ لهذا عند ذكر طريقته في إيراد الأحاديث.

أمَّا ثناءُ العلماء عليه فممَّا لا يُحصى، وسنسوقُ طرفاً منه لبيانِ مكانته في زمانه وبينَ علماء عصره، ومدْحِهم له في علمه وزُهده ودِينه، وحُسنِ جمعِه وتصنيفه، ونبدأ بقول السمعاني، فقد كان معاصراً له وإن لم يلقه:

قال السمعاني: إمامٌ فقيهٌ فاضل، عارف بالمذهب والأدب، صنَّف التصانيف في الفقه والحديث، ونظَم «الجامع الصغير» وجعله شعراً، وأما مجموعاتُه في الحديث فطالعتُ منها الكثير وتصفَّحتها، فرأيتُ فيها من الخطأ وتغييرِ الأسماء وإسقاطِ بعضها شيئاً كثيراً وأوهاماً غيرَ محصورة، ولكنْ كان مرزوقاً في الجمع والتصنيف، كتب إليَّ الإجازةَ بجميع مسموعاته ومجموعاته، ولم أُدركه بسمرقندَ حيًّا، وحدَّثني عنه جماعة، وإنما ذكرتُه في هذا المجموع لكثرة تصانيفه، وشيوع ذكره، وإن لم يكن إسنادُه عالياً، وكان ممن أحبَّ الحديثَ وطلبه، ولم يُرزق فهمه، وكان له شعرٌ حسنٌ مطبوعٌ على طريقة الفقهاء والحكماء.

وذكره ابن النجار فقال: كان فقيهاً فاضلاً مفسِّراً محدِّثاً أديباً متفنِّناً، وقد صنَّف كتباً في التفسير والحديث والشروط.

وقال الأدنَهْ وي: كان إماماً فاضلاً أصوليًّا متكلِّماً مفسِّراً محدِّثاً فقيهاً حافظاً نَحْويًّا لُغَويًّا ذكيًّا فَطِناً، أحدَ الأئمَّة الأربعة المشهورين بالحظِّ الوافر من العلوم والقَبُول التَّامِّ عند الخاصِّ والعامّ، وكان أستاذاً نشَر العلوم إملاءً وتذكيراً.

وقال اللَّكْنوي: كان إمامًا فاضلًا أصوليًّا متكلِّماً مفسِّرًا محدِّثاً فقيهاً حافظاً نحويًّا، أحدَ الأئمة المشهورين بالحفظ الوافر والقبولِ التامِّ عند الخواصِّ والعوامّ، وقيل: إنه كان يعلِّم الإنس والجن، ولذلك قيل له: مفتي الثقلين، كذا قال القاري.

وقال المرغِينانيُّ: إمامُ الأئمَّة ومقتدَى الأمَّة[١].

وقال ابن عابدين: مفتي الإنس والجن، رأسُ الأولياء في عصره[٢].

وقال الكشميريُّ: واعلَمْ أن الشيخَ نجمَ الدين عُمرَ النَّسفيَّ قد أَلَّفَ كتابًا في الوَقْف، فلمَّا رأيتُه تحيَّرتُ من كمال فصاحته وبلاغته، وهذا «النَّسفي» مقدَّم على صاحب «الكنز» ومُحَدِّثٌ فقيه، ومؤرِّخٌ كبير، صنَّف «تاريخ سمرقند» في اثنين وعشرين مجلدًا[٣].

٣ ـ لقاؤه مع الزمخشري:

وأمَّا لقاؤه مع الزمخشري، فقد ذكر فيه القرشيُّ قصةً طريفةً، وهي أنه أرادَ أن يزور جَار الله العلَّامةَ الزَّمَخْشَرِيَّ في مكَّة، فلمَّا وصل إلى داره دقَّ الباب ليفتحوه

(١) انظر: «كشف الأسرار شرح أصول البزدوي» (١/ ٤).

(٢) انظر: «حاشية ابن عابدين» (٤/ ٢٦٠).

(٣) انظر: «فيض الباري على صحيح البخاري» للكشميري (٤/ ١١٠).

ويأذنوا له بالدُّخولِ، فقال الشَّيخ: مَن ذا الذي يدقُّ الباب؟ فقال: عمر، فقال جَار الله: انْصَرِفْ، فقال نجم الدِّين: يَا سَيِّدي عمر لا ينْصَرف، فقال الشَّيخ: إذا نكِّر ينْصَرف.

كذا وقعت القصةُ، ولم أجدْ مَن زاد عليها، وليس فيها أيُّ شيءٍ عن لقائهما، وإن كان قد تمَّ أم لا، لكنَّ الظاهر أن اللقاء قد حصَل؛ لأنه مِن غيرِ المعقول أن يصل إلى بابه ولا يلتقي به، ويبدو أن تلك كانت دعابةً من الزمخشريِّ، وكان يَعلمُ بالجواب مسبقاً، ولعل معرفةً جمعَتْهُما قبلَ ذلك، أو أنَّ الزمخشري سمع بهذا العلَّامة وعرف أنه في الحج معه وأنه سوف يَقدمُ لزيارته، واللهُ أعلم.

٤ ـ شيوخه:

لقد نهلَ العلَّامة نجم الدِّين من كبار علماء عصره، والمقدَّمين في ناحيته ومصره، فتشرَّب زبدةَ العلوم، ونهل من خُلاصة أهل العقول والفهوم، وكانوا في كثرةِ عددهم كما هم في سعةِ علومهم، وكثيرٌ منهم ممن ذاعَ صيتُه، وانتشرت في الأنام علومُه.

قال صاحب «الهداية»: سَمِعتُ نجمَ الدِّين عمرَ يقول: أنا أروي الحديث عن خمس مئةٍ وخمسين شيخاً، قال: وقد جمع أسماءَ مشايخه في كتاب سَمَّاهُ «تعداد الشُّيُوخ لعمر مستطرفٌ على الحروف مستَطَر» رحمه الله تعالى.

ومِن أجلِّ شيوخه:

١ ـ **عليُّ بنُ محمدِ بنِ الحُسَين بنِ عبد الكريم بنِ مُوسى بن عِيسى بن مجاهدٍ، أبو الحسن، المعروفُ بفَخْر الإسلام البَزْدَوِيِّ**، الفقيهُ الإمامُ الكبير بما وراءَ النَّهر، أخو القاضِي محمدٍ أبي اليُسْر. توفِّي في رجب سنة (٤٨٢هـ)، ومن تصانيفه «المَبْسُوط»، و«شرح الجامع الكبير والجامع الصَّغير» وله في أصول الفقه كتاب كبير مشهور ومفيد، رحمه الله تعالى.

وهذا الإمام لم أجدْ مَن ذكَره في شيوخ الإمام نجم الدين، سوى تلك الإشارةِ إلى أخذِه العلمَ عنه في كلام علَمين شرَحا «أصوله»، وهما:

الحسينُ بنُ عليِّ بنِ حجَّاجِ بن عليٍّ، حسامُ الدِّين السِّغْنَاقيُّ (ت٧١١ هـ)، قال في مقدمة «شرح أصول البزدوي»: وقد بلغَتْني روايةُ هذا الكتاب بالإسنادين المذكورين في «النهاية في شرح الهداية» مع زيادةِ أنَّ صاحب «الهداية» يرويه عن الشيخ الإمام الزاهد الحافظ نجم الدين أبي حفصٍ عمرَ بنِ محمدِ بن أحمدَ بنِ إسماعيلَ النسفيِّ، وهو عن المصنف رحمهم الله(١).

وعبدُ العزيز بنُ أحمدَ بنِ محمد، علاءُ الدِّين البخاريُّ (ت٧٣٠هـ)، قال في مقدمة شرحه أيضا: (حدَّثني بهذا الكتابِ شيخي وأستاذي وعمي الذي تقدَّم ذكره آنفاً قراءةً عليه بسرخسَ في المدرسة الملكية العباسية...) فذكر إسناده شيخاً عن شيخ إلى أن قال: (حدثنا شيخُ شيوخِ الإسلام برهانُ الدِّين عليُّ بنُ أبي بكر بن عبد الجليل الرِّشْدانيُّ (وهو نفسُه صاحب الهداية) قال: حدَّثنا إمامُ الأئمة ومقتدَى الأمة نجمُ الدِّين أبو حفصٍ عمر بن أحمد النسفيُّ عن الشيخ الإمام المصنف قدَّس الله أرواحَهم)(٢).

ففي كلام هذين العلَمين ما يدلُّ على أن الإمامَ نجمَ الدِّين قد تتلمذَ على فخرِ الإسلام وأخذ العلم عنه، بل كما هو واضحٌ من كلاميهما أنه روى كتاب «أصول البزدوي» المشهور عن مؤلِّفه البزدويِّ مباشرةً دون واسطةٍ بينهما.

٢ ـ محمد بن محمد بن الحسين أخو فخر الإسلام، العلَّامة أبو اليسر البزدويُّ

---

(١) انظر: «الكافي شرح البزدوي» للسغناقي (١/ ١٨٣ ـ ١٣٩).

(٢) انظر: «كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام البزدوي» لعلاء الدين البخاري (١/ ١٠).

النَّسَفيّ، شيخ الحنفيَّة بما وراء النهر، وكان قاضيَ قضاة سَمَرْقَنْدَ، وكان يدرِّس في الدَّار الجُوزجانيَّة ويُمْلي فيها الحديث. تُوُفّي ببخارى (٤٩٣ هـ).

قَالَ السّمعانيّ: عُرف بالقاضي الصدر، وُلِد سنة إحدى وعشرين وأربع مئة.

وهو من شيوخ المؤلف كما ذكر العلماء، منهم صاحب «الجواهر المضية»، والداودي في «طبقات المفسرين».

وقال اللَّكنوي: أخذ الفقه عن صدر الإسلام أبي اليسر محمد البَزْدويِّ، عن أبي يعقوبَ يوسفَ السَّيَّاريِّ، عن أبي إسحاقَ الحاكمِ النَّوْقَدي، عن الـهِنْدُوانيِّ، عن أبي بكرٍ الأعمش وأبي بكرٍ الإسكاف وأبي القاسم الصَّفَّار.

والأعمشُ عن أبي بكرٍ الإسكافِ عن محمد بن سلمة عن أبي سليمان الجوزجاني عن محمد بن الحسن.

والصفَّار عن نصيرِ بن يحيى عن محمد بن سَمَاعة عن أبي يوسف[1].

وجاء في ترجمة أبي اليسر في «الجواهر المضية»: قال عمر بن محمد النَّسَفيُّ في كتاب «القَنْد»: وكان شيخَ أصحابنا بما وراءَ النَّهر، وكان إمامَ الأئمَّة على الإطلاق، والوفودُ إليه من الآفاق، ملأ المشرق والمغرب بتصانيفه في الأصول والفروع[2].

٣ ـ إسماعيلُ بن إبراهيم بنِ محمدِ بنِ محمدِ بنِ نوحِ بنِ زيدِ بنِ نعمانَ بنِ عبدِ الله بنِ الحسنِ بنِ زيدِ بن نوحٍ، أبو محمدٍ النُّوحيُّ[3] النَّسَفيُّ الإمامُ الخطيب

(١) انظر: «الفوائد البهية في تراجم الحنفية» (ص: ١٤٩).

(٢) انظر: «الجواهر المضية في طبقات الحنفية» (٢/ ٢٧٠).

(٣) نسبة إلى جده نوح المذكور، وقد تحرفت في بعض المصادر إلى: التنوخي.

من أهل نَسَف، ولد بسمرقند سنة (٤٢٣هـ) سمع أبا العبَّاس جعفر بن محمد المستغفريَّ، ذكره السَّمْعانيُّ وقال: كتَب الحديث بسمرقند.

روى عنه الإمام نجم الدِّين، له ذكر في «طِلْبةِ الطَّلَبَة» توفِّي سنة (٤٨١هـ)(١).

قلت: وله ذكرٌ وروايةٌ في هذا «التفسير»، فقد جاء فيه في شرح البسملة: (قال الشيخ نجم الدين رضي الله عنه: وكان شيخُنا الإمامُ الأستاذُ الخطيبُ أبو محمد إسماعيلُ بنُ محمد النوحيُّ النسفيُّ ـ رحمهُ اللهُ ورضيَ عنه ـ روَى لنا عن بعضِ أولادِ عليٍّ رضي الله عنه: أنَّ اللهَ تعالى لمَّا خلقَ القلمَ قال له: اكتُب بسمِ اللهِ الرَّحمن الرَّحيم...).

٤ ـ **أحمد بن عبد الله بن يُوسُف بن الفضل الصِّبْغي** الإمامُ من أهل سَمَرْقَنْد، سمع يُوسُف بن يحيى البَلْخيَّ، سمع منه الحافظ أبو حَفْصٍ النَّسَفِيُّ وغيرُه، كان إمامًا فَقِيهًا فاضلاً، ورد بغداد حاجًّا، وكان مُفِيداً في الدَّار الجُوزجانية بسمرقندَ، ذكره السَّمْعَانيُّ في «ذيله» وقال: سَمِعت أبا بكر الزُّهْرِيَّ بسمرقند: سمعتُ أبا حفصٍ يقول: توفِّي الإمام أحمد الصِّبْغيُّ يوم الخميس الثَّامِن من شهر رَجَب الفرد سنة سِتٍّ وعشرين وخمس مئة، وقد زَاد على سبعين سنة.

والصِّبْغي بكسر الصَّاد المُهمَلة وسكونِ الباء الموحَّدة وفي آخرها غينٌ معجمة نسبةً إلى الصِّبْغ، والصِّبَاغ هو ما تُصبغ به الألوان، قاله السَّمْعَانِيّ(٢).

٥ ـ **عمرُ بن محمدِ بن عمرَ بن أحمدَ بن خُشْنام الخُشْنامِيُّ البُخَارِيُّ**، قال السَّمْعانيُّ: كان فقيهاً فاضلاً مُناظراً أديباً سمع أبا بكرٍ محمدَ بنَ عليٍّ بنِ حيدرةَ

---

(١) انظر: «الأنساب» للسمعاني (٥/ ٥٣١)، و«تاريخ الإسلام» للذهبي (٣٣/ ٥١)، و«الجواهر المضية في طبقات الحنفية» (١/ ١٤٥).

(٢) انظر: «الجواهر المضية في طبقات الحنفية» (١/ ٧٣).

الجَعْفَرِيَّ البُخاريَّ، سمع منه أبو حفص النَّسَفِيُّ، وتُوفِّي ببخارَى في ذي القعدة سنة اثنتينِ وعشرين وخمس مئة[١].

٦ ـ **أبو الفضائل عبد القادر بن عبد الخالق بن عبد الرحمن بن كاسم بن الفضل بن عبد الرحيم بن الحسن بن الربيع النَّوْقَديُّ**، من أهل نَوْقَدِ قريشٍ، كان إماماً فاضلاً، سمع ببُخارى السيدَ أبا بكر محمدَ بن عليِّ بن حيدرةَ الجعفريَّ، وبمكة أبا عبد الله الحسين بن عليٍّ الطبريَّ وغيرهما، سمع منه أبو حفص عمر النسفي، وكانت ولادته سنة خمسين وأربع مئة[٢].

٧ ـ **الإمام أبو محمدٍ عبدُ الرحمن بنُ عبدِ الرحيم العصَّارُ البَنْدِيمشيُّ**، روَى عنه أبو حفصٍ عمر النسفيُّ، وتوفي في شعبان سنة (٥٢٤هـ)[٣].

٨ ـ **أبو الحسن علي بن يوسف بن محمد البِنْكَتِيُّ**، كان فقيهاً صالحاً، حجَّ بيت الله تعالى، وسمع بمكة أبا محمد عبد الملك بن محمد بن عبيد الله الزبيديَّ المقرئَ، سمع منه أبو حفصٍ عمر النسفي الحافظ[٤].

٩ ـ **أبو حامد أحمدُ بنُ حمزةَ بنِ محمدِ بن إسحاق بن أحمد المطوِّعيُّ الرُّوذباريُّ التُّوذِيجيُّ**، سكَن سمرقند، حدَّث عن أبيه حمزةَ بن محمد التُّوذِيجي، روى عنه أبو حفصٍ عمر بن محمد النسفيُّ الحافظ، وأبو بكرٍ محمدُ بنُ محمد بن عليٍّ الزهري وغيرهما[٥].

---

(١) انظر: «الجواهر المضية في طبقات الحنفية» (١/ ٣٩٧).

(٢) انظر: «الأنساب» للسمعاني (١٣/ ٢٠٧).

(٣) انظر: «الأنساب» للسمعاني (٢/ ٣٣٩).

(٤) انظر: «الأنساب» للسمعاني (٢/ ٣٤١).

(٥) انظر: «الأنساب» للسمعاني (٣/ ١٠٥).

١٠ ـ أبو جعفر محمد بن عبد الرحيم بن محمد بن أحمد الجُرْجُساريُّ البلخيُّ، يروي عن أبي بكر محمد بن عبد الله بن محمد الشومانِّي، سمع منه أبو حفص عمر بن محمد بن أحمد النسفي، قال: كَتب عني أيضا[١].

١١ ـ أبو محمد عبد الرحمن بن يحيى بن يونس الجِكِلِيُّ الخطيب، كان خطيبَ سمرقند أيام قدرخان، يروي عن أبي القاسم عبيد الله بن عمر الكُشَاني الخطيب، روى عنه أبو حفص عمر النسفي، وتوفي بسمرقندَ سنة ستَّ عشرةَ وخمسِ مئة[٢].

١٢ ـ أبو المؤيَّد ميمونُ بن أبي العلاء أحمد بن الحسن الحاتميُّ النَّسفي، كان قاضيَ نسف مدةً مديدة، سمع جدَّه أبا عليٍّ الحسنَ بنَ عديٍّ الحاتمي، روى عنه أبو حفص عمر النسفي، ولد سنة اثنتين وأربعين وأربع مئة، وتوفي بنسف سنة ثلاث عشرة وخمس مئة[٣].

١٢ ـ أبو سعد محمد بن الحسن بن عليِّ بنِ المكيِّ بن عبد الله بن إسرافيل بن حماد الحَمَّاديُّ النَّخشبيُّ، يروي عن أبيه وأبي نصر محمد بن يعقوب السَّلامي، روى عنه أبو حفص عمر بن محمد النسفيُّ، ولد سنة أربع وعشرين وأربع مئة، وتوفي بنسف بعد سنةِ أربعٍ وتسعين وأربع مئة[٤].

١٣ ـ أبو بكرٍ محمدُ بن أبي بكر بن عبد الرحمن الخاوُصي الخطيب، حدَّث

---

(١) انظر: «الأنساب» للسمعاني (٣/ ١٧٣).

(٢) انظر: «الأنساب» للسمعاني (٣/ ٢٩٩).

(٣) انظر: «الأنساب» للسمعاني (٤/ ٣).

(٤) انظر: «الأنساب» للسمعاني (٤/ ٢٢٦).

بسمرقند، يروي عن أبي الحسن علي بن سعيد المطهِّري، روى عنه أبو حفصٍ عمر بن محمد النسفيُّ(١).

وغير هؤلاء كثير ممن ذكرهم السمعاني في كتابه، فنكتفي بهؤلاء لعدم الإطالة.

وممن سمع منهم النسفيُّ أيضاً وأخذ العلم عنهم: أبو علي الحسن بن عبد الملك الماتُريديُّ، وأبو محمد عبدُ الله بن أحمدَ القَنْطَريُّ، وأبو عبد الله التُّورِبشتيُّ بن عبد الملك القاضي، وأبو طاهرٍ المهديُّ بنُ محمد بن المهديِّ بنِ إسحاق العلوي، وأبو محمدٍ عبدُ الله بنُ عليِّ بنِ عيسى النسفيُّ، وأبو القاسم محمدُ بن محمد بن الحسين النسفيُّ، وأبو عبد الله الحسين بن أبي الحسن الكاشْغَريُّ، وأبو بكرٍ محمدُ بنُ الحسن بنِ منصور النسفيُّ، وأبو نصرٍ أحمد بن عبد الرحمن الرِّيغْذَمونيُّ، وأبو محمد الحسن بن أحمد السمرقنديُّ، وأبو حَفْصٍ عمر بن أحمد بن محمد الدَّيْزَكيُّ، وأبو الحسن عليُّ بن الحسن الماتُريدي(٢).

٤ ـ تلامذته:

لا شكَّ أنَّ مَن كان مثلَ هذا الإمام في علمه وزهده فسيقصدُه الناس من شتَّى البقاع ليَنهلُوا من مَعين علمه، وخصوصاً في مذهب الإمام أبي حنيفة رحمه الله حيث كان سنداً فيه. ونذكر من أجلِّ تلامذته:

١ ـ **ابنه أحمد بن عمر، أبو اللَّيث، يعرف بالمَجْد**، قال السَّمْعانيُّ في «ذيله»: سَأَلته عَن مولده فقال: ولدتُ في سنة سبعٍ وخمسٍ مئة، تفقَّه على والده الإمام نجم الدِّين عمر النَّسَفِيِّ وغيره، أسمعهُ أبوهُ من جماعةٍ من السمرقنديين والغرباءِ

(١) انظر: «الأنساب» للسمعاني (٥/ ٣٣).

(٢) انظر: «ذيل تاريخ بغداد» لابن النجار (٥/ ٩٨)، و«سير أعلام النبلاء» للذهبي (٢٠/ ١٢٦)، و«الجواهر المضية في طبقات الحنفية» (١/ ٣٩٤).

الواردين عليهم بسمرقند، وكان قد سمع من أبيه كثيراً غيرَ أنه لم يكن له عنايةٌ بالحديثِ مثلَ والده، وكان فقيهاً فاضلاً واعظاً كاملاً حسنَ الصَّمتِ وَصُولاً للأصدقاء، وفي صفر سنة اثنتين وخمسين خرج من بغداد مُتَوَجِّها إلى وطنه بعد عودته من الحج، فلمَّا وصل إلى قُومسَ وجاوَزَ بسطامَ خرج جماعة من أهل القلاع وقَطعُوا الطَّريق على القافلة وقتلوا مقتلةً عظيمة من العلماء والقافلين من الحجاز أَكثر من سبعين نفساً، وكانَ فيهم المجد النَّسَفِيُّ رحمه الله، وذلك يوم الإثنينِ السَّابع والعشرين من جمادى الأولى سنة اثنتين وخمسين وخمس مئة بقرب كوف من نواحي بسطام(١).

٢ ـ عليُّ بن أبي بكر بنِ عبد الجليل الفَرْغانيُّ المرغِينانيُّ صاحب «الهداية»، كان إماماً فقيهاً حافظاً محدِّثاً مفسِّراً جامعاً للعلوم ضابطاً للفنون متقِناً محقِّقاً ناظراً مدقِّقاً زاهداً ورعاً بارعاً فاضلاً ماهراً أصوليًّا أديباً شاعراً لم ترَ العيون مثلَه في العلم والأدب، وله اليدُ الباسطةُ في الخلاف، والباعُ الممتدُّ في المذهب، تفقَّه على الأئمة المشهورين، منهم مفتي الثَّقلين نجم الدين أبو حفص عمر النسفي، وقد صدَّر المرغينانيُّ مشيختَه التي جمعَها بذكره ثم ذكَر بعده ابنَه أبا الليث أحمد بن عمر النسفي، قال: وقرأتُ عليه بعض تصانيفه وسمعتُ منه كتاب «المسندات» للخصَّاف بقراءة الشَّيخ الإمام ظهير الدِّين مُحَمَّد بن عُثْمَان(٢).

وهذه إجازة العلَّامة نجم الدين للمرغيناني في رواية «صحيح البخاري» بسنده إلى الكُشْمِيهَني والكُشَاني: قال الكَرْدَري: أخبرنا شيخ الإسلام أبو الحسن علي بن أبي بكر بن عبد الجليل بن الخليل بن أبي بكر بن عليٍّ الفرغانيُّ المرغنني صاحب

---

(١) انظر: «الجواهر المضية في طبقات الحنفية» (١/ ٨٦).

(٢) انظر: «الجواهر المضية في طبقات الحنفية» (١/ ٣٨٣).

كتاب «الهداية» إجازة عامة إن لم تكن خاصة، في صفر سنة تسع وثمانين وخمس مئة قال: أخبرنا الإمام أبو حفص عمر بن محمد بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن علي بن لقمان النسفي ـ رحمه الله ـ إجازة عامة إن لم تكن خاصة، قال: أخبرنا بكتاب «صحاح البخاري» الإمام الحافظ أبو محمد الحسن بن أحمد القاسمي الكوخميثني قال: أخبرنا الإمام الحافظ أبو العباس جعفر بن محمد بن المعتز المستغفِريُّ النسفي، قال: أخبرنا أبو الهيثم محمد بن المكي الكشميهني والشيخ أبو علي إسماعيل بن محمد بن أحمد بن حاجب الكُشَاني[1].

٣ ـ **محمد بن الحسن بن محمد بن الحسن بن الدلقمانيِّ**، أبو عبد الله الفَقِيه من أهل سَمَرْقَنْد، ذكره ابن النجار وقال: قدم بغداد حاجًّا في سنة سِتٍّ وسبعين وخمسِ مئة، وأملى بها الحديث عن عمر بن محمد النَّسَفِيِّ[2].

٤ ـ **الشيخ الإمام أبو العباس أحمد بن موسى بن عيسى بن مأمون الكَشِّيُّ الحنفي**، كان فقيهًا مناظرًا لزم الشيخ نجم الدين عمر النسفي وأخذ عنه، وارتفع شأنه وأقر له أقرانه بالفضل والكمال، وله كتاب «مجموع الحوادث والنوازل والواقعات» وهو كتاب نفيس مشتمل على فوائدَ جمَّة[3].

٥ ـ **محمد بن الحسن بن محمد، برهانُ الدِّين الكاسانيُّ، أبو عبد الله الفقيه من أهل سمرقند**، كان إمامًا فاضلاً وشيخاً كاملاً في الفروع والأصول، وكان في الحديث أحفظَ زمانه، أخذَ عن نجم الدين عمر النسفيِّ عن صدر الإسلام أبي اليسر

---

(١) انظر: «إسناد صحيح البخاري» لابن ناصر الدين (ص: ٣٠٧).

(٢) انظر: «الجواهر المضية في طبقات الحنفية» (٢/ ٤٥).

(٣) انظر: «سلم الوصول إلى طبقات الفحول» (١/ ٢٥٨).

البَزْدَويِّ، وقدم بغداد حاجًّا سنةَ ستٍّ وسبعين وخمس مئة، وأملى بها الحديثَ عن النسفي(١).

٦ ـ **برهان الدين الحسنُ بن محمدٍ الكاسانيُّ**: ذكره العينيُّ في ترجمة أثير الدين بن نجيب بن محمد الكاسانيِّ، صاحبِ كتاب «بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع» فقال: وكان يروي كتاب «التيسير في التفسير» للإمام نجم الدين النسفي عن الشيخ الأجلِّ برهان الدين الحسن بن محمد الكاساني، وهو عن الشيخ الإمام نجم الدين(٢).

قلت: ولعله الذي قَبْله.

٧ ـ **محمد بن عبد الجليل بنِ عبد الملك بن عليِّ بنِ حيدر السَّمَرْقَنْديّ الإمام أبو الفضل**، له «منتخب كتاب القند في تاريخ سَمَرْقَنْد» لأستاذه(٣).

٨ ـ **أبو بكر بن أحمد بن عليِّ بن عبد العزيز البَلْخِيُّ الأصل السَّمرقَنْدِي الحنفي، عُرف بالظَّهير**، أخذ عن أبي حفصٍ عمر النَّسَفيِّ وقرأ عليه بعضَ تصانيفه، والإمامِ المرغيناني والأسبِيْجَابيِّ، ودرَّس بمراغة، وقدم حلب أيَّام نور الدِّين محمود بن زنكي، ثمَّ توجَّه إلى دمشق ودرَّس بالخاتونية وغيرها، وتوفي بها سنة (٥٥٣هـ)، وله كتاب أَلفه في شرح «الجامع الصَّغير»

قال ابنُ العَديم: أخبرنا أبو هاشمٍ عبدُ المطلب بنُ الفضل بنِ عبد المطلب الهاشميُّ قال: أخبرنا أبو سعدٍ عبدُ الكريم بن محمد بن منصورٍ السمعانيُّ ـ ونقلتُه

---

(١) انظر: «الفوائد البهية في تراجم الحنفية» (ص: ١٦٢).

(٢) انظر: «عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان» للعيني (١/ ٣٢٥).

(٣) انظر: «سلم الوصول إلى طبقات الفحول» لحاجي خليفة (٣/ ١٦٧).

أنا من خطِّ السمعاني ـ قال: وقال عمر بن محمد بن أحمد النسفي: الْتَمس الإجازةَ مني الإمام أبو بكر بن أحمدَ البلخيُّ السمرقنديُّ بهذه الأبيات:

أَيَا مقتدَى الأيام يَاذَا العلَا عمرْ ... وقاكَ حفيظُ الخلق من شُبْهَة الضَّرَرْ
أَجِزْ لأبي بكر بن أحمدَ مُفْضلاً ... وبدِّل له بالأَجْرِ بالصَّفوةِ الكَدَرْ
جميعَ الذي صنَّفْتَه وسمعتَه ... وخذْ صالح الدَّعْوَات في ظُلمَةِ السَّحَرْ

قال: فكتبتُ إليه:

أجزتُ لسيدي وفريدِ عَصْري ... أبي بكرِ بن أَحْمد مَا ابتغاهُ
على شَرطِ التَّحَرُّزِ والتَّوَقِّي ... وذكري بِالدُّعَاءِ كَمَا حَكَاهُ
أجبْتُ دعاءَه فينا وفيه ... وفي الدَّارِيْنِ تمَّ له مُناهُ(١)

٩ ـ عمر بن عبد الْمُؤمن بن يُوسُف الكجواديُّ البَلْخِيُّ، أبو حَفْصٍ شيخُ الإسلام المنعوتُ بصفيِّ الدِّين، اجتمع به صاحب «الهدايَة» في سفرهما إلى الحج سنة أربع وأربعين وخمس مئة وقرأ عليه أحاديثَ وناظره في المسائِل.

قال صاحب «الهدايَة»: أنشدنا الشَّيخ الإمام الزَّاهِد صفيُّ الدِّين منظوماً في الإجَازَة للشَّيخ الإمام نجمِ الدِّين عمر بن محمد النَّسَفيِّ:

أجزتُ لهم رواية مستَجازي ... ومسموعي ومجموعي بِشَرْطِهْ
فَلَا يَدْعُو دعائي بعد موتي ... وكاتبُه أَبُو حَفْص بِخَطِّهْ

---

(١) انظر: «الجواهر المضية في طبقات الحنفية» (٢/ ٢٧١)، و«سلم الوصول» (١/ ٧٨)، و«الفوائد البهية في تراجم الحنفية» (ص: ١٤٩).

ماتَ الكجوادريُّ سنة تسع وَخمسين وخمس مئَة[1].

١٠ ـ **مُوسى بن عبد الله بن إبراهيم بن محمد بن سِنَانٍ القحطانيُّ المعمَّريُّ أبو هارُون**، تفقَّه ببخارى على عبد العَزِيز بن عمر بن مازة البُرْهَان، ذكره أبو حَفْص النَّسَفِيُّ في كتاب «القند في تَارِيخ سَمَرْقَنْد» وَقَال: قدم علينا سنة سِتَّ عشرَة وَخمْس مئَة، رَحل من بلاد المغرب إلى بلاد المشرق وفارق أولاده، فَقِيه فَاضل مناظِر شَاعِر بليغ مُحدِّث محَاضِر، وبَقِي في بلاد العراق وخراسان وبخارى ثلاثَ عشرةَ سنةً ينشر الحديث والفقه والنَّظَر والكلام، وبَقِي عندي أَيَّامًا وكتب عني الكثير، ولأجله جمعتُ كتاباً لقَّبته: «عُجالة النَّخشبيِّ لضيفِه المغربي» وفيه قلت:

لقد طلع الشَّمْسُ من غربها ... على خافقَيْها وأوساطِها
فَقلتُ القيَامَةُ قد أَقبلت ... فقد جاءَ أَوَّل أشراطها[2]

١١ ـ روى عنه محمد بن إبراهيم بن محمد التُّورِبِشْتيُّ[3].

١٢ ـ روى عنه عمر بن محمد بن عمر العُقيليُّ[4].

٥ ـ مؤلفاته:

لقد كان النسفيُّ رحمه الله صاحبَ فُنُونٍ، فَقِيهاً فاضلاً عارفاً بالمذهب والأدب، صنَّف التصانيف في الفِقْه والحديث والتفسير والشُّروط، وله نحوٌ مِن مئةِ مُصنَّفٍ، ومن مصنفاته:

---

(١) انظر: «الجواهر المضية في طبقات الحنفية» (١/ ٣٩٢).

(٢) انظر: «الجواهر المضية في طبقات الحنفية» (٢/ ١٨٧).

(٣) انظر: «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٢٠/ ١٢٦). وقد تقدم ضمن سند الحديث المروي عنه.

(٤) انظر: «الجواهر المضية في طبقات الحنفية» (١/ ٣٩٤)

١ ـ «التيسير في التفسير» وهو موضوع بحثنا.

٢ ـ «طِلبة الطَّلَبة» في اللغة، على ألفاظ كتب الحنفية.

٣ ـ «تعداد الشُّيوخ لعمر مستطرَفٌ على الحروف مستَطَر» جمع فيه أسماء مشايخه، وهم: خمس مئة وخمسون شيخاً.

٤ ـ «تطويل الأسفار لتحصيل الأخبار» روى فيه عن خمس مئة وخمسين شيخاً، وجمع أيضاً أسماء شيوخه، وحدَّث به لمَّا قدم بغداد.

٥ ـ «الأكمل الأطول في تفسير القرآن»، هكذا سماه في «هدية العارفين»، ولعله هو التفسير الكبير الذي ذكره في «التيسير»، فقد أشار إلى أن له غيرَه مطولاً فقال: والإتيانُ في القرآن لأربعينَ معنىً عدَّدْناها في تفسيرِنا الأولِ الأطول وسمَّاه في أكثر من موضع في تفسيره هنا باسم: «بحر علوم التفسير على نحو رسوم التذكير»، ونبه على ذلك ابن قطلوبغا عند ذكره لمشاهير كتب المؤلف فقال: و«التيسير» وفيه حَوالةٌ على تفسير كبير.

٦ ـ «النجاح في شرح أخبار كتاب الصحاح» وهو شرح لـ«صحيح البخاري»، ذكر في أوله أسانيده عن خمسين طريقاً إلى المصنف(١).

٧ ـ «الإشعار بالمختار من الأشعار» في عشرين مجلدًا.

٨ ـ «مشارع الشارع في فروع الحنفية»: ذكر فيه أنه لمَّا رأى المتعلِّمين

---

(١) ذكره ابن الملقن في «التوضيح لشرح الجامع الصحيح» (١/ ١١٤)، وابن قطلوبغا في «تاج التراجم» (ص: ٢٧١)، وحاجي خليفة في «كشف الظنون» (١/ ٥٥٣) وقال: ذكر في أوله أسانيده عن خمسين طريقًا إلى المصنف. وذكره أيضًا في (٢/ ١٩٢٩) وقال: وهو لعمر النسفي، قال في أوله بعد ذكر أسانيده: هذِه خمسون طريقًا لإسناد كتاب «صحيح البخاري» أخذتها عن مشايخي، وذكره البغدادي في «هدية العارفين» (١/ ٧٨٣)، وكحالة في «معجم المؤلفين» (٧/ ٣٠٦).

متألِّمين، أغناهم عن البَطالة، وما أبلاهم بالإطالة، فجمع لهم ما هو عجالة الراكب، وسمَّاه: «مشارع الشارع»، وجعله خمسين كتاباً، وخمسةَ أقسام، وهي: العبادات، والمعاملات، والمباحات، والتبرعات، والجنايات. شرحه أبو علي العالي بن إبراهيم بن إسماعيل الغَزْنَويُّ الحنفي المتوفَّى سنة (٥٨١هـ)، وسمَّاه: «المنابع في شرح المشارع» وهذا الرجل مذكور في ديباجة الكتاب بأنه مؤلفه، لا عمر النسفي، وهو وهم[1].

٩ ـ نظم «الجامع الصغير» لمحمد بن الحسن، في فروع الحنفية. وقد ذكر في أوله قصيدة رائية في العقائد إلى إحدى وثمانين بيتاً.

١٠ ـ «القَنْد في ذكر علماء سَمَرْقَنْد» وهو مخطوط في مكتبة طرخان والده سي بتركيا، وخطُّه رائعٌ رائقٌ، ولكنه ناقص من أوله وآخره[2].

١١ ـ «الإجارات المترجمة بالحروف المُعْجَمَة».

١٢ ـ «بعث الرغائب لبحث الغرائب».

١٣ ـ «تاريخ بُخَارى».

١٤ ـ «الجمل المأثورة».

١٥ ـ «الحصائل في المسائل».

١٦ ـ «الخصائل في الفروع».

١٧ ـ «دعوات المستغفرين».

---

(١) انظر: «كشف الظنون» (٢/ ١٦٨٦).

(٢) انظر: «نثل النبال» للحويني (٢/ ٥٨٩)، ومقدمة التحقيق لمطبوع «القند».

١٨ ـ «مجمع العُلُوم».

١٩ ـ «المعتقد» منظومة في الخلاف.

٢٠ ـ «منهاج الدِّرايَة في الفُرُوع».

٢١ ـ «ياقوتة في الأحاديث».

٢٢ ـ «يَوَاقِيت المَواقيت في فضائل الشُّهور والأيام».

٢٣ ـ «أجناس الفقه».

٢٤ ـ «الجمل المأثورة».

٢٥ ـ «الفتاوى النسفية» وهي فتاواه التي أجاب بها عن جميع ما سئل عنه في أيامه، دون ما جمعه لغيره.

٢٦ ـ «فتاوى» نجم الدين أبي الحسن عطاء بن حمزة السُّغْديِّ، التي تولَّى جمعها الإمام أبو حفص النسفي.

٢٧ ـ «المعتقد» شرحه الشيخ شرف الدين أبو الفضل إسماعيل بن إبراهيم بن أحمد الشيباني المتوفى سنة (٥٧٣هـ) وسمَّاه: «المنتقد»، ذكر فيه أنه رواه أبو جعفر الطحاوي ـ وهو الموثوق بروايته ـ عن الإمام أبي حنيفة رحمه الله، ورواه عن أصحابه، وذكره بأوجز عبارة وأبلغ إشارة، وضمَّنه معظم أصول الدين.

٢٨ ـ «منظومة النسفي في الخلاف» رتبها على عشرة أبواب: الأول: في قول الإمام. الثاني: في قول أبي يوسف. الثالث: في قول محمد. الرابع: في قول الإمام مع أبي يوسف. الخامس: في قوله مع محمد. السادس: في قول أبي يوسف مع محمد. السابع: في قول كل واحد منهم. الثامن: في قول زفر. التاسع: في قول الشافعي. العاشر: في قول مالك. أتمها في يوم السبت في صفر سنة (٥٠٤هـ)، وعدد أبياتها ألفان وتسعة وستون وستُّ مئة، وأولها:

بـــاسمِ الإلـــهِ ربِّ كلِّ عـبـد　　　والحـــمدُ لله ولـــيِّ الحمـــدِ

ولها شروح كثيرة تنظر في «كشف الظنون»[1].

٢٩ ـ «قيد الأوابد» منظومة في الفقه.

٣٠ ـ «كتاب ما ورد من الأخبار في ذكر معراج النبي المختار»[2].

٣١ ـ «عقائد النسفي»: قال في «كشف الظنون»: (وهو متن متين اعتنى عليه جماعة من الفضلاء...) ثم ذكر وأطال في تعداد شروحه وحواشيه، فلْتُنظَر ثمة[3].

وهذا الكتاب يُعدُّ من أهمِّ الكتب التي نُسبت للمؤلِّف، وإنما أخَّرناه لذكرِ ما وقعَ من الخلافِ في نسبته، فإن بعضَ العلماء خالَفَ في نسبةِ هذا الكتاب لنجم الدِّين النسفيِّ، ومنهم:

شمس الدِّين أبو عبدِ الله محمدُ بن محمد بن سليمان المكيُّ المالكيُّ (المتوفى: ١٠٩٤هـ) قال في كتابه «صلة الخلف بموصول السلف»: النسفيُّ هذا ليس هو مصنِّفَ العقائدِ المشهورة التي شرَحَها السَّعدُ كما توهَّمه الكمالُ بنُ أبي شريفٍ في حاشيته على شرح السَّعد لها، بل مصنِّفُها أبو الفضل محمدُ بن محمدِ بنِ محمدٍ النسفيُّ المعروفُ بالبرهان صاحبُ «مختصر تفسير الفخر الرازي»، و«المقدمة» المشهورة في الخلاف، و«بحر الكلام»، وله تصانيفُ كثيرة في علم الكلام وغيره، أجاز للبرزاليِّ وتوفِّي سنةَ سبعٍ وثمانين وستِّ مئة، ووفاةُ الأولِ في سبعٍ وثلاثين وخمسٍ مئة.

---

(١) انظر: «كشف الظنون» (٢/ ١٨٦٧).

(٢) ذكره في هذا التفسير (١٤/ ١٢٠).

(٣) انظر: «كشف الظنون» (٢/ ١١٤٥).

قال: وللحنفية نسفيُّون سواهما:

منهم: أبو الليثِ أحمدُ بن عمرَ المتقدِّمِ، الفقيهُ الواعظ، توفي بعد أبيه بخمسَ عشرةَ سنةً.

ومنهم: أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي صاحب «الكنز» و«المدارك» و«المنار» وغيرها، ويأتي سند مروياته في كتاب «السير الكبير» لمحمد بن الحسن.

ومنهم: أبو المعين ميمون بن محمد بن سعيد بن مكحول النسفي صاحب «التبصرة في علم الكلام» و«التمهيد لقواعد التوحيد» وغيرها[(١)].

ونحوَ هذا الكلام قاله أبو عبدِ الله محمدُ بن عبد الباقي بن يوسف الزرقانيُّ المالكيُّ (المتوفى: ١١٢٢هـ) في «شرح المواهب اللدنِيَّة»[(٢)].

وكلام الزرقاني نقله اللَّكنوي في «الفوائد المجموعة» على أنه من الفوائد[(٣)]، وظاهر كلامه موافقتُه فيما ذهب إليه، بل هو قد جَزَم تقريباً بذلك في ترجمةِ محمد بن محمد بن محمد أبي الفضل البرهان النسفي، فقال: وتصنيفه في الكلام مشهور بـ«العقائد النسفية» الذي شرحه سعد الدين التفتازانيُّ وغيره، كذا ذكره الزرقاني وغيره، قد نسبه صاحب «كشف الظنون» إلى أبي حفص عمر النسفي المتوفى سنة (٥٣٧)[(٤)].

---

(١) انظر: «صلة الخلف بموصول السلف» (ص: ١٩٠).

(٢) انظر: «شرح المواهب اللدنية» (٧/ ٣٩٣).

(٣) انظر: «الفوائد البهية في تراجم الحنفية» (ص: ٢٤٧).

(٤) انظر: «الفوائد البهية في تراجم الحنفية» (ص: ١٩٤).

كذا قال هؤلاء، **لكنَّ الدلائلَ التي تشيرُ لكونِ الإمامِ نجم الدِّين هو المؤلِّفَ له أقوى:**

فأولاً: كلامُ الأئمَّة السابقين أساسُه ومصدرُه هو الأول، أعني شمسَ الدِّين المالكي وما قاله في «صلة الخلف بموصول السلف»، فقد أخذ كلامه الزرقانيُّ فذكره بصياغةٍ قريبة جدًّا منه لكنه لم يَعزُه إليه، ومَن يراجعْ كلام الزرقانيِّ يعلم أنه قد اقتبَسه من شمس الدِّين، ثم جاء اللكنويُّ فاعتمد كلام الزرقاني.

وثانياً: أن العلامة سعدَ الدِّين التفتازانيَّ الشارحَ للعقائد قد صرَّح بنسبةِ الكتاب للإمام نجم الدين، فقال في خطبةِ شرحه: (وإن المختصر المسمَّى بـ«العقائد»، للإمامِ الهمام، قدوةِ علماء الإسلام، نجمِ الملة والدِّين، عمرَ النَّسَفِيِّ أعلى الله درجته في دار السلام...)[1]، فنسبه للإمام نجم الدين، ولا شكَّ أنه أعرف بذلك من غيره، وخصوصاً أنه من أئمَّة الحنفية، ومَن نفى ذلك مالكيُّ المذهب، وأهلُ مكةَ أدرَى بشِعابها.

وثالثاً: أن كثيراً من العلماء المحقِّقين قد نَسَبوه لنجم الدِّين عمر رحمه الله، منهم الكمال بن أبي شريف في حاشيته على شرح السَّعد للعقائد كما تقدم، وابن الشِّحنة كما ذكر ابن عابدين في حاشيته «رد المحتار» ووافقه، وحاجي خليفة في «كشف الظنون»، والبغدادي في «هدية العارفين»، وكحالة في «معجم المؤلفين»، والزركلي في «الأعلام»[2].

فهذا كلُّه يرجِّح نسبة الكتاب للمؤلف رحمه الله، والله سبحانه وتعالى أعلم.

---

(١) انظر: «شرح العقائد النسفية» للتفتازاني (ط: مكتبة المدينة كراتشي باكستان) (ص: ٤٦ ـ ٤٧).

(٢) انظر: «رد المحتار على الدر المختار» (٣/ ٥٥١)، و«كشف الظنون» (٢/ ١١٤٥) و«هدية العارفين» (١/ ٧٨٣)، و«معجم المؤلفين» (٧/ ٣٠٦)، و«الأعلام» (٥/ ٦٠).

٦ ـ شعره:

قال السمعانيُّ: وكان له شعرٌ حسنٌ مطبوعٌ على طريقةِ الفُقهاء والحُكماء.

قلتُ: وسنذكر هنا ما استطَعْنا التقاطَه من ثمار الحكمة التي جادت بها يدُ هذا العالم الجليل، فمِن ذلك ما ذكره الذهبي فقال: ومن شِعره:

كم ساكتٍ أبلغُ من ناطقٍ ... وراجِل أشجعُ من فارسِ
ولاحقٍ يَسبق عُربًا مَضَوْا ... بفضلِ دِينٍ وهو من فارسِ[1]

وقال ابن النجار: أنشدنا شهابٌ الحاتمي بهراةَ، أنشدنا عبد الكريم بنُ محمدٍ أبو سعد، أنشدنا أبو الليث أحمد بن عمر بن محمد النسفيُّ، أنشدنا والدي لنفسه:

تزورُ المشاهدَ مستشفعاً ... بحُرمة مَن دفنوهم هناك
فكن أنت آخذاً أوصافهم ... نزوركَ حيًّا ومَيتاً لذاك[2]

وذكر له المستعصِميُّ:

الأَمْنُ واليُمنُ في ثلاثٍ ... في الحِلم والرِّفقِ والسَّخاوَه
والشَّرُّ والشؤمُ في ثلاثٍ ... في البُخل والظُّلم والقَساوَه[3]

وذكر له المستعصِميُّ أيضا:

قال النَّبيُّ فاسْمَعُوا وسَلِّمُوا لِحُكْمِهِ ... شَرُّ الأَنَامِ عَالِمٌ لَمْ يَنْتَفِعْ بِعِلْمِهِ

---

(١) انظر: «تاريخ الإسلام» للذهبي (٣٦/ ٤٤٨).

(٢) انظر: «ذيل تاريخ بغداد» لابن النجار (٥/ ٩٨).

(٣) انظر: «الدر الفريد وبيت القصيد» للمستعصمي (٥/ ٩٧).

مَـن لَمْ يزَعهُ عِلمُـهُ عن فِسـقِهِ وظُلمِهِ		فإثـمُ كُلِّ آثـمٍ يكُـون دُونَ إثمـهِ[1]

وقال برهان الإسلام الزَّرْنُوجي: وأنشدتُ للشيخ الإمام الجليلِ الزاهد الحَجَاج نجم الدِّين عمرَ بن محمد النسفيِّ شعراً:

كُـنْ للأوامـرِ والنَّواهـي حافظـاً		وعـلى الصـلاةِ مُواظبـاً ومُحافِظـا
واطلُبْ علومَ الشرعِ واجْهَدْ واستَعِنْ		بالطيِّبـاتِ تَـصِرْ فَقيهـاً حافِظـا
واسـأَلْ إلهَـكَ حِفْـظَ حِفْظِـكَ راغباً		مـن فَضْلـهِ فـاللهُ خـيرٌ حافظـا

وقال رحمةُ الله عليه:

أطيعـوا وجِـدُّوا ولا تَكْسَـلوا		وأنتـم إلى ربِّكـم تُرجعـونْ
ولا تهجَعـوا فخِيَـارُ الـورى		قليـلاً مـن الليـل مـا يَهجعـونْ[2]

وقال في أمِّ ولدٍ له:

سـلامٌ عـلى مَـن تيَّمَتْني بطَرْفهـا		ولمعـةِ خدِّهـا ولمحـةِ طَرْفِهـا
سَـبَتْني وأَصْبَتْنـي فتـاةٌ مليحـةٌ		تحـيَّرتِ الأوهـامُ في كُنْـهِ وَصْفِهـا
فقلـتُ ذَرينـي واعذُرينـي فإنَّنـي		شُـغِفْتُ بتحصيـلِ العلـومِ وكَشْـفِها
ولي في طِلَابِ الفضلِ والعلمِ والتُّقى		غِنًـى عـن غِنـاءِ الغانيـاتِ وعَرْفِها[3]

وقال كمالُ الدِّين محمدُ بن موسى بن عيسى بن عليٍّ الدَّمِيريُّ أبو البقاء الشافعي: وما أحسن قول عمر بن محمد النسفي:

---

(١) انظر: «الدر الفريد وبيت القصيد» للمستعصمي (٩/ ٣٧٩).

(٢) انظر: «تعليم المتعلم عن طريق التعلم» للزرنوجي (ص: ٥٨).

(٣) انظر: «تعليم المتعلم عن طريق التعلم» للزرنوجي (ص: ٦٢).

أَنِلْني بالذي استَقْرضْتَ خطًّا — وأَشْهِدْ مَعشَرًا قد شاهَدُوهُ
فإن الله خلَّاقَ البرايا — عنَتْ لجَلالِ هَيْبتهِ الوجوهُ
يقول إذا تدايَنْتُم بدينٍ — إلى أجلٍ مسمًّى فاكتبوهُ[1]

ورَحِم الله الإمامَ نجمَ الدين فقد استمرَّ ولعُه بالكتابة نثراً ونظماً حتى في قبره بعد وفاته، فقد رُوي أنَّ شخصاً رآه بعد موته في المنام فقال: كيف كان سؤالُ مُنكرٍ ونَكير؟ فقال: ردَّ الله إليَّ روحي فسألاني، فقلت لهما: أُخبرُكما في ردِّ الجواب نظماً أو نثراً؟ فقالا: قلْ نظماً، فقلتُ:

ربِّي اللهُ لا إلهَ سواهُ — ونبيِّي محمدٌ مصطَفاهُ
دينيَ الإسلامُ وفِعْلي ذميمٌ — أسألُ الله عفوَه وعطَاهُ[2]

فانتبه ذلك الشخص من المنام وقد حَفِظ البيتين.

٧ ـ وفاته:

توفِّي العلَّامة نجمُ الدِّين ليلةَ الخميس ثاني عشرَ جُمادى الأولى سنةَ سبعٍ وثلاثين وخمس مئةٍ بسمرقند، فرحمه الله وأجزلَ له الثواب على ما قدَّم من خيرٍ لهذه الأمة، ولو لم يكن له سوى التفسيرِ لكفاه، وهذا ما سيتبيَّن إن شاء الله حين نبحرُ في ذلك البحر الواسع المليء بالكنوز، الزاخر بالدُّرِّ واليَواقيت.

* * *

(١) انظر: «النجم الوهاج في شرح المنهاج» للدميري (٤/ ٢٨٧).

(٢) انظر: «روح البيان» لأبي الفناء الخلوتي (٤/ ٣٩٢).

الفصل الثاني
دراسة الكتاب

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونتوب إليه من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا.

وبعد:

فبعد أن أكرمنا الله سبحانه بإنجازِ هذا السفر العظيم كان لا بدَّ لنا من وضعِ دراسةٍ له تليق به وبما يستحقُّه من بيانٍ وتعريف، وتكونُ كاشفةً لِمَا فيه من أبحاث، ومعرِّفةً بما تميَّز به عن غيرِه من التفاسير.

وسوف نقوم في هذه الدراسة بتناول الموضوعات التالية:

أولاً: تأكيد نسبة الكتاب لمؤلفه.

ثانياً: مصادرُ نقلت عن هذا التفسير.

ثالثاً: بيانُ خصائص وميزات هذا التفسير التي تميَّز بها عن غيره من التفاسير.

رابعاً: بيانُ منهج المؤلف الذي سلكه في تأليف تفسيره.

وهذا هو البحثُ الأهمُّ في هذه المقدمة، ونتناول فيه:

١ ـ مصادرَه التي اعتَمد عليها وكيفيَّةُ إفادته منها.

٢ ـ تفسيرَ القرآن بالقرآن في هذا الكتاب.

٣ ـ التفسيرَ بالمأثور فيه.

٤ ـ ردودَه على المذاهب الفاسدة.

٥ ـ منهجَه في النحو.

٦ ـ منهجَه في الفقه.

٧ ـ منهجَه في القراءات.

٨ ـ تعامُلَه مع الإسرائيليات.

خامساً: وصف النسخ الخطية المعتمدة في التحقيق.

سادساً: عملُنا في الكتاب.

ونسأل الله تعالى التوفيقَ في مسعانا لرسمِ الصورةِ اللائقة بهذا التفسير.

* * *

أولاً: تأكيد نسبة الكتاب إلى المؤلف

لا شكَّ في نسبةِ هذا التفسير للعلَّامة أبي حفصٍ النسفيِّ، وقد ذكره عنه كلُّ مَن ترجم له أو نقل عنه، فمن هؤلاء:

١ ـ ذكره الأدنوي في «طبقات المفسرين» (ص: ١٧١) فقال: وأجلُّ تصانيفه «التَّيْسير في تَفْسير كتاب الله تعالى» في أربعِ مجلَّداتٍ أَبدعَ فيها بالنِّكات.

٢ ـ ذكره حاجي خليفة في «كشف الظنون» (١/ ٥١٩) فقال: «التيسير في التفسير» لنجم الدين أبي حفصٍ عمرَ بنِ محمدٍ النسفيِّ الحنفيِّ، ذكر في الخطبة مئةَ اسم من أسماءِ القرآن، ثم عرَّف التفسير والتأويل، ثم شرع في المقصود، وفسَّر الآيات بالقول، وبسَط في معناها كلَّ البسط، وهو من الكتب المبسوطة في هذا الفن.

٣ ـ وقال اللَّكنويُّ في «الفوائد البهيَّة في تراجم الحنفية» (ص: ١٥٠): وله تصنيفاتٌ جليلة في التفسير والفقه، وأجلُّ تصنيفاته: «التيسير في التفسير».

وانظر الفقرة الآتية فإنها متمِّمةٌ لهذه الفقرة.

* * *

ثانياً: مصادر نقلت عن هذا التفسير

وقد نقل عنه جمعٌ من كبارِ العلماء، مصرِّحينَ في كثيرٍ من المواضع بعنوانِ الكتابِ واسمِ مؤلِّفه، ومُكتَفين في أخرى باسم الكتاب، وربما وقع ذلك دونَ تصريح، لكنْ بالمقارنةِ مع كلام المؤلِّف تبيَّن أن هذا التفسيرَ هو مصدرُ ذلك، ففي كلِّ ذلك زيادةُ تأكيدٍ في نسبة الكتاب للمؤلِّف:

١ ـ فمِن أوائلِ مَن وجدتُ أنه نقَل عنه علاءُ الدِّين البخاريُّ في «كشف الأسرار»: حيث قال: قال الإمامُ نجمُ الدِّين رحمه الله في «التيسير»: ويدخل في البيانِ الكتابةُ والإشارةُ وما يقع به الدلالةُ، وهو امتنانٌ منه على العباد بتعليمِ اللُّغاتِ المختلفةِ ووجوهِ الكلام المتفرِّقة(١).

ونقل عنه في موضع آخر تفسير قوله تعالى: ﴿غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾ [البقرة: ١٧٣] فقال: قال الإمامُ نجمُ الدِّين رحمه الله في «التيسير»: قيل: هما واحدٌ، ومعناهما: مجاوزةُ قَدْرِ الحاجة، والتكرارُ للتأكيد كقوله تعالى: ﴿رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٧](٢).

٢ ـ وممن نقل عنه العلَّامة الطيبي في حاشيته على «الكشاف»: نَقل عنه في كثير من المواضع:

منها: عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ﴾ [يس: ٨]، قال: ونقل صاحبُ «الفَرائد» عن صاحبِ «التيسير»: الأغلالُ مع الأيدي مجموعةً إلى الأذقان عبارةٌ عن منعِ التوفيق حين [كذا، والصواب: حتى] كانوا متكبِّرين مستثقلينَ للحق، لأن المتكبِّر يُوصَف بانتصابِ العنق، والمتواضِعَ

---

(١) انظر: «كشف الأسرار شرح أصول البزدوي» (٣/ ١٥٩).

(٢) انظر: «كشف الأسرار شرح أصول البزدوي» (٤/ ٥٣٢).

يُوصف بضده، قال تعالى: ﴿فَظَلَّتۡ أَعۡنَٰقُهُمۡ لَهَا خَٰضِعِينَ﴾ [الشعراء: ٢٦][(١)].

قلت: والكلام بحرفه منقول من هذا التفسير وسيأتي في مكانه.

ومنها: قوله: وقد أجاد صاحب «التيسير» حيث قال: قوله تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيۡهِم بِصِحَافٖ مِّن ذَهَبٖ﴾ [الزخرف: ٧١] دلَّ على الأطعمة، وقوله: ﴿وَأَكۡوَابٖ﴾ على الأشربة، وقوله: ﴿وَفِيهَا مَا تَشۡتَهِيهِ ٱلۡأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلۡأَعۡيُنُ﴾ [الزخرف: ٧١] على أنَّ في الجنةِ وراءهما من أصنافِ النِّعَم شيئًا آخَرَ[(٢)].

وقد نقل الطيبي عن «التيسير» في مواضع كثيرة من حاشيته المذكورة.

٣ ـ وممَّن نقَل عنه أبو بكرٍ البقاعيُّ: في «مَصاعِد النَّظر» في سورةِ الفاتحة فقال: وقال الإمامُ نجمُ الدِّين أبو حفصٍ عمرُ النسفيُّ في تفسيره «التيسير»: هي ثماني آياتٍ في قول الحسن البَصْريِّ، وستٌّ في قولِ الحسين الجُعْفيِّ، وسبعٌ في قول الجمهور[(٣)].

٤ ـ وممن نقل عنه العلامة ابن كمال باشا: في «تفسيره» وغيره من مؤلفاته:

منها: ما نقله في «أربعينياته» فقال: قال الإمامُ النَّسفيُّ صاحبُ «التَّيسير» في تفسيرِ سورةِ النِّساء: رَوى جابرُ بنُ عبدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عنه عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «اتَّخذ اللهُ إبراهيمَ خليلاً لإطعامِه الطَّعامَ»[(٤)].

ومنها: تعقُّبه في رسالته المسماة «رِسالةٌ في تَحقِيقِ الغَيبِ» على المؤلف فيما

---

(١) انظر: حاشية الطيبي على «الكشاف» المسماة «فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب» (١٣/ ١١).

(٢) انظر: «فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب» (١٤/ ١٧٤).

(٣) انظر: «مصاعد النظر في الإشراف على مقاصد السور» (١/ ٢٠٨).

(٤) انظر: «أربعينيات ابن كمال باشا» (ص: ١٣٧).

ذهبَ إليه مِن أنَّ المُرادَ بقولِهِ تَعالى: ﴿فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا﴾ [الجن: ٢٧] حِفظُه مِن الجَوانبِ كيلا يَقْرَبَه الشَّيطانُ عند إنزالِ الوحي فيُلقِيَ في وَحيه غيرَ الوحي، أو يَسمعَه فيُلقِيَه إلى الكَهنة فيُخبِرون به قَبلَ إخبار الرسول[1].

ومنها: ما نقَله عنه في رسالته المسمَّاةِ: «رسالةٌ في شرحِ حديثِ سأُخْبِرُكم بأوَّلِ أَمْرِي» فقال: وفي روايةِ النَّسفيِّ في «التَّيسير»: «أنا دعوةُ أبي إبراهيمَ، وبِشارةُ أخي عيسى، ورُؤيا رأتها أمِّي آمِنةُ؛ خَرج منها نورٌ أضاءتْ له قصورُ بُصرى»[2].

وغير ذلك كثير، كما نقل عنه أيضاً في «تفسيره» أموراً لا تحصَى مصرِّحاً بالنقل عنه أحياناً ودونَ تصريحٍ في أحيانٍ أخرى:

فممَّا صرَّح فيه: ما نقله في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٠٨] قال بعدَ أن اختار تأويلاً للآية: وبما قرَّرناه تبيَّن الخلَل فيما قيل: إنه عليه السلام كان يطعن في آلهتهم، فقالوا: لتنتهينَّ عن سَبِّ آلهتنا أو نهجونَّ إلهك، فنزلت. فإنَّ عبارة: (نهجونَّ) تأبى عن التَّأويل المذكور، وقد ذكر في «التيسير» سببَ النزول على وفق ذلك التأويل.

ومنه: قوله في تفسير سورة الكهف: وفي «التَّيسير»: كان البحرُ الذي يعمَلون فيه أصحابُ السَّفينة ما بين بحر فارسَ إلى بحر الرُّوم.

وكلٌّ وَرَدَ في هذا التفسيرِ كما سيأتي في موضعِه، وقد نقَل عنه في مواضعَ أخرى دون تعيينٍ، لكنْ بالمقابلةِ مع ما جاء في هذا التفسيرِ وجدْنا الكلامَ متطابقاً تماماً:

---

(١) انظر: «مجموع رسائل ابن كمال باشا» (١/ ٢٧٩).

(٢) انظر: «مجموع رسائل ابن كمال باشا» (٢/ ٢٦٩).

فمن ذلك: نكتةٌ ذكَرها ابنُ كمال باشا في تفسير قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾ [الصافات: ٤٩]، وكنَّا قد أوردناها في مقدِّمة تحقيقنا لـ«تفسير ابن كمال باشا» على أنَّها من إبداعاته وبناتِ أفكاره، ثم تبيَّن عند تحقيقِنا لهذا التفسيرِ أنها للمؤلِّف رحمه الله، وهي قوله: قال في صفةِ الحور: ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾ [الصافات: ٤٩] وفي صفةِ الولدان: ﴿كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ﴾ [الواقعة: ٢٣]، وأشار بذلك إلى أن الحورَ للصُّحبة دون الولدان؛ لأنَّ اللؤلؤَ للنَّظر لا للذَّوق، والبيضَ لهما.

وهذا الكلامُ متطابقٌ بين التفسيرين.

ومما نقله عنه دون تصريحٍ أيضاً: قولُه في تفسير سورةِ يوسفَ: فأمَّا قوله: ﴿دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ﴾ [يوسف: ٢٠] فهي على القلَّة؛ لأنهم كانوا يعدُّون القليل ويَزِنون الكثير.

٥ ـ كما نقل عنه الشهابُ الخَفَاجيُّ في حاشيته على تفسير البيضاويِّ المسمَّاة: «عِنَايةُ القَاضِي وكِفَايةُ الرَّاضِي» في عشرات المواضع:

منها: قوله في تفسير الفاتحة: الغضبُ والضلالُ وردا جميعاً في القرآن لجميع الكفار على العموم حيث قال: ﴿وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ١٠٦] وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ قَدْ ضَلُّوا۟ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٦٧] ولليهود والنصارى جميعاً على الخصوص حيث قال في حق اليهود: ﴿مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٦٠] إلخ، وفي حق النصارى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟﴾ [المائدة: ٧٧] كما في «التيسير»[١].

---

(١) انظر: «عِنَايةُ القَاضِي وكِفَايةُ الرَّاضِي» (١/ ١٤٦).

ومنها: في سورة البقرة قال وهو يتكلَّم عن التعجيبِ والتعجُّب في معنى (كيف): والأُولى أَولى؛ لِمَا في «التيسير»: أن (كيف) تكون للتعجُّب نحو: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [النساء: ٥٠]؛ أي: تعجَّب يا محمد، وللتعجيب؛ أي: الحملِ على التعجُّب[1].

ومنها: قوله: وهذا مأخوذ من قوله في «التيسير»: ويجوز أن يكون الخطابُ للمسلمين، والمعنى: كيف تكفرون نِعَمَ الله عليكم وقد كنتُم أمواتاً بالكفرِ أو الجهلِ فأَحْياكم بالإيمان أو العلم[2].

٦ ـ ونقل عنه إسماعيل حقي في «روح البيان» في عشرات المواضع بالتصريح[3]، وفي مواضعَ بغيرِ تصريح:

فممَّا نقله دون تصريح: حديثُ أبي هريرةَ رضي الله عنه: اللهمَّ إنِّي أعوذ بك من أن أزنيَ أو أسرقَ، فقيل له: قد كبرتْ سنُّك، وأنت صاحبُ رسول الله ﷺ، أتخافُ على نفسك من الزنا والسرقة؟! فقال: كيف آمَنُ وإبليسُ حيٌّ[4].

٧ ـ ونقل عنه ابن عابدين في «الحاشية» في الكلامِ عن محظوراتِ الإحرام فقال: قال صاحبُ «الملتقَط» في كتاب الأيمان: إنَّ الكفارة تَرفعُ الإثمَ وإنْ لم توجد منه التوبةُ من تلك الجناية اهـ، ويؤيِّده ما ذكره الشيخُ نجمُ الدِّين النسفيُّ في

---

(١) انظر: «عِنَايةُ القَاضِي وكِفَايةُ الرَّاضِي» (٢/ ١٠٩).

(٢) انظر: «عِنَايةُ القَاضِي وكِفَايةُ الرَّاضِي» (٢/ ١١١).

(٣) منها ما جاء في تفسير قوله تعالى في الفاتحة: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، وفي سورة البقرة في قوله: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾، وغيره كثير.

(٤) انظر: «روح البيان» (٢/ ١٩٣).

تفسيره «التيسير» عند قوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٩٤]؛ أي: اصطاد بعد هذا الابتداء(١).

٨ـ ونقل عنه الآلوسي في «روح المعاني» في مواضعَ كثيرةٍ مع التصريح بالنقل من «التيسير»(٢).

* * *

---

(١) انظر: «حاشية ابن عابدين» (٢/ ٥٤٤).

(٢) منها ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ﴾ [الأعراف: ٨٨]، وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ [يوسف: ٩٩]، وقوله تعالى: ﴿فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ﴾ [الحج: ٣٦]، وغيره كثير.

ثالثاً: بيانُ خصائصِ هذا التفسيرِ وميِّزاتُه التي تميَّز بها عن غيرِه من التفاسير

لقد اجتمع في هذا التفسيرِ أمورٌ لم تجتمِعْ في أيِّ تفسيرٍ آخر؛ من متانةِ الأسلوب، ووضوحِ المعاني، وكثرةِ النِّكات، وقوةِ الحُجج، وغيرِ ذلك مما سنبيِّنه فيما يأتي.

١ ـ وأولُ ما تميَّز به هذا التفسيرُ: هو أسلوبه في تفسير القرآن بالقرآن، واعتمادُه على ذلك في الاحتجاج والبيان، ووصولُه فيه إلى درجةٍ لم يصلْ إليها أيُّ تفسير، وقد أعددْتُ لهذا دراسةً شاملةً ستأتي إن شاء الله عند بيان منهج المؤلف في تفسيره هذا.

٢ ـ وإنَّ من أهم ما يُميِّز هذا التفسير: هو ذاك النَّفَسُ الإيمانيُّ والنَّفْحُ الرَّبَّانيُّ المتخالِطُ مع التفسيرِ اللفظي، والمتشابِكُ معه، بعباراتٍ لطيفةٍ رائقة، وألفاظٍ منتَقاةٍ لائقة، صادرةٍ عن قلبٍ خاشعٍ ولسانٍ ذاكر، فيَشعر الإنسانُ أنها تتغلغَلُ في أعماقه، وتحرِّك منه المشاعر:

ـ كقوله في تفسير: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ بعد نقله كلامَ بعض العلماء في الصراط: وأنا أقول:

هو ما ليس عليه ظلامُ النُّكرةِ ولا غبارُ البِدعة.

هو ما لا يَضلُّ سالكُه ولا يهتدِي تاركُه.

هو ما لا يُخاف فيه قطعُ الطريق، ويُمدُّ سالكُه ببَذْرقةِ[1] العصمة والتوفيق.

---

(١) البدرقة قال في «التاج» (مادة: بذرق): بالذالِ المُعْجَمة والمُهمَلة، وقال ابْن بَرِّي: هِيَ الخفارة، وقالَ الهَروي في (فصل عصم) من كتابِه «الغريبين»: إن البَذْرقَة يُقال لها: عصمةٌ؛ أَي: يعتصم بها... =

هو ما يُسهِّل إلى المقصِد، والمقصودُ وصولُ قُصَّاده، واللهُ تعالى بمِرْصاده.

ـ وقوله في تفسير الصراط أيضاً: إنما سمِّي الدِّين صراطاً لأن مَن كان له مقصودٌ أو مطلَبٌ فإنما يصل إليه بعد قطعِ الطريق، وسلوكِ سواءِ السبيل، واللهُ تعالى متعالٍ عن الأمكنةِ، لكنَّ العبد الطالب صاحبُ المكان، فلا بد له من قطعِ المسافات، ومسِّ الآفَات، وتحمُّلِ المَخافات، ليُكرَم بالوصولِ والموافاة.

ـوقال في شرح التي بعدها: وقيل: ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ في البدايةِ بالعناية، وفي الحالِ بالهداية، وفي النهايةِ بالحماية، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ﴾ [الأنبياء: ١٠١] وهذا في البداية، وقال تعالى: ﴿أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ﴾ [الحجرات: ١٧] وهذا في الحال، وقال تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾ [إبراهيم: ٢٧] وهذا في النهاية.

ـ وقال في تفسير الآياتِ التي في مطلعِ سورةِ البقرة: ثم مجموعُ الآية أنه قال: ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ وهو مدحٌ بترك كلِّ المخالفات، ثم قال: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ وهو ثناءٌ برأس الطاعات، ثم قال: ﴿وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ وهو مدحٌ بجامعةِ العبادات، ثم قال: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ وهو مدحٌ بما هو أساسُ السَّخاوات، ثم قال: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ وهو التصديقُ بكلِّ الرسالات، ثم قال: ﴿وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ وهو الإقرارُ والاعتقادُ بالبعث والجزاء على كلِّ المعاملات، ثم قال: ﴿أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾ وهو شهادةٌ لهؤلاء الموصوفين بالهداية في كلِّ الحالات، وحُقَّ لمن جمَع هذه الصفاتِ أنْ يؤهَّل لهذه الصِّلات.

= يُقال: بَعَث السُّلطانُ بَذْرَقَة مع القافِلَةِ، بالذَّالِ معجَمَةً... والمبذرِق: الخفير.

قلت: وينتج أن المراد بها هنا: العون والمدد، وما في معناهما.

ـ وقال: وفي قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾ [البقرة: ٢١] دلالةٌ على شمول القدرة والصَّنعة، وتنبيهٌ عن سِنَة الغفلة، أنهم كانوا فمضَوا، وجاؤوا وانقضَوا، فلا تنسَوا مصيركم، ولا تَستجيزوا تقصيرَكم.

ـ وفي أولِ يوسف قال: وانتظامُ أوَّل هذه السُّورةِ بآخرِ السُّورة الَّتي قبلَها: أنَّه افتتحَ هذه السُّورة بقوله: ﴿الٓر﴾ معناه: أنا اللهُ أرى من العرشِ إلى الثَّرى، فلي غيبُ السَّماوات العُلى والأراضي السُّفلى، ولسْتُ بغافلٍ عمَّا يعمل الورى.

وقيل: أنا الله أرى ما نزل بيوسفَ مِن البلوى، من الجبِّ والسِّجن والشَّكوى، ثمَّ جعلتُه مَلِك الدُّنيا، وجمعتُه مع شيخِه المبتلَى.

٣ ـ **كما يتميز بتلك النقول الرائعة والأقوال الجامعة المانعة**، والتي كثير منها لا تجده في الكتب، وفيها جوامعُ الكلِم، والمواعظُ والحكم:

ـ ففي تفسير الفاتحةِ في سببِ تسميتها بأمِّ الكتاب أسهَبَ في شرح ذلك وما قيل فيه، ومنه قوله: وقيل: الأمُّ: الإمامُ؛ فالسورةُ إمامُ أهلِ الإسلام، وأمُّ القرى مقصدُ الأَنام، وجهنَّم قيل لها: ﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٞ﴾ [القارعة: ٩]؛ لأنَّ الكافرَ له إليها المرجعُ والمقام، والدِّماغُ أمُّ الرأس وللرأسِ به القيام؛ فأمُّ القرآنِ تقوم بهذه المعاني العظام.

ـ وفي الفاتحة أيضاً قال: وقالوا: خيارُ المسلمين سبعةُ أصنافٍ: الحامدونَ، والراجون، والخائفونَ، والمخلِصون، والمتوكِّلونَ، والمستقيمون، والعارفونَ، وفي هذه السورة نصيبٌ لكلِّهم؛ فقولُه: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ على نصيبِ الحامدين، وقوله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ على نصيبِ الراجين، وقولُه: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ على نصيبِ الخائفين، وقولُه: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ على نصيبِ المُخلِصين، وقولُه: ﴿وَإِيَّاكَ

نَسْتَعِينُ ﴾ على نصيبِ المتوكِّلين، وقولُه: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ على نصيبِ المستقيمين. وبقيَّةُ السورة على نصيبِ العارفين.

ـ وفيها أيضاً في بيان الحمد والشكر: وقيل: الحمدُ مقلوبُ المدح، والشكرُ مقلوبُ الكَشْر، وهو انفتاحُ الشَّفتَيْن بالضَّحك حتى تبدوَ الأسنانُ، فالشكرُ انكشافُ الغطاءِ عن القلب حتى يعرفَ المنَّة مِن المنَّان.

ـ وكقوله عند تفسير قوله تعالى: ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾: قال الواسطيُّ: أولُ قَدَمٍ في الإيمانِ: أن لا يجريَ عليك التلوين فيما يَرِدُ عليك من نعمةٍ أو بليَّة؛ إذ لا فرق بينهما في الحقيقة.

وقال داودُ الطائيُّ: الإيمان: ما يُوْرِثُك النورَ بعد الظُّلمة، ثم اللِّينَ بعد القَسوة، ثم السُّنَّةَ بعد البِدْعة، ثم التلذُّذَ بالعبادة بعد المجاهدة.

وقال سهلُ بن عبد الله التُّسْتَريُّ رحمه الله: الإيمانُ أربعةُ أركان: التوكُّلُ على الله، والاستسلامُ لأمر الله، والرِّضا بقضاءِ الله، والشكرُ لنعماء الله عزَّ وعلا، والتقوى بابُ الإيمان، واليقينُ قلبُ الإيمان، والصبرُ عمادُ الإيمان، والإخلاصُ كمال الإيمان.

ـ وفي قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ ﴾ الآية [آل عمران: ٢٠٠] كان مما نقله فيها:

وقال بعض أهل المعرفة: ﴿ٱصْبِرُوا۟﴾ على بلائي ﴿وَصَابِرُوا۟ ﴾ نَعمائي ﴿وَرَابِطُوا۟ ﴾ أعدائي ﴿وَٱتَّقُوا۟ ﴾ محبة مَن سوائي ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ غداً بلقائي.

وقال آخر: ﴿ٱصْبِرُوا۟﴾ عند قيام النفير على احتمال الكُرَب ﴿وَصَابِرُوا۟ ﴾ على

مقاساة العناء والتعب ﴿وَرَابِطُواْ﴾ أعدائي بلا هرَب ﴿وَٱتَّقُواْ﴾ بهممكم عن الالتفات إلى السبب ﴿لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ غدا بلقائي على بساط الطَّرب.

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: يقال ﴿ٱصۡبِرُواْ﴾ على الطاعات وعن المخالفات ﴿وَصَابِرُواْ﴾ في ترك الهوى والشهوات، وقطع المنى والعلاقات ﴿وَرَابِطُواْ﴾ بالاستقامة في الصحبة في عموم الحالات.

قال: ويقال: ﴿ٱصۡبِرُواْ﴾ بنفوسكم ﴿وَصَابِرُواْ﴾ بقلوبكم ﴿وَرَابِطُواْ﴾ بأسراركم.

قال: والصبرُ مرٌّ مذاقتُه إذا كان العبدُ يتحسَّاه على الغَيبة، وهو لذيذٌ طعمُه إذا شربه على الشهود والرؤية ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ بمخالفةِ أهوائكم ﴿لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ الفلاحُ: الظَّفَر بالبُغية، وهمةُ القومِ اليومَ الظَّفَرُ بنفوسهم، فإذا ظَفِروا بها ذبحوها بسيوفِ المجاهَدة، وصلَبوها على عيدان المكابَدة، وبعد فنائهم عنها يَحصلُ بقاؤهم بالمشاهَدة.

ـ وذكر أيضاً في الموضع نفسه: وقال عطاء: ﴿ٱصۡبِرُواْ﴾ على دينكم ﴿وَصَابِرُواْ﴾ الوعد الذي وعَد ربُّكم ﴿وَرَابِطُواْ﴾ عدوِّي وعدوَّكم، حتى يرجعَ عن دينه إلى دينِكم ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾؛ أي: خافوني فيما نهيتُكم وأطيعوني فيما أمرتُكم ﴿لَعَلَّكُمۡ﴾ تُسْعَدون وتَبقَون في الجنة ناعمين مخلَّدين كما بشَّرتكم.

٤ ـ وإن من أهم ما تميز به أيضاً كثرة ما ينقله من آثار أو أقوال في التفسير أو النحو أو اللغة أو غيرها مما لا يوجد في الكتب التي بين أيدينا:

وهذا مما يبوِّئ هذا التفسير المكانة العالية السامقة على غيره من التفاسير المطبوعة.

ففي الآثارِ عن السَّلفِ مثلاً كثيرٌ مما ساقهُ لم نقف عليه، والغالبُ أنه نقلَه من

الكتب التي زَخرتْ بها مكتباتُ بلده وغيرِه من بلدانِ العالَم الإسلاميِّ، لكنها لم تَصِلْ إلينا لسببٍ من الأسباب:

ـ فمِن ذلك قولُ عليٍّ رضي الله عنه: لا تُنزِلوا الموحِّدين العارفين المخبِتين الجنةَ حتى يكونَ اللهُ هو يحكُم فيهم؛ لأن الله تعالى يقولُ: ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٩]، ولا تُنزلوا الموحِّدين العارفين المذنبين النار حتى يكون الله هو يحكم فيهم؛ لأن الله يقول: ﴿لَا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧].

ـ وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ﴾ [الأنبياء: ١١] نقَل هنا أقوالاً:

قال ابن عباس رضي الله عنهما: أهلكنا. وقال الضحاك: دمَّرنا. وقال أبو العالية: خرَّبنا. وقال ابن كيسان: هزَمْنا وقتلنا، وأنشد قولَ تبَّعٍ اليمانيِّ:

ولقد قَصَمْتُ يهودَ خيبرَ كلَّهم فتركتُ خيبرَ غيرَ ذاتِ يهودِ

ولم أقِفْ على هذه الأقوال عدا الأول، فقد رواه الطبري في «تفسيره» لكنْ عن ابن جُريجٍ ومجاهدٍ وابن زيد.

ـ وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾: ذكر قول عمر رضي الله عنه: نِعْمَ السلاحُ القوسُ.

ـ وعند قوله تعالى: ﴿وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [يونس: ١٠] قال:

وقال محمَّد بن عليٍّ الباقر: كلامُ أهلِ الجنَّة ثلاثة: التَّسبيح والتَّحميد وتسليمُ بعضهم على بعضٍ، ورزَقَ اللهُ تعالى هذه الثَّلاثةَ للمؤمنين في الدُّنيا في الصَّلاة؛ يَفتتِحون الصَّلاة بالتَّسبيح، ويفتتحون القراءة بالحمد، ويختمون بالسَّلام.

وقال الحسين بن علي: إذا أرادوا الطَّعام والشَّراب سبَّحوا، وإذا فرغوا حمدوا، وإذا اشتاقوا هلَّلوا، وإذا تلاقوا سلَّموا، وإذا تفرَّقوا بعدَ التَّزاور فآخر دعواهم ـ أي: آخر كلامهم عند التَّفرُّق ـ الحمد لله ربِّ العالمين.

ـ وعند قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ﴾ [النمل: ٤٠] ذكَر ما فيه من أقوالٍ للسلف فقال:

قال مجاهد: دعا الله فأُخرج له من نفقٍ في الأرض حتى وُضع بين يديه.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: قال: يا حيُّ يا قيوم.

وقال عبد الله بن سلَامٍ: قال: اللهمَّ إني أسألُكَ بأنك أنت اللهُ الذي لا إلهَ إلا أنت، الحيُّ القيوم، الطاهرُ المطهّر، نورُ السماوات والأرض، عالمُ الغيب والشهادة الكبيرُ المتعال.

ورُوي عن جابرٍ أنه قال في الدعاء: يا اللهُ يا اللهُ يا اللهُ.

وقال عمرو بن عديٍّ: دعا فقال: يا ذا الجلالِ والإكرام، والفضلِ العظيم، والعزِّ الذي لا يُرام.

ـ وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ﴾ [العاديات: ١٠] ذكَر قولَ الحسن: حصِّل ما في صدور الصُّحف، وهو كتحصيلِ الحساب: يَذهب ممَّا كان في صور الطاعات ما لم يكن لوجهِ الله ويبقَى ما هو لوجهه.

ـ وجاء في تفسير قوله تعالى: ﴿فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ﴾: وقال الحسن: لجهنَّم سُرادقٌ كما قال: ﴿أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ [الكهف: ٢٩] وللسُّرادق عَمَدٌ، فإذا مُدَّت تلك العَمَد أُطْبقت جهنمُ على أهلها.

ـ وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ قال: وقال يَعْلَى بن عطاء: ﴿وَثِيَابَكَ

﴿فَطَهِّرۡ﴾ ممَّا كنْتَ تفكِّر فيه، ولا يَكثُرَنَّ[1] عليك ما أوذِيْتَ به، فإنَّه قليلٌ في جنبِ ما يريد الله أن يثيبَكَ.

ـ وفي قوله تعالى: ﴿وَسَيِّدًا﴾ [آل عمران: ٣٩] عدَّد ما جاء فيه من أقوالِ السلف، وآخرُها: وقيل: الفقيهُ العاملُ بعلمه. ثم عقَّبه بقوله: وعندي هو الأصوبُ، فإنَّ عمر بنَ عبد العزيزِ قال للحسن البصريِّ: شَرُفْتَ في الدُّنيا بعلمك، فاعمل به تَشرُفْ بالآخرة.

وغيرُه كثيرٌ جدًّا من أقوالِ السلف، التي لم نجد في ذكرها للمؤلِّف سَلَف.

هذا فضلاً عن كثيرٍ من أقوالِ أئمةِ التفسير واللغة والنحو التي لم نقفْ عليها أيضاً، وممَّن أكثَرَ من النقلِ عنهم ولم نجدْ في الغالبِ أقوالهم: الكسائيُّ وقطربٌ ونِفْطويه والأخفشُ والقفَّال وأبو سعيدٍ الضَّريرُ وأبو معاذٍ وغيرهم.

ـ فمِن ذلك ما نقَله عن الكسائيِّ في قوله تعالى: ﴿ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ مَّقَامُ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ [آل عمران: ٩٧] من قوله: فيه وجوهٌ:

إن شئت على العطف بغير واوٍ، كأنه قال: فيه آياتٌ بيناتٌ وفيه مقام إبراهيم وغيرُه.

وإن شئْتَ: على الإضمار، كأنَّه قال: فيه آياتٌ بيناتٌ منها مقام إبراهيم.

وقيل: المقام مع أنه واحدٌ هو آياتٌ بيِّناتٌ؛ لأن المقامَ دلَّ على وحدانيةِ الله تعالى وكمالِ قدرتِه وعلمِه وسائرِ صفاته وأسمائه، وعلى نبوَّة إبراهيمَ وصِدْقِ دعوته وصدقِ شرائعه، فكانَ المقامُ الواحدُ آياتٍ بيِّناتٍ على هذا الوجه، وعلى هذا الوجه تقديرُه: فيه آياتٌ بيناتٌ هي مقامُ إبراهيم....

---

(١) في نسخة: «يكبرن».

ـ وعند تفسير قوله تعالى: ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ﴾ [المعارج: ١] قال: قال الكسائيُّ: الباء بمعنى (عن)، كما في قوله: ﴿فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ خَبِيرٗا﴾ [الفرقان: ٥٩]، ومعناه: سأل هذا الكافر عن العذاب بمن يقع؟ فقال الله تعالى: ﴿لِّلۡكَٰفِرِينَ﴾.

ـ ونقل كلاماً حسناً للقفَّال في تفسير: ﴿قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ ..﴾ [التوبة: ٢٤]، فقال: وقال القفَّال: قطَع وجوهَ العُذر بهذا التعديد والبسطِ من الكلام، فلم يُجِزْ تركَ الهجرة والجهاد في سبيل الله للميل إلى الشيء من الأسباب المميلة، ولم يجعل ما يَثقُل على الإنسان فراقُه من أبٍ برٍّ، وابنٍ يَتزيَّن به، وأخٍ يَعتضِد بمعونته، وزوجةٍ يَسكن إلى صحبتها وإلْفِها وخدمتها، وعشيرةٍ يَتعزَّز بهم، ويَستعين على دفع الـمُلِمَّات بنُصرتهم، وأموالٍ مكتسَبة قد استَنفذَ في تحصيلها الوُسع، وأنفق على جمعها العُمر، وتجشَّم على حملها الأسفار، وخاف عليها الضَّيَاع بالغيبة عنها، وتجارةٍ قائمةٍ يرجو حصولَ أرباحها، ومنازلَ قائمةٍ عامرةٍ نزهةٍ مألوفةٍ يتحصَّن فيها من أذى البرد والحر، وأَعدَّ فيها مواضعَ للشتاء والصيف= حجةً في مخالفةِ ما أمر الله تعالى من الهجرة وجهادِ الكفار، وأَخبر أنَّ مَن آثَرَ طاعة الشيطان على طاعة الرحمن فليستعدَّ لنزول أمر الله، فإنه ينزل به ما لا مَدفَعَ له ولا اعتصامَ منه بنصرةِ قرابةٍ أو عشيرة، ولا يتحصَّن بمساكنَ حَريزة، ولْيَعلمْ أن الله لا يُرشد الفاسقين المستخفِّين بدِينه إلى صوابٍ في تدبيره، ولا يهديهم إلى طريقِ رضوانه ورحمته ما داموا على اختيارِ مخالفته.

ـ وعن نفطويه نقل في معنى الغي في قوله: ﴿فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا﴾ [مريم: ٥٩] قوله: هو الجهل.

وفي معنى ﴿ذُو مِرَّةٖ﴾ [النجم: ٦] قوله: أي: ذو رأيٍ مُحْكَمٍ.

وفي قوله تعالى: ﴿قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الشعراء: ٢٠] قولَه: أردتُ أمراً فضلَلْتُ عنه.

وفي معنى: ﴿يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ﴾ [سبأ: ٤٨] قولَه: أي: يلقي الحقَّ في قلبِ مَن يشاءُ وعلى لسانه.

ـ وعن قطرب في قوله: ﴿نَفَشَتْ﴾ [الأنبياء: ٧٨] قال: إذا تفرَّقت بلا راعٍ، ومنه: (العهن المنفوش)؛ أي: المتفرِّق.

وفي قوله: ﴿وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا﴾: قال قطربٌ: زلزلةً وكسراً.

ـ ونقل أيضاً الكثيرَ من كلام الكلبي الذي لم نجده في المطبوعات؛ كما في قوله تعالى: ﴿فَتَرَبَّصُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ﴾ [التوبة: ٥٢] قال: قال الكلبي: أي: انتظِروا هلاكنا فإنَّا ننتظر هلاككم.

ـ ونقل عن النَّضْر بن شُميلٍ في قوله تعالى: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾ [الواقعة: ٣٠] قولَه: أي: لا يَنقصُ كما ينقص ظلُّ الدُّنيا.

ـ وعن أبي سعيد الضَّريرِ في قوله تعالى: ﴿ذَرْنِى وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ قوله: ﴿وَحِيدًا﴾؛ أي: لا أبَ له، وهو في معنى قوله: ﴿زَنِيمٍ﴾؛ أي: دَعِي.

ـ وفي قوله تعالى: ﴿وَعَدَّدَهُۥ﴾ عدَّد المؤلِّف ما فيه من الأقوال فقال:

وقال محمد بن كعب: يقول: هذا لي وهذا لي.

وقيل: ﴿وَعَدَّدَهُۥ﴾؛ أي: كثَّره؛ يقال: هذا مال له عددٌ؛ أي: كثرةٌ، و: في بني فلان عددٌ؛ أي: كثرة.

وقال أبو معاذ: ﴿وَعَدَّدَهُۥ﴾؛ أي: هيَّأه للوجود، هذا لكذا وهذا لكذا، من العُدَّة بمعنى: أعدَّه وأَرصده.

وقـال الأخفـش: وعدَّده للدهـور، وأعدَّ وعدَّد واحـد، كقولهم: أَجَـدَّ وجَدَّدَ، وأَحَـدَّ وحدَّد.

ثم ختم ذلك بقوله: وهذا كلُّه دلالةُ الإمساك، كقوله: ﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ﴾ [المعارج: ١٨].

ـ ومن روائع نقله ما ذكره في تفسير ﴿ٱلصَّمَدُ﴾ عن أبي زيد البلخيِّ(١) من قوله: الصمد: هو الذي يُصمد إليه تعظيماً له ورغبةً فيه، ووقوعُ هذا الاسم على مَن تعظَّم من البشر إنما هو على الاستعارة؛ لأنه ليس أحدٌ من المخلوقين وإنْ عظُم شأنُه وعلتْ رتبتُه إلا وهو موصوفٌ بالنقص، عاجزٌ عن إبلاغ مَن يَصمد إليه غايةَ أمله، فالصمدُ في الحقيقة مَن هو ملجأُ كلِّ مستغيثٍ به في نوازله، ومَن بيده ناصيةُ كلٍّ من خليقته، ومِن أجلِ جلالة هذا الاسم جعله الله تعالى مقروناً بلفظةِ ﴿أَحَدٌ﴾ الدالةِ على حقيقة الوحدانية؛ ليدلَّ بأحد الاسمين على أن الموصوف به هو مَن لا نظيرَ له ولا شبيه إذ له الوحدةُ المحضَة، ويدلَّ بالاسم الآخر على أن مِن الواجب إذ كانت الوحدانيةُ بالحقيقة له، وكان مبدعَ الكلِّ وحافظَه ومدبِّره، أن لا يُصمد بالعبادة والتعظيم والرغبة والرهبة غيرُه، فاجتمعَ في لفظي الأحدِ والصَّمدِ وما يتبعهما من نفي صفاتِ الحدوث ووجودِ مثيلٍ له وشبيهٍ له ـ وهو قوله تعالى: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ ـ ما يستحقُّه من صفات الألوهية والربوبية، ومن أجلِ عظيمِ شأنِ هذه الكلمات الموجودةِ في هذه السورة صارت من أشرفِ سور القرآن في توحيد الله وتمجيده، ولذلك سُميت سورةَ الإخلاص، كلُّ هذا كلام أبي زيد.

ثم نقل عن بعض أهل العلم قوله في تفسير سورة الصمد: إن هذه السورةَ يفسِّر بعضُها بعضاً، إذا قيل: مَن هو؟ فجوابه: ﴿ٱللَّهُ﴾، مَن الله؟ ﴿أَحَدٌ﴾ مَن الأحد؟

---

(١) هو أحمد بن سهل، أحد الكبار الأفذاذ من علماء الإسلام، وستأتي ترجمته في الكتاب.

﴿ٱلصَّمَدُ﴾ مَن الصمد؟ ﴿الذي لم يلد ولم يولد﴾ مَن الذي لم يلد ولم يولد؟ ﴿الذي لم يكن له كفوا أحد﴾.

وقد يذكر أحياناً أقوالاً تخالفُ ما ذهب إليه جميعُ المفسِّرين لكنها جديرةٌ بالتأمُّل:

ـ فمِن ذلك ما ذكَره في تفسير قولهِ تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى﴾ قال: وقيل: هم عبادُ الخِلقة، وهم الكفار ﴿يَقُولُواْ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾: كلمة التوحيد ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ﴾ يحملُهم على الشرك ويُغري بينهم وبين المؤمنين بالعداوة ﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ﴾ فإنْ علم منكم توبةً باستماعكم مواعظَ الله وعملِكم بها رَحِمَكم ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ﴾ يا محمد ﴿عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾ مسلَّطاً مكرِهاً على الإيمان، إنما عليك الإنذار.

ففسَّر العبادَ بالكفار، وبنَى عليه تفسيرَ باقي الآية، بينما كلُّ الأقوالِ الأخرى تجعلُها في المؤمنين.

وهذا كلُّه لم نجدْ منه شيئاً فيما توفَّر من مصادرَ، وهو ليس سوى غيضٍ من فيضٍ؛ كما سنرَى في هذا الكتاب إن شاء الله.

٥ ـ كثرة ما فيه من أقوال تفسيرية وفوائدَ ونكاتٍ خاصةٍ بالمؤلف:

فقد كان للمؤلِّف كثيرٌ من النَّظرات والنِّكاتِ التي تفوَّق فيها على غيره من المفسِّرين: ـ فانظُرْ مثلاً لروعةِ تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾ [الإنسان: ١٤] حيث قال: أي: وسُهِّلَ لهم اجتناء ثمرها كيف شاؤوا؛ متَّكئين وقاعدين وقائمين، وهذا من عجيبِ الاختصار؛ لأنَّ فيه نزولَ العنقودِ إلى الفمِ والإنسانُ قاعدٌ، وارتفاعَه إليه وهو قائمٌ، وزوالَ امتناعهِ عليه في كلِّ حالٍ من أحواله ببُعدٍ أو مانعٍ مِن شوكٍ أو غيره.

لم أجدْ مَن شرَحها هذا الشرحَ ووضَّحها هذا التوضيحَ البليغ، ومَن يراجِعْ قولَ الزمخشريِّ مثلاً ـ وهو صاحبُ الباع في مثلِ هذا ـ في تفسيرها ويقارِنْ بينهما يَظهرْ له الفرقُ في التعبير، وفي حسنِ البيانِ والتصوير، فقد قال الزمخشري: وتذليلُ القطوف: أن تُجعلَ ذللاً لا تمتنعُ على قطَّافها كيف شاءوا، أو تجعلَ ذليلةً لهم خاضعةً متقاصِرة، من قولهم: حائط ذليلٌ؛ إذا كان قصيراً.

ـ ومثلُ هذا قولُه في تفسير: ﴿إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [التوبة: ٩١]: أي: لم يثبِّطوا غيرَهم من الموسِرين والأصحَّاءِ عن الخروج، ولم يوهِموهم أن قعودهم كان لجواز التخلُّف لكلِّ مَن أراده، بل بيَّنوا سببَ تخلُّفهم، وحرَّضوا القادرين عليه، وقاموا بأسبابهم عند خروجِهم وأسبابِ مَن خلَّفوهم بالمعونة.

فهذا المعنى الذي ذكره لم أجدْ أحداً من أهل التفسير والمعاني ذكَره ولا ما يقاربُه في الحُسن وإصابةِ الـمَحَزِّ، اللهمَّ إلا ابنَ كمالِ باشا الذي في الحقيقةِ نقَلَه عن المؤلِّف.

ـ وانظرْ ما أروعَ شرحَه لقوله تعالى: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ﴾ [النور: ٣٧] فقد قال في التفريق بين التجارة والبيع: لا تَشغلُهم تجارة؛ أي: بالأسفار في الأمصار ﴿وَلَا بَيۡعٌ﴾؛ أي: في الأسواق في الحوانيت، وحملناهما على هذين لتكون لزيادة إفادةٍ لا لمجرَّد إعادة.

قلت: وهذا التفريق بينهما لم أجد أحداً من المفسرين قد انتبه إليه أو نبَّه عليه.

ـ ثم قال في تفسير باقي الآية: ﴿عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾: أي: خارج الصلاة ﴿وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾؛ أي: وعن إقامةِ الصلاة في وقتِ الصلاة ﴿وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ﴾: أي: وعن إيتاءِ الزكاة. بيَّن أنهم ليسوا بزَمْنَى لا أبدانَ لهم، ولا فقراءَ لا أموالَ لهم؛ ليكون لهجُهم

بالذكر لعجزهم وفقرهم، بل قال: لهم أبدانٌ يقيمون الصلاة بها، وأموالٌ يؤدُّون الزكاة عنها، ثم لا يَشغلُهم ذلك عن خدمة الله تعالى وذكرِه.

وهذه الحكمةُ التي ذكرها مِن قَرْن إقامةِ الصلاة وإيتاءِ الزكاة بذكرِ الله لم أجدْها عند أحدٍ من المفسِّرين.

ـ ومِن ذلك كلامه في الحكمة من ختم قوله تعالى: ﴿وَمَا نَقَمُواْ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝٨ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [البروج: ٨ ـ ٩] حيث وَرَد في الآية كونُه عزيزاً حميداً ملكاً دون غيرها من صفاته تعالى، فقال المؤلِّف في تعليل تخصيص هذه الصفات: ﴿ٱلْعَزِيزِ﴾ صفة لـ﴿ٱللَّهِ﴾ تعالى، وهو المنيعُ الذي لا يُغْلَب، ﴿ٱلْحَمِيدِ﴾ بحمدِ المؤمنين، وفي عقول جميع المكلَّفين، والمستحِقُّ للحمد على الحقيقة ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾.

ثم قال: وأشار بهذا كلِّه إلى أنَّه لو شاءَ لمنعَهم عن ذلك، لكن لم يمنع محنةً لأوليائه.

فهذه الحكمةُ من تخصيصِ تلك الصفاتِ التي ختَم بها لم أجد مَن تنبَّه لها ممَّن تكلَّم في تفسير الآيةِ، ومنهم الزمخشريُّ الذي قال فيها: وذكَرَ الأوصافَ التي يَستحقُّ بها أن يُؤْمَنَ به ويُعْبَدَ، وهو كونُه عزيزاً غالباً قادراً يُخشَى عقابُه، حميداً منعِماً يجب له الحمدُ على نعمته ويُرجى ثوابه، ﴿لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ فكلُّ مَن فيهما تحقُّ عليه عبادتُه والخشوعُ له.

وهذا الذي ذكره الزمخشريُّ كلامٌ حسنٌ لكنه غيرُ كافٍ في تعليلِ التخصيصِ بتلك الصفات، فإنه ينطبِقُ على كلِّ صفات الله وأسمائه.

ـ ومن شروحِه الحسنةِ ما جاء في تفسيرِ قولِه تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ

﴿إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] مِن شرحِهِ لقول ابن عباس: إلا لِيُقِرُّوا لي بالعُبوديَّةِ طَوْعاً أو كَرْهاً.

ثم عقَّبه بقوله شارحاً له: يعني: أنَّ المؤمنين يُقِرُّون له طَوْعاً، والكافرون يُقِرُّون له بما جبَلَهم عليه مِن الخِلْقَة الدَّالَّة على وحدانيَّةِ الله تعالى، وانفرادِه بالخَلْقِ، واستحقاقِ العبادةِ دون غيره، فالخَلْقُ كلُّهم بهذا له عابِدون، وعلى هذا قولُه: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الرعد: ١٥]، وقولُه تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾ [الإسراء: ٤٤]، وقولُه: ﴿بَل لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾ على معنى: ما يُوجَدُ منهم مِن دلائلِ الحُدوثِ المُوجِبَةِ لكونها مَرْبُوبةً مَخْلُوقةً مُسَخَّرةً.

وكلُّ هذا الذي ذكَرْناه ليس على سبيلِ الحصر، بل للتدليلِ والبيان، فكلُّ الكتابِ على هذا النَّحو.

٦ ـ ومما تميَّز به هذا التفسير أيضا: الإيجازُ في البيان، مع متانةِ العبارة، وجمالِ الإشارة، والوصول إلى توضيحِ المعنى بأسهلِ الطرق وأقربها لنفس المتلقِّي:

ـ فمن ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا﴾ [الأعراف: ١٢٦] قال المؤلِّف على لسان السحرة: وهذا ممَّا لا يُعاب، بل ثَبَت له الإيجاب، ولا يجوزُ لنا عنه الانقلاب، فلا سبيلَ إلى إرضائكَ فقد استَسْلَمنا.

ـ ومن ذلك قوله تعالى: ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا﴾ [يوسف: ١٠١] قال: أي: أَمِتْني على الإسلام.

قيل: لَمَّا انتظمَتْ أسبابُه واطَّردَتْ أحوالُه اشتاقَ إلى ربِّه.

وقيل: لَمَّا رأى أمرَه على الكمال، علمَ أنَّه أشرفَ على الزَّوال، سأَلَ سعادةَ الانتقالِ، قال قائلُهم:

إذا تـــمَّ أمـــرٌ دنـــا نقصُـــهُ   توقَّـــعْ زوالًا إذا قِيْـــلَ تَـــمّ

ـ ومثله قوله تعالى: ﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَـٰدِ ﴾ [الحديد: ٢٠] قال في معناه: ﴿لَعِبٌ﴾ كلعبِ الصِّبيان، ﴿وَلَهْوٌ﴾ كلهو الفتيان، ﴿وَزِينَةٌ﴾ كزينة النِّسوان، ﴿وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ﴾ كتفاخر الأقران، ﴿وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾ كتكاثر الدِّهْقان.

٧ ـ ومما تميز به هذا التفسير أيضاً: أنه لا ينقل الأقوال نقلاً حرفيًّا بل يَطبعُ ما ينقله بأسلوبه ويلوِّنه بفكره.

وأكثر ما رأيتُ هذا في نقله عن «تأويلات أهل السنة» للماتُريديِّ و«لطائف الإشارات» للقشيريِّ، وهما أكثرُ مصدرين نقَل عنهما المؤلف ورافَقاه من أولِ التفسير حتى آخِره:

ـ ففي قوله تعالى: ﴿ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ﴾ [الأعراف: ٧٠] قال المؤلف: وقال القشيريُّ: إنهم طاحُوا في أوديةِ التفرقة، واستَطابوا صحبةَ الأغيار، فشَقَّ عليهم حين طُولبوا بهجرانِ العادةِ والقرارِ في ساحاتِ التوحيد حتى قالوا ما قالوا.

ولفظ القشيري: (طاحوا في أودية التفرقة فلم يجدوا قراراً في ساحات التوحيد، فشقَّ عليهم الإعراض عن الأغيار)(١).

ـ وفي قوله تعالى: ﴿ أُو۟لَـٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَـٰمًا ﴾ [الفرقان: ٧٥] قال: وقال القشيري رحمه الله: استكثَرَ القليلَ من عباده فعدَّد أفعالهم في آيات، واستقلَّ الكثيرَ من نفسه فعدَّ الجنة بما فيها على كثرتها غرفةً.

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٥٤٥).

وعبـارة القشـيري: (يُعطـي سـبحانه الكثيـرَ مـن عطائـه ويَعـدُّه قليـلاً، ويَقبل اليسـيرَ مـن طاعـةِ العبـد ويَعُـدُّه كثيـراً عظيمـاً، يعطيهـم الجنةَ قصـوراً وحـوراً ثم يقـولُ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ﴾، ويقبـلُ اليسـيرَ مـن العبـد فيقـولُ: ﴿فَجَآءَ بِعِجۡلٖ سَمِينٖ﴾ [الذاريـات: ٢٦][1].

ـ وفي قوله تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلۡزَمۡنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِي عُنُقِهِۦۖ وَنُخۡرِجُ لَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ كِتَٰبٗا يَلۡقَىٰهُ مَنشُورًا﴾ [الإسراء: ١٣] نقل عن القشيري قوله: وقيل: مَن حاسبَه بكتابه وجد كلَّ زلَّةٍ ومَهلكةٍ، ومَن حاسبَه بكتابِ نفسِه ففي كتابه سبحانه: ﴿ٱلۡغَفُورُ ذُو ٱلرَّحۡمَةِ﴾ [الكهف: ٥٨]، فالواجبُ على العبد أن يبتهِلَ في دعائه فيقولَ: اللهمَّ حاسِبْني بكتابك على ما قلتَ: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمۡ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَ﴾ [الأنعام: ٥٤] لا بكتابي فإنه مشتمِل على القبائح والفضائح.

وعبارة القشيري: (ويقال: مَن حاسبَه بكتابه فكتابُه ملازمه في حسابه، فيقول: ربِّ، لا تحاسبني بكتابي، ولكن حاسبني بما قلتَ: إنَّك ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ﴾ [غافر: ٣] لا تعاملني بمقتضَى كتابي ففيه بواري وهلاكي)[2].

ـ وفي أواخر تفسير الفاتحة قال المؤلِّف: وقولُه عليه السلام في حديث القِسمة: «هذا بيني وبينَ عَبْدي نصفَين»[3]، أشار الإمامُ أبو منصورٍ رحمه الله إلى معنيَين فيه:

أحدُهما: أن يكون كلُّ واحدٍ منهما بينَ اللهِ وعبدِه، العبادةُ من العبدِ وهي للهِ تعالى، والاستعانةُ فعلُ العبد وهي طلبُه من الله تعالى.

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٦٥٢).

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٣٤٠).

(٣) قطعة من حديث رواه مسلم (٣٩٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

والثاني: أن العبادةَ من العبدِ للهِ تعالى، والمعونةَ من اللهِ تعالى للعبد، وهذا أظهرُ؛ لأنه قال في بقية السورة: «هذا لعَبْدي ولعَبْدي ما سَأل»[1] لمَّا كان نفعُ الهدايةِ للعبد جعَله للعبد، فكذلك نَفْعُ المعونة[2].

فهذا ما ذكره المؤلف، أما قول الماتريدي في «تأويلات أهل السنة»: (وقد رُويَ عن النبي ﷺ أنه قال في خبر القسمة: «اللهُ يقول: هذا بَيني وبينَ عبدي نِصْفين»، وذلك يحتملُ: أن يكون كلُّ حرفٍ من ذلك، بما فيها جميعًا الفزعُ إلى الله بالعبادة والاستعانةِ ورفعِ الحاجة إليه، وإظهارِ غناه ـ جلَّ وعلا ـ عنه؛ فيتضمَّنُ ذلك الثناءَ عليه، وطلبَ الحاجةِ إليه.

ويحتمل: أن يكون الحرفُ الأَولُ للهِ بما فيه عبادتُه وتوحيدهُ، والثاني للعبدِ بما فيه طلبُ معونته وقضاءُ حاجته، ويؤيِّدُ ذلك بقيةُ السورة أنه أُخرج على الدعاء فقال اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: «هذا لعبدي، ولعبدي ما سأل».).

وعلى هذا يقاسُ أغلبُ ما نقله المؤلف في تفسيره عمَّن تقدَّمه من العلماء.

٨ ـ وأخيراً فإن مِن أهم ما يميِّز هذا التفسيرَ هو أن مؤلِّفَه ليس مجردَ ناقلٍ لِمَا سطَّره مَن قبلَه أو روَوْه، ولا حاطبِ ليلٍ همُّه التجميعُ دون التحقيق، بل هو من العلماء المحقِّقين المدقِّقين الذين لهم رأيٌ وحضورٌ فيما ينقلونه أو يَروونه:

ـ ففي قوله تعالى: ﴿أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾ [الأعراف: ١١١] نقل قولَ بعضهم في معناه: احبِسْه. ثم قولَ عطاءٍ الخراسانيِّ: أخِّره.

ثم قال عن الثاني: وهو الأصحُّ؛ لأنه لم يَثبت أنه حبَسهما، ويدلُّ عليه قولُه: ﴿فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ﴾ [طه: ٥٨].

---

(١) قطعة من الحديث السابق.

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» (١/ ٣٦٥)، وفي نقل المؤلف شيء من التصرف.

فهو لم يَكتفِ بالترجيح، بل علَّل سببه وبيَّن مأخذَه.

ـ ويظهرُ ذلك جليًّا في قوله تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا﴾ [الأعراف: ١٧٥] حيث نقل عن مقاتلٍ: كان من مدينةِ بلقاءَ، وسُميت بلقاءَ لأن رجلاً ملَكها يقال له: بالقٌ، وكان من قصته: أنَّ موسى عليه السلام أراد أن يغزوَ ملكاً، فقال الملِك لبلعم: إن موسى رجلٌ حديدٌ، ومعه جندٌ كثير، فإنْ ظَهَر علينا أهلَكَنا، فادْعُ اللهَ ـ تعالى ـ أن يردَّه عنَّا، فقال: إنْ فعلتُ ذلك ذهبتْ دنياي وآخرتي، فلم يزالوا به حتى دعا عليهم، قالوا: فوقَعَ موسى وبنو إسرائيلَ في التِّيه بدعائه، فلمَّا انقضتِ المحنةُ قال موسى: يا ربِّ! بأيِّ ذنب وقعتْ لنا هذه المحنة؟ قال: بدعاء بلعم، قال: فكما سمعتَ دعاءه عليَّ فاسمعْ دعائي عليه، فدعا موسى عليه فسلَخه الله مما كان عليه، ونزعَ منه معرفته فخرجتْ من صدره كحمامةٍ بيضاءَ، وذلك قولُه ﴿فَٱنسَلَخَ مِنْهَا﴾.

ثم تعقَّبه بقوله: وهذا كلامٌ مختلٌّ، واحتباسُهم في التِّيه كان بقولهم: ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾ [المائدة: ٢٤] لا بدعاء بلعم، وكيف يُستجاب دعاءُ بلعم وقد انسلخ من الآيات؟! ولأنه قد دعا على موسى وقومه بالباطل، وكيف دعا موسى على بلعم بزوال الإيمان وكان مبعوثاً إلى الناس ليدعوَهم إلى الإيمان؟!

ـ وفي قوله تعالى: ﴿أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [مريم: ٥٩] ذكر قول القُرظيِّ: تركوها.

ثم ذكر ما روي عن عمر بن عبد العزيز أنه قال: أخَّروها عن وقتها.

ثم أعقب القولين بقوله مرجِّحاً: الصحيحُ الأول، فإنه في حقِّ الكفار، بدليلِ قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ﴾ [مريم: ٦٠] فاستثنى المؤمنين منهم، فدلَّ أن المستثنَى منهم هم الكفار.

ـ وفي قوله: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ﴾ [مريم: ٦١] قال: أي: موعودُه ﴿مَأْتِيًّا﴾؛ أي: يأتيه الموعودُ له ويبلغه.

ثم قال: ومَن جعله بمعنى الآتي فهو خلافُ الوضع، وما قُلناه أحسنُ؛ لأنه مراعاةُ الوضع، وما أتاكَ فقد أَتيتَه.

ـ ومن أعظم مظاهر تحقيقه وتمحيصه ردُّه لقصة الغرانيق التي يذكرها المفسِّرون عند قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾ [الحج: ٥٢]، حيث أبطلَها بردودٍ غايةٍ في الإفحام والصحَّة وقوَّةِ الحجة.

ـ وكذا عرضُه لقصة طلاقِ زينبَ بنتِ جحشٍ رضي الله عنها وزواجِ النبيِّ ﷺ منها في سورة الأحزاب في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ ۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾ [الأحزاب: ٣٧ ـ ٣٩] فساق القصة بأحسنِ سياقٍ وأنزهِ معنًى، خاتماً إياه بقوله: وقد تكلَّم الناس في الآية بوجوهٍ وهذا أقومُها وأسلمُها.

قلتُ: وهو كما قال، فإنَّ ما ذكَره ـ رحمه الله ـ هو السياقُ الذي عليه المحقِّقون من العلماء، وهو الذي مدَحه القرطبيُّ ونقَل عن علمائه قولَهم: وهذا القولُ أحسنُ ما قيلَ في تأويلِ هذه الآية، وهو الذي عليه أهلُ التَّحقيقِ من المفسِّرين

والعلماءِ الراسخين كالزُّهريِّ، والقاضي بكرِ بنِ العلاءِ القشيريِّ، والقاضي أبي بكرِ بنِ العربيِّ وغيرِهم[1].

ـ ولعل من أجملِ تحقيقاته: استدلالُه على أن الذبيح إسماعيلَ بما يظهر منه قوةُ عقلِه وحُسنُ استنباطه وفهمِه، وذلك في قوله تعالى في سورة هود: ﴿فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ [هود: ٧١] فقال: ودلَّت الآيةُ أنَّ الذَّبيح هو إسماعيل، فإنَّ الله تعالى بشَّر إبراهيم عليه السَّلام بأن يكون لإسحاق ولدٌ، وكان يعلمُ أنَّه لا يموت حتَّى يُولَد له ذلك، فلا يكون على هذا في الأمرِ بذبح هذا الولد امتحانٌ؛ إذ يَعلمُ أنَّه لا يتحقَّق فيه الذَّبح للحال، فتعيَّن للابتلاء الولد الآخر؛ وهو إسماعيل.

ـ وكذا استدلاله أن زوجاته ﷺ من أهل بيته من قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ [هود: ٧٣]، حيث قال: وفيه ردٌّ على مَن أنكرَ مِن الرَّافضة أنْ يكونَ أزواجُ النبيِّ ﷺ مِن أهلِ البيت في قوله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ [الأحزاب: ٣٣].

ـ وفي قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ﴾ [الصافات: ٨٣] قال: أي: مِن مُتَّبعيه ـ يعني: نوحاً ـ إبراهيمُ الخليلُ عليه السَّلامُ.

ثم ذكر عن الفرَّاء قوله: وإنَّ مِن شيعةِ محمَّدٍ لَإبراهيمَ.

وتعقَّبه بقوله: وفيه بُعْدٌ.

ـ ومن ذلك ما نقلَه عند تفسيرِ: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ﴾ [آل عمران: ٤٠] عن الكلبيِّ من أنَّ قوله: ﴿أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ﴾ هذا خطابٌ منه لجبريل عليه السَّلام، ومعناه: يا سيِّدي.

---

(١) انظر: «تفسير القرطبي» (١٧/ ١٥٧)، وانظر: «المفهم» (١/ ٤٠٦) لأبي العباس القرطبي شيخ المفسر، وهو المراد بقوله: قال علماؤنا.

ثم تعقَّبه فقال: وقال عامةُ المفسِّرين وهو الصحيحُ: هذا خطابٌ منه لله تعالى ومناجاةٌ معه؛ لأن جبريل عليه الصلاة والسلام بشَّره من الله تعالى، فخاطَب به اللهَ تعالى، ودعا اللهَ الولدَ فاستجابَ له.

ـ ونحوه في قوله تعالى: ﴿قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا﴾ [آل عمران: ٤١] قال: وما قال مقاتلٌ وقتادةُ والرَّبيعُ بن أنس: إنَّ ذلك كان عقوبةً له حيث سأَل الآيةَ بعد البشارةِ، فذلك باطلٌ، ولا يليق بحال الأنبياء، ولم يكن سؤالُه جنايةً، ولا منعُه عن الكلام عقوبةً؛ لِمَا قلنا: إنَّ سؤالَه لماذا كان، ومنعُه عن كلام النَّاس مع شَغلِه بذكرِ اللهِ تعالى أعظمُ الكرامات وأرفعُ الدَّرجات.

وقريبٌ من هذا عنايتُه بحلِّ الإشكالات، والإجابةِ عمَّا يُتوهَّم فيه التناقُض:

ـ ففي قوله تعالى: ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٦ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ﴾ [الروم: ٦] قال: ثم في الآيتين نفيُ العلم عنهم بقوله: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ وإثباتُ العلم لهم بقوله: ﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾، ولا تناقُضَ فيه، فإن الأول نفيُ العلم بأمور الدِّين، والثاني ثبوتُ العلم بأمور الدنيا، ولأن الأول نفيُ الانتفاع بالعلم بما ينبغي، والثاني صرفُ العلم إلى ما لا ينبغي، ومن العلم القاصر أن يهيِّئ الإنسان أمورَ شتائه في صيفه وأمورَ صيفه في شتائه وهو لا يَتيقَّن بوصوله إلى ذلك الوقت، ويقصِّرَ في الدنيا في إصلاح أمور معاده ولا بد له منها.

ـ وفي قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً﴾ [الأحزاب: ١٧] قال: ثم الجمعُ بين الأمرين وأحدُهما مكروهٌ والآخرُ محبوب ـ والمذكور في صدر الكلام هو العصمة ـ يُشْكِل بظاهره، لكنْ تقديرُه في الثاني: ومَن يمنعِ اللهَ مِن أن يرحمَكم إن أراد بكم رحمة.

فانظر إلى هذه الدقيقة كيف لاحظها، ثم كيف حلَّها بأسلوبه الواضح البسيط.

ـ ومما يدلُّ على دقَّته وبُعدِ نظره أيضاً ما جاء عند قوله تعالى: ﴿ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ ﴾ [آل عمران: ٣٤ ـ ٣٥] فقال: وقيل: ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ إِذْ قَالَتِ﴾؛ فهو ﴿سَمِيعٌ﴾ لمقالتها ﴿عَلِيمٌ ﴾ بنيَّتها.

فالمؤلِّف عَلِم أن سائلاً سيسأل: اللهُ سميعٌ عليمٌ دوماً، فكيف قيَّدْتَ سمعَه وعلمَه بوقتِ قولها؟ فأجاب بما يعلِّل كلامه ويردُّ السؤال.

ـ وفي قوله تعالى: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر: ١٠] ذكَر قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [المنافقون: ٨] ثم قال: ولا تُعارض هذه الآيةُ تلك الآيةَ؛ لأن عزَّ الرسول والمؤمنين بإعزازِ الله، فله العزةُ جميعاً على الحقيقة.

ـ وانظرْ لهذه الدَّقيقةِ وحُسنِ حلِّها في قوله تعالى: ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ﴾ [القلم: ١٩ ـ ٢٠] قال: وإنَّما قال: ﴿فَأَصْبَحَتْ﴾، وقد طاف الطَّائف ليلًا؛ لأنَّ معناه: فنظروا إليها صباحًا، فصارَت لهم كجنَّةٍ قد صُرِمَتْ ثمارُها، وكأرضٍ قد حُصِدَ زرعُها.

ـ ومثل ذلك في قوله تعالى: ﴿لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ﴾ [القلم: ٤٩] قال: أي: لأُلقيَ بالأرض العارية عن النَّبات والبناء ﴿وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾ بزلَّته.

قال: وقد مرَّ في آية أخرى: ﴿فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ ﴾ [الصافات: ١٤٥]؛ أي: ألقاه الحوت.

قال: ولا تختلف الآيتان لوجهين:

أحدهما: أنَّ الأوَّل ليس بمطلَقِ النبذ، بل لنبذِه مذمومًا ولم يكن كذلك، وفي الثَّاني نبذَه بالعراء وقد كان محمودًا، وأرسلَه إلى مئة ألفٍ أو يزيدون.

والثَّاني: ﴿لَنُبِذَ بِٱلۡعَرَآءِ﴾؛ أي: لبقيَ في بطن حوته إلى يوم القيامة، ثم أُلقي في عراءِ عرصةِ القيامة حين يُحشر النَّاس، ولكنْ منَّ الله تعالى عليه فنبذَه بعراء الدُّنيا، وهو كقوله: ﴿لَلَبِثَ فِي بَطۡنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ﴾ [الصافات: ١٤٤].

ـ وفي قوله تعالى: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: ١٩] قال: قيل له: ﴿فَٱعۡلَمۡ﴾، ولم يقل: (عَلِمْتُ)، وإبراهيم قيل له: ﴿أَسۡلِمۡ﴾، ﴿قَالَ أَسۡلَمۡتُ﴾ [البقرة: ١٣١]، وجوابُه مِن وجوه:

منهـا: أنَّ إبراهيـم قال: ﴿أَسۡلَمۡتُ﴾، فابتُلِـيَ، ومحمد ﷺ لم يقـل: (عَلِمْتُ)، فعُوفِيَ.

وقيل: إنَّ إبراهيم سبَقَ، فذُكِرَ جوابُه في الكتاب المُنَزَّل بعده، ولم يَنْزِلْ بعد القرآن كتابٌ آخرُ يُذكَرُ فيه جوابُ محمد.

وقيل: التَّسليمُ مُتَناهٍ، فيُمكِنُ الإخبارُ عنه، والعِلْمُ لا يتناهى، فلا يُمكنُ الإخبارُ عنه.

وقيل: إنَّ إبراهيم هو قال بنفْسِه: ﴿أَسۡلَمۡتُ﴾، واللهُ تعالى أخبَرَ عن محمد ﷺ: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، وهو إخبارٌ عن عِلْمه وزيادةٌ، وإخبارُ اللهِ تعالى عنه أعلى مِن جوابه بنفْسِه.

ـ ومنه قوله تعالى: ﴿لَتَدۡخُلُنَّ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ﴾ [الفتح: ٢٧] قال: وهذا قسَمٌ، ورُؤْيا الأنبياءِ وحيٌ[1] لا خَطأَ فيه، وخبرٌ لا كَذِبَ فيه، والقسَمُ تأكيدٌ لا وَهْنَ فيه، ثم قال: ﴿إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ وهو في كلامِنا يُذْكَرُ فيما يكون ولا يكون، فما معناه مع ما سبق؟ وجوابُه من وجوه:

(١) في نسخة: «حق».

أحدُهـا: أنَّ مَلَـكَ الرُّؤيـا خاطبَـه فـي الرُّؤْيـا بذلـك إِطْماعـاً، فنـزَلَ الكتـابُ بذلـك إسـماعاً.

والثَّاني: أنه تحقيقٌ لا تعليق، وتقديرُه: لَتَدْخُلُنَّه بإدخال الله، وهو بمشيئتِه وإرادتِه، لا مُعْتَرِضَ عليه، ولا مُنازِعَ له، ولا مانِعَ دونه.

والثَّالثُ: أنَّ اللهَ علِمَ أنَّ بعضَهم يموتُ قَبْلَ ذلك.

والرَّابعُ: أنَّه على قوله: ﴿ءَامِنِينَ﴾، لا على قوله: ﴿لَتَدْخُلُنَّ﴾، فكان الدُّخولُ مَوْعوداً مُتَحَقِّقاً، وكان الأمانُ عند ذلك مَوْعوداً مُعَلَّقاً.

والخامسُ: أنَّ معنـاه: إذ شـاء اللهُ؛ كما قـال: ﴿وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩]؛ أي: إذ كنتم.

فهذا ما هدانا الله سبحانه إليه من بيانِ بعضِ ما تميَّز به هذا السِّفرُ الكريم، ومَن يبحِرْ فيه بفكره ويتأمَّلْ بعقله يجدْ أكثرَ منه بكثير، كما سياتي لاحقاً من بيان منهج المؤلف في هذا التفسير.

* * *

رابعاً: بيان منهج المؤلف الذي سلكه في تأليف تفسيره

هذا كتابٌ فريدٌ مفيد، دقيقٌ أنيق، زاخرٌ بالفوائدِ والنِّكات، حسَنُ الترتيب، متقَنُ التأليف، قد جمع فنونَ التفسير، وسلَك فيه مؤلِّفُه طريقةً واحدةً من أولِ سورةٍ وحتى الأخيرةِ، فهو يبدأُ في كلِّ سورةٍ بمقدِّمة تتناسَبُ مع ما سيردُ فيها من مواضيع:

ـ فسورةُ البقرة بدأ تفسيرَها بقوله: بسم الله الذي أنزلَ الكتابَ بلا ريب، الرحمنِ الذي لَطَف بالمؤمنين المتَّقين بالغيب، الرحيمِ الذي مَنَّ على المقصِّرين بسَتر العيب.

ـ ومقدِّمةُ سورة الأنفال كانت: بسم الله الذي مِن عنده النصرُ وهو العزيز الحكيم، الرحمنِ الذي لم يعاجِلْ بالعقوبة للقائلين: ﴿أَمطِرْ علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم﴾ [الأنفال: ٣٢]، الرحيمِ الذي وعد الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا بالمغفرةِ والرزقِ الكريم.

ـ ومقدِّمة الرحمن: بسمِ اللهِ الذي خلَقَ الإنسان، الرَّحمنِ الذي علَّمَ القرآن، الرَّحيمِ الذي جعلَ جزاءَ الإحسانِ الإحسانَ.

ـ ومقدِّمة الحاقة: بسم الله الذي أخذ الطَّاغين أخذةً رابِيَة، الرحمنِ الذي لا يخفَى عليه خافِيَة، الرحيمِ الذي وعد المؤمنين بجنَّةٍ عالية.

وهكذا جميعُ السور، ثم يَذكر نوعَ السورة من حيث المكيُّ والمدنيُّ، ثم عددَ آياتها فكلماتِها فحروفِها، ثم يذكر انتظامَ أولها بخاتمةِ التي قبلها، ثم انتظامَها كلِّها بمحتوَى سابقتِها.

وقد أطال بذلك في سورة البقرة وأبدعَ، فقد ذكر أنَّ انتظامها بالفاتحة حاصلٌ من سبعةِ أوجهٍ: بواحدٍ واثنينِ وثلاثةٍ وأربعةٍ وخمسةٍ وستةٍ وسبعةٍ.

فعدَّد هذه الأوجهَ مفصَّلةً، ونكتفي بما جاء في الوجه السابع، حيث قال:

وأمَّا السبعة: فالفاتحةُ سبعُ آياتٍ، وكلماتُ آياتها مذكورةٌ في سورة البقرة:

فـ﴿ٱلْحَمْدُ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ﴾ [البقرة: ٣٠].

و(الله) في آياتٍ.

و﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ في قوله: ﴿أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة: ١٣١].

و﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ في قوله: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣].

و﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ فيه ذكرُ يوم القيامة، وفي سورة البقرة: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٨١] وهي آخرُ آيةٍ نزلت، وهي أبلغُ آيةٍ نزلت في ذكر يومِ القيامة.

و﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ في قوله: ﴿ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ [البقرة: ٢١] ونحوِه.

﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ في قوله: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ [البقرة: ٤٥].

وقولُه: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ في قوله: ﴿وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: ٢١٣].

وقولُه: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ في قوله: ﴿ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ٤٠]، وقد أُريد به الأنبياء صلوات الله عليهم، وذُكر من الأنبياءِ في سورة البقرة: آدمُ، وإبراهيمُ، وإسماعيلُ، وإسحاقُ، ويعقوبُ، والأسباطُ، وموسى، وهارونُ، وداودُ، وسليمانُ، وعيسى، وحِزقيلُ[1]، وأشموئيل[2]، وعزيرٌ، صلوات الله

---

(١) في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ﴾ [البقرة: ٢٤٣] رواه الطبري عن وهب بن منبه وسيأتي.

(٢) في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالُواْ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ﴾ [البقرة: ٢٤٦] قال ابن كمال باشا في «تفسيره»: اختلفوا فيه، والأشهر الأظهر أنه أشمويل من نسل هارون عليه السلام.

عليهم. وعلى العموم في قوله: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، وفي قولِه: ﴿كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

وقولُه: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ ذُكر الغضب في قوله: ﴿فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ﴾ [البقرة: ٩٠]، والضلالُ في قولِه: ﴿وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ [البقرة: ١٩٨]، وقولِه تعالى: ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦] ثم هم اليهودُ والنصارى، وأكثر صدر السورة في ذكرهم، إلى أن قال: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ الآية [البقرة: ١٢٠].

وسنتناول في بيان منهج المؤلف ما يلي:

١ ـ أهم المصادر التي نقل منها.

٢ ـ تفسير القرآن بالقرآن في هذا الكتاب.

٣ ـ التفسير بالمأثور فيه.

٤ ـ ردوده على المذاهب الفاسدة.

٥ ـ منهجه في النحو.

٦ ـ منهجه في الفقه.

٧ ـ منهجه في القراءات.

٨ ـ تعامله مع الإسرائيليات.

١ ـ أهم المصادر التي نقل منها المؤلف:

هذا التفسيرُ هو من التفاسيرِ التي عُنِيتْ بالمعاني ولم تَخرُجْ عن مواضيعِ الآيات إلى مواضيعَ أخرى متَّصلةٍ بها سواءٌ كان ذلك الاتصالُ مباشراً أو غيرَ مباشرٍ، كما وقع فيه كثيرٌ من المفسِّرين الذين توسَّعوا في تفاسيرِهم على حسابِ تفسيرِ

الآيات، فخرَجوا عن التفسيرِ إلى مواضيعَ أخرى وتشعَّبوا فيها.

وقد انعكسَ هذا المنهجُ للمؤلِّف على المصادر التي استقَى منها، حيث اقتصَر رحمه الله في الغالب على كتبِ التفسير، بل على الأمَّهات منها، فنقل عنها بالتصريحِ أحياناً ودونَ ذلك في أحيانٍ أخرى، ومِن أكثرِ الكتب التي نقَل منها المؤلِّف:

١ ـ «تأويلات أهل السنة» لمحمدِ بنِ محمدِ بن محمودٍ، أبو منصورٍ الماتريديُّ ت (٣٣٣هـ): وقد أكثرَ من النقلِ عن هذا الكتابِ من البدايةِ وحتى النِّهايةِ، وهو في الغالِبِ يصرِّح بالنقلِ عنه، تارةً باسم المؤلف وتارةً باسم كتابه، وله احترامٌ خاصٌّ تُجاه الماتريديِّ، فكثيراً ما كان يصفُه بأوصافٍ تدلُّ على ذلك، فقد وصفَه مرةً بقوله: الشيخُ الإمامُ الزاهد أبو منصورٍ الماتريديُّ رحمه الله، وإن كان في الغالب يقتصرُ على وصفِه بالإمام، ولا يذكُرُه مجرَّداً عن ذلك الوصف.

٢ ـ «لطائف الإشارات» لعبدِ الكريمِ بنِ هوازنَ بنِ عبدِ الملك القُشيريِّ (ت٤٦٥هـ): وهذا الكتاب كالذي قبلَه في كثرةِ النقلِ عنه واستمرارِه، وهو كذلك لا يذكُر مؤلِّفه إلا بنعتِ الإمام، وغالبُ ما ينقلُه عنه في خواتيم الآياتِ لبيانِ ما فيها من الإشارات.

٣ ـ «معاني القرآن» للفرَّاء: وهو يكثرُ من الرجوع إليه، وله اعتمادٌ كبيرٌ على أقواله.

٤ ـ «معاني القرآن» للزجَّاج: وهو من المراجعِ الدوَّارةِ في الكتاب أيضاً.

٥ ـ «مجاز القرآن» لأبي عبيدةَ مَعْمَرِ بن المثنَّى: وقد نقلَ عنه في مواضعَ كثيرةٍ جدًّا مصرِّحاً بذلك في الغالب.

٦ ـ «تفسير مقاتل بن سليمان»: قد أكثرَ المؤلِّفُ رحمهُ الله مِن ذكرِ أقوالِ مقاتلٍ،

وهي مذكورةٌ في «تفسير مقاتل بن سليمان» باختلافٍ يسيرٍ في الغالب، وسيأتي تفصيلٌ لهذا في هذه المقدِّمة.

٧ ـ «تفسير الثعلبي»: وهذا التفسيرُ من المراجعِ الأساسيةِ للمؤلِّف، وخصوصاً في الآثار، مع أنَّ المؤلِّفَ لم يصرِّح بالنقلِ عنه سوى في مواضعَ قليلةٍ جدًّا.

٨ ـ «تفسير الطبري»: وهو من المراجعِ الهامَّة لهذا التفسير، وقد صرَّح المؤلفُ بالنقلِ منه مراتٍ، وهو ينقلُ عنه بالإضافةِ للآثار أقوالَ الطبريِّ التفسيريةَ.

٩ ـ كتب الواحدي «البسيط» و«الوسيط» و«أسباب النزول»: وهي من المصادر التي نقَل عنها كثيراً، لكنه لم يصرِّح بالنقل عن الواحديِّ سوى مرةٍ واحدةٍ، وذلك في أوائل الكتاب في تفسير سورة الفاتحة حيث قال: وروَى الواحديُّ وهو عليُّ بنُ أحمد المفسِّرُ في «تفسيره» بإسنادِه عن أبي مَيْسَرةَ قال: إنَّ رسولَ الله ﷺ كان إذا برَزَ سمعَ منادياً يُناديه...، الحديث.

١٠ ـ تفسير السُّلميِّ المسمَّى «حقائق التأويل»: وهو من مصادر أقوالِ المتصوِّفةِ كأبي عثمانَ الحِيْريِّ، وابنِ عطاءٍ السكَنْدَريِّ، وفارسِ بنِ عيسى الصُّوفيِّ، ونقلَ عنه أيضاً بعضَ أقوالِ جعفرٍ الصادقِ، وقد صرَّح المؤلِّفُ مرةً بالنقل عنه عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ﴾ [البقرة: ١٩]، لكنه سماه: «حقائق القرآن».

١١ ـ «تفسير أبي القاسم ابن حبيب»: وهذا التفسيرُ ليس من التفاسير المتوفِّرة، لكن المؤلِّف صرَّح بالنقل عنه مراتٍ مكتفياً أحياناً باسمِ المؤلِّف كما في تفسيرِ قولهِ تعالى: ﴿قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ﴾ [البقرة: ٢٦٠]، ومصرِّحا بكليهما في أحيانٍ أخرى كما في تفسيرِ قولهِ تعالى: ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ﴾ [يوسف: ٤].

١٢ ـ تفسير أبي الليثِ السمرقنديِّ المسمَّى «بحر العلوم»: وكثيرٌ من الأخبار

التي ذكرها المؤلِّفُ موجودةٌ فيه، وقد صرَّح بالنقلِ عنه مرةً عند تفسيرِ قوله تعالى: ﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ﴾ فقال: وفي «تفسير الفقيه أبي الليث رحمه الله»: فحملت ذاتَ يومٍ حزمةَ شوكٍ..، الخبر.

١٣ ـ كتاب «عصمة الأنبياء» للشَّيخ أبي الحسين محمَّد بن يحيى البشاغريِّ: نقل عنه فأكثر في تفسيرِ سورةِ يوسفَ دون غيرها، مصرِّحاً بذلك.

١٤ ـ تفسير «المشافهات» لعليِّ بنِ إسحاقَ بنِ إبراهيمَ الحنظليِّ السمرقنديِّ: وقد صرَّح المؤلِّف بالنقلِ عنه مرَّات.

١٥ ـ «تأويل مشكل القرآن» و«غريب القرآن» كلاهما لابن قتيبة: وهو في نقله عنهما يصرِّح باسم المؤلِّف غالباً، دون الكتاب.

١٦ ـ «تفسير أبي بكر الفارسي»: أحمدَ بنِ محمدِ بنِ أيوبَ الفارسيِّ الواعظِ المفسِّر، نقل عنه مرةً مصرِّحاً به عند تفسيرِ قوله تعالى: ﴿فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُغۡرَقِينَ﴾ [هود: ٤٣].

ومن كتبِ اللغةِ التي أكثرَ من النقلِ عنها:

١٧ ـ «العين» المنسوبُ للخليل بن أحمد: وينقل عنه بالتصريح دائماً. وهذا الكتاب يعدُّ أحدَ مصادرِه الأساسيَّة في المعاني اللُّغويَّة، هو والآتي بعدَه وهو:

١٨ ـ «معجم ديوان الأدب» لأبي إبراهيم إسحاق بن إبراهيم بن الحسين الفارابي.

وقد أكثرَ من النقلِ عن الكسائيِّ وقطربٍ والأخفشِ ونِفْطويه وابنِ وهبٍ والحسينِ بن الفضلِ والقفَّال. ولهم جميعاً مؤلفاتٌ لكنَّ كتبَهم ليست بين أيدينا.

فهذه غالبُ المصادر التي نهَل منها المؤلِّفُ في هذا الكتاب، لكن ينبغي التنبيهُ إلى أنَّ ما نقله المؤلِّفُ عن هذه المصادر ليس سوى جزءٍ بسيطٍ من هذا التفسير، كما سيَظهرُ جليًّا من الفصل الآتي، وهو:

٢ ـ تفسير القرآن بالقرآن في هذا الكتاب.

التفسيرُ: هو البيان، قال ابنُ فارسٍ: الفاءُ والسِّينُ والراءُ كلمةٌ واحدةٌ تدلُّ على بيانِ شيءٍ وإيضاحه[1].

فمعنى تفسيرِ القرآنِ بالقرآن إذاً: بيانُ القرآنِ بالقرآن.

وتفسيرُ القرآنِ بالقرآنِ ليس محصوراً بالبيان اللَّفظي، بل هو مطلَقُ البيان، فمتى استَفَدْنا بيانَ آيةٍ مِن آيةٍ أخرى مِن أيِّ وجهٍ فهو داخلٌ في هذا النوعِ من التفسير.

ومعلومٌ أنَّ آياتِ القرآن الكريم يفسِّر بعضُها بعضاً، ويوضِّح بعضُها الآخرَ، فإنَّ القرآن الكريمَ قد اشتمَل على الإيجازِ والإطنابِ، والإجمالِ والتَّبيينِ، والإطلاقِ والتَّقييد، والعامِّ والخاصِّ، وما أُوجِزَ في موضعٍ بُسط في آخَرَ، وما أُجملَ في مكانٍ فصِّل في غيرِه، وما جاء مطلَقاً في آيةٍ قد يلحقُه التقييدُ في أخرى، وما كان عامًّا في مكانٍ قد يدخلُه التخصيصُ في مكانٍ آخرَ.

وكذلك نجدُ في قصصِ القرآنِ تأتي القصةُ في مكانٍ مختصرةً، ثمَّ تُفصَّل في موضعٍ آخَرَ، وقد يُذكَرُ في مكانٍ تفصيلٌ لا يُذكرُ في المكانِ الآخرِ، فعندما تُجمعُ المواضعُ التي عرَضت تلك القصةَ، وترتبطُ الأجزاءُ ببعضها، عند ذلك تكتمِلُ الصورة، وتصبحُ واضحةً لهذه القصَّة أو تلك.

فهذا هو تفسيرُ القرآن بالقرآن، لكنْ ليس هذا عملاً آليًّا لا يقومُ على شيءٍ من

---

(١) انظر: «مقاييس اللغة» (٤/ ٥٠٤).

النَّظر، وإنَّما هو عملٌ يقومُ على كثيرٍ من التدبُّرِ والتعقُّل، إذ ليس حملُ المجمَلِ على المبيَّن، أو المطلَقِ على المقيَّد، أو العامِّ على الخاصِّ، أو إحدى القراءتينِ على الأخرى، بالأمرِ الهيِّن الذي يَدخلُ تحت مقدورِ كلِّ إنسان، وإنما هو أمرٌ يَعرفه أهلُ العلم والنظرِ خاصةً[1].

ولقد عُني العلماءُ بتفسيرِ القرآنِ بالقرآن عنايةً كبيرةً، حتى عَدُّوه أصحَّ طرقِ التفسير، كما قال بعضهم: إن أصحَّ الطرقِ في التفسيرِ أنْ يفسَّر القرآنُ بالقرآن، فما أُجْمِلَ في مكانٍ فإنه قد فُسِّرَ في موضعٍ آخر، وما اخْتُصِر من مكانٍ فقد بُسِطَ في موضعٍ آخر.

لكن ينبغي التنبيهُ هنا على أنَّ تفسير القرآنِ بالقرآن ـ فيما عدا ما فسَّره النبيُّ ﷺ من ذلك ـ هو نوعٌ من أنواع التفسير بالرأي، فإنَّ عمليةَ التفسيرِ المعتمِدةَ على الفهمِ والاجتهاد بين الآيتين، والحكمَ بأنَّ إحداهما مبيِّنةٌ للأخرى، أو مفصِّلةٌ لمجمَلها، أو مطلِقةٌ لمقيَّدها، أو ناسخةٌ لحكمِها، إنما هو من قَبيلِ التفسيرِ بالرأي.

وثمةَ أمرٌ آخرُ لا بد من التنبيه عليه أيضاً: أن كونَ تفسيرَ القرآنِ بالقرآن عن طريقِ الاجتهادِ فقد يدخلُه الاختلاف؛ لِـمَا جُبِل عليه البشرُ من اختلافِ العقول، فالآيةُ التي يجتهدُ عالمٌ في تفسيرها بآيةٍ أخرى قد يجتهدُ غيرُه فيفسِّرها بغيرها.

وملاحظةٌ أخيرة: وهي أنه ليس كلُّ مَن حمَل آيةً على أخرى يُقبل قوله بحجةِ أنه من تفسيرِ القرآن بالقرآن، فإنَّ هذا الأسلوب قد يستعملُه أحياناً أهلُ البِدَعِ لتقريرِ بِدْعتِهم، كما فسَّر بعضُ المعتزلةِ قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢ ـ ٢٣] بأنها تنتظِر ثوابَ ربها، وينفُون رؤيةَ الباري، ويستشهدون لذلك

---

(١) انظر: «التفسير والمفسرون» (١/ ٣٣).

بقوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، ولولا قولُهم بعدمِ رؤيةِ الباري لَمَا حملوا هذه الآيةَ على تلك.

وممَّا ينبغي أن يُعلم أيضاً: أن تفسيرَ القرآن بالقرآنِ هو أحدُ طرقِ التفسير، وثمةَ طرقٌ أخرى لتفسيرِ القرآنِ منها التفسيرُ بالمأثور والتفسيرُ بالرأي، والمفسِّرون بشكلٍ عامٍّ يعتمِدون في تفاسيرهم جميعَ أنواعِ التفسير، وقلَّما يَقتصرُ تفسيرٌ على لونٍ واحدٍ، وعلى هذا فتفسيرُ القرآنِ بالقرآنِ لا شكَّ موجودٌ في كلِّ التفاسير المعتبَرة عند أهلِ السُّنَّة والجماعة، وإنَّما الذي يختلِفُ هو نسبةُ اعتمادِ هذه الطريقةِ بالقياسِ إلى غيرِها مِن طرقِ التفسير، فابنُ كثيرٍ رحمه الله ـ مثلاً ـ وهو ممَّن أكثرَ من اعتمادِ هذه الطريقةِ في التفسير قد عُرف تفسيرُه من ناحية أخرى بأنه مِن أشهَرِ ما دوِّن في التفسيرِ بالمأثور.

وكذلك هذا التفسيرُ فإنك تجدُ فيه كلَّ أنواع التفسير، لكنْ من أهمِّ ما تميَّز به إنْ لم يكن أهمَّها هو هذا الأسلوبُ من التفسير، فقد قطَع فيه المؤلِّفُ شوطاً لم يُسبَقْ إليه ولم يُلْحَقْ فيه، وتفنَّنَ فيه تفنُّنَ الحاذق المتمكِّنِ من المعاني القرآنيِّة والآياتِ الربَّانيَّة، الأمرُ الذي يدلُّ على فكرٍ ثاقبٍ وقلبٍ خاشعٍ وعقلٍ قد فتَح الله عليه أنوارَ العلمِ والاستنباط، وقد كنَّا أشرنا إليه في ذكرِ مميِّزات هذا التفسيرِ، وحان الآن بيانُه والخوضُ فيه:

وأبسطُ أنواعِ تفسيرِ القرآنِ بالقرآن هو أن يُؤتى في تفسيرِ آيةٍ بآيةٍ أخرى تُوافقُها في المعنى إرادةً لتفسيرِ هذه بتلك، وهذا أمرٌ موجود في غالبِ التفاسير كما ذكرنا، لكنْ ما يميِّز هذا التفسير هو تفرده بتفسير آيات بآيات لم ترد عند غيره، ومن أمثلة ذلك:

ـ في قوله تعالى: ﴿عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾ [الإسراء: ٩٧] قال: حين يحشرون، ثم يزولُ ذلك بدليلِ قوله: ﴿وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ﴾ [الكهف: ٥٣]، وقال: ﴿دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾ [الفرقان: ١٣]، وقال: ﴿سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾.

ـ وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُوا۟﴾ [الإسراء: ٤١] قال: أي: صرَّفنا في هذا القرآن القولَ في بطلانِ ما يقولونه ويعتقدونه؛ كما قال: ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ﴾ [القصص: ٥١] صرَّح بالقول في تلك الآية وأضمرَه هاهنا.

ـ وفي قوله تعالى: ﴿فَتَنَٰزَعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ﴾ [طه: ٦٢] قال: أي: فتشاوروا؛ كما قال: ﴿إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ﴾ [الكهف: ٢١]، وهو أخذُ بعضهم القول من بعضٍ، كقوله تعالى: ﴿يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا﴾ [الطور: ٢٣] هو أخذُ بعضهم الكأسَ من بعضٍ.

ـ وفي قوله: ﴿إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا﴾ [الإسراء: ٤٠] قال: أي: كذباً عظيماً، وهذا كما قال: ﴿هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٦] وعظمتُه ما قال: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ﴾ الآية [مريم: ٩٠].

ـ وفي قوله تعالى: ﴿وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى﴾ [آل عمران: ٨١] قال: أي: أَقبلْتُم على ذلكم عهدي، كقوله: ﴿وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ [البقرة: ٤٨]؛ أي: لا يُقبل.

ـ ونحو هذا قولُه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّٰتِىٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٠] قال: أي: قبلتَ؛ كما هو في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ﴾ [التوبة: ٢٩].

ـ ومنه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ﴾ [سبأ: ٤٤] قال: أي: ولم نُرسل إليهم قبلَكَ رسولاً يا محمدُ يخبرهم عن الله بإبطالِ أمرك، فليست عندهم حجةٌ على ما يقولونه في القرآن وفيك، وهو كقوله: ﴿ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ﴾ [الأحقاف: ٤].

ـ وفي قوله تعالى: ﴿قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ﴾ [آل عمران: ٨١] قال: أي: قال اللهُ للأنبياء: أأقررتم؟ وهذا استفهامٌ بمعنى الأمر، كما في قوله: ﴿ءَأَسْلَمْتُمْ﴾ [آل عمران: ٢٠].

ـ وفي قوله تعالى: ﴿وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ﴾ [القمر: ٣] قال: أي: وكلُّ أمرٍ مِن الخير والشَّرِّ، والحَقِّ والباطل، والهوى والحُجَّة، يستقِرُّ يوماً قرارُه، ويتناهى نهايتَه، فتخرُجُ حقيقتُه، وتزولُ شُبْهَتُه، وعند العواقب تظهَرُ الحقائقُ، وهذا وعيدٌ للمشركين، ووعدٌ وبِشارةٌ للرسول والمؤمنين، وهو كقوله: ﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٦٧]؛ أي: إنَّ مُدَّتَه وإنْ طالَتْ فلا بُدَّ مِن أنْ يستقِرَّ قرارُه، وتنكشِفُ حقيقتُه مِن حقٍّ وباطل.

ـ وقال في قوله تعالى: ﴿وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ﴾ [آل عمران: ٢٦]: أي: بالإيمان، كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨]، ﴿وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ﴾ بالكفر؛ قال الله تعالى: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ﴾ [البقرة: ٦١].

ـ ومنه قوله تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [هود: ١١٩] قال: أي: مضَى قولُ ربِّك فيهم بما علِمَ منهم، وهو كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [السجدة: ١٣].

وهناك بعض التعلُّقات التي يذكرُها مما لا تَخطرُ على بالٍ حتى المهتمِّين بهذا الشأن:

ـ فانظر كيف ربطَ بين هاتينِ الآيتين فقال: وقولُه تعالى: ﴿يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾ [آل عمران: ٢٣]؛ أي: ليقضيَ، وفي الكتاب بيانُ الحكم، فأُضيف الحكم إليه، كما في صفة القرآن: ﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [البقرة: ١١٩] لأنَّ فيه بيانَ التبشير والإنذار.

ـ ومثلُ ذلك قولُه تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلَٰٓئِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ [آل عمران: ٨٧ ـ ٨٨] قال: أي: في اللَّعنة، والخلودُ في اللَّعنة خلودٌ في جهنَّم، وهو كقوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾ خَٰلِدِينَ فِيهِ﴾ [طه: ١٠٠ ـ ١٠١]؛ أي: في الوِزْرِ، وذاك خلودٌ في جهنم.

ـ ونحوُه قولُه تعالى: ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ [لقمان: ٢٨] قال: أي: إلا كخَلْقِ نفسٍ واحدة وبعثِ نفسٍ واحدة؛ كقوله: ﴿تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾ [الأحزاب: ١٩]؛ أي: كدوران الذي يغشى عليه.

ـ ومن ذلك: قوله تعالى: ﴿لِيَجْزِىَ الَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ الصَّٰلِحَٰتِ﴾ [يونس: ٤] قال: متصلٌ بقوله: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ... لِيَجْزِىَ﴾؛ كما قال: ﴿يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [الزلزلة: ٦].

ـ ومنه ﴿إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ﴾ [السجدة: ٣٠] قال: أي: ماكثون إلى أن يكونَ ذلك، جعَلهم منتظِرين له وإنْ لم يقصدوا ذلك لأنه كان يأتيهم لا محالةَ، فكان كقوله: ﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾ [يس: ٤٩].

وقيل: كان بعضهم شاكًّا فيه فكانوا ينتظرونه؛ قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً﴾ [الحج: ٥٥].

ـ ومنه: ﴿وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِى يَعِدُكُمْ﴾ [غافر: ٢٨] قال: قيل: أي: كلُّ الذي يعِدُكم؛ كما قال تعالى: ﴿وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ الَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾ [الزخرف: ٦٣]: أي: كلَّه.

ثم أضاف إليه فائدةً، وهي ذكرُ ما جاء على عكسِ ذلك، فقال: وقد جاء كلٌّ في إرادةِ البعض؛ كما في قوله تعالى: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [الأحقاف: ٢٥]، وقال: ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ﴾ [النمل: ٢٣].

ـ وذكر مثلَ هذا أيضاً عند تفسير قوله تعالى: ﴿كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [فصلت: ٢٢] قال: أي: كلَّ ما تعملون، وهو كقوله: ﴿يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ﴾ [غافر: ٢٨]؛ أي: كلُّه.

ـ ومن الأمثلة أيضاً: ﴿وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ [نوح: ٢٧] قال: أي: إلَّا مَن إذا بلغَ فجَر وكفَر، وهو كقوله: ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ﴾ [الحجر: ٥٣]، و﴿بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ﴾ [الصافات: ١٠١]؛ أي: إذا بلغ مبلغَ العلم والحلم صار موصوفًا بهما.

ـ ومنه: ﴿فَذُوقُواْ عَذَابِى وَنُذُرِ﴾ [القمر: ٣٧] قال: أي: وقيل لهم ذلك. وقيل: معناه: أَذَقْناهم ذلك؛ كما قال: ﴿سِيرُواْ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ﴾ [سبأ: ١٨]؛ أي: سَيَّرْناهم كذلك.

ـ ومن أمثلةِ ذلك أيضاً قولُه في الصراط المستقيم: إن معناه: أن سالكه مستقيمٌ فيه، كقوله تعالى: ﴿وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾؛ أي: يُبصَرُ فيه، وكقولك: نهرٌ جارٍ؛ أي: الماءُ جارٍ فيه، ونظيرُه في القرآن: ﴿فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ﴾ [محمد: ٢١]؛ أي: عزَموا فيه. وقولُه: ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ﴾ [البقرة: ١٦]؛ أي: ما ربحوا فيها، وقولُه تعالى: ﴿تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾ [النازعات: ١٢].

فلا شكَّ أن مَن يَرى هذا الربطَ بين الآيات يُوقن أن القرآن لا تتناهَى معانيهِ، فلو سلك سالكٌ هذا الطريقَ لوجد العجَبَ العُجَاب.

ومن تفنُّن المؤلِّف بتفسيرِ القرآنِ بالقرآن: أن تحتمِلَ الآيةُ وجوهاً، فلا يَذكر وجهاً من وجوهها إلا ويُتبِعُه بدليله من القرآن:

ـ ومن أروعِ هذه الاستدلالات ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى﴾: حيث أورد معاني الذكر في الآيةِ كلٌّ مع دليله من القرآن، فقال:

قيل: عن توحيدي كما قال: ﴿حَتَّىٰ نَسُوا۟ ٱلذِّكْرَ﴾ [الفرقان: ١٨].

وقيل: عن طاعتي؛ كما قال تعالى: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢].

وقيل: عن العلم؛ كما قال: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ﴾ [النحل: ٤٣].

وقيل: عن الذكر باللسان؛ كما قال: ﴿ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤١].

وقيل: عن الذكر بالقلب؛ كما قال: ﴿ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٣٥].

وقيل: أي: عن وَعْظي؛ كما قال: ﴿أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾ [طه: ١١٣].

وقيل: عن الصلاةِ؛ كما قال تعالى: ﴿لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [النور: ٣٧]، وقولـهِ: ﴿إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى﴾ [ص: ٣٢] وقولـهِ: ﴿فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الجمعة: ٩].

ـ ومن الأمثلة الجميلة عليه: قولُه: ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ﴾:

قال السُّدِّي: أي: رافعُ درجاتِ أهل الجنة. وأَيَّده المؤلِّف بقوله تعالى: ﴿لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ﴾ [الزمر: ٢٠].

وقيل: درجات الغُزاة، قال تعالى: ﴿وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ﴾ [النساء: ٩٥ ـ ٩٦].

وقيل: درجات العلماء والمؤمنين، قال الله تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١].

وقيل: درجات أهل الدنيا، قال تعالى: ﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ﴾ [الأنعام: ١٦٥].

ـ ومن نحو هذا قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]: ذكر فيها أقوالاً فمنها:

وقيل: أي: في كتب الأنبياء؛ قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾ [الفتح: ٢٩]؛ أي: صِفَتهم.

وقيل: معناه: حَدَثْتم ووُجدْتم خيرَ أمَّة، كقوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ﴾ [البقرة: ٢٨٠].

وقيل: معناه: أنتم خيرُ أمَّةٍ، كما في قوله تعالى: ﴿أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ﴾ [ص: ٧٥]، وقال تعالى: ﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا﴾ [الأعراف: ٨٦] مع أنه قال تعالى في آيةٍ أخرى: ﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ﴾ [الأنفال: ٢٦]، وإنما صلح ﴿كُنتُمْ﴾ مقام ﴿أَنتُمْ﴾ لأنَّهما ضِدَّان لكلمةِ: (لستم)؛ لأنَّ ذلك للنَّفي وهذان للإثبات، فقام أحدُهما مقامَ الآخر لمشاكلتهما في مُضادَّتهما كلمةَ النَّفي.

وقيل: معناه: صرتُم خيرَ أمَّة، كما في قوله: ﴿وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [ص: ٧٤]، ﴿فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ﴾ [هود: ٤٣] أي: صرتُم بالإيمان بخير الرُّسل وبخروجه في زمانه خيرَ الأمم.

ـ وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ﴾ [الحج: ١] ذكر قولين كلٌّ مع دليله من القرآن، فقال:

وقيل: أراد بها شدائدها وأهوالها؛ كما قال: ﴿مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟﴾ [البقرة: ٢١٤].

وقيل: هي زلزلة الأرض؛ كما قال تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾.

ـ ومن ذلك ما جاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [آل عمران: ٨١] فعدَّد أنواع الميثاق كلٌّ مع دليله، فقال: وأخذُ الميثاق كان على ثلاثةِ أوجهٍ:

ميثاق الذُّرية: وهو قوله عز وجل: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ﴾ الآية [الأعراف: ١٧٢].

وميثاق الأنبياء بتبليغ الرسالة: وهو في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ﴾ [الأحزاب: ٧].

وميثاق الأنبياء بالإيمان بمحمَّدٍ عليه السلام على التَّعيين، وهو في هذه الآية: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ الآية [آل عمران: ٨١].

ومن مظاهر تفسير القرآن بالقرآن عند المؤلف ذكرُ النظائر، وهو أمرٌ برَع فيه رحمه الله بشكلٍ لا يدانيه فيه أحد: وهو يدلُّ على ثقابة فهمه وعمقِ نظره، وغوصه في معاني الآيات، وغزارةِ علمه بالكتاب الكريم:

ـ فمن ذلك قوله عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ﴾: وقالوا: لَمَّا نادى الخليلُ الخلقَ بالحج باسم النَّاس، فقال: (يأيُّها النَّاس، إنَّ الله قد بنى لكم بيتًا وأمركم أن تحجُّوه فحجُّوه) ذكرَ اللهُ تعالى أمورَ الحجِّ في آيٍ مِن القرآن مقرونًا باسم النَّاس؛ فقال: ﴿وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ﴾ [الحج: ٢٧]، ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ٩٧]، ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ﴾ [البقرة: ١٩٩]، ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ﴾ [البقرة: ١٢٥]، ﴿وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَـٰهُ لِلنَّاسِ﴾ [الحج: ٢٥]، ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ٩٦]، ﴿فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا﴾ [البقرة: ٢٠٠]، ﴿فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ [إبراهيم: ٣٧].

ـ وقال: نظير قوله: ﴿يَتَّقِى بِوَجْهِهِۦ﴾ [الزمر: ٢٤] قوله: ﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾ [المؤمنون: ١٠٤]، ﴿يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ﴾ [الكهف: ٢٩]، ﴿حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ﴾ [الأنبياء: ٣٩].

ـ وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ﴾: والجوابُ محذوفٌ

وهو أبلغُ؛ لأن النفس تذهب فيه كلَّ مذهبٍ، وهو كقوله: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُواْ فَلَا فَوْتَ ﴾ [سبأ: ٥١]، ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ ﴾ [الأنعام: ٢٧]، ﴿ لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ [الأنبياء: ٣٩]، ونظائرِها.

ـ ومما يندرجُ تحت هذا قولُه في تفسير قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ ﴾ [التوبة: ١١٣]: و﴿ مَا كَانَ ﴾ تأكيدُ نفيٍ؛ كما في قوله تعالى: ﴿ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآ ﴾ [النمل: ٦٠]، ﴿ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ﴾ [مريم: ٣٥]، ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١٤٥]، ﴿ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيْءٍ ﴾ [يوسف: ٣٨]، ﴿ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ ﴾ [يوسف: ٧٣].

ونحو النظائر جمع الآيات في موضوعٍ واحد:

ـ فقال في أوائل الكتاب عند تفسير الاستعاذة: ومن صفاته [أي: الشيطان] وأفعاله: ﴿ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ ﴾ [البقرة: ٣٤]، ﴿ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ ﴾ [الأعراف: ١٢]، ﴿ قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ ﴾ [الحجر: ٣٣]، ﴿ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ ﴾ [البقرة: ٣٦] ﴿ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ ﴾ [آل عمران: ١٥٥] ﴿ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ﴾ [الكهف: ٥٠] ﴿ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾ [الأعراف: ٢١]، ﴿ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ﴾ [الأعراف: ٢٢]، ﴿ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ ﴾ [الأعراف: ٢٧]، ﴿ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ﴾ [يوسف: ٤٢]، ﴿ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ ﴾ [الكهف: ٦٣]، ﴿ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴾ [ص: ٤١]، ﴿ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ ﴾ [الحج: ٥٢]، ﴿ نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ﴾ [يوسف: ١٠٠]، ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ﴾ [الإسراء: ٥٣]، ﴿ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ ﴾ [المجادلة: ١٩]، ﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ [الأنفال: ٤٨]، ﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴾ [محمد: ٢٥]، ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ﴾ [المائدة: ٩١]، ﴿ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ

﴿وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٦٩]، ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ﴾ [البقرة: ٢٦٨]، ﴿إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [فاطر: ٦]، ﴿يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾ [البقرة: ٢٧٥]، ﴿كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾ [الأنعام: ٧١]، ﴿مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ [المؤمنون: ٩٧]، ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الأعراف: ١٦] ﴿لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٦٢] ﴿لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ﴾ الآية ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص: ٨٢].

ـ وفي قوله تعالى: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٢ـ٤] قال: ولَمَّا قال مُشْرِكو قريشٍ: ضلَّ محمدٌ عن دين آبائه، أجابَ اللهُ بهذا، وسائرُ الناس كانوا يُجيبون بأنفسهم، قال قومُ نوحٍ لنوحٍ: ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ﴾ [الأعراف: ٦٠]، ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ﴾ [الأعراف: ٦١]، وقال عادٌ لِهُودٍ: ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ﴾ [الأعراف: ٦٦]، ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ﴾ [الأعراف: ٦٧]، وقال فرعونُ لموسى: ﴿وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾ [الإسراء: ١٠٢]، قال له: ﴿وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾ [الإسراء: ١٠٢].

واللهُ تعالى تولَّى جوابَ ما قالوا للمصطفى ﷺ: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾، ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ﴾ [التكوير: ٢٢]، ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الحاقة: ٤١]، ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ﴾ [يس: ٦٩]، ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ﴾.

وخُصُوصِيَّةٌ أخرى: قال لداود عليه السلام: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [ص: ٢٦]، وقال للمصطفى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ﴾ [النجم: ٣]، وقال لآدم: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾ [طه: ١٢١]، وقال للمصطفى: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾.

ـ ومن هذا النوع ما جاء عند قوله تعالى: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ [النجم: ٩] قال

في آخر شرحها: فكأنَّه قال: أَكَّدْنا المحبَّةَ، وأَبْرَمْنا القُرْبَةَ، فمَقْبُولُه مَقبولي، ومَرْدُودُه مَرْدودي، وأبانَ ذلك في آياتٍ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ﴾ [المنافقون: ٨]، ﴿ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [النساء: ١٣٦]، ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾ [النساء: ١٣٦]، ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [النساء: ١٣]، ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [النساء: ١٤]، ﴿ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾ [الأنفال: ٢٤]، ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [الأنفال: ١٣]، ﴿وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾ [الحشر: ٨]، ﴿إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [التوبة: ٩١]، ﴿فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٧٩]، ﴿يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [الأحزاب: ٥٧]، ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ﴾ [التوبة: ١]، ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾ [التوبة: ٦٢]، ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ [المائدة: ٥٥]، ﴿فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ﴾ [التوبة: ١٠٥]، ﴿لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [الحجرات: ١]، ﴿مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [النساء: ١٠٠]، فما هوَ له فهو لي، وما هو لي فهو له، وهذا مَقامٌ ليس فوقَه مَقامٌ.

وممَّا أَبدعَ فيه المؤلفُ وتفرَّد عن سائرِ المفسِّرين أنه غالباً ما يُتبِعُ القولَ المأثور بما يوافقُه من الآيات:

- ففي تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾ [فاطر: ٤٢] ذكر المؤلف عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله: لمَّا بلغ قريشاً أن اليهود والنصارى كذَّبوا رسلهم وجحدوهم قالوا: لعن الله اليهود والنصارى، لئن جاءنا رسول لنكونَنَّ أهدى منهم.

ثم أعقبه بقوله: ونظيرُه قولُه: ﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا﴾ [الأنعام: ١٠٦]، وقولُه: ﴿لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ﴾ [الأنعام: ١٥٧].

- وفي تفسير قوله تعالى: ﴿فَٱضْرِبُواْ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ﴾ [الأنفال: ١٢] ذكر عن ابن

عباس رضي الله عنهما قوله: أي: اضربوا الأعناقَ فما فوقَها. وأتبعه بقوله: كما قال تعالى: ﴿فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوۡقَ ٱثۡنَتَيۡنِ﴾ [النساء: ١١]؛ أي: اثنتين فما فوقهما.

ـ وفي تفسير قوله تعالى: ﴿رَّبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمۡۚ إِن تَكُونُواْ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلۡأَوَّٰبِينَ غَفُورٗا﴾ [الإسراء: ٢٥] أورد قول سعيد بن جبير: الأوَّاب: المسبِّح. وأعقبه بقوله تعالى: ﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ﴾ [سبأ: ١٠]؛ أي: سبِّحي.

ـ وفي قوله تعالى: ﴿فَٱضۡرِبُواْ فَوۡقَ ٱلۡأَعۡنَاقِ﴾؛ نقل قول يمان بن رئابٍ: يعني: الصناديدَ. وأتبعه بقوله: كما قال تعالى: ﴿فَظَلَّتۡ أَعۡنَٰقُهُمۡ لَهَا خَٰضِعِينَ﴾ [الشعراء: ٤]

ـ وعند قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾ [الحج: ٣٢] قال: والشعائر: هي أمور الحج؛ قال ابن زيد: منها رميُ الجمار، والسعيُ بين الصفا والمروة، ونحوُها.

وقال مجاهد: هي البدن، وتعظيمُها: استسمانُها واستحسانُها.

ثم ذكرَ دليلَ كلٍّ من القولين لكنْ على طريقةِ اللفِّ والنشرِ غيرِ المرتَّب، فقال في الاستدلال لقول مجاهد: قال تعالى: ﴿وَٱلۡبُدۡنَ جَعَلۡنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ﴾ [الحج: ٣٦]، وأتبعه بدليل قول ابن زيد فقال: ودليلُ القولِ الأولِ قولُه تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلۡمَرۡوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٥٨].

ـ وفي قوله تعالى: ﴿وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُواْ ٱلصَّخۡرَ﴾ [الفجر: ٩] ذكر قول مجاهد: أي: قطعوا الجبال بيوتًا. ثم استدلَّ له بقوله تعالى: ﴿وَتَنۡحِتُونَ ٱلۡجِبَالَ بُيُوتٗا﴾ [الأعراف: ٧٤].

ـ ومن ذلك ما جاء عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثۡنَا عَشَرَ شَهۡرٗا فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٦] قال: قال علي بن الحسين بن واقد: أي: في اللَّوحِ المحفوظ. ثم قال: وهو كقولِهِ في سورة الحج: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍ﴾ [الحج: ٧٠] وكذا في سورة الحديد.

ـ وعند قوله تعالى: ﴿وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [التوبة: ٨٧] ذكر قولَ الضحاك: أي: لا يقبلون أمر الله. وأعقبه بقوله: وهذا كقوله: ﴿مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ﴾ [هود: ٩١]؛ أي: لا نقبل.

ـ وعند قوله تعالى: ﴿وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: ٩٤] قال: قال ابن عباس رضي الله عنهما: أي: إنْ عملتُم خيراً وتبتُم إلى الله مِن تخلُّفكم فسيرى الله عملَكم ورسولُه فيما تستأنِفون، ثم ترجعون ﴿إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾؛ أي: إلى جزاء الله لا يخفى عليه شيء فيخبرُكم بما عملتُم ويجزيكم على ذلك. وأعقبه بقوله: وهو كقوله تعالى: ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟﴾ إلى قوله: ﴿فَإِن يَتُوبُوا۟ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ [التوبة: ٧٤].

ـ وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ﴾ [التوبة: ١٠٠] ذكر عن عطاءٍ قولَه: يريد: الذين يذكُرون المهاجرين والأنصارَ بالخير والرحمة والدعاء. قال المؤلف: أشار إلى قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [الحشر: ١٠].

ويصنعُ مثل ذلك أيضاً مع أقوال المتقدِّمين من العلماء:

ـ ففي قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ﴾ [النور: ٣١] قال: قال القتبي: أي: لم يَفهموا ذلك ولم يقفوا عليه.

ثم بيَّن المؤلِّف مأخذَه فقال: من قوله: ﴿إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ﴾ [الكهف: ٢٠].

ثم ذكر قولَ الفراء في الجملة نفسها: أي: لم يبلغوا أن يطيقوا النساء، يقال: صارع فلان فلاناً وظهر عليه. واستدلَّ له المؤلِّفُ بقوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ﴾ [الصف: ١٤].

وقد ينتهج مثلَ هذا في القراءات:

ـ ففي تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [العنكبوت: ٥٠] قال: وقرأ ابن كثير، وعاصمٌ في رواية أبي بكرٍ، وحمزةُ والكسائيُّ: ﴿آياتٌ من ربه﴾، وقرأ الباقون: ﴿ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾.

استدل المؤلف لكلِّ قراءة بما يوافقها من الآيات، فعقَّب قراءة الجمع بقوله: لأنهم كانوا يقترحون آيات كما قال: ﴿وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا﴾ [الإسراء: ٩٠] الآيات.

ثم عاد إلى القراءة الأولى فقال: ومَن وحَّد فهو للجنس فيؤدِّي معنى الجمع، وهو كقوله: ﴿فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ﴾ [الأنبياء: ٥].

ـ ومثله عند قوله تعالى: ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [الحجر: ٤٠] قال: مَن قرأ بفتح اللَّام فمعناه: إلَّا عبادَكَ الَّذين أخلَصْتَهم بتوفيقِكَ وعصَمْتَهم مِن فِتنتي، مِن قولِه: ﴿إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ﴾ [ص: ٤٦].

ومَنْ قرأ بكسرها(١) فمعناه: إلَّا عبادَكَ الذين أخلَصُوا أعمالَهم لكَ، مِن قولِه: ﴿وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ﴾ [النساء: ١٤٦].

فهذه بعضُ الأمثلةِ من تفسيرِ القرآنِ بالقرآن، ذكرناها على سبيل البيان لا الاستقصاء، فالكتابُ كلُّه على هذا النحو، وهو كما ذكَرْنا مما تميَّز به هذا التفسير، لكنه تميَّز بسمةٍ أخرى لا تقلُّ عنه أهميَّةً، وهي:

٢ ـ التفسير بالمأثور في تفسير «التيسير»:

وهذا الجانبُ من التفسيرِ لا يقلُّ أهميةً عن الذي قبلَه، بل إنَّ هذا الكتابَ ليُعدُّ

---

(١) قرأ الكوفيون ونافع بفتح اللام، والباقون بكسرها.

من أنواع التفسير بالمأثورِ؛ لكثرةِ ما فيه من أقوالِ السَّلف، فلا تمرُّ آيةٌ، بل ولا لفظةٌ، إلا ويَسردُ المؤلِّف ما رُوي عن السَّلَفِ في تفسيرها، بما قد يصلُ أحياناً إلى عشرةِ أقوالٍ أو أكثر.

ونعني بالمأثور: ما رُوِي عن النبيِّ ﷺ، ثم مَن بعدَه من الأجيال الثلاثةِ وهم:

١ ـ الصحابة: وقولُهم رضي الله عنهم مقدَّمٌ على كلِّ قولٍ، فإنَّ صُحبتَهم للنبيِّ ﷺ، ومخالطتَهم له، وتلقُّفَهم كلَّ قولٍ أو فعلٍ منه عليه الصلاةُ والسلام، واقتداءَهم به في كلِّ صغيرةٍ وكبيرة، قد أكسبَهم ـ بالإضافةِ لِمَا جُبِلوا عليه من شدَّةِ الفِطْنةِ وسلامةِ الفطرةِ ـ فهماً ثاقباً، وعقلاً راجحاً، وعلماً واسعاً، وقريحةً وقَّادةً، إضافةً لِمَا عَرَفوا من أحوالِ مَن نزل فيهم القرآنُ من العرب واليهود، هذا مع ما كانوا عليه مِن التَّقوى العظيمةِ التي أكسبتْهم نوراً يضيءُ طريقَهم، ويكشفُ لهم ما غمضَ على غيرهم من المسائل، ويجلِّي ما أَشكلَ من المعاني، فلا عَجَب أنْ كانت لهم تلك المكانةُ السامقةُ والمرتبةُ العاليةُ التي لا يمكنُ أن يبلغها غيرُهم بعد النبيِّ ﷺ.

وأكثرُ مَن رُوي عنه التفسيرُ في جيلِ الصحابة ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما، ثم عليٌّ وابن مسعود، ثم باقي الصحابةِ رضي الله عنهم أجمعين.

٢ ـ التابعين: وللتابعين مكانةٌ لا تُنكَر عند أهل العلم، فهم قد تَلَقَّوا التفسيرَ عن الصحابة الذين شأنُهم ما قدَّمناه، وكانوا ـ أي: التابعون ـ في عصرِ الاحتجاج اللغويِّ، فلم تَفسُدْ ألسنتُهم بالعُجمة، وكان لهم من الفهم وسلامةِ المقصد ما لهم، إضافةً إلى خلوِّهم من البِدَع والأهواء، فلم يكونوا شيعًا وأحزابًا، بل كانوا متفقينَ على أصولِ أهل السُّنَّة والجماعة التي أرساها الصحابة. كلُّ هذا جعَل لكلامهم وزناً عند العلماء، مع الاختلافِ في الرجوعِ إلى تفسيراتهم وحجِّيَّة أقوالهم.

وأبرز هذا الجيل: مجاهدُ بنُ جَبْرٍ، وقَتادةُ بنُ دِعامةَ، والحسنُ البَصْريُّ، وسعيدُ بن جُبيرٍ، وعطاءُ بن أبي رَباحٍ، وإسماعيلُ بنُ عبدِ الرحمنِ السُّدِّيُّ، ورُفيعُ بن مِهْران أبو العاليةِ الرياحيُّ.

٣ ـ أتباع التابعين: وعندهم ينتهِي جيل السَّلف، وتأتي أهميةُ أقوالِهم عند العلماء مِن قُربِ عهدهم بأنوارِ النبوةِ، وشمولِ حديثِ النبيِّ ﷺ لهم في قوله: «خيرُ القرونِ قَرْني ثم الذينَ يَلُونَهم ثم الذين يَلُونَهم»، فهو لا شكَّ يَشمَلُ جيلَ أتباعِ التابعين الذين هم آخِرُ القرون المُنيفةِ في الخيريَّة على مَن بعدَها بشهادةِ النبيِّ ﷺ، وكفَى به شرفاً أكسبَهم إياه النبيُّ الكريم عليه أفضلُ الصلاة وأتمُّ التسليم، ثم هم قد تتلمذوا على جيلِ التابعين الذي قدَّمنا صفاته، ونهَلوا من مَعينِ عِلمهم، وحملوا التراثَ الذى خَلَّفوهُ، ثم زادوا عليه بمقدارِ كشفِ ما زاد من غموضٍ عند الناس، وما جَدَّ من اختلافٍ في الرأي بينهم، فصار التفسيرُ في جيلهم بين التفسيرِ النقليِّ المحضِ، والتفسيرِ الذي يدخلُه الاجتهاد، وعن هؤلاء أخذ مَن جاء بعدهم، فكانوا هم الينبوع الذي صدرت عنه أجيال العلماء الذين لحقوهم.

ومن أبرز هذا الجيل: عبدُ الرحمنِ بنُ زيدِ بنِ أسلمَ، وابنُ جُريجٍ، وسفيانُ بنُ عيينةَ، ومقاتل بن حيان، ومنهم محمدُ بنُ السَّائب الكلبيُّ ومقاتل بن سليمان إلا أنهما متروكان لا يوثَقُ بروايتهما كما سيأتي.

والمؤلف رحمه الله لا يمرُّ بآية ورد فيها حديثٌ مرفوعٌ أو قولٌ للسلف إلا توقَّفَ عندها وأوردَ أكثرَ ما روي عن السلف فيها، وسنذكرُ هنا بعضَ الملاحظاتِ الضروريَّة لفهمِ ما جاء في الكتاب:

فأما حديثُ النبيِّ ﷺ فيُلاحَظُ عند المؤلِّف عدمُ التمييزِ بين الصحيحِ والضعيفِ

وحتى الموضوعِ، فهو يُورِدُ ما وقَف عليه من رواياتٍ دون النظرِ إلى حالها، فوقعَ فيه لذلك بعضُ الأحاديثِ الموضوعة:

وأولُ هذه الأحاديثِ: الحديثُ الموضوعُ في فضائل السُّورِ سورةً سورةً، فقد وقع المؤلفُ رحمه الله فيما وقعَ فيه كثيرٌ من المفسِّرين ـ كالثَّعلبيِّ والواحديِّ والزمخشريِّ والبيضاويِّ ـ من الاغترارِ بهذا الحديث، فيَذكر في مطلعِ كلِّ سورةٍ قطعةً منه، وهو ما تضمَّنه في فضلِها منسوبةً إلى أُبَيِّ بن كعب رضي الله عنه، وأولُ مَن فعَل هذا الثعلبيُّ، ثم تبعَه تلميذُه الواحديُّ، وتابعهما على ذلك المؤلف والزمخشريُّ، ثم البيضاويُّ وأبو السعود. وهذا الحديث قد نبَّه العلماء على وضعه، وعلى رأسهم ابنُ الجوزيِّ رحمه الله الذي قال عنه في «الموضوعات»: وهذا حديث فضائلِ السور مصنوعٌ بلا شكٍّ.

قال: وقد فرَّق هذا الحديثَ أبو إسحاقَ الثعلبيُّ في «تفسيره»، فذكَر عند كلِّ سورةٍ منه ما يخصُّها، وتَبِعَه أبو الحسن الواحديُّ في ذلك، ولا أعجبُ منهما لأنَّهما ليسا من أصحابِ الحديث، وإنما عَجِبْتُ من أبي بكرِ بنِ أبي داودَ كيف فرَّقه على كتابه الذي صنَّفه في فضائل القرآن وهو يعلمُ أنه حديثٌ مُحال، ولكنْ شَرَهُ جمهورِ المحدِّثين، فإن من عادتهم تنفيقُ حديثهم ولو بالبواطيل[1].

وقال السيوطيُّ في حاشيته على البيضاويِّ: هذا من الحديثِ الموضوعِ الذي رُوي عن أبيِّ بن كعبٍ في فضائلِ القرآنِ سورةً سورةً، وقد نبَّه أئمةُ الحديث وحُفَّاظه ونقَّادُه قديماً وحديثاً على أنه موضوعٌ مختلقٌ على رسول الله ﷺ، وعابُوا على مَن أَورده من المفسِّرين في تفاسيرهم[2].

---

(١) انظر: «الموضوعات» (١/ ١٧٤).

(٢) انظر: حاشية السيوطي على تفسير البيضاوي المسماة: «نواهد الأبكار» (٣/ ١١٢).

وقال مرعيٌّ الكرميُّ: أحاديثُ فضائِل السُّورِ المرويةُ عن ابن عباس وأبيِّ بنِ كَعْبٍ، كالذي ذكره البغوِيُّ والواحديُّ ونحوُهما كلُّها كذبٌ باتِّفاق أهل المعرفة بالحديثِ، قال العراقيُّ:

(وكلُّ مَن أَوْدَعَهُ كِتَابَهْ كالواحديِّ مُخطِئٌ صَوَابَهْ)[1]

وقال ابنُ كثيرٍ في أولِ يوسفَ: وهو منكرٌ من سائرِ طُرقه.

وممن نبَّه على وضعِه أيضاً الـمُنَاويُّ في «الفتح السماويِّ» مفرِّقا ذلك في كلِّ سورةٍ على حسَبِ ما أورده البيضاوي.

وكذا الملَّا عليٌّ القاري، وقال: وقد اعترفَ بوضعِها واضعُها وقال: قصدْتُ أنْ أُشْغِلَ الناسَ بالقرآنِ عن غيرِه[2].

وإنما أطلتُ في الكلامِ عليه لأنه سيَرِدُ في هذا الكتابِ مع كلِّ سورةٍ، فلا بدَّ من جلاءِ حالِه وبيانِ حقيقته.

ومن **الأحاديثِ الموضوعة** التي أوردها أيضاً: حديثُ جابرِ بن عبد الله رضي الله عنهما: أنَّ يهوديًّا أتى النَّبيَّ ﷺ فقال: يا محمَّد؛ أخبرني عن أسماء الكواكب اللاتي سجدْنَ ليوسف، فقال له النَّبيُّ ﷺ: «إنْ أخبرْتُكَ أتؤمنُ بي؟» قال: نعم، فأتاه جبريلُ صلوات الله عليه فعلَّمه أسماءها، الحديث.

وهو من طريق الحكَم بن ظَهيرٍ عن السُّدِّي عن عبدِ الرحمن بنِ سابطٍ عن جابر.

---

(١) انظر: «الفوائد الموضوعة في الأحاديث الموضوعة» لمرعي الكرمي المطبوعة ضمن «مجموع رسائل العلامة مرعي الكرمي».

(٢) انظر: «الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة» لعلي القاري (ص: ٤٧٥).

قال ابنُ حبَّانَ: هذا لا أصلَ له مِن حديثِ رسول الله ﷺ، والحكَمُ بن ظَهيرٍ الفَزاريُّ الكوفيُّ كان يَشتِم أصحابَ محمدٍ ﷺ، يَروِي عن الثِّقات الأشياءَ الموضوعات.

وقال ابن الجوزيِّ: هذا حديثٌ موضوعٌ على رسول الله ﷺ، وكأن واضعَه قصد شينَ الإسلام بمثلِ هذا، وفيه جماعةٌ ليسوا بشيءٍ، قال يحيى بن معين: الحكمُ بن ظهيرٍ ليس بشيءٍ. وقال النسائيُّ: متروكُ الحديث.

وقال الجوزجانيُّ كما في «التهذيب»: ساقطٌ؛ لميله وأعاجيبِ حديثه، وهو صاحب حديثِ نجوم يوسف.

ومنها: حديثُ ابنِ مسعودٍ رضي الله عنه قال: كنتُ مع رسولِ الله ﷺ في بعضِ طرقاتِ المدينة، إذا برجلٍ قد صُرع، فدنوتُ فقرأتُ في أذنه فاستوى جالساً، فقال النبيُّ ﷺ: «ماذا قرأتَ في أذنه يا ابنَ أمِّ عبدٍ؟» قلتُ: فداكَ أبي وأمي، قرأتُ: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥]، فقال النبيُّ ﷺ: «والذي بَعَثني بالحقِّ لو قرأها مُوقنٌ على جبلٍ لذاب».

وهذا الحديث رواه الإمام أحمد في «العلل»، والعقيليُّ في «الضعفاء»، وابن الجوزي في «الموضوعات»، من طريق سلام بن رَزينٍ عن الأعمش عن شَقيقٍ عن ابن مسعود به. قال الإمام أحمد: هذا حديثٌ موضوع، هذا حديثُ الكذَّابين. وقال الذهبيُّ في «الميزان» ترجمة سلام بن رزين: لا يُعرف، وحديثه باطلٌ.

فهذه بعضُ الأمثلة على ما وَرد في الكتاب من الموضوع، مع التنبيهِ إلى أن أمثالَ هذه الأحاديثِ لم يَسْلَمْ منها كثيرٌ من كتبِ التفسير، حتى إنَّ حديثَ

الحكم بن ظهيرٍ في أسماء الكواكب قد رواه ابنُ أبي حاتم في «تفسيره»، وابنُ أبي حاتم معروفٌ في الجلالة والعلم.

ونذكرُ هنا أيضاً أن كثيراً مما أوردَه المؤلف هو من الأحاديثِ الصحيحةِ المرويَّة في الصحيحين وغيرِهما من دواوين الإسلام المعروفة، لكنْ مع ذلك قد وقَع فيه بعضُ الأحاديثِ التي لم نقف عليها في المصادرِ التي بين أيدينا:

ـ فمن ذلك: حديثُ: «أنا قائدُها، وعيسى سائقُها» عن أمةِ المؤمنين.

ـ وحديثُ: «مفتاحُ القرآنِ التَّسميةُ».

ـ وحديثُ: «الصلاةُ ثانيةُ الإيمان».

ـ وحديثُ: «إذا غَضِبَ الله على قومٍ سلَّط الله عليهم شرارَهم في البرِّ والبحر».

ـ ومن ذلك: حديثُ أبي هريرةَ عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «مَن قرأ في ليلةٍ سورةَ تنزيل السجدة، وسورةَ ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ أو في يوم، بنَى الله له بيتان في الجنة، وكان كمَن وافَقَ ليلةَ القَدْر، وحفَّتْ به الملائكةُ، وحفَّته بسورةِ ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ﴾ السجدة، ومنعَتْه ملائكةَ العذاب».

ـ وحديثُ عائشةَ في قوله تعالى: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾ [النجم: ١٠] قالت: سألتُ رسولَ الله ﷺ عن ذلك فقال: «هو قولُ اللهِ تعالى: لولا العِتابُ ما كان معَ أُمَّتِكَ الحِسابُ».

ـ ومثلُه في الآية نفسِها: وقيل: أوحَى اللهُ إليه: «إنِّي ضَمِنْتُ الرزقَ لعبادي وأُمَّتُكَ لا يَثِقون بذلك، وخلقْتُ النارَ لأعدائي وهُم يجتهدون أنْ يدخلُوها، وأنا لم أُطالِبْهم بعمَلِ الغدِ وهُم يَطْلُبون مني رِزْقَ الغدِ، وأنا لا أُعْطِي رِزْقَهم غيرَهم وهُم

يُؤَدُّون طاعتي لِرؤية غيري، وأنا المُعِزُّ والمُذِلُّ وهُم يَرْجُون ويخافون غيري، وأنا المُنْعِمُ عليهم وهم يشكُرون لغيري».

ثم قال: يُروى هذا عن فاطمةَ رضي الله عنها: أنها سألَتْ رسولَ الله ﷺ عن هذا، فقال هو هذا.

ـ وقول ابن عباس في الآية نفسها: قال اللهُ تعالى له: عَبَدْتَنا في الخَلْوَةِ، فاشْفَعْ لِأُمَّتِكَ في الخَلْوَةِ.

ـ وهذا من الموقوف، ومنه أيضاً: قولُ ابنِ عباس رضي الله عنهما: إجلالُ القرآن: أعوذُ بالله مِن الشيطانِ الرجيمِ، ومفتاحُ القرآن: بسم الله الرحمنِ الرحيمِ.

ـ وقولُ ابن مسعود رضي الله عنه: سورة ﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ﴾ هي المانعةُ تمنع من عذاب القبر.

فهذا ما يتعلَّقُ بالأحاديث المرفوعة والموقوفة، أمَّا الآثارُ فلنا معها هنا ملاحظاتٌ وتنبيهاتٌ مهمةٌ:

فأول هذه الملاحظات ما يتعلَّق بتفسير الكلبي:

والكلبي: هو محمد بن السائب، أبو النَّضر الكوفيُّ المفسِّر النسَّابة الأخباريُّ. وقد اتَّفق جميعُ العلماء على تركه وعدمِ الاحتجاج برواياته، أمَّا أقوالُه في التفسير فاختلفوا فيها.

قال الثوريُّ: اتَّقُوا الكلبيَّ، فقيل: فإنك تروي عنه، قال: أنا أعرِفُ صدقَه من كذبه.

وقال البخاريُّ: أبو النضر الكلبيُّ تركه يحيى وابنُ مهدي.

ثم قال البخاريُّ: قال عليٌّ: حدثنا يحيى، عن سفيان، قال لي الكلبيُّ: كلُّ ما حدَّثْتُك عن أبي صالحٍ فهو كذب.

وقال سفيان: قال الكلبيُّ: قال لي أبو صالح: انظر كلَّ شيءٍ رويتَ عنِّي عن ابنِ عباسٍ فلا تروِه.

وقال ابن معين: قال يحيى بن يعلى عن أبيه، قال: كنتُ أختلفُ إلى الكلبيِّ أقرأُ عليه القرآن، فسمعتُه يقول: مرضْتُ مرضةً فنَسِيتُ ما كنتُ أحفظُ، فأتيتُ آلَ محمدٍ ﷺ فتَفَلوا في فيَّ، فحفظتُ ما كنتُ نسيتُ. فقلتُ: لا والله، لا أروي عنك بعد هذا شيئاً، فتركتُه.

وقال يزيد بن زريعٍ: حدَّثنا الكلبي وكان سبئيًّا.

وقال ابن حبَّان: كان الكلبيُّ سبئيًّا من أولئك الذين يقولون: إن عليًّا لم يَمتْ، وإنه راجعٌ إلى الدنيا ويملؤها عدلاً كما مُلئت جوراً، وإن رأوا سحابةً قالوا: أميرُ المؤمنين فيها.

وقال التبوذكي: سمعتُ هماماً يقول: سمعتُ الكلبيَّ يقول: أنا سَبئيٌّ.

عباس عن ابن معينٍ قال: الكلبيُّ قال ليس بثقة. وقال الجوزجاني وغيره: كذاب. وقال الدارقطني وجماعة: متروك.

وقال ابن حبان: مذهبه في الدِّين ووضوحُ الكذب فيه أظهرُ من أن يحتاجَ إلى الإغراقِ في وصفه، يروي عن أبي صالحٍ عن ابنِ عباسٍ التفسيرَ، وأبو صالحٍ لم يرَ ابنَ عباسٍ، ولا سمع الكلبيُّ من أبي صالحٍ إلا الحرفَ بعد الحرف، فلمَّا احتيجَ إليه أَخرجت له الأرضُ أفلاذَ كبدِها، لا يحلُّ ذكرُه في الكتب، فكيف الاحتجاج به!

فهذا حاله في الرواية، أما في التفسير فقد اختلفوا فيه كما ذكرنا:

ففريقٌ منعوه، منهم الإمام أحمد، قال أحمد بن زهيرٍ: قلتُ لأحمدَ بن حنبل: يحلُّ النظر في تفسير الكلبي؟ قال: لا.

وفريق ارتضَوا أقواله في التفسير، قال ابن عديٍّ: وقد حدَّث عن الكلبيِّ سفيانُ وشعبةُ وجماعةٌ، ورضُوه في التفسير[1].

وإنما أطلت في بيان حاله لكثرة ما أورد المؤلف من أقواله، وتمهيداً لملاحظةٍ هامةٍ في نقل العلماء عن الكلبي يجب التنبيه عليها، وقد لاحظتها من خلال عملي الطويل في التفسير، واطِّلاعي على كثيرٍ من أمَّهات التفاسير، وقد وقع منها في هذا التفسير الكثير:

وهذه الملاحظة: هي أنه كثيراً ما يقع الخلطُ وعدمُ التمييزِ بين ما يُروى عن الكلبيِّ، وما يُروى عن ابن عباس من طريقِه، وهي طريقُ الكلبيِّ عن أبي صالحٍ عن ابنِ عباس، فتجدُ مثلاً خبراً يذكره بعضُ العلماء عن الكلبيِّ، بينما يذكرُه آخرون عن ابن عباس، وهؤلاء منهم مَن ينسبُه لابن عباسٍ دون بيانِ الراوي، ومنهم مَن يشيرُ إلى أنه من طريقِ أبي صالحٍ عن ابن عباسٍ، ومنهم مَن يذكره من طريقِ الكلبيِّ عن أبي صالحٍ عن ابن عباسٍ، لا أعني أن هذا كلَّه يحصل في خبرٍ واحد، لكن أكثرُ الأخبار يجري فيها شيءٌ من هذا، وإنما يُعرفُ حال ما ذكَرْنا بالتَّنقيب في كتبِ التفسير، وحصرِ ما وردَ فيها في ذلك الخبر.

ومن الفوائدِ التي تتحصَّلُ من هذا الأمر: معرفةُ حالِ المرويِّ عن ابن عباس، وأنه من طريقِ الكلبي، فالاحتجاجُ به على ما قدَّمنا، كما يستفاد منه في الترجيحِ إذا وردت عن الحبر روايةٌ أخرى أو أكثرُ مخالفةٌ لتلك الروايةِ، وكانت من طريقٍ أصلحَ منها.

ثم إن مَن ينسبُه لابن عباس دون بيانٍ لعلَّه إنما يَفعلُ ذلك لتقويةِ حاله؛ لمعرفته

---

(١) انظر: «ميزان الاعتدال» (٤/ ١٢٥) بتصرف وتقديم وتأخير.

بمكانة أقوالِ ابن عباسٍ رضي الله عنهما عند الناس، ولعلمِه أنَّ ذكرَ الكلبيِّ فيها يدفعُ للإعراض عنها.

وسنسوقُ بعضَ الأمثلة لبيان المسألة:

ـ ففي قوله تعالى: ﴿ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيٗا يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ ﴾ [آل عمران: ١٩٣] ذكر المؤلف عن الكلبيِّ قوله: ﴿مُنَادِيٗا﴾: داعياً، يعني: محمداً ﷺ.

وهذا القول ذكره الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» عن ابن عباس.

ـ وفي قوله تعالى: ﴿ وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرۡعَوۡنَ ﴾ [الأعراف: ١١٣] قال: قال الكلبيُّ رحمه الله: فأتَوه وكانوا سبعين ساحراً غيرَ رئيسهم، وكان يعلِّمهم رجلان مجوسيان من أهل نينوى.

وهذا أورده الثعلبيُّ والبغويُّ عن الكلبيِّ كالمؤلِّف، بينما ذكره الرازي في «تفسيره» عن ابن عباس.

ـوفي قوله تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗ ﴾ [الأنفال: ٢٥] قال: قال الكلبيُّ رحمه الله: نزلت في رجلينِ من قريشٍ أخبر الله تعالى نبيَّه ﷺ أنها ستكونُ بعده في أصحابه، وقد كانت تلك الواقعةُ بعد وفاته ومضت.

وهذا ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» من طريق أبي صالح عن ابن عباس مختصراً بلفظ: نزلت في رجلين من قريش، ولم يسمِّهما.

ـ وفي قوله: ﴿يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ﴾ [الأنفال: ٢٦] قال: قال الكلبي: أي: أهلُ مكة.

وهذا ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» عن ابن عباس رضي الله عنهما.

ـ وفي قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ

﴿ٱلسُّوٓءُ﴾ [الأعراف: ١٨٨] قال: وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن أهل مكة قالوا: يا محمدُ! ألا يخبرُكَ ربُّك بالسعر الرخيص قبل أن يغلوَ فتشتريَه فتربحَ به، أو يخبرُكَ بالأرض التي يريد أن تُجدِب فترتحلَ منها إلى ما أخصبَتْ، فأنزل الله هذه الآية.

وردَ هذا الخبر في «تفسير الثعلبي»، و«البسيط» للواحدي، و«تفسير البغوي»، و«زاد المسير»، عن ابن عباس، وفي «تفسير أبي الليث»، و«أسباب النزول» للواحدي، عن الكلبي

ـ وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا﴾ [الأحزاب: ٧٢] قال: روى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: قال الله تعالى للسماوات والأرض والجبال: إن أحسنتُنَّ جُوزيتُنَّ وإن أسأْتُنَّ عوقِبْتُنَّ.

ذكره يحيى بن سلام في «تفسيره» عن الكلبي، وأبو الليث السمرقنديُّ في «تفسيره» عن ابن عباس رضي الله عنهما.

ـ وفي قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ﴾ [التوبة: ١١٥] قال: قال الكلبيُّ: لمَّا أَنزل الله الفرائضَ فعمل بها الناسُ، ثم جاء ما ينسخُها من القرآنِ وقد غاب أناسٌ وهم يعملون بالأمرِ الأولِ من القبلة والخمرِ وأشباهِ ذلك، سألوا رسولَ الله ﷺ عن ذلك، فأَنزل اللهُ تعالى هذه الآيةَ.

ذكره الثعلبيُّ والبغويُّ عن مقاتل والكلبيِّ، وابنُ الجوزيِّ في «زاد المسير» من طريق الكلبيِّ عن أبي صالح عن ابن عباس.

ـ وفي قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾ [مريم: ٦٨] قال المؤلفُ: قال الكلبيُّ: أي: جماعات.

ذكره عن الكلبيِّ الماورديُّ في «النكت والعيون»، وذكره الثعلبيُّ في «تفسيره» والواحديُّ في «البسيط»، عن ابن عباس

ـ ومثل ذلك: ﴿بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الفرقان: ٥] قال: وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿بُكْرَةً﴾: صلاةُ الفجرِ، ﴿وَأَصِيلًا﴾: سائرُ الصلوات.

ذكره الماورديُّ في «النكت والعيون» والبغويُّ في «تفسيره» والواحديُّ في «البسيط» عن الكلبي.

ـ وفي قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ﴾ [المطففين: ٧] قال: روى أبو صالحٍ عن ابن عباس قال: عمَل الكفَّار مكتوبٌ في صخرةٍ تحت الأرضِ السَّابعة، خضراءَ خُضرةُ السَّماوات منها.

ذكره الثعلبي في «تفسيره» عن الكلبي.

ـ وفي سبب نزول سورة الطارق ذَكر عن ابن عبَّاس قوله: نزلت في أبي طالبٍ، وذلك أنَّ ليلةً من اللَّيالي انحطَّ نجمٌ، فامتلأَتْ الآفاقُ نارًا، ففزِعَ لذلك أبو طالب، فقال: أيُّ شيءٍ هذا؟ فقال رسول الله ﷺ: «هذا نجمٌ رُمِيَ به، وهو آيةٌ من آياتِ اللهِ»، فعجِبَ أبو طالب، فأنزلَ اللهُ تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ﴾ الآيات.

ذكره القرطبي من طريق أبي صالح عن ابن عباس، وذكره البغويُّ عن الكلبيِّ، وذكره دون عزوٍ الثعلبيُّ في «تفسيره»، والواحديُّ في «أسباب النزول».

ـ وفي قوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾: ذكَر عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما قولَه: كان عَهِدَ إلى بني إسرائيلَ على لسانِ موسى صلواتُ الله عليه: إنِّي باعثٌ مِن بني إسماعيل نبيًّا أُمِّيًّا؛ فمَن اتَّبعه وصدَّق بالنُّور الذي يأتي به غفرتُ له ذنبَه وأدخلتُه الجنة، وجعلتُ له أجرينِ اثنين، فذكَّرهم ذلك بهذه الآية.

كذا ذكره المؤلفُ عن ابن عباس، وذكره أبو الليث السمرقنديُّ في «تفسيره» من طريق أبي صالح عن ابن عباس. وذكره الثعلبيُّ في «تفسيره» عن الكلبيِّ.

ومثل هذا كثيرٌ جدًّا، وإنما اقتطَفْنا بعضَ الأمثلة لتوضيح المسألة لا أكثر.

ملاحظة ثانية: وهذه الملاحظةُ تتعلَّق بما يُروى عن عطاءٍ، وهناك علَمان من السَّلَف بهذا الاسم: عطاءُ بن أبي رباحٍ، وعطاءُ بن أبي مسلمٍ الخراسانيُّ، وثمةَ فرقٌ كبيرٌ بين الرجلين:

فالأول تابعيٌّ ثقةٌ فقيهٌ فاضلٌ روَى عن جمعٍ من الصحابة منهم ابنُ عباسٍ وابن عمرٍو وابنُ عمرَ وابن الزبير ومعاوية وأسامة بن زيد وجابر بن عبد الله وغيرهم، وكان مع ذلك كثيرَ الإرسال، وقد روَى له الستة.

والثاني روايتُه عن الصحابةِ مرسلةٌ، وهو صدوقٌ يهمُ كثيراً ويرسِل ويدلِّس، ولم يصحَّ أن البخاريَّ أخرج له، وروى له مسلمٌ متابعةً.

ويحصل الخلطُ في الأخبارِ هنا بأنْ يُنسبَ الخبرُ لعطاءٍ دون تعيينِ مَن هو، ومن ناحيةٍ أخرى كثيراً ما يَنسب بعضُ العلماء الخبرَ لعطاءٍ، وينسبه آخرون لابن عباس، ويصرِّح بعضُ هؤلاء بأنه من طريق عطاءٍ عن ابن عباسٍ، وأكثرُ ما يقع هذا عندَ الواحديِّ في كتابيه «البسيط» و«الوسيط»، فيجعلُ أكثرَ أخبارِ عطاءٍ متَّصلةً لابنِ عباسٍ، وهذه الأخبارُ ضعيفةٌ واهيةٌ لا يُحتجُّ بها كما بيَّن ابنُ حجر في «العُجاب» فقال: ومِن التفاسيرِ الواهيةِ لوَهَاءِ رواتها التفسيرُ الذي جمَعه موسى بنُ عبدِ الرحمن الثَّقَفيُّ الصنعانيُّ، وهو قَدْرُ مجلَّدين يُسنده إلى ابن جُريجٍ عن عطاءٍ عن ابنِ عباس، وقد نَسب ابنُ حبَّان موسى هذا إلى وضعِ الحديثِ، ورواه عن موسى عبدُ الغنيِّ بنُ سعيدٍ الثقفيُّ وهو ضعيف.

وقد قال ابن حبَّان في «المجروحين»: مُوسَى بنُ عبد الرَّحْمَن الصَّنْعَانِيُّ شيخٌ دجَّالٌ يَضع الحديثَ روى عنه عبد الغَنِيّ بن سعيد الثَّقَفِيُّ، وضعَ على ابنِ جريجٍ عن عَطاءٍ عن ابنِ عَبَّاسٍ كتاباً في التَّفْسِير جمَعه من كلام الكَلْبِيِّ وَمُقَاتِلِ بن سُلَيْمَان، وألزقه بابن جريجٍ عن عطاء عن بن عبَّاس، ولم يحدِّث به ابنُ عَبَّاس، ولا عطاءٌ سَمِعَه، ولا ابنُ جريجٍ سمع من عطاء، وإنَّما سمع ابنُ جريجٍ من عطاء الخُراسَانيِّ عن ابن عبَّاس في التفسير أحرفاً شَبِيهاً بِجُزْء، وعطاءٌ الخُراساني لم يسمع من ابن عبَّاس شيئاً ولا رواهُ، لا تحل الرِّوَاية عن هذا الشَّيخ ولا النَّظرُ فِي كتابه إلَّا على سَبِيل الاعْتِبار(١).

ويظهرُ من كلامِ ابن حبَّان أن عطاءً المذكورَ في هذا التفسيرِ هو الخراسانيُّ، فهو لم يسمع من ابن عباس رضي الله عنهما.

وهذا التفسيرُ قد روى طرفاً منه الطبرانيُّ في «الكبير» عن شيخه بكرِ بن سهلٍ الدِّمياطيِّ، عن عبدِ الغنيِّ بنِ سعيدٍ الثَّقفيِّ، عن موسى بنِ عبد الرحمنِ الصَّنعانيِّ، عن ابن جريجٍ، عن عطاءٍ، عن ابن عباس.

وما ذكره الواحديُّ من رواياتِ عطاء عن ابن عباس موافقٌ لتلك الرواياتِ التي عند الطبرانيِّ، لكنَّ الواحديَّ قد أكثرَ مِن نقلِها مع شدَّةِ ضعفِها ووَهَائها.

وسنذكرُ فيما يلي بعضَ الأمثلةِ للاختلاف الحاصلِ بين الرواياتِ من هذه الطريقِ:

ـ ففي قوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ [الأعراف: ٨٥] ذكر المؤلِّف عن عطاء قولَه: شعيبُ بنُ توبةَ بنِ مدينَ بنِ إبراهيم.

---

(١) انظر: «المجروحين» (٢/ ٢٤٢).

ذكره الثعلبيُّ والبغويُّ عن عطاءٍ كالمؤلف، وذكره الواحديُّ في «البسيط» عن عطاءٍ عن ابن عباس.

ـ وفي قوله تعالى: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف: ١٥٧] قال المؤلِّف: وقال عطاءٌ: كانت بنو إسرائيلَ إذا قامتْ تصلِّي للهِ لبِسوا الـمُسوحَ، وغَلُّوا أيديَهم إلى أعناقهم؛ تواضُعاً لله، وخوفاً من عذابه، وطمعاً في ثوابه، فرفَعها الله تعالى عن هذه الأمة.

ذكره الواحدي في «البسيط» عن عطاء عن ابن عباس.

ـ وفي قوله تعالى: ﴿وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ﴾ [الأعراف: ١٨٥] قال: وقال عطاء: يعني: يومَ بدر وأحد.

ذكره الواحديُّ في «البسيط» عن ابن عباس رضي الله عنهما.

ـ وكذا: وقال عطاءٌ: ﴿وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ﴾ [الأعراف: ١٩٩]: بلا إلهَ إلا الله.

ذكره عن عطاءٍ الثعلبيُّ والبغويُّ، وذكره الواحديُّ في «البسيط» من طريقِ عطاء عن ابن عباس.

ـ وفي قوله تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾ [الأعراف: ٢٠٠] قال: قال عطاءٌ: وإما يَعْرِضنَّك من الشيطان عارضٌ.

ذكره الواحديُّ في «البسيط» من طريق عطاءٍ عن ابن عباس.

ـ وفي قوله تعالى: ﴿يَلْمِزُكَ﴾ [التوبة: ٥٨] قال: قال عطاءٌ: أي: يغتابُك.

ذكره الثعلبيُّ عن عطاء، والواحديُّ في «البسيط» عن عطاءٍ عن ابن عباس.

ـ وفي قوله: ﴿يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾ [التوبة: ٦٤] قال المؤلف: وقال عطاءٌ: هم سبعون رجلاً أنزل الله تعالى أسماءَهم وأسماء آبائهم، ثم رُفعت مرحمةً على العباد، ولأنَّ أولادهم أَسلموا وأَخلصوا.

ذكره الواحدي في «البسيط» عن عطاء عن ابن عباس، والبغوي في «تفسيره» عن ابن عباس.

ـ وفي قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾ [التوبة: ٧٩] ذكر عن عطاء أنها في سهل بن رافع.

ذكره الواحديُّ في «البسيط» من طريق عطاءٍ عن ابن عباس.

ـ وفي قوله: ﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ﴾ [التوبة: ١٠٠] قال: وقال عطاءٌ: يريد: الذين يذكُرون المهاجرين والأنصارَ بالخير والرحمة والدعاء.

ذكره الثعلبيُّ عن عطاءٍ، وذكره الواحديُّ في «البسيط» من طريقِ عطاءٍ عن ابنِ عباس.

والأمثلةُ كثيرةٌ جدًّا، لكنَّ الملاحظَ أن هذه الروايات مقتصرةٌ تقريباً على الثعلبيِّ والواحديِّ والبغويِّ، وقد يوردُها مَن يأخذُ عنهم كالرازي وابن الجوزيِّ والقرطبي. ويوضح هذا الأمرَ معرفةُ أن الواحديَّ تلميذُ الثعلبي، وقد نقل في تفاسيرِه كثيراً مما أورده الثعلبيُّ في «تفسيره»، كما أن البغويَّ تلميذُ الواحديِّ، وقد أكثرَ في «تفسيره» من نقلِ ما جاء عند شيخه الواحديِّ وشيخِ شيخِه الثعلبيِّ. والله تعالى أعلم.

أمَّا الملاحظةُ الثالثةُ: فتتعلَّق بما ينقلُ عن مقاتل، وهاهنا علَمان أيضاً بهذا الاسم: مقاتلُ بن حيَّان، ومقاتلُ بن سليمان، والبَون بينهما شاسعٌ أيضاً:

فالأول قال عنه الحافظ في «التقريب»: صدوقٌ فاضلٌ، أخطأ الأزديُّ في زَعْمِه أن وكيعًا كذَّبه، وإنما كَذَّب الذي بعده.

ويعني بالذي بعده مقاتل بن سليمان فإنه أعقبه به وقال: كذَّبوه وهَجَروه ورُمِيَ بالتجسيم.

قلتُ: لكن بعضَهم استحسَن تفسيرَه، فقد قال الحافظ نفسُه في «التهذيب»:

ورُوي عن الشافعي من وجوه: الناس عيالٌ على مقاتلٍ في التفسير.

وقال نعيمُ بن حمَّاد: رأيتُ عند ابنِ عيينةَ كتاباً لمقاتلٍ فقلتُ: يا أبا محمدٍ تروي لمقاتلٍ في التفسير؟! قال: لا، ولكنْ أستدلُّ به وأستعين.

وقال ابن المبارك لمَّا نظر إلى شيءٍ من تفسيره: يا له مِن علَم لو كان له إسناد.

وقال مكيُّ بن إبراهيم عن يحيى بن شبلٍ: قال لي عبَّادُ بن كثيرٍ: ما يمنعُك من مقاتلٍ؟ قلتُ: إن أهل بلادنا كرهوه، فقال: لا تكرهْه، فما بقي أحدٌ أعلمَ بكتاب الله تعالى منه.

وبعضُهم لم يقبل تفسيرَه كإبراهيمَ الحربيِّ، فقد ذكر عنه الحافظ في «التهذيب» قوله: وإنما جمع مقاتلٌ تفسيرَ الناس وفسَّر عليه من غيرِ سماع، قال إبراهيم: ولم أُدخلْ في تفسيري عنه شيئاً، وقال إبراهيم: تفسيرُ الكلبي مثلُ تفسيرِ مقاتلٍ سواءٌ.

قلت: وكلَا المقاتلَين قد رُوي عنه أقوالٌ في التفسير أوردها المفسِّرون في كتبهم، وقد رأيتُ من خلال العمل في هذا التفسير وقوعَ خلطٍ أيضاً بينهما، فما ينسبُه بعضهم للأول ينسبه غيرُه للثاني، كما أن كثيراً مما يُنسب لابن حيانَ وجدتُه مذكوراً في التفسير المنسوبِ لابن سليمان، وهذه بعض الأمثلة على ذلك:

ـ ففي قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟﴾ [فصلت: ٣٠] قال المؤلف: وقال مقاتل بن سليمان رحمه الله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟﴾: على المعرفة ولم يرتدُّوا.

وهو في «تفسير مقاتل بن سليمان»، وذكره عنه الواحديُّ في «البسيط» والبغويُّ في «تفسيره»، أما الثعلبيُّ فعزاه في «تفسيره» لمقاتل بن حيان.

ثم ذكر المؤلِّف بعده عن مقاتل بن حيَّان: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ﴾: على أنَّ الله ربُّهم. وهذا على العكسِ مما قبله ذكره الثعلبيُّ في «تفسيره» عن مقاتل بن سليمان.

ـ وفي قوله تعالى: ﴿وَلِمَن دَخَلَ بَيۡتِيَ مُؤۡمِنٗا﴾ [نوح: ٢٨] قال: وقال مقاتل بن حيَّان: وحمل نوحٌ في السَّفينة معه ثمانين نفسًا؛ أربعين رجلًا، وأربعين امرأةً، وفيهم أولادُه الثَّلاثة.

وهذا ورد في «تفسير مقاتل بن سليمان».

ـ وفي موضعٍ آخر قال المؤلِّف: وقال مقاتل بن حيَّان: لَمَّا نزل قوله: ﴿لِّيُدۡخِلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ﴾ [الفتح: ٥]، قال عبد الله بن أُبَيٍّ: ما نحن وهم ـ يعني: الصَّحابة ـ إلا في منزلةٍ واحدةٍ، فأنزل الله: ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ﴾ [الفتح: ٦].

وهذا أيضاً ورد في «تفسير مقاتل بن سليمان»، وذكره عنه ابن الجوزيِّ في «زاد المسير».

ـ وفي قوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَيۡطَٰنٖ رَّجِيمٖ﴾ [التكوير: ٢٥] قال المؤلف: وقال مقاتل بن حيَّان: رأى رسول الله ﷺ جبريلَ من قِبَلِ المشرقِ بأجياد وهو بمكَّةَ قد ملأ الأفقَ بكَلْكَله، رجلاه في الأرض، ورأسُه في السَّماء، جناحٌ له بالمشرق، وجناحٌ له بالمغرب، فغُشِيَ عليه فتحوَّل جبريل في صورة بني آدم، فقيل لرسول الله ﷺ لَمَّا رجع: ما رأيناك منذ بُعِثْتَ أحسنَ منك اليوم، فقال: «جاءني جبريل في صورته، فعَلِقني هذا من حسنه».

وهذا ورد في «تفسير مقاتل بن سليمان».

ـ وفي موضع آخر قال المؤلف: وقال مقاتل بن حيَّان: ﴿كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ﴾ [المطففين: ٩]؛ أي: مكتوبٌ لهم في ساق العرش، ﴿يَشۡهَدُهُ ٱلۡمُقَرَّبُونَ﴾ [المطففين: ٢١]؛ يعني: يشهدُ ذلك

الكتابَ سبعةُ أملاك من مقرَّبي أهلِ كلِّ سماءٍ حتَّى يُصعَد به إلى السَّماء، من كرامةِ المؤمن على الله تعالى.

وهو في «تفسير مقاتل بن سليمان».

ـ وفي قولِه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [الحجرات: ١] ذكر المؤلِّفُ عن مقاتلٍ دون تعيينٍ: نزلتْ في ثلاثة نفَرٍ، وذلك أنَّ النبيَّ ﷺ بعَثَ سَرِيَّةً وأمَّرَ عليهم المنذرَ بن عمرٍو، فخرج بنو عامر بن صَعْصَعَةَ عند بئرِ مَعُونَةَ، فرَصَدُوهم على الطريق وقتَلوهم، فرجعَ ثلاثةٌ منهم، فلمَّا دنَوا إلى المدينة خرَجَ رجلان مِن بني سُلَيمٍ صالَحا رسولَ اللهِ ﷺ، وقد كان أعطاهما وكسَاهما، فقالا: نحن مِن بني عامر؛ لأنَّ بني عامرٍ كانوا أقربَ إلى المدينة، فقتلوهما وأخذوا ثيابَهما، وجاؤوا إلى رسول الله ﷺ، فنزلت هذه الآيةُ.

وهذا الخبر ورد في «تفسير مقاتل بن سليمان»، وذكره عنه السمرقندي في «تفسيره».

لكن رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (١٤٣٠) عن مقاتل بن حيَّان.

وغيرُ هذا كثير، وإنما ذكرنا ما ذكرنا لتوضيحِ المسألة.

وتبقى هنا ملاحظةٌ أخيرة: وهي أنه يجب التفريقُ بين ما يرويه الضعفاءُ ممن ذكرنا كمقاتلٍ والكلبيِّ وبين ما يقولونه من التفسير، فبابُ التفسيرِ واسعٌ، وما دامت أقوالُهم لا تخرجُ عن الأصولِ فلا ضيرَ فيها واللهُ أعلم، بل كثيرٌ مما يذهبون إليه هو في الحقيقةِ من الوجوهِ المقبولة أو المستحسَنة، حتى رجَّح الماتريديُّ مرةً قول الكلبيِّ على قولِ سعيد بن جبيرٍ.

قال الماتريديُّ: قال سعيد بن جُبير رحمه الله: يُجمع بين أرواح الأحياء وبين

أرواح الموتى، يتعارفُ منها ما شاء الله أنْ يتعارف، ﴿فَيُمْسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ إلى أجسادها[1].

قال: وبهذا لم يُفْهَمْ شيءٌ مِن تأويل الآية.

قال: وقال الكلبيُّ: النائم مُتوفًّى حتى يرُدَّ الله إليه نفْسَه، وأمَّا التي يتوفاها حين موتها فإنه يقبِض الرُّوح والنَّفْس معاً، ويُرسل التي يتوفاها في منامها حتى تبلغَ أجلَها المُسمَّى، وهو الموت.

ويقول: إنما يقبِض الله مِن النائم النَّفْس لا الرُّوح.

ثم قال الماتريدي: وهذا الذي ذكره الكلبي أقربُ إلى تأويل الآية مِن الذي ذكرَه سعيدٌ...، إلى آخر كلامه.

فهذه بعضُ الملاحظات التي عرَضتْ لي خلالَ العمل في هذا التفسير، وقد كان البعضُ منها في البالِ قبلاً، لكنْ لم يتسنَّ لي التحقيقُ فيه، حتى يسَّره الله في هذا التفسير، الذي وقع فيه الإكثارُ من نقلِ أقوالِ السَّلف، فكان من ضمنِ ذلك أقوالُ الأعلامِ المتقدِّم ذكرُهم، وهو ما يسَّر الأمر عليَّ، واللهُ وليُّ التوفيق.

٤ ـ ردودُه على المذاهب الفاسدة والفرقِ الضالَّة.

من المعروفِ عن المؤلِّف رحمه الله التزامُه بعقيدةِ أهلِ السُّنَّة والجماعةِ ودفاعُه عنها، وإبطالُ أقوال أصحابِ المذاهبِ الفاسدة، والفرقِ الضالة، وتفنيدُها بالحجة والبرهان.

وهو في تفسيرِه هذا لم يَدَعْ آيةً فيها ردٌّ على أهل الباطل، أو إبطالٌ لتأويلهم الفاسد، إلا بيَّن ذلك، مُثْبِتاً مذهبَ أهلِ الحقِّ فيها وأنه هو الصَّواب، وما عدَاه من

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٢١٥).

تلك التأويلاتِ الفاسدةِ فضلالٌ وانحرافٌ عن الصَّواب، فهو يردُّ على الجهميَّةِ والجَبْريَّة والكرَّاميَّة والمعتزلةِ وغيرهم.

فمن ردِّه على الكرَّامية: ما جاء عند قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ [البقرة: ٨] قال المؤلفُ: أخبرَ عنهم أنهم يدَّعون ذلك، ثم قال: ﴿وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾؛ أي: ليسوا بمؤمنين، فنَفَى الإيمانَ عنهم لأنه لم يكن في قلوبهم، وقد قال الله تعالى: ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ﴾ [المائدة: ٤١]، وقال تعالى: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُواْ﴾ [الحجرات: ١٤]، وبَطَل بهذا قولُ الكرَّامية: إنه مجرَّد الإقرار، فإن المنافقين أقرُّوا بذلك والله تعالى نفَى عنهم ذلك.

وردَّ مذهب الجبرية والقدرية: وذلك في قوله: ﴿وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [البقرة: ١٥].

فقال: في الآيةِ دليلُ أهل السُّنَّة والجماعة، فإنه قال: ﴿وَيَمُدُّهُمْ﴾، وهو إثباتُ فعلِ نفسِه، وقال: ﴿فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾، وهو إثباتُ فعلِ العبد، فدلَّ على أنَّ العبدَ فاعلٌ، واللهَ تعالى لفعل العبد خالقٌ، وبطَل قولُ الجبرية أنْ لا فعلَ للعبد، وقولُ القدريَّة أنْ لا صنعَ لله في فعل العبد.

وعلى الإباحية من جهلة الصوفية: في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم﴾ [البقرة: ٢٩] فقال: ثم إنَّ أهلَ الإباحة مِن المتصوِّفة الجَهَلةِ حملوا اللامَ في قوله: ﴿لَكُم﴾ على الإطلاق، والإباحةَ على الإطلاق، وقالوا: لا حَجْر ولا حَظْر، ولا نهيَ ولا أَمْرَ، وإذا تحقَّقت المعرفةُ وتأكَّدت المحبَّةُ، سقطت الخدمةُ وزالت الحرمةُ، فالحبيبُ لا يُكلِّف حبيبَه ما يُتعبه، ولا يَمنعه ما يُريده ويَطلبه، وهذا منهم كفرٌ صُراح، وخروجٌ مِن الإيمان بإفصاح، فقد نهى اللهُ تعالى وأَمَر، وأباح وحظر،

ووعد وأَوعد، وبشَّر وهدَّد، والنصوصُ ظاهرة، والدلائلُ متظاهرة، فمَن حَمل هذه الآيةَ على الإباحة المطلَقة، فقد انسلخَ مِن الدِّين بالكليَّة، فالمحملُ الصحيحُ ما قاله ابنُ عباس رضي الله تعالى عنهما: خَلَق لمنافعكم ومصالحكم.

وردَّ **مذهب الجهميَّة بأبسطِ طريق**: وذلك عند قوله تعالى: ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٣٨ ـ ٣٩] فقال: وفي الآيتين نقضُ قولِ الجهميَّة: أنَّ الجنَّة والنَّار يَفنيان ويَنقطع ما فيهما، فإنَّ الله تعالى نفى الخوف والحزنَ عنهم، ولو كانتا تَفْنيَان لكان لأهل الجنَّة أشدُّ الخوف والحزن.

وردَّ **على الرافضة بالدليلِ الذي لا مَدْفعَ له**: وذلك في قوله تعالى: ﴿مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾ [النساء: ٣] فقال: وتعلَّقت الروافضُ بظاهرها لإباحةِ الجمع بين تسعِ نسوةٍ، فإنَّه ذُكر بالواو لا بـ(أو)، وذلك للجمع.

لكنَّا نقول: هذا على البدلِ دون الجمع في حالةٍ واحدةٍ؛ أي: فانكحوا مثنى، وانكحوا ثُلاثَ، بدل مثنَى، وانكحوا رُباع، بدل مثنَى وثلاثَ.

والدَّليل على أنَّ المراد هذا لا غيره: أنَّه لو قيل هذا في الأمر بشيءٍ آخرَ لم يكنْ إلَّا على هذا الوجه، فإنَّه إذا قيل لقوم: ادخلوا الدَّار مثنَى وثُلاثَ ورُباعَ، لم يكن أمرًا بدخول تسعةٍ منهم جملةً في حالةٍ، بل هو أمرٌ لهم أن يدخلوا اثنين اثنين، ولهم أن يدخلوا بدلَ ذلك ثلاثةً ثلاثةً، ولهم أن يدخلوا بدلَ ذلك أربعةً أربعةً، وكذا في كلِّ موضعٍ، هذا هو قضيَّة اللُّغة.

وفي موضع آخر: وقالت الروافضُ في قوله: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾: لا

يخلو إما أن يكون حزنُ أبي بكر طاعةً أو معصيةً، فإن كان معصيةً ففيه نقصانه لا فضلُه، وإن كان طاعةً فلمَ نهاه رسول الله ﷺ؟

قلنا: لم يكن حزنُه سوءَ الظنِّ بربِّه تعالى، ولا استبطاءً لنصره، لكنْ شفقةً على رسول الله ﷺ وحبيبه، وكان ذلك شيئاً نشأ عن طبعه ولا نقصَ في مثله.

ثم نعارضُهم بخوفِ موسى وهارونَ عليهما السلام، وقال الله تعالى لهما: ﴿لَا تَخَافَآ إِنَّنِى مَعَكُمَآ﴾ [طه: ٤٦] إلى آخر السؤال حَذْوَ القُذَّة بالقُذَّة، على أنهما قالا: ﴿إِنَّنَا نَخَافُ﴾ [طه: ٤٥]، وليس في القرآن أن أبا بكر رضي الله عنه قال: إني أحزنُ.

أما ردودُه على المعتزلة فكثيرةٌ جدًّا، فهو لا يَدَعُ آيةً لهم فيها تأويلٌ منحرفٌ لإثباتِ مذهبهم الفاسد إلا رد عليهم:

ـ فمن ذلك قوله تعالى: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤] قال: أي: هُيِّئت وخُلقت... والآيةُ ردٌّ على المعتزلة، فإنهم قالوا: النار والجنةُ لم يُخلقا بعد، وإنما يُخلَقان يوم القيامة عند حضور أهلهما، وقولُهم باطلٌ مردودٌ بهذه الآية، ولقوله تعالى في الجنة: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾، ونحوِهما من الآيات.

ـ وفي قوله تعالى: ﴿وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ﴾ [البقرة: ١٧] قال: وقيل: أي: لم يُخرجهم منه، كما يقال: تركَه في الدار؛ أي: لم يُخرجْه منها، وهذا تأويل المعتزلة؛ فإنهم لا يقولون بخلقِ أفعال البشر من الله تعالى، والصحيحُ من التأويل عند أهل السُّنَّة والجماعة: ﴿وَتَرَكَهُمْ﴾؛ أي: جعَلهم في الظلمات، وهو كقوله: ﴿فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا﴾ [البقرة: ٢٦٤]؛ أي: جعَله صلداً.

ـ وردَّ مذهب الجبرية والمعتزلة بكلماتٍ بسيطةٍ واضحةٍ لا لبس فيها لمريدِ الحقِّ والساعي إليه، وذلك في قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ فقال: ثم في مجموعِ الكلمتين تحقيقُ مذهب أهل السُّنة والجماعة، وهو إثباتُ الفعل من

العبدِ والتوفيقِ من الله تعالى، وفيه ردٌّ على الجبريَّة والمعتزلةِ:

فالجبريةُ يَنْفون الفعلَ من العبد، وقولُه: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ يردُّ عليهم ذلك.

والمعتزلةُ لا يَرون التوفيقَ من الله، وقولُه: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ يردُّ ذلك عليهم.

وأهلُ السنَّة والجماعةِ يقولون: من العبد الفعلُ واختيار الفعل، ومن الله تعالى خلقُ ذلك الفعلِ ومشيئةُ ذلك الفعلِ، والآيةُ تدلُّ على ذلك كلِّه.

ـ وفي قوله تعالى: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ﴾ [البقرة: ٣] قال: ثم الرِّزقُ يكون هو التغذيةَ عندنا، وهو عند المعتزلة: التمليكُ، فالحرامُ عندهم ليس برزقٍ؛ لأنه ليس بمِلكٍ، وهذا في غايةِ الفُحش منهم، وهو نهايةُ الضَّلال؛ فإنه ردُّ كتاب الله تعالى، قال عزَّ وعلا: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦].

والحيواناتُ عندهم ليست تأكلُ من رزقِ الله تعالى؛ لأنها لا تملك، وآكِلُ الحرام عندهم وكاسبُه في جميع عمره لم يأكلْ من رزقِ الله شيئاً، ولم يَرزقه اللهُ عزَّ وجلَّ شيئاً.

والأمثلةُ لا تحصى، وإنما أوردنا منها ما فيه كفايةٌ لبيان المراد.

٥ ـ منهجه في النحو:

وملخَّص منهج المؤلِّف في النحو الذي انتحاهُ في تفسيره: أنه يُعنَى بالإعراب، لكنه لا يستقصِي كما هي طريقةُ أبي حيَّان والسَّمين الحلبي، ويتابعُ مذهبَ الكوفيين في بعضِ المسائل وخصوصاً الفراء، كما يُعنَى أيضاً بالفوائد النحوية:

فمن أمثلة عنايته بالإعراب وشرحه وتوضيحه:

ـ قوله تعالى: ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ﴾ [طه: ١٢٨] قال: ﴿كَمْ﴾ في موضع الرفع، وتقديره: كثرةُ مَن أهلكنا من القرون، وهو فاعلُ ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ﴾، والمفعول مضمَرٌ؛ أي:

أفلم يبيِّن للمشركين كثرةُ القرون المهلَكين بمخالفة الأمر أن حالهم كذلك.

ويجوز أن يكون الفاعل هو القرآن، و﴿كَمْ﴾ في موضع النصب لأنه مفعولٌ؛ أي: أفلم يبيِّن القرآنُ للمشركين كثرةَ مَن أهلكنا.

ومن ذلك العناية بالتقديرات عند القول بأن في الكلام حذفاً:

ـ ففي قوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [الرعد: ٣٥] قال: قيل: جوابُه محذوفٌ في آخرِه، وهو: أَجَلُّ مَثَلٍ.

وقيل: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ﴾؛ أي: صفةُ الجنَّة، كقوله: ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [الروم: ٢٧]، وعلى هذا فيه مُضْمَرٌ أيضًا، تقديرُه: صفةُ الجنَّة التي وُعِدَ المتَّقون [أنها] تجري مِن تحتِها الأنهارُ.

وقيل: الإضمار في أوَّلِه: وفيما يُتْلَى عليك مثلُ الجنَّةِ.

وقيل: إضمارُه: هذا مثلُ الجنَّة، ذكر وعدَ الأولياءِ بعدَ ذكرِ وعيدِ الأعداءِ.

ـ وفي قوله: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾ [الأحقاف: ١٠] قال: وجوابُه محذوفٌ ها هنا؛ قال الزجَّاج: هو: أتؤمنون؟

وقيل: أفما تَهْلِكون؟!

وقيل: أفلا تكونون ظالمين؟! يدلُّ عليه ما بعده: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: أي: ما داموا على ظُلْمِهم.

ـ وفي قوله تعالى: ﴿وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ۚ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَهْتَدُونَ﴾ [القصص: ٦٤] قال: قيل: هاهنا مضمر: فوَدُّوا لو كانوا مهتدين إلى الإسلام في الدنيا.

وقيل: الإضمارُ في آخره: لو أنهم كانوا يهتدونَ لخرَجوا من العذاب الذي رَأَوا.

وقيل: بل المضمَرُ في آخره: لو كانوا يهتدون لَمَا رأوا ذلكَ العذاب.

ومن أمثلةِ عدم استقصائه:

ـ ما جاء عند قوله تعالى: ﴿ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٩٥] قال: قيل: هو نصبٌ على التفسير؛ كقولك: هذا لك هبةً منِّي.

وقيل: هو مصدرُ فعلٍ مدلولٍ عليه أو مضمرٍ؛ لأن قوله: ﴿لَأُكَفِّرَنَّ﴾ (ولأدخلن) بمعنى: لأُثِيبنَّ بهذا، والإضمارُ: يثابون بذلك ثواباً.

فهذا ما ذكره من إعراب واقتصر عليه، وله عند الاستقصاء وجوهٌ أُخرُ، فقيل: هو حال من ﴿جَنَّٰتٍ﴾ لوصفها؛ أي: مُثاباً بها، أو من ضمير المفعول في ﴿وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ﴾؛ أي: مُثابين، وقيل: إنه بدل من ﴿جَنَّٰتٍ﴾ على تضمين ﴿وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ﴾ معنى: ولأعطينَّهم، وقال الكسائيُّ: إنه منصوب على القطع. وفسَّر بعضهم القطعَ بالنصب على الحال[1].

ومن متابعته للكوفيين والفرَّاء:

قوله بكون الألف واللام بدلاً عن الإضافة:

ـ كما في قوله تعالى: ﴿فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ﴾ [محمد: ٤] قال: أي: فشُدُّوا وَثاقَهم، والألفُ واللامُ بدلٌ عن الإضافة ها هنا.

ـ وفي قوله تعالى: ﴿وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠] قال: أي: منعَ نفسَه من اتِّباع هواها ﴿فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٤١] قال: أي: مأواه، والألفُ واللّام بدل الإضافة في ﴿ٱلْمَأْوَىٰ﴾، ﴿وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ﴾.

ـ وفي قوله تعالى: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ﴾ [النجم: ١١] قال: ﴿ٱلْفُؤَادُ﴾: أي:

---

(١) انظر: «البحر المحيط» (٦/ ٣٦٨).

فؤادُه، بالألف واللَّامِ بدلٌ عن الإضافة؛ كقوله: ﴿فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٤١]؛ أي: مأواه.

قلت: وهذا مذهبٌ كوفيٌّ، قال الفراء: والعربُ تجعل الألف واللام خَلفًا من الإضافة فيقولون: مررتُ عَلَى رجلٍ حَسَنَةِ العَيْنُ قَبيحِ الأنفُ، والمعنى: حسنةٍ عَيْنُه قَبيحٍ أنفهُ، ومنه قوله: ﴿فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾[1].

هذا قول الفراء، وأما البصريون فالتقدير عندهم: هي المأوى له[2].

ومن ذلك أخذُه بمذهب الكوفيين في مسألةِ النصب على الصَّرف:

ـ كما في قوله تعالى: ﴿وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٢] قال: هو نصبٌ على الصرف كما في قول الشاعر:

لا تنهَ عن خلقٍ وتأتيَ مثلَه ... عارٌ عليك إذا فعلتَ عظيم

قال: ومعنى الصرفِ: أنه مصروفٌ عن معنَى مطلقِ العطف، فإنه ليس معناه النهيَ عن إتيان مثله قصدًا كالنهي عن النهي عن خُلُق، بل معناه النهيُ عن الجمع بينهما، وكذا معنى الصرف في هذه الآية ليس هو مطلقَ نفي علمِ الصابرين كنفيِ علمِ المجاهدين، بل معناه نفيُ اجتماعهما.

قلتُ: وهذا أيضاً مذهبٌ كوفيٌّ، قال ابن الأنباريِّ: ذهب الكوفيُّون إلى أن الفعل المضارعَ في نحوِ قولكَ: (لا تأكلِ السمكَ وتَشْرَبَ اللبنَ) منصوبٌ على الصرف. وذهب البصريون إلى أنه منصوب بتقدير (أنْ)، وذهب أبو عُمَرَ الجَرْمِيُّ

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٤٠٨).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٢٨١).

من البصريين إلى أن الواو هي الناصبة بنفسها؛ لأنها خرجت عن باب العطف[1].

ومن ذلك القول بزيادة الواو:

ـ ففي قوله تعالى: ﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ﴾ [الصافات: ١٠٤] قال المؤلف: قال الفراء وغيره: الواو مُقحَمةٌ زائدةٌ، ومعناه: ناديناه، جواباً لقوله: ﴿فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ﴾، وهو كقوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا﴾ [الزمر: ٧١]، وكقوله: ﴿فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ وَأَجۡمَعُوٓاْ أَن يَجۡعَلُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ﴾ [يوسف: ١٥].

فذكر قول الفراء ولم يذكر غيره، وهو مذهبٌ كوفي، ومذهبُ البصريين أن يقدَّر في هذه الآيات محذوفٌ يُعرفُ مِن سياق الكلام، وتكونُ الواوُ عاطفةً عليه كما هو الأصلُ فيها، فقدَّروا في هذه الآية جوابَ «لما»: سُعِدَا وأَجزلَ لهما الثواب، ونحوَه من التأويلات، قالوا: والقول بالتقدير خيرٌ من الحكم بالزيادة، لا سيما في كتاب الله تعالى[2].

أمَّا الفوائدُ النحويةُ عند المؤلِّف فأكثرُ من أن تُحصى:

ـ فمن ذلك كلامُه في أولِ سورةِ البقرة عن (الذين) حيث قال: وأصلُه: (اللذِينَ) بلامينِ؛ إحداهما: لامُ التعريف، والثانية: لامُ (لذ)، وإنما اكتُفي في الكتابة بواحدةٍ تخفيفاً لكثرة الاستعمال، ولهذا تُكتب في التَّثنية في (اللذانِ) بلامين؛ لأنه لم يَكثر استعمالُه.

ثم قال: وإنما لم يُعرب لأنه موصولٌ لا يَتمُّ إلا بصلته، فصار لفظُه كأنه بعضُ الكلمة، ولا إعرابَ إلا لتمامِ الكلمة في آخرها، فأمَّا (اللَّذانِ) في التثنية فإنما أُعرب ـ

---

(١) انظر: «الإنصاف في مسائل الخلاف» لابن الأنباري (٢/ ٤٥٢).

(٢) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (٣/ ٢٩٢)، و«الدر المصون» للسمين الحلبي (٩/ ٣٢٤).

فكان رفعُه بالألف، ونصبُه وخفضُه بالياء ـ لأن منعَ الإعراب كان لإلحاقه بالحروف، ولا تثنيةَ للحروف فلم تُلحق بها، بل تحقَّق فيه معنى الاسمِ فأُعرب لذلك.

ـ ومن ذلك: قوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٣] قال: قُرئ فيه بالرَّفع على الاستئناف، وبالنصب على المدح، وهذا شاذٌّ، وبالخفض على البَدَل، وهو قراءة الزهريِّ، وهو كما قال كُثَيِّر به:

وكنتُ كذي رِجلَيْن رِجْلٌ صحيحةٌ ... ورجلٍ رَمَى فيها الزمانُ فَشُلَّتِ

يُنشَد بالرَّفع والجرِّ معاً.

ولو قلتَ: مررتُ بثلاثةٍ: صريعٌ وجريحٌ، واقتصرتَ عليهما، لم يجزْ بالجرِّ؛ لأنَّك لم تَستوفِ العددَ، ويَجوز بالرَّفع، وتقديره: منهم صريعٌ، ومنهم جريحٌ، وإذا قلتَ: مررتُ بثلاثةٍ؛ صريع وجريح وسليم، جاز فيه الرَّفع والجرُّ، فإنْ زدتَ فيه: اقتَتَلوا، جاز فيه الرَّفعُ والجرُّ والنصبُ.

فانظر إلى هذا التفصيل والتمثيل الذي لا تجده عند غيره.

ـ وفي قوله تعالى: ﴿مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾ [النساء: ٣] قال: منصوباتٌ بالترجمة عن ﴿مَا﴾، ولا تنوينَ فيهنَّ لأنَّها غيرُ منصرفة، فإنَّها معدولةٌ عن اثنين وثلاثٍ وأربعٍ، ومعناه: اثنين اثنين وثلاثًا ثلاثًا وأربعًا أربعًا، ومع العدل فيها معنًى آخرُ، وهو وهمُ الألف واللَّام؛ لأنَّها كالمعارف، ولهذا لا إضافة فيها، فامتنَع صرفُها لذلك.

ـ وفي قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الأنفال: ٥٣] قال: حُذف النون من (يكن) تخفيفاً لكثرة الاستعمال؛ لأن (كان) و(يكون) أمَّ الأفعال؛ لأن (ضرَب) في معنى: كان ضرَب، و(يضرب) في

معنى: يكون يضربُ، فلما كانت أمَّ الأفعالِ وكثُر استعمالُها للحاجةِ إليها احتَملَتْ هذا الحذفَ، ولم يَحتمِلْه نظائرُها مِن: لم يَصُن ولم يَخُن.

ـ وفي قوله تعالى: ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ﴾ [البقرة: ٤٨] قال: يُقرأ بالياء والتاء[1]، فمَن أنَّث فلأنَّ الشفاعةَ مؤنَّثةٌ لفظاً، وأمَّا التذكيرُ فلأنَّ تأنيثَ ما ليس بذي روحٍ غيرُ حقيقيٍّ، ولأنَّ الفعلَ مقدَّمٌ على الاسم، ولأنَّ بينهما حائلاً.

وفي القرآن: ﴿وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ﴾ [هود: ٦٧]، وفي آيةٍ أخرى: ﴿وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ﴾ [هود: ٩٤]، ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ﴾ [الممتحنة: ٤] ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١] وقال تعالى: ﴿فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ﴾ [الأنعام: ١٥٧] وقال: ﴿وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ﴾ [الأعراف: ٨٧].

والحاصل: أنَّ ما كان تأنيثه ليس بحقيقيٍّ فتأنيثُه وتذكيره جائزٌ إنْ تقدَّم أو تأخَّر، وكان بينهما حائلٌ أو لم يكن، وفي الحقيقيِّ يجوز تأنيثُها بكلِّ حالٍ، وتذكيرُها إذا تقدَّم الفعلُ وبينهما حائلٌ، ولا يَحْسُنُ بغير حائلٍ.

ـ ومن أجمل فوائده: ما ذكره عند قوله تعالى: ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُواْ﴾ [الحجر: ٣] قال: جُزِمَ ﴿يَأْكُلُواْ﴾ لأنَّه جوابُ الأمرِ، وكذا ما بعدَه، وفي قولِه: ﴿ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنعام: ٩١] لم يُجزَمْ لأنَّه حالٌ لا خبرٌ، وتقول العربُ: دَعْ زيدًا يَنَمْ، ودَعْ زيدًا ينامُ، فإذا كانَ غيرَ نائمٍ نقولُ: دَعْ زيدًا يَنَمْ جوابًا للأمر، وإذا كان نائمًا تقولُ: دَعْ زيدًا ينامُ؛ أي: قَرِّرْهُ على حالةِ النَّوم.

ـ وفي قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ

(١) قرأ بالياء ابن كثير وأبو عمرو، وقرأ باقي السبعة بالتاء.

﴿بِقَادِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحۡـِۧيَ ٱلۡمَوۡتَىٰۚ﴾ [الأحقاف: ٣٣] قال: الباءُ زائدةٌ، وإنما أُدْخِلَتْ لأنَّ معنى قولِه: ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ﴾: أَوَليسَ، وذاك تدخُلُ فيه الباء.

ـ وفي قوله تعالى: ﴿وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ﴾ [ق: ١] قال: اختُلِفَ في جواب هذا القسَمِ، وأصلُه: أنَّ جوابَه بأحدِ خمسةِ أشياءَ:

(إنَّ) المُشَدَّدة؛ كما قال: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلۡمِرۡصَادِ﴾ [الفجر: ١٤].

و(ما) النَّافية: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ﴾ [الضحى: ٣].

واللَّامُ المفتوحةُ: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسۡـَٔلَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾ [الفجر: ٩٢].

و(إنْ) الخفيفةُ بمعنى (ما): ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: ٩٧].

و(لا): ﴿وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَا يَبۡعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُۚ بَلَىٰ﴾ [النحل: ٣٨].

قال: وزاد البَعْليُّ على هذا:

(قد)؛ كقوله: ﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا... قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾.

و(بل)؛ كما في قوله في هذه السورة: ﴿قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ... بَلۡ عَجِبُوٓاْ﴾.

ـ وفي قوله تعالى: ﴿وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ﴾ [التوبة: ١١٢] قال: وفي زيادة الواو أقاويلُ:

قيل: الواو تدخل للمبالغة في المدح للمنعوت واحداً كان أو جماعةً، قال تعالى: ﴿وَسَيِّدٗا وَحَصُورٗا وَنَبِيّٗا﴾ [آل عمران: ٣٩].

وقيل: لأن الأمر والنهيَ متقابلان، والمعروفَ والمنكرَ كذلك، فكانا كالمتعاندَين(١)، فأدخل بينهما حرفَ العطف كما في قوله تعالى: ﴿ثَيِّبَٰتٖ وَأَبۡكَارٗا﴾ [التحريم: ٥].

---

(١) في نسخة: «كالمتغايرين».

وقيل: هي واو الثمانية؛ لأنها الصفةُ الثامنة، والعربُ تخصُّ ذلك بالواو، كما في قوله تعالى: ﴿ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا﴾ [التحريم: ٥]، وقوله تعالى: ﴿وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ [الكهف: ٢٢]، وقوله: ﴿وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ [الزمر: ٧٣]؛ لأن أبواب الجنة ثمانيةٌ.

ولا أصل لهذا القول عند المحققين، فليس في هذا العدد ما يوجب ذلك ولا استعمالَ على الاطِّراد كذلك، قال الله تعالى: ﴿ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ﴾ [الحشر: ٢٣] بغير واو، وقال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ﴾ الآيةَ بغيرِ واوٍ في الثامن.

ومن فوائده جمع المعاني أو الاستعمالات لكلمةٍ أو حرفٍ:

ـ من ذلك: الكلامُ على (أم) في أول سورة البقرة، حيث قال: وقوله تعالى: ﴿أَمْ﴾: هذه الكلمةُ في القرآنِ على أربعة أوجُهٍ:

أحدها: عطفٌ على ما دخله ألفُ استفهامٍ كما في قوله تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ﴾ [الملك: ١٦] ثم قال: ﴿أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك: ١٧].

والثاني: ابتداءُ استفهامٍ كالألف: ﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ﴾ [النساء: ٥٣]؛ أي: ألهم؟

والثالث: بمعنى (بل): ﴿أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ﴾ [الزمر: ٥٢]؛ أي: بل أنا خير.

والرابع: بمعنى (أو) من غير استفهامٍ كما في هذه الآية: ﴿ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ﴾ [يس: ١٠]؛ أي: أو لم تنذرهم، فلا استفهامَ في هذه الآية.

ـ ومن فوائدِه تعديدُ استعمالات الفعل (كان)، فقال: وكلمةُ (كان) قد تَجيءُ للماضي، كما في قوله: ﴿وَكَانَ فِى ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ﴾ [النمل: ٤٨].

وقد تجيءُ للمستقبل، كما في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا﴾ [الفرقان: ٢٦].

وقد تجيءُ للحال، كما في قوله تعالى: ﴿كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ [مريم: ٢٩].

وقد تجيءُ جامعاً لذلك كلِّه، كما في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣]؛ أي: لم يَزَلْ رحيماً بهم في الأزلِ وفي الحالِ وفي الأبد.

وقد تَجيءُ بمعنى: صار، كما في قوله: ﴿فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ﴾ [هود: ٤٣].

وقد تجيء بمعنى: وقع، كما في قوله: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ﴾ [البقرة: ٢٨٠].

ـ ومن ذلك ذكر معاني (أو) في القرآن، فقال في قوله تعالى: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ﴾ [البقرة: ١٩]: (أو) جاءت في القرآن لثلاثةَ عشَر معنًى:

أحدها: للشكِّ، قال تعالى: ﴿قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ [الكهف: ١٩].

وللتشكيك: قال تعالى: ﴿أَفَإِي۟ن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ﴾ [آل عمران: ١٤٤]، وهذا غيرُ الأول، هذا إخفاء الحال على السامع من غير شكٍّ من القائل.

وللتخيير: قال تعالى: ﴿فَكَفَّـٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَـٰكِينَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ [المائدة: ٨٩].

وللإباحة: قال الله تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَـٰنَ﴾ [الإسراء: ١١٠] وهذا غير التخيير، ذاك بيانٌ أن الواجب أحدُها لا الكلُّ وله الخيارُ، وفي الإباحةِ له أن يفعلَهما وله أن يفعل أحدهما.

قلت: وهذا من أحسن ما رأيتُ في التفريق بين الشكِّ والتشكيك، والإباحةِ والتخيير.

ثم قال: وللتفصيل: قال تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ الآية [المائدة: ٣٣]، كلُّ عقوبةٍ منها لجنايةٍ غيرِ الأخرى.

وبمعنى الواو: قال تعالى: ﴿لَعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ﴾ [طه: ٤٤].

وبمعنى: بل، قال تعالى: ﴿كَلَمۡحِ ٱلۡبَصَرِ أَوۡ هُوَ أَقۡرَبُ﴾ [النحل: ٧٧].

وبمعنى: ولا، قال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعۡ مِنۡهُمۡ ءَاثِمًا أَوۡ كَفُورٗا﴾ [الإنسان: ٢٤].

وبمعنى: حتى، قال تعالى: ﴿لَيۡسَ لَكَ مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٌ أَوۡ يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡ﴾ [آل عمران: ١٢٨].

إلى آخر المعاني الثلاثة عشر.

ومثله كثير، وفيما ذكرنا كفاية.

٦ ـ الفقه في تفسير «التيسير»:

لم يقفِ المؤلِّفُ عند الأحكام الفقهيةِ كثيراً، بل كان منهجُه الإشارةَ إليها دونَ التوسُّع فيها، ثم الإحالةَ إلى كتب الفقه بشكلٍ عامٍّ لمن أراد التوسُّع، أو يخصص بعضَ كتبه التي ألَّفها في الفقه، وهو في الغالبِ يكتفي بعرضِ أقوالِ أئمَّةِ مذهبه أبي حنيفةَ وأبي يوسفَ ومحمد بن الحسن وزُفَر، مع الإشارةِ لاختلافهم إن كان:

ـ ففي قوله تعالى: ﴿فَإِنۡ ءَانَسۡتُم مِّنۡهُمۡ رُشۡدٗا﴾ [النساء: ٦] قال: اختلفَ العلماءُ فيمَنْ بلغَ مبذِّرًا سفيهًا؛ هل يُحجَر عليه؟

وأراد بالعلماءِ علماءَ مذهبه، فإنه لم يذكر عَقِبه سواهم، ثم إنه اكتفَى بذكر أقوالهم مختصرةً جدًّا، حيث قال:

فأبو حنيفة رحمه الله لا يرى الحجرَ عليه في تصرُّفاته، وأبو يوسف رحمه الله يقول: لا يَنحجِر بذلك، لكن يستحقُّ حجرَ القاضي عليه، وقال محمَّد رحمه الله: يَنحجِر بسفهه.

ثم ختم كلامه في المسألة بقوله:

ويُعرف ذلك في الفقهيَّات، وقد أوضحناه في «حصائل المسائل».

ـ وفي قوله تعالى: ﴿وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِيٓ أَرۡضَعۡنَكُمۡ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ﴾ [النساء: ٢٣] قال بعد ذكرِ بعضِ ما يتعلَّق بالآية: والرَّضاعُ في الكبر لا يحرِّم عندنا؛ لقوله عليه السلام: «الرضاعُ ما أنبتَ اللَّحمَ، وأنشزَ العظمَ»(١)، وذلك في الصَّغير، وذاك في سنتين عند أبي يوسفَ ومحمَّد رحمهما الله، وسنتين ونصفٍ عند أبي حنيفة رضي الله عنه، وثلاثِ سنين عند زُفَرَ رحمه الله، ويُعرف ذلك في الفقهيَّات.

ـ وفي قوله تعالى: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [الأنفال: ٤١]: قال: وهؤلاء مصارفُ هذا المال بصفةِ الحاجة، فلا يَحلُّ للغنيِّ منهم، ويجوز الصرفُ إلى صنفٍ واحدٍ منهم، وهو بيانُ الصرف دون الاستحقاق كما عُرف في مصارف الصدقات، وهذا عندنا.

وأربعة أخماسه يُقسم بين الغزاة: للفارسِ سهمان وللراجل سهمٌ عند أبي حنيفة، وهو قولُ أكثرِ الصحابة رضي الله عنهم، وفيه أكثرُ الأحاديث، وعند أبي يوسف ومحمدٍ رحمهم الله: للفارس ثلاثةُ أسهم سهمٌ له وسهمان لفرسه، وهو قولُ بعض الصحابة، وفيه بعض الأحاديث.

ثم فيمَن شهد الأمر مَن لا يستحِقُّ السهم ويُرضَخُ له، ومنهم مَن لا يُرضخ، وفي موضع الرَّضخ ومقدارِ الرضخ والمالِ الذي منه الرضخُ كلامٌ، وشرحُه في الفقهيات، وقد أشبَعْنا الكلام فيه على التهذيب والترتيب في «حصائل مسائل الفقه».

فهذا منهجُه رحمه الله في آيات الأحكام، وهو كما يَظهرُ من الأمثلة التي ذكرناها

---

(١) رواه أبو داود (٢٠٥٩) و(٢٠٦٠) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه. قوله: أنشز العظم؛ أي: رفعه وأعلاه وأكبر حجمه، ويروى بالراء؛ أي: شده وقواه.

ومن غيرِها قائمٌ على الاختصار، والاقتصارِ على أقوالِ أئمةِ المذهب، والإحالةِ في التفاصيل على كتبِ الفقه، ومنها كتبُه التي ألَّفها، وخصوصاً «حصائل المسائل»، وهو ـ والله أعلم ـ قد تناول فيه بسطَ مسائل الفروع وتفصيلَها.

٧ ـ منهجه في القراءات:

أمَّا القراءاتُ فالمؤلفُ رحمه الله له عنايةٌ كبيرة بها، وهو قد انتهَج فيها طريقةً ثابتةً من أولِ الكتاب إلى آخره، وهي ذكرُ القراءاتِ السبعةِ في الغالب، وفي أحيانٍ قليلةٍ يضيفُ باقي العشرة، لكنه لا يكتفِي بالإشارة إلى القراءةِ بل إنَّ له عنايةً خاصةً بتوجيهها وبيانِ ما أشكلَ، مع الدقَّة في عزوِ القراءة لقائليها من السبعة، أمَّا القراءاتُ الشاذةُ فقليلاً ما يتعرَّض لها، ومن أمثلة العناية بالقراءات عنده:

ـ قوله تعالى: ﴿فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ۝٢٤ أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ﴾ [النمل: ٢٤ ـ ٢٥] قال: قرأ الكسائي وأبو جعفر ورويسٌ عن يعقوب بالتخفيف[1]، ومعناه: (ألَا) كلمة تنبيهٍ، و﴿يَسْجُدُوا﴾ بمعنى: يا اسجدوا، (يا) نداءٌ والمنادى مضمرٌ؛ أي: يا هؤلاءِ اسجُدوا للهِ، قال ذو الرُّمَّة:

أَلَا يا اسْلَمي يا دارَ مَيٍّ على البِلَى ... ولا زالَ مُنْهَلًّا بجَرْعائِكِ القَطْرُ

وقرأ الباقون بالتشديد، وله وجوهٌ:

أحدها: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ﴾ ألَّا يَسجدوا.

والثاني: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ﴾ أعمالَهم لئلَّا يَسجدوا.

والثالث: ﴿فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ﴾ لئلَّا يَسجدوا.

---

(١) ويقف هؤلاء على (يا)، ويبتدئون: (اسجدوا) على الأمر.

والرابع: ﴿فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾ أنْ لا يَسجدوا، ومعناه: أنْ يسجدوا، و(لا) زائدة، كما في قوله: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾ [الأعراف: ١٢]؛ أي: أن تسجد.

والخامس: ﴿فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾ لقُبْحِ أنْ لا يسجدوا لله، كما قالوا في قوله: ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا۟﴾ [النساء: ١٧٦] أي: كراهةَ أن تضلُّوا، على الإضمار.

ـ وفي قوله تعالى: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً﴾ [الأنفال: ١١] قال: قرأ عاصمٌ وابنُ عامر وحمزةُ والكسائيُّ بضمِّ الياء وتشديدِ الشين ونصبِ سينِ ﴿ٱلنُّعَاسَ﴾ من التغشيةِ وهي تعديةُ الغِشْيان.

وقرأ نافعٌ بضمِّ الياء وتخفيفِ الشين من الإغشاء، وهو للتعدية أيضاً، ولذلك نصَب هو ﴿ٱلنُّعَاسَ﴾ أيضاً.

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو: ﴿يغشاكم﴾ بفتح الياء والتخفيف وضمِّ سِين ﴿النعاسُ﴾ من الغِشْيان وهو لازمٌ، و﴿النعاسُ﴾ فاعل.

ويجدرُ التنبيه هنا على أن قولَه في آخر النصِّ: (وهو لازم) فيه نظر، فإن الفعل هنا متعدٍّ، ومفعولُه مذكورٌ معه، وهو الكافُ في (يغشاكم)، لكن الفرقَ عن القراءتين الأُخريين أنه فيهما متعدٍّ لاثنينِ، وهنا في (يغشاكم) تعدَّى الفعلُ لواحدٍ، ولعل هذا مرادُ المؤلِّف باللزوم؛ أي: التعدِّي لواحدٍ في هذه القراءة في مقابلةِ التعدِّي لاثنينِ في القراءتين الأُخريين.

والمؤلِّفُ رحمه الله دقيقٌ في عزو القراءاتِ السبعةِ لأصحابها مما يتوافَقُ مع المراجع الأساسية لهذه القراءات كـ«السبعة في القراءات» لابن مجاهد، و«التيسير في القراءات السبع» لأبي عمرٍو الدَّاني، لكن لا يخلو الأمرُ من بعضِ السهو ـ وهو نادرٌ ـ كما في قوله: ﴿جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ﴾ [الكهف: ٩٨] قال: على قراءة المد: مستويةً على

الأرض، من قولهم: ناقةٌ دكاءُ؛ أي: لا سنام لها، وهي قراءة ابن كثير ونافع وأبي عمرو وابن عامر، والتأنيثُ راجع إلى مؤنَّثٍ مضمَر؛ كأنه قال: جعله أرضاً دكَّاء، وقرأ الباقون غيرَ ممدودة بالتنوين.

كذا قال في نسبتها والصوابُ العكس، فقد قرأ ابنُ كثير ونافعٌ وأبو عمرو وابن عامر بغير مدٍّ، وقرأ باقي السبعة ـ وهم حمزةُ والكسائيُّ وعاصم ـ بالمد؛ كما في «السبعة» و«التيسير».

وله تحقيقٌ في القراءات، ففي قوله تعالى: ﴿وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾ [الرحمن: ٧٦] قال: ومَن تكَلَّفَ وقرأ: (عَبَاقِرِيّ) بالياء[1] ـ لِيَصِحَّ وَصْفُها بالحِسان جَمْعاً ـ لم يَنْفَعْه ذلك؛ لأنَّ المكانَ يَصيرُ جَمْعاً، فأمَّا المنسوبُ إليه فيبقى واحداً كـ«الجَوَالِقِيِّ»، إلَّا أنْ يُقْرَأَ: (عَبَاقِر) بدون الياء، فيصيرُ جَمْعاً، ولا ضَرورةَ إليه، فإنا قلنا: إنَّ العَبْقَرِيَّ جَمْعٌ، وواحدتُها: عَبْقَرِيَّةٌ.

وهناك قراءاتٌ من الشواذِّ ذكرها المؤلِّف ولم أجدها فيما توفَّر لديَّ من المصادر، ومنها عند قوله تعالى: ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ﴾ [المطففين: ٣] قال: وفي مصحف حفصةَ رضي الله عنها: (وإذا كالوا لهم).

وفيما أوردناه كفايةٌ لبيان المراد، والله تعالى أعلم.

٨ ـ الإسرائيليات في هذا التفسير:

الإسرائيليات: جمعُ إسرائيليةٍ، نسبةً إلى بني إسرائيل، وهي معارفُ اليهودِ وثقافتُهم المتمثِّلةُ بالتوراةِ وشروحها، والأسفارِ وما اشتَملت عليه، والتلمودِ ـ

---

(١) وهي قراءة شاذة نسبت لجمع من السلف، كما نسبت للنبي ﷺ في خبر، لكنه لم يصح، وسيأتي تفصيل ذلك في مكانه.

وهي التوراةُ الشفهيةُ، وهو مجموعةُ قواعدَ ووصايا وشرائعَ دينيةٍ وأدبيةٍ ومدنيةٍ، وشروحٍ وتفاسيرَ وتعاليمَ ورواياتٍ كانت تُتناقَل وتُدرَّس شفهيًّا من حينٍ إلى آخر ـ وشروحِه، والأساطيرِ والخرافات، والأباطيلِ التي افترَوها أو تناقلوها عن غيرهم، وهذه كلُّها كانت المنابعَ الأصلية للإسرائيليات التي زخرت بها بعضُ كتبِ التفسيرِ والتاريخ والقصص والمواعظ، وهذه المنابعُ إن كان فيها حقٌّ ففيها باطلٌ كثير، وإن كان فيها صدقٌ ففيها كذبٌ صُرَاح، وإن كان فيها سمينٌ ففيها غثٌّ كثير، فمِن ثَم انجرَّ ذلك إلى الإسرائيليات.

وقد يتوسَّع بعضُ الباحثين في الإسرائيليات، فيجعلُها شاملةً لِمَا كان من معارف اليهود، وما كان من معارفِ النصارى التي تدور حولَ الأناجيل وشروحها، والرسلِ وسيَرهم، ونحوِ ذلك؛ وإنما سمِّيت إسرائيلياتٍ لأن الغالبَ والكثيرَ منها إنما هو من ثقافةِ بني إسرائيل، أو من كتبهم ومعارفهم، أو من أساطيرهم وأباطيلهم.

والحق: أن ما في كتب التفسيرِ من المسيحيَّات أو من النصرانيَّات هو شيءٌ قليلٌ بالنسبةِ إلى ما فيها من الإسرائيليات، ولا يكادُ يُذكر بجانبها، وليس لها من الآثارِ السيئة ما للإسرائيليات؛ إذ معظمُها في الأخلاق، والمواعظِ، وتهذيبِ النفوس، وترقيق القلوب(١).

قلتُ: وأخبثُ الإسرائيلياتِ وأكثرُها خطراً هو تلك التي يُخلط فيها بعضُ آيات القرآن، فلا شكَّ أنها مِن وضعِ كذابٍ خبيثٍ؛ لأنه أراد بتضمينه إياها آياتٍ من القرآن إيهامَ رفعها، ودفعَ الشكِّ عنها، وهذا أسلوبٌ لجأ إليه بعضُ الوضَّاعين بأنْ خلطوا مع الإسرائيلياتِ بعضَ ما ورد في القرآن والسنَّة؛ ليلبِّسوا على العامَّة أنها ليست من الإسرائيليات، وليست مما يقال بالرأي، وبالتالي فهي من المرفوع،

(١) انظر: «الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير» لمحمد أبو شهبة (ص: ١٢ ـ ١٤).

فينفِّقوا بذلك أكاذيبَهم وأباطيلهم، ويدسُّوا من خلاله شُبَهَهم، وسيأتي بعض الأمثلة على هذا ضمن هذا الفصل.

وقد كثُر في كتب التفسير إيرادُ الإسرائيليات، وأكثرُها كما تقدَّم طامَّاتٌ لم ينبِّه ناقلوها على أصله، ولم يُوْقَف على قائله، فكانت مثاراً للشكِّ والطعن والتقوُّلِ على الإسلام ونبيِّه ﷺ.

لكن قد نبَّه أبو شهبة رحمه الله هنا إلى مسألةٍ مهمةٍ فقال: وأحبُّ أن أنبِّهَ أنه ليس معنى أنَّ هذه الإسرائيلياتِ المكذوباتِ والباطلاتِ مرويةٌ عن كعب الأحبار، ووهب بن منبه، وعبد الله بن سلام، وأمثالِهم، أنها مِن وضعِهم واختلاقِهم، كما زعم ذلك بعضُ الناسِ اليومَ، وإنما معنى ذلك: أنهم هم الذين روَوْها، ونقلوها لبعضِ الصحابة والتابعين من كتبِ أهل الكتاب ومعارِفهم، وليسوا هم الذين اختلقوها، وإنما اختلَقَها وافْتَجَرها أسلافُهم القدماء.

ولم يقلْ أحدٌ من أئمةِ الجرح والتعديلِ على حصافتهم وبُعد نظرهم: إن كعباً ووهباً وعبد الله بنَ سلامٍ وتميماً الداريَّ وأمثالَهم كانوا وضَّاعين، يتعمَّدون الكذب والاختلاقَ من عند أنفسِهم، وإنما الذي قالوه عنهم: إنهم كانوا هم الواسطةَ في حمل ونقلِ معارفِ أهل الكتاب إلى المسلمين، وإن البعضَ رواها عنهم، فليس الذنبُ ذنبَهم، وإنما الذَّنبُ ذنبُ مَن نقلها ورواها عنهم من غيرِ بيانٍ لكذبها وبُطلانها(١).

ووهبٌ هو عالمُ أهلِ اليمن، روَى عن ابن عُمرَ وابن عباسٍ وجابرٍ وغيرِهم، وكان ثقةً، توفِّي سنةَ أربعَ عشرةَ ومئةٍ، وقد رُوي عنه في التفسير رواياتٌ كثيرةٌ جدًّا، مما في كتب أهل الكتاب.

---

(١) انظر: «الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير» لمحمد أبو شهبة (ص: ٩٦ ـ ٩٧).

وكعبُ الأحبار روَى عن النبيِّ ﷺ، ولكنه مرسل؛ لأنه لم يلقَ النبيَّ ولم يَسمع منه، وعن عمرَ، وصهيبٍ، والسيدةِ عائشةَ، وروَى عنه من الصحابةِ معاويةُ وأبو هريرةَ وابنُ عباسٍ، وعطاءُ بن أبي رباحٍ وغيرُه من التابعين. وقد أثنى عليه العلماءُ، وكان قبلَ إسلامه يهوديًّا عالماً بكتبهم وثقافتِهم، حتى قيل له: كعبٌ الحبرُ، وكعبُ الأحبارِ.

ويمكن تقسيمُ الإسرائيلياتِ إلى ثلاثةِ أقسامٍ لا حجةَ في ذكرِ أيٍّ منها:

فمنها: ما علِمنا صحته بشرعنا، فما جاء به شرعُنا أولَى بالذكر.

ومنها: ما علِمنا كذبَه لكونه خالفَ ما عندنا، فلا يجوزُ ذكره.

ومنها: ما هو مسكوتٌ عنه، فلا نكذِّبه ولا نصدِّقه، وتَجوزُ حكايتُه، لكنْ لا فائدةَ فيه تعودُ على الدِّين، وإنما لجأ إليه كثيرٌ من المفسِّرين لملءِ الفراغاتِ التي يتركُها القرآنُ في القصص بأسلوبِه المعجِز المترفِّع عن إيرادِ التفصيلات التي لا لزومَ لها، بل قد تشتِّت الذهنَ وتصرفُ عن العبرة التي سِيقت القصة لأجلها.

وينبغي الاعترافُ أنَّ هذا التفسيرَ من التفاسيرِ التي وقع فيها ذكرُ الكثير من الإسرائيليات، وغالبُه نسبه المؤلِّف رحمه الله لوهبِ بن منبِّهٍ، وبعضُه عن كعبِ الأحبار.

ويجب التنبيهُ هنا إلى ملاحظة مهمة أشار إليها أبو شهبة رحمه الله، وهي أن مَن أورد الإسرائيليات وعزاها لكعبِ الأحبارِ أو وهبِ بن منبِّهٍ أو عبدِ الله بن سلام وأضرابهم، فإنه قد دلَّ بعزوِها إليهم أنها مما حملوه وتلقَّوه عن كتبِهم ورؤسائهم قبل إسلامهم، ثم لم يَزالوا يذكرونه بعد إسلامهم، وأنها ليستْ مما تلقَّوه عن النبيِّ

أو الصحابةِ، فكانت نسبتُها إليهم تشير إلى مصدرها، ومن أين جاءت، وأن الرواية الإسلامية بريئة منها[1].

قلتُ: ولعل هذا يفسِّرُ كونَ بعضِ هذه الأخبار قد رُويت في كتبٍ تُنسبُ لأئمةٍ كبارٍ من أهل الحديث عُرف عنهم التحرِّي في الأخبار، ككتاب «الزهد» للإمام أحمد، و«تفسير الطبري»، و«تفسير ابن أبي حاتم»، فقد رُوي فيها بعضُ أخبارِ وهبٍ التي لا غبارَ على أنها مما أخذه عن الإسرائيليات، كقصةِ أيوبَ التي وردت عند الطبريِّ في أكثرِ من عشر صفحات، ولم يتعقَّبها بشيءٍ، وكقصةِ موسى التي وردت أيضاً مطوَّلةً في «الزهد» للإمام أحمدَ، وسيأتي العزوُ لهذين المصدرينِ في الكتاب في مواضعه إن شاء الله، فما أورده المؤلف كذلك منسوباً لمَن ذكرْنا لا يَحطُّ من قيمةِ الكتاب كما لم يحطَّ ذلك من تلك الكتب، نعم قد يكونُ في الإكثار منها ما يؤخذ عليه.

وتبقى الطامَّة في الكثيرِ من الإسرائيليَّاتِ الذي جاء موقوفاً على الصَّحابة، ومنسوباً إليهم رضي الله عنهم، فيظنُّ مَن لا يعلمُ حقيقةَ الأمر، ومَن ليس مِن أهل العلمِ بالحديث، أنها متلقَّاةٌ عن النبيِّ ﷺ؛ لأنَّها من الأمورِ التي لا مجالَ للرأي فيها.

وأمَّا الطامَّةُ الأكبرُ والأعظمُ والأخطرُ فهي أن بعض الزنادقة والوضَّاعين وضعفاءِ الإيمانِ قد رفَعوا هذه الإسرائيلياتِ إلى المعصومِ ﷺ، ونَسبوها إليه صراحةً، وهنا يكون الضررُ الفاحشُ والجنايةُ الكبرى على الإسلام، والتجنِّي الآثمُ على النبيِّ ﷺ؛ فإنَّ نسبة الغلط أو الخطأ أو الكذبِ إلى الراوي أيًّا كان أهونُ بكثيرٍ من نسبة ذلك إلى النبيِّ ﷺ[2].

---

(١) انظر: «الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير» لمحمد أبو شهبة (ص: ٩٤).

(٢) انظر: «الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير» لمحمد أبو شهبة (ص: ٩٤ ـ ٩٥).

فهذه مقدِّمةٌ لا بدَّ منها قبلَ الخوضِ فيما ورد في هذا الكتابِ من الأخبارِ التي لا شكَّ أن كثيراً منها هو من خرافاتِ بني إسرائيلَ وأباطيلِهم، فالمؤلِّفُ رحمه الله مثلُ عامَّةِ المفسِّرين لم يتوانَ عن إيراد الإسرائيليات التي يراها مناسبةً للموضع، ولو كان واضحاً أنها كذلك؛ كما في إيراده قصةَ خلقِ آدمَ وأكلِهِ من الشجرةِ نقلاً عن وهبِ بن منبِّهٍ، وقد صرَّح مكيٌّ بأن ذلك الخبرَ مما أخذَه وهبٌ عن أهلِ الكتاب.

ومن ذلك ممَّا يوازي الإسرائيلياتِ في الخرافة بل يفوقُها قصةُ النمرودِ التي رواها المؤلِّفُ بالسند المتَّصل إلى الراوي، وهو دِهقانٌ أسلمَ على زمنِ عُمر، وهي قصةٌ طويلةٌ مليئةٌ بالعجائب والغرائبِ والأساطيرِ التي لا تقبلُها العقول.

ـ ومن أمثلةِ ما نقله المؤلفُ من الإسرائيليات: ما جاء عندَ قوله تعالى: ﴿ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴾ [الأعراف: ١٠٧]، فقد ذكر خبراً عجيباً غريباً لا تقبلُه عقولٌ ولا تتَّسعُ له الأفهام، فقال: وقال وَهْبٌ: صار أعظمَ ثعبانٍ نظرَ إليه الناظرون، أسودَ مدلهمًّا يدبُّ على قوائمَ غلاظٍ قِصَارٍ شدادٍ في مثلِ بدنِ البُختيِّ العظيم، إلا أنه أطولُ منه بدناً وعنقًا ومشفرًا، وإن له ذنَبًا طويلًا غليظًا يقوم عليه فيُشرف على حيطان المدينة برأسه وعُنقه، ثم يقع على الأرض فلا يأتي على شيءٍ إلا حطَمه، وخدَش بقوائمه الصخرَ والرُّخامَ والحيطانَ والبيوت، حتى يرمي بعضَها على بعضٍ، يتنفَّسُ في البيوت والخزائن فيَشتعِلُ كلُّ شيءٍ منها نارًا، وله عينان تتوقَّدان نارًا، ومَنْخِران يخرج منهما الدُّخان، وقد صار له المحجَن عُرفًا على ظهره، وشعورًا سودًا غلاظًا مثلَ الرِّماح الطِّوال لا يُصيب منها شيئًا إلا قطَعه، وقد جُعلت الشعبتانِ له فمًا مثلَ القَليب الواسع يخرجُ منه رياحُ السَّموم لا يُصيب أحدًا منه نفخةٌ إلا صار أسودَ مثلَ الليل المظلِم، في فيه أضراسٌ وأنيابٌ، في أعلى شدقِه اثنانِ وسبعون ضرسًا، وفي أسفلهِ مثلُ ذلك، له صريرٌ يَصمُّ مَن سمعه، ما يسمعُ الرجل كلامَ جليسه إذا ضربَ

أضراسَه بعضَها على بعضٍ، وإنه ليَهدر مثلَ البعير يتزبَّد شدقاه زبَدًا أبيضَ، يَتطاير لعابه فلا يقع منه قطرةٌ على أحدٍ إلا اشتعل برَصاً، فأدخلَ الثعبانُ أحدَ شدقيهِ تحت سريرِ فرعونَ والآخَرَ فوقه وفرعونُ ـ لعنه الله ـ على سريره، فسَلَح في ثيابه، فلمَّا عاين الناسُ ذلك من أمر الثعبان ـ وكان قد اجتمع أهلُ المدينة بأسرهم ـ انهزموا وولَّوا ذاهبين، وتزاحَموا في الأبواب، وتضاغَطوا ووطئَ بعضهم بعضًا، فمات يومئذ خمسٌ وعشرون ألفًا، فقام فرعونُ اللعينُ فوقع عن سريره، وكان الله تعالى قد أملَى له حتى كان يمكثُ أربعينَ يومًا لا يَخرجُ من بطنه شيءٌ، ولا يُحدِث إلا في كلِّ أربعين يومًا مرةً، فلمَّا كان يومئذٍ أحدَثَ في ثيابه حتى علِم به جلساؤه، وكان يأكلُ ويشرب جاهدًا، ولا يَبصقُ ولا يَتمخَّط لا يتنخَّعُ ولا تَذرُف عيناه، ولا يمرضُ ولا يصدعُ ولا يَسقمُ ولا يَهرمُ ولا يَفتقِر، شابَّ السنِّ، فكان على هذا أربعَ مئة سنةٍ، فلمَّا كان يومئذٍ أحدثَ وبصق وامتخَط وأخذَه المرضُ والصُّداع واختلف بطنُه أربعين مرةً، فلم يزل بعد ذلك يختلفُ حتى مات عليه.

هذا الخبرُ رواه ابنُ عساكرَ في «تاريخه»، وهو مع ما فيه من المبالغاتِ التي لا يقبلُها العقل، فيه مخالفةٌ لِمَا جاء به الشرعُ، فهذا الحيوان بوصفه المذكورِ في هذه القصةِ يخالفُ نصَّ القرآن الذي جاء فيه أنه حيةٌ تسعى، وأنه ثعبانٌ مُبين، وهذا المذكور لا يُشبه الحيةَ ولا الثعبانَ، ولا حتى غيرَهما من الحيوانات التي نعرفُها أو نتخيَّلُها، ثم مَن الذي استطاعَ أن يَثبُتَ في ذلك الموقفِ الرهيبِ الغريبِ العجيبِ ليَعدَّ أضراسَه التي في شِدقهِ الأعلى أنَّها اثنان وسبعون، وإن تسنَّى له ذلك واستطاعَه فكيف عرَف عددَ تلك التي في شِدقه الأسفلِ؟! وكيف هي الوسيلةُ التي عرَف بها جلساءُ فرعون أنه أحدَث؟ أو مَن هو الذي كان بينَ جلسائهِ ونقَل لنا هذا الحدثَ؟

أم كيف عُرف كم اختلف بطنُ فرعون إذ ذاك؟ ومَن الذي كان يراقبه ويعدُّ ذلك الحدثَ عليه؟ فلا شكَّ أن هذا الخبر من أباطيل بني إسرائيل.

ـ ثم ذكر بعدَه المؤلفُ عن الحسن أنه قال: ولمَّا عاينَ ذلك قال: يا موسى، ارجع يومَك هذا وكفَّ ثعبانَك هذا، قاله سرًّا دون أصحابه، وقال لأصحابه: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ١٠٩]، وقال له: يا موسى، ألَا رَفَقْتَ بالأمر، قتلتَ خمسة وعشرين ألفًا، بهذا أمرك ربُّك الذي بعثك؟ قال: يا فرعونُ، أنت فعلتَ هذا، يا فرعونُ أسألُك واحدةً وأعطيك أربعًا، قال: وما الَّذي تسألني؟ قال: أسألُك أن تعبدَ الله وحده ولا تشركَ به شيئًا، وأعطيك الشبابَ لا تهرم، والملكَ لا ينازعك فيه أحد، والصحةَ لا تَسقم، والجنةَ خالدًا، فخضع له فرعون وقال: حتى أستأمرَ آسيةَ بنتَ مزاحمٍ، فدخل عليها فقال لها: يا آسيةُ، ألَا تَرَيْن إلى موسى إلى ما يَدْعوني وما يعطيني؟ قالت: وما هو؟ قال: يدعوني إلى أنْ أعبدَ الله ولا أشركَ به شيئًا، وأنَّ لي الشبابَ لا أهرمُ، والملكَ لا ينازعُني فيه أحد، والصحةَ لا أسقمُ، والجنةَ خالدًا، قالت: يا فرعون، وهل رأيتَ أحدًا يصيب هذا فيَدعَه؟ قال: فخرج فدعا هامانَ ـ قال الحسن رحمه الله: وكان لا يُعرف له نسبٌ ـ فذكر له ذلك واستشاره، فقال له هامان: أتَعبدُ بعد إذ كنتَ تُعبد؟! فبدا له وذكرَ أمرَ الشيب، فقال: أنا أردُّك شابًّا، فخضَبه بالسواد، وهو أولُ مَن خضب بالسَّواد، فدخل على آسية، وقال: يا آسية، ألَا تَريني صرتُ شابًا؟ قالت: مَن فعل هذا بك؟ قال: هامان، قالت: ذاك إن لم يَنْصُل.

وهذا أيضاً رواه ابنُ عساكر في «تاريخه»، وليس هذا بأحسنَ من سابِقِه، ولا شكَّ أنه مكذوبٌ على الحسن، ومَن وضعه كذابٌ خبيث، فقد رواه ابن عساكر من طريق إسحاقَ بنِ بشرٍ عن يزيدَ بنِ إبراهيمَ عنه، وإسحاقُ بن بشرٍ هو صاحب كتاب

«المبتدأ» كذَّبه عليُّ بنُ المدينيِّ، وقال الدارقطنيُّ: كذَّابٌ متروك. وقال ابن حبَّان: لا يحلُّ كَتْبُ حديثه إلا على جهةِ التعجُّب[1].

كما أن قولَ فرعون: قتلتَ خمسةً وعشرين ألفًا، ظاهر أنه مبنيٌّ على الخبر السابق وتابعٌ له، والسابق رواه ابن عساكر من طريق إسحاق عن إدريس عن وهب، ولعله مكذوب على وهب أيضاً، فإسحاقُ هو ابنُ بشرٍ، وقد ذكرنا حاله، وإدريسُ هو ابنُ سنانٍ سبطُ وهبِ بن منبِّه، قال عنه الدارقطني: متروك[2].

ثم كيف يُتصوَّر أن يدعوَ موسى فرعونَ إلى الإيمان بالله على أساسِ تلك المرغِّبات التي يخالفُ بعضُها سنةَ الله في عباده، فمَن ذا الذي يعطَى الشبابَ بلا هرَم، والصحةَ بلا سقم؟! وأيُّ إيمان هذا الذي يُبْنى على زهرةِ الحياة الدنيا التي هي فتنةٌ للكفار وليست طريقاً للإيمان بالله سبحانه؟ كما قال: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ [طه: ١٣١]، فأيُّ ميزةٍ لفرعون حتى يكونَ ما جُعل فتنةً لغيرِه سبيلاً له إلى الإيمان؟ علماً أن هذا التمتيعَ الذي في الآيةِ هو أقلُّ بكثيرٍ مما وعَد به موسى فرعونَ في هذا الخبر.

وإنما قلتُ: إن واضعَها كذابٌ خبيث؛ لأنه ضمَّن الخبر آيةً من القرآن لإيهام رفعِها، وقد تقدَّم بيان ذلك، ومن الأمثلةِ عليه أيضاً ما ذكره المؤلفُ في الآية نفسها عن قتادةَ، حيث قال:

وقال قتادةُ: لمَّا أخذ موسى الألواحَ قال: يا ربّ، إنِّي أجدُ في التوراة ـ أي: الألواح ـ أمَّةً هي خيرُ الأمم، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر،

---

(١) انظر: «ميزان الاعتدال» (١/ ١٩٢).

(٢) انظر: «ميزان الاعتدال» (١/ ١٨٠).

فاجعلهم أمتي، قال: تلك أمةُ محمدٍ ﷺ، فقال: يا ربّ، إنِّي أجد في التوراة أمةً سمَّيتَهم المتقين وسمَّيتهم عابدين وصالحين؟ قال: هم أمة محمد، قال: يا ربّ، إنِّي أجد في التوراة أمةً هم الآخِرون السابقون يومَ القيامة؟ قال: هم أمة محمد، قال: يا ربّ، إنِّي أجدُ في التوراة أمةً يأخذون صدقاتها فيأكلونها في بطونهم فيؤجَرون عليها؟ قال: هم أمة محمد، قال يا ربّ، إني أجد في التوراة أمةً هم المستجيبون والمستجابُ لهم؟ قال: هم أمة محمد، قال: يا رب، إني أجد في التوراة أمةً يقاتلون أهل الضلالة حتى يقاتِلوا الدجَّال؟ قال: هم أمة محمد، قال: يا ربّ، إني أجد في التوراة أمةً أناجيلُهم في صدورهم؟ فقال: هم أمة محمد، قال: إني أجد في التوراة أمةً الجنةُ محرَّمةٌ على الأنبياء حتى يدخلَها نبيُّهم، وعلى الأمم حتى تدخلها أمَّتُه؟ قال: هم أمة محمد، قال: إني أجد في التوراة أمةً غَفرْتَ لهم قبل أن يَستغفروك، وأعطيتَهم قبل أن يسألوك؟ قال: هم أمة محمد، قال: إني أجد في التوراة أمةً رضُوا عنك باليسير من الرزق ورضيتَ عنهم باليسير من العمل؟ قال: هم أمة محمد، قال: إني أجدُ في التوراة أمةً هم الشافعون والمشفوعُ لهم؟ قال: هم أمة محمد، قال: فاجعلهم أمتي، قال: إنك لن تدركهم، فقال موسى: الوفدُ وفدي والحياءُ لأمة محمد، فاجعلني من أمة محمد، فقال الله تعالى: ﴿إِنِّي ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي﴾ الآية، فرضي، وزِيدَ: ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٩].

قال أبو شهبةَ: إن آثارَ الوضعِ والاختلاقِ باديةٌ عليه، والسندُ مطعونٌ فيه، وهي أمور مأخوذةٌ من القرآن والأحاديث، ثم صِيغت هذه الصياغةَ الدقيقة، وجُعلتْ على لسانِ موسى عليه السلام.

ثم نقَل عن ابن كثيرٍ قوله: وروَى ابن جرير عن قتادةَ في هذا قولاً غريباً لا يصحُّ إسناده إلى حكاية قتادة، وقد ردَّه ابنُ عطية وغيرُ واحدٍ من العلماء، وهو جديرٌ بالرَّدِّ، وكأنه تلقَّاه قتادةُ عن بعضِ أهل الكتاب، وفيهم كذَّابون ووضَّاعون، وأفَّاكون وزنادقةٌ.

قال: وصدَق ابنُ كثير فيما قال، وأرجِّحُ أن يكون من وضعِ زنادقتهم كي يُظهِروا الأنبياء بمظهَر المتحاسدِينَ، لا بمظهرِ الإخوان المتحابِّين...

قال: ومما يؤيِّد أنه من وضع الإسرائيليين الدُّهاة أن نحواً من هذا المرويِّ عن قتادة قد رواه الثعلبيُّ وتلميذُه البغويُّ عن كعبِ الأحبار، ولا خلافَ إلا في تقديم بعض الفضائل وتأخيرِ البعض الآخر[1].

فهذا مجملُ ما لاحَ لنا في استبيانِ منهجِ المؤلِّفِ في هذا السِّفرِ الكبيرِ، وهو بحاجةٍ إلى إفرادِ دراساتٍ أكاديميَّةٍ علميَّةٍ عنه، لعلَّ اللهَ ييسِّرُ ـ بعدَ أن منَّ علينا بإخراجهِ للنُّورِ ـ مَن يقومُ عليهِ من الطلبةِ والباحثينَ بالدراساتِ اللائقةِ به في قادمِ الأيامِ. والله الموفِّق.

***

(١) انظر: «الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير» (ص: ٢٠٥).

سادساً: وصف النسخ الخطية

تمَّ الاعتمادُ في تحقيق هذا الكتابِ على ثلاثِ نسخٍ خطيةٍ، تكامَلت مع بعضها لإخراج النصِّ على أقربِ صورةٍ أرادها مؤلِّفُها إن شاء الله تعالى.

النسخة الأولى:

نسخة مكتبة (أيا صوفيا) التابعة إلى المكتبة السليمانية في إسطنبول، وهي مكوَّنة من مجلدين برقم (٩٦) (٩٦)، يقع المجلد الأول منها في (٣٧٩) ورقة، والمجلد الثاني في (٣٩٢) ورقة، وفي كلِّ ورقةٍ وجهان، وفي الوجه (٣١) سطراً تقريباً، تمَّ الفراغُ من نسخِ المجلَّدِ الأولِ عامَ (٩٦٩هـ)، والثاني عام (٩٧٣هـ)، وهي أتقنُ النسخ وأدقُّها، تميَّزت بوضوحِ الخط، وقلةِ التصحيفات والسُّقوط، ولُوِّنت الآياتُ فيها بالمداد الأحمر.

وتم الرمز لهذه النسخة بالرمز (أ).

النسخة الثانية:

نسخةُ مكتبةِ (فيض الله أفندي) في إسطنبول برقم (٨٨)، تقعُ في مجلدٍ واحد في (٤١٧) ورقة، في كلِّ ورقةٍ وجهان من القَطْع الكبير، وفي الوجه (٦٣) سطراً تقريباً، وهي نسخةٌ جيدةٌ واضحةُ الخط، اختصَّت بترجمةِ العبارات الفارسيةِ التي أوردها المصنِّف إلى العربية، وبضبطِ بعض الكلمات المشكِلة، إلا أنه كثُر فيها السقوط، وفي آخرِها نظمٌ للإمام نجم الدين النسفي بعد فراغه من تصنيفه، كُتبت النسخة في الثاني والعشرين من جمادى الآخر سنة (٨٦٠هـ).

وتم الرمز لهذه النسخة بالرمز (ف).

النسخة الثالثة:

نسخةُ مكتبة (راغب باشا) التابعةِ إلى المكتبةِ السليمانيَّة في إسطنبول، برقم (٩٩)، تقعُ في مجلدٍ واحدٍ في (٦٠٩) ورقات، وفي كلِّ ورقةٍ وجهان، وفي الوجه (٤٤) سطراً تقريباً، ليس فيها ذكرٌ لاسمِ الناسخ أو تاريخِ النسخ، وهي نسخةٌ جيدة فيها بعضُ التصحيفات، وفي آخرها النظمُ نفسُه الذي تقدَّم في النسخة السابقة.

وتم الرمز لهذه النسخة بالرمز (ر).

* * *

سابعاً: عملنا في الكتاب

وأخيراً فإننا لم ندَّخر وسعاً في تحقيقِ هذا الكتابِ وإخراجِه على الوجهِ اللائق به، ونسأل الله سبحانه أن نكونَ قد وفِّقنا في مسعانا، وقد تلخَّص عملُنا فيه بما يلي:

١ ـ تمَّ تحقيقُ الكتابِ على عددٍ من النسخِ الخطيةِ النفيسة التي تقدَّم وصفُها آنفاً، وقد قمنا بنسخه من النسخة الخطية لمكتبة راغب باشا المرموز لها بـ(ر) وقابلنا الكتاب عليها، ثم قمنا بمقابلته على النسختين الأخريين لمكتبتي أيا صوفيا (أ) وفيض الله أفندي (ف)، وقد حرصنا على إثباتِ الصوابِ أو الأنسبِ بسياقِ الكلام، مع الإشارةِ إلى فروق النسخ الخطية، وإهمالِ الفروق التي التحريفُ فيها ظاهرٌ ولا فائدةَ في إثباتها بل تُثقل الحواشيَ بلا داعٍ. ولا يستغربنَّ مُطالعُ هذا التفسير كثرة فروق النُّسخ الخطية التي فيه فقد كانت أضعافَ ما هي عليه في ثوبها الأخير، وبذلنا جهدنا في الاقتصار والاقتصاد في إثبات الفروق.

٢ ـ ضبطُ النصِّ وتفصيلُه وترقيمُه بعلاماتِ الترقيم المناسبة التي تُساعد على فهمه، مع العنايةِ بضبط المُشْكِل.

٣ ـ الحرصُ على أن يكونَ النصُّ صحيحاً سالماً من الأخطاء والتحريفات والسُّقوطات، ومن ذلك مقابلتُه على المراجع التي اعتادَ المؤلفُ النقلَ منها، والاستفادةُ من ذلك في تصحيحِ التحريف، واستدراكِ الساقط بين معكوفتين، وشرحِ المبهَم، والتنبيهِ على الخطأ، وغير ذلك.

٤ ـ تخريجُ جميع الأحاديث المرفوعةِ من مصادر التخريج مقتصِرين على الصحيحين أو أحدِهما إن وجد فيه الحديث، وإلا فمِن باقي الكتبِ السِّتة و«مسند

الإمام أحمد»، فإنْ لم يُوجد الحديثُ فيها فمِن باقي كتب التخريج، مع شرحِ ما فيها من غريبٍ، وبيانِ علةٍ إن وُجدت.

٥ ـ تخريجُ الأخبار والآثار وأسبابِ النزول الواردةِ فيه من كتبِ التخريج والتفسير وأسباب النزول.

٦ ـ تخريجُ الشواهد الشعرية وغيرِها من كتب دواوين الشعر، فإن تعذَّر فمِن باقي كتب الأدب المعتمَدة، مع شرح الغريب إنْ وُجد.

٧ ـ توثيقُ ما ينقله المصنفُ من مصادره مع مقابلته على ما جاء في تلك المصادر لضمان صحة النص، وبيان الاختلاف إنْ وجد وكان وجيهاً.

٨ ـ تعقُّبُ المصنف إنْ وقع خطأٌ أو سهوٌ أو سبقُ قلم، والتعليقُ في المواضع التي تحتاج إلى تعليق.

٩ ـ كتابةُ مقدمةٍ للكتاب تتضمنُ بيانَ موقعِ هذا التفسير وأهمَّ المراجع التي نهل منها، مع ترجمة المؤلف ترجمةً وافية، كما قُمنا بدراسةٍ مستفيضة لخصائص هذا التفسير ولمنهج المؤلف فيه.

١٠ ـ تذييل الكتاب بالفهارس العلمية المناسبة.

والحمد لله رب العالمين،

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

* * *

صور المخطوطات

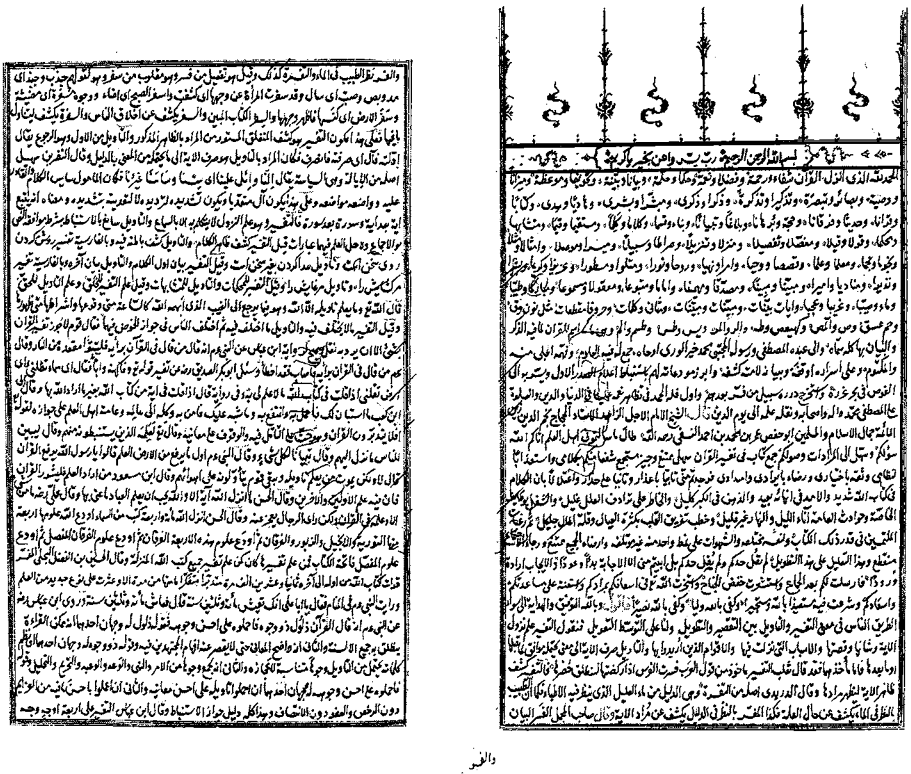

صورة اللوحة الأولى من النسخة الخطية لمكتبة أيا صوفيا والمرموز لها بـ (أ)

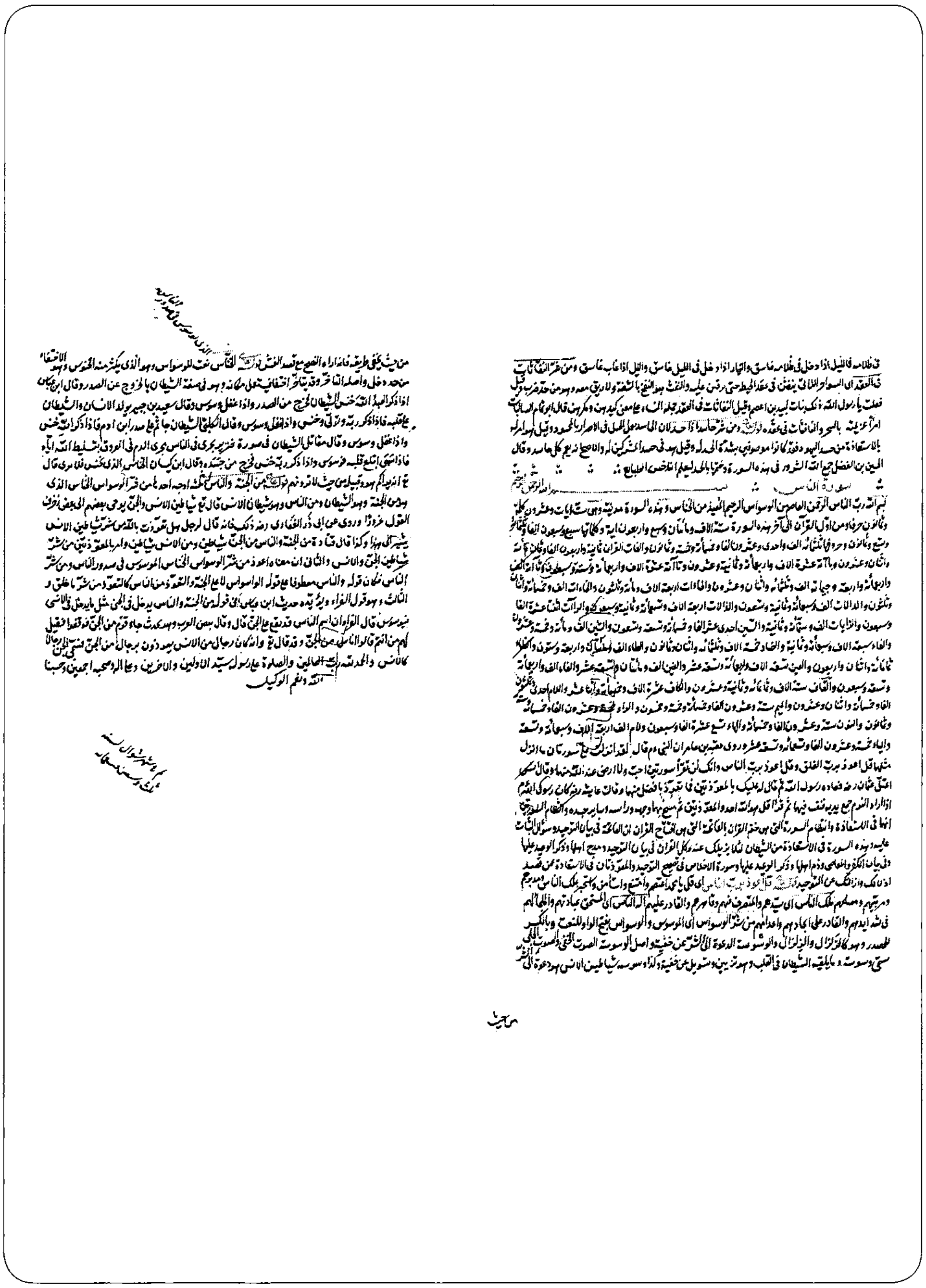

صورة اللوحة الأخيرة من النسخة الخطية لمكتبة أيا صوفيا والمرموز لها بـ (أ)

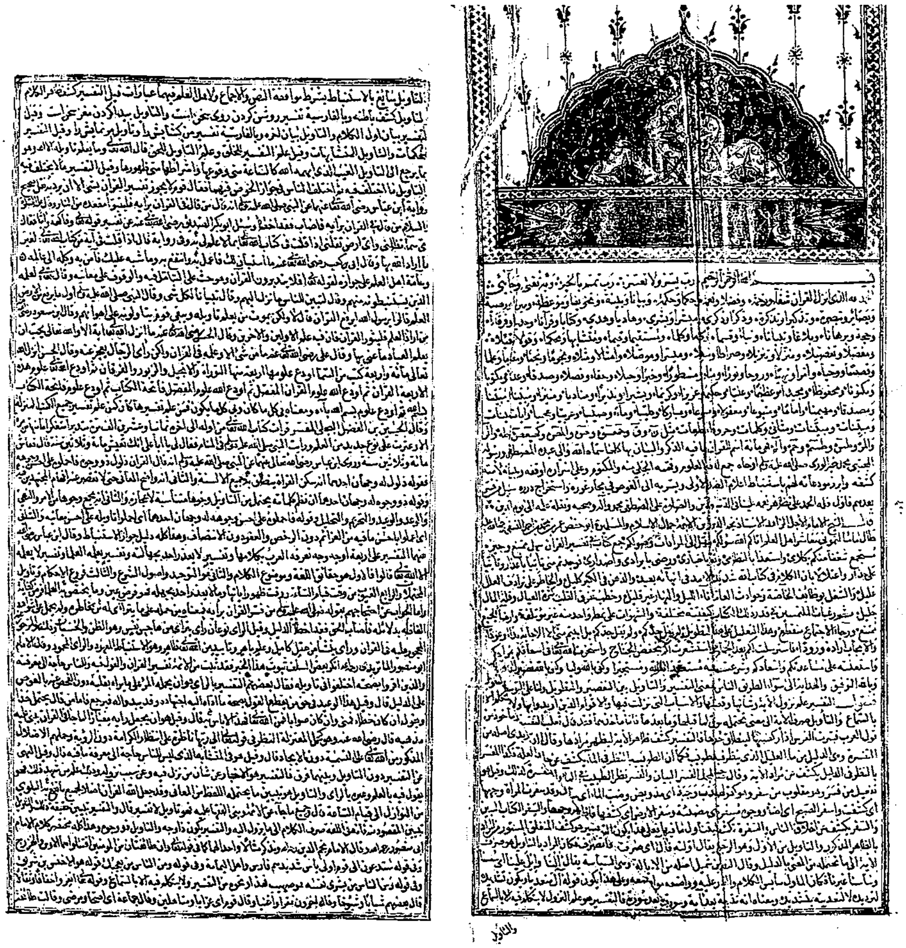

صورة اللوحة الأولى من النسخة الخطية لمكتبة راغب باشا والمرموز لها بـ(ر)

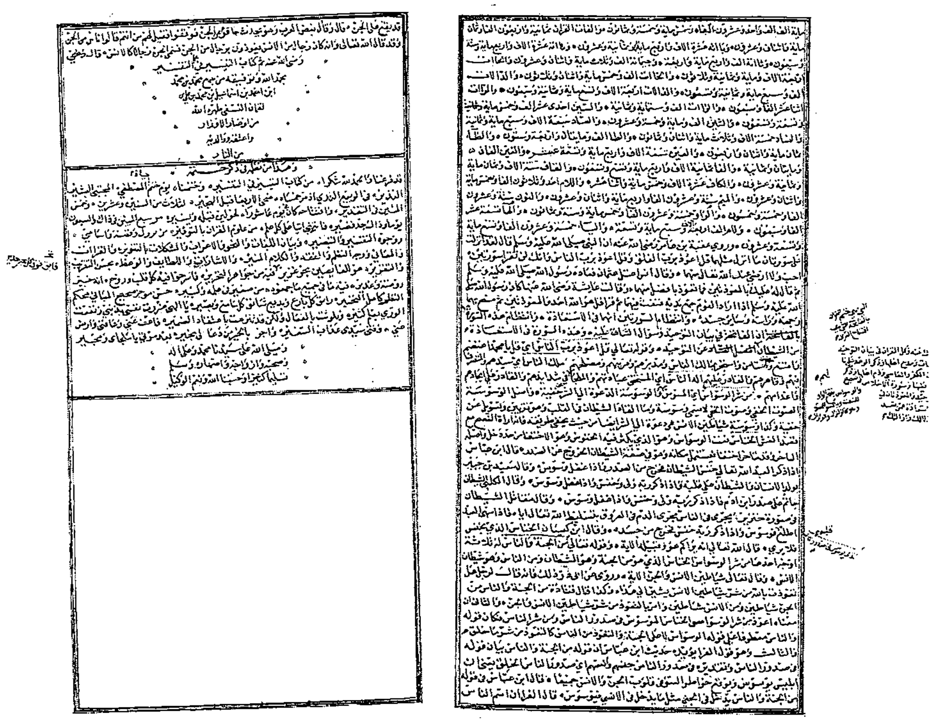

صورة اللوحة الأخيرة من النسخة الخطية لمكتبة راغب باشا والمرموز لها بـ (ر)

صورة اللوحة الأولى من النسخة الخطية لمكتبة فيض الله والمرموز لها بـ (ف)

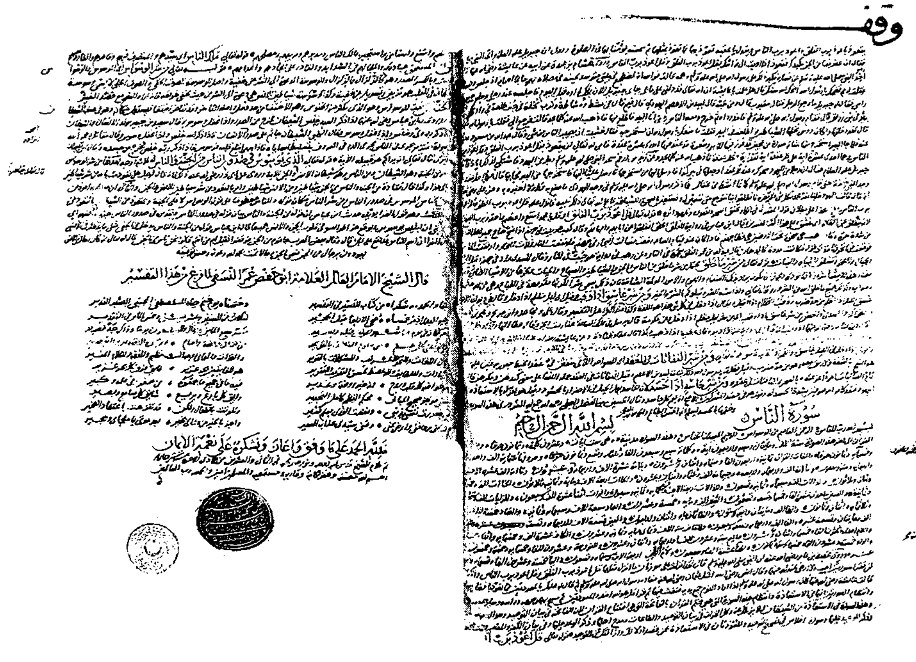

صورة اللوحة الأخيرة من النسخة الخطية لمكتبة فيض الله والمرموز لها بـ (ف)

التيسير في التفسير

تأليف الإمام

أبي حفص النسفي

نجم الدين عمر بن محمد بن أحمد النسفي الحنفي

٤٦١ ـ ٥٣٧ هـ

يطبع أول مرة محققاً على ثلاث نسخ خطية

التيسير
في
التفسير

(١)

حُقوق الطّبع محفُوظَة

الطبعة الأولى
١٤٤٠هـ-٢٠١٩م

يُمنع طباعةُ هذا الكتاب أو ترجمته أو تصويرُه ورقياً أو إلكترونياً
إلا بإذن خطي من الدار الناشرة
تحت المُساءلة الدُّنيوية والأُخروية

9 786052 279311

دار اللباب
للدراسات وتحقيق التراث
DAR-ALLOBAB
Lubab Yazma Eserleri İhya ve İlmi Araştırma Yayınları

بيروت - لبنان
009615813966
0096170112990
Www.allobab.com

اسطنبول - تركيا
00905454729850
00902125255551
info@allobab.com

İskenderpaşa mh. Kıztaşı cd. No:7 D:5 Fatih (Özel Fatih Hastanesi Karşısı)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وصلَّى اللهُ على سيِّدِنا محمدٍ وعلى آلِهِ وصحبِهِ وسلَّمَ، ربِّ يَسِّرْ ولا تُعسِّرْ، ربِّ تَمِّمْ بالخيرِ، وبه ثِقَتِي ورَجائي[1].

الحمدُ للهِ الذي أَنزل القرآنَ[2] شفاءً ورحمة، وفضلاً ونعمة، وحُكماً وحِكْمة، وبياناً وبيِّنة، وتخويفاً وموعِظَة، وميراثاً[3] ووصيَّة، وبصائرَ وتَبْصِرة، وتذكيراً وتذكرة، وذكراً وذكرى، ومبشِّراً وبُشرى، وهادياً وهدًى، وكتاباً وقرآناً، وحديثاً وفرقاناً، وحجةً وبرهاناً، وبلاغاً وتبياناً، ونبأً وقَسَماً، وكلاماً وكَلِماً، ومستقيماً وقيِّماً، ومتشابهاً ومحكَماً، وقولاً وقِيلاً، ومفصَّلاً وتفصيلاً، ومُنزَّلاً وتنزيلاً، وصراطاً وسبيلاً، وميسَّراً وموصَّلاً، وأمثالاً ومُثُلاً، ونُجوماً ونُجُماً، ومعلِّماً وعلماً، وقَصَصاً ووَحْياً، وأمراً ونهياً، ورُوحاً ونوراً، ومتلوًّا ومسطوراً، وخبراً وحَبْلاً، وحقًّا وفَصلاً، وصِدقاً وعدلاً، ومكتوباً ومكنوناً ومحفوظاً، ومجيداً وعظيماً، وعليًّا وحكيماً[4]، وعزيزاً وكريماً، وبشيراً ونذيراً، ومنادياً ومنيراً، ومُبِيْناً ومُبيِّناً، ومصدِّقاً

---

(١) في (ف): «رب يسر وأعن يا كريم، من مُمد الكون أستمد التوفيق والعون»، وسقطت العبارة من (أ).

(٢) في (ف): «الفرقان».

(٣) في (أ): «وميزاناً».

(٤) في (ف): «ومكتوباً ومحفوظاً ومكنوناً ومجيداً وعلياً وسديداً وعظيماً وحكيماً». ومن قوله: «وخبرا وحبلا...» إلى هنا سقط من (أ).

ومُهَيْمناً، وإماماً ومتبوعاً[١]، ومعقولاً ومسموعاً، ومباركاً وطيِّباً، وماءً وصيِّباً، وغريباً وعجباً[٢]، وآياتٍ بيِّنات، ومُبيِّنات ومُبيَّنات[٣]، ومثانيَ وكلمات، وحروفاً مقطعات، مثل ﴿نٓ﴾ و﴿قٓ﴾ و﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ﴾ و﴿صٓ﴾ و﴿الٓمٓصٓ﴾ و﴿كٓهيعٓصٓ﴾ و﴿طه﴾ و﴿الٓر﴾ و﴿الٓمٓر﴾ و﴿يسٓ﴾و﴿طسٓ﴾ و﴿طسٓمٓ﴾ و﴿حمٓ﴾ و﴿الٓمٓ﴾.

فهي[٤] مئةُ اسمٍ للقرآن، لها[٥] فيه الذكرُ والبيان، بها كلِّها سمَّاه[٦]، وإلى عبدِه المصطفَى ورسوله المجتبَى محمدٍ خيرِ الورى ﷺ أوحاه، جمَع له فيه العلوم، وفهَّمه الجليَّ منه والمكتوم، وعلى أسراره أوقفَه، وببيانه لأمَّته كَشَفه، وأَبرز مودَعاته لهم باستنباطِ أعلام الصَّدْر الأولِ، ويسَّر به إلى الغوصِ في بحار غُرَرِه[٧] واستخراجِ دُرَرِه سبيلَ مَن فَسَّر بعدَهم وأَوَّلَ، فله الحمدُ على[٨] تظاهُرِ نِعَمه علينا في الدُّنيا والدِّين، والصلاةُ على المصطفى محمدٍ وآلهِ وصحبه ونَقَلةِ عِلمِه إلى يوم الدِّين.

قال الشيخُ الإمام الأجلُّ الزاهد الأستاذ الحَجَاج[٩]، نجمُ الدِّين، زينُ

---

(١) في (ف): «وإماماً متبوعاً».

(٢) في (ف): «وعربياً وعجباً»، وفي (ر): «وعربياً وعجمياً».

(٣) قوله: «ومبينات ومبينات» سقط من (ف)، وجاء في هامشها: «وآيات مبينات».

(٤) في (أ): «وهي».

(٥) في (أ) و(ر): «لما».

(٦) في (ر): «سماه الله».

(٧) في (ر): (غوره).

(٨) في (أ): «في».

(٩) «الحجاج» ليست في (ر)، وسيأتي لفظ (ف). والحَجَاجُ: حاجِبُ الشَّمس، يقال: بدا حَجَاجُ الشَّمس، أي: حاجِبُها، وهو قَرْنُها، وهو مَجاز. انظر: «التاج» (مادة: حجج).

الأئمَّة، جمال الإسلام والمسلمين، أبو حفصٍ عمرُ بن محمدِ بن أحمدَ النسفيُّ[١]، سترَ الله عيبَه ورَحِمَ شَيبه، رحمةُ الله عليه[٢]: طال ما سألتُموني معاشرَ أهل العلم ـ آتاكُم الله سُؤلَكم، وسهَّل إلى المرادات وصولَكم ـ جمعَ كتابٍ في تفسيرِ القرآن سهلٍ ممتنعٍ، وجيزٍ مستَجمِعٍ، شغَفاً منكم بكلامي، وحبًّا منكم[٣] واستعذاباً لنظامي، وثقةً باختياري، ورضًى بإيرادي وإصداري، فوجدتُم مني تأبّياً بأعذار، وتأنّياً على حِذَار، واعتلالاً بأنَّ الكلام في كتاب اللهِ شديد، والأمدَ في إنهائه بعيد، والذِّهنَ في الكِبَر كليل، والخاطرَ على تَرادُف العلَل عليل، والشُّغلَ بوظائف الخاصَّة وحوادثِ العامة آناءَ الليل والنهار غيرُ قليل، وخَطْبَ تفرُّق القلب بكثرةِ العيال وقلَّةِ المال جليل.

ثم رغباتُ الملتمِسين في قَدْر ذلك الكتاب وكيفيَّتِه مختلِفة، والشهواتُ على نمطٍ واحدٍ منه غيرُ مؤتلِفة، وإرضاءُ الجميع ممتنِع، ورجاءُ الاجتماع مُنقطِع، وهذا التعليلُ على هذا التطويل لم يَفُلَّ حدَّكم، ولم يُقلَّ جِدَّكم، بل أبيتُم مني إلا الإجابةَ بَدْءاً وعَوداً، والإيجابَ إرادةً ورَوداً، فاسترسَلْتُ لكم بعد الجِمَاح، واستشعرتُ لكم بخَفْضِ[٤] الجَناح، واستَخَرْتُ اللهَ تعالى في إسعافكم بمرادكم، واستَعَنْتُه على مساعدتكم وإسعادِكم، وشَرَعْتُ فيه مستَعِيذاً بالله تعالى ومستَجيراً، وكفَى بالله وليًّا وكفَى بالله نصيراً.

---

(١) في (ف): «قال العبد الضعيف عمر بن محمد بن أحمد النسفي»، وجاء في هامشها كالمثبت لكن دون كلمة: «الحجاج».

(٢) من قوله: «ستر الله عيبه...» إلى هنا، وقع بدلًا منه في (أ): «رحمه الله».

(٣) «وحباً منكم» من (ف).

(٤) في (أ) و(ف): «واستشعرت خفض».

فأقولُ وباللهِ التوفيقُ، والهدايةُ إلى سواءِ الطريق:

الناس في معنى التفسيرِ والتأويل بين التَّقصير والتَّطويل، ولنا على التوسُّط التعويلُ؛ فنقول:

التفسير: علمُ نزول الآية وشأنِها وقصَّتِها، والأسبابِ[١] التي نزلت فيها، والأقوامِ الذين أُريدوا بها، ولا يُتكلَّم إلا بالسَّماع.

والتأويل: صرفُ الآية إلى معنًى تحتمِلُه موافقٍ لِـمَا قَبْلَها وما بعدَها.

فأمَّا مأخذُهما: فقد قال ثعلبٌ: التفسير مأخوذٌ من قول العرب: فسَّرتُ الفرس، إذا ركَضْتَها لِيَنْطلقَ حُضْرُها[٢]، فالتفسيرُ: كشفُ ظاهرِ الآية لِيَظْهَرَ مرادُها.

وقال الدُّريديُّ[٣]: أصلُه من التَّفسرةِ، وهي الدليلُ من ماءِ العَليل الذي ينظر فيه

---

(١) في (ف): «وأسبابها»، وفي هامشها: «والأسباب».

(٢) ضبطت الحاء في (أ) و(ر) بالضم، والحُضْر ـ بضم الحاء ـ كما في «القاموس» (مادة: حضر): ارتفاع الفرس في عَدْوه. وقول ثعلب نقله أبو حيان بلفظ: (فسرت الفرس: عرَّيته لينطلق في حُضره)، ثم قال: (وهو راجعٌ لمعنَى الكشفِ، فكأنَّه كَشَفَ ظهرَه لهذا الذي يريدُه منه مِن الجَرْي)، وهذا يدل على أن الكلمة بالحاء والضاد، لكنها وقعت في بعض المصادر بالحاء والصاد، قال الثعلبي: هو من قول العرب: فسرتُ الفرس: إذا ركضتَها مصورة لينطلق حَصِيرها. وأوضح من هذا قول الفيروز أبادي: وقيل: اشتقاقه من قول العرب: فسَرت الفرس وفسَّرته؛ أي: أَجريته وأَعديته إِذا كان به حُصْر، ليستطلِق بطنُه، وكأَن المفسِّر يُجري فرس فكره في ميادين المعاني ليستخرج شرح الآية، وَيُحلَّ عقْد إِشكالها. انظر: «تفسير الثعلبي» (١/ ٨٦)، و«البحر المحيط» (١/ ٣٦)، و«وبصائر ذوي التمييز» للفيروزأبادي (١/ ٧٨).

(٣) الدُّريدي بضم الدال المهملة وفتح الراء، هذه النسبة إلى الجد، وعرف بها أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد بن عتاهية الأزدي الدوسي، بصري المولد نشأ بعمان وطلب الأدب، وورد بغداد بعد أن =

الأطباء[١]، فكما أن الطبيبَ بالنظرِ في الماء يَكشفُ عن حال العلَّة، فكذا المفسِّر بالنظر في الدليل يَكشف عن مراد الآية.

وقال صاحب «المُجْمَل»: الفَسْر: البيان، والفَسْرُ: نظرُ الطبيبِ في الماء، والتَّفسِرةُ كذلك[٢].

وقيل: هو تفعيلٌ من فسَرَ، وهو مقلوبٌ من سَفَر، وهو كقولهم: جذَبَ وجبَذَ؛ أي: مدَّ، وبَضَّ وضَبَّ الماءُ؛ أي: سال، وقد سَفَرتِ المرأة عن وجهها؛ أي: كَشفت، وأَسفر الصبحُ؛ أي: أضاء، ووجوهٌ[٣] مُسْفِرة؛ أي: مُضيئة، وسَفَر الأرضَ؛ أي: كنَسها[٤] فأظهرَ وجهَها، والسِّفْر: الكتاب المبين[٥]، والسفَرُ يكشفُ عن أخلاقِ الناس، والسُّفرةُ تُكشف ليُتناول ما فيها.

فعلى هذا يكون التفسيرُ هو: كشفُ المنغلِق المستورِ من المراد بالظاهِر المذكور.

= أسن فأقام بها إلى آخر عمره، حدث عن عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي، وأبي حاتم السجستاني، والرياشي، وغيرهم، وهو الإمام المشهور في اللغة، وله شعر حسن، روى عنه أبو سعيد السيرافي وأبو عبيد الله المرزباني وغيرهما، وتوفي ببغداد سنة (٣٢١هـ). انظر: «اللباب في تهذيب الأنساب» لابن الجزري (١/ ٤٩٩). وقوله الآتي لم أجده في «الجمهرة» ولا غيره من كتبه المطبوعة، لكن رواه عنه الثعلبي في «تفسيره» (١/ ٨٦).

(١) في (ر): «الطبيب».

(٢) انظر: «مجمل اللغة» لابن فارس (ص: ٧٢١).

(٣) بعدها في (ف) زيادة: «يومئذ».

(٤) في (ر) و(ف): «كشفها».

(٥) في (ر): «البين».

والتأويل من الأَوْلِ وهو الرجوع[(١)]؛ يقال: أَوَّلتُه فآل؛ أي: صَرَفْتُه فانْصَرَفَ، فكأنَّ المراد بالتأويل: هو صرفُ الآية إلى ما تحتمِلُه من المعنى بالدليل.

وقال النَّضْر بنُ شُمَيْلٍ[(٢)]: أصله من الإيَالة وهي السياسةُ، يقال: أُلْنا وإِيلَ علينا؛ أي: سُسْنا وساسَنا غيرُنا، فكأنَّ المؤوِّل سائسُ الكلام والقادرُ عليه، وواضعُه مواضعَه.

وعلى هذا يكون[(٣)] آلَ متعدياً، ويكونُ تشديدُه لترديدِه لا لتعديتِهِ بتشديده، ومعناه: أنه تتبَّعَ آيةً بعد آيةٍ وسورةً بعد سورةٍ.

فالتفسير هو علم النزول لا يُتكلَّم فيه إلا بالسماع، والتأويلُ سائغٌ بالاستنباط بشرطِ موافَقةِ النصِّ والإجماع، ولأهل العلم فيهما عبارات:

قيل: التفسير كشفُ ظاهر الكلام، والتأويلُ كشف باطنه، وبالفارسية: (تفسير روشن كردن روى سخن است، وتأويل[(٤)] بيدا كردن مغز سخن است)[(٥)].

وقيل: التفسير بيانُ أول الكلام، والتأويل بيانُ آخره، وبالفارسية: (تفسير من كشا يش را، وتأويل مر نما يش را).

وقيل: التفسير للمُحْكَمات، والتأويل للمتشابِهات.

وقيل: علم التفسير للخَلْق، وعلم التأويل للحق، قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ

---

(١) في (ر): «الرجع».

(٢) في (أ): «سهيل»، وهو تحريف، والكلام الآتي رواه عن النضر: الثعلبيُّ في «تفسيره» (١/ ٨٧).

(٣) بعدها في (ر) و(ف): «قوله».

(٤) في (ر): «والتأويل».

(٥) في (ف): «تعريبه: التفسير معناه إيضاح ظاهر الكلام، والتأويل معناه: إظهار معنى الكلام»

تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٧] وهو فيما يَرجع إلى التأويل[١]: الغيبُ الذي أبهمه الله؛ كالساعة متى وقوعُها؟ وأشراطها متى ظهورُها؟

وقيل: التفسير ما لا يُختلف فيه، والتأويل ما اختُلف فيه.

ثم اختلَف الناس في جواز الخوض فيهما:

فقال قومٌ: لا يجوز تفسير القرآن بشيءٍ إلا أن يَرِدَ به نقلٌ صحيح؛ لرواية ابن عباس رضي الله تعالى عنهما عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «مَن قال في القرآنِ برأيه فلْيَتبوَّأْ مَقعَدَه من النَّار»[٢].

وقال عليه الصلاة والسلام: «مَن قال في القرآنِ برأيِه فأصابَ فقد أَخْطأَ»[٣].

وسئل أبو بكرٍ الصِّدِّيقُ رضي الله تعالى عنه عن تفسير قوله تعالى: ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا﴾ فقال: أيُّ سماءٍ تُظِلُّني وأيُّ أرضٍ تُقِلُّني إذا قلتُ في كتابِ الله تعالى ما[٤] لا علم لي به[٥]؟!

---

(١) «التأويل» من (ر).

(٢) رواه أبو داود في «سننه» برواية ابن العبد كما في «تحفة الأشراف» (٤/ ٤٢٣)، والترمذي (٢٩٥٠) و(٢٩٥١)، والنسائي في «الكبرى» (٨٠٣١). قال الترمذي: حديثٌ حَسَنٌ. قلت: في إسناده عبد الأعلى الثعلبي وهو ضعيف.

(٣) رواه أبو داود (٣٦٥٢)، والترمذي (٢٩٥٢)، والنسائي في «الكبرى» (٨٠٣٢) من حديث جندب بن عبد الله رضي الله عنه. قال الترمذي: هذا حديثٌ غريبٌ، وقد تَكَلَّمَ بعضُ أهلِ الحديثِ في سهيلِ بن أبي حَزْمٍ.

(٤) في (ر): «بما».

(٥) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٠١٠٧).

وفي رواية قال[١]: إذا قلتُ في آية من كتاب الله تعالى بغيرِ ما أراد الله بها[٢].

وقال أبيٌّ بن كعب رضي الله تعالى عنه: ما استبانَ لك فاعْمَلْ به وانتفِعْ به، وما شبِّهَ عليك فآمِنْ به وكِلْهُ إلى عالِـمه[٣].

وعامةُ أهل العلم على جوازه؛ لقوله تعالى[٤]: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [النساء: ٨٢]، وهو حثٌّ على التأمُّل فيه والوقوفِ[٥] على معانيه.

وقال تعالى: ﴿لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣].

وقال الله تعالى: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤].

وقال تعالى: ﴿تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ [النحل: ٨٩].

وقال النبيُّ ﷺ: «أولُ ما يُرفع من الأرض العلمُ»، قالوا: يا رسول الله! يُرفع[٦] القرآن؟ قال: «لا، ولكنْ يموتُ مَن يَعلم تأويلَه، ويبقَى قومٌ يتأوَّلونه على أهوائهم»[٧].

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: مَن أراد العلمَ فليُثوِّر القرآن فإنَّ فيه علمَ الأوَّلينَ والآخِرين[٨].

---

(١) «قال» ليس في (ف).

(٢) رواه سعيد بن منصور في «سننه» (٣٩ ـ تفسير). ووقع في (ر): «لغير ما أراد..»، والمثبت من باقي النسخ والمصدر.

(٣) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٧٦٨١).

(٤) في هامش (ف): «بقول الله تعالى».

(٥) في (ر): «للوقوف».

(٦) في (ر): «أيرفع».

(٧) رواه عبد بن حميد عن أبي قلابة عن النبي ﷺ، وهو مرسل. انظر: «الدر المنثور» (٢/ ٦٩).

(٨) رواه ابن المبارك في «الجهاد» (٨١٤)، وأبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص: ٩٦)، والفريابي =

وقال الحسن رضي الله تعالى عنه: ما أَنزل اللهُ تعالى آيةً إلا واللهُ تعالى يحبُّ أن يَعْلَم العبادُ ما عَنَى بها[١].

وقال عليٌّ رضي الله تعالى عنه: ما من شيءٍ إلا وعِلْمُه في القرآن، ولكنَّ رأيَ الرجال يَعجزُ عنه[٢].

وقال الحسن: أنزل الله تعالى مئةً وأربعةَ كتبٍ من السماء، أَوْدَعَ علومَها أربعةً منها: التوراةَ والإنجيلَ والزبورَ والفرقان، ثم أَوْدَعَ[٣] علومَ هذه الأربعةِ القرآنَ[٤]، ثم أودع الله علوم القرآنِ[٥] المفصَّلَ، ثم أَوْدَعَ الله علومَ المفصَّلِ فاتحةَ الكتاب[٦]، فمَن عَلِمَ تفسيرها كان كمَن عَلِمَ تفسير جميع كتب الله[٧] المنزَلة[٨].

= في «فضائل القرآن» (٧٨)، بلفظ: (إذا أردتم العلم فأثيروا القرآن، فإن فيه...). ورواه أبو الليث في تفسيره «بحر العلوم» (١/ ٣٥) بلفظ: (من أراد العلم فليثر القرآن..) وفي رواية أخرى عنده: (فليؤثر).

(١) رواه عبد بن حميد في «تفسيره». انظر: «الدر المنثور» (٢/ ٦٩).

(٢) انظر: «تفسير أبي الليث» (١/ ٣٥)، و«المحرر الوجيز» (١/ ٤٠)، ورواه عبد بن حميد في «تفسيره» كما في «مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور» للبقاعي (١/ ٣٧٩). وروى أبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص: ٩٦)، وزهير بن حرب في «العلم» (٥٠) عن مسروق قال: ما نسأل أصحاب محمد ﷺ عن شيء، إلا وعلمه في القرآن، إلا أن علمنا يقصر عنه.

(٣) في (أ): «أودع الله تعالى».

(٤) في (أ) و(ف): «الفرقان».

(٥) في (أ) و(ف): «الفرقان».

(٦) بعدها في (ر) زيادة: «ثم أَوْدَعَ علومَ فاتحةِ الكتاب (بسم الله)، ثم أودع علومَ (بسم الله) باءَه، ومعناه: بي كلُّ ما كان، وبي كلُّ ما يكون» وليست هذه الزيادة في (أ) و(ف)، ولا في مصادر التخريج الآتية.

(٧) في (ر) و(ف): «الكتب»، والمثبت من (أ) وهامش (ف)، والمصادر.

(٨) رواه الثعلبي في «تفسيره» (١/ ٩١)، والبيهقي في «الشعب» (٢٣٧١).

وقال الحسينُ بن الفَضل البَجَليُّ المفسِّر[١] رحمه الله: قرأتُ كتاب الله تعالى من أوَّله إلى آخِره ثانية وعشرين ألفَ مرةٍ متدبِّراً متفكِّراً، ما منها من مرةٍ إلا وعثرتُ على نوعٍ جديد من العلم، ورأيتُ النبيَّ ﷺ في المنام فقال لي: يا أبا علي! إنك تعيشُ مئةً وثلاثين سنة، قال: فعاش مئة وثلاثين سنة[٢].

وروَى ابن عباس رضي الله تعالى عنهما عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «القرآنُ ذلولٌ ذو وجوهٍ فاحْمِلوه على أحسنِ وُجوهِه»[٣].

فقوله: «ذلول» له وجهان:

أحدهما: أنه ممكِنُ القراءة يَنطلقُ[٤] به جميعُ الألسنة.

والثاني: أنه واضحُ المعاني حتى لا تَقْصُرُ عنه أفهامُ المجتهِدين فيه.

وقوله: «ذو وجوه» له وجهان:

أحدهما: أن نَظْم كلماته يَحتمِل من التأويل وجوهاً متناسِبةً لإعجازه.

والثاني: أنه يجمع وجوهاً من الأمر والنهي والوعد والوعيد والتحريم والتحليل.

وقوله: «فاحملوه على أحسن وجوهه» له وجهان:

---

(١) هو مفسر معمَّر، كان رأساً في معاني القرآن، أصله من الكوفة، انتقل إلى نيسابور، توفي سنة (٢٨٢هـ) وهو ابن مئة وأربع سنين. انظر: «سير أعلام النبلاء» (١٣/ ٤١٤).

(٢) كذا ذكر سنه هنا، ولم أجد من ذكره، والذي في كتب التراجم هو ما ذكرناه عن «السير» أنه توفي وهو ابن مئة وأربع سنين. انظر: «الوافي بالوفيات» (١٣/ ١٨)، و«لسان الميزان» (٢/ ٣٠٨)، و«طبقات المفسرين» للسيوطي (ص: ٤٨).

(٣) رواه الدارقطني في «سننه» (٤٢٧٦).

(٤) في هامش (ف): «ينطق».

أحدهما: أي(١): احملوا تأويلَه على أحسن معانيهِ.

والثاني: أي(٢): اعمَلوا بأحسنِ ما فيه من العزائم دون الرُّخَص، والعفوِ دون الانتصاف.

وهذا كلُّه دليلُ جواز الاستنباط.

وقال ابنُ عباس رضي الله عنهما: التفسيرُ على أربعةِ أوجهٍ: وجهٌ تعرفُه العرب بكلامها، وتفسيرٌ لا يُعذر أحدٌ بجهالته، وتفسيرٌ يَعلمُه العلماء، وتفسيرٌ لا يعلمُه إلا الله تعالى(٣).

قالوا: فالأولُ هو حقائقُ اللغة وموضوعُ الكلام، والثاني هو التوحيدُ وأصولُ الشرع(٤)، والثالثُ فروعُ الأحكام وتأويلُ المحتمِلات، والرابعُ الغيوبُ: مِن وقت قيام الساعة، ووقتِ ظهور آياتها.

وما لا يُعذر أحد بجهله فهو فرضُ عينٍ، وما يختصُّ به العلماء فرضُ كفايةٍ.

وأما(٥) الجوابُ عن احتجاجهم بقوله ﷺ: «مَن فسَّر القرآنَ برأيه..» فمعناه: مَن حملَهُ على ما يتراءَى له بخاطره، ولم يَحمل(٦) على شواهدِ ألفاظه بدلائله، فأصاب الحقَّ، فقد أخطأ الدليلَ.

---

(١) في (أ) و(ف): «أن».

(٢) في (أ) و(ف): «أن».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٧٠)، والمستغفري في «فضائل القرآن» (٣٤٥).

(٤) في (أ): «الشرائع».

(٥) في (أ): «فأما».

(٦) في (أ) و(ف): «يعمل».

وقيل الرأي نوعان:

رأيٌ يَتراءَى من هاجسِ نفسٍ، وهو الظنُّ والحِسْبان[١]، وذلك هو المزجورُ[٢] عنه المحجورُ عليه في القرآن.

ورأيٌ ينشأُ من عقلٍ كاملٍ وعلمٍ باهر، وتأييدٍ من الله تعالى ظاهرٍ، وهو الاستنباط المعهود والرأيُ المحمود.

وقال[٣] الإمامُ أبو منصورٍ الماتُريديُّ رحمه الله: أَنكر بعضُ السَّلَف ثبوتَ هذا الخبر، فقد ثبت من الأئمةِ تفسيرُ القرآن والقولُ فيه، وللناس حاجةٌ إلى معرفته، والذين أقرُّوا بصحته اختلفوا في تأويله، فقال بعضهم:

التفسيرُ بالرأي: هو أن يَحملَه المرء على ما يراه بقلبه[٤]، دون الفحصِ عنه بالعَرْض[٥] على الدليل الذي أُذِنَ له في الحكمِ به في عامَّةِ أمور الدِّين.

قال: وقيل: هذا الوعيدُ في حقِّ مَن يَقطعُ القولَ بصحةِ[٦] ما أدَّاه إليه اجتهادُه، وقد يبدو له فيرجعُ، فأمَّا مَن قال: يَحتمِل هذا، ويقول[٧]: إن كان خطأً فمنِّي، وإن كان صواباً فمن الله تعالى، فهذا لا بأس به.

---

(١) في هامش (ف): «الحسبان بالكسر هو الظن، والحسبان بالضم من الحساب»، وقد ضبطت الكلمة فيها بكسر الحاء.

(٢) في (أ): «المردود».

(٣) في (أ): «قال».

(٤) في هامش (ر): «بعقله».

(٥) في (ر) و(ف): «بالغوص».

(٦) في (أ): «القول بصحته على».

(٧) في (ف): «فيقول».

قال: وقيل: هو أن يَجعل رأيَه عياراً[١] لِـمَا جاء في القرآن يبني عليه مذهبَه.

قال رضي الله عنه: وهو كحَمْلِ المعتزلة النظرَ في قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٣] على انتظار الكرامة دون الرُّؤية، وحملِهم الإضلالَ المذكورَ من الله تعالى على التسمية دون الإيجاد.

قال: وقيل: هو في المتشابهِ الذي ليس للناسِ[٢] حاجةٌ إلى معرفةِ ما فيه.

قال: وقيل: النهيُ عن التفسيرِ دون التأويل، وبينهما فرقٌ:

فالتفسير: هو الإخبارُ عن شأنِ مَن نزل فيه، وعن سببِ نزوله، وذلك علمُ مَن شهد ذلك، فهو يقول فيه بالعلم، وغيرُه بالرأي.

والتأويل: هو تبيين ما يحتمِلُه اللفظ من المعاني، وقد جعَل الله القرآنَ أصلاً لجميع ما تقع به البلوى من النوازل إلى قيام الساعة.

قال: وجميع[٣] ما جاء عن الأئمَّة وبنى الفقهاءُ عليه فهو تأويلٌ لا تفسير.

قال: والتفسير: تبيينُ حقيقة ذلك، والتأويلُ: تبيينُ المقصود منه، فإنه في اللغة: صرفُ الكلام إلى ما يَؤُول إليه.

قال: والتفسير يكون ذا وجهٍ، والتأويلُ ذو[٤] وجوه.

وهذا كلُّه مختصَرُ كلام الإمام أبي منصورٍ رحمه الله.

---

(١) في (ر): «معياراً». وجاء في هامش (ف): «قوله: عياراً، العيار الذي يقاس به غيره ويستوي»

(٢) في (ف): «بالناس».

(٣) في (أ): «وقال جميع».

(٤) في (ر): «ذا».

قال[١] الإمام نجمُ الدِّين رحمه الله: ونذكر مثالاً واحداً لهما، قالوا في قوله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟﴾ [الحجرات: ٩]: هما الأوسُ والخزرج.

وفي قوله: ﴿سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ [الفتح: ١٦]: هم فارسُ و[٢]أهل اليمامة.

وفي قوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ﴾ [البقرة: ٢٠٤]: هو الأخنسُ بن شَرِيقٍ.

وفي قوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ﴾ [البقرة: ٢٠٧]: هو صهيبٌ.

فهذا ونحوُه من التفسير، ولا يُتكلَّم فيه إلا بالسَّماع.

وقوله تعالى: ﴿ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ [التوبة: ٤١] قال بعضهم: أي: شبَّاناً[٣] وشيوخاً.

وقال آخرون: أي: فقراءَ وأغنياءَ.

وقال قومٌ: أي: عزاباً ومتأهِّلين.

وقال جماعةٌ: أي: أَصحَّاءَ ومَرضَى.

وقالت طائفة: أي: نِشَاطاً وغير نِشَاط.

فهذا من التأويل، وكلُّه جائزٌ مقبول، ولا بأسَ بالقول به بما وافَقَ الأصول، ولم يخالِف المعقول.

قال رضي الله عنه[٤]:

---

(١) في (ر): «وقال».

(٢) في (أ): «أو».

(٣) في (ر): «شباباً».

(٤) «رضي الله عنه» من (أ).

الكلام في قولنا قبل قراءة القرآن العظيم:

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

قال أهل المعرفة: هذه الكلمةُ وسيلةُ المتقرِّبين[١]، واعتصامُ الخائفين، وعُتْبَى[٢] المجرمين، ورُجعَى الهاربين، ومباسطةُ المحبِّين، وهو امتثالٌ لقول[٣] ربِّ العالمين: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْءَانَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [النحل: ٩٨].

ونزولُها كان عند إلقاءِ الشيطان في تلاوةِ النبيِّ ﷺ ما[٤] قصَّ الله تعالى في كتابه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾ [الحج: ٥٢] وسيأتيكم بيانه إن شاء الله تعالى في موضعه، وبالله العصمة والتوفيق.

ومعنى أعوذ: أَلْتَجِئ، وقيل: أستَعْصِم، وقيل: أستَجِير، وقيل: أستعينُ، وقيل: أستغيثُ.

وفارسيتُه: (مي اندخشم ويناه مي خواهم، ونكاه داشت مي خواهم، واماں مي خواهم، وقاري مي خواهم، وفرياد مي خواهم)[٥].

والعَوذُ والعيَاذُ مصدرانِ: كاللَّوذِ واللِّياذِ، والصَّوم والصيام.

وقيل: هو الاستجارةُ بذي مَنَعةٍ.

---

(١) في (أ): «المقربين».

(٢) في (ر): «وعقبى».

(٣) في (أ) و(ف): «قول».

(٤) في (ف): «كما».

(٥) في هامش (ف): «تعريب الفارسية: قوله إلى: فرياد مي خواهم، تفسير لما قبله من الأقوال في تفسير أعوذ على الترتيب».

وقيل: هو الاستعانة[1] عن خضوعٍ.

وقيل: هو مأخوذٌ من العُوَّذ ـ بضمِّ العين وتشديدِ الواو ـ: وهو كلُّ نبتٍ في أصلِ شجرة يَتستَّر بها، قال الشَّاعر:

خَليلـيَّ خُلْصانـيَّ لـم يُبْـقِ حبُّهـا ... مـن القلـبِ إلا عُـوَّذاً سـينالُها[2]

فعلى هذا: العَوْذُ: هو التستُّرُ بسِتر الله الجميل، والتبوُّءُ في ظلِّ حمايته الظَّليل.

وقيـل: هـو مـن العـوَّذ بهـذه الصيغـة، وهـو اللحـمُ الـذي لَصِـقَ بالعظـم، يقـال: أطيـبُ اللَّحـم عـوَّذُه، فعلى هـذا: العَوْذُ: هـو الانقطـاعُ عن غيـرِ الله تعالى، والاتِّصـالُ بـالله تعالـى.

وقولُ القائل: أعوذ، إخبارٌ عن فِعله، وهو في التقدير: سؤالُ الله تعالى من فضله؛ أي: أعِذْني يا ربِّ، كما يقول القائل: أستغفرُ الله؛ أي: اغفرْ لي يا ربِّ، وهو احترامٌ واستعظام، لا انبساطٌ واجترام[3]، ولولا سَبْقُ الأمر به لم يتيسَّر الإقدام[4].

ثم هذا الأمرُ عند بعض الناس يقتضي وجوبَ الاستعاذة بعد الفراغ من القراءة، فإنَّ الفاء للتعقيب، وعند عامَّة الناس[5] هو قبلَ القراءة، ومعنى قوله: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْءَانَ﴾: فإذا أردتَ قراءةَ القرآن؛ كقوله تعالى: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَوٰةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ﴾ [المائدة: ٦] وقوله تعالى: ﴿إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ [الطلاق: ١]،

---

(١) في (ف): «الاستغاثة».

(٢) البيت للكميت كما في «التاج» (مادة: عوذ)، ودون نسبة في «الصحاح» (مادة: عوذ)، و«مجمل اللغة» (ص: ٦٣٦)، و«المخصص» لابن سيده (٣/ ١٢٦).

(٣) في (ف): «لا انبساط اجترام»، وفي (ر): «وانبساط واجترام».

(٤) في (ر): «لم تتسير الأقدام».

(٥) في هامش (أ) و(ر): «المسلمين».

وهذا إضمارٌ(١) ثابتٌ بالبديهة، فإنَّ الاستعاذة للتحرُّز عن وسوسةِ الشيطان عند قراءةِ القرآن، وذلك بالتقديم لا بالتأخير، وهذا شائعٌ(٢) في اللغة، قال الشاعر:

إذا طحَنْتِ فابْدَئِي بالمَيْمَنةْ(٣)

وذلك مقدَّمٌ لا مؤخَّر.

وقال بعض أهل الإلحاد: إنكم رَوَيتُم عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «إنَّ الشيطان ليَهربُ من البيت الذي يُقرأ فيه القرآن»(٤) فأيُّ حاجةٍ إلى الاستعاذة منه(٥)؟

قلنا: عنه أجوبةٌ:

أحدها: أنَّا تُعُبِّدْنا به فلا عُدولَ عنه بمثلِ هذا.

والثاني: أن هذا الوعدَ في حقِّ مَن قرأه وعَمِلَ به، فقد قال ﷺ: «إذا لم يَنْهَكَ القرآنُ فلستَ بقارئ»(٦)، وفي العمل به خللٌ، فلم يَثِقْ بنيله(٧)، فلا يُستغنى عن سؤاله.

---

(١) في (ر): «إخبار».

(٢) في (ر): «وهذا سائغ»، وفي (ف): «وهو سائغ».

(٣) لم أقف عليه.

(٤) رواه مسلم (٧٨٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ: «إنَّ الشيطانَ يَنْفِرُ من البيتِ الذي تُقرأُ فيه سورةُ البقرةِ».

(٥) «منه» من (أ).

(٦) رواه الطبراني في «مسند الشاميين» (١٣٤٥) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما وسنده ضعيف كما قال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (١/ ٢٢٣). ورواه أبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص: ١٣٣) من طريق نافع أبي سهيل عن النبي ﷺ، وهو مرسل، ونافع هذا هو ابن مالك بن أبي عامر الأصبحي. ورواه أبو عبيد أيضا في «فضائل القرآن» (ص: ١٣٤) عن الحسن بن علي قوله.

(٧) في (أ): «فلا يبق»، وفي (ر): «فلا تثق بنيله».

والثالث: أن الشيطان يجتهد[١] في أن يَصرفه عن هذه العزيمة، فيدفعُه[٢] بالاستعاذة، وأسعى ما يكون الشيطانُ في إفسادِ حالِ الإنسان عند قَصْدِه مكالمةَ الرحمن، فيَجتهِد[٣] في دفعِ شرِّه بالاستعاذة الآن.

والرابع: أن الغرض به ما قال جعفرٌ الصادقُ رضي الله عنه: التعوُّذ تطهيرُ الفم عن الكذبِ والغيبة والبهتان؛ تعظيماً لقراءة القرآن، إذ[٤] هو الاستئذانُ لمكالمة الله تعالى بالقرآن.

وقالوا أيضاً: إذا عُذْتُم بالله من الشيطان الرجيم عند قراءةِ القرآن، فلِمَ وقوعُ الخطأ والنسيان[٥]، والابتلاءِ بالعصيان؟

وقلنا: حفظُ اللهِ عند العياذِ بالله موعودٌ على التقوى والتذكُّرِ والإبصار، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَـٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١]، فمَن أخَلَّ بهذه الشروط لم يَنَلْ هذا[٦] الموعود.

ومثالُ مَن استعاذ بالله من الشيطان، ثم اتَّبعه إذا دعاه إلى العصيان: مثالُ التاجر يَخرج إلى السفر بمالٍ خطيرٍ كثيرٍ، ويلتجئُ في حفظه بخفيرٍ حقير[٧]، ثم يَستجيشُ[٨] دهاةَ السُّرَّاق من أقاصي الآفاق.

---

(١) في (ر): «يجهد».

(٢) في (ر): «فندفعه».

(٣) في (ر): «فنجتهد».

(٤) في (أ): «و».

(٥) في (ف): «بالنسيان».

(٦) في (ر): «لم ينل ما هو».

(٧) في (أ): «بحقير»، بدل: «بخفير حقير».

(٨) في (ر): «يتجيش».

ألا ترى أن الذين وفَوا بالشروط نالُوا ما نالُوا[١] بما قالوا:

قال نوحٌ عليه السلام: ﴿رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [هود: ٤٧].

وقال موسى عليه السلام: ﴿وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ﴾ [الدخان: ٢٠].

وقال يوسفُ عليه السلام: ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحْسَنَ مَثْوَايَ﴾[٢] [يوسف: ٢٣].

وقالت امرأةُ عمرانَ: ﴿وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [آل عمران: ٣٦].

وقالت مريم: ﴿إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ﴾ [مريم: ١٨].

وقال إبراهيم عليه السلام حين أُلقي في النار على ما ورد في الأخبار: أعوذ بالله الذي[٣] خلَقني فهداني، مِن شرِّ مَن عصاه فآذاني.

وقال نبيُّنا محمدٌ ﷺ: ﴿رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ﴾ [المؤمنون: ٩٧ ـ ٩٨].

وقال: ﴿أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ السورةَ، وقال: ﴿أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ السورةَ.

وقال ليلة المعراج: «أعوذُ بعفوِكَ مِن عُقوبتِكَ، وأعوذُ برضاكَ مِن سَخَطِكَ، وأعوذُ بكَ منكَ»[٤].

فنال نوحٌ عليه السلام السلامةَ، وموسى الكرامةَ، ويوسفُ العِصمةَ، وامرأةُ عمرانَ الإعاذةَ، ومريمُ البشارةَ، وإبراهيمُ الخُلّةَ، والمصطفى الشفاعةَ.

---

(١) «ما نالوا» من (ف).

(٢) «أحسن مثواي» من (ر).

(٣) في (ف): «أعوذ بالذي».

(٤) رواه مسلم (٤٨٦) من حديث عائشة رضي الله عنها.

وقالوا أيضاً: في الاستعاذة من الشيطان إظهارُ الخوف من غيرِ الله تعالى، وهو يُخِلُّ بالعبودية!

وقلنا: اتخاذُ العدوِّ عدوًّا تحقيقٌ للمحبَّة، والفِرارُ من غيرِ الله إلى اللهِ تتميمٌ للعبودية، والامتثالُ لأمر الله تقديمٌ للطاعة، والخوفُ ممن لا يخافُ اللهَ إظهارٌ للمسكَنة، والالتجاءُ بالله تأكيدٌ للمباسَطة.

وقيل: التعوُّذ للتبعُّد والتوحُّش، وهي كلمةُ استيحاشٍ عند بعضهم، والتبعُّدُ من المبعَّد لا يكون لخوفه، بل يكونُ وفاقاً لمن بعَّده؛ ألا تَرى أن الإنسان يتباعَدُ عمَّن[1] بعَّده السلطان، لا خوفاً من ذلك الإنسان، بل وفاقاً للسلطان على ما كان.

كأنه يقول: أي إبليسُ الذي بَعُدْتَ من القُربة والرضا فابعُدْ عنا بعيداً[2].

ألا تَرى أن السامريَّ لمَّا بعَّده[3] الله تعالى من رحمته، أمَره موسى أن يدوم على قوله: ﴿لَا مِسَاسَ﴾ [طه: ٩٧] في جميع مدته، يُبعد الناسَ بذلك عن صحبته.

وقيل: هي للتبرِّي من[4] الحول والقوة؛ كأنه يقول: هلك الشيطانُ بالنظرِ إلى أصله وفِعله، وأنا أتبرأُ إلى الله تعالى مِن مِثله.

وقيل: هو الاستعاذة بالله من حالِ إبليس ومآلِه، لا عن كيدِه وإزلاله وإضلاله.

---

(١) في (ر): «ممن».

(٢) في (أ) و(ف): «أردحمت وقريب دور مارا ان تودو دورا دورا»، مع بعض اختلاف في الرسم بينهما. وجاء في هامش (ف): «تعريبه: يا إبليس الذي بعدت من القربة والرحمة فابعد عنا بعداً بعيداً».

(٣) في (ر): «أبعده».

(٤) في (ف): «عن».

وقيل: هو تملُّقٌ، واللهُ تعالى يحبُّ المتملِّقين، وكما أن الأب يحبُّ من ولده أن يتملَّق به، فاللهُ تعالى يحبُّ من عبده أن يتملَّق به.

وقيل: مَثَلُ العبد إذا خطر بباله حالُ إبليس فعاذ منه بالله كمثَلِ صَيدٍ قصدَه سبُعٌ ففرَّ إلى الحرم فدخله فأمِن[١]، فرجع السَّبُع خاسراً.

وكمَثَل عبدٍ هارب من مولاه، فتلقَّاه[٢] لصٌّ فاتكٌ[٣]، فهرب منه إلى مولاه فآواه، فبقي اللصُّ قاصراً، فالعبدُ[٤] إذا عاذ بالله من الشيطان الرجيم خَسَأ الشيطانُ خاسراً.

وقولنا: (بالله) الباءُ صلة؛ وهي لمعانٍ، وهاهنا للإلصاق: وهو: وصلُ الفعل اللازم بالاسم الذي يقع الفعلُ عليه.

و(الله) اسم الله الأعظم، وتفسيره: القادرُ على الاختراع.

وقيل: هو المستحِقُّ لأوصاف العُلُوِّ.

وقيل: هو مَن له الخلقُ والأمر.

وقيل: هو المعبود.

وقيل: هو المستحِقُّ للعبادة.

واختُلف في أنه مشتقٌّ أو غيرُ مشتقٍّ؛ قال الخليل بن أحمد من أهل اللُّغة، والزجَّاجُ من أهل النَّحو، والحسينُ بن الفضل البَجَليُّ من أهل التفسير، ومحمد بن

---

(١) في (ف): «كمثل رجل رأى سبعاً فأخذ السلاح واحترز به عنه».

(٢) في (أ): «تلقاه».

(٣) في (ر): «قاتل».

(٤) في (ر): «خاسراً والعبد»، وفي (ف): «قاصراً والعبد».

الحسن من أئمةِ الفقه، والشافعيُّ من أهل الحديث، وجماعةٌ: هو غيرُ مشتقٍّ، وهو اسمٌ تفرَّد اللهُ تعالى به، فهو اسمٌ[(١)] له خاصٌّ، قال الله تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥][(٢)].

جاء في التفسير أن معناه: هل تعرفُ أحداً تسمَّى[(٣)] الله؟!

وقال آخرون: هو مشتقٌّ، ثم منهم[(٤)] مَن قال: اشتقاقُه من وَلِهَ يَوْلَهُ وَلَهاً: إذا فَزِع ولَجَأ، قال الشاعر:

بَرَزْنا لنَرْدَى والقواضِبُ ركَّعٌ ... وقد صيِّرت رأسُ الأسنَّةِ سُجَّدا[(٥)]

وَلِهْتُ إليكم في بلايا تَنوبُني ... فأَلْفَيْتُكم فيها كريماً ممجَّدا[(٦)]

فمعناه: أن الخَلْق يلجَؤون به ويَفزعون إليه في حوائجهم.

---

(١) بعدها في (ر): «الله».

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» (١/ ٩٦)، وعزا هذا القولَ للخليل وجماعة لم يسمهم، وخالفه غيره فنسب إلى الخليل القول بالاشتقاق، منهم الزجاجي في «اشتقاق أسماء الله» (ص: ٢٦)، وابن عطية في «المحرر الوجيز» (١/ ٦٣)، والقرطبي في «تفسيره» (١/ ١٥٧)، وأبو حيان في «البحر المحيط» (١/ ٣٩)، والسمين الحلبي في «عمدة الحفاظ» (١/ ١٠٧). ونقل الزجاج في «معاني القرآن» (٥/ ١٥٢) عن سيبويه أنه قال: سألت الخليل عن هذا الاسم فقال: الأصل فيه إله، فأدخلت الألف واللام بدلًا من الهمزة، وقال مرة أخرى: الأصل لَاه، وأَدْخِلَتِ الألف واللام لازِمة.

(٣) في (أ): «سمي».

(٤) في (ر) و(ف): «ومنهم».

(٥) هذا البيت ليس في (أ) و(ف). والقواضب جمع القَضِيب: وهو السيف اللطيف الدقيق.

(٦) في (ر) و(ف): «كراماً ممجدا»، وذكر هذا البيت الخازن في «تفسيره» (١/ ١٧)، وفيه: «كرائم محتد».

ومنهم مَن جعلَه من الوَلَه الذي هو التَّحيُّر، والوالهُ: الحيرانُ لفَقْدِ الولد ونحوِه.

والولهُ: شدَّة الشوقِ أيضاً، قال الشاعر:

ولِهَتْ نفسيَ الطَّروبُ إليكمْ ولهاً حالَ دون[١] طعمِ الطَّعامِ[٢]

ومعنى الاسم: أن الخلق متحيِّرون في عظمته، وَالِهُونَ من شوقٍ[٣] لرؤيته؛ فعلى هذا[٤] أصلُ الاسم: وِلاه، أُبدلت الواوُ همزةً كما قالوا: وِشاح وإشاح، فقيل: إله، ثم دخلتْه الألفُ واللام فقيل: الإله، ثم حذفت الهمزة تخفيفاً فقيل: الله.

ومنهم مَن جعل الاسم من أَلِهَ يَأْلَهُ؛ أي: دام وثبَت، يقال: أَلِهَ بالمكان؛ أي: دام وأقام، قال الشاعر:

أَلِهْنا بدارٍ ما[٥] تَبِينُ رسومُها كأنَّ بقاياها وشامٌ على اليدِ[٦]

ومعنى الاسم: أنه القديمُ الأزليُّ الدائم الأبديُّ.

ومنهم مَن جعله مِن أَلَهَ يَأْلَهُ[٧] إلاهةً؛ أي: عَبَد، وفي قراءة بعضهم:

---

(١) في (ر): «ذوق».

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» (١/ ٩٨).

(٣) في (ر): «الشوق».

(٤) في (أ): «هذين».

(٥) في (ر): «لا».

(٦) انظر: «تفسير الثعلبي» (١/ ٩٨).

(٧) بفتح اللام في الماضي والمضارع. انظر: «مختار الصحاح» (مادة: أله). وباقي الاشتقاقات بكسر =

(ويَذَرَكَ وإِلَاهَتَكَ)[١]؛ أي: وعبادتَك، قال[٢] الشاعر:

وأَلَــهْ إلهــكَ واحــداً متفــرِّدا[٣]

وتألَّه يتألَّه؛ أي: تعبَّد، قال الشاعر:

لله درُّ الغانيــاتِ المُــدَّهِ[٤] سبَّحْنَ واسْتَرْجَعْنَ مِن تَأَلُّهي[٥]

ومعنى الاسم: أنه يحقُّ له العبادة.

ومنهم مَن جعَله مِن قولهم: أَلِهَ إلى فلانٍ[٦]؛ أي: رَجَع إليه واعتمَد عليه، قال الشاعر:

أَلِــهْتُ إليهــا والرَّكائــبُ وُقَّــفُ[٧]

= اللام في الماضي وفتحها في المضارع. انظر: «البحر المحيط» (١/ ٣٩) بتحقيقنا.

(١) رواها أبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص: ٣٠٠)، والطبري في «تفسيره» (١/ ١٢٢)، عن ابن عباس رضي الله عنهما. وهي في «المختصر في شواذ القراءات» لابن خالويه (ص: ٤٥).

(٢) في (أ): «وقال».

(٣) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (١٠/ ٦٤٦)، وعجز البيت فيه:

ســاد الملــوك بعــزةٍ وتَمجُّــدا

(٤) في (ر): «المدهي»، والمثبت من باقي النسخ والمصادر.

(٥) في (أ) و(ف): (تأله). والمثبت من (ر) والمصادر. والرجز لرؤبة، كما في «العين» للخليل (٤/ ٣٢)، و«تفسير الطبري» (١/ ١٢١)، و«تفسير أسماء الله الحسنى» للزجاجي (ص: ٢٦)، و«الحجة» لأبي علي الفارسي (٥/ ٢٦)، و«المحتسب» لابن جني (١/ ٢٥٦)، و«تفسير الثعلبي» (١/ ٩٦)، و«النكت والعيون» للماوردي (١/ ٥١)، و«المحرر الوجيز» لابن عطية (١/ ٦٣).

(٦) في (ر): «أله فلان إليه».

(٧) انظر: «تفسير الثعلبي» (١/ ٩٧)، و«تفسير البغوي» (١/ ٥٠)، و«اللسان» و«التاج» (مادة: أله). ولم أقف على قائله ولا تمامه.

ومعنى الاسم: أنَّ رجوع الخلق إليه وتوكُّلَهم عليه.

ومنهم مَن جعله مِن الألَهِ الذي هو التحيُّرُ، قال الشاعر:

وبيداءِ تيهٍ تألَهُ العينُ وَسْطَها مخفَّقةٍ[1] غَبْراءَ صَرْماءَ سَمْلَقِ[2]

ومعناه: ما قُلنا في الوَلَه.

ومنهم مَن جعَله مِن قولهم: أَلِهْتُ إليه؛ أي: سكَنْتُ إليه، قال الشاعر:

أَلِهْتُ إليها والحوادثُ جمَّةٌ[3]

ومعنى الاسمِ: أنَّ قلوب الخلقِ تسكنُ بذِكره، قال الله تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

ومنهم مَن جعَله من أَلِهَ؛ إذا[4]: ارتَفَع[5]، والعربُ تسمِّي الشمسَ: إلاهة؛ لرفعتها، قال الشاعر:

---

(١) في (أ) و(ف): «مخلقة»، وفي (ر): «بحلقة»، والصواب المثبت.

(٢) البيت لزهير بن أبي سلمى. انظر: «النكت في القرآن» لأبي الحسن علي بن فضال القيرواني (ص: ١٨٩)، و«إعراب القرآن» لأبي القاسم الأصبهاني (ص: ٨).

(٣) انظر: «تفسير الثعلبي» (١/ ٩٧)، و«تفسير البغوي» (١/ ٥٠)، و«اللسان» و«التاج» (مادة: أله). ولم أقف على قائله ولا تمامه كشبيهه المتقدم.

(٤) في (ر) و(ف): «أي».

(٥) كذا جعل المؤلف هذا المعنى من باب (أله) في الاشتقاق، وذكره غيره من باب: (لاهَ يَلِيهُ). انظر: «تفسير البيضاوي» (١/ ٢٦)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (١/ ٣٩)، و«المجيد في إعراب القرآن المجيد» للسفاقسي (١/ ٣٠)، و«الدر المصون» للسمين الحلبي (١/ ٢٤)، و«اللباب في علوم الكتاب» لابن عادل (١/ ١٣٨)، و«القاموس» (مادة: لاه)، و«روح المعاني» (١/ ٢٢٢).

تَرَوَّحْنا مِن الدَّهْناءِ أرضاً ... وأَعْجَلْنا الإلاهَةَ أنْ تَؤُوبا[١]

ومعنى الاسمِ: أنه العَلِيُّ العظيم.

فعلى هذه الوجوهَ: (إلهٌ) فِعالٌ على أصلِ الكلمةِ من غيرِ إبدال همزةٍ عن واوٍ، ثم حُذفت الهمزةُ مع الألف واللام لِمَا مرّ.

ومنهم مَن جعَله من لاهَ يَلُوه؛ أي: عَلَا، ومعناه[٢]: العَلِيُّ العالي المتعالي.

ومنهم مَن جعَله من لاهَ يَلُوهُ ولاهَ يَلِيهُ؛ أي: احتجَبَ، قال الشَّاعر:

لاحَتْ تُوافق عينَ الناسِ رؤيتها ... ونحنُ نِلْنا المُنَى لمَّا أَتَيْناها

لاهَتْ فما عُرِفَتْ يوماً بخارجةٍ ... يا ليتَها خَرجتْ حتَّى رَأَيْناها[٣]

ومعناه: أنَّه حَجَب أبصارَ أهل الدنيا عن رؤيته[٤]، ووَعَد المؤمنين لقاءَه وهُم في جَنَّته.

فعلى[٥] هذين الوجهين: قولُنا: الله، هو على الأصلِ من غير حذفٍ، وقد وَرد أيضاً بهذه الصيغة فيما ليس في أوَّله ألفٌ ولام، قال الشاعر:

---

(١) البيت لبنت عتيبة بن الحارث اليربوعي. انظر: «الجيم» لأبي عمرو الشيباني (٣/ ٢٢٥)، و«تفسير الطبري» (١٠/ ٣٦٩)، ودون نسبة في «البارع في اللغة» لأبي علي القالي (ص: ١١٠)، و«المحتسب» لابن جني (٢/ ١٢٣)، و«الصحاح» (مادة: أله)، و«تفسير الثعلبي» (١/ ٩٨). وصدر البيت من (ر) وليس في (أ) و(ف)، ووقع في ألفاظه اختلاف في المصادر.

(٢) بعدها في (أ) و(ر): «أنه».

(٣) في (ف): «عرفناها». والمثبت من (أ) و(ر) والمصادر، وقد ورد البيت دون نسبة في «تفسير الثعلبي» (١/ ٩٨)، و«تفسير القرطبي» (٢٠/ ٣٥)، و«حاشية الشهاب على البيضاوي» (١/ ٥٦). أما البيت الأول فلم أجده، ولم يرد في (أ) و(ف).

(٤) في (ف): «ومعناه أنه محتجب حجب عن أبصار أهل الدنيا»، وصحح في الهامش إلى المثبت.

(٥) في (ف): «وعلى».

يَسمعُها لاهُه الكُبَارُ[١]

وقال آخَرُ في النداء:

لاهمَّ إنَّ جُرهماً عبادُكَ الناسُ طَرْفٌ وهُمُ تِلادُكَ[٢]

فهذه عشرةُ أوجُهٍ في الاشتقاق.

وبقي وجهٌ لطيف غريب:

قيل: كان أصلُه هاءَ الكناية، وذلك أنهم أشاروا إليه بما وُضع له[٣] في نفوسِهم من دلالة الفطرة، إذ لم يَعلموا له اسماً مسموعاً، ثم أدخلوا عليه لامَ المُلك فصار: له، يَعْنون: له الخَلْقُ والأمرُ، ثم مدُّوا بها أصواتهم تعظيماً فقالوا: لاه، ثم وصلُوه بالألف واللَّام للتَّفخيم فصار: الله.

ومن النَّحْويين مَن قال: أُدخلت الألفُ واللام فيه بدلاً من الهمزة المحذوفة

---

(١) البيت للأعشى ميمون بن قيس، وهو في «ديوانه» (ص: ٢٣٣)، و«تفسير الثعلبي» (١/ ٩٦)، و«خزانة الأدب» للبغدادي (٢/ ٢٣٤)، وصدره:

كحلفة من أبي رياح

الحلفة: المرة من الحَلِف، و(الكبار) بضم الكاف صيغة مبالغة الكبير بمعنى العظيم، وهو صفة (لاهه). وأبو رياح اسمه: حصن بن عمرو بن بدر، رجل من ضبيعة، وروي بدل (يسمعها): يشهدها. قاله البغدادي.

(٢) البيت لعمرو بن الحارث بن مضاض الجرهمي، كما في «شرح القصائد السبع الطوال» لابن الأنباري (ص: ٢٥٥)، و«تاريخ الطبري» (١/ ٥٢٤) وفيه: عامر، بدل: عمرو. والطُّرف: المستحدث من المال، وهو عكس التلاد.

(٣) «له» من (أ).

منه[١]، فلَزِمتَا الكلمةَ لزومَ تلك الهمزة، ولهذا لم تسقطَا عند النداء: يا أللهُ[٢]، كما سقطتَا من[٣] غيرِه من الأسماء: يا رحمنُ يا رحيمُ، ونحوِه.

وعن كعبِ الأحبار قال: كان داودُ عليه السلام أَلِهاً أَلُوهاً. أي: مُوْلَعاً[٤] بمقالهِ في كلِّ أحواله: إلهي إلهي.

وقال جعفرٌ الصادقُ في هذا الاسم: أَبرزَه اللهُ تعالى من غَيبه إلى قولهِ، ومِن قولهِ إلى قلمه، ومِن قلمه إلى لَوحه، ومن لَوحه إلى وحيه، ومن وحيه إلى أنبيائه، سكينةً ووقاراً لقلوب أوليائه.

وقولُنا: (من الشيطان) كلمةُ (مِن) في اللُّغة لأشياء، وهاهنا تكونُ لأحدِ معانٍ ثلاثةٍ:

إمَّا للابتداء: كما في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ ﴾ [البقرة: ١٩٩].

وإمَّا للانتقال: كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ﴾ [المائدة: ٣٧].

وإمَّا للتعديَة: فإن وقوعَ هذا الفعل على الاسم المذكور بعده مختصٌّ بهذه الكلمة لغةً.

وتحقيقُ المعنى الأولِ والثاني: أن العَوْذ يبدأ[٥] بالانفصال من الشيطان ويَتمُّ بالاتصال بالله، وهو انتقالٌ من غيرِ الله إلى الله.

---

(١) أي: بدلاً من الهمزة المحذوفة في (إله)، انظر: «تفسير الثعلبي» (١/ ٩٦)، وقد ذكره عقب قوله: «يسمعها لاهه الكبار».

(٢) في (أ): «عند النداء به».

(٣) في (ف): «عند».

(٤) في (ر): «مولهاً».

(٥) في (ف): «يبتدأ».

والشيطان هو إبليسُ، وفي اشتقاقِهِ عشرةُ أقاويلَ:

أحدها: أنه من الشُّطونِ وهو البُعْدُ، قال الشاعرُ:

فأَضْحتْ بعدَما وَصَلتْ[(١)] بدارٍ شَطُونٍ لا تُعادُ ولا تَعودُ[(٢)]

ومعناهُ: المُبْعَدُ مِن الرحمة.

والثاني: أنه من قولهم: شاط يَشِيطُ؛ أي: هلك، قال الأعشى:

قد نَطْعَنُ العَيرَ في مَكْنونِ فائلِهِ وقد يَشِيطُ على أرماحِنا البَطَلُ[(٣)]

ومعناه: الهالِكُ في الدَّارينِ.

والثالثُ: أنه من قولهم: شيَّط الشيءَ؛ أي[(٤)]: أَحْرقهُ، واسْتشَاطَ غضباً؛ أي: احْتَرقَ، ومعناه: المحرَق[(٥)] في الدنيا بنارِ الفُرقة، وغداً بنارِ الحرقةِ والعقوبة.

والرابعُ: أنه من قولهم: فرسٌ شَطونٌ؛ أي: جَمُوح رَمُوح، ومعناه: العَصِيُّ الأَبِيُّ.

والخامس: أنه من الشَّطَن: وهو الحبلُ الطويل المديد، ومعناه: المتمادي في الطُّغيان، الممتدُّ إلى العصيان.

---

(١) في (ف): «اتصلت».

(٢) البيت للنابغة الذبياني، وهو في «ديوانه» (ص: ٣٤).

(٣) انظر: «ديوان الأعشى» ميمون بن قيس (ص: ١١٣)، و«المعاني الكبير» لابن قتيبة (٢/ ١٠٢٠)، و«الفاخر» للمفضل بن سلمة (ص: ٢١)، و«الزاهر» لابن الأنباري (١/ ٥٦). قال ابن قتيبة: الفائلان عرقان عن يمين الذنب وشماله... والفارس الحاذق يتعمد بالطعن في الخُربة وهي نقرة في الورك فيها لحم ولا عظم فيها تنفذ إلى الجوف، يقول: إنا بصراء بموضع الطعن.

(٤) في (ر): «إذا».

(٥) في (أ): «المحرقة»، وفي (ف): «المحترق».

والسادس: أنه من قولهم: فرسٌ شيطانٌ؛ أي: مَرِحٌ[١] نشيط، ومعناه[٢]: المتكبِّر المترفِّع.

والسابع: أن الشيطان هو العاتي المتمرِّدُ من كلِّ جنس، ولذلك تسمَّى الحية شيطاناً، قال تعالى: ﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ [الصافات: ٦٥]؛ أي: الحيات، وقال جرير:

أيامَ يَدْعونَني الشيطانَ مِن غَزَلي   وهنَّ يَهْوَيْنَني إذ كُنْتُ شيطاناً[٣]

والثامن: أنه من قولهم: شيَّطَ اللحمَ؛ أي: دخَّنه ـ من الدخان[٤] ـ ولم يُنْضجه، ومعناه: أنه مفسدُ كلِّ شيء، وما به صلاحُ شيء.

والتاسع: أنه من قولهم: فرسٌ مِشْياطٌ؛ أي: ممتلئٌ سِمَناً، ومعناه: أنه ممتلئٌ خُبثاً ونُكراً، وشرًّا ومَكراً.

والعاشر: أنه من قولهم: شاط؛ أي: بَطَل، ومعناه: أنه الباطلُ عملُه الخائبُ أملُه.

وإذا جُعل اشتقاقُه من الشُّطونِ والشَّطَنِ فهو فَيْعالٌ، وإذا جعلْتَه من الشَّيط والتَّشيِيط والمشياط[٥] فهو فَعْلانٌ.

والأصحُّ الأولُ؛ لأن الشاعر أخرجَه على لفظِ الفاعل بالنون، فقال:

---

(١) في (ر): «مرج».

(٢) في (أ): «فمعناه»، في هامش (ف): «فمعنى».

(٣) انظر: «ديوان جرير» بشرح محمد بن حبيب (١/ ١٦٥).

(٤) «من الدخان» من (ر).

(٥) في (أ): «والشياطة».

أيُّما شاطنٍ عصاهُ عكَاه ورَماه[١] في القيدِ والأغلال[٢]

وقولنا: (الرجيم) قال الكسائيُّ: هو المشتوم[٣]، من قولهِ تعالى: ﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ﴾ [هود: ٩١]؛ أي: شتَمْناك[٤].

وقيل: هو الـمُهلَكُ بأقبحِ وجهٍ، مأخوذٌ من الرَّجم بالحجارة لأنه أقبحُ القِتْلات.

وقيل: هو من الرَّجم وهو الرميُ، قال الله تعالى: ﴿رَجْمًا بِالْغَيْبِ﴾ [الكهف: ٢٢]؛ أي: رمياً.

ثم هو فعيلٌ بمعنى الفاعلِ عند بعضهم، ومعناه: أنه رامي بني آدمَ بالدَّوَاهي والبلايا، وبمعنى المفعول عند آخَرين، ومعناه: أنه مَرْميٌّ من السماوات بإلقاءِ الملائكة حين لُعن.

وقيل: إنه المرميُّ بشُهُبِ السماء إذا قصَدها، قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ﴾ [الملك: ٥].

ثم هذه صفةٌ مذمومةٌ للشيطان، وله في القرآن أسماءٌ مشؤومةٌ وصفاتٌ مذمومة؛ وهي: إبليسُ، والشيطانُ، والغَرورُ في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾ [لقمان: ٣٣]، والوسواسُ، والخنَّاسُ.

والكافرُ: ﴿وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٤].

---

(١) في (أ) و(ر) و(ف): «ورمى»، والمثبت من هوامش النسخ الثلاث.

(٢) البيت لأمية بن أبي الصلت، وهو في «ديوانه» (ص: ٤٤٥)، و«اللسان» (مادة: شطن). وهو في وصف نبي الله سليمان عليه السلام. عكاه: شده في الحديد.

(٣) في (أ): «المشؤوم». والمثبت من (ر) و(ف)، وهو الصواب. انظر: «تفسير الطبري» (١/ ١١٠)، و«الزاهر» لابن الأنباري (١/ ٥٧).

(٤) «أي شتمناك» سقط من (أ) و(ف).

والصاغر: ﴿فَٱخۡرُجۡ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٣].

والمارد: ﴿مِّن كُلِّ شَيۡطَٰنٖ مَّارِدٖ﴾ [الصافات: ٧].

والـمَرِيد ﴿إِلَّا شَيۡطَٰنٗا مَّرِيدٗا﴾ [النساء: ١١٧].

والطائف: ﴿طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾ [الأعراف: ٢٠١].

والفاتن: ﴿لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ [الأعراف: ٢٧].

والملعون: ﴿وَإِنَّ عَلَيۡكَ لَعۡنَتِيٓ﴾ [ص: ٧٨].

والمذمومُ والمذؤوم والمدحور: ﴿قَالَ ٱخۡرُجۡ مِنۡهَا مَذۡءُومٗا مَّدۡحُورٗا﴾ [الأعراف: ١٨].

والمقذوف: ﴿وَيُقۡذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٖ ۝٨ دُحُورٗا﴾ [الصافات: ٨ ـ ٩].

والكَفُور: ﴿وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورٗا﴾ [الإسراء: ٢٧].

والخَذُول: ﴿وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِلۡإِنسَٰنِ خَذُولٗا﴾ [الفرقان: ٢٩].

والعَصِيُّ: ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا﴾ [مريم: ٤٤].

والعدوُّ: ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ [فاطر: ٦].

والمُضِلُّ: ﴿إِنَّهُۥ عَدُوّٞ مُّضِلّٞ مُّبِينٞ﴾ [القصص: ١٥].

ومن صفاته وأفعاله: ﴿أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ﴾ [البقرة: ٣٤]، ﴿قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ﴾ [الأعراف: ١٢]، ﴿قَالَ لَمۡ أَكُن لِّأَسۡجُدَ﴾ [الحجر: ٣٣]، ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ [البقرة: ٣٦] ﴿إِنَّمَا ٱسۡتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ [آل عمران: ١٥٥] ﴿فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓ﴾ [الكهف: ٥٠] ﴿وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ [الأعراف: ٢١]، ﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٖ﴾ [الأعراف: ٢٢]، ﴿كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ﴾ [الأعراف: ٢٧]، ﴿فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ [يوسف: ٤٢]، ﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ [الكهف: ٦٣]، ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ﴾ [ص: ٤١]، ﴿أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ﴾

[الحج: ٥٢]، ﴿نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓۚ﴾ [يوسف: ١٠٠]، ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ يَنزَغُ بَيۡنَهُمۡۚ﴾ [الإسراء: ٥٣]، ﴿ٱسۡتَحۡوَذَ عَلَيۡهِمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ [المجادلة: ١٩]، ﴿وَإِذۡ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ [الأنفال: ٤٨]، ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمۡ وَأَمۡلَىٰ لَهُمۡ﴾ [محمد: ٢٥]، ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ﴾ [المائدة: ٩١]، ﴿إِنَّمَا يَأۡمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلۡفَحۡشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٦٩]، ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ﴾ [البقرة: ٢٦٨]، ﴿إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [فاطر: ٦]، ﴿يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ﴾ [البقرة: ٢٧٥]، ﴿كَٱلَّذِي ٱسۡتَهۡوَتۡهُ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾ [الأنعام: ٧١]، ﴿مِنۡ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ [المؤمنون: ٩٧]، ﴿لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ [الأعراف: ١٦]، ﴿لَأَحۡتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [الإسراء: ٦٢]، ﴿لَأَتَّخِذَنَّ مِنۡ عِبَادِكَ نَصِيبٗا مَّفۡرُوضٗا ١١٨ وَلَأُضِلَّنَّهُمۡ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمۡ﴾ الآية [النساء: ١١٨]، ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾ [ص: ٨٢].

ثم أَجْمَعُ الأسماءِ لـمَخازيهِ[1] ومساوئه هو الرَّجيم؛ فإنه[2] لو جُعل بمعنى الراجِم كان جامعاً لجميع ما يقعُ منه من الجنايات، ولو جُعل بمعنى المرجومِ كان شاملاً لجميعِ ما يقعُ عليه من العقوبات؛ فلذلك ذُكر في الاستعاذةِ منه هذا الاسمُ دون غيرِه من الأسماءِ والصفات.

ثم هذه الاستعاذةُ أوجَهُ الاستعاذات، وللناس فيها اختياراتٌ ورَدَتْ[3] بها رواياتٌ:

---

(١) في (ف): «بمخازيه».

(٢) في (ف): «لأنه» وفي هامشها: «فإنه».

(٣) في (أ) و(ف): «ووردت».

رُوي عن النبيِّ ﷺ أنه كان يقولُ: «أعوذُ بعفوِ الله العظيمِ من عذابهِ الأليمِ، ومن هَمَزاتِ الشياطينِ، إن الله[1] هو السميع العليم»[2].

ورُوي عن أبي بكرٍ الصِّدِّيق رضي الله تعالى عنه أنه كان يقولُ: أعوذُ باللهِ الواجدِ[3] الماجدِ من كلِّ عدوٍّ حاسدٍ، ومن كلِّ شيطانٍ ماردٍ، إن الله هو السميعُ العليم.

وعن عمرَ الفاروقِ[4] رضي الله تعالى عنه أنه كان يقولُ: أعوذ بالله الـمُعين من الشيطان اللَّعين إلى يومِ الدِّين[5].

وعن عثمانَ ذي النُّورَينِ[6] رضي الله تعالى عنه أنه كان يقولُ: أعوذ بالله من الشيطان والكفرِ والطغيان، وهو المنعِم المستَعان.

وعن عليٍّ المرتضَى[7] رضي الله تعالى عنه أنه كان يقول: أعوذ باللهِ العظيم ووجهِه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم[8].

وكان الحسنُ والحسينُ ـ رضي الله عنهما ـ وأبو ذرٍّ وأسامةُ وعمارٌ رضي الله تعالى عنهم يقولون: أعوذُ باللهِ العظيم من الشيطان الرجيم[9].

---

(١) في (أ): «إنه».

(٢) لم أجده مسنداً.

(٣) في (أ): «الواحد».

(٤) في (أ): «وعن عمر بن الخطاب»، و«الفاروق» ليست في (ر).

(٥) في (أ): «القيامة».

(٦) «ذي النورين» ليس في (أ) و(ر).

(٧) «المرتضى» ليس في (أ) و(ر).

(٨) رواه أبو داود (٤٦٦) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما مرفوعاً، وحسنه النووي في «الأذكار» (٩٤).

(٩) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٥٣٨٣) من حديث عمار رضي الله عنه مرفوعاً.

وكان محمد ابن الحنَفيَّة رضي الله تعالى عنه يقولُ: أعوذُ بالله القويِّ من الشيطان الغَوِيّ.

وكان ابنُ مسعودٍ رضي الله تعالى عنه يقولُ: أعوذُ بالله الجبَّار المتكبِّر من الشيطان المستكْبِرِ، إن الله هو السميعُ العليم[1].

ومن القرَّاءِ السبعة مَن يقول: أعوذُ باللهِ السَّميعِ العليم من الشيطان الرجيم[2].

ومنهم مَن يقول: أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم إن الله هو السميعُ العليم.

ومنهم مَن يقول: أعوذُ بالله العظيم من الشيطان الرجيم.

ومنهم مَن يَجمع بين العظيم والسميع والعليم.

ومنهم مَن يقول: أستعيذُ بالله.

ومنهم مَن يقول: نَستعيذُ بالله.

والمختارُ هو قولُ الجمهور: أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم.

قال نجمُ الدِّين[3]: ولي فيه حديثٌ مسلسلٌ ينتهي إلى عاصمٍ، عن زِرٍّ، عن ابنِ مسعودٍ رضي الله تعالى عنه، عن النبيِّ ﷺ، عن جبريل، عن ميكائيل، عن إسرافيل، أنه أخذه من اللوح المحفوظ هكذا[4].

---

(١) لم أجده، وكذا ما ورد هنا من الأخبار مما لم نذكر له تخريجاً.

(٢) وروى هذه الصيغة في الاستعاذة أبو داود (٧٧٥) و(٧٨٥) من حديثي أبي سعيد وعائشة، والترمذي (٢٩٢٢) من حديث معقل بن يسار.

(٣) في (ر) و(ف): «قال يعني المصنف».

(٤) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٦/ ٤١) مسلسلاً، وعنه تلميذه الواحدي في «الوسيط» (٣/ ٨٣ ـ ٨٤)، وفي آخره: فلقد قرأت على عاصم فقلت: أعوذ بالسميع العليم، فقال لي: قل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، فلقد قرأت على زر بن حبيش فقلت: أعوذ بالسميع العليم، فقال لي: قل أعوذ بالله من =

ثم التعوُّذُ به افتتاحُ قراءةِ القرآن، وبالمعوِّذتَين خَتْمُ سُورِ القرآن، فيُرجَى بذلك حفظُ ما بينَهما.

وفي أخذِ الميثاقِ خاطَبَ اللهُ تعالى العبدَ بقوله: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢] وعند النَّزْع يخاطبُه بقوله: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ﴾ الآية [الفجر: ٢٧]، فيُرجَى بذلك عفوُ ما بينَهما.

والنبيُّ ﷺ يقول في حقِّ هذه الأمَّةِ: «أنا قائدُها، وعيسى سائقُها»[١]، فيُرجَى بذلك نجاةُ ما بينَهما.

ويلي[٢] التعوُّذَ التَّسميةُ، وهي: (**بسم الله الرحمن الرحيم**).

وانتظامُ هذه بذلك: أنَّ التعوُّذ بالله هو التحفُّظ بذِكْر اللهِ، ولذلك ورد الخبرُ باستحباب هذا التعوُّذ: «أَعوذُ بكلماتِ اللهِ التَّامَّاتِ[٣]»[٤]، ومنها هذه الأسماءُ الثلاثةُ العظيمة.

= الشيطان الرجيم، فلقد قرأت على عبد الله بن مسعود فقلت: أعوذ بالسميع العليم، فقال لي: قل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، فلقد قرأت على رسول الله ﷺ فقلت: أعوذ بالله السميع العليم، فقال لي: «يا ابن أم عبد قل: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، هكذا أقرأنيه جبرائيل عن القلم عن اللوح المحفوظ».

قلت: وقد ورد جواز الاستعاذة بلفظ: (أعوذ بالله السميع العليم) في حديث كل من أبي سعيد وعائشة ومعقل بن يسار رضي الله عنهم، وقد تقدم تخريجها قريباً.

(١) لم أجده.

(٢) في (ف): «وتلو».

(٣) في (ف): «التامة».

(٤) قطعة من حديث رواه مسلم (٢٧٠٨) عن خولة بنت حكيم السلمية رضي الله عنها، و(٢٧٠٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وقيل: الجامع بينهما كأنَّه[١] يقول في التقدير: أعوذُ باللهِ وأنا موسومٌ بسِمَةِ اللهِ، وهي فِطْرةُ اللهِ، وصِبغةُ اللهِ، وهما: التكوينُ والكونُ، والتلوينُ واللونُ[٢]، قائمان بالمخلوق، واللهُ تعالى مُنزَّهٌ عنهما. أفريدن مي حكونه ومي جكونه، وأفرينش مرده باحكونه وبرحكونه.

وجامعٌ آخَرُ بينهما: ما[٣] قال ابنُ عباس رضي الله عنهما: إجلالُ القرآن: أعوذُ بالله مِن الشيطانِ الرجيمِ، ومفتاحُ القرآن: بسم الله الرحمنِ الرحيمِ[٤].

وقال النبيُّ ﷺ: «مفتاح القرآن التسمية»[٥].

ورُوي أنَّ أوَّل ما جَرى به القلمُ في اللوح المحفوظ: بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ، وأنَّه أوَّل ما نزل[٦] على آدم، وأنَّه أمانُ أهلِ السماواتِ والأرضينَ، وأنَّه كلمةُ جوازٍ مِن اللهِ تعالى، وأنَّه خاتمُ اللهِ لعبادِه الموحِّدين.

وروي عن ابنِ عبَّاس رضي الله عنهما عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: «إنَّ المُعلِّم إذا قال للصبيِّ: قل: بسمِ اللهِ الرحمنِ الرحيمِ، فقال الصبيُّ: بسمِ اللهِ الرحمنِ

---

(١) في (أ): «أنه».

(٢) في (ف) و(أ): «وهما التكوين والتلوين والكون واللون».

(٣) «ما» من (أ).

(٤) لم أجده.

(٥) لم أجده بهذا اللفظ، لكن روى الطبراني في «الأوسط» (٦٢٥) عن بريدة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال له: «بأي شيء تستفتح صلاتك وقراءتك» قلت: ببسم الله الرحمن الرحيم، قال: «هي هي». قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢/ ١٠٩): رواه الطبراني في الأوسط وفيه عبد الكريم بن أبي المخارق وهو ضعيف لسوء حفظه وفيه من لم أعرفهم.

(٦) في (أ): «أنزل».

الرحيـم، كَتـب اللهُ تعالى براءةً للصبيِّ، وبـراءةً لأبويه، وبراءةً للمُعلِّـم مِن النار»[١].

وعن جابرٍ رضي اللهُ عنه قال: لمَّا نزلت: بسمِ الله الرَّحمنِ الرَّحيم، هَربَ الغيمُ إلى المشرِق، وسكنت الرياحُ، وهاجَ البحرُ، وأَصْغت البهائمُ آذانها، ورُجمت الشياطينُ مِن السماء، وحَلف اللهُ عزَّ وعلا بعزَّته لا يُسمَّى اسمُه على شيءٍ إلَّا شَفاه، ولا يُسمَّى اسمُه على شيءٍ إلَّا باركَ عليه، ومَن قرأ: بسم اللهِ الرحمنِ الرحيمِ، دخل الجنَّة[٢].

وقال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه[٣]: مَن أراد أن ينجيَه اللهُ مِن الزَّبانية التسعةَ عَشَر فليقرأ: بسم اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ، فإنَّها تسعةَ عَشَر حرفاً، ليجعلَ[٤] اللهُ تعالى بكلِّ حرفٍ منها جُنَّةً[٥] له مِن كلِّ واحدٍ منهم[٦].

وقال بعضُ أهلِ المعرفة: التسميةُ كلمةٌ قدسيَّةٌ مِن كنزِ الهداية، وخلعةٌ ربوبيَّةٌ مِن خِلَع الولاية، ووصلةٌ قريبةٌ لأهلِ العناية، ورحمةٌ خاصةٌ[٧] لأصحابِ الجناية.

---

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (١/ ٩١)، وابن الجوزي في «التحقيق في أحاديث الخلاف» (١٥٧٨)، قال ابن الجوزي: وهذا الحديث لا يجوز الاحتجاج بِهِ؛ لأَنَّهُ من عمل أَحمد بن عبد الله الهَرَوِيّ، وهو الجويباري، وكان كذاباً يضعُ الحديث. وقال ابن عبد الهادي في «تنقيح التحقيق» (٢٥٣٠): هذا الحديث موضوعٌ.

(٢) رواه الثعلبي في «تفسيره» (١/ ٩١).

(٣) في (أ): «وعن ابن مسعود».

(٤) في (ر): «يجعل»، وفي (ف): «فيجعل»، والمثبت من (أ) والمصادر.

(٥) في هامش (ف): «الجُنَّة: الوقاية كالحصن المنيع».

(٦) رواه الثعلبي في «تفسيره» (١/ ٩١)، وابن مردويه في «تفسيره» كما في «الدر المنثور» (١/ ٢٦)، وذكره القرطبي في «تفسيره» (١/ ١٤٣).

(٧) في (أ) و(ر): «خاصية».

وقولـه: بسـم الله الرحمن الرحيـم: الباءُ حـرفُ تضمينٍ وإلصـاقٍ، ولها وجوهٌ خمسة:

أحدها: أنَّه متَّصلٌ بما تقدَّم: أعوذ بالله؛ أي: أعوذُ بسمِ اللهِ.

والثاني: أنَّه يتَّصل[1] بأمرٍ مُضمَرٍ أو إخبارٍ مُضمَرٍ؛ الأمر: اِبْدَأ، للواحد، و: ابدؤوا، للجمع، والإخبار: أَبْدَأُ أنا، أَوْ: نَبْدَأُ نحن، والإخبارُ أَولى؛ ليُوافق ما قبله: أعوذُ وأبدأُ.

والثالث: أنَّ معناه: أَتيمَّن وأتبرَّك وأستعينُ وأستثبتُ وأستغيثُ بسمِ الله.

والرابع: بسم الله كان ما كان ويكون ما يكون.

ويحكى[2] عن جعفرٍ الصادقِ أنَّه قال: أودعَ اللهُ تعالى علومَ كلِّ الكتبِ القرآنَ، وأودعَ علومَ القرآنِ الفاتحةَ، وأودعَ علومَ الفاتحة التسميةَ، وأودعَ علومَ التسميةِ الباءَ؛ أي: بي كان ما كان ويكون ما يكون.

وقيل: كَشْفُه: بإلهيَّتِه عرفه العارفون، وبعطفِه ارتزقَ العالِـمون، وبرحمتِه نَجا المذنبون.

وقيل: كَشْفُه: بالله سَلِمت قلوبُ أولياءِ اللهِ عمَّا ليس فيه رضَى الله، وبالرَّحمن سَعَت نفوسُ عبادِ الله في خدمةِ الله، وبالرَّحيم تخلَّصت أرواحُ أصفياءِ اللهِ عمَّا يُوجِب سخطَ اللهِ.

والخامس: أنَّه خبرُ مبتدأ مُضمَرٍ؛ أي: هذا بسمِ اللهِ، كقوله: ﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَهَا﴾ [النور: ١]؛ أي: هذه سورة، ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَهُ﴾ [ص: ٢٩]؛ أي: هذا كتاب.

---

(١) في (ف): «متصل».

(٢) في (أ): «وحكي».

ثم اللَّطيفةُ في أنَّ هذه الوجوهَ التي بيَّنَّا إضمارَها لم تُظهَر، وبذِكْر تلك الكلمات لم تبدأ[١]: أن تكون البدايةُ بسم الله، فلا يكون افتتاحُ كلام[٢] القارئ بذِكْر فِعلِ نفسِه، بل بذِكْر اسمِ ربِّه كما بدأ رسولُ الله ﷺ حيث قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠] لا كما قال موسى صلوات الله عليه: ﴿إِنَّ مَعِيَ رَبِّي﴾ [الشعراء: ٦٢]، فلا يُستفتحُ بأَحسنَ مِن اسم الله[٣] كلامٌ، ولا يُستنجَح بأعظمَ مِن فضله مرامٌ، تبارك اللهُ ذو الجلال والإكرام.

وقيل: معناه: بقوَّة اسمِ اللهِ قدرتُ أنْ بَدَأتُ، وهو معنى[٤] قولِنا: لا حولَ ولا قوَّةَ إلَّا باللهِ العليِّ العظيم.

وقال أبو بكرٍ الورَّاق: بَدَأَ اللهُ تعالى كتابَه بذِكْرين ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾، و﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ كأنَّه قال: الأشياء به وجودُها وله ملكُها.

ثم إنَّما طُوِّلت هذه الباءُ دون سائرِ الباءات؛ لوجوه ثلاثة:

أحدها: أنَّه عليه الصلاة والسلام أَمَرَ بذلك فيما رُوي لنا بإسنادٍ عن مكحولٍ الشاميِّ قال: قال معاوية: كنتُ أكتبُ بين يدَي رسولِ اللهِ ﷺ فقال: «يا معاويةُ، أَلِقِ الدواةَ، وحرِّف القلمَ، وانْصِبِ الباء، وفرِّقِ السينَ، ولا تُعوِّر الميمَ، وحسِّن اللهَ، ومدَّ الرَّحمنَ، وجوِّد الرحيمَ»[٥].

---

(١) في (ر): «نبدأ».

(٢) في (أ): «بكلام»، وليست في (ف).

(٣) في (أ): «من اسمه».

(٤) في (ف): «بمعنى».

(٥) رواه السمعاني في «أدب الإملاء والاستملاء» (ص: ١٧٠)، والديلمي في «مسند الفردوس» (٥/ ٣٩٤)، ومكحول لم يسمع من معاوية، كما في «مراسيل ابن أبي حاتم» (ص: ١٦٦).

قوله: (أَلِقِ الدَّواةَ) بفتح الهمزة وكسر اللام أمر من ألاقَ الدواة: إذا جعل لها لِيقةً وأصلح لها =

والثاني: ما قاله القُتَبي[١]: أنَّهم لم يَرَوا[٢] أنْ يَفتتحوا كتابَ اللهِ إلَّا بحرفٍ مفخَّم معظَّم[٣].

والثالث: أنَّهم لمَّا[٤] أَسقطوا الألفَ مِن الاسمِ، فردُّوا طولَ الألفِ على الباءِ؛ ليكون دلالةً على سقوطِ الألفِ منه؛ وإنَّما أَسقطوها هاهنا؛ لكثرة دَورِها على الألسنة، وفي الكتابة طلباً للخفَّة، وفي قوله: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾ [العلق: ١] وقوله: ﴿فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [الواقعة: ٧٤]، لم يوجد هذا، فلم يحذف الألف ولم تطوَّل الباء.

ثم إنَّما كُسرت الباءُ مع أنَّها حرفٌ واحد، والحروف المفردةُ مفتوحةٌ ـ كالتاء والفاءِ والكاف واللام والواو ـ لثلاثةِ أوجُهٍ:

= مدادها؛ أي: استمرَّ على تعميرِها في وقتٍ قليلًا قليلًا، ومنه قولُ عليِّ بن هلالٍ المعروفِ بابنِ البوَّابِ في قصيدته في صناعة الكتاب:

وألِقْ دواتَكَ بالمِدادِ مُعمِّرًا ... بالخلِّ أو بالحِصْرِمِ المعصودِ

(وحرِّف القلم) بتشديد الراء المكسورة: أمرٌ من التحريف؛ أي: اجعل طرف شقه الأيمن أزيَدَ من الطرف الآخر قليلاً لأنه أسرع في الكتابة وأبدع في اللطافة.

(وفرِّق السِّين)؛ أي: أسنانها (ولا تعوِّر الميم)؛ أي: لا تطمسها بل بيِّنْ وسطها، وهو بتشديد الواو بعد العين المهملة. انظر: «شرح الشفا» للملا علي القاري (١/ ٧٢٧)، وفيه: (وأقم الباء)؛ أي: طولها.

(١) في (ر): «القتيبي».

(٢) في (ف) و(أ): «يريدوا».

(٣) أورده الثعلبي في «تفسيره» (١/ ٩٢)، وعزاه للقيسي.

(٤) «لما» من (ف).

أحدها: أنَّ الباءَ حرفٌ ممالٌ في الاسمِ، فإنَّك تَقرأ[1] الباءَ على الإمالة، وهي دليلُ[2] الكسرةِ، وليس كذلك الكافُ واللامُ والواوُ؛ لأنَّها لا تُمال، ولا يَلزم عليها التاءُ أنَّها[3] تُمال ومع ذلك تُفتَح في قولك: تَاللهِ؛ لأنَّها بدلُ واوِ القَسَم، والواو مفتوحةٌ فأُلحقَ البدلُ بها، وبخلافِ[4] الفاءِ فإنَّها[5] ممالةٌ، وهي مفتوحةٌ في قولك: فَاللهِ؛ لأنَّها[6] لو كُسرت فقيل: فِاللهِ، اشتَبهت بـ: فِي اللهِ، ففُتحت؛ ليزولَ الاشتباهُ.

والثاني: قولُ سيبويه: أنَّها لا عَمَلَ لها إلَّا الكسرُ، فكُسرت لذلك، بخلافِ الكافِ؛ لأنَّها إذا كانت للخطابِ لم تكن كاسرةً، وكذلك التاء، وأمَّا اللامُ فكثيرٌ مِن اللاماتِ ليست بكاسرةٍ، وكذا الواوُ والفاءُ.

والثالث: قول المبرِّد: أنَّ أصلها الياء، فإنَّك[7] تقول: بَيَّيْتُ؛ أي: كتبت الياء[8]، ولا كذلك سائرُ الحروف، فإذا ردَدْتَها إلى الياءِ كسرْتَها؛ لأنَّ الياءَ أختُ الكسرة.

---

(١) في (ف) و(أ): «تقول».

(٢) في (ر): «دلالة».

(٣) في (ف): «ولا يلزم عليه التاء لأنها».

(٤) في (ف): «بخلاف».

(٥) في (أ) و(ر): «أنها».

(٦) في (ف): «فإنها».

(٧) في (ر): «لأنك».

(٨) في (ر): «الباء». والصواب المثبت. انظر: «تفسير الثعلبي» (١/ ٩٢)، ولفظه: (.. ألا ترى أنك إذا أخبرت عن نفسك فإنك قلت: بييت، فرددتها إلى الياء والياء أخت الكسرة...).

وبعد الباء ﴿اسم﴾ وفيه أربع لغات: (اِسمٌ) بكسر الألف، و(اُسمٌ) بضمِّها، و(سِمٌ) بكسر السين، و(سُمٌ) بضمِّها، قال الشاعر:

واللهُ سمَّاك سُماً مباركاً آثركَ اللهُ بِهِ إيثارَكا[(١)]

وقال آخَر:

سُبحانَ مَن في كلِّ سورةٍ سِمُهْ قد أُنزلت على طريقٍ نعلمُهْ[(٢)]

وقال آخَر:

وعامُنا أَعْجَبنا مُقدَّمُهْ يُدعَى أبا السَّمْحِ وقِرضابٌ سُمُهْ[(٣)]

واشتقاقُه مِن: سَمَا يَسْمُو سُمُوًّا، وسَمَى يَسْمِي سُمِيًّا؛ أي: عَلَا، فقولهم: (اُسْمٌ) بالضَّمِّ؛ بُنيَ على صيغةِ الأمرِ مِن الواويِّ منه، وقولهم: (اِسْمٌ) بالكسر؛ بُنيَ على صيغةِ الأمرِ مِن اليائيِّ[(٤)] منه، كقولهم: (أَمْسِ) على صيغةِ الأمر، مِن: أمسَى يُمْسي[(٥)].

---

(١) الرجز في «إصلاح المنطق» (ص: ١٣٤)، و«الزاهر» لابن الأنباري (١/ ٥٣). قال ابن السكيت: أنشدني القناني. فنسبه العيني في «المقاصد النحوية» (١/ ٢٠٤) إلى أبي خالد القناني.

(٢) الرجز أورده أبو البركات الأنباري في «الإنصاف» (١/ ١٥ ـ ١٦)، وابن منظور في «لسان العرب» (مادة: سما).

(٣) انظر: «إصلاح المنطق» (ص: ١٣٤)، و«الزاهر» لابن الأنباري (١/ ٥٤)، و«تهذيب اللغة» (٩/ ٢٨٧). قرضبَ الرجلُ: إذا أكل شيئاً يابساً.

(٤) في (أ): «الثاني».

(٥) قوله: (أَمْسِ على صيغةِ الأمر، مِن: أمسَى يُمْسي) كذا في النسخ، وفيه نظر لأنه قياس للثلاثي على الرباعي، ولا وجه له هنا، ولعل الصواب: (اِمس من مَسَى يَمْسي)؛ أي: من الثلاثي، يقال: مَسَى يَمْسِي مَسْياً: إذا ساءَ خُلُقُه بعد حُسْن. ومَسَى يَمْسي مسياً وأَمْسى ومَسَّى كلُّه: إذا وعَدَك بأمرٍ ثم أَبْطَأَ عنك. انظر: «تهذيب اللغة» (١٣/ ٨٢).

والأسماء المبنيَّة على صيغةِ الفعلِ كثيرةٌ، كقولهم: يَشكر ويَزيد وتَغلب ويَعمل، ومعنى الاسمِ مِن هذا المأخذِ: أنَّ المسمَّى يَعلُو بتسميتِه، وذاكرُ اللهِ تَعلُو درجتُه بذِكْرِ اللهِ ومِدْحتِه.

ومَن قال: إنَّ اشتقاقَه مِن وَسَمَ يَسِمُ، فقد أخطأ؛ لأنَّ الفعلَ منه: سَمَّى يُسمِّي، وتَسَمَّى يَتَسمَّى، وجمعُ الاسمِ: الأَسماءُ والأَسامي، وتصغيره: السُّمَيُّ، وحرفُ العلَّةِ في آخِره، ولو كان مِن الوَسمِ لم يكن كذلك. والألف في أوله مُدرَجةٌ تذوبُ عند الوَصْل؛ لأنَّها أُدخِلت في أوَّله زائدةً بعد حذفِ آخرِه تخفيفاً، والزوائدُ الضروريةُ كذلك، كما في الابْنِ والابْنَةِ والاثْنَين[1]، وألفاتِ الأمرِ مِن الأفعالِ الثُّلاثيَّة والأفعالِ المُتشعِّبة.

ثم تكلَّموا في إدخال كلمة (اسم) هاهنا:

قال أبو عبيدةَ: هو صلةٌ وزيادةٌ، ومعناه: بالله، كما في قوله: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾ [النور: ٣٦]؛ أي: يُذكَر هو، وقوله: ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ﴾ [الرحمن: ٧٨]؛ أي: تباركَ ربُّك، كما قال: ﴿تَبَارَكَ اللَّهُ﴾ [الأعراف: ٥٤].

وقال لبيد[2]:

إلى الحولِ ثم اسمُ السلامِ عَليكُما ... ومَن يَبْكِ حَولاً كامِلاً فقد اعْتَذَرْ[3]

---

(١) في (أ): «والابنين».

(٢) انظر: «ديوان لبيد» (ص: ٥١).

(٣) في هامش (ف): أوله:

تمنى ابنتاي أن يعيش أبوهما ... وما أنا إلا من ربيعة أو مضر

وقالوا: في القرآن أربعُ كلماتٍ هي[1] صلاتٌ؛ وهي: الاسمُ، والوجهُ، وكادَ، وطَفِقَ:

﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ﴾ [المزمل: ٨]، ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ﴾ [الرحمن: ٢٧]، ﴿لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا﴾ [النور: ٤٠]، ﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ﴾ [الأعراف: ٢٢].

وتكلَّموا في معنى الزيادة: قال الأخفشُ: هو للتبرُّك، ولو قيل: بالله، لظنُّوه قَسَماً، فأُزيلَ الاشتباهُ بِذِكْر هذه الزيادة.

وقال قطربٌ: إنَّه لإجلالِ ذكرِ[2] اللهِ؛ ليقعَ به الفرقُ بين ذِكْره وبين ذِكْر خَلْقه في مثلِ قولهم: تبرَّكتُ بفلانٍ[3].

وأكثرُهم على أنَّ الكلمةَ مقصودةٌ غيرُ زائدة، ومعناه البدايةُ بِذِكْر أسامِيْه التي سمَّى نفسَه بها والتبرُّكِ بها، قال اللهُ تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وفيه شيئان: الثناءُ على اللهِ بها، واستنجاحُ الحوائجِ بذِكْرها.

فأمَّا[4] الأوَّل: فقد قال اللهُ تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وهي تسعةٌ وتسعونَ اسماً متفرِّقةً في القرآن، وسمَّى المؤمنينَ بأسامِيَ حسنةٍ في القرآن، كما في قوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ الآيات [المؤمنون: ١]، ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ﴾ الآية [التوبة: ١١٢]، ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾ الآية [الأحزاب: ٣٥]، ﴿إِلَّا الْمُصَلِّينَ (٢٢) الَّذِينَ هُمْ﴾ الآيات [المعارج: ٢٢ ـ ٢٣]، وقد قال تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ٥٤].

---

(١) في (ف) و(أ): «هن».

(٢) في (ر): «اسم». والمثبت من (أ) و(ف)، وهو الموافق لما في «النكت والعيون» (١/ ٤٧).

(٣) في (ر): «اسم». والمثبت من (أ) و(ف)، وهو الموافق لما في «النكت والعيون» (١/ ٤٧).

(٤) في (ف): «أما».

وقال عليه السلام: «مَن أحبَّ شيئاً أكثرَ مِن[١] ذِكْره»[٢]، واللهُ تعالى أحبَّك فأكثرَ ذِكْرَكَ وعدَّ أسماءَكَ الحَسَنة، وأنتَ تحبُّه فادْعُهُ بأسمائه الحسنى.

وقد أَمَرَ اللهُ تعالى بذِكْر اسمِه على الإطلاق: ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ [المزمل: ٨]، ثم خصَّ الزمانَ بقوله: ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الإنسان: ٢٥]، والمكانَ فقال تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾ الآيةَ [النور: ٣٦]، والمحلَّ فقال: ﴿فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ﴾ [الحج: ٣٦]، وأَثبت به الحِلَّ فقال: ﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ [الأنعام: ١١٨]، وحرَّم ما لا[٣] يُذكَر اسمُ اللهِ عليه فقال: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ [الأنعام: ١٢١].

ومَن خُتم له باسمِ اللهِ ماتَ سعيداً، ومَن وُضعَ في قبرِه فقيل: باسمِ الله وعلى ملَّةِ رسولِ الله؛ لُقِّنَ الجوابَ ولقيَ الثوابَ، ومَن أُعطيَ كتابَه في القيامة وأُريد به الخيرُ، أُلهمَ أنْ يقول: بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ.

وفي الخبر: أنَّ عبداً يُؤتَى كتابَه فيقول: بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ، فيَنْشرُه فإذا هو أبيضُ لا شيءَ فيه، فيُقالُ له: كان مملوءاً سيئاتٍ فمُحيَ ببركةِ التسميةِ، وإذا مرَّ على الصراطِ وأُريدَ به الخيرُ أُلهمَ أنْ يقول: بسم الله الرحمن الرحيم[٤].

وفي الخبر: أنَّ المؤمنينَ إذا وَضعوا أقدامَهم على الصِّراط يقولون: بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ، فيمرُّون عليها وثيابُهم نَديَّةٌ مِن العَرَق.

---

(١) «من» ليست في (ف).

(٢) رواه أبو نعيم والديلمي كما في «المقاصد الحسنة» (ص: ٦١٩) من حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعاً، وانظر: «ضعيف الجامع».

(٣) في (ف): «لم».

(٤) في (أ) و(ف): «أن يقول هذا».

وأمَّا استنجاحُ الحوائجِ فقد قال عليٌّ رضي الله عنه: كلمةُ بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ[١] مُسهِّلةٌ للوعور، مُجنِّبةٌ للشرور، شفاءٌ[٢] لِمَا في الصدور، أمانٌ يومَ النُّشور.

وأمَّا اسمُه[٣] (الله) مرَّ الكلامُ فيه[٤] في التعوُّذ.

وقولُه[٥]: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ هما اسمانِ مشتقَّانِ مِن الرَّحمة، ورحمةُ اللهِ هي إرادتُه الخيرَ بأهلِه.

وقيل: هي إعطاءُ اللهِ العبدَ ما لا يَستحقُّه مِن المثوبةِ، ودفعُ ما يَستوجبه مِن العقوبة.

وقيل: هي تركُ عقوبةِ مَن يستحقُّ العقوبةَ.

وقيل: هي المِنَّة على المحتاجِ.

وقيل: هي العطفُ.

وكثُرت أقاويلُ السلفِ والخَلَف في تفسيرهما:

روى أبو سعيد الخُدريُّ رضي الله تعالى عنه أنَّ عيسى عليه السلام قال: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ رحمنُ الدنيا، و﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ رحيمُ الآخرة[٦].

---

(١) «الرحمن الرحيم» ليس في (أ) و(ف).

(٢) في (ف): «وشفاء».

(٣) في (أ): «وقوله»، بدل: «وأما اسمه».

(٤) في (ف): «عليه».

(٥) في (ف): «وأما اسماه».

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ١٢٦)، وفيه: «الرحمن: رحمن الدنيا والآخرة، والرحيم: رحيم الآخرة». ورواه أيضاً ابن عدي في «الكامل» (١/ ٣٠٤)، وابن الجوزي في «الموضوعات» (١/ ١٤٥)، وقال ابن عدي: حديث باطل. وقال ابن الجوزي: موضوع. وفيه: إسماعيل بن يحيى =

ويرجع إلى ذلك قولُ مجاهد: ﴿الرَّحْمَٰنِ﴾ بأهلِ الدنيا، و﴿الرَّحِيمِ﴾ بأهلِ الآخرة[١].

وقولُ يحيى بنِ مُعاذٍ الرازيِّ: ﴿الرَّحْمَٰنِ﴾ بمصالحِ معاشهم، و﴿الرَّحِيمِ﴾ بمصالحِ معادهم[٢].

وقول بكرِ بنِ عبد الله المزنيِّ: ﴿الرَّحْمَٰنِ﴾ بنِعَم[٣] الدنيا، و﴿الرَّحِيمِ﴾ بنعيم الآخرة[٤].

وقول الحارث بنِ أَسَد: ﴿الرَّحْمَٰنِ﴾ برحمةِ النفوس، و﴿الرَّحِيمِ﴾ برحمةِ القلوب[٥].

وقال أبو بكر الورَّاق: ﴿الرَّحْمَٰنِ﴾ بالنَّعماءِ، و﴿الرَّحِيمِ﴾ بالآلاءِ؛ فالنَّعماءُ ما أَعطى وحَبَا، والآلاءُ ما صَرَف وزَوَى[٦].

= التيمي، قال عنه الأزدي كما في «ميزان الاعتدال» (١/ ٢٤٥): ركن من أركان الكذب.

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (١/ ٩٩).

(٢) أورده الثعلبي في «تفسيره» (١/ ١٠١). ويحيى بن معاذ الرازي من كبار المشايخ، له كلام جيد ومواعظ مشهورة، توفي بنيسابور سنة (٢٥٨هـ). انظر: «سير أعلام النبلاء» (١٣/ ١٥).

(٣) في (ر) و(ف): «بنعيم».

(٤) في (ف) و(أ): «بنعم الدين». وبكر بن عبد الله هو أبو عبد الله المزني البصري أحد الأعلام، يذكر مع الحسن وابن سيرين، حدث عن المغيرة بن شعبة وابن عباس وابن عمر وأنس بن مالك وعدة. انظر: «سير أعلام النبلاء» (٤/ ٥٣٢).

(٥) أورده الثعلبي في «تفسيره» (١/ ١٠٠). والحارث بن أسد هو أبو عبدالله البغدادي المحاسبي صاحب التصانيف الزهدية، كبير القدر، وقد دخل في شيء يسير من الكلام فنقم عليه، توفي سنة (٢٤٣هـ). انظر: «سير أعلام النبلاء» (١٢/ ١١٠).

(٦) رواه الثعلبي في «تفسيره» (١/ ١٠٠).

وقال محمد بنُ عليٍّ الترمذيُّ[١]: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ بالإنقاذِ مِن النيران، و﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ بالإدخالِ إلى[٢] الجِنان.

وقال السَّريُّ بنُ مُغَلِّس[٣]: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ بكشفِ الكروب، و﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ بغفرانِ الذنوب.

وقال عبد الله بنُ الجرَّاح[٤]: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ بتبيينِ الطريق، و﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ بالعصمةِ والتوفيق.

وقال ابنُ عباس: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾: العاطف على البَرِّ والفاجرِ بالرِّزق، و﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ بالمؤمنينَ خاصَّة[٥].

وقال مقاتل بنُ سليمان: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾: العطوف على كلِّ عباده بفضله، و﴿ٱلرَّحِيمِ﴾: الرفيق بأهلِ طاعته؛ إذ لم يكلفهم ما لا يُطيقون، وأَوجبَ لهم مِن الرحمةِ ما لا يستحقُّون.

وقال خارجةُ بنُ مصعبٍ[٦]: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ بكلِّ خَلْقه، و﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ بأوليائه.

---

(١) هو محمد بن علي بن الحسن بن بشر، أبو عبد الله، الحكيم الترمذي صاحب «نوادر الأصول»، المتوفى نحو (٣٢٠هـ). ووقع في مطبوع «تفسير الثعلبي» (١/ ١٠٠): المزيدي.

(٢) في (ف): «في».

(٣) الزاهد المعروف، أبو الحسن البغدادي السقطي خال الجنيد وتلميذ معروف الكرخي، توفي سنة (٢٥٧) وكلامه أورده الثعلبي في «تفسيره» (١/ ١٠١).

(٤) لعله عبد الله بن الجراح بن سعيد التميمي، أبو محمد القُهُسْتاني نزيل نيسابور، من رجال «التهذيب»، وكلامه أورده الثعلبي في «تفسيره» (١/ ١٠١).

(٥) رواه البيهقي في «الأسماء والصفات» (٨٢) بنحوه.

(٦) خارجةُ بنُ مُصْعب بن خارجة أبو الحَجَّاج الضُّبَعيُّ السَّرخسيُّ، عالِمُ أهل خُراسانَ على لِينٍ فيه، توفي سنة (١٦٨). انظر: «تاريخ الإسلام» (٤/ ٢٤٨).

وقال السَّريُّ بنُ مُغَلِّس أيضاً: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾: العاطفُ على عباده؛ يَرزقهم مِن حيث لا يَحتسبون، ويَدفع عنهم مِن حيث لا يَعلمون، و﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ بالمؤمنينَ يَغفرُ لهم ما يُذنبون.

وقال الضحاك: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ بأهلِ السماوات حين أَسكنهم السماواتِ، وطوَّقهم الطاعاتِ، وأكرمهم بقُربه، وائتَمنهم على وَحْيه، وجنَّبهم الآفاتِ، وقَطَع[1] عنهم الشهواتِ، وأَنطق ألسنتهم بأنواعِ التَّسبيح، وأبعدهم عن الشبهات[2]، وكَساهُم ملابسَ النُّور، ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ بأهلِ الأرض حينَ أَرسل إليهم الرُّسلَ، وأَنزل عليهم الكتبَ، وأَعذر إليهم، فإنَّه بيَّن لهم ما يَنفعهم وما يَضرُّهم وصَرَف البلايا عنهم[3].

وقال ابنُ المبارك: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾: الذي إذا سُئلَ أَعطى، و﴿ٱلرَّحِيمِ﴾: الذي إذا لم يُسأل غَضِبَ[4].

وقال بسَّام بنُ عبد الله العراقيُّ[5]: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ بأهلِ طاعته؛ حين قَبِلَ منهم الطاعاتِ وإن كنَّ غيرَ صافيات، ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ بأهلِ معصيته؛ إذا تابوا مَحَا عنهم السيئاتِ وأَبدلها حسناتٍ.

---

(١) في (ف): «ووضع».

(٢) قوله: «وأبعدهم عن الشبهات» من (ر).

(٣) أورده بنحوه الثعلبي في «تفسيره» (١/ ٩٩ ـ ١٠٠).

(٤) أورده الثعلبي في «تفسيره» (١/ ١٠٠).

(٥) بسام بن عبد الله الصيرفي أبو الحسن الكوفي، روى عن زيد بن علي بن الحسين وأخيه أبي جعفر الباقر وجعفر الصادق وعطاء وعكرمة،وغيرهم، وعنه ابن المبارك ووكيع وأبو نعيم وغيرهم، من رجال «التهذيب».

وقال مطرٌ الورَّاقُ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ بغفرانِ السيئات، و﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ بقَبولِ الطاعات[١].

وقال أبو بكر الورَّاق: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ بمَن جَحَده، و﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ بمَن وحَّده[٢].

وقيل: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ بمَن كَفره، و﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ بمَن شَكَره.

وقيل: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ بالفِطْرة، و﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ بالدَّعوة.

وروى الكلبيُّ عن أبي صالح عن ابنِ عباس رضي الله عنهما أنَّه قال: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ و﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ اسمانِ رقيقانِ[٣]؛ أحدهما أرقُّ مِن الآخر[٤].

قال الحسين بنُ الفَضْل البَجَليُّ: هذا وَهَمٌ مِن الرَّاوي؛ لأنَّ الرِّقَّة ليست مِن صفات اللهِ تعالى ـ وتفسيرها: الشفقةُ الناشئةُ مِن رقَّة القلب ـ وإنَّما هما رفيقانِ، والرِّفق مِن صفاتِ اللهِ تعالى، قال النبيُّ ﷺ: «إنَّ اللهَ رفيقٌ، ويحبُّ الرِّفق، ويُعطي على الرِّفق ما لا يُعطي على العنف»[٥].

وكثيرٌ مِن العلماء صحَّحوا روايةَ القاف، وفسَّروا الرِّقَّة باللطف وكمالِ العطف، مجازاً مأخوذاً مِن رقَّة قلوب العباد على أحبَّتهم، وهو كمالُ عطفِهم ورحمتِهم.

---

(١) أورده الثعلبي في «تفسيره» (١/ ١٠١).

(٢) أورده الثعلبي في «تفسيره» (١/ ١٠١)، وزاد: والرَّحْمن بمن كفر والرَّحيم بمن شكر، والرَّحْمن بمن قال ندًّا والرَّحيم بمن قال فرداً.

(٣) في (ف): «رفيقان»، والصواب المثبت كما سيأتي بيانه.

(٤) رواه البيهقي في «الأسماء والصفات» (٨٢) من طريق محمد بن مروان، عن الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس موقوفاً. ومحمد بن مروان هو السدي الصغير، وهو كذاب، والكلبي متروك. وقال ابن حجر في «الفتح» (١٣/ ٣٥٩): لا يثبت هذا الحديث؛ لأنه من رواية الكلبي، وهو متروك.

(٥) رواه مسلم (٢٥٩٣) من حديث عائشة رضي الله عنها. وانظر كلام الحسين بن الفضل في «الأسماء والصفات» عقب الخبر رقم (٨٣).

واختلفوا بعد ذلك في المراد بهذا الحديثِ على أربعة أقاويلَ:

فقال بعضهم: معناه: أنَّ أحدَ الاسمَيْن أدلُّ على زيادةِ لطفٍ، لا يُفهَم ذلك مِن الاسمِ الآخَر.

وقالوا: لا يُعرَف[1] ذلك الاسمُ على التعيين؛ لوجودِ الإبهامِ وعدمِ التبيين.

وقال سعيد بنُ جبير: هو الرَّحمن؛ لأنَّه يعمُّ الكافرَ والمؤمنَ جميعاً، قال الله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦]، وقال: ﴿وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا﴾ [البقرة: ١٢٦].

وقال وكيع بنُ الجراح: هو الرَّحيم؛ لأنَّه يَشمل المؤمنَ في الدنيا والآخرةِ؛ أمَّا[2] في الدنيا فظاهرٌ، وأمَّا في الآخرة فغفرانُ ذنوبهم وإدخالُهم[3] الجنَّة، قال الله تعالى: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣]، وقال: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٧].

وقال قائلون: معناه: أنَّ كلَّ واحدٍ منهما أرقُّ مِن الآخَر؛ على معنى: أنَّ في كلِّ واحدٍ مِن الاسمين معنًى يُفهَم منه ما لا يُفهَم ذلك مِن الآخَر، بحيث لا يمكن تفضيلُ أحدِهما على الآخَر، وذلك فيما حكينا مِن الأقاويل.

وقال ثعلب: الرَّحمنُ أمدحُ مِن الرحيم، والرَّحيم أرقُّ مِن الرحمن.

وقال جعفر بنُ محمد الصادق: الرَّحمنُ خاصٌّ في التسمية عامٌّ في الفعل، والرَّحيم عامٌّ في التسمية خاصٌّ في الفعل[4].

---

(١) في (ف): «نعرف».

(٢) في (ف): «فأما».

(٣) في (ف) و(أ): «فغفران ذنوبه وإدخاله».

(٤) أورده البيهقي في «الأسماء والصفات» (٨٥) عن عبد الرحمن بن يحيى.

وخصوصُ الرَّحمنِ في التسمية أنَّه لا يَتسمَّى به أحدٌ غيرُه، وعمومُه في الفعل أنَّه يَرحمُ البَرَّ والفاجرَ، وعمومُ الرحيمِ في التسمية أنَّه يجوز أن يَتسمَّى به غيرُه، قال الله تعالى في حقِّ نبيِّه عليه الصلاة والسلام: ﴿بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ [التوبة: ١٢٨]، وقال في حقِّ أصحابه[1]: ﴿رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡ﴾ [الفتح: ٢٩] وخصوصُه في الفعل أنَّه يَرحمُ المؤمنَ دون الكافرِ.

وقال أبو عبيدة: الرحمنُ ذو الرحمة، كالعَطْشان هو ذو[2] العَطَش، والرَّيَّان هو ذو الرِّيِّ، والرَّحيمُ هو الراحم، كالقَديرِ هو القادر، والعَليمِ هو العالِم، فالأوَّل إثباتُ صفةٍ، والثاني إثباتُ فعلٍ[3].

وقيل: الرحمنُ على وزن فَعْلان[4]، وهو مبالغةٌ في الصفة، فإنَّ الغضبانَ هو الممتلئُ غضباً، والسكرانُ هو الممتلئُ سُكْراً، والرَّحيمُ هو الدائمُ الرحمة، والرَّاحمُ هو الذي وُجدت منه الرحمةُ.

وقيل: الرَّحمنُ: مَن له الرحمةُ، كالغَضبان: مَن له الغضبُ، والرَّحيمُ: مَن يَرحمُ، كالسَّميع: مَن يَسمع.

ثم معنى الجمعِ بين الاسمينِ مع أنَّهما مِن صفةٍ واحدةٍ وجوهٌ أربعةٌ:

---

(١) في (ف): «الصحابة».

(٢) في (أ): «هو ذا» وفي (ر): «ذو» دون «هو».

(٣) انظر: «مجاز القرآن» (١/ ٢١)، ولفظه: «الرّحمن» مجازه ذو الرحمة، و «الرّحيم» مجازه الراحم، وقد يقدّرون اللفظين من لفظ واحد والمعنى واحد، وذلك لاتّساع الكلام عندهم، وقد فعلوا مثل ذلك فقالوا: ندمان ونديم.

(٤) في (أ): «الفعلان».

أحدها: الإشباع، كقوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم بَلَىٰ﴾ [الزخرف: ٨٠]، والرَّحمنُ والرَّحيمُ كالنَّدمان والنَّديم، واللَّهفان واللَّهيف، والجمعُ بينهما كالجمع بين قولهم: جادٌّ مُجِدٌّ.

والثاني: قولُ ثعلب: أنَّ الرَّحمن عبرانيُّ الأصل، فقُرنَ به الرَّحيمُ الذي هو مفهومُ العرب[(١)].

والثالث: أنَّ معنى الاسمين مختلفٌ كما مرَّ مِن الأقوال[(٢)]، فلم يَكن تكراراً.

والرابع: أنَّه بَدَأَ باسم الله وهو دلالةُ الهَيبة، فذَكَر بعده اسمين مشتقَّين مِن الرحمة، يبشِّرهم أنَّه يُوصِل إلى عباده آثارَ رحمتِه أَكثر ممَّا يُوصِل إليهم آثارَ رهبته[(٣)].

ثم معنى تقديمِ اسمِ الرَّحمن على الرَّحيمِ: أنَّه اسمٌ خاصٌّ لله تعالى، فقدِّم على الرَّحيم الذي قد يُسمَّى به غيرُه، ولأنَّ الرَّحمن أبلغُ في المدح، فكان أَولى بالسَّبق، ولأنَّ معناه: الرازقُ، ومعنى الرَّحيم: الغافرُ، وأثَر ذلك أسبق[(٤)] وصولاً إلى العبد[(٥)]، فسَبَق في الذِّكْر.

ومعنى البداية في التسمية[(٦)] باسمِ الله، ثم بالرَّحمن، ثم بالرَّحيمِ: أنَّ الناسَ عند مبعثِ رسولِ الله ﷺ كانوا فِرَقاً ثلاثة:

مشركي العرب: وكانوا يَعرفون اسمَ الله، قال الله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للنحاس (١/ ٥٥ ـ ٥٦).

(٢) في (أ) و(ف): «الأقاويل».

(٣) في (أ) و(ف): «هيبته».

(٤) في (أ): «أشق».

(٥) في (أ): «العباد».

(٦) بعدها في (ف): «بسم الله الرحمن الرحيم».

﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٥]، وما كانوا يَعرفون الرَّحمن، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ [الفرقان: ٦٠].

واليهودَ: كانوا يَعرفون اسمَ الرَّحمن، قال عبد الله بنُ سلَام لمَّا أَسلَمَ: يا رسولَ الله، لا أرى في كتابكم ذِكْرَ الرَّحمن، فنَزَل قولُه تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ﴾ [الإسراء: ١١٠][1].

والنصارى: كانوا يَعرفون اسمَ الرَّحيم.

فوقعت البدايةُ في خطابِ القومِ بذِكْر هذه الأسماءِ الثلاثة؛ لمعرفة المخاطَبين بها.

ولأنَّ كلَّ عبدٍ له ثلاثةُ أشياءَ: قلبٌ، ونفسٌ، وروحٌ؛ فعلى القلبِ بهذه التسمية سِمَةُ المعرفةِ والإيمان، وعلى النَّفْسِ سِمَةُ الرزقِ والإحسان، وعلى الروح سِمَةُ العفوِ والغفران.

ولأنَّ (الله) اسمٌ ممتنعُ اللفظِ والمعنى، والرَّحمن ممتنعُ اللفظِ مُطلَقُ المعنى، والرَّحيم مُطلَق اللفظ والمعنى، فكان البدايةُ باسمِ الله أَولى ثم بالرَّحمن ثم بالرَّحيم.

ولأنَّ أحوالَ العبدِ ثلاثةٌ: سابقتُه وحالتُه وخاتمتُه، فرُتِّبُ هذه الأسماءِ الثلاثةِ يُعلِمك أنَّه[2] اللهُ الذي أَصلح سابقتَك، والرَّحمنُ الذي هيَّأ حالتَك، والرَّحيمُ الذي يُحْسِن عاقبتَك، اللهُ الذي خَلَقك، والرَّحمن الذي رَزَقك، والرَّحيمُ الذي يَغفرُ لك.

وقالوا: للهِ تعالى ثلاثةُ آلافِ اسمٍ؛ ألفٌ عرَفها الملائكةُ لا غير، وألفٌ عرفها

---

(١) انظر: «تفسير أبي الليث» (٢/ ٣٣٣) عن الكلبي بنحوه.

(٢) في (ف): «أن».

الأنبياء لا غير، وثلاثُ مئةٍ في التوراة، وثلاثُ مئةٍ في الإنجيل، وثلاثُ مئةٍ في الزَّبور، وتسعةٌ وتسعونَ في القرآن، وواحدٌ استأثرَ اللهُ به.

ثم معنى هذه الثلاثةِ آلافِ اسمٍ[١] في هذه الأسماءِ الثلاثةِ، فمَن عَلِمها وقالَها فكأنَّما ذَكَر اللهَ بكلِّ أسمائه.

وفي القرآن تسعةٌ وتسعونَ اسماً، فإذا جُعلت أثلاثاً[٢] فكلُّ ثلثٍ ثلاثةٌ وثلاثونَ، والأمَّة ثلاثةُ أصنافٍ: سابقون، ومقتصدون، وظالمون، فثلاثةٌ وثلاثونَ على[٣] نصيبِ السابقين، ومثلُها على نصيبِ المقتصدين، ومثلُها على نصيبِ الظالمين. وهذه الأسماءُ الثلاثةُ تتضمَّن معانيَ الجميع؛ (اللهُ) يتضمَّن معانيَ ثلاثةٍ وثلاثين اسماً، و(الرَّحمن) كذلك، و(الرَّحيم) كذلك.

وجُمعت هذه الأسامي[٤] في التسمية وضُمِّنت معانيَ الجملة: (أي سابقان الله بنم بيدار باشيد، أي مقتصدان رحمن منم هشيار ياشيد، أي ظالمان رحيم منم بنوه بركار باشيد، ظالم سيار والمقتصد دوار والسابق طيار[٥]، وكلهم أنت الظالمُ نفسَك، والمقتصِدُ قلبُك، والسابقُ سرُّك، نفس لمحراب دونده آست دل در ملكوت كرديده أست هفردر رير عرس مريده آست الله رحمن رحيم هر سه وأنوار ريده أست).

قال الشيخ نجم الدين رضي الله عنه: وكان شيخُنا الإمامُ الأستاذُ الخطيبُ أبو

---

(١) «اسم»: من (ف).

(٢) في (أ) و(ف): «على الأثلاث».

(٣) «على» ليست في (أ).

(٤) في (ف): «الأسماء».

(٥) في (ف): «طبد».

محمد إسماعيلُ بنُ محمد النوحيُّ النسفيُّ[١] ـ رحمهُ اللهُ ورضيَ عنه ـ روَى لنا عن بعضِ أولادِ عليٍّ رضي الله عنه: أنَّ اللهَ تعالى لمَّا خلقَ القلمَ قال له: اكتُب بسمِ اللهِ الرَّحمن الرَّحيم، فلمَّا سمع اسمَ[٢] (اللهِ) وَلِهَ القلمُ وانشقَّ نصفين، فوضعَ رأسَه على اللوحِ كذلك مشقوقاً ألفَ عامٍ حتى رَحِمه الرَّبُّ تعالى، فأسمعه الاسمينِ: الرَّحمنِ والرَّحيم[٣]، فالْتَأَمَ أحدُ الشِّقَّين بسماعِ أحدِ الاسمين، والْتَأَمَ الشِّقُّ الآخَرُ بسماعِ الاسمِ الآخَرِ.

وقالوا في حذفِ الألفِ مِن (بسم): هي سقطةُ حَيْرة، وفيها نقطةُ فِكْرة؛ أي: حارَ القلمُ فحذفَ الألفَ في الكتابة، فصارت هذه السَّقطةُ نُقطةَ فِكرة لأهل الكتابة.

وقالوا: أَوجدَ اللهُ الأشياءَ بإلهيَّته، وأَمسكها برحمتِه، فما مِن نعمةٍ على الأوَّلين ولا على الآخِرين، ولا في الدنيا ولا في الآخرة، إلَّا برحمتِه، كان[٤] غفرانُ آدمَ وحوَّاء برحمتِه، قال تعالى خبراً[٥] عنهما: ﴿وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣]، وكذا في حقِّ نوحٍ عليه السلام فإنَّه قال: ﴿وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [هود: ٤٧]، وكذا في حقِّ موسى وهارون

---

(١) هو إسماعيل بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن محمد بن نوح، كتب الحديث بسمرقند، وجلس فيها للعامة كثيراً، وخطب على منبر سمرقند، سمع أبا العباس جعفر بن محمد بن المعتز المستغفري الحافظ، توفي سنة (٤٨١هـ) بسمرقند، وعاش تسعاً وخمسين سنة. انظر: «الأنساب» للسمعاني (٥/ ٥٣١)، و«تاريخ الإسلام» للذهبي (٣٣/ ٥١).

(٢) في (أ): «فبسماع اسم»، وفي (ف): «فبسماع اسمه».

(٣) في (ف): «الرحمن الرحيم».

(٤) في (ر): «وكان».

(٥) في (ر): «مخبراً».

عليهما السلام إخباراً[1] عنهما: ﴿وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ﴾ [الأعراف: ١٥١].

وكانت نجاة الأنبياء والمؤمنين برحمته.

وقال في حقِّ نوحٍ عليه السلام: ﴿لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ﴾ [هود: ٤٣].

وقال في حقِّ هودٍ عليه السلام: ﴿نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا﴾ [هود: ٥٨].

وقال في حقِّ صالحٍ عليه السلام: ﴿نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا﴾ [هود: ٦٦].

وقال في حقِّ شعيبٍ عليه السلام: ﴿نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا﴾ [هود: ٩٤].

وكان الوحيُ إلى نبيِّنا محمَّد ﷺ برحمتِه، قال تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓا۟ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ [القصص: ٨٦].

وكان بَعثُه كذلك رحمةً[2]، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

وكان لِيْنُهُ مع أمَّته برحمتِه، قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وكان حِفظُه عن إضلالِ المنافقين برحمته، قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ﴾ [النساء: ١١٣].

---

(١) في (أ): «خبراً» وفي (ف): «فإنه قال خبراً».

(٢) «رحمة»: من (ر).

وإمطارُ السَّحاب علينا وإنباتُ الأرزاق بها برحمتِه، قال تعالى: ﴿يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ [الأعراف: ٥٧].

وتزيينُ العالَم في الرَّبيع لنا برحمتِه، قال تعالى: ﴿فَانظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ﴾ [الروم: ٥٠].

ومنافعُ الليلِ والنهارِ لنا برحمتِه، قال تعالى: ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ [القصص: ٧٣].

وسَدُّ يأجوجَ ومأجوجَ ودَفْعُ ضررِهم عنَّا برحمتِه: ﴿قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي﴾ [الكهف: ٩٨].

وتوسيعُ الرِّزقِ علينا برحمتِه، قال تعالى: ﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ﴾ [الإسراء: ١٠٠].

وإعطاءُ الخِصْب لنا[1] برحمتِه، قال تعالى: ﴿مَّا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾ [فاطر: ٢].

ودوامُ العافيةِ لنا برحمتِه، قال تعالى: ﴿أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ﴾ [الزمر: ٩٨].

والأُلفةُ بين الزوجينِ برحمتِه، قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: ٢١].

وإرسالُ الرسلِ إلينا برحمتِه، قال: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾ [الزخرف: ٣٢].

وإنزالُ القرآنِ برحمتِه، قال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢].

---

(١) «لنا»: من (ف).

وإعطاءُ الإيمانِ برحمتِه، قال تعالى: ﴿يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ﴾ [الشورى: ٨].

والعصمةُ مِن الهوى والبِدْعةِ والتَّثبُّتُ على السُّنَّة والجماعة برحمته، قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾ [هود: ١١٨].

وصلاحُ العبدِ وورعُه برحمته، قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾ [النور: ٢١].

ومخالفةُ الهوى والنفسِ[1] برحمته، قال تعالى: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾ [يوسف: ٥٣].

ومخالفةُ الشيطانِ برحمتِه، قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ٨٣].

والتوبةُ بعد الوقوعِ في المخالفةِ برحمتِه، قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾ [النور: ١٠].

وكلُّ شيءٍ نَنالُه بسعة رحمتِه[2]، قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦].

والخصوصُ مِن هذا العمومِ برحمتِه، قال تعالى: ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ﴾ [آل عمران: ٧٤].

ومِن أهلِ الخصوصِ المحسنون، قال تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦].

---

(١) في (أ): «هوى النفس».

(٢) في (ر): «نناله برحمته».

والمطيعون أطاعوا الله برحمته، قال تعالى[١]: ﴿وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ﴾ [التوبة: ٧١].

والمتَّقون اتَّقَوا اللهَ برحمتِه[٢]، قال تعالى: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ﴾ [الحديد: ٢٨].

والمجاهدون مفضَّلون على القاعدينَ برحمتِه[٣]، قال تعالى: ﴿وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلۡقَٰعِدِينَ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٩٥﴾ دَرَجَٰتٖ مِّنۡهُ وَمَغۡفِرَةٗ وَرَحۡمَةٗۚ﴾ [النساء: ٩٥ ـ ٩٦].

وجوازُ العفوِ عن القاتلِ وأَخذِ الدِّيَةِ بالصُّلحِ برحمتِه، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ تَخۡفِيفٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَرَحۡمَةٞۗ﴾ [البقرة: ١٧٨].

وإمهالُ مَن يُؤذي[٤] المسلمينَ بلسانِه عن المؤاخَذةِ في الحالِ[٥] برحمتِه، قال تعالى: ﴿وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ لَمَسَّكُمۡ فِي مَآ أَفَضۡتُمۡ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٤].

وإمهالُ الكفَّار برحمتِه، قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ ٱلۡغَفُورُ ذُو ٱلرَّحۡمَةِۖ لَوۡ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُواْ﴾ الآية [الكهف: ٥٨].

فلا ينبغي للعبدِ أنْ يقنطَ مِن رحمةِ الله[٦]، قال تعالى: ﴿لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ﴾ [الزمر: ٥٣] فالكافرُ هو الذي ييأسُ مِن رحمته، قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَئِسُواْ مِن

(١) قوله: «والمطيعون أطاعوا الله برحمته قال تعالى» ليس في (أ)، وفي (ف): «والمطيعون قال».

(٢) قوله: «اتقوا الله برحمته» ليس في (أ) و(ف).

(٣) قوله: «مفضَّلون على القاعدينَ برحمتِه» ليس في (أ) و(ف).

(٤) في (ر) و(أ): «وأمان مؤذي».

(٥) في (ف): «المؤاخذة للحال».

(٦) في (أ): «من رحمته».

رَحۡمَتِي﴾ [العنكبوت: ٢٣] والمؤمنُ راجي رحمتِه، قال تعالى: ﴿يَرۡجُونَ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢١٨] وقد ضلَّ مَن قنطَ مِن رحمتِه[1]، قال تعالى: ﴿وَمَن يَقۡنَطُ مِن رَّحۡمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾ [الحجر: ٥٦].

ويختصُّ المؤمنَ يومَ القيامةِ برحمتِه، قال تعالى: ﴿وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا﴾ [الأحزاب: ٤٣].

والجمعُ يومَ القيامة برحمتِه، قال تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمۡ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَ﴾ الآية [الأنعام: ٥٤].

ومغفرةُ الذنوبِ برحمتِه، قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ ٱلۡغَفُورُ ذُو ٱلرَّحۡمَةِ﴾ [الكهف: ٥٨].

وشفاعةُ النبيِّ ﷺ للأمَّة برحمته، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

وصرفُ العقوبةِ برحمتِه، قال تعالى: ﴿مَّن يُصۡرَفۡ عَنۡهُ يَوۡمَئِذٖ فَقَدۡ رَحِمَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٦].

ودخولُ الجنَّة برحمتِه، قال تعالى: ﴿فَفِي رَحۡمَةِ ٱللَّهِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٧].

وإعطاءُ الشهواتِ فيها برحمتِه، قال تعالى: ﴿وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ٣١ نُزُلٗا مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ﴾ [فصلت: ٣٢].

والبِشارةُ برحمتِه، قال تعالى: ﴿يُبَشِّرُهُمۡ رَبُّهُم بِرَحۡمَةٖ مِّنۡهُ﴾ [التوبة: ٢١].

والسلامُ والرؤيةُ برحمتِه، قال تعالى: ﴿سَلَٰمٞ قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ﴾ [يس: ٥٨].

---

(١) في (أ): «رحمة ربه».

ثم التسميةُ عند مالكٍ آيةٌ مِن رأسِ كلِّ سورةٍ، وعند الشافعيِّ آيةٌ مِن رأسِ[١] الفاتحة، وعن محمد بنِ الحسن: أنَّها آيةٌ أُنزلت للفَصْل بين السُّورِ.

وظاهرُ مذهبِ أصحابِنا أنَّها ذِكْرٌ تُبدأ به القراءةُ تيمُّناً وليست بآيةٍ، وفي سورة النمل هي ما دونَ آيةٍ.

وقالوا: اللطف في أنها ليست[٢] بآيةٍ تامَّةٍ في القرآن، أن لا يكون[٣] الجُنُبُ والحائضُ والنُّفساءُ ممنوعِين عنها[٤] عند كلِّ أمرٍ ذي بالٍ، كالشهادتَيْن لم يُجمعا في القرآنِ في موضعٍ واحدٍ لئلَّا تتمَّ آية، وربَّما يُحتَضَر الجُنُبُ ونحوُه، فلا يُمكنه التكلُّمُ بهما عند ختمِ عمرِه.

وباللهِ التوفيقُ وعليه توكُّلي، وهو حسبي ونِعْمَ الوكيلُ، وصلى الله على سيِّدنا محمدٍ وصحبِهِ أجمعين، والحمدُ لله ربِّ العالمين، تمَّ القولُ على البسملة.

* * *

---

(١) «رأس»: من (أ) و(ف).

(٢) في (ف): «وقالوا ليست»، وفي (ر): «بل هي دون آية، وليست»، بدل: «وقالوا اللطف في أنها ليست».

(٣) في (ر): «إذ لو كانت آيةً لكان»، بدل: «أن لا يكون».

(٤) في (أ) وهامش (ف): «عنه» وفي (ف): «منها».

سُورَةُ الفَاتِحَةِ

سُورَةُ الفَاتِحَةِ[1]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وبه ثقتي[2]

(٢) ـ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

وانتظامُ قولِه تعالى ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ بالتسميَة ما مرَّ: أنَّ الأشياءَ وجودُها باللهِ وله ملكُها.

وله وجهٌ آخَر: بَدَأتُ بسمِ اللهِ بعونِ اللهِ، فالحمدُ لله.

ووجهٌ آخَرُ: بسمِ اللهِ الموصوفِ بالرحمةِ، وهي أجلُّ نعمة، فله الحمدُ على نِعَمه جملة.

ثم هذه السُّورة ثماني آياتٍ في قول الحسنِ البصريِّ رحمه الله، وستُّ آياتٍ في قول الحسين الجُعفيِّ[3]، وسبعُ آياتٍ في قولِ الجمهور مِن أهل العلم؛ فالحسنُ عدَّ التسمية و﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ آيتين، وتَركهما الجعفيُّ، والباقون اتَّفقوا على أنَّها سبعُ آياتٍ.

---

(١) في (ر): «سورة فاتحة الكتاب»، وفي (ف): «تفسير سورة الفاتحة».

(٢) قوله: «وبه ثقتي» من (ر).

(٣) هو حسين بن علي بن الوليد، أبو عبد الله وأبو محمد الجعفي مولاهم، الكوفي الحافظ المقرئ الزاهد، توفي سنة (٢٠٣هـ). انظر: «سير أعلام النبلاء» (٩/ ٣٩٧). وذكر قوله القرطبي في «تفسيره» (١/ ١٧٦) وقال: وهذا شاذ، وذكر القول بأنها ثماني آيات عن عمرو بن عبيد المعتزلي، وتعقبه أيضا بقوله: هذا شاذ.

لكنَّ أصحابَنا ـ رحمهم الله ـ عَدُّوا ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ آيةً، وقالوا: ليست التسميةُ مِن الفاتحة، والشافعيُّ ـ رحمه الله ـ جَعَلها مِن الفاتحة، ولم يَجعل ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ آيةً.

وهي خمسٌ وعشرونَ كلمةً، ومئةٌ وثلاثةٌ وعشرونَ حرفاً: اثنان وعشرونَ أَلِفاً، وثلاثُ باءات، وثلاثُ تاءات، وثلاثُ حاءات، وأربعُ دالات، وذالٌ واحدةٌ، وسبعَ[1] عشرةَ لاماً، وثلاثُ كافاتٍ، وغينانِ، وستُّ راءاتٍ، وسينانِ، وصادانِ، وضادانِ، وطاءانِ، وستُّ عَيناتٍ، وقافٌ واحدةٌ، واثنا عشر ميماً، وعشرُ نونات، وأربعُ واواتٍ، وأربعُ هاءات، ولامُ ألفٍ واحدةٌ، وثلاثَ عَشرةَ ياءً.

فمِن الحروفِ المعجمة فيها اثنانِ وعشرون، وأعوامُ النبيِّ ﷺ بعد الوحي اثنانِ وعشرون، وهذه السورةُ مشتملةٌ على جميعِ معاني ما أوحَى اللهُ تعالى إليه فيها، وليست فيها سبعة أحرف: الثاءُ والجيمُ والخاءُ والزايُ والشينُ والظاءُ والفاءُ[2].

وفي بعضِ الآثار: أنَّ الحكمةَ فيها: أنَّ الثاءَ مِن الثبور، والجيمَ مِن الجحيم، والخاءَ مِن الخوف، والزايَ مِن الزَّقُّوم، والشينَ مِن الشَّقاوة، والظاءَ مِن الظُّلْمة، والفاءَ مِن الفراق، ومُعتَقِدُ هذه السُّورةِ وقارئُها على التعظيمِ والحرمة آمِنٌ مِن هذه الأشياء السَّبعة.

ثم هذه السُّورة التي آياتُها سبعٌ تشتمِل على أعدادٍ مِن الواحدِ إلى السبع: هي سُورةٌ واحدةٌ، وهي نصفان، وفي نزولها ثلاثةُ أقوالٍ[3]، وأقسامُها أربعةٌ، وأسماءُ الله

(١) في (ر): «وست».

(٢) في هامش (ف): «سواقط الفاتحة سبعة: يجمعها قولك: فجش تظخز».

(٣) في (ف) و(أ): «أقاويل».

تعالى فيها خمسةٌ، والأشياءُ التي يُظهِر العبدُ فيها مِن نفسِه[١] ستَّةٌ، وأَساميها سبعةٌ.

أمَّا الأول: فهذه السورةُ واحدةٌ، وإلهُنا واحدٌ، وهذه الأمَّةُ أمَّةٌ واحدةٌ، ورسولُ الله ﷺ يَعظُنا بواحدةٍ، وما خَلْقكم ولا بَعْثكم[٢] إلَّا كنفسٍ واحدةٍ، وآياتُها ظاهرةٌ.

وأمَّا قولنا: نصفان؛ فنصفها ثناءٌ، ونصفها دعاءٌ، وذلك فيما روي عن أبي هريرة[٣] رضي الله تعالى عنه عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: «يقول اللهُ تعالى: قَسمتُ الصلاةَ بيني وبين عبدي نصفَيْن؛ فإذا قال العبدُ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ قال اللهُ تعالى: حَمِدني عبدي، وإذا قال العبدُ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ قال اللهُ تعالى: أثنى عليَّ عبدي، وإذا قال العبدُ: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ قال اللهُ تعالى: مجَّدني عبدي، وإذا قال العبدُ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ قال اللهُ تعالى: هذا بيني وبين عبدي نصفان، وإذا قال العبدُ: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ قال اللهُ تعالى: هذا لعبدي ولعبدي ما سأل»[٤].

(جون بنده همه سورة أول خواند خداي عز وجل سورة كويد نبده مَنْ مَنْ انم كه تومي كويني وجون همه أخواين سورة خواند خداي عز وجل كويد نبده مَنْ مَنْ دهم كه تومي خُوِي)[٥].

---

(١) في (أ): «من نفسه فيها».

(٢) في (ف): «وما خلقنا ولا بعثنا» بدل من «وما خلقكم ولا بعثكم».

(٣) في (أ): «فيما روى أبو هريرة».

(٤) رواه مسلم (٣٩٥).

(٥) هذا الكلام الفارسي من (ف)، وفي (أ) بعضه، وسقط من (ر)، وجاء في هامش (ف): «تعريب الفارسية: إذا قرأ العبدُ هذه السورةَ النصف الأول يقول الله تعالى: أنا الذي تقرؤه وتعتقده، والنصف الآخر يقول الله تعالى: يا عبدي أعطيك ما تشتهي».

وأمَّا قولنا: في نزولها ثلاثةُ أقاويل:

فقد قال عليٌّ وابنُ عباس وأُبَيُّ بنُ كعبٍ ومقاتل وقتادةُ والضحَّاك بنُ مزاحمٍ ومحمد ابنُ الحنفية وأبو العالية والرَّبيع بنُ أنس وعَمرو بنُ شُرَحْبيل وعطاءٌ الخراسانيُّ وعليُّ بنُ الحسين بنِ واقد وجماعة: إنَّها مكيَّةٌ، ودليلُ ذلك قولُه تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى﴾ [الحجر: ٨٧] وهي الفاتحة، وهي في سورة الحِجْر وهي مكيَّةٌ.

وروى الواحديُّ ـ وهو عليُّ بنُ أحمد المفسِّر ـ في «تفسيره» بإسناده عن أبي مَيْسَرةَ قال: إنَّ رسولَ الله ﷺ كان إذا بَرَزَ سمعَ منادياً يُناديه[1]: يا محمَّد، فإذا سمعَ الصَّوتَ انطلق هارباً، فقال له وَرَقة بنُ نَوفل: إذا سمعتَ النداءَ فاثْبُت حتى تسمعَ ما يقولُ لك، قال[2]: فلمَّا برز سمعَ النداء[3]: يا محمَّد، قال: لبَّيكَ، قال: قُلْ: أَشهدُ أنْ لا إلهَ إلَّا اللهُ وأَشهدُ أنَّ محمداً رسول الله[4]، ثم قال: قُلْ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ حتى فَرَغَ مِن فاتحة الكتاب[5].

---

(١) في (ر): «ينادي».

(٢) «قال»: ليست في (أ) و(ف).

(٣) في (أ): «سمع كذا».

(٤) في (أ) و(ر): «عبده ورسوله»، والمثبت من (ف)، واللفظان في المصادر.

(٥) في (أ): «فاتحة القرآن» وفي (ر): «الفاتحة». وفي هامش (ف): «حتى فرغ من فاتحة القرآن». وهذا الخبر رواه الواحدي في «الوسيط» (١/ ٧١)، ورواه أيضاً في «أسباب النزول» (ص: ١٩) واللفظ منه، ورواه بنحوه مطولاً ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٦٥٥٥). وقال ابن حجر في «العجاب في بيان الأسباب» (١/ ٢٢٤): وهو مرسل ورجاله ثقات، فإن ثبت حمل على أن ذلك كان بعد قصة غار حراء، ولعله كان بعد فترة الوحي، والعلم عند الله تعالى.

وقد ذكر هذا الخبر في هامش النسخة الخطية من «روح المعاني» (١/ ١٧٠) بتحقيقنا، وأتبع =

فـدلَّ الحديـثُ[١] علـى أنَّ الفاتحـةَ مكيَّـةٌ، وأنَّهـا أوَّلُ مـا أُنـزل، وأنَّ التسـمية ليسـت بآيـةٍ منها.

وقال مجاهدٌ وحده: هي مدنيَّةٌ[٢].

وقالوا: هذه هفوةٌ منه، ولا يُظَنُّ أنَّ النبيَّ ﷺ مَكَثَ بمكَّة ثلاثَ عشرةَ سنةً يُصلِّي فيها بغير فاتحةِ الكتاب، هذا ممَّا لا تَقبله العقول.

وقال جماعةٌ ـ وفيه تلفيقٌ بين هذين القولَين ـ: هي مكيَّة مدنيَّة؛ أي: نزلت بمكَّة مرَّةً وبالمدينة مرَّةً؛ تفضيلاً لهذه السُّورة على غيرها، ولهذا سمِّيت مثانيَ؛ لتثنية نزولها.

وأمَّا قولنا: وأقسامُها أربعةٌ[٣]: فهي ذِكْر اللهِ تعالى فيها بأسمائه الحسنى، وفيه إظهارُ العبدِ مِن نفسه العبادةَ والاستعانةَ، ومدحُ الموافقين، وذمُّ المخالفين.

وأمَّا قولنا: أسماءُ الله تعالى فيها خمسةٌ: فهي: اللهُ والرَّبُّ والرَّحمنُ والرَّحيمُ والمالكُ.

وأمَّا قولنا: الأشياءُ التي يُظهِر العبدُ فيها مِن نفسِه ستَّةٌ: فهي: إخلاصُ العبادة،

= بالقول: ولولا صحة الأخبار على غير هذا النحو كان هذا الخبر أقوى دليل على مكيتها، فافهم.

(١) «الحديث» من (أ).

(٢) انظر: «تفسير أبي الليث» (١/ ٣٩). وفي قول المؤلف: «وحده» نظر، فقد نقل ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١/ ٦٥) القول بذلك عن الزهري وعطاء بن يسار وسوادة بن زياد وعبد الله بن عبيد بن عمير، لكن المشهور بالقول به مجاهد، قال السيوطي في «الإتقان» (١/ ٤٦): اشتهر عن مجاهد القول بأنها مدنية، أخرجه الفريابي في «تفسيره» وأبو عبيد في «الفضائل» بسند صحيح عنه، قال الحسين بن الفضل: هذه هفوة من مجاهد لأن العلماء على خلاف قوله.

(٣) في (ف): «على أربعة».

وسؤالُ المعونة، واستدامةُ الهداية، وموافقةُ أهلِ الرسالة، ومخالفةُ أهلِ اليهوديَّة والنصرانيَّة، ومفارقةُ أهلِ البِدْعة والضلالة.

وأمَّا قولنا: أساميها سبعةٌ: فهي: الفاتحةُ، وأمُّ الكتاب، والسَّبعُ المثاني، وسورةُ الحمد، وأساسُ القرآن، وسورةُ الشفاء، وسورةُ الصَّلاة:

أمَّا(١) **الفاتحة**: فلأنَّ الافتتاحَ هو الابتداءُ، وبها يُبتدأ كتابةُ المصاحف، وبها يُفتتح قراءةُ القرآن في الصلاة، وبها افتُتح الوحيُ إلى النبيِّ ﷺ على ما روِّينا، وكذا كُتب في اللوح المحفوظ، ولأنَّها فاتحةُ أبوابِ الفتوحِ في الدنيا، وفاتحةُ أبوابِ الجِنانِ في العقبى، ولأنَّ الفتحَ هو النَّصر(٢)، والاستفتاحَ الاستنصارُ، ولقارئِ هذه السُّورةِ الظَّفَر والنُّصرة والاستنصار.

وأمَّا أمُّ الكتاب: فالأمُّ هي الأصل، والوالدة أمُّ الوَلَد؛ أي: أصلُه، ومكَّةُ أمُّ القرى؛ أي: أصلُ سائرِ البِقاع؛ لأنَّها أوَّل ما خُلقت، ومنها دُحيت البلادُ، واللوحُ المحفوظُ أمُّ الكتابِ، وهو أصلُ كُتب فيه الكائناتُ إلى يوم القيامة، وهذه السُّورةُ أمُّ الكتاب، وأمُّ القرآن، وهي أصلُ المذكوراتِ في سائرِ السُّور والمشتمِلةُ عليها:

فإنَّ جميعَ ما ذُكر في القرآن مِن التحميد والتمجيدِ والتسبيح والتقديسِ والتهليلِ والتكبير والذِّكرِ والثناء والشُّكرِ والدعاءِ، فهو تحت كلمة: ﴿ٱلْحَمْدُ﴾.

وجميعَ ما ذُكر فيه مِن أسماءِ اللهِ تعالى الحسنى وصفاتِه العُلَا، وما ذُكِر مِن ربوبيتِه وإلهيتِه ووحدانيتِه وفَرْدانيته، فهو تحتَ كلمة: ﴿لِلَّهِ رَبِّ﴾.

---

(١) في (أ): «فأما».

(٢) في (أ): «هي النصرة».

وجميعَ ما فيه مِن ذِكْر السماءِ والأرضِ، والإنسِ والجنِّ، والنَّبيين[١] والمرسلينَ، والمؤمنينَ والكافرينَ، والملائكةِ[٢] المقرَّبين، وأهلِ الملكوتِ أجمعينَ، والجنِّ والشياطين، وطيورِ الهواءِ، وحيواناتِ الماءِ، ووحوشِ الصَّحراء، وحشراتِ الأرضِ، وذِكْر سائرِ المخلوقاتِ والموجوداتِ والمكوَّناتِ والمُحْدَثات، فهو تحت كلمة: ﴿ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

وجميعَ ما فيه مِن ذِكْر الترزيقِ والإنعام، والتَّربيةِ والإكرام، والإنظارِ والإمهال، والإحسانِ والإجمال، فهو تحت كلمة: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾.

وجميعَ ما فيه مِن ذِكْر عفوِ الإجرام، ومحوِ الآثام، وغفرانِ العصيان، والتجاوزِ عن الطغيان، وإعتاق العصاة، والرحمةِ على الجُناة، فهو تحت كلمة: ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾.

وجميعَ ما فيه مِن ذِكْر القيامةِ، وأسمائِها وصفاتِها، ومواقِفها ومقاماتِها، وعقباتِها وعقوباتِها، وشدائدِها وصعوباتِها، وأفزاعِها وأهوالِها، وحسابِها وسؤالِها، واختلافِ أحوالِها، والنارِ ودَرَكاتها، والجنَّةِ ودرجاتِها، والصِّراطِ وخَطَره، واللَّهب وشررِه، فهو تحت قوله: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾.

وجميعَ ما فيه مِن ذِكْر الطاعةِ والخدمةِ، والعملِ والعبادةِ، والخضوعِ والخشوعِ، والقيامِ والركوعِ، والسجودِ والقعودِ، والصلاةِ والزكاة، والصيامِ والقيامِ، والحجِّ والغزوِ، والائتمارِ والانْزجارِ، فهو تحت قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾.

وجميعَ ما فيه مِن سؤالِ المعونةِ، وطلبِ النُّصرة، والتماسِ التوفيقِ والعصمةِ،

---

(١) «والنبيين» ليست في (أ).

(٢) من هنا وقع سقط في (ف) بمقدار صحيفة، وينتهي عند قوله الآتي: «وجميع ما فيه مِن ذِكْر المشركين والكافرينَ» وسنبين ذلك في موضعه.

وإرادةِ اللُّطف، وابتغاءِ الفَضْل، ورجاءِ الكفاية، وأملِ الحماية، فهو تحت قوله: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

وجميعَ ما فيه مِن سؤالِ الهدايةِ، وخوفِ الخاتمة، واغتنامِ المعرفة، ومدحِ الإسلام والشريعة، وبيانِ السُّنَّة والجماعة، فهو تحت قوله: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾.

وجميعَ ما فيه مِن ذِكْر الأنبياءِ والأولياء، والملائكةِ والأصفياء، والصديقينَ والشهداء، والعُبَّاد والزُّهَّاد والأتقياء، فهو تحت قوله: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾.

وجميعَ ما فيه مِن ذِكْر المشركين والكافرينَ(١)، واليهودِ والنَّصارى والصَّابئين، والمجوسِ والوَثنيين، والضالِّين(٢) والمُبتَدِعين، فهو تحت قوله: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾.

وقيل: إنَّما سُمِّيت بذلك لأنَّها تَجمعُ أقسامَ كلِّ القرآن؛ فإنَّ أقسامَ القرآنِ كلَّها هذا الأمرُ والنَّهيُ، والوَعدُ والوَعيد، والقَصَصُ والأَمثال، والنَّاسخُ والمَنْسوخ، وهذه السُّورة تشتمل(٣) على ذلك كلِّه:

فإنَّ قولَه: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾: معناه: قولوا: الحمدُ لله، وهذا أمرٌ بالحمد، ونهيٌ عن تركه.

وقولَه: ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: قَصَصٌ عن إيجادِ الخَلْق(٤) أجمعينَ.

---

(١) هنا ينتهي السقط الذي في (ف).

(٢) في (أ): «والمجوس والثنويين الضالين».

(٣) في (أ): «مشتملة».

(٤) في (أ): «إلحاقه الخلائق» وفي (ف): «إيجاد الخلائق».

وقولَه: ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾ فيه وعدٌ ووعيدٌ وتنبيهٌ[(١)].

وتسميةَ الدِّين صراطاً مَثَلٌ.

وقولَه: ﴿ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾: هم هذه الأمَّة، وشريعتُهم ناسخةٌ.

وقولَه: ﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾: هم اليهود والنصارى، وشريعتُهم منسوخةٌ.

وقيل: معنى أمِّ الكتاب: أنَّ الأمَّ هي الرَّايةُ يَنصبها العسكرُ؛ قال البَعِيثُ:

أُمُّنا مَعْقِلٌ إليه الْتجاءُ الـ ... قومِ في البأسِ حين حَرِّ القتال[(٢)]

فأمُّ الكتابِ إليها مَفزعُ البشر؛ كالرَّاية إليها مَفزعُ العسكر.

وقيل: الأمُّ: الإمامُ؛ فالسورةُ إمامُ أهلِ الإسلام، وأمُّ القرى مقصدُ الأَنام، وجهنَّم قيل لها: ﴿ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٞ ﴾ [القارعة: ٩]؛ لأنَّ الكافرَ له إليها المرجعُ والمقام، والدِّماغُ أمُّ الرأس وللرأسِ به القيام؛ فأمُّ القرآنِ تقوم بهذه[(٣)] المعاني العظام.

وأمَّا السَّبْعُ المثاني: فهي السبعُ الآياتِ، وتُثنَّى قراءتُها في كلِّ صلاة.

وقيل: هي مِن الثناء، وفيها أَثنيةٌ على[(٤)] اللهِ تعالى.

وقال ابنُ عبَّاس رضي الله عنهما: سُمِّيت مثانيَ لأنَّ اللهَ تعالى استثناها لهذه الأمَّة وذَخرها لهم فلم يُعطها غيرَهم[(٥)].

---

(١) «وتنبيهٌ»: ليست في (أ).

(٢) لم أجده.

(٣) في (ف) و(أ): «بها هذه».

(٤) في (ف): «تثنية على»، وكلمة «على» ليست في (أ).

(٥) رواه أبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص: ٢٢٢)، والطبري في «تفسيره» (١٤/ ١١٨).

وقيل: لأنَّها نزلت مرَّتين؛ مرةً بمكَّة ومرَّةً بالمدينة، شيَّعها[١] سبعون ألفَ مَلَكٍ[٢].

وقيل: لأنَّ أهلَ السماء يُصلُّون بها، وأهلَ الأرضِ كذلك.

وقيل: لأنَّ نصفَها ثناءُ الرَّبِّ تعالى ونصفَها سؤالُ العبدِ.

وقيل: لأنَّها اشتملت على حقَّين: حقِّ اللهِ تعالى وحقِّ العبد.

وقيل: لأنَّها تتضمَّن معانيَ علم[٣] المثاني؛ ذِكْرِ الربوبيَّة والعبوديَّة، والخالِقِ والمَخلوق، والعَمل والتوفيق، والهدى والضلال، والوليِّ والعدوّ.

وقيل: تتضمَّن[٤] كلماتٍ مثانيَ في معنًى واحدٍ؛ ﴿لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[٥]، ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، الصراط صراط، عليهم عليهم، غير[٦] المغضوب عليهم ولا الضالِّين[٧].

---

(١) في (أ): «يشيعها».

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٣٥٠)، والبغوي في «تفسيره» (٤/ ٣٩١)، والخازن في «تفسيره» (٣/ ٦٢)، جميعهم عن الحسين بن الفضل ولم يذكروا له سنداً، ووقع في (ف) و(أ): «سبع مئة ألف ملك»، والمثبت من المصادر.

(٣) في (أ) و(ف): «على».

(٤) بعدها في (ر): «معاني».

(٥) في (ر): «الله ورب العالمين»، وفي (ف): «الله رب العالمين».

(٦) بعدها في (ف) و(ر): «ولا».

(٧) جاءت العبارة في (أ) هكذا: «وقيل: تتضمَّن معانيَ كلمات مثاني في معنى واحد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين إياك نعبد وإياك نستعين اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين».

وقيل: سُمِّيت بذلك[١]؛ لأنَّ أسماءَ اللهِ جلَّ جلالُه وصفاتِه على قسمين:

قسمٌ يدلُّ على العَظَمة والجبروت والكِبرياء والسلطان.

وقسمٌ يدلُّ على الرحمة وَالرأفة واللُّطفِ والعطف والإحسان.

وقد اشتمل ذِكْرُ اللهِ تعالى والرَّحمنِ والرَّحيمِ على القسمَين.

والحمدُ على قسمين[٢]: حمدٌ على ذاته وصفاته، وحمدٌ على آلائه ونعمائه، وقد اشتملَ قوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ على الوجهين.

والعالَمُ يتنوَّع نوعين: عَالم الفَناء، وعَالَم البقاء[٣]، وقد اشتمل قوله: ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ على النوعين.

والرحمةُ على ضَربين: رحمةٌ في الدنيا، ورحمةٌ في الآخرة، أو يقال: رحمةٌ عامةٌ ورحمةٌ خاصةٌ، وكذلك ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ يعمُّ[٤] الضَّربين.

والدِّين: الجزاء، وهو على شيئين: على الطاعة بالثواب، وعلى المعصية بالعقاب، ودلَّ قوله: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ على الشيئين.

والطاعةُ نوعان[٥]: عبادةٌ وعبوديةٌ[٦]، ودلَّ قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ على النوعين[٧].

---

(١) في (أ) و(ف): «بها».

(٢) في (أ) و(ف): «وجهين».

(٣) في (ف): «عالم للبقاء وعالم للفناء».

(٤) في (أ): «ودل ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ على»، بدل: «وكذلك ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ يعم».

(٥) في (ف): «صنفان».

(٦) في (أ): «وعبودة».

(٧) في (ف) و(أ): «الصنفين».

والاستعانةُ تكون على أمرَيْن: على تحصيل الخير، وعلى تَرْك الشَّرِّ، ودلَّ قوله تعالى: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ على الأمرَيْن.

والفِرَق الضالَّة فرقتان[١]: جَبْرِيَّةٌ وقَدَرِيَّةٌ، ودلَّ قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ على ردِّ الفرقتَيْن.

والهدى: بيانٌ وإرشادٌ، ودلَّ قوله: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ على الوصفين.

والمهديُّون قومان: الأنبياءُ، والأولياءُ، ودلَّ قوله: ﴿ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ على القومَيْن.

والمخالفونَ حِزبان: كفارٌ ومُبتدِعون، ودلَّ قوله: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ على الحزبين.

وبالفارسية: (نامش مثاني أزيهر دويه معاني حمد دونه صفات سذا وبر آلاء ونعماء، وعالم ذو عالم فناء وعالم بقاء، وآثر رحمت ذو بدنيا وبعقبا ومراد وبدونا وبرجفا وعبادت ذو يشيده وبيدا واستعانت برد ومراداه أمر وتحمل قضاء وهدايت ذو ثبات واتبداء وصراط دو راه سعداه وراه أشقياء وأشقياء دو يهود ونصارى)[٢].

وقال رسولُ اللهِ ﷺ[٣] لأُبيِّ بنِ كعب: «إنِّي لأرجو أنْ لا تخرجَ مِن بابِ

---

(١) في (أ): «فرقة».

(٢) الكلام الفارسي من (أ) و(ف) على اختلاف في الرسم، والمثبت من (ف)، وفي هامشها: «تعريب: سميت مثاني لتثنية المعاني فيها: الحمد اثنان على صفاته العلى وعلى النعم والآلاء، والعالم اثنان: عالم الفناء وعالم البقاء، وأثر رحمته اثنان: في الدنيا وفي العقبى، وجزاؤه اثنان: الثواب والعقاب، العبادة اثنان: في سر وإعلان، والاستعانة نوعان: على أداء الأداء واحتمال مر القضاء، والهداية نوعان: ثبات وابتداء، والصراط اثنان: للسعداء والأشقياء، والأشقياء نوعان: اليهود والنصارى».

(٣) في هامش (ف): «فقال النبي عليه الصلاة والسلام».

المسجدِ حتى تَعلم سورةً ما أُنزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في القرآنِ مثلُها»، قال أُبيٌّ: فجعلتُ أُبطئ في المشي رجاءَ ذلك، ثم قلتُ: يا رسولَ الله! السورةَ التي[1] وعَدْتني، قال: «كيف تقرأ إذا افتتحتَ الصَّلاةَ»، فقرأتُ عليه: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، فقال النبيُّ ﷺ: «هي هذه السورة؛ وهي السَّبعُ المثاني والقرآنُ العظيم الذي أُعطيتُ»[2].

ورُوي: أنَّ عيراً قَدمت مِن الشام لأَبي جهلٍ بمالٍ عظيمٍ، وهي سَبْع فرقٍ، ورسولُ الله ﷺ وأصحابه يَنظرون إليها، وأكثرُ الصحابة بهم جوعٌ وعريٌ، فخطر ببالِ النبيِّ ﷺ شيءٌ لحاجة أصحابه[3]، فنزلَ قولُه تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى﴾؛ أي: مكانَ سبعِ قوافلَ لأبي جهلٍ، ﴿وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦ﴾؛ أي: هذا أبو جهلٍ لا يَنظرُ إلى ما أعطيناكَ مع جلالةِ هذه العطيَّةِ، فلمَ تَنظر إلى ما أَعطيناه[4] وهو متاعُ الدنيا الدنيَّة؟ وعَلِمَ اللهُ تعالى أنَّ تمنِّيَه لم يكن لنفسِه بل لأصحابه، فقال: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ وأَمَره بما يزيدُ نفعُه على نفعِ المال، فقال: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر: ٨٧ ـ ٨٨]، فإنَّ تواضعَك أطيبُ لقلوبهم مِن ظَفَرهم بمحبوبِهم.

وأمَّا سورةُ الحمد: فلأنَّها[5] افتُتحت بالحمد، وفيها أمرٌ بالحمد، وتعليمُ كيفيَّةِ

---

(١) في (ر): «الذي»، بدل: «السورة التي».

(٢) رواه بهذا اللفظ مالك في «الموطأ» (١/ ٨٣)، وهذه القصة شبيهة بقصة أبي سعيد بن المعلى عند البخاري (٤٤٧٤)، وانظر ما جاء في الجمع بينهما في «فتح الباري» (٨/ ١٥٧).

(٣) في (ر): «لأصحابه»، بدل: «لحاجة أصحابه».

(٤) في (ف) و(أ): «أعطيته».

(٥) بعدها في (أ): «لما».

الحمد، وبيانُ أنَّ اللهَ تعالى مستحقُّ الحمد، وبدايةُ القرآن بالحمد، وخَتْمُ كلام أهلِ الجنَّة بالحمد.

والحمدُ المذكور في القرآن على سبعةٍ في الدنيا، وعلى سبعةٍ في العقبى:

أمّا التي في الدنيا:

فالحمد على الدِّين والهداية: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: ٢ ـ ٣].

وعلى البيان والدلالة: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [الأنعام: ١].

وعلى الوحي والرسالة: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ [الكهف: ١].

وعلى المصالح والنِّعمة: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [سبأ: ١].

وعلى النُّقصان والزيادة: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [فاطر: ١].

وعلى إهلاكِ ظَلَمة الأمَّة: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: ٤٥].

وعلى حِفْظ العالَم والمملكَة: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [الجاثية: ٣٦].

وأمّا في الآخرة:

فإنَّ أهلَ القبور إذا بُعثوا وبقُوا قياماً في القبر ثلاثَ مئةِ سنةٍ قد ألجمهم العَرَق، ثم دُعوا إلى الحساب حَمدوا، قال الله تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ [سبأ: ١].

والثاني: إذا فَرغوا مِن الحساب حمدوا، قال تعالى: ﴿وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [الزمر: ٧٥].

والثالث: إذا مُيِّز عند الطريقين أهلُ السَّعادة من أهلِ الشقاوة حمدوا، فقالوا: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المؤمنون: ٢٨].

والرابع: إذا مرُّوا على الصِّراط ووجدوا رائحةَ الجنَّة ونَظروا إليها، قالوا: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا﴾ [الأعراف: ٤٣].

والخامس: إذا دخلوا الجنَّة قالوا: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ﴾ [الزمر: ٧٤].

والسادس: إذا صَعدوا على الدَّرجات فأَمِنوا[١] الحَزَن قالوا: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ﴾ [فاطر: ٣٤].

والسابع: إذا رأَوا[٢] ربَّهم عزَّ وجلَّ بغيرِ كيفٍ حمدوا، قال الله تعالى: ﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [يونس: ١٠].

وأمَّا أساسُ القرآن: فقد رويَ: أنَّ رجلاً أَتى الشعبيَّ فشكا إليه وَجَعَ الخاصرةِ، فقال: عليك بأساسِ القرآن، قال: وما أساسُ القرآن؟ قال: فاتحةُ الكتاب، سمعتُ عبدَ الله بنَ عباس رضي الله عنهما غيرَ مرَّةٍ يقول: إنَّ لكلِّ شيءٍ أساساً؛ فأساسُ الدنيا مكَّةُ؛ لأنَّ[٣] منها دُحِيت الأرضُ، وأساسُ السماوات غريبٌ وهي السماءُ السابعةُ العليا، وأساسُ الأرض عجيبٌ[٤] وهي الأرضُ السابعةُ السفلى، وأساسُ الجِنان جنَّةُ عَدْنٍ وهي سُرَّةُ[٥] الجِنان، عليها أُسِّست الجِنانُ، وأساسُ النار[٦] جهنَّم وهي

---

(١) في (ف) و(أ): «وأمنوا».

(٢) في (ر): «نظروا».

(٣) في (أ): «لأنها».

(٤) كما في «تفسير القرطبي» طبعة التركي.

(٥) في (أ): «سورة»، وفي (ر) و(ف): «سور»، والمثبت من المصادر.

(٦) في (ر): «النيران».

الدَّرَكةُ السابعةُ السفلى؛ عليها أُسِّست الدَّرَكات، وأساسُ الخَلْقِ آدمُ عليه السلام، وأساسُ الأنبياءِ نوحٌ، وأساسُ بني إسرائيل يعقوبُ عليه السلام، وأساسُ الكتبِ القرآنُ، وأساسُ القرآنِ فاتحةُ الكتاب[1]، وأساسُ الفاتحةِ بسم الله الرَّحمن الرَّحيم، فإذا اعتَلَلتَ أو اشتكَيتَ فعليكَ بالأساسِ تشفى بإذنِ اللهِ تعالى[2].

وأمّا[3] سورةُ الشفاء: فلهذا قال النبيُّ ﷺ: «إنَّ في سورةِ الفاتحة[4] سبعين شفاءً»[5].

وروى أبو سعيدٍ الخُدْريُّ عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: «فاتحةُ الكتاب شفاءٌ مِن كلِّ سُمٍّ»[6]، وفي روايةٍ: «شفاءٌ[7] مِن كلِّ داءٍ إلَّا السَّامَ»[8] وهو الموتُ.

وحديثُ قراءةِ النبيِّ ﷺ الفاتحةَ على مقطوع اليد وبُرء يده مشهورٌ[9].

---

(١) في (أ): «الفاتحة».

(٢) رواه الثعلبي في «تفسيره» (١/ ١٢٨)، وذكره القرطبي في «تفسيره» (١/ ١٧٤).

(٣) في (أ) و(ف): «فأما».

(٤) في (أ): «فاتحة الكتاب».

(٥) لم أجده.

(٦) رواه سعيد بن منصور في «سننه» (١٧٨ ـ تفسير) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعاً، وإسناده ضعيف جدًّا. وانظر ما رواه البخاري (٥٠٠٧)، ومسلم (٢٢٠١)، من حديث أبي سعيد رضي الله عنه.

(٧) «شفاء»: من (أ).

(٨) رواه الدارمي في «سننه» (٣٣٧٠) عن عبد الملك بن عمير عن النبي صلى الله على وسلم مرسلًا. ورواه الثعلبي في «تفسيره» (١/ ١٢٩) بإسناد منقطع أيضاً. وليس فيهما: إلا السام.

(٩) في (ر): «وبرئه مشهور». ولم أجده.

وحديثُ قراءة جماعةٍ مِن الصحابة على مجنونٍ هذه السورةَ وإفاقتِه مأثورٌ[١]، وهِبَةُ قومِه لهم غنماً كثيرةً معروفٌ[٢].

وأمَّا[٣] **سورةُ الصلاة**: فلقولِ النبيِّ ﷺ: «يقولُ الله تعالى: قَسمتُ الصلاةَ بيني وبين عبدي نصفين» وقد روَيناه.

وتسميتُها صلاةً لوجوهٍ:

أحدها: أنَّ الصلاةَ هي القراءةُ، قال اللهُ تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ [الإسراء: ١١٠]، فمعنى قوله: «قسمتُ الصلاةَ»؛ أي: قراءةَ هذه السورة.

والثاني: أنَّ الصلاةَ هي الثناءُ، قال اللهُ تعالى: ﴿يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ﴾ [الأحزاب: ٥٦] وهي الدُّعاءُ أيضاً، قال اللهُ تعالى: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ١٠٣] وهذه السورة ثناءٌ ودعاءٌ.

والثالث: أنَّ كمالَ الصلاةِ وجَمَالَها بهذه السورة، فسُمِّيت هذه السورةُ صلاةً؛ فإنَّها كلَّها هي تعظيمٌ لها[٤].

وفي فَضْل هذه السورةِ أحاديثُ كثيرةٌ:

منها: قوله ﷺ: «هذه السورةُ لو كانت في التوراة لَمَا تهوَّد قومُ موسى، ولو

---

(١) «مأثورٌ»: سقط من (أ) و(ف).

(٢) رواه أبو داود (٣٨٩٦)، والثعلبي في «تفسيره» (١/ ١٢٩) من حديث عم خارجة بن الصلت، وإسناده حسن. ورواه الإمام أحمد في «المسند» (١٠٩٨٥) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه في قصة أخرى، ورواه البخاري (٢٢٧٦)، ومسلم (٢٢٠١)، من حديث أبي سعيد في قصة اللديغ بنحو قصة المجنون.

(٣) في (ر): «وأما قول تسميتها».

(٤) في (أ): «كأنها هي كلها تعظيماً لها»، وفي (ف): «كأنها كلها هي تعظيماً لها».

كانت في الإنجيل لما تنصَّر قوم عيسى، ولو كانت في الزَّبور لما مُسخ قومُ داود، وأيُّما مسلمٍ قَرَأها أعطاهُ اللهُ جلَّ جلاله مِن الأجر كأنَّما قَرأَ القرآنَ كلَّه، وكأنَّما تصدَّق على كلِّ مؤمنٍ ومؤمنةٍ»[1].

ثم هذه السورة سبعُ آياتٍ، وأبوابُ جهنَّم سبعةٌ، مَن قرأها أُغلقتْ عنه أبوابُها السبعةُ، وكلُّ بابٍ منها عَرْضُه كعَرْض السماءِ والأرض سبعَ مرَّاتٍ[2]، وبساطُ هذا البناء الأرضونَ السبعُ، وأهلُها بنو آدم وتاراتُهم[3] سبعٌ؛ أي[4]: خُلِقوا مِن سلالةٍ مِن طينٍ، ثم من[5] نُطفةٍ، ثم عَلَقةٍ، ثم مُضغةٍ، ثم عظامٍ، ثم لحمٍ، ثم يُنشَأ خلقاً آخَرَ، وإذا وُلد الإنسانُ فهو طفلٌ، ثم صبيٌّ، ثم مراهقٌ، ثم بالغٌ، ثم شابٌّ، ثم كهلٌ، ثم شيخٌ.

ورِزْقه في هذه الأحوال مِن سبعٍ: قال الله تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ﴾ إلى قوله: ﴿حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا﴾ الآية [عبس: ٢٤ ـ ٢٨].

وهو مأمورٌ أنْ يقولَ كلماتِ الشهادة، وهي سبعٌ: لا إلهَ إلَّا اللهُ محمدٌ رسول الله، وهي إقرارٌ بربوبيَّةِ مَن[6] أوجد الأشياءَ وأَخبر عن وجودِها بسبعةِ أحرفٍ: كُن، فيكون.

---

(١) لم أجده.

(٢) في (أ) و(ف): «كعرض السماء والسماوات سبع».

(٣) في (أ): «وماراتهم»، وفي (ف): «وحالاتهم».

(٤) «أي» زيادة من (ف).

(٥) في (ر): «هي» وسقطت من (ف).

(٦) في (ف): «بربوبيته» بدل من «بربوبية من».

وجعلَ مُضيَّ عمرِهم في[١] سبعةِ أيَّامٍ وهي أيَّام الجمعة، وجعل مدَّة أيام الدنيا سبعةَ آلافِ سنةٍ[٢].

فمَن قَرأ معتقِداً معظِّماً هذه الآياتِ السبعَ، أَعتق جوارحَه السبعَ عن عقوباتِ الدَّرَكات السبعِ، وأُعطي حسناتٍ مِلءَ السماواتِ السبعِ والأرضينَ السبعِ، ووصلت بركتُه إلى أهلِ الأقاليمِ السبعةِ، وبُوركَ له في أرزاقِه السبعةِ[٣]، وحُفظَ في أحوالِه السبعِ، وثبَّته[٤] اللهُ تعالى على كلماتِه السبعِ، ووصلَ إلى السعادةِ الأبديَّة عند مضيِّ هذه الأدوارِ السبعةِ، وأَمِنَ مِن الأخطارِ السبعةِ، وهي بالفارسية: (خطر عافيب كه بر كفر بود بأمر مسلماني، وخطر كوركه نوراني بود با ظالماني، وخطر سؤال كه جواب صواب كفتن تواني بان تواني، وخطر بعد كه رويت بالسياهي نود نا نار حشاني، وخطر حساب كه سلامت نابي نادر مالي، وخطر وزن أعمال كه بكه طاعات يا سكي موديا يا كو لك، وخطر دوراه كه جهنمي سوى يا حباني جون ابن آيات نا تعظيم برخواني خونشتر وأرين أخطاء تفصيل ورحمت ولي برهاني)[٥].

---

(١) في (ف) و(أ): «على».

(٢) لا صحة لهذا التقدير ولا لأمثاله في عمر الأرض، ولا دليل على شيء منه.

(٣) في (ف): «السبع».

(٤) في (أ) و(ف): «ويثبته».

(٥) في هامش (ف): «تعريبه: الأخطار السبعة: أولها: خطر العاقبة؛ على الإيمان يُختم أمره أم على الكفر، والثانية: خطر القبر، فكونها مظلمة أو منورة، والثالثة: خطر جواب مُنكَر ونَكير وسؤال منكر ونكير؛ يُجيب صواباً أم خطأً، ورابعها: خطر البعث؛ بأن يبيضَّ وجهه أم يسودَّ، وخامسها: خطر الحساب؛ ليسلم منه أو يتعلَّل، وسادسها: خطر الميزان؛ كفة طاعاته ثقيلة أو خفيفة، وسابعها: خطر الطريقين؛ يُساق إلى جهنَّم أو يُهدى إلى الجنة، فإذا قَرأ القرآنَ ـ أي: السبع الآيات ـ بتعظيمٍ واعتقادٍ، خلَّص نفسَه مِن هذه الأخطار بفَضْل الله ورحمته».

وقالوا: خيارُ المسلمين سبعةُ أصنافٍ: الحامدونَ، والراجون، والخائفونَ، والمخلِصون، والمتوكِّلونَ، والمستقيمون، والعارفونَ.

وفي هذه السورة نصيبٌ لكلِّهم؛ فقولُه: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ على نصيبِ الحامدين، وقوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ على نصيبِ الراجين[1]، وقولُه: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ على نصيبِ الخائفين، وقولُه: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ على نصيبِ المُخلِصين، وقولُه: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ على نصيبِ المتوكِّلين، وقولُه: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ على نصيبِ المستقيمين. وبقيَّةُ السورة على نصيبِ العارفين.

وقولُه تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ قال ابنُ عبَّاس رضي الله عنهما؛ أي: الشُّكر للهِ بما صَنَعَ إلى خَلْقه[2].

وفي روايةٍ قال: أي: الشكرُ لله الذي[3] جادَ على العبادِ بسوابغ النِّعم ومواهبِ القِسَم.

وقال أُبيُّ بنُ كعبٍ: أي: الشكرُ للهِ على الأشياءِ كلِّها.

وقال مجاهد: أي: الشكرُ للهِ على جميع نَعْمائه ديناً ودُنيَا.

وقال عطاء: أي: على نعمائه ظاهرةً وباطنةً.

وقال أبو عبيدةَ: الحمد لله؛ أي: الثناءُ لله.

---

(١) في (ر): «الراحمين».

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (١/ ٣٥٨)، ورواه بنحوه الطبري في «تفسيره» (١/ ١٣٦).

(٣) قوله: «وفي رواية قال أي الشكر لله الذي»، كذا العبارة في (أ)، ووقع بدلاً منها في (ر): «أيضاً أي»، وفي (ف): «وفي رواية قال أي الشكر لله بما صنع إلى خلقه أيضاً أي الذي».

وقال ابنُ الأنباري: الحمدُ مقلوبُ المدح[١].

وقيل: الحمدُ: الثناءُ بالجميل والاعترافُ للمُنعِم.

وقيل: الحمدُ معرفةُ الإحسانِ ونشرُه.

والكلامُ الجامعُ فيه: أنَّ الحمدَ يُذكَر لمعانٍ أربعةٍ:

أحدها: الثناءُ بالأفعالِ الحسنةِ، يقال: حَمدتُه على فعلِ كذا، فمعنى ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ على هذا؛ أي: الثناءُ عليه في كلِّ ما فعلَ؛ أماتَ أو أحيى، أَفقر أو أَغنى، أَعزَّ أو أَذلَّ، أَكثَرَ أو أقلَّ، أَبلى أو ابتلى، أَبهج أو أَشجنَ[٢]، وكذا غيرُه[٣]، فإنَّ جميعَ ما يفعله عدلٌ وحكمةٌ وعاقبتُه حميدةٌ.

والثاني: الحمدُ بمعنى الشكر، يقال: حَمدتُه على إنعامِه، فمعنى ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ على هذا؛ أي: الشكرُ للهِ على نِعَمه التي لا تُحصى ومِنَنه التي لا تُنسى، فقد قال تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [النحل: ١٨] فكلُّ النِّعَم منه، فقد قال: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣].

والثالث: الحمدُ بمعنى الرضى، يقال: حمدتُ سيرةَ فلانٍ ومذهبَه، فمعنى الحمدِ على هذا؛ أي: رضيتُ بحُكمه وقضيَّته وتقديرِه وقسمتِه، فلا اعتراضَ على فِعْله، ولا إعراضَ عن حُكمه، وكيف[٤] وقد قال: «مَن لم يرضَ بقضائي،

(١) انظر: «تفسير الثعلبي» (١/ ١٠٨).

(٢) في (ر): «أو أشجى». والشجن والشجى: الحزن.

(٣) في (ر) و(ف): «وكذا يجب»، والمثبت من (أ) ولعل معناه: وكذا غير ما ذكر.

(٤) «وكيف»: سقط من (أ)، وفي (ف): «كيف».

ولـم يَصبـر على بلائي، ولـم يَشـكر علـى[1] نعمائـي، فليَطلب ربًّا سـوائي»[2].

والرابـع: الحمـدُ بمعنى المدحِ بالصِّفات الحسـنى، يقال: حَمِـدتُ فلاناً على فَضْلـه وعلمِـه، ووقـاره وحلمِـه، وجُـودِه وسـماحتِه، وبأسِـه وشـجاعتِه، ومعنـى ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ علـى هـذا؛ أي: المـدحُ للهِ علـى صفاتـه الحسـنى، فهـو اللهُ الرَّحمنُ الرَّحيـمُ، العلـيُّ العظيـمُ، العزيـزُ الحكيـمُ، القديرُ القديـمُ، الغنـيُّ الكريمُ، السَّـتَّارُ الحليـمُ.. إلـى تمامِ أسـمائِه الحسـنى.

والألفُ واللامُ في ﴿ٱلْحَمْدُ﴾ لاستغراقِ الجنس، فيصيرُ على مجموعِ المعاني الأربعةِ كأنَّ العبدَ يقول: أُثني على اللهِ بكلِّ أفعاله فهي جميلةٌ، والشُّكر[3] له على كلِّ نَعمائه فهي جزيلةٌ، وأرضَى بكلِّ أقضيته فهي حميدةٌ، وأَحمدُه بكلِّ صفاته فهي جليلةٌ.

(سنا خداي راسزدكه جرهه كند حكمت آست شكر ورا واجب شودكه أروى في سما ونعمة آست رضا بقائي ناي ور آست اي نا ورا مالي)[4].

---

(١) «على»: زيادة من (أ).

(٢) رواه ابن حبان في «المجروحين» (١/ ٣٢٧). وقال العراقي في «تخريج أحاديث الكشاف» (٢/ ١٠٥٨): إسناده ضعيف.

(٣) في (أ): «وأشكر».

(٤) في هامش (ف): «تعريبه: الثناء يستحقه الله تعالى لأن جميع أفعال محكمة وفيها حكمة له بالغة، والشكر له واجب لأن النعم التي لا تحصى منه بدت ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ فهو المنعم لا غير، فالشكر له مطلقاً، والرضا بقضائه لازم؛ لنفاذ مشيئته على العموم، والمدح ينبغي أن يكون له لا لغيره لأن صفاته جميعها لا تعبر بالمدح والحمد، فمَن لازَمَ على ثنائه يجازيه الله تعالى بالثناء عليه، ومن واظب على الثناء يتجدد له العطاء، ومن رضي منه مطلقاً رضي الله عنه، ومن استقام في محبته يجده على قدر محبته ومعرفته بلا كيف».

وقال الإمامُ أبو منصورٍ رحمه الله: احتمَل أن يكون اللهُ تعالى حَمدَ نفسَه ليُعلِمَ الخَلْقَ استحقاقَه[١] الحمدَ بذاتِه فيَحمدوه، ويحتمِل أن يكون على إضمارِ الأمرِ؛ أي: قولوا: الحمدُ للهِ، وهو أمرٌ بتوجيه الشُّكر إليه؛ لأنَّ النِّعَم منه، وذلك يتضمَّن الأمرَ أيضاً بكلِّ المُمكن مِن الطَّاعات، على ما روي عن النبيِّ ﷺ: أنَّه صلَّى حتى تورَّمت قَدماهُ، فقيل له: قد غَفرَ اللهُ لكَ ما تقدَّم مِن ذنبك وما تأخَّر؟! قال: «أفَلا أكونَ عبداً شكوراً»[٢]، فصيَّر أنواعَ الطاعات شكراً له[٣].

وتكلَّموا في قوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ أنَّه على الأمرِ به، أو على الإخبارِ، أو على الابتداءِ:

قال بعضهم: هو على الأمرِ؛ أي: قولوا: الحمدُ لله، وإضمارُ القولِ ثابتٌ في كثيرٍ مِن الآيات؛ قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ﴾ [البقرة: ١٢٧]؛ أي: قالا ربَّنا.

وقال: ﴿وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُم﴾ [الزمر: ٧٣]؛ أي: يقولون: سلامٌ عليكم.

وقال: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم﴾ [آل عمران: ١٠٦]؛ أي: يقال لهم: أكَفرتم بعد إيمانِكم.

ويدلُّ على هذا الإضمارِ قولُه: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ولا بدَّ هاهنا مِن إضمارِ: قولوا.

---

(١) في (ر): «استحقاق».

(٢) رواه البخاري (١١٣٠)، ومسلم (٢٨١٩)، من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه.

(٣) انظر: «تأويلات أهل السنة» لأبي منصور الماتريدي (١/ ٣٥٨ ـ ٣٥٩).

وقد أُظهر ذلك في قوله: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [الإسراء: ١١١]، وهذا تعليمٌ مِن الله عزَّ وعلا لعباده كيفيةَ حمدِه وثنائِه.

وقال بعضُهم: هو على الإخبارِ؛ ومعناه: أنَّ حمدَ جميعِ الحامدين ومدحَ جميعِ المادحين وشكرَ جميعِ الشاكرين وذِكْرَ جميعِ الذاكرين للهِ عزَّ وجلَّ، وبالفارسية: (حمد خداي داما نداي راشيد وخداي راسد ها وجن وردل نشود).

وذلك لأنَّ المُنعِم هو اللهُ تعالى، فالشكر له، قال اللهُ تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ ومَن أنعمَ عليكَ مِن خَلْقه فبتوفيقِه وعونِه، وأمَّا الابتداءُ فحمدٌ[١] مِن الله تعالى لنفسِه لأنه يحبُّ الحمد.

قال النبيُّ ﷺ: «لا أحدَ أحبُّ للمدح مِن الله تعالى؛ فلذلك مَدَح نفسَه فقال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾»[٢].

وقال أصحابُ المعاني: حَمدَ اللهُ تعالى نفسَه فقال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾، واستَحمَدَ مِن خَلْقه فقال: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [النمل: ٥٩]، ونزَّه نفسَه فقال: ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ﴾ [المؤمنون: ٩١] واستَنْزه مِن خَلْقه فقال: ﴿وَسَبِّحُوهُ﴾ [الأحزاب: ٤٢]، وشَهدَ بوحدانيتِه فقال: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [آل عمران: ١٨] واستَشْهَد مِن خَلْقه فقال: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الصمد: ١]، وأَظهر بذلك محبَّتَه الحمدَ[٣] والتنزيهَ والشهادةَ.

ولأنَّه لمَّا خَلَقَ الخلقَ وربَّاهم، وفهَّمهم وهداهم، وجبَ عليهم شكرُه بذلك

---

(١) في (أ): «بحمد».

(٢) رواه بنحوه الطبري في «تفسيره» (١/ ١٣٧) عن الأسود بن سريع، وإسناده منقطع. ورواه البخاري (٤٦٣٤)، ومسلم (٢٧٦٠)، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه بلفظ: «ليس أحدٌ أَحبَّ إليه المدحُ من اللهِ من أَجْلِ ذلك مَدحَ نَفْسَه».

(٣) في (ف): «للحمد».

وبسائر نِعَمه، وعَلِمَ عجزَهم عن شكرِه على الكمال، أتمَّ الإفضال؛ بأنْ حمدَ نفسَه بنفسِه، وناب عنهم في شُكره بقوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾.

وهذا كما يصلِّي على النبيِّ ﷺ بسؤالنا عنَّا: اللَّهمَّ صلِّ على محمَّدٍ، مع أنَّه أَمَرَنا بالصلاةِ عليه؛ لعَجْزنا[1] عن الصلاةِ على ما يستحقُّه.

وهذا كما يُخاطِب الملوكَ المنازِعينَ له في ملكِه بعد فناءِ خَلْقه: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾؛ تقريعاً لهم، ويَعلم أنَّ أولياءَه لو كانوا أحياءً لأَجابوا، فينوبُ عنهم بقوله: ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾.

ولأنَّه أَظهر لخَلْقه[2] أنَّ الحمدَ الذي هو له على الكمالِ، هو الحمدُ الذي حمدَ به نفسَه لا حَمْدُهم إيَّاه، فإنَّهم مُحدَثون عاجزون؛ لم يكونوا فكانوا، ولا يكونون بعد أنْ كانوا، فكيف يكون حمدهم كفاءً لحقِّه[3]؟

ولأنَّ حمدَهم معلولٌ؛ فإنَّهم[4] يَطلبون به[5] إدامةَ الموجود ووجودَ المفقود، فلا يَخلُصُ[6] لهم[7]، واللهُ تعالى حمدَ نفسَه في الأَزَل، وهو حقٌّ، وحمدُه حقٌّ، وأَمَرَ عبادَه أن يَحمدوه؛ ليصير حمدُهم الحادثُ المَجازيُّ[8] بالحمد الأزليِّ الحقيقيِّ صالحاً مرضيًّا مقبولاً.

---

(١) في (ف): «مع عجزنا».

(٢) في (أ) و(ف): «للخلق».

(٣) في (أ): «كفاة كفه»، وفي (ف): «كفؤا لحقه».

(٤) في (ر): «لأنهم».

(٥) في (ف): «منه».

(٦) في (ر) و(ف): «مخلص».

(٧) في (أ) و(ر): «له».

(٨) في (أ): «المحاذي».

وهـذا كما شَـهِدَ بوحدانيَّته في الأَزَل وأَمَرَ عبادَه بأن يَشـهدوا لـه بالوحدانيَّة، وجعـل شـهادتَهم الحادثـةَ الموقَّتـةَ بشـهادته الأزليَّـةِ الدائمـةِ صالحـةً مرضيَّـةً مقبولـةً، ووَعَدهـم عليهـا ثـوابَ الأَبَـد مـع أنَّهـا منهـم موقَّتـةٌ؛ لأنَّهـا شـهادةٌ لله بمـا شـهد هو بها[١] لنفسـه، وهـي أزليَّةٌ دائمـةٌ على الأَبَـد، فلذلك وَعَدهـم عليها ثـوابَ الأبدِ.

وعلى الوجوه الثلاثة؛ لا وجهَ لامتناعِكَ عن الحمد بحالٍ، فإنَّه إنْ حُمل على الأمر فعليكَ الائتمارُ، وإن حُمل على الإخبار عن استحقاقه الحمدَ فعليكَ الدَّوامُ عليه والاستكثار، وإنْ حُمل على الابتداء ـ وهو حمدُه[٢] نفسَه ـ فلا وجهَ للمخالفةِ والاستكبارِ[٣].

وكيف[٤] تُخْلي ساعةً مِن عُمرك عن حمدِه وشكرِه، ولا تَخلو لحظةٌ عن إنعامِه وبرِّه؟!

فإن قيل: لم حَمد اللهُ تعالى نفسَه، ومِثْلُه في الخَلْق غيرُ محمودٍ؟

فجوابه ما قاله[٥] الإمامُ أبو منصورٍ رحمه الله: له وجهان:

أحدهما: أنه استحقَّ الحمدَ بذاتِه لا بأحدٍ، فيكونُ[٦] في ذلك تعريفُ الخَلْق ما

---

(١) في (ر): «لله لما شهِده وبها»، وفي (ف): «الله بما شهد هو بها».

(٢) في (ر): «حمد».

(٣) في (ر) و(ف): «والاستنكار».

(٤) في (ف): «فكيف».

(٥) في (أ): «ما قاله الشيخ»، وفي (ر): «ما قال».

(٦) في (أ): «يكون». وفي «التأويلات»: «ليكون».

يُزلفُهم لديه، ليُثنوا[١] عليه بما أثنى هو[٢] على نفسِه، وغيرُه إنَّما يكون له ذلك بالله تعالى، فعليه توجيهُ الحمدِ إليه لا إلى نفسِه.

والثاني: أنَّ اللهَ تعالى حقيقٌ لذلك؛ إذ لا عيبَ يمسُّه ولا آفةَ تَحلُّ به فيَدخلَ نقصانٌ في ذلك، ولا هو مأمورٌ بشيءٍ، والعبدُ لا يَخلو عن عيوبٍ وآفاتٍ، ويُمدح بالائتمار، ويُذمُّ بالترك، ويتمكَّن به[٣] فيه النقصانُ، وحُقَّ لمثلِه الفَزَعُ إلى اللهِ تعالى ليتغمَّده برحمته.

وعلى ذلك: التكبُّرُ يُحمَد به اللهُ تعالى ولا يُحمَد به غيرُه؛ إذ ليس للعبد معنًى يَستقيم لذلك تكبُّره[٤]، إذ هم جميعاً أكفاءُ مِن طريق الخِلْقة والمحنة[٥]، وما أَدرك واحدٌ منهم مِن فضيلةٍ أو رِفعةٍ، فبالله[٦] أَدركه لا بنفسِه، فعليه تنزيهُ الرَّبِّ تعالى، والفَزَعُ إليه بالشُّكر، لا بالتكبُّر على أمثاله، واللهُ ـ تعالى ـ عن هذا الوصف مُتعالٍ[٧].

وتكلَّموا في الفَرْق بين الحمدِ والشُّكرِ[٨]:

---

(١) في (ر): «فيثنوا».

(٢) «هو»: ليست في (ر).

(٣) «به»: ليست في (ر). وعبارة «التأويلات»: (وفي ذلك تمكن النقصان).

(٤) في (أ) و(ف): «يستقيم لذلك بكثرة». وعبارة «التأويلات»: (يستقيم معه تكبره).

(٥) عبارة «التأويلات»: (من طريق المحبة والخلق)، ولعل لفظ (المحنة) الوارد في النسخ قد تحرف عن لفظ (المحبة).

(٦) في (ر): «فمن الله وبالله»، بدل: «فبالله».

(٧) انظر: «تأويلات أهل السنة» لأبي منصور الماتريدي (١/ ٣٥٧ ـ ٣٥٨).

(٨) انظر الأقوال في ذلك في: «معاني القرآن» للنحاس (١/ ٥٧) وما بعدها، و«تفسير الثعلبي» (١/ ١٠٨) وما بعدها.

فقيل: الحمدُ بالقولِ، قال اللهُ تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ [الإسراء: ١١١] والشُّكرُ بالعملِ، قال اللهُ تعالى: ﴿ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا﴾ [سبأ: ١٣].

وقيل: الحمدُ باللسان، والشكرُ بالجَنان، وتحقيقُ الشكر بالأركان.

وقيل: الحمدُ لله[١] على وجودِه، والشُّكرُ له على جُودِه.

وقيل: الحمدُ: الثناءُ عليه بما[٢] هو به، والشكرُ: الثناءُ عليه لِمَا[٣] هو منه.

وقيل: الحمدُ على الجلالِ والجمالِ، والشكرُ على الإنعامِ والإفضال.

وقيل: الحمدُ على ما حَبَا وهو النعماء، والشكرُ على ما زَوَى وهو الآلاء.

وقيل: الحمدُ على النِّعم الظاهرة، والشكرُ على النعم الباطنة.

وقيل: الحمدُ ابتداءً، والشكرُ جزاءً.

وقيل: الحمدُ بصفاتِه الحسنى، والشكرُ بصنائِعه الكُبرى.

وقيل: الحمدُ مقلوبُ المدح، والشكرُ مقلوبُ الكَشْر، وهو انفتاحُ الشَّفتَيْن بالضَّحك حتى تبدوَ الأسنانُ، فالشكرُ[٤] انكشافُ الغطاءِ عن القلب حتى يعرفَ المنَّة مِن المنَّان.

وقيل: الحمدُ هو الثناءُ بعموم النِّعمة، والشكرُ هو الثناءُ بخصوص النِّعمة.

وقيل: الحمدُ أخصُّ مِن الشكرِ لفظاً وأعمُّ معنًى، والشكرُ أعمُّ منه لفظاً وأخصُّ معنًى، فإنَّك تقول: الحمدُ لله، ولا تقول: الحمدُ لفلانٍ، فهذا خصوصُ

---

(١) «لله»: ليس في (أ) و(ف).

(٢) في (ر): «مما».

(٣) في (أ): «بما».

(٤) في (أ) و(ف): «والشكر».

اللفظ، وتقول: الشكرُ للهِ والشكرُ لفلانٍ، فهذا عمومُ اللفظ، ثم الحمدُ يُوضَع موضعَ الشكرِ، فيقالُ: حَمدتُه على صفاتِه الجليلة، وحَمدتُه أيضاً على صنائعِه الجزيلةِ، والشكرُ لا يُوضَع موضعَ الحمدِ، فيقالُ: شكرتُ له على آلائِه ونعمائِه، ولا يقالُ: شكرتُ له على علائه وكبريائه، فكان كلُّ شكرٍ حمداً، ولم يكن كلُّ حمدٍ شكراً.

وبالفارسية: (الحمد لله استايش همه استانيد كان وراي منتهي، والشكر لله ساس همه دارند كان ورابد همة منتهي)[1].

وقال قتادةُ: إنَّ الله تعالى افتتحَ بالحمدِ[2] حين خَلَقَ السماواتِ والأرضَ، فقال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [الأنعام: ١] وختمَ بالحمد فقال: ﴿وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الزمر: ٧٥][3]، فجعل ابتداءَ العالَم وانتهاءَه بالحمد.

ثم قراءةُ العامَّة ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ على الابتداء، واللامُ بالكسر على الأصل.

وقرأ هارونُ بنُ موسى العَتَكيُّ الأعورُ ورؤبةُ بنُ العجَّاج بنصبِ الدَّالِ على المصدر[4]، وهو على الأَمْرِ بطريقِ الإغراء.

وقرأ الحسنُ البصريُّ رحمه الله: (الحمدِ لله) بخفض الدَّالِ[5]؛ إتباعاً لكسرة اللام.

---

(١) في هامش (ف): «تعريبه: مدح جميع المُدَّاح له وشكر جميع الشاكرين له على مننه».

(٢) في النسخ: «الحمد»، والمثبت من هامش (ف). ولفظ الخبر: (فُتح أول الخلق بالحمد لله..).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٢٧٣).

(٤) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩)، ونسبها لرؤبة.

(٥) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩)، وزاد نسبتها لرؤبة، و«المحتسب» (١/ ٣٧)، وزاد نسبتها لزيد بن علي.

وقرأ إبراهيم بنُ أبي عَبْلة الشاميُّ برفع الدَّال وضمِّ اللام إتباعاً للدَّال[١].

ويجوز في الوقف على «الحمد لله» القَصْرُ؛ وهو حذفُ الألِف التي بينَ اللَّامين والهاء، قال الشاعر:

أقبَلَ سَيْلٌ جاءَ مِن أَمْرِ اللهْ ... يَحْرِدْ حَرْدَ الجنَّة المُغِلَّهْ[٢]

وإثباتُ الألف أصحُّ وأفصحُ.

وقوله تعالى: ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ قال ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما: أي: سيِّدِ العالَمين[٣].

وهو كقوله: ﴿ٱذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ﴾؛ أي: سيِّدِك.

وقيل: معناه: المالك، كما يقال: ربُّ الدار؛ أي: مالكُها.

وقال النبيُّ ﷺ لرجلٍ: «أربُّ إبلٍ أنت أم ربُّ مالٍ وغنمٍ»، قال: من كلٍّ آتاني اللهُ تعالى[٤].

وقيل: هو المُصلِح المدبِّر، ومنه: ربَّةُ البيت، ومنه: الرَّبَّانيُّون؛ وهم

---

(١) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩)، و«المحتسب» (١/ ٣٧).

(٢) البيت بلا نسبة في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٧٦)، و«مجاز القرآن» لأبي عبيدة (٢/ ٢٦٦)، و«الكامل» للمبرد (١/ ٧٤)، و«لسان العرب» (مادة: حرد غلل وأله). وعزاه ابن السيد في «شرح الكامل» لقطرب كما ذكر البغدادي في «خزانة الأدب» (١٠/ ٣٨٦)، وقال البكري في «شرح أمالي القالي» (١/ ٣١): قال أبو حاتم: هذا البيت مصنوع، صنعه من لا أحسن الله ذكرَه. يعني: قطرباً. ومعنى: حَرَد حردَ الجنَّة: قصد قصدها، وأغلَّت الضيعة: أعطت الغلة.

(٣) أورده السمرقندي في «تفسيره» (١/ ٤١)، والماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (١/ ٣٥٩).

(٤) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١٧٢٢٨)، وابن حبان في «صحيحه» (٥٤١٦)، من حديث مالك بن نضلة الجشمي رضي الله عنه.

العلماءُ المصلحون أمورَ الناس بعلمهم، والمُدبِّرون لأمورهم، قال[١] الشاعر:

كانوا كسالئةٍ حَمْقاءَ إذ حَقَنَتْ سِلاءَها[٢] في أديمٍ غيرِ مَرْبُوبِ[٣]

أي: غير مُصلَحٍ.

وقيل: هو مربِّي الخَلْق، ومنه قولُه: ﴿وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِي فِي حُجُورِكُم﴾، وقولُه: ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا﴾ [الشعراء: ١٨].

وقد رَبَّه يَرُبُّهُ، ورَبَّاه يُرَبِّيه، فمنهم مَن يقول: رَبَّاه أصله: رَبَّبَه، جُعلت إحدى الباءات ياءً، كما في قوله: ﴿يَتَمَطَّىٰٓ﴾، أصله: تمطَّطَ؛ أي: تمدَّد، ومنهم مَن يقول: هو فَعَّله من رَبَا يربو؛ أي: ازداد، فالتربية: إثباتُ الزِّيادة في المُربَّى.

وقال الحسين بن الفضل البَجَليُّ: الرَّبُّ: الثابتُ الدائم، من قولهم: ربَّ بالمكان وأربَّ؛ أي: أقام، وكذلك لَبَّ وأَلَبَّ.

قال عليه السلام: «أعوذ بالله من فقرٍ مُرِبٍّ ـ ورُوي: مُلِبٍّ ـ وضَرَعٍ إلى غير محبٍّ»[٤].

---

(١) في (ف): «وقال».

(٢) في هامش (ف): «سلأت السمن؛ أي: عملته سِلاء بالكسر، شبه القوم في عبارتهم بهذه المرأة».

(٣) البيت للفرزدق، انظر: «ديوانه» (ص: ٢٦)، و«تفسير الطبري» (١/ ١٤٢). سلأ السمن يسلؤه: طبخه وعالجه فأذاب زبده، والسِّلاء بكسر السين: السمن، وحقَن اللبن في الوَطب، والماء في السقاء: حبسه فيه وعبأه. ورَبَّ نحي السمن يَرُبه: دهنه بالرُّب، وأديم مربوب: قد أصلح بالرُّب، وهو دبسُ كل ثمرة، وكانوا يدهنون أديم النحي بالرب حتى يمتنوه ويصلحوه، فتطيب رائحته، ويمنع السمن أن يرشح من غير أن يفسد طعمه أو ريحه، وإذا لم يفعلوا ذلك بالنحي فسد السمن. يقول: فعلوا فعل هذه الحمقاء، ففسد ما جهدوا في تدبيره وعمله. من حاشية الطبري لأحمد شاكر.

(٤) الجزء الأول من الحديث أورده بلا إسناد ابن قتيبة في «عيون الأخبار» (١/ ٤٥٢)، والخطابي في =

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: التوجيه[1] إلى المالك أقربُ منه إلى السيد، إذ يستقيمُ أنْ يقال: ربُّ السماوات والأرض، ومالكُ السماوات والأرض، ولا يستقيم: سيدُ السماوات والأرض، ولا يقال: هو سيدُه، إلا في بني آدم خاصةً[2].

فالله تعالى ربُّ العالمين؛ أي: مالك الخلائق أجمعين، له المُلك والمِلك والخَلْقُ والأمر، وهو سيدُهم؛ أي: مالكُهم الواجبُ عليهم طاعته، وسيدُ العبد مالكُه، وعليه طاعتُه.

ولا يقال: سيدُ الدار؛ لأنه لا يمكن تحقيقُ معنى وجوب[3] الطاعة فيها.

وهو مصلِح أمورهم، ومهيِّئُ معاشهم ومَعادهم، أصلح قلوبَ المؤمنين بالمعرفة، وألسنتَهم بالشهادة، وأنفسَهم بالخِدْمة، وأصلح طاعاتِهم على كثرة تقصيرهم فيها بالقَبُول، وأصلح معاصيَهم على كثرتها بالعَفْو، قال الله تعالى: ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ﴾ [الأحزاب: ٧١].

وهو مُربِّي الظواهر بالنعمة، وهي النفوس، ومُربِّي البواطن بالرحمة، وهي القلوب.

= «شأن الدعاء» (١٢٦)، باللفظين: (مرب) و(ملب). وأورده أبو القاسم الأصبهاني في «محاضرات الأدباء» (٢/ ٤٨٦) من قول قيس بن سعد بلفظ: اللهم إني أعوذ بك من فقر مكبٍّ، وضروع إلى غير محبٍّ.

(١) بعدها في (ر): «منه».

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (١/ ٣٥٩ ـ ٣٦٠). وجاء في هامش (أ): «ويردُّه الحديث المشهور المذكور في فضل آية الكرسي، فانظر إلى الكشاف وإليه».

(٣) في (ف): «لأنه لا يمكن وجوب تحقيق».

والرَّبُّ على الإطلاق لله تعالى على الخصوص، ويُطلَق[١] على المخلوق بالإضافة، فيقال: ربُّ الدار.

وعن أبي الدرداء وابن عباسٍ رضي الله تعالى عنهما أنهما قالا: هو اسمُ الله الأعظمُ[٢].

وقالوا[٣]: دلالةُ ذلك: أنَّ كلَّ اسمٍ قلبتَه بطلَ معناه إلا الربُّ؛ فإنَّ مقلوبَه البرُّ، وهو اسمُ الله الأعظم[٤] أيضاً.

وأشار إليه الخَضرُ عليه السَّلام في المسجد الحرام في حكايةٍ، فإنه قال: اسمُ الله الأعظمُ هو ما دعا به كلُّ نبيٍّ وكلُّ وليٍّ وكلُّ عدوٍّ.

وأشار إلى دعوات الأنبياء: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا﴾ [الأعراف: ٢٣]، ﴿رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي﴾ [نوح: ٥]، ﴿رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي﴾ [نوح: ٢١]، ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح: ٢٦]، ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ﴾ الآية [نوح: ٢٨]، ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا﴾ [إبراهيم: ٣٥]، ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ﴾ [إبراهيم: ٣٧]، ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ﴾ [إبراهيم: ٣٨]، ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ﴾ [إبراهيم: ٤٠]، ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ﴾ [نوح: ٢٨]، ﴿رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ﴾ [يوسف: ٣٣]، ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ﴾ [يوسف: ١٠١]، ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ [النمل: ٤٤]، ﴿رَبِّ ٱشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾ [طه: ٢٥]، ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِأَخِي﴾ [الأعراف: ١٥١]، ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا﴾ [ص: ٣٥]، ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ

---

(١) في (أ): «وينطلق».

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٩٣٦٥)، والحاكم في «المستدرك» (١٨٦٠).

(٣) في (أ) و(ف): «وقيل».

(٤) «الأعظم» ليس في (ف).

نِعْمَتَكَ﴾ [النمل: ١٩]، ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا﴾ [الأنبياء: ٨٩]، ﴿رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي﴾ [مريم: ٤]، ﴿رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [المائدة: ١١٤]، ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ﴾ إلى آخر السورة.

وقالت الصحابةُ الأربعةُ: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا﴾ [آل عمران: ١٩١]، ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٩٢]، ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا﴾ [آل عمران: ١٩٣]، ﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ﴾ [آل عمران: ١٩٤].

وقالت الأعداء: ﴿رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الحجر: ٣٦]، ﴿رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا﴾[1]، ﴿رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾، ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا﴾.

ثم إن الله جلَّ جلالُه أضاف هذا الاسمَ إلى ﴿ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ على العموم، فقال: ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، ثم خصَّ السماوات والأرض وما بينهما فقال: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ [مريم: ٦٥]، ثم خصَّ السماء والأرض فقال: ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الذاريات: ٢٣]، ثم خصَّ المشارقَ والمغاربَ فقال: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ﴾ [المعارج: ٤٠]، ثم خصَّ المشرقين والمغربين فقال: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ﴾ [الرحمن: ١٧]، ثم خصَّ المشرقَ والمغربَ فقال: ﴿رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾ [الشعراء: ٢٨]، ثم خصَّ من الأرض[2] بيتَه فقال: ﴿فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ﴾ [قريش: ٣].

وأضاف هذا الاسمَ أيضاً إلى كلِّ الناس فقال: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾، ثم خصَّ رسولَه فقال: ﴿فَوَرَبِّكَ﴾ [الحجر: ٩٢]، ثم[3] خصَّ أمَّته أيضاً فقال: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠].

---

(١) «فارجعنا» ليست في (أ) و(ف).

(٢) في (ر): «من الأرضين»، وفي (ف): «في الأرض».

(٣) في (أ) و(ف): «و».

وأما قوله: ﴿ٱلْعَٰلَمِينَ﴾؛ فقد قال ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما في رواية الكلبيِّ: هم كلُّ ذي روحٍ يدبُّ على وجه الأرض[١]؛ لأنهم هم الذين يقبَلون التربية.

وروى سعيد بن جُبيرٍ عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: هم الجنُّ والإنسُ[٢]، من قوله تعالى: ﴿لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١].

وقال قتادةُ: هم الجنُّ والإنسُ والملائكةُ والشياطينُ، وهم المخاطبون[٣].

وقال الحسن البصري رحمه الله: هم الخلائق أجمعون[٤].

وقال الحسين بن الفضل البَجَليُّ: هُمُ الإنسُ، من قوله: ﴿أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٦٥][٥].

وقال جعفر بن محمدٍ الصَّادقُ: هم أهل الجنة والنار[٦].

وقال مُقاتل بن سليمان: لو فسَّرتُ ﴿ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ لاحتجتُ إلى ألفِ مجلَّدٍ، كلُّ مجلدٍ[٧] ألفُ ورقةٍ[٨].

وقال أبو حذيفةَ: العالَمون ستةٌ: الملائكة عالمٌ، والإنس عالمٌ، والجنُّ من

---

(١) أورده السمرقندي في «تفسيره» (١/ ٤١). والكلبي متروك.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ١٤٥).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ١٤٦) بلفظ: ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: كلُّ صنف عالَم.

(٤) في (ف) تقديم وتأخير مع القول الذي يليه.

(٥) أورده الثعلبي في «تفسيره» (١/ ١١١).

(٦) أورده الثعلبي في «تفسيره» (١/ ١١٢).

(٧) في (أ): «ألف جلد كل جلد».

(٨) أورده الثعلبي في «تفسيره» (١/ ١١٢).

بني الجانِّ وذُرِّيته عالمٌ، والشيطان إبليس وذريتُه عالمٌ، والبهائمُ والدَّوابُّ ودوابُّ البحر[١] عالمٌ، والطيور عالمٌ، والله ربُّهم خالقُهم ورازقُهم.

وقال عطاء بن أبي رَبَاح: العالَمون عشرةُ أصنافٍ: الملائكة، والبَشَر، والجنُّ، والشياطين، والوحوش، والسِّباع، والهوامُّ، والبهائم، ودوابُّ البحر، والطيور.

وقال وَهْبٌ: هم ثمانيةَ عشرَ ألفَ عالَمٍ؛ عالَمُ الدنيا واحدٌ[٢] منها، وما العمرانُ في الخرابِ إلا كفسطاطٍ في البحر[٣].

وقال الضحَّاك: هم ثلاثُ مئة وستون عالَماً: ثلاثُ مئةٍ منهم حفاةٌ عراةٌ لا يعرفون خالقَهم، وهم حشوُ جهنم، وستون عالَماً يلبسُون الثياب مرَّ بهم ذو القرنين وكلَّمَهم[٤].

وقال سعيد بن جبير: هم ألف عالَمٍ: ستُّ مئةٍ في البحر، وأربع مئةٍ على وجه الأرض.

وقال عليُّ بن الحسين بن واقِدٍ: العالَمون ألفُ أُمَّة، قال الله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾ [الأنعام: ٣٨].

وقال مقاتل بن حيَّان: العالَمون ثمانونَ ألفَ عالَم: أربعون ألفاً في البرِّ، وأربعون ألفاً في البحر[٥].

---

(١) «ودواب البحر» زيادة من (ف).

(٢) في (أ) و(ف): «الدنيا عالم»، بدل: «عالم الدنيا واحد».

(٣) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤/ ٧٠).

(٤) أورده الثعلبي في «تفسيره» (١/ ١١٢).

(٥) أورده الثعلبي في «تفسيره» (١/ ١١٢).

وقال كعبُ الأحبار: لا يحصُر عددَ[١] العالَمين أحدٌ من الخلق، قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: ٣١][٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: إن الله تعالى خلق الخَلْق حين خلقهم وهم أربعةُ أصنافٍ: الملائكةُ، والشياطينُ، والجنُّ، والإنس، ثم جعل هؤلاء عشرةَ أجزاءٍ: فتسعةٌ[٣] منهم الملائكة، وجزءٌ واحدٌ[٤] الشياطينُ والجنُّ والإنس، ثم جعل هؤلاء الثلاثَ عشرةَ أجزاءً: فتسعةٌ منهم الشياطين، وجزءٌ واحدٌ الإنسُ والجنُّ، ثم جعل الإنسَ والجنَّ عشرةَ أجزاءٍ: فتسعةٌ منهم الجنُّ، وجزءٌ واحدٌ الإنسُ[٥]، ثم جعل الإنسَ مئةً وخمسةً وعشرين جزءاً:

فجعل منهم مئةَ جزءٍ في بلاد الهند، فمنهم ساطوخ: وهم أناسٌ رؤوسُهم مثلُ رؤوس الكلاب، ومالوخ[٦]: وهم أناسٌ أعينُهم في صدورهم[٧]، وماسوخ[٨]: وهم أناسٌ آذانُهم[٩] مثلُ آذان الفيلة، ومالوق: وهم أناسٌ لا

(١) «عدد» ليس في (أ).

(٢) أورده الثعلبي في «تفسيره» (١/ ١١٢).

(٣) في (أ): «تسعة».

(٤) في (أ): «وجزء منهم».

(٥) إلى هنا أورده الزمخشري في «ربيع الأبرار» (١/ ٣٣٤) بلا إسناد عن أبي هريرة مرفوعاً. وروى نحوه الحاكم في «المستدرك» (٨٥٠٦) عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما موقوفاً.

(٦) في (أ): «ومالوح».

(٧) في (أ): «على صدورهم»، وفي هامشها: «رؤوسهم»، وعليها علامة التصحيح.

(٨) في (أ): «وماسوح».

(٩) في هامش (أ): «رؤوسهم»، وعليها علامة التصحيح.

تطاوعهم أرجلُهم حين يمشون، يُسمَّون دوال باي[١]، ومصيرُهم[٢] كلُّهم إلى النار.

وجعل اثني عشرَ جزءاً في بلاد الروم: النسطوريَّة، والملكانيَّة، والإسرائيليَّة، ومصيرُهم جميعاً إلى النار.

وجعل ستةَ أجزاءٍ منهم في المشرِق: يأجوجُ ومأجوجُ، وتُركُ خاقانَ، وتُرك خَلج[٣]، وتُرك خَزَرَ، وتُرك خرخيرَ، وكلُّهم من أهل النار.

وجعل ستةَ أجزاءٍ منهم في المغرب: الزِّنجُ، والزِّطُّ، والحبشةُ، والنُّوبةُ، والبَربرُ، وسائر كفار العرب[٤]، ومصيرُهم إلى النار.

وبقي من الإنس من أهل التوحيد جزءٌ واحدٌ، فجَزَّأهم ثلاثةً وسبعين جزءاً؛ اثنان وسبعون على خطرٍ، وهم أهل البدع والضَّلال[٥]، وفرقةٌ ناجيةٌ وهم أهل السنة والجماعة، وحسابُهم على الله تعالى، يغفر لمَن يشاء ويعذب مَن يشاء.

فهذا تفسير ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

والعالَمون في القرآن على عشرةِ أوجهٍ[٦]:

---

(١) في (أ): «ياي».

(٢) في (ف): «ومصير».

(٣) في (ر): «علج»، والصواب المثبت. وخَلْج ـ بفتح أوله، وتسكين ثانيه، وآخره جيم ـ: موضع قرب غزنة من نواحي زابلستان. انظر: «معجم البلدان».

(٤) في (ف): «المغرب».

(٥) في (أ): «والضلالات».

(٦) في (أ): «على وجوه عشرة».

أحدها: الإنس والجنُّ، قال الله تعالى: ﴿لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١].

والثاني: الناس، قال الله تعالى: ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ٧١].

والثالث: مَن كان بعد نوحٍ إلى قيام الساعة، قال تعالى: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الصافات: ٧٩].

والرابع: مَن كان في زمن موسى من بني إسرائيل، قال الله تعالى: ﴿وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة: ٤٧].

والخامس: مَن كان في زمن لوطٍ، قال تعالى: ﴿أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٦٥].

والسَّادس: الغُرباء، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الحجر: ٧٠].

والسَّابع: أهل الكتاب، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ﴾ إلى قوله: ﴿غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧].

والثامن: المؤمنون، قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥١].

والتاسع: المنافقون، قال تعالى: ﴿أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [العنكبوت: ١٠].

والعاشر: كل المخلوقات، قال الله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ أضافَ نفسَه إلى كلِّ المخلوقات مِلْكاً ومُلْكاً، وأضاف هذا الاسمَ إلينا لُطْفاً وعَطْفاً، قال الله تعالى: ﴿فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ﴾ [يونس: ٣٢].

ففي الأول: تعظيمُ نفسه، وفي الثاني: تعظيمُ أحبابه[١]، كأنه قال: ما أعظمني! والعالَمون لي، وما أعظمكم أحبائي[٢]! وأنا لكم.

ثم العالَمُ جمعٌ لا واحدَ له من لفظه؛ كالأنام والرَّهط والجيش، وهو مأخوذٌ من العَلَم والعلامة، وهو على وزن (فاعَل) بالفتح؛ كالخاتَم والطابَع، والخاتَم: ما يُختَم به، والطابَع: ما يُطبع به، فالعالَم: هو ما يُعلم به؛ أي: يُستدلُّ به على الصَّانع.

فوجودُ المخلوقات دليلٌ على وجود الخالق وإيجاده، وحدوثُها دليلٌ على قِدَمه، وبقاؤها على هيئةٍ دليلٌ على وحدانيَّتِه، ووجودُها على هيئةٍ مخصوصةٍ مع جواز غيرها دليلٌ على إرادته، وانتظامُها واتساقُها[٣] دليلٌ على علمه وحكمته.

وإجابةُ دعاء[٤] الدَّاعين دليلٌ على سمعه وإجابته.

وعجزُ الخلائق عن[٥] ردِّ قضائه دليلٌ على جلاله وعظمته.

ونقضُ العزائم وفسخُ الهِمَم دليلٌ على إرادته ومشيئته.

وحرمانُ المجتهدين دليلٌ على قبضه وقدرته، وسعةُ العاجزين عن الكسب دليلٌ على بَسْطه ومِنَّته.

وإمهالُ المفترِين على الله تعالى دليلٌ على حِلْمه ورحمته.

---

(١) في (ف): «أحبائه».

(٢) في (أ): «أحبابي».

(٣) في (ر) و(ف): «وانقسامها».

(٤) في (أ): «دعوات».

(٥) في (أ): «الخلق عن»، وفي (ر): «الخلائق في».

وافتقارُ الخَلْق دليلٌ على غُنْيته، وعجزُهم دليلٌ على قدرته، وضعفُهم دليلٌ على قوَّته، وانقيادُهم دليلٌ على قهره ومَلَكته[١].

ثم إضافةُ الربِّ إلى العالَمين بيانٌ أنه ربُّ الجميع، ليس كأربابِ الأشياء المخصوصة، وإيضاحٌ أنه مستحقٌّ حمدَ الكلِّ؛ إذ هو خالقُهم ومُرَبِّيهم ومالكهم، وليس وجود ربوبيَّته بوجودهم، فقد كان ربَّ العالمين قبل أن يكونوا، ويكون ربَّ العالمين بعد أن يَبِيدوا.

وقد كان[٢] خالقاً قبل وجود المخلوقات، صانعاً قبل وجود المصنوعات، قادراً قبل وجود المقدورات، قاهراً قبل وجود المقهورات، رازقاً قبل وجود المرزوقين، راحماً قبل وجود المرحومين، مذكوراً قبل وجود الذَّاكرين، مشكوراً قبل وجود الشَّاكرين، محموداً قبل وجود الحامدين، معبوداً قبل وجود العابدين، مجيباً قبل دعوات السَّائلين، غنيًّا قبل وجود السماوات والأرضين، ملكاً قبل وجود المملكة والمملوكين، باقياً[٣] بعد فناء الخَلْق أجمعين، يقول الله جلَّ جلالُه بعد موت كلِّ الخَلْق: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾، ويقول: ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [إبراهيم: ٤٨]، سبحان الله هو العزيز الغفار.

ثم قوله: ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ قراءةُ العامة بخفض الباء على النعت، وقراءةُ[٤] زيد بن عليٍّ بنصبها على المدح أو على النداء[٥]، وقرأ شقيقُ بن سلمة بالرفع على الابتداء[٦].

(١) في (أ) و(ف): «ومملكته»، وفي هامش (ف): «ملكته».

(٢) في (أ): «وكان» بدل: «وقد كان».

(٣) في (ر): «مالكا».

(٤) في (أ): «على الوصف وقرأ».

(٥) انظر: «تفسير الثعلبي» (١/ ١٠٩).

(٦) ذكرها العكبري في «الإملاء» (ص: ٥) دون نسبة.

وكذا ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ على هذه الوجوه[١].

* * *

(٣) ـ ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾: مرَّ تفسيرُهما في التسمية.

فإن قالوا: لِمَ كرَّرهما مع أنه[٢] في التسمية ذكَرهما؟

قُلنا: عنه أجوبةٌ خمسةٌ:

أحدها: ليُعلم أنَّ التسميةَ ليست من الفاتحة، ولو كانت منها لَمَا أعادهما؛ لخُلُوِّ الإعادة عن الإفادة.

والثاني: أنه ندبَ العباد إلى كثرة الذِّكر، فإن مِن علامة حبِّ الله حبَّ ذكره، وفي الحديث: «مَن أحبَّ شيئاً أكثرَ من[٣] ذكرِه»[٤].

والثالث: أنه ذكر أنه ربُّ العالمين، فبيَّن أنَّ ربَّ العالَمين هو الرحمن[٥] الذي يرزقهم في الدنيا، الرحيمُ الذي يغفر لهم في العُقبى، ولذلك ذكر بعدَه: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾.

---

(١) الجمهور على خفضهما، ونصبهما زيد وأبو العالية وابن السميفع وعيسى بن عمر، ورفعهما أبو رزين العقيلي والربيع بن خثيم وأبو عمران الجوني. انظر: «البحر المحيط» لأبي حيان (١/ ٥٧).

(٢) في (أ): «أن».

(٣) «من» ليست في (ر).

(٤) رواه ابن أبي الدنيا في «الزهد» (٥٣٤) عن رابعة. ورواه ـ كما في «المقاصد الحسنة» (ص: ٦١٩) ـ أبو نعيم ثم الديلمي من حديث مقاتل بن حيان عن داود بن أبي هند عن الشعبي عن عائشة به مرفوعاً.

(٥) في (ر): «الرحمن الرحيم».

الرابع: أنه ذكر الحمدَ، وبالحمد تُنال الرحمةُ، فإنَّ أولَ مَن حمد الله تعالى من البشر آدم، عطس فقال: الحمد لله، وأجيب للحال: يرحمك ربُّك، ولذلك خلقتُك، فعلَّم خَلْقَه الحمدَ، وبيَّنَ أنهم ينالون[١] رحمتَه بالحمد.

والخامس: أن قوله: ﴿رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ ترهيبٌ، وقولَه: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ترغيبٌ، فجمع بين الرَّغبة والرَّهبة؛ ليكون ذلك أعونَ للناس على طاعته، وأمنعَ من معصيته.

ونَزيد في الفائدة هاهنا بذكر[٢] مقالاتٍ لم نذكرها في التسمية في تفسير الاسمين:

قال الإمامُ أبو منصورٍ عبدُ الكريم بنُ هوازنَ القشيريُّ[٣]: الرحمنُ بما رَوَّح، والرحيم بما لَوَّح، فالترويحُ بالمَبارِّ، والتَّلويح بالأنوار.

الرحمن بكشف تجلِّيه، والرحيم بلُطْف تولِّيه.

الرحمن بما يُوفِّق، والرحيم بما يُحقِّق، فالتوفيق للمعاملات، والتحقيق للمواصلات، فالمعاملات للقاصدين، والمواصلات للواجدين.

الرحمن بما يصنع، والرحيم بما يدفع، فالصُّنع بجميل الرِّعاية، والدَّفع بحُسن العِناية[٤].

❊ ❊ ❊

(١) في (أ): «يسألون».

(٢) في (أ): «ونذكر هاهنا»، بدل: «هاهنا بذكر».

(٣) في (ر) و(ف): «الإمام القشيري عبد الكريم بن هوازن»، والمثبت من (أ) وهامش (ف).

(٤) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (١/ ٤٧).

(٤) ـ ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾: قُرئ هذا على سبعة أوجهٍ:

﴿مالكِ﴾ بالألف وخفض الكاف.

و﴿مَلِكِ﴾ بغير الألف بكسر اللام وخفض الكاف[١].

و(مَلْكِ) بتسكين اللام وخفض الكاف، فهذه ثلاثة أوجهٍ[٢] على النعت.

و(مالكَ) بالألف ونصبِ الكاف.

و(ملِكَ) بكسر اللام ونصْبِ الكاف، وهذان على النداء.

و(مَلَكَ) بفتح الميم واللام ونصب الكاف على الفعل الماضي، و(يومَ الدِّين) بالنصب على المفعول.

و(مالكُ يومِ الدِّين) بالألف ورفعِ الكاف[٣].

و(مالكْ) بالألف وتسكين الكاف[٤].

فأما ﴿ مَٰلِكِ ﴾ بالألف وخفض الكاف؛ فقد رُوي ذلك عن النبي ﷺ، وعن

---

(١) قرأ عاصم والكسائي: ﴿ مَٰلِكِ ﴾، وباقي السبعة: ﴿مَلِكِ﴾. انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ١٠٤)، و«التيسير في القراءات السبع» للداني (ص: ١٨).

(٢) في (أ): «وهي»، وفي (ف): «وجوه».

(٣) انظر هذه القراءات ومن قرأ بها وزيادة عليها في «المختصر في شواذ القراءات» لابن خالويه (ص: ٩)، و«تفسير الثعلبي» (١/ ١١٢ ـ ١١٤)، و«المحرر الوجيز» (١/ ٦٨)، و«البحر المحيط» (١/ ٥٩).

(٤) «ومالك بالألف وتسكين الكاف» من (ر)، ولم أجدها، مع أن المؤلف أشار في أول كلامه إلى سبعة، وهذه زائدة عليها.

الخلفاء الراشدين الأربعة، وعن جماعةٍ من الصَّحابة رضي الله عنهم، والتابعين، وهو اختيار عاصم والكسائي والأعمش وجماعةٍ[١].

وأما ﴿مَلِكِ﴾ بكسر اللام وخفض الكاف؛ فعن النبي ﷺ في روايةٍ، وعن عثمان، وعن عليٍّ، وزيد بن ثابتٍ[٢]، وابن عمر، وأبي الدَّرداء، وهو اختيار نافع وابن كثيرٍ وأبي عمرو وحمزة وابن عامرٍ.

وأما (مَلْكِ) بسكون اللام وخفض الكاف؛ فعن أبي عمرو، رواه[٣] عبدُ الوارث بن سعيدٍ.

وأما (مَالِكَ) بنصب الكاف؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه، وعمر بن عبد العزيز، والأعمش.

وأما (مَلِكَ) بغير ألفٍ ونصبِ الكاف[٤]؛ فعن أبي حيوةَ شُريح[٥] بن يزيد[٦].

---

(١) «وجماعةٍ» ليس في (أ). وانظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ١٠٤)، و«تفسير الثعلبي» (١/ ١١٢).

(٢) في (أ): «ويزيد بن عاصم». والصواب المثبت. انظر: «تفسير الثعلبي» (١/ ١١٢ ـ ١١٤)، و«البحر المحيط» (١/ ٥٩).

(٣) في (ر) و(ف): «ورواه»، والصواب المثبت، فهذه القراءة رواها عبد الوارث عن أبي عمرو في غير السبعة. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» لابن خالويه (ص: ٩)، و«تفسير الثعلبي» (١/ ١١٤)، و«البحر المحيط» (١/ ٥٩).

(٤) في (أ) و(ف): «والنصب».

(٥) في جميع النسخ: «وشريح»، والصواب المثبت.

(٦) في (أ): «زيد». والصواب المثبت. انظر: «التقريب» لابن حجر، وانظر: «المختصر في شواذ القراءات» لابن خالويه (ص: ٩).

وأما (مَلَكَ) على صيغة الفعل الماضي؛ فعن يحيى بن يَعْمَرَ(١).

وأما (مالكُ) بالرفع؛ فعن بعض أهل الشام، ثم عن يحيى بن يَعْمَرَ(٢).

وأما(٣) (مالك) بإضجاعٍ بليغٍ؛ هو قراءة أهل البصرة(٤).

وعن أيوب السَّخْتِيانيِّ بإشمام(٥).

وتكلَّم المتأخرون في أَولى هذه القراءات، فقيل: أَولاها ﴿مَٰلِكِ﴾ بالألف؛ لأن فيه زيادةَ حرفٍ، وبه زيادةُ ثوابٍ.

يُحكى عن أبي عبد الله الثلجيِّ(٦) أنه قال: كان من عادتي قراءة ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ

---

(١) انظر: «تفسير الثعلبي» (١/ ١١٤)، وعزاها أيضاً: للحسن وأبي حمزة وأبي حنيفة. وانظر: «المختصر في شواذ القراءات» لابن خالويه (ص: ٩)، وعزاها لأنس بن مالك.

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» (١/ ١١٤)، وفيه: (وهي قراءة عزير العقيلي). وقال أبو حيان: ونسبها صاحب «اللوامح» إلى أبي روح عون بن أبي شداد العقيلي ساكن البصرة. فلعل (عزير) محرف عن (عون).

(٣) «وأما» ليس في (أ) و(ف).

(٤) «هو قراءة أهل البصرة» ليس في (أ) و(ف). وانظر: «تفسير الثعلبي» (ص: ١١٤)، وفيه: (روي ذلك عن يحيى بن يعمر)، وكذا في «البحر» وزاد أبو حيان نسبتها لأيوب السختياني.

(٥) انظر: «تفسير الثعلبي» (ص: ١١٤)، وفيه: (وعن أيوب السختياني بين الإمالة والتفخيم)، وذكرها أبو حيان عن قتيبة بن مهران عن الكسائي.

(٦) في (أ) و(ر): «البلخي»، وفي (ف): «البجلي». والصواب المثبت، فقد ذكر القصة أبو الليث السمرقندي في «تفسيره» (١/ ٤٢)، وإسماعيل حقي في «روح البيان» (١/ ١٠) فقالا: عن أبي عبد الله محمد بن شجاع الثلجي، وتحرفت (الثلجي) عند أبي الليث إلى: (البلخي)، والثلجي هذا ذكره ابن النديم في «الفهرست» (ص: ٢٩١) فقال: أبو عبد الله محمد بن شجاع الثلجي مبرز على نظرائه من أهل زمانه، وكان فقيهاً ورعاً وثباتاً على آرائه، وهو الذي فتق فقه أبي حنيفة =

ٱلدِّينِ﴾، فذكر لي بعضُ الأدباء أن ﴿مَلِكِ﴾ أبلغُ في المدح وأكثرُ في الثواب، فتركتُ عادتي، فكنت[١] أقرأ ﴿مَلِكِ يوْم الدِّين﴾ حتى رأيت في المنام أن قائلاً قال لي: لم نقصْتَ من حسناتك عشراً، أما سمعتَ قول النبيِّ ﷺ: «من قرأ القرآن كُتب له بكلِّ حرفٍ عشرُ حسناتٍ، ومُحيت عنه عشرُ سيئاتٍ، ورُفعت له عشر درجاتٍ»[٢]، فانتبهْتُ، فلم أترك عادتي حتى رأيتُ ثانياً في المنام أنه قيل لي: لِمَ لا تترك هذه العادة؟ أمَا سمعتَ قول النبيِّ ﷺ: «اقرؤوا القرآن فَخْماً مُفخَّماً»؛ أي: عظيماً مُعظَّماً، فأتيتُ قُطْرُباً وسألتُه عن الفرق بين (المالك) و(الملِك)، فقال: الملِك الذي يملك شيئا من الدنيا[٣]، والمالك الذي يملك الملوك.

وقيل: لا ترجيح بزيادة حرفٍ، فقد اختلفت[٤] الصَّحابةُ رضوان الله عليهم في (فَرِهين) و(فارِهين)، و(حَمِئةً) و(حامِئةً)، و(نَخِرةً) و(ناخِرةً)، فلم يحتجَّ أحدهم

= واحتج له... وكان من الواقفة على القراءة إلا أنه يرى رأي أهل العدل والتوحيد. قلت: وذكره ابن عدي في «الكامل» (٦/ ٢٩١) واتهمه بوضع الحديث.

(١) في (أ): «وكنت».

(٢) رواه ابن عدي في «الكامل» (٢/ ٣٨٧) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وفيه حفص بن عمر بن حكيم، قال ابن عدي: مجهول. وروى الترمذي (٢٩١٠) من حديث ابن مسعود وصححه: «مَن قَرَأَ حَرْفاً من كتابِ اللهِ فله به حَسَنَةٌ، والحَسَنَةُ بعَشْرِ أمثالِها؛ لا أقولُ: الـم حَرْفٌ، ولكِنْ ألفٌ حَرفٌ، ولامٌ حَرفٌ، وميمٌ حَرفٌ».

(٣) في (ر): «الذي يملك الأشياء في الدنيا»، والمثبت من (أ) و(ف)، وهو الموافق لما في «روح البيان»، أما أبو الليث فلفظه: (فأما مَلِك فهو ملك من الملوك، وأما مالك فهو مالك الملوك). وفيه بعدها قوله: (فرجعت إلى قراءة الكسائي).

(٤) في (أ): «اختلف».

على صاحبه بزيادة الحرف، وإنما رجَّحوا بزيادة المعنى، فبنا[1] أن ننظر أيهما أبلغُ في المعنى.

قال أبو عبيدةَ والأصمعيُّ وأبو حاتم والأخفش: (مالك) أبلغ، فإنه يقال: مالكُ كلِّ شيءٍ، ولا يقال: ملك كلِّ شيءٍ، وإنما يقال: ملكُ الناس.

ولأنه يُضاف إلى الفعل والذات، يقال: مالكُ العبد، ومالكُ التصرُّف.

ولأنه لا يقال: مالكُ الشيء، إلا وهو يملكُه، وقد يكون مَلِكَ[2] شيءٍ وهو لا يملكه، يقال: فلانٌ ملكُ العرب، وملكُ العجم، وملك الهند، وملك الروم، وملك الترك.

ولأن (المالك) من المِلْك، و(المَلِك) من المُلْكِ، والمالك يدلُّ عليهما، يقال: مالكُ المُلْك، ومالكُ المِلْك، والمَلِك لا يدل عليهما، يقال: مَلِكُ المُلك، ولا يقال: مَلكُ المِلْك.

ولأنه أضاف إلى ﴿يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾، وذكر في آيةٍ: ﴿يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗا﴾ [الانفطار: ١٩]، فنفى المِلك عن الخلق، فثبت ذلك لله تعالى.

وقال أبو عبيدةَ[3] وعاصمٌ الجحدريُّ والمبرِّد وأبو عمرٍو والزجَّاج وجماعة: (مَلِك) أبلغ وأوفق للقرآن، قال تعالى: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّ﴾ [طه: ١١٤]، وقال تعالى: ﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ﴾، وقال عزَّ وعلا: ﴿ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ﴾ [الحشر: ٢٣]، وقال في صفة يوم القيامة: ﴿ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ﴾ [الحج: ٥٦]، وقال تعالى: ﴿لِّمَنِ

---

(١) كذا في النسخ الخطية، ولعل الصواب: (فلنا)، أو نحو ذلك.

(٢) في (أ) زيادة: «كل».

(٣) قوله: «أبو عبيدة» تكرر في القولين، ولعل أحدهما: (أبو عبيد)، فكثيراً ما يحصل الخلط بينهما لتشابه الاسمين، والمعاصرة حيث إنَّ أبا عبيد تلميذ أبي عبيدة.

﴿ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾ [غافر: ١٦]، وقال جلَّ جلالُه: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [المائدة: ١٢٠]، وقال تعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ [الملك: ١]، وقال تعالى: ﴿لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ﴾ [التغابن: ١].

ولأن المالكَ قد لا يكون مَلِكاً، ولا يكون مَلِكٌ إلا و[1]يكون مالكاً، ولأن المالكَ لا يُذكر إلا مُضافاً، يقال: مالك كذا، والملِكُ يذكر غيرَ مضافٍ، يقال: هو الملِك، ومدحُ الذات بما هو اسمُه من غيرِ إضافةٍ أبلغُ من مدحه بالإضافة إلى غيره[2].

ومأخَذُ الاسم في اللغة من قولهم: مَلَكتُ العجينَ، ومَلَكتُ بالطَّعن اليمين، وأمْلَكتُ بين الزَّوجين، وحاصله: الشَّدُّ والرَّبط والشِّدَّة والقوة، فمعنى الاسم في الحقيقة لله، فله القوةُ الكاملة، والولاية النافذة، والتصرُّف الماضي، والحكم الجاري، وهو[3] للعباد مُجازي، فللّهِ المِلك والمُلك والملكوت، والعزة والجبروت، وهو الحيُّ الذي لا يموت.

ومَن مَلَك من العباد[4]؛ فلِمُلكه بدايةٌ ونهايةٌ، وحدٌّ وغايةٌ، وهو على البعض لا على الكلِّ، وعلى الجسم لا على العَرَض، وعلى النَّفْس لا على النَّفَس، وعلى الظاهر لا على الباطن، وعلى الحاضر لا على الغائب، وعلى الحيِّ لا على الميت.

ومُلك الله تعالى بلا[5] بدايةٍ ولا نهاية، ولا حَدٍّ ولا غاية، وعلى الكلِّ، وعلى

---

(١) في (أ) و(ف): «وأن».

(٢) انظر: «تفسير القرطبي» (١/ ٢١٦).

(٣) في (ر): «فهو».

(٤) في (ف): «عباد الله».

(٥) في (أ): «لا».

النفوس والأنفاس، وعلى الظواهر والبواطن، وعلى الفِطْرات والفِكْرات، والهيئات والمُهِمَّات[١]، وهو المَلِك الذي لم يَزلْ ولا يَزال[٢]، كلُّ مُلكٍ زائلٌ إلا مُلْكَه، وكلُّ مِلْكٍ باطلٌ إلا مِلكَه، ليس لمُلكه زوالٌ، ولا لمِلْكه انتقالٌ.

وقال الإمام أبو منصُور الماتريديُّ رحمة الله عليه: في الآية دلالةُ وصف الربِّ بمُلكِ ما ليس بموجودٍ[٣] وقتَ الوصف بمُلكه، وهو يوم القيامة.

ثبت أنَّ الله تعالى بجميع ما يستحقُّ الوصفَ به، يستحقُّه بنفسه لا بغيره، ولذلك قلنا نحن: هو الله خالقٌ لم يزل، ورحيمٌ لم يزل، وجوادٌ لم يزل، وسميعٌ لم يزل، وإنْ كان ما عليه وَقْعُ ذلك لم يكن، وكذلك نقول: هو ربُّ كلِّ شيءٍ وإلهُ كلِّ شيءٍ في الأزل وإنْ كانت الأشياء حادثةً، كما قال: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾، وإنْ كان اليومُ بعدُ[٤] غيرَ حادثٍ[٥].

ثم قولُه: (مالكَ يومِ الدِّين) كما قُرئ بالنصب، فقد قرأ زيد بن عليٍّ: (رَبَّ العالمين، الرَّحمَنَ الرَّحِيمَ﴾ بالنصب[٦]، وهذا[٧] على المدح، أو على النداء، وقراءةُ العامَّة بالخفض على النَّعت، وقرأ شقيقُ بنُ سلمة بالرفع على الابتداء[٨].

---

(١) في (أ): «وعلى الحضرات والفكرات والحياة والممات».

(٢) في (أ) زيادة: «ولم يزل ولا يزال».

(٣) في (ر) و(ف): «لموجود».

(٤) في (أ): «يعد».

(٥) انظر: «تأويلات أهل السنة» (١/ ٣٦٢).

(٦) «بالنصب» ليس في (ف). وانظر: «البحر المحيط» لأبي حيان (١/ ٥٥).

(٧) في (أ): «وهو».

(٨) تقدمت قراءته قريباً.

وقولُه تعالى: ﴿يَوْمِ الدِّينِ﴾ إنما أضاف المُلْكَ والمِلْك إلى يومِ الدين على الخصوص؛ لأنه قد أعطى الخلق اليومَ مُلكاً ومِلكاً، والمُلَّاكُ يبخلون في مِلْكهم، والملوك يجورُون في مُلكهم، فإذا كان يوم الدِّين نُزع المِلك عن[1] كلِّ مالكٍ، والمُلك عن كلِّ مَلِكٍ، فيبقى المِلك والمُلك له على الخصوص، فلا يبقى بُخلٌ ولا جَورٌ، بل يجود في مِلكه، ويعدلُ في مُلكه، وهو وعدٌ ووعيدٌ، يقول للأولياء: أنا المَلك والمالك، أُعزُّكم بمُلكي، وأغنيكم بمِلكي، فلا يمنعُني مانعٌ، ويقول للأعداء: أنا المَلك والمالك، علمتُ ما عامَلْتُموني به، وأقدِرُ على مكافأتكم، فلا فِرار لكم عني، ولا يَدفع العذابَ عنكم دافع.

وفي تفسير ﴿الدِّينِ﴾ أقاويلُ سبعةٌ:

قال ابن عباس وابن مسعودٍ والحسن البصري والسُّدِّي ومقاتل: هو الحساب، كما في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ [التوبة: ٣٦]؛ أي: الحساب المستقيم[2]، واللهُ تعالى يحاسبُ العبادَ يوم القيامة، قال تعالى: ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾ [الغاشية: ٢٥ ـ ٢٦].

وقال مجاهدٌ والضحاك وقتادة: هو الجزاء[3]، كما في قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ﴾ [الواقعة: ٨٦]؛ أي: غير مَجْزِيِّين[4]، وقال: ﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ﴾

---

(١) في (ر): «من».

(٢) انظر: «تفسير مقاتل بن سليمان» (٢/ ١٦٩)، و«تفسير الطبري» (١/ ١٥٦)، و«تفسير الثعلبي» (١/ ١١٥)، و«تفسير البغوي» (١/ ٥٣).

(٣) انظر: «تفسير الطبري» (١/ ١٥٧)، و«تفسير الثعلبي» (١/ ١١٥)، و«تفسير البغوي» (١/ ٥٣).

(٤) في (أ): «مجرمين».

[النور: ٢٥]؛ أي: جزاءَهم، والله تعالى يجزي العباد يومئذٍ بأعمالهم، كما قال تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡۚ﴾ [غافر: ١٧].

وقال جماعةٌ: هو القضاء، كما في قوله: ﴿مَا كَانَ لِيَأۡخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلۡمَلِكِ﴾ [يوسف: ٧٦]؛ أي: قضائه، والله تعالى يقضي بين خلقه يومئذٍ، كما قال عزَّ وجلَّ: ﴿وَقُضِيَ بَيۡنَهُم بِٱلۡحَقِّ﴾ [الزمر: ٦٩].

وقال محمد بن كعبٍ القُرظي: هو التوحيد[1]، كما في قوله: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ﴾ [الزمر: ٣]، والعزُّ والكرامةُ يومئذٍ لأهل التوحيد، قال تعالى: ﴿يَوۡمَ تَرَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَسۡعَىٰ نُورُهُم بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ﴾ الآية [الحديد: ١٢].

وقيل: الدِّين: الطاعة[2]، قال زهير:

لَئِن حَلَلْتَ بوادٍ[3] في بني أَسَدٍ ... في دِينِ عمرٍو وحالَتْ بيننا فَدَكُ[4]

أي: هذا[5] يومٌ لا ينفع فيه إلا الطاعة، قال تعالى: ﴿يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ﴾ [الشعراء: ٨٨ ـ ٨٩]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمۡ عِندَنَا زُلۡفَىٰٓ إِلَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا﴾ [سبأ: ٣٧].

وقال الحسين بن الفضل البَجَلي رحمه الله: هو الخضوع؛ قال النبيُّ

---

(١) أورده البغوي في «تفسيره» (١/ ٥٣) بلفظ: مَلكُ يومٍ لا ينفع فيه إلا الدين.

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» (١/ ١١٦).

(٣) في «ديوان زهير بن أبي سلمى»: «بجوٍّ».

(٤) انظر: «ديوان زهير بن أبي سلمى» (بشرح ثعلب) (ص: ١٨٣)، و«المحرر الوجيز» (١/ ٧١)، و«البحر المحيط» (١/ ٦٣). قال الشارح: جوّ: واد، ودين عمرو: طاعته، وعمرو هو عمرو بن هند.

(٥) في (أ): «هو».

ﷺ لأبي طالب: «إني أدعوكَ إلى كلمةٍ لو قُلْتَها دانتْ لك العرب»[(١)]؛ أي: خضعَت.

ويومُ القيامة: يومُ خضوع الخلق، قال تعالى: ﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ﴾ [طه: ١١١]، وقال: ﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ﴾ [طه: ١٠٨].

وقال يمانُ بن رئابٍ: هو القهر والغلبة جميعاً[(٢)]، تقول العربُ: دِنْتُه فدَان؛ أي: قَهرْتُه فخضع[(٣)].

وقال الأعشى فيهما جميعاً:

هو دان الرِّبَابَ إذ كَرهوا الدِّيـ ـنَ دِرَاكاً بغزوةٍ وصِيَالِ[(٤)]

ويومُ القيامة: يومُ قهر الجبارين وقصْمِ القهَّارين، قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ الآيات [إبراهيم: ٤٢].

وقال الفرَّاء: هو العادة[(٥)]، قال المثقِّبُ العَبْدي:

---

(١) رواه الترمذي (٣٢٣٢) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما بنحوه، وقال: حديث حسن صحيح.

(٢) «جميعاً»: سقط من (أ)، «والغلبة» سقط من (ف).

(٣) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ٥٣).

(٤) انظر: «ديوانه» (ص: ١١)، و«تفسير الطبري» (٣/ ٣٠٠)، و«القطع والائتناف» للنحاس (ص: ١٣٠)، و«المحرر الوجيز» (١/ ٢٦٣).

وجاء في هامش (ف): «قال في الصحاح: الرِّباب بالكسر: خمس قبائل تجمعوا فصاروا يداً واحدة وهم ضبة وثور وعكل وتيم وعدي، وإنما سموا بذلك لأنهم غمسوا أيديهم في رب وتحالفوا عليه، وقال الأصمعي: سموا به لأنهم تربوا؛ أي: تجمعوا، والنسبة إليهم: رُبى ـ بالضم ـ؛ لأن الواحد منهم ربة». وقد وقع في العبارة طمس في بعض الكلمات فاستدركناها من «الصحاح».

(٥) في (أ): «العبادة».

تقولُ إذا دَرَأْتُ لها وَضِيني ... أهذا دِينُه أبداً ودِيني

أكلَّ الدَّهرِ حِلٌّ وارتحالٌ ... أمَا يُبْقِي عَلَيَّ ولا يَقِيني[١]

ويومُ القيامة يومٌ يُبعث فيه كلُّ أحد على عادته، فالكافر المنكِرُ يُبعث على إنكاره[٢]، يقول الله تعالى خبراً عنهم أنهم يقولون: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾[٣] [الانعام: ٢٣].

* * *

(٥) ـ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿إِيَّاكَ﴾؛ أي: قولوا: ﴿إِيَّاكَ﴾، ولا بد من هذا الإضمارِ إنْ حُمل قوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ على الابتداء أو على الإخبار، وإن حُمل على الأمر وأُضمر: (قولوا: الحمد لله) هناك، كان هذا عطفاً على ذاك من غيرِ إضمارٍ ثانٍ.

و﴿إِيَّاكَ﴾ فيها كلامٌ من جهة القراءة واللغة والإعراب والمعنى:

أما القراءة: فقراءة العامة بكسْر الألف وتشديد الياء، وقراءةُ الفضل الرَّقَاشيِّ

---

(١) انظر: «المفضليات» (ص: ٢٩٢)، و«مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١/ ٢٤٧ ـ ٢٤٨)، و«طبقات فحول الشعراء» (١/ ٢٦٣)، و«تأويل مشكل القرآن» لابن قتيبة (ص: ٧١)، و«غريب القرآن» لابن عزيز (ص: ٢٢٦)، و«إعراب ثلاثين سورة» لابن خالويه (ص: ٢٥). الوضين: حزام الرحل، ودرأْتُ وَضِينَ البعيرِ: إذا بَسَطْتَه على الأَرض ثم أَبْرَكْته عليه لتَشُدَّه به. وأراد: لو قدرتْ ناقتي أن تتكلم لقالت هذا الكلام، وأشار بقوله: (هذا) إلى ما استمرت به عادته معها.

(٢) في (أ): «عادته».

(٣) زيد في (ر): «﴿ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾».

بفتـح الألف وتشـديد الياء[١]، وقـراءةُ عُبيد بن عميرٍ: (آيـاك)[٢] بمدِّ الألف وتخفيف الياء[٣].

وقراءةُ عَمرِو بن فائدٍ: (إِيَاك) بكسرِ الألِف وتخفيفِ الياء[٤].

قال ابن مجاهد: ما أدري ما هي ويشبه أن تكون خطأً أو لغةً.

قـال رضـي الله عنـه[٥]: ووجهُ الغلـط أنهم قالوا: إيَـاةُ[٦] الشـمس عينُها، فكأنه يقول: شمسَـكَ نعبُـد، واعتقاده كفـرٌ، والقراءة بـه خطأٌ، وهي للصلاة مُفسِـدةٌ.

ووجـهُ اللغـة: أن تخفيـف المشـدَّد أيضـاً مسـموعٌ كمـا فـي قولـه: (ربَّمـا)

---

(١) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩)، و«المحتسب» (١/ ٣٩). والفضل الرقاشي هو الفضل بن عيسى بن أبان، أبو عيسى البصري الواعظ، قال عنه ابن معين كما في «الميزان»: كان قاصًّا رجل سوء.

(٢) «إياك» ليست في (ر).

(٣) لم أجدها.

(٤) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٢٠)، و«المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩)، و«المحتسب» (١/ ٤٠)، و«الإبانة عن معاني القراءات» لمكي بن أبي طالب (ص: ١٢١)، و«المحرر الوجيز» (١/ ٧٢)، و«تفسير القرطبي» (١/ ٢٢٥)، و«البحر المحيط» (١/ ٦٩). قال مكي: (وقد كره ذلك بعض المتأخرين لموافقة لفظه لفظ إيا الشمس، وهو ضياؤها). وقوله: «وقراءةُ عَمرِو بن فائدٍ: إِيَاك، بكسرِ الألِف وتخفيفِ الياء) سقط من (ف). وعمرو بن فائد هو أبو علي الأسواري البصري، ذكره ابن الجزري في «طبقات القراء» (١/ ٦٠٢) وذكر له هذه القراءة، وقال عنه ابن حجر في «اللسان»: قدري معتزلي توفي بعد المئتين.

(٥) في (أ): «قال نجم الدين رحمه الله».

(٦) بعدها في (ف): «حق».

و(ربما)، وقد قرئ: ﴿رُبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [الحجر: ٢] بهما جميعاً[١].

قالوا: ويجوز: (هَيَّاك) بالهاء بدلاً عن الهمزة[٢]، كما في قولهم: هيهات وأيهات.

وأمَّا اللغة: فقد قيل: أصله (إِوْيَاك)، وهي من قولهم: آوى إليه وآواه[٣]، فكأنه يقول: إليك أنقطِعُ بالعبادة والاستعانة، وهذه الكلمة ضميرٌ مكنيٌّ لا يكون إلا في موضع نصبٍ، ولا يضاف إلا إلى كنايةٍ، وقد وردت إضافتُها إلى الصريح شاذًّا: إذا بلغ الرَّجل الستِّين فإيَّاه وإيَّا الشَّوابِّ[٤].

وقال الشاعر:

دَعْنـي وإيَّـا خـالـدٍ فلأَقْطَعنَّ عُـرَى نِيَاطِـهِ[٥]

وفي[٦] الكلام الشائع، وفي آياتِ القرآنِ الإضافةُ إلى الكناية: ﴿وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ﴾ [سبأ: ٢٤] ﴿مِّن قَبۡلُ وَإِيَّٰيَۖ﴾ [الأعراف: ١٥٥]، ﴿نَّحۡنُ نَرۡزُقُهُمۡ وَإِيَّاكُمۡۚ﴾ [الإسراء: ٣١]، ﴿مَن تَدۡعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُۖ﴾ [الإسراء: ٦٧].

---

(١) قرأ نافع وعاصم بالتخفيف وباقي السبعة بالتشديد. انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٣٦).

(٢) أي: بإبدال الهمزة المكسورة هاء مكسورة، والمفتوحة هاء مفتوحة. ونسبت لأبي السوار الغنوي. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩)، و«المحرر الوجيز» (١/ ٧٢)، و«تفسير القرطبي» (١/ ٢٢٥)، و«البحر المحيط» (١/ ٦٩).

(٣) في (أ): «آوى إليه آواه»، وفي (ف): «آوى وآواه».

(٤) انظر: «الكتاب» لسيبويه (١/ ٢٧٩)، وقد ذكر سيبويه عن الخليل أنه سمع أعرابيًّا يقولها.

(٥) البيت لمحمد بن عيينة بن المهلب بن أبي صفرة، من قصيدة في هجاء ابن عمه خالد بن يزيد. انظر: «الأغاني» (٢٠/ ٢٤)، و«تفسير الثعلبي» (١/ ١١٧).

(٦) في (ر) و(ف): «وقال في».

ولا يؤتَى بها إلا مقدَّمةً على الفعل، ولا تؤخَّر إلا بفاصلٍ بالاستثناء أو العطف أو تكرارِ الكناية بها[١]: ما عنيت إلا إياك، ذكرتك وإياه، أدعوك[٢] إياك.

وأمَّا الإعراب: فقد قال الخليل بنُ أحمد: (إيَّا) سُلَّمٌ للشأن[٣]، والكافُ نصبٌ؛ أي: هي كنايةٌ مقدَّمةٌ، ولو أخَّرْتَ قلتَ: نعبدُك، فإذا قدَّمْتَ لم يمكِن التلفُّظُ[٤] بحرفٍ واحدٍ، فزادوا (إيَّا) سُلَّماً للشأن[٥] ليُتمكَّنَ منه، أو لأن الكافَ وحدها إذا تقدَّمت شابهتْ كاف التشبيه، فأزالوا الاشتباه بهذا.

وقال الفرَّاء: إنما نُصب لوقوع[٦] الفعل عليه، والكافُ[٧] خُفض بالإضافة، وبيانُه: أن هذا بمنزلةِ قولك: نَفْسَكَ نعبُد.

وأما المعنى: ففي زيادة هذه الكلمة معنىً بليغٌ، فإنك لو[٨] قلتَ: نعبدُك ونستعينك، وإن كان أَوجزَ لك، لكن[٩] في هذا النظم فوائدُ زوائدُ: موافقةُ رؤوس الآي، ونفيُ العبادة والاستعانة عن غيرِ الله تعالى، وأجلُّها: البدايةُ بذكر الله دون ذكرِ[١٠] نفسه، وهو نظرٌ من الله تعالى إلى العبادة لا من العبادة إلى الله تعالى.

---

(١) «بها»: ليست في (أ)، وفي (ف): «على».

(٢) في (ر): «ذكرت وأدعوك» بدل: «أدعوك».

(٣) في (ف): «للسان».

(٤) في (أ): «اللفظ».

(٥) في (ف): «للسان».

(٦) في (ف): «بوقوع».

(٧) بعدها في (ر): «إنما».

(٨) في (ر): «فكأنك إن»، وفي (ف): «فكأنك لو».

(٩) «لكن» سقط من (ف)، و«لك»: سقط من (أ).

(١٠) «ذكر» سقط من (ف).

وبهذا ظهر[١] علوُّ درجة نبيِّنا محمدٍ ﷺ على موسى ﷺ بقوله[٢]: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠]، وقال[٣] موسى صلوات الله عليه: ﴿إِنَّ مَعِيَ رَبِّي﴾ [الشعراء: ٦٢]، وهو معنىً لطيفٌ وعِلمٌ شريفٌ.

فإنْ قيل[٤]: لمَ كرَّر ﴿إِيَّاكَ﴾ ولو اكتفى بالأول صحَّ؟

قلنا: لأن (إيا)[٥] في أول الكلام كالكافِ في آخره، ولو قال: نعبدُك ونستعينك، احتِيج إلى تكرار الكاف، فكذلك[٦] (إيّا)، ولأن تكراره تحقيقٌ لكلِّ واحدٍ منهما مفرداً؛ أي: نعبدك لا غير ونستعين بك لا غير.

وقوله تعالى: ﴿نَعۡبُدُ﴾: فالعبادةُ في اللغة لمَعَانٍ:

أحدها: التذليل[٧] والقهر؛ قال تعالى: ﴿أَنۡ عَبَّدتَّ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ [الشعراء: ٢٢]؛ أي: ذلَّلتهم وقهَرتهم، ومنه قولهم: طريقٌ معبَّدٌ؛ أي: مذلَّلٌ بكثرةِ الوطء، قال الشاعر:

تُباري عِتَاقاً ناجياتٍ وأَتْبَعَتْ وظيفاً وظيفاً فوق مَوْرٍ معبَّدِ[٨]

---

(١) في (أ): «ولهذا ظهر»، وفي (ف): «وبهذا أظهر».

(٢) في (ر): «حيث قال»، بدل: «بقوله».

(٣) في (أ): «وقول».

(٤) في (ف) و(أ): «ولا يقال».

(٥) في (ر) و(ف): «إياك».

(٦) في (أ): «وكذا»، وفي (ف): «فكذا».

(٧) قوله: «التذليل» كذا في النسخ، ولعل الأولى: (التذلُّل)، كما في «الغريبين» للهروي (مادة: عبد)، و«تفسير القرطبي» (١/ ٢٢٣)، وسيأتي إشارة لهذا في كلام المصنف. أما التذليل فهو معنى التعبيد كما في «النكت والعيون» للماوردي (٤/ ١٦٨).

(٨) البيت لطرفة من معلقته، وهو في «شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات» لابن الأنباري =

وبعيرٌ معبَّدٌ؛ أي: مَطْليٌّ بالقَطِران، قال طَرَفةُ:

إلـى أنْ تَحامَتْني العشـيرةُ كلُّها وأُفْـرِدْتُ إفْرادَ البعيـرِ المعبَّدِ[1]

فالعبادةُ من التعبُّد، وهي التذلُّل لله تعالى.

والثاني: الإكرام والإعزاز، يقال: بعيرٌ معبَّدٌ؛ أي: مُكْرمٌ، قال حاتم:

تقولُ أَلَا أَمْسِكْ عليك فإنَّـنـي أرى المالَ عندَ الباخِلين معبَّداً[2]

فالعابد[3] على هذا هو المكرَم بالإذن في الخدمة[4].

والثالث: الأَنَفة والاستنكاف؛ قال تعالى: (قل إن كان للرحمن ولدٌ فأنا أول العَبِدين) [الزخرف: ٨١] على قراءةِ حذفِ الألف[5]، وقال الشاعر:

أولئـك آبائي فجئنـي بمثْلِــهم وأَعْبَدُ أنْ يُهْجَى كُليـبٌ بدارِمِ[6]

= (ص: ١٥٣)، و«شـرح المعلقات السبع» للزوزني (ص: ٩٤). وجاء في هامش (ف): «أي سـابقت هـذه الناقـةُ نوقـاً كرامـاً حسـاناً مسـرعات، فأتبعـت وظيفـةَ يدِهـا وظيفة رجلهـا فوق طريـق مطوي بذلـك، والعتـاق جمـع عتيـق، والمور المعبـد: الطريـق المذلـل». والوظيف قـال الزوزنـي: ما بين الرسـغ إلـى الركبـة. وقـال ابن الأنبـاري: قولـه: (أتبعت وظيفـا وظيفا)، معنـاه: لم تتـكل يدها على رِجلهـا ولا رجلُها علـى يدها.

(١) البيت من معلقته. انظر: «شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات» لابن الأنباري (ص: ١٩١)، و«شرح المعلقات السبع» للزوزني (ص: ١٠٧).

(٢) انظر: «الأضداد» لابن الأنباري (ص: ٣٥)، و«الزاهر» له (١/ ١٠٨)، و«جمهرة اللغة» (١/ ٢٩٩). وذكره ابن سيده في «المخصص» (٢/ ٣٩٦) بلفظ: (تقول ألا تمسك عليك...).

(٣) في (ر): «فالعبد».

(٤) في (ر): «بالخدمة».

(٥) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٣٧)، و«المحتسب» (٢/ ٢٥٧).

(٦) نسب للفرزدق وليس في ديوانه، وورد في المصادر بألفاظ متقاربة لكن مع احتوائها جميعا على =

فالعابدُ على هذا هو الذي يأنَفُ من خدمةِ غير مولاه، ويستنكِف عن[1] التعلُّق بسواه، ولا يعبدُ ولا يستعينُ إلا إياه.

والرابع: التكليف بالأمر[2] والنهي، يقال: تعبَّده واستعبدَه: إذا كلَّفه أمرَه ونهيَه، قال الشاعر:

تَعَبَّدني نِمْرُ بنُ سعدٍ وقد أُرَى ... ونِمْرُ بنُ سعدٍ لي مُطِيعٌ ومُهْطِعُ[3]

فالعبدُ هو المكلَّف أمرَ الله ونهيَه، والعابدُ هو المؤتمِر والمنتهي[4].

وأما تفسيرُه: فقد قال ابن عباس رضي الله عنهما: معناه: إياك نُوحِّد[5].

وقال[6] عكرمةُ: جميع ما ذُكر في القرآنِ من العبادة فالمرادُ بها التوحيدُ، وجميعُ ما ذُكر فيه من التسبيح فالمرادُ به الصَّلاةُ، وجميعُ ما ذُكر فيه من القُنوت فالمراد به الطاعةُ، وجميعُ ما ذُكر فيه من الأرائك فالمراد به السُّرُر[7] التي فوقها

= محل الشاهد. انظر: «مجاز القرآن» (١/ ٢١٨)، و«إصلاح المنطق» (ص: ٤٥)، و«جمهرة اللغة» (١/ ٢٩٩)، و«تهذيب اللغة» (٢/ ١٤١)، و«الصحاح» (مادة: عبد).

(١) في (ر): «من».

(٢) في (ف): «الأمر» بدل: «التكليف بالأمر».

(٣) أنشده ابن عباس لنافع بن الأزرق منسوبا لتبَّعٍ كما روى السيوطي في «الإتقان» (٢/ ١٠١)، والطستي كما في «الدر المنثور» (٧/ ٦٧٤)، وهو دون نسبة في «العين» للخليل (١/ ١٠١)، و«الصحاح» (مادة: عبد)، و«تفسير الثعلبي» (٥/ ٣٢٥).

(٤) في (أ): «المؤتمر المنتهي».

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ١٥٩).

(٦) في (ف): «قال».

(٧) في (ف): «فهي السرر»، وفي (أ): «فهي السور»، بدل: «فالمراد به السرر».

الكِلَّة[١]، وجميعُ ما ذُكر فيه من الكأس فهو القدَح مع الشراب، وجميعُ ما ذكر فيه من الرياح فهي رياحُ الرحمة، وجميعُ ما ذُكر فيه من الرِّيح فهي ريحُ العقوبة.

وقال سفيانُ بن عُيينة وجماعةٌ: معناه: لك[٢] نخشعُ ونخضعُ؛ أي[٣]: بالطاعة.

وقال الحسن البصريُّ: معناه: إياك نُطيع.

وروَى الضحَّاك عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن جبريل صلواتُ الله عليه قال للنبيِّ ﷺ: قل يا محمد: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾؛ أي: إياك نؤمِّلُ ونرجو ربَّنا لا غيرَك[٤].

وهذا وجهٌ لو ثبتَ روايتُه لم يُحتَجْ إلى تأويلٍ سواه[٥].

وعن الضحَّاك قال: معناه: إياك نرجو ونخافُ، وهو أهلٌ لذلك، قال تعالى: ﴿هُوَ أَهۡلُ ٱلتَّقۡوَىٰ وَأَهۡلُ ٱلۡمَغۡفِرَةِ﴾ [المدثر: ٥٦].

وقال تعالى في مدحِ الأنبياء صلواتُ الله وسلامُه عليهم: ﴿وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا

---

(١) في (ر): «الحلة». والكِلة: ستر رقيق مثقَّب يتوقَّى به من البعوض وغيره، جمعها: كِلَل. انظر: «المعجم الوسيط» (مادة: كلل).

(٢) في (ر): «إليك».

(٣) «أي»: من (أ) و(ف).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ١٥٩). وفي إسناده بشر بن عمارة الخثعمي الكوفي، وهو ضعيف، قال البخاري في «التاريخ الكبير» (٢/ ٨٠): تعرف وتنكر. وقال النسائي في «الضعفاء» (ص: ٦): ضعيف. وقال ابن حبان في «المجروحين» (١/ ١٨٩): كان يخطىء حتى خرج عن حد الاحتجاج به إذا انفرد، ولم يكن يعلم الحديث ولا صناعته. وذكر ابن كثير عند تفسير الاستعاذة في أول «تفسيره» أن هذا الإسناد فيه ضعف وانقطاع، والمراد بالانقطاع أن الضحاك لم يسمع من ابن عباس.

(٥) ولم يثبت، لما تقدم.

وَرَهَبًا﴾ [الأنبياء: ٩٠]، وقال في حقِّ القانت: ﴿يَحْذَرُ ٱلْآخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ﴾ [الزمر: ٩]، وأَمَر فقال: ﴿وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [الأعراف: ٥٦].

وقال بعض أهل المعرفة: العبادةُ شَغْلُ كُلِّكَ به، وهو: شَغْلُ القلبِ بمعرفته، وشَغْلُ الروحِ بمشاهَدته، وشَغْلُ النَّفْس بخدمته، وشَغْلُ اللسان بمِدْحته.

وقيل: العبادَةُ: إجلالُ الربِّ وإذلالُ النفس.

وقيل: هي الرِّضا بالقضاء، والصَّبرُ على البلاء، والشكرُ على النَّعْماء.

وقيل[1]: تصديقُ الله تعالى فيما أَخبر، والانقيادُ له فيما قدَّر، والطاعةُ له فيما نَهَى وأَمر، والثقةُ بما رغَّب وحذَّر.

ثم قوله: ﴿نَعۡبُدُ﴾ من العبادة ومن العُبودة.

(عبادات تواست بندكي كردن وعبودت بنده بودن، عبادت موقت است وإن كردن طاعت وست عبودت بمو بد است وإن ماندن معصيت است واست كفتني عبادت استهمه أوردن نونوي عبودت حوس بودن مردتن مال نفارت وسرقة وثواب أي بيش أز ثواب)[2].

روَى أبو أُمامةَ الباهِليُّ رضي الله تعالى عنه عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «درهمٌ واحدٌ

---

(١) بعدها في (أ): «هو».

(٢) في هامش (ف): «تعريبه: العبادة: القيام بواجب الخدمة والطاعة، والعبودية: صيرورته عبداً لا ملك ولا قدرة له، وقيل: العبادة موقتة وهو الطاعة في أوقات معينة مقدرة، والعبودة مؤبدة وهو ترك العصيان أبداً، وقيل: العبادة الصدق في الكلام والعبودة عدم التكلم بالكذب أصلا وتركُ جميع أعوانه، وقيل: العبادة فعل ما يرضى الله عنه والعبودة الرضى بما فعل الله تعالى، وقيل: العبادة إعطاء المال بطريق الزكاة والصدقة، والعبودة: الفرح بما أخذ منه من المال بطريق التعدي والظلم والنهب والسرقة، وثواب هذا أعظم من ثواب ذلك».

يأخذه السُّلطان ظلماً واعتداءً خيرٌ من أن يتصدَّق بثلاثِ مئة ألفِ درهم»[١].

وصاحبُ العبادة عابدٌ[٢]، وجمعُه: عُبَّاد، وصاحب العُبودة عبدٌ وجمعُه: عِبَاد، وقد مدح الله تعالى الملائكةَ والنبيِّين والمؤمنين بهما، فقال في حقِّ الملائكة في صفَة العبادة: ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ﴾ [الأعراف: ٢٠٦] وقال في صفة العبودة: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦].

وقال في عبادة الأنبياء: ﴿وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٣] ﴿وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٤].

وقال في عبودتهم[٣]: ﴿إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الإسراء: ٣] ﴿كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ﴾ [التحريم: ١٠] ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الصافات: ٨١]، ﴿وَاذْكُرْ عِبَادَنَا﴾ [ص: ٤٥] ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا﴾ [ص: ١٧] ﴿نِعْمَ الْعَبْدُ﴾ [ص: ٣٠] ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ﴾ [مريم: ٣٠]، ﴿نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ﴾ [الفرقان: ١]، ﴿أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ﴾ [الإسراء: ١]، ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ﴾ [النجم: ١٠]، ﴿لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ﴾ [الجن: ١٩].

وقال في حقِّ المؤمنين في صفة العبادة: ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ﴾ [التوبة: ١١٢]، وقال في صفة العبودة: ﴿يَا عِبَادِيَ﴾ [العنكبوت: ٥٦].

فمِن العبادة: الصَّلاةُ بلا غَفلةٍ، والصومُ بلا غِيبةٍ، والصَّدقةُ بلا مِنَّةٍ، والحجُّ بلا إراءةٍ، والغزوُ بلا سمعةٍ، والعِتقُ بلا أذيَّةٍ، والذِّكرُ بلا ملالةٍ، وسائرُ الطاعات بلا آفةٍ.

---

(١) لم أجده.

(٢) في (ف): «عَبْدٌ».

(٣) في (أ): «عبادتهم».

ومن العبودة: الرِّضا بلا خُصومةٍ، والصبرُ بلا شكايةٍ، واليقينُ بلا شبهةٍ، والشهود بلا غَيبةٍ، والإقبال بلا رجعةٍ، والاتصال بلا قطيعةٍ.

وقيل: حقيقةُ العُبودةِ: تركُ الدعوى، واحتمالُ الأذى، وحبُّ المولى.

وقيل: هي أن لا يكونَ عندك للدنيا خطرٌ(١)، ولا للكونَين في قلبك أثر.

وقيل: هي حفظُ الحدود، والوفاءُ بالعهود، والرضا بالموجود، وتركُ طلَبِ المفقود.

وقال شقيقٌ: هي تركُ الدنيا لأهلها، وطلبُ الآخرة بحقِّها، وأنْ تجعلَ هواك تحت قضاءِ الله تعالى ورضاهُ، والاستعدادُ للموت والقيامة.

وقيل: علامتُها: أن لا يزيدَ في رِفعتك إلا زدتَ في التواضع، ولا يزيدَ في مالكَ إلا زدتَ في السَّخاوة، ولا يزيدَ في عمركَ إلا زدتَ في الطاعة.

وقيل: هي رؤيةُ المنَّةِ، وجهدُ الخدمةِ، وخوفُ الخاتمة.

فالأول: للخليل حيث قال: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهۡدِينِ﴾ الآيات [الشعراء: ٧٨].

والثاني: للحبيب حيث قام حتى تورَّمتْ قدَماهُ.

والثالث: ليوسف الصديق حيث قال: ﴿تَوَفَّنِى مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١].

ثم العبادةُ أمرٌ خلَق اللهُ الجنَّ والإنس ليأمرهم بها، فقال(٢): ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، وأَمر بها الناسَ على العموم فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ

---

(١) في (أ): «حظ».

(٢) في (أ): «قال»، وكلمة «بها» ليست في (ف).

﴿ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ [البقرة: ٢١]، وخصَّ بها الأنبياءَ فقال: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وخصَّ من بينهم موسى فقال: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي﴾ [طه: ١٤].

وقال في حقِّ الأمم: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ [النحل: ٣٦].

وقال في قصةِ كلِّ نبيٍّ: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾.

وقال في بني إسرائيل: ﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ لَا تَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [البقرة: ٨٣].

وقال في حقِّ قوم عيسى: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُ﴾ [مريم: ٣٦].

وقال في حقِّ هذه الأمة: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٩٢]، وقال: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾ [النساء: ٣٦]، وقال: ﴿وَٱعۡبُدُوهُ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥٓ﴾ [العنكبوت: ١٧]، وقال: ﴿فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [العنكبوت: ٥٦].

وخصَّ به المصطفى فقال: ﴿فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِ﴾ [هود: ١٢٣]، وقال: ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩]، وقال: ﴿فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦ﴾ [مريم: ٦٥]، وقال تعالى: ﴿بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٦]، وأمره أن يقول ذلك باللسان أيضاً فقال: ﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعۡبُدُ مُخۡلِصٗا لَّهُۥ دِينِي﴾ [الزمر: ١٤]، وأمرنا به أيضاً أن نقول: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾: أي: نطلبُ العونَ ونسألُه، فإنَّ سينَ الاستفعالِ للطَّلب والسؤال.

وقال بعضُ أهل المعرفة: هي طلبُ العين؛ أي: نسألُك أن تجعلَنا نعبدُك كأننا

نُعاينُكَ، فقد ثبتَ في الحديثِ أنَّ الإحسان: «أنْ تعبدَ الله كأنك تَراهُ فإنْ لم تكن تراه فإنه يَراك»[١].

وقال ابن عباسٍ رضي الله عنهما: معناه: وإياك نستعينُ على عبادتِك.

وقال السُّدِّيُّ: معناه: وإياك نستعينُ على ما لا طاقة لنا به.

وقال الحسن رحمه الله: وإياك نستعينُ على الشيطان الذي يمنعُنا عمَّا خلَقْتنا[٢] له من عبادتك.

وقال ابن عُيينةَ: وإياك نستعينُ على محاربةِ الشيطان الذي يمنعُنا عن[٣] عبادتك.

وقال مقاتل بن سليمان: أي: بك نستعين في أمورنا على ما يُصْلحنا في دِيننا ودُنيانا.

والجامعُ للأقاويل: نسألُكَ أن تُعِيننا على أداءِ الحقوق، وإقامةِ الفروض، وتحمُّلِ المكاره، وطلبِ المصالح.

فإن قالوا: المعونةُ إنما تُطلب قبل العمل، فهلَّا قال: ﴿إياك نستعين﴾ قبل قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾.

فجوابُه من وجوهٍ:

أحدها: أن الواو لمطلَقِ الجمع لا للترتيبِ، فمعناه: أنه يأتي بهما ولا يتركُهما[٤].

---

(١) رواه البخاري (٥٠)، ومسلم (٩)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) في (أ): «وإياك نستعين على ما خُلِقنا».

(٣) في (ف): «من».

(٤) في (ر): «يأتي بها ولا يتركها».

وآخَرُ[١]: أنَّ معناه: إياكَ نوحِّدُ وإياكَ نستعينُ على الثبات على التوحيد.

وآخَرُ: أن معناه: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ على أداء الطاعات بعد التوحيد.

وآخَرُ: أن معناه: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ في الحال، ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ على ذلك في الاستقبال[٢].

وآخَرُ: أن معناه: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ بظواهرنا فهي التي في وُسعِنا، ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ على حفظ بواطِنِنا فأنت الذي تقلِّبها كيف تشاء.

وآخَرُ: أن معناه: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ على الرجاء ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ على الخوف.

وآخَرُ: أن معناه: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ على الشكر، ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ على الصبر.

وقال أبو بكرٍ الورَّاقُ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ لأنك خلقْتَنا، ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ لأنك هدَيْتنا[٣].

وقال محمد بن عليٍّ الترمذيُّ[٤]: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ فاقبَلْ عبادتنا وإنْ كانت غيرَ صافيةٍ، ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ فأَعِنَّا وإنْ كنَّا غيرَ مستحقِّين للإعانة.

وقال أبو الحسن القَنَّاد[٥] رحمه الله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ لأنك الصانعُ، ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ لأن المصنوعَ لا غنَى به[٦] عن الصانع.

---

(١) في (ر): «ووجهٌ آخر».

(٢) في (ف): «في المستقبل» بدل: «على ذلك في الاستقبال». وجاء في هامشها ما يوافق المثبت.

(٣) انظر: «تفسير الثعلبي» (١/ ١١٨).

(٤) هو الترمذي صاحب «نوادر الأصول».

(٥) في (ر): «الحسين القناد» وفي (ف): «الحسن القتاد». والمثبت من (أ)، والذي في «تفسير الثعلبي» (١/ ١١٨): (وسمعت أبا القاسم الحبيبي يقول: سمعت أبا الحسن علي بن عبد الرحمن الفران وقد سئل عن الآية فقال..) وذكره.

(٦) في (ر): «له»، والمثبت موافق لما عند الثعلبي.

وقيل: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ لأنَّا عبيدٌ، ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ لأنك كريمٌ مَجيد.

وقيل: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ لأنك المعبود بالحقيقة ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ على لُزوم هذه الطريقة.

وقيل: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ وهذا تذلُّلٌ في الظَّاهر ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ على أن تَعلَم قلوبُنا أنه تَعزُّزٌ في الحقيقة والباطن، وقد[1] قال قائلُهم:

وإذا تذلَّلتِ الرِّقابُ تقرُّباً ... منَّا إليكَ فعِزُّها في ذُلِّها[2]

وقيل: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ بقطع العلائق والأعراض[3]﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ على الثبات على هذا الحال فإنه بك لا بنا.

وقيل: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ بالإخلاص ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ على المكاشفة لأسرارنا.

وقيل: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ بأمرك ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ عليها بفضلك.

وقيل: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ بالدعاء[4]﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ أن تُسقطَ عنا الدعاوي وتردَّنا إلى رياض الحقائق.

وقيل: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ بالتوفيق ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ على شكر ما وفَّقتنا من عبادتك.

ثم الجمعُ بين الكلمتين للافتخار والافتقار، فقوله: ﴿نَعْبُدُ﴾ افتخارٌ بكونه

---

(١) «وقد»: ليست في (أ).

(٢) البيت لأبي إسحاق الصابي كما في «يتيمة الدهر» (٢/ ٣٢٥)، ودون نسبة في «لطائف الإشارات» (١/ ١٣).

(٣) في (ف): «والأعواض»، وفي (أ): «والأعواص».

(٤) في (أ): «بالدعاوي».

عبداً له عابداً له، وقولُه تعالى: ﴿نَسْتَعِينُ﴾ افتقارٌ إلى معونتِه، واحتياجٌ إلى توفيقِه وعِصمته، كأنه[1] يقول: (بناز وسر يرادكه بيده مني، وبنو روسو فر وداركه مي معونت من برهيج مني)[2].

وقالوا: هما لتعليمِ بذل المجهودِ، وتلقينِ سؤالِ العطاءِ والجُود.

ثم تحقيقُ هذين اللفظينِ من العبد: أن لا يَخدمَ غيرَ الله، ولا يسألَ غيرَ الله، بعدما أظهرَ هذا من نفسِه أنه إياه يَعبدُ وإياه يستعين.

وقد حُكي عن سفيان الثوريِّ: أنه أَمَّ قوماً في صلاة المغرب، فلما قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ خرَّ مغشياً عليه، فلما أفاق قيل له في ذلك، فقال: خفتُ أن يُقالَ لي: فلمَ تَذهبُ إلى أبوابِ الأطبَّاء والسَّلاطين؟

ثم في مجموعِ الكلمتين تحقيقُ مذهب أهل السُّنة والجماعة، وهو إثباتُ الفعل من العبدِ والتوفيقِ من الله تعالى، وفيه ردٌّ على[3] الجبريَّة والمعتزلةِ[4]:

فالجبريةُ يَنْفون الفعلَ من العبد، وقولُه: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ يردُّ عليهم ذلك.

والمعتزلةُ لا يَرون التوفيقَ من الله[5]، وقولُه: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ يردُّ ذلك عليهم.

---

(١) في (ر): «وكأنه».

(٢) في هامش (ف): «تعريبه: كأنه يقول: افتخر وترفع... وافتخر واخفض فعبادتك بغير معونتي لست بشيء ينفع».

(٣) «على» من (ف).

(٤) في (ف): «والقدرية».

(٥) في (ف): «ربهم».

وأهلُ السنَّة والجماعةِ يقولون: من العبد الفعلُ واختيار الفعل، ومن الله تعالى خلقُ ذلك الفعلِ ومشيئةُ ذلك الفعلِ، والآيةُ تدلُّ على ذلك كلِّه.

وقال الإمامُ أبو منصورٍ رحمه الله: قولُه: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ هو على إضمارِ الأمر؛ أي: قلْ هذا، ثم لم يَجعلْ له أن يستثنيَ في[1] القول به،بل أَلزمه القولَ به، فيجب أن لا يستثنيَ في التوحيد، فإن مَن استثنَى فيه عن[2] شكٍّ يُستثنَى، والله تعالى يقول: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟﴾ [الحجرات: ١٥].

وقال النبيُّ ﷺ: «أفضلُ الأعمال إيمانٌ لا شكَّ فيه»[3].

قال: وقولُه: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ فيه إبطالُ قولِ المعتزلة؛ لأن الاستعانة لا تصحُّ على قولهم؛ لأن تلك المعونةَ على أداء ما كلِّف قد[4] أُعطيَ العبد ذلك، إذ على قولهم لا يجوزُ أن يكون مكلَّفاً وقد بقيَ شيءٌ مما به أداءُ ما كلِّف به عند الله، وطلبُ ما أُعطيَ كتمانُ العطية، وهو كفرانٌ، فيصير كأنَّ الله تعالى أَمر[5] أن يَكفرَ نعمَه ويكتمَها[6] ويطلبها منه تعنُّتاً، وظنُّ مِثله بالله كفرٌ.

ثم لا يخلو من أنْ يكون عند الله تعالى ما يطلب فلمْ يُعْطِ التمامَ إذاً، أو

---

(١) في (ر): «من»، والمثبت موافق لما في «التأويلات».

(٢) في (ف) و(أ): «فعن»، وفي (ر): «فمن»، والمثبت من «التأويلات».

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٧٥١١)، والبخاري في «خلق أفعال العباد» (١٥٣)، وابن حبان في «صحيحه» (٤٥٩٧)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) في (ر): «إذ قد»، والمثبت موافق لما في مطبوع «التأويلات»، ولعل صوابها: (وقد).

(٥) في (ر): «أمره»، والمثبت موافق لما في «التأويلات».

(٦) في (ر): «ويكفرها»، والمثبت موافق لما في «التأويلات».

ليس عنده فيكونُ طلبه استهزاءً به، إذ مَن طلَب إلى آخرَ ما يَعلم أنه ليس عنده فهو هازئٌ به.

ولأن الذي يطلب إمَّا أن يكونَ لله أن لا يُعطيَه مع التكليف، فيَبْطُل قولهم؛ إذ[١] لا يجوز أن يكلِّف وعنده ما به الصلاحُ في الدِّين فلا يعطي، أو ليس له أنْ لا يعطيَ، فكأنه قال: اللهم لا تَجُرْ، ومَن هذا علمُه بربِّه فالإسلامُ أولى به[٢].

ثم قولُه[٣]: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ وإنْ أُضمر فيه الأمرُ بالقول في أولِ السورة كذلك، فإنَّ الأول مغايَبةٌ وهذا مخاطَبةٌ، وكذلك قوله: ﴿ٱهۡدِنَا﴾، فكيف جمع بينهما؟

وجوابه: أنه سائغٌ[٤] في كلام العرب، ووارِدٌ في القرآن:

قال الله تعالى: ﴿وَسَقَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ شَرَابٗا طَهُورًا﴾ [الإنسان: ٢١]، ثم قال: ﴿إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمۡ جَزَآءٗ﴾ [الإنسان: ٢٢].

وقال: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحۡشُرَنَّهُمۡ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحۡضِرَنَّهُمۡ حَوۡلَ جَهَنَّمَ﴾ [مريم: ٦٨]، ثم قال: ﴿وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: ٧١].

وقال تعالى: ﴿وَٱمۡرَأَةٗ مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا﴾ [الأحزاب: ٥٠] ثم قال: ﴿خَالِصَةٗ لَّكَ﴾ [الأحزاب: ٥٠].

وهذا كلُّه مغايَبةٌ ثم مخاطَبةٌ.

---

(١) في النسخ: «أنه»، والمثبت من «التأويلات».

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» (١/ ٣٦٢ ـ ٣٦٥)، وفي نقل المؤلف شيء من الاختصار والتصرف.

(٣) في (ر): «وقوله»، بدل: «ثم قوله».

(٤) في (ف): «شائع».

وقـد وردت المغايَـةُ بعـد المخاطبة أيضـاً قال تعالـى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِى ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ﴾ [يونـس: ٢٢].

وقال النابغة:

يـا دارَ ميَّـةَ بالـعـلـيـاءِ فـالـسَّـنـدِ أَقْوَتْ وطـالَ عليهـا سـالفُ الأبـدِ[1]

رجَع في هذا من المخاطَبة إلى المغايَبة.

وقال آخرُ ورجَع عن المغايَبة[2] إلى المخاطَبة:

يـا ويـحَ نفسـي كان جِـدَّةُ خـالـدٍ وبـيـاضُ وجهِـكَ للتُّـرابِ الأَعْفـرِ[3]

ثم اللطيفةُ فيه هاهنا: أن المحبَّ إذا ابتدأ عاتَبَ وإذا انبسَط خاطَبَ.

ومنهم مَن جعَل ابتداءَ هذه المخاطبة من قوله عزَّ وجلَّ: (مالِكَ يومِ الدِّين) على قراءةِ مَن نصَب الكافَ على النداء، ومَن قرأ: (ربَّ العالَمين) على النصبِ جعَل الابتداءَ من ذلك، ومَن جعلَهما نصباً على المدح أو على القطع كان على المغايَبة بناءً على افتتاحِ السُّورة.

وقولُه عليه السلام في حديث القِسمة: «هذا بيني وبينَ عَبْدي نصفَين»[4]، أشار الإمامُ أبو منصورٍ رحمه الله إلى معنيَين فيه:

---

(١) انظر: «ديوان النابغة الذبياني» (ص: ٣٠).

(٢) في (ر): «من الغائبة».

(٣) البيت لأبي كبير الهذلي. انظر: «ديوان الهذليين» (٢/ ١٠١)، و«تفسير الطبري» (١/ ١٥٦)، و«تأويل مشكل القرآن» لابن قتيبة (ص: ٢٢٣)، و«المستقصى» للزمخشري (١/ ٦٧). والشاهد فيه قوله: وبياض وجهك، وكان حقه: وبياض وجهه. وتسمية المؤلف لما هنا بالمخاطبة والمغايبة قد سماها غيره: الالتفات. انظر: «الكشاف» (١/ ١٣)، و«البحر» (١/ ٧٣).

(٤) قطعة من حديث رواه مسلم (٣٩٥) عن أبي هريرة رضي الله، وتقدم بتمامه.

أحدُهما: أن يكون كلُّ واحدٍ منهما بين الله وعبدِه، العبادةُ من العبدِ وهي للهِ تعالى، والاستعانةُ فعلُ العبد وهي طلبُه من الله تعالى.

والثاني: أن العبادةَ من العبد لله تعالى، والمعونةَ من الله تعالى للعبد، وهذا أظهرُ؛ لأنه قال في بقية السورة: «هذا لعَبْدي ولعَبْدي ما سَأل»(١) لمَّا كان نفعُ الهدايةِ للعبد جعَله للعبد، فكذلك نَفْعُ المعونة(٢).

ثم دلَّت هذه القسمةُ على أنَّ التسميةَ ليست من الفاتحة، فإنه جعَل السورةَ نصفين، ثم جعل هذه الآيةَ المتوسطةَ نصفين، وقَبْلَها ثلاثُ آياتٍ بدون التسمية، فتصيرُ مع نصفِ هذه الآية نصفَ السورة، ونصفُ هذه الآية مع الثلاثِ الآيات التي بعدها نصف السورة، وهي سبعُ آياتٍ.

وأنه لم يَعدَّ البسملة(٣) في تقسيمها، بل بدأ بقوله: «فإذا قال العبد: الحمد لله، قال الله تعالى: حَمِدني عبدي» (٤).

وهذا قولُ قرَّاء المدينة والبَصرة وفقهاءِ الكوفة، وعلى ذلك دلَّتِ الأخبارُ وآثار الصحابة رضي الله تعالى عنهم.

* * *

(٦) ـ ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ٱهْدِنَا﴾: انتظامه بما قبله: أن قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ إظهارُ

---

(١) قطعة من الحديث السابق.

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» (١/ ٣٦٥)، وفي نقل المؤلف شيء من التصرف.

(٣) في (أ): «التسمية».

(٤) قطعة من الحديث السابق.

التوحيد[١] من نفسه، و﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ طلبُ العونِ من ربه، وقوله: ﴿ٱهْدِنَا﴾ سؤالُ الثباتِ على دِينه، وهو تحقيقُ عبادته واستعانتِه.

وفي تفسير الكلمة أقاويلُ:

أحدها ـ وهو المجمَع على صحته ـ: قول عليٍّ وأبيٍّ رضي الله عنهما: ﴿ٱهْدِنَا﴾؛ أي: ثبِّتْنا على هذا الصراط المستقيم[٢]، وهذا كما يقالُ للرجل: كُلْ، وهو يأكل، و: اقرأْ، وهو يقرأ؛ أي: دُمْ على ذلك واثْبُتْ عليه، وهو نظيرُ قول إبراهيمَ وإسماعيل عليهما الصلاة والسلام: ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾ [البقرة: ١٢٨] وهو[٣] دعاءُ استدامةٍ واستثباتٍ، وبذلك خاطَب اللهُ جلَّ جلالُه المؤمنين فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [النساء: ١٣٦].

والثاني: قول مقاتل والسدِّي: ﴿ٱهْدِنَا﴾؛ أي: أَرْشِدْنا، وهو طلبُ إعطاءِ الرُّشدِ[٤] في كلِّ ساعةٍ إلى الطريق المستقيم كيلا يَزيغَ عنه لحظةً؛ فعلاً ولا قولاً ولا نيةً، وكذا قال ابن عباسٍ رضي الله عنهما: معناه: أرشِدْنا إلى الطاعات[٥].

والثالث: قولُ بعضِ المفسِّرين: إنه طلبُ الزيادة المذكورةِ في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ زَادَهُمْ هُدًى﴾ [محمد: ١٧]، قيل[٦]: وهو اليقينُ والنور؛ أي: زدنا اليقينَ الصائبَ والنورَ الثاقبَ حتى نزدادَ كلَّ يومٍ استبصاراً، وعلى الدِّين الحقِّ ثباتاً وقراراً.

---

(١) في (ر): «للتوحيد».

(٢) انظر: «تفسير أبي الليث» (١/ ٤٣) عن علي، و«تفسير البغوي» (١/ ٥٤) عن علي وأبي.

(٣) في (أ) و(ف): «هو».

(٤) في (ف): «طلب الإعطاء للرشد».

(٥) انظر: «تفسير أبي الليث» (١/ ٤٣)، و«تأويلات أهل السنة» (١/ ٣٦٦).

(٦) «قيل» زيادة من (ف).

والرابع: قولُ بعضهم: معناه: وفِّقْنا، قال الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٨]؛ أي: لا يوفِّقُهم، وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: ٦٩]؛ أي: لنوفِّقَنَّهم لسلوكِ سبُلنا، وقال الشاعر:

فلا تَعْجَلنِّي هَدَاكَ المَلِيكُ فإنَّ لكلِّ مقامٍ مقالا[١]

والخامس: قولُ بعضِهم: معناه: قدِّمْنا إلى[٢] طريق الجنة؛ قال تعالى: ﴿فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٢٣]؛ أي: قدِّموهم، وهو من قولهم: أقبلَتْ هَوَادي الخيل؛ أي: متقدِّماتُها[٣]، وهوادي الجبال: وجوهُها وأعناقُها، وهادِيَةُ الإجْلِ[٤]: العَنْزُ المتقدِّمةُ عليها.

وأصل الكلمة: الإمالةُ، وأغلبُ استعمالها في الإرشادِ والدِّلالة، يقال: هداه كذا، ولكذا، وإلى كذا، وثلاثتُها في القرآن: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦] ﴿يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [النور: ٣٥] ﴿وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: ٢١٣].

والدلالةُ إمالةٌ، وهِدَاءُ[٥] العروس إلى زوجها ـ وهو زفافُها ـ كذلك، وإهداءُ

---

(١) انظر: «مجاز القرآن» (٢/ ٣)، و«المقتضب» (٣/ ٢٢٤)، و«تفسير الطبري» (١/ ١٦٦)، و«الزاهر» لابن الأنباري (١/ ١٠٤)، و«الانتصار للقرآن» للباقلاني (٢/ ٦٣٨)، و«تفسير الثعلبي» (٦/ ٢٠٧)، ولفظهم عدا الطبري: (تحنن علي هداك...)، وعزاه أبو عبيدة وجماعة للحطيئة.

(٢) في (ف) و(أ): «في».

(٣) في (ف): «مقدماتها».

(٤) في هامش (أ): «الإجل هو قطيع البقر والظباء».

(٥) في (أ): «وإهداء». وكلاهما صواب، قال الزجاج في «معاني القرآن» (٢/ ٣٣٩): وأهديت العروس إلى زوجها وهديْتُها. والأخفش فصَّل فقال في «معاني القرآن» (١/ ٣٢٥): وبنو تميم يقولون: هَدَيْت العروسَ إلى زَوْجِها، جعلوه في معنى: دَلَلْتُها، وقيس تقول: أَهْدَيْتُها، جعلوها بمنزلة الهدية.

الهديَّة إلى الصَّدِيق كذلك، وإهداءُ[١] الهَدْيِ إلى الحرم كذلك، وتهادَى القومُ في المشي: إذا[٢] تمايَلوا، وخرج فلانٌ يُهادَى بين اثنينِ من ذلك، والهادي: العنقُ والعصا والسائقُ[٣] من ذلك أيضاً.

والهديُ المذكور في القرآن وإن ذُكِرت وجوهُه زائدةً على العشرة فحاصلُه شيئان:

أحدهما: البيان، كما في قوله عز وعلا: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ﴾ [فصلت: ١٧].

والثاني: خلقُ فعلِ الاهتداء في العبد، كما في قوله: ﴿يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ [البقرة: ١٤٢].

وقد يجيءُ ثالثٌ وهو الإثباتُ على الاهتداء، وهو عين الثاني لأنه يجدِّده فيه.

فعلى[٤] هذا قولُه: ﴿اهْدِنَا﴾ ليس هو سؤالَ البيانِ فإنه سابقٌ، ولا ابتداءِ الإيجاد فإنه قد أعطاه، لكنه سؤالُ التثبيت وهو تجديدُه فيه ساعةً بعد ساعةٍ.

فأمَّا وجوهُه المذكورةُ في القرآن: فقد ذُكر للبيان، وذُكر لخَلْق فعل الاهتداء، وقد تلَوْنا الآيتين.

وللتثبيت: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾.

وللدَّعوة: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرعد: ٧].

وللدِّلالة: ﴿عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ [القصص: ٢٢].

---

(١) في (ر): «وأهدى»، والمعنى واحد.

(٢) في (أ): «أي».

(٣) في (أ) و(ف): «والسابق».

(٤) في (أ): «وعلى».

وللإصلاح: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ﴾ [يوسف: ٥٢].

وللإلهام: ﴿وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ [الأعلى: ٣]؛ أي: خلق الذَّكر والأنثى فألهمَهُما كيف يأتيها وتأتيه.

وللدِّين: ﴿إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ﴾ [البقرة: ١٢٠].

ولليقين: ﴿وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾ [الكهف: ١٣].

وللتَّوحيد: ﴿أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ﴾ [سبأ: ٣٢].

وللرُّسل والكتب: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى﴾ [البقرة: ٣٨].

ولأمر محمدٍ ﷺ خاصةً: ﴿يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ﴾ [البقرة: ١٥٩].

وللقرآن خاصَّةً: ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ [النجم: ٢٣].

وللتوراة خاصَّةً: ﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى﴾ [الإسراء: ٢].

وذُكر الاهتداءُ في القرآن لوجوهٍ:

لمعرفة طرُق الدنيا: ﴿وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [النحل: ١٦].

وللاسترجاع: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٧].

وللاستنان بسَنَنِ الماضين: ﴿وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٢].

ولسلوك مذهب السنَّة والجماعة: ﴿وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾ [طه: ٨٢].

ولبعض أهلِ التحقيق[1] في قوله: ﴿ٱهْدِنَا﴾ كلماتٌ مليحةٌ وهو الإمامُ القشيريُّ قال:

(١) في (أ): «ولبعض أهل المحققين»، وفي (ر): «ولبعض المحققين».

﴿ ٱهْدِنَا﴾؛ أي: مِلْ بنا إليك، واجعَلْ إقبالَنا عليك، وكنْ عليك دليلَنا، ويسِّر إليك سبيلَنا.

اقطعْ أسرارَنا عن شهود الأغيار، ولوِّح في قلوبنا طوالعَ الأنوار، وأفرِدْ قُصودنا إليك عن دنسِ الآثار، ورقِّنا عن منازل الاستدلالِ إلى ساحات القُرب والوصال، وحُلْ بيننا وبين مساكَنةِ الأمثال والأشكال بما تكاشِفُنا به من شهودِ الجمال والجلال.

أزِلْ عنا ظلماتِ أحوالنا لنستضيءَ بنور بأنوارِ قدسك، وارفع عنا ظلَّ(١) جهدنا لنستبصِرَ بنجوم جُودك.

احفَظْنا عن(٢) النَّزَغات والوساوس، والخطَرات والهواجس، كيلا يستهوِيَنا آفةٌ من فشلٍ أو هوادة، أو طبعٍ أو عادة، أو كسلٍ أو ضعفِ إرادة، أو طمعِ مالٍ واستزادة(٣).

قال الإمام أبو منصورٍ رحمه الله: قالت المعتزلة: المراد بالهداية(٤) هاهنا البيانُ، فإنهم لا يَرون من الله عز وجل خلقَ فعلِ الاهتداء، ولو كان كما قالوا فهم(٥) والمغضوبُ عليهم والضالُّون في ذلك سواءٌ؛ لأنه قد بيّن للكلِّ(٦).

ثم في هذه الكلمةِ فوائدُ:

---

(١) في (ر): «ظلة» وفي (ف): «ظلمة»، والمثبت من (أ) و«اللطائف».

(٢) في (ف): «واحفظنا من».

(٣) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٤٩ ـ ٥٠).

(٤) في (ر) و(ف): «المراد من هذه الآية».

(٥) في مطبوع «التأويلات»: «فهو»، فإن لم يكن تحريفا يكون الضمير عائداً على القائل: ﴿ ٱهْدِنَا﴾ باعتبار اعتقاده أن المعنى من ذلك البيان، والمؤدى واحد لمن تأمل.

(٦) انظر: «تأويلات أهل السنة» (١/ ٣٦٦).

منها: أنَّ الله تعالى أمر عباده بهذا السؤالِ لأنه أهمُّ حوائجهم، وهو الذي سأله الأنبياءُ عليهم السلام والأولياءُ، قال[1] يوسفُ صلوات الله عليه: ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا﴾[2] [يوسف: ١٠١]، وقال سحرةُ فرعونَ عليه لعائنُ الله: ﴿وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٦]، وقالت الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين: ﴿وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾ [آل عمران: ١٩٣]، وما ينبغي أن يُعتمد على ظاهرِ الحال، فقد يتغيَّر في المآل، واعتَبِرْ بإبليس وبرصيصا، وبلعامَ[3] وثعلبة.

ومنها: أنه علَّم كيفيَّةَ الدعاء، وهو البدايةُ بالثناء، وقد قال عليه الصلاةُ والسلام: «مَن بدأ بالدُّعاء قبل الثَّناء فهو قَمِنٌ أنْ لا يُستجابَ له»[4].

ومنها: أنه أَمر بهذا الدعاءِ، ولو لم يُرِدْ به[5] الإجابةَ لَمَا أَمر به، وقد حقَّق ذلك فيما روِّينا: «هذا لعبدي ولعبدي ما سأل»[6]، وهذا إثباتُ المباسَطةِ، وهو دليلُ حقيقةِ المحبة، وما رُوي: أن المصلِّيَ يناجي ربَّه[7]، فقد قيل: هو في هذا، وفي إثباتِ هذه المناجاةِ إثباتُ المحبةِ والقربةِ والخصوصيَّة، فلا مناجاةَ إلا من أهل المحبة، وإلا بَعدَ نيلِ القُربة، وإلا عند ظهورِ الخصوصيَّة.

ومنها: أنَّ قوله تعالى: ﴿اهْدِنَا﴾ على الجمعِ يكون لنفسه ولعامة المسلمين،

---

(١) في (ف): «فقال».

(٢) زاد في (أ): «﴿وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾».

(٣) في (ف) و(أ): «وبلعم».

(٤) لم أجده، وروى ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٩١٧١) عن إبراهيم التيمي قال: كان يقال: إذا بدأ الرجل بالثناء قبل الدعاء فقد وجب، وإذا بدأ بالدعاء قبل الثناء كان على رجاء.

(٥) «به» من (ف).

(٦) قطعة من حديث رواه مسلم (٣٩٥)، وتقدم.

(٧) قطعة من حديث رواه البخاري (٥٣١) من حديث أنس رضي الله عنه.

وهو إثباتُ محلِّ الشفاعةِ له، ويقول في آخِر الصلاة: واغفر[1] للمؤمنين والمؤمنات، فيشفع لهم في طلب المغفرة، ويقول: ﴿ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ٢٠١]، فيشفع لهم في سؤالِ مصالحِ الدنيا والآخرة، وفي القيام يقول: ﴿ٱهْدِنَا﴾ وهذا[2] سؤالٌ لنفسه ولهم الثباتَ على الإيمان والمعرفةِ، وأنه أعظم الشفاعة، ولمَّا ثَبتت الشفاعة لكلِّ مؤمنٍ في حقِّ كلِّ أهلِ الإيمان، فما ظنُّك بشفاعة النبيِّ ﷺ في حقِّ أهل العصيان؟

وقوله تعالى: ﴿ٱلصِّرَٰطَ﴾: فقد قرأ نافع وأهلُ العراق والعامَّةُ بالصَّاد، وقرأ ابنُ عباس رضي الله عنهما بالسّين، وبه قرأ بعضُ القرَّاء وهو ابن كثير[3]، وقرأ حمزة بإشمام الزاي قليلاً[4].

فالصَّادُ لغةُ قريشٍ، والسِّينُ لغةُ بني قيسٍ، والزايُ لغةُ بني عُذْرةَ.

والصّراط هو السبيل، وقيل: هو الطريق السَّوِيُّ، وقيل: هو الطريق الواضح.

وقيل: هو لغةُ الروم.

وقال أبو عبيدةَ: ليس في القرآن غيرُ اللغةِ العربية.

وقيل: لمَّا تكلَّمت العرب به صارت عربيةً أيضاً.

---

(١) في (ف): «صلاته اغفر».

(٢) في (أ): «وهو».

(٣) في (ر) و(ف): «وبه قرأ ابن كثير». وهي قراءة ابن كثير في رواية قنبل من السبعة، وقراءة يعقوب في رواية رويس من العشرة. انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٠٥)، و«التيسير» للداني (ص: ١٨)، و«النشر» لابن الجزري (١/ ٢٧١).

(٤) هي قراءة حمزة في رواية خلف حيث وقعت، وخلَّاد في الموضع الأول من الفاتحة. انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٠٦)، و«التيسير» للداني (ص: ١٨).

وقيل: هو من الاسْتراط وهو الابتلاعُ، سمي به لأنه يبتلِعُ سالكيه.

وقيل: إن المسترَط هو[١] ممرُّ الطعام، والطريقَ ممرُّ الأنام، وصارت السينُ صاداً لمطابقةِ الطاء، وكذا الضعيف يَقْوَى باتصاله بالأقوياء.

واختُلف في المرادِ به هاهنا:

فقال ابنُ عباسٍ وجابرٌ وابنُ الحنفيةِ والضحاكُ ومقاتلٌ وابن جُريجٍ: هو الإسلام[٢]، قال تعالى خبراً عن إبليس: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الأعراف: ١٦]؛ أي: لأضلَّنهم عن دين الإسلام[٣]، وقال لنبيه[٤] محمدٍ ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [المؤمنون: ٧٣].

وقال عليٌّ وابن مسعودٍ رضي الله عنهما: هو كتاب الله تعالى؛ قال تعالى: ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الزخرف: ٤٣][٥].

وقال الحسن البصريُّ وأبو العالية الرِّيَاحيُّ رحمهما اللهُ: هو طريقُ النبيِّ ﷺ، وصاحبيه أبي بكرٍ وعمرَ رضي الله عنهما[٦].

قال الله تعالى في حقِّ النبيِّ ﷺ: ﴿وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ [الفتح: ٢].

---

(١) «هو»: ليس في (أ) و(ف).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ١٧٣ ـ ١٧٥) عن جابر وابن الحنفية، وعن ابن عباس وابن مسعود من طريق السدي، وعن ابن عباس من طريق الضحاك وابن جريج.

(٣) في (ف) و(أ): «عن دينك».

(٤) في (ر): «وقال في حق نبيه».

(٥) رواه عنهما الطبري في «تفسيره» (١/ ١٧٣).

(٦) رواه عنهما الطبري في «تفسيره» (١/ ١٧٥).

وقال في حقِّ أصحابه[١]: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ إلى قوله: ﴿وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ [الفتح: ١٨ ـ ٢٠].

وعن بكرِ بنِ عبد الله المزنيِّ قال: رأيتُ النبيَّ ﷺ في المنام فسألتُه عن الصراط المستقيم فقال: سُنَّتي وسُنَّةُ الخلفاءِ الراشدين من بعدي[٢].

وقال أبو سليمانَ الدَّارَانيُّ: هو طريق العبودية التي ذكرها قبله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾، وقال الله تعالى: ﴿فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ [آل عمران: ٥١].

وقال السُّدِّيُّ: هو طريقُ الجنة، فالطريقُ طريقان: طريقُ الجحيم قال تعالى: ﴿فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٢٣]، وطريق الجنة قال تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾.

ثم إنما سمِّي الدِّين صراطاً لأن مَن كان له مقصودٌ أو مطلَبٌ[٣] فإنما يصل إليه بعد قطعِ الطريق وسلوكِ[٤] سواءِ السبيل، واللهُ تعالى متعالٍ[٥] عن الأمكنةِ، لكنَّ العبد الطالب صاحبُ المكان، فلا بد له من قطعِ المسافات، ومسِّ الآفات، وتحمُّلِ الـمَخافات، ليُكرَم بالوصولِ والموافاة.

وقيل لبعض الكُبراء: ما الطريقُ إلى الله تعالى؟ فقال: عَطْفتينِ[٦] وقد وصلتَ: تدورُ مرةً فتنبذُ الدنيا وراء ظهرك، وتدورُ ثانيةً فتنبذُ العُقْبى وراء ظهرك، وقد وصلت.

---

(١) في (أ): «الصحابة».

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» (١/ ١٢٠).

(٣) في (ر): «أو مطلب مقصد»، وفي (أ) و(ف): «أو مقصد».

(٤) في (ف): «وسلوكه».

(٥) في (ر) و(ف): «يتعالى».

(٦) في (ر): «خطوتين».

وقوله تعالى: ﴿ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾: أي: المستوي، يقال: أقامه فاستقام، كما يقال: أوسَعَه فاستَوْسَع، وأَرْخاه فاستَرْخى، واللازمُ يجيءُ من ثلاثةِ أبوابٍ: من الانْفِعال كالانْقِطاع، ومن الافْتِعال كالاخْتِلاط، ومن الاستِفْعال كالاستِرْسال.

ثم وصفُ الطريقِ به له معنيان:

أحدهما: أنه مستوٍ بنفسه غيرُ مُعْوَجٍّ.

والثاني: أن سالكه مستقيمٌ فيه، كقوله تعالى: ﴿وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾؛ أي: يُبصَرُ فيه، وكقولك: نهرٌ جارٍ؛ أي: الماءُ جارٍ فيه، ونظيرُه في القرآن: ﴿فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ﴾ [محمد: ٢١]؛ أي: عَزَموا فيه، وقولُه: ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ﴾ [البقرة: ١٦]؛ أي: ما ربحوا فيها، وقولُه تعالى: ﴿قَالُواْ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾ [النازعات: ١٢].

وقال بعضُ أهل التفسير: هو المستوي الذي لا يميلُ بسالكه إلى خطأ.

وقال بعضُهم: هو الذي يُفضي بسالكه إلى الجنة.

وقال الإمامُ أبو منصورٍ رحمه الله: هو القائمُ؛ أي: الثابتُ بالبراهين، الذي لا يزيلُه شيءٌ، ولا يَنقُض حُججَه كيدٌ(١).

وقال الإمامُ القشيريُّ رحمه الله: هو ما عليه من الكتاب والسنَّة دليل، وليس للبدعةِ إليه سبيل.

وقال أيضاً: هو ما دَرَجَ عليه سَلَفُ الأمَّة، ونطَق بصوابه دلائلُ العِبرة.

وقال أيضاً: هو ما شَهد بصحَّته دلائلُ التوحيد، ونبَّه عليه شواهدُ التَّحقيق(٢).

---

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» (١/ ٣٦٧). وفي (ر): «حجته».

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٥٠).

قال نجمُ الدِّين[١] رضي الله تعالى عنه: وأنا أقول:

هو ما ليس عليه ظلامُ النُّكرةِ ولا غبارُ البِدعة.

هو ما لا يَضلُّ سالكُه ولا يهتدِي تاركُه.

هو ما لا يُخاف فيه قطعُ الطريق، ويُمدُّ سالكُه ببَذْرقةِ[٢] العصمة والتوفيق.

هو ما يُسهِّل إلى المقصِد، والمقصودُ وصولُ قُصَّاده، والله تعالى بمِرْصاده.

***

(٧) ـ ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ ﴾: هو بدلٌ عن قوله: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾، وهو كالتفسير له، والبدلُ يَتبعُ المبدَلَ في إعرابه[٣]؛ لأنه هو: إمَّا عيناً وإما اتِّصالاً[٤]، وهو كقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ۝٥٢ صِرَٰطِ ٱللَّهِ﴾ [الشورى: ٥٢ ـ ٥٣] فأُتبعَ الخفضُ الخفضَ، وهاهنا أُتبع النصبُ النصبَ، وهذا كقوله:

---

(١) «نجم الدين»: ليس في (أ).

(٢) في (ف): «بدرقة». والبدرقة قال في «التاج» (مادة: بذرق): بالذالِ المُعْجَمة والمُهمَلة، وقال ابْن بَرِّي: هِيَ الخفارة، وقالَ الهَروي في (فصل عصم) من كتابِه «الغريبين»: إن البَذْرقَة يُقال لها: عصمةٌ؛ أَي: يعتصِم بها، وقال ابن خَالَوَيه: ليست البَذْرَقَة عَرَبيةً، وإنما هِيَ فارسية، فعربتها العرب، يُقال: بَعَث السُّلطانُ بَذْرَقَة مع القافِلَةِ، بالذَّالِ معجَمَةً.

قلتُ (القائل الزبيدي): وأصل هذه الكلمة مُركبة من: بُد وَرَاه، والمعنى: الطَّريقُ الرديء، فعرَّبوا الهاء بالقافِ، وأَعجموا الذَّال. والمبذرِق: الخفير، نَقله الصَّاغَاني.

قلت: وينتج أن المراد بها هنا: العون والمدد، وما في معناهما.

(٣) في (أ): «الإعراب».

(٤) «إما عيناً وإما اتصالًا»: سقط من (أ) و(ف).

﴿لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ۝١٥ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾ [العلق: ١٥]، وقولـه تعالى: ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ۝١ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾ [قريش: ١ ـ ٢].

هذا كلُّه عند الخليلِ يسمَّى: البدَلَ، وعند الأخفشِ يسمَّى: عطفَ البيان، وعند الكسائيِّ يسمَّى: الإتْباعَ، وعند الفرَّاء يسمَّى: المترجِم[١].

وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ﴾ هو جمعُ الذي، وهو اسمٌ موصولٌ لا يَتمُّ إلا بصِلَته[٢] ولا يُذكر بدونها، وتأنيثُه: التي، وتثنيةُ الذي: اللَّذَان، وتثنيةُ التي: اللَّتان، وجمعُ الذي: الذينَ، وجمعُ التي: اللَّاتي واللَّوَاتي واللَّائي.

وقولُه تعالى: ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾: أي: مَنَنْتَ عليهم، والاسم منه: النِّعمة بالكسر، وبالفتح: التنعُّم، وبالضمِّ: المسرَّة.

واختُلفَ في هؤلاء المنعَم عليهم: مَن هم؟ وفي هذا الإنعامِ الذي عليهم: ما هو؟

قال مجاهدٌ وأبو رَوْق[٣]: هم النبيُّون، ودليلُه قولُه في سورة مريمَ بعد ذِكر الأنبياء: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم﴾ الآية [مريم: ٥٨].

---

(١) ورد هذا في مواضع من «معاني القرآن» للفراء، منها قوله فيه (١/ ١٦٨) في الشعر المشهور (لمية موحشاً طلل): وقد يجوز رفعه (أي: موحشاً) على أن تجعله كالاسم يكون الطلل ترجمةً عنه، كما تقول: عندي خراسانيةٌ جاريةٌ...، وقوله (٢/ ١٥٩) عند تفسير قول تعالى: ﴿فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى﴾: ولو جعلتَ (الحُسْنى) رفعًا وقد رفعت الجزاءَ ونوَّنت فيه كانَ وجهًا، ولم يقرأ بِهِ أحد، فتكونُ كقراءة مسروق: (إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدّنيا بزينةٍ الكواكبِ) فخفَض (الكواكب) ترجمة عَن الزينة.

(٢) في (أ): «بصلة».

(٣) «وأبو روق» ليس في (ف). وأبو روق ـ بفتح الراء وسكون الواو ـ هو عطية بن الحارث الهمداني الكوفي صاحب التفسير، انظر: «التقريب».

وقال ابنُ كيسانَ: هم الأنبياءُ والصِّدِّيقون.

وقال الحسنُ وعبدُ الرحمن بنُ زيدٍ: هم الأنبياءُ وأتباعُهم[١].

وقال مقاتلٌ: هم الأنبياءُ والصدِّيقونَ والشُّهداءُ والصالحون[٢].

وقال السدِّيُّ: هم الأنبياءُ والمؤمنون.

وهذه الأقاويلُ الأربعةُ كلُّها[٣] متقاربةٌ، ودليلُها كلِّها قولُه تعالى: ﴿فَأُولَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النساء: ٦٩].

وقال ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما: هم أصحابُ موسى ـ صلواتُ اللهِ عليه ـ قبلَ أن يغيِّروا نعمةَ الله عليهم[٤]، ودليلُ ذلك قولُه تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ﴾ [البقرة: ٤٠].

وقال الضحَّاك وابنُ جُريجٍ ووَكيعٌ: هم المؤمنون[٥]، ودليلُه قولُه تعالى: ﴿وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

وقال سعيدُ بن المسيِّب: هم جميعُ مَن أنعم الله عليهم بالهدى والطاعةِ؛ لِمَا مرَّ[٦].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ١٧٨) عن ابن زيد بلفظ: (هم النبي ﷺ ومن معه).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ١٧٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وزاد عليهم: الملائكة.

(٣) «كلها» ليس في (ف).

(٤) في (ف): «قبل أن يغير الله نعمه عليهم». والخبر ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١/ ١٢٢) بلفظ: هم قوم موسى وعيسى من قبل أن يغيّروا نعم الله عليهم.

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ١٧٨) عن وكيع، وعن ابن جريج عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٦) «لما مر»: من (أ).

وقال سهلُ بن عبد الله التُّسْتَريُّ: هم الذين أنعم الله عليهم بالسُّنَّة[1]، وذلك دليلُ قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ۝٧ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعۡمَةٗۚ﴾ [الحجرات: ٧ـ٨].

وقال محمدُ بن عليٍّ: هم الذين أَنعم الله عليهم بشكرِ ما أَنعم عليهم، وذلك لأنَّ النعمة إنما تبقَى لـمَن شَكَر لا لـمَن كَفَر، فإذا زالتْ فكأنَّها لم تكن.

وقال عليُّ بن الحسين بن واقِدٍ: هم الذين أَنعم الله عليهم بالشكر على السَّرَّاء والصبرِ على الضَّرَّاء[2]؛ لأنَّ الشكر لا يَتمُّ إلا بالصبر.

وقال الحسنُ رحمه الله: هم الصحابةُ الأربعةُ، ودليلُه ما تلَوْنا: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم﴾ الآية، وهي نَزَلت فيهم.

وقال الإمامُ القُشيريُّ رحمه الله: هم الذين أَنعَم الله عليهم بالهدايةِ إلى الصِّراط المستقيم؛ لأنها هي المذكورةُ قبله، وهم الأنبياءُ والأصفياء[3].

وقال الحسينُ بن الفَضل: هم الذين أتمَّ الله عليهم النعمةَ وخَتَم لهم بالموت[4] على الإسلام؛ لأنه هو النعمةُ بالحقيقة.

هذه أقاويل المفسرين، وفيه أقاويلُ للمحقِّقين:

قال جعفرُ بنُ محمدٍ الصادقُ رضي الله عنه: ﴿ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ بالعلم بكَ والفهمِ عنك[5].

---

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (١/ ١٢١) بلفظ: (طريق السنَّة والجماعة لأن البدعة لا تكون مستقيمة).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١/ ١٢٢) وتحرف في مطبوعه: «واقد» إلى: (داود).

(٣) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٥١).

(٤) في (ف): «بختمهم»، وفي (أ): «بجمهم»، بدل: «وختم لهم بالموت».

(٥) ذكره السلمي في «تفسيره» (١/ ٤٣).

وقال محمدُ بن عليٍّ الترمذيُّ: ﴿ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾[1] زمَمْت[2] جوارحَهم بالهيبة عند الخدمة.

وقال أبو العباس بنُ عطاءٍ: هم طبقاتٌ، فالعارفون أنعَم الله عليهم بالمعرفة، والأولياءُ أَنعم عليهم بالصدق والرضا واليقين والصَّفوة، والأبرارُ أَنعم الله عليهم بالحلم والرأفة، والمريدون أَنعم الله عليهم بحلاوة الطاعة، والمؤمنون أَنعم عليهم بالاستقامة[3].

وقال أبو عثمان الحِيْريُّ: ﴿ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ بأنْ عرَّفْتَهم مهالكَ الصراط، ومكائدَ الشيطان، وخيانةَ النفس[4].

وقال محمدُ بن الفضلِ رحمه الله: [﴿ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ لقبولِ ما افترَضْتَ عليهم.

وقال أبو الحسن الورَّاق]: ﴿ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ بالإعانةِ على الاستقامةِ[5] في طريق مناجاتك.

وقال بعضُ البغداديين: صراطَ مَن أَغْنَيَته[6] عن النظرِ إلى النعمة بدوامِ التنعُّم بقُربك ومؤانَسَتك.

وقيل: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ بالنظر إلى جريان ما جرى عليهم في الأزل، فلم يَشْغلْهم كشفُ ذلك عن الشُّغل بك.

---

(١) «أنعمت عليهم» ليس من (ف).

(٢) في (ر): «رممت»، والمثبت من (أ) و(ف)، وهو الموافق لما في «تفسير السلمي» (١/ ٤٣).

(٣) ذكره بنحوه السلمي في «تفسيره» (١/ ٤١).

(٤) ذكره السلمي في «تفسيره» (١/ ٤٢).

(٥) في النسخ: «الاستعانة»، والمثبت من «تفسير السلمي».

(٦) في (أ): «أفنيته»، ومثله في «تفسير السلمي».

وقيل: ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ بالإيمان والهداية والتوفيق والرعاية والمراقبة والكلاءة.

وقيل: ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ بفناء حظوظهم وقيامهم معك بحسن الأدب.

وقيل: ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ بمشاهدة المنعِم دون النعمة.

وقيل: ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ بإزالةِ ظلماتِ الأكوان عن سرائرهم، وطهَّرتَ أرواحهم بنورِ قُدسك، فشاهدوك بهمَمِهم ولم يشاهدوا معك سواك.

وقيل: ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ بعبادتك على المشاهدة حتى عبدوك كأنهم يَرونك.

وقيل: ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ بأن أَذِنْتَ لهم في سؤالكَ ومُناجاتك[1].

وقيل: ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ بالوصولِ، فلم يَقِفوا في الطريق.

وقيل: ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ بالقيام بحقوقِك دون التَّعريج على استِجْلاب حظوظهم، وهو قول القشيري.

وقال أيضاً: صراطَ مَن طهَّرْتَهم عن[2] آثارهم حتى وصلوا إليك بك.

وقال أيضاً: أي: حَفِظْتَ عليهم آثارَ الشَّريعة عند غَلَبات وارادات[3] الحقيقة حتى لم يخرجوا عن حدِّ العلم، ولم يخلُّوا بشيءٍ من أحكامِ الشرع[4].

وقيل: أي: أهَّلْتَهم لإنعامك وأصلَحْتَهم لإكرامك.

وقيل: ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ في البداية بالعناية، وفي الحال بالهداية، وفي النهاية بالحماية، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ﴾ [الأنبياء: ١٠١] وهذا

---

(١) انظر هذه الأقوال جميعاً في «تفسير السلمي» (١/ ٤٢ ـ ٤٤)، وما تقدم بين معكوفتين منه.

(٢) في (ر): «ظهرتهم من»، وكذا هي في نسخة من «اللطائف».

(٣) في (أ): «غلباته وإراداته». وفي «اللطائف»: (غلبات بَوادِه).

(٤) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٥١).

في البداية، وقال تعالى: ﴿أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ﴾ [الحجرات: ١٧] وهذا في الحال، وقال تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾ وهذا في النهاية.

وقال الإمامُ أبو منصورٍ رحمه الله: وعلى قول المعتزلة ليس لله تعالى على أحدٍ من المؤمنين نعمةٌ ليست على المغضوب عليهم ولا الضالين؛ إذ لا نعمةَ من الله تعالى على أحدٍ إلا الأصلحُ[١] في الدِّين والبيانُ للسبيل الـمَرْضيِّ، وتلك قد[٢] كانت على جميعِ الكفرة، فبَطَل على قولهم الثُّنيا[٣]، وبالله العصمةُ[٤].

وقوله تعالى: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾: فكلمةُ (غير) تجيءُ على ثلاثة أوجهٍ:

بمعنى: المُغايِر، وفارسيَّته: (جز)، قال تعالى: ﴿لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ﴾ [الإسراء: ٧٣].

وبمعنى: (لا)، وفارسيَّته: (ني)، قال الله تعالى: ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾ [البقرة: ١٧٣]؛ أي: لا باغياً ولا عادياً.

وبمعنى: (إلا)، وفارسيته: (مكر)، قال تعالى: ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الذاريات: ٣٦]؛ أي: إلا[٥].

ويجوزُ صرفُها هاهنا إلى هذه الوجوه:

فإنْ حُمِلتْ على الأول فمعناها: ثبِّتْنا على طريقِ[٦] الذين أَتممْتَ النعمة عليهم، المغايرين للمغضوبِ عليهم.

---

(١) في (ر): «الإصلاح»، وفي (ف): «للأصلح»، والمثبت من (أ)، وهو الموافق لما في «التأويلات».

(٢) في (ر): «وتلك نعمة»، والمثبت من (أ) و(ف)، وهو الموافق لما في «التأويلات».

(٣) في (ر): «الثناء»، وفي (ف): «التثنا»، والمثبت من (أ)، وهو الموافق لما في «التأويلات».

(٤) انظر: «تأويلات أهل السنة» (١/ ٥١). وفيه: (والله الموافق) بدل: «وبالله العصمة».

(٥) «أي: إلا»: سقط من (أ) و(ف).

(٦) بعدها في (ر): «صراط».

وإنْ حُملتْ على الثاني فمعناها: على طريقِ المنعَم عليهم لا المغضوبِ عليهم.

وإنْ حُملتْ على الثالث فمعناها: إلا المغضوبَ عليهم.

وهذا على قراءة الخفض[١]، وقد روَى الخليلُ بن أحمدَ عن ابن كثيرٍ أنه قرأ بالنصب[٢]، وللنصب وجوهٌ:

أحدها: الاستثناءُ، وللاستثناء وجهان:

أحدهما: حقيقةُ الاستثناء على تفسيرِ ابن عباسٍ رضي الله عنهما؛ لقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ أنهم بنو إسرائيل؛ لقوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ﴾ [البقرة: ٤٠]، ويكون هذا سؤالَ التثبيتِ على طريق[٣] أهلِ الكتاب الذين آمنوا بكلِّ الأنبياء وبكلِّ الكتبِ، واستثناءِ اليهودِ والنصارى منهم الذين آمنوا ببعضٍ وكفروا ببعضٍ.

والثاني: أن يكون استثناءً منقطعاً بمعنى: لا؛ أي: نسألك طريقَ[٤] الأولياء لا طريق الأعداء.

ووجهٌ آخرُ للنصب: أنه على الحال.

وقال الكسائيُّ: هو على القطع.

---

(١) في (أ) و(ف): «النصب».

(٢) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩)، و«البحر المحيط» (١/ ٨٧). والمشهور عن ابن كثير أنه قرأ كالجمهور بالجر.

(٣) في (أ): «طرائق».

(٤) في (ف): «منقطعاً بمعنى: لا نسألك إلا طريق».

وقيل: هو على المدح، وتقديره: لا مغضوباً عليهم.

وقراءةُ الخفض ـ وهي[1] قراءةُ العامَّةِ ـ لِمَا أنه نعتُ ﴿ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾، وذلك مخفوضٌ بالإضافة.

ويجوز في اللغة الرفعُ على الاستئناف، بمعنى: وهم غيرُ المغضوبِ عليهم، ولم يَقرأْ به أحدٌ، فلا يُقرأُ به.

فأما المغضوبُ عليهم: فالغضبُ هو نقيضُ الرضا.

وقيل: هو إرادةُ الانتقام.

وقيل: هو تحقيقُ الوعيد.

وقيل: هو الأخذُ الأليمُ، والبطشُ الشديد.

وقيل: هو هتكُ الأستار والتعذيبُ بالنار.

ثم الغضبُ فعلٌ لا يَتعدَّى إلا بصلةٍ، وهي على وجوهٍ، ويجيء منه[2] المفعولُ به موصولاً بهذه الصلة، ثُم التثنيةُ والجمع والتأنيث يدخلُ على الصلة لا الموصولِ؛ لأن هذه الزياداتِ تدخل بعد التمامِ، وتمامُه بصِلته.

فيقال: رجلٌ مغضوبٌ عليه، و: امرأةٌ مغضوبٌ عليها، و: رجلان مغضوبٌ عليهما[3]، و: امرأتان مغضوبٌ عليهما، و: رجالٌ مغضوبٌ عليهم، و: نساءٌ مغضوبٌ عليهنَّ.

وفي ﴿عَلَيۡهِمۡ﴾ سبعُ قراءاتٍ:

---

(١) في (أ): «هي».

(٢) «منه»: ليست في (ف).

(٣) «مغضوبٌ عليهما»: زيادة من (أ).

بكسـر[١] الهاءِ وتسـكينِ الميـم، وهي قراءةُ أهـلِ المدينة[٢] والبصـرةِ والكوفة والشام[٣].

وبضمِّ الهاءِ وتسكينِ الميم، وهي قراءة الأعمش[٤].

وبكسر الهاء وضمِّ الميم مع الواو، وهي قراءةُ ابن كثير[٥].

وبضمِّ الهاء والميم مع الواو، وهي قراءة عيسى بن عمر.

وبكسر الميم مع الياء قراءةُ الحسن.

وباختلاس ضمة الهاء وإسكان الميم روايةُ عبد الوهَّاب عن أبي عمرو[٦].

---

(١) في (ر) و(ف): «كسر».

(٢) في (ر): «وهي قراءة الأعمش وأهل المدينة»، وفي (ف): «وهي قراءة المدينة».

(٣) وهي قراءة الجمهور عدا من سيأتي تخصيصهم. انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٩).

(٤) انظر: «تفسير الثعلبي» (١/ ١٢٢) عن الأعمش. وهي قراءة حمزة من السبعة، ويعقوب من العشرة. انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٩)، و«النشر» (١/ ٢٧٢).

(٥) هـي قـراءة ابـن كثير وقالون بخـلاف عنه، وقرأ بها من العشـرة أبو جعفـر. انظر: «التيسـير» للداني (ص: ١٩)، و«النشر» (١/ ٢٧٣).

(٦) كذا ذكر المؤلف هذه القراءة باختلاس ضمة الهاء وإسكان الميم، والذي ذكره الثعلبي فيها: بكسر الهاء وضم الميم مضمومة مختلسة. انظر: «تفسير الثعلبي» (١/ ١٢٢)، ومثله في «البحر» (١/ ٨١) عن الخفاف عن أبي عمرو، لكن لم يذكر الاختلاس. ووقع في مطبوع الثعلبي بدل (عبد الوهاب): (عبد الله)، وهو خطأ، فهو: عبد الوهاب بن عطاء بن مسلم، أبو نصر الخفاف العجلي البصري ثم البغدادي، ثقة مشهور، روى القراءة عن أبي عمرو، وعن إسماعيل بن مسلم عن ابن كثير، وعن أبان بن يزيد عن عاصم، توفي ببغداد سنة (٢٠٤ﻫ)، وقيل: سنة ست أو سبع. انظر: «طبقات القراء» لابن الجزري (١/ ٤٧٩).

بكسر[١] الهاء والميم بغير ياءٍ قراءة عمرو بن فائدٍ[٢].

فأما المرادُ بالمغضوب عليهم[٣] في هذه الآية: فقد روى عَديُّ بن حاتم الطائيُّ رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ: أنَّهم هم اليهودُ، والضالُّون هم النصارى[٤].

وكذا قال ابن عباسٍ رضي الله عنهما[٥]، واستَشهدَ بقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٦٠][٦]، وذلك أنهم ﴿كانوا من قبلُ يَستفتِحون على الذين كفروا﴾ [البقرة: ٨٩]؛ أي: يستنصِرون على كفار العربِ بمحمدٍ ﷺ ﴿فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾ [البقرة: ٨٩] لأنهم[٧] كانوا يَرْجون أن يكون محمد من ولد إسحاق وهو أبوهم، فلمَّا بُعث محمدٌ ﷺ وهو من ولد إسماعيلَ كفروا به حسداً وبغياً[٨] ﴿فَبَاءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ﴾ [البقرة: ٩٠]؛ أي: انقلَبوا بسَخَطٍ على سَخطٍ، ولعنةٍ على لعنةٍ، الأولُ بكفرهم بعيسى، والثاني بكفرهم بمحمدٍ عليهما السلام.

وكذا فسَّر الضحَّاك ومقاتلٌ والسدِّيُّ وعطاءٌ وابن جُرَيجٍ وابن كَيْسانَ، وفيه كلامٌ كثيرٌ نذكُره[٩] بعد ذكرِ الضالِّين.

---

(١) قبلها في (ر): «الحسن».

(٢) انظر هذه القراءات في: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩)، و«المحتسب» (١/ ٤٤)، و«تفسير الثعلبي» (١/ ١٢٢)، و«البحر المحيط» (١/ ٨١).

(٣) في (أ) و(ف): «فأما المراد بهم».

(٤) رواه الترمذي (٢٩٥٤).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ١٨٨ - ١٨٩ و١٩٦)

(٦) الذي استشهد بها هو الطبري في «تفسيره» (١/ ١٨٩)، وابن عطية في «المحرر الوجيز» (١/ ١٧٧).

(٧) في (ر) و(ف): «وأنهم».

(٨) في (أ): «وتعنتاً».

(٩) في (أ): «يذكر».

وقوله تعالى: ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾: قيل: (لا)[١] صلةٌ مؤكِّدةٌ، ومعناه: غيرِ المغضوبِ عليهم والضالِّين، لكن زيدتْ (لا) لئلَّا يُظنَّ أنه معطوفٌ على ﴿ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾.

وقيل: هو بمعنى (غير) الذي تقدَّم، كأنه قال: غيرِ المغضوبِ عليهم وغيرِ الضالِّين، وإنما جاز أن يُعطف بـ(لا) على (غير) لأنهما جميعاً للنفي فتَناسَبَا، يقال: هذا غيرُ عاقلٍ وغيرُ عالمٍ، و: هذا غيرُ عاقلٍ ولا عالمٍ، و: هذا لا عاقلٌ ولا عالمٌ.

وقيل: كلمة (لا) لفائدةٍ زائدةٍ، فإن قولك: ما جاءني زيدٌ وعمرٌو، ينفي مجيئَهما جميعاً[٢]. وقولُكَ: ما جاءَني زيدٌ ولا عَمرٌو، ينفي مجيئهما جميعاً[٣] وتَفْرِقةً، وهذا أبلغُ في النفي، فكذلك في سؤال التثبيت على طريقِ المنعَم عليهم، والعصمةِ عن طريقِ الضالِّين والمغضوبِ عليهم.

وأما قولُه تعالى: ﴿ٱلضَّآلِّينَ﴾ فالضَّلَالُ نقيضُ الرُّشد، وهو في القرآن لمعانٍ:

للغيِّ[٤] والكفر: قال الله تعالى خبراً عن إبليس لعائنُ الله عليه: ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ﴾ [النساء: ١١٩].

وللزَّلل[٥]: قال تعالى: ﴿لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ﴾ [النساء: ١١٣].

وللخَسَار: قال تعالى: ﴿وَمَا كَيْدُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾ [غافر: ٢٥].

---

(١) في النسخ الثلاث: «ولا»، والصواب المثبت.

(٢) في (أ): «جمعاً».

(٣) في (أ): «جمعاً».

(٤) في (ر): «الضلال بمعنى الغي».

(٥) في (أ): «وللتزلل».

وللخطأ: قال تعالى خبراً عن إخوةِ يوسف صلوات الله عليهم: ﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [يوسف: ٨].

وللبطلان: قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [محمد: ١].

وللجهالة: قال تعالى خَبراً عن موسى: ﴿فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الشعراء: ٢٠].

وللنسيان: قال الله تعالى: ﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا﴾ [البقرة: ٢٨٢].

وللتَّلاشي: قال تعالى: ﴿أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [السجدة: ١٠].

وفي هذه الآيةِ هو ضلالُ الكفر؛ لأنه مقابَلٌ بالإيمان المذكورِ في قوله تعالى: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾.

ثم(١) هو كفرٌ مخصوصٌ؛ لأنهم معطوفون على المغضوب عليهم، فالظاهرُ أنهم غيرهم، وقد قلنا: إنه رُوي أنهم النصارى.

ثم الغضبُ والضلال وردا جميعاً في القرآن لجميع الكفار على العموم، ولليهود والنصارى جميعاً على الخصوص:

قال الله تعالى في حقِّ جميع الكفار: ﴿وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ١٠٦]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ قَدْ ضَلُّواْ ضَلَٰلًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٦٧].

وقال في حقِّ اليهود: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ﴾ إلى أن قال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٦٠].

وقال في حقِّ النصارى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ

---

(١) «ثم»: من (أ).

كَثِيرًا﴾ إلى أن قال: ﴿لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ [المائدة: ٨٠].

وإنما خصَّ اليهود بالغضب في هذه الآية والنصارى بالضلال؛ لأن وعيد الغضب فوق الوصف بالضلال؛ لأن الغضب هو إرادة الانتقام لا محالةَ، واليهودُ أحقُّ[١] بذلك؛ لغايةِ قبحِ كفرهم، وبلوغِهم الغايةَ في التمرُّد والمعاندة، فقد قالوا: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ [آل عمران: ١٨١] وقالوا: ﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة: ٦٤]؛ أي: هو بخيل، وقالوا: إن الله تعالى خلَق السماوات والأرض في ستة أيامٍ فلَغِبَ[٢] فاستراح يوم السبت، وكانوا يعادُون جبريل صلوات الله عليه وسلامُه، وكانوا يقتلون النبيين بغيرِ الحق، وقصدوا قتلَ عيسى صلوات الله عليه، وقالوا: قد قتلناه، وقالوا على مريم ﴿بُهْتَانًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١٥٦] وحرَّفُوا التوراة ﴿وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾ [البقرة: ٨٩] فاستحَقُّوا بذلك كلِّه الغضب.

وأما الضلالُ فهو الميلُ عن الطريق المستقيم، والنصارى قد عدَلوا عنه بعد غايةِ التبيين، فقد دعاهم موسى وعيسى ومحمدٌ عليهم الصلاة والسلام بالتوراة والإنجيل والفرقان، فهم في غايةِ الضلالة بعد وقوع البيان على الكمال، ولأنهم في غاية العمَى والتَّمادي في التَّردِّي بقولهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾ [المائدة: ٧٣]، وقولِهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ١٧]، وذلك لأنهم[٣] رأوه بدعائه يُصِحُّ المرضى ويُحيي الموتى وكذا وكذا، وذاك شيءٌ أعطاه الله عزَّ وعلا معجزةً له، واللهُ تعالى هو الـمُوْجِدُ والـمُظْهِر لذلك، فجعلوه من عندِ عيسى نفسِه، واتَّخذوه

---

(١) في (ف): «ألحقوا».

(٢) في (ر): «فتعبَ». وفي هامش (أ): «اللغوب الإعياء».

(٣) في (أ): «أنهم».

إلهاً وأشرَكوا به، مع ما رأوه يأكلُ ويشرب، ويجيءُ ويذهب، ويستريحُ ويتعب، ولم يكن لهم من الفطنةِ ما يعلمون أن المضطرَّ المغلوبَ المقهورَ المربوب لا يكون إلهاً، فيَرجعوا إلى ما رجع إليه إبراهيم حيث قال: ﴿لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ﴾ [الأنعام: ٧٦] إلى أن قال: ﴿لَئِن لَّمۡ يَهۡدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الأنعام: ٧٧].

ولأن[١] المغضوبَ عليه لا ينال الرِّضى أبداً، فكذلك اليهود لا يُسلِمون أبداً[٢]، فأما الضالُّ فقد يهتدِي.

وقد رُوي أن عيسى صلوات الله عليه حين ينزل من السماء في آخِر الزمان يدعو النصارى إلى الإيمان بمحمدٍ فيؤمنون، وبعد الضلالِ يَهتدون.

وقال بعضُ المحقِّقين: المغضوبُ عليهم هم المعاندون من أهل الكتاب، والضالُّون هم المقلِّدون منهم، كما[٣] قال تعالى في حقِّ المعاندين منهم: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنۡهُمۡ لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٤٦]، وقال تعالى: ﴿يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ﴾ [الأعراف: ١٥٧] وقال تعالى: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ﴾ [النمل: ١٤]، وقال موسى لفرعون: ﴿لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [الإسراء: ١٠٢].

وقال في حق المقلِّدين منهم: ﴿وَمِنۡهُمۡ أُمِّيُّونَ لَا يَعۡلَمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [البقرة: ٧٨]، وقال: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم

---

(١) في (ر): «لأن».

(٢) فيه نظر، فلا يخلو الأمر من يهود أسلموا وحسن إسلامهم من لدن النبي ﷺ وحتى يومنا هذا، وهؤلاء وإن كانوا بجانب غيرهم من الملل الذين أسلموا قليل، لكن النظر في التعميم.

(٣) «كما»: من (أ).

مُّهۡتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٢]، وقال: ﴿فَقَالَ ٱلضُّعَفَـٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمۡ تَبَعٗا﴾ [إبراهيم: ٢١].

ثم الغضبُ للمعاندين، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ٱسۡتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمۡ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ﴾ [الشورى: ١٦] والضلالُ صفةُ المقلِّدين قال: ﴿وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعۡنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠﴾ [الأحزاب: ٦٧].

ثم في مجموع الكلمتين كلامٌ كثيرٌ للسلف:

قال سهل بن عبد الله التُّسْتَريُّ: ﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ﴾ بالبدعة ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ عن السنَّة.

وقيل: ﴿ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ﴾: المكابرون، والضالون: المرتابون.

وقيل: ﴿ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ﴾: المشركون، والضالون: المنافقون.

وقيل: ﴿ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ﴾: أئمة الكفر، والضالون: أتباعُهم.

وقيل: ﴿ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ﴾: الكافرون، والضالون: المبتدِعون.

وقيل: ﴿ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ﴾: الموقَعون في مَهاوي الرَّدَى، والضالُّون: الحائدون[1] عن طريق الهدى باتباعِ الهوَى.

وعلى لسان أهلِ المعرفة:

﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ﴾ برؤية الأفعال، ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ بطلبِ الأعواض على الأعمال.

وقيل: ﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ﴾ بتركِ حُسنِ الأدب في أوقاتِ القيام بخدمتك، ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ عن رؤية منَّتك.

---

(١) في (أ): «الجائرون»، وفي (ر): «الحائرون».

وقيل: ﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ﴾ بالعُجب والمراءاة[١] ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ عن مراعاة السُّنن في أركان العبادات.

وقيل: ﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ﴾ بأنْ وكَلْتَهم إلى أنفُسهم ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ بتركِ اعتصامهم بك وتمسُّكِهم.

وقيل: ﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ﴾؛ أي: الذين صدَمَتْهم[٢] هواجِمُ[٣] الخذلان، وأدركتهم[٤] مصائبُ الحرمان، وكبستهم[٥] سَطْوةُ الردّ، وغلَبَتْهم صدمةُ الصدّ.

وقيل: ﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ﴾ بنسيانِ التوفيق والعصمة ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ عن شهود سوابق[٦] الاختيارِ والقِسمة.

وقيل: ﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ﴾ لتضييعِهم آداب الخدمة، وتضجيعهم[٧] في أداءِ شروط الطاعة.

وقيل: هم الذين تقطَّعوا[٨] في مفاوِز الحرمان، وتبدَّدت بهم الهمومُ في أوديةِ وجوهِ الحسبان.

---

(١) قوله: «بخدمتك، ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ عن رؤية منَّتك، وقيل: ﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ﴾ بالعُجب والمراءاة» وقع بدلا منه في (ف): «للطاعات».

(٢) في (أ): «وقيل المغضوب عليهم الذين صدمتهم».

(٣) في (ر): «هواجر».

(٤) في (ر) و(ف): «ودركتهم».

(٥) في (ر): «وكستهم»، وفي (ف): «وكسبتهم».

(٦) في (أ): «سابق».

(٧) أي: تقصيرهم، قال في «القاموس» (مادة: ضجع): ضجَّع في الأمر تضجيعاً: قصَّر.

(٨) في (ر): «ينقطعون»، وفي (ف): «يقطعون».

وقيل: قولُه تعالى: ﴿اهدنا﴾؛ أي: ثبِّتنا على طريق الذين أنعمتَ عليهم بتوفيقِهم لحمدك[١]، ورؤيتِهم استحقاقَ الحمدِ لك دون غيرِك، لا على طريق ﴿ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ الذين استَجازوا[٢] حمدَ غيرك، ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ الذين إذا حَمِدوك شاهدوا فعلَهم في حمدك[٣]، وغفلوا عن رؤية منَّتك في توفيقِهم لحمدك[٤].

وقيل: أي: ثبِّتنا على طريق الذين أنعمتَ عليهم فقلتَ: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤]، واعصِمْنا عن طريقِ المغضوب عليهم والضالِّين الذين قالوا: ﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾ [المائدة: ١٨]، فاجعَلْنا من أحبَّائك[٥] الذين صحَّ لهم المعنى، ولا تجعَلْنا من أعدائك الذين قطَعَهم عنك كاذبُ الدَّعوى.

وقيل: أي: ثبِّتنا على طريقِ الذين أنعمتَ عليهم فرضِيْتَ عنهم إذا رضُوا عنك بما كان عليهم منك، ولا تجعَلْنا من الذين[٦] غضبْتَ عليهم إذا سَخِطوا عنك بما أصابهم من مكروهٍ سَبق به القضاءُ منك، ولا من الذين ضلُّوا عن الطريق، بأنْ قصَدوا في سلوكِ الطريقِ عينَ الطريق، وإنما أُمروا بسلوك الطريقِ للوصول[٧] إلى مَن أمَرهم بسلوك هذا الطريق، فإذا نازَلوا الطريق فقد انقطَعوا عن الوصول، وحُجبوا عن الدخول، وليس كلُّ مَن وصَل دخل[٨]، ولا كلُّ مَن دخَل قرُب، ولا

---

(١) في (أ): «بحمدك».

(٢) في (ف): «استخاروا».

(٣) في (أ) و(ر): «بحمدك».

(٤) «لحمدك»: سقط من (أ).

(٥) في (ر): «أحبابك».

(٦) في (أ) و(ف): «ممن».

(٧) في (ر): «الموصل».

(٨) في (ر) و(ف): «حصل».

كلُّ مَن قرُب بُرَّ، ولا كلُّ مَن بُرَّ خُصَّ، ولا كلُّ مَن خُصَّ بُقِّي[١]، فكم مِن مقرَّبٍ بُعِّدَ ومختصٍّ طُرد.

ثم ذكر هاهنا الهدى والصِّراط، فأضاف[٢] الهدى إلى نفسِه في قولهِ جلَّ جلالُه: ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ﴾ [البقرة: ١٢٠] وأضافَهُ إلى العباد في قوله تعالى: ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ﴾ [الأنعام: ٩٠]، وأضاف الصِّراط إلى نفسه في قولهِ عزَّ وعلا: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا﴾ [الأنعام: ١٥٣] وقوله: ﴿صِرَٰطِ ٱللَّهِ﴾ [الشورى: ٥٣]، وأضافهُ إلى العباد في قوله: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾، وكذا قال في الدِّين: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ﴾ [آل عمران: ٨٣] ثم قال: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣]، وذلك[٣] لوجوهٍ:

أحدُها: أن ذلك كلَّه له[٤] شرعاً ولنا نفعاً، هو الذي شرَع ذلك وجعَل لنا نفعَ ذلك، ولأنها له ارتضاءً واختياراً ولنا سلوكاً وائتماراً، ولأنه أيضاً أضافه إلى نفسه قَطْعاً لعَجَب العبد ثم أضافها إلى العبد تسكيناً لقلبِ العبد، ولأنه أضافها إلى العبد تشريفاً له وتقريباً ثم أضافها إلى نفسه قطعاً لطمع إبليسَ عنه وتخييباً.

وهذا كما قيل: لمَّا نزل قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨] قال اللَّعين[٥]: إنْ لم أقدِرْ على سلب عزَّةِ الله وعزَّةِ رسوله أسلُبُ عزةَ[٦]

---

(١) في (أ): «نقي».

(٢) في (ر) و(ف): «وأضاف».

(٣) في (ف): «وهذا».

(٤) في (ف): «لله».

(٥) في (أ): «الشيطان». وفي (ف): «الشيطان اللعين».

(٦) في (ف): «عز الله وعز رسوله أسلب عز» وفي (ر): «عن الله ورسوله أسلب عن».

المؤمنين، فقال الله جل جلاله: ﴿فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر: ١٠]، فقطَع طمعه عن ذلك.

وقول القارئ: (آمين) بعد تمام السورة[١] فيه لغتان[٢]:

(أَمِينَ) بالقصر، قال الشاعر:

تباعَدَ مِنّي[٣] فُطْحُلٌ إذ لَقِيتُهُ أَمِينَ فزاد الله ما بيننا بُعداً[٤]

و(آمِينَ) بمدِّ الألف، قال الشاعر:

يا ربِّ لا تَسْلُبَنِّي حبَّها أبداً ويرحمُ اللهُ عبداً قال آميناً[٥]

و(آمين) بالإمالة لغةٌ، وهي قراءةٌ أيضاً[٦].

ولو قيل: (آمِّين) بالتشديد فهو خطأٌ في هذا الموضع، وذكر شمسُ الأئمَّة أبو محمدٍ عبدُ العزيز بنُ أحمدَ الحَلْوانيُّ رحمه الله[٧] وجهاً لهذا؛ تصحيحاً لكلام

(١) وليست من الفاتحة إجماعاً. انظر: «روح المعاني» (١/ ٣١٥)

(٢) في (ر) و(ف): «لغات».

(٣) في (أ): «عني».

(٤) البيت لجبير بن الأضبط كما في «المحرر الوجيز» (١/ ٨٠)، و«التاج» (مادة: فطحل)، وذكره دون نسبة ابن السكيت في «إصلاح المنطق» (ص: ١٧٩)، وابن الأنباري في «الزاهر» (١/ ٦٦)، والجوهري في «الصحاح» (مادة: أمن).

(٥) البيت لمجنون بني عامر، واسمه قيس بن مُعاذ المعروف بالملوّح كما في «التاج» (مادة: أمن)، وذكره دون نسبة ابن السكيت في «إصلاح المنطق» (ص: ١٧٩)، وابن الأنباري في «الزاهر» (١/ ٦٧)، والجوهري في «الصحاح» (مادة: أمن).

(٦) انظر: «الكامل في القراءات العشر والأربعين الزائدة عليها» (ص: ٣١٦)، وفيه: روى ابن مهران: (آمين) بالإمالة وإن لم يكن من القراءات، وجوز فيها الفتح كالباقين.

(٧) من أهل بخارى، إمام أصحاب أبي حنيفة بها في وقته، توفي سنة ثمان أو تسع وأربعين وأربع مئة =

العامَّة، وصيانةً لصلاتهم[1] عن الفساد، أن معناه: ندعُوكَ قاصدينَ إجابتَك. فإن تفسير الآمِّين بالتشديد هم القاصدون، قال تعالى: ﴿وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ﴾ [المائدة: ٢].

وعن جعفرِ بن محمدٍ الصَّادقِ أنه فسَّره بما يدل على أنه كان يشدِّده[2]، فإنه قال: أي: قاصِدِين نحوك وأنت أكرمُ مِن أن تخيِّبَ قاصِدَك[3].

وكذلك قال الحسينُ بن الفضل البَجَليُّ: معناه: قصَدْناك بهذا الدعاء فأَجِبْه لنا.

وفي[4] إعرابه وجوهٌ:

أفصحُها[5]: الفتحة، وهي القراءة الظاهرةُ، ووجهُه: أنه من الأدوات وهي مبنيةٌ، والأصل في[6] البناء السكونُ، وعند الْتِقاء الساكنَين يُضطرُّ إلى التحريك فيُفتح؛ لأن الفتحة أخفُّ الحركات كما في سوف وكيف وأين، وقد يسكَّن للوقف، وقد يُكسَر أيضاً لأن السَّاكن إذا حرِّك كُسر، وقد[7] قال الشاعر:

فإنْ تُصِبْكَ من الأيام جائحةٌ ... لم نَبْكِ منك على دُنيا ولا دِينِ

= بكَش، وحمل إلى بخارى فدفن بها، ومن تصانيفه: «المبسوط»، والحلواني بفتح الحاء المهملة وسكون اللام نسبة إلى بيع الحلوى. انظر: «اللباب في تهذيب الأنساب» (ص: ٣٨٠)، و«الجواهر المضية» (ص: ٣١٨).

(١) في (ر): «للغتهم».

(٢) في (ر): «يشدد».

(٣) انظر: «تفسير السلمي» (١/ ٤٥)

(٤) في (ف): «ولنا في».

(٥) في (أ) و(ف): «أصحها».

(٦) في (أ) و(ف): «وأصل» بدل: «والأصل في».

(٧) «قد»: زيادة من (أ) و(ف).

ولا نقـــولُ إذا يومـــاً نُعيـــتَ لنـــا إلا بآميـــنِ ربَّ العـــرشِ آميـــنِ[١]

أي: لا نقول إلا: اللهمَّ استجِبْ لنا[٢].

وقد ذُكر فيه الرفعُ على النداء، على تأويلِ مَن جعَله اسماً لله تعالى، كأنه قال: يا آمينُ.

فأمَّا تفسيرُه:

ففيما رواه ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما عن النبيِّ ﷺ: «ربِّ افعَلْ»[٣].

وقال ابن عباسٍ رضي الله عنهما: معناه: كذلك يكون[٤].

وقيل: أصلُه فارسيةٌ، ومعناه[٥]: مُهيمنٌ.

وقال مجاهدٌ: هو اسمٌ من أسماء الله تعالى[٦]، ومعناه: أنه آمنٌ من الزوال، ومأمونٌ من جَوره، ومؤتَمَنٌ على كلِّ شيءٍ، ومهيمنٌ؛ أي: شهيدٌ.

---

(١) البيتان في «الزاهر» لابن الأنباري (١/ ٦٦).

(٢) «أي: لا نقول إلا: اللهمَّ استجِبْ لنا» سقط من (أ) و(ف).

(٣) رواه الثعلبي في «تفسيره» (١/ ١٢٥) من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس به. وروي أيضا من طريق جويبر عن الضحاك عن ابن عباس به، كما «تفسير ابن كثير»، وكلاهما لا يصح، فإن الكلبي وجويبر متروكان.

(٤) انظر: «الزاهر» لابن الأنباري (١/ ٦٦)، و«تفسير أبي الليث» (١/ ٤٤)، و«تفسير الثعلبي» (١/ ١٢٥).

(٥) في (ر): «معناه».

(٦) انظر: «الزاهر» لابن الأنباري (١/ ٦٦)، و«تفسير أبي الليث» (١/ ٤٤)، و«تفسير الثعلبي» (١/ ١٢٥).

وقال [عبدُ الرحمن بن] زيد بنِ أسلمَ: (آمين) كنزٌ من كنوز العرش لا يَعلمُ تأويلَه إلا اللهُ تعالى[١].

وأمَّا فتحُه على تفسيرِ مَن جعَله اسماً لله[٢] تعالى ـ ومِن حقِّه الرفعُ لأنه نداءٌ ـ فلأنه نداءُ نُدْبةٍ، وأصله: يا أميناه، وحُذفت الهاء والألف تخفيفاً فبقيتِ النونُ على الفتح.

ثم هي عند مجاهدٍ من السورة[٣]، وعند غيرِه ليست منها.

ورُوي أنَّ النبي ﷺ لمَّا قرأ الفاتحة قال له جبريل: قُلْ: آمين[٤].

وقال عليه السلام: «آمين خاتَمُ ربِّ العالَمِين على عباده المؤمنين»[٥].

وسمع عليه الصلاة والسلام رجلاً يدعو ليلاً، فقال له عليه الصلاة السلام: «اخْتِمْ بآمِينَ وأَبْشِرْ»[٦].

---

(١) انظر: «تفسير الثعلبي» (١/ ١٢٥)، وما بين معكوفتين منه.

(٢) في (أ) و(ف): «اسم الله».

(٣) ذكره الآلوسي في «روح المعاني» (١/ ٣١٥) وبالغ في رده، فقال: وما قيل: إنها من السورة عند مجاهد، فمما لا ينبغي أن يلتفت إليه، إذ هو في غاية البطلان، إذ لم يكتب في الإمام ولا في غيره من المصاحف أصلاً، حتى ذَكر غيرُ واحد أن مَن قال: إنَّ (آمين) من القرآن كفَر.

(٤) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٧٩٦١) عن أبي ميسرة، وزاد: (فقال: آمين). وهو مرسل.

(٥) رواه الطبراني في «الدعاء» (٢١٩)، وابن عدي في «الكامل» (٦/ ٤٤٠)، والأزهري في «تهذيب اللغة» (١٥/ ٣٦٨)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وفي إسناده مؤمَّل بن عبد الرحمن وأبو أمية إسماعيل بن يعلى، وهما ضعيفان، وقال ابن عدي في مؤمل: عامة أحاديثه غير محفوظة. وقد أورده ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١/ ٧٩) من قول علي رضي الله عنه بلفظ: آمين خاتم رب العالمين يختم بها دعاء عبده المؤمن، ومثله ذكره أبو الليث في «تفسيره» (١/ ٤٥) من قول كعب الأحبار.

(٦) رواه أبو داود (٩٣٨) من حديث أبي زهير النميري رضي الله عنه ـ واسمه: يحيى بن نفير ـ، وفيه أن =

ورَوَى ابنُ عُمرَ رضي الله عنهما عنه ﷺ أنه قال: «الدَّاعي والمؤمِّنُ شريكان»[١]، يعني به قولَه تعالى: ﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا﴾ [يونس: ٨٩].

وقال عليه الصلاةُ والسلامُ: «إذا قال الإمامُ: ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ فقولوا: آمين، فإن الإمام يقولُها والملائكةُ تقولُها، فمَن وافَقَ تأمينُه تأمينَ الملائكة غُفر له ما تقدَّم من ذَنْبه»[٢].

وفارسية التعوُّذِ والتسميةِ والفاتحة على بسطٍ يأتي على أكثرِ الأقاويل فيها: (هداي اند خسم وبناه من خواهم، ونكاه داشت متجواهم، دامان متجواهم، وناوي متجواهم، وفرياد مي خواهم بهداي كه معبود بحق الله واند خسر اده خلق أست واله كشده أهل شوق أست وقديم وأزك أست وعظيم وعلى أست وعقلها حيران أست در عظمت أو ود لها با أرام أست در مشاهدة أو ديدها محجوب أست در دينا أردويت أو أرديور يده ورايده ودرحوت وهلاكت مانده وبي ورمان لي درمان نا عدوان باطغيان مي كنم بنام خداي بخشنده بخشانيده هنده أمر زنده هانفد سانيده خواننده خواهنده فكويند سباس وستائش مرخد أي راسد دخن أخبار داري وسباس مرخد أي راجون ابتدا داري وجامع مربعاني حمد را ابن بود بنا مر خد أي رزكه تهمة تناها سن أست وشكر وراس همه يعميها لدى حدوتي عنتها أست

= النبي ﷺ قال في رجل كان يدعو ويلح في المسألة: «أَوْجَبَ إن خَتَم»، فقال رجل من القوم: بأي شيءٍ يَختِمُ؟ فقال: «بآمين، فإنه إن ختمَ بآمين فقد أَوْجَبَ» فانصرفَ الرجلُ الذي سأل النبي ﷺ فأتى الرجلَ فقال: اختِمْ يا فلان بآمين وأبشِرْ.

(١) ذكره الديلمي في «الفردوس» (٣٠٩٣) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما. قال المناوي في «فيض القدير» (٣/ ٥٣٦): وفيه إسماعيل الشامي قال الذهبي: ممن يضع الحديث، وجويبر بن سعيد وقال الدارقطني وغيره: متروك.

(٢) رواه البخاري (٦٤٠٢)، ومسلم (٤١٠)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ورضا بقضاوي بدحكم وبادشاتي وراست وستايشها همه وراكه صفات وي سري مدحت وتناست أفريد كار ومر دركا رهمه جهانيان أست ودره حيري بر ألوهيت وربوبيت ووحدانيت بر قدرت أو شان أست وروي دهنده بند كان أست كسانيده نوعا صيان أست بادشاه وروي وسخيزات كه دروي حساب وجزا وحكم وقضا وكدامت موحدان وتواحت مطيعان وخضوع جباران وقهر قهاران وجحود كافران أست درانيم براخوانيم وتراخواهيم وبرثيات وتراباشيم وترابرشيم وإياك نستعين وياري ارتواخيم برتبات برايمان وكرار دقومان ومخالفت شيطان وكشيدن باركران ويسكان داس أشكار أونهان بدارها وأبدراه إيمان موافقت قومان ومتابعت أنبياء وناران وهمت نيكواكاران وتوفيق ده مارا بر طاعات وبيقر أي مار أبريقين وتعت وبنش فرشت ما راد دراه جنت ونكاه دار ما راين طريق سنت ودور دارمادا ارجهودان وترسايان وراندينان كم راهان وناكر وندكان وهو أداران وخدمت نا أرند كان ومن نابيند كان ودررفت راه يراه بسنده كنبد كان ودر كر دكار بكار بسنده كفعد كان آمين أي موا حوف فتاني ودر فعل توجور وجفاني ودرقول نو خلف وخطابي ودر علم توهيج حيدرا جفاني همنن دمكهحوا استيم كه خزتوا جانب كشده دعائي)[1].

---

(١) في هامش (ف): «تعريبه الحاصل من قوله: (وفارسيته التعوذ والتسمية والفاتحة): اطلب الهدى، واطلب الالتجاء والحفظ والأمان والصحبة، واطلب الغوث بالله المعبود بالحق رب العالمين، ومحير أهل الشوق القديم العظيم العلي، حارت العقلاء في عظمتك، والقلوبُ دهشة في مشاهدتك، محجوبةٌ في الدنيا عن رؤيتك، حتى بقوا في الحيرة وصارت بلا إذن متعدين طاغين، أرفع صوتي باسم الله الوهاب، المعطي الحي الواحد، كلهم ناطق بحمد الله، إن كنتَ بدعائك مبتدئا فعليك بالحمد، فإنه جامع المعاني لكل ثناء وشكر على كل نعمة حادثة، ونرضى بقضائه وحكمه وصفاته، خالق الخلائق، أهل الدنيا وكل موجود ينطق بوحدانيته وأنه قادر يعطي كل أحد رزقه المطيع والعاصي، القاهر الرازق بلا حساب، ويوم الجزاء لا حكم إلا لله، يكرم فيه الموحدون =

ثم من لطفِ الله جلَّ جلالُه أنْ أكرَمَنا بهذه السورةِ، وأتمَّ لطفَه علينا[١] بمحمدٍ رسولِهِ ﷺ نبيِّ الرحمة، فقال في أول هذه السورةِ: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾، وقال في حقِّ محمدٍ[٢] نبيِّه ﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ [الفتح: ٢٩].

ثم قال هاهنا: ﴿رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ وقال في حقِّ رسوله: ﴿رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾[٣] [الأنبياء: ١٠٧].

ثم قال هاهنا: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ وقال في حقِّ رسوله: ﴿بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ [التوبة: ١٢٨].

ثم قال هاهنا: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ وقال في حقِّ رسوله: ﴿لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ﴾ [التوبة: ٣٣].

ثم قال هاهنا: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ وقال في حقِّ رسوله: ﴿بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٦].

ثم قال هاهنا: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ وقال في حقِّ رسوله عليه الصلاة والسلام: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [الشورى: ٥٢].

= والمطيعون، ويخضع فيه الجبارون ويقهرون، نسألك الثبات على الحق والاستعانة على ثبات الإيمان ومخالفة الشيطان، ووفقنا لمتابعة الأنبياء، وألحقنا بالصالحين، وثبتنا على اليقين والتقوى والطريق، ونجنا من طريق اليهود والنصارى وأهل الضلالة، واحفظنا من الخوف وعلمنا، ولا يسمع الدعاء سواك».

(١) في (ر): «وأتم نعمته».

(٢) كلمة: «محمد» ليست من (ف).

(٣) في (ر): «وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين».

ثم قال هاهنا: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمۡ﴾ وقال في حق رسوله: ﴿وَيُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ﴾ [يوسف: ٦].

ثم قال هاهنا: ﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ وقال في حق رسوله: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ﴾ [النجم: ٢].

ثم يقولُ قارئ السورةِ: آمين، وهو خاتمُ ربِّ العالمين، والمصطفى محمدٌ[1] خاتمُ النبيين، اللهم صلِّ عليه وسلم عليه وعلى سائرِ الأنبياء والمرسلين[2]، والحمدُ للهِ ربِّ العالَمِين.

* * *

(١) كلمة: «محمد» ليست في (ف).

(٢) «اللهم صلِّ عليه وسلم عليه وعلى سائرِ الأنبياء والمرسلين» من (ف).

سُورَةُ البَقَرَةِ

سُورَةُ البَقَرَةِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

بسم الله الذي أنزل الكتابَ بلا ريب، الرحمنِ الذي لَطَف بالمؤمنين المتَّقين بالغيب، الرحيمِ الذي مَنَّ على المقصِّرين بسَتر العيب.

وانتظام هذه السورة بالفاتحة من سبعةِ أوجهٍ: بواحدٍ واثنين وثلاثةٍ وأربعةٍ وخمسةٍ وستةٍ وسبعةٍ.

أما الواحدُ: فالفاتحة أمُّ الكتاب، وافتتاحُ هذه السورةِ بـ ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾، ولأن الفاتحة أولُ سورةٍ أُنزلت بمكةَ والبقرةَ أولُ سورةٍ أنزلت بالمدينة.

وأما الاثنان: فإن الفاتحة قسمان: ثناءٌ ودعاءٌ، وهذه السورة أولُها ثناءٌ وآخرُها دعاءٌ، فإن: ﴿الٓمٓ﴾ فيها أقاويلُ كثيرةٌ:

منها: أنه اسم الله الأعظم.

ومنها: أن معناه: أنا الله اللطيف المجيد.

ومنها: أنا الله أعلم.

وذاك[1] ثناءٌ على الله، وآخِرُ السورةِ سؤالاتُ الحاجات من الله جلَّ جلاله.

وأما الثلاثةُ: فإن أولَ الفاتحة بيانُ ألوهية الله تعالى وربوبيَّته، ورحمتِه وملكه،

---

(١) في (ر) و(ف): «ومنها أن ذلك».

وفيه تعليمُ توحيدِ الله تعالى ومعرفتِه، ووسطَها إخبارُ العبد عن عبادتِه وعُبودته[١] واستعانتِه، وهو تعريفُ العبد سلوكَ طريق شريعتِه وحقيقته، وآخرَها سؤالُ الثبات على ذلك والعصمةِ من مخالفته، وفيه تلقينُ العبد الرجوعَ إلى الله تعالى في طلبِ مصالحِ دنياهُ وآخرتِه.

ومجموعُ هذه السُّورة أقسامُ هذه الصُّورة، فإنه ذكَر الإيمانَ في أوَّلها وأثنائها وآخرِها: ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ [البقرة: ٣] ﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٣٦] ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ الآية [البقرة: ١٣٦]، ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾ الآية [البقرة: ١٧٧]، ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ الآية [البقرة: ٢٨٥]، والآياتُ التي فيها بيانُ وحدانيَّته جلَّ جلالُه[٢]: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ الآية [البقرة: ٢٥٥].

وذكر نفسَ العبادة في قوله تعالى: ﴿ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ﴾ [البقرة: ٢١] ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ﴾ [البقرة: ١٣٣].

وتفاصيلَ العبادة: من الصلاةِ واستقبالِ القبلة فيها والخشوعِ فيها، والصومِ والزكاةِ وسائرِ الصَّدقات والنَّفقات، والحجِّ والعمرةِ والجهادِ والاعتكافِ والوصيةِ وإيتاءِ المالِ على حبِّه.

وتفاصيلَ العبودة[٣]: من التَّقوى والصبرِ والشكرِ واجتنابِ الخمر، والوفاءِ بالعهد وتركِ الحرام، والانقيادِ للأحكام من القصاصِ والطلاقِ والنكاحِ والمتعةِ والإنفاقِ والعِدَّةِ والرَّجعةِ والرَّضاعِ والإيلاءِ والحيضِ والولادةِ، والمبايعاتِ والمدايَناتِ والرُّهونِ والأماناتِ في تفاريقِ الآيات.

---

(١) في (ر) و(ف): «وعبوديته».

(٢) في (أ) و(ف): «وحدانية الله» بدل: «وحدانيته جل جلاله».

(٣) في (ر) و(ف): «العبودية».

وذكر الدَّعواتِ من آدم في أوَّلها ومن إبراهيمَ صلواتُ الله عليهما في وسطِها، ومن المؤمنين من سؤالِ الحُسنيين من بعدها، ومن المصطفى ﷺ ومن[1] الأمة في آخرها.

وأما الأربعةُ: فإن الفاتحة لمَّا أُنزلت أولَ شيءٍ وقرأها النبيُّ ﷺ وسمعَها الناس وفيها دعاءٌ إلى التوحيد وغيرِ ذلك مما قلنا، صار السامعون أربعةَ أصنافٍ:

صنفٌ: كانوا[2] عبدةَ الأصنام[3]، فآمَنوا به ظاهراً وباطناً.

وصنفٌ: كانوا أهلَ الكتاب ومؤمنين بالماضين من الرسل، فآمنوا به ظاهراً وباطناً أيضاً.

وصنفٌ: كفروا به وكذَّبوه ظاهراً وباطناً.

وصنفٌ: خافوا سيفَه فآمَنوا به ظاهراً وكفروا به باطناً.

فذكَرهم الله تعالى جميعاً في أول هذه السورة:

فإن قولَه: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ الآيةَ في الصِّنف الأول.

وقولَه: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ في الصِّنف الثاني.

وقولَه تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾[4] الآيتين في الصِّنف الثالث.

وقولَه: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ الآياتِ في الصِّنف الرابع.

---

(١) «من»: ليست في (ف).

(٢) في (ف): «كان».

(٣) في (أ): «الأوثان».

(٤) في (ر): «﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ﴾».

وأمَّا الخمسة: فالأفعالُ المذكورةُ في الفاتحة خمسةٌ: الحمد والعبادة والاستعانة والاهتداء والضلالة:

فالحمد على النِّعم وفي هذه السورة تعديدُها، والعبادةُ على وجوهٍ وفي هذه السورة تفصيلُها، والاستعانةُ على أمورٍ وفي هذه السورة تبيينُها، وفي الاهتداء به مثوباتٌ وفي هذه السورة تقريرُها، والضلالُ عليه عقوباتٌ وفي هذه السورة تكريرُها[1].

وأما الستةُ: فالمذكورةُ في أولِ آيات الفاتحة: العالَمون، وأكثرُهم على أنه اسمٌ لأهل الحياة منهم دون الجماد؛ لجمعه بالياء والنون، وهم ستةٌ: الملائكةُ والجنُّ والإنسُ والشياطينُ والدوابُّ والطيور. كما حكَينا عن أبي حذيفة[2]، وهم كلُّهم مذكورون في هذه السورة.

فأمَّا الملائكةُ: فقد قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ [البقرة: ٣٠]، ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ [البقرة: ٣٤]، ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ﴾ [البقرة: ٩٨]، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ [البقرة: ١٦١]، ﴿كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

وأمَّا الجنُّ: فقد ذكر إبليس وذكر في آيةٍ أنه كان[3] من الجنِّ.

وأمَّا الإنسُ: فقد قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ وكرَّر ذلك.

وأمَّا الشياطينُ: فقد قال تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾ [البقرة: ١٠٢].

---

(١) في (ف): «تكررها».

(٢) في (ر): «هريرة»، والمثبت من (أ) و(ف)، وهو الصواب وقد تقدم عند تفسير قوله تعالى: ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

(٣) «كان»: ليس في (ف).

وأمَّا الدَّوابُّ: فهي كلُّ ما يَدبُّ على وجه الأرض من السباع والبهائم والهوَامِّ، وقد ذُكر فيه من السباعِ الخنزير، ومن البهائم البقرةُ والعجلُ وما استَيْسَر من الهدْي، ومن الهوامِّ الحيةُ وهو في قوله تعالى: ﴿ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ [البقرة: ٣٦] وكان فيهم الحيةُ، وأمَّا الطيورُ فقد ذُكر منها في قوله: ﴿فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ﴾ [البقرة: ٢٦٠].

وأما السبعة: فالفاتحةُ سبعُ آياتٍ، وكلماتُ آياتها[1] مذكورةٌ في سورة البقرة:

فـ﴿ٱلْحَمْدُ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ﴾ [البقرة: ٣٠].

و(الله) في آياتٍ.

و﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ في قوله: ﴿أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة: ١٣١].

و﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ في قوله: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣].

و﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ فيه ذكرُ يوم القيامة، وفي سورة البقرة: ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٨١] وهي آخرُ آيةٍ نزلت، وهي أبلغُ آيةٍ نزلت[2] في ذكر يومِ القيامة.

و﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ في قوله: ﴿ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ﴾ [البقرة: ٢١] ونحوِه.

﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ في قوله: ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ [البقرة: ٤٥].

وقولُه: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ في قوله: ﴿وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: ٢١٣].

وقولُه: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ في قوله: ﴿ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ٤٠]، وقد أُريد به الأنبياء صلوات الله عليهم، وذُكر من الأنبياء في سورة البقرة: آدمُ،

---

(١) في (ر): «وكلماتها».

(٢) «نزلت»: زيادة من (أ).

وإبراهيمُ، وإسماعيلُ، وإسحاقُ، ويعقوبُ، والأسباطُ، وموسى، وهارونُ، وداودُ، وسليمانُ، وعيسى، وحِزقيلُ(١)، وأشموئيل(٢)، وعزيرٌ، صلوات الله عليهم.

وعلى العموم في قوله: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، وفي قولهِ: ﴿كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

وقولُه: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾: ذُكر الغضب في قوله: ﴿فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ﴾ [البقرة: ٩٠]، والضلالُ في قولهِ: ﴿وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ [البقرة: ١٩٨]، وقولهِ تعالى: ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦] ثم هم اليهودُ والنصارى، وأكثر صدر السورة في ذكرهم، إلى أن قال: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ الآية [البقرة: ١٢٠].

ثم السورةُ تُدعَى سورةَ البقرة، ومِن الناس مَن قال: يقالُ: السورةُ التي يذكر فيها البقرةُ، ويُستقبَحُ إضافةُ السورة إلى البقرة، وكذا سورةُ النحل ونحوُها.

والصحيح: أنه لا حاجة إلى هذا التكلُّف، فإن المراد من هذه الإضافةِ هو ما قال: إنها ذُكرت فيها، وقد قال النبيُّ ﷺ: «سنامُ القرآنِ سورةُ البقرة»(٣)،

---

(١) في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ﴾ [البقرة: ٢٤٣] رواه الطبري عن وهب بن منبه وسيأتي.

(٢) في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِيٍّ لَّهُمُ﴾ [البقرة: ٢٤٦] قال ابن كمال باشا في «تفسيره»: اختلفوا فيه، والأشهر الأظهر أنه أشمويل من نسل هارون عليه السلام.

(٣) رواه العقيلي في «الضعفاء» (٢/ ٦)، وابن حبان في «صحيحه» (٧٨)، والطبراني في «الكبير» (٥٨٦٤). وفي إسناده خالد بن سعيد المدني، قال العقيلي: لا يتابع على حديثه، قال: وفي فضل سورة البقرة رواية أحسن من هذا الإسناد وأصلح بخلاف هذا اللفظ، وأما في تمثيل القرآن فليس فيه شيء يثبت.

وفي ذلك أحاديث كثيرة[١]، فثبت[٢] إطلاقُ هذا الإطلاق.

ثم هذه السورة مدنيةٌ إلا آيةً منها نزلتْ يومَ النحر بمنًى في حِجَّةِ الوداع: ﴿وَاتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ الآية [البقرة: ٢٨١]، وهي آخرُ آيةٍ نزلت بمكة[٣]، وقد نزلت بمكةَ خمسٌ وثمانون سورةً أولُها سورة الفاتحة وآخرها ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾.

ونزل سائرُها بالمدينة، وهي تسعٌ وعشرون سورةً أولُها سورة البقرة وآخرُها سورة المائدة.

وحروفُ سورةِ البقرة[٤]: خمسٌ وعشرون ألفاً وستُّ مئةٍ وثمانيةٌ وخمسون[٥].

وكلماتُها: ستةُ آلافٍ ومئةٌ وستَّ عَشَرةَ كلمةً.

وآياتُها: مئتان وأربعٌ وثمانون آيةً عند أهل الشام، وخمسٌ عند أهل مكة

---

(١) «كثيرة»: من (أ). وقد روى البخاري (١٧٥٠)، ومسلم (١٢٩٦)، عن الأعمش، قال: سمعْتُ الحَجَّاجَ، يقولُ على المِنبَر: السُّورةُ التي يُذْكَرُ فيها البقرةُ، والسُّورةُ التي يُذْكَرُ فيها آلُ عمرانَ، والسُّورةُ التي يُذْكَرُ فيها النِّساءُ، قال: فذكَرْتُ ذلك لإبراهيم فقال: حَدَّثني عبدُ الرَّحمنِ بنُ يزيدَ أنَّه كان مع ابنِ مسعودٍ رَضِيَ اللهُ عنه حين رَمَى جَمْرةَ العقبةِ، فاستَبْطَنَ الواديَ حتى إذا حاذَى بالشَّجرةِ اعترَضها، فرَمَى بسَبْعِ حَصَيَاتٍ يُكبِّرُ مع كلِّ حصاةٍ ثُم قال: «مِن ها هنا والذي لا إلهَ غيرُه قام الذي أُنزلَت عليه سورةُ البقرةِ ﷺ». قال الآلوسي في «روح المعاني» (١/ ٣١٧): وهو معارِض لما روي من منع ذلك، وتعيُّنِ أن يقال: السورة التي يذكر فيها البقرة، وكذا في سور القرآن كله، ومن ثمة أجاز الجمهور ذلك من غير كراهة.

(٢) في (ف): «فيثبت».

(٣) «بمكة»: ليست في (ف).

(٤) في (أ): «هذه السورة».

(٥) بعدها في (ر) و(ف): «حرفاً»، و«وثمانيةٌ» سقط من (ف). وفي «البيان في عد آي القرآن» للداني (ص: ١٤٠): وحروفُها خمسة وعشرونَ ألفا وخمس مئة حرف.

والمدينةِ، وستٌّ عند أهل الكوفة، وسبعٌ عند أهل البصرة؛ لاختلافهم في مواضعَ منها أنه تمامُ الآية أو وسطُها.

وفي بعضِ الأخبار: أنها لو كَملتْ[1] ثلاثَ مئةِ آيةٍ لتكلَّمت.

ومعناه: أن السورة آتيةٌ على أكثر الأحكام والأصولِ العِظام، وبقيت عدَّةُ أحكام ذُكرت في غيرها، ولو كانت في هذه السورةِ لصرَّحت بجميع ما بالناس إليه حاجةٌ من علوم الدِّين.

وفي هذه السورة: خمسةَ عشرَ مَثَلاً، وخمسَ مئة حُكمٍ، وفيها أطولُ آيةٍ وهي آيةُ المدايَنة، وهي مئةٌ وثلاثون كلمةً، وفيها قريبٌ من عشرين حُكماً.

قوله تعالى: ﴿الٓمٓ﴾[2]: وافتتاح[3] هذه السورة بالحروف المقطَّعة، وتسعٌ[4] وعشرون من سورِ القرآن مفتَتحةٌ بها.

وفي هذه الحروف ـ يعني: ﴿الٓمٓ﴾ ـ التي افتُتحت بها هذه السورةُ قريبٌ من ثلاثين قولاً:

قال أبو بكرٍ الصدِّيق رضي الله تعالى عنه: لله تعالى في كلِّ كتابٍ سرٌّ، وسرُّ الله عز وعلا في القرآن[5] هذه الحروف التي في أوائل السور[6].

وقال عمرُ رضي الله تعالى عنه: لكلِّ كتابٍ زينةٌ، وزينةُ القرآن حروفُ التَّهجِّي.

---

(١) في (ر): «لو تمت».

(٢) «قوله تعالى: ﴿الٓمٓ﴾»: ليس في (أ).

(٣) في (ف): «افتتحت».

(٤) في (ر) و(ف): «وسبع»، والصواب المثبت.

(٥) «القرآن»: زيادة من (أ).

(٦) انظر: «تفسير الثعلبي» (١/ ١٣٦)، و«البسيط» للواحدي (٢/ ١٣)، و«تفسير البغوي» (١/ ٥٩).

وقال عليٌّ رضي الله عنه: إنَّ لكلِّ كتابٍ صفوةً، وصفوةُ القرآن حروفُ التهجِّي[١].

وقال ابن عباسٍ رضي الله عنهما: هي من المكتوم الذي لا يفسَّرُ[٢].

وقال الضحَّاك رحمه الله: عجزتِ العلماء عن تفسير الحروف المقطَّعة.

وقال ابن عباسٍ رضي الله عنهما في روايةٍ: ألِفٌ الله، لامٌ لطيفٌ، ميمٌ مجيدٌ[٣].

وفي روايةٍ: معناه: أنا الله أعلم، وفي[٤] ﴿الٓمٓصٓ﴾: أنا الله أَعْلَمُ وأَفْصِلُ، و﴿الٓر﴾: أنا الله أرى[٥].

وعنه في روايةٍ: ألفٌ: الله، لامٌ: جبريل، ميمٌ: محمد[٦]؛ أي: اللهُ أنزل جبريلَ على محمدٍ بالكتاب[٧].

وقال ابن مسعودٍ رضي الله عنه: إنها اسمُ الله الأعظم[٨].

وقال الحسن وسعيد بن جُبير: هذه الحروفُ إذا أُلِّفت ضرباً من التأليف كانت

---

(١) انظر: «تفسير الثعلبي» (١/ ١٣٦)، و«تفسير البغوي» (١/ ٥٩).

(٢) انظر: «تفسير أبي الليث» (١/ ٤٧) عن عمر وعثمان وابن مسعود.

(٣) قطعة من خبر رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٢٠٩) عن الربيع بن أنس، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٣٣) من طريق الربيع عن أبي العالية.

(٤) «في»: ليست في (أ).

(٥) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٥٦ _ ٥٧)، و«تفسير البغوي» (١/ ٥٩).

(٦) انظر: «تفسير أبي الليث» (١/ ٤٧)، و«تفسير الثعلبي» (١/ ١٤٠). ولم ينسبه أبو الليث السمرقندي لقائل.

(٧) انظر: «تفسير الثعلبي» (١/ ١٤٠).

(٨) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٢٠٦) عن ابن مسعود وابن عباس.

أسماءً لله تعالى وإنْ كنا لا نقف على تأليفها. وذلك لأن[١] قوله: ﴿الٓر﴾ و﴿حمٓ﴾ و﴿نٓ﴾ رؤوس ثلاث سورٍ، وإذا جُمعت صارت: الرحمن[٢]، وهو اسمٌ عظيمٌ[٣] من أسماء الله تعالى.

وقال قتادةُ: إنها أسماءُ القرآن[٤].

وقال عبدُ الرحمنِ بنُ زيد بن أَسْلَمَ: إنها أسماء السور[٥].

وقال مجاهد: إنها فواتحُ يَفتتحُ الله تعالى بها كتابه[٦].

وقال سعيد بن المسيِّب: إنها في ذكرِ الكوائنِ والفتن.

وقال أبو العالية: إنها في مدةِ قومٍ وآجالِ آخَرين[٧].

وقال الربيع بن أنسٍ: ما فيها من حرفٍ إلا وهو في ذكر آلائه ونَعْمائه[٨].

وقال جماعةٌ: الألفُ افتتاحُ اسمِهِ الإلهِ والأحدِ والأولِ والآخِرِ والأمين، واللامُ افتتاحُ اسمه اللطيفِ، والميمُ افتتاحُ اسمه الملكِ والمجيدِ والمنَّان.

---

(١) في (أ): «أن».

(٢) انظر: «تفسير أبي الليث» (١/ ٤٧) عن علي، و«تفسير الثعلبي» (١/ ١٣٦) عن سعيد بن جبير.

(٣) في (أ): «أعظم».

(٤) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٥)، والطبري في «تفسيره» (١/ ٢٠٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٣٣).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٢٠٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٣٣).

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٢٠٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٣٣).

(٧) قطعة من خبر رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٢٠٩) عن الربيع بن أنس، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٣٣) من طريق الربيع عن أبي العالية. وتقدمت قريباً قطعة منه.

(٨) قطعة من الخبر السابق.

وقال محمد بن كعبٍ القُرَظيُّ: الألفُ آلاءُ اللهِ، واللامُ لُطفُه، والميمُ مَجْدُه[١].

وقال أبو فاختةَ: هذه الحروفُ أمهاتُ الكتاب[٢]، منها استُخرج هذا القرآن[٣]؛ أي: نُظِمَ وركِّب[٤]، وأُنزلتْ مقطَّعةً ليُعلَم أنها من الحروف المعجَمة التي نزلت[٥] على آدم عليه السلام مقطَّعة.

وقال عبد العزيز بن يحيى: معنى هذه الحروفِ: أنَّ الله تعالى ذكرها فقال: اسمعوها مقطَّعةً، حتى إذا[٦] وردتْ عليكم مؤلَّفةً كنتُم عرفتُموها قبل ذلك، وكذلك تُعلَّمُ الصبيانَ أولاً مقطَّعةً، فكأنَّ الله تعالى أسمعَهم مقطَّعةً مفردةً[٧] ليعرفوها إذا وردت عليهم مفرَّقةً، ثم أسمعهم مؤلَّفةً[٨].

وقال أبو رَوقٍ: إن الكفار لمَّا قالوا: ﴿لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ﴾ [فصلت: ٢٦] وتواصَوا بالإعراض عنه، أراد الله تعالى لِمَا أَحَبَّ من صلاحهم ونَفْعهم أن يُورد

---

(١) في (ف): «والميم محمد». وهو في «تفسير الثعلبي» (١/ ١٣٩) بلفظ: (... والميم ملكه).

(٢) في (أ): «القرآن».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٢٠٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٥٩٣)، وهو في «تفسير الثعلبي» (٣/ ١١)، جميعهم عند تفسير قوله تعالى: ﴿مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [آل عمران: ٧].
وأبو فاختة اسمه: سعيد بن علاقة، مولى أم هانئ، روى عن علي رضي الله عنه، روى عنه ابنه. انظر: «التاريخ الكبير» للبخاري (٣/ ٥٠٣).

(٤) «أي: نظم وركب»: سقط من (أ) و(ف).

(٥) في (أ): «أنزلت».

(٦) في (ف): «فإذا» بدل: «حتى إذا»، والمثبت من باقي النسخ والمصدر.

(٧) في (أ): «معروفة»، وفي (ر) و(ف): «معرفة»، والمثبت من المصدر.

(٨) انظر: «تفسير الثعلبي» (١/ ١٣٧).

عليهم ما لا يَعرفونه ليكونَ[١] ذلك سبباً لإسكاتهم[٢] واستماعهم لِمَا يَرِدُ عليهم من القرآن، فأنزل هذه الحروف وكانوا إذا سمعوها قالوا كالمتعجِّبين: استمعوا[٣] إلى ما يجيء به محمدٌ، فإذا أصغَوا فاستمعوا[٤] هجَم عليهم القرآن[٥] فأَولجه مسامعَهم، فكان ذلك سبباً لاستماعهم[٦] وطريقاً لانتفاعهم[٧].

وقال الحسينُ بن الفضل: هي من المتشابهِ الذي لا يَعلم تأويلَه[٨] إلا اللهُ.

وقال عكرمةُ: هي أقسامٌ[٩].

وقال القُتَبيُّ[١٠]: يجوز أن يكون الله عزَّ وعلا أقسم بالحروفِ المقطعةِ كلِّها واقتصَر على ذكر بعضِها من ذكرِ جميعِها، كما يقولُ القائل: تعلَّمتُ أ[١١] ب ت ث، وهو يريد كلَّ الحروف، ويقول: قرأتُ الحمد، وهو يريد كلَّ السورة[١٢].

وعن أبي العاليةِ قال: هذه من الثمانيةِ والعشرين التي دارت عليها الألسُنُ كلُّها،

---

(١) في (أ): «فيكون».

(٢) في (ف): «لاستكانهم».

(٣) في (أ): «اسمعوا».

(٤) في (أ): «واستمعوا».

(٥) في (أ): «بالقرآن».

(٦) في (ر): «لإسماعهم».

(٧) انظر: «تفسير الثعلبي» (١/ ١٣٧) بنحوه.

(٨) في (أ) و(ف): «لا يعلمه».

(٩) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٢٠٧).

(١٠) في (ر): «القتيبي»، وفي (ف) بياض.

(١١) في (ف): «ألف».

(١٢) انظر: «تأويل مشكل القرآن» لابن قتيبة (ص: ١٨٣).

وليس فيها[1] حرفٌ إلا وهو مفتاحُ اسمٍ من أسماء الله تعالى، وفي آلائهِ ونَعْمائه، وفي مدةِ قومٍ وآجالهم[2].

وقيل: كلُّ حرفٍ مختصَرٌ عن كلمةٍ، وهو متعارفٌ في اللسان.

وأنشد الزَّجَّاج:

إنْ شئت أَشْرفْنا كلانا فدعَا ... أللهَ جهداً[3] ربَّه فأَسمعا

بالخيرِ خيراتٍ وإن شرًّا فا ... ولا أريدُ الشرَّ إلا أنْ تا[4]

أي: وإن شراً فشرٌّ، ولا أريد الشرَّ إلا أن تريدَ.

وأنشد قطربٌ:

جاريةٌ قد وعدَتْني أن تا ... تَدْهنُ رأسي أو تُفلِّي أو تا[5]

---

(١) في (أ) و(ف): «منها».

(٢) قطعة من خبر رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٢٠٩) عن الربيع بن أنس، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٣٣) من طريق الربيع عن أبي العالية. وتقدم مراراً في هذا المحل.

(٣) في (أ): «جهراً».

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٦٣) وعزاهما لُقَيم بن سعد بن مالك، والثاني في «المحرر الوجيز» (١/ ٨٣)، و«تفسير القرطبي» (١/ ٢٤٠)، ونسباه لزهير وليس في ديوانه. وهو دون نسبة في «الكتاب» لسيبويه (٣/ ٣٢١). وقال الطيب بن عاشور في «التحرير والتنوير» (١/ ٢١١): هو من نوادر كلام العرب، ومما أخرج مخرج الألغاز والتمليح، وذلك لا يناسب مقام الكتاب المجيد.

(٥) عزاه المرزباني في «الموشح» (ص: ١٢)، وعنه الرضي في «شرح شافية ابن الحاجب» (٤/ ٢٦٦)، لحكيم بن معية التميمي نقلاً عن أبي عبيدة، وهو دون نسبة في «الخصائص» لابن جني (١/ ٢٩٢)، و«الوساطة بين المتنبي وخصومه» للجرجاني (ص: ٤٥٠)، و«تفسير الثعلبي» (١/ ١٣٨)، و«ضرائر الشعر» لابن عصفور (ص: ١٨٦)، و«ارتشاف الضرب» لأبي حيان (٢/ ٨٢٥)، و«اللباب» لابن عادل (١/ ٢٥٨)، وصدره عند الجميع عدا «الارتشاف» و«اللباب»: =

أي: تمسح.

وأنشد سيبويه:

نادَوْهــم أنْ ألْجِمــوا أَلَا تــا قالوا جميعــاً كلُّهــم ألَا فــا[(١)]

أي: ألا تركبون، فقالوا: ألا فاركبوا.

وقال آخرُ:

قلتُ لها قِفِي فقالت لي[(٢)] قاف لا تَحْسَبي أنَّا نَسِينا الإيجاف[(٣)]

أي: الإسراعَ في المشي[(٤)].

وقال المبرِّد: إنْ هذه الحروفَ احتجاجٌ من الله تعالى على الكفَّار؛ لأن النبيَّ

= قــد وعدَتْنــي أمّ عمــرٍو أن تــا

وجاء عند الثعلبي: (وأنشد قطرب في جارية: قد وعدتني أم عمرو...)، وأما عجزه ففي أكثر المصادر: (وتفليني وا)، وعند الثعلبي: (وتفليني تا)، وفي «اللباب» (وتفليني وتا). قال الثعلبي: أراد: أن تأتي وتمسح، وقال أبو حيان: أراد: أن تأتيني أو تمتنع.

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٦٢)، و«تفسير الثعلبي» (١/ ١٣٨) وعنه نقل المؤلف، و«شرح شافية ابن الحاجب» (٤/ ٢٦٦)، و«ضرائر الشعر» لابن عصفور (ص: ١٨٦)، و«تفسير القرطبي» (١/ ٢٤٠). قال الثعلبي: وأنشد سيبويه لغيلان..، فذكره، ولم أجده في «الكتاب».

(٢) في (ر): «قالت» بدل: «فقالت لي»، وكلاهما في المصادر، وجاء في بعضها: (فقالت) فقط، وجاء أيضا: (قلنا لها قفي لنا قالت)، وجاء غير ذلك.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٧٥)، و«تأويل مشكل القرآن» لابن قتيبة (ص: ١٨٩)، و«تفسير الطبري» (١/ ٢١٦)، و«معاني القرآن» للزجاج (١/ ٦٢)، و«تفسير الثعلبي» (١/ ١٣٨). قال الثعلبي: أي: قف أنت. وقال الفراء: ذكرت القاف أرادت القاف من الوقوف؛ أي: إني واقفة. وقريب منه قول الزجاج: فنطق بقاف فقط، يريد قالت: أقف.

(٤) «أي: الإسراع في المشي»: سقط من (أ).

ﷺ لمَّا قال لهم: ﴿فَأْتُواْ بِسُورَةٍ﴾ [البقرة: ٢٣] ﴿فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ﴾ [هود: ١٣] وعجزوا عنه، أنزل الله جلَّ جلالُه هذه الحروفَ؛ أي: إن القرآن من هذه الحروف التي هي لغاتُكم، فليس عجزُكم عن الإتيان بمثلِها إلا لأنه كلامُ الله تعالى لا مِثْلَ له.

وقيل: إذا جُعلت هذه الحروفُ كلمةً فهي ﴿الٓمٓ﴾؛ أي: ألم ترَ وألم تعلم[1] أنه ذلك الكتاب.

وقيل: كلُّ حرفٍ من هذه الثلاثةِ على ما يؤدِّي نُطقاً يُطلب من ظاهره معناه وضعاً: أَلِفَ هو على وزنِ عَلِمَ من الألفة، ومعناه: ألف[2] الله محمداً، ولامَ على وزن نامَ من اللَّوم، ومعناه: لامَ الكفارُ نبيَّنا محمداً ﷺ[3] على مخالفةِ الآباء، ومِيمَ على وزن بِيعَ من المُوْم وهو البِرسام[4]، وهو المحيِّرُ المفسِدُ من الأسقام، ومعناه: بُهِتَ الكفارُ وأُرغِموا بظهور الحقِّ والهدى.

وقيل: ألفٌ: أنا، ولامٌ: لي، وميمٌ: منِّي[5]. فكأنه سبحانه قال: أنا الله وأنا المَلِك[6] وأنا الرزَّاق وأنا وأنا[7]، ولي المُلكُ ولي المِلكُ[8]، ولي الحكمُ ولي

---

(١) في (أ): «ألم تر ولم تعلم»، وفي (ف): «ألم تر ألم تعلم»، وفي هامش (ف): «ألم تروا ألم تعلموا».

(٢) ضبطت كلمة «ألف» في (ف) بتشديد اللام المفتوحة.

(٣) في (ر): «محمدٌ ﷺ»، وليست في (أ) و(ف)، والصواب المثبت.

(٤) في (ف): «وهي البرسام»، وفي هامش (أ): «البرسام ورم في الصدر، والبرسام ورم في الرأس».

(٥) في (أ): «ألف من أنا ولام من لي وميم من مني»، ومثله في (ر) لكن بدل «لي»: «إلي»، والمثبت من (ف)، وهو الموافق لما في «تفسير الثعلبي» (١/ ١٤٠)، وعزاه لأهل الإشارة.

(٦) في (ف): «وأنا لي المُلك وأنا الملك» بدل من «وأنا المُلك».

(٧) «وأنا»: زيادة من (أ) و(ف).

(٨) «ولي المِلك»: زيادة من (ف).

الأمرُ، ولي الحمدُ ولي المجدُ[1]، ومنِّي الإحسانُ ومنِّي الامتنانُ ومنِّي الغُفران ومنِّي ومنِّي.

وقيل: ألفٌ معناه: أَفْرِدْ نَفْسَك لي بإسقاطِ العلائق والأعراض، ولام[2] معناه: ليِّن جوارحَك لعبادتي بلا ملالةٍ ولا إعراض، وميمٌ: محِّ رسومَك وصفاتِك بالأُنس بي والمشاهدةِ لي بلا تحكُّمٍ ولا اعتراض.

وقال بعضُ العراقيين: حيَّر عقولَ الخلق في ابتداءِ خطابه ـ وهو محلُّ الفهم ـ ليَعلموا أنه لا سبيلَ لأحدٍ إلى معرفةِ حقوقِ خطابه إلا بعِلمهم بالعجز عن معرفة خطابه[3].

وقيل: هي رموزٌ سارَّ بها الأولياء، فالظواهرُ للعوَامِّ، والرموزُ والإشارات للخوَاصِّ، قال[4] النبيُّ ﷺ: «لو تَعلمون ما أَعلمُ لضحِكْتُم قليلاً ولبَكيْتُم كثيراً»[5]؛ أي: من حقائقِ سِرِّ الحقِّ إليَّ.

وقال ﷺ: «أوتيتُ جوامعَ الكَلِم واخْتُصِرَ لي الكلامُ اختصاراً»[6].

وقيل: هو تنبيهٌ للعبد أن ينتصب قائماً في الصلاة كالألف، ثم ينحني للركوع كاللام، ثم يجتمع في السجود كالميم.

---

(١) في (أ) و(ف): «ولي الحكم ولي ولي».

(٢) في (ر): «والأعواض واللام».

(٣) في هامش (ر): «إنما العجز عن طلب الإدراك إدراك، والنقوض (كذا) في طلب الإدراك إشراك»

(٤) في (ف): «وقال».

(٥) رواه البخاري (٦٤٨٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٦) رواه الدارقطني في «سننه» (٤٢٧٥) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ: «واختصر لي الحديث..». وأوله متفق عليه، رواه البخاري (٧٢٧٣)، ومسلم (٥٢٣)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وقيل: بدأ السورة الكبرى بالألف، وجعله سابقاً؛ لِمَا فيه من معانٍ:

منها: الاستواءُ.

ومنها: الانتصابُ.

ومنها: الانقطاعُ عن سائر الحروف.

ومنها: التجرُّدُ عن النقط.

ومنها: الاستغناءُ عن الأمكنة، وهي[١] مخارجُ الحروف.

وفيه تنبيهٌ على أن العبد إذا أراد[٢] أن يصير سابقاً فلْيَستوِ ظاهراً وباطناً، ولْيَنتصِبْ لخدمة[٣] الله، ولْيَنقطِعْ عن الخلق، ولْيَتجرَّدْ عن الأغيار، ولْيَتبتَّلْ عن الأمكنة.

ثم إنما سكِّنت هذه الحروفُ ولم تُعربْ لأنها حروفُ هجاءٍ وليست بأسماءٍ، قال أبو النَّجم:

أقبلَتُ مِن عندِ زيادٍ كالخَرِفْ ... تَخطُّ رجلاي بخطٍّ مختلِفْ

تكتِّبانِ في الطريقِ لامَ الِفْ[٤]

فإن جعلتَها أسماءً وعطفْتَ بعضَها على بعضٍ أَعْربْتَها.

وأنشد أبو عبيدةَ:

---

(١) في (ف): «ومنها».

(٢) في (أ) و(ف): «فإذا أراد العبد» بدل من «وفيه تنبيهٌ على أن العبد إذا أراد».

(٣) في (أ): «بخدمة».

(٤) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١/ ٢٨)، و«المقتضب» للمبرد (١/ ٢٣٧)، و«الزاهر» لابن الأنباري (١/ ٣٣)، و«تفسير الثعلبي» (١/ ١٣٨) وعنه نقل المؤلف.

إذا اجتَمَعوا على ألفٍ وواوٍ ويـاءٍ هـاجَ[١] بينهـم القتـالُ[٢]

ثم للقرَّاء في هذه الحروفِ عند الوصلِ إدغامُ ميمِ اللَّام في ميمِ الميم، والمدُّ، وتثقيل الميم، ويجوز تركُ المدِّ وتركُ الإدغامِ وتركُ التثقيلِ، وعند الوقفِ يصيرُ كذلك ويجوزُ ذلك، والأحسن إخراجُ كلِّها في[٣] نَفَسٍ واحدٍ.

ومحلُّ ذلك من الإعراب عند بعضِهم: أن ﴿الٓمٓ﴾ ابتداءٌ، و﴿ذَٰلِكَ﴾ خبرُه، و﴿ٱلۡكِتَٰبُ﴾ صلةُ خبرِه، كقولك: زيدٌ ذلك الرجلُ لا شكَّ فيه.

وقيل: ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ﴾ ابتداءٌ، وقوله: ﴿الٓمٓ﴾ خبرُه، وقد ذُكر مقدَّماً على الاسم كقولك: عالمٌ هذا الرجل.

وقيل: لا محلَّ لهذه الأحرف الثلاثةِ من الإعراب على وجه التعلُّق بما بعده، و﴿ذَٰلِكَ﴾ مبتدأٌ، و﴿ٱلۡكِتَٰبُ﴾ خبره، و﴿الٓمٓ﴾ قسَمٌ، أو افتتاحٌ، أو اسمٌ للسورة، أو أمرٌ؛ أي: اسمعوا هذه الحروف مقطعةً[٤]، وهو تامٌّ بنفْسه.

وأمَّا نزولُها: فقد رَوَى أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما: أن رهطاً من اليهودِ لعنهم اللهُ منهم: كعبُ بن الأشرفِ، وحُيَيٌّ وجديٌّ ابنا أَخْطَبَ، وأبو لُبابةَ، وكعب بن أَسيدٍ، ومالك بن الصَّيْف[٥]، دخلوا على رسول الله ﷺ فسألوه عن

---

(١) في (ف): «كان».

(٢) انظر: «المقتضب» للمبرد (١/ ٢٣٦)، و«معاني القرآن» للزجاج (١/ ٦١)، وعزاه ليزيد بن الحكم يهجو النحويين، و«تفسير الثعلبي» (١/ ١٣٨) وعنه نقل المؤلف.

(٣) في (ف): «من».

(٤) «أي: اسمعوا هذه الحروف مقطعةً»: ليس في (أ) و(ف).

(٥) في (ف): «الضيف». وفي هامش (أ): «مالك بن الصيف بالصاد المهملة في «عين المعالي» وفي «الكشاف».

﴿الٓمٓ﴾ وقالوا: نَنْشُدُكَ اللهَ الذي لا إلهَ إلا هو، أحقٌّ أنها أتتك من السماء؟ فقال النبيُّ ﷺ: «نعم كذلك نزلت»، فقال حييٌّ: لئن كنتَ صادقاً إني أعلمُ أنَّ أُكلَ[1] هذه الأمة من السنين ما نزل عليك، ثم نظر حييٌّ إلى أصحابه فقال: كيف ندخلُ في دِين رجلٍ إنما منتهَى أُكلِ أمَّته إحدى وسبعون سنةً، فقال له عمر رضي الله عنه: وما يدريكَ أنها كذلك؟ قال: أخذتُها من حسابِ الجمَّل، فالألفُ واحدٌ، واللامُ ثلاثون، والميمُ أربعون، فضحك النبيُّ ﷺ، فقال حييٌّ: هل غيرُ هذا؟ قال[2]: «نعم»، قال: وما هو؟ قال: «﴿الٓمٓصٓ﴾» قال حييُّ بن أخطبَ: هذه أكثرُ من الأولى، هذه مئةٌ وإحدى وستُّون سنةً ـ وقد تبيَّن لنا في هذه تفسيرُ الأُولى؛ لأنه قال: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ فنحن المتَّقون الذين آمنَّا بالغيب قبل أن يكون[3] ـ فهل غيرُ هذا؟ قال: «نعم ﴿الٓرٓ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ﴾ [هود: ١]» قال حييٌّ: هذه أكثرُ من الأولى والثانيةِ، وقد أَحْكَمَ فيهنَّ وفصَّلَ، فنحن نشهدُ لئن كنتَ صادقاً ما مُلْكُ أمَّتكَ إلا[4] إحدى وثلاثون ومئتا سنةٍ، فاتَّق الله ولا تقل إلا حقًّا، فهل غيرُ هذا؟ قال: «نعم ﴿الٓمٓرٓ﴾ ـ إلى قوله: ـ ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾»، قال: فنحن نشهدُ أنَّا من الذين لا يؤمنون، ولا ندري بأيِّ قولك نأخذُ، فقال أبو ياسر: أمَّا أنا فأَشهدُ بما أُنزل على أنبيائنا أنهم قد أَخبروا عن مُلك هذه الأمةِ ولم يوقِّتوا كم يكونُ، فإن[5] كان محمدٌ صادقاً فيما يقولُ إني لأراه سيُجمع له هذا كلُّه.

---

(١) فوقها في (ف): «مدة»، ومثله في هامش (ر)، ويريد بأكل أمته: طول مدتهم. وفي بعض المصادر: (إني لأعلم أجل هذه الأمة...)، والمعنى واحد. وكلمة: «أن» ليست في (أ).

(٢) في (ف): «فقال النبي ﷺ».

(٣) في (ر): «نكون»، وفي هامشها: «أي: قبل أن نبعث».

(٤) في (ف): «صادقا فملك أمتك إلى».

(٥) في (أ): «وإن».

فقام اليهود وقالوا: أَشكَلَ علينا[١] أمرُك، فلا ندري أبالقليلِ نأخذُ أم بالكثير؟

فذلك قولُه تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ مِنْهُ ءَايَـٰتٌ مُّحْكَمَـٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَـٰبِهَـٰتٌ﴾ [آل عمران: ٧][٢]، فالمحكماتُ هي[٣] الآياتُ التي في سورة الأنعام: ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ﴾ [الأنعام: ١٥١] إلى ثلاثِ آياتٍ، وأما المتشابهاتُ فـ﴿الٓمٓ﴾[٤] و﴿الٓمٓصٓ﴾ و﴿الٓر﴾ ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَـٰبَهَ مِنْهُ﴾ حين يَحسُبون كم[٥] أُكلُ هذه الأمة، وما يَعلم ذلك إلا الله ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾ يعني: عبد الله بن سلام، وثعلبةَ بنَ عمرو، وأسدَ بن كعب، وأسيد بن زيد، وسلاماً، وهم مؤمنو أهلِ الكتاب ﴿يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾؛ أي: قليلِه[٦] وكثيرِه.

فقال لهم حييٌّ: ويحكم، أمَا[٧] تعرفون الباطلَ فيما يُخلَّط عليكم؟ فقالوا: بل نعرف الحقَّ، ثم قالوا: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا﴾ الآية[٨]، فجعل رسولُ الله

---

(١) في (أ) و(ر): «وقالوا غلبنا».

(٢) رواه بنحوه الطبري في «تفسيره» (١/ ٢٢١)، والداني في «البيان في عد آي القرآن» (ص: ٣٣٠)، من طريق محمد بن إسحاق، قال: حدثني الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس، عن جابر بن عبد الله بن رئاب. وهو في «السيرة النبوية» لابن هشام (١/ ٥٤٥). والكلبي متروك، وأبو صالح لم يسمع من ابن عباس.

(٣) في (أ) و(ف): «وهي»، وليس فيهما: «﴿وَأُخَرُ مُتَشَـٰبِهَـٰتٌ﴾ فالمحكمات».

(٤) في (ف): «فألف لام ميم».

(٥) في (ف): «يحسبون ﴿الٓمٓ﴾».

(٦) في (أ): «بقليله».

(٧) في (ر): «إنما». وفي (ف): «إنكم».

(٨) في (أ): «﴿بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾». وفي (ف): «﴿بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ الآية».

ﷺ يضربُ الأمثال لليهود ليَعقلوا(١)، وكان الله تعالى طبعَ على قلوبهم فلم يَفْقَهوا(٢)، فذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

* * *

(٢) ـ ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾: فـ﴿ذَٰلِكَ﴾(٣) ثلاثةُ أحرفٍ: ذا اسم(٤) إشارةٍ، واللام عمادٌ، والكاف خطابٌ.

وهذه الكلمة في القرآن على ثلاثة أوجهٍ:

إشارةٌ إلى الغائب، قال الله تعالى: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٦].

وإشارةٌ إلى الحاضر، قال تعالى: ﴿هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ﴾ [الفجر: ٥].

واسمٌ لمن لا يوصف بالغيبة والحضرة، قال تعالى: ﴿فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ﴾ [يونس: ٣٢].

وقد جاء في الشعرِ (ذلك) بمعنى: هذا(٥)، قال خُفَافُ بنُ نُدْبَةَ:

أقولُ له والرُّمحُ يَأْطُرُ مَتْنَه ... تأمَّلْ خفافًا إنَّني أنا ذلكا(٦)

---

(١) في (ر): «ليفعلوا».

(٢) في (أ): «يفهموا ذلك». وفي (ف): «يفقهوه».

(٣) في (أ): «ذلك».

(٤) «اسم»: ليس في (أ) و(ف).

(٥) في (أ) و(ف): «لهذا» بدل من «بمعنى هذا».

(٦) انظر: «جمهرة أشعار العرب» (ص: ١٣)، و«مجاز القرآن» (١/ ٢٩)، و«الشعر والشعراء» (١/ ٣٤٢)

أي: هذا.

وفي هذه الآية يمكِنُ[١] تقريرُ الكلمة[٢] على الوجوهِ الثلاثة:

يجوز أن يكون اسماً للقرآن، وهو كلامُ الله جلَّ جلالُه، وهو قائمٌ بذاته تعالى[٣] لا يوصفُ بحضرةٍ ولا غيبةٍ[٤].

ويجوز أن يكون بمعنى: هذا، وهو قولُ مجاهدٍ ومقاتلِ بن حيَّان وابنِ جريجٍ والكسائيِّ والأخفشِ وأبي عبيدة[٥].

ويجوز أن يكون بمعنى الإشارة إلى غائبٍ، قال ابن عباسٍ رضي الله عنهما: معناه: ذلك الكتابُ الذي أخبرتُكَ أنِّي أُوحيه إليك.

وقال عطاء بن السائبِ: ذلك الكتاب الذي وعدتُك يوم الميثاق.

وقال يمانُ بن رئابٍ: ذلك الكتاب الذي ذكرتُه في التوراة والإنجيل.

وقال الفرَّاء: هذا الكتاب الذي وعدتك.

وقال ابن كَيسانَ: أنزل الله تعالى قبل البقرة بضعَ عشرةَ سنةً سوراً كذَّب بها المشركون، ثم أنزل البقرة فقال: ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ﴾ يعني: ما تقدَّمها[٦].

---

(١) في (أ): «يحكى».

(٢) بعدها في (ر): «عطفٌ».

(٣) في (ف): «بذات الله عز وجل».

(٤) في (ر) و(ف): «لا يوصف بالغيبة والحضرة».

(٥) انظر: «مجاز القرآن» (١/ ٢٨)، ورواه عن مجاهد وابن جريج الطبري في «تفسيره» (١/ ٢٢٨ ـ ٢٢٩).

(٦) انظر هذه الأقوال جميعاً في «تفسير الثعلبي» (١/ ١٤١).

وقوله: ﴿ٱلْكِتَٰبُ﴾ أصله في اللغة: الجمعُ، وسمِّيتِ الكتيبةُ بها لاجتماعِها، يقال: كتبتُ البغلةَ: إذا جمعتَ بين شُفْرَيها بحَلْقةٍ، قال الشاعر:

لا تأمنَنَّ فزاريًّا خَلَوْتَ بهِ   على قَلُوصِكَ واكتُبْها بأسيارِ[1]

ومنه: الكُتْبةُ، وهي الخُرْزةُ، وجمعُها: الكُتَب.

والكتابُ بمعنى المكتوب، وهو في القرآن على عشرين وجهاً:

بمعنى: الفرض، قال الله تعالى: ﴿كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا﴾ [النساء: ١٠٣]؛ أي: فرضاً موقتاً.

وبمعنى: البرهان، قال تعالى: ﴿فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبِكُمْ﴾ [الصافات: ١٥٧]؛ أي: برهانِكم. قاله الكلبيُّ[2].

وبمعنى: الأجل، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ﴾ [الحجر: ٤]؛ أي: أجَلٌ[3].

وبمعنى: المقدار، قال تعالى: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ [الرعد: ٣٨]؛ أي: مقدارٌ[4].

وبمعنى: القضاء، قال الله جل وعلا: ﴿كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء: ٢٤].

وبمعنى: مكاتبة العبد، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ [النور: ٣٣].

---

(١) البيت لسالم بن دارة واسم أبيه مسافع، وأمّه دارة من بني أسد، وسميت دارة لجمالها، شبِّهت بدارة القمر. انظر: «الشعر والشعراء» (١/ ٣٨٩). وجاء في هامش (أ): «البعير بمنزلة الإنسان، والجمل بمنزلة الرجل، والناقة بمنزلة المرأة، والقلوص بمنزلة الجارية».

(٢) بعدها في (أ): «رحمه الله».

(٣) «أي: أجل»: ليس في (أ) و(ف).

(٤) «أي: مقدار»: ليس في (أ) و(ف).

وبمعنى: الرخصة والإباحة، قال تعالى: ﴿وَٱبۡتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ﴾ [البقرة: ١٨٧].

وبمعنى: اللوح المحفوظ، قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ [الزخرف: ٤].

وبمعنى: التوراة، قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ﴾ [البقرة: ٨٧].

وبمعنى: الإنجيل، قال تعالى: ﴿إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ [مريم: ٣٠].

وبمعنى: التوراة والإنجيل، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ [آل عمران: ٦٤].

وبمعنى: القرآن، قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ﴾ [ص: ٢٩].

وبمعنى: صحيفةِ أعمالِ البشر، قال تعالى: ﴿وَنُخۡرِجُ لَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ كِتَٰبٗا يَلۡقَىٰهُ مَنشُورًا﴾ [الإسراء: ١٣].

وبمعنى: ما كَتب اليهودُ من عندِ أنفسِهم وادَّعوا أنه كتابُ الله، قال تعالى: ﴿فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ يَكۡتُبُونَ ٱلۡكِتَٰبَ بِأَيۡدِيهِمۡ﴾ [البقرة: ٧٩].

وبمعنى: رسالة سليمان عليه السلام إلى بلقيس، قال تعالى إخباراً عنها[1]: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ إِنِّيٓ أُلۡقِيَ إِلَيَّ كِتَٰبٞ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٢٩].

وبمعنى: ما كُتب في الزبور، قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ كَتَبۡنَا فِي ٱلزَّبُورِ﴾ [الأنبياء: ١٠٥].

وبمعنى: ما اقترحه الكفارُ على نبيِّنا عليه الصلاة والسلام إنزاله من السماء، قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ﴾ إلى قوله: ﴿حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيۡنَا كِتَٰبٗا نَّقۡرَؤُهُۥ﴾ [الإسراء: ٩٠ـ٩٣].

وبمعنى: وعد الرحمة، قال تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمۡ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَ﴾ [الأنعام: ٥٤].

---

(١) «إخباراً عنها»: ليس في (أ) و(ف).

وبمعنى: إثبات الإيمان في قلوب المؤمنين، قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ﴾ [المجادلة: ٢٢].

وبمعنى: الأرواح، قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ﴾ [المطففين: ١٨] ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ﴾ [المطففين: ٧].

وأما المراد بالكتاب هاهنا:

فقد قال سعيد بن جبير: هو اللوحُ المحفوظ.

وقال عكرمة: هو التوراةُ والإنجيل.

وقال ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما والضحَّاك وقتادة: هو القرآنُ[1].

وعليه الجمهورُ، وهو الأشهرُ والأظهرُ.

ثم إنما[2] سمِّي القرآن كتاباً لمعنى الجمع الذي دلَّ عليه مأخذُ الاسم من وجوهٍ:

أحدها: أنه جمَعَ الحروف حتى صارت كلمات، وجمع الكلماتِ حتى صارت آيات، وجمعَ الآياتِ حتى صارت سُوراً تامَّات، وجمعَ السورَ حتى صارت كتاباً مشتمِلاً على كرامات.

---

(١) انظر هذه الأقوال في «تفسير الثعلبي» (١/ ١٤١). ولعل من قال: إن ﴿ذَٰلِكَ﴾ بمعنى: هذا، مراده أن ﴿ٱلْكِتَٰبُ﴾ هنا بمعنى القرآن، وقد تقدم من قال بهذا، ورواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٢٢٨ ـ ٢٢٩) عن ابن عباس وابن جريج ومجاهد وعكرمة والسدي. أما القول بأن ﴿ٱلْكِتَٰبُ﴾ هنا هو التوراة والإنجيل فقد ذكره الطبري (١/ ٢٣١) عرضاً دون عزو لقائل ولا رواية، بل قال: (وقد قال بعضهم: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ يعني به التوراة والإنجيل).

(٢) في (ر): «وإنما» بدل: «ثم إنما».

والثاني: أنه نظامٌ لصنوف الحِكَم، وقِوامٌ لأنواعِ الحُجج، قال النبيُّ ﷺ: «أُوتيتُ جوامعَ الكَلِم»(١).

والثالث: أنه جمعَ معانيَ جميع كتب الله المنزلةِ، قال النبيُّ ﷺ: «أوتيتُ السبعَ الطُّولَ(٢) مكان التوراة، والمئينَ مكان الزَّبور، والمثانيَ مكانَ الإنجيل، وفضِّلتُ بالمفصَّل»(٣).

والرابع: أنه يُجمعُ لأهله خيرُ الدارين، قال تعالى: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩].

والخامس: أنه يُجمع بين أهله وبين النبيين والصِّديقين والشهداء والصالحين

---

(١) رواه البخاري (٧٢٧٣)، ومسلم (٥٢٣)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) في (ر) و(ف): «الطوال»، وفي هامش (ف): «قوله: «أوتيت السبع الطوال» فالسبع الطوال: البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف والأنفال فالأنفال مع التوبة نزلا جميعاً في مغازي رسول الله ﷺ، فالطوال هي مضمومة الطاء مفتوحة الواو واحدها الطُّوَل كالأول والأولى.
والمثاني فهو اسم لسبع سور تتلو السبع الطُّوَل أولها يونس وآخرها النحل وإنما سميت مثاني لأنها ثنيت الطُّوَل.
وأما المئون فهي سبع أولها سورة بني إسرائيل وآخرها المؤمنون، وسميت بذلك لأن كل سورة منها مئة وزيادة يسيرة أو نقصان يسير.
وأما المفصل بعد الحواميم من قصار السور إلى آخر القرآن، سميت مفصلاً لكثرة الفصولات فيها ببسم الله الرحمن الرحيم».

(٣) رواه الطيالسي في «مسنده» (١٠١٢)، وأبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص: ٢٢٥)، والإمام أحمد في «المسند» (١٦٩٨٢)، من حديث واثلة بن الأسقع رضي الله عنه. وهو حديث حسن كما ذكر محققو «المسند»، وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٤٦) وقال: رواه أحمد، وفيه عمران القطان، وثّقه ابن حبان وغيره، وضعّفه النسائي وغيره، وبقية رجاله ثقات.

في الجنة، على ما رُوي عن[1] عليٍّ رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «أُنزل القرآنُ على عشَرةٍ[2]: بشيراً ونذيراً، وناسخاً ومنسوخاً، ومحْكَماً ومتشابهاً، وموعظةً ومثلاً، وحلالاً وحراماً، فمَن أَبْشرَ ببشيره وانْتَذرَ[3] بنذيره، وعمِل بناسخه وآمَن بمنسوخه، واقتصَر على محكَمه وردَّ علمَ متشابهِه إلى عالِمه، واتَّعظ بعِظَتِه واعتَبَر بمثَله، وأَحلَّ حلالَه وحرَّم حرامَه، فأولئك من المؤمنين حقًّا لهم الدرجاتُ العُلَى مع النبيِّين والصدِّيقين والشهداءِ والصالحين وحَسُنَ أولئك رفيقاً، وهو وارِثي ووارثُ الأنبياءِ من[4] قَبْلي، ولا يزالُ في ضمَان الله تعالى وكَنَفه، وحيثُما تُلي القرآن غشِيَتْه الرحمةُ ونزلت عليه السَّكينةُ، ويُحشر في زُمرتي وتحت لوائي»[5].

والسادس: أنه يَجمع بين الحبيبِ والحبيبِ، فإنه كتابُ الحبيبِ إلى الحبيب، وخطابُ الحبيبِ مع الحبيب، وتذكرةُ[6] الحبيبِ للحبيب، وقال النبيُّ ﷺ: «مَن قرأ القرآنَ فقد كلَّمَ اللهَ تعالى»[7].

وقالوا: لمَّا أَنزل الله تعالى على موسى التوراةَ وهي ألفُ سورةٍ كلُّ سورةٍ ألفُ آيةٍ، قال موسى عليه السلام: يا ربِّ، ومَن يطيقُ قراءةَ هذا الكتابِ وحِفْظَه؟ فقال تعالى: إني أُنزل كتاباً أعظمَ مِن هذا، قال: على مَن يا رب؟ قال: على خاتم النبيِّين.

---

(١) «عن» من (ف).

(٢) بعدها في (ر): «أوصافٍ»، وليست في المصدر.

(٣) في (ف): «وأنذر»، والمثبت من (أ) و(ر)، وهو الموافق لما في المصدر، وفيه: «ابتشر» بدل «أبشر».

(٤) «من»: ليست في (أ) و(ف).

(٥) ذكره الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» (٣/ ٢٠٣) الأصل الرَّابع والأربعون والمئتان.

(٦) في (ف): «وتذكر».

(٧) لم أجده.

قال: وكيف تقرؤه[١] أمتُه ولهم أعمارٌ قصيرةٌ؟ قال: إنِّي أيسِّره عليهم حتى تقرأ صبيانهم، قال: يا ربِّ وكيف تفعلُ؟ قال: إني أَنزلت من السماء إلى الأرض مئةَ كتابٍ[٢] وثلاثةَ كتبٍ، خمسين على شيت عليه السلام، وثلاثين على إدريسَ عليه السلام، وعشرين على إبراهيمَ، والتوراةَ عليك، والزبورَ على داودَ، والإنجيلَ على عيسى، وذكرتُ الكائناتِ في هذه الكتب فأذكرُ جميعَ معاني هذه الكتب في كتابِ محمدٍ ﷺ، وأجمعُ ذلك كلَّه في مئةٍ وأربعَ عشرة سورةً، وأَجعلُ هذه السورَ في ثلاثين جزءاً، والأجزاءَ في سبعة أسباعٍ، ومعنى هذه الأسباعِ في سبعِ آياتِ الفاتحة، ثم معانيَها في سبعةِ أحرفٍ وهي: بسم الله، ثم ذلك كلَّه في الألِفِ من ﴿الٓمٓ﴾، ثم أفتتِح بها سورةَ البقرة فأقول: ﴿الٓمٓ﴾[٣].

ولمَّا وَعد اللهُ تعالى ذلك في التوراةِ، وأنزله على محمدٍ عليه السلام، جَحدتِ اليهودُ ـ عليهم لعائنُ الله ـ أن يكون هذا ذلك، فقال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ﴾؛ أي: هذا ذلك.

ثم سمَّاه هاهنا كتاباً، وله في القرآن مئةُ اسمٍ، وقد عدَّدْناها في صدرِ هذا الكتاب.

ومِن فضلِ الله علينا أنْ أعزَّنا بدِينه، وأكرمَنا بكتابه، وشرَّفنا بنبيِّه، وخصَّنا بتفضيله بأنْ ذكرَ في القرآن أسماءً سمَّى بها نفسَه وكتابَه ورسولَه وسمَّانا أيضاً بها، وهي أكثرُ من عشرين اسماً:

---

(١) في (أ) و(ر): «تقرأ».

(٢) «كتابٍ»: ليست في (أ) و(ف).

(٣) لم أجده. وما جاء في آخره من جعل المعاني القرآنية في الألف من ﴿الٓمٓ﴾ هو من عنديَّات أهل الشَّطح، ولعل الخبر كله من اختراعهم.

الحقُّ: قال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾ [الحج: ٦]، وقال تعالى لكتابه: ﴿حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ﴾ [الزخرف: ٢٩]، وقال تعالى لرسوله ﷺ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ﴾ [يونس: ١٠٨] وقال تعالى لنا: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ [الأنفال: ٤].

والنُّورُ: قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [النور: ٣٥]، وقال تعالى لكتابه: ﴿وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، وقال تعالى لرسوله ﷺ: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ﴾ [المائدة: ١٥] وقال تعالى لنا: ﴿فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [الزمر: ٢٢].

والعزيزُ: قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾[1] [الحج: ٧٤]، وقال تعالى لكتابه: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ﴾ [فصلت: ٤١]، وقال تعالى لرسوله: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]، وقال تعالى لنا: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨].

والكريمُ: قال الله تعالى: ﴿بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ﴾ [الانفطار: ٦]، وقال تعالى لكتابه: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ﴾ [الواقعة: ٧٧]، وقال تعالى لرسوله ﷺ: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾[2] [الحاقة: ٤٠]، وقال لنا: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ﴾ [الإسراء: ٧٠].

والعظيمُ: قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقال تعالى لكتابه: ﴿وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾ [الحجر: ٨٧]، وقال لرسوله ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]، وقال تعالى لنا: ﴿فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧١].

---

(١) في (ف): «وإنه» بدل من «وإن الله».

(٢) بعدها في (ر): «﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ﴾»، وهي نسخة كما في هامش (ف).

والشهيدُ: قال الله تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٧٩]، وقال لكتابه: ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ [هود: ١٧]، وقال تعالى لرسوله ﷺ: ﴿وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١]، وقال تعالى لنا: ﴿وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [الحج: ٧٨].

والمُبينُ: قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ﴾ [النور: ٢٥]، وقال تعالى لكتابه: ﴿وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾ [الزخرف: ٢]، وقال تعالى لرسوله ﷺ: ﴿وَقُلْ إِنِّىٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ﴾ [الحجر: ٨٩]، وقال تعالى لنا: ﴿وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟﴾ [البقرة: ١٦٠].

وذو العُلى: قال تعالى: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١]، وقال تعالى لكتابه: ﴿لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ﴾ [الزخرف: ٤]، وقال تعالى لرسوله ﷺ: ﴿وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النجم: ٧]، وقال لنا: ﴿وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ﴾ [آل عمران: ١٣٩].

والهادي: قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ﴾ [البقرة: ١٢٠]، وقال تعالى لكتابه: ﴿لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢]، وقال لرسوله: ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ [النجم: ٢٣]، وقال تعالى لنا: ﴿زَادَهُمْ هُدًى﴾ [محمد: ١٧].

والحاكمُ: قال الله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا﴾ [الأعراف: ٨٧]، وقال لكتابه: ﴿حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾ [الرعد: ٣٧]، وقال تعالى لرسوله ﷺ: ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم﴾ [المائدة: ٤٩]، وقال تعالى لنا: ﴿كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ﴾ [النساء: ١٣٥].

والحكمةُ: قال الله تعالى: ﴿حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ﴾ [القمر: ٥]، وقال تعالى لكتابه: ﴿ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ﴾ [الإسراء: ٣٩]، وقال تعالى لرسوله ﷺ: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [البقرة: ١٢٩]، وقال تعالى لنا: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩].

والرحمةُ: قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ﴾ [الكهف: ٥٨]، وقال تعالى

لكتابه: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الإسراء: ٨٢]، وقال تعالى لرسوله ﷺ: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً ﴾، وقال تعالى لنا: ﴿فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٠٧].

والأمرُ: قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ﴾ [البقرة: ٦٧]، وقال تعالى لكتابه: ﴿ ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ﴾ [الطلاق: ٥]، وقال تعالى لرسوله: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ﴾ [طه: ١٣٢]، وقال تعالى لنا: ﴿تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾(١) [آل عمران: ١١٠].

والمنذرُ: قال تعالى: ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ﴾ [الليل: ١٤]، وقال تعالى لكتابه: ﴿ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [فصلت: ٤]، وقال لرسوله: ﴿مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾(٢)، وقال تعالى لنا: ﴿وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ﴾ [التوبة: ١٢٢].

والطاهرُ: قال تعالى: ﴿طه﴾ ﴿طسٓ﴾، وقال تعالى لكتابه: ﴿فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ (١٣) مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ﴾ [عبس: ١٣]، وقال تعالى لرسوله ﷺ: ﴿وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٣٣]، وقال تعالى لنا: ﴿وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

والطيِّبُ: قال تعالى: ﴿كَلِمَةً طَيِّبَةً ﴾ [إبراهيم: ٢٤]، وقال تعالى لكتابه: ﴿وَهُدُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ [الحج: ٢٤]، وقال تعالى لرسوله ﷺ: ﴿وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ﴾ [النور: ٢٦]، وقال لنا: ﴿تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ﴾ [النحل: ٣٢].

والدَّاعي: قال الله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ ﴾ [يونس: ٢٥]، وقال لكتابه: ﴿أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ﴾ [الأحقاف: ٣١]، وقال لرسوله ﷺ: ﴿ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [المؤمنون: ٧٣]، وقال تعالى لنا: ﴿يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

---

(١) بعدها في (أ) و(ف): «﴿وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾».

(٢) قوله: «﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ وقال تعالى لرسوله ﷺ ﴿مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾»، وقع في (ر) بدلا منه: «﴿وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ﴾، وقال لرسوله: ﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾».

والقائمُ: قال تعالى: ﴿قَآئِمًا بِٱلْقِسْطِ﴾ [آل عمران: ١٨]، وقال تعالى لكتابه: ﴿قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا﴾، وقال لرسوله ﷺ: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ﴾ [الجن: ١٩]، وقال لنا: ﴿وَقُومُوا۟ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨].

والصادقُ: قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾(١) [النساء: ٨٧]، وقال تعالى لكتابه: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ﴾ [الزمر: ٣٣]، وقال تعالى لرسوله ﷺ: ﴿مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ﴾ [البقرة: ٨٩]، وقال تعالى لنا: ﴿وَٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [آل عمران: ١٧].

والخيرُ: قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾(٢) [المؤمنون: ٧٢]، وقال لكتابه: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ﴾ إلى قوله: ﴿هُوَ خَيْرٌ﴾ [البقرة: ٦١]، وقال تعالى لرسوله ﷺ: ﴿قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ﴾ [التوبة: ٦١]، وقال تعالى لنا: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ [آل عمران: ١١٠].

والأحسنُ: قال تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤]، وقال تعالى لكتابه: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ﴾ [الزمر: ٢٣]، وقال لرسوله ﷺ: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤]، وقال تعالى لنا: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا﴾ [النساء: ١٢٥].

والمباركُ: قال تبارك وتعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ﴾ [الرحمن: ٧٨]، وقال تعالى لكتابه: ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ﴾ [الأنبياء: ٥٠]، وقال لرسوله ﷺ: ﴿مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾ [النور: ٣٥]، وقال لنا: ﴿فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾ [الدخان: ٣]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦].

وقوله تعالى: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾: أي: لا شكَّ فيه، والرَّيب: شكٌّ فيه خوفٌ، وهو أخصُّ من الشكِّ، فكلُّ ريبٍ شكٌّ وليس كلُّ شكٍّ ريباً. والرِّيبة: التُّهمةُ من ذلك، والمُريب: المتَّهم.

---

(١) في (أ): «﴿قِيلًا﴾».

(٢) في (أ) و(ف): «﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾».

وقال الزجَّاج: رابني فلانٌ: إذا علمتَ منه الرِّيبةَ، وأمرٌ رابني[١]؛ أي: أَوهمَني الرِّيبةَ، وأنشد:

أخـوكَ الـذي إنْ رِبْتَـه قـال إنَّما ... أَرَبْـتَ وإنْ عاتَبْتَـه لانَ جانِبُهْ[٢]

جعَل الأولَ للحقيقة والثاني للوهم.

و(لا) كلمةُ تبرئةٍ، وهي إذا دخلت اسماً واحداً بُني على الفتحة ولم ينوَّنْ؛ لأنهما يصيران كاسمٍ واحد بمنزلةِ خمسةَ عَشَرَ، فإنَّ قولك: لا رجلَ في الدار، هو جوابُ قولِ السائل[٣]: هل من رجلٍ في الدار؟ و(مِن) مع (رجلٍ) صارا[٤] شيئاً واحداً في السؤال، فصار هذان أيضاً شيئاً واحداً في الجواب.

و(مِن) لتعميم سؤالِ[٥] النفي؛ فإنه سؤالٌ عن الواحد وما زاد عليه، و(لا رجلَ) نفيُ الواحد وما فوقه[٦]، ولو قال: هل رجلٌ في الدار؟ فهذا سؤالٌ عن الواحد لا غير[٧]، وقولُك: ما في الدار رجلٌ، نفيٌ للواحد لا غير، ويجوز أن يكون فيه اثنانِ وأكثرَ، وهذا كشفُ ما ذكَره الزجاج وأجمله[٨].

---

(١) في (أ): «وأرابني» وفي (ف): «ورابني» بدل من «وأمر رابني».

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٦٩)، والبيت للمتلمس أو لبشار بن برد كما في «اللسان» (مادة: راب).

(٣) في (أ) وهامش (ف): «القائل».

(٤) في (ف): «صار».

(٥) في (ف): «السؤال في».

(٦) في (ف): «وما زاد عليه».

(٧) في (أ): «واحد لا غير»، والعبارة وقع مكانها بياض في (ف).

(٨) في (أ) و(ف): «وأجمل». وانظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٦٩).

فإن ذكرتَ بعدَه اسمين ففيه أربعةُ أوجهٍ: رفعُهما وتنوينُهما، وفتحُهما بغيرِ تنوينٍ، ورفعُ أوَّلهما وتنوينُه مع فتحِ الآخِر بغيرِ تنوينٍ، وفتحُ أولهما بغيرِ تنوينٍ مع رفعِ الآخِر وتنوينه. ويُستوضَحُ[١] ذلك في قولهم: لا حول ولا قوة إلا بالله.

ثم معنى قوله: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾؛ أي: لا شكَّ في كونه ذلك الكتابَ الموعودَ.

وقيل: أي: لا شكَّ في كونه هدًى.

وقيل: أي: لا شكَّ في المذكورات فيه، فهي مبيَّنةٌ وغيرُ مبهَمةٍ[٢].

فإن قالوا: إن الكفارَ شكُّوا فيه فلم يُقِرُّوا بكتاب الله تعالى، والمبتدِعون من أهل القِبلة شكُّوا في معاني متشابهاتِه[٣] فأَجْرَوها على ظوَاهرها وضلُّوا بها، والعلماءُ شكُّوا في وجوهِهِ، فلم يَقطعوا القولَ على وجهٍ منها، والعوامُّ شكُّوا فيه فلم يفهموا معانيَه، فما معنى نفيِ الريب عنه؟

فله ثلاثةُ أجوبةٍ:

أحدها: أن هذا نفيُ الرَّيب عن الكتاب لا عن الناس، والكتابُ موصوفٌ بأنه لا يَتمكَّنُ فيه ريبٌ فهو حقٌّ صدقٌ مفهومٌ معلومٌ شكَّ الناسُ فيه أو لم يشكُّوا؛ كالصدقِ صدقٌ في نفسه وإن وصفَه الناس بالكذب، والكذبُ كذبٌ وإنْ وصفه الناس بالصدق، فكذا الكتابُ ليس مما يلحقُه ريبٌ أو يَتمكنُ فيه عيبٌ.

والثاني: أن هذا نفيُ الريب عن المقتبِسين منه[٤] بعد إمعانِ النظرِ وإجالةِ الفِكَرِ،

---

(١) في (ف): «وسنوضح».

(٢) في (ف): «مثبتة غير متهمة» بدل من «مبينة وغير مبهمة».

(٣) في (ر) و(ف): «متشابهه».

(٤) في (ر): «المقيس منه»، وفي (ف): «المقتبس».

فمَن تعلَّمه وتبحَّر فيه ونظر فيه منصِفاً غيرَ معاندٍ لم يجد فيه تناقضاً ولا تعارُضاً، بل وجده يصدِّقُ بعضُه بعضاً.

والثالث: أن هذا نهيٌ في المعنى وإن كان نفياً في الصفة[(١)]، وهو كقوله تعالى: ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٩٧] فإن هذه الكلمات لو حُملت على ظاهر النَّفي توجَّهَ عليه هذا الإشكال؛ فإنَّا نجد مَن يَرفثُ فيه ويَفسقُ ويجادل، لكنها[(٢)] نهيٌ عن فعلِ ذلك في الحجِّ، فهذا مِثْلُه.

ونظيرُه قوله تعالى: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَٰهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ ﴾ [آل عمران: ٢٥] وقد أنكره الملحدون وشكَّ فيه المشركون، لكن وجوهه ثلاثةٌ:

أحدها: أنه لا شكَّ في وجوده وتحقُّقه في نفسه.

والثاني: أنه لا تجري أمورُه على الشكِّ والتلبيس.

والثالث: أنه نهيٌ عن الارتياب فيه؛ فإنه واقعٌ لا محالة.

وقوله تعالى: ﴿فِيهِ﴾ قرئ بكسر الهاء وضمِّها وسكونها[(٣)]، وكلٌّ وجهٍ على وجهين: أمَّا الكسرُ فلِلْياء التي قبلَها، وأمَّا[(٤)] الضم فهي على الأصل؛ لأن أصل الكناية: هو، وأما التسكين فهو على[(٥)] الوقف.

---

(١) في (أ): «الصيغة».

(٢) في (أ) و(ف): «لكنه».

(٣) بالكسر قراءة الجمهور، وبالضم نسبت لمسلم بن جندب كما في «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٠)، وللزهري كما في «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٢٤)، أما السكون فأجازه النحاس في «إعراب القرآن» (١/ ٢٤)، ولعل المراد به رواية السوسي عن أبي عمرو: (فيه هدى) بالإدغام. انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢٠).

(٤) «أما»: سقط من (ف).

(٥) في (ر) و(ف): «فعلى» بدل: «فهو على».

ثم الكسرةُ على وجهين: كسرةٌ غيرُ مشبعةٍ بالياء[١]؛ أي: لا ياءَ بعدها لفظاً؛ لأنه لا ياء بعدها[٢] كتابةً، وكسرةٌ مشبعةٌ بالياء[٣]؛ لأن هاء الكناية أصلُها: هو، بالواو، وجُعلت هذه الواوُ ياءً هاهنا للكسرة المتقدِّمة.

والضمةُ على وجهين أيضاً: مشبَعةٌ بالواو، وهي قراءةُ الزهري[٤] على أصلِ كلمة (هو)، وضمةٌ لا واو بعدها تخفيفاً[٥] وبناءً على الكناية.

والتسكينُ على وجهين: على الوقف لتمام الكلام، ثم الابتداءِ على معنى: هو هدًى، وإدغامٍ في رواية أبي حاتم عن أبي عمرو[٦].

وقوله تعالى: ﴿هُدًى﴾: قد مر الكلامُ في تفسيره ونظائره[٧] في قوله تعالى: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾. ثم هو يَصلُحُ مصدراً هاهنا كالتُّقى والسُّرى والدُّجى، ويَصلُح فاعلاً؛ فإن اسم المصدر يُطلق على الفاعلِ والمفعول لغةً، يقال: رجلٌ عدلٌ؛ أي: عادل، ورضيٌّ؛ أي: مَرْضيٌّ، وقد ورد في القرآن الهدى بمعنى: الهادي، قال تعالى خبراً عن موسى: ﴿أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى﴾ [طه: ١٠]؛ أي: هادياً.

---

(١) «بالياء»: من (أ). وقد تقدم تخريج هذه القراءة.

(٢) «لفظاً؛ لأنه لا ياء بعدها»: سقط من (ف).

(٣) هي قراءة ابن كثير حالة الوصل، أما في الوقف فيقف بهاء ساكنة. انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢٩).

(٤) نسبها ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١/ ٨٤) لابن أبي إسحاق، أما الزهري فنسبت إليه قراءة الضم بغير واو كما تقدم قريباً.

(٥) في (ر): «تخففاً». وقد تقدم تخريج هذه القراءة.

(٦) وهي رواية السوسي عن أبي عمرو أنه قرأ: (فيه هدى) بالإدغام. انظر: «التيسير» للداني (ص: ٢٠).

(٧) في (ر): «تفسيرها ونظائره»، وفي (ف): «تفسيرها ونظائرها».

فإنْ جُعل مصدراً فعلى قوله: ﴿فِيهِ هُدًى﴾، وإن جُعل فاعلاً فعلى أن يُجعل تقديره: هو[١] هُدًى للمُتَّقِين؛ أي: هادٍ.

وأمَّا إعرابُه: ففي[٢] الظاهرِ لا حركةَ للياء التي هي حرفُ الإعراب؛ فإنه اسمٌ مقصور وقد سقطت الياء بالتنوين.

وهـذه الصيغـةُ وردت في القـرآن في محلِّ النصب والرفـع والخفض، قال الله تعالى: ﴿زَادَهُمْ هُدًى﴾ [محمد: ١٧] هذا منصوبٌ، وقال: ﴿فِيهِ هُدًى وَنُورٌ﴾ [المائدة: ٤٦] وهذا مرفوعٌ، وقال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى﴾ [البقرة: ٥] وهذا مخفوضٌ.

وهاهنا قوله: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾: يَصلحُ أن يكون منصوباً ومرفوعاً، ولا يحتملُ الخفض لعدم الخافض، فأما النصب فعلى القطع، وللقطع وجوهٌ:

أحدها: من قوله: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾، فـ﴿ٱلْكِتَٰبُ﴾ معرفةٌ و﴿هُدًى﴾ نكرةٌ.

والثاني: من قوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾[٣]، وهو معرفةٌ أيضاً.

والثالث: من قوله: ﴿فِيهِ﴾ فهو معرفة أيضاً، ووصْفُ المعرفةِ بالنكرة لا يستقيم، فنُصب قطعاً كما في قوله: ﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً﴾ [الأعراف: ٧٣]، وقولِه تعالى: ﴿وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا﴾ [هود: ٧٢]، وقولِه تعالى: ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً﴾ [النمل: ٥٢].

وقيل: هو نصبٌ على الحال؛ أي: لا رَيْبَ في كونه هُدًى.

وأما الرفع فلوجوهٍ:

---

(١) «هو»: من (أ).

(٢) في (أ): «فعلى».

(٣) في (ر) و(ف): «﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾».

أحدها: أنه خبرُ قوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾.

والثاني: أنه خبرُ قوله: ﴿ٱلۡكِتَٰبُ﴾.

والثالث: أنه خبرُ قوله: ﴿فِيهِ﴾.

والرابع: أنه خبر مبتدأ مضمر؛ أي: هو هُدًى.

ثم هاهنا أسئلةٌ ثلاثةٌ[1]:

أحدها: أنه لـمَ أضافَ الهدى إلى القرآن وهو من الله تعالى؟

والثاني: أنه لـمَ خصَّ هاهنا فقال: ﴿هُدًى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾، وعمَّم[2] في موضعٍ آخر فقال: ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ﴾ [البقرة: ١٨٥]؟

والثالث: أنه لـمَ خصَّ المتَّقين بالهدى وفيه هدَى الكل؟ وهل عُذِرَ غيرُ المتَّقين بهذا؟

أما جوابُ الأول: فإضافة الهدى إلى القرآن على وجه التسبيب[3] كما في قوله: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ﴾ [الشورى: ٥٢] مع قوله: ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي﴾ [القصص: ٥٦]، وكما في إضافة الإضلال إلى فرعون بقوله: ﴿وَأَضَلَّ فِرۡعَوۡنُ قَوۡمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ﴾ [طه: ٧٩]، وإلى الأصنام بقوله: ﴿إِنَّهُنَّ أَضۡلَلۡنَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ [إبراهيم: ٣٦]، واللهُ تعالى هو الذي يضلُّ مَن يشاء ويَهدي مَن يشاء، قال تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٧٣].

وأما جواب الثاني: فهو هدًى للناسِ كلِّهم بياناً، وهدًى للمتقين على الخصوص إرشاداً، وهو كقوله تعالى في حقِّ رسوله ﷺ على الخصوص:

---

(١) في (أ) و(ف): «ثلاثة أسولة».

(٢) في (أ): «وعم»، وفي (ر): «ويعم».

(٣) في (ر): «التسبب».

﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا﴾ [النازعات: ٤٥]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ﴾ [يس: ١١]، مع ما قال فيه على العموم: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ: ٢٨]، لكنْ أنذر الكلَّ تبليغاً، ونفع ذلك أهل الخشية تنبيهاً، فهذا مثلُه.

وأمَّا جواب[1] الثالث: فهو هدًى للمتقين؛ لأنهم هم المنتفِعون به، فكأنهم خُصُّوا بذلك، وكذلك[2] يقالُ في كلِّ مَن انتفع بشيءٍ على الخصوص دون غيره: إنه لك على الخصوص؛ أي: أنت المنتفِع به وحدك، وليس في أنَّ الناس لم يهتدوا به ما يُخرجه عن أن يكون هدًى، فالشمسُ شمسٌ وإنْ لم يرها الضرير، والعسلُ عسلٌ وإنه لم يجد طعمَه الممرور، والمسكُ مسكٌ وإن لم يدرِك طيبَ ريحه[3] المأنوف.

فالخيبةُ كلُّ الخيبة لمن عطشَ والبحرُ زاخر، وبقي في الظُّلمة والبدرُ زاهر، وخبُثَ والطِّيبُ حاضر، وذوَى والروضُ ناضر.

والحسرةُ كلُّ الحسرة لمن عصَى وفسَق والقرآنُ ناهٍ له وآمر، وفارَقَ الرهبةَ والرغبةَ والوعدُ متواترٌ والوعيدُ متظاهر، ولذلك قال جلَّ جلاله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الحاقة: ٥٠].

قوله تعالى: ﴿لِّلْمُتَّقِينَ﴾: أصلُ هذه[4] الكلمة من الوقاية، وهي الحفظ، والتَّوقِّي: التحفُّظ، والاتِّقاء: الاحتفاظ؛ أي: الاحترازُ عن الآفَة، وعلى ذلك وقايةُ الرأس والثوب والكتاب، والاسم منه: التقوى.

---

(١) في (ف): «الجواب عن»، وفي هامشها: «وأما جواب الثالث».

(٢) في (أ): «به وكذلك»، وفي (ر): «بذلك ولذلك».

(٣) في (ف): «طيبه» بدل: «طيب ريحه».

(٤) «هذه»: سقط من (أ) و(ف).

وأصلـه: الوَقْـوَى، الـواوُ الأولـى أصليـةٌ، والثانيـةُ زائـدةٌ، واليـاءُ لامُ الفعل، ووزنـه: فَعْوَل.

ويقـال: هـي[١] علـى وزن فَعْلَى، فالـواو الثانيةُ[٢] علـى هذا لامُ الفعـل، والياء الأخيـرةُ زائدة.

والأوجَه هو الأولُ؛ لأن الكلمة يائيةٌ فلا تُجعل لامُها واواً، بخلافِ الشَّكوى والدعوى؛ فإنهما واويَّتان. وإنما صارت الواو الأولى ياءً بناءً على صيرورتها ياءً في قولك: اتَّقى يتَّقي؛ لأن أصله: اوْتَقى، فصارت الواوُ ياءً لكسرةِ ما قبلَها كما في الميعاد والميزان[٣] والميراث، ثم جُعلت الياء تاءً وأُدغمتِ الأولى في الثانية طلباً للتلاؤم[٤] وتوقِّياً عن التنافُر، ثم بُني الاسم على هذا الفعل فقيل: التَّقوى، كما في التُّخَمة من اتَّخَم، وأصلُها: وُخَمة، وكذلك التُّهَمة والتُّكَأة[٥] والتُّكْلان والتُّراث والتُّجاه توهُّماً أنها أصليةٌ.

ثـم التَّقـوى قسـمان: أصل وفـرع، فالأصـل: الإيمان، وهـو اتِّقاءٌ عـن الكفر، والفـرعُ: هو اتقـاءٌ[٦] عن الذنـوب، فبالأول: النجاة مـن العذاب المؤبَّـد، وبالثاني: النجـاة من العـذاب المؤقَّت.

أما التقوى التي هي إيمانٌ: ففي مثلِ قوله تعالى: ﴿وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا

(١) في (أ): «هو».

(٢) في (أ): «والواو الثانية» وفي (ر): «قالوا والثانية».

(٣) في (ر): «والميزاب».

(٤) في (ف): «للتلازم».

(٥) في (ر): «والتكلة».

(٦) في (أ): «الاتقاء».

﴿لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ﴾ [البقرة: ٤١].

وأما التقوى التي هي تركُ الذنوب بعد تمامِ الإيمان[١]: ففي مثلِ قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ [البقرة: ٢٧٨].

وللناسِ في التقوى والمتَّقي أقاويلُ تبلغ مئةَ قول[٢] عدَّدْناها في كتابنا الموسوم بـ«بحر علوم التفسير على نحو رسوم التذكير»، وفي كتاب الله تعالى في تفسيره ما يغني عن كثيرٍ من ذلك؛ فإنه قال: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٧٧]، وعدَّ[٣] أشياءَ ثم قال في آخره: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧]، فهذا هو المتَّقي المطلقُ الثابت بحجةٍ لا ريب فيها، والذي يليه في الوضوح قولُ النبي ﷺ: «جماعُ التقوى في قولِه تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾ الآية [النحل: ٩٠]»[٤].

والذي[٥] يَقربُ منه في الثقة بصحَّته: أن المتَّقيَ المطلقَ مَن ائتمَر بأمرِ التقوى الواردِ في القرآن، وهو[٦] على ثلاثةِ أوجُهٍ: للعامِّ وللخاصِّ ولخاصِّ الخاصِّ:

أما أمرُ العامِّ: فباتقاء النار: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ﴾ [آل عمران: ١٣١].

وأما أمرُ الخاص: فباتقاءِ يومِ القيامة: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٨١].

---

(١) في (أ): «بعد تمام الآيات»، وفي (ر): «بعد الإيمان».

(٢) «قول»: ليست في (ف).

(٣) في (ف): «وعدد».

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١/ ١٤٢)، والبغوي في «تفسيره» (١/ ٦٠)، ولم أجده مسنداً.

(٥) بعدها في (أ): «يليه».

(٦) في (ر) و(ف): «وهي».

وأما أمرُ خاصِّ الخاصِّ: فبتقوى الله عزَّ وجل: ﴿وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة: ١٩٧].

فالعامةُ عصاةٌ فخوَّفهم[١] بالنار كي يتركوا المعصية.

والخاصُّ مطيعون فدعاهم إلى الإخلاص كي لا يتحيَّروا في جوابِ سؤالِ الصدق يومَ القيامة.

وخاصُّ الخاصِّ لله وبالله ومع الله، فأمرهم باتِّقائه، وهو أن يكونوا له ويتَّقوا ملاحظةَ غيره كيلا[٢] يقعوا في الحَجْبة، قال الله تعالى: ﴿وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة: ١٩٧] واللبُّ: الخالصُ؛ أي: يا خُلَصائي كونوا لي لا لغيري.

وسُئل رسول الله ﷺ عن قوله تعالى: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ [آل عمران: ١٠٢] فقال: «هو أنْ يُطاعَ فلا يُعْصَى، وأنْ يُذكَرَ فلا يُنْسَى، وأنْ يُشكَرَ فلا[٣] يُكْفَر»[٤].

---

(١) في (ر): «خوفهم».

(٢) في (ر): «لئلا».

(٣) في (ف): «ولا» في المواضع الثلاثة.

(٤) روي مرفوعاً من حديث ابن عباس، وموقوفاً ومرفوعاً من حديث ابن مسعود، والصحيح وقفه: فقد رواه البيهقي في «الزهد» (٨٧٨) وفي «القضاء والقدر» (٢٩٤) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، دون قوله: «وأن يشكر فلا يكفر»، وفي إسناده بكر بن سهل، وهو ضعيف. وذكره هبة الله بن سلامة في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٦٢) بتمامه مرفوعا لكن دون سند ولا راو.

والذي في غالب كتب الحديث والتفسير والنواسخ روايته عن ابن مسعود رضي الله عنه موقوفاً، كما رواه ابن المبارك في «الزهد» (٢٢)، وعبد الرزاق في «التفسير» (٤٤١)، وأبو عبيد في «الناسخ والمنسوخ» (٤٧٥)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٤٥٥٣)، وأبو داود في «الزهد» (١٤٥)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١١٨٤٧)، والطبري في «تفسيره» (٥/ ٦٣٧)، والنحاس في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٢٨١)، والطبراني في «الكبير» (٨٥٠١)، والحاكم في «المستدرك» =

قـال رضـي الله عنـه[١]: فارسـيتُه: (مطيـع بـاش عاصـي بـي ذاكر باش ناسـي بي شـاكر)[٢].

وقيل: التقوى: زمُّ الجوارح وضمُّ الجوانح.

فزمُّ الجوارح: منعُ الأذن عن سماع اللغو، ومنعُ العين عن نظر اللَّهو، ومنعُ اللسان عن فضول الكلام، ومنعُ الحَلْق عن فضول الطعام، ومنع القدم عن التخطِّي إلى الأغيار، ومنعُ النَّفس عن مُلابَسة[٣] الأقذار.

وأمـا ضـمُّ الجوانـحِ: فهـو جمـعُ الهمـة عـن التَّفاريـق، والتفـرُّدُ عـن وجـوهِ التَّعاويـق[٤]، والتنـزُّهُ عن ألـواثِ التَّعاليق، فمَـن اتَّقى ظاهرُه ظهَر خلاصُـه، ومَن اتَّقى باطنُـه بطَن اسـتخلاصُه، وحَظِي أذنُه بسـماع كلام الحق، وعينُه برؤية الحق، ولسـانُه

= (٣١٥٩) وصححه، وأبو نعيم في «الحلية» (٧/ ٢٣٨)، والبيهقي في «القضاء والقدر» (٢٩٢) و(٢٩٣). وقال ابن كثير عند تفسير الآية (١٠٢) من آل عمران: هذا إسناد صحيح موقوف.

أما المرفوع عن ابن مسعود فقد قال أبو نعيم: رواه الناس عن زبيد موقوفاً، ورفعه أبو النضر عن محمد بن طلحة عن زبيد. ثم رواه من الطريق المذكور مرفوعاً، وقال ابن رجب في «جامع العلوم والحكم» (ص: ١٦٠): وخرجه الحاكم مرفوعاً والموقوف أصح. وكذا ذكر ابن كثير عن الحاكم أنه رفعه وصححه ثم قال: والأظهر أنه موقوف.

وما استظهره هو الصواب، لكن قوله وقول ابن رجب في رواية الحاكم: مرفوعاً، مخالف لما في مطبوعة «المستدرك»، فلعله كذلك وقع في نسختهما منه.

(١) «قال رضي الله عنه»: ليست في (أ) و(ف).

(٢) من قوله: «فارسيته...» إلى هنا ليس في (أ). وفي هامش (ف): «هذه الألفاظ الفارسية تضمنت معنى سؤال النبي ﷺ عن قوله تعالى ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ فقال ﷺ الحديث».

(٣) في (ر) و(ف): «ملابس».

(٤) في (ر): «التعاليق».

بمكالمةِ الحق، ويدُه بقبضِ عطايا الحق، ورجلُه بالوصولِ إلى مقعدِ الصدق بتقريب الحق، وقلبُه بمشاهدة الحق، وروحُه بقُرب[1] الحق، وسرُّه بلطف الحق، فصار كلٌّ للحقِّ بالحقِّ[2].

وقيل: تفسيرُ المتَّقين فيما ذُكر بعده: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾، وهو كما قالوا: إن تفسير ﴿ٱلصَّمَدُ﴾: ما ذُكر بعده: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾، وتفسيرَ الهلُوع ما ذُكر بعده: ﴿إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ۝٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا﴾ [المعارج: ٢٠ ـ ٢١].

* * *

(٣) ـ ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ﴾: فإن ﴿ٱلَّذِينَ﴾ اسمٌ بدلالةِ دخولِ الألف واللام فيه، وهو موصولٌ؛ لأنه يَتمُّ بصلته وهو[3]: ﴿يُؤْمِنُونَ﴾.

وأصله: (اللَّذِينَ) بلامين؛ إحداهما: لام التعريف، والثانية: لام (لذ)، وإنما اكتُفي في الكتابة بواحدةٍ تخفيفاً لكثرة الاستعمال، ولهذا تُكتب في التَّثنية: (اللذانِ) بلامين؛ لأنه لم يَكثر استعمالُه.

وهو غيرُ مُعْرَبٍ لفظاً، ولهذا يستوي[4] نصبُه ورفعُه وخفضُه، فيقال: جاءني الذين علمتَ، ورأيتُ الذين علمتَ، ومررتُ بالذين علمتَ.

---

(١) في (ف): «بقوت».

(٢) في (أ): «وبالحق».

(٣) في (ف): «وهي».

(٤) في (ف): «استوى».

وإنما لم يُعرب لأنه موصولٌ لا يَتم إلا بصلته[١]، فصار لفظُه كأنه بعضُ الكلمة، ولا إعرابَ إلا لتمام الكلمة في آخرها، فأما (اللّذانِ) في التثنية فإنما أُعرب ـ فكان رفعُه بالألف، ونصبُه وخفضُه بالياء ـ لأن منعَ الإعراب كان لإلحاقه بالحروف، ولا تثنيةَ للحروف فلم تُلحق بها، بل تحقَّق فيه معنى[٢] الاسمِ فأُعرب لذلك.

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ﴾: تقديره: المؤمنين، ومحلُّ: ﴿ٱلَّذِينَ﴾ من الإعراب على هذا التقدير: الخفضُ؛ لأنه نعتٌ للمتقين[٣] فيتبعُه في إعرابه، ويجوز أن يكون نصباً على المدح، ويجوز أن يكون رفعاً بإضمارِ كلمة: هم.

وقوله: ﴿يُؤْمِنُونَ﴾: فالإيمانُ في اللغة هو التصديق، وقد آمَنَ به ولَه؛ أي: صدَّقه، وآمَنَهُ؛ أي: أَثبتَ له الإيمان[٤].

وقيل: إن الإيمان الذي هو التصديقُ مأخوذٌ من هذا؛ فإن المصدِّق غيرَه فيما أَخبره[٥] به يُثبت لنفسه الأمنَ من إخبارِ المخبِرِ إياه بالكذب أو الخطأ.

ثم اختلَف أهلُ الأصول في ماهيةِ الإيمان المفترَض على العبد:

قال جَهْمٌ[٦]: هو المعرفة.

وقالت الكرَّاميَّة: هو مجردُ الإقرار.

---

(١) في (أ): «بصلة».

(٢) في (ر) و(ف): «بمعنى».

(٣) في (ر): «نعت المتقين».

(٤) في (أ): «الأمان».

(٥) في (ر) و(ف): «أخبر».

(٦) هو جهم بن صفوان أبو محرز السمرقندي، قال الذهبي في ترجمته في «الميزان»: الضال المبتدع، رأس الجهمية، هلك في زمان صغار التابعين، وما علمته روى شيئا لكنه زرع شرًّا عظيماً.

وقال الرَّقَاشيُّ[١]: هو الإقرار بشرطِ وجودِ المعرفةِ في القلب[٢]، والمعرفةُ ضروريةٌ توجد لا محالة، لكنْ إذا وُجدت هي مع الإقرار فالإيمانُ هو الإقرارُ باللسان وحده؛ لأنه اسمٌ لفعلٍ اكتسابيٍّ لا اضطراريٍّ.

وقال أهلُ الحق: هو التصديقُ بالقلب والإقرارُ باللسان.

وقال الإمامُ أبو منصورٍ ـ وهو مرويٌّ عن أبي حنيفة رحمه الله، وهو قولُ جماعةٍ ـ: هو التصديق[٣].

وقال مالكٌ والشافعيُّ والأوزاعيُّ وأهلُ الحديث وأصحابُ الظواهر: الإيمان هو التصديقُ بالقلب، والإقرارُ باللسان، والعملُ بالأركان.

وقال الأشعريُّ: كلُّ ذلك والبقاءُ عليه إلى الموت.

وبيانُ شُبَهِ الخصومِ وحُجَجِ أهل الحقِّ يُذكر في كتب الكلام، ونُشير نحن في بقيَّة هذه الآية وفي تفسير الآيات التي في المنافقين من هذه السورة إلى ما يقع به الاستغناءُ والاكتفاءُ إن شاء الله تعالى.

ثم قولُه عزَّ وجلَّ: ﴿يُؤۡمِنُونَ﴾: في قراءةِ أبي عمرو بن العلاء بغير همز، وللقرَّاء في الهمز وتركِه مذاهبُ وتفاصيل، فأبو عمرو يتركُ كلَّ همزةٍ ساكنة إلا أن يَعترِضَ أحدُ أربعةِ أشياء:

---

(١) هو الفضل بن عيسى بن أبان الرقاشيّ، أبو عيسى، واعظ من أهل البصرة، كان من أخطب الناس، متكلماً قاصًّا، وهو رئيس طائفة من المعتزلة تنسب إليه، وكان قدرياً ضعيف الحديث، توفي سنة (١٤٠هـ). انظر: «الأعلام» (٥/ ١٥١).

(٢) في (ر): «بالقلب».

(٣) انظر: «تأويلات أهل السنة» (١/ ٣٧٣).

أحدها: أن يكون سكونُها علامةً على[1] الجزم، نحو قوله تعالى: ﴿أَوْ نُنسِهَا﴾ [البقرة: ١٠٦] و﴿إِن يَشَأْ﴾[2] [النساء: ١٣٣].

أو يتغيرَ المعنى، نحو قوله تعالى: ﴿أَثَٰثًا وَرِءْيًا﴾ [مريم: ٧٤].

أو يخرجَ إلى لغةٍ أخرى، نحو قوله تعالى: ﴿مُّؤْصَدَةٌ﴾ [البلد: ٢٠].

أو يكون التخفيف أثقل، نحو قوله: ﴿وَتُـْٔوِىٓ إِلَيْكَ﴾ [الأحزاب: ٥١].

وفي الحاصل: هو يَهمز في ثلاثةٍ وثلاثين موضعاً من القرآن أولها: ﴿أَنۢبِئْهُم﴾، وآخرها: ﴿عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ﴾.

والكسائيُّ يترك الهمز في قوله: ﴿ٱلذِّئْبُ﴾ [يوسف: ١٣] ويَهمز ما عداها[3].

وعاصم في رواية أبي بكرٍ يترك الهمز[4] في: ﴿مُّؤْصَدَةٌ﴾، ويهمز في[5] ما سواه.

وحمزةُ يترك همزَ ما يقف عليه ويَهمز ما خَلَاه.

وابنُ كثيرٍ يهمزُ الكلَّ إلا كلمة: ﴿ٱلْقُرْءَانُ﴾.

وابنُ عامرٍ يهمزُ الكلَّ[6].

---

(١) «على»: ليست في (ف).

(٢) في (أ): «نشأ».

(٣) في (أ): «عداه».

(٤) في (ر) و(ف): «وعاصم يترك الهمزة»، والمثبت من (أ) وهو الصواب.

(٥) «في»: ليست في (أ) و(ف).

(٦) انظر تفصيل هذه المسألة في «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ١٣٠ ـ ١٣٢)، و«التيسير في القراءات السبعة» للداني (ص: ٣٤) وما بعدها، و«النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (١/ ٣٩٠) وما بعدها.

وما رُوي عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «المؤمنُ مَن أَمِنَ جارُه بَوائِقَهُ»[١]، فمعناه ـ واللهُ تعالى أعلمُ ـ: المؤمنُ المستكمِلُ أوصافَ أهلِ الإيمان هذا[٢].

وكذا قولُه ﷺ: «المؤمنُ هيْنٌ ليْنٌ جوادٌ سَمْحٌ كالجملِ الأَنِف[٣]، إذا قِيدَ انقادَ، وإذا أُنِيخَ على حَجَرٍ استناخ»[٤].

وقولُه ﷺ: «المؤمنُ أَلِفٌ مألوفٌ حَيِيٌّ، ولا خيرَ فيمَن لا يَأْلَفُ ولا يُؤلف»[٥].

وقولُه عليه السلام: «المؤمنُ فَطِنٌ حَذِرٌ وقَّافٌ متثبِّتٌ عالمٌ وَرِعٌ»[٦].

---

(١) رواه البخاري (٦٠١٦) من حديث أبي شريح رضي الله عنه بلفظ: «واللهِ لا يُؤْمِنُ، واللهِ لا يُؤْمِنُ، واللهِ لا يُؤْمِنُ» قيل: ومَن يا رسولَ اللهِ؟ قال: «الذي لا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ». وروى مسلم (٤٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ مَن لا يَأْمَنُ جارُهُ بَوَائِقَهُ».

(٢) «هذا»: ليست في (ر).

(٣) في (ر): «الأنوف». والصواب المثبت، والأنف على وزن فَعِلٍ، وهو الذي جُعل الزمام في أنفه فيجره مَن يشاء من صغير وكبير إلى حيث يشاء.

(٤) رواه ابن المبارك في «الزهد» (٣٨٧)، ومن طريقه البيهقي في «الشعب» (٧٧٧٧)، عن مكحول عن النبي ﷺ مرسلاً. ثم رواه البيهقي (٧٧٧٨) من حديث ابن عمر مرفوعاً متصلاً، وقال: الأول مع إرساله أصح.

وعبارة: «المُؤْمِنُ كالجَمَلِ الأَنِفِ، حيثُما قِيدَ انقادَ»، وردت في حديث العرباض بن سارية عند ابن ماجه (٤٣)، وهو حديث صحيح.

(٥) رواه بنحوه الإمام أحمد في «المسند» (٩١٩٨)، والحاكم في «المستدرك» (٥٩) وصححه، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. ورواه بنحوه أيضاً الإمام أحمد في «المسند» (٢٢٨٤٠)، وابن حبان في «المجروحين» (٣/ ٢٩)، من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه، وإسناده ضعيف جداً.

(٦) رواه أبو الشيخ في «الأمثال» (٢٥٨) من حديث أنس رضي الله عنه. قال المناوي في «فيض القدير» (٦/ ٢٥٧): فيه أبو داود النخعي كذاب، قال في «الميزان» عن يحيى: كان أكذب الناس، ثم سرد له عدة أخبار هذا منها، قال ابن عدي: أجمعوا على أنه كان وضاعاً.

وقولُه عليه السلام: «المؤمنُ واهٍ راقعٌ، فسَعيدٌ مَن هلَكَ على رَقْعِه»[(١)].

وعلى هذا ما قاله[(٢)] أهلُ الحقيقة في تفسير الإيمان، فهو تفسيرُ كمالِ حال المؤمن في مقامات خصال الإيمان.

قال رُوَيمٌ: الإيمان: استصغارُ الكونين عند رؤيةِ المكوِّن، فلا يَستَطْرِقْكَ وارِدٌ، ولا يسترِقَّكَ شاهدٌ.

وقال فارسٌ[(٣)]: الإيمان: تعظيمُ الحقيقة في صَوْن الشريعة.

وقال الواسطيُّ: أولُ قَدَمٍ في الإيمانِ: أن لا يجريَ عليك التلوين[(٤)] فيما يَرِدُ عليك من نعمةٍ أو بليَّة؛ إذ لا فرق بينهما في الحقيقة.

وقال داودُ الطائيُّ[(٥)]: الإيمان: ما يُوْرِثُك النورَ بعد الظُّلمة، ثم اللِّينَ بعد القَسوة، ثم السُّنَّةَ بعد البِدْعة، ثم التلذُّذَ بالعبادة بعد المجاهدة.

وقال سهلُ بن عبد الله التُّسْتَريُّ رحمه الله: الإيمانُ أربعةُ أركان: التوكُّلُ

(١) رواه الحربي في «غريب الحديث» (٣/ ١٠٣٠)، وابن حبان في «المجروحين» (١/ ٣٢٤)، من حديث جابر رضي الله عنه، وقال أبو حاتم كما في «العلل» لابنه (٢/ ١٥٣): حديث منكر.

(٢) في (ر): «ما قال» وفي (ف): «قال». بدل «ما قاله».

(٣) فارس بن عيسى ـ وقيل: ابن محمد ـ أبو الطيب الصوفي، صحب الجنيد بن محمد وأبا العباس بن عطاء وغيرهما، وكان له لسان حسن، ومن المتحققين بعلوم أهل الحقائق ومن الفقراء المجردين للفقر وترك الشهوات. انظر: «تاريخ بغداد» (١٢/ ٣٩٠).

(٤) في (ر) و(ف): «التكوين».

(٥) هو داود بن نصير، أبو سليمان، من طيئ من أنفُسهم، وكان قد سمع الحديث وتفقه وعرف النحو وأيام الناس ثم تعبد فلم يتكلم في شيء من ذلك، وجلس في بيته عشرين سنة أو نحوها ومات فحضر جنازته خلق كثير، توفي سنة (١٦٥هـ). انظر: «المعارف» لابن قتيبة (ص: ٥١٥).

على الله، والاستسلامُ لأمر الله، والرِّضا بقضاءِ الله، والشكرُ لنعماء الله عزَّ وعلا، والتقوى بابُ الإيمان، واليقينُ قلبُ الإيمان، والصبرُ عمادُ الإيمان[1]، والإخلاصُ كمال الإيمان.

وروى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «الإيمان بضعٌ وستُّون ـ أو بضعٌ وسبعون ـ باباً، أفضلُها: لا إله إلا الله، وأدناها: إماطةُ الأذى عن الطريق، والحياءُ شعبةٌ من الإيمان»[2].

فأهلُ الحديث جعلوا هذا كلَّه من الإيمان.

ونحن قُلنا: هي من خصالِ أهل الإيمان، ولم يَرِدْ تعديدُها بأعيانها في حديثٍ واحدٍ، وأهلُ العلم عَدُّوا ذلك على وجوه، وأقصى ما يتناولُه لفظُ هذا الحديث: تسعةٌ وسبعون، وأنا أَعُدُّها على ترتيبٍ أختارُه، وعلى الاجتهادِ مدارُه، فأقول:

بدأ فيه بالتهليل، والذي يليه: التكبيرُ والتسبيح، والتحميد والتمجيد، والتجريد والتفريد، والتوبة والإنابة، والنظافة والطهارة، والصلاة والزكاة والصيام والحج والعمرة، والقيام والاعتكاف، والقُربان والصدقة، والغزو والعِتق، وقراءة القرآن، ومُلازَمة الإحسان، ومجانَبة العصيان، وترك الطغيان، وهجرُ العدوان، وتقوى الجَنان، وحفظُ اللسان، والثناءُ والدعاء، والخوف والرجاء، والحبُّ والحياء، والصدقُ والصفاء، والنصحُ[3] والوفاء، والندمُ والبكاء، والإخلاصُ والذكاء، والحلمُ والسخاء، والشكرُ في العطيَّة، والصبرُ في البليَّة، والرضا بالقضيَّة، والاستعدادُ للمنيَّة، واتِّباعُ السنَّة، وموافقةُ الصَّحابة، وتعظيمُ أهل الشَّيبة، والعطفُ على صغار البَرِيَّة، والاقتداءُ

---

(١) في (أ): «الدين».

(٢) قطعة من حديث رواه مسلم (٣٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) في (أ): «والنصيحة».

بعلماء الأمَّة، والشفقةُ على العامَّة، واحترامُ الخاصَّة، وتعظيمُ أهل السنَّة، وأداءُ الأمانة، وإظهار الصِّيانة، والإطعام والإنعام، وبِرُّ الأيتام، وصِلَةُ الأرحام، وإفشاءُ السلام، وصدقُ الاستسلام، وتحقُّق[1] الاستعصام، والزُّهد في الدنيا، والرغبةُ في العُقبى، والموافقةُ للمولى، ومخالفةُ الهوى، والحذر من لظى، وطلبُ جنة المأوَى، وبثُّ الكرم، وحفظ الحرم، والإحسانُ إلى الخدم، وطلب التوفيق، وحفظُ التحقيق، ومراعاةُ الجارِ والرفيق، وحُسن الـمَلَكة في الرقيق. وأدناها: إماطة الأذى عن الطريق، فمَن استكمَل الوفاءَ بشُعب الإيمان نال بوعدِ الله كمالَ الأمَان، وهو الذي[2] قال الله تعالى فيه: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢].

وقوله تعالى: ﴿بِٱلْغَيْبِ﴾: هو في اللغة: نقيضُ الشهادة، وقد غاب فلانٌ عنا غَيبةً، وغابت الشمس ـ أي: غرَبتْ ـ غيبوبةً، وغيابتُ الجبِّ: كالطاقِ في البئر، والغِيبةُ: ذكرُ عيوب الإنسان[3] في الغَيبة.

واختُلف في تفسيره هاهنا:

فقال سعيد بن جبير رضي الله عنه: أي: يؤمنون بالله.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: أي: يصدِّقون الرسل.

وقال ابنُ جريج: أي: يؤمنون بالوحي من قوله: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِظَنِينٍ﴾ [التكوير: ٢٤] معناه: وما هو[4] على الوحي.

---

(١) في (ر): «وتحقيق».

(٢) في (ر): «وقد»، بدل: «وهو الذي».

(٣) في (أ): «الناس».

(٤) «وما هو»: ليس في (ف).

وقال الحسن: أي يصدِّقون بالآخرة[١].

وقال بعضهم: أي: يؤمنون بالله ويطيعونه وإن غابوا عن المؤمنين ـ لا كالمنافقين ـ كما قال: ﴿ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ﴾ [الأنبياء: ٤٩].

وقال بعضهم: أي: يؤمنون بقلوبهم الغائبةِ مع ألسنتهم الظاهرة، لا كالمنافقين الذين يؤمنون بألسنتهم الظاهرة دون قلوبهم الغائبة.

وبالجملة[٢]: أن الغيب كلُّ ما لا يصلُ إليه العبد إلا بدليلٍ، وهو ما غاب عن الحسِّ مما يجبُ الإيمان به، وهو ما أَخبر به النبيُّ ﷺ من الكائنات بعده في الدنيا وما بعد الموت من أحوال القيامة والجنة والنار.

وقال الإمام أبو منصورٍ رحمه الله: قيل فيه بوجهين:

يؤمنون بغيبِ الله ولا يطلبون منه[٣] طلبَ الأمم السالفةِ من أنبيائهم عليهم السلام، كقول بني إسرائيلَ لموسى صلوات الله عليه: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ [البقرة: ٥٥].

والثاني: يؤمنون بغيب القرآن، وبما يُخْبرهم القرآن من الوعد والوَعيد، والأمر والنهي، والبعث والجنة والنار، والإيمانُ إنما يكون بالغيب؛ لأنه تصديق، والتصديقُ والتكذيب إنما يكونان عن الخبر، والخبرُ إنما[٤] يكون عن غيبٍ لا عن مشاهدةٍ[٥].

---

(١) انظر هذه الأقوال في «تفسير الثعلبي» (١/ ١٤٧)، و«زاد المسير» (١/ ٢٤ ـ ٢٥).

(٢) في (أ) و(ف): «والجملة».

(٣) في (أ): «منه مما»، وفي (ف): «ما».

(٤) «إنما»: ليست في (أ)، ولم ترد في مطبوع «التأويلات».

(٥) انظر: «تأويلات أهل السنة» (١/ ٣٧٣).

وقال أهلُ الحقيقة: معناه: أنهم بغيبِ القرآن عايَنوا غيبَ الآخرة، ثم بغيبِ الغيب شاهَدوا الحقَّ مطَّلعاً عليهم في جميع الأوقات، فغابوا باطِّلاعه عليهم عن مشاهدةِ كلِّ شيءٍ سواه، فهم قائمون معه مع المشاهَدة.

ثم الغيبُ في القرآن جاء لمعانٍ:

للسِّر: قال تعالى: ﴿إِنِّيٓ أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [البقرة: ٣٣]؛ أي: سِرَّ أهلهما.

وللزَّوج: قال تعالى: ﴿حَٰفِظَٰتٞ لِّلۡغَيۡبِ﴾ [النساء: ٣٤].

وللرِّزق: قال تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ﴾ [الأنعام: ٥٩].

وللَّوْح: قال تعالى: ﴿أَطَّلَعَ ٱلۡغَيۡبَ﴾.

وللْوَحي: قال تعالى: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِظَنِينٍ﴾ [التكوير: ٢٤].

ولِمَا غاب عن العباد: قال تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ﴾[1] [الأنعام: ٧٣].

وللْكَيل[2]: قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا لِلۡغَيۡبِ حَٰفِظِينَ﴾ [يوسف: ٨١].

وللْعَذاب: قال تعالى: ﴿وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ﴾ [الأنعام: ٥٠]؛ أي: متى ينزل العذاب.

وللْمَوت: قال تعالى: ﴿وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ﴾ [الأعراف: ١٨٨]؛ أي: متى أموتُ.

وللشَّك: قال تعالى: ﴿رَجۡمَۢا بِٱلۡغَيۡبِ﴾ [الكهف: ٢٢]؛ أي: قولاً بالشك.

ولنزول العلامة: قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦۖ فَقُلۡ إِنَّمَا ٱلۡغَيۡبُ لِلَّهِ﴾ [يونس: ٢٠]؛ أي: علم نزولها.

---

(١) في (أ): «﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾».

(٢) في (أ) و(ف): «وللليل».

وبمعنى الغَيبة: قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ﴾ [يوسف: ٥٢].

والتلفيقُ[1]: أن الله تعالى أخبر أنه عالمُ الغيب، ولا يعلم غيرُه الغيبَ؛ فإنه قال: ﴿لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥].

وذكَر أن عنده مفاتحَ الغيب، وقال لرسوله ﷺ: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ﴾ [الأنعام: ٥٠].

وذكَر أن الجنَّ علِموا أنهم لا يعلمون الغيبَ بقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ﴾ [سبأ: ١٤].

وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ﴾ [آل عمران: ١٧٩].

وأَخبر أنه هو الذي أَخبر رسولَه بالغيب بقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾ [آل عمران: ٤٤].

ووبَّخ الكفار بقوله تعالى: ﴿أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ﴾ [مريم: ٧٨]، وبقوله تعالى: ﴿أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ﴾ [الطور: ٤١].

وأَمر بالثناء عليه به بقوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ﴾ [الزمر: ٤٦].

ومدَح المؤمنين بالإيمان بالغيب، وبالخوف بالغيب، وبالخشية بالغيب، وبالنُّصرة بالغيب، بقوله: ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ [البقرة: ٣]، ﴿لِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلْغَيْبِ﴾ [المائدة: ٩٤]، ﴿مَّنْ خَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ﴾ [ق: ٣٣]، ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ﴾ [الحديد: ٢٥].

---

(١) في (ر): «والتحقيق».

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ﴾ [الجمعة: ٨].

ووعدهم الجنة بالغيب فقال: ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ﴾ [مريم: ٦١].

وقوله تعالى: ﴿وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: دلَّت بقيةُ الآية على أن الأعمال ليست من الإيمان؛ فإنه ذَكر الإيمان وعطَف عليه الأعمالَ، والمعطوفُ غيرُ المعطوفِ عليه.

وقوله تعالى: ﴿وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: قال الإمام أبو منصورٍ رحمه الله: هذا يَحتمِل وجهين:

يَحتمِلُ الصلاة المعروفة؛ أي: يقيمونها[1] بإتمام ركوعها وسجودها والخشوعِ والخضوع له فيها، وإخلاصِ القلب والنية له[2]، على ما جاء في الخبر: «انظُرْ مَن تُناجي»[3].

ويَحتمِلُ الحمدَ لله والثناءَ عليه، فإن كان المراد هذا فهو لا يحتمِلُ النسخَ ولا الرفعَ في الدنيا والآخرة[4].

---

(١) في (ر): «يحتمل الصلاة ويحتمل المعرفة أي يقيمون بها».

(٢) «له»: من (ف)، ولم ترد في «التأويلات»، وفيه: (في النية) بدل: «والنية».

(٣) رواه الإمام مالك في «الموطأ» (١/ ٨٠)، ومن طريقه النسائي في «الكبرى» (٣٣٥٠) و(٨٠٣٧)، من حديث البياضي: أن رسول الله ﷺ خرج على الناس وهم يصلون وقد عَلَت أصواتُهم بالقراءة، فقال: «إن المصلي يناجي ربه عز رجل، فلينظر بما يناجيه، ولا يجهر بعضكم على بعض بالقرآن». وإسناده صحيح. وله شاهد من حديث ابن عمر بإسناد صحيح رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥٣٤٩).

(٤) انظر: «تأويلات أهل السنة» (١/ ٣٧٤).

ولأهل التفسير في هذا [١] ستةُ أقاويلَ:

قال بعضهم: إقامةُ الصلاة: أداؤها؛ فإنَّ قول المؤذِّن: قد قامت الصلاة، معناه: أَخذوا في أدائها، وقيامُ الشيء: وجودُه، وإقامتُه من العبد: تحصيله.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: إقامتُها: إتمامُ ركوعها وسجودها وما يجب فيها، وهو في معنى التقويم؛ أي: التسويةِ، فلا يُدخل نقصاً في شيءٍ من أفعالها وأركانها، ولا خلَلاً في فرائضها وواجباتها وسُنَنها وآدابها.

وقيل: إقامتُها: إدامتُها وإظهارُها، قال الشاعر:

أقامــت غزالــةُ ســوقَ الضِّراب ... لأهــل العراقــينِ حــولاً قميطــاً [٢]

أي: أدامت امرأةُ شبيبٍ الخارجيِّ أمرَ الحرب وضرب السيوف حولاً تامًّا، ومنه قولُه تعالى: ﴿إِلَّا مَادُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا﴾ [آل عمران: ٧٥]؛ أي: مُواظِباً على التَّقاضي.

والرابع: قول ابن كيسانَ: ﴿وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾؛ أي: يقيمون بالصلاة برهانَهم على صدق دعواهم في الإيمان بالغيب.

والخامس: قول بعضهم: إقامتُها: مراعاةُ حقوقها [٣] وشرائطِها؛ أي: شرائطِ الجواز والقبول [٤]، وشرائطُ الجواز: ستةٌ قبل الشروع وستةٌ بعده، وهي معروفة، وشرائطُ القبول: ستةٌ بالظاهر وستةٌ [٥] بالباطن:

---

(١) في (ف): «فيه».

(٢) البيت لأيمن بن خريم كما في «شرح القصائد السبع الطوال» لابن الأنباري (ص: ٥٢١)، ودون نسبة في «غريب القرآن» لابن قتيبة (ص: ٣١)، و«الكشاف» (١/ ٤٠).

(٣) في (أ): «حدودها».

(٤) في (ر): «وشرائط القبول».

(٥) في (أ): «ست» هنا وفي المواضع الثلاثة المتقدمة.

فالظاهر: الخشوعُ؛ لقوله تعالى: ﴿فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ٢]، والتقوى؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧]، وتركُ أكلِ [١] الحرام، وقولِ اللغو، والكسلِ والإبطاء.

وأما الباطنُ: فالإخلاصُ، والتفكُّرُ، والخوفُ، والرجاءُ، ورؤيةُ التقصير، والمشاهَدةُ.

والسادس: قولُ القشيري: إقامتُها: القيام بأركانها وسُننِها، ثم الغَيبةُ عن شهودها برؤيةِ مَن يصلِّي له[٢]، يقول اللهُ تعالى: «أنا أغنَى الشركاءِ عن الشِّرك، فمَن عَمِلَ لي عَمَلاً وأَشْرَكَ فيه غيري فهو له وأنا منه بريءٌ» [٣].

وعن أبي بكرٍ الشِّبْليِّ رحمه الله أنه قال: لو نظر قلبي في الصلاة إلى العُقبى توضَّأت، ولو نظر[٤] إلى الدنيا اغتسلْت.

وقال الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ١-٢] والخشوع: سكون الظاهر والباطن، فلا يَصرف شيئاً من أعضائه إلى غير السنَّة، ولا شيئاً من باطنه إلى غير القُربة.

وقال النبيُّ ﷺ حين رأى رجلاً يعبثُ بلحيته في الصلاة: «أمَا لو خَشَعَ قلبُ هذا لخشَعَتْ جَوارِحُه»[٥].

---

(١) «أكل»: ليست في (ف).

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٥٧).

(٣) رواه مسلم (٢٩٨٥)، وابن ماجه (٤٢٠٢) واللفظ له، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) في (ر): «نظرت».

(٥) رواه الترمذي الحكيم في «نوادر الأصول» (٣/ ٢١٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً، وسنده ضعيف كما قال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (١/ ١٠٥)، قلت: فيه سليمان بن =

وقيل: إقامةُ الصلاة: بالتطهُّر أولاً ظاهراً وباطناً، وبالتجمُّلِ بلباسِ أهل[1] الدنيا ولباسِ أهل التقوى، ومراعاةِ الوقت مع اتِّقاءِ الـمَقْت، وإخلاصِ النيَّة مع إصلاح الطَّوِيَّة، واستقبالِ القِبلة بالوجه والقلب، والافتِتاح بالتكبير[2] عن توقير، والإتيانِ بالقيام على تمام، والقراءةِ عن تفكُّرٍ وتدبُّر، والاستماعِ عن إنصاتٍ وإخبات[3]، والانحناءِ بركوعٍ عن خشوع، والخُرورِ لسجودٍ عن شهود، والتكلُّم بتسبيحٍ عن تصحيح، والختمِ بقِعْدةٍ عن عُدَّة، وتشهُّدٍ عن تعهُّد[4]، وصلواتٍ ودعوات عن تحقيقٍ وإثبات، وتسليمٍ عن تتميم، ثم الدُّعاءِ على إخلاص، والرجوعِ عن إفلاس.

وقوله تعالى: ﴿ٱلصَّلَوٰةَ﴾: فالصلاة في اللغة: اسمٌ للدعاء والثناء والقراءة والرحمة:

قال الله تعالى: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ١٠٣]؛ أي: ادْعُ لهم.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ﴾ [الأحزاب: ٥٦]، قيل: هي الثناء.

= عمرو، قال الزيلعي في «تخريج أحاديث الكشاف» (٢/ ٤٠٠): وسليمان بن عمرو هذا يشبه أن يكون هو أبو داود النخعي فإني لم أجد أحداً في هذه الطبقة غيره وقد اتفقوا على ضعفه، قال ابن عدي: أجمعوا على أنه يضع الحديث.

قال العراقي: والمعروف أنه من قول سعيد بن المسيب. قلت: روى هذه القصة وهذا القول عن سعيد بن المسيب ابن المبارك في «الزهد» (١١٨٨)، وعبد الرزاق في «المصنف» (٣٣٠٨)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٦٧٨٧)، والمروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (١٥١). ورواه المروزي أيضا (١٥٠) عن حذيفة رضي الله عنه.

(١) «أهل»: من (ف).

(٢) في (أ) و(ر): «بتكبير».

(٣) في (ف): «الإنصات والإخبات».

(٤) في (أ): «وتشهد وتعهد».

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ﴾ [الإسراء: ١١٠]؛ أي: بقراءتك.

وقال تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾ [البقرة: ١٥٧]؛ أي: رحمة.

والصلاةُ المشروعة: المخصوصةُ بأفعالٍ وأذكار، سُميت بها لِمَا في قيامها من القراءة، وفي قعودها من الثناء والدعاء، ولفاعلِها من الرحمة.

وقيل: سُميت الصلاةُ بها من قولهم: صَلَّيْت العود بالنار؛ أي: ليَّنْتُه، والمصلِّي بالصلاة يَلِينُ ويخشعُ لربِّ العالمين.

وقيل: هي من الصَّلا[1]، وهي مَغْرِزُ الذَّنَبِ من الفرس، والمصلِّي ينحني للركوع والسجود فيرفعُ الصَّلَوَينِ في هذين[2] الحالين.

وقيل: هي من قولهم: فرسٌ مُصَلٍّ؛ أي: تالٍ للسابق في حَلْبةِ الرِّهان، سمِّيت بها لأنها في الذِّكر ثانيةُ الإيمان؛ فإنها ذُكرت في هذه الآية بعد الإيمان بالغيب، وقد قال النبيُّ ﷺ: «الصلاةُ ثانيةُ الإيمان»[3].

ثم الصلاةُ في هذه الآية: اسمُ جنسٍ، وأريد بها الجمعُ[4]، واسمُ الجنس يَصلح لذلك، قال تعالى: ﴿لَّا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا﴾ [الفرقان: ١٤]، وهذا[5] كقوله تعالى: ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ﴾ [البقرة: ٢١٣]؛ أي: الكتب.

---

(١) في (ر) و(ف): «الصلوة»، وسقطت الجملة من (أ)، والصواب المثبت. انظر: «زاد المسير» (١/ ٢٥)، و«شرح المفصل» لابن يعيش (١/ ٤٦)، و«تفسير القرطبي» (١/ ٢٥٩).

(٢) في (ف): «من هاتين».

(٣) لم أجده.

(٤) في (أ): «اسم الجنس فأريد بها الجمع»، وسقطت من (ف).

(٥) في (ف): «وكذا هذا».

وهي خمسُ صلواتٍ مكتوبةٍ في كلِّ يومٍ وليلة، وكانت خمسين على مَن كان[١] قبلَنا، وكذا فُرضت علينا ليلةَ المعراج، ثم حُطَّت إلى خمسٍ تخفيفاً وثبتَ جزاء الخمسين تضعيفاً.

وتُكتب (الصلوة) بالواو اتِّباعاً لمصحف الإمام، فقد كتبت فيه: ﴿ٱلصَّلَوٰةَ﴾ و﴿ٱلزَّكَوٰةَ﴾ و﴿ٱلْحَيَوٰةِ﴾ بالواو، وإنما كتبوا ﴿ٱلصَّلَوٰةَ﴾ بالواو إشعاراً لأن[٢] أصلها الواو؛ فقد قلنا: إنها من الصلا[٣]، وهو واويٌّ، ولذلك يقال في تثنيَتِه: الصَّلَوان.

ثم إن الله تعالى سمَّاها صلاةً في آياتٍ، وسمَّاها تسبيحاً في قوله: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ [الروم: ١٧].

وسماها إيماناً في قوله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤٣]؛ أي: صلاتَكم إلى بيت المقدس.

وقرآناً في قوله تعالى: ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ﴾ [الإسراء: ٧٨].

وحسناتٍ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [هود: ١١٤].

وقنوتاً في قوله تعالى: ﴿يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ﴾ [آل عمران: ٤٣].

وركوعاً في قوله تعالى: ﴿وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٣].

وسجوداً في قوله تعالى: ﴿ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾.

وأمانةً في قوله: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ﴾ [الأحزاب: ٧٢].

وذِكراً في قوله تعالى: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [النور: ٣٧].

---

(١) «كان»: من (أ).

(٢) في (أ): «أن».

(٣) في (أ) و(ف): «الصلوة».

واستغفاراً في قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾ [آل عمران: ١٧].

ثم المذكورُ في الآية: إقامةُ الصلاة، والله تعالى أمر في الصلاة بأشياء: بإقامتِها بقوله: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [البقرة: ٤٣]، وبالمحافظة عليها بقوله: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ﴾ [البقرة: ٢٣٨]، وإدامتِها بقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ﴾ [المعارج: ٢٣]، وبأدائها في أوقاتها بقوله عزَّ وعلا: ﴿كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا﴾ [النساء: ١٠٣]، وبأدائها في جماعةٍ بقوله تعالى: ﴿وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٣]، وبالخشوعِ فيها بقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ٢].

وبعد هذه الأوامرِ صار الناس على طبقاتٍ خمسٍ:

طبقةٌ: لم يَقبلوها، ورأسُهم أبو جهل لعائنُ الله عليه تترَى، فقال الله[1] تعالى في حقِّه: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ﴾ [القيامة: ٣١]، وذكرَ مصيرَهم فقال تعالى: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُواْ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ﴾ إلى قوله: ﴿وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [المدثر: ٤٦].

وطبقةٌ: قَبلوها ولم يؤدُّوها، وهم أهلُ الكتاب، فذكرهم الله تعالى فقال: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ﴾ [الأعراف: ١٦٩]، قال الكلبيُّ: هم أهلُ الكتاب، وقال تعالى: ﴿أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [مريم: ٥٩]، وذكر مصيرَهم فقال: ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [مريم: ٥٩]، وهو دركةٌ في جهنم هي أهيَبُ موضعٍ فيها تستغيثُ النارُ منها كلَّ يومٍ كذا وكذا مرةً، ثم قال: ﴿إِلَّا مَن تَابَ﴾: أي: من اليهودية والنصرانية ﴿وَءَامَنَ﴾: أي: آمَن[2] بمحمدٍ ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾؛ أي: حافَظ على الصلوات[3].

---

(١) في (أ): «لعنه الله قال تعالى» بدل: «لعائن الله عليه تترى فقال الله».

(٢) «آمن»: ليست في (أ).

(٣) بعدها في (ر): «الخمس».

وطبقةٍ: أدَّوا بعضَها ولم يؤدُّوا بعضَها متكاسِلينَ وهم المنافقون، فذكرهم الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ﴾ [النساء: ١٤٢]، وذكر مصيرهم فقال: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥].

وطبقةٍ: يؤدُّونها لكنْ بعد خروجِ وقتها، فذكَرهم الله تعالى في كتابه فقال[1]: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [الماعون: ٤ ـ ٥]، وذكر أن مصيرهم: ويلٌ، وهو وادٍ في جهنم لو جُعلت فيه جبال الدنيا لماعَتْ؛ أي: لسالت، وقال[2] النبيُّ ﷺ: «مَن تركَ صلاةً حتى غاب وقتُها ثم قضاها، عذِّب في النارِ حُقْباً، والحُقْب: ثمانون سنة، كلُّ سنةٍ ثلاثُ مئةٍ وستُّون يوماً، كلُّ يومٍ ألفُ سنةٍ مما تعُدُّون»[3].

وطبقةٍ: قبِلوها، وهم يراعونها في مواقيتِها بشرائطها، ورئيسُهم[4] المصطفى ﷺ، فذكره الله بقوله تعالى[5]: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَىِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ﴾ الآية [المزمل: ٢٠]، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢]، وأصحابُه كذلك، فذكَرهم الله تعالى بقوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ١ ـ ٢]، وذكر مصيرَهم فقال: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ﴾ [المؤمنون: ١٠ ـ ١١]، وهو أرفعُ موضعٍ في الجنة وأبهاه، ينال المؤمنُ فيه مُناه، وينظرُ إلى مولاه.

---

(١) «فقال» ليست في (أ)، و«في كتابه» ليست في (ر).

(٢) في (ر) و(ف): «سالت قال».

(٣) لم أجده.

(٤) في (أ) و(ف): «ورأسهم».

(٥) في (أ): «فذكر الله تعالى».

وقوله تعالى: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ﴾: فالرزقُ: هو الإعطاءُ وإن اختلفت وجوهه[1]:

فإن الرِّزق يكون تمليكاً: قال الله تعالى: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ﴾؛ أي: ملَّكناهم.

ويكون غذاءً: قال تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦]؛ أي: غذؤاها.

ويكون طعاماً: قال الله تعالى: ﴿فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ﴾ [الكهف: ١٩].

ويكون مالاً: قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [الرعد: ٢٦]؛ أي: المال.

ويكون مطراً: قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ﴾ [الجاثية: ٥].

ويكون هبةً: قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُو۟لُوا۟ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ﴾ [النساء: ٨]: هو هبةُ الشيء[2] لغير الورثة تبرُّعاً وتصدُّقاً.

ويكون أجزاءَ وظيفةٍ كرَزْق القضاة والجنود.

وكلُّ ذلك راجعٌ إلى الإعطاء.

ثم الرِّزقُ يكون هو التغذيةَ عندنا، وهو عند المعتزلة: التمليك، فالحرام عندهم ليس برزق؛ لأنه ليس بمِلك، وهذا في غايةِ الفُحش منهم، وهو نهايةُ الضَّلال؛ فإنه ردُّ كتاب الله تعالى، قال عزَّ وعلا: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦].

والحيواناتُ عندهم ليست تأكل من[3] رزق الله تعالى؛ لأنها لا تملك[4]، وآكِلُ

---

(١) في (ر): «أنواعه».

(٢) في (ف) و(أ): «شيء».

(٣) «من»: ليست في (أ) و(ف).

(٤) في (أ): «تأكل».

الحرام عندهم وكاسبُه في جميع عمره لم يأكل من رزق الله شيئاً[١]، ولم يرزقه الله عزَّ وجلَّ شيئاً.

ثم إنما ذكَر الله تعالى هذا الفعل بصيغة الجمع من نفسه، وهو واحدٌ لا شريك له؛ لأنه خطابُ الملوك، والله تعالى مالكُ الـمُلْك ومَلِك الملوك، فله استحقاقُه ومنه إطلاقُه.

والمعهود من كلام الملوك أربعةُ أوجهٍ:

الإخبارُ على لفظةِ الواحد[٢]: إنِّي فعلتُ كذا، وعلى لفظة الجمع: فعَلْنا كذا، وعلى ما لم يسمَّ فاعلُه: رُسِمَ لكم كذا، وإضافةُ الفعل إلى اسمه على وجهِ المغايبة: أَمَركم سلطانُكم بكذا.

والقرآن نزل بلغة العرب، فجمع الله تعالى فيه هذه[٣] الوجوهَ كلَّها فيما أَخبر به عن نَفْسه:

فقال تعالى: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ الآية [المدثر: ١١]، وهذا على صيغة الواحد.

وقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ [القدر: ١]، ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا﴾ [نوح: ١]، ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ [الفتح: ١]، ﴿إِنَّا خَلَقْنَا﴾ [الإنسان: ٢]، وهذا على صيغةِ الجمع.

وقال تعالى فيما لم يُسمَّ فاعله: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾ [البقرة: ١٨٣]، ﴿كُتِبَ

---

(١) «شيئاً» ليست في (ف).

(٢) في (أ) و(ف): «الوحد».

(٣) «هذه»: ليست في (أ).

عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ﴾ [البقرة: ١٧٨]، ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ﴾ [البقرة: ٢١٦] ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٨]، ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ﴾ [الأنبياء: ٣٧].

وقال تعالى في المغايبة: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ﴾ الآية [البقرة: ٢١] ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [الزمر: ٢٢]، ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ﴾ [الزمر: ٢٣]، ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ﴾ [التوبة: ٣٣].

وقوله تعالى: ﴿يُنفِقُونَ﴾: فالإنفاق: هو صرفُ المال إلى الحاجة، والإنفاقُ في قوله: ﴿خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ﴾ [الإسراء: ١٠٠]: هو الافتقارُ، والنُّفوق: هلاك الدابَّة، والنَّفَاق: رَوَاجُ السُّوق، والانْتِفاق: خروجُ اليربوع من النافِقاء(١)، والنِّفَاق: مخالفةُ السِّرِّ العلانيةَ(٢)، ومرجعُ ذلك كلِّه إلى الإمضاء والإفناء.

وتفسيرُه فيه ستةُ أقاويلَ:

قال ابنُ عباس رضي الله عنهما: أي: من الأموال التي أعطيناهم يؤتون الزكاة(٣)، كما في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة: ٣٤]، والوعيدُ لا يكون إلا بترك الفرضِ، وقد قرَن الله تعالى الصلاةَ بالزكاة(٤) في آياتٍ من كتابه: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [البقرة: ٤٣]، ﴿وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [النساء: ١٦٢]، ﴿أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [الحج: ٤١]، ﴿يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [المائدة: ٥٥].

---

(١) النافقاء: موضع يرقِّقه اليربوع في جُحَره، فإذا أُتي من قبَل القاصعاءِ ضَرَب النافقاء برأسه فانتفق منها، وبعضهم يسميه النُّفَقة. انظر: «تهذيب اللغة» (٩/ ١٥٦).

(٢) في (ف): «والعلانية».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٢٤٩).

(٤) في (ر): «والزكاة».

والنَّظم[1] بينهما: أن الصلاة حقُّ الله تعالى، وصرفُ الزكاة إلى الفقير حقُّ عبادِ الله، والواجبُ مراعاتُهما بأمر الله، ومرجعُ جميع العبادات إلى هذين، فالصلاةُ عبادةٌ بدنيَّة، والزكاة عبادةٌ مالية، وجميعُ العبادات تنقسم إليهما.

والثاني: قولُ ابن مسعود رضي الله عنه: هو الإنفاقُ على الأهل[2]، قال الله تعالى: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ﴾ الآية [الطلاق: ٧].

والثالث: قول الضحَّاك: هو التصدُّق من أنواع[3] الأموال في الوجوه المختلفة، ويتناول ذلك الصرفَ إلى كلِّ خير[4]، قال الله تعالى: ﴿أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة: ٢٦٧].

والرابع: قولُ بعضهم: إنه قراءةُ القرآن، ونظمُه ـ أي: ضمُّه[5] ـ إلى الصلاة: أنهم يقرؤون القرآن في الصلاة، قال الله تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [السجدة: ١٦]؛ أي: مما أعطيناهم من القرآن يَتْلون، فليس هذه حالةَ إنفاق المال؛ فإنها[6] حالُ صلاة الليل.

والخامس: إنه إنفاقُ الرُّوح، قال الله تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٥]؛ أي: بأرواحكم ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥]؛ أي: إلى حرمان الحياة الباقية الحاصلة بالشهادة بقوله: ﴿أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩].

---

(١) في (ر): «والنظام»، وفي (ف): «والجامع».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٢٥٠).

(٣) «أنواع»: ليست (أ).

(٤) رواه بنحوه الطبري في «تفسيره» (١/ ٢٤٩).

(٥) «أي: ضمه»: سقط من (أ).

(٦) في (ر) و(ف): «فإنه».

والسادس: أي: لا يدَّخرون عن الله شيئاً مما هو لهم، فينفقون نفوسَهم في آداب العبوديَّة، وينفقون قلوبهم على دوام مشاهدة الربوبيَّة، فإنفاقُ أصحاب الشريعة من حيث الأموال، وإنفاقُ أرباب الحقيقة من حيث الأحوال.

والأجمعُ أن يقال: إنَّ إنفاق الأغنياء من أموالهم لا يدَّخرونها عن أهل الحاجة، وإنفاقَ العابدين من نفوسهم لا يدَّخرونها عن وظائف الخدمة، وإنفاقَ العارفين من قلوبهم لا يدَّخرونها عن حقائق المراقبة، وإنفاقَ المحبِّين من أرواحهم لا يدَّخرونها عن مَجاري الأقضية.

والأقصَرُ أن يقال: إن إنفاق الأغنياء من النِّعم، وإنفاقَ الفقراء من الهِمَم، فإنفاقُ الأغنياء: إخراجُ المال من الجيب، وإنفاق الفقراء: إخراجُ الأغيار عن القلب.

والأظهر أن يقال: المراد من النفقة: هي[1] الزكاة، وزكاةُ كلِّ شيء من جنسه.

(زكاة مال مواساة بادر ويشان است، وزكاة عز تواضع وإحسان است، وزكاة شرف نصرة ضعيفا نست، وزكاة فر زندان يواختن يتيما نست، وزكاة خانة اردن مهما نست، وزكاة علم تعليم ديكرا نست، وزكوة صحت برهير ارهاها نست، وزكاة قوة جهاد باكافرا نست، وزكاة أوان خوشن، وزكاة أوان خوس خواندن قران است، وزكوتن باكردن عصيان است، وزكوة رقان ناكفتن بهتان است، وزكوة جشم ناكر بتين بينكار مكان است، وزكوة عبوديت مكاه داستن قرمان است، وزكوة إيمان خدمة أركان است، وزكاة أسلم مخالفة شيطان است، وزكوة زهد دون نودن أرسلطان است، وزكوة ذل تعظيم إيمان است، وزكوة سر مراقبت أمر يردان است،

---

(١) «هي»: ليست في (أ).

وزكوة زندكاي فداكردن جان است، وزكوة محبت يادكردن رحمن است، وزكوة مروت نواختن عربيات است)[1].

ثم ذُكر في هذه الآيةِ الإيمانُ وهو بالقلب، ثم الصلاةُ وهي بالبدن، ثم الإنفاقُ وهو بالمال، وهو مجموعُ كلِّ العبادات، ففي الإيمان النجاةُ، وفي الصلاة المناجاةُ، وفي الإنفاق الدرجاتُ، وفي الإيمان البشارة، وفي الصلاة الكفَّارة، وفي الإنفاق الطهارة، وفي الإيمان العزَّة، وفي الصلاة القُربة، وفي الإنفاق الزيادة.

وقيل: ذُكر في هذه الآية أربعةُ أشياء: التقوى، والإيمانُ بالغيب، وإقامةُ الصلاة، والإنفاق، وهي صفة الخلفاء الراشدين الأربعة، ففي الآيةِ بيانُ فضلهم:

التقوى لأبي بكر الصدِّيق رضي الله تعالى عنه، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ﴾ [الليل: ٥ ـ ٦].

والإيمانُ بالغيب لعمر الفاروق رضي الله تعالى عنه، قال الله تعالى: ﴿حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ٦٤].

وإقامةُ الصلاة لعثمان ذي النورين رضي الله تعالى عنه، قال الله تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا﴾ الآية [الزمر: ٩].

---

(١) في (ف): «تعريبه: وزكاة المال لمواساة الفقراء، وزكاة العز: التواضع والإحسان، وزكاة الشرف: نصرة الضعفاء، وزكاة الأولاد: الشفقة على الأيتام، وزكاة الدور: الضيافة، وزكاة العلم: التعليم، وزكاة صحة البدن: الاحتراز عن الذنوب والشهوات المحرمات، وزكاة القوة: الجهاد مع الكفار، وزكاة الصوت الحسن: قراءة القرآن، وزكاة البدن: ترك العصيان، وزكاة اللسان: ترك الغيبة والبهتان وزكاة [...]: عدم الالتفات إلى زهرة الدنيا وأهلها، وزكاة العبودية: امتثاله [...] [...]، وزكاة المحبة: دوام ذكر الرحمن، وزكاة المروءة: الإحسان إلى الغرباء، وزكاة الجوارح: إتعاب الجوارح في الطاعة، وزكاة الإسلام: مخالفة الشيطان، وزكاة الزهد: البعد من باب السلطان، وزكاة القلب: تعظيم الإيمان، وزكاة السر: مراقبة أمر الإله الصمد، وزكاة الحياة: أن يفدي روحه في سبيل الله بالجهاد».

والإنفاقُ لعليٍّ المرتضى[1] رضي الله تعالى عنه، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ﴾ الآية [البقرة: ٢٧٤].

***

(٤) ـ ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ﴾: أي: أُوحي إليك.

والإنزالُ في اللغة لمعانٍ:

للإرسال من عُلوٍ إلى سُفلٍ: قال تعالى: ﴿رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [المائدة: ١١٤].

وللإمطار: قال تعالى: ﴿فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾ [الحج: ٥].

وللإعطاء: قال تعالى: ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾ [الزمر: ٦].

وللخلق: قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ [الحديد: ٢٥].

وللوضع والشرع: قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ﴾ [الحديد: ٢٥] فهو في حقِّ الميزان وضع وشرع للتقدير به، كما قال تعالى: ﴿وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ﴾ [الرحمن: ٧].

ويكون بمعنى الإعلاء[2]: قال تعالى: ﴿كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾ [الكهف: ١٠٧]: ومنازلُ الجنة ليست للنزول فيها من علوٍ إلى سفلٍ، بل من سفلٍ إلى علوٍ، قال

(١) «المرتضى»: من (ف).

(٢) في (أ): «الإعلاء كما» وفي (ر): «الأعلى».

تعالى: ﴿فَأُولَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ﴾ [طه: ٧٥]، وفي الحديث: «يقال لصاحب القرآن»؛ أي: لقارئه[١]: «اقرأْ وارْقَ»[٢].

ويكون في معنى التَّبْوِئة: قال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا﴾ [المؤمنون: ٢٩].

ويكون بمعنى التضييف: قال تعالى: ﴿وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ﴾[٣] [يوسف: ٥٩]؛ أي: المضَيِّفين.

ويكون في معنى مراعاةِ الشيء على[٤] محلِّه ومَنزله: قال النبيُّ ﷺ: «أَنْزِلوا النَّاسَ على منازلهم»[٥]؛ أي: احترِموهم على أقدارهم.

ويكون بمعنى الوحي: كما قال تعالى في هذه الآية: ﴿بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾، فإنْ[٦] حُمل على الإنزال الذي هو من العلوِ إلى السفلِ فمعناه: إنزالُ جبريل لتبليغه؛ كما قال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ﴾ [الشعراء: ١٩٣]. والتنزيلُ للتكريرِ والتكثيرِ من الإنزال.

ثم معنى: (ما أنزل إليك) هو[٧]: القرآنُ الذي يُتلى، والوحيُ الذي لا يُتلى،

---

(١) في (أ): «أي لقارئ القرآن» و(ف): «أي قارئه».

(٢) رواه أبو داود (١٤٦٤)، والترمذي (٢٩١٤) وصححه، وابن حبان في «صحيحه» (٧٦٦)، من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

(٣) في (ف): «﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ﴾» وهي الآية (٢٩) من سورة المؤمنون.

(٤) في (أ): «عن».

(٥) لم أجده، وروى عبد الرزاق في «المصنف» (٢٠٠٥٨) عن معمر عن قتادة: أن عمر بن الخطاب حين طعن قال: (أوصي الخليفة من بعدي خيراً، وأوصيه بالمهاجرين خيراً، أن يعرف حقوقهم، وأن ينزلهم على منازلهم..).

(٦) في (ف): «وإن».

(٧) في (ر): «أي».

فالمتلوُّ: هو هذه السُّورُ والآيات، وغيرُ المتلوِّ: ما بيَّن النبيُّ ﷺ من أعداد الركعات ونُصُبِ الزَّكوات وحدودِ الجنايات، قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣ ـ ٤]، وقال النبيُّ ﷺ: «ألَا إنِّي أُوتيتُ القرآنَ ومِثْلَه»[1].

ثم هذا الإنزالُ هو من الله تعالى، وإنما ذُكر هاهنا على ما لم يسمَّ فاعله لِمَا مرَّ أن خِطاب الملوك يقع على أربعة أوجهٍ، وقد ذُكرت هذه الوجوهُ كلُّها في هذه الكلمة:

قال في صيغةِ الواحد: ﴿وَءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلْتُ﴾ [البقرة: ٤١].

وقال في صيغة الجمع: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [النساء: ١٠٥].

وقال في ذكر الاسم: ﴿ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ٩١].

وقال في ما لم يسمَّ فاعلُه: ﴿بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾.

ثم: هاهنا قال: ﴿بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾، وقال في آيةٍ أخرى: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ٣]، فأضاف إلى جميع[2] الأمة؛ لأن المنزَل على الرسول تلزمُ أحكامُه جميعَهم، فكان خطابُه خطابَهم، وهو أيضاً تشريفٌ لهم وجمعٌ في الكرامة بينه وبينهم.

وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾: أي: ويؤمنون بما أنزل من الكتبِ قبْلَكَ على سائر الأنبياء.

ثم الإيمانُ بكلِّ الكتب مع تَنافي أحكامِها من وجهين:

---

(١) رواه أبو داود (٤٦٠٤) من حديث المقدام بن معدي كرب. وقوله: «ألا إني أوتيت القرآن ومثله»: ليس في (أ)، وقوله: «ومثله» ليس في (ف).

(٢) في (ر): «جمع».

أحدهما: التصديقُ أن كلَّها من عندِ الله.

والثاني: الإيمانُ بما لم يُنسخ من أحكامها.

ثم انتظامُ هذه الآيةِ بما قبلَها: ما ذُكر: أنه لمَّا نزل مدحُ المؤمنين بالتقوى والإيمانِ بالغيب والصلاةِ والإنفاقِ في الآية الأولى، قال أهلُ الكتب: هذا لنا وهي[1] أوصافُنا، فنزل قولُه: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾: فجعل المدحَ للمؤمنين الذين[2] يؤمنون بما أُنزل على محمدٍ كما يؤمنون بما أُنزل على الأنبياء الذين قبلَه، فثبَت خروجهم عن ذلك بكفرهم بما أُنزل على محمد.

وعلى هذا يكون قولُه: ﴿وَالَّذِينَ﴾ نعتاً للمذكورين قبلَه، والواوُ لا تكونُ للعطفِ الذي هو للمغايَرة، بل يكونُ ذِكْرَ[3] نعوتٍ مترادفةٍ لمنعوتٍ واحدٍ بالواو، كما قال تعالى: ﴿وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ [آل عمران: ٣٩]، وقال تعالى: ﴿غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ﴾ [غافر: ٣].

ويجوز أن يقال: فلانٌ عالمٌ[4] زاهدٌ صادقٌ، ويجوزُ: عالمٌ وزاهدٌ وصادقٌ؛ لأنَّ الاسم المشتقَّ من الفعل المطلَق على المسمَّى هو دلالةٌ على الذات وعلى الصِّفةِ القائمةِ به، فباعتبارِ أنه دلالةٌ على الذات هو هو، وباعتبارِ أنه دلالةٌ على صفةٍ قائمةٍ به هو غيرُه، فجاز ذكرُ الصفات بغير واوٍ لاتِّحادِ الذات، ومع الواوِ لتغايُرِ الصِّفات، وهذا في حقِّ المخلوقات[5].

---

(١) في (ر): «هذا لنا وهذا في».

(٢) في (أ) و(ف): «المدح للذين».

(٣) «ذكر»: زيادة من (أ) و(ف).

(٤) في (ر): «عابد».

(٥) «وهذا في حق المخلوقات»: سقط من (أ).

ويجوز أن يكونَ هذا ابتداءً، ويكونَ جوابُه: ﴿أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾ الآية.

فإنْ قالوا: لماذا كرَّر ذكرَ الإيمان في هذه الآية بعد ما ذكره في الآية الأولى، والقرآنُ على الإيجاز؟

فجوابُه من وجوهٍ:

أحدها: أن التكرير للتأكيد والتقريرِ متعارَفٌ عند العرب، قال قائلُهم:

كَمْ نعمةٍ كانَتْ لكُمْ ... كَمْ كَمْ وكَمْ[1]

وفي القرآن: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ في سورة المرسلات مراتٍ، وفي سورة الرحمن: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ مراتٍ، والقرآنُ نزل بلغة العرب.

والثاني: أن الثاني ردٌّ لقول أهل الكتاب، فكانت إعادةً جُدِّدتْ إفادةً[2].

والثالث: أن هذا غيرُ الأول؛ فإنَّ الأول إيمانٌ بالغيب وهو القيامةُ وما فيها، وهذا إيمانٌ بالقرآن وسائرِ الكتب، ولئن حُمل الغيب المذكورُ في الآية الأولى على القرآن فهذا على الإيمانِ بالوحي الذي لا يُتلى وسائرِ الكتب، فلم يكن تكراراً[3].

وقوله تعالى: ﴿وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾: فالآخرة: تأنيثُ الآخِرِ، وهو الذي يقابِلُه[4]

---

(١) الرجز دون نسبة في «تأويل مشكل القرآن» لابن قتيبة (ص: ١٥٠)، و«الصناعتين» للعسكري (ص: ١٩٣)، و«تفسير الثعلبي» (٩/ ١٨٠)، و«أمالي المرتضى» (١/ ١٢١)، و«البسيط» للواحدي (٢١/ ١٥١). وزاد العسكري فيه تفعيلة وهي: (كانت وكم).

(٢) كلمة «جددت» هكذا ضبطت في (أ): بضم الجيم، وعليه فيكون «إفادةً» مفعولا له، ويجوز فتح الجيم، فيكون «إفادة» مفعولاً به، والنتيجة واحدة لمن تأمل.

(٣) في (ف): «مكرراً».

(٤) في (ف): «يقابل».

الأولُ، وهو في المعدودات: اسمٌ للفردِ اللاحِقِ، والآخَر بفتح الخاء هو[1] الذي يلي الأولَ.

والآخرة: هي نعتٌ لأنثَى مضمَرةٍ، واختَلف في ذلك أهل التفسير:

قال بعضهم: هي الدارُ الآخرة، وقد نصَّ عليها في آيات: ﴿وَلَلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ﴾ [الأنعام: ٣٢]، وهي تقابِل هذه الدار وهي الدنيا، وقد جُمع بينهما في آياتٍ، فقال تعالى: ﴿حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ﴾ [البقرة: ٢١٧]، وقال: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ﴾ [البقرة: ٢١٩]، وقال تعالى: ﴿وَجِيهًا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ﴾ [آل عمران: ٤٥].

وقيل: هي الحياة الآخرةُ، فقد جُمع بينها وبين الحياة[2] الدنيا في آياتٍ، فقال: ﴿ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْآخِرَةِ﴾ [البقرة: ٨٦]، وقال ﴿يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْآخِرَةِ﴾ [النساء: ٧٤]، وقال تعالى: ﴿أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْآخِرَةِ﴾ [التوبة: ٣٨]، وقال تعالى: ﴿فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِي ٱلْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [التوبة: ٣٨]، وقال تعالى: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْآخِرَةِ﴾ [يونس: ٦٤]، وقال تعالى: ﴿يَسْتَحِبُّونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْآخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٣].

وَقيل: هي النشأةُ الآخرة، وقد[3] قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الواقعة: ٦٢]، وقال تعالى: ﴿ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْآخِرَةَ﴾ [العنكبوت: ٢٠][4]، وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ﴾ [النجم: ٤٧].

ثم هذه الكلمةُ ذُكرت في القرآنِ لأشياء:

---

(١) «هو» ليست في (ف).

(٢) في (أ): «حياة».

(٣) في (ر): «فقد».

(٤) «وقال تعالى: ﴿ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْآخِرَةَ﴾» ليس في (ف)، و«وقد قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾، وقال تعالى: ﴿ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْآخِرَةَ﴾» ليس في (أ).

لملةِ عيسى عليه السلام: قال الله تعالى: ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْآخِرَةِ﴾ [ص: ٧].

وللكلمة الآخرة: قال الله تعالى: ﴿فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْآخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ﴾ [النازعات: ٢٥]؛ أي: بكلمته الأولى، وهي: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾ [القصص: ٣٨]، وبكلمته الآخرة: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤]، وكان بينهما أربعون سنة.

ولحالـةِ تأخير الوحي عن[1] النبـي ﷺ: قال تعالى: ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الضحى: ٤].

وللقبـر: قـال تعالـى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْآخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

وللبعث بعد الموت: قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْآخِرَةَ﴾ [العنكبوت: ٢٠].

وللقيامـة: قـال الله تعالـى: ﴿وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾ [الإسراء: ٤٥][2].

وللنار: قال تعالى: ﴿يَحْذَرُ ٱلْآخِرَةَ﴾ [الزمر: ٩].

وللجنة: قال تعالى: ﴿وَٱلْآخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٣٥]، وقال تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ﴾ [القصص: ٨٣].

وقوله تعالى: ﴿هُمْ يُوقِنُونَ﴾ فاليقين: نقيضُ الشك.

وقيل: هو زوال الشك.

وقيل: هو من قول العرب: يَقِنَ الماءُ في الحوض؛ أي: استقرَّ، فكان اليقينُ طمأنينةَ القلب وسكونَه على حقيقة الشيء.

---

(١) في (ف) و(أ): «إلى».

(٢) في (أ) و(ف): «﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ﴾» بدل من «﴿وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾».

وقيل: هو وقوعُ العلم من جهةِ الاستدلال والأسبابِ التي يُستفاد بها العلم، ولذلك لا يوصَف الله تعالى بالإيقان بالشيء؛ لأنه عالمٌ بعلمه الأزلي لا بعلمٍ مكتسَب.

وقيل: هو التصديقُ بالشيء بعد العلم به.

والفعل منه: أَيقَنَ بالشيء وتيقَّنَ به واستَيقَنَ[١] به، كما يقال: أقدَم[٢] وتَقَدَّم واستَقْدَمَ.

فأما تفسيرُه فقد قيل: ﴿يُوقِنُونَ﴾؛ أي: يعلمون بغيرِ شكٍّ، وليسوا كالذين قالوا: ﴿إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ﴾ [الجاثية: ٣٢].

وقيل: أي: يصدِّقون.

وقيل: أي: يعملون بما يعلمون منه، فلا[٣] يَرْكَنون إلى الدنيا، ولا يَغْفُلون عن الآخرة، ولا يعملون بما يعاتَبون أو يعاقَبون عليه في الآخرة.

واليقينُ المذكور في القرآن جاء لمعانٍ:

للتَّصديق: كما في هذه الآية.

وللتَّحقيق: كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ [النساء: ١٥٧].

ولكونه متيقَّناً به في نفسه وإنْ شكَّ فيه البعض: كما قال في حقِّ القرآن: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾ [الواقعة: ٩٥].

وللموت: كما قال تعالى: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩].

---

(١) في (ر): «فاستيقن».

(٢) بعدها في (ر) و(ف): «وقدم».

(٣) في (ف): «ولا».

وللقيامة: كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ﴾ [التكاثر: ٧].

وللعلم والعمل به: كما قال تعالى: ﴿هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [الجاثية: ٢٠].

ثم في اليقين ثلاثةُ أشياءَ: علمُ اليقين، وعينُ اليقين، وحقُّ اليقين، وفي تفسيرها أقاويلُ:

قيل: علمُ كلِّ عاقلٍ بالموت علمُ اليقين، فإذا عايَنَ الملائكة فهو عينُ اليقين، فإذا ذاق الموت فهو حقُّ اليقين.

وقيل: علمُ اليقين: الإخبار عن الشيء على ما[1] هو به، وعينُ اليقين: معرفتُه على ما هو به، وحقُّ اليقين: هو ذلك الشيء بعينه[2].

وقيل: علمُ اليقين: ما حصل بالخبر والاستدلال، وعينُ اليقين: ما وقع بالتعريف والإفهام[3]، وحقُّ اليقين: مجموعُهما.

وقيل: علم اليقين: ظاهرُ الشريعة، وعينُ اليقين: الإخلاص فيها، وحقُّ اليقين: المشاهدةُ فيها.

ثم ثمرةُ اليقين بالآخرة: الاستعدادُ لها، فقد قيل: عشرةٌ من المغرورين: مَن أيقنَ أنَّ الله خالقُه فلا يعبدُه، ومَن أيقنَ أن الله رازقُه فلا يطمئنُّ به، ومَن أيقن أن الدنيا زائلةٌ فيعتمدُ[4] عليها، ومن أيقن أن الورثة أعداؤه فيَجمع لهم، ومَن أيقن أن الموت

(١) في (ر): «عن الشيء كما».

(٢) «بعينه»: سقط من (أ) و(ف).

(٣) في (ف) و(أ): «والإلهام».

(٤) في (ف): «ويعتمد».

آتٍ فلا يستعدُّ له، ومَن أيقن أن القبر منزلُه فلا يَعمره، ومَن أيقن أن الديَّان يُحاسبه[١] فلا يصحِّح حجَّته، ومَن أيقن أن الصِّراط ممرُّه فلا يخفِّف ثِقْله، ومَن أيقن أن النار دارُ الفجَّار فلا يَهرب منها، ومَن أيقن أن الجنة دارُ الأبرار فلا يعمل لها.

وقيل: غايةُ اليقين أربعةٌ: تركُكَ[٢] الدنيا قبل ارتحالكَ عنها، وطلبُك الآخرة[٣] قبل قدومِكَ عليها[٤]، واستعدادُك للموت قبل نزوله بك، وإرضاؤك للربِّ[٥] قبل لقائك إياه.

ثم ذكَر في هذه الآية من المؤمنين الإيقانَ بالآخرة فقال: ﴿وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ﴾، وذكر منهم الظنَّ في آيةٍ فقال: ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ﴾ [البقرة: ٤٦]، وهو لطفٌ من الله تعالى بإثباتِ صفاتٍ لهم تختلف ظواهرُها وتتَّفقُ معانيها.

ووصفَهم بالجهل في قوله تعالى: ﴿عَمِلُواْ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ﴾ [النحل: ١١٩]، وبالعلم في قوله تعالى: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ﴾ [آل عمران: ١٨]، وبالفقر في قوله تعالى: ﴿أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [فاطر: ١٥]، وبالغنى في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغۡنَىٰ وَأَقۡنَىٰ﴾ [النجم: ٤٨]، وبالضعف في قوله تعالى: ﴿وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا﴾ [النساء: ٢٨]، وبالقوة في قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ﴾. وبالذِّلة في قوله تعالى: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [المائدة: ٥٤]، وبالعزَّة في قوله تعالى: ﴿أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤]، وبالنسيان في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ﴾ [الانفطار: ٦]، وبالذكر في

---

(١) في (أ): «محاسبه».

(٢) في (ر) و(ف): «ترك».

(٣) في (ف): «للآخرة».

(٤) في (أ): «إليها».

(٥) في (أ): «الرب».

قوله تعالى: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥]، وبالعبودية في قوله تعالى: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا﴾ [مريم: ٩٣]، وبالملك في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا﴾ [المائدة: ٢٠].

وبأنه أوجدهم أولاً على ملكه فقال الله: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ﴾ [البقرة: ٢١]، ثم أَخبر بأنه اشترى المؤمنين فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم﴾ [التوبة: ١١١]، ثم جعلهم في العمل له كالأُجراء فقال: ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ [البقرة: ٦٢] ﴿لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ﴾ [فاطر: ٣٠] ﴿وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٦].

ثم سماهم أولياءَه فقال: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ٦٢]، وسمى نفسَه وليَّهم فقال: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [البقرة: ٢٥٧] ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٦٨]، وذكر محبَّته إياهم ومحبَّتهم إياه فقال تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤].

ووجهُ ذلك كلِّه: أنَّ الظنَّ في ابتداءِ الحال، واليقينَ بعد صحةِ الخبر والاستدلالِ، والجهلَ بعاقبةِ المعصية، والعلمَ بحقيقة الشهادة، والفقرَ بأصلِ الخلقةِ، والغِنَى بنيلِ الخِلْعة، والضَّعفَ بالبِنْيةِ، والقوَّةَ بالهمَّة، والذلَّةَ بمُلايَنةِ الأولياء، والعزَّة بمخاشَنةِ الأعداء، والنسيانَ بالجِبلَّة، والذِّكرَ بالمعونة، والعبوديةَ بالأصل، والتمليكَ[1] بالفضل، والاشتراءَ بالحثِّ على بذل النفسِ والمالِ لوجود ذكر[2] الجلال، والأجرَ لتهنئة[3] الثواب، والولايةَ والمحبةَ لمعامَلته معَنا[4] معاملةَ الأولياء والأحباب، والله أعلم بالصواب.

***

(١) في (ف): «والتملك».

(٢) في (أ): «دار».

(٣) في (ر): «لتهيئة».

(٤) في (ر): «لمعاينته معنى».

(٥) ـ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: أي: المذكورون قبله، وهم المتَّقون الموصوفون بالإيمان بالغيب وسائرِ الأوصاف المذكورة بعده، على قولِ مَن جَعَل ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ﴾ صفةً للأولِينَ أو عطفاً عليهم، ويَتمُّ الكلامُ بقوله تعالى: ﴿هُمۡ يُوقِنُونَ﴾، ويكون ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ مبتدأً، وقولُه تعالى: ﴿عَلَىٰ هُدٗى﴾ خبرَ المبتدأ.

فأمَّا مَن جعل الواوَ للابتداء، فقولُه: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ يكون[١] خبرَ ذلك المبتدأ، ويَرجعُ على الخصوص إلى المذكورِينَ في قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ﴾ الآية[٢].

وقوله تعالى: ﴿عَلَىٰ هُدٗى﴾: أي: على رُشدٍ، وقيل: أي: بيانٍ وحجةٍ، وقيل: أي: صوابٍ وحقٍّ وصحةٍ، وهذا إثباتُ فعلِ العبد.

وقوله تعالى: ﴿مِّن رَّبِّهِمۡ﴾: هذا إثباتُ توفيقِ الله تعالى، والأولُ ردٌّ على الجبريَّة، والثاني ردٌّ على المعتزلة، وهما جميعاً دليلُ أهل السنَّة والجماعة، وهو كقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾.

والهدى: اسم الإسلام، والله تعالى سمَّى الإسلامَ بأسماءٍ وأضاف كلَّ واحدٍ من ذلك إلى نفسه: هُدَى اللهِ، صِراطَ اللهِ، فِطْرَةَ اللهِ، صِبْغَةَ اللهِ، دِيْنَ اللهِ، نُورَ اللهِ، حَبلَ الله، كلمة الله، وآياتُها: ﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٧٣] ﴿صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِي﴾ [الشورى: ٥٣] ﴿فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي﴾ [الروم: ٣٠] ﴿صِبۡغَةَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٣٨] ﴿يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا﴾ [النصر: ٢] ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٠٣]

---

(١) «يكون»: من (أ).

(٢) «الآية»: ليست في (أ).

﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٢] ﴿وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا﴾ [التوبة: ٤٠].

وسمَّاه بأسماءٍ مفرَدة:

كلمةَ التقوى: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [الفتح: ٢٦].

والكَلِمَ الطيِّبَ: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠].

وكلمةً طيبةً[1]: ﴿مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾ [إبراهيم: ٢٤].

والقولَ الطيِّبَ: ﴿وَهُدُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ [الحج: ٢٤].

وقولَ الصواب: ﴿إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ [النبأ: ٣٨].

والقولَ المرْضيَّ: ﴿وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا﴾ [طه: ١٠٩].

وقولَ الحق: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾ [النساء: ١٧١].

ودعوةَ الحق: ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ﴾ [الرعد: ١٤].

وشهادةَ الحقِّ: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ﴾ [الزخرف: ٨٦].

والعهدَ: ﴿إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾ [مريم: ٨٧].

والحسنةَ: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ﴾ [القصص: ٨٤].

والإحسانَ: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾ [الرحمن: ٦٠].

والإيمانَ: ﴿أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ﴾ [الحجرات: ١٧].

والإسلامَ: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩].

والسَّلَمَ: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ﴾[2] [النساء: ٩٤].

---

(١) «وكلمة طيبة»: من (أ).

(٢) في (أ): «والسلام ﴿ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السَّلاَمَ﴾» وهي قراءة سبعية وستأتي.

والسِّلْمَ: ﴿ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ﴾ [البقرة: ٢٠٨].

والسبيلَ: ﴿إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ﴾ [الإنسان: ٣].

وسبيلَ الرشاد: ﴿أَهۡدِكُمۡ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ [غافر: ٣٨].

وسبيلَ الرُّشد: ﴿وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلرُّشۡدِ﴾ [الأعراف: ١٤٦].

والرُّشد: ﴿يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلرُّشۡدِ﴾ [الجن: ٢].

والنعمة: ﴿فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعۡمَةٗ﴾ [الحجرات: ٨].

والفضل: ﴿قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ٥٨].

والعدلَ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ﴾ [النحل: ٩٠]، قال ابن عباس رضي الله عنهما: أي: بالتوحيد[1]. ﴿وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ﴾[2].

والحقَّ: ﴿وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡ﴾ [الكهف: ٢٩].

والصدقَ: ﴿وَٱلَّذِي جَآءَ بِٱلصِّدۡقِ﴾ [الزمر: ٣٣]، قال ابن عباس رضي الله عنهما: هو المؤمنُ الذي يقولُ الصدق[3]، وهذا فرد بمعنى الجمع فقد قال: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

والبِرَّ: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٧٧].

والبيِّنَة: ﴿قُلۡ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي﴾ [الأنعام: ٥٧].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٣٣٥) بلفظ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾ قال: شهادة أن لا إله إلا الله.

(٢) «﴿وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ﴾» زيادة من (ف) في هامشها وعليها علامة التصحيح.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٢٠٤) بلفظ: ﴿وَٱلَّذِي جَآءَ بِٱلصِّدۡقِ﴾ يقول: مَن جاء بـ: لا إله إلا الله ﴿وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾ يعني: رسولَه.

والدِّين[1]: ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [الأعراف: ٢٩].

ودينَ الحقِّ: ﴿بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ﴾ [التوبة: ٣٣].

وديناً قيِّماً: ﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ [التوبة: ٣٦].

ودين القيِّمة[2]: ﴿وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥].

والطريقة: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ﴾ [الجن: ١٦].

والشريعة ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ﴾ [الشورى: ١٣].

فهذه أربعون اسماً، وللمؤمن منها أسماءٌ، ومَنَّ الله علينا بذلك فقال: ﴿يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٧]، ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ﴾ [الحج: ٧٨]، ﴿هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ﴾ [الحج: ٧٨]، ﴿هُوَ مَوْلَىٰكُمْ﴾ [الحج: ٧٨] ثم قال تعالى: ﴿فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ [الحج: ٧٨].

وقال للكافر[3]: ﴿يَدْعُوا۟ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ﴾ [الحج: ١٣].

ثم قولُه تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى﴾ مدحٌ لهم، وقولُه تعالى: ﴿مِّن رَّبِّهِمْ﴾ بيانُ أنه مِن عنده حصَل لهم، وهذا فضلٌ منه عليهم حيث مدَحهم وهو الذي منَحهم، وهو كما قال في حقِّ يوسفَ عليه السلام: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ﴾ [يوسف: ٢٤]، وهو بيانُ المنَّة بصرفه وعصمتِه، ثم قال: ﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: ٢٤] وهو ثناءٌ عليه بإخلاصه وصَفْوته.

---

(١) سقطت من هنا ورقة كاملة من النسخة (ر)، وسننبه على نهاية السقط في موضعه.

(٢) في (أ): «ودين القيمة ودين قيم وديناً قيماً» بدل: «وديناً قيماً ﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ ودين القيامة».

(٣) في (ف): «للكافرين».

وقال تعالى في حقِّنا: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات: ٧]، ثم أثنى علينا فقال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ﴾ [الحجرات: ٧].

وقال حبيبٌ العجَميُّ[1]: إلهي أنت تَمنحُ وأنت تَمدحُ.

ثم مجموعُ الآية أنه قال: ﴿لِّلْمُتَّقِينَ﴾ وهو مدحٌ بترك كلِّ المخالفات، ثم قال: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ وهو ثناءٌ برأس الطاعات، ثم قال: ﴿وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ وهو مدحٌ بجامعة العبادات، ثم قال: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ وهو مدحٌ بما هو أساسُ السخاوات، ثم قال: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ وهو التصديقُ بكلِّ الرسالات، ثم قال: ﴿وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ وهو الإقرارُ والاعتقادُ بالبعث والجزاءِ على كلِّ المعاملات، ثم قال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾ وهو شهادةٌ لهؤلاء الموصوفين بالهداية في كلِّ الحالات، وحُقَّ لمن جمَع هذه الصفاتِ أنْ يؤهَّل لهذه الصِّلات.

ثم في هذه الآية ذَكر الهدى للموصوفين بكلِّ هذه الصفات، وفي قوله تعالى: ﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ الآيةَ إلى[2]: ﴿فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟﴾ [البقرة: ١٣٧] ذَكر لهم الهدايةَ بالإقرار والاعتقادِ بدونِ سائر الطاعات، بياناً لشرف الإيمان وجلالِ قَدْره وعلوِّ أمره، وأنه[3] إذا قَوِيَ لم يُبطله نفسُ المخالفات، بل هو الذي يَغلِبُ فيَرُدُّ إلى التوبة بعد التَّمادي في البطالات، وكما هَدَى اليومَ إلى الإيمان يَهدي غداً إلى الجنان، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ﴾

---

(١) هو حبيب بن محمد، أبو محمد العجمي البصري، أحد الزهاد المشهورين الموصوفين بالزهد والورع والكرامات واستجابة الدعاء، رَوى عَن بكر بن عَبد الله المزني، والحسن البَصْرِيّ، وشهر بن حوشب، والفرزدق الشاعر، ومحمد بن سيرين. من رجال «التهذيب».

(٢) في (ف): «إلى قوله تعالى ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ﴾» بدل: «الآية إلى».

(٣) في (ف): «فإنه».

[يونس: ٩]، وذلك أن المطيعين نورُهم يَسعى بين أيديهم وبأيمانهم، وهم على مراكبِ طاعاتهم والملائكةُ تتلقَّاهم، قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا﴾ [مريم: ٨٥]، وقال تعالى: ﴿وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [الأنبياء: ١٠٣]، ويبقى العصاةُ منفرِدينَ[١] منقطِعينَ في متاهات القيامة ليس لهم نورُ الطاعة ولا في حقِّهم استقبالُ الملائكة، فلا يهتدون السبيل، ولا يهديهم دليل، فيقول الله لهم: عبادي ﴿إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ﴾ [يس: ٥٥] إن أهل الجنة من حُسن الثواب لا يتفرَّغون لكم، وأهلَ النار من شدةِ العقاب لا يرحمونكم، معاشرَ المساكين سلامٌ عليكم كيف أنتم، إنْ كان أشكالُكم سبقوكم ولم يَهْدوكم فأنا أهديكم[٢]، إنْ عامَلْتُكم بما تَستَوْجِبون فأين الكرم؟ وأنشدوا[٣]:

نحــن إذاً فــي الجفــاءِ مِثْلُهــم إذا هجرناهُــم كمــا هَجَــروا

وقوله تعالى: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ﴾ عطفٌ على قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى﴾ فهو ابتداءٌ آخَرُ، وكلمةُ ﴿هُمُ﴾ تأكيدٌ، ويسمَّى فصلاً وعماداً[٤]، و﴿ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ خبر ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ﴾.

وقيل: ﴿هُمُ﴾ مبتدأٌ آخَرُ، و﴿ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ خبرُه، وهما جميعاً خبرُ ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ﴾.

والفلاحُ في اللُّغةِ لمعانٍ:

للبقاء: قال لَبيدٌ:

---

(١) في (ف): «مفردين».

(٢) في (ف): «هاديكم».

(٣) في (ف): «وأنشد في معناه».

(٤) في (ف): «ويسمى عمادا».

نَحُلُّ بلاداً كلُّها حُلَّ قَبْلَنا ... ونرجو الفلاحَ[1] بعد عادٍ وحميرِ[2]

وللبقاء في الخير: قال عَدِيٌّ:

ثم بعدَ الفلاحِ والملكِ والنِّعْـ ... ـمةِ وارتْهم هناك القبورُ[3]

وللعيش: قال عَبيدُ بن الأَبرص:

أفلِحْ بما شئتَ فقد يُبلَغُ بالضْـ ... ـضَعْف وقد يُخدَعُ الأريبُ[4]

وللظَّفَر وإصابة[5] الخير، قال لَبيد:

فاعْقِلي إنْ كنتِ لمَّا تَعْقِلي ... ولقد أَفْلَحَ مَن كان عَقَلْ[6]

وللفوز والنجاة، قال الشاعر:

قد أَفلحَ الساكتُ الصَّموتُ ... كلامُ راعي الكلامِ قوتُ[7]

---

(١) في (ف): «فلاحاً»، والمثبت من (أ) والمصادر.

(٢) انظر: «ديوان لبيد» (ص: ٤٧)، و«مجاز القرآن» (١/ ٣٠)، و«تفسير الطبري» (١/ ٢٥٦)، و«معاني القرآن» للزجاج (١/ ٧٦).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٣٠)، و«إصلاح المنطق» (ص: ٦٦)، و«الشعر والشعراء» (١/ ٢٢٠)، و«عيون الأخبار» (٣/ ١٣٢)، و«تفسير الطبري» (٢٠/ ٥٧١)، و«معاني القرآن» للزجاج (١/ ٧٦). وجاء في هذه المصادر عدا «عيون الأخبار»: (والإمة) مكان: «والنعمة»، والمعنى واحد. وعدي هو عدي بن زيد العبادي.

(٤) انظر: «جمهرة أشعار العرب» (ص: ٣٨٢)، و«مجاز القرآن» (١/ ٣٠)، و«الشعر والشعراء» (١/ ٢٦١)، و«تفسير الطبري» (١/ ٢٥٦)، و«معاني القرآن» للزجاج (١/ ٧٦).

(٥) في (ف): «ولإصابة».

(٦) انظر: «ديوان لبيد» (ص: ٩١)، و«مجاز القرآن» (١/ ٣١)، و«تفسير الطبري» (١/ ٢٥٦)، و«جمهرة الأمثال» للعسكري (١/ ٥٧).

(٧) البيت لمحمد بن أبي العتاهية الملقب بعتاهية، كما في «معجم الشعراء» للمرزباني (ص: ٤٣٢)، =

فأما تفسيرُه هاهنا فقد قال ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما: أي: الناجون من النار[١].

وقال قتادةُ: أي: الباقون في الجنة.

وقال ابنُ كيسان: أي: الذين ظَفِروا بما طلبوا، ونجَوا مما منه هربوا[٢].

وقال أبو عبيدة: أي: المصيبون الخير[٣].

وقال القُتَبيُّ: أي: الباقون في النعيم المقيم[٤].

وقيل: الفائزون بقَهْر الأعداء، وهي هواجسُ[٥] النفوس، وخواطرُ القلوب، ووساوسُ الشيطان.

وحاصلُه كله[٦] يرجع إلى ثلاثة أشياءَ:

أحدها: الظَّفَر، وبسطُه: أنهم ظَفِروا على النفوس فقهَروها فلم تجرَّهم إلى متابعةِ هواها، وعلى الدنيا فهجَروها فلم تَغُرَّهم بزخارف مَرْآها، وعلى

= و«تاريخ بغداد» (٢/ ٣٥)، أو لأبيه كما في «الموشى» للوشاء (ص: ٧)، وذكره أسامة بن منقذ في «لباب الآداب» (ص: ٢٧٦) فقال: وقال أبو العتاهية، وتروى لابنه محمد. وعجز البيت وهو قوله: «كلام راعي الكلام قوت» من (ف) وليس في (أ).

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٢٥٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٣٩)، بلفظ: (الذين أدْركوا ما طلبوا، ونجَوْا من شرّ ما منه هَرَبُوا).

(٢) تقدم تخريجه من قول ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١/ ٢٩).

(٤) انظر: «غريب القرآن» لابن قتيبة (ص: ٣٩).

(٥) في (ف): «وهو حبس» بدل: «وهي هواجس».

(٦) في (أ): «وحاصل كلمه».

الشيطان فخالَفوه فلم[(١)] يفتنهم بالوساوس، وعلى قُرَناء السُّوء فتحامَوْهم ولم يُبْتَلَوا باستِغْواء النَّسانِس[(٢)].

والثاني: النجاة، وبسطُه: أنهم نجَوا من الكفر والضلالة، والبِدعة والجهالة، وغرورِ النفوس، ووسوسة الشيطان، وزوال الإيمان، وفَقْدِ الأمان، ووحشةِ القبور، وأهوالِ النُّشور، وزلَّة الصراط، وتسلُّطِ الزبانيَة الشِّدَاد الغِلَاظ، وحِرمان الجِنان، ونداءِ القطيعة والهجْرَان.

والثالث: البقاء، وبسطُه: أنهم بَقُوا في الملكِ الأبديّ، والنعيمِ السَّرْمديّ، ووجدوا مُلكاً لا زوالَ له، ونعيماً لا انتقالَ له، وسروراً لا حُزنَ معه، وشباباً لا هرَمَ معه، وراحةً لا شدَّةَ معها، وصحةً لا علَّةَ معها، ونالوا نعيماً لا حسابَ له، ولقاءً لا حجابَ له.

فإن قالوا: لو قال: (أولئك على هدًى من ربِّهم وفلاحٍ) لاستقامَ وكان أوجَزَ في الكلام، فلِمَ لم يقُل كذلك؟

قلنا: لأنَّ الفواصِلَ: ﴿يُنفِقُونَ﴾ و﴿يُوقِنُونَ﴾، فالذي يساويهما: ﴿ٱلْمُفْلِحُونَ﴾.

فإن قالوا: لمَ لمْ يقُل: (أولئك هم المهتدون المفلحون)؟

قلنا: لأنه يكون فيه بيانُ اهتدائهم دونَ بيانِ أنه مِن ربهم.

فإنْ قالوا: لمَ لمْ يقل: (وأولئك المفلحون) وهو أَوجزُ؟

---

(١) في (أ): «ولم».

(٢) في (ف): «النسائس». وفي هامش (ف): «النسائس: جنس من الخلق يثب أحدهم على رجل واحدة، ذكره في الصحاح». ومثله في هامش (أ) لكن فيه بدل (النسائس): «النسناس»، وهو الموافق لما في «الصحاح»، والنسائس ليست منه، فهي جمع النسيسة وهي السعاية، فالصواب المثبت، والنسانس ـ كما في «القاموس» ـ: الإناث من النسناس، أو هم جنس أرفعُ قَدْراً من النَّسْناس.

قلنا: في زيادة كلمة ﴿هُمْ﴾ نوعُ تأكيدٍ، وهو أبلغُ.

وفارسيتُها[١] الجامعةُ: (بدنيار است كاران وبقيامت رستكاران بدنيا بدار راست وبقيامت باركار است)[٢].

***

(٦) ـ ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: فأصلُ الكلمة في اللغة: السَّتر[٣] والتغطية، قال لبيد:

يَعْلُو طريقةَ مَتْنِها متواتِرٌ[٤] في ليلةٍ كَفَرَ النُّجومَ غَمَامُها[٥]

والكافر: الليلُ المظلمُ؛ لسَتْره الأشياءَ بظُلمته، قال الشاعر:

حتى إذا ألقَتْ يداً في كافرٍ وأَجَنَّ عوراتِ الثُّغور ظَلامُها[٦]

---

(١) في (ف): «وفارسيتهما».

(٢) في هامش (ف): «تعريبه: في الدنيا أفعالهم مستقيمة، وفي الآخرة جروحهم سليمة، في الدنيا على طريق مستقيم، وفي الآخرة سلام لهم من رب رحيم».

(٣) في (أ): «للستر».

(٤) في (أ): «متواترا».

(٥) انظر: «ديوان لبيد» (ص: ١١١)، و«جمهرة أشعار العرب» (ص: ٢٥٤)، و«تفسير الطبري» (١/ ٢٥٩)، و«وشرح القصائد السبع الجاهليات» لابن الأنباري (ص: ٥٦٠) وفيه: معناه: يعلو طريقةَ متنِ هذه البقرة متواترٌ، أي: مطر متتابع، وقال أبو عمرو: طريقة المتن: ما بين الحارك إلى الكفل. والحارِكُ: أَعْلَى الكاهِلِ من الفَرَسِ، وقيل: هو عظمٌ مُشْرِفٌ من جانِبَيه اكْتَنَفَه فزعا الكتفين، وقيل: هو مَنْبِتُ أَدنَى العُرفِ إلى الظَّهرِ الذي يأخُذ به مَن يركبُه.

(٦) البيت للبيد. انظر: «ديوان لبيد» (ص: ١١٤)، و«جمهرة أشعار العرب» (ص: ٢٦٢)، و«شرح =

والكافر: الزارع؛ لسَتْره البذرَ في الأرض بزراعته.

والكافر: الذي لبسَ فوق درعه ثوباً لسَتْره بدنَه بدرعه ودرعَه بثوبه.

والكافر: البحر والنهر الكثيرُ الماء؛ لستره الأرضَ بمائه.

والكافر: نقيضُ الشاكر؛ لستره النعمةَ بكفرانه.

والكافر: المنكِر؛ لسَتره الحقَّ بباطله.

والكافر: المشرك؛ لستره الإيمانَ بشِركه.

والكفَّارة: مغطِّيةُ الذَّنْب، ورمادٌ مكفورٌ: سَفَتِ الرِّيحُ الترابَ عليه حتى غطَّتْه[1]، قال الراجز:

قــد دَرَسَــتْ غيــرَ رمــادٍ مَــكْـفُــور ... مــكتَئِبِ اللــونِ مريــحٍ[2] ممطــور[3]

= القصائد السبع الجاهليات» لابن الأنباري (ص: ٥٨١)، وفيه: (ألقت) يعني: الشمس، أضمرها ولم يذكرها، ومعنى قوله: (ألقت يداً في كافر): بدأت في المغيب، ومن ذلك يقال: وضع فلان يده في كذا وكذا، إذا بدأ فيه.

(١) في (ف): «عفته».

(٢) في (أ): «مبرع»، وفي (ف): «مريج»، والصواب المثبت، وهو رواية في البيت، وفيه رواية أخرى: (مروح)، وانظر التعليق الآتي.

(٣) الرجز دون نسبة في «إصلاح المنطق» (ص: ٩٩ و٢٤٠)، و«تهذيب اللغة» (١٠/ ١١٣)، و«الصحاح» (مادة: روح وكفر)، و«الأزمنة والأمكنة» للمرزوقي (ص: ٣١٦)، و«الاقتضاب في شرح أدب الكتاب» للبطليوسي (٣/ ٤٢٨) وفيه: المروح: الذي أصابته الرياح، ويروى: مريح، وهو مما جاء نادراً على غير قياس، كأنه بني على فعلِ ما لم يسم فاعله، وجعله مكتئب اللون لتغيره بالقِدم، وكذلك الكآبة إنما هي تغير الوجه من الحزن. ويجوز أن يجعله كالحزين لذهاب أهل الدار.

والكَفْرُ: سوادُ الليل، قال الشاعر:

قــد وردَتْ قبــلَ انبِــلاجِ الفجرِ وابــنُ ذكاءٍ كامــنٌ فــي كَفْــرِ[(١)]

والكَفْر: القريةُ؛ لسَتْرِها الناسَ، قال ﷺ: «أهلُ الكُفور هم أهلُ القبور»[(٢)]؛ أي: أهلُ القرى لبُعدِهم عن أهل العلم كالموتى.

والكُفُرَّى: كِمُّ الطَّلْعِ[(٣)]؛ لأنه يَسترُه، وكذا الكافورُ، وكافورُ الطِّيب يسترُ الحرارة، والكافور: مِزاجُ شرابِ أهلِ الجنة، وهو من عينٍ في الجنة يَستر كلَّ همٍّ.

والكافر في القرآن على أربعةِ أوجُهٍ:

أحدُهـا: نَقيـضُ المؤمـن، قـال تعالـى: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [النسـاء: ١٦٧].

والثاني: الجاحدُ، قال تعالى: ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ١٢]؛ أي: جحَد وجوبَ الحج.

والثالث: نقيضُ الشاكر، قال تعالى: ﴿وَٱشْكُرُواْ لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢].

والرابع: المتبرِّئ، قال تعالى: ﴿ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ﴾ [العنكبوت: ٢٥]؛ أي: يَتبرَّأ بعضُكم من بعضٍ.

---

(١) البيت لحميد بن الأرقط. كما في «إصلاح المنطق» (ص: ٩٩) و(مادة: كفر) في كل من «الصحاح» و«التكملة والذيل والصلة» للصغاني و«اللسان»، و«التاج». وعزاه الجاحظ في «الحيوان» (٥/ ٧١) للعجَّاج. وورد دون نسبة في «الأزمنة» لقطرب (ص: ١٤)، و«البسيط» للواحدي (٢/ ٨٩). قال ابن السكيت: ابنُ ذكاء، يعني: الصُّبْح، وذُكاءُ: الشَّمْس.

(٢) رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٥٧٩) من حديث ثوبان رضي الله عنه مرفوعاً بلفظ: «لا تسكن الكفور فإن ساكن الكفور كساكن القبور».

(٣) أي: وعاؤه.

ثم معنى المذكورِ في هذه الآيةِ: إن الذين ستَروا الإيمانَ بالكفر، والتوحيدَ بالشرك، والحقَّ بالباطل، والنعمةَ بالكفران، وخبرَ الله بالتكذيب، ورسالةَ الرسل بالجحود، وأمورَ القيامة بالإنكار.

واختلفوا في المرادِينَ بالآية:

قال ابنُ عباس رضي الله عنهما: هم اليهودُ الذين حول المدينة(١).

وقال الرَّبيعُ بن أنسٍ: هم قادةُ الأحزاب(٢).

وقال الطبريُّ: هم مشركو أهلِ الكتاب كلُّهم(٣).

ويجيءُ بيانُ هذه الأقاويلِ وأقاويلَ أُخَرَ بعد تمامِ(٤) الآيةِ إنْ شاء الله تعالى.

وقوله تعالى: ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ﴾: أي: مستوٍ عندهم الإنذارُ وتركُه، فهو مصدرٌ أُريدَ به النعتُ؛ كقولك: رجلٌ عدلٌ؛ أي: عادلٌ؛ لأن الفَعَال من أبنية المصادر كالذَّهَاب والصَّلاح والفساد، ويجوز أن يكون بناءَ النعت أيضاً كقولك: سيفٌ كَهَامٌ(٥)، وأَديمٌ صَحَاحٌ، ورجل شَحاح(٦).

وهذه الكلمة ذكرت في القرآن لمعانٍ:

للعدل: في قوله تعالى: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ﴾ [آل عمران: ٦٤]؛ أي: عدلٍ.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٢٥٨).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٢٥٩).

(٣) انظر: «تفسير الطبري» (١/ ٢٥٩).

(٤) في (ف): «ختام».

(٥) أي: كليل لا يقطع.

(٦) في (أ): «شجاع»، وهو خطأ، ورجل شحاح؛ أي: شحيح.

وللوسَط: في قوله تعالى: ﴿فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٥٥]؛ أي: في وسَطِها.

ولقَصْدِ الطريق: في قوله: ﴿عَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يَهْدِيَنِى سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ [القصص: ٢٢]؛ أي: قصد الطريق.

وللمستوي: كما في قوله تعالى ﴿قَالُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ ٱلْوَٰعِظِينَ﴾ [الشعراء: ١٣٦].

وللشركاء: في ثلاث آيات: ﴿سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ﴾ [الحج: ٢٥]، ﴿وَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا۟ فَتَكُونُونَ سَوَآءً﴾ [النساء: ٨٩]، ﴿هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِى مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ﴾ [الروم: ٢٨].

ثم قولُه تعالى: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ﴾ ولم[1] يقل: سواءٌ عليك؛ أي: إنذارُك وتركُ إنذارك ليسا[2] سواءً في حقك، فإنك[3] تثابُ على الإنذار وإنْ لم يؤمنوا، فأما في حقِّهم فهما سواءٌ؛ لأنهم لا يؤمنون في الحالين، وهو نظيرُ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإنه[4] يثاب به الآمرُ وإن لم يَعمل به المأمور.

وكان هؤلاء القومُ كقوم هودٍ الذين قالوا لهودٍ صلوات الله عليه: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ ٱلْوَٰعِظِينَ﴾ [الشعراء: ١٣٦]، وقال تعالى في حقِّ هؤلاء: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، وقال أيضاً: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٣]، ويقالُ لهم في القيامة: ﴿ٱصْلَوْهَا فَٱصْبِرُوٓا۟ أَوْ لَا تَصْبِرُوا۟ سَوَآءٌ

---

(١) في (أ): «لم».

(٢) قبلها في (أ): «أي».

(٣) في (ف): «لأنك».

(٤) في (أ): «أنه».

عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الطور: ١٦]، وأخبر عنهم أنهم يقولون: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ﴾ [إبراهيم: ٢١] فلمَّا كان الوعظُ وتركُه لهم سواءً، وكذا الإنذارُ وتركُه سواءً، كان صبرُهم في النار وتركُه سواءً، وجزعُهم فيها وتركُه سواءً.

وأنت إذا كان عصيانُك في الشباب والشَّيبِ سواءً، وتمادِيكَ في الصحة والمرضِ سواءً، وإعراضُك في النعمة والمحنة سواءً، وقسوتُك على القريب والبعيد سواءً، وزَيغُك في السرِّ والعلانيَة سواءً، أفمَا تخشى أن تكون توبتُك عند الموت وإصرارُك سواءً، وعذرُك عند النَّزْع وسكوتُك سواءً، وزيارةُ الصالحين قبرَك وامتناعُهم سواءً، وقيامُ الشُّفعاء بأمرك في القيامة وتركُهم سواءً؟

وقوله تعالى: ﴿ءَأَنذَرْتَهُمْ﴾ الألف التي تزادُ في أول الكلمة على صورةِ ألفِ الاستفهام تجيءُ على ثمانيةِ أوجُهٍ:

للاستخبار: كما في قوله تعالى: ﴿ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا﴾ [الأنبياء: ٦٢].

وللاستنكار: كما في قوله تعالى: ﴿أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٨].

وللإثبات: كما في قوله تعالى: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢].

وللنفي: كما في قوله تعالى ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ﴾ [النازعات: ٢٧].

وللأمر: كما في قوله: ﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾(١) [الشعراء: ١٠٦].

وللنهي: كما في قوله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ﴾ [البقرة: ٤٤].

وللتحقيق: كما في قوله تعالى: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾ [البقرة: ٣٠]، هو تحقيقٌ عند بعضهم.

---

(١) في (ف): «﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾».

وللتسوية: إذا كانت الألفُ في أحدِ الشيئين[1] و(أم) في الشيء الآخَر، كما في قوله[2]: ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ﴾ [البقرة: ٦]، ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡكُمۡ أَدَعَوۡتُمُوهُمۡ أَمۡ أَنتُمۡ صَٰمِتُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٣].

وفي الاستفهام مدخلٌ للتسوية أيضاً في قولك: أزيدٌ في الدار أم عمرٌو؟ وإنما تقول ذلك حين استوَى علمُك فيهما[3] أنَّ أحدهما فيها، ولذلك تقول في التحقيق: علمتُ أزيدٌ في الدار أم عمرٌو.

وقال صاحب «النظم»[4]: وإنما ورد هذا بألفِ الاستفهام ـ والاستفهامُ[5] غيرُ محقَّقٍ وهذا محقَّقٌ ـ لأنه يستقيم هاهنا أن يقال: سواءٌ عليهم أَيُّهما فعلتَ: الإنذارَ وتركَ الإنذار، وكلمة (أيّ) في الأصل للاستفهام، وهذا في معناه، فصَلح فيه الاستفهامُ.

ثم الإنذارُ هو التخويفُ، وقيل: الإبلاغ، وقيل: الإعلام بالعذاب.

وأما قراءتُه فقد قرأ أبو جعفرٍ وشيبةُ ونافعٌ غيرَ قالون[6] والأعمشُ ممدودةً مهموزةً

---

(١) في (ف): «شيئين».

(٢) في (ف): «كقوله» بدل: «كما في قوله».

(٣) «فيهما» زيادة من (ف).

(٤) «نظم القرآن» لأبي علي الحسن بن يحيى بن نصر الجرجاني الجماجمي، كان يسكن بجرجان بباب الخندق في سكة تعرف بجماجمو. انظر: «تاريخ جرجان» (ص: ١٨٧)، و«الأنساب» للسمعاني (٢/ ٨٠). قلت: وهذا الكتاب قد نقل منه جمع من أئمة التفسير منهم الثعلبي والواحدي والبغوي والقرطبي وأبو حيان وغيرهم.

(٥) «والاستفهام» سقط من (ف).

(٦) «غير قالون» من (ف). وقالون هو عيسى بن مينا أحد راويي نافع، والثاني هو ورش.

بهمزةٍ واحدة، وكذلك أبو عمرٍو، ولأبي عمرٍو طريقٌ آخَرُ[١] في اجتماع الهمزتين، فإن كانتا متَّفقتين منصوبتين أو مرفوعتين أو مخفوضتين: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ﴾ [المؤمنون: ٩٩] ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾[٢] [الزمر: ٣٣] ﴿عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾ [النور: ٣٣] ليَّن الأولى وحقَّق[٣] الثانيةَ، فإنْ كانتا مختلفتَين: ﴿كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ أَلَآ﴾ [البقرة: ١٣] ﴿وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا﴾ [الممتحنة: ٤] ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ﴾ [الملك: ١٦] حقَّق[٤] وليَّن الثانية، وأما عاصمٌ وحمزة والكسائيُّ وخلفٌ وابن ذكوانَ عن ابن عامر[٥]، فإنهم يُثبتون الهمزتين جميعاً على الأصل[٦].

ثم قوله تعالى: ﴿ءَأَنذَرْتَهُمْ﴾ خطابٌ للنبيِّ ﷺ، فكان الإنذارُ منه، والإنذار المذكور في القرآن من ستة:

من الله تعالى: ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ﴾ [الليل: ١٤].

ومن كتابه: ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ إلى قوله: ﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [البقرة: ١١٩].

ومن أنبيائه: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ﴾ [الصافات: ٧٢].

ومن المصطفى محمدٍ ﷺ: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٥].

ومن العلماء: ﴿وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ﴾ [التوبة: ١٢٢].

---

(١) «آخر» من (ف).

(٢) «﴿هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾» ليست في (ف).

(٣) تحرفت في (ف) إلى: «وخفف».

(٤) تحرفت في (ف) إلى: «خفف».

(٥) «وخلف وابن ذكوان عن ابن عامر» من (ف).

(٦) انظر مذاهب القراء في اجتماع الهمزتين في «السبعة» (ص: ١٣٦)، و«التيسير» (ص: ٣١)، و«النشر» (١/ ٣٦٣).

ومن الشَّيب: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾ [فاطر: ٣٧] فالشيبُ نذيرُ الموت، وبريدُ الموت، ورسولُ الموت، ورائدُ الموت، والمخبِرُ بمجيء الموت.

واختلفوا في الذين أُريدوا بهذه الآية:

قال الكلبيُّ رحمه الله: هم رهطٌ من اليهود: كعب بنُ الأشرف وحييُّ بن أخطبَ وجديُّ بن أخطبَ وأبو ياسرِ بنُ أخطب ـ وليس بأخي حييٍّ ـ وشعبةُ بن عمرٍو، ومالك بن الصَّيف[1]، وأبو لُبابَة، وقد مرَّت قصتُهم عند تفسيرنا ﴿الٓمٓ﴾ بتطويلها، وتفسيرُهم المقطَّعات بتفصيلها.

وبنحوه قال ابن عباس رضي الله عنهما: أن الآية نزلت في شأن اليهود؛ منهم: كعب بن الأشرف وحييُّ بن أخطبَ ومالك بن الصَّيف وأبو لبابة، وكان مالكٌ رأسَ اليهود، وقد جادل النبيَّ ﷺ يوماً، فقال النبيُّ ﷺ: «هل وجَدْتَ في التوراةِ أن الله تعالى يُبغض الحَبْرَ السَّمين؟» قال: نعم، فقال النبيُّ ﷺ: «أنت منهم»، فغضب مالك وقال: ما أنزل الله على بشر من شيء، فأنزل الله هذه الآية: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِي جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ﴾ [الأنعام: ٩١] فقال اليهود لمالكٍ: ما حملك على هذا الإنكار؟ قال: إنه أغضبني، قالوا: كلما غضِبْتَ كفَرْتَ؟! فعزلوه عن الرِّئاسة وأقاموا كعبَ بن الأشرف مقامَه[2]. إلى أن بَعث رسولُ الله ﷺ رَهْطاً من الأنصار فقتلوه.

---

(١) في (ف): «الضيف».

(٢) ذكره عن ابن عباس الواحدي في «البسيط» (٨/ ٢٧٥)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٢/ ٨٢)، وهو من طريق أبي صالح عن ابن عباس كما صرح ابن الجوزي، وهذه في الغالب هي طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، والكلبي متروك. ورواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٣٩٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٤٢)، والثعلبي في «تفسيره» (٤/ ١٦٨)، والبغوي في «تفسيره» =

وكان اليهود[1] آمنوا بالنبيِّ ﷺ قبل مَبعثه، وكان يستنصِرون به، فلما جاءهم ما عَرفوا كفروا به، وكان سببُ كفرهم: حبَّ الرئاسة وأخذَ الرِّشوة، قال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [البقرة: ٧٩].

وقال مقاتلٌ: نزلت الآيةُ في شأن شيبةَ وعُتبةَ والوليدِ بنِ المغيرة.

وقال الرَّبيع: نزلت في الذين قُتلوا يومَ بدر.

وقال أبو رَوقٍ: نزلت في شأنِ أبي جهلٍ وجماعةٍ معه، سألوا رسول الله ﷺ معجزةً، حتى قال أبو جهل لعنه الله ـ وكان يسري بالليل فاستقبله رسولُ الله ﷺ فقال ـ: أرني آيةً على نبوَّتك وإلا لأقتلنَّك[2]، فقال: «ما تريد؟»، قال: شقُّ القمر نصفين[3]، فأشار النبي ﷺ إلى القمر، قال ابن مسعود رضي الله عنه: فانشقَّ نصفين[4]، فرأيتُ حراءً بين شقَّي القمر، فقال اللَّعينُ: ما أسحَرَك يا محمد! فأنزل الله تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ [القمر: ١ ـ ٢]، وكان النبيُّ ﷺ يطمعُ في إيمانهم بعد رؤيتهم المعجزةَ وإيقانهم، فأنزل[5] الله تعالى: ﴿ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ٦][6].

= (٣/ ١٦٦) واللفظ له، جميعهم عن سعيد بن جبير مرسلاً. لكن كلهم ذكروه في سبب نزول أية سورة الأنعام، ولم أجد من ذكره في سبب نزول هذه الآية هنا.

(١) نهاية السقط من نسخة (ر).

(٢) «وإلا لأقتلنك»: ليست في (أ).

(٣) في (ف): «بنصفين».

(٤) في (ف) و(أ): «فانشق القمر بنصفين».

(٥) في (ف) و(أ): «فقال».

(٦) لم أقف عليه بهذا السياق، وقصة انشقاق القمر ورؤية حراء بين شقيه رواه البخاري (٣٨٦٨) من =

وقوله تعالى: ﴿أَمْ﴾: هذه الكلمةُ في القرآنِ على أربعة أوجُهٍ:

أحدها: عطفٌ على ما دخله ألفُ استفهام[1] كما في قوله تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ﴾ [الملك: ١٦] ثم قال: ﴿أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ﴾[2] [الملك: ١٧].

والثاني: ابتداءُ استفهامٍ كالألف[3]: ﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ﴾ [النساء: ٥٣]؛ أي: ألهم؟

والثالث: بمعنى (بل): ﴿أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ﴾ [الزخرف: ٥٢]؛ أي: بل أنا خير.

والرابع: بمعنى (أو) من غير استفهامٍ كما في هذه الآية: ﴿ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ﴾؛ أي: أو لم تنذرهم، فلا استفهام في هذه الآية.

وقوله تعالى: ﴿لَمْ﴾: كلمةُ نفي، وكلماتُ النفي:

(لم) و(لمَّا) للماضي: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ﴾ [آل عمران: ١٤٢].

و(ليس) للحال[4]: ﴿لَيْسُوا۟ سَوَآءً﴾.

و(لن) للمستقبل: ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا﴾ [المنافقون: ١١].

و(ما) و(لا) و(إنْ) الخفيفةُ للكل:

= حديث أنس رضي الله عنه. وحديث ابن مسعود في قصة انشقاق القمر رواه البخاري (٣٨٦٩)، ومسلم (٢٨٠٠).

(١) في (ف): «الاستفهام».

(٢) «﴿مَن فِى ٱلسَّمَآءِ﴾»: ليس في (أ).

(٣) في (ر): «كألف».

(٤) في هامش (ف): «أي: (ليس) لنفي الحال».

أمَّا (ما) فتَصلحُ للماضي: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ﴾ [الأنبياء: ٣٤]، وللحال: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، وللمستقبل: ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر: ٤٨].

وأمَّا (لا) فتَصلحُ للماضي: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ﴾ [القيامة: ٣١]، وللحال: ﴿لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ﴾ [البقرة: ٦٨]، وللمستقبل: ﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ [طه: ٧٤].

وأمَّا (إنْ) فتصلح للماضي: ﴿وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ﴾ [إبراهيم: ٤٦]، وللحال: ﴿إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ﴾ [الملك: ٢٠]، وللمستقبل: ﴿بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا﴾ [فاطر: ٤٠].

وقوله تعالى: ﴿تُنذِرْهُمْ﴾ مجزوم بـ ﴿لَمْ﴾

وقوله تعالى: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾: قيل: هو جوابٌ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾، وفي الآية تقديمٌ وتأخير، ونظمُه: إن الذين كفروا لا يؤمنون سواءٌ عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم، فهما ابتداءان وجوابان وخبران[١].

وقيل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ ابتداءٌ، وقولَه: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[٢]: ابتداءٌ آخَر، وجوابُ الابتداء الثاني قولُه: ﴿ءَأَنذَرْتَهُمْ﴾: أي: سواءٌ عليهم إنذارُك وتركُكَ الإنذارَ، ثم هذا الابتداءُ وخبرُه جوابٌ للابتداء الأول، وقد اتَّصل بالأول الهاءُ[٣] العائدة؛ أي[٤]: التي في قوله: ﴿ءَأَنذَرْتَهُمْ﴾، وهو كقولك:

---

(١) «وخبران»: ليست (أ) و(ف)، واستدركت على هامش (ر) وعليها علامة التصحيح، وعليه يكون عطف (خبران) على (جوابان) على التفسير؛ أي: وجوابان هما خبران.

(٢) «أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ»: ليس في (أ) و(ف).

(٣) في (ف): «الأول بالهاء»، وفي (أ): «بالأول بالهاء».

(٤) «أي»: ليست في (أ) و(ف).

زيدٌ وجهُه حَسَنٌ، ثم قوله: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ كلامٌ تامٌّ فيه[1] تأكيدٌ لقوله: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ﴾ وبيانٌ له.

ثم هذا تخفيفٌ على النبيِّ[2] ﷺ وتفريغٌ لقلبه، حيث أَخبره عن حالِ هؤلاء في الابتداء بما أَخبر نوحاً ـ صلواتُ الله عليه وعلى سائر الأنبياء ـ في الانتهاء؛ فإنه تعالى قال لنوحٍ بعد طولِ الزمان ومقاساةِ الشدائدِ والأحزان: ﴿أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ﴾ [هود: ٣٦]، فدعا بهلاكهم بعد ذلك، وكذلك سائرُ الأنبياء.

وفي الآية: معجزةٌ للنبي ﷺ، حيث أَخبر أنهم لا يؤمنون، فكان كما أَخبر، وهذا غيبٌ لا يطَّلع عليه بشرٌ إلا بإطْلاع الله تعالى، والله[3] عزَّ وعلا لا يُطْلع على الغيب إلا مَن اختصَّه بالرسالة؛ قال تعالى: ﴿عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن: ٢٦ ـ ٢٧].

وفي الآيةِ: إثباتُ فعلِ العباد؛ فإنه قال: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾، وفيه إثباتُ الاختيارِ ونفيُ الإكراهِ والإجبار؛ فإنه لم يقل: لا يستطيعون، بل قال: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

فإن قالوا: لمَ قال: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾، وترى[4] بعضَ الكفارِ يؤمنون؟

قلنا: ليس هذا في حقِّ كلِّ كافر، بل في حقِّ قومٍ بأعيانهم، وقد بينَّاهم.

---

(١) في (ف): «وفيه».

(٢) في (ف): «تخفيف للنبي».

(٣) في (ف): «وهو».

(٤) في (أ): «ونرى».

فإن قالوا: لمَّا[١] عَلِم الله أنهم لا يؤمنون، فلمَ أَمر النبيَّ ﷺ بدعائهم إلى الإيمان[٢]؟

قلنا: كان الإنذارُ للإعذار، قال تعالى: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ﴾ [النساء: ١٦٥]، وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُواْ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ ﴾ الآية [طه: ١٣٤].

فإن قالوا: لمَّا أخبر اللهُ تعالى رسوله أنهم لا يؤمنون، فهلَّا أهلكهم كما أهلك قومَ نوح بعد ما أخبر أنهم لا يؤمنون؟

قلنا: لأن النبيَّ ﷺ كان رحمةً للعالمين كما ورد به الكتاب، وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ [الأنفال: ٣٣].

وقال الإمام القُشيريُّ: مَن كان في غطاءِ وصفه[٣] محجوباً عن شهودِ حقِّه فسِيَّانِ عنده قولُ مَن دلَّه على الحقِّ وقولُ مَن أعانه على استِجْلابِ الحظ، بل هو إلى داعي الغفلةِ أميلُ، وفي الإصغاءِ إليه أَرغبُ.

وكما أنَّ الكافر لا يَرْعَوِي عن ضلالته لِمَا سَبق من شقاوته، فكذلك المربوطُ بأغلالِ نفسه محجوبٌ عن شهودِ غَيبه وحقِّه، فهو لا يُبصِرُ رُشْدَه ولا يَسلُكُ قَصْدَه.

وقال أيضاً: إنَّ الذي بقيَ في ظلماتِ رعونته[٤] سواءٌ عنده نصحُ الراشِدِينَ وتسويلاتُ المبْطِلين؛ لأن الله تعالى نزعَ عن أحوالِهِ بركاتِ الإنصاف، فلا يُصغي إلى داعي الرَّشاد، كما قيل:

---

(١) في (ر): «قد».

(٢) «إلى الإيمان»: ليس في (أ) و(ف).

(٣) في (ف): «صفته»، والمثبت من (أ) و(ر)، وهو الموافق لما في «اللطائف».

(٤) في (ف) و(أ): «دعاويه» وفي (ر): «دعا ربه»، والمثبت من «اللطائف».

وعلى النَّصُوح نَصِيحتي وعليَّ عصيانُ النَّصوحِ[(١)]

وكتب الغزاليُّ إلى رئيسِ ولاةِ الأمور حين استَنصَحه: أمَّا بعدُ، فإن الذي يَنْصَحُك لا يَصْحَبُك، والذي يَصْحَبُك لا يَنْصَحُك، والسلام[(٢)].

* * *

(٧) - ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾: انتظامُه بما قبله: أنه ذَكر هؤلاء بصفاتهم وحالاتهم، ثم أَلحق به[(٣)] ذكرَ عقوباتهم.

والختم في اللغةِ لثلاثِ معانٍ:

للطَّبع: ومنه سمِّي الخاتم؛ لأنه يُطبَعُ به.

وللإتمام وبلوغِ الآخِرِ: ومنه ختمُ القرآن، ومنه قولُه تعالى في صفة النبيِّ ﷺ: ﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]: هو آخر النبيِّين ومُتمُّ عِدَّةِ المرسَلين، وقولُه: ﴿خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ﴾ [المطففين: ٢٦]؛ أي: آخِرُ ما تجدُ فيه رائحةُ المسك.

وللإعلام: يقال: ختَم على الكتاب وعلى الباب وعلى الشهادة؛ أي: أَعْلم عليها.

فأمَّا تفسيرُه هاهنا فقد قال ابن عباس رضي الله عنهما: طبع الله على قلوبهم فلا يعقلون الخير[(٤)].

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٥٩ ـ ٦٠).

(٢) من قوله: «وكتب الغزالي...» إلى هنا سقط من (أ) و(ف)، واستدرك على هامش (ر) مصححاً.

(٣) في (ر): «بهم».

(٤) في (ر): «الخبر». وانظر: «تفسير أبي الليث السمرقندي» (١/ ٥١)، ولفظه: قال ابن عباس =

وقال مجاهدٌ: هو أن تَحفَّ الذنوبُ بالقلب من كلِّ نواحيه حتى تلتقيَ عليه[١].

وقال القُتَبيُّ: أي: أَقفل عليها وأَغلقها فلا تَعِي خيراً ولا تَسمعُه[٢].

والتحقيقُ على طريقِ اللغة على الأول: أن الله عز وعلا طبَع عليها فجعلها بحيث لا يَخرج منها[٣] ما فيها من الكفر، ولا يدخلها ما ليس فيها من الإيمان.

وعلى الثاني: أن الله عز وعلا أتمَّ جحودها وكُفرَها وعنودها، وجَعل ذلك آخِرَ أمرها، فلا تزول ولا تحول.

وعلى الثالث: أن الله تعالى أَعلم عليها ووسَمها بما فيها، فبه تُعرَف وبه تُوصَف.

وأمَّا معنى هذا الختمِ فعلى ثلاثةِ أوجُهٍ لثلاثِ طوائفَ من المتكلِّمين:

فأمَّا[٤] الجبريَّةُ: فقد جعلوا ذلك من الله منعاً عن الإسلام والمعرفةِ، وإجباراً على الكفر والنَّكَرة[٥]، كما في قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ﴾ [يس: ٦٥]: أنه منعٌ حقيقيٌّ، وهذا منهم جَرْيٌ على مذهبهم الفاسدِ في أن العباد مجبورون ولا فِعْلَ لهم اختياراً، وفسادُ كلامهم ظاهرٌ.

وأمَّا المعتزلةُ: فقد جعلوا ذلك إعلاماً محضاً على القلوب بما يُظهر للملائكة أنهم كفارٌ، فيَلعنونهم ولا يَدْعون لهم بخير؛ كخَتْم الكتاب أو الباب إعلامٌ عليه

= رضي الله عنهما: يعني: طبع الله، ومعنى الختم على القلوب ليس أنه يذهب بعقولهم ولكنهم لا يتفكرون فيعتبرون بعلامات نبوة محمد ﷺ فيؤمنون.

(١) رواه الطبري (١/ ٢٦٦)، وابن أبي حاتم (١/ ٤١).

(٢) انظر: «غريب القرآن» لابن قتيبة (ص: ٤٠).

(٣) «منها» زيادة من (ف).

(٤) في (أ): «أما».

(٥) النكرة ـ محركة ـ: الاسم من الإنكار، كالنفقة من الإنفاق. انظر: «القاموس» (مادة: نكر).

بعلامةٍ مجرَّدة، وجعلوا ذلك أيضاً مجرَّدَ شهادةٍ؛ من قولك: كتب فلان شهادته[١] وخَتم عليها؛ أي: أَثْبتَ شهادته، فيقولون ما[٢] معناه: شَهِد الله عليها بكُفرها، وأَظهر ذلك للملائكة. وهذا أيضاً جَرْيٌ منهم[٣] على مذهبهم الفاسدِ في أن أفعال العباد ليست بمخلوقةٍ للهِ تعالى، ولا هي بقضائه وتقديره ومشيئته وإرادته.

وأمَّا أهلُ السنَّة والجماعة فقد قالوا: إنه إثباتُ فعلِ الكفر وإيجادُه[٤].

وحاصلُ الختم عند أهل الحق: عقوبةٌ من الله تعالى لا تَمنع العبد من[٥] الإيمان جبراً، ولا تحمله على الكفر كرهاً، بل هي زيادةُ عقوبةٍ له على سوء اختياره وتمادِيهِ في الكفر وإصراره، يُحرم بها عن اللُّطف الذي يَسهُل به فعلُ الإيمان وتركُ العصيان.

يدلُّ[٦] عليه: أنهم بَقُوا مخاطَبين بالإيمان بقوله تعالى: ﴿ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [الحديد: ٧]، ومَلُومين عن الامتناع عنه بقوله[٧]: ﴿فَمَا لَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [الانشقاق: ٢٠]، وقولهِ تعالى: ﴿وَمَاذَا عَلَيۡهِمۡ لَوۡ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ [النساء: ٣٩]، وموبَّخين على الكفر بقوله تعالى: ﴿قُتِلَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَآ أَكۡفَرَهُۥ﴾ [عبس: ١٧]؛ أي: ما حمَله على الكفر؟ ولو صاروا مجبورين، وعن الإيمان عاجزين، لزال الخطاب، وسقط اللوم والعتاب،

---

(١) في (ر) و(ف): «شهادة».

(٢) «ما» زيادة من (ف).

(٣) في (أ): «وهذا أيضا مجرد شهادة منهم جريٌ».

(٤) في (أ): «الكفرة وإيجاده»، وفي (ف): «الكفر واتخاذه».

(٥) «من» زيادة من (ف).

(٦) في (أ): «ويدل».

(٧) في (ر) و(ف): «لقوله».

كما في الختم على الأفواه يومَ الحساب، لمَّا عجزوا به حقيقةً عن الكلام لم يبقَ الخطابُ بالكلام.

وتحقيقُ المذهب: إثباتُ فعلِ العبد، وتخليقِ الله تعالى.

والمذكور في هذا المعنى في كتاب الله تعالى ثلاثةُ أشياء: الختمُ والطبعُ والكنانة[1]، وفي كلِّ واحد منها ذكرُ فعل نفسه وفعل العبد.

أما في الختم فقد قال: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ﴾ وهذا إثباتُ فعلِ نفسِه، وقال تعالى قبلَه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ وهذا إثباتُ فعلِهم.

وقال في الطَّبع: ﴿بَلۡ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيۡهَا بِكُفۡرِهِمۡ﴾ [النساء: ١٥٥]، فقولُه: ﴿طَبَعَ﴾: فعلُه، وقولُه: ﴿بِكُفۡرِهِمۡ﴾: فعلُهم.

وقال في الكِنانة[2]: ﴿إِنَّا جَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً﴾ [الكهف: ٥٧]، وقال قبله: ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعۡرَضَ﴾ [الكهف: ٥٧].

ثم الختمُ في القرآنِ على ثلاثةِ أوجُهٍ:

للعقوبةِ: كما في هذه الآية.

وللكرامة: كما في قوله تعالى: ﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗاۖ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخۡتِمۡ عَلَىٰ قَلۡبِكَ﴾ [الشورى: ٢٤]، قال مقاتل: أي: يَختمْ بالصبر فلا تجدُ غصَّةَ التكذيب، وهذا تسهيلٌ عليه بطريق الكرامة.

وللموعظة: كما في قوله تعالى: ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِنۡ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمۡعَكُمۡ وَأَبۡصَٰرَكُمۡ وَخَتَمَ عَلَىٰ

---

(١) في (أ): «والكنان»، وفي (ف): «والكتاب».

(٢) في (أ): «الكنان»، وفي (ف): «الكتاب».

قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ﴾، قالوا: يَحتمِلُ أخذَ[١] أعيانِها، ويحتمِلُ أخذَ مَنافعها مع بقاء صور أعيانها، وتقديره: أيها الشاغِلون الأسماعَ والأبصارَ والقلوبَ بغيرِ الحق[٢]، لو أَخَذ الله تعالى هذه الأعيان وأذهبَها فمَن يأتي بها؟ وأيها الشاغلون هذه الأشياءَ[٣] بالحق، لو أن الله أزالها عن الحقِّ فمَن الذي يُعيدها إليه؟ فهو تنبيهٌ وعِظَةٌ للمبطِلِ والـمُحِقِّ جميعاً.

ثم سببُ هذه العقوبة: الإصرارُ على الذنوب، فقد[٤] روَى أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إنَّ المؤمنَ إذا أَذنَبَ كانت عليه[٥] نكتةٌ سوداءُ في قلبه، فإن تاب ونزَعَ واستَغْفرَ صُقِلَ قلبُه منها، وإنْ زاد زادَتْ حتى تَعْلُوَ قلبَه»[٦].

وقالوا: سببُ الحفظِ عن هذا الختمِ: رفعُ الختم عن الكيِّس فلا يمنعُه عن حقٍّ، ووضعُ الختم على اللسان فلا يُطلِقُه في باطلٍ.

وقولُه تعالى: ﴿عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾: هي جمعُ القلب وهو الفؤاد، وقلبُ كلِّ شيءٍ خالصُه وأشرفُه، وعَرَبيٌّ قَلبٌ؛ أي: خالصٌ، وقلبُ النخلة: ما في وَسَطِها، وقلبُ الشيء: صِرْفُه، وانقلابُه: انصرافُه، والقلب: نجمٌ من منازل القمر، والقُلَّب والحُوَّل بالتشديد: الذي يَقلبُ الأمورَ ويحتالُ لها، فسمِّي قلبُ الإنسان به؛ لأنه أشرفُ أعضائه؛

(١) في (ر): «أخذ الله».

(٢) في (أ): «حق».

(٣) في (ف): «هذه الأسماع والأبصار والقلوب».

(٤) «فقد»: ليست في (أ).

(٥) «عليه»: سقط من (أ).

(٦) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٧٩٥٢)، والترمذي (٣٣٣٤)، وابن ماجه (٤٢٤٤)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٤١٨).

لِمَا فيه من العقلِ والفهمِ ونحوِ ذلك، ولانقلابه ولإضاءته كالنجم، ولتقلُّبِه في الأمور، ولتصريفِه الأعضاءَ.

والقلبُ في قوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ﴾ [ق: ٣٧] قيل: أي: عقلٌ[١].

وقوله تعالى: ﴿وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ﴾: فالسَّمْعُ في الأصل: هو السَّماع، وهو مصدرٌ، والسَّمْع أيضاً الأُذُن بمعنى: السامعة، والسِّمْعُ بالكسر: الصِّيتُ، والاستماعُ: الإصغاءُ للسَّماع، والسَّامعُ والسَّميع[٢]: النَّعت، والسَّميع أيضاً: الـمُسْمِعُ؛ كالبَديعِ بمعنى: الـمُبْدِع.

وقولُه: ﴿فَٱسْمَعُونِ﴾ [يس: ٢٥]؛ أي: فأطيعون، و«دعاءٍ لا يُسْمعُ»[٣]: أي: لا يجابُ، و(سَمِعَ اللهُ لـمَن حَمِده)؛ أي: قَبِلَ وأجاب.

و﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ﴾ [المائدة: ٤١]؛ أي: قائلون للباطل.

﴿وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٧]؛ أي: جواسيسُ.

﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [النمل: ٨٠]؛ أي: لا تَقدر على[٤] أن توفِّق الكفارَ لقبول الحق.

﴿وَكَانُوا۟ لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾ [الكهف: ١٠١]؛ أي: سماعَ القرآن لبغضِ الرسول.

---

(١) بعدها في (أ) جملة فارسية لم ترد في (ر) و(ف).

(٢) في (أ): «والسميع والسامع» وفي (ر): «والسامع والسمع».

(٣) قطعة من حديث رواه الإمام أحمد في «المسند» (١٣٠٠٣)، وابن حبان في «صحيحه» (١٠١٥)، عن أنس رضي الله عنه، وإسناده على شرط مسلم.

(٤) «على» ليست في (ف).

وفي الخبر: أيُّ الساعاتِ أسمعُ[١]؟ أي: أحقُّ بالدعاءِ وأَرْجَى للإجابة.

وفي الحديث: لم أسمعْ قولاً أسمعَ منه[٢]؛ أي: أبلغَ وأنجعَ في القلب.

كلُّ هذا من السَّماع.

ثم معنى الآيةِ: ختَم الله على آذانهم فجعلَها لا تُصغي إلى خيرٍ ولا تَعيهِ ولا تقبلُه، عقوبةً لهم على سوءِ اختيارهم وميلِهم إلى الباطل وإيثارهم.

وقول المعتزلة[٣] والجبريَّة فيه ـ وقد ردَدْنا[٤] قولَهم ـ على نحوِ ما سبق في ختم القلب[٥].

ثم قولُه: ﴿وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ﴾ على الوحدان دون الجمع لوجوهٍ:

أحدها: أنه في الأصل مصدرٌ، والمصدر يَصلُح للواحد والاثنين والجمع، يقال: هو يَضرب ضرباً، وهما يضربان ضرباً، وهم يضربون ضرباً، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ [الطارق: ١٥]، وقال تعالى: ﴿لَّا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١٨٠٥٩) عن مُرَّةَ بنِ كَعْبٍ ـ أو كَعْبِ بنِ مُرَّةَ ـ السُّلَمِيِّ أنه سأل النبي ﷺ: أَيُّ اللَّيْلِ أَسْمَعُ؟ قال: «جَوْفُ اللَّيْلِ الآخِرُ».

(٢) انظر: «غريب الحديث» للخطابي (١/ ١٣٤)، و«الغريبين» (مادة: سمع)، في قصة إسلام ضماد بن ثعلبة رضي الله عنه. وقصة إسلام ضماد رواها مسلم (٨٦٨) دون محل الشاهد، وفيه: (لقد سمعْتُ قولَ الكَهَنَةِ، وقولَ السَّحَرةِ، وقولَ الشُّعراءِ، فما سَمِعْتُ مِثْلَ كلماتِكَ هؤلاء، ولقد بَلَغْنَ ناعُوسَ البحرِ).

(٣) في (ف): «القرامطة»، وكذا وقعت في متن (ر) لكن ضرب عليها وصححت في الهامش إلى المثبت.

(٤) «وقد رددنا»: من (أ) و(ف).

(٥) في (ر): «الختم للقلب»

﴿وَٱدۡعُواْ ثُبُورٗا كَثِيرٗا﴾ [الفرقان: ١٤]، وقال تعالى خبراً عن إبراهيم: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ ضَيۡفِي﴾ [الحجر: ٦٨]: فوحَّد الضيف[١] لأنه في الأصل مصدرٌ.

والثاني: أن فيه إضماراً، ومعناه: وعلى مواضعِ سمعِهم ـ أي: سماعِهم[٢] ـ وهي الآذان، كما في قوله تعالى: ﴿وَسۡـَٔلِ ٱلۡقَرۡيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢]؛ أي: أهلَها، وثبت هذا الإضمارُ دلالةَ أنَّ السمع فعلٌ، ولا يُختم على الفعل وإنما يُختم على محلِّه.

والثالث: أنه أراد سمعَ كلِّ واحد منهم، وهذا كما يقال: ائتني برأسِ كبشين، وقال الشاعر:

كُلُوا في نصفِ بطنِكم تعيشوا ... فإنَّ زمانكم زَمَنٌ خَمِيصُ[٣]

والرابع: قولُ سيبويه: إنه توسَّط بين[٤] جمعينِ، فدلَّ على الجمع وإنْ وحِّد؛ كما في قوله تعالى: ﴿يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧] دل على الأنوار ذكرُ الظلمات، وقال الرَّاعي:

بها جِيَفُ الحَسْرَى فأمَّا عظامُها ... فبِيضٌ وأمَّا جلدُها فصَلِيبُ[٥]

---

(١) «الضيف»: ليست (أ).

(٢) في (ف): «أسماعهم».

(٣) البيت في «الكتاب» (١/ ٢١٠)، و«المقتضب» (٢/ ١٧٢)، و«الأصول في النحو» لابن السراج (١/ ٣١٣)، و«تفسير الثعلبي» (١/ ١٥١)، و«أساس البلاغة» (مادة: خمص)، ورواية «الكتاب» و«الأصول» و«الأساس»:

كلوا في بعض بطنكم تَعِفُّوا

(٤) «بين»: من (أ).

(٥) كذا نسب البيت للراعي في «تفسير الثعلبي» (١/ ١٥١)، ونسب لعلقمة بن عبدة في «المفضليات» (ص: ٣٩٤)، و«الكتاب» (١/ ٢٠٩)، و«المقتضب» (٢/ ١٧٣)، و«تفسير الطبري» (١٦/ ٢٤٣)، وورد دون نسبة في «معاني القرآن» للأخفش (١/ ٢٤٥)، و«معاني القرآن» للزجاج (١/ ٨٣). =

أي: جلودُها صَليبة.

وقوله تعالى: ﴿وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ﴾: أي: على عيونهم، فالبصرُ: العين، وجمعُه: الأبصار، كالسفر جمعُه: الأسفار، والإبصارُ بالكسر: الرُّؤية، والبَصارةُ: صفة البَصير[1]، وقد بَصُر من حدِّ شَرُفَ؛ أي: صار بصيراً، وبَصُرَ[2] به؛ أي: رآه، قال تعالى خبراً عن السامريِّ: ﴿بَصُرۡتُ بِمَا لَمۡ يَبۡصُرُواْ بِهِۦ﴾ [طه: ٩٦].

والبصيرة: رؤيةُ القلب، والبصيرةُ: البيِّنة أيضاً، وقولُه تعالى: ﴿بَلِ ٱلۡإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ بَصِيرَةٞ﴾ [القيامة: ١٤]، قيل[3]: أي: جوارحُه بصيرةٌ؛ أي: شاهدةٌ عليها بما رأت من عملها يوم القيامة.

وقوله تعالى: ﴿فَبَصَرُكَ ٱلۡيَوۡمَ حَدِيدٞ﴾ [ق: ٢٢]؛ أي: علمُك نافذٌ.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًا﴾ [يونس: ٦٧]؛ أي: يُبصَرُ فيه.

وقولُه تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبۡصِرَةٗ﴾ [الإسراء: ١٢]؛ أي: مضيئةً.

= والبيت لعلقمة من قصيدته في الحارث بن جبلة بن أبي شمر الغساني، حين أسر أخاه شأسًا، فرحل إليه علقمة يطلب فكه. وقوله: (بها جيف الحسرى) المراد بالضمير آثار الطريق في متان الأرض كما يفهم من البيت الذي تقدمه، و(الحسرى): المعيية يتركها أصحابها فتموت، و(الصليب): الودك الذي يسيل من جلودها إذا مضى على موتها زمن وهي تحت الشمس ووقدتها. يقول: ماتت وتقادم بها العهد، فابيضت عظامها، وتفانى جلدها فلم يبق منه على أرض الطريق سوى آثار الودك الذي سال من جلودها. ووقع في النسخ: «جيفٌ حسرى»، والمثبت من المصادر.

(١) في (ر): «البصر»، وسقطت من (ف)، والمثبت من (أ)، وفي «العين» (٧/ ١١٧)، و«تهذيب اللغة» (١٢/ ١٢٣): (البصارة مصدر البصير)، والمراد أنها مصدر كالبصر. انظر: «اللسان» (مادة: بصر).

(٢) في (أ): «وقد بصر».

(٣) «قيل»: من (أ).

والاستبصار[1]: التيقُّن.

فإنْ قالوا: لمَ جَمع الأبصار والواحد: بصرٌ، وهو مصدرٌ كالسمع؟

قُلنا: لأنه اسمٌ للعين أيضاً، فكان اسماً لا مصدراً، فجُمع لذلك.

ومعنى الكلمةِ والله أعلم: وعلى أبصارِ قلوبهم حجابُ غَفلةٍ، وغطاءُ شُبهةٍ، وسحابُ ظُلمةٍ، فلا يَرون الحقَّ ولا يَقبلونه ولا ينقادون له.

وقيل: معناه: يتعامَون عن الحقِّ مع وجودِ العيون، كما[2] يَتصامُّون عنه مع وجود الآذان.

وقوله تعالى: ﴿غِشَٰوَةٌ﴾: فالغِشاوةُ والغِشاءُ: الغطاءُ، والتغشيةُ: التغطية، وقوله تعالى: ﴿يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ﴾ [هود: ٥]؛ أي: يتغطَّون بها، وقولُه: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾ [الليل: ١]؛ أي: يغطِّي ظلامُه الأفق.

وقولُه: ﴿فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾ [طه: ٧٨]؛ أي: علاهم فغطَّاهم.

وقولُه: ﴿فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا﴾ [الأعراف: ١٨٩]؛ أي: وَطِئها، وفيه التغطيةُ.

والغاشيةُ: ما يسترُ السَّرج.

وقولُه تعالى: ﴿غَٰشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ ٱللَّهِ﴾ [يوسف: ١٠٧]؛ أي: عقوبةٌ تجلِّلُهم.

وقوله: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ﴾ [الغاشية: ١]: هي القيامة تجلِّلُ الخَلْق.

وقوله: ﴿وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾ [الأعراف: ٤١]؛ أي: لُحفٌ من نار.

والغَشْيُ: الإغماء، وقوله: ﴿كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ﴾ [الأحزاب: ١٩]؛ أي: يُغمى عليه، وفيه سترُ العقل.

---

(١) في (ر): «فالاستبصار».

(٢) في (ف): «حتى».

ثم اختُلف في قراءة هذه الكلمة:

فقراءةُ العامة: بكسر الغين وزيادةِ[1] الألف ورفعِ الآخِر.

وقراءةُ الحسن: بضم الغينِ مع الألف.

وقراءةُ أصحابِ[2] عبد الله بن مسعودٍ رضي الله عنه: (غَشْوةً) بفتح الغين بغير ألفٍ.

وقراءة الجحدريِّ: (غَشاوةٌ) بفتح الغين مع الألف.

وقراءة المفضَّل عن عاصم: (غِشاوةً) بكسر الغين مع الألف ونصبِ الآخر[3].

ويستقيمُ في اللغة ستةُ أوجهٍ:

غشاوةٌ: بفتح الغين وضمِّها وكسرها مع الألف[4]، غشوةٌ: بغير ألفٍ بفتح الغين وضمِّها وكسرها.

وأظهرُها وأصحُّها: الكسر مع الألف، قال الشاعر:

تَبِعْتُك إذ عَيني عليها غِشاوةٌ فلمَّا انجلَتْ قطَّعْتُ نفسي ألومُها[5]

---

(١) في (ف): «مع» بدل: «وزيادة».

(٢) «أصحاب» من (ف).

(٣) انظر هذه القراءات في «المختصر في شواذ القراءات» لابن خالويه (ص: ١٠)، وانظر شرحها وتوجيهها في «البحر المحيط» (١/ ١٤١ ـ ١٤٣).

(٤) في (أ): «غشاوة بالألف بفتح الغين وضمها وكسرها» وفي (ر): «غشاوة بفتح الغين، وغِشاوةً بكسرها وضمها مع الألف».

(٥) البيت للحارث بن خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة. انظر: «مجاز القرآن» (١/ ٣١)، و«تفسير الطبري» (١/ ٢٧١).

وقراءةُ الأكثر برفعِ الآخِرِ، فإن قوله: ﴿وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞ﴾ هذا كلامٌ مبتدأٌ، وهو غيرُ معطوفٍ على الأول بالختم، ومَن نصبه فعلى إضمار: جَعَل[1]؛ أي: وجَعَل على أبصارهم غشاوةً.

ثم معناه: وعلى أبصارِ قلوبهم غطاءُ غَفلةٍ وغلافُ شبهةٍ، وكما تعامَوا عن الحقِّ في الدنيا فكذلك يُبعثون في العُقبى، قال تعالى: ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ﴾ [الإسراء: ٧٢].

ولمَّا جُعِلوا على أبصارهم غشاوةٌ، تتَّصلُ بهم هذه الحالة في الدنيا، وعند[2] الموت، وفي القبر، وفي القيامة، وفي النار:

قال تعالى في الدنيا: ﴿فَأَغۡشَيۡنَٰهُمۡ فَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ﴾ [يس: ٩]، وقال في الموت: ﴿كَٱلَّذِي يُغۡشَىٰ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡمَوۡتِ﴾ [الأحزاب: ١٩]، وقال: ﴿غَٰشِيَةٞ مِّنۡ عَذَابِ ٱللَّهِ﴾ [يوسف: ١٠٧]، وقال: ﴿يَوۡمَ يَغۡشَىٰهُمُ ٱلۡعَذَابُ﴾ [العنكبوت: ٥٥]، وقال: ﴿وَتَغۡشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾ [إبراهيم: ٥٠].

وقال: ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡغَٰشِيَةِ﴾ [الغاشية: ١]، قيل: هي القيامةُ تغشاهم بظُلمتها وفظاعتها، وقيل: هي النار.

وقيل: هي ثلاثةُ أشياءَ: غاشيةُ الأبصار وهي الحَجْبةُ عن لقاء الله تعالى، وغاشيةُ الأبدان وهي حرُّ[3] النار، وغاشيةُ القلوب[4] وهي هَيبةُ القطيعة، فهذه

(١) في (أ): «وجعل».

(٢) في (ر): «عند».

(٣) في (أ) و(ف): «حرقة».

(٤) في (ر) و(ف): «القلب».

غشاوةٌ في الدنيا أورَثَتْهم هذه هذه الغشاوات في العقبى، تحقيقاً لقوله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ [الأعراف: ٢٩].

ثم إنما ذكر في هذه[1] الآية القلوبَ والسمعَ والأبصار؛ لأن الخطاب كان باستعمال هذه الثلاثة في الحق، كما قال تعالى: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾، وكان هذا الخطابُ بعد أن هيَّأ الله لهم الأسباب، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ﴾ [المؤمنون: ٧٨] فلم يستعملوها فيما أُمروا باستعمالها فيه، فعُوقِبوا في الدنيا بالختم على القلوب والأسماع، والغشاوةِ على الأبصار، ويومَ القيامة من جنس ذلك عقوباتُها، وهي ما قال تعالى: ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾ [النازعات: ٨]؛ أي: شديدةُ الاضطراب، ﴿ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ﴾[2] [الهمزة: ٧]، ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ﴾ [عبس: ٣٣]؛ أي: المُصِمَّة، وقال[3]: ﴿أَبْصَـٰرُهَا خَـٰشِعَةٌ﴾ [النازعات: ٩]؛ أي: ذليلةٌ، لِمَا عرَاها[4] من التغيُّر والتحيُّر، وقال[5]: ﴿وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ [طه: ١٠٢]؛ أي: عُمياً.

ثم بيَّن عقوبتهم في الآخرة، فقال تعالى:

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ فالعذابُ: العقوبة، والعَذْب: ذو[6] العذوبة، وهو[7] نقيضُ المُلوحة.

---

(١) «هذه»: من (أ).

(٢) في (أ): «أبصارها خاشعة وقال» بدل: «أي: شديدة الاضطراب التي».

(٣) «وقال»: من (أ).

(٤) في (ف): «بما عراها»، وسقطت من (أ).

(٥) «وقال»: من (أ) و(ر).

(٦) «ذو» سقط من (ف).

(٧) في (ر): «وهي».

وإعذابُ النفس عن كذا: هو مَنْعُها عنه، وسمي العذاب عذاباً لأنه يَمنع من[1] الجناية إذا تأمَّلَ فيها العاقل.

وقيل: إنما سمي به لأنه جزاء ما استعذَبه المرء بطبعه؛ أي: استطابهُ، ولذلك قال: ﴿فَذُوقُواْ عَذَابِى﴾[2] [القمر: ٣٩] وإنما يُذاق الطيِّب، على معنى: أنه جزاءُ ما استطابه واستحلاه بهواه في دنياه.

وقوله تعالى: ﴿عَظِيمٌ﴾: أي: كبيرٌ، وقيل: أي: كثيرٌ، وقيل: أي: دائم، وهو التعذيب بالنار أبداً.

ثم عِظَمُه بأهوالِه، وشدَّةِ أحوالِه، وكثرةِ سلاسلهِ وأغلالِه.

وقيل: هو القتل والأسر في الدنيا، والتحريقُ بالنار في العُقبى.

ثم ذَكر بعد ذِكر المؤمنين ظاهراً وباطناً، والكافرين ظاهراً وباطناً، المنافقين الذين آمنوا ظاهراً وكفروا باطناً:

* * *

(٨) ـ ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾: أي: ومن جنسِ الإنس، والناس: جمع إنسانٍ على غير لفظه، فالإنسانُ فِعْلانٌ من أَنِسَ، ومأخذُه من آنَسَ، أي: أَبصر، والجنُّ مَن اجْتَنَّ؛ أي: استَتَر، فالبشرُ يُرون والجنُّ لا يُرون.

وقيل: هو من الأُنْسِ الذي هو ضدُّ الوحشة، وسمِّي به لاستئناس روحه ببدنه، وبدنِه بروحه.

---

(١) في (أ): «عن».

(٢) في (أ): «﴿فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ﴾».

وقيل: هو: إِفْعِلَان، وأصله: إِنْسِيَان، ودليلُ ذلك أنه يقال في التصغير: (أُنَيْسِيَان) فتعادُ الياء المحذوفة، وسمي به لنسيانه، قال الله تعالى في حقِّ آدم عليه السلام: ﴿فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾ [طه: ١١٥]، ولذلك جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ﴾ [العاديات: ٦]؛ أي: نَسَّاءٌ للنِّعم ذَكَّارٌ للمِحَن.

و(النـاس) جمعُـه لا مـن لفظـه، فإنـه[١] لا يسـتقيم جعلُه من الإنـس، ولا من النسـيان[٢]، ومعنـى هـذا الجمعِ مـن (النَّـوسِ) وهو التحرُّك، سـمُّوا بـه لحركاتهم فـي مباحاتهـم وواجباتهـم ومحظوراتهـم، وحـركاتُ سـائر الحيوانـات لا توجـدُ وجودَهـا منهم.

وقوله تعالى: ﴿مَن يَقُولُ﴾: (مَن) كلمةٌ تصلُح للواحد والجمع، وهاهنا للجمع؛ أي: قومٌ[٣] يقولون، وهم عبدُ الله بنُ أُبيٍّ ابنُ سَلُولَ، ومعتِّبُ بنُ قُشَيرٍ، وجَدُّ بنُ قيسٍ، وغيرُهم، وهؤلاء رؤوسُ المنافقين.

قال مجاهدٌ: أربعُ آياتٍ من أوَّل السورة في نعتِ المؤمنين، وآيتانِ في نعتِ[٤] الكافرين، وثلاثَ عَشْرةَ آيةً في المنافقين[٥].

وقال مقاتلٌ: آيتان من أوَّلها في نعتِ المؤمنين المهاجرين، وآيتان في مؤمِني أهل الكتاب، وآيتان في الكفَّار، وثلاثَ عشرة آيةً في المنافقين[٦].

---

(١) في (ر): «فعلى هذا» بدل: «فإنه».

(٢) في هامش (ف): «ولا يستقيم أيضاً جعله من الأُنْس».

(٣) في (ر): «هم قوم».

(٤) في (أ): «ذكر» وسقطت من (ف)، والمثبت من (ر)، وهو الموافق للمصادر.

(٥) انظر: «تفسير مجاهد» (ص: ١٩٥)، ورواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٢٤٥).

(٦) انظر: «تفسير أبي الليث» (١/ ٥٢). ومن قوله: «وقال مقاتل...» إلى هنا سقط من (ف).

وقوله تعالى: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾: أخبر عنهم أنهم يدَّعون ذلك.

ثم قال[1]: ﴿وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾: أي: ليسوا بمؤمنين، فنفَى الإيمانَ عنهم لأنه لم يكن[2] في قلوبهم، وقد قال الله تعالى: ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ﴾ [المائدة: ٤١]، وقال[3] تعالى: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟﴾ [الحجرات: ١٤]، وبَطَل بهذا[4] قولُ الكرَّامية: إنه مجرَّد الإقرار، فإن المنافقين أقرُّوا بذلك والله تعالى نفَى عنهم ذلك.

ثم إنه قال: ﴿مَن يَقُولُ﴾ وهذا فعلُ الواحد، لأن كلمة (مَن) تصلُح له، ثم قال: ﴿وَمَا هُم﴾ على الجمع لأنه هو المراد، فحَمَل على المعنى، وهو كقوله تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾ [البقرة: ١١٢] وهذا على الوحدان[5] للصيغة، ثم قال: ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٦٢] على الجمع للمعنى.

وكذا قولُه: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ ثم قال تعالى: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم﴾ [النحل: ٩٧].

وقولُه تعالى: ﴿بِمُؤْمِنِينَ﴾: الباء للتأكيد، وهو كقوله عزَّ وعلا: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ﴾ [الحاقة: ٤١]، ﴿وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ﴾ [الحاقة: ٤٢]، ويجوز حذفُها، قال تعالى: ﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا﴾ [يوسف: ٣١]، وهذا لأن (ما) بمعنى: ليس، ويجوز في (ليس) الباءُ

---

(١) في (أ): «فقال» بدل: «ثم قال».

(٢) في (ر): «لأنه ليس».

(٣) في (ر) و(ف): «وقد قال».

(٤) في (ر): «وأبطل هذا».

(٥) في (ر): «الواحد».

وحذفُها، قال تعالى: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ [التين: ٨] وقال أيضاً: ﴿لَيْسُوا۟ سَوَآءً﴾ [آل عمران: ١١٣].

وفي الآيةِ معجزةُ النبيِّ ﷺ؛ فإنهم أظهَروا الإيمانَ وأضمَروا الكفر، والنبيُّ ﷺ أخبر عما في قلوبهم، وذلك غيبٌ، واللهُ جلَّ جلالُه يقول: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن: ٢٦].

ودلَّت الآية أن الدعوى مردودةٌ إذا لم يقم عليها دلالةُ الصحة، قال قائلهم:

مَن تحلَّى بغيرِ ما هو فيه ... فضَح الامتحانُ ما يدَّعيه

وإن[1] من مدَحَ نفسه ذُمّ، ومَن ذَمَّ نفسه مُدِح، قال فرعونُ عليه لعائن الله: ﴿وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٩٠] فقيل له: ﴿وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس: ٩١]، وقال يونسُ صلوات الله عليه: ﴿إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧] فقيل له: ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ﴾ [الصافات: ١٤٣].

***

(٩) ـ ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ﴾: فالخَدْع: الخَتْلُ، والإخداع: الإخفاء، ومنه: المخدَعُ[2]، وهو البيت الصغيرُ يُخْفَى فيه الشيء، وخُدِع فوه؛ أي: تغيَّرت رائحتُه، ودينارٌ خادعٌ؛ أي: ناقصٌ، وسِنونَ خدَّاعةٌ؛ أي: قليلةُ المَرَافق.

فقوله: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ﴾ قيل: معناه: يخادعون رسولَ الله ﷺ والمؤمنين بإظهارِ

---

(١) في (ف): «فإن».

(٢) مثل: مِنبَر ومُحْكَم. انظر: «القاموس» (مادة: خدع).

الإيمان مع إضمار الكفر، ورفَع[١] درجة النبي ﷺ والمؤمنين حيث جعَل خداعَهم خداعَه،كما جعَل إيذاءَهم إيذاءَه.

وقيل: معناه: يُفسدون ما أظهَروا من الإيمان بما أضمَروا من الكفر.

وقيل: معناه: يخادعون الله على زعمهم؛ أي: هو عندهم خداعُ الله، يظنُّون أنهم يُخفون على الله عزَّ وعلا شيئاً، وهو كما قال: ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ [المجادلة: ١٨]، ونظيرُه قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِى﴾ [فصلت: ٤٧]؛ أي: على زعمكم[٢]، وقولُه تعالى: ﴿فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ﴾ [هود: ١٠١]؛ أي: على زعمهم.

وقال مقاتلٌ: معناه: اجترؤوا[٣] على الله تعالى، وقالوا فيما بينهم: نحن نخادعُ الله، وكان هذا بهتاناً منهم، كسائر ما افترَوا على الله.

وقيل: معناه: أيخادعون الله، على الاستفهام، وهو كقوله تعالى عن إبراهيم: ﴿هَٰذَا رَبِّى﴾؛ أي: أهذا ربي[٤].

وقيل[٥]: إنهم أظهَروا شيئاً وأضمَروا خلافه، فتَصوَّر بصورةِ الخداع، فسُمي به وإن لم يكن هو، فإن حقيقته أن يمكرَ بأحدٍ فلا يَعلمَ به الممكور، وهو[٦] كقوله تعالى: ﴿فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ١٧٥] ولا صبرَ لأحدٍ عليها، لكنْ لمّا داموا على الفعل الذي به يصيرون إلى النار تَصوَّر ذلك بصورة الصبر على النار.

---

(١) في (أ) و(ر): «رفع».

(٢) في (أ): «زعمهم».

(٣) في (ر): «افتروا».

(٤) «ربي»: من (أ).

(٥) في (ر) و(ف): «ويقال».

(٦) في (أ): «وهذا».

وقيل: معناه: يحتالون لإزالةِ الحق بالباطل.

ثم المخادَعةُ وهي على[١] المفاعَلة، وإن كان أصلُها لِمَا يكونُ بين اثنين، فقد تكون لفعلِ الواحد، كالمسافَرة والمصادفة[٢]، وإنْ حملت على الوَضع: فالخداعُ كان منهم وجزاءُ الخداع من الله تعالى على ما تبيَّن[٣].

فإنْ قالوا: إن لم يعرفوا اللهَ تعالى فكيف خادَعوه[٤]؟ وإن عرَفوه فكيف قصدوا خداعَه؟

قلنا: قد بينَّا أنهم عمِلوا عمَل المخادِعينَ من الوجوه التي ذكرناها.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ عطفٌ على الأول؛ أي: ويخادعون المؤمنين أيضاً، ويجوز حملُه على الحقيقة في حقِّهم فإنه في وُسعهم، فأمَّا قوله: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ﴾ فقد مرَّ قولٌ أن معناه: يخادعون الرسول والمؤمنين، والصحيحُ أن يحمل ذلك على مخادَعتهم الرسولَ وحده دون المؤمنين؛ فإن خداعهم المؤمنين مذكورٌ على التصريح بعده، وهو قولُه تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾.

ثم إنما جعَل مخادَعتَهم الرسول[٥] مخادعتَه تعالى تشريفاً له، كما جعَل نصرتَه نصرتَه، بقوله[٦]: ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ﴾ [محمد: ٧]؛ أي: إنْ تنصُروا رسولَه، وكما

---

(١) «على» من (ف).

(٢) في (أ): «كالمنافرة والمصادفة»، وفي (ف): «كالمسافرة والمصادقة»، وفي (ر): «كالمسافرة والمصارفة».

(٣) في (أ): «بين»، وفي (ف): «نبين».

(٤) في (ر): «يخادعونه».

(٥) في (أ): «رسوله».

(٦) في (ر) و(ف): «كقوله».

جعل مخادعتَه مخادعةَ الله، فقد جعَل مبايعتَه مبايعةَ الله بقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ [الفتح: ١٠]، وكذا في أشياءَ ذكرها في آياتٍ: ﴿ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [النساء: ١٣٦]، ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾[1] [الأنفال: ١]، ﴿وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [النساء: ١٤]، ﴿ٱسۡتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [آل عمران: ١٧٢]، ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [الأنفال: ١٣]، ﴿وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾ [الحشر: ٨]، ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ﴾ [البقرة: ٩]، ﴿إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [التوبة: ٩١]، ﴿فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٧٩]، ﴿يُؤۡذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [الأحزاب: ٥٧]، ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرۡضُوهُ﴾ [التوبة: ٦٢]، ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ [المائدة: ٥٥]، ﴿فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ﴾ [التوبة: ١٠٥]، ﴿لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [الحجرات: ١]، ﴿مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [النساء: ١٠٠].

وقوله تعالى: ﴿وما يُخادِعونَ إِلَّا أنفُسَهُمْ﴾: قرأ أبو عمرٍو وابنُ كثيرٍ ونافعٌ: ﴿وما يُخادِعونَ﴾ بألفٍ، على موافقةِ الكلمة الأولى: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ﴾، وقرأ الباقون: ﴿وَمَا يَخۡدَعُونَ﴾ بغيرِ ألفٍ[2]، لأن خَدْعهم أنفسَهم لا يَعْدُوهم.

وقال بعضُ[3] أهل اللغة: يقال: خادَعَ: إذا لم يَبلُغ مرادَه، وخدع: إذا بلَغ مرادَه، فلمَّا لم يَنفُذ خداعُهم فيما قصَدوا كان مخادعةً، ولمَّا وقع ضررُ فعلهم على أنفسهم كان في حقِّ أنفسهم خدعاً.

وتفسيرُه: ولا ينفذُ خداعُهم فيمَن قصَدوه، فكأنهم خدَعوا أنفسهم، كما يقال: فلانٌ يسخر بفلانٍ وما يَسخر[4] إلا بنفسه.

---

(١) في (أ) و(ف): «﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٣٩)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٢). وقوله: «بغير ألفٍ»: سقط من (أ) و(ف).

(٣) في (ر): «فقال» بدل: «وقال بعض».

(٤) في (ف): «سخر».

وقيل: معناه: وما يرجعُ وَبالُ خداعهم إلا إليهم، قال تعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ [فاطر: ٤٣]، ومثلُه: ﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾ [الفتح: ١٠]، ﴿إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم﴾ [يونس: ٢٣]، ﴿وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ﴾ [محمد: ٣٨]، ﴿وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا﴾ [فصلت: ٤٦].

وقال[1] في الإحسان: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ﴾ [الإسراء: ٧]، ﴿فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٠٤]، ﴿مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ﴾ [الإسراء: ١٥]، ﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ﴾ [العنكبوت: ٦]، ﴿وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ﴾ [فاطر: ١٨]، ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ﴾ [فصلت: ٤٦]، ﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ﴾ [النمل: ٤٠].

ثم قال هاهنا: ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ﴾، وقال في سورةٍ أخرى: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٢]، وأريد به الجزاء.

وقيل: يعاملُهم على وَفق ما عامَلوه، وذلك فيما جاء: أنهم إذا أُلْقوا في النيران، وعذِّبوا فيها طويلاً من الزمان، واستغاثوا بالرحمن، قيل لهم: هذه الأبوابُ قد فتحت فاخرجوا، فيبادروا إلى الأبواب، فإذا انتهَوا إليها غلِّقت دونهم، وأُعيدوا إلى الآبار والتوابيت، مع الشياطين والطواغيت.

يقولُ الله تعالى: ﴿وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٥٤]، ﴿وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا﴾ [النمل: ٥٠]، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ [الطارق: ١٥-١٦].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾: الشِّعْرُ: العلمُ والفِطنة، والإشعار: الإعلام، وإشعارُ الهَدْيِ منه، والشِّعار: العلامة، والمشاعر: المعالم، والشعائر: العلامات، وهي معالمُ الحج وأعمالُه، واحدتُها شَعِيْرةٌ وشَعَارةٌ، ثم هو اسمٌ لعِلمٍ خاصٍّ،

---

(١) في (ر): «ثم قال».

وهو العِلمُ بدقَّة النظر في الشيء، مأخوذٌ من الشِّعر، ولذلك يطلقُ الشِّعر[١] على معرفة الكلام المقفَّى الموزونِ بوزنٍ خاصٍّ.

وأما التفسير[٢]:

فقد قيل: أي: وما يعلَمون أنه خداعٌ لأنفسهم.

وقيل: أي: وما يعلمون أن وَباله راجعٌ عليهم.

وقيل: أي: وما يعلمون أن الله تعالى يطَّلع على خداعهم رسولَه والمؤمنين.

وقيل: أي: وما يعلمون أنهم لا يقدِرون أن يخادعوا الله.

وقيل: أي: وما يعلمون أن الله خادعُهم؛ أي[٣]: جازيهم جزاءَ خداعِهم.

وقيل: أي: وما يعلمون أن الله يعلم بصنيعهم، وهذا كما قال: ﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ [البقرة: ٧٧]، والعِظَةُ فيه: أن المنافق عَمِلَ ما عَمِلَ وهو لا يعلمُ بوَبال ما عَمِل، والمؤمِنُ يَعلم به ثم يعمل به[٤]، فما عذرُه[٥] عند ربِّه؟

ثم في هذه الآيةِ نفيُ العلم عنهم، وفي قولهِ تعالى: ﴿وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧١] إثباتُ العلم لهم، والتوفيقُ بينهما: أنهم علِموا به حقيقةً، ولكنْ لمَّا[٦] لم يعمَلوا بما علِموا فكأنهم لم يعلَموا، وهو كقوله عز وعلا: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ﴾

---

(١) في (أ): «ولهذا يطلق هذا الاسم»، وفي (ف): «ولذلك يطلق هذا الاسم»، بدل: «ولذلك يطلق الشعر».

(٢) في (أ): «تفسيره».

(٣) «خادعهم، أي:» سقط من (ف).

(٤) «به» سقط من (ف).

(٥) في (أ): «فأعذره» بدل: «فما عذره».

(٦) «لما» سقط من (ف).

[البقرة: ١٨]، وكانوا سامِعين ناطقين ناظِرين حقيقةً، لكنْ لم ينتفِعوا بذلك فكانوا كأنهم صمٌّ بكمٌ عميٌ، فذو الآلةِ إذا لم يَنتفِع بها فهو وعادمُ الآلة سواءٌ، والعالمُ الذي لا يعمل بعلمه فهو والجاهلُ سواءٌ، والغنيُّ الذي لا يَنتفع بماله فهو والفقيرُ سواءٌ، والحيُّ الذي لا يَستمتِع بحياته فهو والميتُ سواءٌ.

ثم إنَّ الله تعالى أثبتَ للمؤمنين العلمَ بقوله: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ١٨]، وأثبت لهم الجهلَ بقوله: ﴿لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ﴾ [النساء: ١٧]، كما أثبت للكفار العلم بقوله: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُواْ﴾ [البقرة: ١٠٢]، والجهلَ بقوله: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ﴾ [الزمر: ٦٤]. وليسوا سواءً، بل إثباتُ العلم للمؤمنين إثباتُ الكرامة، وذكرُ الجهل تلقينُ عذرِ المعصية، وإثباتُ العلم للكفار إلزامُ الحجة، وذكرُ الجهل إثباتُ المَنقَصة.

* * *

(١٠) ـ ﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾: المرضُ في اللغة: العلَّةُ، والإمراضُ: إثباتُ صفة المرض، والتمريضُ: القيام على المريض.

وقيل: هو كلُّ ما خرج به الإنسان عن حدِّ الصحة في جسدٍ أو اعتقادٍ[1]؛ من علةٍ أو نفاقٍ أو تقصيرٍ في أمرٍ.

والمرضُ في القرآن لأربعة أشياءٍ:

للعلة: في قوله تعالى: ﴿وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ﴾ [النور: ٦١].

وللجراح: في آية التيمُّم: ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ [النساء: ٤٣].

---

(١) «في جسدٍ أو اعتقادٍ»: سقط من (أ) و(ف).

وللفجور: في قوله تعالى: ﴿فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾ [الأحزاب: ٣٢].

وللشكِّ: في قوله تعالى: ﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ [البقرة: ١٠].

وأمَّا التفسير فقد قال ابن مسعودٍ رضي الله تعالى عنه وابن عباسٍ والربيعُ وقتادةُ رضي الله عنهم: أي: شكٌّ[١].

وقال مقاتلٌ: أي: نفاقٌ.

وقال ابن الأنباريِّ: أي: ظُلمةٌ، قال: يقالُ: ليلةٌ مريضةٌ؛ أي: مُظلمةٌ[٢].

وقال بعضُهم: أي: غمٌّ[٣] بسبب نصرةِ النبيِّ ﷺ وزوالِ رئاستهم إليه.

وقال الإمامُ أبو منصورٍ رحمه الله: أي: اضطرابٌ وتردُّدٌ، ومَرَضُ الجسم كذلك، وطريقُ تسمية النفاق مرضاً: أن المؤمن يسمَّى[٤] حيًّا والكافرَ ميتاً، فسمِّي المنافق مريضاً لتردُّده بين موافقةِ الظاهر ومخالفةِ الباطن، كتردُّد المريض بين بقائه حيًّا وبين موته[٥].

ولأن[٦] الله تعالى قال: ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٩]؛ أي: خالٍ عن الشكِّ والشِّرك، فكان قلبُ المنافق بخلافه، فلم يكن سليماً بل كان مريضاً.

وقوله تعالى: ﴿فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا﴾: الزيادة خلافُ النقصان، ويجيءُ متعدِّياً كما

---

(١) رواه عنهم الطبري في «تفسيره» (١/ ٢٨٨ ـ ٢٨٩).

(٢) انظر: «الزاهر» لابن الأنباري (١/ ٤٧٥).

(٣) بعدها في (ر): «في قلوبهم».

(٤) في (ف) و(أ): «سمي».

(٥) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (١/ ٣٨٣ ـ ٣٨٤).

(٦) في (ر) و(ف): «لأن».

في هذه الآية، ولازماً كما في قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ [الصافات: ١٤٧]، ونظيرُها[١] نقيضُها وهو النقصان، وهو متعدٍّ في قوله تعالى: ﴿نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ [الرعد: ٤١]، ولازمٌ في قول النبي ﷺ: «هن ناقصاتُ العقلِ والدِّين»[٢].

وأما التفسيرُ:

فقد قيل: معناه: جازاهم الله بزيادةِ شكٍّ على شكِّهم عقوبةً لهم على إصرارهم وعنودهم.

وقال السدِّيُّ رحمه الله: فزادتهم عداوةُ الله مرضاً.

وقيل: أي: زادهم اللهُ تعالى غمًّا على غمِّهم.

وقال الإمام أبو منصورٍ الماتُريدي رحمه الله: أي: زاد[٣] الله تعالى خَلْقَ الكفر في اعتقادهم[٤].

وقالت المعتزلةُ: هو على التَّخلية بين المنافق ونفاقه.

وهذا بناءً على أصلهم الفاسد، أنهم[٥] لا يَرون الكفر والمعاصيَ بتخليق الله تعالى ومشيئته، فلا[٦] يَحمِلون مثلَ هذا إلا على التخلية.

---

(١) في (ف): «ونظير».

(٢) رواه البخاري (٣٠٤) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وفيه: «ما رَأَيتُ مِن ناقصاتِ عقلٍ ودِينٍ أَذْهَبَ لِلُبِّ الرجلِ الحازمِ مِن إحداكنَّ»، وبنحو هذا رواه مسلم (٧٩) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٣) في (ف): «زادهم».

(٤) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (١/ ٣٨٤).

(٥) في (ف): «لأنهم».

(٦) في (ر): «ولا».

وقيل: معناه: زادهم ضعفاً عن الابتِصار[1]، وعجزاً عن الاقتدار، كما قال الشاعر:

يا مُرسِلَ الريحِ جَنوباً وصَبا   إنْ غَضبت زيدٌ فزِدْها غَضَبا[2]

وزيدٌ قبيلةٌ، ومعنى الدعاءِ في هذا البيت: أي: لا تُقْدِرْها على الابتصار[3] فيما غضِبت منه.

ثم هذه الصيغةُ للتحقيق عند بعضهم، وللدُّعاء عند آخرين.

فإن قالوا: الدعاءُ للعاجز عُرفاً، فما معنى هذا الدعاءِ من الله تعالى؟

قلنا: هذا تعليمٌ من الله تعالى أنه يجوزُ الدعاءُ عليهم، وهذا كقوله تعالى: ﴿قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ﴾ [التوبة: ٣٠]، وقولِه: ﴿إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ﴾ [النساء: ١١٧-١١٨]، وقريبٌ منه: ﴿فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الملك: ١١]، وقولُه: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ﴾.

ثم: في هذه الآيةِ إثباتُ خلقِ الأفعالِ من اللهِ تعالى طاعاتِها ومعاصيها، قال تعالى هاهنا: ﴿فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا﴾، وقال في آيةٍ أخرى: ﴿زَادَهُمْ هُدًى﴾ [محمد: ١٧].

ثم قيل: زيادةُ مرضِهم كان بإنزالِ الآياتِ المتتابِعةِ والبراهينِ والحُجج المتناصِرة، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ

---

(١) في (ف) و(أ): «الانتصار».

(٢) الرجز للأخطل، وهو في «ديوانه» (ص: ٣١٩)، و«التمثيل والمحاضرة» للثعالبي (ص: ٧١)، و«تفسير الراغب» (١/ ٩٩)، و«تفسير القرطبي» (١/ ٣٠٠).

(٣) في (ف) و(أ): «الانتصار».

﴿فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾ [التوبة: ١٢٤ ـ ١٢٥]، وذلك على وجه التسبُّب[1]؛ أي: صارت الآيةُ سبباً لزيادة يقينِ هؤلاء ولزيادةِ شكِّ هؤلاء، وهو كقوله: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾ [فاطر: ٤٢] وقال: ﴿فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَاءِيٓ إِلَّا فِرَارًا﴾ [نوح: ٦].

ومن العجَبِ ازديادُ شكِّهم بالآيات النيِّرة، واضطرابُ قلوبهم مع الدلائلِ البيِّنة[2]!

لكنَّ الشمسَ تزيدُ عليلَ العين علةً، والماءَ يزيدُ الحجرَ الصُّلبَ صلابةً، هم قومٌ زادهم القرآنُ الذي أنزل شفاءً ورحمةً في القلوب علةً ومرضاً.

وقيل: كانت زيادةُ مرضهم بإنزال الفرائض والحدود، فقد كان يَشُقُّ عليهم التكلُّم[3] بالشهادة، فكيف وقد لحقَتْهم الزيادة[4]؟ وهي وظائفُ العباداتِ ثم العقوباتُ على الجنايات، فازدادوا بذلك اضطراباً على اضطراب، وارتياباً على ارتياب، ويزدادون بذلك في الآخرة عذاباً على عذاب، قال تعالى: ﴿زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ﴾ [النحل: ٨٨] والمؤمنون لهم في الدنيا ما قال: ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى﴾ [مريم: ٧٦]، وفي العُقبى ما قال: ﴿وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾ [النور: ٣٨].

وقوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: هذا[5] في العُقبى، والأولُ في الدنيا، والألمُ في اللغة: الوجع، والأليم: الوجيع، وهو بمعنى: المؤلم؛ أي: الـمُوجِع، كما يقال: السميعُ بمعنى المسمِع، قال الشاعر:

---

(١) في (أ): «التسبيب».

(٢) في (ف): «السنية».

(٣) بعدها في هامش (ر): «بكلمة».

(٤) في (أ): «لحقهم الزيادات»، وفي (ف): «لحقتهم الزيادات».

(٥) في (أ): «وهذا».

أمِـن ريحانـةَ الدَّاعـي السـميعُ　　　يُؤرِّقُني وأصحابـي هُجـوعُ[1]

وأما تفسيرُه:

فقد قيل[2]: أي: يصلُ ألـمُه إلى القلوب.

وقيل: هو الشديدُ الذي لا يزولُ ولا ينقطع.

وقوله تعالى: ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَكۡذِبُونَ﴾: أي: بكونهم كاذبين، فإنَّ (ما) مع (كان) مصدر، وكذا كلُّ فعلٍ؛ تقول: سمعتُ ما قلتَ، أي: قولَكَ.

وكلمةُ (كان) قد تَجيءُ للماضي، كما في قوله: ﴿وَكَانَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ تِسۡعَةُ رَهۡطٍ﴾ [النمل: ٤٨].

وقد تجيءُ للمستقبل، كما في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ يَوۡمًا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ عَسِيرًا﴾ [الفرقان: ٢٦].

وقد تجيءُ للحال، كما في قوله تعالى: ﴿كَيۡفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلۡمَهۡدِ صَبِيًّا﴾ [مريم: ٢٩].

وقد تجيءُ جامعاً لذلك كلِّه، كما في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣]؛ أي: لم يَزَلْ رحيماً بهم في الأزلِ وفي الحالِ وفي الأبد.

وقد تَجيءُ بمعنى: صار، كما في قوله: ﴿فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُغۡرَقِينَ﴾ [هود: ٤٣].

---

(١) البيت لعمرو بن معدي كرب، كما في «مجاز القرآن» (١/ ٢٨٢)، و«الأصمعيات» (ص: ١٧٢)، و«الشعر والشعراء» (١/ ٣٦٠)، و«الكامل» للمبرد (١/ ١٦٢)، و«تفسير الطبري» (١/ ٢٩١)، و«معاني القرآن» للزجاج (١/ ٨٧)، و«الأضداد» لابن الأنباري (ص: ٨٤)، و«الصحاح» (مادة: سمع).

(٢) في (ر) و(ف): «فقيل» بدل: «فقد قيل».

وقد تجيءُ بمعنى: وَقَع، كما في قوله: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ﴾ [البقرة: ٢٨٠].

ثم الكذبُ خلافُ الصدق، وفيه لغتان: كَذِبٌ وكِذْبٌ، كقولك: لَعِبٌ ولِعْبٌ، والتكذيب: النسبةُ إلى الكذب.

وقرأ أهلُ الكوفة: ﴿يَكْذِبُونَ﴾ بالتخفيف[1]، وهو كذبُهم فيما قالوا، وقرأ غيرهم بالتشديد، وهو تكذيبهم اللهَ تعالى ورسولَه.

وأما تفسيرُه:

فقد قيل: أي[2]: يَكْذبون على الله تعالى بإثباتِ الشريك.

وقيل: أي: بتحليلِ ما حرَّمه الله وتحريمِ ما حلَّله.

وقيل: أي: بقولهم: إنك لرسولُ الله، بألسنتهم من غير تصديقِ قلوبهم بذلك، وهو منصوصٌ عليه بقوله تعالى: ﴿قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾ [المنافقون: ١] إلى أن قال: ﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ [المنافقون: ١].

وقيل: أي: بقولهم: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ من غيرِ اعتقادٍ، وهو الذي سبَق ذكرُه في هذه الآيات، وتحقَّق به ما قلنا: أن[3] الإيمان ليس هو مجردَ الإقرار، فقد كذَّبهم الله تعالى في دعوى الإيمان مع إقرارهم باللسان؛ لمخالفةِ[4] الجَنان، واللهُ المستعان.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٤١)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٢). والكوفيون من السبعة: عاصم وحمزة والكسائي.

(٢) «أي»: ليست في (ر) و(ف)، و«فقد قيل» ليست في (ف).

(٣) في (ر) و(ف): «لأن».

(٤) في (ر) و(ف): «بمخالفة».

(١١) ـ ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ ﴾: (إذا) كلمة توقيتٍ، وهي ظرفٌ للزمان المستقبَل، و(إذ) ظرفٌ للزَّمان الماضي، والفسادُ ضدُّ الصلاح، والإفسادُ ضدُّ الإصلاح.

وأمَّا تفسيره:

فقد قيل: أي: وإذا قال المسلمون لهؤلاء المنافقين[١]: لا تَعملوا المعاصيَ[٢] في أرض المدينة وما حولها.

وقيل: أي: لا تُداهِنوا.

وقيل: أي: لا تفرِّقوا الناسَ عن محمدٍ ﷺ.

وقيل: أي: لا تَصُدُّوا الناس عن دينِ الله واتِّباع رسوله.

وقيل: أي: لا تُمايلوا[٣] الكفار.

وقيل: أي: لا تتَّبعوا الهوى بتركِ المأمور وارتكابِ المنهيِّ.

واختلفوا في المرادِينَ بهذه[٤] الآيةِ:

قال ابنُ عباسٍ وابنُ مسعودٍ وجماعةٌ رضي الله عنهم: هم المنافقون[٥].

---

(١) بعدها في (أ) و(ف): «وهو النظم».

(٢) في (ف): «بالمعاصي».

(٣) قوله: «تمايلوا» كذا في النسخ الثلاث، ولعل الصواب: (تُمالِئوا)؛ أي: تُساعدوا وتُشايعوا، أما تمايلوا فمعناه على العكس تقريباً، يقال: مايَلَنا فمايَلْناه؛ أي: أغار علينا فأَغَرْنا عليه. انظر: «القاموس» (مادة: ملأ ومال).

(٤) في (أ): «المراد بهذه» وفي (ف): «المراد من هذه».

(٥) رواه عنهم الطبري في «تفسيره» (١/ ٢٩٧).

وقال مقاتلٌ، وهو روايةٌ عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما: هم اليهودُ من هاهنا إلى قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ [البقرة: ٢١]، قال: ويَدلُّ عليه قولُه تعالى[1]: ﴿إِنَّمَا نَحۡنُ مُصۡلِحُونَ﴾ واليهودُ هم الذين كانوا يعتقدون هذا الإفسادَ إصلاحاً[2]، ويُظهِرون ذلك، فأما[3] المنافقون فما كانوا يقولون ظاهراً: إن هذا إصلاحٌ، ولو قالوا ذلك لظَهر كفرُهم فقُتلوا، فأما[4] اليهود ـ لعنهم الله ـ فقد كانوا أَظهروا أنهم على الحقِّ وغيرَهم على الباطل، والمنافقون[5] كانوا يقولون: ﴿نَشۡهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾ [المنافقون: ١]، ﴿وَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمۡ لَمِنكُمۡ﴾ [التوبة: ٥٦].

ودليلٌ آخَرُ: قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ﴾ والمنافقون ما كان يمكنُهم التكلُّم بهذا ظاهراً.

فثبَت أنه في اليهود، وإفسادُهم هو كتمانُ حالِ النبيِّ ﷺ، وصدُّ الناس عنه، وأخذُهم الرشوةَ، وتغييرُهم الأحكامَ بها[6].

وأما القائلون بأنَّ الآية في المنافقين فقد قالوا: إن ما قبلها وما بعدها في المنافقين على ما بيَّنَّا ونبيِّنُ، فأمَّا قولهم: ﴿إِنَّمَا نَحۡنُ مُصۡلِحُونَ﴾ فمعناه أنهم قالوا: لا نفعلُ هذه الأشياءَ التي هي إفسادٌ[7] بل نتَّبعُكم على دِينكم، وهذا إنكارٌ منهم للنِّفاق والإفساد.

---

(١) في (أ): «أنه قال قالوا» وفي (ف): «أنه قال جل وعلا». بدل: «قوله تعالى».

(٢) في (ر): «صلاحاً».

(٣) في (ف): «وأما».

(٤) في (ف): «وأما».

(٥) في (ر) و(ف): «وأما المنافقون».

(٦) في (ف): «وتغييرهم أحكام التوراة».

(٧) بعدها في (ر): «منهم».

وكان إفسادُهم على قولِ هؤلاء: ما ذُكر في هذه الآيات: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾، ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُمۡ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلۡعَبُ﴾ [التوبة: ٦٥]، وهي قصةُ تنفيرِهم ناقةَ النبيِّ ﷺ ليلةَ العقبة، وقوله: ﴿وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٞ﴾ [التوبة: ٦١]، ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدٗا ضِرَارٗا وَكُفۡرٗا﴾ الآية [التوبة: ١٠٧]، ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةٗ﴾ [المجادلة: ١٦]، ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ﴾ [النساء: ٦٠] وهو كعب بن الأشرف، ﴿يَقُولُونَ لِإِخۡوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ الآية [الحشر: ١١]، ﴿يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمُنكَرِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَقۡبِضُونَ أَيۡدِيَهُمۡ﴾[1] [التوبة: ٦٧]، ﴿لَوَّوۡاْ رُءُوسَهُمۡ﴾ الآية [المنافقون: ٥]، ﴿إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ﴾ [البقرة: ١٤]، ﴿يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ﴾ [النساء: ١٤٢]، ﴿فَهُمۡ فِي رَيۡبِهِمۡ يَتَرَدَّدُونَ﴾ [التوبة: ٤٥]، ونحوها.

وقولُه تعالى: ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ هي وجهُ بساطِ الدنيا، والسماءُ سقفُها.

وقيل: أريدَ بها هاهنا أرضُ المدينة، فإن إفسادَ المنافقين كان فيها.

وقوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحۡنُ مُصۡلِحُونَ﴾: ﴿إِنَّمَا﴾ كلمتان في الأصل، (إنَّ) كلمةُ تأكيدٍ قُرنت بـ (ما)، فصارتْ للحَصْر والقَصْر، فقوله: ﴿إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ﴾ [النساء: ١٧١] تقديرُه: لا إله إلا الله الواحد، وقوله: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ﴾ [التوبة: ٦٠] كذلك، وكذا هاهنا معناه: ما نحن إلا مصلحون.

وقوله: ﴿نَحۡنُ﴾: جمعُ (أنا) على غير لفظه، كـ: (هؤلاء) جمع (هذا) و(هذه)، وكقولهم: (أولئك) هو جمعُ (ذاك) و(ذلك) و(تلك)، وكالنسوة جمع المرأة، وكالإبل جمع الجمل والناقة، وكالغنم جمع الشاة.

---

(١) في (أ): «الآية» بدل: «﴿وَيَقۡبِضُونَ أَيۡدِيَهُمۡ﴾».

ثـم هـذه الكلمـةُ يتكلَّـم بهـا الواحـدُ إذا أَخـرج[1] الـكلامَ مُخْـرج خطـابِ الملـوك، قـال تعالـى: ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ ﴾ [الحجـر: ٢٣]، ويتكلـم بهـا الاثنان، قـال تعالى خبـراً عن هـاروتَ ومـاروتَ: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴾ [البقـرة: ١٠٢]، ويتكلَّـمُ بهـا الجماعـةُ كمـا فـي هـذه الآيـة: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾.

والإصلاحُ: ضدُّ الإفساد، والصَّلاح والصِّلاح والصُّلوح: ضدُّ الفساد.

وفي تصريفه ثلاثُ لغاتٍ: صَلُح يَصْلُح؛ كقولك: شَرُف يَشْرُف، وصَلَح يَصْلُح؛ كقولك: دَخَل يَدْخُل، وصَلَح يَصْلَح؛ كقولك: صَنَع يَصْنَع.

والصُّلح والمُصالحة والإصلاح[2] من ذلك.

ثم لقولهم هذا وجوهٌ:

أحدها: أنهم أنكروا الإفساد ـ وهو النِّفاق وما نُهوا عنه ـ لأنهم كانوا يُخفون ذلك، فأَظْهَرَ الله تعالى ما أضمَروا، وكَشَفَ ما ستَروا.

والثاني: أنهم اعتذروا إلى المسلمين، وقالوا: إنما نوافقُ الكفارَ ونمايلهم[3] نريد بها الإصلاحَ بينهم وبين المؤمنين، وهذا قولُ ابن عباسٍ رضي الله عنهما[4].

والثالث: أنهم قالوا: نُصلح[5] أمرَنا بموافقة الكفار في الباطن، وموافقةِ

---

(١) في (ف): «خرج».

(٢) في (ف): «والاصطلاح».

(٣) «ونمايلهم» كذا في النسخ، ولعل الصواب: «ونمالئهم» كما ذكرنا قريباً، وفي «البحر المحيط»: «إنَّ ممالأتنا الكفار».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٢٩٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٤٥). وانظر: «البحر المحيط» لأبي حيان (١/ ١٨٥).

(٥) في (ر): «يصلح».

المؤمنين في الظاهر؛ نظراً في العاقبة، حتى لو كان الظَّفَرُ لهؤلاء قالوا: نحن منكم[١]، ولو كان لهؤلاء قالوا لهم كذلك.

والرابع: أنَّ هذا جوابُ اليهود، وأظهَروا به أنَّ ما هم فيه إصلاحٌ وليس بإفسادٍ.

***

(١٢) ـ ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ﴾: (أَلَا) كلمة تنبيهٍ، و(إنَّ) كلمة تأكيدٍ، و(هم) كنايةٌ عن المذكورين قبلَه، و(هم) ثانياً تأكيدٌ؛ لأن التكريرَ تأكيدٌ[٢] وتقريرٌ، وهذا كقوله: ﴿إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ﴾ [القصص: ٣٠]، ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ﴾ [الحجر: ٩]، ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [يوسف: ٩٨]، ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٨]، ﴿إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الأنبياء: ٦٤]، ﴿إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ﴾ [البقرة: ١٢].

أثبَتوا لأنفسهم اسمَ المُصلِحين، فنفاه الله عنهم وأثبت لهم اسم المفسِدين، فكان[٣] لكلامهم أربعةُ أوجهٍ، وفي هذا ردُّهم على تلك الوجوه:

أما الأول: فكان إنكاراً منهم وإسراراً، وكان هذا هتْكاً لأستارهم وإظهاراً.

والثاني: كان اعتذاراً بأنَّا نطلب الإصلاح باستمالة الكفار، فأَخبر بهذا أنَّ هذا إفسادٌ منهم، حيث علمَ الكفارُ أنَّ المنافقين لهم أنصارٌ، وهذا باعثٌ لهم على الإصرار.

والثالث: كان ظنًّا منهم أنَّ موافقةَ الفريقين من وجهين تنفعهم في الحالين،

---

(١) في (أ): «معكم».

(٢) في (ف): «التأكيد تكرير»، وفي هامشها: «صوابه: لأن التكرير تأكيد وتقرير».

(٣) في (أ): «وكان».

فيكون إصلاحاً لبالهم، فأخبر أنَّه إفسادٌ لحالهم ومآلهم، فإنهم طلبوا رضى الفريقين، وقد فاتَهم ذلك كلُّه؛ فإنَّ المؤمنين يبغضونهم؛ لِمَا أنهم لا يوافقونهم في الباطن، والكافرون[١] يردُّونهم؛ لِمَا أنهم لا يتابعونهم[٢] في الظاهر، وكذلك حالُ أهل الرِّياء، ولا خلاصَ لهم إلا بالإخلاص.

والرابع: كان هذا جوابَ اليهود ـ لعنهم الله ـ جِهَاراً، وكانوا ممَّن قال اللهُ تعالى: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا﴾ [فاطر: ٨]، وكانوا كفرعون لعنه الله، سَمَّى صلاحَ موسى فساداً، وغوايةَ نفْسِه رشاداً، فقال: ﴿ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ﴾ [غافر: ٢٦]، وقال: ﴿مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ [غافر: ٢٩]، فردَّ الله تعالى عليه فقال: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: ٤]، وقال: ﴿وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس: ٩١]، وقال هاهنا: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ﴾.

وقيل: في هذا ما يدلُّ على أنهم وصفوا أنفسَهم بالإصلاح والمؤمنين بالإفساد[٣]، واقتضى أنهم قالوا: إنما نحن مصلحون وأنتم مفسدون، فردَّ الله عليهم القولين[٤]، وقال: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ﴾، وتقديرُه: هم المفسدون لا أنتم، ولو كان كلامُهم هذا الواحدَ المنصوصَ عليه فحسب؛ كفى جواباً لهم: إنهم مُفسدون، فتكرارُ (هم) وتعريفُ النَّعت بالألف واللام دليلٌ على ما قلنا، وهو كقوله: ﴿إِنَّ

---

(١) في (أ): «والكفار».

(٢) في (أ): «يوافقونهم».

(٣) في (ف): «بالفساد».

(٤) في (أ): «القول».

شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾، هو ردُّ قول ذلك اللَّعين: إنَّ محمداً لأبترُ، إذا ماتَ انقطع ذِكرُه، فقال الله تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ لا أنت(١).

ثم فيه بيانُ شرف المؤمنين، حيث تولَّى جوابَ المنافقين عمَّا قالوه للمؤمنين، كما كان في حقِّ المصطفى عليه السَّلام، فإن الوليد بن المغيرة قال له: إنك مجنونٌ(٢)، فنفاه الله تعالى عنه بقوله: ﴿مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾ [القلم: ٢](٣)، ثم قال في حقِّ(٤) ذمِّ ذلك اللعين: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ [القلم: ٨]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ﴾ [القلم: ١٠](٥)، وهي عشرةُ أسماءٍ مذمومةٍ(٦).

---

(١) رواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٣/ ٧) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، واللعين المذكور هو العاص بن وائل.

(٢) في (أ): «إنك لمجنون»، وفي (ف): «إنه مجنون».

(٣) وروي عكس هذا، وهو أن الوليد بن المغيرة نفى عنه ﷺ ذلك الوصف بالجنون عندما أراد كفار قريش وصفه به، فروى البيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ٢٠٠) عن ابن عباس رضي الله عنها: أن الوليد بن المغيرة اجتمع ونفراً من قريش، وكان ذا سنٍّ فيهم، وقد حضر الموسم، فقال: إن وفودَ العرب ستقدُم عليكم فيه، وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا، فأجمعوا فيه رأياً واحداً... فقالوا: نقول كاهن، فقال: ما هو بكاهن، لقد رأيتُ الكهان، فما هو بزمزمة الكهان، فقالوا: نقول مجنون، فقال ما هو بمجنون، ولقد رأينا الجنون وعرفناه... إلى أن قال: وإن أقرب القول لأن تقولوا ساحر، فتقولوا: هو ساحر يفرق بين المرء وبين أبيه، وبين المرء وبين أخيه... فأنزل الله عز وجل في الوليد بن المغيرة، وذلك من قوله: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ إلى قوله: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾.

(٤) «حق»: من (أ).

(٥) رواه ابن إسحاق في «سيرته» (٢/ ١٤٠) عن الربيع بن أنس.

(٦) في هامش (ف): «أسماء المنافقين عشرة في القرآن: مخادعون، جاهلون، كاذبون، مرضى، مفسدون، سفهاء، طاغون، صمٌّ، بُكمٌ، عُميٌّ».

فكذلك في حقِّ المؤمنين، فإنَّ المنافقين سَمَّوا المؤمنين مفسدين، فنفاه الله عنهم، وسمَّى المنافقين بعشرة أسماءٍ مذمومةٍ:

مخادعين: بقوله[١] تعالى: ﴿يُخَادِعُونَ ٱللَّهَ﴾.

جاهلين: بقوله: ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾.

مرضى: بقوله: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾.

كاذبين: بقوله: ﴿يَكْذِبُونَ﴾.

مفسدين: بقوله: ﴿هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ﴾.

سفهاء: بقوله: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ﴾.

طاغين: بقوله تعالى: ﴿فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾.

وتمامُها بقوله[٢]: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾: (لكنْ) كلمةُ استدراكٍ، وقيل: هي تحقيقُ شيءٍ تُثْبته بدلَ شيءٍ تنفيهِ.

ويُشَدَّد ويُخَفَّف، والمُشَدَّد ناصبٌ، والمُخَفَّف رافعٌ، ويدخلان جميعاً الاسمَ، والمُخَفَّفُ منه يدخل الفعلَ أيضاً، قال تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾[٣] [هود: ١٠١].

وقد تسقُطُ نونُه للضرورة في الشِّعر، قال الشاعر:

---

(١) في (ر) و(ف): «لقوله»، والمثبت من (أ)، وكذا وقع في المواضع الستة الآتية.

(٢) في (ر): «لقوله».

(٣) في (ر): «﴿كَانُواْ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾» بدل: «﴿ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾».

فـلـسـتُ بـآتـيـه ولا أسـتـطـيـعُـه[١] ولاكِ[٢] اسقِني إنْ كان ماؤكَ ذا فَضْلِ[٣]

وفي موضع العطف تكون (لكنْ) المُخَفَّفةُ كسائر حروف العطف في العمل، تقول: ما جاءني زيدٌ لكنْ عمرٌو، و: ما رأيتُ زيداً لكنْ عَمْراً، و: ما مررتُ بزيدٍ لكنْ[٤] عمرٍو.

وقوله تعالى: ﴿لَا يَشْعُرُونَ﴾؛ أي: لا يعلمون.

واختُلف في معناه:

قيل: لا يعلمون أنَّهم مفسدون، وأنَّ فِعلَهم إفسادٌ.

قـال[٥] الإمـامُ أبـو منصـورٍ رحمـه الله: إنْ كان التأويـلُ هـذا؛ فهـو ينقـضُ قـولَ مَـن يقـول: إن الحُجَّـةَ لا تلـزم إلا بالمعرفـة، وهـو قـولُ الناشـئ[٦] وغيـره مـن المعتزلـة؛ لأنـه أخبـرَ بفسـادِ صنيعهـم وإن لـم يشـعروا بـه، وهو كقولـه أيضاً: ﴿أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الحجرات: ٢] أخبـر بحَبـطِ أعمالهم وإنْ كانوا لا

(١) «فلست بآتيه ولا أستطيعه» ليس في (أ) و(ف)، ولكن في هامش (ف): «وتمامه:
فـلـسـت بـآتـيـه ولا أسـتـطـيـعه ولك اسقني إن كان ماؤك ذا فضل»

(٢) رسمت في (أ) و(ف): «ولك».

(٣) البيت للنجاشي الحارثي. انظر: «ديوانه» (ص: ٥٦).

(٤) في (ر): «ولكن»، وكذا في الموضعين السابقين بالمشاركة مع (ف).

(٥) في (ر) و(ف): «وقال».

(٦) هو عبد الله بن محمد، أبو العباس، المعروف بابن شرشير الناشئ، شاعر متكلم يعد في طبقة ابن الرومي والبحتري، أصله من الأنبار، وأقام ببغداد مدة طويلة، وخرج إلى مصر فسكنها، وتوفي بها سنة (٢٩٣هـ)، وكان من كبار المعتزلة. انظر: «تاريخ الإسلام» (٢٢/ ١٨١). وتحرف «الناشئ» في مطبوع «التأويلات» إلى: «الناس».

يعلمون[1]، بعد أن كانوا بسبيل العلم به؛ أي: مُتمكِّنين من الوصول إلى العلم بالنظر في دَلائلِه.

وقيل: ليس هذا نفيَ حقيقة العلم، بل هو نفيُ عملهم بالعلم، وقد قرَّرناه فيما مر.

وقيل: أي: لا يشعرون[2] أنهم يعذَّبون على ذلك.

وقيل: أي: لا يشعرون متى ينزل بهم الموتُ فتنقطعَ عنهم التوبة.

ولمَّا كانوا موصوفين بالعلم في الأصل بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ﴾ [البقرة: ١٠٢]، وصاروا موصوفين بالجهل بقوله: ﴿لَّا يَشْعُرُونَ﴾ من الوجوه الثلاثة: أنهم لم يعلموه إفساداً، ولم يعلموا أنَّ عليه عذاباً، ولم يعلموا متى يموتون قبل أنْ يتوبوا؛ أَلزمهم الحجَّة، فأزال هذه الجهالات بالدَّلالات، فقال: إنه إفسادٌ، بقوله: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ﴾، وقال في عذابه: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥]، وقال في الموت: ﴿فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [الشعراء: ٢٠٢].

وكذا وصفَ المؤمنين بالعلم بقوله تعالى: ﴿وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ١٨]، ثم وصفَهم بالجهل لمخالفتهم[3] العلم، فقال: ﴿يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ﴾ [النساء: ١٧]، وكان جهلُهم من هذه الوجوه الثلاثة، فأزالها، فقال في حقِّ الأول: إنَّه فسوقٌ، بقوله تعالى: ﴿بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ﴾ [الحجرات: ١١]، وقال في عقوبته: ﴿وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ

---

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (١/ ٣٨٥).

(٢) في (أ): «يعلمون».

(٣) في (أ): «بمخالفتهم».

لَفِي جَحِيمٍ﴾ [الانفطار: ١٤]، وقال في الموت: ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ الآيات[1] [المنافقون: ١٠].

***

(١٣) ـ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ ۗ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ﴾: ذكر الكلبيُّ عن أبي صالح عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما: أنَّ الآيةَ نزلت في شأنِ اليهود ومسلمي أهل الكتاب: عبدِ الله بنِ سَلَام وأصحابِه، والنَّجاشيِّ وأصحابِه، وذلك أنَّ النبيَّ ﷺ بعث ابنَ مسعودٍ وجعفرَ الطَّيَّارَ رسولاً إلى النَّجاشيِّ، فاستقبلهم عيرُ الشام وفيهم أهلُ الكتاب، وكان ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه يقرأ جهراً، فانتهى إلى قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ﴾ [النساء: ٤٧]، وفي العِير عبدُ الله بن سلَام، فلما سمع ذلك هاب، وجعل يمسح رأسَه ووَجْهَه خوفاً من المَسْخ، وهَمَّ أنْ يأتي رسولَ الله فيُسْلِمَ[2] على يديه، فأتى المدينة، ودخل على رسولِ الله ﷺ وقال: يا رسول الله! إنِّي سيدُ قومي، وهم[3] يُعظِّمونني، فأرجو أنهم يُسلمون بإسلامي، فادعُهم وسَلْهم عنِّي ومَن[4] أنا فيهم، وأخبرهم بإسلامي، فعسى

---

(١) في (أ): «الآية» بدل: «﴿فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ الآيات».

(٢) في (ف): «ويسلم».

(٣) في (أ): «وإنهم».

(٤) في (أ) و(ر): «مَن».

يجيبونك، ففعل، فلمَّا دخلوا عليه قال لهم[١]: «ما تَعُدُّون فيكم ابنَ سَلَام؟» قالوا: هو[٢] سيدُنا وابنُ سيدِنا، وأعلمُ يهوديٍّ بقي على وجه الأرض بالكتاب الذي أَنزل الله تعالى على موسى عليه السَّلام، فقال النبيُّ ﷺ: «أَتُسلمون إنْ أَسْلَم هو؟» فقالوا: هو لا يُسلم، فكرَّرَ رسولُ الله ﷺ ذلك، فأجابوا كذلك، فخرج عليهم عبدُ الله بنُ سَلَام وقال[٣] لهم: يا أعداء الله! فعلَ الله تعالى بكم كذا وكذا، أمَا وجدتم نعتَ محمدٍ وصِفَتَه مكتوباً في التوراة في موضع كذا؟ فقالوا: يا ابنَ سَلَام! ما كنت أهلاً للَّذي أثنينا عليك، ولكنْ كنتَ غائباً فكرهنا أن نغتابك، وخرجوا وهم يقولون: إنك رجلٌ جاهلٌ سفيهٌ، فأنزل الله هذه الآية[٤].

فعلى هذا تأويلُ الآية: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾؛ أي: لليهود: ﴿ءَامِنُوا﴾ بمحمدٍ وكتابه ﴿كَمَآ ءَامَنَ﴾ عبدُ الله بنُ سَلَام وأصحابُه والنَّجاشيُّ وأصحابُه؛ ﴿قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ﴾؛ أي[٥]: هؤلاء الجهَّال؛ أي: ابنُ سَلَام وأصحابُه والنجاشيُّ وأصحابُه.

وقال الحسن: ﴿كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ﴾؛ أي: النساء والصبيان[٦].

---

(١) «لهم»: من (أ).

(٢) في (أ): «فقالوا» بدل من «قالوا: هو».

(٣) في (أ): «فخرج عبد الله إليهم فقال».

(٤) لم أجده بهذا السياق، وإنما أورده السمرقندي في «تفسيره» (١/ ٥٥) من طريق الكلبي عن أبي صالح، عن ابن عباس رضي الله عنهما مختصرا: أنها نزلت في شأن عبد الله بن سلام وأصحابه، وعلى كل حال فالكلبي متروك والخبر بهذا السياق واه، وروى البخاري (٣٩١١) و(٤٤٨٠) من حديث أنس رضي الله عنه قصة إسلام عبد الله بن سلام رضي الله عنه ولم يذكر فيه سبب نزول الآية ولا قصة العير.

(٥) «﴿ٱلسُّفَهَآءُ﴾ أي» ليس في (ر) و(ف).

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٣٨٨).

وقال ابن مسعودٍ وابن عباسٍ رضي الله عنهم في روايةٍ، ومجاهد وقتادة والربيع والسُّديُّ: إنها في المنافقين[١].

وتفسيرها على هذا القول: وإذا قيل للمنافقين: آمِنوا بالقلوبِ مع إيمانكم بالألسنةِ كما آمن أصحابُ رسول الله ﷺ؛ ﴿قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ﴾؛ أي[٢]: هؤلاء الصحابةُ الذين لا يعلمون شيئاً؟

فعلى التفسير الأول: كان قولهم هذا جهرةً[٣]؛ لأنهم كانوا مُصرِّين على اليهودية ظاهرين، وبالكفر[٤] مجاهِرين.

وعلى التفسير الثاني: كان المنافقون لعنهم الله يتكلَّمون بهذا الكلام في أنفسهم دون أنْ ينطقوا به بألسنتهم، لكنْ هَتَكَ اللهُ عزَّ وجلَّ أستارَهم وأظهرَ أسرارَهم؛ عقوبةً لهم على عداوتهم، وهذا كما أظهر ما أضمرَه أهلُ الإخلاص من الكلام الحسَن وإنْ لم يتكلَّموا به بالألسنة[٥]؛ تحقيقاً لولايتهم، قال الله تعالى: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ﴾ [الإنسان: ٧] إلى أنْ قال: ﴿إِنَّمَا نُطۡعِمُكُمۡ لِوَجۡهِ ٱللَّهِ﴾ [الإنسان: ٩]، وكان هذا في قلوبهم، فأظهره الله تعالى تشريفاً لهم وتشهيراً لحالهم.

وفي الآية بيانُ رسالة النبيِّ ﷺ، وهو أنه أَخبر بما في قلوب المنافقين بإخبار ربِّ العالمين على ما مرَّ.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٢٠٣) عن ابن مسعودٍ وابن عباسٍ والرَّبيع والسُّدِّي. وانظر: «النكت والعيون» للماوردي (١/ ٧٥).

(٢) «﴿ٱلسُّفَهَآءُ﴾ أي» ليست في (ر) و(ف).

(٣) في (ر) و(ف): «جهراً».

(٤) في (أ): «بالكفر».

(٥) في (أ) و(ف): (بالألسن».

وقوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ﴾: هو جمع السَّفيه، ومصدرُه: السَّفَه والسَّفاهة، وذلك ضدُّ الحِلم، ويقال: هو خِفَّةُ العقل، يقال: ثوبٌ سَفِيهٌ؛ أي: رَدِيءُ النَّسج، وتَسَفَّهَتِ[1] الرِّيحُ الشَّجرة؛ أي: مالتْ بها وحرَّكَتْها واستخَفَّتْها، قال أبو تمَّام:

سَفيهُ الرُّمح جاهلُهُ إذا ما بَدا فَضْلُ السَّفيه على الحليم[2]

أي: سريعُ الطَّعن بالرمح خفيفُه.

وسَفَّهتُ الشَّيءَ: إذا[3] استَحْقَرتَه، وتَسَفَّهتُ[4] فلاناً عن ماله؛ أي: خدعتُه.

والسَّفَه: أنْ يُكثر الرجلُ شُربَ الماء فلا يَرْوَى، وسافَهْتَ الدَّنَّ: إذا قعدتَ عنده تشربُ منه ساعةً بعد ساعةٍ، وسافَهَتِ الناقةُ الطريقَ؛ أي: لازَمَتْه لا تبالي به.

وأما التفسيرُ[5]:

فقد قيل: السُّفهاء: الجُهَّال.

---

(١) في (ر) و(ف): «وسفهت»، والمثبت من (أ) وهو الموافق لما في كتب اللغة والتفسير. انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٣٦٢)، و«جمهرة اللغة» (٢/ ٨٤٩)، و«معاني القرآن» للنحاس (١/ ٣١٥)، و«الصحاح» و«اللسان» و«التاج» (مادة: سفه)، و«مجمل اللغة» (١/ ٤٦٣)، و«الهداية» لمكي بن أبي طالب (١/ ٩١٩)، و«المحكم» (٤/ ٢٢٢)، و«زاد المسير» (١/ ٣٣). لكن وقع في «الفائق» (٢/ ١٨٢)، و«تفسير الرازي» (٢/ ٣٠٨): «سفَّهت»، ولعله خطأ من الناسخ.

(٢) انظر: «شرح ديوان أبي تمام» للخطيب التبريزي (٢/ ٧٨).

(٣) في (ر): «أي».

(٤) في (ر) و(ف): «وسفهت»، والمثبت من (أ) وهو الموافق لما في كتب اللغة. انظر: «الصحاح» و«اللسان» و«التاج» (مادة: سفه)، و«مجمل اللغة» (١/ ٤٦٣)، و«مقاييس اللغة» (٣/ ٨٠)، و«شرح ديوان المتنبي» للعكبري (٤/ ٢٠٦).

(٥) في (أ): «تفسيره».

وقيل: البهَّاتون المُتعمِّدون لخلاف ما يعلمون[١].

وقيل: الجُهَّالُ الظَّالمون القائلون خلافَ الحقِّ.

وقيل: المُجاهرون التَّاركون النَّظرَ في العواقب.

وقيل: الجُهَّالُ بمصالح الأمور، الخِفافُ العقول والآراء.

وحاصلُ تفسير السَّفَه[٢] في صفة المنافق على مجموع اللُّغات وأقاويل الطَّبقات: أنه ظاهرُ الجهل، عَديمُ العقل، خفيفُ اللُّبِّ، ضعيفُ الرَّأي، رديءُ الفَهْم، مُمالُ الغَيِّ، مُستَخَفُّ القَدْرَ، سريعُ الذنب، حقيرُ النَّفس، مَخدُوعُ الشيطان، أسيرُ الطُّغيان، دائمُ العِصيان، مُلازمُ الكفران، لا يبالي بما كان.

وفي قولهم هذا شيئان اثنان: تأييسُهم[٣] عن إيمانهم، وتسفيهُ مَن آمَن من إخوانهم.

وهذا الاستفهام في أول الكلام للاستعجاب والاستعظام، تراءى لهم أنهم هم الأَلِبَّاء[٤]، وأنَّ غيرَهم السُّفهاء[٥]، وهذا من تسويلِ النفس وتزيينِ الشيطان، ومنه ضلالاتُ أهل الهوى والطُّغيان، فقال[٦] الله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ﴾.

وهذا أكرمُ رُتبةً وأعزُّ رِفعةً للمؤمنين المخلِصين إذ حمَاهم ورعاهم، ورَدَّ[٧]

---

(١) في (ف): «يعملون».

(٢) في (أ): «السفيه».

(٣) في (ر): «تأبيتهم».

(٤) في (أ): «أنهم الأولياء»، وفي (ف): «أنهم ألباء».

(٥) في (ر): «هم السفهاء».

(٦) في (ر) و(ف): «قال».

(٧) في (أ): «أي ورد».

على مَن عاداهم، وبالسُّوء رماهم، فقال بأبلغ ما يُبدأ به الكلام: ﴿أَلَآ﴾، وبأَوْكَد ما يُؤسَّس به النظام: (إنَّ)، وبأحسن ما يُتبع به البدء بالختام[1]: (هم[2] هم السفهاء)؛ أي[3]: لا هؤلاء؛ لأنهم بإيمانهم وإخلاصهم من السَّفَهِ هربوا، وفي العلم والحقِّ رغِبوا، وهم العلماء على الحقيقة، والمستقيمون على الطريقة.

وقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾؛ أي: لا يعلمون أنهم هم السُّفهاء.

وقيل: أي: لا يعلمون علماً يُميِّزون به بين الحقِّ والباطل.

وقيل: أي: لا يعلمون عاقبةَ صنيعهم.

وقيل: أي: لا ينتفعون بعلمهم، لا أنهم يُعذَرون بجهلهم.

ثم[4] من لطائف الآية: أن الذين قالوا لهودٍ النبيِّ عليه الصَّلاة والسَّلام: ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ﴾ [الأعارف: ٦٦] أجابَهم هو بنفسه، فقال: ﴿يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ﴾ [الأعراف: ٦٧]، والله تعالى تولَّى جوابَ المؤمنين، وأثبتَ السَّفَهَ للقائلين، فقال: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ﴾.

***

(١٤) ـ ﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا﴾: ﴿لَقُوا۟﴾؛ أي: عاينوا، واللِّقاء:

---

(١) في (ر): «والختام».

(٢) «هم» ليس في (ر) و(ف).

(٣) «أي»: ليست في (أ).

(٤) في (ف): «و».

الرُّؤيـة والمُعايَنـة، واللُّقِـيُّ واللّقِيـا[١] كذلـك، والمُلاقـاةُ والالتقـاء: الاجتماع، وهو للاجتمـاع فـي الحرب أيضـاً على الخصـوص، قـال تعالـى: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا﴾ [آل عمـران: ١٣].

والتَّلَقِّي: الاستقبال، وهو الأخذُ أيضاً في قوله[٢]: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾ [البقرة: ٣٧]، وهو روايةُ بعضهم من بعضٍ في قوله: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾ [النور: ١٥].

وأما تفسيره:

فقد قال ابن عباسٍ رضي الله عنهما ـ في روايةٍ عنه ـ ومقاتلٌ[٣] وأبو سهلٍ الطَّالقانيُّ: معناه: وإذا عاين اليهودُ المؤمنين[٤]، ويدلُّ عليه قولُه تعالى في هذه السورة: ﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓا۟ أَتُحَدِّثُونَهُم﴾ [البقرة: ٧٦]، وذاك في حقِّ اليهود بالإجماع[٥].

وقال ابن عباسٍ رضي الله عنهما في روايةٍ ومجاهد والجمهور: وإذا عاين المنافقون المؤمنين[٦].

---

(١) في (أ): «واللقياء»، ولم نقف على هذا اللفظ في معاجم اللغة، واللّقِيًّا: بكسر اللام وضمها، كما في «القاموس» (مادة: لقي) وزاد في المعنى ألفاظاً كثيرة.

(٢) في (ر): «قال الله تعالى» بدل: «في قوله».

(٣) «ومقاتل» ليست في (ف)، والعبارة في (أ): «فقد قال بعضهم وهو رواية عن ابن عباس وبه قال مقاتل».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٣٠٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وانظر: «تفسير مقاتل بن سليمان» (١/ ٩٠ ـ ٩١).

(٥) انظر: «تفسير الطبري» (١/ ٣٠٦ ـ ٣٠٧).

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٣٠٧) عن ابن عباس ومجاهد. وانظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (١/ ٩٤).

وأما النزول:

فقد رُوي أن عبدَ الله بنَ أُبَيٍّ المنافقَ كان جالساً مع أصحابه المنافقين على قارعة الطَّريق، إذ استقبله أصحابُ رسولِ الله ﷺ، فقال عبد الله لأصحابه: انظروا إلَيَّ وتَعَلَّموا مني كيف أردُّ هؤلاء السُّفهاءَ عنكم، فانظروا كيف أُكلِّمهم، فافعلوا كما أفعل، فقال لأبي بكرٍ الصدِّيقِ رضي الله عنه وكان أولَ مَن لقيه: مرحباً بسيد بني تَيْم بنِ مُرَّة، القويِّ في دين الله، صاحبِ رسولِ الله ﷺ في الأسفار، ثاني اثنين إذ هما[1] في الغار، الباذلِ نفسَه وبنتَه ومالَه لرسولِ الله.

ثم استقبله عمرُ بنُ الخطاب رضي الله عنه فقال: مرحباً بسيد بني عَديٍّ بن كعب بن مُرَّة، القويِّ في دين الله، الشَّديدِ الغَضبِ على أعداء الله، الباذلِ نفسَه وبنتَه وماله لرسولِ الله ﷺ.

ثم استقبله عليُّ بنُ أبي طالبٍ رضي الله عنه فقال: مرحباً بسيد بني هاشم ما خلا رسولَ الله ﷺ؛ لأن الله جلَّ جلالُه اصطفاه وخَصَّه من بين خَلْقه بالنبوة.

فقال له عليٌّ رضي الله عنه: اتَّقِ الله ولا تُنافق، فإن المنافقين شرُّ خليقةِ الله عزَّ وعلا في الأرض، فقال: يا أبا الحسن! لا تقُلْ هكذا، فوالله إنَّ إيمانَنا كإيمانكم، وتصديقَنا كتصديقكم، ونحن مؤمنون في السِّرِّ والعلانية.

ثم افترقوا، فقال عبدُ الله بن أُبَيٍّ لعنه الله: كيف رأيتم ردِّي هؤلاء عنكم؟ فقالوا: لا نزال بخيرٍ ما عشتَ فينا[2].

---

(١) «إذ هما» ليس في (أ).

(٢) في (أ): «بيننا».

ثم رجع أبو بكرٍ رضي الله عنه وأصحابُه إلى النبيِّ ﷺ فأخبروه بذلك، فنزلت هذه الآية في شأنهم[١].

فأمَّا مَن حملها على اليهود ـ وهم مجاهرون بالكفر ـ فإنه حمل[٢] قولهم: ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا﴾[٣] على الإيمان المذكور في قوله تعالى: ﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [آل عمران: ٧٢].

وأما مَن[٤] حَملها على المنافقين فظاهرٌ.

وانتظامُ هذه الآيةِ بالآية التي قبلَها: أنه ذكر في تلك الآية ما قالوا لهم، وذكرَ في هذه الآية ما قال المنافقون لأولئك، في تلك الآية مقابلةُ التَّسْفيه بالتَّسْفيه[٥]، وفي هذه الآية مقابلةُ الاستهزاء بالاستهزاء.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ﴾: فقوله: ﴿خَلَوْاْ﴾ للجمع، وللواحد: خلا، وصَرْفُه: خَلا يَخْلُو خَلْوةً، وخَلا المكانُ خَلاءً[٦]؛ أي: صار خالياً، وخلا فلان[٧] بفلانٍ: إذا اجتمعا على الخَلْوة، وخَلا بامرأته؛ أي: دخل بها، وخَلا

---

(١) رواه الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢٢) من طريق محمد بن مروان، عن الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس رضي الله عنهما. وقال ابن حجر في «الكافي الشاف» (ص: ٥): محمد بن مروان متروك متهم بالوضع، وسياقه في غاية النكارة.

(٢) في (أ): «يحمل»، وهي ليست في (ف).

(٣) «قولهم ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا﴾» كذا في النسخ الخطية، ولو كانت: (قولهم: ﴿ءَامَنَّا﴾) لكان أنسب.

(٤) «من» ليس في (ف).

(٥) في (أ): «السفيه بالسفيه».

(٦) «خلاءً» ليس في (أ).

(٧) «فلان» ليس في (أ) و(ف).

إليـه؛ أي: انصـرف إليـه للخَلْـوة، وخَلَـتِ المـرأةُ؛ أي: صـارت خَلِيَّـةً؛ أي: طالقاً، وخَـلا؛ أي: مضى.

وأما تفسيره هاهنا:

فقد قيل: ﴿وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ﴾؛ أي: أَفْضَوا إليهم.

وقيل: أي: رجعوا إليهم.

وقيـل: أي: خلَـوا مـع شـياطينهم؛ أي: اجتمعوا معهـم على الخَلْـوة، و﴿إِلَىٰ﴾ بمعنى (مع)، قال النَّضْر بن شُميل: وهو كقوله: ﴿مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٥٢]؛ أي: مع الله(١).

وعلى هذا قولُه: ﴿إِلَى ٱلْمَرَافِقِ﴾ [المائدة: ٦]؛ أي: مع المرافق.

وقيل: معناه: انصرَفوا من لقاء المؤمنين إلى شياطينهم، فمَن دخل على أحدٍ ابتداءً؛ قيل: خلا به، وإذا انصرف عن أحدٍ ودخل على غيره؛ قيل: خلا إليه.

وقال الأخفش: خَلَوت إليه؛ أي: جعلتُه غايتي في حاجتي(٢).

وقـال بعـض الكوفييـن: ﴿خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ﴾؛ أي: صرفـوا خَلْوتَهـم إلـى شـياطينهم.

فأما الشياطين؛ فهو جمع شيطان.

وقال الخليل: كلُّ مُتَمرِّدٍ عند العرب شيطانٌ(٣).

واختلفوا في المُرادِينَ بهذا الاسم هاهنا:

---

(١) أورده الثعلبي في «تفسيره» (١/ ١٥٦).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للأخفش (١/ ٥١).

(٣) انظر: «العين» للخليل (٦/ ٢٣٦ ـ ٢٣٧)، و«مقاييس اللغة» لابن فارس (مادة: شطن).

قال ابن عباسٍ رضي الله عنهما: هم اليهودُ الذين أمَروهم بالتكذيب[1].

وقال ابن مسعودٍ رضي الله عنه: هم رؤساؤهم في الكفر[2].

وقال الضحَّاك: هم كَهَنتُهم[3].

وهم في قريظة: كعبُ بنُ الأشرف، وفي بني أسلم[4]: أبو بُردة، وفي جُهينة: عبدُ الدَّار، وفي بني أسد: عوفُ بنُ عامرٍ، وفي الشام: عبد الله بن السَّوداء[5].

وكانت العربُ تعتقدُ فيهم أنهم مُطَّلعون[6] على الغيب، ويعرفون الأسرار، ويُداوون المرضى[7]، وليس من كاهنٍ إلا وعند العرب أنَّ معه شيطاناً يُلقي إليه كهانَتَه.

وسُمُّوا شياطينَ لبُعدهم عن الحقِّ، فإنَّ الشُّطُونَ: هو البُعد، ولعُتوِّهم وتَمرُّدهم،

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٣٠٦) من طريق الضحاك عن ابن عباس، و(١/ ٣٠٧) من طريق محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت، عن سعيد بن جبير أو عكرمة، عن ابن عباس. والضحاك لم يسمع من ابن عباس، ومحمد بن أبي محمد مجهول.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٣٠٧) من طريق السدي عن أشياخه عن ابن مسعود وابن عباس. وهذا إسناد متكلم فيه كما سيأتي عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

(٣) أورده ابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٣٥).

(٤) في (أ): «حليم»، وفي (ر) و(ف): «سليم»، والمثبت من المصادر وستأتي.

(٥) أورده السمرقندي في «تفسيره» (١/ ٥٥) عن الكلبي، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١/ ١٥٦)، والبغوي في «تفسيره» (١/ ٦٧)، والخازن في «تفسيره» (١/ ٢٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما. ولعله من رواية الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، ومثل هذا كثيراً ما يرد عند بعضهم عن الكلبي وعند آخرين عن ابن عباس.

(٦) في (أ): «يطلعون».

(٧) في (أ): «الأمراض».

فإنَّ الشيطان: هو العاتي المُتمرِّد، ولأنَّ الشياطينَ قُرناؤهم فسُمُّوا بقُرنائهم، ولأنَّ مَن شابَهَ أحداً سُمِّي به، ولمَّا كان هؤلاء على صفة الشياطين سُمُّوا بهم، ولذلك قال النبيُّ ﷺ لمَن رآه يَتْبع حَماماً: «شيطانٌ يَتْبعُ شيطاناً»[1].

وقال للمارِّ بين يدي المُصلِّي: «فلْيُقاتِلْه؛ فإنه شيطانٌ»[2].

وقال نسوةٌ في المدينة ليوسف: ﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ [يوسف: ٣١] لمَّا رأينَه بصفة المَلَك.

وقال النبيُّ ﷺ: علماءُ أمَّتي كأنبياءِ بني إسرائيل[3]، لمَّا كانوا بصفتهم.

فعلى العاقلِ أن يتَّصف بصفةِ الملائكة والأنبياء، ولا يتَّصفَ بصفة الشياطين والأغوياء[4].

وقوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمْ﴾: (مع) كلمةُ قِران، يقال: جاء زيدٌ مع عمرٍو؛ أي: مقترِناً به، وفيه لغتان: تحريكُ العين وتسكينُها، قال الشاعر:

---

(١) رواه أبو داود (٤٩٤٠)، وابن حبان في «صحيحه» (٥٨٧٤)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، ورواه ابن ماجه (٣٧٦٤) و(٣٧٦٥) و(٣٧٦٦) و(٣٧٦٧) من حديث عائشة وأبي هريرة وعثمان وأنس رضي الله عنهم، وهو حديث حسن.

(٢) رواه البخاري (٥٠٩)، ومسلم (٥٠٥)، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٣) ذكره ابن حجر الهيتمي في «الفتاوى الحديثية» (ص: ١٩٩) ونقل عن الدميري قوله: هذا الحديث لا يُعرف له مَخرَج، لكن في «صحيح البخاري»: «العلماء هم ورثة الأنبياء». وانظر: «المقاصد الحسنة» للسخاوي (ص: ٤٥٩).

واللفظ الذي نسبه للبخاري ذكره في «صحيحه» في (كتاب العلم)، (باب: العلم قبل القول والعمل) تعليقاً، ورواه أبو داود (٣٦٤١)، والترمذي (٢٦٨٢)، وابن حبان في «صحيحه» (٨٨)، من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه.

(٤) في (أ): «الأغوياء».

ومَـن يتَّـقْ فـإنَّ الله مَعْـهُ ورزقُ الله مُؤْتـابٌ وغـادِ[(١)]

ويقـال: جـاءا معـاً، بالتنويـن؛ أي: مقترِنَيـن، ويقـال: جئـتُ مِن مَعِـه؛ أي[(٢)]: مِـن عندِه.

وهو في القرآنِ لمعانٍ:

للقِرَانِ: وهو الأصل، قال تعالى: ﴿وَإِذَا كَانُواْ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمۡرٖ جَامِعٖ﴾ [النور: ٦٢].

وللقِرَانِ واللُّحوق: قال: ﴿هَٰذَا ذِكۡرُ مَن مَّعِيَ وَذِكۡرُ مَن قَبۡلِي﴾[(٣)] [الأنبياء: ٢٤].

وبمعنى: بَعْدَ، قال: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجۡنَ فَتَيَانِ﴾ [يوسف: ٣٦].

وبمعنى: عند، قال تعالى: ﴿مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُمۡ﴾ [البقرة: ٤١].

وبمعنى: سوى، قال: ﴿أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ [النمل: ٦٠]؛ أي: سوى الله.

وبمعنى: المعونة، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ﴾ [النحل: ١٢٨].

وبمعنى: العلم، قال تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَهُمۡ إِذۡ يُبَيِّتُونَ﴾ [النساء: ١٠٨].

وبمعنى: المتابعة، قال تعالى: ﴿وَطَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ﴾ [المزمل: ٢٠].

---

(١) البيت دون نسبة في «معجم ديوان الأدب» للفارابي (٤/ ٢٣٤)، و«شرح كتاب سيبويه» لأبي سعيد السيرافي (١/ ٢٢٣)، «الحجة في القراءات السبعة» لابن خالويه (ص: ٢٦٣)، و«الحجة للقراء السبعة» للفارسي (١/ ٤٠٩)، و«الخصائص» لابن جني (١/ ٣٠٦). وجاء في هامش (أ) عند كلمة «مؤتاب»: «راجع».

(٢) بعدها في (ف): «راجع»، وليست في المصادر. انظر: «أدب الكاتب» لابن قتيبة (ص: ٥٠٤)، و«المنتخب من كلام العرب» للهنائي الملقب بكراع النمل (١/ ٦٠٤)، و«حروف المعاني» للزجاجي (ص: ٧٧).

(٣) «﴿وَذِكۡرُ مَن قَبۡلِي﴾» ليس في (ف).

وبمعنى: شهود الصورة، قال تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَلَمۡ نَكُن مَّعَكُمۡ﴾ [النساء: ١٤١].

وبمعنى: شهود القلب، قال تعالى: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمۡ﴾[1].

وبمعنى: شهود الصورة والقلب، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ﴾ [الأعراف: ٦٤].

وأما تفسيره هاهنا:

فقد قيل: معناه: إنَّا عونٌ لكم على محمدٍ وإنْ كنَّا معه ظاهراً.

وقيل: معناه: إنا لكم أنصارٌ.

وقيل: أي: إنَّا على ما أنتم عليه من التكذيب والعداوة.

وقيل: أي: إنَّا على دينكم.

أرادوا الجمع بين الأمرين فحُرموا منهما[2]، قال الله تعالى: ﴿مُّذَبۡذَبِينَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ [النساء: ١٤٣].

كذلك مَن أراد[3] أنْ يجمع بين طريق الإرادة وما عليه أهل العادة لا يَلتئمُ له ذلك، والضِّدَّان لا يجتمعان، ومَن كان له في كلِّ ناحيةٍ خليط، وفي كلِّ زاويةٍ من قلبه رَبيطٌ، كان نَهْباً للطَّوارق، ومُنقسماً بين العلائق.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ﴾، الهُزْء: السُّخرية من شيءٍ يَحِقُّ عند صاحبه ولا يَحِقُّ عند الهازئ، وقد هَزَأ به؛ أي: سَخِر، والـهُزْأَةُ[4] بتسكين الزاي:

---

(١) في (ف): «﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ﴾» بدل: «﴿قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمۡ﴾».

(٢) في (أ): «عنهما»، وفي (ف): «عنها».

(٣) في (ف): «رام».

(٤) في (ر): «والهزء»، وفي (ف): «والـهُزْاء».

هو الذي يُسخر منه، والهُزَأة[١] بفتحها: هو الذي يَسخر من الناس، والاستهزاء كالهُزْء، بمنزلة الاستسخار، وهو كالسُّخرية.

وانتظامُه بما قبلَه: أنهم لمَّا قالوا لشياطينهم: ﴿إِنَّا مَعَكُمْ﴾، قالوا: فما لكم تشهدون مشاهدَهم، وتدخلون مساجدَهم، وتحُجُّون وتَغْزون معهم؟ قالوا: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾.

قيل: معناه: ساخرون بمحمدٍ وأصحابه ﷺ.

وقيل: أي: مُكذِّبون بما يدعو إليه.

وقيل: أي: نُريهم أنَّا نوافقهم على دينهم ظاهراً وباطناً، وإنما نكون معهم ظاهراً لنشاركهم في غنائمهم، وننكحَ بناتِهم، ونطَّلع على أسرارهم[٢]، ونحفظَ أموالنا وأولادَنا ونساءَنا من أيديهم.

* * *

(١٥) ـ ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾: له ثمانيةُ أوجهٍ:

أحدُها: أنَّه عاملَهم في الدنيا على وَفْق معاملتهم، فإنَّهم أظهروا الإيمان وفي باطنهم النفاق، والله تعالى أظهرَ لهم في الحال الأمانَ، وعاقبتُهم الإحراقُ بالنيران.

والثاني: أن معناه: يجازيهم في الآخرة جزاءَ استهزائهم، والعربُ تُسمِّي الجزاءَ باسم الابتداء، قال عمرو بن كلثوم:

---

(١) في (ر): «والهزء».

(٢) في (ف): «سرائرهم».

أَلَا لا يَظلِمَنْ أَحدٌ علينا فنَظلِمَ فوقَ ظُلْم الظَّالمينا[١]

أَلَا لا يَجهلَنْ أَحدٌ علينا فنجهلَ فوقَ جَهْلِ الجَاهِلِينا[٢]

وفي القرآن: ﴿وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ [الشورى: ٤٠]، ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ﴾ [النحل: ١٢٦]، ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٤]، ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٢]، ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ﴾ [الأنفال: ٣٠]، ﴿يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ [الطارق: ١٥]، ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة: ٦٧]، ﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ﴾ [التوبة: ٧٩]، ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾.

والثالث: قول سيبويه: ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾؛ أي: يُوقِعُ بهم ضررَ استهزائهم، كما قال في الخداع: ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ﴾ [البقرة: ٩]، وهو كقوله: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ [فاطر: ٤٣].

والرابع: قول ابن عباسٍ رضي الله عنهما: كلَّما أحدثوا خطيئةً جدَّدَ لهم نعمةً[٣].

والخامس: قول الحسين بن الفضل البَجَلي رحمه الله: هو إعطاءُ المراد في الحال، وأَخْذُ البَغتة في المآل، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً﴾ [الأنعام: ٤٤].

---

(١) هذا البيت من (ر) و(ف) ولم أجده.

(٢) انظر: «شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات» لابن الأنباري (ص: ٤٢٦)، و«شرح المعلقات السبع» للزوزني (ص: ٢٢٦).

(٣) أورده الواحدي في «التفسير البسيط» (٢/ ١٧٠ ـ ١٧١). وكلمة «نعمة» وقع بدلاً منها في (ر): «عقوبة»، وفي (ف): «نقمة».

والسادس: أنهم قالوا للنَّبيِّ ﷺ: نشهد إنك لرسول الله، ولم يكنْ ذلك في عقيدتهم، ويقال للمنافق: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ [الدخان: ٤٩]، وليس ذلك من صِفَتهم[١].

والسابع: قول قتادة: وهو ما أخبر الله تعالى عن حالهم يوم القيامة: ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾ إلى أن قالوا: ﴿أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ [الحديد: ١٤] بما قُلتم لشياطينكم: ﴿إِنَّا مَعَكُمْ﴾، واليومَ تقولون لنا: ﴿أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ﴾، وكنتم تستهزئون[٢]، فاليوم نحن بكم مستهزئون[٣].

فيكون الاستهزاء من المؤمنين مجازاةً لهم، وإنما أضاف اللهُ تعالى ذلك إلى نفسه بقوله: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾؛ تشريفاً للمؤمنين، وجَعْلاً لفعلهم[٤] فِعْلَه، كما قال لنبيِّه عليه السلام: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧].

والثامن: قولُ الكلبي: أنهم ضحكوا من المؤمنين في الدنيا، فيجعلهم يوم القيامة يضحكون منهم، وهو أنه يَجعل المؤمنين يطَّلعون على المنافقين من[٥] الجنة، فيقولون لهم: أتحبُّون أن تخرجوا من النار وتدخلوا الجنة، فيقولون: نعم، فيُفتح لهم بابٌ من النار، فيقصدون إليه، فيُغلَق عليهم، ثم يُفتح لهم[٦] بابٌ آخرٌ،

---

(١) انظر: «النكت والعيون» للماوردي (١/ ٧٨).

(٢) في (ف): «مستهزئون».

(٣) انظر: «تفسير مقاتل بن سليمان» (١/ ٩١)، و«تفسير الطبري» (١/ ٣١٢).

(٤) في (ر): «كفعلهم».

(٥) في (ر): «في».

(٦) «لهم» ليس في (أ) و(ف).

فيقصدونه فيُغلق عليهم[1]، فلا يزال يُفعل بهم كذلك والمؤمنون يضحكون منهم، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ﴾ [المطففين: ٢٩] إلى أن قال: ﴿فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾ الآيات[2] [المطففين: ٣٤].

ودلَّت الآيةُ على قُبْح الاستهزاء بالناس، وقد قال تعالى: ﴿لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ﴾ [الحجرات: ١١]، وقال في قصة موسى عليه السَّلام: ﴿قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [البقرة: ٦٧]، فأخبر أنه فِعْلُ الجاهلين، وإذا كان وعيدُ الاستهزاء بالناس هذا، فما جزاء الاستهزاء بالله تعالى؟! وهو فيما قال النبيُّ ﷺ: «المستغفِرُ من الذَّنب وهو مُصِرٌّ عليه كالمستَهْزِئ بربِّه»[3].

ثم مُقابلةُ الاستهزاء بالاستهزاء دليلٌ على أنَّ الجزاءَ من جنس العمل، وقد عدَّدنا آياتٍ في أجزيَة أعمال السُّوء، وأجزيةُ أعمال الخير كذلك، قال الله تعالى: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾ [الرحمن: ٦٠]، وقال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، وقال تعالى: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢]، وقال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ [البقرة: ٤٠]، وقال: ﴿إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾ [محمد: ٧]، وقال: ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [المائدة: ١١٩]، وقال تعالى: ﴿أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا﴾[4] [يونس: ٨٩]، وقال تعالى: ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى﴾ [البقرة: ١٨٦].

---

(١) في (ر): «فيقصدون إليه»، والعبارة ليست في (ف).

(٢) في (أ) و(ف): «الآية». والخبر المذكور رواه البيهقي في «الأسماء الصفات» (٣/ ٥٧) من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في «التوبة» (٨٥) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما. وقال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (٢/ ١٠٠٤): سنده ضعيف.

(٤) «وقال تعالى: ﴿أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا﴾» ليس في (أ).

وقوله تعالى: ﴿وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾: فمَدُّ الحبل: جَرُّه، ومَدُّ النَّهار: ارتفاعُه، ومَدُّ الظِّلِّ: بَسْطُه، ومَدُّ العيش: تَطويلُه[1]، ومَدُّ النَّهر: ازديادُ مائه، وزيادةُ نهرٍ آخر في مائه، لازمٌ ومُتعدٍّ، ومَدُّ الألف والواو والياء: تطويلُها، ومديدُ القامة: طويلُها، ومَدُّ الدَّواة وإمدادُها: إلاقتُها بالمِداد، وإمدادُ الجيش: إلحاقُ المَدَد به.

وذكروا في الفرق بين مَدَّ وأَمَدَّ ثلاثةَ أوجهٍ:

قال يونس: مَدَدْتُ في الشَّرِّ، وأَمْدَدْتُ في الخير[2].

وقال الفرَّاء: مَدَدْتُ فيما كانت الزيادةُ منه؛ كمدِّ النهر، والإمدادُ فيما كانت الزيادةُ من غيره؛ كإمداد الجيش[3].

وقال الأخفش: المَدُّ: التَّرك، والإمداد: الإعطاء، قال تعالى: ﴿وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا﴾ [مريم: ٧٩]، وقال: ﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ﴾ [الحج: ١٥]، وقال تعالى: ﴿فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا﴾ [مريم: ٧٥]، وقال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ﴾ [المؤمنون: ٥٥]؛ أي: نعطيهم.

وأما تفسيره هاهنا:

فقد قيل: ﴿وَيَمُدُّهُمْ﴾؛ أي: يتركهم.

وقيل: أي: يُخلِّيهم[4].

وقيل: يُطَوِّلُهم[5].

---

(١) في (ر): «تبوئته».

(٢) أورده الطبري في «تفسيره» (١/ ٣١٩).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٢٩).

(٤) في (ف): «نخليهم». وكلمة «أي» ليست في (أ) و(ف).

(٥) في (أ): «يطيلهم»، وفي (ف): «نطيلهم».

وقال ابن مسعودٍ رضي الله عنه: يُمْلِي لهم[1].

وقال مجاهد رحمه الله: يزيدُهم مُدَّةً[2].

وقال ابن كَيسان: يُمْهلُهم[3].

وهي أقاويلُ متقاربةٌ.

وأما الطُّغيان: فهو مجاوزةُ الحد في اللغة، يُقال: طَغَى السَّيل؛ أي: جاء بالماء الكثير، وطَغَى البحر: إذا هاجتْ أمواجه.

وقال الخليل: هو من الواو والياء أيضاً جميعاً[4]، يقال: طَغَوتُ، وطَغَيتُ، طُغْياناً وطُغْواناً.

وأما تفسيرُه هاهنا:

فقد قال ابن عباسٍ والسُّدِّي: ﴿فِي طُغْيَٰنِهِمْ﴾؛ أي: في كفرهم وضلالهم[5].

وقيل: هو إظهارُ القوة على مَن لا قوة له.

وقيل: أي: في غُلُوِّهم[6] في الكفر.

وقيل: أي: في عُتُوِّهم.

وقيل: أي: في تكبُّرهم.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٣١٨).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٣١٩).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٩١).

(٤) انظر: «العين» للخليل (٤/ ٤٣٥). وكلمة «أيضاً» ليست في (أ).

(٥) رواه عنهما الطبري في «تفسيره» (١/ ٣٢١).

(٦) في (أ): «علوهم».

وقيل: أي: في جهلهم.

وقيل: أي: في عَماهم.

وقيل: أي: في تماديهم.

وقيل: أي: في مجاوزتهم قَدْرَهم، ومعناه: يُطيل مُكْثَهم في طُغيانهم في الدنيا، وقيل: أي: يُطيل[1] مُكْثَهم في جزاء طُغيانهم في العُقبى.

وأما العَمَه: فهو التَّردُّدُ في الحَيرة، وقد عَمِه يَعْمَه، فهو عَمِهٌ وعَامِهٌ، وجمعُه: عُمَّهٌ، قال الشاعر:

وَمَهْمَهٍ أَطْرافُهُ في مَهْمَهِ أَعْمَى الهُدَى بالجاهلين العُمَّهِ[2]

ويقال: ذهبت إبلُه العُمَّيْهَى: إذا لم يَدْرِ أين ذهبت.

وأما تفسيره هاهنا:

فقد قال ابن عباسٍ ومجاهدٌ والربيع: معناه: يتردَّدون[3].

وقيل: أي: يتحيَّرون.

وقيل: أي: يَعْمَون[4] عن رُشْدهم فلا يُبصرونه.

وهذه الصفات الثلاث ثابتةٌ فيهم:

أما التَّردُّد: ففي قوله تعالى: ﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ [النساء: ١٤٣].

وأما التَّحيُّر: ففي قوله تعالى: ﴿وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾ [النساء: ٩٨].

---

(١) في (ف): «نطيل» في الموضعين، وشاركتها (ر) في الثاني.

(٢) القائل: رؤبة بن العجاج. انظر: «ديوانه» (ص: ١٦٦).

(٣) رواه عنهم الطبري في «تفسيره» (١/ ٣٢٣ ـ ٣٢٤).

(٤) في (ف): «يعمهون».

وأما العَمَى: ففي قوله تعالى: ﴿لَّا يُبْصِرُونَ﴾ [البقرة: ١٧].

ثم قولُه: ﴿فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ مذكورٌ في القرآن في صفة الكافرين والمبتدعين والمرتدِّين والمنافقين:

قال تعالى في الكفار: ﴿فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [يونس: ١١].

وقال في المبتدِعين: ﴿مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِىَ لَهُۥ ۚ وَيَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٦].

وقال في المرتدِّين: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الأنعام: ١١٠].

وقال تعالى في المنافقين في هذه الآية: ﴿وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾.

ثم في(١) الآيةِ دليلُ أهل السُّنَّة والجماعة، فإنه قال: ﴿وَيَمُدُّهُمْ﴾، وهو إثباتُ فعلِ نفسِه، وقال: ﴿فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾، وهو إثباتُ فعلِ العبد، فدلَّ على أنَّ العبدَ فاعلٌ، واللهَ تعالى لفعله(٢) خالقٌ، وبطَل قولُ الجبرية أنْ لا فعلَ للعبد، وقولُ القدريَّة أنْ لا صنعَ لله في فعل العبد.

ثم ما ينبغي أنْ يفرح العبدُ بطول العمر وامتدادِه، ولا بكثرةِ أمواله وأولادِه، والله تعالى يقول في أعدائه في حقِّ العُمر(٣): ﴿ونمدهم﴾، وفي حقِّ المال والبنين:

---

(١) «في» من (ف).

(٢) في (أ): «لفعل العبد».

(٣) في (ف): «المعمر».

﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ﴾ [المؤمنون: ٥٥]، وكان طولُ العمر لهم خُذْلاناً، وكثرةُ المال[١] والأولاد لهم حِرماناً.

ثم لهم بمُقابلة هذا المَدِّ مَدٌّ لا يُحمَد، قال تعالى: ﴿فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا﴾ [مريم: ٧٥]، ثم قال: ﴿وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا﴾ [مريم: ٧٩]، وقد جعل الله تعالى لعدِّوه في الدنيا مالاً ممدوداً، ولَوليِّه[٢] في الآخرة ظلًّا ممدوداً.

وقال الله جلَّ جلالُه لمحمدٍ ﷺ ليلةَ المعراج: إنَّ مِن نِعَمي[٣] على أمَّتك أنِّي قصَّرتُ أعمارهم كي لا تَكثرَ ذنوبهم، وأَقْلَلْتُ أموالهم كي لا يَشتدَّ في القيامة حسابُهم، وأخَّرتُ زمانهم كي لا يَطولَ في القبور حَبْسُهم[٤].

* * *

(١٦) ـ ﴿أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ﴾: فالشراء: البيع، والاشتراء: الابْتِيَاع، والشَّرْوى: المِثْل.

وتفسيره هاهنا:

في قول ابن عباسٍ وابن مسعودٍ رضي الله عنهم: أَخذوا الكفرَ، وتَركوا الإيمان[٥].

---

(١) في (أ): «الأموال».

(٢) في (أ): «وللولي».

(٣) في (أ): «نعمتي».

(٤) لم نقف عليه.

(٥) رواه عنهما الطبري في «تفسيره» (١/ ٣٢٥).

وقال قتادة رحمه الله: ﴿فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ﴾ [فصلت: ١٧][(١)]؛ أي: آثروها.

وقيل: أي: اختاروها.

وقيل: أي: استبدَلوها، وهو كقوله: ﴿وَمَن يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ﴾ [البقرة: ١٠٨].

ثم هذا على قول الذين قالوا: إن الآية في اليهود، يرجع إلى قوله: ﴿وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾ [البقرة: ٨٩]، فكان هذا استبدالاً منهم الضَّلالةَ بالهدى.

وعلى قولِ مَن جعلها في حقِّ المنافقين ـ وهم لم يكونوا في الهدى قطُّ ـ فمعناه: أخذوا النِّفاق وتركوا الإخلاص أصلاً، لا أنِ استبدَلوا الضَّلالةَ بالهدى، وهذا كما في قوله تعالى: ﴿يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧]، وفي حقِّ الكفار: ﴿يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾، ليس هذا بطريق النقل، بل بالإبقاء على الأصل.

ثم هذا مجازٌ، وهو مُتعارَفُ أهلِ اللسان، وهو أبلغُ في البيان، وأوقعُ في القلوب والآذان، وهو كثيرٌ في القرآن، قال تعالى: ﴿فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣]، وقال تعالى: ﴿لَمَّا طَغَا الْمَاءُ﴾ [الحاقة: ١١]، وقال عزَّ وعلا: ﴿وَآيَةٌ لَّهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ﴾ [يس: ٣٧]، وقال تعالى: ﴿وَمَا نُرِيهِم مِّنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا﴾ [الزخرف: ٤٨]، وقال تعالى: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٣]، وقال هاهنا: ﴿اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ﴾ [البقرة: ١٦].

وأصله في استبدالِ مالٍ بمالٍ، واستُعير في الهدى والضلال، والجامعُ بينهما

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٣٢٥).

معنى الاختيار والاستبدال، فكلُّ مُشترٍ مختارٌ، وكلُّ مشترٍ مُستبدِلٌ، وكذلك[١] هؤلاء اختاروا الكفرَ على الهدى واستبدَلوه به.

وقد أشار إلى هذَين المعنيين في آيتين، فقال تعالى: ﴿فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾ [فصلت: ١٧]، وقال: ﴿وَمَن يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ﴾ [البقرة: ١٠٨].

وقوله تعالى: ﴿الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى﴾ قيل: الكفرَ بالإيمان، وقيل: الشَّكَّ بالإيقان، وقيل: الجهلَ بالعلم، وقيل: الفُرقةَ بالجماعة، وقيل: النِّفاقَ بالإخلاص، وقيل: الدنيا بالآخرة، وقيل: النارَ بالجنة، ومعناه: أنَّ اختيارَ الدنيا ضلالٌ، والعملَ بما يُوجب النارَ ضلالٌ، واختيارَ الآخرة هدًى، والعملَ بما ينال به الجنةَ هدًى.

ثم[٢] هذا دليلٌ على أنَّ حكمَ البيع يَثبتُ بالتعاطي من غير تكلُّمٍ بالإيجاب والقَبول، فإنَّ هؤلاء سُمُّوا مُشترِين بترك الهدى وأخذِ الضلال من غير تكلُّمٍ بهذه المبادَلة، أشار إليه الإمامُ أبو منصورٍ رحمه الله[٣].

وقوله تعالى: ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ﴾: فالرِّبْح والرَّبَح: الفضل، ونظيرُهما المِثْل والمَثَل، والرَّباحُ كذلك، قال النَّبيُّ ﷺ: «السَّمَاحُ رَبَاحٌ»[٤].

---

(١) في (أ): «فكذا»، وفي (ف): «وكذا».

(٢) في (ف): «و».

(٣) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (١/ ٣٨٨).

(٤) رواه القضاعي في «مسند الشهاب» (٢٣) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، وفيه عبد الله بن إبراهيم الغفاري، قال ابن حجر في «تقريب التهذيب» (ص: ٢٩٥): متروك، ونسبه ابن حبان إلى الوضع. ورواه الديلمي في «مسنده» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه به مرفوعاً كما في «المقاصد الحسنة» للسخاوي (ص: ٣٩١)، وفيه الحجاج بن فرافصة، قال عنه أبو زرعة الرازي في «الضعفاء» (٣/ ٨٠١): ليس بالقوي. وقال ابن حجر في «تقريب التهذيب»: صدوق عابد يَهِم.

والتجارةُ: مصدر (تَجَر) من بابِ (دخل)، واتَّجَر افتَعل منه، وجمع التاجر: التَّجْر، كالرَّكْب، والتُّجَّار كالفُجَّار[١]، والتِّجَار كالصِّيَام.

ومعناه: فما ربحوا في تجارتهم، وهي اشتراءُ الضلالة بالهدى، وهو مَجازٌ واستعارةٌ، كالشِّراء، ثم هو مع الاستعارة من مقلوب الكلام؛ كقوله تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ﴾ [محمد: ٢١]؛ أي: عزموا عليه، وقولِه تعالى: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾ [الفجر: ٤]؛ أي: يُسرى فيه، وقولِه تعالى: ﴿بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ [سبأ: ٣٣]؛ أي: مكرُهم فيهما، ومَن كان على هذا الوجه مُبايعتُه؛ فقد[٢] خسرتْ صَفْقتُه، وما ربحتْ تجارتُه.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ﴾: قد مرَّ في قوله: ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ﴾ [البقرة: ١٠] أنَّ (كان) يصلح للماضي والحال والاستقبال[٣]، وهاهنا قد قيل بالوجوه الثلاثة:

قيل: أي: وما كانوا على الهدى، فلذلك خُذلوا، فاختاروا الضلالةَ على الهدى.

وقيل: أي: ﴿وما هم بمهتدين﴾ للحال؛ لتَمَسُّكهم بالضلال[٤].

وقيل: أي: وما يكونون مهتدين؛ أي: لا يؤمنون من بعدُ.

وقيل في انتظام هذا بالأول: وما نالوا الهدى حيث اشتروا الضلالةَ بالهدى.

وقيل: إنما يتَّجِر المرءُ للربح والاهتداء[٥]، ولم يكن لهؤلاء رِبْحٌ ولا اهتداءٌ.

---

(١) في (ف): «الفخار».

(٢) «فقد» زيادة من (ف).

(٣) في (ف): «وللحال وللاستقبال».

(٤) في (أ): «في الضلال».

(٥) في (ف): «وللاهتداء».

وقيل: أي: ما اهتدَوا إلى الاتِّجار بالتجارة الرابحة التي اهتدَى إليها المؤمنون؛ فقد قيل لهم ـ أي: المؤمنون[1] ـ: ﴿يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ﴾ [فاطر: ٢٩]، و: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الصف: ١٠]، وقيل لهؤلاء: ﴿أُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [البقرة: ٢٧]، و: ﴿فَأُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم﴾ الآية [الأعراف: ٩].

* * *

(١٧) ـ ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ﴾: المَثَل في القرآن لعشرةِ معانٍ:

للصِّفَة: قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النحل: ٦٠]، وقال: ﴿ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾ [الفتح: ٢٩].

وللشِّبه[2]: قال تعالى: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ﴾ [النحل: ٧٤]؛ أي: لا تصفوا لله الأَشْباه.

وللنَّوع: قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾ [الروم: ٥٨]؛ أي: من كلِّ نوعٍ.

وللعِبْرة: قال تعالى: ﴿فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ﴾ [الزخرف: ٥٦]؛ أي: عِبْرةً لهم.

وللإمام: قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الزخرف: ٥٩].

وللحال: قال تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ [البقرة: ١٧]؛ أي: حالُهم كحال المُستوقِد.

---

(١) «أي المؤمنون» من (ف)، والصواب: «المؤمنين».

(٢) في (ف): «وللتشبيه».

وللعاقبة: قال تعالى: ﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ [آل عمران: ١١٧].

وللمثال: قال تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾.

وللصِّلة والزِّيادة: قال تعالى: ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾ [الحشر: ١٥]؛ معناه: كالذين.

وللعذاب: قال تعالى: ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾؛ أي: عذاب هؤلاء كعذاب الذين من قبلهم.

والمَثَل في اللغة: الشَّبَه، والمِثال: ما يُماثِلُ الشيءَ[1]، والتِّمْثال: الصورة.

وفي القرآن أمثالٌ، وهي للإيضاح والإبلاغ، فإنه أَوجَزُ في الذِّكر، وأَوقَعُ في الفَهْم.

وقالوا: إنَّ المَثَل للكلام كالمرآةِ للوجه، يَرى الناظرُ فيها مَثَلَ وجهه، فيقفُ على حقيقة حاله، ويَعرف كمالَ وصفه، وكذا وقوفُ السامع على معنى كلام المُتَمَثِّل، ووصولُه إلى مُراد قوله للمُتأمِّل[2]، مع ما تذهبُ النَّفْسُ فيه كلَّ مَذْهب، وتستفيد منه[3] كلَّ معنًى مُعْجِب.

ونوضِّحُ ذلك في واحد: أن الله تعالى قال: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ﴾ [يونس: ٢٤]، فتكلَّموا في معنى تمثيله بالماء، فقيل: إنَّ الماءَ إذا قلَّ نَفَع، وإذا كثُرَ ضرَّ، ففي القليل التَّطهُّرُ من الحَدَث والجَنابة والحيض والنِّفاس، واتخاذُ الأطعمة والأشربة، وغَسْلُ الأعيان النجسة، وسقيُ الدَّوابِّ والأراضي والأشجار، وإحياءُ

---

(١) في (ر): «ما تماثل للشيء».

(٢) في (أ): «للتأمل».

(٣) في (أ) و(ف): «يستفيد فيه» بدل «وتستفيد منه».

الفَـلاة، فـإذا كثُرَ هَـدَمَ البُنيان، وأفسـدَ الزَّرع، وقَلَعَ الأشـجار، وشـقَّ الأنهار، وسـدَّ الطُّرق، وأغـرق الناس.

وكذا المالُ القليل: تُكفَى به المُؤَن، وتُقام به المصالح، ويُتَزوَّد به للمَعاد، فإذا كثُرَ أوردَ الطُّغيان، ووَلَّدَ العِصيان، وأورث البغضاء والشَّنَآن، وأكثر الأعداء والحُسَّاد.

وقيل: إذا قلَّ الماءُ أجريتَه حيث شئتَ، وفيه الحياة والعمارة، وإذا كثُرَ جرى[١] حيث شاء، وفيه الخرابُ والإماتة، فكذا حالُ المال، وعلى هذا[٢] جميعُ الأمثال.

وقوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾: أي: أشعل[٣] ناراً، يقال: وَقَدَتِ النارُ وُقوداً؛ أي: اشتَعَلت، وأَوقَدَها غيرُها واستوقَدَها؛ أي: أشعلَها، والوَقود بالفتح[٤]: الحَطَب؛ لأنه به تُشعلُ النار، والوَقَد بفتح الواو والقاف: النار، ووَقْدَةُ الحَرِّ: شدَّتُه[٥].

والاسـتيقادُ هاهنـا كالإيقـاد[٦]، بمنزلـة الاسـتيقان والإيقـان، والاسـتخراجِ والإخـراج، والاسـترهابِ والإرهـاب، وكذا قـال الأخفش: إن معنـاه: كمثَل الذي أشـعل[٧] ناراً بنفسـه[٨].

---

(١) في (أ): «أجراك».

(٢) في (ر): «على» بدل «وعلى هذا».

(٣) في (أ) و(ف): «اشتعل»، وكلمة: «أي» ليست في (ر).

(٤) في (أ): «بفتح الواو».

(٥) في (ف): «شديده».

(٦) في (ر): «الإيقاد».

(٧) في (أ): «اشتعل».

(٨) انظر: «معاني القرآن» للأخفش (١/ ٥٣).

ويقال: استوقد؛ أي: سأل غيرَه أنْ يُوقِد، فإن سينَ الاستفعال للطلب والسؤال.

واختلفوا في المُرادِينَ بهذه الآية:

قال ابن عباسٍ رضي الله تعالى عنهما في روايةٍ، وسعيد بن جُبير، ومحمد بن كعبٍ، وعطاء، ويمان بن رِئابٍ: هم اليهود لعنهم الله، كانوا يُقِرُّون بالنبيِّ ﷺ قبل مبعثه، فكانوا في نورٍ، فلمَّا بُعث جحَدوه، فصاروا في الظُّلمة؛ كمَن أوقدَ ناراً في المفازة[1] للأمن فطَفِئت[2].

وعلى هذا[3] جاء عنهم في قوله: ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾؛ أي: أَرسل عليها ريحاً عاصفاً فأطفأتها[4]، وهو ما جاء في صفة اليهود لعنهم الله في آيةٍ أخرى: ﴿كُلَّمَآ أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ﴾؛ أي: مع محمدٍ، ﴿أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ﴾ [المائدة: ٦٤].

وقال مقاتلٌ[5] وقتادةُ والضحَّاك والسُّدِّيُّ والقُتبيُّ ـ وهو قول ابن عباسٍ، وابن مسعودٍ رضي الله عنهم ـ: الآية في المنافقين، آمنوا بالشهادة كما آمن صاحبُ النار في المفازة[6]، ثم زال ذلك بالموت[7].

---

(١) في (ر): «المغارة».

(٢) أورده السمرقندي في «تفسيره» (١/ ٥٧) ابن عباس رضي الله عنهما، وأورده الثعلبي في «تفسيره» (١/ ١٦١) عن سعيد بن جُبير ومحمد بن كعبٍ وعطاء ويمان بن رئاب.

(٣) في (أ): «ولهذا» بدل من «وعلى هذا».

(٤) في (ر): «فأطفأها».

(٥) في (ر) و(ف): «مقاتل بن حيان».

(٦) في (ر): «المغارة».

(٧) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٣٣٧ ـ ٣٣٩) عن ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم وقتادة والضحاك. وانظر: «تفسير مقاتل بن سليمان» (١/ ٩١)، و«تفسير السمرقندي» (١/ ٥٧).

ثم إنما قال: ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ على الوحدان وإن كان معنى[1] قوله: ﴿مَثَلُهُمْ﴾ على الجمع لوجوهٍ:

أحدها: أن معناه: مَثَلُ كلِّ واحدٍ منهم كمَثَل المستوقِد، وهذا[2] كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ [غافر: ٦٧] ولم يقل: أطفالاً، وإن خاطب الجمع؛ لأن معناه: يُخرج كلَّ واحدٍ منكم طفلاً.

وقيل: هو اسم جنسٍ فيَصلح للواحد والجمع.

وقيل: الـمُوقِدُ للجمع يكون واحداً والمستضيئون كثيراً.

وقيل: هو تمثيلُ فعلِهم لا أعيانِـهم، ومعناه: مَثَلُ فعلِ المنافقين كمَثَل فعلِ المستوقِد، وكِلَا الفعلين واحدٌ، وإضمارُ الفعل في الاسم جائزٌ كما في قوله: ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ [لقمان: ٢٨]؛ أي: كخَلْقِ نفسٍ واحدةٍ وبَعْثِها.

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ﴾: أي: أنارت، والضوء: النور، وضاء؛ أي: نارَ، وأضاءَ يكون بمعنى ضاء أيضاً لازماً، ويكون متعدِّياً بمعنى نوَّر، وهو في قوله: ﴿كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم﴾ [البقرة: ٢٠] لازمٌ، ويكون ضاء وأضاء بمعنًى واحدٍ، كقولهم[3]: نارَ وأنار، وبان وأبان.

وفي هذه الآية: ﴿فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ﴾ متعدٍّ، لأنه ذكَره بالتاء، ومعناه: فلما نوَّرتِ النارُ المواضعَ التي حول هذا المستوقِد، ولو كان لازماً لكان يقول: فلما أضاء ما حوله؛ لأن (ما) مذكَّرٌ.

---

(١) «معنى» من (ف).

(٢) في (ف): «وهو».

(٣) في (أ): «واحداً كقولك»، وفي (ف): «واحدٍ كقولهم»، بدل: «بمعنى واحدٍ كقولهم».

فإن قالوا: هل بينَ الضوء والنور مغايرةٌ، أو هما شيءٌ واحدٌ؟ فإن كانا غيْرَين[١] فلمَ أثبتَهما جميعاً في شيءٍ واحدٍ هاهنا، فقال[٢]: ﴿فَلَمَّآ أَضَآءَتۡ مَا حَوۡلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمۡ﴾؟ وإن كانا واحداً فلمَ غايَر بين الكلمتين؟

قلنا: هما واحدٌ هاهنا، وإنما ذكرهما جميعاً لأنه أعذَبُ لفظاً، وأحسنُ نظماً، وأبلغُ في الفصاحة، وألطف في العبارة، من الإعادة بلفظ الأول، ودليلُ اتِّحادهما قولُه تعالى في صفة نور المعرفة: ﴿يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ﴾[٣] [النور: ٣٥] وقال تعالى: ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾ [النور: ٣٥]، وقال في التوراة: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلۡفُرۡقَانَ وَضِيَآءً﴾ [الأنبياء: ٤٨] وقال فيها أيضاً[٤]: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾ [المائدة: ٤٤].

وقوله تعالى: ﴿مَا حَوۡلَهُۥ﴾؛ أي: جهات المستوقد، يقال: حَوْلَه وحَوَالَيْه وحَوْلَيْه.

وقوله تعالى: ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمۡ﴾: أي: أَذْهبه الله، والذَّهاب والذُّهوب: الانتقال، والـمَذْهب: الطريق، والذَّهاب: الزَّوال أيضاً، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ﴾ [الأحزاب: ٣٣]؛ أي: ليزيلَه.

و(ذهب) لازمٌ، ويصير متعدياً بالباء، كما يقال: أتى فلانٌ وأتى به غيرُه، وذهب هو وذهب به غيره، وقام هو وقام به غيره.

والنور هاهنا: ضوءُ النار التي أوقَدوها، وإنما لم يقُل: بنارهم، وإنْ كانت هي

---

(١) في (ر): «مغايرين».

(٢) في (ف): «ثم قال».

(٣) في (ر): «﴿يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٌ﴾».

(٤) في (أ): «فيها آيات».

المذكورةَ قبلَها؛ لأن للنار شيئين: حرارةً ونوراً؛ واللهُ تعالى أذهب النورَ، وبقي عليهم الحرُّ المحذور[١].

والإمامُ أبو منصورٍ[٢] رحمه الله يشير إلى أن معناه: أَذْهبَ الله تعالى نورَ بصرهم[٣]، على ما نبين إن شاء الله تعالى.

وقوله تعالى: ﴿وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَٰتٍ﴾: أي: خلَّاهم في ظُلُماتٍ، هي جمع الظُّلْمة، وتُجمع على الظُّلَم، والظُّلُمات بضم اللام[٤]، والظُّلَمات بفتح اللام، وكذا الحُجرات والغُرفات.

وهي الظلمات المحيطة به من كل جهةٍ، ففي كل جهةٍ ظلمةٌ، ومن الجهات ظلماتٌ.

وأما تفسيرُه[٥]:

فقد قال الحسن: هو النورُ الذي أظهَروه للرسول بالإسلام، قطعه الله عنهم بالموت في قبورهم.

وقال أبو بكرٍ الأصمُّ: ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ أي: سوَّد وجوههم في الآخرة عقوبةً لهم[٦].

وقيل: معنى ﴿وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَٰتٍ﴾؛ أي: لم يأتهم بضياءٍ يبصرون به.

---

(١) في (ف): «وبقي عليهم الحر المحرور»، وفي (ر): «وبقي عليهم الحرارة».

(٢) في (أ): «المنصور» بدل: «أبو منصورٍ».

(٣) انظر: «تأويلات أهل السنة» (١/ ٣٩١).

(٤) في (ر) و(ف): «وتجمع على الظلم بالضم».

(٥) في (ف): «التفسير».

(٦) انظر القولين في «النكت والعيون» (١/ ٨٠)، لكن الأول فيه دون نسبة للحسن ولا لغيره.

وقيل: أي: لم يُخرجهم منه، كما يقال: تركَه في الدار؛ أي: لم يُخرجْه منها، وهذا تأويل المعتزلة؛ فإنهم لا يقولون بخلقِ أفعال البشر من الله تعالى.

والصحيح من التأويل عند أهل السنَّة والجماعة: ﴿وَتَرَكَهُمْ﴾؛ أي: جعَلهم في الظلمات، وهو كقوله: ﴿فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا﴾ [البقرة: ٢٦٤]؛ أي: جعَله صلداً.

وقوله تعالى: ﴿لَّا يُبْصِرُونَ﴾؛ أي: لا يبصرون ما حولهم[1] لذهابِ النور.

ثم إنما قال: ﴿وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ﴾ بالجمع، مع أن المذكور في أول الآية: ﴿ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ﴾ وهو واحدٌ؛ لِمَا مرَّ أن المُوقِد واحدٌ والمصطَلُون[2] جمعٌ.

أو أُريد بالواحد الجمعُ من الوجه الذي مرَّ، وهو كقوله: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [الزمر: ٣٣]، وقوله تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ ثم في آخره: ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٦٢].

ومعنى الآية في قول ابن عباسٍ وقتادةَ والضحاكِ ومقاتلٍ والسدِّي: مثلُ المنافقين في كفرهم ونفاقهم كمثلِ رجلٍ أَوقد ناراً في ليلةٍ مظلمةٍ في مَفازةٍ[3] واستضاء بها واستَدفأ بها، ورأى ما حوله واتَّقى ما حَذر وخاف فأمن، فبينا هو كذلك إذ طَفِئتْ نارُه فبقي في ظلمةٍ خائفاً متحيِّراً، فكذلك المنافقون إذا أظهروا

---

(١) في (ر) و(ف): «حوله».

(٢) في (أ): «والمبطلون».

(٣) في (ر): «مغارة».

كلمة الإيمان واستناروا بنورها[١] واعتزوا[٢] بعزِّها وأمنوا[٣] بسببها، فناكحوا المسلمين وورثوهم وقاسموهم الغنائم وأَمِنوا على أموالهم وأولادهم، فإذا ماتوا عادوا إلى الخوف والظُّلْمة وبقُوا في العذاب والنِّقمة[٤].

وقال الإمامُ أبو منصورٍ رحمه الله: في هذه الآية كشفُ قولِه: ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ وقولِهِ تعالى: ﴿وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٢]، فإنه فضَحهم في الدنيا والآخرة، لأنهم[٥] طلبوا بنفاقهم الأمنَ فأَعقبهم الله خوفاً دائماً، كما قال: ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ ٱلْعَدُوُّ﴾ [المنافقون: ٤] وقال: ﴿رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ﴾ الآية [محمد: ٢٠]، وقال: ﴿فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ﴾ [الأحزاب: ١٩]، وقال: ﴿يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ﴾ الآية [التوبة: ٦٤].

ولأنهم طلبوا بالنِّفاق رضى الفريقين والشرفَ والعزَّ فيهم، فعَلم الفريقان جميعاً بذلك فطردوهم، قال الله تعالى: ﴿مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ﴾ [المجادلة: ١٤]، وقال الله تعالى: ﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ [النساء: ١٤٣] فزال الشرفُ والعزُّ وجاء الهوانُ والذلُّ.

فمثَلُهم كمثَلِ مستوقِدِ النار ليستضيء بها وينتفعَ بحرِّها، فأذهب الله تعالى بصرَه فذهب ما كان يأمل من الاستضاءة بضوئها والانتفاعِ بحرِّها، وأَعقبه خوفَ

---

(١) في (ر): «فاستناروا بها».

(٢) في (ف): «واستعزوا».

(٣) في (أ): «فأمنوا».

(٤) رواه بنحوه الطبري في «تفسيره» (١/ ٣٣٧ ـ ٣٣٩) عن ابن عباس وقتادة والضحاك، واختاره.

(٥) في (ر): «فإنهم».

الإحراق لو دنا منها، وذهب الانتفاعُ بحرِّها في البرد وإصلاحِ الأغذية بها بذهاب البصر، وأمَّا في الآخرة فما ذكرنا من جواب المؤمنين لهم عند اقتباس النور، وضحك المؤمنين منهم وهم في النار(١).

***

(١٨) ـ ﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ صُمٌّ ﴾: الصَّمَم: انسداد خروقِ المسامع، والأصمُّ: الصخر الأملس، والجَذْرُ الأصمُّ: أصل الحساب الذي لا يَصل إلى معرفته العِباد، والقناة الصَّمَّاء: التي ليست بمجوَّفةٍ، والصَّمَّاء: الداهية، والصِّمَّة: الشجاع، والصِّمَّة: الأسد، وقارورةٌ مصمومةٌ؛ أي: مسدودةٌ، وصِمَامُها: سِدَادُها.

وأصلُ كلِّه: السدُّ والشدُّ، والأصمُّ: النعتُ من الصَّمَم، وجمعُه: الصُّمُّ، وكذا كلُّ أَفْعَلَ كان نعتاً ممَّا هو خِلْقةٌ فجَمْعُه: الفُعل، ومِثْلُه: البُكْمُ والعُمْي، فإن كان اسماً فعَلَى الأفاعل يُجمع؛ كالأرنب والأرانب، والأعجم والأعاجم، فإن كان نعتاً مما هو آفَةٌ فعلى الفَعلى؛ كالأَعجَف والعَجْفى، والأحمق والحَمْقى.

وقوله تعالى: ﴿بُكْمٌ﴾: فالبَكَمُ(٢): هو الخَرَس، وهو آفَةٌ في اللسان لا يتمكَّن معها أن يعتمد مواضعَ الحروف.

وقيل: الأبكمُ هو الذي يُولد أخرسَ.

وقيل: هو الخَرَس مع ذهاب الفؤاد.

---

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» (١/ ٣٩٠ ـ ٣٩١).

(٢) في (أ): «البكم».

وقوله تعالى: ﴿عُمْيٌ﴾: فالعَمَى[١]: ذهابُ بصر العين والقلب، والعَمَايَة: الجَهَالة، والعَمَى[٢]: الخفاء أيضاً، والتَّعمية: الإخفاء.

والنعتُ من البَكَم: الأبكم، وجمعُه: البُكْم، ومِن العمى: الأعمى في العين، وجمعُه: العُمْي، ومن القلب العَمِي، وجمعه: العَمُون، قال الله تعالى: ﴿بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ﴾ [النمل: ٦٦].

ثم رفعُ هذه الكلمات بإضمارِ كلمةِ: هم، أي: هم صمٌّ بكمٌ عميٌ.

وقرأ عبد الله بن مسعودٍ رضي الله تعالى عنه: (صمًّا بُكماً عُمياً) [٣]، ولنصب ذلك ثلاثة أوجهٍ:

أحدها: وتركَهم صمًّا بكماً عُمياً.

والثاني: على الذمِّ.

والثالث: على الحال.

وأما تفسيره:

فقد قال قتادة: أي: صمٌّ عن استماع الحق، بكمٌ عن التكلُّم به، عُميٌ عن إبصاره[٤].

وقيل: أي: يتصامُّون ويتباكَمون ويتعامَون مع قيام الآلات، في الإعراض عن الحقِّ الذي قامت على حقيقته الدلالات، وقد قال قائلُهم:

---

(١) في (أ): «العمى».

(٢) في (ر) و(ف): «والعماء».

(٣) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٠ ـ ١١).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٣٤٨). ووقع في (ف): «عمي عن الإبصار».

قُـلْ مـا بـدا لك مِـن زورٍ ومِـن كذبٍ … حِـلْـمـي أصـمٌّ وأُذْنـي غيرُ صمَّـاءِ[1]

وقيل: معناه: كأنهم صمٌّ بكمٌ عميٌ، فإنهم لا ينتفعون بهذه الآلات مع وجودها، فكأنهم عَدِموها، وهذا كما سمِّي[2] الكافر ميتاً؛ لأنه لا يَنتفِع بحياته.

ثم[3] لمَّا وُصفوا بهذه الصفات في الدنيا عوقبوا في الآخرة بحسَبها[4]، قال تعالى: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾ [الإسراء: ٩٧] فلا يسمعون سلامَ الله، ولا يخاطِبون الله ولا يرونه، والمسلمون كانوا سامعينَ الحقَّ قائلين بالحقِّ ناظرينَ إلى الحق، فيُكرمون يوم القيامة بخطابه وسلامه ولقائه.

وقوله تعالى: ﴿فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ الرجوع: الانصراف، والرَّجع: الصَّرف، فيكون رجع سالماً ومتعدِّياً، والرِّجَاع: رجوعُ الطير بعد قِطَاعها؛ أي: خروجُها من بلادِ البردِ إلى بلاد الحرِّ، والإرجاعُ: سِمَنُ الإبلِ وحُسنُ حالها بعد هُزالها، ورجعةُ الزَّوج في المطلقة بفتح الراء وكسرها، والرُّجعى: الرجوع، والمرجوع: جواب الرسالة.

وتفسيرُه هاهنا:

لا يرجعون إلى الحق.

وقيل: عن التَّعَامي والتَّصامِّ والتباكُم.

وقيل: إلى رؤية الحق وسماعه والتكلم به.

---

(١) البيت لبشار بن برد، كما في «جمهرة الأمثال» للعسكري (١/ ١٤٠)، ودون نسبة في «الأمثال» لأبي عبيد (ص: ١٥٢)، و«عيون الأخبار» لابن قتيبة (١/ ٣٩٨).

(٢) في (أ) و(ف): «يسمى».

(٣) «ثم»: ليست في (ر).

(٤) في (أ) و(ف): «بجنسها».

وقيل: إلى ثواب الله تعالى.

وأفادت الآية أنهم كانوا يستطيعون الرجوعَ باستطاعةِ سلامةِ الآلات، حيث استحقُّوا الذَّمَّ بتركه، وأن قوله تعالى: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ﴾ ليس بنفي الآلات، بل هو نفيُ تركهم استعمالَها.

ثم إن الله تعالى نَدب الخلقَ إلى الرجوع إليه والائتمارِ[1] بأمره والانتهاءِ بنهيه بقوله عز وعلا: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٤] فمَن لم يَرجع إليه اختياراً يرجع بالموت والبعث إجباراً[2]، قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٥٧]، وقال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٨١]، ومَن رجع إليه في الدنيا بفعله وحقَّق ذلك بقوله: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦] كان رجوعُه إليه بالكرامة، ويخاطَب بقوله: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾ الآية [الفجر: ٢٧].

***

(١٩) ـ ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ﴾ (أو) جاءت[3] في القرآن لثلاثةَ عشَر معنًى:

أحدها: للشك، قال تعالى: ﴿قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ [الكهف: ١٩].

---

(١) في (أ) و(ف): «بالائتمار».

(٢) في (ر): «اختيارا رجعوه إليه إجباراً بالموت والبعث»، وكذا في (ف) لكن سقطت كلمة: (إجبارا) منها.

(٣) «جاءت»: ليست في (أ) و(ف).

وللتشكيك: قال تعالى: ﴿أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ﴾ [آل عمران: ١٤٤]، وهذا غير الأول، هذا إخفاء الحال على السامع من غير شكٍّ من القائل.

وللتخيير: قال تعالى: ﴿فَكَفَّـٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَـٰكِينَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ [المائدة: ٨٩].

وللإباحة: قال الله تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَـٰنَ﴾ [الإسراء: ١١٠]، وهذا غير التخيير، ذاك بيانٌ أن الواجب أحدُها لا كلٌّ وله الخِيَارُ، وفي الإباحة: له أن يفعلهما وله أن يفعل أحدهما.

وللتفصيل: قال تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ الآية [المائدة: ٣٣]، كلُّ عقوبةٍ منها لجنايةٍ غيرِ الأخرى.

وبمعنى الواو: قال تعالى: ﴿لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه: ٤٤].

وبمعنى: بل، قال تعالى: ﴿كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ [النحل: ٧٧].

وبمعنى: ولا، قال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٢٤].

وبمعنى: حتى، قال تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ [آل عمران: ١٢٨].

ولذكر شيئين يتعلق الحكمُ بأيهما وجد أو(١) **بهما إنْ وُجدا**: قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ [البقرة: ١٨٤] وقال تعالى: ﴿فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ﴾ [النساء: ٧٤] قَتل المسلمُ الكافرَ أو قَتل الكافرُ المسلمَ، أو اجتماع الأمرين كلُّ واحدٍ منها بسبب استحقاق الآخر(٢).

---

(١) في (أ) و(ر): «و».

(٢) من قوله: «قتل المسلم الكافر...» إلى هنا من (ر)، وقد استدرك بهامشها وعليه علامة التصحيح.

وللدخولِ بين مذكورَين ومُلحقٌ[1] **بهما مذكوران بينهما كلمة (أو) أيضاً**: والمراد تعيينُ أحدهما لأحدهما وتعيينُ الآخَرِ للآخَر، قال تعالى: ﴿وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ [سبأ: ٢٤]؛ أي: إنَّا لعَلَى هدًى وإنكم لفي ضلالٍ مبين.

وللذِّكر بين أمرين، وتوهَّم أنه مخيَّرٌ بينهما ويباحُ له كلاهما: والمراد به أنه لو فعلهما لم ينفعاه، ولو فعل أحدهما لم ينفعه، قال تعالى: ﴿ٱصۡلَوۡهَا فَٱصۡبِرُوٓاْ أَوۡ لَا تَصۡبِرُواْ﴾.

ولاحتمالِ وجهين أو وجوهٍ مما يُستعمل فيه: كما في هذه الآية: ﴿أَوۡ كَصَيِّبٖ﴾ يحتمِل أن يكون للتخيير؛ أي: إن شئتُم فاجعلوا مَثَل المنافقين كمَثَل المستوقِد ناراً، وإن شئتُم فاجعلوا مَثَلَهم كمَثَل أصحابِ صَيِّبٍ، ويجوز أن يكون بمعنى الواو؛ أي: وكصيبٍ، ويجوز أن يكون بمعنى: بل، ويجوز أن يكون للتفصيل، فالتشبيه الأول لشيءٍ[2] والثاني لشيءٍ آخر على ما نبيِّن إن شاء الله تعالى.

وقوله: ﴿كَصَيِّبٖ﴾ الكافُ للتشبيه، وهو أحدُ أقسام البلاغة، وهو أبلغُ في المعنى، وأوقعُ في القلب، وأعذبُ في الأسماع[3]، وأوصلُ إلى المراد.

وهو في القرآن كثيرٌ: ﴿كَشَجَرَةٖ طَيِّبَةٍ﴾ [إبراهيم: ٢٤]، ﴿كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ﴾ [إبراهيم: ٢٦]، ﴿كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ﴾ [النور: ٣٩]، ﴿كَرَمَادٍ ٱشۡتَدَّتۡ بِهِ ٱلرِّيحُ﴾ [إبراهيم: ١٨]، ﴿كَمَثَلِ صَفۡوَانٍ﴾ [البقرة: ٢٦٤]، ﴿كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِ﴾ [الأعراف: ١٧٦]، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ﴾ [الأعراف: ١٧٩] ﴿فِي ٱلۡبَحۡرِ كَٱلۡأَعۡلَٰمِ﴾ [الشورى: ٣٢]، ﴿كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٍ خَاوِيَةٖ﴾ [الحاقة: ٧]، ﴿كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌ﴾ [النور: ٣٥]، ﴿كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ﴾ [النور: ٣٥]، ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ﴾

---

(١) في (أ) و(ف): «ويلحق».

(٢) في (ر) و(ف): «بشيء».

(٣) في (أ): «السماع».

[البقرة: ٢٦١]، ﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ﴾ [البقرة: ٢٦٥]، ﴿كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [يونس: ٢٤]، ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ﴾ [الحديد: ٢٠]، ﴿كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾ [القمر: ٧]، ﴿كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ﴾ [القارعة: ٥] ﴿وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ﴾ [الرحمن: ٣٧] ﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ [الصافات: ٦٥]، ﴿يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ﴾ [الكهف: ٢٩]، ﴿كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ﴾ [الطور: ٢٤]، ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾ [الصافات: ٤٩]، ﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ [الرحمن: ٥٨].

والصيب: المطر، من قولهم: صاب يَصُوب صَوباً: نزل، قال الشاعر:

فلستَ لإنسيٍّ ولكنْ لِمَلْأَكٍ ... تَنَزَّلَ من جوِّ السَّماءِ يَصُوبُ(١)

والصيِّب: السَّحاب أيضاً، قال أبو ذُؤيب:

بقرارِ قِيعانٍ سَقَاها صيِّبٌ ... واهٍ فأَثْجَمَ بُرهةً ما يُقْلِعُ(٢)

---

(١) نسب لعلقمة بن عبدة في «المفضليات» (ص: ٢٩٤)، و«الزاهر» لابن الأنباري (١/ ٢٥٥)، وهو في زيادات ديوانه (ص: ١١٨)، ونسب في «مجاز القرآن» (١/ ٣٣)، و«الصحاح» (مادة: ملك)، لجاهلي من عبد القيس يمدح بعض الملوك، ودون نسبة في «الكتاب» (٤/ ٣٨٠)، و«إصلاح المنطق» (ص: ٧١)، و«معاني القرآن» للزجاج (١/ ١١٢). وقال السيرافي في «شرح أبيات إصلاح المنطق» (ص: ٢٠٧): يروى لأبي وجزة يمدح عبد الله بن الزبير، ويروى لرجل من عبد القيس يمدح النعمان.

(٢) انظر: «ديوان الهذليين» (١/ ٥)، و«جمهرة أشعار العرب» (ص: ٢٠٦)، و«المحكم» لابن سيده (٦/ ١٢٢)، و«الفائق» (٣/ ١٨٧)، و«اللسان» و«التاج» (مادة: قرر)، وفيها جميعا: سقاها وابل، وفي «المفضليات» (ص: ٤٢٣): (سقاها صائف). وجاء في هامش (أ): «أثجم المطر: كثر ودام». وفي هامش (ف): «قرار: جمع قرارة، وهو مستقر الماء، وقيعان: جمع قاع، وهو الأرض المستوية، وأثجم أي: دام، برهة: وهلة، ما يقلع أي: ما يسيل، يقال: أثجم المطر: إذا دام، وأثجم: إذا أقلع سريعاً». ووقع في جميع المواضع من حاشية ومتن في (ف) بدل «أثجم»: «أتخم» ولا معنى لها هنا.

والصيِّب أصله: صَيْوِبٌ، صارت الواو ياءً ـ لوقوعها بين ياءٍ وكسرةٍ ـ وأُدغمت، كالسيِّد والجيِّد والطيِّب واللّيِّن، إلا أنَّ السيِّد والجيِّد واويَّان والطيِّبَ واللّيِّنَ يائيَّان، وأصلهما: طَيْيِبٌ ولَيْيِنٌ، فصارتا واحدةً بالإدغام.

وتفسيرُه هاهنا: المطر[١]، في قولِ ابن عباسٍ وابن مسعودٍ رضي الله عنهم[٢].

وقد قال بعضهم: أي: كسحابٍ، لأنه تعالى قال: ﴿فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ﴾، وذلك في السحاب لا في المطر، وسمِّي السحاب صيِّباً لأن الصيِّب منه، وهو المطرُ الذي يَصُوبُ، أي: يَنزل.

وقوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ فالسماء[٣] في اللغة: سقفُ الدنيا، والسماء: السحاب أيضاً، والسماء: المطر أيضاً، والسماء: سقف البيت أيضاً، والسماء: ظهر الفرس أيضاً، وهي في القرآن على وجوهٍ ذكرت:

للسموات السبع: قال تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ﴾ [البقرة: ٢٩].

وللسماء التي تلينا: قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ﴾ [ق: ٦].

وللسحاب: قال الله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ [البقرة: ٢٢].

وللمطر: قال تعالى: ﴿يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾ [هود: ٥٢].

وللهواء: قال تعالى: ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾[٤] [إبراهيم: ٢٤].

ولسقف البيت: قال تعالى: ﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الحج: ١٥].

---

(١) في (أ): «أو كمَطرٍ».

(٢) رواه عنهما الطبري في «تفسيره» (١/ ٣٥١ ـ ٣٥٢)

(٣) في (أ): «السماء».

(٤) في هامش (ف): «أي متعال مرتفع في الهواء».

ولسماء الجنة: قال الله تعالى: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ [هود: ١٠٨].

ولسماء جهنم: قال تعالى: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ [هود: ١٠٧].

وتفسيره[١] هاهنا:

أي: من السماء الدنيا.

وقيل: من السحاب.

فمَن جعَل الصيِّب سحاباً لم يُمْكِنه صرف السماء إلى السحاب، فيصرِفُه إلى السماء الدنيا[٢]، ومَن جعَله مطراً أَمْكنه صرفُه إلى كلٍّ واحدٍ منهما.

والتوفيقُ بين التفسيرين: أن المطر من السحاب عِياناً وهو من السماوات أصلاً؛ قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ﴾ [النور: ٤٣].

وروى وهب بن منبِّهٍ في «المبتدأ» ـ اسم كتاب[٣] ـ عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما أنه قال[٤]: تحت العرش بحرٌ ينزل منه أرزاقُ الحيوانات بوحي الله إليه[٥]، فيُمطِرُ ما شاء من سماء إلى سماء، حتى ينتهي إلى السماء الدنيا، ويُوحي إلى الريح فتحمله فتَبثُّه[٦] في السحاب، والسحابُ بمنزلة الغربال، ثم يوحي إلى السحاب أنْ

---

(١) في (ر) و(ف): «وتفسيرهما».

(٢) بعدها في (ف) عبارة: «وقيل أي من السحاب» وهي زيادة لا يظهر لها تعلق بالسياق.

(٣) قوله: «في المبتدأ اسم كتاب»: ليس في (ف)، وقوله: «اسم كتاب»: ليس في (أ). و«المبتدأ» كتاب لابن وهب ذكره ابن النديم في «الفهرست» (ص: ١٣٨).

(٤) في (ف): «أن» بدل: «أنه قال».

(٥) في (أ): «ليوحي الله إليه». وفي (ر): «يوحى إلى السحاب إليه».

(٦) في (أ): «فتثبته» وسقطت الجملة من (ر)، والمثبت من (ف).

غَرْبِلْه فيُغَرْبِلُه، فليس من قطرةٍ تقطر إلا ومعها ملكٌ يضعُها موضعَها، ولا ينزل من السماء قطرةٌ إلا بكيلٍ معلومٍ ووزنٍ معلومٍ، إلا ما كان من يوم الطُّوفان، فإنه نزل ماءٌ منهمرٌ بغيرِ كيلٍ ولا وزنٍ.

وقوله تعالى: ﴿فِيهِ ظُلُمَٰتٌ﴾: هي ظلمة الليل والسحابِ والمطرِ.

وقيل: ما يستره المطرُ والسحاب من نور المطالع[١].

وقوله تعالى: ﴿وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ﴾: أما الرعد فقد سُئل وَهْب بن منبِّهٍ عن الرعد: ما هو؟ فقال: اللهُ أعلم[٢].

وعن معمرٍ قال: سألتُ الزُّهريَّ عن الرَّعد ما هو؟ فقال: اللهُ أعلمُ[٣].

وسأل كعبٌ عبدَ الله بن عُمر رضي الله عنهما عن الرَّعد، فقال: مَلكٌ وكَّله الله بسياقةِ السحاب، فإذا أراد الله تعالى أن يَسوقه إلى بلدٍ أَمَره فساقه، فإذا تَفرَّق عليه زجَره بصوته حتى يجتمعَ كما يردُّ أحدكم رِكابه، ثم قرأ: ﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ﴾ [الرعد: ١٣][٤].

وعن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم: أنهم كانوا إذا سمعوا الرعد قالوا: سبحانَ مَن يسبِّحُ الرعدُ بحمده والملائكةُ من خِيفَته[٥].

---

(١) في (أ) و(ف): «الطوالع».

(٢) رواه عبد الرزاق قال: حدثني أبي أن وهب بن منبه سئل عن الرعد فقال: الله أعلم. انظر: «الاستذكار» (٨/ ٥٨٩).

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٣٦٥). وانظر: «الاستذكار» (٨/ ٥٨٩).

(٤) رواه أبو الشيخ عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما. انظر: «الدر المنثور» (٤/ ٦٢٢).

(٥) رواه أبو عبيد في «غريب الحديث» (٤/ ٣٠٣)، وأبو داود في «الزهد» (٣٧١) عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنه. ورواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٤٧٧) عن علي وابن عباس، ورواه الطبري أيضا من طريق رجل عن أبي هريرة مرفوعا.

وعن شَهْرِ بنِ حَوْشَبٍ: أن الرعد ملكٌ يحثُّ[١] السحابَ كما يحثُّ الراعي الإبلَ، وكما يَنْعِقُ الراعي بغنمه، فإذا تفرَّقت سحابةٌ ضمَّها، فإذا اشتدَّ غضبه طار من فيه النار، فهي الصواعق[٢].

وقال قتادة: الرعدُ خَلْقٌ من خَلْق الله سامعٌ مطيعٌ[٣].

وقال ابن عباسٍ رضي الله عنهما: ليس شيءٌ أحسنَ مَنْطِقاً ولا أحسنَ ضحكاً من السحاب، قالوا: ما مَنطقُه وما ضحكُه؟ قال: منطقُه الرعدُ وضحكُه البرقُ[٤].

وقال ابن عباسٍ رضي الله عنهما في روايةٍ: الرعدُ ريحٌ تختنقُ تحت السحاب فيتصاعد، فيكون منه ذلك الصوت[٥].

وقيل: الرعد صوتُ اصطِكاكِ الأجرام، وهو من الرَّعد؛ لأنه صوتٌ يَرتعِد؛ أي: يضطرب.

وأُرْعِدت[٦] فرائصُه عند الخوف، من هذا، والرِّعْديد: الجبان؛ لارتعاده من خوفه، والرِّعديدةُ: المرأةُ الليِّنة الأعضاء من ذلك.

---

(١) في (أ): «يحدو».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٣٥٧).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٣٥٩).

(٤) لم أجده عن ابن عباس رضي الله عنهما. ورواه أبو الشيخ في «العظمة» (٤/ ١٢٤٨) عن عمرو بن أبي عمرو عن الثقة عن النبي ﷺ. ورواه العقيلي في «الضعفاء» (١/ ٣٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً. ورواه الإمام أحمد في «المسند» (٢٣٦٨٦)، والعقيلي أيضا (١/ ٣٥)، وابن الأنباري في «الزاهر» (٢/ ٣١٧)، من حديث شيخ من الصحابة مرفوعا أيضا. وإسناد أحمد صحيح، ولفظه: «إنَّ الله يُنْشِئُ السَّحابَ، فيَنْطِقُ أَحسَنَ المَنْطِقِ، ويَضحكُ أَحسَنَ الضَّحِكِ».

(٥) انظر: «تفسير الطبري» (١/ ٣٦٠ ـ ٣٦١)، و«النكت والعيون» (١/ ٨٢).

(٦) في (ف): «وارتعدت».

والبرق: هو ما يَنقدِح من اصطكاكِ الأجرام عند هؤلاء.

وقال عليٌّ رضي الله عنه: هو ضرب الملَك الذي هو الرَّعدُ السحابَ بمخراقٍ من حديدٍ[(١)].

وقال ابن عباسٍ والضحَّاك: هو سوطٌ من نارٍ يَزجر به الملَكُ السحابَ[(٢)].

وقيل: هو تلألؤ الماء.

وقال مجاهد ومحمد بن مسلمٍ الطَّائفيُّ: البرقُ ملَكٌ له أربعة أوجهٍ: وجهُ إنسانٍ، ووجه ثورٍ، ووجه نسرٍ، ووجه أسدٍ، فإذا مَصَع بأجنحته فذلك البرق[(٣)].

والـمَصَع: التحريكُ والضرب.

وقال شعيب بن الحبحاب[(٤)]: وجدتُ في كتاب الله تعالى أن حملة العرش

---

(١) رواه الإمام أحمد في «العلل» (٥٦٣٨)، والطبري في «تفسيره» (١/ ٣٦٣).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٣٦٣) بلفظ: هو سوطٌ مِن نُورٍ يَزُجُّ به المَلَكُ السَّحابَ.

(٣) رواه عنهما الطبري في «تفسيره» (١/ ٣٦٥)، وهذا لفظ الطائفي، ولفظ مجاهد: (البرق مصع ملك).

(٤) في (ر): «بن الجنحاب» وفي (ف): «بن الجيحاب». والذي في «تفسير الطبري»: شعيب الجبائي. قال محمود شاكر في حاشية «الطبري» (١/ ٣٤٥): شعيب الجبائي: بفتح الجيم والباء الموحدة مخففة، نسبة إلى: جبأ، بوزن جبل، وهو جبل في اليمن قرب الجند، كما قال ياقوت وغيره، وشعيب هذا ترجمه البخاري في «الكبير» (٤/ ٢١٨)، وترجمه ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٤/ ٣٥٣) قال: (شعيب الجبائي: يماني، يروي عن الكتب [يريد الكتب المنسوبة لأهل الكتاب من الأساطير]، روى عنه سلمة بن وهرام)، ثم جزم ابن أبي حاتم بأنه شعيب بن الأسود، ثم روى بإسناده عن زمعة، عن شعيب بن الأسود، قال: (أجد في كتاب الله)، وله ترجمة في «لسان الميزان» وقال: (أخباري متروك)، ثم ذكر شيئًا مما لا يقبله العقل من كلامه، وقال: (ذكره ابن حبان في «الثقات»، وقال: كان قد قرأ الكتب).

لكلِّ ملَكٍ منهم وجهُ إنسانٍ ووجهُ ثورٍ ووجهُ أسدٍ ووجهُ نسرٍ، فإذا حرَّكوا أجنحتهم فهو البرق.

وعلى كلِّ هذه الأقاويل: الرعدُ والبرقُ المذكوران في هذه الآية هو الصوتُ والنار التي تلمع في السَّحاب، فإن كان الرعد والبرق اسمين لملَكٍ أو ملكين، فقد أُريد بما ذكر في هذه الآية صوتُهما وأثرهما، لا عينُهما.

وفي قصة المعراج من روايةِ ابن عباسٍ رضي الله عنهما: قال عليه الصلاة والسلام: «ثم مررتُ على ملَكٍ يشبهُ الآدميَّ خَلْقاً، نصفُه من الثَّلج ونصفُه من النار، وسمعتُ تسبيحَه وهو يقول: سبحانَ الذي[1] ألَّف بين الثَّلجِ والنار، سبحان الذي يؤلِّفُ بين عباده المؤمنين، فقلت: يا جبريل! مَن هذا الملك؟ فقال: هذا ملكٌ خلقَه الله تعالى بقدرته كما ترى، وكَّله[2] على السَّحاب يَسُوقه من موضعٍ إلى موضعٍ، واسمُه: رعد، ومنه الرعدُ والبرق»[3].

---

(١) في (ر): «سبحان من».

(٢) في (أ): «كما تراه ووكله».

(٣) لم أجده بهذا السياق، وورد بعضه ـ لكن دون محل الشاهد ـ في حديث طويل جداً عن ابن عباس في المعراج رواه ابن حبان في «المجروحين» (٣/ ١١)، وابن الجوزي في «الموضوعات» (٢/ ٢١٠)، مقتصرَين على أوله، وذكره بتمامه السيوطي في «اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة» (١/ ٦٢)، وابن عراق في «تنزيه الشريعة» (١/ ١٥٥)، وفيه: «... ثم مررت بخلق عجيب من العجب، رأيت ملكا من الملائكة نصف جسده مما يلي رأسه ثلج والآخر مكون نارا، ما بينهما رتق، فلا النار تذيب الثلج ولا الثلج يطفئ النار، وهو قائم ينادي بصوت له رفيع جداً: سبحان ربي الذى كفَّ برد هذا الثلج فلا يطفئ حر هذه النار، سبحان ربي الذى كفَّ حر هذه النار فلا تذيب هذا الثلج، اللهم مؤلفا بين الثلج والنار ألف بين قلوب عبادك المؤمنين، فقلت: من هذا يا جبريل؟ فقال: هذا ملك من الملائكة وكله الله بأكناف السموات وأطراف الأرضين، وهو من أنصح =

يعني: بسياقه السحابَ يَظهر الرعدُ، وبعنفه على السحاب يظهر البرق، ألم تسمع اللهَ يقول: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا﴾ الآية [النور: ٤٣].

وقال في كتاب «حقائق القرآن»: قال ابن الرَّيحانيِّ[1]: الرعد صَعقاتُ الملائكة، والبرقُ حُرقاتُهم[2]، والمطرُ بكاؤهم.

فإنْ حُمل هذا الكلامُ على الظاهر[3] فالملائكةُ موصوفون بالخشية والخِيفة، قال تعالى: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ﴾ [الرعد: ١٣]، وقال تعالى: ﴿وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٨]، وبكاؤهم شديدٌ أيضاً، حكاه النبيُّ ﷺ أنه رآهم ليلة المعراج

= الملائكة لأهل الأرض من المؤمنين، يدعو لهم بما تسمع فهذا قوله منذ خلق، ثم مررت بملك آخر...». وعزاه ابن عراق لابن حبان وابن مردويه في تفسيره، قال: كلاهما من حديث ابن عباس من طريق ميسرة بن عبد ربه واتهم به، إلا أن ابن مردويه أخرجه من طريق آخر دل على أن الآفة فيه من غير ميسرة، وأنها من شيخه عمر بن سليمان الدمشقي.

(١) لعله: علي بن عبيدة الريحاني أحد البلغاء والفصحاء، له اختصاص بالمأمون وله معه أخبار، كان كاتباً بارعاً، وله تصانيف كثيرة يسلك فيها طريقة الحكمة، وكان يرمى بالزندقة، قال الذهبي: وتصانيفه تدل على فلسفته وفراغه من الدين، وهي كثيرة سردها ياقوت في «تاريخ الأدباء». انظر: «الفهرست» (ص: ١٧٢)، و«معجم الأدباء» (٤/ ١٧٨)، و«تاريخ الإسلام» (١٥/ ٣١١).

وهذا القول رواه عن الريحاني: السلمي في «حقائق التأويل» (١/ ٣٢٩)، وذكره ابن الجوزي في «تلبيس إبليس» (ص: ٤٠٤)، والآلوسي في «روح المعاني» (١٣/ ١١٧)، وفيهما: (الزنجاني)، ولعله نفسه فإن الريحاني المذكور يقال له أيضا: الزنجاني، كما في «هدية العارفين» (١/ ٦٦٨). وهذا القول جعله الزمخشري في «الكشاف» (٢/ ٥١٩) من بدع المتصوفة.

(٢) جاء في جميع المصادر السابقة: (والبرق زفرات أفئدتهم).

(٣) في (أ): «ظاهره».

باكِين، أهلُ كل سماءٍ إلى العلو[١] أشدُّ أثراً من الذين دونهم، فيجوز أن يكون ما نَرى من الهواء هو[٢] منهم من السماء.

وإنْ حُمل على التمثيل فله وجهٌ؛ أي: كما تسمعون صوت الرعد فاعلموا أن صياح الملائكة من الخوف[٣] كذلك، وكما ترون لـمَعان البرق فلمعانُ نيران أشواقهم كذلك، وكما تَرون تقاطُر الأمطار فدموعُهم كذلك، وهذا حالُهم مع أنهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، وهم عبادٌ مُكرَمون، وهم من خشيته مشفِقون، فكيف ينبغي لنا أن نَغفل مع هَفَواتنا وجَفْواتنا وخُطواتنا وخطيئاتنا؟!

وقوله تعالى: ﴿يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ﴾: قيل: يضعون، وقيل: يُدخلون.

ودلت هذه الكلمة ـ وهي[٤] فعلُ الجمع ـ أن المراد من قوله تعالى: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ﴾: أو كأصحابِ صيِّبٍ، حتى صار هذا فعلاً لهم[٥].

والأصابع جمع إصبعٍ، وفيها خمسُ لغاتٍ: أَصبع بفتح الهمزة وكسر الباء، وأُصبَع بضمها ـ أي: الهمزة[٦] ـ وفتح الباء، وأُصبُع بضمهما، وإِصبع بكسرهما، وإِصبَع بكسر الهمزة وفتح الباء وهي أشهرها.

وهي إحدى أصابع اليدين والرجلين، والإصبعُ مؤنثةٌ سماعاً، قال النبيُّ ﷺ في رَجَزٍ له في بعضِ مغازيه:

---

(١) في (ر) و(ف): «العلى».

(٢) في (ف): «ما ترى من الهواء هو»، وفي (ر): «ما ترى الهوى هوى».

(٣) في (ر): «في الخوف»، وفي (ف): «في الجو».

(٤) في (أ): «على»، بدل: «وهي».

(٥) في (ر) (ف): «فعالهم».

(٦) في (أ): «بضم الألف» بدل: «بضمها أي: الهمزة».

هـل أنـت إلا إصبـعٌ دَمِـيت وفـي سـبيلِ الله مـا لَقِيـت[١]

ودلت الآيةُ أن إطلاق اسمِ الشيء على بعضه جائزٌ مجازاً، فإنه ذكر جَعْلَ الأصابع في الآذان، والمقصودُ جعلُ[٢] بعضِها لا كلِّها، ومعنى هذا: يسدُّون آذانهم بأصابعهم خوفاً من الرعد.

وقولـه تعالـى: ﴿فِيٓ ءَاذَانِهِم﴾: هـي جمـعُ أُذن، وهـي الجارحـة السـامِعة، وقد أَذِنَ يَأْذَنُ؛ أي: سـمع، قال الله تعالى: ﴿وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ﴾ [الانشقاق: ٢]؛ أي: سـمعتْ مُطيعـةً، وقـال النبيُّ ﷺ: «مـا أَذِنَ اللهُ لشـيءٍ كأَذَنِهِ لنبـيٍّ يَتغنَّى بالقـرآن»[٣]؛ أي: ما قَبِـلَ اللهُ ورضـي[٤]، والأذان: الإعـلام بالإسـماع[٥]، وأَذِن؛ أي: عَلِـم إذْ[٦] سـمع، ورجـلٌ أُذُنٌ؛ أي: يسـمع كلَّ قـولٍ ويَقبله.

وقوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ﴾: هي جمع الصاعقة، وهي الصوت مع النار.

وقيـل: هـي صـوتُ الرعـد الشـديد الـذي يُصْعـق منـه الإنسـان؛ أي: يُغشـى عليـه أو يمـوت.

وقيل: هي نارٌ لا دخان لها.

وقيل: هي عذابٌ ينزل من السماء يموت منه أكثرُ مَن يسمعه.

---

(١) رواه البخاري (٢٨٠٢)، ومسلم (١٧٩٦)، من حديث جندب بن سفيان رضي الله عنه.

(٢) «جعل»: من (ر).

(٣) رواه مسلم (٧٩٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) «أي: ما قبل الله ورضي»: ليس في (أ) و(ف).

(٥) في هامش (ف): «والأذان الإعلان بالإسماع».

(٦) في (أ) و(ف): «إذا».

وقيل: الصاعقةُ والصاقعة واحدةٌ، وهي من الصَّقع[١] أي: الضرب، وهو الصوت أيضاً، والصقيع[٢]: البرد المحرق للنبات، والصَّقَع بفتح القاف: الغَشْيُ أيضاً.

وقيل في الصاعقة ـ وهو أجمعُ ما قيل فيه ـ: هو الشديدُ من صوت الرعد يقع معه قطعةُ نارٍ تُحرق ما أتت عليه، وهو المراد هاهنا.

وقد ذُكرت الصاعقة في القرآن[٣] لأشياءٍ:

للنار: في قصة بني إسرائيل قالوا: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ﴾ [البقرة: ٥٥].

وللريح: في قصة عادٍ، قال: ﴿مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ﴾ [فصلت: ١٣].

وللصيحة: في قصة ثمودٍ، قال: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ﴾ [فصلت: ١٧].

ولمطلق العذاب: قال الله تعالى: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً﴾ [فصلت: ١٣].

وللعذاب النازل من السماء: قال تعالى: ﴿وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ﴾ [الرعد: ١٣].

ولصوت الرعد: كما في هذه الآية.

وقولُه تعالى: ﴿مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ﴾؛ أي: من قِبَل الصواعق وبسببها[٤]، أو فيه مضمرٌ

---

(١) في (ر) و(ف): «الصعق».

(٢) في (ف): «والصقع».

(٣) في (ف): «جاءت» بدل: «ذكرت الصاعقة في القرآن».

(٤) في (ر): «تشبيها»، وفي (ف): «وتشبيهاً».

وتقديره: يجعلون أصابعهم في آذانهم تحرُّزاً من الصواعق، أو: خوفاً من الصواعق.

والألف واللام في ﴿ٱلصَّوَٰعِقِ﴾ بدلُ الإضافة؛ أي: من صواعقِ الرعد وصواعقِ الصَّـيِّب، وهو كقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٤١]؛ أي: مأواه.

وقوله تعالى: ﴿حَذَرَ ٱلْمَوْتِ﴾: الحذر: الخوفُ الباعثُ على التحفُّظ والتيقُّظ، ورجلٌ حَذِرٌ وحَذُرٌ ـ بكسر الذال وضمِّها ـ من ذلك، وطيرٌ حَذِرٌ؛ أي: يتحفَّظ[1] في شربه والتقاطِ حَبِّه.

والموت: زوالُ الحياة.

ونُصب ﴿حَذَرَ﴾ على أنه مفعولٌ له؛ أي: لأَجْل حذَرهم من الموت يفعلون كذلك.

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾: الإحاطة: إدراك الشيء بكماله من كلِّ جهاته، ويُستعمل في العلم بالشيء من كلِّ وجوهه، قال تعالى: ﴿أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢]، ولإهلاكِ الشيء بكلِّيَّته، قال تعالى: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ﴾ [الكهف: ٤٢]، وقال تعالى: ﴿إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ﴾ [يوسف: ٦٦] أي: تَهلكوا جميعاً.

وتفسيرُه هاهنا عند بعضهم: أي: يُميتهم إن شاء فلا فائدةَ لحذَرهم.

وقيل: أي: هو عالمٌ بالكفار فيُطْلعُ رسولَه على أفعالهم.

وقيل: أي: عالمٌ بهم فيجازيهم يوم القيامة بأعمالهم.

وقيل: أي: يجمعهم في جهنم بما فعلوا، وفي قوله: ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ﴾ [البروج: ٢٠]؛ أي: لا يخرجون عن ملكه وعلمه وقدرته.

* * *

---

(١) في (ف): «منخفض».

(٢٠) ـ ﴿يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ﴾ كاد يَكاد مَكادَةً؛ أي: قارَبَ، يقال: كاد يفعلُ كذا؛ أي: قَرُبَ أن يَفْعَلَ ولمْ يَفْعَلْ[١]، وإذا قلتَ: ما كاد يَفعلُ، فمعناه: قَرُبَ أنْ لا يَفْعَلَ وفَعَلَ، وهو مِثْلُ (عسى)، إلا أن (عسى) يُوْصَل بكلمةِ (أنْ)، و(كاد) يستعمل بغيرِ (أنْ)، وقد يستعمل أيضاً مع (أنْ)، واللغةُ الفاشيَةُ هي الأُولى، وفي القرآن كذلك.

وقالوا: إذا وُصل (كادَ) بـ(أنْ) فهو تشبيهٌ بـ(عسى)، وإذا أُسقط عن (عسى) فهو تشبيهٌ بـ(كاد)، قال الله تعالى في (عسى): ﴿فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ﴾[٢] [المائدة: ٥٢]، وقال تعالى في (كاد): ﴿يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ﴾ [النور: ٤٣]، وقال تعالى: ﴿لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا﴾ [النور: ٤٠].

وقوله: ﴿يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ﴾ الخَطْف[٣]: الاستِلابُ بسرعةٍ، من حدِّ عَلِم، ورجلٌ خَيْطَفٌ: سريعُ المَرِّ، والشيطانُ يَخْطَفُ السَّمْعَ؛ أي: يَسترِقُه، والبرقُ يَخْطَفُ البَصَر؛ أي: يَستَلِبُه.

وقرأ الحسن البصريُّ رحمه الله: (يَخِطِّفُ) بفتح الياءِ وكسرِ الخاء والطاء[٤].

---

(١) «ولم يفعل» سقطت من (ر) و(ف)، ووقع مكانها في (ر): «كذا».

(٢) في (أ): «﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ﴾».

(٣) في (ر) و(ف): «فالخطف».

(٤) مع تشديد الطاء. انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٣٤)، و«تفسير الثعلبي» (١/ ١٦٤)، و«المحرر الوجيز» (١/ ١٠٣)، و«البحر» (١/ ٢٥٢).

وقرئ: (يَخَطِّفُ) بفتح الياء والخاء وكسر الطاء[١].

وقرئ: (يِخِطِّفُ) بكسر الياء والخاء والطاء[٢].

وقرأ بعض أهل المدينة: (يَخْطِّفُ)[٣] بسكون الخاء وتشديد الطاء[٤].

وقراءةُ الأكثر: ﴿يَخْطَفُ﴾[٥] بفتح الياءِ وسكونِ الخاء وفتحِ الطاء وتخفيفِها.

فأمَّا وجهُ تشديد الطاء: فعلى أن أصله: يَخْتَطِفُ، فأدغمت التاء في الطاء.

وأمَّا كسرُ الخاء: فلاجتماع الساكنَين، فحرِّكَ الأولُ إلى الكسر كما في قوله: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [البينة: ١].

وأما كسرُ الياء: فإتباعاً للخاء.

وأما فتحُ الخاء: فلِنَقْل حركة التاء المدغَمة إليها.

وقوله تعالى: ﴿كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم﴾: يجوز (أضاء) لِلَّازم[٦] والمتعدِّي، ومعنى الأولِ: كلما ضاء[٧] لهم البرقُ، ومعنى الثاني: كلما أضاء البرقُ الطريقَ لهم.

---

(١) مع تشديد الطاء أيضاً. انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٩٥)، و«إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٣٤)، و«المحرر الوجيز» (١/ ١٠٣)، و«البحر» (١/ ٢٥٢).

(٢) مع تشديد الطاء أيضاً. انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٩٥)، و«المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١١)، و«المحتسب» (١/ ٥٩)، و«المحرر الوجيز» (١/ ١٠٣)، و«البحر» (١/ ٢٥٢).

(٣) «يخطف»: من (أ).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ١٨)، و«إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٣٥)، و«المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١١)، و«المحتسب» (١/ ٦١)، و«المحرر الوجيز» (١/ ١٠٣)، و«البحر» (١/ ٢٥٢).

(٥) وهي قراءة العشرة. وكلمة: «يخطف» من (أ).

(٦) في (ر): «اللازم».

(٧) في (ف): «أضاء».

وقوله تعالى: ﴿مَّشَوۡاْ فِيهِ﴾: المشي: السَّيرُ السَّهل، والـمَشِيُّ بالتشديد والمشوُّ: الدواء[1] المسهل.

والمشيُ في القرآن لمعانٍ:

للسير: كما في قوله تعالى: ﴿يَمۡشُونَ مُطۡمَئِنِّينَ﴾ [الإسراء: ٩٥].

وللمُضيِّ: كما في قوله تعالى: ﴿فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا﴾ [الملك: ١٥].

وللاهتداء: كما في قوله: ﴿وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورٗا تَمۡشُونَ بِهِۦ﴾ [الحديد: ٢٨].

وللانجرار: كما في قوله تعالى: ﴿فَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰ بَطۡنِهِۦ﴾ [النور: ٤٥].

وللنميمة: كما في قوله تعالى: ﴿مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٖ﴾ [القلم: ١١].

وتفسيرُه هاهنا: كلما نارَ البرقُ فأنارَ الطريقَ مضَوا في طريقه وضوئه، فإذا انقطَع وقفوا.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَآ أَظۡلَمَ عَلَيۡهِمۡ قَامُواْ﴾: القيام: الانتصاب، قال تعالى: ﴿مِنۡهَا قَآئِمٞ وَحَصِيدٞ﴾ [هود: ١٠٠].

والقيام: الاستواء، قال تعالى: ﴿وَتَرَكُوكَ قَآئِمٗا﴾ [الجمعة: ١١].

والقيام: النهوض، قال تعالى: ﴿إِذۡ قَامُواْ فَقَالُواْ﴾ [الكهف: ١٤].

والقيام: البقاء، قال تعالى: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلۡأَرۡضُ بِأَمۡرِهِۦ﴾ [الروم: ٢٥].

والقيام: الوقوف، قال تعالى: ﴿وَإِذَآ أَظۡلَمَ عَلَيۡهِمۡ قَامُواْ﴾؛ أي: وإذا زال الضوءُ وجاء الظلام وقفوا.

---

(١) في (ر): «شرب الدواء»: والمثبت من (أ) و(ف)، وهو الصواب. انظر: «النهاية» (مادة: مشى)، و«القاموس» (مادة: مشو).

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ﴾: (لو) كلمةُ شرطٍ، والمعلَّق به يَمتنِعُ بامتناعِ شرطه، وقد يكون للتمنِّي كما في قوله: ﴿لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الزمر: ٥٨]. والمشيئة: الإرادة.

وقوله تعالى: ﴿لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَـٰرِهِمْ﴾: أي: لأَذْهَبها، فالتَّعدِيَة قد تقع بالباء أيضاً.

ثم ذكرُ السمعِ على الوحدان ـ مع إضافتِه إلى الجمع ـ وذكرُ الأبصار[1] بالجمع؛ لِمَا مر في قوله: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰٓ أَبْصَـٰرِهِمْ غِشَـٰوَةٌ﴾ [البقرة: ٧].

وتفسيرُ هذه الكلمات: ولو شاء اللهُ لذهب بسمعِ رؤوسهم وأبصارِ رؤوسهم كما ذهب بسمع قلوبهم وأبصارها.

وقيل: ولو شاء الله لجعلهم صمًّا وعمياً في الآخرة كما جعلهم في الدنيا كذلك.

وقيل: ولو شاء الله لذهب بأعيانِ الأسماع والأبصار منهم كما ذهب بمنافع الأسماع والأبصار منهم.

وبمعرفة هذه الأقاويلِ اندفع[2] سؤالُ مَن سأل فقال: لمَّا قال: ﴿صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ﴾ فقد نفَى السمعَ والنُّطق والبصر عنهم، فما معنى تعليقِ إذهابها عنهم بالمشيئة؟

لأنَّا نقول: ما نفاه عنهم غيرُ ما علَّق إذهابَه عنهم بالمشيئة، وهو ما ذكرنا.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾: (كلّ) كلمةُ استيعابٍ يتناول جميع ما دخل فيه، والشيءُ اسمٌ لكل موجودٍ، وهاهنا هو اسمٌ لكلِّ موجودٍ مخلوقٍ، لأنه هو الذي يجوز دخولُه تحت القدرة.

---

(١) في (ر) و(ف): «على الوحدان والأبصار».

(٢) في (ف): «يدفع».

والقدير: هو القادر؛ كالعليم هو العالم، والصفة: القدرة والمقدرة، والإقدارُ: إثبات القدرة، واقْتَدر فهو مُقتدِرٌ، بمعنى: قدَر فهو قادرٌ.

وتفسيره هاهنا: إنه على كل شيءٍ قادرٌ[1]، وإنما ذُكر قبلَه إذهابُ السمع والبصر لا غير لأنهما هما المذكوران في القصة، فالرعدُ يؤثِّر في السمع، والبرقُ يؤثر في البصر، والله تعالى قادرٌ على إزالتهما في هذه الحالة، وقادرٌ على كل شيءٍ في كلِّ حالةٍ[2].

فأما تأويلُ جملةِ هذه الآيات ففيها أقاويل كثيرةٌ[3]:

منها: ما روي: أنه كان رجلان من المنافقين من المدينة هربا من رسول الله ﷺ إلى المشركين، فأصابهما هذا المطرُ الذي ذكر الله عز وجل، فيه رعدٌ وبرقٌ وصواعق، فجعلا كلما أضاء لهما الصواعقُ جَعَلا[4] أصابعهما في آذانهما من الفَرَق، [وإذا لمع البرقُ مَشَيا في ضوئه]، فإذا[5] لم يلمع لم يُبصرا فكانا لا يمشيان، فجعلا يقولان: ليتنا أَصبحنا فنأتيَ محمداً فنضعَ أيدَينا في يده، فأصبحا فأتياه فأسلما، فضَرب الله تعالى مثلَهما للمنافقين بالمدينة[6].

---

(١) في (ر) و(ف): «قدير».

(٢) في (ف): «شيء وحالة».

(٣) في (أ): «فقد وردت فيه أقاويل كثيرة»، و«كثيرةٌ»: ليست في (ف).

(٤) في (ر) و(ف): «فجعلا كلما أضاء لهم البرق مشيا وجعلا»، والمثبت من (أ)، وهو الموافق لما في «تفسير الطبري».

(٥) في (أ): «وإذا».

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٣٦٨) من طريق السدي عن أشياخه عن ابن عباس وابن مسعود وناس من الصحابة، وما بين معكوفتين منه. وقد قال الطبري في «تفسيره» (١/ ٣٧٥) عن هذا الإسناد: ولست أعلمه صحيحًا، إذ كنت بإسناده مرتاباً. =

وقال ابن عباسٍ وعطاءٌ والضحاكُ وعليُّ بن طلحةَ ومقاتلٌ والكلبيُّ وجعفرُ بن محمد الصادقُ: هذا مَثَلُ القرآن؛ أي: مَثَلُ المنافقين مع القرآن كمَثَل مسافرٍ أصابه مطرٌ، فشبَّه القرآنَ بالمطر؛ لأن في القرآن حياةَ مَن آمَنَ به.

﴿فِيهِ ظُلُمَٰتٌ﴾: ذكرُ الكفرِ والوعيدُ عليه وعلى المعاصي، وهو كالرعد(1)، وفيه الوعدُ على الإيمان والطاعاتِ كالبرق.

وقيل: الظلمات: بيانُ الفتن، والرعدُ: الزَّجر والتخويف، والبرق: بيان النُّصرة والظَّفَر.

= قال الشيخ أحمد محمد شاكر في حاشية الطبري: وحق لأبي جعفر رحمه الله أن يرتاب في إسناده، فإن هذا الإسناد فيه تساهل كثير من جهة جمع مفرق التفاسير عن الصحابة في سياق واحد تجمعه هذه الأسانيد، فإذا كان الأمر في تفسير معنى آية كان سهلا ميسورًا قبوله، إذ يكون رأيًا أو آراء لبعض الصحابة في معنى الآية، وما في ذلك بأس. أما إذا ارتفع الخبر إلى درجة الحديث، بالإخبار عن واقعة معينة أو وقائع كانت على عهد رسول الله ﷺ، من أسباب لنزول بعض الآيات، أو نحو ذلك مما يلحق بالحديث المرفوع لفظًا أو حكمًا، كان قبول هذا الإسناد ـ إسناد تفسير السدي ـ محل نظر وارتياب، إذ هو روايةٌ غير معروف مصدرها معرفة محددة: أيُّ هؤلاء الذي قال هذا، وأيهم الذي عبر عنه باللفظ الذي جاء به؟ نعم، إن ظاهره أنه عن الصحابة: إما ابن عباس، وإما ابن مسعود، وإما ناس من أصحاب النبي ﷺ، فقد يقول قائل: إن مرجع الرواية فيه إلى الصحابة، وسواء أعرف الصحابي الراوي أم أبهم اسمه، فإن ذلك لا يخرجه عن رواية الصحابة، وجهالة الصحابي لا تضر؟ ولكن سياق هذه الروايات المطولة المفصلة في التفسير وفي الحوادث المتعلقة بأسباب النزول، مثل الرواية التي هنا في هذا الموضع، مع إعراض أئمة الحديث الذين خرجوا الروايات الصحيحة والروايات المقبولة مما هو دون الصحيح عن إخراج هذه الرواية ونحوها، وإعراض مؤرخي السيرة عن روايتها أيضًا، كل أولئك يوجب الريبة في اتصال مثل هذه الرواية، وفي الجزم بنسبتها إلى الصحابة، إذ لعلها مما أدرج في الرواية أثناء الحديث بها، والاحتياط في نسبة الحديث المرفوع وما في حكمه واجب.

(1) في (ف): «الرعد».

وقيل: الرعد: المتشابهات، والبرق: المحكَمات.

وقيل: الرعد: بيان المحرَّمات والوعيدُ عليها، والبرق: بيان المحلَّلات والوعدُ عليها.

وقيل: الرعد: ما في القرآن من ذكر الامتحان والابتلاء، والبرق: ما فيه من الهدى والشفاء.

﴿يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِم﴾(١): ينفرون عن(٢) الجهاد وسائرِ الأوامر كأنْ لم يسمعوا.

وقيل: يتصامُّون ويتعامَون كيلا يسمعوا ما نزل في شأنهم والأمرِ بقتلهم.

وقيل: ﴿يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِم﴾ حقيقةً كيلا يسمعوا القرآن، تكاد حجج القرآن تبهرُ العقول وتجذبها إلى نفسها لوضوحها.

وقيل: يكاد القرآن(٣) يدلُّ على عوراتهم.

وقيل: يكاد بيانُ القرآن يَذهب بضلالتهم ﴿كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْاْ فِيهِ﴾: كلما تفكَّروا في المحكَمات قصدوا أن يؤمنوا بالقرآن، وإذا اشتبَهت عليهم المتشابهات(٤) أَعرضوا وكفروا.

وقيل: كلَّما تمسَّكوا بالمتشابهات ليحتجُّوا بها على المؤمنين انقطعت حججُهم بالمحكَمات، فبقُوا في ظلمة كفرهم متحيرين ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ

---

(١) بعدها في (ر) و(ف): «﴿مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ﴾».

(٢) في (ف): «من».

(٣) في (أ): «البرق».

(٤) في (ف): «المشتبهات».

﴿وَأَبْصَٰرِهِمْ﴾ عقوبةً لهم، كما ذهب بسمع قلوبهم وأبصارها خذلاناً لهم، إنه قديرٌ على ما أراد.

وقال[١] الربيعُ بن أنسٍ وابنُ جُريجٍ ومجاهد والضحَّاك، والكلبيُّ عن ابن عباس: هذا مثلٌ لإقرارهم بألسنتهم وإنكارِهم بقلوبهم؛ أي: مَثَلُ المنافق في الإيمان كمسافرٍ في الـمَفازةِ في ليلةٍ مظلِمةٍ أصابه مطرٌ، شبَّه الإيمانَ بالمطر لأنه به حياةُ القلوب، وفيه ظلماتٌ في قلبه: ظلمةُ الكفر، وعلى لسانه نورُ الأقدار كالبرق، وهو خائفٌ بين ذلك كالخائف من الرعد ﴿يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم﴾ لا يتفكرون بقلوبهم إلى دليلِ الرشد ومعجزاتِ الرسول، ﴿يَكَادُ ٱلْبَرْقُ﴾؛ أي: تلك الدلائل تَذهب بظلمةِ قلبه وغطاءِ بصره وإن لم يتفكَّروا فيها.

وقيل: يكاد نورُ إيمانِ المنافق بلسانه يخفَى على المؤمنين حالُه ﴿كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ﴾؛ أي: ما داموا في الحيرة[٢] يتكلَّمون به وينتفعون به، وإذا ماتوا بقُوا في ظلمة القبر وعقوبةِ الحشر، ولو شاء الله لأهلك المنافق للحال ولا يُمهَلوا إلى الموت؛ لأنه قدير على كل شيء.

وقيل: هذا مَثَلُ خوف المنافق وتحيُّرِه فإن ليلة المطر والرعد والبرق والظلمات في غايةِ الهول والإيحاش، ومعنى جعلِ الأصابع في الآذان حذَرَ الموت: خوفُ المنافق أن يُطَّلَعَ على سرِّه فيُقتلَ أو يُنفى ﴿وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾: قادرٌ على إنزال نقمته بهم ﴿يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ﴾ يكاد خوفُ المنافق يهلكُه ﴿كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ﴾؛ أي: كلما ظهرت غلبةُ أحد الفريقين تابَعوهم، وإذا انقلب الأمر انقلبوا، ولو

---

(١) من هنا وقع سقط في (ر) و(ف) بمقدار صفحتين، وسنشير إلى نهايته في موضعه.

(٢) كذا في (أ)، ولعل الصواب: «في الحياة».

شاء الله لحقَّق ما يخافه صاحبُ الصيِّب لاختطاف[1] السمع والبصر وليس ترك الله المنافق على هذا التذبذُب لعجزه، إنه على كل شيء قدير.

وقيل: هذا مثلُ لقاءِ المنافقين المؤمنينَ بالإيمان والكفارَ بالكفر، قال: مَثَلُهم كمَثَلِ الرَّجلِ في ظلمات الليلِ والسحاب والمطر، وفي المطرِ رعدٌ وبرقٌ، فقد اجتمع نورٌ وظلمةٌ وخوفٌ، فالنورُ ما يُظهره من الإيمان، والظلمةُ ما يضمِرُه من الكفر، والخوفُ منهم ظهورُ أمرِهم نفاق المنافقين وينكشف لهم أسرارهم ﴿كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ﴾: كلما تكلَّموا بالإيمان كانوا سالمين مع المؤمنين، وإذا دخلوا[2] إلى شياطينهم وقالوا: ﴿إِنَّا مَعَكُمْ﴾، وقعوا في ظلمات الضلال، ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ﴾ لأزال أسباب التحرُّز عنهم وواقَعَ بهم المؤمنين، كما لو شاء لذهب بسمع صاحبِ الصيِّب وبصرِه من غيرِ صاعقةٍ ورعدٍ وبرقٍ ﴿وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾ عالمٌ بهم مالكٌ لهم، وهم في قبضته، فلا مَخْلَصَ ولا مَهْربَ لهم، وهو على كلِّ شيء قدير.

وقال قتادةُ وابنُ جُريج: هذا مَثَلٌ لجبن المنافق وخوفِه من الموت إذا دُعي إلى القتال، وفي الجهاد إحياءُ الدِّين كما أن المطر حياةُ الأرض وأهلِها، فكانوا إذا دُعوا إليه قالوا: ﴿إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾ قال تعالى: ﴿وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ﴾ الآية [الأحزاب: ١٣] وقال: ﴿فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء: ١٤١] وإذا لم يرغبوا في الجهاد لأنهم كانوا لا يصدِّقون النبيَّ عليه السلام في قوله تعالى: ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ [التوبة: ٣٣] وفي قوله: ﴿وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا﴾ [التوبة: ٤٠]، ولا يصدِّقون بالبعث وما أَعَدَّ الله للشهداء، ﴿يَكَادُ ٱلْبَرْقُ﴾؛ أي: عزُّ الإسلام، فظهورُه مُلجِئةٌ إلى الإيمان ﴿كُلَّمَآ أَضَآءَ﴾

---

(١) كذا في (أ)، ولعل الصواب: «باختطاف».

(٢) كذا في (أ)، ولعل الصواب: «خلوا».

لهم عزُّ المسلمين مشَوا فيه، وإذا كانت الدَّبْرةُ[1] عليهم قاموا متحيِّرين في كفرهم ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ﴾ لأهلكهم وأماتهم من غيرِ قتال، إنه على كل شيء قدير، كما قال: ﴿ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُواْ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْۗ قُلْ فَٱدْرَءُواْ﴾ الآية [آل عمران: ١٦٨]، وقال ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ﴾ الآية [آل عمران: ١٥٦].

وقيل: ﴿لو شاء الله﴾ لعطَّل أبدانهم ومصالحَها فلم يَصلُحوا لجهادٍ ولا لغرضٍ آخَرَ، إنه على كل شيء قديرٌ.

وقيل: أي: كلما دُعوا إلى غنيمةٍ ومنفعةٍ أجابوا ﴿وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُواْ﴾؛ أي: إذا أُمروا بالخروج للغزو تثاقَلوا.

وقيل: كلما سمعوا غَلَبة أشياعِهم فرحوا ﴿وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُواْ﴾؛ أي: وإذا رأوا غلبة المؤمنين تحيَّروا ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ﴾ لأذهب أشياعهم، إنه على كلِّ شيء قديرٌ[2].

وقيل: هذا في الذين آمنوا، ولمَّا[3] مسَّهم الضرُّ ارتدُّوا، وهم الذين ذكرهم الله تعالى في قوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ﴾ الآية [الحج: ١١]، فقال[4] تعالى: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ﴾ فشبَّه الإسلام بالمطر، والنعمةَ فيه بالبرق، والفتنَ والمحنَ فيه بالرعد ﴿يجعلون أصابعهم في آذانهم﴾؛ أي: لا يحبُّون أن يسمعوا بشيءٍ من الشدائد والبلايا، يكاد ما يَرونه من عزِّ المسلمين وإصابةِ الغنائم يمحو عن قلوبهم الشبهات ﴿وإذا أظلم عليهم قاموا﴾: وإذا زال نفعُ الدنيا وقفوا، ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ﴾ لسلب ما في أيديهم وزادهم ذلًّا إلى ذلٍّ، إنه على كلِّ شيءٍ قدير.

---

(١) في هامش (أ)،: «الدبرة: الهلاك».

(٢) هنا نهاية السقط في (ر) و(ف).

(٣) في (ر) و(ف): «لما».

(٤) في (أ): «قال»، وفي (ر): «وقال».

وقيل: المثَلُ لليهود، وذلك أن المسافر ينتظِرُ المطرَ ليَعمُرَ[١] الطرق ويملأَ الحياض[٢] فينتفعَ به هو ودوابُّه، ولا يتوقَّعُ الظلماتِ والرعدَ والبرق، فكذا اليهودُ كانوا ينتظرون خروج نبيِّنا عليه الصلاة والسلام ليهتدوا به ويَقهروا الأعداء[٣]، ولم ينتظِروا نسخَ شريعتِهم والوعيدَ[٤] بالنار لمن كان على دينهم، فالمطرُ: مثالُ محمدٍ ﷺ، والظلماتُ: نسخُ شريعتهم، والرعدُ: الوعيدُ بالنار، والبرق: معجزات النبي ﷺ ﴿يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم﴾: يعاندون في الإنكار مع ظهورِ الحق والآيات[٥] ﴿يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ﴾؛ أي: كاد ظهورُ دلائله يَذهب بظُلمة قلوبهم ﴿كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟﴾؛ أي: المسافرُ لو نظر إلى البرق لأبصر الطريق، ولو غمَّض عينيه خَفِي عليه الطريق، فكذا اليهودُ لو تأمَّلوا في حال النبيِّ ﷺ لاهتدَوا، ولَمَّا أعرضوا بَقُوا في الضلالة.

وقيل: المثلُ لليهود مع التوراة، فالمطر: التوراة، والظلماتُ: متشابِهاتُها، والرعد: الوعيد، والبرق: ذكرُ محمد ﷺ ونعتِه وشرفِه ﴿يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم﴾: يُعرِضون عن ذكرِه والتأمُّلِ فيه مخافةَ فَوْتِ الرياسة والمأكلة[٦]، يكاد ظهورُ حاله يُزيل كفرَهم، ﴿كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ﴾؛ أي: ما وافَقَ أهواءهم قَبِلوه وما خالفَها ردُّوا.

---

(١) في (ر): «ليعرف».

(٢) في (ف): «الحيضان».

(٣) في (ر) و(ف): «أعداءه».

(٤) في (ر): «والوعود».

(٥) في (ر) و(ف): «مع ظهور الآيات».

(٦) في (أ): «ذا المأكلة».

وقيل: معناه: لو تفكَّروا آمَنوا وسُعدوا، ولكنْ أَعرضوا فهلَكوا وخسِروا، وكما أنَّ الله تعالى قادرٌ على تنوير بصرِ المسافر وإنْ تعامَى، فكذا هو قادرٌ على تنوير قلوبِ اليهود وإن أعرضوا، ولكنْ لم يَشَأْ ذلك، فهو على ما يشاء قدير.

وقال الإمامُ أبو منصورٍ رحمه الله تعالى: المثَلُ لكفارِ عصرِ النبيِّ ﷺ، ألَا ترى أنه قال: ﴿وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ وكانوا صِنفين:

صنفٌ: أهلُ كتابٍ قد غيَّروه؛ كما قال: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا﴾ [آل عمران: ١٠٥]، وقال: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ﴾ [المائدة: ١٩]، ومن أهل الكتاب قومٌ ابتدَعوا الكتاب، كما قال: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ﴾ [آل عمران: ٧٨] فاندرستِ الكتبُ الحقُّ، وصاروا في ظلمةِ الضلالة[1]، وظهر منهم القولُ المختلِف المتناقِض الذي لا تحتمِلُه الحكمةُ.

وصنفٌ: لا ينتحِلون الكتاب ولا يؤمنون بنبيٍّ، بل يعبدون الأوثانَ والأحجار والنيران، ليس لهم مَن يدلُّهم على رشدهم.

فاحتاجوا[2] إلى مَن يُخرجهم من الضلال إلى الهدى، ومن الفُرقة إلى الائتلاف، فبعث الله إليهم نبيًّا[3]، وألزمهم[4] بالآيات ليستنقذَهم به إنْ أطاعوه،

---

(١) في (ف): «الظلمة» بدل: «ظلمة الضلالة» وفي الهامش كالمثبت.

(٢) في (أ): «رشد فاحتاجوا» وفي (ر) و(ف): «رشدهم احتاجوا». وعبارة «التأويلات»: (فأحوج الفريقين جميعًا ما حل بهم من الحيرة والتيه إلى من يشفيهم من داءِ الضلالة بنور الهدى...).

(٣) في (ف): «نبينا».

(٤) في (أ): «وأكرمه». وفي «التأويلات»: (فبعث إليهم عند شدة حاجتهم رسولا، وأكرمهم بما أراهم من الآيات التي يعلمهم بها أنه أنعم بها عليهم ليستنقذهم...).

فكانـوا كقـومٍ بقُـوا في ظلمات الليـل والسـحابِ متحيِّريـن، أو[1] كقومٍ ابتُلوا بشـدة الجـوع والعطـش بالقحـط[2] والجُدوبـة، فأغاثهـم بالمطـر، فتلقَّـوا نعمـه بالشـكر، فنَجَـوا بذلـك مـن الهلكة، وذلـك مَثَلُ مَـن اتَّبعه، ومنهم مَـن تلقَّاه بالكفـران، وذلك مثَلُ مَـن لم يتَّبعـه[3].

فشـبَّه نبيَّـه بالمطـر إذ هو رحمـةٌ كالمطر، وشـبَّه إيمانَ مَـن آمَن به بضـوءِ البرق والمشـيِ فيه، وشـبَّه عنـاد المعانِديـن بالرَّعد، يكاد نـورُ محمدٍ ﷺ وبركتُـه تَخْطَفُهم مـن العـذاب مع كفرهـم، ﴿كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم﴾؛ أي: كلَّمـا ظهَر لهم نورُه وبركتُه سـكَنوا إليـه، ﴿وَإِذَآ أَظۡلَمَ عَلَيۡهِمۡ قَامُواْ﴾؛ أي: وإذا رُفـع محمـد ﷺ عذِّبوا بأنـواع العذاب، ﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمۡعِهِمۡ وَأَبۡصَٰرِهِمۡ﴾؛ أي: لعذَّبهـم ومحمـدٌ فيهـم، إنـه قديـرٌ علـى كلِّ شيءٍ.

* * *

(٢١) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾.

وقولـه تعالـى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ قال الزجَّاج: (يـا) نداء، و(أيُّ) اسـمٌ مبهَـمٌ مبنيٌّ علـى الضـم لأنه منـادًى مفـردٌ معرفـةٌ[4]، و﴿ٱلنَّاسُ﴾ صفـةٌ له، و(هـا)[5] تنبيـهٌ لازمٌ لـ(أيّ)، وهـو عـوضٌ عـن الإضافة فـي (أيّ)؛ لأن أصـلَ (أيّ) أن يكـون مضافاً في الاستفهام.

---

(١) في (أ): «فتحيروا» بدل من «متحيرين، أو».

(٢) في (ر): «والقحط».

(٣) انظر: «تأويلات أهل السنة» (١/ ٣٩٧ ـ ٣٩٨).

(٤) «معرفة»: من (أ).

(٥) في (ر): «والهاء».

وقال سيبويه عن الخليل: المنادى المفرد مبنيٌّ وليس بمعرَبٍ، ولذلك لم ينوَّن، وصفتُه مرفوعةٌ رفعَ إعرابٍ، ولذلك دخله الألف واللام[١].

وقال الأخفش: ﴿ٱلنَّاسُ﴾ صلةٌ لـ(أي).

والنداء: تنبيهُ الغافلين، وإحضارُ الغائبين، وتحريكُ الساكنين، وتعريفُ الجاهلين، وتفريغُ[٢] المشغولين، وتوجيهُ المعرِضين، وتهييجُ المحبين، وتشويقُ المريدين، وإن الله تعالى نادى الأمم[٣] الماضين باسم المساكين، ونادانا باسم المؤمنين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾، وباسم الإنسانية، وهي المروءةُ وحسنُ[٤] المعاملة وصدقُ المجاملة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ وهو[٥] مدحٌ ابتداءً، وبعثٌ على ملازمة الإنسانية انتهاءً، وهو مشتقٌّ أيضاً من آنَسَ؛ أي: أَبْصَر، كأنه قال: يا أولي الأبصار. وهو[٦] من الأُنس أيضاً، وهو مدحٌ له بالأُنس بذِكْر ربه، ومن النسيان، وهو عتابٌ وتلقينُ عذرٍ؛ أمّا العتاب فكأنه يقول: يا أيها الناسي[٧] نعمَنا بالكفران وأوامرنا بالعصيان، وأما التلقينُ للعذر فكأنه يقول: يأيها المخالف لنا ناسياً لا عامداً، وساهياً لا قاصداً[٨]، عذَرْناك لنسيانك وعفونا عنك لإيمانك.

وقوله: ﴿ٱلنَّاسُ﴾ هنا يَصلح اسماً للمؤمنين والكافرين والمنافقين.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٩٨). وانظر: «الكتاب» (٢/ ١٨٨ ـ ١٨٩).

(٢) في (أ) و(ف): «وتقريع».

(٣) «الأمم»: من (ر).

(٤) في (أ): «وبحسن».

(٥) في (ف): «وهذا».

(٦) «هو»: ليست في (أ) و(ف).

(٧) في (ف): «الناس قابلتم».

(٨) في (أ): «ناسياً وساهياً لا عامداً ولا قاصداً».

وقولـه تعالـى: ﴿ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾: أمرٌ لهـم[1] جميعاً، وقد سـبق ذكرُهم جميعاً: ذكـرُ المؤمنين في أول السـورة، وذكرُ الكفـار بعدهم، وذكـرُ المنافقين بعدهم.

وقوله: ﴿ٱعۡبُدُواْ﴾ معناه: أيها المؤمنون أطيعوا، وأيها الكافرون آمِنوا، وأيها المنافقون أَخلصوا، وهو وجهُ انتظام هذه الآية بتلك الآيات.

وقد مرَّ في تفسير العبادة أقاويلُ، ونذكر هاهنا قولاً واحداً؛ وهو أن العبادة: استفراغُ الطاقة في استكمال الطاعة، واستشعارُ الخشية في استبعاد المعصية.

وقوله تعالى: ﴿رَبَّكُمُ﴾؛ أي: إلهكم ومالكَكم ومربِّيكم.

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ﴾ الخلقُ في اللغة: التقدير، قال الشاعر:

ولأنـت تَفْـرِي مـا خـلَقْتَ وبعْـ ـضُ القـوم يَخلُـقُ ثـم لا يَفـري[2]

ومنه قوله: ﴿وَإِذۡ تَخۡلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ﴾ [المائدة: ١١٠]، فالخَلْق: الإيجاد.

والخَلْـق: الافتـراء فـي قولـه تعالـى: ﴿إن هـذا إلا خَلْـقُ الأوليـن﴾ [ص: ٧]، والاختـلاقُ كذلـك فـي قولـه تعالـى: ﴿إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا ٱخۡتِلَٰقٌ﴾ [ص: ٧].

والخَلْق: المخلوق في قوله تعالى: ﴿هَٰذَا خَلۡقُ ٱللَّهِ﴾ [لقمان: ١١].

والخَلْق: المخلوقون في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس: ٧٩].

والخَلْـق: البعـث بعـد المـوت فـي قولـه تعالـى: ﴿قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخۡلُقَ مِثۡلَهُمۡ﴾ [الإسـراء: ٩٩].

---

(١) في (ر): «أمرهم».

(٢) البيت لزهير بن أبي سلمى، وهو في «ديوانه» (ص: ١١٩)، و«الكتاب» (٤/ ١٨٥)، و«غريب الحديث» لأبي عبيد (٢/ ٥٧). وجاء في هامش (ف): «الفري: القطع على وجه الإصلاح، والإفراء: القطع على وجه الفساد».

وتفسير ﴿خَلَقَكُمْ﴾ هاهنا: أَوْجَدكم، فهو المستحِقُّ لعبادتكم إياه، وهي العملُ له على الخلوص.

وقال الإمام أبو منصورٍ رحمه الله: العبادةُ: جَعْلُ العبد[١] كلِّيَّتَه لله قولاً وعملاً وعَقْداً[٢].

قال رضي الله عنه[٣]: وقرَّر معنى التخليق، بأنْ كَرَّره[٤] في القرآن من كلِّ طريق، أَخبر أنه هو الخالق، فقال تعالى: ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٠٢]، وأنه الخلَّاق فقال: ﴿وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [يس: ٨١]، وأنه أحسنُ الخالقين قال الله تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤]، وأنه خلَق كل شيءٍ فقال: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٠١] وأنه يخلق ما يشاء فقال: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص: ٦٨].

وخصَّ بعضَ المخلوقات بالذِّكر:

فمنها: السماء، فقال تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ﴾ [لقمان: ١٠].

ومنها: الأرض، قال تعالى: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ﴾ [فصلت: ٩].

وجمعهما فقال: ﴿خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١٦٤].

ومنها: الليل والنهار، فقال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾ [الأنبياء: ٣٣].

وذكَر الجنَّ والإنس، فقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

---

(١) «العبد» ليست في (أ) و(ف)، و«العبادة» ليست في (ر)، والعبارة كاملة في «التأويلات».

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» (١/ ٣٩٩).

(٣) في (أ): «قال نجم الدين».

(٤) في (ر): «ذكره».

وخصَّ الجان فقال: ﴿وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾ [الرحمن: ١٥]، وإبليسَ فقال خبراً عنه: ﴿خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ﴾[1] [الأعراف: ١٢]، والملائكةَ فقال: ﴿أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا﴾ [الصافات: ١٥٠]، وآدمَ فقال تعالى: ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ﴾ [السجدة: ٧]، وحواء فقال: ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [النساء: ١]، وأزواجنا فقال: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا﴾ [الروم: ٢١]، وأولادَ آدمَ وحواء فقال تعالى: ﴿خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ﴾ [الطارق: ٦]، والتَّارات فقال تعالى: ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾ [المؤمنون: ١٤]، وقال تعالى: ﴿خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ﴾ [الزمر: ٦].

وأثنى على نفسه به فقال: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤] لأنه أَحْسَنَ التخليقَ؛ قال[2] تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤].

وذكر خَلْقَ أعمالهم فقال: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦]، وخَلْقَ[3] أسرارِهم فقال: ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾ [الملك: ١٤].

وذكرَ خَلْقَ الذكر والأنثى، فقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ﴾ [الليل: ٣]، وخَلْقَ الأنعام لأَجْلهم فقال: ﴿وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ﴾ الآيات [النحل: ٥]، وكذا كُلُّ الحيوانات فقال: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ﴾ إلى قوله: ﴿يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ [النور: ٤٥].

وذكر الذبابَ فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا﴾ [الحج: ٧٣].

وذكر الجماداتِ فقال: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا﴾ [النحل: ٨١].

---

(١) زاد في (ر) و(ف): «﴿وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾».

(٢) في (ر) و(ف): «فقال».

(٣) في (ر): «وذكر».

وذكر خلقَ ما لا[(١)] نعلمُ فقال تعالى: ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٨].

وذكر خلقَ الموت والحياة فقال: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ﴾ [الملك: ٢].

وذكر[(٢)] أنه ما خلقَنا عبَثاً فقال عزَّ وعلا: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥].

وذكر[(٣)] أنه خلَق وأنه رزَق وأنه يحيي وأنه يميت فقال: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ [الروم: ٤٠].

فإذا[(٤)] كان هذا كلُّه منه كان استحقاقُ عبادةِ الخلق له دون غيره[(٥)]، فقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ [الروم: ٤٠].

وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾: الواو للعطف؛ أي: وخلَق الذين من قبلِكم فاستحقَّ عبادتهم وأمَرهم أيضاً بعبادته فقال: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وفي قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ دلالةٌ على شمول القدرة والصَّنعة، وتنبيهٌ عن سِنَة الغفلة، أنهم كانوا فمضَوا، وجاؤوا وانقضَوا، فلا تنسَوا مصيركم، ولا تستجيزوا تقصيركم.

وقوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾: (عَلَّ) و(لعلَّ) في اللغة كلمةُ تَرَجٍّ ممن[(٦)] لا

---

(١) في (ف): «وخلق ما لم» بدل: «وذكر خلق ما لا».

(٢) في (أ) و(ف): «ثم ذكر».

(٣) في (أ): «ثم ذكر».

(٤) في (أ) و(ف): «وإذا».

(٥) في (ر): «كان استحقاقاً للعبودية دون غيره»، «دون غيره» ليست في (أ).

(٦) في (أ): «ترجي لمن».

يَعلـم العاقبـة، وهو ترجيَـةٌ(١) مـن الله تعالى، فإنـه لا تَخْفَى عليه خافيـةٌ، وهو ككلمة (كيـف) هـي للتعجُّب منا وللتعجيب مـن الله تعالى، ومِثلُها كلمة (أو)، وهي للشـك منا وللتشـكيكِ من الله، وكذلك (عسـى).

وفارسيتُهما: (ترجي أميد داشتن، وترجية ما أوميد داشتن، تعجب شكفت داشتن، وتعجيب شكفت داشتن).

ومعناه: اعبدوا ربَّكم راجين التقوى، وللتقوى هاهنا معنيان: التقوى في الدنيا عملاً، والتقوى(٢) في الآخرة أملاً:

ففي الدنيا: الاتِّقاءُ عن الشرك إنْ حُمِلَ الأمرُ بالعبادة على التوحيد، والاتِّقاءُ عن الذنوب إنْ حُمل ذلك على الطاعات.

والاتِّقاءُ في الآخرة هو الاحتفاظُ عن النار وسائر العقوبات.

وهذه مخاطبةُ لطفٍ، يقول الرجل لآخَرَ: لا أؤاخذُك بالجَفوة لعلك ترجعُ إلى الصَّفوة.

والله تعالى يقول: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ [طه: ١١٣] ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [النحل: ٧٨] ﴿ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴾ [النحل: ٨١] ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥٥] ﴿ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الحج: ٧٧].

---

(١) في (أ): «وهي توجيه».

(٢) «التقوى»: ليست في (ف).

ومن العجيب[١] ذكره في حقِّ فرعون: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه: ٤٤].

وكان الشِّبليُّ رحمه الله يقول في هذا: يا ربّ! هذا لطفُك بمن يقول: أنا ربكم الأعلى، فكيف لطفُك بمن سجَد لك على التراب، وقال في سجوده: سبحان ربي الأعلى؟!

وهذا[٢] كلُّه على ما مرَّ أنه ترجيةٌ، ومعناه هاهنا: أنه قال لموسى وهارون: اذهبا إليه وادعواه إلينا وأنتما على رجاءِ إجابته، واعتذارِه عن جنايته، والله تعالى قد علِم أنه لا يجيب، لكنْ أمر بذلك إلزاماً للحجة، وأخفَى الحال عليهما لئلا يقصِّرا في الدعوة.

* * *

(٢٢) ـ ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ﴾: هو صفة قوله: ﴿رَبَّكُمُ﴾، وتفسيره: صيَّر لكم الأرض، وقيل: خلَق، وقيل: بسَط.

و(جَعَل) في القرآن لمعانٍ:

للخلق: قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ [الأنعام: ١].

وللإنزال: قال: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ [الزخرف: ٣].

---

(١) في (أ): «العجب».

(٢) في (أ): «وعلى هذا».

وللحبس: قال تعالى: ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ۝٢٠ فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾؛ أي: حبَسْناه ﴿إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ [المرسلات: ٢٢] إلى وقتِ الولادة.

وللوضع: قال تعالى: ﴿وَقَالَ لِفِتْيَٰنِهِ ٱجْعَلُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ فِى رِحَالِهِمْ﴾ [يوسف: ٦٢]؛ أي: ضَعُوا دراهمهم في جُوالقهم[1].

وللإدخال: قال تعالى: ﴿جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ﴾ [نوح: ٧].

وللجمع: قال تعالى: ﴿فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا﴾ [الكهف: ٩٤].

وللبناء: قال تعالى: ﴿عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾ [الكهف: ٩٤].

وللتمليك والتسليط: قال تعالى: ﴿ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ﴾ [يوسف: ٥٥].

وللقول والوصف: قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ [الإسراء: ٣٩].

وللإرسال: قال تعالى: ﴿وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى﴾ [طه: ٢٩].

وللتحويل: قال تعالى: ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا﴾[2] [الأنبياء: ٥٨]، وقال تعالى: ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍۭ﴾ [الفيل: ٥].

وللتصيير: قال تعالى: ﴿فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ﴾ [إبراهيم: ٣٧].

وللتَّرك: قال الله تعالى: ﴿وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا﴾ [الشورى: ٥٠].

وللإعطاء: قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا﴾ [المدثر: ١٢].

وللاتِّخاذ: قال الله تعالى: ﴿فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا﴾ [يونس: ٥٩].

وللتَّسخير: قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ﴾ [الزخرف: ١٢].

---

(١) في (ر): «جواليقهم».

(٢) «قال تعالى: ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا﴾»: من (ر).

وللرَّفع: قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا﴾ [الأنبياء: ٣٢].

وللبَسط: قال تعالى: ﴿جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا﴾ [البقرة: ٢٢].

وقوله تعالى: ﴿ٱلْأَرْضَ﴾: هي التي نحن عليها، واشتقاقُها من أشياءَ:

فالأرضُ: قوائمُ الفرَس وهي أسافلُه، وأرضُنا التي نستقرُّ عليها متسفِّلة(١).

والأرض: الرِّعدةُ، وأرضُنا قد(٢) تتزلزل، وكانت متزلزلةً قبل خلقِ الجبال عليها لتوطيدِها.

والأَرِيض: الخليق بالخير، وكذلك أرضُنا ففيها الماءُ والمرعى، وعليها القرارُ والمأوى، للأحياء والموتى.

والإرَاض(٣): البساط، وهي بساطُنا.

والأرَض بفتح الراء: الاتِّساع، وأرضُنا متَّسعةٌ.

والأَرَضةُ دُوَيْبَّةٌ تأكل العود، وأرضُنا تتأرَّض ما دُفن فيها.

والتأريض: التأسيسُ والتأصيل، قال النبيُّ ﷺ: «لا صيامَ لمن لم يؤرِّضْه من الليل»(٤)، وأرضُنا هي الأساس.

---

(١) في (ر): «منسفلة».

(٢) «قد»: من (أ).

(٣) في (ر) و(ف): «والأرض».

(٤) رواه ابن ماجه (١٧٠٠)، وثابت بن قاسم السرقسطي في «الدلائل في غريب الحديث» (٦٥٨)، والخطابي في «غريب الحديث» (١/ ٢٠٦)، من حديث ابن عمر عن حفصة رضي الله عنها مرفوعاً. ولفظه في مطبوع ابن ماجه: «يَفْرِضْه»، وفي بعض نسخه: «يؤرضه» بلفظ الشاهد. وهو عند أبي داود (٢٤٥٤)، والترمذي (٧٣٠)، والنسائي (٢٣٣٥)، بلفظ: «من لم يُجْمِعْ الصِّيَامَ قبل الفَجْرِ فلا صِيَامَ له». قال الترمذي: حدِيثُ حفصةَ حديثٌ لَا نَعْرِفُهُ مرفوعًا إلا من هذا الوَجْهِ، وقد رُوِيَ عن نَافِعٍ عن ابن عُمَرَ قَوْلُهُ وهو أَصَحُّ. قلت: روى موقوف ابن عمر النسائي (٢٣٤٢) و(٢٣٤٣).

وقوله تعالى: ﴿فِرَٰشٗا﴾: أي: بساطاً، والفَرْش: البَسْط، وهو مصدرٌ، والفراش: البساط، وهو اسمٌ لِمَا يُفرش؛ أي: يُبسط، والمرأةُ فراشُ الرجل لأنه يَستفرِشُها، قال الله تعالى في أزواج الجنة: ﴿وَفُرُشٖ مَّرۡفُوعَةٍ﴾ [الواقعة: ٣٤].

ونظيرُ هذا الاسم للأرض في القرآن: المهدُ والمهادُ والبساط، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مَهۡدٗا﴾ [طه: ٥٣]، وقال تعالى: ﴿أَلَمۡ نَجۡعَلِ ٱلۡأَرۡضَ مِهَٰدٗا﴾ [النبأ: ٦]، وجمَع بين الفَرْش والمهدِ في آيةٍ فقال تعالى: ﴿وَٱلۡأَرۡضَ فَرَشۡنَٰهَا فَنِعۡمَ ٱلۡمَٰهِدُونَ﴾ [الذاريات: ٤٨]، وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ بِسَاطٗا﴾ [نوح: ١٩]، وقال تعالى: ﴿أَمَّن جَعَلَ ٱلۡأَرۡضَ قَرَارٗا﴾ [النمل: ٦١].

وقريبٌ من هذه الصفة ما قال: ﴿وَٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ﴾ [النازعات: ٣٠]، وقال تعالى: ﴿وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا طَحَىٰهَا﴾ [الشمس: ٦]، والدَّحْوُ: البَسْط، والطَّحْو: البَسْط والتوسيع، وقال: ﴿وَإِلَى ٱلۡأَرۡضِ كَيۡفَ سُطِحَتۡ﴾ [الغاشية: ٢٠]؛ أي: بسطت، وقال: ﴿وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا﴾ [الحجر: ١٩].

وقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ﴾: معطوفٌ على الأول؛ أي: وجعَل السماء بناءً، وهي السماء[1] التي فوقنا، مشتقَّةٌ من سما يسمو سموًّا؛ أي: عَلا، وقد مرَّت وجوهه في قوله: ﴿أَوۡ كَصَيِّبٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة: ١٩].

وهي تَصْلُح للواحدة كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا﴾ [الملك: ٥]، وللسماوات السبع كما في قوله: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ﴾ [البقرة: ٢٩]. فكونُها للواحد ظاهرٌ، وللجمع بطريقين:

---

(١) في (أ): «والسماء هي» بدل من «وهي السماء».

أحدهما: أنها جمع السماءة[١]؛ كالعَباءِ والعَباءة.

والثاني: أنه جنسٌ، فيجوز أن يتناول كلَّها[٢].

وقوله تعالى: ﴿بِنَآءً﴾؛ أي: مبنيَّةً. فالفِعَال بمعنى المفعول كثيرٌ، منها: الكتابُ بمعنى المكتوبِ، والفِراشُ بمعنى المفروشِ، والبساطُ بمعنى المبسوطِ، والمهادُ بمعنى الممهودِ، والبناء بمعنى المبنيّ[٣].

والبناء مصدرٌ أيضاً من بَنَى يَبْني، وهو في اللُّغةِ لثلاثِ معانٍ:

للتركيب: كما في قوله تعالى: ﴿يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا﴾ [غافر: ٣٦].

وللرفع: كما في قوله تعالى: ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا﴾ [النازعات: ٢٧]؛ أي: رفَعَها[٤].

وللوصل: كما في قوله عليه الصلاةُ والسلامُ: «فلْيَنْصَرِفْ ولْيَتوَضَّأْ ولْيَبْنِ على صَلَاتِهِ»[٥].

فسمَّى السماءَ بناءً لهذه الوجوه؛ وهي أنها مركَّبةٌ مرفوعةٌ موصولةٌ.

والبنيان كالبناء، والكلمةُ جاءت في القرآن لأشياء:

للجدار وحده: قال تعالى: ﴿كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصف: ٤].

وللرِّباط: قال تعالى في قصة أصحاب الكهف: ﴿فَقَالُواْ ٱبْنُواْ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا﴾ [الكهف: ٢١].

---

(١) في (أ): «أنها جمع السماء»، وفي (ف): «أنه جمع السماءة»، وفي (ر): «أي جمع السماءة».

(٢) في (أ): «فيكون متناولًا للكل».

(٣) «والبناء بمعنى المبنيّ»: ليس في (أ) و(ف).

(٤) «أي: رفعها»: ليس في (أ) و(ف).

(٥) رواه الدارقطني في «سننه» (٥٦٥) من حديث عائشة رضي الله عنها.

وللبَطَرِ(١): قال تعالى: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ﴾ [الشعراء: ١٢٨].

وللمسجد: قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ﴾ [التوبة: ١٠٩].

وللأتون: قال تعالى: ﴿قَالُواْ ٱبْنُواْ لَهُۥ بُنْيَـٰنًا﴾ [الصافات: ٩٧].

وللعمارة التامة: قال الله تعالى: ﴿وَٱلشَّيَـٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ﴾ [ص: ٣٧].

وللسماء: قال تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا﴾ [الشمس: ٥].

ولمنازل الجنة: قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ﴾ [التحريم: ١١].

ونظيرُ هذه الصِّفة للسماء في القرآن قولُه: ﴿رَفَعَ سَمْكَهَا﴾ [النازعات: ٢٨]، وقولُه: ﴿وَٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ﴾ [الطور: ٥]، من قولهم: سَنَامٌ سامِكٌ؛ أي: مرتفعٌ، وسمَّاها سقفاً لانحنائها مع ارتفاعها، والأَسْقَفُ: الطويل المنحَني، وقولُه: ﴿وَٱلسَّمَـٰوَٰتِ ٱلْعُلَى﴾ [طه: ٤]، وقولُه: ﴿أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ﴾ [الروم: ٢٥].

ومن صفاتها ما قال:

﴿وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا﴾ [الأنبياء: ٣٢] وحفظُها بمعنيَين: من الشياطين قال: ﴿وَحَفِظْنَـٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَـٰنٍ رَّجِيمٍ﴾ [الحجر: ١٧]، وعن الوقوع قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا﴾ [فاطر: ٤١].

وقال: ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا﴾ [النبأ: ١٢].

وقال ﴿سَبْعَ سَمَـٰوَٰتٍ طِبَاقًا﴾ [الملك: ٣]، وقال: ﴿سَبْعَ طَرَآئِقَ﴾ [المؤمنون: ١٧]، وقال: ﴿كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَـٰهُمَا﴾ [الأنبياء: ٣٠]، وقال: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ﴾ [البروج: ١]، ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ﴾ [الذاريات: ٧]، ﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا﴾ [الرحمن: ٧]، وقال: ﴿وَزَيَّنَّـٰهَا﴾

---

(١) في (أ) و(ف): «وللمنظر».

[الحجر: ١٦]، وقال: ﴿وَحَفِظْنَـٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَـٰنٍ رَّجِيمٍ﴾ [الحجر: ١٧][١]، وقال: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَـٰوَاتٍ﴾ [فصلت: ١٢]، وقال: ﴿هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾ [الملك: ٣]، وقال: ﴿وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾ [ق: ٦][٢].

ثم معنَى ذكرِ خلقِ السماءِ والأرضِ في حالِ الأمرِ بالعبادة خمسةُ أوجهٍ:

أحدها: أن الله تعالى هو الذي قدَر على خَلْقهما، فهو المستحِقُّ لأنْ يكونَ إلهاً يُعبد.

والثاني: أنه هو الذي تفرَّد بخَلْقهما فعليهم أن يوحِّدوه ولا يُشركوا به شيئاً.

والثالث: أنه هو الذي أنعم عليهم بجَعْل الأرضِ بساطاً لهم وموضعاً لأرزاقهم وذلولاً يمشون في مناكبها، والسماءِ سقفاً لهم منها ينزل عليهم البركات، فعليهم أن يشكروا له بعبادته وطاعته[٣].

والرَّابع: أنه على سبيل الاحتجاج، لأنَّ من الكفار مَن يَعبد ما في الأرض من الأوثان والنيران، ومنهم مَن يَعبد ما في السماء، وهو الشمسُ والقمرُ والملائكة، فقال جل وعلا: الأرضُ والسماء وما فيهما مِلْكي وخَلْقي، فكيف تجعلون مِلْكي وخَلْقي شريكاً[٤] لي في العبادة؟!

والخامس: أنه على سبيلِ الوعيد، يعني: السماءُ والأرض مِلْكي، فإنْ شئتُ خسَفْتُ الأرض بكم، وإنْ شئتُ أَلقيتُ السماء عليكم، كما قال: ﴿أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا

---

(١) في ذكر هذه الآية هنا تكرار لا لزوم له.

(٢) من قوله: «ونظير هذه الصفة للسماء في القرآن...» إلى هنا من (أ).

(٣) «وطاعته»: من (أ).

(٤) في (ف): «تجعلون لملكي شريكا».

بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾: عطفٌ على قوله: ﴿جَعَلَ لَكُمُ﴾.

﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾؛ أي: من السماء التي هي سقفُ الدنيا، أو من السحاب، وقد بينَّا في قوله تعالى: ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ أنه قيل لكلِّ واحدٍ منهما، ووفَّقْنا بينهما أيضاً.

وقوله: ﴿مَآءً﴾؛ أي: مطراً، والماءُ أصلُه: الـمَوَهُ، بدليلِ أن جمعَه: المياه والأمواه، وتصغيرُه: الـمُوَيه، والفعلُ منه: مَوَّهَ السكِّين(١)، وأَمَاهتِ البئرُ، إلا أن الواو من (الـمَوَهِ) سكِّنت لحركةِ ما قبلها طلباً للتخفيف لأنها معتلَّةٌ، ثم صيِّرت ألفاً لفتحةِ ما قبلها، كما في المال والحال والخال، فصار: ماه، ثم أُبدلت الهاء همزةً(٢) لتجانُسهما كما في قولهم: إيَّاك وهِيَّاك، وأَيْهاتَ وهَيْهاتَ.

وقوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾: الخروج في الحقيقة(٣): الانتقالُ من الحِصن إلى العورة، والإخراجُ متعدٍّ، والاستخراجُ: الاستنباط، والتخارُجُ من الورثة: إخراجُ بعضهم بشيءٍ من الميراث، وتخريجُ شيءٍ من المسألة(٤) وتخريجُ المعلم معروفان.

وهذه الكلمة ذكرت في القرآن لوجوهٍ:

---

(١) لعل المعنى: سقاه الماء، وذلك حين يَسنُّه به، ذكره في «التاج» في معنى: أماهَ السكِّين.

(٢) في (أ) و(ف): «بالهمزة».

(٣) في (أ): «الخروج حقيقة».

(٤) في (أ): «وتخريج المسألة».

لهذه الحقيقة التي مرت: قال: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَـٰرِهِم﴾ [الأنفال: ٤٧].

وللنُّزول: قال تعالى: ﴿فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَـٰلِهِۦ﴾ [النور: ٤٣].

وللصُّعود: قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ [سبأ: ٢].

وللظُّهور: قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ [البقرة: ٧٢].

وللفراق: قال تعالى: ﴿وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَـٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا﴾ [البقرة: ٢٤٦].

وللرُّجوع إلى الدنيا: قال تعالى: ﴿فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾ [غافر: ١١].

وللخَلق والإيجاد: كما قال تعالى[1] في هذه الآية: ﴿فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا﴾؛ أي: أَوْجَدها، ليس أنها موضوعةٌ في الأشجار فأخرجها منها.

وللحياة: قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [الأعراف: ٥٧].

وللموت: قال تعالى: ﴿وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا أَنفُسَكُمُ﴾ [الأنعام: ٩٣].

وللاتِّخاذ: قال تعالى: ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا﴾ [طه: ٨٨]؛ أي: اتَّخذ وصاغ.

وللدعاء: قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّـٰغُوتُ﴾؛ أي: الشياطين ﴿يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَـٰتِ﴾ [البقرة: ٢٥٧]؛ أي: يَدْعونهم من الهدى إلى الضَّلال[2].

وللنجاة: قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾ [الطلاق: ٢].

ولتغيُّر[3] الصورة: قال الله تعالى: ﴿فَٱخْرُجْ مِنْهَا﴾؛ أي: من صورة الملائكة.

---

(١) «قال تعالى»: ليس في (أ).

(٢) في (أ) و(ف): «الضلالات».

(٣) في (أ): «ولتغيير».

وللذِّكر: قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]؛ أي: ذُكرت لمَن سَلَف من الناس.

وقولُه تعالى: ﴿بِهِۦ﴾؛ أي: بالماء الذي ذُكر وهو المطر.

وقوله: ﴿مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ (من) كلمةُ تجنيسٍ هاهنا، وأصلُه للتبعيض، وفي التجنيس معنى التبعيض؛ لأنه بعض الأجناس.

والثمرات: جمع الثمرة، وأصلها: الزيادة والنماء، يقال: ثمَّر الله مالَه؛ أي: زاده وكثَّره، والفاكهة تسمَّى ثمرةً لهذا، وكذا ثمرةُ كلِّ عينٍ وعملٍ هو ما زاد عليه، وتُجمع الثمرةُ: ثَمراً، بحذف الهاء التي هي للتوحيد، ثم: ثماراً، كالبَلد يُجمع بلاداً[1]، ثم الثمار تجمعُ على الثُّمُر، كالحمار يُجمع على الحُمُر، وهذه جموعُ تكسيرٍ، وجمعُ السلامة هو الثَّمرات.

ثم هي هاهنا المأكولاتُ كلُّها من الحبوب والفواكه وغيرِها مما يخرج من الأرض والشجر، ويدلُّ عليه قوله تعالى: ﴿كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٤١] والحصادُ يكون للزرع.

وقد بسَط الله تعالى ما اختصره في هذه الآية في آيةٍ أخرى، فقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا﴾ الآية [الأنعام: ٩٩].

وقال تعالى: ﴿أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا﴾ إلى أنْ قال: ﴿فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ۝٢٧ وَعِنَبًا﴾ الآية [عبس: ٢٧-٢٨].

ثم الألفُ واللام في ﴿ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ للتعريف، وله وجوه:

---

(١) في (ر): «ثماراً كالبَلدةِ تُجمع بلداً ثم تُجمع بلاداً».

أحدها: تعريفُ الجنس وهو لتعميم الكلِّ.

والثاني: أنه لتعريف المعهود وهو ما تعارَفوه من الثمار.

والثالث: أنه لتعريفِ المعهود، وهو الثمارُ المخرَجة من الجنة، قال النبيُّ ﷺ: «لـمَّا أُهبط آدم عليه السلام من الجنة علَّمه الله صَنعةَ كلِّ شيءٍ، وزوَّده من ثمار الجنة، فثمارُكم هذه من ثمار الجنة، إلا أن ثمار الجنة لا تتغيَّر»[1].

وقوله تعالى: ﴿رِزْقًا لَّكُمْ﴾: قيل: طعاماً[2]، وقيل: قُوتاً، وقيل: غذاءً، وهي متقاربةٌ، وقد مرَّ تفصيله وتفسيرُه في قوله تعالى: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ﴾.

وجملتُه[3]: أن الله تعالى تعرَّف إليهم بذكرِ ما منَّ به عليهم؛ مِن خَلْق السماءِ لهم سقفاً مرفوعاً، وإنشاءِ الأرض لهم فراشاً[4] موضوعاً، وإخراجِ النبات لهم بالمطر رزقاً مجموعاً.

ويقال: أعتقَهم عن منَّة الأمثال بأنْ هيَّأ لهم ما لا بدَّ منه، فكافأهم فجعل

---

(١) رواه البزار في «مسنده» (٣٠٢٩) من حديث أبي موسى رضي الله عنه مرفوعاً، وقال: وهذا الحديث قد رواه غير واحد عن عوف عن قسامة عن أبي موسى موقوفاً، ولا نعلم أحداً رفعه إلا ربعي. قال عبد الحق في «الأحكام الكبرى» (٤/ ١٦٩): ربعي هو ابن علية أخو إسماعيل ابن علية وهو ثقة مأمون. وقسامة بن زهير ثقة، ذكر ذلك فيهما يحيى بن معين، ولم يذكره أبو بكر البزار. وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ١٩٧): رواه البزار والطبراني ورجاله ثقات.

والموقوف رواه الحاكم في «المستدرك» (٣٩٩٦) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٢) في (أ): «أي طعاماً لكم» بدل: «قيل: طعاماً».

(٣) في (أ): «وحكمته».

(٤) في (أ) و(ف): «فرشاً». وضبطت (سقفا) في (أ) بضم السين.

السماءَ[١] غطاءً، والأرضَ وطاءً، والمباحاتِ رزقاً، والطاعةَ حِرفةً، والعبادةَ شُغلاً، والذِّكر مُؤْنساً، والربَّ كافياً.

وقال الإمامُ أبو منصورٍ رحمه الله: دلَّت الآيةُ أن المقصود في خلق السماوات[٢] والأرضِ، وإنزالِ الماء، وإخراجِ الثمرات وأنواع المنافع، بنو[٣] آدم وهم الممتحَنون فيها، فإنه قال: ﴿جَعَلَ لَكُمُ﴾ وقال: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الجاثية: ١٣] وقال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ﴾ الآية [النحل: ١٢]، ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ﴾ [إبراهيم: ٣٢]، وفي كثيرٍ من الآيات أضاف ذلك كلَّه إلينا، ثم جعل بلطفهِ منافعَ السماء متَّصلةً بمنافع الأرض على بعدِ ما بينهما، فلا يُخرجُ من الأرض شيئاً[٤] إلا بما يَنزل من السماء من الماء؛ ليُعلم أن مُنشئهما واحدٌ، لأنه لو كان منشئُ هذا غيرَ الآخر لم تتَّصل منافعُ هذا بمنافع الآخر[٥] على بُعْدِ ما بينهما، ويُوهِم خلافَ أحدهما الآخَر، فإذا كان كذلك دلَّ أن مُنشِئَهما واحدٌ لا شريك له[٦].

وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا﴾: هو جمعُ نِدٍّ، وهو المِثْلُ، وكذلك النَّدِيدُ والنَّدِيدة، قال الشاعر:

---

(١) «فكافأهم» سقطت من (ر)، و«فجعل» سقطت من (أ)، وكلاهما سقط من (ف)، وجاء فيها: «فالسماء».

(٢) في هامش (ف): «السماء»، ومثله في «التأويلات».

(٣) في (ر) و(ف): «لبني»، والمثبت من (أ)، وهو الصواب والموافق لما في «التأويلات».

(٤) «شيئاً»: من (ف). وفي «التأويلات»: (فلا تُخرج الأرض شيئاً).

(٥) في (ف): «هذا».

(٦) انظر: «تأويلات أهل السنة» (١/ ٤٠٠).

لكيلا[1] يكـونَ السَّـنْدريُّ نَدِيـدتـي وأشـتـمَ أعمامـاً عمومـاً عماعِمَـا[2]

والأعمام: جمع عَمٍّ، والعُموم: الطِّوال، والعماعِمُ: الجماعات.

وفي النِّدِّ والنَّديد قال آخَرُ:

أَتَيْمـاً تـجـعـلـونَ إلـيَّ نـدًّا وما تَيـمٌ لـذي حَسَـبٍ نَديـدُ[3]

ونِـدُّك هو الـذي يُنـادُّك؛ أي: يقابلُك[4] ليُنفِّرك، مـن قولهم: ندَّ نُـدوداً ونِدَاداً؛ أي: نفَر.

وتفسيره هاهنا:

ما قاله ابن عباسٍ والحسن: أي: لا تَصِفُوا لله أمثالاً وشركاءَ في مُلكه[5].

وفي بعض الألفاظ: أشكالاً وأعدالاً[6].

وقال مجاهدٌ وعكرمةُ عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما: لا تعتمِدوا على غير الله، وتوكَّلوا على الله.

وعن ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما أنه قال: لا تقولوا: لولا فلانٌ لأصابني كذا، ولولا كلبُنا يصيحُ على الباب لسُرق متاعُنا.

---

(١) في (ف): «لئلا».

(٢) البيت للبيد، وهو في «ديوانه» (ص: ١٢٧)، و«جمهرة اللغة» (١/ ١١٥)، و«الأضداد» لابن الأنباري (ص: ٢٤)، و«مجمل اللغة» (ص: ٨٤٣). ورواية الديوان: (وأجعل أقواماً عموماً...).

(٣) البيت لجرير، وهو في «ديوانه» بشرح ابن حبيب (٢/ ٣٣١).

(٤) في (ر) و(ف): «يقاتلك».

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٣٩١) عن ابن عباس وابن مسعود بلفظ: (أَكْفَاءَ مِنَ الرِّجالِ تُطيعونهم في معصيةِ اللهِ).

(٦) انظر: «تأويلات أهل السنة» (١/ ٤٠١). وروى الطبري في «تفسيره» (١/ ٣٩١) عن مجاهد وقتادة قولهما: (عُدَلاء).

وعن النبيِّ ﷺ أنه قال: «إياكم ولو، فإنه من كلام المنافقين، ﴿لَّوْ كَانُوا۟ عِندَنَا مَا مَاتُوا۟ وَمَا قُتِلُوا۟﴾ [آل عمران: ١٥٦]»[١].

وقوله تعالى: ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: أي: أن الله هو الذي خلقكم ومَن قبلكم، وخلَق السماءَ والأرض وخلَق الأرزاق، دون الأصنام فإنَّها لا تَضُرُّ ولا تَنفع، قال تعالى: ﴿أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾ [الأنبياء: ٦٦]، وقال تعالى: ﴿وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ [الجاثية: ٢٣]؛ أي: على علمٍ أن الذي اتَّخذه إلهاً لا ينفعُه.

وقيل: أي: وأنتم تعلمون وتُقِرُّون أن الله هو الذي فعَل ذلك، قال الله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [العنكبوت: ٦١]، وقال الله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [العنكبوت: ٦٣].

وقال الإمامُ أبو منصورٍ رحمه الله: ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾؛ أي: أنشأ فيكم ما لو تدبَّرتُم وتفكَّرْتُم وتأمَّلْتُم علمتُم أنه لا نِدَّ له ولا شِكْلَ له[٢]، قال تعالى: ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١][٣].

وقيل[٤]: وأنتم تعلمون أنه ليس له ندٌّ.

---

(١) لم أجده مسنداً بهذا اللفظ، وروى مسلم (٢٦٦٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «.. وإنْ أصابكَ شيءٌ، فلا تَقُلْ لو أني فَعَلْتُ كان كذا وكذا، ولكنْ قُلْ قَدَرُ اللهِ وما شاء فَعَلَ، فإنَّ لو تَفْتَحُ عملَ الشَّيطانِ»

(٢) في (ر): «ولا شريك له».

(٣) انظر: «تأويلات أهل السنة» (١/ ٤٠١).

(٤) في (ر) و(ف): «قيل أي».

وقيل: أي: وأنتم تعلمون أنه واحدٌ.

وقيل: وأنتم تعلمون بما نزل بـمَن اتَّخذ لله أنداداً.

وقيل: أي: لا تخدِموا غيرَ الله وأنتم تعلمون أنه لا يستحقُّ الخدمةَ غيرُه، ولا ترجُوا ولا تخافوا غيرَه وأنتم تعلمون أنه لا نافعَ ولا ضارَّ ولا معطيَ ولا مانعَ غيرُه.

والوعظ الكلِّيُّ: أنه قال في الآية: ﴿جَعَلَ لَكُمُ﴾ وقال تعالى: ﴿رِزْقًا لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢] فلو[1] قال لكم في القيامة: فعلتُ هذا كلَّه لكم، فما فعلتُم لي؟ فما تقولون؟

وعن الشِّبليِّ رحمه الله: أنه وعظ يوماً الناس، فأبكاهم لِمَا ذكر من القيامة وأهوالها، فمر بهم أبو الحسين النوريُّ وقال: لا تُفزِّعهم[2] فإن حساب يومِئذٍ ليس بهذا الطول، إنما هو كلمتان: (من ترابودم توكرا بودي)[3].

قال المصنف رحمه الله[4]: وأنا أقول: (شماجه خواهيت كفتن در جواب أين سؤال بشريه كردكني من راموديم لختي زن شوى رابودم لاختي كوارا خوجه كديد لاختي سلطان را بودام كختي سود وزيان واسكت له كويد من همه حق رابودم)[5].

---

(١) في (أ): «ولو».

(٢) في (أ): «تقرعهم».

(٣) في هامش (ف): «تعريبه: كنت لك فلمَن كنت أنت».

(٤) في (أ): «قال نجم الدين».

(٥) في هامش (ف): «تعريبه: قال المصنف: وأنا أقول: أنتم أي شيء تقولونه في جواب قوله: فلمن كنت أنت؟ فيقول الزوج: كنت مشغولاً للبدل وقتاً ووقتاً للزوجة، وتقول الزوجة: كنت للزوج ساعة ولنفسي ساعة، ويقول التاجر: كنت ساعة للربح والكد ساعة للسلطان، فأين الرجل الذي يقول: كنت للحق في جميع الأوقات؟».

(٢٣) ـ ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ﴾: انتظامُه بما قبلَه: أنه خطابٌ للَّذين ناداهم فقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ وقد أمرهم بالإيمان، وهو بالله ورسوله وكتابه، فأثبت دليلَ ربوبيَّته بما ذَكر في تلك الآية، وأثبت رسالةَ رسوله وصحةَ كتابه في هذه الآية.

ثم كلمة (إنْ) لمعانٍ:

للشَّرْط: كما في قوله تعالى: ﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾ [محمد: ٧].

وبمعنى (إذ): كما في قوله تعالى: ﴿وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٧٨].

وللنفي: كما في قوله تعالى: ﴿إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ﴾ [الملك: ٢٠].

وللتأكيد: بمنزلةِ (لقد) كما في قوله تعالى: ﴿إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا﴾ [الإسراء: ١٠٨]؛ أي: لقد كان.

وبمعنى (إنَّ) المشدَّدة: نحوَ[١]: ﴿وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ﴾ [هود: ١١١].

وللصلة: كما في قوله: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِن مَّكَّنَّاكُمْ فِيهِ﴾ [الأحقاف: ٢٦]؛ أي: فيما مكناكم فيه.

وللتحقيق: كما يقال: عليك بالصدق وإنْ ضرَّك، وإياكَ والكذبَ وإنْ نَفعَك؛ أي: مع أنه كذلك.

وقوله: ﴿كُنتُمْ﴾؛ أي: أنتم.

---

(١) في (أ) و(ف): «كما في قوله».

و(كنتُم) في القرآن جاء للماضي والحال والاستقبال، وقد بينَّا ذلك في كلمةِ (كان) عند قوله: ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ﴾ [البقرة: ١٠].

و(كنتم) أيضاً على ذلك: أمَّا للماضي ففي قوله: ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا﴾ [البقرة: ٢٨]، وأمَّا للحال ففي قوله تعالى: ﴿وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩]، وأمَّا للاستقبال ففي قوله تعالى: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً﴾ [الواقعة: ٧]؛ أي: يوم القيامة.

وقوله: ﴿فِى رَيْبٍ﴾؛ أي: شكٍّ، وقد مر شرحُه في قوله: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿مِّمَّا نَزَّلْنَا﴾: (مما) كلمتان: (مِن) و(ما)، أُدغمت النونُ في الميم فصارتا ميماً واحدةً مشدودةً خطًّا وميمين نُطقاً.

و(ما) بمعنى: الذي، ومعنى (ما نزلنا)؛ أي: الذي نزَّلنا وهو القرآن، وإنزالُه: ما فسَّرناه في قوله: ﴿بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ [البقرة: ٤].

والتنزيل: التفصيل، ودلَّت[1] الكلمةُ على إنزاله مفصَّلاً، وحكمتُه ما قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ [الفرقان: ٣٢].

نزلت كتب الأوَّلين جملةً فتركوها جملةً، ونزل القرآن مفصَّلاً فبقي في القلوب مثبَتاً محصَّلاً.

ولأن أولياء الله اليوم في دار الحَجْبة، فجدَّد لهم الأُنسَ بكتابه ساعةً فساعةً، وقد ذكر الله تعالى تنزيلَه[2] ثلاثةَ أشياءَ شيئاً فشيئاً:

القرآنَ: بقوله: ﴿مِّمَّا نَزَّلْنَا﴾.

---

(١) في (أ): «للتفصيل فدلت».

(٢) في (أ): «تنزيل».

والمطر: بقوله: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ﴾ [المؤمنون: ١٨].

والرزق: بقوله تعالى: ﴿وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الحجر: ٢١].

(اكربا ران جملة امدى برعالميان طوفان شدي، واكر روزي جمله امدى برعالميان طوفان شدي، راكر وروزي جملة امدى بنده ارنكاه داشتن همة سركردان شدي، واكر قرآن جمله امدى عمل بهمة بردل هريكي كران شدي)[1].

وقوله تعالى: ﴿عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾: هو نبيُّنا المصطفى محمدٌ ﷺ، وله أسماءٌ كثيرةٌ في القرآن، وكان أحبَّها إليه: العبدُ، فهو[2] المستجمِعُ لمعاني العبادة والعُبودة، وكرَّر هذا الاسمُ له في القرآن، وكأنه قال: (قرآن بوى وحي كريديم ووى مار بنده، نزل القرآن على عبده مادار سالت برخاست ووي بنده، وأنه لما قام عبد الله وبحضرة برديمش ووى بنده، سبحان الذي أسرى بعبده وياوى راز كفيتم ووى بنده، فأوحى إلى عبده ما أوحى ودران مقام بارنتا كفت، التحيات لله والصلوات والطيبات ووى مارا بنده وما وى مارا بنده، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله درهمه أحوال وى مارا بنده وماوى را بسنده، أليس الله بكاف عبده ووى مارا بشكر خدمت ارنده، أفلا أكون عبداً شكوراً)[3].

---

(١) في هامش (ف): «تعريبه: لو نزل القرآن [كذا ولعله: المطر] جملة لصار طوفانا، ولو نزل الرزق جملة لعجز المرزوق عن حفظه وضبطه، ولو نزل القرآن جملة لثقل العمل بأحكامه على المكلفين».

(٢) في (ر): «لأنه».

(٣) في هامش (ف): «وتعريبه: أوحينا إليه القرآن وهو عبد، نزَّل الفرقانَ على عبده ونهض بأداء الرسالة وهو عبد، ولما قام عبد الله وقربناه إلى حضرتنا وهو عبد، سبحان الذي أسرى بعبده وأوحينا إليه [...] شريفة وهو عبد، فأوحى إلى عبده ما أوحى، والسلام عليه في ذلك المقام بقوله: التحيات لله إلخ وهو عبد، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وفي كل أحواله أنا عبد، وليس له التقارب إلى غيرنا =

وقوله تعالى: ﴿فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ﴾: هذا أمرٌ بالإتيان بسورةٍ، والإتيانُ في اللغة هو المجيء، والإتيانُ: الفعل، والإتيان: الغِشْيان، والإيتاء: الإعطاء، وتَأْتِيَةُ السَّيل: تسهيلُ سُبله[1]، والتأتِّي: التَّهيُّؤ، والمؤاتاةُ: الموافَقة، والإتاء: الغلَّة، والأَتِيُّ والأَتَاويُّ: الغريب، والـمِيْتاء[2]: الطريق المسلوك، ومعانيها متقارِبةٌ.

والإتيانُ في القرآن لأربعينَ معنىً عدَّدْناها في تفسيرِنا الأولِ الأطول.

وهو في هذه الآية: المعارَضة، أي: عارِضوا هذا القرآن بسورةٍ، وهذا خلافُ قوله تعالى: ﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ﴾ [آل عمران: ٩٣] ذاك إظهارُ ما قد كان، وهذا إنشاءُ ما لم يكن.

وهذا إلزامُ الحجة عليهم بأنَّ القرآن مما أنزله[3] الله على عبده، وهو صادقٌ في دعوى الرسالة، وأنه مبعوثٌ لإقامة الدَّلالة، والدعوةِ إلى الهدى من الضَّلالة، وأنهم معانِدون في إنكاره، وفي دعواهم أنه مما افتراه محمد باختياره، يقول[4]: إن كان هذا من كلام البشر فعارِضوه بمثله من عندِكم، وتَفصَّوا[5] عن هذه العُهدة بجَهدكم.

وقوله تعالى: ﴿فَأْتُوا۟﴾ صيغتُه صيغةُ أمرٍ، ومعناه: الإعجاز، وهذه الصيغة في القرآن على وجوهٍ:

= أليس الله بكاف عبده، وﷺ يؤدي في الخدمة والعبادة شكر النعمة وبقوله: أفلا أكون عبداً شكوراً».

(١) في (ر): «سيله». وقال الأزهري: يقال: أَتَّيْتُ السَّيْلَ فأنا أُوَتِّيه: إذا سهَّلْتَ سبيلَه من موضِع إلى مَوضع ليخرجَ إليه. انظر: «تهذيب اللغة» (١٤/ ٢٥١).

(٢) في (ر): «والمأتي».

(٣) في (أ): «أنزل».

(٤) في (ف): «بقول» وفي (ر): «بقوله لهم».

(٥) في (ر): «وتفضوا»، وفي (ف): «وتقصوا». والتفصِّي: التخلُّص.

للفَرْضية: كما في قوله: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [البقرة: ٤٣].

وللنَّدْب: كما في قوله عز وجل: ﴿وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج: ٧٧].

وللإباحة: كما في قوله: ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُواْ﴾ [المائدة: ٢].

وللتخيير: كما في قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ﴾ [الإسراء: ١١٠].

وللنهي: كما في قوله: ﴿ٱعْمَلُواْ مَا شِئْتُمْ﴾ [فصلت: ٤٠].

وللرَّد: كما في قوله: ﴿فَٱدْرَءُواْ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ﴾ [آل عمران: ١٦٨].

وللتكوين: كما في قوله: ﴿كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾ [البقرة: ٦٥].

وللشَّرط: كما في قوله: ﴿قُلْ كُونُواْ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا﴾ [الإسراء: ٥٠]؛ أي: إن كنتم كذلك فلكم الموت والبعث.

وللإعجاز: كما في قوله: ﴿فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

وكذا قولُه سبحانه: ﴿فَأْتُواْ بِسُورَةٍ﴾ والفاءُ هاهنا للتعقيب، وبدونِ الفاء يقال: اِيتوا، الألف مجتلَبةٌ، والهمزةُ صارت ياءً لكسرةِ ما قبلها، وسقطت همزتُها كراهةَ التقاء الهمزتين، وثبتت الياء كتابةً في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱئْتُواْ﴾ [طه: ٦٤] لأنه يُوقَف على (ثم) ويُبدأ: ايتوا، ولا تَثبت في قوله ﴿فَأْتُواْ﴾ وفي قوله: ﴿وَأْتُواْ﴾ لتعذُّر الفصل بين الفاء وبين الكلمة، وكذا بين الواو وبينها.

وقوله تعالى: ﴿بِسُورَةٍ﴾ الباء لتعدية فعلِ الإتيان الملازِم(١)، والسُّورةُ هي مأخوذةٌ من قولهم: سار يَسُورُ: إذا ارتَفَع وعلا، وسمِّي الجدارُ المحيطُ

---

(١) «الملازم» كذا في جميع النسخ.

بالمدينة سوراً لارتفاعه، ويقال: لفلانٍ سَوْرةٌ في المجد، أي: سَناً ورفعةٌ، قال النابغة:

أَلَـمْ تَـرَ أنَّ اللهَ أعطـاكَ سُـوْرةً ... يُرى كلُّ مَلْـكٍ دونهـا يتذبـذبُ[1]

فالسُّورة من[2] القرآن على هذا: مجموع آياتٍ مفصَّلةٍ ارتفعت وعلَت وظهرت وصارت كالعَلَم في مغايرتها سائرَ السُّور.

وقيل: هي منزلةٌ من منازل القرآن رفيعةٌ.

وقيل: هو[3] قسمٌ من أقسام القرآن ارتفع شأنُه وعلا قَدْرُه.

وقوله: ﴿بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ إطلاقُه يتناول أقصرَ السور، وهي في القرآن سورةُ الكوثر، وهي ثلاثُ آياتٍ قصارٍ، وهذا أبلغُ إلزامٍ، وأتمُّ قطعٍ لأهل الخصام، فقد كان التحدِّي أولاً بالإتيان بمثلِ كلِّ القرآن بقوله تعالى: ﴿فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ﴾ [الطور: ٣٤]، ثم أخبر عن عجزهم عن ذلك بقوله: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨]، ثم بعشرِ سورٍ بقوله تعالى: ﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ﴾ [هود: ١٣]، ثم بسورةٍ بقوله: ﴿فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾، وقد عجزوا عن ذلك كلِّه فلزمتهم الحجة.

وقوله تعالى: ﴿مِّن مِّثْلِهِۦ﴾: المِثْل: الشِّبْه، والمُماثِل: المُشابه، والتمثيل: التشبيه، ومِثْلُ الشيء حقيقةً: ما ينوب مَنابه، ويَسدُّ مَسدَّه.

واختُلف في المراد بالهاء التي في آخره: أنها كنايةٌ راجعةٌ إلى ماذا؟

---

(١) انظر: «ديوان النابغة» (ص: ١٩).

(٢) في (أ) و(ف): «في».

(٣) في (أ): «هي».

قال ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما: أي: مِن الذي جَعَلْتُموه لي ندًّا، فقد سَبَق ذكرُه.

وقال ابن كَيسان: أي: من مثلِ محمدٍ من[١] البشر؛ لأنه بشرٌ مثلكم، وقد سبق ذكره في قوله: ﴿عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾.

وقال الإمام أبو منصورٍ رحمه الله: أي: ائتوا أنتم بمثل ما أتى به[٢] هو، إذ أنتم وهو سواءٌ في الجوهر والخلقة واللسان، وليس هو أولى بالاختلاقِ منكم[٣].

وقيل: أي: من مثل محمدٍ من[٤] رجلٍ أميٍّ لا يقرأ ولا يكتب، وهذا أبلغ في قطع الأوهام، فإن[٥] النبيَّ ﷺ مع أنه لا يكتبُ ولا يقرأ، ولا ينظر في الكتب، ولم يسمع القَصَص من الناس، أَخبر بنزول هذا الكتاب، فلا شبهةَ في أنه لم يختلِقْه من تلقاء نفسه، ولم يأتِ به إلا بوحيٍ من ربِّه.

وقال مجاهدٌ وقتادةُ: أي: مِن مثلِ هذا القرآن[٦]. وقد سَبَق ذكرُه في قوله: ﴿مِّمَّا نَزَّلْنَا﴾.

ثم القرآنُ وإن كان لا مثلَ له لأنه صفةُ الله تعالى وكلامُ الله ووحيُ الله[٧]، ولا مثلَ لصفاته كما لا مثلَ لذاته، لكن معناه: مِن مِثْلِه على زَعْمكم، فقد كانوا

---

(١) في (ف): «في».

(٢) «به»: ليست في (ف).

(٣) انظر: «تأويلات أهل السنة» (١/ ٤٠١).

(٤) «من»: من (أ).

(٥) قبلها في (ر) و(ف): «وقال».

(٦) رواه عنهما الطبري في «تفسيره» (١/ ٣٩٦ ـ ٣٩٧).

(٧) في (أ): «وكلامه ووحيه» بدل: «وكلام الله ووحي الله».

يقولون: لو نشاء[1] لقلنا مثل هذا، وهذا كقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِى﴾ [فصلت: ٤٧]؛ أي: على زعمكم، وقال تعالى: ﴿وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ﴾ [طه: ٩٧]؛ أي: على زعمك.

ثم التحدِّي إلى مثلِ القرآنِ كان في وجوهه، وهي سبعةٌ:

أحدها: الإيجاز والبلاغة، حتى يشتمِلُ يسيرُ كلماته على كثيرٍ من المعاني، قال ﷺ: «أُوتيتُ جوامعَ الكَلِم»[2]، وذلك مثلُ قوله: ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾ [البقرة: ١٧٩]، وقولِه: ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا﴾ [النازعات: ٣١]، وقولِه: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الجمعة: ١].

والثاني: البيان والفصاحة التي عَجَز عنها الفصحاء، وقَصر[3] عنها البلغاء، حكى أبو عُبيدةَ أن أعرابياً سمع قارئاً يقرأ: ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ [الحجر: ٩٤] فسجد، وقال: سجدتُ لفصاحة هذا الكلام[4]!

والثالث: النَّظْم الذي نقَض العادة حتى صار خارجاً من جنس كلامهم في النظم والنثر والرَّجَز والشعر والخُطب والسَّجْع والرسائل، فلا يمتزج بها ولا يدخل في شيءٍ منها، مع استعمال حروفه وكلماته.

والرابع: أن قارئه لا يَكلُّ وسامعَه لا يملّ، وإكثارُ تلاوته تَزيدُ في حلاوته، وغيرُه من الكلام وإن كان مستحسَنَ النَّظْم مستعذَبَ النَّثْر، يُمَلُّ إذا أُعيد، ويُستثقَلُ إذا ردِّد.

---

(١) في (ر) و(ف): «شئنا».

(٢) رواه البخاري (٧٢٧٣)، ومسلم (٥٢٣)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) قصَر عن الشيء: عجز عنه ولم يبلغه. انظر: «الصحاح» (مادة: قصر).

(٤) انظر: «أعلام النبوة» للماوردي (ص: ١٠٢).

والخامس: ما فيه من الإخبار بما كان من قِصص الأنبياء عليهم السلام مع أُممها، والقرونِ الخالية في أزمِنَتها، وهو أُمِّيٌّ من أمَّةٍ أمِّيين ليس لها[1] عِلمٌ بما عرَفه أهل الكتاب مما في الكتب السالفة.

والسادس: ما فيه من علم الغيب والإخبارِ بما يكون، فكان كما أخبر، كقوله: ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ﴾ [القمر: ٤٥]، وقولِه: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٧]، وقوله تعالى: ﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ﴾ [الفتح: ٢٧]، وقوله: ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ [التوبة: ٣٣]، وقوله: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟﴾.

والسابع: كونه جامعاً للعلوم كلِّها، ومشتمِلاً على ما في الكتب المنزلة كلِّها، ومنتظِماً لجوابات الحوادثِ كلِّها، وآتياً على المصالح كلِّها، قال الله تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]، وقالوا: إن قوله تعالى: ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓا۟﴾ [الأنعام: ١٤١] يأتي على جميع علوم الطب، وكذا فيه كلُّ علمٍ من الأدب من اللغة والنحو والبلاغة، ومن الكلام والفقه والتذكير وفنون الفوائد.

فكلُّ أهل العلم يصنِّفون تصانيف كبيرة[2] كثيرةً بفوائدِ القرآن، فحُجَجُ المتكلِّمين منتزَعةٌ من القرآن، ومسائلُ الفقهاء مستخرَجةٌ من القرآن، ولغاتُ الأدباء مصحَّحةٌ بالقرآن، وفوائدُ النَّحْويين مستوضَحةٌ بالقرآن[3]، وعظاتُ المذكِّرين مأخوذةٌ من القرآن، وإشارات الحكماء مستفادةٌ من القرآن، ولطائفُ أهل المعرفة مستنبَطةٌ من القرآن، وكذا وكذا.

---

(١) في (ف): «لهم».

(٢) «كبيرة»: من (أ).

(٣) في (ر): «بالقراءات».

وقوله تعالى: ﴿وَٱدْعُواْ شُهَدَآءَكُم﴾: يقال: دعا إلى الشيء دُعاءً، ودَعوةً بفتح الدال، فالأول[١] مطلَقُ المصدر، والثاني: المرةُ منه، والدُّعوة بالضم: المأدُبة، والدِّعوة بالكسر: ادعاءُ الولد، وتداعَتِ الحيطان: تهادمت، من هذا مجازاً.

والدعاءُ في القرآن لمعانٍ، واختُلف في المذكور هاهنا؛ فقيل: ﴿ادعوا﴾؛ أي: أَحْضِروا، وقيل: أي: استَعينوا[٢]، وقال الشاعر في الاستعانة[٣]:

وقبلَكَ رُبَّ خَصْمٍ قد تمالَوا   عَلَيَّ فما جَزِعْتُ ولا دعوتُ[٤]

ونظيرُه في القرآن قولُه تعالى: ﴿وَقِيلَ ٱدْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ﴾ [القصص: ٦٤]، وقولُه تعالى: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ﴾ [العلق: ١٧]، وقولُه تعالى: ﴿وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا﴾ [فاطر: ١٨].

وهذا أمرُ إعجازٍ كقوله: ﴿فَأْتُواْ بِسُورَةٍ﴾ وبيَّن أن الاستعانة هاهنا بالخلق الكثير لا تُغنيهم شيئاً، وما يُغني[٥] رجوعُ المحتاج إلى المحتاج، واعتمادُ الفقير على الفقير، والْتِجاءُ العاجز بالعاجز؟ فلا ترفَعْ حوائجك إلا إلى مَن لا يَشُقُّ عليه قضاؤها، ولا تَسأل إلا مَن لا تَفْنى خزائنُه، ولا تعتمِدْ إلا على مَن لا يعجز عن شيءٍ.

يَنصرُك من غيرِ مُعينٍ، ويحفظُك من غيرِ صاحبٍ، ويُغنيك من غيرِ مالٍ، فيَقِلُّ عَددُ[٦] الأعداءِ الكثيرُ إذا حمَاك، ويَكْثُر عددُ المالِ القليلِ إذا كَفَاك.

---

(١) في (ف): «والأول».

(٢) في (ف): «استغيثوا».

(٣) في (ف): «الاستغاثة».

(٤) البيت لسِنَان بن الفَحْل أخي بني أم الكَهْف من طيِّىء، كما في «الحماسة» بشرح التبريزي (١/ ٢٣١).

(٥) بعدها في (أ): «من».

(٦) في (ف): «أعداد».

وقولـه تعالـى: ﴿شُهَدَآءَكُم﴾ الشـهادة: الإخبـارُ بمـا شُـوهد[1] شـهودَ عِيَـانٍ أو شـهودَ إيقـانٍ. والشـهود: الحضـور، والمشـاهَدة: المعايَنة، والمشـهد: محضرُ النـاس، وعالـمُ الغيـب والشـهادة؛ أي: السـرِّ والعَلَانيَة.

وأمَّا تفسيرُه هاهنا:

فالشهداء: جمعُ شهيدٍ؛ كالفقهاء: جمعُ فقيهٍ، ومعناه عند ابن عباسٍ رضي الله عنهما: أعوانَكم[2]؛ لأن الشاهد كالعون للمدَّعِي في استخراجِ حقِّه.

وقال مجاهدٌ: أي: ناساً يشهدون لكم أنه مِثْلُ القرآن[3].

وقيل: أي: فصحاؤكم وشعراؤكم وبُلغاؤكم، وهم كُبَراءُ المشاهِدِ والخطباءُ في المحافل.

وقال الفرَّاء: يعني: آلهتكم[4]؛ لأنهم كانوا يعتقدون أنها تشهد لهم[5] وتشفَعُ لهم، وهو الأشبهُ؛ لأن قوله: ﴿وَٱدْعُواْ﴾ خطابٌ للكلِّ، فيتناول كلَّ الفصحاء وكلَّ الأعوان والشهداء، فكان الكلُّ مأمورين بأنْ يكونوا داعين، فلا يكونون مدعوِّين، فالأصحُّ إرادةُ: ما تعبدون، يدلُّ عليه قوله تعالى: ﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ وهذا صلةُ قوله: ﴿شُهَدَآءَكُم﴾؛ أي: الذين اتَّخذْتُموهم شهداءَ من دون الله، وهذا صفةُ الأصنام؛ كما في قوله تعالى: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ﴾ [الشورى: ٩]، وقولِه: ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ

---

(١) بعدها في (ر): «عن».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٣٩٩).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٣٩٩ ـ ٤٠٠) بلفظ: (ناس يشهدون)، وفي رواية: (قوم يشهدون لكم).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ١٩).

(٥) في (ر) و(ف): «أنها شهداؤهم».

شُفَعَآءَ﴾ [الزمر: ٤٣]، ثم قال في هذا: ﴿قُلْ أَوَلَوْ كَانُواْ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٤٣ ـ ٤٤]، وقال في الأولياء الذين اتَّخذوهم[1]: ﴿فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الشورى: ٩].

وقوله تعالى: ﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾: أي: غيرِ الله، وكلمة (دون) لها معانٍ، ومعناها هاهنا: غير.

و(دون) في الأصل اسمٌ، ولهذا دخلها الخافضُ وهو (من) وخفَضَها، ولكنها تستعمل استعمال الحروف، لأنها تفيدُ المعنى في غيرها كالحروف، فأُجريت مجراها لذلك؛ أي: مفردةً عن اللام التي هي للتعريف، والتنوينِ الذي هو للتنكير، وهما من خصائص الأسماء.

وقوله تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ فالصدقُ: هو الإخبارُ عن المخبَرِ به على ما هو به، وهو نقيضُ الكذب، فإنه الإخبارُ عن المخبَر به على خلافِ ما هو به، والصَّدْق بالفتح: الرُّمح الصُّلب، والحسامُ المستوي، والصَّديق: الخليل، والصداقة: الخُلَّة، وفلانٌ رجلُ صدقٍ ـ بالإضافة ـ ؛ أي: نِعْمَ الرجلُ هو، وثوبُ صدقٍ، وقَدَمُ صدقٍ، ومَقعدُ صدقٍ، كلُّه بالإضافة على هذا الوجه، والصِّدِّيق بالتشديد: المبالِغُ في الصدق.

فمعنى[2] قوله: ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾؛ أي: في مقالتِكم: إن محمداً تقوَّله مِن تِلقاء نفسه.

وقيل: أي: إن كانت لدعواكم[3] صحةٌ.

---

(١) بعدها في (أ): «أولياء».

(٢) في (أ): «ومعنى».

(٣) في (ر) و(ف): «لدعوتكم».

وقيل: هو خطابٌ لليهود؛ أي: إنْ كنتم في شكٍّ مما نزَّلنا من القرآن على محمدٍ أنه ليس من الله تعالى، فأتوا بسورةٍ من مِثل القرآن من التوراة، وقابِلوها بالقرآن لتجدوها موافِقةً لِمَا في التوراة، لتعلَموا أن هذا لم يختلقْه محمدٌ ﷺ من عندِ نفسه، وأنه[1] من عند الله، واستعينوا بأحباركم ورهبانكم إن كنتُم صادقين أنكم تشكُّون فيه، وهذا تفسيرُ تمام هذه الآية.

* * *

(٢٤) - ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَاتَّقُواْ النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ﴾ خطابٌ لهؤلاء أيضاً، والفاء للتعقيب، و(إنْ) للشرط، و(لمْ) كلمةُ نفيٍ تدخل على[2] المستقبل فتجعلُه بمعنى الماضي، ثم دخول (إنْ) وهو للشرط يجعله بمعنى المستقبل.

والإشارة فيه: أن المؤمن عزيزٌ بإيمانه وطاعته، ثم ذلَّ بعصيانه وجفوته، ثم يعودُ عزيزاً بتوبته وندامته.

و﴿تَفْعَلُواْ﴾ فعلُ جمعٍ، وسقطت النونُ من آخره بـ﴿لَّمْ﴾ لأنه جازمٌ، والنونُ كانت علامةً للرفع[3]، والفعل في اللغة: العمل، وجاءت من فلانٍ فَعْلةٌ حسَنةٌ أو سيئة، وفلانٌ حسَنُ الفَعَال، بالفتح، وسيِّئُ الفِعال، بالكسر، عليه أكثرُ أهل اللغة.

---

(١) في (أ): «وأنه كان».

(٢) «على»: من (ف).

(٣) في (أ) و(ف): «الرفع».

وقال ابن الأعرابي: الفَعال بالفتح: مصدرٌ في الخير والشر، وبالكسر: اسمٌ في الخير والشر.

وفي «مجمل اللغة» يقول: الفِعال بالكسر: جمعُ فِعل، وبالفتح: الكرَم[1].

و: ما فَعَل فلانٌ؟ أي: أين ذهَبَ؟

والفعلُ عند أهل الكلام: هو صرفُ الممكِن من الإمكان إلى الوجوب، ويقعُ على المباشَرة والتركِ جميعاً لشموله إياهما، وهو مستمرٌّ في الشاهد والغائب.

وتفسيره هاهنا:

فإن لم تأتوا بسورةٍ من مثله، ولم تستعينوا بالشهداء. والكلمة صالحةٌ لكلِّ فعلٍ، وهو أوجزُ من التصريح بما سبق، فكان أبلغَ وأفصحَ.

ونذكر آياتٍ في استعمال هذه الكلمة لأعمالٍ مختلفةٍ إيضاحاً لِمَا قلنا:

قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ [النمل: ٨٨] هذا يتناولُ كلَّ عملٍ وقولٍ وقصدٍ[2].

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَـٰعِلُونَ﴾ [المؤمنون: ٤]؛ أي: مؤدُّون.

وقال: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ﴾ [النساء: ٦٦].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ ٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ أَوِ ٱخْرُجُواْ مِن دِيَـٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ﴾ الآية [النساء: ٦٦].

وقال: ﴿إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا﴾ [الأعراف: ١٧٣] إلى أن قال: ﴿بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٣].

---

(١) انظر: «مجمل اللغة» لابن فارس (ص: ٧٢٣).

(٢) في (ر): «وتصدقٍ»، وفوقها كلمة لم تجود، ولعلها: «ونية».

وقال: ﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ [البقرة: ٧١].

وقال: ﴿هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ [يوسف: ٨٩].

وقال تعالى: ﴿وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ٦٨].

وقال تعالى: ﴿إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا﴾ [الإسراء: ١٠٨].

وقال تعالى: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ﴾ إلى قوله: ﴿وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٩].

وقال تعالى: ﴿سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ﴾ [يوسف: ٦١].

وقال تعالى: ﴿مَن فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا﴾ [الأنبياء: ٥٩].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ﴾ [البقرة: ١٨٨] إلى قوله: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾ [البقرة: ٢٣١].

وقال تعالى: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾ [النساء: ١١٤].

وقال تعالى: ﴿وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ۚ وَإِن تَفْعَلُوا﴾ [البقرة: ٢٨٢].

وقوله تعالى: ﴿وَلَن تَفْعَلُوا﴾ هذا اعتراضُ الكلام قبلَ التَّمام، وهو من محاسن الكلام وبدائعه، ومعدودٌ في الصناعة وأنواعِ البلاغة، وهو كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ﴾ ثم قال: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ﴾ هذا اعتراض الكلام قبل التمام، وقوله: ﴿قَالُوا﴾ جوابُ ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا﴾[1]، وهاهنا أيضاً ﴿فَاتَّقُوا﴾ جوابُ: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا﴾.

---

(١) الآية بتمامها: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ ۙ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مُفْتَرٍ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ١٠١].

ومعنى: ﴿وَلَن تَفۡعَلُواْ﴾؛ أي: لستُم بفاعلين ذلك أبداً، فـ(لن) نفيُ تأبيدٍ.

وقيل: معناه: لن تقدروا أن تفعلوا، وهو كقوله تعالى: ﴿لَن نَّصۡبِرَ عَلَىٰ طَعَامٖ وَٰحِدٖ﴾ [البقرة: ٦١] وقولِهِ: ﴿فَقُل لَّن تَخۡرُجُواْ مَعِيَ أَبَدٗا﴾ [التوبة: ٨٣]، هذا كلُّه نفيُ[1] القدرة.

وهذه الآيةُ دليلُ صدقِ النبيِّ ﷺ؛ فإنه أَخبر فكان كما أَخبر، وذاك غيبٌ عنا، فلا يكونُ إلا عن إخبارٍ مِن عالمِ الغيب له بذلك.

وقوله تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾: أي: ولمَّا عجزتُم عن معارَضة القرآن بمثلِه لزمتْكم الحجةُ أن محمداً رسولي والقرآنَ كتابي، ولزمَكم تصديقُه والإيمانُ به، ولمَّا لم تؤمنوا صرتُم من أهل النار فاتَّقوها.

والكلامُ في تفسير التَّقوى ووجوهه قد مرَّ في تفسير قوله: ﴿هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢].

والنارُ هي نارُ جهنم[2]، وهي مؤنَّثةٌ سماعاً، ولذلك قال الله تعالى: ﴿ٱلَّتِي وَقُودُهَا﴾ فأنَّث الصفة والكناية.

وقوله[3]: ﴿وَقُودُهَا﴾؛ أي: حطبُها، فالوَقود بفتح الواو: ما يُوقد به النارُ وهو الحطب، والوُقود بضمها: التهابُها، فهو مصدرٌ والأول اسمٌ.

وقوله: ﴿ٱلنَّاسِ﴾ هم الكفَّار هاهنا.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلۡحِجَارَةُ﴾ هي جمع حجرٍ، والحجر: الصخر، وهو

---

(١) في (ف): «هذا كلمة نفي» وفي (ر): «هذا نفي كلمة».

(٢) في (ف): «هي جهنم».

(٣) في (أ): «قوله تعالى».

كالجَمَل والجِمَالة، وهذا[1] جمعٌ على غير قياسٍ، والقياسُ فيه: الأحجار، كالشجر والأشجار، والسَّحَر والأسحار، والسَّفَر والأسفار.

وأما التفسير:

فقد قيل: هي جبالُ الدنيا علِقَت بهم، حتى إذا ألقَتْهم النار عُلْواً حطَّتْهم الحجارة سُفْلاً.

وقال ابنُ عباسٍ وابنُ مسعودٍ وابنُ جريجٍ رضي الله عنهم: هي حجارةُ الكبريت[2]، وإنما خصَّت بالذكر لأن فيها خمسةَ أشياءَ: هي أسرعُ وقوداً، وأبطأُ خموداً، وأنتنُ رائحةً، وأشدُّ حرًّا، وألصقُ بالبدَن.

وقيل: هي الأصنامُ التي عبدوها، قال تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء: ٩٨]، وإنما جُعل التعذيب بها ليتحقَّقوا أنهم عذِّبوا بعبادتها، وليَرَوا ذلَّها ومهانتَها بعد اعتقادهم عزَّها وعظمتَها.

وقيل: الأحجارُ تُحرقها النار كما تُحرق الناسَ، ذكر ذلك تهويلاً وتهييباً.

وقيل: أي: وقودُها الناسُ إذا صاروا إليها، والحجارةُ قبل أن يَصيروا إليها.

ثم إدخالُ الأصنام في النار ليس لتعذيبِها، فلا ذنبَ لها، بل لتعذيب[3] الكفَّار بها، وما يكونُ به العذاب لا يكونُ له العذاب، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾ الآية [التوبة: ٣٥]؛ أُدخلت الأموال جهنم ليعذَّب بها مانعُ الزكاة لا هي،

---

(١) في (ف): «وهو».

(٢) رواه عنهم الطبري في «تفسيره» (١/ ٤٠٣ ـ ٤٠٤).

(٣) في (ف): «ليس لتعذبها... بل لتعذب».

وهذا كما في حقِّ الثواب، فإن رضوان والخزَنةَ والحورَ العِين في الجنة بهم الثوابُ، وليس لهم الثواب.

والحكمةُ في تعذيب الكافرين[1] بها: أن الكافر عَبَدَ الصنَم واعتقَده واعتمَده ورجاهُ، فعذِّب به إظهاراً لجهله وقَطْعاً لأمله، كأَتْباعِ الكُبراءِ[2] خدَموهم ورجَوْهم، وفي النار يُسحَبون[3] معهم، ليكونَ أشقَّ عليهم وأقطعَ لرجائهم، وقد يقع كذلك في الدنيا لذلك.

وقوله تعالى: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾: أي: هُيِّئت وخُلقت، والإعداد: التَّهيئة، والاستعداد: التهيُّؤ، والعُدَّة: ما أُعِدَّ للشيء، والإعْتادُ مثلُ الإعداد، قال الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ﴾[4] [الإنسان: ٤].

والآيةُ ردٌّ على المعتزلة، فإنهم قالوا: النار والجنةُ لم يُخلقا بعدُ، وإنما يُخلَقان يوم القيامة عند حضور أهلهما، وقولُهم باطلٌ مردودٌ بهذه الآية، ولقوله تعالى في الجنة: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾، ونحوِهما من الآيات.

وقولُه تعالى: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ خَتْمٌ بما وقَع به البدءُ؛ أي: اتَّقوا الكفرَ الموجِبَ للنار، فإنها أُعدَّتْ للكفار[5].

---

(١) في (أ): «الكفار»، وفي (ف): «الكافر».

(٢) في (ر): «الأمراء».

(٣) في (أ): «يسجنون».

(٤) في (أ): «﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا﴾»، وفي (ف): «﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ﴾».

(٥) في (ف): «للكافرين».

ثم لم يَقُل: (أُعدَّتْ لكم) خطاباً كما قال تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ﴾ خطاباً؛ لأنه عَلِم[١] أن منهم مَن يُؤمِن، فقصَرَ الوعيدَ بالنار على طبقةِ الكفار.

قال الإمامُ أبو منصورٍ رحمه الله: هذا ينقضُ على المعتزلة قولَهم؛ حيث خلَّدوا صاحبَ الكبيرةِ في النار، ولم يُطلقوا عليهم اسمَ الكفَّار، ففي زعمِهم أنها أعدَّت لغير الكفَّار أيضاً[٢].

ثم عندنا يجوز أن يعذَّب المؤمنُ العاصي فيها مدةً، فقد أَوْعَد الله بالتعذيب بها في القرآن على أشياءَ، وثبت بالأحاديث المشهورةِ خروجُ المؤمنين منها بعدَ مدةٍ.

ثم الجمعُ بين هذه الآيةِ وبين غيرها في هذين الأمرين عند بعضهم: أن هذه النار واحدةٌ لكلِّ من فيها، لكنْ يتفاضلُ عقابهم فيها.

وقيل: هذه النار التي وقودُها الناس والحجارة هي للكفار خاصةً، ولغيرهم نارٌ غيرُها.

ولمَّا خوَّف بالنار الكافرين بشَّر بالجنة المؤمنين تحقيقاً لوصفِ[٣] كتابِه بالمثاني، ومَن تأمَّلَ في نَظْمه وجَد على الانتظام تثنيةَ المعاني، وقد شرحنا ذلك في الفاتحة.

وكذا نظمُ سورةِ البقرة، فإنه ذَكر الكتاب، وبيَّن أن الناس في حقِّه صنفان: مؤمنون وكافرون، وبينهما طبقةٌ لهم وصفان: إظهارُ الإيمان وإضمارُ[٤] الكفر، ولهم مَثَلان:

---

(١) في (ر): «عالم».

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» (١/ ٤٠٢).

(٣) في (أ) و(ف): «لوصفه».

(٤) في (أ): «وإبطان».

مَثَل مستوقِد النار، ومَثَلُ الواقع في الظلمات والأمطار، ثم خاطبَهم كلهم فأمرهم بشيئين: الاعتقادِ والإقرار، في حقِّ شيئين: ربوبيَّةِ الله ونبوَّةِ رسوله، فصاروا فريقين: جاحدِين فخوَّفهم بالنار، ومُقِرِّين[1] فبشَّرهم بالجنات[2] والأنهار:

* * *

(٢٥) ـ ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

وذلك قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ والبشارةُ بفتح الباء وضمِّها وكسرها: الخبرُ الصِّدق السَّارُّ الذي ليس عند المخبَرِ علمُه، سمِّيت بها لأنها تؤثِّر في البَشَرة بالبِشْر، ويسمَّى بها الخبرُ المحزِن أيضاً لأنها تؤثِّر في البشرة أيضاً، لكن المتعارَف في الأول الإطلاقُ وفي الثاني التقييدُ.

والبشرة: ظاهرُ جلدِ الإنسان، قال الله تعالى: ﴿لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ﴾ [المدثر: ٢٩]، والبشَر: الناس؛ قال تعالى: ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا﴾ [مريم: ٢٦]، وهذا جمعٌ، والبشَر: الواحد منهم؛ قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [الكهف: ١١٠]، والبشير: المبشِّر، والبشير: الحسَنُ الوجه، والبِشْر: الطَّلَاقة، والاستبشار: الفرح، وتباشير الصبح: أوائلُه، وبشَّرْتُه بالتشديد وبَشَرتُه ـ من حدِّ دَخَل ـ فأَبشر؛ أي: قَبِل البشارة.

وقوله: ﴿بشِّر﴾ أمرٌ للنبيِّ ﷺ أن يُخبر المؤمنين الذين يعملون الصالحات بأنَّ لهم الجنة.

---

(١) في (أ): «وقائلين»، وفي (ف): «وقابلين».

(٢) في (أ): «بالجنان».

والكلامُ في الصلاح من حيث اللغةُ مرَّ في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ [البقرة: ١١].

وقوله: ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ دليلٌ على أن الطاعات غيرُ الإيمان؛ لأنه عطَفها على الإيمان، والعطفُ دليلُ على المغايرة، وهو ردٌّ على الشافعي رحمه الله في جعلِه العملَ من الإيمان.

ثم العملُ في اللُّغة هو الفعلُ، والعَمالة: أجر العمل للعامل، والإعمالُ: الحملُ على العمل، واستعمالُ الشيء: العملُ به، والمعامَلةُ بين اثنين والتعامُل[1]: التعارف، واليَعْمَلة: الناقةُ القويةُ على العمل.

و(الصالحات) نعتٌ لجمعِ اسمٍ مؤنَّثٍ محذوفٍ، وهي الخصلةُ أو الفعلةُ.

واختلف في تفسيرها:

قال عثمانُ بن عفَّانَ رضي الله عنه: ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾؛ أي: أَخلَصوا الأعمالَ، يَدلُّ عليه قولُه تعالى: ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا﴾ [الكهف: ١١٠]؛ [أي: خالصاً] لأنَّ غيرَ الخالص لا يكون صالحاً[2]، والمنافقُ لا يكون عملُه صالحاً؛ لأنه لا يكونِ خالصاً.

وقال علي بنُ أبي طالب رضي الله عنه: أي: أقاموا الصلواتِ المفروضاتِ، دليلُه قولُه تعالى: ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٠] وهو كالتفسير لقوله تعالى: ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ [الكهف: ٣٠].

وقال ابنُ عباس رضي الله عنهما: أي: عملوا الصالحات فيما بينهم وبين ربهم.

---

(١) «والتعامل»: سقط من (أ).

(٢) «لأن غير الخالص لا يكون صالحاً»: ليس في (أ)، ولم يرد في المصدر.

وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه: العمل الصالح الذي يكون فيه أربعةُ أشياء: العلمُ والنيَّة والصبر والإخلاص.

وقال سهل بن عبد الله: أي: لَزِموا السنَّة؛ لأن عمل المبتدِع لا يكون صالحاً البتَّة.

وقال بعضهم أي: أدَّوا الأمانات، قال الله تعالى: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا﴾ [الكهف: ٨٢]؛ أي: أميناً.

وقيل: أي: تابوا عن السيئات، قال تعالى: ﴿وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعۡدِهِۦ قَوۡمًا صَٰلِحِينَ﴾ [يوسف: ٩]؛ أي: تائبين[1].

وقيل: أي: أدَّوا الفرائضَ واجتنَبوا المحارِم.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما في روايةٍ: هي الشرائعُ، وهي: الصلاةُ، والزكاةُ، والحجُّ، والصومُ، والاغتسالُ من الجنابة.

وقيل: هي نوعان: أعمالٌ بينك وبينَ العباد؛ كأداءِ الأمانات، والوفاءِ بالعهود، وقضاءِ الحقوق، وصلةِ الأرحام، وأعمالٌ بينك وبينَ الله عزَّ وجلَّ، وهي نوعان: ظاهرةٌ وباطنةٌ، فالظاهرةُ: أداءُ الشرائع، والباطنةُ: صفات القلب؛ كالتوكُّل[2]، والرضا بالقضاء، والصبر في البلاء، والشكر في الرخاء.

ثم هذا تعليقُ البشارةِ المطلَقة بالإيمان والعملِ الصالح، فإن المؤمن المطيعَ له الجنةُ بوعدِ الله تعالى من غيرِ تعذيبٍ، والكافرَ له التعذيبُ المؤبَّد، والمؤمنَ العاصيَ

---

(١) انظر جميع هذه الأقوال في «تفسير الثعلبي» (١/ ١٧٠)، وما بين معكوفتين منه.

(٢) في (أ) و(ف): «التوكل».

في مشيئةِ الله عزَّ وعلا: إنْ شاء غَفر له وأدخله الجنة قبل التعذيب، وإن شاء عذَّبه بذنبه[١] كلَّ عقوبته أو بعضَها ثم أدخله الجنة.

وقوله تعالى: ﴿أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ﴾: هي جمع جنة، وهي البستان، والجُنَّة بالضم: التُّرس، وكذا الـمِجَنُّ، وأصله من: جَنَّ عليه الليل جَناناً؛ أي: ستره، والجنونُ يستر العقل، والجِنَّة بالكسر كذلك، والجِنُّ والجِنَّة مستورون[٢] عن أعين الناس، والجُنَّة والـمِجَنُّ يسترُ اللابس[٣]، والجنَنُ: القبر، وهو يستر الميتَ، والجَنَان: القلب، وهو مستورٌ، والجنينُ: الولد في البطن، وهو مستور.

وأما تفسيرُه[٤]:

فقد قال المفضَّل: الجَنَّة كلُّ بستان فيه نخلٌ، وقيل: فيه شجرٌ، فإن كان فيه كَرْم فهو فردوسٌ.

وقيل: الجَنَّة اسمٌ لبستانٍ جامعٍ فيه النخلُ والعنبُ وكلُّ ثمر؛ قال الله تعالى: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ [البقرة: ٢٦٦]، وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ﴾ [يس: ٣٤]، سُميت بذلك لأنها تَسترُ وتُظِلُّ مَن يكون فيها بما فيها من الشجر، أو لأنها تستر الأرض بظلِّ أشجارها.

---

(١) في (أ): «بقدر ذنوبه».

(٢) في (أ) و(ف): «مستترون».

(٣) في (ر): «الإنس».

(٤) في (أ) و(ف): «تفسيرها».

ثم الجنَّات جمعٌ، وهي ثمانيةٌ[١]، قال ابن عباس رضي الله عنهما: هي[٢] دارُ الجلال، ودارُ القرار، ودارُ السلام، وجنةُ عَدْنٍ، وهي قصبةُ الجنَّة، وهي مشرفةٌ على الجنان كلِّها، وبابُ جنةِ عدنٍ مصراعان من زُمرُّدٍ وياقوتٍ، بين المصراعين كما بين المشرقِ والمغرب، وجنةُ المأوى، وجنةُ الخلد من فضةٍ كلُّها[٣]، وجنةُ الفردوس، وجنةُ النعيم.

قال[٤]: ودارُ الجلال كلُّها من النُّور: مدائنُها وقصورُها وبيوتُها وشُرَفُها وأبوابها ودُرُجها وغرفُها وأعاليها وأسافلُها وخيامُها وأوانيها وحُليُّها وكلُّ ما فيها[٥]، ودارُ السلام كلُّها من الياقوتِ الأحمر، ودارُ القرار كلُّها من المرجان، وجنةُ عدن من الزَّبَرْجَد كلُّها، وجنةُ المأوى من الذهب الأحمر كلُّها، وجنةُ الخلدِ من الفضة كلُّها، وجنةُ النعيم من الزُّمرُّد كلُّها، وجنةُ الفردوس من اللُّؤلؤ كلُّها، وحيطانُها لَبِنةُ ذهبٍ ولَبِنةُ فضةٍ ولبنةُ ياقوتٍ ولبنةُ زَبَرْجَدٍ، ومِلاطُها[٦] المسك، وقصورُها الياقوت، وغرفُها اللؤلؤ، ومصاريعُها الذهبُ، وأرضُها الفضة، وحَصْباؤها المرجانُ، وتُرابها المسكُ، ونباتها الزَّعفرانُ والعَنبر.

وقوله تعالى: ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ﴾ يقال: جَرَى الماءُ يَجْرِي جَرْياً وجِرْيَةً

---

(١) في (أ): «ثمان».

(٢) في (ف): «هن».

(٣) «من فضة كلها»: من (ف).

(٤) في (ر): «قال ابن عباس».

(٥) إلى هنا أورده ابن الجوزي في «بستان الواعظين» (ص: ١٣٠) من طريق ابن وهب عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٦) الملاط: الطين يطلى بِهِ الْحَائِط، وطين يُجْعَل بَين كل لبنتين أَو آجرتين أَو حجرين فِي الْبناء والمرفق. انظر: «المعجم الوسيط» (مادة: ملط). ووقع في (ر): «وبلاطها».

وجَرَياناً؛ أي: سال، وماءٌ جارٍ، ومياهٌ جاريةٌ، وعينٌ جاريةٌ؛ أي: يجري ماؤها، والجارية: السفينة؛ لأن الماء يجري بها، وصدقةٌ جاريةٌ؛ أي: وَقْفٌ دائمُ النَّفعِ، والأرزاقُ الجارية: الدارَّة، وقد أَجْرَى على جنده وأصحابه الأجريات، والجرِيُّ: الوكيل؛ لأنه يجري مَجرى الموكِّل، وجمعُه: الأجرياءُ بفتح الهمزة، والإِجْرِيَّا بكسر الهمزة: العادةُ التي يجري عليها الإنسان.

وقوله تعالى: ﴿مِن تَحْتِهَا﴾ وفي بعضِ الآيات: ﴿تَجْرِى تَحْتَهَا﴾ [التوبة: ١٠٠] بالحذف[1]؛ لِمَا أنه ظرف، والفتحة تدلُّ عليه، وإثباتُ ﴿مِن﴾ للصلة أو لبيانِ أن ابتداء الجريان منه، فإنه لابتداءِ الغاية.

و(تَحْت) بمعنى: سِفْلٍ، وهو اسمٌ ولهذا خُفض بـ(مِن)، ولكنْ يُستعمل استعمالَ الحروف لأنه يفيد المعنى في غيره غالباً فأَشْبَهَ الحرفَ[2]، فلم يَظهر فيه علامة التعريف والتنكير.

وقوله تعالى: ﴿مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ﴾؛ أي: من أسافِلِ أرضها.

وقيل: من تحت أشجارها.

وقيل: من تحت غُرفها.

وقيل: إنها تجري في غير أُخدود.

وفي الآية التي قال: ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَـٰرُ﴾ [الأعراف: ٤٣ ويونس: ٩ والكهف: ٣١] فمعناه: بأمرهم؛ أي: ذاك تحتَ ولائهم وأمرِهم، وهو كقول فرعون: ﴿وَهَـٰذِهِ ٱلْأَنْهَـٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ﴾ [الزخرف: ٥١]؛ أي: بأمري، ومعنى جَرْيِها بأمرهم ما قال

---

(١) في (ر) و(ف): «فالحذف».

(٢) في (أ): «الحروف».

عزَّ وعلا في آيةٍ أخرى: ﴿يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ [الإنسان: ٦]؛ أي: حيث شاؤوا عُلْواً وسُفْلاً.

وقال الإمام أبو منصور: الجنةُ ليست باسمٍ للأرض والبقعةِ خاصةً، بل هي اسمٌ لكل ما يجمع الأشجار والغرائس(١)، فقوله تعالى: ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا﴾؛ أي: من تحت أشجارها وغرائسها(٢) ﴿الْأَنْهَـٰرُ﴾.

قال: وقيل: ﴿مِن تَحْتِهَا﴾؛ أي: حيث يقعُ أبصارهم عليها وهم في العُلو، وذلك أَنْزهُ عند الناس وأحلى وأطيب.

قال: وقيل أيضاً: ﴿مِن تَحْتِهَا﴾؛ أي: من تحت ما علا منها من القصور والغرف، لا تحت الأرض، كقوله عليه السلام: «تحت كلِّ شعرةٍ جنابةٌ»(٣)؛ أي: تحت ما علا لا تحت الجلد(٤).

وقوله: ﴿الْأَنْهَـٰرُ﴾ هي جمع نهر، وهو مَسيل الماء، وقد أَنْهرَ الدَّمَ؛ أي: أسالَهُ، ونَهَرٌ نَهِرٌ؛ أي: كثيرُ الماء. وقيل: سمِّي به لسعته وضيائه، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِى

---

(١) في (أ): «اسم لما يجمع الأشجار والعرائش» وفي (ر): «اسم لتجتمع الجنان والعرائس». وفي «تأويلات أهل السنة»: (ولكن ما يجمع من الأشجار، وما ينبت فيها من ألوان الغروس المثمرة).

(٢) في (أ): «وعرائشها».

(٣) رواه أبو داود (٢٤٨)، والترمذي (١٠٦)، وابن ماجه (٥٩٧)، من طريق الحارث بن وَجيهٍ، عن مالك بن دينار، عن محمَّد بن سيرين، عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا. قال أبو داود: الحارثُ حديثُه منكر، وهو ضعيف. وقال الترمذي: حديث الحارث بن وجيه حديث غريب لا نعرفه إلا من حديثه، وهو شيخٌ ليس بذاكَ.

قلت: وله شواهد، لكنها جميعاً لا تخلو من مقال، فمنها حديث أبي أيوب الأنصاري عند ابن ماجه (٥٩٨) وإسناده منقطع. ومنها حديث عائشة عند أحمد (٢٤٧٩٧) وإسناده ضعيف. ومنها حديث علي عند أبي داود (٢٤٩) وإسناده ضعيف مرفوعاً.

(٤) انظر: «تأويلات أهل السنة» (١/ ٤٠٣).

جَنَّٰتٖ وَنَهَرٖ﴾ [القمر: ٥٤]؛ أي: ضياءٍ وسعةٍ، وسمِّي النهارُ به لسَعَته وضيائه، وقيل: سُمِّي نهاراً لجَرَيان الشمس فيه كجَرَيان الماء في نهره.

وأمَّا تفسيرها:

فقد رُوي عن النبي ﷺ أنه قال: «في الجنةِ بحرُ اللَّبَنِ وبحرُ الماءِ وبحرُ العسلِ وبحرُ الخمرِ، ثم تَشَقَّق الأنهارُ منها بعدُ»[1].

قالوا: وهي الأنهار المذكورة في قوله تعالى: ﴿فِيهَآ أَنْهَٰرٞ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٖ﴾ الآية [محمد: ١٥].

وقيل: النهرُ واحدٌ، ويجري فيه الخمرُ والماءُ واللبنُ والعسلُ لا يخالِط بعضُها بعضاً كما لا يخالط الماءُ العذبُ الأجاجَ المِلْحَ[2] في الدنيا، قال تعالى: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ١٩ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٞ لَّا يَبْغِيَانِ﴾ [الرحمن: ١٩]، وقال تعالى: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا﴾ [النمل: ٦١].

وقال بعضهم: الجاري واحد، ويَختلف باختلافِ المُنْيَة[3]، إنْ تمنَّى أن يكون لبناً كان لبناً، وكذا سائرُها.

وقال بعضهم: الجاري واحدٌ وطبائعُه أربعٌ: طبعُ الماء في إنبات الحياة، وطبعُ اللبن في التربية، وطبعُ العسل في الحلاوة، وطبعُ الخمر في الإطراب، وإنما ذكر الأنهارَ جمعاً على قولِ هؤلاء لكثرة معانيها مع اتِّحاد عينِها، فإذا دخلوا الجنة وقد

---

(١) رواه الترمذي (٢٥٧١) من حديث معاوية بن حيدة رضي الله عنه وقال: حسن صحيح.

(٢) في (أ): «الماءُ العذبُ الماءَ الأجاجَ والملح».

(٣) المنية: ما يتمنى الرجل. ووقع في (ف): «التمنية».

ذاقوا الموتَ وذاقوا[1] النارَ وخافوا وضعُفوا، فأهلُ الجنة[2]سقَوهم الماءَ ليحيَوا ثم إنهم لا يموتون، وسقَوهم اللَّبن ليتربَّوا ثم إنهم لا يَنقصون، وسقَوهم الخمرَ ليَطرَبوا ثم إنهم لا يحزنون، وسقوهم العسل ليَصِحُّوا ثم إنهم لا يَسقمون.

ثم[3] في الجنة عيونٌ أيضاً: عينُ الكافور، وعينُ الزَّنجبيل، وعينُ السَّلسَبيل، وعينُ الرَّحيق ومزاجُه من تسنيمٍ، وهذه الأنهارُ تنبع من عيونٍ في ساقِ العرش.

ورُوي أنه كُتب على ساق العرش عرضاً: بسم الله الرحمن الرحيم، فعينُ الماء تنبعُ من ميم بسم، وعين اللَّبن تنبع من هاءِ الله، وعين الخمر تنبع من ميم الرحمن، وعين العسل تنبع من ميم الرحيم.

هذا منبعُها، وأمَّا مَصبُّها: فكلُّها تنصبُّ في الكوثر، وهو حوضُ النبيِّ ﷺ، وهو في الجنة اليومَ، ويُنقل يوم القيامة إلى العَرَصات لسقي[4] المؤمنين، ثم ينقل إلى الجنة، ويُسقى أهلُ الجنة من هذه الأنهار والعيون بواسطة الملائكة، ويسقيهم الله تعالى الشرابَ الطهور بلا واسطةٍ، قال تعالى: ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ [الإنسان: ٢١].

وقد قال بعضُ أهل المعرفة: إن للهِ تعالى شراباً ادَّخَره لأهل المعرفة، فإذا شرِبوا طَرِبوا، وإذا طرِبوا قاموا، وإذا قاموا هاموا، وإذا هاموا طاشوا، وإذا طاشوا[5] عاشوا، وإذا عاشوا طارُوا، وإذا طارُوا طَلبوا، وإذا طَلبوا وجَدوا، وإذا وجَدوا نزلوا،

---

(١) في (ر) و(ف): «ودخلوا».

(٢) «فأهل الجنة»: زيادة من (ف).

(٣) في (ف): «و».

(٤) في (أ): «ليسقي».

(٥) في (أ): «وإذا هاموا شاطوا وإذا شاطوا».

وإذا نزلوا قرُبوا، وإذا قرُبوا كوشفوا، وإذا كوشفوا شاهَدوا، وإذا شاهَدوا عايَنوا، وإذا عايَنوا أَنِسوا، وإذا أَنِسوا أَبْصَروا.

وقوله تعالى: ﴿كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا﴾: (كلما) كلمةٌ تقتضي عمومَ الأفعال، وكلمةُ (كلّ) تقتضي عموم الذَّوَات، وحقيقتُها: أن كلمة (كلّ) لعمومِ ما دخل فيه، و(ما) مع الفعل المذكورِ بعده بمنزلةِ المصدر، فيقتضي عمومَ ذلك الفعلِ لدخولها فيه، فاقتضَى التكرارَ بهذا الطريق.

وقوله ﴿رُزِقُواْ﴾؛ أي: أُعطوا، وقد بينَّا حقيقةَ هذا في[1] قوله تعالى: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ [الأنفال: ٣].

وقوله: ﴿مِنْهَا﴾؛ أي: من الجنات، و(مِن) في ﴿مِنْهَا﴾[2] لبيان المكان؛ أي: من هذا المكان يرزقون.

وقوله: ﴿مِن ثَمَرَةٍ﴾ (مِن) في هذا للتجنيس.

وقيل: هي زائدةٌ؛ أي: كلما رزقوا ثمرةً، كما قيل في قوله تعالى: ﴿يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ [الأحقاف: ٣١]: (مِن) هذه زائدةٌ؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٥٣].

وقيل: هي للتأكيد، كما في قولهم: ما في الدار من رجلٍ.

وقوله تعالى: ﴿رِّزْقًا﴾ هو خبرُ ما لم يُسَمَّ فاعلُه، وهو مفعولٌ ثانٍ في الحقيقة، أَخبر أنَّ لهم رزقاً في الجنة، وهو كقوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم: ٦٢]، ﴿أُوْلَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ﴾ [الصافات: ٤١]، ﴿إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِن

---

(١) في (ر) و(ف): «من».

(٢) في (ر): «ومن فيها».

نَفَادٍ﴾ [ص: ٥٤]، ﴿يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [غافر: ٤٠]، ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣١]، ﴿قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا﴾ [الطلاق: ١١]، ﴿أَفِيضُوا۟ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾ [الأعراف: ٥٠].

وأَخبر أن لهم ثمراتٍ، ومن صفتِها: ﴿وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ۝٣٢ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ [الواقعة: ٣٢]، ﴿وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ﴾ [الواقعة: ٢٠] ﴿مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ﴾ [الرحمن: ٥٢] ﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ [الرحمن: ٦٨] ﴿فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ۝٢٨ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ﴾ [الواقعة: ٢٨-٢٩] ﴿وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾ [الإنسان: ١٤] والقِطْف: عنقود العنب.

وسأل أعرابيٌّ رسولَ الله ﷺ عن أعنابِ الجنة وعنقودِها فقال: «مسيرةُ شهرٍ للغراب يطيرُ ولا يَفترُ عن طيرانه[١]، ولو اجتمع الخلائقُ على عنقودٍ واحدٍ[٢] لأَشْبَعهم»[٣].

وقد رُوي أنه لا يُقطَع من شجرِ الجنة ثمرٌ إلا نَبتَ مكانه مثلُه.

ورُوي أنه يخرج من حَبَّةِ عنبِ الجنة مثلُ الدُّرَّة، فتَنفلقُ[٤] عن حوراءَ عيناءَ يغلبُ نُورها الشمسَ.

وفي الخبر: أن المؤمن إذا دخل الجنة رأى سبعين ألفَ حديقةٍ، في كلِّ حديقةٍ سبعون ألفَ شجرةٍ، على كلِّ شجرةٍ سبعون ألفَ ورقةٍ، على كلِّ ورقةٍ مكتوبٌ: لا إله إلا الله محمدٌ رسولُ الله، أمَّةٌ مذنبةٌ وربٌّ غفورٌ، كلُّ ورقةٍ عرضُها مِن مَشرِق الأرض إلى مَغْرِبها[٥].

---

(١) في (أ): «الطيران».

(٢) «واحد»: زيادة من (أ).

(٣) رواه بنحوه ابن حبان في «صحيحه» (٧٤١٦) من حديث عتبة بن عبد السلمي رضي الله عنه.

(٤) في (ر) و(ف): «فتنفلق الدرة».

(٥) في (أ): «من شرق الأرض إلى غربها».

وقوله تعالى: ﴿قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ﴾ قال ابنُ مسعود وابنُ عباس ومجاهدٌ وقتادةُ رضي الله تعالى عنهم؛ أي(١): قالوا: هذا الذي رُزقناهُ مِن ثمار الجنة مِثْلُ الذي كنَّا رُزقناه مِن ثمار الدنيا(٢)؛ أي: في الصورةِ والاسمِ، فقد قال ابنُ عباس رضي الله عنهما: ليس في الدُّنيا ممَّا في الجَّنة إلَّا الأسماء(٣)، فأشجارُ الجنَّة مِن الزَّبَرجد والياقوتِ والذهب والفضَّة.

وقال أبو عبيدة ويحيى بنُ أبي كَثيرٍ: ثمارُ الجنَّة إذا جنيتَ مِن أشجارها استُخلفَ مكانها مِثْلُها، فإذا رأوا ما استُخلِف بعد الذي جُني، اشتَبه عليهم فقالوا: ﴿هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ﴾(٤).

وقيل: يُؤتى بالعَشاء مِثْلَ ما كان يُؤتى بالغداة(٥)، فيقولون: ﴿هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ﴾؛ أي: مِثْل ما تقدَّم.

وقيل: معناه: هذا الذي وُعدنا في الدُّنيا أنْ يكون رزقاً لنا في الجنَّة.

وقيل(٦): أي: هذا ثوابُ ما رُزقنا مِن العمل الصالح في الدنيا، فالثوابُ مُضمَر، والإضمارُ جائزٌ كما في قوله تعالى: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢]؛ أي: أهل القرية.

وقوله تعالى: ﴿وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا﴾ هو على ما لم يُسمَّ فاعلُه على قراءة العامة، وقرأ

---

(١) في (ف): «إنهم».

(٢) رواه عنهم الطبري في «تفسيره» (١/ ٤٠٨ ـ ٤٠٩).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٤١٦)، وانظر: «تفسير الثعلبي» (١/ ١٧١).

(٤) رواه عنهما الطبري في «تفسيره» (١/ ٤٠٩ ـ ٤١٠)، وانظر: «النكت والعيون» (١/ ٨٦). وأبو عبيدة هو ابن عبد الله بن مسعود.

(٥) في (ف): «بالغداء».

(٦) «وقيل»: ليست في (أ).

هارون بنُ موسى: (وأَتوا) بفتح الألف على الفعل الظاهر[١]؛ أي: الخَدَمُ أَتوا بالرِّزق، ومعنى القراءة المشهورة: وجِيئوا به؛ أي: الذين آمنوا وعملوا الصالحات الذين دَخلوها.

والمُتَشابِه في اللغة مُتَفاعِل مِن الشِّبْه والشَّبَه، وهما كالمِثْل والمَثَل، والتَّشبيهُ كذلك، والتَّشبيه: التمثيلُ، والمشابَهة: المماثلة، والشَّبَه ـ بفتح الشين والباء ـ الأشباه أيضاً[٢]، والشَّبَه: جوهرٌ يُشبِه الذهبَ، والأمورُ المشتَبِهات[٣]: المُشكلات، والمتشابهات كذلك، وحقيقةُ المتشابه: الذي فيه شَبَهٌ مِن غيره حتى لا يكادُ يتميَّز[٤] مِن غيره، والمتشابهات: المتماثلات، والشُّبهة: ما يُشبه الحلالَ مِن وجهٍ والحرامَ مِن وجهٍ، والشُّبْهة ما يُشبِه الحُجَّة.

وأمَّا تفسيره هاهنا؛ فقد قال الحسن وقتادةُ وابنُ جُريج: معنى التشابهِ: هو التَّماثل في الجودة؛ أي: كلُّه خِيارٌ[٥] يُشبِه بعضُه بعضاً؛ لا رَذْلَ فيه ولا فاسد ولا متغيِّر[٦]، وليس كثمار الدُّنيا التي لا تتشابه لأنَّ فيها خياراً وغيرَ خيارٍ[٧].

وقال ابنُ عباس وابنُ مسعود والربيع بنُ أنس رضي الله عنهم: التَّشابهُ هو التَّماثلُ في اللونِ دونَ الطَّعم، فتكون ثمار الجنَّة في ألوان ثمار الدُّنيا، وإنْ خالَفَتْها في الطَّعم فكانت ألذَّ وأطيبَ[٨].

---

(١) انظر: «المختصر في القراءات الشواذ» (ص: ٣).

(٢) «أيضاً»: زيادة من (أ).

(٣) في (ف): «المشبهات».

(٤) في (ف): «يميز»، وفي (أ): «حتى كاد لا يتميز».

(٥) في (ر): «جياد».

(٦) في (أ): «ولا فاسد ولا تغير»، وفي (ر): «ولا فساد ولا متغير».

(٧) رواه عنهم الطبري في «تفسيره» (١/ ٤١٣). ووقع في (ر) و(ف): «جياداً وغير جياد».

(٨) رواه عنهم الطبري في «تفسيره» (١/ ٤١٤ ـ ٤١٥).

وقال مجاهد ويحيى بنُ سعيد: إنَّها تُشابه ثمارَ الدُّنيا في اللون والطعم جميعاً، أي: هي تُشبه ثمارَ الدُّنيا في لونها وطعمها[١]، وفي ذلك ترغيبُهم في طلبِ ما عرفوه في الدُّنيا بلونه وطعمه.

وقال مجاهد في رواية: أي: يُشْبه بعضها بعضاً في الألوان، ويختلف في الطعوم[٢]، وفي ذلك زيادةُ نشاطٍ لهم حيث وجدوا ممَّا تتَّفق صُوَرها ما تتفاوت[٣] معانيها.

وقال أبو زيد والأشجعيُّ[٤]: التَّشابه في الأسماء دون الألوان والطعوم، فلا تُشبه ثمارُ الجنَّة شيئاً من ثمار الدُّنيا في لون ولا طعم، وإنَّما تتَّفق أساميها لا غير، وفي ذلك ترغيبُهم في وجوه[٥] لذَّات لم يَعهدوها ولا يَقفون على غايتها.

وقيل: معناه: ﴿وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا﴾؛ أي: متماثلاً في كلِّ الأوقات على

---

(١) رواه عنهما الطبري في «تفسيره» (١/ ٤١٥).

(٢) في (أ): «الطعم»، والأثر رواه عنه الطبري في «تفسيره» (١/ ٤١٤ ـ ٤١٥).

(٣) في (ر) و(ف): «تتقارب».

(٤) قوله: «والأشجعي» كذا قال المؤلف، ومثله في «النكت والعيون» للماوردي (١/ ٨٦)، ولعله وهم، والصواب: ابن عباس، وسبب الوهم سياق الطبري في «تفسيره» (١/ ٤١٦) حيث قال: (حدثني أبو كريب، قال: حدثنا الأشجعيّ (ح)، وحدثنا محمد بن بشار، قال: حدثنا مؤمَّل، قالا جميعًا [يعني: الأشجعي ومؤمل]: حدثنا سفيان، عن الأعمش، عن أبي ظَبْيَان، عن ابن عباس، قال أبو كريب في حديثه عن الأشجعي: لا يشبه شيءٌ مما في الجنة ما في الدنيا إلا الأسماء. وقال ابن بشار في حديثه عن مؤمل، قال: ليس في الدنيا مما في الجنة إلا الأسماء). فالخبر كما ترى لابن عباس، لكن قد يوهم ظاهره أنه للأشجعي.

(٥) في (ر) و(ف): «وجود».

الطَّـراوة، وليـس فـي الجنَّة خريفٌ ولا شـتاء ولا ربيعٌ ولا صيـف، ولا حرٌّ ولا برد، ولا نقـصٌ ولا فَقْـد.

وقوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ الزَّوجُ: البَعْلُ في اللغة[1]، والزَّوجةُ البَعْلةُ، والزَّوجُ ذَكَر وأنثى مِن كلِّ حيوان، وهما زوجان أيضاً، وهو في القرآن لأشياء:

للبعل: قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ﴾ [البقرة: ٢٣٠].

وللبعلة: قال الله تعالى: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾ [الأحزاب: ٣٧].

وللذَّكر والأنثى مِن كلِّ حيوان: قال الله تعالى: ﴿فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ﴾ [المؤمنون: ٢٧].

وللشَّفْع مِن كلِّ شيءٍ: قال الله تعالى: ﴿وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ [الذاريات: ٤٩].

وللصِّنْف: قال تعالى: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً﴾ [الواقعة: ٧].

وللَّون: قال الله تعالى: ﴿مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ﴾ [الحج: ٥]؛ أي: لونٍ حَسَنٍ.

وللشِّبه: قال تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا﴾ [يس: ٣٦].

وللقَرين: قال تعالى: ﴿ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ﴾ [الصافات: ٢٢].

وأمَّا تفسيره:

فمعناه: ولهم في الجنات زوجاتٌ؛ وهنَّ نساء الدُّنيا وحُور الجنَّة جميعاً، قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً﴾ الآيات [الواقعة: ٣٥]، وقال تعالى: ﴿وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾ [الدخان: ٥٤] وَعَدهم الجمعَ بينهم وبين الزوجات؛ ليتمَّ لهم الأُنْس والراحات[2]، وتَهْنأَ لهم الجنَّة والأطعمةُ والأشربة والكرامات.

---

(١) بعدها في (أ): «والزوج».

(٢) «والراحات»: من (ر).

وقوله تعالى: ﴿مُطَهَّرَةٌ﴾ الطُّهر والطَّهارة خلافُ الدَّنَس، يقال: فلانٌ طاهرُ الثياب؛ أي: نقيٌّ عن العيب، والتَّطهُّرُ: التنزُّه عن الإثم والقبيح، والتَّطهيرُ: إثبات الطهارة.

وقرأ ابنُ مسعود رضي الله عنه: (مُطهَّراتٌ)[1]؛ لأنَّها نعتُ النِّسوة، وهنَّ[2] جمعٌ، وقراءةُ العامة وهو الذي في مصحفِ الإمام: ﴿مُطَهَّرَةٌ﴾؛ لأنَّ المسموعَ مِن العرب في نعتِ الجمع القليلِ الألفُ والتاءُ، وفي نعتِ الجمعِ الكثيرِ الهاءُ وحدها، يقال: أَحمرةٌ مُستنفِراتٌ، وحُمُرٌ مُستنفِرة، ولأنَّ الأزواجَ جمعُ زوجٍ، وهو مذكَّرٌ في اللفظ، وإنَّما صار مؤنَّثاً بالجمع للحال، فصارت كالواحدة، كقولك: بيتٌ خاوٍ[3]، ثم تقول: بيوتٌ خاويةٌ، ولا يقال: خاوياتٌ، ونقول: دارٌ خاويةٌ، ودُورٌ خاوياتٌ؛ لأنَّ الواحدةَ كانت مؤنَّثة، وهذه جماعة المؤنَّثات.

وإنَّما قال: ﴿مُطَهَّرَةٌ﴾، ولم يقل: طاهرة؛ لأنَّ المُطهَّرةَ أبلغُ، فإنَّ طاهرة تدلُّ على طهارتها، والمُطهَّرة تدلُّ على أنَّ اللهَ هو الذي مَنَّ بتطهيرها، ولأنَّ التفعيلَ للتكثير، فيدلُّ على أنواع التطهير، ولأنَّ التفعيلَ للنسبة والوصف فيدلُّ على أنَّهنَّ الموصوفاتُ بها المنسوباتُ إليها، ولأنَّها إنْ جُعلت في أوصاف نساءِ الدُّنيا دلَّت على أنَّهنَّ جُعلن كذلك[4] في العُقبى وإنْ كنَّ غيرَ ذلك في الدُّنيا، وإنْ جُعلت في صفةِ الحُور العِين، فمعناه أنَّهنَّ خُلقنَ كذلك، وأبداً يبقَين كذلك.

---

(١) نسبها الزمخشري في «الكشاف» (١/ ١٣٩) لزيد بن علي.

(٢) في (أ) و(ر): «وهي».

(٣) في النسخ: «خاوي» والمثبت هو الجادة.

(٤) في (ر): «جعلت ذلك»، وفي (ف): «جعلن لذلك».

وأمَّا التفسيرُ:

فقد قيل: مُطهَّرات الأبدان في الخِلْقة، فهنَّ مِن المِسك والكافور والعنبر والزَّعفران، لا مِن التراب والمَنِيِّ والعَلَقة.

وقيل: مُطهَّرات الأبدان في الحال، فليس تحتَ الجلود دمٌ ولا قيحٌ، ولا في البطونِ ما في بطون البشر.

وقيل: مُطهَّرات الأبدان عن الأمراض والأَعراض؛ مِن الوَرَم والدَّرَن والصُّداع وسائرِ الأوجاع.

وقيل: مُطهَّرات الأبدان عن الولادة، وهو قول يمان بنِ رئاب[1].

وقيل: مُطهَّرات الأبدان عمَّا يَخرج منها؛ مِن بولٍ أو مَنِيٍّ أو غائطٍ أو حيضٍ أو نفاسٍ أو مخاطٍ أو بلغمٍ.

وقيل: مُطهَّرات الأفعال؛ فلا يُصاحبن ولا يُجادِلن، ولا يَعترضن ولا يُعْرِضن، ولا يُغلِظن القولَ، ولا يُسِئن الفعلَ، ولا يَنشُزن.

وقيل: مُطهَّراتُ الأخلاق؛ فلا يَحسدن ولا يَحقدن ولا يُبغضن ولا يَغِرْن.

وقيل: مُطهَّراتٌ عن استرابة القلوب بهنَّ؛ فلا يَمِلن إلى غيرِ أزواجهنَّ، ولا يقعُ في قلوب الرجال ما يُنفِّر طباعهم عنهنَّ.

وقوله تعالى: ﴿وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ الخلودُ: البقاءُ لغةً، والإخلادُ: الإقامةُ والركون أيضاً، وحقيقةُ الخلودِ: الدَّوامُ مِن وقتٍ مُبتَدأ، ولهذا لا يجوز أنْ يُقال لله تعالى: إنَّه[2] خالد؛ لأنَّه قديمٌ أزليٌّ لا ابتداءَ له.

---

(١) في النسخ: «رباب»، والمثبت هو الصواب.

(٢) «أنه»: من (أ).

وتفسيره: وهم في الجنَّات باقون دائمون مقيمون، لا يموتون ولا يخرجون، والبقاء الأبديُّ في الجنَّة لأهلها وفي النار لأهلها، قولُ جميعِ أهلِ الإسلام.

وقال جَهْمٌ ـ لَعَنه اللهُ تعالى ـ: إنَّ الجنَّة والنار يَفنيان؛ لأنَّ البقاءَ الأبديَّ لله وحده[١].

ودليلُنا: قوله تعالى: ﴿وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٥] وقولُه تعالى: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [النساء: ٥٧] وقولُه تعالى: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ﴾ [الدخان: ٥٦] وقولُه تعالى: ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر: ٤٨] وقولُه تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ﴾ [العنكبوت: ٦٤] وقولُه تعالى: ﴿لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ [الواقعة: ٣٣]، ولأنَّ أهلَ الجنَّة لو عَلموا بالزوال لكانوا في أشدِّ عقوبة، ولو أنَّ[٢] أهلَ النار عَلموا بالفَناء لكانوا في أتمِّ راحة؛ فيصير الثواب عقاباً والعقابُ ثواباً.

وجواب قولهم: أنَّ اللهَ تعالى باقٍ بذاته[٣]، وبقاء الجنَّة والنار وأهلِهما بإبقاء اللهِ تعالى، فلا مشابهة.

* * *

---

(١) انظر: «التبصير في الدين» لأبي المظفر الإسفراييني (ص: ١٠٨).

(٢) «لو أن»: ليست في (أ).

(٣) أي: قولهم: «لأنَّ البقاءَ الأبديَّ لله وحده» جوابه: «أنَّ اللهَ تعالى باقٍ بذاته...»، وفي (ر): «لذاته».

التيسير في التفسير

تأليف الإمام

أبي حفص النسفي

نجم الدين عمر بن محمد بن أحمد النسفي الحنفي

(٤٦١ - ٥٣٧ هـ)

يطبع أول مرة محققاً على ثلاث نسخ خطية

تحقيق وتعليق

ماهر أديب حبوش — فادي المغربي

المجلد الثاني

دار اللباب

بسم الله الرحمن الرحيم

التَّيسِير

في

التَّفسِير

(٢)

حُقوق الطّبع محفُوظَة

الطبعَة الأولىٰ

١٤٤٠هـ-٢٠١٩م

يُمنع طباعةُ هذا الكتاب أو ترجمته أو تصويرُه ورقياً أو إلكترونياً

إلا بإذن خطي من الدار الناشرة

تحت المُساءلة الدُّنيوية والأُخروية

9 786052 279311

دَارُ اللُّبَاب

للدِّرَاسَاتِ وَتَحْقِيقِ التُّرَاثِ

DAR-ALLOBAB

Lubab Yazma Eserleri İhya ve İlmi Araştırma Yayınları

اسطنبول - تركيا

00905454729850

00902125255551

info@allobab.com

بيروت - لبنان

009615813966

0096170112990

Www.allobab.com

İskenderpaşa mh. Kıztaşı cd. No:7 D:5 Fatih (Özel Fatih Hastanesi Karşısı)

سورة البقرة

(٢٦) ـ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ﴾.

وقولـه تعالـى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ انتظـامُ هـذه الآيـة بمـا قَبْلها مِـن ثلاثـة أوجهٍ:

أحدها: أنَّ اللهَ تعالى ذَكَرَ الكفَّار في أوَّل هذه السورةِ، ودَعَاهم إلى الإيمان بقوله تعالى: ﴿ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ﴾، وأَقام الدلالةَ عليه بتخليقه الأشياءَ، وأَثبتَ رسالةَ نبيِّه[1] وحقِّيَّةَ[2] كتابه، وعَجْزَ أصنامهم؛ إذ قال: ﴿وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٣] ولم يُمْكِنْهم ذلك، فعرَّفهم عَجْزَ الأصنام فقال: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ﴾ الآية [العنكبوت: ٤١]، وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا﴾ [الحج: ٧٣] فقال السفهاءُ منهم: ليس هذا مِن كلام الله تعالى، فلا يليقُ بجلاله[3] ذِكْرُ هذه الأشياء الحقيرة، فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ وهو العنكبوتُ والذُّباب.

---

(١) بعدها في (ر): «محمد ﷺ».

(٢) في (ر): «وحقيقة».

(٣) في (أ) و(ف): «بحاله».

والثاني: أنَّه ذكَر المنافقين بعد الكفَّار، وذكَر لهم مَثلين؛ ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ [البقرة: ١٧]، ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ﴾ [البقرة: ١٩]، ودَعاهم إلى الإخلاص بقوله: ﴿ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ﴾ [البقرة: ٢١]، وبيَّن لهم دليلَ صحَّة دعوى الرَّسولِ وحقيَّةِ[1] الكتاب، وقال: ﴿وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم﴾ [البقرة: ٢٣]؛ أي: أَعوانكم وأَنصاركم، وهم الذين سَبَق ذِكْرُهم ﴿وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ﴾ [البقرة: ١٤] وعجزوا، فقال: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ﴾ وهم هؤلاء[2] ﴿كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ﴾ [العنكبوت: ٤١]، قال سفهاؤهم: ما هذا مِن كلام الله تعالى، فأَنزل اللهُ تعالى هذه الآيةَ ردًّا عليهم.

والثالث: أنَّه لمَّا أَوْعَد الكفَّارَ بالنار، وبشَّر المؤمنين بالجنَّة، قالوا: لا يُعذَّبُ بالنار غيرُ الكفَّار[3]، ولا يَنال الجنَّةَ إلَّا مؤمنٌ عَمِل كلَّ الصالحات، فنزل قوله: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧]؛ أي: مِن ثواب الجنَّة، ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾؛ أي: مِن عقاب النار، والذَّرَّةُ: هي النملةُ الصغيرة، قال السفهاءُ: لا يَليق بالله ذِكْرُ النَّملة، فنزلت هذه الآيةُ.

وقوله: ﴿يَسْتَحْىِۦٓ﴾ هو يَسْتَفعِل مِن الحياء؛ وهو في اللغة: اتِّقاء ظهورِ العَورة.

وقيل: هو الانقباضُ عن الشيء والامتناعُ عنه خوفاً من[4] مُواقَعة القبيح، وقد حَيِيَ يَحيى حياءً[5]، مِن حدِّ: عَلِم، فهو: حَيِيٌّ، والحياءُ: الفَرْجُ؛ لأنَّه يُستحْيَى مِن إظهارِه، وحاصلُ الحياء هو التَّرْك، فإنَّ مَن استَحْيى مِن شيءٍ تَرَكه.

---

(١) في (ر) و(ف): «وحقيقة»، وكلمة «دعوى» ليست في (أ) و(ف).

(٢) «وهم هؤلاء» ليست في (أ).

(٣) في (ف): «الكافر».

(٤) في (أ): «عن».

(٥) في (ر): «حياة».

وقد ورد ذِكْر الحياءِ في صفة الله تعالى إثباتاً ونفياً، قال النبيُّ ﷺ: «إنَّ اللهَ حَييٌّ كريمٌ؛ يَستحيي أنْ يرفعَ العبدُ إليه يديه، فيردَّهما صِفْراً»(١).

وقال عليه الصلاة والسلام: «يقول اللهُ تعالى: الشَّيْب نُوري، وأَنَا أَستحيي أنْ أُحرقَ نوري بناري»(٢).

وأمَّا النفيُ؛ ففي قوله تعالى: ﴿إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ ۖ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [الأحزاب: ٥٣] وقال هاهنا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا﴾، ومعناه: الترك، فإنَّ مَن اتَّقى ظهورَ عيبه بشيءٍ تَركه، وكذا مَن خافَ مواقعة قبيحٍ تَركه، فإذا كان اللهُ تعالى يَستحيي مِن ردِّ العبد خائباً، فمعناه أنَّه يَتركُ حرمانَه، فإذا(٣) قال: لا يستحيي مِن الحقِّ، فمعناه: لا يَتركُ بيانَه.

وهذا هو الوجه في كشف الكلمات الموهِمة: أنَّك تعتبر حاصلَ ذلك فتفسِّرُه به.

وهذا كالعَجَب مِن الإنسان، فعجَبُه مِن آخَرَ يكون مِن أحدِ شيئين: مِن إساءةِ مَن كان أحسنَ هو إليه فتعجَّب منه، ومِن إحسانِ أجنبيٍّ إليه لم يَكن منه إليه إحسانٌ فتعجَّب منه، وذاك بظهورِ ما لم يكن عنده أنَّه يَظهر كذلك، وهذا لا يجوز على الله تعالى؛ لأنَّه عَلِم الأشياءَ كلَّها، وعَلم ما يكون قَبْل أن يكون أنَّه إذا كان كيف يكون، ولكنْ حاصلُ هذه الكلمة هو غايةُ الرِّضا أو غايةُ الكراهة، واللهُ تعالى إذا ذُكر منه

---

(١) رواه أبو داود (١٤٨٨)، والترمذي (٣٨٧٢)، وابن ماجه (٣٨٦٥)، من حديث سلمان الفارسي مرفوعاً، قال الترمذي: حديث حسن غريب.

(٢) رواه الديلمي كما في «المقاصد الحسنة» (١١٣٦)، وعنه السلفي في «معجم السفر» (٢٣٢)، وأشار الذهبي في «ميزان الاعتدال» ـ ترجمة دينار أبي مكيس الحبشي ـ إلى وضعه.

(٣) في (أ): «وإذا».

العجَبُ، فإنَّما يُراد به أحدُ هذين اللَّذَيْن هما الحاصلُ، ففي قوله عليه الصلاة والسلام: «إنَّ اللهَ ليَعجبُ مِن الشابِّ ليست له صَبوةٌ»[1] هو غايةُ الرِّضا.

وفي قوله تعالى: ﴿بل عَجِبتُ﴾ بالضَّمِّ[2] ﴿وَيَسْخَرُونَ﴾ [البقرة: ٢١٢] هو غايةُ الكراهة، وعلى هذا نظائرُه.

ثم الإثباتُ والنفيُ معاً في صفةٍ واحدةٍ لا يَرجع إلى ذاتِ اللهِ تعالى، فإنَّ ما أثبت الله تعالى له لم يَجز نفيُه عنه، وما نُفيَ عن الله تعالى لم يَجز إثباته له، وإنَّما يَرجع ذلك إلى ما يقعُ عليه ذِكْر هذه الصفات[3]، وهو كقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨] نفَى المغفرةَ في حقِّ مَن يُشرك، وأَثبتها في حقِّ مَن لا يشرك، وذلك يَرجع إلى ذنبِ المشرك وذنبِ[4] غير المشرك لا إلى ذاتِ الله تعالى، وكذا قوله: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وكذا قولهم: «ما شاءَ اللهُ كان وما لم يَشأ لم يكن»[5].

ثم قوله: ﴿لَا يَسْتَحْيِۦٓ﴾ قيل في تفسيره: لا يَترك ضربَ المَثَل بالبعوضة.

وقيل: أي: لا يَمتنِع عنه.

وقال قتادةُ وجماعة: هو في مشركي مكَّة[6]؛ بدليل أنَّه ذكر مثلُ هذا في سورة

(١) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (١٧٣٧١)، وأبو يعلى في «مسنده» (١٧٤٩)، من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه.

(٢) هي قراءة حمزة والكسائي، وقرأ الباقون بالفتح. انظر: «السبعة» (ص: ٥٤٧)، و«التيسير» (ص: ١٨٦).

(٣) في (أ) و(ف): «الصفة».

(٤) في (ر) و(ف): «دين المشرك ودين».

(٥) قطعة من حديث رواه أبو داود (٥٠٧٥) عن بنت النبي ﷺ مرفوعاً.

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٤٢٤).

المدَّثر وهي مكِّيّة، قال تعالى: ﴿وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًاۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ﴾ [المدثر: ٣١] وقال هاهنا[١]: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا﴾.

ثم تلك مِن أوائل الوحي وفي حقِّ مشركي مكَّة، فكذا هذا.

وقيل: هو في حقِّ منافقي أهلِ المدينة مِن أهل الكتاب؛ بدليلِ أنَّه قال: ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٧] وهذه[٢] صفةُ المنافقين مِن أهل الكتاب؛ فقد قال تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ﴾ [النساء: ١٥٥] ولأنَّ سورةَ البقرة مدنيَّة.

وقيل: يجوز أن يكون نزولُ الآية في الفريقين جميعاً؛ فقد سَبق ذكرُ الكفار والمنافقين في صدر السورة، وقال أيضاً في سورة المدَّثر: ﴿وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ وهم أهل النفاق، وقال: ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ﴾ وهم أهلُ الشرك.

ثم إنَّ الله تعالى بيَّن أنَّه لا يَترك ضربَ المثل بقول المنافقين والكفار[٣]، فلا تَتركْ أنتَ قولَ الحقِّ بقول الفجَّار، وذكر أنَّه يَستحيي مِن إحراق النور بالنار، فاستحِ أنتَ مِن مخالفة الملِك الجبَّار.

وقوله تعالى: ﴿أَن يَضْرِبَ مَثَلًا﴾؛ أي: يبيِّنَ، والضَّرْبُ في القرآن لمعانٍ:

للإيلام مِن غير خَدْشٍ ولا جَرحٍ: قال تعالى: ﴿وَٱضْرِبُوهُنَّ﴾ [النساء: ٣٤].

وللضَّرْب مِن غير إيلامٍ: قال تعالى: ﴿أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ﴾ [الأعراف: ١٦٠].

---

(١) في (ر): «وأما هاهنا فقال».

(٢) في (ف): «وهذا».

(٣) في (أ): «ضرب المثل الحق بقول الكفار».

ولقليلِ الإيلام: قال تعالى: ﴿فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ﴾ [ص: ٤٤].

وللقَطْع: قال تعالى: ﴿وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ [الأنفال: ١٢].

وللحَزِّ والإزهاق: قال تعالى: ﴿فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ﴾ [الأنفال: ١٢].

وللكَسْر: قال تعالى: ﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ﴾ [الصافات: ٩٣].

ولتعذيبِ الملائكةِ الكفَّارَ عند الموت: قال تعالى: ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ﴾ [الأنفال: ٥٠].

ومِن المجاز فيه: ﴿وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [المزمل: ٢٠]: هو السَّير؛ وفيه ضَرْبُ الرِّجْل على الأرض.

وقولُه: ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا﴾ [الزخرف: ٥]: هو الصرف، وتقديره: أَفنُهْمِلُكم فلا نعرِّفكم ما عليكم ﴿أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ﴾، وأصله في الراكب إذا أَراد أنْ يَصرف مركبَه عن جهته يضربه[1] ليَعْدلَه، فوُضع الضَّرْبُ موضعَ الصَّرْف.

وقولُه تعالى: ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ﴾ [الكهف: ١١]؛ أي: أَنمناهم ومَنَعناهم السماعَ؛ وهو مِن ضَرْبِ الحجابِ على الأُذن في التقدير.

وقولُه تعالى: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ [النور: ٣١]؛ أي: ولْيُرخينَ مقانِعَهنَّ فوقَ جيوبهنَّ عند صدورهنَّ للسَّتْر[2].

وقولُه: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ﴾ [الحديد: ١٣]؛ أي: أُظهِر.

وقولُه تعالى: ﴿فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا﴾ [طه: ٧٧]؛ أي: حدَّا[3].

---

(١) في (أ): «ضربه» وفي (ر): «بضربه».

(٢) في (أ) و(ف): «للتستر».

(٣) في (أ): «أي حد طريق».

وقولُه تعالى: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ﴾[١] [البقرة: ٦١] أي: وُظِّفت[٢] عليهم الجزية.

وقولُه تعالى: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ﴾ [النحل: ٧٤]؛ أي: لا تَصفوا لله الأشكال.

وقولُه: ﴿كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ﴾ [الرعد: ١٧]؛ أي: يُمثِّل.

وقولُه: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا﴾ [الكهف: ٣٢]؛ أي: واذكُر.

وقولُه: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا﴾ [إبراهيم: ٢٤]؛ أي: بيَّن، وهاهنا أيضاً معناه البيانُ بإجماعِ أهلِ التفسير.

و﴿مَثَلًا﴾ مرَّ تفسيره في قوله ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ [البقرة: ١٧].

وقوله: ﴿مَّا بَعُوضَةً﴾ في القرآن[٣] (ما) تجيء على عشرة أوجهٍ:

للنفي: ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ﴾ [فاطر: ١٩].

وللجحد: ﴿مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ﴾ [المائدة: ١٩].

وبمعنى (الذي): ﴿وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ﴾ [غافر: ١٩].

وبمعنى (مَن): ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا﴾ [الشمس: ٥].

وللمصدر: ﴿بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى﴾ [يس: ٢٧].

وللاستفهام: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ﴾ [المدثر: ٤٢].

وللشَّرْط: ﴿وَمَا يَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ﴾ [آل عمران: ١١٥].

---

(١) «والمسكنة»: من (ف).

(٢) في (ر): «وضعت».

(٣) «في القرآن»: ليست في (أ) و(ف).

وللوقت: ﴿مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ [مريم: ٣١].

وللتعجُّب: ﴿مَآ أَكْفَرَهُۥ﴾ [عبس: ١٧].

وللصِّلَة: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

و﴿**بَعُوضَةً**﴾: هي مِن صغار البَقِّ، والبَعضُ مِن الشيءِ: طائفةٌ منه، وتبعيضُ بعضُ الشيءِ: تجزئتُه، وكأنَّ البعوضةَ بعض البقَّة؛ لصِغَرها.

وكلمة (ما) تصلُح صلةً زائدةً مؤكِّدة، وتصلُح اسماً، وبيانُه في باب[1] بيانِ إعرابِ (بعوضة)، وهي منصوبةٌ في القراءة الظاهرة، وقال النحويون: ويَجوز فيها الرَّفع، وأمَّا النصبُ فلوجوه ثلاثة:

أحدها: أنَّ (ما) زائدة مؤكِّدة، معناها: حقًّا، وتقديره: أنْ يَضرب بعوضةً مثلاً حقًّا، ولا إعراب لـ(ما)، والخافض والناصب يتخطَّاها إلى ما بعدها؛ قال الله تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

والثاني: أن يكون (ما) اسماً نكرةً منصوبة، و(بعوضةً) صلةً وصفةً لها تابعةً للموصول في إعرابه، وتقديرُه: أنْ يضربَ مثلاً شيئاً، يعني[2]: أيَّ مثلٍ أراد بعوضةً فما فوقها.

والثالث: أن يكون نصباً على نَزْعِ الخافض، ومعناه: أنْ يَضرب مثلاً مّا بين بعوضةٍ إلى ما فوقها، بنزع[3] (بَيْنَ) مِن الأول و(إلى) مِن الثاني، فانتصَبا بنزعِ الخافض، وهو كقولهم: مُطِرنا ما زُبالةَ فالثَّعلبيَّةَ، يعني: ما بينَ زبالةَ إلى الثعلبيَّةِ[4].

---

(١) «باب»: زيادة من (أ).

(٢) «يعني»: سقط من (ف).

(٣) في (أ) و(ف): «فنزع».

(٤) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٢٢)، وفيه: والعربُ إذا أَلْقَتْ (بَيْنَ) مِن كلام تصلُح (إِلَى) في =

وأمَّا الرفعُ فبإضمارِ (هو)، تقديره: أنْ يَضربَ مثلاً الذي هو بعوضةٌ، والإضمارُ جائزٌ، قال الشاعر:

فكفَى بنا شرفاً على مَن غيرنا ... حبُّ النبيِّ محمَّدٍ إيَّانا[1]

ينشَد (غير) بالرَّفع والخفض.

وقال الربيع بنُ أنس: ضَربُ المَثَلِ بالبعوضة عبرةٌ لأهل الدُّنيا؛ فإنَّ البعوضةَ تَحيا ما[2] جاعت، وتموتُ ما[3] شَبعت، فكذا صاحبُ الدُّنيا إذا استغنى طغى وأحاط به الرَّدى[4].

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: والأعجوبةُ في الدِّلالة على وحدانيَّة الله تعالى وربوبيَّته في خَلْقِ الصغيرِ مِن الجُثَّةِ والجسمِ أكثر مِن الكبار منها والعِظام؛

= آخره؛ نَصبوا الحرفين المخفوضين اللَّذين خُفض أحدهما بـ (بَيْنَ) والآخر بـ (إلى)، فيقولون: مُطِرْنا ما زُبالَةَ فالثَّعْلبيةَ. اهـ. وزبالة والثعلبية موضعان بمكة. «معجم البلدان».

(١) عزاه الفراء في «معاني القرآن» (١/ ٢١) لحسان بن ثابت رضي الله عنه، وفي «الكتاب» (٢/ ١٠٥) نسبته للأنصاري، قال الأعلم في «شرح شواهد الكتاب» (ص: ٢٧٩): الأنصاري حسان رضي الله عنه. وعزاه ابن السيد في «الحلل» (ص: ٣٨٣) لكعب بن مالك، وفي «شرح المفصل» لابن يعيش (٤/ ١٢) لحسان أو لكعب أو لعبد الله بن رواحة، وقال الأعلم: ويقال: إنه لبشر بن عبد الرحمن بن مالك الأنصاري، وهو الصحيح، ذكر ذلك أبو زيد، والشاهد فيه حمل (غير) على (مَن) نعتاً لها لأنها نكرة مبهمة. اهـ. قلت: فعلى ذلك هي مجرورة، ويروى برفع (غير) على تقدير: (على مَن هو غيرُنا)، فـ(مَن) موصولة، والعائد محذوف. انظر: «المغني» لابن هشام (ص: ٤٣٢)، و«شرح شواهد المغني» للسيوطي (١/ ٣٣٧).

(٢) في (أ): «إذا».

(٣) في (أ) و(ف): «إذا».

(٤) رواه عنه الطبري في «تفسيره» (١/ ٤٢٣ ـ ٤٢٤).

لأنَّ الخلائقَ لو اجتَمعوا على تصوير صورةٍ مِن نحو البعوض والذُّباب وتركيبِ ما يحتاج إليه مِن الفم والأنف والعين والرِّجل واليد والمَدخل والمَخرج، ما قدَروا عليه، ولعلَّهم يقدرون على تصوير العظام مِن الأجسام الكبار منها[1].

وقال غيرُه: إنَّ اللهَ تعالى قوَّى قلوبَ ضعفاء الناس بذِكْر ضعفاءِ الأجناس، وعَرَّف الخلقَ قدرتَه في خَلْق الضعفاء على هيئاتِ الأقوياء؛ فإنَّ البعوضَ على صِغَره بهيئة[2] الفِيْل على كِبَره، وفي البعوض زيادةُ جناحَيْن، فلا يُستبعَد مِن كرمه أنْ يعطيَ على قليلِ العمل ما يُعطي على كثيرِ العمل مِن الخلقة، كما أَعطى صغيرَ الجثَّة ما أَعطى كبير الجثَّة مِن الخلقة، ومِن العجيب أنَّ هذا الصغيرَ يؤذي هذا الكبيرَ فلا يَمتنعُ منه، ومِن لُطف اللهِ تعالى أنَّه خَلَق الأسدَ بغاية القوَّة، والبعوضَ والذُّبابَ بغاية الضَّعف، ثم أَعطى البعوضَ والذُّبابَ جراءةً أَظهرها في طيرانهما في وجوهِ الناس وتماديهما في ذلك، مع مبالغةِ الناس في ذبِّهما بالمِذَبَّة، وركَّب الجُبْنَ في الأسد وأَظهر ذلك بتباعُده عن مساكن الناس وطُرقِهم، ولو تَجاسر الأسدُ تجاسُرَ الذُّبابِ والبعوضِ، لهلك الناسُ، فمنَّ اللهُ تعالى وجعلَ في المتجاسر[3] الضعفَ، وفي القويِّ الجبنَ، وهو العزيزُ الحكيم.

وقال القشيريُّ رحمه الله تعالى: الخَلْقُ في التحقيق بالإضافة إلى قُدرة الخالق[4] أقلُّ مِن ذرَّةٍ مِن الهباء في الهواء، وسيَّان في قدرته البعوضة والعرش[5]،

---

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة والجماعة» (١/ ٤٠٦ ـ ٤٠٧).

(٢) في (أ): «كهيئة».

(٣) في (أ) و(ف): «التجاسر».

(٤) في (أ): «الحق».

(٥) في هامش (ف): «سيان في قدرته خلق العرش وخلق البعوض».

فلا خَلْقُ العرش عليه أعسرُ، ولا خَلْق البعوضة عليه أيسر، فإنَّه سبحانه متقدِّس عن لحوقِ العُسر واليُسر[١].

وقوله تعالى: ﴿فَمَافَوْقَهَا﴾ الفوقُ: العُلو، يقال: فاقَهُ: غَلَبه وعَلَاه[٢] وصار فوقَه، وانتصابه لِمَا مرَّ في قوله تعالى: ﴿بَعُوضَةً﴾[٣].

وأمَّا تفسيره:

فقد قال قتادة وابنُ جريج: معناه: فما فوقها في الكِبَر[٤].

وقال أبو عبيدة: معناه: فما دونها في الصِّغَر[٥].

والكلمة مِن الأضداد، كالوَراء يكون للخَلْف والأَمام؛ قال تعالى: ﴿وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا﴾ [الإنسان: ٢٧]، والصَّريم يكون للنهار والليل، والقرءُ يكون للحيض والطُّهر.

وقال أهلُ التحقيق: أي: فما فوقها في الصِّغَر؛ لأنَّ الغرضَ المطلوبَ هاهنا هو الصِّغَرُ، والكلمة مِن قولهم: فاقَ فلانٌ كذا؛ أي: جاوَزه، والمجاوزةُ نوعان؛ بالصِّغَر وبالكِبَر، فإنْ ذُكر شيءٌ على وجه التصغير، فما ذُكر بعده بهذه الكلمة عُرف أنَّه أُريد به مجاوزتُه إيَّاه في الصِّغَر، وإنْ ذُكر على وجه التكبير، عُرف أنَّه أُريد مجاوزتُه إيَّاه في الكِبَر، وهو متعارَف؛ تقول: فلانٌ صغيرُ القَدْر قليلُ الخير، فيقال: هو فوق ذلك.

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٧١).

(٢) في (ر): «الفوق والعلو بمعنى يقال أبى عليه وعلاه».

(٣) في هامش (ف) حاشية: «الرفع والنصب بناء على ما يقتضيه العامل لا أنهما عمله».

(٤) انظر: «النكت والعيون» (١/ ٨٨).

(٥) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١/ ٣٥).

قالوا: والجمع بين المعنيين بوصفٍ واحدٍ أَولى مِن الحمل على الضِّدَّين؛ لأنَّ الكلامَ للإفهام، وفي دلالة اللفظِ الواحدِ على الضِّدَّين حملٌ على الإبهام، وحملوا على ذلك جميعَ ما ورد من الألفاظ الواقعة على الضِّدَّين في الكلام، وقالوا: الوراء: ما وراءك خَلْفاً كان أو أماماً، والصَّريم الوقتُ المنصرمُ ليلاً كان أو نهاراً، والقرء: الوقتُ المعتاد طهراً كان أو حيضاً، والفوق: المجاوز عن الشيء صغيراً كان أو كبيراً[١].

وإذا حمل على المجاوزة في الصِّغَر؛ فمعناه: أنَّ اللهَ تعالى لا يَمتنع عن بيان الحقِّ بضَرْب المَثَل بالبعوضِ الذي هو نهايةٌ في الصِّغَر عندكم، وبما هو دونَه في الصِّغَر ممَّا هو في علمِ الله تعالى وقدرته وإنْ لم يَرَهُ أحدُكم بمشاهدته.

وإذا حمل على المجاوزة في الكِبَر؛ فقد قيل: أي: بالفيل الكبير، فإنَّهما يتماثلان صورةً؛ لكن هذا يطير وذاك[٢] يسير، وهذا يأْلَفُ وذاك يَنفِرُ، وهذا يُؤذيك ويستولي عليك، وذاك تقهَرُه أنتَ وتستولي عليه.

ومِن العجيب[٣] عَجْزُك عن هذا الضعيف الصغير، وقدرتُك على ذلك الكبير.

ومِن الأعاجيب: أنَّ هذا الضعيفَ إذا طار في وجهك ضاقَ به قلبُك، وتنغَّص به[٤] عيشُك، وفسد عليك بستانُك وكَرْمُك.

وأعجبُ منه: جرأتُك مع ضعفك على ما يورثُك العارَ ويوردك النارَ، فإذا كان

---

(١) في (أ): «صغراً كان أو كبراً».

(٢) في (ر) و(ف): «وهذا».

(٣) في (ف): «العجب».

(٤) «به»: ليست في (أ) و(ر).

جَزَعك هذا مِن البعوض في الدُّنيا، فكيف حالُك إذا تسلَّطَتْ[١] عليك الحيَّاتُ والعقاربُ في لظى؟!

وقيل: ﴿فَمَا فَوْقَهَا﴾؛ أي: العنكبوت والذُّباب، فقد كان ذكرهما قَبْل ذلك على ما ذكرنا، وللعنكبوت خَطَرٌ عظيمٌ وأمرٌ جسيمٌ، فقد دَفع اللهُ تعالى به قصدَ الكفار عن النبيِّ المختار وصاحبِه في الغارِ، على ما عُرِف في الأخبارِ[٢].

وقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ﴾ (أمَّا) كلمةُ تفصيلٍ ولا بدَّ لها مِن جوابٍ، وجوابها بالفاء، وهي أداةٌ رافعةٌ للأسماء إلَّا إذا كان بعدها أمرٌ أو نهيٌ فتنصب، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ [الضحى: ٩] وتَجيء مكرَّرة، قال اللهُ تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [البقرة: ٢٦] وكذا في كلِّ موضع.

والحقُّ نقيضُ الباطل، والحقُّ: الواجبُ، والاستحقاقُ: الاستيجابُ.

والحقُّ: الصِّدْقُ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ [يونس: ٥٥].

والحقُّ: الكائنُ في قوله: ﴿وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا﴾ [الكهف: ٩٨].

والحقُّ: أَخْذُ الحقوق في قوله تعالى: ﴿وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٤١].

والحقُّ: الغايةُ في قوله: ﴿حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، و﴿حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾ [الحج: ٧٨]، و﴿حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ [الأنعام: ٩١].

---

(١) في (أ): «سلطت».

(٢) قصة نسج العنكبوت رواها الإمام أحمد في «المسند» (٣٢٥١) بإسناد ضعيف، وانظر الكلام عليه في حاشية «المسند».

والحقُّ: العدلُ في قوله تعالى: ﴿فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾ [ص: ٢٦].

والحقُّ: العذابُ في قوله تعالى ﴿قَالَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ﴾ [الأنبياء: ١١٢].

والحقُّ: الحاجةُ في قوله تعالى: ﴿مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ﴾ [هود: ٧٩].

وأمَّا التفسيرُ:

فمعناه: فأمَّا الذين اعتقدوا بقلوبهم دينَ الحقِّ وأقرُّوا بألسنتِهم بذلك، فيعلمون أنَّ هذا المثَلَ حقٌّ مِن الله تعالى[١]، فيتفكَّرون في هذا المثَلِ الحقِّ، ويوقنون أنَّ اللهَ هو خالقُ الكبير والصغير، كلُّ ذلك في قدرته سواءٌ، كما أنَّ الخلقَ عاجزون عن خَلْق الكبير والصغير، كلُّ ذلك في عجزهم سواء.

وقال الإمام القشيريُّ: فأمَّا[٢] مَن فُتحت أبصارُ سرائره، فلا يَنظر إلى الأغيار[٣] والآثار إلَّا نَظَر الاعتبار، ولا يَزداد إلَّا نفاذ الاستبصار، وأمَّا الذين سُكِّرت أبصارُهم بحُكم الغفلة والإغفال، فلا يَزيدهم ضربُ الأمثال إلَّا زيادةَ الجهل والإشكال[٤].

وقوله تعالى: ﴿فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ﴾: فمَن عرفَ الحقَّ، فمِن حقِّه القيامُ بحقِّه، وقبولُ حقِّه، وأداءُ حقِّه، بل حقُّ عارفِ الحقِّ: كونُه بالحقِّ وللحقِّ، وكونُه به: ألَّا يُلاحظَ[٥] غيرَه، وكونُه له: ألَّا يُساكن غيرَه، وكيف تصحُّ النِّسبة[٦] لمن تفرَّقت له الصحبةُ، وتقسَّمت الخلائقُ والعلائقُ قلبَه.

---

(١) «من الله تعالى»: ليس في (ف).

(٢) في (ر): «وأما».

(٣) في (أ): «الأعيان».

(٤) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٧١).

(٥) في (ر): «يلحظ».

(٦) في (ر): «النية»، وفي (ف): «التشبه».

وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا﴾ هذا استفهامٌ بمعنى الإنكار، ومعناه: وأمَّا الذين أشركوا والذين هادوا فيقولون: أيُّ شيءٍ أراد اللهُ تعالى بالضَّرْب بالبعوض مثلاً؟ وأيُّ فائدةٍ في هذا؟ وهذا سَفَهٌ منهم.

وقال الزجَّاج في ﴿مَاذَآ﴾: يجوز أن يكون (ما) و(ذا) اسماً واحداً، ويكونَ موضعُهما نصباً، ومعناه: أيُّ شيءٍ أراد اللهُ بهذا مثلاً؟ ويجوز أن يكون (ذا) بمعنى (الذي) فيكونَ المعنى: ما الذي أراد اللهُ بهذا مثلاً؟ وأيُّ شيءٍ الذي أراد اللهُ بهذا مثلاً؟ ويكون (ما) رفعاً بالابتداء، و(ذا) خبرَ الابتداء(١).

والإرادةُ: المشيئةُ، والرَّود: الطَّلَب، والمراودةُ: المطالبةُ، والارتيادُ: الطَّلب بتكلُّف(٢).

والإرادةُ صفةُ اللهِ تعالى أزليَّةٌ قائمةٌ بذاته، وَصَفَ بها نفسَه فقال: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [هود: ١٠٧]، وقال الله تعالى: ﴿يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

وقوله تعالى: ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا﴾ فالكثيرُ خلافُ القليل، وعددٌ كاثرٌ؛ أي: كثيرٌ، قال الشاعر:

وإنَّما العِـدَّةُ للكاثـرِ(٣)

والمكاثرةُ: المغالبةُ بالكثرة، والمَكثور: المغلوبُ به.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ١٠٥).

(٢) في (أ): «بالتكلف».

(٣) في هامش (ف): «ولستَ بالأكثر منهم حصى»، وكتب فوقها: «أوله».

وأمَّا تفسيرُه:

فقد قيل: هذا إخبارٌ عن اليهود أو المشركين أو المنافقين، أنَّهم قالوا: يُضِلُّ اللهُ بالمَثَل كثيراً مِن الناس، ويَهدي اللهُ بالمَثَل كثيراً مِن الناس.

وقيل: هو إخبارٌ مِن الله تعالى، وكذا قال الإمام أبو منصورٍ رحمه الله: هذا جوابٌ لقولهم[١]: ﴿مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَـٰذَا مَثَلًا﴾، قال: أراد أنْ يُضِلَّ به كثيراً، ويهدي به كثيراً؛ أضلَّ به مَن عَلم منه أنَّه يختار الضلالةَ، وهدى به مَن عَلم منه أنَّه يَختار الهدى؛ أراد مِن كلٍّ ما عَلم منه أنَّه يختاره[٢].

قال: والآيةُ تَنقض على المعتزلة قولَهم، فإنَّهم يقولون: أراد أنْ يهدي به كل الناس، ولكنْ ضلَّ بعضُهم واهتدى بعضُهم[٣].

وقيل: يُضِلُّ به مَن استخفَّ بالمَثَل ولم يَعُدَّه حكمةً وهم الكافرون، ويهدي به مَن عَرف وجهَ حكمته[٤] وعَلم فائدته وهم المؤمنون.

والإضلالُ: خَلْقُ فعلِ الضلال، وهو في حقِّ مَن اختار الضلالة، وكابَرَ بعد ما عرفَ الدلالة، والهدايةُ: خلقُ فعلِ الاهتداء[٥] في حقِّ مَن اختار صفةَ الاهتداء.

والمعتزلةُ حملوا ذلك على تسميتهم ضالِّين وتسميتِهم مهتدين، واللغةُ لا تحتمِل ذلك، والدلائلُ السمعيَّةُ والعقليَّةُ تردُّ ذلك، وبالله العصمة.

---

(١) في (أ): «قولهم».

(٢) في «التأويلات»: (أنه يختار ويؤثر).

(٣) انظر: «تأويلات أهل السنة» (١/ ٤٠٧)، وفيه: (.. أَراد أن يهدي به الكل، ولكنهم لم يهتدوا).

(٤) في (ر): «الحكمة».

(٥) في (ر): «الهداية».

وقوله تعالى: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ﴾: الفِسْقُ والفُسوق: الخروجُ عن الطاعة، وفَسَقَت الرُّطَبَة؛ أي: خرجت مِن[1] قِشرها، والفُويسقةُ: الفأرةُ؛ لخروجها مِن جُحرها.

ثم هذا كشفُ الكلام[2] الأوَّل، فإنَّه قال: ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا﴾، ثم بيَّن مَن يُضلُّه به فقال: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ﴾؛ أي: وما يَخذلُ اللهُ بسبب ذكر هذا المَثَل إلَّا الخارجين عن طاعته.

وانتصابُه بوقوع فعلِ الإضلال عليه.

وبالجملة: إنَّ الهدايةَ والإضلالَ مِن الله حقيقةً، والاهتداءَ والضلالَ مِن العبد حقيقةً، والجبريَّة لا يَرون فعلَ العبد، والمعتزلةُ لا يَرون فعلَ الله، وقد رَدَدنا قولَ الفريقين قَبْلَ هذا.

ثم الهدايةُ في حقِّ مَن اختاره؛ قال تعالى: ﴿وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ﴾ [الرعد: ٢٧] والإضلالُ في حَقِّ مَن اختاره؛ قال تعالى: ﴿وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [إبراهيم: ٢٧] وقال تعالى: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٦].

والإضلالُ إذا أُضيف إلى الله تعالى فهو خلقُ الضلالِ[3]؛ كقوله تعالى: ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦] وقد يكون للإبطال كقوله تعالى: ﴿أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [محمد: ١]، وإذا أُضيف إلى الشيطان فهو التزيين والوسوسة، قال: ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ﴾ [النساء: ١١٩]، وما أُضيف إلى فرعونَ ونحوِه فهو الدعوة، قال تعالى: ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ

(١) في (ف): «عن».

(٢) في (ر): «الحكم».

(٣) في (ر): «الإضلال».

قَوۡمَهُۥ﴾ [طه: ٧٩] وإذا أُضيف إلى الأصنام فهو التسبيبُ، قال تعالى: ﴿إِنَّهُنَّ أَضۡلَلۡنَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ [إبراهيم: ٣٦].

وقيل: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾؛ أي: الذين لا يَنظرون في أعاجيب هذا المَثَل.

والحاصل: أنَّ السوءَ للمسيئين والحسنى للمحسنين؛ قال تعالى: ﴿أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود: ١٨]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصۡلِحُ عَمَلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ [يونس: ٨١]، و﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي كَيۡدَ ٱلۡخَآئِنِينَ﴾ [يوسف: ٥٢]، ﴿كَذَٰلِكَ نَفۡعَلُ بِٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ [الصافات: ٣٤]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٩٠]، ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾ [الأنعام: ١٤١]، ﴿وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ﴾ [المطففين: ١]، ﴿فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الزمر: ٧٢]، وقال تعالى: ﴿وَهُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [النحل: ١٠٢]، و﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الأنفال: ١٩]، و﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَجۡزِي ٱلۡمُتَصَدِّقِينَ﴾ [يوسف: ٨٨]، ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٥]، و﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٦]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، ﴿أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣]، ﴿وَبَشِّرِ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [الحج: ١٥]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ﴾ [المائدة: ٤٢]، ﴿وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٦].

***

(٢٧) ـ ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ﴾ هذا نعتُ الفاسقين، ونقضُ البناءِ والحبلِ والعهدِ والعقدِ والقَرحة: إزالةُ نَظْمها وضمِّها[1]، والنُّقضُ

---

(١) في (ف): «وختمها».

بالضَّمِّ: المنقوض، والانتقاضُ قَبولُ النَّقض، ونَقيضُ الشيءِ ضدُّه، ونَقيضة القصيدة: جوابُها.

و﴿يَنقُضُونَ﴾ صيغةُ الاستقبال، ومعناه هاهنا الماضي أو الحال؛ أي: إنَّ اللهَ يَخذل بذكر المَثَل مَن فَسَق ونَقَض العهدَ، أو: الذي هو فاسقٌ وناقضٌ للعهد للحال.

فأمَّا العهدُ في اللغة فهو: الميثاق، وهو لأشياءَ أُخَر أيضاً، وفي القرآن لأشياء:

للتوحيد: في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا﴾ [البقرة: ٨٠].

ولوَعْد الجنَّة: في قوله تعالى: ﴿فَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ﴾ [البقرة: ٨٠].

وللفرائض: في قوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي﴾ [البقرة: ٤٠]؛ أي: أدُّوا إليَّ[1] فرائضي.

ولجزاء الطَّاعات: في قوله: ﴿أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ [البقرة: ٤٠].

وللوَعْد: في قوله: ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ١١١].

وللأَمْر: في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ﴾ [يس: ٦٠].

وللنَّذْر: في قوله: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ﴾ [التوبة: ٧٥].

وللميثاق: في قوله تعالى: ﴿يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٧].

ولليمين: في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [النحل: ٩٥].

وللإمامة: في قوله تعالى: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٤].

وللثبات: في قوله: ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ﴾ [الأعراف: ١٠٢].

وللزمان: في قوله تعالى: ﴿أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ﴾ [طه: ٨٦].

---

(١) «إلي»: من (ر).

وأمَّا تفسيرُه:

فقد قال ابنُ عباس رضي الله عنهما: هو أَخْذُ ميثاقِ ذرِّيّة آدمَ؛ حين أخرجَ الذرِّيّة كأمثالِ الذَّر وقال لهم: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ [الأعراف: ١٧٢][١].

ونقضُ هذا العهد: هو الجحودُ بعد الإقرار، والنفورُ بعد الاستقرار، ومِن حيث المعاملةُ فيه رؤيةُ الأغيار، مع التفريد والتوحيد في الإقرار.

وقيل: العهد هو حَلفُ[٢] مشركي العرب حين ضلَّلهم اليهود والنصارى وسفَّهوهم بعبادة الأصنام المنحوتة والأنصاب الموضوعة، كما أخبر اللهُ تعالى عنهم بقوله عزَّ وعلا: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ﴾؛ أي: اليهودِ والنصارى ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ﴾؛ أي: محمدٌ ﴿مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾ [فاطر: ٤٢] فنَقْضهم ميثاقَهم هو النُّفورُ والكفورُ، وإبطالُ القَسَم المذكور.

وقيل: هو ميثاقُ الله تعالى على أهل الكتاب؛ قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ﴾؛ أي: بالقول ﴿وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ [آل عمران: ١٨٧]؛ أي: بالفعل، ونقضُهم ما قال: ﴿فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾؛ أي: كتموا صفَةَ محمد عليه الصلاة والسلام وفَسقوا ونَقضوا العهدَ ﴿وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾؛ أي: عَرَض الدُّنيا ﴿فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ [آل عمران: ١٨٧] كتموا الحقَّ لأجل العَرَض اليسير مِن الكِرباس والشعير، وأَوقعوا أنفسَهم بذلك في السَّعير.

---

(١) ذكره الواحدي في «الوسيط» (١/ ١١٠) من طريق عطاء عن ابن عباس، وذكره غيره دون عزو. انظر: «تفسير أبي الليث» (١/ ٦٤)، و«تفسير الثعلبي» (١/ ١٧٣)، و«تفسير السمعاني» (١/ ٦٢)، و«تفسير البغوي» (١/ ٧٧).

(٢) في (أ): «خَلْفُ»، وفي هامش (ف): «الحلف بسكون اللام». والذي في «القاموس»: حَلَف يَحلِفُ حَلْفا ـ ويكسر ـ وحَلِفاً ككَتِف.

وقيل: هذا الميثاقُ هو المذكورُ في قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٦٣] ونقضُه ما ذكر[1]: ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ [البقرة: ٦٤].

وقيل: هو المذكور في قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ الآية [البقرة: ٨٣] ونقضُه فيما قال: ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ﴾ [البقرة: ٨٣].

وقيل: هو المذكورُ في قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ﴾ الآية [البقرة: ٨٤] ونقضُه فيما ذكر: ﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ﴾ [البقرة: ٨٥].

وقيل: هو ما أَودع اللهُ فيهم مِن الآلات التي يقعُ بها التَّمييز بين الحقِّ والباطل؛ نحو العقل والسمع والبصر، ونقضُ ميثاقِ الفطرة ـ وهو إعطاءُ آلاتِ التمييز والقدرةِ ـ: تعطيلُها وتركُ استعمالها في لوازمها.

وقيل: العهدُ الأول هو ميثاقُ الذرِّيّة، ثم جدَّد اللهُ تعالى ميثاقَ كلِّ أمةٍ بإرسال رسولِهم بكتابٍ وشريعةٍ، ونقضُهم هو خلافُهم ما قَبِلوه.

وقيل: هو ما أخذَ على العلماء بقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ الآية [الأعراف: ١٦٩] ونقضُهم[2]: خلافهم ذلك.

وقيل: كلُّ مَن أَسلم فقد قَبِلَ عهدَ الله في توحيده وعبادته، والائتمارِ بأمره، والانزجارِ بزَجْره، والثقةِ بوعده، والرِّضا بحُكمه، ونقضُه: الإعراضُ والاعتراضُ، واختيارُ الأعراض[3]، وطلبُ الأعواض.

---

(١) بعدها في (ر): «من قوله».

(٢) في (ف): «ونقضه».

(٣) في (ر): «الأغراض».

وقيل: مِن العهد نَذْرُ العبد إذا نزل به محذورٌ أنْ يلازِم التوبةَ ويُجانِبَ الشرورَ، ونقضُه: العودُ إلى مألوفِ الفساد، ومراجعةُ التعاطي المعتاد.

وقوله تعالى: ﴿مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ﴾؛ أي: توثيقِه، والوثيقُ: المحكَم، وقد وَثُقَ وَثاقةً مِن حدِّ: شَرُف، والتوثيقُ[1] والإيثاقُ: الإحكامُ.

والميثاقُ: العهدُ المُحكَم، والوِثاقُ ـ بفتح الواو وكسرها ـ: ما يُحكَم به الشيءُ، والمرادُ مِن الميثاق في هذه الآية هو المصدرُ المذكورُ على وزن المِفْعال دون نفسِ العهد؛ فقد ذكره في قوله: ﴿عَهۡدَ ٱللَّهِ﴾ والهاء التي في آخِره يجوز أنْ تعودَ إلى العهد؛ أي: بعد توثيق ذلك العهد، ويجوز أنْ تعودَ إلى الله؛ فقد ذُكر قَبْله، ومعناه: بعد توثيقِ الله تعالى ذلك العهد.

وقوله تعالى: ﴿وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ هذه مِن صفات الفاسقين الذين سَبق ذِكْرهم؛ أي: هم المضيِّعون حقَّ الله تعالى وحقَّ خلقه؛ فتضييعُ حقِّ الله بنقضِ عهده، وتضييعُ حقِّ خَلْقه[2] بقطيعة أرحامهم.

والقَطْع في اللغة: الإبانةُ، والقطيعةُ: الهجرانُ، وقِطاعُ الطيور: خروجُها مِن بلاد البرد إلى بلاد الحرِّ، وقُطوعُ النهرِ والوادي: عبورُهما.

والأمرُ بالشيءِ: الدُّعاءُ إلى تحصيله، والائتمارُ: الامتثالُ بالأمر.

والوَصْلُ: نقيضُ الفَصْل، والوَصْلُ ضدُّ الهجران، والوُصْلةُ: ما يقع به الوَصل.

---

(١) في (ف): «شرف والوثيق» وفي (ر): «سرق والوثيق».

(٢) في (ف): «فيضيع حق الله... ويضيع حق خلقه». وسقطت هذه الجملة من (ر).

وأمّا التفسير:

فقد قيل: هو الإيمانُ ببعض الأنبياء والكفرُ ببعضٍ، وقد أُمروا بالإيمان بكل الأنبياء بقوله: ﴿ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ [النساء: ١٥٢] وأَخبر عن المؤمنين أَنَّهم قالوا: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

وقيل: هو قطيعةُ الرَّحِم، وقد أُمروا بوصلها بقوله: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ﴾ [النساء: ١].

وقيل: هو تكذيبُ محمدٍ ﷺ وخلافُه ومعاداتُه، مع أنَّه مِن أولاد إسماعيلَ عليه السلام، وأهلُ الكتابِ مِن أولاد إسحاقَ عليه السلام، وبينهم قرابةُ بنوَّة العَمِّ، وقد قال الله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى: ٢٣]؛ أي: الودَّ بسبب القَرابة التي بيني وبينكم مِن هذا الوجه.

وقيل: هو مبايَنتهم ومشاقَّتهم كلَّ العرب، والعرب مِن أولاد إسماعيل وهم أولاد إسحاق، وبينهم هذه القَرابة، وهم بهذه المجانبة والمحاربة قاطعونَ للأرحام، وقد أُمروا بوصلها.

وقوله تعالى: ﴿وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ هذا مِن صفاتِ هؤلاء الفاسقين أيضاً، وقد مرَّ معنى الكلمة في قوله تعالى: ﴿لَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١١].

وأمَّا[1] تفسيره هنا: فقد قيل: هو الكفرُ، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾ [الأعراف: ٥٦].

وقيل: هو العملُ بالمعاصي، كما في قوله تعالى: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾ [البقرة: ٣٠].

---

(١) في (أ): «فأما».

وقيل: هو أَخذُ أموال الناس وتناولُ أملاكهم، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ [الكهف: ٩٤].

وقيل: هو حملُ الغير على الفساد ودعاؤه إليه[1]، كما قال: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١١].

وقيل: هو صدُّ الناس عن دينِ الله واتِّباعِ رسولِ الله ﷺ.

وقيل: هو كلُّ ما يُخالف الحقَّ والرَّشادَ؛ قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾ [البقرة: ٢٠٥].

وقوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾؛ أي: هؤلاء المذكورونَ هم المنافقون[2] الهالكونَ المغبونونَ، فإنَّ المصدرَ منه الخُسْرُ والخَسَار والخُسْران، وكلُّها لثلاثة معانٍ: النُّقصان والهلاك والغَبْن، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ [الرحمن: ٩]؛ أي: لا تُنقصوا، وقال: ﴿أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [هود: ٤٧]؛ أي: الهالكين، وقال تعالى: ﴿قَدْ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ﴾ [الأعراف: ٥٣]؛ أي: غَبَنوا.

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله تعالى: مِن نقضِ العهدِ أنْ يَحيد سرُّك لحظةً عن شهوده، ومِن قَطْعِ ما أُمرت بوصلِه أنْ يتخلَّل أوقاتَك نَفَسٌ يَحُطُّك عن القيام بحقِّه، ومِن إفسادك في الأرضِ ساعةٌ تجري عليك ولم تَدُم فيها على مشاهدته: ﴿أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ [الزمر: ١٥][3].

* * *

---

(١) في (ر) و(ف): «إلى الفساد».

(٢) في (أ): «الناقصون».

(٣) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٧٣).

(٢٨) ـ ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ﴾ (كيف) يُستعمل لمعانٍ:

للاستفهام المحض: وهو سؤالٌ عن الحال؛ تقول لصاحبك: كيفَ أنتَ؟

وللشَّرْط: تقول لصاحبك: كيف تعامِلْني أُعامِلْك - بجزمهما - وهو على الشرط والجزاء.

وللإياسة: تقول لمن أراد أن يَحمل شيئاً وعندك أنَّه يَعجِز عنه: كيف تَحملُه مع ضعفك؟!

وللعَرْض: تقول لصاحبك: كيف أنت وكسوةٌ فاخرة؟ أي: هل تريدها.

وللإنكار: كيف تَجفو صديقَك وقد وفَاك[١]؟

وللنفي: بمنزلة (ما) و(لا)، كما في قوله تعالى: ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ اللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِ﴾ [التوبة: ٧]؛ أي: ما يكونُ ولا يكونُ، بدليلِ أنَّه استثنى منه فقال: ﴿إِلَّا الَّذِينَ﴾.

ولتأكيدِ ما قَبْله وتحقيقِ ما بعده: قال تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ﴾ [النساء: ٤١]؛ أي: إنَّ اللهَ لا يَظلم مثقالَ ذرَّة، فكيف في الآخرة.

وبمعنى (لِمَ): كما في قوله: ﴿كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً﴾ [التوبة: ٨]؛ أي: لِمَ لا تقاتلون[٢]؟!

---

(١) في (ر) و(ف): «وافاك».

(٢) في (ر): «أي لم يقاتلون» وفي (ف): «أي لم تقاتلون».

وللتعجُّب: كما في قوله تعالى: ﴿انظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ [النساء: ٥٠] أي: تعجَّبْ يا محمد؛ فإنَّه موضع التعجُّب لك[١].

وللتعجيب: وهو حملُ الناس على التعجُّب، كما في هذه الآية ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ﴾.

واختلف أهلُ التفسير فيه:

فقال بعضُهم: أي: لِمَ تكفرونَ بالله وهو خَلَقكم.

وقيل: أي: كيف استَجَزْتم مِن أنفسِكم الكفرَ بالله وهو خالقُكم.

وقيل: أي: عجبٌ كيف تكفرونَ بالله[٢] خالقِكم.

وقيل: هو إنكارٌ.

وقيل: هو توبيخٌ.

وقوله تعالى: ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ﴾ ذكرنا الموتَ في تفسير قوله: ﴿حَذَرَ الْمَوْتِ﴾ [البقرة: ١٩]، والإحياءُ: إثباتُ الحياة.

وانتظامُ هذا بما قَبْله: أنَّه قال: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [البقرة: ٢٦] ثم وبَّخهم فقال: كيف تستجيزون مِن أنفسِكم أنْ تكفروا بالله وهو الذي أَوجَدكم بعد عَدَمكم، قد ﴿كنتم أمواتاً﴾؛ أي: نُطَفاً أجزاؤها متساويةٌ ﴿فَأَحْيَاكُمْ﴾؛ أي: جعلكم أحياءً، فجعل بعضَ أجزاء النطفة عَظْماً، وبعضَها لحماً، وبعضَها عَصَباً، وبعضَها عُروقاً[٣]، وبعضَها مُخًّا، وبعضها جِلْداً، وبعضَهاً شَعَراً، وجعلك تنطقُ بلحمٍ، وتُبصِر بشحمٍ،

---

(١) «لك»: سقط من (أ).

(٢) في (أ) وفي هامش (ف): «كيف كفركم والله» وفي (ف): «كيف لكفرهم والله».

(٣) في (أ): «عرقاً».

وتسمعُ بعظمٍ، وتعرف بدمٍ، وأَبطشك وأَمشاك، وأَيَّدك وقوَّاك، وجَعلك تستولي على طيورِ الهواء وحيتانِ الماء ووحوشِ الصحراء، ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ فيجعلكم رُفاتاً كما كنتم في الأصل أمواتاً.

ويجوز أن يكون الخطابُ للمسلمين وعتابِهم على وجهٍ آخَرَ: كيف تكفرونَ نِعَمَ اللهِ تعالى عليكم، وتسترونَ أياديَه إليكم، وقد[1] كنتم أمواتاً بالكفر فأحياكم بالإيمان، وكنتم أمواتاً بالجهل فأَحياكم بالعلم، وكنتم أمواتاً بالرغبة فأحياكم بالرهبة، وكنتم أمواتاً بالشَّكِّ فأَحياكم باليقين، وكنتم أمواتاً بالاختلاف فأَحياكم بالائتلاف.

وقال بعضُ البغداديين: ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا﴾ بحياةِ أنفسكم ﴿فَأَحْيَاكُمْ﴾ بإماتتها.

وقال ابنُ عطاء: ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا﴾ بالظواهر ﴿فَأَحْيَاكُمْ﴾ بالسرائر[2].

وقال فارس[3]: ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا﴾ بشواهدكم ﴿فَأَحْيَاكُمْ﴾ بمشاهده[4].

وقال الواسطيُّ: ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا﴾ بكم ﴿فَأَحْيَاكُمْ﴾ به.

ثم تفسيرُ ظاهرِ الآية على نَظْمها: كنتم نُطَفاً لا حياةَ فيها ﴿فَأَحْيَاكُمْ﴾؛

---

(١) «قد»: زيادة من (أ).

(٢) انظر: «تفسير السلمي» (١/ ٥٣).

(٣) في (ر) و(ف): «وقال ابن عباس رضي الله عنهما». والمثبت من (أ)، وهو الموافق لما في «تفسير السلمي» (١/ ٥٣)، و«روح المعاني» (٢/ ٧٧). وفارس هو ابن عيسى ـ وقيل: ابن محمد ـ أبو الطيب الصوفي، صحب الجنيد بن محمد وأبا العباس بن عطاء وغيرهما، وقد تقدمت ترجمته.

(٤) في (أ): «بمشاهدته» وفي (ف): «بشهادته»، وفي «تفسير السلمي»: (بشاهده)، وفي «روح المعاني»: (بشواهده)، وهذه الأخيرة هي الأنسب بالسياق.

أي: صوَّركم أحياءً قادرِين عالمين، ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ عند[١] انقضاءِ آجالكم، ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ في القبر للسؤالِ والجواب، وتمهيدِ الثواب والعقاب، ثم يَبعثكم يوم القيامة للجزاء على الأعمال؛ فريقاً للسلاسل والأغلال، وفريقاً للأرائك والظِّلال.

وأمَّا على طريقة[٢] الحقيقة؛ فعلى ثلاثِ مراتبَ أشار إليها الإمامُ القشيريُّ رحمه الله:

أولاها: وكنتم أمواتاً بجهلكم عنه، ثم أَحياكم بمعرفتِكم به، ثم يميتُكم عن شواهدكم، ثم يُحييكم به، ثم إليه ترجعون بحفظِ أحكام الشرائعِ ومراعاةِ الحقائق.

والثانية: وكنتم أمواتاً ببقاء نفوسِكم، فأَحياكم بفناء نفوسِكم، ثم يميتكم عن شهود ذلك؛ لئلا تلاحظوه فيفسد عليكم[٣]، ثم يحييكم بأخذِكم عنه، ثم إليه ترجعون بتقلُّبكم في قبضته[٤].

والثالثة: هذا تقليبُ أحوالهم مدَّةَ حياتهم في دنياهم، كانوا أمواتاً بذواتهم في الأصل فأَحياهم بما أَقام فيهم، ثم أَماتهم عن رؤية البَقاء فأَفناهم، ثم أَثبتهم وأبقاهم، ثم جعل إليه في كلِّ الأحوال مرجعَهم ومنتهاهم، فهم أبداً بين نفيٍ وإثباتٍ، وإماتةٍ وإحياءٍ، وبقاءٍ وفناءٍ، وصحوٍ ومحوٍ، فمِن المحالِ كفرُ العبد وكفرانُه مع هذه الأحوال[٥].

---

(١) في (ف): «بعد».

(٢) في (ف): «وأما طريق».

(٣) بعدها في (ر): «سألكم».

(٤) في (ر) و(ف): «ليقلبكم في قبضته»، والمثبت من (أ) و«اللطائف».

(٥) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٧٣).

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾؛ أي: في الدُّنيا[(١)] عند انقضاءِ آجالكم، ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ قيل[(٢)]: أي: يومَ القيامة للحسابِ والجزاءِ على أعمالكم.

وقال السديُّ: ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ في القبور ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ في الآخرة[(٣)]؛ فإنَّ (ثم) للتعقيب على سبيل التراخي، فدلَّ على أنَّه لم يُرِدْ به حياةَ البعث؛ فإنَّ الحياةَ يومئذٍ يُقارنها الرجوعُ إلى الله تعالى بالحساب والجزاء، ويتَّصل[(٤)] به مِن غير تراخٍ.

ودلَّت الآيةُ على إثبات عذابِ القبر وراحةِ القبر، وفي القرآن آياتٌ تدلُّ على ذلك.

حُكي عن إبراهيم بنِ جعفرٍ أنَّه قال: خَتمتُ القرآنَ سبعَ مئةٍ[(٥)] مرَّةٍ مع تفكُّرٍ وتدبُّرٍ حتى استنبطتُ ثلاثَ آيات في إثبات ذلك:

أحدها: قوله: ﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾ [البقرة: ٣٦] يعني: إلى الموت، ثم قال تعالى: ﴿فِيهَا تَحْيَوْنَ﴾ [الأعراف: ٢٥]؛ أي: في القبر؛ لأنَّه في الأرض، والحياةُ بعد الموت إنَّما تكون في القبر، ﴿وَفِيهَا تَمُوتُونَ﴾ بعد هذه الحياة في القبر، ﴿وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾ [الأعراف: ٢٥]؛ أي: مِن القبر بالبعث.

والثانية: قوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ﴾ وهذا خطاب الأحياء فيَنصرف ذلك إلى

---

(١) في (ف): «في هذه الدنيا».

(٢) «قيل»: ليست في (ف).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٤٤٥)، عن السدي، عن أبي صالح.

(٤) في (ر) و(ف): «واتصل».

(٥) في (أ): «سبع مئة ألف».

إحيائهم بعد موتهم؛ لأنَّ إحياءَ الحيِّ لا يُتصوَّر، ثم قال: ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾؛ أي: بعد هذه الحياة، ثم ﴿يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [الجاثية: ٢٦]؛ أي: يَبعثكم للجزاء.

والثالثة: هذه الآية ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا﴾؛ أي: في أرحام أمَّهاتكم ﴿فَأَحْيَاكُمْ﴾ بالوِلاد ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ في الدُّنيا ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ في القبر ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ بالبعث يوم القيامة.

ومنها: قوله: ﴿أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا﴾ [نوح: ٢٥] والفاء للتعقيب بغير تراخٍ.

ومنها: قوله تعالى: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ [غافر: ٤٦] ثم قال: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦]؛ أي: الجحيم.

ومنها: قوله تعالى: ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ﴾ [التوبة: ١٠١]؛ أي: مرَّةً في الدُّنيا بهَتْك السَّتر، ومرَّةً في القبر ﴿ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ [التوبة: ١٠١].

ومنها: قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ [الطور: ٤٧] يعني: في القبر.

ومنها: قوله تعالى في حقِّ الشهداء: ﴿أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (١٦٩) فَرِحِينَ﴾ [آل عمران: ١٦٩ ـ ١٧٠].

ومنها: قوله تعالى: ﴿يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ (٢٦) بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ﴾ [يس: ٢٦].

ومنها: قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه: ١٢٤]، روى أبو سعيد الخدريُّ رضي الله تعالى عنه عن النبيِّ ﷺ أنَّه فسَّره بعذاب القبر(١).

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾: (ثم) يجيء على سبعةِ أوجه:

---

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (٣٤٣٩) وقال: صحيح على شرط مسلم.

أحدها: للترتيب مع التراخي؛ كما في هذه الآية.

والثاني: بمعنى الواو؛ كما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ﴾ [يونس: ٤٦]؛ أي: والله.

والثالث: بمعنى (مع)؛ كما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [البلد: ١٧].

والرابع: للترتيب في الذِّكر لا في الوجود؛ كما في قوله ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ﴾ [الأعراف: ١١]،

وقولِ الشاعر:

إنَّ مَن سادَ ثم سادَ أبُوه ثم قد سادَ بعد ذلكَ جَدُّه[1]

والخامس: للتقديم؛ كما في قوله ﴿فَإِنَّهُمْ لَءَاكِلُونَ مِنْهَا﴾ [الصافات: ٦٦] إلى قوله: ﴿ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٦٨].

والسادس: للابتداء؛ كما في قوله تعالى ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ﴾ [فاطر: ٣٢].

والسابع: للتعجُّب[2]؛ كما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام: ١].

وقوله: ﴿تُرْجَعُونَ﴾ قراءةُ عامَّة القُرَّاء بضمِّ التاء، وقرأ يعقوب: «تَرجِعون» بفتح التاء[3]؛ وهو إخبارٌ عن رجوعهم، والأوَّل إخبارٌ أنَّ اللهَ يَفعل بهم ذلك

---

(١) البيت لأبي نواس من قصيدة مدح إبراهيم بن عبيد الله الحجبي. انظر: «ديوانه» (ص: ١٥٤)، و«الأزمنة والأمكنة» للمرزوقي (ص: ٣٦)، و«الهداية» لمكي بن أبي طالب (٣/ ١٩٥٩)، وروايته في هذه المصادر: (قل لمن ساد...). والكلام من قوله: «وقول الشاعر....» إلى هنا، لم يرد في (أ) و(ف).

(٢) في (أ): «للتعجيب».

(٣) انظر: «النشر في القراءات العشر» (٢/ ٢٠٨).

فيُرجعهم إلى نفسه، وهو كقوله: ﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الأنعام: ٦٢] وقال تعالى: ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُواْ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا﴾ [البقرة: ١٤٨].

* * *

(٢٩) ـ ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾: ﴿هُوَ﴾ الهاءُ وحدها هي الأصل، والواو إشباعٌ للضمة، وهي كلمةُ إشارةٍ ودلالةٍ على ما سبق[1] ذِكْرُه أو تقدَّم عهدُه، وهي هاهنا دلالةٌ راجعةٌ إلى ما ذكر في الآية التي قَبلها: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ﴾، وانتظامُ هذا بالأوَّل مِن وجهين:

أحدهما: أنَّ هذا خطابٌ للكفرة[2]، ووجهُه: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ﴾ وهو الذي خَلَقكم، وهو الذي خَلَق لكم ما في الأرض جميعاً، فانظروا في تخليقه إيَّاكم إلى قدرته، وانظروا في تخليق ما في الأرض لأجْلكم إلى منَّته، فلا تَستَجِيزوا جحودَ ربوبيته، والتقصيرَ في خدمته، والإعراضَ عن عبادته.

والثاني: أنَّه خطابٌ للمؤمنين[3]، ووجهُ نَظْمها: أنَّه وبَّخ الكافرين ثم لاطَفَ المؤمنين فقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ فأنتم الأصول في نِعَم الدُّنيا، وأنتم المختصُّون بنِعَم العُقبى، لكم ما في الدُّنيا بطريق الأصالة، وللكفار بطريق التبعيَّة، ولكم نِعَم الآخرة دون الكفار بطريق الخصوصية، قال تعالى: ﴿قُلْ

---

(١) في (ف): «سنبين».

(٢) في (أ): «الكفار»، وفي (ف): «الكفر».

(٣) في (ر) و(ف): «المؤمنين».

﴿مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾؛ أي: بالأصالة ﴿خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الأعراف: ٣٢]؛ أي: بدون الكفَّار؛ فلا يَنالون شربةً ممَّا في الجنَّة، قال تعالى خبراً عنهم: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا۟ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الأعراف: ٥٠].

وأمَّا التفسير:

فقد قيل: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم﴾؛ أي: قدَّر أن يكون وقتاً بعد وقتٍ، فإنَّه واقعٌ على كلِّ ما كان في الدُّنيا وما يكون، وقد ذُكر بصيغة الماضي فكان واقعاً على التقدير دون الإيجاد، ثم إنَّ أهلَ الإباحة مِن المتصوِّفة الجَهَلةِ[1] حملوا اللامَ في قوله: ﴿لَكُم﴾ على الإطلاق، والإباحةَ على الإطلاق، وقالوا: لا حَجْر ولا حَظْر، ولا نهيَ ولا أَمْرَ، وإذا تحقَّقت المعرفةُ وتأكَّدت المحبَّةُ، سقطت الخدمةُ وزالت الحرمةُ، فالحبيبُ لا يُكلِّف حبيبَه ما يُتعبه، ولا يَمنعه ما يُريده ويُطلبه، وهذا منهم كفرٌ صُراح[2]، وخروجٌ مِن الإيمان بإفصاح، فقد نهى اللهُ تعالى وأَمَر، وأباح وحظر، ووعد وأَوعد، وبشَّر وهدَّد، والنصوصُ ظاهرةٌ، والدلائلُ متظاهرةٌ، فمَن حَمل هذه الآيةَ على الإباحة المطلَقة، فقد انسلخ مِن الدِّين بالكليَّة، فالمحملُ الصحيحُ ما قاله ابنُ عباس رضي الله تعالى عنهما: خلق لمنافعكم ومصالحكم.

وشرحُه: أنَّ جميعَ ما في الدنيا[3] لدَفْع حوائجكم وقِوام[4] معايشكم، فلا بقاءَ عادةً للبشر إلَّا بالطعام والشراب، ودفعِ الحرِّ والبرد بالأَكْنان والأثواب، وقد

---

(١) في (ف): «الجهلية».

(٢) في (ف): «صريح».

(٣) في (ر) و(ف): «الأرض».

(٤) في (أ): «وقيام».

هيَّأ ذلك كلَّه فيها لكم، وفيها أيضاً زوائدُ على الضروريَّات؛ مِن تناول الطيبات، والتجمُّل بأنواع الزِّينات، والتقلُّب في وجوه اللَّذات، والاستِرواح بأنواع الراحات، فالسماءُ سقفُكم، والشمسُ سراجُكم، والقمر نورُكم، والنجوم هُداكم، والرِّيح رَوحكم، والغيث غياثُكم، والثلج ثَلَجكم، والسحاب ظلُّكم، والأرض بساطُكم، والبحار والأنهار سِقاؤكم، والحبوب والثمار أرزاقُكم، والأورادُ والرَّياحين طِيْبكم، والرياضُ والحدائق متنزَّهاتُكم، والأدويةُ علاجُكم، والثيابُ النفيسة ملابسُكم، والجواهرُ حُليُّكم، واللحومُ الطيِّبة مآكلُكم، والأنعامُ والسُّفن مراكبُكم، ثم إنَّكم تملكون ما كان مِن جنس الصور؛ كالحطب[(١)] والحشيش وثمار الجبال والبراري، التي هي غيرُ مملوكةٍ بالاستيلاء نفسه، وما في أيدي الملَّاك بالعقود المشروعة الصحيحة، وإباحتِهم وإهدائهم وهبتهم[(٢)]، وتنتفعون بالأعيان المملوكة للأغيار بالإعارة والإجارة والإباحة فيما شُرِعَ فيه ذلك، وتنتفعون بالكلِّ بالنظر إليها، وشَمِّ رياحها، والاستظلالِ بظلالها[(٣)]، والسلوكِ في طُرقها، واستلذاذِ الأسماع بطِيب[(٤)] أصواتها، فيما ليس فيه ارتكابُ محرَّم واجتلابُ مأثم، والوصولِ إلى ملاذِّ الأنكحة بمِلْك النكاح وملكِ اليمين.

وأمَّا الحيوانات الضارَّة المؤذية والأعيان النجسة الخبيثة، ففيها تذكيرُ عقوبات الجحيم، ومعرفةُ النِّعَم في[(٥)] أضدادها، وهو نفعٌ عظيمٌ، وأعظمُ ذلك كلِّه نَفْعُ[(٦)]

---

(١) في (أ): «الصيود والحطب» وفي (ف): «الصور والحطب».

(٢) «وإباحتهم وإهدائهم وهبتهم»: من (أ).

(٣) في (أ): «بظلها» وفي (ر): «بأظلالها».

(٤) في (ر): «واستلذاذاً بسماع طيب».

(٥) في (ف): «من».

(٦) في (ر): «يقع».

الاستدلالِ بها على وحدانيَّة الله تعالى قال الله تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ [فصلت: ٥٣] فالبناءُ دليلٌ على الباني، والخطُّ دليلٌ على الكاتب، والصياغةُ على الصائغ، والمصنوعُ على الصانع.

وأمَّا أهلُ الحقيقة فقد قالوا فيه أقاويل:

قال بعضهم: معناه: ﴿خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ لتتقوَّوا به على طاعته، لا لتَصْرِفوه في وجوه معصيته.

وقيل: ﴿خَلَقَ لَكُم﴾ ذلك لتَعدُّوا نعمة الله(١) عليكم؛ فتَقْتَضُوا الشكرَ مِن أنفسكم؛ طلباً للمزيد على ما لديكم.

وقال ابنُ عطاء: ﴿خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ ليكون الكونُ كلُّه لك، وتكون أنتَ بكلِّيَّتك لله تعالى، فلا تشتغلَ بما لَكَ عمَّن أنتَ له(٢).

وقال الإمام القشيريُّ: سخَّر لكم جميعَ المخلوقات على معنى حصولِ الانتفاع بكلِّ شيءٍ منها؛ فعلى الأرض تستقرُّون، وتحت السماء تَستكنون، وبكلِّ مخلوقٍ بوجهٍ آخَر تنتفعون، بل ما مِن عينٍ ولا أَثر فكَّرتم فيه إلَّا وكمالُ قدرته وظهورُ ربوبيته به تَعرفون(٣).

واختلف أهلُ الأصول في الأفعال والأعيان، قبل ورود(٤) السمع أنَّها على الحَظْر أو على الإباحة أو الوقف، وكلُّ ذلك في حقِّ مَن يصحُّ تكليفه مِن البشر دون

---

(١) في (أ) و(ف): «لتعدوا نعمه».

(٢) انظر: «تفسير السلمي» (١/ ٥٣).

(٣) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٧٤).

(٤) في (ف): «فقيل ورد»، وفي (ر): «وقد ورد».

غيرهم، وفي الأفعال الاختيارية دون ما يقع بالطبيعةِ والجواهر إذ لا[١] يدخل ذلك في التكليف.

أمَّا الأفعال: فعند الأشعريَّة لا حظرَ ولا إباحةَ ولا وجوبَ قبل ورود الشرع، فالحظر بالنهي، والوجوب بالأمر، والإباحة بالإطلاق، وقد انعدم ذلك كلُّه، ومَن نسب إلى الأشعرية التوقُّف في ذلك كلِّه فهو خطأٌ؛ لأنَّ القولَ بالتوقُّف قولٌ بوجوب اعتقاد التوقُّف، وهم لا يَرَون الوجوبَ بدون السمع.

وقال جماعةٌ مِن فقهاء أهلِ الحديث ومتكلِّميهم وبعضُ المعتزلة والإماميَّة: إنَّها على الحظر؛ لأنَّه تناولٌ في مِلك الغير والتصرُّف فيه مِن غير إذنِ صاحب الحقِّ.

وقالت المعتزلةُ مِن المتكلِّمين، والفقهاءُ العراقيون ـ أبو الحسن الكَرْخيُّ وأبو بكرٍ الرازيُّ وغيرهما ـ: هي على[٢] الإباحة؛ لهذه الآية، ولقولِه: ﴿رِزْقًا لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢] ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ﴾ [إبراهيم: ٣٢]، وهذا لأنَّ الأشياءَ لمَّا خُلقت للمكلَّفين، كان مطلقاً لهم الانتفاعُ بها إلَّا أنْ يَرِدَ دليلُ السمع[٣] بالحظر، ولأنَّها خُلقت منتفَعاً بها ولا يَنتفع بها الخالق، فلو لم يَنتفع بها الخلقُ، لم يكن في إيجادها فائدةٌ وحكمةٌ.

وقال أهلُ الحقِّ ـ وهم أهلُ السُّنَّة والجماعة ـ: ما عُرف أنَّ له عاقبةً حميدةً ثبت حُسْنه، وما عُرف أنْ ليس له عاقبةٌ حميدةٌ ثبت قُبحه، فيثبت الوجوبُ والحظر، وما لا وقوفَ للعقل عليه فلا معنى للقول فيه بالحظر والإباحة أو الوجوب[٤]، بل يُمكن أنْ يكون له عاقبةٌ حميدةٌ، ويمكن خلافُه، فلا وجه للقول بشيءٍ تحَكُّماً بلا دليل.

---

(١) في (ر) و(ف): «والجواهر ولا».

(٢) كلمة: «على» ليست في (أ)، وكلمة «هي» ليست في (ر) و(ف).

(٣) في (أ): «الدليل السمعي»، وفي (ف): «دليل وهي الدليل السمعي».

(٤) «أو الوجوب»: من (أ).

وليس هذا بتوقُّفٍ منَّا كما قالت الأشعريَّةُ، بل عندهم لا حكمَ لها أصلاً، وعندنا هي ممكنةٌ أن يكون كذا وكذا، ويظهر بورود السمع.

وأمَّا الأعيانُ: فما يُتصوَّر فيه الأكلُ والشربُ، وهي تنقسم ثلاثةَ أقسام؛ فمنها ما هو غذاءٌ، ومنها ما هو دواءٌ، ومنها ما هو سُمٌّ قاتلٌ، ولا يُعرف ذلك بالحسِّ والعقلِ، فلا بُدَّ مِن ورود السمع به، ولا[1] يجوز الإقدام بنفسه على تجريبه[2]؛ لِمَا فيه مِن خوف الهلاك، وبيانُ هذه الأصول في كتب الكلام، وهذا القَدْر كافٍ هاهنا، وبالله العصمةُ.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ (استوى) في اللغة لثلاثة أشياء:

استوى الرجل؛ أي: انتهى شبابُه.

واستوى بعد ما اعوجَّ؛ أي: استقام.

وفعلتَ كذا ثم استويتَ إليَّ تَشتمني[3]؛ أي: أقبلتَ.

وفي القرآن ورد لأشياء:

لبلوغ الإنسان غايته: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ﴾ [القصص: ١٤].

وللتَّساوي: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ﴾ [المائدة: ١٠٠].

وللجلوس: ﴿فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ﴾ [المؤمنون: ٢٨].

وللرُّكوب: ﴿لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ﴾ [الزخرف: ١٣].

وللقيام: ﴿فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ﴾ [الفتح: ٢٩].

وللاستقرار: ﴿وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ﴾ [هود: ٤٤].

---

(١) في (ف): «فلا».

(٢) في (أ): «تجربته».

(٣) «تشتمني»: سقط من (ف).

وقد ورد هذا للاستيلاء في قولِ الشاعر:

قـد استوى بِشْـرٌ علـى العِراقِ　　مِـن غيـرِ سيفٍ ودمٍ مهـراقِ[١]

وعلى هذا حَمَل بعضُ أهلِ العلم قولَه: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]، وقال: معناه: استولى؛ أي: هو مالكُ الـمُلْك ومَلِكُ الملوك في الأزل والأبد، لا بحدوثِ مُلْكٍ وتجدُّدِ[٢] ولايةٍ، وهو كسائر ما يُذكر في[٣] صفاتِ الله تعالى أنَّه فَعل كذا ويَفعل كذا، ليس ذلك لانقضاء[٤] ما كان في الماضي، ولا لحدوث[٥] ما يكون في المستقبل، بل هو وصفٌ أزليٌّ أبديٌّ، وصيغة الماضي والحال والمستقبل لظهور المخلوق المفعول[٦] في زمانٍ مخصوصٍ.

ويُذكر (استوى) أيضاً للصُّعود وللإقبال، وقد ورد عن بعضِ أهلِ التفسير في هذه الآية ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾؛ أي: صعد، وعن بعضِهم؛ أي: أقبل.

والمُشبِّهة يُجرون هذه المتشابهات على ظواهرها، ويُجوِّزون على الله تعالى ذلك، واللهُ تعالى منزَّه عنه، قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١][٧].

---

(١) نسبه المرزوقي في «الأزمنة والأمكنة» (١/ ٣٨) للبعيث، ونسبه في «المحرر الوجيز» (١/ ١١٥) و«تاج العروس» (مادة: سوى) للأخطل. وهو دون نسبة في «الصحاح» (سوى)، و«الحلل» للبطليوسي (ص: ٣٠٩).

(٢) في (ف): «ولا تجدد».

(٣) في (ف): «من».

(٤) في (ر): «في انقضاء».

(٥) في (أ) و(ر): «بحدوث».

(٦) في (أ): «والمفعول».

(٧) انظر التعليق على هذه المسألة في (٦/ ٣٦٧) من هذا الكتاب، وانظر مقدمة التحقيق.

وأهلُ الحقِّ يُؤوِّلون ذلك كلَّه على موافقة الأصول:

فأمَّا تأويلُ هذه الآيةِ على قولِ مَن فسَّره بالصعود: أن قوله: ﴿ٱسْتَوَىٰٓ﴾؛ أي: صَعِد الدخانُ، فقد قال: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ فكان في الأرض دخانٌ فصعد ذلك، فخَلَقه اللهُ تعالى سماءً، كما قال في آية أخرى: ﴿وَهِىَ دُخَانٌ﴾ [فصلت: ١١].

وتأويلُها على قول مَن فسَّر ذلك بالإقبال: أنَّه استعارةٌ لطيفةٌ، فإنَّ مَن رتَّب فعلين وهو مِن المخلوقين، يقال: إنَّه فعل كذا ثم أقبل على كذا؛ أي: أكمل الأول ثم[1] حقَّق إرادة الثاني، فقرَّر اللهُ تعالى هذا في أفهام الخَلْق: أنَّه أَكملَ خلق الأرض، ثم رتَّب عليه خلقَ السماء، ولا يُفهم مِن هذا ما يُفهم مِن ترتيب فعل البشر: أنَّ الأولَ يَنقضي ثم الثاني يأتي، بل معناه ما قلنا: أنَّ فعلَ الله تعالى أزليٌّ أبديٌّ، لكن ترتُّبَ ذكرُ الأشياء لترتُّب ظهور الآثار في الأعيان.

هذان تأويلان خارجان على تفسير السَّلَف بالصعود والإقبال.

وتأويلٌ آخَرُ: أنَّ فيه تقديماً وتأخيراً: هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً إلى السماء؛ أي: خلق ذلك كلَّه، ثم قال: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ﴾ أي: انتظم ذلك كلّه.

وثَمَّ تأويلٌ آخَرُ: أنَّ الاستواءَ في الآية مذكورٌ مِن الله تعالى، والمرادُ منه الاستواءُ مِن السماء، وهو[2] على القلب، كما في قوله تعالى: ﴿كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ [مريم: ٢٩] أي: كيف يكلِّمنا هو؟ وفي قوله: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ﴾ [الشعراء: ٧٧]؛ أي: أنا عدوٌّ لهم، وإنَّهم عدوٌّ لي.

---

(١) في (أ) و(ف): «و».

(٢) في (ر) و(ف): «من الأسماء وهي».

ودلَّت الآيةُ على خَلْق الأرض قبل السماء، وفيه أقاويل ثلاثة:

قيل: خلَقهما معاً؛ بدليل قوله: ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ [فصلت: ١١].

وقال قتادةُ والسديُّ: خلق السماء أوَّلاً ثم الأرض؛ بدليل قوله: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ [النازعات: ٣٠]، وهذا أعجبُ في القُدرة، وهو إظهارُ السَّقف قبل الأساس.

فأمَّا قوله: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾ فـ (ثمَّ) لترتيبِ الإخبار عنه لا لترتيبِ الوجود، كما في قوله: ﴿خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[1] [آل عمران: ٥٩].

وقال ابن عباس ومجاهدٌ رضي الله تعالى عنهم: خلق الأرض أوَّلاً ثم السماء؛ بدليل هذه الآية: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ﴾[2]، فأمَّا قولُه: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ [النازعات: ٣٠] فمعناه: مع ذلك، كما في قوله: ﴿بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ﴾ [الحجرات: ١١]؛ أي: مع الإيمان، ولأنَّه قال: ﴿بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾، ولم يقل: خَلَقها ودحاها؛ أي: بَسَطها.

وبه نقول: إنَّه خلق الأرض ثم السماوات، ثم بَسَط الأرضين، وهو أقربُ إلى الحكمة: تمهيدُ الأساس، ثم رفعُ البناء، ثم بسطُ الأساس.

وقال ابنُ عباس رضي الله عنهما: أوَّل ما خلق اللهُ جوهرةً طولُها وعرضُها مسيرةُ ألفِ سنة في مسيرة عشرة آلاف سنة، فنَظر إليها بالهيبة فذابت واضطربت، ثم ثارَ منها دخانٌ فارتفع، واجتمع زَبَدٌ فقام فوق الماء، فجعل الزَّبَدَ أرضاً والدخانَ سماء.

---

(١) بعدها في (ر) و(ف): «الحق».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٤٦٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

قالوا: فالسماء مِن دخانٍ خُلقت، وبريحٍ ارتفعت، وبإشارةٍ تفرَّقت، وبلا عمادٍ قامت، وبنفخةٍ انكسرت[1].

وقوله تعالى: ﴿فَسَوَّىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ﴾: ذِكرُ هذه الكناية على الجمعِ دليلٌ أنَّ المرادَ بالسماء السماواتُ، وهي جمعٌ، والواحدة: سماة، ومعنى (سوَّاهنَّ): قوَّمهنَّ؛ أي: جعلهنَّ مستوياتٍ محكَمات، وقوله: ﴿فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ﴾ [الحجر: ٢٩] معناه: خلَقْته، وفي قوله: ﴿إِذۡ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء: ٩٨]؛ أي: نجعلكم وإيَّاه سواءٍ.

قوله: ﴿سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ﴾ مفعولٌ ثانٍ لـ(سواهنَّ)، وقد قال سلمانُ رضي الله عنه: هي سبعٌ؛ اسمُ الأولى: رقيعاء؛ وهي مِن زمرُّدة خضراءَ، واسمُ الثانية: أرفلون؛ وهي مِن فضَّة بيضاء، والثالثةُ: قيدوم؛ وهي مِن ياقوتة حمراء، والرابعة: ماعون؛ وهي مِن دُرَّة بيضاء، والخامسة: دبقاء[2]؛ وهي مِن ذهبة حمراء، والسادسة: دفناء؛ وهي مِن ياقوتة صفراء، والسابعة: عريباء؛ وهي مِن نورٍ يتلألأ[3].

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾ (كُلّ) كلمةُ إحاطةٍ واشتمالٍ؛ أي: وهو عالمُ كلِّ[4] شيءٍ، والباء تدخل صلةً في العلم تأكيداً، ويصحُّ بدونها وضعاً[5]، ومعناه: أنَّه عالمٌ بخلق الأرضينَ والسماوات، وغيرِهما مِن الذوات والصفات.

***

(١) في (ف): «تكسرت».

(٢) في (أ): «ربقا».

(٣) رواه أبو الشيخ في «العظمة» (٤/ ١٣٨٧).

(٤) في (ر): «بكل».

(٥) في (ر) و(ف): «وصفاً».

(٣٠) ـ ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ﴾ انتظامُ هذه القصَّة بما قَبلها مِن وجوه:

أحدها: أنَّه أخبر عن خلق السماوات والأرض، ثم أخبر أنَّه خلق بعدهما البشر، وأبوهم آدم، وأخبر الملائكة قبل خلقه أنَّه يَخلقه ويَستخلفه.

والثاني: أنَّه قال: ﴿خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾، ثم خلقكم فهيَّأ أسبابَكم ثم أخرجكم، وفيه تفريغُ قلوبكم وتفريجُ كروبكم[١].

والثالث: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ﴾ وقد خلقكم وخلقَ الأشياءَ كلَّها لكم، وأنعم على أبيكم بما ذكر في[٢] تمام القصة، وذكرُ النِّعمِ على السالفين استبداءُ الشُّكر على الخالفين، كما عدَّ نِعَمَ بني إسرائيل على أولادهم فقال: ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ٤٠] إلى آخر القصة، ولذلك[٣] ذكر تلك القِصص بعد هذه القصَّة لتقارُبها.

وبَدَأ القصةَ بقوله عزَّ وعلا: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ والواو للاستئناف، وأصله للعطف، وهذا عطفُ جملةٍ على جملةٍ، و(إذ) كلمة ظرفٍ للزَّمان الماضي، وقد يَجيء لغيره، وقد قالوا: إنَّه يَجيء على خمسة أوجه:

للماضي[٤]: كما في قوله ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ﴾ [البقرة: ٥٥].

---

(١) في (أ): «تفريغ قلوبهم وتفريج كروبهم».

(٢) في (ف): «من».

(٣) في (ر) و(ف): «إلى آخر القَصَص وكذلك».

(٤) في (أ): «أحدها للماضي» وفي (ر): «أحدها الماضي».

وللحال في الماضي: كما قال ﴿إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ﴾ [آل عمران: ٤٤].

وللحال: كما قال: ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ﴾ [الإسراء: ٤٧].

وللمستقبل المحض: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى﴾ [المائدة: ١١٦].

وللزيادة والتأكيد: كما في أوائل القصص: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ [البقرة: ٣٤] ونحوِه عند بعضهم، وهو قولُ أبي عبيدة[١]، وخالفه سائرُ أهل اللغة وقالوا: هو للتوقيت؛ وله وجهان:

أحدهما: واذْكُر يا محمَّد حين قال الله تعالى للملائكة هذا.

والثاني: خلَقكم حين أتمَّ خلقَ السماوات والأرض، وحين قال للملائكة كذا.

و﴿رَبُّكَ﴾ خطابٌ للنبيِّ محمد عليه السلام.

وقوله تعالى: ﴿لِلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ هو جمع: المَلَك، وهو يُجمَع على: الأَمْلاك والمَلائِك والمَلائِكة، وأصل المَلَك: المَأْلَك، مِن الأَلوك وهو الرِّسالة، قال لبيد:

وغـلامٍ أَرسلَتْـهُ أُمُّـه ... بِأَلوكٍ فبذَلْنا ما سَأَلْ[٢]

والملائكةُ: رسلُ اللهِ تعالى؛ قال تعالى: ﴿جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا﴾ [فاطر: ١].

والمَأْلَك قُلِبَ فقيل: مَلْأك، وجُمع على الملائكة، وهي المَفاعِلَة كالمَهالِبَة، والمُستعمَل في الواحد: مَلَك، بحذف الهمزة تخفيفاً.

---

(١) انظر: «مجاز القرآن» (١/ ٣٦ ـ ٣٧).

(٢) انظر: «ديوان لبيد» (ص: ٩١).

ثم الملائكة في القرآن على ثلاثة أوجه:

للواحد: كما في قوله تعالى: ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ﴾ [آل عمران: ٣٩]؛ أي: جبريل صلوات الله عليه.

ولطائفةٍ مخصوصةٍ: كما في قوله: ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [فصلت: ٣٠].

وللاستيعاب: كما في قوله: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [آل عمران: ١٨]، **وقوله تعالى**: ﴿كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

وأمَّا التفسير:

فقد قيل: كان هذا خطاباً لملائكة السماء.

وقيل: كان هذا خطاباً لملائكة الأرض.

وقيل: كان خطاباً لكل الملائكة.

وكذا اختلفوا في قوله: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ﴾ [البقرة: ٣٤].

وقوله تعالى: ﴿إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (إنَّ) كلمةُ تأكيدٍ، والياءُ للإضافة إلى نفس المتكلِّم، وفيه لغتان: (إنِّي) و(إنَّني)، والثانيةُ أوكدُ، وكذا: (لكنِّي) و(لكنَّني)، و(كأنِّي) و(كأنَّني).

وقوله تعالى: ﴿جَاعِلٌ﴾ قد مرَّ التفصيلُ في الكلمة، ومِن وجوهه: الخَلْق، ومنها: التَّصيير، وبكلِّ واحدٍ منهما هاهنا وَرَدَ التفسيرُ:

فقيل: معناه: إني خالق؛ أي: سَأخلُق.

وقيل: أي: مُولٍّ وناصبٌ.

والأولُ للإحداث والثاني للتصيير، والكلمة تحتملُهما.

والتنوينُ في قوله: ﴿جَاعِلٌ﴾ مع النَّصب في قوله: ﴿خَلِيفَةً﴾ دلالةُ الفعل، وذلك الفعلُ هو الواقعُ على قوله: ﴿خَلِيفَةً﴾، وتقديره: سأجعلُ خليفةً، وهو خلافُ تركِ التنوين والذِّكْرِ على وجه الإضافة، ذاك دليلُ وجود الفعل قبل الإخبار، فقولُك: إنِّي ضاربُ زيدٍ، على الإضافة إخبارٌ منكَ أنَّك ضربْتَه، وقولُك: ضاربٌ زيداً، بالتنوين؛ إخبارٌ أنَّكَ تريدُ ضربَه، وعن هذا قال أهلُ الفقه[1]: مَن قال لآخَرَ: أنا ذابحُ شاتِكَ، بالإضافة، ضمِن له قيمةَ شاةٍ وسطٍ؛ لإقراره له بإتلافِ شاته مِن قَبْلُ، ولو قال: أنا ذابحٌ شاتَكَ، بالتنوين، والنصبِ في الشاة، لم يَضمن له شيئاً؛ لأنَّه يُخوِّفه أنَّه يريدُ[2] ذبحَ شاتِه مِن بَعْدُ.

وعلى هذا ظهَر لك أنَّ قولَه: ﴿جَاعِلِ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ رُسُلًا﴾ [فاطر: ١] وقولَه: ﴿وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا﴾ [الأنعام: ٩٦] وقولَه: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ [البقرة: ١٢٤] إثباتُ أمورٍ كائنةٍ، وقولَه: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ إخبارٌ عن أمرٍ سيكون، وكذا قولُه: ﴿وَإِنَّا لَجَـٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا﴾ [الكهف: ٨].

فأمَّا الآياتُ التي تُقرأ فيها على الوجهين؛ فللدلالة على الأمرين، قال اللهُ تعالى: ﴿واللهُ مُتِمّ نوره﴾ [الصف: ٨] قُرِئ بهما[3]، فالإضافةُ دليلُ تحقيقِ الإتمام لحقيَّة الإسلام، والتنوينُ وعدٌ بالإتمام والإكمالِ لظهور أهل[4] الإسلام.

وقال: ﴿هَلْ هُنَّ كَـٰشِفَـٰتُ ضُرِّهِۦٓ﴾ [الزمر: ٣٨] ﴿هَلْ هُنَّ مُمْسِكَـٰتُ رَحْمَتِهِۦ﴾

(١) في (ر) و(ف): «اللغة».

(٢) في (أ): «يخوفه بإرادة».

(٣) قرأ ابن كثير وحفص وحمزة والكسائي: ﴿متمُّ نورِه﴾ على الإضافة، وقرأ باقي السبعة: ﴿متمٌّ نورَه﴾ بالتنوين.

(٤) في (أ): «وعد بإكمال ظهور أهل»، وكلمة: «أهل» ليست في (ر) و(ف).

[الزمر: ٣٨] وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦ﴾ [الطلاق: ٣]، فالإضافةُ للحال، والتنوينُ للاستقبال[1].

وقوله: ﴿خَلِيفَةً﴾ هو: فَعِيْلة، مِن: خَلَفه يَخلُفه خُلوفاً؛ أي: جاء بعدَه يَقوم مقامَه ويَسكن مسكنَه، قال اللهُ تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمۡ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلۡأَرۡضِ﴾ [فاطر: ٣٩].

والخَليفُ أيضاً كذلك، وجَمع هذا: الخلفاء، قال تعالى: ﴿إِذۡ جَعَلَكُمۡ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعۡدِ قَوۡمِ نُوحٖ﴾ [الأعراف: ٦٩]، وهو قياسُ الشَّريف والشُّرفاء.

وجَمعُ الخليفة: الخلائف، وهو قياسُ الخليقة والخلائق، والهاءُ للمبالغة لا للتأنيث؛ كما يقال: عَلَّامة ونَسَّابة وراوية، والخَليفةُ أيضاً هو المنصوبُ المأمورُ لتنفيذ الأمور، قال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِى ٱلۡأَرۡضِ﴾ [ص: ٢٦].

واختُلف في تفسيره هاهنا:

قال ابنُ عباس رضي الله عنهما: هذا للعموم، والمرادُ به آدمُ وأولادُه، وسُمُّوا به لأنَّهم خَلَفوا الملائكةَ والجِنَّ ـ بني الجانِّ ـ في سُكنى الأرض، ولذلك[2] استقامَ قولُ الملائكة: ﴿أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ [البقرة: ٣٠] ولا شكَّ أنَّهم أرادوا بذلك أولادَه دونه.

وقال القفَّال: قال الحسنُ البصريُّ رحمه الله: هم أولادُ آدمَ دون آدم، وسُمُّوا به؛ لأنَّهم يَخلفون آدمَ، ويَخلف بعضُهم بعضاً[3]، والملائكةُ والجنُّ ـ بنو الجانِّ ـ لم يَخلف بعضُهم بعضاً، بل جاؤوا جملةً وذهبوا جملةً.

---

(١) قرئت كل منها بالتنوين والإضافة، كما سيأتي كل في محله.

(٢) بعدها في (ر): «قال».

(٣) ذكره عن الحسن الطبري في «تفسيره» (١/ ٤٧٨).

وقال السُّدِّيُّ: أراد به آدمَ وحده[١]، وهو للخصوص.

ثم اختلفوا في تسميته خليفةً:

قال ابنُ مسعود رضي الله عنه: خلافتُه: الحُكمُ بين الخلق، وتبليغُ الوحي، وبيانُ الأمر والنهي، وذِكْرُ الوعد والوعيد.

وقال بعضُهم: خلافتُه وخلافةُ أولادِه مِن بعده[٢]؛ في إنباتِ الأشجار، واستخراجِ الثمار، وشقِّ الأنهار.

وقالوا: إنَّ اللهَ تعالى خَلَقَ العرش والكرسيَّ واللوح والقلمَ وسدرةَ المنتهى وجنَّة المأوى، ولم يُخبر عن خَلْقها قبل كونها، وخصَّ بذلك آدمَ وأولاده؛ لأنَّه شرَّفهم وكرَّمهم وفضَّلهم وقدَّمهم، وما فعل ذلك لكون أَصلهم أَزينَ، ولا لكون فِعْلهم أحسنَ[٣]، لكن مَنًّا منه[٤] وفَضْلاً وكرماً وطَولاً، وقد قال قائلُهم:

وكم أبصرتُ مِن حُسْنٍ ولكن ... عليك مِن الورَى وقعَ اختياري[٥]

وقوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ قيل: هذه ألفُ الاستفهام، وهو

---

(١) ورد نحوه في خبر رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٤٧٩) من طريق السدي عن أشياخه عن ابن مسعود وابن عباس.

(٢) «من بعده»: ليست في (أ) و(ف).

(٣) في (أ): «وما فعل ذلك لكونهم أزين أصلًا وأحسن فعلًا».

(٤) في (ف): «عليهم».

(٥) البيت في «نهاية الأرب» للنويري (٢/ ٨٢) ونسبه لمحمد بن وهب، و«لطائف الإشارات» للقشيري (١/ ٧٤) ولم ينسبه.

استفهامٌ مختصرٌ؛ أي: أَتجعلُ فيها مَن يُفسد فيها، أم مَن يُصلِح فيها، أم[1] مَن يسفك الدماء جراءةً، أم مَن يَسفح الدموعَ خشيةً؟ ويجوز حذفُ أحدِ الشيئين إذا دلَّ المنفيُّ على المَلغيِّ، كما في قوله تعالى: ﴿سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾ [النحل: ٨١]؛ أي: الحرَّ والبردَ.

وقيل: هو سؤال الحكمة؛ أي: أيُّ حكمةٍ في خَلْق مَن يُفسد ويَسفك؟

وقيل: هو للإثبات؛ كما في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ [الحديد: ١٦]؛ أي: قد آنَ، وقال الشاعر:

أَلَستُم خيرَ مَن ركبَ المطايا   وأَندى العالمينَ بطونَ راحِ[2]

فإن قالوا: لِمَ استخلفَ اللهُ تعالى خليفةً في الأرض لا في السماء؟

قلنا: لأنَّه عَلم أنَّه يكون في الأرض تَباغٍ وتَظالُمٌ، فجعل فيهم مَن يمنعُهم مِن[3] ذلك، ولم يَكن في السماء ذلك، فلم يجعل فيهم خليفةً.

فإن قالوا: إنَّما يَستخلِف مَن غاب أو عَجَز، واللهُ تعالى مُنزَّه عن ذلك كلِّه؟

قلنا: بلى، لا يَغيب عنه شيءٌ، وهو لا يَغيب عن شيءٍ، لكنَّ الأمرَ غيبٌ، وليس كلُّ عبدٍ يَطَّلع على الغيب، فخصَّ الأنبياء بذلك، ونصب آدم خليفةً ونبيًّا؛ ليُبلِّغهم ذلك، ولا عَجْزَ أيضاً، لكنَّ العبادَ يَعجِزون عن الوقوف على حقوقِ الله تعالى، فجاء الخليفةُ[4] ليُبيِّنَها[5] لهم.

---

(١) في (أ) و(ف): «و».

(٢) البيت لجرير، وهو في «ديوانه» (١/ ٨٩).

(٣) في (ف): «عن».

(٤) في (ر): «بالخليفة».

(٥) في (ف): «لتبيينها».

فإن قالوا: كيف عَلم الملائكةُ أنَّ مِن أولاد آدمَ مَن يكون كذلك، ولم يكلَّموا بهذا الكلام؟

قيل: لأنَّهم رَأَوا الجنَّ بني الجانِّ قد أَفسدوا فيها وسَفكوا الدماءَ، ولهم شهوةٌ ونهمةٌ وتوالُدٌ وتناسلٌ، والملائكة لم يكن لهم ذلك، فلم يَكن منهم ذلك، فقاسوا آدم وأولاده ـ ولهم تناسلٌ وتوالدٌ وشهواتٌ ـ أنَّهم يكونون كذلك، ولكنَّ هذا غيرُ واضحٍ؛ لأنَّ سُكنى ساكنٍ في دارٍ وإفسادَه[1] فيها، لا يدلُّ على أنَّه إذا ذهب وجاء غيرُه عَمِلَ[2] عملَه، ولهذا لم تفسد الملائكة الذين جاؤوا بعدهم.

والجواب الصحيح ما قاله ابنُ عباس وابنُ مسعود والحسن وابنُ جريج ومحمد بنُ إسحاق: إنَّ اللهَ تعالى أَخبرهم بذلك وأَذِن لهم في السؤال؛ بدليلِ أنَّهم قالوا بعد ذلك: ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ﴾.

ثمَّ هذا الكلام منهم بعدَ العلم لم يَكن طعناً فيهم ولا اعتراضاً على الله، بل له وجوهٌ صحيحةٌ:

أحدها: أنَّه للتعجُّب؛ كما في قوله تعالى: ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا﴾ [الصافات: ١٢٥] وهو مِن وجهين:

أحدهما: التعجُّب مِن استخلاف اللهِ تعالى إيَّاهم مع علمه بحالهم.

والثاني: التعجُّب مِن إفسادهم وسفكِهم مع كثرة نِعَمِ اللهِ عليهم.

وآخَرُ: أنَّه سؤالُ الحِكمةِ، لا الاعتراضِ على الحُكم؛ قال الله تعالى: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾ [الأنبياء: ٢٣]، ويدلُّ على ذلك أنَّ الله قال في حقِّهم: ﴿لَا يَسْبِقُونَهُۥ

---

(١) في (ر): «سكنى ساكني دار وإفسادهم».

(٢) في (أ): «يعمل».

﴿بِالْقَوْلِ﴾ [الأنبياء: ٢٧] ودليلُ جواز سؤالِ الحكمة: أنَّ[1] العبدَ إنْ لم يَسأل ذلك من ربِّه[2] فمِمَّن يَسأل؟! وسؤالُ الحكمة جائزٌ؛ قال اللهُ تعالى خبراً عن ضعفاء[3] الصحابة رضي الله عنهم أنَّهم قالوا: ﴿رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ [النساء: ٧٧] فلمْ يُنكر عليهم، لكنْ أَجابهم فقال: ﴿قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾ [النساء: ٧٧]؛ أي: أمرتكم بالقتال ليحصل لكم الثوابُ الكثيرُ، وقال تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ﴾ [النساء: ٧٨]؛ أي: إنْ قاتلتم أو لم تقاتلوا، والموتُ في الشهادة حياةٌ، فاجعلوا الحياةَ الفانيةَ باقيةً، والمتاعَ القليلَ كثيراً.

وقوله تعالى: ﴿مَنْ يُفْسِدُ﴾ ﴿مَنْ﴾ هاهنا للجَمْع؛ كما في قوله تعالى: ﴿مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ﴾ [البقرة: ٨].

و﴿يُفْسِدُ﴾ مرَّ تفسيرُه، وهو في القرآن على عشرةِ أوجهٍ:

للكفر: في قوله: ﴿آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس: ٩١].

وللعمل بالمعاصي: قال تعالى: ﴿لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١١].

وللتخريب: قال تعالى: ﴿إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا﴾ [النمل: ٣٤].

والمقتل: قال: ﴿إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ﴾ [الكهف: ٩٤].

ولإفسادِ أحوالِ الناسِ: قال تعالى: ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا﴾ [المائدة: ٣٣].

وللإهلاك: ﴿لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ﴾ [الإسراء: ٤].

ولقلَّة المطر والنبات: قال تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ [الروم: ٤١].

---

(١) في (ر) و(ف): «وسؤال الحكمة جائز لأن» بدل: «ودليلُ جواز سؤالِ الحكمة: أنَّ».

(٢) في (ر) و(ف): «إن لم يسأل من الله تعالى».

(٣) في (ف): «ضعف».

وللسِّحر: قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصۡلِحُ عَمَلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ [يونس: ٨١].

ولنقصِ الكَيْل والوزن: قال: ﴿وَلَا تَنقُصُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَ﴾ [هود: ٨٤] ثم قال: ﴿وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا﴾ [الأعراف: ٥٦].

وللانتقاض: قال تعالى: ﴿لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢].

أمَّا التفسير:

فقد قيل: أراد هاهنا الكفرَ؛ أي: يَكفرون بك ويَسفكون دماءَ خلقك، فذكَروا جنايتهم في حقِّ الله تعالى بالكفر، وجنايتَهم على الخَلْق بالقتل، وهما أعظمُ ما يُتصوَّر مِن الجناية[1] في حقِّ الحقِّ وحقِّ الخَلْق، ويدلُّ عليه أنَّهم ذكروا من أنفسهم بمقابلتهما شيئين: التسبيحَ بحمد الله، والتقديسَ لله عزَّ وجلَّ، فالتسبيحُ بحمده هو الإيمانُ ووصفُه بصفاته العُلى، والتقديسُ لله هو تطهير أنفسهم[2] وتطهيرُ العالَم عن كلِّ فعلٍ لا يُرتضى.

وقيل: المرادُ بهذا الفساد: العملُ بكلِّ المعاصي، ثم عطفُ سفكِ الدِّماء على الإفساد ـ مع أنَّ كلَّ المعاصي دخلت[3] في الإفساد ـ لتعظيم حاله وتكثير وباله[4]، كعطف قوله: ﴿وَمِنكَ وَمِن نُّوحٖ﴾ على قوله: ﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمۡ﴾ [الأحزاب: ٧]؛ لعلوِّ درجتهما وعِظَم مرتبتهما[5].

وقوله تعالى: ﴿فِيهَا﴾؛ أي: في الأرض.

---

(١) في (ف): «فذكروا خيانتهم... وخيانتهم على الخلق... الخيانة».

(٢) في (ر) و(ف): «التطهير لأنفسهم».

(٣) في (أ): «دخل».

(٤) في (ر) و(ف): «مآله».

(٥) في (ف): «وعظيم مرتبتها».

وقوله: ﴿وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ السَّفْكُ: الصَّبُّ في الدَّم خاصَّةً عند بعضِ أهل اللغة، وفي حقِّ الدَّمع أيضاً عند بعضهم، والدَّمُ أصله: الدَّميُ بالياء[١]، وحُذف تخفيفاً؛ لكثرة الاستعمال، ولهذا يَعود في التصغير، ويظهر في الفعل: دَمِيَ يَدْمَى، وأَدْماه غيرُه ودمَّاه، وجمعُه: الدِّماء، والـمُدَمَّى: الفرسُ الأشقرُ[٢] الشديدُ الحُمرةِ يُشْبه لونُه لونَ الدَّمِ، والشَّجَّةُ الدَّاميةُ: التي تُدمِي ولا تُسيل.

﴿وَيَسْفِكُ﴾ فعلُ واحدٍ، ومعناه: الجمعُ، كما مرَّ في ﴿يُفْسِدُ﴾، والألف واللام في ﴿ٱلدِّمَآءَ﴾ بدلُ الإضافة؛ أي: دماءَ الناس، كما في قوله: ﴿يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ﴾ [الزمر: ١٨]؛ أي: قولَ اللهِ تعالى.

والمراد مِن سفكِ الدِّماء، هو سَفْكُها بغير[٣] حقٍّ؛ لأنَّ سَفكها قصاصاً وحراباً للمحاربين غيرُ مذموم، وهم أرادوا السَّفْكَ المذمومَ، فقد عطفوا على الإفساد، فتقيَّد المُطلَقُ من الكلام بدلالةِ سَبْقِ النظام[٤].

ثم هؤلاء وَصَفوهم بالفساد وسفكِ الدِّماء، والله تعالى وَصَفهم بالصلاح وسفح الدموع؛ قال تعالى: ﴿يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥]، وقال تعالى: ﴿تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ﴾ [المائدة: ٨٣]، والملائكةُ قالوا صدقاً؛ فقد أُخبروا بذلك، والله تعالى يقول: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: ١٢٢]، وكأنَّه يقول: فيهم هذا وفيهم هذا، لكن الفساد فيهم عارضٌ وهو العصيان، والصلاحَ دائمٌ وهو الإيمان، وقد قال مخلوقٌ لمخلوقٍ:

---

(١) ووزنه: فَعْلٌ أو فَعَلٌ. انظر: «البحر» (١/ ٣٧٦).

(٢) «الأشقر»: سقط من (أ).

(٣) في (ف): «من غير».

(٤) في (ر) و(ف): «فتقيد المطلق به دلالةً».

وإذا الحبيبُ أَتَى بذنبٍ واحــدٍ ... جاءَت محاسـنُه بألفِ شفيعِ(١)

وقال آخر:

فـإنْ يَكُـن الفعـلُ الـذي سـاءَ واحداً ... فـأَفعـالُــه اللَّاتـي سَـرَرْنَ أُلـوفُ(٢)

وقال آخر:

مـا حَطَّـكَ الواشـونَ عـن رُتبةٍ ... عـنــدي ولا ضَــرَّكَ مُغتـابُ

كأنَّهـم أَثْنـوا ولـم يَـعـلـمــوا ... عليكَ عنـدي بالَّـذي عابُـوا(٣)

وقوله: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾: التسبيحُ: تنزيهُ اللهِ تعالى مِن كلِّ سوءٍ، وسبحانَ مِن كذا؛ أي: ما أبعده، وقال الشاعر:

أقـولُ لمَّـا جـاءَنــي فَـخْـرُهُ ... سُبْحانَ مِـن عَلقمـةَ الفاخِـرِ(٤)

ويقال: هو كلمةُ تعجُّب، ومعنى هذا البيت؛ أي: عجباً منه.

وقوله تعالى: ﴿كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ﴾ [الصافات: ١٤٣]؛ أي: المصلِّين، ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ﴾ [الأنبياء: ٢٢]؛ أي: صلُّوا للهِ، والسُّبْحةُ: النافلةُ.

وأمَّا التفسير:

فقد قال ابنُ عباس وابنُ مسعود رضي الله عنهم: معناه: ونحن نُصلِّي بأمركَ(٥).

---

(١) البيت في «لطائف الإشارات» للقشيري (١/ ٧٥).

(٢) البيت للمتنبي، وهو في «ديوانه» (ص: ١٠٠).

(٣) البيتان للحسن بن هانئ، وهما في «ديوانه» (ص: ٦٩).

(٤) البيت للأعشى، وهو في «ديوانه» (ص: ٩٤)، و«الكتاب» (١/ ٣٢٤)، وعلقمة هو ابن علاثة، والبيت في هجائه.

(٥) رواه عنهما الطبري في «تفسيره» (١/ ٥٠٤).

وقيل: أي: نُنزِّهك عن الصاحبةِ والأولاد، والأضدادِ والأنداد، وعن الصفاتِ التي لا تليقُ بك.

وقوله: ﴿بِحَمْدِكَ﴾: روينا عن ابنِ عباس وابنِ مسعود رضي الله عنهم أنَّ معناه: بأَمرك[١]، وتحقيقُه: ﴿بِحَمْدِكَ﴾؛ أي: بأمرك المحمود، مصدرٌ أُريد به المفعول، كقولهم: هذا ضربُ الأمير؛ أي: مضروبُه.

وقال الثعلبيُّ: قال بعضُهم: أي: نُصلِّي لك بفاتحة الكتاب[٢].

فقوله: ﴿بِحَمْدِكَ﴾ هذا اسمُ هذه السورة، وأُضيفت إلى الله تعالى لأنَّها وحيُه وكلامه.

وقال مجاهد: أي: نُعظِّمك بالحمد لكَ على نعمِك[٣].

وتحقيقُ قولهم: ﴿نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ﴾؛ أي: نقول: سُبحانك اللَّهمَّ وبحمدك، وهو تنزيهُه عن الصفات المذمومة[٤]، وحمدُه على الصفات الحميدة.

وقال المفضَّل: أي: نرفعُ أصواتَنا بذِكْرك؛ قال جرير:

قَبَحَ الإلهُ وجوهَ تَغْلِبَ كلَّما ... سَبَحَ الحجيجُ وكبَّروا إهلالا[٥]

---

(١) انظر التعليق السابق.

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» (١/ ١٧٦).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٥٠٦).

(٤) في (أ): «الذميمة».

(٥) «ديوان جرير» (١/ ٥٢)، و«النكت والعيون» (١/ ٩٨)، و«غرائب التفسير» لمحمود بن حمزة الكرماني (١/ ١٣٢). ورواية الديوان: (شبح الحجيجُ)، وفسره ابن حبيب شارحه بقوله: الشبح: رفع الأيدي بالدعاء.

وقال الثعلبيُّ: أي: نُسبِّحك ونقدِّس لك، وذاك بحمدك[١]؛ أي: لك الحمدُ على توفيقك؛ فإنَّه بكَ لا بنا، وهو تقريرُ مذهب أهل السُّنَّة والجماعة، وهو رؤيةُ الفعل مِن نفسه والعونِ مِن ربِّه.

وقوله: ﴿وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ التقديسُ: التطهيرُ، والقُدُس: الطُّهر، والقُدُّوس مِن أسماء الله تعالى، وبيتُ المقدِس، والأرضُ المقدَّسة، والقادسيَّة[٢]: مأخوذات[٣] مِن القُدُس، والقُدُس: البركة أيضاً، وفي الخبر: «قَدَّسَ على العَدَسِ كذا مِن الأنبياء»[٤].

وأمَّا التفسير هاهنا:

فمعناه عند بعضهم: نطهِّرك عمَّا لا يليقُ بك، واللامُ صلةٌ.

وقيل: بل معناه: نُطهِّر قلوبَنا مِن الشرك، وأنفسَنا مِن المعصية ﴿لَكَ﴾؛ أي: لأَجْلك.

وقيل: أي: نطهِّر أعمالَنا لك مِن الخلل والزَّلل والعُجب والرِّياء.

---

(١) انظر: «تفسير الثعلبي» (١/ ١٧٦).

(٢) في (ر) و(ف): «والقادسة»، والمثبت من (أ) وهو الصواب. انظر: «الصحاح» (مادة: قدس)، و«مجمل اللغة» (ص: ٧٤٥).

(٣) في (ف): «مأخوذة».

(٤) رواه بنحوه ابن حبان في «المجروحين» (٢/ ١٢٠)، وابن الجوزي في «الموضوعات» (٢/ ١٩٧)، من حديث عبد الرحمن بن دلهم، وهو مختلف في صحبته، ورواه ابن الجوزي بنحوه أيضاً من حديث علي رضي الله عنه، وقال: هذان حديثان موضوعان، كافأ الله من وضعهما، فإنه قصد شين الشريعة والتلاعب، فإن العدس من أردأ المأكولات، فإذا سمع من ليس من أهل شرعنا هذا نسب نبينا إلى غير الحكمة. ثم روى عن إسحاق بن إبراهيم قوله: سئل ابن المبارك عن الحديث في أكل العدس أنه قدس على لسان سبعين نبياً، فقال: ولا على لسان نبي واحد، إنه لمؤذ ينفخ... إلخ.

فإنْ حُمل على الأول؛ أي: التطهير، وقد ذكروا ذلك في التسبيح، فالتكرار للتأكيد كما في قوله[١]: ﴿عَلِيمًا خَبِيرًا﴾ [النساء: ٣٥] ولأنَّ التسبيحَ نفيُ ما لا يليقُ به، والتقديسَ إثباتُ ما يليق به.

وإنْ حُمل على الثاني فلا تكرار؛ لأنَّ الأولَ تنزيهُ الله تعالى، والثانيَ تطهيرُ أنفسهم لله.

ثم مجموعُ كلامِ هؤلاء ثلاثةُ أشياء:

أحدها: التوحيد؛ وهو في قولهم: ﴿نُسَبِّحُ﴾.

والثاني: التنزيه[٢]؛ وهو في قولهم: ﴿بِحَمْدِكَ﴾، فإنَّه رؤيةُ الفعل مِن أنفسِهم، والفضلِ مِن ربِّهم.

والثالث: الطاعة؛ وهي في قولهم: ﴿وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾، فإنَّه تطهيرُ الأنفُسِ مِن الذُّنوب والأعمالِ مِن العيوب، وهو إخلاصُ الطاعات لله تعالى، وهو تنبيهٌ لكلِّ مسلمٍ[٣] وتحريضٌ له على إتمام هذه الخِلال؛ ليبلُغ محلَّ الكمال.

وقد ذكر كثيرٌ مِن المجازفين في هذا الموضع أشياءَ لا يجوز اعتقادُها، قالوا: إنَّهم حسدوا بَني آدمَ وعابوهم ومدحوا أنفسَهم، فعُوقبوا بالأمر بالسجود لآدمَ، وبالعمل لأولاده في الدُّنيا وخدمتِهم في العُقبى.

وهذه مقالاتٌ شنيعةٌ وذمٌّ للمقدِّسين الذين مدحهم اللهُ تعالى في آيات؛ قال: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦] ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ﴾ [التحريم: ٦]

---

(١) في (أ) و(ف): «للتأكيد كقوله».

(٢) في (ر) و(أ): «السنة».

(٣) في (أ): «وهذا تنبيه لكل مؤمن».

﴿لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٧] ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٠] وغيرَ ذلك.

وأمَّا[١] قولهم: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾: فليس باستكبارٍ[٢] وكراهةٍ، بل هو سؤالُ حكمةٍ، ووَصْفُهم أنفسَهم بالتسبيح والتقديس ليس بنظرٍ إلى عبادتهم، بل اعترافٌ بعبوديتهم[٣]، وأمرُهم بالسجود لآدمَ تشريفٌ لآدم لا تحقيرٌ لهم، وكذا أمرُهم بالعمل لبني آدمَ في كِتْبَةِ الأعمال، ومراقبةِ الأحوال، وإيصالِ الأرزاق، وحفظِهم في الآفاق[٤]، ائتمانٌ لهم على[٥] عظائم الأمور، وأمرُهم بزيارتهم في الجنَّة إكرامٌ للأضياف بقيام الأعزَّة عليهم في تلك المنازل والقصور.

وقوله تعالى: ﴿إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾: لم يبيِّن لهم في الحال وجهَ الحكمة، ولا كشَفَ لهم عن الخفيَّة[٦]، بل قال: إني أعلم وجهَ الحكمة في استخلافهم على ما يكون مِن أوصافهم، فلا تعترضوا على حُكمي وتقديري، ولا تَستكشفوا غيبَ تدبيري، فليس كلُّ مخلوقٍ يطَّلع على غيبِ الخالق، ولا كلُّ واحد[٧] مِن الرعيَّة يقفُ على سرِّ المَلِك.

وقال ابنُ مسعود وابنُ عباس ومجاهد رضي الله عنهم: معناه: إنِّي أَعلم ما

---

(١) في (أ): «فأما».

(٢) في (أ): «باستنكار».

(٣) في (أ): «ليس بنظر إلى عبادة بل اعتراف بعبودية».

(٤) في (ف): «الآفات».

(٥) في (ر): «في».

(٦) في (ر): «الحقيقة».

(٧) في (ف): «أحد».

يُضمِر إبليسُ مِن الاستكبار والمعصية فيما أُمر به مِن السجود لآدم[١]، وكشفُه أنَّكم قلتُم في حقِّهم إِنَّهم يُفسدون وللدِّماء[٢] يَسفكون، وفيكم مَن هو أصلُ الفساد ومادَّةُ العناد، وساعٍ[٣] في إفساد العباد.

وقالوا: إنَّما أَخْفَى حالَ إبليس للحال؛ لإخفائه ذلك على[٤] الأشكال، فلم يَهتك سترَه حتى أظهر هو بالعمل سرَّه.

وقال قتادة: أي[٥]: أعلم أنَّ فيهم الأنبياءَ والأولياءَ الذين يُصلحون ولا يُفسدون[٦].

وقيل: معناه: أَنَّكم أَظهرتُم مِن أنفسكم الطاعات، وهي في جميع الحالات، لكنَّ ذاك منكم طبعٌ بغير تكلُّفٍ، ومنهم الطاعاتُ في بعض الحالات لكنْ بالتكلُّف، ولهم هوى النفوسِ ووسوسةُ الشيطان وفتنةُ الدُّنيا، فهم[٧] أَولى وعملُهم أَعلى.

وقال الإمامُ أبو منصورٍ رحمه الله: سؤالُهم يُخرَّج على وجهين:

أحدهما[٨]: أنَّ اللهَ تعالى أَعلمهم أَنَّهم يكونون كذلك، فقالوا: كيف يفعلون ذلك

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٤٨٢) عن ابن عباس وابن مسعود بلفظ: (إنِّي قد اطَّلَعْتُ مِن قلبِ إبليسَ على ما لَمْ تَطَّلعُوا عليه مِن كِبْرِه واغترارِه).

(٢) في (أ): «والدماء».

(٣) في (أ): «والتساعي».

(٤) في (ف): «عن».

(٥) في (أ): «إني».

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٤٩١).

(٧) في (ر) و(ف): «وهم».

(٨) في (ر): «أهمهما».

وقد خَلقتَهم ورزقتَهم وأَكرمتَهم بأنواع النِّعَم، ونحن إذ خلقْتَنا نسبِّحك ونقدِّس لك، أو كيف تحتمل قلوبُهم عصيانَك مع عظيم[١] نِعَمك، ونحن تأبى العقولُ علينا ذلك، فقال: ﴿إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾؛ أي: أمتحنُهم مع ما[٢] رُكِّب فيهم مِن الشهوات، وما يَلحقُهم مِن الآفات، فيكون ذلك منهم لذلك[٣]، فهم سألوا سؤالَ الحكمة، واللهُ تعالى بيَّن أنَّه لا[٤] يَخلقهم للحاجة، وليس له بشيءٍ منفعةٌ.

والثاني: أنَّ معنى قولهم: ﴿أَتَجۡعَلُ﴾ على الإيجاب؛ أي: [أنت] تفعل ذلك؛ إذ لا ضررَ عليك بمعصيته ولا نفعَ لك بطاعته، وهو كقوله: ﴿أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ [النور: ٥٠] ﴿أَتُرِيدُ أَن تَقۡتُلَنِي﴾ [القصص: ١٩] ﴿أَئِنَّكُمۡ لَتَكۡفُرُونَ﴾ [فصلت: ٩]، والألفُ زائدة، وقوله: ﴿إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ كان أخبرهم عن المفسدين دون غيرهم فلما سألوا قال: ﴿إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ أن فيهم الرُّسل والأخيار[٥].

وقيل: أي: لهم العلمُ ولكم العملُ، والعلمُ أفضلُ، ولهذا قال بعد ما علَّم آدمَ الأسماءَ وسألهم عنها، فلم يَعلموا وأنبأهم آدمُ ففهموا، فقال الله تعالى[٦]: ﴿أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ الآية.

---

(١) في (ر): «نسيانك مع عظمة».

(٢) في (أ): «ممتحنهم بما».

(٣) في (ر): «فيكون ظهر منهم ذلك كذلك». وعبارة «التأويلات»: (أَمْتحنهُم مع ما ركب فيهم من الشهوات التي ـ لغلبتها على أَنفسهم ـ تعتريهم أَنواع الغفلة، ويصعب عليهم التيقظ؛ لكثرة الأَعداءِ لهم، وغلبة الشهوات؛ فلما عظمت المحنة عليهم يكون منهم ذلك).

(٤) في (أ): «لم».

(٥) انظر: «تأويلات أهل السنة» (١/ ٤١٤ ـ ٤١٥).

(٦) «فقال الله تعالى»: زيادة من (أ).

وقيل: أي: لكم الطاعةُ وبها منكم الافتخارُ، ومنهم المعصيةُ ومعها لهم الاعتذارُ.

وقيل: أنتم تعلمون منهم العصيانَ، وأنا أَعلم لهم منِّي الغفران.

وقيل: تسبيحُكم وتقديسُكم مِن فعلِكم، وفي ذكرهما إظهارُ فضلكم، وفي العفو عن خطاياهم وغفرانِ سيئاتهم إظهارُ فضلي ورحمتي، وإتمامُ نعمتي ومنَّتي.

وقيل: إذا أحسنتُم فلكم المدحُ، وإذا أساؤوا وعفوتُ فلي المدحُ.

وقيل: أي: ﴿إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ مِن صفاء عقائد المسلمين في محبَّتنا، وذكاءِ سرائرهم في حفظ عهودنا، وإنْ تدنَّست ظواهرهم بعصياننا.

وقيل: أي: ﴿إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ أنَّهم يُذنبون بأجسامهم ويَكرهونه بقلوبهم، وأنتم تطيعون بأجسامكم وتعتمدون عليه بقلوبكم.

وقيل: أيُّ خطرٍ لطاعتكم مع عَدلي، وأيُّ بقاءٍ لمعاصيهم مع عَفوي.

وقيل: أنتم جمَّلتم أنفسَكم بالطاعة، وأنا جمَّلتهم بالمغفرة، فتجمُّلهم بمغفرتي فوقَ تجمُّلكم بطاعتكم.

وقيل: إنَّ تركَكم الذنوبَ بعصمتنا، وخروجَهم عن الذنوب برحمتنا.

ثـم ذكَـر تعليمَهـم الأسـماءَ، وبيْنَ هـذا وبيْـنَ الأول إضمـارُ خَلْقـه ونفخِه[1] الـرُّوحَ فيه.

وقصَّة خلقِ آدمَ عليه الصلاة والسلام[2] ما قال وَهْبُ بنُ مُنبِّهٍ:

---

(١) في (أ): «ونفخ».

(٢) في (أ) و(ف): «وقصته» بدل من «وقصة خلق آدم عليه الصلاة والسلام». وفي هامش (ف) ما يوافق المتن.

لمَّا أراد اللهُ تعالى أنْ يَخلق آدم أوحى إلى الأرض ـ أي: أَفهمها وأَلهمها ـ: إنِّي جاعلٌ منكِ خليفةً، فمنهم مَن يطيعني، ومنهم مَن يعصيني؛ فمَن أطاعني أدخلتُه الجنَّة، ومَن عصاني أدخلتُه النار، فقالت الأرضُ: مِنِّي تَخلق خلقاً يكون للنار؟ قال: نعم، فبكتِ الأرضُ فانفجرت منها العيونُ إلى يوم القيامة، وبعث اللهُ إليها جبريلَ صلوات الله عليه ليَأتيه بقبضةٍ مِن زواياها الأربعِ؛ مِن أسودِها وأحمرِها وطيِّبِها وخبيثِها وسهلِها وجبلِها[(١)]، فلمَّا أتاها جبريلُ صلوات الله عليه ليَقبض منها، قالت الأرضُ: إنِّي أعوذُ بعزَّة الله[(٢)] الذي أَرسلك إليَّ أنْ تأخذَ منِّي اليومَ شيئاً يكون منه نصيبُ النار غداً، فرجع جبريلُ عليه السلام إلى مكانه ولم يَأخذ منها[(٣)] شيئاً، فقال: يا ربِّ، استعاذَت بك الأرضُ منِّي؛ فكرهتُ أنْ أُقدم عليها، فقال الله عزَّ وجلَّ لميكائيل: انطَلِق إلى الأرض فائتني بقبضةٍ منها مِن زواياها الأربعِ؛ من أسودِها وأحمرِها وسهلِها وحزنِها وطيِّبها وخبيثِها، فلمَّا أَتاها ميكائيلُ ليقبضَ منها، قالت الأرضُ له كما قالت لجبريلَ، فرجع ميكائيلُ فقال كما قال جبريل، فقال اللهُ تعالى لإسرافيلَ مثلَ ما قال لجبريل، إلى أنْ رجعَ وقالَ مثلَ ذلك، فقال اللهُ تعالى لمَلَك الموت: انطَلِق إلى الأرض فائتني بقبضةٍ مِن الأرض، إلى آخر ما ذكر[(٤)]، فلمَّا أتاها ملكُ الموت قالت الأرض: أعوذُ بعزَّة اللهِ الذي أَرسلك إليَّ أنْ تقبضَ منِّي قبضةً اليوم يكون للنَّار فيها نصيبٌ غداً، فقال ملكُ الموت: وأنا أعوذُ بعزَّته أنْ أعصيَ له أمراً، فقبض منها قبضةً مِن زواياها الأربعِ؛ مِن أَديمها الأعلى، فصعد

(١) في (أ): «وحَزْنها».

(٢) «الله»: ليس في (أ).

(٣) في (أ): «من الأرض».

(٤) في (أ): «ذكرنا».

بالقبضةِ إلى السماء، فأَمره فجعلها طيناً أربعينَ سنةً حتى صار لازِباً، ثم حمأً مسنوناً أربعينَ سنةً، ثم صار صلصالاً أربعينَ سنةً، فجعله جسداً موضوعاً على طريق مكَّة للملائكة الذين يصعدون مِن الأرض إلى السماء أربعينَ سنةً، كلَّما مَرَّ به مَلأٌ منهم عَجبوا منه[1] مِن حُسنِ صورته، ولم يَكونوا رَأَوا قبل ذلك على صورة آدمَ شيئاً يُشبهه مِن الصور، حتى مَرَّ به إبليسُ عليه اللعنةُ، فقال: لشيءٍ ما خَلق اللهُ تعالى هذا أجوفَ يأكل الطعام، إنِّي لأَرى صورةَ مخلوقٍ سيكون له نبأٌ، فقال لأصحابه: أَرأيتم هذا الذي لم تَروا على صورته شيئاً مِن الخَلْق، إنْ فُضِّل عليكم فماذا أنتم صانعونَ؟ قالوا: نُطيع ربَّنا ولا نَعصي له أمراً، فقال إبليسُ في نفسه: لئنْ فُضِّل عليَّ لأَعصينَّه، وإنْ فُضِّلتُ عليه لأُهلكنَّه، ولمَّا أراد اللهُ أنْ يَنفُخ فيه الرُّوحَ أَمره أنْ يدخل فيه، فقال الرُّوح: مدخلٌ بعيدُ القعر مُظلِم المدخل! فقال له ثانياً: ادخُل، فقال كذلك، فقال له ثالثاً فقال كذلك، فقال له رابعاً: ادخُل كَرْهاً واخرُج كَرْهاً، فلم يَدخل إلا كرهاً ولم يَخرج إلَّا كرهاً، فلمَّا نفخه فيه مارَ في رأسه[2] وجبينه وأذنَيْه ولسانه، ثم مارَ في جسده كلِّه حتى بلغَ قدمَيْه، فلم يَجد منفذاً، فرجع فخرج مِن مَنْخِريه فعطس، فقال له ربُّه: قل: الحمدُ لله ربِّ العالمين، فقالها آدمُ، فقال الله: يَرحمُك اللهُ، ولذلك خلقتُك يا آدم[3]، فلمَّا انتهى إلى ركبتَيه أراد الوثوبَ فلم يَقدر، فلمَّا بلغت قدمَيْه وثبَ، فقال اللهُ تعالى: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا﴾ [الإسراء: ١١] فصار بشراً لحماً ودماً وعظاماً وعروقاً وعصباً وأحشاءً، ثم كساه لباساً مِن ظُفُرٍ يزداد جِدَّةً في كلِّ يوم وحُسْناً وتلوُّناً في كلِّ

(١) «منه»: ليست في (ف).

(٢) في (ف): «رأس آدم».

(٣) «يا آدم»: من (أ).

حينٍ، وهو في ذلك ممنطَقٌ[١] متوَّجٌ، وجعل في جسده تسعةَ أبواب؛ سبعةً في رأسه: أُذنين يَسمع بهما، وعينين يبصر بهما، ومنخرين يجدُ بهما كلَّ رائحة، وفماً فيه لسانٌ به يتكلَّم، وحنكٌ يجدُ به طعمَ كلِّ شيءٍ، وبابين في جسده؛ وهما: قُبُله ودُبُره، يَخرج منهما تفلُ[٢] طعامه وشرابه، وجعل عقلَه في دماغه، وشرهَه في كليتيه، وغضبَه في كبده، وشجاعتَه[٣] في قلبه، ورغبتَه في رئته، وضحكَه في طُحاله، وفرحَه وحزنه في وجهه، فسبحانَ مَن جَعَله يسمع بعظمٍ، ويُبصر بشحمٍ، ويَنطق بلحمٍ، ويَعرف بدمٍ[٤].

* * *

(٣١) ـ ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَـٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾ التعليمُ: تلقينُ العلم، والتعلُّمُ: تلقُّنه، والتعليم: الإعلام أيضاً، قال الله تعالى: ﴿ قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ ﴾ [الحجرات: ١٦] والتعلُّمُ: العلمُ أيضاً، يقال: تعلَّم كذا؛ أي: أُعلِم[٥]، والعلمُ: تبيُّنُ المعلوم على ما هو به، والنعتُ منه: العليم والعالم، والمبالغة منه: العَلَّام، والتفضيل منه: الأعلم، والإعلامُ: إيقاعُ العلم، والاستعلامُ: سؤالُ الإعلام.

---

(١) في (أ): «منطَّق».

(٢) في (أ): «ثقل».

(٣) في (أ): «وضرامته». وفي (ر): «وضرامه».

(٤) انظر: «تفسير الخازن» (١/ ٣٦)، و«روح البيان» لإسماعيل حقي (١/ ١٠٠). وذكر مكي في «الهداية» (٤/ ٢٣٥٠ ـ ٢٣٥١) بعضه مصرحاً بأنه مما أخذه وهب من التوراة.

(٥) في (ر): «علم».

وأمَّا تفسيره هاهنا:

فقد قال ابنُ عباس رضي الله عنهما: لمَّا قالت الملائكةُ: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾ الآية، أراد اللهُ تعالى أنْ يُظهِر فضلَه عليهم، فعلَّمه وأظهر[١] فضله عليهم بعلمه ما لا يعلمون[٢].

واختُلف في وجهِ تعليمه:

فقيل: أَرسل اللهُ تعالى إليه مَلَكاً مِن غير هؤلاء، وأوحى إليه بذِكْر أسماءِ المخلوقات، فسمعها وحفظها.

وقيل: أَلهمه فوقع في قلبه، فجرى[٣] لسانُه بما في قلبه بتسمية[٤] الأشياء مِن عنده.

واختلف أيضاً: أنَّه جرى لسانُه بتسميتها[٥] بلسانٍ واحدٍ، أم بالألسنة كلِّها؟:

فقيل: بلسانٍ واحدٍ، ثم كلُّ قومٍ تواضعوا على غير ذلك مِن الألسنة.

وقيل: بالألسنة التي يتكلَّم بها جميعُ الناس إلى يوم القيامة، وعَلَّم هو ذلك كلَّه أولادَه، فلمَّا تفرَّقوا تكلَّم كلُّ قومٍ بلسانٍ استسهَلوهُ منها وأَلِفوه، ثم نَسُوا غيرَه بعد[٦] تطاوُلِ الزمان.

وقيل: أَصبحوا وكلُّ قومٍ منهم يتكلَّمون بلغةٍ قد نَسُوا غيرَها في ليلة واحدة.

---

(١) في (أ): «فأظهر».

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» (١/ ١٧٧).

(٣) في (ر) و(ف): «فجرى على».

(٤) في (ر): «من تسمية».

(٥) في (ف): «أنه جرى على لسانه تسميتها».

(٦) في (ف): «بعدما».

واختلف أيضاً في أنَّه كان تعليمُ الأسماء وحدها، أو تعليمُها بمعانيها؟:

فقيل: كان تعليمُ الأسماء على التجريد.

وقيل: بل كان تعليمُ الأسماء بمعانيها؛ أنَّ هذا اسمُه كذا، ويستعمل في كذا، ونفعه كذا وضرُّه كذا.

وقوله ﴿ءَادَمَ﴾: قيل: هو اسمٌ عبرانيٌّ ولا اشتقاقَ له، وأكثرُ أسماء الأنبياء كذلك، وقالوا: في القرآن مِن كلِّ لسانٍ؛ لأنَّه خطابُ الكُلِّ، فجمع ألسنةَ الكُلِّ.

وقيل: لا يجوز أن يكون في القرآن غيرُ العربيِّ؛ لأنَّ اللهَ تعالى قال: ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ [يوسف: ٢].

وقيل: كان غيرُ العرب يتكلَّمون بكلماتٍ، وتكلَّمت بها العربُ أيضاً، فصارت عربيَّةً.

وقال علي بنُ الحسين بنِ واقدٍ: ليس في القرآن نَبَطيَّةٌ ولا حبشيَّةٌ ولا يمانيةٌ، ولكنَّها عربيَّة تُوافِق نبطيَّةً وحبشيَّةً ويمانيةً.

وقال أبو عبيد: أصولُها[١] أعجميَّةٌ وقعت إلى العرب فعرَّبتها بألسنتها، ومثال ذلك: أنَّ طُورا بالسُّريانيَّة هو الجبل، وهو بألفٍ في آخره في الرفع والنصب والخفض جميعاً، بلا ألفٍ ولامٍ[٢] في أوَّله، فعرَّبته العربُ بالألف واللام وصَرَفته بالإعراب.

وقيل: كان غيرُ العربية يتكلَّمون بكلماتٍ، وتكلَّمت العربُ بها أيضاً، فصارت عربيَّةً، أو نُقلت إلى العربية فصارت منها.

---

(١) في (ر) و(ف): «كلها أصولها».

(٢) في (ف): «بألف واللام»، وفي (ر): «بالألف واللام».

وقيل: (آدمُ) عربيُّ الأصل، فإنَّه على صيغة كلام العرب، وهو على وزن: أَفْعَل، ويَصلح نعتاً في العربيَّة، والقائلون بهذا اختلفوا في معناه:

قال ابنُ عباس رضي الله عنهما: سُمِّي به؛ لأنَّه خُلق مِن أَديم الأرض[١]؛ وهو وجهها الظاهر، وكذا ورد عن النبيِّ ﷺ في سؤالاتِ عبدِ الله بنِ سلام[٢].

وقيل: هو مِن الأُدْمة وهي مِن الألوان، وهو قول الضحَّاك والنَّضْر بنِ شُميل[٣].

ثم اختُلف في تفسير الأُدْمة؛ فقال الضحاك: هي السُّمْرة، وهي الأشهَر، وقال النَّضْر: هو[٤] البياض.

ويجوز أن يكون مِن الأَدَمة ـ بفتح الهمزة والدال ـ وهو[٥] باطنُ الجلدِ، والبَشَرةُ ظاهرُها، وفلانٌ مُودَمٌ مُبْشَر؛ أي: قد جمعَ لينَ الأَدَمة وخشونةَ البَشَرة[٦]، فكان بشراً، واسمه آدمُ لجمعه الوصفين.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٥١١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣٧٠) و(٨٢٤٠)، والحاكم في «المستدرك» (٣٤٣٦)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٨١٦).

(٢) ورواه أبو داود (٤٦٩٣) الترمذي (٢٩٥٥) وصححه، والحاكم في «المستدرك» (٣٠٣٧) وصححه، من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه مرفوعاً، ولفظ أبي داود والترمذي: «إنّ الله خَلَق آدمَ مِن قبضةٍ قبضها من جميعِ الأرضِ، فجاءَ بنو آدَمَ على قَدْرِ الأرض: جاء منهم الأحمرُ، والأبيضُ، والأسودُ، وبين ذلك، والسَّهلُ، والحَزْنُ، والخبيثُ، والطَّيِّبُ».

(٣) ذكره عنهما ابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٦٢) وزاد نسبته لقطرب.

(٤) في (أ): «هي».

(٥) في (أ): «وهي».

(٦) وهذا منقول عن الأصمعي على سبيل المجاز، قال: ويقال: فلان مودم مبشر، وهو الذي قد جمع ليناً وشدة مع المعرفة بالأمور، قال: وأصله من أدمة الجلد وبشرته، فالبشرة: ظاهره، وهو منبت الشعر، والأدمة: باطنه، وهو الذي يلي اللحم، قال: فالذي يراد منه أنّه قد جمع لين الأدمة وخشونة البشرة، وجرب الأمور. انظر: «الأمثال» لأبي عبيد (ص: ١٠٦).

ويجوز أن يكون مِن قولهم: أدَمَ اللهُ بينهما يَأْدَم، وآدَمَ يُؤدِمُ أيضاً[١]؛ أي: أَلَّف وجمع، ومعناه: أنَّ اللهَ تعالى أَلَّف بينه وبين حوَّاء، وجمعَ بينه وبينها وبين كراماته[٢]، وأَلَّف بينه وبين عطيَّاته.

ويجوز أن يكون مِن قولهم: آدَمَ؛ أي: أَحَبَّ، قال الشاعر:

والبيــضُ لا يُؤْدِمــنَ إلَّا مُؤْدَمــا[٣]

أي: لا يُحْبِبـن إلَّا محبَّـاً، وكان آدمُ حبيـبَ الله بخصائصـه، ولا سـيَّما بتوبتـه، قـال الله تعالـى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ﴾ [البقـرة: ٢٢٢].

ويجوز أن يكون مِن قولهم[٤]: جعلتُ فلاناً أَدَمَةَ أهلي؛ أي: أُسوتَهم[٥]، ومعناه: أنَّه أسوةُ الأولياء وقدوةُ الأصفياء؛ فإنَّه أوَّل الأنبياء.

وقال الفرَّاءُ: الأدمةُ: الوسيلةُ، ومعنى الاسم مِن هذا: أنَّه ظاهرُ الوسيلة كاملُ الفضيلة.

---

(١) انظر: «غريب الحديث» لابن سلام (١/ ١٤٣).

(٢) بعدها في (ر): «وكراماتها».

(٣) الرجز دون نسبة في «غريب الحديث» لابن سلام (١/ ١٤٣)، و«مقاييس اللغة» لابن فارس (١/ ٧٢).

(٤) بعدها في (ف): «أدم أي أحب قال الشاعر شعر».

(٥) انظر: «غريب الحديث» للحربي (٣/ ١١٤٣)، و«مقاييس اللغة» لابن فارس (١/ ٧٢). والكلمة بهذا المعنى من المجاز وفي ضبطها وجوه، قال في «التاج»: ومن المجاز: (هو أَدْمُ أَهْلِهِ) بالفتح (وأَدْمَتُهُمْ) كذلك ويُحَرَّكُ (وإدامُهُم) بالكسر؛ أي: أُسْوَتُهم الذي به يُعْرَفُون... يقال: جَعَلْتُ فلانًا أَدَمَةَ أهلي؛ أي: أُسوَتَهم، وفي «الأساس»: فلان إدامُ قومه وإدامُ بني أبيه؛ أي: ثِمالُهم وقِوامُهم ومَن يُصْلِحُ أُمُورَهم، وهو أَدَمَةُ قَوْمِهِ: سَيِّدُهم وَمُقَدَّمُهُم، وقد أَدَمَهُم ـ كنَصَرَ ـ: صار كذلك؛ أي: كان لهم أَدَمَةً.

وقوله: ﴿ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾: قال الربيع بنُ أنس وأبو العالية: علَّمه أسماءَ الملائكة(١).

وقال عبد الرحمن بنُ زيد: أسماءَ ذرِّيَّته كلِّهم(٢).

وقال ابنُ عباس رضي الله عنهما ـ في رواية ـ ومجاهدٌ وقتادةُ والضحاك: علَّمه اسمَ كلِّ شيءٍ حتى القصعة والقصيعة(٣).

وقال ابنُ عباس رضي الله عنهما ـ في رواية ـ: علَّمه اسمَ كلِّ عينٍ وكلِّ فعلٍ(٤).

وقال مقاتل: خَلق اللهُ تعالى كلَّ شيء مِن الحيوان والجماد وغيرِ ذلك، ثم علَّم آدمَ أسماءَها، فقال له: يا آدمُ، هذا فرس، وهذا بغل، وهذا حمار، حتى أَتى على آخرِها(٥).

وقال سعيد بنُ جبير: علَّمه اسمَ كلِّ جنسٍ؛ البعيرَ والبقَرَة والشاة ونحوها(٦).

وقال أبو موسى: علَّمه صنعةَ كلِّ شيءٍ.

وقال الضحاكُ عن ابنِ عباس: علَّمه أسماءَ المدن والقرى والجبال، وأسماءَ الطير والشجر، وما يكون، وكلَّ نَسَمة يَخلقها إلى يوم القيامة(٧).

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٥١٧) عن الربيع بن أنس.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٥١٨).

(٣) رواه عنهم الطبري في «تفسيره» (١/ ٥١٤ ـ ٥١٧)، وانظر: «تفسير الثعلبي» (١/ ١٧٧).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٥١٦).

(٥) انظر: «تفسير الثعلبي» (١/ ١٧٨).

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٥١٥).

(٧) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٥١٤)، بلفظ: علم الله آدم الأسماء كلها، وهي هذه الأسماء التي يتعارف بها الناس: إنسانٌ ودابة، وأرض وَسهل وبحر وجبل وحمار، وأشباه ذلك من الأمم وغيرها.

وقيل: علَّمه أسماءَ المخلوقات كلِّها في الأرض وفي السماء، ومن الحيوانات والجمادات والمطعومات والمشروبات، وكلَّ نعيمٍ في الجنَّة.

وقال حُميدٌ الشاميُّ: أسماء النجوم(١).

وقال الإمام القشيريُّ: عمومُ قولِه: ﴿ٱلْأَسْمَآءَ﴾ يقتضي الاستغراقَ، واقترانُ قولِه: ﴿كُلَّهَا﴾ يُوجب الشمولَ، فكما علَّمه أسماءَ المخلوقاتِ كلِّها ـ على ما قال المفسِّرون ـ علَّمه أسماءَ الحقِّ تعالى، لكن ظهر للملائكة محلُّ اختصاصه في علمِ أسماءِ المخلوقات، وبذلك المقدار بانَ رجحانُه عليهم.

وأمَّا انفرادُه بمعرفةِ أسمائه تعالى، فذلك سِرٌّ لم يَطَّلع عليه ملكٌ، ومَن ليس له رتبةُ مساواة آدمَ في معرفة أسماء المخلوقات، فأيُّ طمعٍ له في مساواته في معرفة أسماءِ الله، وإذا كان تخصيصُه بمعرفة أسماءِ المخلوقات يقتضي أنْ يصحَّ سجودُ الملائكة له، فما الظَّنُّ بتخصيصه بمعرفة أسماءِ الحقِّ ما الذي يُوجب له(٢)؟

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾؛ أي: عرض أصحابَ الأسماءِ، وهم: الناس والملائكة والجنُّ والشياطين وغيرُهم، فاجتمع في ذلك مَن يعقل ومَن لا يعقل، فلذلك جُمع بالهاء والميم؛ لأنَّ الاسمَ الشاملَ على جمعِ مَن يَعقل ومَن لا يَعقل على ذلك، وهذا(٣) قراءةُ العامَّة.

وفي قراءة أُبَيِّ بنِ كعبٍ رضي الله عنه: (ثم عرَضها) وهو يرجع إلى الأسماء(٤).

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٨٠).

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٧٦ ـ ٧٧).

(٣) في (أ): «وهو».

(٤) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٢).

وفي قراءة ابنِ مسعودٍ رضي الله عنه: (ثم عرضهنَّ) وهو يرجع إلى المسمَّيات[١].

ومنهم مَن قال: هذا يدلُّ على أنَّ الأسماءَ في هذه الآية أُريد بها المسمَّيات، ولذلك قال: ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ﴾، والعَرْضُ يقع[٢] على الذواتِ دون المسمَّياتِ، والصحيحُ أنَّ الأسماءَ هي التسمِيَات[٣] في هذه الآية؛ فإنَّ التعليمَ يقع عليها لا على الذوات، ويكون معنى قوله: ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ﴾؛ أي: عرضَ أصحابَ الأسماء، على الإضمار، وهو جائز.

وقوله تعالى: ﴿فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ﴾: الإنباءُ: الإخبار، وقد أَنبأهُ ونَبَّأه؛ أي: أخبره، والنَّبَأُ: الخبرُ، وجمعه: الأنباء.

والنَّبَأُ في قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ نَبَؤٌا عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾ [ص: ٦٧ - ٦٨] هو القرآنُ.

وفي قوله تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [النبأ: ١] هو القيامة.

وفي قوله: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ﴾ [المائدة: ٢٧] هو القصَّة.

وقوله تعالى: ﴿وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾ [النمل: ٢٢] هو الخبر.

وفي قوله عزَّ وعلا: ﴿أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ﴾ هو التعليم.

وفي قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا﴾ [يوسف: ١٥] هو الجزاء بفعلهم.

---

(١) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٢).

(٢) في (أ): «وقع».

(٣) في (ر) و(ف): «المسميات».

وفي قوله تعالى: ﴿نَبَّأَنِيَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [التحريم: ٣] هو الإظهار؛ أي: الإطلاع؛ فقد قال قَبْله: ﴿وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ﴾ [التحريم: ٣] أي: أَطْلعه.

ومعنى قوله: ﴿أَنۢبِـُٔونِى﴾؛ أي: أخبروني بأسماءِ هؤلاء المسمَّيات، ودلَّت الآيةُ أنَّ الاسمَ هاهنا هو التسميةُ، وهو غيرُ المسمَّى، فإنَّه أَضاف الأسماءَ إلى ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾، والإضافةُ دليلُ المغايرة، ثم في الآية كنايتان:

إحداهما: بالهاء والألف، وهي ﴿كُلَّهَا﴾.

والأخرى: بالهاء والميم، وهي ﴿عَرَضَهُمْ﴾.

ولا يرجعان إلى شيءٍ واحدٍ، بل التأنيث يَرجع إلى التسميات، والجمعُ يَرجع إلى المسمَّيات، وهي كقوله[1] تعالى: ﴿مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَٰهُمْ﴾ [محمد: ١٣] التاءُ تَرجع إلى القرية، والجمعُ يَرجع إلى أهلها.

وتعلَّق القائلون بجواز تكليفِ ما لا يُطيقه العبدُ بهذه الآية؛ أنَّ اللهَ تعالى خاطبهم بما لم يُطيقوه.

وقلنا: هذا ليس بخطابِ تكليفٍ، بل هو خطابُ تعجيزٍ، كقوله: ﴿فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٣] وقولِ إبراهيم لنمروذ: ﴿فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ﴾ [البقرة: ٢٥٨] ولأنَّه معلَّق[2] بالشرط، وهو قوله: ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾؛ أي: في قولكم: نحن أفضلُ منه، والفضلُ بالعلم، فإنْ كنتم أعلمَ منه فأنبئوا[3] بما علِمتم، والمعلَّق بالشرط لا يُوجَد قبل وجودِ الشرط.

---

(١) في (ف): «يرجع إلى الذوات كما في قوله».

(٢) في (أ): «تعلق».

(٣) في (ر) و(ف): «فأنبئوني».

ثم قوله: ﴿أَنۢبِـُٔونِي﴾: هو خطابٌ بمجرَّد إخبارٍ لا بإعلامٍ[١]، فإنَّه إيقاعُ العلم، وهو في حقِّ مَن قد عَلِمه لا يُتصوَّر، فأمَّا الإخبار فهو تكلُّمٌ بالمخبَر به، ويصحُّ ذلك لمن عَلم ولمن لم يعلم، فأمَّا في قوله: ﴿يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ﴾ فهو إعلامٌ للملائكة، فإنَّهم ما كانوا يَعلمونه.

ودلَّت الآيةُ أنَّ المدَّعيَ يطالَب[٢] بالحجَّة، فإنَّ الملائكةَ ادَّعَوا الفضلَ فطولبوا بالبرهان، وبحثوا عن الغيب فقُرِعوا بالعِيَان؛ أي: لا يعلمون أسماءَ ما يُعاينون، فكيف يتكلَّمون في فسادِ مَن لا يُعاينون؟! فيا أربابَ الدَّعاوي أينَ المعاني؟ ويا أربابَ المعرفة أين المحبَّةُ؟ ويا أربابَ المحبَّة أين الطاعةُ؟

قال أبو بكرٍ الواسطيُّ: مِن المُحال أنْ يَعرفه العبدُ ثم لا يحبَّه، ومِن المُحال أنْ يحبَّه ثم لا يَذكُرَه، ومِن المُحال أنْ يَذكُرَه ثم لا يجدَ حلاوةَ ذِكْره، ومِن المُحال أنْ يجدَ حلاوةَ ذِكْره ثم يشتغلَ بغيرِه.

وقوله تعالى: ﴿إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ مرَّ الكلامُ في الصِّدْق، وقال قتادة: لمَّا خلقَ اللهُ تعالى آدمَ مِن ترابٍ، همست الملائكةُ فيما بينهم، وقالت: لله تعالى أنْ يَخلق مِن الخلقِ ما يشاء، ولكن لن[٣] يَخلق خلقاً أفضلَ وأعلمَ منَّا، فأظهر اللهُ تعالى عجزَهم: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا﴾ وأمَرَ الملائكةَ فقال: ﴿أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ أنَّكم أعلمُ منه[٤].

---

(١) في (ف): «بمجرد الإخبار لا بالإعلام» وفي (ر): «مجرد إخبار الإنباء الإعلام».

(٢) في (ف): «مطالب».

(٣) في (أ) و(ف): «لم».

(٤) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ٨٠).

ولمَّا[١] عجزوا عن ذلك وأنبأهم آدمُ بها، ظهر علمُه وفضلُه عليهم.

وقيل: معناه: أنبئوني بصدقٍ، فإنْ عَلمتم بأسمائهم وكنتم صادقين في الإنباء عنها فأنبئوا، وإلَّا فلا تُنْبئوا.

وقيل: أي: إنْ كنتم عالمين؛ كَنَى عن العلم بالصدق؛ لأنَّ الصدق لا يُقام إلَّا بالعلم.

وقيل: ﴿إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾؛ أي: لمَّا كنتم صادقين فاصدُقوا وأنبئوا إن علمتم ولا[٢] تَكْذبوا، وهذا كقوله: ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة: ٩١]؛ أي: إذ كنتم مؤمنين.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: يَحتمِل أن يكونوا نبِّهوا[٣] بهذا حتى لا يَسبقَ إليهم عند إعلام آدم أنَّ ذلك مِن حيث يدركونه لو تكلَّفوا، أو أراد أنْ يُريَهم آيةً عجيبةً تدلُّ على نبوَّته، ذكَّرهم عجزَهم عن ذلك، وألزمهم الخضوعَ لآدمَ ـ صلوات الله وسلامُه عليه ـ في إفادةِ ذلك العلمِ[٤]، كما قال تعالى: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَـٰمُوسَىٰ ﴾ [طه: ١٧] ذَكَّره أولاً حالَه وحالَ عصاهُ؛ ليَعلم ما أراهُ ممَّا في يده من آيةِ نبوَّته[٥].

* * *

(٣٢) ـ ﴿ قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ لبدايتهم بالتسبيح قبل إخبارِهم أنَّه لا علمَ لهم وجوه:

---

(١) في (ر): «وقيل معناه فلما».

(٢) في (ر) و(ف): «فلا».

(٣) في (ر) و(ف): «نبئوا».

(٤) بعدها في (أ): «وهذا»، وفي «التأويلات»: «له».

(٥) انظر: «تأويلات أهل السنة» (١/ ٤١٨). ووقع في (ر): «.. في آية نبوته».

أحدها: أنَّه كلمةُ تعجُّب، قال الشاعر:

أقولُ لمَّا جاءَني فخرُه سبحانَ مِن علقمةَ الفاخِرِ[(١)]

ومعناه: عجَبٌ سؤالُنا عمَّا لا علمَ لنا به.

والثاني: أنَّه تنزيهُ اللهِ تعالى عن أنْ يَخفى عليه ما خفيَ عن الملائكة، ونصبه على المصدر عند الخليل بنِ أحمد[(٢)]؛ أي: ننزِّهك تنزيهاً، وقال النقَّاشُ: هو على النداء؛ أي: يا سبحانك.

والثالث: أنَّهم بدؤوا بالثناء على الله تعالى قبل الجواب، وكذا يجب على العبد في كلِّ خطاب.

والرابع: أنَّهم ذكروه على وجهِ التوبةِ عمَّا قالوا؛ فإنَّها كلمةٌ تقدَّم على التوبة، قال تعالى خبراً عن موسى صلوات الله عليه: ﴿سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١٤٣]؛ أي: يا طاهرُ، طهِّرني عن العيب الذي وقعتُ فيه.

والخامس: أنَّهم حقَّقوا ما وَعَدوا مِن أنفسهم: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ﴾.

وقوله: ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ﴾ قال ابنُ عباس وابنُ مسعود والحسن ومحمد بنُ إسحاق معناه: إنَّك أعلمتنا أنَّهم يُفسدون في الأرض، فقلنا: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾ وما أعلمتنا مِن هذه الأسماء فلا نَعلمها، ولو اكتفوا بقولهم: ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ﴾ لكان جواباً تامًّا، لكن قالوا: ﴿إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ﴾ ليكون زيادةَ عبودةٍ، فإنَّ قولَهم: ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ﴾ مِن باب العذر، وقولهم: ﴿إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ﴾ مِن باب الشكر، وهما جماعُ كلِّ الخير.

---

(١) تقدم قريباً.

(٢) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٢١٠).

وقولهم: ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ﴾ وصفُ أنفسهم، وقولهم: ﴿إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ﴾ وصفُ ربِّهم؛ أي: منَّا النقصُ ومنكَ الكمالُ، ومنَّا الطلب ومنكَ الإفضال[١].

وأفادت الآيةُ أنَّ العبدَ ما ينبغي له أنْ يَغفُل عن نقصانه، وعن فضلِ اللهِ وإحسانه، ولا يَأنف أنْ يقولَ: لا علم لي، فيما لا يَعلم، ولا يَكتم فيما يَعلم.

وسُئل الشعبيُّ عن مسألةٍ، فقال: لا أدري، فقالوا له: أَلَا تستحي، وأنتَ إمامُ العراقَيْنِ؟! قال: إنَّ الملائكةَ كانوا في الحضرة وقالوا: لا علمَ لنا، فمَن أنا[٢]!

وقالوا: لا أدري، نصفُ العلم[٣].

وسُئل أبو يوسف القاضي عن مسألةٍ، فقال: لا أدري، فقيل[٤] له: تَرتزِق مِن بيت المال كلَّ يوم كذا كذا[٥]، ثم تقول: لا أدري؟! فقال: إنما أَرتزق[٦] بقَدْر علمي، ولو أُعطيت بقَدْر جهلي لم يُشبعني[٧] مالُ كلِّ الدُّنيا.

وسُئل أبو بكر العياضيُّ[٨] في رِباط الـمُرَبَّعة[٩] عن مسألةٍ وهو فوق المنبر،

---

(١) في (أ): «الاتصال».

(٢) رواه الخطيب في «الفقيه والمتفقه» (٢/ ٣٧٠).

(٣) انظر: «محاضرات الأدباء» (١/ ٧١).

(٤) في (ف): «فقالوا».

(٥) «كذا» الثانية من (أ).

(٦) في (ر): «أرزق».

(٧) في (أ) و(ف): «يسعني».

(٨) محمد بن أحمد بن العباس سمي بالعياضي نسبة إلى أحد أجداده عياض بن يحيى بن قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري، من أهل سمرقند، كان فقيهاً جليلاً من رؤساء البلدة والمنظورِ إليهم، قال أبو سعد الإدريسي: لقيته وحضرت معه مجلس المناظرة في دار الحاكم مكي بن إسحاق، ولم أكتب عنه شيئاً، ولم يكن عنده كبير إسناد ولا رواية. انظر: «الأنساب» للسمعاني (٤/ ٢٦٧).

(٩) رباط المربعة بسمرقند، والنسبة إليه: المربعي، بضم الميم وفتح الراء وتشديد الباء الموحدة =

فقال: لا أدري، فقيل له: ليس المنبرُ موضعَ الجهَّال، فقال: إنَّما علوتُ بقَدْر علمي، ولو علوتُ بقَدْر جهلي[١] لبلغتُ السماء.

وحُكي أنَّ عالماً سُئل عن مسألةٍ، فقال: لا أدري، فقال السائلُ: ليس هذا مكانَ الجهَّال، فقال: المكانُ لمن يعلم شيئاً ولا يعلم شيئاً، فأمَّا الذي[٢] يَعلم كلَّ شيءٍ، فلا مكانَ له.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾: ﴿إِنَّكَ﴾ تأكيدُ خطاب، و﴿أَنتَ﴾ للمبالغة في التأكيد؛ لأنَّه تكريرٌ، وفيه تأكيدٌ وتقريرٌ.

و﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ مرَّ تفسيرُه، و﴿ٱلْحَكِيمُ﴾: المُحكِم الصنعةَ والمصيبُ في القول والعمل.

وقال ابنُ عباس رضي الله عنهما: ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ الذي يَبلغ في العلم غايتَه، و﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ الذي يَبلغ في الحكمة نهايتَه[٣].

ومعنى قولِ الملائكةِ: ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ﴾: فعِلْمُنا ناقصٌ، وأنتَ العالِمُ[٤] بالكمال، والمصيبُ في الأفعال، علمتَ ما لم نَعلم، ولك الحكمةُ البالغةُ في تفضيل آدم.

= المفتوحة وفي آخرها العين المهملة. انظر: «الأنساب» للسمعاني (٥/ ٢٥٢).

(١) في (أ): «بجهلي» بدل: «بقدر جهلي».

(٢) في (ف): «وأما من».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٥٢٩) بلفظ: العليم: الذي قد كمل في علمه، والحكيم: الذي قد كمل في حُكمه.

(٤) في (ف): «العليم».

وصفَ اللهُ الملائكةَ بالعلم والحكمة فنالوا بذلك الـمِدْحة، ونفى إبليسُ الحكمةَ في أمره بالسجدة فاستحقَّ الطردَ واللعنةَ.

وقيل في ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾: هو الذي سوَّى وقدَّر ولا يَنقض حكمَه البشرُ.

وقيل: هو العالِم بعواقب الأمور، والمطَّلع على المكشوف والمستور.

* * *

(٣٣) ـ ﴿قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾:

رويَ أنَّه رُفعَ على منبرٍ وأُمرَ أنْ يُنبِّئ الملائكةَ بأسماء الأشياء، فأنبأهم بها وهم جلوس بين يديه، وقيل: قيامٌ حواليه.

وقال وَهْب: سمَّاها لهم، وهو ما في الأرض[1] مِن الطير والبهائم والبقاع والنبات، وما في البرِّ وما في البحر، ثم فُتحت له السماواتُ فسمَّى أهلَ كلِّ سماءٍ بأسمائهم.

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ﴾؛ أي: أَخبرهم بها، وعَلموا فضله، وعَرفوا عجزهم.

فقوله تعالى: ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ﴾ ظاهرُه استفهامٌ ومعناه التقرير؛ أي: قد قلتُ لكم، وهو كقوله: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٠٦] وكذا كلُّ استفهامٍ

---

(١) في (أ): «وهو في الأرض كل شيء»

دخل على جحدٍ: ﴿أَلَن يَكْفِيَكُمْ﴾ [آل عمران: ١٢٤]، ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ﴾ [الأنعام: ١٣٠]، ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ [التين: ٨].

وقوله تعالى: ﴿إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: ما غابَ عن[1] أهلِ السماوات وغابَ عن أهلِ الأرض.

وقيل: أي[2]: أعلمُ سرَّ أهلِ السماوات في السماوات، وسرَّ أهلِ الأرض في الأرض.

وقيل: غيبُ السماوات: هو أكلُ آدم وحوَّاء مِن الشجرة التي نُهي عنها وهو أولُ عصيانٍ كان في السماء، وغيبُ الأرض: قَتلُ قابيلَ أخاه هابيلَ، وهو أولُ عصيان كان في الأرض.

وقيل: غيبُ السماوات: ما قضاهُ فيها مِن أمور خَلْقه، وغيب الأرض: ما فَعلوه فيها بقضائه السابق به.

وقال الإمام القشيريُّ: أي: أعلمُ[3] ما تقاصرَ عنه علومُ الخلق مِن أهل السماء والأرض.

وقوله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾؛ أي: ما تبدون مِن الطاعات وتكتمون مِن النيَّات[4].

---

(١) في (أ): «من».

(٢) في (ر): «اني».

(٣) «أعلم» ليست في (ف)، و«أي» ليست في (أ) و(ر).

(٤) تحرفت في (ر) إلى: «السيئات». وانظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٧٨)، وفيه: (.. وتكتمون من اعتقاد الخيرية على آدم عليه السّلام والصلاة).

وقيل: ﴿مَا تُبْدُونَ﴾ مِن فضل آدمَ الآن، ﴿وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ مِن رؤيتكم فضلَ أنفسِكم عليه فيما كان.

وقيل: ﴿مَا تُبْدُونَ﴾ مِن[1] قولهم: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾، ﴿وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ مِن رؤيتكم فضلَكم عليه.

وقال الحسن البصريُّ وقتادةُ رحمة الله عليهما: (ما تكتمون) هو[2] هاهنا ما أَضمروه في أنفسهم: لن يَخلُق اللهُ تعالى خَلْقاً إلَّا ونحنُ أكرمُ عليه منه[3].

وقال ابنُ عباس وابنُ مسعود وسعيد بنُ جبير: هو ما أسرَّه إبليسُ ـ لعنه الله ـ مِن الكِبْر والعصيان[4].

فعلى الأول الخطابُ بالجمع لكلِّ الملائكة في الإبداء والكتمان جميعاً، وعلى هذا الأخير خطابُ الكتمان لإبليسَ؛ أي: ما تكتم يا إبليسُ، وهو وعيدٌ له، والأول خطابٌ للملائكة وهو وعدٌ لهم، وخطابُ الواحد بصيغة الجمعِ مستقيمٌ، كما في قوله تعالى: ﴿رَبِّ ارْجِعُونِ﴾ [المؤمنون: ٩٩]، أو هو خطابُ كلِّ الملائكة بكتمانِ الواحد منهم ذلك في نفسه.

وقوله: ﴿مَا﴾ يجوز أن يكون اسماً للمفعول الذي يقعُ عليه الإبداءُ والكتمانُ، ويجوز أن يكون مع الفعل مصدراً، أي: يعلم إبداءكم وكتمانكم.

* * *

---

(١) في (ف): «هو».

(٢) «هو»: زيادة من (أ).

(٣) رواه عنهما الطبري في «تفسيره» (١/ ٥٣٢ و٥٤٦ ـ ٥٤٧).

(٤) رواه عنهم الطبري في «تفسيره» (١/ ٥٣١ ـ ٥٣٣).

(٣٤) - ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ ﴾ نَظْمُها[1] بما قَبْلها مِن ثلاثة أوجه:

أحدها: أنَّه لمَّا أَظهر فضلَه عليهم بالعلم، أَمَرَهم بتعظيمه بسجود التحية.

والثاني: أنَّه كشف بأوَّل هذه الآية ما أُجمل في ختم تلك الآية: (وأعلم ما كنتم تكتمون) وهو قصدُ إبليس.

والثالث: أنَّه عطفٌ على كلِّ ما مَنَّ اللهُ علينا بقوله: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا﴾ إلى أن قال: ﴿خَلَقَ لَكُم﴾ وخلق أباكم وفضَّله وعلَّمه وأَمر الملائكة بالسجود له[2].

وقوله: ﴿لِلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾: اختلف فيهم:

قيل: هم ملائكةُ الأرض الذين كانوا مع إبليسَ، طهَّر اللهَ تعالى بهم الأرضَ ممَّن أَفسد فيها مِن بني الجانِّ الذين أَفسدوا[3].

وقيل: هم ملائكةُ السماواتِ السبعِ.

وقيل: كلُّ الملائكة؛ فقد أكَّده بقوله: ﴿أَجْمَعُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ٱسْجُدُوا۟﴾ فالسجودُ في اللغة: التَّطامُنُ والانقيادُ، قال سلامة بنُ جَندلٍ:

---

(١) في (ف): «نظماً». وفي هامش (ف): «هذه الآية نظمت بما قبلها من ثلاثة أوجه».

(٢) في (أ) و(ف): «بسجدته».

(٣) «الذين أفسدوا»: سقط من (أ) و(ف).

هل رابنا معشرٌ[1] ممَّن نحاربهم إلَّا أقرُّوا لنا بالفَضْل أو سجدوا

وقال أبو عمرو: يقال: أَسْجد[2]: إذا طأطأَ رأسَه وانحنى، قال الشاعر:

فضولَ أزمَّتِها أَسْجَدَت سجودَ النصارى لأَربابِها[3]

وأَسجد البعيرُ: طأطأَ رأسَه، قال الشاعر:

فقلنَ له أسْجِدْ للَيْلى فأَسْجَدا[4]

وسجدتِ النخلةُ: إذا تدلَّت أغصانُها ومالَت إلى الأرض.

واختُلف في هذا السجود الذي أُمروا به:

قيل: هو الإيماءُ دون السجود المستوفي المشروعِ في الصلاة، كالذي يَفعله الناسُ في لقاء عظمائهم مِن الخضوع والتواضع لهم؛ تشريفاً لهم[5] وتعظيماً.

---

(١) في (أ) و(ف): «رآنا معشر»، وفي (ر): «رابنا معشرا». والبيت لم أجده.

(٢) في (ر): «سجد»، والمثبت من (أ) و(ف)، والمصادر. انظر قول أبي عمرو في «الصاحبي في فقه اللغة» لابن فارس (ص: ٤٥)، و«تهذيب اللغة» للأزهري (١٠/ ٣٠٠)، و«الصحاح» (مادة: سجد)، و«المغرب» للمطرزي (مادة: سجد)، و«تفسير القرطبي» (١/ ٤٣٤)، و«المزهر» للسيوطي (١/ ٢٣٦)، وعندهم جميعاً: (أسجد). وزاد الأزهري والمطرزي نقلاً عن أبي عمرو أيضاً: وسَجَدَ إذا وضعَ جبهتَه بالأرضِ.

(٣) البيت لحميد بن ثور، وهو في «ديوانه» (ص: ٩٦)، و«الصاحبي في فقه اللغة» لابن فارس (ص: ٤٦)، و«تهذيب اللغة» للأزهري (١٠/ ٣٠١)، و«الصحاح» (مادة: سجد)، و«المغرب» للمطرزي (مادة: سجد)، و«تفسير القرطبي» (١/ ٤٣٤).

(٤) شطر بيت في «الصحاح» (مادة: سجد)، و«الصاحبي في فقه اللغة» لابن فارس (ص: ٤٦)، و«تهذيب اللغة» للأزهري (١٠/ ٣٠١)، و«أساس البلاغة» (مادة: سجد)، وغيرها، ولم أجد تمامه.

(٥) «لهم»: ليست في (أ).

وقيل: ـ وهو قول الجمهور ـ: كان بوضع الوجهِ على الأرض كما هو في الصلاة، ودليلُه قولُه تعالى في آية أخرى: ﴿فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ [الحجر: ٢٩].

ثم اختُلف في أنَّه كان لآدم أو لله تعالى[١]:

قيل: كان عبادةً لله تعالى، ومعنى قوله: ﴿لِأٓدَمَ﴾؛ أي[٢]: إلى آدم، فكان هو قبلةً أُمروا بالتوجُّه إليها، والسجودُ كان عبادةً لله تعالى.

وقيل ـ وهو الصحيح ـ: بل كان لآدمَ؛ ولو كان لله تعالى ما امتنع إبليسُ مِن العبادة لله تعالى، ولا فرقَ بين كون آدمَ قبلةً وبين غيرِه.

ثم اختُلف أنَّه كان له على الخصوص، أو كيف كان؟:

قال قتادة: كان خدمةً لله تعالى، حرمةً لآدم، كصلاة الجنازة عبادةٌ لله تعالى دعاءٌ للميت[٣].

والصحيحُ أنَّه كان تحيةً لآدمَ على الخصوص، ولذلك امتَنع إبليسُ عنه، فلم يرَ آدمَ مستحِقًّا لتعظيمه فأَبى واستكبر، ولم يكن عبادةً لآدمَ؛ لأنَّ العبادةَ لا تكون[٤] إلَّا لله تعالى، وكان سجودُ التحية جائزاً فيما مضى ثم نُسخَ، قال اللهُ تعالى في قصَّة يوسف: ﴿وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا﴾ [يوسف: ١٠٠] ولمَّا أراد سلمانُ أن يسجدَ لرسول الله ﷺ

---

(١) في هامش (ف): «لما أنبأهم بأسمائهم وعلمهم ما لم يعلموا أمرهم بالسجود له اعترافاً بفضله وأداءً لحقه واعتذاراً عما قالوا فيه»

(٢) «أي»: ليست في (أ).

(٣) في (ر): «ودعاء للميت». والخبر رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٥٤٦) بلفظ: فكانت الطاعة لله، والسجدة لآدم، أكرم الله آدم أن أسْجَد له ملائكته.

(٤) في (أ): «تجوز».

مَنَعَهُ، وقال: «لا ينبغي لمخلوق أنْ يسجدَ لأحدٍ إلَّا لله تعالى، ولو أَمرتُ أحداً أنْ يسجدَ لأحدٍ لأَمرتُ المرأةَ أنْ تسجدَ لزوجها»[١].

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: فيه دليلٌ أنَّ الكتابَ يُنسَخ بالسُّنَّة، وأنَّ جوازَ السجود لغير الله تعالى ثبت بقصَّة آدم وقصةِ يوسف، ثم نُسخَ ذلك بالخبر[٢].

وتكلَّموا في الحكمة في الأمر بالسجود له:

قيل: هو بيانُ فضلِ العلم، واستحقاقِ العالِم خدمةَ غيرِه له.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: امتحَنَهم بوجهٍ يُظهِر قَدْرَ الطاعة؛ لأنَّ الخضوعَ لمن يَعلو أمرُه ويَجِلُّ قَدْرُه أمرٌ سهلٌ، عليه طُبعَ الخلقُ، فإذا كان في نفسِ المأمور[٣] بالخضوع أنَّه دونَه في الرُّتبة، أو شكلُه فيها، اشتدَّت المحنةُ في مثله بالطاعة له والخضوع، فامتَحَنهم اللهُ به حتى ظهرَ الخاضعُ لله والمستسلِمُ لحقِّه، والمستكبِرُ في نفسه وهو إبليسُ، وعلى ذلك كان امتناعُ المستكبرين الماضين عن اتِّباع المرسلين[٤].

وقيل: هو لبيانِ[٥] استغنائِه عن عبادتهم إيَّاه، أو إنكارِه[٦] عليهم قولَهم: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾، فقال لهم: لا حاجةَ لي إلى عبادتكم

---

(١) رواه بهذا اللفظ ابن حبان (٤١٦٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وهو بنحوه عند الترمذي (١١٥٩).

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» (١/ ٤٢١).

(٣) بعدها في (أ): «به».

(٤) انظر: «تأويلات أهل السنة» (١/ ٤١٩ ـ ٤٢٠).

(٥) في (ر) و(ف): «بيان».

(٦) في (أ): «وإنكار» بدل: «أو إنكاره».

وخدمتكم، فاخدموا عبداً مِن عبادي لم يَخدمني كثيرَ خدمةٍ.

وقالوا: قالت الملائكة: لنا فضلُ الطاعة والخدمة، وقال إبليسُ: لي فضلُ الأصل والنسبة[1]، وقال آدمُ: لي حياءُ الخطأ والزَّلَّة، فقال اللهُ تعالى للملائكة: إن كان لكم فضلُ الطاعة والخدمة، فلي المُلْك والغُنْية، وقال لإبليس: إنْ كان لك الأصلُ والنسبةُ، فبكِبْرك وإبائِك عليك اللعنُ والسخطةُ، وقال لآدم عليه السلام: إن كان منك الخطأُ والزَّلة، وبسببِ ذلك الحياءُ والهيبة، فلكَ المغفرة والرحمة.

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: بيَّن جلَّ جلاله أنَّ قدسَه بجلاله لا بأفعالهم، وأنَّ التجمُّل بالتسبيح والتقديس عائدٌ إليهم، فهو الذي يُجِلُّ مَن أَجَلَّه بإجلاله، ويُعزُّ مَن أعزَّه بإعزازه، جلَّ عن إجلالِ الخلق قَدْرُه، وعزَّ عن إعزازِ الخلق ذِكرُه[2].

وعن وهب بنِ مُنبِّه قال: أوَّلُ مَن سجد جبريلُ، ثم ميكائيلُ، ثم إسرافيلُ، ثم عزرائيلُ، ثم سائُر الملائكة.

وقيل: أوَّلُ مَن سجد جبريلُ، فأُكرم بإنزال الوحي على النبيِّين، وخصوصاً على سيِّد المرسلين.

وقيل: أوَّلُ مَن سجد لآدم[3] إسرافيلُ، فرفع رأسه وقد ظهر كلُّ القرآن مكتوباً على جبهته؛ كرامةً له على سبقه إلى الائتمار.

وقيل: كان هذا في الأرض.

---

(١) في (أ): «والنسب».

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٧٩).

(٣) «لآدم» من (ف).

وقيل: بل[١] كان في السماء.

وقيل: كان كما نُفخَ فيه الرُّوحُ مِن غير تأخيرٍ؛ لقوله تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ [الحجر: ٢٩] والفاءُ للتعقيب.

وقيل: بل كان بعد تعليمِ الأسماء وإنباءِ الملائكة بأسماء الأشياء، ودلَّ عليه نظمُ آيات هذه السورة.

وذكر أبو بكرٍ النقَّاش في تفسيره الملقَّب بـ«شفاء الصدور» عن بعضِهم: أنَّ سجودَهم له كان مرَّتين: مرَّةً كان عند نفخِ الروح فيه؛ لتلك الآية، ومرَّة بعد إنبائهم بالأسماء؛ لنَظْم هذه السورة.

وقال: هذا قولٌ مِن هذا القائلِ لم يُوافقه عليه أحدٌ، والأظهرُ أنَّه كان بعد إنبائهم بالأسماء، فأمَّا الفاء في تلك الآية، فقد تكون للتعقيب مع التراخي، كما في قوله: ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا﴾ [البقرة: ٣٦] **وقولِه تعالى**: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ٣٧] وكان[٢] هذا التلقِّي بعد مئتي[٣] سنةٍ أو أكثر.

ومِن لُطف اللهِ تعالى بنا أنْ أَمَرَ الملائكةَ بالسجود لأَبينا، ونهانا عن السجود لغيره، فقال: ﴿لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ﴾ [فصلت: ٣٧] نَقلَ الملائكة المقرَّبين[٤] إلى آدم وسجدَتِه، ونَقَلنا إلى سجدته وخدمته.

وقوله تعالى: ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾: ﴿إِلَّآ﴾ كلمةُ استثناء، واختُلف أنَّ إبليسَ أكان مِن الملائكة، أم لا؟

---

(١) «بل»: ليست في (أ).

(٢) في (ر) و(ف): «وكان».

(٣) في (ف): «مئة».

(٤) في (ر): «المكرمين».

قال عليٌّ وابنُ عباس وابنُ مسعود وسعيد بنُ المسيب وابنُ جُريجٍ: كان مِن الملائكة، وكان اسمه: عزازيل، وكان مِن أشراف الملائكة، ثم أُبلس.

وقال الحسن البصريُّ وقتادةُ ومقاتلٌ وشهر بنُ حَوْشبٍ وابنُ زيد: كان مِن الجنِّ لا من الملائكة؛ خُلق مِن نارِ السَّموم، وله نسلٌ وذريةٌ، وهو أبو الشياطين[1].

واحتجُّوا بقوله تعالى: ﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ﴾ [الكهف: ٥٠] وإنَّما دخل في الأمر بالسجود مع الملائكة لا لأنَّه منهم، ولكن لأنَّه كان فيهم، وكلمة ﴿إِلَّآ﴾ استثناءٌ منقطعٌ، وهو مِن خلاف الجنس، وذلك شائعٌ[2] في اللغة، قال الشاعر:

ليسَ عليك عطشٌ ولا جوعْ ... إلَّا الرُّقادَ والرُّقادُ ممنوعْ[3]

وفي القرآن: ﴿لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوًا إِلَّا سَلَٰمٗا﴾ [مريم: ٦٢] ﴿إِنَّنِي بَرَآءٞ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ٢٦ إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي﴾ [الزخرف: ٢٦ـ٢٧].

وقالوا أيضاً: إنَّه قال: ﴿خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ﴾ [الأعراف: ١٢] كما قال في الجانِّ: ﴿وَٱلۡجَآنَّ خَلَقۡنَٰهُ مِن قَبۡلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ﴾ [الحجر: ٢٧].

ولأنَّه أَبى واستكبر وعصى وكفر، والله تعالى يقول في صفة الملائكة: ﴿لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ﴾ [التحريم: ٦]، وقال تعالى: ﴿لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ﴾ [الأعراف: ٢٠٦].

قالوا: ولأنَّه قال: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوۡلِيَآءَ﴾ [الكهف: ٥٠] ولا نسلَ للملائكة.

---

(١) انظر هذه الآثار في «تفسير الطبري» (١/ ٥٣٥) وما بعدها.

(٢) في (ر) و(ف): «سائغ».

(٣) ذكره الشريف المرتضى في أماليه المسماة «غرر الفوائد ودرر القلائد» (٢/ ٥٢)، والقرطبي في «تفسيره» (١/ ٤٣٩).

ودليل الأوَّلين قولُه تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ﴾ كان الأمرُ بالسجود مقتصراً على الملائكة، ثم استُثني منهم إبليسُ، والمستثنى مِن جنس المستثنى منه في الأصل، فلا يُصرَف عنه إلَّا بدليلٍ، ودليلُ دخوله في هذا الأمر قولُه: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ [الأعراف: ١٢].

فأمَّا قوله: ﴿كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ﴾: قيل: أي: صار مِن الجنِّ، كما قال: ﴿وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٤]؛ أي: صار.

وقال ابنُ عباس رضي الله عنهما: الجنُّ قومٌ مِن الملائكة، أشدُّ الملائكةِ اجتهاداً(١).

وقال ابنُ إسحاق: الجنُّ اسمٌ للملائكة أيضاً؛ لاجْتِنانهم، أي: استتارِهم عن أَعيُن الناس، وقال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا﴾ [الصافات: ١٥٨] وأراد به الملائكةَ، وقال أعشى بني ثعلبة في سليمانَ عليه السلام:

وسخَّر مِن جنِّ الملائكِ تسعةً ... قياماً لديه يَعملون بلا أجر(٢)

وقيل: الجنُّ: صنفٌ مِن الملائكة لا تراهم الملائكة، كما نحن لا نرى عامَّةَ الجنِّ والملائكة(٣).

وقال ابنُ مسعود رضي الله عنه: ﴿كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ﴾؛ أي: كان خازنَ الجنَّة(٤).

---

(١) انظر ما روي عن ابن عباس في هذا المعنى في «تفسير الطبري» (١/ ٥٣٥ ـ ٥٣٧).

(٢) البيت في «غريب القرآن» لابن قتيبة (ص: ٢١)، و«الأضداد» لابن الأنباري (ص: ٤٣٥)، و«النكت والعيون» (١/ ١٠٣)، والخبر بتمامه رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٥٣٨ ـ ٥٣٩).

(٣) في (أ) و(ف): «لا نرى عامة الملائكة».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٥٣٦ ـ ٥٣٧).

وقولهم[١]: إنَّه خُلق مِن النار.

قلنا: المارجُ مِن النار: اللَّهبُ، وهو النُّورُ، والملائكةُ خُلقوا مِن نور، والنارُ اسمٌ للنُّور أيضاً، قال تعالى: ﴿إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا﴾ [طه: ١٠].

وقولهم: له نسلٌ وذريةٌ.

قلنا: صار له ذلك بعدما مُسخَ، ثم الممسوخ وإن كان لا يكون له نسلٌ، لكنْ لمَّا سأل النَّظِرةَ وأُنظِر، صار له نسلٌ، كما أنَّ سائرَ الممسوخات لا تبقى بعد ثلاثة أيام، وبقيَ هو لإنظاره إلى قيام الساعة، فكذا النسلُ.

فأمَّا[٢] وصفُ الملائكةِ بأنَّهم لا يَعصون ولا يَستكبرون، فذلك[٣] دليلُ تصوُّر العصيان منهم، ولولا التَّصوُّرُ لَمَا مُدحوا به، لكن طاعتهم طبعٌ، وعصيانهم تكلُّفٌ، وطاعةُ البشر تكلُّفُ، ومتابعةُ الهوى منهم طبعٌ، ولا يُستنكر مِن الملائكة تصوُّر العصيان، فقد ذُكر مِن هاروت وماروت ما ذُكر.

وقوله: ﴿إِبۡلِيسَ﴾ قيل: هو[٤] اسمٌ أعجميٌّ ولا اشتقاقَ له، وجوازُ كون غيرِ العربي في القرآن قد مَرَّ القولُ فيه في ذِكر آدمَ.

وقيل: هو مشتقٌّ مِن أَبْلَسَ يُبلس: إذا يَئِسَ[٥]، قال تعالى: ﴿فَإِذَا هُم مُّبۡلِسُونَ﴾ [الأنعام: ٤٤]، وأَبلسَ أيضاً بمعنى: سكت[٦]، قال الشاعر:

---

(١) في (ر): «وقالوا».

(٢) في(ر): «فأما من»، وفي (ف): «وأما من».

(٣) في (ر) و(ف): «فكذلك».

(٤) «قيل» ليست في (ر) و(ف)، و«هو» ليست في (أ).

(٥) في (أ) و(ف): «من أبلس أي يئس».

(٦) في (أ): «وأبلس أي سكت أيضاً».

يـا صاحِ هـل تعـرفُ رسـماً مُكْرَسـاً
قـال: نَعَـم أَعْرِفُـه وأَبْلَسـا[١]

وأَبلستِ الناقةُ؛ أي: لم تَرْع[٢] مِن شدَّة شهوةِ الفحل، وهي ناقةٌ مِبْلاسٌ.

فإبليسُ يَئس بكفره وإصراره مِن رحمة الله تعالى، وامتنعَ عن السجود لآدمَ كما يَمتنع الساكتُ عن الكلام، ولم يُقبل على العمل، كما لا تُقبل تلك الناقةُ على المرعى[٣].

ونُصب ﴿إِبْلِيسَ﴾ على الاستثناء في الإثبات، وتُرك تنوينه لأنَّه غيرُ منصرفٍ، ومُنع صرفه للعُجمة والتَّعريف.

وقوله تعالى: ﴿أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ﴾ الإباء ـ بكسر الهمزة ـ: الامتناعُ، والأباء ـ بنصبها ـ مِن الأدواء، يقال: أَصابه أباءٌ، إذا كان يأبى الطعامَ.

وتفسير ﴿أَبَىٰ﴾: عتى، وقيل: امتنع، وقيل: كَره، وقيل: رَدَّ.

والاستكبارُ: الاستعظام، والإكبارُ: الإعظام، والتَّكبُّر: التعظُّم، والتكبيرُ: التعظيم، والكبرياءُ: العظمة، والكبيرُ: العظيم، والكُبارُ ـ بضمِّ الكاف وتشديدِ الباء وتخفيفها ـ التعظيم[٤].

---

(١) الرجز للعجاج، وهو في «ديوانه» (ص: ١٥٦)، و«تفسير الطبري» (١/ ٥٤٣)، و«البسيط» للواحدي (٢/ ٣٦٨).

(٢) قوله: «ترع» كذا في النسخ الخطية، وكذا أرادها المؤلف بدلالة قوله الآتي عن إبليس: «ولم يُقبل على العمل، كما لا تُقبل تلك الناقةُ على المرعى»، والذي في المصادر: (ترغ) بالغين. انظر (مادة: بلس) في «الصحاح» و«والمجمل» و«أساس البلاغة»، و«اللسان» و«التاج».

(٣) في (أ): «الرعي».

(٤) في (أ): «العظم»، والمثبت من (ر) و(ف)، وتفسير العلماء الكُبَّار في قوله تعالى: ﴿مَكْرًا كُبَّارًا﴾ بالكبير يقتضي أن يكون اللفظ على حسب ما جاء قبله: العظيم.

وقوله تعالى: ﴿وَٱسۡتَكۡبَرَ﴾؛ أي: واستعظم نفسَه، وقيل: استعظمَ أمرَ اللهِ بذلك إيَّاه، وهو كالاستنكار.

وقيل في مجموع الكلمتين: ﴿أَبَىٰ﴾[1]؛ أي: كره السجودَ في حقِّه، واستعظمه في حقِّ آدم.

وقيل: أي: امتنعَ عن الفعل، وعظَّم نفسَه عن الالتزام.

وقيل في ﴿وَٱسۡتَكۡبَرَ﴾: أي: عدَّ نفسَه أكبرَ مِن أنْ يخدمَ غيرَه.

وقيل: أي: عدَّ نفسَه أكبرَ مِن أنْ يُؤمَر بهذا، ولهذا قال: ﴿لَمۡ أَكُن لِّأَسۡجُدَ﴾ [الحجر: ٣٣] وقال: ﴿أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ﴾ [الأعراف: ١٢].

وقالوا: لمَّا أُمروا بالسجود وسجد الملائكةُ، وامتنع إبليسُ ولم يتوجَّه إلى آدمَ، بل ولَّاه ظهرَه وانتصبَ هكذا إلى أنْ سجدوا، وبقوا في سجودهم مئةَ سنةٍ، وقيل: خمس مئةِ سنةٍ، ورفعوا رؤوسَهم وهو قائمٌ مُعرِضٌ لم يَندم مِن الامتناع، ولم يَعزم على الاتِّباع، فلمَّا رَأوه خذلَ ولم يَسجد، وهم وفِّقوا للسجود فسجدوا، سجدوا لله تعالى ثانياً، فصار لهم سجدتان: سجدةٌ لآدم، وسجدةٌ لله تعالى، وإبليسُ يَرى ما فعلوا ولا يفعل هو[2]، وهذا إباؤه، فغيَّر اللهُ تعالى صفته وحالته وصورته وهيئته وصوته ونغمته[3]، فصار أقبحَ مِن كلِّ قبيحٍ، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾ [الرعد: ١١].

وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ قد مرَّ القولُ في ﴿وَكَانَ﴾ وأقسامِه، ومعناه

---

(١) «أبى»: سقط من (ف).

(٢) في (ر) و(ف): «يرى ما فعلوا ولم يفعل».

(٣) في (ر) و(ف): «ونعمته»، وليس فيهما: «وصوته».

هاهنا: وصار مِن الكافرين بإبائه واستكباره، وهو ردُّ الأمر لا تركُ العمل بالأمر.

وقيل: أي: وكان مِن الكافرين بإبائه واستكباره في علم الله؛ أي: كان في علم الله عزَّ وعلا أنَّه يَكفر بعد إيمانه، لا أنْ يكون: عَلم اللهُ كونه كافراً أبداً.

وهاهنا مسائلُ أصوليَّة:

إحداها: أنَّ تركَ السجود لم يكن كفراً عند أهل السُّنَّة والجماعة، وكذا كلُّ كبيرة.

وقالت الخوارج: مَن ارتكب كبيرةً كَفَر واستحقَّ التخليدَ في النار.

وقالت المعتزلةُ: مَن ارتكب كبيرةً خرج مِن الإيمان، ولا يَدخل في الكفر، لكن يستحقُّ التخليدَ في النار.

وقلنا: لا يَصير العبدُ بصغيرة ولا كبيرة كافراً، ولا يَخرج به[1] عن الإيمان إذا لم يستحلَّه ولم يَردَّ الأمرَ؛ فإنَّ اللهَ تعالى سمَّى المذنبين مؤمنين، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ﴾ [البقرة: ١٧٨] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ﴾ [البقرة: ٢٧٨] وقال عزَّ وعلا: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ﴾ [الحجرات: ٩] وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾ [الأنفال: ٢٧] وقال تعالى: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [النور: ٣١].

والحاصلُ: أنَّ قَبولَ الأمر إيمانٌ، والعملَ به طاعةٌ، وتركَه معصيةٌ، وردَّه كفرٌ.

ومنها: أنَّ الجبريَّةَ يقولون: لا ينفع إيمانٌ ولا طاعةٌ، ولا تَضرُّ معصيةٌ ولا كفرٌ؛

---

(١) في (أ): «ولا يخرجه».

فإنَّ اللهَ تعالى لَعنَ إبليسَ مع كثرة الطاعات، وأَكرَمَ سحرةَ فرعون مع كثرة الجَفَوات، إنَّما العبرةُ لسابق العناية[١].

وقلنا[٢]: هذا باطلٌ؛ لأنَّ اللهَ تعالى إنَّما لعنَ إبليسَ بكفرِه بردِّ أمرِه، وأَكرَمَ سحرةَ فرعون بالإيمان به وبذِكره.

ومنها: أنَّ إبليسَ صار كافراً بعد أنْ كان مؤمناً عندنا.

وقالت الأشعريَّة: كان كافراً أبداً، وهي مسألة السعادة والشقاوة، أنَّهما يتبدَّلان ويتغيَّران عندنا؛ لأنَّهما صفتا المخلوق، والإسعادُ والإشقاء لا يتبدَّلان؛ لأنَّهما مِن صفة الخالق، ولا تغيُّر على ذاته ولا على صفاته.

وقالت الأشعريَّة: لا يصير السعيد شقيًّا، ولا الشقيُّ سعيداً، وهي مسألةُ الموافاة، وعلى هذا الأصل مسألةُ إحباط العمل بالرِّدَّة، ومسألة الاستثناء في الإيمان، ودليلُ أهلِ الحقِّ قولُ اللهِ جلَّ جلاله: ﴿أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٠٦]، وقال تعالى: ﴿كَفَرُواْ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ [آل عمران: ٨٦] وقال عزَّ وعلا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ءَامَنُواْ﴾ [النساء: ١٣٧] أثبتَ الصِّفتين على التعاقب، فلم يَجز نفيُ الأول[٣] حال وجوده بوجود الثاني في وقته.

وعندهم مَن خُتم له بإيمان أو بكفر[٤] وُصف بما خُتم له به، ولا يُسمَّى بما كان قبله، ولا تحقُّق له، وهذا إنكارُ العيان وإبطالُ الحقائق.

---

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» (١/ ٤٢٢ ـ ٤٢٣).

(٢) في (ر): «قلنا».

(٣) بعدها في (أ): «وإن».

(٤) في (أ) و(ف): «كفر».

فأمَّا قوله: ﴿وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ فمعناه: وصار، كما في قوله: ﴿وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ﴾ [هود: ٤٣].

ثمَّ إنَّما قال: ﴿وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ ولم يكن حينئذٍ كافرٌ آخر؛ لأنَّه كان في عِلم الله أنَّه يكون بعده كافرون، فذكر أنَّه صار مِن الكافرين؛ أي: مِن الذين يكفرون بعده، وهذا كما في قوله: ﴿فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ٣٥] وقولِه خبراً عن إبراهيم صلوات الله عليه: ﴿قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٥٦].

وقال الإمام أبو الحسن(١) محمد بن يحيى البشاغري(٢) رحمه الله: كان في علمِ اللهِ الأزليِّ أنَّه يَكتم عصيانَ آدم(٣) ويردُّ الأمرَ، فيصير كافراً عند الله تعالى مِن وقت الإضمار، ويصير(٤) كافراً عند آدم والملائكة وقتَ الإباء والاستكبار.

* * *

(٣٥) ـ ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا﴾ هو عطف على قوله: ﴿وَإِذْ قُلْنَا﴾ وفيه إضمارٌ؛ أي: خلقنا له زوجه وقلنا لهما ذلك.

---

(١) في (أ): «الحسين».

(٢) في (أ): «أبو الحسين... الشاغري». وفي «هدية العارفين» (٢/ ١٨٩): محمد بن يحيى أبو الحسن البشاغري صنف «كشف الغوامض في أحوال الأنبياء»، لكن جاء فيه أنه ألفه سنة (٨٣٨هـ) ثمان وثلاثين وثمان مئة. فإن صح التاريخ فلا يعقل أن يكون هو.

(٣) في (ر) و(ف): «إبليس»، والمثبت من (أ)، ولعل المراد: يكتم عصيانه في السجود لآدم.

(٤) في (ف): «وصير».

قوله تعالى: ﴿يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾: ﴿ٱسْكُنْ﴾ أمرٌ مِن سَكَنَ الدارَ يَسكُنها سُكْنَى: إذا أقامَ فيها، ويُقال: سَكَن المتحرِّك سُكوناً، وسكَن القلبُ المُضطرِب سكينةً، والسَّكَن ـ بفتح الكاف ـ: ما يسكن إليه القلبُ، وامرأةُ الرجلِ سَكَنُه، والسكِّين يسكِّن حركة المذبوح، وسُكَّان السفينةِ: مَن يَسكنها، والمسكينُ: الفقيرُ الساكنُ عن التقلُّب.

وتفسيره: ﴿يَٰٓـَٔادَمُ﴾ استقرَّ، وقيل: أي: أَقِمْ، وقيل: أي: انزِل.

وقوله: ﴿أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾: ﴿أَنتَ﴾ ضميرُ المخاطب بقوله: ﴿ٱسْكُنْ﴾، وإنَّما أظهره ليصحَّ عطفُ اسمٍ آخَرَ عليه، وهو قوله تعالى: ﴿وَزَوْجُكَ﴾ لأنَّ المعطوفَ لا بُدَّ له مِن معطوفٍ عليه.

وقوله: ﴿وَزَوْجُكَ﴾ أي: زوجتك وهي حوَّاء.

قال كعبٌ ووهبٌ وجماعةٌ: خَلَقها اللهُ تعالى خارجَ الجنَّة. ثم عند بعضهم كان خَلقُها في الأرض وآدمُ بين مكَّة والطائف، ثم حُملا على سرير مرصَّع إلى السماء.

وقيل: بل حُمل آدمُ وحده إلى السماء، فلمَّا وصل إلى باب الجنَّة وُضعَ السرير وأُلقي عليه النُّعاس، وخُلقت حوَّاء مِن ضِلَعه اليسرى، ثم أُمرا بدخول الجنَّة.

وقال ابنُ عباس وابنُ مسعود وجماعةٌ رضي الله عنهم: خَلَقها الله تعالى في الجنَّة بعد دخولِ آدمَ فيها، خلقها اللهُ مِن ضِلَع آدم[1] اليُسرى القصرى، وكان بين النائم واليقظان، ولو كان في النَّوم لم يَعلم أنَّها منه، فلم يَعطف عليها، ولو كان يقظانَ

---

(١) في (ر): «من ضلعه».

تألَّم بذلك، فلم يَعطف عليها أيضاً، ولمَّا هبَّ مِن نومه، قال لها: مَن أنتِ؟ قالت[١]: أنا زوجتك، خلقني اللهُ تعالى لك لتَسكن إليَّ وأَسكنَ إليكَ، فقالت الملائكة عند ذلك: يا آدمُ، مَن[٢] هذه؟ قال: امرأةٌ، قالوا: ولِمَ؟ قال: لأَنَّها[٣] خُلقت مِن المرء، لعلها قالوا: وما اسمُها؟ قال: حوَّاء، قالوا: لِمَ سُمِّيت حوَّاءَ؟ قال: لأَنَّها خُلقت مِن حَيٍّ، قالوا: أَتحبُّها؟ قال: نعم، قالوا لحوَّاء: أَتحبِّينه؟ قالت: لا، وفي قلبها أضعافُ ما في قلبِه، فلهذا[٤] قالوا: فلو صدقت امرأةٌ في حبِّها زوجَها، لصَدَقت حوَّاء[٥]. ولَمَّا استَحيَت عن إظهارِه بقيَ ذلك ميراثاً بين بناتها.

ومِن الناس مَن قال: لا يجوز أنْ يُقال: خُلقت حوَّاء مِن ضِلَع آدم؛ لأَنَّه يكون نقصاناً منه، ولا يجوز القولُ بنقص الأنبياء.

قلنا: هذا نقصٌ منه صورةً، وتكميلٌ له معنًى؛ لأَنَّه جعلها سَكَنَه، وأزال بها وحشتَه وحزنَه.

وعن ابنِ عباس رضي الله عنهما: أنَّ الله تعالى أَخرج آدمَ مِن الجنَّة حين أَدخله؛ لأنَّ الأمرَ كان بالسُّكنى، والسُّكنى عاريَّةٌ، والعاريَّةُ مردودةٌ[٦] مُستردَّة.

---

(١) في (أ): «فقالت».

(٢) في (أ) و(ف): «ما».

(٣) «لأنها»: من (أ).

(٤) «فلهذا»: ليست في (أ).

(٥) انظر: «تفسير الثعلبي» (١/ ١٨١ ـ ١٨٢)، والخبر رواه بنحوه الطبري في «تفسيره» (١/ ٥٤٨)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٨٢٠)، من طريق السدي عن أشياخه عن ابن عباس وابن مسعود وناس من الصحابة. وهذا إسناد متكلم فيه كما تقدم عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

(٦) «مردودة»: سقط من (أ) و(ف).

ثم هذه الجنَّة كانت جنَّةَ الخلد، وهي مخلوقةٌ اليوم عندنا، وقالت المعتزلة: هي غيرُ مخلوقة، والنصوصُ تُبطِل مقالتَهم.

وقالوا: هذه الجنَّة كانت بستاناً بين فارسَ وكِرمان مِن أرض فلسطين.

وقالوا: لا يجوز أن تكون هذه جنَّةَ الخلد؛ لأنَّ اللهَ تعالى أَمرهما ونَهاهما فيها، وجنَّة الخلد لا يكون فيها أمرٌ ولا نهيٌ، ولأنَّهما أُخرجا منها، وداخلُ جنَّة الخلد لا يَخرج منها، ولأنَّهما زلَّا فيها، وجنَّة الخلد لا يقع الزَّلل فيها، ولأنَّ الشيطانَ وسوسَ إليهما فيها، ولا وسوسةَ في جنَّة الخلد.

وقلنا: قد قال اللهُ تعالى لآدم: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ۝١١٨ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ﴾ [طه: ١١٨ ـ ١١٩] وذاك صفةُ جنَّة الخلد، وقال: ﴿ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا﴾ [البقرة: ٣٨] والهبوطُ يكون مِن عُلوٍ إلى سُفلٍ، ولا يَستقيم ذلك في بستانٍ مخلوق[1] على الأرض.

فأمَّا الأمرُ والنهيُ: فذاك تكليفٌ، وهو لا يَزول عن أهل الجنَّة، فإنَّهم مكلَّفون بالمعرفة والتوحيد.

وأمَّا الإخراجُ منها: فإنَّ الإدخالَ كان للابتلاء لا للجزاء، وقد دخلها النبيُّ ﷺ ليلةَ المعراج ثم خرج منها.

وأمَّا الزَّلل: فلهذا المعنى أنَّه كان للابتلاء لا للجزاء.

وأمَّا وسوسةُ الشيطان: فلم يكن منه وهو فيها، على ما نبيِّن إنْ شاءَ اللهُ تعالى.

وقوله تعالى: ﴿وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا﴾: هذا أمرٌ لآدمَ وحوَّاء.

---

(١) في (ر): «البستان المخلوق».

وقولـه: ﴿مِنۡهَا﴾، قيـل[١]: أي: مـن الجنَّـة، وهـي كنايـةٌ راجعـةٌ إلـى الظاهر، وصحَّـت لأنَّ المأكـولَ ثمارُهـا، وهـي مِـن أشـجارها وهي مِـن الجنَّة.

وقيل: أي: مِن الثمار، وهي كنايةٌ راجعةٌ إلى المعنى دون المذكور.

وقوله تعالى: ﴿رَغَدًا﴾: يقال: رَغُـدَ عيشُهم رَغَداً، فهو رغيدٌ ورَغِدٌ ورَغَدٌ، أي: طيِّبٌ واسعٌ، وأَرْغَدَ القومُ؛ أي: أَخْصَبوا، وأَرْغدَ الرجلُ الماشيةَ؛ أي: سوَّمها، والرَّغيدة: الزُّبدة.

وأمَّا تفسيره: فقد قال ابنُ عباس وابنُ مسعود رضي الله عنهم: أي: هنيئاً[٢].

وقال أبو عبيدة والضحاك: أي: واسعاً[٣].

وقال مجاهدٌ: أي: حلالاً لا حسابَ فيه[٤].

وقيل: أي: كثير.

وقال الزجَّاج: الرَّغَدُ: الكثيرُ الذي لا يُعنِّيك طلبُه[٥].

وهو نعتُ مصدرٍ محذوفٍ، ولذلك نُصب، أي: وكُلا أكلاً رغَداً.

قوله تعالى: ﴿حَيۡثُ شِئۡتُمَا﴾ أي: في أيِّ بقعةٍ شئتُما مِن الجنَّة.

وقيل: يعني: مِن أيِّ ثمارها شئتُما.

و(حيث) اسمٌ للمكان، وأصله: حَوْث، ولذلك ضُمَّت ثاؤها لواوٍ كانت قبلها،

---

(١) «قيل» ليست في (أ).

(٢) رواه عنهما الطبري في «تفسيره» (١/ ٥٥٠).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٥٥٠) من طريق الضحاك عن ابن عباس بلفظ: الرغد سعة المعيشة.

(٤) رواه عنه الطبري في «تفسيره» (١/ ٥٥٠).

(٥) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ١١٤).

فيجوز أن يكون أراد المكانَ الذي هما فيه للأكل، ويجوز أن يكون أراد عينَ الثمر، فإنَّه مكانُ الأكل ومحلُّه، فكان تعميمُ المشيئة في ذلك.

والآية ردٌّ على المتقشِّفة الذين يُحرِّمون تناولَ الأطعمة الشهيَّة، ولُبسَ الثياب السَّنيَّة، والله جلَّ جلاله يقول: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ﴾ الآية [الأعراف: ٣٢].

ثم معنى الأمرِ بهذا والشُّغلِ به ـ مع أنَّه اختصَّه واصطفاه وللخلافة أبداه ـ أنَّه مخلوقٌ، والذي يَليق بالمخلوق[١] هو السُّكون بالخلق والقيامُ باستجلاب الحظِّ.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾: القِربان ـ بكسر القاف ـ: إتيانُ الشيءِ، والقربُ منه: الدنو منه[٢]، يقال مِن الأول: قَرِبْتُه أَقْرَبُه قِرباناً مِن حدِّ: عَلِمَ، وهو متعدٍّ بغير صلةٍ، ويقال: قَرُبتُ منه أَقرُبُ قُرْباً، مِن حدِّ: شَرُفَ، وهو لازمٌ ويَتعدَّى[٣] بـ (مِن).

وتفسيره: لا تأكُلا مِن هذه الشجرة، فالنهيُ كان عن الأكل دون الدُّنوِّ مِن الشجرة، وإنَّما أضاف النهيَ إلى القِربان؛ لأنَّه سببُ الأكل[٤]، ويُسمَّى الشيءُ باسمِ سببِه مجازاً، ودليل أنَّ النهيَ كان عنه: أنَّ زلَّتهما كانت به[٥]، قال اللهُ تعالى: ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا﴾ [طه: ١٢١] وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ﴾ [الأعراف: ٢٢].

و﴿ٱلشَّجَرَةَ﴾ واحدة: الأشجار، والشجر يكون جمعاً وواحداً، والأرضُ

---

(١) في (أ) و(ف): «بالخلق».

(٢) «الدنو منه»: سقط من (ف).

(٣) في (أ): «ويعدَّى».

(٤) في (ف): «للأكل».

(٥) في (أ): «بالأكل».

الشجراء[١]: الكثيرةُ الشجَر، وكذا الشَّجِرة بكسر الجيم، ووادٍ شجيرٌ: كثيرُ الشجر.

وأصلُ الكلمة مِن التداخل، يقال: شَجَرَ ما بين القوم: إذا اختلفَ الأمرُ بينهم، واشتَجروا: تنازَعوا، وتَشاجَروا بالرِّماح؛ أي: تطاعَنوا، والشَّجْر: مَفْرِجُ الفَمِ، وهو: مدخلُ الطعام والشراب وغيرهما، والشِّجَار: خشبُ الهودج المُدخَلُ فيه، والشَّجِيرُ: الغريبُ الداخلُ بين قومٍ، فكذلك الشَّجَرةُ يتداخل أغصانُها.

واختُلف في ماهية[٢] تلك الشجرة:

قال ابنُ عباسٍ ومحمد بنُ كعب القرظي والحسن البصريُّ وعطية العوفيُّ[٣] وقتادةُ ومحاربُ بنُ دثارٍ ومقاتل: هي شجرة البُرِّ، وفي بعض الألفاظ: السُّنبلة التي جعلها الله تعالى رزقَ أولاده في الدُّنيا.

وقال السدِّيُّ وابنُ مسعودٍ وسعيد بنُ جبير وجَعْدةُ بنُ هبيرة: هي الكَرْمة؛ لافتتان أولاده بها.

وقال ابنُ جُريجٍ ـ وحكاه عن بعض الصحابة ـ: إنَّها التِّين.

وقال عليٌّ رضي الله عنه: هي شجرةُ الكافور.

وقال الكلبيُّ والدِّينوري: هي شجرةُ العِلْم؛ وهو علمُ الخير والشَّرِّ، مَن أكلها علمَ الأشياءَ التي كان لا يعلمها.

---

(١) في (ر): «الشجيرة». وكلاهما صواب، قال في «التاج»: أرضٌ شَجِرَةٌ، كفَرِحَةٍ، وشَجِيرَةٌ، ومَشْجَرَةٌ، وهذه عن أبي حنيفة، وشَجْرَاءُ: كثيرة الشَّجَر.

(٢) في (ر) و(ف): «مائية».

(٣) في (أ): «بن العوفي»، وهو خطأ.

وقيل: عَلِما بالأكل منها ظهورَ عورتهما؛ قال تعالى: ﴿فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا﴾ وما كانا يَعلمان بذلك قبل ذلك.

وقال محمد بنُ إسحاق: هي شجرةُ الحَنظل.

وقال أبو مالكٍ: هي شجرةُ النخلة.

وقال ابنُ جُدعانَ[1]: هي شجرةُ الخُلْد التي كان يتناول منها الملائكة.

وقال ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما في روايةٍ: هي شجرةُ الفردوس، وكانت في وسط الجنَّة، وفيها مِن الثمار كلِّها، وكانت أرفعَ الأشجار وأزينَها وأكملَها[2]، وكانت ثمرتُها أحلى الثمار وأطيبَها.

وقال الربيع بنُ أنس: كانت شجرةً مَن أكَلَها أحدث، والجنَّةُ لم تكن موضعَ الحدث[3].

وقال محمد بنُ عليٍّ الترمذيُّ رحمه الله: كان أصلُها السنبلةَ، وعليها مِن كلِّ لونٍ، وثمرها أحلى مِن العسل، وألينُ مِن الزُّبْد، وأشدُّ بياضاً مِن الثلج، كلُّ حبةٍ مِن حنطتها ككُلية البقرة.

وقال الإمام أبو منصورٍ رحمه الله: ليس في بيانِ ماهيَتها نصٌّ قاطعٌ، ولا نعرف حقيقةَ ذلك إلَّا بالوحي[4].

---

(١) هو علي بن زيد ابن جدعان، من رجال «التهذيب».

(٢) في (أ): «أرفع الأشجار وأجملها»، وفي (ف): «أرفع الأشجار وأزينها وأجملها».

(٣) انظر هذه الآثار في «تفسير الطبري» (١/ ٥٥١ ـ ٥٥٦)، و«تفسير الثعلبي» (١/ ١٨٢)، و«تفسير البغوي» (١/ ٦٣).

(٤) انظر: «تأويلات أهل السنة» (١/ ٤٢٦).

ولا حاجةَ بنا إلى معرفة ماهيَتها على التعيين[١]، وحاجتُنا إلى معرفة أنَّهما نُهيا عن الأكل مِن شجرةٍ.

وقوله تعالى: ﴿فَتَكُونَا﴾ يجوز أن يكون نصباً بالفاء في جواب النهي، ويجوز أن يكون جزماً لعطفه على النهي الأول، وتقدير الأول: إنْ قَرِبتما كنتُما مِن الظالمين.

وتقدير الثاني: لا تَقْرَبا ولا تكونا مِن الظالمين.

والنون تسقط في تثنية الفعل وجمعِه في النصب والجزم، وعلى الوجه الأول قولُه: ﴿فَتَكُونَا﴾؛ أي: فتصيرا، وعلى الوجه الثاني على حقيقته: ولا تكونا[٢].

وقوله: ﴿مِنَ ٱلظَّالِمِينَ﴾: الظُّلْمُ: وضعُ الشيءِ في غيرِ موضعه، والظُّلْمُ: الجَور، والظُّلْمُ: النَّقصُ، والظُّلْمُ: الضَّررُ بالنَّفس، والأرضُ المظلومةُ: التي لا يُمكِن الحفرُ فيها إلّا بشَّدةٍ[٣]، فكأنَّ الحفرَ وُضعَ في غيرِ موضعه، قال الشاعر:

والنُّؤي كالحوضِ بالمظلومةِ الجَلَدِ[٤]

النُّؤي: الحُفيرةُ حول الخِباء، والجَلَد: الأرض الصُّلبة، والمظلومة: الجارية المفترَعةُ[٥] قبلَ الأوانِ.

وأمَّا التفسير:

---

(١) في (أ): «على اليقين»، في (ف): «إلى التعيين».

(٢) في (ف): «ولا تكونوا»، وليست في (ر).

(٣) في (أ) و(ف): «التي لا تُمكن من الحفر إلاَّ بشَّدةٍ».

(٤) عجز بيت للنابغة الذبياني، وهو في «ديوانه» (ص: ٣٠)، وصدره: إلا الأواريَّ لَأْياً ما أُبيِّنها.

والأواريُّ: جمع آريّ، وهو: محبس الدابة، واللأي: الشدة.

(٥) في هامش (ف): «الجارية المفترعة: المفتضة».

فقد قيل: أي: مِن الضارِّينَ لأنفسكما[1]، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [النحل: ١١٨].

وقيل: أي: مِن الناقصينَ حظوظكما، كما في قوله: ﴿وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا﴾ [الكهف: ٣٣]، وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ [النساء: ٤٠].

وقيل: أي: مِن الواضعِين أنفسَكما في غيرِ موضعهما.

***

(٣٦) - ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا﴾: زلَّ عن المكان زَلَلاً وزليلاً؛ أي: زَلِقَ، وأَزَلَّه[2] غيرُه؛ أي: أزلقه، والزَّلزلة: التحريكُ مِن ذلك، وأَزَلَّ[3] إلى فلانٍ صنيعةً، أي: أَسداها إليه، والزُّلال: الماءُ العذبُ الذي يَسْهلُ جريانُه إلى الحلْق، والزَّلل: الخطأ، والزَّلَّة: الخطيئة، وهي الزَّوال عن الصواب مِن غير قصدٍ.

وتفسيرُه هاهنا: حمَلهما على الزَّلَّة؛ أي: بطريق التسبُّب، وهو[4] بالوسوسة وبالغرور وبالدُّعاء، قال اللهُ تعالى خبراً عنه: ﴿وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى﴾ [إبراهيم: ٢٢].

---

(١) في (أ): «لأنفسهما».

(٢) في (ر): «وأزاله».

(٣) في (ر) و(ف): «وأزال»، والمثبت من (أ)، وهو الصواب. انظر: «تهذيب اللغة» (١٣/ ١٥)، و«التاج» (مادة: زلل).

(٤) في (ر): «وهي».

وقرأ حمزة: ﴿فأزالهما﴾ مِن الزوال[١]؛ أي: سبَّب سَبَب[٢] خروجهما عنها.

وقيل: أي: دعاهما إلى الزَّلل وإلى إتيان ما أَوجب خروجَهما عنها.

وقوله: ﴿عَنْهَا﴾ قيل: عن الجنَّة، وقيل: عن الشجرة، وقيل: عن الطاعة. وذلك كلُّه على قراءة حمزةَ ظاهرٌ[٣].

وأمَّا على قراءة العامَّة؛ فالإزلالُ عن الجنَّة والشجرة يكون تنحيةً عنها بالتسبُّب[٤] الذي قلنا، وعن الطاعة يكون بالزَّلَّة، وهي: التنحِّي عن الطاعة مِن غير قصدٍ، ومعناه: أنَّهما وقعا في زلَّةٍ بدعوته وهي الأكلُ مِن الشجرة.

وقصَّتُه: ما ذَكر الكلبيُّ في تفسيره، قال: لمَّا نظر إبليسُ ـ لعنهُ اللهُ ـ إلى ذلك حَسَدهما، وكان أُهبط إلى الأرض، فاحتال أنْ يَفتنَهما؛ فعرَض نفسَه على كلِّ دابَّةٍ أنْ تَدخلَ به في صورتها، فأَبَت عليه إلَّا[٥] الحيَّة، وكانت أحسنَ دابَّةٍ في الجنَّة خَلْقاً، وكانت كهيئة البعير؛ تمشي على أربعِ قوائم، ليس في الجنَّة دابَّةٌ أحسنَ منها، فيها مِن كلِّ لونٍ، فلم يَزل إبليسُ يَستدرجها حتى أطاعَته، فدخل بين لحييها وقام في رأسها، ثم أتى بابَ الجنَّة، فقام عنده[٦] فنادى: يا آدم ويا حوَّاء، فأجاباه[٧]، فقال: ماذا أَمَركما ربُّكما، وماذا نهاكما عنه في الجنَّة؟ قالا: أَمَرنا أنْ نأكلَ مِن شجرةِ الفردوس كلِّها

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ١٥٣)، و«التيسير» (ص: ٧٣).

(٢) في (أ): «تسبيب»، وليست في (ر).

(٣) «ظاهرٌ»: سقط من (أ).

(٤) في (أ): «عنهما بالتسبيب».

(٥) في (أ) و(ف): «حتى أتى».

(٦) في (أ) و(ف): «عندها».

(٧) في (أ): «فأجابته هي وآدم».

غيرَ هذه الشجرة الواحدة. فقال: ما نَهاكما ربُّكما عنها[١] إلَّا أنْ تكونا مَلَكين تَعلمان الخيرَ والشَّرَّ، أو تكونا من الخالِدين لا تموتان، وإنِّي أُقسِم لكما إنِّي لكما لمن الناصحين، مَن أكل منها لم يَمُت، مَن أكل منها لم يَمُت[٢]، وأيُّكما أكلَ قبل صاحبه كان هو المسلَّطَ على صاحبه. وكذبَ عدوُّ اللهِ في ذلك، وسبقت حوَّاء إلى الشجرة، فقالت: يا آدم[٣] خُذ، فقال: ويحكِ! أمَا تعلمينَ أنَّ اللهَ قد نهانا عنها وأوعد العقوبة عليها؟ فقالت: يا آدم، ألَم[٤] تَعلم سعةَ رحمة الله تعالى، فأكلت منها وأطعمتْ آدمَ فأكل[٥]، فلمَّا وصل إلى بطونهما تَهافَتَ عنهما لباسُهما، وكان لباسُهما النور، قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا﴾ [الأعراف: ٢٢] فأَبصرَ كلُّ واحدٍ منهما مِن صاحبه ما وُوريَ عنه مِن عورته قبل ذلك.

كذا ذكر هاهنا، لكن الصحيح أنَّ كلَّ واحدٍ منهما رأى عورةَ نفسه لا غير[٦]؛ فقد قال الله تعالى: ﴿فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا﴾ [طه: ١٢١] وقال تعالى: ﴿لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا﴾ [الأعراف: ٢٠]، ومقابلةُ الجمعِ بالجمع يقتضي مقابلةَ الفرد بالفرد، كقولهم: ركبَ القومُ[٧] دوابَّهم، ولَبسوا ثيابَهم، ونحو ذلك.

قال الكلبيُّ عن أبي صالحٍ، عن ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما: دخل آدمُ وحوَّاءُ الجنَّةَ ولباسُهما النور، وعليه إكليلٌ مِن ذهبٍ مكلَّلٌ بالدُّرِّ والياقوت، ومِنْطَقةٌ مكلَّلةٌ

---

(١) في (أ): «عن هذه الشجرة».

(٢) «من أكل منها لم يمت»: من (ف).

(٣) «يا آدم»: ليست في (أ).

(٤) في (أ): «أما».

(٥) «فأكل»: سقط من (أ) و(ف).

(٦) في (أ): «لا عورة صاحبه».

(٧) في (أ): «الناس».

بالدُّرِّ والياقوت، وخلخالان مكلَّلان بالدُّرِّ والياقوت، وسواران مِن ذهبٍ مكلَّلان بالدُّرِّ والياقوت، وسواران مِن لؤلؤٍ، ودُمْلجان[١] مكلَّلان، فلمَّا أكلا مِن الشجرة ذهب عنهما ذلك، فاستَحْيَا وهربا إلى ورقِ التين يُلْزِقان بعضَه ببعضٍ يغطِّيان عورتَهما[٢]، فذلك قوله: ﴿وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِ﴾ الآية [الأعراف: ٢٢].

وقال الإمام القشيريُّ: لا مكانَ أفضلُ مِن الجنَّة، ولا بشرَ أكيسُ مِن آدم، ولا نصحَ أبلغُ مِن نصح الله، ولا عزمَ أشدُّ مِن عزيمة آدم، لكنَّ القَدَر لا يكابَر والحُكمَ[٣] لا يعارَض.

وقال: لمَّا[٤] كان آدمُ وحده، كان بكلِّ خيرٍ وعافيةٍ، فلمَّا جاء الشَّكْل ظَهر بابُ الفتنة وفُتح بابُ المحنة، وحين ساكَنَ حوَّاءَ أطاعها فيما أشارت إليه مِن الأكل، فوقع فيما وقع، ولقد قيل:

داءٌ قديمٌ في بني آدمَ ... صبوةُ إنسانٍ بإنسانِ[٥]

ثمَّ الكلامُ هاهنا في كيفيَّة الإزلال مِن إبليس لعنه الله، وفي صفة زلَّة آدمَ عليه السلام:

---

(١) في (أ): «ومرجان».

(٢) في هامش (ف): «الظاهر أن هذا التفسير مبني على أن يكون الضمير في ﴿عَنۡهَا﴾ للجنة ويكون المعنى: فأذهبهما الشيطان عن الجنة فأخرجهما مما كانا فيه من النعيم والراحة إلى شقاء الدنيا، وأما إذا كان الضمير للشجرة كان المعنى حملهما على الزلة بسبب الشجرة، فالظاهر حينئذ أن يفسر ﴿مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ بالجنة».

(٣) في (أ): «والحكيم»، والمثبت موافق للمصدر.

(٤) في (أ): «ولما».

(٥) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٨٠)، والبيت لأشجع السلمي كما في «طبقات الشعراء» لابن المعتز (ص: ٢٥٤).

أمَّا الأول: فقد قيل: ناداهما وهو في الأرض.

وقيل: ناداهما وهو على باب الجنَّة لا فيها ـ فإنَّه لم يكن مِن أهل دخول الجنَّة؛ لأنَّها محَّرمةٌ على الكفَّار، واللهُ تعالى أوصل صوتَه إليهما ـ وقال لهما: ماذا أمركما ربُّكما، إلى أنْ قال: ﴿مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ﴾ [الأعراف: ٢٠].

وقال هؤلاء: وقول إبليس: ﴿هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ﴾ ـ وهي إشارةٌ إلى بعض الشجرة ـ لا يدلُّ على أنَّه كان في الجنَّة بحضرة الشجرة، بل هي إشارةٌ إلى الشجرة التي ذكَرا؛ أي: عن هذه الشجرة التي قُلْتُما.

وقال جماعةٌ: دخل في رأس الحيَّة، والحيَّة دخلت الجنَّة كما روينا، ولا يكون هذا دخولاً منه الجنَّة، كما كان الكفار مِن ذرِّيَّة آدمَ في صُلْب آدم وهو في الجنَّة، ولم يكن ذلك دخولَ الكفار الجنَّة، واحتجَّ هؤلاء أنَّه خاطَبهما وقاسَمَهما وراجعهما الكلامَ، وذاك لا يكون إلَّا بالحضرة.

وسُئل أبو الحسن الرُّسْتُغْفَنيُّ[1] عنه فقال: لا نَشهد[2] بدخوله فيها؛ لعدم الدليل القطعي، فإنْ ثبت لم يَبعُد؛ إذ دخولُه كان يزيد له في التلهُّف والحسرة.

وقال الحسن البصريُّ رحمه الله: أَوصَلَ إليهما الوسوسةَ مِن الوجه الذي جُعل له[3].

---

(١) في (أ): «الرُّستعفني»، وفي هامش (ف): بضم التاء. وهو: علي بن سعيد، فقيه حنفي من أهل سمرقند، له كتاب «الزوائد والفوائد»، و«إرشاد المهتدي». انظر: «الجواهر المضية» (١/ ٣٦٢)، و«الأعلام» (٤/ ٢٩١).

(٢) في (ر): «أشهد».

(٣) انظر: «تأويلات أهل السنة» (١/ ٤٣٥).

وقالوا: هذا كوَسْوسته[١] اليومَ في قلوب جميعِ أهلِ الدُّنيا في حالةٍ واحدةٍ، ولو لم يكن ذلك إلَّا بالحضرة لم يكن في حالةٍ واحدةٍ يقع ذلك في جميع القلوب.

وقالوا: هو كقبض عزرائيل الأرواحَ مِن بني آدم، وهم[٢] في مواضع مختلفةٍ وهو في مكانٍ واحدٍ.

واختلف أيضاً في كيفيَّة وسوسته في قلوب الناس:

فقيل: يجري منهم مجرى الدم[٣] كما روي.

وقيل: هو واقعٌ[٤] في صدورِهم منه على ما شاء الله مِن غيرِ دخولٍ منه أو حضورٍ.

والإمام أبو منصورٍ ـ رحمه الله ـ يقول: نقل إلينا أنَّه يوسوس ولم يُنقل إلينا كيفيتها.

فنقول: يوسوسُ، فنتحرَّز[٥] منه ولا نبحث عن كيفيته، ولا نقطع القولَ بشيءٍ فيه بلا دليلٍ.

قال: وكلُّ معنًى يدعو إلى الباطل ويَحجب عن الحقِّ فهو عمل الشيطان يجب التعوُّذ منه والفزعُ إلى الله تعالى وإنْ لم نعلم حقيقةَ كيفيته، قال الله تعالى: ﴿وَإِمَّا

(١) في (ر) و(ف): «وقالوا: لوسوسته».

(٢) في (ر) و(ف): «وهو».

(٣) بعدها في (ف): «وهو في مواضع مختلفة وهو في مكان واحد».

(٤) في (ر): «أوقع».

(٥) في (أ): «ونتحرر»، وفي (ف): «فيتحرز».

يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾ [الأعراف: ٢٠٠]، وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟﴾ [الأعراف: ٢٠١](١).

وأمَّا صفةُ زلَّة آدمَ عليه السلام؛ فقد ذكر الإمام أبو منصورٍ ـ رحمه الله ـ أنَّ الحسنَ البصريَّ قال: إنَّه تعمَّد ذلك، **وقوله تعالى:** ﴿فَنَسِىَ﴾ كان نسيانَ تضييعٍ لا نسيانَ ذكرٍ؛ لأوجُهٍ:

أحدها: ما جرى في حكمِ الله تعالى مِن العفو عن النسيان الذي هو تَركُ الذِّكر، وأنْ لا يَلحقَ صاحبَه اسمُ العصيان، وقد أُخذ هو به ووُصف بأنَّه عصَى وغوى، وقد تقدَّم في خطابهما: ﴿فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

ولأنَّ عدوَّه قد ذكَّره لو كان ناسياً، حيث قال: ﴿مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الأعراف: ٢٠]، ﴿وَقَاسَمَهُمَآ﴾ [الأعراف: ٢١]، ﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ﴾ [الأعراف: ٢٢]، ولو كان نسيانَ ذِكرٍ لَمَا اغترَّا بالقَسَم، وهو كقوله: ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة: ٦٧]، وفسَّر هو قوله: ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾ [طه: ١١٥]؛ أي: لم نَجده مِن أولي العزم والثبات على حفظ الأمر والنهي(٢).

وهذا كلُّه وحشٌ مِن الكلام لا يجوز أنْ يُوصف بمثله(٣) الأنبياءُ؛ فإنَّ اللهَ تعالى اصطفاهم واختارهم على علمٍ بهم، قال تعالى: ﴿وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الدخان: ٣٢] وقال: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٢٤].

وفي حقِّ آدمَ ذكَر خصائصَ وكراماتٍ ومراتبَ ومقاماتٍ يجب تنزيهُه

---

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» (١/ ٤٣٥).

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» (١/ ٤٢٧ ـ ٤٢٨).

(٣) في (ر) و(ف): «به».

معهـا عن مثلِ هـذه الصفات، والنسـيانُ حقيقتُـه[١]: زوالُ الذِّكـر، والتضييعُ مجازٌ.

ويقرِّرُ هذه الحقيقةَ قولُه تعالى: ﴿وَلَمۡ نَجِدۡ لَهُۥ عَزۡمٗا﴾ [طه: ١١٥] وهو القصدُ وضعاً.

وما يقول: إنَّ العدوَّ ذكَّره ذلك؟

قلنا: لكثرة ما جرى بينه وبين عدوِّه مِن التراجع اشتغل قلبُه بوجود الدِّفاع له، والفكرِ في أسباب نجاته، والتخلُّصِ من[٢] مكائده، حتى أنساهُ ذلك ذكرَ العهد.

ثم إنَّما[٣] كان النسيانُ في حقِّ غيرِه عذراً، وهو عُوتب بذلك ولم يُعذَر به؛ لأنَّ آدمَ ـ صلوات الله عليه ـ لم يكن امتُحنَ بأنواعٍ مختلفةٍ يتعذَّر عليه وجهُ الحفظ في ذلك، وإنَّما امتُحن بالانتهاء عن شجرةٍ واحدةٍ بالإشارة[٤] إليها، فجائزٌ أنْ لا يُعذر في مثله.

وغيرُه لهم أشغالٌ كثيرةٌ يتعذَّر عليهم التحفُّظ، فعُذروا بها، وكذلك فيما بيننا إنَّما يُعذر الإنسان به فيما يَكثر به النوازل، أَلَا ترى أنَّه يُعذر بالسلام في الصلاة، وتركِ التسمية في الذبيحة، والأكل والشربِ ناسياً في الصوم، ولا يُعذر بالأكل[٥] في الصلاة ولا بالجماع[٦] في الحجِّ لهذا.

---

(١) في (ر) و(ف): «حقيقة».

(٢) في (ر): «والتخليص عن».

(٣) في (ف): «وإنما» بدل من «ثم إنما».

(٤) في (ف): «بإشارة».

(٥) في (ر) و(ف): «في الأكل».

(٦) في (أ): «وبالجماع»، وفي (ر): «وفي الجماع»، بدل: «ولا بالجماع».

والثاني[١]: أنَّه جائزٌ أخذُ الأخيار ومعاتبةُ الكبار بالأمر الخفيف اليسير الذي لا يُؤخذ[٢] بمثله غيرُه؛ لكثرة نِعَمِ اللهِ تعالى عليهم وعظيمِ منَّته عندهم، كما أُوعدوا بتضاعُف العذاب على ما كان لغيرهم، وهو كحالِ يونسَ النبيِّ ﷺ؛ فارق قومَه لِمَا عاين[٣] مِن المناكير فيهم، وفعلُه مِن غيره أَحمدُ ما يوصَف به.

وكذلك عُوتب نبيُّنا محمدٌ ﷺ بما خطر بباله مِن تقريب رؤساء الكفرة إشفاقاً عليهم وحرصاً على إسلامهم، ويُعدُّ ذلك مِن غيره مِن خصال الخير.

والثالث: أنَّه إنَّما عُوتب بالذي يجوز ابتداء المحنة به ولمثْلِه خلَقه، حيث قال: ﴿وَلَمۡ نَجِدۡ لَهُۥ عَزۡمٗا﴾ [البقرة: ٣٠] لكنَّه بكرمه عوَّد خَلْقه تقديمَ إحسانه وإيلائه[٤] على محنته وبلائه، قال الله تعالى: ﴿وَبَلَوۡنَٰهُم بِٱلۡحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [الأعراف: ١٦٨].

ثم في ذلك أبلغُ زجرٍ لغيره، وفيه تعظيمُ خَطَر الذنوب في القلوب، فإنَّ أبا البشر، والمخصوصَ بالخلافة وسجودِ الملائكة، والمخصَّصَ بالعلم، عُوتب بهذا القَدْر مِن الزَّلَّة؛ ليَعلَمَ [الخلقُ] أنَّه ليس في أمر الله تعالى هَوادةٌ، ولا في حُكمه محاباةٌ، فيكونوا[٥] أبداً على حذرٍ وخِيفةٍ، ويفزعوا[٦] إليه بالعصمة عمَّا يُوجب المقتَ والعقوبة.

---

(١) قوله: «الثاني» كذا وقع، ولم يرد قبله التصريح بالأول، ويفهم من كلام الماتريدي في «التأويلات» (١/ ٤٢٨ ـ ٤٢٩) أن الأول هو ما جاء في قوله: «ثم إنَّما كان النسيانُ في حقِّ غيرِه عذراً...».

(٢) في (ر): «يؤاخذ»، وفي (ف): «يوجد».

(٣) في (ر): «رأى».

(٤) في (أ): «وإبلائه» وفي (ر): «وائلا به». وفي «التأويلات»: (وإنعامه).

(٥) في (ر): «فيكونون»، وفي (ف): «فيكون».

(٦) في (ر): «ويفزعون».

ويحتمِل أن يكون حَفِظ النهيَ، لكن خَطَر بباله أنَّه ليس بنهي تحريم، فإنَّه يكون على وجوهٍ، وذلك النهيُ وإنْ كان مقروناً بقوله تعالى: ﴿فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ وذلك دلالةُ التحريم، لكن يحتمِل أنَّه حَفِظ النهيَ لكن نسيَ هذا الأمر[١]، فاشتَبه عليه وجهُ النهي، فإنَّه قد يكون للتحريم، وقد يكون لإيثار غيره عليه مع حلِّه، وقد يكون لداءٍ فيه وضررٍ عليه، فيكون نهيَ رحمةٍ لا نهيَ حرمةٍ، فسبق إلى وهمه ذلك، وتَحمَّل الضررَ لنفعٍ رجاهُ وطَلَبه.

ويحتمل أنَّه حفظ قوله: ﴿فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ ولكن وقع عنده أنَّه ليس بظلمِ التعدِّي، بل هو ظلمُ نقصانٍ وإضرارٍ بأنفسهما، وتَحمَّل ذلك؛ لِمَا ذكرنا.

وإيقاعُ بعض هذه الوجوه في قلبه كان مِن وسوسة الشيطان، لكن ظنَّه إلهاماً لا وسوسةً؛ لأنَّه كان لا يعاينُه، فصار كالناسي للنهي وإن كان حافظاً[٢].

ووجهٌ آخر مِن تأويله: أنَّ النهيَ كان مضافاً إلى الشجرة[٣] بعينها، والمرادُ هي وأجناسُها، كما رُوي أنَّ النبيَّ ﷺ خرج وفي يده حريرٌ وذهبٌ، وقال: «هذان حرام[٤] على ذكور أمتي حِلٌّ لإناثهم»[٥]، وكما يقول الطبيبُ للمريض: لا تَأكُل مِن هذا الطعام فإنَّه يضرُّك، ويريد به عينَه وأمثالَه، فوقع عنده أنَّ النهي عن عينه لا غيرُ.

(١) في (ف): «الآخر».

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» (١/ ٤٢٨ ـ ٤٣٢) وما تقدم بين معكوفتين منه.

(٣) في (أ): «شجر».

(٤) في (أ) و(ر): «حرامان».

(٥) رواه أبو داود (٤٠٥٧)، والنسائي (٥١٤٤)، وابن ماجه (٣٥٩٥)، من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

وانضاف إلى هذا أشياءُ أُخَرُ؛ مِن طول المدَّة، وميلِ الطبع إلى المأكول، وزيادةِ زينةٍ[1] ولطافةٍ كانت في الشجرة، فكانت داعيةً إليها.

وسبقت[2] حوَّاءُ إلى الأكل ولم يَظهر عليها شيءٌ، ولم يُرَ قبلها عاصياً إلَّا إبليس وقد عوقب كما عصى، فاجتهد فوقع اجتهاده على أنَّ حكم النهيِ مقتصرٌ على هذه الشجرة، أو أنَّ النهيَ قد ارتفع، ولم يَجز له هذا الاجتهاد؛ لأنَّه كان في موضعِ وجودِ النص، فإنَّ الوحي[3] لم يكن منقطِعاً، وعُذر فيه لأنَّه لم يكن سَبق له النَّهيُ عنه، ولم يُعذر في الأكل لأنَّ النهيَ كان سَبق عنه.

ثم أئمَّة سمرقندَ ـ رحمهم الله ـ لا يُطلِقون اسمَ الزَّلَّة على أفعال الأنبياء؛ لأنَّها نوعُ ذنبٍ، ويقولون: فعَلوا الفاضل وتركوا الأفضل، فعُوتبوا عليه.

وأئمَّة بُخارى ـ رحمهم الله ـ أَطلقوا هذه اللفظةَ لقضيَّةِ قوله تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ﴾؛ أي: استزلَّهم، وفسَّروها بأنَّها فعلٌ يقع مخالفاً للأمر مِن غير قصدٍ إلى الخلاف منهم قبل الفعل، ولا علمٍ لهم بأنَّه خلافٌ حالةَ الفعل، ولا إصرارٍ منهم عليه بعد الفعل[4]، كزلَّة الماشي في الطين لا يقع عن قصدٍ منه إليها ولا ثباتٍ منه عليها.

وقال القشيريُّ رحمه الله: أصبح آدمُ محمودَ الملائكة، مسجودَ الكافَّة، على رأسه تاجُ الوُصلة، وفي وسطه نطاقُ القُربة، وفي جِيده قلادةُ الزُّلفة، لا أحدَ فوقه في الرُّتبة، ولا شخص مثلُه في الرِّفعة، يتوالى عليه النداءُ في كلِّ لحظةٍ: يا آدم يا آدم،

---

(١) في (ر): «رتبة».

(٢) في (ر): «وذهبت».

(٣) في (ر) و(ف): «النص».

(٤) في (أ): «ولا إصرار منهم بعد الفعل منهم».

فلم يُمْسِ حتى نُزِعَ عنه لباسُه، وسُلب استئناسُه، وتبدَّل مكانُه، وتشوَّش زمانُه، قال الشاعر[١]:

فأَمِنتُه فأتاح لي مِن مَأْمَني مَكْراً كذا مَن يأمن الأحبابا[٢]

وقوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾: أي: سبَّب الشيطانُ[٣] خروجَهما؛ وهو الوسوسةُ التي بها زلَّا، فأُمرا بالخروج، وهو كقوله تعالى: ﴿إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ [إبراهيم: ٣٦] وقولِه تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى﴾ [المؤمنون: ١١٠] وقولِه تعالى: ﴿فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا﴾ [التوبة: ١٢٥].

وقوله تعالى: ﴿مِمَّا كَانَا﴾ قال محمد بنُ قيسٍ: أي: مِن اللباس الذي كانا فيه حتى بَدَت لهما سوآتُهما.

وقيل ـ وهو قول الأكثر ـ: أي: مِن الجنَّة، وإنَّما قال: ﴿فِيهِ﴾، ولم يقل: فيها؛ صرفاً إلى قوله: (ما).

وقيل: أي: مِن الحال الذي كانا فيه؛ يعني: مِن النِّعمة والراحة إلى البلاء والشِّدَّة.

وقيل: أي: مِن الطاعة إلى الذلَّة[٤].

وقوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟﴾: الهُبوطُ: الانحدارُ، والهَبوط ـ بالفتح ـ: الحُدور، وهَبَطَ لازمٌ ومتعدٍّ، ودلَّت الكلمةُ أنَّهما كانا في جنَّة الخُلد حيث أُمِرا بالانحدار؛

---

(١) في (أ): «كما قيل» بدل: «قال الشاعر».

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٨١).

(٣) بعدها في (أ): «سبب».

(٤) في (ر): «الزلة»، والمثبت من (ف)، وجملة: «وقيل: أي: من الطاعة إلى الزلة»: ليست في (أ).

وهــو النزول مِن علوٍّ إلى سـفلٍ، فلم يسـتقم تأويلُها ببسـتانٍ في الأرض.

ثم الأمرُ بالجَمْع ـ وهما اثنان في سَبْق الذِّكْر ـ لِمَا أنَّه يتناول معهما غيرَهما.

قال مجاهد: هذا[1] الخطابُ لآدمَ وحوَّاء عليهما السلام، وإبليسَ لعنهُ اللهُ.

وقال ابن عباسٍ والسُّدِّيُّ: الخطابُ لهم وللحيَّة[2].

وعن ابن عباسٍ رضي الله عنهما في رواية: هو لخمسةٍ، وخامسُهم الطَّاووس، فقد دلَّ إبليسَ ـ لعنهُ اللهُ ـ على الحيَّة، فأُخرج معهم مِن الجنَّة[3].

وهذا الأمر وإن انتَظَمهم في كلمةٍ، فما كان هبوطُهم جملةً، بل هبط إبليسُ ـ لعنه الله ـ حين لُعنَ؛ بدليل قوله جلَّ جلاله: ﴿قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا﴾ [الأعراف: ١٣]، وقال تعالى: ﴿فَٱخْرُجْ مِنْهَا﴾ [الحجر: ٣٤] وقال تعالى: ﴿ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا﴾ [الأعراف: ١٨] وهبوطُ آدمَ وحوَّاءَ والحيَّةِ كان بعده بكثيرٍ، وأمَّا قوله تعالى: ﴿ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا﴾ فهو لآدمَ وحوَّاء لا غيرُ.

وقيـل: ﴿ٱهْبِطُواْ﴾ خطـابٌ لهما، وإنَّما جُمع رفعاً لشـأنهما، كما فـي قوله تعالى: ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ﴾ إلـى قولـه: ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَـٰهِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٨]؛ أو لإرادتهمـا مـع ذرِّيَّتهمـا، وهـو كقولـه تعالـى: ﴿قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ [فصلـت: ١١] أي: بمَـن فينـا مِـن الخلق.

ثم ظاهر هذا أمرٌ بالنُّزول إلى الأرض.

---

(١) «هذا»: زيادة من (ف).

(٢) انظر هذه الآثار في «تفسير الطبري» (١/ ٥٧٢) وما بعدها، و«النكت والعيون» (١/ ١٠٧).

(٣) لم أقف عليه، وظاهر أنه من أقاصيص أهل الكتاب.

وقيل أيضاً[1]: أراد به انحطاطَ المرتبة[2]، ونقصانَ المنزلة بسبب الزَّلَّة.

وقوله تعالى: ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾: أي: إبليسُ لهما وهما لإبليس، وإنْ جُمع معهما الحيَّة، فهي عدوٌّ بني آدم وهم عدوُّها؛ هي تَلسعهم وهم يَدمغونها، وإبليسُ يفتنهم وهم يلعنونه.

وإنْ أُريد بالأوَّل آدمُ وحوَّاء وذرِّيَّتهما، فالتعادي مِن التحاسُد في الدنيا أو الاختلافِ[3] في الدِّين، وهذا إخبارٌ عن كونه، لا أمرٌ بتحصيله.

وقالوا: العداوةُ مع إبليس دينيَّةٌ، فلا ترتفعُ ما بقيَ الدِّين، والعداوةُ مع الحيَّة طبيعيَّةٌ فلا ترتفعُ ما بقيَ الطبعُ، ثم هذه عداوةٌ تأكَّدت بيننا وبينهم، لكنَّ حزباً يكون الله معهم كان الظَّفَر لهم.

وقيل: لمَّا قال: ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ قال آدم: الحمدُ لله حيث لم يقل: أنا لكم عدوٌّ.

والعدوُّ: هو المجاوِز حدَّه في مكروهِ صاحبِه، مأخوذٌ مِن التَّعدِّي، ثم هذا[4] اسمٌ يَصلح للواحد والجمع، والذكر والأنثى، قال تعالى: ﴿هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ﴾[5] [المنافقون: ٤] وهذا لأنَّه على بناء بعض المصادر.

وقوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾: أي: موضعُ قرارٍ، وقد قَرَّ واستقرَّ، والمُستَقَرُّ: مكانُ الاستقرار.

---

(١) «أيضاً»: زيادة من (أ).

(٢) في (ف): «الانحطاط في الرتبة».

(٣) في (ر) و(ف): «والاختلاف».

(٤) في (أ): «هو».

(٥) في (أ): «فاحذروهم».

وقيل: أراد بالمستقرِّ موضعَ[١] القرار مِن الأرض في الحياة.

وقيل: أراد به موضعَ القبور، وهو قول السدي[٢].

ثم المُستقَرُّ ثلاثة:

رَحِمُ الأمِّ؛ قال الله تعالى: ﴿فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾ [الأنعام: ٩٨]، أُودع في صُلب الأبِ، واستقرَّ في رَحِمِ الأمِّ.

والثاني: الدنيا؛ قال الله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾ [البقرة: ٣٦].

والثالث: في العُقبى؛ إمَّا في الجنة، قال تعالى: ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا﴾ [الفرقان: ٢٤] وإمَّا في النار، قال تعالى: ﴿إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ﴾ [القيامة: ١٢] وقوله تعالى: ﴿إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ [الفرقان: ٦٦].

وقوله تعالى: ﴿وَمَتَاعٌ﴾: قيل[٣]: أي: معاشٌ، وقيل: أي: مُدَّةٌ، وقيل: أي: منفعةٌ[٤]، وقيل: أي: بلاغٌ.

وقيل: المتاعُ: ما يُتمتع به مِن مرافق العيش؛ مِن الأكل والشرب واللُّبس والسكنى وغيرِ ذلك، وحقيقتُه: طولُ الانتفاع بالشيء، يقال: مَتَعَ النَّهارُ؛ أي: طال، واستمتَع بالشيء؛ أي: انتفع به طويلاً.

وقوله تعالى: ﴿إِلَى حِينٍ﴾: أي: إلى غايةٍ، والحينُ في الأصل اسمٌ للزمان المجهول، قال الشاعر:

---

(١) في (ر): «أراد المستقر مكان».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٥٧٦).

(٣) «قيل»: من (أ).

(٤) في (أ): «منعة».

كلُّ امــرئٍ راجــعٌ يومــاً لشِــيمتِه وإنْ تَخلَّــقَ أخلاقــاً إلــى حيــنِ[١]

وجاء في القرآنِ لوقت الصلاة؛ قال الله تعالى: ﴿ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴾[٢] [الروم: ١٧].

وجاء لستَّة أشهرٍ؛ قال تعالى: ﴿تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ﴾ [إبراهيم: ٢٥] هو مِن حين يَطلُع إلى حين[٣] يُرطب.

وجاء لأربعين سنةً؛ قال تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ﴾ [الإنسان: ١].

وجاء لمدَّة الدُّنيا، كما في هذه الآية عند بعضهم، وقد قال ابنُ عباسٍ والسديُّ رضي الله عنهم: أي: إلى الموت.

وقـال مجاهـد والضحـاك: أي: إلـى قيام السـاعة[٤]، وهـذا في حـقِّ الجميع، والأوَّل فـي حـقِّ الأفراد.

ولمَّا هبطوا وقعَ آدمُ بأرض الهندِ على جبل سَرَنْدِيب، ولذلك طابت رائحةُ تلك الأشجار التي في تلك البقعة[٥]؛ لِمَا معه مِن ريح الجنَّة، ووقعت حوَّاءُ بجُدَّة، وبينهما سبعُ مئةِ فَرْسخ، والطاووسُ بمرج الهند، والحيَّةُ بسِجِسْتانَ، وإبليسُ بسدِّ يَأْجوجَ ومَأْجوج.

وقيل: وقعت الحيَّةُ بأصبهانَ، والطاووسُ بـمَيْسانَ.

---

(١) البيت لذي الإصبع العدواني كما في «المفضليات» (ص: ١٦٣)، و«عيون الأخبار» (٢/ ٨)، و«أمالي القالي» (١/ ٢٥٥).

(٢) في (أ): «الآية» بدل من «وحين تصبحون».

(٣) في (أ): «أن».

(٤) انظر أقوالهم في «تفسير الطبري» (١/ ٥٧٧ ـ ٥٧٨)، و«النكت والعيون» (١/ ١٠٨).

(٥) في (أ): «رائحة أشجار تلك الولاية» وفي (ف) «رائحة أشجار تلك الأودية».

وكانوا في أحسنِ حالٍ؛ فابتُلي آدمُ بالحرث والكسب، وحوَّاء بالحيض والحَبَل والطَّلْق، ونقصان العقل والميراث، وجعَل اللهُ قوائمَ الحيَّة في جوفها، وجعَل[1] قُوتَها الترابَ، وقبَّح رِجْلي الطاووس، وجعل إبليسَ بأقبح صورةٍ وأفضح حالةٍ، وكان مكث آدمُ وحوَّاء في الجنَّة مِن وقت الظهر إلى وقت العصر مِن أيَّام الآخرة.

* * *

(٣٧) ـ ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ﴾: أي: أخذ وحفظ، ويقال: تَلقَّينا الحاجَّ؛ أي: استقبلناهم لِلقائهم، ويقال: لقَّيْتُه الشيءَ فتلقَّاه، ولقَّنْتُه فتلقَّنه، ولقَّفْتُه فتلقَّفه، بمعنًى.

وقوله تعالى: ﴿مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾: الكلمات: جمعُ كلمةٍ، وهي مجموعُ حروفٍ، والكلمات في القرآن جاءت لمعانٍ:

للعلم: كما في قوله **تعالى:** ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى﴾ [الكهف: ١٠٩].

وللقرآن: كما في قوله تعالى: ﴿كَلِمَٰتُ رَبِّى﴾ [الكهف: ١٠٩].

وللفرائض: كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ﴾ [البقرة: ١٢٤].

وللوعد: كما في قوله تعالى: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ٦٤].

واختلفوا في المراد بهذه الكلمات:

قال عليٌّ ومجاهد رضي الله عنهما: هي قوله: لا إله إلَّا أنتَ سبحانكَ وبحمدِك إنِّي كنُت مِن الظالمين، ربِّ عملتُ سوءًا وظلمتُ نفسي فاغفر لي فأنتَ خيرُ الغافرين، لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك، ربِّ عملتُ سوءًا وظلمتُ نفسي فتُب

---

(١) في (أ): «وجعلت».

عليَّ إنك[١] أنتَ التوَّاب الرحيم، لا إله إلا أنتَ سبحانك وبحمدك، ربِّ عملتُ سوءًا وظلمتُ نفسي فارحمني فأنتَ خيرُ الراحمين[٢].

قال عليٌّ رضي الله تعالى عنه: مَن قالها غُفرت ذنوبه وإن كانت مثلَ رملِ عالج، ومثلَ زَبَد البحر.

وقال ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما: هي التحميدُ والتسبيح والاستغفار والمناسك، يعني: أُمر حتى حجَّ البيتَ وتكلَّم بها.

وقيل: هي الصلوات[٣] على النبيِّ محمَّدٍ ﷺ والاستشفاعُ به حتى حجَّ البيت.

وقد[٤] روى عمر رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ أنَّ آدمَ قال: «بحقِّ محمَّدٍ أنْ تغفر لي، قال اللهُ تعالى: وكيف عرفتَ محمَّداً؟ قال: لمَّا خلقتني ونفختَ فيَّ الروح فتحتُ عيني فرأيتُ على ساقِ العرش مكتوباً[٥]: لا إله إلَّا الله محمَّدٌ رسول الله، فعلمتُ أنَّه أكرمُ الخلق عليك؛ حيث[٦] قرنتَ اسمَه باسمِك، قال: نعم، وغفر له بشفاعته»[٧].

---

(١) في (أ): «فإنك».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٥٨٥) عن مجاهد.

(٣) في (أ): «الصلاة»، وفي (ف): «صلوات».

(٤) «قد»: زيادة من (أ).

(٥) «مكتوباً»: سقط من (أ) و(ف).

(٦) في (أ) و(ف): «حتى».

(٧) رواه الآجري في «الشريعة» (٩٥٦)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٩٩٢)، والحاكم في «المستدرك» (٤٢٢٨)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ٤٨٩). قال الحاكم: صحيح الإسناد وهو أول حديث ذكرته لعبد الرحمن بن زيد بن أسلم في هذا الكتاب. وتعقبه الذهبي بقوله: بل موضوع. وقال البيهقي: تفرد به عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وهو ضعيف.

وقال سفيان: قال آدم: يا ربِّ، بمعرفتي أنَّه لا يَسعى ساعٍ إلَّا بمشيئتك وقدرتك[١] أنْ تَغفر لي، فغفر له.

وقيل: قال: يا ربِّ، ما خُدعْتُ إلَّا بك، فقال: صدقْتَ، وتاب عليه.

وقيل: هي هذا الدعاء: اللَّهمَّ إنَّك تَعلم سرِّي وعلانيتي فاقْبَل معذرتي، وتَعلم حاجتي فأَعطني سؤلي، وتَعلم ما في نفسي فاغفر لي ذنوبي، اللَّهمَّ إنِّي أَسألك إيماناً يُباشر قلبي، ويقيناً صادقاً حتى أعلمَ أنَّه لا[٢] يصيبُني إلَّا ما كتبْتَ لي، ورضِّني بما قسمتَ لي، قال اللهُ تعالى: يا آدمُ مَن دعاني[٣] مِن ذرِّيَّتك بهذا غفرتُ له ذنوبه[٤].

وقيل: أوحى اللهُ تعالى إليه: أنَّ مَن أَذنب ذنباً صغيراً أو كبيراً، ثم ندم واعتذرَ وعزم أنْ لا يعود، فإنِّي أتوبُ عليه، فتلقَّى آدمُ هذا مِن ربِّه، فقَبِله وعمل به، فتاب عليه.

وقيل: هي الأوامر والنواهي قَبِلها وائتمرَ بما أُمر وانتَهى عمَّا نُهي، فغفر له؛ ودليله قولُه تعالى: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَـٰتٍ﴾ [البقرة: ١٢٤].

وقيل: هي قولُهما: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾ وهو قول مجاهدٍ وسعيد بنِ المسيب والحسن والربيع بنِ أنس[٥].

وقال ابنُ عباسٍ والسديُّ: قال: ربِّ خلقتني بيدك، ونفخت فيَّ مِن روحك،

---

(١) في (أ) و(ف): «وقدرك».

(٢) في (أ): «لن».

(٣) في (أ): «يا آدم من قالها» وفي (ف): «من قال».

(٤) روي من حديث عائشة رضي الله عنها مع بعض زيادة فيه، وقال أبو حاتم كما في «العلل» لابنه (٢/ ١٨٩): هذا حديث منكر.

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٥٨٤ ـ ٥٨٦) عن مجاهد وقتادة وابن زيد.

وسبقت رحمتُك غضبَك، أرأيت إنْ تبتُ وأصلحتُ، فهل أنتَ راجعي إلى الجنَّة؟ قال: نعم، قال: وتتوب عليَّ إنْ تبتُ؟ قال: نعم، فتاب آدمُ، فتاب اللهُ عليه(١).

وقال عبيد بنُ عمير: قال: يا ربِّ، ما أَتيتُه أشيءٌ ابتدعتُه مِن تلقاء نفسي، أو شيءٌ قدَّرْتَه عليَّ قبل أن تخلُقني؟ قال: بل شيءٌ قدَّرتُه عليك قبل أنْ أَخلقك. قال: يا ربِّ، فكما قدَّرته عليَّ فاغفر لي، فغفر له(٢).

وقال عبد الله بنُ مسعودٍ رضي الله عنه: إنَّ أحبَّ الكلام إلى الله تعالى ما قال أبونا آدم صلوات الله عليه حين اقترفَ(٣) الخطيئة: سبحانك اللَّهمَّ وبحمدِك، وتبارك اسمُك، وتعالى جَدُّك، لا إله إلَّا أنتَ، ظلمتُ نفسي فاغفر لي؛ فإنَّه(٤) لا يغفر الذنوب إلَّا أنت(٥).

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: جرى على لسان آدم مع الحقِّ سبحانه كلماتٌ، وأَسمع الحقُّ سبحانه آدمَ كلماتٍ، وأَجملَ الحقُّ سبحانه القولَ في ذلك إجمالاً؛ إمَّا لتبقى القصةُ مستورةً، أو ليكون للاحتمال في الظنون مساغٌ، ولِمَا يحتمله الحالُ مِن التأويل مطْرح.

ويحتمل أن تكون كلماتُ آدمَ عليه الصلاة والسلام اعتذاراً وتنصُّلاً، وكلماتُ الحقِّ سبحانه قَبولاً وتفضُّلاً.

---

(١) رواه عنهما الطبري في «تفسيره» (١/ ٥٨٠ ـ ٥٨٢).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٥٨٣).

(٣) بعدها في (أ): «اكتساب».

(٤) في (أ) و(ف): «إنه».

(٥) رواه النسائي في «الكبرى» (١٠٦٢٠)، والضبي في «الدعاء» (١٠٦)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٤٠٣). جميعهم دون قوله: «ما قال أبونا آدم صلوات الله عليه حين اقترف الخطيئة».

ويقال: حين أمره بخروجه مِن الجنة جعَل ما أَسمعه إيَّاه مِن عزيز[١] خطابه له زاداً، ليكون له تذكرةً وعتاداً[٢]، قال قائلُهم:

وأَذكــرُ أيَّــام الحمــى ثــم أنثنــي ... علـى كبـدي مِـن خشـيةٍ أنْ تَقطَّعـا

ومخاطباتُ الأحباب لا تَحتمِل الشرح، ولا يُحيط بها الأجانب علماً[٣].

وقرأ ابن كثيرٍ: ﴿فتلقى آدمَ﴾ بالنصب ﴿مِن ربِّه كلماتٌ﴾ بالرَّفع[٤]، ومعناه: جاءت الكلماتُ آدمَ، وهو كقولك: تلقَّيت زيداً، وتلقَّاني زيدٌ.

وقوله تعالى: ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ﴾: التوبة: الرجوع، يقال: تاب إليه وثابَ[٥] وأنابَ وآب.

وقيل[٦]: تاب العبد إلى ربه؛ أي: رجع إليه من ذنبه، و: تاب الله عليه؛ أي: وفَّقه للتوبة وقبِلها منه، قال[٧] تعالى: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا﴾ [التوبة: ١١٨] هذا للتوفيق على التوبة، وقال تعالى: ﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٣٩] هذا لقبول التوبة، وفي هذه الآية تصلُح لهما.

وتمام التوبة من العبد: بالندم على ما كان، وبترك الذنب الآن، وبالعزم على أنْ

---

(١) في (ر): «لذيذ»، والمثبت من (أ) و(ف) و«اللطائف».

(٢) في (ر): «وعياذاً»، وفي (ف): «عتاباً»، والمثبت من (أ) و«اللطائف».

(٣) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٨٢).

(٤) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٥٣)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٣).

(٥) «وثاب»: زيادة من (أ).

(٦) في (أ): «وقد».

(٧) في (ر) و(ف): «وقوله».

لا يعود إليه في مستأنَف الزمان، وفي مظالم العباد بهذه الأشياء، وبإرضاءِ الخصم بإيصالِ حقِّه إليه باليد والاعتذارِ منه باللسان.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ﴾: أي: الكثيرُ القَبول للتوبة، وهذا وعدٌ مِن الله[١] أنَّ العبدَ إذا أَذنب ذنباً وتاب، ثم وقع في الذَّنب ثم تاب، وتكرَّر ذلك منه، قَبِل اللهُ منه كلَّ ذلك، إذا كانت التوبةُ في كلِّ مرةٍ صحيحةً.

وقوله تعالى: ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ مرَّ تفسيرُه في البسملة[٢]، ومعناه هاهنا: أنَّه[٣] اسمٌ يَرحم التائبَ فيغفر حَوبته[٤] ويَقبل توبته.

وقيل: الكلماتُ ثلاثةُ أشياءَ: الحَياء، والبُكاء، والدُّعاء.

قال شهر بنُ حوشب: مكث آدمُ صلوات اللهِ عليه ثلاثَ مئةِ سنةٍ لا يَرفع رأسَه حياءً.

وقال ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما: بكى آدمُ وحوَّاء صلوات الله عليهما مئتي[٥] سنةٍ، ولم يَأكلا ولم يَشربا أربعين يوماً، ولم يَقرب آدمُ حوَّاءَ مئةَ سنة[٦].

فإن قالوا: لِمَ قال: ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ﴾، ولم يقل: عليهما، وقد سبق ذِكْر آدمَ وحوَّاء؟

قلنا: لأنَّه ذكر التلقِّيَ مِن آدم وحده، فذكر قبولَ التوبة كذلك، ولأنَّ مبنَى حالِ النساء على سترهنَّ والسكوتِ عن ذكرهن، ولأنَّ تفريغَ القلب في الدنيا للأنبياء

---

(١) في (أ) و(ف): «وعد منه».

(٢) في (أ) و(ف): «التسمية»، وفي هامش (ف): «البسملة».

(٣) «أنه»: من (أ).

(٤) في (أ): «ذنوبه».

(٥) في (ر) و(ف): «مئة»، والمثبت (أ) والمصدر.

(٦) انظر: «تفسير الثعلبي» (١/ ١٨٥).

على الخصوص، ولأنَّها كانت تبعاً لآدم، فثبت حكمُها بذكر المتبوع، ولأنَّ الاثنين إذا كان معنَى فِعْلَيهما[١] واحداً، فذِكْرُ أحدِهما ذكرُهما؛ قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَـٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا﴾ [الجمعة: ١١] وقال عزَّ وعلا: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٤].

ودلَّت الآيةُ أنَّ العصيانَ لا يُزيل الإيمانَ، وهو ردٌّ على الخوارج.

ودلَّت[٢] أيضاً على بطلان قولِ المعتزلة: إنَّ الصغيرةَ مغفورةٌ لا يجوز العقاب[٣] عليها، ولا تجب التوبة منها. وما كان مِن آدمَ كان زلَّةً وهي دون الصغيرة، وقد عُوقب[٤] عليها وأُمر بالتوبة عنها.

ثم الحكمةُ في ابتلاءِ آدم بذلك مِن وجوهٍ ذكرها الإمام أبو منصورٍ رحمه الله:

أحدها: ما كان في صُلبه مِن الكفرة، وهم ليسوا مِن أهل الجنة.

والثاني: رحمة للخَلْق؛ لئلا ييأسوا ولا يزيلوا الولاية لكلِّ ذنبٍ[٥].

والثالث: لينتبه[٦] الخلق أنْ لا أحدَ يقوم بتعهُّد[٧] نفسه عمَّا يذمُّ عليه إذا

---

(١) في (أ): «فعلهما».

(٢) بعدها في (ر) و(ف): «الآية».

(٣) في (أ): «العتاب».

(٤) في (أ): «عوتب».

(٥) في (ف): «لئلا ييأسوا بوقوعهم في الذنب»، وفي «التأويلات»: «لئلا ييأسوا، ولا يزيل الولاية بكل ذنب».

(٦) في (ف): «لتنبيه»، وفي مطبوع «التأويلات»: «لتنبئة».

(٧) في (أ): «يتعهد»، وفي «التأويلات»: «أن لا يقوم أحد بتعاهد».

وُكِلَت نفسُه إليه، فيكون ذلك سبباً لزَجْر الخلق عن النظر إلى أنفسِهم، وداعياً[(١)] إلى التضرُّع إلى الله تعالى ليَعصمهم عن كلِّ شرٍّ.

وقال يوسفُ صلوات الله عليه: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ﴾ [يوسف: ٥٣][(٢)].

* * *

(٣٨) ـ ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًاۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًا﴾: إنَّما كرَّر الأمر بالهبوط؛ لأنَّه يتَّصل بكلِّ واحدٍ منهما معنًى آخَرُ:

فالأول معناه: اهبطوا على عداوةِ بعضكم لبعضٍ، وعلى سُكناكم في الأرض إلى حينٍ.

ثم ذكر أمْرَهم بالهبوط ثانياً للابتلاء بالعبادة بقوله تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى﴾.

وكان يصحُّ لو قُرن المعنيان بذِكر الهبوط مرَّةً، لكن اعتَرض بينهما كلامٌ، وهو تلقِّيه الكلمات ونَيْلُه قَبولَ التوبة، فأَعاد الأوَّل ليتَّصل المعنى الثاني به، وهو الابتلاءُ بالعبادةِ، والثوابُ على الطاعة، والعقاب على المعصية.

وقوله تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم﴾: الفاء للتعقيب، و(إمَّا) كلمتان؛ (إنْ) وهي كلمةُ

---

(١) في (ر): «داعياً»، وفي (ف): «ودعياً».

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» (١/ ٤٣٣ ـ ٤٣٤).

شرطٍ، و(ما) وهو للصِّلة، و(يَأتِ) شرطٌ، والنون للتأكيد، فعادت الياء المحذوفة بالشَّرط.

وقال الإمام أبو منصورٍ رحمه الله: معناه: ليأتينَّكم، قال: وهذا جائزٌ في اللغة[١].

وقال ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما: ليس هذا بشرطٍ وإن كان ظاهرُه شرطاً، أَلَا ترى أنَّه لا جوابَ له.

قال الإمام الحَجَاج نجمُ الدِّين[٢] رضي الله عنه: ووجهُ تصحيحِ هذين الكلامَيْن ـ مع تقرير العربيَّة على وجهها وحقيقتها[٣] ـ: أنَّه شرطٌ، والمشروط قد يكون وقد لا يكون، وإتيانُ الهدى كان ممَّا يكون لا محالةَ، لكن أسَّس هذا لبناء شرطٍ آخَرَ عليه وإيرادِ جوابٍ بعدهما.

والمشروط الثاني ممَّا يكون مِن بعضهم ولا يكون مِن بعضهم، فكان[٤] مقتضى الشرط في ذلك لا في هذا؛ فتقرَّر الأوَّل وتعلَّق الثاني بالشرط، وتقديره: سيأتيكم منِّي كتابٌ هادٍ ورسولٌ هادٍ، ومتى يأتكم ذلك فمَن تبع هداي[٥] فلا خوفٌ عليه ولا حزنٌ، فكان قوله: ﴿فَمَن تَبِعَ﴾ جواباً لقوله تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم﴾ وهو شرطٌ آخَرُ يقتضي الجوابَ، فجعل جوابه: ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾، ثم هذا الجزاءُ مع شرطه جوابٌ للشرط الأول.

---

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» (١/ ٤٤١).

(٢) «الإمام الحجاج نجم الدين»: سقط من (أ). والحَجَاجُ: حاجِبُ الشَّمس، يقال: بدا حَجَاجُ الشَّمس، أي: حاجِبُها، وهو قَرْنُها، وهو مَجاز. انظر: «التاج» (مادة: حجج).

(٣) في (ف): «وتحقيقها».

(٤) في (أ): «وكان».

(٥) في (أ) و(ف): «فمن تبعه».

وقيل: الجزاءُ الأخيرُ جوابٌ للشرطين جميعاً، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾ [النور: ١٠]، لم يَجِئ له جوابٌ، ثم قال: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور: ٢٠] ولم يَجِئ له جوابٌ، ثم قال: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾ [النور: ٢١] فكان هذا جوابًا لكُلِّها.

وقوله تعالى: ﴿مِّنِّى هُدًى﴾: هذا مصدرٌ أُريد به النعتُ وهو الهادي، وهو نعتُ منعوتٍ مُضمَرٍ وهو الكتاب أو الرسول، وإنَّما وُحِّد لأنَّ المراد أحدُهما، أو بذِكر أحدِهما يصير الآخَرُ مذكوراً، فإنَّ الرسول يأتي بالكتاب، والكتابَ ينزل على الرسول.

و﴿هُدًى﴾ مرفوعٌ بفعله، وهو الإتيان.

وقال ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما: قوله: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى﴾ خطابٌ لذرِّيَّة بني آدمَ عليه السلام؛ لأنَّ إبليسَ ـ لعنه الله ـ وذرِّيَّته لا[1] يأتيهم كتابٌ ولا رسولٌ، ولا يكون منهم اتِّباعٌ.

وقال مقاتل بنُ حيان: ﴿هُدًى﴾ هو محمَّدٌ ﷺ[2]؛ فمَن اتَّبعه وأطاعه فلا خوفٌ عليه ولا حزنٌ.

وقوله تعالى: ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ﴾[3]: يقال: تَبِعه واتَّبعه ـ بالتشديد ـ أي: تَلاهُ، وأتبعه؛ أي: لَحِقَه، قال تعالى: ﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ﴾ [طه: ٧٨]، وتفسيره: فمَن عَمل بالكتاب فلم يخالفْه وأطاع الرسول فلم يُفارقْه.

---

(١) في (ف): «لم».

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤٢٠).

(٣) في (ر) و(ف): «فمن اتبع هداي».

وقوله تعالى: ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾: أي: فليس عليهم خوفٌ فيما بين أيديهم من الآخرة.

﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾؛ أي: لا يَهتمُّون على ما فاتهم من الدنيا.

وقيل: أي: فلا خوفٌ عليهم مِن عقابٍ، ولا حزنٍ بفوتِ ثوابٍ.

وقيل: الخوفُ: استشعارُ غمٍّ لفَقْد مطلوبٍ، والحزنُ: استشعارُ غمٍّ لفوت محبوبٍ، قال تعالى خبراً عن يعقوبَ صلوات الله عليه: ﴿إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَن تَذْهَبُوا بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ﴾ [يوسف: ١٣].

وقيل: فلا خوفٌ عليهم مِن الضلالة في الدنيا، ولا حزنِ الشقاوة في العُقبى، قال تعالى: ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ [طه: ١٢٣] ثم وحَّد الشرط هاهنا وجُمع الجزاء؛ لِمَا مرَّ في قوله: ﴿ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ [البقرة: ١٧].

***

(٣٩) ـ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾: وإنَّما ذكر الكلمتين ومعناهما واحدٌ؛ تقريراً لقبائحهم، وتكريراً لفضائحهم، كما قال تعالى: ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ﴾ [طه: ٧٩].

وقيل: الكفرُ: نفيُ ما لله[1] تعالى مِن الصفات الحميدة، والتكذيبُ: إثباتُ ما لا يليق بالله تعالى مِن الصفات الذميمة، والآياتُ: العلاماتُ الدالَّة على وحدانيَّة الله تعالى مِن الكُتب المنزلة وغير ذلك.

---

(١) في (أ): «نفي الله».

وقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾: أي: سُكَّان جهنَّم، جمعُ صَحْبٍ، وصَحْبٌ جمعُ صاحبٍ، فهو جمعُ الجمع، ونظيرُه: الأشهاد والأنصار[1]، والصُّحبة في معنى الوُصْلة، فسمُّوا أصحابَها لاتصالهم بها وبقائهم فيها.

وقوله تعالى: ﴿هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾: أي: دائمون لا يموتون فيها ولا يُخرجون منها، هذه الآية في وعيدِ مَن لم يَتْبع، والآيةُ الأولى في وعدِ مَن تَبع.

وقال الإمام أبو منصورٍ رحمه الله: قوله: ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَايَ﴾؛ أي: تَبعه[2] ودامَ عليه حتى مات، وكذا في آية الوعيد.

قال: وفي الآيتين نقضُ قولِ الجهميَّة: أنَّ الجنَّة والنَّار يَفنيان ويَنقطع ما فيهما، فإنَّ الله تعالى نفى الخوف والحزن عنهم، ولو كانتا تفنيان لكان لأهل الجنَّة أشدُّ الخوف والحزن.

وذكر في عذاب أهل النار أنَّه شديدٌ أليمٌ؛ ولو كان لها فناءٌ ورَجُوا فناءَها لهانَ ذلك عليهم، وكانوا أسعدَ حالاً مِن أهل الجنة؛ فإنَّ أهل الجنة يخافون زوالَ تلك النعمة[3] وهو أجلُّ محنة، وهؤلاء يرجون زوالَ العقوبة وهو أجلُّ نعمة[4].

***

(٤٠) ـ ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ﴾.

---

(١) في (ر): «والإيصاء»، وفي (ف): «والأنضار».

(٢) في (أ): «اتبعه».

(٣) في (أ): «النعم».

(٤) انظر: «تأويلات أهل السنة» (١/ ٤٤٠ ـ ٤٤١).

وقوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾: انتظامُه بختمِ قصَّة آدم عليه السلام: أنَّه وعد متَّبعَ الهدى بالجنة، ومخالِفَه بالعقوبة، وحثَّهم في هذه الآية على الوفاء بعهده، وهو الإيمان به والطاعة؛ ليُوْفيَ بعهدهم وهو إدخالُ الجنة، فقال تعالى: ﴿وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ﴾ [البقرة: ٤٠] وقد قال: ﴿وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ١١١] بعد قوله: ﴿بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَ﴾ [التوبة: ١١١].

وانتظامُه بتمام قصَّة آدمَ: أنَّ اللهَ تعالى عدَّد علينا نِعَمَه على أبينا، وعدَّد على بني إسرائيل نِعَمه على أنبيائهم[١].

وانتظامُه بما قبل قصَّة آدمَ: أنَّه قال: ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ﴾ ثم أمرنا هاهنا بالوفاء بعهدِ الله.

وقوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾؛ أي: يا أولادَ يعقوبَ، وأصله: بنين، وهو جمعُ ابنٍ، وسقطت النونُ للإضافة، والبنونَ اسمٌ للذكورِ والإناثِ مِن الأولاد إذا اجتمعوا[٢]، كنعتِ الرجالِ يشمل الذكورَ والإناثَ إذا اجتمعوا.

وإسرائيل: اسمُ يعقوبَ، قال ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما: (إسرا) بالعبرانية: عبدٌ، و(إيل) هو: الله، ومعناه: عبدُ الله[٣]، وفيه أقاويلُ أُخرُ لا يُعتمد عليها.

وقوله تعالى: ﴿ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ﴾: يجوز أن يكون أمراً بالذُّكر ـ الذي هو مضمومُ الذال ـ وهو بالقلب خاصَّةً، وهو الحفظُ الذي يضادُّ النسيانَ، ويجوز أنْ يكون أمراً بالذِّكر ـ الذي هو مكسور الذال ـ وهو يقع على الذِّكر باللسان والذُّكر

---

(١) في (أ): «آبائهم».

(٢) في (أ): «جمعوا».

(٣) انظر: «النكت والعيون» (١/ ١١٠)، والخبر رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٥٩٣).

بالقلب، ويكون أمراً بشكر نِعَمه[١] باللسان وحفظِها بالجَنان، فلا[٢] يكفُّ عن قضاء حقِّها بالغفلة والنسيان.

والنِّعمةُ اسمُ جنسٍ، فيقع على كل النعم في مثل هذا، قال تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [النحل: ١٨]، واختُلف في المراد بها[٣] هاهنا:

قيـل: هي كلُّ النِّعـم التي أَنعم اللهُ تعالـى بها على كلِّ خَلْقـه، وهي كلُّها تقتضي الوفاء بعهده.

وقيل: هي النِّعم التي كانت على سَلَفهم: مِن الإنجاء، وبعثِ الأنبياء، وتظليلِ الغمام، وإنزالِ المنِّ والسلوى للطعام، وتفجيرِ العيون مِن الحجر للشراب، وسائرِ ما عدَّدها في هذه الآيات، وهذا[٤] كلُّه إنعامٌ على الأبناء؛ لأنَّهم يَشرفون بتشريف[٥] الآباء، وهذا قولُ الحسن البصريِّ رحمة الله عليه[٦].

وقال ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما: هي ما استودَعهم مِن التوراة التي فيها صفةُ رسولِه، وبعثُه نبيًّا.

وقيل: النِّعمة: هي محمَّدٌ ﷺ، وكانوا يَستفتحون به على الذين كفروا، فكأنَّه قال: احفظوا حقَّه وآمِنوا به وأوفوا بعهدي فيه.

---

(١) في (ف): «النعمة».

(٢) في (أ): «ولا».

(٣) «بها»: من (أ).

(٤) في (ف): «فهذا».

(٥) في (ر): «بتشرف».

(٦) انظر: «النكت والعيون» (١/ ١١١).

وكان بعثُه نعمةً لهم؛ لأنَّه بُعث في وقت اختلافهم وتغييرِ الكتاب، وفي وقتِ فترة الرسل، وكان في طاعته نجاتُهم، ونظيرُه قوله تعالى: ﴿فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ١١٢] يعني: محمَّداً[١] عليه الصلاة والسلام، وإنَّما ذكَره باسم الجمع لكثرة ما فيه مِن النِّعم، كما سمَّى إبراهيمَ أمَّةً لقيامه بمعاني الأمم.

وقوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ﴾: قيل: هو الأمرُ بالوفاء بالميثاق الذي أخذ اللهُ تعالى على ذرِّيَّة آدمَ عليه السلام؛ مِن الإيمان به والائتمارِ بأمره.

والعهدُ اسمٌ للإيمان، قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا﴾ [البقرة: ٨٠]؛ أي: هل قُلْتُم: لا إله إلَّا اللهُ.

وقيل: هو ما أُخذ عليهم مِن العهد في الكتاب[٢] بالإيمان برسولنا محمدٍ ﷺ، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾[٣] [آل عمران: ١٨٧].

وقال ابنُ عباسٍ والرَّبيع: أي: أَوفوا بما أمرتُكم به، أوفِ بما وعدتكم به[٤].

والعهد يكون بمعنى الأمر؛ قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ﴾ [طه: ١١٥] وقال تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ﴾ [يس: ٦٠] وقال عزَّ وجلَّ: ﴿وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ﴾ [البقرة: ١٢٥]، فكان قوله: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ﴾ أي[٥]: أمري.

---

(١) في (أ) و(ف): «هي محمد» بدل: «يعني محمداً».

(٢) في (أ): «كتابهم».

(٣) في (أ) و(ف): «ليبيننه للناس ولا يكتمونه».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٥٩٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٥) في (أ): «بمعنى»، وفي (ف): «يعني».

وقوله تعالى: ﴿أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾: أي: بوَعْدكم، ويكون العهد بمعنى الوعد؛ قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ١١١]؛ أي: بوعده، فقد قال تعالى[١]: ﴿وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا﴾ [التوبة: ١١١] وقال تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ﴾ [التوبة: ٧٥] أي: وَعَد، فقد قال: ﴿بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ﴾ [التوبة: ٧٧].

وقيل: أي: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ﴾ في أداء الفرائض ﴿أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ بقَبولها والجزاء عليها.

وقال ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما: كان عَهِدَ إلى بني إسرائيل على لسانِ موسى صلوات الله عليه: إنِّي باعثٌ مِن بني إسماعيل نبيًّا أُمِّيًّا؛ فمَن اتَّبعه[٢] وصدَّق بالنُّور الذي يأتي به غفرتُ له ذنبَه وأدخلتُه الجنة، وجعلتُ له أجرين اثنين، فذكَّرهم ذلك بهذه الآية[٣].

وقيل: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ﴾ في مجاهدةِ أنفسكم ﴿أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ في معونتِكم عليها.

وقيل: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ﴾ في إخلاصِ سرائركم ﴿أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ في إصلاحِ ظواهركم.

وقيل: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ﴾ في إصلاحِ دنياكم ﴿أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ في إصلاحِ عُقباكم.

وقيل: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ﴾: أَجيبوني فيما قلتُ لكم: افعلوا ولا تفعلوا ﴿أُوفِ

---

(١) في (أ): «فقال» بدل: «فقد قال».

(٢) في (ف): «تبعه».

(٣) ذكره أبو الليث السمرقندي في «تفسيره» (١/ ٧٤) من طريق أبي صالح عن ابن عباس. وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١/ ١٨٦) عن الكلبي، فيغلب على الظن أن خبر ابن عباس هو من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس.

﴿بِعَهۡدِكُمۡ﴾: أُجِبْكم فيما قُلتم لي: افْعَلْ ولا تفعل؛ قال تعالى: ﴿أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي﴾ [البقرة: ١٨٦]، وهو قول سفيان الثوري.

وقال الإمام أبو منصورٍ رحمه الله: عهدُ الله تعالى إلى خَلْقه على وجهين:

عهدُ خِلقةٍ: لِمَا جعل في خِلْقة كلِّ أحدٍ[1] دلائلَ تدلُّ على معرفته وتوحيده، وأنَّه لم يَخلقه للعَبَث ولا يَتركُه سُدًى.

وعهدُ رسالةٍ على ألسنة الرسل: قال الله تعالى: ﴿إِنِّي مَعَكُمۡۖ لَئِنۡ أَقَمۡتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيۡتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرۡتُمُوهُمۡ وَأَقۡرَضۡتُمُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا﴾ [المائدة: ١٢] وقولُه: ﴿أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ﴾ هو قولُه تعالى: ﴿لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَلَأُدۡخِلَنَّكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ [المائدة: ١٢][2].

وقال الإمامُ القشيريُّ رحمه الله: النِّعمة: ما أَشهدك المُنعِمَ، أو ما ذكَّرك المُنعِمَ، أو ما أَوصلك إلى المُنعِم، أو ما لم يَحجبْك عن المُنعِم.

وقال: إنَّه سبحانه أَمَرَ بني إسرائيل بذِكر النِّعم، وأَمَرَ أمَّة محمدٍ[3] بذِكر المُنعِم، فقال تعالى: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ﴾ [البقرة: ١٥٢].

وقال في قوله تعالى: ﴿وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ﴾:

﴿وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ﴾ الذي قَبِلتم يومَ الميثاق ﴿أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ﴾ الذي ضَمِنْتُ لكم يومَ التَّلاقِ.

---

(١) في (ر) و(ف): «واحد».

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» (١/ ٤٤٣).

(٣) في (ف): «أحمد».

﴿وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ﴾ في أنْ لا تُؤْثِروا عليَّ غيري ﴿أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ﴾ في أنْ لا أمنعَ عنكم[١] خيري.

﴿وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ﴾ في استدامةِ عِرفاني ﴿أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ﴾ في إدامةِ إحساني.

﴿وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ﴾ في القيامِ بخدمتي ﴿أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ﴾ في قَبولها[٢] منكم بمنَّتي[٣].

﴿وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ﴾ بحسن المجاهَدة ﴿أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ﴾ في دوام[٤] المشاهَدة.

﴿وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ﴾ بصدق المحبة ﴿أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ﴾ بكمال القُربة.

﴿وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ﴾ اكتَفُوا منِّي بي ﴿أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ﴾ أرضَى عنكم بكم.

﴿وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ﴾ في دار الحَجْبة على بساط الخدمة بشدِّ نطاق الطاعة وبذل الوسع والاستطاعة ﴿أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ﴾ في دار القربة على بساط الوصلة بإدامة الأُنْس والرؤية.

﴿وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ﴾ بقولكم أبداً: ربِّي ربِّي ﴿أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ﴾ بقولي[٥] أبداً: عبدي عبدي[٦].

﴿وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ﴾ بإدامة تحفظ الوفاء ﴿أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ﴾ بإدامة الصفاء[٧].

---

(١) في (أ): «منكم».

(٢) في (أ): «بقبولها».

(٣) في (ف): «بمشيئتي».

(٤) في (أ): «بدوام».

(٥) في (أ) و(ف): «بجوابكم».

(٦) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٨٤ ـ ٨٥).

(٧) «أوفوا بعهدي بإدامة تحفظ الوفاء أوف بعهدكم بإدامة الصفاء»: من (أ).

وقوله تعالى: ﴿وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ﴾: قال القشيريُّ رحمه الله: أي: أَفرِدوني بالرَّهبة؛ لانفرادي بالقُدرة[١].

وقال الإمام أبو منصورٍ رحمه الله: أي: اخشَوا سلطاني وقدرتي.

قال: وقيل: أي: اخشَوا عذابي ونِقمتي.

قال: وقيل: أي اخشوا نقضَ عهدي وكتمانَ نعتِ[٢] نبيِّي محمَّدٍ عليه السلام[٣].

وقال ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما: ﴿وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ﴾؛ أي: أنْ أُنزل عليكم مِن العذاب كما أُنزلت على مَن قبلَكم.

وقد بيَّنَّا في قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ أنَّ تقديمَ (إيَّا) يقتضي الإفرادَ، معناه: اخشوني ولا تخشَوا غيري، كما قال تعالى: ﴿فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِي﴾[٤] [البقرة: ١٥٠].

وأصل: ﴿فَٱرۡهَبُونِ﴾: فارهبوني بياء الإضافة، وبه قرأ بعضُ القرَّاء[٥]، وحُذفت تخفيفاً؛ لموافقةِ رؤوس الآي.

* * *

(٤١) ـ ﴿وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلۡتُ مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُمۡ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦۖ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗا وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ﴾.

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٨٥).

(٢) في (ف): «بعث».

(٣) انظر: «تأويلات أهل السنة» (١/ ٤٤٣ ـ ٤٤٤).

(٤) في (أ) و(ف): «﴿فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخۡشَوۡنِ﴾».

(٥) قرأ بها يعقوب مِن العشرة. انظر: «النشر» (٢/ ٢٣٧).

وقوله تعالى: ﴿وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ﴾: وهو تفسيرُ العهد الذي مرَّ؛ أي: آمِنوا أيضاً[١] أيُّها اليهودُ بالقرآن الذي أنزلْتُه على محمَّدٍ.

﴿مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ﴾ نصبٌ على القطع، ويجوز أن يكون مفعولاً ثانياً؛ أي: بالقرآن الذي أنزلته مصدِّقاً لِمَا معكم؛ أي: مُوافِقاً للتوراة التي معكم في التوحيد، والإخبارِ عن الأمور الماضية والمستقبَلة، وفيها ذِكْرُ نعتِه[٢] وإنزالِ القرآنِ عليه.

وأمَّا[٣] الاختلافُ في الشرائع والأحكام، فلا يُوجِب التناقض؛ لأنَّه نسخٌ، ويجوز نسخُ بعضِ ما في كتابٍ[٤] ببعضِه، فكيف بكتابين! والنَّسخُ بيانُ مدَّة الحكم الأول لا بَدَاءٌ، فجاز.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِۦ﴾: قيل: بالقرآن، وقيل: بمحمَّدٍ عليه الصلاة والسلام، وقد ثبت ذِكْرُه بذِكْر الإنزال؛ لأنَّه أُنزل عليه، فجاز صرفُ الكناية إليه.

وقيل: أي: بما معكم؛ وهو التوراة، فإنَّ فيه نعتَ محمَّدٍ عليه الصلاة والسلام.

والصَّرفُ إلى القرآن قولُ ابنِ جريج، والصَّرفُ إلى محمَّدٍ ـ عليه الصلاة والسلام ـ قولُ أبي العالية[٥]، والصَّرفُ إلى التوراة قولُ الزجَّاج[٦].

---

(١) «أيضاً»: من (أ).

(٢) في (أ): «بعثه».

(٣) في (أ): «فأما».

(٤) في (ف): «البعض من الكتاب» وفي هامشها ما يوافق المثبت.

(٥) رواه عنهما الطبري في «تفسيره» (١/ ٦٠٢).

(٦) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ١٢٢).

ثم لم يقل: أوَّل كافرين، على الجمع؛ لأنَّ الكافر اسمٌ مشتقٌّ مِن فِعْلٍ، فيكون بمعنى: مَن فَعَلَ[١]، فيدلُّ على الجمع، ويجوز جمعُه على الحقيقة، قال الشاعر:

فإذا هم طَعِموا فَألأَمُ طاعمٍ وإذا هُمُ جاعوا فَشَرُّ جِيَاعِ[٢]

وحَّد في الأول وجمَع في الثاني، ويقال: الجيشُ مُقبِلٌ، والجندُ مُنهَزم، ولا يجوز هذا في الاسم الذي ليس بمأخوذٍ مِن الفعل، لا[٣] يجوز أنْ يُقال[٤]: الجيشُ رجلٌ، ولا الجندُ غلامٌ، بل يقال: الجيش رجالٌ، والجند غلمانٌ.

وقال الأخفش: فيه إضمارٌ؛ أي: أوَّل فريقٍ كافرٍ به، فوحَّد على اللفظ دون المعنى.

ثم معناه: أوَّل كافرٍ مِن أهل العصر، فقد كان قَبلهم أهلُ الكفر.

ومعنى النهي عن الكفر أوَّلاً ـ والكفرُ أوَّلاً وآخِراً حرامٌ ـ: أنَّ فيه زيادةَ قبحٍ ووبالٍ؛ أي: لا تكونوا أوَّل مَن يَكفر به فيَقتديَ بكم غيرُكم، فيكون لكم وزرُكم ووزرُ مَنِ اقتدى بكم، قال النبيُّ عليه الصلاة والسلام: «مَن سَنَّ سُنَّةً حسنةً فله أجرها وأجر مَن عمل بها إلى يوم القيامة، ومَن سنَّ سُنَّةً سيئةً فعليه وزرُها ووزرُ

---

(١) بعدها في (أ): «كذا».

(٢) البيت في «نوادر اللغة» لأبي زيد (ص: ١٥٢)، و«معاني القرآن» للفراء (١/ ٢٣)، و«تفسير الطبري» (١/ ٦٠١).

(٣) في (ر): «فلا».

(٤) «أن يقال»: زيادة من (أ).

مَن عَمِل[١] بها إلى يوم القيامة»[٢]، وذلك[٣] أنَّه عليه الصلاة والسلام قَدِمَ المدينةَ، فكذَّبه يهودُ المدينة، ثم بنو قريظة وبنو النضير، ثم خيبر ثم فَدَك، ثم تتابعت[٤] على ذلك سائرُ اليهود.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾: قد فسَّرنا الاشتراءَ في تفسير قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ﴾ [البقرة: ١٦] ومعناه هاهنا:

لا تَأخذوا على تعليم الكتاب أجراً، وهذا قول أبي العالية، وكان مكتوباً عندهم في الكتاب الأول: يا ابنَ آدمَ علِّم مجاناً كما عُلِّمت مجاناً.

وقال الحسن: أي: لا تأخذوا على تغييرِ كتابكم وتبديلِه ثمناً.

وقال السدِّي: أي: لا تأخذوا طَمعاً على كتمانِ ما فيه مِن ذِكر محمَّدٍ وتصديقِ القرآن[٥].

وقصَّة نزولها: أنَّ كعبَ بنَ الأشرف قال لأحبارِ اليهود: ما تقولون في محمَّدٍ؟ فقالوا: إنَّه نبيٌّ، فقال لهم: كان لكم عندي صلةٌ وعطيَّةٌ لو قلتُم غيرَ هذا، قالوا: أَجبناكَ مِن غير تفكُّرٍ فأَمْهِلنا حتى نتفكَّرَ وننظرَ في التوراة، فخرجوا وبدَّلوا نعتَ المصطفى بنعتِ الدَّجَّال لعنه الله، ثم رجعوا وقالوا ذلك، فأعطى

---

(١) في (ف): «يعمل».

(٢) رواه بنحوه مسلم (١٠١٧)، والإمام أحمد في «المسند» (١٩٢٠٢)، من حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه.

(٣) في (ف): «ودل على»، وفي (ر): «فدل على»، بدل: «وذلك».

(٤) في (ف): «تبايعت»، وفي هامشها كالمثبت.

(٥) انظر هذه الأقوال في «النكت والعيون» (١/ ١١٢)، وقول أبي العالية والسدي رواهما الطبري في «تفسيره» (١/ ٦٠٤).

كلَّ واحدٍ منهم صاعاً مِن شعيرٍ وأربعَ أذرعٍ مِن كرباسٍ، فهو القليلُ الذي ذكره اللهُ تعالى في هذه الآية.

وقيل: إنَّما سَّماه ﴿قَلِيلًا﴾؛ لأنَّ الدنيا كلَّها قليلةٌ في نفسها، لاسيَّما إذا قُوبلت بالآخرة وبما يُترك بها.

ثم إنَّ ما أخذوه لم يكن ثمناً حقيقةً، لكن أَخذوه عِوضاً عمَّا تَركوه، فكان في صورة ثمن المبيع، وقد قال الشاعر:

إنْ كنتَ حاولتَ دنيا أو ظفرتَ بها ... فما أَصَبْتَ بترك الحجِّ مِن ثمنِ[1]

وقوله تعالى: ﴿وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ﴾: أي: اخشوني، كما قال: ﴿وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ﴾، وإنَّما أَعاده؛ لأنَّ الأوَّل معناه: اخشوني في نقضِ العهد، وهذا معناه: اخشوني في كتمانِ نعتِ محمَّدٍ وما ذكر في هذه الآية، وإنَّما يَسهل الائتمارُ بالأمر والانتهاءُ بالنهي لمن خشي الله عزَّ وجلَّ؛ فأَمرهم هناك بخشيته ليَسهل[2] عليهم الائتمارُ بما أَمر[3] به في تلك الآية، وأَعاد الأمر بها هاهنا ليسهل عليهم الانتهاء عمَّا نهى عنه في هذه الآية.

***

(٤٢) ـ ﴿وَلَا تَلۡبِسُواْ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُواْ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَلۡبِسُواْ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ﴾: اللَّبس بفتح اللام: الخلطُ، مِن باب: (ضرب)، واللِّبس ـ بكسرها ـ: الاكتساءُ، مِن باب (علم).

---

(١) البيت لعمر بن أبي ربيعة، وهو في «ديوانه» (ص: ٢٨٤).

(٢) في (ر): «بخشيةٍ تسهل».

(٣) في (ر) و(ف): «أمروا».

وقال ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما: معناه: لا تخلطوا الصدقَ بالكذب[١]؛ أي: نعتَ محمَّدٍ[٢] عليه الصلاة والسلام بنعت الدجال.

وقال مجاهد: أي: اليهوديَّة والنصرانيَّة بالإسلام[٣].

وقيل: أي: التوراة المنزلةَ بما كتبتُم بأيديكم.

وقيل: أي: الأمانةَ بالخيانة؛ لأنَّهم اؤتُمنوا على ما في التوراة أنْ يُبدوه ولا يَكتموه، فخانوا فيه[٤] مِن وجهين: بكتمانه وتبديله.

وقوله تعالى: ﴿وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ﴾: عطفٌ على النهي الأول؛ أي: فلا[٥] تكتموا الحقَّ، وهو أمرُ محمَّدٍ عليه الصلاة والسلام، وقيل: القرآن، وقيل: الإيمان.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: أنَّه حقٌّ ولكنْ[٦] تكابرون، فقوله تعالى: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ﴾ هو نهيٌ عن التغيير، وقوله: ﴿وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ﴾ هو نهيٌ عن الكتمان، فكلاهما[٧] منهيَّان، وإضمارُ (لا) هاهنا كإضمارِه في قوله: ﴿لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا۟ أَمَٰنَٰتِكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٧]؛ أي: ولا تخونوا[٨].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٦٠٦).

(٢) في (أ): «النبي».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٦٠٧).

(٤) «فيه»: من (أ).

(٥) في (أ): «ولا».

(٦) في (ر): «ولكنكم».

(٧) في (أ): «فكلاهما».

(٨) «أي ولا تخونوا»: من (أ).

وقيل: هذا خطابٌ للمشركين[١]، وكانوا يقولون في تلبيتهم: لبيكَ اللَّهمَّ لبيك، لا شريكَ لك إلَّا شريكٌ هو لك تَملكه وما مَلَك.

وقيل: هو خطابٌ للمنافقين[٢]، ومعناه: لا تخلطوا الإخلاصَ بالنفاق.

ويجوز صرفه إلى المسلمين وإلى كلِّ صنفٍ منهم، وبيانه: أيُّها السلاطين لا تَخلطوا العدلَ بالجَور، وأيُّها القضاة لا تَخلطوا الحُكم بالرِّشوة، وكذا كلُّ فريقٍ.

وقال الإمام القشيريُّ: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾؛ أي: لا تُؤْثِروا على عظيم حقِّي خسيسَ حظِّكم ﴿وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ﴾؛ فكثيرٌ[٣] مَن يتَّقي عقوبتَه، وعزيزٌ مَن يهاب رؤيتَه ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾؛ أي: لا تتوهَّموا أنْ يَلتئِمَ لكم جمعُ الضِّدَّين، والكونُ في حالةٍ واحدةٍ في محلَّين، فإمَّا مبسوطٌ[٤] بحقٍّ، وإمَّا مربوطٌ بحظٍّ، ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ﴾ تدليسٌ[٥]، ﴿و﴾ لا ﴿تكتموا الحقَّ﴾ تلبيسٌ، ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنَّ حقَّ الحقِّ تقديسٌ[٦].

***

(٤٣) ـ ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾: أي: اقبلُوها وأدُّوها ﴿وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾: كذلك.

---

(١) في (أ) و(ف): «المشركين».

(٢) في (ف): «المنافقين».

(٣) في (أ): «فكبر»، وفي «اللطائف»: (كثير).

(٤) في (أ) و(ف): «منوط»، والمثبت من (ر)، ومثله في مطبوع «اللطائف».

(٥) في «لطائف الإشارات»: (تدنيس).

(٦) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٨٥).

وقيل: أي: أقيموا الحمدَ والثناءَ لله بألسنتكم، ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾؛ أي: طهِّروا له أنفسَكم عن الكفر والمعاصي، قال الله تعالى: ﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ﴾ [النازعات: ١٨]؛ أي: إلى أنْ تتطهَّر[١]، وقال تعالى: ﴿نفساً زاكيةً﴾ وقرئ: ﴿زَكِيَّةً﴾[٢]؛ أي: طاهرةً، وزكاةُ المال سُمِّيت بها لمعنيين: للطهارة كما ذكرنا، وللنَّماء، يقال: زكا الزرعُ: إذا نما، وسُمِّيت بها لنماءِ المال بها بالزيادة، ولطهارةِ مؤدِّيها بالمغفرة.

وقوله تعالى: ﴿وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾: الرُّكوع في اللغة: هو التَّطامُن والانحناء، قال لبيد بنُ ربيعة العامريُّ:

أُخبِّـرُ أخبارَ القـرونِ التي مَضَتْ ... أَدِبُّ كأنِّـي كلَّما قمتُ أَركعُ[٣]

وفي الشرع: هو ركنٌ مخصوصٌ في الصلاة بين القيام والسجود.

ومعنى الآية: اركعوا في الصلاة ركوعَ أهل الإسلام، ولم يكن لصلاة اليهود ركوعٌ؛ أي: أسلموا واعملوا عملَ أهل الإسلام، ولذلك قال: ﴿مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾؛ أي: مع المسلمين الذين يركعون في صلاتهم.

وقيل: الركوع هاهنا اسمٌ لكلِّ الصلاة، وقد مرَّ في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [البقرة: ٣] أنَّ الصلاةَ لها أسامٍ منها الركوعُ، ومعناه: صلُّوا مع المصلِّين، وله معنيان:

---

(١) في (ف): «تطهر»، وقوله: «إلى أن» من (أ).

(٢) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بالألف، وقرأ الباقون بغير ألف. انظر: «السبعة» (ص: ٣٩٥)، و«التيسير» (ص: ١٤٤).

(٣) انظر: «ديوان لبيد بن ربيعة» (ص: ١٧١). وجاء في هامش (ف): «أي: كلما أردت القيام أدبُّ كأني راكع، أي: كبرت وضعفت وانحنيت».

أحدهما: صلُّوا مع أمَّة محمدٍ ﷺ صلاتَهم؛ أي: اشْرَعوا في دينهم وأعمالهم، وصلُّوا صلاتَهم المشتمِلةَ على كلِّ أركانها، واستقبِلوا بها القبلة[١] كاستقبالهم، و﴿ٱلرَّٰكِعِينَ﴾[٢]: اسمُ أمَّة محمدٍ عليه السلام، ولهم[٣] أسامٍ كثيرةٌ في القرآن.

والثاني: صلُّوا مع المصلِّين، وهو أمرٌ بإقامة الجماعة فيها دون الانفراد بها.

ثم هذا ليس بتكرارٍ لقوله: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾؛ لأنَّ ذلك أمرٌ بقَبولها وأداءِ أصلِها، وهذا أمرٌ بإتمامها[٤] بالركوع فيها، وإقامتِها بالجماعة مع أهلها.

* * *

(٤٤)_﴿ ۞ أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ﴾: البِرُّ في اللغة لأشياءَ: للصِّدق، ولحفظ اليمين، ولمراعاة حقِّ الوالدين، وللطاعة، ولِلُّطف، والصَّرفُ[٥] مِن حدِّ عَلِمَ، والنَّعت: البَرُّ _ بالفتح _ والبارُّ، ومعناه هاهنا عند السديِّ: أتأمرون الناسَ بطاعة اللهِ وأنتم تَعْصونه؟!.

وقال ابن عباسٍ رضي الله عنهما: أتأمرون الناسَ بالتمسُّك بكتابكم، وتتركونه أنتم بجحد ما فيه مِن نبوَّة محمَّدٍ عليه الصلاة والسلام.

---

(١) في (ف): «الكعبة».

(٢) في (أ): «والراكعون».

(٣) في (أ): «فلهم».

(٤) «بإتمامها»: من (أ).

(٥) في (أ): «والصدق»، وفي (ف): «وللصدق».

وقيل: أتأمرون الناسَ بالصَّدقة وأنتم تَضِنُّون[١].

وقيل: أتأمرون الناس بالصِّدق وأنتم تكذبون.

وقيل ـ وهو الأظهرُ والأشهر ـ: أتأمرون الناسَ بتصديق محمَّدٍ ﷺ واتِّباعه وأنتم تخالفونه.

ونزولُ الآية في علماء اليهود؛ فإنَّ الرجل منهم كان يقول لصهره وقريبه ورضيعه[٢] مِن المسلمين في السِّرِّ: الْزَموا دينَ هذا الرجل؛ فإنَّ ما يقوله حقٌّ، وكانوا لا يفعلون ما يَأمرون به كيلا تفوتَهم الرِّشوةُ والرئاسة، فنزلت الآية[٣].

وقيل: كانوا يقولون لفقرائهم الذين لا مطمعَ لهم فيهم بالسِّرِّ: آمِنوا بمحَّمدٍ ـ عليه الصلاة والسلام ـ فإنَّه حقٌّ، وكانوا يقولون للأغنياء: نرى فيه بعضَ علاماتِ نبيِّ آخِرِ الزمان دون بعضٍ، فانتظِروا استيفاءَها[٤]؛ لما ينالون منهم.

وقوله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ﴾ هذا استفهامٌ بمعنى التوبيخ والتهديد.

وقوله تعالى: ﴿وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾: النِّسيان في اللغة نقيضُ الذُّكْر، والنِّسيانُ: التركُ أيضاً، والنِّسيانُ: التأخير أيضاً، والنِّسْيُ: ما سقط في منازل المرتحلين مِن رُذالِ أمتعتِهم، فيقولون: تتبَّعوا أنساءكم، هو جمع ذلك[٥]، قال الشاعر:

---

(١) الكلام بتمامه من «النكت والعيون» (١/ ١١٤).

(٢) في (أ): «ولقرينه ولرضيعه» وفي (ف): «ولقريبه ولرضيعه».

(٣) رواه الثعلبي والواحدي كما في «الدر المنثور» (١/ ٣٤٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما. وهو في «أسباب النزول» للواحدي (ص: ٢٤) من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما، والكلبي متروك.

(٤) في (أ): «استيفاء»، وفي (ف): «الاستيفاء».

(٥) في (أ): «هو جمع نسي».

كأنَّ لها في الأرض نسياً تَقُصُّهُ[1]

ومِن الأوَّل قولُه تعالى: ﴿إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، ومِن الثاني قوله: ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمۡ﴾ [التوبة: ٦٧]؛ أي: تركوا ما[2] أمر اللهُ فتركهم مخذولين، ومِن الثالث قولُ الرجل لآخَرَ: نسيتُ أمري؛ أي: أخَّرته عن سائر الأمور.

ومعنى الآية هاهنا: ولا تفعلون[3] أنتم كأنَّكم نسيتُم أنفسَكم، أو: تتركون أنفسكم، فلا تُنْجُونها عن العقوبة بالإيمان به ومتابعته، أو: تؤخِّرون أمورَ أنفسكم، فلا تتَّبعونه للحال كيلا[4] ينقطع مرافقُ أغنيائكم عنكم، ومِن[5] عزمكم أنْ تتَّبعوه يوماً، وشؤمُ إصراركم وتأخيركم باختياركم[6] يبقيكم على الكفر إلى آخِرِ العمر.

وكذا حالُ مَن تمادى في العصيان والفساد[7]، وهو يقول: أتوبُ عند الكِبَر والشَّيبِ، وربَّما يفجؤه الموت، فيبقى في حسرة الفَوْت.

---

(١) صدر بيت للشنفرى، وهو في «المفضليات» (ص: ١٠٩)، وعجزه:

على أَمِّها وإن تكلِّمْك تَبْلَتِ

يقول: كأنها من شدة حيائها إذا مشت تطلب شيئاً ضاع لا ترفع رأسها، والنسي: الشيء المنسيُّ، و(تَبْلت)؛ أي: تقطِّع كلامها ولا تطيله من فرط حيائها أو من نعمتها، وأَمُّها: قصدُها الذي تريده، وموضع (على أَمِّها) نصب على الحال؛ أي: تقصُّه آمَّةً.

(٢) «ما»: ليست في (أ).

(٣) في (ر): «ولا تغفلون»، وفي (ف): «ولا تغفلوا».

(٤) في (ف): «في الحال لئلا»، وفي (ر): «للحال لئلا».

(٥) في (أ): «وعن».

(٦) «باختياركم»: زيادة من (أ).

(٧) في (أ): «والغيث»، ولعلها محرفة عن (العيب).

وقوله تعالى: ﴿وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾: أي: التوراةَ، وتَعرفون أنَّ المصطفى حقٌّ، وأنَّ كتابَه صدقٌ، ثم تخالفون علمَكم.

وقوله تعالى: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾: أي: ليس لكم عقلٌ تَعرفون به أنَّه قبيحٌ منكم تركُ إصلاحِ أنفسكم والاشتغالُ بغيركم، وقبيحٌ أيضاً مخالفةُ ما تعلمون.

وقيل: أي: تتلونَ في كتابكم أنَّ المحمودَ مَن عَمِل بما عَلِم، ثم أَمَر غيرَه به، لا مَن أمر غيرَه به[1] وتركَ نفسه، وفي كتابنا ذلك أيضاً قال الله تعالى: ﴿وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ [آل عمران: ١١٤] ثم سمَّاهم فقال: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [آل عمران: ١١٤].

وقال إبراهيم النَّخَعيُّ رحمه الله: مَنَعني عن الجلوس للعامَّة ثلاثُ آياتٍ قالوا[2]: هي دامغةُ الواعظين: قولُ اللهِ تعالى خبراً عن شعيبٍ النبيِّ صلوات الله عليه: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ﴾ [هود: ٨٨]، وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٢] وقوله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾ [البقرة: ٤٤].

وقيل: في معناها آيةٌ أخرى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾ [المائدة: ٦٨].

ثم هذا التوبيخُ ليس على[3] أَمْرِ الناسِ بالبِرِّ، بل لتركِ العملِ به، ولا يستقيمُ قولُ مَن يقول: لا يجوز الأمرُ بالمعروف لمن لا يَعمل به لهذه الآية، بل يجب العمل

---

(١) «به» سقط من (ف).

(٢) في (ر) و(ف): «وقالوا».

(٣) بعدها في (أ): «من».

به ويجب الأمر به، وقد قال النبيُّ عليه الصلاة والسلام: «مُرُوا بالمعروف وإنْ لم تَعملوا به كلِّه[١]، وانهوا عن المُنكر وإنْ لم تَنتهوا عنه كلِّه»[٢]، وهذا لأنَّه إذا أَمر به مع أنَّه لا يَعمل به فقد ترك واجباً، وإذا لم يأمر به فقد ترك واجبين.

* * *

(٤٥) ـ ﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾: أي: بالصبرِ على الطاعات، وتركِ السيئات، وتحمُّل الأذى والمصيبات، وجهادِ الأعداء بالمحارَبات، وبالصلوات على تكفيرِ السيئات وقضاء الحاجات.

فإنَّ الصبرَ حبسُ النَّفس، وهو يكون على أداءِ الطاعات مع مشقَّتها، وعلى تركِ المعاصي مع شهوتها.

والباءُ للأداةِ والآلةِ، وما يُستعان به عليه مُضمَر، وهو تكفيرُ السيئات؛ فإنَّ اللهَ تعالى قال: ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥] إلى أنْ قال: ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةً﴾ [الأحزاب: ٣٥]، والصلاةُ كذلك؛ قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [هود: ١١٤] ويُستعان بهما على قضاء الحاجات أيضاً؛ وهو المضْمَرُ عند بعضِهم،

---

(١) «به كله»: سقط من (أ)، و«كله» سقط من (ف).

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» (١٩)، وابن وضاح في «البدع» (٢٩٢)، والبيهقي في «الشعب» (٧٥٧٠)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وأعله البيهقي بطلحة بن عمرو، وهو ضعيف كما قال. ورواه الطبراني في «الأوسط» (٦٦٢٨) و«الصغير» (٩٨١) من حديث أنس رضي الله عنه. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٢٧٧): رواه الطبراني في «الصغير» و«الأوسط» من طريق عبدالسلام بن عبدالقدوس بن حبيب عن أبيه وهما ضعيفان. وقال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (١/ ٥٩٢): عبد القدوس بن حبيب أجمعوا على تركه.

فإنَّ الصبرَ مفتاحُ الفَرَجِ، والصلاةُ يُنال بها الحاجةُ أيضاً، قال تعالى: ﴿ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ ﴾ [آل عمران: ٣٩].

وقيل: الصبر هو الصوم، وسُمِّي شهرُ رمضانَ شهرَ الصبر لأنَّه شهرُ الصوم، وبالصوم والصلاة[١] يُستعان[٢] على الكفَّارات والحاجات أيضاً؛ أمَّا الصلاةُ فقد بيَّنَّا فيها ذلك، وأمَّا الصوم فلأنَّ شهرَ الصوم هو شهرُ المغفرة وشهرُ إجابة الدَّعوة.

وقيل: استعينوا بالصوم والصلاة على سائر الطاعات؛ فإنَّ الصومَ بابُ العبادات كما روي، والصلاةَ جامعةُ العبادات كما حُكي.

وقيل: معناه: استعينوا بهما على طلب الآخرة.

وقال محمد بنُ عليٍّ الترمذيُّ رحمه الله: واستعينوا بالصَّبر ـ وهو الصوم ـ على رياضة النفوس، وبالصلاة على تنوير[٣] القلوب؛ فإنَّه إذا صام وجاعَت نفسُه عن الطعام، شبعت عن الذنوب، وإذا صلَّى ففيها مناجاةُ الله وقرَّةُ العيون[٤].

وقيل: معناه: استعينوا بالصَّبر في الحروب على معونة النبيِّ ﷺ ومتابعته، وبالصلاة على حُسن العمل لله وخدمته.

وقيل: معناه: واستعينوا بالله على الصوم والصلاة، فالمستعانُ هو اللهُ تعالى

---

(١) في (ر) و(ف): «وبالصبر بالصلاة».

(٢) بعدها في (أ): «بهما».

(٣) في (ر): «تنوُّر».

(٤) من قوله: «وقيل معناه: استعينوا» إلى هنا، جاء في (أ) بعد قوله: «حسن العمل لله وخدمته».

وإن لم يُذكَر في هذه الآية، والباءُ في الصبر والصلاة بمعنى (على)؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُۥ وَاقِعُۢ بِهِمۡ﴾ [الأعراف: ١٧١]؛ أي: عليهم.

وقيل: معناه: استعينوا بالله على الصبر على زوال الرئاسة والمَأْكلة، وعلى الصلاة إلى الكعبة؛ فإنَّهما كانا يشقَّان على أهل الكتاب.

ودليلُه قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ﴾: أي: ثقيلةٌ، كما في قوله تعالى: ﴿كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِ﴾ [الشورى: ١٣] وأصله: العَظَمة، والشيءُ قد يَعظُم في نفسِه قَدْراً، وقد يكون عملاً فيَعظُم على مُباشِره[1] فعلاً.

والهاء في ﴿وَإِنَّهَا﴾ راجعةٌ إلى الاستعانة التي تُثبت مقتضى قوله: ﴿وَٱسۡتَعِينُواْ﴾، والاستعانة بهما ـ أي: بتحصيلهما ـ على الأشياء التي ذكرنا إضمارَها أنَّها كانت تشقُّ عليهم.

وقيل: إنَّها راجعةٌ إلى الصلاة، وإذا ذُكر شيئان وذُكرت كنايةٌ بعدهما، فالأصلُ صرفُ الكناية على التثنية إليهما، ويجوز الصرفُ إلى أحدهما اختصاراً، والأَولى الصرُف إلى آخرهما[2]؛ لأنَّه أقربُ إلى ذلك، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَكۡسِبۡ خَطِيٓـَٔةً أَوۡ إِثۡمٗا ثُمَّ يَرۡمِ بِهِۦ بَرِيٓـٔٗا﴾ [النساء: ١١٢]، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا﴾ [التوبة: ٣٤].

فأمَّا في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوۡاْ تِجَٰرَةً أَوۡ لَهۡوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيۡهَا﴾ [الجمعة: ١١] فإنَّما صُرفت الكنايةُ إلى الأول وهي التجارة؛ لأنَّ اللهوَ تبعٌ للتجارة، فكان صرفُ الكناية إلى المتبوع أَولى، على أنَّ كلَّ واحدٍ منهما جائزٌ، فإنَّ كلَّ واحدٍ منهما

(١) في (ف): «مباشرته».

(٢) في (ر) و(ف): «أحدهما»، والمثبت من (أ) وهو الصواب.

سبق ذِكْره، وكذلك[١] قُرئ في قوله تعالى: ﴿أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ﴾ [آل عمران: ١٥٤] بالياء والتاء جميعاً[٢].

وكذا في قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِي﴾ [الدخان: ٤٣ ـ ٤٥] بالتاء والياء[٣]؛ لسَبْق[٤] ذكرِ المذكَّر والمؤنَّث جميعاً.

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾: أي: على أمَّةِ محمَّدٍ عليه الصلاة والسلام، فهذا مِن أسمائهم كالراكعين على ما قلنا، والخشوعُ في اللغة: التَّذلُّل عن خشية الله تعالى، وخشع؛ أي: تَطامَنَ، وخشعَ ببصره: إذا غضَّه.

وقال ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما: هم الذين خشعت أنفسُهم بالتَّذلُّل بالإيمان لله تعالى بما أنزل[٥].

وقال الضحَّاك والربيع: ﴿ٱلْخَٰشِعِينَ﴾: الخائفين[٦]، يقول: إنَّ تركَ الرئاسة والصلاةَ مع المسلمين إلى الكعبة ـ مع عادتهم[٧] الصلاة إلى بيتِ المقدس ـ شاقَّةٌ إلَّا على الخاشعين[٨] لله تعالى بالإسلام والاستسلام.

---

(١) في (ر) و(ف): «ولذلك».

(٢) قرأ بالياء حمزة والكسائي، وقرأ باقي السبعة بالتاء. انظر: «السبعة» (ص: ٢١٧)، و«التيسير» (ص: ٩١).

(٣) قرأ ابن كثير، وحفص عن عاصم، بالياء، وقرأ الباقون بالتاء. انظر: «السبعة» (ص: ٥٩٢)، و«التيسير» (ص: ١٩٨).

(٤) في (ر) و(ف): «لنسق».

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٦٢٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ١٠٣)، بلفظ: (المصدِّقين بما أنزل الله).

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٦٢٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ١٠٣)، من طريق الربيع عن أبي العالية.

(٧) في (ر) و(ف): «عبادتهم».

(٨) في (أ): «إلا على مَن خشع».

(٤٦) ـ ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ﴾: أي: يُوقنون، قاله مجاهد وابنُ جريجٍ والشعبيُّ والربيع[١].

وقال ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما: أي: يَعلمون، وإنَّما جازت تسميةُ العلم ظنًّا؛ لأنَّ في الظَّنِّ طرفاً مِن العلم واليقين، ولولاه لكان جهلاً، وهذا كقوله تعالى: ﴿إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٣٠] وقوله تعالى: ﴿إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ﴾ [الحاقة: ٢٠].

وقوله تعالى: ﴿أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ﴾: أي: مُعايِنُوه، وهو كنايةٌ عن شهودِ مشهد العَرْض والسؤالِ يوم القيامة، وهو الوجهُ فيما يُروى في[٢] الأخبار: «لقيَ اللهَ وهو عليه غضبانُ»[٣] وما يجري مجراه.

وقيل: أي: يَعلمون أنَّهم يموتون، قال النبيُّ ﷺ: «مَن أحبَّ لقاءَ اللهِ أحبَّ اللهُ لقاءَه، ومَن كرهَ لقاءَ اللهِ كرهَ اللهُ لقاءَه»[٤]، وأراد به الموتَ.

ولقاءُ الله ـ وهو رؤيتُه ـ ثابتٌ[٥] عند أهلِ السُّنَّة والجماعة، لكنْ في مثلِ هذا الموضع يُستعار لإشهاد مشهد الجزاء؛ كما يقال: قدِم فلانٌ إلى السلطان، فأمر

---

(١) رواه عنهم ـ عدا الشعبي ـ الطبري في «تفسيره» (١/ ٦٢٤ ـ ٦٢٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ١٠٣ ـ ١٠٤).

(٢) في (ر): «من».

(٣) قطعة من حديث رواه البخاري (٢٣٥٦)، ومسلم (١٣٨)، عن ابن مسعود رضي الله عنه.

(٤) رواه البخاري (٦٥٠٧)، ومسلم (٢٦٨٤)، من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٥) في (أ): «ثابتة».

بعقوبته[١] أو بكرامته، وفي قوله تعالى: ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ﴾ [التوبة: ٧٧] لا يمكنُ حملُه على الرؤية التي هي كرامةٌ، بل هو على إشهادِ مشهد الجزاء، فكذا ما هو مثلُه[٢].

قولُه تعالى: ﴿وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾: أي: ويعلمون أنَّهم راجعون يوم القيامة إلى الله تعالى؛ أي: إلى جزائه إيَّاهم على أعمالهم.

وقيل: أراد به الرجوعَ إلى الله تعالى في كلِّ الأمور، ومعناه: أنَّها تشقُّ إلَّا على العالِمين أنَّهم يموتون ويرجعون إلى جزائه[٣]، ويوقنون أنَّ مرجعَ الخَلْق كلِّهم إليه، لا استغناء عنه ولا محيصَ[٤] عن أخذه.

ثم وصفُ الصلاةِ بالثقل[٥] على اليهود ذمٌّ لهم؛ لأنَّها كراهةُ اعتقادٍ، وهو كقوله تعالى في صفة المنافقين: ﴿وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ﴾ [التوبة: ٥٤] فأمَّا ما ذكر في صفة المؤمنين: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦] وقولُه تعالى في أهل بدرٍ: ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ﴾ [الأنفال: ٥] فذاك ليس بذمٍّ؛ لأنَّه[٦] كراهةُ طبعٍ، ويُمدَح المؤمن بتحمُّله ذلك مع كراهة طبعه اتِّباعًا لشرعه، ويعطَى زيادة ثوابٍ على تحمُّل[٧] ما يَشُقُّ على نفسه.

---

(١) زاد بعدها في (ر) و(ف): «أو بمتابعته».

(٢) في (ر) و(ف): «في مثله».

(٣) «إلى جزاءه» من (أ).

(٤) في (أ): «مخلص».

(٥) في (ر): «بالثقيلة».

(٦) في (أ): «لأنها».

(٧) في (ف) و(أ): «ويثاب زيادة ثواب على احتماله».

(٤٧) ـ ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ﴾: قد سبق ذكره مرَّةً، والتكريرُ للتأكيد والتقرير، ولأنَّ الأوَّل في إنعامه عليهم، وهذا الثاني في إنعامِه على آبائهم، فقد عدَّد بعده ما كان على الأسلاف مِن التفضيل على عالَمِي زمانهم، وسائر ما ذكره فيما بعده مِن الآيات، وذكرُ النِّعم على الآباء إلزامُ الشكر على الأبناء فإنَّهم يَشْرُفون بشَرَفهم، ولذلك خاطبهم فقال تعالى: ﴿فَضَّلۡتُكُمۡ﴾ ولم يقل: فضَّلت آباءَكم؛ لأنَّ في فضلِ آبائهم فضلَهم.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾: الفَضْلُ: الزيادةُ، والتفضيلُ[١]: إثباتُها، والإفضالُ: الإنعام، والتَّفضُّل كذلك، والفاضلُ: مَن له الفضلُ.

ومعناه: واذكروا أيضاً أنِّي جعلتُ لكم فضلاً على أهلِ زمانكم بإعطاء الرئاسة والمالِ، قاله أبو العالية[٢].

وقال مجاهدٌ وقتادةُ: فضَّلتكم على مَن بَيْنَ ظَهرانَيْكم؛ فإنَّهم كانوا أولاَدَ الأنبياء، وغيرُ بني إسرائيل لم يكونوا كذلك[٣].

ثم لم يكن لهم بهذا[٤] فضلٌ على أمَّة محمَّدٍ عليه الصلاة والسلام، فإنَّ اللهَ تعالى قال لهم: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠] فكان هذا على الخصوص دون العموم، كما في قوله تعالى في حقِّ مريم: ﴿وَٱصۡطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾

---

(١) في (ر) و(ف): «والنقصان».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٦٢٩).

(٣) رواه عنهما الطبري في «تفسيره» (١/ ٦٢٩ ـ ٦٣٠).

(٤) في (ر) و(ف): «لهذا».

[آل عمران: ٤٢]؛ أي: نساءِ زمانِكِ، فإنَّ خديجةَ وعائشةَ وفاطمةَ رضي الله عنهنَّ أفضلُ منها.

وقيل: هو على العموم، وهو في حقِّ تظليل الغمام عليهم، وإنزالِ المنِّ والسَّلوى، وتفجيرِ الماء مِن الحَجَر؛ فإنَّهم خُصُّوا به، وكذا في حقِّ مريمَ رضي الله عنها إنْ أُريدَ به فضْلُها بالولد بغير أبٍ فهو على العموم.

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: أَشهَدَ اللهُ بني إسرائيل فضلَ أنفسِهم فقال: ﴿فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ٤٧] وأشهَدَ أمَّةَ محمَّدٍ[1] ﷺ فضلَ نفسِه فقال: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ﴾ [يونس: ٥٨]، وشتَّان بين مَن مشهودُه فضلُ نفسِه، وبين مَن مشهودُه فضلُ ربِّه، وشهودُه فضلَ نفسِه قد يُورث الإعجاب، وشهودُه فضلَ ربِّه يوجِبُ الإيجاب[2].

* * *

(٤٨) ـ ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾: ولمَّا ذكر أنَّه فضَّلهم بأنْ جعلهم أولادَ الأنبياء، قالوا: إنَّ آباءَنا يخلِّصوننا[3] يوم القيامة، فقال: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾.

قيل: أي: لا تُغني، وقيل: أي: لا تَكفي، وقيل: أي: لا تَنوب.

---

(١) في (ر) و(ف): «وأشهد محمداً»، والمثبت من (أ)، ومثله في «اللطائف» ولفظه: وأشهد المسلمين من أمة محمد.

(٢) «لطائف الإشارات» (١/ ٨٨).

(٣) في (ف): «مخلصونا».

وقيل: أي: لا تقضي، وهذا هو الموافقُ لأصل اللغة، يقال: جزى الدَّينَ؛ أي: قضاهُ، وتجازاه؛ أي: تقاضاه، وجزاه بعمله؛ أي: قضاهُ في حقِّه، وقال[١] عليه الصلاة والسلام: «تَجْزي عنك ولا تجزي أحداً بعدك»[٢]؛ أي: تقضي عن أُضحيتك وعن كفَّارتك، وجزَى عن فلانٍ؛ أي: قضَى عنه؛ أي: قام مقامَه ونابَ عنه وكفاهُ أمرَه.

وقوله تعالى: ﴿نَفۡسٌ﴾؛ أي: نفسٌ مؤمنةٌ ﴿عَن نَّفۡسٍ﴾؛ أي: عن نفسٍ كافرةٍ، وهو كقوله: ﴿لَّا يَجۡزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ﴾ الآية [لقمان: ٣٣].

وقال تعالى: ﴿لَن تَنفَعَكُمۡ أَرۡحَامُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ﴾ [الممتحنة: ٣] وكيف تنفعُ وقد قال: ﴿يَوۡمَ يَفِرُّ ٱلۡمَرۡءُ مِنۡ أَخِيهِ ٣٤ وَأُمِّهِۦ﴾ الآية [عبس: ٣٤ ـ ٣٥].

ثم[٣] هذا في حقِّ الكافر، فأمَّا[٤] المؤمنُ فقد استثناه فقال: ﴿يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ٨٨ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٨ ـ ٨٩] أي: خالٍ عن الشرك، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمۡ عِندَنَا زُلۡفَىٰٓ إِلَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا﴾ [سبأ: ٣٧].

ثم قيل: فيه مُضمَرٌ، ومعناه: واتَّقوا يوماً لا تجزي فيه نفسٌ عن نفسٍ شيئاً، وإنَّما حُذف لأنَّه ظرفٌ، ويجوزُ حذفٌ[٥] في موضع الظرف، تقول: أتيتُك اليوم، وأَتيتُك في اليوم، قال الشاعر:

---

(١) في (أ): «وقوله».

(٢) رواه بهذا اللفظ أبو يعلى في «مسنده» (٨٩٧)، من حديث أبي جحيفة رضي الله عنه، وهو بنحوه عند البخاري (٩٥٥)، ومسلم (١٩٦١)، من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه.

(٣) في (أ): «ثم قال».

(٤) في (أ): «وأما».

(٥) في (ف): «حذفه».

ويوماً[١] شهدناهُ سُلَيماً وعامراً قليلاً سوى الطَّعنِ النِّهال نوافلُه[٢]

أي: شهدنا فيه، وفيه إضمارٌ آخَرُ عند قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمًا﴾؛ أي: عذابَ يومٍ؛ لأنَّ نفسَ اليوم لا يتَّقى، ويجوز أن يقال: إنَّ اليومَ مخوفٌ أيضاً؛ لأنَّ المخاوف فيه.

ثم إنَّ الله[٣] تبارك وتعالى قال: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ﴾ [آل عمران: ١٣١] وهو[٤] للعامَّة، وقال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمًا﴾ وهو للخاصَّة، وقال تعالى: ﴿وَٱتَّقُونِ﴾ وهو لخاصِّ الخاصِّ.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٌ﴾: يُقرأ بالياء والتاء[٥]، فمَن أنَّث فلأنَّ الشفاعةَ مؤنَّثةٌ لفظاً، وأمَّا التذكير[٦] فلأنَّ تأنيثَ ما ليس بذي روحٍ غيرُ حقيقيٍّ، ولأنَّ الفعلَ مقدَّمٌ على الاسم، ولأنَّ بينهما حائلاً.

وفي القرآن: ﴿وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ﴾ [هود: ٦٧]، وفي آيةٍ أخرى[٧]: ﴿وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ﴾ [هود: ٩٤]، ﴿قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ أُسۡوَةٌ﴾ [الممتحنة: ٤] ﴿لَّقَدۡ

---

(١) في (ر) و(ف): «يوم».

(٢) البيت لرجل من بني عامر، وهو بمثل رواية المصنف في «معاني القرآن وإعرابه» للزجاج (١/ ١٢٨)، وهو أيضاً في «الكتاب» لسيبويه (١/ ١٧٨)، و«أمالي ابن الشجري» (١/ ٧)، وورد عندهما: ويوم......... قليل.

(٣) في (ر): «ثم إنه».

(٤) في (أ): «وهذا»، وكذا في الموضعين الآتيين.

(٥) قرأ بالياء ابن كثير وأبو عمرو، وقرأ باقي السبعة بالتاء. انظر: «السبعة» (ص: ١٥٤)، و«التيسير» (ص: ٧٣).

(٦) في (أ): «ومن ذكر».

(٧) «وفي آيةٍ أخرى»: من (ر).

كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١] وقال تعالى: ﴿فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ﴾ [الأنعام: ١٥٧] وقال: ﴿وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ﴾ [الأعراف: ٨٧].

والحاصل: أنَّ ما كان تأنيثه ليس بحقيقيٍّ فتأنيثُه وتذكيره جائزٌ إنْ تقدَّم أو تأخَّر، وكان بينهما حائلٌ أو لم يكن، وفي الحقيقيِّ يجوز تأنيثُها بكلِّ حالٍ، وتذكيرُها إذا تقدَّم الفعلُ وبينهما حائلٌ، ولا يَحْسُنُ بغير حائلٍ.

وقوله: ﴿مِنْهَا﴾ الهاء راجعةٌ إلى النفس التي ذُكِرت أولاً، وهي النفسُ المؤمنةُ التي لا تُقبل شفاعتُها في الكافر[1]، والشفاعةُ مصدرُ الشافعِ والشفيعِ، وهو طالبُ قضاءِ حاجةِ غيرِه، مأخوذٌ مِن الشَّفع؛ لأنَّه يشفعُ[2] نفسَه بمن يَشفع له في طلب مراده.

والشُّفعةُ منها، وهي ضمُّ مِلكِ غيرِه إلى مِلكِ نفسِه.

ولا شفاعةَ في حقِّ الكافر؛ قال تعالى: ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر: ١٨] وقال تعالى: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ۝١٠٠ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ [الشعراء: ١٠٠ ـ ١٠١] والكفارُ يقولون ذلك حين يرونَ للمؤمنين شفاعةَ الشفعاء ومعونةَ الأصدقاء.

وقال النبيُّ ﷺ: «شفاعتي لأهلِ الكبائرِ مِن أمَّتي»[3]؛ فمَن[4] كذَّبَ بها لم ينلها.

وقال تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥] وهو إثباتُ الشفاعة لمَن أذن له بها.

---

(١) في (أ): «شفاعتها للكافرة».

(٢) في (ر): «شفيع».

(٣) رواه أبو داود (٤٧٣٩)، والترمذي (٢٤٣٥)، وابن ماجه (٤٣١٠)، من حديث أنس رضي الله عنه. وقال الترمذي: حسن صحيح غريب من هذا الوجه.

(٤) في (أ) و(ر): «من».

وقال الإمام القشيريُّ: فاللهُ تعالى هو الشفيعُ الأكبرُ على التحقيق، وإن كان لا يُطلَق عليه اسمُ الشفيع؛ لعدم التوقيف.

وقد قيل في معناه:

الحمدُ للهِ شكرا فكلُّ خيرٍ لديه
صارَ الحبيبُ شفيعي إلى شفيعي إليه[1]

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾: أي: فديةٌ؛ قال تعالى: ﴿وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ﴾ [الأنعام: ٧٠] سُميت الفديةُ عدلاً لأنَّها تعادل المفديَّ؛ أي: تُماثلُه، قال تعالى: ﴿أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا﴾ [المائدة: ٩٥] والعَدلُ ـ بالفتح ـ: مِثْلُ الشيءِ مِن خلافِ جنسِه، وبالكسر: مِثْلُه مِن جنسِه.

ثم معناه: لا يُؤخذ مِن الكافر فديةٌ ينجو بها مِن النار، ولا يجد ذلك ليفتديَ به، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِن سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [الزمر: ٤٧]، وقال تعالى: ﴿لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَىٰ بِهِ﴾ [آل عمران: ٩١]، وقال تعالى: ﴿لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ﴾ الآية [المعارج: ١١].

وأمَّا في حقِّ المؤمنين فقد روي أنَّه يُعطى كلُّ مؤمنٍ يهوديًّا أو نصرانيًّا، فيقال له: هذا فداؤك مِن النار[2].

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٨٩)، وفيه:

صار الحبيب شفيعا إلى شفيع إليه

(٢) رواه مسلم (٢٧٦٧) من حديث أبي موسى بلفظ: «إذا كانَ يومُ القيامةِ دَفَعَ اللهُ عزَّ وجلَّ إلى كلِّ مسلمٍ يهوديًّا أو نصرانيًّا، فيقولُ: هذا فِكَاكُكَ مِن النَّارِ».

وقوله تعالى: ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾: النُّصرةُ: العونُ، والنُّصرةُ: المنعُ أيضاً؛ أي: لا يعاوَنون ولا يُمنعون عن أيدي المعذِّبين، وهذا للكافرين، فأمَّا المؤمنون فقد قال في حقِّهم: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَـٰدُ﴾ [غافر: ٥١].

ثم إنَّما جُمع هذا مع أنَّ الذي سبقه موحَّدٌ؛ لأنَّ ذاك نكرةٌ في موضع النفي، فكان للعموم، وتناوَل جميع الكفار، فجاز[١] ختمُ الآية بالجمع على المعنى.

ثم هذه الآية في نهاية البلاغة؛ فإنَّها جمعت ذكرَ الوجوه التي بها يتخلَّص العبد[٢] عن النَّكبة التي أصابته في الدنيا، وهي أربعٌ: ينوبُ عنه غيرُه في تحمُّل ما عليه، أو يفتدي بمالٍ[٣] فيتخلَّص منها، أو يَشفع له شافعٌ[٤] فيوهبُ له، أو يَنصرُه ناصرٌ فيمنعُه، فقطَع اللهُ عنهم جميعاً.

***

(٤٩) ـ ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَـٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَـٰكُم﴾: أي: واذكروا أيضاً إذ خلَّصناكم، وقد نَجا يَنجو نجاةً، وأنجاهُ الله إنجاءً، ونجَّاه تنجيةً.

وقيل: أنجاه؛ أي: خلَّصه قبل وقوعه في المهلَكة، ونجَّاه بعد وقوعه فيها، قال تعالى: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَـٰكُمْ﴾، وهو قبل الوقوع، وقال هاهنا: ﴿نَجَّيْنَـٰكُم﴾، وهو بعد الوقوع. وهذا ضعيفٌ؛ فإنَّه قال: ﴿نَجَّيْنَا صَـٰلِحًا وَالَّذِينَ

---

(١) في (ف): «فجاء».

(٢) في (ف): «المرء».

(٣) في (أ): «بماله».

(٤) في (أ): «أو يتشفع له شفيع».

ءَامَنُواْ مَعَهُۥ﴾ [هود: ٦٦] ونحوه، ولم يكن ذلك بعد الوقوع، والصَّحيح أنَّهما سِيَّان.

والنَّجوةُ: المكانُ العالي مِن الأرض؛ لأنَّ مَن صار إليها تخلَّص[١].

ومعناه: خلَّصنا آباءَكم. وجعل ذلك نعمةً عليهم؛ لأنَّهم نجوا[٢] بنجاتهم، ومن عادة العرب هذا، يقولون[٣]: قتلناكم يوم عُكاظ؛ أي: قتل آباؤنا آباءَكم.

وقوله تعالى: ﴿مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ﴾ قال أبو عبيدة: آله: أهلُ بيته[٤]. وقال بعضهم: آلُه: قومُه المناسبون له. وقيل: هم أتباعُه. وحقيقةُ الآل هم الذين تَؤول أمورُهم إليه في نسبةٍ أو صحبةٍ.

و﴿فِرۡعَوۡنَ﴾ قيل: هو اسمُ الملك الذي كان لهم في ذلك الوقت خاصَّةً، واسمُه الوليد بنُ مصعب.

وقيل: الوليد بن ريان[٥].

وقيل: إنه[٦] اسمٌ لكلِّ مَن كان[٧] ملكَ مصر، كقيصرَ للروم، وكسرى لفارس، والخاقان للتُّرك، وتُبَّعٍ لأهل اليمن.

---

(١) في (ر): «خلص».

(٢) في (ر): «نجوا».

(٣) في (ر): «تقول».

(٤) كذا قال المصنف، ووقع مثله عند ابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٧٧)، ونص قول أبي عبيدة في «مجاز القرآن» له (١/ ٤٠): ﴿ءَالِ فِرۡعَوۡنَ﴾: قومُه وأهل دينه. والقول في «البحر المحيط» (٢/ ٢٠) لكن عزاه لأبي عبيد.

(٥) ذكر الثعلبي في «تفسيره» (١/ ١٩١) أن اسمه الوليد بن مصعب بن ريان.

(٦) في (ر): «هو».

(٧) بعدها في (أ): «له».

وقوله تعالى: (﴿يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾): قيل: أي: يذيقونكم، قال عمرو بن كلثوم:

إذا ما المَلْكُ سامَ النَّاسَ خَسْفاً ... أبينا أنْ يُقِرَّ الخسفَ فينا[1]

والخسف: الذُّلُّ. وقيل: أي: يكلِّفونكم الأعمال الشاقة.

وقال المفضَّل[2]: أي: يريدونكم على ذلك، ويريدون بكم[3] ذلك، مِن المساومة في البيع، وهي[4] إرادةُ كلِّ واحدٍ من البائع والمشتري ثمناً غيرَ ما يريدُه الآخر[5].

وقيل: أي: يديمون عليكم ذلك.

وقد سامَ إبلَه؛ أي[6]: أكرهها على العَلَلِ[7] بعد النَّهَل[8]، وداوم عليها.

وقوله: ﴿سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ أي: أشدَّهُ وأشقَّه، ومعناه: يحملونكم على ما فيه غايةُ الأذى، ولا يكون العذابُ إلَّا سيِّئاً، لكن بعضُه يخفُّ وبعضُه يشتدُّ[9]، فسوءُ العذاب

---

(١) البيت من معلقة عمرو بن كلثوم، وهو في «شرح القصائد السبع الطوال» لابن الأنباري (ص: ٤٢٥)، و«ديوان عمرو بن كلثوم» (ص: ٩٠).

(٢) هو الأديب اللغوي، أبو طالب، المفضل بن سلمة بن عاصم، الضبيّ، له مصنفات منها: «ضياء القلوب» في تفسير القرآن، و«معاني القرآن»، و«الاشتقاق»، مات بعد (٢٩٠هـ). انظر: «إنباه الرواة» للقفطي (٣/ ٣٠٥ ـ ٣١١)، و«سير أعلام النبلاء» (١٤/ ٣٦٢).

(٣) في (ف): «لكم».

(٤) في (أ): «وهو».

(٥) انظر قول المفضل في «النكت والعيون» للماوردي (١/ ١١٨).

(٦) في (ر): «إذا».

(٧) في (أ): «العال»، وفي (ف) و(ر): «الفعال». وكلاهما تحريف، والمثبت هو الصواب.

(٨) العلل: الشرب الثاني، والنهل: الشرب الأول. انظر: «مختار الصحاح»: (مادة: علل ونهل).

(٩) في (أ): «يشد».

ما اشتدَّ منه، ثمَّ قوله: ﴿يَسُومُونَكُمْ﴾ هذا بيانُ ما نجَّاهم منه.

وقوله تعالى: ﴿يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ﴾: يجوز أن يكون تفسيراً لقوله تعالى: ﴿يَسُومُونَكُمْ﴾؛ إذ لا عاطفَ بينهما، ويجوز أن يكون أمراً آخر سواه، فقد قال في آيةٍ أخرى: ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ﴾ بالواو، وذلك دليلُ المغايرة، وحذفُ الواو هاهنا كحذفِها من قولك: أكرمتُكَ وهبتُ لك ولَّيتُك.

والذَّبحُ: قطعُ الحُلقوم والأوداج، وأصلُه الشَّقُّ، يقال: ذبحتُ المسكَ؛ أي: فتقت عنه والتشديد للتكثير، كما يقال: فتحتُ الباب، وفتَّحتُ الأبوابَ.

والأبناءُ جمع الابن، وأصل الابن: البَنَيُ؛ بالياء. وقيل: بالواو، وأصله: بَنَوٌ[١]، فإنَّه يُقال في المصدر: البنوَّة، لكن هذا لا يدلُّ على ذلك، كالفتوَّة، هي بالواو، والفتى يائيٌّ، ولذلك يجمع: فتيةً وفتياناً. والأظهرُ أنَّه من الياء؛ لأنَّه قيل: معناه أنَّه يُبنَى على ما بُنِيَ أبوه.

والمرادُ من الأبناء هم الذُّكور خاصَّةً، وإن كان الاسمُ في غير هذا الموضع قد يقعُ على الذُّكور والإناث، كالبنين، قال الله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ﴾ [الأعراف: ٢٦]، ﴿يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [البقرة: ٤٠]، لكن هاهنا المرادُ هم الذُّكور؛ فإنَّهم[٢] كانوا يذبحون الغلمان لا غير، وكذا أُريدَ به الصغارُ دون الكبار؛ لأنهم كانوا يذبحون الصغار.

وقوله تعالى: ﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ﴾: أي: يستَبْقون بناتكم ويتركونهنَّ حيَّاتٍ، فالاستحياءُ استفعالٌ من الحياة، والاستحياء: الاسترقاقُ أيضاً، وكانوا يسترِقُّونهنَّ، وهو من إبقاءِ الحياة أيضاً فيهنَّ.

---

(١) «وأصله بنو»: من (أ).

(٢) في (ر): «لأنهم».

وقيل: أي: يفتِّشون في حياء النِّساء؛ ينظرون هل بهنَّ حَمْلٌ، والحياءُ: الفَرْجُ، وسُمِّيَ به لأنَّه يُستَحيى[١] مِن كشفِه.

والنِّساءُ جمع المرأة، ولا واحدَ لها مِن لفظها، وهي في الأصل اسمٌ للبالغات دون الصَّغائر.

وإنَّما ذَكَر[٢] النساءَ هاهنا، وإن كانوا يفعلون هذا بالصَّغائر لوجوهٍ:

أحدُها: أنَّه سمَّاهنَّ باسم المآل؛ لأنَّهم[٣] إذا استَبْقَوهنَّ صرنَ نساءً بعد البلوغ، وهذا كقوله تعالى: ﴿وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ [نوح: ٢٧]، وقوله: ﴿أَعۡصِرُ خَمۡرًا﴾ [يوسف: ٣٦]، وقوله: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٞ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠].

ولأنَّهم كانوا يَستَبْقُون البنات مع أمهاتهنَّ، والاسم يقعُ على الكبيرات والصَّغيرات عند الاختلاط، كما يقال: أقبل الرِّجالُ، إذا أقبلَ البالغون ومعهم الصِّغار، و: أقبل النساءُ، إذا[٤] أقبل البالغات ومعهن الصغائر. ومَن فسَّره بتفتيش[٥] فروجِ البالغات، فلا حاجةَ له إلى هذا التأويل.

فإن قالوا: إن كان ذبحُ البنين مِن سوء العذاب، فاستبقاءُ البناتِ لمَ جُعل مِن سوء العذاب، وإنَّه[٦] سلامةٌ ونعمةٌ؟

قلنا: لأنَّهم كانوا يستَبْقوهنَّ للاسترقاق والاستسخار وتحميل المشاقِّ الكبار، ولأنَّ بقاءَ البناتِ ممَّا يَشُقُّ على الآباء، ولاسيما بعد ذبح البنين.

---

(١) من قوله: «ينظرون هل بهن حمل» إلى هنا من (أ).

(٢) في (ر): «ذكرت».

(٣) في (ر) و(ف): «لأنهن».

(٤) في (ف): «أي».

(٥) في (ر): «بتفتيشهم».

(٦) في (ر): «فإنه».

وقال القفَّال: ويجوز أنَّ[١] الذَّبحَ والاستحياءَ جميعُ ما ذُكر في قوله تعالى: ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾، ويَحتمل[٢] أن يكون بعض ذلك، فقد روي أنَّه كان يؤخَذُ منهم الجزية والخراج، ويُكلَّفون ضرب اللَّبِن والأعمالَ القذرة، وقال تعالى: ﴿أَنْ عَبَّدتَّ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الشعراء: ٢٢]، ورويَ أنَّه كان جعلَهم خدماً؛ فصنفٌ يبنون له، وصنفٌ يزرعون له، ومَن لم يكن له صنعةٌ فعليه الجزية.

وكان سببُ ذبحهم الذُّكران مِن الصِّغار أنَّ كهنَتهم ومنجِّميهم كانوا يخوِّفونهم ويخبرونَهم أنَّ زوالَ مُلكهم على أيدي بني إسرائيل.

وقيل: كان بنو إسرائيل يتحادثون أنَّهم يُسلَّطون على آل فرعون، ويُزيلون ملكَهم، ويروون ذلك عن أنبيائِهم، فكان آل فرعون ـ لعنه الله ـ يقتلونهم إرادةَ تكذيبهم.

وقيل: إنَّ الكهنةَ والمنجِّمين قالوا ذلك في من يولد في وقت كذا، فأمرَ بذبح ذكرانهم.

وقال السُّدِّيُّ: رأى فرعون ـ عليه لعائن الله ـ في منامه أن ناراً أقبلت من بيت المقدس فاشتملت[٣] على بيوت مصر، فأحرقتِ القِبْطَ وبيوتَهم، وتركت بني إسرائيل، فدعا الكهنةَ والسَّحرةَ والقافةَ فسألهم، فقالوا: يخرجُ من بيت المقدس رجلٌ يكون على يده هلاكُ مصر. فأمرَ ألَّا يولدَ لبني إسرائيلَ غلامٌ إلَّا ذبحوه، وقال للقبط: كلِّفوا بني إسرائيلَ الأعمالَ القذرة، فذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا﴾ الآية [القصص: ٤]، فجعل لا يولدُ لبني إسرائيل ابنٌ إلَّا

(١) بعدها في (أ): «يكون».

(٢) في (ف) و(ر): «فيحتمل».

(٣) في (أ): «واشتملت».

ذُبِح، وأسرع الموتُ في المشيخة، فدخل رؤوسُ القبط على فرعون ـ عليه اللعنة ـ وقالوا: إنَّ الموتَ قد وقع فيهم، ويوشكُ أن يقعَ العملُ على غلماننا. فأمر أن يُذبَحوا سنةً ويتركوا سنةً، فلمَّا كانت السَّنةُ التي لا يذبحون فيها ولدَ هارون، فترك، ولـمَّا كان في السَّنة التي يذبحون فيها حملت أمُّ موسى بموسى. القصة[1].

وحُكي أنَّهم بَنوا له سبعةَ حوائط جائعةً أكبادُهم، وذبح مِن أبنائهم اثني عشر ألفَ صبيٍّ.

وقوله تعالى: (﴿وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾): البلاءُ: النِّعمةُ، كما في قوله تعالى: ﴿وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا﴾ [الأنفال: ١٧] والبلاءُ[2] المحنة أيضاً، وغالب الاستعمالِ فيها، وأصله الاختبار، والله تعالى يُبلي[3] عبدَه بالنِّعم؛ ليمتحنَ شكرَه، وبالمحن؛ ليمتحنَ صبرَهُ، قال تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء: ٣٥]، وقال تعالى: ﴿وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [الأعراف: ١٦٨]، وأَبْلى يُبْلِي يستعمل في الخير، وبَلَا يَبلو في الخير والشرِّ جميعاً، قال الشاعر:

جَزا اللهُ بالإحسانِ ما فَعَلا بِكُمْ ... وأَبْلاهُما خيرَ البَلاءِ الذي يَبْلُو[4]

فجمعَ بين الوجهين في الخير، وقال تعالى: ﴿وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا﴾ [الأنفال: ١٧]، وقال تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء: ٣٥].

ثمَّ تفسيرُه هاهنا ﴿وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٌ﴾؛ أي: في ذلك الإنجاء نعمةٌ عظيمةٌ من

---

(١) رواها الطبري في «تفسيره» (١/ ٦٤٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ١٠٦) (٥٠٦).

(٢) بعدها في (أ): «بالقصر».

(٣) في (أ): «يبلو».

(٤) البيت لزهير بن أبي سلمى، وهو في «شرح ديوانه» (ص: ١٠٩).

ربِّكم، وقيل: أي: في ذلك التَّعذيب منهم من التذبيح والاستحياء محنةٌ عظيمةٌ. وقد سبق ذكرهما فصحَّ صرف الكناية[١] إلى كلِّ واحدٍ منهما.

وفي إخبار النبيِّ ﷺ عن ذلك صدقُ دعوة[٢] الرسالة من الوجه الذي مرَّ، ودلَّت الآيةُ على فائدة الصَّبر.

* * *

(٥٠) ـ ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ﴾: الفرقُ: الفَصْلُ، والتَّفريقُ: التَّمييزُ؛ أي: واذكروا أيضاً مِنَّتي عليكم بأن جعلتُ لكم[٣] بحرَ النِّيل أفراقاً؛ أي: اثني عشر فرقاً، قال تعالى: ﴿فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الشعراء: ٦٣].

وقوله: ﴿بِكُمُ﴾ للباء وجهان:

أحدهما: لكم، و[٤] الباء قد تجيء بمعنى اللام، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾ [الحج: ٦] أي: لأنَّ الله.

والثاني: أي: بدخولكم، فتكون الباء على حقيقتها.

والبحرُ سُمِّيَ به لاستبحاره؛ أي: اتِّساعهِ وانبساطِه.

وقوله تعالى: ﴿فَأَنجَيْنَٰكُمْ﴾: أي: سلَّمناكم، وهو إنجاءٌ قبل الوقوع.

وقوله تعالى: ﴿وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ﴾: غَرِق في الماء من حدِّ: علم؛ أي: رَسَبَ

---

(١) في (أ): «الكناية».

(٢) في (أ): «دعواه».

(٣) «لكم»: ليس في (ف) و(ر).

(٤) في (ف): «لأن».

فيه، فهو غرق إذا كان لم يمت بعد، فإذا مات فهو غريقٌ، وجمعُهُ الغرقى، وهو كالمَرضى والجَرحى، وكلُّ ما كان من نعوت الآفات فهو كذلك، والإغراقُ: الإهلاك في الماء.

و﴿ءَالَ فِرْعَوْنَ﴾ قومه وهو فيهم؛ لأنَّه عُلِمَ دخولُه فيهم.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾: نَظَرَ إليه بعينِه فرآه، ونَظَرَ فيه[1] بقلبه فَدَرَاهُ، وأمَّا التفسير فقد قيل: أي: تَنظرون بأبصاركم إلى انفراقِ البحر حين سَلكتُم فيه، وانطباقِهِ على آل فرعون حين غَرِقوا فيه بعد سلامتِكُم منه.

وقيل: لم ينظروا إليهم حين غرِقوا، ولكنَّهم أُخرِجوا إليهم بعدُ فنظروا إليهم، إذ سأل موسى عليه السلام ربَّه أن يُرِيَهم إيَّاهم[2]، فلفظَهُم البحرُ، فنظروا إليهم. قاله الكلبيُّ.

وقيل: كانوا ينظرون إلى ذلك بالتِطامِ[3] أمواج البحر بآل فرعون في الموضع الذي صيَّر لهم منه طريقاً يَبَساً، وذلك نظر عيانٍ.

وقيل: ﴿تَنظُرُونَ﴾؛ أي: أنتم في القُرب[4] منهم، تواجهونهم وتقابلونهم، وإن كنتم لا ترونهم بأبصاركم لبعدهم. قاله الفرَّاء[5]، وهو كقول العرب: دور[6] فلانٍ تتناظر؛ أي: تتقارب وتتقابل.

---

(١) في (ف): «إليه».

(٢) في (ف) و(ر): «آية».

(٣) في (ف) و(ر): «بانتظام».

(٤) في (أ): «بالقرب».

(٥) انظر «معاني القرآن» للفراء (١/ ٣٦).

(٦) في (ر) و(ف): «دون».

وقصَّتُه أنَّ قومَ[١] فرعون ـ لعنه الله ـ قالوا له: ﴿أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ الآية [الأعراف: ١٢٧]، فأمر اللهُ تعالى موسى أن يَخرُجَ ببني إسرائيل، فأمرَهم أنْ يَخرجوا، وأن يَستعيروا الحُلِيَّ مِن القبط، وأمرَ أن لا ينادي أحدٌ منهم صاحبَه، وأن يُسرِجوا[٢] في بيوتهم حتَّى الصُّبح، ومَن خرجَ لطَّخ بابه بكفٍّ من دمٍ؛ ليُعلَمَ أنَّه قد خرجَ، فخرجوا ليلاً والقبط لا يعلمون، ووقع في القبط موتٌ، فجعلوا يدفنونَهم، وشُغِلوا عن طلبِهم حتَّى طَلَعت الشَّمسُ، قال تعالى: ﴿فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ﴾ [الشعراء: ٦٠]، فكان هارونُ أمام بني إسرائيل يَقودُهم[٣]، وموسى على ساقَتِهم، وخرج موسى في ستِّ مئةٍ وعشرين ألف مقاتل، لا يَعُدُّون فيهم ابنَ العشرين[٤] لصغره، ولا ابنَ السِّتِّين لكبره.

وتبعَهم فرعونُ على مقدِّمتِه هامان، في ألف ألفٍ وسبع مئة ألف جوادٍ ذكر، ليس فيها رَمَكة[٥]، على رأس كلِّ واحدٍ منهم بيضةٌ وفي يده حربةٌ.

فنظر فرعونُ إلى قوم موسى فقال: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ﴾ [الشعراء: ٥٤]، وقال قومُ موسى[٦]: ﴿إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾ [الشعراء: ٦١]، يا موسى، ﴿أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا﴾ [الأعراف: ١٢٩]، اليوم نَهلكُ؛ فإنَّ البحرَ أمامنا، وفرعون خلفنا، قال موسى: ﴿كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء: ٦٢].

---

(١) في (ف): «وقصة آل فرعون» بدل: «وقصته أن قوم».

(٢) في (ف) و(ر): «وألا يسرجوا». والمثبت موافق لما في «تاريخ الطبري» (١/ ٤١٤).

(٣) «يقودهم» سقط من (ف).

(٤) في (أ): «العشرة». والمثبت هو الموافق لما في «تاريخ الطبري» وغيره.

(٥) الرَّمَكة: الأنثى من البراذين، وجمعها: رِماك. انظر «مختار الصحاح»: (مادة: رمك).

(٦) في (ف): «وقالوا لموسى» بدل: «وقال قوم موسى».

وأوحى اللهُ تعالى إلى موسى؛ أن اضرب بعصاك البحر، فضربَ، فانفلقَ فصار فيه اثنا عشر طريقاً، كلُّ طريقٍ كالجبل العظيم، فكان[١] لكلِّ سبطٍ طريقٌ يأخذون فيه، فلما أخذوا فيه قال بعضُهم: ما لنا لا نرى أصحابنا؟ قال لهم موسى[٢]: سيروا، فإنَّهم على طريقٍ مثلِ طريقكم، قالوا: لا نَرضى حتَّى نراهم، فقال موسى: اللهم أعنِّي على أخلاقِهم السيِّئة، فأوحى الله إليه أن قُل بعصاك هكذا وهكذا، يميناً وشمالاً[٣]، فصار فيها كُوًى ينظرُ بعضُهم إلى بعضٍ[٤]، فساروا حتى خرجوا من البحر.

فلما جاز[٥] آخرُ قوم موسى، هجم فرعونُ على البحر وهو على فرسٍ أدهمَ، فلمَّا بلغ هابَ الفرس أن يتقحَّم[٦]، فتمثَّل له جبريلُ على فرسٍ أنثى وديق[٧]، فلمَّا رآها فرسُ فرعون تقحَّم خلفها، فلمَّا دخل[٨] آخرُ قوم فرعون، وجاز آخرُ قوم موسى، أطبق البحرُ على فرعونَ وقومِه، فأُغرِقوا.

فنادى فرعون: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ القصَّة، وقالت بنو إسرائيل: لم يغرقْ فرعون، والآن يدركُنا فيقتُلنا، فلفظهم البحرُ في

---

(١) في (أ): «وكان».

(٢) قوله: «لهم موسى»: من (ر).

(٣) في (ف): «يمنة ويسرة» بدل: «يميناً وشمالاً».

(٤) في (ف): «بعضاً» بدل: «إلى بعضٍ».

(٥) في (أ): «جاوز».

(٦) في (ف) و(ر): «يقتحم».

(٧) الوديق: هي التي تشتهي الفحل. «النهاية في غريب الحديث»: (مادة: ودق).

(٨) في (ف) و(ر): «ودخل» بدل: «فلما دخل».

ستِّ مئةٍ[1] وعشرين ألفاً عليهم الحديد، فذلك قوله تعالى: ﴿ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ ﴾ [يونس: ٩٢]، فلم يَقبل البحرُ بعد ذلك غريقاً إلَّا لفظَه على وجه الماء، وقطعَ[2] بهم موسى البحرَ، وذلك يومَ عاشوراء.

وقال الإمامُ القشيريُّ رحمه الله: تقاصرَت بصائرُ بني إسرائيل، فأتتهم المعجزاتُ عياناً، ونفذتْ بصائرُ هذه الأُمَّة، فكاشفَهم اللهُ تعالى بآياته سرًّا.

وحين شاهدوا ظاهرَ تلك الآيات؛ مِن فَلْقِ البحرِ، وإغراقِ العدوِّ، داخَلَهُم ريبٌ، فقالوا: إنَّه لم يَغرق، فقذفَهمُ البحرُ، فنظروا إليهم وهم مُغرَقون، وهذه الأمَّةُ لفرطِ تصديقهم الرسولَ وقوَّةِ بصائرهم قال واحدٌ من عُرْض الناس: كأنِّي بأهلِ الجنة يتزاورون، وكأنِّي بأهل النَّار يتعاوون، وكأنِّي بعرشِ ربِّي بارزاً[3]، فشتَّان بين مَن يُعاينُ فيَرتاب مع عِيانه، وبين من يسمع وكأنَّ العِيانَ[4] حالُه مِن قوَّة إيمانه[5].

* * *

(١) في (ف): «فلفظ البحر ست مئة».

(٢) في (ف): «فقطع».

(٣) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٣٣٦٧) من حديث الحارث بن مالك الأنصاري. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ٥٧): فيه ابن لهيعة، وفيه من يحتاج إلى الكشف عنه. ورواه العقيلي في «الضعفاء الكبير» (٤/ ٤٥٥) من حديث أنس رضي الله عنه، وقال بعده: ليس لهذا الحديث إسناد يثبت.

(٤) في (أ): «وكالعيان» بدل: «وكأن العيان».

(٥) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (١/ ٨٩ ـ ٩٠).

(٥١) ـ ﴿وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾: ذكَّرهم منَّةً أخرى فيما أتبعوا المنَّة الأُولى بالجهل والبلادة؛ أي: واذكروا نعمتي على آبائكم بما وعدت موسى أن يأتيَ[1] الطُّورَ، فأنزلَ عليه التَّوراةَ التي فيها بيانُ ما يَحتاجون إليه، ففعلَ موسى، وأنجزتُه ما وَعدتُهُ، ولمَّا تأخَّر رجوعُه كفرَ آباؤكم بي، واتَّخذوا العجلَ إلهاً، فعفوتُ عنهم؛ إنعاماً عليهم.

ثمَّ قراءة أبي عمرو: ﴿ووَعدنا موسى﴾[2] بغير الألف[3]؛ لأنَّ اللهَ تعالى متفرِّدٌ بالوعد، وهو التَّرجيةُ بالخير، والمواعدةُ تكونُ بين اثنين، وغيرُه قرأ: «واعدنا» بالألف[4] والمواعدة تكون وعداً من اللهِ وقَبولاً من موسى عليه السلام، فاستقامَ على المفاعلة.

وقوله تعالى: ﴿أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ قال الأخفشُ وغيره: أي: انقضاءَ أربعينَ ليلةً، أو تمامَ أربعين ليلةً[5]؛ لأنَّ وعدَ إنزال الكتاب[6] بعد انقضاء هذه المدَّة، وهذا الاختصار معهودٌ، يقال: اليوم أربعون يوماً منذ خرج فلان؛ أي: تمامُ أربعين يوماً.

وقولـه: ﴿أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾؛ أي: بأيَّامها، فإنَّ ذكـر الأيام جميعـاً[7] يقتضي دخولَ

---

(١) بعدها في «ر»: «إلى».

(٢) «موسى»: ليس في (أ).

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ١٥٤)، و«التيسير» (ص: ٧٣).

(٤) في (ر): «قرأه بالألف» وفي (ف): «قرأ بالألف». والمثبت من (أ).

(٥) انظر: «معاني القرآن» للأخفش (١/ ٩٧).

(٦) بعدها في (أ): «كان».

(٧) في (أ): «جمعاً».

ما يُوازيها مِن اللَّيالي، وعلى القلب كذلك، بدليل قوله تعالى: ﴿ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾ [مريم: ١٠]، وقوله: ﴿ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا﴾ [آل عمران: ٤١]، والقصَّةُ واحدةٌ، فكانت المدَّتان واحدةً.

ثمَّ هي ذو القعدة وعشرُ[1] ذي الحجَّة. وقيل: ذو الحجَّة وعشرُ محرَّم[2]، والأوَّلُ أشهرُ وأظهر، وهذه الأربعون هي التي ذُكِرت في قوله تعالى: ﴿وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ [الأعراف: ١٤٢][3].

قال الكلبيُّ: وعدَهم أن يأتيَهم بالكتابِ بعد أربعين يوماً، فعَدَّ قومُه عشرين ليلةً وعشرين يوماً، وقالوا: لم يأتنا بما وعدَ، فعبدوا العجل[4].

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ﴾: أي: اتَّخذتم العجلَ إلهاً أو[5] معبوداً[6]، قال الله تعالى: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [المائدة: ١١٦].

و(اتخذ) افتعلَ[7]، من الأخذ، وأصله: ائتخذ، لُيِّنَت[8] الهمزةُ الثَّانية، ثمَّ جُعِلت ياءً وأُدغِمَت في التَّاء التي بعدها.

---

(١) بعدها في (أ): «من».

(٢) في (أ): «المحرم».

(٣) في (ف): «ووعدنا». وهي قراءة أبي عمرو من السبعة.

(٤) رواه الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما. انظر: «تفسير أبي الليث» (١/ ١١٨).

(٥) في (ر): «و».

(٦) بعدها في (ر): «من دون الله».

(٧) في (ر): «افتعال».

(٨) في (ف): «جعلت».

والعجـلُ: ولـدُ البقرة إلى أن يكبرَ، سُـمِّيَ بـه لأنَّ العجلةَ هي السُّـرعةُ، وقصرُ المـدَّةِ كالسُّـرعة. وإضمار قوله: معبـوداً وإلهاً، جائـزٌ[١]؛ لوضوح معناه.

و قوله تعالى: ﴿مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾: أي: مِن بعد إنجائكم من الغرَق. وقيل: أي: مِن بعد انطلاقِ موسى إلى الطُّور.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنتُمۡ ظَٰلِمُونَ﴾: أي: كافرون، وقيل: أي: ضارُّون أنفسَكم. وقيل: أي: الواضعون العبادةَ غيرَ موضعِها.

قال سـعيد بن جبيـر: كان وَعَدَهم أن يأتيَ بالكتابِ بعد ثلاثيـن، وهو الميثاق[٢] الأوَّل، فلمـا زيـد[٣] عشـرةً، ولم يأت به بعـد الثَّلاثين، عبدوا العجلَ في هذه العشـرة الزَّائدة.

وقال ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: عبدوا في عشرين بعد عدِّهم[٤] عشرين ليلةً وعشرين يوماً.

وقال مقاتلُ بنُ سليمان رحمه الله: عبدوا العجلَ يوماً واحداً[٥].

وقـال الإمـام القشيري رحمه الله: شـتَّـان بين قومٍ عبدوا العجل واتَّخذوه إلهاً[٦] بغيبة نبيِّهم أربعين ليلةً[٧]..

(١) في (أ): «معبوداً أو إلهاً» بدل من «إلهاً ومعبوداً جائزٌ».

(٢) في (أ): «الميقات».

(٣) في (أ): «زيدت».

(٤) قوله: «عشرين بعد عدهم» من (أ).

(٥) في (ف): «واتخذوه إلهاً» بدل: «يوماً واحداً». وانظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٦٥).

(٦) قوله: «واتخذوه إلهاً» من (ف).

(٧) في (ف): «ثلاثين ليلة أو أربعين ليلةً» وفي (ر): «أربعون يوماً».

وبين قومٍ ثبتوا على توحيدِهم بعد ذهاب نبيِّهم[١] بقريبٍ[٢] من خمس مئة سنةٍ[٣].

وسببُ ذلك ما ذَكر ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: أنَّ السامريَّ كان من قومٍ يعبدون البقر، وكان حبُّ ذلك في نفسِه بعد أن أظهرَ الإسلام، وكان عرفَ جبريل؛ لأنَّ أمَّهُ حين خافَت عليه أنْ يُذبحَ، خلفته في غابةٍ[٤]، وكان[٥] جبريل ـ صلوات الله عليه ـ يأتيه، فيغذوه بأصابعه، فكان السامريُّ يَمَصُّ من إبهام يمينِه عسلاً، ومن إبهام شماله سمناً، فلما رآهُ حين عبرَ البحرَ عرفه، فقبض قبضةً من أثرِ فرسِه، فلم تزل القبضةُ في يدِه حتَّى انطلقَ موسى إلى الطُّور.

وكان السامريُّ سمعَهم حين خرجوا من البحر، وأتوا على قومٍ يَعكُفون على أصنامٍ لهم، و[٦] ﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ [الأعراف: ١٣٨]، ووقع ذلك[٧] في نفسه؛ أن يفتنَهم مِن هذا الوجه، وكان موسى خلَّف هارون في بني إسرائيل، فقال لهم هارون: قد حُمِّلتُم أوزاراً من زينة القوم، أي: حُليِّهم[٨]، فتطهَّروا منها؛ فإنَّها نجسٌ[٩]، فأوقدَ لهم ناراً، وأمرَهم بقذفِ ما كان معهم، ففعلوا.

---

(١) في (ر): «لم يتغيروا بغيبة» بدل: «ثبتوا على توحيدهم بعد ذهاب».

(٢) في (ف) و(ر): «تقريب».

(٣) انظر «لطائف الإشارات» (١/ ٩٠).

(٤) في «النكت والعيون» للماوردي (١/ ١٢٠): خلفته في غارٍ وأطبقت عليه.

(٥) في (أ): «فكان».

(٦) «و» ليس في (ف).

(٧) «ذلك»: زيادة من (أ).

(٨) في (أ): «حليتهم».

(٩) في (أ): «نجسة» وفي (ر): «رجس».

فأقبلَ السَّامريُّ إلى النار وقال: يا نبيَّ الله، أُلقي ما في يدي؟ قال: نعم. وهو يظن أنَّها[1] حليٌ، فقذفَه فيها، وقال: كن عجلاً جسداً له خوارٌ، فصار كذلك.

وقيل: كان السَّامريُّ صائغاً، فاتَّخذ من الذَّهب[2] عجلاً، ونفخ ذلك التُّرابَ في فمه[3] ودُبُره، فصار عجلاً جسداً، لحماً ودماً وشعراً، له خُوارٌ، فافتتنوا به، ودَعاهُم إلى عبادتِه، فعبدوه، وقال لهم هارون ما قال. القصَّة.

* * *

(٥٢) ـ ﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم﴾: أي: تجاوزنا، وأصلُه محوُ الأثر، وقد عفَت الدِّيارُ، أي: محت آثارُها، وعفَتْها الرِّيحُ، لازمٌ ومتعدٍّ.

وقوله تعالى: ﴿مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾: أي: من بعد اتِّخاذكُم العجلَ، فلم نعاجِلْكُم بالإهلاك، بل أمهلناكُم إلى مجيء موسى، فنبَّهكم وأخبرَكُم بكفارةِ ذنوبكم.

وقيل: أي: بعد التَّوبة والقتل.

فعلى هذا يكون العفوُ على التأويل الأوَّل تأخيرَ المؤاخذةِ، وعلى التَّأويل الثاني يكون تركَ المؤاخذة أصلاً.

وقوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾: أي: لِتشكروا هذه النِّعمةَ؛ فإنَّ الإنعامَ يوجِبُ الشُّكرَ.

---

(١) في (أ): «أنه».

(٢) في (ر) «الحلي».

(٣) في (أ): «فيه».

وقيل: معناه: لتؤمِنوا وتوحِّدوا؛ فإنَّ الشكرَ اسمٌ للإيمان، قال تعالى: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزمر: ٧].

و(لعلَّ) في مثل هذا لا يكونُ شكاً، بل تحريضاً على الفعل.

***

(٥٣) ـ ﴿وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى﴾: أي: أعطيناه ﴿ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ﴾: ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾: التوراة، ﴿وَٱلْفُرْقَانَ﴾ فيه أقاويل:

قيل: هو التَّوراة أيضاً، قاله الفرَّاء[1]، وسماه باسمين متفقَين معنىً؛ لاختلافهما لفظاً، كما يقال: سُحقاً له[2] وبعداً.

والدَّليلُ على أنَّه اسمُ التَّوراة[3] أيضاً قولُه تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ﴾ [الأنبياء: ٤٨]، على أنَّهما وإن كانا اسمين لشيءٍ واحدٍ فمعناهما مختلفٌ، فإنَّ الكتابَ هو المكتوبُ المجموع، والفرقانَ هو الفارقُ بين الحقِّ والباطل، فصحَّ الجمعُ بالواو؛ لتغاير المعنيين[4]، وهو كقولِه في حقِّ القرآن: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾ [الحجر: ٨٧]، وقولِه تعالى: ﴿يسٓ ۝١ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [يس: ٢]، وقولِه: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ﴾ [المائدة: ١٥].

وقيل: الفرقانُ: هو بيانُ معاني التَّوراة.

---

(١) انظر «معاني القرآن» للفراء (١/ ٣٧)، و«النكت والعيون» للماوردي (١/ ١٢١).

(٢) لفظ «له» من (أ).

(٣) بعدها في (ر): «فرقاناً».

(٤) في (أ): «المعنى».

وقيل: الفرقان: النصرُ على الأعداء، فرَّق به بين موسى وقومِه، وبين فرعون وقومِه، فأنجى هؤلاءِ وأهلكَ هؤلاء، وقال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ﴾ [الأنفال: ٤١] هو يومُ النصر، وهو يومُ بَدْر.

وقال القفَّال: ولعلَّ معناه أنَّ النصرَ إذا جاء ظَفِرَ أهلُ الحقِّ بأهل الباطل، فانفرقَ أحدُ الفريقين من الآخر، فعُرِف أنَّ هؤلاء محقُّون وهؤلاء مبطلون.

وقيل: الفرقانُ: الفرجُ مِن الكَرب؛ لأنَّهم كانوا مُستَعبدين، وقال تعالى: ﴿يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾[1] أي: فرجاً ومخرجاً.

وقيل: الفرقان: انفلاقُ البحر لبني إسرائيل حتَّى عَبروا عنه على ما شرحنا.

وقيل: هو اسمُ القرآن، و[2] معناه: آتينا موسى التَّوراة، وذكرنا له نزولَ القرآن على محمَّدٍ ﷺ.

وقيل: أي: آتينا موسى التَّوراةَ، ومحمَّداً الفرقان، أي: القرآن، قال تبارك وتعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾ [الفرقان: ١]، فأضمرَ كلمة، أي: محمَّداً[3]، وهذا كقوله تعالى: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ﴾، ثمَّ قال: ﴿وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ﴾ [البقرة: ٧]، وفي قراءةِ بعضِهم: «غشاوةً» بالنصب[4]، وعلى هذه القراءة يكون: (وجعل) مضمراً، وقال: ﴿فَأَجْمِعُوٓا۟ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ﴾؛ أي: وادعوا شركاءكم، وقال الشاعر:

---

(١) في (أ) و(ف): «نجعل».

(٢) في (أ): «وقيل».

(٣) قوله: «أي: محمداً» ليس في (أ).

(٤) هي قراءة أبي حيوة، كما في «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ١٨٦)، و«تفسير القرطبي» (١/ ٢٩٢)، ونسبها ابن مجاهد في «السبعة» (ص: ١٣٨ ـ ١٣٩)، وابن خالويه في «مختصر في شواذ القرآن» (ص: ١٠) للمفضل عن عاصم.

تَـراهُ كـأنَّ اللهَ يَجـدعُ أنـفَـه ... وعينيه إنْ مـولاهُ ثابَ لَـهُ وفرُ[1]

أي: ويفقؤ عينيه.

وقيل: الفرقان: صحفٌ أنزلت على موسى قبل التَّوراة[2].

وقوله تعالى: (﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾): أي: لتهتدوا بالكتابِ، وهذا بيانُ الحكمةِ دون العلَّة؛ أي: الحكمةُ في إنزالِه أن يَتدبَّروا فيه، فيعلموا أنَّ اللهَ تعالى لم يَفعل ذلك به إلَّا دلالةً[3] على صحَّة نبوَّتِه، فيجتهدوا بذلك على اتِّباعِ الرُّشد، وإذا فعلتم ذلك آمنتُم بمحمَّدٍ ﷺ؛ لأنَّه قد أتى مِن المعجزات بما يدلُّكم ـ إذا تدبَّرتُم ـ على صحَّة دعواه[4] النبوَّة.

(٥٤) ـ ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ﴾: أصلـه: يا قومي، فحذفت الياء تخفيفاً لكثرة الاستعمالِ في النِّداء.

---

(١) البيت لخالد بن الطيفان، وهو في كتاب «الحيوان» للجاحظ (٦/ ٤٠)، و«المؤتلف والمختلف» للآمدي (ص: ١٩٣). ونسب أيضاً للزبرقان بن بدر. انظر «المقاصد النحوية» للعيني (٤/ ١٦٥٥).
قال العيني: ثاب بالثاء المثلثة، يعني: رجعَ من بعد ذهابه، والوفر: المال الكثير. وهذا في ذمِّ شخصٍ حاسدٍ يحسدُ جاره أو صاحبه إذا رجع من سفره بمالٍ كثير، فيصيرُ من شدَّة حسدِه كأنَّ اللهَ يجدعُ أنفه ويقلع عينيه.

(٢) في (ف): «وقيل التوراة» بدل: «قبل التوراة». ووقع في هامشها: «ختم بهذا القول كما بدأ به لاهتمام به عنده. تدبر».

(٣) في (ر): «للدلالة»، وفي (ف): «لدلالة».

(٤) في (أ): «دعوة».

وقوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم﴾: أي: ضَررتُم أنفسَكم بإيجاب العقوبة عليها. وقيل: أي: نقصتموها ثوابَ الإقامة[١] على عهد موسى صلوات الله عليه، فإنَّ الظُّلمَ يكون ضرراً، ويكون نقصاناً على ما مرّ.

قوله تعالى: ﴿بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ﴾ أي: باتِّخاذه إلهاً وعبادتِه[٢].

وقوله تعالى: ﴿فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ﴾: أي: خالقكم. وقد بَرَأَ بَرءاً، من حدِّ: صَنَعَ؛ بفتح باء المصدر؛ أي: خلق، والبَرِيَّةُ: الخلقُ، وبَرَأَ بُرءاً؛ بضمِّ باء المصدر؛ أي: صحَّ مِن مرضِهِ، وبَرِئَ بَراءةً[٣]، من حدِّ: علم؛ أي[٤]: وقَعت له البراءةُ من الدَّينِ ونحوِه، وبرِئَ عنه بمعنى: تبرَّأ.

وقوله تعالى: (﴿فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾): القتلُ: إزهاقُ الرُّوح، والأنفُسُ جمعُ النَّفْسِ، وهي هذه البُنيَةُ الإنسانيَّةُ هاهنا، وهو بيانُ كيفيَّة التَّوبة، وهو قولُ ابن عبَّاسٍ وسعيدِ بنِ جُبير وأبي العالية وقتادة والزُّهريِّ والسُّدِّيِّ[٥].

وقيل: القتلُ معطوفٌ على التَّوبة؛ أي: ارجِعوا إلى الله تعالى بالإيمان، فقد أعرضتُم عنه بالكفرِ؛ بعبادةِ العجل، واقتلوا أنفسَكم بعد هذه التَّوبة.

ومعناه: فليَقتل بعضُكم بعضاً؛ لأنَّ المؤمنين إخوةٌ، وأخو الرَّجلِ كأنَّه نفسُه، وهو كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ [النساء: ٢٩]، ﴿وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ [الحجرات: ١١]،

---

(١) في (ر) و(ف): «أي: توبتكم بالإقامة» بدل: «ثواب الإقامة».

(٢) من قوله: «قوله تعالى: باتخاذكم» إلى هنا من (أ).

(٣) في (ف): «براء».

(٤) في (ر): «إذا».

(٥) انظر تخريج أقوالهم في «تفسير الطبري» (١/ ٦٧٩ ـ ٦٨٣).

وقوله تعالى: ﴿ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾ [النور: ١٢]، وقوله تعالى: ﴿فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ [النور: ٦١].

وقيل: معناه: استسلِموا للقَتل، ومكِّنوا القاتلَ مِن أنفُسِكم، وهو في معنى فعلِهِ بنفسِهِ، وهذا قول محمد بن إسحاق(١).

ثمَّ كيفيَّةُ هذا القتل ما قال الحسن: برزوا صفَّين، فضربَ بعضُهم بعضاً يوماً إلى الليل، هذا يقول: لمَ عبدتَ؟ وذاك يقولُ: لمَ لمْ تنهَني؟

وقيل: إنَّ السَّبعين الذين اختارَهم موسى صلوات الله عليهم(٢) قتلوا عبدةَ العِجل، وبلغَ المقتولون سبعينَ ألفاً وقد(٣) احتبَوا، فما حلُّوا حُبوةً حتى قتلوا، ثلاثةَ أيامٍ.

وقيل: إنَّ السبعين قد ارتدُّوا بما قالوا، فلم يكونوا بهذا(٤) الأمرِ مِن غيرهم أولى، فلم يصح هذا القول.

وقال ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما: أخذَ موسى عليه السَّلام على بني إسرائيل المواثيقَ ليصبرُنَّ على القتل، فأصبحوا غداً بأفنيةِ البيوت، كلُّ بني أبٍ على حِدَة، وأتاهم هارونُ عليه السلام والاثنا عشر ألفاً من الذين لم يَعبدوا العجلَ، وهم سبطان ونصفُ سبطٍ بأيديهم السيوف، فمشوا في العسكر، فقتلوا مَن لقوا، فكان

---

(١) أخرج معناه الطبري في «تفسيره» (١/ ٦٨٤)، ونُسب هذا القول في مطبوع «النكت والعيون» (١/ ١٢٢) لأبي إسحاق.

(٢) «هم» ليس في (أ)، وبعدها في (ر): «الذين».

(٣) في (ر): «وقيل» بدل: «وقد».

(٤) في (ر): «يكن هذا» بدل: «يكونوا بهذا».

الرجلُ يجيءُ إلى قومِه وهم جلوسٌ بأفنية بيوتهم[١] ويقول: إنَّ هؤلاء إخوانُكم قد أتوكم شاهرين سُيوفهم[٢]، فاتَّقوا الله واصبروا، فلعنَ اللهُ رجلاً حلَّ حبوتَهُ أو قامَ مِن مجلسِه، أو مدَّ طَرْفَه إليهم، أو اتَّقاهم بيدٍ أو رجلٍ. فقالوا: آمين، فجعلوا يقتلونهُم إلى المساء.

وقال مقاتلٌ: كان موسى صلوات الله عليه يتقدَّم ويقول: هؤلاء إخوانُكم أتوكُم شاهرين السُّيوف، كما مرَّ، وقتلوهم إلى الضَّحوةِ، حتَّى بلغَ القتلى سبعين ألفاً[٣].

وقال الكلبيُّ: وقام موسى صلواتُ الله عليه يدعو ربَّه لِما رأى مِن كثرةِ الدِّماء وشدَّةِ الأصوات، حتَّى نزلَت التَّوبة، وقيل لموسى: ارفع السَّيف، فإنِّي قبلتُ التَّوبةَ منهم جميعاً، مَن قُتِلَ منهم ومن لم يُقتَل[٤]، وجَعلتُ القتلَ لهم شهادةً، وغفرتُ لـمَن بقيَ منهم، فنودي بذلك، فتركوا.

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ﴾: أي: ذلك القتلُ، والتَّوبةُ، أو القتلُ الذي هو توبةٌ: أَنْفَعُ لكم عند الله مِن الامتناعِ الذي هو إصرارٌ وفيه عذابُ النَّار.

وقوله تعالى: ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾: أي: فعلتُم ذلك، فقَبِل توبتكم.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾: أي: كثيرُ قَبول التَّوبة، وقولُه تعالى: ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ أي: رحِمَكم، فقَبِلَ توبتكُم، ففَتَحَ بابَ التَّوبة وقَبِلَها.

---

(١) في (ر): «البيوت».

(٢) في (ر): «السيوف».

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» (١/ ١٠٦).

(٤) انظر «تفسير أبي الليث» (١/ ١٢٠ ـ ١٢١).

وقيل: ﴿ٱلتَّوَّابُ﴾ لـمَن لم يُقتَل، و﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ لـمَن قُتِل.

وقيل: ﴿ٱلتَّوَّابُ﴾ لـمَن عَبدَ العِجل، و﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ لـمَن لم يَعبُد.

وقيـل: ﴿ٱلتَّوَّابُ﴾ يَقبَلُ التَّوبـةَ مرَّةً بعدَ مـرَّةٍ، و﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ يُمهِل ولا يُعاجِلُ[1] بالعقوبة.

وقيل: كان الأمرُ بالقَتلِ مِن الأغلالِ التي كانت عليهم، وخفَّفَ اللهُ تعالى عن[2] هذه الأمة، فجعلَ النَّدمَ توبةً، وذلك فضلُ الله يؤتيهِ مَن يشاء.

وقال الشيخ القفَّال رحمه الله: جعلَ ذلك كفَّارةً لهم؛ إذ علم أنَّ المصلحةَ في هذا النَّوع، وقد جعلَ الكفَّارات والعقوبات على مراتبَ؛ بعضُها قتلٌ، وبعضُها جلدٌ[3]، وبعضُها إخراجُ مالٍ، على ما عَلِمَ اللهُ تعالى من مصلحةِ عباده.

وقال الإمامُ أبو منصورٍ رحمه الله: لولا إجماعُ أهل التَّفسيرِ والتَّأويلِ على أنَّ قتلَ أنفسِهم كان على الحقيقة، لم يُمكن صرفُ الأمرِ إلى ذلك؛ لأنَّ هذا الأمرَ[4] كان بعد توبتِهم ورجوعِهم إلى الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِيٓ أَيۡدِيهِمۡ وَرَأَوۡاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ ضَلُّواْ قَالُواْ لَئِن لَّمۡ يَرۡحَمۡنَا رَبُّنَا﴾ [الأعراف: ١٤٩] الآية، ثم قال: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗا﴾[5] [الأعراف: ١٥٠]، وقد شَرَعَ اللهُ تعالى على ألسُنِ الرُّسُلِ

---

(١) في (ر): «يعجل».

(٢) في (أ): «على».

(٣) في (أ): «قتلًا... جلداً».

(٤) لفظ «الأمر» من (أ).

(٥) «غضبان أسفاً»: ليس في (أ).

قتلَ الكَفَرةِ حتَّى يُسلِموا؛ لأنَّ القتلَ عقوبةُ الكفرِ، لا عقوبةُ الإسلامِ، وكان[١] ينبغي أن يُصرفَ هذا الأمرُ إلى إجهادِ[٢] أنفُسِهم بالعبادةِ لله، والطَّاعةِ له، واحتمالِ الشَّدائدِ لتفريطِهم[٣] في عصيانِ ربِّهم، وذلك جزاءٌ لفرطِهم أن[٤] يقال: فلانٌ يَقتلُ نفسَهُ في كذا، لا يَعنونَ بهِ حقيقةَ القتل ولكن يَعنونَ به إتعابَهُ إيَّاها.

ويجوزُ أن يكونَ الأمرُ بحقيقةِ القتلِ ابتداءَ محنةٍ[٥] مِن الله تعالى لهم بالقَتْلِ، لا عقوبةً للذَّنب، وللهِ تعالى أن يمتحنَ عبادَه بقتلِ أنفسِهم ابتداءً، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ﴾[٦] [النساء: ٦٦].

ويجوزُ أيضاً أن يكونَ الأمرُ بقتلِ أنفُسِهم الأمرَ بمجاهدةِ الأعداءِ وإن كان فيها تَلَفُهُم، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ﴾ إلى قوله: ﴿فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾ [التوبة: ١١١][٧].

* * *

(٥٥) ـ ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾.

---

(١) في (أ): «فكان».

(٢) في (أ): «جهاد».

(٣) في (أ): «لإفراطهم».

(٤) في (ر): «جزاء تفريطهم» بدل: «جائز لفرطهم أن»، ولفظ: «لفرطهم» ليس في (أ). ونص العبارة في «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (١/ ٥٢): «وذلك جارٍ في الناس، يقال: فلان يقتل».

(٥) في (أ): «لمحنة».

(٦) بعدها في (أ): «أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه».

(٧) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (١/ ٥٢ ـ ٥٣).

وقوله تعالى: (﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ﴾): أي: واذكروا أيضاً إذ قلتم: يا موسى؛ أي: إذ قال السَّبعون مِن أسلافِكم الذين اختارَهُم موسى حين ذهبوا معه إلى الطُّور.

وقوله تعالى: (﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ﴾): أي: لن نُصَدِّقَك، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾ [يوسف: ١٧]، أي: لن نُصدِّقَك على أنَّ هذا كتابُ الله جلَّ جلالُه، وأنَّك سمعتَ كلامَ الله، وأنَّ اللهَ أمرَنا بقَبولِه والعملِ به. وقيل: أي: برسالتِك.

وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾: أي: حتَّى نرى الله عِياناً، وهو قولُ قَتادةَ.

وقال ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما: علانِيَةً(١).

وبينهما فرقٌ؛ العِيان صفةُ الرَّائي، والعلانيةُ صفةُ المرئيِّ.

وعن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما في روايةٍ: إنَّ معناه: وإذ قلتُم جهرةً، على التَّقديمِ والتَّأخير، والجَهرةُ تَرْجِعُ إلى القولِ، وهو كالجَهْرِ بالقراءةِ، وهو إظهارُها، والمجاهرةُ بالمعاصي كذلك.

والأوَّل يرجعُ إلى سؤالِ الرُّؤية بلا حجابٍ ظاهراً، لا في النَّومِ ونحوه.

يُقال: جَهَرْتُ الشيء، إذا(٢) كشفتَهُ وأظهرتَهُ، وجهرْتُ(٣) البئر، إذا كان ماؤها قد تَغطَّى بالطِّينِ فنقَّيتَهُ حتَّى ظَهرَ ماؤُها وصَفا، وصوتٌ جهيرٌ، ورجلٌ جهوريُّ الصَّوت(٤)، إذا كان صوتُه عالياً ظاهراً، ووجهٌ جهيرٌ، أي: ظاهرُ

---

(١) قولا قتادة وابن عباس رضي الله عنهما رواهما الطبري في «تفسيره» (١/ ٦٨٨).

(٢) في (أ): «أي»، وليست في (ف).

(٣) في (ف) و(ر): «وأجهرت». يقال: جهرت البئر واجتهرتها. انظر: «تهذيب اللغة» للأزهري (٦/ ٤٨)، و«الصحاح» للجوهري: (جهر).

(٤) في هامش (ف): «رجل جوهري الصوت نسخة».

الوَضاءة، وجَهرتُ الرَّجُلَ واجتهرته[١]، إذا نظرتَ إليه من غير حجابٍ، قال الأخطل:

يوماً بأجْوَدَ منهُ حينَ تَسْأَلُهُ[٢] ولا بأجْهَرَ مِنهُ حينَ يَجْتَهِرُ[٣]

وقوله تعالى: ﴿فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ﴾: وهي كلُّ أمرٍ هائلٍ[٤] مميتٍ، أو مزيلٍ للعقل والفهم، ويكون صوتاً، ويكون ناراً، ويكونُ غيرَ ذلك، واختُلِفَ فيها هاهنا:

قال[٥] السُّدِّيُّ: كانت ناراً، نزلَتْ مِن السَّماء فأحرقتهُم.

وقال قتادةُ والرَّبيع: هي الموت[٦].

وقيل: الصوت، وماتوا به، وهي الرجفة التي ذُكِرت في سورة الأعراف: ﴿فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ﴾ [الأعراف: ١٥٥]، وأصلُها الاضطراب.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾: أي: إلى الصَّاعقة، فإنْ كانت ناراً، فقد عاينوها، وإن كان صوتاً هائلاً، فقد ماتَ به بعضُهم أوّلاً، ورأى الباقون أنّهم ماتوا، ويُسمَّى هذا رؤيةَ الموت مجازاً، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ [آل عمران: ١٤٣].

وقيل: ﴿وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ خطابٌ لأهل عصرِ النبيِّ ﷺ؛ أي: يُخبِرُكم رسولُ الله

---

(١) في (ر) و(ف): «وأجهرته».

(٢) في (ر) و(ف): «نسأله».

(٣) «ديوان الأخطل» (صنعة السكري) (ص: ١٤٨).

(٤) في (ف): «مهول».

(٥) في (ف): «فقال».

(٦) أخرج أقوالهم الطبري في «تفسيره» (١/ ٦٩٠).

ﷺ بما كان من[١] أسلافكم، وتَعلمون أنَّه صادقٌ، وتَنظرون إليه فلا تؤمنون.

وقيل: معناه: ﴿وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ﴾ أي: تَنتظِرون مثلَ ما نزلَ بهم لأنْ[٢] ينزلَ بكم؛ لتكذيبكم محمَّداً عليه الصَّلاة والسَّلام، وهو كقوله تعالى: ﴿ٱنظُرُونَا نَقۡتَبِسۡ مِن نُّورِكُمۡ﴾ [الحديد: ١٣].

وقصَّتُه أنَّ السَّبعين الذين اختارَهم موسى عليه السلام للانطلاق إلى الجبل[٣] قالوا لموسى بعد ما كلَّمهُ الله وأعطاه الألواحَ: إنَّ لنا عليك حقًّا؛ فإنَّا أصحابُك وخيرتُك، انطلقنا معك إلى الجبل، ولم نَصنع ما صنعَ قومُنا، فأَرِنا الله جهرةً ننظرْ إليهِ كما رأيتَهُ.

فقال موسى عليه السلام: ما رأيتُه، ولقد[٤] سألتُه الرُّؤية، فأبى عليَّ، وتَجلَّى للجبل فجعلهُ دكًّا، وخررتُ مغشيًّا عليَّ، فلمَّا أفقتُ تُبتُ إلى الله مِن مسألَتي، وأيقنتُ أنَّه لا يُرَى في الدُّنيا.

فقالوا: والله لا نُصدِّقُك بالرِّسالة حتَّى نَرى اللهَ جهرةً، فأخذتهمُ الصَّاعقةُ فاحترَقوا[٥] فقال موسى عليه السلام: يا رب، لو شئتَ أهلكتَهُم مِن قبل هذا اليوم مع أصحابِ العِجْل، ثمَّ بعثَهم اللهُ تعالى يوم[٦] ماتوا بدعاءِ موسى عليه السلام، فعاشُوا إلى وقتِ آجالهم.

---

(١) في (أ): «في».

(٢) في (ر) و(ف): «أي».

(٣) وقع فوقها في (ر) كلمة لم أتبينها، لعلها: «بهم».

(٤) في (أ) و(ر): «ولكن».

(٥) في (ر): «فأحرقتهم».

(٦) في (ف): «بعد ما».

وقال الإمامُ أبو منصورٍ رحمه الله: تعلَّقتِ المعتزلةُ بظاهر الآية على نفي رؤيةِ الله عزَّ وعلا، وعندنا ليس فيها دليلٌ على نفي الرُّؤية لله عزَّ وجلَّ، بل فيها إثباتُها، وذلك أنَّ[1] موسى عليه الصلاة والسلام لـمَّا سألَهُ السَّبعون الرُّؤيةَ، لم ينههُم عن ذلك، وكذلك سألَ هو ربَّه جلَّ جلالُه الرُّؤيةَ، فلم يَنهه عن ذلك بل قال: ﴿فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِي﴾ [الأعراف: ١٤٣]، وهذا تعليقٌ بما يُتصوَّر، وكذلك سألَتِ الصَّحابة رضوان الله عليهم أجمعين رسولَ الله ﷺ[2]، فقالوا: أنرى ربَّنا؟[3] فلم يَنهَهُم عن ذلك، وإنَّما أخذَ هؤلاء الصاعقة[4]؛ لأنَّهم لم يسألوا سؤال استرشادٍ، وإنَّما سألوا سؤالَ تعنُّتٍ[5].

وقيل: إنَّما عوقبوا بقولهم: ﴿لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ﴾ [البقرة: ٥٥] وهذا كفرٌ منهم.

ودلَّتِ الآيةُ على صدق النبيِّ ﷺ في دَعوى الرِّسالة، وقد[6] أخبرَ عمَّا لم يكن عندَهم علمُه، ولا[7] يُعلَمُ إلَّا بإخبارٍ مِن الله تعالى، وفيها إلزامُ الحُجَّةِ على منكري البعث بعد الموت، وهم مُشركو العرب.

* * *

---

(١) في (ر): «لأن».

(٢) من قوله: «الآية على نفي رؤية» إلى هنا ليس في (أ)، ووقع فيها مكانها لفظ: «الله».

(٣) رواه البخاري (٨٠٦)، ومسلم (١٨٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) في (أ): «الصعقة».

(٥) انظر «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (١/ ٧٧). ووقع في هامش (ر) في هذا الموضع: «والصحابة سألوا سؤال استرشادٍ».

(٦) في (أ): «فقد».

(٧) في (أ): «فلا».

(٥٦) ـ ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾: أي: أحييناكم بدعاءِ موسى عليه السلام، والبعثُ في القرآن لمعانٍ: للإحياء، قال تعالى: ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ﴾ [الروم: ٥٦]، وللإنباء، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ﴾ [الكهف: ١٩][(١)]، وللإرسال[(٢)]، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا﴾ [النحل: ٣٦][(٣)].

وقوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾: أي: لتشكروا نعمةَ الحياةِ بالتَّوحيدِ والطَّاعة.

وقيل: لتشكروا العفو عنكم.

ثمَّ قولُه ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ في هذه الآية، وفي الآية التي قبلَها بآياتٍ قولُه: ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ٥٣] وقد وردَ التَّفسيرُ أنَّ معناه: لتشكروا ولتهتدوا، تعلَّق المعتزلةُ به وبقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] أنَّ اللهَ أرادَ ذلك دون المعصية والكفر، لكن نقول: معناه: ليَلزمَكم شكري وعبادتي والاهتداءُ إلى ديني؛ إذ لو أرادَ منهم ذلك لفعلوا، فإنَّه لو أرادَ ذلك منهم ولم يَكُن، كان متمنِّياً، واللهُ تعالى عن ذلك علوًّا كبيراً[(٤)].

وقال الإمام القشيري رحمه الله: التَّعرُّض لمطالعة الذَّات على غير نعتِ

---

(١) من قوله: «قال تعالى: ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ﴾» إلى هنا وقع مكانه في (ر): «كما في هذه الآية».

(٢) من قوله: «قال تعالى: ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ﴾» إلى هنا ليس في (ف).

(٣) بعدها في (ر): «وغير ذلك».

(٤) من قوله: «ثم قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ إلى هنا من (أ) وليس في (ف) و(ر).

الهيبة افتضاحٌ[1] بترك الحُرْمة، وذلك من أماراتِ البُعدِ والشِّقوةِ[2]، والتولِّي بمكاشفات العزَّة مقروناً بملاطفات القُرْبةِ مِن علاماتِ الوُصْلَة ودلالات السَّعادة، فلا جرمَ لـمَّا أطلقوا لسانَ الجهلِ بمعونة[3] ترك الحشمة، أخذتهم الرَّجفةُ والصَّعقةُ[4].

وقال[5] أيضاً في الآية الأولى: التَّوبةُ بقتلِ النُّفوسِ غيرُ منسوخةٍ في هذه الأُمَّة، إلَّا أنَّ بني إسرائيل كان لهم قتلُ أنفسهم جهراً، وهذه الأمَّة توبتُهم بقتلِ أنفسِهم في أنفسهم سرًّا، وأوَّلُ قدَمٍ في[6] القصد إلى الله الخروجُ مِن النَّفس لله.

قال: ولقد توهَّمَ النَّاسُ أنَّ توبةَ بني إسرائيل كانت أشقَّ، وليس كما توهَّموا؛ فإنَّ ذلك كان مرَّةً واحدةً، وأهلُ الخصوص مِن هذه الأمَّة قتلهُم[7] أنفسَهم في كلِّ لحظةٍ، وقد قيل:

ليس مَن ماتَ فاسْتَراحَ بميْتٍ ... إنَّما الميْتُ ميِّتُ الأحياءِ[8]

وأنشدَ غيرُه:

---

(١) في مطبوع «لطائف الإشارات»: «إفصاح» بدل: «افتضاح».

(٢) في (أ): «والشقاوة».

(٣) في (ر) و(ف): «بمعرفة»، وفي «لطائف الإشارات»: «بتقوية».

(٤) انظر: «لطائف الأشارات» للقشيري (١/ ٩٢ ـ ٩٣).

(٥) في (ر) و(ف): «وقالوا».

(٦) في (ف): «هي». بدل: «في». وفي (ر): «هي في».

(٧) ضرب عليها في (ر)، وصححت في الهامش بـ: «يقتلون».

(٨) «لطائف الإشارات» (١/ ٩٢). والبيت لعديِّ بن رعلاء الغساني، كما في «الأصمعيات» (ص١٥٢)، و«خزانة الأدب» (٩/ ٥٨٣)، وغيرهما.

قُبـورُ الـوَرى تحـتَ التُّـرابِ وللهوى رجـالٌ لهـم تحـتَ[١] الثِّيابِ قبـورُ[٢]

***

(٥٧) ـ ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾.

وقولـه تعالـى: ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ﴾: أي: جعلناه مظلِّلاً لكـم؛ أي: مُلقياً الظـلَّ[٣]، وهـو معـروفٌ، والظُّلَّـةُ: السُّـترةُ الـمُظِلَّةُ، والظِّـلُّ الظَّليـلُ هـو الدَّائـمُ، والسُّـلطانُ: ظِلُّ الله، أي: مـأوى الخلـق[٤] مِـن عنـد الله، كالظِّـلِّ الـذي يَـأوي إليه مَـن أصابَـهُ الحَرُّ.

والغمامُ: السَّحابُ عند ابن عباسٍ رضي الله عنهما[٥]، وهو السَّحابُ الأبيضُ عند السُّدِّيِّ[٦]، سُمِّيَ به لأنَّهُ يَغُمُّ السَّماءَ؛ أي: يستُرها، والغُمَّةُ: الأمرُ المستور، والغَمُّ: حزنٌ يَسترُ القلبَ، والغَمَمُ: أن يَستُرَ الشَّعرُ القفا والجبهةَ، ورجلٌ أغمُّ وامرأةٌ غمَّاء، من ذلك، وغُمَّ الهلالُ؛ أي: لم يُرَ، أو سَترَهُ[٧] شيءٌ، وهو الليلة الغَمَّى، والتَّغمغمُ: التكلُّمُ بكلامٍ لا يَبِينُ.

أي: فعلنا ذلك بكم في التِّيه.

---

(١) في (ر): «بين».

(٢) ذكره أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٠/ ٣٧٠) من قول أبي بكر الشبلي.

(٣) بعدها في (ر): «عليكم».

(٤) في (أ): «للخلق».

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٦٩٩).

(٦) هذا المعنى ذكره الطبري في «تفسيره» (١/ ٦٩٩)، ولم ينسبه.

(٧) في (أ): «وستره».

وقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ﴾: قال ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: هو ما يَسقطُ على الشَّجر فيأكلُهُ النَّاس(١).

وقال الرَّبيعُ بنُ أنس: هو شرابٌ كان ينزِلُ عليهم، فكانوا يَمزجونه بالماء فيشربونَهُ.

وقال وهبٌ: هو خبزُ(٢) الرُّقاق.

وقال السُّدِّيُّ: هو الزَّنجبيل(٣).

وقال قتادة: هو التَّرنجبين(٤).

وكان ينزِلُ كهيئة الثَّلج، مِن طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، وهو الأشهرُ الأظهر.

ويقال: هو ما منَّ اللهُ تعالى به على عباده من غير تعبٍ ولا زرع(٥)، ومنه قول النبيِّ ﷺ: «الكمأةُ مِن المنِّ، وماؤها شفاءٌ للعين»(٦)؛ أي: هو ما منَّ الله تعالى به على خلقه من غير حرثٍ ولا سقيٍ.

وقال عكرمة: كان كالرُّبِّ الغليظ(٧).

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٧٠٢).

(٢) في (أ): «الخبز».

(٣) أقوال الربيع ووهب والسدي رواها الطبري (١/ ٧٠٠ ـ ٧٠٢).

(٤) هذا المعنى أورده الطبري (١/ ٧٠٣)، ولم ينسبه. ونسبه الثعلبي في «تفسيره» (١/ ٢٠٠) للضحاك.

(٥) في (ر) و(ف): «روع».

(٦) رواه البخاري (٤٤٧٨)، ومسلم (٢٠٤٩) من حديث سعيد بن زيد رضي الله عنه.

(٧) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ١١٤) (٥٥٤). والرُّب: دبس الرطب إذا طبخ. «المصباح المنير»: (ربب).

وقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّلْوَىٰ﴾ قيل: هو السُّمَّانَى.

وقال ابن عباسٍ رضي الله عنهما: طائرٌ أبيضُ يشبهُ السُّمَّانى، كانت تحشرُه عليهم الرِّيحُ الجنوب[١].

وقالوا: كانت الريحُ تَقطعُ حلوقَها، وتَشُقُّ بطونَها، وتُمَعِّطُ شعورَها، وكانت الشَّمسُ تُنضِجها، فكانوا يأكلونها مع المنِّ.

وقيل: هي طيرٌ سِمانٌ كالحمام يضربُ إلى الحُمرة، ويكونُ بناحيةِ اليمن.

وقال الأخفش: واحدتها سلواةٌ[٢].

وقيل: الجمعُ والواحدُ فيه سواءٌ.

وقال قُطْرُب: قال بعضُ العرب: السَّلوى: الشَّيءُ الطَّيِّبُ.

وقيل: هو العسل، واشتقاقه من السُّلُوِّ، كأنَّه يُسْلِي القلبَ الهموم، أو[٣] يُسْلِي مِن[٤] غيرِه[٥].

---

(١) ذكره عن ابن عباس الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٥٧)، وأخرج القطعة الأولى منه (طائر يشبه السمانى) الطبري في «تفسيره» (١/ ٧٠٥ ـ ٧٠٦)، وأخرج القطعة الثانية (كانت تحشره) الطبري (١/ ٧٠٦) عن قتادة.

(٢) كذا قال! والصواب أنه قول الخليل. انظر «العين» (٧/ ٢٩٨)، و«تفسير القرطبي» (٢/ ١٢٠). وقول الأخفش كما في «معاني القرآن» (١/ ١٠١) له: هو طائر لم يسمع له بواحد، وهو القول التالي عند المصنف.

(٣) في (ر) و(ف): «و».

(٤) في (أ): «عن».

(٥) في (ف): «غيرة».

وقال ابنُ جريجٍ: كان الرجلُ منهم إن[١] أخذَ من المنِّ والسَّلوى زيادةً على طعام يومٍ[٢] واحدٍ فسدَ، إلَّا يوم الجمعة، فإنَّهم كانوا يأخذون فيه طعامَ يومين؛ لأنَّه كان لا ينزلُ يومَ السبت[٣].

وقوله تعالى: ﴿كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾: فيه مضمرٌ؛ أي: قلنا لهم: كلوا، والطَّيِّباتُ هاهنا تَحتملُ ثلاثةَ أوجهٍ: الحلالات، والشَّهِيات، والخاليات عن الأدواءِ والمضرَّاتِ.

وقصَّتُه أنَّهم لـمَّا خَرجوا مِن مصرَ، وجاوزوا البحرَ، وقعوا في صحراءَ لا أبنيةَ فيها، فأنزلَ اللهُ تعالى السَّحابَ، فسَترَهُم عن الشَّمسِ بالنَّهار، وكان يضيءُ لهم بالليل.

وقيل: كان السَّحابُ يتدلَّى عليهم كالقبابِ والفساطيطِ والأبنية.

وقيل: كان يَمشي أمامَهم عمودٌ مِن نورٍ، يُضيءُ[٤] بالليل، فأنزلَ[٥] الله عليهم المنَّ والسَّلوى؛ المنُّ كالخبزِ، والسَّلوى كاللَّحم.

وقال الكلبيُّ: كان المنُّ يَنزِلُ عليهم مدَّةً، فقالوا: يا موسى، قَتَلنا هذا المنُّ بحلاوتِه، فدعا، فأنزلَ الله تعالى عليهم السَّلوى، فخَلطُوا.

وهذا كان قبلَ التِّيهِ عند أكثرِهم، وكذا هذا في ترجمة التَّوراة. قاله[٦] القفَّال.

(١) في (ف) و(أ): «إذا».

(٢) «يومٍ»: ليس في (أ).

(٣) بعدها في (ر): «شيءٌ». وقول ابن جريج رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٧١٠).

(٤) بعدها في (ر): «لهم».

(٥) في (أ) و(ر): «وأنزل».

(٦) في (ر): «قال» وفي (ف): «وقال».

ثمَّ إنَّ الله تعالى أمرهم أن يحاربوا أهل قرية أريحا وأذرعا[١]. وقيل: بلقاء، وهي قريةُ العمالقة بقربِ بيت المقدس[٢]، فقبِلوا، فلما قرُبوا منها سمعوا بأنَّ أهلها جبَّارون أشدَّاء؛ قامةُ أحدِهم سبعُ مئة[٣] ذراعٍ ونحوِها[٤]، ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ﴾ [المائدة: ٢٤] إلى أن قال: ﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [المائدة: ٢٦][٥].

وكانت اثني عشر فرسخاً في مثلِها، فكانوا يُصْبِحون ويَسيرُون النَّهارَ كلَّه[٦]، فإذا أمسَوا كانوا حيث أصبَحوا، وحُرِموا ما كان لهم في تلك البريَّة، وهو[٧] قوله تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَـٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾: أي: ما ضرُّونا، ولكن ضرُّوا أنفسَهم، حيث حرموا أنفسَهم تلكَ النِّعم.

وقيل: بل أعطاهُمُ اللهُ تعالى ذلك في التِّيه، فإنَّهم لـمَّا عُوقِبوا بذلك ندِموا وتابوا، فلَطَفَ[٨] الله تعالى بهم، وهيَّأ لهم ذلك، وعلى هذا التأويل قولُه تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَـٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ أي: أمرناهُم أن يأكلوا مِن طيِّبات ما رزقناهم، ويشكروا لنا، ولا يَطغَوا فيها[٩] بالادِّخارِ، ....

---

(١) كذا في النسخ.

(٢) قوله: «بقرب بيت المقدس» ليس في (ف).

(٣) في (ر): «طول سبعون» بدل: «سبع مئة».

(٤) في (أ): «ونحوه».

(٥) في (أ): «قوله» بدل من «أن قال: ﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ﴾».

(٦) «كله» من (أ).

(٧) «وهو»: ليس في (أ).

(٨) في (ف): «ولطف».

(٩) في (أ): «فيه».

فخالفوا وخَنِزَ[١] ذلك الادِّخارُ وفسدَ وانقطع، فكان هذا إضراراً منهم بأنفسِهم، ولا يلحقنا ضررٌ ولا نقصانٌ من خلافِ مَن يخالفنا.

وقيل: ضرُّوا أنفسَهم بالامتناعِ عن الجهادِ بفَوْتِ ثوابِ الجهاد، وما نقصونا شيئاً، وضرُّوا أنفسَهم أيضاً، حيث حُجِبُوا عن دخول الأرض المقدسة.

وقال الإمام القشيري رحمه الله: لما طوَّحهم[٢] اللهُ تعالى في متاهاتِ الغُربةِ، لم يَرْضَ إلَّا بأن ظلَّلهُم، وبِلِبسةِ الكفايات جلَّلهم[٣]، وعن تكلُّفِ التَّكسُّبِ أغناهم، وبجميلِ صنعِه فيما[٤] احتاجوا إليه تولَّاهم، فلا شُعورُهم كانت تَطولُ، ولا أظفارُهم كانت تنبتُ، ولا ثيابهم كانت تتَّسِخُ، ولا شعاعُ الشَّمسِ كان يَنبسطُ[٥]، وكذلك سنَّتُه بمَن حالَ بينَه وبين اختياره، يكونُ ما اختارَهُ له خيراً له ممَّا يختارُه العبدُ بنفسِه[٦].

* * *

(٥٨) ـ ﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُواْ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ﴾: قال قتادةُ والضَّحَّاكُ والرَّبيعُ بنُ أنسٍ: أي: بيتَ المقدس[٧].

---

(١) في (ر): «فخانوا فخبث» وفي (ف): «فخالفوا وخبث» بدل: «فخالفوا وخنز». يقال: خنز اللحم؛ أي: أنتن. انظر: «مختار الصحاح»: (خنز).

(٢) في مطبوع «لطائف الإشارات»: (طرحهم).

(٣) في (أ): «حللهم».

(٤) في (ف): «مما».

(٥) بعدها في (ر): «عليهم».

(٦) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٩٣).

(٧) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٧١٢ ـ ٧١٣) عن قتادة والربيع، ورواه أيضاً عن السدي.

وقال السُّدِّيُّ ومجاهدٌ ومقاتل: أي: البلدةَ التي فيها بيتُ المقدس، وهي إيلياء[١].

وقال أبو زيد: أي: أريحا، وهي بقرب بيتِ المقدس[٢].

والدُّخولُ: الانتقال من العورة[٣] إلى الحصن، ونقيضُه الخروج.

والقريةُ: الأبنيةُ التي هي مجتمعُ النَّاس، مِن قولِكَ: قَرَيْتُ الماءَ في الحوض؛ أي: جمعتُه، قرياً، والـمِقْراةُ: الحوض، والجَفنةُ الكبيرةُ التي يُجعَلُ فيها طعامُ الأضياف، وقَرَيْتُ الضَّيفَ قِرًى من ذلك، وقَرَى البعيرُ جِرَّتَهُ؛ أي: جمعَها في شِدْقِهِ، والقرى: الظَّهر[٤]، وهو مجتمَع القوى[٥].

ومعناه: واذكروا أيضاً إذ قلنا لأسلافِكم: ادخلوا هذه القريةَ لتسكنُوها، فقد قال في سورة الأعراف: ﴿ٱسۡكُنُواْ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةَ﴾ [الأعراف: ١٦١].

وقوله تعالى: ﴿فَكُلُواْ مِنۡهَا حَيۡثُ شِئۡتُمۡ رَغَدٗا﴾: أي: أبحناها لكم، ووسَّعناها عليكم، فتعيشوا فيها أين شئتم، بلا تضييقٍ ولا منعٍ، وهو تمليكٌ لهم بطريق الغنيمة، وذَكَرَ الأكلَ لأنَّه معظمُ المقصود.

وقوله تعالى: ﴿وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا﴾: قيل: هو بابٌ بعينه.

وقال مجاهدٌ والسُّدِّيُّ: هو بابُ حطَّةٍ، وهو البابُ الثَّامن مِن بيت المقدس[٦].

---

(١) انظر قول مقاتل في «تفسيره» (١/ ١٠٩).

(٢) رواه الطبري (١/ ٧١٣).

(٣) في (ف) و(ر): «العودة».

(٤) في (ر): «والقرء الطهر» بدل: «والقرى الظهر»، وهو تحريف.

(٥) انظر «التفسير البسيط» للواحدي (٢/ ٥٥٢).

(٦) أخرج قوليهما الطبري في «تفسيره» (١/ ٧١٤).

وقيل: هو بابُ القبَّة التي كان يتعبَّدُ فيها موسى وهارون عليهما السَّلام.

وقيل: هو البابُ الأعظمُ للقرية.

وقيل: ﴿ٱلْبَابَ﴾ وجهٌ من وجوه القرية عُيِّن لهم، كأنَّه قال لهم[١]: ادخلوا مِن هذا الوجه.

وقوله: ﴿سُجَّدًا﴾ قال ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: أي: رُكَّعاً[٢].

وقيل: ساجدين قبلَ الدُّخول سجدةَ الشُّكر على قتلِ الجبَّارين، أو فتحِ القرية.

وقيل: أي: مطأطئين رؤوسَكم، خاضعين خاشعين.

وقيل[٣]: مصلِّينَ صلاةً قبل الدُّخول.

وقولُه تعالى: ﴿وَقُولُواْ حِطَّةٌ﴾: قال عكرمة، وهو قولٌ اختارهُ الأخفش: قولوا[٤] لا إله إلا الله[٥].

وعن عليٍّ رضي الله عنه: هو بسم الله الرحمن الرحيم.

وعن ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: هو[٦] أستَغْفِرُ الله[٧].

---

(١) «لهم» ليس في (أ).

(٢) رواه الطبري (١/ ٧١٤).

(٣) بعدها في (ر): «أي».

(٤) بعدها في (ر): «حطةً».

(٥) رواه عن عكرمةَ الطبريُّ في «تفسيره» (١/ ٧١٧)، وابن أبي حاتم (١/ ١١٨) (٥٨٢)، ولم أقف عليه في «معاني القرآن» للأخفش.

(٦) في (أ): «قولوا».

(٧) رواه الطبري (١/ ٧١٨).

وعن الحسن: هو أنْ يُقَال: حُطَّ عنا ذنوبَنا، فإنَّا انحطَطْنا لوجْهِك[١].

وقال الضَّحَّاك: أي: قولوا: أخطأنا، واعترفنا يا ربَّنا خطايانا[٢]، فاغفرها لنا.

وقال القتبيُّ: أي: قولوا مقالةً هي حطة لخطاياكم[٣].

وقال الزَّجَّاجُ: قولوا: مسألتُنا حطة[٤].

وقيل: أي: سجودُنا عندَ الدُّخولِ حِطَّةٌ لذنوبنا.

وقيل: معناه: نحن نزولٌ تحت حكمك، مُسَلِّمون لأمرك.

وأصلُ الحَطِّ: إنزالُ الشيءِ مِن علوٍّ إلى سفلٍ[٥]، وقد حَطَطتُ الرَّحْلَ والسَّرجَ ونحوَ ذلك، وحطُّ الذَّنْبِ إسقاطُه وَهو كإلقاء الحِمْلِ عن الرَّأس والظَّهر، وحطَّ حطًّا متعدٍّ، وحطَّ حُطوطاً لازمٌ.

وقيل: أمروا أن[٦] يتكلَّموا بهذهِ الكلمةِ وحدَها تعبُّداً ليحُطَّ بها أوزارَهم، فغيَّروها[٧] بنو إسرائيل، وقالوا: حنطةٌ، كذا قال[٨] ابنُ قتيبة[٩].

---

(١) أخرج نحوه الطبري (١/ ٧١٦).

(٢) في (ر): «بذنوبنا خطايانا» بدل: «يا ربنا خطايانا»، ولفظ «خطايانا» ليس في (أ).

(٣) لم أقف على قول ابن قتيبة هذا، ونص قوله في «تفسير غريب القرآن» له (ص: ٥٠): هي كلمة أمروا أن يقولوها في معنى الاستغفار، من حططت؛ أي: حطَّ عنا ذنوبنا.

(٤) «معاني القرآن» للزجاج (١/ ١٣٩).

(٥) قوله: «إلى سفلٍ»: ليس في (أ).

(٦) في (ف): «بأن».

(٧) في (أ): «فغيرها».

(٨) في (ر): «قاله».

(٩) انظر: «تفسير غريب القرآن» لابن قتيبة (ص: ٥٠).

ثمَّ مِن عظيمِ فضلِ الله جلَّ وعلا أن هيَّأ لهم الأسبابَ، وفتحَ عليهم مِن النِّعَمِ الكثيرةِ الأبواب قبل أنْ يُكلِّفَهُم شيئاً بالخطاب، ثمَّ أمرهم بشيئين؛ بعملٍ يسيرٍ، وقولٍ قصيرٍ، فالعملُ: الانحناءُ عند الدُّخول، والقولُ: التَّكلُّم بالكلام المنقول[1]، ثمَّ وعدَ عليها[2] غفرانَ السيِّئاتِ، والزِّيادةَ في الحسنات.

وقوله تعالى: ﴿نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾: الغَفْرُ والغُفرانُ والمغفرةُ: سترُ الذُّنوب، والغِفَارةُ والـمِغْفَرُ مأخوذان[3] من ذلك، وكذا غَفْرُ الثوب، وهو زِئْبَرُهُ[4] الذي يَسترُ نَسجَهُ، والجمُّ الغَفير: الجمعُ الكثير السَّاترُ المكانَ[5].

والخطايا جمع الخطيَّة، كالبلايا جمعُ البَلِيَّة، والخطأُ ضدُّ الصَّواب، والخِطأ ـ بكسر الخاء ـ والخطيئة: الاثم، وخطئ؛ أي: أثِمَ متعمِّداً، وأخطأ، إذا لم يتعمَّد[6]، والخطيئاتُ جمعُ سلامةٍ للخطيئة.

وَعَدَ غفرانَ كلِّ الخطيئات مِن غير قصرٍ على عددٍ، وقَصَرَ العملَ على أقصرِ العدد.

وقوله: ﴿وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ أي: سنزيدُ المحسنين منكم بطاعتِه في أمرنا هذا إحساناً آنفاً إلى سالف إحساننا عنده، فنزيدُه في سَعَة دُنياهُ وثوابِ عُقباه.

وقيل: وسنزيدُ المحسنين منكم فيما بعدُ في المغفرة وثواب الآخرة.

---

(١) في (ف): «بالمنقول» بدل: «بالكلام المنقول».

(٢) في (أ): «عليهما».

(٣) في (ف): «مأخوذ».

(٤) في (ف): «زيبره»، ووقع في هامشها: «الزيبر ما يعلو الثوب الجديد».

(٥) في (أ): «للمكان».

(٦) في (أ): «يتعمده».

وقيل: سنزيدُ المحسنين[١] الذين كانوا أسلَموا قبلَ ذلك.

وقيل: أي: الذين لم يدَّخِروا المنَّ والسَّلوى لغدٍ.

وقيل: هو على التَّفصيل: مَن كان خاطئاً غَفرنا له خطاياه، ومن كان مُحسِناً زدنا له في عطاياه.

* * *

(٥٩) ـ ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ﴾: أي: غيَّروا، فلم يَقولوا: حطَّة، بل قالوا: حنطة.

وقيل: قالوا: (هنطا سُمقاثا)[٢]، وهي بلسانِهم: حنطةٌ حمراءُ[٣]؛ استهزاءً، وهذا كان من بعضهم، وفعل المحسنون[٤] ما أُمِروا به، ولهذا لم يقل: فبدلوا، بل قال: ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾.

وظاهرُه يَدلُّ على أنَّهم بدَّلوا القولَ وحدَه دون العملِ به[٥]، وبه قال جماعةٌ.

وقيل: بل بدَّلوا القول والعمل جميعاً، ومعنى قوله: ﴿قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ﴾

---

(١) من قوله: «منكم فيما بعد» إلى هنا من (أ).

(٢) في (ر): «حطانا سمقانا»، وفي (ف): «حنطانا سمقانا».

(٣) رواه الطبري (١/ ٧٢٥)، وابن أبي حاتم (١/ ١١٩) (٥٨٩) من قول ابن مسعود رضي الله عنه. وانظر: «تفسير غريب القرآن» لابن قتيبة (ص: ٥٠).

(٤) بعدها في (ر).

(٥) لفظ «به» ليس في (أ).

أي: أمراً غيرَ الذي أُمِروا به؛ فإنَّ أمرَ الله تعالى قولٌ، وهو تغيير جميع ما أمروا به، وقد رَوَى أبو هريرة رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ أنَّهم دخلوا البابَ يَزحفون[١].

وقال ابن عباسٍ رضي الله عنهما: دخلوا مستلقين على أقفيتهم.

وقيل: منحرفين على شقِّ وجوههم.

وقيل: على أستاهِهم[٢].

ولمَّا امتنعُوا عن السُّجود وأن يقولوا ما أمِروا به، أمرَ اللهُ تعالى الجبلَ أنْ يَقعَ عليهم، فرأوه، فسقطوا على شقِّ وجوهِهم يَنظرون إليه بالشِّقِّ الآخر، فرحمهم الله تعالى، وردَّه عنهم، فقالوا: ما سجدةٌ أحبُّ إلى الله تعالى مِن سجدةٍ[٣] كُشِفَ بها عنَّا العذاب، فلذلك يسجدون كذلك.

وقوله تعالى: ﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾؛ أي: الذين بدَّلوا[٤] ﴿رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ أي: عذاباً.

وقيل: هو يقعُ على كلِّ عذابٍ، يقولُ الله[٥] تعالى في سورة الأعراف: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ﴾[٦] [الأعراف: ١٣٣]، ﴿يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ﴾ [الأعراف: ١٣٤]، ثمَّ قال: ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ﴾ سمَّى ذلك كلَّه رِجزاً.

---

(١) رواه البخاري (٤٤٧٩)، ومسلم (٣٠١٥).

(٢) انظر: «تفسير أبي الليث» (١/ ١٢٢).

(٣) في (أ): «هذه السجدة».

(٤) «أي: الذين بدلوا» من (أ).

(٥) في (أ): «لقوله»، وفي (ر): «بقول الله» بدل: «بقول الله».

(٦) في (أ): «الآية» بدل من «والضفادع والدم آياتٍ مفصلاتٍ» و«آيات مفصلات» ليست موجودة في (ف).

وقال أبو سعيد الضرير: هو العذابُ المفسِدُ للمعاشِ[١].

وقيل: هو العذابُ المزلزل.

وقد ارتجز؛ أي: ارتعشَ، واختلف في هذا الرِّجز الذي أُنزِلَ عليهم:

قيل: كان ذلك ناراً فأحرقتهم.

وقيل: كان طاعوناً، فمات به في ساعةٍ واحدةٍ أربعةٌ وعشرون ألف إنسانٍ، ودام فيهم حتَّى بلغوا سبعين ألفاً.

وقوله تعالى: ﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ أي: عذَّبناهم بهذا لخروجِهم[٢] عن طاعتنا.

ثمَّ قال: ﴿عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ ولم يقل: عليهم؛ على الاختصار، وقد سبقَ ذِكرُ الذين ظلموا؛ لأنَّه سبقَ ذِكْرُ المحسنين أيضاً، فلو أطلق لوقعَ احتمالُ دخولِ الكلِّ فيه، ولمَّا قال في سورة الأعراف: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ﴾، قال: ﴿بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٢]؛ ليتميَّز هؤلاءِ مِن غيرِهم، على أنَّ إعادةَ الـمكنيِّ صريحاً وكنايةً سائغةٌ، قال تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ﴾ ثمَّ قال: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٩٨]، وقال عديُّ بنُ زيد:

لا أرى المـوْتَ يَسْبِقُ المَوْتَ شيءٌ نَغَّصَ الموتُ ذا الغِنَى والفَقِيرا[٣]

وقالوا: ذكر هاهنا ﴿خَطَايَاكُمْ﴾، وقال في سورة الأعراف: ﴿خَطِيئَاتِكُمْ﴾، وقال هاهنا: ﴿ادْخُلُوا﴾، وقال هناك: ﴿اسْكُنُوا﴾ [الأعراف: ١٦١]، وقال هاهنا: ﴿فَأَنزَلْنَا﴾،

---

(١) بعدها في (ر): «المعد للمؤمنين».

(٢) في (أ): «بخروجهم».

(٣) انظر البيت في «أمالي ابن الشجري»: (١/ ٣٧٠)، «ديوان عدي بن زيد» (ص: ٦٥).

وقال هناك: ﴿فَأَرْسَلْنَا﴾، وقال هاهنا: ﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾، وقال هناك: ﴿يَظْلِمُونَ﴾[1] [البقرة: ٥٧] ليُعلَمَ أنَّ المراعَى اتِّفاقُ المعاني، وأنَّها لا تَتغيَّرُ باختلاف الكلمات.

* * *

(٦٠) - ﴿۞ وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ ۖ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾.

وقوله تعالى: (﴿وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ﴾): تقديرُه: وإذ استسقانا، والاستسقاءُ: سؤالُ السَّقيِ وطلبُه، وهو[2] بالدُّعاء هاهنا، وقد سَقيتُه سَقياً بفتح السِّين؛ أي: أعطيتُه ما يشربُه، وسقيتُ الأرضَ ونحوها بفعلي، وأسقيتُ فلاناً؛ أي: جعلتُ له سُقْياً يَشربُ[3] منه، ويَسقي به الزَّرعَ.

وقال في «ديوان الأدب»: سقاهُ اللهُ وأسقاه بمعنى[4]، وقد جمعَهُما لبيدٌ فقال[5]:

سقى قومي بني نَجْدٍ وأَسْقَى ... نُمَيْراً والقبائلَ مِن هِلالِ[6]

ويقال: سَقَيْتُهُ، لِشَفَتِه، وأسْقَيتُهُ، لماشيتِه وأرضِه، وأسقيتُهُ[7]؛ أي: دعوتُ له بالسُّقيا، قال ذو الرُّمة:

---

(١) في (ر): «بما كانوا يظلمون».

(٢) «وهو» ليس في (أ).

(٣) في (أ): «ليشرب».

(٤) في (ر): «وأسقى بمعنى وأسقاه» بدل «وأسقاه بمعنى».

(٥) في (أ): «شعر» بدل: «فقال».

(٦) انظر: «شرح ديوان لبيد» (ص٩٣)، وفيه وفي «ديوان الأدب»: «بني مجد» بدل: «بني نجد».

(٧) لفظ: «وأسقيته» من (أ).

وأُسْـقِيهِ حتَّـى كادَ ممَّـا أبثُّـهُ تُكَلِّمنِي أحجـارُهُ وملاعبُـهْ[١]

وأسْقِني إهابَك؛ أي: اجعلهُ لي سقاءً[٢].

والسِّقْيُ بكسر السين: الحظُّ مِن الشِّرْب، والسِّقاءُ: القِرْبَةُ للـماء واللَّـبن، والسِّقايةُ: الموضعُ الذي يُتَّخذُ فيه الشَّرابُ[٣] في المواسم وغيرها، والسِّقايةُ في سورة يوسف عليه السلام: الصُّواعُ الذي كان يَشربُ منه الملك.

والمِسقاة: ما يُتَّخَذُ للجِرار[٤] تُعلَّقُ عليه، والاستقاءُ من البئر ونحوها: الأخذُ منها.

وقوله تعالى: ﴿مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ﴾ هم بنو إسرائيل، ومعناه: واذكروا أيضاً إذ سأَل موسى ربَّه أن يَسقِيَهم في البرِّيَّةِ قبل التِّيه، وقيل: في التِّيه.

وقوله: ﴿فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ﴾ وكان عصاهُ مِن آسِ الجنَّة، وكان عشرةَ أذرعٍ بذراع موسى، وهي التي كانت معجزته، وهي التي كانت تَنقلِبُ حيَّةً.

فأمَّا الحجرُ فقد قيل: أمرَهُ اللهُ تعالى أن يأخذَ حجراً خفيفاً مثلَ رأسِ الإنسان، فيضعَهُ في الـمِخلاة.

وقيل: مثلَ رأس الهرة.

وقيل: مثل رأس الثَّور.

وقال مقاتلٌ: كان حجراً مربَّعاً[٥].

---

(١) انظر: «ديوان ذي الرمة» (٢/ ٨٢١).

(٢) انظر: «ديوان الأدب» للفارابي (٤/ ١٠٥)، ووقع في (ر): «إهاباً» بدل: «سقاء».

(٣) في (ف): «الشرب».

(٤) في (ر): «من جراب» بدل: «للجرار».

(٥) انظر: «تفسير مقاتل» (١/ ١١٠)، و«تفسير أبي الليث» (١/ ١٢٣).

وقال الضَّحَّاك والسُّدِّيُّ: كان ذراعاً في ذراعٍ.

وقال الكلبيُّ: كـان مدوَّراً مثل رأسِ الإنسان، عليه اثنا عشر ثدياً، مثلَ ثدي المرأة، وكان موسى عليه السلام رفعَهُ مِن الطُّور.

وقال سعيدُ بنُ جُبير: هو الحجرُ الذي ذهبَ بثيابِ موسى لـمَّا قال قومُه: إنَّه آدرُ[١]، فأمرَ اللهُ تعالى موسى أن يحملَه[٢].

وقيل[٣]: لم يكن حجراً معيَّناً، وكان[٤] يضربُ أيَّ حجر وجد.

والصَّحيحُ أنَّه كان معيَّناً؛ فقد عرَّفهُ بالألف واللام.

وقوله تعالى: (﴿فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾): قال القفَّال: أي: مِن الضَّرب، فدلَّ ذلك على الضَّرب، وبه انفجرَت العيون.

وقيل: هاهنا مضمرٌ، أي: فضَربَ، فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً، والإضمارُ جائزٌ كما قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ﴾ [البقرة: ١٨٤]؛ أي: فأفطر فعدَّةٌ من أيَّامٍ أخر.

وقولـه تعالـى: ﴿مِنْهُ﴾ علـى هـذا يكونُ كنايـةً عن الحجـر؛ أي: مـن الحجر، وحُـذِف لعلمِنـا أنَّ موسـى صلـوات الله عليـه لا يخالِـفُ الأمـرَ، ولأنَّ الظَّاهرَ يدلُّ

---

(١) الأدرة: انتفاخ الخصية، فيقال: رجل آدر. انظر «المصباح المنير» للفيومي: (أدر).

(٢) انظر قول سعيد بن جبير في «تفسير الثعلبي» (١/ ٢٠٣).

(٣) في (ف): «وقد قيل».

(٤) في (أ): «فكان».

عليه، وهو كقوله[١]: أمرتُهُ بالتِّجارة، فاكتسب الأموال.

والانفجارُ: الانشقاقُ الواسع، والانبجاسُ: الانشقاقُ الضيِّق.

وقيل: الانفجارُ: الخروجُ بكثرةٍ، والانبجاسُ: قليلاً قليلاً[٢].

وقيل: الانفجارُ: الخروجُ من اللَّيِّن، والانبجاسُ: الخروجُ[٣] من الصُّلب.

وقيل: هما واحدٌ، وهو قول الأخفش.

وقيل: الانبجاسُ: الانصباب، والانفجارُ: النُّبُوع.

وقيل: أُخِذَ الانفجارُ مِن انفجارِ الفَجْرِ، وهو انشقاقُهُ، وهو انشقاقُ الظُّلمة عن الضِّياء.

وقيل: أصلُه: المفارقة، والفجور هو مفارقة البر، قاله قطرب.

وقد ذكر في هذه الآية: ﴿فَٱنفَجَرَتۡ﴾ وفي «الأعراف»: ﴿فَٱنۢبَجَسَتۡ﴾، والقصَّةُ واحدةٌ، فمَن سوَّى بينهما استمرَّ قولُهُ، ومَن قال: لم يكن الحجرُ معيَّناً، بل كان يضربُ أيَّ حجرٍ وُجِد عند الحاجةِ، فإنَّه يقولُ: كان إذا أخذ حجراً صغيراً فضربَهُ؛ انبجسَ، وإن أخذَ حجراً كبيراً فضربَهُ؛ انفجرَ، ومَن قال: كان حجراً صغيراً واحداً يُحْمَلُ في المِخلاة؛ وقيل: كان يُحمَلُ على حمارٍ؛ فالانبجاسُ أولُ خروجِه[٤] مِن الحجَر، والانفجارُ بعد سيلانِه.

---

(١) في (أ): «كقولك».

(٢) نسبه الواحدي في «البسيط» (٩/ ٤٠٦) لأبي عمرو.

(٣) «الخروج»: سقط من (أ) و(ف).

(٤) في (ر): «خرجة».

وقيل: كان ينبجسُ، ثمَّ يجري ويدومُ ويَكثرُ[١]، فيكون انفجاراً.

وقيل: كان ينبجسُ عند قلَّةِ الحاجةِ، وينفجِرُ عند الحاجة إلى الكثير[٢].

وقوله تعالى: ﴿ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ التاءُ لعددِ المؤنَّث، والعشرةُ فيها لغتان في عدد المؤنث بعدما زاد على العشرة؛ بتسكين الشِّين وكسرِها[٣].

والعينُ: الينبوع، وهي مؤنَّثةٌ سماعاً، ونُصِبَ على التفسير، وهي مشتقَّةٌ مِن العين الباصرة؛ لأنَّها أشرفُ ما في الرَّأس، وهذه أشرفُ ما في الأرض، ولأنَّ الماءَ يخرجُ مِن هذه كالدَّمع يخرجُ مِن تلك.

وإنَّما جُعِلَت على هذا العدد؛ لأنَّ بني إسرائيلَ كانوا اثني عشرَ سبطاً، وكانوا لا يأتلفون، فجُعل لكلِّ سِبْطٍ مشربٌ على حدةٍ مِن عينٍ على حدةٍ؛ لئلَّا يتنازعوا[٤].

وقوله تعالى: ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ﴾ أي: موضعَ شربِهم.

قال قتادة: كان كلُّ سِبْطٍ يَعرفُ عينَ نفسِه، فيجيء فيأخذُ مقدارَ حاجتِه، ثمَّ ينقطعُ الماء.

وقيل: كان يَسيلُ وهم نازلون، فإذا ارتَحلُوا انقطعَ ماؤها، وحُمِلَ الحجرُ في الجَوَالِق.

وقال أبو رَوْقٍ: كان فيه اثنتا عشرة حفرةً، فكانوا إذا نَزَلوا وَضَعوا الحجرَ، وجاءَ كلُّ سِبْطٍ إلى حفرتهم، فحفروا الجداول إلى أهلها، فشربوا ما شاءوا،

---

(١) في (أ): «فيكثر».

(٢) في (ر): «الكثرة».

(٣) التسكين أهل الحجاز، والكسر لأهل نجد. انظر: «الصحاح» للجوهري: (عشر).

(٤) في (ر) و(ف): «يتنازعون».

فـإذا أرادوا أن يَحملـوهُ ضربَـهَ موسـى فذهـب المـاءُ، وكان يَسـتَقِي منـه سـتُّ مئة ألفٍ وزيـادةٌ[١].

وقيل: كان الحجر رخاماً.

وقيل: كان كرأسِ شاةٍ.

وقوله: ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ﴾ وهاهنا مضمرٌ أيضاً؛ أي: قلنا لهم: كلوا مِن المَنِّ والسَّلوى، واشربوا من ماء[٢] عيون الحَجر، وهما ممَّا رزقَكم اللهُ تعالى؛ أي: أعطاكم.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْثَوْا۟﴾ العثِيُّ: أشدُّ الفساد. وقيل: المبالغة في الإفساد، وهذا من: عَثِيَ يَعْثَى، من باب عَلِمَ، وفيه لغتان أُخرَيان: عَثَى يَعْثُو، من حدِّ: دَخَل، وعاثَ يَعِيثُ، من حدِّ: ضَرَب[٣].

وقوله تعالى: ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: في التِّيهِ. وقيل[٤]: في الدُّنيا.

و﴿مُفْسِدِينَ﴾ نُصِبَ[٥] على الحال، أي: لا تبالغوا في الإفساد حالةَ الإفساد، ويَحتملُ التَّكريرَ للمبالغة، كما يقال: لا تظلِم زيداً جائراً عليه، والجورُ هو الظُّلم، فكذا العثِيُّ هو الإفسادُ. والأوَّلُ أوجه؛ لأنه أكثر معنى، ثمَّ معناه: كلوا واشربوا مِن رزقِنا، ولا تفسدوا في الأرضِ بظلم النَّاس بغصبِ أموالِهم ونحوِ ذلك.

---

(١) انظر: «تفسير الثعلبي» (١/ ٢٠٣).

(٢) لفظ «ماء» من (أ).

(٣) قوله: «من حد ضرب» من (أ).

(٤) بعدها في (ر): «أي».

(٥) في (ف): «نصبت».

وقيل: أي[(١)]: قابلوا نعمَنا بالشُّكر، ولا تكفروا، ولا تَدْعوا غيرَكم إلى الكفر؛ فإنَّه أبلغُ فسادٍ في الأرض.

وقيل: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ وهو صلاحُ البدن، ﴿وَلَا تَعْثَوْا﴾ وهو صلاحُ الدِّين؛ هيَّأ الأسبابَ، ثمَّ وجَّهَ الخطاب.

وقال القشيريُّ: أراد الحقُّ جلَّ جلالُه أن يكونَ كلُّ قومٍ ملازماً لحدِّه، غيرَ مزاحمٍ لصاحبِه، فأفردَ لكلِّ سِبْطٍ علامةً يَعرفون بها مشربَهم، فهؤلاء لا يَرِدونَ مشربَ الآخرين، والآخرونَ لا يردونَ مشربَ الأوَّلين.

وحين كفاهم[(٢)] ما طلبوا[(٣)]، أمرَهُم بالشُّكرِ وحِفظِ الأمرِ، وترك[(٤)] احتقابِ[(٥)] الوزرِ.

والمناهلُ مختلفةٌ، والمشاربُ متفاوِتةٌ، وكلٌّ يَرِدُ مشربَه؛ فمشربٌ عذبٌ فراتٌ، ومشربٌ ملحٌ أجاجٌ، ومشربٌ صافٍ زُلالٍ، ومشربٌ رَتْقٌ[(٦)] أوشال[(٧)]، وسائقُ كلِّ قومٍ يَقودُهم، ورائدُ كلِّ طائفةٍ يَسوقُهم[(٨)]؛ فالنُّفوسُ تَرِدُ مناهلَ الـمُنى

(١) لفظ: «أي» ليس في (أ).

(٢) في (ر): «آتاهم».

(٣) في (أ) و(ر): «طلبوه».

(٤) بعدها في (ر): «الارتكاب».

(٥) في مطبوع «لطائف الإشارات»: «اختيار» بدل: «احتقاب».

(٦) في (أ): «رنق»، وفي (ر): «ربق»، والمثبت من (ف)، وهو موافق لما في «لطائف الإشارات»، والرتق: ضد الفتق، وما في النسخة (أ) محتمل أيضاً، فالرنْق: الماء الكدر. انظر «الصحاح»: (رتق) و(رنق).

(٧) أوشال جمع وَشَل، وهو الماء القليل، ووَشَلَ الماءُ وَشَلاناً؛ أي: قطر. انظر: «الصحاح»: (وشل).

(٨) في (ر): «يقودهم».

والشهوات، والقلوبُ تَرِدُ مشاربَ التُّقى والطَّاعات، والأرواحُ تَرِدُ مناهلَ الكشفِ والمشاهدات، والسَّرائرُ تَرِدُ مناهلَ الحقائقِ بفناء الصفات[1].

وأفادت الآيةُ إباحةَ الخروج إلى الاستسقاء، ودلَّت على فضيلةِ أمَّة محمَّدٍ ﷺ؛ فإنَّ بني إسرائيلَ احتاجوا إلى الماء، فرجعوا إلى موسى ليسألَ، واحتاجوا إلى البَقْل والقثاء وسائرِ المأكولات، ففعلوا كذلك [2]، وهذه الأمَّة أُطلِقَ لهم أن يَسألوا اللهَ تعالى كلَّما احتاجوا إليه، قال تعالى: ﴿وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ [النساء: ٣٢]، وقال: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠].

وفيها بشارةٌ عظيمةٌ، سألَ موسى ربَّه الماءَ لقومه بقولِهم، وسأل عيسى ربَّه المائدةَ لقومه بقولِهم، وسأل نبيُّنا ﷺ المغفرةَ لنا بأمرِ الله تعالى، قال: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [محمد: ١٩]، فلمَّا أجابَ اللهُ تعالى لهما فيما سألاه بطلبِ القوم، فلأن يُجيبَ نبيَّنا[3] فيما سألَهُ لنا بأمرِه[4] أولى.

* * *

(٦١) ـ ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّۦنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ﴾.

---

(١) «لطائف الإشارات» للقشيري (١/ ٩٤ ـ ٩٥).

(٢) في (ف): «ذلك».

(٣) في (أ): «لنبينا». وبعدها في (ر): «محمد ﷺ».

(٤) في (ر): «بأمر الله كان» بدل: «بأمره».

وقوله تعالى: (﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا﴾): أي[1]: واذكروا أيضاً إذ قلتم: يا موسى لن نصبر؛ أي: لن نقدرَ على حبسِ أنفُسنا على نوعٍ واحدٍ من الطَّعام، وهو المنُّ والسَّلوى.

وإنما قالوا: ﴿عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ﴾ وهما اثنان؛ لأنَّهم كانوا يأكلونَ أحدَهما بالآخر، كما يُؤكَلُ الخبزُ باللَّحم.

وقيل: كان ينزلُ عليهم المنُّ وحدَهُ[2] أوَّلاً، ثمَّ ملُّوهُ، فأرسلت عليهم السَّلوى، فيجوز[3] أن يكونَ هذا الكلامُ منهم قبل نزولِ السَّلوى، يقولون: قد مللنا هذا وعزَفَت عنه نفوسُنا.

وقوله: ﴿فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾ أي: سلْهُ، وقولُه: ﴿يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا﴾ كلمة «مِن» في قوله: ﴿مِمَّا﴾ صلةٌ عند الأخفش[4]، ويجوز أن تكون للتبعيض، و«من» في قوله: ﴿مِنۢ بَقْلِهَا﴾ هو للتجنيس، وهو بعضُ الأجناسِ أيضاً[5].

ثمَّ جزم قوله: ﴿يُخْرِجْ﴾ لوجهين[6]:

أحدهما: على تقدير الجزاء، ومعناه: ادعُ لنا ربَّك، فإنَّك إنْ تَدعُ يُخْرجْ.

والثَّاني: ادعُ لنا ربَّك، وقل له: أخرج يخرجْ، وهو كقوله: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى

---

(١) لفظ: «أي» ليس في (ف).

(٢) في (ف): «واحدة».

(٣) في (ف) و(ر): «ويجوز».

(٤) انظر «معاني القرآن» للأخفش (١/ ١٠٥).

(٥) لفظ: «أيضاً» من (أ).

(٦) من قوله: «هو للتجنيس» إلى هنا ليس في (ف).

﴿يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [الإسراء: ٥٣]، وقوله: ﴿قُل لِّعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [إبراهيم: ٣١].

وقوله: ﴿مِنۢ بَقْلِهَا﴾ البقلُ: كلُّ ما يُؤكَلُ مِن الطَّعامِ مِن الخُضَر، وهو في الأصل كلُّ نبتٍ اخضرَّت به الأرضُ، قال الشاعر:

قومٌ إذا نَبَتَ الرَّبيعُ لَهُمْ ... نَبَتَتْ عَدَواتُهُمْ مَعَ البَقْلِ[1]

وقوله تعالى: ﴿وَقِثَّآئِهَا﴾ هو الخيار، وبضم القاف لغةٌ[2]، وهو قراءة يحيى بنِ وثَّابٍ[3] وطلحة والأشهب[4].

وقوله: ﴿وَفُومِهَا﴾ قال ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما وقتادةُ والسُّدِّيُّ: هو الحنطة[5]، قال أُحيحةُ بن الجلاح:

قد كنتُ أغنى النَّاسِ شخصاً واحداً ... وَرَدَ المدينةَ عن زراعةِ فوم[6]

---

(١) البيت في «تأويل مشكل القرآن» (ص٥٨٩)، و«المعاني الكبير» لابن قتيبة (٢/ ٨٩٥)، و«الصحاح»: (بقل) وغيرها دون نسبة، ونسبه الصاغاني ـ كما في «تاج العروس» للزبيدي: (بقل) ـ، وابن منظور في «اللسان»: (بقل) للحارث بن دوس الإيادي.

(٢) لفظ: «لغة»: ليس في (أ)، وبعده في (ف): «البقل». وهي هنا مقحمة.

(٣) في (أ): «وثاب».

(٤) انظر «تفسير الثعلبي» (١/ ٢٠٥)، والقراءة نسبها ابن خالويه في «مختصره» (ص١٣) ليحيى بن وثاب، ونسبها ابن جني في «المحتسب» (١/ ٨٧) ليحيى والأشهب، ونسبها النحاس في «إعراب القرآن» (١/ ٢٣١) ليحيى وطلحة.

(٥) أخرج أقوالهم الطبري في «تفسيره» (٢/ ١٦ ـ ١٧).

(٦) من قوله: «قال أحيحة بن الجلاح» إلى هنا ليس في (ف)، وورد في (ر) عقب قوله السالف: «قراءة يحيى بن وثاب وطلحة والأشهب». والبيت يرويه ابن عباس رضي الله عنهما عن أحيحة، أخرج =

وقال مجاهدٌ وعطاءٌ وابنُ زيدٍ: هو الخبز[(١)].

وقال قطرب: الفومُ: كلُّ عقدةٍ مِن البصل، وقطعةٍ مِن اللَّحم، وكلُّ لقمةٍ كبيرةٍ، ويقال: فوَّمتُ الشيءَ، إذا[(٢)] جعلتَه كذلك.

وقال الفرَّاء: يقال: فوموا لنا، أي: اختبزوا[(٣)].

وقال الرَّبيعُ بنُ أنسٍ والكسائيُّ: هو الثُّوم[(٤)]، وفي قراءة أبيٍّ وابن مسعودٍ رضي الله عنهما بالثاء[(٥)] وقال أميَّةُ بنُ الصَّلت[(٦)]:

كانت منازلُهُمْ إذْ ذاكَ ظَاهِرَةً   فِيها الفَرَادِيسُ والفومانُ[(٧)] والبَصَلُ[(٨)]

= روايته الطبري في «تفسيره» (٢/ ١٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ١٢٣) (٦١٤) وأوردها الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ١٢٨) وغيره، ونسبه الأصفهاني في «الأغاني» (١٩/ ٢) لأبي محجن الثقفي، وروايته عنده:

قد أحسبني كأغنى واحد   ورد المدينة عن زراعة فول

(١) أخرج أقوالهم الطبري في «تفسيره» (٢/ ١٦ ـ ١٧).

(٢) لفظ «إذا» من (أ).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٤١).

(٤) انظر «النكت والعيون» للماوردي (١/ ١٢٩).

(٥) نسبها ابن خالويه في «مختصره» (ص١٤)، وابن جني في «المحتسب» (١/ ٨٨) لابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهم. وهي عن أبي وابن مسعود في «زاد المسير» لابن الجوزي (١/ ٨٩).

(٦) بعدها في (ر): «شعر».

(٧) في (ر): «والثومان».

(٨) انظر: «ديوان أمية» (ص: ٩٨). والفردوس: البستان، وكرمٌ مفردس، أي: معرَّش. «الصحاح»: (فردوس). وقال ابن منظور في «اللسان»: (فوم): ويروى: الفراريس، وهو البصل، وفومان جمع فوم.

فمَـن قـال: هـو الثوم، قـال: ذِكْرُ البصلِ فـي الآية يدلُّ علـى أنَّه هو المـرادُ؛ فإنَّه مِـن جنسـه، ومَن جعلَه بمعنـى الخبـز أو[1] الحنطة، قـال: ذِكْرُ العدسِ يـدلُّ على أنَّه هو المـراد؛ لأنَّه مِن جنسـه.

وقوله: ﴿وَعَدَسِهَا﴾ هو حبٌّ معروفٌ، وقوله: ﴿وَبَصَلِهَا﴾ هو معروفٌ أيضاً.

وقوله تعالى: (﴿قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ﴾): هذا استفهامٌ بمعنى الإنكار؛ أي: أتسألون الأردأ بدلاً عن الأعلى، من: دنا يَدنو؛ أي: قَرُب؛ أي: هو أقلُّ قيمةً، يقال: ثوبٌ مقارِبٌ؛ أي: قليلُ القيمة، ومعناه أنَّه إذا كثُر[2] ثمنُه ارتفعَ، وإذا قلَّ اتَّضَع، والدَّناءةُ: الرَّداءة، وهو دنيءٌ؛ أي: رديءٌ خسيس.

وبه يَستدِلُّ مَن حملَ الفومَ على الثُّوم أنَّه وَصَفَ بأنَّه دونٌ[3]، والحنطةُ ليست كذلك، وكذا وَصَفَ بِقلَّةِ القيمة، وليست الحنطةُ كذلك.

وأجابَ الآخرون أنَّ الحنطةَ بمقابلة المنِّ والسَّلوى أوضعُ رتبةً، وأقلُّ قيمةً.

ووجهٌ آخرُ أنْ يكون معنى[4] أدنى: أقربَ وأسهلَ وجوداً، وهو ممَّا يُشاركُكُم في وِجدانِه أكثرُ النَّاس، فيستبدلون[5] هذا بالرَّفيعِ الجليلِ الذي يَعزُّ[6] وجودُه وهو ممَّا يَختصُّون به، وهو معنى ما قاله قطرب.

---

(١) في (أ): «و».

(٢) في (أ): «ذكر».

(٣) في (أ): «ردي».

(٤) في (ر) و(ف): «معنى».

(٥) في (أ): «يستبدلون».

(٦) في (ر): «يعسر».

وقوله تعالى: ﴿ٱهۡبِطُواْ مِصۡرٗا﴾ المصرُ: كلُّ كُورةٍ يقام فيها الحدود ويُغزَى فيها الثغورُ، ويُقسَم فيها الأموال من الفيء والصَّدقات مِن غيرِ مؤامرة الخليفة.

وقيل: هو مشتقٌّ من القطع، يقال: مَصَرَ الشَّيءَ[1] يَمصِرُهُ؛ أي: قطعَهُ، سُمِّيَ به لانقطاعه عن الفضاء بالعِمارة.

ثمَّ اختلفَ أنَّه بلدٌ بعينه، أو بلدٌ من البلاد:

قال الحسنُ وأبو العالية والرَّبيعُ: هو مصرُ فرعون الذي خرجوا منه[2]، قال تعالى: ﴿كَمۡ تَرَكُواْ مِن جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ﴾ [الدخان: ٢٥] إلى قوله تعالى: ﴿وَأَوۡرَثۡنَٰهَا قَوۡمًا ءَاخَرِينَ﴾ [الدخان: ٢٨]، وقال تعالى: ﴿وَأَوۡرَثۡنَٰهَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ [الشعراء: ٥٩].

وقيل: أراد به بيت المقدس، قال تعالى: ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ﴾ [المائدة: ٢١]، وعلى هذا إنَّما نوَّنهُ هاهنا لأنَّه أرادَ به البلد[3]، وهو مذكَّرٌ، ولم ينونه في قوله: ﴿وَقَالَ ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ﴾ [يوسف: ٩٩]؛ لأنَّه أراد به البلدة، وهي مؤنَّثةٌ، فلمَّا[4] اجتمعَ التَّعريفُ والتَّأنيث امتنعَ الصَّرفُ، وفي الأول لم يجتمعا.

وقيل: أراد به مِصراً من الأمصار غيرَ معيَّنٍ[5]؛ لأنَّ ما سألوهُ مِن البقل ونحوِه لا يكون إلَّا في الأمصار، وهذا قولُ قتادةَ والسُّدِّيِّ ومجاهدٍ وابنِ زيدٍ[6].

ثـمَّ معناه عنـدَ بعضهم: انزلوا بعـضَ الأمصـار إن كنتُم تريدونَ هذه الأشـياء؛

---

(١) في (ف): «الفيء».

(٢) انظر: «النكت والعيون» (١/ ١٢٩)، ورواه الطبري (٢/ ٢٤) عن أبي العالية والربيع.

(٣) في (ر) و(ف): «البلدة».

(٤) في (ر) و(ف): «فلما».

(٥) في (أ): «عين».

(٦) انظر: «النكت والعيون» (١/ ١٢٩). وأخرج أقوالهم الطبري (٢/ ٢٢ ـ ٢٣).

لأنَّكـم فـي البَرِّيَّـةِ، فلا يوجـدُ فيها مـا تَطلبون، وإنَّمـا يوجدُ ذلك فـي الأمصار.

وقيل: معناه: إذا نزلتُم في بعضِ الأمصار وجدتُم هذه الأشياء، ولم يَكن أمرَ بذلك للحال؛ لأنَّهم كانوا في التِّيهِ وقد كانت ضُرِبَت لهم مدَّةٌ عقوبةً لهم.

وقال القائل بهذا القول[١]: إنَّهم لم يَخرجوا مِن التِّيه.

وقيـل: هذا أمرُ تعجيـزٍ؛ أي: إن قَدَرتُم على النُّـزول[٢] فانزلوا مصراً تجدوا فيه هـذه الأشـياء، وهو كقولـه تعالـى: ﴿قُلْ كُونُواْ حِجَارَةً﴾[٣] [الإسـراء: ٥٠]، وقولِه تعالى: ﴿قُلْ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ﴾[٤].

ذكرَ[٥] القفَّالُ هذه الأقاويل، ثم قال: ويجوزُ أن يكونَ في مسيرِهم في تلك المفازة قرىً غير القرى التي كانوا وُعِدوها لم يُنهَوا عنها، فكان قولُه: ﴿مِصْـرًا﴾ إشارةً إلى ذلك، وقد[٦] تسمَّى القريةُ مِصراً، كما يُسمَّى المصرُ قريةً؛ توسُّعاً، و[٧]لأنَّ الاسمينِ لمُجتمع النَّاس من البنيان.

وقال الكلبيُّ: ﴿ٱهْبِطُواْ مِصْـرًا﴾ أي: مصرَ فرعون التي خرجتُم منها، فإنَّ فيها هذا، فارجعوا إليها، فكرِهوا ذلك، فضُرِبت عليهم الذِّلَّةُ والمسكنةُ.

والأظهـرُ أنَّهـم لم يُؤمروا بهبـوط مصر فرعون؛ فإنه قـال: ﴿يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُواْ ٱلْأَرْضَ

---

(١) في (أ): «والقائل بهذا القول يقول» بدل: «وقال القائل بهذا القول».

(٢) قوله: «على النزول»: ليس في (أ) و(ف).

(٣) بعدها في (أ): «أو حديداً».

(٤) في (أ): «فاتوا بسورة» بدل: «قل فأتوا بعشر سورٍ مثله مفترياتٍ».

(٥) في (أ): «و».

(٦) في (ف): «فقد».

(٧) في (أ): «أو».

﴿ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ الآية [المائدة: ٢١]، فلم يكن لهم الرُّجوعُ إلى مصر فرعون[١]، ويكونُ معنى قوله: ﴿كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا﴾[٢] أي: أسكنَّاها بني إسرائيل[٣] بعدَ هلاكِ فرعونَ وآلِه، لا أن يكونوا سكنوها، ويكونُ هذا أمراً بهبوط مصرٍ مِن أمصارِ الأرض المقدَّسة.

وقد قيل: إنَّ موسى صلواتُ الله عليه سألَ اللهَ تعالى ذلك، فأُجيب بهذا، فكان[٤] قوله: ﴿ٱهْبِطُواْ مِصْرًا﴾ أمراً من الله تعالى.

وقيل: لم يَسأل ذلك، بل ردَّهم بقوله تعالى: ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ﴾[٥]، ثمَّ قال هو بنفسه: ﴿ٱهْبِطُواْ مِصْرًا﴾.

وقيل: هذا الأمر ـ وهو قوله: ﴿ٱهْبِطُواْ مِصْرًا﴾ ـ كان بعد موت موسى وهارون عليهما السلام، وانقضاءِ مدَّةِ التِّيه، والهبوطُ: النزول، فيَحتملُ أنَّ التِّيهَ كان في صعودٍ، والمصرَ في هبوطٍ، ويَحتمل أن يكون الهبوطُ مطلقَ النُّزول.

وقوله تعالى: (﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ﴾): الذِّلَّةُ: نقيض العزَّة، والمسكنةُ: الفقر.

وقيل: هذا موصولٌ بقوله: ﴿فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ﴾؛ أمرَهم بدخول القُرى لطلب الأشياءِ التي سألوها، ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ﴾ أي: تذليلُ الأنفسِ في الأعمال المهينة، كالحِراثة ونقلِ العَذِرَة، وذُلِّ الكسب، والأوَّلُ كان يأتيهم مِن غير كسبٍ، وقد

---

(١) قوله: «الآية فلم يكن لهم الرجوع إلى مصر فرعون» من (أ).

(٢) بعدها في (أ) «بني إسرائيل».

(٣) في (أ): «ملكناها» بدل من «أسكناها بني إسرائيل».

(٤) في (أ): «وكان».

(٥) بعدها في (أ) «الذي هو أدنى»، وفي (ر): «الذي أدنى بالذي هو خير».

قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ الآية [الأعراف: ٩٦]، فحُرِمَ هؤلاء ذلك، وامتُحِنوا بهذا لعصيانهم، وقوله تعالى: (﴿وَبَاءُو بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ﴾): هذا مبتدأ على هذا القول، أي: استحقُّوا غضبَ الله بقتلِ الأنبياء بعد ذلك، وعصيانِهم وعدوانِهم.

وقيل: ابتداءُ الكلام الآخر مِن قوله: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ﴾، وانتظامُهُ بما قبله أنَّ موسى عليه السلام سأل اللهَ لهم ذلك لـمَّا أبوا ما اختارَهُ اللهُ لهم، فأعطاهم عاجلَ ما سألوا، كما قال: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾ [الشورى: ٢٠]، ثم نزل[١] أولادُ هؤلاء البلادَ المقدَّسةَ التي كتبَ اللهُ لهم، فلم يزل يفسدون في الأرض، ويَعصون، ويَعتدون، ويَقتلون النَّبيِّين، حتى عاقَبهمُ الله تعالى بتسليطِ طَطوس بن أسبسيانوس[٢] الرُّوميِّ، بعدما سلَّطَ عليهم في الكرَّة الأولى بخت نصَّر، حتَّى خرَّب بيتَ المقدسِ، وسَبى أهلَهُ، وتبدَّدَ نظامُهم، وتشتَّتوا في البلاد، ليس لهم ملكٌ يضمُّهم، ولا رئيسٌ يجمعهم، فضُرِبَت عليهم الذِّلَّةُ والمسكنةُ، فصاروا مستضعَفين محتَقرين مساكينَ، بعدما كانوا ملوكاً، وورِثوا أرضَ مصرَ، والشَّامَ، وبلاد الجبابرة.

ثمَّ قولُهُ: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ﴾ أي: أُلصِقَت بهم، وأُلزِموها، وأُدِيمَت لهم، يقال للشيء الدائم: هذا ضربةُ لازمٍ ولازبٍ، وضُرِبَ عليهم البعثُ[٣]؛ أي: ألزموه وفُرِضَ[٤] عليهم.

---

(١) في (ف): «نزلت»، وفي (ر): «نزلوا».

(٢) كذا في (أ)، واسمه في (ف): «طرطوس بن استيانوس»، وفي (ر): «طرطوس بن استسيانوس». واسمه في «البدء والتاريخ» للمطهر المقدسي (٤/ ١٢٩): «ططوس بن استيانوس».

(٣) في (ف) و(ر): «البعث». وهو تحريف. انظر «المغرب في ترتيب المعرب» للمطرزي: (بعث).

(٤) في (ر): «وأفرض»، وفي (ف): «فأفرض».

والذِّلَّةُ: فرضُ الجزية عليهم في قول الحسن وقتادة(١).

والمسكنةُ: الفاقة، في قول أبي العالية، وفقر النَّفس، في قول السُّدِّيِّ(٢).

وقيل: هي التَّعبُ والمشقَّةُ في تحصيلِ هذه الأشياء التي سألوها.

وقيل: الذِّلَّةُ: الشُّحُّ، والمسكنةُ: الحرص.

وقيل: هذا ما أوعدَهم اللهُ تعالى به في قوله تعالى: ﴿لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ [الأعراف: ١٦٧]، وهو نبيُّنا المصطفى عليه السلام، فأجلى بني النَّضير، وقتلَ بني قريظة، ووقعوا بالشَّام، فضُرِبَت عليهم الجزية(٣).

والمسكَنةُ مفعلةٌ مِن السُّكون(٤) هي الفقرُ الذي يَسكنُه عن الحركاتِ في التَّصرُّفات، ويقال: تَسكَّن وتمسكن، كما يُقال: تَدَرَّعَ وتَمَدْرَعَ، وهذا أسكنُ مِن فلانٍ؛ أي: أشدُّ مسكنةً(٥)؛ لأنَّ الميمَ زائدةٌ، فيجوزُ إسقاطُها في الأفعل.

وقيل: المسكنةُ: فقرُ النَّفس، ولا يوجدُ يهوديٌّ موسِرٌ أو(٦) معسرٌ غنيَّ النَّفس، تاركاً لما يدلُّ على مسكنتِه وخشوعِه وفقرِ نفسِه.

وقوله: ﴿وَبَاءُو بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ قيل(٧): احتملوه، وقيل: انصرفوا عنه، وقيل:

---

(١) رواه قولهما الطبري (٢/ ٢٦).

(٢) أخرج قوليهما الطبري (٢/ ٢٧)، ونقل المصنف هذه الأقوال عن «النكت والعيون» للماوردي (١/ ١٢٩).

(٣) في (ف): «الذلة».

(٤) بعدها في (أ): «فالمسكنة».

(٥) بعدها في (ر): «منه».

(٦) في (ر) و(ف): «ولا».

(٧) في (أ): «أي».

استحقُّوه، وقيل: أقرُّوا به، وقيل: لازموه، وهو الأوجه. يُقَال: بوأْتُه منزِلاً، فتبوأَهُ؛ أي: ألزمتَهُ إيَّاهُ فلزِمَهُ[١].

وقوله تعالى: (﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾): أي: ضَربُ الذِّلَّةِ والمسكنةِ واستحقاقُ الغضبِ بسبب كفرِهم بآيات[٢] الله، وهي التوراة؛ لاستحلالهم ما حرَّم اللهُ فيه.

وقوله تعالى: (﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾): زكريا ويحيى وغيرَهما.

وقوله تعالى[٣]: (﴿بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾): قيَّدهُ بهذا الوصف تأكيداً، كما في قوله تعالى: ﴿لَا تَتَّخِذُوٓا۟ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾ [النحل: ٥١]، وقولِه: ﴿وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ [الأنعام: ٣٨]، ﴿وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦]، وقولِه تعالى: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم﴾ [آل عمران: ١٦٧]، وتحقيقُه: كانوا يَقتلون الأنبياءَ، وقتلُ الأنبياءِ قتلٌ يكون بغيرِ حقٍّ على كلِّ[٤] حالٍ.

وقال القفَّال: ﴿يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ أي: بالمعجزاتِ التي أجراها على أيدي الأنبياء، (ويقتلون النبيين﴾ وكانوا يقولون: هذه تمويهاتٌ، وليست من الله تعالى، وهؤلاء كاذبون، ونقتلُهم بهذا السبب، مِن غير أن يُقيموا حجَّةً على كذبهم، وأنَّهم يقتلونهم لذلك[٥]. وهذا وجهٌ حسنٌ.

وقوله تعالى: (﴿ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟﴾): أي: ذلك الكفرُ بشؤمِ عصيانِهم.

---

(١) في (ف) و(أ): «فالتزمه».

(٢) في (أ): «بكتاب».

(٣) «وقوله تعالى:» ليس في (أ).

(٤) في (أ): «بكل» بدل من «على كل».

(٥) في (ف): «يقتلون كذلك».

وقوله تعالى: (﴿وَكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ﴾): أي: بمجاوزتِهم الحدَّ[١]، وذلك يكونُ في كلِّ خلافٍ، وقد قال أيضاً: ﴿ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ﴾ [البقرة: ٦٥] وذلك بأخذِ الصيدِ في يومِ النَّهي، وعصيانُهم كان من العلماء والعامَّة بما قال: ﴿لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ﴾ [التوبة: ٣٤]، وقال تعالى: ﴿لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ﴾ [المائدة: ٦٣]، وقال: ﴿يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ﴾[٢] [المائدة: ٦٢]، وقال تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾[٣] [الأعراف: ١٦٩].

وقال القشيريُّ رحمه الله: إنَّ بني إسرائيل لم يَرضوا بحسنِ اختيارِ الله تعالى لهم، ولم يَصبروا على قيامِه بتولي ما كان يُهِمُّهُم مِن كفايةِ مأكولِهم وملبوسِهم، فنزلوا في التَّحيُّرِ إلى ما جَرَت عليه عادتُهم مِن أكل الخسيس من الطَّعام، والرِّضا بالدُّونِ مِن الحالِ، فردَّهُم إلى مقاساة الهوان، ورَبَطهُم بإقامة الخُذلان، حتى سفكوا دماءَ الأنبياء، وهَتكوا حرمةَ الأمرِ بقلَّة الاستحياء وترك الارعواء[٤]، فعاقَبهم على قبيحِ أفعالهم، وردَّهم إلى ما اختاروهُ لأنفسِهم مِن خسائس أموالهم. وحين لم تَنجَع فيهم النَّصيحةُ أدركتهمُ النِّقمة والفضيحة، وكان بنو إسرائيلَ متفرِّقي الهموم، مُتَشتِّتي القُصُود[٥]، لم يَرضوا لأنفسِهم بطعامٍ واحدٍ، ولم يكتفوا في دينِهم بمعبودٍ واحدٍ، حتى قالوا لموسى حين رأوا قوماً يعبدون الصَّنم: ﴿يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا

(١) في (ر): «الحدود».

(٢) «وقال: ﴿يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ﴾» من (أ).

(٣) في (أ): «الآية» بدل: «واتبعوا الشهوات».

(٤) بعدها في (ر): «الامتناع».

(٥) في (ف): «الفهوم».

لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ [الأعراف: ١٣٨]، وهكذا صفةُ أربابِ التَّفرقةِ، والصَّبرُ معَ الواحد الأحد ليس أمرَ كلِّ أحد، قال تعالى: ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا﴾ [الإسراء: ٤٦][1].

* * *

(٦٢) ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

ثمَّ ختمَ هذه الآيةَ بذكرِ الكفر والمعصية، وذكر بعدها آيةً فيها ذِكْرُ الإيمان والطَّاعة، وهي قولُه تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟﴾ هم اليهود، وسمُّوا به لأنَّهم هادوا عن الحقِّ؛ أي: مالوا، وقيل لقولهم[2]: ﴿هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾، وقيل: لأنَّهم ولدُ يَهودا، وهو أكبرُ أولادِ يعقوب، وحولت الذال دالاً؛ لتغييرها عن[3] العبرانيَّة إلى العربيَّة.

وقولُه تعالى: ﴿وَٱلنَّصَٰرَىٰ﴾ واحدهم: نصرانيّ، وسمُّوا به لتَناصُرِهم وتعاونِهم فيما بينهم على إقامة ملَّتهم، وقيل: لنصرهم[4] عيسى عليه السلام، قال تعالى: ﴿مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٥٢].

وقال ابنُ جريج وقتادة: سمُّوا به لأنَّهم مِن قريةٍ تُسمَّى ناصرة، كان ينزلُها عيسى عليه السلام[5].

---

(١) «لطائف الإشارات» للقشيري (١/ ٩٥ ـ ٩٦).

(٢) في (ف): «كقولهم». وبعدها في (أ): «إنا».

(٣) في (أ): «من».

(٤) في (ر): «لنصرتهم».

(٥) انظر: «النكت والعيون» (١/ ١٣٢)، ورواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٣٣) عن ابن جريج.

والنَّصارى في القياس جمع نَصْرَان، كالنشاوى جمع نشوان[١]، والنَّدامى جمع ندمان، وهو قولُ سيبويه[٢]، والمستعمل هو: النصراني، بزيادة ياء التشبيه، والأصل الأول، قال الشاعر:

تَـراهُ إذا دَارَ[٣] الـعَـشِيُّ مُـحَـنِّـفـاً[٤] ... ويُضحِي لديهِ وَهْوَ نَصْرانُ شَـامِسُ[٥]

وقال آخر:

فكلتاهمـا خـرَّتْ وأَسْـجَدَ رأسُـهـا ... كما سَـجَدَتْ نَصْرَانَـةٌ لـم تَحَنَّـفِ[٦]

وقيل: النَّصارى جمعُ: نصري كالـمَهَارى جمعُ مَهْرِيّ، قاله الخليل[٧].

وقوله تعالى: ﴿وَٱلصَّٰبِـِٔينَ﴾ يقال: صبأ[٨] صبوءاً، إذا خرجَ مِن دينٍ إلى دين،

---

(١) في (ر): «كالشتاوى جمع شتوان» وفي (ف): «كالستاوى جمع ستوان». والمثبت من (أ)، وهو موافق لما في «تفسير الطبري» (٢/ ٣٢).

(٢) انظر «الكتاب» (٣/ ٢٥٥).

(٣) في (ر): «جاء».

(٤) في (ف): «العشا متحنفاً».

(٥) البيت دون نسبة في «تفسير الطبري» (٢/ ٣٣)، و«الأضداد» لابن الأنباري (ص: ١٨١)، و«المحرر الوجيز» لابن عطية (١/ ١٥٧).

قال الشيخ محمود شاكر في تعليقه على «تفسير الطبري» (٢: ١٤٤): والبيت في صفة الحرباء. و«محنفاً» قد تحنَّف أو صار إلى الحنيفية، ويعني أنه مستقبل القبلة، وقوله: شامس. يريد: مستقبل الشمس قبل المشرق. يقول: يستقبل الشمس كأنه نصراني.

(٦) ذكره سيبويه في «الكتاب» (٣/ ٢٥٦، ٤١١)، ونسبه في الموضع الثاني لأبي الأخزر الحمَّاني. وهو دون نسبة في «معاني القرآن» للزجاج: (١/ ١٤٧)، و«الصحاح»: (نصر).

(٧) انظر: «الكتاب» لسيبويه (٣/ ٤١١).

(٨) بعدها في (ر): «يصبو».

سمُّوا به لأنَّهم خرجوا من دينِ اليهوديَّة والنَّصرانيَّة، وخالفوهما[١]، وقد صبأ النَّجمُ، إذا[٢] مال عن جهته، وصبأ نابُ البعيرِ، إذا خرج. ومَن تركَ همزَهُ[٣] فهو[٤] من: صبا يَصْبُو صبوةً، إذا مالَ.

وقيل: هم قوم[٥] نجران[٦]، يعبدون النُّجومَ، ويُقِرُّون بالصَّانِع، والمعاد، ويؤمنون ببعض[٧] الأنبياء.

وقيل: هم من المانويَّة[٨].

وقال قتادة: الصَّابئون: فرقةٌ يَعبدون الملائكة، ويصلون إلى الكعبة، ويقرؤون الزَّبورَ.

وقال السُّدِّيُّ: هم طائفةٌ مِن أهل الكتاب.

وقال مجاهدٌ: الصَّابئون بين المجوسِ واليهود، لا تُؤكَلُ ذبائحُهم، ولا تُنكح نساؤهم، وهو قولُ الحسن البصريِّ[٩].

---

(١) في (ر) و(ف): «وقد خالفوهما».

(٢) في (ف): «أي».

(٣) في (أ): «الهمزة».

(٤) في (ر): «جعله» بدل: «فهو»، وليس في (ف).

(٥) بعدها في (أ): «من».

(٦) بعدها في (أ): «كانوا».

(٧) في (أ): «وببعض»، وفي (ر): «وبعض» بدل: «ويؤمنون ببعض».

(٨) المانوية: أصحاب ماني بن فاتك الحكيم، ظهر بعد عيسى ابن مريم عليه السلام، أحدث ديناً بين المجوسية والنصرانية، وكان يقول بنبوة المسيح عليه السلام، ولا يقول بنبوة موسى عليه السلام، وزعم أن العالم مركب من أصلين قديمين، أحدهما: نور، والآخر: ظلمة. انظر: «الملل والنحل» للشهرستاني (٢/ ٥٢).

(٩) أقوال قتادة والسدي ومجاهد والحسن رواها الطبري (٢/ ٣٦ ـ ٣٧).

وبه أخذ أبو يوسف ومحمَّدٌ رحمهما الله، وقالوا: هم يعبدون الملائكة و[١] الكواكب، فكانوا كعبدة الأصنام، وقال أبو حنيفة رحمه الله: إنَّهم[٢] كأهل الكتاب في حلِّ ذبائحِهم، ونكاحِ بناتِهم؛ لأنَّهم يَقرؤون الزَّبورَ، ويُعظِّمونَ الكواكبَ تعظيمَ القِبلة؛ لتوجُّهِهم إليها في صلاتهم[٣].

وقوله تعالى: ﴿مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ﴾ أي: مَن آمنَ منهم؛ أي: مِن اليهود والنَّصارى والصابئين. وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ أي: مِن مُشرِكي العرب وغيرِهم، ومن آمن من هؤلاء الفرق الثلاثة بالله وبالقيامة؛ أي: صدَّق بكونها[٤].

وقوله تعالى: ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ مرَّ تفسيره.

وقوله تعالى: ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ أي: ثوابُ إيمانِهم وعملِهم الصَّالح، سمَّاه أجراً؛ لأنَّه جعلَهُ جزاءَ عملهم[٥] بوعدِ[٦] الحقِّ؛ فضلاً منه، فسكَّنَ قلوبَهم لوجودِه لا محالة، كما يجدُ الأجيرُ أجرَه لاستحقاقه ذلك بعملِه، وهذا ينالُه بعملِه بوعد الله، لا باستحقاقه، أخبرَ أنَّ هؤلاء إذا آمنوا وعملوا الصَّالحات، لم يؤاخذوا بمتقدِّمِ[٧] فعلِهم، ولا بفعلِ آبائهم، ولا يُنقَصون مِن ثوابهم.

---

(١) قوله: «الملائكة و» ليس في (أ).

(٢) في (أ): «هم».

(٣) انظر: «المبسوط» للسرخسي (٤/ ٢١١).

(٤) في (ف): «بكونهما».

(٥) في (ف) و(ر): «عمله».

(٦) في (ر): «بوعده».

(٧) في (أ): «بما تقدم من».

وقوله تعالى: ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ أي: لا يخافون أن تبطلَ[1] لهم حسنةٌ.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ أي: بفوتِ ثوابِها.

وقيل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ في عصر الرَّسول، ﴿وَالَّذِينَ هَادُوا﴾ كانوا على دينِ موسى وفي زمانه، وماتوا على ذلك، ولم يُبدِّلوا، ﴿وَالنَّصَارَىٰ﴾ الذين كانوا على دينِ عيسى عليه السَّلام، وماتوا ولم يبدِّلوا، ﴿وَالصَّابِئِينَ﴾ على هذا التأويل: قومٌ كان لهم دينٌ حقٌّ سوى اليهوديَّة والنَّصرانيَّة، بأن كانوا على اتِّباعِ رسولٍ وكتاب، من آمن منهم؛ أي: ثبتَ على إيمانِه، ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ على موافقةِ إيمانِه، فلهم أجرُ إيمانِهم وعملِهم الصَّالح، ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ مِن العقوبة، ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ بفوت الجنة.

وقال القتبيُّ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي: بألسنتِهم دون قلوبهم، وهم المنافقون واليهودُ والنَّصارى والصابئون[2]، ﴿مَنْ آمَنَ﴾؛ أي: من أخلص مِنهم وآمنَ بشرائط الصحة، فله الأجر، وزوال الخوفِ والحزَن، وقوله: ﴿مَنْ آمَنَ﴾ ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ ذُكر على الوحدان[3] لظاهر كلمة ﴿مَنْ﴾، وقال: ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ على الجمع؛ لأنَّ معناه معنى الجمعِ، فإنَّه اسمٌ صالحٌ للواحد والجماعة.

* * *

(٦٣) - ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

---

(١) في (ف): «نبطل».

(٢) انظر: «تأويل مشكل القرآن» لابن قتيبة (ص: ٤٨٢).

(٣) في (ف): «الواحد».

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ﴾ أي: واذكروا أيضاً ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ﴾ أي: العهدَ بالانقيادِ لموسى عليه السلام فيما يخبرُكم به، وقبلتموه، وخرجتُم معه مِن مصرَ، فقرَّبناهُ نجِيًّا، وأعطيناهُ الألواحَ فيها التوراةُ، فأتاكُم بها، فلم تقبلوها، وقلتم: هي شديدةٌ لا نطيقُها، فرفعنا فوقكم الجبل، وهو قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ﴾ وهو الذي ذكرَهُ في قوله: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ﴾ الآية [الأعراف: ١٧١].

و﴿وَٱلطُّورِ﴾: الجبل، وقيل: هو يقعُ على كلِّ جبل(١).

وعن ابن عبَّاس رضي الله عنهما أنَّ الطُّورَ هو(٢) الجبل الـمُنبِتُ(٣).

وقيل: هو(٤) جبلٌ فيه أشجار.

وقيل: هو جبلٌ بعينِه، واختُلِفَ في ذلك العين(٥):

قيل: هو الجبلُ الذي كان موسى عليه السَّلام(٦) عليه حين كلَّمهُ اللهُ تعالى وأنزلَ عليه الألواح(٧).

وقيل: هو جبلٌ مِن جبالِ فلسطين، انقلعَ مِن أصلِه وقَام على رؤوسِهم مثلَ الظُّلَّةِ(٨)، وكان العسكرُ فرسخاً في فرسخ، والجبلُ كذلك.

---

(١) هو قول مجاهد وقتادة، رواه عنهما الطبري في «تفسيره» (٢/ ٤٩).

(٢) في (أ): «أنه» بدل من «أن الطور هو».

(٣) رواه الطبري (٢/ ٥١)، وابن أبي حاتم (١/ ١٢٩) (٦٥١).

(٤) بعدها في (أ): «كل».

(٥) في (ر): «الجبل».

(٦) بعدها في (ر): «يخاطب الله تعالى».

(٧) هو قول ابن عباس رضي الله عنهما. رواه عنه الطبري (٢/ ٥٠).

(٨) نسبه الثعلبي في «تفسيره» (١/ ٢١١) لابن عباس رضي الله عنهما.

وقيل: خمسة فراسخَ في خمسةِ فراسخ.

وأوحى اللهُ تعالى إلى موسى: إن قَبِلوا التَّوراةَ وإلَّا رميتُهم بهذا الجبلِ فرضختُهم به، فلمَّا رأوا ألَّا مهربَ لهم قبِلوا ما فيها، وسجدوا مِن المهابةِ على أنصافِ وجوههم؛ لأنَّهم كانوا يُلاحظونَ الجبلَ، وكذلكَ تسجدُ اليهودُ لذلك[1].

وقوله تعالى: ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ وَٱذۡكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ أي: جِدٍّ ومواظبةٍ، و﴿خُذُواْ﴾ بمعنى: اقبلوا.

وقيل: بقوة؛ أي: باقتدارٍ ونشاطٍ وأداءٍ لما فُرِضَ عليكم.

وقيل: أي: أعطيناكُم قوَّة ذلك، وهي سلامةُ الآلات، فخذوهُ بتلك القوَّة.

وقوله: ﴿وَٱذۡكُرُواْ مَا فِيهِ﴾ قيل[2]: أي: ادرسوهُ لِتَرِقَّ قلوبُكم، ولِتذكروا به الوعدَ والوعيدَ. ويَحتملُ ﴿وَٱذۡكُرُواْ مَا فِيهِ﴾ أي: احفظُوه ولا تَنسوه، ويجوزُ إرادةُ المعنيين جميعاً.

وقوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ أي: لتَصيروا متَّقين، وعن النَّارِ متوقِّين.

ثمَّ قولُه: ﴿خُذُواْ﴾ فيه مضمرٌ؛ أي: وقلنا لهم: خذوا، وهذا اختصارٌ يدلُّ عليه سياقُ الكلام، ولأنَّ ذكرَ الميثاقِ يَقتضيهِ، كأنَّه قال: واثقناكم أن خذوا.

ثمَّ قولُه: ﴿مِيثَٰقَكُمۡ﴾ وُحِّدَ وإنْ أُضِيفَ إلى الجمعِ، ولم يقل: مواثيقكم؛ لأنَّ المرادَ ميثاقُ كلِّ واحد؛ أي: أخذنا مِنْ كلِّ واحدٍ منكم ميثاقَهُ، كما قال: ﴿ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا﴾ [الحج: ٥]؛ أي: كلَّ واحدٍ.

---

(١) في (ر): «فلذلك سجد اليهود كذلك»، وفي (ف): «وكذلك سجد اليهود لذلك» بدل: «وكذلك تسجد اليهود لذلك».

(٢) لفظ: «قيل» من (أ).

وقيل: أخذَ على الكلِّ ميثاقاً واحداً؛ أي: كان ميثاقُ كلِّ واحدٍ ما كان ميثاقَ الآخرين.

وقال القفَّال: ويَحتملُ أن يكون أخذُ الميثاقِ مع رفعِ الطور معاً، والواو للجمع، ويَحتملُ أن يكون أخذُ[1] الميثاق مقدَّماً[2]، ولـمَّا نقضوهُ رَفعَ الطُّور فوقَهم، ودليل الأول قوله تعالى: ﴿وَرَفَعۡنَا فَوۡقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمۡ﴾ [النساء: ١٥٤]، ودليلُ الثَّاني أنَّه يجوزُ أن يكون معناه: بميثاقهم؛ أي: لميثاقهم[3] الذي نقضُوه؛ أي: بسبب[4] ذلك رفعنا فوقَهم الطُّورَ.

ثمَّ هذه الحادثةُ كانت قبلَ التِّيهِ والأمرِ بدخولِ قرية أريحا، وإنَّما ذُكِرَت بعدَهما لأنَّ القصَّةَ واحدةٌ، وهذا[5] تعدادُ مِننٍ[6] كانت لله تعالى على أسلافِهم[7]، ويجوزُ ذلك على التَّرتيب وغيرِ التَّرتيب؛ لأنَّ المرادَ تذكُّرهم بما كان منهم[8]، وهو حاصلٌ كيفَ ذكره[9].

ثمَّ رفعُ الجبل ليَقبلوا التَّوراةَ لم يكن جبراً على الإسلام؛ لأنَّ الجبرَ ما يَسْلُبُ

---

(١) لفظ: «أخذ» ليس في (أ).

(٢) في (أ): «متقدماً».

(٣) في (أ): «بميثاقهم».

(٤) في (ر): «سبب» وتحرفت في (أ) إلى: «نسيت»!.

(٥) في (ف): «وهي».

(٦) في (ر): «نعم ومنن».

(٧) في (ف): «إتلافهم».

(٨) في (أ): «فيها»، وقوله: «بما كان منهم». ليس في (ر).

(٩) في (أ): «ذكر».

الاختيارَ، ولا يصحُّ معه الإسلامُ، بل كان إكراهاً، وهو لا يَسلُبُ الاختيار[١]، وهو جائزٌ كالمحاربة مع الكفَّار، فأمَّا قولُه تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، وقولُه تعالى: ﴿أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ﴾ [يونس: ٩٩]، فقد كان[٢] ذلك قبلَ الأمرِ بالقتال، ثمَّ نُسِخَ به[٣].

* * *

(٦٤) - ﴿ثُمَّ تَوَلَّيۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَۖ فَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَوَلَّيۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَۖ فَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ أي: أعرضتم عن الدَّوام عليه من بعد القَبول.

وقيل: مِن بعد ردِّ الجبلِ.

وقيل: من بعد أخذِ الميثاق ورفعِ الطور.

وإنَّما وُحِّدَ[٤] ذلك والمذكورُ قبله شيئان، والمدلول[٥] عليه أكثرُ مِن ذلك، وهو قَبولُهم التَّوراةَ وردُّ الجبل؛ لأنَّه أرادَ: مِن بعدِ ما ذكرنا، فوحَّد لتوحُّدها[٦].

وقوله ﴿ذَٰلِكَ﴾ خطابٌ للنبيِّ عليه السَّلام وحدَهُ بِالكاف، ولو قال: ذلكم[٧]، كان خطاباً لهم جميعاً.

---

(١) من قوله: «ولا يصح معه الإسلام» إلى هنا ليس في (ر) و(ف).

(٢) في (أ): «فكان» بدل من «فقد كان».

(٣) في (ر): «ذلك» بدل: «به».

(٤) في (أ): «وحد».

(٥) في (ر) و(ف): «والمذكور».

(٦) في (أ): «لتوحد كلمة ما».

(٧) في (ف): «ذلك».

وقوله تعالى: ﴿فَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ﴾ هو زيادةُ الإنعام[١]، ﴿وَرَحۡمَتُهُۥ﴾ هي عطفُهُ؛ أي: فلولا فضلُهُ ورحمتُه بردِّ الجبل عنكم، وإمهالِكم إلى أنْ تُبتُم بعدَ ما تولَّيتُم، لوقعَ الجبلُ عليكم، فمتُّم كافرين خاسرين، وهذا في حق الذين تابوا بعد ما تولَّوا.

وقيل: ولولا فضل الله بإعطاءِ التَّوراة[٢]، ورحمتُه بقَبول التَّوبة بعد التولِّي.

وقيل: ولولا إيمانُكم بالله الذي هو فضلٌ مِن الله، ورحمتُه عليكم بالكتاب.

وقيل: تمَّ الكلام عند قوله: ﴿ثُمَّ تَوَلَّيۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ﴾ ثمَّ[٣] ابتدأ كلاماً يَرجِعُ إلى الأوَّل فقال: ولولا فضلُه[٤] ورحمتُه برفعِ الجبلِ فوقَكم، لدمتُم على إنكارِ الكتاب وردِّه، فكنتم مِن الخاسرين، ولكن تفضَّل اللهُ عليكم ورحمَكم حيث رفعَ الطُّور فوقكم حتَّى تبتم، فزال الجبلُ عنكم، ولولا ذلك لسقطَ الجبلُ عليكم وكنتم مِن الخاسرين.

وقيل: أي: ولولا فضلُه بإعطاءِ التَّوراة، ورحمتُه بتوفيقِ القَبول.

وقيل: أي[٥]: ولولا فضلُ الله عليكم بإنجاءِ آبائِكم من العذاب، وردِّ الطور عنكم[٦]، لما توالدتُم أنتم.

---

(١) في (أ): «الإيمان».

(٢) في (أ): «التوبة».

(٣) لفظ: «ثم» ليس في (ر) و(ف).

(٤) في (أ): «فلولا فضل الله عليكم» بدل: «ولولا فضله».

(٥) «أي» ليس في (ف).

(٦) كذا في النسخ الخطية، ولعل الأقرب: «عنهم».

وقوله تعالى: ﴿لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ الخسرانُ في الأصل: ذهابُ رأس المال، وهو هاهنا هلاكُ النَّفسِ؛ لأنَّها هي الأصل.

وقيل: أي: من المغبونين بالوقوع[1] في العذاب وحرمانِ الثَّواب.

***

(٦٥) ـ ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾ خطابٌ لأهل[2] عصر النبيِّ ﷺ، يقول: «لقد علمتم»: عرفتم أصحابَ السَّبتِ وما أحللنا بهم مِن النَّكالِ[3] في الدُّنيا؛ بالمسخِ حين اعتدَوا بالاصطيادِ يومَ السبت، فلم يكن تأخيرُ[4] العقوبةِ عن أسلافِكم الذين كانوا قبلَكم[5] على عصيانِهم ونقضِهم ميثاقهم: للعجزِ عن تعجيلِ ذلك، بل فضلاً ورحمةً، ولو شئنا لعاجَلناهم بما عاجَلنا به أصحابَ السَّبت، وكذا أنتم في تمرُّدِكم على محمَّدٍ؛ لو شئنا لأنزلْنا بكم ما أنزلنا بهم[6].

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ﴾ أي: للذين جاوزوا الحدَّ الذي حُدَّ لهم مِن تركِ الصَّيد يومَ السَّبْتِ مِن أسلافِكم.

---

(١) في (ف): «في الوقوع».

(٢) في (ر) و(ف): «أهل».

(٣) من قوله: «يقول: لقد علمتم عرفتم» إلى هنا ليس في (ر) و(ف).

(٤) في (أ): «تأخيرنا».

(٥) في (أ): «قبلهم».

(٦) من قوله: «وكذا أنتم في» إلى هنا ليس في (ف).

والسَّبتُ آخرُ أيَّامِ الأسبوع، سُمِّيَ به لأنَّه سُبِتَ فيه[١] خَلْقُ كلِّ شيء؛ أي: قُطِعَ وتُمِّمَ، وأصلُ السَّبت القطعُ، والسُّبات: النوم[٢]؛ لأنه يَقطعُ الحركاتِ الاختياريَّة، واليهودُ يَسْبِتون فيه، أي: يَقطعون الأعمالَ فيه.

وقصَّتُه ما رُوي عنِ ابن عباسٍ رضي الله عنهما أنَّه قال: كان في زمن داودَ عليه السَّلام في أرضٍ يُقال لها: أيلة، بين المدينة والشَّام، على ساحل بحر قُرزم، وكان مكاناً يَجتمعُ فيه حيتانُ كلِّ أرضٍ مِن السَّنة في شهرٍ، كهيئةِ العيد، تأتيهمُ الحيتان حتَّى لا يُرَى الماءُ، وتأتيهم في غيرِ ذلك الشَّهرِ في كلِّ سبتٍ، كما[٣] كانت تأتيهم في ذلك الشَّهر، فإذا ذهبَ السَّبتُ لم يُحِسُّوا شيئاً منه، وحُرِّمَ عليهم الصَّيدُ في يومِ السَّبت[٤].

وقيل: إنَّما خصَّ به ذلك اليوم؛ لأنَّ موسى عليه السَّلام أرادَ أن يجعلَ يوماً لله تعالى خالصاً لطاعتِه، وهو يومُ الجمعة، فخالفَه اليهودُ وقالوا: نجعلُ ذلك اليوم[٥] السبت؛ لأنَّ اللهَ تعالى لم يخلق فيه شيئاً، فلمَّا اختاروه لتركِ سائر الأعمال، نُهوا فيه عن الاصطيادِ أيضاً[٦] وصار اختيارُهم وبالاً عليهم، فعَمَد[٧] رجالٌ لأهل[٨]

---

(١) في (أ): «به»، وليست في (ف).

(٢) لفظ: «النوم» من (أ).

(٣) في (ف): «ما».

(٤) ذكر مكي هذه القصة في «الهداية إلى بلوغ النهاية» (٤/ ٢٦٠١) عن الكلبي.

(٥) «اليوم» سقط من (أ).

(٦) في (ر): «دائماً»، وليست في (ف).

(٧) في (ر) و(ف): «فعمدت».

(٨) في (أ): «من أهل».

تلك القريةِ، فحظروا عشيَّة الجمعةِ حظيرة[1] حيث يدخلُ عليهم السَّمكُ، فحَبسوا السَّمك فيها، وأخذوا منه[2] ليلةَ الأحد ويوم الأحد، فأكلوا، وملَّحوا، وباعوا، فكثُرت أموالُهم، فعملوا بذلك زماناً، في روايةٍ: أربعين سنةً، وفي روايةٍ: سبعين سنة، لم تنزل فيهم عقوبةٌ، وكانوا يتخوَّفون العقوبةَ، فلمَّا لم يُعاقَبوا استبشروا، وقالوا: إنَّا لنَرى السَّبْتَ قد أُحِلَّ لنا، ثمَّ استنَّ الأبناءُ سُنَّة[3] الآباء، فلو أنَّهم فعلوا ذلك مرَّة أو مرَّتين لم يضرَّهم.

فمشى إليهم طوائفُ مِن أهلِ المدينة، نحواً من اثني عشر ألفاً مِن الذين كرِهوا الصَّيدَ في يوم السَّبت. وأهل القرية كانوا نحواً من سبعين ألفاً، فنهوهم عن ذلك، وقالوا لهم: يا قوم، إنَّكم عصيتُم ربَّكم وخالفتُم سُنَّةَ نبيِّكم، فانتهوا عن هذا العملِ قبلَ أن يَنزلَ بكم العذابُ[4]، فلم يتَّعظوا، فقال تعالى: ﴿فَلَمَّا عَتَوۡاْ عَن مَّا نُهُواْ عَنۡهُ﴾؛ أي: أبوا أن يرجعوا عن استحلال الصيد، ﴿أَنجَيۡنَا ٱلَّذِينَ يَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ﴾ الآية [الأعراف: ١٦٥]، فأصبحَ الذين استحلُّوا الصيدَ قردةً خاسئين، فمكثوا بعد ذلك ثلاثةَ أيَّام يَنظرُ إليهم النَّاس، ثمَّ هَلَكوا لم يتوالدوا، ولم يمكُث مسخ غيرَ ثلاثةِ أيَّام.

قولُه تعالى: ﴿فَقُلۡنَا لَهُمۡ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾ ﴿لَهُمۡ﴾ أي: للذين اعتدَوا، وقال قبله: ﴿مِنكُمۡ﴾، وهو خطابُ أهل عصرِ النَّبيِّ ﷺ.

وقوله تعالى: ﴿فَقُلۡنَا لَهُمۡ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾ أي: مسخناهم قردةً.

و﴿كُونُواْ﴾ أمرُ تسخيرٍ، وهو إشارةٌ إلى قوله: ﴿إِنَّمَا قَوۡلُنَا لِشَيۡءٍ إِذَآ أَرَدۡنَٰهُ أَن نَّقُولَ

---

(١) في (ر): «حفروا... حفيرة» وفي هامش (ف): «حاشية أي: فحفروا عشية الجمعة حفيرة».

(٢) في (أ): «منها».

(٣) في (أ): «بسنة».

(٤) في (ف): «البلاء» وفي هامش (ف): «نسخة: قبل أن ينزل بكم العذاب».

لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠]؛ أي: لـمَّا أردنا ذلك صاروا كما أردنا، مِن غير امتناعٍ ولا لُبْثٍ، وهو كقوله تعالى: ﴿كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَـٰبَ ٱلسَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا﴾ [النساء: ٤٧]، وقولِه: ﴿قُلْنَا يَـٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الأنبياء: ٦٩] وهو من قول القائل منَّا: أمرتُ بكذا، وكان[1] كما أمرتُ به؛ إظهاراً منه لعظَمتِه ونَفاذِ أمرِه ومشيئته.

والدليلُ على أنَّه تكوينٌ أنَّه قال: ﴿فَجَعَلْنَـٰهَا نَكَـٰلًا﴾ وهو ذلك الأول.

والقردةُ جمعُ قردٍ، كالفيلَة جمعُ فيل، والدِّيكةِ جمعُ ديك.

وقوله: ﴿خَـٰسِـِٔينَ﴾ أي: صاغرين مبعَدين مطرودين، كالكلب إذا دنا من الناس، قيل له: اخسأ؛ أي: تَباعَد وانطِردْ صاغراً، وقوله: ﴿يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا﴾ [الملك: ٤] أي: صاغراً ممنوعاً عن مُعاودة النَّظر، وقد خسأتُ الكلبَ فخسأ، لازمٌ ومتعدٍّ.

وقيل: أي: ساكتين لا يتكلَّمون، كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾.

وقال مجاهد: لم يكن هذا مسخَ الأبدان، بل كان مسخَ القلوب.

وفي روايةٍ قال: لم يمسخوا قردةً، وإنَّما هذا مَثَلٌ صوَّرهُ اللهُ تعالى[2] لهم، كما قال: ﴿كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا﴾ [الجمعة: ٥][3].

قال القفَّال: ومَن قال بهذا جعلَه كقولِ الرَّجل لرجُلٍ: لا تَنظرْ فِي العلم، ولا تُجالس أهلَه[4]، اذهب فكن حماراً؛ أي: شبيهَ حمار، قال الشاعر:

---

(١) في (أ): «فكان».

(٢) في (أ): «ضربه لهم» بدل من «صوره الله تعالى».

(٣) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ١٣٣) (٦٧٢).

(٤) في (أ): «أهل العلم».

إذا أنتَ لم تَعْشَق ولم تَدْرِ ما الهوى فكُن حَجَراً مِن يابسِ الصَّخرِ جَلمَدَا[١]

ولكنَّ هذا خلافُ ظاهرِ الكلام، وخلافُ الآثار، ومَسْخُ هؤلاءِ مشهورٌ، وكان اليهودُ لعنَهم اللهُ إذا سُبُّوا قيل لهم: يا إخوةَ القردةِ والخنازير[٢]، ويخاطبون به في عصرِ النبيِّ ﷺ، وليس تحويلُ الصُّورة بأعظمَ مِن إنشاءِ العنصر، فمَن آمنَ بابتداعِ الجواهر، فماذا عليه أن يؤمنَ بانقلاب الصورة[٣]؟

ثم قيل: مُسِخوا قردةً، فلم يبقَ في ظاهرهم وباطنِهم معنى الإنسانيَّة.

وقيل: بقيَ فيهمُ الفهمُ والعقل، فقد رُويَ أنَّهم لـمَّا مُسِخوا ليلاً، فلمَّا أصبحَ النَّاسُ الخارجون منها وأتَوا أبوابَها، فإذا هي مغلقةٌ لا يُسمَعُ منها صوتٌ، ولا يَعلو منها دخانٌ، فتسوَّروا الحيطانَ ودخلُوها[٤]، فرأوهم قد[٥] صاروا قردةً، و[٦] كانوا يعرفون كلَّ واحدٍ بشق[٧] معرفة؛ بقرابةٍ أو صحبةٍ، فكانوا يقولون: ألم ننهكُم عن ذلك؟ فكانوا يشيرون برؤوسهم؛ أي: نعم، والدموعُ تفيضُ مِن أعينِهم، وذلك دلالةُ الفهم والمعرفة.

ثمَّ لم يكن ابتداءُ القِردة مِن هؤلاء، بل كانت قبلَهم قردةٌ، وهؤلاء حُوِّلوا إلى

---

(١) البيت للأحوص الأنصاري، وهو في «ديوانه» (ص٥٧) (طبعة السامرائي)، و(ص١٢١) (طبعة عادل سليمان جمال)، وانظر تخريجه فيهما.

(٢) ووقع ذلك في خطاب النبي ﷺ لهم في خبر بني قريظة، رواه الحاكم في «المستدرك» (٤٣٣٢).

(٣) في (أ): «الصور».

(٤) في (أ): «فدخلوها» وفي (ف): «ودخلوا».

(٥) في (أ): «وقد».

(٦) في (أ): «وقد».

(٧) في (أ) و(ف): «نسق».

صورتِها لقبحها؛ جزاءً على قبحِ أفعالهم، وماتوا بعد ثلاثةِ أيَّام، والقردةُ التي كانت في الدُّنيا هي نسلُ قردةٍ كانت قبلَهم.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: وفيه نقضُ قولِ المعتزلة؛ لأنَّهم يقولون: ليسَ في خلقِ الله قبيحٌ، ولو لم يكن في خلقِ الله تعالى قبيحٌ، لم يكن لِتحويلِ صورتِهم مِن صورةِ الإنسانيَّة إلى صورةِ القردةِ معنًى[1].

***

(٦٦) ـ ﴿ فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ ﴾.

قوله تعالى: ﴿ فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا ﴾؛ أي: جعلنا هذه العقوبةَ، كنايةٌ رجعَتْ إلى المعنى دون المذكور.

وقيل: أي: جعلنا المسخةَ.

وقيل: أي: جعلنا هذه القريةَ التي اعتدى أهلُها، فقد ذكر القريةَ في سُورة أخرى[2].

وقيل: جعلنا هذه الأمَّة.

وقيل: هذه الفرقة.

وقيل: هذه الفِعلة.

وقيل: القردة.

وقيل: هذه الجماعة. وقيل أقاويلُ متقاربةٌ[3].

---

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (١/ ٦١).

(٢) لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿ وَسْئَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ ... ﴾ [الأعراف: ١٦٣].

(٣) في (ف): «متفاوتة».

وقوله تعالى: ﴿نَكَالًا﴾ النَّكالُ: الفضيحةُ الشَّاهرةُ[١] الزَّاجرة.

وقيل: العقوبةُ التي يُنْكَلُ بها عن الإقدامِ على مثلِ تلك الجناية، يقال: نَكَلَ عن الأمرِ نكولاً؛ أي: امتنعَ، والنِّكْلُ: القيدُ، وجمعه الأنكال؛ لأنَّ فيه منعَ المقيَّد عن الذَّهاب. يقول: فعلنا ذلك؛ لمنع العبادِ عن الفساد، لا كما يفعلُه البشرُ للتَّشفي ونحوِه.

وقوله تعالى: ﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا﴾ قيل: من عقوبة الآخرة، ﴿وَمَا خَلْفَهَا﴾ مِن فضيحة الدُّنيا، فيُذكَرون بها إلى قِيام السَّاعة.

وقيل: ﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا﴾ لما تقدَّم مِن سائر الذُّنوب قبلَ أخذِ السَّمك، ﴿وَمَا خَلْفَهَا﴾ وما بعدَها مِن أخذِها[٢].

وقيل: هما عبارةٌ عن كثرةِ ذُنوبِهم المحيطةِ بهم أوَّلاً وآخراً.

وقيل: ﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا﴾ أهل زمانهم، ﴿وَمَا خَلْفَهَا﴾ إلى يوم القيامة.

وقال أبو العالية: فجعلناها عقوبةً لما مَضى مِن ذنوبهم، وعبرةً لـمَن بعدهم[٣].

وقيل: ﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا﴾ مَن يُشاهدها، ﴿وَمَا خَلْفَهَا﴾ مَن يسمع بذكرها.

وقيل ﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا﴾ من القُرى.

وقال بعضُهم: ﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا﴾ لـمَن يأتي بعدَهم، كما يُقال: الضَّيْفُ بين يديك؛ أي: يأتيك، وقال أسامةُ للنبيِّ ﷺ في مسيرِه مِن عرفات: الصلاةَ يا رسول الله!

---

(١) في (أ): «المشاهدة».

(٢) في (أ): «أخذ السمك».

(٣) رواه ابن أبي حاتم (١/ ١٣٤) (٦٧٧)، (٦٨١).

فقال: «الصلاةُ أمامَك»[١]؛ أي: نفعلها بعد هذا الوقت، فعلى هذا يكونُ قوله: ﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا﴾؛ أي: لما يأتي بعدَها.

وقوله تعالى[٢]: ﴿وَمَا خَلْفَهَا﴾ أي: لـمَنْ تقدَّمها، تقول[٣]: هذا الشيءُ صار خلفَنا؛ أي: خلَّفناهُ، وتَجاوزناهُ، فكأنَّه قال: نكالاً للآتينَ والماضين.

وقوله تعالى: ﴿وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ أي: وعظاً[٤] لجميع المؤمنين؛ أي[٥]: الذين يتَّقون عقابَ الله.

وقيل: أي: يعظُ المتَّقون بعضُهم بعضاً.

وقيل: هذا وعظٌ يَنتفعُ به المتَّقون، وإنْ وُعِظَ به النَّاسُ أجمعون، كما قلنا في قوله: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢][٦].

وقيل: المتَّقون في هذه الآيةِ اسمٌ لهذه الأمة؛ أي: موعظةٌ لأمَّة محمَّدٍ ﷺ، سمَّاهم: متَّقين؛ لاتِّقائِهم الشِّركَ، ولأنَّ اللهَ تعالى يقيهم النار.

* * *

(٦٧) ـ ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾.

---

(١) رواه البخاري (١٣٩)، ومسلم (١٢٨٠).

(٢) «وقوله تعالى» من (ف).

(٣) في (ف): «يقال».

(٤) في (ر) و(ف): «قال عطاء» بدل: «أي وعظاً».

(٥) لفظ: «أي» من (ف).

(٦) من قوله: «وإن وعظ به الناس» إلى هنا ليس في (أ).

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ﴾ أي: واذكروا أيضاً إذ قال موسى لقومِه، وهم أسلافُكم مِن بني إسرائيل، دلَّهم بذكرِ هذه القصَّة على جهلِ أوائلهم[١]، وتشديدِهم على أنفسِهم[٢]، واعتراضِهم على نبيِّهم.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً﴾ ليَتبيَّنَ بها أمرُ القتيلِ الذي كان وقعَ فيهم.

وقوله تعالى: ﴿قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾ الألف ظاهرها للاستخبار، وهو هاهنا للاستنكار، و﴿هُزُوًا﴾؛ أي: سخريةً، وهو مصدرٌ هاهنا أُريدَ به المفعولُ به، كما يقال: هذا عِلْمُ الله؛ أي: معلومُه، و: اللهُ رجاؤنا؛ أي: مرجوُّنا.

ظنُّوا أنَّ موسى يَستهزِئ بهم ويُداعبُهم، قالوا: نُخبرُكَ[٣] أنَّ رجلاً منَّا قُتِلَ، فتقولُ لنا: اذبحوا بقرةً! فيَحتملُ أنَّ موسى عليه السَّلامُ أمرَهُم بذبحِها، ولم يبيِّن المرادَ والثمرة بها، فلذلك وقعَ هذا القولُ منهم موقعَ الهُزْءِ.

ويَحتملُ أن يكون قال لهم: اذبحوا بقرةً[٤]، فإنَّ أمرَ القتيل يَتبيَّنُ لكم بأنْ تَضرِبوه ببعضها، فقالوا: أتتَّخذُنا هزواً؛ تعجَّبوا أن يَتبيَّن لهم أمرُ القتيل بذلك[٥].

وقال بعضُ[٦] العلماء: كفروا بهذا القولِ؛ إذ شكُّوا في خبر نبيِّهم، أو شكُّوا في قدرة ربِّهم على إحياء الميِّت ببعضِ البقرة.

---

(١) في (أ): «آرائهم» وفي (ر): «آبائهم».

(٢) في (ف): «نفوسهم».

(٣) في (ف): «نخبر».

(٤) لفظ «بقرة» من (أ).

(٥) في (ر): «يتعجبون أن أمر القتيل يتبين بذاك» بدل: «تعجبوا أن يتبين لهم أمر القتيل بذلك».

(٦) «بعض» ليس في (أ).

وقال بعضُهم: كان ذلك هفوةً مِنهم وجهالةً، فقد انقَادوا بالطَّاعةِ[١] لذبحها.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: هذا على المجازاة، كأَنَّهم[٢] قالوا: أتجازينا بهذا لما مضى[٣] منَّا مِن عصيانِك وخلافِكَ؟ إذ لم يعلموا أنَّه مِن عند الله بأمر ربه[٤]، وهذا على المجازاةِ جائزٌ، كما قلنا في الاستهزاءِ والـمُخادعةِ والمكر، وهو كقول نوح عليه السلام ﴿فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾ [هود: ٣٨][٥].

وقوله تعالى: ﴿قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ بيَّن أنَّ الاستهزاءَ عمل لا يَستجيزُه مثلُهُ مِن أنبياء الله تعالى، وأنَّه مِن عملِ الجهَّال[٦]، فعلموا أنَّه جِدٌّ، وأنَّه مِن عندِ الله، ودلَّ هذا[٧] أنَّ الاستهزاءَ بأمرِ الدِّينِ كبيرةٌ، وأنَّه ضربٌ مِن الجهالة.

* * *

(٦٨) ـ ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَٰلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾ أي: سلْ لأجلنا ربَّك.

وقوله تعالى: ﴿يُبَيِّن لَّنَا﴾ أي: وقل له يبين[٨] لنا، وهو جزمٌ على جوابِ الأمر.

---

(١) في (ف) و(ر): «للطاعة».

(٢) لفظ: «كأنهم» ليس في (ف)، وفي (ر): «المجاز أنهم» بدل: «المجازاة كأنهم».

(٣) في (ر) و(ف): «الماضي» بدل: «لما مضى».

(٤) في (أ): «يأمر به» بدل: «بأمر ربه». ونص العبارة في «تأويلات أهل السنة»: «يأمر بذلك».

(٥) «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (١/ ٦١ ـ ٦٢).

(٦) في (ر): «الجاهلين».

(٧) لفظ «هذا» من (أ).

(٨) في (أ): «بين».

وقوله تعالى: ﴿مَا هِىَ﴾ أي[١]: أيُّ بقرةٍ هي؟ وليس بسؤالِ جنسٍ؛ لأنَّه قد بيَّن لهم أنَّها بقرةٌ، لكنَّه سؤالٌ عن سنِّها.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ﴾ يعني: موسى، وقوله تعالى[٢]: ﴿إِنَّهُۥ يَقُولُ﴾ أي: اللهُ تعالى يقول: ﴿إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ﴾ قيل: لا كبيرةٌ، وقيل: لا هَرِمةٌ، وقيل: لا مُسِنَّةٌ، ومعناها واحدٌ.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا بِكْرٌ﴾ أي[٣]: فتيةٌ لَم تلِد، وقيل: صغيرةٌ، وقيل: شابَّةٌ، وقيل: هي التي وَلَدَت مرَّةً.

وقوله تعالى: ﴿عَوَانٌ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ أي: نصفٌ، وقيل: أي: فوق البِكْرِ دون[٤] المسنَّة، ويُقال: العَوَانُ لا تُعَلَّمُ الخِمْرَةَ؛ أي: النَّصَفُ مِن النِّساء لا تُعَلَّمُ الاختمارَ فإنَّه[٥] قد علمَتهُ. و: حربٌ عَوَان: ليست[٦] بأولى[٧]، بل هي ثانيةٌ أو ثالثة، والعَوَانُ من النساء: الثَّيِّبُ.

والفعلُ من الفارض: فَرَضَت تَفرِضُ فُروضاً، ومن العوان: عَوَّنَت تُعَوِّنُ تَعويناً، ولم يُسمَع مِن البكرِ فعلٌ.

---

(١) لفظ: أي» ليس في (ف).

(٢) «وقوله تعالى» من (ف).

(٣) بعدها في (ر): «لا».

(٤) في (أ): «ودون».

(٥) في (أ) و(ر): «فإنها».

(٦) في (ر): «أي بليس».

(٧) في (ف): «ليس بالأولى».

وإنَّما لم تدخل الهاء[١] في هذه الصِّفاتِ للتأنيث؛ لأنَّها من خصائصِ أوصاف الإناث، فصارت كالطَّالِقِ والحائض.

ورفعُ هذه الصِّفاتِ عند الأخفش؛ لكونها صفةَ البقرة[٢]، وعند الزَّجَّاج بإضمارِ: «هي»[٣] في أوائلها[٤].

وقوله: ﴿بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ أي: بين البكرِ والفارض، ولم يقل: بين ذينك، على التثنية، وبين يَقتضي شيئين؛ لأنَّ معناه: بين ما ذكَرنا، فينتظِمُها، قال الشَّاعر:

على عاجِزاتِ النَّهْض[٦] حُمْرٌ حَوَاصِلُهْ[٧] ... لِزُغْبٍ[٥] كأولادِ القَطَا راثَ خلفَها

راثَ من الرِّيْث[٨] أي: حواصلُ ما ذكرنا[٩]، ولولاه لقال: حواصلها.

وقال أبو عبيدة: قلت لرؤبة في قوله شعر:

فيها خُطُوطٌ مِن سَوَادٍ وَبَلَقْ ... كأَنَّهُ فِي الجِلْدِ تَوْلِيعُ البَهَقْ[١٠]

---

(١) في (ر): «التاء».

(٢) انظر: «معاني القرآن» للأخفش (١/ ١١٠).

(٣) في (ر): «وهو»، وفي (ف): «وهي».

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ١٥٠).

(٥) في (ف) و(ر): «بزغب». ووقع في هامش (ف): «حاشية: الأزغبُ: الفرخُ الصغير، والزَّغَب: الشعيرات الصفر على ريش الفرخ، والفراخ زُغْبٌ، القطا: يسمع من صوتِه لفظُ القطا». ووقع بعضها في حاشية (أ).

(٦) بعدها في (ر): «القيام».

(٧) البيت للحطيئة، وهو في «ديوانه» ص١٣٦.

(٨) «راث من الريث» سقط من (أ).

(٩) في (ر): «ذكرناه».

(١٠) «ديوان رؤبة» (ص: ١٠٤)

إن أردت الخطوط[١]، فقل: كأنَّها، وإنْ أردتَ السَّوادَ والبَلَق، فقل: كأنَّهما، فقال: أردت: كأنَّ ذلك المذكور[٢].

وقوله تعالى: ﴿فَٱفْعَلُواْ مَا تُؤْمَرُونَ﴾ أي: فاذبحوا البقرةَ التي تُؤمَرون بذبحِها، وهو للحالِ دون محضِ الاستقبال؛ فإنَّهم كانوا أُمِروا بها وهو قائمٌ للحالِ دون محضِ الاستقبال[٣].

***

(٦٩) ـ ﴿قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَاۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّـٰظِرِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَاۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّـٰظِرِينَ﴾ أي: سَلهُ يبيِّن لنا ما لونُها؟ استكشفوا المبهمَ بزيادةِ السُّؤال، وهو سؤالُ اللَّون، فـ﴿قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ﴾ هي الصُّفْرَةُ المعروفة التي هي[٤] بين البياضِ والحُمرة.

وقال ابنُ عباس وسعيدُ بن جُبير رضي الله عنهم: كانت صفراءَ الكُلِّ حتَّى القرن والظِّلف[٥].

---

(١) بعدها في (أ): «من سواد وبلق».

(٢) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١/ ٤٣ ـ ٤٤).

(٣) في (أ): «الحال» بدل: «للحال دون محض الاستقبال».

(٤) لفظ: «هي» ليس في (أ) و(ف).

(٥) أخرج الطبري في «تفسيره» (٢/ ٩٤) وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ١٣٩) (٧٠٨) عن سعيد بن جبير أنه قال في تفسير ﴿صَفْرَآءُ﴾: صفراء القرن والظلف.

وقال مجاهد: كانت أظلافُها وقرناها[١] من ذهب؛ أي: كأنَّها ذهبٌ مِن حُسنها وصفاءِ[٢] لونها.

وقال الحسن: كانت سوداءَ شديدةَ السَّواد[٣]، والعربُ قد تُسمِّي السَّوادَ صُفْرَةً، قال الأعشى:

تلكَ خَيْلِي منهُ وتلكَ رِكابي ... هُنَّ صُفْرٌ أولادُها كالزَّبِيْبِ[٤]

وكذلك في قوله: ﴿كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ﴾ [المرسلات: ٣٣]؛ أي: سود.

والصَّحيحُ هو الأوَّل؛ لأنه قال: ﴿فَاقِعٌ لَّوْنُهَا﴾، وهو صفةُ الأصفر على الخُلوص، فأمَّا الأسود فإنَّه يُقالُ[٥] في مبالغته: أسودُ حالكٌ[٦] وغِربيبٌ، ويُقال: أحمرُ قاني، وأبيضُ يقق، وأخضرُ ناضرٌ، وأصفرُ فاقعٌ، ولأنَّ الأصفرَ بمعنى الأسود يكونُ في الإبلِ خاصَّةً؛ لأنَّ سوادَها يعلوهُ صفرةٌ، بخلاف البقر[٧].

وقوله: ﴿فَاقِعٌ لَّوْنُهَا﴾ أي: شديدٌ صفرتُها، وقد فَقَعَ فُقوْعاً من حدِّ: صنع.

وقوله: ﴿تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ﴾ أي: تَروق[٨] هذه البقرةُ مَن نظرَ إليها، وتُعجبُه،

---

(١) في (ف): «قرونها وأظلافها» بدل: «أظلافها وقرناها».

(٢) في (ف): «وصفائها في».

(٣) رواه الطبري (٢/ ٩٣)، وابن أبي حاتم (١/ ١٣٩) (٧٠٩).

(٤) انظر: «ديوان الأعشى الكبير» (٢/ ٢٢١) (تحقيق الرضواني)، (ص: ٣٣٥ ـ طبعة محمد محمد حسين).

(٥) في (ف): «قال».

(٦) في (ر) و(ف): «كالح».

(٧) في (أ): «البقرة».

(٨) في (ر): «تسر».

وتُفرِحُ قلبَه؛ لتمام خلقِها، وفقوعِ لونِها، ولطافةِ قرونها وأظلافِها. والمسرَّةُ: لذَّةٌ في القلب عند توقُّع النَّفعِ.

***

(٧٠) ـ ﴿قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾ طلبوا تمامَ الكشفِ ببيان الوصفِ بعد السُّؤال عن السِّنِّ[1] واللَّون.

وقوله: ﴿إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾ البقرُ جمعُ بَقَرة، كالشَّجر جمع شجرة، والهاءُ للتَّوحيد، والحذفُ دلالةُ الجمع باسم الجنس، و﴿تَشَٰبَهَ﴾ بمعنى: اشتبهَ وخفيَ، وأراد به: خفيت واشتبهت؛ لأنَّها جمعٌ، وذكَّر ووحَّدَ على ظاهرِ اللَّفظ، ويجوزُ التَّأنيثُ على المعنى في غير القرآن، فأمَّا في الآية فلا وجهَ للتغيير.

وقيل: معناه أنَّ جنسَ البقرِ تشابهَ علينا.

وقُرِئ: «تَشَابهُ علينا»[2] برفع الآخِرِ على الاستقبال، وقد سقطت إحدى التاءين تخفيفاً، كما في قوله: ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ﴾ [الملك: ٨]، وقُرِئ «تَشَّابه» بتشديد الشِّين[3] لإدغامِ إحدى التَّاءين في الأخرى.

---

(١) في (أ): «العين».

(٢) هي قراءة الحسن كما في «مختصر في شواذ القرآن» لابن خالويه (ص: ١٤)، و«تفسير الثعلبي» (١/ ٢١٨).

(٣) نسبها النحاسُ في «إعراب القرآن» (١/ ٢٣٦) للحسن، وابنُ خالويه في «مختصره» (ص: ١٤) لابن مسعود، والثعلبيُّ في «تفسيره» (١/ ٢١٨) للأعرج.

وقوله: ﴿وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهۡتَدُونَ﴾ قيل: أي: إنَّا بمشيئةِ الله تعالى نهتدي للبقرة التي أُمِرنا بذبحها إذا اجْتَمعَت[١] لنا أوصافُها التي تتميَّزُ بها عن غيرها.

وقيل ﴿وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ على هدى في استقصائِنا في المسألة عن أوصاف البقرة؛ أي: نرجو أنَّا لسنا على ضلالةٍ فيما نفعله[٢] مِن البحث والاستقصاء.

وقيل: أي: وإنَّا بمشيئة الله نهتدي للقاتلِ، إذا امتثلنا الأمرَ بذبح البقرةِ التي تصفُها لنا، وروي عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: «لولا أنَّهم استثنَوا، ما اطَّلعوا على قاتِله»[٣].

* * *

(٧١) ـ ﴿قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٞ لَّا ذَلُولٞ تُثِيرُ ٱلۡأَرۡضَ وَلَا تَسۡقِي ٱلۡحَرۡثَ مُسَلَّمَةٞ لَّا شِيَةَ فِيهَاۚ قَالُواْ ٱلۡـَٰٔنَ جِئۡتَ بِٱلۡحَقِّۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفۡعَلُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٞ لَّا ذَلُولٞ تُثِيرُ ٱلۡأَرۡضَ وَلَا تَسۡقِي ٱلۡحَرۡثَ مُسَلَّمَةٞ لَّا شِيَةَ فِيهَاۚ قَالُواْ ٱلۡـَٰٔنَ جِئۡتَ بِٱلۡحَقِّۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفۡعَلُونَ﴾ أي: قال موسى: يقول اللهُ تعالى: هذه البقرةُ ليست بمُذلَّلةٍ ذلَّلَها العملُ، ودابَّةٌ ذَلُولٌ: بيِّنَةُ الذِّلِّ، بكسر الذَّال، وهو خلاف الصعوبة، ورجلٌ ذَليل[٤] بيِّن الذُّلِّ ـ بضم الذَّال ـ والمَذَلَّةِ والذِّلَّة، وهو خلافُ العزيز، وذلَّله؛ أي: ليَّنهُ.

---

(١) في (أ): «جمعت».

(٢) قوله: «فيما نفعله» من (أ).

(٣) رواه بنحوه ابن أبي حاتم (١/ ١٤١) (٧٢٢)، وابن مردويه كما في «تفسير ابن كثير» عند تفسير هذه الآية. قال الحافظ ابن كثير: وهذا حديث غريب من هذا الوجه، وأحسنُ أحواله أن يكون من كلام أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) في (أ): «ذليل». والمثبت موافق لما في «الصحاح» للجوهري: (ذلل)، و«مجمل اللغة» لابن فارس (١/ ٣٥٤).

وقوله ﴿تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ﴾ أي: تكربها[١] وتُقلِّبُها؛ وقد[٢] أثارَها إثارةً، ولازمُه: ثَار يَثُورُ ثَوَراناً، وإثارةُ الأرض سمِّيَت بها لثَورانِ تُرابها بها، يقال[٣]: ثارَ الدُّخانُ والغبارُ والتُّراب، وثار القطا؛ أي: نهضَ، وثارَ الدَّمُ في وجهه؛ أي: ظهر، وثار الشَّفقُ أيضاً[٤].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ﴾ أي: الـزَّرعَ؛ أي: لا يُسقَى عليها للحرث بالسَّواني، ولم تُلَيَّن بإثارةِ الأرض وتقليبها للزِّراعة.

وقوله تعالى ﴿مُسَلَّمَةٌ﴾ أي: سالمةٌ مِن العيوب كلِّها.

وقيل: أي: مسلَّمةٌ عن العمل؛ لأنَّها وَحشيَّةٌ[٥]، ولو عُمِلَ عليها لم تَخْلُ مِن[٦] عيبٍ بها؛ يعني: لبراءتها مِن العمل هي بريئةٌ مِن العيوب.

وقوله تعالى: ﴿لَّا شِيَةَ فِيهَا﴾ أي: لا لونَ فيها يُخَالِفُ لونَ جميعِ جلدِها، واشتقاقُها مِن وَشْيِ الثَّوبِ، وهو استعمالُ ألوان[٧] الغزل في نسجه.

وقال سهلُ بنُ عبد الله التُّستَرِيُّ: أي: لا علامةَ فيها تشينُها[٨].

وتقديرها فِعْلَة، وأصلُها: وِشْيَة، كالصِّفة والزِّنة والعِدَة، أصلُها: وِصْفَة ووِزْنَة ووِعْدَة.

---

(١) يقال: كربْتُ الأرض، إذا قلَّبتَها للزرع. انظر: «الصحاح»: (كرب).

(٢) في (ف) و(ر): «أي» بدل: «وقد».

(٣) في (أ): «ويقال».

(٤) لفظ: «أيضاً» من (أ).

(٥) لفظ: «وحشية» من (أ).

(٦) في (أ): «عن».

(٧) في (أ): «ألطف».

(٨) انظر: «تفسير التستري» (١/ ٣١).

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: دلَّت الآيةُ أنَّ البقرةَ كانت ذكراً؛ لأنَّ إثارة الأرضِ وسقيَ الحرثِ مِن عمل الثيران، وهي حجَّةٌ لأصحابنا رحمةُ الله عليهم في مَن حلفَ لا يأكلُ لحمَ بقرةٍ أو بقرٍ، أنه[1] يَحْنَثُ بأكلِ لحم الثَّور؛ لأنَّ اللهَ جلَّ جلالُه سمَّى الثَّورَ في هذه الآيةِ[2] بقرةً؛ لما قُلنا: إنَّه وَصَفهُ بالإثارة والسَّقي، وهما من عملِ الثِّيرانِ عُرْفاً[3]، فأمَّا الكناياتُ الراجعةُ إليها على التَّأنيث فللفظِها، كما في قوله: ﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٌ﴾ [آل عمران: ٧٢]، و﴿قَالَتْ أُمَّةٌ﴾ [الأعراف: ١٦٤].

وقال أبو يوسف رحمه الله: إذا قال[4]: بقرة، فهي للأُنثى خاصَّةً، وإذا قال[5]: بقر، صَلَحَ للذَّكر والأنثى كما في الحمار والحمارة.

وأبـو حنيفـة رحمـه الله يقـول: إنَّهـا[6] للتوحيـد لا للتأنيـث، كما فـي الحمام والحمامة.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: إلَّا أن يكون أهلُ ذلك الزَّمان يَحرثون بالأُنثى، كما يحرُث أهلُ هذا الزَّمان بالذَّكر، فحينئذٍ لا يكونُ فيه دليلٌ لما[7] ذكرنا.

وقولـه تعالـى: ﴿قَالُواْ ٱلْـَٔانَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ﴾ أي: الآن بَيَّنـت[8] لنـا الصِّفـةَ التي كنَّا نطلـبُ بالصِّدق.

---

(١) لفظ: «أنه» ليس في (ف).

(٢) في (أ): «الآيات».

(٣) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (١/ ٦٤).

(٤) في (أ): «قيل».

(٥) في (أ): «قيل».

(٦) في (ر) و(ف): «إنها».

(٧) في (ر) و(ف): «كما». وانظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (١/ ٦٤).

(٨) في (ر): «تبينت»، وفي (ف): «ثبت».

وقيل: أي: الآن تحقَّق لنا وصفُ هذه البقرة فِي سنِّها[١] ولونها وصفتها، وهي عند فلانٍ، عرفناها، فنشتريها منه، ونذبحُها ائتماراً بأمر الله تعالى.

وقيل: أي: الآن تبيَّن[٢] لنا أنَّك جئتَ بالحقِّ والجِدِّ، وما كُنتَ هازئاً[٣]، ومن قال: كفروا بنسبته إلى الهزء، فقد آمنوا بهذا الانقيادِ والقَبول والاعتقاد.

وقوله تعالى: ﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ﴾ أي: اشتروها وذبحوها، قوله تعالى: ﴿وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ﴾ أي: فعلوا ذلك بعد الاستقصاءِ، حتَّى كاد يقع اليأسُ عن ذلك.

وقيل: ﴿وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ﴾ خوفاً على أنفسهم أن يَفتَضِحوا بظهورِ القاتل.

وقيل: ﴿وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ﴾ لغلاءِ ثمنها.

وقيل: استقصوا في صفة[٤] تلك البقرة، والسُّؤالِ عنها، و[٥]عن أحوالها، والاستقصاءُ في الشيء ربَّما يكون للمدافعة[٦].

ثمَّ ذكروا في التفاسير المعروفة أنَّهم لو ذَبحوا بقرةً، أيَّ بقرةٍ كانت، جاز لهم ذلك، فلمَّا بحثوا عنها، وسألوه مراراً، كان استقصاؤهم سبباً لتغليظِ الأمر عليهم، إلى أن ينتهي الأمرُ إلى بقرةٍ بلغت الثَّمنَ الكثير[٧]، فإنَّهم اشتروها بملءِ

---

(١) في (ف) و(ر): «شيتها».

(٢) في (أ): «يتبين».

(٣) في (أ): «هازلًا».

(٤) في (أ): «وصف».

(٥) قوله: «عنها و» ليس في (أ).

(٦) في (ر): «للموافقة»، والمثبت موافق لما في «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (١/ ٦٣).

(٧) في (ر): «غلا ثمنها كثيراً»، وفي (ف): «غلت الثمن الكثير» بدل: «بلغت الثمن الكثير».

مَسْكها ذهباً، وكاد يخرج إلى أن لا يأتمروا وهكذا رُويَ أنَّهم شدَّدوا على أنفسِهم، فشدَّدَ اللهُ عليهم[١].

قالوا: وفيه دليلٌ أيضاً على إمضاءِ الخطاب على العموم، وعلى أنَّ الحكمَ يتعلَّقُ بأقلِّ ما ينطلقُ عليه الاسمُ وعلى وجوبِ العمل بالظَّاهر، وقد كرَّر عليهم قولَه: ﴿فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ﴾ أي: دعوا البحثَ والتَّفتيشَ، لكنَّ الإمامَ أبا منصور ـ رحمَه الله ـ قال: استدلَّ قومٌ بها على عمومِ الخطاب وقت السماع؛ لأنَّه أمر بذبحِ بقرةٍ، لم يبيِّن لهم كيفيَّتها وقتَ الخطاب، وروي: «لو عمَدوا إلى أدنى بقرةٍ لأجزأتهم[٢]، لكن شدَّدوا على أنفسِهم، فشدد اللهُ عليهم»[٣].

لكنَّ هذا لا يصحُّ؛ لأنَّه دعوى على الله عزَّ وجلَّ حدوثَ شيءٍ في أمرِه، وبَداءٍ في حُكمِه، وذلك كفرٌ لا يقولُه مسلمٌ، فضلاً[٤] أن يقولَه رسولٌ؛ فإنَّه قال: إنَّه يقولُ:

---

(١) سيأتي تخريجه قريباً.

(٢) في (أ): «لأجزتهم».

(٣) أخرج ابنُ أبي حاتم (١/ ١٤١) ٧٢٢، وابن مردويه كما في «تفسير ابن كثير» (١/ ١٧١) عن أبي هريرة قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لولا أنَّ بني إسرائيلَ قالوا: ﴿وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾ ما أُعطوا أبداً، ولو أنَّهم اعترضُوا بقرةً من البقر فذبحوها لأجزأَت عنهم، ولكنَّهم شَدَّدوا، فشدَّدَ اللهُ عليهم». قال الحافظ ابن كثير: وهذا حديث غريب من هذا الوجه، وأحسن أحواله أن يكون من كلام أبي هريرة رضي الله عنه. اهـ. وسلف بعضه قريباً.
وأخرج البزَّارُ كما في «كشف الأستار» (٢١٨٨) عن أبي هريرة عن النبيِّ ﷺ قال: «لو أنَّ بني إسرائيلَ أَخذوا أدنى بقرةٍ لأجزأَهم». قال الهيثمي في «مجمع الزوائد»: (٦/ ٣١٤): فيه عباد بن منصور، وهو ضعيف، وبقية رجاله ثقات. اهـ. وقال عنه الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (١٣/ ٢٦١): وفي السند عباد بن منصور، وحديثه من قبيل الحسن.

(٤) بعدها في (ر): «عن».

إنَّها كذا فلو كان الأوَّلُ على غير ذلك، لكان قد بدا لهُ فيما عمَّ، وفسَّرَ[١] بما لم يكن أراد، وذلك بمعنى البَداء، بل بمعنى الرُّجوعِ عن الأوَّل فيما أرادوا التفسير له بغيره، وذلك فعلُ مَن يَجهلُ العواقبَ، تعالى الله عن ذلك.

ثمَّ معنى سؤالهم موسى أن يدعوَ ربَّه يبيِّنُ[٢] ما أراد بذلكَ: أنَّه جَعَلَ ذلك آيةً لهم، فوقعَ عندهم أن ليس كلُّ بقرةٍ تَصلحُ للآيات، ولذلك[٣] لم يسألوا موسى عن تفسيرِها؛ إذ اللهُ تعالى هو الذي يَعلمُ الآيات، فكان الأمرُ بالذَّبح في الابتداء على ما آلَ إليه أمرُها وظَهر، لكنَّهم أُمِروا بالسُّؤال عنها؛ ليَصلوا إلى المراد فيه، لا أنَّه أحدثَ لهم ذلك بالسُّؤال[٤].

ثمَّ قال: وجهُ حكمة[٥] جعلِ البقرةِ آيةً دونَ غيرها من البهائم شيئان:

أحدهما: ما رويَ أنَّ رجلاً كان بارًّا بوالديه، محسناً إليهما، وكانت له بقرةٌ على تلك الصِّفة والشِّيةِ[٦]، فأرادَ اللهُ أن يُوصِلَ إليه في الدُّنيا جزاءَ ما كان منه[٧].

والثاني: أنَّهم قبل ذلك كانوا يَعبدون البقر[٨] والعجاجيل، وحُبِّبَ إليهم، كما قال: ﴿وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ﴾ [البقرة: ٩٣]، ثمَّ تابوا وعادوا إلى عبادةِ الله

---

(١) في (أ): «وفسره».

(٢) «يبين» زيادة من (أ).

(٣) في (أ): «فلذلك».

(٤) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (١/ ٦٢).

(٥) بعدها في (ر): «في».

(٦) كذا في النسخ الخطية، ووقع في مطبوع «تأويلات أهل السنة»: «شبه».

(٧) أورد الثعلبي في «تفسيره» (١/ ٢١٦) هذا الخبر مطولًا عن ابن عباس ووهب وغيرهما، وسيذكره المصنف بعد تفسير قوله: ﴿وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾.

(٨) في (ف): «البقرة».

تعالى وطاعتِه، فأرادَ اللهُ تعالى أن يمتحِنَهُم بذبحِ ما حُبِّبَ إليهم؛ ليظهرَ[١] منهم حقيقة التَّوبة وانقلاع ما كان منهم في قلوبهم[٢].

وقيل: كان أفضلَ قرابينهم حينئذٍ البقرُ، فأُمروا بذبح البقرة؛ ليَحصلَ[٣] التقرُّبُ لهم بما هو أفضلُ عندَهم.

* * *

(٧٢) ـ ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَءْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾.

ثمَّ بيَّن اللهُ تعالى السَّببَ الذي أُمِروا به بذبحِ البقرةِ بالآيةِ التي بعدَها، وهي[٤] قولُه تعالى: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا﴾ أي: واذكروا أيضاً إذ قَتَلَ بعضُ أسلافِكم، وأُضيفَ الفعلُ إليهم لرضاهُم بفعلِ أولئك، ﴿نَفْسًا﴾ هي عاميل بن شراحيل.

وقوله تعالى: ﴿فَادَّارَءْتُمْ فِيهَا﴾ أي: تدافعتُم واختلفتُم، فدَفعَ كلُّ واحدٍ منكم الفعلَ[٥] عن نفسه، وأحالَ على غيرِه، وقد دَرَأ يَدْرَأ دَرْءاً، أي: دفعَ، قال الله تعالى: ﴿وَيَدْرَؤُا عَنْهَا الْعَذَابَ﴾ [النور: ٨] ودارأه؛ أي: دافعَهُ، وتَدَارأ القومُ؛ أي: تدافعوا، وادَّارؤوا كذلك، وأصلُه: فتَدَارأْتُم[٦]، أُدغِمت التَّاء في الدَّال؛ لأنَّها مِن مخرجِها، فسُكِّنَتْ، وأُدْخِلَت ألفُ الوصل؛ لأنَّه لا يُبتَدَأ بالسَّاكن.

---

(١) في (أ): «لينظر».

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (١/ ٦٣).

(٣) في (أ): «ليجعل».

(٤) بعدها في (ر): «في».

(٥) في (أ): «القتل».

(٦) بعدها في (ر): «ثم».

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ مُخۡرِجٞ مَّا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ﴾ أي: مُظهِرٌ أمرَ القتيلِ بحقِّه وصدقِه، وقد بيَّنَّا وجوهَ الخروجِ والإخراجِ فيما مرَّ.

وقيل: هذه الآيةُ مقدِّمةٌ في المعنى؛ أي: واذكروا إذ وَقعَت هذه الحادثةُ فيكم، فسألتُم موسى بيانَ[1] أمرها، فقال: إنَّ اللهَ يأمرُكُم أن تَذبحوا بقرةً، وتَضربُوهُ ببعضِها، فيَحْيَى، فيُخبرَكم[2] عمَّن قتلَه، فقلتم له: أتتَّخِذنا هُزُواً. إلى آخرها.

والتَّقديمُ والتَّأخيرُ في الأخبارِ والتِّلاوة إذا لم يُوقِعِ الخَلَل والتَّناقُضَ جائزٌ، ألَا ترى أنَّ العِدَّة بأربعة أشهرٍ وعشر ناسخةٌ للعدَّة بسنةٍ متاعاً إلى الحول غير إخراج، ثمَّ النَّاسِخُ مقدَّمٌ في التِّلاوةِ، والمنسوخُ متأخِّر.

وقيل: كان هذا في وقتين؛ ذكرَ اللهُ تعالى أمرَ البقرةِ تسليةً لقلبِ النبيِّ ﷺ أنَّ قومَ موسى صلوات الله عليه نَسبوا موسى إلى الهُزْو، واستَقصَوا بالسُّؤالِ[3]، فسألَتِ الصَّحابةُ رسولَ الله ﷺ ورضي عنهم: لم كانوا مأمورين بذبح البقرة؟ فأنزلَ اللهُ تعالى هذه الآيَةَ، ودليلُ هذا أنَّ الأوَّلَ خطابُ موسى عليه السلام لقومه[4]، والثَّاني خطابُ اللهِ تعالى أولادَ القائلين.

ثمَّ اختُلِفَ في الآية الثَّانية؛ أنَّ الخطابَ لأيِّ قومٍ؟ قيل: هو[5] لبني إسرائيل الذين كانوا في عصرِ موسى عليه السلام.

ومعنى قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ مُخۡرِجٞ مَّا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ﴾ أي: من أمرِ القاتلِ ليظهرَ البريءُ

---

(١) في (أ): «ببيان».

(٢) في (ف): «ويخبركم».

(٣) في (أ): «في السؤال».

(٤) في (ف): «قومه»، وليست في (ر).

(٥) لفظ: «هو» من (أ).

مِن المجرمِ، وقد ادَّارؤوا فيها، وظنُّوا أنَّه يَنكتِمُ، فأظهرَهُ اللهُ تعالى بالأمرِ بذبحِ البقرة وضربِه ببعضها[1].

وقيل: هو خطابُ أهل عصر النبيِّ ﷺ، وكانوا يَكتمونَ هذه القصَّة لما فيها من الشُّنعة والتَّعنُّتِ ووصفِ موسى بالهزء، واللهُ تعالى أظهرَها بإنزال هذه الآيات، يدلُّ عليه أنَّه قال: ﴿مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾، ولم يقل: تجحدون.

* * *

(٧٣) - ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَٰلِكَ يُحْيِ اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَٰلِكَ يُحْيِ اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ أي: اضربوا المقتولَ، وإنَّما قال: اضربوهُ، على التَّذكير، وإن تقدَّم ذِكْرُ النَّفسِ؛ لاعتبار المعنى، فإنَّه كان رجلاً، وأنَّثَ في قوله: ﴿فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا﴾ لأنَّه صرفَ الكناية إلى النفسِ، وهي مؤنَّثةٌ سماعاً، فصَرفَ[2] إحدى الكنايتين إلى اللفظِ، والأُخرى إلى المعنى، كما في قوله تعالى: ﴿مِّن قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ﴾ [محمد: ١٣].

وقيل: قولُه تعالى: ﴿فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا﴾ يرجعُ إلى القِتلةِ التي يقتضيها قولُه: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ﴾، وقوله: ﴿بِبَعْضِهَا﴾[3] أي: بشيءٍ من البقرةِ المذبوحة، واختلفوا في ذلك[4] البعض.

---

(١) في (ف): «بعضها ببعض» مكان: «ببعضها».

(٢) في (ف): «فصرفت».

(٣) من قوله: «كذلك يحي الله» إلى هنا ليس من (أ).

(٤) بعدها في (ف): «المعنى أي».

قال ابنُ عبَّاسٍ وعكرمة: هو الفخذ[١].

وقال الفراء: فخذُها الأيمن[٢].

وقال السُّدِّيُّ: هو البُضعة التي تكونُ بين الكتفين[٣].

وقال أبو العالية والرَّبيعُ بنُ أنس: هو عظم[٤] منها[٥].

وقيل: هو الذَّنَبُ.

وقيل: هو عَجْبُ الذَّنَب، ومنهُ يُرَكَّبُ الخلقُ، ومنه يبدأ يوم القيامة. قاله معاذُ بن جبل، وهو أوَّلُ ما يُخْلَقُ مِنه، وآخرُ ما يَبْلى.

وقيل: اللسان.

وقال الإمام أبو منصورٍ رحمه الله: لا يعلم ذلك إلَّا بالخبر عن الله تعالى، لكن نقول: ﴿بِبَعْضِهَا﴾ بقدرِ ما في الكتاب ذكره[٦].

ثمَّ هاهنا مضمرٌ؛ أي: فضربوهُ ببعضِها، فأحياهُ اللهُ تعالى، ثمَّ إنَّ موسى عليه السلام أمرَهم بضربها، وما ضَربَهُ بنفسِه؛ نفياً للتُّهمة؛ كيلا يُنسَبَ إلى السِّحر أو الحيلة، كما اتهموه عند إحياء العصا، حتى قال فرعون لعنه الله: ﴿إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ﴾ [طه: ٧١]، وقالوا ﴿سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا﴾ [القصص: ٤٨].

---

(١) رواه عن عكرمة الطبريُّ (٢/ ١٢٥)، وابن أبي حاتم (١/ ١٤٥) (٧٥١)، وأخرج ابن أبي حاتم (١/ ١٤٥) (٧٥١) عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه فسره بالعظم الذي يلي الغضروف.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٤٨).

(٣) رواه الطبري (٢/ ١٢٦).

(٤) في (أ): «عظمة».

(٥) رواه الطبري (٢/ ١٢٦) عن أبي العالية.

(٦) لفظ: «ذكره» من (أ). وانظر «تأويلات أهل السنة» (١/ ٦٤).

وقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُحْيِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ أي: كما أحيا هذا المقتولَ يُحيي الموتى يوم القيامة.

وقولُه في هذه السورة: ﴿أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ﴾ [البقرة: ٢٥٩] معطوفٌ على هذا، وإنَّما جاز وإن بعد[١]؛ لأنَّ القرآنَ كلَّه كتابٌ[٢] واحدٌ متَّصِل بعضُه ببعضٍ، فتتَّصِل المعاني مع[٣] تباعد الآيات، وهو كقوله: ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ﴾ [الفرقان: ٧]، وجوابُه ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ﴾ الآية [الفرقان: ٢٠]، وقولِه تعالى: ﴿صٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ﴾ [ص: ١] وجوابه: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ﴾ [ص: ٦٤] وقولِه تعالى: ﴿وَٱلْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ [الفجر: ١ ـ ٢]، وجوابه: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾ [الفجر: ١٤].

فإنْ قالوا: إنَّ بني إسرائيل كانوا مُقِرِّينَ بالبعثِ فما معنى إلزامِهم بقوله: ﴿كَذَٰلِكَ يُحْيِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾؟ قلنا: كانوا مُقِرِّين قولاً وتقليداً، فنبَّهم عليه[٤] عياناً وإيقاناً، وهو كقول إبراهيم عليه السلام: ﴿بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾ [البقرة: ٢٦٠].

وقال أبو سهل الطالقاني: لم يُرِد به إحياءَ النُّفوسِ في هذه الآية، بل أرادَ إحياءَ ما أماتوا وكتَموا مِن نعتِ النبيِّ ﷺ، والأحكامِ، كالرَّجم ونحوه؛ أي: يُظهِرُ هذه كما أظهرَ تلك.

وقولُه تعالى: ﴿وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ أي: دلائلَه الأُخر[٥]، ولا يَقتصِرُ على إراءةِ هذه الآية.

---

(١) في (ر) و(ف): «جاء بعد» بدل: «جاو وإن بعد».

(٢) في (ر): «كلام».

(٣) في (ف) و(ر): «ثم بعد» مكان «مع».

(٤) في (ف): «فثبته»، وفي (ر): «فثبته عليه» بدل: «فنبههم عليه».

(٥) في (أ): «الأخرى».

وقوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ لم يُرد به: ليصيروا عُقَلاء، فقد كانوا كذلك، لكن معناهُ: لتعقِلوا ما يجبُ عليكم مِن أمر دينكُم إذا رأيتُم آياتِ الله في إحياءِ الموتى ونحوِه.

وقال القفَّال: هذا كلامٌ مبتدأ؛ أي: ﴿وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ يا معشرَ[١] العرب في محمَّدٍ ﷺ بما يخبركُم به من علمِ الغَيب الذي لا يجوزُ أن يُعرَفَ إلَّا بخبرٍ عن الله تعالى، لكي تنبَّهوا وتَقبلوا ما يَدعوكم إليه، كقولك: أعقِلْ هذا؛ أي: أفهِمه.

وقيل[٢]: يجوزُ أن يكونَ معطوفاً على ما سبق؛ أي: ﴿وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ كما أراكم إحياءَ القتيلِ، ويجوزُ أن يكون معناه: ويريكم جميعَ آياته مِن أوَّل مبعثِ موسى عليه السلام إلى آخره؛ من اليدِ البيضاء، والعصا، والطُّوفان، والجرادِ، والقُمَّلِ، والضفادعِ، والدَّمِ، وفلقِ البحرِ، ونجاتِهم مِن الغَرق، وإغراقِ فرعون وقومِه، وكونِهم في التِّيه، ونزولِ المنِّ والسَّلوى، وإحياءِ السَّبعين بعد إحراقهم.

وقصَّتُه ما قال الكلبيُّ: إنَّ بني إسرائيلَ قيل لهم في التَّوراة: إذا هبطتُم أرضَ ميراثِكم المقدَّسةَ، التي كتبَ اللهُ لكم ميراثاً من أبيكم إبراهيم؛ دمشقَ والأردن وفلسطين، فما دمتم في مسيركِم هذا، فانظروا أيُّما قتيلٍ وُجِدَ بين قريتين، لا يُدرى مَن قتلَهُ، فليُقَس إلى[٣] أقربِهما، فليَأخذوا أهلَ تلك القريةِ جميعاً به، فإن علِموا قاتلَهُ، قتلوه به، وإن لم يَعلموا قاتلَهُ، أخذوا خمسينَ شيخاً[٤] مِن شيوخ أهل القريةِ،

(١) في (أ): «معاشر».
(٢) «قيل» ليس في (أ).
(٣) في (أ): «لمن».
(٤) «شيخاً» ليس في (أ).

ثمَّ يأخذون بقرةً حمراء حوليَّة، فينطلقون إلى وادٍ، فيذبحونها[١]، ثمَّ ليضع الشُّيوخ الخمسون أيديهم عليها، فيَحلفون بالله ربِّ السماء القويِّ، إلهِ بني إسرائيل، ما قتلناهُ، وما[٢] علمنا له قاتلاً، فإن حَلَفوا برئوا من دمِه وأخذوا بديته.

فعمد رجلان أخوان مِن بني إسرائيل إلى ابن عمٍّ لهما اسمُه عاميل، فقتلاه؛ لكي يرثا مالَه، وكانت بنتُ عمٍّ لهما شابَّةً جميلةً، مثلاً في بني إسرائيل، فخافا أن ينكحَها ابنُ عمِّها[٣]، فلذلك قتلاهُ، ثمَّ حملاهُ فألقياهُ إلى[٤] جانب قريةٍ، فأصبحَ أهلُ القرية والقتيلُ بينهم، لا يَدرون مَن قتلَه، فأخذَ أهلُ القريةِ به، فلمَّا عميَ عليهم شأنُه ومَن قتلَهُ، قالوا لموسى: ادعُ الله أنْ يُطلِعنا على قاتِله، فدعا موسى، فلمَّا رجعوا إلى موسى قالوا: يا موسى، ماذا أجابك ربُّك؟ قال لهم: إنَّ اللهَ يأمرُكم أن تذبحوا بقرةً، فتَضرِبوا الميِّتَ ببعضِها، فيعيشَ، فيُخبرَكُم بمَن قتلَه، فظنُّوا أنَّ موسى عليه السلام يَستهزئُ بهم، فقالوا: أتتَّخذنا هزواً؟

وَذَكَر[٥] سؤالاتِهم وجوابَه لهم، على ما مرَّ في تفسيرِ هذه الآيات، إلى أن قال: فطلَبوا بقرةً على هذه الصِّفة، حتَّى وجدوها عند رجلٍ ليست عندَه غيرُها، بقيَّةَ بقرٍ كُنَّ لآبائِه، فهو يربِّيها لولده[٦]، فلمَّا سألوهُ أن يبيعَها إيَّاهم أبا[٧]، رفعوا له في الثَّمن حتَّى أعطوهُ مِلءَ مَسْكِها ذهباً، فباعَها منهم، وكانوا أُمِروا أن يَضربوهُ ببعضِها بعد أن

---

(١) في (ف): «فيذبحون فيها».

(٢) في (ف): «ولا».

(٣) في (أ): «عمهما».

(٤) لفظ: «إلى» ليس في (ف).

(٥) يعني: الكلبي.

(٦) في (أ): «كولده».

(٧) لفظ: «أبا» من (ف).

يذبحوها، ففعلوا، فحييَ، وجلسَ وأوداجُهُ تسيلُ دماً، وقال: قتلني ابنا عمِّي، فأُخِذا وقُتِلا، ولم يُعطَيا من ميراثِه شيئاً، وفي الخبر: لم يُورَّث قاتلٌ بعد صاحبِ البقرة[1].

وقال ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: كان في بني إسرائيل رجل صالح له ابنٌ، وله عِجلٌ، فأتى بالعجلِ إلى غيضةٍ، فقال: اللهمَّ إنِّي أستودعُكَ هذه العجلةَ لابني حتَّى يَكبرَ، وماتَ الرَّجلُ، فلبثَ العجلُ في الغيضةِ حتَّى كبِرَ الصبيُّ، وكبِرتِ العجلةُ، فصارتْ عَوَاناً، وكانت تهربُ مِن كلِّ مَن رامها[2]، فلمَّا كبِر الصَّبيُّ[3] أتاها ومعه حبلٌ، فأذعَنت له، ومكَّنتهُ مِن نفسِها، وكانت أحسنَ البقر وأسمَنها، فأتى بها أمَّه، فلمَّا قال لهم موسى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً﴾، وذكرَ القصَّة على ترتيب هذه الآيات، وقال[4] فعرفوا أنَّها بقرةُ اليتيم، ﴿قَالُوا۟ ٱلْـَٔـٰنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ﴾، فساوموا بها اليتيم، فقالت له أمُّه: لا تبِعْها حتَّى تشاورَني، فلم يَزالوا يَزيدونَه حتَّى رضَوا بأن يشتروها بمِلءِ مَسْكِها ذهباً[5].

وقال السُّدِّيُّ: طلبوا البقرةَ فلم يجِدوها إلَّا عند غلامٍ من غلمان بني إسرائيل، كان بارًّا بأبيه، وكان من برِّهِ أنَّ إنساناً أتاهُ بلؤلؤٍ، فابتاعَهُ الغلامُ بخمسين ألفاً، وكان في اللؤلؤ فضلٌ، فقال له الغلام: إنَّ أبي نائمٌ، ومفتاحُ الصُّندوقِ عند رأسِه، فانتظِر حتَّى يستيقظَ فأُعطيكَ الثَّمن، قال: فأيقظ أباك، وأعطني المال، فقال: ما كنتُ لأفعلَ، ولكن أزيدُكَ عشرةَ آلافٍ، فأنظرني حتَّى ينتبهَ أبي، فقال الرجل: وأنا أحطُّ عنك عشرةَ

---

(١) ذكره أبو الليث في «تفسيره» (١/ ١٣٠) من قول عبيدة السلماني.

(٢) في (ر) و(ف): «رآها».

(٣) بعدها في (ر) و(ف): «وكبرت العجلة».

(٤) لفظ: «وقال» من (أ).

(٥) انظر الخبر مطولًا في «تفسير الثعلبي» (١/ ٢١٥ ـ ٢١٦).

آلافِ درهمٍ على أن توقظَ أباكَ، فقال الغلام: وأنا أزيدك عشرين ألفاً على أن تنتظر، فلم يزالا يزيدُ الغلامُ، ويحطُّ صاحبُ اللؤلؤ[١]، فلم يوقظ الغلامُ أباهُ، فأعقبَهُ اللهُ تعالى ببرِّه أن جعلَ تلك البقرةَ عندَه، فأتَوه، فقالوا: بِعناها، فقال: لا، فأعطوهُ بها بقرتين، فأبى[٢] حتَّى أعطَوه[٣] سبعَ بقراتٍ، فأبى، فأتَوا موسى عليه السلام، فقالوا: وجدنا صفةَ هذه البقرةِ عند غلامٍ مِن بني إسرائيل، فبعثَ إليه موسى، وقال: بِعهُم، فقال الغلام: أتأخذُها يا موسى غصباً؟ قال: لا، قال: فهي مالي، أبيعها بما شئتُ، قال موسى: صدق فأرضوه، ثمَّ قال له: فماذا تسأل؟ قال: لا أبيعُها إلَّا بملء مَسْكِها ذهباً، فلم يجدوا بُدًّا، فأعطوهُ، فأخذوا البقرةَ، فجاؤوا بها إلى موسى فذبحوها[٤].

وقال سعيد بن جبير: إنَّ أصحابَ البقرة طلبوها أربعينَ سنةً[٥].

وقال عكرمة: وجدوها عند رجلٍ، قال: أبيعُها بمئة دينار، فأبَوا، فرجعوا إلى موسى، فقال: هو أعلمُ، إن شاءَ باعَها، وإن شاء لم يبعها، فعادوا إلى الرَّجلِ، فقالوا: قد أخذناها بمئة دينار، فقال: لا أنقُصُها عن مئتي دينار، فلم يزالوا يعودون إلى موسى وإلى صاحب البقرةِ، فيُضَعَّف عليهم الثَّمنُ، حتى قال: لست أبيعُها إلَّا بمِلء مَسْكِها ذهباً، فأخذوها به[٦].

---

(١) في (ر): «البائع» مكان: «صاحب الؤلؤ».

(٢) قوله: «فأبى» ليس في (أ).

(٣) في (ف): «فأعطوه» بدل: «حتى أعطوه».

(٤) قول السدي ذكره الجرجاني في «درج الدرر» (١/ ٢٠٥) مختصراً، لكن فيه أن الغلام ابتاع اللؤلؤ بسبعين ألفاً، وأنهم اشتروا البقرة بوزنها عشر مراتٍ ذهباً.

(٥) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ١٤٥) (٧٥٠) من رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٦) رواه سفيان بن عيينة كما في «الدر المنثور» للسيوطي (١/ ٤٠٦ ـ ٤٠٨).

وقال السُّدِّيُّ: كان في بني إسرائيل فتى يتيمٌ في حِجْرِ عمِّه، فلمَّا بلغَ الفتى قال: يا عم، أنكِحني ابنتَك، فأبى عليه[(١)]، فقال الفتى: والله لأقتُلنَّ عمِّي، ولأرِثنَّ[(٢)] مالَه، ولأنكِحنَّ ابنتَه، ولآخذنَّ دِيته[(٣)]، فقال لعمه ليلةً: إنَّ لي حاجةً في سبطٍ من أسباط بني إسرائيل، فانطلقَ بعمِّه، حتى خلا[(٤)] به، وجاءَهُ بخنجرٍ كانَ أعدَّهُ لقتلِه[(٥)]، فقتلَهُ، فلمَّا أصبحَ جعلَ يَبكي على عمِّه، فطافَ بالأسباط التي ليس فيها عمُّه عمداً، ثمَّ دخلَ الذي بها عمُّه[(٦)]، وقال: إنَّكم قتلتموه، فذهب بهم إلى موسى، فعرضَ عليهم الدِّية، فتدَافعوا فيه أنَّهم لم يقتلوه، فأوحى الله تعالى إليه أن مُرهُم أنْ يَذبحوا بقرةً[(٧)].

وعن ابن سيرين أنَّ رجلاً كان له ذو قرابةٍ هو وارثُه، فقتلَهُ ليرثَه، ثمَّ ذهب به، فألقاهُ على باب قومٍ آخرين، وأصبحَ يَطلبُ بدمِه، فهمُّوا أن يقتتلوا، حتى لبسَ الفريقان السلاح، فقال رجلٌ منهم: أتقتتلون وفيكم نبيُّ الله موسى، فكفَّ بعضُهم عن[(٨)] بعض، ثمَّ انطلقوا إلى موسى عليه السلام، فذكروا له ذلك، وذكروا[(٩)] القصَّة[(١٠)].

---

(١) في (ر): «عمه ذلك» بدل: «عليه».

(٢) في (ر) و(ف): «وأرث».

(٣) في (ف): «ماله».

(٤) في (أ): «إذا دخل» بدل: «خلا».

(٥) في (ف): «له».

(٦) قوله: «ثم دخل الذي بها عمه» من (ف).

(٧) رواه بنحوه مطولًا الطبري في «تفسيره» (٢/ ٧٨ ـ ٨٠)

(٨) في (أ): «على» وفي (ر): «من».

(٩) في (أ): «وذكر».

(١٠) رواها عبد الرزاق في «تفسيره» (٦٧)، والطبري في «تفسيره» (٢/ ٧٦)، وابن أبي حاتم (١/ ١٣٦) (٦٩٠) عن ابن سيرين عن عبيدة.

وقال القشيريُّ رحمه الله: في قوله تعالى: ﴿لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ إشارةٌ إلى أنَّ الذي يَصلُحُ لهذه الطريقة[١]: مَن لم يستهوِه نزقُ[٢] الشَّباب وسُكرُهُ، ولم يُعطِّلْهُ عجزُ المشيبِ وضعفُه، بل هو صاحٍ استفاقَ مِن سُكرِه، وبقي له بعدُ[٣] نضارةٌ مِن عمره[٤].

وقال بعضُ أهل المعرفة في قوله ﴿لَّا شِيَةَ فِيهَا﴾: هذا تنبيهٌ على أنَّ أمدحَ الأحوالِ للعبد أن يكونَ مع الله على لونٍ واحدٍ، فلا تتشتَّتُ عليه همومُ الدُّنيا، قال النبيُّ ﷺ: «مَن جعلَ همومَهُ همًّا واحداً ـ وهو هم المعاد ـ كفاهُ الله جميعَ همومِهِ، ومَنْ تَشعَّبت به الهمومُ، لم يُبَالِ اللهُ في أيِّ أوديةٍ هلك»[٥].

وسَمِعَ بعضُ الفقراء قائلة تقول:

كلَّ يومٍ تَتلوَّن ... غيرُ هذا بكَ أحسنْ

فوقف يستمعُ إليها ويشهقُ ويقول[٦]: هذه حالتي[٧] مع الله، فلم يزل هكذا حتَّى شهقَ شهقةً كان حتفُه فيها[٨].

---

(١) بعدها في (ر): «وقال القشيري».

(٢) في (ف): «ترف».

(٣) في (ف): «بعض».

(٤) انظر «لطائف الإشارات» للقشيري (١/ ٩٧ ـ ٩٨).

(٥) رواه ابن ماجه في «سننه» (٢٥٧) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه. وفي إسناده نهشل بن سعيد، قال ابن راهويه: كان كذاباً، وقال أبو حاتم والنسائي: متروك، وقال يحيى والدارقطني: ضعيف. «ميزان الاعتدال» (٥/ ٣٦).

(٦) في (ر): «وهو يقول».

(٧) في (أ): «حالي».

(٨) ذكر هذه القصة بنحوها القشيري في «الرسالة القشيرية» (٢/ ٥١٥).

وقال بعضُ أهل المعرفة في قوله: ﴿فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْيِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾: إنَّما جعلَ اللهُ إحياءَ المقتولِ في ذبح البقرة؛ تنبيهاً لعبده أنَّ مَن أرادَ منهم إحياءَ قلبه، لم يتأت له إلَّا بإماتةِ نفسِه، فمَن أماتَها بأنواع الرِّياضات، أحيى اللهُ قلبَه بأنوار[1] المشاهدات.

* * *

(٧٤) ـ ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ أي: غَلُظَت واشتدَّت، وقد قسا[2] يقسو قسوةً، فهو قاسٍ وقسي، قال الله تعالى: ﴿قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً﴾[3] [المائدة: ١٣] وقُرِئ: ﴿قَسِيَّة﴾[4]، وحجرٌ قاسٍ؛ أي: صلب، والقسيَّةُ: اللَّيلةُ الباردةُ، والمقاساةُ معالجةُ الأمر بشدَّةٍ.

وقوله تعالى ﴿مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ قال ابنُ عبَّاس وقتادة: أي: مِن بعد إحياءِ القتيل[5]، وهو خطابٌ لقاتليه؛ أي: حَيِيَ القتيلُ، فأخبرَ أنَّ ابنَي عمِّه قَتلاه، فأنكَرا معَ ظهور هذه الآيةِ العظيمة.

---

(١) في (أ): «بأنواع».

(٢) في (ف): «قساه».

(٣) في (أ) و(ف): «قاسية قلوبهم».

(٤) هي قراءة حمزة والكسائي. انظر «السبعة» (ص: ٢٤٣)، و«التيسير» (ص: ٩٩). ومن قوله: «فهو قاس» إلى هنا ليس في (ر).

(٥) أخرج قولي ابن عباس وقتادة الطبريُّ في «تفسيره» (٢/ ١٢٩ ـ ١٣٠).

وقيل: بل معناهُ: ثمَّ قسَت قلوبُكم مِن[١] بعد إحياءِ الميِّت عن الانقيادِ للحقِّ، ولم يزالوا بعدُ[٢] أهلَ حسدٍ وعنادٍ للأنبياء، لا يَقبلون وعظاً.

وقيل: بل معناه: قَسَت قلوبُكم بعدَ إحياءِ هذا القتيل وغيره من الآيات، فلم يَخلُوا من[٣] عنادٍ واعتراضٍ على موسى عليه السَّلام، في التِّيهِ وغير ذلك، وهذا كلُّه راجعٌ إلى أسلافِهم.

وقيل: هو خطابُ أهل عصرِ النَّبيِّ ﷺ مِن الأحبار؛ أي: غَلُظَت قلوبُكم بعد ما جاء أوائلَكم مِن الآيات، والعقوباتِ على الجنايات، والمواثيق المأخوذة عليهم، فطَغيتُم، مع ما عندكم مِن العلم بالآيات التي تَلينُ عندها القلوبُ، ومن وصف المؤمنين ذلك: قال الله تعالى: ﴿تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٣].

وقوله تعالى: ﴿فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ﴾ أي: هذه[٤] القلوبُ مثلُ الحجارةِ ـ وهي جمعُ الحَجَرِ ـ في الشِّدَّة والغِلظ.

وقوله تعالى: ﴿أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ ذكرنا عند تفسير قوله تعالى: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة: ١٩] أنَّ ﴿أَوْ﴾ على وجوهٍ كثيرة، ويَستقيمُ حملُها هاهنا على عدَّةٍ منها:

أحدُها: أنَّها بمعنى الواو.

ومنها: بمعنى «بل».

---

(١) لفظ «من» ليس في (ف).

(٢) في (ر): «بعده».

(٣) في (أ): «من».

(٤) في (ف): «فهذه».

ومنها: أنَّها للتخيير؛ أي: إنْ شئتُم فاجعلوها كالحجارة، فهي مثلها، وإن شئتُم فاجعلوها أشدَّ منها، فإنَّها كذلك، كما يقال: جالسِ الحسنَ أو ابنَ سيرين، فإنه[1] للتخيير.

ومنها: أنَّها على إبهام[2] الأمر على العباد، وإن كان اللهُ جلَّ جلالُه عالماً بذلك، كقول الرَّجل لآخر[3]: أكلتُ خبزاً أو لحماً، إذا[4] أردتَ أن تخبرَه أنَّك إنَّما أكلتَ أحدَ هذين الشَّيئين، لا ثالثاً غيرهما[5]، وأبهمتَ الخبرَ عليه إذا لم يكن بك حاجةٌ إلى التَّعيين، أو لم تُرِد تَعيينه له.

ومنها: أنَّه كقولك: ما آكلُ إلا حُلواً أو حامِضاً؛ أي: طعامي لا يَخرجُ عن هذين، بل يتردَّد عليهما، ومعناه أنَّ قلوبَ جماعتكم؛ إمَّا كالحجارة، وإمَّا أشدُّ قسوةً منها، وليس فيها ما يخرجُ عن هذين، فتكونَ ألينَ مِن الحجارة.

وحقيقتُه أنَّ هؤلاء عند مَن عرفَ شأنَهم منكم على هذه الصورة، أو أشدَّ منها، فأمَّا عند الله، فهو كأحدهما بعينِه لا شكَّ فيه، وأنتم لتقارب الأمرين تشكُّون فيه، وكذا قولُه: ﴿إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ [الصافات: ١٤٧]، وقولُه: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ [النجم: ٩].

وقيل: هذا في فريقين؛ أي: بعضُكم كذا، وبعضكم كذا.

وقيل: هذا تأسيسٌ للتَّقريرِ في القلوب، فبَدأ بما يعرفونه في نهاية الشِّدَّة، فشبهها

---

(١) في (أ): «إنه».

(٢) في (ف): «إيهام».

(٣) في (ف): «للآخر».

(٤) في (ف): «إن».

(٥) في (ر) و(ف): «لهما».

بالحجارة، ثمَّ بيَّن كمالَ قسوتِها أنَّها أقسى منها، وقد يُبدأ في الإخبار بالأدنى، ثمَّ بالأعلى، وهذا[١] أوقع في القلب، قال تعالى: ﴿أَلَن يَكۡفِيَكُمۡ أَن يُمِدَّكُمۡ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٖ﴾ [آل عمران: ١٢٤]، ثمَّ قال: ﴿يُمۡدِدۡكُمۡ رَبُّكُم بِخَمۡسَةِ ءَالَٰفٖ﴾ [آل عمران: ١٢٥]، وقال النبيُّ ﷺ لأصحابه: «إني لأرجو أن تكونوا ثُلُثَ أهلِ الجنَّة»، فكبَّروا، ثم قال: «إنِّي لأرجو أن تكونوا نصفَ أهل الجنَّة»، فكبَّروا، ثمَّ قال: «إنِّي لأرجو أن تكونوا ثُلُثَي أهل الجنَّة»[٢].

وقوله تعالى: ﴿أَوۡ أَشَدُّ﴾ مرفوعٌ لأنَّه معطوفٌ على معنى الكاف في قوله تعالى: ﴿كَٱلۡحِجَارَةِ﴾، فإنَّ معناه: مثلُ الحجارة[٣].

وقولُه: ﴿قَسۡوَةٗ﴾ نصب على التفسير، كقوله[٤]: هو أحسنُ الناس خلقاً، وأتمُّهم رفقاً.

---

(١) في (أ): «وهو».

(٢) رواه الحميدي في «مسنده» (٨٥٣) من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه، وفيه قوله ﷺ: «إني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة»، فكبروا، ثم قال: «إني لأرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة» فكبروا، ثم قال: «إني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة» فكبروا. قال سفيان (هو ابن عيينة شيخ الحميدي): انتهى حفظي إلى النصف، ولا أعلم إلا أنه قال: «إني لأرجو أن تكونوا ثلثي أهل الجنة». وضعف محققه إسناده بأن فيه علي بن زيد بن جدعان، وبانقطاع في إسناده بين الحسن البصري وعمران.

والحديث رواه البخاري (٦٥٢٨)، ومسلم (٢٢١) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، والبخاري (٣٣٤٨) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، كلتا روايتيهما كرواية عمران، لكن دون ذكر الثلثين.

(٣) قوله: «فإن معناه مثل الحجارة» ليس في (ف).

(٤) في (أ): «كقولك».

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: ضرب الله مثلاً لقلوبهم، فشبَّهها بالحجارةِ؛ لِقَساوتها وشدَّتها، وأنَّها أشدُّ قسوةً مِن الحجارة، وذلك أنَّ مِن الحجارة مع صلابتها وشدَّتِها مع فقد أسبابِ الفهم والعقلِ عنها، وزوالِ الخِطابِ منها، تخضع له وتتصدَّع، قال الله تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ [الحشر: ٢١]، وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾ [الأعراف: ١٤٣]، وقلبُ الكافرِ مع وجودِ أسباب الفهم والعقل[١]، وسَعَةِ هيئةِ القَبول، لا يَخضعُ له ولا يَلين.

وكذلك أخبرَ اللهُ تعالى عن الجبال أنَّها تَلينُ وتَخضعُ لهول ذلك اليوم بقوله: ﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ﴾ [القارعة: ٥]، وقلبُ الكافرِ لا يلينُ أبداً، و[٢] يقال: إنَّ اللهَ تعالى جعلَ مِن الجبالِ منافعَ للخلقِ مع صلابتِها وشِدَّتِها، حتَّى يتفجَّرَ منها الأنهارُ والمياهُ، وقلبُ الكافر ـ مع احتمال ذلك وإمكانه ـ لا منفعةَ فيه[٣] لأحدٍ.

ثمَّ وجهُ حكمةِ ضربِ قلوبهم مثلاً بالحجارة وتشبيهها بها دونَ غيرِها مِن الأشياءِ الصُّلبة مِن الحديد[٤] والصُّفرِ وغيرهما، وذلك والله أعلم أنَّ الحديدَ تُلَيِّنُه النَّارُ، وكذا الصُّفر حتَّى يُضرب منها[٥] الأواني، والحجرُ لا تُلَيِّنُهُ نارٌ ولا شيءٌ[٦]، فلذلك شبَّه قلبَ الكافرِ بها.

---

(١) لفظ: «والعقل» ليس في (أ).

(٢) في (أ): «أو».

(٣) في (أ): «منه».

(٤) في (أ): «كالحديد» بدل من «من الحديد».

(٥) في (أ): «منهما»، وفي (ر): «منه».

(٦) بعدها في (أ): «آخر».

قال: وهذا ـ والله أعلم ـ في قوم عَلِمَ اللهُ أنَّهم لا يؤمنون بها[١].

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ واللام في ﴿لَمَا﴾ للتَّأكيد، و«ما» خبرُ «إنَّ»، وهو مرفوعٌ ومعناه: الذي؛ أي: الحجرُ الذي يتفجَّرُ منه[٢]، والهاءُ ترجعُ إلى «ما»، لا إلى الحجارة، وقيل: ترجع إلى «مِن» في قوله: ﴿مِنَ ٱلْحِجَارَةِ﴾ فإنَّه للتَّبعيضِ، ومعناه: وإنَّ بعضَ الحجارة، وعلى هذا تكونُ «ما» صلةً زائدةً، كما في قوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، و﴿عَمَّا قَلِيلٍ﴾ [المؤمنون: ٤٠]، و﴿فَبِمَا نَقْضِهِم﴾، تقديرُه: وإنَّ بعضَ الحجارةِ ليتفجَّرُ منه الأنهار.

و﴿يَتَفَجَّرُ﴾ أي: يسيلُ واسعاً كثيراً.

والأنهارُ جمعُ نهرٍ، وهو معروف، ومعناه: المجرى الواسعُ مِن[٣] مجاري الماء.

وقيل: هذا على العموم في جميع الأحجار العظام[٤] التي يخرجُ منها الأنهارُ والأودية.

وقيل: هو على الخصوص، وهو حجرُ موسى عليه السَّلام الذي كان يضربُه موسى[٥] بعصاه فينفجر منه اثنتا عشرةَ عيناً لاثني عشر سبطاً.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ﴾ أي: يتصدَّعُ فيخرجُ منه

---

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» (١/ ٦٤ ـ ٦٥).

(٢) بعدها في (ف): «الماء».

(٣) في (أ): «في».

(٤) لفظ: «العظام» ليس في (أ).

(٥) لفظ: «موسى» ليس في (أ).

الماءُ[١] القليلُ، و«يَشَّقَّق» أصله: يَتَشـقَّق، أُدغِمـت التَّاء في الشِّـين، كما في قوله: ﴿ٱلْمُزَّمِّلُ﴾، و﴿ٱلْمُدَّثِّرُ﴾، و﴿يُذَّكَّرَ﴾[٢]، و﴿يَصَّدَّعُونَ﴾.

ولهذا وجهان كما في الأول: أنَّ[٣] «ما» بمعنى الذي، و«منه» يرجع إليه، و«مِن» بمعنى بعض، و«ما»[٤] زائدة.

وقيل: هذا على العموم في كلِّ حجرٍ يَنشَقُّ[٥] فيخرجُ منه ما دونَ النَّهر.

وقيل: هو على الخصوص في قصة داودَ: ﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ﴾ [سبأ: ١٠].

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ في «من» و«ما» وجهان كما مرَّ، والهبوطُ: النُّزول، والخشيةُ: الخوفُ عن العلمِ، وهذا على العموم في كلِّ الأحجار عند بعضهم، وهي الأحجارُ التي تنحطُّ مِن رؤوس الجبال مِن خوف ذي الجلال.

وقيل: هذا على الخصوص في جبلِ موسى عليه السلام الذي تجلَّى له الرَّبُّ جلَّ جلالهُ، فجعلَه دكًّا، فقرَّر بذلك أنَّ قلبَ الكافر أقسى من الحجارة التي لها هذه الآثار.

فإن قالوا: وصفَ اللهُ تعالى الحجارةَ بالخشية، وهي لا توجد إلَّا مِن عاقلٍ مميِّزٍ؟ ولنا[٦] أجوبة:

---

(١) قوله: «يتصدع فيخرج منه الماء» ليس في (ر) و(ف).

(٢) قوله: «و﴿يُذَّكَّرَ﴾» ليس في (ف).

(٣) لفظ: «أن» من (أ).

(٤) في (أ): «ومعنى».

(٥) في (ف): «يتشقق».

(٦) في (أ): «قلنا عنه» بدل: «ولنا».

أحدها: أنَّ معناه ـ والله تعالى أعلم ـ: وإنَّ مِن الحجارة لما يتردَّى مِن العلوِّ إلى السفلِ منقاداً لحكم الله تعالى، وهؤلاء مصرُّون على العناد وتركِ الانقياد، فجعل الهبوط مثلاً للانقياد، كما يقال: نزلتُ على حكمِ فلان، وقوله: ﴿مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ أي: الانقيادُ لأمر الله، والكونُ على ما سخَّرهُ وهو شبيهٌ بما يعقلهُ[1] مَن يَخشى اللهَ، على معنى أنَّه لو وُجِدَ مثلُه مِن العاقل المختارِ كان به خاشياً لله تعالى، وهو كقوله ﴿جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ﴾ أي: ظهرَ فيه من الميلانِ المسقوط[2] ما لو ظهرَ مثلُه في حيٍّ مختارٍ كان مريداً.

والثاني: أنَّ المرادَ به الأحوالُ التي تَحدُثُ من الزَّلازل والآيات التي يُخشَى اللهُ عندها؛ أي: ومِنَ الحجارةِ ما ينزل[3] ويتزايل[4] بعضُه مِن بعض؛ مِن أجل ما يريدُ الله به[5] من خشيةِ عباده له ورجوعِهم إليه.

والثالث: أنَّه لو أُريدَ[6] حقيقةُ الخشية منها، فهو على أن يَخلقَ اللهُ تعالى فيها الحياةَ والتَّمييزَ، وليس شرطُ[7] خلقِ الحياةِ والتمييزِ في الجسم أن يكون على بُنيةٍ مخصوصةٍ عند أهل السُّنَّةِ والجماعة، وعلى هذا قولُه تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ [الحشر: ٢١]، وعلى هذا إنطاقُ جلودِ

---

(١) في (أ) و(ر): «يفعله».

(٢) في (ر) و(ف): «المسقوط».

(٣) في (ف): «يزيل».

(٤) لفظ: «ويتزايل» من (أ).

(٥) لفظ: «به» من (أ).

(٦) بعدها في (أ): «به».

(٧) في (ر) و(ف): «بشرط».

الكفَّارِ يوم القيامة، وحنينُ الجِذع[١]، وتسليمُ الأحجارِ على رسول الله ﷺ[٢]، وتسبيحُ الحصا في كفِّه[٣]، وكلام الشَّاة المسمومة[٤]، ومجيءُ الشَّجرتين إلى النبيِّ ﷺ حتَّى تستَّر[٥] بهما وقضى[٦] حاجتَه، ثمَّ رجوعهما إلى مكانهما[٧]، وقوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ [الزلزلة: ٤]، ونحو ذلك.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ قرأ ابنُ كثير بالياء على المغايبة رجوعاً إليها من المخاطبة، كما في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم﴾ [يونس: ٢٢]، وقرأ الباقون بالتَّاء على المخاطبة[٨]، كما في أوَّل الآية، وهذا أبلغُ وعيدٍ[٩]؛ أي: لا يَخفى على الله شيءٌ مِن أعمالكم، فيجازيكم بها.

* * *

---

(١) قال القاضي عياض في «الشفا» (ص٣٦٩) في حنين الجذع: هو في نفسه مشهور منتشر، والخبر به متواتر، قد خرجه أهل الصحيح، ورواه من الصحابة بضعة عشر...
قلت: من ذلك حديث جابر رضي الله عنه، رواه البخاري (٩١٨)، (٣٥٨٤)، وحديث ابن عمر رضي الله عنهما، رواه أيضاً البخاري (٣٥٨٣).

(٢) من ذلك ما رواه مسلم في «صحيحه» (٢٢٧٧) عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم علي قبل أن أبعث، إني لأعرفه الآن».

(٣) رواه البزار في «مسنده» (٤٠٤٠)، (٤٠٤٤) من حديث أبي ذر. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ٢٩٩): رواه البزار بإسنادين، ورجال أحدهما ثقات، وفي بعضهم ضعف.

(٤) رواه أبو داود في «سننه» (٤٥١٢).

(٥) في (ر) و(ف): «يستتر».

(٦) في (ف): «في قضاء».

(٧) رواه مسلم في «صحيحه» (٣٠١٢) من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه.

(٨) انظر «السبعة» (ص: ١٦٠)، و«التيسير» (ص: ٧٤).

(٩) بعدها في (ر): «عند الله».

(٧٥) ـ ﴿۞أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ وانتظامُه بما قبلَه أنَّ النبيَّ ﷺ والصَّحابةَ رضي الله عنهم لـمَّا سَمعوا هذه الآيات، وهي في مخاطبة اليهود، طمعوا أن يؤثِّرَ ذلك في قلوبِهم فيؤمنوا، قال اللهُ تعالى: أفترجون ـ وهذا استفهامٌ بمعنى النهي؛ أي: لا ترجوا، وهو خطابٌ للنبيِّ ﷺ وأصحابِه ـ مِن هؤلاء القاسيةِ قلوبُهم أنْ يُصَدِّقوكم؟ وآمَنَ له؛ أي: صدَّقه، قال الله تعالى: ﴿فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ﴾ [العنكبوت: ٢٦]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾ [يوسف: ١٧]، يقول: لا تطمعوا فيهم[1] أن يصدقوكم بما جاء به محمد ﷺ.

وقيل: هو خطابٌ للنبيِّ عليه الصَّلاة والسلام[2] على الخصوص بكلمة الجمعِ؛ تعظيماً له، كما قال: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ [القصص: ٧٦]؛ قيل: أي: عليه، وإنَّما جمعَ للتعظيم، ثمَّ هذا تأييسٌ مِن إيمانهم، وهم قومٌ بأعيانهم، كما في قوله تعالى: ﴿ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ٦].

ثمَّ بيَّن معنى بُعد الطَّمعِ عن ذلك بما بعدَه، وهو قوله: ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ﴾؛ أي: وهؤلاء أولادُ قومٍ[3] سمعوا كلامَ الله، وهم السَّبعون الذين اختارَهم موسى صلوات الله عليه للميقات.

وقد ذكر الكلبيُّ أنَّهم سألوا موسى أنْ يَسألَ اللهَ تعالى أن يُسمعهم كلامَه، فقال

---

(١) في (ف) و(أ): «منهم».

(٢) قوله: «وقيل: هو خطاب للنبي عليه السلام» من (أ).

(٣) في (ر) و(ف): «أولاد إسماعيل»!

لهم: اغتسلوا، والبسوا الثِّيابَ النظيفةَ، ففعلوا، فأسمعَهم اللهُ كلامَه، فقال: إنِّي أنا ربُّكم لا إله إلا أنا الحيُّ القيُّوم[1].

وزاد الضَّحَّاكُ في هذا أنَّه قال: أوصيكم ببرِّ الوالدين، وألَّا تسرقوا[2]، ولا[3] تزنوا، ولا يظلمَ بعضُكم بعضاً، ولا تقطعوا السُّبُل[4]، ولا يشهد بعضُكم على بعضٍ زوراً.

لكنَّ الصَّحيحَ أنَّهم لم يسمعوا كلامَ الله بلا واسطة، فإنَّ ذلك كان لموسى عليه السلام على الخصوص، لم يشركهُ فيه غيرُه في الدُّنيا، ومعنى: ﴿يَسْمَعُونَ كَلَامَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: التوراةَ من موسى بقراءته، كما في قوله: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦].

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ التَّحريفُ: التغيير، والانحراف: الميلُ، والتَّحرُّفُ كذلك، قال الله تعالى[5]: ﴿مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ﴾ وقلمٌ محرَّفٌ: مائلُ الرأس، فتحريفُ الكلام: إمالتُهُ عن وجهِه إلى غير وجهِه.

---

(١) ذكره الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» (١/ ١٨٩) من طريق محمد بن مروان السدي الصغير، عن الكلبي، عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما، وابن مروان هو السدي الصغير، والكلبي هو محمد بن السائب النسابة المفسر، وكلاهما متهم بالكذب، وأبو صالح، هو باذام مولى أم هانئ، ضعيف يرسل، وهذه ـ كما قال الحافظ ابن حجر في «العجاب في بيان الأسباب»: (١/ ٢٦٣) ـ: سلسلةُ الكذب لا سلسلة الذهب.

(٢) في (أ): «تسرفوا».

(٣) في (أ): «وألا».

(٤) في (ر) و(ف): «ولا تقطعون السبيل».

(٥) بعدها في (ر): «إلا».

وأمَّا تفسيرُه فقد قال مجاهدٌ والسُّدِّيُّ: أي: يُحرِّفون التوراة[١].

وقال محمد بن إسحاق والربيع: أي: الوحي الذي يسمعونه من موسى عليه السلام مِن بعد ما علِموا تأويلَه، وعرفوه[٢] وفهموه[٣].

وقيل: هو تحريفُ أحكام الكتاب، فإنَّهم كانوا يُفتون المستفتين مِن الفقراء بما في الكتاب، وإذا استفتاهم الغنيُّ أخذوا الرِّشوة، وغيَّروا حكمَ التَّوراة[٤] على وفق هوى الغنيِّ، كما غيَّروا آيةَ الرَّجم تخفيفاً على الأغنياء بأخذ الرِّشوة، وغيَّروا حكمَ الكتاب، يقول: كيف يؤمِنُ هؤلاء وهم يقلِّدون أولئك الآباء.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا عَقَلُوهُ﴾ أنه من عند الله، ويعلمون أنَّه رسولُ الله، وأنَّه حقٌّ.

وقال: معنى الآية أنَّهم مع كثرةِ ما عاينوا من الآياتِ، وشاهَدوا من العجائب في عهد موسى صلوات الله عليه؛ لم يَطمع هو في إيمانهم، فكيف طمعتُم أنتم في إيمان هؤلاء وهم أتباعُهم؟[٥]

وقيل: معناه: كيف ترجون إيمانَ أتباعِ هؤلاء، وفريقٌ مِن هؤلاء سمعوا القرآنَ مِن النبيِّ ﷺ، ثمَّ حرَّفوا تأويلَهُ بعد ما علموه.

وقال القفال: ﴿ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ﴾؛ أي: يتأوَّلونه على غيرِ تأويلِه، ويَعدِلون به عن

---

(١) رواه ابن أبي حاتم (١/ ١٤٩) (٧٧٤) عن السدي.

(٢) في (أ): «ويحرفوه»، وهو تحريف.

(٣) قولا ابن إسحاق والربيع أوردهما مكي في «الهداية» (١/ ٣١٥).

(٤) في (أ): «الكتاب».

(٥) «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (١/ ٦٥).

جهتِـه مِـن بعد ما عقلـوا[١] تأويلَهُ عـن الله تعالى، وهم يعلمون أنَّهـم يحرفونَه باطلاً ويتعمَّدونـه حسـداً وبغيـاً؛ أو يعلمـون[٢] أنَّه يُـورِثُ الـوِزْرَ والعقوبـةَ، وليس قوله: ﴿عَقَلُوهُ﴾ وقوله[٣]: ﴿يَعْلَمُونَ﴾ شيئاً واحداً.

وقال القشـيريُّ: آيسَـهُم عن إيمانِهم، وذَكَر أنَّهم بعد سماعِ الخطابِ مِن[٤] الله تعالـى حرَّفـوهُ وقد عقلـوه وعرفوه، فكيـف يؤمنون لكم، وإنَّما يَسـمعون بواسـطة الرسـالة؟ ومَـن لم يبـقَ على الإيمـان بعد العيـان، فكيف يؤمـنُ بالبرهـان، والذي لـم يَصلُـح للحـقِّ لا يَصلُـح لكـم، ومـن لـم يَحتشِـم مِـن الله كيـف[٥] يحتشـمُ منكم؟![٦]

❊ ❊ ❊

(٧٦) ـ ﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓا۟ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا﴾؛ أي: وإذا لقي المنافقون، وهم الذين كانوا من أهلِ الكتاب، وآمنوا بلسانهم خوفاً من القتل والسَّبي، وهم يُضمِرون الكفرَ، إذا لقوا المؤمنين المخلِصين مِن أصحاب رسولِ الله ﷺ، ﴿قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا﴾؛ أي: نحن مؤمنون مثلَكم مخلصون.

---

(١) بعدها في (ف): «أي».

(٢) في (ر): «أتعلمون»، وفي (ف): «أي يعلمون».

(٣) «قوله» من (أ).

(٤) في (ف): «خطاب» بدل: «الخطاب من».

(٥) في (أ): «فكيف».

(٦) «لطائف الإشارات» للقشيري (١/ ١٠٠).

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾؛ أي: صاروا على الخَلْوَة مع رؤسائهم كعب بن الأشرف وكعب بن أسيد ووهب بن يهودا.

وقوله تعالى: ﴿قَالُوٓا۟ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾؛ أي: قال هؤلاء الرؤساء مِن اليهود لهؤلاء المنافقين: أتحدِّثونَهم هذا[1] استفهامٌ بمعنى النَّهي؛ أي: لا تُحَدِّثوا[2] العربَ بما فتح اللهُ تعالى عليكم؛ أي: أنزلَ اللهُ تعالى عليكم، وهو ما في التَّوراة من نعتِ النَّبيِّ ﷺ، وحقِّيَّةِ[3] رسالتِه ودينِه وكتابِه، وهذا كما في قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: لأنزلنا.

وقال ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما وأبو العالية والحسنُ وقتادة: ﴿بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ مِن باب العلمِ بصفاتِ[4] النبيِّ ﷺ المبشر به[5].

وقيل: بما علَّمكمُ اللهُ مِن ذلك، وهو مِن قولِك: استفتَحتُه، ففتحَ عليَّ؛ أي: سألتُهُ فعلَّمني، ويقال: افتح عليَّ في أمري؛ أي: عرِّفني وجهَ وطريقه.

وقيل: ﴿بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾؛ أي: أوجبَ عليكم وحكمَ عليكم؛ مِن أخذِ الميثاق في كتبكم؛ ﴿ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ﴾

---

(١) لفظ: «هذا» من (أ).

(٢) في (ف): «لا تحدثونهم أي».

(٣) في (ر) و(ف): «وحقيقة».

(٤) في (ف): «بصفة».

(٥) في (ر): «البشرية» بدل: «المبشر به». وأقوال ابن عباس وأبي العالية وقتادة رواها الطبري في «تفسيره» (٢/ ١٤٦ ـ ١٤٧).

[آل عمران: ٨١]، وهو من قولهم للحاكم: فتَّاح، وقال تعالى[1]: ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ﴾ [الأعراف: ٨٩]؛ أي: احكم.

وقال مجاهد: أي: بما حكم عليكم، كما[2] جعلَ منكم القردةَ والخنازير، فلا تُقرُّوا به عندهم فيعرفوا[3] به عنادَكم وعنادَ آبائكم.

وقيل: ﴿بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾؛ أي: نصرَكُم حين استفتحتُم برسول الله ﷺ آخرَ الزمان في مغازيكم؛ أي: استنصرتُم به.

وقوله تعالى: ﴿لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ﴾ قال ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: كان المنافقون يُحَدِّثون العربَ بما عُذِّبوا به، فيقول لهم رؤساؤهم: ﴿أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ مِن العذاب ﴿لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ﴾ أي[4]: ليقولوا: نحنُ أكرمُ على الله مِنكم، وأحبُّ إليه منكم[5].

وقال مقاتلُ بن سليمان: نزلت في اليهود، وذلك أنَّ الرجلَ المسلمَ كان يرى مِن اليهود رضيعَه أو حليفه، فيسأله: أتجدون محمَّداً في كتابكم؟ فيقولون: نعم، هو حقٌّ نعرفُه، فسمع كعبُ بنُ الأشرف ومالكُ بن الصَّيف وأصحابُهما، وقالوا لليهود في السِّرِّ: أتحدثون أصحابَ محمَّدٍ بما فتحَ اللهُ عليكم مِن نعتِ محمَّدٍ ليُحاجُّوكم به عند ربِّكم، باعترافكم بأنَّه نبيٌّ، ثمَّ لا تتابعونه[6].

---

(١) بعدها في (أ): «خبراً».

(٢) في (أ): «بما».

(٣) وفي (ر): «تقرون به عندكم فتعرفوا»، وفي (ف): «فلا تقرؤونه عندهم فيعرفون».

(٤) لفظ: «أي» من (أ).

(٥) أخرج الطبري (٢/ ١٤٨ ـ ١٤٩)، وابن أبي حاتم (١/ ١٥٠) (٧٨٣) نحوه عن السدي.

(٦) انظر: «تفسير مقاتل» (١/ ١١٨)، ونقله عنه ابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ١٠٤).

قوله تعالى: ﴿عِندَ رَبِّكُمْ﴾؛ أي: في القيامة، وهو كقوله: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ[1] عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ [الزمر: ٣١].

وقيل: أي: يكون لهم[2] حجَّةٌ عند الله في الدُّنيا والآخرة.

وقال الحسن: ﴿عِندَ رَبِّكُمْ﴾؛ أي: في ربكم، فيكونوا هم أولى به منكم إذا قامت حجَّته[3] عليكم[4].

وقيل: ﴿عِندَ رَبِّكُمْ﴾؛ أي: في حكم ربِّكم، وهو كقوله: ﴿فَأُولَٰئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ [النور: ١٣]، وقولِه عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ﴾[5] [التوبة: ٣٦]؛ أي: ليحتجُّوا به عليكم، بإقراركم أنَّ اللهَ تعالى حكمَ عليكم فيما أخذ عليكم من الميثاق الذي بيَّنَّا: ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ﴾ [آل عمران: ٨١].

وقيل: في الآية تقديمٌ وتأخيرٌ، وتقديرُه: ﴿أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾؛ أي: بما نزَّلَ عليكم[6] مِن عندِ ربكم ليُحاجُّوكم به.

وقوله تعالى: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ هو متَّصِل بكلامهم أيضاً؛ أي: أفلا تعقلون أنَّكم إنْ فعلتُم ذلك عادتِ الحُجَّةُ عليكم؟ وفيه عيبُكم وعيبُ سَلَفِكم.

وقال الحسن: هذا متَّصلٌ بقوله تعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ﴾ في إيمانِ مَن هذا[7] صفتُه، ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أنَّه لا يكون.

---

(١) من قوله: «﴿عِندَ رَبِّكُمْ﴾ أي: في» إلى هنا ليس في (ر) و(ف).

(٢) بعدها في (أ): «عليكم».

(٣) في (أ): «حجتهم».

(٤) انظر: «النكت والعيون» للماوردي (١/ ١٤٩).

(٥) بعدها في (أ): «اثنا عشر شهراً».

(٦) قوله: «أي: بما نزل عليكم» ليس في (ف).

(٧) في (ر): «هذه».

(٧٧) ـ ﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ ﴾؛ أي: هؤلاء المنافقون، أو هؤلاء اليهود.

قوله تعالى[1]: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾؛ أي: ما يُخفون وما يُظهرون مِن القول والعمل.

وقيل: ما يُسرُّون مِن الاعتقاد، ويعلنون من الإقرار.

وقيل: ﴿مَا يُسِرُّونَ ﴾ مِن الحقِّ، وهو نعتُ محمَّدٍ ﷺ، ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ مِن الكذب والباطل.

وقيل: ﴿مَا يُسِرُّونَ ﴾ من قولهم[2] النِّفاقَ، ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ من الشَّهادة باللِّسان.

وقيل: ﴿مَا يُسِرُّونَ ﴾ من قولِهم: ﴿أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ ﴾، ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ من قولهم: هو نبيٌّ حقٌّ، وهو في كتابنا مذكور.

وقوله تعالى[3]: ﴿أَوَلَا ﴾[4] استفهامٌ بمعنى التَّقرير، وهو تعجيبٌ للصَّحابة منهم؛ أي: ألا تَتعجَّبون مِن عنودهم وإنكارِهم لنعتِ[5] محمَّدٍ ﷺ في كتبهم، ويعلمون أنَّ اللهَ يَعلمُ ما يسرُّون وما يعلنون.

ويجوز أن يكونوا لا يعلمون ذلك، ويكون قوله: ﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ ﴾ تحريضاً على

---

(١) من قوله: «أي هؤلاء المنافقون» إلى هنا من (أ).

(٢) «قولهم» ليس في (أ).

(٣) في (ف): «ولفظة» بدل: «وقوله تعالى».

(٤) بعدها في (ر): «يعلمون».

(٥) في (أ): «نعت».

تَعرُّفِ ما يُفيدُهم العلمَ، كقولك للرجل: أَلَا تفعلُ كذا؟ وهو لا يفعلُه[١]؛ تحرضه[٢] على أن[٣] يفعلَه.

والإسرارُ: الإخفاء، والاستسرار[٤]: الاختفاء، والإعلان: الإظهار، والعُلُون والعلانيةُ والاستعلان: الظهور، والعَلَنُ نقيضُ السِّرِّ.

***

(٧٨) - ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾؛ أي: ومن اليهود أمِّيُّون؛ أي: قومٌ لا يَكتبون ولا يقرؤون مِن كتابٍ، سُمِّيَ الأُمِّيُّ به؛ لأنَّه على الخِلقةِ التي ولدتهُ الأمُّ عليها، وهي عدمُ الكتابة والقراءة مِن الكتاب.

وقيل: هو منسوبٌ إلى الأم، والأمُّ مِن النساء، والغالبُ فيهنَّ عدمُ الكتابة والقراءة منها.

وقيل[٥]: منسوبٌ إلى الأمِّ الذي هو الأصل، والأصلُ هذا أيضاً، فإنَّ الكتابة تكون بالتعلُّم لا بالخلقة.

وقيل[٦]: منسوبٌ إلى الأُمَّة، وهي جمهور العامَّة، والأصلُ فيهم هذا أيضاً.

فأمَّا تسميةُ العرب أمِّيِّين فلأنَّ الأصلَ فيهم عدمُ الكتابة، وهي في بعضهم

---

(١) في (أ): «يعرفه».

(٢) في (ر): «تحريضاً».

(٣) بعدها في (أ) و(ف): «لا».

(٤) في (أ): «والاستسراء» وفي (ف): «الاستسرار».

(٥) بعدها في (أ): «هو».

(٦) بعدها في (أ): «هو».

نادرةٌ، ولأنَّهم مِن أمِّ القرى، وهي مكَّة، والنبيُّ ﷺ سُمِّيَ أمِّيًّا؛ لأنَّه مِن العرب، ولأنَّه مِن أمِّ القُرى، ولأنَّه كان ـ أي: النبيَّ ﷺ[١] ـ لا يكتبُ ولا يقرأُ مِن كتاب.

وعين[٢] هذه الصِّفَة ليست بمدحٍ ولا ذمٍّ، وهي في حقِّه عليه الصلاة والسلام كانت دلالةَ صحَّة دعواه؛ لما[٣] قال الله تعالى في هذه الآية: ﴿إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾؛ أي: ظنوا أنَّه يأخذُها مِن كتابٍ يكتبُه.

وفي هذه الآية ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ﴾ هذا ذمٌّ لهم؛ لعدم العلم، وتقليدِهم رؤساءَهم في الباطل.

وقوله تعالى: ﴿لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ﴾[٤] هو جمع أمنيَّة، كالأثافيّ جمع أُثفِيَّة، وللأماني ثلاثة تفاسير:

أحدها: أنها الأكاذيب، قال عثمان بن عفان: رضي الله عنه: ما تمنَّيت منذ أسلمت، ولا مَسِستُ فرجي بيميني منذ بايعتُ بها[٥] النبيَّ ﷺ، ولا أكلتُ الكرَّاثَ ونحوهُ منذ قرأتُ القرآن[٦]. وبه قال ابن عباس ومجاهد رضي الله عنهم: إنَّها الأحاديث المختلقة[٧]؛ أي: أخذوها مِن علمائهم تقليداً، وهو كقوله

---

(١) قوله: «أي: النبي ﷺ» من (ف).

(٢) في (ر) و(ف): «وغير».

(٣) في (أ): «كما».

(٤) بعدها في (ر): «الأماني».

(٥) لفظ: «بها» من (ر).

(٦) رواه ابن ماجه (٣١١) دون قوله: «ولا أكلت الكراث... » ولفظه عنده: ما تغنيت ولا تمنيت.

(٧) تحرفت في النسخ الخطية إلى: «المختلفة»، والمثبت هو الصواب. وقولا ابن عباس ومجاهد رواهما الطبري (٢/ ١٥٦).

تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ﴾ الآية.

والثاني: أنَّها القراءات، قال تعالى: ﴿إِلَّا إِذَا تَمَنَّىٰ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾ [الحج: ٥٢]، وقال حسان يرثي عثمان رضي الله تعالى عنهما:

تمنَّى كتابَ اللهِ أوَّلَ ليلِهِ   وآخرَهُ[١] لاقى حِمامَ المقابرِ[٢]

أي: وما يَعلَمُ هؤلاء السَّفِلةُ حقيقةَ المنزَلِ، وإنَّما يَقرؤون أشياءَ أخذُوها من أحبارهم، وقراءَتُهم على هذا الوجهِ لا ينفي اسمَ الأُمِّيِّينَ عنهم؛ لأنَّ الأُمِّيَّ مَن لا يكتبُ ولا يَقرأ عن كتابٍ، لا من لا يقرأ أصلاً.

والثالث: أنَّها الشَّهوات، قال تعالى: ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ﴾ [النساء: ١٢٠]، وقال تعالى: ﴿أَمْ لِلْإِنسَانِ مَا تَمَنَّىٰ﴾ [النجم: ٢٤]، وقال عزَّ وعلا: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ﴾ [النساء: ١٢٣]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا﴾ [النساء: ٣٢]؛ أي: لا يعلمون الكتابَ شيئاً إلَّا ما يُمنِّيهم كبراؤهم وعلماؤهم مِن دخولِهم[٣] الجنَّة بإقامتهم على دينهم.

وقال الأخفش: ﴿إِلَّا أَمَانِيَّ﴾[٤] استثناءٌ منقطع؛ لأنَّه ليس المستثنى مِن جنس

---

(١) في (أ): «وآخرها».

(٢) كذا في النسخ الثلاثة، والظاهر أنه تحريف، والذي في المصادر: «المقادر» بدل: «المقابر».

والبيت نُسِب لحسان في «تفسير الرازيّ» (٢٣/ ٥٢)، وفي «البحر المحيط» لأبي حيان (١٥/ ٣٨٨). ونسب لكعب بن مالك في «النكت والعيون» (١/ ١٥٠)، و«التفسير البسيط» للواحدي (٣/ ٨٥ ـ ٨٦)، و«تفسير القرطبي» (٢/ ٢١٨)، غير أن الواحدي جعله في رثاء كعب أباه.

وهو دون نسبة في «العين» (٨/ ٣٩٠)، و«سيرة ابن هشام» (١/ ٥٣٨)، و«الزاهر» لأبي بكر ابن الأنباري (٢/ ١٥٠)، و«مقاييس اللغة» (٥/ ٢٧٧)، و«تفسير الثعلبي» (١/ ٢٢٣)، وغيرها.

(٣) في (أ): «دخول».

(٤) في (أ): «هذا» وفي (ف): «الأماني» بدل من «﴿إِلَّا أَمَانِيَّ﴾».

المستثنى منه، وكلُّ موضعٍ يَحسُنُ فيه مكان «إلَّا» «لكن»، فهو استثناءٌ منقطع، وهاهنا يحسُن، تقديره: لا يعلمون الكتاب لكن يَتَّبعونَ الأماني، وهو كقوله تعالى: ﴿مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ﴾ [النساء: ١٥٧][1].

وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾؛ أي: وما هم إلَّا ظانِّين، وهو كقوله تعالى: ﴿إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ﴾ [الملك: ٢٠]، يعني: ما الكافرون[2]. وصف في الآية الأولى تحريفَ الأحبار، وفي هذه الآية تقليدَ العوام، وإيصالُ[3] هذه[4] وتلك بما قبلها أنَّه تعالى وصفَ هؤلاء القومَ أنَّهم غيرُ عالمين بالكتابِ، وتشبُّثُهم بمخترعات[5] رؤسائِهم كذباً لا حقيقة لها، فبَعَّد الطَّمَعَ في إيمان هؤلاء بهذا السبب؛ أي: أفتطمعون في إيمان هؤلاء، وهم جاهلون مقلِّدون، وأولئك معاندون.

***

(٧٩) ـ ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ﴾ قال ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما: الويلُ: العذاب[6].

---

(١) انظر «معاني القرآن» للأخفش (١/ ١٢٢ ـ ١٢٣).

(٢) بعدها في (ف): «إلا في غرور».

(٣) في (أ) و(ر): «واتصال».

(٤) بعدها في (أ): «الآية».

(٥) في (ر): «مخترعات».

(٦) رواه الطبري (٢/ ١٦٣).

وقال الكلبيُّ: هو الشَّديدُ مِن العذاب[١].

وقال الأصمعيُّ: هو تقبيحٌ مِن الله عزَّ وجلَّ فعلَهم، قال تعالى: ﴿وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾[٢].

وقيل: هي كلمةُ تحسُّرٍ وتفجُّعٍ، قال تعالى: ﴿يَٰوَيْلَتَنَا﴾.

وروى عثمانُ رضي الله تعالى عنه عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال[٣]: «الويلُ جبلٌ في النَّار»[٤].

وروى أبو سعيدٍ الخدريُّ رضي الله عنه، عن النبيِّ عليه الصَّلاة والسَّلام قال: «الويلُ وادٍ في جهنَّم، يَهوي فيه الكافرُ أربعين خريفاً قبل أنْ يبلغَ قَعْرَه»[٥].

وقال أبو عياض[٦]: هو وادٍ من صديد في أصل جهنم[٧].

وقيل: هو في اللُّغة: الهلاك، وقيل: الفضيحة، وقيل: حلول الشر.

وقوله: ﴿لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾؛ أي: التوراةَ مغيَّراً مبدلاً[٨].

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١/ ٢٢٤) من قول ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) انظر: «تأويل مشكل القرآن» لابن قتيبة (ص: ٥٦١)، و«التفسير البسيط» للواحدي (٣/ ٩١).

(٣) «أنه قال» من (أ).

(٤) رواه الطبري (٢/ ١٦٤). قال الحافظ ابن رجب في «التخويف من النار» (ص: ١١٣): إسناده فيه نظر. اهـ. وأورده ابن كثير عند تفسير هذه الآية، وقال: وهذا غريبٌ جدًّا.

(٥) رواه الترمذي في «سننه» (٣١٦٤)، وهو ضعيف لضعف دراج أبي السمح المصري. انظر ترجمته في «ميزان الاعتدال» (٢/ ٢٤ ـ ٢٥). وجعله ابن كثير في «تفسيره» آفة الحديث، ثم قال: وهذا الحديث بهذا الإسناد مرفوعاً منكرٌ.

(٦) تحرف في (ر) إلى: «ابن عباس» وكتب فوقه فيها: «في رواية».

(٧) رواه الطبري (٢/ ١٦٤).

(٨) في (أ): «ومبدلًا».

وقوله ﴿بِأَيْدِيهِمْ﴾ قيل: هو تأكيدٌ للفعل بحصولِه بما هو مختصٌّ به، وهو كقوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم﴾ [آل عمران: ١٦٧]، وقولِه: ﴿يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ [الأنعام: ٣٨].

وقيل: هو تحقيقٌ ونفيٌ للمجاز؛ أي: يتولَّونه بأنفسِهم، فقد يقول الإنسان: كتبتُ إلى فلانٍ، إذا أمرَ غيرَهُ أن[١] يكتبَ عنه إليه، وإذا قال: كتبتُ بنفسي، أو بيدي، فقد أخبر أنَّه باشرَهُ بنفسه.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾؛ أي: يشيرون إلى الذي[٢] كتبوه وهو مغيَّر أنَّه[٣] منزَّلٌ من عند[٤] الله تعالى.

وقوله: ﴿لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾؛ أي: يكتبون ذلك ليأخذوا به ما الكثيرُ منه قليل؛ لأنَّه فانٍ غيرُ باقٍ؛ فإنَّ المأكولَ يَذهبُ، والملبوسَ يبلى[٥]، والرِّياسةَ تزولُ بالموت.

وقوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ﴾؛ أي: مغيَّراً، وقوله: ﴿وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾؛ أي: يُحَصِّلونَ لأنفسِهم مِن حُطام الدُّنيا بهذا الفعل، وقد كَسَبَ كسْباً، واكتَسَبَ اكتِساباً.

وقيل: إنَّ الاكتسابَ هو اجتلابُ الحظِّ بما هُيِّئَ له من الأسباب.

وتبديلُهم كان بتغيير نعتِ النبيِّ ﷺ، فقد كان في التَّوراة أنَّه أسمرُ، رِبْعَةٌ، فبدَّلوهُ

---

(١) في (أ): «بأن».

(٢) في (أ): «يشيرون إلى الذين»، وفي (ر): «يشيرون الذي»، وفي (ف): «يشترون الذين».

(٣) في (ر) و(ف): «وغيروه وأنه» بدل: «وهو مغير أنه».

(٤) لفظ: «عند» ليس في (أ).

(٥) في (ر): «يذهب ويبلى».

بأنَّه أبيضُ طويلٌ أعور، وهي من صفات الدَّجَّال، واكتسابُهم كان ببيع[١] المكتوب بالثَّمن، ويأخذون[٢] الرِّشوةِ مِن أغنيائهم[٣].

ثمَّ إنَّ اللهَ تعالى ذكرَ الويلَ في هذه الآية ثلاثَ مرَّاتٍ، وله وجوه:

أحدها: أنَّه في حقِّ تضييع حقِّ رسوله المصطفى ﷺ بتبديل نعتِه، واللهُ تعالى يبالغ[٤] في وعيدِ مضيِّع حقِّ أحبائه[٥] ما لا يُبالغ في وعيد مضيِّع حقِّه، قال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [الماعون: ٤] وهذا في حقِّ نفسِه، وهو مرَّة، وقال هاهنا في حقِّ مضيِّع حقِّ نبيِّه ثلاثاً، وهو كقوله في حقِّ مَن وصفَ اللهَ تعالى بالفقر[٦] ﴿وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟﴾ [المائدة: ٦٤]، وهذا مرَّة، وقال[٧] في حق من عاب عائشة رضي الله عنها: ﴿لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ﴾.

والثاني: أنَّ الأوَّل[٨] هو أخذُ الجزية والمذلَّة في الدُّنيا، والثاني هو عذاب القبر.

والثالث: وهو[٩] عذاب النار، وهو كقوله تعالى: ﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ۝٣٤ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ﴾ [القيامة: ٣٤-٣٥]؛ أي: في الدُّنيا والقبر والموقف[١٠] والجحيم.

---

(١) في (ف): «بيع».

(٢) في (أ): «وأخذ».

(٣) في (أ): «الأغنياء».

(٤) في (أ): «مبالغ».

(٥) في (ر): «حق أحبابه»، في (ف): «حقه» بدل: «حق أحبائه».

(٦) في (ف): «بالفقير».

(٧) في (ف): «وقالوا».

(٨) قوله: «أن الأول» من (ف)، وفي (أ): «الأول».

(٩) «وهو» ليس في (أ).

(١٠) في (أ): «والموت».

وقيل: الويلُ الأوَّلُ بقولهم: ﴿هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾، والثَّاني بالتَّحريف، والثَّالثُ في اجتلاب[١] حطام الدنيا به[٢].

***

(٨٠) ـ ﴿وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾؛ أي: وقال هؤلاءِ حين أوعِدوا بالتَّحريف والكسب الخبيث: نحن أولادُ الأنبياء، ولن نُعذَّبَ يومَ القيامة إلَّا مدَّة يسيرة.

قال ابنُ عبَّاسٍ والضَّحَّاكُ وقَتادة وعكرمةُ والسُّدِّيُّ: هي أربعون يوماً، وهي مدَّة غيبةِ موسى عليه السلام عنهم وعبادتِهمُ العجلَ فيها[٣].

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في رواية: هي أربعون سنة[٤]. وهي المدَّة التي حُبِسوا فيها في التِّيه.

وقال مجاهدٌ والحسن: هي سبعة أيام. وهي في قصَّة نزولِ الآية، وأنَّ[٥] النبيَّ ﷺ دخل المدينة، فوجد اليهودَ يقولون: إنَّ أيَّامَ الدُّنيا سبعةُ آلاف سنة، فنُعذَّب مكان كلِّ ألف سنةٍ يوماً، فنزلت الآية رداً عليهم[٦].

---

(١) في (أ): «باختلاف» وفي (ف): «في اختلاف».

(٢) لفظة: «به» من (أ).

(٣) أخرج أقوالهم الطبري (٢/ ١٧١ ـ ١٧٤).

(٤) رواها الطبري (٢/ ١٧٢)، وابن أبي حاتم (١/ ١٥٦)، (٨١٤)، (٨١٧).

(٥) في (أ): «فإن».

(٦) رواه الطبري (٢/ ١٧٥ ـ ١٧٦) عن مجاهد.

وقال أبو منصور رحمه الله: لا معنى لصرف هذه الأيَّام إلى أيَّام عبادة العِجْل؛ لأنَّ هؤلاء لم يعبدوا العجلَ، وإنَّما عبدَ آباؤهم. ولو صُرف ذلك إلى آبائِهم الذين عَبدوا العجل لم يحتمل أيضاً؛ لأنَّهم قد تابوا عن ذلك، وقد[1] قال اللهُ تعالى: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ ﴾ [الأنفال: ٣٨].

وتصرفُ الأيَّام المعدودةُ إلى العمر الذي عصَوا فيه، وهم لم يروا التَّعذيب إلَّا على قدر[2] وقت العصيان أو كانوا لا يرون التخليد في النَّار، أو لأنَّهم كانوا يقولون: ﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾ [المائدة: ١٨]، فلا نُعذَّب أبداً، بل نُعذَّبُ تعذيبَ الأبِ ابنه، أو الحبيبِ حبيبَه في وقتٍ قليلٍ، ثمَّ يَرْضى.

وهذا منهم باطلٌ، وعقوبةُ الكفر أبداً، وثوابُ الإيمان كذلك؛ لأنَّ مَن اعتقدَ دِيناً إنَّما يعتقدُه للأبد، فعلى ذلك[3] جزاؤه للأبد، فأمَّا مَن ارتكب ذنباً من المسلمين لشهوةٍ تغلِبُه، فيرتكبُه ثمَّ يتركُه، فإنَّما يعاقبُ إذا عُوقِب بقدرِ ما ارتكبَ في وقت؛ لأنَّه لم يرتكبه للأبد، لذلك افترقا[4].

قوله ﴿مَّعْدُودَةً﴾[5] هذا للتعليل لا ما دخل في العدد فسريعاً ينفد، قال الله تعالى: ﴿ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ ﴾ [يوسف: ٢٠]، وفي سورة آل عمران: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ﴾، واليوم مذكر، فإذا جمع صار مؤنَّثاً، فيُقال: معدودة، ثم يجمَعُ الجمعُ على: ﴿مَّعْدُودَٰتٍ﴾، وهو كقوله تعالى: ﴿لَهُۥ

(١) «وقد» ليس في (ف).

(٢) في (ف): «قدرة».

(٣) في (أ): «هذا».

(٤) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (١/ ٥٠٠ ـ ٥٠١).

(٥) من قوله: «بقدر ما ارتكب في وقت» إلى هنا من (أ).

﴿مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ﴾ [الرعد: ١١]، وهذا مِن صفاتِ الملائكة، مَلَكٌ معقِّب، وملائكةٌ معقِّبَة بالجمع[1] بالهاء، ثمَّ معقِّبات جمعُ الجمعِ.

وقوله تعالى: ﴿قُلۡ أَتَّخَذۡتُمۡ عِندَ ٱللَّهِ عَهۡدٗا فَلَن يُخۡلِفَ ٱللَّهُ عَهۡدَهُۥٓۖ أَمۡ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾؛ أي: قل يا محمد لهم: أتَّخذتم هذا؟ ألفُ الاستفهام بمعنى التوبيخ، والألف المجتلبة ذهبت بالإدراج، وهذه الألفُ المقطوعة ألفُ الاستفهام، وهو كقوله: ﴿أَصۡطَفَى ٱلۡبَنَاتِ عَلَى ٱلۡبَنِينَ﴾ [الصافات: ١٥٣]، ومعناه: أخذتُم[2] مِن الله وثيقةً لكم أنَّه لا يُعذِّبكُم أكثرَ مِن هذه المدَّة؟ فلن يخلفَ اللهُ وعدَه[3]، وهو قول قتادة[4].

وقيل: معناه: هل قلتم: لا إله إلَّا الله؟ فلن يخلفَ الله وعده[5] في حقِّ مَن قال ذلك[6].

والعهدُ بمعنى الوعد، قال تعالى: ﴿وَمِنۡهُم مَّنۡ عَٰهَدَ ٱللَّهَ﴾ [التوبة: ٧٥]، ثمَّ قال ﴿بِمَآ أَخۡلَفُواْ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ﴾ [التوبة: ٧٧].

وقال ابنُ عباس رضي الله عنهما والضحَّاك: معناه: هل آمنتم بالله؟

وقد بيَّنَّا وجوهَ العهد لغةً وشرعاً في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ﴾.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: لهذا وجهان:

(١) في (أ): «فيجمع».

(٢) في (أ): «أتخذتم».

(٣) في (ر): «عهده».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ١٧٦ ـ ١٧٧) بنحوه، وانظر: «التفسير البسيط» للواحدي (٣/ ٩٥).

(٥) في (ر): «عهده».

(٦) هو قول ابن عباس، رواه عنه الطبري في «تفسيره» (٢/ ١٧٧).

أحدهما: هل عندكم خبرٌ عن الله تعالى أنَّكم لا تُعذَّبون أبداً، لكن أيَّاماً معدودة؟ فإن كان لكم هذا فهو لا يُخْلِفُ وعدَه.

والثاني: أي: ألكم عند الله أعمالٌ صالحةٌ وعدَكم بها الجنَّةَ؟ فهو لا يخلفُ وعدَه[١].

وقوله تعالى: ﴿أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾؛ أي: بل تَقولون كاذِبين على الله ما لا علمَ لكم به.

وقال عكرمة: خاصمتِ اليهودُ رسولَ الله ﷺ، فقالوا: لن نَدخلَ النَّارَ إلَّا أربعينَ ليلةً، وسَيَخْلُفُنا إليها قومٌ آخرون ـ يعنون النبيَّ ﷺ وأصحابَه ـ فقال النبيُّ ﷺ: «بل أنتم فيها خالدون مخلَّدون، ولا يخلفكم إليها أحدٌ»، فأنزلَ اللهُ تعالى هذه الآية[٢].

وقال الرَّبيعُ بن أنس: إنَّ اليهودَ قالوا: إنَّ الله تعالى عَتَبَ علينا في أمرٍ، فأقسمَ ليعذبنَّا أربعين ليلةً[٣].

وقال السُّدِّيُّ: قالت اليهودُ: إنَّ الله يُدخِلُنا النَّارَ، فنَمكثُ فيها أربعين ليلةً[٤]، حتَّى إذا أكلت النَّار خطايانا، نادى منادٍ أن أخرِجوا كلَّ مختونٍ مِن ولد إسرائيل. لذلك أُمِرنا أن نختتن، فلا يَدَعون في النَّار أحداً منَّا إلَّا أخرجوه منها.

* * *

(١) «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (١/ ٥٠١).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ١٧٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ١٥٦) (٨١٥).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ١٧٢) عن الربيع بن أنس عن أبي العالية.

(٤) من قوله: «وقال السدي» إلى هنا من (أ).

(٨١) ـ ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ قال الفراء: ﴿بَلَىٰ﴾ أصله: بل، وهو ردٌّ لما قبلَه، وإثباتٌ لما بعده، ويُذكَرُ على وجه العطف، يُقال: ما قام زيدٌ بل عمرو، فإذا ذُكِر في الجوابِ على وجه الإفراد، زادوا عليه الياءَ؛ ليصلح[1] الوقفُ عليها[2].

وقوله: ﴿مَن كَسَبَ سَيِّئَةً﴾ السَّيِّئةُ[3] تأنيثُ السَّيِّئِ، وهو فَيْعِلٌ من السُّوء[4]، وأصله: سَيْوِئ، جُعِلَتِ الواوُ ياءً للياء التي قبلَها، كما في السيِّد والجيِّد، وهو العملُ الفاسدُ[5]، ولذلك ذُكِرَ في مقابلةِ[6] العملُ الصالح في الآية التي تليها.

واختلف في المراد بها هاهنا:

قال مجاهدٌ وجماعة: هي الشِّرك[7] وتأنيثها على هذا يكون على قصد إرادة الفعلة أو الخصلة أو نحوها.

وقال الحسنُ وقتادة: السَّيِّئة: هي الكبيرةُ التي أوعدَ الله تعالى عليها النَّار[8].

---

(١) في (ف): «ليصح».

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٥٢ ـ ٥٣).

(٣) لفظ: «السيئة» من (أ).

(٤) في (ر) و(ف): «السوءة».

(٥) من قوله: «جعلت الواو ياء» إلى هنا من (أ).

(٦) في (ف): «مقابلته».

(٧) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ١٧٩).

(٨) رواه عن الحسن: ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ١٥٨) (٨٢٤).

والهاءُ للتَّوحيد على هذين القولين.

وقال السُّدِّيُّ: السَّيِّئةُ: الذُّنوبُ التي أوعدَ[١] عليها النَّارَ[٢]. وعلى هذا تكونُ الهاءُ للجَمْع.

وقوله: ﴿وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾؛ أي: أطافت به من كل وجه. قال القفَّال: كلُّ ذنبٍ خطأٌ وخطيئةٌ؛ لأنَّه ليس بصوابٍ، وإحاطتُه بالعبدِ أن يكون ذنباً أحبطَ ثوابَ كلِّ أعمالِه، وليس ذلك إلَّا الشِّركَ.

ويجوز أن يكون معناه: من كسب شِركاً، وأحاط به ذلك؛ أي: أقامَ عليه حتَّى مات.

ويجوزُ أن يكون[٣] ﴿وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾؛ أي: أهلكته، واشتمَلتْ عليه، فلا يَتخلَّصُ مِنها، من قوله: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ﴾ [الكهف: ٤٢]، وقولِه تعالى: ﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ أُحِيطَ بِهِمۡ﴾ [يونس: ٢٢]، وقولِه تعالى: ﴿وَأُخۡرَىٰ لَمۡ تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهَا قَدۡ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا﴾ [الفتح: ٢١]؛ أي: قد حصرَها لكم واحتَبسَها عليكم، بحيث لا خروجَ لها عن أيديكم متى قصدتُم الاستيلاءَ عليها.

ويجوز أن يكون المعنى ﴿وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾؛ أي: استولَت عليه وغلَبته، فلم يبقَ لغيرها عليه حكمٌ.

ولا حجَّة فيها للخوارج والمعتزلة في تخليدِ صاحبِ الكبيرة في النَّار أخذاً بظاهرها؛ فإنَّ السَّيِّئةَ اسمٌ للعملِ السَّيِّئ، والخطيئةَ اسمٌ للذَّنب؛ لأنَّا قلنا: إنَّ السَّيِّئة

---

(١) بعدها في (ر): لفظ الجلالة «الله».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ١٨٠).

(٣) بعدها في (أ): «ومعنى».

هي الشِّرك، قال تعالى: ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ﴾ [النمل: ٩٠]، وعن ابن عباسٍ والكلبيِّ ومقاتلٍ وجماعةٍ أنَّ معناه: مَن كسبَ شِركاً[1]، و﴿وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾؛ أي: مات على شركِه، على أنَّ ظاهرَ الآيةِ هو الحجَّةُ القاطعةُ لنا فإنَّه قال: ﴿وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾ وهو أن يكون المشتمِلُ عليه هو الخطيئةُ لا غير، وهو أن لا يكون له شيءٌ غيرُ الذَّنبِ، ومَن كان مؤمناً فله أعظمُ الطَّاعات، فلا يكونُ الذَّنْبُ محيطاً به، وقراءة[2] نافعٍ وأبي جعفر[3]: ﴿خطيآته﴾[4] لأنَّ الإحاطةَ لا تكونُ لشيءٍ واحدٍ، وإنَّما تكونُ لأشياء.

ومَن فسَّر السَّيِّئةَ بالشِّرك، والخطيئةَ بالكبائر، فليس اجتماعُهما شرطَ التَّخليدِ في النَّار، بل بالشِّركِ وحدَه يستحقُّ ذلك، لكنَّ الآيةَ ردٌّ لليهود[5] الذين قالوا ما قالوا، فقال الله تعالى: ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾؛ أي: ليس كما قلتم: ﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعۡدُودَةً﴾، بل مَن كان مثلَكم خُلِّدَ في النَّار، وكانوا مشركينَ مرتكبي كبائرَ، فذكرَهما، ومقتضاهُ أنَّ الكفرَ وحده ممَّا يوجبُ الخلودَ في النَّار، فكيف إذا اجتمعَ إليه الفسقُ بارتكابِ الكبائر؟

وقوله تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ جَمعَ هذا وهو راجعٌ إلى قوله: ﴿مَن كَسَبَ سَيِّئَةً﴾ وهو واحدٌ لفظاً؛ لأنَّ معناه الجمع.

---

(١) انظر قول مقاتل في «تفسيره» (١/ ١١٩).

(٢) في (أ): «وقرأ».

(٣) قوله: «وأبي جعفر» ليس في (أ).

(٤) انظر: «السبعة» (ص: ١٦٢)، و«التيسير» (ص: ٧٤)، و«النشر» (٢/ ٢١٨). ووقع بعدها في (أ): «قال».

(٥) في (ر): «على اليهود».

(٨٢) ـ ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ لـمَّا أوعدَ[١] الكفَّارَ بالنَّار، أوعد[٢] المؤمنين بالجنَّة.

***

(٨٣) ـ ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾؛ أي: واذكروا أيضاً إذ[٣] أخذنا ميثاقَ بني إسرائيل، وهذا الميثاقُ مشتملٌ[٤] على الإيمان والعمل الصالح المذكورَين قبله، وبه يقعُ الانتظام، ولأنَّه ردَّ قولَهم: ﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾، وأثبتَ استحقاقَهم التَّخليدَ في النَّار بنقضِهم الميثاقَ الذي أخذَ عليهم؛ أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئاً[٥]، ويقولوا في النبيِّ ﷺ حُسْناً ولا يَكتموا نعتَهُ، فنَقَضوا وتَولَّوا وأعرضوا، فاستحقُّوا الخزيَ في الدُّنيا والنارَ في العُقبى.

وقوله تعالى: ﴿لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾[٦] قرأ حمزةُ والكسائيُّ والمفضَّلُ عن

(١) بعدها في (ف): «الله تعالى».

(٢) في (أ): «وعد».

(٣) لفظ: «إذ» ليس في (أ).

(٤) في (أ): «يشتمل».

(٥) لفظ: «شيئاً» من (ف).

(٦) بعدها في (ر) و(ف): «هذه قراءة الجمهور بالتاء و».

عاصم[١] وابنُ كثير بالياء[٢] على المغايبة، وتَرجِعُ إلى بني إسرائيل، وقرأ الباقون[٣] بالتَّاء على خطابِهم به، والعربُ تقول: قل لزيدٍ: لا يَذهب، وقل لزيدٍ: لا تَذهب.

ومعنى قوله: ﴿لَا تَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾[٤] أي: لا تعرفون بالربوبيَّة إلَّا الله[٥] تعالى، والميثاقُ على وجهين؛ عهدِ خلقةٍ وفطرة، وعهدِ رسالةٍ ونبوَّة، وقد مرَّ شرحُه غيرَ مرَّةٍ.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: ﴿لَا تَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾؛ أي: لا تجعلون[٦] الألوهيَّة إلَّا لله، ويَحتملُ نفسَ العبادة؛ أي: لا تعبدونَ غير الله من الأصنام وغيرها[٧].

ثمَّ قولُه تعالى: ﴿لَا تَعۡبُدُونَ﴾ بالنون وهي للرفع لوجوه:

أحدها: ما قال[٨] الكسائيُّ: تقديرُه: أخذنا[٩] ميثاقَ بني إسرائيل بألَّا تعبدوا إلَّا الله، فلمَّا أسقطَ[١٠] «أن» رفعَ الفعلُ؛ لزوال النَّاصب، قال تعالى:

---

(١) «والمفضل عن عاصم» سقط من (أ).

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ١٦٢)، و«التيسير»: (ص: ٧٤)، و«جامع البيان» للداني (ص: ٤٠٢). وقراءة عاصم المتواترة عنه كقراءة الجمهور.

(٣) في (ف): «والباقون الذين قرؤوا» بدل: «وقرأ الباقون».

(٤) في (ر): «يعبدون».

(٥) في (ر): «يعترفون بالربوبية إلا لله».

(٦) في (ر) و(ف): «تجعلوا». والمثبت موافق لما في «تأويلات أهل السنة».

(٧) انظر: «تأويلات أهل السنة» (١/ ٥٠٢).

(٨) في (ف): «قاله».

(٩) في (ر): «وإذ أخذنا».

(١٠) في (ف) و(أ): «أسقط».

﴿ قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ﴾ [الزمر: ٦٤]، وقال طرفة:

أَلَا أَيُّهذا الزاجري أحضرَ الوغى وأنْ أشهدَ اللَّذاتِ هل أنت مُخْلِدِي[١]

يروى: أحضرَ، بالنصب؛ أي: أن أحضرَ الوغى، ولذلك عطفَ عليه: وأن أشهدَ، وكذا قال الأخفشُ والفرَّاءُ وقطرب والزَّجَّاج[٢].

والثاني: وهو أحدُ قولي الأخفش وأجازهُ الكسائيُّ والفرَّاءُ والزَّجَّاج: إنَّ[٣] رفعَهُ لأنَّه جوابُ القسم، وهو كقوله: حلَّفتهُ[٤] لا يقوم، وهو حكاية على المعنى[٥].

والثالث: قولُ قطرب: إنَّه رفعٌ في موضع الحال في صيغة الفعل، وموضعُه نَصبٌ في الاسم، كقولك[٦]: دخلَ عليه يتبسَّم[٧]؛ أي: متبسِّماً، وتقديرُ هذه الآية: أخذنا ميثاقهم غيرَ عابدين إلَّا الله[٨].

والرابع: قول الفرَّاء: إنه مضارعٌ في معنى النهي، جاء على لفظ الخبر، ومثله

---

(١) البيت من معلقة طرفة بن العبد، وهو في «ديوانه» (صـ ٤٥). وانظر قول الكسائي في «تفسير الثعلبي» (١/ ٢٢٧).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للأخفش (١/ ١٣٣ ـ ١٣٤)، و«معاني القرآن» للفراء (١/ ٥٣)، و«معاني القرآن» للزجاج (١/ ١٦٢)، و«التفسير البسيط» للواحدي (٣/ ١٠٤).

(٣) في (ر) و(ف): «أي».

(٤) في (أ): «خلفته».

(٥) انظر: «معاني القرآن» للأخفش (١/ ١٣٣)، و«معاني القرآن» للفراء (١/ ٥٣ ـ ٥٤)، و«معاني القرآن» للزجاج (١/ ١٦٢)، و«التفسير البسيط» للواحدي (٣/ ١٠٥).

(٦) في (أ): «تقول».

(٧) في (أ): «تبسم» وفي (ف): «يبسُمُ».

(٨) انظر قول قطرب في «النفسير البسيط» للواحدي (٣/ ١٠٣).

في القرآن: ﴿لا تضارُّ والدة بولدها﴾ [البقرة: ٢٣٣] الآية، على قراءة من يرفع[١]، وفي الخبر: «لا تُنكَحُ المرأةُ على عمَّتِها ولا على خالتها»[٢].

وقولُه تعالى: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ ـ وهو قولُ الزَّجَّاج ـ: أضمرَ فيه: ويحسنون بالوالدين إحساناً[٣]، ودلَّ على إضمار هذا الفعل إظهارُ هذا المصدر، وهو يقتضي الفعل.

ومعنى بالوالدين إحساناً؛ أي: إلى الوالدين، وهذا كقوله: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِيٓ﴾ [يوسف: ١٠٠]؛ أي: إليَّ، ويقال: أحسن به وإليه[٤]، وأساء به وإليه، قال كثير:

أسيئي بنا أو أحسني لا ملومةً ... لدينا ولا مقليَّةً إنْ تَقلَّتِ[٥]

وقيل: المضمرُ: وأوصيناهم، عطفاً على: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا﴾.

وقالوا: هذا أوجه؛ لأنَّه تقريرُ الباء التي هي صلةُ الوصيَّة مِن غير تغييرٍ له إلى معنى كلمة «إلى» التي هي صلةُ الإحسان.

وقد عظَّم اللهُ تعالى حقَّ الوالدين حيث قرنَ حقَّه بحقِّهما في هذه الآية، وفي آياتٍ من كتابه العزيز: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [النساء: ٣٦]، ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الإسراء: ٢٣]، ﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ﴾ [لقمان: ١٤].

---

(١) هي قراءة ابن كثير وأبي عمرو. انظر: «السبعة» (ص: ١٨٣)، و«التيسير» (ص: ٨١).

(٢) رواه مسلم في «صحيحه» (١٤٠٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) انظر «معاني القرآن» للزجاج (١/ ١٦٣). ومن قوله: «وهو قول الزجاج» إلى هنا من (أ).

(٤) في (ر): «أي إليه».

(٥) «ديوان كثير» (ص: ١٠١).

وقوله تعالى: ﴿وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ أي: ذي[١] القرابة، وهو عطف على الوالدين؛ أي: وتحسنون إلى القريب أيضاً، وهو واحدٌ بمعنى الجمع؛ لأنَّه اسمُ جنس.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلْيَتَٰمَىٰ﴾ هو عطفٌ على الوالدين وذي القربى[٢] في الأمر بالإحسان إليهم، وهو جمعُ يتيم، وهو الصَّغير الذي مات أبوه، ومن الحيوانات: الصغيرُ الذي ماتت أمُّه، وقد قال عليه الصلاة والسلام: «لا يُتمَ بعد البلوغ» وروي: «بعد[٣] الحلم»[٤].

وقد يَتِمَ يَيْتَمُ يُتْماً، من حدِّ: عَلِمَ، ويُجمع اليتيم على الأيتام[٥] واليتامى.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾ عطفٌ على الوالدين أيضاً في ذلك، وهو جمع مسكين، وهو الذي أسكنته الحاجة.

وقوله تعالى: ﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ أي: أخذنا عليهم الميثاقَ بما سبق، وقلنا لهم في هذا الميثاقِ: ﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾، قرأ حمزةُ والكسائيُّ وخلفٌ ويعقوبُ وعاصمٌ في رواية المفضَّل[٦] عنه: ﴿حَسَناً﴾ بفتح الحاء والسِّين[٧]

---

(١) ففي (أ): «وذي».

(٢) «وذي القربى» من (ر).

(٣) قوله: «البلوغ وروي بعد» من (أ).

(٤) رواه بهذا اللفظ البزار في «مسنده» (٦٢٤٣) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، ورواه أبو داود في «سننه» (٢٨٧٣) بلفظ: «لا يتم بعد احتلام» من حديث علي رضي الله عنه.

(٥) في (ف): «أيتام».

(٦) في (ف) و(أ): «المفصل».

(٧) انظر «السبعة» لمجاهد (ص: ١٦٢)، و«التيسير» (ص: ٧٤)، و«جامع البيان» للداني (ص: ٤٠٢)، و«النشر» لابن الجزري (٢/ ٢١٨). وقراءة عاصم المتواترة عنه كقراءة الجمهور.

علـى صيغـةِ النَّعت، وهو نعـتُ القـول؛ أي: قولاً[١] حسـناً.

وقرأ الباقون ﴿حُسۡنٗا﴾ بضمِّ الحاء، وهو اسمٌ ومصدر.

وقال الأخفش: الحُسن بالضمِّ عامٌّ يقع على جميع معاني الحسن، قال تعالى: ﴿وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حُسۡنٗا﴾ [العنكبوت: ٨][٢].

وقال مقاتل: ومعناه: قولوا يا أهلَ الكتاب حقًّا وصِدْقاً في حقِّ محمَّدٍ ﷺ[٣]، وأخبِروا بأنَّه مذكورٌ في كتابكم أنَّه رسولٌ حقٌّ.

وقوله تعالى: ﴿لِلنَّاسِ﴾ هذا اسمٌ للنبيِّ عليه الصَّلاة والسَّلام في هذه الآية على الخصوص.

وقيل: أرادَ به الصَّحابةَ معه؛ أي: قولوا لهم حسناً، وصدِّقوهم بما يَقولون.

وقال سلمان[٤]: أراد به إفشاء السلام[٥].

وقيل: أرادَ به ملاطفةَ كلِّ النَّاس في الكلام، فأمرَنا[٦] بالإحسان بالمالِ في حقِّ أقوامٍ مخصوصين، وهم الوالدان والأقرباءُ واليتامى والمساكين، ولـمَّا كان المالُ لا يَسَعُ الكلَّ، أمرَ بمعاملة النَّاس كلِّهم[٧] بالقول الجميل الذي لا يَعجِزُ عنه العاقلُ.

---

(١) في (ف): «قولوا».

(٢) لم أقف على قول الأخفش هذا، وذكره الطبري في «تفسيره» (٢/ ١٩٥) ولم يعزه.

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» (١/ ١١٩).

(٤) في (ر): «سليمان».

(٥) لم أقف عليه، وأخرج ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ١٦٢) (٨٤٨)عن أسد بن وداعة نحوه، ثم قال: وروي عن عطاء الخراساني نحوه.

(٦) في (أ): «فأمر».

(٧) في (أ): «كل الناس» بدل من «الناس كلهم».

وقيل: هو أمرٌ بدعاء النَّاس إلى شهادة أن لا إلهَ إلَّا الله.

وقيل: كان هذا أمراً بملاينة أهلِ الشِّركِ في القول في الابتداء، ثمَّ نسخَتها آيةُ السَّيف. قاله قتادة[1].

وقيل: هو الأمرُ بالمعروف والنَّهيُ عن المنكر.

وقوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ عطفٌ على قولِه: ﴿وَقُولُواْ﴾ وقد مرَّ الكلامُ فيهما، وحاصلُه أنَّه أمر بقَبولهما وأدائِهما على شرائطِهما، وإنَّما ذكرهما تنصيصاً مع دُخولهما في العبادة المذكورة في أوَّل الآية؛ تقديماً لهما وتخصيصاً، كما في قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ﴾ [الأحزاب: ٧]، وقولِه تعالى: ﴿وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾ [البقرة: ٩٨].

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ﴾؛ أي: أعرضتم[2] ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ﴾ أي: لم يتوبوا[3].

قوله تعالى: ﴿وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ﴾؛ أي[4]: عن الوفاء بالعهد؛ أي: بالميثاق، وله ثلاثة أوجه:

أحدها[5]: تولَّى أسلافُكم عن الوفاءِ بالعهد معرضين، فقوله تعالى: ﴿وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ﴾ هو على الحال[6]، كما يقال: مرَّ زيدٌ وهو راكب؛ أي: راكباً، وإنَّما قال:

---

(١) قول قتادة أنها منسوخة بآية السيف ذكره مكي بن أبي طالب في «الهداية» (١/ ٣٣٣).

(٢) قوله: «أي أعرضتم» من (أ).

(٣) تحرفت في (أ) إلى: «أي لم يموتوا». وليست في (ر) و(ف).

(٤) بعدها في (ر) و(ف): «أعرضتم».

(٥) بعدها في (ر): «أي».

(٦) من قوله: «أحدها تولى» إلى هنا ليس في (أ).

«أنتم» على الخطاب؛ لأنَّ قولَه: ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ﴾ على الخطاب، وظاهرُه خطابُ أهل عصر النبيِّ ﷺ، ومعناه خطابُ أسلافِهم بما فعلوا، وقد مرَّ بيانُ وجهِه.

والثاني: ثمَّ تولَّى أسلافُكم، وأنتم يا أهلَ عصر النبيِّ ﷺ معرضون كإعراضهم، وقد كان لزمَكُم بهذا الميثاقِ ما لزمهم.

والثالث: ثمَ تولَّيتم أنتم يا هؤلاء معرضين عن ذلك أيضاً، مع أنَّه لزمَكم أيضاً.

قوله: ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ استثناءُ من ثبت على الحقِّ مِن السَّلف فلم يتول، وهم السِّبْطان والنِّصفُ الذين لم يَعبدوا العجلَ، والسَّبعون المختارون للميقات.

أو استثناء مَن أسلمَ في عصر النَّبيِّ ﷺ، من عبد[1] الله بن سلام وأصحابِه.

وقوله: ﴿ثُمَّ﴾ قد تكون للتَّرتيب مع التراخي؛ أي: بعد مدَّةٍ[2] تولَّيتُم، ويَحتملُ أن تكون للتَّعجيب، كما في قوله: ﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام: ١]؛ أي: تعجَّبوا منهم أنَّهم مع تأكيدنا[3] الميثاق عليهم تولَّوا.

* * *

(٨٤) ـ ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ﴾ أي: واذكروا أيضاً إذ أخذْنا ميثاقكُم.

وقوله تعالى: ﴿لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ﴾ أي: لا يسفكْ بعضُكم دمَ بعضٍ، أي: لا يُصِب.

---

(١) في (ر): «كعبد».

(٢) بعدها في (أ): «بهم»، وفي (ف): «ثم».

(٣) في (أ): «تأكيد».

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ﴾ أي: ولا يخرجْ بعضُكم بعضاً من دارِه فيغصبَها، وهو[1] كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾ [النساء: ٢٩]، **وقوله تعالى:** ﴿فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ [النور: ٦١].

وفي كتاب «العين»: الدارُ اسمٌ جامعٌ للعَرْصَةِ والبناءِ والمحلَّة، وكلُّ موضعٍ حلَّ به قومٌ فهو دارٌ[2]، وجمعُها: ديار، قال تعالى: ﴿فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَـٰثِمِينَ﴾ [الأعراف: ٧٨].

وقال القفَّال في قوله: ﴿لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ﴾: يدخلُ فيه الأمرُ بفداء الأُسارى، فإنَّ تركَهُم في أيدي العدوِّ سببُ قتلِهم وسفكِ دمائهم.

ورفع ﴿لَا تَسْفِكُونَ﴾ ﴿وَلَا تُخْرِجُونَ﴾ بإثبات النُّون فيهما للوجوهِ الأربعةِ التي ذكَرْناها في قوله تعالى: ﴿لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ من الآية المتقدِّمة على هذه.

ولا يقرأ هذا بياءِ المغايَبةِ؛ لما بعدها مِن كاف الخطاب في[3] قوله: ﴿دِمَآءَكُمْ﴾ و﴿أَنفُسَكُم﴾.

ثمَّ إنَّما جعلَ قتلَ بعضِهم بعضاً، وإخراجَ بعضِهم بعضاً من الديار: قتلَ أنفسِهم وإخراجَ أنفسِهم؛ لأنَّ المجتمِعين على دينٍ واحدٍ كالنَّفس الواحدة، قال تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٧١]، وقال: ﴿ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٦٧]، وقال النبيُّ ﷺ: «مثلُ المؤمنين في تراحمِهم

---

(١) لفظ: «وهو» من (أ).

(٢) «العين» للخليل (٨/ ٥٨).

(٣) في (أ): «وهي» بدل: «في».

كمثل[١] الجسد؛ إذا اشتكى بعضُه، تَدَاعى لهُ سائرُه بالحمَّى والسَّهر»[٢]، ولأنَّ مَن قتلَ غيرَهُ قُتِلَ به قصاصاً، وكذا في الإخراج، ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾[٣].

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ﴾ أي: اعترفتُم بحقِّيَّة[٤] الميثاقِ والتزمتمُوه.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ على أنفسِكم بقَبوله وضمان الوفاء به، والشَّهادةُ تأكيدٌ وقَطعٌ بصحَّة الشَّيء، يقول الرجل: أشهدُ أنَّ هذا حقٌّ؛ أي: أنا عالِمٌ به، لا شكَّ فيه، ولو كان هذا على غيري لشهِدتُ عليه به.

واختلف في المرادَيْنَ بهما:

قيل: الخطابُ بالإقرار والشَّهادة للأسلاف.

وقيل: هما جميعاً للأسلاف والأخلاف جميعاً؛ لأنَّ هؤلاء أقرُّوا بذلك، وشَهِدوا أيضاً به كأولئك.

وقيل: الأوَّلُ للأسلاف، والثَّاني للأخلاف؛ أي: أولئك قبلوا، وهؤلاء شهِدوا على أولئك أنَّهم قَبِلوا ثمَّ نقضوا.

وقيل: يَشهَدُ هؤلاء أنَّه في التَّوراة.

وقيل: يَشهَدون به على أولئك[٥] يوم القيامة.

---

(١) في (ف): «مثل».

(٢) رواه البخاري (٦٠١١)، ومسلم (٢٥٨٦) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه.

(٣) قوله: «ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾» من (أ).

(٤) في (ر): «تحقيقه»، وفي (ف): «بحقيقة».

(٥) في (ر): «أنه في التوراة» بدل: «به على أولئك».

وقال أبو العالية والرَّبيع: هما جميعاً للأخلاف؛ أي: أنتم تقرُّون بأنَّ هذا العهد كان مع[1] أسلافِكم، وتَشهدون أنَّه حقٌّ وأنهم نقضوه[2].

***

(٨٥) ـ ﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَارَىٰ تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ ﴿هَٰؤُلَاءِ﴾ بمعنى الذين، كقوله تعالى: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَىٰ﴾[3] [طه: ١٧]؛ أي: وما التي.

وقيل: معناه: يا هؤلاء، حُذِفَ حرفُ النِّداء، كما في قوله تعالى: ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا﴾ [يوسف: ٢٩].

وقيل: ﴿هَٰؤُلَاءِ﴾ تابعٌ لـ ﴿أَنتُمْ﴾ كالنَّعت والتَّأكيد له.

وقوله: ﴿تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ﴾ أي: أهل ملتكم.

وقوله تعالى: ﴿وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَارِهِمْ﴾ أي: نقضاً للعهد.

---

(١) في (ف): «في».

(٢) قوله: «وأنهم نقضوه» ليس في (أ). وروى الطبري في «تفسيره» (٢/ ٢٠٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ١٦٣) (٨٥٥) من طريق الربيع عن أبي العالية: ﴿ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ﴾ يقول: أقررتم بهذا الميثاق وأنتم شهود.

(٣) قوله: «يا موسى» ليس في (أ).

وقوله تعالى: ﴿تَظَٰهَرُونَ عَلَيۡهِم بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ﴾ أي: تعاونون، والظَّهير: المعين، والمظاهَرةُ: المعاونة، والتَّظاهُرُ: التَّعاونُ، وأصله الظهر وبه يقعُ الاستنادُ والاعتماد.

وقرأ أهلُ الكوفة: ﴿تَظَٰهَرُونَ﴾ خفيفةً[1]، وأصلُه: تتظاهرون بتاءين، حُذِفَت إحداهما تخفيفاً، وقرأ الباقون بالتَّشديد، وهو إدغامُ التَّاء في الظَّاء، كما في قوله: ﴿أن يَصَّالحا بينهما صلحاً﴾[2] وهذا مضارعٌ بمعنى الحال؛ أي: مُتَظاهرين عليهِم.

وقال ابنُ عبَّاس والسُّدِّيُّ: إنَّ قريظةَ والنَّضير كانا أخوين، وأولادُهما تفرَّقوا واقتتلوا، فكان بعضُهم يقتلُ بعضاً، ويخرج بعضهم بعضاً[3]، وكانت عادةُ بني قريظة[4] القتلَ، وعادةُ بني النَّضيرِ[5] الإخراج[6]، فنهاهُم الله عن ذلك، وأخَذَ عليهم الميثاقَ بذلك، فنقضُوه.

وقوله تعالى: ﴿وَإِن يَأۡتُوكُمۡ أُسَٰرَىٰ﴾ أي: جاؤوكم مأسورين؛ أي: ظهَروا لكم على هذه الحالة، ولم يُرِد به الإتيانَ الاختياريَّ.

وقرأ ابنُ كثير وأبو عمرو وابنُ عامر: ﴿أُسَارى تَفْدُوهم﴾، وقرأ نافعٌ وعاصمٌ

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ١٦٣)، و«التيسير» (ص: ٧٤)، وأهل الكوفة من السبعة حمزة والكسائي وعاصم.

(٢) هي قراءة الجمهور عدا الكوفيين. انظر: «السبعة» (ص: ٢٣٨)، و«التيسير» (ص: ٩٧).

(٣) ما نسبه المصنف لابن عباس والسدي (من أول القول إلى هنا) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٢٠٩) من قول ابن زيد. وما بعده لم أقف عليه.

(٤) في (ر): «النضير».

(٥) في (ر): «قريظة».

(٦) في (ف): «وكانت عادة بني النضير القتل والإخراج».

والكسائيُّ: ﴿أُسَـٰرَىٰ تُفَـٰدُوهُمْ﴾ بالألف فيهما، وقرأ حمزةُ: ﴿أَسْرى تَفْدُوهم﴾ بغير الألف فيهما[1].

والأَسْرى جمعُ أسير، كالجَرحى جمعُ جريح، والمرضى جمعُ مريض، والأُسارى جمعُ الأسرى، كالسُّكارى جمعُ السَّكرى. والأسيرُ: هو المأخوذُ قهراً، وأصلُ الأسر: الشَّدُّ، ومَن أُخِذَ قهراً شُدَّ غالباً، فسُمِّيَ المأخوذ أسيراً، وإن لم يشدّ، والإسَارُ: ما يُشَدُّ به الأسيرُ.

وقال أبو عمرو: الأُسارى: الذين هم في الوَثاق، والأسرى: الذين هم في اليد، وإن لم يكونوا في الوَثاق[2].

وقوله تعالى: ﴿تفدُوهُمْ﴾ أي: تُعطوا فداءَهم، وتشتروهم به للتخليص، والمفاداةُ مفاعلةٌ منه، والفداءُ يَقعُ بين الفادي والأسير، والمفاداةُ تجري بين الفادي وبين قابلِ الفداء.

وقال أبو معاذ[3]: المفاداة: المماكسةُ في الفداء بينهما[4].

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ﴾ فيه ثلاثةُ أوجه:

أحدها: أنَّ قولَه: ﴿وَهُوَ﴾[5] إشارةٌ إلى الإخراج، ثمَّ أُعيدَ ذكرُه صريحاً توكيداً.

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ١٦٣)، و«التيسير» (ص: ٧٤).

(٢) انظر قول أبي عمرو في «النكت والعيون» للماوردي (١/ ١٥٥).

(٣) هو الفضل بن خالد النحويُّ المروزيُّ، مولى باهلة، له كتاب في القراءات، أكثر عنه الأزهري في «التهذيب»، وذكره ابن حبان في «الثقات» توفي سنة (٢١٠هـ). «إنباه الرواة» للقفطي (٤/ ١٨٥)، و«بغية الوعاة» للسيوطي (٢/ ٢٤٥).

(٤) انظر: «تهذيب اللغة» للأزهري (١٤/ ٢٠٠) (مادة: فدى).

(٥) بعدها في (ر): «فيه».

والثاني: أنَّ قولَه: ﴿وَهُوَ﴾ إشارةٌ إلى الإخراج، لكن لمَّا كان إشارةً إلى ما سبق، وقد مرَّ ذِكْرُ الإخراج والقتل، والتَّظاهر بالإثم[١] والعدوان[٢]: احتملَ الوجوهَ، فبَيَّنَ المقصدَ، وعيَّنَ الإخراجَ؛ ليُعلم أنَّ الكنايةَ راجعةٌ إليه.

والثالث: أنَّه إشارةٌ إلى الحديث والخبر، كأنه قال: والخبرُ أنَّه محرَّمٌ عليكم إخراجُهم، ومثله قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾.

وقال القفَّال: وقد قيل: إنَّ قوله: ﴿وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ﴾ معناه: إن صار في أيديكم أُسارى، لم تُطلِقوهم، لكن[٣] أخذتُم فداءَهم للإطلاق، والمفاداةُ والفِداءُ يكون من الجانبين. قال: وهذا موضعُ توبيخٍ، وإعطاءُ الفِداء لإطلاقِ الأسير لا يقعُ عليه توبيخٌ، فالظَّاهر أنَّ المرادَ هذا.

قال القفَّال: والصَّوابُ هو الحملُ على إعطاء الفداء لإنقاذِ الأسير، وبه جاءت الرِّوايةُ.

قال محمَّدُ بنُ إسحاق: حُرِّمَ عليهم في التَّوراة سفكُ دمائِهم، وافترِضَ عليهم فيها فداءُ أسرائهم، فكانوا فريقين؛ طائفةٌ منهم بنو قينقاع، وهم[٤] حلفاءُ الخزرج، والأخرى النَّضيرُ وقريظةُ، وهم حلفاءُ الأوس، فكانوا إذا كانت بين الأوسِ والخزرج حربٌ، خَرجَتْ بنو قينقاع مع الخزرج، وخرجت بنو النَّضيرِ وقريظة مع الأوسِ، يُظاهِرُ كلُّ فريقٍ[٥] ....

(١) في (أ) و(ر): «والاثم».

(٢) بعدها في (ر) و(ف): «وإن».

(٣) في (أ): «ولكن».

(٤) في «سيرة ابن هشام»: «ولفهم» في هذا الموضع والذي يليه، بدل: «وهم».

(٥) في (ر) و(ف): «قوم».

حلفاءَه على إخوانه[١]، حتَّى يتسافكوا الدماءَ، وبأيديهمُ التَّوراة، يَعرفون[٢] فيها ما[٣] عليهم وما لهم، والأوسُ والخزرجُ أهلُ شركٍ، يَعبدونَ الأوثانَ، لا يَعرفون القيامةَ، والجنَّةَ والنَّارَ، والحلالَ والحرامَ، فإذا وضعتِ الحربُ أوزارَها افتدَوا أُساراهم؛ تصديقاً لما في التَّوراة، افتدَى بنو قينقاع ما كان مِن أُساراهم في أَيْدِي الأوسِ منهم، وافتدى النَّضير وقريظةُ ما كان في أيدي الخزرج منهم، ويُبطِلون الدِّماءَ[٤].

فكانت العربُ تُعَيِّرُهُم بذلك، ويَقولون: كيف تُقاتلونَهم، وتفدونهم، فقالوا: إنَّا أُمِرنا أن نَفديَهم، وحُرِّمَ علينا قتالُهم، قالوا: فلِمَ تقاتلونَهُم؟ قالوا: إنَّا نستحيي أن يُستَذلَّ حلفاؤنا[٥].

وقال ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: إنَّ اللهَ تعالى أخذَ على بني إسرائيلَ في التَّوراة ألَّا يَقتلَ بعضُهم بعضاً، وأيُّما عبدٍ أو أمَةٍ وجدتموهُ مِن بني إسرائيلَ، فاشتروه بما قام[٦] ثمنُه، فأعتقوه[٧].

وقيل: في الآية تقديمٌ وتأخيرٌ، وتقديرها: وإذ أخذنا ميثاقكم ألَّا تسفكوا

---

(١) في (ر) و(ف): «إخوانهم».

(٢) بعدها في (ر) و(ف): «ما».

(٣) بعدها في (أ): «حرم».

(٤) «سيرة ابن هشام» (١:٥٤٠ ـ ٥٤١). وأخرجه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٢٠٧ ـ ٢٠٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ١٦٤، ١٦٥، ١٦٦) (٨٦٠)، (٨٦٤)، (٨٦٧)، (٨٧٠) من طريق ابن إسحاق عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما.

(٥) من قوله: «فكانت العرب تعيرهم» إلى هنا أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٢٠٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ١٦٣ ـ ١٦٤) (٨٥٧) من قول السدي.

(٦) بعدها في (ر): «من».

(٧) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٢٠٨) لكن من قول السدي.

دماءَكم، ولا تُخرِجوا أنفسَكم مِن ديارِكم، وذلك محرَّمٌ عليكم؛ أي: الإخراج، وإن يَأتوكُم أُسارى تفادوهم، كان العهدُ بهذه الأشياء الثلاثة تركَ القتل، وتركَ الإخراجِ، ومفاداةَ الأسارى[1]، فقَتلوا، وأَخرجوا، وهما بخلافِ العهدِ، وفدوا الأسارى، وهو من العهد، فوبِّخوا بما هو بخلاف العهدِ، لا بها كلِّها.

وقيل: كان كلُّ فريقٍ يَفدي أسيراً كان[2] من عشيرتِه، ولا يَفدي أسيرَ غيرِ عشيرتِه، وكانوا أُمِروا بفداءِ كلِّ أسير.

وقوله تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ استفهامٌ بمعنى الإنكار والتَّوبيخ والتَّهديد؛ أي: تَفدون أُساراكم دون أُسارى غيرِكم.

وقيل: بل كانوا يَفدون كلَّ الأُسارى، لكن كانوا لا يَتركون القتلَ والإخراجَ، فهُدِّدوا لذلك. ويدلُّ عليه أنَّه قال في الآية: ﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ﴾ وقال: ﴿وَتُخْرِجُونَ﴾، ولم يقل: ولا تَفْدون، فكان توبيخُهم على التَّفريقِ بين أحكام الله تعالى، وهذا كالتَّفريق بين رسل الله، فهم بذلك يؤمنون ببعضٍ، إلا أنَّه لـمَّا كان إيمانُهم بهم باطلاً بتكذيبِهم غيرَهُم، صحَّ التوبيخُ عليه.

وقوله تعالى: ﴿فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ﴾ الخزيُ: الفضيحة، وقد خَزِيَ[3] خزياً، فهو خِزيٌّ، والخزايةُ: الاستحياءُ وقد خَزِيَ خَزَايةً، فهو خَزْيان؛ أي: ليس جزاءُ مَن فعلَ ذلك إلَّا ما يَفتَضِحُ به في الدُّنيا، فيَستحيي مِن ذلك، ثمَّ يَرجعُ في الآخرة إلى أشدِّ العذاب،

---

(١) في (ر) و(ف): «الأسرى».

(٢) لفظ: «كان» من (أ).

(٣) بعدها في (ر): «يخزى».

وهو التَّعذيبُ في جهنَّم[١]، وهو أشدُّ مِن خِزيِهم في الدُّنيا، وأشدُّ مِن كلِّ عذابٍ كان قبلَه، فإنَّه كان يَنقطعُ، وهذا لا ينقطع.

واختلف في المراد بالخزي هاهنا:

قيل: هو إجلاءُ بني النَّضيرِ من ديارهم لأوَّل الحشرِ، كما كانت عادتهم، وقتلُ بني قريظة وسبيُ ذراريهم، كما كانت عادتهم[٢].

وقيل: هو أخذُ الجزيةِ عن صَغارٍ، ومع ما[٣] كان لهم هذا في الدُّنيا[٤]، فعذابُ الآخرةِ باقٍ.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: جزاؤهم الخزيُ في الدُّنيا، لكن لا يُعاقَبون في الدُّنيا، وإن استوجَبوا ذلك، بل يُرَدُّون إلى أشدِّ العذابِ في الآخرة، وهذا كقوله: ﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [إبراهيم: ٤٢][٥]، **وقوله تعالى:** ﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ﴾ [القمر: ٤٦].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يعْمَلُونَ﴾[٦] مرَّ تفسيره مرَّةً[٧]. وقد قرأ ابنُ كثيرٍ ونافعٌ وخلف[٨]..

(١) في (أ): «حقهم».

(٢) من قوله: «وقتل بني قريظة» إلى هنا من (أ).

(٣) في (ر) و(ف): «ووضع ما» بدل: «ومع ما».

(٤) «في الدنيا» من (ف).

(٥) «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (١/ ٥٠٥).

(٦) في (ر): «تعملون».

(٧) عند تفسير الآية (٧٤) من هذه السورة.

(٨) في (ر) و(ف): «بن خلف» والمثبت هو الصواب.

ويعقوب[1] وعاصمٌ في رواية أبي بكرٍ وحمَّادٍ[2] بالياء على المغايبة[3]، بناءً على قوله: ﴿يردون﴾[4]، وقرأ الباقون بالتَّاء على المخاطبةِ بناء على قوله: ﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ﴾.

***

(٨٦) ـ ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ ۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ﴾ أي: بالحياةِ الآخرة، وقد مرَّ تفسيره في قوله تعالى: ﴿اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ﴾ [البقرة: ١٦]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [البقرة: ٤١]، ومعناه هاهنا: أَخذوا قليلَ الدُّنيا بدلاً عن كثيرِ الآخرة.

وقوله تعالى: ﴿فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ﴾ أي: لا يُهوَّن.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ أي: لا يعانون يومئذٍ.

وقيل: أي: لا يمنَعون مِن العذاب.

وقيل: أي: ولا يكونون[5] لهم نَصرةً في الدُّنيا؛ لأنَّ المبطِلَ وإن غَلَبَ صورةً، فهو مخذولٌ حقيقةً.

---

(١) «وخلف ويعقوب» ليس في (أ).

(٢) «وحماد» ليس في (أ).

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ١٦١)، و«التيسير» (ص: ٧٤)، و«جامع البيان» (ص: ٤٠٣)، و«النشر» (٢/ ٢١٨). ورواية حماد عن عاصم غير متواترة.

(٤) في (ر): «تردون».

(٥) في (أ): «ولا يكون».

(٨٧) ـ ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ انتظامُها بما قبلها أنَّ الله تعالى أخبرَ أنَّه أعطى بني إسرائيل شيئين؛ الكتابَ، والرُّسلَ، ثمَّ بيَّن معاملَتهم في حقِّ الكتاب، فقال تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾، وبيَّن معاملَتهم في حقِّ الرُّسل، فقال تعالى: ﴿فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾.

ووجهٌ آخر: أنَّه ذَكَرَ نقضَهُم الميثاقَ، ثمَّ بيَّن أنَّ ذلك لم يكن لعدم العلمِ[1]، فقد كنتُ بَعثتُ الرُّسلَ وبيَّنوا لهم.

* * *

(٨٧) ـ ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ أي: ولقد أعطينا موسى التوراة.

وقوله تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ﴾ أي: أَتْبَعنا وأَردَفنا، يقال: قفاهُ يَقفُوهُ قَفْواً؛ أي: تَبِعَهُ، وقَفَّاهُ غيره يُقَفِّيه تقفيةً؛ أي: أتبعَهُ، وقد قفَوتُ أثرَهُ، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾، ومنه: القَفا، والقافية، والمقفِّي مِن أسماءِ النبي ﷺ[2].

---

(١) في (أ): «الملك»، وهو تحريف.

(٢) ورد ذكر هذا الاسم في حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه في «صحيح مسلم» (٢٣٥٥)، يقول أبو موسى: كان رسول الله ﷺ يسمي لنا نفسه أسماء، فقال: «أنا محمد، وأحمد، والمقفي، =

أي: وَاتَرْنا الرُّسُلَ مِن بعده، فقد روي أنَّ اللهَ تعالى بعثَ بعد موسى إلى عصر سيِّدنا عيسى أربعةَ آلاف نبي. وقيل: سبعين ألف نبي.

وقوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ موسى وعيسى ومريم أسماءٌ أعجميَّةٌ، ولذلك لا ينصرف حين اجتمعَتِ العُجمَةُ والتَّعريف.

ومعنى موسى أنَّ «مو» في لسانهم: الماء، و«شى»: الشجر، وهم يقولون: موسى، ومعناه أنَّه أُخِذَ مِن بين الماء والشجر؛ أي: من[1] تابوتٍ جُعِلَ هو فيه، ثمَّ جُعِلَ التَّابوتُ في الماء، فأُخِذ في دارِ فرعون ـ عليه لعائن الله تترى ـ، ونُقِلَت الشِّين إلى السِّين في العربيَّة.

وعيسى في لسانهم: عيشى بالشين، فهو[2] من العيش الذي هو الحياة، وكان يُحيي اللهُ تعالى بدعائِه الموتى، ونُقِلَت إلى السِّين في العربيَّة، وإن جعل في الأصل بالسِّين فهو من العَيَس الذي هو البياض.

ومريم قيل معناها بالسُّريانية: الخادم، وقد جعلَتها أمُّها محرَّرةً لخدمةِ المسجد.

و﴿ٱلْبَيِّنَٰتِ﴾: الآيات الظَّاهرات، مِن قولك: بان؛ أي: ظهرَ، وأَبانَ كذلك، ويكونُ أَبانَ بمعنى أظهر أيضاً، واختُلِف في المراد بها هاهنا:

قيل: هي[3] الإنجيل.

وقال ابنُ عباس رضي الله عنهما: هي المعجزاتُ وهي إذهابُ البَرَصِ، وإبراءُ

= والحاشر، ونبي التوبة، ونبي الرحمة».

(١) بعدها في (ر): «بين».

(٢) بعدها في (ر): «وهو»، وليس في (أ).

(٣) بعدها في (ر) و(ف): «في».

الأكمهِ، وإحياءُ الموتى، والإخبارُ بما يأكلون وما يدَّخِرون في بيوتِهم وشفاءُ المرضى[١].

وقوله تعالى: ﴿وَأَيَّدْنَٰهُ﴾ أي: قوَّيناهُ، والأَيْدُ: القُوَّةُ، والتَّأييدُ: التقويةُ.

قوله تعالى[٢]: ﴿بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ قيل: هو جبريلُ، قال الله تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ﴾ [الشعراء: ١٩٣]، وهو جبريلُ عليه السَّلام، وقال تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ﴾[٣] [النحل: ١٠٢]، وبه قال الضَّحَّاك والرَّبيعُ وقتادة[٤].

و﴿ٱلْقُدُسِ﴾: الطُّهر؛ أضيفَ الرُّوح إلى صفتِه، وهو كذكر نعته[٥]، ومعناهُ: أي: جبريلُ الطَّاهرُ.

و﴿ٱلْقُدُسِ﴾: البركةُ أيضاً، ومعناه؛ أي[٦]: جبريلُ المباركُ، بالطَّريق الأوَّل[٧].

ومعنى تقويته به أنَّه عصمَهُ به مِن أوَّلِ حالِهِ إلى كِبرِه، فلم يَدْنُ منه شيطانٌ عند الولادةِ، ورفعَهُ هو[٨] إلى السماء حين قصدَ اليهودُ قتلَهُ.

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٢٢٠).

ووقع بعدها في (ر): «ومعناه جبريل الطاهر والقدس البركة أيضاً»، وهي مقحمة هنا، وستأتي في موضعها قريباً. ووقعت هذه العبارة في (ف) مرتين الأولى بعد قوله التالي: «﴿بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾»، والثانية في موضعها كما ستجدها فيه.

(٢) من قوله: «أي قويناه» إلى هنا من (أ). ووقع في (ف) بعد قوله التالي: «كذكر نعته».

(٣) بعدها في (ر): «من ربك بالحق».

(٤) أخرج أقوالهم الطبري في «تفسيره» (٢/ ٢٢٢).

(٥) وقع بعدها في (ر) و(ف): «قوله تعالى: ﴿وَأَيَّدْنَٰهُ﴾ أي: قويناه والأيد القوة والتأييد التقوية»، وسلفت هذه العبارة في موضعها قريباً.

(٦) «أي» ليس في (أ).

(٧) قوله: «بالطريق الأول» ليس في (ف).

(٨) لفظ: «هو» من (أ).

وقال عبدُ الرَّحمن بنُ زيد: هو الإنجيل[١].

سُمِّيَ الإنجيلُ روحاً، كما سُمِّيَ القرآنُ روحاً في قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ﴾ [الشورى: ٥٢]، وسُمِّيَ الكتابُ روحاً؛ لأنَّه سببٌ لحياة القلوب، كالرُّوح به حياةُ الأبدان، وسُمِّيَ جبريلُ روحاً؛ لأنَّ حياةَ الخلقِ بالقرآن والدِّينِ وإنزالِ القرآن، وبيانُ الدِّين كان منه، قال تعالى: ﴿ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ﴾ [الأنفال: ٢٤].

وقال ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: الرُّوح: اسمُ الله الأعظم الذي به كان يُحيي الموتى، ويُبْرِئ المرضى[٢].

وقيل: هو الرُّوحُ الذي به حياةُ البدن.

وخصَّ روحَه بوصفه[٣] بالقُدُس ـ وهو الطَّهارة ـ؛ لأنَّه لم يتضمَّنه أصلابُ الفُحولَة، ولا اشتملَ[٤] عليه أرحامُ الطَّوامث[٥].

وقوله تعالى: ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمۡ رَسُولُۢ﴾ الألف للاستفهام، ومعناهُ الاستنكار.

وقوله تعالى: ﴿بِمَا لَا تَهۡوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ﴾ أي: بما لا تُحِبُّ. وقد هَوِيَ يَهوى[٦] من حد: عَلِمَ؛ أي: أحبَّ، ومعناه: بما لا تَهواهُ، ولـمَّا حُذِفَت الهاءُ كان الفعلُ واقعاً على

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٢٢٣).

(٢) في (ر): «الأبرص والأكمه» بدل: «المرضى». والأثر أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٢٢٣)، وابن أبي حاتم (١/ ١٦٩) (٨٨٦) بلفظ: «هو الاسم الذي كان يحيي به عيس الموتى».

(٣) في (ف): «لوصفه».

(٤) في (ف): «تشتمل».

(٥) انظر: «النكت والعيون» للماوردي (١/ ٢٣٣).

(٦) في (أ): «هوى» بدل: «يهوى».

﴿مَا﴾، هو بمعنى الذي؛ أي: كلَّ وقتٍ ـ وهو نصب على الظَّرف ـ جاء[1] رسولٌ بشيءٍ لا يوافقُ أهواءكم. والباء في ﴿بِمَا﴾ لتعديةِ فعل المجيء الذي هو لازمٌ.

وقوله تعالى: ﴿ٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾ أي: استعظمتُم، فلم تقبلوه، ولم تَعملوا به.

وقوله تعالى: ﴿فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ﴾ أي: كذَّبتُم طائفةً مِن الرُّسل، وهم الذين لم تقدروا على قتلهم، كعيسى ونحوه.

وقوله تعالى: ﴿وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ أي: قتلتُم طائفةً، وهم مَن قدرتُم على قتلِهم، كزكريا ويحيى ونحوهِما.

ورويَ أنَّهم قَتلوا في يومٍ واحدٍ ثلاثَ مئة نبيٍّ، ولما كانت العشيَّةُ قامَت لهم سوقُ بَقلِهم؛ أي: لم يهتمُّوا لذلك.

وهذا ردٌّ على من قال: إنَّ الكفَّار لا تَثبتُ لهم على قتلِ الرَّسولِ[2] قدرةٌ؛ لأنَّ اللهَ تعالى وَعَدَهُم بالنُّصرةِ[3] بقوله: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا﴾ [غافر: ٥١]، وقال: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ﴾ [الصافات: ١٧١]، لكنَّا نقول: أرادَ به النُّصرةَ بالحُجَّةِ وبيانِ الحقِّ، بدليل أنَّه عطفَ عليه: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [البقرة: ٨٢]، وقد يقتلون، ولكنَّ المرادَ به النُّصرةُ بالحُجَّةِ، وقد نصَّ هاهنا على قتلِهم الرُّسُل، فقد قال في صدر الآية: ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ﴾، وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَآ أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ﴾ إلى أن قال: ﴿فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ﴾ [آل عمران: ١٨٣].

---

(١) في (أ): «جاءكم» وفي (ر): «جاءهم».

(٢) في (أ): «الرسل».

(٣) في (أ): «النصرة».

وقوله: ﴿تَقْتُلُونَ﴾ مستقبلٌ بمعنى الماضي أو الحالِ في الماضي، وخاطبَ أهلَ عصرِ النبيِّ ﷺ بهذا، وقد فعلَهُ أسلافُهم؛ لأنَّهم يتولَّونَهم، ويَرضونَ بفعلِهم.

***

(٨٨) ـ ﴿وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ قرأ عامَّةُ القرَّاء بتسكين اللام، وقرأ ابنُ محيصن بالتثقيل(١)، فالتَّخفيفُ: جمع أغلف، وهو الذي غُشِّيَ غِلافاً، وغلامٌ أغلفُ وأقلف: لم يَختتِن، فذلك منه في غلاف، وهو كالأحمَرِ والحُمْر، وقراءةُ الضَّم جمع غِلاف، وهو الغشاءُ والوعاء، وهو كالشِّهاب والشُّهُب، فمعنى التسكين: إنَّ قلوبنا في غشاءٍ وغطاء.

ولـمَّا خاطبَهم النَّبيُّ ﷺ بقوله تعالى: ﴿فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ سكتوا، ولم يمكنهم التكذيبُ، فقالوا: ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾؛ أي: في غلافٍ، كما قالوا: ﴿قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ﴾ [فصلت: ٥]، فلا نَفهمُ ما تقول، ولا نَفقهُ ما تَحدَّث، يَدَّعون زوالَ الخطابِ عنهم؛ كراهيةً لما سمِعوا، فكذَّبهم اللهُ تعالى، فقال: ﴿بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ﴾؛ أي: طردَهم بكفرِهم وعُتوِّهم وعِنادِهم(٢) رسولَ الله ﷺ؛ لا أنَّ قلوبَهم بمحَلٍّ لا يفهمون ذلك كما يزعمون، ولكنَّ ذلك لتركِ التَّفكُّر والتَّدبُّرِ فيها.

وعلى قراءة الضَّمِّ معناه: قلوبُنا أوعيةٌ(٣)؛ تَفهَمُ وتَعِي ما يُقالُ ويُخاطَب به،

---

(١) يعني بضم اللام، والقراءة عن ابن محيصن في «تفسير الثعلبي» (١/ ٢٣٣)، ونسبها ابن خالويه في «مختصر في شواذ القرآن» (ص: ١٥) للؤلؤي عن أبي عمرو. ونسبت لابن عباس رضي الله عنهما أيضاً كما سيذكر المصنف قريباً.

(٢) بعدها في (ف): «قال».

(٣) بعدها في (أ): «العلم».

لكن لا تَفهمُ ما تقولُ، ولا تَفقهُ(١) ما تُحدِّثُ، فلو كان حقًّا وصِدقاً لفَهِمَت وفَقِهَت، يدَّعون عليه إبطالَ ما يقول، وذلك نحو ما قالوا لشعيبٍ: ﴿مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ﴾ [هود: ٩١]. هذه كلماتُ الإمام أبي منصور رحمه الله تعالى(٢).

والأوَّل: قولُ الحسن وأبي العالية ومجاهدٍ وقتادةَ والسُّدِّيِّ، فإنَّهم قالوا: معناه: قلوبنا في أكِنَّةٍ(٣).

والثاني: قراءةُ ابن عباسٍ رضي الله عنهما(٤) وسعيد بن جبير وزيد بن أسلم(٥) وتفسيرُهم، فتقدير(٦) القراءةِ الأولى: قلوبنا في أوعيةٍ، وتقديرُ القراءةِ الثَّانية: قلوبُنا أوعيةٌ.

وقيل: معناه: قلوبنا أوعيةٌ للعلوم، فلا حاجةَ لنا إلى علمك.

والذي ذكرناهُ قبلَه كان تعييناً(٧) لكلامه، فإنَّه كان لا يُوافِقُ أهواءَهم؛ فإنَّهم كانوا يُحِبُّون النَّهبَ والارتشاءَ، ولذلك(٨) قالوا: ﴿ائْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ﴾، فأُمِرَ أن يقول: ﴿مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآيِٕ نَفْسِيٓ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ [يونس: ١٥].

---

(١) في (ر) و(ف): «لا نفهم... ولا نفقه».

(٢) «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (١: ٥٠٨).

(٣) روى أقوالهم عدا قول الحسن الطبريُّ في «تفسيره» (٢/ ٢٢٨ ـ ٢٢٩).

(٤) انظر قراءة ابن عباس رضي الله عنهما في «تفسير أبي الليث» (١/ ١٣٦).

(٥) علق ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ١٧٠) عقب الأثر (٨٩٥) عن سعيد قوله: في غطاء، وروى الطبري نحوه عن ابن زيد في «تفسيره» (٢/ ٢٣٠).

(٦) في (ر): «أن تقدير».

(٧) في (أ): «تعييباً».

(٨) في (ف): «ولهذا».

والـذي ذكرنـاه بَدِيًّا كأنَّـه تعلُّقٌ منهـم بمذهب الجبـر؛ أي: قلوبُنـا في غلافٍ، وهـي ممنوعـةٌ عن الفهـمِ جبراً، وكذلـك كانوا يقولـون: ﴿لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم﴾ [الزخـرف: ٢٠]، وهـو تعلُّق بمذهـب الجبريَّـة، وفيهم ذلك.

فكذَّبهم اللهُ تعالـى فـي الوجوه الثلاثة، وذلـك قولُه تعالى: ﴿بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ﴾؛ أي: ليس كما قالوا: إنَّهم مجبورون معذورون، بل بعَّدَهُم[1] اللهُ عن تفهُّمِها؛ جزاءً لهم على كفرِهم.

واللَّعنُ: الطَّردُ والإبعاد لغةً، فقد أثبتَ اللَّعنَ مِن نفسِه، والكفرَ منهم، وهو مذهبُ أهل السُّنَّة والجماعة، وهو جوابُ كلامِهم أيضاً على القول الثَّاني: إنَّ قلوبَنا أوعيةٌ؛ فلو كان كلامُك صدقاً حقًّا لفهمناه. قال: بل أنتم ملعونون بكفرِكم، لستم بعلماء، ولو كنتم كذلك لقبلتم هذا وعملتُم به.

وهو جوابُ كلامِهم أيضاً على القول الثَّالث: إنَّ قلوبَنا أوعيةٌ للعلوم، فلا حاجةَ لنا في علمك. قال: لستم بعلماءَ مستغنين عن هذا، بل أنتم ملعونون مطرودون عنه بشؤمِ كفرِكم.

وقوله تعالى: ﴿فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ له خمسةُ أوجه:

أحدها: فبقليلٍ ممَّا في[2] كتابكم تؤمنون، ونصب «قليلاً» بنزع الباء، و﴿مَّا﴾ مع ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ مصدر؛ أي: إيمانهم بقليلٍ، وهو معنى قولِ الكلبيِّ: لا يؤمنون إلَّا بقليلٍ ممَّا في أيديهم، ويكفرون بما وراءَه.

---

(١) في (ر) و(ف): «يعذهم».

(٢) في (ف) و(أ): «في» بدل من «كتبتم منه».

والثاني: قولُ معمرٍ: فإيماناً قليلاً ما يؤمنون[١]، هو[٢] نعتُ مفعولٍ يقعُ عليه فعلُ إيمانِهم، وهو المصدرُ في الحاصل، وهو يَرجعُ إلى قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧]، وهذا إيمانٌ منهم بهذا، وهم مشركون في غير ذلك.

و﴿مَّا﴾ صلةٌ زائدة على هذا القول، كما في قوله: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾[٣] [آل عمران: ١٥٩]، ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم﴾[٤]، ﴿عَمَّا قَلِيلٍ﴾ [المؤمنون: ٤٠].

والثالث: فقليل مدَّةٍ يؤمنون، نصبه على الظَّرف، وهو يرجعُ إلى قوله: ﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [آل عمران: ٧٢].

والرابع: قولُ قتادة: لا يؤمنُ منهم إلَّا قليلٌ[٥]، وهو عبدُ الله بن سَلَام وأصحابُه.

و﴿مَّا﴾ في هذا بمعنى «من»، وهو للجمع[٦]، و«ما» بمعنى «من» واردٌ في اللُّغة، ومذكورٌ في القرآن، قال تعالى: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى﴾ أي: من تعبدون من بعدي، و«قليلاً» نعتٌ مقدَّم على الاسم، فنُصِب على القطع.

والخامس: فلا يؤمنون قليلاً ولا كثيراً، و﴿مَّا﴾ للجحد هاهنا، وإذا نَفى في[٧]

---

(١) انظر قوله في «تفسير الثعلبي» (١/ ٢٣٤). وروى الطبري في «تفسيره» (٢/ ٢٣٣) عن معمر عن قتادة، فذكر تفسيره، وقال معمر بعده: وقال غيره: لا يؤمنون إلا بقليل مما في أيديهم.

(٢) في (ر) و(ف): «وهو».

(٣) بعدها في (أ): «لنت لهم».

(٤) بعدها في (أ): «ميثاقهم».

(٥) رواه الطبري (٢/ ٢٣٣).

(٦) في (ف): «للجميع».

(٧) «في» ليس في (أ).

القليل فقد نفى في الكثير، فذكر في آخرِ هذه الآية الامتناعَ منهم عن الإيمان، وفي الآيةِ التي تَليها الكفرَ بعد الإيمان.

***

(٨٩) ـ ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

وقوله[1] تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ﴾ هو القرآن، وهو موافقٌ للكتاب الذي معهم، وهو التَّوراة؛ في التَّوحيد والطَّاعة والأخبار.

وسببُ نزوله ما رويَ أنَّ معاذَ بن جبلٍ رضي الله عنه قال لأهل الكتاب: إنَّكم فيما سلفَ كنتم تَستنصرونَ برسولِنا محمَّد عليه الصلاة والسلام على أعدائِكم، فما لكم أدركتموهُ فلم تؤمنوا به؟ فقالوا: ليس هذا بذلك النبيِّ. فنزلت الآية[2].

وقوله تعالى: ﴿وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ قال ابنُ عبَّاسٍ وأبو العالية: أي: يَستنصِرون[3]، يقال: استفتحَ الله، أي: استَنصرَهُ، ففَتح عليه، أي: نَصرَه، قال الله تعالى: ﴿إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ﴾ [الأنفال: ١٩].

وذكر قتادةُ وأبو العالية والسُّدِّيُّ أنَّه كان إذا اشتدَّت الحربُ بينهم وبين مشركين العرب، أخرجوا التَّوراة ووَضعوا أيديَهم على موضعِ ذكر النَّبي ﷺ، وقالوا: اللهمَّ

---

(١) في (أ): «وذلك قوله».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٢٣٧ ـ ٢٣٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ١٧٢) (١٩٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) روى قوليهما الطبري في «تفسيره» (٢/ ٢٣٨، ٢٣٩).

إنَّا نسألُك بحقِّ نبيِّك الذي وعدتنا أن تبعثَهُ في آخر الزمان أن تَنصرَنا اليوم على عدوِّنا، فكانوا يُنصَرون.

وقال الكلبيُّ: الاستفتاحُ منهم أنَّه كان بينهم وبين جهينةَ وغطفان وبني أسدٍ وعذرةَ عداوةٌ ومحارباتٌ، فكانوا يقولون لهم: يُبعَثُ نبيٌّ له كتابٌ، ونحن كتابيُّون، نؤمنُ به، ونَجعلُ الأيدي يداً واحدةً، فنقهركم، فكانوا يُخَوِّفونهم بذلك[١].

وقال مجاهدٌ وسعيدُ بنُ جبير وقَتادة: ﴿يَسْتَفْتِحُونَ﴾ أي: يَستَخبِرون مِن المشركين؛ هل وُلِد فيكم ولد صفته[٢] كذا وكذا؟ فإنَّه نبيُّ آخرِ الزَّمان، وسيِّدُ الأنبياء.

والمتعلِّم يُسمَّى مستفتحاً؛ لاستخباره من المعلِّم، ومنه: استفتحَ الإمامُ، ففَتَح عليه القومُ.

وقيل: وكانوا يستفتحون الله؛ أي: يسألونَهُ الحكمَ والقضاءَ ببعث نبيٍّ آخرِ الزَّمان، والفتَّاح: الحاكم، وقد فتَح؛ أي: حكمَ، واستفتح؛ أي: سألَ الحكمَ، قال اللهُ تعالى: ﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ﴾ [الأعراف: ٨٩].

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا﴾؛ أي: الأمرُ الذي عرفوهُ حقًّا في كتابهم.

وقيل: «ما» بمعنى: «مَن» كما[٣] في الآية التي قبلها؛ أي: جاءَهم الرسولُ الذي عرفوه.

وقوله تعالى: ﴿كَفَرُوا بِهِ﴾؛ أي: جَحَدوه وكذَّبوه، وهذا جواب: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا﴾، فأمَّا جوابُ قولِه: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ﴾ فقد

---

(١) في (أ): «بهذا».

(٢) في (ر) و(ف): «صفة» بدل: «ولد صفته».

(٣) بعدها في (أ): «مر».

قال الأخفش: هو مضمرٌ[1]، وهو: ﴿نبذوه﴾ كما ذُكِرَ بعد هذا بآيات.

وقال الزَّجَّاج: جوابُ الأول: ﴿كَفَرُواْ بِهِۦ﴾[2]، لكن لمَّا قال: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمۡ كِتَٰبٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ﴾، وقيل: ذُكِرَ جوابُه، اعترض كلامٌ آخرُ تامٌّ، وهو قوله: ﴿وَكَانُواْ مِن قَبۡلُ يَسۡتَفۡتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾؛ أعاد صدرَ الكلام وقال: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ﴾؛ أي: هذا الكتاب كفروا به، وإنَّما أعادَ؛ ليُعرَفَ أنَّه جوابُ ذلك، وهو كقوله: ﴿أَيَعِدُكُمۡ أَنَّكُمۡ إِذَا مِتُّمۡ وَكُنتُمۡ تُرَابٗا وَعِظَٰمًا﴾ [المؤمنون: ٣٥] لمَّا تراخى جوابُ «أنكم»، وطال الكلامُ، أعادَ «أنكم»، ثم قال: ﴿مُّخۡرَجُونَ﴾، ونظيرُه: ﴿لَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡرَحُونَ بِمَآ أَتَواْ﴾ إلى قوله: ﴿فَلَا تَحۡسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٖ مِّنَ ٱلۡعَذَابِ﴾ [آل عمران: ١٨٨].

وقال الفرَّاء: جوابُ صدر الكلام قولُه: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ﴾، وجوابُ قولِه: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ﴾ قوله[3]: ﴿كَفَرُواْ بِهِۦ﴾[4].

وقيل: ﴿كَفَرُواْ بِهِۦ﴾ جوابُهما جميعا.

وقوله تعالى: ﴿فَلَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ أخبرَ أنَّهم لمَّا كَفروا استحقُّوا اللَّعنةَ مِن الله، وهو الطَّردُ والإبعادُ مِن الرَّحمةِ والكرامة والجنَّة على الإطلاق في حقِّ الكفَّار.

وإذا ذُكِرتِ اللَّعنة في حقِّ مذنبٍ مِن المؤمنين، فهي الطَّردُ والإبعادُ عن الكرامة التي وُعِد بها مَن لا يكونُ في ذلك الذَّنب.

---

(١) «معاني القرآن» للأخفش (١/ ١٤٢).

(٢) كذا قال، ونص قول الزجاج في «معاني القرآن» له: (١/ ١٧١): جواب ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمۡ كِتَٰبٞ﴾ محذوف؛ لأن معناه معروف دل عليه: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ﴾.

(٣) قوله: «وجواب قوله: فلما جاءهم ما عرفوا قوله» من (أ) وموضعها في (ف): «وجواب ما عرفوا».

(٤) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٥٩).

(٩٠) ـ ﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ﴾ «بئسَ» نقيضُ «نِعْمَ»، وهما في الأصل فعلان ماضيان على وزن: عَلِمَ، جُعِلا للمدحِ والذَّمِّ فمُنِعا تصرُّفَ الأفعال، وغُيِّرا بتسكين الحشو، ولا يليان اسمَ علم، وإنما يَدخلان في اسم نكرةٍ دالٍّ على الجنس، أو اسمٍ معرَّفٍ بالألف واللام يدلُّ على الجنس؛ لأنَّهما يقتضيان استيفاءَ جميعِ المدح[1] والذمِّ، فإذا قلت: نعمَ الرَّجلُ زيدٌ، أخبرتَ أنَّه مستوفٍ جميعَ المدح[2] في جنسه. و«بئس» على خلافه، فكان الرجلُ مرفوعاً بفعله، وإذا قلت: بئس رجلاً زيدٌ، أو: نعم رجلاً زيدٌ، نصبتَ رجلاً على التمييز، وفي «نعم» اسمٌ مضمَرٌ على شريطة التفسير، وزيد مميَّزٌ من هذا الممدوح، فإذا قلت: بئس ما، فـ «ما» نكرةٌ، وتقديره: بئس شيئاً اشتَروا به أنفسهم.

وقوله تعالى: ﴿أَن يَكْفُرُوا﴾ ﴿أَن﴾ مع الفعل مصدرٌ، وتقديره: كفرُهم، وبسطُه: أي: بئس العِوضُ الذي أخذوه عن أنفسِهم كفرُهم.

واشتروا قيل: باعوا، فقد قال أبو معاذ: البيعُ والشِّراءُ والابتياع والاشتراء كلُّها تقعُ على البيع وحدَه، وعلى الشِّراء وحدَه.

قال مجاهدٌ والسُّدِّيُّ[3]: معناه: باعوا[4]، وله معنيان:

---

(١) في (أ): «الحمد».

(٢) في (أ): «الحمد».

(٣) في (أ): «ومجاهد والسدي قالا».

(٤) أخرج قوليهما الطبري في «تفسيره» (٢/ ٢٤٦ ـ ٢٤٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ١٧٢) (٩٠٨)، (٩٠٩).

الأَوَّل[١]: بذلوا أنفسَهم بهذا الثَّمن، فصارت للنَّار، وهو معنى قوله: ﴿خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ [الأنعام: ١٢].

والثَّاني: بئسَ ما باعوا به حظَّ أنفسِهم من النَّجاة والكرامة بالثَّمن الذي هو الهلاكُ والإهانة، فيكونُ فيه مضمرٌ، ويكونُ معنى قوله: ﴿أَنفُسَهُمْ﴾ أي: حظَّ أنفسِهم، كما في قوله: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢][٢]؛ أي: أهل القرية.

وقال القفَّال: يجوزُ أن يُحمَلَ على الاشتراءِ الذي هو التَّملُّك؛ فإنَّ النفسَ مرهونةٌ بعمَلِها، قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ [المدثر: ٣٨]، وافتكاكُها بمنزلةِ اشترائها، وإنَّما يجبُ أن يشتريَها بالعمل الصَّالح، فإذا كفرَ فقد أراد افتكاكَها به، وبئس ما افتكَّها به.

وقيل: البيعُ والشِّراءُ: معاوضة، وهما بيِّعان[٣] ومتبايعان، فيقعُ الاسمُ على كلِّ واحدٍ منهما على الانفراد، ويكون معناهُ: بئس ما عاوضوا به.

وقيل: الاشتراءُ: الاختيار، وتقديره: بئس ما اختاروهُ لأنفسِهم.

والباء في ﴿بِهِۦٓ﴾ صلةٌ زائدةٌ، ونصب ﴿أَنفُسَهُمْ﴾ بإضمار اللام.

وقيل: ﴿أَن يَكْفُرُواْ﴾ في موضع خفضٍ ردًّا على الهاء التي في ﴿بِهِۦٓ﴾؛ أي: اشترَوا أنفسَهم بالكفر.

وقوله تعالى: ﴿بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ أي: بالقرآن.

---

(١) لفظ: «الأول» من (ف).

(٢) وقع فوقها هنا في (ر) بخط دقيق: «التي قالتها»

(٣) في (أ): «بائعان».

وقوله تعالى: ﴿بَغْيًا﴾ أي: حسداً. قال اللِّحيانيُّ[١]: أصلُ البغي: الحسدُ، والباغي: هو الظَّالمُ الذي يَفعلُ ذلك عن حسدٍ[٢]، وقد بغى بغياً؛ أي: ظلَمَ وحسدَ، وبغى بُغاءً، بضم الباء؛ أي: طلبَ، وبغت الأَمَة بِغاءً، بالكسر؛ أي: فجرَت.

وقوله تعالى: ﴿أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ أي: كفروا للحسد بإنزال الله تعالى القرآنَ على محمَّدٍ، فإنَّهم كانوا يَعتقدون نبيَّ آخرِ الزَّمان، ويتمنَّون خروجَه، وهم يَظنُّون أنَّه مِن ولدِ إسحاق، فلمَّا ظهرَ أنَّه مِن ولدِ إسماعيل حَسَدوه[٣]، وكرهوا أن يَخرُجَ الأمرُ مِن بني إسرائيل فيكونَ لغيرِهم.

والفَضْلُ: هو الكتابُ والرِّسالةُ، والبغيُ قيل: هو ظلمُهم أنفسَهم بذلك.

وقوله تعالى: ﴿فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ﴾ قد مرَّ تفسير «باء» في قوله تعالى: ﴿وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٦١].

وقال ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما: الغضبُ الأوَّلُ بتغيير التَّوراة، والثاني بتكذيبِ محمَّد عليه الصَّلاة والسَّلام[٤].

وقيل: الأوَّلُ بكفرِهم بعيسى عليه السلام.

---

(١) هو علي بن المبارك، ويقال: علي بن حازم، أبو الحسن اللحياني، أخذ عن الكسائي وأبي زيد وأبي عمرو الشيباني وأبي عبيدة والأصمعي، وعمدته على الكسائي، وأخذ عنه القاسم بن سلَّام، وله كتاب «النوادر». انظر ترجمته في «طبقات النحويين» للزبيدي (ص: ١٩٥)، و«معجم الأدباء» (٤/ ١٨٤٣ ـ ١٨٤٤)، و«الوافي بالوفيات»: (٢١/ ٢٦٥)، و«بغية الوعاة»: (٢/ ١٨٥).

(٢) انظر «تهذيب اللغة» (٨/ ٢٠٩) (مادة: بغى)، و«الغريبين» للهروي (١/ ١٩٩)، و«التفسير البسيط» للواحدي (٣/ ١٥١).

(٣) بعدها في (أ): «وكفروا».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٢٥١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ١٧٣) (٩١٥).

وقيل: الأوَّلُ بقولهم: ﴿عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠]، وقولِهم: ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾، والآخرُ بما ذكَرْنا.

وأحسنُ ما قيل فيه أنَّ معناه: استَحَقُّوا غضباً متتابِعاً لا ينقطعُ، كما يقال: فلانٌ يحسنُ إليَّ إحساناً على إحسان؛ أي: على التتابع.

وقوله تعالى: ﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ أي: مُذِلٌّ بعد عزِّهم في الدُّنيا.

وقيل: المهِينُ هو اللهُ تعالى بالعذاب، وأضيفَ إلى العذاب توسُّعاً؛ لأنه به يَقعُ، ودلَّ[1] أنَّ عذابَ المؤمنين تأديبٌ وتطهيرٌ، وعذابَ الكفَّار إهانةٌ وتشديد، قال الله تعالى: ﴿ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون: ١٠٨]، وقال تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ﴾ [الدخان: ٤٩]، وقال تعالى: ﴿يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾ [القمر: ٤٨].

وقيل: للكافرين عذابٌ مهينٌ في الدُّنيا أيضاً، وما كان للمؤمن فيها فهو تَمحيصٌ وتَكفِير.

***

(٩١) - ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ أي: وإذا قال أصحابُ رسول الله ﷺ لهؤلاء اليهودِ الذين يكفرونَ بالقرآن: آمنوا بالقرآنِ والإنجيل.

وقوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾ أي: بالتَّوراة التي هي كتابُنا، أُنزلَ على نبيِّنا موسى صلوات الله عليه، والمنزَلُ على النَّبيِّ منزَلٌ على أمَّتِه معنى؛ لأنَّه يَلزمُهم.

---

(١) في (أ): «فدل».

وقوله تعالى: ﴿وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ﴾ أي: سِوَاهُ، والتَّذكير لرجوع الهاء إلى «ما أُنزِل».

وقال أبو عبيدة: أي: بما بعدَه[١]، قال النابغة:

حَلَفْتُ[٢] فلَمْ أتركْ لنفسِكَ ريبةً ... وليس وراءَ اللهِ للمرء مَذْهَبُ[٣]

أي: بعد الله، و«وراء» في غالب الاستعمال ظرفٌ في معنى: خلف.

وقال الأزهريُّ: «وراء» يَصلُحُ لما قبلَه ولما بعدَهُ[٤]؛ لأنَّ معناه: ما توارى عنك؛ أي: استتر وهو موجودٌ فيهما.

أي: يقولون: نؤمن بكتابِنا ولا نَتجاوزُه إلى غيره، فقال الله تعالى: ﴿وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ﴾؛ أي: هم بهذا القولِ يكفرون بما وراء التَّوراة.

ويجوزُ أن يكون هذا خبراً عن الكفَّار أنَّهم قالوا: نؤمنُ بكتابِنا، وأخبروا أنَّهم يَكفرون بما سواهُ، فجاز «نؤمن» بالنون حكايةً عنهم أنَّهم قالوا ذلك، وجاز «يكفرون» بالياء على المغايبة؛ إخباراً أنهم أَخبَروا بذلك، ومثل هذا قول العرب: استحلفتُ عبدَ الله؛ لأقومنَّ، ولتقومنَّ، وليَقومنَّ[٥]؛ الألفُ حكايةٌ عنه أنَّه حلف فقال ذلك، والتَّاء أنِّي خاطبتُه بذلك، والياءُ إخبارٌ عنه على المغايبة، فقد قلتَ في الصَّدر: استحلفتُ عبدَ الله، وهو مغايبة.

---

(١) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١/ ٤٧).

(٢) في (أ): «خلفت».

(٣) انظر «ديوان النابغة» (ص: ٧٢).

(٤) انظر: «تهذيب اللغة» للأزهري (١٥: ٣٠٥).

(٥) «وليقومن» سقط من (ف).

وقيل[١]: بما وراءه؛ أي: وراءَ التَّوراة، وهو الإنجيلُ والقرآن.

وقيل: «ما» بمعنى «من»، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾، ومعناه: بمن وراء موسى، وهو عيسى ومحمَّد عليهما السَّلام.

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْحَقُّ﴾ إشارةٌ إلى ما وراءَه، فوحَّد لتوحُّدِ اللَّفظ.

وقوله تعالى: ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ﴾ أي: الإنجيلُ موافقٌ للتَّوراة، والقرآنُ كذلك، وعيسى مصدِّقٌ لموسى، ومحمَّد ﷺ كذلك، وبه يَبطُلُ إيمانُهم بالتَّوراة وبموسى؛ لأنَّ في التوراة الأمرَ بالإيمان بالإنجيل وبالقرآن، وبعيسى ومحمَّدٍ، وموسى كان يَأمرُ بذلك، فمن كفرَ بما وافقَ كتابَه ورسولَه، فقد كفرَ بكتابِه ورسوله.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ﴾ ﴿لِمَ﴾ أصلُه: «لما»، لامُ التَّعليلِ دخلَت في «ما» التي هي للاستفهام، وسَقطت الألفُ تخفيفاً؛ لكثرة الاستعمالِ في الاستفهام، وهو كقولهم: بم، وعمَّ، وفيم.

و﴿تَقْتُلُونَ﴾ مستقبلٌ في معنى الماضي، كما في قوله تعالى: ﴿مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ﴾[٢] [البقرة: ١٠٢]؛ أي: ما تلت، وقال: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ [النساء: ١٦٢]، وقال: ﴿وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ﴾ [البروج: ٧]، وهو للحال في الماضي، و«كنتم» فيه مضمرٌ؛ أي: فلم كنتم تقتلون أنبياء الله؟ ولذلك قال: ﴿مِن قَبْلُ﴾، فدلَّ[٣] أنَّه ليس لمحضِ الحالِ ولا للاستقبال.

وإنَّما وبَّخهم بقتل الأنبياء والخطاب لأهل عصرِ النَّبيِّ ﷺ، وهم لم

(١) في (أ): «قوله».

(٢) في (أ): «واتبعوا ما».

(٣) بعدها في (ر): «على».

يُباشـروا ذلـك؛ لأنَّهـم أولاد أولئـك الذين فَعلـوا ذلك، وهـم يُوالونَهـم، ويَرضون بمـا فعلـوا، فشـاركوهُم فيه، وأولئـك قَتلـوا زكريَّا ويحيـى وغيرَهما، وقَصـدوا قتلَ عيسـى عليهم السـلام[1].

وقيل: ﴿فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَآءَ ٱللَّهِ﴾ هو[2] خطابُ هؤلاء؛ لقصدِهم قتلَ النبيِّ ﷺ مراراً، وذلك في قول الله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ﴾، وذكرَ أنبياءَ الله هاهنا على الجمع، والمرادُ به نبيُّنا محمَّدٌ ﷺ وحدَه؛ تعظيماً له، كما قيل في قوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ﴾ [المؤمنون: ٥١] هو خطابٌ له وحدَه.

وقولـه تعالـى: ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ أي: بمـا أنـزل[3] عليكـم، فلـمَ قتلتـم أنبيـاءَ الله؟ وليـس فيـه إباحـةُ قتلهـم، بـل فيـه تحريـمُ قتلِهم مطلقـاً، وقتـلِ غيرهم إلَّا بحـقٍّ، وإن كان الخطـابُ لأهـل عصـر النَّبيِّ ﷺ فمعنـاه: لـم تتولَّونهم؟ وذلك حـرامٌ فـي كتابكم.

وقـال الإمـام أبـو منصـور رحمـه الله: إنَّ النبيَّ ﷺ دعـا اليهودَ إلـى الإيمان به وبمـا أُنْـزِلَ عليـه، فقالـوا: إن اللهَ عهـدَ إلينـا ألَّا نؤمنَ لرسـولٍ حتَّـى يأتينـا بالبيِّنات و[4] بقربـانٍ تأكلُـه النَّـار، فقـال لهـم[5]: بأمـر الله قـد كانت الأنبيـاءُ قبلـي يأتون بها

---

(١) بعدها في (أ): «مراراً».

(٢) في (ر) و(ف): «وهو».

(٣) بعدها في (ر): لفظ الجلالة «الله».

(٤) قوله: «بالبينات و» من (أ).

(٥) بعدها في (ر): «رسول الله».

قومَهم، وهم آباؤكم، فلم قتلَهُم آباؤكم، إن كنتم صادقين[١] أنَّ الله عَهِدَ إلينا[٢] في التَّوراةِ بذلك؟[٣]

* * *

(٩٢) - ﴿ ۞ وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ أي: المعجزات الظَّاهرات.

وقيل: هي الآياتُ التسع؛ وهي: الطُّوفانُ، والجرادُ، والقُمَّلُ، والضَّفادعُ، والدَّمُ، والعصا، واليدُ البيضاءُ، وفَلْقُ البحرِ، وتفجيرُ الماءِ مِن الحَجر.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ﴾ أي: معبوداً[٤] ﴿مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ أي: مِن بعد انطلاقِهِ إلى الجبل.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ أي: واضعون العبادةَ في غيرِ موضعِها، وقد شرحناه بأبلغَ مِن هذا فيما تقدَّم، يَرُدُّ بهذا قولَهم في الآية التي قبلها: ﴿قَالُواْ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾؛ أي: أنتم مبطلون في هذه الدَّعوى.

* * *

---

(١) بعدها في (ف): «قالوا».

(٢) في (ر): «إليكم».

(٣) انظر «تأويلات أهل السنة» (١/ ٥١٠).

(٤) قوله: «أي معبوداً» من (أ).

(٩٣ ـ ٩٤) ـ ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِ إِيمَانُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٩٣) قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِندَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ﴾ قد مرَّ تفسيرُ هذه الكلمات[1]، ثمَّ إنما[2] أعاد حديثَ عبادتِهمُ العجل في الآية المتقدِّمة، وحديثَ أخذِ الميثاقِ ورفعِ الطُّور في هذه الآية، مع أنَّ القصَّة واحدةٌ، والسُّورةَ واحدةٌ، وقد ذكرَهما مرَّة؛ لأنَّ ذِكرهما فيما تقدَّمَ كان مِن تَعدادِ النِّعم، فإنَّه قال: ﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم﴾، وقال في رفع الطور: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾، وذَكَرهما هاهنا توبيخاً لهم في دَعْواهمُ الإيمانَ بما أُنزِلَ عليهم، وهم قد عَبدوا العجلَ، ورَدُّوا الميثاقَ، ولم يذكر بعدَهما عفواً ولا نحوَه[3].

وقوله تعالى: ﴿وَاسْمَعُوا﴾ أي: سماعَ قَبولٍ وطاعةٍ، قال تعالى: ﴿وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا﴾ [التغابن: ١٦]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ [الأنفال: ٢١]؛ أي: لا يقبلون ولا يعمَلون به.

وقوله تعالى: ﴿قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ قيل: قالوا: سمعنا قولَكَ، وعصينا أمرَك.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: قولهم: «وعصينا» لم يكن على إثر قولهم: «سمعنا»، لكن بعدَه بأوقاتٍ؛ لأنَّهم لـمَّا أَبوا قَبولَ التَّوراة لما فيها من الشدائدِ[4]،

(١) في (ف): «تفسيره» بدل: «تفسير هذه الكلمات».

(٢) لفظ: «إنما» من (أ).

(٣) في (أ): «نجاة» بدل: «نحوه».

(٤) في (ر) و(ف): «التشديد».

رفع اللهُ تعالى فوقَهم الجبلَ، فقَبِلوها خوفاً، وقالوا: سمعنا وأطعنا، فلما زايل الجبلُ وآمنوا، قالوا: عصينا، وهو كقوله: ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ﴾ [البقرة: ٨٣]، وكان التولِّي بعد ذلك بأوقات[١].

وقيل: قالوا: سمعنا عبارةً، وعَصَينا معاملةً، وهي كقوله: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَٰجِدَ اللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِالْكُفْرِ﴾ [التوبة: ١٧]، وهي شهادةُ فعلٍ، لا شهادةُ قول.

وقيل: قال آباؤهم: سمعنا، وقال أبناؤهم: عصينا، وبشؤم عصيانِهم تمكَّنَ حبُّ ذلك العجلِ في قلوبهم، فلم يَزُل، وهو قولُه تعالى: ﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾ يقال: أُشْرِبَ الصَّبغُ في الثَّوب، وشُرِّبَ فيه؛ أي: تمكَّنَ، وهاهنا مضمرٌ وهو[٢] حبُّ العجل، كما في قوله تعالى: ﴿وَسْـَٔلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِيٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا﴾.

يقول: رَسَخ حبُّ العجلِ في قلوبهم بفعلِهم، لا أنَّ غيرَهم فعلَ ذلك بهم، وهذا كما يقال: ذهبَ بي الفكرُ كلَّ مذهبٍ، وقال[٣] تعالى: ﴿لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ﴾ [المنافقون: ٩]، وقال تعالى: ﴿وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا﴾ [الجاثية: ٣٥].

ويجوز أن يقال: اللهُ تعالى أَشربَ في قلوبهم، وذلك[٤] إثباتُ التخليقِ[٥] مِن الله تعالى.

---

(١) «تأويلات أهل السنة» (١/ ٥١٢).

(٢) بعدها في (أ): «قوله».

(٣) في (ر): «وكقوله»، وفي (ف): «قال».

(٤) في (أ): «ذلك وهو» وفي (ف): «ذلك».

(٥) في (ف): «للتخليق».

وقوله تعالى: ﴿بِكُفْرِهِمْ﴾ هو إثباتُ فعلِهم واختيارِهم، وهو دليلُ مذهب أهل[١] السُّنَّة والجماعة.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ وهو ردٌّ على هؤلاء ما ادَّعوهُ[٢] أنَّهم يؤمنون بالتَّوراة، معناه: إن كنتم مؤمنين كما تَزعُمون، وإيمانُكم يأمُركم بقتلِ الأنبياء، وعبادةِ العِجْل، ونقضِ الميثاقِ، وتكذيبِ محمَّدٍ عليه الصلاة والسلام؛ بئس ما[٣] يأمُركم به إيمانُكم.

وقال مقاتلٌ: أي: إن كان حبُّ عبادةِ العجلِ يَعدِلُ حبَّ عبادةِ خالقِكم؛ فبئسَ الإيمانُ إيمانٌ يأمرُ العباد[٤] بالكفرِ[٥].

وحقيقتُه أنَّ هذا ليس بإيمانٍ، فإنَّ الإيمانَ لا يأمرُ بالكفرِ، وإنَّما يأمرُ بالخير والطَّاعة، ثمَّ إضافةُ الأمرِ إلى الإيمان مجازٌ، ومعناه الدلالةُ والإرشادُ بطرقِ التَّسبيبِ، وهو كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥]؛ أي: هي سببُ الانتهاءِ[٦] عنهما.

وقال السُّدِّيُّ وابنُ جُريج: لـمَّا رجعَ موسى إلى قومِه أخذَ العجلَ فحَرَقَهُ بالمِبْرَدِ[٧]، ثمَّ ذَرَّاهُ في اليمِّ، فلم يبقَ نهرٌ يجري يومئذٍ إلَّا وقعَ فيه منه شيءٌ، ثمَّ قال

---

(١) لفظ: «أهل» ليس في (ف).

(٢) بعدها في (ف): «من».

(٣) في (أ): «فبئس ما».

(٤) في (أ): «العبد».

(٥) انظر قول مقاتل في «تفسير أبي الليث» (١/ ١٣٨).

(٦) في (أ): «للانتهاء».

(٧) يقال: حرقَ الحديدَ بالمِبْرَد يَحرُقه ويَحرِقُه حَرْقاً وحَرَّقه: بردَه وحَكَّ بعضَه ببعضٍ. انظر: «لسان العرب» (مادة: حرق).

لهم: اشربوا منه، فشربوا، فمَن كان يُحِبُّهُ خرجَ على شاربِهِ الذَّهب، فهؤلاء شَرِبوا الماءَ بأفواهِهم، وأُشرِبَ حبُّ العجلِ في قلوبهم[١].

وقال الحسنُ: كان بقيَ منهم طائفةٌ لم يتوبوا مِن عبادتِهمُ العجلَ، ولم يَقبلوا ما[٢] جاءَ عن الله تعالى من التوراة[٣]، فهم الذين بقيَ حبُّ العجلِ في قلوبِهم، وهم الذين قال اللهُ تعالى فيهم[٤]: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾ الآية[٥].

أظهر اللهُ سبحانَه في هذه الآيات أفعالَهم وأقوالَهم الفاسدةَ، ثمَّ ردَّ فيما بعد[٦] ما كان لهم مِن علم ذلك مِن الأطماعِ الفاسدة، فإنَّهم قالوا: ﴿لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ﴾ [البقرة: ١١١]، وقالوا: ﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾ [المائدة: ١٨]، وفي ردِّ هذا ردُّ ما بعدَه، وهو قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ﴾؛ أي: قل لهم يا محمَّدُ: إن كانت الدَّارُ الآخرة ـ وهي الجنَّةُ ـ عند الله خالصةً لكم؛ أي: صافيةً، والخُلوصُ: الصَّفوةُ، من حدِّ: دَخَلَ، والإخلاصُ: تصفيةُ السِّرِّ والقول والعملِ لله تعالى، واستخلاصُ الشيءِ: استصفاؤهُ لنفسِه، وتخليصُ الممتحَن: تصفيتُه عن المِحنة.

و﴿خَالِصَةً﴾ نُصِبَ لأنَّه خبرُ ﴿كَانَتْ﴾.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٢٦٤ ـ ٢٦٥).

(٢) في (ف): «عما».

(٣) في (أ): «التوبة».

(٤) «فيهم» سقط من (أ).

(٥) قول الحسن ذكر نحوه ابن أبي زمنين في «تفسيره» (١/ ١٦١). ووقع في (ر) و(ف): «إلا أنه» بدل: «الآية».

(٦) في (أ): «بعده».

ويجوزُ أن يكون قولُه: ﴿لَكُمُ﴾ خبراً، و﴿ٱلدَّارُ﴾ اسماً، و﴿خَالِصَةً﴾ نصباً على القطع.

ويجوز أن يكون ﴿خَالِصَةً﴾ مصدراً، كالعافية، والخائنة، والباقية. ومعناه: خلوصاً؛ أي[1]: على الخلوص.

وقوله: ﴿مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ﴾ أي: من دون محمَّد وأصحابِه، وتُستعمَلُ هذه اللَّفظةُ للاختصاص، يقال: هذا لي مِن دون الناس؛ أي: أنا مختصٌّ به.

وقوله تعالى: ﴿فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ أي: تشهَّوه. قال ابن عباس رضي الله عنهما: أي: فاسألوا الموتَ[2].

وفي روايةٍ قال: فادعوا بالموت لأيِّ الفريقينِ كان أكذب[3].

وقال قتادةُ وأبو العالية والرَّبيعُ: أي: فتمنَّوا الموتَ لأنفسِكم إن كنتُم صادقين في دعوى البنوَّة، والمحبَّة، والاختصاص بالجنة[4].

وأكثرُ أهل العلم على هذا، ووجهُه: إن كانت لكم عند الله خالصةً[5] هذه المنزلةُ، ولا يدخلُ غيرُكم الجنَّةَ، فتَمنَّوا الموتَ لتصيروا إليها؛ لأنَّ مَن كان على هذه الصِّفة لا يَكرهُ لقاءَ الله، بل يَحرصُ على التَّعجيل إلى كرامتِه.

فإن قالوا: إنَّ المؤمنين أجْمَعوا على أنَّ الجنَّة للمؤمنين دون غيرِهم، ثمَّ

---

(١) لفظ: «أي» من (أ).

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١/ ٢٧٢).

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١/ ٢٦٩).

(٤) أخرج أقوالهم الطبري في «تفسيره» (٢/ ٢٧٠).

(٥) لفظ: «خالصة» ليس في (أ).

ليس أحدٌ منهم يتمنَّى الموتَ إذا قيل له: تمنَّ الموتَ، فكيف وجهُ الاحتجاج على اليهودِ بذلك؟

قلنا: إنَّ المؤمنين لم يجعلوا لأنفسِهم مِن الفضل والمرتبةِ[1] عند الله ما جَعلت اليهود ذلك لأنفسِهم؛ لأنَّهم ادَّعَوا أنَّهم أبناءُ الله وأحباؤه، وأنَّ الجنَّةَ خالصةٌ لهم، و[2]الإنسانُ لا يكرهُ القدومَ على أبيه[3] وحبيبه، ولا يَخافُ انتقامَه بالمصير إليه، بل يرجو وصولَهُ إلى محابِّه[4]، فقيل لهم: تمنَّوا ذلك، فلمَّا لم يتمنَّوهُ ظهرَ كذبُهم في دعاويهم. ولأنَّ النبيَّ ﷺ نَهى عن تمنِّي الموت، قال: «لا يَتمنَّى أحدُكم الموتَ لضُرٍّ نزلَ به، ولكن ليقل: اللهمَّ أحيِني ما كانت الحياةُ خيراً لي، وتوفَّني إذا[5] كانت الوفاةُ خيراً لي»[6].

وقال خبابُ بنُ الأرتِّ رضي الله تعالى عنه: لولا أنَّ رسولَ الله ﷺ نهانا أن ندعوَ بالموت لدعوت به[7].

وقال قائلٌ[8]:

لـولا بنـاتِي وسيِّئـاتِـي   لذُبْتُ شَـوْقاً إلـى الممـات[9]

---

(١) في (ر): «والمزية».

(٢) في (أ): «وأن».

(٣) لفظ: «أبيه» ليس في (ف)، وفي (ر): لفظ الجلالة «الله» بدل: «أبيه». والمثبت موافق لما في «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (١/ ٥١٣).

(٤) في (ر): «حبيبه».

(٥) في (ف): «ما».

(٦) رواه البخاري (٦٣٥١)، ومسلم (٢٦٨٠) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٧) رواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٣/ ١٥٣).

(٨) في (ر) و(ف): «مقاتل».

(٩) البيت لأبي الحسن، منصور بن إسماعيل التميمي المصري الضرير، كما في «معجم الأدباء» (٦/ ٢٧٢٤).

فلا يلزمُهم ما يَلزمُ اليهودَ.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: فإن قالوا: لو تمنَّوا[١]، أليس فيه كان انقضاء عمرهم[٢] بدون الأجل الذي جُعِلَ لهم؟ وفي ذلك تقديمُ الآجال على الوقت الذي كان[٣] أجلاً، وقد قال تعالى: ﴿لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤].

قيل لهم: إذْ عَلِم اللهُ تعالى منهم في سابقِ علمه وأزليَّته أنَّهم لا يتمنَّون[٤]، جعل أجلهم ذلك، ولو علمَ منهم أنَّهم يتمنَّون الموتَ لكان يَجعلُ أجلَهم[٥] ذلك في الابتداء، وكذا هذا فيما روي أنَّ صلةَ الرَّحم تزيدُ في العمر[٦]؛ أنَّه كذلك يُجعَل في الابتداء، لا أن يُجعَلَ أجلُه إلى وقتٍ، ثمَّ إذا وصلَ رحمَه يزيدُ[٧] على ذلك الأجل أو يَنقُص بتمنِّي الموت عن الأجلِ المضروب له[٨].

***

(٩٥) ـ ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا﴾ أي: لن يتشهَّوا الموتَ أبداً، ولن يسألوه،

---

(١) بعدها في (ر): «الموت».

(٢) في (ر) و(ف): «أمرهم».

(٣) بعدها في (ر): «لهم».

(٤) بعدها في (أ): «الموت».

(٥) بعدها في (ر) و(ف): «في»، والمثبت موافق لما في «تأويلات أهل السنة».

(٦) يشير إلى ما رواه البخاري في «صحيحه» (٢٠٦٧)، ومسلم في «صحيحه» (٢٥٥٧) من حديث أنس رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من سره أن يبسط له في رزقه، أو ينسأ له في أثره، فليصل رحمه».

(٧) بعدها في (ر): «في عمره».

(٨) «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (١/ ٥١٣).

وهذا[١] فيه إثباتُ رسالةِ محمَّد ﷺ أنَّه أخبرَ أنَّهم لن يتمنَّوه أبداً، فكان كما قال، فدلَّ على أنَّه مِن عند الله.

قال ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما: كأنَّ الله حتمَ[٢] أنَّه لا يتمنَّى أحدٌ مِن بني إسرائيل ممَّن قرأ التَّوراةَ، وشهد بما فيها، وأنَّها[٣] مِن عندِ الله، ثمَّ كفرَ بما فيها؛ إلَّا ماتَ[٤] مِن ساعتِه.

وفي روايةٍ قال: لو تمنوا الموت لشرقوا به، وماتوا جميعاً[٥].

وقال القفَّال: لم يخلُ ذلك من أحدِ أمرَين:

إمَّا أن علِموا صِدقَهُ، وأنَّهم لو تمنَّوه لم يُمهَلوا وماتوا، وفي ذلك دليلٌ أنَّهم عرفوا نبوَّته فعاندوه.

وإما أن لم يَعلموا ذلك، ومنعَهم اللهُ عن هذا التمنِّي، وصرَفَهم عنه، وأحدثَ فيهم ما أزالَ تمنِّيَهُ عن قلوبهم، وفي ذلك بيانُ صدقِه؛ لأنَّ هذا أمرٌ خارجٌ عن العادات لا يفعلُه اللهُ إلَّا لإيراد معجزةٍ تَدُلُّ على نبوَّة نبيٍّ.

وعن نافعٍ قال: جلس إلينا يهوديٌّ يخاصِمُنا، فقال: إنَّ في كتابكم: ﴿فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ﴾ [البقرة: ٩٤]، وأنا ذا أتمنَّى الموت، فما لي لا أموت؟ فسمع ذلك ابنُ عمر رضي الله عنهما، فدخل بيتَه، فأخذ السيفَ ثمَّ خرج، ففرَّ اليهوديُّ حين رآه، فقال ابنُ عمر رضي الله عنهما: أمَا والله لو أدركتُه لضربتُ عنقَه، توهَّم هذا الجاهلُ أنَّ

---

(١) لفظ: «هذا» من (ف).

(٢) بعدها في (ف): «لهم»

(٣) في (أ): «فإنها».

(٤) في (ف) و(ر): «من الإماتة» بدل: «إلا مات»، وهو تحريف.

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٢٦٨).

هذا لليهودِ في كلِّ وقت، إنَّما هو لأولئك الذين كانوا يعاندونَهُ ويَجحدون نبوَّته بعد أن عرفوه.

فإن قالوا: إنَّ التمنِّيَ يكون بالقلب، ولا يَظهَرُ ذلك لنا أنَّهم تمنَّوه أو لم يتمنَّوه.

قلنا: ذُكِر هذا على وجه المحاجَّة، فيُطلَب[١] منهم إظهارُ التَّمنِّي باللسان؛ كما إذا قال الرجلُ لامرأتِه: أنت طالقٌ إن شئت أو أحببتِ، فإنَّه يتعلَّق بالإخبارِ دون الإضمار.

وقوله: إنَّ[٢] هذا للتأبيد، ثمَّ ذكر أنَّهم يتمنَّون في النار فيقولون: يا مالك؛ ليقض علينا ربُّك، ويقولون: يا ليتها كانت القاضية؛ أي: الموت، ولكنَّا نقولُ: هذا للتأبيد في الدُّنيا؛ كما في قوله: ﴿لَن تَرَىٰنِى﴾ [الأعراف: ١٤٣].

وقوله تعالى: ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ أي: بما عمِلوا[٣] بأنفسِهم، والعربُ تضيفُ فعلَ كلِّ النَّفس إلى اليد؛ لحصول الفعل مِنَ اليدين في الغالب، وعلى متعارَفهم نزلَ القرآنُ، قال تعالى: ﴿بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ﴾ [الحج: ١٠]، ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [آل عمران: ١٨٢]، وفي أمثال العرب: يداكَ أوكَتا، وفُوكَ نفخ[٤].

ومعنى قوله: ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ قيل: بقتلِهم الأنبياءَ.

وقال ابنُ عباس وابنُ جريح: أي: بتغييرهم نعتَ النبيِّ ﷺ وتكذيبِه[٥]، وقصدِهم إطفاءَ نورِ الله بأفواهِهم.

---

(١) في (ف): «فنطلب».

(٢) في (أ): «لن».

(٣) في (ر): «عرفوا».

(٤) انظر «الأمثال» لأبي عبيد (ص: ٣٣١).

(٥) أخرج قوليهما الطبري في «تفسيره» (٢/ ٢٧٣، ٢٧٤).

وقولـه تعالـى: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي: بعقوبـةِ هـؤلاء وهـم ظالمـون بهـذه الأفعـال، وخصَّهـم بذلـك وإن كان اللهُ تعالـى عالمـاً بهـم وبغيرِهـم؛ لأنَّـه أرادَ بـه تخصيصَهُـم بالتَّهديـد، وهـو أبلـغُ وعيـدٍ، وقـال الله تعالـى: ﴿ وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعۡمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [إبراهيم: ٤٢].

وقيل: عليمٌ بالظالمين، يَفضحُهم بردِّ دعواهم الكاذبةِ بالحُججِ الصَّادقة، فإنَّه عالمٌ بأفعالهم، غيرُ غافلٍ عن أحوالهم.

وقيل: عليمٌ أنَّهم لا يتمنَّون؛ لإبطالِهم فيما ادَّعوا.

* * *

(٩٦) ـ ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمۡ أَحۡرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٖ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمۡ لَوۡ يُعَمَّرُ أَلۡفَ سَنَةٖ وَمَا هُوَ بِمُزَحۡزِحِهِۦ مِنَ ٱلۡعَذَابِ أَن يُعَمَّرَۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ﴾.

وقيل: لا يتمنَّون لحرصِهم على الحياة، ولذلك وصلَ بهذه الآية ما فيه بيانُ شدَّةِ حرصِهم، وهو[1] قوله تعالى: ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمۡ أَحۡرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٖ﴾ اللامُ للتَّأكيد، وكذلك النُّون المشدَّدة في آخره؛ أي: يا محمَّد؛ ستجدُ هؤلاء اليهود لا يتمنَّون الموت؛ لأنهم أشدُّ الناسِ حرصاً على الحياة؛ أي: ولوعاً بها، وقد حَرَص يَحْرِصُ حِرْصاً، فهو حريصٌ، والجمع حِراصٌ.

وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ﴾ أي: وأحرصَ مِن الذين أشركوا بالله، قال ابنُ عبَّاسٍ وأبو العالية والكلبيُّ والرَّبيعُ: هم المجوس[2].

---

(١) في (أ): «عليها» بدل: «وهو».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٢٧٧) عن أبي العالية والربيع. وذكره أبو الليث في «تفسيره» (١/ ١٣٩) عن الكلبي.

وقال الحسنُ ومقاتل[١]: هم مشركو العرب[٢].

وإنَّما كان اليهودُ أحرصَ على الحياة، مع أنَّهم مُقِرُّون بالقيامة، من المجوس والمشركين[٣]، وهم ينكرون البعث؛ لما قال ابنُ عبَّاسٍ: إنَّ اليهودَ عرفوا ما لهم في الآخرة مِنَ الخزي[٤] بما صنعوا مِنَ الظلم، وضيَّعوا من العلم[٥].

وقوله تعالى: ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ﴾ أي: يحبُّ أحدُ هؤلاء المشركين، وقد وَدَّ يَوَدُّ وُدًّا ومَوَدَّةً ووِدَاداً، مِن حد: علم، ومعنى الودِّ هاهنا: التمنِّي؛ ولذا قال بعده: ﴿لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾، و(لو) كلمةُ تمني[٦]، قال[٧]: ﴿لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً﴾ [الزمر: ٥٨].

وقوله تعالى: ﴿لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ أي: يتمنَّى أن يُعطَى العُمُرَ والبقاءَ ألف سنة، وإنَّما خصَّ هذا العدد؛ لأنَّ مَن تحيتهم: زِه هزار سال[٨].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ﴾ الزحزحةُ: التَّبعيدُ، والتَّزحزحُ: التَّباعدُ، والتَّحزحُزُ كذلك على القلب، وهو مكرَّرُ: زحَّ يَزُحُّ زحّاً؛ أي: دفع؛ كقولك: كبكب، مِن كبَّ.

---

(١) وقع في هامش (ر): أنه في نسخة: «والأخفش».

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (١/ ١٢٥).

(٣) في (ر): «والذين أشركوا».

(٤) في (ر) و(ف): «العذاب».

(٥) رواه الطبري (٢/ ٢٧٧).

(٦) في (ف) و(أ): «تمني قال» وفي هامش (ف): «يقول».

(٧) بعدها في (ف): «يقال»، وأشار في هامشها إلى أنه في نسخة: «يقول».

(٨) وقع في هامش (ف): «زهرار سال: أي عشرة ألف سنة». وصوابها: عش ألف سنة. وانظر «التفسير البسيط» للواحدي (٣/ ١٦٨)، و«المعجم الذهبي» لمحمد التونجي (ص: ٣١٨، ٣٢٧، ٦٠٣).

وقيل: هو مِن: زاحَ يَزوحُ ويَزيحُ؛ أي: بَعُد، وأزاح يُزيح؛ أي: أبعدَ، وكُرِّر على هذا الوجه؛ كما فعلوا ذلك بقولهم: خاض وخَضْخض.

وفي مصحف عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه: (وما هو بمنزحه) [1]، وهو كذلك مِن قولهم: نزح نزوحاً؛ إذا بَعُد.

قوله: ﴿وَمَاهُوَ﴾ له ثلاثةُ أوجه:

أحدها: وما أحدهم، فقد ذكر قبله: ﴿يَوَدُّأَحَدُهُمْ﴾، وذاك راجعٌ إلى اليهود في قول، وفي قولٍ إلى الذين أشركوا، وهم المجوس، وهذا أظهر؛ أي: وما أحدُهم بمنجِّيه مِنَ العذاب تعميرُه، و﴿أَن﴾ مع الفعل بمنزلة المصدر.

وقيل: ﴿وَمَاهُوَ﴾ يرجعُ إلى التَّعميرِ المذكورِ قبلَه: ﴿لَوْيُعَمَّرُ﴾، ثمَّ أُعِيد: ﴿أَن يُعَمَّرَ﴾ في آخرِه؛ إيضاحاً، و﴿هُوَ﴾[2] عماد؛ لأنَّ الواو تَطلُبُ الاسم، فلمَّا تأخَّر الاسمُ دخل ﴿هُوَ﴾ عماداً، ثمَّ فسَّر هذا بقوله: ﴿أَن يُعَمَّرَ﴾ في آخره، وهو مصدرٌ على التقدير، ورفعُ تعميره بطريقين:

أحدهما: كونُه فاعلاً بفعل الزَّحزحة؛ أي: لا يُزحزِحُه مِن النَّار[3] تعميرُه.

والثاني: بالابتداء[4]؛ أي: وما تعميرُه بمزحزِحِه.

وقيل: قوله: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ﴾ مجازٌ عن قوله: لَتَعرِفنَّهم، وهو كقول الرجل[5]: وجدتُ فلاناً فقيهاً.

---

(١) انظر: «شواذ القراءات» للكرماني (ص: ٧٠).

(٢) في (أ): «وقيل هو».

(٣) في (أ): «العذاب».

(٤) في (أ): «الابتداء».

(٥) في (أ): «كقوله» بدل: «كقول الرجل».

وقيل في قوله: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ﴾ وجهان آخران سوى ما ذكرنا بديًّا:

أحدهما: أنَّ قوله: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ﴾ موصولٌ بقوله: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمۡ﴾؛ أي: تَجدُ هؤلاء اليهود، وتجِدُ أيضاً مِن الذين أشركوا؛ أي: بعض المشركين، فإنَّ «مِن» كلمة تبعيض؛ وهو تسويةٌ بينهم وبين المشركين في حرصِ الحياة، وهو ذمٌّ لهم، وتسويةٌ بين مَن يُقِرُّ بالبعث وبين مَن لا يُقِرُّ به في هذه الصفةِ المذمومة.

والثاني: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ﴾ مبتدأٌ، وجوابُه: ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمۡ﴾؛ أي: مَن يودُّ، وكلمةُ «مَن» مضمرة؛ كما في قولِه: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ﴾ أي: مَن يحرِّفون، وقولِه: ﴿وَإِن مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤۡمِنَنَّ بِهِۦ﴾ [النساء: ١٥٩] أي: مَن ليؤمننَّ به، وقال الشاعر:

فظلُّوا ومِنْهُم دمْعُهُ سابقٌ لهُ وآخرُ يُجْرِي دمعةَ العينِ بالمَهْلِ[1]

أي: ومنهم مَن دمعُهُ.

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ﴾ أي: يَرى أعمالَهم مِنَ الكفرِ والمعاصي، لا يَخفى عليه شيءٌ، فيُجازيهم بالخِزْيِ والذُّلِّ في الدُّنيا، والعقوبةِ في العُقبى.

وقراءة العامَّة بياءِ المغايبة، وقرأ يعقوبُ بتاء المخاطبة[2].

* * *

(٩٧) ـ ﴿قُلۡ مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّجِبۡرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلۡبِكَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَهُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾.

---

(١) البيت لذي الرمة، وهو في «ديوانه» (١/ ١٤١)، وفيه: «يَثني» بدل: «يجري».

(٢) انظر «النشر» لابن الجزري (٢/ ٢١٩).

وقوله تعالى: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ﴾ في (جبريل) سبعُ لغاتٍ؛ قُرِئَ بأربعٍ منها:

﴿جَبرَئِيل﴾ بفتح الجيم والرَّاء مهموزاً ممدوداً؛ وهو في قراءة حمزةَ، والكسائيِّ، وخلفٍ، وعاصمٍ غير حفصٍ ويحيى عن أبي بكر.

و﴿جَبْرِيل﴾ بفتح الجيم خفيفاً بغير همزٍ؛ وهو في قراءةِ ابن كثير.

و﴿جَبْرَئِل﴾[1] على وزن: جبرعل[2]؛ وهو روايةُ يحيى عن أبي بكرٍ عن عاصمٍ.

و﴿وَجِبْرِيلَ﴾ بكسر الجيم والرَّاء بلا همزٍ؛ وهو في قراءة الباقين[3].

و«جبرائيل» بالمدِّ والهمز، وبياءين في الكتابة.

و«جبرائلّ» بالهمز وتشديد اللَّام وياءٍ واحدةٍ في الكتابة.

و«جبرين» بالنُّون مكان اللَّام.

هو[4] اسمٌ ليس بعربيٍّ، عرَّبته العربُ على هذه الوجوه[5]، ومعناه: عبدُ الله، فإنَّ «جبر» هو العبد، و«إيل» هو الله، قاله ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما[6].

والآيةُ في شأنِ اليهود أيضاً وذمِّهم وردِّ مقالاتهم، وقصَّة نزوله[7]: ما روى

---

(١) بعدها في (ع): «بالهمز».

(٢) في (ع): «جهمرش».

(٣) انظر القراءات المذكورة في «السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٦٦)، و«التيسير» (ص: ٧٥)، و«جامع البيان» للداني (ص: ٤٠٤)، و«النشر» لابن الجزري (٢/ ٢١٩).

(٤) في (أ): «ثم هو»، وفي (ف): «وهو».

(٥) قال ابن جني في «المحتسب» (١/ ٩٧): إن العرب إذا نطقت بالأعجمي خلطت فيه.

(٦) أخرجه الطبري (٢/ ٢٩٦).

(٧) في (ر) و(ف): «وقصَّته مرويَّةٌ» بدل: «وقصة نزوله».

أبو صالحٍ عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما قال: لـمَّا قَدِم النبيُّ ﷺ المدينةَ؛ أتاه ابن صوريا؛ وهو رجلٌ من اليهود يسكن فَدَك، فقال: يا محمد؛ كيف نومُك؟ فإنَّا أُخْبِرْنا عن نومِ النبيِّ الذي يجيء في آخر الزَّمان.

فقال النبيُّ ﷺ: «تنامُ عيناي وقلبي يقظان».

قال: صدقتَ يا محمَّد، فأخْبِرْني عن الولد؛ أَمِن الرَّجل يكون أم من المرأة؟

قال: «أمَّا العظمُ والعَصب والعروق؛ فمن الرَّجل، وأمَّا الدَّمُ واللَّحمُ والظُّفْر والشَّعر؛ فمن المرأة».

قال: صدقت يا محمَّد، قال: فما بالُ الولدِ يُشبِهُ أعمامَه، ليس من شبه أخواله فيه شيءٌ، أو يشبه أخواله، ليس فيه من شبه أعمامه شيء؟

فقال: «أيُّهما علا ماؤه ماءَ صاحبِه؛ كان الشَّبهُ له».

قال: صدقت يا محمَّد، وسأله عن الطعام الذي حَرَّم إسرائيلُ على نفسه.

قال: «إنَّ يعقوبَ مَرِضَ مرضاً شديداً، فنذر إنْ شفاه الله تعالى؛ حرَّم على نفسه[1] أحبَّ الطَّعام وأحبَّ الشَّراب، وكان[2] أحبَّ الطَّعام إليه لحمُ الإبل، وأحبَّ الشراب إليه ألبانُها، فحرَّمها [3] على نفسه».

وسأله[4] عن أوَّل نُزُلِ أهل الجنة[5].

---

(١) من قوله: «قال إن يعقوب» إلى هنا ليس في (أ).

(٢) قوله: «أحب الطعام وأحب الشراب وكان» ليس في (ف).

(٣) في (ف): «فحرمهما».

(٤) قبلها في (ف): «قال صدقت يا محمد» وفي (ر): «قال صدقت».

(٥) وقع في هامش (ف): «النزل ما يقوم لضيافة الضيف».

قال: «الحوتُ والثَّور».

قال: صدقتَ يا محمَّد، ثمَّ قال: بَقِيَت خَصلةٌ، إن قلتَها آمنتُ بك واتَّبعتك، أيُّ مَلَكٍ يأتيك بما تقول من الله؟

قال: «جبريل».

قال: ذلك عدوُّنا، ينزل بالقتالِ والشِّدَّة، ورسولُنا ميكائيل، يأتي بالبِشْرِ[١] والرَّخاء، فلو كان ميكائيل؛ لآمنَّا بك وصدَّقناك.

فقال له عمر: ما بدءُ عداوته لكم[٢]؟

قال: عادانا مراراً كثيرةً، وكان مِن أشدِّ عداوتِه لنا أنَّ الله تعالى أنزلَ على نبيِّنا موسى صلوات الله عليه أنَّ بيتَ المقدس سيَخْرَبُ في زمان رجلٍ يقال له: بختنصَّر، وأخْبَرَنا بالحين الذي يَخربُ فيه، فلمَّا بلغ الحين الذي يخربُ فيه[٣] بيتُ المقدس؛ بعَثْنا رجلاً مِن أقوياء بني إسرائيل في طلبه ليقتلَه، فانطلقَ في طلبِه حتَّى لقيَه ببابلَ غلاماً مسكيناً ليست له قوَّةٌ، فأخَذَهُ ليَقتُلَه، فدفعَ عنه جبريل، وقال لصاحبنا: إنَّ ربَّكم إنْ هو أَمَرَه بهلاككم، لا تُسلَّطُ[٤] عليه، إن كان الذي تريدُه هذا، فإنَّك لا تَقدِرُ على قتله[٥]، وإنْ لم يكنْ هذا؛ فعلى أيِّ حقٍّ تقتلُه؟ فصدَّقَهُ صاحبُنا، فتركَه، وكبِر بختنصَّر وقوي، فملَكَ، ثمَّ غزانا، فخرَّب بيتَ المقدس وقتلَنا، فلهذا نتَّخِذُه[٦] عدوًّا، وميكائيلُ عدوُّ جبريل.

---

(١) في (أ): «باليسر».

(٢) في (أ): «عداوتكم له» بدل: «عداوته لكم».

(٣) في (أ): «يكون فيه هلاك» بدل: «يخرب فيه».

(٤) بعدها في (ر): «لكم».

(٥) قوله: «إن كان الذي تريده هذا فإنك لا تقدر على قتله» من (أ).

(٦) في (ف): «اتخذناه».

فقال عمر: فإنِّي أشهد: مَن كان عدوًّا لجبريل؛ فإنَّه عدوٌّ لميكائيل، ومَنْ كان عدوًّا لميكائيل؛ فإنَّه عدوٌّ لجبريل.

فقال: يا عمر، لا تقولنَّ هذا، فنزلت الآيةُ كما قال عمرُ رضي الله تعالى عنه[1].

وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ أي: فإنَّ جبريل نزَّل القرآن، وهو قولُ ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما[2] وعامَّةِ أهل التَّفسير والتَّأويل، وقد تقدَّم ذكرُ القرآن في قوله تعالى: ﴿وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ﴾ [البقرة: ٩١]، فَصَلَح صرفُ قوله: ﴿نَزَّلَهُۥ﴾ إليه.

وقولُه: ﴿عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ أي: أوحاهُ إليكَ وقذفَهُ[3] في قلبِك.

وقيل: أي: عليك؛ لتحفَظه بقلبك.

وقيل: أي[4]: تثبيتاً لقلبك.

وقوله تعالى: ﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ أي: بأمرِ الله.

وقال القفَّال: قوله: ﴿نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ أي: أخبِرهُم أنَّه نزَّله على قلبِك، ولو قال: على قلبي، جاز على حكاية اللَّفظ الذي يَقولُ لهم، وهو كقولك: قلْ لفلانٍ: إنَّ الخبر عندي كذا، ويجوز: عندك كذا.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: تقول الباطنيَّة: إنَّ القرآن لم ينزل على رسول الله ﷺ بالأحرفِ التي نقرؤها، لكنَّه إلهامٌ نزلَ على قلبه، ثمَّ صوَّره بهذه الأحرف.

---

(١) أورد بعضه الثعلبي في «تفسيره» (١/ ٢٣٩)، والماوردي في «النكت والعيون» (١/ ١٦٣).
قال الحافظ ابن حجر في «الكافي الشاف» (ص: ٩): هكذا ذكره الثعلبي والواحدي والبغوي فقالوا: روى ابن عباس أن حبرا من أحبار... فذكره، ولم أقف له على سند.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١/ ١٨٠) (٩٥٣).

(٣) في (ف): «وفرقه».

(٤) في (ف): «أن».

وهو باطلٌ؛ لأنَّه لو كان كذلك لزالَ موضعُ الاحتجاج عليهم بقوله: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾ [النحل: ١٠٣]؛ إذ كان لهم أن يقولوا: أُنْزِل على لسان العجم، لكنَّه غيَّر ذلك بلسانه، وقال تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾ [القيامة: ١٦]؛ أي: مخافةَ النِّسيان والذَّهاب، وقال: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ﴾ [طه: ١١٤]، فدلَّت هذه الآيات على بُطلانِ قولِهم، وفسادِ مذهبهم، وبعدهم عن دين الله المستقيم(١).

وقوله تعالى: ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ أي: موافقاً لما قبلَه من كتب الأنبياء، قاله ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَهُدًى﴾ أي: هادياً للمؤمنين، على معنى أنَّ النفع يقعُ لهم؛ كما قال: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢].

وقيل: أي: للكلِّ على العموم، ومعناه: أنَّه دالٌّ مرشِدٌ لهم.

وقوله تعالى: ﴿وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: مبشِّراً للمؤمنين على الخصوص، وهما مصدران بمعنى الفاعل، وإعرابُهما النَّصبُ عطفاً على قوله: ﴿مُصَدِّقًا﴾، وكلُّه نصب؛ لأنَّه حالٌ، أو مفعولٌ ثانٍ لقوله تعالى: ﴿نَزَّلَهُۥ﴾.

وقيل: ذَكَر اليهود أنَّهم يُبغِضُون جبريل؛ لأنَّه كان مأموراً بإنزال الوحيِ على أولاد إسرائيل، فأنزلَهُ في أولاد إسماعيل.

وقال ابنُ عبَّاسٍ وشهرُ بن حَوْشب والشَّعبيُّ وقتادةُ: إنَّهم قالوا: إنَّ جبريلَ لا

---

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (١/ ٥١٧ ـ ٥١٨).

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٢٩٩)، وابن أبي حاتم (١/ ١٨٠) (٩٥٧).

ينزلُ بخيرٍ قطُّ، بل هو مَلَكُ العذاب؛ ينزل بالعذابِ والحربِ وكسر السُّفن والشَّدائد؛ فلذلك نُبغِضُه، وأمَّا ميكائيل؛ فإنَّه يَنْزِلُ بالغيث والرَّحمة؛ فلذلك نحبُّه[١].

فقد ذكَروا[٢] أنَّهم يبغضونه لثلاثة معانٍ؛ لأنَّه لا يأتي بخيرٍ، ولأنَّه نقلَ الوحي إلى غير مَن أُمِر به، ولأنَّه دفعَ مَن أراد قتلَ بُختنصَّر، فردَّ الله عليهم كلَّ ذلك بهذه الآية، والله أعلم، فإنَّه قال: نَزَل بالوحي على محمَّدٍ بأمرِنا، وهو رأسُ كلِّ خيرٍ، وهو يبلِّغ[٣] إلى مَن كان له به الأمرُ، وهو أيضاً لا يدفعُ عن أحدٍ إلَّا بأمرٍ، فإنَّه عبدٌ مطيعٌ، لا يعملُ إلَّا ما أُمِرَ به.

وقيل على هذا: إنَّ قوله: ﴿هُدًى وَبُشْرَىٰ﴾ صفةٌ لجبريل، لا للقرآن؛ أي[٤]: يقولون: إنَّه ينزل بالشدائد؛ فقل: إنَّه ينزل بها بأَمْر الله، وفي ذلك هدىً للمؤمنين؛ لإيمانهم بأنَّه من عند الله، وهو بشرى لهم؛ لأنَّهم بالصَّبر عليه، والعمل به، ينالون الثَّوابَ في العُقبى، والنَّصرَ في الدُّنيا.

* * *

(٩٨) ـ ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾ قُرِئ: (ميكائيل) على خمسة أوجهٍ:

---

(١) انظر أقوالهم في «تفسير الطبري» (٢/ ٢٨٣ ـ ٢٨٩).

(٢) في (ر) و(ف): «ذكر».

(٣) في (أ): «تبليغ الوحي».

(٤) في (ف): «فهم» بدل: «أي».

قرأ أبو عمرٍو وسهلٌ[١] ويعقوبُ وعاصمٌ في رواية حفص: ﴿وَمِيكَىٰلَ﴾ على وزن ميعاد[٢].

وقرأ نافعٌ وأبو جعفرٍ: ﴿ميكائل﴾ على وزن: مِيكاعِل[٣]، مهموزاً بغير ياء.

والباقون: ﴿ميكائيل﴾ مع الهمزةِ والياء[٤] بعدها[٥].

وعن الأعرج[٦]: (ميكئل) على وزن: مِيْكعِل[٧].

وعن الأعمش: (مِيْكَييل) على وزن: مِيْكَعيل[٨].

ومعناه: عبدُ الله، وهو كـجبريل في أنَّ العرب عرَّبته، وتكلَّمت به على وجوهٍ.

---

(١) هو العلامة أبو حاتم، سهل بن محمد بن عثمان السجستاني، نحوي البصرة ومقرئها في زمانه، قرأ القرآن على يعقوب، وله اختيار في القراءة، صنف التصانيف منها: «المذكر والمؤنث» و«المقصور والممدود» و«اختلاف المصاحف»، توفي سنة (٢٥٥هـ). انظر «معرفة القراء الكبار» للذهبي (١/ ٤٣٤ـ ٤٣٦).

(٢) في (ر): «فيعال»

(٣) في (ر) و(ف): «ميفاعل»، وأشار في هامش (ف) إلى أنه في نسخة: «ميكاعل».

(٤) في (أ): «بالهمزة مع الياء» وفي (ر): «بالهمز والياء».

(٥) انظر «السبعة» (ص: ١٦٦ ـ ١٦٧)، و«التيسير» (ص٧٥)، و«النشر» (٢/ ٢١٩).

(٦) هو الإمام التابعي، أبو داود، عبد الرحمن بن هرمز المدني الأعرج، أخذ القراءة عرضاً عن أبي هريرة وابن عباس رضي الله عنهم، وهو بالحديث أشهر منه بالقرآن، توفي سنة (١١٧هـ). انظر: «معرفة القراء الكبار» (١/ ١٨٠ ـ ١٨٢).

(٧) انظر: «المحتسب» (١/ ٩٧).

(٨) ذكرها الكرماني في «شواذ القراءات» ص٧٠ عن بعضهم، وذكر ابن جني في «المحتسب»، وتبعه القرطبي في «تفسيره» (١/ ٢٦٥) أن الأعمش قرأ: (ميكاييل)، وأشار القرطبي إلى أنه قد اختلف عن الأعمش فيها، وذكر الثعلبي في «تفسيره» (١/ ٢٤١) عن الأعمش أنه قرأ: «ميكيل» على وزن: ميكعل.

ومعنى الآية: مَن كان معادياً لله؛ أي: كافراً بما جاء منه.

وقيل: ﴿لِلَّهِ﴾ ذُكِر تعظيماً للأمر على مَن يُعادي أحداً مِن ملائكته، كقوله: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [المائدة: ٣٣]، وكقوله: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ﴾ [الأنفال: ٤١]، وقوله: ﴿وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾، مع[1] الواو في هذا بمعنى (أو)؛ إذ استحقاقُ العداوة غيرُ موقوفٍ على عداوة جميعهم، وهو كقوله: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦].

وإنَّما أعاد ذِكْرَ جبريلَ وميكائيلَ مع ذكر الملائكةِ، وهما داخلان فيهم؛ ليكون أنْفى للشُّبهة، وأبعدَ مِنَ التأويل؛ كي لا يقول اليهود: إنَّهما غيرُ داخلَين أو أحدَهما في جملة الملائكة، أو هو زيادةُ تشريفٍ لهما وتقديمٌ لذكرهما على وجه التخصيص؛ كما قال: ﴿وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ﴾ [الأحزاب: ٧] بعد ذِكْرِ ﴿ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ ولم يقلْ: فإنَّه، مع سَبْقِ ذكر «الله» صريحاً مرَّةً؛ إخراجاً للكلام عن احتمال التأويل، إذ لو قيل: فإنَّه؛ احتمل أنْ يعودَ إلى جبريل وميكائيل؛ لتقدُّم ذكرهما.

وقوله: ﴿عَدُوٌّ﴾ أي: مُعَادٍ، وعداوةُ الله تعالى هي إرادةُ العقوبةِ والطَّردِ والتَّبعيدِ عن الخير.

وقال: ﴿لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ ولم يقل: (لهم)؛ إظهاراً أنَّهم مع استحقاقِهم لعداوة الله كفَّارٌ بمعاداتهم أولياءَ الله.

وقيل: تقدير الآيتين: قل: مَن كان عدوًّا لجبريل فهو كافرٌ، وإنَّ اللهَ عدوٌّ

---

(١) لفظ: «مع» من (ف).

للكافرين، واعترضَ ذِكْرُ جبريل، وهو قولُه: ﴿فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ قبل جوابه، فأعاد ذِكْرَ هذه العداوة: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾، وإنَّما ذَكَرَ الرسلَ معهم؛ لأنَّ الملائكةَ والرُّسلَ دعاةُ الخلق إلى الله[1]، فهم متَّفقون، ومعاداةُ أحدهم معاداتُهم، وهو كقوله: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: ١٠٥]، وهم ما أدركوا[2] إلَّا رسولاً واحداً.

وإنَّما قَرَنَ ميكائيل بجبرائيل؛ لأنَّهم كانوا يدَّعون أنَّه حبيبُهم، فأخبرَ أنَّ عدوَّ جبريل عدوُّ ميكائيل.

***

(٩٩) ـ ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾ أي: القرآن، قال الله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ [العنكبوت: ٤٩].

قال[3] ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: الآيات البيِّنات: ما يُخبرهم[4] عن قَصصِهم وأخبارِهم التي لا معرفةَ لها إلَّا عند أحبارهم، وهي ما[5] سبق ذِكْرُه في هذه السُّورة إلى هذه الآية[6].

---

(١) في (ر): «للحق» بدل: «إلى الله».

(٢) في (ر): «كذبوا».

(٣) في (أ): «وقال».

(٤) في (ف): «نخبرهم».

(٥) في (ف) و(ر): «وما» بدل من «وهي ما».

(٦) روى نحوه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٣٠٥).

وقال القَفَّالُ: هي العلاماتُ الواضحاتُ على صِدْق نبوَّته التي لا تَخفى صِحَّتُها على أحدٍ.

وقيل: هنَّ جواباتُ سؤالات ابنِ صوريا التي مرَّت في الآية الأولى.

وقيل: إنَّ اليهودَ قالوا للنبيِّ ﷺ: ما جئتنا بشيءٍ نَعرفُه، ولا ببيِّنةٍ نتَّبعُها، فنزلت هذه الآية.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ﴾؛ أي: لا يُنكِرها إلَّا الجاحدون[1] الخارجون عن أمر الله.

وقيل: أي: الخارجون عن الأديان، وإنْ أظهروا أنَّهم متمسِّكون بها، فإنَّ اليهود خرجوا بتكذيب محمَّدٍ عليه السلام مِن شريعة موسى عليه السلام.

وقيل: أي: المتمرِّدون مِنَ اليهود، فأمَّا أهل الإنصاف منهم؛ فقد آمنوا؛ مثل: عبد الله بن سَلَام وأصحابه، ثمَّ[2] هذا الإنكارُ منهم نقضٌ للعهد[3]، وأخبرَ بالآية التي بعدها أنَّه ليس بأوَّل نقضٍ منهم.

***

(١٠٠) ـ ﴿أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُواْ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُواْ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم﴾ الألفُ ألفُ استفهامٍ بمعنى التوبيخ، دخلت على واو العطف، وهو متَّصلٌ بما قبله: ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ﴾ [البقرة: ٨٧] الآية.

---

(١) لفظ: «الجاحدون» ليس في (أ).

(٢) بعدها في (ر): «كان».

(٣) في (ف): «نقض منهم بالعهد» بدل: «نقض للعهد».

وقوله ﴿نَّبَذَهُۥ﴾ قال قتادةُ وابنُ جريج: أي: نقضَهُ[1]، وأصلُه: الطَّرحُ والرَّمي، ومنه قوله: ﴿فَنَبَذۡتُهَا﴾ [طه: ٩٦]؛ أي: ألقيتُها في العِجْل، والمنبوذُ: الملفوظ؛ لأنَّه نُبِذ، وقوله: ﴿فَٱنتَبَذَتۡ بِهِۦ مَكَانٗا قَصِيّٗا﴾ [مريم: ٢٢] أي: تباعدت، هو من الأوَّل، وظاهرُه: نبذُ العهدِ وراء الظَّهر؛ ومعناه: النَّقْضُ.

والفريقُ: الطَّائفةُ، ويكون للقليل والكثير، وظهر بما بعده أنَّه أراد به الكثير؛ وهو قوله تعالى: ﴿بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾.

وقيل: أي: نقضَهُ فريقٌ منهم عناداً، وأكثرُهم نَقضَهُ جهلاً، فكلُّهم كفَّارٌ؛ بعضُهم بنقض العهدِ، وأكثرُهم بجحودِ الحقِّ.

وقال ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: نبذوا الكتابَ وخالفوهُ كأنَّهم جهلةٌ به وبالعهد الذي عليهم في التَّوراةِ وغيرها.

وقال الشَّعبيُّ: وصفَهم أنَّهم نبذوا ذلك لنبذِهم العملَ به[2].

ثمَّ بيانُ نقضِهم العهودَ مراراً: أنَّه كان مِنَ المواثيق عليهم أنَّهم إذا جاءهم محمَّدٌ آمنوا به ونصروه، فلم يفعلوا.

ومنها: أنَّهم كانوا يستفتحون به، فلمَّا جاءهم؛ كفروا به.

ومنها: أنَّهم كانوا هادَنوا النبيَّ ﷺ، فنَقضوه يومَ الخندق، وطابقوا كفَّار قريشٍ عليه ـ أي: عاهدوا ـ حتَّى جرى على بني قريظةَ ما جرى، وكذا على بني النَّضِير.

ومنها: أنَّهم عاهدوهُ أنَّه لو أجابَهم عمَّا سألوه آمنوا به، وأجابهم فلم يؤمنوا.

* * *

(١) روى قوليهما الطبري في «تفسيره» (٢/ ٣٠٩).

(٢) من قوله: «وغيرها وقال الشعبي» إلى هنا من (أ). وانظر قول الشعبي في «تفسير الثعلبي (١/ ٢٤٢).

(١٠١) ـ ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ﴾ هو محمَّدٌ ﷺ.

وقيل: الرسول بمعنى الرسالة، قال الشاعر:

لقد كذبَ الواشون ما بُحْتُ عندَهم ... بـلـيـلـى ولا أَرسـلـتُـهـم برسولِ[1]

أي: برسالةٍ؛ فمعناه على هذا: ولـمَّا جاءَهم كتابٌ.

وقوله تعالى: ﴿نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ أي: أُعْطُوا علمَ الكتاب، وهم أحبارُهم، و﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ نُصِبَ لأنَّه خبرُ ما لم يسمَّ فاعله.

وقوله تعالى: ﴿كِتَٰبَ ٱللَّهِ﴾ مفعولٌ بقوله: ﴿نَبَذَ﴾، ومعنى ﴿نَبَذَ فَرِيقٌ﴾[2]: خالفوه.

وقوله تعالى: ﴿وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ﴾ قال الشعبيُّ: نبذوهُ وراءَ ظهورهم وهو بين أيديهم يقرؤونه، لكن نَبذوا العملَ به[3].

وقال سفيان بن عُيَيْنَة: أدرجوه في الحرير والدِّيباج وحلَّوه بالذَّهب والفضَّة، ولم يُحِلُّوا حلالَه، ولم يُحَرِّموا حرامَهُ؛ فذلك النَّبْذ[4].

وقيل: ﴿كِتَٰبَ ٱللَّهِ﴾: هو التَّوراة هاهنا، وقيل: هو القرآن، وخلافُهم كان لهما.

---

(١) البيت لكثير عزة، وهو في «الأمالي» للقالي (٢/ ٦٣)، و«ديوان كثير» ص١١٠، وفيهما: برسيل، بدل: برسول.

(٢) بعدها في (أ): «أي».

(٣) تقدم نحوه قريباً.

(٤) انظر: «تفسير الثعلبي» (١/ ٢٤٢).

وقوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: لا يفقهون على ما في الكتاب؛ أي: تعمَّدوا الخلافَ مع علمِهم، فالتحقوا بالجُهَّال.

وقيل: كأنَّهم لا يعلمون نعتَك.

* * *

(١٠٢) ـ ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ﴾ أي: نبذوا كتابَ الله واتَّبعوا السِّحرَ، وعلَّموا ذلك أتباعَهم المقلِّدين؛ ليكتسبوا به الدُّنيا، وقالوا: إنَّ مُلْكَ سليمان عليه السلام مع عظمته[1] كان قائماً به، ويأخذونَ السُّحت به، ويكذبون، فذمَّهم اللهُ تعالى بذلك، وبرَّأ سليمان عليه السلام من ذلك، وكشفَ عن حقيقتِه أنَّه كان مِنَ الشياطين، لا مِن سليمان.

وفيه تنبيهٌ لأهل عصر النبيِّ ﷺ ومَن بعدَهم على بطلان السحر، وأنَّه لا يجوزُ العملُ به.

وقال السُّدِّيُّ رحمه الله: لـمَّا نزلَ قولُه تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ﴾؛ عارضوه بالتَّوراة، فاتَّفقا، فنبذوا التَّوراة، وأخذوا بكتاب

---

(١) في (أ): «عظمه».

الشيطان وسِحْرِ هاروت وماروت، فلم يوافق القرآن، فتعلَّقوا بها، فذلك[١] قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ إلى قوله: ﴿وَٱتَّبَعُوا﴾[٢]؛ أي: كتابَ السِّحر الذي كان فيه؛ تقويةً لهم فيما يُخاصِمون النبيَّ ﷺ، فأظهرَ[٣] اللهُ تعالى لعباده أنَّ ذلك كان سحراً وكفراً وباطلاً، لا يجوزُ التعلُّقُ به، وإنَّما يُناظَرُ في الدِّين بكتبِ الله، لا بكتب السِّحر التي وَضَعتْها الشياطين، فمن[٤] نبذَ كتاب الله تعالى، وتعلَّقَ بكتب الشَّيطان؛ فهو في نهايةِ الجهلِ والخُذلان.

وقال محمَّدُ بن إسحاق: لـمَّا ذَكَرَ رسولُ الله ﷺ سليمانَ بنَ داود في المرسلين؛ قال بعضُ أحبارِهم: ألَا تعجبون من محمَّدٍ؟! يَزعمُ أنَّ ابنَ داود كان نبيًّا، والله ما كان إلَّا ساحراً؛ فأنزل اللهُ تعالى هذه الآية: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا﴾[٥] أي: باتِّباعهم السِّحرَ و[٦] عملِهم به.

وقال الرَّبيعُ بنُ أنس: إنَّ اليهود سألوا محمَّداً عليه الصَّلاة والسَّلام زماناً عن أمورٍ من التَّوراة، ولا يسألونَهُ عن شيءٍ مِن ذلك إلَّا أنزَلَ اللهُ تعالى ما سألوا عنه، فيَخْصِمُهم، فلمَّا رأوا ذلك؛ قالوا: هو أعلمُ منَّا بما أُنزِلَ إلينا، فسألوهُ عن السِّحر، وخاصموه أن يغلبَهم به، فأنزَلَ الله تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ﴾، وإنَّ الشياطين عَمدوا إلى كتابٍ فكتبوا فيه السِّحر والكهانَةَ، فدفنوهُ

---

(١) في (ف): «وذلك».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٣١٢)، وابن أبي حاتم (١/ ١٨٤) (٩٧٧)، (٩٧٩).

(٣) في (أ): «وأظهر».

(٤) بعدها في (ر): «كان».

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٣١٦).

(٦) في (أ): «في».

تحت مجلسِ سليمان، وكان سليمانُ عليه السلام لا يَعلمُ الغيبَ، فلمَّا فارقَ سليمانُ الدُّنيا؛ استخرَجوا ذلك السِّحرَ، وخَدَعوا به النَّاس، وقالوا: هذا عِلْمٌ كان سليمانُ يَكتمُهُ، ويَحسُدُ النَّاسَ عليه، فأخبرَهم عليه الصَّلاةُ والسَّلام بهذا الحديث، فرَجَعوا مِن عنده وقد أخزاهُمُ اللهُ وأدْحَضَ حُجَّتَهم[1].

واجتمعَ لهم بذلك وجوهُ كفرٍ وكبائرَ؛ نبذُ كتاب الله، وتَصويبُ السِّحرِ وإيثارُهُ على كتاب الله، والاستئكالُ بالحرام، وإضلالُ الناس وصدُّهم عن الإيمان، وتوهيمهم أنَّ معجزات الأنبياء لا حقيقةَ لها، وأنَّها مِن جنس السِّحر.

وقوله: ﴿مَا تَتْلُواْ﴾ أي: ما تتلوهُ، فالهاءُ مضمرةٌ، و﴿تَتْلُواْ﴾ قيل: أي[2]: تَتَّبعُ؛ وهو قول ابن عباس وأبي رزين[3]، كما في قوله تعالى: ﴿وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا﴾ [الشمس: ٢].

وقيل: أي: يقرأ، وهو قولُ مجاهدٍ وعطاء[4]، مِن قوله تعالى: ﴿فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا﴾ [الصافات: ٣].

وقال أبو عبيدة: أي: ما تتكلَّم وتقول وتتلو[5].

قيل: معناه: تلت على الماضي، وهو كقول الشاعر:

ولقد أمرُّ على اللئيمِ يَسُبُّني فمَضَيْتُ ثُمَّت قلتُ: لا يعنيني[6]

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٣١٥).

(٢) لفظ: «أي» من (أ).

(٣) روى قوليهما الطبري في «تفسيره» (٢/ ٣٢٠).

(٤) روى قوليهما الطبري في «تفسيره» (٢/ ٣١٩).

(٥) انظر «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١/ ٤٨).

(٦) البيت لرجل من بني سلول، كما ذكر سيبويه في «الكتاب» (٣/ ٢٤)، والبغدادي في «الخزانة» (١/ ٣٥٧ـ٣٥٨)، ونسبه الأصمعي في «الأصمعيات» (ص: ١٢٦) لشَمِر بن عمرو الحنفي، =

أي: ولقد مررتُ، وفي القرآن: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الحج: ٢٥]؛ أي: وصدُّوا عن سبيل الله، ﴿وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ﴾ [هود: ٣٨]، ﴿يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى﴾ [الأنعام: ١٣٠]، ﴿وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ﴾ [التوبة: ٦١]، ﴿مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُهُم مِّن قَبْلُ﴾ [هود: ١٠٩]، هذه أمور كلُّها ماضيةٌ وَرَدَتْ بصيغة المستقبل.

وله وجهٌ آخرُ: وهو أنْ يكون «كان» مضمراً في ذلك، فيكون بمعنى الحال في الماضي، وهو كقوله[1]: ﴿وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولُ الرَّسُولُ﴾ [البقرة: ٢١٤] على قراءة الرفع[2]؛ أي: حتَّى كان يقول، وكذا في قوله: ﴿كَمَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُهُم﴾ [هود: ١٠٩].

وله وجهٌ آخرُ: وهو أنْ يُحمَل على الحال، فيدلَّ على وجودِه في الماضي وبقائه للحال، وهذا وجهٌ لا يُحتاجُ فيه إلى تغيير بُنيتِه، ولا إلى إدراج زيادة، وكذا يكونُ قولُه: ﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الأنفال: ٤٧]، وقوله تعالى: ﴿يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ﴾ [التوبة: ٦١].

وقوله تعالى: ﴿عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ﴾ قال الزجَّاج: أي: في ملكه وسلطانه[3]؛ أي: في أيَّامه، وقال أبو النجم:

فهـي علـى الأُفـق كعيـن الأحـول[4]

أي: في الأفق.

= أحد شعراء بني حنيفة باليمامة، وفيه: مررت، بدل: أمر.

(١) بعدها في (ر): «﴿وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾ وكقوله»، وهي هنا مقحمة.

(٢) هي بالرفع قراءة نافع وحده، وقرأ باقي السبعة بالنصب. انظر «السبعة» (ص: ١٨١)، و«التيسير» (ص: ٨٠).

(٣) انظر «معاني القرآن» للزجاج (١/ ١٨٣).

(٤) انظر «ديوان أبي النجم العجلي» (ص: ٣٥٩).

وقيل: أي: على عهده، ومعناه: في أيَّامه، وهو مستعملٌ في العهد، وهذه الكلمةُ في معناه.

وقيل: أي: علَّمَتهُ الشياطينُ على قصد إزالة مُلْك سليمان، و﴿عَلَى﴾ تُستَعملُ لذلك[1].

وقيل: أي: على إثر ذهابِ ملك سليمان؛ أي[2]: فعلوا ذلك بعدَ موتِه.

وقيل: أي: على ما كذبت الشياطين على سليمان، و«على»[3] إذا وُصِلَت بالقولِ يُرادُ به الكذب، قال الله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ [آل عمران: ٧٥]، وقال: ﴿وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٦٩]، وإذا قيل: تلا عنه؛ فهو للصِّدق، وإذا قيل: تلا عليه؛ فهو للكذب.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ﴾ أي: ما سَحَرَ سليمان، وهو نفيٌ؛ إذ[4] لم يكفر؛ لأنَّه لم يَسْحَر[5].

وقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ﴾ أي: سَحَروا فكفروا به.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: القولُ بأنَّ السِّحرَ كفرٌ على الإطلاق خطأٌ، ويجبُ البحث عن حقيقته، فإن كان في ذلك ردُّ ما لَزِم في شرط الإيمان؛ فهو كفرٌ، وإلَّا فلا.

ثمَّ السِّحرُ الذي هو كفرٌ يُقتَل عليه الذُّكور لا الإناث، والذي ليس بكفرٍ، وفيه

---

(١) في (ر): «كذلك».

(٢) في (ف): «ما» بدل: «أي»، وفي (ر): «أي: ما».

(٣) في (ر):«ولفظة على».

(٤) في (أ): «أي».

(٥) في (أ): «يسخر».

إهلاكُ النَّفس؛ ففيه حكمُ قطَّاع الطَّريق، ويَستوي فيه الذُّكورُ والإناث، ولهذا اختلفَ قولُ أبي حنيفة رحمه الله في السَّاحرة؛ فلا تُقتَلُ بسحر الكفر، وتُقتَل بسحر السَّعي في الأرض بالفساد، إذا كان سحرُها قاتلاً(١).

وعن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: «حدُّ الساحر(٢) الضَّربُ بالسَّيف»(٣)، وتُقبَلُ توبتُه إذا تاب، فإنَّ سَحَرَة فرعون ـ لعنه الله ـ آمنوا، وصحَّ إيمانهم.

ومَن قال: لا تُقبَل؛ فهو غلط، وأحقُّ ما تُقبَل توبةُ السَّاحر؛ إذ هو أبلغُ في تمييز ما هو حجَّة منه ممَّا ليسَ بحُجَّةٍ.

وقال ابنُ عبَّاسٍ ومجاهدٌ وقتادةُ وعطيَّة العوفيُّ: كان الشياطينُ قبل عصرِ عيسى عليه السلام غيرَ ممنوعين عن صعود السَّماء، وإنَّما مُنِعوا بعد رفعه إلى السَّماء عن السَّماء الخامسة والسَّادسة والسَّابعة، وبعد خروج نبيِّنا ﷺ(٤) عن الكلِّ.

فكانوا يَصعَدون ويَسترِقون السَّمعَ، ثمَّ يهبطون فيُحدِّثون بما سِمعوا، وكان الناس يكتبون ذلك، وكان ذلك سحراً، فسمعَ به سليمانُ عليه السَّلام، فأخذَ الكتبَ فدفنَها تحت كرسيِّه؛ ليطلب الباقي، فتُوفِّي سليمانُ صلوات الله عليه، وذهبَ العلماءُ الذين كانوا يَعرفون ذلك، وخَلَفَ من بعدهم خَلْفٌ، فأخرجها الشياطين لهم، وقالوا: إنَّ سليمان عليه السلام كان يضبطُ الجنَّ والإنس والطير بهذا(٥).

---

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (١/ ٥٢٦ ـ ٥٢٧).

(٢) في (ر) و(ف): «السحر».

(٣) أخرجه الترمذي في «سننه» (١٤٦٠).

(٤) بعدها في (ر): «منعوا».

(٥) من قوله: «فكانوا يصعدون ويسترقون» إلى هنا هو قطعة من خبر أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٣١٣ ـ ٣١٤) عن السدي.

وقالوا: هذا كتابُ الله نَزَلَ على سليمان، فكتمَ عنكم، فكفر[1] سليمانُ بذلك، فأكذبَهم اللهُ تعالى، فقال: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ﴾[2].

وما[3] ذُكِر في بعض القصص والتفاسير في قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا﴾ [ص: ٣٤]: أنَّه شيطانٌ قعدَ على كرسيِّه أربعين يوماً، وزال ملك سليمان هذه المدَّة[4]، وذلك الشيطانُ نسخَ كتبَ السِّحر ودفنَها تحتَ سريره مع الشياطين، وبعد عودِ المُلْك إلى سليمان وبعد وفاته؛ استخرجَها الشياطينُ، ونسبوها إلى سليمان = فذلك كلُّه باطلٌ مردودٌ؛ لأنَّه من المخلصين، ولا ولايةَ لهم عليه[5]، والوجهُ الأسلمُ الأوفقُ للأصول ما ذكرنا[6].

وقيل: معنى قوله: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟﴾ أي: ما غطَّى وما دفن وما كتم سليمان؛ أي: لم يكن المُسْتخرَج مِن موضوعه، بل كان موضوع الشَّياطين.

والكفرُ في اللُّغة: هو السَّترُ و[7]التَّغطيةُ على ما أوضحناه عند قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [البقرة: ٦].

ثمَّ[8] في كثير مِنَ التَّفاسير يُفسَّر السِّحرُ بالتَّخييل والتَّمويه، وبالكلام المزخرف

---

(١) في (أ): «وكفر».

(٢) بعدها في (ر): «وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا».

(٣) في (ر) و(ف): «ومما».

(٤) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٨٩ـ ٩٠) عن قتادة.

(٥) قوله: «لأنه من المخلصين ولا ولاية لهم عليه» من (أ).

(٦) في (أ): «ذكرناه».

(٧) قوله: «الستر و» من (أ).

(٨) «ثم» ليس في (ف)، وقبلها في (ر) و(ف): «وقوله تعالى: ﴿يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾».

الذي يقعُ به الآفاتُ بين النَّاس، بدون تحقيق أثرٍ له في محبَّةٍ، أو عداوةٍ، أو علَّةٍ، أو تأخيذٍ[١]؛ تعلُّقاً بالسِّحر المذكورِ في قصَّة فرعون أنَّه كان تخييلاً لا غير، وينسون ما ذكروا أنَّ لبيد بن الأعصم اليهوديَّ سحر النبيَّ ﷺ[٢]، فأعاذَهُ اللهُ تعالى بما أنزل مِنَ المعوِّذتين، حتى رُوِي أنَّه قام كأنَّما أُنْشِطَ[٣] مِن عِقالٍ[٤]، وهذا مقالةُ المعتزلة، وهو إنكارُهم إظهارَ[٥] أثرٍ بفعل العبد[٦] لا يتَّصل بآلة فعله، وهي مسألة المتولِّدات.

وعند أهل السنة والجماعة: الآثارُ مِن صُنع الله تعالى وتخليقه، وليس ذلك مِن فعلِ العبد، وفعلُه لا يَعدو محلَّ قدرتِه، ويُضافُ الأثر إلى العبد إذا أجرى اللهُ تعالى العادةَ بتخليق تلك الآثارِ عَقيب تلك الأفعال في الضَّمانِ والوِزرِ ونحو ذلك.

وللسِّحر حقيقةٌ بظهورِ آثاره، وما ذكروه فهو يُسمَّى سحراً مجازاً.

وقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ أخبر أنَّ الملَكَين لا يعلِّمان السحر أحداً[٧]، وإنَّما يعلِّم الشياطين ذلك الناسَ[٨].

وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ﴾ له تأويلان:

---

(١) التأخيذ: حبس السواحر أزواجهن عن غيرهن من النساء. انظر «لسان العرب»: (مادة: أخذ).

(٢) رواه البخاري (٣٢٦٨)، ومسلم (٢١٨٩) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣) في (أ): «أنشط».

(٤) رواه عبد بن حميد في «مسنده» (٢٧١) من حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه.

(٥) في (أ): «ظهور».

(٦) بعدها في (ر): «وهو».

(٧) لفظ: «أحداً» من (أ).

(٨) من قوله: «وقوله تعالى ولكن الشياطين» إلى هنا تأخر في (أ) إلى ما بعد قوله الآتي: «يُجَرّب به الذهب والفضة».

أحدهما: أنَّ ﴿مَا﴾ كلمةُ نفيٍ، ومعناه: ولم ينزِّل على الملَكين؛ وهو قول ابن عبَّاسٍ وأنس[١] وقتادة والشَّعبيِّ، وهو معطوفٌ على قوله تعالى: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ﴾؛ أي: لم يكفر هو، ولم ينزِّل الله السحرَ على الملَكين، وذلك أنَّ السَّحرةَ واليهودَ كانوا يُضِيفُون السِّحر إلى سليمان، وإلى الملَكين فبرَّأهم الله تعالى عن ذلك.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ﴾ أي: أحداً، و﴿مِنْ﴾ للتَّأكيد؛ كما قال: ﴿فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ﴾ [الحاقة: ٤٧]؛ أي: ولا يعلِّم الملَكان أحداً السِّحر، بل يبالغان في نهيه، ويقولان[٢]: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾؛ أي: امتحانٌ واختبار لك، ننهاك عن السحر، فإن قَبِلْتَ نَهْيَنا؛ نجوت، وإنْ لم تقبلْ؛ خَسِرْت.

وقوله: ﴿فَلَا تَكْفُرْ﴾؛ أي: فلا تسحَر، فإنَّه كفرٌ.

والفتنةُ: ما يتبيَّن لهما[٣] حال الإنسان مِنَ الخير والشر. يقال: فتنتُ الذَّهبَ بالنار؛ إذا جرَّبته بها لتَعْلَمَ أنَّه خالصٌ أو مشوبٌ، ومنه الفتَّانة: وهي الحجرُ الذي يُجَرَّب به الذهب والفضَّة.

وقوله تعالى: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ﴾ قوله: ﴿مِنْهُمَا﴾ لا يرجع إلى الملَكين، فقد نَفى التعليمَ منهما على هذا التَّأويل، بل التَّثنيةُ راجعةٌ إلى الكُفر والسِّحر، فقد ذُكِرَا جميعاً قبله في قوله: ﴿كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ أي: فيتعلَّم اليهودُ مِنَ الكفر والسِّحر مِنَ الشياطين ما يقعُ

---

(١) كذا، ولعل الصواب: «والربيع بن أنس»، وعنه وعن ابن عباس أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٣٣١).

(٢) بعدها في (ف): «قوله تعالى».

(٣) في (أ): «به»، وفي (ر): «بها».

بـه البغضُ بيـن الزَّوجيـن فيفترقان؛ لأنَّ الكفـرَ مِن أحدهما سـببُ الفرقة؛ كالسِّـحر يقع بـه الفرقةُ.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ أي[1]: وليس اليهودُ والسَّحرةُ ضارِّين بالسِّحر أحداً إلَّا بعلم الله، ولا يجوز حملُ الإذن هاهنا على الأمْرِ والإطلاق؛ لأنَّ اللهَ تعالى لا يأمرُ بالكفر والإضرار.

والتأويلُ الآخرُ: ما قاله قتادةُ والزهريُّ: إنَّ قوله: ﴿وَمَآ أُنزِلَ﴾ هذا بمعنى «الذي»[2]؛ واتَّبعوا الذي تتلو الشياطينُ على ملك سليمان، والذي أُنزِل على الملَكَين، وهو إثباتٌ؛ أي: واتَّبعوا أيضاً الذي أنزلَ على الملَكين[3] مِن بيانِ السِّحرِ وبُطلانه.

وقالوا: إنَّ السحر كان كَثُر في ذلك الزمان، وكان الناس يَتوهَّمون أنَّه حقٌّ مثلُ آيات الأنبياء، فأنزلَ اللهُ تعالى عليهما بيانَ كيفيَّته ووجوهِه؛ لِيُبيِّنا للناس في الأرض بُطلانَ السِّحر وضَررَه؛ كي لا يغترَّ به أحدٌ ولا يتعلَّمه، فكانا يَحكُمان في الأرض، وكانا يَنهيانِ عن السِّحر.

ويجوز أن يكونَ اللهُ تعالى أنزلَ بيانَ السِّحر عليهما بإنزاله على نبيٍّ، ثمَّ أبلغ النبيُّ إليهما ذلك ليَصِفا وجوهَ ذلك لقومِهما، ويَنهَياهم عن استعماله، ويُسمَّى ذلك إنزالاً، وإن كان بواسطةِ نبيٍّ؛ كقول الله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [النحل: ٨٩]، ثم قال في حقِّنا: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ [البقرة: ١٣٦].

---

(١) «أي» سقط من (ف).

(٢) أخرج معناه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٣٣٢ ـ ٣٣٣) من طريق قتادة والزهري عن عبيد الله، ثم أخرج معناه أيضاً عن قتادة.

(٣) من قوله: «وهو إثبات» إلى هنا من (أ).

وإنَّما خصَّهما بالذِّكر وإن كان الأمرُ به للعامَّة؛ لأنَّهم كانوا تبَعاً لهما وهذا كما قال الله تعالى لموسى وهارون عليهما السلام: ﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾ [طه: ٤٣]، وكانا أُرْسِلَا إلى فرعونَ ورعَايَاه[١]، ولكن خصَّ فرعون بالذِّكر؛ لأنَّه أبلغُ في استدعائه واستدعاء رعيَّته إلى الإيمان؛ إذ الرعيَّة أتباعٌ للراعي.

وقال الإمام أبو منصورٍ رحمه الله: اختُلِف في هاروت وماروت، هل كانَا مَلَكَين أم لا[٢]؟

فقال الحسن البصريُّ رحمه الله: لم يكونا ملَكَين، ولكنَّهما كانا فاسقَين متمرِّدَين مِنَ الإنس؛ لأنَّ الله تعالى وصفَ ملائكتَه بالطَّاعة له، والائتمار بأمره؛ بقوله عزَّ وعلا: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ﴾[٣] [التحريم: ٦]، وبقولِه تعالى: ﴿لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ﴾ [الأنبياء: ٢٧].

وكذلك يقولُ هو في إبليس: إنَّه[٤] لم يكن مِنَ الملائكة[٥]، وقد مرَّ الكلام في ذلك في قصَّة آدم عليه السلام.

وعلى هذا التأويل قُرِئ: (عَلَى المَلِكَين) بكسر اللام[٦].

---

(١) في (أ): «وقومه»، وفي (ر): «ودعياه».

(٢) «هل كانَا مَلَكَين أم لا» ليس في (أ).

(٣) بعدها في (ر): «وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ».

(٤) في (ر): «وكذلك يقول الحسن أيضاً: إنَّ إبليس».

(٥) «تأويلات أهل السنة» (١/ ٥٢٤).

(٦) نسبها ابن خالويه في «مختصره» (ص١٦) للحسن بن علي وابن عباس رضي الله عنهم، وزاد ابن جني في «المحتسب» (١/ ١٠٠) نسبتها للضحاك وعبد الرحمن بن أبزى.

وقيل: كانا ملكَين مِنَ الملائكة، فلمَّا ركَّب الله تعالى فيهما الشهوة؛ خرجا مِن أنْ يكونَا ملكَين[١]؛ كما في حقِّ إبليس.

وهما اسمان أعجميَّان ولا اشتقاق لهما؛ إذ لم يكونا مِنَ العربيَّة.

وقصَّتهما على الاختصار: ما رُوِيَ أنَّ الملائكةَ في السماءِ نَظروا إلى بني آدم ومعاصيهِم، فقالوا: يا ربَّنا؛ خلقتَ البشرَ، ورزَقْتَهم، وهم يَعصونَك! ولو كنَّا[٢] مكانَهم ما عصيناك. فقال الله تعالى لهم: اختاروا ملكَين منكم، فاختاروا جبريل وميكائيل، فتضرَّعَا إلى الله تعالى واستعفَيا، فعفا عنهما، واختاروا بعدهما آخَرين؛ وهما هاروت وماروت، فركَّب الله فيهما شهوةَ الأكل والشرب والنِّساء، وأرسلَهما إلى الدُّنيا؛ ليحكمَا بين الناس، ولا يفعلَا شيئاً مِنَ المعاصي، فنزلَا وفعلَا كذلك مدَّةً، وكانا يصعدان بالليل إلى السماء، ثمَّ ينزلان بالنهار.

حتى إذا جاءت امرأةٌ ذاتُ جمالٍ وحسنٍ يوماً، اسمها زُهْرة بالعربيَّة وبِيدُخْت بالنبطيَّة، وقيل: ناهيد، ناشرةٌ شعرَها، قد أرخَت ذوائبَها، عليها قميصُ حريرٍ، وهي تُخاصِمُ زوجَها، فلمَّا نظرَا إليها وقعَ حبُّها في قلوبهما، فكَتَما ذلك، ولم يُظهِرْ كلُّ واحد منهما ذلك لصاحبِه؛ حياءً منه، حتَّى عيل صبرُهما فراوداها عن نفسِها، فأبَت، حتَّى يعلِّماها اسمَ الله الأعظم الذي به كانا يصعدان إلى السماء، فعلَّماها فدخلَت بيتاً وتطهَّرت، ودَعَت الله باسمه الأعظم، فمسخَها اللهُ كوكباً، فصعِدَت إلى السَّماء[٣].

---

(١) بعدها في (ر): «مِنَ الملائكة».

(٢) في (ر): «كان منَّا أحد» بدل: «كنا».

(٣) أخرج الطبري نحوه في «تفسيره» (٢/ ٣٤٤ ـ ٣٤٥) عن السُّدِّيّ. وما ورد من الأخبار في هذه القصة لا شك أن منشأه من الإسرائيليات، قال القاضي عياض في «الشفا» (ص: ٧١١): اعلم أن هذه الأخبار (يعني ما نقل في قصة هاروت وماروت من معصيتهما إلخ)لم يرو منها شيءٌ لا سقيم ولا صحيحٌ =

قالوا: أمَّا مسخُها كوكباً فغيرُ مستنكرٍ؛ لأنَّ الله تعالى مسخَ أقواماً، ولكن صيرورتُها زهرةَ المشهورةَ في السَّماء ضعيفٌ؛ لأنَّ زهرة في السماء مذ خلقَها اللهُ تعالى وخلق فيها الكواكب، فيجوز أن يكون كوكباً آخرَ يُشبهها.

وقيل: هي تعذَّب في السماء.

وقيل: بل صارت إلى النَّار، كسائر ما مُسِخ.

ثمَّ بعثَ اللهُ ملكاً. وقيل: كان معه جبريل[1]، ومُنِع هاروتُ وماروتُ الصُّعود إلى السماء بعصيانهما؛ وهو مراودتُهما زُهرة، ولا يَثبت الزِّنى بها منهما، ولا شربُ الخمرِ، ولا قتلُ النَّفْسِ، وإنْ ذُكِر ذلك في بعض الرِّوايات.

فقال جبريل صلوات الله عليه لهما: إنَّ الله تعالى يُخيِّركما بين عذابِ الدُّنيا، وتكونان في الآخرة في المشيئةِ؛ إنْ شاءَ عذَّبكُما، وإنْ شاءَ رحمَكُما، وبينَ أن يؤخِّرَ عنكما العذابَ، فاستشارَا جبريلَ صلواتُ الله عليه، فأشار عليهما[2] أن يختارا عذابَ الدُّنيا، فهما يعذَّبان ببابلَ، معلَّقين هناك.

وقيل: بابل هو الذي يُعرَف بقرب الكوفة.

وقيل: هو بدماوند دون بابل الكوفة. وبابلُ لا ينصرفُ؛ لأنَّه أعجميٌّ، وهو معرفة.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ فمعناه

= عن رسول الله ﷺ، وليس هو في شيءٍ يؤخذ بقياس. اهـ. وانظر الكلام في تزييف هذه القصص في «الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير» للشيخ محمد أبو شهبة (ص١٥٩ ـ ١٦٤).

(١) في (ف): «هو جبريل صلوات الله عليه» بدل «كان معه جبريل».

(٢) في (ف): «إليهما».

على التَّأويل الثَّاني: ولا يعلِّمان أحداً كيفيَّة السحر إلَّا بعد أن يقولا: إنَّما نحن فتنة؛ أي: اختبارٌ لكم، ﴿فَلَا تَكْفُرْ﴾ أي: لا تتعلَّمِ السِّحرَ، ولا تَعمل به؛ فإنَّه كفرٌ، ثمَّ يبيِّنان وجهَ السِّحر ويقولان: إنَّ السحر يكون كذا وكذا، وينفذُ من جهة كذا وكذا[١]، فاتَّقِ اللهَ ولا تستعملْهُ، فيَقعُ هذا الإعلامُ[٢] منهما على وجه التحذير، ويَقعُ عند المستمع على وجه التَّعليم؛ كالفقيه يقول لآخر: مَن أخذ درهمين بدرهم[٣] فقد أربى، ومَن وطئ امرأةَ الغير فقد زنى، فيقع ذلك مِنَ الفقيه[٤] على وجه التَّحذير، ومِن المستمع على وجه التعليم[٥].

وإنَّما جاز بيانُ السِّحر؛ لأنَّه لا يُتوصَّل إلى احتياله[٦] إلَّا بعد معرفته.

وقد قيل:

عَرَفْتُ الشَّرَّ لا للشَّرْ ... رِ لكنْ لِتَوقِّيهِ

ومَن لا يعرفُ الشَّرَّ ... مِن النَّاسِ يَقَعْ فيهِ[٧]

والتعليمُ بمعنى: الإعلام، ومن سأل آخرَ عن الزِّنى فبيَّن؛ كان إعلاماً ولم يكن حراماً، وليس هذا على التَّعليم الذي هو تلقينُ الشيء والحملُ عليه،

---

(١) «وكذا» المكررة ليست في (أ) في هذا الموضع والذي قبله.

(٢) في (أ): «إعلاماً».

(٣) في (أ): «درهماً بدرهمين» بدل من «درهمين بدرهم».

(٤) في (أ): «منه» بدل «من الفقيه».

(٥) في (أ): «التعلم». ومن قوله: «فيقع ذلك من الفقيه» إلى هنا ليس في (ف).

(٦) في (أ): «اجتنابه».

(٧) الشعر لأبي فراس الحمداني، وهو في «ديوانه» (٢/ ٤٣١).

وقـال[١] تعالـى: ﴿قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ﴾ [الحجرات: ١٦]، هـذا فـي معنـى الإعـلام، فكـذا هذا.

و[٢] قوله: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا﴾ أي: مِن هاروت وماروت، ﴿مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ﴾ أي: العُوْذَةُ التي يَقعُ فيها الفرقةُ بالبُغضِ ونحوه.

وقوله: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ أي: المتعلِّمين السِّحرَ لا يَضُرُّون أحداً بالسحر إلَّا بعلم الله.

وقوله تعالى: ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ﴾ منهما[٣] ﴿مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾ أي: يتعلَّمون لنفعِهم، فيضرُّهم ولا ينفعُهم.

وقيل: أي: ما يَضُرُّهم في الدُّنيا، ولا ينفعهم في الآخرة.

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾ أي: أهلَ الكتاب الذين نَبذوا[٤] الكتاب[٥]، واتَّبعوا السِّحر، ﴿لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ﴾؛ أي: لَمَنِ[٦] اختارَ السِّحرَ على كتاب الله تعالى.

وقوله[٧]: ﴿مِنْ خَلَٰقٍ﴾ أي: نصيب خير.

وقوله: ﴿وَلَقَدْ﴾ اللامُ للتَّأكيد، وهو في معنى القَسَم، وجواب القَسَم: ﴿مَا

---

(١) في (أ): «وقوله».

(٢) في (ر): «وكذا».

(٣) لفظ: «منهما» من (ف).

(٤) في (أ): «يبدلون».

(٥) في (ف): «كتاب الله».

(٦) في (أ): «إن من» وفي (ف): «من».

(٧) في (أ): «ما له في الآخرة» بدل: «وقوله».

﴿لَهُۥ﴾، فكان ينبغي أن تكون اللامُ في ذلك الموضع؛ أي: لما له[١]، ومع ذلك دخل في قوله: ﴿لَمَنِ ٱشۡتَرَىٰهُ﴾، وإنَّما كان كذلك؛ لأنَّ الأول ـ وهو في قوله: ﴿وَلَقَدۡ﴾ ـ لـمَّا دخلَ في الصَّدر، أشبه القَسَم؛ فأجيب بجوابه.

وقال الزجَّاج: الأوَّلُ دخل إعلاماً أنَّ[٢] الجملةَ بكمالِها معقودةٌ بالقَسَم؛ لأنَّ الجزاء وإن كان للمقسم عليه[٣] فقد صار للشرط فيه حظٌّ؛ فلذلك دخله[٤].

وقيل: لام ﴿وَلَقَدۡ﴾ تؤكِّد علمَهم بذلك في التوراة، ولام ﴿لَمَنِ﴾ تؤكِّد الشَّرطَ والجزاء.

وقيل: موضع اللام في الشَّرط، إلَّا أنَّه سبقَ ذكره فأُعِيد في موضعه؛ كما في قوله: ﴿لِّئَلَّا يَعۡلَمَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ أَلَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ﴾[٥] [الحديد: ٢٩]؛ أي: ليعلمَ، فلمَّا سبق ذكر «لا» الذي موضعه ﴿يَقۡدِرُونَ﴾، أُعيد في موضعه، وكقوله: ﴿أَيَعِدُكُمۡ أَنَّكُمۡ إِذَا مِتُّمۡ وَكُنتُمۡ تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخۡرَجُونَ﴾ [المؤمنون: ٣٥]، سبق ذكر ﴿أَنَّكُمۡ﴾، فأعيدَ في موضعه.

وقوله تعالى: ﴿مِنۡ خَلَٰقٖ﴾ ﴿مِنۡ﴾ للتأكيد، والخلاقُ مِنَ الخلق؛ وهو التَّقدير؛ أي: نصيب قُدِّر له.

وقوله تعالى: ﴿وَلَبِئۡسَ مَا شَرَوۡاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمۡ﴾ ذكرنا حقيقةَ هذه الكلمة في قوله: ﴿بِئۡسَمَا ٱشۡتَرَوۡاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمۡ﴾ [البقرة: ٩٠].

وقوله: ﴿بِهِۦٓ﴾ يرجعُ إلى السِّحر وكتاب الشَّيطان.

---

(١) بعدها في (أ): «أي: لما له».

(٢) في (ر) و(ف): «إذ».

(٣) «عليه» زيادة من (أ) و(ف).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ١٨٧).

(٥) بعدها في (ف): «على».

وقولـه تعالـى: ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ أي: لـو علمـوا ما علمـوا، فقد أثبتَ علمَهـم بقولـه[١]: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا﴾[٢]، فلـم يكـن هـذا نفـيَ العلـم، بـل كان نفيَ الانتفـاع بالعلم.

وقيل: أي: لو كانوا يَعلمون وبالَهُ في الآخرة.

وقيل: لو كانوا يَعلمون أنَّه يضرُّهم ولا يَنفعُهم.

* * *

(١٠٣) ـ ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾.

وقولـه تعـالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ أي: لـو أنَّ أهـلَ الكتـاب والسَّـحرةَ آمنـوا بالقـرآن والنَّبـيِّ، واتَّقـوا الشِّـركَ والسِّـحرَ[٣] ﴿لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ﴾ أي: لثـوابُ الله لهم علـى إيمانِهم وتَقواهـم خيـرٌ لهـم مـن كُفرِهم وسِـحْرِهم.

واللام في ﴿لَمَثُوبَةٌ﴾ جوابُ ﴿لَوْ﴾، ومَثُوبَة: مَفْعَلَةٌ مِن الثَّواب، وثاب يثوب؛ أي: رجع، سُمِّي ثواباً؛ لأنَّه عِوَضُ عملِه يَرجِعُ إليه.

وقوله: ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾؛ أي: يَعملون بعلمِهم.

* * *

(١٠٤) ـ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

---

(١) في (أ): «بقبوله».

(٢) بعدها في (ر) و(ف): «لَمَنِ اشتراهُ».

(٣) بعدها في (أ): «قوله تعالى».

وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ قال الحسن: كلُّ شيءٍ في القرآن ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ فإنَّه نزلَ بالمدينة(١).

وقوله تعالى: ﴿لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا﴾ روى أبو صالحٍ، عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما أنَّه قال: إنَّ المسلمين كانوا يأتون رسولَ الله ﷺ، فيقولون له: يا رسول الله؛ راعِنا سمعَك، وكان هذا مِن كلام العرب فيما بينهم، وكان «راعنا» بلسان اليهود السَّبَّ القبيحَ، فلمَّا سَمِعَتِ اليهودُ مِن المؤمنينَ يقولونها لرسولِ الله ﷺ؛ أعجبَهم ذلك، وقالوا فيما بينهم: كنَّا نسبُّ محمداً في السرِّ، فالآن فأعلِنوا له بالشَّتم، فكانوا يأتونه ويقولون: راعنا يا محمَّد، ويضحكون، فسمعَها منهم سعدُ بن معاذ الأنصاريُّ، وكان يَعرِفُ لغتَهم، فقال: يا أعداء الله، عليكم لعنةُ الله، والذي نفسي بيده؛ لئن سمعتُها مِن رجلٍ منكم يقولُها لرسول الله بعد هذا المجلس؛ لأضرِبنَّ عنقَه، فقالوا: أولستم تقولونها له(٢)؟ فأنزلَ اللهُ تعالى هذه الآيةَ، ونَهى المؤمنينَ عن هذه المقالة؛ لئلَّا يتطرَّقَ اليهودُ بسببها إلى ما يريدونَه من السَّبِّ.

وقيل: كانت الصَّحابةُ الأربعةُ وأجلَّاءُ الصَّحابةِ رضوانُ الله عليهم ربَّما يتأخَّرُ مجيئهم عن خروجِ رسول الله ﷺ إلى المسجد، وكان يفوتُهم بعضُ كلامه، فكانوا يقولون: يا رسول الله؛ راعنا؛ وهو سؤالُ الرِّعاية والعناية(٣) في حقِّهم بانتظارهم؛ لئلَّا يفوتهم فوائده، واليهودُ سمعوا ذلك فقالوا: نذكر ذلك لمحمَّدٍ على إرادةِ الشتم.

---

(١) لم أقف عليه عن الحسن، وأخرج البزار في «مسنده» (١٥٣١)، والحاكم في «مستدركه» (٤٢٩٥)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٧/ ١٤٤) نحوه عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه. وروي عن غيره، انظر «الدر المنثور» (١/ ١٧٧ ـ ١٧٨).

(٢) انظر «التفسير البسيط» للواحدي (٣/ ٢١٥ ـ ٢١٦).

(٣) في (ف): «فطلبوا العناية» بدل: «وهو سؤال الرعاية والعناية».

وقيل: لبيان ذلك الشَّتمِ وجهان:

أحدهما: أنَّهم كانوا يريدون به: راعينا، على اختلاس الياء، وهي نسبتُه إلى أنَّه من الرعاة، فإنَّهم كانوا يقولون للعرب: إنَّهم[1] عالةٌ رِعاءُ غنمٍ، فكأنَّهم قالوا: أنت راعينا.

والثاني: أنَّهم أرادوا بذلك: راعناً؛ أي: فاعلاً من الرُّعونة؛ أي: جاهلاً[2]، ويجوز[3] ذلك.

وفي قراءة الحسن البصريِّ: (رَاعِنًا) بالتنوين؛ وهي قراءةُ حفصة[4].

وقيل في تفسير (رَاعِناً) بالتَّنوين: أي: لا تقولوا قولاً راعِناً؛ أي: سفهاً وجهلاً وحُمقاً.

والأرعنُ: الأهوج الأحمق، وقد رَعُنَ يَرْعُنُ رعونةً، مِن حد: شَرُف. والرَّعْنُ: الأنفُ النَّادِرُ مِن الجبلِ، الخارجُ عنه، والرَّعناء: المرأةُ المتبرِّجة، وجيشٌ أرعن: له فضول كرُعونِ الجبال، ورجلٌ أرعنُ: مُسترخٍ، وَرَعَنَتْهُ الشَّمس؛ إذا آلَمَتْ دماغَهُ، قال الشاعر:

كأنَّـــه مِـــن أُوَارِ الشَّـــمْسِ مَرْعــونُ[5]

---

(١) بعدها في (أ): «كانوا».

(٢) في (أ): «يا جاهلًا».

(٣) في (أ) و(ر): «ونحو».

(٤) في (ر): «حفص»! والقراءة ذكرها ابن خالويه في «مختصره» (ص: ١٦)، والثعلبي في «تفسيره» (١/ ٢٥٢) وغيرهما عن الحسن، وزاد ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١/ ١٨٩) نسبتها لابن أبي ليلى وابن محيصن وأبي حيوة، ولم أقف عليها عن حفصة.

(٥) هو في «العين» للخليل (٢/ ١١٨)، (٤/ ٣٢)، و«جمهرة اللغة» (٢/ ٧٧٣)، و«تهذيب اللغة» =

والأوار: الَحرُّ.

ولا يُدرى إلى أيِّ هذه الوجوه كانوا يَصرِفون هذه الكلمة؟

وقيل: الكلمةُ مِن المراعاة، ونهى المسلمين عن ذلك، ومعناه: لا تجعلوا لأنفسِكُم رتبةً أن تطالبوا بها مراعاةَ رسولِ الله ﷺ.

وقال الزجَّاجُ: هي من المكافأة؛ أي: المساواة[1]؛ أي: لا تطالبوا[2] بالمساواة في المعاملة والمخاطبة، وهو أمرٌ بتعظيمه[3]، وقد قال تعالى: عنه والرعنا المرأة المتبرجة وجيش أرعن له فضول كرعون الجبال ورجل أرعن مسترخ ورعنته الشمس إذا ألمت دماغه قال الشاعر:

كأنـــه مـــن أُوار الشـــمس مرعـــون

والأوار: الحـر ولا يـدري إلـى أي هذه الوجوه كانوا يصرفـون هذه الكلمة وقيل

= (٢/ ٣٤١) (مادة: رعن)، (٦/ ٢٣٠) (مادة: دمه)، و«الصحاح» (مادة: رعن)، و«مجمل اللغة» (١/ ٣٨٣)، و«لسان العرب» (مادة: رعن، ودمه)، وصدره في «الجمهرة» وفي الموضع الثاني من «العين» و«تهذيب اللغة» و«اللسان»:

ظلَّـت علـى شُـزُن فـي دامِـهٍ دمـهٍ

وصدره في الموضع الأول من «اللسان»: (مادة: رعن):

باكَـــرَهُ قانـــصٌ يســـعى بأكلُبِـــه

ثم قال: قال ابن بري [وقوله في «التنبيه والإيضاح عما وقع في الصحاح» (مادة: رعن)]: الصحيح في إنشاده: مملول، عوضاً عن: مرعون، وكذا هو في شعر عبدة بن الطيب. اهـ. قلت: وهو في قصيدة عبدة في «المفضليات» (ص: ١٣٨)، و«شعر عبدة بن الطيب» ص٦٦.

(١) في (ف): «مساواة».

(٢) في (أ): «تطالبوه» وفي (ر): «تطلبوا».

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ١٨٨).

الكلمة من المراعاة ونهى المسلمين عن ذلك ومعناه لا تجعلوا لأنفسكم رتبة أن تطالبوا مراعاة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الزجاج: هي من المكافأة أي المساواة أي لا تطلبوا بالمساواة في المعاملة والمخاطبة وهو أمر بتعظيمه وقد قال تعالى: ﴿لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾ [الحجرات: ٢].

وقوله تعالى: ﴿وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا﴾ أي: انتظرنا؛ كما في قوله: ﴿ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾ [الحديد: ١٣]، والغرضُ يَحصلُ به، ولا يَتطرَّق إليه اليهود بما أرادوا؛ ولأنَّ طلبَ الانتظار أقربُ إلى التَّواضُعِ والاحترام مِن طلب المراعاة التي هي طلبُ المساواة.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: ﴿ٱنظُرْنَا﴾ على معنى: مكِّنَّا من الفهم، أو خاطبنا بالذي تحتمله أفهامنا[١]، أو[٢] أمهلنا في القيام على ما أمرتنا به؛ لنقومَ عليه بالتَّعظيم والتَّفهُّم[٣].

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: انظرنا على معنا مكنا من الفهم أو خاطبنا بالذي تحتمله أفهامنا أو أمهلنا في القيام على ما أمرتنا به لنقوم عليه بالتعظيم والتفهم.

وقوله تعالى: ﴿وَٱسْمَعُواْ﴾ أي: ما تُؤمَرون به، واقبلوهُ، واعمَلوا به.

وقال الضَّحَّاكُ: أي: اسمعوا كتابَ الله، وما يأمُركم به رسولُ الله ﷺ.

---

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (١/ ٥٢٩).

(٢) في (أ): «أي»، وفي (ف): «و».

(٣) في (أ): «والتفهيم».

وقوله تعالى: ﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي: للكفَّار مِنَ اليهود وغيرِهم في الآخرة لعنادهم عذابٌ وجيعٌ.

وقيل: ﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ﴾ أي: لليهودِ الذين يقولون لرسول الله ﷺ هذا عذابٌ مؤلِمٌ، وهذه الآيةُ فيها ذمُّ اليهود أيضاً[1]؛ كما في الآيات التي قبلها، وبه ينتظم، ثمَّ ذكر في ذمِّهم أيضاً أنَّهم يَحسُدون المؤمنين على ما نالوا.

* * *

(١٠٥) ـ ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أي ما يحب الكفار من اليهود والنصارى ومن المشركين هم عبدة الأصنام أن ينزل عليكم أي على نبيكم لأن المنزل عليه منزل على أمته من خير من ربكم أي القرآن وفيه كل خير ومن لتأكيد النفي في قوله: أي: ما يحبُّ الكفَّار مِنَ اليهود والنَّصارى، ومن المشركين، وهم عبدة الأصنام ﴿أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم﴾؛ أي: على نبيِّكم؛ لأنَّ المنزَّل عليه منزَّل على أمَّته، ﴿مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أي: القرآن، وفيه كلُّ خير.

و﴿مِّنْ﴾ لتأكيد النفي في قوله: ﴿مِّنْ خَيْرٍ﴾، وللتنويع في قوله: وللتفريع في قوله: ﴿مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾، ولابتداء الغاية في قوله: ﴿مِّن رَّبِّكُمْ﴾ فهي ثلاثةٌ في هذه الآية.

---

(١) في (ف): «وأيضاً».

جمع بين أهلِ الكتاب وبين عَبَدةِ الأصنام؛ لأنهم مجتمعون اليوم على الكفر، ويُجمَعون[١] غداً في النَّار، قال الله تعالى: فهي ثلاثة في هذه الآية جمع بين أهل الكتاب وبين عبدة الأصنام لأنهم يجتمعون اليوم على الكفر ومجتمعون غدا في النار قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾ [البينة: ٦].

وأهلُ الكتاب إنَّما لم يَودُّوا ذلك عند بعضهم؛ لأنَّهم كانوا يَظنُّون أنَّ نبيَّ آخِرِ الزمان يكونُ مِن أولاد[٢] إسحاق، كما كان[٣] أنبياءُ بني إسرائيل، فلمَّا كان من ولدِ[٤] إسماعيل، لم يَرضَوا به، وعادَوا العرب لذلك.

وهذا لا يصحُّ؛ لأنَّهم كانوا قرؤوا في التَّوراة أنَّه من العرب، قال الله تعالى: كما كان من أنبياء بني إسرائيل فلما كان من ولد إسماعيل لم يرضوا به وعادوا العرب لذلك وهذا لا يصلح لأنهم كانوا قرؤوا في التوراة أنه من العرب قال الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ﴾[٥] [الأعراف: ١٥٧]. والأُمِّيُّ: هو المكِّيُّ العربيُّ، فالصَّحيحُ أنَّهم إنَّما أبغضوهُ؛ لفوت[٦] ....

---

(١) في (ر): «ويجتمعون»، وليس في (ف).

(٢) في (أ): «ولد».

(٣) بعدها في (ر): «من».

(٤) في (ف): «بني».

(٥) كتب فوقها في (ر): «والإنجيل».

(٦) في (أ): «لفوات».

العزِّ والرِّئاسة و[١] الرِّشوة عنهم بسببه لو آمنوا، ولهَتْكِ أستارِهم بإخباره أنَّهم يُحَرِّفون الكَلِمَ عن مواضعه.

وأمَّا المشركون؛ فإنَّما كرهوا ذلك؛ لأنَّهم كانوا يتمنَّون أن تكون النبوَّة في أحد الرجلين[٢]؛ نعيم بن مسعودٍ الثقفيُّ[٣] بالطَّائف، والوليد بن المغيرة بمكَّة، كما أخبر الله تعالى عنهم: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: ٣١]، وكانوا يَعلمون أنَّهما يتَّبعان أهواءَهم، فأنزل اللهُ تعالى هذه الآية.

كانوا يتمنون أن تكون النبوة في أحد الرجلين نعيم بن مسعود الثقفي بالطائف والوليد بن المغيرة بمكة كما أخبر الله تعالى عنهم وقالوا: لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وكانوا يعلمون أنهما يتبعان أهوائهم فأنزل الله تعالى هذه الآية.

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ أي: بنبوَّته ووحيه ودينِه مَن يشاء، لا مَن تشاؤون، وقال اللهُ تعالى: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٢٤].

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ أي: على من يَختارهُ بالنبوَّة والوحي، ودلَّت الآية على أنَّ العبد لا يستحقُّ على الله شيئاً، فإنَّ مؤدِّي الواجب لا يكون متفضِّلاً.

---

(١) في (ر): «وبطلت».

(٢) في (أ): «رجلين».

(٣) كذا قال، ولم أقف على من قاله، بل أخرج الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٥٨٠ ـ ٥٨١) عن ابن عباس رضي الله عنهما ن المراد بالعظيم في هذه الآية: حبيب بن عمرو بن عمير الثقفي، والوليد بن المغيرة.

أما نعيم بن مسعود فإنه أسلم يوم خيبر، ولم يذكروا في ترجمته ما يدل على ما ذكره المصنف هنا. انظر «الاستيعاب» (٤/ ١٥٠٨).

وقـال الإمام أبـو منصور رحمه الله: قوله: ﴿ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ معطـوفٌ على قوله: ﴿مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ﴾؛ ومـن المشـركين، فـكان للبعض لا للـكلِّ، فإنَّه كان يَكرهُ رؤسـاؤُهم ذلك لا كلُّهم؛ وكراهتهُم لشـيئين:

أحدهما: ما كان فيه من تسفيهِهم وتضليلِهم مع سَلَفِهم، وكان[٤] يشتدُّ عليهم ذلك.

والثاني: أنَّهم كانوا مستكبرين؛ لا ينقادون لغيرهم، ويَطمعون أنْ تكون الرِّسالةُ لهم، قال الله تعالى: أي على من يختاره بالنبوة والوحي ودلت الآية على أن العبد لا يستحق على الله شيئاً فإن مؤدي الواجب لا يكون متفضلاً وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: قوله المشركين معطوف على قوله من أهل الكتاب ومن للتبعيض لا للكل فإنه كان يكره رؤسائهم ذلك لا كلهم وكراهتهم لشيئين أحدهما ما كان فيه من تسفيههم وتضليلهم مع سلفهم وكان يشتد عليهم ذلك والثاني أنهم كانوا مستكبرين لا ينقادون لغيرهم ويطمعون أن تكون الرسالة لهم قال الله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [فاطر: ٤٢ ـ ٤٣]، وقال تعالى خبراً عنهم: ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٢١].

وقوله تعالـى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ﴾[٥] وانتظامُها بما قبلهـا في ثلاثـة أوجه:

---

(٤) في (أ): «فكان».

(٥) في (ر) و(ف): «ننسأها». وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو كما سيأتي.

أحدها[١]: أنَّه قال: ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾، ومِن فضله نسخُ الآية بخيرٍ منها أو مثلها؛ مَرْحمةً على هذه الأمَّة.

والثَّاني: أنَّ اليهود قالوا: إنَّ محمداً لا يَثبتُ على شيءٍ، بل يَأمر بشيءٍ ثمَّ ينهى عنه، ويَنهى عن شيءٍ ثمَّ يأمرُ به، وكذا التَّحريم والتَّحليل، فأخبرَ اللهُ تعالى أنَّه لا يفعلُ ذلك مِن جهةِ نفسه، بل الله تعالى يَنسخُ ويُبَدِّلُ.

والثَّالث: أنَّهم كانوا[٢] لا يَرون النَّسخَ، ويُسَمُّونه بَداء، ويُنكِرون نسخَ شريعةٍ[٣] موسى بغيرها، فأنزلَ اللهُ تعالى هذه الآيةَ ردًّا عليهم.

والنَّسخُ في اللُّغة: هو النَّقل والتَّحويل، ومنه: انتساخُ الكتاب: هو النَّقلُ[٤] مِن نسخةٍ إلى نسخة، و: نَسَخَتِ الشَّمسُ الظِّلَّ، هو كذلك، وتناسخُ المواريث مِن ذلك.

ويكون بمعنى الإبطال أيضاً، و: نَسَخَتِ الشَّمسُ الظلَّ[٥]؛ بمعنى: أذهبَتْه، و: نَسَخَتِ الرِّيحُ الأثرَ، كذلك.

وقوله تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ﴾ ﴿مَا﴾ كلمة شرطٍ، و﴿نَنسَخْ﴾ مجزومٌ بها، وقوله: ﴿أَوْ نُنسِهَا﴾[٦] مجزومٌ أيضاً؛ لأنَّه عطفٌ على الأوَّل، وجزمُه بحذفِ

---

(١) قوله: «في ثلاثة أوجه: أحدها» من (ر).

(٢) بعدها في (ف): «يرونه بداء» وفي (ر): «يرونه بداءة».

(٣) بعدها في (أ): «بشريعة».

(٤) في (أ): «نقل».

(٥) بعدها في (أ): «يكون».

(٦) في (ر) و(ف): «ننسأها».

اليـاء منـه، وقـرأ ابنُ كثيـرٍ وأبو عمـروٍ غير الباقيـة: ﴿ننسـأها﴾ بالهمـز[١] مجزوماً، وهو كذلـك[٢].

وقوله: ﴿نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ﴾ مجزومٌ؛ لأنَّه جزاءُ الشَّرط، وجزمُه بحذف الياء منه.

ومعنى النَّسخِ في الشَّرع: هو بيانُ مدَّة الحكم، ويُسمَّى نسخاً؛ لأنَّه في الظَّاهر نقلُ الحكمِ مِن شيءٍ إلى شيءٍ، كأمرِ القِبْلة، أو تغييرٌ وإبطالٌ وإسقاطٌ له أصلاً، كنسخ فرض الصَّدقة قبلَ مناجاة النَّبيِّ ﷺ، وكلُّ ذلك في الحقيقة بيانٌ أنَّ ذلك الحكمَ المتقدِّم كان مشروعاً إلى هذه المدَّة، وقد انتهى.

وفي قوله: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ﴾[٣] الآية وجوهٌ:

أحدها: ما نرفع مِن حكمِ آيةٍ من القرآن مع بقاء تلاوتها، ﴿أَوْ نُنسِهَا﴾[٤] أي: نجعلْها منسيَّةً على القلوب برفعِ حكمِها، وتلاوتها. وقد نسيَ القلبُ يَنسى نسياناً[٥]؛ فهو ناسٍ، وأنساهُ الله ذلك.

وعن قتادة رحمه الله أنَّه قال: كانت الآيةُ تُنسَخ بالآية، ويُنْسِي اللهُ تعالى نبيَّه مِن ذلك ما يشاء[٦].

وروى أبو أمامة [بن][٧] سهلِ بن حُنَيف: أنَّ رجلاً كانت معه سورةٌ، فقام من

(١) «بالهمز» زيادة من (ف).

(٢) قوله: «وهو كذلك» من (ف). وانظر القراءة في «السبعة» (ص: ١٦٨)، والتيسير» (ص: ٧٦).

(٣) بعدها في (ر) و(ف): «في».

(٤) في (ر) و(ف): «ننسأها». وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو كما تقدم قريباً.

(٥) في (ر) و(ف): «نسياً».

(٦) رواه الطبري (٢/ ٣٩١).

(٧) ما بين حاصرتين ليس في النسخ الخطية، وأبو أمامة اسمه أسعد، وقيل: سعد، معدود في الصحابة، =

الليل ليقرأَها، فلم يَقدِر، وقامَ آخرُ ليقرأَها، فلم يقدر، فلمَّا أصبحوا؛ ذكروا ذلك لرسولِ الله ﷺ فقال: «إنَّها نُسِخَت البارحة»[١].

ومَن قرأها: ﴿نَنسَأْها﴾ بالهمز والفتح في النون؛ فمعنى ذلك: نؤخِّرها، ومنه: النَّسيءُ، والنَّسِيئةُ، والنَّسَاء، وأنسأ الله أجله، ونسأ في أجله، وللتَّأخير هاهنا معنيان:

أحدهما: أو نؤخِّرها ونبقها غيرَ منسوخةٍ.

والثَّاني: على التَّقديم والتَّأخير: ما ننسخ من آيةٍ، نأت بخيرٍ منها أو مثلها، أو نؤخِّرها فنتركْها منسوخةً كما هي، فلا نأت بخيرٍ منها أو مثلها.

وقال مجاهدٌ: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ﴾[٢]؛ أي: ما نمحُ من حكمِ آيةٍ وتلاوتها، ﴿أو ننسأها﴾؛ أي: نثبت تلاوتَها، ونرفع حكمَها؛ ﴿نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ﴾[٣].

وقال عطاءٌ: ﴿مَا نَنسَخْ﴾؛ أي: ما نكتب مِنَ اللوح فننزل، ﴿أَو نَنْسَأْهَا﴾ أي: نؤخِّرها في اللوح فلا نُنْزِل[٤]. فيكونُ هذا من الانتساخ على هذا القول.

وقوله: ﴿نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ﴾ قيل: ليس هذا للتفضيلِ على معنى: بأحسن منها، فإنَّ الآيات كلَّها كلامُ الله تعالى، فلا تتفاضلُ في أنفسها، بل معناه على التقديم والتأخير: نأت بخيرٍ منها؛ أي: بصلاحٍ وخيريَّة، لكن لا يتَّضح هذا التأويل، فإنَّه قال: ﴿أَوْ مِثْلِهَآ﴾، وإذا حمل على ذلك؛ لم يكن لهذه الزيادة معنًى.

= له رؤية، ولم يسمع من النبي ﷺ، توفي (١٠٠هـ). انظر: «تقريب التهذيب».

(١) رواه أبو عبيد في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ١٤ ـ ١٥) (١٧).

(٢) بعدها في (ف): «أي ما نمسح من حكم آية».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٣٩٠)، وابن أبي حاتم (١/ ١٩٩، ٢٠٠) (١٠٥٥)، (١٠٦٢) من رواية مجاهد عن أصحاب ابن مسعود رضي الله عنه.

(٤) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ١٩٩) (١٠٥٦).

والصَّحيحُ أنَّه للتفضيل، ولا يَرجعُ ذلك إلى نفس الآية، بل إلى ما يحصل[١] به للعبد، وقد قال ابنُ عبَّاسٍ: قوله: ﴿بِخَيْرٍ مِّنْهَآ﴾ أي: بما هو أنفع لكم وأرفق[٢]، ﴿أَوْ مِثْلِهَآ﴾ للابتلاء والامتحان؛ ليظهر متَّبع أمر الله مِن متَّبع هواه.

وقيل: ﴿بِخَيْرٍ مِّنْهَآ﴾؛ أي: بأخفَّ وأسهل.

وقيل: بأكثر ثواباً.

وقيل: بأصلحَ في العاقبة، ﴿أَوْ مِثْلِهَآ﴾ في السُّهولة والصَّلاح والثَّواب.

والحاصلُ أنَّ النسخ قد يكون بأخفَّ مِنَ الأول، كنسخ الاعتداد بحولٍ، ونقلِه إلى الاعتداد بأربعة أشهرٍ وعشر، وكنسخ فرض قيامِ اللَّيلِ إلى التخيير.

وقد يكون بمثله، كنسخ[٣] التوجُّه إلى بيت المقدسِ بالتوجُّه إلى الكعبة.

وقد يكونُ بأشقَّ منه على البدن، كنسخ[٤] تركِ القتال بإيجابِه.

وكلُّ ذلك خيرٌ للعبد من حيث الثَّوابُ أو الصَّلاح، وقد أخبر الله تعالى في القتال أنَّه كُرهٌ لكم، وأخبرَ أنَّه خيرٌ، وقال تعالى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦]، وكلُّ ذلك إنعامٌ منه عليه، وإحسانٌ إليه، وله الحمدُ.

ثمَّ الحكمةُ في النَّسخِ الابتلاءُ، قال الله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾ [البقرة: ١٤٣].

---

(١) في (ر): «يصلح».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٣٩٩).

(٣) هنا بداية سقط في النسخة (ر)، وكأنه ضاعت ورقة كاملة منها، وينتهي السقط بعد صفحات عند قوله: «أي: قل يا محمد أقيموا حجتكم».

(٤) بداية سقط في النسخة (أ)، وينتهي السقط عند قوله الآتي: «لن يدخل الجنة إلا اليهود».

وقرأ ابنُ عامر في رواية ابن ذكوان: ﴿ما نُنْسِخْ من﴾ بضمِّ النُّون وكسر السِّين[١]؛ مِن الإنساخ، وله معنيان:

أحدهما: ما قالهُ أبو عبيدة: ما نُنْسِخْك يا محمَّد[٢]؛ أي: نأمرْكَ بأن تُبيِّنَ نسخَها، وقد نَسختُ الشَّيءَ بنفسي، وأنْسَختُه غيري؛ أي: حَملتُهُ عليه، كما يقال: كتبتُ بنفسي، وأكتَبتُ غيري.

والثاني: أنْسَختُه؛ أي: جَعلتُهُ ذا نَسْخٍ، كما يقال: أقبرتُه وقَبرتُه: دفنته.

وهذا كلُّه على تأويل مَن جَعلَ الآيةَ مِن آيات القرآن.

ثمَّ الآيةُ معناها الكلامُ المجموع، يقال: خرجَ أحدُ القوم بآيتهِم؛ أي: بجماعتِهم، فالحرفُ الواحدُ والكلمة الواحدة: لا يُنبِئ عن معنى مجموع، فإذا اجتمعَت كلماتٌ صارت آيةً، وفوق الآية سورة؛ أي: درجةٌ مرتفعةٌ، قال النابغة:

ألـم تـرَ أنَّ اللهَ أعطـاك سُـورةً ... تَرى كلَّ مَلْكٍ دونَها يَتذبْـذَبُ[٣]

ومنه قولُه تعالى: ﴿إِذۡ تَسَوَّرُواْ ٱلۡمِحۡرَابَ﴾ أي: عَلَوهُ، فالسُّورةُ هي المشتملةُ من المعاني على ما زاد على الآية وارتفع عليها، كالقَصصِ ينتظمُها السُّورةُ الواحدة.

* * *

(١٠٦) - ﴿ ۞ مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ أَوۡ نُنسِهَا نَأۡتِ بِخَيۡرٖ مِّنۡهَآ أَوۡ مِثۡلِهَآۗ أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴾.

وقيل: معنى هذه الآية ﴿مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ﴾؛ أي: ما نرفع مِن حُجَّةٍ فنُغيِّبُها

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ١٦٨)، و«التيسير» (ص: ٧٦).

(٢) ذكره عن أبي عبيدة المجاشعيُّ في «النكت في القرآن» (١/ ١٤٨).

(٣) انظر: «ديوان النابغة» (ص: ٧٣).

عـن الأبصـار، نـأتِ بخيرٍ منهـا أو مثلِها؛ أي: أقـوى منها في إلـزام الحُجَّـةِ، أو مثلِها فـي القـوَّة. وهـذا كلام الإمـام أبي منصـورٍ رحمـه الله، قال: يَحتمـلُ ذلـك[1]، معَ ما قـرَّرَ مِن المقالاتِ الـمُتقدِّمة.

ثمَّ المنسوخاتُ على ثلاثة أوجه:

ما نُسِخَ حكمُه وتلاوتُه، كقول عائشة رضي الله عنها: كان ممَّا يُتلَى عشرُ رَضَعاتٍ، ثم نسخ بخمس رضعات يُحَرمنَ[2].

وما نُسِخت تلاوتُه وبَقِيَ حكمُه، وهو المرويُّ عن عمرَ رضي الله عنه: (الشَّيخُ والشَّيخةُ إذا زنيا فارْجموهُما البتَّة نكالاً من الله، والله عزيزٌ حكيم)[3].

وما نُسِخَ حكمُه وبَقِيت تلاوتُه وهي الآياتُ التي فيها الأمرُ بتركِ القتال، نُسِخَت بآية السَّيف، وبَقيت تلاوتُها، وفائدةُ البقاءِ حصولُ الثَّواب بقراءتِها.

***

(١٠٧) ـ ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ قيل: هو خطابُ محمَّدٍ عليه السلام ردًّا على اليهودِ لعنةُ الله عليهم أجمعين، كما قالوا في قوله: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ

---

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (١/ ٥٣٢).

(٢) رواه مسلم في «صحيحه» (١٤٥٢).

(٣) رواه النسائي في «الكبرى» (٧١١٨)، وابن ماجه (٢٥٥٣)، وأصله في «صحيح البخاري» (٦٨٢٩)، و«صحيح مسلم» (١٦٩١) دون ذكر آية: (الشيخ والشيخة). وروى النسائي في «الكبرى» (٧١٠٨) عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة» ثم قال: قال عمر: لما أنزلت أتيت رسول الله ﷺ فقلت: أكتبنيها...

﴿لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي﴾ [المائدة: ١١٦] هذا خطابٌ لعيسى صلوات الله عليه يومَ القيامة ردًّا على النَّصارى.

وقيل: هو خطابُ مَن كان يُجادِلُ رسولَ الله ﷺ في النَّسخِ، ويَدلُّ عليه أنَّه قال بعده: ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة: ١٠٧]، وهذا خطابُ اليهود. والصَّحيحُ أنَّه خطابُ المؤمنين؛ فإنَّه يَتضمَّنُ الوعدَ لهم بالولاية والنُّصْرة.

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ﴾ هذا استفهامٌ بمعنى التقرير؛ أي: قد عَلِمتَ، كقولك لصاحِبك: ألم أُعطِك كذا؟ أي: قد أعطيتُكَ.

وقيل: هو استفهامٌ بمعنى الأمر؛ أي: اعلم، كقولك لصاحبك: ألم تَعلَم أنَّ زيداً قَدِمَ؟ أي: اعلم، وهو كقوله: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩١]؛ أي: انتَهُوا.

وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ أي: يَقدِرُ على أنْ يَتعبَّدَ عباده بما شاء مِن العبادات المختلفة، ويَنقُلَهم من عبادةٍ إلى غيرِها، على حسب ما يَعلمُهُ صلاحاً لهم.

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ وله وجهان أيضاً كما للأوَّل؛ أي: قد عَلِمتَ، أو: اعلم، وهذا تفسيرُ قولِه: ﴿عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فالملكُ تمامُ القدرةِ واستحكامُها؛ أي: قد علمتُم أنَّه مالكُ السَّماوات والأرضِ وقادرٌ عليها، وأنَّه مالككُم فله الخَلْقُ والأمر.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ وكلمةُ ﴿مِّن﴾ لتأكيد الجَحْدِ، ﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾ عطفٌ على الجَحدِ، ولو لم تدخل «لا» لوَقعتِ الشُّبهةُ أنَّه ليس لهم هذان جميعاً؛ الوليُّ والنَّصير، إنَّما لهم أحدهما، فقال: ﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾ نفياً لكلِّ واحدٍ منهما قصداً.

والوليُّ: القيِّم بالأمر، من: ولَّيتُ الشَّيء إليه.

والنَّصيرُ: المعينُ والمانعُ.

﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ تعالى؛ أي: سوى الله، وفي هذه الجملة ثلاثُ معانٍ:

أحدها: التَّحذيرُ مِن سَخَطِ الله وعقابِه، إذ لا أحدَ يَمتنعُ منه.

والثاني: التَّسكينُ لقلوبِهم بأنَّ اللهَ تعالى وليُّهم وناصرُهم دونَ غيرِه.

والثالث: التَّفريقُ بين حالِهم وبين حالِ عبدةِ الأوثان؛ مدحاً لهم، وذمًّا لأولئك.

* * *

(١٠٨)ـ﴿ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۗ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ﴾ قال الزَّجَّاجُ كلمة «أم» إذا لم تكن للعطفِ على ألف الاستفهام، كانت بمعنى «بل»، فتقديرُه: بل أتريدون أن تسألوا رسولكم؟[1] وهذا استفهامٌ بمعنى التَّوبيخ.

ونزولُ الآية في شأن اليهود لعنَهم اللهُ؛ فإنَّهم قالوا: ائتنا بكتابِ الله جملةً واحدةً، كما جاء موسى بالتَّوراة جملةً[2].

وقولُه تعالى: ﴿كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ﴾ هو ما ذُكِرَ في قوله: ﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ إلى قوله: ﴿جَهْرَةً﴾.

وقيل: نَزَلت في المشركين، منهم: عبدُ الله بن [أبي] أميَّة المخزوميُّ[3]، حين

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ١٩٢).

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» (١/ ٢٥٧)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ٣٢).

(٣) ما بين حاصرتين زيادة لا بد منها، وعبد الله بن أبي أمية أخو أم سلمة زوج النبي ﷺ، كان شديداً =

قال: يا محمَّد، ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا﴾ الآيات [الإسراء: ٩٠]، فأخبر اللهُ تعالى أَنَّهم سَلكوا في اقتراحِهم على نبيِّهم طريقةَ اليهود في اقتراحِهم على موسى بما ذكَرنا[1].

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ التَّبديلُ والاستبدالُ أخذُ الشَّيء بدلاً عن الشَّيء، وأرادَ اختيارَ الكفرِ بمحمَّد ﷺ على الإيمان به.

وقوله تعالى: ﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ أي: أخطأ وسطَ الطَّريقِ السَّويِّ الذي هو بين الغُلُوِّ والتَّقصير، وهو الحقُّ؛ يقال: احتجمَ فلانٌ على سواءِ رأسه؛ أي: وسطه، وقال تعالى: ﴿فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٥٥]؛ أي: وسط الجحيم.

* * *

(١٠٩) - ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا﴾؛ أي: أحبَّ كثيرٌ مِن أهلِ الكتابِ؛ اليهودِ، وتمنَّوا أن يصرفوكم بعد الإيمانِ إلى الكفرِ، وهذا بيانُ شِدَّةِ عداوتِهم وحَسدِهم للمؤمنين.

وقال الزُّهريُّ وقتادة: هو كعبُ بن الأشرف وأصحابه.

= على المسلمين مخالفاً مبغضاً، شديد العداوة لرسول الله ﷺ، ثم خرج مهاجراً إلى النبي ﷺ، فلقيه بالطريق، وهو يريد فتح مكة، وشهد معه الفتح وحنيناً والطائف، ورمي يوم الطائف بسهم فقتله. انظر «الاستيعاب» لابن عبد البر (٣/ ٨٦٨ - ٨٦٩).

(١) انظر «أسباب النزول» للواحدي (ص: ٣٢).

وقال ابنُ عباس رضي الله عنهما هو حيي بن أحطب وأمثالهما[١].

وقال مقاتل: إنَّ نفراً من اليهود، منهم فنحاص بن عازورا وزيد بن قيس، دعَوا حذيفةَ بنَ اليمانِ وعمَّارَ بنَ ياسرٍ إلى دينهم بعد قتالِ أحد، فقالوا لهما: إنَّكما لم تصيبا خيراً؛ للذي أصابَهم يومَ أُحُدٍ مِن البلاء، وإنَّ دينَنا أفضلُ من دينِكم، ونحنُ أهدى منكم سبيلاً، فقال لهم عمَّار: كيفَ نقضُ العهدِ فيكم؟ قالوا: شديدٌ، فقال: إنِّي عاهدتُ ربِّي ألَّا أكفرَ بمحمَّدٍ، ولا أتَّبعَ ديناً غيرَ دينِه، فقالوا: أما عمار فقد صبأ وضلَّ عن الهُدى بعد إذْ أبصرَه، فكيف أنت يا حذيفة، ألا تبايعنا؟ قال حذيفة: اللهُ ربِّي، ومحمَّدٌ نبيِّي، والقرآنُ إمامي، أطيعُ ربِّي، وأقتدي برسوله حتَّى يأتيني اليقين، فقالوا: وإلهِ موسى، لقد أُشْرِبَت قلوبُكما حبَّ محمَّدٍ[٢].

فأخبرا النبيَّ ﷺ بما قِيل لهما وبما ردَّا عليهم، فقال رسول الله ﷺ: «أصبتُما إذاً الخيرَ، وأفلحتُما»، فأنزلَ اللهُ تعالى هذه الآيةَ: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ الآية[٣].

ونظيرُه قولُه تعالى: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم ﴾، ونظيرُه ﴿ وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ الآية [آل عمران: ٦٩]، وقولُه تعالى: ﴿إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم ﴾ الحسد: الأسفُ على مَن له خيرٌ بخيرِه، والتمنِّي أنْ يزولَ عنه إليه. و﴿حَسَدًا ﴾ نصبُه لوجهين:

أحدهما: أنَّه مفعولٌ له؛ أي: يفعلون ذلك لأجلِ حسدِهم.

---

(١) روى أقوالهم الطبري في «تفسيره» (٢/ ٤١٩).

(٢) في هامش (ف): «نسخة: ثم أتيا رسول الله ﷺ وأخبراه».

(٣) «تفسير مقاتل» (١/ ١٣٠)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١/ ٢٥٧) دون نسبته لمقاتل.

والثانـي: أنَّـه نصـبٌ علـى الحـال وهـو مصـدرٌ أريـدَ بـه نعـتُ الجمـعِ؛ أي: حاسـدينَ لكـم.

وقوله تعالى: ﴿مِّنۡ عِندِ أَنفُسِهِم﴾؛ أي: من قِبَلِ أنفسِهم مِن غيرِ أنْ يُؤمَروا به.

وتعلَّقتِ المعتزلةُ بظاهرِه أنَّ المعصيةَ مِن جهة العبد، لا فعلَ لله تعالى فيها، ونحن نقولُ: لا حجَّة لكم فيه؛ فإنَّا نقولُ: الإيمانُ والكفرُ والطَّاعاتُ والمعاصي أفعالُ العباد، وهي مخلوقاتُ اللهِ تعالى، والفِعلُ مِن العبدِ، والتَّخليقُ مِن الله، والآيةُ لا تَنفي ما قُلنا.

وقوله تعالى: ﴿مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡحَقُّۖ﴾؛ أي: بعد ما ظهرَ لهم أنَّ محمَّداً رسولُ الله، وأنَّ الإسلامَ دينُ الله، قاله قتادةُ والرَّبيعُ بن أنس[1].

وقوله تعالى: ﴿فَٱعۡفُواْ وَٱصۡفَحُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦٓ﴾ العفوُ: التَّركُ، والصَّفحُ: الإعراض.

وانتظامُها بما قبلَها أنَّه رُويَ عن الصَّحابة رضوانُ الله عليهم استأذنوا رسولَ الله أنْ يَقتلُوا هؤلاء اليهودَ الذين كفروا بأنفُسِهم، ودَعَوا المسلمين إلى الكفر، فنزلت الآيةُ أن اتركوا قتالَهم، وأعْرِضوا عن مكافأتِهم، ﴿حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦٓ﴾؛ أي، يَحكُمَ بحكمِه في بني قريظةَ والنَّضير، فحكَمَ في بني قريظةَ بالقتل، وفي بني النَّضيرِ بالإجلاء.

وقيـل: هـو نهيٌ عـن القتالِ، نُسِـخَ بآيـةِ السَّـيف، ومعنى قولـه: ﴿حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦٓ﴾؛ أي: يأمـرَ بالقتال.

فإن قالوا هذه السُّورةُ مدنيَّةٌ، والأمرُ بالقتال كان سابقاً، فما معنى الأمرِ بترك القتال؟

(١) أخرج قوليهما الطبري في «تفسيره» (٢/ ٤٤٢).

قلنا: هذا أمرٌ بتركِ قتال هؤلاء على الخصوص؛ لأنَّهم كانوا مُعاهَدين.

ومعنى قوله: ﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ﴾ هو ما ذَكَرنا في الحكم بقتلِ هؤلاء وإجلاءِ هؤلاء.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: يحتمل أن يكون هذا نهياً عن مكافأتهم على إيذائهم في الدُّنيا، ثم لم ينتسخ(١).

وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ﴾ أي: بعذابِهِ في الآخرة.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾؛ أي: مِن التَّعذيبِ والانتقامِ وكلِّ شيءٍ.

وقيل: ﴿قَدِيرٌ﴾ على تفريجِكم عن أذاهم من غير قتالٍ، فانتظروا الفرجَ، واشتغلوا الآن بالصَّلاة والزَّكاة، ولذلك وَصَل هذه الآيةَ بقوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾، وهو نظيرُ قوله تعالى: ﴿وَٱجْعَلُواْ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾(٢) [يونس: ٨٧] أي: بالفَرَج.

* * *

(١١٠) ـ ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾؛ أي: أدُّوهما شكراً لنعمةِ سلامةِ النَّفسِ وثروةِ المال؛ ليكونَ الشُّكر سبباً لبقاءِ نعمةِ الإيمان، فلا تقدر اليهودُ على صرفِكم عنه.

---

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» (١/ ٥٣٦).

(٢) بعدها في (ف): «وآتوا الزكاة» وهي مقحمة.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ﴾ «ما» كلمةُ شرطٍ، ولذلك جُزِمَ ﴿تُقَدِّمُوا﴾، وحُذِفَ النُّونُ منه لذلك، و﴿تَجِدُوهُ﴾ جزاؤه، وهو مجزومٌ به، وحُذِفَ نونُه لذلك؛ أي: وكلُّ شيءٍ قدَّمتموهُ إلى الآخرة مِن الخيرات؛ من الصَّلواتِ، والزَّكواتِ، وسائرِ الطَّاعات، وجدتُم ثوابَها عند الله.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾؛ أي: يرى ما عمِلتُم مِن خيرٍ أو شرٍّ، وهو وعدٌ على الطَّاعةِ، ووعيدٌ على المعصية، بأبلغ وجهٍ.

* * *

(١١١) ـ ﴿وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ﴾؛ أي: قال يهودُ المدينة ـ لعنهم الله ـ: لن[1] يدخلَ الجنَّة إلَّا اليهودُ، وقال نصارى بني نَجْران: لن يدخلَها إلَّا النَّصارى، فهذا على التفصيل، ليس أنَّهم جميعاً اجتمعوا على دعوَاهم دخولَهم جميعاً فيها، وبيَّن ذلك بقولِه بعد هذا: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾، فظهرَ أنَّ أحدَ الفريقين لا يَشهدُ للآخرِ بالجنَّة، وإنَّما جمعَهم في أوَّل الآية؛ لأنَّهم مجتمعون على الإيمان بالتَّوراة[2]، ثم ذكر عنهم قولاً، وكان لكلِّ ذلك القولِ قائلٌ منهم، على التَّفصيل، فصحَّ الإجمالُ على إرادة التَّفصيل، كما في قوله: ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾، اجتمعَ اللَّيلُ والنَّهارُ في كونِهما برحمتِه، ثم قال: ﴿لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ﴾

---

(١) هنا نهاية السقط في النسخة (أ)، وكانت بدايته عند قوله: «كنسخ ترك القتال» (ص: ٣٩١) عند تفسير قوله تعالى: ﴿نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾.

(٢) بعدها في (ف): «والإنجيل»، وهي هنا مقحمة.

[القصص: ٧٣] فانصرفَ السُّكنى إلى اللَّيل، وابتغاءُ الفضلِ إلى النَّهار، وصحَّ هذا التفصيل مراداً بالإجمال، فهذا كذلك.

وقوله تعالى: ﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾ جمعُ أمنية، والتمنِّي: التَّشهِّي؛ أي: يَتَشهَّون ذلكَ بغيرِ حجَّةٍ، والعربُ تسمِّي الكلامَ العاريَ عن الحجَّةِ: تمنِّياً، وغروراً، وضلالاً، وأحلاماً؛ مجازاً.

وقيل: الأماني: الأكاذيب هاهنا، وقد بيَّنَّاه في قوله تعالى: ﴿لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ﴾[1]؛ أي: قل: يا محمد؛ أقيموا حجَّتكم على دعواكم إنْ كنتُم صادقين فيها، ولم يقل[2]: براهينكم، والخطاب للجمع، ولا بُرْهَانَيْكم على التثنية، وهم فريقان؛ لأنَّ الدَّعوى كانت واحدةً؛ وهي نفيُ دخول غيرهم الجنَّة، والحجَّةُ على تلك الدَّعوى واحدةً.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: دلَّت الآية على أنَّ النَّافي عليه الدَّليل، ولا يقال: إنَّهم أثبتوا الدُّخولَ لأنفسهم، فطولبوا بالبرهان عليه؛ لأنَّا نقول: ليس كذلك، بل نَفَوا دخولَ غيرهم صريحاً، وثبت دعواهم دخولَ أنفسهم دلالةً، والبرهانُ يُطْلَبُ على صريح الدَّعوى دون الدلالة، فإنَّ مَن قال: لا نكاح إلَّا بشهود؛ لا يقال له: لِمَ قلتَ: إنَّ النِّكاح يجوز بالشُّهود؟ بل يقال له: لِمَ قلت: إنَّه لا يجوزُ إلَّا بالشُّهود[3]، ولذلك ردَّ الله على هؤلاء نفيَ دخول غيرهم، لا دعواهم دخولَهم، حيث قال تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ أي: بل يَدخلُ هؤلاء الذين أسلموا، الذين ينفون دُخولَهم[4].

(١) هنا نهاية السقط في النسخة (ر)، وكانت بدايته عند قوله السابق: «كنسخ التوجه إلى بيت المقدس».

(٢) في (أ): «يقبل».

(٣) في (أ): «بشهود».

(٤) انظر «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (١/ ٥٤١).

ثمَّ إنْ كان هذا أمراً بأن يأتوا بالبرهان على أنَّ[١] المسلمين لا يدخلون الجنَّة؛ فهذا أمرُ تعجيزٍ؛ لأنَّه لا برهانَ على هذا، وإن كان على دعوى دخولِهم الجنَّة؛ فإنَّه يجوز أنْ يكون برهانُهم ما قال في هذه السورة: ﴿فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [البقرة: ٩٤]، ويجوز أن يكون هو الإيمان بمحمَّدٍ عليه السلام وكتابه، قال عليه الصلاة والسلام: «ثمنُ الجنَّة لا إله إلا الله»[٢]، وقال[٣]: «مفتاح الجنَّة لا إله إلا الله»[٤].

ويجوزُ أن يكون برهانُهم ما ذُكِرَ بعدَه؛ وهو قوله تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ الآية، ﴿بَلَىٰ﴾ ردٌّ لما قبله، وإثباتٌ لما بعده؛ أي: ليس كما يقول اليهودُ والنَّصارى، ومَن انقاد لله تعالى بالتوحيد بكلِّيته.

والوجه: عبارةٌ عن كلِّ البدن، وخُصَّ بالذِّكر؛ لأنَّه أشرفُ الأعضاء، ولهذا يُخَصُّ بالتَّحيَّة[٥] فيقال: حيَّا الله وجهك، وكرَّم الله وجهك، وقال تعالى: ﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ﴾[٦] [طه: ١١١]، ولأنَّ أثرَ الانقياد والخضوعِ يَظهرُ في الوجه؛ فيجوزُ إضافةُ الفعلِ إليه.

---

(١) في (ف): «بأن» بدل: «على أن».

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٥٣١٣)، وإسحاق بن راهويه، كما في «المطالب العالية» للحافظ ابن حجر (٢٨٩٢) عن الحسن قوله. قال الحافظ ابن حجر: هذا موقوف صحيح.
ورواه عبد بن حميد عن الحسن مرسلاً، كما في «الدر المنثور» (١١/ ٤١٩).
ورواه ابن عدي في «الكامل» (٨/ ٦٥) عن أنس رضي الله عنه مرفوعاً، وذلك في ترجمة موسى بن إبراهيم، وذكر أنه شيخ مجهول، وأن الضعف بيِّنٌ على رواياته وحديثه.

(٣) بعدها في «مقاتل»، وهي مقحمة.

(٤) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢٢١٠٢) من حديث معاذ بن جبل، قال محققوه: إسناده ضعيف.

(٥) في (أ): «في التحية».

(٦) قوله: «لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ» من (ر).

ويقال: أسلم وجهه؛ أي: أخلصَ دينَه لله، وقد سَلِمَ هذا الشيءُ لفلانٍ، وأسلمتُه أنا له، وقال تعالى: ﴿وَرَجُلاً سَالماً لِرَجُلٍ﴾[1] [الزمر: ٢٩]، ووجه المسلم: دينُه الحقُّ، فيه جمالُه وعليه إقبالُه.

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ الواو للحال؛ ومعناه: أن يُحَسِّنَ أفعالَه مع صِحَّة اعتقاده وإقراره.

وقيل: الإحسان: أداءُ ما أُمِر به، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ﴾ [النحل: ٩٠].

وقيل: هو الإحسانُ ببذلِ المال، قال تعالى: ﴿وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [القصص: ٧٧].

وقيل: هو إحسانُ المعاملةِ، وبذلُ المال والنَّفس، قال تعالى خبراً عن صاحبَي السجن: ﴿إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٣٦].

وقيل: هو كظمُ الغيظِ، والعفوُ عن المظالم[2]، قال تعالى: ﴿وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾، وأضمر هاهنا: وهم محسنون، ثمَّ قال: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤].

وقيل: الإحسانُ: ما فسَّره النبيُّ عليه السلام لجبريل عليه السلام: «الإحسانُ: أن تعبدَ اللهَ كأنَّك تراه، فإن لم تكنْ تراهُ فإنَّه يراك»[3].

---

(١) ﴿سالماً﴾ بألف بعد السين، هي قراءة ابن كثير وأبي عمرو، وقرأ الباقون: ﴿سَلَمًا﴾. انظر: «السبعة» (ص: ٥٦٢)، و«التيسير» (ص: ١٨٩).

(٢) في (أ): «الظالم».

(٣) أخرجه مسلم في «صحيحه» (٨) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وقوله تعالى: ﴿فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾ أي: فله ثوابُ عملِه في الآخرة عند الله، وهو موحَّدٌ؛ لرجوعه إلى كلمة ﴿مَنْ﴾، ثمَّ قال: ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ على الجمعِ؛ لأنَّه اسمُ جنسٍ، والمراد به الجمع، فرجعت الكنايةُ في الآخر(١) إلى المعنى، ومعناهُ: فلهم ثوابُ الإيمان والأعمال الصَّالحة عند ربِّهم، ولا خوفٌ عليهم فيما يَستقبِلُهم مِنَ العذاب، ولا هم يَحزنون على ما خَلَّفوا من الدُّنيا، وله معانٍ أُخَرُ ذكرناها فيما مرَّ.

* * *

(١١٣) - ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ نزلَت الآيةُ في شأن يهودِ المدينة ونصارى بني نجران، اختصَموا عند النبيِّ ﷺ، فقالت اليهودُ للنَّصارى: ما أنتم على شيءٍ، وجَحدوا حَقِّيَّة عيسى والإنجيل، وقالت النَّصارى لليهود: ما أنتم على شيءٍ، وجَحدوا حقِّيَّة موسى والتَّوراة، فأنزلَ اللهُ تعالى هذه الآية(٢).

وانتظامُ هذه الآية بما قبلَها: أنَّ في الآيةِ الأولى ذكرَ مقالةِ الفريقين في حقِّ غيرهم، وذكرَ في هذه الآية مقالةَ كلِّ فريق منهما للآخر.

وقوله: ﴿عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ أي: من الدِّين الحقِّ، وهو كقوله: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾ [المائدة: ٦٨].

---

(١) في (ر) و(ف): «الأجر».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٤٣٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وقوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ أي: كلُّ فريقٍ يتلو في كتابِه تصديقَ ما ينكره[١] لو رجع إلى الكتاب، فكفرَ اليهودُ بعيسى، وعندهم التَّوراةُ، وفيه بيانُ حقِّيَّة عيسى والإنجيل، وكفر النَّصارى بموسى، وعندهم الإنجيلُ، وفيه بيان حقِّيَّة[٢] موسى والتَّوراة.

وقال الزَّجَّاج: يعني: أنَّ الفريقين يَتْلُوان[٣] التَّوراةَ، وقد وقعَ بينهم هذا الاختلافُ وكتابُهم واحدٌ، فدلَّ هذا على ضلالتِهم[٤].

وقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ﴾ أي: كذلك قال مشركو العربِ[٥]، وَصَفَهُم بأنَّهم لا يعلمون؛ لأنَّهم ليسوا أهلَ الكتاب[٦]، ولا كان فيهم رسولٌ، قالوا لمحمَّدٍ وأصحابه: إنَّهم ليسوا على شيءٍ من الدِّين الحقِّ؛ كما أخبر اللهُ تعالى عنهم بقوله: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ﴾ [الأحقاف: ١١].

وهذا تقريعٌ لأهل الكتاب أنَّهم مع علمهم بالتَّوراة قالوا كقول أهل الشِّركِ الجاهلين، وهو مذمَّةٌ للمشركين أيضاً بما قالوا.

وقيل: ﴿ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ هم الذين لا يتلون الكتابَ منهم، وهم العوامُّ منهم.

ثمَّ هذا إكذابٌ لهم على إطلاق كلامِهم، وردٌّ عليهم؛ أي: مَن أسلم من أوائلهم ولم يغيِّر[٧]؛ فهو على شيء.

---

(١) في (ف): «يكره».

(٢) في (ف): «حقيقة» في هذا الموضع والذي قبله.

(٣) في (ر) و(ف): «يتلون».

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ١٩٥).

(٥) بعدها في (ر): «فدلَّ».

(٦) في (ف): «كتاب».

(٧) في (ف): «يغيروا».

وقيل: معنى قوله: ﴿عَلَىٰ شَيْءٍ﴾: من الجنَّة، ﴿وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾ فيعلمون كَذِبَ دعواهم، ﴿كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ﴾ أي: قالوا: ليس المسلمون على شيءٍ من الجنَّة، ونحن أولى بها منهم؛ كما أخبر الله عزَّ وعلا عمَّن قال: ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِندَهُ لَلْحُسْنَىٰ﴾ [فصلت: ٥٠].

وقوله تعالى: ﴿فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ أي: يريهم مَن يَدخلُ الجنة عياناً، ويَدخلُ النَّار عياناً، فيظهرُ المُحِقُّ من المُبْطِلِ، وهو الحكم الفاصل[1] فيما يَصيرُ إليه كلُّ فرقةٍ؛ فأمَّا الحكمُ بينهم بالحُجَّة؛ فقد بيَّنه الله تعالى فيما أظهره من حُجَج المسلمين، ومِنْ عجزِ الخلقِ عن[2] أن يأتوا بمثل هذا[3] القرآن.

* * *

(١١٤) ـ ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾ انتظامُها بما قبلَها أنَّ الآيةَ الأولى في ذكر قبح مقالهم، وهذه في ذكرِ قبح فعالهم.

ووجهٌ آخر: كيف يدَّعون أنَّهم أهلُ الجنَّة وهم يمنعونَ عباد الله عن عبادة الله في بيوت الله؟!

و﴿مَنْ﴾ كلمة استفهامٍ، وهي بمعنى النَّفي هاهنا؛ أي: لا أحدَ أظلمُ مِن فاعل

---

(١) في (أ): «الفصل».

(٢) لفظ: «عن» من (أ).

(٣) لفظ: «هذا» من (أ).

هـذا الفِعـل، والظُّلـمُ: وضـعُ الشَّـيءِ فـي غيـر موضعِـه، و﴿مَنْ﴾[1] رفـع بالابتـداء، و﴿أَظْلَمُ﴾ خبـره، و﴿مَسَٰجِدَ﴾ نصـب بوقـوعِ فعل المنـع عليهـا، و﴿أَن يُذْكَرَ﴾ ﴿أَن﴾ مـع الفعـل مصـدرٌ، ومحلُّـه نصـبٌ[2]؛ لأنَّه بـدلٌ عـن قولـه: ﴿مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: مِمَّن منـع أن يُذكـر فـي مسـاجد الله، وهـو كتفسـير منـع المسـجد، فـإنَّ مَنْـعَ الذاكـرَ عـن المسـجد منعُ المسـجد عـن الذَّاكر.

ويجوز نصبُ ﴿أَن يُذْكَرَ﴾ على تقدير: لأنْ يذكر، فيكونُ مفعولاً له.

وقيل: تقديرُه: من أن يَذكرَ؛ أي: منعَ المساجدَ مِن أنْ يُذكَر فيها اسمه، وَذِكْرُ اسمِ الله ذكرُ الله، قال الله تعالى: ﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ﴾ [المزمل: ٨] أي: واذكر ربَّك.

وقوله تعالى: ﴿وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ﴾ ﴿وَسَعَىٰ﴾ كلمةٌ تختلف معانيها باختلاف مصادرها؛ يُقال:

سَعى سعياً[3]؛ إذا عَمِلَ، وإذا كَسَب، وإذا غَدا.

وسَعى مَسْعاةً؛ إذا جاد وتكرَّم، وجمع المسْعاة: المساعي.

وسَعى سِعايةً؛ إذا أخذ الصَّدقات، وهو عاملُها.

وكذا: سَعى به إلى السُّلطان سِعايةً؛ أي: وشى به.

وكذا سَعى[4] المكاتَبُ ومُعتَقُ البعضِ في أداءِ ما عليهِ سِعايةً.

وساعى الرَّجُلُ الأمَةَ ـ أي: فَجَر بها ـ مُساعاةً، ولا يقال ذلك في الحُرَّة.

---

(١) في (ف): «وهو».

(٢) في (ف): «النصب».

(٣) في (أ): «سعى يسعى سعياً»، وفي (ف): «يسعى سعياً».

(٤) في (ر) و(ف): «يسعى».

وقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ﴾ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ إشارةٌ إلى الجمع، والمذكورُ قبلَه الواحد، وهو مَن منع وسعى؛ لأنَّ معناه الجمع، و﴿يَدْخُلُوهَآ﴾ كنايةٌ عن المساجد، وهي مؤنَّثة؛ لأنَّها جمعٌ، و﴿مَا كَانَ﴾؛ أي: لا يكون، و﴿خَآئِفِينَ﴾ نصبٌ على الحال، واختلف في المرادِين بذلك.

وقال ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: إنَّ ططوس بنَ اسبسيانوس[1] الروميَّ، وكان ملكَ الرُّوم، غزا بالرُّوم بيتَ المقدس، وخرَّبهُ، وألقى فيه الجيفَ، فلم يزل خراباً لم يُعمر، وقَتَل مقاتلتهم، وسبى ذرارِيهم، وأحرقَ التَّوراة، فلم يزل خراباً حتَّى بناهُ أهلُ الإسلام في زمان عمرَ رضي الله تعالى عنه.

وقال مقاتل: كان اسمُ الملك أنطياخوس بنَ بكيس[2] الرُّوميَّ.

وقال الحسنُ والسدِّيُّ وقتادةُ: خرَّبه بختنصَّر البابليُّ المجوسي، وأعانَهُ على ذلك أعداءُ الله الروم[3]، حملَهم على ذلك بغضُ اليهود.

ولـمَّا استولى عمرُ رضي الله تعالى عنه على ولاية كسرى، وغنمَ أموالهم؛ عمَّر بها بيتَ المقدس، وسأل عن حدوده، فلم يَعرفهُ أحدٌ غير يهوديَّةٍ، فشارطَت عمرَ رضي الله عنه أن يكون واحدٌ مِن ذرِّيَّتها فيه بعد العمارة أبداً،

---

(١) في (ر): «ططوس بن استيسانوس»، وفي (ف): «ططوس بن استبيانوس». واسمه في «البدء والتاريخ» للمطهر المقدسي (٤/ ١٢٩): «ططوس بن استيانوس»، وفي «تفسير الثعلبي» (١/ ٢٦٠): «ططيوس بن استيسانوس»، وفي «تفسير أبي الليث» (١/ ١٥١): «ططوس بن أسفيانوس»، والخبر في الأخير عن الكلبي.

(٢) في «تفسير مقاتل» (١/ ١٣٢): «ببليس».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٤٤٣) عن قتادة والسديّ. ورواه ابن أبي حاتم (١/ ٢١٠) (١١١٣) عن قتادة، وعلقه بعده عن الحسن والسدي.

فأجابَها عمرُ رضي الله تعالى عنه إلى ذلك، فبيَّنت، وعَمروه ووفَّوا[1] لها بالشَّرط.

ثمَّ ذكر المساجد جمعاً، وإن أُريدَ بها[2] الواحدُ لوجهين:

أحدهما: أنَّ كلَّ موضعٍ منه مسجدٌ؛ أي: موضعُ سجودٍ، وهو كقوله تعالى: ﴿تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ﴾[3] [المجادلة: ١١].

والثاني: أنَّه تشريفٌ له وتعظيمٌ؛ كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ﴾ [المؤمنون: ٥١] في حقِّ محمدٍ ﷺ، وقال تعالى: ﴿فَنَادَتۡهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [آل عمران: ٣٩] في حقِّ جبريلَ صلوات الله عليه.

وقولُه تعالى: ﴿مَا كَانَ لَهُمۡ أَن يَدۡخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ﴾ وذلك أنَّ الواحدَ منهم لا تُسَلَّم له الرئاسةُ، ولا يُجعَل من الرُّهبان ما لمْ يَزُر بيتَ المقدس، ولا يمكنُه ذلك ظاهراً؛ لأنَّ اليهودَ يقتلونه، فيتنكَّرُ، ويدخلُ خائفاً على نفسه أن يُعْرَف فيَتْلَف.

وقوله تعالى: ﴿لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞ﴾ قيل[4]: هو القتلُ إنْ كان حربيًّا، وأخذُ الجزيةِ عن صَغارٍ إن[5] كان ذمِّيًّا، قاله الزَّجاجُ وقتادة[6].

---

(١) في (ف): «ووفى».

(٢) في (ف): «به».

(٣) في (ر) و(ف): «المجلس»، والأخيرة قراءة الجمهور عدا عاصم، فإنه قرأ: «المجالس» بالجمع. انظر: «السبعة» (ص: ٦٢٨ ـ ٦٢٩)، و«التيسير» (ص: ٢٠٩).

(٤) في (ف): «الخزي» بدل: «قيل».

(٥) في (أ): «إذا».

(٦) «معاني االقرآن» للزجاج (١/ ١٩٧). وقول قتادة رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٠٩)، ومن طريقه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٤٤٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٢١١) (١١١٩).

وقيل[١]: هو قطعُ أيدي النَّصارى عن بيتِ المقدس بعد أنْ كانوا ممكَّنين[٢] منه. ويقال: ما مِن يومٍ إلَّا ويؤسَرُ فيه من الرُّوم أو يُقتَل؛ لوعيد الله تعالى فيهم.

وقال السُّدِّيُّ: خزيُهم عند خروج المهديِّ، وقتله إيَّاهم، وفتحِ القُسْطَنْطِينيَّة[٣].

وقال مقاتل[٤]: هو فتحُ مدائنهم الثَّلاث؛ قُسْطَنْطِينيَّة وعمورية وورومية[٥].

وقوله تعالى: ﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ تقدَّم ما سردناهُ من الأقاويل على خزي الدُّنيا، وعذاب الآخرة[٦]: النَّارُ الكبرى، والعذابُ بها أشدُّ من كلِّ عذابٍ؛ لأنَّه لا يَنقطع.

وقال عبدُ الرَّحمن بنُ زيد بنِ أسلم: هم مشركو العرب حين صدُّوا رسولَ الله ﷺ عن دخول مكَّة عام الحديبية[٧].

والمرادُ بالسَّعيِ في خرابه هو المنعُ عن الصَّلاة فيه، دون تخريبِه حقيقةً، فإنَّ عمارةَ المسجدِ تكونُ بالعبادة فيه لا بالبناء، قال تعالى: ﴿وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ﴾ [الطور: ٤]؛ أي: بالعبادةِ، لا بالبناء، ولأنَّ منعَهم عن العبادة فيه وتفريقَهم يَمنعُهم عن تفقُّده[٨]، فيتخرَّبُ أبنيتُه.

---

(١) في (أ): «وقال بعضهم».

(٢) في (ف): «متمكنين».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٤٤٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٢١١) (١١١٨).

(٤) في (ر) و(ف): «مقاتل»، والمثبت هو الصواب.

(٥) «تفسير مقاتل» (١/ ١٣٣).

(٦) من قوله: «تقدم ما سردناه» إلى هنا من (ر).

(٧) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٤٤٤).

(٨) في (أ): «تعهد» بدل: «تفقده».

ومعنى قوله: ﴿مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ﴾ أي: بعد فتحِ مكَّة، قال الله تعالى: ﴿فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا﴾ [التوبة: ٢٨].

وخزيُهم في الدُّنيا: فتحُ مكَّة، والعذابُ العظيم في الآخرة لمن ماتَ على الشِّركِ.

وكانوا يمنعون في الابتداء عن الصَّلاة فيه أيضاً، قال تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝٩ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ﴾ [العلق: ٩ ـ ١٠]، وهو أبو جهل لعنه الله تعالى، نهى[1] محمداً ﷺ عن الصَّلاة في المسجد الحرام، وقصَّته معروفةٌ[2]، والأمرُ بالمخافتة في بعض الصَّلاة كان لذلك، وكانوا يَعبدون سرًّا، حتَّى أعلنَهُ عمرُ رضي الله تعالى عنه.

والمساجدُ ذُكِرَت جمعاً في هذا؛ لِمَا مرَّ في بيت المقدس.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: هم جميعُ الكفَّار، يُقَاتلون المسلمين لأجل الدِّين، ومنعهم[3] عن الصَّلاة وسائرِ العبادات. والمساجدُ أُرِيدَ بها جميعُ الأرض، قال النبيُّ ﷺ: «جُعِلَت لي الأرضُ مسجداً وطهوراً»[4].

والسَّعيُ في خرابها: هو تخريبُ بلادِ المسلمين، نعوذُ بالله تعالى، و[5]

---

(١) في (ر): «منع».

(٢) روى الإمام النسائي في «الكبرى» (١٠٩٩٥) عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال: قال أبو جهل: لئن رأيت محمداً يصلِّي عند الكعبة، أتيتُه حتَّى أطأ على عنقه، فقال رسول الله ﷺ: «لو فعل أخذتهُ الملائكة عياناً...».

(٣) في (أ): «وفيه منعهم».

(٤) انظر «تأويلات أهل السنة» (١/ ٥٤٣). والحديث رواه البخاري (٣٣٥)، ومسلم (٥٢١) من حديث جابر رضي الله عنه.

(٥) في (ف): «نعوذ بالله من ذلك وأما خزيهم».

خزيُهم[١] أنَّه لا يمكنُهم دخولُ دار الإسلام إلَّا بأمانٍ فإذا دخلوا بغيرِ أمانٍ قُتِلوا.

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: ومَنْ أظلمُ ممَّن خرَّبَ بالشَّهواتِ أوطانَ العبادة[٢]، وهي نفوسُ العابدين، وخرَّبَ بالـمُنى والعلاقاتِ أوطانَ المعرفة، وهي قلوبُ العارفين، وخرَّب بالحظوظ والمساكنات أوطانَ المحبَّة، وهي أرواحُ الواجِدين، وخرَّب بالالتفاتِ إلى القُرُبات أوطانَ المشاهدات، وهي أسرار الموحِّدين[٣].

***

(١١٥) ـ ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾.

وقوله تعالى ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ وانتظامُها بما قبلَها أنَّ معناه: لا يَمنعْكُم تخريبُ مَن خرَّبَ المساجدَ أن تُصلُّوا له حيث كنتُم، فلله[٤] المشارقُ والمغارب، وأينما تَوجَّهتُم ففيه رضاءُ الله تعالى.

و«أينما» كلمةُ شرطٍ، وهي جازمةٌ، وعلامة الجزم هاهنا سقوطُ النُّون.

و﴿تُوَلُّوا﴾ أي: توجِّهوا وجوهَكم، والتَّوليةُ متعدِّيةٌ[٥]، وجوهكم مضمره، وقوله: ﴿فَثَمَّ﴾؛ أي: هناك.

وقوله: ﴿وَجْهُ اللَّهِ﴾؛ أي: قبلةُ الله، فإنَّ الوجهَ والوِجهةَ والجِهةَ بمعنًى[٦]، والقبلةُ تسمَّى بذلك؛ لورودِ الأمر بالتوجُّه إليها.

---

(١) من هنا خرم في النسخة (ر) بمقدار ورقة واحدة، وينتهي عند قوله الآتي: «كذلك قال أي اقترح».

(٢) في (ف): «العبادات».

(٣) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (١/ ١١٦ ـ ١١٧).

(٤) في (ف): «فله».

(٥) بعدها في (ف): «وقوله».

(٦) بعدها في (ف): «القبلة».

وقيل: أي: رضاءُ الله تعالى، يقال: فعلَ ذلك لوجهِ الله، وأعتقَ عبدَه لوجهِ الله؛ أي: لرضاء الله.

وقال الإمامُ أبو منصور ـ رحمه الله ـ مع ذكر هذين القولين: قيل[١]: معناه: فثمَّ الله، والوجهُ يُذْكَرُ ويُرَادُ به الذَّات، قال تعالى: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ [الرحمن: ٢٧]؛ أي: ربُّك، ومعناه: ليس[٢] عنهم بغائبٍ[٣]، وفي نزول الآية أقاويل:

قال قتادةُ: كان للمسلمين التوجُّه في الصَّلاة إلى حيث شاؤوا بهذه الآية، ثمَّ نُسِخَ بقوله: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ [البقرة: ١٤٤] الآية[٤].

وقال ابنُ عباس رضي الله عنهما: نزلت ردًّا على اليهود لـمَّا استنكروا تحويلَ القبلةِ إلى الكعبة[٥].

وقال الكلبيُّ ومقاتلُ بنُ سليمان: إنَّ ناساً مِن أصحاب الرَّسول عليه السلام كانوا في سفرٍ قبل تحويل القِبلةِ إلى الكعبة[٦]، فأصابَهُمُ الضَّبابُ، وحَضَرتِ الصَّلاةُ، فتحرَّوا[٧] القبلةَ إلى بيتِ المقدس؛ فمنهم مَن صلَّى قِبَلَ المشرق، ومنهم مَن صلَّى قِبَلَ المغرب، فلمَّا طَلَعَتِ الشَّمسُ، عَرَفوا أنَّهم قد صلَّوا لغير القِبلة، فلمَّا قَدِموا المدينةَ أخبروا النبيَّ عليه الصَّلاة والسَّلام بذلك، فأنزلَ اللهُ تعالى هذه الآية[٨].

---

(١) قوله: «مع ذكر هذين القولين قيل» ضرب عليه في (ف).

(٢) بعدها في (أ): «هو».

(٣) «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (١/ ٥٤٥).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٤٥١).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٤٥٠).

(٦) من قوله: «وقال الكلبي» إلى هنا ليس في (ف).

(٧) في (ف): «فتحرف».

(٨) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١/ ٢٦٢) عن ابن عباس، وهو في «تفسير مقاتل» (١/ ١٣٣).

وروى عبدُ الله بنُ عامرِ بنِ ربيعةَ، عن أبيه قال: كنَّا مع النَّبيِّ ﷺ في ليلةٍ مظلمةٍ في سفرٍ، فلم نَدرِ أين القِبلةُ؟ وصلَّى كلُّ رجلٍ منَّا على حِيَالِه، ثمَّ أصبحنا، فذكرنا ذلك للنبيِّ ﷺ، فنَزلَت هذه الآية[1].

وفي بعض الرِّوايات: فخطَّ كلُّ واحدٍ منَّا خطًّا[2].

وفي بعضها: فجعلَ كلُّ رجلٍ منَّا مسجداً أحجاراً بين يديه، فلمَّا أصبحنا إذا نحن على غيرِ القِبلة[3].

وقيل: هذا في الصَّلاة النافلةِ على الراحلة، قال ابنُ عمر: كان النبيُّ عليه الصَّلاة والسَّلام يُصلِّي على راحلتِه تطوُّعاً أينما توجَّهت به وهو جاءٍ مِن مكَّةَ إلى المدينة، وفي هذا أنزلت الآية: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾[4].

وقال الحسنُ ومجاهدٌ والضَّحَّاك: لما نزلت قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]، قالوا: أين ندعوهُ؟ فنزلت هذه الآية، فقالوا: كيف ندعوه؟ فنزلت: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ﴾[5].

---

(١) رواه الترمذي في «سننه» (٣٤٥)، (٢٩٧٥). قال الترمذي: هذا حديث ليس إسناده بذاك، لا نعرفه إلا من حديث أشعث السمان. اهـ. وضعفه الحافظ ابن كثير في «تفسيره» بأن فيه أيضاً شيخ أشعث هذا، وهو عاصم بن عبيد الله، وهو ضعيف أيضاً.

(٢) أخرجها الدارقطني (١٠٦٤)، والبيهقي في «الكبرى» (٢٢٤٣) من حديث جابر رضي الله عنه، قال البيهقي: لم نعلم لهذا الحديث إسناداً صحيحاً قويًّا.

(٣) رواها الطبري في «تفسيره» (٢/ ٤٥٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٢١١) (١١٢٠)، من حديث عامر بن ربيعة، ويقال في إسناده ما قيل في الحديث قبل السالف.

(٤) رواه مسلم (٧٠٠): (٣٣).

(٥) أورد الثعلبي في «تفسيره» (١/ ٢٦٣) القطعة الأولى منه، وأخرج هذه القطعة أيضاً الطبري في «تفسيره» (٣/ ٢٢٥).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ الواسعُ: الجَوادُ الذي يسعُ عطاياهُ السَّائلين، والواسع: الغنيُّ، والسَّعَة: الغَناء؛ أي: هو غنيٌّ عن عبادةِ العباد، فلا يُؤاخِذُهم بمراعاتها على وجهٍ واحدٍ، جوادٌ يتقبَّلُ منهم عمَلهم إذا أرادوا به رضاهُ، ومُوسِّعُ الأمور على المؤمنين بفضلِه.

﴿عَلِيمٌ﴾ بعجزِهم وضعفِهم.

وقيل: ﴿عَلِيمٌ﴾ بما قَصدوا ونووا.

وقيل: وهو ـ على قولِ ابن عبَّاس رضي الله عنهما الذي ذكرناه؛ أنَّه ردٌّ على اليهود في إنكارِهم نقلَ القِبلة إلى الكعبة ـ أنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ واسعٌ؛ أي: غنيٌّ، لم يَنقلْكم إلى الكعبةِ حاجةً إلى عبادتِكم، ولا ازدياداً في ملكه؛ بل لأنَّه عليمٌ بمصالِحكم فيتعبَّدُكم بما هو أصلحُ لكم.

وعلى هذا القولِ يكونُ معنى قوله: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾؛ أي: من حيث توجَّهتُم إلى مكَّةَ فهناكَ قبلةُ الله؛ أي: توجَّهوا إليها دونَ غيرِها، فإنَّه ممكنٌ لكم حيث كنتُم بالاستدلال.

وقيل: نزلت في النَّجاشيِّ حيث أَسلمَ، وتوجَّهَ إلى المدينة، فمات في الطَّريق، فأخبرَ جبرئيلُ رسولَ الله عليه الصَّلاة والسَّلام به، فصلَّى على النَّجاشيِّ مع أصحابِه، فقالوا: كيف نُصلِّي عليه، وإنَّه لم يصلِّ إلى قبلتنا؟! فنزلَت هذه الآية(١).

* * *

(١١٦) ـ ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾.

---

(١) روى الطبري في «تفسيره» (٢/ ٤٥٥) نحوه عن قتادة مرسلاً، وذكره الواحدي في «أسباب النزول».

وقوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا﴾ أي: قالت اليهود: عزيرٌ ابن الله، وقالت النَّصارى: المسيحُ ابنُ الله، وقال بنو مليح مِن مشركي العرب: الملائكة بنات الله.

وقوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَهُۥ﴾ نزَّهَ نفسَه عزَّ وجلَّ عن ذلك، والتَّسبيحُ: التَّنزيه.

وقيل: هو على الأمر بلفظة المصدر؛ أي: نَزِّهُوه عن ذلك.

وقوله تعالى: ﴿بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: فكلُّ ذلك مملوكٌ له مربوب، فكيف يكونُ عزيرٌ أو عيسى أو الملائكةُ ولداً له، وكلٌّ منهم عبدٌ له مربوبٌ مخلوق؟ والولَدُ لا يكون إلَّا مِن جنس الوالد، ولا يكون الصُّنع مِن جنسِ الصَّانع.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: اتِّخاذُ الولد لا يكون إلَّا لأحد وجوهٍ أربعة[١]:

إمَّا لشهواتٍ[٢] تغلبُه، فيقضيها به.

وإمَّا لوَحْشَةٍ تأخذُه[٣]، فيَحتاجُ إلى مَن يَستأنِسُ به.

أو لدفعِ عدوٍّ يقهرُه، فيَحتاجُ إلى مَن يَستنصِرُه ويَستغيثُ به[٤].

أو لخوف[٥] حِدْثان الدَّهرِ والموت؛ ليرثَ ملكَه، ويَقومَ مقامَه، واللهُ تعالى مُتعالٍ عن هذه العِلَل كلِّها.

وأمَّا اتِّخاذُ الحبيبِ والخليلِ فإنَّه جائزٌ مِن الله جلَّ وعلا؛ لأنَّ المحبَّةَ تقعُ على غير جوهر المحَبّ، وأمَّا الولدُ فلا يكون إلَّا مِن جنسِه وجوهرِه، واعتَبِرْهُ بمحبَّةِ الإنسانِ أشياء سوى البشر.

---

(١) ذكر أبو منصور الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» ثلاثة وجوه.

(٢) في (أ): «الشهوة».

(٣) في (ف): «تغلبه».

(٤) «تأويلات أهل السنة» (١/ ٥٤٦).

(٥) في (ف): «خوف».

ولأنَّ الخُلَّـةَ تَقـعُ لأفعـالٍ[١] تُكتسَـب، فيعلـو بهـا أمرُه، فيَسـتوجِبُ بهـا الخلَّةَ بمعنـى الجـزاء، فأمَّـا البنـوَّة فـلا تكـون لأفعـالٍ تُكتسَـب، بـل بدؤهـا مِـن مولـده، وقـد نَفـى اللهُ تعالـى عن نفسِـه ما بـه يكـونُ الولـدُ بقولِـه: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ﴾ [الأنعام: ١٠١].

ولأنَّ الخلَّةَ يَجوزُ القولُ بها تحقيقاً وتسميةً؛ أمَّا التَّحقيقُ؛ فلأنَّها إيثارٌ ورِضى واختصاصٌ من الله، وهو جائزٌ، والتَّسميةُ وردَ بها الشَّرعُ، قال تعالى: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء: ١٢٥]، فأمَّا البنوَّة فلا تجوزُ تحقيقاً؛ لأنَّها تدلُّ على الجنسيَّة والبعضيَّة، وهي نقيصةٌ منفيةٌ، ولم يَرِد بإطلاقِها الشَّرع، فبَطَل القولُ بها.

وقولـه تعالـى: ﴿كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾ قيـل: أي: عزيـرٌ وعيسـى والملائكـةُ كلُّهـم مُطيعـونَ لـه، مُقِرُّون لـه بالعبوديَّـة. والقُنوتُ: الطَّاعـة، وإنْ صُرِفَ إلـى كلِّ مَن في السَّـماوات والأرض؛ فالمسـلمُ له مُطِيعٌ طَوْعـاً، والكافرُ كرهاً، قـال تعالى: ﴿وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾، ولأنَّ المسـلمَ مطيـعٌ لـه اختيـاراً، والكافـرُ[٢] اضطراراً، قال الله تعالـى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [العنكبوت: ٦٥].

وقيل: القُنوتُ: الدُّعاء، ومنه قنوتُ الوتر، والمؤمنُ يَدعو اللهَ تعالى أبداً، والكافرُ عند الضَّرورة، كما تلونا من الآية.

والقنـوتُ أيضـاً: القيـامُ، قال النبـيُّ ﷺ: «أفضـلُ الصَّـلاةِ طولُ القنـوت»[٣]،

---

(١) في (ف): «بأفعال».

(٢) بعدها في (أ): «له».

(٣) رواه مسلم في «صحيحه» (٧٥٦) من حديث جابر رضي الله عنه.

والـكلُّ قائمـون دائمون على ما خلقَهـم، لا يَملكُ أحـدٌ أنْ يُبَدِّلَ نفسَـه ويُغيرَها[١].

وقال السُّدِّيُّ: كلٌّ له قانتون يومَ القيامة[٢].

وقيل: ذُكِرَ الكلُّ، وأريدَ به البعضُ، كما في قوله: ﴿ثُمَّ ٱجۡعَلۡ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٖ﴾[٣] [البقرة: ٢٦٠]، وقوله: ﴿وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [النمل: ٢٣].

وقال الإمام أبو منصور بعد ذكره أكثرَ هذه الأقاويل: ويحتملُ تنزيهَ الخلقة؛ لأنَّ خلقةَ كلِّ أحدٍ تُنزِّهُ ربَّهُ عن جميعِ ما يَقولون فيه[٤]. أو يقال: ﴿كُلّٞ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾ في الجملة، كما قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَهُمۡ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧][٥].

* * *

(١١٧) - ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ قال الإمام أبو منصور رحمه الله: البديعُ والمبدعُ والمبتدعُ واحدٌ، وهو الذي لم يَسبقهُ أحدٌ في إنشاء مثلِه، ولذلك سُمِّيَ صاحبُ الهوى مبتدعاً؛ لـمَّا لم يسبقهُ في مثلِ قولِه أحدٌ.

وهذا رد على الذين قالوا: اتخذ الله ولداً؛ أي: مَنْ قَدَرَ على خلق السَّماوات والأرض من غير شيءٍ، كيف لا يَقدِرُ على خلق عيسى مِن غير أبٍ[٦].

---

(١) في (ف): «يذل نفسه ويعزها» بدل: «يبدل نفسه ويغيرها».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٤٦٢).

(٣) بعدها في (ف): «منهن جزءا».

(٤) في (ف): «النقص» بدل: «ما يقولون فيه».

(٥) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (١/ ٥٤٦ ـ ٥٤٧).

(٦) انظر: «تأويلات أهل السنة» (١/ ٥٤٨).

وقال ابنُ مِقْسَم[1]: يجوزُ أن يكون العينُ بدلاً عن الهمزة، والبديع والمبدع كالبديء والمبدئ، قال تعالى: ﴿فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾ [العنكبوت: ٢٠]، وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ [العنكبوت: ١٩]، فجاء على: فعل وأفعل جميعاً.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ وقال ابنُ مقسم: إذا قضى أمراً[2]؛ أي: قدَّرهُ، و﴿قَضَىٰ﴾ في القرآن جاء لمعانٍ:

للأمرِ، كما قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا﴾ [الإسراء: ٢٣].

وللإخبارِ، كما قال تعالى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الإسراء: ٤].

وللحُكمِ، كما قال تعالى: ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ﴾ [الزمر: ٦٩].

وللتخليقِ، كما قال تعالى: ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾ [فصلت: ١٢].

وللفراغِ، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ﴾[3] [يونس: ٧١]؛ أي: افْرَغوا مِن أمرِكم.

وللحَتْمِ، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا﴾ [الأنعام: ٢].

وللقَتلِ، كما قال تعالى: ﴿فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾ [القصص: ١٥]، وقوله تعالى: ﴿يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ﴾ [الحاقة: ٢٧] هي الموتُ من هذا.

---

(١) هو المقرئ النحوي، أبو بكر، محمد بن الحسن بن يعقوب بن الحسن بن مقسم، البغدادي العطار، كان من أحفظ أهل زمانه لنحو الكوفيين، وأعرفهم بالقراءات مشهورها وغريبها وشاذها، له اختيار في القرآن، وله تصانيف عدة منها: «الأنوار في علم القرآن»، و«المصاحف»، واختياره في القراءات، وغيرها، توفي سنة (٣٥٤هـ). انظر: «معرفة القراء الكبار» (٢/ ٥٩٧ ـ ٦٠٠)، و«سير أعلام النبلاء» (١٦/ ١٠٥ ـ ١٠٧).

(٢) قوله: «وقال ابن مقسم إذا قضى أمراً» ليس في (ف).

(٣) «إلي» زيادة من (ف).

وللإرادةِ، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا﴾ [البقرة: ١١٧]؛ أي: أراد، وتوضيح[1] ذلك قولُه تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوۡلُنَا لِشَيۡءٍ إِذَآ أَرَدۡنَٰهُ﴾ [النحل: ٤٠]، وقولُه تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا﴾[2] [يس: ٨٢]، أو ذَكرَ قضاءَ الأمرِ و[3] أرادَ به إرادةَ قضاءِ الأمر، كما في قولِه تعالى: ﴿إِذَا قُمۡتُمۡ﴾ [المائدة: ٦]، ﴿إِذَا طَلَّقۡتُمُ﴾ [الطلاق: ١]، ﴿فَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ﴾ [النحل: ٩٨] أن[4] المرادَ بهذه الأفعال إرادتُها.

وقوله: ﴿أَمۡرٗا﴾ هو واحدُ الأمور؛ أي: الخطوب، لا واحدَ الأوامر الذي هو صفةُ الأمر؛ لأنَّه صفةٌ لله، فلا تَدخلُ تحت قضائِه؛ إذ يُراد بالأمر المأمورُ المخلوق.

وقيل: معناه: وإذا أرادَ خلقَ ولدٍ بلا أبٍ، كوَّنَهُ فكان. هو جواب النصارى: إن لم يكن عيسى ولداً لله، فمن أبوه؟ فأجيبوا بهذا.

وقوله: ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ لم يُرِد به أنَّه خاطَبَهُ[5] بكلمةِ: كن، فيكون، بهذا الخطاب؛ لأنَّه لو جُعِلَ خطاباً حقيقةً، فلا يخلو؛ إمَّا أن يكونَ خطاباً للمعدوم، وبه يوجَد، أو خطاباً للموجودِ بعدما وُجِدَ، لا جائزٌ أن يكون خطاباً للمَعدومِ؛ لأنَّه لا شيء، فكيف يخاطب، ولا جائزٌ أنْ يكون خطاباً للموجودِ؛ لأنَّه قد كان، فكيف يقال له: كن، وهو كائنٌ، وإنَّما هو بيانُ أنَّه إذا شاء كونَه كوَّنَهُ فكان.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: ليس هو قولاً من الله أنْ كُنْ؛ بالكاف والنون، لكن هذا أوجزُ كلامٍ يؤدِّي الكلامَ التامَّ المفهومَ، إذ ليس في لغة العرب

---

(١) في (ف): «ويوضح».

(٢) بعدها في (أ): «أن يقول له كن».

(٣) في (ف): «أو».

(٤) «أن» ليس في (ف)، ولعل صوابها: «إذ».

(٥) في (أ): «يخاطبه».

كلامُ التَّحقيق بحرفين يؤدِّي المعنى المفهومَ أَوْجَزَ مِن هذا وما سواه صِلاتٌ وأدوات[١].

وقال أيضاً: ﴿وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا﴾[٢]؛ أي: قضى بإهلاكِ قومٍ واستئصالِهم، ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[٣].

وهو استعارةٌ أنَّه لا يَدخلُه تأخيرٌ، ولا يلحقُه به تعبٌ، ولا يَمتنعُ عليه شيءٌ، ولا يَخرجُ عن نفادِ حكمِه خلْقٌ.

وقوله ﴿فَيَكُونُ﴾ رفعهُ بطريقين؛ أحدهما: بالاستئناف، والثاني: العطف على قوله: ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن﴾[٤].

* * *

(١١٨) ـ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ لَوۡلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوۡ تَأۡتِينَآ ءَايَةٞۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّثۡلَ قَوۡلِهِمۡۘ تَشَٰبَهَتۡ قُلُوبُهُمۡۗ قَدۡ بَيَّنَّا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يُوقِنُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ لَوۡلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوۡ تَأۡتِينَآ ءَايَةٞ﴾ هم مشركو العربِ، يَذكرُ قُبحَ مقالتِهم بعدما ذكرَ قُبحَ مقالةِ اليهود والنَّصارى، وله وجوهٌ:

أحدُها: كانوا يعلمونَ حقيقةً، لكن لم يَنتفعوا[٥] بعلمِهم، فنفَى العلمَ عنهم.

---

(١) من قوله: «ليس هو قولًا من الله» إلى هنا ليس في (ف).

(٢) في (ف): «قيل إذا قضى أمراً» بدل: «وقال أيضاً: إذا قضى أمراً».

(٣) انظر «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (١/ ٥٤٨).

(٤) بعدها في (أ) و(ف): «فيكون»، وهي هنا مقحمة.

(٥) في (ف): «حقيقة العلم لكن لا ينتفعون» بدل: «حقيقة لكن لم ينتفعوا».

والثاني: الذين لا يَعلمون توحيدَ ربِّهم.

والثالث: الذين لا يَعلمون الكتاب، قالوا: هلَّا يُكلِّمُنا اللهُ، فيخبرنا بأنَّك رسولُه، أو تأتينا آيةٌ نقترِحُها نحن، فنعلمُ بها أنَّك رسول الله.

والرابع: لا يَعلمون أنَّهم لم يَبلغوا المبلغَ الذي يتمنَّون أن يكلِّمَهم اللهُ.

والخامس: لا يَعلمون أنَّه قد كلَّمهم وأخبرَهم بالوحيِ والقرآن، وآتى رسولَه آياتٍ على رسالتِه، لكنَّهم يعاندون.

وقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّثۡلَ قَوۡلِهِمۡ﴾؛ أي: بنو إسرائيل قالوا لموسى: لن نؤمنَ لك حتَّى نَرى الله جهرةً، وقال هؤلاء: لولا أُنْزِلَ علينا الملائكةُ أو نَرى ربَّنا، وسألوا آياتٍ اقترحوها، من نحو قولِهم: ﴿لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفۡجُرَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَرۡضِ يَنۢبُوعًا ۝٩٠ أَوۡ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٞ مِّن نَّخِيلٖ وَعِنَبٖ فَتُفَجِّرَ ٱلۡأَنۡهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفۡجِيرًا ۝٩١ أَوۡ تُسۡقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمۡتَ عَلَيۡنَا كِسَفًا أَوۡ تَأۡتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ۝٩٢ أَوۡ يَكُونَ لَكَ بَيۡتٞ مِّن زُخۡرُفٍ أَوۡ تَرۡقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الإسراء: ٩٠ ـ ٩٣][١].

و«أو» في هذه الآية: ﴿أَوۡ تَأۡتِينَآ ءَايَةٞ﴾، وفي هذه الآيات للتخيير؛ أي: تَفعلُ هذا، أو هذا، قال الله تعالى[٢]: ﴿كَذَٰلِكَ قَالَ﴾ أي[٣]: اقترح ﴿ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم﴾ فقالوا لموسى: ﴿لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ﴾ [البقرة: ٥٥]، وقالوا لعيسى صلوات الله

---

(١) كذا ذكر الآيات في (أ) تامة، ووقع في (ف) رؤوس اقتراحاتهم، فلعل ناسخ (أ) أتم الآية من عنده، ونصها في (ف): «﴿حَتَّىٰ تَفۡجُرَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَرۡضِ يَنۢبُوعًا﴾، ﴿أَوۡ تُسۡقِطَ ٱلسَّمَآءَ﴾، ﴿أَوۡ تَأۡتِيَ بِٱللَّهِ﴾ ﴿يَكُونَ لَكَ بَيۡتٞ مِّن زُخۡرُفٍ أَوۡ تَرۡقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾».

(٢) هنا نهاية الخرم في (ر)، وكانت بدايته عند قوله: «وخزيهم أنه لا يمكنهم دخول دار الإسلام».

(٣) «قال أي» من (ر).

عليهما: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [المائدة: ١١٢]، فتحكُّمُهم كتحكُّم أولئك.

ويَحتملُ ظاهرُ هذه الآية **وجهين**:

أحدهما: أنَّ أولئك سألوا عين ما سأل هؤلاء. **ويَحتملُ** أنَّ سؤال أولئك كان سؤال تعنُّتٍ، لا سؤالَ استرشادٍ كسؤال هؤلاء، وتكون التَّسويةُ بين الفريقين في صفةِ السُّؤال، لا عين المسؤول.

وقوله تعالى: ﴿تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ أي: تماثَلَت قلوبُ الفريقين في التَّكذيب والكفر وإرادةِ سؤالِ التعنُّت، وهو كما قال تعالى: ﴿أَتَوَاصَوْا۟ بِهِۦ﴾ [الذاريات: ٥٣].

وقوله تعالى: ﴿قَدْ بَيَّنَّا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ أي: التَّوراةَ والإنجيلَ لأهلِ الكتاب، والقرآنَ للكلِّ، فلِمَ يسألون إتيان الآيةِ، وقد أتتهُم الآيات؟!

وقوله: ﴿لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ فأصلُ البيان الذي يَقعُ به الإلزامُ يعمُّ الكلَّ، لكن يخصُّ الموقنين في حقِّ النفع؛ كما قلنا في قوله: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢]، و﴿هُدًى لِّلنَّاسِ﴾ [البقرة: ١٨٥].

* * *

(١١٩) - ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۖ وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ أي: مبشِّراً لِمَن أيقنَ بالآيات فآمن، ونذيراً لِمَن تغافلَ عنها فلم يؤمن.

وقوله: ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ أي: بالإسلام، قال تعالى: ﴿بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ﴾ [التوبة: ٣٣].

وقيل: ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ أي: لبيان الحقِّ، والباءُ قد تكون بمعنى اللام، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾ [الحج: ٦] أي: لأنَّ الله[١].

وقيل: أي: على الحقِّ، كما قال تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾ [الأنعام: ٧٣] أي: على الحقِّ؛ يعني: أنَّها حقٌّ لا باطل، والباءُ قد تكون بمعنى: على، قال تعالى: ﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ﴾ [الأعراف: ١٧١]؛ أي: عليهم.

وقيل: معناه[٢]: أرسلناك مع الحقِّ؛ وهو القرآن، والباءُ قد تكون بمعنى: مع، يقال: دخل فلانٌ بسيفِه؛ أي: مع سيفه.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ﴾ أي: عن الكفَّار الذين هم أصحابُ النَّار، و[٣]الجحيم: النَّارُ الشَّديدةُ الالتهاب، والجاحم[٤]: المكان الشديد الحرِّ.

والقراءةُ الفاشيةُ فيه ضمُّ التَّاء واللَّام، ورفعُه مِن وجهين: الاستئنافُ والحال؛ أي: أرسلناك[٥] بشيراً ونذيراً، غيرَ مسؤولٍ عن أهل النَّار، إنَّما عليك البلاغُ، وعلينا الحساب، فلا تذهب نفسُك عليهم حسرات، ولذلك قال: ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٣]، وهو كقوله تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٣٤].

وقرأ نافعٌ: ﴿ولا تَسْأَلْ﴾ بفتحِ التاء وجزمِ اللام[٦]. قال الزجَّاج: لها[٧] وجهان:

---

(١) بعدها في (ر): «هو الحقُّ».

(٢) في (أ): «أي».

(٣) في (ر) و(ف): «في الجحيم».

(٤) في (ر) و(ف): «والجحيم».

(٥) بعدها في (أ): «بالحق».

(٦) انظر «السبعة» (ص: ١٦٩)، و«التيسير» (ص: ٧٦).

(٧) في (أ): «له».

أحدهما: النَّهيُ عن المسألة، قال ابنُ عباس ومحمَّدُ بنُ كعبٍ القُرَظيُّ رضي الله عنهم: قال رسول الله ﷺ يوماً: «ليت شعري؛ ما فعلَ أبواي؟»، فأنزل اللهُ تعالى: ﴿وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ﴾، فلم يذكرْهما حتَّى توفَّاه الله عزَّ وعلا[١].

والثاني: التَّفخيمُ لما أعَدَّ لهم مِنَ العذاب؛ كما يُقَال[٢]: لا تَسألْ عن حال فلان؛ أي: قد صار إلى أعظم ممَّا يُظَنُّ به[٣].

وقُرِئ بضمِّ التَّاء وجزم اللَّام[٤]، وهو نهيُ النَّاسِ عن أنْ يَسألُوهُ عن أصحاب النار[٥].

ولـمَّا أُمِرَ بتبشير المؤمنين وإنذار الكافرين؛ كان يَذكُر عقوبات الكفَّار، فقام رجلٌ وقال: يا رسولَ الله؛ أين والدي؟ فقال: «في النَّار»، فحزن الرجل، فقال عليه الصلاة والسلام: «إنَّ والدي ووالدَيك ووالدَ إبراهيم عليه السلام في النار»، ونزل قوله تعالى: ﴿وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ﴾، فلم يسألوه شيئاً من بعد ذلك[٦]، وهو كقوله: ﴿لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ [المائدة: ١٠١].

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٤٨١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٢١٧) (١١٥١) عن محمد بن كعب. وفي إسناده موسى بن عبيدة الربذي، وهو ضعيف. انظر «ميزان الاعتدال» (٤/ ٤٠٥-٤٠٦).

وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١/ ٢٦٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) في (ف): «قال».

(٣) لفظ: «به» من (ف).

(٤) لم أقف عليها.

(٥) في (ف): «الجحيم».

(٦) ذكره بألفاظ قريبة مقاتل في «تفسيره» (٤/ ٥١). وأخرج مسلم في «صحيحه» (٢٠٣) عن أنس أن رجلاً قال: يا رسول الله، أين أبي؟ قال: «في النار»، فلما قفَّى دعاه فقال: «إن أبي وأباك في النار».

وعلى القراءة الفاشية ذُكِر في نزول هذه الآية عن الضَّحَّاك قال: لـمَّا فرغ النبيُّ ﷺ عن[١] قتال أهل مكَّة يوم بدرٍ، ورمى بقتلاهم في القَلِيب؛ نادى بأعلى صوته: «ألم أنذركم؟ ألم أتقدَّم إليكم؟ ألم أُحذِّركم؟ فقد نزل بكم ما نَزَل»، وهو يَتوجَّعُ لهم ويقول في مقالته: «أي ربِّ، قد أعذرتُ إليهم؟» فأنزلَ الله تعالى هذه الآية[٢].

وقال مقاتل: قال النبيُّ ﷺ: «لو[٣] أنزلَ الله تعالى بهؤلاء الذين قالوا: لولا يكلِّمنا الله أو تأتينا آيةٌ. عقوبةً بما قالوا»، فنزلت: ﴿وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَـٰبِ ٱلْجَحِيمِ﴾ وإنَّ الله قد أحصاها عليهم[٤].

***

(١٢٠) ـ ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ ولـمَّا أُمِرَ بالتبشير والإنذار للمسلمين والكفَّار[٥]؛ كان يُلاطِف كلَّ فريقٍ في الكلام؛ رجاءَ أنْ يُسلِموا، فنزلَت هذه الآية؛ أي: لا يَرضى عنك الفريقان بهذا، وإنَّما يرضون عنك باتِّباعك ملَّتهم؛ أي: دينهم.

---

(١) في (أ): «من».

(٢) لم أقف عليه.

(٣) في (ر) و(ف): «لولا».

(٤) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص٣٧)، ونقله عن الواحدي الحافظ ابن حجر في «العجاب في بيان الأسباب» (١/ ٣٦٩)، ثم قال: لم أر هذا في «تفسير مقاتل بن سليمان» فينظر في «تفسير مقاتل بن حيان». اهـ. قلت: والظاهر من «تفسير مقاتل» (١/ ١٣٤ ـ ١٣٥) أن في الكلام سقطاً، فيستدرك من هنا ومن «أسباب النزول»، والله الهادي.

(٥) نص العبارة في (أ): «ولما أمر بتبشير المسلمين وإنذار الكافرين».

والـمِلَّةُ: الطَّريقُ الواضحُ، وقيل: الطَّريقُ المسلوك، وقيل: هي النِّحْلَة، وقيل: هي الطَّريقة التي يَحْمى لها صاحبُها إذا تعرَّضوا لها، مِنْ قولهم: خبزُ مَلَّةٍ، وهو الذي خُبِزَ في الجمرِ تحت الرَّماد.

وقيل: معناه: حتى تتَّبع قبلتهم؛ أي: تصلِّي إليها، ولا يُمكنُك ذلك؛ لأنَّ النصرانيَّة غيرُ اليهوديَّة، وكذا قبلةُ النَّصارى إلى المشرق، وقبلةُ اليهودِ إلى المغرب، ولو تَوجَّهت إلى أحدهما؛ استدبرتَ الأخرى، فاترك طلب رضاهم، واتَّبع رضايَ وقبلتكَ التي أنت عليها.

وقال الزجَّاج: كانوا يسألونه الهدنةَ والمسالمةَ، ويُرُوْنَهُ أنَّه إنْ أمهلَهم؛ أسلموا، فأعلَمَهُ[١] أنَّهم لنْ يَرضوا عنه حتى يتَّبع ملَّتهم[٢].

وقيل: كان يجتهدُ في طلبِ ما يُرضيهِم؛ ليُقبِلوا إلى الإسلام، فقال له: دعْ طلبَ ما يُرضيهم إلى ما أمرتُك به مِن مجاهدَتهم.

وقوله تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰۗ﴾ أي: طريق الله؛ وهو الإسلامُ، هو الطريقُ الحقُّ.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: إنَّ دينَ الله الذي اختارَه أهلُ الإسلام؛ بالأمر، واتِّباعِ الآيات هو الدِّين، لا ما اختارَهُ هؤلاء بأهوائهم[٣].

وقال الزَّجَّاج: قل: إنَّ الصراط الذي دَعا إليه وهَدى إليه هو طريقُ الحقِّ[٤].

---

(١) في (أ): «فأعلمهم» وفي (ر): «فأعلمه الله».

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٢٠٢).

(٣) في (أ): «أولئك» بدل: «هؤلاء بأهوائهم». وانظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (١/ ٥٥٢).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٢٠٢).

وقوله تعالى: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم﴾ أي: في الدِّين والقِبلة، وإنَّما جمع الأهواء، ولم يقل: هواهم؛ لأنَّ فِرقَ الخلاف لم يكونوا على هوىً واحدٍ، بل لكلِّ فرقةٍ هوى، فأخبرَ أنَّه لا يُرضِي الكُلَّ إلَّا باتِّباع أهواءِ الكلِّ.

ثمَّ قيل: هذا خطابٌ للنَّبيِّ ﷺ ظاهراً، والمرادُ[1] أمَّتُه، وهو معهودٌ أن يُخاطَب رأسُ القوم بما يَلزمُ القومَ.

وقيل: هذا الخطابُ ليس للنبيِّ ﷺ، بل معناه: أيُّها المتَّبع رضاهُم إنْ اتَّبعت أهواءَهم.

والصَّحيح أنَّه خطابٌ للنبيِّ ﷺ؛ لأنَّ ما قبلَه وما بعده خطابٌ له.

فإن قيل: كيف نهى رسولَه عنِ اتِّباع ملَّتهم على علمٍ منه أنَّه لا يَتَّبع؟ هذا سؤالُ الإمام أبي منصور رحمه الله، فأجاب عنه فقال:

إنَّ العصمةَ لا تُزيلُ المحنةَ ولا تَدْفعُها، بل المحنةُ إنَّما تَقعُ في العصمة لوجهين:

أحدهما: أنَّ عِصْمَتَه لما مضى لا توجب عصمتَه في الحادث.

والثاني: أنَّ أحقَّ مَن يُنهى عن الأشياء مَن أُكرِمَ بالعصمة؛ إذ على زوالِ النَّهي عنه تَرتفعُ عنه جهةُ العصمة؛ لأنَّه يصيرُ برفع النَّهي عنه[2] مباحاً، وفي إزالةِ الأمر والنَّهي إزالةُ فائدةِ العصمة؛ لأنَّ العصمةَ هي أن يُعصَمَ في الأمر حتَّى يؤدِّيَه، وفي النَّهي حتَّى ينتهي عنه[3].

---

(١) بعدها في (أ): «به».

(٢) لفظ: «عنه» ليس في (أ).

(٣) انظر «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (١/ ٥٥٢).

وقوله تعالى: ﴿بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ أي: بيانِ حقِّيَّةِ[١] الإسلام وبطلانِ الكفر، وأنَّ القِبلةَ هي الكعبة.

وقوله تعالى: ﴿مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ كان وعدُه التأييدَ بنصره وبالمؤمنين بقوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ٦٢]، فأخبرَ بهذه الآية أنَّه لو اتَّبع أهواءَهم، لم يكن له مِنَ الله وليٌّ؛ أي: حبيبٌ يتولَّى عنه الدفاع، ولا ناصرٌ يمنع عنه العذاب.

وقيل: يَنصرُك؛ أي: يعينُك؛ فيغلبُ به سلطانَ الله فيما نريدُ تعذيبَك[٢].

***

(١٢١) ـ ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ مَدَحَ بهذه الآية الذين أسلموا من أهلِ الكتاب بعدما ذمَّ في الآيات المتقدِّمة الذين عاندوا فلم يسلموا[٣]، فالذين آمنوا[٤] هم عبدُ الله بن سلام، وأسدٌ، وأُسيدٌ، ويامين بن يامين، وثعلبةُ الخشنيُّ، وجماعةٌ.

وقيل: هم الأربعون الذين قَدِموا مِنَ الحبشة مع جعفر بن أبي طالب؛ اثنان وثلاثون منهم مِنَ اليمن، وثمانيةٌ مِن علماء الشام[٥].

---

(١) في (ف): «حقيقة».

(٢) من قوله: «وقيل: ينصرك» إلى هنا ليس في (أ) و(ف).

(٣) قوله: «فلم يسلموا» ليس في (ف).

(٤) قوله: «فالذين آمنوا» ليس في (أ).

(٥) انظر: «تفسير الثعلبي» (١/ ٢٦٦) و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ٣٧).

وقيل: هم تسعةٌ وثلاثون رجلاً مِن بقايا قوم عيسى؛ آمنوا بمحمَّدٍ ﷺ بقول عيسى، وثبتوا عليه حتَّى خرج النبيُّ عليه الصَّلاة والسلام، قال الله عزَّ وعلا: ﴿وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ﴾ [القصص: ٥٣] الآية.

وقوله تعالى: ﴿ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ أي: التوراةَ، وإنَّما خصَّهم[١] بذكرِ الإيتاء؛ لأنَّهم هم الذين عملوا به، فكأنَّهم خُصُّوا[٢] به.

وقوله: ﴿يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ قال مجاهدٌ: أي: يتَّبعونه حقَّ اتِّباعه، قال الله تعالى: ﴿وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا﴾ [الشمس: ٢] أي: تبعها[٣]، واتِّباعُه حقَّ اتِّباعه: هو العملُ بمحكمِه والإيمان بمتشابهه.

وقال ابن عبَّاسٍ وابنُ مسعود رضي الله عنهم: هو أنْ يُحِلَّ حلالَهُ، ويُحرِّمَ حرامَهُ، ويَعملَ بأوامرِه، ويَنتهي بنواهيه[٤].

وقيل: معناه: يقرؤونه حقَّ قراءتِه، قال تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ﴾ [المائدة: ٢٧]، أي: واقرأ[٥]، وقراءتُه حقَّ قراءته: التدبُّرُ، والتفكُّر، والتَّرتيلُ، وتركُ التَّحريفِ والتَّبديل.

وقيل: أي: يصفونه حقَّ صفتِه؛ أي: يقولون: هو كلامُ الله عزَّ وعلا، غير مخلوقٍ، ولا محدثٍ، ولا حادثٍ، ويصدِّقون بما فيه مِن نعت محمَّدٍ عليه الصَّلاة والسَّلام.

وقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ هذا خبرٌ آخَرُ للمبتدأ، فإنَّ قوله تعالى:

---

(١) بعدها في (ف): «أي».

(٢) في (ف): «فخصوا» بدل: «فكأنَّهم خُصُّوا».

(٣) أخرجه الطبري (٢/ ٤٩٠).

(٤) أخرج قوليهما الطبري في «تفسيره» (٢/ ٤٨٨، ٤٨٩).

(٥) قوله: «أي واقرأ» من (ف).

﴿يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ هـذا خبـرٌ، وقولـه: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ هذا خبـرٌ آخَرُ[1]، وهـو كقولك: هـذا حلـوٌ حامضٌ.

وقيل: الواوُ مضمرةٌ في قوله: ﴿يَتْلُونَهُۥ﴾؛ أي: ويتلونه، ويتمُّ المبتدأ عند قوله: ﴿حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾، ويكون ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ خبراً لذلك المبتدأ، وبياناً أنَّ مَن أوتيَ التَّوراة، واتَّبعها، وعَمِلَ بها؛ فهو الذي يُؤمِنُ دون غيره.

وقيل: الآية في شأن الصَّحابة رضوان الله عليهم أجمعين، والكتابُ: القرآن[2]، وهذا مدحٌ لهؤلاء بعد ذمِّ أولئك.

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ﴾ أي: بالكتاب.

وقوله تعالى[3]: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ أي: الهالكون الـمَغبونون، و«أولئك» جمعٌ، والمذكورُ قبلَهُ موحَّد، لكنَّه في معنى الجمع، وهو قوله: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ﴾؛ لأنَّه للجنس، و﴿هُمُ﴾[4] عماد، و﴿ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ خبرُ المبتدأ.

وأثبـت الخسـران لِمَن كفـر به، لا لمـن يتَّبعه حـقَّ اتِّباعه، وهذا لطـفٌ من الله عزَّ وجـلَّ بعباده.

❊ ❊ ❊

(١٢٢ ـ ١٢٤) ـ ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢٢﴾ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ

---

(١) بعدها في (ر): «للمبتدأ، وهو قوله: ﴿يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾».

(٢) في (أ): «المبين» بدل: «القرآن».

(٣) «وقوله تعالى» ليس في (أ).

(٤) في (ف): «وهو».

﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ (١٢٤).

وقوله تعالى: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ (١٢٢) وَاتَّقُوا يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾.

قد مرَّ تفسيرُ الآيتين، وبدأ قصَّة بني إسرائيل بهما، وفي الآية الأولى تذكيرُ النِّعمة، وفي الأخرى تخويفُ العقوبةِ، وبهما ختمَ القصَّة، والتَّكريرُ للتقرير، ووصلَ بها قصَّة إبراهيم صلوات الله وسلامه عليه، وكان بنو إسرائيل يدَّعون أنَّهم على ملَّة إبراهيم، فقال جلَّ جلالُه: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا﴾ [آل عمران: ٦٧]، وشرحَ حالَه هاهنا، فقال عزَّ وعلا: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ﴾؛ أي: واذكروا[1] إذ أمرَ إبراهيم، قدَّم المفعولَ ثمَّ ذكرَ الفاعل، فقال: ﴿رَبُّهُ﴾ وإنَّما فعل ذلك إيجازاً؛ لأنَّه لو قدَّم الفاعل فقال: رب إبراهيم[2]، تكرَّر ذكرُ إبراهيم في موضع المفعول، والإيجازُ أبلغ.

والابتلاءُ في الأصل: هو الاختبار، وأوامرُ الله تعالى ونواهيه ابتلاءٌ، قال تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [هود: ٧]، وقال تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ﴾ [الإنسان: ٢]، والاختبارُ منَّا لظهور ما لم نعلم، ومِن الله لإظهارِ ما قد عَلِمَ، وعاقبةُ الابتلاءِ [ظهورُ] الأمرِ الخفيِّ[3] في الشَّاهد والغائب جميعاً، فجاز تسميةُ ذلك مِن الله تعالى ابتلاءً؛ لهذه العاقبة؛ لأنَّه في هذا المعنى كابتلاءِ العباد.

---

(١) في (أ) و(ف): «واذكر».

(٢) بعدها في (ر) و(ف): «ثم».

(٣) «ومن الله لإظهار ما قد علم وعاقبة الابتلاء الأمر الخفي» من (أ)، وما بين حاصرتين زيادة لا بد منها.

وقولـه تعالـى: ﴿بِكَلِمَٰتٍ﴾ قال ابنُ عبَّـاسٍ رضي الله عنهما: أي: بأوامر مناسـكِ الحـجِّ[١]، وعنـه أيضـاً: إنَّ الكلمات عشـرُ خصالٍ؛ خمـسٌ في الـرأس، وخمسٌ في البـدن؛ أمَّا التي في الـرأس؛ ففَرْقُ[٢] الرَّأس، والمضمضةُ، والاستنشـاقُ، والسِّـواكُ، وقـصُّ الشَّـارب، وأمَّا التي في البـدن؛ فقَلْـمُ الأظافير، ونتْـفُ الإبطِ، وحَلْـقُ العانةِ، والاسـتنجاءُ بالماء، والختان[٣].

وقولـه تعالـى: ﴿فَأَتَمَّهُنَّ﴾ أي: عمـلَ بهـنَّ، قال تعالـى: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ﴾ [النجـم: ٣٧] وهـو كهذا.

ورُوِيَ أنَّه اختتنَ وهو ابنُ ثمانين سنة بالقَدُّوم[٤]؛ وهي قريةٌ بالشام.

وعلى القول الأوَّل ﴿فَأَتَمَّهُنَّ﴾؛ أي: أدَّى مناسكَ الحجِّ على التَّمام، وهذه الخصالُ العشرُ كانت عليه فرائض، وهي لنا سننٌ.

وقال محمدُ بنُ عليٍّ الترمذيُّ: الكلماتُ: هي الخصال التي بُنِيَ عليها الإسلام، وهي اثنان وثلاثون سهماً[٥]؛ عشرٌ منها في سورة الأحزاب: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥] الآية، وعشرٌ منها في سورة الرعد: ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٥٠٣).

(٢) في (ر): «فمسح فوق»، وفي (ف): «فمسح مفرق».

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١١٦)، ومن طريقه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٤٩٩).

(٤) رواه البخاري (٣٣٥٦)، ومسلم (٢٣٧٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. قال الإمام النووي: رواة مسلم متَّفقون على تخفيف «القدوم»، ووقع في روايات البخاري الخلافُ في تشديده وتخفيفه، قالوا: وآلة النجار يُقال لها: قدوم؛ بالتخفيف لا غير، وأما القدوم مكان بالشام، ففيه التخفيف، فمن رواه بالتشديد أراد القرية، ومن رواه بالتخفيف يحتمل القرية والآلة، والأكثرون على التَّخفيف وعلى إرادة الآلة.

(٥) من قوله: «أي أدى مناسك الحج» إلى هنا ليس في (أ).

﴿مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ﴾[1] [الرعد: ١٩] الآيات، وستٌّ في (سورة: قد أفلح)[2] إلى قوله: ﴿هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠]، وستٌّ في أوَّل سورة البقرة: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢] إلى قوله: ﴿هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ٥].

وقيل: الكلماتُ: هي الدَّعوات المحكيَّةُ عنه في القرآن: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ﴾[3] [إبراهيم: ٤١]، ﴿وَلَا تُخْزِنِى يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾ [الشعراء: ٨٧]، ونحو ذلك.

وقيل: هي الأوامرُ والنَّواهي؛ لأنَّها بالكلام.

وقوله تعالى: ﴿فَأَتَمَّهُنَّ﴾ أي: أتمَّ إبراهيمُ أداءَهنَّ.

وقيل: أي: فأتمَّهنَّ الله تعالى لإبراهيم، ولم يُتمَّها لأحدٍ قبله.

وقيل: ابتلاهُ بكلماتٍ؛ أي: امتحنَه بالشَّدائد والمكاره، كإلقائه في النَّار، وإسكانِ ولده بوادٍ غير ذي زرعٍ ولا ماءٍ، والأمرِ بذبحِ الولدِ، والهجرةِ من بلادِ قومه، ومحاجَّةِ الكفرةِ عبدةِ الشَّمسِ والقمر والكواكب، ومحاجَّةِ نمرود، سمَّاها كلمات؛ لأنَّها أعاجيب، وقيل لعيسى: كلمة الله تعالى لذلك.

﴿فَأَتَمَّهُنَّ﴾ أي: استسلم لله تعالى فيهنَّ، وصبرَ عليهنَّ.

قال الحسن: ابتلاهُ الله بهذه الأشياء فأتمَّهنَّ، فشكرَها اللهُ تعالى له[4]، فقال تعالى: ﴿إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾؛ أي: رسولاً يَقتدِي بك جميعُ مَن بعدك.

والإمام: فِعَالٌ، مِن الأَمِّ؛ أي: القصد، والمقتدي يَقصِدُ قَصْدَ المُقتَدَى ويتَّبعه،

---

(١) قوله: «كمن هو أعمى» من (أ).

(٢) في (أ): «في أول سورة قد أفلح المؤمنون».

(٣) في النسخ الخطية: «رب». والمثبت هو الصواب.

(٤) أخرج الطبري نحوه في «تفسيره» (٢/ ٥٠٥ ـ ٥٠٦).

وقد أنجزَ الله هذا الوعدَ، فقال لمحمَّدٍ ﷺ: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾ [النحل: ١٢٣]، وقال لنا: ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الحج: ٧٨]، وهو نصبٌ على الإغراء، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾ [البقرة: ١٣٠]، وقال: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الممتحنة: ٤].

وقوله تعالى: ﴿قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى﴾ أي: قال إبراهيم: يا رب، واجعل مِن ذرِّيَّتي أيضاً أئمَّةً.

والذُّرِّيَّة: الأولاد، فُعْلِيَّة[١] مِن الذَّرِّ، أو فُعُّولَةٌ[٢] مِن الذَّرءِ[٣]؛ أي: الخلق، تُرِك همزُها في اللَّفظ، كما في البَرِيَّة والخابِيَة.

و(مِن) للتجنيس هاهنا، لا للتبعيض[٤]؛ أي: اجعلْهم كلَّهم أَئمةً يُقتَدَى بهم، وهذا شفقةٌ منه على أولاده على الخصوص؛ أُكْرِمَ بكرامةٍ فأحبَّ أن يُشارِكَهُ فيها أولادُه، وشفقةُ نبيِّنا محمَّدٍ ﷺ كانت في درجةِ الكمال، أُكرم ليلةَ المعراج بالسَّلامِ والرَّحمةِ والبركة، فقال: «السَّلامُ علينا وعلى عبادِ الله الصَّالحين»[٥]،

(١) لفظ: «فعلية» من (أ).

(٢) في (ف): «فعلية».

(٣) قوله: «أو فعولة من الذرء» ليس في (أ).

(٤) «لا للتبعيض» سقط من (أ).

(٥) أخرج البخاري (٨٣١)، ومسلم (٤٠٢) عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: كنا نقول في الصلاة خلف رسول الله ﷺ: السلام على الله، السلام على فلان. فقال لنا رسول الله ﷺ ذات يوم: «إن الله هو السلام، فإذا قعد أحدكم في الصلاة فليقل: التحيات لله، والصلوات والطيبات، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، فإذا قالها أصابت كلَّ عبدٍ لله صالحٍ في السماء والأرض».

فأشرك[١] فيها كلَّ أهل السَّماء والأرض مِن أهل التوحيد.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي: لا تصيبُ الإمامةُ أهل الظُّلم مِن ولدك، وهم أهل الكفر؛ أخبر أنَّ إمامةَ المسلمين لا تثبتُ لأهل الكفر، وأنَّ مِن أولاده[٢] المسلمين والكافرين، قال تعالى: ﴿وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ﴾ [الصافات: ١١٣]، والمحسن: المؤمن، والظالم: الكافر.

وتعلَّقت المعتزلةُ بظاهر الآية في نفي صلاحيةِ الإمامةِ للفاسق، لكن نقولُ: الظَّالم أُرِيد به الكافر هاهنا.

وقيل: إنَّه سأل أن يكون ولدُه إماماً نبيًّا كما كان هو، فأُخبرَ أنَّ الظالمَ لا يكون نبيًّا إماماً[٣].

وقال الحسن: ليس لهم عند الله عزَّ وعلا عَهْدٌ يعطيهم عليه خيراً في الآخرة، فأمَّا في الدنيا فقد يعاهدون فيوفي لهم[٤].

وقال الإمامُ أبو منصورٍ رحمه الله: فإن قيل: كيف كان قولُه: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ جواباً لقوله: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِى﴾، وكانت الرسالة في ذرِّيَّته، قال تعالى: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ﴾ [الزخرف: ٢٨]؟

قيل: يَحتملُ قولُه: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِى﴾ أنَّه أحبَّ أن تكون الرسالةُ تدومُ في ذرِّيَّته

---

(١) في (ر) و(ف): «فاشترك».

(٢) بعدها في (ر) و(ف): «أولاد».

(٣) في (ر): «إماماً ولا نبيًّا».

(٤) علقه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٢٢٤) عقب الأثر (١١٨٨).

أبـداً، حتـى لا يكـون بين الرُّسُـل فترات، فأخبـرَ أنَّ في ذريَّتـه مَن هو ظالـمٌ، فلا ينالُ الظالمُ عهدَهُ(١).

***

(١٢٥) ـ ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَـٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً﴾ أي: واذكروا أيضاً(٢) إذ جعلنا الكعبةَ، و﴿ٱلْبَيْتَ﴾ معرَّفاً بالألف واللام اسمُها، وقد ذُكِر هذا في القرآن على وجوه: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ﴾ [آل عمران: ٩٦]، ﴿أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ﴾ [البقرة: ١٢٥]، ﴿فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَـٰذَا ٱلْبَيْتِ﴾ [قريش: ٣]، ﴿ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ﴾ [المائدة: ٢]، ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ﴾ [آل عمران: ٩٧].

وقوله تعالى: ﴿مَثَابَةً﴾ أي: مرجعاً، مِن: ثابَ يثوب ثوباً؛ أي: رجعَ.

قال الحسن: يثوبون إليه كلَّ عام؛ أي: ليس هو في الزمان مرَّة فقط(٣).

وقال ابنُ عباسٍ ومجاهدٌ رضي الله عنهم: لا ينصرفُ عنه أحدٌ، وهو يرى أنَّه قد قضى منه وطراً فهم يعودون إليه(٤).

وقوله تعالى: ﴿لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾ أي: مأمناً؛ وهو موضعُ الأمن؛ وهو(٥) ضدُّ الخوف، قال تعالى: ﴿حَرَمًا ءَامِنًا﴾(٦) [القصص: ٥٧]، وقال النبيُّ ﷺ: «ألا إنَّ مكَّةَ حرامٌ مِن

---

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» لأبي منصور الماتريدي (١/ ٥٥٥).

(٢) لفظ: «أيضاً» من (ر).

(٣) علقه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٢٢٥) عقب الأثر (١١٩١).

(٤) رواه عنهما الطبري في «تفسيره» (٢/ ٥١٨).

(٥) في (أ): «والأمن».

(٦) في (أ): «ومن دخله كان آمناً» بدل: «حرماً آمناً».

حرام الله عزَّ وعلا، لم تحلَّ لأحد قبلي، ولا تحلُّ لأحد مِن بعدي، وإنَّما أُحلَّت لي ساعة من نهار، ثم عادت بعدُ حراماً إلى يوم القيامة»[1].

وقيل: أمناً من الجنونِ والجُذامِ والبَرَص.

وقيل: أمناً مِن يدِ[2] الجبابرة؛ فإنَّه ما قصدَ قومٌ تخريبَهُ إلَّا هَلَكوا، كأصحاب الفيل، ولذلك سُمِّي عتيقاً؛ لأنَّه أعتقَ مِن أيدي الجبابرة.

وقيل: أي: أمناً للصُّيود، حتَّى إنَّ الأسدَ يَتبعُ الظَّبيَ، فيدخلُ الظَّبيُ الحرمَ، فيرجعُ الأسد.

وقيل: أمناً لسكَّانِ الحرم، فإنَّهم يُسمَّونَ أهلَ اللهِ ولا يُتعرَّض لهم.

وقيل: أمناً لمن جنى ثمَّ لجأ إليه، فإنَّه لا يُتعرَّض له إلى أنْ يخرجَ.

وقوله تعالى: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ قرأ نافعٌ وابنُ عامر: ﴿وَاتَّخَذُوا﴾ بفتح الخاء على الفعل الماضي[3]؛ أي: جعلناهُ مثابةً للنَّاس، فاتَّخَذوا ذلك[4] مصلًّى.

وقراءةُ الباقين على الأمر، وهو عطفٌ على قوله: ﴿ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ﴾ واتَّخِذوا ذلك.

وقيل: قوله: ﴿وَٱتَّخِذُواْ﴾ فيه[5] إضمارُ القول؛ أي[6]: وقلنا لهم: اتَّخِذوا، أو قيل لهم ذلك.

---

(١) رواه البخاري (١٠٤)، ومسلم (١٣٥٣) من حديث أبي شريح الخزاعي رضي الله عنه.

(٢) في (أ): «أيدي».

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ١٦٩)، و«التيسير» (ص: ٧٦).

(٤) في (ف): «واتخذوه» بدل من «فاتَّخَذوا ذلك».

(٥) «قوله: ﴿وَٱتَّخِذُواْ﴾» ليس في (أ) و«﴿وَٱتَّخِذُواْ﴾ فيه» ليس في (ف).

(٦) لفظ: «أي» من (ر).

وقيل: قوله: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً﴾ يقتضي قوله: ثوبوا إليه، فيكون ﴿وَٱتَّخِذُوا۟﴾ عطفاً عليه.

وقوله: ﴿مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ﴾ المقامُ: موضعُ القيام، والْمُقام بالضمِّ: موضعُ الإقامة، ونفسُ الإقامة أيضاً.

وقال ابنُ عباس رضي الله عنهما: الحَرَمُ كلُّه مقامُ إبراهيم[1]، فمَن كان فيه استقبلَ البيتَ، ومَن كان خارجاً منه استقبلَ الحرمَ، فهو المصلَّى.

وقال عطاء: هو المناسك؛ أي: مواضع أفعال الحجِّ؛ كعرفات والمزدلفة ومنى ومكَّة[2].

وقيل: هو مكَّة، وقيل: هو المسجد، وقيل: هو البيت، وقيل: هو موضعٌ يُقابِلُ بابَ الكعبة يتوجَّه منه[3] إليها.

وقال السُّدِّيُّ رحمَه الله: هو الحَجَرُ الذي كانت زوجةُ إسماعيلَ وضعتهُ تحت قدمَي إبراهيم حين غَسَلَتْ رأسَهُ وهو راكبٌ؛ وضعَ عليه قدماً، فغسلت شِقًّا، ثمَّ حوَّلت إلى الشِّقِّ الآخر، ففعل كذلك، جعلَه اللهُ تعالى مِن شعائرِه[4].

وقيل: هو الحجرُ الذي وَضَع عليه قدمَهُ حين نادى بالحجِّ فقد رُوِيَ أنَّه لمَّا فرغ من بناء الكعبة؛ قيل له: أذِّن في الناس بالحجِّ، فقال: كيف أُنادي وأنا بين الجبال، وليس بحضرتي[5] أحد؟ فقال الله عزَّ وعلا: عليك النداء وعليَّ البلاغ، فصعِد أبا

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٢٢٦) (١١٩٨).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٥٢٥).

(٣) في (ف): «منها».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٥٢٨).

(٥) في (ف): «ولم يحضرني» بدل: «وليس بحضرتي».

قُبيس، وصعد هذا الحجر، فارتفع هذا الحجرُ حتَّى علا كلَّ حجرٍ في الدُّنيا، وجمعَ اللهُ تعالى له الأرضَ كالسُّفْرَة، فنادى: يا معشر المسلمين؛ إنَّ ربكم بنَى لكم بيتاً، وأمرَكم أنْ تحجُّوه، فحُجُّوه، فأجابَه النَّاسُ مِن أصلابِ الآباء وأرحام الأمَّهات، فمَن أجابه مرَّة حجَّ مرَّةً، ومَن أجابه عشراً حجَّ عشراً.

وقال ابنُ عبَّاس رضي الله تعالى عنهما: كان إبراهيمُ عليه السلام يبني الكعبة، وإسماعيلُ عليه السلام يناولُهُ الحجارةَ، فلمَّا ارتفعَ البناءُ وضَعُفَ عن رفعِ الحجارة إليه؛ قام على حَجَرٍ، فهو مقام إبراهيم[1].

وقوله: ﴿مُصَلًّى﴾ أي: موضعَ دعاء، فإنَّ الصلاة هي الدُّعاء، قال الله تعالى: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ١٠٣]، واسمُ الموضع مِنَ الأفعال المنشعبة[2] يكون على صيغة المفعول منها.

وقيل: هو موضع الصلاة المعهودة.

ورُوِي أنَّه عليه الصَّلاة والسَّلام انتهى إلى مقام إبراهيم عليه السلام، فقال عمر رضي الله تعالى عنه: أفَلَا نتَّخذه مصلًّى، فنزلت الآية، فكان عمر رضي الله عنه يقول: وافقني ربي جل جلاله في ثلاثة؛ أي: وقع مرادي و[3]

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٥٢٧). وأخرجه البخاري في «صحيحه» (٣٣٦٥) مطولًا دون قوله: «فهو مقام إبراهيم».

(٢) في (ر) و(ف): «المتشعبة»، وهو تحريف. والأفعال المنشعبة: هي المزيدة، هي ما زادت على ثلاثة أحرف أصول، أو على أربعة أصول. انظر: «المفتاح في الصرف» للجرجاني (ص: ٤٤)، و«نزهة الطرف» (ص: ١١)

(٣) «و» زيادة من (ف).

علـى وفـاقِ حكـم الله تعالـى فـي ثلاثـةٍ؛ الخمـر، والحجـاب، ومقـام إبراهيم[١].

وقوله تعالى: ﴿وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ﴾ أي: أمرناهما، قال تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ﴾ [يس: ٦٠]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ﴾ [طه: ١١٥].

وقوله تعالى: ﴿أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ﴾ قال عطاء: كنتُ عند ابنِ عبَّاس، فسألَهُ رجلٌ عن قولِه: ﴿طَهِّرَا بَيْتِيَ﴾[٢]، قال ابنُ عبَّاس[٣]: أما والله ما أمرَهم أن يبخِّروه بالبَخُّور، ولا أن يُصَفِّروه بالخلوق، ولكن أمرَهم أن يطهِّروه مِنَ الأوثان والمعاصي، وممَّا لا يُحِبُّه الله تعالى.

وقال قتادةُ ومجاهدٌ وسعيدُ بن جبير رحمهم الله: أي: طهِّرا بيتي مِنَ الشِّركِ وعبادة الأوثان[٤]، وكان عليها المشركون قبل أن تصيرَ في أيديهما.

وقيـل: كانـوا يتقرَّبـون إلـى الله تعالـى بالقرابيـن، وكانـوا[٥] يلطِّخـون الجُـدُر بالدِّمـاء، فأمرَهمـا الله تعالـى بالتَّطهيـر[٦].

وقيل: هو تطهيرُه عن المكاسب فيه.

---

(١) حديث موافقة عمر بن الخطاب ربه رواه البخاري (٤٠٢)، لكن ليس فيه ذكر الخمر، وفيه مكانه: موافقة عمر في شأن نساء النبي ﷺ، وخبرُ تحريم الخمر وموافقة عمر فيه رواه أبو داود (٣٦٧٠)، والترمذي (٣٠٤٩)، والنسائي (٥٥٤٠).

(٢) من قوله: «قال عطاء» إلى هنا من (أ).

(٣) قوله: «ابن عباس» من (ر).

(٤) رواه الطبـري فـي «تفسـيره» (٢/ ٥٣٣) عـن قتـادة ومجاهـد. ورواه ابـن أبـي حاتـم في «تفسـيره» (١/ ٢٢٧) (١٢٠٦) عـن مجاهـد وسـعيد بـن جبيـر.

(٥) في (ف): «فكانوا».

(٦) هذا القول والذي قبله فيهما بعدٌ لا يخفى.

وقيل: معناه: دُوْمَا على تطهيره، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ [الأحزاب: ١]؛ أي: دُمْ على التَّقوى، فهذا كذلك، وهو أمرٌ أن يُبقِّياه[١] على الطَّهارة، لا[٢] أن يكون فيه نجاسة، فيُزيلا تلك النَّجاسةَ[٣]، وهو كقوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ [البقرة: ٢٥] أي: مبقَّاةٌ على الطهارة الأصليَّة.

وقوله تعالى: ﴿لِلطَّآئِفِينَ﴾ أي: بالكعبة، ﴿وَٱلْعَٰكِفِينَ﴾ أي: المجاورين في المسجد الحرام، والعُكوف والاعتكاف: الإقامةُ، والاحتباس، والعَكْفُ: الحَبْسُ والوقفُ، قال الله تعالى: ﴿وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا﴾ [الفتح: ٢٥]، ﴿وَٱلرُّكَّعِ﴾ جمع الرَّاكع، و﴿ٱلسُّجُودِ﴾ جمع السَّاجد؛ وأراد بـ﴿وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾: المصلِّين. والصَّلاة تشتملُ على أفعالٍ، أقربُها إلى الخشوعِ هذان، فالطَّوافُ في الحجِّ والعمرة، والعكوف: ملازمة المسجد، والرُّكوع والسُّجود في الصَّلاة، وهي العباداتُ المتعلِّقةُ بالبيت، فأمرَهما بتطهيرِه لهؤلاء.

وقيل: الطَّوافُ للغرباء، والعكوفُ لأهلِ مكَّةَ، والصَّلاةُ لكلِّ مَن قَرُبَ منها ومَن بَعُدَ عنها، فتوجُّههم في الصَّلاة إليها.

***

(١٢٦) ـ ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا﴾ أي: واذكر أيضاً إذ دعا[٤]

---

(١) لفظ: «أن» من (أ)، وفي (ر): «ببقائه».

(٢) في (ف): «إلا».

(٣) قوله: «فيزيلا تلك النجاسة» من (أ).

(٤) في (ر): «ألهمنا».

إبراهيمُ فقال: يا ربِّ؛ حَذفَ حرفَ النِّداء، وهو جائزٌ، قال الله تعالى: ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا﴾؛ أي: يا يوسف.

وقوله: ﴿هَٰذَا﴾ أي: هذا الوادي، فقد قال: ﴿إِنِّيٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ﴾ سأَلَ اللهَ تعالى قبل أن يصيرَ الوادي بلداً أن يجعله بلداً آمناً، وفي سورة إبراهيم قال: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا﴾ [إبراهيم: ٣٥]، وكان هذا الدُّعاء بعد ما صار بلداً، سألَهُ أن يجعلَهُ آمناً.

وقيل: معناهما واحدٌ، أو[1] تمام الكلام: اجْعَلْ هَذَا [البلد][2] بَلَداً آمِناً؛ الأوَّل إشارةٌ إلى المعرفة، والثاني مفعولٌ؛ أي: مفعولٌ[3] ثانٍ، ويُذكَرُ على طريق النَّكرة؛ ففي آيةٍ حذفَ المعرفةَ وبقَّى النَّكرة، وفي آيةٍ أخرى حذفَ النَّكرة وبقَّى المعرفةَ.

وقوله: ﴿ءَامِنًا﴾ أي: ذا أَمْنٍ؛ كقوله تعالى: ﴿فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٢١]؛ أي: ذات رضا، والأمنُ للأهلِ ممَّا ذكرنا في قوله: ﴿مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾.

فإن قالوا: إنَّ مكَّة كانت حراماً قبل هذا، قال ﷺ: «ألَا إنَّ مكَّة كانت حراماً حرَّمها الله تعالى[4] منذ خلق الله السَّماوات والأرض»[5]، فما معنى سؤال الأمن؟

قلنا: كان الأوَّل أمناً عن الاصطلام وإثباتاً في[6] النفوس تعظيمَها واحترامَها،

---

(١) في (أ): «إذ».

(٢) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق.

(٣) قوله: «أي: مفعول» ليس في (أ).

(٤) في (أ): «حرام» بدل: «كانت حراماً حرَّمها الله تعالى».

(٥) سلف نحوه قريباً.

(٦) في (ف): «على».

وكان هذا[1] سؤالَ وقوع الأمن عن الحوادثِ والعوارض.

وقيل: هذا كان سؤالَ دوامِ ذلك الأمن، وأجابَ اللهُ تعالى دعوتَه فقال: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ [العنكبوت: ٦٧].

وقوله تعالى: ﴿وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ هي جمعُ ثمرة؛ وهي جميعُ ما يخرجُ مِن الأراضي والأشجار، فهو سؤالُ الطَّعامِ والفواكه، وقد حققنا[2] ذلك في قوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ [البقرة: ٢٢].

وقيل: هي الفواكه، وإنَّما خَصَّ هذا بالسُّؤال؛ لأنَّ الطَّعام المعهود ممَّا يكونُ في كلِّ موضع، وأمَّا الفواكه فقد تَعِزُّ، فسَأَلَ لأهلِها الأمنَ والسَّعة؛ وبهما يَطيبُ العيشُ، وتَقومُ المصالح، فاستجابَ له في ذلك أيضاً بنقل قريةٍ من قرى فلسطين كثيرةِ الثِّمار إليها، فأتى جبريل عليه السَّلام فقلعها[3]، وجاء بها، وطاف بها حول البيت سبعاً، ثمَّ وضعها على ثلاث مراحلَ من مكَّة؛ وهي الطَّائف، ولذلك سُمِّيت به، قاله الزُّهريُّ[4]، وقال تعالى: ﴿يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [القصص: ٥٧].

وقوله تعالى: ﴿مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ ﴿مَنْ﴾ بدلٌ مِن[5] قوله: ﴿أَهْلَهُۥ﴾ أي: ارزق مَن آمن، خصَّ المؤمنين بسؤالِ توسِعَة الرِّزق لهم لمعانٍ أربعة:

أحدها: أنَّ الله تعالى لـمَّا أمرهما بتطهير البيتِ للطَّائفين والعاكفين والمصلِّين دون غيرهم؛ وافقَ اللهَ تعالى؛ فسألَ سَعَةَ الرِّزقِ للمؤمنين دون غيرِهم.

---

(١) في (أ): «وهدى كان» بدل من «وكان هذا».

(٢) في (ر): «ذكرنا».

(٣) في (ف): «فقطعها».

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٢٣٠) (١٢٢١).

(٥) في (ف): «على».

والثاني: أنَّه أراد أن يجعلَ ذلك آيةً تُرغِّبُ[1] الكفَّارَ في الإسلام.

والثالث: أنَّه لمَّا عَمَّ سؤالَ الإمامة، فقال: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾؟ أُجِيب بقوله: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، فتأدَّب، ولم يَعُمَّ في سؤالِ[2] سَعَة الرِّزق، بل خَصَّ كما خَصَّ اللهُ تعالى له في إجابة سؤال الإمامة.

والرابع: ما قال[3] الإمام أبو منصور رحمه الله: فلعلَّه خشي أن يخرج ذلك مخرج المعونةِ لهم على العصيان، وفي ذلك دليلٌ على أنَّه لا بأس ببيعِ الطَّعام مِنَ الكفَرة[4].

وقوله تعالى: ﴿قَالَ وَمَن كَفَرَ﴾ أي: قال الله تعالى: والذي كفرَ لا أمنعُهُ عن هذا.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ وَمَن كَفَرَ﴾ أي: أرزقُهُ الثَّمراتِ أيضاً كما أرزقُ المؤمنَ، أخبرَهُ أنَّ أمْرَ الرِّزق ليس كأمْرِ الإمامة، فأعلمه أنَّ الدنيا ومتاعَها بأسرِها لا خطرَ لها.

وقوله ﴿قَلِيلًا﴾ أي: متاعاً قليلاً، هو نعتُ مصدرٍ محذوفٍ دلَّ عليه الفعلُ المذكور، وأصلُ المتاع فسَّرناهُ في قوله تعالى: ﴿وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [البقرة: ٣٦].

وقيل: أُمَتِّعه زماناً قليلاً، والدنيا كلُّها قليلةٌ، ومدَّتها كذلك، وقوله: ﴿فَأُمَتِّعُهُۥ﴾ قراءةُ ابن عامر بالتخفيف؛ مِن: أمتَع يُمتِع؛ أي: جعلَهُ[5] ذا متاعٍ، وقراءةُ الباقين بالتَّشديد[6]، ومعناه: أُمهِلهُ و[7] أُعطيه المتاع.

---

(١) في النسخ الخطية: «أنه يرغب»، والمثبت هو الصواب. انظر «تأويلات أهل السنة» (١/ ٥٦٣).

(٢) في (ر) و(ف): «سؤاله».

(٣) في (ف): «قاله».

(٤) انظر «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (١/ ٥٦٣).

(٥) في (ر): «أجعله».

(٦) انظر: «السبعة» (ص: ١٧٠)، و«التيسير» (ص: ٧٦).

(٧) في (أ): «أو».

والمرادُ بهذا القليل عندَ بعضهم هو أيَّام عمرهم.

وقال الحسن: أي: أمهِلُهُم إلى وقتِ خروج محمَّدٍ ﷺ؛ فمَن آمنَ به بقَّيتُه[١]، ومن كفرَ به عاقبتُه بالقَتلِ والإجلاءِ والسَّيف، وكان ذلك[٢] يوم بدر.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ﴾ أي: أُلجِئُه إلى عذاب النار يوم القيامة.

وقوله تعالى: ﴿وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ أي: المرجع، وفي قراءة ابن عباسٍ رضي الله عنهما: (فأَمْتِعْهُ)؛ بقطع الألف وجزم العين على الدُّعاء، وكذا قوله: (ثُمَّ اضْطَرَّهُ)؛ أي: بإدراج الألف وفتحِ الطَّاء والرَّاء على الدُّعاء[٣]؛ أي: سألَ إبراهيمُ اللهَ تعالى أن يُمتِّعَ الكافرَ قليلاً، ثمَّ يجعلَ مصيرَه إلى النَّار.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: ذكر الاضطرار؛ كقوله تعالى: ﴿خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ﴾[٤] [الدخان: ٤٧]، وقولِه تعالى: ﴿وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [مريم: ٨٦]، وقولِه تعالى: ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا﴾ [الطور: ١٣]، فأخبرَ أنَّهم يُنْقَلون إليها إجباراً، لا أنَّهم يأتونها طوعاً واختياراً[٥].

* * *

(١٢٧) - ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾.

---

(١) في (ر): «نعمته».

(٢) «وكان ذلك» ليس في (أ).

(٣) انظر «المحتسب» لابن جني (١/ ١٠٤).

(٤) بعدها في (ر): «فَغُلُّوهُ».

(٥) انظر «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (١/ ٥٦٤).

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ﴾ أي: واذكر أيضاً إذ يرفعُ إبراهيم؛ أي: إذ كان يرفعُ؛ أي[١]: يبني[٢].

وقيل: أي: يُظهِر، وكان مختفياً، فرفعَهُ وأظهرَهُ.

وقيل: رَفعُه: بناؤه على وجه الأرض، ويُطلَقُ ذلك في كلِّ بناءٍ وإنْ قصُر؛ لرَفعِهِ على وجهِ الأرض[٣].

والقواعدُ: الجدران عند الكسائي[٤]، وعند غيرِه: الأُسس، واحدتُها قاعدة، والقَواعد مِنَ النساء؛ جمع قاعد بغير هاء؛ وهي التي قَعدت عن التَّزوُّج، وعن الحيض والولادة، وهي مِن صفاتِ النِّساء على الخصوص، فلم يُحْتَج فيها إلى الهاء؛ كما في الحائل[٥] والحائض والطَّالق والطَّامث.

والقاعدة التي هي الأساس، سُمِّيَت بها للثبوت، وقعود الإنسان ـ وهو الجلوس ـ ثبوتٌ على الأرض.

وقوله تعالى: ﴿وَإِسْمَٰعِيلُ﴾ عطفٌ على قوله: ﴿إِبْرَٰهِـۧمُ﴾؛ أي: وإسماعيلُ كان يشاركُهُ في ذلك.

وقيل: كان يُعينُه فيه، ويناولُه الحجرَ، وكان بناءُ البيت مِن خمسة أجبل؛ طورِ سيناء، وطور زَيْتَا، وطورِ لُبنان، والجُودِيِّ، وحِرَاء، وكان أَوَّل بنائه مِن آدمَ عليه السَّلام، ثمَّ اندرسَ ذلك، فرفعَ إبراهيمُ قواعدَه[٦].

---

(١) «أي» ليس في (ف).

(٢) في (أ) و(ف): «بيتي».

(٣) من قوله: «ويطلق ذلك في كل» إلى هنا من (أ)

(٤) ذكره عنه القرطبي في «تفسيره» (٢/ ٣٨٦).

(٥) في (أ): «الحامل».

(٦) رواه عبد الرزاق في «المصنف» (٩٠٩٢)، ومن طريقه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٥٤٩) من قول =

وخلقَ اللهُ تعالى موضعَ البيت قبل سائرِ الأرض بألفَي عامٍ، فكانت زبدةً بيضاء على وجه الماء، فدُحِيت الأرضُ مِن تحتِها[١].

فلمَّا أهبطَ اللهُ تعالى آدمَ إلى الأرض؛ كان رأسه تمسُّ السماء حتى صلع، وأورثَ أولادَه الصَّلعَ، فنفَرَتْ مِن طولِه دوابُّ الأرضِ، فصارت وحشاً[٢] من يومئذٍ، وكان يسمعُ كلامَ أهلِ السَّماء ودعاءَهم وتسبيحَهُم، فيَأنسُ إليهم، فهابتهُ الملائكةُ، فنَقصَهُ اللهُ تعالى إلى ستِّين ذراعاً، فلمَّا فقدَ آدمُ أصوات الملائكة استوحشَ، وشكى إلى الله تعالى ذلك، فأنزلَ اللهُ تعالى ياقوتةً مِن يواقيت الجنَّة، لها بابان مِن زُمُرُّدٍ أخضرَ؛ بابٌ شرقيٌّ وبابٌ غربيٌّ، وفيه قناديلُ من الجنَّة، فوضعَه على موضعِ البيت الآن، ثمَّ قال: يا آدم؛ إنِّي أهبطتُ لك بيتاً تطوفُ به كما يُطافُ حول عرشي، وتُصلِّي عندَه كما يُصلَّى عند عرشي، فأنزلَ عليه الحَجرَ ليمسحَ به دموعَه، وكان أبيض، فلمَّا لمسته الحُيَّضُ في الجاهليةِ اسودَّ[٣].

وتوجَّه آدمُ مِن أرض الهند إلى مكَّة ماشياً، وسلَّط الله تعالى له ملَكاً يَدُلُّه على البيت.

= عطاء. وأورده ابن كثير في «تفسيره»، وقال: هذا صحيح إلى عطاء ولكن في بعضه نكارة. والله أعلم. وقال قبل ذلك في هذا المعنى: وغالب من يذكر هذا إنما يأخذه من كتب أهل الكتاب، وهي مما لا يصدق ولا يكذب، ولا يعتمد عليها بمجردها، وأما إذا صح حديثٌ في ذلك فعلى الرأس والعين. اهـ.

(١) أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» (٩٠٩٧)، والطبري في «تفسيره» (٢/ ٥٥٢ ـ ٥٥٣) من قول مجاهد.

(٢) في (ر) و(ف): «وحشياً».

(٣) انظر «تفسير الثعلبي» (١/ ٢٧٣)، وروى الطبري في «تفسيره» (٢/ ٥٥١ ـ ٥٥٢) نحوه، بعضه عن عطاء وبعضه عن قتادة.

وقيل لمجاهد: لِمَ لَمْ يركبْ؟ فقال: وأيُّ شيءٍ كان يحمله؟! إنَّ خطوتَهُ مسيرةُ ثلاثة أيَّامٍ، فكلُّ موضعٍ وَضَعَ فيه قدمَه عمران، وما تَعدَّاهُ[1] مفاوز، فأتى مكَّة، وحجَّ البيتَ، وأقام المناسكَ، فلمَّا فَرَغَ؛ تلقَّتهُ الملائكة، فقالوا: بَرَّ حجُّك يا آدم، لقد حَجَجنا هذا البيتَ قبلَك بألفي عامٍ[2].

وحجَّ آدمُ أربعينَ حجَّةً مِنَ الهند إلى مكَّة على رجليه، وكانت الكعبةُ على ذلك إلى أيَّام الطوفان، فرفعَها اللهُ إلى السَّماء الرَّابعة، فهو البيت المعمور، يدخلُه كلَّ يومٍ سبعون ألفَ ملَكٍ، ثمَّ لا يعودون إليه إلى يوم القيامة، وهو[3] حيال الكعبة، فلو أُرسِلَ من السَّماء لنَزلَ على ظهرِ الكعبةِ، وبعث الله تعالى جبريل حتى خبأ الحجرَ الأسود في جبل أبي قبيس؛ صيانةً له عن الغَرق، فكان موضعُ البيت خالياً عن البِناء إلى زمن إبراهيمَ صلوات الله عليه[4].

ورُوِيَ أنَّ الله تعالى أمرَ جبلاً مِن جبال فلسطين حتَّى جاءَ وسترَ موضعَ البيت، فلم يُصِبهُ الطُّوفان، فأمرَ اللهُ تعالى إبراهيمَ بعد ما وُلِدَ له إسماعيل وإسحاق ببناءِ بيتٍ له يُذكَر ويُعبَد فيه، فلم يَدْرِ إبراهيم أين يبني، فسأَلَ اللهَ تعالى أن يبيِّن له موضعه، فبعث اللهُ تعالى إليه السكينة لتدلَّ[5] على موضعه، ولها رأسان تشبه الحيَّة، فتبعَها إبراهيمُ صلوات الله عليه حتَّى أتيا مكَّة، فتطوَّت[6] السَّكينةُ على

---

(١) في (ر) و(ف): «بعده».

(٢) انظر «تفسير الثعلبي» (١/ ٢٧٣).

(٣) بعدها في (ر): «في».

(٤) أورده الثعلبي في «تفسيره» (١/ ٢٧٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٥) في (أ): «لتدله».

(٦) في (أ): «فتلوت... كتلوي» وفي (ر): «فتطوقت... كتطوق».

موضع البيت كتطوِّي[١] الحَجَفة[٢]، فأمرَ إبراهيمُ أن يَبنيَ حيث تَستقِرُّ السَّكينةُ[٣].

وفي روايةٍ: بعث اللهُ سبحانه سحابةً على قدر الكعبةِ، فجعلَت تسيرُ، وإبراهيمُ يمشي في ظلِّها، حتَّى أتت مكَّة، ووقفت على موضعِ البيت، ونُودِيَ منها إبراهيم: ابنِ على ظلِّها[٤]، فجعلَ يبني، وإسماعيلُ يناولُه الحجارةَ[٥]. وتمَّت القصَّة[٦].

وقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ﴾ أي: يقولان: ربَّنا، أضمر القول فيه ـ ومثلُه في القرآن كثيرٌ، قال الله تعالى: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ﴾ [الأنعام: ٩٣]؛ أي: يقولون: أخرجوا أنفسكم ـ سألا الله تعالى قبولَ ذلك العمل منهما.

وقولـه تعالى: ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ أي: ﴿ٱلسَّمِيعُ﴾ دعواتنا، ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾؛ أي: بنيَّاتنا.

* * *

(١٢٨) ـ ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

---

(١) في (أ): «كتلو» وفي (ف): «كتطو».

(٢) في (ف): «الحية». والحجفة: الترس. انظر «لسان العرب»: (مادة: حجف).

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٥٦١ ـ ٥٦٢)، والحاكم في «المستدرك» (٣١٥٤) عن علي رضي الله عنه

(٤) أورده الثعلبي في «تفسيره» (١/ ٢٧٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما. وأخرج الطبري نحوه في «تفسيره» (٢/ ٥٦٠ ـ ٥٦١) عن علي رضي الله عنه.

(٥) في (أ): «الحجر».

(٦) «وتمَّت القصة» ليس في (أ). وغالب ما يروى من الأخبار في ذلك هو من الإسرائيليات، ولم يصح في ذلك خبر عن المعصوم ﷺ. انظر «الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير» للشيخ محمد أبو شهبة (ص: ١٦٩).

وقوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ ﴾ أي: ثابتين على الإسلام والاستسلام[1]؛ كما في قوله تعالى: ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ [الفاتحة: ٦] أي: ثبِّتنا عليه، وهذا تعليمٌ منهما النَّاسَ الدُّعاءَ للتثبيت على الإيمان، فإنَّهما لـمَّا سألا ذلك كان[2] مع أمنِهما عن زواله؛ فكيف غيرهما مع خوفِه؟ وسألا أيضاً الثَّباتَ على الانقياد، فأُجيبا إلى ذلك، حتَّى أسلمَ إبراهيمُ للإلقاء في النار، وإسماعيلُ للأمرِ بالذَّبح.

وقوله تعالى: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ ﴾ أي: واجعل من أولادِنا جماعةً مخلصةً لك بالعبادةِ والطَّاعة، وإنَّما خصَّا[3] البعضَ[4] بالدُّعاء؛ لأنَّ الله تعالى قال: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ ﴾ [الصافات: ١١٣]، فأجيبا إلى ذلك، قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ﴾ [الزخرف: ٢٨]، فكانت في ولد إسحاق ـ وهم بنو إسرائيل ـ إلى أن حرَّفوا، ثمَّ في ولد إسماعيل ـ وهو محمدٌ ﷺ وأمَّته ـ إلى قيام الساعة.

وإنَّما دعَوا لأولادِهما بذلك شفقةً على الأولاد؛ ليكثر ثوابهما بهم، قال النبيُّ ﷺ: «ما مِن رجلٍ مِنَ المسلمين يُخلِّفُ مِن بعدِه ذُرِّيَّةً يعبدونَ الله تعالى، إلَّا جعل الله تعالى له مثلَ أجورِهم ما عَبَدَ اللهَ تعالى منهم عابدٌ حتَّى تقومَ السَّاعة»[5].

وقوله تعالى: ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾ قيل: هو سؤالُ إراءةِ العين، وعلى هذا تكونُ

---

(١) لفظ: «والاستسلام» من (أ).

(٢) لفظ: «كان» من (ف).

(٣) في (ر) و(ف): «خصا».

(٤) بعدها في (ر): «للأمر».

(٥) لم أقف عليه.

المناسكُ مواضعَ أفعالِ الحجِّ مِن عرفات والمزدلفة، والصَّفا والمروة وما بينَهما، ومواضعِ رمي الجمرات.

وقيل: معناه: علِّمنا؛ وهي رؤيةُ القلب، وتُستعمَلُ في العِلم[1]، قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾[2]، ويقال في مسائل الفقه: أرأيت، والمناسكُ على هذا عينُ أفعال العباد الحجِّ[3].

والنُّسُكُ في الأصل: العبادة، والنَّاسِكُ: العابدُ، والتَّنَسُّك: التَّعبُّدُ، ويُخَصُّ للقربان ولأفعالِ الحجِّ، وواحدُ المناسك: منسَك ومنسِك[4]، وهو اسمٌ للمصدر والمكانِ جميعاً.

وقوله: ﴿وَأَرِنَا﴾ ينصرفُ إليهما وإلى ذرِّيَّتهما، لا إليهما على الخصوص، وهو سؤالُ ذلك إلى قيامِ السَّاعة، وفي مصحف عبدِ الله بن مسعودٍ رضي الله عنه: (وأرهم مناسكَهم)[5].

وقوله تعالى: ﴿وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ قيل: معناه: تجاوزْ عنَّا التقصيرَ الواقعَ في مثلِ هذا العمل.

وقيل: لمَّا كان قولُه: ﴿وَتُبْ عَلَيْنَآ﴾ واقعاً عليهما وعلى ذرِّيَّتهما، وفيهم مَن له ذنوبٌ؛ كان سؤال التوبة في حقِّهم.

---

(١) في (ر) و(ف): «العمل».

(٢) بعدها في (ر): «كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ».

(٣) في (أ): «أفعال الحج»، وفي (ف): «أفعال العبادة للحج».

(٤) في (أ): «بالفتح والكسر» مكن: «ومنسِك».

(٥) انظر قراءة ابن مسعود رضي الله عنه في «معاني القرآن» للفراء (١/ ٣١)، و«تفسير الطبري» (٢/ ٥٧١)، و«تفسير الثعلبي» (١/ ٢٧٥)، و«شواذ القراءات» للكرماني (ص: ٧٦).

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: دلَّ سؤالُ التَّوبةِ أنَّ الأنبياء قد يكون منهم الزَّلَّاتُ والعَثَراتُ على غير قصدٍ منهم.

ثمَّ فيه الدَّليلُ على أنَّ العبد يُسأَل عن زلَّةٍ لم يتعمَّدها؛ لأنَّهم سَألوا التَّوبةَ مُجمَلاً، ولو كان سبقَ منهم شيءٌ عَلِموا[1] به وعرفوه؛ لذكرُوه، فدلَّ سؤالُهم التَّوبةَ مجملاً على أنَّ العبدَ مسؤولٌ عن زَلَّاتٍ لم يَتعمَّدها[2].

وقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ قال الإمامُ أبو منصورٍ رحمه الله: يحتمل قوله: ﴿مِّنْهُمْ﴾ وجوهاً ثلاثة:

يَحتملُ الانصرافَ إلى الأمَّة المسلمةِ، فقد ذُكِرت قبلَه؛ لأنَّه أخبر أنَّ عهدَه لا يَنالُ الظالمَ، فلم ينصرفْ إلى قوله: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ﴾.

ويَحتمـلُ ﴿رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾؛ أي: مِن جنسِـهم مِنَ البشـر؛ لأنَّه أقـربُ إلى المعرفة والصِّـدقِ ممَّـن كان مِـن غير جنسـهم؛ كقولـه: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا﴾ [الأنعام: ٩].

ويَحتملُ ﴿رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾: مِن قومِهم، مِن جنسهم وبلسانهم، لا مِن غيرهم، ولا بغير لسانهم[3].

سأل ربَّه لأهلِ مكَّة ما يتمُّ به مرافق الدِّين والدُّنيا فيها؛ وهي الثَّمراتُ، والأمن، ومبيِّنُ الدِّين والشرائع[4].

---

(١) في (ف): «عملوا».

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (١/ ٥٧١).

(٣) انظر: المصدر السابق.

(٤) لفظ: «والشرائع» من (أ).

وقوله تعالى: ﴿يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ﴾ أي: يقرأ عليهم كتابَك هذا الرسول، ويبيِّن آياتِ وحدانيَّتك، ويبيِّن ما كان مِنَ الآيات؛ أي: المعجزات لمن مضى مِنَ المرسَلين، فتَحتملُ الآيات هذه الأوجهَ الثلاثة.

وقوله تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ قال الحسن: الحكمة: القرآن[1]، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ﴾ [الإسراء: ٣٩]، والتَّكريرُ للتَّأكيد والتَّقرير.

وقال مالك: الحكمةُ: الفقه، وهو فهمُ معاني القرآن؛ وهو استخراجُ مودعاتِه التي يتعلَّق بها الأحكام[2].

وقيل: هو بيانُ ما في الكتاب مِن الأحكام؛ مِن الحلالِ والحرامِ وشرائعِ الإسلام، وبه يقعُ الاستحكام.

وقيل: هي «فِعْلَةٌ» مِن الحكم، ومعناها: ويعلِّمهم الأحكام.

وقال قتادة: الحكمةُ: السُّنَّة[3]، وفي كثيرٍ من الآياتِ جمعَ بين الكتاب والحكمة، و﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾: القرآن، ﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾: الأحاديث، وفيهما علومُ الشَّرع.

وقيل: ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾: ظاهرُ القرآن، ﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾: باطنُه.

وقال مقاتل: الحكمةُ: مواعظُ القرآن[4].

---

(١) لم أقف عليه عن الحسن، وأخرج ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٢٣٦ ـ ٢٣٧) (١٢٥٩) (١٢٦٢) عنه أنه فسر الكتاب بالقرآن، والحكمة بالسنة.

(٢) رواه بنحوه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٥٧٦).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٥٧٦).

(٤) انظر «تفسير مقاتل» (١/ ١٣٩).

وقال القفَّال: يُعلِّمهمُ الكتابَ المنزلَ، والوجوهَ[1] التي بها يُدرِكون صوابَ القولِ والعمل، فإنَّ الحكمةَ هي ذلك.

وقوله تعالى: ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ قال ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: أي: بأخْذِ زكاةِ أموالهم[2].

ويجوز أن يكون معناه: يُطهِّرهم عن الآثام بأخذ زكواتهم، قال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣].

وقيل: يزكِّيهم؛ أي: يدعوهم إلى ما به زكاةُ أنفسِهم؛ أي: نماؤها وطُهرُها.

وقيل: أي: يَجعلُهم أزكياءَ بالعمل الصَّالح الذي يَدعوهم إليها، ويحملهم عليها، ثمَّ هذا بخلافِ المذكور في قوله تعالى: ﴿بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٩]، ذاك مِن الله تعالى في العبد[3]: التَّخليقُ والإيجاد، وهذا من الرَّسول: الدعوةُ والإرشاد.

وقيل: ويزكِّيهم؛ أي: يُعَدِّلُهم يومَ القيامةِ عند الشَّهادة للأنبياء.

وقال ابنُ جُرَيج: يطهِّرهم من الشِّرك[4]، قال تعالى: ﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ﴾ [النازعات: ١٨]؛ أي: تتطهَّر بالإسلام.

وقال محمد بن عليٍّ التِّرمذيُّ: أي: ينمِّيهم، فأنماهم حتَّى صاروا أئمَّة الهدى، فبَليت أجسادُهم، وبَقيت آثارُهم[5].

---

(١) في (ر): «والحكمة» بدل: «والوجوه».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٥٧٧).

(٣) لفظ: «العبد» ليس في (أ).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٥٧٨).

(٥) في (ر): «أخبارهم».

وقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾: القويُّ الذي لا يُعجِزُه شيءٌ.

وقيل: هو القادرُ الذي لا يَمتنعُ عليه ما أرادَهُ.

و﴿ٱلْحَكِيمُ﴾: هو الذي يُحكِم الصَّنعةَ بحسنِ التَّدبيرِ.

وذكر الاسمين هاهنا على معنى أنَّه متَّصلٌ بالدُّعاء، فكأنَّهما قالا: فَزِعنا إليك في دعائنا؛ لأنَّك(١) القادرُ على إجابتِنا، العالمُ بما في ضمائرنا، وبما هو أصلحُ لنا ممَّا لا يبلغه علمنا، فأجابهما الله تعالى إلى ذلك، فبعثَ محمَّداً ﷺ فيهم على هذه الصفات، فقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ الآية [الجمعة: ٢]، وقال: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ الآية(٢) [آل عمران: ١٦٤]، وقال تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ الآية [التوبة: ١٢٨]، وقال النبيُّ ﷺ: «أنا دعوةُ أبي إبراهيمَ، وبشارةُ أخي عيسى - يعني: قوله تعالى: ﴿وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦] - ورؤيا رأتها أمِّي آمنة، خرج منها نورٌ أضاءَت له قصورُ بصرى»(٣)؛ موضع بالشام(٤).

* * *

(١٣٠) - ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾ ﴿مَن﴾ استفهامٌ

---

(١) بعدها في (ر): «أنت».

(٢) من قوله: «وقال: لقد من» إلى هنا من (أ).

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» (١٧١٥٠)، (١٧١٦٣) من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه.

(٤) «موضع بالشام» سقط من (أ) و(ف).

بمعنى التَّوبيخ على وجهِ النَّفي، وموضعُه رفعٌ بالابتداء، ومعناه: ولا يرغب عن دين إبراهيمَ إلَّا السفيه؛ أي: ولا يكرهُها، يقال: رَغِبَ في الشَّيء رغبةً؛ إذا[1] أحبَّه وأرادَه، ورغبَ عنه؛ أي: كرهَه وصدَّه، زهدَ في الشيء؛ أي: كرهَهُ وأباه، وزهدَ عنه: أرادهُ وأحبَّه، والمِلَّة: الدِّين والطريقةُ.

وقوله: ﴿سَفِهَ﴾[2] يسفه[3]، السَّفهُ والسَّفاهةُ: الجهلُ وخِفَّة العقل.

قال يونس[4]: ﴿سَفِهَ﴾ لازمٌ، وهو لغةٌ في المتعدِّي، فمعناه: سَفَّهَ نفسَه؛ أي: جعلها سفيهة، وعلى هذا قيل: معناه: أهلكَ نفسَه.

وقيل: هو نصبٌ على التفسير؛ كقولك: طاب نفساً، وقرَّ عيناً، وضاق ذرعاً.

قلت: وأكثرُ الاستعمال في النَّكرات، وفي المعارف جائزٌ؛ لأنَّ أصل الفعل لها، ثمَّ يُنقَلُ إلى غيرها، ثمَّ يُذكَرُ الفاعلُ نصباً؛ ليُعلَمَ أنَّ الفعلَ لها، يقال: وَجِعَ زيدٌ رأسَه، وألِمَ عمروٌ بطنَه.

وقيل: معناه: سَفِهَ في نفسه؛ كما في قوله: ﴿بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا﴾ [القصص: ٥٨]؛ أي: في معيشتها، وحَذْفُ حرف الجرِّ جائزٌ، قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓا۟ أَوْلَـٰدَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٣٣]؛ أي: لأولادكم، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَعْزِمُوا۟ عُقْدَةَ

---

(١) في (أ): «أي».

(٢) بعدها في (ف): «من سفه».

(٣) في (أ): «نفسه» بدل: «يسفه».

(٤) هو إمام النحو، أبو عبد الرحمن الضبي مولاهم، البصري، أخذ عن أبي عمرو بن العلاء وحماد بن سلمة، وأخذ عنه الكسائي وسيبويه والفراء، وله تواليف في القرآن واللغات، توفي سنة (١٨٣هـ). انظر: «سير أعلام النبلاء» (٨/ ١٩١ ـ ١٩٢). وانظر قوله في «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٢١٠).

ٱلنِّكَاحِ﴾[1] [البقرة: ٢٣٥]؛ أي: على عقدةِ النكاح[2].

وقال الزجَّاج: وهذا[3] عندي مذهبٌ صالحٌ، والقولُ الجيِّد عندي: أنَّ معناه: إلَّا مَن جَهِلَ نفسه؛ أي: لم يفكِّر فيها، قال تعالى: ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١][4]، وقال النبيُّ ﷺ: «من عَرَفَ نفسه فقد عرف ربَّه»[5]، وإنَّما يُؤتَى الناسُ ما يُؤتَونَ؛ بجهلهم[6] أنفسَهم.

ونزولُ الآية في مهاجر[7] ابن أخي عبد الله بن سلَام، وكان لعبد الله بن سلَام رضي الله عنه ابنا أخٍ؛ سلمةَ، ومهاجر، دعاهما إلى الإسلام، وقال لهما: اتَّبِعا دينَ محمَّدٍ ﷺ الذي كنَّا نقرؤه في التَّوراة أنَّه مِن ولد قيدار بن إسماعيل العربيّ راكب الجمل، اسمُه أحيد، يُحَيِّدُ أمَّته عن النار، ملعونٌ من تركَ شريعتَه ومنهاجَ دِينه، فأمَّا سلمة؛ فأسلم، وأمَّا مهاجرٌ؛ فأبى، فأنزل الله فيه هذه الآية[8].

وقال ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: ﴿إِلَّا مَن سَفِهَ نَفۡسَهُۥ﴾ السَّفهُ: غَلَبةُ الجهلِ وركوب الهوى.

---

(١) بعدها في (ر): «حَتَّى يَبْلُغَ».

(٢) «أي على عقدة النكاح» زيادة من (أ).

(٣) في (ف): «هو».

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٢١١).

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١/ ٢٧٩) قال النووي في «فتاويه» (ص: ٢٤٨): ليس بثابت. اهـ. ونقل السخاوي في «المقاصد الحسنة» (١١٤٩) عن ابن السمعاني أنه قال: لا يعرف مرفوعاً، وإنما يحكى عن يحيى بن معاذ الرازي قوله.

(٦) في (ف): «بجهل»، وفي (أ): «لجهلهم».

(٧) في (ر): «سلمة ومهاجر» بدل: «مهاجر».

(٨) انظر «تفسير مقاتل» (١/ ١٤٠)، و«تفسير الثعلبي» (١/ ٢٧٨)، واسمه فيهما: أحمد، بدل: أحيد.

وقال الحسنُ البصريُّ رحمه الله: إلَّا من جَهِلَ قدرَ نفسه، فعبدَ صنماً هو دونه، قال تعالى: ﴿ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ ﴾ الآية [الأعراف: ١٩٥].

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا﴾ أي: اخترناهُ بالإسلام والنبوَّة. ويقال: بالسَّخاوة والخُلَّة، وقيل: بالعهدِ والإمامة، وقيل: بالكلماتِ وبناء الكعبة.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ أي: أجبنا دعوتَه: ﴿وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الشعراء: ٨٣]؛ أي: الأنبياء الماضين، قال تعالى: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ﴾ إلى قوله: ﴿كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الأنعام: ٨٤، ٨٥]، وقال: ﴿ وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٦].

وقيل: أي: مِن الفائزين لصلاحه.

وقيل: أي: مِن الـمُستحِقِّين ثوابَ الصَّالحين بوعدِ الله.

وقيل: معناه: وإنَّه في الآخرة لمن الصَّالحين[١]؛ أي: مع آبائه المرسلين في الجنَّة.

وقيل: أي: من الباقين على الصَّلاح في الدُّنيا، حتَّى يكونَ كذلك في العُقْبى، فكم مِن صالحٍ في أوَّل حاله، ذهبَ صلاحُه في مآله، وكان[٢] في الآخرة لعذابه ونكاله؛ كبلعام[٣] وبرصيصا[٤] وقارون وثعلبة[٥].

---

(١) من قوله: «وقال: وأدخلناهم في» إلى هنا من (أ).

(٢) في (أ): «فكان».

(٣) خبر بلعام أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٥٧٦ ـ ٥٧٨) عن أبي المعتمر.

(٤) خبر برصيصا الراهب أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٥٤٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٥) خبر ثعلبة أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٨٤٧ ـ ١٨٤٩) (١٠٤٠٨)، والطبراني في «الكبير»: ٧٨٧٣، وغيرهما من طريق مُعان بن رِفاعة عن علي بن يزيد الألهاني عن القاسم عن أبي =

(١٣١) ـ ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ أي: واذكر يا محمَّدُ إذ قال له ربُّه أسلم.

وقيل: ﴿وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ﴾ إذ قال[1]، ثمَّ قوله: ﴿قَالَ﴾ مغايبة بعد قوله: ﴿ٱصْطَفَيْنَٰهُ﴾ وهو إخبارٌ عن نفسه، وهذا توسُّعٌ في الكلام.

وقوله تعالى: ﴿أَسْلِمْ﴾ أي: اثبتْ على إسلامك.

وقيل: أي: استسلمْ لِمَا يجري عليك.

وقيل: أي: أخلص نفسَك لي، مِن قوله: ﴿وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ﴾[2] [الزمر: ٢٩].

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: ويَحتملُ أن يكون وَحْياً أُوحي إليه أن قلْ كذا، فقالَ به، وكان هذا تسليماً للنفس والقلب.

ويحتمل أن يكون هذا أمراً بابتداء الإسلام أوَّلَ ما عقلَ، وهو في قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا﴾ الآيات، وقوله: ﴿إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ۝٧٨ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [الأنعام: ٧٨ـ٧٩] هو جوابُ قوله:

= أمامة. ومعان لين الحديث، كما في «التقريب»، وعلي بن يزيد، قال البخاري: منكر الحديث. وقال النسائي: ليس بثقة. وقال الدارقطني: متروك. «ميزان الاعتدال»: (٣/ ١٧١). وقال يحيى بن معين: علي بن يزيد عن القاسم عن أبي أمامة ضعافٌ كلُّها. انظر: «تهذيب التهذيب»: (٣/ ١٩٩). وقال الحافظ ابن حجر في «الكافي الشافي» (ص ٧٧): إسناده ضعيف جداً.

(١) بعدها في (ر): «له».

(٢) في (ر) و(ف): (سالماً)، وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو. انظر: «السبعة» (ص: ٥٦٢)، و«التيسير» (ص: ١٨٩).

﴿أَسْلِمْ﴾[١]. وقالوا: على هذا يكون[٢] إلهاماً لا وحياً ظاهراً.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ امتثلَ ما أُمِرَ به، واستقامَ على ما قال، فسَلَّم القلبَ والنَّفسَ والولدَ والمالَ، ولـمَّا قال له جبريلُ عليه السلام: هل لك من حاجةٍ؟ قال: أمَّا إليك فلا، فقال له: أَلَا تسأل ربَّك؟ فقال: حسبي مِن سؤالي[٣] علمُه بحالي[٤].

فإن قالوا: لـمَّا[٥] قيل لإبراهيم: أسلم قال: أسلمت، ولـمَّا قيل لمحمَّد ﷺ: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: ١٩]؛ لم يقل: علمتُ!

قلنا: قد قال ذلك، فقد رُوِيَ أنَّه قال: «أنا أعلمكم بالله وأخشاكم لله»[٦]، وكان

---

(١) انظر «تأويلات أهل السنة» (١/ ٥٧٥).

(٢) بعدها في (أ): «هذا».

(٣) في (ف): «بسؤالي» بدل من «مِن سؤالي».

(٤) قال ابن تيمية في «جامع الفتاوى» (٨/ ٥٣٩): وأما قوله: «حسبي من سؤالي علمه بحالي» فكلامٌ باطلٌ، خلاف ما ذكره الله عن إبراهيم الخليل وغيره من الأنبياء؛ من دعائهم لله، ومسألتهم إيَّاه، وهو خلاف ما أمر الله به عباده من سؤالهم له صلاح الدنيا والآخرة.

(٥) في (ر): «لم».

(٦) أخرج البخاري في «صحيحه» (٥٠٦٣) في خبر الثلاثة الرهط الذين سألوا عن عبادة رسول الله فتقالوها، وفي آخره يقول ﷺ: «أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له...».

وأخرج مسلم في «صحيحه» (١١١٠) من حديث عائشة أن رجلاً جاء يستفتي رسول الله ﷺ أنه تدركه الصلاة وهو جنب، فهل يصوم؟ فقال له رسول الله ﷺ: «وأنا تدركني الصلاة وأنا جنب فأصوم»، فقال: لست مثلنا يا رسول الله، قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، فقال: «والله، إني لأرجو أن أكون أخشاكم لله، وأعلمكم بما أتَّقي».

هذا الأمرُ له في[1] القرآن، ثمَّ لم ينزل بعدَه كتابٌ ليَذكُرَ فيه لغيرِه[2]: أنَّا قلنا له ذلك، فقال كذا.

وجوابٌ آخر: أنَّه قال في آيةٍ أخرى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، وهو العلمُ بأنَّه لا إله إلَّا هو، فقد أخبر عنه أنَّه قد علم كما أمرناه.

وآخرُ: أنَّ إبراهيم لمَّا قال: أسلمت؛ اقترن به البلوى، ونبيُّنا ﷺ تحرَّز عمَّا هو في صفةِ الدَّعوى، فحُفِظَ وكُفِي.

وآخر: أنَّ إبراهيمَ عليه السلام أُمِرَ بما يجري مجرى الأفعال، فإنَّ الاستسلام هو المراد، ونبيُّنا عليه الصَّلاة والسَّلام أُمِرَ بالعلم، ولأقسام الإسلام حَصرٌ، وما لِلَطائف العلم قصرٌ.

***

(١٣٢) ـ ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ﴾ الوصيَّة: الدعة[3] إلى الطَّاعة، والوَصَاةُ كذلك، والوِصايةُ والوَصايةُ مصدرُ الوصيّ، والفِعلُ: أوصى يُوصي[4] إيصاءً، ووَصَّى توصيةً، وتَواصى القومُ بكذا، واستَوصيتُ فلاناً؛ أي: سألتُه

---

(١) بعدها في (أ): «حكم».

(٢) في (ف) و(أ): «لغيره».

(٣) كذا في (ر) و(ف)! وفي (أ): «الدعاء».

(٤) لفظ: «يوصي» من (ف).

ذلـك، وقولـه: ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ﴾ [الأنعـام: ١٥١] أي: أمركـم[١]، وقوله: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ﴾ [النسـاء: ١١]؛ أي: يَفرِضُ.

وقولُه: ﴿بِهَآ﴾ قال الزجاج: أي: بالمِلَّة[٢].

وقيل: بالكلمة؛ وهي قوله: ﴿أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ قال[٣]: والأوَّل أصح؛ لأنَّها مذكورة، والثانية مدلولٌ عليها.

وقوله: ﴿بَنِيهِ﴾ أي: أولادَهُ الذُّكورَ الأربعةَ؛ إسماعيل، وإسحاق، ومدين، ومداين، و﴿بَنِيهِ﴾ حذف نون جمعِه للإضافة، وكذا في قوله[٤]: ﴿يَٰبَنِيَّ﴾، فاجتمع ياءُ الجمع وياء الإضافة، فأُدْغِمَتا، وفُتِحَت الآخرة؛ لأنَّها حركةٌ ضروريَّةٌ صِيْرَ إليها لاجتماع السَّاكنين، فاخْتِيرَ الفتحُ الذي هو أخفُّ الحركات.

وقولـه: ﴿وَيَعْقُوبُ﴾ عطـفٌ علـى: ﴿إِبْرَٰهِـۧمُ﴾ أي: أوصـى يعقـوبُ أيضـاً بنيه الاثنَي عشـر بذلـك، وقُرِئ في الشـاذِّ: (ويعقـوبَ) بالنصب[٥]؛ أي: أوصـى إبراهيمُ بنيـهِ وحافـدَه يعقـوبَ، فقـد أدرك جـدَّه، فأدخلهم جميعاً فـي وصيَّته.

وقال ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: سُمِّي يعقوب؛ لأنَّه مع أخيه عيص كانا توأمين، فخرجَ عند الولادة عيصُ أوَّلاً، ويعقوب آخذٌ بعقب عيصَ بعد عيص.

وقيل: سُمِّي به لكثرةِ عَقبه، وهم كلُّ بني إسرائيل؛ فإنَّهم أولادُه.

---

(١) بعدها في (ر): «به».

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٢١١).

(٣) «قال» ليس في (ف).

(٤) في (ر): «قراءة».

(٥) هي قراءة عمرو بن فايد وطلحة. انظر «مختصر في شواذ القرآن» لابن خالويه (ص: ١٧).

وقوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ﴾ «أن» مقدَّرةٌ هاهنا؛ كأنَّه قال: أوصِي أنْ يا بنيَّ[1]، وجاز الحذفُ؛ لأنَّ الوصية قولٌ، وفي القول يصحُّ بغير «أن»، ومثلُها الوعدُ والرِّسالةُ والإبلاغُ والإنذار، يجوزُ فيها الوجهان؛ إثباتُها وإلغاؤها، وكذا الأذانُ والدَّعوى وما يَجري مجراها، يجوز فيها إدخالُ «أن» وإلغاؤها، قال الله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ﴾ [المائدة: ٩]، ولم يقل: أن لهم مغفرةً؛ لأنَّ العِدَة قولٌ، وقال تعالى: ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ﴾ [الأعراف: ٤٤]، وقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ﴾ [نوح: ١]، وقال تعالى: ﴿وَءَاخِرُ دَعۡوَىٰهُمۡ أَنِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾[2] [يونس: ١٠]، ففي كلِّ هذا يجوزُ إثباتُها؛ لاعتبار الفعل، ويجوزُ حذفُها؛ لتقدير القول، وفي قوله: ﴿أَن كَانَ ذَا مَالٖ وَبَنِينَ﴾ [القلم: ١٤] لا يَجوزُ حذفُها؛ لأنَّه ليس فيه معنى القول.

وفي صريحِ القول وإضمارِه لا يَجوزُ إيرادُها، تقول: قلت له: زيدٌ في الدَّار، ولا يَجوزَ قلت له: أنْ زيدٌ في الدار، وقال تعالى: ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيۡدِيهِمۡ أَخۡرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ﴾ [الأنعام: ٩٣] لا يجوز في مثله: أنْ أخرجوا أنفسكم؛ لأنَّ القول مضمرٌ، وأنشدَ الكسائيُّ:

إنِّـي سـأبدي لـك فيمـا أبـدي
لـي شـجنانِ شـجنٌ بنَجْـدِ
وشَـجَنٌ لـي بِبـلادِ السِّـنْدِ[3]

---

(١) بعدها في (ر): «إنَّ الله اصطفى لكم الدين».

(٢) بعدها في (ر): «ربِّ العالمين».

(٣) الرجز في «معاني القرآن» للفراء (١/ ٨٠، ١٨٠)، و«تفسير الطبري» (٢/ ٥٨٣)، و«الزاهر» لابن الأنباري (٢/ ١٨٩)، و«تفسير الثعلبي» (١/ ٢٨١).

لأنَّ الإبداءَ قولٌ.

وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ﴾ أي: اختارَ لكم الدِّين، والألف واللام ليس للاستغراق، بل لتعريفِ المعهود، وله ثلاثةُ أوجه:

أحدها: أنَّه أُريدَ به الإسلام؛ لأنَّ الدِّينَ عند اللهِ الإسلامُ، وهو الدِّينُ المطلقُ المرضيُّ المشروعُ المأمورُ به.

والثَّاني: أنَّه بدلُ الإضافة، وهو مضافٌ إليهم؛ أي: اختارَ لكم دينكم الذي تَدينون به، وهو دينُ الإسلام[1] أيضاً.

والثَّالث: أنَّه مضافٌ إلى الله؛ أي: اختارَ لكم دينَه، وهو دينُ الإسلام أيضاً.

وقولُه تعالى: ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ أي: دوموا على الإسلام، حتَّى إذا أدركَكُم الموتُ وجدَكم مسلمين.

وقيل: أي: لا تموتوا إلَّا منقادين مفوِّضين الأمرَ إلى الله.

وقال الفضيلُ بنُ عياض: أي: لا تَموتُنَّ[2] إلَّا وأنتم محسنون بربِّكم الظَّنَّ[3].

قال النبيُّ ﷺ: «لا يموتنَّ أحدُكم إلَّا وهو يحسن الظنَّ بالله[4]، فإنَّ قوماً أساؤوا بربِّهم الظنَّ فهلكوا»، قال الله تعالى: ﴿وَذَٰلِكُمۡ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمۡ أَرۡدَىٰكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [فصلت: ٢٣][5].

---

(١) بعدها في (أ): «لأن الدين»، وهي مقحمة.

(٢) في (أ): «تموتوا».

(٣) انظر «تفسير الثعلبي» (١/ ٢٨١).

(٤) في (أ): «بربه».

(٥) رواه أحمد في «مسنده» (١٥١٩٧) من حديث جابر رضي الله عنه، وفي إسناده النضر بن إسماعيل =

(١٣٣) - ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ﴾ أي: أكنتُم حضوراً؟ و«أم» إذا لم يتقدَّمه ألف الاستفهام؛ كان بمنزلة مجرَّد ألف الاستفهام، وهو استفهامٌ بمعنى الاستنكار[1]، والشهداءُ: جمعُ شهيدٍ؛ وهو الحاضر.

وهذا خطابٌ لأهل الكتاب المدَّعين أنَّ دينَهم دينُ إبراهيم، يقول: ما كنتم حضوراً تعلمونَ ما جرى هناك، فلا تتعلَّقوا بما لم تَشهدُوه، ولا تَدْعوا أولادَه إلى اليهوديَّة والنَّصرانيَّة، فإنَّه كان على دينِ الإسلام، وبه أوصى أولاده.

وقال الزجَّاج: «أم» في الابتداء بمنزلة «بل»، وهو خطابٌ لهؤلاء، والمراد: سلفهم؛ أي: بل شهد آباؤكم يعقوبَ حين أوصى بالإسلام دون ما قلتم[2].

وقوله تعالى: ﴿إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ﴾ أي: حضر الموتُ يعقوبَ؛ أي: قَرُب خروجُه من الدُّنيا.

وقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ﴾ كرَّر كلمة «إذ»، والأُولى لبيان وقتِ حضور الموت، والثانيةُ لبيان وقتِ الإيصاء.

وقوله: بَنِيْهِ، قيل: هم الأسباط؛ وهم الأولادُ الاثنا عشر.

= وابن أبي ليلين وهما ضعيفان. والقطعة الأولى منه - وهي قوله: «لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله» - رواها مسلم في «صحيحه» (٢٨٧٧).

(١) في (أ) و(ر): «الإنكار».

(٢) كذا نقل المصنف عن الزجاج، ونص قوله في «معاني القرآن» له: (١/ ٢١٢): المعنى: «بل أكنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت؟»

وقيل: أولادُه وحوافده، وكانوا يومئذٍ ثمانين نفساً.

وقيل: مئتين[١] وخمسين، وهم بمصر.

وقوله تعالى: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِى﴾ أي: من تعبدون بعد موتي؟ وهو كقوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا﴾ [الشمس: ٥]؛ أي: ومن بناها، وقوله: ﴿وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ [الكافرون: ٣]، ومحلُّ «ما» رفعٌ بإضمار الهاء العائدةِ عليه؛ أي: ما تعبدون به[٢]، أو نصبٌ بإيقاع الفعل عليه بلا إضمار الهاء.

وقوله تعالى: ﴿قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾ أي: أجابَهُ أولاده، قالوا[٣]: نعبدُ اللهَ الذي تعبدُه أنت وتَلتَجِئُ إليه.

وقوله تعالى: ﴿وَإِلَٰهَ آبَائِكَ﴾ أي: وهو اللهُ الذي كان يعبدُه آباؤك الأنبياء، وقوله: ﴿إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾ هو بدلٌ عن قوله: ﴿آبَائِكَ﴾.

و﴿إِبْرَاهِيمَ﴾ كان جدًّا له، والجدُّ أبٌ؛ قال الله تعالى: ﴿كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ﴾ [الأعراف: ٢٧].

﴿وَإِسْمَاعِيلَ﴾ عليه السلام كان عمًّا له، والعمُّ عند العرب يُسمَّى أباً، وله حُرْمَةُ الأب، قال النبيُّ ﷺ في حقِّ العبَّاس: «هذا بقيَّة آبائي»[٤]، وقال أيضاً: «ردُّوا عليَّ

---

(١) في (ف): «مئتي».

(٢) في (أ): «تعبدونه» بدل: «تعبدون به».

(٣) في (أ): «فقالوا».

(٤) رواه الطبراني في «الكبير» (١١١٠٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩/ ٢٦٩): فيه عبد الله بن خراش، وهو ضعيف، ووثقه ابن حبان وقال: ربما أخطأ، وبقية رجاله وثقوا.

ورواه الطبراني في «الأوسط» (٤٢٠٩) من حديث الحسن بن علي رضي الله عنه. قال الهيثمي في =

أبي، فإنِّي أخشى أنْ تفعلَ به قريشٌ ما فَعلت بعروةَ بنِ مسعودٍ الثَّقفيِّ»[١].

﴿وَإِسْحَٰقَ﴾ عليه السلام كان والداً له، وقدَّم إسماعيل على إسحاقَ، مع أنَّ إسماعيلَ عمٌّ وإسحاقَ أبٌ حقيقةً؛ لأنَّ إسماعيلَ كان أكبر سنًّا منه.

وقرأ يحيى بن يعمر: (وإله أبيك)[٢] وله وجهان:

أحدهما: أنَّه قصدَ الأبوَّة على إبراهيم، وميَّز إسماعيل؛ لأنَّه عمٌّ لا أبٌ.

والثاني: أنَّه جمعَ أب على السَّلامة، يقال: أب وأبون، وأخ وأخون، وفي النَّصب والخفض: أبين وأخين، قال الشَّاعر:

فإنَّـك مجهـولُ الأبيـنَ هَجِيـنُ[٣]

وقال آخرُ:

وكانَ لنـا فَـزارَةُ عـمَّ سـوءٍ ... وكنتُ لـه كَشَـرِّ بنـي الأخِيْنَـا[٤]

= «مجمع الزوائد»: فيه جماعة لم أعرفهم.

ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٣٥١)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٢٢١٢)، والطبري (١٣/ ٤٢٥) عن مجاهد مرسلاً.

(١) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٦٩٠٢)، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٥٤٤٥) عن عكرمة مرسلاً مطولاً.

(٢) انظر: «مختصر في شواذ القرآن» لابن خالويه (ص: ١٧)، و«تفسير الثعلبي» (١/ ٢٨١)، وزاد ابن جني في «المحتسب» (١/ ١١٢) نسبتها لابن عباس والحسن وعاصم الجحدري وأبي رجاء بخلاف عنه.

(٣) أورده الكرماني في «غرائب التفسير وعجائب التأويل» (١/ ١٧٩) دون نسبة.

(٤) البيت لعقيل بن عُلَّفة المرِّي. انظر: «النوادر» لأبي زيد ص١١١، ١٩١، و«خزانة الأدب» للبغدادي (٤/ ٤٧٨ـ٤٧٩). وأورده الجاحظ في «البيان والتبيين» (١/ ١٨٦) دون نسبة.

وقولُـه تعالـى: ﴿إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾ بـدلٌ عـن قولـه عـزَّ وعـلا: ﴿إِلَٰهَكَ﴾، والأوَّل معرفـةٌ والثاني نكـرةٌ، وهو جائزٌ؛ كقوله تعالـى: ﴿لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾ [العلق: ١٥ ـ ١٦].

وقيل: هو على القطع؛ لأنَّه بعد تمام الكلام، والأوَّل معرفةٌ والثَّاني نكرة.

وقيل: فيه إضمار: «نَعبدُ» ثانياً، فقد قالوا: ﴿نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ﴾، فصارَ كأنَّهم قالوا: نَعبدُ إلهاً واحداً. وفائدةُ التَّكرار مع الصِّفة ـ وهي الواحد ـ نفيُ الوهم عن جاهلٍ يظنُّ أنَّهم لمَّا قالوا: إلهك وإله آبائك، فذكروا الإله مرَّتين، وبينهما واو، أنَّها عبادةُ إلهين، فقطع الوهمَ بإعادته مع صفةِ الواحد.

وقوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ أي: منقادونَ بالطَّاعة، ثابتونَ على العبادة، مخلصونَ في القولِ والعملِ والنيَّة، والواو للحال، وتَصلُحُ للحال الذي ذكروهُ بعدَ موتِه، وتَصلُحُ للحال التي تكلَّموا فيها؛ أي: نعبد بعدك معبودك، ﴿وَنَحْنُ﴾ للحال على ذلك.

وإنَّما أجابوه بهذه الكلمات التي تتضمَّن الثَّباتَ على الدِّينِ[١]، ومَدْحَ آبائِه بكونِهم على ذلك، فإنَّهم متَّبِعون لهم ثابتون على دينهم؛ ليكونوا بارِّين آباءَهُم، سَارِّين[٢] إيَّاه بقبول ما وصَّاهم به[٣].

وقال الكلبيُّ: لمَّا دخلَ يعقوبُ مصرَ، ورأى أهلها[٤] يَعبدون الأوثان والنِّيران؛

(١) في (ف): «دين الحق».

(٢) في (ر): «بارين».

(٣) «به» ليس في (أ).

(٤) في (أ): «أهله».

جمعَهم حين حضَرتهُ الوفاة، وخاف عليهم صنيعَ أهل مصر[١]، فسألهم عن ذلك، فأجابوه لِمَا أجابوه[٢]؛ فطابت نفسه.

وقال عطاء: إنَّ الله تعالى لم يقبض نبيًّا حتَّى يُخيَّر بين الموت والحياة، فلمَّا خُيِّرَ يعقوبُ؛ قال: أنظرني حتَّى أسألَ ولدي وأوصيهِم، فأُنْظِرَ، فجمعَ الأسباطَ وأولادهم، وقال ذلك، وقالوا له ذلك، ثمَّ قبضَهُ اللهُ تعالى وهم على هذا الدِّين[٣].

* * *

(١٣٤) ـ ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ﴾ أي: أولئك المذكورون؛ إبراهيمُ وأولادُه ﴿أُمَّةٌ﴾؛ أي: جماعةٌ ﴿قَدْ خَلَتْ﴾؛ أي: مَضَتْ وخَلا عنها أمكنتُها.

وقوله: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ ﴿مَا﴾ مع الفعل مصدرٌ؛ أي: لها كسبُها. وقولُه: ﴿وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ﴾ أي: ولكم كسبُكم؛ أي: هم يُحاسبونَ يوم القيامة بأعمالِهم ويجازون عليها، وأنتم تحاسبون يومَ القِيامةِ بأعمالكم وتجازون عليها، ولا تُؤاخَذون أنتم بأعمالِهم، ولا هم يؤاخذون بأعمالِكم.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ وهو كقوله: ﴿قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا﴾ الآية [سبأ: ٢٥]، وقولِه: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام: ١٦٤].

والكَسْبُ: ما يقع بقدرة حادثةٍ، والاختراعُ: ما يَقعُ بقدرةٍ قديمةٍ، فلا يُوصَفُ اللهُ تعالى بالكسْبِ، ولا العبدُ بالاختراع.

---

(١) انظر: «تفسير الثعلبي» (١/ ٢٨١).

(٢) في (أ): «أجابوا».

(٣) انظر المصدر السابق.

ووجه اتصال هذه الآية بالأولى أَنَّهم كانوا مسلمين، وقال في هذه: إِنَّهم قد مضوا، ولو كانوا مخطئين للحقِّ، دائنين بدينكم، لم ينفعكم؛ لأَنَّهم يُجازَون بأعمالهم، وأنتم تُجازَون بأعمالِكم، فاتَّبعوا الحقَّ أنتم، وصدِّقوا محمداً؛ فإنَّه يَدعو إلى الحقِّ، واتركوا تقليدَ المبطِلين.

ومعنى آخر: أَنَّهم مضوا على دينِهم الذي شَرَعهُ اللهُ لهم، والآن عليكم اتِّباعُ الدِّين الذي شرعَهُ اللهُ، والدِّينُ لله يَشرعُ منه ما يشاءُ، ويَنقلُ عمَّا يشاءُ إلى ما يشاء.

❊❊❊

(١٣٥) ـ ﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُواْۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُواْ﴾ أي: قالت اليهود للمسلمين: تَهوَّدوا تُصِيبوا الهدى، وقالت النَّصارى للمسلمين: تَنصَّروا تُصِيبوا الهدى، ولم يُرِد اجتماعَ الفريقين على دعواهم[1] جميعاً إلى الملَّتين جميعاً، وقد ذكرنا وجهَ ذلك في قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ﴾ [البقرة: ١١١].

وقال ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: إنَّ عبدَ الله بنَ صُوريا الأعورَ ـ لعنهُ اللهُ ـ قال لرسول الله ﷺ: ما الهُدى إلَّا ما نحن عليه، فاتَّبِعْنَا يا محمَّدُ تَهتدِ، وقالت النَّصارى مثلَ ذلك؛ فنزلت الآيةُ[2].

وقال ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما أيضاً: إنَّ يهود أهلِ المدينة؛ كعبَ بن الأشرف

---

(١) في (أ): «دعوتهم».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٥٨٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٢٤١) (١٢٩٠).

ومالك بن الصَّيف[١] ووهب بن يهودا وسائر اليهود لعنهم الله[٢]. وفي حديث مقاتلٍ: منهم كعب بن أسد[٣]، وأبو ياسر بن أخطب، وعازورا، وشمويل[٤]، وحبيش[٥]، ونصارى نجران؛ السيِّدُ والعاقب ومن معهما: خاصموا النبيَّ ﷺ وقالوا: كونوا على ديننا، وزعمتْ كلُّ فرقةٍ أنَّ نبيَّها أفضلُ الأنبياء، وكتابَها أفضلُ الكُتُب، ودينَها أفضلُ الأديانِ، فكذبهم اللهُ تعالى، فأنزل هذه الآية[٦].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ أي: قلْ يا محمَّد: لا نكون كما قلتُم، بل نتَّبعُ ملَّة إبراهيم.

فقوله: نتَّبع مضمرٌ؛ لدلالة ما مضى عليه، فإنَّ قوله: ﴿كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ﴾ في معنى: اتَّبعوا اليهوديَّة والنصرانيَّة، و﴿بَلْ﴾ ردٌّ لذلك، وإثباتٌ لما يُخالِفه.

وقيل: معناه: بل نكون؛ لأنَّ المذكور قبله: ﴿كُونُواْ﴾، ثمَّ نصبُ ﴿مِلَّةَ﴾ على هذا الطريق من وجهين:

أحدهما: بل نكون[٧] على ملَّة إبراهيم؛ فهو منصوبٌ بنزع الخافض.

أو معناه: بل نكون أهلَ ملَّة إبراهيم، وأضمر فيه الأهلَ؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢].

---

(١) في (ر) و(ف): «الضيف».

(٢) انظر قول ابن عباس هذا في «تفسير الثعلبي» (١/ ٢٨٢).

(٣) في «تفسير مقاتل»: «أسيد».

(٤) في (أ): « وعازار وسمول». وفي «تفسير مقاتل»: «وعازارا واشماويل».

(٥) في «تفسير مقاتل»: «وخميشا».

(٦) انظر «تفسير مقاتل» (١/ ١٤١).

(٧) بعدها في (ر): «بمعنى».

وقُرِئ في الشاذِّ: (بل ملَّةُ إبراهيم) بالرفع(١)؛ أي: ملَّتنا ملَّةُ إبراهيم.

وقوله: ﴿حَنِيفًا﴾ هو نعتُ ﴿إِبْرَٰهِـۧمَ﴾، ونُصِب على القطع؛ لأنَّ الأوَّل معرفةٌ وهذا نكرة، أو هو على الحال؛ أي: نتَّبعه في حال كونهِ حنيفاً.

والحنيفُ فيه أقاويلُ كثيرةٌ:

قال ابنُ دُريد: هو العادلُ مِن دينٍ إلى دينٍ، والعربُ كانت تسمِّي به العادلَ عن اليهوديَّة والنصرانيَّة(٢).

والحنفُ: الميلُ، والأحنفُ: الذي في صدر قدمِه ميلٌ، والحنيفُ: المائلُ عن الدِّين الباطل إلى خالصِ الدِّين الحقِّ.

وقيل: الحنيفُ: المستقيم، والأحنف سُمِّي به تحسيناً للاسم؛ كما يقال للأعمى: بصيرٌ(٣)، وللمهلكَة: مفازةٌ، وللَّديغِ: سليمٌ، أو قيل(٤) ذلك تفاؤلاً.

وقال الأزهريُّ: الحنيفُ: المقبل على الدِّين الحقِّ، والحَنَفُ: إقبالُ إحدى القدمين على الأخرى(٥).

وقال أبو عبيد(٦): الحنيفُ عند العرب: مَنْ كان على دينِ إبراهيمَ عليه السلام.

وقال ذو الرُّمَّة:

---

(١) هي قراءة الأعرج وابن جندب. انظر «مختصر في شواذ القرآن» (ص: ١٧).

(٢) انظر: «جمهرة اللغة» لابن دريد (١/ ٥٥٦)

(٣) في (ر) و(ف): «بصير».

(٤) في (ر) و(ف): «وقيل».

(٥) انظر «تهذيب اللغة» للأزهري (٥/ ١١٠) (مادة: حنف).

(٦) كذا وقع في النسخ، والقول في «تهذيب اللغة» للأزهري (٥/ ١١٠) عن أبي عبيدة، وهو في «مجاز القرآن» (١/ ٥٨).

إذا بلغ الظلُّ العشيَّ رأيته حنيفاً وفي قَرْنِ الضُّحى يَتَنصَّرُ[١]

يصف الحرباء باستقباله[٢] الكعبةَ عشيًّا، وتوجُّهه إلى المشرق غُدوة.

وقيل: الحنيفُ عند العرب: مَن اختتنَ وحجَّ البيت، وفي الإسلام صار اسماً للمسلم[٣].

وعن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما أنَّه قال: في كلِّ موضع ذكر الحنيف مع المسلم؛ فهو الحاجُّ، قال تعالى: ﴿وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا﴾ [آل عمران: ٦٧]، وفي كلِّ موضع ذُكِر[٤] وحده فهو المسلم، قال تعالى: ﴿حُنَفَآءَ لِلَّهِ﴾ [الحج: ٣١][٥].

وقوله: ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ أي: لم يكن كذلك، قطَعَ دعوى المخالفين؛ فإنَّ[٦] كلَّ فريق من أهل الضَّلالِ كانوا يَدَّعون أنَّ دينَه دينُهم، فأكذَبهمُ اللهُ تعالى في ذلك.

* * *

(١٣٦) - ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾.

---

(١) انظر: «ديوان ذي الرمة» (٢/ ٦٣٢)، وفيه: «إذا حول» بدل: «إذا بلغ».

(٢) في (ف): «باستيصاله».

(٣) هو قول الأخفش كما في «تهذيب اللغة» (٥/ ١١٠).

(٤) في (ف): «ذكره».

(٥) لم أقف عليه بهذا السياق، لكن روى الطبري في «تفسيره» (١/ ٥٩٣) عن ابن عباس قال: ﴿حَنِيفًا﴾: حاجاً.

(٦) في (ر): «لأن» وفي (ف): «وإن».

وقولـه تعالـى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ﴾ هـو دليـلٌ علـى[1] أنَّ الإقـرار شـرطٌ.

وقوله: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ أي: صدَّقنا بألوهيَّة الله تعالى، ووحدانيَّته، وبجميع ما جاءَ مِن عنده، وفيه اشتراطُ التَّصديقِ بالقلب، وهذا تعليمٌ للمؤمنين جوابَ أهل الكتاب حين قالوا: ﴿كُونُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰ﴾.

وقوله: ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا﴾ أي: وما أُنزل على نبيِّنا مِن القرآن، والإنزالُ إليه إنزالٌ إلى أُمَّتِه؛ لأنَّ حكم المنزَل يَلزمُ الكُلَّ.

وقوله: ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ﴾ أي: مِنَ الصُّحف، وقوله: ﴿وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ﴾ وهم أولادُه وحوافده؛ أي: وبما أُنزِل إلى هؤلاء.

والأسـباطُ في قول ابن عبَّاس رضي الله عنهما: أولادُ يعقوب عليه السـلام[2]، واحدهـم سِـبْط، وهو ليس باسـمٍ للولـد الواحـد، ولكنَّ السِّـبطَ كالطَّائفـة والفرقة فـي الأصل، والأسـباطُ فـي أولاد إسـحاق؛ كالقبائل فـي أولاد إسـماعيل، وهم[3] جماعـةٌ مِـن أبٍ وأمٍّ، مأخوذٌ من السِّـبط؛ وهي[4] شـجرةٌ واحدةٌ لها أغصـانٌ كثيرةٌ، وفي الحديث: «الحسينُ[5] سِـبطٌ مِـنَ الأسـباط»[6]؛ أي: أمَّةٌ مِنَ الأمـم في الخير،

(١) لفظ: «على» من (أ).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٧ ـ ٨).

(٣) في (ر): «وهما».

(٤) في (أ): «وهو».

(٥) في النسخ الخطية: «الحسن»، والمثبت من مصدري التخريج.

(٦) أخرجه الترمذي في «سننه» (٣٧٧٥)، وابن ماجه (١٤٤) من حديث يعلى بن مرة رضي الله عنه. قال الترمذي: هذا حديث حسن.

وفي الحديث: الحسنُ والحسينُ سِبطا رسولِ الله ﷺ[١]؛ أي: قطعتان منه.

وأولادُ يعقوب سُمُّوا أسباطاً وهم اثنا عشر؛ لأنَّه وُلِدَ لكلِّ ابنٍ منهم أُمَّةٌ مِنَ النَّاس، وهم اثنا عشر ابناً؛ يوسف، وابن يامين ـ وقيل: بنيامين ـ، وروبيل، ويهودا، وشمعون، ولاوي، ودان، وقِهاب[٢]، ويشجر، ونفتالن[٣]، وجاد، وآشر[٤]، ويقال: ربالون[٥] مكان: قهاب، ويشتاخر مكان: يشجر، ويعثال مكان: نفتالن، وحاد[٦] مكان جاد، والله تعالى أعلم بالصَّحيح من الرِّواية، ثمَّ ظاهرُ القرآن يدلُّ على أنَّهم أنبياء؛ لِذِكْرِ الإنزال عليهم، وقد اختلف فيه.

وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ﴾ أي: آمنَّا بما أُعطِي موسى مِنَ التَّوراة والمعجزات.

وقوله تعالى: ﴿وَعِيسَىٰ﴾ أي: وبما أُعطِي عيسى مِنَ الإنجيل والمعجزات.

---

(١) جاء هذا اللفظ في حديث أخرجه الطبراني في «الكبير» (٢٦٧٦) عن جابر وابن عباس رضي الله عنهم في خبر اقتصاص عكاشة من رسول الله ﷺ في قصة طويلة فيها ذكر وفاة رسول الله ﷺ، وفيها أن الحسن والحسين قالا: يا عكاشة أليس تعلم أنا سبطا رسول الله؟ فالقصاص منا كالقصاص من رسول الله ﷺ... وذكره ابن الجوزي في «الموضوعات» (١/ ٢٩٧ ـ ٣٠١) وقال بعده: هذا حديثٌ موضوعٌ محالٌ، كافأ الله من وضعَه، وقبَّح مَن يشينُ الشَّريعة بمثل هذا التخليطِ البارد، والكلام الذي لا يليق بالرسول ﷺ ولا بالصحابة، والمتَّهمُ به عبد المنعم بن إدريس.

(٢) اسمه كما في «تفسير الطبري» (٢/ ٥٩٨) عن السدي: «قهاث».

(٣) في (أ): «تقتالن» في هذا الموضع والذي يليه، واسمه كما في «تفسير الطبري» (٢/ ٥٩٩) عن ابن إسحاق: «نفثالي».

(٤) في (ف): «واشتر».

(٥) في (أ): «زبالون» وفي (ف): «روبالون».

(٦) في (ف): «وخاد».

وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ﴾ أي: وبما أُعطِي داودُ من الزَّبور وسائرُ الأنبياء من الدلالات.

وقوله: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ﴾ ولعلَّه اختصارٌ؛ أي: بين أحدٍ منهم وآخر، أو: وغيره؛ أي: في الإيمانِ فنؤمنُ ببعضٍ ونكفرُ ببعض؛ كاليهود والنَّصارى.

وقيل: أي: لا نقولُ: إنَّهم متفرِّقون في أصل الدِّين، نقول: أصلُ دين الكُلِّ يوحِّدون؛ أي:[1] التوحيدُ والطَّاعة، وإن اختلفت شرائعُهم، قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا﴾ الآية [الشورى: ١٣].

وقوله تعالى: ﴿وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ أي: مخلِصونَ مطيعونَ منقادون، ثمَّ ذكر في هذه الآية: النبيِّين، وكذلك في قوله تعالى: ﴿لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ﴾ إلى قوله: ﴿وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [البقرة: ١٧٧]، وقال في قوله: ﴿كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، وكذا في قوله: ﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾ [النساء: ١٣٦]، فاستدلَّ بذلك بعضُهم أنَّه لا فرقَ بين الأنبياء والرُّسل.

وقيل: بينهما فرق، قال[2] تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ﴾ الآية [الحج: ٥٢]، وكلُّ رسولٍ نبيٌّ، وليس كلُّ نبيٍّ رسولاً.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله تعالى: هذه الآية تَنقضُ على مَن يستثني في إيمانه؛ لأنَّه أمرَهُم أن يقولوا ذلك قولاً باتًّا لا ثنيا فيه[3].

***

---

(١) قوله: «يوحدون أي» ليس في (أ).

(٢) في (ر) و(ف): «وقال».

(٣) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (١/ ٥٧٧).

(١٣٧) ـ ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟﴾ قال الإمامُ أبو منصور رحمه الله: رُوِي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنَّه قال: لا تقرؤوا: ﴿بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ﴾ فإنَّ الله تعالى ليس له مثل، ولكن اقرؤوا: (فإن آمنوا بالذي آمنتم به)، أو (بما آمنتم به)[1]، وكذلك هو في مصحف عبد الله بن مسعود رضي الله عنه[2].

قال: ويَحتملُ أن يكون معناه: فإنْ آمنوا بلسانِهم، بمثل ما آمنتُم به بلسانِكم؛ بالكُتُب والرُّسل جميعاً، فقد اهتدوا.

وقال: ويَحتملُ أي: بلسانٍ[3] غيرِ لسانِهم فقد اهتدوا[4].

وقالوا: لا يصحُّ عن ابن عباس رضي الله عنهما ما حُكِيَ عنه، فإنَّه خلافُ القراءة المجمَع عليها، إلَّا أن يُحمَل على أنَّه أراد به: لا تتأوَّلوه على أن تجعلوا لله مثلاً؛ فإنَّه شركٌ، وتأوَّلوه على ما يَصِحُّ في التَّأويل مِن غير تمثيل.

وقيل: معنى ﴿بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ﴾: مثلَ ما آمنتم به[5]، و﴿مَآ﴾ مع الفعل مصدرٌ، وتقديره: فإن آمنوا مثلَ إيمانِكُم، والباءُ زائدةٌ، كما في قوله تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ﴾ [النساء: ٦]، وقوله: ﴿يَشْرَبُ بِهَا﴾ [الإنسان: ٦] أي: يشربها.

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٦٠٠)، وابن أبي حاتم (١/ ٢٤٤) (١٣٠٦).

(٢) القراءة ذكرها ابن خالويه في «مختصر في شواذ القرآن» (ص: ١٧).

(٣) بعدها في (ر): «أي».

(٤) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (١/ ٥٧٧ ـ ٥٧٨).

(٥) قوله: «مثل ما آمنتم به» من (أ).

وقيل الباء بمعنى «على»؛ أي: على مثلِ إيمانِكم، وهو كقوله[١]: كتبتُ بمثل ما كتبَ فلانٌ، وعلى مثلِ ما كتبَ فلان.

وقيل: معناه: فإن آمنوا بإيمانٍ مثلِ إيمانِكم.

وقيل: معناه: بما[٢] آمنتم به، وكلمةُ مثل زائدةٌ[٣]؛ كما في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١] أي: ليس كهوَ شيءٌ[٤]، وهو كما يُقال: لا يُقال لمثلي هذا؛ أي: لي.

وقوله[٥]: ﴿فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟﴾ أي: أصابوا الصِّراطَ السَّوِيَّ، وبه يَهديهِم ربُّهم إلى الجنَّة؛ كما قال تعالى: ﴿يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ﴾ [يونس: ٩]، وقال في حقِّ الكفَّار: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ﴾ [النساء: ١٦٨ ـ ١٦٩].

وقوله تعالى: ﴿وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ﴾ [البقرة: ١٣٧]؛ أي: اعرَضوا، وتُوصَلُ بـ «عن»، فيقال: تَولَّى عنه، بمعنى أعرض عنه، فإذا قيل: تولَّى إليه، فهو بمعنى الإقبال عليه، قال تعالى: ﴿ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ﴾ [القصص: ٢٤]، وتولَّاه؛ أي: اتَّخذه وليًّا، قال تعالى: ﴿لَا تَتَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ [الممتحنة: ١٣]، وقولُه: ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٦]؛ أي: يَلِي حفظَهم وكفايتَهم بنفسِه، وقولُه: ﴿نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ﴾ [النساء: ١١٥]؛ أي: نَكِلُهُ إلى ما اختارَه لنفسِه

ومعنى قوله: ﴿وَّإِن تَوَلَّوْا۟﴾ أي: أعرضوا عن الإيمانِ بما آمنتُم به.

---

(١) في (أ): «كقولهم».

(٢) في (ر): «مثل ما»، وفي (ف): «بمثل ما» بدل: «بما».

(٣) في (أ): «زيادة».

(٤) قوله: «أي ليس كهو شيء» من (أ).

(٥) في (ر) و(ف): «وله» بدل: «وقوله».

وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ﴾ أي: في خِلافٍ وعداوةٍ، وقد شاقَّه[(١)] يُشاقُّه مُشَاقَّةً وشِقاقاً؛ أي: صار هو في شِقٍّ ـ أي: جانبٍ ـ وذلك في شقٍّ، وقوله: ﴿شَآقُّواْ ٱللَّهَ﴾ [الأنفال: ١٣]؛ أي: خالفوه، وقولُه تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا﴾ [النساء: ٣٥]؛ أي: خلاف ما بينهما، وقولُه تعالى: ﴿لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِيٓ﴾ [هود: ٨٩]؛ أي: عداوتي. وقيل: هو مشتقٌّ مِن المشقَّةِ، وإذا خالفَه أو عاداه، فقد طَلَبَ مشقَّتَهُ.

وقوله تعالى: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ أي: لا تحزن[(٢)] يا محمَّدُ بخلافِهم وعداوتِهم، فسوف يكفيكَ اللهُ شرَّهُم.

وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ أي: يَسمعُ مَقالَ الموحِّدينَ فيه[(٣)]، فيثيبُهم، ومقالَ الكفَّار[(٤)]، فيعاقبُهم، والعليمُ باعتقادِ الفريقين، فيجزي الكلَّ على اعتقادِهم.

ويحتمل: ﴿ٱلسَّمِيعُ﴾ دعاءَك، ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بحاجتِك، فيجيبُك.

وقوله: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ﴾ كلمةٌ تنتظمُ سبعة[(٥)] أشياء؛ فاءَ الجوابِ لقوله تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ﴾، وسينَ سوف على اختصار، والياءَ الحادثة للاستقبال، ووعدَ الكفايةِ، وكاف خطابِ النبيِّ ﷺ، وهو مفعولٌ بـ«يكفي»، وهاءَ المغايبة، وميمَ الجمع، وينصرفُ إلى أهل الكتاب، ومحلُّها نصبٌ؛ لأنَّه مفعولٌ ثاني لـ«يكفي».

* * *

---

(١) بعدها في (ر): «الرجل».

(٢) بعدها في (ف): «عليهم» وهي مقحمة.

(٣) في (ف): «فيهم» بدل: «فيه»، وليس في (ر).

(٤) بعدها في (أ): «فيه».

(٥) في (ر) و(ف): «بسبعة».

(١٣٨) - ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ﴾ أي: قولوا: نتَّبعُ صبغةَ الله، وذُكِرَ فيه وجوهٌ، وهذا أصحُّها، فقد قيل: هو على الإغراء، وقيل: معناه الزَموا واتَّبعوا صبغةَ الله. لكن تَضعُف تلك الأقاويلُ بآخرِ هذه الآية؛ ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ﴾، ويعلم به أنَّ أوَّلَ الآيةِ محمولٌ على ما قلنا وهو كما تقدَّم: ﴿بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِۦمَ﴾[1].

وصبغةُ الله: دين الله، وله أسماء[2] كثيرةٌ، عَددْناها في[3] تفسير قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾ [البقرة: ٥].

وإنَّما سُمِّيَ صبغةً[4] لما أنَّه للمسلمين بدلٌ مِن صَبغِ النَّصارى أولادَهم في ماء المعموديَّة؛ لأنَّهم كانوا يفعلون ذلك بالمولودِ في اليوم السَّابع مِن ولادتِه، ويقولون: صبغناهُ بالنَّصرانيَّة، أو طهَّرناهُ بهذا الماء، فذَكرَ ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ﴾ على مقابلةِ ذلك، وهذا معنى ما قالهُ الفرَّاء[5].

وقال قتادة[6]: اليهودُ تصبُغ أبناءَها يهودًا، والنَّصارى تَصبُغ أبناءَها نصارى[7]؛ أي: يُلقِّنونَهم دينَهم، فيُشْرَبُون ذلك في[8] قلوبِهم، كما يُشرَبُ الصِّبغُ في الثَّوب.

---

(١) يعني: بل نتبع ملةَ إبراهيم، كما سلف عند تفسيرها.

(٢) في (أ): «أسامي».

(٣) في (أ): «عند».

(٤) في (ر): «صبغة الله».

(٥) انظر «معاني القرآن» للفراء (١/ ٨٣).

(٦) بعدها في (ر): «إن».

(٧) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٦٠٣).

(٨) «في» ليس في (أ).

وعن عمر رضي الله عنه أنَّه كتبَ في عهدِ نصارى بني تغلب؛ أن لا يَصبُغوا أولادَهم، ولكن يتركونَهم حتَّى يبلغوا، ويختاروا لأنفسِهم ما شاؤوا[١]؛ أي: لا يُلَقِّنونهم دينَهم.

فقال[٢] الله تعالى: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: تلقينَهم يوم الميثاق؛ ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ [الأعراف: ١٧٢].

وقال ابنُ الأنباريِّ: لم يخاطب اللهُ العربَ بهذا إلَّا وهي تعرفُه، وكانوا يقولون: فلانٌ يَصبُغُ فلاناً في الشرِّ، إذا أدخلَه فيه و[٣] ألزمهُ إيَّاه كما يَلزَمُ الثَّوبُ الصِّبغَ[٤]، أنشد[٥] ثعلب:

دعِ الشَّرَّ وانْزِلْ بالنَّجاةِ تَحرُّزاً ... إذا أنت لم يَصْبِغْكَ في الشَّرِّ صابغُ
ولكن إذا ما الشَّرُّ أرْخى قِناعَهُ ... عليكَ فجَوِّدْ دبغَ ما أنت دابِغُ[٦]

وصبَغَ يَصبَغُ، بفتح الباء[٧] في المستقبل، وفي[٨] ضمِّها وكسرها ثلاثُ لغاتٍ.

---

(١) رواه البيهقي في «الكبرى» (١٨٧٩٥)

(٢) كذا في النسخ، ولعلها: «وقال» يعني بداية قول مغاير لما قبله.

(٣) في (أ): «أو».

(٤) ما نسبه المصنف لابن الأنباري، لم أقف عليه فيما بين يدي من مصنفاته، وهو دون نسبته له في «التفسير البسيط» للواحدي (٣/ ٣٦٠)، ولابن الأنباري كلام حول هذا المعنى في «الزاهر» (١/ ٣٤٠ ـ ٣٤١) وهو مغاير لما هنا، وذكر البيتين الآتيين دون العزو لثعلب.

(٥) في (أ) و(ر): «أنشد».

(٦) البيتان دون عزوهما لثعلب في «الزاهر» لابن الأنباري (١/ ٣٤١)، و«أساس البلاغة» للزمخشري (مادة: دبغ وصبغ). وذكر الواحدي الأول منهما في «التفسير البسيط» (٣/ ٣٦٠) وعزاه لثعلب.

(٧) في (ر) و(ف): «بضم الياء» بدل: «بفتح الباء».

(٨) «في» ليس في (أ).

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً﴾ استفهامٌ في معنى الجَحْدِ؛ أي: لا أحدَ أحسنُ ديناً وتلقيناً مِن الله.

وقوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ﴾؛ أي: باتِّباعِنا ملَّةَ إبراهيمَ وصبغةَ الله، والعابدُ: العاملُ بحقِّ العبوديَّة في مرضات الله عزَّ وجلَّ.

* * *

(١٣٩) ـ ﴿قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ﴾ الألف ألف الاستفهام، وهو للتَّوبيخ والاستنكار[(١)] هاهنا، ومعناه عند ابن عباس رضي الله عنهما: لم تُجادِلوننا[(٢)]، وعند مجاهدٍ: لم تخاصموننا[(٣)].

والمحاجَّةُ مفاعلةٌ بين اثنين في إيراد الحجَّةِ على ما يَدَّعي.

وقال ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: قالت اليهودُ والنَّصارى نحن أبناءُ الله وأحباؤه، ونحنُ أولى بالله منكم، فنزلَت هذه الآيةُ[(٤)].

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾ فاستَوينا نحن وأنتم في عبوديَّتِه.

وقوله تعالى: ﴿وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ﴾؛ أي: فلا يُجزَى أحدٌ إلَّا بعملِه، ولا فضلَ لمن قَصُر عمله.

---

(١) في (ر): «والإنكار».

(٢) في (أ): «تحاجوننا».

(٣) أخرج قوله وقول ابن عباس الطبريُّ في «تفسيره» (٢/ ٦٠٧ ـ ٦٠٨).

(٤) أورده الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (١/ ٥٨٠).

وقوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ﴾؛ أي: الاعتقادَ والعملَ، لا أنتم، فكيف تكونون أفضلَ منَّا وأولى منا؟

وقال الكلبيُّ وغيرُه: أي: فاستوينا نحن وأنتُم في عبوديَّتِه، وإنَّ اليهودَ والنَّصارى ـ لعنهم الله ـ خاصموا أهلَ الإسلام في الدِّين، فقالوا: نحن أهلُ الكتابِ الأوَّلِ والعلمِ القديم، ونحن أبناءُ الله وأحباؤه، ولسنا من العربِ من عبدةِ الأوثان، فنحن أولى بالحقِّ[1] وبالفضل، وبأن يكون الرَّسولُ منَّا، ويُلتَمَسَ الحقُّ مِن عندنا، فنزلَت الآية: قل يا محمد: أتجادلوننا في دين الله تعالى واللهُ عزَّ وعلا ربُّ الكلِّ، غنيٌّ عن الكلِّ، لا ينفعُه طاعةُ مطيعٍ، ولا يَضرُّهُ عصيانُ عاصٍ، ولا نؤاخذُ نحن بأعمال غيرِنا مِن سلفِ[2] المشركين، ونحن الآنَ مِن المخلصين.

***

(١٤٠) ـ ﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَمْ يقُولُونَ[3] إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُوداً أَوْ نَصَارَى﴾

قرأ ابنُ كثير ونافعٌ ويزيدُ وأبو عمرو وعاصمٌ في رواية أبي بكر وحمَّاد والمفضل بالياء على المغايبة.

---

(١) بعدها في (ر): «منكم».

(٢) بعدها في (ر): «من».

(٣) كذا في (أ) و(ر)، ولم ينقط حرف المضارعة في (ف).

وقرأ الباقون بالتاء على المخاطبة[1]؛ بناءً على قوله: ﴿أَتُحَآجُّونَنَا فِي ٱللَّهِ﴾[2] أم تقولون: إنَّ هؤلاء الأنبياء كانوا على دينكم، فبأيِّ الحجَّتين تتعلقون؛ أبالتوحيد[3]، ونحن الموحِّدون دونكم، أم باتِّباعِ دينِ الأنبياء، ونحن المتبعون دونكم؟

وقراءةُ الياء على الإعراض[4] عن الخطابِ؛ استجهالاً[5] لهم بما كان منهم، كما يُقبِلُ العالِمُ على مَن بحضرتِه إذا ارتكبَ مَن يُجادلهُ جهالةً، فيقول: قد قامت الحجَّةُ عليه أم يقول[6] هو[7] بإبطالِ النَّظرِ المؤدِّي إلى المعرفةِ.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ﴾ أي قل: يا محمَّد، أتجادلوننا[8] في دين الله، أم تقولون: إن هؤلاء الأنبياء كانوا على ملَّتكم؟ وليس كذلك، وما كانوا إلَّا مسلمين على الدِّين الذي نحنُ عليه، كذا أخبرَنا ربُّنا، أفأنتم[9] أعلمُ بأديانهم، أم الله تعالى؟ أي: فاللهُ تعالى أعلمُ بهم[10] منكم، وقد علِمَ منهم خلافَ ما تقولون.

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ﴾ قيل: ولا أحد أظلم منكم معاشرَ أهل الكتاب؛ استفهامٌ بمعنى الجَحْدِ، وكذا ما قبلَه: ﴿ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ﴾،

---

(١) انظر «السبعة» (ص: ١٧١)، و«التيسير» (ص: ٧٧).

(٢) بعدها في (ر): «أي».

(٣) في (ر) و(ف): «بالتوحيد».

(٤) بعدها في (ف): «عن الأغراض»، وأضيفت في (ر) محرفة في غير موضعها!!

(٥) لفظ: «استجهالًا» من (أ).

(٦) في (ر) و(ف): «يقولون» بدل «يقول».

(٧) بعدها في (ر) و(ف): «باطل».

(٨) في (أ): «أتحاجوننا».

(٩) في (ر) و(ف): «فأنتم».

(١٠) في (ر) و(ف): «به».

يقول: لا أحدَ أظلمُ منكم؛ إذ كتمتُم مِن الله شهادةً عندكم، وأنتم شهداءُ بأنَّ هؤلاء الأنبياء لم يكونوا يهوداً ولا نصارى، وأنَّ محمَّداً نبيٌّ، وهو على دينِهم، قد علمتُم هذا، ووجدتموهُ في كتابكم، فعلى هذا القول قولُه: ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾ يتعلَّقُ بالكتمان، يقال: كتمتُك الشهادةَ، وكتمتُ منك الشَّهادةَ؛ أي: لم أقمْها عندكَ، فكأنَّه قال: ومَن أظلمُ ممَّن عندهُ شهادةٌ، فلم يقمْها عند الله جلَّ جلالُه وبينَ عباده، بل كتمَها وأخفاها، فظلمَ بذلك نفسَهُ.

وقيل: معناه: ومَن أظلمُ ممَّن كتمَ شهادةً جاءتهُ من الله، فحرَّفها وأخفاها، و﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾ على هذا يتعلَّق بالشَّهادة؛ أي: الشهادة من الله.

وقال الحسن: هذا قولُ المؤمنين لأهلِ الكتاب: ومَن أظلمُ منَّا؛ أي[1]: إن تابعناكُم على ما تقولون بعد أن حصلَت عندنا شهادةٌ مِن الله عليكم بالكذبِ في قولكم: إنَّ هؤلاء الأنبياء كانوا هوداً أو نصارى[2].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾ مِن كتمانِ الشَّهادةِ بصدق محمَّدٍ ﷺ، والبشارةِ به.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: هذا على الوعيد؛ أي: لا تحسبوا أنَّه غافلٌ عمَّا تعملون.

ويجوز أن يكون معناه: لم يُنْسِئهم على غفلةٍ ممَّا يعملون، بل على علمٍ بما يعملون، خلقهم ليُعلَمَ أنَّه ليس له في شيءٍ مِن عملِ الخلْق حاجةٌ ليخلقهم على رجاء النَّفع له، بل خلقَهم وهو يعلمُ أنَّهم يعصونه[3].

---

(١) لفظ: «أي» من (ف).

(٢) أخرجه بنحوه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٦١١)، وابن أبي حاتم (١/ ٢٤٦) (١٣٢٠).

(٣) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (١/ ٥٨١).

فإن قالوا: قوله: ﴿ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾ نَفى علمَهم[1]، وإثباتُ الشَّهادة عندَهم إثباتُ علمٍ لهم؛ إذ الشَّهادةُ لا تكونُ إلَّا بعلمٍ؟

قلنا: كانوا يَعرفونه كما يعرفون أبناءَهم، ولـمَّا كَتموا ذلك التحَقوا بالجهَّال؛ لفوت نفع العلم.

***

(١٤١) ـ ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ التكريرُ للتَّأكيد والتَّقرير.

وقيل: هذه محاجَّةٌ في غير ذلك الزمان، وغير ذلك المكان.

وقيل: الأُولى ترجعُ إلى أسلافِهم؛ أي: تلك الأسلاف قد مضت، وهذه في إبراهيم ومَن معه.

ووجهُه أنها مع فضلِها[2] ونبوَّتها، إذا لم ينفعْها عندَ اللهِ إلَّا ما كسبت بأنفُسِها، فأنتم أحرى أن لا ينفعَكم عند الله ما كسبوهُ، ولا تَنتفعون إلَّا بما تَكسِبونه، فلا تتَّكِلوا على أفعالهم.

***

(١٤٢) ـ ﴿۞ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

---

(١) في (ر): «عنهم العلم»، وفي (ف): «عنهم» بدل: «علمهم».

(٢) في (ف): «فعلها».

وقوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ أي: الجُهَّالُ الضُّعفاءُ العقولِ.

قال ابن عباس والبراء بن عازب رضي الله عنهم: هم اليهود[١].

وقال الحسنُ: هم مشركو العرب[٢]؛ لـمَّا حُوِّلَ رسولُ الله ﷺ إلى الكعبةِ مِن بيت المقدس، قالوا: يا محمَّدُ، رغبتَ عن قِبلةِ آبائك، ثمَّ رجعتَ إليها آنفاً، والله لترجِعنَّ إلى دينِهم.

وقال السُّدِّيُّ: هم المنافقون، قالوا ذلك استهزاءً بالإسلام[٣].

وقوله تعالى: ﴿مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُواْ عَلَيْهَا﴾ ﴿مَا﴾ كلمةُ استفهام بمعنى الاستنكار[٤].

وقوله ﴿وَلَّىٰهُمْ﴾ أي: صرفَهم، يقال: تولَّى عن كذا؛ أي: انصرفَ عنه، وولَّاهُ غيره؛ أي: صرفَهُ.

وقوله: ﴿عَن قِبْلَتِهِمُ﴾؛ أي: جهتهم التي يستقبلونَها في الصَّلاة، وأرادوا بها بيتَ المقدس.

وقوله ﴿ٱلَّتِى كَانُواْ عَلَيْهَا﴾؛ أي: على التَّوجُّه إليها.

وانتظامُها بما قبلَها أنَّه قال: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾ [البقرة: ١٣٠]، وهم اليهودُ والنَّصارى، سمَّاهم سفهاءَ، وذكر بعدها آياتٍ فيما قالوا، ثمَّ أخبرَ أنَّ هؤلاء السُّفهاء يقولون هذا.

---

(١) رواه عنهما الطبري في «تفسيره» (٢/ ٦١٦ ـ ٦١٧). وقول البراء رواه البخاري في «صحيحه» (٤٠)، (٣٩٩) مطولاً.

(٢) أورده الواحدي في «البسيط» (٣/ ٣٦٧).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٦١٦)، وابن أبي حاتم (١/ ٢٤٧) (١٣٢٤).

(٤) في (ر): «الإنكار».

واختُلِفَ في قوله: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ﴾ أنَّ هذا إخبارٌ عنهم قبل أن يقولوا، أو بعد ما قالوا؟ فأكثرُهم على أنَّه لـمَّا حُوِّلت القبلةُ إلى الكعبة، قالت اليهودُ ذلك، فأنزل اللهُ تعالى هذه الآيَةَ، ثمَّ قولُه: ﴿سَيَقُولُ﴾ وإن كان هذا لمحض الاستقبال، ولكن معناه: ستواصِلُ اليهودُ هذا القول، ويَدومون عليه طعناً[1] فيكم، والقولُ ممَّا يُكرَّر، فيجوز الإخبارُ عنه بهذه الصيغة؛ فيما وُجِد، وفيما يُوجَدُ مكرَّراً[2].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ولمَّا حُوِّلَت القبلةُ مِن بيت المقدس إلى الكعبةِ، جاء كعب بنُ الأشرف، ورفاعةُ بنُ قيس، وفروةُ[3] بن عمرو، ونافعُ بنُ أبي نافع، والحجَّاجُ بنُ عمرو، وكِنانةُ بنُ أبي الحُقَيق وجماعة، وقالوا: يا محمَّدُ، ما ولَّاك عن قبلتِكَ التي كنت عليها، كُنْ على قِبلةِ بيت المقدس، نتَّبعْكَ ونُصدِّقك، وأرادوا[4] فتنةَ النبيِّ ﷺ، فسمَّاهُم الله سفهاء[5]؛ لأنَّهم كانوا نوافلَ إبراهيمَ، والكعبةُ بناؤه وقبلتُهُ، ومع ذلك رَغِبوا عنها.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: كان وعدَ اللهُ نبيَّه عليه الصَّلاةُ والسَّلام أنْ يُحَوِّلَهُ إلى الكعبة، فأخبرَه بهذا عمَّا يقولُه اليهودُ إذا حُوِّلت، وكان هذا قبل أنْ تُحَوَّلَ، وقبل أن يَقولوا له شيئاً، ألا ترى إلى قوله: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾، ولو لم يكن له وعدٌ بذلك، لكان تقلُّبُ وجهِهِ إلى السَّماء تخيُّراً منه وتحكُّماً عليه، وليس لأحدٍ على الله ذلك، فدلَّ على الوعدِ.

---

(١) في (ر) و(ف): «ظنًّا».

(٢) في (ر) و(ف): «تكراراً».

(٣) في المصادر: «قردم» بدل: «فروة».

(٤) بعدها في (ر): «به».

(٥) رواه الطبري (٢/ ٦١٩)، وابن أبي حاتم (١/ ٢٤٧-٢٤٨) (١٣٢٧). وانظر «سيرة ابن هشام» (١/ ٥٥٠).

قال: ثمَّ فيه إثباتُ رسالةِ محمَّدٍ ﷺ، حيث كان أخبرَهُ على ما أخبر، وكان كذلك، فدلَّ أنَّه عَلِمَ ذلك بالله.

قال: ثمَّ إنَّ اليهودَ قالوا ذلك؛ لأنَّهم لا يَرون نسخَ الشَّرائعِ والأحكام، ويقولون: هذا[1] كالبَداء والرُّجوع، وذلك فعلُ مَنْ يَجهلُ عواقبَ الأمور، كبانٍ بنى بناءً ثمَّ نقضَهُ.

وهذا جهلٌ مِن اليهود، والنَّسخُ عندنا هو بيانُ مُنتَهى الحكمِ إلى وقتٍ، وليس فيه بَداءٌ، ولا نقضٌ لما مَضى، بل تجديدُ حكمٍ في وقتٍ بعد انقضاءِ حكمٍ[2].

وقوله تعالى: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ﴾ أي: قل يا محمَّدُ، لله الأمكنةُ والنواحي كلُّها[3]؛ يأمرُ عبادَه أنْ يتوجَّهوا إلى أيِّ جهةٍ شاءَ، شرقاً أو غرباً، فالطَّاعةُ له في الائتمار بأمرِه، لا في عين التوجُّه نحو المشرقِ أو[4] المغرب لهوًى هووه، أو لتمنٍ تمنَّوه؛ لأنَّ اليهودَ ـ لعنهم الله ـ جعلوا قِبلتَهم المغربَ اتِّباعاً لهواهم، وكذا النَّصارى، اتَّخذوا المشرقَ قبلةً بهوى أنفسِهم، والمسلمون اتَّبعوا الأمرَ في ذلك.

وقوله تعالى: ﴿يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾؛ أي: يُرشِدُ مَن يَشاءُ إلى قبلةِ الحقِّ، وهي الكعبةُ التي أَمَرَ بها، فيتوجَّهون إلى حيث أُمِروا به لا إلى حيث يَهوَون.

وقيل: أي: إلى أيِّ الجهات ولَّاهم فتوجَّهوا إليها، فهم على هُدًى واستقامةٍ؛ لأنَّهم بأمرِه توجَّهوا إليها.

وقالوا: لمَّا كانوا بمكَّة، أُمِروا أن يتوجَّهوا إلى بيتِ المقدسِ؛ ليَتميَّزوا به مِن

---

(١) في (أ): «هو».

(٢) انظر «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (١/ ٥٨٢).

(٣) بعدها في (ف): «له».

(٤) في (أ) و(ف): «و».

المشركين، ولـمَّا انتقلَ رسولُ الله ﷺ إلى المدينة، وكانت اليهودُ بها يتوجَّهون نحو بيت المقدس، نُقِلوا إلى الكعبة؛ ليَتميَّزوا منهم، كما تَميَّزوا من أولئك.

ورَوى أبو صالحٍ عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما: أنَّ النبيَّ ﷺ كانت قبلَتُهُ نحو بيتِ المقدس، فصلَّى إليها مع أصحابِهِ بعد مقدمه المدينة نحواً مِن سبعةَ عشرَ شهراً[1]. وكذا قال البراءُ بنُ عازب[2].

وقال قتادةُ: ستة عشر شهراً[3].

وقال أنس: تسعةَ أشهرٍ أو عشرةَ أشهر[4].

وقال قتادة: صلَّى الأنصارُ نحو بيت المقدس حَولين قبل قدومِ النبيِّ عليه الصَّلاة والسَّلام، وصلَّى النبيُّ بعد قدومه المدينة نحو بيت المقدسِ ستَّة عشرَ شهراً[5]، ثمَّ وجَّهَهُ اللهُ تعالى إلى الكعبة، فقالت اليهودُ لعنهم الله: ﴿مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا﴾؟ لقد اشتاقَ الرَّجلُ إلى مولده! فقال[6] الله عزَّ وعلا: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ﴾ الآية[7].

---

(١) لم أقف على رواية أبي صالح عنه، وهي كذلك (أي: سبعة عشر شهراً) في رواية سعيد بن جبير أو عكرمة عند الطبري في «تفسيره» (٢/ ٦١٩). وفي رواية علي بن أبي طلحة عنه أنه ﷺ استقبل بيت المقدس بضعة عشر شهراً. رواها ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٢٤٨) (١٣٢٩).

(٢) رواه البخاري (٤٠)، (٣٩٩)، وفيه أنه ﷺ صلى إلى بيت المقدس في المدينة ستة عشر أو سبعة عشر شهراً. وسلفت الإشارةُ إليه عند أول الآية.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٦٤٠)، وسيأتي قريباً مطولًا.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٦٢١).

(٥) من قوله: «وقال أنس تسعة» إلى هنا من (أ).

(٦) في (ف): «قال».

(٧) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٦٤٠).

فكانـوا يقولـون: الأرضُ المقدَّسـةُ مواطـنُ الأنبيـاء، ولهـا شـرفٌ قديـمٌ، فأُخبِـر[١] أنَّ المواطـنَ كلَّهـا لله، يُشَـرِّفُ منهـا مـا يشـاءُ فـي كلِّ زمـانٍ على مـا علـمَ مِـن مصالـحِ عبـادِه فيه.

وقال مقاتل بن سليمان: كان النبيُّ ﷺ يُصلِّي بمكَّة ركعتين بالغَداةِ، وركعتين بالعَشِيِّ، فلمَّا عُرِجَ به إلى السَّماء، أُمِرَ بالصَّلواتِ الخمس، فصارت الرَّكعتين[٢] للمسافر، وللمقيم أربعُ ركعاتٍ، فلمَّا هاجر النبيُّ ﷺ إلى المدينةِ، وذلك لليلتين خَلتا مِن شهر ربيعٍ الأوَّل، أُمِر[٣] أن يُصلِّيَ نحو بيت المقدس؛ لئلا يكذِّبَهُ[٤] اليهودُ؛ لأنَّ نعتَه في التَّوراةِ أنَّه صاحبُ قِبلتين، وكانت الكعبةُ أحبَّ القِبلتين إلى النبيِّ ﷺ، فقال لجبريل عليه السلام: «وَدِدتُ أنَّ ربِّي صَرَفني عن قبلةِ اليهودِ إلى غيرِها»، فقال جبريل: إنَّما أنا عبدٌ، لا أملكُ شيئاً، فسل[٥] ربَّك ذلك[٦]، فصَعِدَ جبريلُ عليه السَّلام إلى السَّماء، وجعل النبيُّ ﷺ يُدِيمُ النَّظرَ إلى السَّماء، فأنزلَ اللهُ تعالى في[٧] رجب عند الظُّهر قبلَ قتال بدرٍ بشهرين: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ الآية[٨].

وقال مقاتل بن حيان[٩]: أوَّلُ ما نُسِخ من القرآن أمرُ القِبلة، وذلك أنَّ النبيَّ ﷺ

---

(١) في (ر): «فأخبروا».

(٢) في (أ): «الركعتان».

(٣) في النسخ الخطية: «وأمر»، والمثبت من «تفسير مقاتل».

(٤) في (ر) و(ف): «يكذبونه».

(٥) في (ف): «فسأل».

(٦) «ذلك» سقط من (ف).

(٧) بعدها في (ر): «شهر».

(٨) انظر: «تفسير مقاتل» (١/ ١٤٤).

(٩) في (ر): «سليمان».

وأصحابَه رضي الله عنهم كانوا يصلُّون بمكَّة إلى الكعبةِ سنتين، فلمَّا هاجرَ أُمِر أنْ يُصلِّيَ نحو بيت المقدس، فقالت اليهود: يزعمُ محمَّد أنَّه نبيٌّ، وما نُراهُ أحدثَ في نبوَّتِه شيئاً، أليس يُصلِّي إلى قبلتِنا، ويَستنُّ بسنَّتِنا، فإن كانت هذه نُبوَّةً، فنحن أقدمُ وأوفرُ نصيباً، فبلغَ ذلك رسولَ الله ﷺ وشَقَّ عليه، وزادهُ الله شوقاً إلى قِبلة الكعبة، فأتاهُ جبريلُ، فقال له النبيُّ ﷺ: «وَدِدتُ أنَّ اللهَ يَصرِفني مِن قبلةِ اليهودِ إلى غيرها، فإنِّي أبغضُهم وأُبغِضُ موافقتَهم»، فقال جبريل: ليس لي من الأمرِ شيءٌ، وإنما أنا عبدٌ، فعرج[1]، وخرجَ[2] رسولُ الله ﷺ إلى الصَّحراء نحو أُحدٍ، يصلِّي هاهنا ركعتين، وهاهنا ركعتين[3] ويدعو الله تعالى أن يجيزَه[4] في ذلك.

فلم يَزل كذلك يُديم النَّظرَ إلى السماء حتَّى دخلَ ناحيةَ أُحد، فأنزلَ اللهُ تعالى في[5] رجب بعد زوال الشمس: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ الآية، فنَسَخت هذه الآيةُ ما كان قبلَها مِن قبلة بيتِ المقدسِ، وصارت الكعبةُ قبلةَ المسلمين إلى نفخ الصُّور.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: قوله: ﴿يَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ ردٌّ على المعتزلة؛ لأنَّه أخبرَ أنَّه يَهدي مَن يشاء، فدلَّ أنَّ اهتداءَ العبدِ بهدايتِه[6]، وعندَهم ليس كذلك، بل قالوا[7]: قد يشاءُ هُدى العبدِ فلا يهتدي.

---

(١) ذكر الثعلبي منه في «تفسيره» (٢/ ١١) من قول اليهود: يزعم محمد أنه نبي. إلى هنا.

(٢) في (ف): «فخرج».

(٣) قوله: «وهاهنا ركعتين» من (أ).

(٤) في (أ): «يخبر له»، ولعلها: «يَخِيرَ له» وفي (ف): «يخبره».

(٥) بعدها في (ر): «شهر».

(٦) في (ر): «بهداية ربه» بدل: «بهدايته».

(٧) لفظ: «قالوا» زيادة من (ف).

ودلَّ أنَّ مشيئةَ الهداية[١] ليست للكلِّ، وعندهم هدايتُه[٢] بيانٌ، وذلك للجميع.

ودلَّ على[٣] أنَّ السُّنَّةَ يَنسخُها الكتابُ، فإنَّ الصَّلاةَ إلى بيتِ المقدسِ كانت بالسُّنَّة؛ إذ لا ذكرَ له في الكتاب، ثمَّ نُسِخ ذلك بالكتاب.

وعند الشافعيِّ ـ رحمه الله ـ لا تُنسَخُ السُّنَّة بالكتاب إلَّا بعد عملِ الرَّسول به، فيصيرُ نسخُ السُّنَّة بالسُّنَّة. وهذا قبيحٌ؛ ألَّا يكونَ للكتاب من القوَّة ما يَنسخُ سنَّتَه لولا عملُه[٤].

* * *

(١٤٣) ـ ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾؛ أي: وكما هديناكُم إلى صراطٍ مستقيمٍ، صيَّرناكم أمَّةً وَسَطاً، وهذا وجهُ النَّظمِ.

ووجهٌ آخرُ: كما جعلنا قِبلتَكُم خيرَ القِبلتين في الدُّنيا، فكذلك جعلناكُم خيرَ الأممِ في العُقبى.

ووجهٌ آخرُ: إنْ عابَكمُ السُّفهاءُ بما قالوا في الآية الأولى، فإنَّ اللهَ تعالى يمدحُكُم في هذه الآية.

---

(١) في (أ): «الآية».

(٢) في (ف): «هداية».

(٣) لفظ: «على» من (أ).

(٤) انظر «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (١/ ٥٨٣).

وقولُه: ﴿وَسَطًا﴾ روى أبو سعيدٍ الخُدريُّ رضي الله عنه: عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: «الأمة الوسط: العدل»[1] أخذَ مِن التَّوسُّطِ في الدِّين، وهو بين الغلُوِّ والتَّقصير، فإنَّهم لم[2] يغلوا غلوَّ النَّصارى حيث وَصفوا المسيحَ وهو عبدٌ بالألوهيَّة، وبأنَّه ولده[3]، وبأنَّه ثالثُ ثلاثةٍ، ولم يُقَصِّروا تقصيرَ اليهود، حيث قَتلوا الأنبياءَ، ووصفوا مريمَ بالزِّنى، وعيسى بأنَّه ولدُ الزِّنى.

وقيل: سمُّوا وسطاً؛ لأنَّهم كالمتوسِّط بين الخصمين يَعدلُ ولا يميل، وكالمتوسِّط[4] بين شيئين متساويين.

وقيل: سمُّوا وسطاً؛ لأنَّ قبلةَ النَّصارى إلى المشرق، وقبلةَ اليهود إلى المغرب، والكعبةُ في[5] الوسط، وهي سرَّةُ الدُّنيا.

وقال أبو عبيدة: الوسطُ: الخيار[6]، قال النبيُّ ﷺ: قال الله تعالى: ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾ [القلم: ٢٨]؛ أي: خيرُهم وأفضلهم[7].

---

(١) رواه البخاري في «صحيحه» (٧٣٤٩)، والترمذي في «سننه» (٢٩٦١)، والنسائي في «الكبرى» (١٠٩٣٩)، والطبري في «تفسيره» (٢/ ٦٢٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٢٤٨ـ٢٤٩)، وغيرهم.

(٢) في (ر) و(ف): «لا».

(٣) في (أ) و(ف): «ولد».

(٤) في (أ): «وكالوسط».

(٥) في (أ): «إلى».

(٦) انظر «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١/ ٥٩).

(٧) ورد في «صحيح البخاري» (٣٥٧٠) في حديث الإسراء، وهو عن أنس بن مالك رضي الله عنه، أنه جاء النبي ﷺ ثلاثة نفر قبل أن يوحى إليه، وهو وهو نائم في مسجد الحرام، فقال أولهم: أيُّهم هو؟ فقال: أوسطهم: هو خيرهم.

وقال أحمدُ بن فارس: الوَسَط ـ بالفتح ـ مِن كلِّ شيءٍ أعدلُه، وضَرَبتُ وَسَطَ رأسِه ـ بفتح السِّين، وجَلستُ وسْطَ القوم؛ بالسُّكون، وهو أوسطُهم حَسَباً، إذا كان في واسطةِ قومه[١]، وواسطةُ القلادةِ أفضلُها.

وقوله تعالى: ﴿لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ أي: للأنبياء[٢]، و﴿عَلَى﴾ بمعنى اللام، كما في قوله: ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ﴾ [المائدة: ٣]؛ أي: للنصب، و﴿ٱلنَّاسِ﴾ هم الأنبياء هاهنا، كما في قوله: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾؛ أي: ذكرت للأنبياء[٣].

وقيل: كلمة ﴿عَلَى﴾ لحقيقتها هاهنا، و﴿ٱلنَّاسِ﴾ هم الكفار هاهنا، وهم أممُ الأنبياء الذين[٤] لم يؤمنوا، وتقديره: لتكونوا شهداءَ على الكفَّار للأنبياء يوم القيامة، قال اللهُ تعالى: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الأعراف: ٦]، فتقولُ الكفَّار: ما جاءنا من بشيرٍ ولا نذير، وتقول الأنبياءُ قد بلَّغنا، فإذا أنكر الأممُ احتاجَ الأنبياءُ إلى إثبات ذلك، فيأتون محمَّداً عليه الصَّلاة والسَّلام، يلتمسُ كلُّ رسولٍ منهم طائفةً من أمَّته تَشهدُ له على أمَّته، وإذا شهِدوا، قال الكفَّار: كيف تشهدون، ولم تكونوا في زماننا؟ فيقولون: أخبرنا الله تعالى به[٥] في كتاب نبينا؛ ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: ١٠٥]، وكذا في سائر القَصص[٦].

---

(١) انظر «مجمل اللغة» لابن فارس (٢/ ٩٢٤).

(٢) في (أ): «الأنبياء».

(٣) في (ف): «هم الأنبياء هاهنا» بدل من «أي ذكرت للأنبياء» والأخيرة مذكورة في هامشها نسخة.

(٤) في (ف) «والذين».

(٥) في (ف): «بذلك».

(٦) شهادة أمة محمد ﷺ للأنبياء على أممهم وردت في «صحيح البخاري» (٣٣٣٩)، (٤٤٨٧)، (٧٣٤٩) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، واعتراض كفار الأمم على شهادتهم رواه =

وقوله تعالى: ﴿وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ أي: لكم، كما في قوله: ﴿عَلَى ٱلنَّاسِ﴾، ومعناه: مُزكِّياً مُعدِّلاً.

وقال القفَّال: للمفسِّرين فيها ثلاثةُ أقوال:

أحدها: أنَّها تكونُ منهم على قوم نوحٍ خاصَّة.

والثاني: أنَّها تكونُ على كفَّارِ أمَّة هذه الدَّعوة، وهي[1] دعوةُ نبيِّنا محمَّدٍ ﷺ.

والثالث: أنها تكونُ منهم على جميعِ الأمم.

وقيل: معناهُ: ليَشهدَ كلُّ فريقٍ منكم على مَن يَحدُثُ في عصرِهم ومَن بعدَهم بالشَّرائعِ التي تَلزمُهم، ويكونَ الرسولُ شهيداً عليكم؛ أي: مبلِّغاً إليكم، شاهداً عليكم عن الله تعالى بما يؤدِّيه إليكم مِن شرائعِ دينِه، وتكونوا أنتم شهداءَ على النَّاس لله والرسولِ بما[2] أدَّاه الرسولُ إليكم عنه.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: جعل هذه الأمَّة عدولاً، والعدلُ: هو المستحِقُّ للشَّهادة وقبولها، ففيه الدِّلالةُ على جعل الإجماع حجَّةً، فإذا اجتمعوا على شيءٍ وشهدوا به، لزمَ قَبولُه بما شهدوا به، والشَّهادةُ فيه أنَّه من عند الله وقعَ لهم ذلك[3].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيْهَآ﴾؛ أي: بيت المقدس، وهاهنا

= ابن المبارك في «الزهد (١٥٩٨)، ومن طريقه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٦٣٥ ـ ٦٣٦) من حديث حبَّان بن أبي جَبَلة، وهو مرسل، وفي إسناده رشدين بن سعد، وعبد الرحمن بن زياد بن أنعم الإفريقي، وهما ضعيفان.

(١) في (ر) و(ف): «وهذه».

(٢) في (ف): «فيما».

(٣) انظر «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (١/ ٥٨٤ ـ ٥٨٥).

مضمرٌ، وهو: قبلة، تقديرُه[١]: وما جعلنا القبلةَ التي كنت عليها قبلةً[٢]، ومعنى ﴿جَعَلْنَا﴾: صيَّرنا، فيقتضي مفعولاً ثانياً، والقبلةُ التي كان عليها هي بيتُ المقدِس، ويقتضي إضماراً آخرَ في آخره؛ أي: ﴿لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾ إذا حوَّلناك عنها إلى الكعبة.

وقيل ﴿جَعَلْنَا﴾ في معنى: نَصبنا وشرعنا، كما في قوله: ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ﴾[٣]؛ أي: ما شرع، فلا يَقتضي الإضمارَ.

وقيل الإضمارُ في أوَّله: وما جعلنا تغييرَ القِبلة التي كنت عليها، أو صرفَك عنها، أو تحويلَها[٤]، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾؛ أي: وما جعلنا ذكرَ الرُّؤيا، أو خبرَك عن الرُّؤيا، إذ لا فتنةَ في نفس الرُّؤيا.

وقيل: ﴿وَمَا جَعَلْنَا﴾؛ أي: وما حوَّلنا، وهو كقوله تعالى: ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍۭ﴾ [الفيل: ٥]، والجَعْلُ في القرآن يجيء على قريبٍ من عشرين وجهاً، ذكرناها عند تفسير قوله: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا﴾ [البقرة: ٢٢].

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ﴾ أي: على اعتقاد استقبالِها، كما[٥] يقال: كان[٦] فلانٌ على دين كذا، وعلى قول كذا.

---

(١) من قوله: «أي بيت المقدس وهاهنا» إلى هنا وقع مكانه في (أ): «قيل: أي».

(٢) بعدها في (أ): «هي مضمرة».

(٣) بعدها في (ر): «ولا سائبة».

(٤) في (ر): «تحويل القبلة».

(٥) في (ر) و(ف): «علم اعتقادك مستقيما لها» بدل: «على اعتقاد استقبالها كما».

(٦) «كان» ليس في (أ).

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾؛ أي: ليتميَّزَ أهلُ الشَّكِّ[١] من أهل اليقين.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: معناه: إلَّا ليُعلمَ كائناً ما علمناه قبل كونِه أنَّه سيكونُ؛ لأنَّ اللهَ تعالى يَعلمُ الأشياءَ قبل كونها أنَّها ستكون، وبعد الكونِ يعلمُها كائنةً[٢]، وبعد ما مضى[٣] يعلمُ[٤] أنَّها كانت، وقبل الكون لا نقول[٥]: يعلمها كائنة؛ لأنَّه يكون جهلاً.

قال: ولا نَصِفُ اللهَ تعالى بالعلمِ في الخَلْقِ على غيرِ الحال التي الخَلْقُ عليها؛ لأنَّ وصفَنا إيَّاه بالعلمِ على غير الحال التي الخلقُ عليها يُؤدِّي إلى وصفِه بالجهل؛ لأنَّه لا يجوزُ أن يُقال: يَعلمُ مِن السَّاكنِ في حال السُّكون حركةً، أو مِن المتحرِّكِ في حالِ الحركة سكوناً، أو يَعلمُ مِن الجالسِ قياماً، أو مِن القائمِ جلوساً؛ لأنَّه وصفٌ بعلم ما ليس[٦]، وهو محال.

قال: وكلُّ علمٍ يُذْكَرُ على حدوث المعلوم، يُذكَرُ بِذكرِ الوقتِ للمحدَث[٧]؛ لئلَّا يُفهمَ بذكره قدمُ المعلوم في الأزل، فيُقال فيما لم يكن بعدُ: إنَّه يَعلم[٨]، وفيما هو كائنٌ: إنَّه عالمٌ به، ويقال فيما مضى: قد عَلِمَ.

---

(١) في (ف): «الشرك».

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (١/ ٥٨٦).

(٣) في (أ): «تمضي».

(٤) في (ر): «يعلمها».

(٥) في (ف): «يقال».

(٦) بعدها في (ر) و(ف): «هو عليه»، والمثبت موافق لما في «تأويلات أهل السنة» (١/ ٥٨٦).

(٧) في (ر) و(ف): «المحدث».

(٨) في (ر): «يعلمه».

وإذا وصفنا اللهَ تعالى بما هو حقيقةٌ بلا ذِكْر الخَلق مع ذلك، نَصِفُه بالذي نَصِفُه به في الأزل؛ لتعاليه عن التغيُّر والزَّوال، وعن الانتقال مِن حالٍ إلى حال، ولا قوَّةَ إلَّا بالله[١].

وقيل: معناه ليعلم رسولي والمؤمنون، والعربُ تضيفُ فعلَ الأتباعِ إلى المتبوع، وهو كقولِهم: رجمَ رسولُ الله عليه الصَّلاة والسَّلام ماعزاً، وقتل أبو بكرٍ الصِّديقُ أهل الرِّدَّة، وفتحَ عمرُ السواد[٢]،

وحُكِي عن بعض العرب: إنِّي أجوعُ في غير بطني، وأعرى في غيرِ ظهري؛ يعني: جوعَ عيالِه[٣] وعُرِيَهم.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿لِنَعْلَمَ﴾؛ أي: لنرى[٤].

وقال الفرَّاء: الحقيقةُ في العلم راجعةٌ إلى المخاطَبين، وهذا كعاقلٍ وجاهلٍ يجتمعان، فيقول الجاهلُ: الحطبُ يُحرِقُ النَّارَ، ويقولُ العاقلُ: بل النَّارُ تحرقُ الحطبَ، وسَنَجمعُ بينهما؛ لنعلم أيُّهما يُحرِقُ صاحبَه[٥]، فمعناه: لتَعلَمَ أنت أيُّها الجاهلُ، فكذا هذا[٦]، معناه: لتعلموا أنتم.

---

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (١/ ٥٨٦ ـ ٥٨٧).

(٢) في (ف): «سواد العراق».

(٣) في (ر) و(ف): «عيالي». وانظر: «تفسير الطبري» (٢/ ٦٤٢).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٦٤٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٢٥٠) (١٣٤١)، ولفظه: لنميز أهل اليقين من أهل الشك والريبة.

(٥) انظر «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٦٠) عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ﴾ [محمد: ٣١].

(٦) في (أ): «هنا».

وقيل: العلمُ صلةٌ، ومعناه: ليكونَ اتِّباعُ المتَّبعين، وانقلابُ المنقلبين، كقول الشاعر:

لا أعرفنَّـكَ بعـد المـوتِ تَنْدُبُنـي　　　وفي حياتـيَ مـا زوَّدْتَنـي زادِي[1]

المعنى: لا تَندُبْني بعد موتي، وهو كقولك: ما علمَ الله هذا منِّي؛ أي: ما كان منِّي، ولو كان لعلم[2] الله.

وقيل: معناه: إلَّا لنُعامِلَكم معاملةَ مَن يَمتحِنُ ليُعلَم، ثمَّ هذا اللام، وإنْ دخلَت في العلمِ، فهي داخلةٌ في الاتِّباع معنًى؛ لأنَّ الابتلاءَ لكي يقعَ الفعلُ فيعلمَه اللهُ، لا للعلم[3].

وتقديره: إلَّا ليتَّبعَ البعضُ الرَّسولَ، ويَنْقَلِبَ البعضُ، فيعلمَ اللهُ ذلك، وهو كقوله: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [محمد: ٣١]؛ أي: حتَّى تُجاهِدوا وتَصبِروا، فيعلمَ ذلك، وهو كقولك: لا أسمعنَّ كلامَك، النَّهيُ عن السَّماع ظاهراً، وحقيقتُه نهيٌ عن الكلام[4]؛ أي: لا تتكلَّمَنَّ فأسمعَنَّ كلامَك.

وقوله تعالى: ﴿مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ﴾ أي: في أمرِ القبلة ﴿مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾؛ أي: ينصرفُ، يقال: قَلَبَهُ؛ أي: صرَفَهُ، فانقلَبَ؛ أي: انصرفَ.

والعقبُ مؤخَّر القدم، وقال الأصمعيُّ: العقبُ: ما أصابَ الأرضَ مِن مؤخَّرِ الرِّجلِ إلى موضع الشِّراك[5].

---

(١) البيت لعبيد بن الأبرص، وهو في «ديوانه» (ص: ٤٨).

(٢) في (أ): «لعلمه».

(٣) في (أ) و(ر): «العلم».

(٤) في (ر) و(ف): «وحقيقة نهي الكلام» بدل: «وحقيقته نهي عن الكلام».

(٥) انظر: «الغريبين» للهروي (٤/ ١٣٠٥).

وقوله: ﴿يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ﴾ مجازٌ عن الارتداد، وهو الرُّجوعُ عن الدِّين الحقّ.

وقوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَتۡ لَكَبِيرَةً﴾ له ثلاثةُ وجوه[1]:

أحدها: أنَّ ﴿إِن﴾ للنَّفي، كما في قوله تعالى: ﴿إِنِ ٱلۡكَٰفِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ﴾ [الملك: ٢٠]، واللَّامُ في ﴿لَكَبِيرَةً﴾ بمعنى: إلَّا، كما في قوله: ﴿إِن كَانَ وَعۡدُ رَبِّنَا لَمَفۡعُولٗا﴾ [الإسراء: ١٠٨]؛ أي: ما كان وعدُ ربِّنا إلَّا مفعولاً.

والثاني: أنَّ ﴿إِن﴾ مع اللام للتَّأكيد، و﴿إِن﴾ بمعنى: قد، واللامُ بمنزلةِ القسم، وتقديرُه: وقد كانت كبيرةً والله.

والثالث[2] أنَّ ﴿إِن﴾ للتَّحقيق، يقول: لقيتُ فلاناً وإنْ كرهْتُ لقاءَه؛ أي: مع كراهتي للقائِه، وتقدير الآية: مع أنَّها كبيرةٌ إلَّا على المهتدين.

وقوله ﴿كَانَتۡ﴾ كنايةٌ عن القِبلة، وهي المذكورةُ في الآية. وقيل: كنايةٌ عن مصدرٍ مؤنَّثٍ مدلولٍ عليه غيرِ مصرَّحٍ به، وهو التحويلةُ، أو التَّوليةُ.

والكبيرةُ: الثقيلةُ، وقد مرَّ شرحُها في قوله: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ﴾ أي: على الذين وفَّقَهُم اللهُ لاتِّباعِ أمرِه، والانقيادِ لحكمِه، ومخالفةِ طبعه بموافقة شرعِه.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡ﴾ قال السُّدِّيُّ: لـمَّا توجَّه النَّبيُّ ﷺ إلى المسجدِ الحرام، اختلف الناسُ فيها، فكانوا أصنافاً؛ قال المنافقون: ما بالُهم كانوا على قبلةٍ، وما بالهم تركوها؟! وقالت اليهود: اشتاق محمَّدٌ إلى بلدِه ومولدِه.

---

(١) في (ف) و(أ): «أوجه».

(٢) من قوله: «أن إن مع اللام» إلى هنا من (أ).

وقال المشركون: تحيَّرَ في دينِه. وقال المسلمون: ليتنا نعلمُ حالَ إخواننا الذين ماتوا وهم يُصلُّون نحو بيت المقدس، فنزلَت الآيات[١].

ورُوي أنَّ حييَّ بنَ أخطب وأصحابَهُ قالوا للمسلمين: أخبرونا عن صلاتِكم نحوَ بيت المقدس، أكانت هدًى أم ضلالة؟ فإن كانت هدًى، فقد تحوَّلتُم عنها، وإن كانت ضلالةً، فقد دِنتُمُ اللهَ وتقرَّبتم إليه بها، وإنَّ مَن مات منكم عليها، لقد مات على الضَّلالة.

وقال المسلمون: إنما[٢] الهدى ما أمرَ اللهُ به، والضَّلالةُ ما نَهى الله عنه.

قالوا: فما شهادتُكم على مَن مات منكم على قِبلتِنا؟ وكان مات قبل أن تُحوَّلَ القبلةُ أسعدُ بنُ زرارة من بني النَّجار، والبراءُ بن مَعرور مِن بني سلمة، وكانا من النُّقباء، ومات رجالٌ.

فانطلق عشائرُهم، فقالوا للنبيِّ ﷺ: توفِّي إخوانُنا وهم يُصلُّون إلى القِبلة الأولى، وقد صرفَك اللهُ[٣] إلى قبلةِ إبراهيم، فكيف إخوانُنا[٤]؟ فأنزل اللهُ تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ﴾؛ أي: صلاتَكم إلى بيت المقدس[٥].

سمَّى الصلاةَ إيماناً؛ لأنَّ وجوبَها على أهل الإيمان، وقَبولَها مِن أهل الإيمان.

---

(١) روى الطبري في «تفسيره» (٢/ ٦٥٢) القطعة الأخيرة منه (يعني كلام المسلمين وتخوغهم على من سبقهم).

(٢) في (ف): «إن».

(٣) بعدها في (ر): «عنها».

(٤) في (ر) و(ف): «بإخواننا».

(٥) انظر «تفسير الثعلبي» (٢/ ٩ ـ ١٠)، وأورده الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٩) من رواية الكلبي عن ابن عباس.

وقيـل: كان اليهودُ يجعلـون الصَّلاة إيمانـاً، فخاطبَهُم[١] بما سـمَّوها، كما قال: ﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ﴾ [الصافات: ٩١]، والأصنـامُ ليسـت بآلهـة، لكـن[٢] كانـت كذلـك علـى زعمِهم، فسـماها بما سـمَّوها؛ أي: على زعمِهم وكما قـال: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤]، ولا خالـقَ إلَّا الله، لكـن كانـوا يعرِفـون كلَّ صانـعٍ خالقًـا، فخوطِبـوا على مـا تَعارفوا.

وقال الإمام أبو منصورٍ رحمه الله: قال بعضُ المفسِّرين: إنَّ قوماً صلَّوا إلى بيت المقدس، وماتوا على ذلك، فلمَّا حوِّلَت القبلةُ قالوا: ضاعت صلاتهم؛ إشفاقاً عليهم. لكنَّ هذا بعيدٌ[٣] لا يحتمل؛ لأنَّ الذي اعتقدَ الإسلامَ مِن الصَّحابة رضي الله عنهم، وعرف موقعَ[٤] أمر الله وأمرِ رسولِه، لا يجوزُ أن يخطرَ ببالهم هذا حتَّى يسألوا عن ذلك، بل كانوا أعلمَ باللهِ مِن أن يجدَ عدوُّ الله فيهم ذلك؛ لأنَّهم[٥] أطاعوا اللهَ فيما أمرَهم، وماتوا على التَّصديق[٦].

لكن إن كان ثَمَّ سؤالٌ، فهو من اليهود الذين لا يرون النَّسخَ.

أو قوم مِن الكفرةِ آذوا رسولَ الله ﷺ، وأفرطوا في خلافِه ومعاداتِه، ثمَّ أرادوا الإسلامَ، فظنُّوا أنَّ ما سبقَ منهم يَمنعُ قَبول الإسلام، فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ

---

(١) بعدها في (ر): لفظ الجلالة «الله».

(٢) في (ر): «وإنما» وفي (ف): «كما» بدل: «لكن».

(٣) في (أ): «تعبد». وهو تحريف.

(٤) في (أ) و(ف): «مواقع». والمثبت موافق لما في «تأويلات أهل السنة».

(٥) بعدها في (ر): «كانوا».

(٦) والذي صح في ذلك ما رواه الترمذي في «سننه» (٢٩٦٤) وغيره عن ابن عباس قال: لما وُجِّهَ رسولُ الله ﷺ إلى الكعبة، قالوا: يا رسولَ الله، فكيف بالذين ماتوا وهم يصلُّون إلى بيت المقدس؟ فأنزلَ الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾. قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

﴿لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾ لما كان منكم في حال الكفر، يدل عليه آخرُ الآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ يتجاوزُ عمَّن تابَ.

أو قومٍ علموا أن لا اختلافَ في الدِّين، وظنوا أنَّ نسخَ الأحكامِ يُوجِبُ اختلافاً في الدِّين، فبيَّن أنَّ الإيمانَ لا يقعُ على اعتقاد الصَّلاة إلى جهةٍ دون جهة، بل يقعُ على الائتمار، فالإيمانُ مِن الصَّحابة الذين ماتوا كان على اعتقادِ الائتمار، ومِن هؤلاء كذلك، فلا تفرُّقَ ولا اختلاف[1].

ويحتمل أن يكون معناه: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾ بالصَّلاة إلى بيت المقدس، فإنَّه كان بالأمر.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ الرؤوف على وزن الفعول[2]، والرَّؤف على وزن الفَعُل[3]، والرَّحيمُ على وزن الفعيل، هو المبالغُ في الرَّحمة والرَّأفة.

والرَّأفةُ المصدر، والرآفة بالمدِّ كذلك، والرَّحيمُ قد فسَّرناهُ في التَّسمية، فالرَّحيمُ أعمُّ، والرؤوف أبلغُ، ولذلك جمع بينهما لإثباتِ المعنيين جميعاً، وبدأ بالأبلَغِ، وختمَ بالأعمِّ.

ومعناه هاهنا أنَّه برأفتِهِ ورحمته نقلَهم عن ذلك إلى هذا، وهو أصلحُ لهم، ولم يضيِّع[4] عملَهم، ولم يُوجِب إعادتَهُ عليهم بعد النَّسخ.

---

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (١/ ٥٨٧ ـ ٥٨٨).

(٢) في (ف): «فعل».

(٣) وهما قراءتان متواترتان؛ قرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وحفص: «لرؤوف»، وقرأ الباقون: «لرَؤُف». انظر: «السبعة» (ص: ١٧١)، و«التيسير» (ص: ٧٧).

(٤) في (أ): «يضع».

ثمَّ وصفَ رسولَه بقوله: ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]، وقال في صفة نفسه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ وهو يَعمُّ الكفَّار والمؤمنين، وذلك في حقِّ الكافر؛ فإنَّه[1] يَرزقُه، ويُمهِلُه، وإذا أتاهُ يَقبلُه، ورأفةُ محمَّدٍ عليه الصَّلاة والسَّلام ورحمتُه على المؤمنين خصوصاً[2] كانت مِن الله تعالى، قال ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾ الآية [آل عمران: ١٥٩]، ويقول لنبيِّه عليه الصَّلاة والسَّلام: ﴿قُل لَّوْ أَنَّ عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام: ٥٨]، أخبرَ أنَّ الكفَّار يَستعجِلون العذابَ، ولو كان ذلك إلى النبيِّ ﷺ لأهلكَهم، فلا أرأفَ ولا أرحمَ من ربِّ العالمين، هو أرحمُ الرَّاحمين، وأكرمُ الأكرمين.

ثـمَّ قولُـه[3]: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾ فـي جـواب الذيـن سـألوا عن حال صلواتهـم إلى بيـت المقدس ظاهـرٌ[4].

وعلـى قـولِ مَن قـال: هو جـوابٌ عن صـلاةِ الذين صلَّـوا إلى بيـت المقدسِ وماتـوا، يكـون[5] معنـاه: ليضيـعَ إيمـانَ سـلفِكم، كمـا قلنـا في قولـه: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَٰٔتُمْ فِيهَا﴾ [البقرة: ٧٢].

وإن كان هذا جوابَ الكُلِّ، فوجهُه أنَّه خطابُ الحاضرين والغائبين، والغالب فيه مِن استعمالِ العرب هو الإجراءُ على المخاطبة، يقولون: كنت أنت وفلانٌ ـ الغائبُ ـ فعلتما ذلك.

* * *

---

(١) في (أ): «بأنه».

(٢) في (ر): «خاصة».

(٣) في (ر) و(ف): «قال».

(٤) في (أ): «ظاهراً».

(٥) في (ر) و(ف): «ليكون».

(١٤٤) ـ ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ قد قدَّمنا قصَّته، و﴿قَدْ﴾ كلمةُ تأكيدٍ و«لقد» أبلغُ منه.

والتَّقلُّبُ: التَّصرُّف، ومعناه: نرى إدامةَ نظرِك إلى السَّماء؛ انتظاراً لتحويلِ القِبلة إلى الكعبة، وكان يتمنَّى ذلك لمخالفةِ اليهود ـ لعنهم الله ـ؛ لأنَّهم كانوا يقولون: إنَّه يُخالِفنا في ملَّتِنا، ويَتوجَّهُ إلى قبلتِنا، ولأنَّ الكعبةَ كانت قِبلة إبراهيم، ولأنَّه كان يَرجو أن يكونَ ذلك سبباً لإسلامِ العربِ.

وقوله تعالى: ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ﴾ اللامُ في أوَّلِه والنون المشددة في آخره للقَسَم، وهو للتَّأكيد؛ أي: لنُوَجِّهنَّكَ[1]. وقوله تعالى ﴿قِبْلَةً﴾ مفعولٌ ثانٍ، وقولُه تعالى: ﴿تَرْضَىٰهَا﴾؛ أي: تُحِبُّها؛ للمعاني الثلاثةِ التي قدَّمناها.

وقيل[2]: ترضاها؛ لأنَّها كانت قبلةَ الأنبياء من قبل، وليس معناه أنَّه كان لا يَرضى غيرَها، وهذا جائزٌ في الكلام، يقول الرَّجلُ لآخر: أعطيكَ شيئاً ترضاهُ، وإن لم يظهر منه الكراهةُ في غيرِ ذلك والرَّدُّ.

وقيل: أي: لا تسخطُها، وتُسَلِّمُ لأمرِ الله فيها؛ لا تفعلُ كما فعلت العربُ الذين أسلموا ثمَّ ارتدُّوا حين حُوِّلَت القبلةُ، فأنت ترضاها، وترضى كلَّ جهةٍ نوجِّهُك إليها؛ لأنك تَعلمُ أنَّ اللهَ تعالى لم يفعل ذلك إلَّا لعلمِه بأنَّ صلاحَك وصلاحَ أمَّتِك فيه.

---

(١) بعدها في (ر): «قبلة».

(٢) بعدها في (أ): «أي».

ودلَّت الآيةُ على عِظَم قَدرِ نبيِّنا عليه الصَّلاة والسَّلام عند الله، حيث جعلَ الكعبةَ قبلةً له على موافقة[١] محبَّتِهِ ورضاه، وهذا كما رُويَ عن عائشة رضي الله عنها أنَّها قالت للنبيِّ ﷺ حين نزلَ قوله تعالى: ﴿تُرۡجِي مَن تَشَآءُ مِنۡهُنَّ وَتُـٔۡوِيٓ إِلَيۡكَ مَن تَشَآءُۖ﴾ [الأحزاب: ٥١]: يا محمَّدُ أما إنَّ ربَّك ليُسارع[٢] لك في رضاك[٣].

وقد مرَّ عن الإمام أبي منصور رحمه الله أنَّه قال: كان النبيُّ ﷺ يُقلِّبُ الوجهَ في السَّماء؛ لما سبقَ له من الوعدِ بتحويل القبلة. قال: ويقال ـ وهو[٤] تفسير الحسن البصري ـ: إنَّه كان حُبِّبَ إليه الصَّلاةُ حتَّى كان لا يصبرُ عنها، وقد نُهِيَ عن الصَّلاةِ إلى بيت المقدس، ولم يُؤمَر بعدُ بالتوجُّه إلى غيرها، وكان يُقلِّبُ وجهَه إلى السَّماء رجاءَ أن يُؤمَرَ بالتوجُّه إلى غيرها[٥].

وقوله تعالى: ﴿فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ﴾؛ أي: وَجِّه وجهَك نحو الكعبة إذا أردتَ الصَّلاة، وحقيقةُ قولِه: ﴿فَوَلِّ وَجۡهَكَ﴾ أي: اجعَلْ وجهَكَ ممَّا يَلِيه، وشطرُ الشيء نحوه.

و﴿ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ﴾ قيل: هو على ظاهرِه، والمسجدُ الحرامُ هو المسجدُ الكبيرُ الذي فيه الكعبة، وقالوا: إنَّ عينَ الكعبة يَصعُبُ استقبالُها؛ لصغرها.

وقيل: هو الحرمُ كلُّه.

والصَّحيحُ أنَّه الكعبة، فهي القبلةُ، ففي جميع الأحاديث كذلك؛ ثمَّ صُرِفَ إلى

---

(١) في (ر): «توافق» وفي (ف): «موافق».

(٢) في (أ): «ليتسارع».

(٣) رواه البخاري (٤٧٨٨)، ومسلم (١٤٦٤).

(٤) في (ر) و(ف): «في».

(٥) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (١/ ٥٨٩).

الكعبة[١]، وكان يُحِبُّ أنْ يوجَّه إلى الكعبة[٢]، حُوِّلَ إلى الكعبة[٣]، فقال عند ذلك: ألا إنَّ القبلةَ حُوِّلَت إلى الكعبة[٤]، ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ﴾؛ أي: نُحَوِّلَنَّك إلى الكعبة.

وقوله تعالى: ﴿وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ هذا أمرٌ لجميع المؤمنين[٥] بذلك بعد ما أمرَ به محمداً عليه الصَّلاة والسَّلام على الخصوص، وفيه إضمار؛ أي: وفي أي موضعٍ كنتم من الأرض وأردتُم الصَّلاة، فولُّوا وجوهَكم نحوَه.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ أي: اليهودَ والنَّصارى. قوله تعالى: ﴿لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ﴾ أي: هي قبلةُ الأنبياء، وأنَّهم إليها كانوا يُصلُّون.

وقيل: ﴿لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ لعِلْمِهم أنَّك نبيٌّ، وأنَّك لا تأتي إلَّا بالحقِّ.

وقيل: أي: في كتبِهم صفةُ النَّبيِّ ﷺ، ومَبعثُهُ، وهِجرتُه، وتحويلُهُ إلى الكعبة، فكانوا يعلمون أنَّ اللهَ سيُحَوِّلُهُ إليها، و﴿أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ﴾.

وقولـه: ﴿لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ﴾ ترجـعُ الكنايـةُ إلـى التَّحويـل الـذي دلَّ عليـه قولُـه:

---

(١) قوله: «ثم صرف إلى الكعبة» رواه أحمد في «مسنده» (٢٩٩١) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) قوله: «كان يحب أن يوجه إلى الكعبة» رواه البخاري في «صحيحه» (٣٩٩) من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه. وسلف بعضه عند تفسير قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ﴾.

(٣) قوله: «حول إلى الكعبة» رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٦٦٨) عن السدي.

(٤) روى أبو داود في «سننه» (١٠٤٥) من حديث أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ وأصحابه كانوا يصلون نحو بيت المقدس، فلما نزلت هذه الآية: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾، فمر رجل من بني سلمة فناداهم وهم ركوع في صلاة الفجر نحو بيت المقدس: ألا إن القبلة قد حولت إلى الكعبة، مرتين، قال: فمالوا كما هم ركوع إلى الكعبة. وهو عند مسلم في «صحيحه» (٥٢٧) بلفظ: «ألا إن القبلة قد حولت» يعني دون لفظ: «الكعبة».

(٥) في (أ): «المسلمين».

﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ﴾، أو تقديره: ليَعلمون أن ما نُولِّيكَهُ[1]، وما نفعلُه مِن تحويلِك إلى الكعبةِ هو الحقُّ.

وقوله تعالى: ﴿**وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ**﴾[2] قرأ الأعمشُ بتاء المخاطبةِ، وهي قراءةُ ابن عامرٍ وحمزةَ والكسائيِّ وسهلٍ ويعقوبَ[3]، وهو وعدٌ للمؤمنين بالثَّواب على القَبول والأداء، وقرأ الباقون بياء المغايبة[4]، وهو وعيدٌ للكافرين بالعِقاب على العُنود والإباء.

* * *

(١٤٥) ـ ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ﴾ ﴿وَلَئِنْ﴾ لامُ قسمٍ دخلت على «إن» التي هي للشَّرط، ولذلك أجيبَ بـ ﴿مَا﴾، وجوابات القسم خمسة:

أحدها: «ما»، قال: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى (١) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى﴾ [النجم: ١ ـ ٢].

والثاني: إنَّ المشددة، قال تعالى: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الحجر: ٧٢].

والثالث: اللام المفتوحة، قال الله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ﴾ [مريم: ٦٨].

---

(١) في (ر): «نوليك» وفي (ف): «نوليكم».

(٢) في (ف): «يعملون».

(٣) هي قراءة يعقوب في رواية روح. وقرأ بها أيضاً من العشرة أبو جعفر. انظر «النشر» (٢/ ٢٢٣).

(٤) انظر: «السبعة» (ص: ١٦٠ ـ ١٦٢)، و«التيسير» (ص: ٧٧).

والرابع: إن الخفيفة، قال الله تعالى: ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: ٩٧].

والخامس: لا، قال الله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [البقرة: ١ ـ ٢].

وقوله: ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ﴾ أي: ولو جئتَ رؤساءَ اليهود والنَّصارى بكلِّ[1] معجزةٍ طلبوها منك على تصديقِك في دَعوى رسالتِك، ﴿مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ﴾؛ أي: ما صلَّوا إليها، ولم يؤمنوا بكَ، وله وجهان:

أحدهما: أنَّ جميعَهم لا يؤمنون، وهو قول الحسن. أما يجوز أن يؤمن بعضهم[2].

وقيل: هو لقومٍ بأعيانهم، علمَ اللهُ تعالى ذلك منهم على وجهِ العناد.

وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ﴾؛ أي: ولست أنت يا محمَّدُ بمستقبلٍ بيتَ المقدس في صلاتِك بعدما صرفتُك عنه.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ﴾ أي: لا يصلِّي اليهودُ إلى قبلةِ النَّصارى، ولا النَّصارى إلى قبلة اليهود، ثمَّ قولُه: ﴿وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ﴾ هذا الكلامُ له ثلاثةُ أوجه:

أحدها: أنَّه حسمَ أطماعَ أهلِ الكتاب في متابعة الرَّسول عليه الصَّلاة والسلام؛ إذ كانوا طَمِعوا[3] في رجوعه إلى الصَّلاة إلى بيت المقدس.

والثاني: أنه قابلَ قولَه: ﴿مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ﴾ بقوله: ﴿وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ﴾، وهي مِن أقسام البلاغة، يقول: ما هم بتاركي إنكارِ الحقِّ، وما أنت بتاركٍ الاعترافَ به.

---

(١) بعدها في (ر): «آية».

(٢) كذا في النسخ. ولعل صواب العبارة: وهي جواب من يقول: أما يجوز أن يؤمن بعضهم؟ وانظر «التفسير البسيط» للواحدي (٣/ ٣٩٤).

(٣) في (ر): «يطمعون».

والثالث: أي[١]: ليس يمكنُك استصلاحُهم باتِّباع قبلتهم؛ لاختلاف وجهتهم، وتباين نحلتيهم؛ فبيَّن أنَّه محالٌ، غيرُ ممكنٍ بحال.

وقوله تعالى: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم﴾ جمع هوى، وهو الإرادةُ والمحبَّة، ولم يقل: هواهم؛ على الوحدان؛ لاختلاف إرادة[٢] المخالفين؛ أي: ولئن وافقتَهم في القِبلة؛ مداراةً لهم وحرصاً على إيمانهم.

وقوله تعالى: ﴿مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ أي: بيان القبلة. وقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ إِذًا﴾ هو بيانُ الوقت؛ أي: حين تفعل[٣] ذلك.

وقوله تعالى: ﴿لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي: الضَّارينَ نفسَك.

وقيل: أي: واضعين العملَ في[٤] غير موضعه.

وقيل: الخطابُ للنَّبيِّ ﷺ والمرادُ غيرُه، ويجوزُ أن يكون له وإن كان معصوماً؛ لما مرَّ أنَّ العصمةَ لا ترفعُ النَّهيَ.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: قوله: ﴿وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ﴾ فيه الوعدُ له بالعصمة في المستقبل، ويَحتملُ أن يكون معناه: وما لك أنْ[٥] تُتَابِعَهم في القِبلة. وهذا التأويلُ كأنَّه أقربُ؛ لما خرجَ آخر الآية على الوعيد[٦].

وفي الآية إثباتُ رسالتِه؛ لأنَّه أخبرَهُ بالإياسِ عن اتِّباعِهم له في قومٍ بأعيانهم، وكان كما قال، ولا يوصَلُ إلى مثله إلَّا بوحيٍ مِن الله عزَّ وعلا.

---

(١) في (ر) و(ف): «أن».

(٢) في (أ): «إرادات».

(٣) في (ر): «بلغك» بدل: «تفعل».

(٤) لفظ: «في» من (ر).

(٥) لفظ: «أن» من (أ).

(٦) انظر: «تأويلات أهل السنة للماتريدي (١/ ٥٩٠).

(١٤٦) ـ ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: الكنايةُ ترجعُ إلى أمر القبلة، وهو قول مقاتلٍ وقتادة[١]؛ أي: يعرفونَ أنَّه حقٌّ، وأنَّه مِن عند الله.

وقيل: الكنايةُ راجعةٌ إلى النبيِّ ﷺ؛ أي: يعرفونَهُ بالرِّسالةِ والنُّبوَّة، كما يعرفون أولادَهم بالنَّسب والبنوَّة.

وقيل: هو مدحُ مَن آمن مِن أهل الكتاب، كعبد الله بن سَلَام وأصحابِه.

وقد روي أنَّ عمر رضي الله تعالى عنه قال لابن سلام: إنَّ اللهَ تعالى وصفَكم بأنَّكم تعرفون رسولَ الله كما تعرفون أبناءَكم، فقال: نعم، وزيادة، إنِّي لأعرفُ أنَّه رسولُ الله حقًّا[٢] بما ذكره في التَّوراة والإنجيل، ولا أدري ماذا أحدث النِّساءُ بعدي. فقال عمر رضي الله عنه: وفقك الله يا ابن سلام[٣].

وإنَّ اللهَ تعالى مدحَ هؤلاء الذين عَرَفوا فاعترفوا[٤]، وذمَّ الذين عَنَدوا[٥] وجحدوا.

وكذلك[٦] قوله جل جلاله: ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ﴾[٧] قال مجاهد

---

(١) قولا ابن عباس وقتادة رواهما الطبري في «تفسيره» (٢/ ٦٧٠)، وقول مقاتل في «تفسيره» (١/ ١٤٨).

(٢) لفظ: «حقاً» من (أ).

(٣) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٤/ ١٤٠) عن ابن عباس من طريق الكلبي.

(٤) في (ر) و(ف): «اعترفوا» بدل: «عرفوا فاعترفوا».

(٥) في (ر): «عاندوا».

(٦) في (أ): «وذلك».

(٧) بعدها في (ر): «وَهُمْ يَعْلَمُونَ».

رحمه الله: أي صفةَ محمَّدٍ، وهم يجدونه مكتوباً عندهم في التَّوراةِ والإنجيل.

وقال الرَّبيع: أي: يَكتمون أمرَ القبلة[١].

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أي: أنَّ محمَّداً رسولُ الله، وأنَّ الكعبةَ قبلةُ الله.

وقيل: أي: وهم يَعلمون أنَّهم يكتمون الحقَّ.

وقيل: أي: يعلمون ماذا يجب عليهم مِن العقوبة لمن كتمَ الحقَّ.

وقال الإمامُ القشيريُّ رحمه الله: حملَهم[٢] مستكنَّاتُ الحسدِ وسوءِ الاختيار على مُكابرةِ ما علموهُ بالاضطرار، وكذلك المغلوب في ظلماتِ نفسِه يُلقي جلبابَ الحياءِ، فلا ينجَعُ فيه ملامٌ، ولا يردعُه عن انهماكه كلامٌ[٣].

* * *

(١٤٦) ـ ﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ أي: هذا هو الصدق من ربِّك، فهو خبرُ مبتدأ محذوفٍ على هذا القول.

وقيل: ﴿ٱلْحَقُّ﴾ مبتدأ، وخبرُه ﴿مِن رَّبِّكَ﴾.

وقيل: ﴿مِن رَّبِّكَ﴾ مقدَّرٌ في صدرِ الكلام، و﴿ٱلْحَقُّ﴾ خبرُه.

وقيل: معناه: القبلةُ هي الكعبة، وإنَّ الله بحقٍّ نقلَكُم إليها؛ لعلمه بصلاحكم.

وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ أي: الشاكِّين، والمريةُ: الشَّكُّ، والمماراةُ: المجادلة.

---

(١) قولا مجاهد والربيع رواهما الطبري في «تفسيره» (٢/ ٦٧٢ ـ ٦٧٣).

(٢) بعدها في (ر): «على ذلك».

(٣) «لطائف الإشارات» للقشيري (١/ ١٣٥).

وقال ابن عرفة(١): قوله: ﴿أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ﴾(٢) [النجم: ١٢]؛ أي: أتجادلونَهُ جدالَ(٣) الشاكِّين وقوله: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ﴾ [النجم: ٥٥]؛ أي: تشكُّ، وقوله: ﴿أَفَتُمَٰرُونَهُۥ﴾ [النجم: ١٢]؛ أي: أتجحدونه(٤)، وقوله: ﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ﴾ [الكهف: ٢٢]؛ أي: فلا تُجادل(٥).

وأصلُ المِراء(٦): الجدال؛ من قولك: مَرَيْتُ الشَّاةَ، إذا حَلبتَها واستخرجتَ لبنَها، فالمِراءُ: الجدالُ(٧) لاستخراجِ ما عند الخصم.

ومعنى الآية: فلا تكوننَّ مِن الشَّاكِّينَ في أنَّه حقٌّ، وأنَّه مِن عندِ الله.

وقيل: أي: لا(٨) تَشُكَّ في هذا، ولا تتَّبع ما يَدْعُونَك إليه؛ فإنَّه ليس بحقٍّ، وليس من عندِ الله.

وقيل: أي: ولا تَشُكَّ أنَّ هذا الفريقَ معاندون، يكتمون الحق، وقالوا: بعد ما طلعَت شمسُ اليقين، فلا تَركننَّ إلى ظُلمات التَّخمين.

ثمَّ إذا صُرِفَ معنى قوله: ﴿يَعْرِفُونَهُۥ﴾ إلى أمر القبلة، كانت هذه الآياتُ الثَّلاث

---

(١) هو الإمام العلامة النحويُّ الأخباريُّ، أبو عبد الله، إبراهيم بن محمد بن عرفة، العتكي الأزدي الواسطي، المشهور بنفطويه، صاحب التصانيف، منها «غريب القرآن»، و«المقنع» في النحو، و«تاريخ الخلفاء» وغيرها، توفي سنة (٣٢٣هـ). انظر: «سير أعلام النبلاء» (١٥/ ٧٥ ـ ٧٦).

(٢) قوله: «على ما يرى» ليس في (أ).

(٣) في (ر) و(ف): «جدل».

(٤) في (ف): «تجحدونه».

(٥) انظر قول ابن عرفة في «الغريبين» للهروي (٦/ ١٧٤٦) (مادة: مرا).

(٦) بعدها في (أ): «الذي هو».

(٧) من قوله: «من قولك مريت» إلى هنا من (أ).

(٨) في (ر) و(ف): «قيل أي ولا» بدل: «وقيل أي لا».

على سَننٍ واحدٍ، وإذا صُرِفَ إلى النبيِّ ﷺ، وهو مغايبةٌ، والتي قبلها: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ﴾ مخاطبةٌ، والتي بعدها: ﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ مخاطبةٌ، فتوسُّط[1] الثانية على المغايبة يكون على الانتقالِ مِن هذه إلى تلك، ومن تلك إلى هذه، وذلك في القرآن كثير؛ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم﴾[يونس: ٢٢]، ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ﴾[2][الإنسان: ٢١]، ﴿إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً﴾ [الإنسان: ٢٢].

***

(١٤٨) ـ ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا۟ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ أي: ولكلِّ قومٍ قبلةٌ تتوجَّهُ إليها، وقوله: ﴿هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ يجوز أن يكون هو راجعاً إلى قوله: ﴿وَلِكُلٍّ﴾ ولفظُه واحدٌ، وإن كان معناه الجمع، فيجوزُ أن تكون الكنايةُ الرَّاجعةُ إليه على التَّوحيد للفظه.

ومعنى ﴿مُوَلِّيهَا﴾؛ أي: جاعلٌ إليها وجهَهُ، ويجوزُ أن يكونَ ﴿هُوَ﴾ اسمُ الله تعالى؛ أي: الله موجِّهٌ إليها عبادَه، والتَّوليةُ متعدِّيةٌ، وعلى الأوَّل يُجعَلُ الوجهُ مضمراً؛ أي: كلٌّ موجِّهٌ إليها وجهَه.

وقوله تعالى: ﴿فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾؛ أي: تسارَعوا إليها، وأصلُ السَّبقِ التَّقدم، والاستباقُ من الاثنين ومِن الجمع، كالتَّسابق، وكذا التَّبادرُ والابتدار، والتَّقاتلُ والاقتتال[3].

---

(١) في (أ): «وتوسط».

(٢) بعدها في (ر): «شرابا طهورا».

(٣) في (ف): «والتقابل والاقتبال».

وقوله تعالى: ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا﴾ هي كلمةُ شرطٍ، ولذلك جَزَمَتْ، وعلامة الجزم سقوط النون.

وقوله تعالى: ﴿يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا﴾ جزمَ ﴿يَأْتِ﴾ لأنَّه جزاءُ الشَّرطِ؛ أي: في أيِّ موضعٍ كنتم أحضرَكم اللهُ المحشرَ.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾؛ أي: قادر، وفي تفسير الآية أقاويل:

قيل: هذا تمام الكلام الأوَّل؛ ﴿وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ﴾، ولكلٍّ منكم وجهةٌ؛ أي: قبلةٌ يَستقبلُها راضياً بها، لا يفارقُها، فلا سبيلَ إلى اجتماع جميعِكم على قبلةٍ واحدةٍ، فالزموا معاشرَ المسلمين قبلتكم، فإنَّكم على خيرات[1] مِن ذلك في الدُّنيا والآخرة، وأينما كنتم من جهاتِ الأرضِ، جمعَكم اللهُ يومَ القيامة، وفَصلَ بين المحقِّ والمبطلِ، والمطيعِ والعاصي، فأثابكم، وعاقبَ مَن خالفَكم، إنَّه على كلِّ شيءٍ مِن الجمع والإحضارِ والمجازاة قديرٌ.

وقال ابنُ كيسان: لمَّا قال السُّفهاء: ما ولَّاهم عن قبلتِهم، أنزلَ اللهُ تعالى قولَه: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ﴾ أي: لكلٍّ مِن اليهودِ والنَّصارى والمشركين قبلةٌ هو موجِّهُهم إليها، فإنْ كان الله وجَّهَهم إليها، فأنت فيما يَنقُلُك إليه مِن قبلةٍ إلى قبلةٍ بمنزلتهم، فما معنى قولهم لك: ما ولَّاهم عن قبلتهم؟ فتسَارَعوا[2] إلى ما دعاكم إليه، فإنَّه خيرٌ لكم.

وقيل: أي: بيتُ المقدس والكعبةُ كلُّ واحدٍ منهما جهةٌ، والله يُولِّي عبادَه إلى هذا وإلى هذا على ما يرى[3] من الصَّلاح، فاستَبِقوا إلى الانقيادِ لأمر الله تعالى في الحالَين،

(١) في (أ): «خير».

(٢) في (ر) و(ف): «فسارعوا».

(٣) في (ر) و(ف): «كل» بدل: «ما يرى».

ففيه خيراتٌ لكم، ولا تَلتفتوا إلى طعنِ هؤلاء؛ فإنَّهم يُريدون أنْ يَصْرفوكم عنها، فاستَبِقوا إليها ولا تُغلَبوا عليها، والله يَجمعكم وإيَّاهم يومَ القيامة؛ فيَفصلُ بينكم.

وقيل: أي: لكلِّ أهلِ ناحيةٌ منكم أيُّها المؤمنون؛ ناحيةٌ يَتوجَّهُ منها إلى الكعبةِ مَن كان على يمينِها، أو يسارِها، أو قُدَّامَها، أو خَلْفها، وكلُّهم يَستقبلونها بأمرِ الله، واللهُ وجَّههم إليها، لا يَخفى على الله حالُ أهل الآفاقِ وشأنُهم[1] في ذلك، وهو يَحشُرهم ويَجزِيهم.

وقيل: في قوله تعالى: ﴿فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾؛ أي: وبادروا إليها قبل الموت، وفي أيِّ موضعٍ متُم، حُشِرتُم وجُوزيتم.

وقال بعضُ أهل الحقيقة: معناه: كلُّ قومٍ اشتغلوا بغيرنا عنَّا، وأقبلوا على غيرنا فكونوا معاشِرَ العارفين لنا، واشتغلوا بنا عن غيرِنا؛ فإنَّ مرجعَكم إلينا، وأنشدوا:

إذا اشتغلَ اللَّاهون عنك بشُغلِهم ... جعلتُ اشتغالي فيكَ يا مُنتهى شُغلي[2]

* * *

(١٤٩) ـ ﴿وَمِنۡ حَيۡثُ خَرَجۡتَ فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۖ وَإِنَّهُۥ لَلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَمِنۡ حَيۡثُ خَرَجۡتَ فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ﴾؛ أي: ومِن أيِّ موضعٍ خرجتَ، وأينَما كنتَ في أقطارِ الأرض، فاستقبلِ الكعبةَ بصَلاتِك.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾؛ أي: تحويلُ القبلةِ إلى الكعبة حقٌّ، وهو مِن الله تعالى.

---

(١) في (أ): «ونياتهم».

(٢) ذكره ابن الجوزي في «المدهش» (ص: ٤٥٥) دون نسبة.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ قرأ أبو عمرو بياء المغايبة؛ ردًّا إلى قوله: ﴿يَعْرِفُونَهُۥ﴾، وقرأ الباقون بتاء المخاطبةِ؛ ردًّا على قوله: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا﴾[1].

* * *

(١٥٠) ـ ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾ فإنْ قالوا: لم كرَّرَ الأمر باستقبالِ الكعبة فقال أوَّلاً: ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾، وقال ثانياً: ﴿وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾، وقال ثالثاً: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾، وقال رابعاً: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾، وقال خامساً: ﴿وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾؟

قلنا لهذه أجوبة:

أحدها: أنَّ التكرار يَقتضي التَّأكيدَ والتَّقرير.

والجواب الثَّاني: أنَّه نَسخٌ، حيث نُقِلَ عن قبلة[2] اليهود، وصَعُب عليهم الانتقالُ، فكرَّر الأمرَ به، كما كرَّرَ الأمرَ بالصَّلاة والزَّكاة؛ لما أنَّهما كانتا تَشُقَّان عليهم؛ فإنَّ الصَّلاةَ نهايةُ الخضوع، والزَّكاةَ بذلُ المحبوب، فكرَّرهُما، وفي النُّفوسِ قرَّرهما، وهذا كذلك.

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ١٦٠ ـ ١٦٢)، و«التيسير» (ص٧٧).

(٢) في (أ): «أنه نسخ ثقل على اليهود».

والجوابُ الثَّالثُ: أنَّ كلَّ واحدٍ منهما لفائدةٍ أُخرى؛ فإنَّ الأوَّلَ كان حين كان النبيُّ ﷺ يُصلِّي في مسجدِ المدينة[1] إلى بيت المقدس، فوردَ النَّسخُ، وأُمِرَ بالتوجُّه إلى الكعبةِ، فقيل له: ولِّ وجهَك شطرَ المسجدِ الحرامِ إذا صلَّيتَ في مسجدِك، وكان هذا أمراً[2] له على الخصوص، ثمَّ عَمَّ الأمرَ، فقال لعامَّة المؤمنين: ﴿وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ﴾؛ أي: في سائرِ المساجد ومواضعِ الصَّلواتِ مِن البيوتِ وغيرِها، ﴿فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾، وهذا للمقيمين بالمدينة، ثمَّ قال: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ﴾ يا محمَّدُ في الأسفارِ، فبيَّن أنَّه في الأسفار مثلُه في الأمصار، ثمَّ قال: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ﴾ مِن سائر البلاد، ثمَّ عمَّ المؤمنين فقال: ﴿وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ﴾ بعدَ ما خصَّ به النبيَّ ﷺ.

والجوابُ الرَّابع: أنَّ الأوَّلَ مع الثَّاني، وهو أمرُ النَّبيِّ ﷺ على الخصوص، وأمرُ المؤمنين على العموم: كان لابتداءِ التوجيهِ إليها، والثَّالثَ أمرٌ للنبيِّ عليه السلام بالدَّوام عليه في كلِّ الأمكنة، والرَّابعَ والخامسَ أمرٌ للنَّبيِّ عليه الصَّلاة والسَّلامُ على الخصوص، وللمؤمنين على العموم، على الدَّوامِ على ذلك في كلِّ الأزمنة.

والجواب الخامس: أنَّ كلَّ أمرٍ ذُكِرَ ليُقرَنَ به أمرٌ آخر، وذاك من باب البلاغة، كقولك: زيدٌ عالمٌ، زيدٌ جميلُ المعاشرةِ، زيدٌ أهلٌ للمودَّة، فكأنَّه قال: الزم هذه القبلةَ؛ فإنَّ اللهَ شرَّفك إجابةَ دعوتك فيها، الزم هذه القبلةَ؛ فإنَّها قبلةُ حقٍّ لا قبلة هوى، وهو قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾، الزم هذه القبلةَ؛ فإنَّ في لزومِك إيَّاها انقطاعَ حُجَج المخالفين، وهو قوله تعالى: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ﴾؛ أي: دوموا على استقبالِ هذه القبلة حيثُ كنتُم؛ فإنَّكم إذا فعلتُم ذلك، لم يكن للنَّاس عليكم حجَّةٌ؛ أي: موضعُ احتجاج.

---

(١) في (أ): «مسجده بالمدينة» بدل من «مسجد المدينة».

(٢) في (ف): «الأمر».

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ﴾ أي: إلَّا أنْ يَحْتَجَّ عليكم ظالمٌ بما ليس بحجَّةٍ، وكشفَ هذا الكلامُ أنَّ اليهودَ ـ لعنهم الله ـ قالوا أوَّلاً: يُخالفُنا في دِيننا، ويتَّبعُ قبلَتَنا[١]، وقالوا: ما دَرى محمَّدٌ أين يتوجَّه بصلاته[٢] حتَّى هديناه، وبعد صرفِ القبلةِ قالوا: اشتاقَ الرَّجلُ إلى مولِده وبلدِ آبائه، وقالوا: ﴿مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُواْ عَلَيْهَا﴾.

وقال المشركون ـ لعنهم الله ـ: رجعَ محمَّدٌ إلى قبلتِنا، وسيَرجِعُ إلى دينِنا.

فأبطلَ الله تعالى قولَ اليهود في دعوتهم: إنَّا هديناهُ إلى القبلةِ، حيث صرفَهُ إلى قبلةِ أبيهِ إبراهيمَ، وأعلمَهم أنَّه هو الذي هدَاه لها دونَهم، وردَّ قولهم: ﴿مَا وَلَّىٰهُمْ﴾ بقوله: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾؛ أي: الأماكنُ كلُّها لله تعالى، لا حرمةَ لها لأعيانِها، ولله جلَّ جلالهُ أنْ يأمرَ عبادَهُ باستقبالِ ما شاءَ منها وهو أعلمُ بمصالحِ عبادِه[٣]، فلم يبق لليهود خصومةٌ ولا شبهةٌ؛ لأنَّهم إن قالوا: يُصلِّي إلى قبلتِنا في هذه الحالة، كابروا، فإن قالوا: إنَّ المشرقَ والمغربَ ليسا[٤] لله، كَذبوا، فإن قالوا: للأمكنةِ بنفسِها[٥] حرمةٌ مِن غير أنْ يجعلَها اللهُ تعالى، أحالوا.

وقولُهم: اشتاقَ الرَّجلُ إلى بلدِه، تحكُّمٌ منهم باطلٌ، بل انقادَ لأمرِ اللهِ تعالى، وسلَّم لحكم الله، وهذا منهم دعوى لا بُرهان عليها، وهو ظلمٌ، والمحتجُّ بمثلِه ظالمٌ.

---

(١) في (أ): «ملتنا».

(٢) في (ر) و(ف): «لصلاته».

(٣) قوله: «باستقبال ما شاء منها وهو أعلم بمصالح عباده» ليس في (ف)، ووقع بدله في (ر): «بالتوجه إلى أي جهة شاء».

(٤) في (أ): «ليستا».

(٥) في (أ): «بأنفسها».

وقول المشركين: إنَّه قد رجعَ إلى قبلتِنا، فيرجعُ إلى ملَّتِنا، هذا تمنٍّ منهم، وليس للإنسان ما تمنَّى، ويقال لهم: لم يرجع إلى قبلتِكم[١]، بل استقبلَها بأمرِ الله الذي بعثَهُ إلى خلقِه، فأطاعَهُ فيما أمرَ[٢] به، حتَّى هجرَ أهلَه وقرابتَه وبلدَه؛ لابتغاء مرضاتِه، وهذا أوضحُ ما قيل فيه وأقواهُ وأعلاه.

وقيل: الاستثناءُ منقطعٌ هاهنا، ومعناه: لكن، كما في قوله تعالى: ﴿مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ﴾ [النساء: ١٥٧]، وقوله: ﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَٰمًا﴾ [مريم: ٦٢]، ومعنى هذه الآيةِ على هذا القول: لكن الذين ظلموا منهم يتعلَّقون بالشُّبهةِ في موضعِ الحُجَّة.

وقيل: أراد[٣] بالحجَّة المحاجَّة؛ أي: المجادلة، وتقديره: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ﴾؛ أي: لليهود، ﴿عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ﴾ أي: محاجَّةٌ، إلَّا للظَّالمين منهم، فإنَّهم يُحاجُّونكم بالباطل، وعلى هذا القول يكونُ الاستثناءُ متَّصلاً غيرَ منقطع[٤].

وقال أبو عبيدة[٥]: ﴿إِلَّا﴾ هاهنا[٦] بمعنى: ولا[٧]، كما في قوله: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا﴾ أي: ولا خطأ، قال الشاعر:

---

(١) بعدها في (ر): «من تلقاء نفسه».

(٢) في (أ): «أمره».

(٣) في (ف): «أردنا».

(٤) قوله: «غير منقطع» من (أ).

(٥) في (ر) و(ف): «عبد الله» بدل: «عبيدة».

(٦) «هاهنا» من (أ).

(٧) نص قول أبي عبيدة في «مجاز القرآن» (١/ ٦٠): موضع «إلا» هاهنا ليس بموضع استثناء، إنما هو واو الموالاة، ومجازها: لئلا يكون للناس عليكم حجة وللذين ظلموا.

مـا بالمدينـةِ دارٌ غيـرُ واحـدةٍ دارُ الخليفـةِ إلَّا دارُ مـروانِ[١]

أي: ولا دار مروان[٢]، فعلى هذا يكون بمعنى: ولا الذين ظلموا[٣].

وقال قطرب: معناهُ: إلَّا على الذين ظلموا، فهو عطفٌ على قوله: ﴿عَلَيْكُمْ﴾؛ أي: لا يكونُ لأحدٍ حجَّةٌ عليكم، إلَّا على الظالمين[٤].

وقال أبو معاذٍ النحويُّ: ﴿إِلَّا﴾ هاهنا ليس للاستثناء، ولكنَّه حرفُ نسقٍ[٥]، ومعناه: والذين ظلموا منهم ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي﴾؛ أي: لا تخافوهم في التوجُّه إلى الكعبة، وخافوني في تركِها.

قوله تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي﴾[٦] قال ابنُ كيسان: فلا تَخشَوا النَّاسَ في تظاهرِهم عليكم في المحاربة[٧] والمحاجَّة، فإنِّي أظهرُكم عليهم بالحجَّة.

وقيل: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ﴾ فيما يخاصمونكُم، فإنَّهم لن يضرُّوكم في دِينكم ما أطعتموني، ﴿وَاخْشَوْنِي﴾ ولا تَعصُوني، فإنَّكم إن خالفتموني استوجَبتم عذابي.

وقوله تعالى: ﴿وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ﴾ قيل: الواو زائدةٌ، كما في قوله: ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ﴾؛ أي: اخشوني؛ لأتمَّ نعمتي عليكم، وهي نعمُ الدُّنيا والآخرة.

---

(١) نسبه سيبويه في «الكتاب» (٢/ ٣٤٠) للفرزدق، وهو في «المقتضب» للمبرد (٤/ ٤٢٥) دون نسبة.

(٢) قوله: «أي ولا دار مروان» من (أ).

(٣) في (ر) و(ف): «والذين ظلموا». وانظر: «تفسير الثعلبي» (٢/ ١٦).

(٤) انظر قول قطرب في «تفسير الثعلبي» (٢/ ١٧).

(٥) في (ر) و(ف): «سبق». وهو تحريف.

(٦) «قوله تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي﴾» ليس في (أ).

(٧) في (ر): «المجادلة».

وقيل: هو الختمُ على الإسلام.

وقيل: أي: ﴿وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ﴾ هدَيتُكم إلى هذا، فهو مضمرٌ فيه.

وقيل: هو عطفٌ على قوله: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ﴾، ﴿وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ﴾ بنقلِكُم مِن شريعةٍ إلى شريعةٍ غيرِها، على ما فيه[1] صلاحُكم، حتَّى تتمَّ لكم مصالحكم، وقد حقَّق ذلك وتمَّمهُ، حتَّى قال: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ [المائدة: ٣].

وقوله تعالى: ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾؛ أي: ولتهتدوا إلى شرائعِ ديني.

والحجَّةُ في الأصل: هي البيِّنةُ الواضحةُ، مأخوذةٌ[2] من مَحَجَّة الطَّريق.

وقيل: هي من الغَلَبة، يقال لجَّ[3] فحجَّ؛ أي: غلبَ[4].

وقيل: هي التي وجبَ الرُّجوعُ إليها عملاً بها، من: حجَّ البيت، وهو الرُّجوع إليه ولذلك سمِّيَ مثابةً أي: مرجعاً[5].

***

(١٥١) - ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾.

---

(١) بعدها في (ر): «من».

(٢) في (ر) و(ف): «مأخوذ».

(٣) في (ف) و(أ): «لج».

(٤) قال الأصمعي: ومن أمثالِهم في صعوبة الخلق واللجاجة: لجَّ فحجَّ، يُضرَب للرَّجل إذا بلغ من لجاجته أن يَخرجَ إلى شيء ليس من شأنه، وأصله أنَّ رجلاً لجَّ في الغَيْبة عن أهله، حتَّى خرجَ إلى حجٍّ وما يريدُ الحجَّ. انظر: «الأمثال» لأبي عبيد (ص: ٩٦).

(٥) في (ر) و(ف): «مراجعاً».

وقوله تعالى: ﴿كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ﴾ قيل: هو متَّصِلٌ بما قبلَه، وعليه وقعَ التَّشبيهُ، وهو قوله تعالى: ﴿وَلِأُتِمَّ نِعۡمَتِي عَلَيۡكُمۡ﴾؛ أي: النِّعمةُ عليكم في أمرِ القِبلة كالنِّعمة بإرسال[1] محمَّدٍ ﷺ فيكم، وهو أحدُ قولَي الزَّجَّاج والفرَّاء[2].

وقيل: معناه: كما أجبتُ دعوةَ إبراهيم: ﴿رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا﴾ الآية [البقرة: ١٢٩]، فبَعثتُ محمَّداً، فكذلك أجبتُ دعوتَه مع تلك الدعوة: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ لَّكَ﴾ فشرعت لهم الشرائعَ الحنيفيَّة السَّمحة؛ إتماماً للنِّعمة.

وقال الحسنُ وابنُ أبي نَجيح ومجاهدٌ، وهو أحد قولَي الفرَّاء، واختيارُ الزَّجَّاج: هذا متَّصِلٌ بما بعدَه[3]. قال: ﴿كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا﴾ مِن أنفُسِكم يُعلِّمكم[4] بعد الجهل، ويُطهِّرُكم، ويُوقِفُكم على معالم الدِّين، وهي نعمٌ توجِبُ الشُّكرَ، فاشكروا لي بذكرِ نعمتي، وأنا مع ذلك أذكرُكم، فقوله: «اذكروني» يكون له جوابان؛ متقدِّمٌ، ومتأخِّرٌ، فجعلَ ذكرَهم شكراً له[5] للنِّعم الماضية، وإيجاباً لذكر الله تعالى لهم بنعمٍ مستأنفة.

وقوله تعالى: ﴿يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ﴾ هذا خطابٌ للعرب، وهذا الرَّسولُ محمَّدٌ عليه الصَّلاة والسَّلام. وتفسيرُ تلاوة

---

(١) في (ر) و(ف): «في إرسال».

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٢٢٧)، و«معاني القرآن» للفراء (١/ ٩٢).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٦٩٤) عن ابن أبي نجيح ومجاهد. وانظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٢٢٧)، و«معاني القرآن» للفراء (١/ ٩٢).

(٤) بعدها في (ر): «وهو قوله ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ﴾».

(٥) «له» ليس في (أ)، وفي (ف): «لهم».

الآيات والتَّزكيةِ والكتاب قد مرَّ تفسيره[1] في قوله: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٩] على الاستيفاء والاستقصاء.

وقوله تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾؛ أي: مِن أقاصيص الأمم الخالية، وأخبار القرون الماضية والإخبار عما يكون في الأزمنة الجائية، وغير ذلك من علوم الديانةِ العاليةِ.

***

(١٥٢) ـ ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ قد مرَّ الكلامُ فيه من حيث اللُّغةُ.

وقال محمدُ بنُ عليٍّ الترمذي ذِكْرُ الله على وجوه: الأوَّلُ: ذِكرُه بالتَّوحيد، والثَّاني ذِكرُه بالأمر والنَّهي، والثَّالثُ: ذِكرُه عند كلِّ نعمةٍ في الدِّين والدُّنيا، والرَّابعُ: ذِكرهُ بالمنَّة، والخامسُ: ذِكرُه بالتَّدبير، والسَّادسُ: ذِكرُه بالمحبَّة[2]، والسَّابعُ: ذِكرُه بالوَلَه، والثَّامنُ: ذِكرهُ بالشَّوق إليه، والتاسع: ذِكرُه بالاتِّصال، والعاشرُ: ذِكرُه بالمراعاةِ على الدَّوام.

وكلُّ ذاكرٍ على حسبِ ذكرِه يرجعُ إليه ثمرةُ ذكرِه، ومِن ذلك الوجهِ يَذكُرُه[3] ربُّه.

وقال ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما في قوله: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾: أي: ذِكْرُ الله إيَّاكم أكبرُ مِن ذكركُم إيَّاه[4].

---

(١) لفظ: «تفسيره» ليس في (أ).

(٢) في (ف): «بالمحنة».

(٣) في (ر) و(ف): «يذكره».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٤١١).

وفي قوله: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ لأهل المعرفة عباراتٌ لطيفةٌ:

قال القتَّاد: أي: فاذكروني بالتَّوبة، أذكُرْكُم بغفرانِ الحوبة.

وقيل: فاذكروني بالطَّاعة، أذكرْكُم بالرَّحمة.

وقيل[١]: فاذكروني بالدُّعاء، أذكركُم بالإجابة[٢]، فاذكروني بالسُّؤال، أذكرْكُم بالنَّوال[٣]، فاذكروني بلا غفلةٍ، أذكرْكُم بلا مُهلةٍ، فاذكروني بالنَّدم، أذكُرْكم[٤] بالكَرم[٥]، فاذكروني بالمعذرة، أذكركم بالمغفرة[٦]، فاذكروني بالإرادةِ، أذكُرْكم بالإفادة، اذكروني بالإخلاص، أذكركُم بالخلاص.

ويقال: فاذكروني بالتَّذلُّل، أذكركُم بالتَّفضُّل، فاذكروني بشهودِ قلبِكم، أذكركُم بتحقيقِ مطلوبِكم، فاذكروني على الباب[٧] من حيث الخِدمةُ، أذكركُم بالإيجابِ على بساطِ القُربةِ بإكمالِ النِّعمة، فاذكروني بتصفيةِ السِّرَ، أذكركُم بتوفيةِ البرِّ، فاذكروني حالَ حياتِكم، أذكركُم بعد وفاتِكم، فاذكروني في شهودِكم، أذكركُم في لُحودِكم، فاذكروني في دُنياكم، أذكركُم في عُقباكم، فاذكروني بقطعِ العلائقِ، أذكركُم بوصلِ الحقائق، ﴿وَاشْكُرُوا لِي﴾ على عظيم منَّتِي عليكم، حيث قلتُ لكم: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ بذكري ذكرتموني، إذ لولا ذكري السَّابق، لم يكن ذكركُم اللَّاحق.

---

(١) «وقيل» سقط من (أ).

(٢) بعدها في (ر): «وقيل».

(٣) في (ر) و(ف): «بالكرم».

(٤) من قوله: «بالنوال» إلى هنا من (أ).

(٥) بعدها في (ر): «وقيل».

(٦) بعدها في (ر): «وقيل».

(٧) قوله: «على الباب» من (أ).

وقيل: فاذكروني في الرَّخاء، أذكركُم في البلاء، فاذكروني بالمجاهَداتِ، أذكركُم بالمشاهدات.

وقوله تعالى: ﴿وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ﴾ الشُّكرُ إظهارُ النِّعمةِ بالاعتراف بها، أو بعملٍ هو كالاعتراف في القيام بحقِّها، والكفر أن يسترَ نعمةَ المنعم بالجحود، أو بعملٍ هو كالجحودِ في مخالفة المنعم، ويقال: شكرتُه، وشكرتُ له، كما يقال: نصحتُه ونصحتُ له، وقال الشاعرُ:

هُمُ جَمَعوا بُؤسَى ونُعمَى عَليكُمُ ... فهلَّا[1] شَكَرْتَ القومَ إذْ لم تُقاتِلِ[2]

﴿وَلَا تَكۡفُرُونِ﴾ حذفت الياءُ مِن آخره؛ لتستويَ الفواصلُ، فهو كقول الشاعر:

ومِن شانِئٍ كاسِفٍ بالُه ... إذا ما انتَسبْتُ له أنْكَرَنْ[3]

وقوله تعالى: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ﴾ أمرٌ بالقول، ﴿وَٱشۡكُرُواْ لِي﴾ أمرٌ بالعمل، قال تعالى: ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗا﴾ [سبأ: ١٣].

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: أي: وجِّهوا شكرَ نعمتي إليَّ، ولا تَشكروا غيري، ويَحتمل: وجِّهوا العبادةَ إليَّ، ولا تَعبدوا غيري[4].

***

(١) في (أ): «فهلا» بدل من «وهل لا».

(٢) البيت لعمرو بن لجأ التيمي، نسبه له الفراء في «لغات القرآن» (ص: ٦٩ ـ ٧٠)، وأبو حيان في «البحر المحيط» (٣/ ١٢٦)، وهو في «معاني القرآن» للفراء (١/ ٩٢)، و«تفسير الطبري» (٢/ ٦٩٦)، و«الزاهر» لابن الأنباري (١/ ٩٦) دون نسبة.

(٣) البيت للأعشى، وهو في «ديوانه» (ص: ١٣٢) (طبعة الرضواني).

(٤) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (١/ ٥٩٥).

التيسير في التفسير

تأليف الإمام

أبي حفص النسفي

نجم الدين عمر بن محمد بن أحمد النسفي الحنفي

(٤٦١ - ٥٣٧ هـ)

يطبع أول مرة محققاً على ثلاث نسخ خطية

تحقيق وتعليق

فادي المغربي ماهر أديب حبوش

المجلد الثالث

دار اللباب

بسم الله الرحمن الرحيم

التيسير
في
التفسير

(٣)

حُقُوقُ الطَّبْعِ مَحْفُوظَة

الطبعة الأولى
١٤٤٠هـ-٢٠١٩م

يُمنع طباعةُ هذا الكتاب أو ترجمته أو تصويرُه ورقياً أو إلكترونياً
إلا بإذن خطي من الدار الناشرة
تحت المُساءلة الدُّنيوية والأُخروية

9 786052 279311

دار اللباب
للدراسات وتحقيق التراث

DAR-ALLOBAB
Lubab Yazma Eserleri İhya ve İlmi Araştırma Yayınları

بيروت - لبنان
009615813966
0096170112990
Www.allobab.com

اسطنبول - تركيا
00905454729850
00902125255551
info@allobab.com

İskenderpaşa mh. Kıztaşı cd. No:7 D:5 Fatih (Özel Fatih Hastanesi Karşısı)

سُورَةُ البَقَرَةِ

(١٥٣) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ ختمَ الآيةَ التي قبلها بالأمرِ بالشُّكر، وبدأ هذه الآية بالأمرِ بالصَّبر، وهما جامعا[1] جميعِ خصال الإيمان.

ووجهٌ آخرُ أنَّه ذكرَ: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ﴾، وهم الأعداء، وقال: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى﴾ ثمَّ أمرَ في هذا بما يَدفعُهم ويردعُهم، وهو الاستعانةُ بالصَّبرِ والصَّلاة على مجاهدة العداة.

وقوله: ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ قد أوفينا الكلامَ فيه في أوَّلِ قصَّةِ بني إسرائيل، ومعناه: استعينوا بهما على الجهادِ في سبيلِ الله مع أعداءِ الله.

وقيل: استعينوا بهذا النوعِ من الطَّاعة على غيرِه مِن الطَّاعات.

وقال الكلبيُّ ومقاتلٌ والرَّبيعُ بنُ أنس: استعينوا على طلبِ الآخرة وتمحيصِ الذُّنوب بالصَّبرِ على أداءِ الفرائض والصَّلوات الخمس[2].

وقيل: استعينوا بالصَّبرِ منكم، وبالصَّلاة منِّي وعداً بقولي: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾ [البقرة: ١٥٧] على أداء الفرائض وتحمُّل المكاره؛ أي: انظروا في

---

(١) في (ر): «جامعتان».

(٢) قول مقاتل في «تفسيره» (١/ ١٥٠)، ورواه عن الربيعِ الطبريُّ في «تفسيره» (٢/ ٦٩٨).

حسنِ هذا الاسم لكم، وحسن هذا الجزاءِ منِّي؛ ليسهلَ عليكم الأداءُ والرِّضا.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ أي: بمعونتهم ونُصرَتهم.

وقيل: أي: يُظهِر دينَهم على سائر الأديان؛ لأنَّ مَن كان اللهُ معه فهو الغالبُ، وهو أشرفُ رتبةٍ، وأجلُّ وعدٍ[1]، قال الله تعالى لموسى وهارون: ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ﴾ [طه: ٤٦]، وقال لبني إسرائيل: ﴿إِنِّى مَعَكُمْۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ﴾[2] الآية [المائدة: ١٢]، وقال موسى: ﴿كَلَّآۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى﴾ [الشعراء: ٦٢]، وقال نبيُّنا عليه الصلاة والسلام في الغار: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠]، وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨]، وقال الله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ١٩].

* * *

(١٥٤) ـ ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ﴾ فيه إضمارٌ؛ أي: هم أموات.

وقوله تعالى: ﴿بَلْ أَحْيَآءٌ﴾؛ أي: بل هم أحياءٌ، والقتلُ نقضُ البِنيَةِ الحيوانيَّة، وسبيلُ الله: هو الجهاد؛ لأنَّه طريقٌ إلى ثواب الله ورحمتِه.

وقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾؛ أي: لا تعلمون حقيقةَ حياتِهم بعد زُهوق أرواحهم.

وقال القشيريُّ رحمه الله: لئن فَنِيَت في الله أشباحُهم، لقد بَقِيَت بالله أرواحُهم،

(١) في (أ): «وعدة».

(٢) قبلها في (أ): «وقال الله».

ومَن كان فناؤه لله[١]، كان بقاؤه بالله، هم في ظلال الأنس يبسطهم[٢] جمالُه مرَّةً، ويَستَغْرِقُهم جلالُه أخرى[٣].

قال ابنُ عباس رضي الله عنهما: نزلَت في قتلى بدر، وهم أربعةَ عشر من المسلمين[٤].

وقال الضَّحَّاك: نزلَت في الذين قُتِلوا عند بئرِ معونة[٥]، وذلك أنَّ المنافقين قالوا: مات فلانٌ، ومات فلانٌ، فنزلت.

وقيل: إنَّ العربَ كانت تُعرِّف الموتى: مَن[٦] انقطعَ ذِكْرُه إذا لم يبقَ له أحدٌ يذكرُه، فأخبرَ اللهُ تعالى أنَّهم مذكورون في ملأ الملائكة.

وقال الحسن: إنَّ أرواحَ المؤمنين تُعرض على الجِنان، وأرواحَ الكفَّار[٧] تُعرضُ على النِّيران، ويكونُ لأرواحِ[٨] الشهداء فَضلُ[٩] لذَّةٍ لا تكونُ لغيرهم،

---

(١) في (ر): «في الله» بدل: «لله».

(٢) في (ف): «ينشطهم».

(٣) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (١/ ١٣٩).

(٤) ذكره مقاتل في «تفسيره» (١/ ١٥٠)، والثعلبي في «تفسيره» (٢/ ٢١)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٤٠ ـ ٤١) دون نسبته لابن عباس رضي الله عنهما، وأورد نحوه السيوطي في «الدر المنثور» (٢/ ٦٨) وعزاه لابن منده في «المعرفة» من طريق السدي الصغير عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس. وهي إلى ابن عباس رضي الله عنهما سلسلة الكذب.

(٥) ذكره أبو الليث السمرقندي في «تفسيره» (١/ ١٦٩).

(٦) في (ف): «بمن».

(٧) في (أ): «الكفرة».

(٨) بعدها في (ر): «المؤمنين».

(٩) في (ر) و(ف): «أفضل».

ولأرواحِ الكفرةِ مِن آلِ فرعون فضلُ ألمٍ لا يكون لغيرهم[١].

وقال جعفر الصَّادق رضيَ الله عنه: الشُّهداءُ قُتِلوا في ذات[٢] الله، واستوجَبوا الثوابَ عندَ الله، فهم أحياءٌ مرزوقون، شهداءُ فرحون، والذين قَتلوا أهواءَهم بما قاسَوا مِن قطع هذه العقبات، صارُوا بالهوى قَتْلى، فاستوجبوا على الله إحياءَ قلوبِهم، وجعلَهم شهداءَ مرزوقينَ فوائدَه ولطائفَه، فرحين مستبشرين، قد يَبِسَت عروقُهم، وسَكَنَتْ حركاتُهم، وانقطعَت طلباتُهم، ووقَفوا بين يدي مليكِهم، فهم أحرارٌ خدَّام، فطوبى لهم، هم أولياء الله وأحباؤه.

وروى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: «الشُّهداءُ عند الله على منابرَ مِن ياقوت[٣] في ظلِّ عرشِ الله يومَ لا ظلَّ إلَّا ظلُّه، على كثيبٍ مِن مسك، لا يَدرون ما يَصنع الناس، فيقول بعضُهم لبعض: ألا نَذهبُ إلى النَّاس فننظر؟ فيُبعثون، فيقول لهم الربُّ تعالى: ألم أفِ[٤] لكم؟ فيقولون: بلى، لو صَنعْت بنا واحدةً، قال: وما هي؟ قالوا: لو رَددتنا إلى الدُّنيا حتَّى نُقتلَ فيك ثانيةً». وقال رسولُ الله ﷺ: «لولا أنْ أشُقَّ على المؤمنين ما خرجَتْ لهم سَرِيَّةٌ إلَّا وأنا فيها، ولودِدتُ أنِّي أُقتَلُ ثمَّ أُحيا، ثمَّ أستشهَدُ ثمَّ أحيا، ثمَّ أستشهدُ ثمَّ أحيا» ثلاث مرات[٥].

---

(١) ذكره الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (١/ ٥٩٦).

(٢) في (ف): «سبيل».

(٣) في (ر) و(ف): «نور».

(٤) في (ر): «أوف».

(٥) رواه ابن أبي عاصم في «الجهاد» (٢٠٩)، والعقيلي في «الضعفاء الكبير» (١/ ١٠٢) في ترجمة إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة، وهو متروك، كما قال الحافظ ابن حجر في «التقريب». ومن قوله: «وقال رسول الله ﷺ: «لولا أن أشق»» إلى آخر الحديث، روى نحوه البخاري في «صحيحه» (٣٦) من حديث أبي هريرة أيضاً.

وقيل: معنى قوله: ﴿بَلْ أَحْيَآءٌ﴾: لا يَنقطعُ ثوابُ أعمالِهم؛ لأنَّهم قُتِلوا لنُصرةِ دين الله، فما دام الدِّينُ ظاهراً في الدُّنيا، وأحدٌ يُقاتِلُ في سبيلِ الله، فلهم ثوابُ ذلك؛ لأنَّهم سَنُّوا هذه السُّنَّةَ.

* * *

(١٥٥) ـ ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾.

وقولـه تعالـى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم﴾؛ أي: ولنَمْتَحِنَنَّـكـم، وهـو لامُ قَسَـم، والابتـلاءُ مِـن الله تعالـى لإظهـارِ مـا علم.

وقوله تعالى: ﴿بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ﴾ أي: خوفِ الأعداء. وانتظامُها بما قبلَها أنَّ الصَّبرَ والاستعانةَ به وبالصَّلاة على احتمالِ هذه المكاره.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلْجُوعِ﴾ أي: وبشيءٍ مِن الجوع، وهو القَحطُ والسَّنةُ.

ولم يقل: بأشياء، وإن ذكرَ بعده بلايا معدودةً؛ لأنَّه أضمرَهُ ثانياً وثالثاً؛ اكتفاءً بحرفِ العطف المقتضي لإعادة المذكور أوَّلاً.

وقوله تعالى: ﴿وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ﴾ أي: وبشيءٍ من ذلك؛ بالسَّرقةِ، والإغارة، وأخذ السُّلطان، والهلاك.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلْأَنفُسِ﴾ أي: بالقتل والموت.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلثَّمَرَٰتِ﴾ أي: وذهاب ثمراتِ الكروم والأشجار بالبردِ، والسَّمومِ، والرِّيحِ، والجرادِ، وغيرِها من الآفات.

وقوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ أي: المتحمِّلينَ هذهِ المكاره.

وقيل: الخوفُ: هو الجهادُ، والجوعُ: هو صومُ رمضان، ونقصُ الأموال: هو

إيتاءُ الزَّكاة والحقوقِ الماليَّة، والأنفسُ[1]: بذلُ الأرواح في ذاتِ الله، والثَّمرات: هو دفعُ العشر. وقيل: هو صرفُ ثمرات الأعضاء ـ وهي الأفعال ـ إلى عبادة الله جلَّ جلاله، والابتلاء بها: هو التعبُّد بهذه الأنواع. ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾؛ أي: الدَّائمين على أدائِها، الثَّابتين على مراعاتِها.

وقيل: الخوفُ: هو خشيةُ القلب مِن الله تعالى، والجوع: غلبةُ شوقِ العبد إلى لقاء الله، ونقص من الأموال: هو التَّجرُّد عن غيرِ الله تعالى في محبة الله، والأنفس: هو تسليمُ الأنفس إلى الله، والثمرات: هو بذلُ الأولاد في رضاء الله تعالى، فالولدُ ثمرةُ الفؤاد، وبه ورد الحديثُ[2]، ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ على هذه الحالات، الصَّادِقين في هذه المقامات.

وقال النَّبيُّ ﷺ: «إنَّ اللهَ تعالى يقول لملائكتهِ: أقبضتُم قُرَّة عينِ عبدي، وثمرةَ قلبِه؟ فيقولون: نعم يا رب، فيقولُ الله تعالى: فما[3] صنع؟[4] قالوا: صبرَ واحتسب، فيقولُ الله تعالى: ابنوا له بيتاً في الجنَّة، وسمُّوه بيت الحمد»[5].

وقال بعضُ أهل المعرفة: مطالباتُ الغيبِ؛ إمَّا أن تكونَ بالمال، أو بالنَّفس، أو بالأقارب، أو بالقلب، أو بالروح، فمَن أجابَ إلى المال[6] فله النَّجاة، ومَن جاد

---

(١) بعدها في (أ): «هو».

(٢) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٥٥١) من حديث الأشعث بن قيس. قال محققه: إسناده ضعيف.

(٣) في (ف): «ما».

(٤) بعدها في (ر): «عبدي».

(٥) رواه الترمذي في «سننه» (١٠٢١) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه بنحوه. قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

(٦) في (ر): «جاد بالمال» بدل: «أجاب إلى المال».

بالنَّفس فله الدَّرجات، ومَن صبرَ على فقد الأقاربِ فله الخَلَفُ والقُربات، ومن لم يدخر عنه الرُّوح(١) فله دوامُ المواصلات.

وفي التفسير: إن ما ذُكر في هذه الآية أصابَ أصحابَ رسول الله ﷺ، وكان الخطاب لهم:

أمَّا **الخوف** ففي وقعة الأحزاب، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ﴾ الآيات [الأحزاب: ١٠ ـ ١١].

وأما **الجوعُ** فكان القحط بمكَّة سبعَ سنين، حتَّى أكلوا العظامَ، وكان الواحدُ مِن الصَّحابةِ يَخِرُّ على وجهه من الجوع، وكان عليه الصَّلاة والسَّلامُ يَشُدُّ الحجرَ على بطنِه(٢)، ويمرُّ على آل رسول الله ﷺ الشَّهر والشهران وما طعامهم إلا الأسودان التمر والماء(٣).

وأمَّا **نقصُ الأموالِ** فبالإنفاق في الغزواتِ، وانقطاعِهم عن معايشِهم بسبب الجهاد، وقيل: هو هلاكُ المواشي.

وأمَّا **نقصُ الأنفس** فبالشَّهادة، وبالجراحِ، وبالموتِ، وذهابِ الإخوان والأقران.

وأما **نقصُ الثَّمرات** فبالجدب، وتركِ الضِّياع على الضَّياع بالجهاد، وبإنفاقِها على الغُرباءِ الفقراء(٤).

---

(١) في (ر): «جاد بالروح» بدل: «لم يدخر عنه الروح».

(٢) خبر ربط الحجر على بطن رسول الله ﷺ من الجوع رواه البخاري في «صحيحه» (٤١٠١) من حديث جابر رضي الله عنه.

(٣) رواه البخاري في «صحيحه» (٢٥٦٧)، ومسلم (٢٩٧٢) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٤) في (ف): «والفقراء».

(١٥٦) - ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ﴾ قيل: هو نعتُ ﴿الصَّابِرِينَ﴾، وإعرابه النَّصب. وقيل: هو ابتداءٌ، وجوابُه: ﴿أُولَئِكَ﴾، ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ تامٌّ، وعليه وقفٌ، وهو أكثرُ فائدةً، وأبلغُ في الكرامة، وهو البشارةُ بنفسِ الصَّبر، وهو صفةُ مدحٍ تامَّة.

وقوله تعالى: ﴿أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ﴾ أي: نالتهُم بليَّةٌ، والإصابةُ ضِدُّ الإخطاء[1]، قال النبيُّ ﷺ: «واعلم أنَّ ما أصابَك لم يكن ليُخطِئَك، وما أخطأكَ لم يكن ليصيبك»[2]، والمصيبةُ اسمٌ لكلِّ حادثةٍ مكروهةٍ من نقصانٍ وفواتٍ[3] ونحو ذلك.

وقوله تعالى: ﴿قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ وهي كلمةُ تسليمٍ، ومعنى ﴿إِنَّا لِلَّهِ﴾؛ أي: أنفسُنا لله، وهو يَتصرَّفُ في ملكه، فلا اعتراضَ عليه؛ إذ لو كانت المصيبةُ بذهاب أنفسِنا، لم يكن لنا أن نجزعَ، فكيف وهي في أموالِنا أو أحبائنا؟ أو نحن[4] عبيد الله، والعبدُ وما في يدِه لمولاه[5]، فإن شاءَ بقَّاهُ في أيدينا، وإن شاء استردَّهُ منَّا، فلا نجزعُ بأخذِ ما هو ملكُه، بل نصبرُ، فإن عشنا فعليه رزقُنا، وإن متنا فإليه مردُّنا، وعنده ثوابُنا، وهذا معنى قوله: ﴿وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾.

وقيل: أي: ﴿إِنَّا لِلَّهِ﴾ عبيدٌ[6] أحياءً وأمواتاً، ﴿وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ إنْ رضينا بقضائِه استوجَبنا ثوابَه، وإن لم نرضَ بقضائِه استوجبنا عقابَه.

---

(١) في (ف): «الخطأ».

(٢) رواه أبو داود في «سننه» (٤٦٩٩)، وابن ماجه في «سننه» (٧٧) من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه.

(٣) في (ر): «نقص وقوام»، وفي (ف): «نقصان» بدل: «نقصان وفوات».

(٤) في (أ): «ونحن»

(٥) في (ف): «لله مولاه».

(٦) في (ر): «عبيدا».

وقيل: معناه: نحن عبيدُ الله، وفي قبضةِ الله، يُمضِي فينا قضاءَه؛ أحبَبنا، أو كرهنا.

وقال أبو بكر الورَّاق: ﴿إِنَّا لِلَّهِ﴾ إقراراً[١] منَّا له بالملك، ﴿وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ إقراراً على أنفسنا بالهُلك[٢].

وقال محمَّدُ بنُ عليٍّ الترمذيُّ: أي: ما أعطانا ربُّنا كان فضلاً منه، ولا يَليقُ بكرمِه الارتجاعُ في عطاياه، وإنَّما أخذَهُ ليكونَ ذخيرةً لي عنده، وليَظهرَ سِرِّي[٣] للملائكة؛ ليَعلموا[٤] كيف ثقتي به، وتفويضي إليه، وحسنُ ظني[٥] به.

ثمَّ مِن العبادِ مَن ذكَر الرُّجوعَ إليه؛ لأنَّ في لقائِه عِوضاً مِن الدَّارين؛ ليَتسلَّى عن كلِّ ما فاتهُ بما يَأملُ مِن لقائِه.

ومنهم مَن ذكَر الرُّجوعَ إليه؛ لأنَّه عَلِم أنَّه انفصلَ مِن عنده يوم الميثاق، والرُّجوعُ يكون إلى من كُتِبَ عنده مرَّة، فإنَّما تَرجِعُ إليه بالعبوديَّة التي أُخِذَ الميثاقُ علينا بها.

ومنهم مَن ذكَر الرُّجوعَ إليه للوله؛ لأنَّ وجودَ[٦] العبدِ بالله[٧]، وولهَه إلى الله.

* * *

(١٥٧) ـ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾.

---

(١) في (أ): «إقرار» في هذا الموضع والذي بعده.

(٢) انظر قوله في «تفسير الثعلبي» (٢/ ٢٣).

(٣) في (ف): «لنا... سرنا».

(٤) في (ف): «لما يعلموا».

(٥) في (ف): «يقيننا به وتفويضنا... ظننا».

(٦) في (ف): «رجوع».

(٧) في (ف): «لأن رجوع العبد لله». وفي هامشها: «نسخة: لأن رجوع العبد بالله».

وقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾ الصلواتُ جمعُ صلاةٍ، وهي الرَّحمةُ، والتَّكريرُ للتَّأكيد والتَّقرير.

وقيل: الصَّلواتُ: هي الرَّحمةُ في الدُّنيا، والرَّحمةُ هي تكميلُها لهم في الآخرة.

وقيل: الصلواتُ: البركات. وقيل: الأثْنِيَة. وقيل: المباهاةُ بهم الملائكة.

والرَّحمةُ قيل: هي المغفرة، وقيل: هي الجنَّة.

وقوله تعالى: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾ قيل: معناه: الموفَّقون للاسترجاع.

وقيل: أي: اهتدوا إلى الرِّضا والتَّسليم.

وقيل: أي: الثَّابتون على الإسلام.

وقال عمرُ بنُ الخطَّاب رضي الله تعالى عنه: نِعْمَ العِدْلان، ونعمتِ العِلاوةُ؛ العدلان: الصَّلوات والرَّحمة، والعِلاوة: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾[١].

وقال مقاتلُ بن حيَّان في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ [التغابن: ١١] قال: الاسترجاع[٢].

وقال عكرمةُ: طفئ سراجُ النبيِّ ﷺ، فقال: «إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون» قيل: يا رسول الله، أمصيبةٌ هي؟ قال: «نعم، كلُّ شيءٍ يؤذي المؤمنَ فهو له مصيبةٌ»[٣].

وقال سعيدُ بنُ جبير: أعطى الله هذه الأمَّة في المصيبةِ ما لم يُعطِه[٤]

---

(١) رواه سعيد بن منصور في «مسنده» (٢٣٣ ـ تفسير)، والحاكم في «المستدرك» (٣٠٦٨)، ومن طريقه البيهقي في «الكبرى» (٧١٢٦). والعدل هنا: نصف الحمل على أحد شقي الدابة، والحمل عدلان، والعلاوة: ما يجعل بينهما. انظر «مطالع الأنوار» لابن قرقول (٤/ ٣٨٨).

(٢) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٤/ ٣٠٧).

(٣) رواه أبو داود في «المراسيل» (٤١٢) عن عمران القصير، والسائل هو السيدة عائشة رضي الله عنها.

(٤) في (أ): «يعط».

يعقوبَ النبيَّ ﷺ، فإنَّه قال في فقد يوسف: ﴿يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ [يوسف: ٨٤]، ولم يكن له استرجاع[١].

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: قد وُجِدَ في كلامه ما يُحَقِّقُ هذا المعنى، وهو قوله تعالى: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ [يوسف: ١٨]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٦]، على أنَّه كان أَخبرَ أنَّه لم يهلك[٢].

وقال: وعدَ اللهُ الذين خَضَعوا لحكمِه ورضوا بقضائِه ثلاثَ خصال:

أحدها: صلواته[٣] عليهم، وصلاتُه تَحتملُ مباهاتَه الملائكةَ بعظيم[٤] ما عندَه لهم، وتَحتملُ ثناءَه وذكرَه بإخبارِه عبادَه بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ﴾ [البقرة: ١٥٤]، وما يشبهها من الآي.

ويَحتملُ النِّعمةَ أو الرحمةَ[٥]؛ يُلقِيها في قلوبِ عبادِه حتى يُحِبُّوهم، أو خلفٌ[٦] يُعطيهم في الدنيا.

---

(١) في (أ): «الاسترجاع». والأثر رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٧٠٨)، وابن أبي حاتم (١/ ٢٦٥) (١٤٢٢) بنحوه.

(٢) انظر «تأويلات أهل السنة» (١/ ٦٠٠).

(٣) في (أ): «صلاته».

(٤) في (ر) و(ف): «تعظيم». ونص العبارة في «تأويلات أهل السنة» (١/ ٦٠٢): «تعظيماً لما بذل عبده له».

(٥) وهي الخصلة الثانية من الخصال الثلاث التي وعد الله بها عباده الخاضعين لحكمه الراضين بقضائه. ولعله وقع للمصنف انتقال بصر، فنص الكلام في «تأويلات أهل السنة» (١/ ٦٠٢): والثانية: الرحمة، قد يرجع إلى ما ذكرنا، وجائز أن تكون رحمته هي التي أكرمته بذلك الاسترجاع، ويحتمل النعمة أو الرحمة يلقيها...

(٦) في (أ) و(ر): «خلفا». والمثبت من (ف)، وهو موافق لما في «تأويلات أهل السنة».

ثمَّ شهدَ لهم بالهداية[١]، وذلك يَحتملُ أن يكونوا اهتدَوا لدينِه، ولما عليهم في المصيبةِ مِن التَّسليم لله تعالى، ويحتملُ الاهتداءَ لطريق الجنَّة[٢] على ما بيَّنهُ في كتابه مِن الوعدِ للشُّهداء[٣].

***

(١٥٨) ـ ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ انتظامُها بما قبلَها أنَّ الخوفَ المذكورَ في تلك الآية خوفُ الأعداء والابتلاءِ بالجهاد، وهذه الآيةُ في بيان معالم الحجِّ، فهو جمعٌ بين الغزو والحجِّ، ولأنَّ في تلك الآيةِ نُقصان النَّفس والمالِ في الجهاد، وفي الحجِّ أيضاً شِقُّ الأنفس، وإنفاقُ الأموال.

وقيل: أي كرهتُم المصائبَ، وفيها أجرٌ عظيمٌ للصَّابرين، وكرهتُم السَّعيَ بين الصَّفا والمروة؛ لمكان إساف ونائلة، وفيه أجرٌ عظيمٌ للسَّاعين.

والصفا: الحجرُ الصَّلبُ الأملسُ الذي لا يُخالِطُه طينٌ ولا ترابٌ ولا رملٌ، مأخوذٌ من الصَّفوةِ، وهي الخلوصُ.

والمروةُ: هي الحجرُ الليِّنُ، وقيل: الحجرُ الأبيضُ الذي يَبرُق.

وقيل: سُمِّيَ الصَّفا؛ لأنَّه جلسَ عليه آدمُ صَفِيُّ الله، وسُمِّيت المروة؛ لأنَّها جلسَت عليها امرأتُه حواء.

---

(١) وهي الخصلة الثالثة.

(٢) في هامش (ف): «بيان: الحزم».

(٣) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (١/ ٦٠٢).

وقولـه تعالـى: ﴿مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ جمع شَـعيرة، والشـعائر أعـلام المتَعبَّدات[١]، من موقفٍ، أو مسـعًى، أو منحرٍ والشِّـعرُ: العِلمُ، والإشـعارُ: الإعلام، والمشـاعرُ: المعالم، والمشْـعَرُ: المعلَم.

وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ﴾ أي: قصدَهُ مُحرِماً بأعمالٍ مخصوصةٍ، وأصلُه القَصدُ وحدَه، فجعل اسماً للمناسك؛ لأنَّها توابعُ القصدِ[٢] إلى البيت، كالتيمُّم هو القصدُ، ثم جُعِل اسماً للتَّطهير بالتُّراب.

وقيل: الحجُّ: الحَلْقُ، يقال: احجُجْ مواضعَ شَجَّتِكَ؛ أي: احلِق، وسُمِّيَ الحجُّ بهذا الاسم؛ لأنَّ تمامَه بالحَلْقِ.

وقيـل: أصلُ الحـجِّ إطالةُ الاختـلافِ إلى الشـيء، وحَجُّ البيـت كذلك، وقال الشاعر:

أَلـمْ تَعلمِـي يـا أمَّ أسـعدَ[٣] أنَّـما ... تـخـاطأني ريـبُ الزَّمـانِ لأكبـرا

وأشـهدَ من عَوفٍ حُلولاً كـثيـرةً[٤] ... يَحُجُّونَ سِـبَّ[٥] الزبرقـان المزعفرا[٦]

---

(١) في (ف): «التعبدات».

(٢) في (أ): «للقصد».

(٣) في معظم المصادر: «يا أم عمرة»، وورد برواية المصنف في «طلبة لطلبة» لنجم الدين النسفي (مادة: حجج)، والبيتان فيه دون نسبة.

(٤) صدر هذا البيت والبيت الأول من (أ).

(٥) في (ر): «بيت»، وكذا روايته في «تفسير الطبري» (٢/ ٧١١).

(٦) البيتـان للمخبل السـعدي، وهما في «شـرح أدب الكاتب» للجواليقـي (١/ ٢٢٧)، و«خزانة الأدب» (٨/ ٩٨)، والبيـت الثانـي منهمـا فـي «إصـلاح المنطـق» (ص٣٧٢)، و«المعاني الكبيـر» لابن قتيبة (١/ ٤٧٨)، و«الصحـاح» (مادة: سـبب)، وهو دون نسـبة فـي «البيان والتبيين» للجاحـظ (٣/ ٩٧)، و«تفسـير الطبـري» (٢/ ٧١١)، وغيرها. والسـب: العمامة.

وقيل: هو تكرار القصدِ.

وقوله تعالى: ﴿أَوِ ٱعْتَمَرَ﴾ أي: زارَ البيتَ مُحرِماً بأعمالٍ مَخصوصةٍ، وأصلُه مِن عمارةِ بيت الله بالعبادة.

وقوله تعالى: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾؛ أي: لا إثم عليه، وهو من الجُنوح؛ أي: الميل، وحصوله بالميل عن الخير إلى الشرِّ. والطَّوْفُ: الدَّوْر، والتَّطوُّف تكلُّفه[1].

وعن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما أنَّه قال: كان في المسعى بين الصَّفا والمروة سبعون وثناً، فقال المسلمون: يا رسول الله، إنَّ هذه الأرجاسَ الأنجاس في مسعانا، ونحن نتأثَّم منها، فأنزلَ اللهُ تعالى[2]: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾؛ أي: لا إثمَ عليه أنْ يَسعى بينهما.

و﴿يَطَّوَّفَ﴾ أصلُه: يتطوَّف، أُدغِمَت التَّاء في الطَّاء، كما في قوله: ﴿يَذَّكَّرَ﴾ [البقرة: ١١٤]، و﴿يَصَّعَّدُ﴾[3] [الأنعام: ١٢٥]، و﴿يَصَّدَّعُونَ﴾ [الروم: ٤٣].

قال: ففعلوا ذلك ما شاء الله، حتَّى أمرَ اللهُ عزَّ وجلَّ نبيَّه فقال: ﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾ [المدثر: ٥]، فأمرَ بها، فنُحِّيَت عن المسعى، وكذلك فُعِل بالأوثان التي كانت حولَ البيت.

وقال الشعبي رحمه الله: كان لأهل الجاهلية صنمان؛ يُقالُ لأحدِهما: إساف، والآخر[4]: نائلة، وكان إسافٌ على الصَّفا، ونائلة على المروة، وكان المشركون إذا

---

(١) في (ر): «التكلف».

(٢) بعدها في (أ): «قوله».

(٣) بعدها في (أ): «في السماء».

(٤) في (أ): «وللآخر».

سعوا بينهما مسحُوهما، فلمَّا جاء الإسلام، قال المسلمون: كان المشركون يطوفون بينَهما من أجل[١] الصَّنمين، وليسا مِن شعائر الله، فأنزلَ اللهُ تعالى هذه الآية[٢].

وقال محمَّدُ بنُ إسحاق: كان على الصَّفا صنمٌ على صورةِ رجلٍ، يُقال له: إساف، وعلى المروة صنمٌ على صورة امرأةٍ، يُقال لها: نائلة، وحكيَ عن أهلِ الكتاب أنَّهم زعموا أنَّهما زَنيا في الكعبة فمُسِخَا حجرين[٣].

وقيل: إنَّ المسلمين لـمَّا صلَّوا إلى الكعبة قال المشركون: عادوا إلى قبلتِنا، فيعودون إلى[٤] ملَّتنا، ولمَّا طافوا بين الصَّفا والمروة قالوا: اتَّبعوا دينَنا، فامتنعَ المسلمون عن الطَّواف بهما لذلك، فعرَّفهمُ اللهُ تعالى أنَّه ليس باتِّباعِ دينهم، ولكنَّهما مِن شعائرِ الله.

ثمَّ اختلفَ العلماءُ رحمهم الله في السَّعي بين الصَّفا والمروة:

قال[٥] مجاهدٌ وعطاء: هو غيرُ فرضٍ ولا واجب، وتركُهُ لا يوجبُ شيئاً؛ لأنَّ اللهَ تعالى قال: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ وهذا يستعمل في المباح دون الواجب، ولأنه قال: ﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾، والتطوُّعُ: التَّبرُّع[٦].

وقال الحسنُ ـ وهو قول الشافعي رحمه الله[٧] ـ: هو فرضٌ، لا يَتمُّ الحجُّ ولا

---

(١) في (أ) و(ر): «لأجل».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٧١٤).

(٣) انظر «سيرة ابن هشام» (١/ ٨٢)، وفيها أنهم اتخذوا إسافاً ونائلة على موضع زمزم ينحرون عندهما. وذكر الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٤٢) نحوه معلقاً عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) في (أ): «في».

(٥) في (أ): «فقال».

(٦) قولا مجاهد وعطاء رواهما الطبري في «تفسيره» (٢/ ٧٢٢ ـ ٧٢٣).

(٧) انظر: «نهاية المطلب» للجويني (٤/ ٣٠٢).

العمرة إلَّا به؛ لأنَّه قال: ﴿مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾، ولقول النبيِّ ﷺ: «إنَّ الله تعالى كتب عليكم السعيَ فاسعوا»[١].

فأمَّا قولُه: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ فهو لما بيَّنَّا أنَّهم كانوا يتحرَّجون عن ذلك؛ لِمَا فيه من التَّشبُّه بالكفار، فنفى الجُناح عنهم من ذلك الوجه، وأمَّا قولُه: ﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا﴾ ليس هو لأصل السَّعي على ما نبيِّن في تفسير هذه الكلمة مِن بعد.

وقال أبو حنيفة وأصحابُه رحمَهم الله ـ وهو قول سفيان الثوري وعامَّة أهلِ العلم ـ: إنَّه واجبٌ، وتركُه غيرُ مفسدٍ، ويَنجبرُ بالدَّم[٢]؛ لأنَّه نسكٌ قد يُؤتَى به بعد طوافِ الزِّيارة، فلا يكونُ ركناً كرمي الجمار وطواف الصدر، وهذا لأنَّه يَحِلُّ بعد طواف الزِّيارةِ كلُّ شيءٍ، وليس بعد التحلُّل ركنٌ.

وقوله تعالى: ﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا﴾ أي: تَبرَّع بعد الحجِّ والعمرة بحجَّةٍ أُخرى أو عمرةٍ غيرِ الأولى.

وقيل: أي: تَبرَّعَ بشيءٍ مِن الخيرات والطَّاعات في الدِّين.

وقيل: أي: زادَ في الطَّواف بعد قدرِ الواجب، وهو قولُ الكلبيِّ ومقاتلٍ وجماعة[٣].

---

(١) رواه الشافعي في «مسنده» (١٧٥٧)، وأحمد في «مسنده» (٢٧٣٦٧)، (٢٧٣٦٨)، والدارقطني في «سننه» (٢٥٨٤)، (٢٥٨٥)، والحاكم في «المستدرك» (٦٩٤٣) وغيرهم من حديث حبيبة بنت أبي تجراة رضي الله عنها. وهو حديث حسن بطرقه وشواهده كما قال محققو «مسند أحمد».

ورواه الطبراني في «الكبير» (١١٤٣٧)، و«الأوسط» (٥٠٣٢) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وفي إسناده المفضل بن صدقة، وهو ضعيف. انظر «مجمع الزوائد» (٣/ ٢٣٩).

(٢) انظر: «المبسوط» للسرخسي (٤/ ٥٠).

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» (١/ ١٥٢)، و«تفسير الثعلبي» (٢/ ٢٩).

وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ﴾[1] أي: قابلٌ يَسيرَ العملِ مِن المتَطوِّع[2]، ﴿عَلِيمٌ﴾ بمكافأته. وقيل: عليمٌ بنيَّتِه بهذا الطَّواف أنَّه ليس كطواف أهلِ الشِّرك.

* * *

(١٥٩) ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ﴾ وانتظامُها بما قبلَها أنَّه قال: ﴿وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ﴾ [الآية: ١٥٠] بإكمال شرائعِ الدِّين لتَهتدوا، فاشكُروا لي، واصبِروا على محنـي[3]، وأقيموا شرائعَ ديني[4]، ولا تكتموا، فإنَّ مَن كتمَ فعليه لعنتي.

وقال ابنُ عباس رضي الله عنهما: نَزلت في رؤساء اليهود؛ كعب بن الأشرف، وكعب بن أسيد، ومالك بن الصَّيف[5]، وغيرهم، كانوا يتمنَّون أن يكون النبيُّ عليه الصَّلاة والسَّلام منهم، فلمَّا بُعِثَ النبيُّ عليه الصَّلاة والسَّلام من غيرهم، خافوا أن تذهبَ مأكلتُهم مِن السَّفِلة، فعمَدوا إلى صفةِ النبيِّ ﷺ، فغيَّروها مِن كتابِهم، ثمَّ أخرجوها إليهم، وقالوا[6] هذا نعتُ النبيِّ عليه الصَّلاة والسَّلام الذي يبعث في آخرِ الزَّمان، وهو لا يشبِهُ نعتَ النبيِّ الذي بمكَّة، فلمَّا نظرت السَّفِلة إلى ما غيَّروا مِن

---

(١) بعدها في (أ) و(ف): «عليم».

(٢) في (أ): «التطوع».

(٣) في (ر): «محنتي» وفي (ف): «محبتي».

(٤) بعدها في (ر) و(ف): «لتهتدوا فاشكروا لي». وسلفت قريباً.

(٥) في (ر) و(ف): «الضيف».

(٦) في (أ): «فقالوا».

الصِّفة وإلى محمَّدٍ وصفَتِه، جحدوه[١]؛ لأنَّهم وجدوه مخالفاً، فقال الله جلَّ جلالُه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ﴾[٢]؛ أي: يُغيِّرون التَّوراة والهدى مِن صفةِ محمَّد ﷺ، وآيةِ الرَّجم، وتحويلِ القبلة، والحلالِ والحرام.

وقوله تعالى[٣]: ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾[٤] ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ﴾[٥]؛ أي: أوضحناهُ للنَّاس؛ أي: لبني إسرائيل، ﴿فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾ أي: في التَّوراة.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ﴾ أي: أهلُ هذه الصِّفة عليهم لعنةُ الله ولعنةُ الخلائق، قال ابنُ عباس رضي الله عنهما: وذلك إذا وضع الكافر في قبره وسُئِلَ: مَن ربُّكَ؟ ومَن نبيُّك؟ وما دينُك؟ فيقول: لا أدري، فيقول له منكرٌ ونكيرٌ: لا دَرَيْت، فهكذا كنتَ في الدُّنيا، ثم يُضرَبُ ضربةً يسمعُها كلُّ شيءٍ إلَّا الثَّقلين، فلا يَسمعُ شيءٌ صوتَه إلَّا لَعَنَهُ، فذلك قولُه: ﴿وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾[٦]، فهم كلُّ مَن على وجهِ الأرضِ غيرُ الثَّقلَين.

وقال عكرمة: اللاعنون[٧] هم البهائمُ والهوامُّ، تَلعنُ عصاةَ بني آدم، تقول[٨]: حُبِسَ عنَّا المطرُ بخطاياهم[٩].

---

(١) في (ر) و(ف): «جحدوا».

(٢) لم أقف عليه بهذا السياق، وروى الطبري في «تفسيره» (٢/ ٧٣٠) عن ابن عباس نحوه مختصراً.

(٣) «وقوله تعالى» من (ر) و(ف).

(٤) قوله: «﴿مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾» من (ف).

(٥) بعدها في (ر): «للناس».

(٦) أورده ابن أبي زمنين في «تفسيره» (١/ ١٩١ ـ ١٩٢) مطولًا من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما، وهي سلسلة الكذب.

(٧) من قوله: فهم كل من على» إلى هنا من (أ).

(٨) في (أ): «يقولون».

(٩) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٧٣٤).

وقال ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه: إذا تلاعنَ اثنان رجعَ اللَّعنُ على المستحِقِّ منهما، فإن لم يَستحِقَّه أحدُهما، رجعَ اللَّعنُ[(١)] على اليهودِ الذين كَتموا ما أنزلَ الله[(٢)].

واللعنُ مِن الله: الطَّردُ والإبعادُ عن الرَّحمة على الإطلاق في حقِّ الكفَّار، وعن الرَّحمة والكرامةِ والمنزلةِ التي يستحقُّها المطيعُ، إذا كان في حقِّ العُصاة.

﴿وَٱلْهُدَىٰ﴾ البيِّناتُ التي من تمسك بها اهتدى.

وقوله تعالى: ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّـٰهُ لِلنَّاسِ﴾ الهاءُ ترجعُ إلى قوله: ﴿مَآ أَنزَلۡنَا﴾، ويجوزُ أنْ ترجعَ إلى قوله: ﴿وَٱلْهُدَىٰ﴾، وإنَّما أعاد قولَه: ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّـٰهُ﴾ مع قوله: ﴿أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَـٰتِ﴾؛ لأنَّ الأول بيِّناتٌ منزلةٌ على الرَّسول، والثَّاني بيانُ أنَّه بيَّن ذلك لهم.

وقال قائلون[(٣)]: الآيةُ نزلت في كلِّ مَن كان عنده علمٌ فكتمَه، وهو مرويٌّ عن عثمانَ وابن عمرَ وأبي هريرة رضي الله عنهم:

قال عثمان حين توضَّأ بمشهَدٍ مِن النَّاس: لأحدِّثنَّكم حديثاً، ولولا آيةٌ في كتاب الله ما[(٤)] حدَّثتُكم، وذكرَ هذه الآية، وقال[(٥)]: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «مَن توضَّأ فأحسنَ الوضوء، ثمَّ صلَّى صلاةً، غُفِرَ له ما بينها وبين الصَّلاة الأخرى»[(٦)].

---

(١) لفظ: «اللعن» من (أ).

(٢) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٥١٩٢) من طريق محمد بن مروان السدي الصغير عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن مسعود رضي الله، وإسناده تالف.

(٣) في (ر) و(ف): «القائلون».

(٤) «ما» سقط من (ف).

(٥) في (أ): «ثم قال».

(٦) رواه البخاري (١٦٠)، ومسلم (٢٢٧): (٦)، وبين الآية المقصودة في كلام سيدنا عثمان رضي الله عنه عروةُ أحد رواته.

وروي أنَّ نجدةَ الحروريَّ كتبَ إلى ابن عمر رضي الله عنهما يسألُه: هل قطعَ رسولُ الله ﷺ الرِّجلَ بعدَ اليدِ في السَّرقة، فقال: لولا هذه الآية ـ وتلا قولَه تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ﴾ ـ ما كتبت إليه، ثمَّ كتبَ إليه أنَّ رسولَ الله ﷺ قطعَ الرِّجلَ بعد اليدِ[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: إنَّ الناسَ يقولون: أكثرَ أبو هريرة، والله، لولا آيتانِ من كتاب الله ما حدَّثتُ حديثاً، وتلا هاتين الآيتين: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا﴾ إلى قوله: ﴿وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾[2].

فهؤلاء جعلوا الآيةَ عامَّةً، ويجوزُ أن يكون نزولها في سبب خاص[3]، ثمَّ ثبتَ حكمُه على العموم في كلِّ مَن دخلَ تحتَه.

ثمَّ لَعْنُ الله: طردُه وإبعادُه، ولعنُ اللاعنين: دعاؤهم باللَّعن، وهو كقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، فصلاةُ الله عليه هي رحمتُه، وصلاةُ الملائكة والمؤمنين: دعاؤهم بالرَّحمةِ له[4].

وقال القفَّال: يجوزُ أن يكون معنى هذا[5]: يتبرَّأ[6] اللهُ تعالى منهم، ويتبرَّأ منهم الملائكة والمؤمنون، فهم اللاعنون.

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٢٨٢٦٨) دون ذكر استشهاد ابن عمر رضي الله عنهما بالآية.

(٢) رواه البخاري في «صحيحه» (١١٨).

(٣) في (ر): «لها على الخصوص»، وفي (ف): «لنزولها سبب خاص» بدل: «نزولها في سبب خاص».

(٤) قوله: «وصلاة الملائكة والمؤمنين دعاؤهم بالرحمة له» من (أ).

(٥) في (ر): «معنى اللعن» بدل: «معنى هذا»، وليست في (ف).

(٦) بعدها في (ف): «إلى».

(١٦٠) ـ ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ ﴾ مِن الكِتمان، ونَدِموا على ذلك.

وقوله تعالى: ﴿وَأَصْلَحُواْ ﴾؛ أي: أصلحوا بالتمسُّك بالحقِّ والعملِ به ما أفسدوه.

ويَحتمِلُ: وأصلحوا أحوالَ أنفسِهم بالتَّقرُّب إلى الله بصالح الأعمال.

ويحتمل: فيما[1] بينهم وبين الله تعالى بالإخلاص والصِّدق.

وقوله تعالى: ﴿وَبَيَّنُواْ ﴾؛ أي: أظهروا ما كَتموهُ مِن الحقِّ للنَّاس.

وقيل: ﴿وَبَيَّنُواْ﴾ حقيقةَ التَّوبة بالإصلاح والدَّوامِ على الحقِّ، والعملِ به، والإخلاصِ لله تعالى فيه.

وقوله تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ﴾؛ أي: أقبلُ توبتَهم.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾؛ أي: أقبلُ التَّوبةَ، ولا أعاجِلُ بالعقوبة.

* * *

(١٦١) ـ ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾؛ أي: جَحدوا نبوَّة محمَّدٍ عليه الصَّلاة والسَّلام.

وقوله تعالى: ﴿وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ ﴾؛ أي: أصرُّوا عليه حتَّى ماتوا على ذلك، وقوله تعالى ﴿وَهُمْ﴾ واو حالٍ.

وقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ﴾؛ أي: طردَهم اللهُ، وبعَّدهُم عن رحمته، وتبرَّأ منهم.

---

(١) في (أ): «وأصلحوا» بدل: «فيما».

وقوله تعالى: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾؛ أي: ودعا عليهم الملائكةُ وكلُّ النَّاسِ باللَّعن[1] وتبرَّؤوا منهم.

وقيل: النَّاس هم المؤمنون؛ لأنَّهم هم النَّاسُ في الحقيقة؛ لانتفاعِهم بالإنسانيَّة، فأمَّا الكفَّارُ فهم كالأنعامِ أو أضلُّ سبيلاً.

وقيل: معناه: كلُّ النَّاس؛ مؤمنهم وكافرهم، وذلك يومَ القيامة؛ قال تعالى: ﴿ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ [العنكبوت: ٢٥]، وقال تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا﴾.

وقيل: معناه: إنَّ لعنَ جميع الناس يَرجعُ عليهم؛ إذ هم ظالمون، وكلُّ النَّاس يقولون: لعنَ اللهُ الظَّالمين.

* * *

(١٦٢) - ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾؛ أي: في اللعنةِ؛ لأنَّهم إذا خُلِّدوا في النَّار، خُلِّدوا في الإبعاد عن رحمةِ الله.

وقيل معناه: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾؛ أي: في النَّار؛ لأنَّ اللعنةَ توجبُ تعذيبَهم فيها، فثبتت[2] النَّار مذكورةً مقتضى[3] ذكر اللَّعنة.

وقيل: إنَّ الخلودَ في النَّار ممَّا كثُر ترديدُه في القرآن، فصلحت الكنايةُ عنها مع انقطاع المَكنيِّ عنها، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟

---

(١) لفظ: «باللعن» ليس في (ف).

(٢) في (ر) و(ف): «فتثبت».

(٣) في (ر): «بمقتضى».

﴿مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا﴾ [فاطر: ٤٥]، فكنى عن الأرض، وقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ﴾ [القدر: ١]، فكنى عن القرآن في أوَّل السُّورة.

وقوله تعالى: ﴿لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾ لأنَّه لا ينقطِع ولا ينقصُ منه شيءٌ، بل قيل فيهم: ﴿زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ﴾ [النحل: ٨٨].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾؛ أي: يُمهَلون[1] للاعتذار، قال تعالى: ﴿هَٰذَا يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ﴾[2] [غافر: ٥٢]، قال تعالى: ﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾ [المرسلات: ٣٥ ـ ٣٦].

وقيل: أي: لا يجابون إلى قولهم: ﴿أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ﴾ [فاطر: ٣٧].

وقيل: لا يؤجلون ليستريحوا.

وقيل: لا يؤخَّرُ عذابُهم من وقتٍ إلى وقت.

* * *

(١٦٣) ـ ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ انتظامُه بما قبلَه: أنَّه أوعدَ الكفَّارَ بالنَّار، ثمَّ ذكرَ التَّوحيد ودلائلَ التوحيد، وبه الأمنُ مِن ذلك الوعيد، قال[3]: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ أي: معبودُكم وملجؤكم ربٌّ واحدٌ في ذاتِه، فلا يجوزُ عليه الانقسام والتجزؤ، وواحدٌ في صفاته؛ فلا نظيرَ له ولا شبيهَ، وواحدٌ في أفعاله؛ فلا

---

(١) في (ر): «لا يمهلون».

(٢) من قوله: «قال تعالى: ﴿هَٰذَا يَوْمُ﴾» إلى هنا من (ر)، وليس في (أ) و(ف).

(٣) في (ر): «وقال».

شريكَ له ولا ظهير(١)، وواحدٌ في استحقاق القِدَم؛ فلا شيءَ قبلَه، ولا شيء معه(٢) في الأزل، وواحدٌ في استحقاق الإلهيَّة والعبادة؛ فلا معبودَ إلَّا هو.

وقوله تعالى: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾؛ أي: بهذا فاعرفوهُ، ودائماً فاعبدوهُ، ولا تَرجُوا غيرَهُ، ولا تَخافوا سواهُ، ولا تَتوكَّلوا إلَّا عليه(٣)، ولا تَعتمِدوا إلَّا إيَّاه.

وقوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾؛ أي: المنعمُ على خَلْقِه؛ بإدرارِ رزقِه، وإسباغِ فضلِه، فهو مفزعُ كلِّ مضطرٍّ، وغياثُ كلِّ قانعٍ ومعترّ.

* * *

(١٦٤) - ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ روى أبو الأحوص، عن سعيد بن مسروق، عن أبي الضَّحى، قال: لمَّا نزلت هذه الآيةُ: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ تَعجَّب المشركون، وقالوا: إلهٌ واحد! كيفَ يَسعُنا ويَكفي مهمَّاتنا؟ فإنْ كان صادقاً، فليأتِنا بآية، فأنزلَ اللهُ تعالى(٤): ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: في تخليقهما(٥).

---

(١) في (ر): «نظير».

(٢) في (ر) و(ف): «بعده»، وهو خطأ.

(٣) قوله: «ولا تتوكلوا إلا عليه» من (ر).

(٤) بعدها في (أ): «هذه الآية».

(٥) بعدها في (ف): (عبرة لمن اعتبر وتبصرة لمن استبصر». ووقع في هذا الموضع في (ر) و(ف) تقديم وتأخير.

وقوله تعالى: ﴿وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ﴾؛ أي: ذهابِ أحدِهما ومجيءِ الآخر، وزيادتِهما ونقصانِهما، وسوادِ أحدِهما وبياضِ الآخر[١].

وقوله تعالى: ﴿وَٱلۡفُلۡكِ ٱلَّتِي تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ﴾ الفلكُ: السَّفينةُ، والفُلكُ: السُّفنُ أيضاً، ويذكَّرُ ويؤنَّثُ، قال الله تعالى: ﴿فِي ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ﴾ [الشعراء: ١١٩]، وقال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم﴾[٢] [يونس: ٢٢] وهذا فعلُ الجمع، وقال هاهنا: ﴿وَٱلۡفُلۡكِ ٱلَّتِي تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ﴾ [البقرة: ١٦٤] وهي تأنيث[٣].

وقوله تعالى: ﴿تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ﴾ وهو ثقيلٌ كثيفٌ، والماءُ لطيفٌ خفيفٌ، وتُقبِلُ وتُدبِرُ بريحٍ واحدة.

وقوله تعالى: ﴿بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ﴾؛ أي: بمصالحِهم في التِّجارات[٤] وغيرِها.

وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٖ﴾؛ أي: وفيما أنزل، وقولُه: ﴿مِن مَّآءٖ﴾ أي: من[٥] مطر.

وقوله تعالى: ﴿فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا﴾ أي: نَضَّر بالماء الأرضَ بعد ذهاب زروعها وتناثرِ أوراقها.

وقوله تعالى: ﴿وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖ﴾ أي: فرَّقَ في الأرض مِن كلِّ حيوانٍ يدِبُّ[٦] على وجه الأرض.

---

(١) بعدها في (ر): «وبياض أحدهما وسواد الآخر وقوله تعالى»

(٢) بعدها في (أ): «بريح».

(٣) في (أ): «على التأنيث» بدل: «فِي الْبَحْرِ وهي تأنيث».

(٤) في (ف): «التجارة».

(٥) لفظ: «من» من (ف).

(٦) في (أ): «بدت».

وقوله تعالى: ﴿وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ﴾ أي: في تقليب الرِّياحِ شمالاً وجنوباً، ودَبوراً وصباً، ورحمةً وعذاباً، وحارَّةً وباردةً.

وقال وكيعُ بنُ الجرَّاح: لولا الرِّيحُ والذباب لأنتنت الدُّنيا[١].

وقال أبو بكر بنُ عيَّاش: لا يَخرجُ من السَّحاب قطرةٌ حتى تَعمل في السَّحاب هذه الرِّياحُ الأربع؛ فالصَّبا تُهيِّجُه، والجنوبُ تُدِرُّهُ، والدَّبورُ تُلقِّحُه، والشَّمالُ تُفرِّقُه[٢].

وأصولُ الرِّياح هذه الأربع، فالشَّمال مِن ناحية الشَّام، والجنوبُ تقابلُها، والصَّبا هي القبولُ مِن المشرقِ، والدَّبورُ تقابلُها، وكلُّ ريحٍ جاءت بين مهبَّي ريحَين فهي نَكباء؛ لأنَّها نَكبت عن مهابِّ هذه الأربع.

وقال عبدُ الله بنُ عمرو بنِ العاص: الرِّياح ثمان، أربعٌ رحمةٌ، وأربعٌ عذاب؛ فالرحمة: الناشرات، والمبشِّرات، واللَّواقح، والذَّاريات، والعذاب: الصَّرصرُ والعَقيم، وهما في البرِّ، والعاصِف والقاصف، وهما في البحر.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّحَابِ ٱلۡمُسَخَّرِ بَيۡنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾ السَّحابُ: الغيم، سُمِّيَ به لانسحابِه في الهواء؛ أي: انجراره. والمسخَّر: المذلل، وتسخيرُ السَّحاب: هو جعلُهُ مُنقاداً جارياً على ما أجراهُ اللهُ تعالى عليه.

وقوله تعالى: ﴿لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾ أي: في هذه الأشياءِ علاماتٌ واضحاتٌ[٣] على ربوبيَّة الله تعالى ووحدانيتِه وكمالِ قدرته للعقلاء. ونصب «آيات» بـ «إن»، واللَّامُ لامُ التَّأكيد.

---

(١) في (ر): «الأرض» بدل: «الدنيا».

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٣٣٧).

(٣) في (أ): «واضحة».

ووجهُ الدِّلالة فيها ما قال الشيخ الإمامُ أبو بكرٍ محمَّدُ بنُ عليٍّ القفَّال الشَّاشيُّ، فأحسن وأوضحَ، قال:

أخبرَ الله تعالى أن مِن آياتِه: خَلقُ السَّماوات[١] وما ذكرَ بعدَها وأن من تدبَّرَ وتَفكَّر في هذه الأشياء، فرأى السَّماواتِ على عجيبِ هيئتها سقفاً مرفوعاً فوق النَّاسِ بلا عَمَدٍ، فيها النُّجومُ الطَّوالعُ في مطالعِها، الغواربُ في مغاربِها، تتعاقبُ في الطُّلوع والغروب، منها سيَّاراتٌ تَقطعُ السَّماء[٢] على مقدارٍ لا يختلف، ومنها ثوابتُ لا تَزول، يُستَدلُّ بها على أوقاتِ الأمطارِ، ويُهتدَى بها في ظُلَم[٣] البراري والبحار، قد عُلِّقَ بها مِن أمرِ العالَم ما عُلِّقَ، وفيها الشَّمسُ التي بها يَنتشرُ النَّاس لمعاشهم، والقمرُ الذي هو آيةُ اللَّيل، وقد عُلِّق بهما مِن أمورِ العالَم ما عُلِّق؛ مِن نُضج الثِّمار، وظهورِ النَّبات، ونموِّ الحيوانات، وما يَتفرَّدُ بعلمِه الخواصُّ، مِن علمِ المدِّ والجَزْر، والبحرانات[٤] في الأمراض، وهيجانِ الدِّماء وسكونها، وغير ذلك ممَّا قد امتُحِنَ وجُرِّبَ[٥]، حتَّى عُلِمت[٦] صحَّتُه.

ومن آيات وحدانيَّته: خلقُ الأرضِ التي جعلها قراراً لخلقه، ومِهاداً لعبادِه، حتَّى اتَّخذوا منها الأكنانَ والبيوت، ووَضعَ عليها جبالَها، مع ما أودعَها مِن أنواع

---

(١) بعدها في (ف): «والأرض».

(٢) في (ر): «السماوات»، وفي (ف): «الفلك».

(٣) في (أ) و(ر): «ظلمات».

(٤) بحران المريض: هو عند الأطباء: التغير الذي يحدث للعليل دفعة في الأمراض الحادة. انظر: «تاج العروس»: (مادة: بحر).

(٥) «وجرب» زيادة من (أ).

(٦) في (ف): «وعلمت» بدل: «حتى علمت».

الجواهِرِ، والذَّهب والفضَّة، وغير[١] ذلك، وأنبعَ منها عيوناً مختلفةً مِن الماء وغيرِه، وأنْبَتَ على الجبال منها والأرضين مِن الأشجارِ، وأنواعِ النَّباتِ والأنوار والأزهار، والثمارِ المختلفة الطعوم والأراييح، والأدوية، وصنوف الأغذية على منافعَ مختلفةٍ، مع اتِّحاد أراضيها ومياهِها ومغارِسها.

ومن آياته: اختلافُ اللَّيل والنَّهار على انتظامٍ[٢] واحدٍ؛ جعلَ أحدَهما سَكَناً، والآخرَ معاشاً، ثمَّ جعلَ يأخذُ هذا مِن هذا، وهذا من هذا، وقد يستويان في بعض[٣] الأحوال على مقدارٍ واحد بها[٤] تُعرَفُ الأوقاتُ والآجالُ في المعاملات ومواقيت الصلوات.

ومن آياته: السُّفنُ الجاريةُ في البحار بما يَنتفعُ به النَّاس في تجاراتِهم، ترى على وجه الماء سفينةً كالجبل الشامخ، بل كالمدينة المبنيَّة، فيها مِن الأثقال؛ من الأموال وصنوف الأحمال[٥] والأحوال، مع ما فيها مِن الرُّكبان ما لا يُوقَفُ على قدرِه، تُساقُ بشِراعٍ وتُزجيها[٦] ريحٌ ليِّنةٌ رُخاء، تَقطعُ المسافةَ الطَّويلةَ التي يُقطَعُ مثلُها في البرِّ في أيَّامٍ في ليلةٍ واحدةٍ.

ومن آياته: ما أنزلَ اللهُ مِن السَّماءِ مِن ماءٍ، فأنبتَ به أنواعَ النَّباتِ والأنوار

---

(١) في (أ): «ونحو».

(٢) في (أ): «نظام».

(٣) في (ر) و(ف): «حال من» بدل: «بعض».

(٤) في (أ): «بهما».

(٥) في (ر) و(ف): «المال».

(٦) في (ر) و(ف): «وتجريها». ووقع في هامش (ف): «نسخة: «وتزجيها بريح لينة» أي: تسوقها».

والأشجار(١)، والرياضِ المؤنِقة، والجنانِ النَّزِهة بعد أن كانت ميتةً في غاية الوَحْشَة واليُبوسةِ.

ومن آياته: ما بثَّ اللهُ تعالى فيها من أنواع الدَّوابِّ، وهي(٢) كلُّ ذي روحٍ(٣) يَدِبُّ ويَتحرَّكُ، فمنهم النَّاسُ الذين هداهم اللهُ للتدبيرات العجيبة، والصَّنائعِ البديعة، والعلوم الدِّينيَّةِ والدُّنيويَّة، وجعل مِنهم الأنبياء والحكماءَ والملوكَ والسَّاسةَ، وركَّب فيهم العقولَ التي اهتدَوا بها إلى ردِّ الغائبِ إلى الشَّاهد بالاستنباط، وإلى دقائقِ العلوم، كالطِّبِّ، والحسابِ، والنُّجومِ، وعلوم الرِّياضات والدِّيانات، وسُخِّرَت لهم الجبالُ والوحوشُ، وعُمِرَت بهم الدُّنيا، وممَّا بثَّ فيها(٤) أصنافُ الحيوانات، من البهائمِ والحشرات متفاوتةِ الطِّباع، مختلفةِ المساكن والأقوات، متباينةِ المنافعِ والمضارّ، وجعلَ في كلٍّ منها نوعاً من المرافق والمنافع.

ومِن آياتِه: تصريفُ الرِّياح في الجهات المختلفة، مع اتِّحادِها في الجنس قَبولاً ودَبوراً، وشمالاً وجنوباً، ونكباء، ومنها عقيمٌ، ومنها لاقحٌ، ومنها عذابٌ، ومنها رحمةٌ، ومنها حارٌّ، ومنها باردٌ، إلى غيرِ ذلك من صنوفِ الرِّياح، بها يسيِّرُ السَّحاب ويُزجَى الفلكُ في البحر، ويصل الرَّوحُ، ونسيمُ الحياة إلى الأبدان، وبها يُنصرُ قومٌ، وبها يُهلك قومٌ، وبها يُغاثُ قومٌ، وبها يُصرَعُ قوم.

ومن آياته: السَّحابُ المسخَّر، وهو المذلَّلُ بين السَّماء والأرض، يَرتفع(٥)،

---

(١) في (ف): «وأنوار الأشجار» بدل: «والأنوار والأشجار».

(٢) في (ر) و(ف): «في»، ووقع فوقها في (ر): «من».

(٣) في (ف): «زوج» بدل: «ذي روح».

(٤) بعدها في (ر): «من».

(٥) بعدهتا في (ر) و(ف): «وينخفض».

ويَجتمعُ ويَنبسطُ، كالجبال السَّيارةِ، فيها الرُّعود والبروق والصواعق، موقراتٌ ببحورِ الماء[١]، سقفاً بغير عمدٍ ولا عِلاقةٍ متوسِّطاً بين السَّماء والأرض[٢]، تُمطِرُ مرَّةً، وتُثلِجُ أخرى، وتَجيءُ بالبَردِ تارةً، وبالسَّيلِ الذي يستلبُ الأشياء، ويَقلعُ[٣] الصُّخور، ويَهدِمُ القصورَ، ويُدَهْدِهُ الأحجارَ[٤] الثِّقال، مع خفَّتِه ولينِه وانمياعِه، تَحْيَى به الأرضُ، ويَخرجُ به النَّباتُ والأقواتُ، ويَطيبُ به الهواءُ، ويَزولُ به الأوباء[٥]، ويُستغنَى به عن الآبار[٦] والعيون في كثيرٍ مِن البقاع، ويَغزُرُ به[٧] ماءُ العيون والآبار.

فمن تدبَّر ذلك بعقلِه، وقفَ منها على عجائب لا تنقضي، يَدلُّه جميعُ ذلك على فاطرٍ قادرٍ قاهرٍ، عالمٍ حكيمٍ خبيرٍ، ليس كمثله شيءٌ وهو السَّميعُ البَصير؛ لما يَرى في جميعِ ذلك من آثارِ الصَّنعة، ودلائلِ الحدوث، من الاجتماعِ والافتراق، والحركةِ والسُّكون، واختصاصِ كلِّ شيءٍ[٨] منها بهيئةٍ وصورةٍ، وحدٍّ ونهايةٍ، وجهةٍ مخصوصةٍ، ووقتٍ مخصوصٍ، ويُقدَّمُ بعضُها على بعضٍ، ويؤخَّرُ بعضُها عن بعض، وجوازِ الزِّيادةِ والنُّقصان عليها، والأحوالِ المختلفة التي تَعتورُها، كلُّ ذلك دليلٌ على استحالةِ انفكاكِها عن الأوصاف المتضادَّة، والأحوالِ المتعاقبةِ عليها، وتعاقُبُها دليلُ حدوثِها، وما كان محلًّا للحوادثِ استحالَ خلوُّها عنها، وإذا استحالَ

---

(١) في (ف) و(أ): «المياه».

(٢) من قوله: «سقفا بغير عمد» إلى هنا من (أ).

(٣) في (ر): «ويقتلع».

(٤) في (ف): «الحجار» وفي هامشها: «نسخة: الأحجار».

(٥) في (ر): «الوباء».

(٦) في (أ): «الأنهار».

(٧) لفظ: «به» من (أ).

(٨) «شيء» ليس في (أ).

خلوُّها عنها، استحالَ سبقُها لها؛ لأنَّ في السبق الخلو، وما لم يسبِق الحوادثَ فهو حادثٌ لا محالة.

ودلَّ حدوثُها على محدثٍ أحدثَها ومُنْشِئٍ أنشأها؛ لأنَّ استحالةَ حدوثِها بنفسِها كاستحالة مَن يدَّعِي في بناءٍ مبنيٍّ أنَّ ترابَه صار بنفسِه لَبِناً مضروباً، ثمَّ صار بنفسِه جداراً مبنيًّا، ثمَّ صار عليه سقفاً مرفوعاً، وكاستحالة مَن يدَّعي في ثوبٍ منسوجٍ أنَّ القطنَ صار بنفسِه غزلاً مغزولاً، ثمَّ صارَ بنفسه ثوباً منسوجاً؛ إذ لا فرقَ بين ما يُرَى مِن السَّماء بما عليها مِن أنواع الزِّينة، وبين ما يُرى مِن ديباجٍ منسوجٍ، فلا يَكادُ يَشُكُّ فيه عاقلٌ أنَّه إنَّما صار كذلك بناسجٍ نسجَهُ، وبصانعٍ صنعَهُ، فالسَّماءُ أعجبُ تأليفاً، وأغربُ[1] ترتيباً، وأبدعُ تركيباً.

وكذلك ما يُشاهَدُ مِن الإنسان وسائر الحيوانات[2]؛ مِن تألُّف أجزائِه، وانضمامِ أعضائِه، وقيامِ بعضِه ببعضٍ، وحاجة[3] بعضِه في الثَّبات والبقاء إلى بعض، كلُّ ذلك دليلٌ على أنَّه مربوبٌ مصنوعٌ، محتاجٌ إلى ممسِكٍ يُمسكُه، وإذا تأمَّلت ما جُعِلَ في البدن مِن مجاري الفُضول في أعالي البدن وأسافلِه، عَلِمتَ أنَّه مُدَبَّرٌ مصنوعٌ، كالبيت يُبنَى[4]، ويُجعَلُ له منافذُ ومخارجُ ومداخل، ثمَّ إذا تأمَّلت أنَّه عرقٌ[5] وعَصَبٌ ولحمٌ ودمٌ وعظامٌ، علمتَ أنَّه مرتَّبٌ مؤلَّفٌ أحسنَ ترتيبٍ، وأنه ليس شيءٌ منه ثابتاً باقياً بنفسِه، بل بمثبتٍ يُثبتُهُ، ومُبَقٍّ يُبقِّيه، وممسِكٍ يُمسِكُه.

---

(١) في (ف): «وأرفع» ووقع في هامشها: «نسخة: وأعرف».

(٢) بعدها في (ف): «أن».

(٣) في (ر): «واحتياج».

(٤) في (ر): «كبيت بني» وفي (ف): «كبيت يبنى».

(٥) في (ر): «عروق».

ثمَّ إذا صرتَ إلى ما يَصِفهُ الخاصَّةُ مِن تركيب الأعضاء، ومنافعِ كلِّ جزءٍ منها على ما وَصَفَهُ أصحابُ التَّشريحِ في كتبِهم، رأيتَ ما يَحارُ في أعاجيبِه العقول، ووقفتَ على بدائعَ لا يَهتدي لوصفها الألباب، وعلمتَ أنَّ ذلك تفرَّد به ربُّ العالمين.

ثمَّ إنها بوجودِها تدلُّكَ على قدرةِ صانعِها، وأنَّ قدرتَهُ على الكمال؛ لاستحالةِ صحَّة الاختراع ممَّن لا يكونُ قدرتُه على الكمال.

ثمَّ يدلُّك تقدُّمُ بعضِها على بعضٍ مع جواز أنْ يكون متأخِّراً، وتأخُّرُ بعضها عن بعضٍ في الوجود مع جواز أنْ يكون متقدِّماً، واختصاصُ كلٍّ مِن الجنس بحالٍ مخصوصٍ، ووقتٍ مخصوصٍ، ومحلٍّ مخصوصٍ، وقدْرٍ مخصوصٍ، مع جواز خلافِهِ: على إرادةِ مريدٍ خصَّها بها.

ثمَّ يدلُّكَ إتقانُها، ونظامُها، وإحكامُها، على علم صانعِها؛ لاستحالةِ وجودِ أفعالٍ متقنةٍ محكمةٍ منظومةٍ مِن غير عالمٍ بها، كاستحالة وجودِ كتابةٍ منظومةٍ[1] من غير عالمٍ بالكتابة.

ثمَّ يَدلُّكَ جملةُ ذلك على حياة صانعِها؛ لاستحالة قيامِ القُدرة والإرادة والعلمِ بمَن لا يوصَفُ بالحياة.

ثمَّ يَدلُّكَ انتظامُ أمورِ العالَم على أنَّه واحدٌ لا شريكَ له؛ إذ لو كان معه غيرُه لاضْطَربتِ الأمورُ، واختلَّ التَّدبيرُ، قال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢].

ثمَّ يَدلُّكَ ارتباطُ بعض ما في العالم ببعضٍ، وحاجةُ بعضِها في البقاء إلى بعضٍ، على أنَّ خالقَها واحدٌ، وذلك مثلُ حاجة الإنسانِ وسائر الحيوانات

---

(١) في (ف): «منصوصة».

إلـى شـيءٍ يتمكَّن فيه وشـيءٍ يَعتمـدُ عليه، وأنَّـه لا بدَّ من ضيـاءٍ، وظـلامٍ، وأزمنةٍ، وحرارة ينشـأ بها الأشـياء.

والسَّماء وما فيها متعلِّقٌ بعضُها ببعضٍ، ومحتاجٌ بعضُها إلى بعض، ولا قِوام للإنسان إلَّا بها، والكواكبُ لا بدَّ منها للاهتداء بها في البرِّ والبحر، وليُعرف بمجاريها عددُ السِّنين والحساب.

والهواءُ لا بدَّ منه؛ لأنَّ السَّماء إذا كانت طبقاً للأرض، فلا بدَّ مِن هواءٍ يَضْطَرب فيه الأنفاسُ، ولا بُدَّ مِن أن يكون ذلك بارداً يَصِلُ نسيمُه إلى النُّفوس، فتتماسكُ به، ألا ترى أنَّ مَن مُنِعَ منه الهواءُ بالأخذ بفمه وخياشيمه، لم يَلبث أنْ يموتَ؟ والرِّيحُ يحرِّكُ الهواء.

والحيوانُ منها ما يُستطابُ لحومُها، فيحتاج إلى لحومها للاغتذاء بها، وللتَّقوِّي على الأعمالِ التي يَتِم بها أمرُ المعاش، وما كان منها غيرَ مستطابِ اللَّحمِ يُرْكَبُ ويُحْمَلُ عليها الأثقال، وما خرجَ مِن[1] هذين فقد يُنتَفعُ بشحومِها ومراراتِها ولحومِها في معالجة المرضى.

فهذا يدلُّك[2] على تعلُّقِ بعضِها ببعضٍ، وحاجةِ بعضِها إلى بعض، والعالمُ كلُّه كالبَدنِ الواحد، يُمسِكُ بعضُه بعضاً، ويتألَّفُ[3] بعضُه ببعضٍ، فيَدلُّ ذلك كلُّه على أنَّ له مؤلِّفاً هو ألَّف الجميع.

ويدلُّك ذلك كلُّه على أنَّه لا يُشبِهُ شيئاً مِن خلقه بوجهٍ، ولا يُشبِهُهُ شيءٌ؛ لأنَّ حقيقةَ المشتبهين شيئان، يَجوزُ على أحدِهما ما يجوزُ على الآخر، فلو أشبهَ خلقَهُ

---

(١) في (أ): «عن».

(٢) في (ر) و(ف): «يدل».

(٣) في (ف): «يأتلف».

بوجهٍ، لجازَ عليه ما جازَ على خلقِه، من التَّغيُّر والزَّوال، والانفصالِ والاتِّصال، والعَجزِ والموتِ، وسائر الآفات، تعالى اللهُ عن ذلك وتقدَّس[1].

ويَدلُّكَ اختلافُ اللَّيل والنَّهار، وذهابُ كلِّ واحدٍ منهما على فناءِ العالم، وعَوْدُ كلِّ واحدٍ منهما بعد ذهابِه وإحياءُ الأرضِ بعد موتِها على البَعثِ بعد الموت، ويدلُّ ما في الأرض مِن أنواع المطاعِم والملابسِ والثِّمارِ والأنوار على ما وَعدَ في الجنَّة؛ ليرغِّبَهُم في نعيمِها، وما فيها من الحيَّات والعقاربِ والحشرات على ما أوعدَ في النَّار؛ ليزجرَهم عنها.

ثمَّ إنَّ اللهَ تعالى جعلَ مِن هذه الدَّلائل[2] ما تُدرِكُه العامَّةُ على مقادير عقولِها، ومنها ما يُدركُه المتوسِّطون في العلم بتَدبُّرهم[3]، ومنها ما لا يَتوصَّل إليه إلَّا المتقدِّمون في العلمِ والنَّظر، بأفكارِهم وأذهانِهم التي فضَّلهُم اللهُ تعالى بها[4] على غيرِهم، فقامت حجَّةُ الله تعالى على توحيدِه على سائرِ طبقات النَّاس، ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ٤٢].

❊ ❊ ❊

(١٦٥) - ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا﴾ ونظمُهُ بما قبلَه أنَّه قال: ومع وضوحِ هذه الأدلَّة، مِن النَّاس أقوامٌ كفَّارٌ يتَّخذونَ الأصنامَ أشباهاً لله؛ أي: يتَّخذونَها آلهةً يَعبدونها.

---

(١) بعدها في (أ): «علواً كبيراً».

(٢) بعدها في (ف): «منها».

(٣) في (ر) و(ف): «بتدبيرهم».

(٤) لفظ: «بها» ليس في (أ).

و«من» للجمع هاهنا، بدليل أنَّه قال في صفتِهم: ﴿يُحِبُّونَهُمْ﴾.

﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: غير الله، والأنداد: الأمثال[١].

وقال أبو عبيدة: الأنداد: الأضداد[٢].

وقال صاحبُ «العين»: النِّدُّ[٣]: ما كان مثل الشيء ينادُّه[٤]؛ أي: ينافرُه ويقابله.

والمراد بالأنداد هاهنا في قول قتادةَ والربيع ومجاهدٍ وعبد الرَّحمن بنِ زيد وأكثر المفسِّرين: هو آلهتُهم مِن الأوثان[٥].

وقال السُّدِّيُّ: المرادُ: رؤساؤُهم الذين كانوا يُطيعونَهم طاعةَ الأرباب[٦]، قال[٧] تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا﴾ [التوبة: ٣١]، ويدلُّ عليه قولُه بعد هذه الآية: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ﴾ وهذا فيهم.

وقوله تعالى: ﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ أي: يُحِبُّونَ الأندادَ كحبِّكُم لله[٨].

وقيل: أي: كحبِّهم لله[٩].

وقيل: أي: كما يَجِبُ عليهم مِن محبة الله[١٠].

---

(١) في (ر) و(ف): «الآلهة».

(٢) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (٢/ ٣٤).

(٣) في (ر): «الأنداد».

(٤) في مطبوع «العين» (٨/ ١٠): «يضاده»

(٥) روى أقوالهم الطبري في «تفسيره» (٣/ ١٧).

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ١٨).

(٧) في (ر) و(ف): «وقال».

(٨) في (أ): «الله».

(٩) في (أ): «الله».

(١٠) في (ف): «المحبة لله» بدل: «محبة الله».

والأوَّلُ قول عكرمة وقتادة ومقاتل[١]، ومعناه: يحبُّون عبادةَ الأوثان كما يُحِبُّ المؤمنون عبادةَ الله.

والثاني قولُ الزَّجاج[٢]، وذلك أنَّ الكفَّار يَدَّعون أنَّهم إنَّما يَدعون ـ أي[٣]: يعبدون ـ الأوثانَ[٤] لِتُقرِّبَهم[٥] إلى الله زُلفى، فيَدَّعون محبَّةَ اللهِ، ويُقِرُّونَ بربوبيَّته تبارك وتعالى[٦].

وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِ﴾؛ أي: أدومُ محبَّةً لله مِن الكفرةِ لأصنامِهم؛ لأنَّ عابدَ الوثنِ يَعبدُه في حالة الرَّخاء، فإذا أصابَه البلاءُ ولَّاهُ ظهرَهُ، ودعا وسأل[٧] غيرَهُ، والمؤمنُ إذا مسَّهُ الضُّرُّ فزعَ إلى ربِّه، وزادَ في دعائِه ولزومِ بابه وطَلَبِ قُربِه، وذاك من كمالِ حبِّه.

وقال جعفرٌ الصادق: محبَّةُ المؤمنِ مع خوفٍ ورجاءٍ، ومحبَّةُ الكافرِ لطبعٍ وهوى؛ فإنَّه إذا رأى حَجراً واستحسنَهُ[٨] اعتقدَهُ وعبدَه، وحبُّ المؤمنِ عقليٌّ، وحبُّ الكافرِ نفسيٌّ، وحبُّ المؤمنِ خالصٌ، وحبُّ الكافرِ مشترَكٌ، وحبُّ المؤمنِ غيبيٌّ، وحبُّ الكافرِ عيانيٌّ، وحبُّ الكافرِ بواسطةٍ، قالوا: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ١٨]،

---

(١) قول قتادة رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ١٨)، وانظر قول مقاتل في «تفسيره» (١/ ١٥٤).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٢٣٧).

(٣) قوله: «يدعون أي» من (ف).

(٤) بعدها في (ف): «إلا».

(٥) في (أ): «ليقربوهم».

(٦) في (أ): «بربوبية الله».

(٧) لفظ: «وسأل» من (ر).

(٨) في (أ): «فاستحسنه».

وبعلَّةٍ[(١)]، قالوا هنا: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣]، ومحبَّةُ المؤمن بلا واسطةٍ ولا علَّة، والكافرُ يَرى صنمَه مصنوعَهُ، والمؤمنُ يَرى ربَّه صانعَهُ، والكافرُ يتبرَّأُ عن الصَّنمِ يومَ القيامة، والمؤمنُ لا يتبرَّأ مِن ربِّه، والمؤمنُ يعبدُ اللهَ وحدَه، والكافرُ يَعبدُ أصناماً، فلا[(٢)] يخلص لواحدٍ، ومحبَّتُهم[(٣)] أشدُّ، وطريقُهم أسدُّ.

وقال الإمامُ أبو منصورٍ رحمَهُ الله: محبَّةُ المؤمنين تَخرجُ على الثَّناء والعبادة، والتَّعظيم والطَّاعة، والرَّغبة والرَّهبة؛ إذ علموا النِّعمَ كلَّها مِن الله، وعلِموا أنَّ السُّلطانَ والعِزَّة لله، ولا أحدَ يَنالُ شيئاً مِن ذلك إلَّا بالله، فأوجبَ ما عندَه مِن النِّعمةِ الرَّغبةَ، وما له من السُّلطان الهيبةَ.

وحبُّ الكَفَرةِ هو الجسدانيُّ الذي تولِّدُهُ الشَّهوة، أو يستحسنهُ البصرُ، وحبُّ الله تعالى مِن المؤمنين على هذا الوجه فاسدٌ، بل حبُّه في الحقيقة في تعظيم أمورِه، وحُسنِ صحبةِ نِعَمِه، ومعرفةِ حقوقِه، ولذلك قال لرسوله: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١]، وهو أنَّ مَن أحبَّ آخرَ محبَّةَ الجلالِ والرِّفعةِ، عظَّم رسولَه[(٤)]، وانقادَ لما يَدعوهُ إليه، وإن كان في ذلك هلاكُه؛ تعظيماً لأمرِه، فكيف فيما فيه نجاتُه وفوزُه؟[(٥)]

وقال وهبُ بنُ منبِّه رضي الله عنه: قال حكيمٌ مِن الحكماء: إنِّي لأستحيي مِن ربِّي أنْ أعبدَهُ مخافةً مِن النَّار، فأكونَ كعبدِ السُّوء؛ إن رهبَ عَمِلَ، وإنْ لم يَرهَب لم

---

(١) في (ف): «ولعلة».

(٢) في (أ): «لا».

(٣) في (أ): «فمحبتهم».

(٤) بعده في (ف): «عنده».

(٥) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (١/ ٦١٥).

يَعمَل، وإنِّي لأستحيي مِن ربِّي أنْ أعبدَهُ رجاءَ ثوابِ الجنَّة، فأكونَ كأجيرِ[١] السُّوء؛ إن أعطيَ أجراً عَمِلَ، وإلَّا لم يَعمل، ولكن[٢] أعبدُه لما هو أهلُه[٣].

وقال أيضاً: ولكن يَستخرِجُ منِّي حبُّ ربِّي ما لا يَستخرِجُ حبُّ غيرِه.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ﴾ قرأ عامَّةُ القرَّاء سوى نافعٍ وابنِ عامر بياء المغايبة[٤]، وتأويلُه: ولو يَعلمُ الآن ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾؛ أي: كفروا ﴿أَنَّ ٱلْقُوَّةَ﴾[٥] والقدرةَ ﴿لِلَّهِ﴾ لا للأصنام، ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ﴾ لِمَن عبدَها؛ إذ يرون العذابَ يوم القيامة؛ لَما اتَّخذوها آلهةً، ولَما عَبدوها، ولَما قالوا: هم[٦] شفعاؤنا عند الله، وما نعبدُهم إلَّا ليُقرِّبونا إلى الله زُلفى، فالرُّؤيةُ بمعنى العلم، كما في قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ﴾[٧].

والظُّلم هو الشِّرك، و﴿ٱلَّذِينَ﴾ فاعلٌ، و﴿أَنَّ ٱلْقُوَّةَ﴾ مقدَّمةٌ في المعنى، والجوابُ محذوفٌ في آخره؛ لدلالة الحال عليه، وتقدير الآية ما قلنا، وحَذْفُ جوابِ «لو» في القرآن كثيرٌ: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا﴾ [الرعد: ٣١]، ﴿لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ حِينَ لَا يَكُفُّونَ﴾ [الأنبياء: ٣٩].

وقرأ نافعٌ وابنُ عامر: ﴿ولو ترى﴾ بتاء المخاطبة، ومعناه: ولو تَرى أنت يا

---

(١) في (أ): «كالأجير».

(٢) في (أ): «ولكني».

(٣) في (أ): «بما هو له أهل» وفي (ف): «لما هو أهل».

(٤) انظر: «السبعة» (ص: ١٧٣)، و«التيسير» (ص: ٧٨).

(٥) بعدها في (ر): «لله جميعاً أي».

(٦) في (ر): «هؤلاء».

(٧) وقع في هامش (ف) ما نصه: «يقال لهذا العلم علم بالرؤية بعد كونه علماً بالسماع».

محمَّدُ الذين ظلموا؛ أي: المشركين[١]، نُصِبَ على أنَّه مفعولٌ[٢]، ﴿إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ﴾ يومَ القيامة، والجوابُ مضمرٌ هاهنا؛ أي: لرأيتَ أمراً عظيماً، وعلمت ﴿أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ﴾؛ أي: ليس هو بغافلٍ عمَّا يعملُ الظَّالمون، وهو مَلِيٌّ بإقامةِ جزاء الحسنات والسيِّئات.

* * *

(١٦٦) ـ ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ﴾ ﴿إِذْ﴾ متَّصِلٌ بقوله[٣]: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ﴾؛ أي: كذلك يفعلُ حينئذٍ، وقيل: متَّصلٌ بقوله: ﴿إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ﴾؛ أي: يرونَهُ حينئذٍ.

وقيل: أضمر فيه: «واذكر» إذ يتبرَّأ[٤]، و﴿تَبَرَّأَ﴾ ماضٍ معناه المستقبل، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى﴾ [المائدة: ١١٦]، وقالوا: إنَّ اللهَ جعلَ ما يقعُ في القيامة كالواقعِ الحاصلِ؛ لأنَّه واقعٌ لا محالةَ، فذكره بهذه الصِّيغةِ تقريباً له، وتقريراً في النُّفوس، و﴿ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ﴾ هم المتبوعون القادةُ، والكبراءُ السَّادة.

وقوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ﴾؛ أي: مِن الأتباعِ الأطواع.

وقوله تعالى: ﴿وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ﴾؛ أي: النار قبلَ أن يَدخلوها كما قال: ﴿وَبُرِّزَتِ

---

(١) في (أ): «المشركون».

(٢) أي: مفعول لقوله: «ترى».

(٣) في (ر): «بما قبله وهو قوله» بدل: «بقوله».

(٤) في (ف): «تبرأ».

﴿الْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ﴾ [النازعات: ٣٦]، ويَحتملُ أن يكون المرادُ: دَخلوا النَّار فرأَوها، كما يقال: رأيتُ السِّجنَ وكُرَبَه.

وقوله تعالى: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾؛ أي: الوُصَل، والسَّببُ: الوصلة، ومعناه: قطَّعَتهُم، والباءُ للتعدية؛ أي: لـمَّا وقعوا في العذاب، صارت الأسبابُ التي كانوا يَتواصلون بها قاطعةً بعضَهم عن بعضٍ، قال تعالى: ﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٦٧]، وقال: ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ [العنكبوت: ٢٥]، وقال تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا﴾ [الأعراف: ٣٨]، ونظيرُ قولِه تعالى: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾ أنَّه للتَّعدية قولُه: ﴿فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: ١٥٣]؛ أي: يُفرِّقكم، وهو قولُ مجاهدٍ وقتادة والرَّبيع(١).

وقال ابنُ عبَّاس رضي الله عنهما: معناه: انقطعَت العهودُ والأيمانُ التي كانت بينهم(٢).

وقال أبو صالح: أي: انقطعت الأرحامُ والأنسابُ فيما(٣) بينهم(٤)، قال تعالى: ﴿فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ﴾ [المؤمنون: ١٠١]، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ﴾(٥) [عبس: ٣٤].

وقال الحسن: هي المعارفُ.

وقال مقاتل: هي المودَّات.

---

(١) روى أقوالهم الطبري في «تفسيره» (٣/ ٢٦ ـ ٢٧).

(٢) لم أقف عليه.

(٣) في (ر): «التي كانت» بدل: «فيما».

(٤) لم أقف عليه عن أبي صالح، ورواه الطبري (٣/ ٢٨) من طريق ابن جريج عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٥) بعدها في (ف): «الآية».

وقال أبو جعفر الرازي: هي المنازل[١]؛ أي: تفرَّقت بهم المنازل؛ أي: وقعوا متفرِّقين.

والسَّبب: الطَّريق، قال تعالى: ﴿فَأَتۡبَعَ سَبَبًا﴾.

***

(١٦٧) - ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوۡ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنۡهُمۡ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّاۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡ حَسَرَٰتٍ عَلَيۡهِمۡۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ﴾؛ أي: الأتباع ﴿لَوۡ أَنَّ لَنَا كَرَّةً﴾ ﴿لَوۡ﴾ كلمةُ تمنٍّ، والكَرَّةُ: الرَّجعةُ إلى الدُّنيا؛ أي: ليتنا نرجعُ إلى الدُّنيا[٢]، ﴿فَنَتَبَرَّأَ مِنۡهُمۡ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّا﴾ نُصِبَ بفاء الجواب للتمني[٣].

وقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡ حَسَرَٰتٍ عَلَيۡهِمۡ﴾، أي: كما رأوا العذابَ، فكذلك يُريهمُ اللهُ ذلك.

وقيل: أي: كما تبرَّأ بعضُهم مِن بعض، فكذلك يُريهمُ اللهُ ذلك[٤].

وقيل[٥]: أي: كما وصفَ الله أحوالَهم، كذلك يجعلُ أعمالَهم.

وقيل: أي: كما تقطَّعت بهم الأسبابُ فلم ينتفعوا بها، فكذلك أعمالُهم تصيرُ حسراتٍ عليهم، فلا يَنتفعون بها.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٢٨) من رواية أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس قوله.

(٢) بعدها في (ر): «وقوله تعالى».

(٣) في (ر): «جواب» وفي (ف): «الجواب» بدل: «الجواب للتمني».

(٤) من قوله: «وقيل أي كما تبرأ» إلى هنا من (أ).

(٥) في (ر) و(ف): «فقيل».

والحسرةُ: الكمدُ على الفائت[١] والتَّلهُّفُ[٢] عليه.

وقيل: هو أشدُّ النَّدم.

وقيل: هو[٣] النَّدمُ القاطعُ الـمُعيي[٤]، من قوله: ﴿مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ [الإسراء: ٢٩]، وقولِه: ﴿خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ [الملك: ٤].

ثمَّ قيل: في هذه الأعمال ثلاثة أقاويل[٥]:

قال ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: أراد به الأعمالَ التي عملوها من الحسناتِ بزعمهم، وأرادوا بها غيرَ الله؛ من مواساةِ المحتاجين، وإعانة المساكين[٦]، وقِرى الضَّيف، والحجِّ، والختان، ممَّا كانوا يعملون مع شركِهم، يرونَها حسراتٍ عليهم، فيَتحسَّرون حيث أبطلوها[٧] بشركهم.

وقيل: أراد بها أعمالَهم[٨] السيِّئة التي عملوها في الشرك؛ مِن القتل، ودفنِ البنات، واستحلالِ المحرَّمات، فيرونَها حسراتٍ عليهم؛ حيث كانت مُحصاةً محفوظةً عليهم، فيَتحسَّرون عليها، هلَّا عملوا بدلَها حسنات؟

---

(١) في (ر) و(ف): «القلب»، وهو تحريف.

(٢) في (ف): «واللهف» وفي هامشها: «نسخة: والتلهف».

(٣) في (أ): «هي» في هذا الموضع والذي قبله.

(٤) في (ف): «المعنى»، وليست في (ر).

(٥) في (أ): «أقوال».

(٦) في (ر) و(ف): «المشركين».

(٧) في (أ): «حيث كانت أحبطوها» وفي (ف): «فيتحسرون حيث أطلقوها» بدل: «فيتحسرون حيث أبطلوها».

(٨) في (ر): «أرادوا الأعمال» وفي (ف): «أرادوا أعمال» بدل: «أراد بها أعمالهم».

وقيل: أراد بها الأعمالَ التي كانت تجبُ عليهم فلم يعملوها، قال تعالى: ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٦]، ومعنى إضافتِها إليهم وإن لم يعملوها: أنَّها وَجبت عليهم[١]، كما يُقال: هذا عملُك الذي تحتاجُ أنْ تعملَه اليوم، وهو[٢] غذاؤك، لما تَحتاجُ إليه، وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَارَقُوا[٣] دِينَهُمْ﴾ [الأنعام: ١٥٩]؛ أي: ما يجبُ أن يتديَّنوا به.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ أي: هم خالدون فيها، وهذا ردٌّ لِما تمنَّوه: ﴿لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً﴾ ولقولهم: ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا﴾ الآية.

***

(١٦٨) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾ وانتظامُه بما قبلَه أنَّ أعمالَ الكفَّار تصيرُ حسراتٍ؛ لأنَّها سيِّئات، والأعمالُ التي لا تَصيرُ حسرات هي الصَّالحات، وقرينُ العملِ الصَّالح أكلُ الحلال الطيِّب، قال الله تعالى: ﴿كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا﴾ [المؤمنون: ٥١].

قال بعضُهم: نزلت الآيةُ في شأن بني خُزاعةَ وبني صَعْصَعة وبني مُدْلِجٍ؛ حرَّموا على أنفسِهم السَّمن والأقِط، فنزلَت الآية[٤].

---

(١) بعدها في (ر): «فلم يعملوها».

(٢) في (أ): «وهذا».

(٣) كذا في (أ) و(ف)، وهي قراءة حمزة والكسائي، وفي (ر): «فرَّقوا»، وهي قراءة باقي السبعة. انظر «السبعة» (ص: ٢٧٤)، و«التيسير» (ص: ١٠٨).

(٤) في «تفسير الثعلبي» (٢/ ٣٧) و«أسباب النزول» (ص: ٤٣ ـ ٤٤) أنهم حرَّموا على أنفسهم من الحرث والأنعام، وحرموا البحيرة والسائبة والوصيلة والحامي.

وقيل: نزلَتْ في شأنِ عبد الله بن سَلام وأصحابِه، حيث امتَنعوا عن أكلِ لحومِ الإبل.

وقيل: نزلَتْ في شأنِ أهل الكتاب؛ فإنَّهم كانوا يُحرِّمون البحيرةَ والسَّائبةَ والوصيلةَ والحامي، وكانوا يقولون: إنَّ اللهَ حرَّمَها علينا، فردَّ اللهُ تعالى قولَهم بقوله: ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٖ وَلَا سَآئِبَةٖ وَلَا وَصِيلَةٖ﴾ إلى أن قال: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ وَأَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ﴾ [المائدة: ١٠٣]، وقال هنا: ﴿وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾.

وقوله: ﴿حَلَٰلٗا طَيِّبٗا﴾ فالحلالُ: ما أحلَّه اللهُ، والطَّيب: ما يُستَطاب، وهو ثلاثةُ أنواعٍ؛ المستَلَذُّ طبعاً، والمباحُ شرعاً، والطَّاهر وضعاً، قال تعالى: ﴿قُل لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ﴾[1] وقال الله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾، وقال تعالى: ﴿فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا﴾.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: هذا يتوجَّهُ وجهَين:

أحدهما: الإذنُ في أكل ما[2] تستطيبُه النَّفسُ وتَستلِذُّه[3]؛ ليكونَ أرضى وأشكرَ لله فيما أنعم عليه.

والثاني: إرادةُ الحلال، ويكون للإيجاب[4].

وقيل: الجمعُ بين اللَّفظَين لإثبات صفتَين، فالحلالُ: ما لا حَظْرَ فيه، والطَّيِّبُ: ما لا حذرَ فيه.

---

(١) بعدها في (ر) و(ف): «والطيب ما يستطاب».

(٢) في (ر): «الأخذ في كل ما»، في (ف): «الأخذ من كل ما» بدل: «الإذن في أكل ما». والمثبت من (أ)، وهو الأقرب لعبارة الماتريدي في «تأويلات أهل السنة».

(٣) في (ف): «وتستلذ به».

(٤) انظر: «تأويلات أهل السنة» (١/ ٦٢٢).

وقال الحسنُ البصريُّ رحمه الله: الحلالُ الطَّيِّبُ: ما لا سؤالَ فيه يومَ القيامة، وهو ما لا بدَّ منه.

قال النبيُّ ﷺ: «إنَّ الله تعالى وَهَب لابن آدم ما لا بدَّ له منه؛ ثوبٌ يواري عورتَه، وخبزٌ يردُّ جوعتَه، وبيتٌ كعشِّ الطَّير»، فقيل: يا رسولَ الله، وكيف الملح؟ فقال: «الملحُ ممَّا يُحاسَبُ بِهِ»[1].

وقال ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: الحلالُ الطيِّبُ: ما لا تبعةَ فيه في الدُّنيا، ولا عقوبةَ عليه في العُقبى.

وقيل: الحلالُ: ما أفتاكَ المفتي أنَّه مباحٌ، والطَّيِّبُ: ما أفتاك قلبُكَ أنَّه ليس فيه جُناح.

وقيل: الحلالُ: ما لا تقولُ العلماء: إنَّهُ لا يَحِلُّ، والطَّيِّبُ: ما لا تقولُ الحكماء: إنَّه لا يَجمُلُ.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾؛ أي: آثارَهُ، وهي وساوسُهُ، وأصلُ الخَطْوِ[2] نَقْلُ القدمِ قُدْماً، والخَطوةُ بالفتح مَرَّةٌ منه، وبالضَّمِّ بُعْدُ ما بينَ قدَمَي الماشي، والجمعُ الخطوات؛ أي: لا تمشوا في طريقِ إبليسَ الذي يَدعوكُم إليه في تحريم هذه الأشياء.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾؛ أي[3]: مُبغِضٌ ظاهرٌ، وهو[4] عدوُّ أبوَيكم، وعدوُّكم، وعدوُّ ربِّكم، ويَسعى في إهلاكِكُم، ويَدعوكم إلى تحريمِ ما

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) في (ف): «الخطوات».

(٣) في (أ): «إنه».

(٤) في (أ): «إنه».

أحـلَّ اللهُ مِـن البحيرةِ ونحوِها، وإحلالِ مـا حرَّم[١] اللهُ مِن الميتة والـدَّم ونحوهما[٢].

ثمَّ في هذا إشارةٌ إلى أنَّهم كانوا يَتَّبِعون الشَّيطان في ذلك، وذَكَرَ[٣] بعد هذه الآياتِ أنَّهم قالوا: ﴿بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآ﴾ [البقرة: ١٧٠]، ولا منافاةَ بينهما؛ فإنَّهم كانوا يتَّبعون فعلَ الآباء بتزيينِ الشَّيطان، وقد ذكر الله تعالى ذلك في قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَدۡعُوهُمۡ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [لقمان: ٢١].

***

(١٦٩) - ﴿إِنَّمَا يَأۡمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلۡفَحۡشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَأۡمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلۡفَحۡشَآءِ﴾ أي: يأمرُكم الشَّيطانُ ويَدعوكم إلى القبائحِ والفَضائح؛ فالسُّوء في الأصل ما يُكرَهُ، والفحشاءُ ما يُستَشنع، والسُّوءُ خلاف الحسن[٤].

والفحشاء الفَعلاء مِن الفُحْشِ، والفاحشةُ كذلك، وأصلهُ مجاوزةُ القدرِ في كلِّ شيءٍ، والكثيرُ الفاحش، والمباشرةُ الفاحشةُ مِن ذلك، فالزِّنى فاحشةٌ، والبُخْلُ فاحشةٌ، وكلُّ فعلةٍ قبيحةٍ فاحشةٌ، والاسمان في الآية يستوعبان كلَّ ذنبٍ وعيبٍ، وكلُّ واحدٍ منهما متناوِلٌ[٥] كلَّ إثم.

وقيل: السُّوءُ: ما خَفيَ مِن الآثام، والفحشاءُ: ما ظهرَ منها.

---

(١) في (أ): «حرمه».

(٢) في (ف): «ونحوها».

(٣) بعدها في (ر): «بينهما».

(٤) في (ف): «الفحش».

(٥) في (ف): «متأول».

وقيل: السُّوءُ: ما لا حدَّ فيه، والفحشاءُ: ما فيه حدٌّ.

وقيل: السُّوءُ: الزِّنى، والفحشاءُ: سائرُ القبائح.

وقيل: السُّوءُ: الخطيئة، والفحشاءُ: العَمدُ ومجاوزةُ الحدِّ.

وقيل: السُّوءُ: ما يَسوءُ الفاعل؛ أي: يَضرُّه. وقيل: السُّوءُ: ما يَسوء عاقبتُه، والفحشاءُ: ما يَستقبحُه العقلُ والشَّرع.

وقوله تعالى: ﴿وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾؛ أي: ويأمُركم بـأنْ تَقُولوا؛ أي[١]: تكذبوا على اللهِ ما لا تَعلمون؛ مِن تحريم الحلال، وتحليل الحرام، وهذا ما عددنا.

وقيل: بل معناه أنَّه لا يَرضى منكم بالمعاصي، بل يدعوكم إلى الكفرِ، ﴿وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾[٢] مِن الصَّاحبةِ والولد، وما لا يَليقُ به.

ثمَّ الاجتهادُ في المشروعاتِ ليس بقَولٍ على الله بغير علم، بل هو طلبُ الحقِّ بدليلِه بطريقه.

فإن قيل: كيف يأمرُنا الشَّيطانُ بذلك، ونحن لا نراهُ، ولا نَسمعُ كلامَه؟

قلنا: نجدُ في أنفسِنا دواعيَ المعصية بنفثِه[٣]، وأخبرَنا الصَّادِق عن فعله[٤].

* * *

(١٧٠) ـ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۗ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـًٔا وَلَا يَهۡتَدُونَ﴾.

---

(١) في (ف): «بأن لا تقولوا أي لا» بدل: «بأن تقولوا أي».

(٢) من قوله: «من تحريم الحلال وتحليل» إلى هنا من (أ).

(٣) في (أ): «ببعثه».

(٤) في (أ): «بفعله» بدل من «عن فعله».

وقولُـه تعالـى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ قـال ابـنُ عبـاس رضـي الله عنهمـا: نزلَـت فـي اليهـود، دعاهـم النبـيُّ ﷺ إلـى الإسـلام، فقالـوا: ﴿بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾[1]؛ أي: وجدنـا، كمـا فـي قولـه تعالـى: ﴿وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ﴾ [يوسـف: ٢٥]: أي: وجـدا.

وقيل: نَزلَت في مشركي العرب لـمَّا قيلَ لهم: لا تتَّبعوا خطواتِ الشَّيطان، واتَّبعوا القرآنَ في التَّحريم والتَّحليل.

وقوله تعالى: ﴿قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾ من تحريم البحيرةِ وغيرِها.

وقوله تعالى: ﴿أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ﴾[2] الواوُ حرفُ عطفٍ، دخلت عليها ألفُ التَّوبيخ، فبَقيت مفتوحةً، وطريقهُ أنَّه يتضمَّن ما إذا أقرَّ به افتضح.

وقال الزَّجَّاجُ: معناه: أو يتبعون آباءَهم وإن كانوا جهَّالاً؟[3]

وقوله تعالى: ﴿لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا﴾ مِن الدِّين، ﴿وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ إلى الحقِّ، أضمرَ: «يتَّبعون آباءَهم» فيه، بدلالة الحالِ عليه.

* * *

(١٧١) ـ ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾.

وقولـه تعالـى: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ فيـه مضمَـرٌ؛ أي: ومثلُ واعـظِ الذين

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٤٢).

(٢) بعدها في (أ): «لا يعلمون شيئاً ولا يهتدون».

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٢٤٢).

كفـروا، يعني: مثـلُ محمَّدٍ مع الكفَّـار، كمثلِ النَّاعق مـع الغنمِ المنعـوقِ بها، يقال: نعقَ الرَّاعي بالغنمِ ينعِقُ نعقاً[١]، إذا صاحَ بها زجراً[٢].

وقوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً﴾ الدُّعاءُ: الذي قد يُسمَعُ وقد لا يُسمَع، والنِّداءُ: ما يُسمَع.

وقيل: الدُّعاء: ما كان لطلبِ الفعل، والنِّداءُ: ما كان لطلبِ الجواب.

ومعنى الآية على جميع الأقاويل فيه مع نظمِها بما قبلَها[٣]: ومثلُ هؤلاء الكفَّار الذين يقولون: ﴿بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾ في دعائك إيَّاهم، كمثلِ النَّاعقِ في دعائهِ البهائمَ التي لا تفهمُ، كالإبل والبقر والغنم.

والحذفُ فيها حسنٌ، كقولك: زيدٌ كالحمار؛ أي: في البلادة، وعمرٌو كالأسد؛ أي: في الشَّجاعة؛ لأنَّ المعنى في أحد الشيئين أظهرُ، فيُشَبَّهُ به الآخرُ؛ ليظهر بظهوره، وهذا قولُ ابن عبَّاسٍ والحسن ومجاهدٍ وقتادةَ والرَّبيع[٤]، وهو اختيارُ الزَّجَّاج والفرَّاء[٥].

وقيل: معناه: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ في دعائِهم آلهتَهم، كمثل النَّاعقِ في دعائِه ما[٦] لا يَسمع، وذلك أنَّ البهائمَ لا تَفهمُ الكلامَ، وأقصى أحوالِ الأصنام أن

---

(١) في (أ): «نعيقاً».

(٢) بعدها في (ر): «تعي».

(٣) بعدها في (ر): «أي».

(٤) روى أقوالهم عدا قول الحسن: الطبريُّ في «تفسيره» (٣/ ٤٥ ـ ٤٦)، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٢٨٢) (١٥١٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وعلقه بعده عن مجاهد والحسن وقتادة والربيع وغيرهم.

(٥) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٢٤٢)، و«معاني القرآن» للفراء (١/ ٩٩).

(٦) في (ر): «بما»، وفي (ف): «من».

تكون كالبهائمِ في أنَّها[١] لا تفهمُ الكلامَ، فإذا كان لا يُشكِلُ عليهم أنَّ مَن دعا البهائمَ كان جاهلاً، فمن دعا الحجارةَ كان بصفة الجهلِ والذَّمِّ أولى.

وقيل: أي: مثلُ الكفَّارِ في دعائِهم آلهتَهم كمثلِ النَّاعقِ في دعائِه الصَّدى في الجبل؛ لأنَّه[٢] لا يسمعُ منه إلَّا دعاءً ونداءً، فإنَّه إذا قال: يا زيد، سمعَ مِن الصَّدى: يا زيد، وليس في وراء القول شيءٌ، إلَّا أنَّه يُخَيَّلُ إليه أنَّ مجيباً يُجيبهُ، وليس فيه فائدةٌ، فكذلك يُخيَّلُ إلى هؤلاء المشركين أنَّ دعاءَهم للأصنام يُستجابُ، وليس لذلك حقيقةٌ، ولا فيه فائدةٌ.

وفي كلِّ واحدٍ مِن هذه الوجوه حذفٌ واختصارٌ، وظاهرُه مقابلةُ الكفَّار وهم المنعوق بهم، بالنَّاعق، ولم يقابل[٣] النَّاعقَ بالنَّاعق[٤]، ولا المنعوقَ به بالمنعوق به، وإنَّما فعلَ كذلك؛ لدلالة تضمينِ الكلامِ على كلِّ المراد بالتَّمام، فإنَّه تشبيهُ اثنين باثنين؛ تشبيه[٥] الدَّاعي إلى الإسلامِ للمدعوِّ من الكفَّار، بالدَّاعي إلى المراد للمدعوِّ مِن الأنعام، فلمَّا أُريدَ الاختصارُ أبقى مِن الكلام ما دلَّ على المحذوف، فأبقى في الأوَّل ذِكْرَ المدعوِّ، وفي الثاني ذِكْرَ الدَّاعي، ولو رُتِّبَ[٦] الكلامُ على ذكرِ الكُلِّ لطال الكلام.

وقال الفرَّاء وأبو عبيدة: هذا من باب القَلْب، وهو كقولهم: أدخلتُ الخفَّ

---

(١) في (ر) و(ف): «فإنها».

(٢) في (ر) و(ف): «أنه».

(٣) في (ر) و(ف): «يقل».

(٤) في (ر): «بالمنعوق».

(٥) في (أ): «فتشبيه»، وفي (ر): «يشبه».

(٦) في (ر): «ورد» وفي (ف): «وزنت».

في رجلي، والقلنسوةَ في رأسي، وهو كقولِه تعالى: ﴿قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ [مريم: ٢٩]؛ أي: فكيف يكلِّمُنا[١].

وقد قيل: معناه: مثلُنا ومثلُ الذين كفروا، فاكتفى بذكرِ أحدهما، كما في قوله: ﴿لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ﴾ الآية [آل عمران: ١١٣]، ولم يَذكر الأمّةَ الأخرى.

وقوله تعالى: ﴿صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ﴾؛ أي: هم[٢] كذلك، وقد مرَّ تفسيرُه[٣].

﴿فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾؛ أي: لا يَستعملون عقولَهم، كما قال لآبائهم: ﴿أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا﴾.

* * *

(١٧٢) ـ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ﴾ خصَّ المؤمنين بالأمر بأكل الحلال بعد ما عمَّ النَّاسَ به، والطيِّباتُ: الحلالات[٤]، وهي[٥] اللذيذاتُ أيضاً.

وقوله تعالى: ﴿وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ﴾؛ أي: على ما رزقكم من الطَّيِّبات.

---

(١) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١/ ٦٤)، و«معاني القرآن» للفراء (١/ ٩٩).

(٢) بعدها في (ر): «صم».

(٣) عند تفسير الآية (١٨) من هذه السورة.

(٤) في (ر) و(ف): «الحلال».

(٥) في (ف): «وهو».

وقوله تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾؛ أي: تُوَحِّدون؛ يعني: إن كنتم مؤمنين بالله، فاشكروا له؛ فإنَّ الإيمانَ يُوجِبُ ذلكَ، وهو مِن شرائِطه، وهو مشهورٌ في كلامهم، يقول الرَّجلُ لصاحبه الذي قد عَرفَ أنَّه يُحبُّه: إنْ كنت لي محِبًّا فافعل كذا، فيُدخِلُ حرفَ الشَّرطِ في كلامِه؛ تحريكاً له على ما يأمرُه به، وإعلاماً له أنَّه مِن شرائطِ المحبَّة.

وقد قيل[1]: إن كنتم عازِمين على الثَّباتِ على الإيمان، فاشكروا له؛ فإنَّ ترككُم الشُّكرَ يُخرجُكم عنه.

وقيل[2]: معناه: إذ[3] كنتم، كما في قوله: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩]، وقولِه: ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ٦٢].

والصَّحيحُ أنَّه على الشَّرط في كلِّ هذه الآيات، ووجهُه ما بيَّنَّا.

وقيل: هذا خطابٌ لعبدِ الله بن سلام وأصحابه حيث امتنعوا عن أكل لحومِ الإبل، فقيل لهم هذا؛ أي: إن كنتم إيَّاه تَعبدون بتركِ أكل لحوم الإبل، فليست عبادتُه ذلك، بل هي أكلُ ما أحلَّهُ، والشُّكرُ على ما أعطاهُ.

* * *

(١٧٣) ـ ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

---

(١) في (أ): «وقيل أي» بدل: «وقد قيل».

(٢) بعدها في (أ): «أي».

(٣) في (ف): «إن».

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ﴾؛ أي: ما حرَّمَ اللهُ السَّائبة[١] ونحوَها، وإنَّما حرَّم ما ماتَ مِن غير ذكاة.

قوله تعالى: ﴿وَٱلدَّمَ﴾؛ أي: الدَّمَ المسفوحَ، نصَّ على ذلك في موضعٍ آخرَ[٢].

قوله تعالى: ﴿وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ﴾ وكلُّ أجزائه حرامٌ، وإنَّما خصَّ اللَّحمَ بالذِّكرِ؛ لأنَّه هو المعظَمُ في قصدِ الأكل، ودخلَ فيه ما دونَه، كما في قوله: ﴿وَذَرُوا۟ ٱلْبَيْعَ﴾ [الجمعة: ٩] لمَّا كان هو معظم اشتغال النَّاس فيه؛ خصَّه بالنَّهي عنه، وحرَّم بذكرِه ما دونَه.

وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: رُفِعَ فيه الصَّوتُ بذكرِ غيرِ الله، وهو ما ذُبِحَ للأصنام، والإهلالُ: رفعُ الصَّوت بالتَّسميةِ، وكذلك بالتَّلبيةِ، وكذلك بذكرِ الله عند رؤية الهلالِ، وبه سُمِّيَ الهلال، واستهلالُ الصَّبيِّ: رفعُ[٣] صوتِه عند الولادة.

ثمَّ لم يَذكر في هذه الآية سائرَ المحرَّمات؛ لأنَّها ليست لحصر المحرَّمات، بل هذه الآياتُ سِيقَت لنهيِهم عن تحريم ما أحلَّ اللهُ، وهو ما عددناهُ، ولنهيِهم عن استحلالِ ما حرَّمَ الله، وهم كانوا يَستحلُّونَ هذه الأشياءَ، فكانوا يأكلون الميتةَ، ويقولون: تأكلونَ ما أمتُّم، ولا تأكلون ما أماتَهُ اللهُ، وكذا كانوا يأكلون الدَّم، ولحمَ الخنزير، وذبائح الأصنامِ، فبيَّن أنَّه حرَّمَها.

وقيل: ذكرُ الميتةِ يَتناولُ المتردِّيةَ، والمنخنقةَ، والموقوذةَ، والنَّطيحةَ، وما أكلَ السَّبع، ومتروكَ التَّسميةِ عمداً، ونحوها.

---

(١) في (ر) و(ف): «السائمة».

(٢) في قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ﴾ [الأنعام: ١٤٥].

(٣) في (أ): «رفعه».

وقوله تعالى: ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ﴾؛ أي: أُلجِئ إلى أكلِ شيءٍ منها؛ بأنْ لا يجدَ غيرها، والاضطرارُ فعلٌ متعدٍّ، ولذلك جاء على لفظِ ما لم يُسَمَّ فاعلُه هاهنا، وقال: ﴿ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ﴾ [لقمان: ٢٤]، فعدَّاه إلى الكناية.

وقوله تعالى: ﴿غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾ البغيُ في اللُّغة: مجاوزةُ الحدِّ، يقال للجرح إذا تورَّم واشتدَّ: بغى، ويقال للبحر[1] إذا زاد: طغى وبغى، وللفرس إذا مَرِحَ في عدوِه واختال في ذلك: بغى.

والعدوانُ: مجاوزةُ الحدِّ أيضاً، وقد عدا طورَهُ، فقيل[2]: هما واحدٌ[3]، ومعناه: مجاوزةُ قدرِ الحاجة، والتَّكرارُ للتأكيد، كقوله: ﴿رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٧].

وقيل: معناه: ﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾ إيَّاهُ؛ أي: طالبٍ وهو[4] يَجِدُ غيرَهُ، ﴿وَلَا عَادٍ﴾؛ أي: مجاوزٍ قدرَ ما يقعُ به دفعُ الهلاكِ عن نفسِه.

وقيل: هما تفسيرُ قوله تعالى: ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ﴾[5]، وهذا كقوله: ﴿مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ﴾ [النساء: ٢٥].

وقيل: ﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾؛ أي: غيرَ متلذِّذٍ، ﴿وَلَا عَادٍ﴾؛ أي: غيرَ متزوِّدٍ.

وقال قتادة: ﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾؛ أي: ظالمٍ بأكلِه مِن غير ضرورةٍ، ﴿وَلَا عَادٍ﴾ يتعدَّى مِن الحلال إلى الحرام؛ أي: يتركُ حلالاً يَجِدُهُ، ويختارُ هذا[6].

---

(١) في (أ): «للحر».

(٢) في (ر): «كما قال في موضع آخر وقيل والله أعلم» بدل: «فقيل».

(٣) بعدها في (ر): «على ما ذكرناه».

(٤) في (ر): «ولا»، وفي (ف): «وهو لا».

(٥) بعدها في (ر) و(ف): «غير باغ».

(٦) في (ر): «حراما» بدل: «هذا». وقول قتادة رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٦١)، وابن أبي حاتم (١/ ٢٨٤ ـ ٢٨٥) (١٥٣٠).

وقال الزَّجَّاج: ﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾؛ أي: غير مجاوزٍ قدرَ حاجتِه، ﴿وَلَا عَادٍ﴾؛ أي: غيرَ مُقَصِّرٍ عمَّا يُقيمُ به حياتَه[١]، لا يمتنعُ عن أكلِه فيموت، فيكون قد ظلَمَ نفسَه.

وعن مسروق قال: من اضْطُرَّ إلى أكل[٢] ميتةٍ، فلم يأكل منها فماتَ، دخلَ النَّار[٣].

وعن بعضِهم: أنَّه لا يُجاوزُ ثلاثَ لُقَمٍ.

وقيل: ﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾؛ أي: غير آكلٍ فوق الشِّبَع، فيكونُ قد بالغَ في الإفساد، ﴿وَلَا عَادٍ﴾؛ أي: غيرَ متعدٍّ حدَّ الضَّرورةِ، وهو بلوغُ الشِّبَعِ.

وقيل: ﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾ خارج على إمامه، ﴿وَلَا عَادٍ﴾ على النَّاس بقطع الطَّريق، وهو مذهبُ الشافعيِّ ـ رحمه الله ـ، فإنَّ الباغي عندَه لا يترخَّصُ برخصِ المسافرين[٤].

وقلنا: هو ببغيِهِ لم يخرجْ عن الإيمان، فلا يستحقُّ الحرمان عن رُخَصِ أهلِ الإيمان، ولأنَّ الباغي المقيمَ يَمسحُ على خفَّيهِ يوماً وليلةً، كالعادلِ المقيم، فكذا المسافرُ الباغي، يَمسحُ ثلاثةَ أيَّامٍ ولياليها[٥]، كالمسافر العادل.

وقوله تعالى: ﴿فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِ﴾ أي: لم[٦] يأثمْ بتناولِ هذه الأشياء عند الضَّرورة.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٢٤٤).

(٢) لفظ: «أكل» من (أ).

(٣) رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (١٩٥٣٦).

(٤) انظر: «الأم» للشافعي (٣/ ٦٥٣).

(٥) في (ف): «بلياليها».

(٦) في (أ): «لا».

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ أي: غفورٌ لمن تابَ مِن تحريمِ ما أحلَّ اللهُ تعالى واستحلال ما حرَّم الله، رحيمٌ بِشَرْعِ[1] التَّوبة.

وقيل: ﴿غَفُورٌ﴾ للذُّنوب الكبار، فكيف يُؤاخِذُ بتناولِ الميتةِ عند الاضطرار، ﴿رَّحِيمٌ﴾ بعبادِه فيما يَتعبَّدُهم به.

وقيل: ﴿غَفُورٌ﴾ بالعفوِ عمَّن أكلَ مِن غير ضرورةٍ، ﴿رَّحِيمٌ﴾ برفعِ الإثم عند الضَّرورة.

* * *

(١٧٤) ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ وانتظامُه بما قبلَهُ أنَّ المشركين ـ لعنَهم الله ـ لـمَّا وُبِّخوا بتحريمِ ما حرَّموا، واستحلالِ ما استحلُّوا[2]، رَجعوا إلى أحبار اليهود، فسألوهم عن محمَّدٍ وعمَّا يقوله[3]، فقالوا: إنَّه ليس بنبيِّ آخرِ الزَّمان، وليس حكمُ الله ما يقولُه، وكَتَموا صدقَ محمَّدٍ في دعوى الرِّسالة، وفيما أتى به من الأحكامِ، فأنزلَ اللهُ تعالى فيهم هذه الآيَةَ، وقد ذكرَ اللهُ تعالى قبل هذا كتمانَهُم ذلك[4]، ولكن لم يُبيِّن هناك غرضَهم في الكتمان، وبيَّن هاهنا، وهو قولُه تعالى: ﴿وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾، وقد فسَّرناهُ في

---

(١) في (ر): «يشرع».

(٢) في (أ) و(ر): «أحلوا».

(٣) في (ر) و(ف): «قاله».

(٤) في (ف): «لذلك».

مواضع وأوضحناه؛ أي: يُؤثِرون عليه عوضاً قليلاً، وهو ما ينالونه[١] من المأكلةِ من القادة والسَّفِلة.

وقوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ﴾؛ أي: لا يُلقونَ في بطونِهم إلَّا الحرامَ الذي يورِّثُهم أكلَ[٢] النَّار في الآخرة، وهو كقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾ [النساء: ١٠]، وهو كقوله: ﴿أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ﴾ [المائدة: ٤٢]، وهو من قولهم: سحتَه وأسحتَهُ؛ أي: استأصلَه، سمَّى المأكول الحرام سحتاً؛ لأنَّه يستأصلُه في العاقبة، فكذا سمَّاه ناراً؛ لأنَّه يُورثُه ذلك في العاقبة.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ أي: كلامَ إكرامٍ.

وقيل: أي: لا يُبَشِّرُهم.

وقيل: أي: لا يُحيِّيهم[٣].

وقيل: أي[٤]: لا يخاطبُهم بما يحبُّون.

وقيل: هو مجازٌ عن غضب الله تعالى عليهم، وهو كلام معهودٌ، يقال: فلانٌ لا يُكلِّمُ فلاناً، فأمَّا الكلامُ الذي هو لعنٌ وإهانةٌ، فقد ثبتَ ذلك في قوله: ﴿قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون: ١٠٨].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾؛ أي: لا يُطَهِّرُهم وإن آمنوا حينئذٍ؛ لأنَّه غيرُ مقبولٍ.

---

(١) في (أ): «ينالوه» وفي (ر): «يتناوله».

(٢) في (ر): «أكله».

(٣) في (ر) و(ف): «يجيبهم».

(٤) لفظ: «أي» من (أ).

وقيل: لا يُثني عليهم، ولا يُعدِّلُهم، وهو كتزكية الشُّهود؛ فإنَّهم ليسوا بأزكياء.

وقوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾؛ أي: مؤلمٌ وهو[١] موجعٌ.

***

(١٧٥) ـ ﴿أُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِ ۚ فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِ﴾؛ أي: آثروا اليهوديَّة على الإيمان، والعقوبةَ على الغفران، وقد كشفنا عن حقيقتِه في مواضع.

وقوله تعالى: ﴿فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ قال الكسائيُّ وأبو عبيدة؛ أي: أيُّ شيءٍ صبَّرهم على النَّار؟[٢] وهو استفهامٌ بمعنى التوبيخ؛ أي: ماذا حملَهم على الأعمال التي تُدخِلهم النَّار.

وقيل: هو على التَّعجُّب.

وقال مجاهدٌ وسعيدُ بنُ جبير وقتادة وإبراهيمُ النَّخعيُّ: أي: ما أجرأهم على النار[٣].

وكذا قال الحسن: ما لهم عليها صبرٌ، ولكن معناه: ما أجرأهم على النَّار[٤].

---

(١) قوله: «مؤلم وهو» من (ف).

(٢) انظر قول أبي عبيدة في «مجاز القرآن» (١/ ٦٤). وظاهر قول الكسائي كما نقله عنه الفراء في «معاني القرآن» (١/ ١٠٣) أنها تعجبية.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٦٨) عن مجاهد أو سعيد بن جبير، ورواه أيضاً عن قتادة.

(٤) رواه الطبري (٣/ ٦٨).

وقيل: معناه: فما أعملَهم بأعمالِ أهلِ النَّار، وهو قولُ عطاء(١).

وقيل: معناه: فما أدومَهُم في النَّار، وقد يقال لمن طال حبسُه: ما أصبرَكَ على الحبس! لا على حقيقةِ الصَّبر، ولكن على وجوده فيه.

* * *

(١٧٦) ـ ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ﴾؛ أي: ذلك العقابُ لهم بسبب أنَّ الله نَزَّلَ التَّوراةَ بالحقِّ؛ أي: لا عبثاً، وأمر ببيان ما فيه، فكتَمُوه وحرَّفوه.

وقيل: أي: ﴿ذَٰلِكَ﴾ الاجتراءُ منهم على العمل الذي يُورِدُهم النَّار ﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ﴾؛ أي: هو تحقيقُ ما أنزلَ الله في القرآن فيهم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ٦]، وهم باقون في النَّار.

وقيل: ذلك العقابُ لهم؛ لإنكارهم الكتابَ الذي نزلَ بالحقِّ ـ وهو القرآن ـ وكفرِهم به.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾ قيل: أي: أهلَ الكتاب الذين اختلفوا في التوراة؛ أي: في تأويلها، هم فيما بينهم في خلافٍ شديدٍ، بعيدٍ عن الاتِّفاق، قد تفرَّقت بهم الآراءُ فيها، مع اتِّفاقهم على التَّديُّن بها، فلا يهولنَّكم كتمانُهم أمرَ محمَّدٍ ﷺ مع ذكرِهِ فيها، قال الله تعالى: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ﴾ [البينة: ٤].

---

(١) لم أقف عليه عن عطاء، وروى الطبري (٣/ ٦٩) نحوه عن مجاهد. وروى الطبري عن عطاء أنه قال في تفسيرها: ما يُصبِّرهم على النار حين تركوا الحق واتبعوا الباطل.

وقيل: أي(١): وإنَّ الذين خالفوا التَّوراةَ، وكَتَموا ما فيه من ذكرِ محمَّدٍ عليه الصَّلاة والسَّلام، لفي خلافٍ للتَّوراة، ومعاداة له؛ أي: شاقُّوا اللهَ، وعادوه في الحقيقةِ.

وقيل: أي: وإنَّ أهلَ الكتاب الذين خالفوا القرآنَ فلم يؤمنوا به.

وقوله تعالى: ﴿لَفِى شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾؛ أي: خلافٍ بعيدٍ؛ أي: عن الوفاق.

وقيل: ﴿بَعِيدٍ﴾ أي: لا يُرجى العودُ(٢) عنه.

ثم قوله: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ﴾ قيل: هو ابتداءُ كلامٍ، ومعناه ما بينَّا(٣).

وقيل: هو بناء على قوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ﴾ وبأن الذين اختلفوا، لكن كُسر «إنَّ» لِمَا دخلَ في جوابه من اللَّام، ولولاها لفُتِحت، وكان ذلك بياناً أنَّ عقابَهم في النَّار؛ لأنَّ اللهَ تعالى نزَّل الكتابَ بالحقِّ، فكتموهُ، ولأنَّهم خالفوهُ وشاقُّوهُ(٤).

* * *

(١٧٧) - ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُواْ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾.

---

(١) لفظ: «أي» من (أ).

(٢) في (أ): «العفو».

(٣) في (ف): «بينا».

(٤) «ولأنهم خالفوه وشاقوه» زيادة من (أ) و(ف).

وقوله تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾ النَّصبُ على أنَّه خبرُ ﴿لَّيْسَ﴾، و﴿أَن تُوَلُّوا۟﴾ ﴿أَن﴾ مع الفعل مصدرٌ، وتقديره: توليةُ وجوهِكم، وهو رفعٌ؛ لأنَّه اسمُ ﴿لَّيْسَ﴾، وهو قراءة حمزة وعاصم في رواية حفص.

والرَّفعُ على أنَّه اسمُ ﴿لَّيْسَ﴾، و﴿أَن تُوَلُّوا۟﴾ نصب لأنَّه خبر ﴿لَّيْسَ﴾، وهو قراءة الباقين[١].

ولمَّا نزلَ قولُه: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ﴾ وأُضمِرَ فيه: فكفروا به؛ قالوا: إنَّا لا نكفرُ، بل نُصلِّي لله ونؤمنُ به، فنزل: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ﴾ كفعل النصارى، أو قِبَلَ المغربِ، كفعل اليهود، فذاك منسوخٌ، فهو إثمٌ لا برٌّ.

وإنْ حمل[٢] على استقبال بيت المقدس حين كان الأمرُ به، وعلى استقبالِ الكعبة بعد النَّسخ، فمعناه: ليس كلُّ البرِّ هذا؛ أي: لا يقعُ التَّقرُّبُ إلى الله باستقبالِ الكعبة[٣] بالصَّلاة وحدَها، بل بأمورٍ أُخَرَ معها، قد أمرَ اللهُ تعالى عبادَه بها؛ لأنَّ أمرَ القِبلة مِن فروع الدِّين[٤] التي يجوزُ نسخُها، وهذه الأمورُ الأُخر المذكورةُ في الآيةِ من أصول الدِّين التي لا تُنسخ؛ لأنَّها إيمانٌ بالله، وبأنبيائه، وكتبه[٥]، ونحو ذلك، فمَن جحدَها، أو جحدَ شيئاً منها، فليس من الأبرار.

والبِرُّ: اسمٌ جامعٌ للطَّاعات وأعمالِ الخير، ومنه: بِرُّ الوالدَين، وبِرُّ اليمين، وبِرُّ الكلام، وبِرُّ الأيتام، وهو ضدُّ الفجورِ أيضاً، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ١٧٥)، و«التيسير» (ص: ٧٩).

(٢) بعدعا في (ر): «عليه».

(٣) في (أ): «القبلة».

(٤) بعدها في (أ): «والدين».

(٥) في (ف): «وبكتبه».

﴿لَفِي جَحِيمٍ﴾ [الانفطار: ١٣ ـ ١٤]، وقال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ [المائدة: ٢]، فالبرُّ فعلُ كلِّ خيرٍ، والتَّقوى تركُ كلِّ شرٍّ.

وقوله تعالى: ﴿قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾(١) أي: مقابله.

وقوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ﴾ فيه إضمارٌ؛ أي: ولكنَّ البرَّ برُّ مَن آمنَ بالله، وهو كما في قوله تعالى: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ﴾ [التوبة: ١٩]؛ أي: كإيمانِ مَن آمنَ بالله.

وقيل: الإضمارُ في قوله: ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ﴾؛ أي: ولكنَّ صاحبَ البرِّ مَن آمن بالله(٢).

وقيل: ﴿الْبِرَّ﴾ في قوله: ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ﴾ بمعنى البارِّ، وهو مصدرٌ، ويجوزُ ذكرُ المصدرِ على إرادة الفاعل، كما قيل في العدل(٣)، والضَّيف، والخصم.

وقوله: ﴿مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ﴾؛ أي: صدَّقَ وأقرَّ بوحدانيَّته وبجميع صفاتِه.

وقوله تعالى: ﴿وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾؛ أي: أقرَّ بالبعث بعد الموت، وبالدَّارِ الآخرة، وبما فيها.

وقوله تعالى: ﴿وَالْمَلَائِكَةِ﴾؛ أي: وآمنَ بأنَّ لله تعالى ملائكةً هم عبادُه ومخلوقوه، ليسوا بذكورٍ ولا إناث، ولا بشركاءَ(٤) ولا أولادٍ لله تعالى.

وقوله تعالى ﴿وَالْكِتَابِ﴾؛ أي: وآمنَ(٥) بكتب الله التي أنْزلَها على أنبيائه، والألف واللام لتعريفِ الجنس، فاقتضى الجمع.

---

(١) قوله: «والمغرب» من (ف).

(٢) قوله: «من آمن بالله» من (أ).

(٣) وقع في هذا الموضع في هامش (ر): «الهدى».

(٤) في (أ): «شركاء».

(٥) في (أ):«ومن آمن».

وقوله تعالى: ﴿وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾؛ أي: ومن آمن[١] بأنبياءِ الله تعالى ورسلِه أنَّهم مبعوثون إلى خلقِه، والقائمون بحقِّه، والصَّادقون عنه؛ في أمرِه ونهيه، ووعدِه ووعيده، وأخباره، وهذه أصولُ الدِّين وقواعدُ العقائد.

وقوله تعالى: ﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾؛ أي: أعطى مالَهُ مع حبِّ المال[٢].

وقيل: مع حبِّ الإيتاء.

وقيل: أي: مع حب الله، وهذا من حقوق البشر.

وهذه الأقاويلُ الثَّلاثةُ صحيحةٌ:

أمَّا صرفُ الكنايةِ إلى المال، فقد سبق ذِكرُه، وقد رويَ عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: «أفضلُ الصَّدقة أن تؤتيَ المالَ وأنت صحيحٌ شحيحٌ؛ تأمُلُ الغنى[٣]، وتخشى الفقرَ»[٤].

وأمَّا صرفُها إلى الله تعالى، فلأنَّه ذُكِر في قوله: ﴿مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾، وإيتاءُ المال على حبِّ الله هو طلبُ رضاه وابتغاءُ وجهه.

وأمَّا صرفُها إلى الإيتاء، فلأنَّ الفعل ذكر، وهو قولُه: ﴿وَءَاتَى﴾[٥]، وهو يقتضي المصدرَ، فيجوزُ صرفُ الكنايةِ إليه، وهو كما في قوله: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ﴾[٦]

---

(١) في (أ): «ومن آمن».

(٢) في (ر) و(ف): «على حب الله» بدل: «مع حب الله». وبعدها في (ر): «وقيل: مع حب المال».

(٣) في (أ): «العيش».

(٤) رواه البخاري في «صحيحه» (١٤١٩)، ومسلم في «صحيحه» (١٠٣٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) بعدها في (أ): «المال».

(٦) كذا في النسخ، وهي قراءة حمزة، وقرأ الباقون: ﴿يَحْسَبَنَّ﴾ بالياء. انظر «السبعة» (ص: ٢٢٠)، و«التيسير» (ص:٩٢).

الَّذِيـنَ يَبْخَلُـونَ بِمَـا آتَاهُمُ اللهُ مِـنْ فَضْلِهِ هُـوَ خَيْراً لَهُـمْ﴾ أي: البخل.

وقوله تعالى: ﴿ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾؛ أي: وآتى المالَ[1] أقرباءَه، ووصلَ بذلك الرَّحِم.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلْيَتَٰمَىٰ﴾؛ أي: وآتى اليتامى.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلْمَسَٰكِينَ﴾؛ أي: وآتى[2] المساكين.

وقد فسَّرنا هذه الثَّلاثة في قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [البقرة: ٨٣].

وقوله تعالى: ﴿وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ﴾ أي: وآتى عابرَ السَّبيل[3]؛ أي[4]: الغريبَ البعيدَ عن مالِه، فسمَّاه: ابنَ السَّبيل[5] للزومِهِ إيَّاه، كما يقال لطير الماء: ابنُ الماء، ووحَّد هذا؛ لأنَّه عرفه[6] بالألف واللام، فصلحَ للجمع، كاسم الجنس.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّآئِلِينَ﴾؛ أي: وآتى المحتاجين الذين يسألون.

وقوله تعالى: ﴿وَفِى ٱلرِّقَابِ﴾؛ أي: وآتى المكاتَبين.

ثمَّ ذكرَ الشَّرائعَ، وذلك قولُه تعالى: ﴿وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ﴾ هو عطفٌ على قوله: ﴿مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾، ومرَّ الكلامُ في هذين الفعلين في آياتٍ.

وقولـه تعالـى: ﴿وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟﴾ عطف علـى قوله: ﴿مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾ و﴿مَنْ﴾ لفظـهُ واحـدٌ، ومعنـاه الجمـع؛ لأنَّـه جنـسٌ، وكـذا قولـه: ﴿ءَامَنَ﴾

---

(١) بعدها في (ر): «إلى».

(٢) في (أ): «وأعطى».

(٣) في (ف): «عابر الطريق» بدل «عابر السبيل» ووقع في هامشها: «نسخة: عابر السبيل».

(٤) في (ف): «وهو» بدل: «أي».

(٥) في (أ): «وسماه ابنه» بدل: «فسماه ابن السبيل».

(٦) في (ر): «ووحد في هذه الآية وعرفه» وفي (ف): «ووحدها لأنه عرفه» بدل: «ووحد هذا لأنه عرفه».

و﴿وَءَاتَى﴾ هو للجمع، وتقديرُه: ولكنَّ أهلَ البرِّ المؤمنون بالله وبكذا، والمؤتون المال، والموفون بعهدِهم. وتفسيرُ العهد قد مرَّ مرَّات.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ﴾؛ أي: في الفقرِ والمرض، وهذا التفسيرُ عن ابنِ مسعودٍ رضي الله عنه[1].

والبأساءُ في أصل اللُّغة: نقيضُ النَّعماء، والبُؤسى: نقيض النُّعمى، والبؤسُ نقيض النُّعْمِ[2]، وبئِسَ نقيض نِعم[3]، والبائسُ نقيض النَّاعم، فكانت عبارةً عن عدمِ النِّعمةِ، فدلَّت على الفقرِ والفاقةِ.

والضَّرَّاء: فَعلاءُ من الضَّرر[4]؛ فدلَّت على أنَّها عامَّةٌ في أسباب الضرر كلها.

ويُقال: أنا شريكُك في السَّرَّاء والضَّرَّاء؛ أي: فيما يَسرُّ، وفيما يضرُّ، وتقديره: في المَحابِّ والمكارهِ كلِّها.

وقوله تعالى: ﴿وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِ﴾؛ أي: في حالة[5] القتال، قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَأۡتُونَ ٱلۡبَأۡسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الأحزاب: ١٨]، وقال تعالى: ﴿أُوْلِي بَأۡسٖ شَدِيدٖ﴾ [الإسراء: ٥]؛ أي: الذين يَبذُلون أنفسَهم في نُصرة الدِّين، فلا يولون الأدبارَ منهزمين.

ونزلَت الآية في حرب الأحزاب، وكانوا في غاية القحطِ والشِّدَّة والبرد

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٨٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٢٩١) (١٥٦٥)، والحاكم في «المستدرك» (٣٠٧٩).

(٢) في (ف): «والبؤسا نقيض النعما» بدل: «والبؤس نقيض النعم».

(٣) بعدها في (ف): «والبئيس نقيض نعم».

(٤) في (ر) و(ف): «الضر».

(٥) في (أ): «حال».

والجوع، قال اللهُ تعالى: ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ﴾ الآيات [الأحزاب: ١٠].

ثمَّ نصبُ «الصابرين» بطريقين:

أحدهما: أنَّه عطفٌ على قوله: ﴿وَٱلسَّآئِلِينَ﴾؛ أي: وأعطى المالَ الفقراءَ السَّائلين، والصَّابرين الممتنعين عن السُّؤال، وعلى هذا يكونُ قولُه: ﴿وَحِينَ ٱلْبَأْسِ﴾؛ أي: الشِّدَّةِ والضِّيقِ دونَ الحرب؛ أي: وآتى المالَ الذين يَصبرون على الفقرِ والقِلَّةِ والشِّدَّة.

والثاني: أنَّه عطفٌ على قوله: ﴿مَنْ ءَامَنَ﴾، ومن آتى، والموفون، وحقُّه الرَّفعُ، وإنَّما نُصِبَ على المدح[1]، وللعرب عند طولِ الكلام ذلك في المدح والذمِّ، قال قائلُهم:

لا يَبْعَدَنْ قومي الذين هُمُ ... سُمُّ العُدَاةِ وآفةُ الجُزْرِ
النَّازِلينَ بكلِّ مُعْتَرَكٍ ... والطَّيبينَ معاقدَ الأُزُرِ[2]

وقوله تعالى: ﴿أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ أي: هم الموفون حقَّ الصِّدقِ قولاً وفعلاً وعَقداً، وحقَّ التقوى حظراً وكراهةً وندباً، والصِّدقُ فيما يُفعَل والتَّقوى فيما يُترَك.

* * *

---

(١) بعدها في (ر): «من آمن»، وهي مقحمة.

(٢) البيتان للخرنق بنت بدر بن هفان، وهما في «الكتاب» (٢/ ٦٤)، وروايته فيه: «والطيبون» بدل: «والطيبين»، والبيتان في «ديوان الخرنق» (ص: ٢٩)، وروايته فيه: «النازلون... والطيبين»، قال شارحه: ويروى: «النازلين... والطيبين».

(١٧٨) ـ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰۚ فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٖۗ ذَٰلِكَ تَخۡفِيفٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَرَحۡمَةٞۗ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَى ﴾ في الآية الأولى بيانُ حقِّ الله تعالى وحقِّ العباد، ومِن أعظم حقوقِ العباد الدِّماءُ، ودلَّت الآيةُ على أنَّ الكبيرةَ لا تُزيلُ الإيمانَ، فقد خاطبَهم بالإيمان عند إيجابِ القصاصِ عليهم بقتل العمد الذي هو مِن الكبائرِ الذي[1] وردَ فيها أشدُّ وعيدٍ وتهديد.

ونظمٌ آخرُ: أنَّ أهلَ الكتابِ وُصِفوا بالتَّحريف وكتمانِ أمرِ النَّبيِّ ﷺ، وأنَّهم لا يُوصَفون بالبرِّ بالخوض في أمر القبلةِ، مع تبديلِهم أحكامَ كتابِهم، ومنها ما قال: ﴿ وَكَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ ﴾ الآية[2] إلى قوله: ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥]، وهو ما نُبيِّن[3] في حكمهم بالتَّفاوتِ بين النضيريِّ والقُرظيّ[4].

وقوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ﴾؛ أي: فُرِضَ، كما في قوله: ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ﴾ [البقرة: ١٧٨]، وقولِه تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا﴾ [النساء: ١٠٣]؛ أي: فرضاً مؤقتاً[5].

وقيل: أي: حكم، كما في قوله ﴿كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ﴾ [النساء: ٢٤][6].

---

(١) في (أ): «التي».

(٢) «الآية» سقط من (أ).

(٣) في (ر): «تبين».

(٤) سيأتي خبرهم قريباً.

(٥) قوله: «أي: فرضاً مؤقتاً» من (ف).

(٦) من قوله: «وقيل: أي: حكم» إلى هنا ليس في (ف).

والفرضيَّةُ على القاتل حقٌّ لوليِّ المقتول، ثمَّ له الخيارُ في الاستيفاءِ والعفوِ والصُّلح بالتَّراضي.

وقيل: الفرضيَّةُ في الاقتصارِ على القاتل في القِصاص، دون التَّعدِّي إلى ما كانوا يرونَهُ مِن قتلِ عددٍ كثيرٍ بفردٍ، وقتل أحرارٍ بعبد.

وقوله تعالى: ﴿ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ﴾ أي: يُقتَصُّ؛ الحرُّ القاتلُ بالحرِّ المقتول، فلا يُتعدَّى إلى غير القاتل.

والقصاصُ: هو إتباعُ الفعلِ فعلاً مثلَه، من قولك: قَصصتُ أثرَه؛ أي: اتَّبعتُه، قال تعالى: ﴿فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ [الكهف: ٦٤]، وقال[1]: ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ﴾ [القصص: ١١]، و: قد قَصصْتُ الحديثَ قصصاً؛ أي: أتبعْتُ بعضَهُ بعضاً.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ﴾ أي: العبدُ القاتلُ بالعبدِ المقتول، والأنثى القاتلة بالأنثى المقتولة، وليس فيه نفيُ جريان القِصاص بين الحرِّ والعبدِ والذَّكرِ والأُنثى، بل فيه منعٌ عن التَّعدِّي إلى غيرِ القاتل.

وسبب[2] نزولِه أنَّ بني النضير كانوا يقولون لبني قُريظة: إذا قتلتُم منَّا عبداً، قتلنا منكم حرًّا، وإذا قتلتُم منَّا امرأةً، قتلنا منكم رجلاً، وإذا قتلتُم منَّا حرًّا، قتلنا منكم حُرَّين، وكانوا على ذلك قبل خروج[3] النبيِّ ﷺ، ولـمَّا كان يومُ بدرٍ، وقُتِلَ صناديدُ قريشٍ، وقصدَ النَّبيُّ ﷺ بني النَّضير و[4]بني قريظة؛ طلبوا الذِّمَّةَ، ورضُوا بحكم الإسلام فيهم في القصاصِ والدِّيَةِ وغيرِ ذلك مدَّةً، ثمَّ قُتِلَ واحدٌ مِن بني النَّضير، فقالوا لبني قريظة:

---

(١) لفظ: «وقال» من (أ).

(٢) «سبب» سقط من (أ) و(ف).

(٣) في (ر): «ظهور»، وفي (أ): «مبعث».

(٤) «بني النضير و» ليس في (ف).

لا نَرضى إلَّا بقتلِ رجلين منكم، فقالوا: نَتحاكَمُ إلى محمَّدٍ، فجاؤوا النبيَّ ﷺ، فقال: «دمُ النَّضيريِّ وفاءٌ للقُرَظِيِّ، ودمُ القرظيِّ وفاءٌ للنَّضيريِّ، ولا فضلَ[1] بينهما»، فقال بنو النَّضير: لا نَرضى بهذا، فنزل قولُه تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ الآية [المائدة: ٥٠]، ونزل قولُه تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى﴾ الآية[2].

وقولُه تعالى: ﴿فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ تقديرُ الآية وتقريرُها على قول ابنِ عبَّاسٍ والحسنِ البصريِّ والضَّحَّاك ومجاهد رضي الله عنهم: فمَن أُعطي[3] على سهولةٍ، وأُريدَ به وليُّ القتيلِ، يقال: خُذ ما أتاكَ عفواً؛ أي: سهلاً[4].

وقولـه تعالـى: ﴿مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ﴾ أي: مـن جهةِ أخيه المقتـول، وقوله: ﴿شَىْءٌ﴾ أي: شـيءٌ مِـن المـال بطريق الصُّلـح، ونكَّـرَهُ لأنَّه مجهـولُ القَـدْرِ، فإنَّه يَتقـدَّرُ بما تَراضيـا عليه.

وقولـه تعالـى: ﴿فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ أي: فلـه اتِّبـاع، أي: فلولـيِّ القتيـل اتِّبـاعُ الـمُصالح بمعـروف؛ أي: مطالبـةٌ ببـدلِ الصُّلـح علـى مجاملةٍ وحسـن معاملة[5].

وقوله تعالى: ﴿وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ﴾ أي: وعلى الـمُصالح أداءٌ إلى وليِّ القتيل بإحسانٍ في الأداء.

وقال جماعةٌ ـ وهو مرويٌّ عن عمرَ وابن مسعودٍ وابن عباس رضي الله عنهم ـ:

---

(١) بعدها في (ف): «الدم».

(٢) روى الطبري نحوه في «تفسيره» (٨/ ٤٦٩ ـ ٤٧٠) عن ابن جريج مرسلًا.

(٣) بعدها في (أ): «له».

(٤) روى أقوالهم عدا قول الضحاك الطبريُّ في «تفسيره» (٣/ ١٠٤ ـ ١٠٦).

(٥) من قوله: «وقوله تعالى: فاتباع» إلى هنا ليس في (أ).

الآيةُ في عفو بعضِ الأولياء[١]، ويدلُّ عليه قوله: ﴿شَيۡءٞ﴾ فإنَّه يُرادُ به البعض، وتقديرُه: ﴿فَمَنۡ عُفِيَ﴾ عنه، وهو القاتل، ﴿مِنۡ أَخِيهِ﴾ في الدِّين، وهو المقتول، ﴿شَيۡءٞ﴾ مِن القصاص، بأنْ كان للقتيل أولياءُ، فعفا بعضُهم، فقد صار نصيبُ الباقين مالاً، وهو الدِّية على حِصصهم مِن الميراث.

وقوله: ﴿فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾ أي: فليتَّبع الذين لم يُعفوا القاتلَ بطلب حصصِهم بالمعروف؛ أي: بقدرِ حقوقِهم مِن غير زيادة.

وقوله تعالى: ﴿وَأَدَآءٌ إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٖ﴾ أي: وليؤدِّ القاتلُ إلى غير العافي حقَّه وافياً غير ناقص.

وأريد بالمصدر في قوله: ﴿فَٱتِّبَاعُۢ﴾[٢]، ﴿وَأَدَآءٌ إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٖ﴾[٣]: الأمرُ بهذا الفعل، كما في قولِه تعالى: ﴿فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ﴾ [النساء: ٩٢]؛ أي: فليحرِّر رقبةً[٤]، وقولِه: ﴿فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٖ﴾ [البقرة: ١٩٦]، وقوله: ﴿فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖ﴾ [البقرة: ٢٢٩].

فالمنقولُ عن الصَّحابة والتَّابعين وعامَّةِ المفسِّرين ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ هذان الوجهان.

---

(١) روى ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٧٥٧٢)، والبيهقي في «الكبرى» (١٦٠٧٤) عن إبراهيم النخعي في رجلٍ قتل رجلاً متعمِّداً، فعفا بعضُ الأولياء، فرُفِعَ ذلك إلى عمر، فقال لعبد الله: قل فيها، فقال: أنت أحق أن تقول فيها يا أمير المؤمنين، فقال عبد الله: إذا عفا بعض الأولياء، فلا قود يحطُّ عنه بحصَّة الذي عفا، ولهم بقيَّة الدية، فقال عمر: ذلك الرأي، ووافقت ما في نفسي. وانظر «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٢/ ١١).

(٢) بعدها في (ر): «بالمعروف».

(٣) قوله: «بإحسان» ليس في (أ).

(٤) قوله: «أي فليحرر رقبة» من (أ).

والشَّافعيُّ - رحمَه الله - يَحمِلُهُ على العفو المطلق مِن وليِّ القتيل، ويجعلهُ موجِباً للدِّيَة، ويقول: الواجب في القتل العمدِ أحدُ شيئين؛ إمَّا القصاصُ وإمَّا الدِّيةُ، ويتخيَّر فيهما[١] الوليُّ[٢].

وله قولٌ آخر أنَّ الواجبَ هو القصاصُ عيناً، وللوليِّ أن يعدل عنه إلى الدِّيةِ، ويَحمِلُ هذه الآية على موافقةِ مذهبه، ويقول: معناه: فمن عُفِيَ له، هو القاتل، عُفِيَ عنه القصاصُ، فللعافي اتِّباعُ القاتلِ بالدِّية، وعلى القاتلِ أداءُ الدِّيةِ إليه بإحسان.

وهذا لا وجهَ له؛ لأنَّه قد استوفى كلَّ حقِّه، فكيف يكون عافياً؟ ولو كان عافياً[٣] إذا ترك القصاص وأخذَ الدِّيةَ؟! كان كذلك إذا استوفى القصاصَ وتركَ الدِّية، وهذا بعيد.

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ﴾ أي: شَرعُ العفوِ، وشَرعُ الصُّلح على مالٍ: تخفيفٌ مِن الله ورحمةٌ[٤]؛ فإنَّه على مرادِ العبد ورضاه.

وقال ابنُ عبَّاسٍ والحسنُ البصريُّ رضي الله عنهم: كان في شريعة موسى عليه السَّلام القتلُ لا غير، وفي شريعة عيسى عليه السَّلام العفوُ لا غير، وفي شريعتنا القصاصُ ثابتٌ[٥]، والعفوُ حسنٌ، والصُّلح جائزٌ، على حسب ما يراه العبدُ أنفعَ له، وأشفى لقلبه[٦]، وأوفقَ لمراده.

---

(١) في (أ): «فيها».

(٢) انظر: «الأم» للشافعي (٧/ ٢٤).

(٣) قوله: «ولو كان عافياً» من (أ).

(٤) من قوله: «أي شرع العفو» إلى هنا من (أ).

(٥) رواه البخاري في «صحيحه» (٤٤٩٨)، (٦٨٨١) عن ابن عباس رضي الله عنهما دون ذكر ما في شريعة عيسى عليه السلام.

(٦) في (ر): «لغليله».

وقوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ أي: قتلَ قاتلَ وليِّه بعد العفوِ أو الصلح، وتعدَّى بذلك[١] حدَّ الشرع.

وقوله تعالى: ﴿فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ هو القصاصُ في الدُّنيا، والعقابُ في العُقْبى.

* * *

(١٧٩) ـ ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾ أي: في شرعِه واستيفائه، فإنَّ مَن قصدَ قتلَ إنسانٍ، وعلم أنَّه يُقتَلُ به قصاصاً، امتنعَ عن قتلِه، فيبقى[٢] المقصودُ بقتله حيًّا، وكذا مَن قتل إنساناً، وعلِمَ أنَّ أولياءَه يقتلونه تَشفِّياً، فيقتلُهم لئلَّا يقتلوه، فإذا قُتِلَ قصاصاً بقوا أحياءً، وهي حياةٌ معنويَّة.

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ أي: العقلاء، وهم المدركون وجوهَ الحكمة بالتَّفكُّر، فحضَّهم بذلك على التدبُّر[٣].

وقوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ له وجهان:

أحدهما: لتتَّقوا القصاصَ، فتكفُّوا عن القتل.

والثاني: لتتَّقوا القتلَ حذراً مِن القصاص.

وروى أسباطُ عن السُّدِّيِّ قال في قوله ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾ [البقرة: ١٧٩]، قال: نهانا أن نقتلَ إلَّا القاتلَ بجنايته[٤]، معناه أنَّ أهلَ الجاهلية كانوا يَقتلون

---

(١) في (ر) و(ف): «بعد ذلك» بدل: «بذلك».

(٢) في (ر): «فبقي».

(٣) في (ر) و(ف): «التدين».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ١٢٣)، ونص قوله ثمة: بقاء، لا يقتل إلا القاتل بجنايته.

بالواحد جماعةً، فإذا اقتصر بالقَوَد على الواحد، وهو القاتلُ؛ قلَّ القتلُ، وبقيَ مَن لم يُقتَل حيًّا.

❊ ❊ ❊

(١٨٠) ـ ﴿ كُتِبَ عَلَيۡكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ إِن تَرَكَ خَيۡرًا ٱلۡوَصِيَّةُ لِلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ بِٱلۡمَعۡرُوفِۖ حَقًّا عَلَى ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيۡكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ إِن تَرَكَ خَيۡرًا ﴾ واتِّصالُ هذا بما قبلَه أنَّ الأوَّلَ حكمُ موتٍ مخصوص، وهذا حكمُ كلِّ موت.

وقوله: ﴿إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ ﴾؛ أي: قارب، كما يقال: قد بَلَغْنا البلدَ؛ أي: قاربناه.

وقيل: معناه: إذا حضرَ أحدَكم الموتُ؛ سبب الموت، وهو الأمرُ الذي يكون معه الموتُ في الغالبِ، من المرضِ المخوفِ ونحوه.

وقوله: ﴿إِن تَرَكَ خَيۡرًا ﴾ أي: علمَ أنَّه يتركُ؛ فإنَّ حقيقةَ التَّركِ تكونُ بعد الموت، أو لأنَّه إذا مرِضَ مرضَ الموت، تعلَّقَ حقُّ الورَثة بماله، فكأنَّه[1] تركَهُ لهم، وقولُه: ﴿خَيۡرًا ﴾ أي: مالاً، قال تعالى: ﴿لَّا يَسۡـَٔمُ ٱلۡإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلۡخَيۡرِ ﴾ [فصلت: ٤٩]؛ أي: المال.

ثم قيل: إنَّه يقعُ على القليل والكثير منه، وهذا الحكمُ ثابتٌ في أي مالٍ كان، قال تعالى: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلۡوَٰلِدَانِ وَٱلۡأَقۡرَبُونَ ﴾ إلى أن قال: ﴿مِمَّا قَلَّ مِنۡهُ أَوۡ كَثُرَۚ نَصِيبًا مَّفۡرُوضًا ﴾ [النساء: ٧].

وقال الزُّهريُّ: جعلَ الله تعالى الوصيَّةَ حقًّا ممَّا قلَّ مِنه[2] أو كثُر[3].

---

(١) في (ف): «فكان».

(٢) في (ر): «من المال» بدل: «منه».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ١٣٨).

وقيل: معناه: إن تركَ مالاً كثيراً، فإنَّه إذا أُطلِقَ أُريدَ به هذا، يقال: فلانٌ ذو مال، لا يُطلَق ذلك لمن له مالٌ قليل، وكذا يقال[١]: فلانٌ في نعمة، وفي خيرٍ، وفي رزقٍ، ولا يُطلق ذلك إلَّا عند الكثرة، وعلى هذا لا تجبُ الوصيَّةُ إلَّا في المال الكثير.

ورويَ عن عليٍّ رضي الله عنه أنَّه دَخلَ على مولًى لهم في الموت، وله سبعُ مئة درهم، فقال: ألا أوصي؟ فقال: لا، إنَّما قال الله تعالى: ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا﴾، وليس ذلك[٢] كثيرَ مال[٣].

وعن عائشةَ رضي الله عنها: أنَّ رجلاً قال لها: إنِّي أريدُ أن أوصي، قالت[٤]: كم مالك؟ قال: ثلاثةُ آلاف، قالت: كم عيالك؟ فقال: أربعة، فقالت: قال الله تعالى: ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا﴾، وإنَّ[٥] هذا الشيءَ يسيرٌ، فاتركه لعيالِك فهو أفضل[٦].

وقوله تعالى: ﴿ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾؛ أي: كُتِبَ عليكم الوصيَّةُ للوالدين والأقربين.

قيل: الأقربون: هم الأولادُ، وكانت الوصية للوالدين والمولودين قبلَ شرع المواريث، ثمَّ نُسِخَت هذه الوصيَّةُ بآية المواريث، وقال النبيُّ ﷺ: «لا وصيةَ لوارث»[٧].

---

(١) «يقال» ليس في (ر) و(ف).

(٢) في (ر) و(ف): «كل»، وفي «تفسير الطبري»: «لك» بدل: «ذلك».

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٧٠)، ومن طريقه الطبري في «تفسيره» (٣/ ١٣٧).

(٤) بعدها في (ر): «له».

(٥) «إن» زيادة من (أ).

(٦) رواه سعيد بن منصور في «سننه» (٢٤٨ ـ تفسير)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٠٩٤٦).

(٧) رواه أحمد (٢٢٢٩٤)، وأبو داود (٢٨٧٠)، (٣٥٦٥)، والترمذي (٢١٢٠)، وابن ماجه (٢٧١٣) من حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه. =

وقال ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: الأقربون أولى بالمعروف[١] غيرُ الأولاد، فكانت المواريثُ أوَّلاً للأولاد، والوصيَّةُ للوالدينِ ولسائر الأقارب سوى الأولاد[٢].

وقيل: هذه الآيةُ غيرُ منسوخةٍ، وهذه الوصيَّة للوالدين والأقربين الذين لا يَرثون بسببِ الكُفر، وهم أهلُ ذِمَّة فيوصي لهم، وللأقرباء المسلمين المحجوبين بأقربَ منهم.

وقوله تعالى: ﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾؛ أي: بما هو جميلٌ في عُرفكم، كافٍ في اجتهادِكم.

وقوله تعالى: ﴿حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾؛ أي: كتبَ ذلك عليكم حقاً، أو يحقُّ ذلك عليكم حقًّا إن كنتم تتَّقون الله؛ أي: مَن كان متَّقياً لله، لم يترك العملَ بهذا.

وقوله تعالى: ﴿فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعْدَمَا سَمِعَهُۥ﴾ أي: بدَّلَ قولَ الموصي، أو الإيصاءَ، أو الوصيَّةَ، لكنَّها مع أنَّها مؤنَّثةٌ، فليست بمؤنثةٍ حقيقةً[٣]، فيجوزُ تذكيرُها وتأنيثُها، قال تعالى: ﴿فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾[٤] [البقرة: ٢٧٥]، وقال: ﴿قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ﴾[٥].

وقوله تعالى: ﴿بَعْدَمَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثْمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓ﴾ أي: فمَن غيَّر ما أوصى به الموصي، فلم يَصرِفْهُ مصارفَه، فلا إثمَ على الموصي؛ لأنَّه أدَّى ما وجبَ عليه، وإنَّما يأثمُ المُغيِّرُ.

= ورواه أحمد (١٧٦٦٣)، والترمذي (٢١٢١)، والنسائي في «المجتبى» (٣٦٤١)، (٣٦٤٢)، (٣٦٤٣)، وابن ماجه (٣٧١٢) عن عمرو بن خارجة رضي الله عنه.

(١) قوله: «أولى بالمعروف» ليس في (أ).

(٢) قوله: «سوى الأولاد» من (أ). والأثر رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ١٣٠) بنحوه.

(٣) في (ف): «حقيقية».

(٤) بعدها في (ر): «فانتهى فله ما سلف».

(٥) بعدها في (أ): «من ربكم».

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ أي: سمعَ كلامَ الموصي، وعلِمَ تبديلَ الوصِيِّ، وهو يُجازي كلَّ واحدٍ منهما بما يَستحقُّه.

* * *

(١٨٢) ـ ﴿فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا﴾؛ أي: فمَن علِمَ، كما في قوله: ﴿إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٢٩]؛ لأنَّه إذا علِمَ بذلك خافَهُ.

وقولُه ﴿جَنَفًا﴾؛ أي: ميلاً، قال تعالى: ﴿غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ﴾ [المائدة: ٣]، وقوله: ﴿أَوْ إِثْمًا﴾؛ أي: فعلاً يأثمُ به، فقيل: الجنَفُ: الميلُ مِن غير قصد، والإثمُ ما يقعُ منه على عمدٍ؛ لأنَّه إنَّما يأثمُ بالقصد، فعُلِمَ به أنَّه أرادَ بالجنف ما وقعَ به الميلُ عن الحقِّ مِن غير قصدٍ.

وقوله تعالى: ﴿فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ أي: ردَّ ذلك الفسادَ إلى الصَّلاح؛ أي: إذا جهلَ الموصي موضعَ الوصيَّةِ، أو زادَ على[1] مقدار الوصيَّةِ، أو أوصى بما لا يَجوزُ، ﴿فَأَصْلَحَ﴾ الوارثُ، أو الوصيُّ، أو الإمامُ، أو القاضي ﴿بَيْنَهُمْ﴾؛ أي: بين الميت والوَرثةِ والموصَى له، فصرفَ المالَ إلى الموضعِ المشروع، ونفَّذَ في القدر المشروع، فلا إثمَ عليه في هذا التَّبديل من حيث الصُّورةُ، وهذا إذا تيقَّن بالفساد[2]، فإن كان أمراً[3] مظنوناً بغالبِ الرَّأي، فمعنى قوله: ﴿فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ﴾

---

(١) بعدها في (أ): «ذلك».

(٢) بعدها في (ر) و(ف): «قال».

(٣) في (ف): «أمر».

[البقرة: ١٨٢]؛ أي: أجرى بين الوَرثةِ وأصحاب الوصايا صُلْحاً بتراضيهم.

وقيل: هذا في حال حياةِ الموصي؛ يعني: فمن حضرَ وصيَّتَهُ، فرآهُ يُخالِفُ الشَّرعَ، ﴿فَأَصْلَحَ﴾؛ أي: نهاهُ عن ذلك، وحملَهُ على الصَّلاح، ﴿فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ أي: على هذا الموصِي بما قالَ أوَّلاً، ثمَّ تركَهُ وعادَ إلى الأمر المشروع.

وكلُّ ذلك صحيحٌ، ويجوزُ أن يكون ذلك كلُّه مراداً بالآية في مختلَفِ الأحوال[1]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾؛ أي: غفورٌ للموصي إذا رجعَ إلى[2] الحقِّ، رحيمٌ بالوَصيِّ إذا أصلحَ الأمرَ.

* * *

(١٨٣) - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾ اتِّصالُه بما قبله من وجوه:

أحدها: أنَّه ذكرَ كتابةَ القِصاص، ثمَّ كتابةَ الوصيَّةِ، ثمَّ كتابةَ الصِّيام، والجامعُ بينهما الكتابة.

والثاني: أنَّ الجامعَ بينهما التَّقوى، قال في ذكر أصول الدِّين وفروعِه في آخر الآية: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧]، وقال في القِصاص بعده: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٩]، وقال في الوصيَّة: ﴿حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١٨٠]، وقال في الصوم: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

والثالث: أنَّ الوصيَّةَ قربةٌ بالمال، والصِّيامَ عبادةٌ بالبدن.

---

(١) بعدها في (أ): «قوله تعالى».

(٢) لفظ: «إلى» من (ر).

والرابع: أنَّ الوصيَّةَ حقُّ الخلقِ، والصَّومَ حقُّ الحقِّ.

وقولُه تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾؛ أي: فُرِضَ عليكم، والصِّيامُ والصَّومُ في اللُّغة: هو الإمساك، يُقال: صامَت الدَّابَّةُ على آريِّها[1]، إذا قامَت فلم تعتلِف، ومصامُ الفرسِ: موقفه، وقالت مريم عليها السلام: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا﴾ [مريم: ٢٦]؛ أي: صمتاً، وصام النهارُ: إذا قام قائمُ الظَّهيرة، وذلك إذا صارتِ[2] الشَّمسُ في كبد السماء، فكأنَّها تقفُ، وصامَت الرِّيحُ إذا رَكَدَت، فلم تهب، قال الشاعر:

فدعها وسلِّ الهمَّ عنك بجَسْرَةٍ ... ذَمُولٍ إذا صامَ النَّهارُ وهَجَّرا[3]

وفي الشَّرع: هو الكفُّ عن المفطرات بشرطِه من أهله في وقته، والمرادُ مِن الصِّيام هاهنا هو صيامُ شهرِ رمضان، فإنَّه قال بعده: ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾، وقال تعالى: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ بعد قوله: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾؛ أي: لم أُخُصَّكُم به، فقد فرضتُه على الأوَّلين، وفيه تخفيفٌ[4] على الآخرين.

وتكلَّموا في وجه هذا التشبيه: ﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾؛ قيل:

---

(١) يقال لمعلف الدابة: آري، وجعله الجوهري في «الصحاح» (مادة: أرا) مما يضعه الناس في غير موضعه، قال: وإنما الآريُّ: محبس الدابة.

(٢) في (ر): «قامت».

(٣) البيت لامرئ القيس، وهو في «ديوانه» (ص: ٦٣). قال شارحه: الجسرة: الناقة النشيطة، وقيل: هي التي تجسر على الهول والسير، والذمول: التي تسير سير الذميل، وهو سير سريع. ومعنى صام النهار: قام واعتدل، وهجر من الهاجرة وشدة الحر.

(٤) في (ف): «تحقيق».

إنَّـه تشـبيهٌ في أصـل الوجوب، لا فـي قدر الواجـب، فـكان[١] الصَّومُ علـى آدمَ عليه السـلام أيَّام البيـض، وقصَّته معروفةٌ[٢]، وصومُ عاشـوراء كان على قومِ موسـى عليه السَّـلام، وكان[٣] علـى كلِّ أمَّةٍ صومٌ.

والتَّشبيهُ لا يقتضي التَّسويةَ مِن كلِّ وجهٍ، قال النبي ﷺ: «إنَّكم سترونَ ربَّكم كما ترون القمرَ ليلةَ البدر»[٤]، هذا تشبيهُ الرُّؤية بالرُّؤية، لا تشبيهُ المرئيِّ بالمرئيِّ، ويقال في الدُّعاء: «صلِّ على محمَّد وعلى آلِ محمَّدٍ، كما صليتَ على إبراهيم وعلى آل إبراهيم»[٥]، وقال: ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ﴾[٦] [البقرة: ٢٠٠]، وقال: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ﴾[٧] [آل عمران: ٥٩].

وقيل: هذا التشبيهُ في الأصلِ والقَدْرِ والوقتِ جميعاً، وكان على الأوَّلِين صومُ رمضان، لكنَّهم زادوا في العَدد، ونَقلوا مِن أيَّام الحرِّ إلى أيَّام الاعتدالِ.

---

(١) في (أ): «وكان».

(٢) خبر آدم عليه السلام أورده الثعلبي في «تفسيره» (٢/ ٦٢) من طريق عبد الملك بن هارون بن عنترة، عن أبيه، عن جده، عن علي رضي الله عنه، وهو إسناد تالف؛ عبد الملك بن هارون ضعيف كما قال الدارقطني، وقال عنه يحيى: كذاب، وقال أبو حاتم: متروك ذاهب الحديث. وقال ابن حبان: يضع الحديث. انظر «ميزان الاعتدال» للذهبي (٢/ ٥٨٠).

(٣) في (ف): «فكان».

(٤) رواه البخاري في «صحيحه» (٥٥٤)، ومسلم في «صحيحه» (٦٣٣) من حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه.

(٥) رواه البخاري في «صحيحه» (٣٣٦٩)، ومسلم في «صحيحه» (٤٠٧) من حديث أبي حميد الساعدي رضي الله عنه.

(٦) بعدها في (ر): «أو أشد ذكراً».

(٧) بعدها في (أ): «خلقه من تراب».

وقوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ كلمة «لعلَّ» كلمةُ ترجٍّ؛ أي: أرجو به أنْ يَصيروا متَّقِين بالشُّروع في الصَّوم، وفيه تجويعُ النَّفسِ عن الطَّعامِ والشَّراب، وفيه كسرُ الشَّهوات، فتَنالوا به درجاتِ المتَّقين، وتَستحقُّوا به ثَنائي الذي أثنيتُ به عليهِم، وجَعلتُ هذا الكتابَ هدًى لهم، فقلتُ في أوَّلِ هذه السُّورة: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [الآية: ٢].

***

(١٨٤) ـ ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾ نصبُه لوجوهٍ:

أحدُها: كُتب عليكم الصيام أيَّاماً، على الظَّرف.

والثاني: كما كُتِبَ على الذين من قبلِكم أيَّاماً، على الظَّرف أيضاً.

والثالث: لعلَّكم تتَّقون أيَّاماً، على الظَّرف أيضاً.

وقولـه: ﴿مَّعْدُودَاتٍ﴾ نصـب؛ لأنَّـه نعـتٌ للأيَّـام، وكُسِـرَ لأنَّه تـاءٌ غيـرُ أصليَّةٍ، وهذا للجمـع، بخلاف قوله: ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ [البقرة: ٨٠]، ووصفها بالمعدودات للتَّقليل، وهو للتَّسـهيل.

وقوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾؛ أي[1]: فرضُ الصَّومِ في هذه الأيَّامِ إنَّما يَلزمُ الأصحَّاءَ المقيمين؛ فأمَّا المريضُ والمسافرُ، فلهما تأخيرُ الصَّوم عن هذه الأيَّام إلى أيَّام أُخَر، ثمَّ فيه مضمَرٌ، وتقديره: فأفطرَ، فعليه صومُ عدَّةٍ مِن أيَّامٍ أُخَر.

---

(١) «أي» زيادة من (أ).

وقوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ وفي قراءة نافعٍ وأبي جعفر وابنِ ذكوان عن ابن عامر: ﴿فديةُ طعامِ مساكين﴾ على الإضافةِ والجمع، وفي قراءة الباقين: ﴿فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ بالتنوينِ على الواحد، وروى هشامٌ عن ابنِ عامر[1]: ﴿فِدْيَةٌ﴾ بالتنوين ﴿طعام مساكين﴾ على الجمع[2].

فوجهُ الإضافةِ أنَّ الفديةَ مصدرٌ، كالرِّعيةِ والجِزْيَةِ، ومعناهُ إعطاءُ طعامِ مساكين[3]، ووجهُ التَّنوين أنَّ الفديةَ اسمٌ، ومعناهُ: فعليه فدية، ثمَّ قوله تعالى: ﴿طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾[4] بدلٌ عنها، وبيانٌ لقدرها، أو معناه: فعليه فديةٌ، وهي طعامُ مسكين.

والفديةُ: البدلُ القائمُ مقامَ الشيءِ؛ لغةً وشرعاً، وإفرادُ المسكين لكلِّ يوم، وجمعُ المساكين لكلِّ الأيام، والفديةُ مقدَّرةٌ بنصف صاعٍ مِن الحنطةِ[5] عندنا، وبمدٍّ مِن الطَّعامِ عند الشَّافعيِّ رحمه الله.

ومعنى الآية: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ﴾ أي: يَقدِرون على الصَّوم؛ أي:[6] بأن لا يكونوا مرضى أو مسافرين أن يفدوا عن كلِّ يومٍ طعامَ مسكين، فلا يصوموا[7]، وكان هذا في الابتداء، كان المطيقُ مخيَّراً بين أن يصومَ وبين أن يفديَ ولا يصوم، ثمَّ نُسِخَ بما بعده من الآية: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾.

---

(١) نص العبارة في (أ): «وفي قراءة نافع: «فدية طعام» على الإضافة، وفي قراءة الباقين: «فدية» بالتنوين، وفي قراءة نافع: «مساكين» بالجمع وفي قراءة الباقين طعام مسكين على الواحد، وعن ابن عامر».

(٢) انظر «السبعة» (ص: ١٧٦)، و«التيسير» (ص: ٧٩)، و«النشر» (٢/ ٢٢٦).

(٣) في (أ): «مسكين».

(٤) في (ر) و(ف): «مساكين».

(٥) في (أ): «حنطة».

(٦) لفظ: «أي» ليس في (أ).

(٧) في (أ) و(ر): «يصومون».

وقيل: تقديرُه: وعلى الذين يَقدِرون على الصَّوم فلا يصومون، وهذا مضمرٌ كما في قوله تعالى: ﴿فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ أضمر قوله: فأفطرَ[1].

وفي قراءة عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: (وعلى الذين يُطَوَّقونه)[2]؛ أي: يكلَّفونه فلا يطيقونه، وفي قراءة حفصة: (وعلى الذين لا يطيقونه)[3].

وقيل: هو الشيخُ الفاني، فعلى هذا لا يكون هذا منسوخاً؛ فإنَّه حكمٌ ثابتٌ مجمعٌ[4] عليه.

وقوله تعالى: ﴿فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ﴾ قيل: أي: تبرَّعَ فأطعمَ أكثرَ مِن مسكين، فهو أفضل.

وقوله تعالى: ﴿وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ أي: الصومُ أفضلُ مِن الفديةِ والإفطار، وكان هذا في الابتداء.

وقيل: وأنْ تَصوموا في السَّفر والمرض خيرٌ لكم؛ لأنَّه أشقُّ عليكم، ولأنَّه أبعدُ مِن خطرِ الفوتِ، ولأنَّه أعجل.

وقيل: الصَّومُ أفضلُ من التَّطوُّع بإعطاءِ فدية أكثر مِن مسكين، فهي[5] ثلاثُ درجات؛ خيَّرهم أوَّلاً بين أن يصوموا وبين أن يَفدوا مسكيناً واحداً، ثمَّ بيَّن أنَّ

---

(١) في (ر): «قوله فأفطر»، وفي (ف): «أي إذا أفطر» بدل: «أضمر قوله فأفطر».

(٢) رواها البخاري في «صحيحه» (٤٥٠٥)، وذكرها ابن خالويه في «مختصر في شواذ القرآن» (ص: ١٩) عن ابن عباس وجماعة، وفصل أسماءهم ابن جني في «المحتسب» (١/ ١١٨).

(٣) ذكرها النسفي في تفسيره «مدارك التنزيل» (١/ ١٥٩).

(٤) في (ر) و(ف): «مجموع».

(٥) بعدها في (ر): «على».

إطعامَ[١] أكثر من مسكين أفضلُ من إطعام مسكينٍ واحد، ثمَّ بيَّن أنَّ الصَّومَ أفضلُ من إطعام أكثر من مسكين.

وقيل: ﴿وَأَن تَصُومُواْ﴾ عطف ـ أي: متَّصِل معناه، والحالُ أنَّ الصَّومَ[٢] خيرٌ لكم[٣] ـ على قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾؛ أي: وفي الصَّوم خيرٌ لكم، وليس للتفضيل، بل معناه: وفيه خيراتٌ لكم ومنافعُ ديناً ودنيا.

وقوله تعالى: ﴿إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ أي: الصوم خيرٌ[٤] من الفداء إن كنتم تعلمون أنَّه[٥] أشقُّ عليكم، أو الصَّومُ في السَّفر خيرٌ لكم إن كنتم تعلمون أنَّه أشقُّ عليكم[٦].

وقيل: إن كنتم تعلمون غاية[٧] ثوابِ الصَّوم.

وقيل: أي: إن كنتم علماءَ مميِّزينَ، وتدبرتم؛ أي: علمتُم ما في الصَّوم مِن معنى التَّقوى والكرامات في الدُّنيا والعُقبى.

* * *

(١٨٥) ـ ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾.

---

(١) في (ف) و(أ): «طعام».

(٢) في (ف): «تصوموا» وفي هامشها: «نسخة: والحال أن الصوم خير لكم».

(٣) من قوله: «أي متصل معناه» إلى هنا ليس في (أ).

(٤) بعدها في (أ): «لكم».

(٥) في (ر) و(ف): «وأنه».

(٦) من قوله: «أو الصوم في السفر» إلى هنا ليس في (أ).

(٧) في (أ): «نهاية».

وقوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ﴾ أي: الأيَّامُ المعدوداتُ شهرُ رمضان.

وقيل: هو مبتدأ، وجوابه ـ أي: خبره[1] ـ: ﴿الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾.

وقيل: لـمَّا تطاولَ ما بين الأيَّام المعدوداتِ وبينَ الشهر، ارتفعَ الشَّهرُ على إضمار: «تلك»؛ أي: تلك الأيَّامُ شهرُ رمضان.

وقيل: معناه: كُتِبَ عليكم شهرُ رمضان أنْ تَصوموه، و﴿شَهْرُ رَمَضَانَ﴾ إضافةُ الشيء إلى نفسه، كـ: ﴿حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦]، ﴿وَحَبَّ الْحَصِيدِ﴾ [ق: ٩].

وقيل: هو إضافةُ اسم الجنس إلى النوع، كـ: يوم الجمعة.

وقيل: رمضانُ اسمُ الله جلَّ جلاله، والشهرُ مضافٌ إليه، ولذلك روي: «لا تقولوا: جاء رمضان، وذهب رمضان، ولكن قولوا: جاء شهر رمضان؛ فإنَّ رمضانَ اسمٌ مِن أسماء الله تعالى»[2].

---

(١) قوله: «أي خبره» ليس في (أ).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٣١٠) (١٦٤٨)، وابن عدي في «الكامل» (٨/ ٣١٣)، والبيهقي في «الكبرى» (٧٩٠٤)، وفيه أبو معشر، قال الحافظ ابن كثير في «تفسيره»: أبو معشر هو نجيح بن عبد الرحمن المدني، إمام المغازي والسير، ولكن فيه ضعف، وقد رواه ابنه محمد عنه، فجعله مرفوعاً عن أبي هريرة، وقد أنكره الحافظ ابن عدي، وهو جدير بالإنكار، فإنه متروك، وقد وهم في رفع هذا الحديث. انتهى.

وقال البيهقي بعد أن ذكر شيئاً مما قيل في أبي معشر: وقد قيل: عن أبي معشر عن محمد بن كعب من قوله. وهو أشبه.

وقال ابن الجوزي في «الموضوعات»: (٢/ ٥٤٥): هذا حديث موضوع لا أصل له...، ولم يذكر أحد في أسماء الله تعالى رمضان، ولا يجوز أن يسمى به إجماعاً.

وقال النووي في «شرح صحيح مسلم» (٧/ ١٨٧): مذهب البخاري والمحققين أنه لا كراهة في إطلاق رمضان بقرينة وبغير قرينة، وهذا المذهب هو الصواب. انتهى.

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ قيل: معناه: أُنْزِل في بيان فضلِه أو فَرْضِ صومِهِ شيءٌ مِن القرآن.

وقيل: أنزل كلُّ القرآن في رمضان.

ووجهٌ آخر[1]: ما رويَ أنَّ القرآنَ أُنْزِلَ جملةً واحدةً إلى السَّماء الدُّنيا في ليلةِ القدر، وليلةُ القَدر في شهر رمضان، ثمَّ أُنزِل نجوماً على النبيِّ ﷺ في ثلاثٍ وعشرين سنة[2].

وصحَّت إضافةُ الإنزالِ إلى الشَّهر لما أنَّ الليلةَ في الشَّهر، كما قال تعالى: ﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا﴾ [الأنبياء: ٩١]، والنَّفخُ كان في عيسى، لكنَّ عيسى كان في بطنِها، فصحَّت إضافةُ نفخ الرُّوح إليها لذلك.

وقوله تعالى: ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ﴾[3] نُصِبَ لأنَّه خبرُ ما لم يسمَّ فاعلُه، وهو قوله: ﴿أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾[4]، ﴿وَبَيِّنَٰتٍ﴾[5] عطفٌ عليه، وهو في محلِّ النَّصب،

---

(١) في (أ): «ووجهه» بدل: «ووجه آخر».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ١٩١) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وروي عن غيره أيضاً.

(٣) بعدها في (ف) و(ر): «نصب على الحال؛ أي: أنزل وهو هداية الناس»، وزاد في أولها في (ف): «وبينات».

(٤) من قوله: «خبر ما لم يسم وهو قوله أنزل فيه القرآن» وقع مكانه في (ر): «خير من كل شهر، ثم نسخ ذلك بصوم رمضان على اختيار الإفطار بالفداء، ثم حتم عليهم صوم رمضان بالليل والنهار، فكانوا لا يأكلون ولا يشربون ولا يباشرون إلا عند الإفطار وقبل العشاء وقبل النوم، ثم وقع لبعضهم أكل وشرب ومباشرة بعد العشاء، فندموا وسألوا رسول الله ﷺ عن تدارك ذلك، ثم نزلت هذه الآية، وقوله تعالى» وهي مقحمة هنا، وستأتي قريباً عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى ...﴾.

(٥) في (أ): «قوله تعالى وبينات».

ومعنى وصفِ القرآن بأنَّه هدًى[١] وبينات؛ أنَّ الهدى البيانُ والبيِّناتِ الدَّلائلُ.

وقيل: ﴿هُدًى﴾؛ أي: هادياً إلى أصول الإيمان، ﴿وَبَيِّنَٰتٍ﴾؛ أي: شرائعَ بيِّنةً ظاهرة.

قوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾؛ أي: مِن الدِّينِ الحقِّ، والفرق بين الحقِّ والباطل، فجاءَ يَهدي الحقَّ، ويُفرِّقُ بين الحقِّ والباطل[٢].

قوله تعالى: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ﴾؛ أي: مَن حضرَ منكم، وأدركَ هذا الشَّهرَ، وهو شهر رمضان، والألفُ واللام لتعريف المعهود.

وقوله تعالى: ﴿فَلْيَصُمْهُ﴾ هو[٣] أمر حتمٍ، وانتسخ به التَّخييرُ بين الصَّومِ والفداء[٤] والإفطار.

وقوله تعالى: ﴿وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ وفي إعادةِ هذا بعد ذِكرِه مرَّةً وجهان:

أحدهما: أن الأوَّل كان لتخييرِ الصَّحيح المقيمِ بين الصِّيام وبين الفِداء والإفطار، ولتخيير المريضِ والمسافر بين القضاءِ وبين الفداء؛ إذا صحَّ هذا، وأقام هذا، وهذا حتمٌ للصِّيام في الشَّهر للصَّحيحِ المقيم، وحتمٌ للقضاءِ إذا صحَّ المريضُ وأقامَ المسافر.

وقيل: إنَّ الأوَّلَ اشتمل على حُكمِ الصَّحيحِ المُقيم، وعلى حكم المسافر

---

(١) بعدها في (ر): «للناس».

(٢) قوله: «فجاء يهدي الحق ويفرق بين الحق والباطل» ليس في (أ).

(٣) في (أ): «هذا».

(٤) في (أ): «وبين الفداء».

والمريـض، ثمَّ نُسِـخَ حكـمُ الصَّحيـح المقيم إلى الحتم بعـدَ التخييـر، فأُعيدَ حكمُ رخصـةِ الإفطـارِ في المرَض والأسـفار؛ ليُعلـم أنَّه باقٍ غيرُ منسـوخ.

ثمَّ قوله تعالى: ﴿مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ تقديره: مريضاً أو مسافراً، وهو كقوله تعالى: ﴿دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا﴾ [يونس: ١٢]؛ أي: دعانا مضطجعاً على جنبه، أو قاعداً، أو قائماً.

وقوله تعالى: ﴿فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ إطلاقهُ يقتضي التخييرَ بين الجمع والتَّفريق، فوجبَ القولُ بإطلاقِه، ولم يَجُز تَقييده بالتَّتابع بخبر الواحد؛ لأنَّ النصَّ لا يُترَكُ به.

قولـه تعالـى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ قـال ابـنُ عبَّـاس رضـي الله عنهمـا: أي: فـي[1] التَّرخيـص فـي الإفطار فـي الأمراض والأسـفار[2].

وقيل: أي: يريدُ يُسْرَكم في نقلِكم مِن شرعٍ إلى شرع، وإن كان الثَّاني أشقَّ عليكم طبعاً، فإنَّ الحكمَ الأوَّلَ في هذا كان هو التَّخيير، ثمَّ الحتم، وهذا أشقُّ، لكنَّه تيسيرٌ أيضاً معنًى، وهو الوصول إلى النعيم المقيم، ولذلك سمَّى اللهُ عزَّ وجلَّ أعمالَ الخير يُسراً، فقال تعالى: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ﴾ [الليل: ٧]، وأعمالَ الشَّرِّ عسراً، فقال تعالى: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾ [الليل: ١٠]، ولا يُسرَ كدخول الجنَّةِ، ولا عسرَ كدُخول النَّار.

قوله تعالى: ﴿وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ﴾ قيل: الواوُ زائدةٌ، كما في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ﴾ [الزمر: ٧١].

---

(١) قوله: «أي في» من (أ).

(٢) روى الطبري في «تفسيره» (٣/ ٢١٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما نحوَه، ونصه ثمة: اليسر: الإفطار في السفر، والعسر: الصيام في السفر.

وقيل ـ وهو الصحيح ـ: تقديرُه: يريدُ اللهُ بكم اليُسر، ولا يريدُ بكم العُسر[١]، ويريدُ أن تكملوا العدَّةَ، واللامُ و«أن» في المعنى سواءٌ في هذا.

وقيل: أرادَ به إكمالَ عدَّةِ القضاء فيما[٢] أفطرَ في المرض والسَّفر. وقيل: السَّفرُ[٣] هو المذكورُ قبلَهُ نكرةً، وأُعيدَ معرفةً.

وقيل: أريدَ به عدَّة الأداء، فقد ذَكرَ قبلَه أياماً معدودات، والشَّهرُ عِدَّته[٤]، وقد قال النبيُّ ﷺ: «فإن غمَّ عليكم الهلالُ فأكملوا العدَّة»[٥]، سَمَّى عددَ الشَّهرِ بهذا.

ويجوزُ أن يكونا جميعاً مرادَين، فقد ذُكِرَا جميعاً قبلَه.

قوله تعالى: ﴿وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ﴾؛ أي: لتُعظِّموهُ بطاعتِهِ على ما هداكُم لأحكام شريعته.

وقيل: أي: ولتكبِّروا يومَ العيدِ التَّكبيرات الواردة فيه.

قوله تعالى: ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ أي: ولتشكروا اللهَ على ما أنعمَ عليكم من النِّعمِ الدِّينيَّةِ والدنيويَّة؛ باللِّسانِ والقلبِ والبدن والمال.

وقيل: أي: ولتَفعلوا ما أمرَكُم به، فإنَّه شكرٌ لله تعالى، وهذا كقوله تعالى: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا﴾ [سبأ: ١٣]، فجعلَ العملَ شكراً له، وكلُّ العباداتِ مشروعةٌ بطريقِ الشُّكر.

* * *

(١) قوله: «ولا يريد بكم العسر» ليس في (أ).

(٢) في (ر): «ما».

(٣) قوله: «قيل السفر» ليس في (أ).

(٤) في (ر): «عدة».

(٥) رواه البخاري (١٩٠٧)، ومسلم (١٠٨٠) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(١٨٦) ـ ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى وَلْيُؤْمِنُواْ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ﴾ انتظامُ هذه الآية بما قبلَها[١] أنَّ الله تعالى فرضَ على هذه الأمَّة أوَّلاً صومَ يوم عاشوراء[٢]، ثمَّ نُسِخَ فرضُه بصيام أيَّام البيض من كلِّ شهرٍ[٣]، ثمَّ نُسِخَ ذلك بصومِ رمضان على اختيارِ الإفطارِ بالفِداء، ثمَّ تحتَّم عليهم صومُ رمضان باللَّيلِ والنَّهار، فكانوا لا يأكلون ولا يشربون ولا يباشرون، إلَّا عند الإفطارِ وقبل العِشاء وقبل النَّوم، ثمَّ وقعَ لبعضِهم أكلٌ وشربٌ ومباشرةٌ بعد العِشاء، فنَدموا، وسألوا رسولَ الله ﷺ عن تداركِ ذلك، فنزلت هذه الآية[٤].

قوله[٥] تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ﴾ أي: يا محمد[٦]، وقوله: ﴿عِبَادِى﴾ شرَّفهم بالإضافة إلى نفسِه، وقوله تعالى: ﴿عَنِّى﴾؛ أي: عن صِفتي ومُعاملتي معهم إذا دعوني، وقوله تعالى: ﴿فَإِنِّى قَرِيبٌ﴾ ولم يقل: فقل، كما في سائر سؤالاتهم؛ لأنه

---

(١) في (ف): «هذا بما قبله» بدل: «هذه الآية بما قبلها».

(٢) خبر صيام عاشوراء قبل رمضان رواه البخاري (٢٠٠١)، ومسلم (١١٢٥) من حديث عائشة رضي الله عنها، وروي عن غيرها أيضاً.

(٣) روى أبو داود في «سننه» (٥٠٦) عن ابن أبي ليلى عن أصحابه (هم أصحاب رسول الله ﷺ) أن رسول الله ﷺ لما قدم المدينة أمرهم بصيام ثلاثة أيام، ثم أنزل رمضان.

(٤) من قوله: «قوله تعالى: وإذا سألك عبادي عني» إلى هنا ليس في (ر)، وذكر فيها قبل عند تفسير قوله: ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ﴾، وقد نبهت عليه ثمة.

(٥) في (أ): «وهو قوله».

(٦) في (أ): «أي سألك» بدل: «وإذا سألك أي» زيادة من (أ).

تولَّى جوابهم حين كان عنه سؤالُهم، وأرادَ به قربَ الإجابة والرَّحمة؛ فإنَّه تعالى يتعالى[١] عن قربِ المكان، فإنَّه كان ولا مكان، وهو اليوم على ما كان.

وقوله تعالى: ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ كان سؤالُهم عن معاملةِ الله تعالى إيَّاهم إذ[٢] ندموا على ما فعلوا، ودعَوا اللهَ تعالى بقَبولِ التَّوبةِ ومحوِ الحَوْبة، فعمَّ في الجواب أنَّه يجيبُهم فيما دعَوا، ويجيبُ كلَّ داعٍ فيما دعا.

قوله تعالى: ﴿فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي﴾ أي: أنا أجيبُهم فيما دعَوني، فعليهم أن يُجيبوني فيما دعوتُهم إليه بالأمر والنَّهي.

ثمَّ إجابةُ الدُّعاء وعدُ صدقٍ مِن الله تعالى لا خُلْفَ فيه، ومَن دعا بحاجةٍ فلم تقض للحال، فذلك لوجوه:

منها: أنَّ الإجابةَ حاصلةٌ لا محالة، فإنَّ إجابةَ الدَّعوة غيرٌ[٣]، وقضاءَ الحاجة غيرٌ؛ إجابةُ الدَّعوة: أن يقولَ العبدُ: يا رب، فيقولَ اللهُ تعالى له: لبَّيك عبدي، وهذا موعودٌ موجودٌ لكلِّ موحِّدٍ راشدٍ، وقضاء الحاجة: إعطاءُ المُراد، وإيصال المرتاد، وذاك قد يكون للحالِ، وقد يكونُ بعد مدَّةٍ، وقد يكونُ في الآخرة، وقد تكون الخِيَرةُ له في غيرِه.

ومنها: أن الإجابةَ ليست بجهةٍ واحدةٍ، بل لها جهاتٌ، فقد روى أبو سعيدٍ الخُدريُّ رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ أنَّه قال: «إنَّ دعوةَ المسلِم لا تُردُّ إلَّا

(١) في (أ): «متعال».

(٢) في (أ) و(ر): «إذا».

(٣) بعدها في (ر) و(ف): «قضاء الحاجة».

لإحدى ثلاثٍ ما لم يدعُ بإثمٍ أو قطيعةِ رحم[١]؛ إمَّا أن يُعَجَّلَ له في الدُّنيا، وإمَّا أن يُدَّخَرَ له[٢] في الآخرة، وإمَّا أنْ يُصرَفَ عنه من السُّوء بقدرِ ما دعا»[٣].

ومنها: أنَّ الإجابةَ وإن كانت مُطلَقة في هذه الآية، فقد قال تعالى في آية أُخرى: ﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ﴾ [الأنعام: ٤١]، علَّقها[٤] بالمشيئة.

ومنها: أنه شَرَطَ لهذه الإجابةِ إجابةَ العبدِ إيَّاه فيما دعاهُ إليه بقوله[٥] تعالى: ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا﴾ فإذا أخلَّ بهذه الإجابة، فاتتهُ تلك الإجابة.

وقوله: ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي﴾ قيل: أي: فليَستجيبوا لي في الظَّاهر، وليؤمنوا بي في الباطن.

وقيل: ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي﴾ عملاً، ﴿وَلْيُؤْمِنُوا بِي﴾ عقداً.

وقيل[٦]: أي فليدوموا على إجابتي و[٧]الإيمان بي، والاستجابةُ والإجابةُ واحدٌ، كالاستنابة والإنابة، والإيقان والاستيقان، وقد قال الشاعر:

وداعٍ دعا يا من يُجيبُ إلى النَّدى   فلم يَستجِبْهُ عند ذاك مُجيبُ[٨]

---

(١) بعدها في (أ): «أو يستعجل».

(٢) لفظ: «له» من (ف).

(٣) أخرجه بهذا اللفظ الطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٨٨٢)، والطبراني في «الدعاء» (٣٧). ورواه بألفاظ قريبة ابن أبي شيبة (٢٩١٧٠)، وأحمد في «المسند» (١١١٣٣)، والحاكم في «المستدرك» (١٨١٦).

(٤) في (ر): «علق الإجابة» بدل: «علقها».

(٥) في (ف): «لقوله».

(٦) في (ف): «قوله تعالى ﴿وَلْيُؤْمِنُوا بِي﴾» بدل: «وقيل».

(٧) قوله: «إجابتي و» ليس في (ف).

(٨) البيت لكعب بن سعد الغنوي، كما في «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١/ ٦٧)، و«الأصمعيات» =

جمع بين اللُّغتين.

وقوله تعالى: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ أي: ليبقوا على الرُّشد، وهو الاهتداء، وقد رَشَدَ يَرْشُدُ رُشْداً ورَشَاداً، فهو راشدٌ، من باب: دخَل، بضمِّ راء المصدر في الرُّشد، ورَشِدَ يرشَدُ رَشَداً، فهو رشيدٌ، من حد، عَلِمَ، بفتح الرَّاء والشِّين مِن المصدر.

وقيل: معنى الدُّعاء في هذه الآية هو العبادة، قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ ثم قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾ [غافر: ٦]، وقال تعالى: ﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾ [الفرقان: ٧٧].

ومعنى الإجابةِ مِن الله تعالى: هو القَبول، كما قال تعالى: ﴿وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ﴾ [الشورى: ٢٦].

ومعنى الاستجابة من العِباد: هو الانقيادُ لأمره، والعملُ بطاعتِه، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ﴾[1] [الأنفال: ٢٤].

ومعنى قوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ أي: أنَّهم إذا فعلوا هذا اهتدوا لمصالحِ دينِهم ودُنياهم؛ لأنَّ هذا وصفُ الشرائع[2].

***

(١٨٧) ـ ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا

= (ص: ٩٦)، وهو دون نسبة في «معاني القرآن» للأخفش (١/ ٥٣)، و«تفسير الطبري» (١/ ٣٣٥).

(١) «إذا دعاكم» سقط من (أ).

(٢) في (أ): «للشرائع».

ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيۡلِۚ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمۡ عَٰكِفُونَ فِي ٱلۡمَسَٰجِدِۗ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقۡرَبُوهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمۡ لَيۡلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمۡ﴾ ثمَّ أزال عنهم ما به كان يَقعُ الزَّلَلُ منهم، فقال: حُلِّل لكم ما كان حراماً عليكم.

وقوله: ﴿لَيۡلَةَ ٱلصِّيَامِ﴾[1] نصب على الظَّرف؛ أي: في ليلة الصِّيام، وهي الليلةُ التي يُصبِحُ الرَّجلُ في غداتِها صائماً.

وقوله تعالى: ﴿ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمۡ﴾ أي: الإفضاءُ إليهنَّ لقضاءِ بحاجاتهم[2] منهنَّ؛ مِن الجماع وغيره.

والرَّفثُ في أصل اللُّغة: هو قولُ الفُحش، وقد رَفَث من باب: دخل، وأَرْفَثَ يُرْفِثُ؛ أي: جاء بالرَّفث، ثمَّ جُعِل ذلك اسماً لما يُتكلَّمُ به عند النِّساء مِن معاني الإفضاءِ إليهنَّ، ثمَّ جُعِلَ كنايةً عن الجِماع وعن كلِّ ما يَتبعُهُ.

وقوله تعالى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمۡ وَأَنتُمۡ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ قال ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما؛ أي: هنَّ سكنٌ لكم، وأنتم سكنٌ لهنَّ[3]، وهذا كقول الله تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ لِبَاسٗا﴾ [النبأ: ١٠]، وقولِه تعالى: ﴿وَجَعَلَ ٱلَّيۡلَ سَكَنٗا﴾.

وقيل: معناه: هنَّ سِترٌ لكم، وأنتم سِترٌ لهن؛ أي: عن الحرامِ في الدُّنيا، والنَّار في الآخرة إذا تعفَّفا بذلك.

---

(١) بعدها في (أ): «الرفث».

(٢) في (أ): «بحاجاتكم»، وفي (ر): «لقضاء حاجاتهم» بدل: «بحاجاتهم».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٢٣٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٣١٦) (١٦٧٥)، والحاكم في «المستدرك» (٣٠٨٧).

وقال الإمام أبو بكرٍ القفَّال: عني به خصوصيَّةُ الاختلاطِ، وسكونُ كلِّ واحدٍ منهما إلى صاحبِه، واجتماعَهما في الثَّوبِ الواحدِ، حتَّى يكونَ كلُّ واحدٍ منهما للآخرِ في التَّضامِّ كاللِّباس، وعلى هذا المعنى يقال لامرأةِ الرَّجل: فراشه وإزاره، وقال النابغةُ الجَعْديُّ:

لبِســتُ أناســاً فـأفـنيــتُهم وأفنيتُ بعــد أنــاسٍ أُناسَــا

وقال أيضاً[1] في هذه القصيدة:

إذا مـا الضجيـعُ ثنـى جِيدَهـا تَداعَتْ فكانـت عليـه لِباسَـا[2]

وقوله تعالى: ﴿عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ﴾ أي: كان اللهُ تعالى عَلِم في الأزل أنَّكم تكونون خائنين أنفسَكم في مباشرة النساءِ في ليالي الصَّوم، والخيانةُ ضدُّ الأمانة، وقد ائتمنَ اللهُ تعالى العبادَ على ما أمرَهم به ونهاهم عنه، فإذا عصَوهُ في السِّرِّ، فقد خانوه، وقد قال الله تعالى: ﴿لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٧].

وقد رويَ أنَّه وقع ذلك لعمر رضي الله عنه، وقال له النبيُّ ﷺ غداة إذٍ: «ما كانت جديراً لهذا يا عمر»، ونزلت الآية في شأنه[3]، وصارت زلَّتُه سبباً للرَّحمةِ في حقِّ[4] جميع الأمَّة.

وقوله تعالى: ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾؛ أي: قَبِلَ توبتكُم فيما وقعَ لكم مِن ذلك.

---

(١) لفظ: «أيضاً» من (ف).

(٢) انظر: «الشعر والشعراء» لابن قتيبة (١/ ٢٩٥ ـ ٢٩٦)، و«ديوان النابغة الجعدي» (ص: ٩٨ ـ ١٠٠)، وعجز الأخير فيهما: تثنت عليه فكانت لباسا.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٢٣٧)، وانظر «تفسير الثعلبي» (٢/ ٧٦).

(٤) لفظ: «حق» من (أ).

وقوله تعالى: ﴿وَعَفَا عَنكُمْ﴾ أي: محا أثرَ ذلك عنكم بالتَّجاوزِ.

وقيل: ليس[١] هذا بإثباتِ الخيانة منهم على التَّحقيق، وقَبول توبتِهم، وعفوِ ذلك عنهم بعد الوقوع، لكنَّ معناه أنَّ الله تعالى كان عَلِمَ أنَّه يَقعُ ذلك منكم لو بقيَ الحكمُ كذلك، فتابَ عليكم؛ أي: فرجع عليكم برحمته، والتَّوبةُ: هي الرجوع؛ لغةً، فأزالَ ذلك عنكم.

وقوله تعالى: ﴿وَعَفَا عَنكُمْ﴾ أي: أسقطَ عنكم ذلك، وهو كقوله ﷺ: «عفوت لكم عن صدقة الخيل والرقيق»[٢]، وليس ذلك تجاوزاً عن ذنب، وقال تعالى في التوبة: ﴿عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ [المزمل: ٢٠]، وكان ذلك إسقاطاً من غير تقدُّم[٣] ذنب.

وقوله تعالى: ﴿فَالْـَٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ﴾ «آن» أصلُه: فَعَل، بمعنى كان، ثمَّ جُعِل اسماً للزَّمان الحاضر، وعُرِّفَ بالألف واللام، وبقيَ[٤] على الفتحة.

وقوله ﴿بَٰشِرُوهُنَّ﴾ أي: جامعوهنَّ، وأصلُ المباشرةِ: إلزاقُ البَشَرةِ بالبشَرة، ثمَّ يسمَّى الجماعُ مباشرةً على الكناية، وجميعُ ما يَتبعُه يَدخلُ فيه.

وقوله تعالى: ﴿وَٱبْتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ أي: واطلبوا، يقال: بَغى بُغاء؛ بضم الباءِ والمدِّ[٥]؛ أي: طلب، وابتغى ابتغاءً كذلك، والبغيةُ[٦]: الطَّلِبةُ.

---

(١) لفظ: «ليس» من (أ).

(٢) رواه أبو داود (١٥٧٤)، والترمذي (٦٢٠)، والنسائي في «الكبرى» (٢٢٦٨)، وابن ماجه (١٧٩٠)، (١٨١٣) من حديث علي رضي الله عنه.

(٣) في (ر): «عن غير تقدم»، وفي (ف): «عن تقدم».

(٤) في (ر): «وبني».

(٥) في (أ): «وبالمد».

(٦) بضم الباء وكسرها. انظر: «الصحاح»: (بغى).

وقوله تعالى: ﴿مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ يقال: أصل ﴿كَتَبَ﴾ هو ما كتبَ الله تعالى في اللَّوح المحفوظ ممَّا هو كائن، ثمَّ يتفرَّعُ منه معانٍ تَرجعُ إلى هذا الأصل:

فمنها: القَضاءُ، قال تعالى: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾ الآية [التوبة: ٥١]؛ لأنَّه ممَّا فُرِغَ منه حين كتب.

ومنها: الفَرْضُ، قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾ [البقرة: ١٨٣]؛ لأنَّ ما فُرِضَ[1] فقد أُبرِم وفُرِغَ منه، ولا سبيلَ إلى ردِّه.

ومنها: الجَعْلُ، قال الله تعالى: ﴿فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٥٣]، وقال الله تعالى: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٦]؛ لأنَّ ما جُعِلَ على وجهٍ، فقد أُبرِم وفرغ منه.

ومنها: الإحلالُ، قال الله تعالى: ﴿وَٱبْتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾؛ أي: أحلَّ لكم؛ لأنَّ ما أُحِلَّ فقد أُبْرِم على ما فيه الصَّلاحُ للعباد، وفُرِغ منه.

ويجوزُ حمْلُ ما في هذه الآية على هذا الوجه[2]، واطلبوا بالمباشرة[3] ما أحلَّ اللهُ لكم، ولا تتعدَّوا إلى غيره من الإتيان في الدُّبر، وفي حالة الحيض.

وقيل: أي: واقتصروا على أزواجِكم وما ملكتْ إيمانُكم، ولا تَبتغوا[4] غيرَهنَّ، قال تعالى: ﴿فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ﴾ [المؤمنون: ٧].

وقيل: وابتغوا بذلك الولد، قال النبيُّ ﷺ: «تناكحوا تكثُروا؛ فإنِّي أباهي بكم الأمم يوم القيامة»[5].

---

(١) في (ر): «كتب».

(٢) في (أ): «هذه الوجوه»، وفي (ف): «هذا الوجوه».

(٣) في (ر): «المباشرة» وفي (ف): «مباشرة».

(٤) في (ر) و(ف): «تبغوا».

(٥) أخرجه ابن مردويه في «تفسيره» من حديث ابن عمر رضي الله عنهما كما في «المغني عن حمل =

وعلى هذا يكونُ ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾؛ أي: أحلَّ لكم مِن طلبِ الولدِ، وجعلَ لكم ذلك، وقَضى به لكم، وفرضَ عليكم مِن الاقتصارِ على الحلال.

ورأى الحسنُ بنُ أبي الحسن[1] البصريُّ قاصًّا يَقُصُّ ويقول: قال النبيُّ ﷺ: «ولدُ الرَّجلِ عدوُّه، لو عاشَ كدَّهُ، ولو ماتَ هدَّه» فقال: تعلو منابرَ المسلمين، وتَكذبُ على رسول ربِّ العالمين؟![2] سمعتُ فلاناً يقول: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «ولدُ الرَّجل كنزُهُ؛ إنْ عاشَ دعا له، وإن ماتَ شَفَعَ له»[3].

وقيل: هو طلبُ ثوابِ قيامِ بعضِ الليل؛ ندبَهُم إلى قيامِ بعضِ[4] اللَّيل بعدَ طلب حظِّ النفس.

وقيل: هو طلبُ ليلة القدر؛ فإنَّها في شهر رمضان، وهو ندبٌ إلى إحياءِ بعض اللَّيل لرجاء ذلك.

قوله تعالى: ﴿وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ﴾ هو إباحةُ الأكل والشُّرب، وكذا قوله: ﴿بَٰشِرُوهُنَّ﴾ أمرُ إباحةٍ أيضاً بعد ما كان حراماً.

وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ﴾ هو بيان الغايةِ، ومعناه: حتَّى يَظهرَ

= الأسفار» للعراقي (٢/ ٢٢)، قال العراقي: إسناده ضعيف. وأخرجه عبد الرزاق في «المصنف» (١٠٣٩١) من حديث سعيد بن أبي هلال مرسلاً. وأخرج أبو داود في «سننه» (٢٠٥٠) نحوه من حديث معقل بن يسار بلفظ: «تزوجوا الودود الولود؛ فإني مكاثر بكم الأمم».

(١) «ابن أبي الحسن» ليس في (أ).

(٢) بعدها في (ف): «قال».

(٣) لم أقف عليه.

(٤) بعدها في (أ): «طول».

لكم بياضُ النَّهار مِن سوادِ اللَّيل، وسُمِّي خيطاً؛ لأنَّه أوَّل ما يَظهرُ يكون دقيقاً كالخيط، ثمَّ ينتشر، وأنشدوا لأبي دؤاد:

فلما[1] أضاءَتْ لنا سُدْفَةٌ ... ولاحَ مِن الصُّبْحِ خيطٌ أنَارَا[2]

وقوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ﴾ هو مقابلةُ الخيطِ الأبيض، وذاك دقيقٌ، وهذا ليس في دقَّتِه[3]، لكن يجوزُ إطلاقُه عند المقابلة.

وقيل: الخيطُ الأبيضُ: ابتداءُ ظهورِ النَّهار، والخيطُ الأسودُ: بقيَّةُ سوادِ اللَّيل، وكان[4] كلُّ واحدٍ منهما يرجع إلى القِلَّةِ؛ ذاك قَلَّ ما بقيَ مِن مُدَّتِه، وهذا قَلَّ ما ظهرَ مِن أثرِه، وقال الشاعر:

الخيطُ الابْيَضُ وقتَ الصُّبحِ مُنْصَدِعٌ ... والخَيْطُ الاسْوَدُ جونُ اللَّيل مركومُ[5]

وقوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾ هو للتبعيض، وهو دلالةٌ إلى أنَّه إذا ظهرَ شيءٌ مِنه، دخلَ وقتُ الصَّوم.

وقيل: هو للبيان، قال سهل بن سعد الساعدي: نزلت هذه الآية: ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ

---

(١) في (ف): «ولما».

(٢) البيت في «الأصمعيات» (ص: ١٩٠)، و«غريب الحديث» لابن قتيبة (١/ ١٧٥)، و«تفسير الطبري» (٣/ ٢٦٠)، و«ديوان أبي دؤاد الإيادي» (ص: ١١٠). والسدفة: الظلمة في لغة نجد، وفي لغة غيرهم الضوء. انظر: «الصحاح» (مادة: سدف)، وهي هنا بمعنى الظلمة كما فسرها ابن قتيبة.

(٣) بعدها في (أ): «مثل ذلك».

(٤) لفظ: «كان» من (أ).

(٥) البيت لأمية بن أبي الصلت، وهو في «لسان العرب» (مادة: خيط)، «وديوان أمية» (ص: ٤٨٣)، وروايته فيهما:

الخيط الأبيض ضوء الصبح منفلق ... والخيط الاسود لون الليل مركوم

وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢/ ٨٠) دون نسبة.

﴿ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ﴾، ولم ينزل قوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾، وكان رجالٌ إذا أرادوا الصَّومَ رَبَطَ أحدُهم في رِجليهِ الخيطَ الأبيض والخيطَ الأسود، فلا يزالُ يأكلُ ويَشربُ حتَّى يتبيَّن له منهما، فأنزلَ اللهُ تعالى بعد ذلك قولَه: ﴿مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾، فعلموا أنَّه إنَّما يعني بذلك اللَّيل والنَّهار(١).

وعن عديِّ بنِ حاتمٍ أنَّه قال: قلتُ: يا رسولَ الله، وضعتُ تحت رأسي خيطاً، فلم يتبين لي شيء! قال: «إنك إذاً لعريض الوسادة، إنما ذلك الليل من النهار أو النهار من الليل» (٢).

ونزلت إباحةُ الأكل والشُّرب بسبب أبي قيس صرمةَ بن أنس(٣) بن صرمة(٤) الغنوي(٥) من مالك بن عدي(٦)، كان عملَ في النَّخل طولَ النَّهار، فلمَّا أمسى ودخلَ بيتَه وهو صائم، وأهلُه في اتِّخاذ الطعام، قعدَ(٧) يَنتظرُ الطَّعامَ، فغلبَهُ النَّوم، فانتبه وقد مضى وقتُ الأكل، فلم يأكلْ شيئاً، وأصبحَ وهو مجهود، فقال له النبيُّ ﷺ: «مالك؟» فقصَّ عليه القصَّةَ، فنزلَت الآيةُ(٨).

---

(١) رواه البخاري (١٩١٧)، (٤٥١١)، ومسلم (١٠٩١).

(٢) رواه بنحوه البخاري (١٩١٦)، (٤٥٠٩)، ومسلم (١٠٩٠).

(٣) في (ر) و(ف): «أبي قبيس صرمة بن أنيس».

(٤) قوله: «بن صرمة» من (أ). وفي «تفسير الثعلبي» (٢/ ٧٩): «بن أبي صرمة».

(٥) لم أقف على من نسبه هذه النسبة.

(٦) قوله: «من مالك بن عدي» ليس في (أ)، وفي (ر): «بن مالك بن عدي». ووقع في «تفسير مقاتل» (١/ ١٦٣): «من بني عدي بن النجار».

(٧) في (ر) و(ف): «فقعد».

(٨) انظر: «تفسير الثعلبي» (٢/ ٧٩)، وأخرج البخاري نحو هذا الخبر في «صحيحه» (١٩١٥) عن البراء واسم صاحب القصة عنده: قيس بن صرمة الأنصاري.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾؛ أي: أديموا الإمساكَ عن المباشرةِ والأكلِ والشُّرب في جميع أجزاء النَّهار، ومدَّهُ[1] إلى غايةٍ، وهي دخولُ الليل، وذلك بغروب الشمس، والإتمامُ أداؤه على التَّمام.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ﴾ الواو للحال؛ أي: في حال اعتكافِكم، بيَّن أنَّ المباشرةَ تَحِلُّ في ليالي شهر رمضان، لكن لغير المعتكِف، والعاكفُ في اللُّغة هو المقيم، وقد مرَّ شرحه في قوله تعالى: ﴿وَالْعَاكِفِينَ﴾ [البقرة: ١٢٥].

وقوله تعالى: ﴿فِي الْمَسَاجِدِ﴾ دلَّ على أنَّ الاعتكافَ لا يَصِحُّ إلَّا فيها.

وقوله تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾ ﴿تِلْكَ﴾ إشارةٌ إلى أوامرَ ونواهٍ سبقَ ذكرُها، يقول: تلك تقاديرُ[2] قدَّرها اللهُ تعالى، وأعلامٌ بيَّنها اللهُ تعالى، فلا تخالفوها.

وقوله: ﴿فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾ أبلغ[3] في المنع من قوله: فلا تخالفوها؛ لأنَّه إذا لم يَقربْها، لم يُباشِرها، وسميت حدوداً لأنَّها موانع، وأصلُ الحدِّ المنعُ، وحدودُ الشَّرع موانِعُ عن الجنايات، وحدودُ الدَّار موانعُ عن الاختلاط، والحدَّادُ: السَّجان، والحدَّادُ: البوَّاب، وهما مانعان، والمحدود: المحرومُ الممنوعُ الحظِّ، قال الشاعر:

لا تَعبدُنَّ إلهاً دونَ خالقِكم ... وإن دُعِيتم فقولوا دونه حَدَدُ[4]

---

(١) في (ر): «وهي مدة».

(٢) في (أ): «مقادير».

(٣) في (ر): «أقرب».

(٤) البيت لورقة بن نوفل، كما في «نسب قريش» (ص٢٠٨)، و«جمهرة نسب قريش» (ص٤١٣)، و«الزاهر» لابن الأنباري (١/ ٨٣)، و«الأغاني» (١/ ١٢١)، و«خزانة الأدب» للبغدادي (٣/ ٣٨٩)، =

أي: مَنْعٌ.

وقال تعالى أيضاً: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾ [البقرة: ٢٢٩]؛ قيل: النَّهيان جميعاً في كلِّ الحدود، فلا ينبغي أنْ يَقربَ حدًّا؛ أي: ما مُنِع عن إتيانه، ولا[1] أن يتعدَّى حدًّا، وهو ما مُنِعَ عن مجاوزته، والحاصلُ أنَّ عليه الوقوفَ عندما وُقِّف؛ فلا يتخلَّفُ عنه ولا يَتجاوزُه.

وقيل: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾ في النواهي، و﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾ في الأوامر.

وقوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ﴾؛ أي: أمرَهُ ونهيَهُ، ووعدَهُ وعيدَه، وأحكامَه.

وقوله تعالى: ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾؛ أي: ليتَّقوا.

وقيل: أي: ليتهيَّأ لهم التَّقوى عند ورود البيان صريحاً أو دلالةً أو إشارة.

وقيل: أي: الحكمة في البيان هي التَّقوى، وهي الائتمارُ والانزجارُ، دون مجرَّدِ السَّماع.

* * *

(١٨٨) - ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾؛ أي: ومِن تلك الحدودِ والآيات ألَّا يأكلَ بعضُكم مالَ بعضٍ بوجهٍ هو غير الوجوه التي أحلَّ الله تعالى بها ذلك.

= ونسبه ابن الأنباري (١/ ٢٨٩)، والجوهري في «الصحاح» (مادة: حدد) لزيد بن عمرو بن نفيل.

(١) في (أ): «ولا عن».

وقال ابنُ عيينة: هو كلُّ قمارٍ، وكلُّ أمرٍ لا يَصلُح؛ أي: الغَصب، والسَّرقةُ، والرِّشوةُ، والأكسابُ الخبيثة، والعقودُ الفاسدةُ ووجوهُ الخيانة.

وقوله تعالى: ﴿وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ﴾؛ أي: وتُلقوا، وهو من إدلاءِ الدَّلو في البئر؛ أي: إلقائِها فيها، وللكلمة وجهان:

أحدهما: أنَّه على النَّهي، وهو معطوف على قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ﴾، و«لا» مقدَّرةٌ فيه، وكذا هو في قراءة أبيِّ بنِ كعب[1]، وهو كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَلْبِسُواْ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُواْ ٱلْحَقَّ﴾ [البقرة: ٤٢].

والثاني: أنَّه على الصَّرف[2]، وإعرابُه على النَّصب، ومعناه: لا تَجمع بين أخذِ مال الغير بالباطل، وبين مخاصمته إلى القاضي لتحلفَ عنده ظالماً، وهو كقول الشَّاعر:

لا تنهَ عن خُلُقٍ وتأتيَ مثلَه ... عارٌ عليكَ إذا فَعلتَ عظيمُ[3]

وقوله تعالى: ﴿لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ﴾؛ أي: طائفةً وبعضاً منها.

وقوله تعالى: ﴿بِٱلْإِثْمِ﴾؛ أي: بالبيِّنةِ الكاذبة، أو اليمينِ الفاجرة.

---

(١) انظر «معاني القرآن» للفراء (١/ ١١٥)، و«تفسير الطبري» (٣/ ٢٧٩)، و«إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٢٩٠).

(٢) في (ر) و(ف): «الظرف».

(٣) اختلف في نسبته، فنسبه سيبويه في «الكتاب» (٣/ ٤١ ـ ٤٢) للأخطل، ونسبه أبو عبيد القاسم بن سلام في «الأمثال» (١/ ٧٤)، والآمدي في «المؤتلف والمختلف» (ص: ٢٣٦)، والأصفهاني في «الأغاني» (١٢/ ١٦٠)، والزمخشري في «المستقصى» (٢/ ٢٦٠) للمتوكل الليثي، ونُسب أيضاً لسابق البربري وللطرماح، قال البغدادي في «خزانة الأدب» (٨/ ٥٦٧): والمشهور أنه من قصيدة لأبي الأسود الدؤلي. انظر «ديوانه» (ص: ٤٠٤).

وقوله تعالى: ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾؛ أي: تَعلمون أنَّكم مُبطِلون وآكلونَ بالباطل.

وقيل: وأنتم تعلمون وبالَ ذلك[١].

وقيل: وأنتم تَعلمون ما نـزَلَ[٢] بمن كان قبلَكم بمخالفةِ الأمرِ والنَّهي، وأكلِ أموالِ النَّاسِ بالباطل.

ونزلت الآية في عَيدان[٣] بن الأشوع الحضرمي وامرئِ القيس بن عباس[٤] الكنديّ؛ ادعى عيدان على امرئ القيس أرضاً غصباً في يده، واختصما إلى النبيِّ ﷺ، فقال لعيدان: «ألك بيِّنة؟» قال: لا، قال: «لك يمينُه»، فقال: إذن يذهب بأرضي، فقال النبيُّ ﷺ: «ليس لك إلا ذلك»، فحلفَ كاذِباً بالله تعالى ما له قِبلهُ حقٌّ، فنزلت الآيةُ، فأقرَّ لعيدان، وردَّ أرضه إليه، وأعطاه أرضاً أخرى أيضاً مكانَ ما أخذَ من غلَّتِها[٥].

---

(١) «وقيل: وأنتم تعلمون وبال ذلك» ليس في (ف).

(٢) في (ر): «أنزل الله» بدل: «نزل».

(٣) كذا في (أ)، وكذا قيده الحافظ ابن حجر في «العجاب في بيان الأسباب» (١/ ٤٥٢) بفتح العين المهملة بعدها تحتانية مثناة، وفي (ر) و(ف): «عبدان» في هذا الموضع وما يليه.
واسم الصحابي في كتب الصحابة: «ربيعة بن عبدان أو عيدان» وهي ثلاثة أقوال ذكرها ابن ناصر الدين في «توضيح المشتبه» (٦/ ٩٥ ـ ٩٦) في اسم أبيه؛ عِبْدان، وعَيْدان، (وهما روايتان في «صحيح مسلم» (١٤٠): (٢٢٤)، وذكر أنه رآه بخط أبي نعيم في «معرفة الصحابة» [(٢/ ١٠٩٩)]: «ربيعة بن عِبِدَّان»، وذكر أن أبا القاسم ابن عساكر ضبطه كذلك. واسمه عند الحافظ ابن حجر في «الإصابة» (٣/ ٢٦٨): «ربيعة بن عَيْدان».

(٤) تحرف في (أ) و(ف) و«تفسير أبي الليث» (١/ ١٨٧) إلى «بن عباس»، وفي (ر) إلى: «بن عياش»، والمثبت من «تفسير مقاتل» (١/ ١٦٥)، و«تفسير ابن أبي حاتم» (١٧٠٢)، و«تفسير الثعلبي» (٢/ ٨٣)، و«الإصابة» (١/ ١٠٠) وغيرها.

(٥) أخرج نحوه مسلم في «صحيحه» (١٣٩): (٢٢٤) من حديث وائل بن حُجر رضي الله عنه، =

(١٨٩) - ﴿ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ﴾ انتظامُها بما قبلها أنَّ الأولى في منعِ أموالِ النَّاس عن أربابها، والثَّانية في تأخير أداءِ حقوق النَّاس عن آجالها، فإنَّ الأهلَّة مِن مواقيت آجالِ الدُّيون مِن الأموال.

والآيةُ نَزلت في عديٍّ بن حاتم الطائيِّ[١] ومعاذِ بن جبل رضي الله تعالى عنهما سألا رسولَ الله ﷺ عن الهلال، فنزلَت الآيةُ[٢]؛ أي: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ﴾، ما لها تبدو صغيرةً، ثم تصيرُ بدوراً، ثمَّ تعودُ كالعرجون؟ وما معنى تغيُّر أحوالها؟[٣]

والأهلَّة[٤]: جمع هلال، وهو إذا كان لليلةٍ أو ليلتين. وقيل: هو هلالٌ إلى

= وأخرجه مختصراً ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٣٢١) (١٧٠٢) عن سعيد بن جبير، وليس فيهما ولا في المصادر المذكورة في التعليق السالف أن امرئ القيس حلف، بل أراد أن يحلف، وليس فيها أنه وهبه أرضاً أخرى. فالله أعلم.

(١) «الطائي» ليس في (أ).

(٢) أورده مقاتل في «تفسيره» (١/ ١٦٦)، والثعلبي في «تفسيره» (٢/ ٨٥) دون نسبة، ونسبه الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٤٧) للكلبي، ووقع فيها أنها نزلت في معاذ وثعلبة بن عنمة. قال الحافظ ابن حجر في «العجاب» (١/ ٤٥٥): أما أثر الكلبي فلعله في «تفسيره» الذي يرويه عن أبي صالح عن ابن عباس، وقد وجدت مثله في «تفسير مقاتل بن سليمان» بلفظه، فلعله تلقاه عنه، وقد توارد من لا يد لهم في صناعة الحديث على الجزم بأن هذا كان سبب النزول مع وهاء السند فيه، ولا شعور عندهم بذلك، بل يكاد يكون مقطوعاً به؛ لكثرة من ينقله من المفسرين ونحوهم!!

(٣) من قوله: «أي: يسألونك عن الأهلة» إلى هنا وقع في النسخة (أ) في آخر هذه الفقرة بعد قوله: أهل به لغير الله تعالى.

(٤) في (أ): «وهي».

ثلاث. وقيل: إلى ستٍّ، سُمِّيَ به لأنَّ الناس يرفعون أصواتَهم عند رؤيتِه، ومنه استهلالُ الصَّبيِّ، والإهلالُ بالحجِّ، ومنه ما أُهِلَّ به لغير الله تعالى.

يقول: يسألونك يا محمد عن الأهلة[1].

وقوله تعالى: ﴿قُلۡ هِيَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلۡحَجِّ﴾ هي جمع ميقات، وهو الوقت[2]، وهي كالمواعيد جمعُ ميعاد، والموازين جمعُ ميزان؛ أي: هي آجالُ الناسِ في ديونِهم، وعقودِ سَلَمِهم، وأثمانِ بياعاتِهم، ومددٌ[3] لإجاراتِهم، وعِددٌ لنسائهم، ومقاديرُ لما قدَّروا لأيمانِهم، وغير ذلك من حقوق الخلق، وكذا حقوقُ الله تعالى؛ من الصِّيام والفطرِ والأضحى، والزَّكاة، والحجِّ وأمورِهِ المتعلِّقةِ بأوقاتٍ مخصوصةٍ.

وخصَّ مِن بين العبادات الحجَّ لأنَّه أهمُّ وأشقّ، ودلَّ ذلك[4] على غيرِه مِن هذه الأمور، ثمَّ بيَّن وقتَ الحجِّ مِن الشُّهور، فقال: ﴿ٱلۡحَجُّ أَشۡهُرٞ مَّعۡلُومَٰتٞ﴾ [البقرة: ١٩٧]، وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلشَّمۡسَ ضِيَآءٗ وَٱلۡقَمَرَ نُورٗا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعۡلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَ﴾ [يونس: ٥].

ثمَّ الشَّمسُ على حالةٍ واحدةٍ؛ لأنَّها ضياءٌ للعالَم، وقَوامٌ لمصالح النَّاس، والقمرُ يتغيَّر؛ لأنَّ الله تعالى علَّق به ما قُلنا من المواقيت، وذلك يُعرَفُ بهذه الاختلافات، ودبَّر[5] اللهُ عزَّ وجلَّ هذا التدبيرَ العجيبَ لحاجةِ النَّاس إلى ذلك.

وقوله تعالى: ﴿وَلَيۡسَ ٱلۡبِرُّ بِأَن تَأۡتُواْ ٱلۡبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا﴾ ظاهرُ هذا لا يُلائمُ ما

---

(١) «يقول يسألونك يا محمد عن الأهلة» زيادة من (أ).

(٢) في (أ): «وهي كالوقت» بدل «وهو الوقت».

(٣) في (ف): «وأمد».

(٤) في (ر): «وذلك دليل» بدل: «ودل ذلك».

(٥) في (ر): «ودبره».

ذُكِرَ في أوَّل هذه الآية. وقيل: هما حادثتان، لكن اتَّفقَ وقوعُهما في وقتٍ واحدٍ، فنزلَت الآيةُ فيهما معاً في وقتٍ واحدٍ.

وقال الإمام القفَّال رحمه الله: أتبعَ اللهُ تعالى ما ذكرَ مِن الأهلَّة التي هي مِن مواقيت الحج ما كان بعضُ النَّاس غيَّروهُ مِن أمورِ الحجِّ؛ بدخول[١] البيوتِ مِن ظُهورها، ووصلَ بذلكَ ذكرَ القِتال؛ إشارةً إلى ما كان عرضَ للنَّبيِّ ﷺ في عمرة[٢] الحديبية التي كان فيها الإحصار، فذكرَ بعدهُ حكمَ الإحصارِ، ووصلَ به أحكامَ الحجِّ وما يتَّصلُ به.

وقوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا﴾ قال البراءُ بن عازب: نزلَت هذه الآيةُ فينا؛ كانت الأنصارُ إذا حجُّوا فجاؤوا لم يَدخلوا مِن أبوابهم، ولكن مِن ظهورها، فجاءَ رجلٌ مِن قِبَل بابِه، فنزلَت هذه الآيةُ[٣].

وقيل: كانت الحُمْسُ[٤] ـ وهم المشدِّدون على أنفسهم من بني خُزاعة وبني كنانة في الجاهليَّة وبدءِ الإسلام ـ إذا أحرَموا واعتكفوا[٥]، لم يدخلوا بيوتَهم من أبوابها؛ فإن كانت بيوتُهم مِن الخيام رَفعوا ذيولَها، وإنْ كانت بيوتُهم مِن المَدَرِ، نَقبُوا

---

(١) في (ر) و(ف): «يدخلون».

(٢) في (ر): «عام».

(٣) أخرجه البخاري (١٨٠٣)، ومسلم (٣٠٢٦).

(٤) الحُمْس: جمع الأحْمَس، وهم قريش ومَنْ ولدت قريش وكنانة وجَديلة قيس، سُمُّوا حُمْساً لأنهم تحمسوا في دينهم، أي: تشددوا، والحماسة: الشجاعة، كانوا يقفون بمزدلفة ولا يقفون بعرفة، ويقولون: نحن أهل الله، فلا نخرج من الحرم، وكانوا لا يدخلون البيوت من أبوابها وهم محرمون. «النهاية» (مادة: حمس).

(٥) في (ر): «أو اعتكفوا».

في ظهور بيوتِهم، فدخلوا منها، أو من قبل السَّطح، وقالوا: لا ندخلُ بيوتاً[١] مِن الباب حتَّى ندخلَ بيتَ الله تعالى، وكان منهم من لا يَستظِلُّ بسقفٍ بعدَ إحرامِه، ولا يَدخلُ بيتاً، لا من بابه ولا من خلفِه، ولكن يَصعدُ السَّطحَ فيأمرُ بحاجتِه مِن السَّطح، وهذه أشياءُ وَضعوها مِن عند أنفسِهم مِن غيرِ شرعٍ، فعرَّفَهمُ اللهُ تعالى أنَّ هذا التَّشديدَ ليس ببِرٍّ ولا قُربةٍ[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ أي: البرَّ برُّ مَن اتَّقى، وهذا الإضمارُ كما مرَّ في قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٧٧].

والتَّقوى: هو[٣] الائتمارُ بأمرِه، والانتهاءُ بنهيه.

وقوله تعالى: ﴿وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا﴾ ولو قال: فأتوا البيوت من أبوابها، استقام[٤]، وكان الفاء للتعقيب، ووجهُ الواو أنَّه أضمرَ: فاتركوا ذلك، ﴿وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾؛ أي: لا تتكلَّفوا[٥] ذلك، تُظهِرونَ التَّقوى مِن أنفُسِكم، واتقوا الله بالقلوبِ؛ لتكونوا أبراراً مفلحين.

وللآية تأويلٌ آخر قالَهُ الحسن، قال: كان أهلُ الجاهليَّة مَن همَّ بِسفَرٍ أو أمرٍ

---

(١) في (ر): «بيوتنا».

(٢) كذا نسب المصنف هذا الصنيع إلى الحمس، والذي في المصادر أن الحمس كانوا لا يفعلون ذلك بل هو صنيع غيرهم. انظر «تفسير مقاتل» (١/ ١٦٧)، و«تفسير الطبري» (٣/ ٢٨٤ ـ ٢٨٨)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ٤٩).

(٣) في (أ): «هي».

(٤) في (ر) و(ف): «استفهام»، وهو تحريف.

(٥) بعدها في (أ): «لي».

يَصنعُهُ، فمُنِعَ عن ذلك، لم يدخل دارَه مِن الباب حتَّى يحصلَ له ذلك[1]، وكان قريشٌ وقبائلُ مِن العرب مَن خرجَ[2] لسفر أو حاجةٍ، ثمَّ رجعَ ولم يَظفَر بذلكَ، لم يَدخُل داره حولاً، وكان ذلك طِيَرةً، فنهاهُم اللهُ تعالى عن ذلك، وأخبرَ أنَّ التَّطيُّر ليس ببِرٍّ، وقال: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ﴾؛ أي: برُّ مَن اتَّقى اللهَ، ولم يَخَفْ غيرَهُ، وتَوكَّلَ عليه، ﴿وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ وحدَه لا غيرَهُ؛ لتُفلِحوا وتفوزوا وتظفروا، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢ ـ ٣].

وقيل، وهو قولٌ متكلَّفٌ أشارَ إليه القفَّال، وهو أوفقُ لما قبلَه ولما بعده، لكنَّه خلافُ الرِّواياتِ الظَّاهرة فيه، وهو أنَّه تعالى ذكرَ أنَّ الأهلَّةَ مِن مواقيت الحجِّ، والحجُّ أشهرٌ معلومات، وكان العربُ بالنَّسيء الذي يفعلونهُ يُغيِّرونَ وقتَ الحجِّ، فقال تعالى: ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا﴾ هو استعارةٌ عن[3] أداء[4] الحجِّ في غير وقته. وقوله: ﴿وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا﴾؛ أي: أدُّوا الحجَّ في وقته، وهو متعارَفٌ في اللِّسان، يُقال: فلانٌ أتى الشيءَ مِن غيرِ وجهه ومن خلفِه، وقال تعالى: ﴿فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٨٧]، وقال تعالى: ﴿وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا﴾ [هود: ٩٢].

* * *

(١٩٠) ـ ﴿وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾.

---

(١) أخرجه بنحوه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٣٢٣ ـ ٣٢٤) (١٧١٢).

(٢) في (ف): «يخرج».

(٣) في (ر) و(ف): «على».

(٤) بعدها في (ر): «بر».

وقوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ ولـمَّا خرجَ النبيُّ ﷺ مِن المدينة يريدُ مكَّة، وكان بالحديبيةِ، وصدَّهُ المشركون عن ذلك، ثمَّ وقعَ الصُّلحُ على أن يرجعَ رسولُ الله ﷺ مع أصحابِه، ثمَّ يجيءَ في العام المقبل[1]، فيُخلوا له مكَّةَ ثلاثةَ أيَّامٍ، فيطوفَ بالبيتِ، وينحرَ الهديَ، ويفعلَ ما يَشاءُ، رَجعوا، ثمَّ خرجوا في العام القابلِ للعمرة، وخافوا ألَّا يفيَ لهم قريشٌ بذلك، وأن يَصدُّوهم عن المسجد الحرام، فنزلَ قولُه تعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ﴾[2].

قال الكلبيُّ: سبيلُ الله تعالى هاهنا هو الحرم.

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ﴾؛ أي: قريشاً إن صدُّوكم فقاتلوكم.

وقولـه تعالى: ﴿وَلَا تَعۡتَدُوٓاْ﴾؛ أي: لا تجاوزوا حدَّ الشَّرع؛ أي: لا تَبدؤوهم بالقتال.

وقولـه تعالـى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾؛ أي: البادئيـن بالقتـالِ فـي هـذا[3] الحال.

قال الرَّبيعُ: هذه أوَّلُ آيةٍ نزلَتْ في القتال بالمدينة، وكان النبيُّ ﷺ يُقاتِلُ مَن قاتلَهُ، ويَكفُّ عمَّن يكفُّ عنه، وبذلك أمرَهُ اللهُ تعالى، ثمَّ نُسِخَ هذا بقوله تعالى:

---

(١) في (أ): «القابل».

(٢) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٤٩) من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما. قال الحافظ ابن حجر في «العجاب»: الكلبي ضعيف لو انفرد فكيف لو خالف، وقد خالفه الربيع بن أنس، وهو أولى بالقبول منه، فقال: إن هذه أول الآية أول آية في الإذن للمسلمين في قتال المشركين». وسياق الآيات يشهد لصحة قوله... انتهى. وقول الربيع سيأتي قريباً.

(٣) في (أ): «هذه».

﴿ فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ﴾[1]، وبقوله تعالى: ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ الآية.

* * *

(١٩١) ـ ﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ۚ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ ۚ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ ۖ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ ۗ كَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ ﴾؛ أي: أين وجدتموهم[2]؛ في الحلِّ والحرم، وفي الأشهُرِ الحُرُم وفي غيرِ الأشهر الحرم، أي: هم[3] الذين هتكوا حرمةَ الحرمِ والشَّهر الحرام بالبداية، فجازوهم بمثلِه.

وقوله تعالى: ﴿وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ﴾؛ أي: من مكَّةَ.

وقوله تعالى: ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ ﴾؛ أي: كفرُهم بالله، وتعذيبُهم المسلمين؛ أعظمُ إثماً مِن قتلِكم إيَّاهم في الحَرَم. والفتنةُ تَقعُ على الكفر، قال الله تعالى: ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ ﴾ [النور: ٦٣]، ويقع على تعذيب المسلمين، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾ [البروج: ١٠].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ ﴾؛ أي: لا تَبدؤوهم به في الحَرَمِ كلِّه، والمسجدُ الحرامُ يقعُ على كلِّ ذلك.

وقوله تعالى: ﴿فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ ۗ كَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴾؛ أي: فإنْ بدؤوكم به فيه.

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٢٨٩ ـ ٢٩٠)، وفيه أن الناسخ سورة براءة.

(٢) في (أ): «أخذتموهم».

(٣) في (ر) و(ف): «وهم» بدل: «أي هم»

ومن قرأ: ﴿حتى يقتلوكم﴾[١] فمعناه: حتى يقصدوكم؛ أي:[٢] حتى يقصدوا قتلكم، أو[٣] حتَّى يَقتلوا بعضَكم، وهذا سائغٌ[٤] في اللُّغة.

* * *

(١٩٢) ـ ﴿فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾؛ أي: فإنْ لم يَبدؤوكم، فكُفُّوا أنتم؛ فإنَّ اللهَ غفورٌ رحيمٌ لكم بترككم قتالَهم، وإن كانوا كفَّاراً.

وقيل: أي: فإن امتنعوا عن القتالِ والكُفرِ وإيذاءِ الرَّسول وأصحابِه، وآمنوا، فإنَّ اللهَ يَغفرُ لهم ما سلفَ مِن ذنوبهم[٥] ويرحمُهم في المؤتنف.

* * *

(١٩٣) ـ ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾؛ أي: إذا نقضوا العهدَ، فقاتلوهُم بعد ذلك إلى أن يُسلِموا، ولا يَبقى كفرٌ، ويكونَ الدِّينُ الظَّاهرُ هو الإسلام، ولا تَعقِدوا بعدَه عهداً لترك القتال[٦] بعد نقضِهم هذا العهد.

وقوله تعالى: ﴿فَإِنِ انتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾؛ أي: فإن امتنَعوا عن الكفرِ والقتال، لم يَبقَوا ظالمين، فلا تُقاتِلوهم؛ فإنَّه لا عدوانَ إلَّا على الظَّالمين، أي: لا

---

(١) هي قراءة حمزة والكسائي. انظر «السبعة» (ص: ١٧٩)، و«التيسير» (ص: ٨٠).

(٢) قوله: «حتى يقصدوكم أي» من (ف).

(٣) في (أ): «و».

(٤) في (ر) و(ف): «شائع».

(٥) «من ذنوبهم» ليس في (أ).

(٦) في (ر): «عهداً لشرك للقتال»، و(ف): «عهدة الشرك للقتال»، بدل: «عهداً لترك القتال».

جزاءَ على العدوان إلَّا لمن كان مِن أهلِ الظُّلم والعدوان، وجزاءُ العُدوان ليس بعُدوانٍ على الحقيقة، لكنَّه جزاء الحق[١]، وجزاءُ الشَّيء يُسمَّى باسمِه كما مرَّ في ذكرِ الخداع والاستهزاء في أوَّل هذه السُّورة.

وقيل: معنى قوله: ﴿فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾: إلَّا على الذين ارتدُّوا فصاروا ظالمين، فيجازَون بذلك، فعلَّمَهم اللهُ ما يفعلون بالمشركين إن هُم صدُّوهم عن المسجد الحرام، فلم يصدُّوهُ، ووفَّوا له، فلم يتعرَّض لهم.

* * *

(١٩٤) ـ ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾.

وكانوا شرطوا له ـ أي: المشركون[٢] ـ بعد قضاء العمرة الإقامةَ بمكَّة ثلاثاً، وكان النبيُّ ﷺ تزوَّج ميمونةَ بنت الحارث، فأحبَّ المُقام بمكَّة ليُولِم عليها، فطالبوهُ بالخروج عنها، والوفاءِ بما عاهد، ففعل، وأولمَ على ميمونة وبَنى بها بسَرِف[٣]، وكان دخولهُ مكَّة للعمرة في ذي القَعدة، وكانوا صدُّوهُ في العام الماضي عن المسجدِ الحرام في ذي القَعدة، وفي ذلك قوله تعالى: ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ﴾ أي: ذو القَعدة من هذه السَّنة قصاصٌ بذي القَعدة من العام الماضي.

وقوله تعالى: ﴿وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ﴾ أي: حرمةُ الحَرَم، وحُرمةُ الإحرامِ، وحرمة الشهر الحرام في السنة الأولى صارت مهتوكةً، بمنعهم عن إتمام عمرتهم، وصارت مؤداةً مراعاة في هذه السَّنة قصاصاً.

---

(١) في (أ): «لحق».

(٢) «أي المشركون» ليس في (أ).

(٣) انظر: «السيرة النبوية» لابن هشام (٢/ ٣٧٢).

وقولـه تعالـى: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ ولمَّـا كان يتوهَّـمُ منهـم البدايـةَ بالقتـال بعد هذا العـام، وإن امتَنعـوا في هذا العـام؛ قال: فمَن بدأكُـم بـه في الحَـرَم أو الشَّـهرِ الحرام، فافعلـوا به كذلك. وسُـمِّيَ جـزاءُ الاعتداءِ اعتـداءً لمـا ذكرنا.

وقوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾؛ أي: ائتمِروا بأوامره[1] وانزجِروا بزواجِره.

وقولـه تعالـى: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾؛ أي: ناصر الذين يَقفـون عند حدودِ أمـره ونَهيه.

* * *

(١٩٥) ـ ﴿وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ هذا في قصَّة الحديبية أيضاً، وسبيلُ الله تعالى: هو طريقُ الغزوِ، وكذا كلُّ طريقٍ يُبتغَى فيه رضى اللهِ تعالى فهو سبيلُ الله، ووجهُ ذلك أنَّ مَن قصدَ مقصداً طلبَ إليه سبيلاً، فمعناه: هذا وجهٌ يُلتمَسُ به رضى الله تعالى، والوصولُ إلى ثوابِ الله تعالى.

قال ابنُ عبَّاسٍ رضي الله تعالى عنهما: خرجَ رسولُ الله ﷺ في ذي القَعدة سنة سبعٍ مرجعَه من خيبر بأربعة أشهر، وهو الشَّهرُ الذي صدَّه فيه المشركون، فاعتمروا، فقال رجلٌ مِن أهل المدينة: واللهِ يا رسول الله، ما لنا زادٌ وما مِن أحدٍ يُطعِمُنا، فأمرَ النبيُّ ﷺ أن يُنفقوا في سبيلِ الله، وأنْ يَتصدَّقوا، وألَّا يُلقوا بأيديهم فيهلكوا[2]، فقيل:

---

(١) في (ف): «بأوامر الله».

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢/ ٩١) من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما، وهو إسناد تالف، وأورده أبو الليث في «تفسيره» (١/ ١٩٠).

يا رسولَ الله بما نتصدَّق، وأحدُنا لا يجد شيئاً؟ فقال رسولُ الله ﷺ: «بما[1] كان، ولو بشقِّ تمرة، ولو بِمِشقص[2] يحمل في سبيل الله تعالى»، وأنزل الله تعالى: ﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ وَأَحۡسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾[3][4].

وقال الواقديُّ رحمه الله: لـمَّا دخلَ هلالُ ذي القَعدة سنةَ سبعٍ، أمرَ النبيُّ ﷺ أصحابَهُ أنْ يَعتمِروا، وألَّا يَتخلَّفَ أحدٌ ممَّن شهدَ الحديبية، فلم يَتخلَّف أحدٌ شهدَها، وكان المسلمون في عُمرة هذه القَضيَّة ألفين[5].

وحملَ رسولُ الله ﷺ البِيضَ[6] والدُّروع والرِّماحَ، وقادَ مئة فرسٍ، عليها محمَّدُ بنُ مَسْلَمَة، فقيل: يا رسول الله، حملتَ السِّلاح، وقد شرطوا علينا ألَّا ندخلَ عليهم بسلاحٍ إلَّا بسلاحِ المسافر؛ السيوف في القرب؟! فقال رسول الله ﷺ: «إنَّا لن[7] نُدْخِلَها عليهم الحرمَ، ولكن تكون قريباً منَّا، فإن هاجنا[8] هَيْجٌ مِن القوم كان السِّلاحُ قريباً منَّا»، فقيل: يا رسول الله تخاف قريشاً على ذلك؟ فسكت رسولُ الله ﷺ، وقدَّمَ البُدنَ[9].

---

(١) في هامش الأصل: «بيان: بمهما».

(٢) في (أ): «بشقص». والمشقص من النصال: ما طال وعرض. انظر «الصحاح» للجوهري (مادة: شقص).

(٣) في (أ): «الآية» بدل: «وأحسنوا إن الله يحب المحسنين».

(٤) انظر: «مغازي الواقدي» (٢/ ٧٣٢).

(٥) انظر: «مغازي الواقدي» (٢/ ٧٣١).

(٦) البيض جمع أبيض، وهو السيف. انظر: «مختار الصحاح» (مادة: بيض).

(٧) في (أ): «لا».

(٨) في (ر): «كان هناك» وفي (ف): «كان» بدل: «هاجنا»، والمثبت من (أ)، وهو موافق لما في «المغازي» للواقدي.

(٩) انظر: «مغازي الواقدي» (١/ ٧٣٣).

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ قيل: أي: لا تُلقوا أنفسَكُم بأيديكم إلى التَّهلُكة، فالأنفسُ مضمرة، والباءُ أداة.

وقيل: الباء زائدة، ومعناه: لا تُلقوا أيديَكم إلى التَّهلكةِ، والأيدي عبارةٌ عن كلِّ البدنِ، كما قال تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ﴾؛ أي: تبَّ هو.

وقيل: معناه: لا تستسلموا للهلاك؛ أي: لا تَمتنِعوا عن القتال لأجل الشَّهر الحرام إذا بَدؤكم، فتكونوا قد استَسلمتُم للهلاك، والعربُ تقول لمن استسلم للهلاك ولم يَدفَع عن نفسِه: ألقى بيديه، وأعطى بيديه، قال أبو تمام:

أعْطَى بكِلْتا يَدَيْهِ حينَ قيل لَهُ ... هذا أبُو دُلَفَ العِجْلِيُّ قد دَلَفَا[1]

وقيل: معناهُ: لا تخرجوا إلى الحرب بغير سلاحٍ.

وقيل: بغير زادٍ.

وقيل: لا تُهلِكوا أنفسَكم بتركِ الإنفاقِ في سبيل الله تعالى على المحتاجين مِن أصحابِكم، وهو هلاكُ النَّفس بعقوبةِ الآخرة.

وقيل: أي: يظفرُ بكم[2] عدوُّكم، فيهلِكُكم إذا تركتُم الإنفاقَ في سبيل الله تعالى.

وقيل: أي: لا تَمنعوا ما فرضَ الله تعالى عليكم من النَّفقة والصَّدقة[3]، فتَهلِكوا عندَ الله، قال تعالى: ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ﴾ [الأنفال: ٤٢].

وقيل: أي: أنفِقوا ولا تَقولوا: إنَّا نخافُ الفقرَ إن أنفقنا فنهلك.

---

(١) انظر: «ديوان أبي تمام» (بشرح التبريزي) (٢/ ٣٧٤)، والقصيدة في مدح أبي دلف العجلي.

(٢) في (أ): «عليكم».

(٣) في (ر): «الصدقة والصدق» بدل: «النفقة والصدقة».

وقوله تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوٓاْ﴾؛ أي:[1] إلى الفقراء بإعطاء المال، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ إليهم.

وقيل: ﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: استَعِدُّوا، وأَعِدُّوا لغيركم[2]، وتَعاونوا، ﴿وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾؛ أي[3]: لا تُخاطِروا بأنفسكم فتبارزوا حيث تتيقَّنونَ أنَّكم تقتلون، ولا تَقدِرون أن تَنالوا منهم شيئاً[4]، ﴿وَأَحْسِنُوٓاْ﴾ أي: أحسِنوا القتالَ إذا قَدَرتُم عليه، وأحسِنوا إلى أنفسكم بحفْظِها عن الإلقاء في التَّهلُكَة من غير نفعٍ.

وقيل [و]هو مرويٌّ عن البراء بن عازب رضي الله عنه: هو الرَّجلُ يُذنِبُ الذَّنْبَ فيُلقي بيديه، فيقول: لا يَغفرُ اللهُ لي أبداً[5]. فمعناه على هذا: أَنْفِقوا في طاعةِ الله، ولا تُهلِكوا أنفسَكم بالقُنوط. وقيل: أي: بتركِ العملِ بعد ذلك، على اعتقادِه أنَّه لا تُقبَلُ توبتُه، ولا تَنفعُه طاعتُه.

وقوله تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾؛ أي: أحسنوا الظَّنَّ بالله تعالى.

وقيل: أي: أحسنوا العملَ لله تعالى، ولا تُهلِكوا أنفسَكم بمعصيةِ الله تعالى.

وقيل: أي: افعلوا[6] في العقل والشرع حُسنَه؛ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾؛ أي: الفاعلين ذلك.

وقال بعضُ أهل الحقيقة، وهو حسنٌ جداً: ﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أرواحَكم،

---

(١) نص العبارة في (ف): «﴿وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ أي: وأحسنوا» زيادة من (ف).

(٢) في (ر): «وأعدوا لعددكم» وفي (ف): «واستعدوا لغيركم» بدل: «أي استعدوا وأعدوا لغيركم».

(٣) لفظ: «أي» ليس في (أ).

(٤) بعدها في (أ): «وقوله»، وفي (ف): «قوله».

(٥) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٣١٩).

(٦) بعدها في (أ): «ما».

﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ بمنعِكم أنفسكم عن الشَّهادة في سبيل الله التي هي الحياةُ الأبديَّة، فتَهلِكوا معنًى بفوتِ هذه الحياة، ﴿وَأَحْسِنُوا﴾ تسليمَ أنفسِكم إلى الله تعالى، فقد اشتراها مِنكم، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ ذلك[1].

* * *

(١٩٦) ـ ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ أي: أدُّوهما تامَّين، ولا تُنقِصوا منهما شيئاً، كما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾ [البقرة: ١٨٧].

وقيل: الإتمامُ يكونُ بعد الشُّروع، فيدلُّ على أنَّ مَن شَرَع فيهما لَزِمَهُ إتمامُهما، وبه نقول: إنَّ العمرةَ تَلزمُ بالشُّروع، فأمَّا الحجُّ فقد ثبتَ[2] فرضيته بالنُّصوص، واستدلَّ الشَّافعيُّ رحمه الله بالآيةِ على لزوم العمرة[3]، فإنَّ الله تعالى أمرَ بإتمامهما، والأمرُ للإيجاب، وقلنا: هذا في حقِّ مَن شرَعَ فيها.

وقد قرئ: (والعمرةُ لله) بالرفع على الابتداء[4].

---

(١) «ذلك» زيادة من (أ).

(٢) في (أ): «بينت»، والظاهر أنها محرفة عن: «ثبتت»، وفي (ر) و(ف): «ثبت».

(٣) انظر: «الأم» للشافعي (٣/ ٣٢٦).

(٤) هي قراءة علي وعبد الله ـ رضي الله عنهما ـ والشعبي. انظر: «مختصر في شواذ القرآن» لابن خالويه (ص: ١٩).

وقيل: معناه: وأتمُّوهما إذا شرعتُم فيها[١]، ولا تَتحلَلوا قبل التَّمام، إلَّا حالةَ الإحصار، ولذلك قال تعالى بعده: ﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ﴾.

وانتظامُها بما قبلَها من هذا الوجه أنَّ سياقَ هذه الآيات في إحصار النبيِّ ﷺ وأصحابِه بالحديبية.

قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ﴾ أي: مُنِعتُم بمرضٍ أو عدوٍّ.

وقال الكسائيُّ: يقال: حصرَهُ العَدوُ يَحصُرُهُ حصراً؛ أي: حَبسَهُ[٢]، وأحْصَرَهُ المرضُ إحصاراً[٣]. وكذا قال أبو عبيد[٤].

وقال أبو عبيدة معمر بن المثنى: فإنْ أحصرتم؛ أي قام بعيرٌ، أو مرضتم[٥]، أو ذهبَتْ نفقتُكم، أو فاتَكمُ الحجُّ، والمحصور: الذي جُعِلَ في بيتٍ أو سجنٍ[٦].

وقال الخليلُ بن أحمد: الحصر: الحبس، والإحصارُ أنْ يُحصَرَ الحاجُّ عن بلوغ المناسك بمرضٍ أو غيره[٧].

وعن جماعةٍ من الصَّحابة رضي الله عنهم: مَن كُسِر أو عرجَ فقد أُحصِر، وهو مذهبُ أصحابِنا رحمة الله عليهم[٨].

---

(١) في (ف): «فيهما».

(٢) «أي حبسه» زيادة من (أ) و(ف).

(٣) ذكره عن الكسائيِّ الثعلبيُّ في «تفسيره» (٢/ ٩٩).

(٤) في (ف) و(ر): «عبيدة».

(٥) في (ر): «أي منعتم بمرض»، وفي (ف): «بمرض» بدل: «أي قام بعير أو مرضتم».

(٦) «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١/ ٦٩).

(٧) في (أ): «بغيره». وانظر «العين» للخليل (٣/ ١١٣).

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٣٣٥) (١٧٦٧) عن الحجاج بن عمرو الأنصاري مرفوعاً، وفي آخره تصديق ابن عباس وأبي هريرة له، وعلقه ابن أبي حاتم بعده عن ابن مسعود وابن الزبير =

وقال الشافعيُّ رحمَه الله: لا يكونُ الإحصارُ إلا مِن عدوٍّ؛ فإنَّ إحصارَ النبيِّ ﷺ وأصحابَهُ كان بالعدوّ[١]؛ ولأنَّه تعالى قال: ﴿فَإِذَآ أَمِنتُمۡ﴾، وذاك زوالُ خوفِ العدوِّ.

وقلنا: العبرةُ لعموم اللَّفظ لا لخصوص السَّبب، واللفظُ لما قلنا لعلَّة[٢]، والأمنُ يكون عن العللِ أيضاً، قال[٣] النبيُّ ﷺ: «الزُّكامُ أمانٌ مِن الجُذام»[٤].

وقوله تعالى: ﴿فَمَا ٱسۡتَيۡسَرَ مِنَ ٱلۡهَدۡيِۖ﴾؛ أي: فعليكم ما تيسَّرَ مِن الهديِ، تبعثونَهُ، فيُذبَحُ في محلِّهِ، فتَتحلَّلون. و«ما» رفعٌ على هذا الوجهِ. وقيل: هو نصبٌ على الإغراء، ومعناه: المتيسِّر من الهدي[٥]، فابعثوهُ.

و﴿ٱسۡتَيۡسَرَ﴾ بمعنى: تيسَّرَ، كقولك: تيقَّنَ واستيقنَ، وتعجَّلَ واستعجَلَ، وتكبَّرَ واستكبرَ[٦]. وهو شاةٌ؛ لأنَّ الهديَ مِن الثلاث؛ من الإبل والبقر والغنم، وأيسرُها الشَّاةُ.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَحۡلِقُواْ رُءُوسَكُمۡ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ ٱلۡهَدۡيُ مَحِلَّهُۥ﴾ أي: لا تتحلَّلوا بحلقِ الرَّأس إلى أن يَصِلَ هذا الهديُ المبعوثُ إلى محِلِّه، أي: موضعِه الذي يَحِلُّ ذبحُه فيه، وهو

= وعلقمة وابن المسيب وعروة بن الزبير ومجاهد والنخعي وعطاء ومقاتل بن حيان.

(١) في (ر): «من عدو».

(٢) في (أ): «لغة».

(٣) في (ر) و(ف): «وقال».

(٤) ذكره بهذا اللفظ السرخسي في «المبسوط» (٤/ ١٠٨)، والكاساني في «بدائع الصنائع» (٢/ ١٧٥)، وأخرج ابن عدي في «الكامل» (٩/ ١٠٢)، ومن طريقه البيهقي في «شعب الإيمان» (٨٧٧٧)، وابن الجوزي في «الموضوعات» (٣/ ٢٠٤) من حديث أنس رضي الله عنه مرفوعاً، ولفظه: «... ولا تكرهوا الزكام فإنه يقطع عروق الجذام». قال ابن الجوزي: هذا حديث موضوع.

(٥) من قوله: «أي فعليكم ما تيسر» إلى هنا من (أ).

(٦) في (ر): «وتكثر واستكثر» بدل: «وتكبر واستكبر».

الحرمُ عندنا، قال[١] تعالى: ﴿ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ﴾ [الحج: ٣٣]، والمرادُ هو الحَرَمُ كلُّه؛ لأنَّه يتبعُه.

وقوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ بِهِۦٓ أَذٗى مِّن رَّأۡسِهِۦ﴾ وهو ما يُؤذِيه؛ أي: يُتْعِبُه ويَشُقُّ عليه؛ من صُداعٍ، أو شقيقةٍ أو قَمْل.

وقوله تعالى: ﴿فَفِدۡيَةٞ﴾ أي: فحلَق، فعليه فديةٌ، هذا مضمَرٌ، كما في قوله تعالى: فأفطر[٢] ﴿فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة: ١٨٤].

وقوله تعالى: ﴿مِّن صِيَامٍ أَوۡ صَدَقَةٍ أَوۡ نُسُكٖ﴾ نزلت الآيةُ في حق كعبِ بنِ عُجْرَة رضي الله عنه: مرَّ عليه رسولُ الله ﷺ والقَمْل تتهافتُ في وجهِه، فقال له: «يا كعب، أيؤذيكَ هوامُّ رأسِك؟» قال: نعم، فنزلت الآية، فأمرهُ النَّبيُّ ﷺ أنْ يَصومَ ثلاثةَ أيَّامٍ، أو يَتصدَّقَ بثلاثةِ أصوعٍ[٣] مِن حنطةٍ على ستَّة مساكين، على كلِّ مسكينٍ بنصف صاعٍ، أو يذبحَ شاةً[٤].

و«أو» للتخيير، والنسك: ما يُنسَكُ؛ أي: يُذبَح، وأصله: ما يُتقرَّبُ به إلى الله تعالى، وهذا واحدٌ مِن ذلك.

والمريضُ المذكور في أوَّله هو المريضُ الذي يكون له في حَلْقِ الرَّأسِ خِفَّةٌ، أو تكونُ مداواتُه مِن هذا الوجه.

---

(١) في (ف): «وقال».

(٢) لفظ: «فأفطر» من (أ).

(٣) في (ر): «آصع».

(٤) أخرجه البخاري (٤١٩٠)، (٤١٩١)، ومسلم في «صحيحه» (١٢٠١)، ووقع عند البخاري: «ثلاثة آصع» دون تعيين، وفي بعض روايات مسلم: «ثلاثة آصع من تمر». وورد تعيينه بالحنطة في «تفسير أبي الليث» (١/ ١٩٢).

وقولـه تعالـى: ﴿فَإِذَآ أَمِنتُمۡ﴾ أي: مِـن المـرضِ، أو العـدو، وهو الـذي وقعَ به الإحصارُ.

ثم قيل: هاهنا إضمارٌ؛ أي: فاقضوا ما تحلَّلتُم عنه بسبب الإحصار، وهو الحجُّ أو العمرة[1] أو كلاهما[2]، ثم ابتدأ قوله تعالى: ﴿فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلۡعُمۡرَةِ﴾.

وقيل: لا إضمارَ فيه، وفيه بيانُ أنَّه إذا أُحْصِرَ ثمَّ زالَ الإحصارُ وهو متمتِّعٌ، ووقتُ الحجِّ باقٍ، فحكمُه ما ذكر، وحكمُ المتمتِّع الذي لم يُحصر[3] كذلك بالاستدلال؛ لأنَّه إذا زالَ الإحصارُ والوقتُ[4] باقٍ؛ فكأنَّه لم يكن.

وقوله تعالى: ﴿فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلۡعُمۡرَةِ إِلَى ٱلۡحَجِّ﴾ أي: أتى بالمتعةِ، وهو أنْ يُحرِمَ بالعمرة في أيَّام الحجِّ، فيأتي بأفعالِ العُمرة، ويتحلَّلُ منها، ثمَّ يُحرِمُ بالحجَّة مِن عامه ذلك، فيحُجُّ، سمِّيَت بها؛ لأنَّه انتفاعٌ بنُسكَين في وقتٍ واحدٍ، في سفرٍ واحدٍ، من عامٍ واحدٍ[5]، ووجبَ عليه الشكر على ذلك بالهدي، وهو قوله تعالى: ﴿فَمَا ٱسۡتَيۡسَرَ مِنَ ٱلۡهَدۡيِ﴾ وهو شاةٌ على ما بيَّنَّا. وقوله تعالى: ﴿إِلَى ٱلۡحَجِّ﴾ دليلٌ على أنَّه يَفرُغُ أوَّلاً مِن العمرةِ، ثمَّ يصيرُ إلى الحجِّ.

وقوله تعالى: ﴿فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ﴾؛ أي: الهديَ.

وقولـه تعالـى: ﴿فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٖ فِي ٱلۡحَجِّ﴾ أي: فعليـه صيـامُ ثلاثـةِ أيَّـامٍ فـي أيَّـام

---

(١) في (ر) و(ف): «والعمرة».

(٢) القضاء واجب عند أبي حنيفة، أما عند مالك والشافعي، فليس بواجب. انظر «تفسير القرطبي» (٣/ ٢٧٩).

(٣) بعدها في (أ): «يكون».

(٤) في (ر) و(ف): «فالوقت».

(٥) قوله: «من عام واحد» من (ر).

الحجِّ، وهي في تسع ذي الحجَّة؛ إن شاءَ تابعَ[1]، وإن شاء فرَّقَ؛ لأنَّه مطلَقٌ.

وقوله تعالى: ﴿وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ﴾ أي: وعليكم صيامُ سبعةِ أيَّامٍ إذا رجعتُم من الحجِّ؛ أي: فرغتُم منه، وعند الشافعيِّ ـ رحمه الله ـ المرادُ به الرُّجوع إلى بلدِه، فلا يجوزُ صيام السَّبعةِ عنده قبل الرُّجوع إلى بلده[2].

ثمَّ قولُه تعالى: ﴿تَمَتَّعَ﴾ على المغايبة؛ لأنَّه فعلُ «مَن» وقولُه تعالى: ﴿فَصِيَامُ﴾ أضمرنا فيه: فعليه؛ لأنَّه يرجعُ إلى من لم يجد، ثمَّ قولُه تعالى: ﴿وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ﴾ خطابٌ للجمع؛ لأنَّ ابتداءَ الآيةِ: ﴿فَإِذَا أَمِنتُمْ﴾، وتقديره: وأنتم متمتِّعون فعليكم ذلك، فالتوحيدُ والمغايبةُ يرجعان إلى المعترِض بينهما من كلمة «مَن»، والخطابُ والجمعُ يرجعان إلى المذكورينَ في أولها.

وقوله تعالى: ﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾؛ أي: تامَّةٌ في البدلِ عن الهديِ لا نقصان فيها.

وقيل: أي: تامَّةٌ في الثَّواب كثواب الهَدي، لا تَنقصُ عنه.

وقيل: أي: تامَّةٌ في حصول ثوابِ القِران بينهما، من غير تَحلُّلٍ بينهما.

وقيل: أي: تامَّةٌ في المعنى الذي جُعِلَتْ له، فتمتَّع[3] فلا حاجةَ إلى شيءٍ آخرَ، فقال: ﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ بعدَها؛ لأنَّه لمَّا قال: ﴿ثَلَاثَةِ﴾، ثم قال: ﴿وَسَبْعَةٍ﴾ كان يُتوهَّمُ أنَّه يُضَمُّ إليهما شيءٌ آخر، فقال: ﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾؛ إعلاماً أنَّ هذا العدد قد تمَّ، ولأنَّه تعالى لو قال: فعليه صيامُ عشرةِ أيَّامٍ كاملةٍ؛ ثلاثةٌ في الحجِّ، وسبعةٍ إذا رجع، استقام، فكذا إذا قدَّم الثلاثةَ والسبعةَ وأخَّر الجملةَ.

---

(١) بعدها في (ر): «ذلك».

(٢) انظر: «المجموع» للنووي (٧/ ١٨٥).

(٣) لفظ: «فتمتع» ليس في (أ).

وقيل: الواو قد تكون بمعنى «أو»، كما في قوله تعالى: ﴿مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾، فلو اقتصرَ على ذكرِ الثَّلاث[١] والسَّبعة، فربَّما يُتوهَّمُ أنَّه إنْ شاءَ صامَ ثلاثةً[٢] في الحجِّ، وإن شاء صامَ سبعةً بعد الرُّجوع، فقال: ﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾؛ ليُعلَمَ أنَّ الواجبَ كلُّها.

وقيل: كان في العرب قلَّةُ معرفةٍ بمبالغ الحساب، فكان الرجلُ إذا خاطبَ صاحبَهُ بأعدادٍ متفرِّقةٍ جمعَها له؛ ليُسرِعَ فهمُه إليها، قال الفرزدق:

ثـلاثٌ واثنتـانِ فهـنَّ خـمسٌ　　　وواحدةٌ تميـلُ إلـى شِـمامِ[٣]

وقال آخر:

يَجمعنَ شتَّى مِن ثـلاثٍ وأربع　　　وواحـدةٍ حتَّى كَمَلـنَ ثَمانيَا[٤]

وأنشد نفطويه:

وسـرت إليهـمُ عشـرين شهراً　　　وأربعـةً فـذلـك حِجّتـانِ[٥]

وقال النابغة:

تَـوهَّـمـتُ آيـاتٍ بها فعَرَفْتُها　　　لستَّة أعوامٍ وذا العامُ سابعُ[٦]

---

(١) في (أ): «الثلاثة».

(٢) بعدها في (أ): «أيام».

(٣) انظر البيت في «طبقات فحول الشعراء» (١/ ٤٥)، و«الشعر والشعراء» لابن قتيبة (١/ ٤٦٩)، «شرح ديوان الفرزدق» (طبعة الصاوي) (٢/ ٨٣٥)، وفيها: «وسادسة» بدل: «وواحدة».
قال ابن سلَّام: الشِّمام: المشامَّة. وقال الشيخ محمود شاكر: وهو التقبيل والرشف.

(٤) البيت لسحيم عبد بني الحسحاس، كما في «الشعر والشعراء» (١/ ٤٠٨)، و«الأغاني» (٢٢/ ٣١٠).

(٥) البيت لدثار بن سنان النمري، كما في «الأغاني» (٢/ ١٩٠)، و«مختارات شعراء العرب» لابن الشجري (ص: ٤١٤).

(٦) انظر: «ديوان النابغة» (ص: ٣٠).

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾؛ أي: ذلك التمتُّعُ للذي لا يَسكنُ مكَّةَ، وإنَّما ذكرَ الأهلَ؛ لأنَّ الغالبَ[١] أنَّ الإنسانَ يَسكنُ حيث يَسكنُ أهلُه، فعبَّر بسكونِ الأهلِ عن سكون نفسه.

و﴿حَاضِرِى﴾ جمع، ومحلُّه نصبٌ؛ لأنَّه خبرُ كان، وحذف[٢] النون من آخره للإضافة.

و﴿ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ هو الحرمُ كلُّه، قال تعالى: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ [الفتح: ٢٥]، وإنَّما صدُّوهم عن الحرمِ كلِّه، وحاضرو المسجدِ الحرام عندنا هم أهلُ مكَّةَ، ومَن كان منزلُه داخلَ المواقيت، فلا متعةَ لهم، وهي لأهلِ الآفاق، ورُخِّصَ لهم تحصيلُ النُّسُكين[٣] في أشهر الحجِّ ضرورةً، وحاضرو المسجدِ الحرام يَنبغي لهم أنْ يَعتمِروا في غيرِ أشهرِ الحجِّ، ويُفردوا أشهرَ الحجِّ للحجّ.

وقال الشافعيُّ رحمَهُ الله: حاضرو المسجد الحرام: أهلُ مكَّةَ ومَن كان دون أدنى المواقيت إلى مكَّة، وهو ما دونَ يومٍ وليلةٍ؛ أدنى مدَّة السفرِ عندَه[٤].

وقال مالكٌ رحمه الله: هم أهل مكَّة وأهل ذي طوى، فأمَّا أهلُ مِنى فلهم المتعةُ[٥] عنده[٦].

---

(١) بعدها في (أ): «الظاهر».

(٢) في (أ): «وحذفت».

(٣) في (ف) و(أ): «النسكين».

(٤) انظر: «مختصر المزني» (ص: ٩٤).

(٥) في (ر): «التمتع».

(٦) انظر: «الكافي» لابن عبد البر (١/ ٣٨٢).

وقوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾؛ أي: اتَّقوهُ، فلا تخالفوا ما[1] أمرَكم به وما نهاكم عنه، ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ لمن لم يتَّقِه؛ أي: فهو أهلٌ أن يُتَّقى فإنَّ عقابَه شديدٌ.

***

(١٩٧) ـ ﴿ٱلۡحَجُّ أَشۡهُرٞ مَّعۡلُومَٰتٞۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلۡحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلۡحَجِّۗ وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ٱلۡحَجُّ أَشۡهُرٞ مَّعۡلُومَٰتٞ﴾ أي: وقتُ أوان[2] الحجِّ؛ لأنَّ الحجَّ فعلٌ، والفعلُ لا يكونُ أشهراً، فعُلِم ضرورةً أنَّه أريدَ به وقتُه، وهو متعارَفٌ، يقال: آتيك صلاةَ الظهر؛ أي: وقتَها، وقال ﷺ: «أينما أدركتني الصَّلاةُ تيمَّمتُ وصلَّيتُ»[3]؛ أي: أدركني[4] وقتها.

وقوله تعالى: ﴿أَشۡهُرٞ مَّعۡلُومَٰتٞ﴾ هي شوَّالُ، وذو القَعدة، وعشرٌ من[5] ذي الحجَّة، وإنَّما لم يُسَمِّها بأعيانها في الآية؛ لأنَّها كانت معروفةً[6] عندهم على ما توارثوه، إلَّا أنَّهم كانوا يُدخِلون فيها النَّسيءَ، فنُبِّهوا على أنَّها هي أوقاتُه دونَ

---

(١) في (ر): «تخالفوه فيما» بدل: «تخالفوا ما».

(٢) لفظ: «أوان» من (ر).

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» (٧٠٦٨) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، ولفظه عنده: «تمسحت» بدل: «تيممت».

(٤) في (ر) و(ف): «أدركتني».

(٥) «من» ليس في (أ).

(٦) في (ر): «معلومة».

غيرِها، وأطلقَ اسمَ الأشهر على شهرينِ وبعض الثَّالث؛ لأنَّ ذلك أكثرُها، ويجوزُ إطلاقُ اسم الشَّيء على أكثرِه، كقول[1] الرَّجل: لم أرَ فلاناً منذ ثلاثة أيَّام، وهو بَعدُ في الثالث.

ومنهم مَن يقول: هي شوَّال، وذو القَعدة، وتسعُ[2] ذي الحجَّة؛ لأنَّ الحجَ يفوتُ بطلوع الفجرِ الثَّاني من يوم النَّحر، وهو اليومُ العاشرُ، ومَن أطلقَ العشرَ فإنَّما أرادَ به عشرَ ليالٍ؛ لأنَّ ليلةَ النَّحرِ يَصِحُّ فيها الوقوفُ بعرفةَ، فيُدرِكُ به الحجَّ.

وقوله تعالى: ﴿فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ﴾؛ أي: في هذه الأشهرِ، ومعنى ﴿فَرَضَ﴾؛ أي: أحرمَ بذلك، وأوجبَهُ على نفسِه، وأصلُ الفَرضِ: إيجابُ الشَّيءِ مقدَّراً[3]، يقول: إنَّ الحجَّ يكون في السَّنةِ مرَّةً في وقتٍ معلوم، فمَن عقدهُ على نفسِه فيه[4]، فليُحصِّنهُ عن الرَّفث والفُسوقِ والجِدال.

وقوله تعالى: ﴿فَلَا رَفَثَ﴾ أي: فلا يَرفث، نفيٌ بمعنى النَّهي، كقول النبيِّ ﷺ: «لا إغْلالَ ولا إسْلال»[5]، والرَّفثُ: الجماع، قال الشاعر:

فبَاتوا يَرفُثونَ وباتَ منَّا ... رجالٌ في سلاحِهِمُ رُكُوبَا[6]

---

(١) في (أ): «يقول».

(٢) بعدها في (ف): «من».

(٣) في (أ): «شيء مقدر» بدل: «الشيء مقدراً».

(٤) لفظ: «فيه» ليس في (ف).

(٥) رواه أبو داود في «سننه» (٢٧٦٦) من حديث المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم. قال الخطابي في «معالم السنن» (٢/ ٣٣٦): الإسلال من السَّلَّة، وهي السرقة، والإغلال الخيانة.

(٦) أورده نشوان الحميري في «شمس العلوم» (٤/ ٢٥٧٨)، وأبو حيان في «البحر المحيط» (٣/ ٣٢١) دون نسبة.

وهو الفحشُ مِن الكلام أيضاً، قال الشاعر:

وربِّ أسرابِ حجيجٍ كُظَّم[١] عنِ اللَّغا ورفَثِ التَّكلُّم[٢]

وقال النبيُّ ﷺ: «إذا كان يومُ صوم أحدِكم، فلا يَرفُث، ولا يَجهل، فإن امرؤ شاتَمهُ فليَقل: إنِّي صائم»[٣].

وجملتُه أنَّه هو الجماعُ وما دونَهُ مِن شأنِ النساءِ ممَّا يُفضِي إلى ذلك، وقد رُوي أنَّ ابنَ عبَّاسٍ رضي الله عنهما قال وهو مُحرمٌ:

فهنَّ يمشينَ بنا هَمِيسا إنْ تَصدُقِ الطَّيرُ نَنِكْ لَمِيسَا

فقال أبو العالية: أترفُثُ وأنت محرِمٌ؟! قال: ذلك بحضرةِ النِّساء[٤].

والحاصلُ أنَّ الجِماعَ محظورُ الإحرام، وهو قبلَ الوقوفِ بعرفةَ مفسدٌ، وبعدَه موجبُ البَدنةَ، وحُرِّمَت دواعيه؛ لئلَّا يقعَ فيه.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا فُسُوقَ﴾ أي: فلا[٥] يفسق، وأصلُه: الخروجُ عن الطَّاعة، وتكلَّموا في المراد به هاهنا.

قيل: هو السِّباب، قال النبيُّ ﷺ: «سِبابُ المسلمِ فسوقٌ»[٦]، وقال الله تعالى: ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ﴾ [الحجرات: ١١]، فجعلَ التَّنابزَ بالألقابِ فسوقاً.

---

(١) البيت الأول من الرجز لم يرد في (أ).

(٢) الرجز للعجَّاج، وهو في «ديوانه»: (١/ ٤٥٦).

(٣) رواه البخاري (١٩٠٤)، ومسلم (١١٥١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٤٥٩).

(٥) في (ر) و(ف): «لا».

(٦) رواه البخاري (٤٨)، ومسلم (٦٤) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

وقال مالك رحمه الله: هو الذَّبحُ للأصنام، قال تعالى: ﴿أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٤٥](1).

وقال بعضُهم ـ وهو مرويٌّ عن ابنِ عبَّاس رضي الله عنهما وابن عمر ـ: إنَّه المعاصي كلُّها(2). وهو الصحيح؛ لأنَّ ذلك كلَّهُ خروجٌ عن الطَّاعة، وقد قال اللهُ تعالى: ﴿وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِن تَفْعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقُۢ بِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، فجعل ضِرار الكاتبِ والشَّهيدِ فسوقاً، فدلَّ أنَّه يقعُ على كلِّ معصيةٍ.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّ﴾؛ أي: لا يُجادِلُ غيرَهُ جِدالاً يُفضِي إلى التَّضاغُنِ وزوالِ التَّآلفِ، فأمَّا الجدالُ على وجهِ النَّظرِ في أمرٍ مِن أمور الدِّين بالدَّليل، فلا بأسَ به.

وقيل: كانوا يَتجادلون، فيقولُ أحدُهم: أنا أتمُّ حجًّا، ويقولُ الآخرُ: بل أنا أتمُّ حجًّا، وكانوا يَختلفون في الموقفِ، وفي الإفاضة، وفي فسخِ الحجِّ إلى العمرة، وفي أشياء كانوا عليها في الجاهليَّة، فعرَّفَهم أنَّ ما كان في الجاهليَّة فقد ارتفعَ، واستقرَّ على سُنَّةِ إبراهيم عليه السَّلام، على ما أمرَ النَّبيُّ ﷺ أنْ يُنادى: «اثبتوا على مشاعِركم، فإنَّكم على إرثٍ من إرث إبراهيمَ عليه السَّلام»(3)، وقال ﷺ: «خذوا عنِّي مناسكَكُم، لعلِّي لا ألقاكُم بعد عامي هذا»(4).

---

(1) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٣٤٧) عقب الأثر: (١٨٢٩).

(2) رواه عن ابن عباسٍ الطبريُّ في «تفسيره» (٤/ ٤٧٠)، وعن ابن عمر ابنُ أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٣٤٧) (١٨٢٦).

(3) رواه أبو داود (١٩١٩)، والترمذي (٨٨٣)، وابن ماجه (٣٠١١) من حديث يزيد بن شيبان رضي الله عنه.

(4) أخرجه بهذا اللفظ النسائي في «الكبرى» (٤٠٠٢) من حديث جابر رضي الله عنه، ورواه مسلم =

وقال مالكٌ رحمه الله في «الموطأ»: الجدالُ: أنَّ قريشاً كانت تَقِفُ عندَ المشعَرِ الحرامِ بالـمُزدلفةِ بقُزَح، وكانت العربُ وغيرُهم يَقفون بعرفات، وكانوا يتجادلون؛ يقول هؤلاء: نحن أصوبُ، ويقول هؤلاء: نحن أصوب، فقال اللهُ تعالى: و﴿لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ فِي ٱلْأَمْرِ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾ وَإِن جَٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾، قال: فهذا هو الجدالُ فيما نُرى. والله أعلم[(١)].

وقيل: هو أمر النَّسيء[(٢)]، ومعناه: لا جدالَ في أنَّ الزَّمانَ قد عادَ إلى ما كان، كما قال ﷺ: «ألا إنَّ الزَّمانَ قد استدارَ كهيئتِه يومَ خلق اللهُ السَّماوات والأرض» الحديث[(٣)].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ﴾ نَهى عن ثلاثةِ أشياءَ مِن المعاصي، ورغَّب في كلِّ الطَّاعات، و«ما» كلمةُ شرطٍ، و﴿تَفْعَلُوا۟﴾ مجزومٌ بالشَّرط، ولذلك حذفَ من آخره النون، و﴿يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ﴾ جُزِمَ لأنَّه جزاءُ الشَّرط؛ أي[(٤)]: ما عملتموهُ مِن أعمال الحجِّ وغيرِه مِن فرضٍ أو نفلٍ، فإنَّ اللهَ[(٥)] عالمٌ به، حافظٌ له، يجزيكم عليه.

وقوله تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ قيل: ادَّخروا لأنفسِكم

= (١٢٩٧) بلفظ: «لتأخذوا عني مناسككم، فإني لا أدري لعلي لا أحج بعد حجتي هذه».

(١) «موطأ مالك» (١/ ٣٨٨).

(٢) في (ر) و(ف): «الشيء».

(٣) رواه البخاري (٤٤٠٦)، ومسلم (١٦٧٩) من حديث أبي بكرة رضي الله عنه.

(٤) في (ف): «الذي».

(٥) في (أ): «فالله» بدل: «فإن الله».

الخيرَ بتقوى الله تعالى؛ في الائتمار بأوامره، والانتهاءِ بنواهيه؛ فإنَّ تقوى اللهِ خيرُ ما يُتَزوَّدُ[١] ويُدَّخر؛ فإنَّه باقٍ، وغيرُه فانٍ.

والزَّادُ المعروفُ: هو ما أُخِذَ من الطَّعام وغيرِه عِدَّةً لوقتِ الحاجة إليه، فجُعِلَ مثلاً للأعمال الصالحة[٢]؛ لحصولِ هذا المعنى بها.

وقوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ أي: واخشَوني، واحذَروا عقابي أيُّها الذين مَنَنتُ عليهم بالعقول التي هي أفضلُ ما جُعِلَ في الخَلْقِ؛ فإنَّ لُبَّ الشَّيء هو خالصُ ما فيه؛ أي: جَعلتُ فيكم العقولَ التي هي آلاتُ التَّمييزِ ومعاونِ التَّدبير، فيَسهُلُ معها التَّقوى والتَّفكير[٣].

ودليلُ صحَّةِ هذا التَّأويل أنَّه وإنْ أُطلِقَ التَّزوُّد، ولكن عُطِفَ عليه قولُه تعالى: ﴿فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰ﴾، والفاءُ واصلةٌ للثَّاني بالأوَّل، ومخبِرةٌ بتشاكُلِهما، ويبعد أن يقال: تَزوَّدوا الطَّعام؛ فإن خير الزاد شيءٌ غيرُه.

وقال الحسنُ في تفسير هذه الآية: إنَّما هذه الدنيا بُلْغَةٌ؛ فمتزوِّدٌ خيراً، ومتزوِّدٌ شرًّا، وكلٌّ[٤] خارجٌ منها بما[٥] تزوَّدَ منها.

وعامَّةُ المفسِّرين على أنَّه أمرَ بأخذِ الزَّادِ إذا خرجوا للحجِّ وألَّا يتَّكِلوا على مسألةِ النَّاس، وكان أهلُ اليمن يَخرجونَ بغيرِ زاد، ويقولون: نتوكَّل على الله تعالى[٦]،

---

(١) بعدها في (ر): «به».

(٢) «الصالحة» ليس في (أ).

(٣) في (ر) و(ف): «والتفكر».

(٤) بعدها في (ر): «ذلك».

(٥) في (ر) و(ف): «إنما».

(٦) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٤٩٨) عن الحسن وقتادة والربيع.

وكان قلوبُ رُفقائِهم تَشتغلُ بذلك، فأمرَهم اللهُ تعالى بالتزوُّد، وأخبرَ أنَّه مِن التَّقوى؛ فإنَّه ائتمارٌ بأمرِ الله تعالى، وتخفيفٌ عن عبادِ الله تعالى، وخيرُ الزَّادِ التَّقوى.

وقال مقاتلٌ رحمه الله: كان ناسٌ من أهلِ اليَمن وغيرِهم يَحجُّونَ بغير زادٍ، ويُصيبون مِن أهل الطَّريق ظُلماً، فنزلَ قولُه تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا﴾ أي: فتزودوا[1] مِن الطعام؛ كيلا تَظلِموا مَن تمرُّون به؛ ﴿فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾؛ أي[2]: أن تتَّقوا اللهَ تعالى باتِّقائكُم ظلمَ النَّاس[3].

﴿وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ قد فسَّرناه.

* * *

(١٩٨) ـ ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ﴾ أي: لا إثمَ عليكم في أن تتَّجِروا في طريق الحجِّ، وكانوا يَمتنعون عن ذلك، ويقولون للتُّجَّار في هذا الطريق: هؤلاء الداجّ، وليسوا بالحاجِّ.

والداجُّ: المكتسِبُ الملتقِطُ، مشتقٌّ مِن الدَّجاجة، قاله القفَّال.

وقال غيره: الدَّاجُّ عندهم اسمٌ معروفٌ لِمَن يَخرجُ مع الحاجِّ تبعاً

---

(١) قوله: «أي فتزودوا» ليس في (أ)، و«فتزودوا» ليس في (ر).

(٢) «التقوى أي» ليس في (أ).

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» (١/ ١٧٤).

للحاجِّ[١] مِن الخَدَمِ والأتباع، مأخوذٌ[٢] من قولهم: دجَّ؛ أي[٣]: دبَّ.

فأخبرَ اللهُ تعالى أنَّ ما كان مباحاً مِن أمورِ الدُّنيا، ولا بدَّ منه لإقامةِ المعاش، فلا مَنْعَ عنه.

وفضلُ الله تعالى هو المالُ والسَّعةُ بالتِّجارةِ وغيرِها، قال الله تعالى: ﴿وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ [المزمل: ٢٠]، وقال تعالى: ﴿فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ [الجمعة: ١٠]، وقال تعالى: ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [القصص: ٧٣].

وقال ابنُ عبَّاس رضي الله عنهما: كانت عُكاظٌ ومَجَنَّةٌ وذو الـمَجازِ أسواقاً في الجاهليَّة، فلمَّا كان الإسلامُ كأنَّهم كرِهوا أنْ يتَّجِروا في الحجِّ، فسألوا النبيَّ ﷺ، فأنزلَ اللهُ تعالى هذه الآية[٤].

وقال قتادة: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ قال: كان أهلُ الجاهليَّة يُسمُّون ليلةَ النَّفْرِ ليلةَ الصَّدرِ، وكانوا لا يَمكثون على كسيرٍ، ولا على ضالَّة ولا لحاجة[٥]، ولا يَبتغون فيها تجارةً؛ فأحلَّ اللهُ تعالى ذلك للمؤمنين أنْ يَمكثوا على حاجاتهم، ويبتغوا مِن فضلِ الله تعالى[٦].

وقوله تعالى: ﴿فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ﴾ أي: رجعتُم منها بعد الوقوفِ بها،

---

(١) في (ف): «للحجاج».

(٢) لفظ: «مأخوذ» من (أ).

(٣) في (ف): «إذا».

(٤) رواه البخاري في «صحيحه» (١٧٧٠)، (٢٠٥٠).

(٥) في (أ): «حاجة».

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٥٠٦).

وحقيقةُ الإفاضةِ هاهنا هو اجتماعُ الكثيرِ في الذَّهاب والمسير، ومنه قولُهم: أفاضَ البعيرُ بجِرَّتِه[١]؛ أي: أجراها كثيراً متفرِّقاً، وإفاضةُ قِداحَ الميسر: جمعُها، ثمَّ إلقاؤُها متفرِّقةً، وإفاضةُ الماءِ على البدن، وإفاضةُ الدُّموع، والإفاضةُ مِن القومِ في الحديث؛ كلُّها تَرجِعُ إلى هذا، وكذا قولُهم: النَّاس فوضى، ونيَّاتهم فوضى، على هذا.

وعرفات: موضِعٌ مخصوصٌ، بها الوقوفُ الذي هو ركنُ الحجِّ، وسُمِّيَت بها؛ لأن آدمَ ـ صلوات الله عليه ـ وجد بها حواء، فعرَفها بعدما كانا تَفارقا مدَّةً.

وقيل: لأنَّ جبريلَ عليه السَّلام عرَّف بها آدمَ عليه السَّلام[٢] مناسكَ الحج[٣].

وهي جمعُ عَرَفة، وهي ما ارتفعَ مِن الأرض، وكذلك الأعراف، وإن كان[٤] الاسمُ شاملاً لأجزاء ذلك المكان، واليوم الذي يُوقَف[٥] بها يومُ عرفة، ووقوفُ النَّاس بها فيه[٦] تعريفٌ.

وكان[٧] قريشٌ ومَن دخل في جملتهم من الحُمْس لا يجاوزون الحرمَ؛ تعظيماً له، وكراهيةَ أن يحطُّوا قدره، فيكون فيه حطُّ أقدار[٨] أنفسهم؛ إذ عظَّموا غيرَ الحرم، وكانوا لا يَقفون بعرفةَ؛ لأنَّها مِن الحلِّ، وكان غيرُهم يَقفون بعرفة،

---

(١) الجِرَّة: ما يخرجُه البعير للاجترار. «الصحاح» (مادة: جرر).

(٢) في (ف):«عرف بها أي آدم عليه السلام وعرفه» بدل: «عرف بها آدم عليه السلام».

(٣) روى الطبري في «تفسيره» (٣/ ٥١٤) نحوه من قول ابن عباس وعطاء.

(٤) في (أ): «وكان» بدل: «وإن كان.

(٥) بعدها في (ر) و(ف): «فيه».

(٦) لفظ: «فيه» من (أ).

(٧) في (ر) و(ف): «وكانت».

(٨) في هامش (ر): «مقدار»، وعليها علامة الصحة.

وكان الواقفون بعرفةَ يُفيضون قبلَ غروبِ الشَّمس، وكان الواقفون بالمزدلفة يَدفعون إذا طَلَعت الشَّمس، فردَّهم اللهُ جلَّ جلالُه بنبيِّه ﷺ إلى ملَّة إبراهيم عليه السلام(١)، فوقفَ بعرفات، وأفاض منها بعد غروب الشَّمس، ودفعَ من المزدلفة قبلَ طلوعِ الشَّمس، ونزل القرآن بالإشارة إلى ذلك بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ﴾، وقولِه تعالى: ﴿فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ﴾، وقولِه تعالى: ﴿فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ﴾، وفيه دليلُ تَقدُّم(٢) الوقوف عليه، وهو ركنٌ، قال ﷺ: «الحجُّ عرفة»(٣)، فمن وقفَ بعرفة فقد تمَّ حجُّه؛ أي: أَمِنَ الفوتَ؛ فإنَّه لم يبق ركنٌ إلَّا الطَّوافُ بالبيت، وذلك لا يَفوتُ؛ فإنَّه يُقْضَى بعد أيَّامِ النَّحر، فأمَّا الوقوفُ بعرفة، فإنه إذا فاتَ يومُ عرفةَ وليلةُ النَّحر، فقد فات الحجُّ.

وقوله تعالى: ﴿فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ﴾ أي: صلُّوا لله تعالى، وهي المغربُ والعشاءُ جمعاً في وقتِ العشاء، وقولُه: ﴿عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ﴾ أي: المزدلفة، والمشعر: المعْلَم؛ أي: للعبادة، والشَّعائرُ: العلامات، والحرام: المحترمُ والمحرَّم، وكذا المسجدُ الحرام، والبيتُ الحرام، والشَّهرُ الحرام، وكذا الحرمُ؛ يَحِلُّ حرمتُها ولا يحلُّ هتكها.

ومنهم من حملَ قولَه تعالى: ﴿فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ﴾ على مطلقِ الذِّكر باللِّسان،

---

(١) «إلى ملة إبراهيم عليه السلام» سقط من (ف).

(٢) في (ر) و(ف): «تقديم».

(٣) رواه الترمذي (٨٨٩)، والنسائي (٣٠١٦)، وابن ماجه (٣٠١٥) من حديث عبد الرحمن بن يعمر رضي الله عنه.

والحملُ هاهنا على الصَّلاةِ أولى[١]؛ لأنَّ الذِّكرَ باللِّسانِ دَخلَ[٢] فيما ذُكَرَ بعده، وهو قوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمۡ﴾، فيُحمَلُ هذا على الصَّلاة؛ لزيادةِ الإفادة، والذِّكرُ يَجيءُ بمعنى الصَّلاة، قال تعالى خبراً عن سليمان عليه السلام: ﴿إِنِّيٓ أَحۡبَبۡتُ حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ عَن ذِكۡرِ رَبِّي﴾ [ص: ٣٢]؛ أي: آثرْتُ حبَّ الخيلِ[٣] على صلاة ربِّي، وقال تعالى: ﴿فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ [الجمعة: ٩]؛ أي: صلاة الجمعة.

وقوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمۡ وَإِن كُنتُم مِّن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾؛ أي: اذكروه بألسنتِكم على الوجوه[٤] الذي علَّمكم، وإنْ كنتُم لا تَهتدون إليه قبل ذلك، وهو قولُه تعالى: ﴿ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا﴾، وهو وصفُه بما يَليقُ به[٥]، ﴿وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا﴾ [الأحزاب: ٤١-٤٢]، وهو تنزيهُه عما لا يليقُ به.

وقيل: واذكروه بالشُّكرِ على ما هداكُم للدِّين الحقِّ، وقد كنتم قبل ذلك من الضَّالِّين عن الهُدى.

و«إن» كلمةُ تأكيدٍ بمعنى «قد»، واللامُ للتَّأكيد أيضاً.

وقيل: (إن) نفيٌ، واللام استثناء، أي: وما كنتم قبلَ ذلك إلَّا مِن الضَّالين، وهو كقوله تعالى: ﴿إِن كَانَ وَعۡدُ رَبِّنَا لَمَفۡعُولٗا﴾ [الإسراء: ١٠٨].

وقوله تعالى: ﴿مِّن قَبۡلِهِۦ﴾ أي: من قبلِ الهُدى، وهو ثابتٌ دِلالةَ قوله تعالى: ﴿كَمَا هَدَىٰكُمۡ﴾.

---

(١) في (ر) و(ف): «الأولى».

(٢) في (أ): «داخل».

(٣) في (ر) و(ف): «الخير».

(٤) في (أ): «الوجه».

(٥) بعدها في (ر): «كثيراً».

ومن حملَ الذِّكرَ الأوَّلَ على اللِّسان، فإنَّه يَقول: التَّكرار للتَّأكيد، ولأنَّ الأوَّل أمرٌ بالذِّكر، والثَّاني أمرٌ بالذِّكرِ وبيان السَّببِ الذي يُوجبُه، أو بيان صفتِه التي يُبتغى عليها، ولأنَّه أمرٌ بوصل الذِّكر بالذِّكر وبمداومة الشُّكر لتوالي الإنعام والبِرِّ.

* * *

(١٩٩) - ﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ ﴾ أي: ارجعوا يا قريش والحمس مِن عرفات كما يرجع سائرُ النَّاس منها، وهو أمرٌ بالوقوفِ بعرفات.

و﴿ ثُمَّ ﴾ ليس[1] للترتيب هنا[2]، فإنَّه ليس بعد[3] الوقوف بالمزدلفة، لكنَّه بمعنى «مع»، وأريد به العطف المطلق، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ۝١٢ فَكُّ رَقَبَةٍ﴾ إلى قوله عزَّ وجل: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [البلد: ١٢ - ١٧]؛ أي: مع ذلك كان مؤمناً.

وقيل: أراد بقوله تعالى: ﴿مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ﴾؛ أي: إبراهيمُ عليه السَّلام، وأولادُه، وأمَّتُه، ومتَّبِعوه؛ فإنَّهم كانوا غيَّروا ذلك، فرُدُّوا إلى الأصل.

وقوله تعالى: ﴿وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ أي: أفيضوا الآن كما أُمِرتُم[4]، واستغفرُوا[5] لِما سلفَ منكم، يَغفر لكم الله ويَرحمكم.

---

(١) لفظ: «ليس» من (ر).

(٢) «هنا» ليس في (أ) و(ف).

(٣) بعدها في (ر): «هذا».

(٤) «أي أفيضوا الآن كما أمرتم» من (أ).

(٥) في (ف): «واستغفروا الله»، وليست في (ر).

وقيل: إذا ذكرتُم اللهَ تعالى، ووصفتموه(١) بالطَّهارة، فاسألوا(٢) اللهَ تعالى لأنفسِكم الطَّهارةَ.

***

(٢٠٠) - ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا ءَاتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ﴾؛ أي: فإذا أتممتُم أمورَ حجِّكم.

وقوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَاءَكُمْ﴾(٣) أي: احمدوهُ وأثنوا عليه بما أنعمَ(٤) عليكم، كما تذكرون آباءَكم بإنعامٍ منهم يكون عليكم.

وقوله تعالى: ﴿أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ أي: بل أشدَّ ذكراً، فإنَّ نِعمَ الله تعالى غيرُ محصورةٍ، وقد ذكرنا لكلمة «أو» وجوهاً أخر عند قوله تعالى: ﴿أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾، وهذا على ذلك.

وقال القفَّال: ومجازُ اللُّغة في مثلِ هذا معروفٌ، يقول الرجلُ لآخر: افعل كذا إلى شهرٍ، ثم يقول: أو أسرعَ منه(٥)، لا يريد به التَّشكيك، وإنَّما يريدُ به النَّقلَ عن الأوَّل إلى ما هو أقربُ منه وقتاً.

---

(١) في (ر): «وصفتم الله».

(٢) في (ف): «فسلوا».

(٣) بعدها في (أ): «أو أشد ذكراً».

(٤) بعدها في (أ): لفظ الجلالة «الله».

(٥) في (ر): «به».

وقالوا: كانوا في الجاهليَّة في المواسم عند اجتماعِ النَّاس وتوافرِ القبائل، يتفاخرون بآبائهم، ويُعددون أيَّامَهم، ويَذكرونَ محاسنَهم، يريدُ كلُّ واحدٍ منهم الشُّهرةَ لنفسِه، والتَّرفُّعَ بمآثرِ سلفِه بعرفات ومنى وغير ذلك، قال جريرٌ يخاطِبُ الفرزدق:

ألـم تـر أنَّ اللهَ أخـزى مُـجـاشِـعـاً إذا ضـمَّ أحيـاءَ الحجيجِ الـمُعَرَّفُ[١]

وقال الفرزدقُ يخاطبُ جريراً:

وإنَّـك لاقٍ بالـمـشاعرِ مـن مِـنـى فخاراً فخبِّرنـي بمَـنْ أنْـتَ فاخِـرُ[٢]

فلمَّا جاء الإسلامُ نهاهُم اللهُ تعالى عن ذلك، وأمَرهم أنْ[٣] يَجعلوا بدلَ ذكرِهم آباءَهم ذكرَ اللهِ تعالى وتمجيدَهُ والثَّناءَ عليه بنعمِه؛ إذ الخيرُ كلُّه مِن عندِه، وآباؤهم عبيدُه، ونالُوا ما نالوا بإفضالِه.

وقال الحسن البصري رحمه الله: معناه: اذكروني كما يَذكُرُ الصَّغيرُ أباهُ، فإنَّه أول ما يَتكلَّمُ يقول: يا أب، يا أب، فعلى كلِّ مسلمٍ أن يقولَ على الدَّوام: يا رب، يا رب.

وقيل: اذكروني بالوحدانيَّة كما يَذكرُ الولدُ أباه، فإنَّه لا يَرضى بأنْ يُذكَر له أبوان، فلا يَنبغي للعبدِ أنْ يَسكُتَ إذا قيل: ربَّان.

وقيل لابن عباس رضي الله عنهما في هذه الآية: إنَّ الرجلَ ليأتي عليه زمانٌ ما يَذكُرُ أباهُ، قال: إنَّه ليس بذلك، ولكنَّه يقول: تغضبُ لله تعالى إذا عُصِيَ أشدَّ مِن غضبِك لوالدِك إذا ذُكِرَ بسوءٍ[٤].

---

(١) انظر: «ديوان جرير» (ص:٩٢٩)، وفيه: «أفواج» بدل: «أحياء»

(٢) انظر «شرح ديوان الفرزدق» (٢/ ٤٣٨)، وفيه: «بالمحصب» بدل: «بالمشاعر».

(٣) في (ف): «بأن».

(٤) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٣٥٥) (١٨٦٩).

وقوله تعالى: ﴿فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلْأٓخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾؛ أي: مِن الذين يَشهدون الحجَّ مَن يَسألُ اللهَ حظوظَ الدُّنيا، فيقول: يا ربَّنا أعطِنا في الدُّنيا؛ أي: الجاهَ والغِنى والنُّصرةَ على الأعداء، وما هو مِن الحظوظِ العاجلة.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا لَهُۥ فِي ٱلْأٓخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾ أي: نصيب، واختُلف فيهم أنَّهم مَن هم؟

قيل: هم الكفَّار؛ لأنَّهم كانوا يُعظِّمون البيتَ؛ فيَحجُّونَهُ[1]، ويَدعونَ بحوائجِ الدُّنيا دون[2] الآخرة، فإنَّهم كانوا يَجحدون البعثَ بعد الموت، فذكرَ[3] اللهُ تعالى أنَّه[4] لا حظَّ لهم في الآخرة ممَّا ينالُه المؤمنون مِن الجنَّة وأنواعِ الكرامة.

وقيل: هم المؤمنون الذين يَسألون الدُّنيا دون الآخرة، وهو ذنبٌ منهم؛ إذ سألوا اللهَ تعالى في أشرفِ المشاهدِ حُطَام الدُّنيا، وغَفَلوا عن نعيمِ[5] العقبى، وقولُه تعالى في حقِّهم: ﴿وَمَا لَهُۥ فِي ٱلْأٓخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾ أي: إلا أن يتوب.

وقيل: أي[6]: إلَّا أن يعفوَ اللهُ تعالى عنه.

وقيل: أي[7]: ليس له خَلاقٌ كخلاقِ مَن سأل اللهَ تعالى لآخرتِه.

---

(١) في (أ): «فيحجون».

(٢) في (ر) و(ف): «قبل».

(٣) في (أ): «فأخبر».

(٤) في (ف): «أنهم».

(٥) في (أ): «نعم».

(٦) لفظ: «أي» من (أ).

(٧) «أي» ليس في (ف).

(٢٠١) - ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾؛ أي: ومِن الذين يَشهدون الحجَّ مَن يَسألُ اللهَ تعالى خيرَ الدُّنيا والآخرةِ، والحفظَ مِن نار جهنَّم.

والحسنةُ كلمةٌ جامعةٌ لكلِّ الخيراتِ في الدَّارين، قال تعالى: ﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ﴾ [التوبة: ٥٠] هي الخِصبُ وسَعةُ الرِّزق، وقال تعالى: ﴿هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ﴾ [التوبة: ٥٢]، وهما الظَّفَرُ والشَّهادة.

وقال ثابت: قالوا لأنس: ادعُ لنا، فقال: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾، قالوا: زدنا، قال: سألتُ خيرَي[١] الدُّنيا والآخرة[٢].

وقال عكرمة: الحسنةُ في الدُّنيا: المرأةُ الصَّالحة.

وقال الحسنُ رحمه الله: الحسنةُ في الدُّنيا: الفقهُ والعبادة[٣].

وقال في روايةٍ: الحسنةُ في الدُّنيا: الرِّزقُ الطَّيِّبُ والعملُ الصَّالح، وفي الآخرة: الجنَّة[٤].

وقيل: حسنةُ الدُّنيا: التَّوفيقُ والعِصمةُ، وحسنةُ الآخرة: العفوُ والمغفرة.

---

(١) في (ف) و(أ): «لكم خير».

(٢) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٦٣٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٣٥٩) (١٨٨٦).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٥٤٥)، وابن أبي حاتم (٢/ ٣٥٨، ٣٥٩) (١٨٧٩)، (١٨٨٤).

(٤) رواه ابن أبي حاتم (٢/ ٣٥٨) (١٨٨٠) دون قوله: «وفي الآخرة الجنة»، ووردت هذه العبارة في الرواية التي قبل هذه.

وقال الشيخ الإمام أبو القاسم الحكيم(١): حسنةُ الدُّنيا: عيشٌ على سعادة(٢)، وموتٌ على شهادة، وحسنةُ الآخرة: بعثٌ مِن القبرِ على بشارة، وجوازٌ على الصِّراطِ على سلامة.

وقيل: الحسنةُ في الدُّنيا: العافية، وفي الآخرة: العفو.

وقوله تعالى: ﴿وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾؛ أي: احفظْنا مِن عذابِ جهنَّم، والوقايةُ تتعدَّى إلى مفعولَين، و﴿عَذَابَ﴾ مفعولٌ ثان.

* * *

(٢٠٢) ـ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ نَصِيبٞ مِّمَّا كَسَبُواْۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ نَصِيبٞ مِّمَّا كَسَبُواْ﴾؛ أي: هؤلاء الذين سألوا(٣) الحسنتين، لهم حظٌّ صالحٌ بما حجُّوا على الوجهِ، وسألوا على العلم.

وقيل: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ يرجعُ إلى الفريقين، ومعناه: لكلِّ واحدٍ منهم جزاءٌ على وفقِ عمله، وهو كقوله تعالى: ﴿وَلِكُلّٖ دَرَجَٰتٞ مِّمَّا عَمِلُواْ﴾ [الأنعام: ١٣٢].

---

(١) هو القاضي إسحاق بن محمد بن إسماعيل، الحكيم السمرقندي، تولى قضاء سمرقند أياماً طويلة، وحمدت سيرته، لقب بالحكيم لكثرة حكمته ومواعظه، كان شريك الشيخ أبي منصور الماتريدي، وصحبه إلى أن فرق الموت بينهما، وعنه أخذ الفقه والكلام، من مؤلفاته «الصحائف الإلهية»، و«السواد الأعظم» (طبع عدة مرات)، توفي سنة (٣٤٢هـ). انظر: «الأنساب» للسمعاني (٤/ ١٨٦)، و«الجواهر المضية في طبقات الحنفية» (١/ ٣٧١، ٣٧٤)، و«سلم الوصول إلى طبقات الفحول» لحاجي خليفة (١/ ٢٩٤)، و«الأعلام» للزركلي (١/ ٢٩٦).

(٢) في (ر): «بشارة».

(٣) في (أ): «سألوا هؤلاء» بدل: «هؤلاء الذين سألوا».

وقولـه تعالى: ﴿وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ فيه إشـارةٌ إلـى[1] الجزاء على الخير والشـرِّ جميعـاً، فيوافـقُ القولَ الـذي مرَّ أنه فـي الفريقين.

ثمَّ معناه عند بعضِهم: سريعُ الجزاء على الأعمال، و﴿ٱلْحِسَابِ﴾ يرادُ به نفسُ الجزاء على الأعمال[2]، قال تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا﴾ [الطلاق: ٨]، وهذا في الدُّنيا فكان جزاءً، ووجهُه أنَّ الحسناتِ[3] تكون مكافأةً من جهة الأخذِ والإعطاء، فإذا قال القائلُ: حاسبْتُ فلاناً؛ أي: أخذتُ منه ما كان لي عليه، وأعطيتُه ما كان له عليَّ.

وقيل: معنى ﴿سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ أنَّ[4] محاسبةَ الله تعالى عبادهُ آتيةٌ لا محالة، وما هو آتٍ فكأن قد.

وقيل: إنَّه سـريعُ الحسـابِ؛ لأنَّه[5] لا يَشـغلُه شـأنٌ عن شـأن، فيحاسِبُ الكلَّ جملةً.

وقيل: هو سريعُ الحساب؛ لأنَّه لا جحودَ يومئذٍ، فيؤتى كلُّ واحدٍ بكتابِه وفيه أعمالُه، وقد ظهرَ جزاؤه، فيُقضى عليه للحالِ بما يَستحقُّه.

* * *

(٢٠٣) ـ ﴿۞ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ ۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِى يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ لِمَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾.

---

(١) في (ف): «على».

(٢) قوله: «على الأعمال» ليس في (أ).

(٣) في (أ): «الحساب».

(٤) في (ر) و(ف): «أي».

(٥) في (ف): «فإنه».

وقوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡدُودَٰتٖ﴾ هي أَيَّامُ التَّشريقِ، وهي أَيَّامُ رميِ الجِمار، وهي ثلاثةٌ بعدَ اليوم العاشر من ذي الحجَّة[١]، وهو أمرٌ بالتَّكبير وغيرِه عند رميِ الجِمار فيها.

وقيل[٢]: هو أمر بالتَّكبير في أدبار الصَّلوات.

وقوله تعالى: ﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوۡمَيۡنِ﴾؛ أي: تعجَّلَ بالرُّجوع، واكتفى برميِ الجِمارِ في يومين من[٣] هذه الأيَّام الثَّلاثة، فلم يمكثْ حتى يَرمي في اليوم الثَّالث.

قوله تعالى: ﴿فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِ﴾؛ أي: لا يأثمُ بهذا التَّعجيل، وهو مرخَّصٌ له.

وقوله تعالى: ﴿وَمَن تَأَخَّرَ﴾؛ أي: رمى في الثَّلاثة الأيام، ثم رجع.

وقوله تعالى: ﴿فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ لِمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ يقال: إنَّه قال في المتعجل: ﴿فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِ﴾، ولم يقيِّدهُ بشرطِ التقوى، وقال في المتأخِّر: ﴿لِمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾، والأوَّل[٤] أخذَ بالرُّخصة، والثَّاني[٥] بالعزيمة، فكان اشتراطُ التَّقوى زيادةً على عمله هناك أولى، فلمَ جاء النص بخلافه؟

قلنا: معنى الأول: فلا إثمَ عليه بالتَّعجُّل[٦]، ومعنى الثاني: فلا يبقى عليه إثمٌ مِن آثام عمره إذا اتَّقى اللهَ تعالى في هذا الحجِّ، فإنَّه يُتقبَّلُ منه؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧]، والحجُّ المبرورُ يُكفِّرُ كلَّ ذنبٍ.

---

(١) في (أ): «من حجة الوداع» بدل: «ذي الحجة». ».

(٢) من قوله: «وهو أمر بالتكبير وغيره» إلى هنا من (أ).

(٣) في (ر): «أي: في» بدل: «من».

(٤) في (ف): «فالأول».

(٥) بعدها في (ر): «أخذ».

(٦) في (ر) و(ف): «بالتعجيل».

وقيل في نزوله: إنَّه كان يتعجَّل بعضُهم، ويتأخَّرُ بعضُهم، فيَعيبُ هذا على هذا، وهذا على هذا، فنزلَت الآيةُ أنَّه لا عيب على متعجِّل ولا على متأخِّر.

ثم قوله: ﴿لِمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ فيه ثلاثةُ أقاويل:

قال أبو العالية: أي: يَجيءُ يومَ القيامة ولا إثمَ عليه، إذا اتَّقى[١] فيما بقيَ مِن عمره، فلم يَرتكب ذَنباً[٢] بعد ما غُفِرَ له في الحجِّ[٣].

وقيل: لمن اتَّقى قبل الحجِّ، فحجَّ وهو مُتَّقٍ؛ فأمَّا المذنبُ المصِرُّ إذا حجَّ فلا يُقبَلُ منه.

وقيل: لمن اتَّقى محظوراتِ إحرامِه، فلم يُذنِب ذنباً في حجَّتِه[٤]، قال ﷺ: «من حجَّ ولم يرفث ولم يفسق، رجعَ كما ولدته أمه»[٥].

وقوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾؛ أي: في أوامره ونواهيه.

وقوله تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾؛ أي: تُبعثونَ وتُجمَعون وتُجزَون بما كنتم تعمَلون.

***

(٢٠٤) - ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ﴾.

---

(١) بعدها في (ر): لفظ الجلالة «الله».

(٢) في (ف): «دنساً».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٥٦٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٣٦٣) (١٩٠٨).

(٤) في (أ): «حجه».

(٥) رواه البخاري (١٥٢١)، ومسلم (١٣٥٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ انتظامُها بما قبلَها أنَّه ذكرَ فريقين يَشهدون الحجَّ؛ كفَّارٌ يسألون الدُّنيا، ومؤمنون يَسألون الآخرة، ثمَّ ذكر فريقاً ثالثاً، وهم المنافقون الذين ظاهرُهم مع هؤلاء، وباطنُهم مع هؤلاء.

وقوله تعالى: ﴿يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ﴾؛ أي: يَروقُكَ كلامُه وفصاحتُه.

وقال السُّدِّيُّ رحمه الله: نزلَت في الأخنسِ بن شَرِيقٍ الثَّقفيِّ؛ أقبلَ[١] إلى النبيِّ ﷺ، فأظهرَ له الإسلامَ، وكان له منظرٌ ولِسانٌ، فأَعجَبَ النبيَّ ﷺ ذلك، وقال: جئتُ أريدُ الإسلامَ، واللهُ يَعلمُ إنِّي لصادقٌ[٢]، وذلك قولُه تعالى: ﴿وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ﴾[٣]؛ أي: يَستشهِدُ بالله أنَّ ما يُضمِرُه موافقٌ لِما يُظهِرُه[٤]، فيقول: أشهدُ بالله إنِّي لمخلص.

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ﴾؛ أي: شديدُ المخاصمة؛ يقال: لَدَّ يَلُدُّ لَدداً فهو ألدُّ، من باب عَلِم، واللُّدُّ جمع الألدِّ، قال تعالى: ﴿قَوْمًا لُّدًّا﴾ [مريم: ٩٧].

و﴿ٱلْخِصَامِ﴾ مصدرُ قولِك[٥]: خاصمَهُ يُخاصِمُه مخاصمةً[٦] وخصاماً.

---

(١) في (ف): «جاء».

(٢) بعدها في (ر): «فأعجب النبي ﷺ».

(٣) رواه الطبري (٣/ ٥٧٢)، وابن أبي حاتم (٢/ ٣٦٤ ـ ٣٦٥) (١٩١٣)، (١٩١٧)، وانظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ٥٨).

(٤) في (أ): «يظهره موافق لما يضمره» بدل: «يضمره موافق لما يظهره».

(٥) في (ر): «قوله».

(٦) في (ف): «يخاصم».

والزَّجَّاجُ جعل الألف في الألد[١] للتَّفضيل، وجعل الخِصامَ جمعَ خصم[٢]؛ أي: هو ألَجُّ الخصوم، أي: أشدُّهم لجاجاً.

وقيل: الألندد واليلندد كالألد، واشتقاقُه مِن لَديدي العُنُق، وهما صفحتاه، ولديدا[٣] الوادي جانباه، ومعناه أنَّه هو الذي إذا أخذَ خصمُهُ في وجهٍ، قابلَهُ بوجهٍ[٤] آخر، فغلبَهُ وقهرَه.

* * *

(٢٠٥) - ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا﴾؛ أي: إذا رجعَ وأعرضَ عنك هذا المنافقُ، سعى في الأرض بالإفساد، وهو ما ذكرَ بعدَه، وهو قوله تعالى: ﴿وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ﴾ [البقرة: ٢٠٥]، قال السُّدِّيُّ رحمه الله: مرَّ على زرعِ مسلمٍ فأحرقَه، وعلى أتانٍ له فعقرَها[٥].

والحرثُ هو الزَّرعُ، وأصله الشَّقُّ، وقد حرثَ الحرَّاث؛ أي:[٦] شَقَّ الأرضَ وبذرَ فيها.

---

(١) في (ف): «ألد».

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٢٧٧).

(٣) في (ف) و(أ): «ولديد».

(٤) في (ر): «في وجه» بدل: «بوجه».

(٥) الذي فعل ذلك هو الأخنس بن شريق، رواه الطبري (٣/ ٥٧٢). وسلف بعضه قريباً.

(٦) في (ر) و(ف): «وقد» بدل: «أي».

والنَّسلُ: ما خرجَ مِن كلِّ أُنثى[١] من أجناس الحيوان، ومنه سُمِّيَ ما يخرجُ من الوَبَر والشَّعر نَسِيلاً[٢]، قال امرئ القيس:

وإنْ تـكُ قـد سـاءَتك منِّـي خـليقـةٌ فـسُلِّي ثيابـي مِـنْ ثيابِـك تَنْسُـلِ[٣]

أي: تَخرج[٤].

وقيل في قوله تعالى: ﴿يُعۡجِبُكَ﴾: إنَّ[٥] الأخنسَ كان حليفاً لبني زُهرة[٦]، وقال لهم يوم بدر: إنَّ محمَّداً ابنُ أختكم[٧]، فإن يكُ كاذباً كفاكُم ذؤبان العرب، وإن يك صادقاً كنتم أسعدَ الناس به، فارجعوا. فقالوا: نعم الرأي[٨] رأيت! قال: فإذا نُودِي في الناس بالرحيل، فإنِّي أنخنسُ بكم فاتبعوني، ففعلوا، فسُمِّيَ الأخنس[٩]، وكان اسمه أُبيَّ بنَ شَرِيق، فبلغ ذلك رسولَ الله ﷺ، فأعجبَه.

وقولـه تعالـى: ﴿فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾؛ أي: فـي أمـور الدُّنيـا، كمـا قـال تعالـى: ﴿يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ [الروم: ٧].

وقيـل في قولـه تعالى: ﴿لِيُفۡسِدَ فِيهَا﴾: هو إفسـادُ قلوبِ النَّـاس بالتَّلبيس وإدخالِ

---

(١) في (أ): «شيء».

(٢) في (ف): «نسلًا»، وليس في (ر).

(٣) انظر: «ديوان امرئ القيس» (ص: ١٣).

(٤) في (أ): «تخرج».

(٥) في (ر): «أي».

(٦) وقع في هامش (ف) ما نصه: «زهرة حي من قريش أي قبيلة».

(٧) في (أ) و(ر): «أخيكم»، والمثبت هو الصواب الموافق للمصادر.

(٨) في (ر) و(ف): «الذي» بدل: «الرأي».

(٩) روى الطبري نحوه في «تفسيره» (٩/ ٢٢٢)، وانظر أيضاً: «تفسير مقاتل» (١/ ١٧٨).

الشُّبَهِ، والمنافقون موصوفون بذلك في قوله تعالى[1]: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ الآية [البقرة: ١١].

وقوله تعالى: ﴿وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ﴾ قيل: هو نهايةُ وصفٍ له بالفساد، وهو في غاية الفصاحة، فإنَّ قيامَ الدُّنيا بما يَخرجُ مِن الأرض ومن الأنثى، فإذا انْقَطعا، خربت الدُّنيا، وهذا كما قال تعالى في وصف الجنَّة: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ﴾ [الزخرف: ٧١]، وهو نهايةُ ما في الجنَّة مِن النِّعمة، وقال تعالى: ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا﴾ [النازعات: ٣١]، وهو نهايةُ ما في الأرض من العطيَّة.

وقيل في قوله تعالى: ﴿وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ﴾: أي: يُهْلِكَ الأمَّهاتِ والأولاد، فإنَّ النساءَ حرثٌ.

وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾؛ أي: لا يَستحْسِنُه ولا يَرضاهُ.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ﴾؛ أي: إذا خُوِّفَ هذا المنافقُ بالله تعالى.

قوله تعالى: ﴿أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ﴾؛ أي: حملتهُ حميَّتُه وعزَّتُه في نفسِه على ردِّ[2] النُّصح، وإظهارِ الغضبِ، والإصرارِ على الفساد، ومنه قوله تعالى: ﴿فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾ [ص: ٢]؛ أي: حميَّةٍ وعداوة.

والباء على هذا صلةُ: ﴿أَخَذَتْهُ﴾، ولا فرقَ بين قولك: أخذتهُ بِكذا، وحملتْه على كذا.

وقيل: معناه: ﴿أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ﴾؛ أي: لَزمتهُ الحميَّةُ وعزَّةُ النَّفسِ، وتمَّ الكلام، كما

---

(١) بعدها في (ف): «ليفسد فيها».

(٢) في (ر) و(ف): «أداء»، وهو تحريف.

يُقال: أَخذَتْهُ الحُمَّى، ثمَّ قولُه تعالى: ﴿بِٱلْإِثْمِ﴾ أي: بسببِ الإثم الذي في قلبِه، وهو النِّفاقُ وحبُّ الفساد.

وقوله تعالى: ﴿فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ﴾؛ أي: كافيهِ دخولُ النَّار والخلودُ فيها؛ جزاءً على عملِه[1]، وهو وعيدٌ شديدٌ.

وقوله تعالى: ﴿وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾؛ أي: ولبئسَ ما مهدَ لنفسِه في الآخرة؛ أي: وطَّأ وهيَّأ. قبَّح بهذا فعلَه، وعجَّب عبادَه منه. والمِهاد في الأصل يُستعمَلُ في الخير، قال تعالى: ﴿فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾ [الروم: ٤٤]، لكن ذكر هذا للكافر بمقابلة ما ذُكرَ للمؤمن، وهو كالبِشارة، كما قال اللهُ تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٧]، وقال تعالى في مقابلته: ﴿بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [النساء: ١٣٨].

***

(٢٠٧) - ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾ لمَّا ذكر في قوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ﴾ واحداً مَذموماً من أعدائِه، ذكرَ في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ﴾ واحداً محموداً من أوليائه؛ ترغيباً للنَّاس، وترهيباً، وتعريفاً للنَّاس أنَّه لا يَجعلُ المسيءَ كالمحسن.

وقوله تعالى: ﴿يَشْرِى نَفْسَهُ﴾؛ أي: يبيعُها مِن الله تعالى يبتغي بذلك أنْ يكونَ ثمنُها رضى الله تعالى.

---

(١) في (ف): «ماعمله».

وبيعُه نفسَه لله تعالى: بذلُها في الطَّاعة والجهادِ لله عزَّ وعلا، وهذه استعارةٌ عن بذلِ النَّفسِ لله تعالى؛ رجاءَ ثوابِ الله تعالى عوضاً عنها، وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾ [التوبة: ١١١]، وقوله تعالى: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الصف: ١٠]، وقوله تعالى: ﴿يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ﴾ [فاطر: ٢٩].

وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾؛ أي: هو في غايةِ الرَّحمةِ بهم، ولهذا عوَّضَهُم النَّعيمَ المقيمَ على عملٍ[1] منقطع.

والآيةُ نزلَت في شأن صهيبٍ الروميِّ خرجَ من مكَّة يريدُ الهجرةَ إلى المدينة[2]، وهو يومئذٍ ابنُ مئة سنةٍ[3]، وكان معه كنانته وسهامُه[4]، فتبعَهُ أهلُ مكة ليأخذوهُ ويردُّوه، فقال لهم: إنَّكم لن تَصِلوا إليَّ ما بقيَ معي سهم ـ وكان رامياً مصيباً ـ، ولن ينفعَكم كوني فيكم، ولي مالٌ في داري، فارجعوا وخذُوه وخلُّوا عنِّي، ففعلُوا، وسارَ هو إلى المدينة، فقبلَ أن يصل إليها نزلَت هذه الآية، وأخبرَهُم رسولُ الله ﷺ بقدومِه، فاستقبلوهُ، وسبقهم عمر، وقال: يا صهيبُ، ربح البيع! وتلا عليه هذه الآية[5].

---

(١) في (ر) و(ف): «نعيم» بدل: «عمل».

(٢) في (ف): «النبي بالمدينة».

(٣) في المصادر أنه كان شيخاً كبيراً، ولم أقف على من عين عمره، لكن ذكر الحافظ ابن حجر في «الإصابة» (٥/ ١٦٣) عن الواقدي أن صهيباً مات سنة ثمان وثلاثين، وهو ابن سبعين.

(٤) في (ف): «وفيها سهامه».

(٥) أخرج نحوه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٣٦٨ ـ ٣٦٩) (١٩٣٩) عن سعيد بن المسيب، وأورده الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٥٨)، وفيهما أن قائل: «ربح البيع» رسولُ الله ﷺ. وذكر مقاتل نحو هذا الخبر في «تفسيره» (١/ ١٧٩)، والقائل عنده أبو بكر رضي الله عنه.

وقال قتادةُ: هم أصحابُ نبيِّ الله عليه الصَّلاة والسَّلام مِن المهاجرين والأنصار[١]، لمَّا رأوا المشركين يَدعون مع الله إلهاً آخر، قاتَلوا على دينِ الله تعالى، وشَروهُ بأنفسِهم[٢] غضباً له، وجاهدوا في سبيلِ الله حتَّى أظهرَ اللهُ جلَّ جلالُه دينَه.

* * *

(٢٠٨) - ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةً ﴾ قيل: هو[٣] خطابُ المنافقين؛ أي: يا أيُّها الذين آمنوا ظاهراً، ادخلوا في الإسلام[٤] جميعاً باطناً.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾؛ أي: وساوسَه في الإقامةِ على النِّفاق.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾؛ أي: يريدُ تخليدَكُم في النَّارِ بعداوتِه.

* * *

(٢٠٨) - ﴿ فَإِن زَلَلۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡكُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾.

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٤٢)، ومن طريقه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٥٩١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٣٦٩) (١٩٤٢).

(٢) في (أ): «أنفسهم» بدل: «بأنفسهم».

(٣) في (ف): «هذا» بدل: «قيل: هو».

(٤) في (ف): «السلم».

قوله تعالى: ﴿فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾؛ أي: مِلتُم عن الإخلاصِ، وثبتُّم على النِّفاق بعد ظهورِ الحجج.

وقوله تعالى: ﴿فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾؛ أي: يَنتقمُ منكم في الدُّنيا والآخرة، وهو حكمة منه، وتنتظمُ هذه الآية قصَّة[1] الأخنس.

وقيل: هو خطابٌ لأهل الكتاب؛ أي: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ ببعض الرُّسُل والكتب، ﴿ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً﴾؛ أي: آمِنوا بمحمَّدٍ وكتابِه، وادخلوا في الاستسلام[2] لله تعالى جميعاً على التمام، ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ في تحسينِه عندكم[3] الاقتصارَ على اليهوديَّة أو النَّصرانيَّة، ﴿إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ يريدُ أنْ تبقوا[4] في جهنَّم خالدين، ﴿فَإِن زَلَلْتُم﴾ أي: عدلتُم عن الإسلامِ وبقيتُم على اليهوديَّة أو النَّصرانيَّة، مِن بعد ما قامت البيِّناتُ على حقيقة الإسلام، ﴿فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾ لا يَمتنعُ عليه أخذُكم وتعذيبُكم، وهو ﴿حَكِيمٌ﴾ لا يَدعُ مجازاةَ المسيئين على إساءتهم.

وقيل: هو خطابٌ لِمَن آمنَ مِن أهل الكتابِ، مثل عبدِ الله بن سَلام وأصحابِه، وكانوا يَتمسَّكون ببعضِ شرائع التَّوراة؛ مِن السَّبتِ، وتحريمِ لحم[5] الإبل، وأشياءَ كانوا يَرون أنَّ الكفَّ عن ذلك[6] مباحٌ في الإسلام، وإنْ كان واجباً في شريعتِهم،

(١) في (ر): «بقصة».

(٢) في (ر): «الإسلام».

(٣) في (ر): «لكم»، وفي (ف): «عليكم».

(٤) في (ر): «تقعوا»، وفي (ف): «تكونوا».

(٥) في (أ): «لحوم».

(٦) في (ر): «عنها».

فثبتوا على ذلك، مع اعتقادهم حلَّها؛ استيحاشاً مِن مفارقةِ العادة، فقال اللهُ تعالى لهم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ واعتقدوا الإسلامَ، ﴿ٱدۡخُلُواْ﴾ في شرائعِ الإسلام كلِّها، ولا تتمسَّكوا بشيءٍ ممَّا نُسِخَ، ودَعوا ما ألِفتموهُ، ولا تستوحشوا مِن النُّزوعِ عنه، فإنَّه لا وحشةَ مع الحقِّ، وإنَّما هو مِن تَزيينِ الشَّيطان، فلا تتَّبعوه، فإنه يريد أن يُفسِدَ عليكم بهذه الوساوسِ إسلامَكم، ﴿ فَإِن زَلَلۡتُم ﴾؛ أي: زُلتُم عمَّا دخلتُم فيه، فاعلموا أنَّ اللهَ يَنتقمُ منكم، وهو حكمةٌ منه.

وقال الحسنُ وقتادةُ وجماعةٌ: هو خطابٌ للمسلمين المخلِصين[1]؛ أي: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ ظاهراً وباطناً بكلِّ الأنبياءِ والكتب، ﴿ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ ﴾؛ أي: اثبتُوا على الدِّين الحقِّ أبداً جميعاً، ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ ﴾ وساوسَ الشيطان فلا ترجعوا، ﴿ فَإِن زَلَلۡتُم ﴾[2] بعد وضوحِ الحُجَج لبلاءٍ ينالُكم في أبدانكم وأموالِكم في جهاد أعدائكم، ﴿فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ لا يَدع[3] نصرةَ دينِه، بل يأتي بغيرِكم ممَّن يَنصرُه ويتحمَّلُ الشَّدائدَ.

ويتَّصلُ هذا بما بعده إلى قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا يَأۡتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِكُمۖ مَّسَّتۡهُمُ ٱلۡبَأۡسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ﴾ الآية [البقرة: ٢١٤]، ويتَّصل به أيضاً قولُه تعالى: ﴿ هَلۡ يَنظُرُونَ ﴾؛ أي: أعداؤكم معاندون[4] قد لزمَتهُمُ الحُجَّة.

---

(١) أخرج عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٤٥)، ومن طريقه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٥٩٥) عن قتادة في تفسيرها: ادخلوا في الإسلام جميعاً. وأخرج ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٣٧٠) (١٩٤٩) عنه قال: ﴿فِي ٱلسِّلۡمِ﴾ يعني: في الموادعة.

(٢) في (أ) و(ف): «وإن».

(٣) في (ر): «لا يضره» بدل: «لا يدع».

(٤) في (ف): «المعاندون».

والسلم بالفتح والكسر لغتان في الصُّلح والاستسلامِ والإسلام، كالحَجِّ والحِجِّ، والرَّطْلِ والرِّطل.

وقيل: بالفتح: الإسلام، وبالكسرِ: الصُّلح.

وقال الفرَّاء على عكسِه[1].

و﴿كَآفَّةً﴾ معناه: جميعاً، قال الزَّجاجُ رحمه الله: هو من الكف؛ أي: المنع[2]، ومعنى ﴿كَآفَّةً﴾[3] أي: مجتمعين عليه، مانعاً بعضُكم بعضاً أن يخرجَ منه.

ثمَّ[4] على القول الذي هو خطابٌ للمنافقين، يكون حالاً للمخاطبين؛ أي: جميعاً كلُّكم.

وعلى القول الثاني الذي هو خطابٌ لأهل الكتاب، يمكن أن[5] يكون حالاً للسِّلم؛ أي: في كلِّ الاستسلام.

وكذا على القولِ الثالث أنَّه لِمَن أسلمَ مِن أهل الكتاب؛ أي: في كلِّ شرائعِ الإسلام.

وعلى القولِ الرَّابعِ يصحُّ على الوجهين.

***

---

(١) ذكر الفراء في «كتاب في لغات القرآن» (ص: ١٣١) أن أهل الحجاز يقولون في الصُّلح: السَّلم؛ بالفتح، وأن بني قيس يقولون: السِّلم؛ بالكسر.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٢٧٩).

(٣) في (ف): «الكافة».

(٤) «ثم» من (ر).

(٥) قوله: «يمكن أن» من (ف).

(٢١٠) ـ ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ﴾ أي: ما ينتظرون؟ ﴿هَلْ﴾ استفهامٌ بمعنى الجحد، وكذا كلُّ «هل» بعدَه «إلا»، ونظر بمعنى انتظر، كما في قوله تعالى: ﴿ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾ [الحديد: ١٣]، وقوله تعالى: ﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾ [يس: ٤٩]؛ أي: ما ينتظرُ أهلُ مكَّة إذا[1] لم يدخلوا في السِّلمِ كافَّةً، ولم يُؤمِنوا بمحمَّدٍ خاتَم النبيِّين، وبكتابِه آخر الكتب، وقد وَضَحَت الآياتُ، وقامتِ البيِّناتُ، إلَّا ما لا يكون، وهو إتيانُ الله تعالى؛ فإنَّه مستحيلٌ على ما يُعرَفُ مِن إتيان الأجسام.

وقوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾[2] أي: هم يتوقَّعون المحال، وهو كسلطانٍ يَدعو أحداً برسولٍ يَبعثُه إليه، فلا يجيء، فيقول هو: ما يَنتظرُ إلَّا إتياني بنفسِي لدعوتِه! أي: هو يتوقَّعُ ما لا يكون[3]، وقد قال اللهُ تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ﴾ إلى أن قال تعالى: ﴿أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٩٢].

وقيل: معناه: ما يَنتظرون إلَّا أنْ يأتيَهُم اللهُ تعالى بظُلَل مِن الغَمام فيها العذاب، فيهلكَهُم بها، كما فعلَ بقومِ يونسَ، وقوم عادٍ، وقوم شعيبٍ، قال الله تعالى: ﴿فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ﴾ [الشعراء: ١٨٩]؛ أي: قد قامت الحُجَجُ، فلم يَبق إلَّا نزولُ العذاب، و﴿فِى﴾ بمعنى الباء، كما في قوله تعالى: ﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ [طه: ١٣١]؛ أي: به، ولا يجوزُ حملُه على الإتيان الذي هو الانتقالُ المكانيُّ؛ لأنَّ اللهَ تعالى خالقُ كلِّ مكان، ومنزَّهٌ عن الانتقال مِن مكانٍ إلى مكان؛ لأنَّه كان ولا مكان، وهو اليومَ على

---

(١) في (ر): «إذ».

(٢) «وقوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾» ليس في (أ).

(٣) في (أ): «يتوقع».

ما[1] كان، كذا رويَ عن عليٍّ رضي الله تعالى عنه، أنَّه[2] سئل: أين كان اللهُ تعالى قبل خلق السَّموات والأرض؟ قال: «أين» سؤالٌ عن المكان، وكان اللهُ تعالى ولا مكان، وهو اليومَ على ما كان[3].

وقال الكلبيُّ رحمه الله: هذا من المكتوم الذي لا يفسَّر[4].

وقال الحسن رضي الله عنه: أي: يأتيهم أمر الله تعالى، وهو القيامة، قال الله تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ١]؛ أي: هو بأمرِه، ودلَّ على هذا التَّقديرِ قولُه تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ﴾ [الأنعام: ١٥٨].

ثمَّ ليس إطلاقُ لفظ المجيء والإتيان في كل موضعٍ يَقتضي الانتقالَ المكانيَّ، فإنَّه يُقال: أتانا خبرُ فلانٍ، أو أتانا[5] أمرٌ فظيعٌ، وكذا أجمعت[6] الأمة في قوله تعالى: ﴿فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟﴾ [الحشر: ٢] في حقِّ حصن بني النضير، وفي قوله تعالى: ﴿فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ﴾ [النحل: ٢٦] في قصةٍ مخصوصةٍ = أنَّه لم يكن إتيانَ انتقالٍ، فكذا في كلِّ آية، وهذا لأنَّ اللهَ تعالى قال في الآية المحكمة: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، فلم يجز تشبيهه بشيءٍ من خلقه.

---

(١) بعدها في (ف): «عليه».

(٢) لفظ: «أنه» من (أ).

(٣) لم أقف عليه.

(٤) في (ر) و(ف): «لا تفسير له» بدل: « لايفسر». والأثر ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢/ ١٢٩) من قول يحيى! والظاهر أنه محرف عن الكلبي، وأورده أبو الليث في «تفسيره» (١/ ١٩٧) من رواية أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما. وهذا إسناد تالف.

(٥) في (أ): «وأتى» بدل: «أو أتانا».

(٦) في (ف): «اجتمعت».

والانتقالُ مِن صفات الأجسام، ومِن أمارات العجزِ والحدوث، والله تعالى منزَّه عن ذلك، ولأنَّ انتقالَ المنتقلِ مِن مكانٍ إلى مكانٍ لأحد شيئين؛ إمَا لحاجةٍ[1] إلى ما يَنتقلُ إليه، أو لملالةٍ عمَّا يَنتقلُ عنه، والله تعالى منزَّهٌ عن ذلك.

وقوله تعالى: ﴿فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ﴾ جمع ظُلَّة، وهي السُّترةُ، ومعناها القطعةُ منه، والغَمَامُ: السَّحاب.

وقيل: هو شيءٌ كالسَّحاب، وليس بسحابٍ، تأتي فيه الملائكةُ يومَ القيامة، قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ﴾ [الفرقان: ٢٥].

وقوله تعالى: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ أي: وتأتي الملائكةُ، ويَجوزُ وصفُهم[2] بالإتيان، والمراد به حضورُهم يومَ القيامة للحساب مع الخلق.

وقوله تعالى: ﴿وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾ أي: فُرِغَ مِن حساب الخلقِ، وهو ماضٍ بمعنى المستقبل، وفي القرآنِ مِن ذلك كثيرٌ مِن[3] أمور الآخرة.

وقال عطاءٌ رحمه الله: ﴿وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾؛ أي: انقضَت الدُّنيا.

ثم هو فعلُ ما لم يسمَّ فاعلُه، وفاعلُه هو اللهُ في الحقيقة.

وقوله تعالى: ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾؛ أي: مرجعُ الأمور في الخَلْقِ وأعمالِهم إلى الله تعالى، هو القاضي بينهم يومَ القيامة، والمثيبُ، والمعاقِبُ.

* * *

---

(١) في (أ): «لحاجته».

(٢) في (ر): «وصف الملائكة» بدل: «وصفهم».

(٣) في (أ): «في».

(٢١١) - ﴿سَلْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍۗ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿سَلْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍ﴾؛ أي: سل يا محمَّدُ هؤلاءِ الموجودين؛ من[1] في عصرِك مِن رؤساء بني إسرائيل، وهم اليهودُ الذين[2] خاطبَهم بقوله: ﴿ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً﴾ [البقرة: ٢٠٨].

وقوله: ﴿كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم﴾ ﴿كَمْ﴾ كلمةُ تكثيرٍ، وقولُه تعالى: ﴿ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍ﴾؛ أي: كم[3] جئناهم بآيةٍ واضحةٍ، لا يَخفى على[4] المفكر أنَّها مِن عند الله؛ كفلق البحر لهم، وتغريق آل فرعون، وإنزال المنِّ والسَّلوى، وغيرِ ذلك، وهو كقوله تعالى: ﴿ءَاتِنَا غَدَآءَنَا﴾؛ أي: ائتنا به.

وأضمر هاهنا: فبدَّلوها، يدلُّ عليه قولُه تعالى: ﴿وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ﴾ وتبديلُهم إيَّاها: كفرُهم بها، وتركُهم الشُّكر عليها.

وقولُه تعالى: ﴿جَآءَتْهُ﴾ دلَّ على أنَّ المرادَ بقوله: ﴿ءَاتَيْنَٰهُم﴾؛ أي: آتيناهم بها، وهذا التبديلُ كالذي ذُكِرَ في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا﴾ [إبراهيم: ٢٨].

وقيل: معناه: كم أعطيناهم في كتابِهم مِن آيةٍ دالَّةٍ على صدق نبوَّتك، فكتَموها، وكفروا هذه النِّعمة؟! وهذه الآياتُ والدَّلائلُ نعمةٌ مِن الله تعالى؛ لأنَّه يُهتَدى بها.

---

(١) لفظ: «من» من (ف).

(٢) في (أ): «والذين».

(٣) لفظ: «كم» من (ف).

(٤) في (ر) و(ف): «عن».

ويجوزُ أن يكونَ أرادَ بالنِّعمةِ دينَ الإسلام، وتبديلُهم إيَّاها: كفرُهم.

ويجوزُ أن يكونَ المرادُ بالنِّعمة محمَّداً ﷺ، قال اللهُ تعالى: ﴿ يَعۡرِفُونَ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا ﴾ [النحل: ٨٣].

وإنَّما خصَّ بني إسرائيلَ بالسُّؤال عنهم لوجهين:

أحدُهما: لزيادة اليقين[١] للصحابة إذا سمِعوا مِن علماءِ بني إسرائيلَ ما يُوافِقُ خبرَ نبيِّهم.

والثاني[٢]: لزيادة الحجَّة على مَن لم يُؤمِن مِن بني إسرائيل، وهذا على قولِ مَن يقول: إنَّ الأمرَ بالسُّؤال كان من عبدِ الله بنِ سَلام وأصحابِه الذين أسلموا.

وقيل: لم يرد به حقيقةَ السؤال، ومن المعتاد إذا أراد الواحدُ منَّا توبيخَ أحدٍ[٣]، وأن يُلزِمَهُ الحجَّةَ، ويُبيِّنَ كفرانَه النِّعمةَ، ويُوقِعَ به النِّقمة، يقول[٤] لمن حضره: سَلْهُ كم أنعمتُ عليه، وكم حذَّرتُه، لا يريدُ به حقيقةَ السُّؤال، لكن يريد به ما قلنا.

وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ لِمن بدَّلَ النِّعمةَ في الدُّنيا والآخرة، وقد عاقَبهم في الدُّنيا بالقتل، وذلك في بني قريظة، وبالإجلاء، وذلك في بني النَّضير، ويوم القيامة يُعذَّبون في السَّعير.

* * *

---

(١) في (أ): «يقين».

(٢) من هنا خرم في النسخة (ف)، ينتهي عند قوله: «أوصله إليه بسهولة» ضمن تفسير الآية (٢١٩) من هذه السورة.

(٣) في (ر): «آخر».

(٤) في (ر): «بقوله».

(٢١٢) ـ ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

وقوله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ أي: إنَّما بدَّلوا نعمةَ الله تعالى لـمَّا زُيِّن لهم هذه الحياة الدُّنيا الفانية، وهو فعلُ ما لم يُسمَّ فاعلُه، وتكلَّموا في فاعله:

قيل: اللهُ تعالى زيَّنها لهم؛ إذ خلقها شهيَّةً لذيذةً؛ ابتلاءً لعباده، قال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ﴾ [الكهف: ٧]، وقد جعل اللهُ تعالى الدُّنيا دارَ ابتلاءٍ وامتحان، فركَّبَ في الطبائع الميلَ إلى اللَّذات[١]، وحبَّ الشهوات، لا على معنى التَّسخيرِ الذي لا يُمكِنُ الامتناعُ عنه[٢]، لكن على معنى التَّحبيبِ الذي تَميلُ إليه النَّفسُ مع إمكان ردِّها عنه؛ ليَتِمَّ بذلك الامتحانُ، وليُجاهِدَ العبدُ نفسَهُ، ويطيعَ ربَّه، ويَرفعَ قَدْرَهُ.

وقيل: المزيِّنُ هو الشيطان لعنه الله، قال تعالى خبراً عنه: ﴿لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الحجر: ٣٩]، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَعْمَـٰلَهُمْ﴾، وهو بالوسوسَة.

وقيل: التزيينُ مِن غُواتِهم ورؤسائِهم، هم زيَّنوها لهم، وحثُّوهم على طلب الدُّنيا، والحرصِ عليها، وطلبِ لذَّاتِها، وأوهموهم أنَّه لا صحَّة لما يَدعو إليه النبيُّ عليه الصَّلاة والسَّلامُ مِن أمرِ الآخرة، وذلك أنَّهم كانوا لا يُؤمنون بالمعاد، ويقولون: إنْ هيَ إلَّا حياتُنا الدُّنيا، وكانوا يَسخرون بذلك مِن المؤمنين.

وذلك قوله تعالى: ﴿وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾؛ أي: يَهزؤون، ويقولون: تركوا

---

(١) في (أ): «اللدنيا» بدل: «اللذات».

(٢) بعدها في (ر): «ليتم ذلك».

لذَّات الدُّنيا، وعذَّبوا أنفسَهم بالعبادات، وفوَّتوا الرَّاحاتِ مِن غير نفعٍ يكون لهم اليوم أو غداً، فأخبر اللهُ أنَّهم قد حصَّلوا بذلك لأنفسِهم نِعمَ الآخرة وكراماتِها.

وذلك قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ﴾؛ أي: يكونُ المؤمنون في علِّيِّين، والكفَّار في سجِّين، وكانوا في الدُّنيا منهم يضحكون، وغداً المؤمنون منهم يضحكون، على الأرائك ينظرون.

وقيل: السَّاخرون هم علماء اليهود لِضَعفةِ المسلمين.

وقيل: المنافقون للمُخلِصين.

وقيل: هم المشركون من المسلِمين، وهم أبو جهل وأمثالُه من كفَّار مكَّة لعنَهم الله.

وقيل: معنى قوله تعالى: ﴿فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ أي: في الحجَّة؛ لزوال الشُّكوكِ عن الكفَّار في حياتهم في الدُّنيا على الباطل، وفي حياةِ المؤمنين على الحقِّ.

وقولُه تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ قيل: في الدُّنيا؛ مَن يشاء مِن مؤمنٍ وكافرٍ بغيرِ تقدير.

وقيل: المؤمنين[1] في الآخرة رزقاً واسعاً كافياً، لا فناءَ له ولا انقطاعَ ولا مضايقةَ، قال تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ يُرۡزَقُونَ فِيهَا بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ [غافر: ٤٠]، ومَن أعطى شيئاً جُزافاً لا تقديرَ فيه، فهو بغير حساب، وكذا ما لا انقطاعَ له أبداً، فلا حساب له.

وقيل: أي: يُعطِيهم في الجنَّة، مِن غيرِ محاسبةٍ لهم على طاعاتِهم؛ ليعطيهم بقدرها، بل تفضُّلاً منه بالكثير، قال تعالى: ﴿لِيُوَفِّيَهُمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦٓ﴾

(١) في (أ): «المؤمنون».

[فاطر: ٣٠]، ولا يناقضه قولُه تعالى: ﴿عَطَآءً حِسَابًا﴾ [النبأ: ٣٦]؛ لأنَّ ما كان جزاءً للعمل، فهو حسابٌ له، وما كان فضلاً على ذلك مِن الله تعالى، فلا حساب له.

وقال الحسنُ: أي: يُعطي ولا يُنْقِصُ ممَّا عندَه ما أعطى منه، فلذلك ليس فيه حساب، إنَّما الحسابُ فيما إذا[1] أعطِيَ منه نقص، كإعطاء الإنسانِ ألفاً من ألفين، أو عشرة من مئة.

وقيل: أي: يعطي الكثيرَ، ولا يُطالِبُ عليه بجزاءٍ ولا مكافأة، فلا يكونُ المعطِي محاسِباً للمعطَى له بشيءٍ.

وقال الضَّحَّاك: أي: لا يُحاسِبُ نفسَهُ بما يُعطِي[2] العباد[3]، معناهُ أنَّ الواحدَ منَّا قد يُثِيبُ مقدارَ ما يُعطِي فيَقِفُ عليه، فإذا انتهى حيث يُنقِصُهُ العطاءُ، ويَتضرَّرُ به، أو لا يأمنُ معه الإعدامَ، أمسَكَ، والله تعالى لا تفنى خزائنه.

وقيل: ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ أي: لا يحاسبُه أحد فيقول له: لم أعطيت؟[4]

وقيل: ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾؛ أي: بغير حسابِ العبد، يقولُ الرَّجلُ إذا جاءَه ما لم يكن في ظنِّه: لم يكن هذا في حسابي، فيجوزُ أن يكون معناهُ أنَّ الكفَّار يَسخرون مِن فقراءِ المسلمين، وعسى اللهُ أنْ يَرزقَ هؤلاءِ ما يُغنيهم، وقد فعلَ ذلك بهم بما أفاءَ عليهم مِن أموالِ بني قريظة وبني النَّضير، وبما فتحَ على رسولِه وبعد[5] وفاتَه على أصحابِه، حتى ملكوا كنوزَ الملوك.

---

(١) لفظ: «إذا» من (أ).

(٢) في (أ): «أعطى».

(٣) بعدها في (ر): «منه».

(٤) هذا القول ليس في (ر).

(٥) في (ر): «بعد» دون واو.

(٢١٣) ـ ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

وقوله تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ ذكرَ الكفَّارَ وسُخريتَهم مِن المؤمنين، فصاروا قسمين، ثمَّ أخبرَ أنَّهم كانوا في الأصل قِسماً واحداً.

وفي الآية ثلاثةُ أوجه:

قيل: كان النَّاس مجتمعين على الدِّين الحقِّ في عهد آدم عليه السلام، وهو قول قتادة[1].

وقيل: في عهدِ نوحٍ بعد هلاكِ الكفَّار إلى وقت صالحٍ وهود[2]، وهو قولُ ابن عباس رضي الله عنهما، ثمَّ اختلفوا، فبعثَ اللهُ تعالى الرُّسل.

وقيل: كانوا مجتمعين على الكفرِ في زمن إبراهيمَ صلوات الله عليه، وهو روايةٌ عن ابن عباسٍ[3]، وهو قولُ الحسن رضي الله تعالى عنه، ويُرادُ به الغالب؛ فإن الصَّحيحَ أنَّ اللهَ تعالى لا يُخلِي الدُّنيا عن داعٍ إلى الحقِّ.

وقيل: كانوا مجتمعين على غير دينٍ مشروع، وهو روايةُ عطاء عن ابن عباس

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٤٤)، ومن طريقه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٦٢١)، وابن أبي حاتم (٢/ ٣٧٦) (١٩٨٥).

(٢) «وهود» ليس في (أ).

(٣) انظر «تفسير الثعلبي» (٢/ ١٣٣).

رضي الله عنهما، وقوله تعالى: ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ﴾[١]: فبعث اللهُ تعالى الرُّسلَ بالدِّين الحقِّ[٢].

ثمَّ في قولِه تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَٰنِ﴾ [الزخرف: ٣٣] هذا في الكفر، وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا﴾ [يونس: ١٩] هذا على الإسلام.

وأصل الأمَّةِ في اللُّغةِ: القومُ المجتمعون على الشيءِ، يَقتدي بعضُهم ببعض، وهو مأخوذٌ من الائتمام، وقد[٣] يجتمعون على الحقِّ، وقد يجتمعون على الباطل، وأمَّةُ محمَّدٍ ﷺ هم المقتدونَ به، المجتمعون على الحقِّ.

ويقال أيضاً للذين بُعِثَ فيهم محمَّدٌ ﷺ: أمَّتُه، وهم أمَّةُ دعوتِه، لجمعِ الدَّعوةِ إيَّاهم إلى أن تفرَّقَ بهم الإجابة.

وفي مصحف عبد الله بنِ مسعودٍ رضي الله عنه: (كان النَّاسُ أمَّةً واحدةً فاختلفوا فبعث الله النبيين)[٤]، وهذا يدلُّ على أنَّهم كانوا على الحقِّ، ويدلُّ عليه ما بعده: ﴿وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾، وتقديرُه: كان النَّاسُ في أوَّلِ أمرِهم مجتمعين على الحقِّ، فاختلفوا بعد ذلك، فأَوجَبتِ الحكمةُ بعثَ النَّبيِّين لتعريف الدِّين الحقِّ.

وقوله تعالى: ﴿مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾؛ أي: ليبشِّروا مَن أطاع بالجِنان، ولِيُنذروا مَن عصى بالنِّيران.

---

(١) «وقوله تعالى: ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ﴾» من (ر).

(٢) لفظ: «الحق» من (أ).

(٣) في (ر): «وقيل».

(٤) ذكرها الطبري في «تفسيره» (٣/ ٦٢١)، والكرماني في «شواذ القراءات» (ص: ٨٩).

وقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾؛ أي: الكُتُب، واسمُ الجنسِ يَصلُحُ للجمع.

وقوله تعالى: ﴿بِٱلْحَقِّ﴾؛ أي: لبيانِ الحق.

وقيل: أي: بالعدل.

وقوله تعالى: ﴿لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾ أي: ليحكمَ الكتابُ بينهم؛ أي: يكونَ مرجعاً لهم، محفوظاً بينهم، يتلونَهُ ويَقفون على أحكام الشَّرعِ بما فيه، مع بعدِهم عن النَّبيِّ المبعوث فيهم، وبعد فقدِهم ذلك النبيَّ عليه الصَّلاة والسَّلام، فيما اختلفوا فيه مِن أمرِ الدِّين.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ﴾؛ أي: وما اختلفَ في الحقِّ المختلفون فيه قبل مجيءِ النَّبيين إلَّا الذين كانوا أوتوا الحقَّ وجاءَتهُمُ البيِّناتُ، إلَّا أنَّهم تَباغَوا وتَحاسدوا؛ طلباً للرئاسةِ وميلاً إلى الدُّنيا، كما فعل قابيلُ بهابيل، وما قتلَه لإشكالِ الحقِّ عليه، وقصورِ البيانِ عنه، بل حسَداً منه على أخيه[1] وبغياً، وهكذا في كلِّ عصرٍ، وهذا[2] فعلُ الرُّؤساءِ، ثمَّ العامَّةُ أتباعٌ لهم، وفعلُهم مضافٌ إليهم، قال تعالى: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ [العنكبوت: ١٣]، فتبيَّن أنَّ الاختلافَ في الحقِّ أمرٌ متقادِمٌ في الأسلاف[3]، ويجري عليه الأخلاف[4].

و﴿بَغْيًۢا﴾ مفعولٌ له متَّصِلٌ بقوله تعالى: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ﴾ وهو مقدَّمٌ على قوله تعالى: ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾.

---

(١) في (ر): «لأخيه».

(٢) في (ر): «وهكذا».

(٣) في (ر): «الإسلام».

(٤) في (ر): «الاختلاف».

وقال الفرَّاء: للاختلاف معنيان؛ **أحدهما**: التَّبديل، **والثاني**: كفرُ بعضِهم بكتاب بعض[1].

وقوله تعالى: ﴿أُوتُوهُ﴾ أي: الحقَّ، وقيل: أي: الكتابَ، وقد سبقَ ذكرُ كلِّ واحدٍ منهما.

وقوله تعالى: ﴿فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ أي: فهدَى اللهُ تعالى المؤمنينَ لما اختلفَ فيه المختلفون؛ أي: لمعرفةِ الحقِّ ممَّا اختلفوا فيه، أو لتَصحيحِ ما اختلفُوا فيه[2]، فحذِفَ لدلالةِ الكلام عليه.

ودخول ﴿مِنَ﴾ في قوله تعالى: ﴿مِنَ الْحَقِّ﴾ لبيان الجنس؛ لأنَّهم مختلفون في أمورٍ كثيرةٍ، كقوله تعالى: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ﴾ [الحج: ٣٠].

وقوله تعالى: ﴿بِإِذْنِهِ﴾ قيل: بأمرِه؛ أي: أمرَهم بما هو الحقُّ، فكان ذلك هدايةً وإرشاداً إلى الحقِّ.

وقيل: هداهم؛ أي: خلقَ فيهم فعلَ الاهتداء، وذلك بإذنِه؛ أي: بعلمِه، قال تعالى: ﴿فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [البقرة: ٢٧٩]؛ أي: اعلموا. ومعناه: هداهُم وقد علمَ استحقاقَهم لذلك بقصدِهم واختيارِهم الحقَّ، أو يكون صلةً للاختلاف؛ أي: اختلفوا في الحقِّ وهو يعلمُه.

وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ بيَّنَ أنَّ مشيئتَه خاصَّةٌ في الهداية، وليست كما تقولُ المعتزلةُ: إنها عامَّةٌ للخلق.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ١٣١).

(٢) قوله: «أو لتصحيح ما اختلفوا فيه» ليس في (أ).

وعندنـا الهدايـةُ التي هي خَلْـقُ الاهتداءِ خاصَّـةٌ، والتي هي البيـان[١] عامَّةٌ، وللآيةِ وجـوهٌ أُخَرُ مرويَّةٌ عن السَّـلف:

قـال مجاهـد: كان النـاس أمَّةً واحـدةً؛ يعني: آدمَ وحـدَه، ثمَّ خلق حوَّاء، ونَشـرَ منهما النَّاس[٢].

وقال محمَّدُ بنُ إسحاق رحمه الله: كان أولادُ آدمَ لصُلبِه مجتمعينَ على الإسلام؛ فاختلفوا حين قتلَ قابيلُ هابيلَ، وما اختلفَ فيه إلا الذين أوتوا العلمَ، وهو قابيل؛ أمرَهُ أبوهُ أنْ يُنْكِحَ أختَه[٣] هابيل، فأبى ذلك.

وقال مقاتل: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ﴾ وهم أهلُ سفينةِ نوحٍ عليه السلام على ملَّةِ الإسلام، ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ﴾ تعالى ﴿ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ إبراهيمَ وإسماعيلَ وإسحاقَ ولوطاً عليهم السَّلام، ﴿مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ صحفَ إبراهيم؛ ﴿لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ فدعا بها إبراهيمُ وإسحاقُ قومَهما، ودعا بها إسماعيلُ جُرهماً، فآمنُوا به، ودعا بها يعقوبُ أهلَ مصر، ودعا بها لوطٌ أهلَ سدوم وعامورا وصبوابرهم ودادوما[٤]، فلم يُسلِم منهم غيرُ ابنتَيه زعورا وريثا[٥]، ﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ﴾ أي: في الدِّين إلَّا الذين أعطوا الكتابَ ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ﴾ أي: تَفرَّقوا حسداً منهم، فهَدى اللهُ الذين آمنوا للتَّوحيد[٦].

---

(١) في (ر): «للبيان».

(٢) «تفسير مجاهد» (ص: ٢٣١)، وأخرجه عنه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٦٢٢).

(٣) في (ر): «أخت».

(٤) في (ر): «وصنوائيم... »، وفي «تفسير مقاتل»: «وصابورا ودمامورا».

(٥) في (ر): «وزيتا». واسمهما في «تفسير مقاتل»: «ريتا وزعوتا».

(٦) «تفسير مقاتل» (١/ ١٨٢).

وروى عطاءٌ عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما أنَّه قال: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ لم[1] يكن لهم دين، مثل البهائم، فبعثَ اللهُ تعالى النَّبيين[2] وأنزل الكتب، وأعطى محمَّداً ﷺ القرآنَ فيه مجامعُ الكلام، وفيه بيانُ كلِّ شيء.

﴿وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ المهاجرينَ والأنصار.

وروى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: «كتبَ اللهُ تعالى الجمعةَ على مَن كان[3] قبلنا، فاختلفوا فيها، فهدانا الله عزَّ وجلَّ لها، فالناس لنا تبعٌ[4]؛ اليهود والنَّصارى»[5].

وقال الحسنُ رحمه الله: كان النَّاسُ ضُلَّالاً؛ أي: العامَّة، إلَّا خواصَّ[6] من أهل الحجَّة، وذلك من وفاةِ آدمَ إلى مبعث نوحٍ عليهما السَّلام، وبعثَ اللهُ تعالى النَّبيِّين[7]، فاختلفوا، فآمنَ بعضٌ، وكفرَ بعض، فهدى اللهُ الذين آمنوا، فمَضى حكمُ الله تعالى أنَّ مَن أرادَ الهُدى وتمسَّك به، لم يمنعْهُ اللهُ تعالى إيَّاه، وأعانَهُ عليه، وإنَّما يهتدون بإذن اللهِ تعالى.

وقال ابنُ كيسان: كان قومُك يا محمَّدُ أمَّةً واحدةً على الكفر، كما كان قومُ هودٍ

---

(١) في (ر): «ولم».

(٢) ذكر الثعلبي في «تفسيره» (٢/ ١٣٢ ـ ١٣٣) نحوه من قول الحسن وعطاء، ولم أقف عليه من رواية عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) في (أ): «كان».

(٤) بعدها في (ر): «إلا»، وهي مقحمة.

(٥) رواه أحمد في «مسنده» (٧٢١٤)، وهو بنحوه في «صحيح مسلم» (٨٥٦) من حديث أبي هريرة وحذيفة رضي الله عنهما.

(٦) في (ر): «لا الخواص».

(٧) ذكر الثعلبي في «تفسيره» (٢/ ١٣٣) نحوه عن الحسن وعطاء.

وصالحٍ ولوط[١]؛ ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ في الأممِ المجتمعة على الكفر، وأنزلَ عليهم وعليك الكتابَ الذي فيه تفصيلُ الحقِّ مِن الباطل؛ ليفصلَ بين النَّاس بالحُجج، ﴿وَمَا ٱخۡتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ﴾ الآية، يعني: محمداً ﷺ وأهلَ دينِه خاصَّةً.

وقيل: كان النَّاسُ قبل موسى عليه السَّلامُ أمَّةً واحدةً، أكثرُهم في الضَّلال، ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾[٢] مِن بني إسرائيل مُبَشِّرين ومُنذِرين، ﴿وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ﴾ وابتدعوا[٣] من المذاهبِ والعبادات، ﴿وَمَا ٱخۡتَلَفَ فِيهِ﴾؛ أي: فلم يَزل بمجيء موسى عليه السَّلام أمرُ بني إسرائيل على الاستقامة، حتَّى اختلفَ في الدِّين مَن أوتي الكتاب؛ أي: العلماء الـمَرجوعُ إليهم في تأويلِ الكتاب، فحرَّفوه تنافساً في الرئاسة، ﴿فَهَدَى ٱللَّهُ﴾[٤] أمَّة محمَّدٍ ﷺ، لِما اختلفَ فيه أهلُ الكتاب من الحقِّ، وعرَّفهم ما بدَّلوه؛ تفضيلاً لهم، ومنَّاً عليهم، والله يَتفضَّل على مَن يشاءُ بالهداية إلى صراطٍ مستقيم.

***

(٢١٤) ـ ﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَأۡتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِكُمۖ مَّسَّتۡهُمُ ٱلۡبَأۡسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلۡزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِۗ أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ﴾.

وقولـه تعالـى: ﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ﴾ أي: أظننتم؟ وهـو استفهامٌ بمعنـى الإنـكار، و﴿أَمۡ﴾ إذا لـم يَتقدَّمـهُ ألفُ الاستفهامِ كانت كألف الاستفهام، أو يُقـدَّرُ استفهامٌ أوَّلاً، ثـمَّ يُبنـى هـذا عليـه؛ يعنـي: يـا أصحـابَ محمَّـدٍ، أتظنُّون

---

(١) في (ر): «وشعيب».

(٢) في (أ): «الأنبياء».

(٣) في (أ): «ابتدعوه» بدل: «اختلفوا فيه وابتدعوا».

(٤) بعدها في (ر): «الذين آمنوا».

أنَّكم تَنالون الجنَّة مع أنَّه لم يُصِبكم مثلُ ما أصابَ مَن قبلَكم مِنَ الشَّدائد.

وانتظامُها بما قبلَها أنَّه ذكرَ المختلِفين الأوَّلين، ثمَّ اختلافَ الآخِرين، وأمرَ المهتدين بمقابلةِ المخالِفين، فأصابتهمُ الشِّدَّة فيها، فشقَّ عليهم ذلك، فنزلَت الآيةُ.

وقيل: نزلَتْ يومَ الأحزاب حيثُ أصابَهم الجوعُ والبردُ والخوف[1].

وقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا يَأْتِكُم﴾ الواو للحال، و«لـمَّا» بمعنى «لم»، ومعه «ما»، و«ما» زائدةٌ مؤكِّدةٌ وُصِلَتْ بها.

وقال الفرَّاءُ وسيبويه: «لما» و«لم» واحد[2].

وقال ثعلب: «لم» لنفي المذكورِ فقط، و«لـمَّا» لنفيه مع انتظارِ وجودِه، فيُقال لرجلٍ: أتاك فلانٌ؟ فيقول: لم يأتني، فهذا نفيُ الإتيان لا غير، فإذا[3] قال: لما يأتني، فمعناه: لم يأتني بعدُ ولكن أتوقَّعُ إتيانَه مِن بعد.

وقوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم﴾ المَثَلُ والمِثْلُ كالشَّبَهِ والشِّبْه؛ أي: لم يأتِكم مَثَلُ ما كان أتى الذين مضَوا من قبلِكم.

وقوله تعالى: ﴿مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ﴾؛ أي: أصابَتهُمُ الشِّدَّةُ مِن الخوفِ والجوعِ والفاقة، وهي البأساءُ، وأصابتهُمُ الآلامُ والأمراض، وهي الضرَّاء.

وقوله تعالى: ﴿وَزُلْزِلُواْ﴾؛ أي: حُرِّكوا أشدَّ التَّحريك، والزَّلزلةُ تضعيفُ الزَّلَّة، وهو كقولك: كفَّ وكفكف، وصرَّ وصرصر[4]، ومنه زلزلةُ الأرض.

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٦٣٧) عن السدي وقتادة.

(٢) انظر «معاني القرآن» للفراء (١/ ١٣٢). وذكر سيبويه في «الكتاب» (٤/ ٢٢٣) أن «ما» في «لما» مغيرة لها عن حال «لم».

(٣) في (ر): «فإن».

(٤) في (أ): «فكفكف... فصرصر».

وهذا التَّحريكُ كان بالجوع[١]. وقيل: بالخوف. وقيل: باضْطِراب الأقدامِ في القتال. وقيل: هي اضطرابُ القلوب من الهيبة. وقيل: مِن وقوع الشُّبهات للضُّعفاء.

وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ﴾ قُرِئ بالنَّصب، وهو للغايةِ، وهو على تقديرِ صيغة الاستقبال؛ أي: إلى أن يقولَ الرَّسولُ كذا.

وقُرِئ بالرَّفع[٢]، ومعناه: حتى كان يقولُ، أو هو للماضي، ومعناه: حتى قال الرسول.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِۗ أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ﴾ لهذا ثلاثةُ أوجه:

أحدها: قال الرَّسولُ والمؤمنون جميعاً: أيُّ وقت فرجُنا الموعود[٣]؟ وهذا ليس بشكٍّ فيما وُعِدوا مِن النَّصر، لكن التماسٌ للتعجيل، وهو كلامٌ معهودٌ، فقال اللهُ تعالى في جوابِهم فيما أوحى إلى نبيِّهم: ﴿أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ﴾.

والثاني: أنَّه ذكرَ أوَّلاً قائلَين، وهما الرَّسول والمؤمنون، ثمَّ ذكر قولَين، وهما: ﴿مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِ﴾، ﴿أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ﴾، وأحدُ القولَينِ لأحد القائلَين، والآخَرُ للآخَرِ؛ أي: قال المؤمنون: متى نصر الله؟ فقال الرسول: ﴿أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ﴾، وهو كقوله: ﴿وَمِن رَّحۡمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ﴾، ذكر وقتَين وأمرَين، فانصرفَ السُّكون إلى اللَّيل، وابتغاءُ الفضلِ إلى النَّهار.

والثالث: أنَّهم جميعاً قالوا: ﴿مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِ﴾، وهذه[٤] كلمةُ انتظار، أي: انتَظَروا

---

(١) بعدها في (ر): «من الهيبة».

(٢) هي قراءة نافع وحده. انظر «السبعة» (ص: ١٨١)، و«التيسير» (ص: ٨٠).

(٣) في (ر): «بالموعود».

(٤) في (أ): «وهذا».

ذلك فلم يتغيروا، وتمَّ الكلامُ، ثمَّ قال اللهُ تعالى لهذه الأمَّة: ألا إنَّ نصرَ الله قريبٌ لكم ممَّا أنتم فيه، كما كان قريباً لهم. ومعنى القريب أنَّه آتٍ لا محالة، وكلُّ آتٍ قريب.

وقيل: الكلامان جميعاً(١) منهم جميعاً، قالوا: ﴿مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِ﴾ عند ظهورِ هاجس النفس، ثمَّ قالوا: ﴿أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾ عند قوَّة اعتقادِ القلب.

وعن خبابِ بن الأرتِّ رضي الله تعالى عنه قال(٢): شكونا إلى رسول الله ﷺ ما نَلقى من المشركين فقال: «إنَّ من كان قبلَكم مِن الأُمم، كانوا يعذَّبون بأنواعِ البلاء، فلا يَصرفُهم ذلك عن دينِهم، حتَّى إنَّ الرَّجلَ يُوضَع على رأسِه المنشارُ، فيُشَقُّ فِلقين، ويُمشَطُ الرَّجلُ بأمشاطِ الحديد بما دونَ العظمِ مِن لحمٍ وعصبٍ، ما يصرفُه ذلك عن دينِه، وايمُ الله، ليُتِمَّنَّ اللهُ تعالى هذا الأمرَ حتَّى يسيرَ الرَّاكبُ منكم مِن صنعاءَ إلى حضرمَوتَ، لا يخشى إلَّا اللهَ، أو الذِّئبَ على غنمه، ولكنَّكم تَعجلون»(٣).

وقال الله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ﴾ الآيات [العنكبوت: ١ ـ ٢].

* * *

(٢١٥) ـ ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ قُلۡ مَآ أَنفَقۡتُم مِّنۡ خَيۡرٖ فَلِلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۗ وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٞ﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ﴾ اتِّصالُه بما قبلَه أنَّ الأوَّل في القتال بالنَّفس، وهذا في التقرُّب بالمال، واللهُ تعالى أمرَ بالمجاهدةِ بالنَّفسِ والمال.

---

(١) في (ر): «الكلام» بدل: «الكلامان جميعاً».

(٢) بعدها في (ر): «لما».

(٣) رواه البخاري (٣٦١٢).

و﴿مَاذَا يُنفِقُونَ﴾ قال الزَّجَّاج: له وجهان:

أحدهما: أنَّ «ذا» في معنى الذي؛ أي: ما الذي ينفقون؟ و«ما» مبتدأ، و«ذا» خبرُه، وهما مرفوعان.

والثاني: أنهما شيءٌ واحد، وتقديره: أيَّ شيءٍ؟ وهو منصوبٌ بـ: ﴿يُنفِقُونَ﴾[1].

وقيل: إن «ذا» صلةٌ زائدةٌ، و«ما» اسمٌ منصوبٌ بالفعلِ المذكور بعدَه.

وقيل: «ما» بمعنى «مَن»، كما في قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا﴾ [الشمس: ٥]، و«ذا» بمعنى الذين، أي: مَن الذين يُنفِقون عليهم؟ فإنَّ السُّؤالَ لم يكن عن نفسِ الإنفاق، بل محلِّ الإنفاق، بدلالة أنَّ الجواب وردَ عن ذلك، وصار كقولِه تعالى: ﴿قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ﴾ [البقرة: ٦٨]، كان هذا سؤالاً عن صفاتِ البقرة، حيث وردَ الجوابُ عن ذلك، وإن كان ﴿مَا هِيَ﴾ في الظاهرِ سؤالاً عن ماهية البقرة.

ولو حُمِلَ «ما» على ظاهره، وجُعِلَ سؤالاً عن الإنفاق، ووردَ الجوابُ بما وردَ، فهو صحيحٌ في نظمِ الكلام، فإنَّ السُّؤالَ المختصرَ إذا عُرِفَ المرادُ منه صحَّ الجوابُ على[2] المراد.

والآيةُ نزلَت في شأن عمرو بن الجموح الأنصاريِّ؛ فإنَّه لمَّا نزل قوله: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ جاء وسألَ النَّبيَّ ﷺ، فقال: كم نُنفِق؟ وعلى من نُنفِق؟ فنزل جواب السُّؤالين في آيتين من هذه السورة، جوابُ قوله: كم ننفق؟ في قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾ [البقرة: ٢١٩]، وجواب قوله: على من ننفق؟ في قوله تعالى: ﴿قُلْ مَآ

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٢٨٨).

(٢) في (ر): «عن».

﴿أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ﴾[(١)]؛ أي: قل يا محمَّد: أيَّ شيءٍ أنفقتُم من مالٍ، والمالُ يُسمَّى خيراً، كما هو في قولِه تعالى: ﴿لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَـٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ﴾ [فصلت: ٤٩]، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ [العاديات: ٨]، وإنَّما سمَّاه اللهُ تعالى هاهنا خيراً؛ لأنَّه مذكورٌ في موضع الصَّرف إلى الخير.

وقوله تعالى: ﴿فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ مرَّ تفسيرُ هذه الكلمات.

وقيل: كان هذا للإيجابِ، ونسخَها الأمرُ بالزَّكاة.

وقيل: كان هذا[(٢)] للاستحبابِ، وهو باقٍ.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ﴾ «ما» كلمةُ شرطٍ، ولذلك جزمَ به، وعلامةُ الجزمِ حذفُ النُّون، وجزاؤه قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾؛ أي: ما عملتُم مِن طاعةٍ فاللهُ عليمٌ بثوابه، وإذا ذُكِر هذا في عملِ الشَّرِّ، فمعناه: فاللهُ[(٣)] عليمٌ بعقابِه، وذكرُ العلم بعد العمل[(٤)] أبلغُ وعدٍ ووعيد، وأعلى بشارةٍ وتهديد.

❊ ❊ ❊

(٢١٦) ـ ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ﴾؛ أي: فُرِضَ عليكم الجهادُ المذكورُ قبل هذا بآيةٍ.

---

(١) انظر «تفسير مقاتل» (١/ ١٨٣).

(٢) لفظ: «هذا» من (أ).

(٣) في (ر): «الله».

(٤) في (ر): «العلم».

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾ الكُره والكَرهُ لغتان.

وقيل: بالضَّمِّ: الكراهة، وبالنَّصبِ الإكراه، وهذا مصدرٌ أريدَ به المفعول، أو أضمرَ فيه: ذو؛ أي: ذو كُرهٍ لكم، أي: أمرتُم به وأُلزِمتمُوه لا باختياركم، وأنتم تَكرهونَه بطبائِعكم، وكراهةُ الطَّبع لا توجِبُ الذَّمَّ، بل تُحقِّقُ معنى العبوديَّة إذا فعل ذلك اتِّباعاً للشَّرع مع نُفرةِ الطَّبع، قال تعالى في صفة[1] الصَّحابة: ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ﴾ [الأنفال: ٥]، فأمَّا كراهةُ الاعتقاد فهو من صفات المنافقين، قال تعالى: ﴿وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ﴾ [التوبة: ٥٤].

وقوله تعالى: ﴿وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ «عسى» كلمةٌ تَجري مجرى «لعلَّ»، وهي من العباد للترجِّي، ومن الله تعالى للتَّرجية.

وقال المفسِّرون، وذكره الخليل بن أحمد في «العين» أيضاً: عسى من الله تعالى واجب[2].

وقيل: هي كلمةُ مقاربةٍ، ككلمة «كاد»، و«كاد»[3] يوصَلُ به المستقبلُ بغير «أن»، يُقال: كاد يفعلُ كذا، وعسى موصولة بـ«أن»، قال تعالى[4]: ﴿وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا﴾.

وقيل: هذا وإن كان من الله تعالى، ولا يخفى عليه شيءٌ، ولكن لـمَّا كان خطاباً لِمن لا يَعلمُ العواقبَ، استقامَ خطابُهم بهذه الكلمة، وكذلك طريق «لعلَّ» في كل آيةٍ، وتقديرُه: وما يدريكم لعلَّ ما تكرهونَه فهو خيرٌ لكم، فإنَّه إعزازٌ للدِّين،

---

(١) في (ر): «نفرة».

(٢) انظر: «العين» للخليل (٢/ ٢٠٠).

(٣) في (أ): «ككاد لكن كاد» بدل: «ككلمة كاد، وكاد».

(٤) في (أ): «يقال» بدل: «قال تعالى».

وقهرٌ للأعداء، ووصولٌ إلى الغَنيمةِ، وإنْ قَتلوكُم فأنتم شهداءُ أحياءٌ عند الله تعالى، ووصلتُم إلى الدَّرجاتِ العُلى، والنِّعمِ التي تبقى، وليس لها[1] منتهى.

وقوله تعالى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ﴾؛ أي: إنَّكم تحبُّون تركَ القتال، وفيه تحمُّل الذُّلِّ، وغَلبةُ الأعداء، وتخريبُ الدِّيار، وحِرْمانُ الثَّواب.

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾؛ أي: الله[2] يعلمُ أنَّ القتالَ خيرٌ لكم، وأنتم لا تَعلمون ذلك.

والآية نزلت في سعدِ بن أبي وقَّاص والمقدادِ بنِ الأسود وأصحابهما، وذلك أنَّ الكفَّارَ ـ لعنهم الله ـ كانوا يؤذونَهم، فكانوا يقولون: لو أُذِنَ لنا في القتال، لشفينا بهم صدورَنا، فنزلَ قولُه تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمۡ كُفُّوٓاْ أَيۡدِيَكُمۡ﴾ وفُرِضَ عليهمُ القتالُ، وكرهوهُ طبعاً، ونزلَ في شأنهم: ﴿وَقَالُواْ رَبَّنَا لِمَ كَتَبۡتَ عَلَيۡنَا ٱلۡقِتَالَ﴾ [النساء: ٧٧][3]، ونزلَ قولُه تعالى: ﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ﴾ [الصف: ٢].

* * *

(٢١٧) ـ ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ قِتَالٖ فِيهِۖ قُلۡ قِتَالٞ فِيهِ كَبِيرٞۚ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفۡرُۢ بِهِۦ وَٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ وَإِخۡرَاجُ أَهۡلِهِۦ مِنۡهُ أَكۡبَرُ عِندَ ٱللَّهِۚ وَٱلۡفِتۡنَةُ أَكۡبَرُ مِنَ ٱلۡقَتۡلِۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمۡ عَن دِينِكُمۡ إِنِ ٱسۡتَطَٰعُواْۚ وَمَن يَرۡتَدِدۡ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتۡ وَهُوَ كَافِرٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

---

(١) في (ر): «والنعيم الذي يبقى وليس له» بدل: «والنعم التي تبقى وليس لها».

(٢) لفظ الجلالة «الله» ليس في (أ).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣/ ٣٤٥)، و«الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ١٥٩) عن الكلبي.

وقوله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ﴾ نزلَت الآيةُ في شأن عبدِ الله بن جحش، ابنِ عمَّةِ النَّبيِّ ﷺ أميمةَ بنتِ عبد المطَّلب، بعثَهُ رسولُ الله ﷺ في جمادى الآخرة، قبل قتالِ بدرٍ بشهرين، على رأسِ سبعة عشر شهراً[1] مِن مقدمِهِ المدينة، ومعه ثمانيةٌ مِن المهاجرين، ليس فيهم أنصاريٌّ، وهو تاسعُهم، وأمَّرهُ عليهم؛ وهم سعدُ بنُ أبي وقَّاص الزُّهريُّ، وعكاشةُ بنُ مِحْصَن الأسديُّ[2]، وعتبةُ بنُ غزوان السلمي، وأبو حذيفة بنُ عتبة، وسهيلُ[3] بنُ البيضاء القرشيُّ[4]، من بني الحارث، وعامرُ بنُ ربيعة القرشيّ، من بني عَدِيّ، وواقدُ بنُ عبد الله الحنظليُّ، وخالد بن بكير[5]، وكتب له كتاباً، وقال له[6]: أمسك كتابي في يدك، فإذا سرت يومين فانْشُرهُ، وانظر ما فيه، ثم امضِ لأمرِك، فسار عبدُ الله ليلتَيْنِ، ثمَّ نَشَرهُ وقرأ ما فيه، فإذا فيه:

«بسم الله الرَّحمن الرَّحيم، أمَّا بعد، فسِر على بركةِ الله بمَن معك مِن أصحابِك، حتى تنزل بطن نخلة، ولا تُكره أحداً من أصحابِك على المسيرِ معك، وامضِ لأمري في من معك منهم، حتَّى تقدُمَ بطنَ نخلة، فترصَّد بها عِيرَ قُريش، لعلَّك تأتينا منهم بخبر».

---

(١) في «تفسير مقاتل»، و«تفسير الثعلبي» (٣/ ١٣٨): «ستة عشر شهراً».

(٢) في «تفسير مقاتل» أن مجموعهم ثمانية، ولم يذكر عكاشة بن محصن. وما ذكره المصنف موافق لما في «سيرة ابن هشام»، و«تفسير الطبري»، و«تفسير الثعلبي».

(٣) في (ر): «وسهل».

(٤) في (أ): «القدسي».

(٥) في (ر): «بكر»، والمثبت موافق لما في «سيرة ابن هشام» و«تفسير الطبري» و«تفسير الثعلبي».

(٦) لفظ: «له» من (أ).

فلمَّا قرأ الكتابَ قال: سمعٌ[١] وطاعة لأمرِ رسولِ الله ﷺ، ثمَّ قال لأصحابِه[٢]: مَن أحبَّ منكم الجهادَ وأرادَ الشَّهادةَ، فلينطلق معي؛ فإنِّي ماضٍ لأمرِ رسول الله، ومَن أحبَّ مِنكم أنْ يتخلَّفَ فليتخلَّف؛ فإنَّ رسولَ الله ﷺ، قد أمرَني[٣] أن لا أُكْرِهَ منكم أحداً.

فمضى، وانطلقَ القومُ معه، حتَّى أتى المكانَ الذي أمرَهُ به رسولُ الله ﷺ، فنزلَ ببطن نخلة بين مكَّة والطَّائف، فبينما هم كذلك إذ مرَّ بهم عِيْرُ قريش، فيها عمرو بنُ[٤] الحضرميِّ، والحكمُ بنُ كيسان مولى هشام بن المغيرة، وعثمانُ بنُ عبد الله بنِ المغيرة، ونوفلُ بنُ عبد الله بن المغيرةِ المخزوميَّان، فلمَّا رأوا أصحابَ رسولِ الله ﷺ هابوهم، فقال عبد الله بن جحش: إنَّ القومَ قد ذُعِروا منكم، فاحلِقوا رأسَ رجلٍ منكم، فليتعرَّض لهم، فإذا رأوهُ محلوقاً، أمِنوا وقالوا[٥]: قومٌ عمَّار.

فحلقوا رأسَ عُكاشةَ بنِ مِحْصَن الأسديِّ، ثمَّ أشرفَ عليهم، فقالوا[٦]: عُمَّار، لا بأسَ عليكم منهم.

فأَمِنوا مِن[٧] أصحابِ رسول الله ﷺ، وكان ذلك آخرَ يومٍ مِن جُمادى الآخرة، فقال قائلهم: إنْ لم نقاتلهم[٨] هذا اليوم دخلَ الشَّهرُ الحرامُ، فأَمِنوا، ولم يحلَّ لكم

---

(١) في (ر): «سمعاً».

(٢) في (ر): «لجماعته».

(٣) بعدها في (ر): «بأمر في».

(٤) بعدها في (ر): «أمية».

(٥) في (أ): «وقال».

(٦) في (أ): «فقال».

(٧) لفظ: «من» من (أ).

(٨) في (أ): «تقتلوهم».

قتالُهم فيه، وإن أصبتموهم في الشَّهر الحرام، ولم يأمرْكُم رسولُ الله ﷺ بالقتالِ فيه، أثِمتم.

ثمَّ إنَّ القومَ تشجَّعوا(١)، وأجمعوا أمرَهم في مواقعة القوم، فرمى واقدُ بنُ عبدِ الله الحنظليُّ عمرَو بنَ الحضرميِّ بسهمٍ فقتلَهُ، واستأسرُوا الحكمَ بنَ كَيْسان، وعثمانَ بنَ عبد الله، وهرب نوفلُ بنُ عبدِ الله بنِ المغيرة على فرسٍ له، واستاقوا العِيرَ وفيها أُدْمٌ وزبيبٌ وأشياء(٢) مِن تجارةِ أهلِ الطَّائف، وذلك في أوَّلِ يومٍ مِن رجب، وهم يحسبون أنَّه آخرُ يومٍ مِن جُمادى الآخرة، حتَّى قدِموا على رسولِ الله ﷺ به.

وأخبرَ نوفلُ بنُ عبدِ الله بنِ المغيرةِ قريشاً بالأمرِ الذي وقعَ، فقالت قريشٌ: قد استحلَّ محمَّدٌ الشَّهرَ الحرامَ! شهرٌ يأمنُ فيه الخائفُ، فسفكَ(٣) فيه الدِّماءَ، وأخذَ الأموال! وأقبل القومُ على مَن عندَهم مِن المؤمنين يُعيِّرونهم(٤) بذلك.

فوقفَ رسولُ الله ﷺ العِيرَ والأُدم، ولم يأخذْ منها شيئاً، وحبسَ الأسيرين، وقال لأصحابِه: «إنِّي لم آمركُم بالقتال في الشَّهرِ الحرام».

فعظُم ذلك على أصحاب تلك السَّرِيَّة، وسُقِطَ في أيديهِم، وظنُّوا(٥) أنَّهم هلكوا، وعيَّرهُم المسلمون بما صَنعوا، وقالوا لهم: قاتلتُم في الشَّهرِ الحرام!

وكتب مَن بمكَّة مِن المسلمين إلى عبد الله بن جَحش بالذي تعيِّرُهم به

---

(١) في (ر) و«تفسير الطبري»: «شجعوا»، وفي «سيرة ابن هشام»: «شجعوا أنفسهم».

(٢) في (ر): «وزيت وتجارة» بدل: «وزبيب وأشياء».

(٣) في (ر): «فسفك».

(٤) في (ر): «يعيروهم».

(٥) في (أ): «فظنوا».

المشركون[١] مِن أخذِهم الأموالَ، وسفكِهِمُ الدِّماءَ في الشَّهرِ الحرام، فلمَّا أكثرَ النَّاسُ في ذلك، سألوا رسولَ الله ﷺ عن ذلك، وقال عبد الله بن جحش: يا رسولَ الله، إنَّا قتلنا ابنَ الحضرميِّ، ثمَّ أمسينا، ثمَّ نظرنا إلى هلالِ رجب، فلا ندري أفي رجبٍ أصبنا، أم في جمادى الآخرة؟ وقد عيَّرنا بذلك المشركون، فحلالٌ ما صنعنا، أم حرام؟ فأنزل اللهُ تعالى هذه الآية، ولـمَّا نزلت الرُّخصةُ قَبضَ رسولُ الله ﷺ العِيرَ والغنيمةَ[٢].

وقال عطاء: ردَّ الأسارى والغنيمة.

وقال مقاتل: كان ذلك أوَّلَ أسيرٍ، وقتيلٍ[٣]، واستغنامٍ في سبيل الله تعالى[٤].

وقوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ﴾ خفض ﴿قِتَالٍ﴾؛ لأنَّه بدلٌ مِن[٥] الشهر؛ أي: يسألونك عن قتالٍ فيه، وهو كقولك: أردتُ زيداً مجيئَه[٦]، أي: أردتُ مجيئه.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾؛ أي: كبيرُ الإثم، أو كبيرُ العقوبة، وحُذِفَ المضافُ إليه منه كما في قوله تعالى: ﴿فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾ [إبراهيم: ١٨]؛ أي: عاصفِ الرِّيح.

---

(١) في (أ): «من المشركين به» بدل: «به المشركون».

(٢) انظر الخبر في «تفسير مقاتل» (١/ ١٨٥ ـ ١٨٦)، و«تفسير الثعلبي» (٢/ ١٣٨ ـ ١٤٠). وأخرجه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٦٥٠ ـ ٦٥٣) من طريق ابن إسحاق، وذكره عنه ابنُ هشام في «سيرته» (٣/ ٦٥٣)، وبعضهم يزيد على بعض.

(٣) في (أ): «وقتل».

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» (١/ ١٨٧).

(٥) في (أ): «عن».

(٦) في (ر): «تحية» في هذا الموضع والذي يليه.

أو هو نعتُ منعوتٍ محذوفٍ، وتقديرُه: قل قتالٌ فيه ذنبٌ كبير، أخبرَ أنَّه حرامٌ، وليس بحلال، ولكن بيَّن أنَّ فعلَ الكفَّار أكبرُ إثماً منه، وهو قوله تعالى: ﴿وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، وهذا[1] ابتداءٌ؛ أي: وصدُّ الكفَّارِ[2] المسلمينَ؛ وهو منعُهم إيَّاهم عن دينِ الله، وهو الإسلام.

وقوله تعالى: ﴿وَكُفْرٌۢ بِهِۦ﴾؛ أي: بالله.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ خفضه بثلاثةِ طُرُق:

أحدها: بعطفه على ﴿بِهِۦ﴾؛ أي: وكفرُهم بالكعبة، وجحودِهم حقيَّتها[3]، ومنع النَّاس عنها، على اعتقاد أنَّه واجبٌ أو جائزٌ.

والثاني: بعطفِه على: ﴿سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: ومنعُهم المسلمينَ عن دخولِ المسجد الحرام.

والثالث: قتالٍ فيه وفي المسجدِ الحرام.

وقال الفرَّاء: ﴿وَصَدٌّ﴾ عطفٌ على قوله تعالى: ﴿كَبِيرٌ﴾؛ أي: القتالُ فيه ذنبٌ كبيرٌ، وهو أيضاً صدٌّ عن سبيل الله[4]، ثمَّ قوله تعالى: ﴿وَكُفْرٌۢ بِهِۦ﴾ ابتداء، ﴿وَإِخْرَاجُ﴾ عطفٌ عليه، وخبرُهما ﴿أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ﴾؛ أي: وإخراجُهم أهلَ المسجد من المسجد

---

(١) في (ر): «وهو».

(٢) بعدها في (ر): «أكبر إثماً منه».

(٣) في (ر): «حقيقتها».

(٤) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ١٤١).

الحرام[١]، وأهلُ المسجدِ هم المسلمون، وإخراجُهم مِن[٢] المسجدِ[٣] إخراجُهم مِن مكَّة باضْطِرارِهم إلى الهجرة، وسمَّاهم: أهلَ المسجدِ، وإن كانوا خارجين عن مكَّة؛ لأنَّهم قائمون بما يجبُ عليهم مِن حقِّه، ولأنَّهم يصيرون أهلاً له في العاقبةِ، فسمَّاهم باسم العاقبة، ولم يسمِّ الكفَّارَ أهلَ المسجدِ الحرام، وإن كانوا بمكَّة؛ لأنَّ مُقامَهم بمكَّة عارضٌ، قال الله تعالى: ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَمَا كَانُوٓاْ أَوْلِيَآءَهُۥٓ ۚ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ﴾[٤] [الأنفال: ٣٤].

وقوله تعالى: ﴿أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي: هذه الأشياءُ الأربعةُ من الكفَّارِ أكبرُ إثماً وعقوبةً مِن قتلِ المسلمين ابنَ الحضرميِّ في الشَّهر الحرام؛ لأنَّ القتالَ في الشَّهر الحرامِ يَحِلُّ بحالٍ، والكفرَ لا يَحِلُّ بحالٍ، ولأنَّهم كانوا متأوِّلينَ في القتال؛ لأنَّهم شكُّوا في اليوم، ولا تأويلَ للكفَّارِ في الكفر.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾ هذا ابتداءٌ آخر، أي: كُفْرُ الكفَّارِ أشدُّ خطراً مِن قتلِ المسلمين ابنَ الحضرميِّ في رجب، والفتنةُ اسمٌ للكفر، قال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾ [النور: ٦٣].

وقيل: أي: تعذيبُ الكفَّارِ المسلمين أشدُّ قُبحاً مِن قتلِ هؤلاء المسلمين ذلك الكافرَ، والفتنةُ اسمٌ لذلك، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [البروج: ١٠].

وقال مقاتلُ بن حيان: كان القتالُ في الشَّهرِ الحرام حراماً، ثمَّ نُسِخَ بقوله

---

(١) لفظ: «الحرام» زيادة من (أ).

(٢) في (أ): «عن».

(٣) بعدها في (ر): «الحرام».

(٤) في (أ): «الآية» بدل: «إن أولياؤه إلا المتقون».

تعالى: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾، يعني: في الأشهرِ الحُرُمِ وغيرِها، وهو قولُ عامَّةِ العلماء.

وقال عطاء: هو باقٍ، ولا يجوزُ قتالُهم في الشَّهر الحرام إلَّا إذا بدؤونا[1].

ثمَّ أخبرَ أنَّ هؤلاءِ الكفَّار كيف قصدُهم في حقِّ المسلمين؟ وهو قوله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾ أي: هم يدومون على محاربتِكم على قصدِ صرفِكم عن الإسلام؛ ليصرفوكم عنه إن قدَروا عليه، وهو بيانُ أنَّهم لا يَقدرون عليه، وهو تطييبٌ[2] لقلوب المؤمنين.

ثمَّ ذكرَ وعيدَ مَن انصرفَ عن الدِّين، وهو قوله تعالى: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ﴾، وقال تعالى في آيةٍ أخرى: ﴿مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ﴾ [المائدة: ٥٤]، بقَّى التَّضعيف هناك، وأظهر التَّضعيفَ هاهنا، وكلاهما مستعملان على الصحَّة والفصاحة.

وقوله تعالى: ﴿فَيَمُتْ﴾ معطوفٌ على قوله تعالى: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ﴾، وكلاهما مجزومان بالشَّرط.

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ كَافِرٌ﴾ الواو للحال؛ أي: ومَن يَمُت على كفرِه؛ لم يَتُب[3]، ولم يَعُد إلى الإسلام.

وقوله تعالى: ﴿فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾[4] «أولئك» جمعٌ، ويَرجِعُ إلى قوله تعالى: ﴿وَمَن﴾؛ لأنَّه للجمع معنى، و﴿حَبِطَتْ﴾ أي: بَطَلت وتلاشَت، وهو مِن

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٦٦٣).

(٢) في (أ): «تطبيب».

(٣) قوله: «لم يتب» زيادة من (أ).

(٤) بعدها في (ر): «في الدُّنيا والآخرة».

حدَّ: علم، والمصدرُ الحُبوط والحَبْطة[1]، ﴿أَعْمَٰلُهُمْ﴾؛ أي: حسناتهم؛ لأنَّها تنفي[2] الأعمالَ في[3] الحقيقة؛ إذ السيِّئات مما ينبغي أن لا يكون، ويُقال لِمَن عملَ ما لا يُنتفَع به: لم يعمل شيئاً، وليس هذا بعملٍ، وبطلانُ العملِ هو بطلانُ أثرِه، وهو ما يبتغى[4] به مِن نفعِ[5] الدَّارَين.

وقوله تعالى: ﴿فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ﴾ أمَّا في الدُّنيا فقطعُ حياتِه بقتلِه على ردَّته، وفواتِ موالاة المسلمين، ونصرِهم، والثناءِ الحسن، وزوالِ النِّكاح، وحرمانِه مِن مواريثِ المسلمين، ونحوِ ذلك ممَّا يَجري على نفسِ المرتدِّ وأهلِه ومالِه، وأمَّا في الآخرة ففوتُ الثواب[6] وحسنِ المآب.

وقوله تعالى: ﴿وَأُولَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾[7]؛ أي: الباقون فيها، وهو كما يقال: فلانٌ صاحبُ شراب، يُرادُ به ملازمتُه ذلك، لا ما يُفهَم مِن قولهم: هو صاحبُ الدَّار؛ أي: مالكُها.

وقوله تعالى: ﴿هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ أي: دائمون، لا يموتون ولا يخرجون.

ثمَّ الطَّاعةُ تَحبَطُ بنفس الرِّدَّة عندنا، بقوله تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ

---

(١) كذا في (أ) و(ر)، ولعل الصواب: «والحبط». انظر: «الصحاح»، و«القاموس المحيط»، و«لسان العرب» (مادة: حبط).

(٢) في (أ): «هي في».

(٣) لفظ: «في» ليس في (أ).

(٤) في (ر): «ينبغس».

(٥) في (أ): «نعم».

(٦) في (أ): «فالثواب» بدل: «ففوتُ الثواب».

(٧) بعدها في (ر): «هم فيها خالدون».

عَمَلُهُۥ﴾ [المائدة: ٥]، والموتُ عليها ليس بشرطٍ عندنا، وقال الشافعي رحمه الله: هو شرطٌ بهذه الآية، وقلنا: إنما جعل الموت على الكفر شرطَ جميعِ ما ذُكِرَ في بقيَّةِ الآية؛ مِن حبوطِ العمل، والخلودِ في النَّار، وبه نقول.

***

(٢١٨) ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾؛ أي: ثَبَتوا على إيمانِهم، فلم يرتدُّوا.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ﴾؛ أي: من مكَّة إلى المدينة.

وقيل: أي: فارقوا أعمالَ السُّوء وأصحابَ السُّوء.

والأوَّل كان فرضاً، ونُسِخَت[١] فرضيته، والثاني فرضيته باقية.

وقوله تعالى: ﴿وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: قاتَلوا الكفَّار.

وقيل: استفْرَغوا المجهودَ في العملِ لله تعالى.

وقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ﴾ أي: هؤلاء لا تَحبَطُ أعمالُهم، بل يأتون راجِينَ رحمةَ الله، مؤمِّلينَ[٢] ثوابَه، وليس هذا على التَّشكيك، ولكن مدحٌ لهم باستقصارِهم[٣] أعمالَهم، واستشعارهم آمالَهم، خائفين ردَّه، راجين قَبوله، قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ﴾ [المؤمنون: ٦٠].

---

(١) في (أ): «و».

(٢) في (ر): «مؤمنين».

(٣) في (أ): «باستقصائهم».

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾؛ أي: يَغفرُ ذنوبَهم وتقصيرَهم، ويرحمُهم فلا يعذِّبهم.

وقال المفسِّرون: نزلت الآيةُ في عبد الله بن جحش وأصحابه، خافوا من القتالِ في الشَّهر الحرام، ولَمَّا نزل قولُه[1] تعالى: ﴿قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾ الآية، قال بعضُ النَّاس: إنْ لم يكن عليهم وِزْرٌ، فليس لهم أجرٌ، فنزل قولُه تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ﴾[2].

وقيل: بل سألوا رسولَ الله ﷺ: هل يُطمعُ لنا في غزوةٍ نجاهدُ فيها، فنصيبُ أجراً؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية، يخبِرُهم أنَّهم على رجاءٍ ممَّا طَلبوا[3].

* * *

(٢١٩) ـ ﴿۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ﴾ انتظامُها بما قبلَها أنَّه قدَّمَ ذِكرَ الجِهاد، ولا يقومُ ذلك إلَّا بالمال وتظاهرِ القوم، وفي الخمرِ والميسر ذهابُ المالِ،

---

(١) في (ر): «فأنزل الله» بدل: «ولما نزل قوله».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٦٦٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٣٨٨) (٢٠٤٠) من حديث جندب بن عبد الله.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٦٦٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٣٨٨) (٢٠٤٢) من حديث عروة بن الزبير.

ووقوعُ التَّنافرِ، وزوالُ التَّظاهرِ، فبيَّنَ حُرمتَهما؛ ليمتنعوا عنهما[١]، فتَحصُل آلةُ[٢] القوَّة على الجهاد.

ونظمٌ آخر: أنَّه جمعَ بين سؤالاتٍ سألَها الصَّحابة رسولَ الله ﷺ، فأخبرَ اللهُ تعالى عن ذلك بقوله عزَّ وعلا: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ﴾ ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ﴾، قال ابنُ عباس رضي الله عنهما: ما رأيتُ قوماً كانوا خيراً من أصحاب رسول الله ﷺ، ما سألوهُ إلَّا عن ثلاثَ عشرةَ مسألة، قص[٣] كلها في القرآن، ما كانوا يسألونَه إلَّا عمَّا ينفعُهم[٤] وينفعُ المسلمين.

قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ﴾ أي: يا محمَّد ﴿عَنِ ٱلْخَمْرِ﴾ وهو النِّيءُ مِن ماء العنب إذا غلا واشتدَّ وقذفَ بالزَّبد، سُمِّيَت بها؛ لأنَّها تُخامِرُ العقل؛ أي: تغطِّيه.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلْمَيْسِرِ﴾ أي: القمار.

وقال القتبيُّ: الميسر: الجزور، سُمِّيَ ميسراً؛ لأنَّه يُجزَّأ أجزاء، وكلُّ شيءٍ جزَّأتَه فقد يَسَرْتَه، والياسِرُ: الجازر؛ لأنَّه يُجزِّئُ لحمَ الجَزور[٥]، وكان المتقامرون يَشترون جزوراً يَضمنونَ ثمنَه، ولا يُؤدُّونه؛ ليظهرَ بالقمار أنَّه على مَن يجب، فيضربون

---

(١) في (ر): «حرمتها... عنها».

(٢) في (ر): «فيحصل لهم» بدل: «فتحصل آلة».

(٣) في المصادر: «حتى قبض» بدل: «قص».

(٤) أخرجه الدارمي في «سننه» (١٢٧)، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم» (٢٠٥٣)، والطبراني في «الكبير» (١٢٢٨٨). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ١٥٩): فيه عطاء بن السائب، وهو ثقة لكنه اختلط، وبقية رجاله ثقات.

(٥) انظر: «الميسر والقداح» لابن قتيبة (ص٢٨).

بالقِداح، وهم ياسرون في اللُّغة أيضاً؛ لأنَّهم جازرون على التسبيب، فسُمُّوا به لمعنى التَّجزئة في العاقِبة.

والقِداحُ عشرةٌ: ذاتُ الحظوظ سبعةٌ؛ الفَذُّ، وعليه فرضٌ؛ أي: جزء، والتَّوأمُ، وعليه فرضان، والرَّقيب، وعليه ثلاثةُ فروض، **والحِلْسُ، وعليه أربعةُ فروض، والنافِسُ، وعليه خمسة فُروض**، والـمُسْبَلُ، وعليه ستَّةُ فروض، والـمُعلَّى، وعليه سبعةُ فروض. والأغفالُ التي لا حظوظَ[1] لها ثلاثةٌ؛ الـمَنِيحُ والسَّفِيح والوَغْدُ، وكان للفذِّ نصيبٌ، وللتَّوأم نصيبان، على هذا إلى آخره[2]، ثمَّ يجتمع الأيسار[3]، وهم سبعةٌ في الأغلب، وينحرون الجزورَ، فيجعلونَه عشرةَ أجزاء، ويأخذون قِداحَ الميسرِ، فيجمعونَها ويجعلونها[4] في يدِ واحدٍ[5]، فيجعلُها في شيءٍ، ويُجيلُها[6]، ويُخرِجُ سهماً سهماً باسم كلِّ واحد، فمن خرجَ سهمُه بنصيبٍ، أخذَ قدرَهُ مِن الجَزور، ومَن بقيَ في آخرِه غرِمَ ثمنَهُ، ولم يأكلْ مِن لحمِه شيئاً.

وفي «تفسير أبي القاسم بن حبيب[7]»: إذا خرج في المرَّة الأولى الفَذُّ، فله

---

(١) في (ر): «فروض».

(٢) انظر: «الميسر والقداح» لابن قتيبة (ص: ٤٦، ٦٠).

(٣) يعني: المتقامرين.

(٤) لفظ: «ويجعلونها» من (أ).

(٥) في (ر): «واحدة».

(٦) الإجالة: الإدارة، يقال في الميسر: أَجِل السِّهامَ، وأجال السهام بين القوم: حَرَّكها وأفضى بها في القسمة. «اللسان» (مادة: جول).

(٧) هو العلامة المفسر الواعظ، الحسن بن محمد بن حبيب النيسابوري، صنَّف في القراءات والتفسير والآداب، وله «عقلاء المجانين»، توفي سنة (٤٠٦هـ). انظر: «سير أعلام النبلاء» (١٧/ ٢٣٧ـ٢٣٨)، و«طبقات المفسرين» للسيوطي (١/ ٤٥ـ٤٨).

نصيبٌ واحدٌ، وهو عُشْر الجَزور، فيأخذُه الذي أخرج على اسمه، ويقال: قُم، واعتزل، وسَلِمَ مِن الغُرم، وإن كان الخارجُ التَّوأم، أخذَ صاحبه عُشرَين، وسَلِمَ مِن الغُرم، واعتزلَ القوم، ولم[1] يبق من أعشار الجزورِ بعد الفذِّ والتَّوأمِ والمعلَّى شيءٌ، فتَنقطعُ الإجالةُ والإخراج، ويَصيرُ ثمنُ الجَزور على الأربعة الذين لم تخرج قِداحُهم، وهم صاحبُ الرَّقيب، وصاحبُ الحِلْسِ، وصاحبُ النَّافس، وصاحبُ الـمُسْبَل، وعلى هذا كانوا يعملون[2].

وعن الضَّحَّاك أنَّ هذا السَّائلَ كان حمزة بن عبد المطَّلب، قال: يا رسول الله أفتنا في الخمر، فإنَّها مسلبةٌ للعقل، مَتْلَفَةٌ للمال، فنَزَل التَّحريم[3].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ فِيهِمَآ﴾؛ أي: في استعمالِهما وبسببهما[4].

وقوله تعالى: ﴿إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾؛ أي: عظيمٌ، و﴿كَبِيرٌ﴾؛ أي: متعدِّدٌ، وما كَبـرَ كثُر.

وقوله تعالى: ﴿وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ هي المغالاةُ بثمنِ الخمر إذا جَلبوها مِن الأطراف، وفيها: تقويةُ الضَّعيف، وهضمُ الطَّعام، والإعانةُ على الباءة، وتسليةُ المحزون، وتشجيعُ الجبان، وتَسخِية البخيل، وتصفيةُ اللَّون، وإنطاقُ العَييّ

---

(١) كذا في (ر)، ولعله وقع سقط في هذا الموضع، وتقدير الكلام: «فإن خرج في الأولى الفذ، وفي الثانية التوأم، وفي الثالثة المعلَّى، فتذهب سائر الأنصباء». وانظر: «نظم الدرر» للبقاعي (٣/ ٢٥٥).

(٢) من قوله: «وفي تفسير أبي القاسم» إلى هنا ليس في (أ)، ووقع في (ر) بهامشها، وعليه علامة الصحة.

(٣) لم أقف عليه، والمشهور أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يقول: اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً. وسيأتي ذكره قريباً.

(٤) في (ر): «وشربهما».

والحَيِّ، وتهييجُ الهِمَّةِ، ومنافعُ الميسِر: التَّوسعةُ على ذوي الحاجة، فإنَّ الياسِرين كانوا يفرِّقونها على المحتاجين.

وقال الواقديُّ: كان الواحدُ منهم ربَّما قمر في مجلسٍ[١] مئةَ بعيرٍ، فيصيبُ مالاً عظيماً بلا نَصَبٍ ولا ثمن، ثمَّ يُعطيه المحتاجين، فيكتسبُ به الثناءَ والمدح.

وقوله تعالى: ﴿وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾ وفي الخمرِ: إيقاعُ العداوةِ والبغضاءِ، والصَّدُّ عن ذكرِ الله وعن الصَّلاة، وهي تُسفِّهُ الحليمَ، وتُصيِّرُ شاربَها بحيثُ يَلعبُ ببولِه وعذِرَتِه وقيئِه.

وعن العباسِ بن مرداس أنَّه قيل له في الجاهلية: لِمَ لا تَشربُ الخمرَ، فإنَّه يزيدُ في جُرأتِك؟ قال: ما أنا بآخذٍ جهلي بيدي، فأدخلَه في جوفي، وأصبح سيد قومي وأمسي سفيههم[٢].

وروي أنَّ جبريلَ صلوات الله عليه قال للنَّبيِّ ﷺ: إنَّ الله تعالى شكرَ لجعفر الطَّيَّار أربعَ خصالٍ، كان عليها في الجاهليَّة، وهو عليها في الإسلام، فسألَ النبيُّ ﷺ جعفراً عن ذلك، فقال: لولا أنَّ اللهَ تعالى أطلعَك عليها لما أخبرتُك بها؛ ما شربتُ خمراً قَطُّ؛ لأنِّي رأيتُها تُزيلُ العقلَ، وأنا إلى أن أزيدَ فيه أحوجُ منِّي إلى أن أزيلَهُ، وما عبدتُ الصنم[٣] قَطُّ؛ لأنِّي رأيتُه لا يَضرُّ ولا يَنفع، وما زنيتُ قَطُّ؛ لغَيرتي على أهلي، وما كذبتُ قَطُّ؛ لأنِّي رأيتُه دناءةً.

ومن مضارِّ الميسر: ما يَجري بينهم مِن الجُحود والسِّباب، والمُنازعةِ والسَّفه،

---

(١) في (ر): «مجلسه».

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في «ذم المسكر» (٥٢).

(٣) في (ر): «صنماً».

وأنَّه أكلُ المالِ بالباطل، وهو مانعٌ عن الصَّلاة، وعن ذِكر الله تعالى، وسببٌ للعداوة أيضاً.

وقيل: معناه: ﴿وَإِثْمُهُمَآ﴾ بعد التَّحريم ﴿أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾ قبلَ التحريم.

وقيل: في الخمر إثمٌ كبيرٌ ما دامت خمراً، وفيها منافعُ للنَّاس إذا صارت خلًّا، وفي الميسر الإثمُ في الأخذِ، والنَّفعُ في البذل.

وقال ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: لا نفعَ فيها بعد التَّحريم، وما حرَّمَ اللهُ تعالى شيئاً حتَّى نزعَ منه جميعَ منافعِه[1].

وقيل: أي: لا نفعَ فيهما بعد التَّحريم في الدِّين، فأمَّا النَّفعُ مِن حيث الدُّنيا فقد يكون.

وقولُ ابن مسعودٍ رضي الله عنه: إنَّ اللهَ تعالى لم يَجعلْ شفاءَكُم فيما حَرَّمَ عليكم[2]؛ فمنهم مَن حملَهُ على ظاهِره؛ أنَّه لا يقعُ به شفاءٌ بوجهٍ، وقيل: معناه: لم يُجوِّز استشفاءَكم[3] به، مع أنَّه قد يكون.

والميسرُ يَقع على كلِّ قمارٍ؛ مِن النَّردِ، والشَّطرنج، والكعابِ، ولعبِ الصِّبيان

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٦٧٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٣٩٢) (٢٠٦٥) بنحوه.

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٣٤٩٢)، وأحمد في «الأشربة» (١١٧)، (١٣٠)، والطبراني في «الكبير» (٩٧١٤) والحاكم في «المستدرك» (٧٥٠٩)، وعلقه البخاري قبل الحديث (٥٦١٤).

وروي مرفوعاً من حديث أم سلمة، رواه أحمد في «الأشربة» (١٥٩)، وابن حبان في «صحيحه» (١٣٩١).

(٣) في (ر): «لا يجوز استشفاؤكم» بدل: «لم يجوز استشفاءكم».

بالجوز، وعلى كل مخاطرة[١]، رويَ أنَّ رجلاً[٢] خاطرَ رجلاً على أن يأكلَ كذا كذا[٣] بيضةً على كذا من المال، فقال عليٌّ رضي الله عنه: هذا قِمار.

فأمَّا مخاطرةُ أبي بكر الصديق رضيَ الله تعالى عنه المشركين التي ذكرت في حديث غلبةِ الرُّوم، وقول النبي ﷺ له: «زد في الخطر، وأبعِد في الأجل» [٤]، فإنَّها كانت قبل تحريم القمار، ثمَّ نُسخت به، فهذه الآيةُ[٥] أوَّلُ آيةٍ نزلَتْ في الخمر والميسر[٦]، فنبَّههم بها أنَّ اجتنابَهما[٧] أولى من اقترابِهما؛ إذ الحكمُ في الأمور للأغلب، ألا تَرى أنَّ مَن غَلبت عليه أفعالُ[٨] الخيرِ حَمِدوهُ، وإن كان فيه بعضُ ما يُذَمُّ، ومَن غلبَتْ عليه أفعالُ الشَّرِّ ذمُّوه، وإن كان فيه بعضُ ما يُحمَد.

ولما تقرر هذا عندَهم وردَ النهيُ بعد ذلك عن الشُّرب وقتَ الصَّلاة لقوله تعالى: ﴿لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ﴾ [النساء: ٤٣]، فامتنعوا عن ذلك للصَّلوات، فخلا أكثرُ أوقاتِهم عن الشُّرب، فسَهُلَ نقلُهم عنها إلى التَّحريم المطلق، ثمَّ نزلَ قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ﴾ الآية [المائدة: ٩٠].

---

(١) الخطر: السبق الذي يُتراهن عليه. انظر: «مختار الصحاح» (مادة: خطر).

(٢) في (أ): «واحداً».

(٣) في (ر): «وكذا».

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ٢٩٢)، والزمخشري في «الكشاف» (٤/ ٥٦٤)، وقال الحافظ ابن حجر في «الكافي الشاف» (ص: ١٢٨) قصة أبي بكر في المراهنة رواها الترمذي [(٣١٩٤)] وغيره من حديث نيار بن مكرم الأسلمي، وسياقها مخالف لسياق هذه القصة. اهـ.

(٥) لفظ: «الآية» من (أ).

(٦) لفظ: «والميسر» من (ر).

(٧) في (ر): «اجتنابهم لها» بدل: «اجتنابهما».

(٨) «أفعال» سقط من (أ).

وروي أنَّ عمر رضي الله عنه قال: اللهمَّ بيِّن لنا في الخمرِ بياناً شافياً، فنزلت الآيةُ التي في «البقرة»: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ﴾، فدُعيَ عمرُ رضي الله عنه، فقرِئَت عليه، فقال: اللهم بيِّن لنا في الخمرِ بياناً شافياً، فنزلَت الآيةُ التي في «النساء»: ﴿لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَـٰرَىٰ﴾ [النساء: ٤٣]، فكان منادي النبيِّ عليه الصَّلاة والسَّلام ينادي إذا أقيمت: لا تَقربوا الصلاة وأنتم سكارى[١]، فقال عمر رضي الله عنه: اللهمَّ بيِّن لنا في الخمرِ بياناً شافياً، فنزلَت الآيةُ التي في «المائدة»: ﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ﴾ إلى قوله: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩١]، فقال عمر رضي الله عنه: انتهينا يا ربّ[٢].

وقال الشَّعبيُّ[٣] ومحمَّدُ بنُ كعبٍ القُرَظيُّ[٤] ومقاتل بن حيان[٥]: أوَّلُ ما نزلَ في الخمر قولُه تعالى: ﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَـٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا﴾ وهو خمرُ

---

(١) من قوله: «فكان منادي» إلى هنا من (أ).

(٢) رواه أبو داود (٣٦٧٠)، والترمذي (٣٠٤٩)، والنسائي (٥٥٤٠).

(٣) أخرج الطبري في «تفسيره» (٣/ ٦٨٣) عن الشعبي قال: نزلت في الخمر أربع آيات: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ﴾ الآية، فتركوها، ثم نزلت: ﴿تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا﴾ فشربوها، ثم نزلت الآيتان في «المائدة»: ﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ﴾ إلى قوله: ﴿فهل أنتم منتهون﴾.

(٤) أخرج ابن المنذر كما في «الدر المنثور» (٥/ ٤٦٧ـ٤٦٨) عن محمد بن كعب القرظي قال نزلت أربع آيات في تحريم الخمر؛ أولهن التي في «البقرة»، ثمَّ نزلت الثانية: ﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَـٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا﴾، ثم أنزلت التي في «النساء»، بينا رسولُ الله ﷺ يصلي بعض الصلوات إذ غنى سكرانُ خلفه، فأنزل الله: ﴿لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَـٰرَىٰ﴾ الآية، فشربها طائفةٌ من الناس، وتركها طائفة، ثم نزلت الرابعة التي في «المائدة»، فقال عمر بن الخطاب: انتهينا ياربنا.

(٥) في (ر): «سليمان».

التَّمر[١]، ﴿وَرِزْقًا حَسَنًا﴾ [النحل: ٦٧]، وهو ما يتَّخذ منه سواها، فعقلَ كبراءُ الصَّحابة ـ رضوان الله عليهم ـ أنَّه لو كان فيها خيرٌ لم تُميَّز[٢] عن الرِّزق الحسن، فتركوها، فنزلَ قولُه تعالى: ﴿قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾ بمسألةِ حمزةَ ومعاذٍ رضي الله عنهما[٣]، فذمَّهما ولم يُحرِّمهُما، فامتنعَ كثيرٌ منهم عن ذلك، وبعضُهم كانوا يشربونها[٤]، فصنعَ عبدُ الرَّحمن بن عوف طعاماً لجماعةٍ مِن المهاجرين والأنصار، فسقاهُمُ الخمرَ، وصلَّوا في منزلِه وهو إمام، فقرأ في صلاة المغرب: قل يا أيها الكافرون أعبد ما تعبدون، فأنزلَ الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ﴾[٥].

وهذه الآية أشدُّ مِن الأولى؛ لأنَّ اللهَ تعالى حرَّم السُّكْرَ عند مواقيتِ الصَّلوات، فقال عمر رضي الله عنه: إنَّ اللهَ يُقارِبُ في النَّهيِ عن شُربِ الخمر، وما أُراهُ إلَّا سيُحرِّمُها[٦]، فكانوا يشربونَها في غير مواقيت الصلوات[٧].

فصنعَ عتبانُ بنُ مالك طعاماً، ودعا رجالاً من المسلمين فيهم سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، وكان شوى لهم رأسَ بعير، فأكلوا منه، وشربوا الخمرَ حتى أخذت فيهم، ثمَّ إنَّهم افتخروا عند ذلك، وانتسبوا، وتناشدوا الأشعارَ، فأنشدَ سعدٌ

---

(١) «وهو خمر التمر» من (أ).

(٢) في (أ): «يتميز».

(٣) قال الثعلبي في «تفسيره» (٢/ ١٤١): نزلت في عمر بن الخطاب ومعاذ بن جبل ونفر من الأنصار؛ أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله أفتنا في الخمر والميسر، فإنها مذهبةٌ للعقل، مَسلبةٌ للمال، فأنزل اللهُ تعالى هذه الآية. وانظر «أسباب النزول» للواحدي (ص: ٦٤ ـ ٦٥).

(٤) في (ر): «كان يشربها» بدل «كانوا يشربونها».

(٥) خبر عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٤٥ ـ ٤٦).

(٦) في (ر): «يحرمه».

(٧) انظر: «تفسير الثعلبي» (٢/ ١٤٢).

قصيدةً فيها هجاءُ[١] الأنصارِ، وفَخَر بقومه، فقام رجلٌ مِن الأنصار، فأخذَ لَحْيَ البعيرِ، فضربَ به رأسَ سعدٍ فشجَّه[٢] موضِحةً[٣]، فانطلقَ سعدٌ إلى رسول الله ﷺ، فشكا إليه الأنصاريَّ، فأنزلَ اللهُ تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ﴾ الآية [المائدة: ٩٠] بعد غزوة الأحزاب بأيَّام، فقال المسلمون: قد انتهينا يا ربّ[٤].

وقوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ﴾ قد ذكرنا أنَّ عمرَو بنَ جموح الأنصاري سألَ رسول الله ﷺ سؤالين: على مَن يُنفِق؟ وكم يُنفِق؟ فنزلَ جوابُ الأوَّل في قوله: ﴿فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾ الآية [البقرة: ٢١٥]، وجوابُ الثاني في هذه الآية، وهو قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾، والسؤالان بصيغةٍ[٥] واحدةٍ، لكن عرف اختلافُهما باختلاف جوابيهما[٦]، وقد بيَّنَّا وجهَه.

والعفوُ: ما سَهُل وفَضَل، يُقال: خُذ ما أتاكَ عفواً، أي: سَهلاً[٧]، وأعْفَى فلانٌ فلاناً بحقِّه؛ أي: أوصلَهُ[٨] إليه بسهولةٍ مِن غير إلحاح، والعفوُ عن الجاني تسهيلٌ عليه، قال عليه السلام[٩]:..

(١) في (ر): «هجا فيها» بدل: «فيها هجاء».

(٢) بعدها في (ر): «شجة».

(٣) هي الشجة التي توضح وضح العظم. انظر: «مختار الصحاح» (مادة: وضح).

(٤) انظر: «تفسير الثعلبي» (٢/ ١٤٣).

(٥) في (أ): «بصيغة».

(٦) في (ر): «بجوابيهما» بدل: «باختلاف جوابيهما».

(٧) في (أ): «فضلًا».

(٨) هنا نهاية الخرم في نسخة فيض الله (ف)، وكانت بدايته عند قوله: «والثاني لزيادة الحجة عند تفسير قوله: ﴿وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ﴾.

(٩) قوله: «قال عليه السلام» من (ر).

«وعفوت لكم عن صدقة الخيل والرقيق»[١] هو تسهيلٌ بالإسقاط، وقولُه تعالى للنَّبيِّ ﷺ: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]؛ أي: ما سَهُلَ مِن أخلاقِ[٢] النَّاس.

ويقرأ بالنَّصب؛ لوقوع فعل الإنفاق عليه، ويقرأ بالرفع، على إضمار: هو[٣].

والعفوُ اسمٌ للفَضل أيضاً، قال النبيُّ ﷺ: «أوَّلُ الوقتِ رضوانُ الله[٤]، وآخره عفوُ الله»[٥] أي: فضلُ الله.

أو جعل هاهنا عبارةً عن الفضل على الحاجة؛ لما أنَّه سهل[٦] عليه ذلك، فلا يشقُّ عليه بيَّن اللهُ تعالى أنَّه يسَّر على النَّاسِ ولم يعسر عليهم[٧].

وشرعُ النَّفقةِ والصَّدقةِ على وجهٍ لا إسرافَ فيه ولا تقتير، قال تعالى: ﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٦]، وقال عز وعلا: ﴿وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ﴾ [الإسراء: ٢٩]، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟﴾ [الفرقان: ٦٧]، وقال النبيُّ ﷺ: «خيرُ الصَّدقة ما أبقت غنى، ولا تلام على كفاف»[٨].

---

(١) رواه أبو داود (١٥٧٤)، والترمذي في «سننه» (٦٢٠)، والنسائي (٢٤٧٧)، (٢٤٧٨)، وابن ماجه (١٧٩٠) من حديث علي رضي الله عنه.

(٢) في (ر): «اختلاف»، وفي (ف): «اختلاق»، وكلاهما تحريف.

(٣) هي بالرفع قراءة أبي عمرو، وقرأ الباقون بالنصب. انظر «السبعة» (ص: ١٨٢)، و«التيسير» (ص: ٨٠).

(٤) لفظ الجلالة «الله» ليس من (ف).

(٥) رواه الترمذي (١٧٢) من حديث ابن عمر بلفظ: «الوقت الأول من الصلاة رضوان الله، والوقت الآخر عفو الله»، ورواه باللفظ الذي ذكره المصنف الدارقطني في «سننه» (٩٨٤) من حديث جرير بن عبد الله.

(٦) في (أ): «يسهل».

(٧) لفظ: «عليهم» من (أ).

(٨) هما حديثان جمعهما المصنف في سياق واحد، فقوله: «خير الصدقة ما أبقت غنى» رواه بهذا =

وقال جابرٌ: بينما نحن عند رسولِ الله ﷺ إذ جاءَه رجل بمثلِ البيضةِ مِن ذهب[1]، فقال: يا رسولَ الله، خُذها صدقةً، فوالله لقد أصبحتُ ما أملكُ غيرَها، فأعرضَ عنه رسولُ الله ﷺ، ثم أتاهُ مِن الجانب الآخر، فقال[2] مثلَ ذلك، فأعرضَ عنه رسولُ الله ﷺ، ثمَّ أتاهُ مِن بين يديه، فقال له مثلَ ذلك، فقال[3]: «هاتها» مغضباً، فأخذَها منه، ثمَّ رماهُ بها، فلو أصابَهُ لأوجعَهُ، ثمَّ قال: «يأتيني أحدُكم بماله، لا يَملِكُ غيرَه، ثمَّ يجلسُ يَتكفَّفُ النَّاس! إنَّما الصَّدقةُ عن ظهر غنى، خُذها فلا حاجة لنا فيها»[4].

وقال الرَّبيعُ بنُ أنس: كان التَّصدُّق بالفضل في أول الإسلام إذا كان الرجلُ صاحبَ زرعٍ، أمسكَ لنفسِه قوتَ سنةٍ، وتصدَّقَ بالفضل، وإذا كان صانعاً، أمسكَ قوتَ يومِه، وتصدَّقَ بالفضل، فنُسِخت بآيةِ الزكاة.

وقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ﴾ قال ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: أي: هكذا يبيِّن اللهُ لكم مواضعَ

= اللفظ ابن خزيمة في «صحيحه» (٢٤٣٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وهو عند البخاري (١٤٢٦) من حديث أبي هريرة، وعنده (١٤٢٧)، وعند مسلم (١٠٣٤) من حديث حكيم بن حزام بلفظ: «خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى».

والقطعة الثانية منه، وهي قوله: «ولا تلام على كفاف» رواها مسلم في «صحيحه» (١٠٣٦) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه.

(١) في (ف): «ذهباً» بدل: «من ذهب».

(٢) بعدها في (أ): «له».

(٣) بعدها في (ر): «له».

(٤) رواه أبو داود في «سننه» (١٦٧٣).

الصَّدقات؛ لتتفكروا[١] في الدُّنيا فتعلموا أنَّها دارُ بلاءٍ[٢]، ثمَّ هي دارُ فناءٍ، فيزهدوا فيها، ويتفكَّروا في الآخرةِ، فيعلموا أنَّها دارُ بقاءٍ فيرغَبوا فيها[٣].

وقيل: أي: كما بيَّنَ اللهُ تعالى لكم حكمَ الخمرِ والميسر، والإنفاقَ وقدرَه ومصارفَه، كذلك يبيِّنُ الله لكم في المستقبلِ جميعَ ما تَحتاجون إلى معرفتِه مِن أمرِ[٤] دُنياكم وآخرَتِكم؛ لتتفكَّروا في الدُّنيا؛ أنِّي خلقتُها لأمتحنكُم فيها بالأمرِ والنَّهي والـمِحَن، وفي الآخرة؛ أنِّي خلقتُها لأجازيَ[٥] المحسن والمسيء.

وقيل: أي: لتَتفكَّروا في الدُّنيا، فتَحبِسوا مِن أموالِكم ما تتعيَّشون به، وتتفكَّروا في الآخرة، فتُنفِقوا الباقيَ فيما ينفعُكم فيها.

وقيل: أي: لتَتفكَّروا فيما أعطاكُم اللهُ تعالى في الدُّنيا مِن الأموالِ الكثيرة، وأمرَكُم أنْ تُخرِجوا منها اليسيرَ، ثمَّ وعدَكُم عليه في الآخرةِ أضعافاً كثيرةً، فتَعلَموا فضلَهُ، وتؤدُّوا شُكرَه.

وقيل: أي: لتَتفكَّروا في الدُّنيا وفنائِها، وفي الآخرةِ وبقائِها، فتعمَلوا في هذه لتلك.

وقيل: أي: لتَتفكَّروا في الدُّنيا، فتُمسِكوا القوتَ لأهاليكم، وتَتفكَّروا في الآخرة، فتُقدِّموا الفضلَ لأنفُسكم.

---

(١) في (ر) و(ف): «لتنظروا».

(٢) في (ر): «ابتلاء».

(٣) روى الطبري في «تفسيره» (٣/ ٦٩٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٣٩٤) (٢٠٧٥) نحوه مختصراً.

(٤) في (ر): «أمور».

(٥) بعدها في (أ): «فيها».

وقيل: أي: لتتفكَّروا في الدُّنيا أنَّ اللهَ تعالى وَعَدَ فيها الرِّزقَ بغير عملٍ منكم، وتَتفكَّروا في الآخرة أنَّ اللهَ تعالى وعدَ فيها الثَّوابَ على عملِكم، ثمَّ تجتهدون في هذا، ولا حاجة إليه! فما لكم لا تَجتهدون في ذلك، ولا يُنالُ ذلك إلَّا به؟!

* * *

(٢٢٠) - ﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى﴾ وانتظامُها بما قبلَها[١] أنَّهم لـمَّا أُمِروا بالإنفاق مِن أموالِهم، استقصوا[٢] على أنفسِهم، فظَنُّوا أنَّهم أُمِروا بإنفاقٍ يُجحِفُ بهم، فسأَلوا عن ذلك، فأجيبوا بما عادَ عليهم[٣] بالنَّفع لهم في آخرَتِهم، والرِّفقِ بهم في دُنياهم، وأُمِروا بإنفاقٍ يَخِفُّ عليهم، ولَمَّا أُمِروا بمراعاةِ حقِّ اليتامى بالإنفاقِ عليهم، وألَّا يقربوا أموالَهم إلَّا بالأحسن، وألَّا يأكلوا أموالَهم ظُلماً، استقصَوا في ذلك، فعزلوا أموالَهم عن أموالِهم، ولم يُخالِطوهم فيتضرَّر به اليتامى، فرخَّصَ اللهُ تعالى لهم في المخالطةِ والمؤاكلةِ على وجهٍ يَجمعُ الرِّفقَ للفريقين.

وعن ابن عباسٍ رضي الله عنهما أنَّه قال: لـمَّا نزلَ قولُه تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [الأنعام: ١٥٢]، وقولُه تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا﴾ [النساء: ١٠]، انطلقَ مَن كان عنده يتيمٌ، فعزلَ طعامَه عن طعامِه، وشرابَه عن شرابِه، فجعلَ يُمسِكُه عليه، حتَّى يأكلَه أو يفسُدَ، فاشتدَّ ذلك

---

(١) قوله: «بما قبلها» من (ر).

(٢) في (ف): «واستقصوا».

(٣) في (ر): «إليهم».

عليهم، فذكروا ذلكَ لرسول[1] الله ﷺ، فنزلَتِ الآيةُ[2].

وروي أنَّ السَّائلَ كان عبدَ الله بنَ رواحة، قال: يا رسولَ الله، هل تحلُّ لنا مخالطَتُهم؟ فنزلت الآية: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ﴾[3]، قال الكلبيُّ: أي: عن مخالطةِ اليتامى، ودلَّ على هذا الإضمارِ الجوابُ، وهو قوله تعالى: ﴿قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ﴾.

قال مقاتل رحمه الله: أشفقَ المسلمون من مخالطةِ اليتامى، فعزَلوا بيتَ اليتيمِ وطعامَهُ وخادمَهُ[4]، فشقَّ عليهم ذلك، فقال ثابتُ بنُ رِفاعةَ للنبيِّ ﷺ: قد أنزلَ اللهُ تعالى في اليتيمِ ما أنزلَ، فعزلناهُم والذي لهم، واعتَزلنا والذي لنا، فشقَّ علينا[5] وعليهم، وليس كلُّنا يجدُ سَعةً، فهل تَصلحُ لنا مخالطَتُهم، فيكونُ البيتُ والطَّعام واحداً لا نرزأُهم شيئاً، إلا أنْ نعودَ عليهم بأفضل منه، فنزل قولُه تعالى: ﴿قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ﴾[6]، قيل[7]: إصلاحُ أموالِهم خيرٌ لكم؛ أي: ما فعلتُم وفيه صلاحُهم[8] فهو خيرٌ لكم.

وقيل: بل معناه: خيرٌ لهم مِن عزلِهم وتركِ مخالطتهم.

---

(١) في (ف): «فسألوا رسول» بدل: «فذكروا ذلك لرسول».

(٢) رواه أبو داود في «سننه» (٢٨٧١)، والنسائي في «المجتبى» (٣٦٦٩)، (٣٦٧٠)، والطبري في «تفسيره» (٣/ ٦٩٩).

(٣) انظر: «تفسير أبي الليث» (١/ ٢٠٤).

(٤) في (ر): «وشرابه».

(٥) بعدها في (ر): «ذلك».

(٦) انظر: «تفسير مقاتل» (١/ ١٨٩).

(٧) بعدها في (أ): «أي».

(٨) في (ف): «صلاحكم».

وقال ابنُ عباس رضي الله عنهما: المخالطةُ أن تأكلَ من ثمره ولبنه وقصعتِه، وهو يأكلُ من[١] ثمرِك ولبنك وقصعتك[٢]. وهذا إذا أصابَ مِن مالِ اليتيم بقدرِ عملِه له أو دونَه، فلا يَزيدُ على أجر مثلِه، وقد قال تعالى: ﴿وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: ٦].

وقد تكون المخالطةُ بخلط المالَين، وتناولِ الكلِّ منه، ثمَّ وإن وقعَ التفاوتُ بقلَّةِ الأكل وكثرتِه لكن[٣] اعتباره يوقِعُ في الحرج[٤]، وهو منفيٌّ شرعاً، وعلى هذا اجتماعُ الرِّفقةِ في السَّفر على خلطِ المال، ثمَّ اتِّخاذُ[٥] الأطعمة به، وتناولُ الكلِّ منها مع وهم التَّفاوتِ: مرخَّصٌ لهم؛ استدلالاً بهذه الآية.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: قيل: ﴿قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ﴾ هو إصلاحُ أنفسِهم[٦] وقلوبِهم بتعويدِهم الأكلَ مع النَّاس، فإنَّ شرَّ النَّاسِ مَن أكلَ وحده.

قال: وفيه دليلٌ على أنَّ مالَ الصَّغير[٧] يحتمل قليل التبرع[٨].

قال: وفيه دليلٌ على أنَّ علَّة الرِّبا ليست هي الطُّعم، بل الكيلُ والوزن؛ فإنَّ اللهَ تعالى أباحَ المخالطةَ مع تفاوتِ الأكلِ في المطعوم؛ لعدم الكيلِ والوزن[٩].

---

(١) لفظ: «من» ليس في (ف).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٣٩٥) (٢٠٨٢).

(٣) في (ر): «بذلك» بدل: «لكن».

(٤) من قوله: «ثم وإن وقع التفاوت» إلى هنا ليس في (ف).

(٥) في (ر): «خلط» بدل: «اتخاذ».

(٦) في (ر): «نفوسهم».

(٧) في (ر): «اليتيم».

(٨) قوله: «قال وفيه دليل على ان مال الصغير يحتمل قليل التبرع» ليس في (ف).

(٩) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٢/ ١٢١).

قوله تعالى: ﴿وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ﴾ في الدِّين[١]؛ أي: هم إخوانكم، ومِن حقِّ الأخِ أنْ يُعان ولا يخان.

وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ﴾ بيَّن أنَّه تعالى لا يَخفى عليه قصدُ المخالطةِ بما فعلَ، وأنَّه يجزيهِ على وفقِ عمله، وهو أبلغُ وعدٍ ووعيدٍ.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ﴾ قيل: لشقَّ عليكم، فلم يُرخِّص المخالطةَ.

وقال ابنُ عباس رضي الله عنهما: لضيَّق[٢] عليكم[٣].

وقال مقاتلٌ رحمه الله: لأثَّمكم بتحريمِ ذلك[٤].

وقيل: لأهلكَكُم.

وأصلُ العنت: المشقَّة؛ يقال: أكمةٌ[٥] عنوتٌ؛ أي: طويلةٌ[٦] يَشُقُّ صعودُها، وعَنَتَ العظمُ عنتاً، إذا أصابَه وهنٌ أو كسرٌ، والإعناتُ: الحملُ على مكروهٍ لا يُطيقُه، والتَّعنُّت في السُّؤالِ: التَّشديدُ فيه والتَّغليظ. والعنتُ: الإثم. وقيل: المشقَّة والهلاك.

وقيل في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنكُمْ﴾ [النساء: ٢٥]: إنَّه الإثم. وقيل: الهلاكُ بالوقوع في الزِّنى.

وقوله تعالى: ﴿لَعَنِتُّمْ﴾ [الحجرات: ٧]؛ أي هلكتم.

---

(١) قوله: «في الدين» من (أ).

(٢) في (ر): «لشق»، والمثبت موافق للمصادر.

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٧٠٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٣٩٦) (٢٠٩٠).

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» (١/ ١٨٩).

(٥) في (ف): «يقال لأن كلمة»، وفي (ر): «لأن كلمة» بدل: «يقال أكمة».

(٦) بعدها في (أ): «أي».

وقوله تعالى: ﴿وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ﴾ [آل عمران: ١١٨]؛ أي: ما يَشُقُّ عليكم.

وقوله تعالى: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ [التوبة: ١٢٨]؛ أي: شديدٌ عليه ما يَشُقُّ عليكم. وقيل: ما أثمتم. وقيل: أي: هلاكُكم بالذُّنوب.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾؛ أي: منيعٌ[1]، لا يَمتنعُ عليه ما يشاء، و﴿حَكِيمٌ﴾ فلا يَحكمُ إلَّا بما فيه حكمة.

وقيل: المرادُ بالمخالطة المذكورة في هذه الآيةِ هي المخالطةُ بالأنْفُسِ بالمناكحات، وهو أن يكون ابناً، فيزوِّجَهُ ابنتَه، أو يكون بنتاً، فيزوِّجَها ابنه، فتوكَّدَ[2] الألفة، ويخلطه بنفسه وبعشيرته؛ إيناساً لوَحشتِه، وإزالةً لوحدته، وهو مرويٌّ عنِ الحسن.

وقريبٌ مِنه ما ذُكِرَ في قوله تعالى: ﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِى ٱلنِّسَآءِ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾ [النساء: ١٢٧]، ويدلُّ على هذا في هذه الآية ذِكر النِّكاحِ فيما بعدَهُ.

* * *

(٢٢١) ـ ﴿وَلَا تَنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُواْ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُوْلَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ﴾ قيل: كانوا يلونَ[3] يتامى أهل

---

(١) في (ر): «ممتنع».

(٢) في (ر): «فتتأكد».

(٣) في (ر) و(ف): «يكونون»، وهو تحريف.

الشِّركِ مِن قراباتهم، ويَرغَبون في المناكحة؛ تحقيقاً للمخالطةِ التي رُخِّصَ لهم فيها، فبيَّنَ أنَّ نكاحَ المشركةِ الحربية ليس من ذلك، ثم معناه: لا تتزوَّجوا الكافرات، ويقع الاسمُ على أهل الكتاب أيضاً في الأصل، قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ إلى قولِه: ﴿سُبْحَـٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٠ ـ ٣١]، وكان ذلك جائزاً في ابتداءِ الإسلام، وقد زوَّجَ رسولُ الله ﷺ ابنته زينبَ من أبي العاص، وهو مشركٌ، فلما وردَ هذا النهيُ، وهاجرت زينبُ، بانَت منه، فلمَّا أسلمَ أبو العاص زوَّجها منه ثانياً.

وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ﴾؛ أي: إلى أن يُسلِمن، مدَّ النهيَ إلى غايةٍ، ثمَّ خُصَّ مِن هذا العمومِ الكتابيَّاتُ الذمِّياتُ؛ لقوله تعالى: ﴿وَٱلْمُحْصَنَـٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَـٰتِ وَٱلْمُحْصَنَـٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ [المائدة: ٥] حرائرهم وإماؤهم(١)، وبقيَت الحربيَّات في عمومِ هذه الآية.

ونزولُه فيما ذكرَ الكلبيُّ قال: بعث رسولُ الله ﷺ رجلاً من غَنِيّ(٢)، يُقالُ له: مرثد بن أبي مرثد ـ وقال عطاء: هو أبو مَرْثَد كنَّازُ بنُ الحُصين الغنوي(٣) ـ إلى مكَّة ليخرجَ أناساً من المسلمين بها سرًّا(٤)، فلمَّا قدِمَها سَمِعَت به امرأةٌ يقال لها: عَناق(٥)، وكانت خليلةً له في الجاهليَّة، فأتتهُ فقالت له: يا مرثد، ألا تخلو؟ فقال: إنَّ الإسلامَ قد حالَ بيننا وبين ذلك، وحرَّمَهُ علينا، ولكن إن شئتِ تزوَّجتُكِ، إذا رجعتُ إلى

---

(١) في (ف): «لا إماؤهم».

(٢) وقع في هامش (أ) ما نصه: «قبيلة من غطفان».

(٣) ذكر قول عطاء الثعلبي في «تفسيره» (٢/ ١٥٤).

(٤) كذا في النسخ، ووقع في «أسباب النزول» للواحدي: «أسراء» بدل: «سرا».

(٥) في (ر) و(ف): «عنقا» وبهامش (ف) ما نصه: «نسخة: يقال لها: عناق».

رسول الله ﷺ استأمرتُه، ثمَّ تزوَّجتُكِ، فاستغاثَت عليه، فضربوه ضرباً شديداً، ثمَّ خلَّوه، فانصرفَ إلى رسول الله ﷺ، وأعلمَه الذي كان من أمرِه وأمر عناق[1]، وقال: أيحلُّ لي أنْ أتزوَّجها؟ فأنزلَ اللهُ تعالى هذه الآية ينهاه[2] عن ذلك[3].

وقوله تعالى: ﴿وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾ اللَّام للتأكيد. والأمةُ: الرَّقيقة، وجمعها الإماء، والمصدرُ الأمُوَّة، وقد أميتُها وتَأمَّيتُها؛ أي: استرقَقتُها.

وقوله تعالى: ﴿خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ﴾؛ أي: أفضلُ وأحقُّ مِن حرَّةٍ مشركة، وقوله: ﴿وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾؛ أي: وإنْ راقتْكُم، وإن بلغَ بكم النهايةَ في الإعجاب؛ أي: وسَّعَ الله تعالى الأمرَ، وكثَّر المنكوحات، فلا حاجةَ إلى المشركات.

وقوله: ﴿وَلَأَمَةٌ﴾ قال مقاتلُ بنُ حيَّان: نزلَت في خنساء، وكانت وليدةً سوداءَ لحُذيفة بنِ اليمان، قال: يا خنساء، قد ذُكِرتِ في الملأ الأعلى مع سوادِك ودمامَتِك، وأنزلَ اللهُ تعالى ذكرَكِ في كتابِه، فأعتقَها وتزوَّجها[4].

---

(١) في (ر): «عنقا».

(٢) في (أ): «فنهاه».

(٣) علقه الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٦٧) من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس. وهو إسناد واهٍ. قال الحافظ ابن حجر في «الكافي الشاف» (ص: ١٨): ونزولها في هذه القصة ليس بصحيح، فقد رواه أبو داود [(٢٠٥١)] والترمذي [(٣١٧٧)] والنسائي [(٣٢٢٨)] من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: كان رجل يقال له مرثد بن ابي مربد الغنوي، وكان رجلاً شديداً يحمل الأسارى من مكة حتى يأتي بهم المدينة. الحديث بطوله، وفيه: حتى نزلت: ﴿الزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ﴾ قال: فدعاني رسول الله ﷺ وقرأها عليَّ، وقال: «لا تنكحها».

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢/ ١٥٥) دون نسبته لمقاتل، وروى ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٣٩٩) (٢١٠٣) عنه قال: بلغنا أنها كانت أمة لحذيفة سوداء، فأعتقها وتزوجها حذيفة.

وقال السُّدِّيُّ: نَزلَت في عبدِ الله بنِ رواحة، كانت له أمةٌ سوداءُ، فغَضِبَ عليها، فلطَمَها، ثمَّ فزِعَ، فأتى النبيَّ ﷺ فأخبرَه، فقال له النبيُّ ﷺ: «وما هي يا عبدَ الله؟» قال: هي تشهدُ أنْ لا إلهَ إلا الله، وأنَّك رسوله[١]، وتصومُ رمضان، وتُصلِّي، وتُحسِنُ الوضوء، قال: «يا عبد الله، هذه مؤمنة»، قال: فوالذي بعثَك بالحقِّ نبيًّا، لأُعتقنَّها، ولأتزوَّجنَّها، ففعلَ، فعَظُمَ ذلك على أناسٍ من المسلمين، وقالوا: أتنكح أمةً؟! فنزلت الآية[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟﴾؛ أي: لا تزوِّجوهم بناتكم، وهذا في حقِّ الصغيرات، فأمَّا الكبيرةُ، فلها أن تتزوَّجَ بنفسِها، ولا يُزوِّجُها أبوها إلَّا برضاها، وسكوت البكرِ رضى.

وقوله تعالى: ﴿وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ﴾؛ أي: مِن حرٍّ مشركٍ، ﴿وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ﴾ بمالِه وجمالِه وخِصالِه.

وقوله تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ وبيَّن علَّة المنعِ، فقال: أولئك[٣] يَدعون إلى الكفر والمعاصي التي تُوجِبُ النَّار.

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ﴾؛ أي: يدعوكُم إلى مخالطةِ المؤمنين؛ لأنَّ ذلك أوصلُ لكم إلى الجنَّة والمغفرة.

وقيل: أي: يدعوكم إلى الأمرِ الذي أَذِن به، وبه تدخلون الجنَّة، وهو نكاحُ المسمَّاة[٤] هاهنا، وقوله: ﴿بِإِذْنِهِۦ﴾ يتَّصلُ به من الوجهِ الذي قلنا.

---

(١) في (ف): «رسول الله».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٧١٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٣٩٨) (٢١٠٢).

(٣) في (ف): «إنهم»، وليست في (ر).

(٤) في (أ): «المسلمات».

وقيل: يَدعو إليها بالأمرِ بسلوك الطَّريقِ الذي يؤدِّي إليه.

وقوله تعالى: ﴿وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ﴾؛ أي: أوامرَهُ ونواهيه، ووعدَهُ ووعيدَه.

وقوله تعالى: ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾؛ أي: ليتَّعِظوا، وقد ذكَّرتُه فتذكَّر؛ أي: وعظتُه فاتَّعظَ، والذِّكرى: الموعظة.

* * *

(٢٢٢) ـ ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ﴾ انتظامُ الآيتين: أنَّ الأولى فيها نهيٌ عن نكاح المشركةِ التي بها نجاسةُ الشِّرك، والثانيةَ فيها نهيٌ عن قربانِ المسلمةِ التي بها نجاسَةُ الحيض.

وفيه[١] شرفُ المؤمن؛ حيث نزَّههُ عن مخالطةِ الأنجاسِ إلى وقت زوالِ الأدناس، فقال تعالى ثمَّةَ: ﴿حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ﴾، وقال تعالى هاهنا: ﴿حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ﴾.

وقوله: ﴿عَنِ ٱلْمَحِيضِ﴾ أي: الحيض، وهو اللَّوثُ الخارجُ من الرَّحمِ في وقتٍ معتاد، يقال: حاضت الأرنبُ إذا خرجَ من قُبُلِها دمٌ، وحاضَتِ السَّمُرةُ[٢] إذا خرجَ من شقِّها حمرةٌ، ويقال: حاضَتِ المرأةُ تَحِيضُ حَيْضاً ومَحِيْضاً[٣]، كما يقال: حادَ

---

(١) في (ف): «وفيها».

(٢) في (ر): «الشجرة»، والسَّمُرة: من شجر الطلح. انظر: «مختار الصحاح» (مادة: سمر).

(٣) لفظ: «ومحيضاً» من (أ).

يَحِيدُ حَيْداً ومَحِيْداً فهو حائدٌ، وحاصَ يَحِيصُ حَيْصاً ومَحِيصاً[١] فهو حائص.

والسُّؤالُ مطلقٌ وفيه إبهامٌ، فتبيَّن بالجوابِ أنَّ سؤالَهم كان عن مخالطةِ النِّساء في المحيض.

ونزولُه فيما روى أنس قال: كانت اليهودُ إذا حاضتِ المرأةُ منهم، لم يُؤاكِلُوها، ولم يُشَارِبوها، ولم يَجتمعوا معها في البيوت، فسُئِل النَّبيُّ ﷺ عن ذلك، فأنزلَ اللهُ تعالى هذه الآية، فأمرَهُمُ النبيُّ ﷺ أنْ يُؤاكلوهنَّ، ويُشارِبوهنَّ، وأن يكونوا معهنَّ، وأن يفعلوا كلَّ شيءٍ ما خلا النكاح؛ أي: الوطء، فقالت اليهودُ: ما يريد[٢] هذا الرجلُ منَّا؟ لم يدع شيئاً مِن أمرِنا إلَّا خالَفَنا فيه! قال: فجاء عبَّادُ بنُ بِشْر[٣] وأُسَيدُ بنُ حضير إلى النبيِّ ﷺ، فأخبراه بذلك، وقالا: يا رسول الله، أفلا ننكحُهنَّ في المحيض؟ ـ أي: أفلا نطَؤهُنَّ ـ فتغيَّر وجهُ رسولِ الله ﷺ، حتَّى ظننَّا أن قد غضبَ عليهما، فقاما، فاستقبلَتهما[٤] هديةٌ مِن لبنٍ، فأرسل النبيُّ ﷺ إليهما فسقاهُما، فعلِما أنَّه لم يغضب عليهما[٥].

وقال مقاتل بن سليمان: نزلت في عمرو بنِ الدَّحداحِ البلويّ، وبلي حي من قضاعة[٦]، قال: ولمَّا نزلت هذه الآيةُ لم يؤاكلوهنَّ في إناءٍ واحد، وأخرجوهنَّ مِن بيوتهنَّ ومِن الفرش، كفعلِ العجَم، فقال أناسٌ مِن الأعراب: قد شقَّ علينا اعتزالُ

---

(١) «ومحيضاً» زيادة من (ف).

(٢) في (ف): «يرد».

(٣) في النسخ الخطية: «بشير»، وهو تحريف.

(٤) في (ر): «فاستقبلهما».

(٥) رواه مسلم في «صحيحه» (٣٠٢).

(٦) انظر: «الأنساب» للسمعاني (٢/ ٣٠٠).

الحُيَّض، والبردُ شديدٌ، فإن آثرناهنَّ بالثِّيابِ هَلكَ سائرُ أهلِ البيت، وإن آثرنا أهلَ البيت هَلكَت النِّساءُ برداً، فقال النبيُّ ﷺ: «إنَّكم لم تؤمروا باعتزالهنَّ مِن البيوت، وإنَّما أُمرتُم باعتزالِ الفُروجِ إذا حِضْنَ، ويؤتينَ إذا طَهُرن»، وقرأ عليهم: ﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ﴾[١].

وقال مقاتلُ بن حيَّان: نزلَت في أبي الدَّحداحِ صاحبِ الحديقة.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ أَذًى﴾؛ أي: قَذَر.

وقيل: أي[٢] شيءٌ تتأذَّى به المرأةُ، ويتأذَّى به مَن يَجِد ريحَها منها، وهذا بيانُ العلَّة، وبعده بيانُ الحكم، وهو قولُه تعالى: ﴿فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ﴾؛ أي: اجتنبوهُنَّ، وتَنحَّوا عنهن، يقال: عزلتُه فانعزَلَ، أي: نحَّيتُه فتنحَّى، ومنه: عزلُ الوالي، وعزلُ الماء عن المرأة، وعزلُ بعضِ الأقرباء عن الميراث، ومنه قوله تعالى: ﴿وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فِي الْمَحِيضِ﴾ يجوزُ أن يكون مصدراً كالأوَّل؛ ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ﴾، ومعناه: تنحَّوا عنهنَّ حالةَ حيضِهنَّ.

ويجوزُ أن يكون مَوضِعاً، كالمرجِع والموضع، ويكونُ عبارةً عن الفرج، ويدلُّ عليه ما روينا: «إنما أمرتم باعتزال الفروج»[٣].

واستدلَّ به محمَّدُ بنُ الحسن رحمه الله في قوله: إنَّ الزَّوجَ يَجتنبُ شِعارَ الدَّم، وله ما سوى ذلك، وأبو حنيفة وأبو يوسف رحمهما الله احتاطا، فألحقا به ما

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (١/ ١٩١ ـ ١٩٢).

(٢) لفظ: «أي» من (أ).

(٣) في قول مقاتل بن سليمان الذي سلف قريباً.

تحتَ الإزار؛ لأنَّ الدَّم قد يَصِلُ إلى ذلك، وقد قال النبيُّ ﷺ لعائشة رضي الله عنها: «اتَّزِري، وعودي إلى مضجعِك»[١].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ﴾؛ أي: لا تَطَؤوهنَّ، وفسَّر ذلك[٢] قولُه: ﴿فَاعْتَزِلُوا﴾، ولولاه لتُوهِّم بالاعتزالِ المفارقةُ بكلِّ البدنِ في كلِّ شيءٍ.

وقيل: أكَّدهُ بصيغتين: نهيٍ وأمرٍ؛ مبالغةً في المنع؛ لما أنَّ الزَّوجين مجتمعان[٣] غالباً ومعهما داعيان إليه ظاهراً.

وقوله تعالى: ﴿حَتَّى يَطَّهَّرْنَ﴾ بالتَّشديد في قراءة حمزةَ والكسائيِّ وعاصمٍ في رواية أبي بكر؛ أي: يغتسلنَ، و﴿يَطْهُرْنَ﴾ بالتخفيف في قراءة الباقين[٤]؛ أي: يَخرجنَ مِن الحيضِ بانقطاعِ الدَّم.

وإذا كانت أيامُها عشرةً فكما انقطعَ، حلَّ وطؤها للزَّوج والمولى، وإذا كانتْ دون ذلك فانقطعَ واغتسلت، فكذلك، وإذا لم تَغتسِل، ومضى عليها وقتُ صلاةٍ، فكذلك، وعند زُفر والشافعيِّ رحمَهُ الله: لا يحلُّ بحالٍ قبل الاغتسال، ويحتجَّان[٥] بقراءة التَّشديد، ونحن نعملُ بالقراءتين في حالتين[٦].

---

(١) ذكره السرخسي في «المبسوط» (١٠/ ١٦٠)، وأخرج أحمد في «مسنده» (٢٦٧٤٣)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٩٣٦)، والبيهقي في «الكبرى» (١٤٩٣) نحوه لكن من حديث أم سلمة رضي الله عنها.

(٢) بعدها في (ر) و(ف): «في».

(٣) في (أ): «يجتمعان».

(٤) انظر: «السبعة» (ص: ٨٠)، و«التيسير» (ص: ٨٠).

(٥) في (أ): «ونحتج».

(٦) في (ر) و(ف): «الحالتين». وانظر «المبسوط» للسرخسي (٢/ ١٦)، و«المجموع» للنووي (٢/ ٣٦٢).

وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ﴾؛ أي: اغتسلنَ، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُواْ﴾ [المائدة: ٦].

وقوله تعالى: ﴿فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ﴾ قال مجاهد: سألتُ ابنَ عباس رضي الله تعالى عنهما عن هذا، فقال: هذا أمرُ إباحةٍ ورخصة[1]، ويَنصرفُ إلى ما وقعَ النَّهيُ عنه، وهو القُربانُ في موضعِ الحيض لأجلِ الحيض، فإذا زالَ الحيضُ أُبيحَ الإتيانُ في ذلك الموضعِ، ولأنَّ اللهَ تعالى حرَّم إتيانَ القُبل في أيَّام الحيض للأذى، فيحرمُ إتيانُ الدُّبُر في الأحوال كلِّها لِما فيه مِن الأذى، وهو القذر.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ﴾[2]؛ أي: عن إتيانِهم النِّساءَ في حالةِ الحَيض وفي الدُّبُر، وقوله تعالى ﴿وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾؛ أي: المتنزِّهينَ عنهما، فلا يأتونَهما قَطّ.

وقد قبَّح اللهُ تعالى ذلك الفعلَ، حيث قال في صفةِ أهلِه: ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [النمل: ٥٥]، ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ [الأعراف: ٨١]، ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ [الشعراء: ١٦٦]، ﴿مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ٨٠]، ووصفَ المتباعِدَ عنه بالتَّطهُّر، قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٨٢]، وقال تعالى: ﴿وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

وقيل: أي: يحبُّ التَّوابين مِن كلِّ الجنايات، والمتَطهِّرين مِن كلِّ النَّجاسات.

وقال أبو القاسم الحكيم: ﴿يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ﴾ من الذُّنوب، ﴿وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾

---

(١) لم أقف عليه من قول ابن عباس رضي الله عنهما، وهو بعيد عن لغة عصره، فلعله معنى قوله صاغه المصنف بلغته، والله أعلم.

(٢) بعدها في (ر) و(ف): «وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ».

مِن العُيوب، فالذُّنوبُ ظاهرةٌ، كالسَّرقة والزِّنى وشُربِ الخمر، والعيوبُ باطنةٌ، كالحقدِ والغِلِّ والحسدِ وسوءِ الخُلُق، وقدَّم التوَّابين؛ تسكيناً للعُصاةِ حتَّى لا يَقنطوا، كما قيل في تقديم الظَّالِم على المقتصدِ والسَّابق[١].

وقيل: لأنَّ التوَّابين أكثرُ مِن المتطهِّرين الذين يَبقونَ على الطَّهارة، فلا يتلوَّثون بذنبٍ، والأكثر يُبدَأُ به، كما في قوله تعالى: ﴿فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾ [التغابن: ٢]، وفي قوله تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ الآية [فاطر: ٣٢].

* * *

(٢٢٣) ـ ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُمْ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾[٢] أي: مَحْرَثٌ ومَزْرَعٌ للأولاد، سُمِّيَ موضعُ الفعل بالفعل، كالبيت سُمِّي به؛ لأنَّه موضعٌ يُباتُ فيه، وقال الشاعرُ يصفُ امرأتَهُ بأكل الجراد:

إذا أكلَ الجرادُ حروثَ قومٍ ... فحَرثي همُّه أكلُ الجرادِ[٣]

ووحَّدَ الحرثَ مع ذكرِ جماعةِ النِّساء؛ لأنَّه في الأصل مصدرٌ.

وقوله تعالى: ﴿فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ﴾ أي: موضعَ حرثِكُم، وهو الفرجُ؛ لأنَّه موضعُ الولد دونَ الدُّبر.

---

(١) في قوله تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [فاطر: ٣٢].

(٢) بعدها في (ر) و(ف): «فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ».

(٣) البيت دون نسبة في «تهذيب اللغة» (٤/ ٤٧٧ ـ ٤٧٨)، و«إعراب ثلاثين سورة» لابن خالويه (ص: ٢٢٤)، و«تفسير الثعلبي» (٢/ ١٦٢)، و«التفسير البسيط» للواحدي (٤/ ١٨٢).

وقوله تعالى: ﴿أَنَّىٰ شِئۡتُمۡ﴾؛ أي: كيف شئتم، كما في قوله تعالى: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٞ﴾ [الانعام: ١٠١]، والمرادُ مِن التخيير في الكيفية؛ أي: قياماً وقعوداً، ومقابلةً ومدابرة، وعلى الجنب، ومجبِّيَةً؛ أي: على هيئةِ الرَّاكعة[1]، وعزلاً للماء، وغيرَ عزلٍ برضاها، وفي الأمةِ المملوكةِ لا يُشترَطُ رضاها، وفي الأمةِ المنكوحة يُشترَطُ رِضى مولاها عند أبي حنيفةَ رحمه الله[2].

وقال جابرُ بنُ عبد الله رضي الله عنه: كانت اليهودُ تقول: إذا أتى الرجل امرأته[3] من خلفها في قبلها، كان ولده أحول، فأنزل الله تعالى: ﴿نِسَآؤُكُمۡ حَرۡثٞ لَّكُمۡ فَأۡتُواْ حَرۡثَكُمۡ أَنَّىٰ شِئۡتُمۡ﴾[4].

ورَوَت حفصةُ رضي الله تعالى عنها أنَّ امرأةً قالت للنبيِّ ﷺ: إنَّ زوجَها يأتيها وهي مدبرةٌ، فقال عليه الصَّلاة والسَّلام: «لا بأسَ إذا[5] كان في صمامٍ واحد»[6].

وعن أمِّ سلمةَ رضي الله تعالى عنها قالت: كانت اليهودُ يقولون للأنصار: إنَّه من جبَّى أهلَه ولدَ له أحول، فكان[7] نساءُ الأنصار لا يُتابِعنَ بُعولتهُنَّ على ذلك، فلمَّا

---

(١) في (ف): «الركوع».

(٢) انظر: «بدائع الصنائع» للكاساني (٢/ ٣٣٤ ـ ٣٣٥).

(٣) في (ف): «المرأة».

(٤) رواه البخاري (٤٥٢٨)، ومسلم (١٤٣٥).

(٥) في (ف): «إن».

(٦) أخرجه أبو حنيفة في «مسنده» (ص: ١٧٨)، ومن طريقه أبو يوسف في «الآثار» (٦١٤)، قال الدارقطني: فوهم (يعني أبا حنيفة رحمه الله) في إسنادِه في موضعين، فقال: عن يوسف بن ماهك، مكان ابن سابط، وقال عن حفصة زوج النبي ﷺ، ولم يقل: حفصة بنت عبد الرحمن بن أبي بكر، وأسقط أم سلمة. اهـ. ورواية حفصة بنت عبد الرحمن عن أم سلمة سيذكرها هو الحديث التالي عند المصنف.

(٧) في (ر): «فكانت».

قدمَ المهاجرون المدينةَ نكحوا في الأنصار، فأرادَ رجلٌ امرأتَه على ذلك، فأبت[١]، وقالت: حتَّى أسألَ رسولَ الله ﷺ، فدخلَت على أمِّ سلمةَ رضي الله تعالى عنها، فذكرَتْ ذلك لها، فقالت لها: كوني مكانَك حتَّى يَدخُلَ رسولُ الله ﷺ، فدخلَ، فكأنَّ الأنصاريَّة استحيَت، فذكرَت أمُّ سلمةَ ذلك لرسولِ الله ﷺ، فقال: «ادْعِيها»، فدعَتها، فقعَدت بين يدَي رسولِ الله ﷺ[٢]، فقرأ عليها رسولُ الله ﷺ: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ «صماماً واحداً[٣]»[٤].

وقال سعيدُ بن جُبَير رضي الله تعالى عنه: كنتُ أنا ومجاهد عند ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، فسأل[٥] رجلٌ عن قوله تعالى: ﴿فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ﴾، فقال: أُمِرتَ أن تأتيَ مِن حيثُ جاء الدَّمُ، فقال الرَّجلُ: كيف بالآيةِ التي بعدها: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾؟ فقال: ويحك[٦]! هل في الدُّبُرِ مِن حَرْث؟![٧]

وقال عطاء: ﴿أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ أي: متى شئتم من ليلٍ أو نهار[٨].

وقالوا: هذا لا يَصلحُ في اللُّغة؛ لأنَّ له ثلاثةَ معانٍ فقط: معنى: كيف، ومعنى:

---

(١) من قوله: «لما قدم المهاجرون المدينة» إلى هنا مكانه في (ف): «فأتت امرأة منهن».

(٢) في (أ): «يديه» بدل: «يدي رسول الله ﷺ».

(٣) تكرر قوله: «صماماً واحداً» في (أ).

(٤) رواه أحمد في «مسنده» (٢٦٦٠١)، وهو مختصراً عند الترمذي (٢٩٧٩).

(٥) في (أ): «فسألهم».

(٦) في (أ): «ويحكم».

(٧) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٧٥٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٤٠٢، ٤٠٥) (٢١٢٠)، (٢١٣٥).

(٨) لم أقف عليه من قول عطاء، وأخرجه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٧٥٠) عن الضحاك.

أين، ومعنى من[١] أيِّ وجه، قال تعالى: ﴿قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾، فأمّا معنى[٢] متى، فليس ذلك في اللُّغة.

وقوله تعالى: ﴿وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ﴾ قيل: التَّسمية، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «إذا وطِئتَ امرأتَك أو ما مَلكَتْ يمينُك، فقل: بسم الله، يُكتَب لك حسناتٌ ما لم تَفرُغ، فإنْ قُدِّرَ لك ولدٌ، كُتِبَ لك بكلِّ نفسٍ مِنه ومِن عَقِبه عشرُ حسناتٍ إلى يوم القيامة»[٣].

وقيل: قدِّموا لأنفُسِكم النِّيَّة الخالصة؛ أي: لا تَقتصِروا على قضاءِ الشَّهوة[٤]، ولكن اقصِدوا التَّعفُّفَ والولدَ.

وقيل: قدِّموا لأنفُسِكم قصدَ الائتمارِ لله تعالى[٥]، وقد تقدَّمَ الأمرُ بالإنفاقِ والقتالِ وتركِ الاختلاف وكثيرٍ مِن الأشياء، إلى أنْ أمرَ باجتنابِ الحائض، ثمَّ قال: ﴿وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ﴾ الخيرَ والذُّخرَ بطاعةِ الله تعالى فيما أمَرَ ونَهى في هذه الآيات.

وقوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ فلا تَعصوهُ في شيءٍ مِن ذلك.

وقوله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّكُم مُّلَاقُوهُ﴾ أي: آتوهُ يومَ القيامةِ للجزاء.

---

(١) لفظ: «من» من (أ).

(٢) في (أ): «بمعنى».

(٣) أخرجه ابن الجوزي في «الموضوعات» (٣/ ١٨٦) من حديث أبي هريرة مطولًا، وقال: هذا حديثٌ ليس له أصل، وفي إسناده جماعة مجاهيل لا يعرفون أصلا، ولا نَشكُّ أنَّه من وضع بعض القُصَّاص أو الجُهَّال، وقد خلط الذي وضعه في الإسناد، ومن المعروفين في إسناده حماد بن عمرو، قال يحيى: كان يكذب ويضعُ الحديث، وقال ابن حبان: كان يضعُ الحديث وضعاً على الثقات، لا يحلُّ كتبُ حديثِه إلَّا على وجه التعجُّب.

(٤) في (ف): «الشهوات».

(٥) في (أ): «بأمر الله» بدل: «لله تعالى».

وقوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ الذين يُقدِّمون هذا، قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [يونس: ٢]، وهو هذا، وقال تعالى: ﴿وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٠].

* * *

(٢٢٤) ـ ﴿وَلَا تَجْعَلُواْ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ أَن تَبَرُّواْ وَتَتَّقُواْ وَتُصْلِحُواْ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُواْ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ أَن تَبَرُّواْ وَتَتَّقُواْ وَتُصْلِحُواْ بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ انتظامُ هذه الآية بما قبلَها أنَّه قال في تلك الآية: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾، ونَهى في هذه الآية أنْ تُجعَلَ اليمينُ بالله تعالى مانعةً عن تقوى الله.

ونظمٌ آخر: أنَّ نزولَها في قول الكلبيِّ في عبد الله بن رواحة، وأنَّه حلفَ ألَّا يدخلَ على خَتَنِه، ولا يُكلِّمَهُ، ولا يُصلِحَ بينَه وبين زوجتِه ـ وهي أختُه ـ وكان طلَّقها وأرادَ أن يتزوَّجها بعد ذلك، فجعلَ يقول: حلفتُ بالله ألَّا أفعلَ، ولا يحلُّ لي، إلَّا أن أبرَّ في[1] يميني، فأنزلَ اللهُ تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُواْ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ﴾[2]، فمنعَه عن منعِ الحرث عن الحارثِ المذكور في تلك الآيةِ.

وقال القفَّالُ: لمَّا أمرَ اللهُ تعالى في الآيات المتقدِّمةِ بفعلِ الخَيرات، ونَهى عن الاختلافِ والبَغي، ودعا إلى الإصلاح[3]، وإيتاءِ اليَتامى والمساكين وابنِ السَّبيل، وحسنِ معاشرةِ النِّساء؛ نَهى أنْ يَمتنعوا عن شيءٍ مِن ذلك بسببِ اليَمين.

---

(١) لفظ: «في» من (ر).

(٢) ذكره أبو الليث في «تفسيره» (١/ ٢٠٦)، والثعلبي في «تفسيره» (٢/ ١٦٣)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٧٢).

(٣) في (ر) و(ف): «الصلاح».

وقال مقاتلُ بن حيَّان: نزلَتِ الآيةُ في أبي بكرٍ الصِّدِّيق رضي الله عنه حين حلفَ أَلَّا يَصِلَ ابنَه عبدَ الرَّحمنِ حتَّى يُسلِم[١].

وقيل: نزلَت[٢] فيه حين حلفَ أَلَّا يُنفِق على مِسْطح بنِ أُثاثةَ، حين خاضَ في حديث الإفك[٣].

وقوله تعالى: ﴿عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ﴾[٤] قيل: أي: علَّةً مانعةً لكم مِن البِرِّ والتَّقوى والإصلاح؛ بأن تَحلفوا أَلَّا تفعلوا ذلك، فتَعتلُّوا بها، أو تقولوا: حلفنا، ولم تَحلِفوا به، رُويَ هذا عن الحسن وطاوس وقتادة[٥].

وهي فُعلةٌ من[٦] الاعتراض، والمعترِضُ بين الشَّيئين مانعٌ، يقول: أردتُ أن أفعل كذا، فعرَضَ لي أمرٌ، أو اعترضَ لي أمرٌ، وأصلُه أنْ يوضعَ الشَّيءُ في الطَّريق عَرْضاً، فيُسدَّ به الطَّريق.

وما رُوي عن ابن عباسٍ ومجاهدٍ رضي الله عنهم: ﴿عُرْضَةً﴾ أي: حُجَّةً[٧]، فذاك قريبٌ ممَّا قُلنا: علَّةٌ مانعة.

وقيل: أي: مبتذَلاً في كلِّ شيءٍ، ورويَ ذلك عن عائشة رضي الله عنها، وقالت:

---

(١) ذكره عن مقاتل الثعلبيُّ في «تفسيره» (٢/ ١٦٣).

(٢) في (ر) و(ف): «ونزلت الآية» بدل: «وقيل: نزلت».

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢/ ١٦٣) من قول ابن جريج، وأخرجه عنه الطبري في «تفسيره» (٤/ ١٠).

(٤) قبلها في (ف): «ولا تجعلوا الله».

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٥ ـ ٦) عن طاوس وقتادة.

(٦) في (ف): «عن».

(٧) روى قوليهما الطبري في «تفسيره» (٤/ ٨، ٩).

لا تحلفوا بهِ وإن بررتم[١]، كأنَّه قال: وإنْ كنتُ جعلتُ لكم مخرجاً مِن الأيمان بالكفارات، فلا يَحملَنَّكُم ذلك على الإكثارِ منها، وعلى هذا قالوا في قوله تعالى: ﴿وَاحْفَظُوٓاْ أَيْمَٰنَكُمْ﴾ [المائدة: ٨٩] هو حفظُ اليمين أن[٢] يُحلَفَ بها، والعربُ تَمدحُ بقلَّةِ اليمينِ، والامتناع عنها، قال الشَّاعرُ:

قليـلُ الألَايـا حافظٌ ليَـمـيـنِهِ وإنْ بـدرت[٣] منهُ الأليَّـةُ برَّت[٤]

واللهُ تعالى ذمَّ الـمُكثِرَ[٥] منها بقوله: ﴿حَلَّافٍ﴾ [القلم: ١٠]، و﴿عُرْضَةً﴾ على هذا القول مِن قولِهم: فلانٌ عُرْضةٌ للنَّاس؛ أي: لا يَزالون يَقعون فيه، قال الشَّاعرُ:

ولا تَجعَلَنِّـي عُرْضَـةً لِلَّوائِـمِ[٦]

أي: معرَّضاً لكثرةِ ملامهنَّ.

وقوله تعالى: ﴿أَن تَبَرُّواْ وَتَتَّقُواْ وَتُصْلِحُواْ﴾ قيل[٧]: هو صلةُ قوله: ﴿لِّأَيْمَٰنِكُمْ﴾؛ أي: لأيمانِكم على ألَّا تبرُّوا، و«لا» مضمرةٌ، كما في قوله تعالى: ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّواْ﴾ [النساء: ١٧٦].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ١٠).

(٢) في (ف): «أن لا».

(٣) في (ر) و(ف): «برزت».

(٤) البيت لكثير عزَّة، وهو في «نقائض جرير والأخطل» (ص: ٤٩)، و«ديوان كثير» (ص: ٣٢٥)، وفيهما: «سبقت» بدل: «برزت».

(٥) في (أ): «الكثير».

(٦) ذكره الزمخشري في «الكشاف» (١/ ٢٦٧) دون نسبة. وقال صاحب «شرح شواهد الكشاف»: قيل: البيت لأبي تمام. اهـ. ولم أقف عليه في «ديوانه».

(٧) قوله: «وتتقوا وتصلحوا قيل» ليس في (أ).

وقوله تعالى: ﴿وَتَتَّقُواْ وَتُصْلِحُواْ﴾ عطفٌ على الأوَّل.

وقيل: هو صلةُ ﴿عُرْضَةً﴾؛ أي: لا تجعلوا اليمينَ بالله تعالى مانعةً عن أنْ تَبرُّوا وتتَّقوا وتُصلِحوا، وعلى هذا لا يُضمَرُ فيه «لا».

وهذا خطابٌ لمن حَلف لا[1] يُكلِّمُ أبوَيهِ، أو على شيءٍ في فعلِه تقوى الله، أو على إصلاحٍ بين المتهاجرين، أو حُكمٍ بين اثنين حكَّماهُ، وحلفَ ألَّا يَحكُمَ بينهما، فلا ينبغي له أنْ يَدومَ على ذلك، بل يُحنِّثُ نفسَه، ويُكفِّر، قال النبيُّ ﷺ: «من حلفَ على يمينٍ، فرأى غيرَها خيراً منها، فليأتِ الذي هو خيرٌ، ثم ليُكفِّر عن[2] يمينِه»[3].

وقيل على القولِ[4] الذي هو منعٌ عن اليمين بالله في كلِّ شيء: أي: لا تَحلفوا بالله في كلِّ حقٍّ وباطل؛ لأن تبرُّوا وتَتَّقوا وتُصلِحوا بين النَّاس؛ أي: لتكونوا بتركِ النَّهيِ عن اليمينِ مِن الأبرار المتَّقين المُصْلِحين.

وقيل: تمَّ الكلامُ بقوله: ﴿لِّأَيْمَٰنِكُمْ﴾، وقولُه تعالى: ﴿أَن تَبَرُّواْ﴾ ابتداءٌ، ومعناه: البرُّ والتَّقوى والإصلاحُ بين النَّاسِ أولى.

وعن ابن عباسٍ رضي الله عنهما قال: معناهُ: لا تحلفوا بالله كاذبين لتُروا النَّاسَ أنَّكم صادقون، والناسُ لا يَعلمون الغيبَ، واللهُ يَعلمُ ذلك.

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾[5]؛ أي: لأيمانكم ﴿عَلِيمٌ﴾ أي: بنِيَّاتِكم[6]، وهذا وعيدٌ.

---

(١) في (ر) و(ف): «أن لا».

(٢) لفظ: «عن» ليس في (أ).

(٣) رواه مسلم في «صحيحه» (١٦٥٠): (١٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) في (أ): «الأول».

(٥) بعدها في (ف): «عليم سميع».

(٦) في (ف): «لنياتكم».

(٢٢٥) ـ ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ﴾[١] المؤاخذةُ مفاعلةٌ مِن الأخذ، وهي المعاقبة هاهنا.

وقوله تعالى: ﴿بِاللَّغْوِ﴾؛ أي: السَّاقِطِ الباطل، يُقال: لغا الشيءُ يلغو؛ أي: سقطَ وبطلَ، وألغيتُه؛ أي: أسقطتُه وأبطلتُه، واللَّغوُ مِن الكلام، واللَّغوُ في الحساب مِن ذلك.

وقوله تعالى: ﴿فِي أَيْمَانِكُمْ﴾ هي جمعُ يمين، وهي الحَلِف، وسُمِّيَت بها لمعنيين:

أحدهما: أنَّه من اليمين التي هي اليدُ اليمنى، وكانوا إذا تحالَفوا في العهودِ، تصافحوا بالأيمان، فسُمِّيَت بذلك.

والثاني: أنَّ اليمينَ هي القوَّة، قال الله تعالى: ﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾، وسُمِّيَت به؛ لأنَّ الحالِفَ يَتقوَّى بيمينِه على حفظِ ما حَلَفَ عليه من فعلٍ أو تركٍ.

ومعنى قوله: ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾؛ أي: لا يُعاقِبُكم بما سقطَ وبَطَلَ اعتبارُه مِن أيمانكم، ولذلك ثلاثة أوجه:

أحدها: يتَّصلُ بما قبلَه؛ أي: باليمينِ التي حلفتُم على تركِ برٍّ أو تقوى أو إصلاح، ثمَّ حَنَّثتُم أنفسَكم، وكفَّرتُم، فقد أَبْطلتُم وأسقطتم حكمَها، فلا تَبقى بها مؤاخذةٌ.

والثاني ـ وهو قولنا ـ وهو مرويٌّ عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: أنَّه[٢]

---

(١) بعدها في (ر): «بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ»، وفي (ف): «باللغو».

(٢) بعدها في (ف): «قال».

الخطأ[١]، وهو أنْ يَرى شخصاً، فيَظُنَّ أنَّه زيدٌ، فيَحلِفُ أنَّه زيدٌ، فيَظهرُ أنَّه عمرو، أو على ظنٍّ أنَّه كذا، فإذا هو غيرُه.

والثالث ـ وهو قول الشافعي رحمه الله ـ: هو ما يجري على لسانِه مِن غيرِ قصده: لا والله، وبلى والله[٢]، وهو قولُ عائشةَ رضي الله عنها[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ على القول الأول: هو الثَّباتُ على يمينِ تركِ البرِّ والتَّقوى والإصلاح.

وعلى القول الثاني: هو قَصدُ الكذبِ مع العلمِ به، قال تعالى: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [الأحزاب: ٥]، وهو أنْ يَحلِفَ على شخصٍ أنَّه زيدٌ، وهو يَعلمُ أنَّه عمرو، أو يحلفَ أنَّه فعلَ كذا، وهو يعلمُ أنَّه لم يَفعل، أو على العكس، وهي اليمينُ الغموسُ، وفيها المؤاخذةُ بالعقوبةِ في الآخرة، ولا كفارةَ فيها عندنا.

وهذه الآيةُ في مؤاخذةِ الآخرة، فأمَّا المؤاخذةُ المذكورةُ في قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ﴾ [المائدة: ٨٩]، فهي المؤاخذةُ بالكفَّارة، لكنَّها في اليمينِ المعقودةِ، فالآيتان في مؤاخذَتَين مختلفتَين.

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ﴾؛ أي: للذُّنوب بالتَّوبة، ﴿حَلِيمٌ﴾؛ أي: بالإمهالِ إلى وقتِ التَّوبة.

* * *

---

(١) روى الطبري عنه نحوه في «تفسيره» (٤/ ٢٠).

(٢) انظر: «الأم» للشافعي (٨: ١٥٥).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ١٣ ـ ١٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٤٠٨، ٤٠٩) (٢١٥٢)، (٢١٥٥).

(٢٢٦) ـ ﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍۖ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ﴾؛ أي: يَحلِفون، والأَلِيَّةُ: الحَلِفُ، وجمعُها الأَلايا، وقد آلى يُؤلي إيلاءً؛ أي: للأزواجِ الذين يحلفونَ مِن زوجاتهِم على تَركِ وطئهنَّ.

وقوله تعالى: ﴿تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ﴾؛ أي: انتظارُ هذه المدَّة، وقد تربَّص تربصاً[1]، وربصَ ربصاً كذلك، والرُّبصَةُ: اللُّبثُ؛ أي: مَن حلفَ لا يَقربُ امرأتَهُ، فهذا قسمٌ له حكمان؛ حكمُ الحِنث وحكمُ البِرّ:

فحكمُ الحِنْث: وجوبُ الكفَّارة بالوطءِ في هذه المدَّة، إن كانت اليمينُ بالله، ونزولُ الطَّلاق، أو العِتاق، أو النَّذرِ المسمَّى، إن كان القَسمُ[2] بذلك.

وحكمُ البِرِّ: وقوعُ طلقةٍ بائنةٍ عند مُضيِّ هذه المدَّةِ؛ إن كانت المنكوحةُ حُرَّةً، فإن كانت منكوحتُه[3] أمةَ الغيرِ فمدَّتُها شهران، وتتنصَّفُ كما في العِدَّة، ولو آلى من أمتِه لم يكن له هذا الحكمُ في البِرِّ، وفي حكم الحِنْثِ هو يمينٌ؛ لأنَّ الله تعالى قال: ﴿مِن نِّسَآئِهِمْ﴾ فاختصَّ بالمنكوحات.

وقوله تعالى: ﴿فَإِن فَآءُو﴾؛ أي: رَجَعوا عن هذا الإضرارِ بتركِ القُرْبان، فقَرُبوا في المدَّة، والفَيءُ: الرُّجوع، قال الله تعالى: ﴿فَإِن فَآءَتْ﴾ [الحجرات: ٩].

وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾؛ أي: يَغفرُ ذنبَ الزَّوجِ ـ وهو إضرارُه بها ـ بالفيءِ، ويَغفرُ ذَنْبَ الفيءِ الذي هو حِنْثٌ بالتَّكفير، ﴿رَّحِيمٌ﴾ حيثُ أجازَ له الحِنْثَ، وقَبِلَ منه الكفَّارةَ، ورفعَ عنه[4] الذَّنْبَ.

---

(١) بعدها في (ر): «أيضاً».

(٢) في (ف): «اليمين».

(٣) في (ف): «المنكوحة».

(٤) في (أ): «منه».

(٢٢٧) ـ ﴿ وَإِنْ عَزَمُواْ الطَّلَٰقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾.

وقولـه تعالـى: ﴿ وَإِنْ عَزَمُواْ الطَّلَٰقَ ﴾؛ أي: حقَّقـوا الطـلاقَ وأكَّـدوهُ، قـال تعالـى: ﴿فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ﴾ [محمـد: ٢١]؛ أي: وإنْ ثَبتـوا فـي المدَّةِ على تـركِ القُربان حتَّى مضتِ المدَّةُ، وقعَـت طلقةً بائنةً.

وكان الإيلاءُ طلاقَ أهلِ الجاهليَّة، فجعلَ اللهُ تعالى حكمَهُ في الإسلامِ ما قُلنا.

وقولُه تعالى: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾؛ أي: سمع كلامَ الزَّوجِ، وعَلِمَ قصدَه.

* * *

(٢٢٨) ـ ﴿ وَالْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْءَاخِرِ ۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِى ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓاْ إِصْلَٰحًا ۚ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِى عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ وَالْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ﴾؛ أي: المنكوحاتُ الحرائرُ اللَّاتي طلَّقهنَّ أزواجهنَّ صريحَ الطَّلاقِ بغيرِ مالٍ وقد دَخلوا بهنَّ، ينتظرنَ بأنفسهنَّ؛ أي: يعتددن.

والتَّطليقُ رفعُ القيد، وقد طلَّقها يُطَلِّقُها تطليقاً وطلاقاً، كما يقال: سَلَّمَ يُسَلِّمُ تسلِيماً وسلاماً، وكلَّمَ يُكَلِّمُ[1] كلاماً وتكليماً، وطَلَقت هي بفتحِ اللام تَطلُقُ طلاقاً، كما يقال: كَمَلَ يَكمُلُ كمالاً، وطَلُقت بضمِّ اللامِ لغةٌ، والأوَّلُ أصحّ[2]، وهي طالقٌ بغير الهاء،؛ لأنَّه صفةٌ خاصَّةٌ لها.

وقولـه تعالـى: ﴿ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾ نصـب علـى الظَّـرف، والقُـروءُ جمـع قُـرء، وهو

---

(١) «يكلم» ليس في (أ).

(٢) في (ر): «أفصح».

الحيضُ عندنا، وعند الشافعيِّ ـ رحمه الله ـ هو الطُّهر، وأجمعَ أهلُ اللُّغةِ أنَّ اللفظَ صالحٌ لهما، وقد وردَ في الشَّرع في كلٍّ واحدٍ منهما، قال النبيُّ ﷺ لامرأةٍ: «دعي الصَّلاةَ[1] أيَّام أقرائكِ»[2]؛ أي: حيضِك، وقال لعبدِ الله بن عمر رضي الله عنه: «إنَّ مِن السُّنَّة أنْ يُطلِّقَها في كلِّ قُرءٍ تطليقةً»[3]؛ أي: في كلِّ طهرٍ، ووَرَدَ في اللُّغة لهما أيضاً، قال الشَّاعرُ:

يا ربَّ ذي ضِغْنٍ وضَبٍّ فارضِ[4] ... له قروءٌ كقروءِ الحائِضِ[5]

---

(١) في (ف): «صلاتك».

(٢) في (أ) و(ف): «يوم قرئك» بدل: «أيام أقرائك». وأورده بهذا اللفظ الطبري في «تفسيره» (٤/ ١٠١)، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٣/ ٦٠)، والثعلبي في «تفسيره» (٢/ ١٧٠)، والزمخشري في «الكشاف» (١/ ٢٧١)، ورواه أحمد (٢٧٣٦٠)، (٢٧٦٣٠)، وأبو داود (٢٨٠)، والنسائي في «المجتبى» (٢١١)، وابن ماجه (٦٢٠) مِن حديث فاطمة بنت أبي حبيش، ولفظه عندهم: «فانظري إذا أتى قرؤك، فلا تصلِّي، فإذا مرَّ القرء، فتطهري، ثم صلِّي ما بين القرء إلى القُرء».
قال الحافظ ابن كثير في «تفسيره»: فهذا لو صح لكان صريحاً في أن القرء هو الحيض، ولكن المنذر (يعني المنذر بن المغيرة أحد رجال الإسناد) هذا قال فيه أبو حاتم: مجهول ليس بمشهور، وذكره ابن حبان في «الثقات». انتهى.

(٣) رواه الطبراني في «مسند الشاميين» (٢٤٥٥)، والدارقطني في «سننه» (٣٩٧٤)، والبيهقي في «الكبرى» (١٤٩٣٩) من طريق عطاء الخراساني عن الحسن عن ابن عمر، قال البيهقي: هذه الزيادات التي أتى بها عطاء الخراساني ليست في رواية غيره، وقد تكلموا فيه، ويشبه أن يكون قوله...

(٤) وقع في هامش (أ) ما نصه: «الضب: الحقد الكامن في الصدر، فارض؛ أي: قديم، والفارض: الضخم من كل شيء».

(٥) الرجز دون نسبة في «تفسير غريب القرآن» لابن قتيبة (ص: ٥٣).
وذكره ابن قتيبة في «غريب الحديث» (١/ ٢٠٦)، والطبري في «تفسيره» (٢/ ٨٣)، والثعلبي في «تفسيره» (١/ ٢١٦)، والماوردي في «النكت والعيون» (١/ ١٣٩)، وروايته عندهم: =

وأراد بها الحيضَ، وقال آخر:

أفـي كلِّ عـامٍ أنـت جاشـمُ غـزوةٍ ... تَـشدُّ بهـا أقصـى عزيـمِ عزائِـكَا

مُوَرِّثـةٍ مـالاً وفـي الـحـيِّ رِفـعـةً ... لما ضـاعَ فيهـا مِـن قُـرُوءِ نسـائكا[١]

وأرادَ بها الأطهارَ، وإنَّما صلحَ[٢] لهما؛ لأنَّه في الأصل اسمٌ للوقتِ المعتاد[٣]، قال الشاعر:

كَرِهْـتُ العقـرَ عَقْـرَ بنـي شُـلَيلٍ ... إذا هـبَّـت لـقـارِئـهـا الرِّيـاحُ[٤]

أي: لوقتٍ معتاد[٥]. والحيضُ والطُّهرُ كلُّ واحدٍ منهما له وقتٌ معتادٌ، فصَلَحَ

= يـا رب ذي ضغـن علـيَّ فـارض

وهو أيضاً في كتاب «الحيوان» للجاحظ: (٦/ ٦٦)، و«مجالس ثعلب»: (١/ ٣٠١)، وروايته فيهما:

يـا ربَّ مولـى حاسـد مباغـض

علـي ذي ضغـنْ وضـبٍّ فـارضِ

لـه قـروءٌ كقـروء الحائـضِ

غير أنه وقع عند ثعلب: شانئ. بدل: حاسد.

وهو أيضاً في «الأضداد» لابن الأنباري (ص: ٢٨)، وروايته ثمة:

وصاحـب مكاشـحٍ مباغـض

(١) البيت للأعشى، وهو في «ديوانه» (١/ ٢٦٦) (طبعة الرضواني)، (ص ٩١) (طبعة الذهبي). وفيه: الحمد، بدل: الحي.

(٢) في (أ): «يصلح».

(٣) لفظ: «المعتاد» من (أ).

(٤) البيت لمالك بن الحارث الهذلي، وهو في «شرح أشعار الهذليين» (٢/ ٢٣٩). قال شارح الديوان: العقر: القصر أو اسم مكان، وإنَّما كرهه لأنه قوتل فيه، وشُليل: جدَّ جرير بن عبد الله البَجَلي.

(٥) بعدها في (ر): «فصلح الاسم لكل واحد». وهي مقحمة هنا، وستأتي في موضعها.

الاسمُ لكلِّ واحدٍ منهما، فوجبَ التَّرجيح[1]، فرجَّحه أصحابُنا رحمهم الله بدلائل:

أحدها: أنَّ اللهَ تعالى حصرَها بثلاثةٍ، والحَصرُ بعددٍ[2] لا يَحتملُ النُّقصانَ عنه، ولو[3] حملناها على الأطهارِ، والطَّلاقُ يُوقَعُ في الطُّهر، فإذا مضى منه شيءٌ وإن قلَّ لم يكن الأطهارُ ثلاثةً حقيقة.

والثاني: أنَّ اللهَ تعالى جعلَ الاعتدادَ بالأشهُر بدلاً عن الاعتداد بالقُروء، وقال في تلك الآية ﴿وَالَّٰٓـِٔي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ﴾ [الطلاق: ٤]، فلمَّا شرَّعَ ذلك عند ارتفاع الحيضِ، دلَّ أنَّ الأصلَ كان هو الحيضُ.

والثالث: أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «عدَّةُ الأمةِ حيضتان»[4]، فدلَّ على أنَّ عِدَّةَ الحرَّةِ ثلاثُ حِيَض؛ لأنَّه تنصيفُ ما على الحرَّة كما في الأشهر، لكنَّ الحيضَ لا يَتجزَّأ، فكمِّلَ حيضتين.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ﴾؛ أي: يُخفينَ ﴿مَا خَلَقَ اللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ﴾ هي جمعُ رَحِم، وقال أهلُ التَّفسير: إنَّه الحيضُ والحَبَلُ.

---

(١) في (ف): «الترخيم».

(٢) في (ر): «إذا تعدد» بدل: «بعدد».

(٣) في (ف): «فإذا».

(٤) رواه أبو داود (٢١٨٩)، والترمذي (١١٨٢)، وابن ماجه (٢٠٨٠) من حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعاً، وفي إسناده مظاهر بن أسلم المخزومي، وهو ضعيف.

ورواه ابن ماجه (٢٠٧٩)، والدارقطني (٣٩٩٤)، (٣٩٩٥) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً، قال الدارقطني: تفرد به عمر بن شبيب مرفوعاً، وكان ضعيفاً، والصحيح عن ابن عمر، رواه سالم ونافع عنه من قوله. اهـ. ورواه مالك في «الموطأ» (٢/ ٥٧٤)، والدارقطني (٣٩٩٦ـ ٤٠٠٠)، عن ابن عمر موقوفاً عليه.

وقوله تعالى: ﴿إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾؛ أي: الإيمانُ باللهِ وبالقيامة حاملٌ على الطَّاعةِ فيما وردَ به الأمرُ، فقد حَرُم عليهنَّ الكتمانُ، فكان إيجاباً للإظهار، وإذا وجبَ عليهنَّ الإظهارُ، وجبَ على الأزواجِ[1] القَبول، فكانت المرأةُ أمينةً في ذلك.

وقوله تعالى: ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ﴾؛ أي: أزواجُهنَّ، والبعلُ: الزَّوجُ، وهو كالفحل والفُحولة، والعَمِّ والعمومة، والبَعلةُ: المرأة، والمباعلةُ: المباشرة، والبِعالُ كذلك، قال النبيُّ ﷺ: «أيّام العيد والتَّشريق أيامُ أكلٍ وشُرْبٍ وبِعال»[2]، وقال عليه الصَّلاة والسَّلام: «جهادُ المرأة حسنُ التَّبعُّل»[3]؛ أي: حسنُ القيامِ بما عليها في بيت الزَّوج، وسُمِّيَ الزَّوجُ بعلاً؛ لأنَّه كأنَّه مالكٌ للمرأة وربٌّ لها، قال الله تعالى: ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا﴾ [الصافات: ١٢٥]؛ أي: رباً، ودلَّت تسميةُ الزَّوجِ بَعلاً بعدَ طلاقِها[4] الصَّريح أنَّ النِّكاحَ قائمٌ، والحِلَّ ثابتٌ، وقوله: ﴿أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ﴾؛ أي: أَوْلَى بمراجعتِهنَّ.

وقوله تعالى: ﴿فِي ذَٰلِكَ﴾؛ أي: في[5] التَّربُّص؛ أي: حالةَ الاعتدادِ.

وقوله تعالى: ﴿إِنْ أَرَادُوٓاْ إِصْلَٰحًا﴾؛ أي: إنْ قصدَ الأزواجُ إقامةَ الحدودِ وتداركَ الفسادِ، فلهم الرَّجعة، وليس هذا على الشَّرط حكماً، وهو كقولِه تعالى: ﴿فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ [النور: ٣٣]، وتجوزُ الكتابةُ حُكماً وإن لم يعلم فيهم خيراً، وكذا

---

(١) في (أ): «الزوج».

(٢) رواه عبد بن حميد في «مسنده» (١٥٦٠ ـ المنتخب) من حديث خلدة الأنصارية رضي الله عنها. ورواه مسلم في «صحيحه» (١١٤١) من حديث نبيشة الهذلي، دون قوله: «وبعال».

(٣) رواه ابن حبان في «المجروحين» (١/ ١٤٧) من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه مطولًا، وبين أنه موضوع، ورواه البيهقي في «شعب الإيمان» (١١٥٢) بإسناد آخر عن عليّ، قال البيهقي: وهذا الحديث لا أحفظه على هذا الوجه إلا بهذا الإسناد، وهو ضعيف بمرة.

(٤) في (ف): «إطلاقها».

(٥) بعدها في (ر): «ذلك».

تصحُّ رجعَتُهُ حُكماً، وإنْ لم يَقصِد بها الإصلاح، لكن هذا تنبيهٌ أنَّ الإطلاقَ في حقِّ مَن قصدَ ذلك، فأمَّا مَن قصدَ الإضرارَ[1] بمراجعتِها بأنْ يُطلِّقَها بعد ذلك، ثمَّ يُراجعَها[2]؛ تطويلاً للعدَّة عليها، فإنَّه آثمٌ بذلك، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا﴾ [البقرة: ٢٣١][3].

وقوله تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾؛ أي: وللنِّساء على الأزواج حقوقٌ كما لهم عليهنَّ حقوق، بما هو مستحسَنٌ شرعاً وعرفاً، ويجوزُ أن يكون هذا تفسيراً لقوله تعالى: ﴿إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا﴾؛ أي: إقامةً للحُقوق من الطَّرفين، فله أنْ يُراجِعها مِن غيرِ رضاها، وعليها أنْ تُطيعَهُ، وعليه أن يُحسِنَ إليها ولا يضارَّها.

وقوله تعالى: ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾؛ أي: منزلةٌ؛ فإنَّ الطَّلاق بأيديهم، والنَّفقةَ عليهم، والولايةَ عليهن لهم، قال تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾ الآية [النساء: ٣٤]، وقال النبيُّ ﷺ: «استوصوا بالنساء خيراً فإنهن عندكم عوان»[4]، ولـمَّا كان لهم عليهنَّ درجةٌ نُدِبوا إلى توفية حقوقهنَّ.

وقيل: ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ في كمالِ العقل؛ فهم أَولى بأداءِ الحقِّ منهنَّ، وإثمُهم في المراجعة لا على إرادة الإصلاح والإضرارِ بهنَّ أكثرُ مِن إثمهنَّ بكتمانِ ما خلقَ اللهُ في أرحامهنَّ.

---

(١) في (ر) و(ف): «الأمر».

(٢) «ثم يراجعها» ليس في (ف) وبعدها في (أ): «ثم يطلقها».

(٣) وقع في هامش (أ) ما نصه: «فيه دلالةٌ على أنَّ الحكمَ المعلَّق بالشَّرط لا ينعدمُ عند عدمه؛ فإنَّه لا خلافَ بين أهل العلم أنَّه إذا راجعها مضارًّا في الرَّجعة، مريداً لتطويل العدة عليها؛ أنَّ رجعتها صحيحة».

(٤) رواه الترمذي (١١٦٣)، (٣٠٨٧)، والنسائي في «الكبرى» (٩١٢٤)، وابن ماجه (١٨٥١) من حديث عمرو بن الأحوص رضي الله عنه.

ويجوزُ أن يكون تنبيهاً للنِّساء على تعظيمِ الأزواج؛ فإنَّ الزَّوجين يَشتركان في التَّلذُّذ، ويَختصُّ الزَّوجُ بالقيام والإنفاقِ، فهو أعظمُ حقًّا.

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾؛ أي: منيعُ السُّلطان، لا يُعترَضُ عليه فيما شرعَ لعبادِه، حكيمٌ فيما حكمَ.

* * *

(٢٢٨) ـ ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَأۡخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ شَيۡـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَا فِيمَا ٱفۡتَدَتۡ بِهِۦۗ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعۡتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ﴾؛ أي: الطَّلاقُ الرَّجعيُّ دُفعتان، ﴿فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ﴾؛ أي: تمسُّكٌ وتعلُّقٌ وحِفْظٌ، أي: فللزَّوج مراجعةٌ على موافقةِ الشَّرع؛ بألَّا يَقصِدَ الإضرارَ بها[١].

وقوله تعالى: ﴿أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖ﴾ و﴿أَوۡ﴾ للتَّخيير، والتَّسريحُ: التَّخلية، والإحسانُ: أنْ يُمتِّعَها ويُلاطفَها[٢] ولا يجفوها.

وقيل: هو تفريقُ[٣] الطَّلاقِ السُّنِّيِّ، وقوله ﴿فَإِمۡسَاكُۢ﴾؛ أي: مراجعةٌ، وقوله: ﴿أَوۡ تَسۡرِيحُۢ﴾ أي: تطليقٌ آخرُ في طُهْرٍ آخر.

وروى هشامٌ عن أبيه قال: كان النَّاس والرَّجلُ[٤] يُطلِّقُ امرأتَه، ثمَّ يُراجعُها في

---

(١) في (أ): «بها إضرارها» بدل: «الإضرار بها».

(٢) بعدها في (ر): «ولا يجيعها».

(٣) لفظ: «تفريق» ليس في (أ).

(٤) في (ف): «كان الرجل».

العِدَّة، فهي امرأتُه وإن طلَّقها ألفاً وراجعها، فقال رجلٌ من الأنصارِ لامرأتِه: والله لا أقربُكِ، ولا تَحِلِّين منِّي، فقالت: وكيف ذاك؟ قال: أطلِّقُك فإذا دنا أجلُك راجعتُك، فجزِعَت، فأتَت رسولَ الله ﷺ، فذكرَت ذلك له، فنزلَ قولُه جلَّ جلالُه: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ﴾[1]، فصار الطَّلاقُ محصوراً[2] بثلاث.

وعن أبي رَزين الأسديِّ قال: قال رجلٌ: يا رسولَ الله، أرأيتَ قولَ الله تعالى: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ﴾، فأين الثَّالثة؟ فقال: «التَّسريح بإحسان[3]».

وقيل: هو قوله: ﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَأۡخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ شَيۡـًٔا﴾[4] خطابٌ للأزواج بأنَّه يَحرمُ[5] عليهم أنْ يَستردُّوا ما أعطَوهنَّ مِن المهر.

وقوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن يَخَافَآ﴾؛ أي: إلَّا أنْ يَعلمَ الزَّوجُ والمرأة، يُسمَّى[6] العلمُ خوفاً؛ لأنَّه إذا علمَ ما يُخافُ خاف.

وقوله تعالى: ﴿أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: علمَ الزَّوجُ أنَّها لا تُحبُّه، ولا تَقومُ بحقِّه، فيَحملُه ذلك على أنْ يُجازِيها بمثلِه، فقد تركا إقامةَ حدودِ الله، فيَحلُّ في هذه الحالة أن تَختلعَ منه، وهو في حلٍّ أن يأخذَ بدلَ الخُلعِ منها.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ١٢٥)، وابن أبي حاتم (٢/ ٤١٨) (٢٢٠٦).

(٢) في (ر) و(ف): «محصور» بدل: «فصار الطلاق محصوراً».

(٣) في (أ): «بالإحسان». والخبر أخرجه الطبري في «تفسيره» (٤/ ١٣٠ ـ ١٣١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٤١٩) (٢٢١٠).

(٤) بعدها في (ر): «هذا».

(٥) في (ف): «فإنه محرم».

(٦) في (أ): «سمى».

وقوله[١] تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ﴾؛ أي: أيُّها القضاةُ والمتوسِّطون ﴿أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: ألَّا يُقيم الزَّوجُ والمرأةُ حدودَ الله؛ أي: الحقوقَ التي أثبتَها في النِّكاح.

وقوله تعالى: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾؛ أي: لا إثمَ على الزَّوجين.

وقوله تعالى: ﴿فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ﴾؛ أي: فيما أعطَتهُ المرأةُ مِن بدلِ الخُلع، وإذا لم يكن عليها جُناحٌ في الدَّفع، لم يكن على الزَّوجِ جُناحٌ في الأخذِ.

وسببُ نزولِه فيما رواهُ الكلبيُّ عن ابن عباسٍ رضي الله تعالى عنهما قال: نزلَت الآيةُ في جميلة بنتِ عبدِ الله بن أبي أوفى، زوجُها ثابتُ بنُ قيس بن شمَّاس، كانت تبغضُه بغضاً شديداً، وكان يحبُّها ثابتٌ، فأتت رسولَ الله ﷺ، فشكَت إليه زوجَها، وقالت: لا أنا ولا ثابت[٢]، فأرسلَ رسولُ الله ﷺ إلى ثابتٍ، فقال: «يا ثابت، مالكَ ولأهلِك؟» قال: والذي بعثَك بالحقِّ نبيًّا[٣] ما على الأرض أحبُّ إليَّ منها غيرك، فقال لها: «ما تقولين؟» فكرِهَت أن تكذبَ عند رسول الله ﷺ، قالت: صدقَ يا رسولَ الله، ولكن خشيتُ أن يُهلِكَني، فأخرجني منه، فقال ثابت: لقد[٤] أعطيتُها حديقةً لي، فقل لها[٥] فلتردَّها عليَّ، وأنا أُخلِّي سبيلَها، فقال لها رسولُ الله ﷺ: «أتردِّين[٦] حديقتَه، وتملكين أمرك؟» قالت: نعم، قال: «يا ثابتُ،

---

(١) في (أ): «وهو قوله».

(٢) في (أ): «هو» بدل: «ثابت».

(٣) لفظ: «نبياً» من (ف).

(٤) في (أ): «قد».

(٥) قوله: «فقل لها» ليس في (ف).

(٦) بعدها في (ر): «عليه».

خـذ منها مـا أعطيتَها، وخلِّ سـبيلَها»، ففعـل، فـكان أوَّل خُلْعٍ[(١)] في الإسـلام[(٢)].

ثمَّ الاختلاعُ على قدْرِ المقبوضِ من الزَّوج جائزٌ بهذا الخبر، وأمَّا الاختلاعُ بالزِّيادة على ذلك، فعن أصحابنا ـ رحمهم الله ـ فيه روايتان:

في رواية الأصل يُكرهُ؛ لما روي في هذا الخبر في روايةٍ أنَّها قالت: نعم وزِيادَة، فقال عليه الصلاة والسلام: «أمَّا الزيادة فلا»[(٣)].

وفـي روايـة «الجامع الصغيـر»: فلا يُكـرَه لظاهر هـذه الآية، وهـو قوله: ﴿فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ﴾[(٤)].

وقوله تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾؛ أي: هذه أحكامُ اللهِ وفرائضُه، فلا تَجاوزُوها.

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾؛ أي: ومن يتعدَّ أمرَ الله إلى ما نهاهُ عنه فأولئك هم[(٥)] الضارُّون أنفسَهم، والواضعونَ الشَّيءَ غيرَ موضعه. و«مَن» للجمع، فلذلك قال: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ﴾.

---

(١) بعدها في (ر): «وقع».

(٢) أورده الثعلبي فـي «تفسيره» (٢/ ١٧٤) دون نسبته إلى الكلبي عـن ابن عبـاس. وروى البخاريُّ فـي «صحيحـه» (٥٢٧٣) عـن ابـن عبـاس أنَّ امـرأةَ ثابـت بـن قيـس بن شَـمَّاس أتـتِ النبـيَّ ﷺ، فقالـت: يـا رسـول الله، ثابـتُ بـن قيـس مـا أَعْتِـبُ عليـه فـي خُلُـقٍ ولا ديـن، ولكنـي أكـرهُ الكفرَ فـي الإسـلام، فقـال رسـول الله ﷺ: «أتردِّيـن عليه حديقتَـه؟» قالـت: نعم. قـال: «اقْبَـلِ الحديقةَ، وطلِّقهـا تطليقةً».

(٣) رواها البيهقي في «السنن الكبرى» (١٤٨٤٧).

(٤) انظر: «المبسوط» للسرخسي (٦/ ١٨٣).

(٥) بعدها في (ر): «الظالمون».

وقيل: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ﴾ يرجعُ إلى جميع ما ذُكرَ مِن الأحكام؛ قيل[١]: هذا من الخمرِ والميسر إلى هاهنا، ويجوزُ أن ينصرفَ إلى ما قبل ذلك أيضاً.

* * *

(٢٣٠) ـ ﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ ۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ۗ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَإِن طَلَّقَهَا﴾؛ أي: الطَّلقةَ الثَّالثة.

وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ﴾؛ أي: حَرُمت على زوجِها المطلِّق ثلاثاً، فلا يحلُّ له نكاحُها إلى غايةٍ، وهي أنْ تَنكِحَ هي[٢] زوجاً غيرَه.

قيل: هذا النِّكاحُ هو التزوُّج. وقوله: ﴿زَوْجًا﴾؛ أي: رجلاً أجنبيًّا، سمَّاه زوجاً؛ لأنَّه بالعقدِ يَصيرُ زوجاً، فسمَّاه باسم العاقبة، كما في قوله: ﴿أَعْصِرُ خَمْرًا﴾ [يوسف: ٣٦].

وقوله: ﴿تَنكِحَ﴾ دلَّ أنَّ لها أنْ تُزوِّجَ نفسَها، والنكاح يَنعقدُ بعبارتها، وبه قال أصحابُنا رحمهم الله، خلافاً للشافعيِّ.

ثمَّ ظاهرُ النَّصِّ يدلُّ على إنهاءِ[٣] الحرمةِ بالعقد، وروِيَ أنَّ سعيدَ بنَ المسيَّب كان يقولُ بذلك.

وقولُ[٤] عامَّة الصَّحابة والتَّابعين ومَن بعدهم مِن عُلماء الدِّين على أنَّ الحِلَّ لا يَثبُتُ بدون دخولِ الزَّوج الثَّاني بها.

---

(١) في (ر): «قبل».

(٢) لفظ: «هي» من (أ).

(٣) في (ر): «انتهاء».

(٤) في (أ): «به لكن قول» بدل من «بذلك وقول».

وقالوا[١]: ثبتَ اشتراطُ ذلك زيادةً على النَّصِّ بالحديث المشهورِ، وهو ما رويَ أنَّ تميمةَ بنتَ أبي عبيدٍ القُرظيَّة[٢] ـ وقيل: عائشة بنت عبد الرَّحمن بنِ عَتيك النَّضريَّة[٣] ـ كانت تحت رِفاعة بن رافع ـ وقيل: رفاعة بن وهب بنِ عتيك ابنِ عمِّها[٤] ـ فطلَّقها ثلاثاً، فتزوَّجت[٥] عبدَ الرَّحمن بنَ زَبير[٦] القُرَظيَّ، ثمَّ طلَّقها، فأتَت رسولَ الله ﷺ، فقالت: إنَّ زوجي عبدَ الرَّحمن بن زَبيرٍ القُرظيّ طلَّقني قبلَ أن يَمسَّني، فأرجعُ إلى زوجي الأوَّل؟ فقال عليه الصَّلاة والسَّلام: «لا، حتَّى يكون مسٌّ».

وفي روايةٍ قالت: ما كان ما عنَده بأغنى عنه من هُدبةِ ثوبه.

وفي روايةٍ قالت: ما كان معه إلَّا مثلُ هدبةِ ثوبي هذا، فقال: «لا، حتَّى تذوقي مِن عُسيلتِه، ويَذوقَ مِن عُسَيلتِك» [٧].

ثمَّ جاءت بعد ذلك وقالت: كان مسَّني. وفي روايةٍ قالت: كان غشيني، فقال لها: «كذبتِ في قولك الأوَّل، فلن أُصدِّقَكِ في الآخر». فلبِثَت حتَّى قُبضَ رسولُ الله

---

(١) بعدها في (ر) و(ف): «إن».

(٢) هو قوله عروة وقتادة، ذكره عنهما ابن الأثير في «أسد الغابة» (٧/ ٤٣). وقول عروة أخرجه أبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٦/ ٣٢٨١) (٧٥٤٧).

(٣) في (أ): «النضيرية».

(٤) هو قول مقاتل بن حيان.

(٥) في (ف): «فتزوجها».

(٦) في (ف): «الزبير».

(٧) أخرج الطبراني في «الأوسط» (٧٤٦٩) نحو هذه الرواية من طريق ابن إسحاق، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة رضي الله عنها. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤/ ٣٤١): وفيه ابن إسحاق، وهو مدلس.

ﷺ، ثمَّ أتت أبا بكرٍ رضي الله عنه، فقالت: أرجع[١] إلى زوجي الأوَّل؟ فإنَّ زوجي الأخيرَ قد مسَّني، فقال لها أبو بكرٍ رضي الله عنه: قد عَهِدتُ رسولَ الله ﷺ حين قالَ لك ما قال، فلا تَرجعي إليه، فلمَّا قُبِضَ أبو بكرٍ رضي الله عنه أتت عمرَ رضي الله عنه، فقال لها: لئن أتيتِني بعدَ مرَّتك هذه لأرجمنَّك، فمنعَها[٢].

وبعضُ المحقِّقين مِن علمائنا رحمهم اللهُ قال: هذا ثابتٌ بنصِّ القرآن، فإنَّ قوله: ﴿حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ﴾ معناه: حتى تُمَكِّنَ من وطئِها زوجَها، لأنَّ[٣] النِّكاحَ في هذا ليس بعقدٍ، لأنَّه ذكرَ بعدَه زوجاً، والمرأةُ لا تُزوِّجُ نفسَها زوجَها، فكان ذِكْرُ الزَّوج اشتراطاً للنِّكاح، وذكرُ النِّكاحِ اشتراطاً للوطءِ وهو اسمٌ له حقيقةً.

وقوله تعالى: ﴿فَإِن طَلَّقَهَا﴾؛ أي: الزَّوجُ الثَّاني بعدَ الدُّخولِ بها.

وقوله تعالى: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ﴾؛ أي: لا إثمَ على الزَّوجِ الأوَّلِ والمرأة[٤].

وقوله تعالى: ﴿أَن يَتَرَاجَعَآ﴾؛ أي: يَرجعا إلى الحالةِ الأولى بنكاحٍ جديدٍ.

وقوله تعالى: ﴿إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: عَلِما بغالبِ الظَّنِّ أنَّهما يقيمان حقوقَ النِّكاح، فلا يَرجِعان إلى التَّنافرِ الأوَّل، ولا يَقصِدُ أحدُهما إضرارَه بالآخر،

---

(١) في (أ): «أأرجع».

(٢) ذكر هذه الرواية بطولها ابن الأثير في «أسد الغابة» (٢/ ٢٨٩) عن مقاتل بن حيان. وأصل القصة في «صحيح البخاري» (٢٦٣٩)، و«صحيح مسلم» (١٤٣٣) عن عائشة رضي الله عنها، ونصها عندهما: جاءت امرأة رِفاعةَ القرظيِّ النَّبيَّ ﷺ، فقالت: كنت عند رفاعة، فطلقني، فأبتَّ طلاقي، فتزوجتُ عبدَ الرحمن بنَ الزَّبير، إنَّما معه مثلُ هُدبة الثَّوب، فقال: «أتريدين أن ترجعي إلى رفاعة؟ لا، حتى تذوقي عُسَيلتَه، ويَذوق عُسيلتَكِ».

(٣) في (ر) و(ف): «فإن».

(٤) لفظ: «والمرأة» من (أ).

وهذا ليس بشرطِ صحَّة النِّكاحِ حُكماً، لكن بيانٌ أنَّ إطلاقَ الشَّرعِ لهما، ورفعَ الإثم عنهما؛ في هذه الحالة، فأمَّا إذا قصدا غيرَ ذلك فهما آثمان.

وقوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ﴾؛ أي: أحكامُ الله تعالى، ومعالمُ شرعِه.

وقوله تعالى: ﴿يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾؛ أي: يَنتفِعُ بها مَن يَعلم؛ أي: يَتدبَّرُ ليَعلمَ أنَّ اللهَ تعالى أراد ببيانِه صلاحَهم في الدُّنيا والآخرة. ويَرجعُ قوله: ﴿حُدُودُ ٱللَّهِ﴾ إلى جميعِ أحكامِ النِّكاحِ التي مرَّت في هذه الآيات.

***

(٢٣١) ـ ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍۚ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا۟ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥۚ وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًاۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾؛ أي: نساءَكم، فالألفُ واللامُ بدلُ الإضافة.

وقوله تعالى: ﴿فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾؛ أي: فقارَبْنَ مضيَّ العِدَّة. والأجَلُ: الوقتُ المضروبُ مدَّةً للشَّيء، والبلوغُ: المقاربةُ هاهنا، كما يَقول[1] من قارب البلد: قد بلغناهُ، ويقولُ الرَّجلُ لآخر: إذا بلغتَ مكَّةَ فاغتَسِل بذي طُوى.

وقوله تعالى: ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾؛ أي: راجعوهنَّ بالجميل، والمعروفُ: ما أَلِفتهُ العقولُ، واستحْسَنته[2] النُّفوس، وضدُّه المنكر، وهو: ما نَفَرت منه العقولُ، واستقبحَتهُ النُّفوس عرفاً وعادةً، والمرادُ به هاهنا حسنُ المعاشرة.

---

(١) في (ر) و(ف): «يقال».

(٢) في (أ): «وعرفته».

وقيل: هو الهديَّة.

وقيل: هو الزيادةُ في المهر.

وقوله تعالى: ﴿أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾؛ أي: خَلُّوهنَّ حتَّى تَنقضي عدَّتُهن، والمعروفُ: ما قُلنا مِن حُسنِ العشرةِ، وإعطاءِ ما بقيَ مِن المهرِ، والبِرِّ بالمتعةِ، وحسنِ القَول.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا﴾؛ أي: لا تُراجعوهنَّ على قصدِ المضارَّةِ، وقد ضارَرتُهُ مُضارَّةً[1] وضِراراً، كما يقال: سارَرتُه مسارَّةً[2] وسِراراً، وهو أنْ يُراجِعَها ليظلمَها ويؤذيَها ويسيءَ معاشرَتَها.

وقيل: هو أنْ يقصدَ تطويلَ العِدَّةِ عليها، بأن[3] يراجعَها في الحيضةِ الثَّالثة، ثمَّ يُطلِّقَها، ثمَّ يراجعها في الحيضةِ الثَّالثة كذلك، يَفعلُ ذلك ثلاثاً، فيكونُ قد أضرَّ بها.

وقوله تعالى: ﴿لِّتَعْتَدُوا﴾ أي: لتجاوزوا الحدَّ، وله وجهان:

أحدُهما: لا تُمسِكوهنَّ ضراراً لقصدِ ظُلمِهن، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ﴾ [الطلاق: ٦].

والثاني: لا تُمسِكوهنَّ ضِراراً؛ لأنَّكم تَصيرون بذلك مُتَعدِّينَ حدَّ الشَّرعِ.

فالأوَّلُ تعليلُ فعلِهم، والثَّاني بيانُ عاقبةِ فعلِهم.

ثمَّ النَّهيُ عن الإمساكِ ضراراً كان دخلَ في الأمر بالإمساكِ بالمعروف، وإنَّما أُعيدَ تأكيداً، كما يقال: أطعِ اللهَ ولا تَعصِه.

---

(١) في (ر) و(ف): «مضرة».

(٢) في (ر): «مسرة».

(٣) في (ر): «مثل أن» بدل: «بأن».

وقولـه تعالـى: ﴿وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَقَدۡ ظَلَمَ نَفۡسَهُۥ﴾؛ أي: مَن أمسـكَها ضِـراراً فقد أضـرَّ بنفسِـه، حيث جعلَهـا مسـتحقَّةً للوعيد.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوٗا﴾ فيه أقاويل:

قيل: أي: لا تَستخِفُّوا بآياتِ القرآن التي فيها أمرُه ونهيُه، ووعدُه ووعيدُه، وأحكامُه، ولا تخالِفوها؛ فإنَّ مَن فعلَ ذلك فقد اتَّخذَها هزواً؛ أي: سخريةً؛ فإنَّها كانت للقَبول والعملِ بها.

وقيل: هذه الآياتُ التي في أحكامِ الأزواجِ فيها بيانُ[1] مصالحِ دينِكُم ودُنياكم، فلا تَتهاونوا بها، ولا تُعرِضوا عن العملِ بها، فتفوتَكم المصالحُ المتعلِّقةُ بها.

وقيل: أي: الطَّلاقُ والرَّجعةُ والنِّكاحُ وسائرُ التَّصرُّفات شُرِعَت لمصالحَ تعلَّقَت بها؛ فالنِّكاحُ للسَّكَن وغيرِه، والطَّلاقُ للتَّخلُّصِ، والرَّجعةُ للتَّداركِ، فإذا نكحتُم لا للسَّكن، ورَاجعتُم لا للتَّداركِ، وطلَّقتُم لا للتَّخلُّص، بل راجعتُم مراراً تعنتاً وضِراراً، فقد اتَّخذتُم آياتِ الله هُزُواً؛ باستعمالِ التَّصرُّفات لا لأغراضها، ويوضحهُ روايةُ أبي موسى الأشعريِّ رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال[2]: «ما بالُ قومٍ يَلعبونَ بِحدود الله؟ يقولُ أحدُهم لامرأتِه: طلَّقتُك، راجعتُك»[3].

وقوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ﴾ يجوزُ أن تكونَ النِّعمةُ للعموم، فيَتناولُ الكُلَّ، كما قال تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ﴾ [النحل: ١٨].

وقيل: المرادُ هاهنا: واذكروا إنعامَ الله عليكم بتعليمِ ما جهِلتُم.

---

(١) لفظ: «بيان» من (أ).

(٢) «أنه قال» من (ر).

(٣) رواه ابن ماجه في «سننه» (٢٠١٧).

وقيل: بأنْ خلقكُم رجالاً، وجعلَ لكم أزواجاً تَسكنون إليها، وجعلَ النِّكاحَ والطَّلاقَ والرَّجعةَ بأيديكُم، ولم يُضيِّق عليكم كما ضيَّق على الأوَّلين، حين أحلَّ لهم امرأةً واحدةً، ولم يُجوِّز(١) لهم بعدَ موتِ المرأةِ نكاحَ أُخرى.

وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنزَلَ عَلَيۡكُم﴾ عطفٌ على الأوَّل: واذكُروا ما أنزل على نبيِّكم، وهو كالمنزَلِ عليكم، فإنَّ نفعَه حاصلٌ لكم.

وقوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡحِكۡمَةِ﴾ قد فسَّرناهُما في قوله: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ﴾ [البقرة: ١٢٩]، ﴿يَعِظُكُم بِهِۦ﴾ الوعظُ: التَّخويفُ بسوءِ العاقبةِ، يُقالُ للمكروهِ ينزِلُ بقومٍ: إنَّه عظةٌ لغيرِهم، وقوله تعالى: ﴿بِهِۦ﴾ يرجعُ إلى قوله: ﴿وَمَآ أَنزَلَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ عطفٌ على قوله: ﴿وَٱذۡكُرُواْ﴾؛ أي: لا تُخالِفوا أمرَهُ ونهيَه.

وقوله تعالى: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾؛ أي: مِن الاتِّقاء، والاتِّعاظِ، والذِّكر، وغيرِ ذلك، وهو أبلغُ وعدٍ ووعيدٍ.

❊ ❊ ❊

(٢٣٢) ـ ﴿وَإِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحۡنَ أَزۡوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوۡاْ بَيۡنَهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِۗ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمۡ يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۗ ذَٰلِكُمۡ أَزۡكَىٰ لَكُمۡ وَأَطۡهَرُۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ﴾؛ أي: استوفينَ عدَّتهنَّ، والبلوغُ هاهنا عبارةٌ عن حقيقةِ الانتهاء؛ لأنَّ المذكورَ بعدَه النِّكاح، ولا يكونُ ذلك إلَّا بعد

---

(١) في (ر) و(ف): «يجز».

انقضاءِ العِدَّة، وفي الآية الأُولى ذِكرُ الرَّجعة، وذاك يكونُ في العِدَّة.

وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾؛ أي: لا تَمنعوهنَّ أيُّها الأولياءُ. وقد عَضلَها يَعضُلُها عضلاً، من بابِ: دخلَ، أي: منعَها عن التَّزوُّجِ، وأعضلَ الدَّاءُ الأطبَّاءَ؛ أي: أعياهُم أنْ يُعالِجوهُ، وامتنعَ عليهم لشدَّتِه، وهو داءٌ عضالٌ، والأمرُ الـمُعضِلُ؛ أي: الشَّاقُّ الممتنعُ، وعَضَّلتُ عليه تعضيلاً؛ أي: ضَيَّقتَ[1] فمنعتَه عن الخروج، وعَضَّلَتِ المرأةُ بولدِها إذا عَسُرَ وِلادُها وامتنعَ، وأعضَلَت كذلك، وعَضَّلت الدَّجاجة إذا نَشِبَ البيضُ فيها، والعُضَلُ: الدَّواهي، جمع عُضْلة.

وقوله تعالى: ﴿أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ﴾؛ أي: يتزوَّجنَ الأزواج الذي كانوا لهن.

قال الشافعيُّ رحمه الله: هذه الآيةُ أدلُّ دليلٍ على أنَّ النِّكاح لا يَنعقدُ بعبارةِ النِّساء، فإنَّ اللهَ تعالى نَهى الأولياءَ عن منعهنَّ، فدلَّ[2] أن الولاية لهم.

قلنا: بل هي أدلُّ دليلٍ على أنَّه يَنعقدُ بعبارتِها[3]، فإنَّه قال: ﴿أَن يَنكِحْنَ﴾[4]، فأضافَ النِّكاحَ إليهنَّ، وهذا صريحٌ واضحٌ بحمدِ الله تعالى.

وعن الحسن رحمه الله أنه قال: حدَّثني معقلُ بن يسار قال: كانت لي أختٌ تُخطَبُ إليَّ، وأمنعُها من النَّاس، فأتاني ابنُ عمٍّ لي - وفي رواية مقاتل اسم الزوج أبو الدَّحداح بن عاصم بن عديّ بن عجلان[5] البلويّ القضاعي[6]، واسمُ أختِ معقل

---

(١) في (أ): «ضيقته» وفي (ر): «ضيقت عليه».

(٢) بعدها في (ر): «على».

(٣) في (ر): «بعبارتهن».

(٤) بعدها في (ر): «أزواجهن».

(٥) في (ف): «العجلان».

(٦) كذا، واسم الزوج في «تفسير مقاتل» (١/ ١٩٧): أبو البداح بن عاصم بن عدي الأنصاري من بني =

جمل بنت يسار المزنيّ ـ قال: فأنكحتُها إيَّاه، فاصطحبا زماناً، ثمَّ طلَّقها طلاقاً له رَجعة، ثمَّ تركَها حتَّى انقضَتْ عدَّتُها، فلمَّا خُطِبَت إليَّ أتاني يخطبها في الخُطَّاب، فقلت: خُطِبت إليَّ، فمنعتُها النَّاس، وآثرتُك بها، ثمَّ إنَّك طلَّقتَها وتَركتَها، حتَّى انقضَت عدَّتُها، فلمَّا خُطِبَت إليَّ جئتَ تَخطُبُها مع الخطَّاب! واللهِ لا أزوِّجُكَها أبداً، ففيَّ نزلَت هذه(١) الآيةُ، قال: فكفَّرتُ عن يميني، وأنكحتُها إيَّاه(٢).

وفي روايةٍ أخرى: فلمَّا انقضَت العِدَّة هويها وهويته، فَخَطَبَها، فقال معقل: يا لُكع! أكرمتُك بها، زوَّجتُكَها فطلَّقتَها، واللهِ لا تَرجعُ إليك أبداً، فعلمَ اللهُ حاجتَه إليها، وحاجتَها إليه، فأنزلَ هذه الآية، فقال معقل: سمع لربِّي، ثمَّ دعاهُ فزوَّجهُ إليها(٣).

وفي روايةٍ: أرادت هي أنْ تتزوَّجهُ، فقال مَعقِل: لئن فعلتِ لا أُكلِّمُكِ أبداً إنْ عُدتِ إليه. الحديث(٤).

قال القفَّال: عَلِمَ اللهُ تعالى أنَّ الرَّجلَ قد يُضارُّ امرأتَهُ، ثمَّ إذا بانَتْ منه نَدِمَ على طلاقِها، وتبعَتها نفسُه، وقد يكونُ ذلك إذا رأى كثرةَ خُطَّابِها، فتَحدُثُ له رغبةٌ فيها، ويَمتنعُ وليُّها عن تزويجِها منه؛ حميَّةً للطَّلاق المتقدِّم، أو إشفاقاً عليها مِن أن يعودَ إلى المضارَّةِ، فأمرَ الوليَّ ألَّا يمنعَها؛ لما عسى أن يكونَ صَلَحَ كلُّ واحدٍ منهما، وزالَ ما كان؛ لأنَّ القلوبَ تتقلَّب.

= العجلان الأنصاري، وهو حي من قضاعة.

(١) «هذه» سقط من (أ).

(٢) رواه البخاري في «صحيحه» (٤٥٢٩)، (٥١٣٠)، وأبو داود في «سننه» (٢٠٨٧)، والنسائي في «الكبرى» (١٠٩٧٤)، والدارقطني في «سننه» (٣٥٢٦).

(٣) رواها الترمذي في «سننه» (٢٩٨١).

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» (١/ ١٩٧)، و«تفسير الثعلبي» (٢/ ١٧٩).

وقيل: قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ خطابٌ للأزواجِ المطلِّقين ألَّا يمنعوهنَّ أنْ يتزوَّجنَ بمَن شِئن؛ فإنَّ الرَّجلَ قد يُطَلِّقُ امرأتَه، ويندمُ إذا انقضَت عدَّتُها، ويَغارُ إذا خطبَها غيرُه، فيضارُّها بجحودِ طلاقِها، أو دعوى رجعتِها أو نكاحِها، أو يَدسُّ إليها أو إلى من يَخطُبُها بتهديدٍ، أو يُسيءُ القولَ فيها بما تنبو[1] القلوب عنها، فنُهوا عن ذلك.

وهذا وإن كان يَحتمِلُه ظاهرُ النَّصِّ، ويوافِقُ أوَّلَ الآيةِ، فإنَّ الخطابَ الأوَّلَ للأزواج، لكن الرِّواياتِ على ما قلنا.

وقوله تعالى: ﴿إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ﴾؛ أي: الأزواجُ والزَّوجات، وغُلِّبَ التَّذكيرُ عند الاجتماع؛ فإنَّ اللغةَ كذلك. والمعروف: هو اجتماعُ شرائطِ الجواز[2] والاستحباب.

وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ﴾ ﴿ذَلِكَ﴾ خطابُ النبيِّ ﷺ، وفي سورةٍ أُخرى: ﴿ذَلِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٥]، وهو خطابٌ للمذكورين[3] قبلَه، ويجوزُ أن يكون التَّوحيدُ لِما أنَّ الكلمةَ تُفهِمُ إشارةً مفردة، فلا يُراعَى حقُّ الخطابِ في آخره توحيداً وجمعاً، كأنَّها إشارةٌ لا غير، و﴿بِهِ﴾ ترجع الكنايةُ إلى ﴿ذَلِكَ﴾، وهو واحدٌ وإنْ دلَّ على كلِّ مذكورٍ قبلَه.

وقوله تعالى: ﴿مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾؛ أي: إنَّما يَنتفعُ بالوعظِ مَن صدَّقَ اللهَ، وأقرَّ بالقيامة والجزاءِ فيها على الخير والشَّرِّ.

---

(١) في (ر): «ينفر».

(٢) في (ر) و(ف): «الجواب».

(٣) في (أ): «المذكورين».

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ﴾؛ أي: اتِّعاظُكم بهذا الوعظِ، وتركُ الضِّرارِ والعَضل[1]، خيرٌ لكم من الفُرقة، وأطهرُ لكم مِن الرِّيبة.

وقيل: الكلمتان بمعنًى واحد، وهو الطَّهارة.

وقيل: الزَّكاةُ[2]: النَّماءُ، والطُّهرُ: النظافة.

وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾؛ أي: واللهُ يَعلمُ[3] المصالحَ، وأنتُم لا تَعلمونها.

***

(٢٣٣) - ﴿۞ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ ۚ وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ ۗ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ۗ وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ﴾ رَضِعَ اللَّبنَ يَرْضَعُ رَضاعاً ورَضاعةً ورَضْعاً، من باب: صَنَع وعَلِمَ وضَرَب، فهو راضعٌ، وارتضعَ كذلك، وأرضعتهُ أمُّه إرضاعاً، والاستِرْضاعُ: سؤالُ الإرضاعِ وطلبُه، والرَّضيعُ: الصَّبيُّ الذي هو في حدِّ الرَّضاع، وهما رَضيعا لِبانٍ، والـمُرضِعةُ التي تُرضِعُ، والـمُرضِعُ التي لها ولدٌ

---

(١) في (أ) و(ف): «والفضل».

(٢) في (أ): «الزكاء».

(٣) «والله يعلم» ليس في (أ).

رضيع، ولئيمٌ راضِع هو الذي يَرضعُ لبنَ ناقتِه[١] مِن لؤمِه؛ لئلَّا يَسمعَ الضَّيفُ صوتَ الشَّخبِ، والرَّاضِعتان: الثنيَّتانِ متقدِّمتا[٢] الأسنان؛ لأنَّه يشربُ[٣] عليهما اللبن، وأصلُه: مصُّ الثدي.

وقوله تعالى: ﴿يُرْضِعْنَ﴾ فعلٌ مستقبِلٌ، أريدَ به الأمرُ؛ أي: ليُرضِعنَ، كقوله تعالى: ﴿يَتَرَبَّصْنَ﴾، ويجوزُ أن يكون مستقبلاً.

وقوله تعالى: ﴿أَوْلَادَهُنَّ﴾ جمعُ ولد، وهو المولودُ؛ ذكراً كان أو أُنثى.

وقوله تعالى: ﴿حَوْلَيْنِ﴾ تثنيةُ حَوْل، وهو السَّنة، وهو من الحَوَلان والتَّحوُّل.

وقوله تعالى: ﴿كَامِلَيْنِ﴾؛ أي: تامَّين، وهو صفةُ الحولِ، ونصبُهما على الظَّرف، وجمعُ الحَوْلِ أحوال.

ومعنى الآية ـ والله أعلم ـ: والأمَّهاتُ المطلَّقاتُ يُرضِعنَ أولادهنَّ؛ أي: هنَّ أحقُّ بإرضاعِ الأولاد من أجنبيَّاتٍ يَسْتَرضِعُهنَّ الآباءُ؛ لأنَّهنَّ أرقُّ عليهم، وألطفُ بهم، وهم آلَفُ بهنَّ وآنس، فإنْ حُمِل ﴿يُرْضِعْنَ﴾ على حقيقةِ الاستقبال، فهو إخبارٌ أنَّه هو المشروع، وإن[٤] حملَ على الأمرِ، فهو أمرُ ندبٍ واستحباب، دون فرضٍ وإيجاب، فإنَّه حقُّهنَّ، لا المستحَقُّ عليهنَّ، وهذا الحقُّ لهنَّ إلى أنْ يَتزوجنَ بغيرِ آباءِ الأولاد، قال النبيُّ ﷺ لتلك المرأة: «أنتِ أحقُّ به ما لم تتزوَّجي»[٥]، والمعنى فيه أنَّهنَّ يَشتغِلنَ بخدمةِ الأزواجِ، فلا يتفرَّغنَ لحضانتهم على الوجه، ولأنَّ الرَّبيب

---

(١) في (ر): «الناقة» وفي (ف): «ناقة».

(٢) في (ؤ): «مقدمتا».

(٣) في (ف) و(أ): «شرب».

(٤) في (ر) و(ف): «فإن».

(٥) رواه أبو داود في «سننه» (٢٢٧٦) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

يتضرَّر بالرَّابِّ؛ فإنَّه يَنظرُ إليه شَزراً، وينفقُ عليه نَزْراً، كما ورد في الحديث[١].

وقوله تعالى: ﴿حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ إنَّما وصفَهما؛ لأنَّه قد يُقال: حولان لحولٍ وبعضِ الآخر، وإذا[٢] قيِّدَ بالكاملين، لم يَقع على ما دونَ الحولين الكاملين.

ثمَّ قولُه تعالى: ﴿لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾ التي هي[٣] المدَّةُ التَّامَّةُ التي ليس للأبِ وحدَه أنْ يُنقِصَ عنها، ويَمنعَ أجرَ الإرضاع إليها، ولا للأم أنْ تزيدَ عليها، فتطلبَ أجرَ الإرضاع على ذلك بغير رضا الأب، ودلَّ هذا على أنَّ النُّقصانَ عن ذلك والزيادةَ عليه بالتَّراضي عند وقوع الكفايةِ بما دونَها ووقوع الحاجة إلى الزيادة: جائزان، حيثُ علَّق ذلك بالإرادةِ.

ثمَّ اختُلِفَ في مدَّة الإرضاعِ التي يَثبتُ فيها حكمُه، قال أبو يوسف ومحمَّدٌ والشَّافعيُّ رحمهم الله: يَثبتُ إلى حولينِ، ولا يَثبتُ بعد ذلك.

وقال أبو حنيفة رحمه الله: يثبتُ إلى سنتين ونصفِ سنة[٤].

وقال زفرُ رحمَه الله: يَثبُتُ إلى ثلاث سنين، ودلائلُها تُعرفُ في[٥] كتبِ الفقه.

وقوله تعالى: ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾؛ أي: على الأب، وأريدَ به الجمعُ، و﴿رِزْقُهُنَّ﴾: طعامهنَّ، و﴿وَكِسْوَتُهُنَّ﴾: لباسهن، وهذا على طريقِ الأجر؛ لأنَّهنَّ يَحتجنَ إلى ما يُقِمنَ به أبدانهنَّ؛ لأنَّ الولدَ إنَّما يَغتذي باللَّبن، وإنَّما يحصلُ

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) في (ر): «فلما».

(٣) في (أ): «أي هذه» بدل: «التي هي».

(٤) لفظ: «سنة» من (أ).

(٥) في (ف): «من».

لها ذلك بالاغتذاءِ، وتَحتاجُ هي إلى التَّسترُّ[١]، فكان هذا من الحوائجِ الضَّروريَّة، وقوله تعالى: ﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾؛ أي: مِن غيرِ إسرافٍ ولا تقتير؛ نظراً للجانبين.

وقوله تعالى: ﴿لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا﴾؛ أي: لا يَحملُ أحدٌ إلَّا طاقتَه، فلا يُكلَّفُ الزَّوجُ ما لا يُطيقُ مِن الأجر، ولا المرأةُ ما لا تَستطيعُ مِن العمل، ولا الرَّضاعَ[٢] بما لا يَكفيها من الأجر، وهذه الآيةُ كالآية التي في سورة الطلاق: ﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأْتَمِرُوا۟ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ﴾ [الطلاق: ٦].

وقوله تعالى: ﴿لَا تُضَآرُّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ﴾ قرأ أبو عمرو وابنُ كثير بالرَّفع على الاستقبال، وهو إخبارٌ أنَّه هو المشروع.

وقرأ نافعٌ وأهل الكوفة بالنَّصب على النَّهي[٣]؛ لأنَّ أصلَه الجزمُ، وحُرِّكَ لاجتماع[٤] السَّاكنين، واختير الفتحُ؛ لأنَّه أخفُّ الحركات، ومعناه: لا تضارَّ الأمُّ بسببِ ولدِها، ولا الأبُ بسبب ولده.

ولقوله: ﴿تضارّ﴾[٥] وجهان صحيحان:

أحدهما: أنَّ أصلَه: لا تُضارِر؛ بكسر الرَّاء الأُولى، وسُكِّنَت للإدغام، وهو نهيٌ لها عن الإضرارِ بالأب.

---

(١) في (ر): «الستر».

(٢) في (أ): «الرضا».

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ١٨٣)، و«التيسير» (ص: ٨١)، وهي أيضاً قراءة ابن عامر، وأهل الكوفة من السبعة: عاصم وحمزة والكسائي.

(٤) في (ر): «لالتقاء».

(٥) في (ف): «لا تضار».

والثاني: أنَّ أصلَهُ: لا تُضارَر، بفتح الرَّاء الأولى، وسُكِّنَت للإدغام، وهو نهيٌ على صيغة[١] ما لم يُسَمَّ فاعلُه، ويكونُ نهياً للأبِ عن الإضرار بها.

ثم قوله: ﴿وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ﴾ عطفٌ على الأوَّل، فيكونُ الأوَّل على الوجهِ الأوَّل نهياً للأمِّ عن الإضرار بالأب، ثمَّ نهياً للأب عن الإضرارِ بالأمِّ، وعلى الوجه الثاني يكونُ نهياً مضافاً إلى الأمِّ ظاهراً على صيغةِ ما لم يُسمَّ فاعلُه، وحقيقتُه نهيُ الأب عن الإضرار بها، ثمَّ يكون عطفاً لنهي الأب على هذا الوجه، وحقيقتُه نهيُ الأمِّ عن الإضرارِ به.

ومعنى الإضرارِ مِن كلِّ واحدٍ منهما بالآخر، سواءٌ بُدِئ به أو بها: أنَّه لا يجوزُ لواحدٍ من الوالدين أنْ يُضارَّ الآخرَ بالولد، فتَمتنعَ الأمُّ من الإرضاع[٢] إلا بأن تُعطى أكثر[٣] من وسع الوالد، أو يمتنعَ الوالدُ مِن إعطاءِ الأمِّ قدرَ الوِسْعِ بالمعروف.

وكذلك لا يجوزُ للوالدِ أنْ يَنزِعَ الولدَ عنها وهي تُرضِعُ بأجرِ المثل، ولا للأمِّ أنْ تُلقيَ الولدَ عليه مع قُدرتِها عليه، وهو يُعطيها أجرَ المِثل، وهذا كلُّه نظرٌ للصَّغير.

ومنهم مَن حملَ الآيةَ على الوالداتِ المنكوحات، وجعلَ الرِّزقَ والكسوةَ مِن النَّفقة دون الأجر، وظاهرُ الآيةِ أنَّها في المطلَّقة؛ لأنَّ ما قبلَها وما بعدَها في ذِكْرِ المطلَّقات، وحكمُ المنكوحةِ في استحقاقِ الإرضاعِ لها ووجوبِ النَّفقةِ عليه كذلك بالإجماع، ولو امتنعَتْ مِن الإرضاعِ لم تُجبَر عليه بالإجماع.

ولو استأجرَ زوجٌ منكوحتَهُ لإرضاعِ ولدِه منها، فأَرضعَتْهُ، لم تَستحقَّ الأجرَ

---

(١) بعدها في (ر) و(ف): «الأولى».

(٢) في (أ): «الأم من الإرضاع» وفي (ف): «الأمر من الإرضاع» بدل من «الأمر بالإرضاع».

(٣) في (أ): «بأكثر»، وفي (ر) و(ف): «أكثره»، ولعل المثبت هو الصواب.

عندنا، والمبانةُ التي انقضَت عدَّتُها[١] لو استؤجِرت لذلك استحقَّتِ الأجرَ بالإجماع.

وقوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ﴾ أي: وعلى وارثِ الصَّغير عند عدمِ الأب مثلُ ما كان على الأب مِن أجرِ إرضاع الولد للمُرضعة.

وفي قراءة عبدِ الله بن مسعود رضي الله عنه: (وعلى الوارثِ ذي الرَّحم المحرم مثلُ ذلك)[٢]، وبه أخذَ أصحابُنا رحمَهم الله، فأوجبوا أجرَ الإرضاعِ على الوارثِ الذي هو ذو رحمٍ محرَم[٣]، ولا يجبُ على كلِّ وارث، وكذا نفقةُ المحارم تجبُ عندنا بهذه الآية[٤].

والشافعيُّ رحمَه الله لا يَرى ذلك، ويُحمَلُ قولُه: ﴿وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ﴾ على وجهين:

أحدهما: وعلى وارث الصغيرِ مثلُ ما على الأب من أن [لا][٥] يُضارَّها، لا النَّفقة[٦].

والثاني: أنَّ الوارثَ هو الولدُ نفسُه؛ أي: إذا ورثَ مالاً مِن أبيه، فأجرُ إرضاعه فيه.

وهذا قولٌ متكلَّفٌ، والمرويُّ عن الصَّحابة عمرَ وابنِ مسعود وزيد ما ذَكرنا، وعليه المفسِّرون.

---

(١) قوله: «التي انقضت عدتها» ليس في (أ).

(٢) لم أقف عليها، وأوردها النسفي في «مدارك التنزيل» (١/ ١٩٥)، وذكرت أيضاً في كتب الفقه الحنفي، انظر «المبسوط» للسرخسي (٥/ ٢٠٩).

(٣) «محرم» سقط من (ف).

(٤) انظر «المبسوط» للسرخسي (٥/ ٢٠٩، ٢٢٣).

(٥) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق.

(٦) انظر «مختصر المزني» (ص: ٣٠٨).

وقوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾؛ أي: فإن شاءَ الوالدُ والوالدةُ فطامَ الولدِ بتراضِيهما، أو نظرِهما في حالة أنَّه وقعَت الكفايةُ ولا ضررَ عليه، فلا إثمَ عليهما.

والفِصالُ: الفِطام، والفُصولُ: خروجُ العِيرِ والجُند، والفَصل: التَّفريقُ والحُكمُ، وصرفُ الكُلِّ على تفاوتِ المصادر من بابِ: ضرب يضرب، وبعضُها في المعنى قريبٌ مِن بعض، وأصلُه التَّفريقُ، والفصيل: الحُوارُ[1] المفصولُ عن الناقة.

والتَّراضي: اجتماعُهما على الرِّضا، وهو الدَّليلُ على كمالِ نظرِهما في حالِه، وأنَّ الفِطامَ لا يَضرُّ بجسمِه.

والتَّشاورُ اجتماعُهما في الـمَشُورَة، وهي استخراجُ صوابِ الرَّأي بإشارةِ المستشار، وأصلُه مِن شَوْرِ العسل، وهو اجتناؤُه وهو اشتراط لكمال تأمُّلِهما في حاله؛ لأن لا يُضِرَّا به بقطع غذائِه قبل وقتِ فصالِه.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ﴾؛ أي: وإن شئتُم أيُّها الآباءُ، ويجوزُ أن يكون خطاباً للآباءِ والأمَّهات، ولكلِّ مَن احتاجَ إلى الاسترضاعِ وأرادَ ذلك.

والاسترضاع[2]: طلبُ الإرضاع من الظِئْر، وسؤالُهُ منها؛ فإنَّ سينَ الاستفعال للطَّلب والسُّؤال، وذاك يكون عند عجزِ الأمِّ، أو إبائِها، وقد قال في آيةٍ أخرى: ﴿وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ﴾ [الطلاق: ٦].

وقوله: ﴿أَوْلَٰدَكُمْ﴾ أي: لأولادِكم، وحذف اللام تخفيفاً، وهو في غير موضعِ الاشتباه؛ لأنَّه يُعلمُ أنَّه لا يُرادُ به وجودُ الإرضاعِ من الأولاد، وصار كما في قوله:

---

(١) الحوار: ولد الناقة. انظر: «الصحاح» (مادة: حور).

(٢) بعدها في (ف): «وهو».

﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾[1] [المطففين: ٣]؛ أي: كالوا لهم ووَزنوا لهم، ولا يشتبه هاهنا الحال، ويُعلَم[2] أنَّه لم يُرِد كيلَ أعيانِهم، ولا وزنَهم، ولا يجوزُ في موضع الاشتباه، لا يقال: دعوت زيداً، في موضع: دعوتُ لزيدٍ؛ لأنَّ دعاه متحقِّق.

وقوله تعالى: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِ﴾؛ أي: سلَّمتم إلى الظِّئر ما سمَّيتم لها مِن الأجرِ، والإيتاءُ لا يُحمَل هاهنا على الإعطاءِ الذي هو المناولَة؛ لأنَّ تسليمَ ذلك تسليمُ الـمُسْلَم، وهو ممتنعٌ، لكن يُحمَلُ على الإيتاءِ الذي هو التَّمليك، وهو كإيتاءِ الزَّكاة، أُريدَ به التمليك، والتمليكُ في العقدِ يَقعُ بالتَّسمية.

وقيل: معنى قوله: ﴿مَّآ ءَاتَيْتُم﴾؛ أي: التزمتُم، كما في قوله: ﴿حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ﴾؛ أي: يلتزموها، فإنَّ ذلك يَقعُ بالالتزام، لا بحقيقةِ الأداء.

وقوله: ﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾؛ أي: بالأداءِ الجميل، ثمَّ ظاهرُه أنَّه لا إثمَ على مَن استرضعَ لولدِه امرأةً إذا أعطاها ما شَرَطَ لها.

ويحتملُ: وإن أردتم أيُّها الآباءُ أنْ تَسترضِعوا أجنبيَّةً لإرضاعِ الولدِ بعدما أرضعتهُ الأمُّ زماناً، ثمَّ تركَتهُ لعجزٍ، أو إرادة التزوُّج بزوجٍ، فلا إثمَ عليكم أن تَنتزِعوا الولدَ منها، وتَدفعوه إلى الأجنبيَّةِ إذا سلَّمتُم لأمِّ الولد ما شرطتُم لها على إرضاعِها.

ويحتمل: لا جُناحَ عليكم أنْ تَسترضعوا؛ أي: في الابتداء للولدِ أجنبيَّة إذا امتنعَت الأمُّ عن إرضاعِه، إذا سلَّمتُم للأمِّ بقيَّةَ مهرِها، وسائرَ حقوقِها التي كانت.

وقرأ ابن كثير: ﴿ما أتيتم﴾ بغيرِ مدَّةٍ[3]، من الإتيان، وعلى هذا يكون معنى

---

(١) لفظ: «يخسرون» من (أ).

(٢) في (ر) و(ف): «ولا يعلم».

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ١٨٣)، و«التيسير» (ص: ٨١).

قوله: ﴿إِذَا سَلَّمْتُم﴾[1]؛ أي: إذا اتَّفقتُم؛ يعني الآباءَ والأمهات، من تسليمِ الخصمِ لخصمِه، وهو موافقتُه وتركُ الخلافِ عليه؛ أي: إذا توافقتُم وتراضيتُم على ما أتيتم؛ أي: عملتُم مِن الاسترضاع.

وقوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾؛ أي: [لا][2] تخالفوا أوامرَهُ ونواهيه، واعلموا أنَّ الله[3] يرى أعمالَكم، فيُوفِّي جزاءكم.

* * *

(٢٣٤) - ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ﴾ التوفِّي: الإماتةُ، وقد توفَّاهُ اللهُ تعالى؛ أي: أماتَهُ، قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ [الزمر: ٤٢]، وأصلُ التَّوفِّي والاستيفاء هو استِتمامُ القبض، يُقال: وفَّيتُه حقَّهُ توفيةً، فتوفَّاهُ واستوفاه، ومعنى ﴿يُتَوَفَّوْنَ﴾؛ أي: تُقبَضُ أرواحُهم بالموت.

وعن عليٍّ رضي الله عنه أنَّه قرأ: (يَتوفَّون) بفتحِ الياء[4]، ومعناهُ: يَستوفونَ أعمارَهم، وهو كنايةٌ عن الموتِ أيضاً.

وقوله تعالى: ﴿وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا﴾؛ أي: يَتركون زوجاتٍ، ويَذَرُ مستقبل أُميتَ ماضيه ومصدرُه، وكذلك: يدع، والأزواجُ جمعُ زوجٍ، والمنكوحةُ تُسمَّى زوجاً

(١) بعدها في (ف): «ما أتيتم».

(٢) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق.

(٣) من قوله: «تخالفوا أوامره» إلى هنا من (أ).

(٤) ذكرها عنه ابن خالويه في «مختصر في شواذ القراءات» (ص: ٢٢)، وزاد نسبتها للمفضل عن عاصم.

وزوجةً، والتَّذكيرُ أغلب، قال الله تعالى: ﴿ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾ [البقرة: ٣٥]، ويُجمَع: أزواجاً، على لغةِ التَّذكير.

وقوله تعالى: ﴿يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ﴾ أي: زوجاتُهم يَنتظِرنَ بأنفسِهنَّ، ومعناه: يَعتَدِدنَ.

ثمَّ قولُه: ﴿وَٱلَّذِينَ﴾ مبتدأٌ، ولا بدَّ له مِن خبرٍ، واختلف في خبره هاهنا.

قال الزَّجَّاجُ: خبرُه محذوفٌ، وتقديره: ﴿وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا﴾ فأزواجهم ﴿يَتَرَبَّصْنَ﴾[1].

و[2]قال الأخفش: خبرُه: ﴿يَتَرَبَّصْنَ﴾، ولكن لا بدَّ مِن إضمارِ عائدٍ على المبتدأ، فيُضمر: ﴿يَتَرَبَّصْنَ﴾ بعدهم[3].

وقال قطرب: تقديره ﴿وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا﴾ ينبغي لهن أنْ يتربَّصن.

وقال الكسائيُّ والفرَّاء: «الذين» أُقيم مقام: أزواجهم، وتقديره: وزوجاتُ الذين يُتوفون منكم. إلى آخره[4]، ونظيرُ هذا ما مرَّ في قوله: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ﴾ [البقرة: ١٧١]؛ أي: ومثلُ واعظِ الذين كفروا.

وقوله: ﴿بِأَنفُسِهِنَّ﴾ تعديةُ الانتظار بالباء؛ أي: يُلبِثنَ أنفسَهنَّ عن التزوُّج إلى انقضاء العِدَّة.

وقوله تعالى: ﴿أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ ﴿أَرْبَعَةَ﴾ نُصبَ على الظرف للتربُّص

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٣١٤).

(٢) في (أ) و(ف): «قال» دون واو.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للأخفش (١/ ١٨٩).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ١٥٠).

﴿وَعَشْرًا﴾؛ أي: عشرَ ليالٍ، وذِكْرُها ذكرٌ لأيَّامها لغةً، وكذا ذكرُ الأيَّام ذِكْرٌ للياليها، قال تعالى[1] في قصَّةِ زكريَّا عليه السلام: ﴿ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا﴾ [آل عمران: ٤١]، وقال تعالى: ﴿ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾ [مريم: ١٠]، والقصَّة واحدةٌ، فدلَّ أنَّ ذِكرَ أحدِهما يتضمَّنُ الآخر.

وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾؛ أي: استوفينَ مدَّتهنَّ.

وقوله تعالى: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾؛ أي: يا معاشرَ أولياءِ الأزواج الذين ماتوا[2].

وقوله تعالى: ﴿فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾؛ أي: فيما فعلَ النِّساءُ المعتدَّاتُ مِن التَّشوُّفِ، والتزيُّنِ للخُطَّاب، والتَّزوجِ بزوجٍ آخر؛ أي: بعدما[3] زالت عُلقةُ الزوج، فلا بأسَ لوليِّ الزَّوجِ أن يَتركَها تتعرَّضُ[4] لزوجٍ آخر، فقد آنَ أوانُه، وكان قبلَ انقضاءِ العِدَّةِ إذا تركتِ الإحدادَ، وتَشوَّفَت للخُطَّابِ، فللقُضاة وأولياءِ الأزواج منعهنَّ عن ذلك.

وقوله تعالى: ﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾؛ أي: على موافقةِ الشَّرع.

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾؛ أي: عليمٌ، ويجوزُ أن يكونَ خِطاباً للرِّجالِ والنِّساء جميعاً، وهو وعدٌ ووعيدٌ على الخيرِ والشَّرِّ.

***

(٢٣٥) ـ ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِىٓ أَنفُسِكُمْ﴾

---

(١) في (أ): «كما» بدل: «قال تعالى».

(٢) بعدها في (ر): «أزواجهن».

(٣) في (أ): «قد» بدل من «بعد ما».

(٤) في (ر) و(ف): «لتتعرض».

عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُواْ قَوْلًا مَّعْرُوفًاۚ وَلَا تَعْزِمُواْ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ﴾ وعلِمَ اللهُ تعالى أنَّ المرأةَ إذا ماتَ زوجُها قد يكونُ لها مالٌ، أو جَمالٌ، أو معنًى يَرغبُ النَّاسُ فيها، فأطلقَ للرَّاغبِ أنْ يُعَرِّضَ بالخطبةِ في العِدَّة، أو يُخفيَه في قلبِه، وهو قاصدٌ له حالَ قيامِ العِدَّة، ثمَّ يُظهِرَه بعد انقضاءِ العِدَّة، وهو نهيٌ عن التَّصريحِ به في العِدَّةِ، وكما لا يجوزُ له أن يَنكِحَها في عِدَّتِها، لا يجوزُ له أن يخطُبَها صريحاً فيها(١)، فأمَّا التَّعريضُ فلا بأسَ به.

والتَّعريضُ: هو إفهامُ المعنى بالشَّيء المحتمِلِ له ولغيرِه.

وقيل: هو تَضمينُ الكلامِ دِلالةً على شيءٍ(٢) ليس فيه ذِكْرٌ له، كقولك لرجلٍ(٣): ما أقبحَ البُخلَ، تُعرِّضُ بأنَّه بخيلٌ، وقولُك: لعنَ الله الظَّالمين، تُعرِّضُ أنَّه ظالمٌ.

وفي الخبرِ: «إنَّ في المعاريض لمندوحة عن الكذب»(٤)، وهو أنْ يُقال: إنَّه

---

(١) وقع بعدها في (أ): «فأمَّا إذا قصدَ بقلبِه أنْ يَخطُبَها بعد انقضاءِ العِدَّة، أو عرَّضَ لها بما يَقعُ عندها أنَّه يَرغبُ فيها، وأنَّه يَخطُبُها بعد انقضاء عدَّتِها، فقد نفى اللهُ تعالى الجُناح في ذلك».

(٢) في (ر): «معنى».

(٣) قوله: «لرجل» من (ر).

(٤) رواه ابن عدي في «الكامل» (٣/ ٥٦٧)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (١٠١١)، والبيهقي في «الكبرى» (٢٠٨٤٣)، (٢٠٨٤٤) من حديث عمران بن حصين مرفوعاً، ورواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٦٠٩٦)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٨٥٧)، والطبراني في «الكبير» (١٨/ ١٠٦) (٢٠١)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٢٠٨٤٢) عن عمران بن حصين رضي الله عنه موقوفاً. والصحيح موقوف كما رجحه البيهقي وغيره. =

وضعَ رأسَه، أو: ليس هاهنا، أو: عليَّ المشيُ إلى بيت الله، أو: لا أشتري جاريةً، ولا أتزوَّجُ عليك، يَتحرَّزُ بهذا كلِّه عن الكذب، على إرادةِ شيءٍ آخرَ سوى الظَّاهرِ على ما عُرِف[1].

والخطبةُ: الاستنكاحُ، وهي مأخوذةٌ[2] من الخِطاب، والخُطبةُ بالضمِّ مِن الخِطاب أيضاً، وهي خِطابُ النَّاس بالحمدِ، والصَّلاةِ، والوَعظِ والدُّعاء.

ومن التَّعريض في الخطبة أن يقولَ: إنِّي أشتهي أنْ تكونَ لي امرأةٌ مثلُك، ولعلَّ اللهَ يَقضي به بيني وبينك، أو يقول: أنا أحتاج[3] إلى امرأةٍ صفتُها[4] كذا، فتَعلمَ أنَّه يرغبُ فيها، أو يَصِفُها بالجمالِ والعقلِ والعفَّة والبصارة[5] والكفاية، فتَعلمُ أنَّه يَرغبُ فيها، أو يقول: إنِّي حسنُ الخُلُقِ، كثيرُ الإنفاقِ، جميلُ العِشرةِ، مُحسنٌ إلى النِّساء، فيصفُ نفسَه لترغبَ فيه، أو يقول: ربَّ راغبٍ فيكِ، وحريصٍ عليك، وأنتِ بحيث تُحبِّين، وما عليك لائمة، وما يَجري مجرى هذا.

وقوله تعالى: ﴿أَوْ أَكْنَنتُمْ فِىٓ أَنفُسِكُمْ﴾ أي: سترتُم وأسررتُم وأضمرتم[6]، قال تعالى: ﴿مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ [النمل: ٧٤]، والمكنون: المصون، وهو بالسِّترِ يكون.

= وأخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٦٠٩٥)، والبيهقي في (٢٠٨٤١) من قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(١) من قوله: «وفي الخبر أن في المعاريض» إلى هنا من (أ).

(٢) في (ر) و(ف): «وهو مأخوذ».

(٣) في (ف): «محتاج».

(٤) بعدها في (أ): «توافق صفتها».

(٥) في (ر) و(ف: «والنضارة».

(٦) بعدها في (ر) و(ف): «ثم».

وقوله تعالى: ﴿عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ﴾ قيل: أي: ستَخطُبونهنَّ، وفي الحديث: كان النبيُّ ﷺ إذا أرادَ أن يُزوِّجَ بعضَ بناتِه، دَنى مِن خِدرها ويقول: «إنَّ فلاناً يَذكرُ فلانة»[1]، يعني: يخطُبُها، يعني أنَّكم تَحتاجون بعد انقضاءِ العِدَّةِ إلى الخِطبة، فأباحَ لكم تمهيدَ ذلك بالتَّعريضِ في العِدَّة؛ لئلَّا يَسبقكُم غيرُكم بالخِطبة فتفوتَكم.

وقيل: معناه: ستَذكرونهنَّ بقلوبِكم، وتتفكَّرون في أنَّكم تَطلبون ذلك بعد انقضاءِ العِدَّة، فأزالَ الجُناحَ عنكم بإضمارِكُم ذلك في القلب؛ إذ ليس فيه وَهْمُ فسادٍ.

وقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾؛ أي: جِماعاً، سُمِّيَ به؛ لأنَّه يُفعَل سِرًّا[2]، قال امرؤ القيس:

أَلَا زعمَتْ بَسْباسةُ اليومَ أنَّني ... كبِرْتُ وأنْ لا يُحسِنُ السِّرَّ أمثالي[3]

أي: لا يَقُلْ أحدكُم لها في العدَّةِ: إنِّي قادرٌ على هذا العملِ، ومحسِنٌ لهذا العمل؛ فإنَّه قبيحٌ في المعاملة، وبعيدٌ عن[4] المجاملة، ولأنَّه مُهيِّجٌ لشَهوتها، وقد يوقِعُها في الفتنة بذلك في عدتها[5].

وقوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن تَقُولُواْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ ليس هذا حقيقةَ[6] استثناءٍ عن مواعدةِ السِّرِّ التي هي ذِكْرُ الجِماع؛ فإنَّه لا يَنبغي أنْ يُقال ذلك بوجهٍ مِن

---

(١) رواه أحمد في «مسنده» (٢٤٤٩٤) من حديث عائشة رضي الله عنه، قال محققوه: إسناده ضعيف.

(٢) في (أ): «في السر و» وفي (ف): «في السر».

(٣) «ديوان امرئ القيس» (ص ٢٨)، وفيه: «اللهو» بدل: «السر».

(٤) في (أ): «في».

(٥) قوله: «في عدتها» من (أ).

(٦) في (أ): «الحقيقة».

الوجوه[١]، لكن معناه: أي: لكن قولوا قولاً جميلاً ممَّا قُلناه[٢] في التَّعريضات.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ﴾؛ أي: لا تحقِّقوا العقدَ في العِدَّة، قال تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ﴾ [محمد: ٢١]؛ أي: تحقَّق.

وقيل: أي: لا تُلزِموهنَّ[٣] عقدَ النِّكاحِ في العِدَّة، من قولك: عزمتُ عليك أنْ تفعلَ كذا، ولم يرد به القصدَ، ولو أرادَ ذلك لقال: ولا تَعزِموا على عُقدةِ النِّكاح، وذاك هو الإكنان الذي رفعَ اللهُ الجُناحَ فيه.

وقوله تعالى: ﴿حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ﴾؛ أي: حتَّى ينتهي ما كَتبَ اللهُ عليهنَّ مِن التَّربُّصِ أربعةَ أشهرٍ وعشراً، وقوله تعالى: ﴿أَجَلَهُ﴾؛ أي: بلغ ذلك غايتَه، وهو انقضاءُ العِدَّةِ.

وقوله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ﴾؛ أي: مِن الطَّاعةِ والتَّعظيمِ والخوفِ وخلاف ذلك.

وقوله تعالى: ﴿فَاحْذَرُوهُ﴾؛ أي: اخشَوا أنْ يَطَّلِعَ على خلافٍ[٤] منكم، واحذروا أنْ يُعاقِبَكم عليه.

وقوله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾؛ أي: لا تَغترُّوا بأنَّه غفورٌ يَسترُ الذُّنوب، وحليمٌ لا يَعْجَلُ بالعقوبةِ، ثمَّ قد يأخذُ. أو هو[٥] غفورٌ، فتوبوا مِن الخلاف؛ ليغفرَ لكم، وحليمٌ لا يَرُدُّ التَّوبةَ لما سلفَ مِن الإفراط.

---

(١) «من الوجوه» ليس في (أ).

(٢) في (أ): «قلنا».

(٣) في (ر) و(ف): «تكرهوهن».

(٤) في (أ): «خوف».

(٥) في (ر): «وهو».

والحليمُ هو الذي لا يَستخِفُّهُ عصيانُ العصاة، ولا يَستفِزُّهُ[1] الغضبُ عليهم.

ثمَّ لا يَصِحُّ عند المعتزلة على أصولهم وصفُ الله جلَّ وعلا بأنَّه حليمٌ؛ لأنَّ حقيقةَ الحِلم تركُ عقوبةِ مَن يَستحِقُّها، ولا يَجوزُ عندَهم لله تعالى تركُ عقوبةِ العصاةِ، واللهُ تعالى وصفَ نفسَهُ بالحِلمِ تَرغيماً[2] لهم، وتكذيباً لقولهم.

* * *

(٢٣٦) ـ ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ الجُناحُ: الوِزرُ، من قولهم: جَنحَتِ السَّفينةُ؛ أي: مالَت لثِقلها، والوِزْرُ: الثِّقَلُ، قال تعالى: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ﴾ [العنكبوت: ١٣].

قيل: إنَّ النَّبيَّ ﷺ لكثرةِ ما أوصى أصحابَه بالنِّساءِ ظنُّوا أنَّه سَيُحرِّمُ طلاقَهنَّ، فنزلَتِ الآيةُ لبيان أنَّه مباحٌ، وليس على المطلِّقِ إذا وافقَ الشَّرعَ جُناحٌ.

وقيل: هذه الآيةُ[3] في غيرِ المدخولِ بها، فقد قال تعالى: ﴿مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ﴾، وإنَّما خصَّها بالذِّكرِ؛ لأنَّ طلاقَها في كلِّ وقتٍ مشروعٌ مباحٌ، وفي المدخولِ بها يَختلفُ الحال.

وقيل: الآيةُ في رفعِ الجُناحِ عمَّن لا يُعطيها المهرَ إذا طلَّقها قبلَ الدُّخولِ بها، ولم يُسَمِّ لها مهراً؛ فإنَّ اللهَ تعالى لـمَّا شدَّدَ في منعِ المهرِ، واستردادِ المهرِ، والمضارَّةِ

---

(١) في (ف) و(أ): «يستفزه».

(٢) في (أ): «ترغيباً».

(٣) بعدها في (ر): «نزلت».

لِيَختلعَ بالمهر، بالآياتِ التي مرَّت؛ توهَّموا أنَّ في غير المدخولِ بها التي لم يُسَمَّ لها المهرُ[1] يأثمون بأن لا يعطوا المهرَ، فبيَّنَ أنَّه لا جُناحَ فيه، وأنَّ المهرَ غيرُ واجبٍ، بل الواجبُ المتعةُ، كما قال تعالى: ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ﴾.

وقيل: معناهُ: لا إثمَ عليكم في الطَّلاقِ ومنعِ المهر، إلَّا إذا مَسَستموهنَّ، أو فرضتُم لهنَّ مهراً؛ فإنَّه يَجِبُ مهرُ المثلِ في المسِّ وإنْ لم يفرضْ لها شيئاً، ويَجِبُ نصفُ المهرِ المسمَّى إذا طلَّقها وإن لم يمسَّها، ولذلك أدخلَ ﴿أَوْ﴾ بين قوله: ﴿مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾، وفي كلِّ واحدةٍ مِن هاتين الحالتين يأثمُ بمنعِ المهر.

وقيل: بل معناه: ما لم تَمسُّوهنَّ، ولم تفرضوا لهنَّ فريضةً، أو: ما لم تمسوهن ولا فرضتم لهن فريضة؛ لأنَّ الأوَّلَ نفيٌ، و﴿أَوْ﴾ في عطف النفي كذلك، قال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٢٤]، ليس هذا للشكِّ ولا للتَّخييرِ، بل النَّهيُ عن طاعتِهما جميعاً، وتقديرُه: وكفوراً. ووجهٌ آخر: ولا كفوراً.

وقرأ حمزةُ والكسائيُّ: ﴿ما لم تُماسوهن﴾[2]. والمماسَّةُ: الملامسةُ، وهي الوطءُ؛ لأنَّ المفاعلةَ بين اثنين، وقرأ الباقون: ﴿مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ﴾ والمسُّ: هو اللَّمسُ، ويَقعُ على اللمسِ باليدِ وعلى الوطءِ، فكلُّ واحدٍ منهما يؤكِّدُ كلَّ المهرِ عندنا، والفرض: تقديرُ المهر، والفريضة: المقدَّر[3].

وقوله تعالى: ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ﴾؛ أي: أعطوهنَّ في حالِ عدمِ التَّسميةِ والطَّلاق قبلَ الدُّخولِ المتعةَ، وأصلُ المتعةِ والمتاع: ما يُنتفَعُ به انتفاعاً قليلاً غيرَ باقٍ، بل ينقضي

---

(١) في (ف): «مهراً».

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ١٨٤)، و«التيسير» (ص: ٨١).

(٣) في (ر): «المقدرة».

عن قريبٍ، قال اللهُ تعالى: ﴿إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ﴾ الآية [غافر: ٣٩]، ويُسمَّى التَّلذُّذُ تمتُّعاً لذلك، ونظيرُ المتعةِ والـمَتاع: البُلغةُ والبَلاغ.

واختُلِفَ في تقديرِها، وعندنا هي ثلاثةُ أثوابٍ؛ دِرْعٌ، وخِمارٌ، وملحفة، والأخبارُ والآثارُ فيها مختلفة.

قال الكلبيُّ رحمه الله: نزلَت في رجلٍ مِن الأنصار تَزوَّجَ امرأةً مِن بني حنيفة، ولم يسمِّ لها مهراً، ثمَّ طلَّقها قبلَ أنْ يمسَّها، فقال النبيُّ ﷺ: «متِّعها ولو بقَلنسوتِكَ، أما إنَّها لا تُساوي شيئاً، ولكنِّي أحببتُ أن أحييَ السُّنَّة»[(١)].

وقال سعيدُ بنُ المسيَّب: أفضلُها خادمٌ، وأوضعُها ثوب[(٢)].

وقال الشَّعبيُّ: أوسطُها أربعةُ أثواب؛ دِرعٌ، وخِمارٌ، ومِلْحفةٌ، وجِلباب[(٣)].

وقال ابن عمر: رضي الله عنهما أدناها ثلاثون درهماً[(٤)].

ومتَّع عبدُ الرَّحمن بنُ عوفٍ رضي الله تعالى عنه امرأتَه[(٥)] بجاريةٍ سوداءَ، والحسنُ[(٦)] بن عليٍّ رضي الله عنهما امرأتَهُ[(٧)] بعشرةِ آلاف درهم.

---

(١) لم أقف عليه عن الكلبي، وذكره مقاتل في «تفسيره» (١/ ٢٠٠)، والثعلبي في «تفسيره» (٢/ ١٨٨) دون نسبة.

(٢) ذكره الجصاص في «أحكام القرآن» له (٢/ ١٤٤)، وفيه: خمار بدل: خادم.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٢٩٠ ـ ٢٩١).

(٤) انظر: «الإشراف» لابن المنذر (٥/ ٣٧٥)، و«أحكام القرآن» للجصاص (٢/ ١٤٤).

(٥) في (ف): «امرأة»، وليس في (ر).

(٦) في (ر) و(ف): «والحسين»، والمثبت موافق لما في «تفسير الطبري» (٤/ ٢٩٢)، وخبره وخبر عبد الرحمن بن عوف مخرج فيه.

(٧) في (ر) و(ف): «امرأة».

وروى جابرٌ رضيَ الله عنه أنَّ أبا عمرو بن حفص بن المغيرة طلَّقَ امرأته فاطمةَ بنت قيس أختَ الضَّحاكِ بنِ قيس، فذَكرَ ذلك لرسولِ الله ﷺ، فقال: «متِّعها»، فقال: ما أجد، قال: «متِّعها ولو بصاعٍ من تمر»(١).

وقوله تعالى: ﴿عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ﴾ الموسِعُ: الغنيُّ، وقد أوسعَ؛ أي: صار في السَّعة، وهي الغنى، كما يقال: أصبح وأمسى؛ أي: صار في الصَّباح والمساء.

والـمُقترُ: الـمُقِلُّ، والتَّقتير في الإنفاقِ هو التَّقليل، وقُتَارُ المرَقةِ: ريحُها، وهي قليلةُ منها، والقَتَرَةُ: الغبار، وهو قليلٌ مِن التُّراب.

وقوله: ﴿قَدَرُهُ﴾ قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وعاصم في رواية أبي بكر: ﴿قَدْره﴾ بتسكين الدَّال(٢)، والباقون بفتحِها، وهما المقدارُ؛ أي: المتعةُ على الزَّوج على قدرِ يسارِه وإعسارِه.

وقوله تعالى: ﴿مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ﴾ نصبَ على المصدر، فقد سبق الفعلُ: ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ﴾.

وقيل: على القطع، فقد قال: ﴿عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ﴾ (٣) بالرفع، وذاك معرفةٌ وهذا نكرة، فنُصِبَ على القطع من ذلك.

وقيل: بل هو مفعولٌ ثانٍ، والأوَّل: «هن» في ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ﴾.

---

(١) أخرجه الخطيب في «تاريخ بغداد» (٤/ ١٢٢) والبيهقي في «الكبرى» (١٤٤٩٣)، واسم المطلَّق عندهما: حفص بن المغيرة. ووقع عند البيهقي: «ولو نصف صاع».

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ١٨٤)، و«التيسير» (ص: ٨١) وقرأ بتسكين الدال أيضاً ابن عامر في رواية هشام.

(٣) «وعلى المقتر قدره» سقط من (أ) و(ف).

والمعروفُ: ما لا تقتيرَ فيه ولا إسراف.

وقولـه تعالـى: ﴿حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ أي: واجباً على الذين يُحسِنون الائتمارَ بأمر الله تعالى.

وقيل: ﴿حَقًّا﴾ مصدرُ فعلٍ مضمرٍ؛ أي: حقَّ ذلك حقاً.

وليس هذا الإحسانُ هو التبرُّع بما ليس عليه؛ فإنَّ المتعةَ في هذه -أي: في هذه[1] الصُّورة[2]- واجبةٌ.

***

(٢٣٧) - ﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَاْ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ ۚ وَأَن تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُاْ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ﴾ ثمَّ بيَّنَ حُكمَ التي سُمِّيَ لها المهرُ في الطَّلاق قبل المسِّ وقوله: ﴿وَقَدْ﴾ الواو للحال، وقوله: ﴿فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ﴾ أي: فعليكم نصفُ ما سمَّيتُم، أو فلهنَّ نصفُ ما سمَّيتُم، والنِّصفُ أحدُ جزأي الكمال.

وقوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن يَعْفُونَ﴾ أي: إلَّا أنْ يُسقِطنَ[3] هذا النِّصفَ، فلا يأخذْنَ شيئاً، والواو هاهنا واوُ أصلِ الكلمة، وليس بواو الجمع، وتقديرُه: يَفْعُلْنَ، والنُّون نونُ جمعِ النِّساء، وليست بنونِ الرَّفع، ولذلك لم تَسقط بالنَّاصِب، وهو «أن».

---

(١) قوله: «أي في هذه» من (ر).

(٢) في (أ): «الآية»

(٣) بعدها في (أ): «هن من».

وقوله تعالى: ﴿أَوۡ يَعۡفُوَاْ﴾ نُصِبَ لأنَّه عطف على قوله: ﴿يَعۡفُونَ﴾، وقد دخل فيه ناصبٌ، لكن لم يظهر فيه النَّصبُ للتَّسكينِ اللَّازمِ، ومعناه: أو يَتفضَّلَ؛ فإنَّ العفوَ هو الفضلُ على ما مرَّ.

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقۡدَةُ ٱلنِّكَاحِ﴾؛ أي: الزَّوجُ يَتفضَّلُ فيُعطِي الكلَّ صلةً لها وإحساناً إليها؛ أي: الواجبُ شرعاً هو النِّصفُ، إلَّا أنْ تُسقِطَ هي الكلَّ، أو يعطي هو الكلَّ. وإنَّما كان الزَّوجُ هو الذي بيدِه عقدةُ النِّكاح؛ لأنَّ الطَّلاقَ بيدِه، فكان إبقاءُ العقدة بيده، فسُمِّيَ به. وكذا فسَّره سعيدُ بن جبير وشُريح ومجاهدٌ[١] وجماعةٌ رضي الله عنهم، وأصلُه عن علي رضي الله عنه وروي عنه أنَّه سأَلَ شُريحاً عن الذي بيده عقدةُ النِّكاح، فقال: هو الوليُّ، فقال عليٌّ: لا، ولكنَّه[٢] الزوج[٣]. وهو قولُ أبي حنيفة رحمَهُ الله[٤]، وأحدُ قولَي الشَّافعيِّ رحمَهُ الله[٥].

وقال مالكٌ والشافعيُّ في قولٍ[٦]: هو الوليُّ للصَّغيرةِ والبِكر، وله حطُّ هذا النِّصف[٧].

وهذا لا يصحُّ؛ لأنَّه لا يَملِكُ التَّبرُّعَ بحقِّ الصَّغيرةِ، ولا بحقِّ الكبيرةِ بغير رضاها.

---

(١) روى أقوالهم الطبري في «تفسيره» (٤/ ٣٢٥ ـ ٣٢٩).

(٢) في (أ): «ولكن هو».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٣٢٤).

(٤) انظر: «المبسوط» للسرخسي (٦/ ٦٣).

(٥) انظر: «الأم» للشافعي (٦/ ١٩١ ـ ١٩٢).

(٦) هو القول القديم عنه. انظر «روضة الطالبين» (٧/ ٣١٤).

(٧) انظر: «المدونة الكبرى» (٢/ ١٠٤).

وقوله تعالى: ﴿وَأَن تَعۡفُوٓاْ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۚ﴾ «أن» مع الفعل مصدرٌ، وتقديرُه: والعفوُ منكم أقربُ إلى التَّقوى.

وقيل: هو خطابُ الأزواج، وكذا قوله: ﴿وَلَا تَنسَوُاْ ٱلۡفَضۡلَ بَيۡنَكُمۡۚ﴾ ندبَ الزَّوجَ إلى إكمالِ المهرِ؛ إظهاراً للمروءة، وعملاً بالفتوة.

وقيل ـ وهو الأظهر الأشهر ـ: إنَّه خطابٌ للأزواج والزَّوجاتِ جميعاً؛ أي: عفوُ الزَّوجِ بإعطائِه كلَّ المهرِ خيرٌ له، وعفوُ المرأةِ بإسقاطِ كلِّه خيرٌ لها.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنسَوُاْ ٱلۡفَضۡلَ بَيۡنَكُمۡۚ﴾ تقريرٌ للأوَّل[1]، فلا يَنبغي للزَّوجِ أنْ يَنسى الإفضال، فيقول: إنَّها كانت محبوسةً بعقدي، ولم تَنل منِّي نصيباً، فلا أحرِمُها مِن المسمَّى شيئاً، ولا يَنبغي للمرأةِ أن تتركَ الإحسانَ، وتقول: إنَّ زوجي لم يَصِل إليَّ، ولم يكن له منِّي شيءٌ، فأنا لا آخذُ منه شيئاً.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ﴾؛ أي: لا يَخفى عليه ما عمِلتُم مِن الفضلِ والجودِ والانتصاف[2].

والجملةُ أنَّ المنكوحاتِ المطلَّقاتِ أربعةُ أصناف؛ مسمَّى لها مدخولٍ بها، وغيرِ مسمَّى لها غيرِ مدخولٍ بها، ومسمًّى لها غيرِ مدخولٍ بها، وقد ذكرنا أحكامَ هذه الثَّلاث في هذه الآيات، وغيرِ مسمًّى لها مدخولٍ بها، وقد ذُكرَ حكمُها في قوله تعالى: ﴿فَمَا ٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِهِۦ مِنۡهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ [النساء: ٢٤].

وقوله تعالى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ﴾[3] لمَّا ذكرَ أحكامَ النِّكاح، وفيه الشَّهوات،

---

(١) في (ر) و(ف): «تقدير الآية» بدل: «تقرير للأول».

(٢) في (ر): «والإنصاف».

(٣) بعدها في (ر) و(ف): «وَالصَّلاَةِ الْوُسْطَى».

وفي اتِّباعِها إضاعةُ الصلوات؛ عقَّبها الأمرَ بمحافظتِها؛ ليتحرَّزوا عنها، قال تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا﴾ [مريم: ٥٩]، ولأنَّ ذلك مِن حقوقِ الخَلْقِ، وهذا مِن حقوقِ الحقِّ، والقرآنُ يَشتمِلُ على بيان الحقَّين، وهو مثانٍ؛ لإتيانِه على هذين الاثنين.

* * *

(٢٣٨) ـ ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾.

ومعنى ﴿حَٰفِظُواْ﴾؛ أي: داوِموا ولازِموا، وأصلُ الحِفظِ: الضَّبطُ، وحفظُ الشَّيء عن النِّسيان هو ضبطُه في القلبِ، وحفظُ الشَّيء عن الضَّياع هو ضبطُه بالنَّفْس.

وقوله تعالى: ﴿عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ﴾ هي المكتوباتُ الخمسُ في كلِّ يومٍ وليلةٍ، ثبتَ عددُها بغيرها من الآيات، وبالأحاديث المتواترة، وبإشارةٍ في هذه الآية، وهو ذكرُ ﴿ٱلۡوُسۡطَىٰ﴾، والأوسط[1]: ما اكتنفَهُ ـ أي: أحاطه[2] ـ عددان متساويان، وأقلُّ ذلك خمسةٌ، ولا يقال بأنَّ الثَّلاث بهذه الصِّفة؛ لأنَّا نقول: الثَّلاثُ لا يَكتنفُها عددان، فإنَّ الذي قبلَها واحدٌ، والذي بعدَها واحدٌ، والواحدُ ليس بعددٍ؛ فإنَّ العددَ ما إذا جُمِعَ بين طرفَيه صارَ ضعفَه، والواحدُ ليس له طرفان؛ فإنَّه ليس قبلَهُ شيء.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ﴾؛ أي: وحافظوا على الصَّلاة الوُسطى منها، ومحافظتُها: حِفْظُ أوقاتِها، وأركانِها وشرائِطها وواجباتِها، وسُننِها وآدابِها وفضائلها. ثمَّ اختُلِفَ في الوسطى:

---

(١) في (أ) و(ر): «والوسطى».

(٢) قوله: «أي أحاطه» من (أ).

قال قوم: هي غير مُعيَّنةٍ، وإذا حافظ على كلِّها، فقد حافظَ عليها.

قال أبو بكر الورَّاق رحمه الله: لو شاء اللهُ لعَيَّنها، ولكنه أرادَ تنبيهَ الخلقِ على أداءِ الصَّلواتِ؛ ليُحافِظوا عليها[١]، كما نبَّه الناسَ على ليلة القدر، ولم يُعيِّنها، وكما قال النبيُّ ﷺ: «إنَّ في الجُمُعة لساعةً[٢] لا يُوافقُها عبدٌ مسلمٌ يَسألُ الله فيها خيراً، إلَّا أعطاهُ إيَّاه»[٣]، ولم يُعيِّنها.

وسُئِلَ الرَّبيع بن خثيم عنها، فقال للسَّائل: أرأيتَ إنْ عرفتَها، أكنتَ محافظاً عليها ومضيِّعاً سائرها؟ قال: لا، قال: فإنَّك إذا حافظتَ عليهنَّ فقد حافظتَ عليها[٤].

وقال ابنُ سيرين: سألتُ شُرَيحاً رحمه الله عن ذلك، فقال: حافظْ عليهنَّ تُصِبها[٥].

وقيل: هي صلاةُ الفجر، رويَ ذلك عن عليٍّ وابنِ عباس وابنِ عمرَ وأبي موسى وجابرٍ وجماعةٍ من التَّابعين[٦] رضوان الله عليهم أجمعين، وهو اختيارُ الشافعيِّ رحمَه اللهُ، وقالوا: يَدلُّ عليه أنَّه وردَ فيه في القرآن[٧] زيادةُ ترغيبٍ، وهو

---

(١) انظر: «تفسير الثعلبي» (٢/ ١٩٨).

(٢) في (ر) و(ف): «ساعة».

(٣) رواه البخاري في «صحيحه» (٩٣٥)، ومسلم (٨٥٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٣٧١ ـ ٣٧٢).

(٥) رواه ابن أبي شيبة (٨٦١٣).

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٣٦٧ ـ ٣٧١) عن ابن عباس وجابر بن عبد الله وجماعة من التابعين. وأخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٤٤٨) (٢٣٧٦)، ثم قال: وهو أحد قولي ابن عباس، وأحد قولي ابن عمر، وأنس بن مالك وأبي العالية وعبيد بن عمير وعطاء ومجاهد وجابر بن زيد وعكرمة والربيع بن أنس.

(٧) بعدها في (أ): «من».

قولُه تعالى: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودٗا﴾ [الإسراء: ٧٨]؛ أي: تَشهدُه ملائكةُ اللَّيلِ وملائكةُ النَّهار، وليست هذه الخصوصيةُ لغيرِها، وتحقيقُ اسمِ الوُسْطى لها أَنَّها بين صلاتَي ليلٍ وصلاتي[1] نهار، ولأَنَّها بين صلاتَي جهرٍ وصلاتَي مخافتةٍ، ولأَنَّها بين سوادِ اللَّيلِ وبياضِ النَّهار.

وقال ابنُ عمر رضي الله عنهما في روايةٍ وزيدُ بنُ ثابت: هي صلاةُ الظُّهر[2]. قال زيدٌ رضي الله عنه كان النبيُّ ﷺ يُصلِّي الظُّهرَ بالهاجرة، ولم تكن صلاةٌ أشدَّ على الصَّحابةِ رضي الله عنهم منها، فنزل قولُه تعالى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ﴾[3].

وخُصَّت بالذِّكرِ؛ لأَنَّها أَوَّلُ صلاةٍ فُرِضت، وسُمِّيَت وسطى؛ لأَنَّها في وسط النَّهار، ولأَنَّها بين صلاة نهارٍ وصلاة ليلٍ تتقدَّمان، وبين صلاة نهارٍ وصلاةِ ليل تتأَخَّران، وهي صلاةٌ تَقعُ في وقتِ اشتغالِ النَّاسِ في الأسواق، ولأَنَّها وقتُ القيلولةِ، وفيها خطرُ الفَوت.

وقال عليٌّ في روايةٍ، وابنُ عبَّاسٍ في روايةٍ، وابنُ مسعودٍ، وأبو أيوبَ الأنصاريُّ، وأبو هريرة، وأبو سعيدٍ الخدريُّ، وعائشةُ، وحفصةُ، وأُمُّ سلمةَ، والحسنُ البصريُّ[4]، وهو قولُ الأكثرِ رضوانُ الله عليهم: هي صلاةُ العصرِ، وفيه خبرٌ عن النبيِّ ﷺ فإنَّه[5]

---

(١) في (أ): «وبين صلاتي».

(٢) روى قوليهما الطبري في «تفسيره» (٤/ ٣٥٩ ـ ٣٦١).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٣٦٢ ـ ٣٦٣).

(٤) روى أقوالهم الطبري في «تفسيره» (٤/ ٣٤٢ ـ ٣٥١).

(٥) في (ر) و(ف): «بأنه».

فاتتهُ العصر يوم الأحزاب فقال: «شغلونا عن الصَّلاة الوسطى عن صلاة العصر، ملأَ اللهُ قلوبَهم وقبورَهم ناراً»(١).

وقال النبيُّ ﷺ: «مَن فاتتهُ العصرُ، فكأنَّما وُتِرَ أهلَهُ ومالَه»(٢).

وخُصَّت به؛ لأنَّه وقتُ قُربِ فراغ النَّاسِ عن أعمالِهم، والغالبُ هو حِرصُهم عليها، وإقبالُهم على إتمامها.

وسُمِّيَت وُسْطى؛ لأنَّها بين صلاتَي نهارٍ وصلاتَي ليل.

وقال قبيصةُ بن ذؤيب وعمرو ومكحولٌ وضمرةُ بنُ حبيب: هي صلاةُ المغرب(٣)؛ لأنَّها ثلاثُ ركعاتٍ، فهي بين الأربعِ والمثنى، ولأنَّها بين صلاتَي مخافتةٍ وبين صلاتَي جهر، ولأنها بين بياضِ النَّهار وسوادِ اللَّيل.

وخُصَّت به؛ لأنَّه وقتُ الرَّغبةِ في الطَّعام، وقد ورد التَّشديدُ والتَّهديدُ في تأخيرها(٤).

وقيل: هي صلاةُ العشاء؛ لأنَّها بين صلاةِ جهرٍ وصلاةِ مخافتة يتقدَّمان، وبين

---

(١) رواه البخاري في «صحيحه» (٢٩٣١)، ومسلم (٦٢٧) من حديث علي رضي الله عنه، ورواه مسلم (٦٢٨) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري (٥٥٢)، ومسلم (٦٢٦) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٣٦٧) عن قبيصة بن ذؤيب.

(٤) روى أبو داود في «سننه» (٤١٨) عن مرثد بن عبد الله قال: قدم علينا أبو أيوب غازياً، وعقبةُ بن عامر يومئذ على مصر، فأخَّر المغرب، فقام إليه أبو أيوب فقال: ما هذه الصلاة يا عُقبة؟ قال: شُغلنا، قال: أما سمعتَ رسولَ الله ﷺ يقول: «لا تزال أمتي بخير ـ أو قال: على الفطرة ـ ما لم يؤخِّروا المغربَ إلى أن تشتبكَ النُّجوم». وروى ابن ماجه (٦٨٩) نحوه من حديث العباس رضي الله عنه.

صلاة جهرٍ وصلاةِ مخافتةٍ[١] يتأخران، ولأنَّها بين صلاةِ ليلٍ وصلاةِ نهارٍ يُجهَرُ بها، فهي صلاةُ جهرٍ بين صلاتَي جهرٍ.

وخُصَّت به؛ لأنَّه وقتُ غَلَبةِ النَّوم.

وقوله تعالى: ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ﴾ قال الضَّحَّاكُ رحمه الله: أي: مُطيعين؛ فإنَّ سائرَ أهل الأديان يقومون في الصَّلاة عاصين[٢].

وقال زيدُ بنُ أرقم: كنَّا على عهدِ النبيِّ ﷺ يُكلِّمُ أحدُنا صاحبَه في الصَّلاة بحاجتِه، حتَّى نزلَ قوله تعالى: ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ﴾؛ أي: ساكتين[٣].

وعن ابنِ عبَّاس رضي الله عنهما أنَّه صلَّى بهمُ الصُّبحَ فقنَتَ فيه، وقال: هذه الصَّلاةُ التي قال الله تعالى: ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ﴾[٤].

وقيل: معناه: خاشعين.

وقيل: مُطيلين للقِيام.

وقيل: مُخلِصين.

وقيل: قارئين للقرآن.

وقال مجاهد: من القنوت: الرُّكودُ والخشوع[٥]، وغضُّ البصرِ، وخفضُ الجناحِ مِن رهبة الله تعالى[٦].

---

(١) من قوله: «ولأنها بين بياض النهار» إلى هنا من (أ).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٣٧٦)، وروى (٤/ ٣٧٨) عن ابن عباس نحوه.

(٣) رواه مسلم في «صحيحه» (٥٣٩).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٣٦٨).

(٥) في (ر) و(أ): «الركوع والسجود» بدل: «الركود والخشوع».

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٣٨٢)، وابن أبي حاتم (٢/ ٤٤٩) (٢٣٨١).

(٢٣٩) ـ ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا﴾؛ أي: وحافظوا عليها في حالِ خوف العدوِّ أيضاً، فلا تؤخِّروها، وصلُّوا رجالاً، وهو جمعُ راجل، وهو القائمُ على الرِّجلِ، ويجوزُ لهم أداؤها بالجماعة.

وقوله تعالى: ﴿أَوْ رُكْبَانًا﴾ هو جمعُ راكب، ولهم أن يصلُّوا وُحداناً، ولا يجوزُ أن يصلوا[1] بجماعةٍ عندنا؛ لأنَّه سقطَ فرضُ الاستقرارِ عنهم، فلم يَجمعْهُم مكانٌ واحدٌ، فبطلَ الاقتداءُ.

وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا أَمِنتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾؛ أي: فإذا أمنتُم العدوَّ، فصلُّوا لله، والذِّكْرُ اسمٌ للصلاة، وقد دللنا عليه فيما مرَّ.

﴿كَمَا عَلَّمَكُم﴾ الله، ولم تكونوا علمتُم ذلك؛ أي: صلُّوا[2] طائفةً واحدةً، مِن غير انصرافٍ، وفي الخوف يُصلُّون طائفتين، وتَنصرفُ كلُّ طائفةٍ إلى العدوِّ عند تمامِ ركعةٍ[3]، على ما نبيِّنُ في سورة النِّساء إنْ شاءَ اللهُ تعالى.

* * *

(٢٤٠) ـ ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِم مَّتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

---

(١) قوله: «أن يصلوا» من (أ).

(٢) في (ف): «صلاة».

(٣) في (ر) و(ف): «الركعة».

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا﴾ قد مرَّ تفسيرُه.

وقوله تعالى[1]: ﴿وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِم﴾[2] قرأ حمزة وأبو عمرو وحفص بالنَّصب[3]، ووجهُه: فليُوصوا وصيَّةً، وقرأ عاصمٌ[4] والكسائيُّ بالرَّفع، وتقديره: فعليهم وصيَّةٌ لزوجاتهم، أو فيه تقديمٌ وتأخير، وتقديره: فلزوجاتِهم وصيَّةٌ، وهي بالنَّفقةِ والسُّكنى.

وقوله تعالى: ﴿مَّتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ﴾ ونصْبُهُ بإضمارِ الفعل، أو على القطع، أو على الحال، أو على إيقاع فِعلِ الوصيَّةِ عليه.

وقوله تعالى: ﴿غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾ قيل: هو على الحال، وتقديرُه: غيرَ مخرجين لهنَّ.

وقيل: هو صفةُ ﴿مَّتَاعًا﴾.

وقيل: هو مصدرٌ، وتقديره: لا[5] إخراجاً.

وقيل: هو نصبٌ بنزعِ الخافض، وتقديرُه: مِن غير إخراج.

وقال الأخفش: تقديرُه: متِّعوهنَّ متاعاً، لا تخرجوهنَّ إخراجاً[6].

وقوله تعالى: ﴿فَإِنْ خَرَجْنَ﴾؛ أي: بعد السَّنةِ، ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ

---

(١) «وقوله تعالى:» سقط من (أ) و«و» سقط من (ف).

(٢) في (أ): «لأزواجكم».

(٣) وهي قراءة ابن عامر أيضاً.

(٤) في رواية أبي بكر، وهي بالرفع قراءة نافع وابن كثير أيضاً. انظر «السبعة» (ص: ١٨٤)، و«التيسير» (ص: ٨١).

(٥) «لا» زيادة من (أ) و(ف).

(٦) انظر: «معاني القرآن» للأخفش (١/ ١٩٢).

﴿فِىٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعۡرُوفٖۗ﴾؛ أي: لا إثمَ عليكم يا أولياءَ الزَّوجِ فيما فعلنَ في أنفسِهنَّ[١] مِن التَّزيُّنِ لطلبِ الزَّوجِ على وفق الشرع.

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ﴾؛ أي: منتقمٌ ممَّن عصاه، ﴿حَكِيمٞ﴾؛ أي: مصيبٌ فيما حكَمَ.

وكان هذا حُكماً مَشروعاً في الابتداء، ثمَّ نُسِخَ، وكانت العربُ إذا مات رجلٌ وله امرأةٌ، منعَ أهلُهُ المرأةَ عن التزوُّجِ أبداً، وكانوا يرثون مالَ الميِّتِ وامرأته[٢]، فلا يعطونَها إرثاً، وكانوا يأخذونَها إرثاً، وفيه نزل قوله تعالى: ﴿لَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرۡهٗاۖ﴾ [النساء: ١٩]، وكانوا ألِفوا ذلك، واللهُ تعالى نقلهم[٣] عن ذلك بالتَّدريج، فأمرَ أوَّلاً بأنْ يُوصوا للمرأةِ بالنَّفقةِ والسُّكنى مكانَ الميراث، وجعلَ العِدَّةَ المانعةَ عن التَّزوُّجِ سنةً واحدةً بهذه الآيةِ، ثمَّ نسخَ الوصيَّةَ بالميراث، وهو الرُّبع أو الثُّمن، ثمَّ نسخَ الاعتدادَ بالسَّنةِ بالأربعةِ الأشهُرِ والعَشر، على ما بيَّنَّا، فهذه الآيةُ متأخِّرةٌ في نظمِ السُّورة، وهي منسوخةٌ، وتلك الآيةُ متقدِّمةٌ، وهي ناسخة.

وقال مقاتلُ بنُ حيَّان: نزلت الآيةُ في حكيمِ بن الأشرف الطائيِّ[٤]، قدِمَ المدينةَ، فماتَ بها، وتركَ أبوين وأولاداً وزوجةً، فجعلَ النَّبيُّ ﷺ الميراثَ للأبوين

---

(١) قوله: «في أنفسهن» ليس في (أ).

(٢) بعدها في (ر): «موجودة».

(٣) في (ر): «منعهم».

(٤) كذا، ولعل الصواب: «الطائفي»، فقد جاء في «أسباب النزول» (ص: ٧٦) – والخبر فيه مخرج عن مقاتل بن حيان ـ: أن رجلاً من أهل الطائف، ولم يذكر اسمه، ووقع اسمه في «تفسير مقاتل بن سليمان» (١/ ٢٠٢): حكيم بن الأشرف، وذكر أنه قدم من الطائف، ولم ينسبه.

والأولاد، وجعلَ للمرأةِ نفقةَ العِدَّةِ والكسوةَ والسُّكنى حولاً، فنُسِخَ[١] هذا.

ورويَ أنَّ المعتدَّة في الوفاة حولاً، كانت تَسكنُ في بيتٍ مظلمٍ، لا تَتطيَّبُ، ولا تَغتسلُ، ولا تُجدِّدُ الثِّيابَ، ثمَّ تَخرجُ بعد[٢] تمامِ الحول، وتَرمي ببَعرةٍ وراءَ ظهرِها؛ تُظهِر أن حدادها في مراعاةِ حقِّ زوجِها في هذه المدَّة كان أهونَ عليها مِن هذه؛ أي من هذه[٣] البعرة، ولذلك قال عليه الصَّلاة والسَّلام حين سُئِل عن البُروز في المدَّة: «كانت إحداكنَّ في الجاهليَّة الجهلاء، تَجلسُ حولاً في شرِّ بيتٍ، أفلا أربعةَ أشهرٍ وعشراً؟»[٤].

***

(٢٤١) ـ ﴿وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعُۢ بِٱلْمَعْرُوفِۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعُۢ بِٱلْمَعْرُوفِۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾؛ أي[٥]: وللمطلَّقاتِ اللَّاتي سُمِّيَ لهنَّ المهرُ متعةٌ أيضاً بطريق الاستحباب، وقوله: ﴿حَقًّا﴾؛ أي: يحق هذا حقًّا على مَن كان متَّقياً، فليس بواجبٍ هذا، لكن مِن شرطِ[٦] التَّقوى التبرُّع بهذا تَطييباً لقلبها.

***

(١) في (أ): «ثم نسخ».
(٢) «بعد» ليس في (ف).
(٣) قوله: «أي من هذه» من (ف).
(٤) رواه البخاري في «صحيحه» (٥٣٣٨) ومسلم (١٤٨٨) من حديث أم سلمة رضي الله عنها، والسؤال فيه عن الكحل لا عن البروز.
(٥) لفظ: «أي» من (أ).
(٦) في (ف): «شروط».

(٢٤٢) ـ ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾؛ أي: كما يُبيِّنُ هذه الأحكامَ يُبيِّنُ بعد هذا لكم كلَّ ما تحتاجون إليه؛ لتعقلوا؛ أي: لتَستعمِلوا عقولَكم في قَبولها، والتفكُّر فيها والعملِ لها[1].

* * *

(٢٤٣) ـ ﴿۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾.

وقيل: الآياتُ هي جميعُ ما تقدَّم مِن أمرِ الحجِّ والقتال وكلِّ الأحكام إلى هاهنا.

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ﴾ هذه الآيةُ في ذِكر القتال[2] الذي به تَحصينُ الدِّين، وقبله ذكرَ الطَّلاقَ بعد النِّكاح الذي فيه تحصينُ الدِّين، فلذلك انتظما.

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ الألف ألفُ الاستفهام[3] بمعنى التَّقرير، والرُّؤيةُ بمعنى العِلم، وقائمةٌ مقامَ النَّظر، ولذلك وصلَ بـ ﴿إِلَى﴾، وتقديرُه: ألم تنظر إلى الذين؛ أي: ألم تسمع ذلك؟ ألم تعلم ذلك؟ وتحقيقه: اعلمْ ذلك، اسمعْ ذلك.

وقيل: معناه: ألم تُخبَر فيَقعَ لك العلمُ به، كما يقعُ بالنَّظر، وهي كلمةُ تنبيهٍ؛

---

(١) في (أ): «بها».

(٢) من قوله: «وكل الأحكام إلى هاهنا» إلى هنا من (أ).

(٣) في (ف): «استفهام».

ليتأمَّل فيما يُلقى إليه ممَّا أُريدَ الإنباءُ عنه؛ إذ كان قد سبقَ الإنباءُ به[١]، فأريدَ منه تجديدُ العهدِ بالتأمُّل فيه.

وقوله تعالى: ﴿إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ﴾؛ أي[٢]: منازلهم، جمع دار.

وقوله تعالى: ﴿وَهُمْ أُلُوفٌ﴾ قيل: هو جمعُ آلِف، كما يُقال: قاعِدٌ وقُعود، وساجِدٌ وسُجود؛ أي: متألِّفون.

وقيل: هذا جمع أَلْف، وهو العددُ المعروف.

قال ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: كانوا أربعةَ آلاف[٣].

وقال مقاتلُ بنُ حيان: كانوا ثمانية آلاف.

وقال أبو روق: كانوا عشرةَ آلاف.

وقال أبو مالك: كانوا ثلاثين ألفاً.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما في رواية أربعين ألفاً[٤].

وقال عطاء: سبعين ألفاً[٥].

وقوله تعالى: ﴿حَذَرَ ٱلْمَوْتِ﴾؛ أي: لخوف الموتِ مفعول له.

وقوله تعالى: ﴿فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟﴾ قيل: يجوزُ أن يكونَ اللهُ تعالى أسمعَهم كلامَ بعضِ ملائكته: موتوا، فماتوا.

---

(١) في (ر) و(ف): «عنه».

(٢) بعدها في (ر): «من».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٤١٤).

(٤) رواها الطبري في «تفسيره» (٤/ ٤١٨) من رواية ابن جُريج عن ابن عباس، وفيها: كانوا أربعين ألفاً أو ثمانية آلاف.

(٥) انظر الأقوال السابقة في «تفسير الثعلبي» (٢/ ٢٠٣).

ويجوز أن يكون معناه: فأماتَهم الله، كما في قوله: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]؛ أي: يكونه.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَحۡيَٰهُمۡ﴾؛ أي: أماتَهم موتَ عقوبةٍ أو تنبيه، لا موتَ انقضاءِ آجال، ثمَّ أعادَهم أحياءً؛ ليَستوفوا بقيَّة أعمارِهم.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾؛ أي: تَفضَّل على أولئك فأحياهُم بعد أن أماتَهم، فأمهلَهُم[١] في الدُّنيا حتَّى تابوا وقبِلَ توبتَهم؛ إذ خرجوا مِن ديارهم فراراً من الموت، وكان ذلك عصياناً منهم، وإنَّه لذو فضلٍ على النَّاس؛ أي: على[٢] غيرِهم، بأنْ بيَّن هذا ليَعتبروا بحالِهم، ويوقِنوا[٣] بالبعث بعد الموت، وفيه فضلٌ مِن الله تعالى على عبادِه؛ بذكرِ هذه الآيات المحرِّكة لهم على طاعتِه، وقتالِ عدوِّه، وتفويضِ الأمور إليه، وإخلاصِ الخوفِ والرَّجاء له.

وقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ﴾؛ أي: لا يُؤدُّونَ حقَّ نعمِه بالشُّكرِ، وهو كقوله تعالى: ﴿وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣]، وقوله تعالى: ﴿فَأَبَىٰٓ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورٗا﴾ [الإسراء: ٨٩].

واختلف في سبب[٤] نزوله وقصَّته.

قيل: هو جوابُ قول بعض المنافقين لـمَّا قُتِل بعضهم، قالوا: ﴿لَّوۡ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ﴾ [آل عمران: ١٥٦]، فأخبرَهم اللهُ تعالى بأنَّ جهلَهم بقضاء الله تعالى وقدَرِه، وأنَّه لا عاصمَ لأحدٍ مِن أمرِه؛ حملَهم على هذا القول، كما أنَّ جهلَ بني

---

(١) في (أ): «وأمهلهم».

(٢) قوله: «الناس أي على» ليس في (أ).

(٣) في (ر): «ويؤمنوا».

(٤) لفظ: «سبب» من (ر).

إسرائيلَ حملَهم على الخروجِ فراراً من الموت، ثمَّ لم يُنجِهم فرارُهم حتَّى أماتَهم اللهُ جميعاً، ثمَّ أحياهم، وهو نظيرُ قولِه تعالى: ﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ﴾ الآية [آل عمران: ١٥٤]، وقولِه: ﴿قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ﴾(١)، وقولِه تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ﴾ [الجمعة: ٨].

وقال ابنُ عباس رضي الله عنهما: هم سِبْطٌ من بني إسرائيل خرجوا من ديارهم فراراً من الجهاد في سبيل الله تعالى، فابتلوا بالطَّاعون، فأماتَهُمُ الله جلَّ جلالُه قبل انقضاءِ آجالِهم؛ عقوبةً لهم، ثمَّ أحياهُم ليستكمِلوا بقيَّة آجالِهم(٢).

وقال الكلبيُّ رحمه الله: إنَّ ملِكاً مِن ملوك بني إسرائيلَ أمرَ بني إسرائيلَ أنْ يَخرجُوا إلى قتالِ عدوِّهم فخَرجوا فعسكروا ليغزوا عدوَّهم، فجَبُنوا، وكرهوا الموتَ، وقالوا لملكهم: إنَّ الأرضَ التي تأتي فيها الوباء، فلا نأتيها حتَّى ينقطعَ الوباءُ منها، فذلك حذَرُ الموت، ﴿فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟﴾ فماتوا، وهم ثمانيةُ آلافٍ، فمكثوا ثمانيةَ أيَّام حتى انتفخوا، وبلغ بني إسرائيلَ خبرُ(٣) موتِ أصحابِهم، فخرجوا إليهم ليدفنُوهم، فعَجَزوا عنهم مِن كثرتِهم، فحظروا عليهم الحظائرَ، ثمَّ أحياهم اللهُ تعالى بعد ثمانيةِ أيَّام، فبقيت فيهم بقايا من ريحِ النَّتنِ، حتَّى إنَّه بقيَ في أولادِهم إلى اليوم(٤).

وقال مقاتل: إنَّ نبيَّهم حزقيا، والأشهرُ الأظهر: حزقيل(٥)، وهو ذو الكفل،

---

(١) قوله: «إن فررتم من الموت» من (أ).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٤١٥)، وابن أبي حاتم (٢/ ٤٥٦) (٢٤١٧) بنحوه.

(٣) لفظ: «خبر» من (ر).

(٤) انظر: «تفسير أبي الليث» (١/ ٢١٥)، و«تفسير الثعلبي» (٢/ ٢٠٣).

(٥) اسم النبي عليه السلام في «تفسير مقاتل»: «حزقيل» في هذا الموضع وما بعده.

نَدبَهم إلى قتالِ عدوِّهم، فأبَوا عليه؛ جُبناً مِن عدوِّهم، واعتلُّوا بأنَّ[1] الأرضَ فيها الطَّاعون، فأرسلَ اللهُ تعالى عليهم الموتَ، فلمَّا رأَوا أنَّ الموتَ كثُرَ فيهم، خَرجوا مِن ديارِهم فِراراً مِن الموت، فلمَّا رأى ذلك حزقيا قال: اللهمَّ ربَّ يعقوبَ وإلهَ موسى، قد ترى معصيةَ عبادِك، فأرِهم آيةً في أنفُسهم حتَّى يَعلموا أنَّهم لا يَستطيعون فِراراً منك، فلمَّا خرجوا قال الله تعالى: موتوا؛ عقوبةً لهم، فماتوا جميعاً، ومات دوابُّهم، كموتِ رجلٍ واحدٍ ثمانيةَ أيَّام، فخرجَ إليهم النَّاسُ، فعجَزوا عن دفنِهم، وأَرْوَحَتْ أجسادُهم، ثمَّ إنَّ حزقيا بكى إلى ربِّه، فقال: يا ربَّ يعقوب وإلهَ موسى ـ عليهما السلام ـ لا تكن على عبادِك الظلمة كأنفسهم، واذكُر فيهم ميثاقَ الأوَّلين ـ وفي رواية: قال يا رب، أرِهم رحمتَك كما أريتَهُم قدرتَك ـ فأمرَهُ اللهُ تعالى أنْ يَدعوَهم بكلمةٍ واحدةٍ، فقاموا كقيامِ رجلٍ واحدٍ، كأنَّهم كانوا نياماً، فاستيقظوا، ثمَّ أمرَهم أنْ يَرجِعوا إلى عدوِّهم فيجاهدوهم، وذلك قوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[2].

وقال الحسنُ رحمَهُ الله: إنَّما سُمِّيَ حزقيلُ ذا الكِفل؛ لأنَّه كَفَل سبعين نبيًّا، وأنجاهُم مِن القتل، وقال لهم: اذهبوا، فإنِّي إنْ قُتِلتُ كان خيراً لكم مِن أن تُقتَلوا جميعاً، فلمَّا جاء اليهودُ، وسألوا ذا الكفلِ عن الأنبياء السبعين، قال: إنَّهم ذَهبوا، ولا أدري أين هم؟ ومنعَ اللهُ تعالى ذا الكفل عن[3] اليهود[4].

وقال السُّدِّيُّ: هم فرقةٌ مِن بني إسرائيلَ خرجوا مِن ديارِهم فِراراً مِن الطَّاعون،

---

(١) في (أ): «أن».

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (١/ ٢٠٣).

(٣) في (ر): «من».

(٤) انظر: «تفسير الثعلبي» (٢/ ٢٠٣).

فأماتَهمُ الله تعالى، ومرَّت عليهم السُّنون حتَّى عَرِيَت عظامُهم، وتفرَّقَت أوصالهم، فمرَّ بهم نبيٌّ يُقالُ له: حزقيل، فأوحى اللهُ تعالى إليه أنْ نادِ فيهم: قُوموا بإذن الله تعالى، فنادى، فنظرَ إليهم قياماً يقولون: سبحانك اللهمَّ وبحمدِك، لا إلهَ إلا أنت[١].

وقال هلال بن يساف: هم قومٌ مِن بني إسرائيلَ وقعَ فيهم الطَّاعون، فذهبَ أشرافُهم وأغنياؤهم، وأقامَ سَفِلَتُهم وفقراؤهم، فكثُر فيهم الموتُ، ونجا الذين خرجوا، لم يُصِبهُم مِن ذلك شيءٌ فقال الذين نجوا: لو أقمنا بالبلدةِ كما أقامَ هؤلاء هَلَكنا كما هَلكوا، وقال هؤلاء: لو ظعنَّا كما ظعنوا لنجونا، فأجمعوا أنْ يَظعنوا جميعاً، فأرسلَ اللهُ عليهم الموتَ، فماتوا حتَّى صاروا عظاماً تَبْرُقُ، فمرَّ بهم نبيٌّ ـ أحسبه حزقيل ـ فقال: يا رب، لو شئتَ أَحْيَيْتَهم فعبدوك، وعَمَروا بلادَك، فقيل له: تكلَّم بكذا وكذا، فإنَّهم سيَحيون، فتكلَّم بالكلامِ، فجعلَ يَرى العظامَ تخرج إلى العِظام، حتَّى اجتمعَ بعضُها إلى بعضٍ، وكُسِيَت لحماً، ثمَّ أُمِرَ بأمرٍ، فتكلَّم به، فإذا هم قعودٌ يَذكرونَ اللهَ تعالى، ويُسَبِّحونَه[٢].

ورَوى[٣] السُّدِّيُّ عن أبي مالكٍ رحمهما اللهُ قال: كانوا في قريةٍ يقال لها: داوَرْدان، قريباً من واسِطْ، فوقعَ فيهم الطَّاعون، فأقامت طائفةٌ، وهربَتْ طائفةٌ، فوقعَ الموتُ في مَن أقامَ، وسَلِمَ الذين رحلوا[٤]، فلمَّا ارتفعَ الطَّاعونُ رَجعوا إليهم، فقال

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٤١٦ ـ ٤١٧)، وابن أبي حاتم (٢/ ٤٥٨) (٢٤٢٢)، دون قوله: «يقولون سبحانك اللهم....»، ووقعت هذه العبارة في «تفسير الطبري» (٤/ ٤١٧) و«تفسير ابن أبي حاتم» (٢/ ٤٥٨) (٢٤٢١) في قول مجاهد.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٤٢٢ ـ ٤٢٣)، وابن أبي حاتم (٢/ ٤٥٧) (٢٤١٨).

(٣) في (أ): «ويروي».

(٤) في (أ): «جلوا».

الذين بقوا: إخوانُنا كانوا أحزمَ منَّا، لو صنعنا مثلما صنعوا، سلمنا وقال الراجعون: لو بقينا إلى أنْ يقعَ الطَّاعونُ أصابَنا ما أصابَهم، فوقعَ الطَّاعونُ مِن قابل، فخَرجوا جميعاً حتَّى أتوا وادياً أفيح[١]، فنزلوا فيه بين جبلين، فبعث الله ملكين إليهم؛ مَلكاً بأعلى الوادي، وملكاً بأسفله، فنادَياهم أنْ موتوا، فماتوا، فمكثوا ما شاءَ اللهُ، فمرَّ بهم حزقيل، فرأى تلك العظامَ، فوقف متعجِّباً لكثرةِ ما يرى، فأوحى اللهُ تعالى إليه أن[٢] نادِ: أيَّتُها العظام، إنَّ اللهَ تعالى يأمرُك أن تَجتمعي، فاجتمعَت مِن أعلى الوادي وأدناه، حتَّى التزقَ بعضها ببعض فصارت أجساداً مِن عظامٍ، لا لحمَ ولا دمَ، ثمَّ أوحى الله تعالى إليه: ناد: أيَّتُها العظام، إنَّ اللهَ تبارك وتعالى يأمرُك أن تَقومي، فقاموا، وبُعِثوا أحياءً[٣]، فرجعوا إلى بلادهم.

* * *

(٢٤٤) - ﴿وَقَٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ قد روينا أنَّ هذا كان خطاباً للذين ماتوا ثمَّ أحياهُمُ الله تعالى.

وقيل: هو خطابٌ لأهل عصرِ النَّبيِّ ﷺ ومَن بعدهم.

فعلى القول الأوَّل أضمرَ في أوَّل هذه الآية: وقال لهم، عطفاً على قولِه: ﴿ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ﴾.

وقوله ﴿فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: قاتلوا[٤] لإعلاء كلمةِ الله.

---

(١) أي: واسع. انظر: «الصحاح» (مادة: فيح).

(٢) لفظ: «أن» ليس في (أ).

(٣) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٤٥٧ ـ ٤٥٨) (٢٤٢٠).

(٤) بعدها في (أ): «الأعداء».

وروي أنَّ النبيَّ ﷺ قيل له: إنَّ الرجلَ يُقاتِلُ ليغنمَ، ويُقاتِلُ ليُذكَرَ، ويُقاتِلُ ليُرى مكانُه، فقال النبيُّ ﷺ: «مَن قاتلَ لتكون كلمةُ الله هي العُليا فهو الذي يقاتل في سبيل الله»[1].

وقوله تعالى: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ﴾ أي: لا تَقولوا كما قال هؤلاء الملأ: نَخرجُ مِن ديارنا لنَسلمَ مِن الموت، ولا تُضمِروا ما أضْمَروه مِن اعتقادِ الخَلاص بالفِرار؛ فإنَّ اللهَ تعالى سميعٌ عليمٌ[2]؛ يَسمعُ ما يُقال، ويَعلمُ ما يُضمَر.

وقال الأستاذ أبو القاسم القشيريُّ رحمه الله: يعني: إنْ مسَّكُم ألمٌ، فتصاعدَ منكم أنينٌ، ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ﴾ لأنينِكم، ﴿عَلِيمٞ﴾ بأحوالِكم، والآيةُ توجبُ عليهم تسهيلَ ما يقاسونَهُ مِن الألم، قال قائلُهم:

إذا ما تمنَّى النَّاسُ روحاً وراحةً ... تمنَّيتُ أنْ أشكو إليكَ وتَسمعُ[3]

***

(٢٤٥) ـ ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافٗا كَثِيرَةٗۚ وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا﴾ أمرَ بالقتال في سبيلِ الله تعالى، ويُحتاجُ فيه إلى المال، فحثَّ على الصَّدقة ليتهيَّأ أسبابُ الغزاة.

وقوله: ﴿مَّن ذَا﴾ استفهامٌ بمعنى الأمرِ، و﴿ذَا﴾ إشارةٌ إلى المقرِضِ، وهو

---

(١) رواه البخاري في «صحيحه» (٢٨١٠)، (٣١٢٦)، ومسلم في «صحيحه» (١٩٠٤): (١٤٩) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

(٢) قوله: «سميع عليم» ليس في (أ).

(٣) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (١/ ١٨٩).

رفع بـ ﴿مَن﴾؛ أي: مَن هذا الذي يُقرض؟ و﴿ٱلَّذِى﴾ صفةٌ لـ ﴿ذَا﴾، و﴿يُقۡرِضُ﴾ صلةٌ له.

والقرضُ في موضع الحقيقة: مالٌ يُقبَضُ[١] ببدلِ مثله من بعدُ، سُمِّيَ به؛ لأنَّ المعطي يُقرِضُهُ؛ أي: يُقطِعه مِن ماله، فيَدفعُه إليه، ومنه: المقراض، ومنه: قرضُ الفأرةِ الثَّوب، ومنه الانقراضُ، وهو الانقضاءُ والانقطاع، وقرضُ[٢] الشعر منه أيضاً، وهو قطعُ الشَّاعرِ الكلامَ مِن المنثور بالقافيةِ والوزنِ، والشِّعرُ: قريضٌ، وقُراضاتُ الثَّوبِ والذَّهبِ والفضَّة: ما يُقرَضُ بالمِقراض؛ أي: يُقطَع.

وقوله: ﴿قَرۡضًا﴾ ظاهرُه اسمٌ للمُعطى، ويجوز أن يكونَ مصدراً لقوله: ﴿يُقۡرِضُ﴾، وإن كان ذلك من المتشعِّبِ، وهذا من الثُّلاثيِّ، كما في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا﴾ [نوح: ١٧]؛ لأنَّ الأصلَ هو الثُّلاثي، فيجوزُ ردُّ المصدرِ إليه عند وضوحِ المرادِ بذكرِ الفعل.

وقوله ﴿حَسَنٗا﴾؛ أي: جميلاً، وهو نعتُ القرضِ، والمرادُ مِن القَرضِ في هذه الآية هو أنْ يَقطعَ بعضَ مالِه، فيُعطيَهُ الفقيرَ؛ طلباً لرضى الله تعالى، وأملاً لثوابِ الله.

والحَسَنُ عند ابن عباس رضي الله عنهما: أن يُعجِّلَه ويَستُرَه ويَستصغرَهُ.

وقيل: هو ألَّا يَمُنَّ على الفقير ولا يؤذيه، كما قال: ﴿ثُمَّ لَا يُتۡبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنّٗا وَلَآ أَذٗى﴾ [البقرة: ٢٦٢].

وقيل: هو أن يَقطعَ قلبَهُ عنه.

---

(١) في (ر): «يقرض».

(٢) في (ر) و(ف): «وقريض».

وقال ابنُ المبارك: القرضُ الحسن: أن يكون المالُ مِن الحلال[١].

وقال سهل بن عبد الله التستري[٢]: هو ألَّا يطلبَ[٣] عليه عوضاً.

وقال الإمام القشيريُّ رحمَه الله: قيل: هو ألَّا يُعطَى على الغفلة.

قال: وقيل: القرضُ الحسن على لسان الفقهاء: أنْ يُعطَى عن ظهرِ غنى، وعلى لسان أهل المعرفة: أن يعطى بحكمِ الإيثار، فيُعطَى ما لا بدَّ له منه من له منه بدٌّ.

قال: وقيل: هو على لسان العلماء: إعطاءُ خمسةٍ من مئتين، وعلى لسانِ أهل المعرفة: إعطاءُ الكلِّ، وزيادةُ الرُّوحِ على ما يَبذل[٤].

وقيل: سمَّاه حسناً؛ لأنَّه جودٌ، والبُخل قبيحٌ، فكان الجودُ حسناً.

وقالوا: هذا فضلٌ مِن الله تعالى؛ أعطانا المالَ تفضُّلاً منه، ثمَّ سألَنا بعضَهُ باسم القرضِ؛ تسهيلاً للأداء، وإطماعاً في الجزاء.

وقيل: فعل ذلك تشريفاً للفقراء، وصيانةً لهم، فاستقرضَ بنفسِه لأجلِهم، وجعلَ رسولَه محمَّداً ﷺ قابضاً بحقِّ النيابةِ عليهم[٥]، فقال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً﴾ [التوبة: ١٠٣]، وقال: ﴿وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ [التوبة: ١٠٤]، فكان النبيُّ ﷺ هو القابض، واللهُ تعالى هو القابلُ، والفقير هو الآكل.

ثـمَّ ذكرَ أنَّـه ليس كقرضِ العبـاد، أنَّه يعوَّضُ بمثـلٍ واحدٍ، بل وعـدَ الأضعافَ

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢/ ٢٠٦).

(٢) لفظ: «التستري» من (ر).

(٣) في (أ): «يطالع»، وفي «تفسير الثعلبي» (٢/ ٢٠٦): «يعتقد».

(٤) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (١/ ١٨٩).

(٥) في (أ): «عنهم».

الكثيـرةَ، وذلك قوله تعالـى: ﴿فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافٗا كَثِيرَةٗ﴾، فيه أربعُ قراءات:

قرأ أبو عمرو ونافعٌ وحمزةُ والكسائيُّ بالألف والرَّفع.

وقرأ عاصم غير المفضل[1] بالألف والنصب.

وقرأ ابن كثير: ﴿فيضعِّفُهُ﴾ بالتشديد والرفع[2].

وقرأ ابنُ عامر بالتَّشديدِ والنَّصب[3].

فالرَّفعُ عطفٌ[4] على قوله: ﴿يُقۡرِضُ﴾، أو معناه: فهو يضاعفُه، أو فإنَّه يضاعفُه، أو سيضاعفه[5]، والنَّصبُ على أنَّه جوابُ الاستفهامِ بالفاء.

والتَّضعيـفُ والمضاعفـةُ: هو الزِّيادةُ على أصلِ الشَّـيءِ[6] يصيـر مثلَه أو مثلَيه أو أكثر.

والضِّعفُ: هو المثلُ الزَّائدُ على أصلِه، وجمعُه الأضعاف، وأضعَفَ الرَّجلُ، إذا وجد الضَّعفَ أو الأضعاف[7]، قال تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُضۡعِفُونَ﴾ [الروم: ٣٩].

وقال الأزهريُّ: الضِّعفُ في كلامِ العرب: المثلُ إلى ما زاد، وليس بمقصورٍ على مثلين، بل جائزٌ في كلام العرب أن تقول: هذا ضعفُه؛ أي: مثلاه وثلاثةُ أمثالِه؛ لأنَّ الضِّعفَ في الأصل زيادةٌ غيرُ محصورةٍ، قال تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَزَآءُ

---

(١) «غير المفضل» من (ر).

(٢) «والرفع» سقط من (أ).

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ١٨٥)، و«التيسير» (ص: ٨١).

(٤) في (أ): «للعطف».

(٥) في (ر): «فيضاعفه»، وفي (ف): «يتضاعفه».

(٦) بعدها في (أ): «حتى».

(٧) في (ر) و(ف): «والأضعاف».

﴿ٱلضِّعۡفِ بِمَا عَمِلُواْ﴾ [سبأ: ٣٧]، لم يُرِد به مِثلاً ولا مِثلين، ولكنَّه أرادَ به الأمثال، وأولى الأشياءِ به أنْ يُجعَل عشرةَ أمثالِه؛ لقوله تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠] فأقلُّه محصورٌ بالـمِثل، وأكثرُه غير محصور[١]، قال تعالى هاهنا: ﴿أَضۡعَافٗا كَثِيرَةٗ﴾[٢].

وقوله: ﴿كَثِيرَةٗ﴾ هذا قطع الأوهامِ عن مبلغِ الحساب، وقد قال في هذه السورة أيضاً: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ﴾ [البقرة: ٢٦١]، وروى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: «إنَّ الله تعالى ليضاعفُ بالحسنة ألفي ألف ضعف من الحسناتِ، ثمَّ تلا هذه الآية: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا﴾[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ﴾ سهَّل بهذا عليهم الإقراض، قال: واللهُ هو الذي يُضيِّقُ على عبادِه[٤] الرِّزقَ، وهو الذي يُوسِّع، وإذا علمَ العبدُ ذلك هانَ عليه الإعطاءُ؛ لأنَّ اللهَ تعالى هو الرزَّاق، وهو الذي وسَّع عليه، فهو يسألُ منه ما هو أعطاهُ، ولأنَّه مخلِفُه[٥] عليه في الدُّنيا، ويُثيبُه عليه في العُقبى.

وقيل: أي لا تخافوا الإقلالَ بالإعطاء، ولا تَظنُّوا بقاءَ السَّعةِ بالإمساك؛ فإنَّ اللهَ تعالى هو الموسِّعُ والمضيِّقُ، لا الإمساكُ والبذل.

---

(١) انظر: «تهذيب اللغة» للأزهري (١/ ٤٨٠ ـ ٤٨١).

(٢) قوله: «قال تعالى هاهنا أضعافاً كثيرة» من (أ).

(٣) رواه أحمد: (٧٩٤٥)، (١٠٧٦٠)، والطبري (٧/ ٣٥ ـ ٣٦)، وابن أبي حاتم (٢/ ٤٦١) (٢٤٣٤)، وهو ضعيف، انظر «تفسير ابن كثير».

(٤) بعدها في (ر): «في».

(٥) في (أ) و(ر): «يخلفه».

وقيل: معناه أنَّ اللهَ تعالى هو الذي فاوتَ بين الخلقِ، فوسَّعَ على بعضٍ، وضيَّقَ على بعضٍ، فليُنفق كلُّ إنسانٍ ممَّا أعطاهُ الله، قلَّ أو كثُرَ، ولا يَمتنعنَّ المقلُّ استقلالاً لما يُعطي، أو اتِّكالاً على أنَّه غيرُ[1] موسَّعٍ عليه، أو قولاً: إنَّ الموسَّعَ عليه أولى به منه، فكم من موسَّعٍ عليه يَتخلَّفُ عن المضيَّقِ عليه في الصَّدقةِ والنَّفقةِ، ولكلٍّ عندي[2] ثوابه.

وقيل: اللهُ يوسِّعُ على الغنيِّ، ويُضيِّقُ على الفقير؛ فلا يَنظرنَّ المعطي إلى فضلِ نفسِه بما يُعطي، ولا يَحقرنَّ الفقيرَ بما يأخذُه منه وحاجتِه إليه؛ فإنِّي أنا الموسِّعُ على الغنيِّ، والمضيِّقُ على الفقير، فليكن النَّظرُ إلى حكمي وفضلي.

وقيل: واللهُ تعالى يبسطُ؛ أي: يُوفِّقُ له مَن يشاءُ، ويَقبضُ؛ أي: لا يُوفِّقُ من يشاء.

وقيل: يقبض إذا قبضَ حتى لا طاقةَ، ويَبسُطُ إذا بسطَ حتَّى لا فاقةَ.

وقال الإمام القشيري رحمه الله: يَقبِضُ[3] الصَّدقةَ مِن الأغنياء قبضَ قَبولٍ، ويَبسطُ عليهم بسطَ خلف.

وقيل: يَقبضُ على الفقراء؛ ليَمتحنَهُم بالصَّبر، ويَبسطُ على الأغنياء؛ ليُطالبَهم بالشُّكر.

وقيل: يقبضُ تسليةً للفقراء؛ لئلَّا يَروا التَّقتيرَ مِن الأغنياء، ويَبسطُ[4] لئلَّا يَتقلَّدوا المنَّةَ مِن الأغنياء.

---

(١) في (ف): «أن غيره» بدل: «أنه غير».

(٢) في (ر): «عبد».

(٣) في (ف): «الله يقبض».

(٤) في (أ): «ويبسطه».

قال: والقبضُ لِما يَغلِبُ على القلوبِ مِن الخوف، والبَسطُ لِما يَغلبُ عليها مِن الرَّجاء، والقبضُ لقهرِهِ، والبَسطُ لبرِّه، والقبضُ لسِرِّه، والبَسطُ لكشفه[١]، والقبضُ للمريدين، والبَسطُ للمرادين، والقبضُ للمشتاقين[٢]، والبَسطُ للعارفين.

وقيل: يقبضُك عنك، ثمَّ يبسُطُك به.

وقيل: القبضُ لمن تَولَّى عن الحقِّ، والبَسطُ لمن تجلَّى له الحقُّ.

وقيل: القبضُ إذا أشهدَكَ فعلَكَ، والبَسطُ إذا أشهدَكَ فضلَه.

وقيل: القبضُ بذكر العذاب، والبَسطُ بذكرِ الإيجاب[٣].

واجتمعَ جماعةٌ مِن الأغنياء والفقراء، فقال غنيٌّ: إنَّ اللهَ رفعَ درجَتنا حيث[٤] استقرضَ منَّا، فقال فقيرٌ: بل رفعَ درجتَنا حيث استقرضَ لنا، والواحدُ قد يَستقرضُ مِن غير الحبيب، ولكن لا يستقرض إلَّا لأجل الحبيب، قُبضَ رسولُ الله ﷺ ودِرْعُه عند يهوديٍّ بشعيرٍ أخذَهُ لقوتِ عياله[٥]، انظر ممَّن استدان ولمن استدان.

وقوله تعالى: ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾؛ أي: رجوعُكم إلى جزائِه في الآخرة[٦]، فيَجزيكم على جودِكمُ الجنَّةَ، وعلى بُخلِكُم النَّار، وهو وعدٌ ووعيد.

---

(١) في (ر) و(ف): «لشكره».

(٢) في (ف): «للمستأنفين».

(٣) في (أ): «الإيجاد» وفي (ر): «الثواب». والمثبت من (ف)، وهو الموافق لما في «لطائف الإشارات» للقشيري (١/ ١٨٩ ـ ١٩٠).

(٤) في (ف): «درجاتنا حتى» بدل: «درجتنا حيث» في هذا الموضع والذي يليه.

(٥) رواه البخاري في «صحيحه» (٢٩١٦) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٦) في (أ): «القيامة».

وقيل: هو تنبيهٌ أنَّ الغنيَّ يُفارِقُ مالَه[(١)] بالموتِ، فليبادرِ الفوتَ.

ولَمَّا نزلَت هذه الآيةُ قال أبو الدحداح عمرُ بن الدَّحداح الأنصاريّ: يا رسول الله، إنَّ اللهَ تعالى يَستقرِضُنا وهو غنيٌّ عن القرض؟ قال: «نعم، يريدُ أنْ يُدخِلَكم بذلك الجنَّة»، قال: فإنْ أقرضتُ اللهَ قرضاً، تضمنُ لي به الجنة؟ قال: «نعم»، قال: وزوجتي؟ قال: «نعم، وزوجتك»، قال: وصبياني؟[(٢)] قال: «الله واسعٌ كريمٌ، نعم يا أبا الدحداح»، قال: فإنِّي أشهِدُكَ أنِّي جعلتُ حائطَيَّ لله قرضاً، قال ﷺ: «إنَّا لم نسألكَ كليهِما، فاجعل أحدَهما لله تعالى، والآخرَ معيشةً لك ولعيالك»، قال: فإنِّي قد جعلتُ خيرَهما لله، قال: «إذاً يَجزيكَ اللهُ به الجنَّة»، فانطلقَ أبو الدَّحداحِ حتَّى أتى أمَّ الدَّحداح وهيَ مع صبيانِها في الحديقة تدورُ تحت النَّخلة، فأنشأ يقول:

هداكِ ربِّي سُبُلَ الرَّشادِ ... إلى سبيلِ[(٣)] الخيرِ والسَّدادِ
بيني مِن الحائطِ لي بالواد ... فقد مضى قرضاً إلى التَّنادِ
أقرضتُهُ اللهَ على اعتمادِ ... بالطَّوع لا مَنٍّ ولا ارتدادِ
إلى رَجا التَّضعيفِ[(٤)] في الميعادِ ... فارتحلي بالنَّفسِ والأولادِ
والبِرُّ لا شكَّ فخيرُ زادِ ... قدَّمهُ المرءُ إلى المعادِ

قالت أم الدَّحداح: أمَّا إذا بعتَ مِن الله ورسوله، فبَيعٌ مربحٌ لا يُقَال ولا يُستقال، وايم الله لولا ذلك لم تملك إلا حصتك فأنشأ أبو الدحداح يقول:

---

(١) في (ر): «لمفارق لماله»، وفي (ف): «لمفارق ماله» بدل: «يفارق ماله».

(٢) بعدها في (ر): «قال: وصبيانك».

(٣) في (ر): «طريق».

(٤) في (ر): «رجاء الضعف».

مثلُك أجدى ما لديهِ ونَصَحْ ... إنَّ لكِ الحظَّ إذا الحقُّ وضَحْ
قد متَّعَ اللهُ عيالي ومَنَحْ ... بالعَجوةِ السَّوداءِ والزَّهوِ البَلَحْ
والعبدُ يَسعى ولَهُ ما قدْ كَدَحْ ... طولَ اللَّيالي وعليهِ ما اجترحْ

ثمَّ أقبلَتْ أمُّ الدَّحداحِ على صبيانِها تُخرِجُ ما في أفواهِهم، وتَنفضُ ما في أكمامِهم حتَّى أفضَت إلى الحائطِ الآخر، فقال النبيُّ ﷺ: «كم مِن عِذْقٍ رَدَاح، ودارٍ فياح، في الجنَّة لأبي الدَّحداح»[1].

* * *

(٢٤٦) ـ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى﴾ ﴿أَلَمْ تَرَ﴾؛ أي: ألم تُخبَر خبراً يصيرُ[2] لك كرؤيةِ العين في وقوعِ العلم، والملأ: الجماعةُ الأشراف، اسمُ فردٍ وُضِعَ للجماعة.

قيل: هو من امتلاء الإناء، وهو الاجتماعُ فيما لا يَحتمِلُ المزيد.

---

(١) انظر القصة بطولها في «تفسير الثعلبي» (٢/ ٢٠٧ ـ ٢٠٨). وأخرج نحوه مختصراً دون ذكر الأبيات سعيد بن منصور (٤١٧) (تفسير)، والطبري: (٤/ ٤٣٠)، وابن أبي حاتم (٢/ ٤٦٠) (٢٤٣٠)، والطبراني في «الكبير» (٢٢/ ٣٠١) (٧٦٤) عن ابن مسعود رضي الله عنه. وأخرج نحوه أيضاً عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٠٧)، ومن طريقه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٤٢٩ ـ ٤٣٠) عن زيد بن أسلم.

(٢) في (ر) و(ف): «يصل».

وقيل: هو مِن الـمَلاءة التي هي القُدرة، فالملأ جماعةٌ لا حاجةَ إلى الزِّيادةِ عليهم فيما اجتمعوا له، وهم قادرون على ما اجتمعوا له.

وقوله: ﴿مِنۢ بَنِىٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ هم أولادُ يعقوب، وقولُه: ﴿مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰٓ﴾؛ أي: من بعدِ موت موسى.

وانتظام هذه الآية بما قبلها أنَّه قال: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، وقصَّ عليهم قصَّة بني إسرائيل في القِتال الذي سَألوهُ ثمَّ خالفوه؛ لئلَّا يفعلَ هؤلاء فِعلَهُم.

قال ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: إنَّ بني إسرائيلَ مَكثوا زماناً ليس لهم ملكٌ يُقاتِلُ في سبيل الله، وكانت النبوَّةُ في سِبْطِ لاوي بن يعقوب، والملكُ في سِبْطِ يهوذا بن يعقوب، فكان يكونُ الجندُ والقتالُ في يدِ الملِك، وكان الملِكُ يَعملُ بأمرِ النبيِّ عليه السلام، وكان لهم تابوتٌ إذا خرجوا للقتالِ حملوهُ وقدَّموهُ، فنُصِروا به، وانهزمَ عدوُّهم.

ومضى على ذلك زمانٌ وكَثُرت المعاصي في بني إسرائيل، وصارَ الملِكُ لا يُطيعُ النَّبيَّ[١]، فسلَّط الله تعالى عليهم جالوتَ وقومَه، وكان يُقالُ لهم: البلشاثا، وكانوا يَسْكنون بحرَ الرُّوم بين مصر وفلسطين[٢]، وكان بنو إسرائيل لبثوا أربعين سنة بأحسن حال، وكان اللهُ تعالى وضعَ عنهم القتالَ، وكفاهم مؤنةَ العدوِّ، وعهد إلى الأنبياء من بني إسرائيل مِن بعد موسى ألَّا يقاتِلوا إلَّا مَن قاتلَهم[٣].

وكان جالوتُ عظيمَ الجثَّة، شديدَ الشَّوكةِ، وكانت بيضةُ رأسِه ثلاثَ مئة رطلٍ مِن حديد، وكان بنفسه يساوي مئةَ ألفِ فارس، وكان جندُه ثماني مئة ألف فارسٍ

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (١/ ٢٠٥ ـ ٢٠٦).

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» (٢/ ٢٠٩).

(٣) في (ف): «يقاتلهم».

مبارزٍ، فقصدَهم في ديارِهم، فقابلوه وقاتلوه، وقدَّموا التابوتَ، فلم يُنصَروا لكثرةِ معاصيهم، وقتلَ جالوتُ منهم مقتلةً عظيمةً، وسبا نساءَهم وذريَّتِهم، وأسرَ مِن أبناء ملوكهم أربعَ مئةٍ وأربعين غلاماً، وغَنِمَ أموالَهم، وحملَ تابوتَهم، وأخرجَهم مِن ديارِهم، ومضى على ذلك زمانٌ، فجاؤوا إلى نبيِّهم. وقيل: هو شمعون، وقيل: هو يوشع بن نون وقيل هو أشمويل بن هلقاثا[1] وهو الأشهرُ الأظهر، واسمُ أمِّه حنة، وهو من نسلِ هارونَ أخي موسى، وذلك قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالُواْ لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا﴾ أي: أَقِمْ لنا وانصب سلطاناً.

وقوله تعالى: ﴿نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ جزم لأنَّه جوابُ الأمرِ، وهو في الحقيقةِ جزاءُ الشَّرطِ؛ لأنَّ تقديرَهُ: إنْ يَبعث لنا مَلِكاً نقاتلْ نحن معَهُ عدوَّنا.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا﴾ «عسى» كلمةُ شكٍّ، وظنٍّ، ومعناه: لعلَّكم، وتُستعمَلُ في الماضي دون المستقبل.

وقرأ نافع: ﴿عسِيتم﴾ بكسر السِّين[2].

وقال أبو حاتم: لا وجهَ له في العربيَّة، وهو مردودٌ في القياس[3].

يقول: قال لهم نبيُّهم: لعلَّكم أنْ تَمتنعوا عن القتالِ إذا فُرِض عليكم.

وقوله تعالى: ﴿قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ له ثلاثةُ أوجه:

أحدها أن تكون استفهاماً بمعنى الاستنكار، ومعناه: لأيِّ شيءٍ لا نقاتلُ في سبيل الله، ويجوزُ في هذا حذف «أن» وإثباتُه، وقد وردَ كلُّ واحدٍ منهما في القرآن،

---

(١) في (ر): «ملقاثا»، وفي «تفسير مقاتل» (١/ ٢٠٦): «هلقابا».

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ١٨٦)، و«التيسير» (ص: ٨١).

(٣) انظر «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٣٢٥).

قال تعالى: ﴿مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا﴾ [يوسف: ١١] و﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ﴾ [الحديد: ٨]، و﴿وَمَا لِيَ لَآ أَعْبُدُ﴾ [يس: ٢٢]، وقال[1]: ﴿مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ [الحجر: ٣٢] و﴿ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [إبراهيم: ١٢]، لكن إذا حُذِفَ[2] فمعناه: لأيِّ شيءٍ؟ وإذا أُثبت فمعناه: ما يمنعُني أنْ أفعلَ.

والثاني: أنَّه استفهامٌ، لكن معنى قولهم: ﴿ وَمَا لَنَآ﴾: أيُّ نفعٍ لنا ألَّا نقاتل.

والثالث: أنَّه نفيٌ معناه: ليس لنا ألَّا نقاتل.

وقوله تعالى: ﴿وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا﴾ الواو للحال، ومعناه: كيف لا نقاتلُهم والحالُ هذا أنَّا قد أُخرِجنا من ديارِنا، وفُرِّقنا مِن أولادِنا، فالتَّفريقُ مضمَرٌ؛ لأنَّه لا يَليقُ عطفُه على الدِّيار في صفة الإخراج، إلَّا أنْ يُجعَلَ الإخراجُ مجازاً عن التَّفريق، فيَصيرُ صالحاً للوقوع على الدِّيارِ والأولاد؛ أي: فُرِّقنا من[3] الدِّيار والأولاد جميعاً.

قال أهلُ الحقيقة: علَّلوا القتالَ بما يَرجعُ إلى حظوظهم، فخُذِلوا، ولو قالوا: كيف لا نُقاتِل وقد عصَوا اللهَ، وخرَّبوا بلادَ الله، وقهَروا عبادَ الله، وأطْفَؤوا نورَ الله؛ لنُصِروا، فلما قالوا ذلك دعا نبيُّهم اللهَ تعالى، وسأل لهم مَلِكاً، فأجابَهُ الله تعالى إلى ذلك، ونَصبَ لهم طالوتَ ملكاً، وفرضَ عليهمُ القتالَ، وكان فيهم طاغيةٌ هو الذي دعاهم إلى ذلك فبايعوه، وكانوا يرجون أن يُملَّكَ عليهم، فلمَّا ملَّك اللهُ تعالى غيرَه، نكصوا على أعقابِهم، وكرهوا القتالَ.

---

(١) في (أ): «وقالوا» والمثبت هو الصواب.

(٢) من قوله: «وإثباته وقد ورد» إلى هنا من (أ).

(٣) في (ر): «عن».

وقوله[١] تعالى: ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْاْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ وهم الثلاث مئة والثلاثة عشر الذين لم يَشربوا من النَّهر كرعاً، وخواصُّ اللهِ تعالى فيهم قلَّةٌ، قال تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣]، وقال: ﴿كَانُواْ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ [الذاريات: ١٧]، وقال: ﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٣]، وقال تعالى: ﴿مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾؛ أي: بالذين خالفوا نبيَّهم، عليم[٢] بفعلهم، ويَقدِرُ على جزائِهم، وهو أبلغُ وعيد.

* * *

(٢٤٧) ـ ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًاۚ قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِي ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا﴾ طالوت: اسمٌ أعجميٌّ لا يَنصرف، بخلاف الجاموس، لأنَّه وإن كان أعجميًّا، فقد صارَ اسماً متمكِّناً بالألف واللام الداخلتين فيه، فصار كالاسم العربيِّ.

وقوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا﴾؛ أي: كيف، كما في قوله: ﴿أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [المائدة: ٧٥].

وقيل: من أين، كما في قوله: ﴿أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا﴾ [آل عمران: ٣٧].

---

(١) في (أ): «فذلك قوله»، وفي (ف): «قوله».

(٢) في (ف): «فعلم».

وقصَّتُه أنَّ الله تعالى بعث عصاً إلى نبيِّهم، وقال: من كان على طولِ هذه العصا فهو ملكُهم، فجعلَ يُقدِّرُ بها النَّاس، فلا يَبلغُ أحدٌ ذلك، حتى جاء يوماً رجلٌ اسمُه طالوت، وسُمِّيَ به لطوله، وهو طالوتُ بنُ قيسِ بن ضِرارِ بنِ أنس[١] بنِ يخرف[٢] بنِ بنيامينَ بنِ يعقوبَ بنِ إسحاقَ بن إبراهيم، ولم يكن مِن سبطِ الملوك، وكان يحترفُ بحرفةٍ دنيَّة، قيل: كان سقاءً، وقيل: كان دبَّاغاً، وقيل: كان مُكارياً.

وكان[٣] أضلَّ حماراً له، فكان يطوفُ الأمكنة يَطلبُه، فانتهى مع غلامٍ له إلى باب دارِ نبيِّهم، فقال له غلامُه: نَدخلُ على النَّبيِّ ونزورُه ونسألُه[٤] يَدعو لنا بحاجتنا، فدخَلا، فنظرَ إليه النَّبيُّ عليه السلام، فوقعَ في قلبِه أنَّه هو المراد، فقدَّر به العصا، فكانت على قَدرِ طولِه، وكان أطولَ أهلِ زمانِه، يعلو كلَّ طويلٍ بمنكبَيه ورأسِه، ويبلغُ أطولُ النَّاس صدرَه، فلا يجاوزه. فقال لهم: هذا مِلكُكم الذي أقامَهُ الله لكم، فأطيعوهُ، وقاتِلوا عدوَّكم معه، فقالوا متعجِّبين من ذلك: كيف يكونُ له الملكُ علينا وليس[٥] من سبط الملوك.

وقوله تعالى: ﴿وَنَحۡنُ أَحَقُّ بِٱلۡمُلۡكِ مِنۡهُ﴾؛ أي: أولى بالرئاسةِ عليه منه بالرئاسةِ علينا؛ إذ نحنُ من أهل بيتِ الـمُلك.

وقوله تعالى: ﴿وَلَمۡ يُؤۡتَ سَعَةٗ مِّنَ ٱلۡمَالِۚ﴾؛ أي: لم يُعطَ ثروةً وكثرةً مِن المال، فيَشرُفَ بالمال إذا فاتَه الحسب.

---

(١) في (ر): «أفس».

(٢) في (ر): «يحرف» وفي (ف): «يحراف». واسمه في «تفسير الطبري» (٤/ ٤٤٩): «شاول بن قيس بن أبيال بن صرار بن يحرب بن أفيح بن آيس...».

(٣) في (ر) و(ف): «وقيل» بدل: «وكان».

(٤) بعدها في (ر): «أن».

(٥) في (ر) و(ف): «ونحن».

وقوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ﴾؛ أي: قال لهم نبيُّهم: إنَّ اللهَ اختارَهُ عليكم، وأصلُ الاصطفاءِ: أخذُ صفوةِ الشَّيء، وإلغاءُ ما سواه؛ أي: إن لم يكنْ نسَبٌ ونشَب[١]، فله فضيلةٌ تفوقُ كلَّ فضيلةٍ، وهي اختيارُ اللهِ تعالى إيَّاه عليكم، وله فضيلةٌ أخرى، وهي قولُه تعالى: ﴿وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ﴾[٢] أي: سعةً وفضلاً في علم الحروب، وأخرى وهي قولُه تعالى: ﴿وَٱلْجِسْمِ﴾ وهي طولُ القامةِ، وعظمُ التَّركيبِ، وكمالُ القوَّةِ، وروعةُ المنظرِ، وجمالُ الوجهِ.

وقيل: كان ذلك استجماعَ الخِصالِ المحمودة النفسانيَّة، دُونَ عِظم[٣] البِنية، أشارَ بذلك إلى أنَّ الرئاسةَ لا تُستَحقُّ[٤] بالوِراثةِ ولا بالثَّروةِ، بل بفضائلِ النَّفسِ، فإن اجتمعَ إليها النَّسبُ فهو مؤكِّدٌ لها.

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ﴾؛ أي: المُلْكُ لله، فهو يَضعُه حيث يَشاء مِن غير عِلَّةٍ؛ أي: المُلكُ لله[٥]، وقد شاءَ وضعَهُ في طالوت، فلا اعتراضَ عليه ولا إعراضَ عنه.

وقولُه تعالى: ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾؛ أي: واسعُ الأفضالِ، كاملُ الاقتدارِ، عالمٌ بمواضعِ الاختيار.

وقيل: إنَّهم كفروا بتكذيبِهم نبيَّهم.

---

(١) النشب: المال والعقار. انظر: «مختار الصحاح» (مادة: نشب).

(٢) بعدها في (ر) و(ف): «والجسم».

(٣) في (ف): «عظيم».

(٤) في (ف): «تسمى».

(٥) قوله: «أي: الملك لله» ليس في (أ).

وقيل: كانوا مؤمنين، لكن تعجَّبوا وتعرفوا وجهَ[1] الحكمةِ في تمليكِه، كما قالت الملائكة: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾ [البقرة: ٣٠].

***

(٢٤٨) ـ ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ﴾؛ أي: علامةُ سلطَنتِه.

وقوله تعالى: ﴿أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ﴾ وكان قومُ جالوتَ أخذوا التَّابوتَ وذهبوا به، ودفنوهُ في مخرأة لهم، فابتلاهم اللهُ بالباسور، وفشا ذلك فيهم، فهلكَ أكثرُهم، وهلك خمسُ مدائن، فقالوا: ما ابتُلينا إلَّا بفعلِنا في التَّابوت، فاستخرَجوهُ، فوجَّهوه إلى بني إسرائيلَ على بقرةٍ.

وفي روايةٍ: كانوا وضعوهُ في بِيعةٍ لهم، فكانوا إذا أصبَحوا ودخلوا بِيعتَهم، رأوا أصنامَهم منكوسةً.

وقيل: وضعوهُ تحت صنمٍ لهم، فأصبحوا وهو فوق الصَّنم، فأخذوهُ وشدُّوه إلى رجلِ الصَّنمِ، فأصبحوا وقد قطعَ يدُ[2] الصَّنم ورجلاه[3].

وكان من بات فيها ونام، أتاهُ الفأرُ وقرض بطنَه، وأكلَ أمعاءَه، فماتَ، فلما

---

(١) في (ف): «أوجه».

(٢) في (أ) و(ف): «يد».

(٣) في (ر): «يدي الصنم ورجليه». وهي رواية وهب بن منبه، رواها عنه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٤٥٩ ـ ٤٦١)، وما بعدها من رواية أخرى عن وهب، سأبينها.

كثُر ذلك أخذوهُ، وجَعلوهُ على عَجلةٍ، ووجَّهوا الثَّورَ إلى بني إسرائيل، فبعثَ اللهُ تعالى ملائكةً فساقوه، فإذا التَّابوتُ بين أظهرِهم، فذلك قولهُ تعالى: ﴿أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ﴾[١].

وقوله تعالى: ﴿فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾؛ أي: ما تَسكنُ به قلوبُكم، ويَقوى[٢] رجاؤكم بالنُّصرةِ[٣] والغَلَبة.

قال ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: السَّكينةُ دابَّةٌ قدر الهِرَّة، لها عينان لهما شعاع، إذا نظرَت إلى شيءٍ ذُعِرَ، وكانوا إذا حضروا بها العدوَّ أطلعَت رأسَها من التَّابوت، وحركت يديها، وصاحَتْ، فيولُّون هُرَّاباً من الرُّعب[٤].

وكان التابوتُ من عود اليلنجوج[٥].

وقيل: من الصَّندلِ مموَّهٌ بالذَّهب.

وقيل: من الشمشاد[٦] الذي يتخذ منه الأمشاط، قال الله تعالى له: كن، فكان، كما قال لألواح موسى: كوني، فكانت من زُمرُّد[٧]

وقدرُ التَّابوتِ ما يحمِلُهُ رجلان.

---

(١) رواها الطبري في «تفسيره» (٤/ ٤٦٢ ـ ٤٦٣).

(٢) بعدها في (ف): «به».

(٣) في (أ): «في النصرة».

(٤) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٤٦٨) (٢٤٧٥).

(٥) «اليلنجوج»: عود طيب الريح. انظر: «لسان العرب» (مادة: لجج).

(٦) في (ر) و(ف): «الشمشار». والشمشاد: شجر السرو، وتعريبه: شمشاذ. انظر «تاج العروس» (مادة: شمشذ).

(٧) في (ر) و(ف): «الزمرد».

وقال وهبٌ: كان التَّابوتُ نحواً من ثلاثةِ أذرع في ذراعين[١].

وقال عليٌّ رضي الله عنه: كان للسَّكينةِ وجهٌ كوجهِ الإنسان، وهي ريح هفَّافةٌ[٢].

وقال مجاهدٌ: كان لها وجهٌ كوجه الهرِّ وجناحان[٣]، فكانت تهُبُّ على الأعداء فتفرِّقُهم.

وقال الكلبيُّ: كانت من زَبَرجَدٍ أو ياقوت، كأنَّها رأسُ هرَّةٍ، فإذا أنَّ ذلك الرَّأس دفَّ[٤] التابوت نحو العدوِّ، فمضَوا معه، فإذا استقر ثبتوا خلفه[٥].

وقال السُّدِّيُّ: السَّكِينة طَسْتٌ مِن ذهبٍ يُغسَلُ فيه قلوبُ الأنبياء[٦].

وقوله تعالى: ﴿وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَـٰرُونَ﴾؛ أي: أشياء تركَها موسى وهارون، وآلُ الإنسان: نفسُه، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [آل عمران: ٣٣]؛ أي: إبراهيم، وأضيفَ إليه كما يُضَافُ إليه نفسُه.

وهذه البقيَّةُ هي عصا موسى من آسِ الجنَّة، وعمامةُ هارون، ورُضاضُ الألواح، وقَفيزٌ مِن الـمَنِّ في طَسْت[٧] مِن ذهبٍ، وخاتَم سليمان.

وقال عطاء: هو علم التَّوراة[٨].

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣١٢)، ومن طريقه الطبري (٤/ ٤٦٧).

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣١٣)، والطبري (٤/ ٤٦٩).

(٣) رواه الطبري (٤/ ٤٦٧ _ ٤٦٨).

(٤) في (أ): «زف». والدفيف: الدبيب. انظر: «القاموس المحيط» (مادة: دفف).

(٥) من قوله: «فإذا أن ذلك» إلى هنا ليس في (ف).

(٦) رواه الطبري (٤/ ٤٧٠).

(٧) في (ف): «طشت».

(٨) رواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٤٧٦).

وقوله تعالى: ﴿تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ أي: تنقُلُه.

وقيل: كان حملُهم سوقَ[١] البقرةِ.

وقيل: بل حملوه في الهواء حتى وضعوه في بيت طالوت.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ﴾؛ أي: في إتيانِ التَّابوتِ علامةٌ واضِحةٌ على صِدقِ قول نبيِّكم في أنَّ اللهَ تعالى جعلَ طالوتَ ملكاً[٢]؛ فإنَّه أمرٌ ناقِضٌ للعادة.

وقوله تعالى: ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾؛ أي: مُصَدِّقين بالله، فصَدَّقوا، فلمَّا رأَوا الآيةَ انْقَادوا لطالوت، وهيَّأ طالوتُ الأسبابَ، وعبَّأ الجيشَ، وأخذوا الأُهْبَةَ، وتَهيَّؤوا للخروجِ، وأوحى اللهُ تعالى إلى أشمويل أن ادعُ إيشى والد داود النبيِّ عليه السَّلام، وسَلْهُ أن يَعرض عليك بنيهِ، فدعاه، فقال له: اعرض عليَّ بنيكَ، فدعا إيشى أكبرَ ولدِه، فلمَّا نظرَ إليه أعجبَهُ حسنُه، فنودي ليس هذا، فعرضَ عليه ستَّةً، في كلٍّ يُنادَى: ليس هذا، فقال: هل لك ولدٌ غيرُهم، فقال: نعم، بنيٌّ لي غلامٌ، وهو يَرعى الأغنامَ، فقال: أرسل إليه، فلمَّا جاء داودُ، وكان يُحاذِي رأسَ كلِّ واحدٍ مِن إخوتِه بقرنٍ، فلا يَخرجُ منه شيءٌ، فحاذى[٣] رأسَ داودَ بالقَرنِ، فخرجَ من رأسِهِ دُهْنٌ له رائحةٌ مثلُ[٤] المسكِ، فملأ القرنَ، فأوحى اللهُ تعالى إليه أنَّ هذا الذي يَقتلُ جالوت.

قال كعب: فلمَّا[٥] خرجوا ومعهم داودُ ناداهُ في طريقِه حجَرٌ: احملني يا داود؛

---

(١) في (أ): «بسوق».

(٢) بعدها في (ر): «لكم».

(٣) في (ف): «فلما حاذى».

(٤) في (ر): «كرائحة».

(٥) في (أ): «ولما».

فإنَّك تُدعَى لقتال جالوت، وإنَّما تقتلُه بي، فحملَه ووضعَهُ في مِخلاتِه، ثمَّ ناداهُ حجرٌ آخرُ فحملَهُ، ثمَّ ناداهُ ثالثٌ فحملَهُ فصِرنَ في مخلاتِه واحداً.

قال وهبٌ: قال داودُ لطالوت: أنا[1] أقتلُ جالوتَ، وأخبرَهُ بشأنِ الحجارة، قال له طالوت: وهل أحسستَ من نفسِك قوَّة؟ قال: نعم، وقعَ الذِّئبُ في أغنامي، فرضختُ رأسَه فقتلتُه، قال: وهل غيرُ ذلك؟ قال: نعم، عدى[2] الأسدُ عليَّ، فأخذتُ لَحييهِ ففككتُهما.

وقال مقاتل: قال النبيُّ ﷺ لطالوت: إنَّ اللهَ تعالى سيَبعثُ رجلاً مِن أصحابِكَ يقتُلُ جالوتَ وأعطى النبي لطالوتَ درعاً، فقال: من صَلَحتْ[3] عليه هذه الدِّرع فلم تَقصُر عنه ولم تَطُل، فهو[4] يَلي قتلَ جالوت، فاجعلْ له نصفَ ملكِك، ونصفَ مالِكَ، فبلغَ ذلك داود وهو يَرعى الغنمَ، فاستودعَ الغنمَ ربَّه، وخرجَ إليهم، فمرَّ بحجرٍ، وذكرَ[5] قصَّةَ الأحجارِ الثَّلاثة كما مرَّ. فأتى طالوتَ وقال: أنا أقتلُ جالوتَ بإذن الله، أتجعلُ لي نصفَ مُلكِكَ ونصفَ مالِك إنْ قَتلتُ جالوتَ، قال: نعم، وأزوِّجُكَ ابنتي، فالبسْ هذا الدِّرعَ، فلبسَها، فطالَت عليه، فانتفض بها، فقَلَصَ منها، فجعلَ داودُ يَدعو اللهَ، ثمَّ ينتفض، فيقلُص، فلمَّا فعلَ ذلك[6] ثلاثاً، استوَت عليه، فعلمَ طالوتُ أنَّه يَقتلُ جالوتَ[7].

---

(١) بعدها في (ر): «الذي».

(٢) في (أ): «أغار».

(٣) في (ر): «أسبلت».

(٤) بعدها في (ر): «الذي».

(٥) في (ف): «وقد».

(٦) لفظ: «ذلك» من (ف).

(٧) انظر: «تفسير مقاتل» (١/ ٢٠٧ ـ ٢٠٨).

قال[١] مقاتل: كان داودُ ضعيف المنظر، أعمصَ[٢] العين[٣]، قصيرَ القامةِ، ضخمَ البطن[٤].

وقال عكرمةُ: لـمَّا رأوا الآيةَ تَسارعَ النَّاس[٥] إلى الخروج، فقال طالوتُ: لا حاجةَ لي في كلِّ ما أرى، لا يَخرجُ معي رجلٌ بَنى بناءً لم يَفرُغ منه، ولا صاحبُ تجارةٍ مشتغَلٍ بها، ولا رجلٌ عليه دينٌ، ولا رجلٌ تزوَّج بامرأة[٦] لم يبنِ بها، ولا أبْتغي إلَّا الشَّابَّ الفارغ النشيط، فاجتمعَ ثمانونَ ألفاً مِن شرطِه، وخلَّف سائر القوم[٧].

فلمَّا انتهى بجنودِه إلى بطن الأردن، قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ﴾، فذلك قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ﴾؛ أي: فارقَ البلدَ، والباءُ للتعدية، وهو كقوله: ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ﴾ [يوسف: ٩٤]، ومصدره: الفصول.

وقوله: ﴿بِٱلْجُنُودِ﴾ جمع جُند، وهو جمعُ الكثرةِ، والأجنادُ جمعُ القِلَّة، والجندُ: الجيشُ الأشدَّاء، مأخوذٌ مِن الجَنَد، وهي الأرضُ الغليظةُ الشَّديدة.

* * *

(١) في (ر): «وقال».

(٢) في (ف): «أعمش».

(٣) بعدها في (ر): «حم سحم»

(٤) وقع في «تفسير مقاتل» (١/ ٢٠٧): وكان داود عليه السلام رث المنظر هبير دوير. اهـ. وهبير يعني كثير اللحم. انظر «الصحاح» (مادة: هبر)، ولم أعرف معنى دوير!

(٥) في (ف): «القوم».

(٦) في (أ): «امرأة».

(٧) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢/ ٢١٦) دون نسبة.

(٢٤٩) - ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُوا اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ﴾ أي: ممتحِنُكم ومختبِرُكم، والنَّهَرُ بفتح الهاء وتسكينِها: مجرى الماءِ الواسع، وكلُّ ثلاثيٍّ حشوُهُ حرفُ حلقٍ[1] فتسكينُه وفتحُه لغةٌ، كالشَّعْر والشَّعَر والنَّحْرِ والنَّحَر[2]، والدَّأْبِ والدَّأَب.

وكان في جُندِ طالوتَ المخلصُ والمنافق، فميَّزَ بينهما بالماءِ، كالذَّهبِ والفضَّة فيهما الخبثُ، فيُميَّزَ الخالصُ مِن غيرِه بالنَّار.

وقوله تعالى: ﴿فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي﴾؛ أي: إنَّكم ستَعطشون في المفازةِ، وتَنتهون إلى نهرِ ماءٍ، فمَن لم يَصبِر على العطشِ، ووقع فيه، فشربَ[3] كَرْعاً للرِّيِّ، فليس على ديني، أو[4] على مذهبي، أو ليس لي بوليٍّ، أو لا يَصحَبْني، وهو كقوله: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٦٧]، وقول النبيِّ ﷺ: «ليس منَّا مَن لم يَرحمْ صغيرَنا، ولم[5] يوقر كبيرنا»[6].

---

(١) في (ر) و(ف): «الحلق».

(٢) في (ر): «والبحْر والبحَر».

(٣) بعدها في (ف): «منه».

(٤) بعدها في (ف): «ليس».

(٥) في (ف): «ومن لم».

(٦) رواه الترمذي في «سننه» (١٩٢١) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

وقوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّىٓ﴾؛ أي: مَن لم يَشربهُ على هذا الوجهِ.

والطَّعمُ: الذَّوق، ويقع على الأكل والشُّرب، قال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟﴾ [المائدة: ٩٣]؛ أي: شربوا.

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ﴾[١] قرأ ابنُ كثير ونافعٌ وأبو عمرو بفتح الغين، وقرأ الباقون بضمِّها[٢].

والغرفُ: أخذُ الماءِ بآلةٍ، كالكفِّ والمغرفةِ، والغَرفةُ بالفَتح: الـمَرَّةُ مِن هذا الفعل، والغُرفةُ بالضَّم: قدرُ ما يُغرفُ بالكفِّ مِن الماء، وأصلُ الغَرفِ: القَطعُ، والغُرفة التي هي العُلِّيَّةُ: قطعةٌ مِن البناء. استثنى من الشُّربِ الممنوعِ هذا النَّوعَ، وهو الأخذُ بالكفِّ والتَّناولُ مِنه.

وقوله تعالى: ﴿فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾؛ أي: مرَّ بهم في مَفازَةٍ مُعطِشةٍ، فلمَّا انتهَوا إلى النَّهر، وقد غلبَ عليهم العَطَش، وقَعوا في النَّهرِ، فشربوا كَرْعاً إلَّا قليلاً منهم، وهم ثلاثُ مئةٍ وثلاثةَ عشرَ رجلاً، على عدد أهل بدر، فإنَّهم اغترَفوا فشَرِبوا بالأكفِّ ورَووا، والذين خالفوا ازدَادوا عطشاً.

وقيل: انتفخَت بطونُهم، وماتَ منهم في ذلك سبعون ألفاً.

وقيل: بقُوا جميعاً، لكن لَمَّا عرفَ طالوتُ الموافقَ مِن المخالفِ، خَلَّفَ المُخالِفين، واستتبعَ الموافقين، وقال: إذ لم يوافقوني في صفةِ شربِ الماء، فكيفَ يوافقونني في محاربةِ الأعداءِ الأشدَّاء؟

ولما رُدُّوا بالخلافِ في صفةِ شربِ ماءٍ أصلُهُ حلال، لكن على صفةٍ مخصوصةٍ،

---

(١) بعدها في (ر) و(ف): «بيده».

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ١٨٧)، و«التيسير» (ص: ٨١).

وهَلَكوا بعد الرَّدِّ، فما حالُ مَن تناولَ الحرامَ المحضَ من الطَّعام والشَّراب، كيف يُقبلُ ويَسلم؟

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ﴾؛ أي: فلمَّا مَضى طالوتُ وقطعَ النَّهرَ، ومضى المؤمنونَ معه، وهاهنا مضمرٌ؛ أي: وعَلِموا بالأخبارِ المتواترة، أو بالمشاهدة[1] والملاقاة والمقاربة[2]، كثرةَ عددِ أصحاب جالوتَ، وعِظَمَ أجسامِهم، ووفورَ عدَّتهم.

وقوله تعالى: ﴿قَالُواْ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلۡيَوۡمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ﴾ جالوت سُمِّيَ به لجولانه؛ أي: قال ضعفاءُ اليقينِ: لا قوَّة لنا ولا قدرةَ على مقابلتِهم ومقاتَلتِهم.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ﴾؛ أي: قال الذين يَعلمون ويَستيقنونَ أنَّهم راجعونَ إلى الله في القيامة، ومَجزيُّون بأعمالِهم يومئذٍ.

وقد كشفنا حقيقةَ الظَّنِّ واللقاءِ في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ﴾ [البقرة: ٤٦].

وقيل: هو استعارةٌ؛ أي: يَكفي الظَّنُّ في هذا للعمل، فكيف باليقين؟

وقيل: معناه: أي: يُحدِّثون أنفسَهم بلقاء الله، وهو الموت.

وقيل: ظنُّوا أنَّهم لا يَنجونَ مِن القتل[3]؛ لكثرة عَددِهم وعُددهم.

وقيل: معناه: يرجون لقاءَ الله؛ أي: رؤيتَه.

وقوله تعالى: ﴿كَم مِّن فِئَةٖ قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةٗ كَثِيرَةَۢ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾ ﴿كَم﴾

---

(١) في (ر) و(ف): «وبالمشاهدة».

(٢) في (ر): «والمقارنة».

(٣) في (ر): «الموت والقتل» بدل: «القتل».

كلمـةُ تكثيرٍ، و﴿مِّن﴾ كلمـةُ تأكيدٍ، والفئةُ: الطَّائفـة، وأصلُها من: فَأَوْتُ رأسَـه فأواً؛ أي: قطعتُـه، والطَّائفةُ من النـاسِ قطعةٌ منهم.

وقيل: هي من الفَيءِ، وهو الرُّجوعُ، وهم قومٌ يَرجعونَ إلى أمرٍ واحدٍ، ويُرجَعُ إليهم في الانتصار بهم.

وعلى الأوَّل حُذِفَ الـمُعتَلُّ مِن آخِره، وعلى الثَّاني حُذِفَ مِن حشوِه.

وقولُه تعالى: ﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: بتغليبِ الله تعالى، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٤٥]؛ أي: بإماتةِ الله.

وقيل: معناه هاهنا: بنصرة الله.

وقولـه تعالـى: ﴿وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ أي: فاصبـروا؛ فـإنَّ اللهَ معيـن الصَّابريـن وحافظُهم.

وقال مقاتل: قالت العُصاةُ الذين وقعوا في النهر: ﴿لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ﴾، وقال أصحاب الغُرفة في الردِّ عليهم: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾[1].

وقال مقاتلُ بنُ حيَّان: كان فَصلَ طالوتُ بالجنود، وهم سبعون ألفاً، فأطاعَهُ في النَّهرِ أربعةُ آلاف، ونافقَ ستَّةٌ وستُّون ألفاً، فلمَّا ﴿قَالُوا۟ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ﴾ نافقَ أربعة آلاف إلَّا ثلاث مئةٍ وثلاثةَ عشرَ رجلاً[2].

* * *

(١) انظر: «تفسير مقاتل بن سليمان» (١/ ٢٠٨).

(٢) لفظ: «رجلًا» من (ر).

(٢٥٠) ـ ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا۟ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا۟ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ﴾؛ أي: ظهروا للقتالِ، والبَرَازُ: الأرضُ الفضاء، قال تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً﴾؛ أي: ظاهرةً لا مُستَظَلَّ فيها، وقوله تعالى: ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ﴾ [الشعراء: ٩١] أي: أظهرت.

وقوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾؛ أي: صُبَّ علينا، وهو استعارةٌ عن الإكمالِ والإكثار.

وقوله تعالى: ﴿وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا﴾؛ أي: في مواضعِ القتال، كي لا تزلَّ ولا تزول.

وقوله تعالى: ﴿وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾؛ أي: أعِنَّا عليهم، وامنعْهم منَّا(١).

وقال الإمام القشيريُّ رحمهُ الله: طلبوا الصَّبرَ والثَّباتَ أوَّلاً، وهو حقُّ الحقِّ، ثمَّ النَّصرَ(٢) وهو حظُّ(٣) النَّفسِ، ثمَّ أشاروا(٤) إلى أنَّهم يَطلبون النَّصر، لا للانتقام منهم بفعلِهم بهم، بل لأنَّهم كفَّارٌ وأعداءٌ لربِّهم، فقاموا من كلِّ وجهٍ لله بالله، فلذلك نُصِروا وظَفِروا(٥).

* * *

---

(١) في (ر): «وامنعنا منهم» بدل: «وامنعهم منا».

(٢) في (ف): «النصرة».

(٣) في (ر) و(ف): «حفظ».

(٤) في (ف): «أشار».

(٥) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (١/ ١٩٤).

(٢٥١) ـ ﴿ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾.

وقولـه تعالـى: ﴿ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ وقبلـه مضمرٌ؛ أي: اسـتجابَ[1] اللهُ تعالى هـذا الدُّعـاءَ ونصرَهُم.

وأصـلُ الهَـزْمِ: الكَسـرُ، وجَعْلُ بعضِ الشـيء على بعض، يقال: سِـقاءٌ مُتهزِّم، إذا ثُنِيَ بعضُـه علـى بعضٍ مـع جفافٍ. وقـال الأصمعـيُّ: هزمة الرَّعـدِ: صوتٌ فيه تَشقُّقٌ[2].

وقيل: الهزيمةُ: دفعُ الشَّيء بقوَّةٍ حتَّى تُدخِلَ بعضَه في بعضٍ، والمهزام[3]: خشبةٌ يُحرَّكُ بها الجمر، فيُدفَع بها بعضُه عن بعض.

وقيـل: هـي التَّفريق والتَّشـقيق، وقد تَهـزَّم السِّـقاءُ، إذا يَبِسَ فتصـدَّع، واهتزامُ الشَّـاة: ذبحُها.

وقوله تعالى: ﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: بعونِه ومشـيئتِه، وتسـبيبِه أسـبابَها، وتيسيرِه علـى ما أراد.

وقوله تعالى: ﴿وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ﴾ قال ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: برزَ داودُ لجالوت، وظِلُّ جالوتَ ميلٌ، فلمَّا نظرَ إلى داود استضحكَ ازدراءً به، فأخذَ

---

(١) في (أ): «فاستجاب».

(٢) انظر: «تهذيب اللغة» للأزهري (٦/ ١٦١).

(٣) في (أ): «والهزام».

داودُ الحَجرَ، فوضعَه في مِقلاعِه، ثمَّ أرسلَهُ، فلمَّا انتهى إلى جالوت صار ثلاثةً، فضربَ جبهتَه بحَجرٍ، وفؤادَهُ بحَجرٍ، وخاصرتَهُ بحَجرٍ، فوقع قتيلاً.

وقال أبو العالية: قال جالوت لداود: خرجتَ إليَّ بقُلاعةٍ[1] لتقتلَني بها كما تَقتُلُ الكلبَ، فقال داود: فهل أنت إلَّا مثلُ الكلب؟ فرماه بالأحجار الثَّلاثة، فوقَعت في صدرِه فنفذَتهُ[2]، وقتلت بعده ناساً كثيراً[3].

وقال مقاتل: رَمى داودُ بالأحجارِ، وأَلقَتِ الرِّيحُ البيضةَ مِن رأسِه، فوقعَت في دماغِه، حتَّى خرجت مِن أسفله وانهزم الكفَّار[4].

وفي روايـة: رمى بواحـدٍ، فأصابَ بطـنَ جالوت، وخـرجَ مِن أسـفلِه، ورَمى بالثَّـاني، فقتـل ثلاثيـن ألفاً[5] منهـم، ورمى بالثَّالـث، فجعلَ يَدورُ في عسـكرِه حتَّى هزمَهم.

ورويَ أنَّ تلك الأرضَ كانت فيها حجارةُ[6] المغناطيس، فجعَلت تَجْذِبُ كلَّ واحدٍ مِن عسكر جالوت كان معه قليلُ[7] حديدٍ، فأثبتَهم حتَّى جاءَ طالوتُ وجنودُه، فأخذوهم وقتلوهم، وغَنِموا أموالَهم.

---

(١) القلاعة: الحجر والمدر يقتلع من الأرض فيرمى به. انظر: «الصحاح» للجوهري (مادة: قلع).

(٢) بعدها في (ر): «وخرجت من ظهره».

(٣) ذكره أبو الليث في «تفسيره» (١/ ٢٢٠) من قول الكلبي.

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» (١/ ٢١٠)

(٥) في (ر): «رجلًا» بدل: «ألفاً».

(٦) في (أ): «أحجار».

(٧) بعدها في (ر): «من».

وطلب داودُ من طالوتَ الوفاءَ بالشَّرط، فقال: إنَّ بناتَ الملوكِ لا بُدَّ لهنَّ مِن الصَّداق، وأنت رجلٌ شجاعٌ، فاجعل صداقَها من أعدائِنا، وكان يَرجو بذلك أنْ يُقتَل داود، فقد كان نَدِمَ على ما شرط، فغزا داودُ، فأسرَ ثلاثَ مئةٍ، وجاء بهم، فلم يجدْ طالوتُ بدًّا، فزوَّجَهُ ثمَّ ندم[١]، وقصدَ قتلَهُ[٢].

وقال عكرمة: لَمَّا ملكَ طالوتُ الأرضَ المقدَّسةَ جاءَ داودُ يَطلُبُ ما شَرط له، فأعطاه السَّيفَ وزوَّجهُ ابنتَهُ، ثمَّ مضى زمانٌ يَسألُهُ[٣] شطرَ الملكِ[٤]، فقالت جبابرةُ بني إسرائيلَ لطالوت: أَتُقاسِمُه الملكَ، وفيه فسادُ بني إسرائيل، لم يَكن مَلِكان في قومٍ إلَّا فَسدَ أمرُهم، فوافقَ طالوتُ كلامَهم.

ولمَّا رأى أَهْلُ العدلِ والوفاءِ مَنْعَ طالوت داودَ، دخلوا على داود، وخَلَوا به، فأتى طالوتَ ذو العينين، فأخبرَهُ بمَن يَدخُل على داود، فقال له أصحابُه: لا ينتهي هذا دون أن يثورَ بك، وما ينتظرُ إلَّا أنْ يجتمعَ له الذي يُريد، فاقتلِ الرَّجلَ.

---

(١) في (ف): «فلم يرد أن يزوجه ابنته» بدل «فلم يجد طالوت... ثم ندم».

(٢) قال الشيخ محمد أبو شهبة رحمه الله في كتابه «الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير» (ص: ١٧٧) بعد أن ذكر شيئاً من هذه المرويات: وفي هذا الذي ذكروه الحق والباطل، والصدق والكذب، ونحن في غنية عنه بما في أيدينا من القرآن والسنة، وليس في كتاب الله ما يدل على ما ذكروه، ولسنا في حاجة إلى شيء من هذا في فهم القرآن وتدبره، فلا تلقِ إليه بالاً، وارم به دبرَ أذنيك، فإن فيه تجنِّياً على من اصطفاه الله ملكاً عليهم، وكذباً على نبي الله داود.

(٣) في (أ): «فسأله».

(٤) بعدها في (ر): «فقال حبًّا وكرامةً»، وفي (ف): «فقال: حبًّا».

فجاءَ ذو العينينِ إلى بنت طالوتَ[١]، فأخبرَها أنَّ زوجَها مقتولٌ، فأتاها داودُ عند المساء، فقالت له: إنَّك مقتولٌ الليلةَ، قال: ومن يقتلني؟ قالت: أبي، قال: وهل أجرمتُ له جُرماً، قالت: حدَّثني مَن لا يَكذِبُ، ولا عليكَ أنْ تغيبَ اللَّيلةَ حتَّى تَنظرَ مِصداقَ ذلك، فقال: لئن كان أرادَ ذلك، ما أستطيعُ خروجاً، ولكن ائتني بزِقٍّ مِن الشَّراب، فضعيهِ على السَّريرِ، وجَلِّليه بالثياب، وأنا أدخلُ تحتَ السَّرير، فإن كان أرادَ مِن ذلك شيئاً، فسوف تعلمينه[٢]، ففعَلت.

ودخلَ أبوها العشاء، قال: أين بعلُك؟ قالت: نائمٌ على السَّرير، فضربَهُ بالسَّيف، فلمَّا وجدَ ريحَ الشَّراب، قال: يا داود، لقد طبتَ حيًّا وميتاً، وخرجَ داودُ حتى لَحِقَ مأمنَهُ[٣]، ودخلَ طالوتُ مِن الغدِ ليُجهِّزَهُ ويُخبِرَ النَّاس أنَّ داودَ اغتيل، فلمَّا رأى أنَّه لم يَصنعْ شيئاً، قال: إنَّ رجلاً طلبتُ منه ما طلبت لخليقٌ ألَّا يدعَني حتَّى يُدرِكَ منِّي ثأرَهُ، فاشتدَّ حجَّابُه وحرَّاسُه، وأغلقَ دونَه الأبوابَ.

فأتاهُ داودُ ليلةً، وقد هدأتِ العيونُ، وأعمى اللهُ تعالى عنه الحَجَبةَ، فدخلَ عليه وهو نائمٌ على فراشِه، فوضعَ سهماً عند رأسِه وسهماً عند رجليهِ، فلمَّا أصبحَ استبدلَ بالحُجَّابِ والبوابين، وقال: لو أرادَ هذا أنْ يضعَ السَّهمَ في حلقي لفعل، ما أنا بالذي تَطيبُ نفسي أنْ أعطيَه الذي يسألُني، وما أنا بالذي آمنُهُ.

فلمَّا كانت الليلةُ القابلةُ، دخلَ داودُ ثانياً، وأعمى اللهُ تعالى عنه الحُجَّاب،

---

(١) في (ر): «بيت داود» بدل: «بنت طالوت».

(٢) في (ر): «أعلمه».

(٣) في (أ): «بمأمنه».

ووضع بجنبِهِ سيفاً[١] فلمَّا أصبحَ ورأى ذلكَ سَلَّطَ على داودَ العيونَ، وطلبَهُ أشدَّ الطَّلب، فأتى ذو العينين فأخبرَهُ أنَّه مع المتعبِّدينَ في جبلٍ.

فانطلق طالوتُ يَطلبُهُ، وتَوارى داودُ، وقال طالوتُ للمتعبِّدين: أخرِجوا إليَّ داود، وإلَّا أهلكتكُم بالسَّيف، فقالوا: لا نَدري أين هو، فاقتلْ أو دعْ، فقتَلهُم حتَّى بقيَ شابٌّ، فلم يقتلهُ، وأَنِسَ به، واتَّخذَهُ لنفسِه، فأقبلَ حتَّى إذا كان في بعضِ اللَّيلِ قال للفتى: هل صاحَ الدِّيكُ؟ قال: وما تُريدُ مِن صياحِ الدِّيك؟ قال: أريدُ أنْ أعلمَ ما ذهبَ مِن اللَّيل، قال: وهل تركتَ ديكاً إلَّا قتلتَهُ، إنَّما كان يَعرِفُ معالمَ اللَّيلِ قومٌ قتلتَهُم[٢]، فلم يَبقَ مَنْ يَعرِفُ معالمَ اللَّيل، فبكى طالوتُ، ثمَّ قال: هل عندك لي توبةٌ؟ قال الشَّابُّ: إنْ أعطيتَني عهداً، فعسى أنْ أُطلِعَك على مَن يدلُّكَ على ما تريد، فقال: وإنَّ لك ذلك، فانطلقَ به إلى عجوزٍ مذكورةٍ في بني إسرائيل أَنَّها[٣] تدعو بالاسم[٤] الذي يُستجاب.

فطرقَها ليلاً، فقالت: من ذا؟ قال: أنا فلانٌ، قالت: كيف نجوتَ مِن طالوت، أمعَك آخرُ؟ قال: نعم، قالت: ومَن معك؟ قال: طالوت، قالت: إنَّه قتلَ أخواتي[٥] وإخواني، وجئتَ به ليَقتُلَني، إنَّا لله، قال: يا أمَّاه، إنَّه جاءَ ليَطلبَ التَّوبةَ والمخرجَ، قالت: ما عندي ذلك، ولكن أنظرُ إلى بعضِ مَن في القبورِ حتَّى أدعوَهُ لك.

---

(١) في (ر): «سقاء».

(٢) في (ر) و(ف): «فقتلتهم».

(٣) في (ر) و(ف): «إنما».

(٤) بعدها في (أ): «الأعظم».

(٥) في (أ): «أخوالي».

فانطلقَ إلى قبرِ أشمويل، فقال: ادعي لي صاحبَ هذا القبر، فصلَّت ودَعَت، ثمَّ نادَت: يا صاحبَ هذا القبر، فقامَ يَنفضُ رأسه مِن التُّرابُ[١]، ثمَّ قال: أنت طالوت؟ قال: نعم، قال: ما فعلتَ بعدي؟ قال: لم أدعْ مِن الشَّرِّ شيئاً، وجئتُ أطلبُ التَّوبةَ، قال: كم لك مِن الولَدِ؟ قال: عشرةُ رجالٍ، قال: أما إنَّه[٢] لا توبةَ لك إلَّا أن تُجهِّزَ بكلِّ مالِكَ في سبيلِ الله، وتُقدِّم ولدَك حتَّى يُقتلوا بين يديكَ، ثمَّ تكونُ أنت آخرَهم، ثمَّ رجعَ أشمويل إلى القبر.

ورجع[٣] طالوتُ إلى بنيهِ، فجمعَهم وقال لهم: أرأيتُم لو رَأيتُموني أدفعُ إلى النَّار، هل كنتُم تَفدُونَني، قالوا: نعم، قال: فإنَّها النارُ إلَّا أن تفعلوا ما أقولُ لكم، قالوا: فاعرِضْ علينا، قال: إنِّي قد[٤] عَمِلتُ الذي عَمِلت، وإنِّي سألتُ التَّوبةَ مِن ذلك، فقيل لي: إنَّ توبتَكَ أن تُجهِّز بكلِّ مالِك في سبيلِ الله تعالى، وتُقَدِّمَ بنيكَ حتَّى يُقتَلوا بين يديك، فتَحتَسِبَهُم، ثمَّ تكون أنت آخرَهم، قالوا: وإنَّك لمقتولٌ؟ قال: نعم، قالوا: فلا خيرَ لنا في الحياةِ بعدَك، قد طابَت أنفُسُنا بالذي سألت.

فتجهَّزَ بمالِهِ وقدَّم ولدَهُ الأكابرَ رجلاً رجلاً، حتَّى قُتِلوا، ثمَّ قُتِلَ آخرُهُم، فجاءَ قاتلُه إلى داودَ ليُبشِّرَهُ، فقال: قتلتُ عدوَّكَ، فقال داود: ما أنت بالذي تَحيى بعدَهُ، فضربَ عنقَهُ[٥].

---

(١) في (ر) و(ف): «التراب من على رأسه» بدل: «رأسه من التراب».

(٢) في (أ): «فإنه» بدل: «أما إنه».

(٣) في (ف) و(أ): «فرجع».

(٤) لفظ: «قد» من (أ).

(٥) يقال في هذا الخبر الطويل ما قيل في الذي قبله، فهو من الإسرائيليات المنكرة، وفيه ما لا يليق بمن وصفه الله بالعلم، واختاره لملك بني إسرائيل، وما هو إلا إسباغ صفات الخيانة واللؤم التي اتصفت بها هذه الطائفة على أنبيائها وصالحيها، وذكره مع تفسير القرآن تقوية له ورفع لشأنه، فتنبه لذلك =

ومكَّن اللهُ تعالى لداود في الأرضِ وأعطاهُ مملكةَ بني إسرائيل، فذلك قولُه تعالى: ﴿وَءَاتَـٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾؛ أي: الملكَ الذي كان لطالوتَ على بني إسرائيل، والحكمة: النبوَّة، وبها وَضْعُ الأمورِ مواضعَها، وآتاهُ[1] ملكَ طالوتَ، ونبوَّةَ نبيِّهم، وجُمِعَ له كلاهما، وكان قبلَهُ المُلكُ في سبطٍ، والنبوَّةُ في سِبْطٍ. وقيل: الحكمةُ: الزَّبور.

وقوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ﴾ أنْ يُعَلِّمَ أنبياءَهُ،

وقال الحسن: هو العلمُ في الدِّين.

وقيل: هو عِلمُ صَنعةِ الدُّروع، قال تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَـٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ﴾ [الأنبياء: ٨٠]، وقال: ﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ۝١٠ أَنِ ٱعْمَلْ سَـٰبِغَـٰتٍ﴾ [سبأ: ١٠ ـ ١١] الآية.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ قال القفَّال: أي: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ﴾ بالرُّسلِ عن عبادِه، وما أجرى على ألسنتِهم مِن بيان الشَّرائعِ التي بها يتكافُّون عن التظالم والتَّعادي، ﴿لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾؛ لما يكون فيها مِن تَسافُكِ الدِّماء، وتَناهُب الأموال، وارتكابِ المحارِم، وإخافةِ السُّبل.

ثمَّ مِن المعلومِ أنَّ كثيراً مِن النَّاس قد لا يَنقادون للرُّسُل تحتَ الرئاسةِ، مع ظهور الحُجَجِ، فاحتيجَ إلى المجاهدة باللِّسانِ والسَّيف، وذلك يكونُ مِن الأنبياء ومَن يُتابِعُهم، ثمَّ لهم آجالٌ مضروبةٌ يَمضون[2] عندها، فوجبَ أن يكونَ لهم[3]

= عصمنا الله وإياك من الزلل.

(١) في (أ): «فآتاه الله».

(٢) لفظ: «يمضون» من (أ).

(٣) لفظ: «لهم» من (ر).

خلفاءُ بعدَهم في كلِّ عصرٍ، في إقامةِ الدِّين والجهاد، فهذا دفعُ الله الناسَ بعضَهم ببعض، وقال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾ [الحج: ٤٠]، وقال: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ﴾ [الحديد: ٢٥].

وقوله تعالى: ﴿لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾؛ أي: لهلكَ مَن في الأرض.

وقيل: لخرِبَت.

وقيل: معناه: دفعَ اللهُ بثلاث مئةٍ وثلاثةَ عشرَ مِن قوم طالوت عن بني إسرائيلَ، ولولاهم[1] لهلكوا.

وقال النبيُّ ﷺ: «إن اللهَ تعالى يَدفعُ بمَن يُصلِّي عمَّن لا يُصلِّي، ويَدفعُ بمَن يَصومُ عمَّن لا يَصوم، ولو اجتمعوا على تركِ الصَّلاةِ والصِّيام ما أنظرَهُمُ اللهُ طرفةَ عين، وكذا[2] في الزَّكاةِ والحجّ والجهاد والجمعة، ثمَّ تلا هذه الآيةَ[3].

وقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ أي: يتفضَّلُ عليهم بإبقائِهم وإزالةِ الفسادِ عنهم.

* * *

(٢٥٢) ـ ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾.

---

(١) في (أ): «ولولاه».

(٢) بعدها في (أ): «ذكر».

(٣) أورده الثعلبي في «تفسيره» (٢/ ٢٢٤) دون إسناد، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٤٨٠) (٢٥٣٧)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٧١٩١) عن ابن عباس رضي الله عنهما موقوفاً.

وقوله تعالى: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ﴾[1]؛ أي: في[2] هذه القَصص التي فيها نقضُ العادات مِن الدِّلالات الواضحات.

وقوله: ﴿نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ﴾؛ أي: يقرؤها عليك جبريلُ بأمرِنا بالصِّدقِ، وهذا كما قال: ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟﴾ [يس: ١٢] ثم قال ﴿إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ﴾ [يونس: ٢١].

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ ودلالةُ رسالتِك أنَّك تُخبِرُهم بهذه القَصص، ولا تُعلَم إلَّا بإعلامنا إيَّاك، فليُصدِّقوكَ بأنَّك[3] رسولُ الله، والرَّسولُ صادقٌ.

***

(٢٥٣) ـ ﴿۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ۚ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾: أي: هؤلاء الرسلُ المذكورون في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾، أو الرسلُ المذكورون في هذه السورة من آدمَ إلى داود، أو الرسلُ المذكورون في جميع القرآن، سَوَّى بينهم في اسم الرسالة ثم بيَّن فضلَ بعضهم على بعضٍ في معاني وراء الرسالة[4]، وهذا كالمؤمنين يستوون في صفة الإيمان ويتفاوتون في الطاعة بعد الإيمان.

وقوله: ﴿فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾؛ أي: في مقاماتهم ودرجاتهم بعد الرسالة.

---

(١) بعدها في (أ): «نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ».

(٢) لفظ: «في» ليس في (أ).

(٣) في (أ): «فإنك».

(٤) «ثم بين فضل بعضهم على بعض في معاني وراء الرسالة»: من (أ).

وقوله تعالى: ﴿مِنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾: أي: من الرسلِ مَن كلَّم اللهُ وهو موسى عليه الصلاة والسلام، قال الله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]؛ أي: خاطبه الله بكلامه الأزليِّ بلا واسطةٍ.

وقوله تعالى: ﴿وَرَفَعَ بَعۡضَهُمۡ دَرَجَٰتٖ﴾: أي: مراتبَ.

﴿بَعۡضَهُمۡ﴾ مفعولٌ لـ﴿وَرَفَعَ﴾، و﴿دَرَجَٰتٖ﴾ منصوب على التفسير، وقيل: منصوبٌ بنزعِ (إلى)، يعني: إلى درجاتٍ، كما قال تعالى: ﴿وَرَفَعۡنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ يعني[١]: إلى مكانٍ عليٍّ.

وقيل: ﴿دَرَجَٰتٖ﴾ مفعولٌ و﴿بَعۡضَهُمۡ﴾ منصوبٌ بنزعِ الخافض وهو[٢] اللام؛ أي: لبعضهم درجات.

وقيل: هذا موصولٌ بقوله: ﴿فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ﴾ ورفعنا بعضَهم درجات، وفسَّر ذلك بذكر بعضهم فقال: ﴿مِّنۡهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾ وهذا مقدَّمٌ في النَّظْم مؤخَّرٌ في المعنى.

وقيل: بل كلُّ كلامٍ مقرَّرٌ[٣] في موضعه، وقوله[٤]: ﴿فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ﴾ ليس في أصل الرسالة، فقد قال النبيُّ عليه الصلاة والسلام: «لا تفضِّلوني على أخي يونس»[٥]، وأراد به: في مقام الرسالة، ثم قال: «أنا سيدُ ولدِ آدمَ ولا فخرَ»[٦]

---

(١) في (ف) و(أ): «أي».

(٢) «الخافض وهو»: من (أ).

(٣) في (ر) و(ف): «مقدر».

(٤) في (أ): «قوله».

(٥) لم أجده مسنداً بهذا اللفظ، ورواه البخاري (٣٤١٣)، ومسلم (٢٣٧٧)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ: «ما ينبغي لعبد أن يقول: أنا خير من يونس بن متى»، وروى البخاري (٣٤١٤)، ومسلم (٢٣٧٣)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «لا تفضلوا بين أنبياء الله».

(٦) رواه الترمذي (٣٦١٥) وصححه من حديث أبي سعيد رضي الله عنه، وهو في «صحيح البخاري» =

بيَّن أنه أفضلُ الأنبياء كلِّهم في المقامات التي بعدَ مقام الرسالة.

وقوله: ﴿مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾ بدأ بموسى في تفصيل هذا التفضيل، وقوله: ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾ إشارةٌ إلى النبيِّ ﷺ، فإن الله تعالى رفع درجاته على درجات الأنبياء كلِّهم.

وقيل: بل هو يَنتظِم بيانَ فضل جماعة منهم، فقد قال الكلبيُّ في قوله: ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾: أي: اتخذ إبراهيمَ خليلاً، وأعطى داود زبوراً، وألانَ له الحديدَ، وسخَّر له الطيرَ والجبال يسبِّحْنَ معه، وسخَّر لسليمان الريح والجنَّ والشياطين، وخصَّ كلَّ رسول بشيء، وهو أعلم بوجه[1] الحكمة، وليس علينا أن نتعرَّفه، بل لله الحكمُ يفعل ما يشاء ويفضِّل مَن يشاء بما يشاء، لا لاستحقاقٍ من العبد بل هو فضلٌ منه، وفضَّل[2] بعضَهم على بعضٍ أيضاً في قَدْر المعجزات، وذلك على حسَب ما كان يدعو حاجةُ أهل الزمان إليه.

وقوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ عطفٌ على قوله ﴿فَضَّلْنَا﴾، وقبله ﴿وَرَفَعَ﴾ على المغايبة صرفاً إلى قوله: ﴿مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾.

وبيِّنات عيسى: إحياءُ الموتى، وشفاءُ المرضى، وإبراءُ الأكمه والأبرص، وخلقُ الطير من الطين.

وقيل: الإنجيل والمعجزات.

وقوله تعالى: ﴿وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾: أي: قوَّيناه بجبريل، وقيل: بالإنجيل، وقيل: باسم الله تعالى الأعظم، وقيل: بروحه الطاهر. وقد شرَحْناه بأتمَّ من هذا قبلَ هذا.

= (٤٧١٢)، و«صحيح مسلم» (٢٢٧٨)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه دون قوله: «ولا فخر».

(١) في (ر) و(ف): «بوجوه».

(٢) في (أ): «ففضل».

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾:

واتِّصالُ هذا بما قبله: أن الآية لتسلية النبيِّ[1] ﷺ، يقول: أجريتُ أمور[2] رسُلي على هذا ونصبتُ لهم المعجزات، ثم لم يجتمع لأحدٍ منهم طاعةُ جميع أمته في حياته ولا بعد وفاته، بل اختلفوا عليه فمنهم مَن آمَنَ ومنهم مَن كفَر، وتنافسوا في الدنيا، وتباغوا فيها واقتتلوا[3]. وبسطُ وجوه اختلافهم في أول هذه السورة: مِن اتخاذ[4] العجلِ، وسؤالِ رؤيةِ الله تعالى جهرةً، وتبديلِ قولِ الحطَّة، وخلافِ أصحابِ السبت، وسائرِ معاملاتهم، ومخالفةِ قومِ عيسى إياه، وقصدِهم قتلَه، وسائرُ قصصِ الأنبياء[5] على هذا، ثم هم صبروا ولم يَهِنوا فكنْ أنت كذلك.

ثم قال: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم﴾؛ أي: بعدِ هؤلاء الأنبياء ﴿بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾؛ أي: المعجزاتُ الظاهرات، يقول: لو شئتُ أن لا يَقتتلوا لم يَقتتلوا؛ إذ لا يَجري في مُلكي إلا ما يوافق مشيئتي، وهذا يدمِّر على المعتزلة؛ لأنه أخبر أنه لو شاء أنْ لا يقتتلوا لم يقتتلوا، وهم يقولون: شاء أن لا يقتتِلوا فاقتتَلوا.

قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟﴾: أي: بمشيئتي[6].

وقوله تعالى: ﴿فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ﴾: أي: بمشيئتي.

وقوله تعالى[7]: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟﴾: التكريرُ للتقرير.

---

(١) في (ر): «تسلية للنبي».

(٢) «أمور»: من (ف).

(٣) في (ر): «وتنازعوا فيها واختلفوا». وفي (ف): «وتنازعوا فيها واقتتلوا».

(٤) في (ر): «اتخاذهم».

(٥) في (ف): «القصص للأنبياء»، وفي هامشها كالمثبت.

(٦) «قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟﴾ أي بمشيئتي»: من (أ).

(٧) «وقوله تعالى» ليس في (أ)، والواو ليست في (ف).

وقوله تعالى[١]: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ أثبت الفعل والإرادة لنفسه فثبَت أن أفعال العباد كلَّها حَسَنَها وسيِّئَها بإرادته وإيجاده.

***

(٢٥٤) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞۗ وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم﴾: أي: في الجهاد في سبيل الله تعالى؛ كما قال تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا﴾ [البقرة: ٢٤٥] بعد قوله: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٤٤]، وذكَر بعده قتالَ طالوتَ وجالوتَ واقتتالَ الأوَّلينَ، وحثَّ على الجهاد والنفقة فيه المؤمنين[٢].

وقوله تعالى: ﴿مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞ﴾: أي: قبل أن يجيء يومُ القيامة فينزعَ منكم الأملاك، فلا يكون لأحدٍ مالٌ ولا تجارةٌ ولا كسبٌ لينفِقَ ذلك فيما يؤجَر عليه؛ لأنه يومُ جزاء لا يومُ عمل، ولا ينفع خليلٌ خليلاً يومئذ إذا كانت الخلةُ ـ أي: الصداقةُ[٣] ـ على خلافِ الحق؛ قال تعالى: ﴿ٱلۡأَخِلَّآءُ يَوۡمَئِذِۭ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٦٧]، ولا شفاعة لكافر؛ قال تعالى: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ١٠٠ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٖ﴾[٤] [الشعراء: ١٠٠ ـ ١٠١] فأما المسلمون فلهم شفاعة؛ قال تعالى ﴿يَوۡمَئِذٖ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوۡلٗا﴾ [طه: ١٠٩].

---

(١) «وقوله تعالى» ليس في (أ)، والواو ليست في (ف).

(٢) في (أ): «للمؤمنين فيه».

(٣) في (ر): «الخلة والصداقة».

(٤) «﴿وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٖ﴾» ليس في (ف).

وقيل: ﴿لَّا بَيْعٌ فِيهِ﴾؛ أي: لا بيعٌ فيه ولا شراءٌ، ومعناه: لا فداءَ فيه ولا افتداءَ.

وقيل: هذا يومُ الموت؛ كما قال ﴿وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ﴾ [المنافقون: ١٠]، فيكون هذا في حقِّ المؤمن والكافر، ولا يَدفع الموتَ خليلٌ ولا شفيعٌ، وعلى القول الأول يكون في حقِّ الكفار[1]: أن الخليل لا يَنفع والشفيعَ لا يَشفع، والمؤمنون بخلاف ذلك.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾: أي: هم الضارُّون أنفسَهم حيث أَوردوها هذا المورد، فلا تنفعُهم خلةُ خليلٍ ولا شفاعةُ شفيعٍ.

وقيل: هم الظالمون أنفسَهم بتركهم التقديمَ ليومِ حاجتهم.

وقيل: هم الواضعون الأمرَ في غير موضعه، الرَّاجُون الشفاعة ممن لا يملكُ لهم ضرًّا ولا نفعاً، وهي[2] آلهتُهم التي يعبدونها ويقولون: هؤلاء[3] شفعاؤنا عند الله.

وقيل: هم الظالمون المانعون الحقَّ مَن يستحقُّه، الممتنعون عن الإنفاق في سبيل الله تعالى ونصرةِ دين الله.

وقال نفطويه[4]: هم الظالمون؛ أي: هم أظلمُ الظَّلَمة، كما يقال: الشجاع هو الذي يقاتل عن غيره؛ أي: ذلك نهايةُ الشجاعة.

* * *

(٢٥٥) - ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾.

---

(١) في (ر): «الكافر في» وفي (ف): «الكافر» بدل: «الكفار».

(٢) في (أ) و(ف): «وهم».

(٣) في (ف): «هم».

(٤) هو إبراهيم بن محمد بن عرفة الملقب بـ: نِفطويه، توفي سنة (٣٢٣هـ).

وقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ انتظامُها بما قبلها: أنه قال: ﴿فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ﴾ ثم ذكر حال الكفار يومَ القيامة، ثم ذكر لأهل الإيمان أساسَ التوحيد الذي يقع به الأمنُ من ذلك الوعيد[1] فقال: ﴿ٱللَّهُ﴾ وهو مبتدأ، وخبره: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ بكلمة ﴿هُوَ﴾ العائدةِ إليه، كقولك: زيدٌ لا مُضيفَ لنا إلا هو.

وقيل: خبره ﴿ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾، و﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ معترِضٌ بينهما، وهو كلامٌ تامٌّ.

ثم قوله: ﴿ٱللَّهُ﴾ إثباتٌ لذاته و﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ نفيُ الألوهيَّة عن[2] غيره.

وقوله تعالى: ﴿ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾: هذا إثباتُ صفات[3] الحقِّ له، فهو الحيُّ الذي لا يموت، وله حياة أزلية[4].

و﴿ٱلْقَيُّومُ﴾: فيعولٌ من القيام، ومعناه: الدائم الباقي.

وقيل: هو القائم بذاته لا بغيره.

وقيل: هو القائم بتدبير كلِّ خلقه، قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الرعد: ٣٣].

وقيل: هو العالم بالأمور.

وقال سعيد بن جبير رحمه الله: هو الدائم الوجود.

وقال الحسن هو القائم على كل نفس بما كسبت، حتى يجازيها بعملها من حيثُ هو عالمٌ به لا يخفى عليه منه شيء[5].

---

(١) في (أ): «يوم القيامة ثم ذكر لأهل الإيمان ذلك الوعد»، بدل: «من ذلك الوعيد».

(٢) في (ر): «نفي ألوهية».

(٣) في (أ): «لصفات»، وفي (ف): «الصفات».

(٤) في (أ): «الأبدية الأزلية».

(٥) ذكر القولين الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٣٢٣).

وقوله تعالى: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ الأخذ: الإصابة، والسِّنَة: النُّعاس، وأصلها: وَسْنَةٌ، وصرفُه: وَسِنَ يَوْسَنُ وَسَناً وسِنَة[1]، فهو وَسْنانُ ووَسِنٌ، من بابِ عَلِم، والنومُ تمامه وانتهاؤه.

أي: لا يعتريهِ ما يعتري المخلوقينَ من السَّهو والغَفْلةِ والملالِ والفترة في حفظ ما هو قائمٌ بحفظه، ولا يَعْرِضُ له عوارِضُ التعبِ المحوِجةُ إلى الاستراحة فيستريحَ بالنومِ والسِّنَة.

وقوله تعالى: ﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: كلُّ مَن فيهما وما فيهما ملكُه، ليس لأحدٍ معه فيه شركةٌ ولا لأحدٍ عليه سلطانٌ، فليس[2] يجوز أن يُعبد غيره كما ليس لعبدِ أحدكم أن يخدم غيرَه إلا بإذنه.

وقوله تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ استفهامٌ بمعنى النفي؛ أي: ليس لأحد أن يَشفع عنده لأحدٍ إلا بإذنه، وقد أَخبر أنه لا يأذَنُ في الشفاعة[3] للكفار، وهو ردٌّ على المعتزلة في أنهم لا يرون الشفاعة أصلاً، والله تعالى أثبتَها للبعض بقوله عز وعلا: ﴿إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾: أي: يعلمُ الله تعالى ما بين أيدي هؤلاء الذين يرجو الكفارُ شفاعتَهم يوم القيامة، وهم الملائكةُ أو غيرُهم، ويعلم ما خلْفَهم.

يحتمِل: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ بعد انقضاء آجالهم ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾: ما كان قبل

---

(١) في (أ): «سنة ووسنا» بدل: «وسنا وسنة».

(٢) في (أ): «فلن».

(٣) في (أ): «بالشفاعة».

أن يخلقهم، وهذا على[١] مجازِ قول القائل: شعبانُ بين أيدينا، والأيامُ بين أيدينا، إذا لم تأت بعدُ.

ويحتمِل: ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾: ما مضى قبلهم ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ يكون عبارةً عما لم يأتِ بعدُ، وهو الذي يسارع[٢] إليه الفهم.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾: أي: وهؤلاء الذين يزعمون أنهم شفعاؤهم لا يعلمون شيئاً من معلوماته التي كانت قبل خلقه إياهم وبعد موتهم والتي تكون فيما[٣] بين ذلك إلا بما شاء، وهو القَدْر الذي علَّمهم منه بأنْ نصَب الدلائل عليه[٤] لهم، وخلَق لهم مواضع المعرفة فيهم[٥] من العقل والحواسِّ.

وإذا[٦] كانت حالة الشفعاء هذه، وكان الله تعالى هو العالمَ بأفعال الخلق لا يخفَى عليه منها شيءٌ[٧]، فهو يجزيهم بأفعالهم التي عَلِمها منهم، وهؤلاء الشفعاءُ لا يعلمون ذلك فيَعرفوا[٨] به استحقاقَهم للشفاعة، فكيف يشفعون لهم بغير إذنٍ من الله لهم في الشفاعة، وقد قال الله تعالى في شأن الملائكة وقولِ الكفار فيهم: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًاۗ سُبْحَٰنَهُۥۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم

(١) «على»: من (أ).

(٢) في (أ): «يتسارع».

(٣) في (ف): «فيها».

(٤) «عليه»: من (أ).

(٥) «فيهم»: من (أ).

(٦) في (ف): «وإن».

(٧) في (ر): «شيء منهم».

(٨) في (ر): «فيعلموا»، وفي هامشها: «في نسخة: فيعرفوا».

بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٢٦ ـ ٢٩]. وقد مر تفسيرُ الإحاطة على الاستقصاء.

وقال ابن كيسان: أي: لا يعلمون الغيب الذي يعلمه الله تعالى إلا بقَدْر ما أَطْلَعَ عليه بعضَ رسله ليكون حجةً له على أمته، فيعلمون أن علم الغيب لم يأته إلا من الله تعالى، قال تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن: ٢٦ ـ ٢٧].

ثم قوله: ﴿مِّنْ عِلْمِهِۦٓ﴾؛ أي: معلومِه، واسم المصدر يقع على المفعول؛ يقال في الدعاء: اللهمَّ اغفِرْ علمك فينا؛ أي: معلومَك، فأما الإحاطةُ بعلم الله تعالى الذي هو صفتُه القائمةُ بذاته فغيرُ متصوَّرة، تعالى اللهُ تعالى عن الإحاطة والإدراك بذاته و[1]صفاته، فإن الله تعالى يُعلم ولا يحاط به، ويُرى ولا يُدرك.

وقوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ قيل: العرشُ والكرسي واحد، والمفهومُ منهما: السريرُ، وأصل الكرسي في اللغة هو المتراكِبُ، وقد تكارَسَ تكارُساً؛ أي: تراكَبَ، والكُرَّاسة[2] سمِّيت بها لتراكُبِ بعضِ أوراقها على بعضٍ. قال العجَّاج:

يا صاحِ هل تعرفُ رسماً مُكْرَساً ... قال نعم أَعرفُه وأَبْلَسا[3]

أي: تكارَسَ عليه التراب؛ أي: تراكَبَ فغطَّاه، والكِرْس: البَعرُ والبولُ، إذا تلبَّدَ

---

(١) في (أ): «أو».

(٢) في (أ): «والمتراكس».

(٣) انظر: «ديوان العجاج» (ص: ١٥٦)، و«معاني القرآن» للفراء (١/ ٣٣٥)، و«مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١/ ١٩٢)، و«تفسير الطبري» (١/ ٥٤٣).

بعضُه على بعضٍ، والكِرْياس: كَنيفٌ يكون(١) في أعلى السطح بقناةٍ إلى الأرض لتراكُبِ بعضِ أبنيته على بعضٍ، والأكَارِسُ: الجموعُ الكثيرة لا واحدَ لها سماعاً؛ لأنها لكثرتها بمنزلةِ الأشياء المتراكِبة.

وقيل: العرشُ غيرُ الكرسيِّ(٢)، والكرسيُّ دونه، ووصَفَه الله تعالى بأنه أوسع من السماوات والأرض، والعرشُ أعظم منه، وروى أبو ذرٍّ عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «ما السماوات السبعُ في الكرسيِّ إلا كحلقةٍ ملقاةٍ بأرضٍ فلاةٍ، وفضلُ العرش على الكرسيِّ كفضل الفلاةِ على تلك الحلقة»(٣)، وهو بيانُ كمالِ قدرته في خلق الأشياء العظيمة من غير حاجةٍ إلى شيءٍ من ذلك(٤)، وسريرُ الخَلْق للجلوس عليه، والكرسيُّ لوضع القدمين عليه، تعالى(٥) الله عن ذلك علوًّا كبيراً، كما أن بيتَ الخلق للسُّكنى فيه، والله تعالى جعل الكعبةَ بيته والمساجدَ بيوتَه، ويتعالى(٦) عن أن يسكنها علوًّا كبيراً.

وقيل: الكرسيُّ هاهنا هو العلم؛ أي: وسع علمُه كلَّ ما(٧) أحاطَتْ به السماوات والأرض، وهو كقوله: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر: ٧].

---

(١) «يكون»: ليس في (ف).

(٢) «الكرسي» ليست في (أ) و(ف).

(٣) رواه ابن حبان في «صحيحه» (٣٦١).

(٤) «من ذلك» ليست في (ف).

(٥) في (أ): «ويتعالى».

(٦) في (ف): «وتعالى».

(٧) في (أ) و(ر): «بكل ما».

والكُرَّاسة سمِّيت بها لتضمُّنها العلم[١]، وورد عن العرب الكرسيُّ بمعنى العالم، قال الشاعر:

تَحُفُّ بهم بِيضُ الوجوهِ وعُصبةٌ ... كراسيُّ بالأحداثِ حينَ تَنُوبُ[٢]

أي: علماءُ بحوادث الأمور.

وقيل: الكرسيُّ بمعنى الـمُلك هاهنا، وأصله وإن كان هو السريرَ لكنْ يعبَّر به عن الـمُلْك، يقال للقوم إذا زالت دولتهم: ثُلَّ[٣] عرشهم.

وقيل: الكرسيُّ هو السرُّ، قال الشاعر:

ما لي بأمرِكَ كرسيٌّ أُكاتمه ... ولا بكُرْسيٍّ[٤] علم الله مخلوقُ[٥]

فهذه وجوهٌ صحيحةٌ ذكرها علماءُ السلف، ولا وجه لصرفه إلى موضعِ جلوسٍ أو نحوه، فإن الله تعالى هو الفردُ الذي لا تضمُّه بقعةٌ، والوترُ الذي لا تَحدُّه جهة، والقديمُ الذي لا تلحقُه آفةٌ، والعظيم الذي لا تجوز عليه مسافةٌ، جلَّ قَدْرُه عن

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٥٣٧) عن ابن عباس، وذكره عنه الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٣٢٥).

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (٤/ ٥٤٠)، و«النكت والعيون» (١/ ٣٢٥)، و«المحرر الوجيز» (١/ ٣٤٢).

(٣) في (ر): «تكسر»، وفي (ف): «تل».

(٤) في (ر): «يكرس»، والمثبت من (أ) و(ف). ولعل الصواب: (يكرسئ) بالهمز، انظر التعليق الآتي.

(٥) انظر: «تفسير الثعلبي» (٢/ ٢٣٢)، و«النكت والعيون» (١/ ٣٢٥)، لكنه عند الماوردي شاهد على معنى العلم، وكذا أورده ابن قتيبة في «تأويل مختلف الحديث» (ص: ١١٩)، والنحاس في «معاني القرآن» (١/ ٢٦٣)، نقلاً عمن أورده شاهداً على معنى العلم، لكن بلفظ: (ولا يكرسئ..) مهموزاً. قال ابن قتيبة: وجاؤوا على ذلك بشاهدٍ لا يُعْرفُ..، فذكره ثم قال: كأنه عندهم: ولا يعلم علم الله مخلوق، والكرسي غير مهموز و(يكرسئ) مهموزٌ. وقال عنه النحاس أيضاً: لا يعرف.

الحاجة إلى عرش أو كرسيٍّ، وتعالى جدُّه[١] عن أن يتجمَّل[٢] بجنيٍّ أو إنسيٍّ، سبحانه هو العظيمُ شأنُه، الجليُّ برهانُه، الشاملُ سلطانُه، ولكنْ خاطَبَ الناسَ في كثيرٍ مما وَصَفَ به نفَسه على حسَب تفاهُمهم وتعامُلهم مع ملوكهم وعظمائهم، كما جعل الكعبة بيتاً له وأَمر الناس بتعظيمها والطَّوافِ بها كما يطوفون ببيوت ملوكهم، وأمر الناس بزيارتها كما يزور الناس[٣] ملوكَهم، وحتى ورد أن الحجر الأسودَ يمينُ الله تعالى في أرضِه[٤]؛ إذ جعلَه موضعاً للتقبيل كما تقبِّل الناسُ أيدي ملوكهم، فكذا يجوز أن يكون للهِ تعالى عرشٌ هو سريرٌ وكرسيٌّ هو دونه، يُحضَر ذلك يوم القيامة ويوضَع لفصل القضاء بين العباد[٥]، من غير أن يُوصف الله تعالى بالتمكين أو[٦] الاستقرار عليه، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيراً.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَا﴾: أي: لا يُثْقله حفظُهما[٧] ولا يُجهده، وقد آدَه يَؤودُه أَوْداً، والأَوَد بفتح الواو: العَوَج، ويَعْرِض ذلك بالثِّقل[٨].

---

(١) في (أ): «وصفه».

(٢) في (ر): «يتحمل».

(٣) في (ر): «يزورون».

(٤) ورد فيه روايات مرفوعة عن عدد من الصحابة، ولا يثبت منها شيء، وقد بيناها في تحقيقنا لكتاب «فضائل بيت الله الحرام» للملا علي القاري، وهو مطبوع ضمن «مجموع رسائله» كما طبع مفرداً أيضاً.

(٥) في (أ): «الناس».

(٦) في (أ): «بالتمكن و».

(٧) «حفظهما» ليست في (أ).

(٨) أي: الأَود: الاعوجاج الذي يَعْرِض من الاعتمادِ عليه بالثقل. كذا عبارة ابن كمال باشا في «تفسيره» عند تفسير هذه الآية.

وقولـه: ﴿حِفْظُهُمَا﴾؛ أي: حفـظُ السـماوات والأرض، وإنمـا ثُنِّـي ـ مـع أن السماواتِ جمعٌ ـ ردًّا إلى الجنس، وهو كقوله: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟﴾ [الحج: ١٩] مـع سَبْق قولـهِ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟﴾ الآيـةَ [البقـرة: ٦٢]؛ لأن الجنـس اثنـانِ: المؤمنـون والمشـركون.

يقول: لا يَشُقُّ عليه حفظُ السماوات والأرض ولا يَثْقُل عليه، إذ القريبُ منها[١] والبعيدُ عنده سواءٌ، وكذلك القليلُ والكثير سواءٌ[٢]، والكبيرُ والصغيرُ سواءٌ، وكيف يتعب مَن خلَق الذرَّةَ وكلُّ الكون عنده سواءٌ، فلا مِن القليل له تَيسُّرٌ، ولا من الكثير عليه تَعسُّرٌ: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢].

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾: أي: هو المتعالي عن شَبَه المخلوقين وعن افتراءِ المفترِين، والعليُّ في ملكه وسلطانه وقهره الأشياءَ وجريانِ حُكمه عليها، وهو العظيمُ في جلاله وعزِّه وعلوِّه ومجده.

وقيل: الاسمان جامعان لكمالِ التوحيد، فالعليُّ هو المتعالي عن كلِّ الصفات التي لا تَليق به، والعظيمُ هو الموصوفُ بكلِّ الصفات التي تليق به.

ثم هذه الآيةُ ورد في فضلها[٣] أحاديثُ كثيرة:

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: إن أعظم آيةٍ في كتاب الله تعالى[٤]: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾[٥].

---

(١) «منها»: من (أ).

(٢) «سواء» ليست في (أ).

(٣) في (ر): «فضائلها».

(٤) في (أ) و(ف): «في القرآن».

(٥) رواه عبد الرزاق في «المصنف» (٦٠٠٢)، وسعيد بن منصور في «سننه» (٢٤٧). وروي في الصحيح مرفوعاً؛ رواه مسلم (٨١٠) من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه.

وقال أبو ذر: يا رسول الله! أيُّ آيةٍ في القرآن أشرفُ؟ قال: «آية الكرسي، ما السماوات والأرض مع آية الكرسي إلا كحلقةٍ ملقاةٍ في الأرض، ولو أن السماوات والأرضَ وما فيهن جُعلت في كفَّةِ ميزانٍ وجُعلت آيةُ الكرسي في كفةٍ لرجَحتْ بهنَّ»(١).

وقال أبو هريرة رضي الله عنه: قال جبريل عليه السلام لرسول الله ﷺ: إن عفريتاً من الجنِّ يَكيدُك فاطْرُدْه عنك بآية الكرسيِّ(٢).

وفي خبرٍ: مَن قرأ آية الكرسي عند منامه بعثَ الله إليه ملَكاً(٣) يحرسُه حتى يُصبحَ(٤).

وروى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «مَن قرأ هاتين الآيتينِ حين يُمسي حُفظ بهما حتى يُصبح، وإنْ قرأهما حين يُصبح حُفظ بهما حتى يمسي: آيةَ الكرسيِّ وأول(٥) ﴿حمٓ﴾ المؤمن إلى قوله: ﴿إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [غافر: ٣](٦).

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «العرش» (٥٨)، وابن حبان في «صحيحه» (٣٦١) عن أبي ذر بلفظ: قلت: يا رسول الله! أيما آية أنزلت عليك أفضل؟ قال: «آية الكرسي، ما السماوات السبع في الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة، وفضل العرش على الكرسي كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة».

(٢) رواه ابن قتيبة في «تأويل مختلف الحديث» (ص: ٢٦٤)، وابن أبي الدنيا في «مكائد الشيطان» (٦٧)، والدينوري في «المجالسة» (٢٨٧٠)، من طريق الحسن عن النبي ﷺ مرسلا. ويغني عنه ما رواه البخاري (٣٢٧٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «إذا أويتَ إلى فراشك فاقرأ آية الكُرْسِيِّ لن يزالَ من الله حافظ ولا يقربُك شيطان حتَّى تصبح».

(٣) في (أ): «بُعث إليه ملك».

(٤) لم أجده مسنداً.

(٥) في (أ): «وأول آية».

(٦) رواه الترمذي (٢٨٧٩) وقال: حديث غريب.

وقال الحسن: قال النبيُّ ﷺ لأصحابه: «هل تدرون أيُّ القرآنِ أعظمُ؟» قال: «سورة البقرة» قال: «ثم أيُّها أعظم؟»[١] قالوا: اللهُ ورسوله أعلم، قال: «آية الكرسي»[٢].

وفي حديثِ مَعْقِلِ بنِ يسارٍ: «البقرةُ سنامُ القرآن، وذروةُ سنامه آيةُ الكرسيِّ، نزل مع كلِّ آيةٍ منها ثمانون ألفَ ملكٍ، واستُخْرِجَتْ آية الكرسيِّ من كنزٍ[٣] تحت العرش فوُصلت بسورةِ البقرة، ويس قلبُ القرآن، فمَن قرأَها يريدُ بها اللهَ تعالى والدارَ الآخرة غُفر له ما تقدَّم من ذنبه، فاقرؤُوها عند موتاكم»[٤].

وفي حديثِ ابن مسعود رضي الله عنه: مَن قرأ عشرَ آيات من سورةِ البقرة: أربعاً من أوَّلها، وآيةَ الكرسيِّ، وآيتين[٥] بعدها، وثلاثَ آياتٍ من آخِرها في بيته، لم يَقْرَبْه شيطانٌ ولا شيءٌ يكرهُه في أهله وأولاده[٦]، ولا تُقرأُ على مجنونٍ إلا أَفاق من جُنونه ذلك[٧].

وقال النبيُّ ﷺ: «من قرأ آية الكرسيِّ دُبرَ كلِّ صلاةٍ مكتوبةٍ لم يكن بينَه وبينَ الجنة إلا الموت»[٨].

---

(١) «قال سورة البقرة قال ثم أيها أعظم»: من (أ).

(٢) الحديث في «جزء أبي الطاهر» (٨٤) من طريق الحسن عن أبي هريرة مرفوعاً. وانظر حديث أبي بن كعب عند مسلم (٨١٠).

(٣) «كنز» ليست في (أ).

(٤) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢٠٣٠٠)، والنسائي في «الكبرى» (١٠٨٤٧)، من طريق مُعْتمِرٍ، عن أبيه، عن رجلٍ، عن أبيه، عن مَعْقِلِ بنِ يَسَارٍ، عن رسول اللهِ ﷺ. وإسناده ضعيف لجهالة الرجل وأبيه، ومعتمر: هو ابن سليمان بن طَرْخان التيمي.

(٥) في (ف): «واثنين».

(٦) في (أ): «ولا ماله».

(٧) رواه الدارمي في «سننه» (٣٣٨٣) عن ابن مسعود رضي الله عنه موقوفاً.

(٨) رواه النسائي في «الكبرى» (٩٨٤٨) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه.

وقال محمد بن الحنفيَّة: لمَّا نزلت آية الكرسيِّ خرَّ كلُّ صنمٍ، وخرَّ كلُّ ملَكٍ على وجهه، وحدث النيران[١]، وهربت الشياطينُ، فضُرب بعضُهم على بعضٍ، فاجتمعوا إلى إبليس فأخبروه به، فأمَرهم أن يبحثوا عن ذلك، فجاؤوا إلى المدينة فوجدوا قد نزلت آيةُ الكرسي[٢].

وقيل: يحتاجُ قائل: (لا إلهَ إلا اللهُ) إلى أربعِ خصالٍ: تصديقٌ وتعظيمٌ وحلاوةٌ وحرمةٌ، فمَن لم يكن له تصديقٌ فهو منافقٌ، ومَن لم يكن له تعظيمٌ فهو مبتدِعٌ، ومَن لم يكن له حلاوةٌ فهو مُراءٍ، ومَن لم يكن له حرمةٌ فهو فاسقٌ.

وقوله تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾: أي: لا إجبارَ على الدِّين الحقِّ وهو الإسلام.

وقال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه وابنُ زيد ومسروقٌ وجماعةٌ رضي الله تعالى عنهم: كان هذا في الابتداء ثم نسخ بآية الأمر بالقتال[٣].

قال السدي: نزلت في رجلٍ من الأنصار يُكنى أبا الحُصَين، كان له ابنان فقدم تجارُ الشام إلى المدينة يحملون الزيتَ، فلما أرادوا الرجوع إلى الشام[٤] أتاهم ابنا أبي الحصين، فدعوهما إلى النصرانية فتنصَّرا وخرجا إلى الشام، فأَخبر أبو الحصين رسولَ الله ﷺ بذلك وقال: اطلبهما، فأنزل الله تعالى: ﴿لَآ

---

(١) قوله: «وحدث النيران» كذا في (أ)، وسقط هذا الخبر من (ر) و(ف). ولعل الصواب: (وخبت النيران)، وفي المصادر: (وسقطت التيجان عن رؤوسهم).

(٢) انظر: «تفسير أبي الليث» (١/ ١٩٥)، و«تفسير القرطبي» (٤/ ٢٦٣).

(٣) انظر: «تفسير الثعلبي» (٢/ ٢٣٤) عن ابن مسعود وابن زيد، ورواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٥٥١) عن ابن زيد.

(٤) في (أ) و(ف): «من المدينة» بدل: «إلى الشام».

إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ ولـم يكـن أُمـر يومئـذ بقتـال أهل الكتـاب، ثـم نُسـخ فأُمر بقتـال أهلِ الكتـاب[١] في سـورة بـراءة[٢].

وقال مسروقٌ: إن رجلاً من الأنصار من بني سالم بن عوف كان له ابنان، فتنصرا قبل أن يُبعث النبيُّ ﷺ ثم قَدِما المدينة في نفرٍ من النصارى يحملون الطعام، فأتاهما أبوهما فالْتَزمهما وقال: والله لا أدعُكما حتى تُسْلِما، فأَبَيَا أن يُسْلما، فاختصموا إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله أيدخل بعضي النارَ وأنا أنظرُ، فأنزل الله تعالى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ فخلَّى سبيلَهما[٣].

وقيل: هي خاصةٌ في حقِّ أهلِ الذِّمة، إذا قبِلوا الجزيةَ لم يُكرهوا على الإسلام.

قال الضحاك: العرب لم يُقبَلْ منهم إلا الإسلامُ أو السيف، فلما أسلموا نزل: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾؛ أي: لا تقتلوا أحداً على الدِّين، وأُمر أن يقاتل أهلَ الكتاب والمجوسَ والصابئين على أن يُسلموا، فإنْ أَبوا الإسلامَ فالجزيةُ، فإنْ[٤] أَقَرُّوا بالجزية خلِّي سبيلُهم، فإنْ لم يُسْلِموا ولم يُقرُّوا بالجزية قتلوا وسُبيَتْ ذرِّيَّاتهم وأُخذت أموالُهم[٥]. وبه قال قتادةُ ومجاهدٌ ومقاتلٌ والحسن[٦].

* * *

---

(١) «ثم نسخ فأمر بقتال أهل الكتاب»: من (أ).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٥٤٨ ـ ٥٤٩).

(٣) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ٨٤)، و«تفسير البغوي» (١/ ٣١٤).

(٤) في (أ) و(ف): «وإن».

(٥) في (أ) و(ف): «وسبيت الذراري وأخذت الأموال».

(٦) انظر: «تفسير الثعلبي» (٢/ ٢٣٥) عن الضحاك وقتادة وعطاء وأبي روق والواقدي، وانظر: «تفسير مقاتل» (١/ ٢١٣)، ورواه بنحوه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٥٥١) عن الضحاك وقتادة.

(٢٥٦) ـ ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

وقوله: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ﴾ نفيٌ بمعنى النهي؛ أي: لا تُكرِهوا، وهو كما قلنا في قوله: ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلۡحَجِّ﴾ [البقرة: ١٩٧].

وقيل: معناه: مَن دخل في الإسلام بالسيفِ فلا تقولوا: إنه مُكْرهٌ، يعني: كان في الابتداء كارهاً، وقد قَبِله[١] طائعاً بعد كراهته فلم يَبْقَ مكرَهاً.

وقيل: هذا نفيٌ، ومعناه: أن الإيمان لا يكون عن الإكراه[٢]، بل الإيمانُ الحقيقيُّ هو الفعل الاختياريُّ.

وقيل: معناه مع الانتظام بما قبله: أنَّ الحُجج قد ظهرت، والمعاذيرَ في الشرك بالله تعالى قد بَطلت، والدلائلَ أنه لا يَنفعُ المشركين يومَ القيامة خُلَّةٌ ولا شفاعةٌ ولا شيءٌ قد وَضحت[٣]، فلم يبق للمقيم على كفره إلا أن يلجأ إلى الإيمان مضطرًّا إليه، و﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾ وهو كقوله: ﴿أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ﴾ [يونس: ٩٩]؛ أي: تَضْطرُّهم إليه، وليس لك ذلك وأنا أقدر عليه، قال تعالى: ﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًا﴾ طائعين أو مكرهين، لكن الإيمان الحقيقي لا يكون إلا عن اختيار.

وقوله تعالى: ﴿قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّ﴾: أي: ظهر الهدى من الضلال.

وقوله تعالى: ﴿فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ﴾: أي: يَجحدْه ويَتبرأْ، قال تعالى: ﴿ثُمَّ

---

(١) في (ف): «صار».

(٢) في (أ): «إكراه».

(٣) بعدها في (ر): «دلائله».

﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ﴾ [العنكبوت: ٢٥]؛ أي: يتبرأُ بعضُكم من بعضٍ، والكفرُ المطلقُ هو جحود الحق والتبرُّؤ منه.

والطاغوت: كلُّ ما عُبد من دون الله مما[1] هو مذمومٌ في نفسه، ولا يَرِدُ عليه عيسى عليه السلامُ؛ لأنَّا قيَّدناه[2] بالذَّم، وذلك لدلالة الاسم عليه فإنه من الطغيان، وهو مجاوزةُ الحدِّ في الشر.

وأصله: طَوَغُوت، وذلك مقلوبُ[3] طَغَوُوت على وزنِ فَعَلوت، كالملَكوت والجبَروت، قُلب ثم جُعلت الواوُ ألفاً لفتحةِ ما قبلَها.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: الطاغوت هو الشيطانُ والكاهنُ والصنمُ، فإن كلَّ كاهنٍ معه شيطان.

وقيل في قوله ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾ [النساء: ٥١]: الجبتُ حييُّ بنُ أَخْطَبَ، والطاغوتُ كعبُ بن الأشرف.

وقوله تعالى: ﴿وَيُؤْمِن بِاللَّهِ﴾ ذكَرَ التبرُّؤَ[4] عن غير الله أولاً، ثم التصديقَ بالله تعالى[5].

وقوله تعالى: ﴿فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾: الاستمساك: التمسُّك، وهو الاعتصام بالله تعالى[6]، والعُروة: العُلقة، والوُثقى: تأنيثُ الأَوْثَقِ، وعروةُ الدلو

---

(١) في (أ) و(ر): «بما».

(٢) في (ر) و(ف): «قيدنا عليه».

(٣) في (ف): «مقلوب من».

(٤) في (أ): «التبري».

(٥) في (أ) و(ف): «ثم التولي إلى الله تعالى».

(٦) «بالله تعالى» من (ر).

ونحوُها: متعلَّقُه بها، وعَرَوْتُ الرَّجلَ أَعْرُوه واعْتَرَيْتُه أَعْتَرِيهِ: إذا أتيتَه متعلِّقاً بسببِ حرمةٍ، وعَرَتْه الحمَّى تَعْرُوه: إذا تَعلَّقتْ به، وهو استعارةٌ عن التوثُّقِ التامِّ الذي لا زلَلَ معه ولا زوالَ عنه[1].

وقوله تعالى: ﴿لَا ٱنفِصَامَ لَهَا﴾: أي: لا انقطاع لها؛ أي: للعروة، والفَصْم بالفاء: القطع بلا إبَانةٍ، والقصم بالقاف: القطع مع الإبانة[2].

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾: أي: يسمع الأقوالَ ويعلم العقائد غَيَّها ورُشْدَها، وباطلَها وحقَّها، ويجزي كلًّا على وَفق عمله وقوله وعقده، وهو أبلغ وعدٍ ووعيدٍ.

والعروةُ الوُثقى نظيرُ قوله تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وهو أصل الدِّين، وعُراه: شرائعُه، و[3]قال عليه السلام: «ينتقِضُ الإسلام[4] عروةً عروةً»[5]، وسُئل رسول الله ﷺ: أيُّ عُرَى الإسلام أوثقُ؟ قال: «الحبُّ في اللهِ والبغضُ في اللهِ»[6].

* * *

(١) «عنه» من (ر).

(٢) في (ف): «القطع بإبانة».

(٣) الواو من (ف).

(٤) في (ر) و(ف): «الإيمان»، وانظر التعليق الآتي.

(٥) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١٨٠٣٩) من حديث فيروز الديلمي بلفظ: «لينقضن الإسلام عروة عروة... »، و(٢٢١٦٠) من حديث أبي أمامة بلفظ: «لتنقضن عرى الإسلام عروة عروة... »

(٦) رواه الطيالسي في «مسنده» (٣٧٨)، والبيهقي في «الشعب» (٩٥٠٩)، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٢٥٧) ـ ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾: أي: حبيبُهم، وقيل: أي: ناصرُهم، وقيل: أي: هو الذي يتولَّى أمورهم.

وقوله تعالى: ﴿يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾: أي: يَقِيهم من الضَّلالات، ويُبقيهم في الهدى، سمَّى الضلالة ظُلمةً لأن الظُّلمةَ لا يُبصَر فيها، وكذا الضلالةُ لا يُرى فيها الرشدُ[(١)].

و﴿يُخۡرِجُهُم﴾ ليس على محضِ الاستقبال فإنه موجودٌ لكنْ للماضي أو الحالِ الدائم، فإنْ حُمِل هذا على مَن أَسلم بعد الكفرِ فهو حقيقةُ الإخراج، وإنْ حُمل على مَن نشأ مؤمِناً فمعناه المنعُ، وهذا متعارَفٌ فيه مَجازاً[(٢)]، يقال: أَخرج فلانٌ ابنَه من الميراث؛ أي: فعَل معه[(٣)] ما لا يَرِثُ معه، وهو منعٌ.

وجُمع الظلماتُ لأن الكفرَ مِلَلٌ، ووحِّد النورُ لأن الإسلام دينٌ واحد.

وقيل: معناه: يخرجهم من الجهالات إلى العلم.

وقيل: من الشكوك إلى اليقين.

وقيل: من التفاريق إلى الجمع.

---

(١) في (ر): «رشد».

(٢) في (ف): «مجاز».

(٣) «معه» ليست في (أ).

وقيل: من ظلماتِ ظنونهم أنهم[1] يَصِلون إليه بأنفسهم أو بشيء من حركاتهم وسكناتهم، إلى نورِ اليقين أنهم لا يَصِلون إليه إلا به.

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ﴾ هذه كلمةٌ تُذكَّر وتؤنَّث، وتوحَّدُ وتُجمع:

قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ﴾ [النساء: ٦٠] وهذا واحدٌ مذكَّر.

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا﴾ [الزمر: ١٧] وهذه مؤنَّثةٌ واحدةٌ.

وقال هاهنا: ﴿أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم﴾[2] وفي قراءة أبي بن كعب والحسن رضي الله عنهما: (والذين كفروا أولياؤهم الطواغيت)[3].

وأصلُه واحدٌ، وتأنيثه لأنَّ حقيقته فَعَلوت، وتذكيرُه لشَبهه[4] بالفاعول، وجمعُه لأنه جنس، وهو كقول الشاعر:

فقلنا أَسْلِموا إنَّا أخوكم ... فقد بَرِئتْ من الإحَنِ الصُّدورُ[5]

والطاغوت هاهنا: الشياطينُ[6] والكهنةُ وقادةُ الشرِّ، وإنْ حُمل على الأصنام

---

(١) بعدها في (ر) و(ف): «لا» والمثبت من (أ)، وهو الموافق لما في «لطائف الإشارات» (١/ ١٩٩).

(٢) في (أ): «أولياؤهم الطاغوت يخرجهم».

(٣) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٢٣).

(٤) في (أ): «لتشبيهه».

(٥) البيت للعباس بن مرداس كما في «مجاز القرآن» (١/ ٧٩)، و«السيرة النبوية» لابن هشام (٢/ ٤٥٢)، و«المقتضب» (٢/ ١٧٤)، و«تفسير الطبري» (٤/ ٥٦٧).

(٦) في (ر): «هنا الشيطان».

التي هي جماداتٌ، فمعنى قوله: ﴿أَوْلِيَآؤُهُمُ﴾ لا يكون للمُوالاة الحقيقة[١] التي هي المصادَقةُ أو تولِّي الأمر، لكن يكون على معنى أن الكفار يتولونهم، على معنى أنهم[٢] يعتقدونهم ويتوجَّهون إليهم.

وقوله تعالى: ﴿يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ إنْ حُمل على حقيقة الإخراج فعلى الذين كفروا بعد إيمانهم، وإخراجُ الطغاة يكون بدعوتهم وحملِهم على الخروج بالأسباب، وإخراجُ الأصنام إياهم يكون بطريقِ التَّسبيبِ كما قال تعالى ﴿وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ [إبراهيم: ٣٥-٣٦]، وإنْ حُمل على الذين نشؤوا كفاراً فإخراجُهم منعُهم، وطريقُه ما قلنا.

وقيل في الفريقين جميعاً: قوله[٣]: ﴿ٱلنُّورِ﴾: نورُ يوم القيامة، و﴿ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ ظلمةُ القبر والمحشر والجحيم، ويكون ﴿يُخْرِجُهُم﴾ و﴿يُخْرِجُونَهُم﴾ على الاستقبال، وفي حقِّ الطغاة والشياطين والأصنام يكون تسبيباً، وتقديم دعوة في الدنيا.

ودل[٤] قوله تعالى: ﴿يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ على أن أفعال الخلق بمشيئة الله تعالى[٥] وإيجاده، وهو حجةٌ على المعتزلة، وليس لهم أن يعارضونا في المعاصي بقوله: ﴿يُخْرِجُونَهُم﴾ أنه أُضيف إلى الطاغوت لا إلى الله؛ لأنَّا بيَّنَّا أنه إخبارٌ عن الدعوة والتسبيب دون الإيجاد والتحصيل.

---

(١) في (ف): «الحقيقية».

(٢) في (ف): «أي» بدل: «على معنى أنهم».

(٣) «قوله» سقط من (أ).

(٤) في (ر): «ودل عليه»، وفي (ف): «دل عليه».

(٥) في (ف): «بمشيئته جل وعلا».

وقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾: قد مرَّ تفسيره مراتٍ.

* * *

(٢٥٨) ـ ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ أَنۡ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ إِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُۖ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ﴾: انتظامُ هذه الآيات والآياتِ التي بعدها بما قبلها: أن الله تعالى قال: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾؛ أي: يتولَّاهم في الدنيا بحُجَجه وبراهينه على أعدائهم كما فعل بإبراهيم حين حاجَّه الكافر حتى بُهت، ويتولَّاهم بالتبصير عِياناً حتى يزيل عنهم وساوسَ الطاغوت ـ هو الشيطان[1] ـ كما فَعل بالذي مرَّ على قرية وقال: ﴿أَنَّىٰ يُحۡيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعۡدَ مَوۡتِهَا﴾، وكما فعل بإبراهيم لما قال: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيۡفَ تُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾ فبصَّره حتى اطمأنَّ قلبه.

وقوله: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي﴾؛ أي: أَلَمْ تنتهِ رؤيتُك إلى الذي؛ أي: علمُك الذي يُضاهي العِيان في الإيقان، وحقيقتُه: اعْلَمْ بإخبارنا فإنه مفيدٌ لليقين[2].

وقوله ﴿حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ﴾؛ أي: جادَلَ وقابَل بالحجَّة.

وقوله: ﴿فِي رَبِّهِۦٓ﴾؛ أي: في معارضة[3] ربوبيةِ ربِّه، والهاء في ﴿رَبِّهِۦٓ﴾ يجوز أن تَرجع إلى إبراهيم، ويجوز أن ترجع إلى الذي حاجَّ، واللهُ ربُّهما وربُّ الخلائق أجمعين.

---

(١) «هو الشيطان»: من (أ).

(٢) في (ف): «مقيد للتعيين».

(٣) في (أ): «معارضته».

والذي حاجَّ: هو نمرود بن كنعان بن سنحاريب بن نمرود بن كوش[١] بن سام بن نوح.

وقوله تعالى: ﴿أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ﴾: أي: لأنْ أعطاه الله الملكَ، أو: بأنْ أعطاه الله، والهاء ترجع إلى ﴿ٱلَّذِى حَآجَّ﴾؛ أي: أعطاه كثرةَ المال، واتساعَ الحال، وملكَ جميع الدنيا على الكمال.

قال مجاهد: لم يملك الدنيا بأسرها إلا أربعةٌ: مسلمان وكافران، فالمسلمان سليمان وذو القرنين، والكافران نمروذ وشداد بن عاد[٢].

وقال حذيفةُ: الهاء ترجع إلى إبراهيم[٣]؛ لأن الـمُلك هو نفاذُ الأمر والنهي، وكان ذلك لإبراهيم عليه السلام، قال تعالى: ﴿فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٥٤] ومعناه على هذا: جادل نمروذُ[٤] لعنه الله إبراهيمَ صلوات الله عليه حين دعاه إلى الانقياد لله والتصديقِ لرسوله، وقال: مَن أَلْزَمني ذلك؟ فقال إبراهيم: ربِّي الذي يُحيي ويميتُ، فهو المالكُ لك ولجميعِ خلقِه.

وعلى الأول: أي: حاجَّه بأنْ آتاه الله الملكَ، فطغى لذلك، وأُعجب بنفسه، وأَنِف مِن أنْ ينقادَ إلى إبراهيم، وتعدَّى إلى ذلك إلى أن ادَّعى الربوبيةَ لنفسه.

---

(١) في (ر): «نمروذ بن كنعان بن سنحاريب بن كوش بن سام».

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣١٩١٦)، والطبري في «تفسيره» (٤/ ٥٧١)، وفيهما: أن الكافرين هما بخت نصر ونمروذ.

(٣) انظر: «النكت والعيون» (١/ ٣٢٩) لكنه عزاه لأبي حذيفة. وأبو حذيفة هو موسى بن مسعود النهدي، من رجال «التهذيب».

(٤) في (أ) و(ف): «نمرود». وكذا في جميع المواضع الآتية في تفسير هذه الآية، والمثبت من (ر)، وكلاهما صواب.

وقصتُه: ما قال زيد بن أسلم: إن أول جبَّار كان[١] في الأرض كان نمروذ[٢]، وكان الناس يمتارون من عندِه الطعام، فخرج إبراهيم يمتار مع مَن يمتار، فإذا مرَّ به ناس قال: مَن ربُّكم؟ قالوا: أنت، حتى مر به إبراهيم، قال: مَن ربُّك؟ قال: الذي يُحيي ويميت[٣].

فذلك قولُه تعالى: ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾: أي: يحيي الأموات ويميت الأحياء.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ﴾: أي: قال نمروذ لَعَائنُ الله عليه: وأنا أفعل أيضاً كذلك، ودعا برجلين قد حبَسهما فقتل أحدهما وأطلق الآخر، وقال: قد أحييتُ هذا وأَمَتُّ هذا، وكان هذا تلبيساً منه، وكان يتيسَّر على إبراهيم عليه السلام أن يقول له: ليس هذا بإحياءٍ ولا إماتةٍ، لكن كان هذا بين[٤] ملأ من الناس، وفيهم الضَّعَفة، فأراد إبراهيم أن يفضحَه فضيحةً ظاهرةً لا تخفَى على أحد، فجاء بما لا[٥] يمكِّنُه المعارضةَ بالتلبيس.

وذلك[٦] قوله تعالى: ﴿قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ﴾ فانقطع حتى لا يمكِنُه أن يقول شيئاً، فذلك[٧] قوله تعالى: ﴿فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ﴾.

---

(١) «كان»: من (أ).

(٢) في (أ) و(ف): «نمرود».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٥٧٣).

(٤) في (أ) و(ف): «عند».

(٥) في (أ): «لم».

(٦) «ذلك»: من (أ).

(٧) في (ر) و(ف): «وذلك».

يقال: بَهَته؛ أي: حيَّره، والبُهتان على إنسان: هو الكذب الذي يحيِّره؛ أي: انقطع في هذا الإلزام الظاهر.

وقيل: كان انقطاعه في الإلزامَين جميعاً: في الأول عند العقلاء، وفي الثاني عند الكل.

ثم هذا ليس بانتقالٍ[١] من حجةٍ إلى حجةٍ أخرى في المناظرة؛ لأن إبراهيم عليه السلام ادَّعى انفرادَ الله تعالى بالربوبية، واحتجَّ لذلك بكمالِ القدرة، ودلَّ عليه بالإحياء والإماتة، فلما أراد نمروذ التلبيس أظهر كمالَ القدرة بحديث الشمس، والدليلُ واحدٌ والصورتان مختلفتان؛ و[٢]لأن الحجة الأولى كانت تامةً[٣] فإن نمروذ لعنه الله لم يعارضها بما يُوهم شبهةً ألبتة، والانتقالُ إنما يكون عند العجز عن إثبات الحجة الأولى، ولم يكن كذلك.

فإن قالوا: هلَّا قال نمروذ لإبراهيم: فليأت بها ربك من المغرب؟

قلنا: لأنه علم أنه لو سأل ذلك فَعَل الله تعالى ذلك ـ فهو قادر عليه ـ وافتَضحَ نمروذ.

قال الحسن: قال الله تعالى: وعزَّتي وجلالي لآتينَّ بها من المغرب تصديقاً لقول خليلي[٤].

---

(١) في (ف): «ليس بإشكال في نقله».

(٢) الواو ليست في (ف).

(٣) في (ف): «عامة»، وفي (ر): «قاتمة».

(٤) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٤/ ٢٨٩) فقال: ورُوِيَ في الخبر أنَّ الله تعالى قال: وعزَّتي وجلالي لا تقومُ الساعةُ حتى آتِي بالشَّمس من المغربِ ليُعلَمَ أنِّي أنا القادرُ على ذلك.

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: أي: لا يُرشد إلى الحجةِ المبطِلين في الدعاوَى.

قال زيد بن أسلم: لمَّا بُهت نمروذ رَدَّ إبراهيمَ بغيرِ طعامٍ، فمر إبراهيم على كثيبٍ فملأ منه[1] الغرائر وقال: آتي به أهلي فتطيبُ أنفسهم حين أَدخل عليهم، فلمَّا أتاهم وحطَّ الأحمال ونام قامت المرأة إليها ففتحتها فإذا هي كأجودِ[2] طعام، فصنعت منه طعاماً وقرَّبته إليه حين انتبه، فقال: من أين هذا؟ قالت: من الطعام الذي جئتَ به، فعرف أن الله تعالى رزَقَه فحَمِد الله تعالى[3].

وقال قتادةُ: فلمَّا بُهت الذي كفَر جمعَ جموعَه، فأمر اللهُ تعالى ملكاً ففتح باباً من البعوض، فطلعت الشمس فلم يروها من كثرةِ البعوض، فسلَّطها الله تعالى عليهم فأكلت لحومهم وشربت دماءهم فلمْ يبق إلا العظام، ونمروذ كما هو لم يصبه شيءٌ، فبعث الله تعالى بعوضةً فدخلت في منخره، فمكث أربعَ مئة سنةٍ يُضرَبُ رأسه بالمطارق، فعذَّبه الله تعالى أربعَ مئة سنة كما ملك أربعَ مئة سنة، وهو الذي بنى صرحاً إلى السماء ببابل قال تعالى: ﴿فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ﴾ الآية [النحل: ٢٦][4].

---

(١) في (أ) و(ف): «به».

(٢) في (أ): «هو كأجود» وفي (ر): «هي أجود».

(٣) قطعة من خبر زيد بن أسلم رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٢٨)، والطبري في «تفسيره» (٤/ ٥٧٢). وورد بنحوه ضمن خبر ابن زيد الذي رواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٥٧٣ ـ ٥٧٤)، وقد تقدمت قطعة منه قريباً.

(٤) قطعة من خبر زيد بن أسلم عند عبد الرزاق والطبري. انظر التعليق السابق. ولم أجده عن قتادة.

قال[1] الشيخ الإمام الزاهد نجمُ الدين قال: أخبرنا الشيخ الفقيهُ الوالدُ أبو بكرٍ محمد بن أحمدَ بنِ إسماعيل قال: حدثنا الفقيه الحافظ أبو نصرٍ أحمدُ بن جعفرٍ، قال: حدثنا أبو القاسم علي بن أحمد بن محمد بن إسحاق التَّرِكاتيُّ[2] البخاريُّ في شوال سنة أربعٍ وأربعِ مئة، قال: حدثنا أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن هارون، قال: حدثنا أبو عبد الله محمدُ بن موسى بن داود، قال: حدثنا عبدُ الله بن عبد الوهاب الأحنفيُّ، قال: حدثنا عثمان بن سعيد البغداديُّ أبو عمرو، قال: حدثنا هشام بن محمد، عن أبي مخنَفٍ[3]، عن باذان[4] مولى أمِّ هانئ، عن أبي نصير هو[5] دِهقان القُلزم ـ وكان أسلم مع عمر بن الخطاب، أو على عهدِ عمرَ رضي الله عنه ـ قال:

---

(١) من هنا وقع سقط في (ر) و(ف)، وسنبين نهايته في موضعه.

(٢) في (أ): «البركاتي»، والصواب المثبت، والتركاتي: بفتح التاء وكسر الراء المهملة والتاء، ونسب أبو القاسم المذكور إليها لأنه كان على التركات من جهة ديوان السلطان على ما قيل. انظر: «الأنساب» للسمعاني (١/ ٤٥٨).

(٣) في (أ): «هشام بن محمد بن أبي مخنف»، والصواب المثبت، وهشام بن محمد هو ابن السائب الكلبي، وهو متروك، يروي عن أبي مخنف واسمه لوط بن يحيى الأخباري وهو أيضا سَاقِط، تَركه أبو حَاتِم وقال الدَّارَقُطْني: ضعيف، وقال الذهبي: أخباري تالف لا يوثق به. انظر: «الميزان» (١/ ٤٥٨).

(٤) في (أ): «زادان»، والصواب المثبت، ويقال له أيضا: باذام، بالميم، قال في «التقريب»: ضعيف يرسل.

(٥) الاسم غير واضح في (أ)، وقد يقرأ كالمثبت، والخبر رواه النقاش في «فنون العجائب» (ص: ١٣٢) من طريق هشام بن محمد، عن حفص بن عمر بن النعمان المحاربي، حدثنا أبي، عن جدي: سمعت جبل بن دهقان...، ومن هذا الطريق رواه ابن الجوزي في «المنتظم» (١/ ١٦٧) لكن فيه: سمعت حميداً دهقان الفلوجة السفلى. وعلى كل حال فمحمد بن السائب متروك، والدهقان المذكور ليس قوله بحجة، والخبر لا يعدو عن كونه من قصص الخرافات، والله سبحانه أعلم.

أعطى الله ملك بابل يعني نمرود ما لم يُعْطَ أحد من الملوك، فكان فيما أعطاه الله أن كان له سَبْعُ مدائن وكان له في كل مدينةٍ أعجوبة:

فكان على بابِ المدينة الأولى وزّةٌ من نحاس، فكان إذا دخل من بابِ المدينة غريبٌ صاحت تلك الوزة صيحةً سمع جميعُ مَن في المدينة، فيُعلم أنه دخل من باب المدينة غريبٌ، فيقال له: مِن أين جئتَ، وإلى أين تذهبُ؟

وكان له في المدينة الثانية طبل، فكان لا يَضلُّ لأحد ضالةٌ أو سُرق له سرقةٌ إلا جاء إلى ذلك الطبل فنقره، فيقال له من جوف الطبل: مكان سرقتِك ضالَّتِك موضعَ كذا وكذا فاذهب فخذها.

وكان له في المدينة الثالثة مرآةٌ كان لا يغيب خَلْقٌ من أهل بابل إلى شيء من البلاد فينقطعُ خبره عن أهله فيشتاقون إليه إلا جاؤوا تلك المرآةَ يوماً معلوماً من أيام السنة وأيامِ الشهر، فينظرون في تلك المرآة في ذلك اليوم فيرون غائبَهم على الحال التي هو فيها في ذلك اليوم وفي تلك البلاد.

وكان له في المدينة الرابعة حوضٌ، فكان يجلس في كلِّ سنة يوماً لأهل مملكته فيهيِّئ لهم الطعام والغوالي، فيأمرهم أن يحملوا بالأشربة من منازلهم، فيُجاء بالأشربة فتُصبُّ جمعاً في ذلك الحوض، ثم يجلس الملك فيأمر بالطعام فيَطعمون، ثم يأمر بالوضوء فيوضؤون، ثم يأمر بالغوالي فيعلون، ثم يأمر السُّقاة فيغترفون في ذلك الحوض، فيَسقون كلَّ واحدٍ منهم شرابَه الذي جاء به، فمَن جاء بخمر شرب خمراً، ومَن جاء بماء شرب ماءً، ومن جاء بحلوٍ شرب حلواً، ومن جاء بحامضٍ شرب حامضاً، ومن جاء بغيرِ ذلك شربَ الشراب الذي جاء به.

وكان له في المدينة الخامسة بحيرةٌ فيها قاضيان، فكان يجيءُ المحِقُّ والمبطِلُ

الماءَ حتى يقوما بين يدي القاضي، فيومئُ أحدهما إلى المبطِل أنْ أخرج إلى صاحبك من حقِّك، ويومئُ الآخر إلى المحقِّ أن استقصِ حكمَك، فلا يزال المبطِلُ ينغمس في الماء والمحقُّ يرتفع حتى يتساويا في الحقِّ، ويُخرج المبطِلُ إلى المحِقِّ من حقِّه، فيمشيان على الماء.

وكان له في المدينة السادسة غديرٌ من ماء، وكان له صورةُ جميع البلاد التي في مملكته، فكان إذا تغيَّظ على بعضهم، أو امتَنع عليه من أهل الكورة أو البلدان التي في مملكته أحدٌ، فتح من ذلك الغدير إلى تلك الصورة فغرقت تلك البلادُ في تلك السَّنة حيث كانت.

وكان في المدينة السابعة شجرةٌ تُظلُّ بساقها، وكانت على بابِ دار ملكه، فكان إن قعد تحتها فارسٌ أظلَّته، وإن كان قعد تحتها فارسٌ إلى ألفِ فارس أظلَّتهم، وإن قعد تحتها ألفُ فارسٍ وفارسٍ قعدوا كلهم في الشمس.

وكان بيته الذي يجلس فيه أهلُ مملكته ثمانين ذراعاً في ثمانين ذراعاً في سُمك ثمانين ذراعاً، فكان مفروشاً بلَبِن الذهب، وكان سقفُه بالفضة، وكان له ثماني مئة قنديل، فكانت وظيفة ثماني مئة أوقيَّة من زيتون تُسرَج به تلك القناديل، فكان سريره أربعين ذراعاً في طول ثمانين ذراعاً، وكان من ذهب، وكانت قوائمه من جوهر، وكان محلًّى بالديباج والحرير، وكان له أربعون مغلاقاً، وكان لا يدخل مدينتَه التي فيها بيت الملك شيءٌ من الهوامِّ ولا البقِّ ولا ما يؤذي.

فكان هذا فيما أعطاه الله، فحمله الأشَرُ والبطَر إلى الكفر بالله، وأراد أن يَصعد إلى السماء فينظرَ إلى إلهِ إبراهيم عليه السلام، فأخذ النُّسور والتابوت وجلس فيه، وعلَّق اللحم على أربعِ جوانب التابوت، وأجاع النسور وشدَّ أرجلَهم بقوائم

التابوت، ورام صعوداً إلى السماء، فلمَّا أن صار في الهواء ولم يَصل إلى السماء وطال عليه الأمرُ وعلم أنه لا يقدِر على ذلك رجع بالتابوت إلى الأرض.

ثم دعاه كفره إلى أن قال: أذهبُ وأطلبُ إلهَ إبراهيم في البحر فإنَّ ملكه في البحر، فلما أن ركب السفينة ومَن معه وتوسَّط البحرَ، فاضطربت به الأمواج وعصفت عليه الريح، الْتَفتَ إلى أصحابه فقال: أمَا تَرَون إلى إله إبراهيم يأخُذ ما في سلطانه، ولو برز لنا في سلطاننا لعَلِم أنه لا يَنتصِف منا، قال: فركَدتِ الريح وسكَنت الأمواج وهاله ما رأى منها، فانصرف يريد مملكته، فلما جاءوا إلى الجد وقرِّبت دابته ليركبها، أرسل الله بعوضاً فطنَّ[1] على أذنه فآذاه، فأجهد نفسَه بيديه وكُميه فلم يقدر على دفعه عنها، فرأى ذلك مَن كان معه، فأقبلوا بأيديهم وثيابهم لدفع ذلك البعوض عن أذنيه فلم يقدروا على ذلك من أذنيه، فأقبلت تطير وتؤذيه ويَجهدون بأنفسهم في دفعها فلا يقدرون على ذلك، حتى دخلت في أذنه واستقرت في دماغه، فلما أن صار إلى دار ملكه وسلَّطها الله على دماغه، وأقبلت تأكله وتمصُّه، فكان أعظمُ أهله عليه منَّةً وآثَرُه منزلةً إذا دخل عليه أخذ مِرْزبَةً فضرب بها رأسه، وكان قد أعدَّ لذلك عدَّة مِرزبَات، فلم يَزَل كذلك حتى حان أجلُه، فدنا إلى عتبة باب بيته فلم يَزل يضربُ رأسه على العتبة حتى مات، فشُق رأسه فأُخرجت من صماخه وقد صارت كالناهض[2]، فطارت بين أيديهم فلم يملكوا لها نقصاً.

قال نجم الدين: وحدثني هذا الحديث جماعةٌ؛ منهم: الشيخُ القاضي الإمامُ أبو المظفَّر طاهرُ بن الحسين المتربفغني، والشيخ الإمام محمد بن نصر الوتار، والصالحي، والشيخ الإمام أبو الفريع مسعود بن محمد المكفولي، والدِّهقان العالم

---

(١) في هامش (أ): «أي: صاح».

(٢) الناهض: فرخ الطائر الذي وفر جناحه وتهيأ للطيران. انظر: «القاموس» (مادة: نهض).

عمر بن محمد التناوري، والشيخ الحَجَاج الحسين بن عطاء الفامي، قالوا: حدثنا الشيخ الحافظ أبو نصر أحمد بن جعفر.. إلى آخره[١].

***

(٢٥٩) - ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ﴾ قد بينَّا عند قوله: ﴿كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ﴾ إلى أن قوله: ﴿أَوْ كَالَّذِي﴾ عطفٌ عليه وإنْ بَعُدَ؛ لأن القرآن كلَّه كتابٌ واحد متصلٌ[٢] بعضُه ببعضٍ معنًى[٣].

وقال الفرَّاء والكسائيُّ: هذا عطف على الذي قبله: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ من حيث المعنى، وتقديره: أرأيت كالذي حاج إبراهيم أو كالذي مر على قرية، فإنَّ قولك: ألم تر إلى فلان وصنيعِه، و: هل رأيت كفُلانٍ وصنيعِه، سواءٌ[٤]. واتصالُ هذه القصة بما قبلها لِمَا قلنا[٥].

---

(١) من قوله «الآية قال الشيخ الإمام الزاهد نجم الدين» إلى هنا من (أ).

(٢) في (أ) و(ف): «فيتصل».

(٣) «معنى»: من (ف).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ١٧٠).

(٥) في (ف): «بما قلنا»، وسقطت العبارة من (أ).

وقوله: ﴿كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ﴾ اختلفتِ الرواياتُ في هذا[1] المارِّ وهذه القرية:

قال مجاهدٌ: هو رجلٌ من بني إسرائيل[2].

وقال وهبٌ: هو إرْمِيَاءُ بن حَلقيا النبيُّ عليه السلام[3].

وقيل: هو الخضرُ عليه السلام[4].

وأكثرُهم على أن المارَّ عُزيرُ[5] بن شَرْخِيا، والقريةَ[6] إيلياءُ التي فيها بيتُ المقدس، وكان بُخْتنصَّرُ البابليُّ خربها، وقتل أكثر أهلها، وسبَى بقيَّتهم، وجاء بهم إلى بابل وفيهم عزيرٌ عليه السلام.

وابن عباس ومقاتل يقولان: كان عزيرٌ من علماء بني إسرائيل[7].

وقال الأكثر: كان نبيًّا، وإنَّ عزيراً ارتحل يوماً من قريةٍ تدعى سابراباذ[8]

---

(١) في (أ): «في ظاهر».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٦٠٨).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٥٨٠).

(٤) نسبه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٥٧٩) لابن إسحاق، وقال ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١/ ٣٤٧): وحكاه النقاش عن وهب بن منبه، وهذا كما تراه، إلا أن يكون اسماً وافق اسماً؛ لأن الخضر معاصر لموسى، وهذا الذي مر على القرية هو بعده بزمان من سبط هارون فيما روى وهب بن منبه.

(٥) في (ف): «العزير».

(٦) في (ف): «فالقرية».

(٧) انظر: «تفسير مقاتل بن سليمان» (١/ ٢١٦). ورواه عن ابن عباس الطبري في «تفسيره» (١١/ ١٠٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٧٨١).

(٨) في (أ): «من قرية تدعى شايراباذ»، وفي (ر): «من قرية سايرا» وفي (ف): «من قرية شابرا». وفي «تفسير مقاتل» (١/ ٢١٦): (فمر على قرية تدعى سابور عَلَى شاطئ دجلة بين واسط والمدائن)، =

على حمارٍ فنزل ديرَ هِرقَلَ على شاطئ[١] دجلة، وذلك بعد عيسى ابنِ مريم عليه السلام، هذا قول مقاتل[٢]، وقال ابنُ عباس وجماعةٌ رضي الله تعالى عنهم: هي بيتُ المقدس[٣]، فربط حماره في ظلِّ شجرةٍ ثم طاف في القرية فلم يَرَ فيها ساكناً، وعامةُ شجرها حاملٌ، فأصاب من الفاكهة والتينِ والعنب ثم رجع إلى حماره فجلس وأكل من الفاكهة والتين والعنب، واعتصر من العنب فشرب منه، وجعل فضل الفاكهة في سلةٍ وفضلَ العصير في زقٍّ، فلما رأى خراب القرية وهلاك أهلها قال: ﴿أَنَّىٰ يُحْيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ وهو قوله تعالى:

﴿وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾: لم يشكَّ في البعث ولكنه أحبَّ أن يَرى كيف يحيي الله الموتى[٤] ﴿فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ﴾ وأمات حماره ضحًى والفاكهةُ والعصيرُ عنده ﴿ثُمَّ بَعَثَهُۥ﴾ الله آخِرَ[٥] النهار بعد مئة عام، فسمع الصوت من السماء:

= وفي «تفسير الثعلبي» (٧/ ١٥١) (طبعة دار التفسير) عن الكلبي: (هي دير سايرأباذ)، وفي «تفسير البغوي» عن الكلبي أيضاً: (هي دير سابرأباذ)، ومنه أثبتنا لفظها، وهو موافق لما في «مختصر تاريخ دمشق» (١٧/ ٣٩) لابن منظور، ومتفق مع ما جاء عند مقاتل، فقد قال في «معجم البلدان» (٣/ ١٦٧): سابُراباذ، كأنه مخفف من سابور مضاف إلى أباذ على عادتهم. قلت: فما عداها تصحيف نساخ والله أعلم. لكن ثمة ملاحظة: أن المؤلف ذكر أنها القرية التي خرج منها، بينما عند الآخرين جميعا أنها التي مر عليها وجرت فيها القصة.

(١) في (أ): «شط».

(٢) انظر: «تفسير مقاتل بن سليمان» (١/ ٢١٦).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٥٨٢ ـ ٥٨٣) عن وهب بن منبه وقتادة والضحاك وعكرمة والربيع.

(٤) بعدها في (ر): «قوله تعالى».

(٥) في (أ): «من آخر» بدل: «الله آخر».

﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾: فوجد التين والعنب والعصير كهيئتها لم تتغيَّر، ونظر إلى الحمار فإذا هو عظام بالية، بيضٌ بادية، هذا قولُ ابن عباس ومقاتل[١]، فسمع صوتاً من السماء: أيَّتُها العظام البالية، إن الله تعالى ألقى عليكِ روحاً فتَحْيَينَ بإذن الله، فرأى العظامَ تحرَّكت ومشى بعضها إلى بعضٍ؛ الوركان إلى مكانهما، والساقان إلى مكانهما، وكذلك سائرُ الأعضاء، ثم جاء الرأس فلزم مكانه من العُنق، ثم رأى العصب والعروقَ أُلقيت عليه[٢]، ثم وُضع عليه اللحم، ثم بُسط عليه الجلد، ثم نبت عليه الشعرُ، ثم نُفخ فيه الروح، فإذا هو قائم ينهق، فخر عزيرٌ ساجداً وقال: ﴿أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

وقال الحسن: أراه ذلك في عظامِ نَفْسه، أول ما خلَق منه العينين، ثم رأى انضمامَ عظام نفسه..[٣] إلى آخر ما قلنا، وكان حمارُه على حاله صافياً مئة عام[٤] لم يَعتلِف ولم يشرب ولم يتغير كطعامه وشرابه[٥].

وقوله: ﴿عَلَىٰ قَرْيَةٍ﴾: هي مجتمَع الناس، من قولك: قَريتُ الماءَ في الحوض؛ أي: جمعته، وكانت القريةُ إيلياءَ بلدةَ بيتِ المقدس على ما قلنا، أو ديرَ هِرَقلَ.

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل بن سليمان» (١/ ٢١٧)، ورواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٦٠٤) عن ابن عباس بلفظ: (لم يتغير).

(٢) في (ر): «التفت إليه».

(٣) «أول ما خلق منه العينين ثم رأى انضمام عظام نفسه» من (أ)، ووقع بدلاً منه في (ر) و(ف): «أماته الله مائة عام».

(٤) «مئة عام»: من (أ)، و«صافيا»: من (أ) و(ر).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٥٨٢ ـ ٥٨٣) عن وهب بن منبه وقتادة والضحاك والربيع. ووقع بعدها في (ر) و(ف): «وأول ما خلق منه العينين ثم رأى انضمام عظام نفسه».

وقوله: ﴿وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾؛ أي: ساقطةٌ على سقوفها، خوَى؛ أي: سقط، قال تعالى: ﴿كأنهم أعجاز نخل خاوية﴾ والعَرْش: السَّقف، من قولك: عَرَشه؛ أي: رفَعه، يَعرُشه ويَعرِشه بالضم والكسر في المستقبل، ومعنى سقوطِها على سقوفها: أن السقف وقع أولاً ثم انهدمت الحيطان[1] عليه.

وقيل: ﴿خَاوِيَةٌ﴾؛ أي: خاليةٌ، قال تعالى: ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً﴾ [النمل: ٥٢] وخواءُ البطن: خلاؤه عن الطعام، ثم قولُه: ﴿عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ ليس بتمامٍ لقوله: ﴿خَاوِيَةٌ﴾، بل هي صفةٌ أخرى، والأول تامٌّ بنفسه[2]، ومعنى الخاوية: الخالية عن الأهل، ومعنى قوله: ﴿عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾؛ أي: على أبنيتها، والعَرش: البناء، والعروش: الأبنية، وقد عَرَش يَعْـرُش؛ أي: بنى؛ أي[3]: حالَ قيامِ أبنيتها، يعني: كانت محكمةَ البنيان لم تسقط بعد هلاك السكان ومرورِ الزمان.

وقوله: ﴿أَنَّىٰ يُحْيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾؛ أي: كيف يُحيي[4]؟

وقوله: ﴿هَٰذِهِ﴾ إن كانت إشارةً إلى القرية فالمراد أهلها، وإن كان نظراً[5] إلى العظام فالإشارةُ إليها، وقد بينَّا أنه لم يكن شكًّا بل كان طلباً للعِيان لتقويةِ الإيقان.

---

(١) في (أ): «الحوائط».

(٢) فيكون تقدير الكلام على هذا: وهي خاليةٌ من أهلها مستقرةٌ على عروشها، والمقدر خبر بعد خبر، وهو مراد المؤلف بقوله: «صفة أخرى». انظر: «البحر المحيط» (٤/ ٥٠٤)، و«روح المعاني» (٣/ ٤٢٠). لكن اعترض السمين الحلبي على هذا بقوله: وهو حذف من غير دليل، ولا يتبادر إليه الذهن. انظر: «الدر المصون» (٢/ ٥٥٩).

(٣) «أي»: سقطت من (أ)، ووقع قبلها في (ر) و(ف) كلمة: «على»، والصواب المثبت.

(٤) بعدها في (ر) و(ف): «هذه الله».

(٥) في (ر) و(ف): «نظراً».

وقوله تعالى: ﴿فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ﴾؛ أي: توفَّاه وأبقاه كذلك مئة سنة ثم أحياه، وبعضُهم حملَه على الإنامة ثم الإيقاظِ؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ﴾ [الأنعام: ٦٠] تحرُّزاً عن القول بالزيادة على حياتين وموتين، لكن الظاهر هو الأول، فكان هذا إماتةَ[١] عبرةٍ لا انقضاءَ مدةٍ، كإماتة الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف ونحوِ ذلك.

وقوله تعالى: ﴿كَمْ لَبِثْتَ﴾ قيل: قال ذلك نبيٌّ كان حينئذ، وقيل: كان ملك[٢]، وقد روِّينا أنه ناداه منادٍ من السماء.

وقيل: حدَّثته نفسُه بذلك، وأجاب بخاطره في نفسه[٣]: كم لبثتَ؛ أي[٤]: كم مكثت هاهنا.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا﴾؛ لأنه نام[٥] ضحًى وأُحْيِيَ وقد أمسى، ثم تفكَّر أنه لم يُتمَّ[٦] النهار فقال: ﴿أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾، ودلَّ ذلك على أن القول بغلبةِ الظنِّ عند فَوْتِ اليقين جائزٌ، وكذا قال أصحاب الكهف: ﴿لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ [الكهف: ١٩]، وقال إخوة يوسف: ﴿إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ﴾ [يوسف: ٧٧].

وقوله تعالى: ﴿قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ﴾ ﴿بَل﴾ ردٌّ لِمَا قبله، وهو قوله تعالى: ﴿لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ وإثباتٌ لِمَا بعده وهو ﴿مِاْئَةَ عَامٍ﴾.

---

(١) في (ف): «وكان هذا الإماتة» وفي (ر): «وكانت هذه الإماتة».

(٢) في (ر) و(ف): «وقيل قال مالك»، والمثبت من (أ)، ولعل الصواب: (ملكاً).

(٣) بعدها في (ر): «أي».

(٤) «أي» ليست في (أ).

(٥) في (أ) و(ف): «جاء».

(٦) في (ر): «ينم».

وقوله تعالى: ﴿فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ﴾ الطعامُ هو التين، وقيل: التين والعنب، وقيل: الفاكهةُ التي حملها أيَّ شيءٍ كان. والشرابُ هو العصير.

وقوله تعالى: ﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ قرأ أهل المدينة وعاصمٌ وابن كثير بإثبات الهاء في الوصل والقطع، وقرأ أبو عمرو: ﴿لم يَتسنَّ﴾ بغير هاء، والكسائيُّ يحذفها في الوصل ويُثبتها في الوقف(١).

ولإثبات الهاء وجهان:

أحدهما: أنها أصلية(٢)، ومعناه: لم يتغير، من قولك: تَسَنَّهَ يَتَسَنَّهُ تَسَنُّهاً؛ أي: تغيَّر بمرِّ السنين، وأصلُ السَّنةِ: سَنهةٌ، ولذلك يقال في التصغير: سُنَيهة.

والثاني: أن أصله: لم يَتسنَّ، والهاء للاستراحة كما في قوله: ﴿اقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠] و﴿مَاهِيَهْ﴾ [القارعة: ١٠]، وأما الحذف فلهذا، ثم قولُه: ﴿لم يَتسنَّ﴾ يفسَّر على وجهين:

أحدهما: أنه بمعنى: لم يتغيَّر بمضيِّ السنين، والسَّنةُ لا هاء فيها، وأصلها: سَنوةٌ، وكذا الهاء في الجمع، فيقال: سِنونَ، في الرفع، و: سِنينَ، في النصب والخفض، وأصله: لم يَتَسَنَّى(٣)، وصَرْفُه: تَسَنَّى يَتسنَّى، وسقطت الياء للجزم بـ(لم).

والثاني: أن قولهم: تَسنَّى يَتَسنَّى أصله: تَسنَّنَ يَتَسنَّنُ، قُلبت إحدى النونات

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ١٨٨ ـ ١٨٩)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٢)، وفيهما: حمزة والكسائيّ بحذف الهاء في الوصل خاصَّة، وباقي السبعة بإثباتها في الحالين. وهو يخالف ما ذكره المؤلف في أمرين: الأول: ما نسبه لأبي عمرو من القراءة بغير هاء، والثاني: عدم ذكر حمزة مع الكسائي في حذف الهاء في الوصل.

(٢) في (ف): «أنها للوصلته»، وفي (ر): «أنه لوصلته».

(٣) قوله: «يتسنى» كذا في النسخ، والصواب: (يتسن) بحذف الألف للجزم.

الثلاثِ ياءً للتخفيف، كما في قولهم: تَظَنَّى، وأصله: تَظَنَّنَ، وتَمَطَّى وأصله: تمطَّطَ، ومعناه: تغيَّر، أيضاً، وقد سَنَّنه؛ أي: غيَّره، فتَسنَّنَ؛ أي: تغيَّر، ومنه قوله تعالى: ﴿مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ [الحجر: ٢٦]؛ أي: متغيِّر[١].

ثم ذكر الطعامَ والشراب وهما اثنان، وقال: ﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ وهو[٢] فعلُ الواحد؛ لأنه صرَفه إلى ما يليه، وإذا ثبتتِ الأعجوبة فيه، ثبَتَتْ في الأول الذي هو ثانيه؛ لأنه أيضاً[٣] يُضاهيه.

وقوله تعالى: ﴿وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ﴾؛ أي: ميتاً، وذلك في روايةِ ابن عباس رضي الله عنهما، فإنَّا نُحْييه لترى كيف نُحيي الموتى، وقد روِّينا عن الحسن أنه قال: كان قائماً على حاله[٤]، وذاك عجيبٌ[٥] أيضاً ناقضٌ للعادة، وهو بقاؤه مئةَ سنة من غيرِ عَلَفٍ وماءٍ.

وقوله تعالى: ﴿وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ﴾ الواو للعطف، فيجوز أن يكون معطوفاً على فعلٍ آخرَ مضمَرٍ، وهو ما قلنا: لترى كيف نحيي الموتى ولنجعلك[٦] علامةً للناس، وذلك ما تبيَّن بعد تمام الآية من تمام القصة، وهو شبابُه وشَيبُ أولاده في حياته، وقراءةُ التوراة ونشرُها فيهم بعد خفائها وذهابِ أهلها.

وقيل: الإضمارُ بعده، وتقديره: ولنجعلك آية للناس فعلنا ذلك.

---

(١) في (أ): «مغير»، وفي (ف): «تغير».

(٢) في (ف): «وهذا».

(٣) «أيضاً»: من (أ).

(٤) تقدم قريباً.

(٥) في (ر): «عجب».

(٦) في (ر): «ولنجعلك آية للناس أي».

وقيل: الواو زائدة.

وقوله تعالى: ﴿وَٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡعِظَامِ﴾ وهي عظامُ نفسِه، أو عظام حماره، على حسَب ما اختُلف فيه.

وقوله تعالى: ﴿كَيْفَ ننشرها﴾[1] قرأ الحسن بفتح النون وضمِّ الشين وبالراء من النَّشْر بعد الطَّيِّ[2]، وهو بمعنى الإحياء أيضاً، يقال: نَشَر اللهُ الميتَ وأنشره. وقراءة ابن كثير وأبي عمرو[3] بضم النون وكسر الشين من الإنشار وهو الإحياء، قال تعالى: ﴿ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ﴾ [عبس: ٢٢]، وقرأ الباقون: ﴿نُنشِزُهَا﴾ بالزاي من الإنشاز[4]، وله معنيان:

أحدهما: نرفعُها، ونشوزُ المرأة: الترفُّع، والنَّشْزُ[5]: المكان المرتفع، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ﴾ [المجادلة: ١١] قيل فيه: ارتفِعوا.

والثاني: نحرِّكها، وقوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ﴾ قيل: تحركوا.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ نَكۡسُوهَا لَحۡمٗا﴾: أي: نُلبِس العظامَ لحماً، وهو مجاز عن سترها به، وإنما وحَّد اللحمُ مع جمع العظام؛ لأن العظام متفرِّقةٌ متعدِّدةٌ صورةً، واللحمَ متصلٌ متَّحد مشاهدةً[6].

---

(١) في (أ): «﴿كَيۡفَ نُنشِزُهَا﴾» وهما قراءتان سبعيتان كما سيأتي.

(٢) ونسبت أيضاً لابن عباس وأبي حيوة وأبان عن عاصم. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٢٣)، و«المحرر الوجيز» (١/ ٣٥٠)، و«البحر» (٤/ ٥١٠).

(٣) وكذا نافع. انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ١٨٩)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٢).

(٤) انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ١٨٩)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٢).

(٥) في (ف): «الترفع والنشاز»، وفي (ر): «رفعها والنشاز».

(٦) في (ر) و(ف): «مشاهد».

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ﴾: أي: فلما ظهر له إحياء الميت عياناً ﴿قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ قرأ حمزة والكسائي: ﴿اعْلَمْ﴾ على الأمر؛ أي: قيل له: اعلَمْ، وقرأ الباقون: ﴿أَعْلَمُ﴾ على الإخبار[1]؛ أي: قال هو: أعلمُ أن الله على كلِّ شيء قديرٌ من إحياء الموتى وغيرِه.

وفي القصة تنبيهٌ على أن الداعي إذا راعَى آداب الدعاء أُجيب سريعاً من غير مشقَّةٍ تَلْحقُه، وإذا تَرك الأدب لحقَتْه المشقَّةُ وأبطأتِ الإجابةُ، فإن إبراهيم عليه السلام لمَّا قال: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ وبدأ[2] بالثناء ثم سأَل إحياء الموتى، أَراه الله ذلك في غيره، فإنه أَراه في طيره، وعجَّل له ذلك على فَوْره، وعُزيرٌ قال: ﴿أَنَّىٰ يُحْيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ فأُري ذلك في نفسه بعد مئة عام مضت على موته[3].

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ١٨٩)، و«والتيسير» للداني (ص: ٨٢).

(٢) في (ر) و(ف): «بدأ».

(٣) كذا قال المؤلف ما قال في شأن الدعاء، وفيه نظر، فكم من دعاء قد استكمل الشروط وراعى الآداب ومع ذلك تأخرت عنه الإجابة، لأن ذلك راجع لحكمة الله وعلمه بمصالح عباده، قال ابن الجوزي كما في «الفتح» (١١/ ١٤١): إن دعاء المؤمن لا يرد، غير أنه قد يكون الأولى له تأخير الإجابة، أو يعوض بما هو أولى له عاجلًا أو آجلًا.

والشارع نفسه قد بين في الحديث الصحيح أن الإجابة قد تكون في الدنيا، وقد يصرف بها عن الداعي من السوء مثلها، وقد تدخر ليوم القيامة، فقال: «ما على الأرض مُسْلِمٌ يدعو الله بدعوةٍ إلَّا آتاه اللهُ إيَّاها، أو صَرَفَ عنه مِن السُّوءِ مِثْلَها، ما لَمْ يَدْعُ بإثْمٍ أو قَطِيعةِ رَحِمٍ»، رواه الترمذي (٣٥٧٣) من حديث عبادة بن الصامت وصححه. وفي «مسند أحمد» (١١١٣٣) من حديث أبي سعيد الخدري رفعه: «ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث: إما أن تعجل له دعوته، وإما أن يدخرها له في الآخرة، واما أن يصرف عنه من السوء مثلها» وإسناده جيد.

وقال الضحَّاك: وعاد عزير إلى قريته شابًّا وإذا أولادُ أولادِه شيوخ وعجائز، فقال: أنا عزيرٌ، فلم يصدِّقوه، فقال: هاتوا التوراة، فلم يجدوها في القرية لأن بُختنصَّر أحرقها، فقال عزيرٌ: إن جدي وضعَ التوراة في جبٍّ وخبَّأه في كرمٍ تحت جدارٍ[١]، فأخرَجوها منه وجعلوا ينظرون فيها وهو يقرؤها ظاهراً[٢] لا يُسقط حرفاً، فمِن ثَمَّ[٣] قالوا: عزيرٌ ابن الله، ولم يقرأ التوراةَ أحدٌ منذ أُنزلت إلى هذا الوقت عن ظهر قلبه إلا عُزير.

وفي رواية الكلبي: أنه لمَّا أتاهم طلبوا منه أن يُمليَ عليهم التوراة، فتلاها[٤] عليهم، ثم ذكر رجلٌ آخرُ أن جدَّه خبَّأ التوراة في كَرْمه، فطلبَها واستخرجها[٥]، فعارضوها بما أَمْلى فما اختلفا[٦] في حرف[٧].

وقال وهبٌ: إن الله تعالى قيَّضَ مَلِكاً من الملوك في تلك المئةِ سنةٍ حتى عمَّر تلك القريةَ الخربة وهي بيتُ المقدس، فبُعِث عزيرٌ من نومه[٨] وهي عامرة.

* * *

(١) في (ر): «في كوم جدار»، وفي (ف): «في كرم جدار».

(٢) في (ف): «وجعلوا ينظرون إليها ظاهراً وهو يقرؤها»، وفي هامشها كالمثبت.

(٣) في (أ): «ثمة».

(٤) في (أ) و(ف): «فأملاها».

(٥) في (ف): «واستخرجوها».

(٦) في (ف): «اختلف».

(٧) انظر ما روي عن الضحاك والكلبي وغيرهما في هذه القصة في «تفسير الثعلبي» (٢/ ٢٤٩ـ ٢٥١) و(٥/ ٣٢)، و«تفسير البغوي» (١/ ٣٢١) و(٤/ ٣٧).

(٨) في (أ) و(ف): «موته».

(٢٦٠) ـ ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَـٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ ذكَرْنا انتظامَها بما قَبْلَها، و(إذ) ظرفٌ، ومعناه: واذكُرْ يا محمدُ حين قال إبراهيم الخليل: ربِّ؛ أي: يا ربِّ، وقد يُحذف حرفُ النداء كما في قوله تعالى: ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَـٰذَا﴾ [يوسف: ٢٩]، وتُحذف ياءُ الإضافة في النداء أيضاً تخفيفاً لكثرة الاستعمال، وعلى هذا قولهم: يا نَفْسِ، يا قومِ.

وقولُه تعالى: ﴿أَرِنِى﴾ سؤالٌ على صيغة الأمر من الإراءة وهي التبصُّر، وسببُ سؤاله ذلك فيه أقاويل:

قال محمد بن إسحاق: السبب الداعي إلى ذلك أنَّه لمَّا جرى بينه وبين نمروذ[١] من المناظرة وقال نمروذ: أنا أُحيي الموتَى وأُميتُ، سأل ربَّه أن يُرِيَه ذلك ليَعلم نمروذ أن إحياء الموتى من الله هو ردُّ الأرواح إلى الأجساد لا إطلاقُ المحبوس[٢].

وقال السدِّيُّ رحمه الله: لمَّا جاءته البشرى[٣] بالخُلَّةِ سأل ربَّه جلَّ وعلا دليلاً يستيقن به أنه اتَّخذه خليلاً[٤].

ورُوي أن جبريل عليه الصلاة والسلام قال لإبراهيم صلوات الله عليه: إن الله

---

(١) في (أ) و(ف): «نمرود»، وكذا في المواضع الآتية، والمثبت من (ر)، وكلاهما صواب.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٦٢٦)، وانظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ٨٦).

(٣) في (أ): «البشارة».

(٤) رواه الطبري مطولاً في «تفسيره» (٤/ ٦٢٧).

تعالى يتخذك خليلاً، قال: وما أَمَارةُ ذلك؟ قال: أن يُحييَ الموتى بدعائك، فقال عند ذلك[١]: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَى﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَكِن لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ على الخلة.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: مرَّ إبراهيم عليه السلام على دابةٍ ميتةٍ قد بَلِيَتْ واقتسَمها[٢] السباعُ والرياح[٣].

وفي حديث عطاءٍ الخُراسانيِّ: مرَّ ببحيرةِ طَبَرِيَّةَ وعلى شاطئها دابَّةٌ من دوابِّ البحر يأكلن من ناحيتها فيَتلطنَ في البحر[٤] فيصير ماءً، وسباعُ البر يأكلنها فيَتلطن في البر فيصير تراباً، وطير الهواء يأكلنها فيتلطن في الهواء فيقطعه الريح[٥].

وفي حديث الحسن: مرَّ على جيفةٍ بساحل البحر، فإذا مَدَّ البحرُ جاءت الحيتانُ فملأت بطونها منها، وإذا[٦] جزر البحرُ جاءت السباع فأكلت فملأت بطونها منها، فإذا ذهبت جاءت الطير فملأت حواصلَها[٧]، فوقف متعجِّباً.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: فسبَّح الله وتفكَّر وقال: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَى﴾ وهو مؤمنٌ بقدرةِ الله تعالى، فقال الله تعالى: ﴿فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ﴾ ـ وهو

---

(١) «عند ذلك» من (ر).

(٢) في (ر) و(ف): «وقسمتها».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٦٢٤ ـ ٦٢٥) عن قتادة والضحاك وابن جريج، وزاد عليهم الثعلبي في «تفسيره» (٢/ ٢٥١) الحسن.

(٤) في (ف): «في الماء»، وفي (ر): «في الماء في البحر»

(٥) انظر: «تفسير الثعلبي» (٢/ ٢٥١)، و«تفسير البغوي» (١/ ٣٢٢).

(٦) في (أ): «منه فإذا»، وفي (ف): «منها فإذا».

(٧) في (أ): «حواصلهن».

اسمُ جنسٍ[١] ـ فشقَّقْهنَّ بريشهنَّ ولحومِهن ومزِّقهنّ تمزيقاً ﴿ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا﴾: بدِّدْهنَّ على كلِّ جبلٍ وخالِفْ بين قوائمِهنَّ وأرجلهنَّ[٢] وأجنحتهنَّ ﴿ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ﴾ قُل: تعالَيْنَ بإذنِ الله تعالى ﴿يَأْتِينَكَ سَعْيًا﴾[٣].

وقال قتادةُ: أُمر أن يَخلط بين دمائهنَّ ولحومهنَّ وريشهنَّ، ويجزِّئَهنَّ على أربعةِ أَجْبُلٍ، ففعَل ذلك وأمسكَ رؤوسهنَّ بيده، فجعل العَظْمُ يذهب إلى العظم واللَّحمُ إلى اللَّحمِ والرِّيشُ إلى الرِّيش بعين إبراهيم، ثم دعاهنَّ فأَتَيْنه سعياً على أرجلهنَّ، فتلقَّى كلُّ طائرٍ رأسَه[٤].

وقال السدِّيُّ: نُودي من السماء: أَيَّتها العظامُ المتفرِّقة يَردُّ الله تعالى فيكِ روحَك، فجرى الدَّمُ إلى الدَّمِ، وطار[٥] الريشُ إلى الريشِ، وذهب العظمُ إلى العظم، وعلَّق عليها رؤوسَها، وأدخل فيها أرواحها[٦].

وفي حديث الحسن رحمه الله: نُودي: أيتها العظامُ المتفرِّقة، واللحوم المتمزِّقة، والعروق المتقطِّعة، اجتمِعْنَ يردُّ الله تعالى فيك أرواحَك[٧]، فوثب العظمُ إلى العظم، وطار الريشُ إلى الريش، وجرى الدمُ إلى الدمِ، ثم أوحى الله تعالى إليه: إنكَ سألْتني كيف أُحيي[٨] الموتى، وإني خلقتُ الأرض وجعلتُ فيها

---

(١) «وهو اسم جنس» من (ر).

(٢) «وأرجلهن» سقط من (ف).

(٣) رواه بنحوه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٦٣٩ و٦٤٣).

(٤) رواه بنحوه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٦٤١ و٦٤٤).

(٥) في (ف): «وطار فتلقى به»، وفي (ر): «وطار به».

(٦) رواه بنحوه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٦٤٦).

(٧) في (أ): «فيكن أرواحكن»، وفي (ف): «فيكن روحكن».

(٨) في (أ): «تحيي».

أربعـةَ أريـاح: الشَّـمالَ والصَّبـا والجَنـوب والدَّبـور، حتـى إذا كان يـومُ القيامة نُفخ فـي الصُّـور فيجتمـعُ مَن فـي الأرض من القتلـى والـهَلْكى والموتَى كمـا اجتمعت هـذه الأربعـةُ الأطيارُ مـن أربعة أجبال، ثـم قـرأ: ﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ [لقمان: ٢٨].

وقال القشيريُّ رحمه الله: ولما[١] قال: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَىٰ﴾ قال الله تعالى له: وأرني كيف تذبحُ الحيَّ، يعني: الولدَ، مطالبةٌ بمطالبةٍ، فلمَّا وفَى بما طُولِبَ وفَى الله له بما طَلَب[٢].

وقوله تعالى: ﴿قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن﴾؛ أي: قال الله له[٣]: أوَلَـمْ تصدِّقْ بإحياءِ[٤] الموتى، ﴿قَالَ بَلَىٰ﴾؛ أي[٥]: صدقت به ﴿وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾؛ أي: ليَسكُن، والطُّمأنينةُ: السُّكون، والمطمئِنُّ من الأرض: ما انْخفَض، وكان موقِناً به إيقانَ غيبٍ، فأَحَبَّ أنْ يوقِنَ به إيقانَ عيانٍ.

وقيل: كان أُعطي آياتٍ عقليةً، فأحبَّ أن يعطَى[٦] آيةً حسِّيَّةً.

وحكمةُ خطاب الله تعالى إياه بقوله: ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِن﴾ وجوابِه: ﴿بَلَىٰ﴾ قطعُ أوهام الجهَّال لئلا[٧] يظنُّوا بإبراهيم شكاً فيه.

---

(١) في (أ): «فلما»، والمثبت موافق للمصدر.

(٢) في (ف): «طالب». وانظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٢٠٢).

(٣) «له» من (ر).

(٤) في (أ): «بأني أحيي».

(٥) «أي» من (ر).

(٦) في (أ): «كان أوتي... فأحب أن يؤتى».

(٧) في (أ): «كيلا».

وقال القُشيري: استَجلَب خطابَ الله تعالى بهذه المقالة[١] حتى قال له الحق سبحانه: ﴿أَوَلَمۡ تُؤۡمِنۖ قَالَ بَلَىٰ﴾ كنتُ أؤمن، ولكنِ اشتقتُ إلى قولك: أولم تؤمن، وبقولك: أولم تؤمن، يطمئنُّ قلبي، والمحبُّ أبداً يجتهد في وجودِ خطاب حبيبه على أيِّ وجهٍ أَمْكنه[٢].

وقوله تعالى: ﴿قَالَ فَخُذۡ أَرۡبَعَةٗ مِّنَ ٱلطَّيۡرِ﴾ الطير: اسمُ جنسٍ يجوز أن يكون اسماً للواحد والجمع، وواحده: طائر؛ كالراكب والرَّكْب.

واختُلف في أجناسها:

فقال محمد بن إسحاق: إن أهل الكتاب الأول يقولون: أخذ طاووساً وديكاً وغراباً وحماماً، وهو قول مجاهدٍ والحسن[٣].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: أخذ طاووساً ونسراً وغراباً وديكاً[٤].

وقال أبو صالح: أخذ حمَاماً وديكاً وغراباً وبطة.

وقال عطاءٌ[٥]: أخذ حمَاماً وطاووساً وديكاً وغرنوقاً وهو طير الماء.

---

(١) في (ر) و(ف): «الآية».

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٢٠١).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٦٣٤) عن ابن إسحاق ومجاهد وابن جريج وابن زيد.

(٤) انظر: «تفسير الثعلبي» (٢/ ٢٥٣). وروى ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٥١٠) من طريق الضحاك عن ابن عباس: وَزٌّ ورَأْلٌ وديكٌ وطاووسٌ. وفسِّر الرَّأْلُ في الخبر بـ: فَرْخ النَّعام. وروى ابن أبي حاتم أيضا (٢/ ٥١١) من طريق حنش عن ابن عباس: الغُرْنوقُ والطَّاووسُ، والدِّيكُ، والحمامةُ. قال ابن أبي حاتم: والغُرْنوقُ: الكُرْكِي.

(٥) في (ر) و(ف): «عطاء الخراساني»، وهذا الخبر مروي عن ابن عباس كما في التعليق السابق.

وقال عطاء الخراساني[١]: أخذ وزة خضراء، وغراباً أسودَ، وحمامةً بيضاء، وديكاً أحمر[٢].

وقال أبو القاسم بنُ حبيبٍ رحمه الله: إنما خصَّ الطيرَ من بين سائرِ الحيوانات لأن للطائر[٣] ما لسائر الحيوانات، وله زيادةُ الطيران، ولأن الطير هوائيٌّ ومائيٌّ وأرضيٌّ، فكانت الأعجوبةُ في إحيائه أكثرَ، ولهذا قال عيسى عليه السلام: ﴿أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ﴾ وخصَّ الخفَّاش[٤] لاختصاصه بالسن[٥] دون سائر الطيور.

وقوله تعالى: ﴿فَصُرۡهُنَّ إِلَيۡكَ﴾ قرأ حمزة بكسر الصاد والباقون بضمها[٦]، قال الأزهري من قرأ بالضم أراد: أَمِلْهنَّ واجمَعْهنَّ إليك، ومَن قرأ بالكسر ففيه قولان[٧]:

أحدهما: بمعنى صُرهنَّ، يقال: صارَه يَصُورُه ويَصِيرُه: إذا أمالَهُ.

---

(١) في (ف): «وقال آخر». وانظر التعليق الآتي.

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢/ ٢٥٤) عن عطاء الخراساني، وفيه: بطة، بدل: وزة.

(٣) في (ر): «لأن الطائر له».

(٤) في (ف): «وخصها بخفاش». ويشير بهذا لما روي أن عيسى عليه السلام قال: أيّ الطير أشدّ خلقًا؟ قالوا: الخفاش، إنما هو لحم. رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٤٢٠) عن ابن جريج، وفي «زاد المسير» (١/ ٣٩٢) عن ابن عباس قال: أخذ طيناً، وصنع منه خفاشاً، ونفخ فيه، فاذا هو يطير. قال ابن الجوزي: ويقال: لم يصنع غير الخفاش، ويقال: إن بني إسرائيل نعتوه بذلك لأنّ الخفّاش عجيبة الخلق.

(٥) في (أ): «بالسر». وجاء في «تفسير الثعلبي» (٣/ ٧١): وإنّما خصّ الخفّاش لأنه أكمل الطير خلقا؛ ليكون أبلغ في القدرة؛ لأن لها ثدياً وأسناناً وهي تحيض وتطير.

(٦) في (أ) و(ف): «بالضم». وانظر: «السبعة» (ص: ١٩٠)، و«التيسير» (ص: ٨٢).

(٧) في (أ): «فله وجهان».

والثاني: قطِّعهن، والأصل فيه: صَرَيْتُ أَصْري؛ أي: قطَعت، فقُلب وقيل: صِرْتُ أَصيرُ، كما يقال: عَثَيْتُ أَعْثي، وعِثْتُ أَعِيثُ[١].

وقال القُشيري رحمه الله: طلبَ إبراهيم عليه السلام بهذا حياة قلبه فأُشير إليه بذبح الطيور، وفي الطيور الأربعة أربعةُ معانٍ هي في النفس: في الطاووس زينةٌ، وفي الغراب أملٌ، وفي الديك شهوةٌ، وفي البطِّ حرصٌ[٢]، فأشار إلى أنه ما[٣] لم يَذبح نفسَه بالمجاهدة لم يَحْيَ قلبُه بالمشاهَدة.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا﴾: أي: بعضاً، بالهمزِ والتليين.

قيل: هذا عمومٌ أُريد به الخصوصُ؛ أي: على بعضِ الجبال كما في قوله: ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ﴾ [النمل: ٢٣].

وقيل: معناه: على كلِّ جبلٍ قدرْتَ عليه، أو[٤]: على كل جبل بقُربك.

وقيل: جعلهنَّ على سبعة أجبُلٍ.

وقيل: على أربعة، وهو الأصحُّ، ففي رواية الحسن ذلك مع زيادةِ ذكرٍ يدل عليه؛ من تقسيم الرياحِ الأربع والآفاقِ الأربعة للدنيا[٥].

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ﴾: أي: قل: تعالين، أو قل[٦]: يا طاووس ويا كذا ويا كذا.

---

(١) انظر: «معاني القراءات» للأزهري (١/ ٢٢٤).

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٢٠٢)، وفيه: أن ذبح الطاووس لكونه زينة الدنيا وزهرتها، والغراب لحرصه، والديك لمشيته، والبط لطلبه لرزقه.

(٣) في (أ): «إلى أن من».

(٤) في (ر): «أي».

(٥) تقدم قريبا.

(٦) «أو قل» ليس في (ف).

وقوله تعالى: ﴿يَأْتِينَكَ سَعْيًا﴾: أي: يَجِئْنَكَ عَدْواً على أرجلهنَّ، والنونُ لجمع الإناث، ويرجع إلى الطيور الأربعة، والسعي: العَدْو، وقد سعَى سَعْياً، وإنما سعَيْن ولم يَطِرْنَ لأنهنَّ لو طِرْنَ لالْتَبسَ الأمرُ: هل عدنَ إلى ما كان أصلُهن عليه، فخَصَّ السعيَ ليتقرَّر عنده وعندهم الحال.

وقوله تعالى: ﴿وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾: عزيز: لا يمتنِع عليه شيء، حكيمٌ: مُصيب فيما يفعل.

وقال القشيري رحمه الله: قال له: قطِّعْ بيدك هذه الطيورَ وفرِّقْ أجزاءها ثم ادعُهنَّ يأتينكَ سعياً، فما كان مذبوحاً مقطَّعاً مفرَّقاً بيدِ صاحب الخُلَّةِ فإذا ناداه استجاب له كلُّ جزءٍ مفرَّقٍ، فكذلك الذي فرَّقه الحقُّ وشتَّتهُ إذا ناداه لبَّاه، قال القائل:

وَلَو أنَّ فَوْقي تربةً ودَعَوْتَني لأجبتُ صوتكَ والعظامُ رُفاتُ[1]

* * *

(٢٦١) ـ ﴿مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ ذكر سبحانه الإقراض في قوله: ﴿مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾[2] ـ وهو الإنفاق ـ بعد ذكر القتال في سبيل الله، وذكر هنا[3] الإنفاق في سبيل الله، وذَكر المضاعفةَ في تلك الآية وفسَّرها

(١) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٢٠٣)، ووقع في (ر): «أجبتك حقاً»، بدل: «لأجبت صوتك».

(٢) قوله: «ذكر سبحانه الإقراض..» إلى هنا وقع بدلا منه في (أ) و(ف»: «اتصال هذه بقوله وقاتلوا في سبيل الله واعلموا أن الله سميع عليم» ﴿مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ ذكر الإقراض».

(٣) في (أ): «وهاهنا ذكر» وفي (ف) «وذكر هاهنا».

هنا[1] في هذه الآية، وتخلَّل بينهما بيانُ ما وعَد الله من النصر لمن يقاتلُ في سبيل الله، وهو[2] في قصةِ طالوت ونصرته ـ مع قلَّة عدد جنده ـ على جالوت، وقصةِ إبراهيم ونصرتِه على نمروذ[3] في المحاجَّة، وأوضحَ حُجَّته وكذا أوضحَ حُججَ دِينه في قصة عزيرٍ وقصةِ إبراهيم في إحياء الطيور، فكأنه قال: فثقوا بنصرة الله[4]، وقاتلوا في سبيل الله، وأنفقوا في رضا الله.

وقوله ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ﴾؛ أي: مَثَلُ نَفَقةِ الذين، وهذا مضمَرٌ فيه، أو تقديره: مَثَلُ الذين ينفقون أموالَهم في سبيلِ الله كمَثَلِ زارعِ حبةٍ، فلا بد من إضمارٍ في أحدِ الموضعين ليكون تمثيلُ[5] المنفِق بالزارع، أو تمثيل النفقة بالزراعة، كما فعلنا في قوله: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ﴾ [البقرة: ١٧١]، وقد ذكرنا هناك معنى الحذفِ والاختصار.

وقوله: ﴿يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ قيل: معناه: في طريق رضا الله تعالى، ويقع على الجهاد وغيره، وهذا قول الحسن.

وقيل: هو في الجهاد خاصةً، ثم في هذا الإنفاق كلامٌ؛ قيل: هو في إعدادِ أمور الغزاة، وقيل: هو على نفسه.

وقوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ﴾: أي: يتضاعفُ

---

(١) «هنا»: من (ر).

(٢) في (ر): «وذلك».

(٣) في (أ) و(ف): «نمرود».

(٤) في (ر): «بنصره».

(٥) في (أ) و(ف): «تمثيل».

ثوابُ الإنفاق في سبيلِ الله كمَثَلِ حبَّةٍ[١] تُبذَرُ في الأرضِ، فتُنْبِتُ تلك الحبَّةُ الواحدةُ من السَّنابل سبعاً.

والسنابل: جمع سُنبلةٍ وسُنبُلٍ، وهي على ميزانِ فُنْعُلة[٢]، والنونُ مَزيدةٌ فيه، وهي من الإسبالِ، وهو إرسال الستر، سُميت بها لأنها تَسترسِلُ استرسالَ الستر، و[٣]لأنها تستر الحب.

ثم تخرجُ السنبلة مئة حبة، ثم[٤] وإن لم يكن كلُّ زرع على هذا التقدير غالباً، فهو مما يكونُ، فيصحُّ التشبيه به؛ لأن شرط صحة التمثيل والتشبيه الكونُ لا مشاهدةُ الجميع[٥]، قال الله تعالى: ﴿طَلۡعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ [الصافات: ٦٥]، وقال امرؤ القيس:

ومَسنونةٌ زرقٌ كأنيابِ أغوالِ[٦]

على أنَّ سنابل الدُّخْن تبلغ هذا وتزيدُ عليه.

وقيل: معناه: الحبةُ تخرج سبعَ سنابل، وكلُّ سنبلةٍ إذا بُذرت حباتُها أَخرجت مئة حبة، وقد تزيد على هذا.

وقيل: لما نزل قوله تعالى: ﴿وَيُرۡبِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ [البقرة: ٢٧٦] ورأوا أن

---

(١) في (أ): «كحبة»، بدل: «كمثل حبة».

(٢) في (أ) و(ر): «فيعلة»، وفي (ف): «فتعلة»، والصواب المثبت. انظر: «البحر المحيط» (٤/ ٥٣١).

(٣) في (أ): «أو».

(٤) «ثم»: من (أ).

(٥) في (ر): «المجمع»، وفي (ف): «الجمع».

(٦) انظر: «ديوان امرئ القيس» (ص: ١٣٧)، وصدره:

أَيَقْتُلُني والمَشْرَفيُّ مُضاجِعي

الصدقات[١] تتلَفُ وتتلاشى في أيدي الفقراء، قالوا: كيف تربو وتنمو وقد تلِفت وتلاشت؟! فضرب الله تعالى مَثَلها بالحبةِ التي تُلقى[٢] في الأرض، ثم نمت حتى صارت سبعَ مئةِ حبةٍ.

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ﴾: أي: يزيد على سبعِ مئةٍ لمن يشاء.

قيل: أصل الإنفاق المذكور في أول هذه الآية في سبيل الله، ويضاعف أيضاً لمن يشاء الإنفاق[٣] في غير الجهاد إلى هذا المقدار.

وقيل: يضاعف[٤] على سبع مئةٍ إلى سبعة آلافٍ وأكثرَ لمن يشاء، وهو الذي يضم إلى الإنفاق في الجهاد معنًى آخر؛ من حُسن[٥] النيةِ و[٦]اختيارِ المصرِف، أو أصله لمن أنفق على نفسه في الجهاد، والزيادةُ على ذلك لمن أنفق على غيره من فقراء الغزاة.

وقيل: هذه الزيادة في حقِّ مَن هاجر مع رسول الله ﷺ، ولهذا قال النبيُّ ﷺ: «لو أن أحدهم»؛ أي: الذين يأتون بعد الصحابة «أنفقَ مثلَ أحدٍ ذهباً ما بلغ مدَّ أحدِهم ولا نَصيفه»[٧].

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾: أي: غني واسع الفضل والجود، عليمٌ بنيَّات المنفِقين.

---

(١) في (أ): «الصدقة».

(٢) في (أ) و(ف): «تلفت».

(٣) قوله: «المذكور في أول هذه الآية في سبيل الله ويضاعف أيضاً لمن يشاء الإنفاق» من (أ).

(٤) في (أ): «أي ويضاعف».

(٥) في (ف): «جنس».

(٦) في (أ) و(ف): «أو».

(٧) رواه البخاري (٣٦٧٣)، ومسلم (٢٥٤٥)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

والآيةُ نزلت في عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما حين أراد رسول الله ﷺ غزوةَ تبوك، وهي غزوةُ جيش العسرة، ولم يكن للصحابة رضي الله عنهم سلاح ولا كُراعٌ، فقال عثمان رضي الله عنه: عليَّ جهازُ مَن لا جهازَ له، فجهَّز لهم بألفِ دابة وتصدَّق ببئر رُومةَ على المسلمين، وجاء عبد الرحمن بن عوف بأربعة آلاف درهم، وقال: كان عندي ثمانيةُ آلاف، فأمسكتُ لنفسي وعيالي أربعةَ آلافِ درهم وأَقرضتُ أربعةَ آلافٍ[1] لله تعالى، فقال النبي ﷺ له: «باركَ الله لك فيما أمسكتَ وفيما أعطيتَ»[2].

* * *

(٢٦٢) ـ ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى﴾ قيل: الأولى في إنفاق المجاهد على نفسه، وهذه في إنفاقه على غيره.

وقيل: هما جميعاً فيهما. وفي هذه الآية بيانُ ما يجب أن يُتحرَّز عنه[3] في

---

(١) بعدها في (أ) و(ر): «درهم».

(٢) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٨٧)، والبغوي في «تفسيره» (١/ ٣٢٥)، عن الكلبي، وقال الشهاب الخفاجي في «الحاشية على البيضاوي» (٢/ ٣٤١): قيل: إنه لا أصل له في كتب الحديث.

قلت: لكنه ورد بغير هذا السياق، فقصة عبد الرحمن بن عوف مروية في سبب نزول قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ [التوبة: ٧٩] من حديث ابن عباس رضي الله عنهما وغيره. انظر: «تفسير الطبري» (١١/ ٥٨٩ ـ ٥٩٦)، وقصة عثمان دون ذكر نزول الآية رواها الترمذي (٣٧٠١) من حديث عبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنه وقال: حسن غريب.

(٣) في (ر): «منه».

الإنفاق، وهو المنُّ والأذى؛ أي: لا يَمنُّ على أصحابه بحضوره بنفسه بعُدَّته، ولا يؤذيهم بذكرِ حاله فيقولَ: لولا حضوري لكان كذا وكذا، ولا يَمنُّ أيضاً على مَن يُنفِقُ عليه ولا يؤذيهِ.

وقيل[١]: المنُّ تعدادُ النعم على المنعَم عليه، فيقول: ألَمْ أُعْطِكَ؟ ألَمْ أُغِنْكَ؟ ألَمْ أُنعِشْكَ؟

وأصل المن: القطعُ؛ قال الله تعالى: ﴿لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ [فصلت: ٨]؛ أي: غيرُ مقطوعٍ، سمي الامتنانُ[٢] بالنعمةِ مَنًّا لأنه يقطعُ لذةَ النعمة.

والأذى: هو استسخارُ المتصدَّقِ عليه؛ أي: استعمالُه في أعماله.

وقيل: هو أن يواجِهه بما يَسوؤه فيقولَ: أنت امرؤٌ فقير لا تأتيني إلا لحاجةٍ، وقد ابتلاني الله بك[٣]، وأراحني الله منك.

وقيل: أي: لا يُتْبعون ما أَنفقوا منًّا على الله ولا أذًى للفقير.

وقال القشيري رحمه الله: أي: لا يمنُّون بفعلهم، بل يَشهدون المنة لله تعالى بتوفيق ذلك عليهم[٤].

وقوله تعالى: ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾: أي: ثوابُ إنفاقهم إلى سبعِ مئةٍ وأكثر، ومَن أيقَن أنه إذا بذَر حبةً أخرجت له سبع مئةٍ لم يُقصِّر، فكذا ينبغي لمن يطلب الأجر في الآخرة عند الله تعالى.

---

(١) في (ر): «ويقول»، وفي (ف): «ويقال».

(٢) في (ف): «الإنسان».

(٣) في (أ): «ومن ابتلاني بك»، بدل: «وقد ابتلاني الله بك».

(٤) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٢٠٤).

قوله[١] **تعالى:** ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾: أي: من نقصانه، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ [طه: ١١٢].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾: أي: من فوته.

وقيل: ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ من العذاب ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ بفوتِ الثواب[٢].

* * *

(٢٦٣) ـ ﴿ ۞ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾: أي: كلامٌ جميلٌ لمَن التمسَ منك صدقةً فردَدْتَه بالجميل، أو وعدته، أو دعوتَ له، فقلتَ: يَسَّر[٣] اللهُ تعالى، أو: أغنانا اللهُ وإيَّاك، أو: يفتحُ الله[٤].

وقوله تعالى: ﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾: أي: تجاوَز عنه إذا أساءَ السؤالَ، أو: سَتَر عليه حالَه؛ فلا يُعيِّره بفقره، ولا يَهتك سترَه عند الناس[٥]، ولا يَعيبه.

وقوله تعالى: ﴿خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى﴾: أي: هذا خيرٌ لك مِن أنْ تتصدَّق عليه ثم تَمُنَّ عليه[٦] أو تُؤذيه.

فإنْ قالوا: أيُّ خيرٍ في الصدقة فيها أذًى حتى يقال: هذا خيرٌ؟

---

(١) في (ر) و(ف): «قال الله».

(٢) في (ف): «الفوت».

(٣) في (ر) و(ف): «أو قلت له سييسر»، بدل: «فقلت يسر».

(٤) في (أ): «أتكلف ذلك إن شاء الله»، وفي (ف): «تكلف ذلك إن شاء الله»، بدل: «يفتح الله».

(٥) في (أ): «الله».

(٦) في (أ): «به».

قلنا: يعني: عندكم كذلك، وهو[١] كقوله: ﴿قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ﴾ [الجمعة: ١١]؛ أي: عندكم ذاك خيرٌ، لكن اعلموا أنَّ هذا خيرٌ لكم في الدنيا والآخرة ممَّا تَعدُّونه أنتم خيراً.

وقيل: ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ﴾ لا يرجعان إلى ما هو معاملةُ الفقير، بل يقول: إنْ لم يَتيسَّر[٢] عليكم الإنفاق على الفقير فاعملوا عملاً آخَرَ هو أخفُّ عليكم، وهو ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾ أي: كلامٌ جميلٌ مع الناس، وأمرٌ بمعروفٍ؛ أي: صدقةٍ[٣] ﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾؛ أي: عفوٌ عن الجانينَ عليكم.

وقيل: سؤالُ مغفرةِ العصاة[٤] بالاستغفارِ لهم[٥] مِن الله تعالى، ذاك خيرٌ مِن التصدُّق الذي بعده الأذى.

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: أي: إقرارٌ منك مع الله بعجزك وجُرمك، وغفرانُ الله تعالى لك على ذلك، خيرٌ لك مِن صدقةٍ بالمَنِّ مشوبةٍ، وبالأذى مصحوبةٍ[٦].

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾: أي: مستغنٍ عن صدقاتِكم؛ ما أَمَركم بها لحاجته بل لمنافعكم، حليمٌ لم يُعاجِلكم بالعقوبة على التصدُّق ثم الإتباعِ بالمنِّ والأذى.

---

(١) في (أ): «وهذا».

(٢) في (ر): «ييسر».

(٣) «أي: صدقة» سقط من (أ) و(ف).

(٤) في (ف): «للعصاة».

(٥) «لهم»: من (ر).

(٦) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٢٠٤).

(٢٦٤) ـ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾ تعلَّقت المعتزلةُ بظاهر هذه الآية في أنَّ الكبيرةَ تُحبِط الطاعات، وتُخلِّد صاحبَها في النار، وهي حجَّةٌ عليهم لا لهم، فإنَّ اللهَ تعالى خاطبَهم بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ فبقيَ اسمُ الإيمان لهم[1]، وأخبر أنَّ الحسناتِ يُذهبنَ السيئات، فأمَّا في هذه الآية فهي بيانُ أنَّ الصدقةَ إذا كان معها مَنٌّ أو أذًى لم تكن صدقةً حقيقةً وإنْ تراءت صدقةً، فإنَّ الصدقةَ ما يُبتغَى بها وجهُ الله تعالى، وهذا كقول النبيِّ ﷺ: «لا يَقبلُ اللهُ صلاةً بغير طُهورٍ، ولا صدقةً مِن غُلولٍ»[2] ليس أنَّها بغير طُهورٍ صلاةٌ، ومِن الغلولِ صدقةٌ، ثم لا تُقبل، بل ذاك ليس بصلاةٍ ولا صدقةٍ.

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: إنَّما تُحمل[3] المنَّة مِن الحقِّ سبحانه، فأمَّا مِن الخلق فليس لأحدٍ على غيره منَّةٌ، وإنَّ تحمُّل المننِ مِن المخلوقين أعظمُ محنة، وشهودَ المنَّة مِن الله تعالى أعظمُ نعمةً، قال قائلهم:

ليس إجلالك الكبارَ بِذُلٍّ ... إنَّما الذُّلُّ أنْ تُجِلَّ الصِّغارا[4]

وقوله تعالى: ﴿كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾: بيَّن أنَّ مَن

---

(١) «لهم» من (ر).

(٢) رواه مسلم (٢٢٤) من حديث ابن عمر رضي الله عنه.

(٣) في (ف): «تحمد»، والمثبت موافق لما في «اللطائف».

(٤) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٢٠٤).

تصدَّق ثم مَنَّ أو آذى، فهو في عدم الانتفاع بذلك كالذي هو كافرٌ لا يُؤمن بالله ولا يُصدِّق بالبعث والجزاء، وإنَّما يتصدَّق مراءاةً للناس، فلا نفعَ له بذلك.

وقوله تعالى: ﴿فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ﴾: هو الحجرُ الصافي الأملسُ، وكذلك الصَّفا.

وقوله تعالى: ﴿عَلَيْهِ تُرَابٌ﴾: أي: مَثَلُ نفقةِ الكافر المرائي كمَثَل حجرٍ أملسَ جُعل عليه ترابٌ.

وقوله تعالى: ﴿فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ﴾: أي: مطرٌ شديدُ الوقعِ كثيرُ القَطْر، وكذلك الوَبْل، وقد وَبَلَتِ السماءُ تَبِلُ وَبْلاً.

وقوله تعالى: ﴿فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا﴾: هو: الحجرُ الأملسُ الصلبُ، والصَّلدُ أيضاً: أرضٌ لا تُنبتُ شيئاً، والصَّلدُ: البخيل أيضاً، يُشبَّه بالحجر الذي لا يَخرج منه شيءٌ، وصَلُدَت الزَّنْدُ صُلُوداً: إذا لم تُورِ ناراً، وفرسٌ صَلودٌ: يُبطئ عَرَقُه.

يقول: كما[1] أنَّ الحجرَ لا ينبت[2] بذراً، والترابَ في موضعِ ما[3] لا يُصلح بذراً، والوابلُ إذا أصاب لم يَترك على الحجر شيئاً، فالزرعُ مأيوسٌ عنه بهذا الطريق، فكذا[4] الكافرُ بهذا الإنفاق لا يَستفيد شيئاً، وكذا المؤمنُ المتصدِّق المنَّان والمؤذي[5] لا ينال به ثواباً.

وقوله تعالى: ﴿لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟﴾: أي: لا يجدون ثوابَ

---

(١) في (أ): «فكما».

(٢) في (ر): «لا يثبت».

(٣) في (ف): «في وضع»، بدل: «موضع ما».

(٤) في (أ): «فكذا».

(٥) في (أ): «المان المؤذي».

شيءٍ ممَّا أنفقوا، يقال: فلانٌ لا يَقدر على درهم؛ أي: لا يجدُه ولا يملكه.

وجُمع قوله: ﴿لَّا يَقۡدِرُونَ﴾ وقد وحِّد في قوله: ﴿كَٱلَّذِي يُنفِقُ﴾؛ لأنَّه بمنزلة الجنس ويَصلح للجمع معنًى.

ثم قوله: ﴿رِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾ هذا وصفٌ كافٍ لحرمان الثواب، وقولُه: ﴿وَلَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ﴾ كذلك، قال في حقِّ المنافق: ﴿أَنفِقُواْ طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمۡ﴾ [التوبة: ٥٣]، وقال في حقِّ الكافر: ﴿وَمَا مَنَعَهُمۡ أَن تُقۡبَلَ مِنۡهُمۡ نَفَقَٰتُهُمۡ إِلَّآ أَنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٥٤]، فاذا اجتمع الوصفان كان أَولى بالحرمان.

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾: أي: لا يُوفِّقهم ولا يُرشدهم إلى الصدقة المَرْضيَّة في الدنيا، ولا يَهديهم إلى الجنَّة في العُقبى، قال تعالى في حقِّ المؤمنين: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡ﴾ [يونس: ٩]؛ أي: إلى الجنَّة ومنازِلهم فيها.

وقال الزجَّاج؛ أي: لا يَجعلهم بكفرهم مُهتدين(١).

قالوا(٢): الصَّفوانُ مَثَلُ الكافر، والترابُ مَثَلُ عمله، والوابلُ مَثَلُ كفره(٣)، فما يتراءى عليه مِن عمله يتلاشى بسبب كفره.

وقيل: تحقيقُ هذا المثَل: أنَّ أعمالَ العباد ذخائرُ لهم(٤) ليوم حاجتهم؛ فمَن عمِل بإخلاصٍ فكأنَّه ادَّخر عملَه في شيءٍ، وكأنَّه بذرَ في أرضٍ مُنبتةٍ، فهو يتضاعف له وينمو حتى يحصدَه في إبَّانه، ويجدَه في وقتِ حاجته إلى ثمره، فأمَّا المنافقُ فإنَّه

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٣٤٧).

(٢) في (أ): «وقال».

(٣) في (ف): «مثل الكفار... مثل عملهم... مثل كفرهم».

(٤) في (ر) و(ف): «ذخائرهم».

يَدَّخر عملَه حيث لا ينمو، ويُلقي بذرَه حيث لا يَنبت؛ لأنَّ الصفوانَ مستودعُ عمله ومزروعُ بذره، وإذا أصابه مطرٌ جَودٌ[١] بقيَ مستودعُ عملِه خالياً لا شيءَ فيه.

* * *

(٢٦٥) ـ ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾: أي: لطلبِ رضاه.

وقوله تعالى: ﴿وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾: قيل: تحقيقاً مِن أنفسهم لِمَا يُنفقونه، حتى يستويَ ظواهرُهم وبواطنُهم في أنَّه لابتغاءِ مرضاةِ اللهِ تعالى لا لرياءِ الناس، ولا يكونَ فيه مَنٌّ ولا أذًى، وهو معنى قولِ مقاتل: وتثبيتٌ مِن أنفسهم؛ أي: وتصديقٌ مِن قلوبهم[٢].

وقيل: تثبيتاً مِن أنفسهم؛ أي: تقويةً لليقين وتبصرةً في الدِّين، وهو معنى قول الشعبيِّ والسديِّ وأبي صالح وابنِ زيد[٣].

وقيل: أي: يتثبَّتون أين[٤] يضعون صدقاتهم، وهو قول ابنِ عباس رضي الله

---

(١) أي: غزير.

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (١/ ٢٢١)، وفيه: «وتثبيتاً... وتصديقاً...».

(٣) انظر: «النكت والعيون» (١/ ٣٣٩)، والآثار رواها الطبري في «تفسيره» (٤/ ٦٦٨ ـ ٦٦٩).

(٤) في (أ): «يتثبتون أي»، وفي (ف): «أي يثبتون أي»، وفي (ر): «يثبتون أي». والصواب المثبت. انظر: «تفسير الطبري» (٤/ ٦٦٩ ـ ٦٧٠)، وقد روى الطبري هذا القول بهذا اللفظ عن مجاهد والحسن، واستبعده لأنه لو كان التأويل كذلك لكان يجب أن يكون لفظ الآية: (وتثبتاً من أنفسهم) كما قال، وانظر كلامه بتمامه في الموضع المذكور.

عنهما، فإنَّه قال: هو أنْ تُعطوا الصدقةَ الأحوجَ فالأحوجَ، وإليه يرجع قولُ عطاء: يتثبَّت في صدقته فيضعُها في أهل الصلاح والعفاف(١).

وقوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ﴾ شبَّه هؤلاء بجنَّة؛ وهي البستانُ الذي يَكثر أشجارُه؛ فتمتدُّ ظلالُها، وتنتشرُ أغصانها، وتكثُر ثمارها، وتختلفُ ألوانها، وتَطيبُ طُعومها؛ فمَن أَخلص لله تعالى عملَه كان كمَن اتَّخذ بستاناً في رَبوة؛ أي: مكانٍ مرتفعٍ(٢) مِن الأرض مستوٍ، قد رَبَا عليها؛ أي: علا ونما، وفيها ثلاثُ لغاتٍ: فتحُ الراء وضمُّها وكسرُها.

وقرأ عاصم وابنُ عامر بفتح الراء، والباقون بضمِّها(٣).

وقوله تعالى: ﴿أَصَابَهَا وَابِلٌ﴾: أي: وصل إليها وابلٌ كثيرُ(٤) القَطْر شديدُ الوقع.

وقوله تعالى: ﴿فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ﴾: أي: أَعطت بركتها(٥) ـ أي: غلَّتها ـ مِثْلَي ما تُخرجه أرضٌ ليست على الربوة؛ لأنَّها أحمدُ مواضعِ الجنان في النُّزهة وكثرة الغلَّة.

وقوله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾: أي: فإنْ لم يصلْ إلى هذه الجنَّة المطرُ العظيمُ القَطْرِ(٦)، أصابه المطرُ الصغيرُ القَطْر(٧).

---

(١) لم أجدهما.

(٢) «مرتفع»: من (أ).

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ١٩٠)، و«التيسير» (ص: ٨٣).

(٤) في (أ): «مطر كبير»، وفي (ف): «مطر كثير»، بدل: «وابل كثير».

(٥) في (أ): «نزلها».

(٦) «القطر»: ليست في (أ) و(ف).

(٧) في (أ): «القطرة»، وسقطت من (ف).

وقيل: الطَّلُّ: النَّدى، والطَّشُّ كذلك، وهو[1] الذي يبلُّ وجه الأرض.

ثم في تقريب هذا الكلام ثلاثةُ أقاويل:

فقيل: إنْ لم يُصبها وابلٌ وأصابها طَلٌّ، آتت أُكلها ضعفين أيضاً، فلا تَنقص غلَّتُها لحُسْن موضعها.

وقيل: إنْ أصابها وابلٌ آتت أُكلها ضعفي ما تُؤتي أرضٌ ليست على الربوة بالوابل، وإنْ أصابها وابلٌ آتت أُكلها ضعفي ما تُؤتي غيرُها بالطَّلّ.

وقيل: إنْ أصابها وابلٌ آتت أُكلها ضعفين، وإنْ أصابها طَلٌّ أخرجت ثمراً بقَدْره، فلا تخلو عن غلَّة[2]، فكذلك مَن أخرج صدقتَه لله تعالى لم يُضِع كسبه قلَّ أو كثُر، بخلاف مَن أخرجها رياءً، فإنَّه يَبطُل سعيُه ويَخيب أملُه[3].

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ﴾: أي: يرى أعمالَكم على إقلالٍ وإكثارٍ، ويعلم نيَّاتكم فيها مِن رياء وإخلاص، فأخلِصوا يَجْزِكم جزاءَ المخلِصين، وأكثِروا يُعطكم ثوابَ المكثِرين.

* * *

(٢٦٦) ـ ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمۡ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعۡنَابٍ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلۡكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعۡصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحۡتَرَقَتۡۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَتَفَكَّرُونَ﴾.

---

(١) في (أ): «وقيل هو».

(٢) من قوله: «أيضاً، فلا تنقص غلتها...» إلى هنا وقع بدلاً منه في (ر) و(ف): «ما تؤتي غيرها بالطل. وقيل: إن أصابها وابل آتت أكلها ضعفين ؛ أي: أخرجت ثمراً تقديره زاكياً عن غيره والصدقة قد تخلو عن غلة».

(٣) في (ف): «عمله».

وقوله تعالى: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ﴾: أي: أيحبُّ أحدُكم، أيريد أحدُكم، استفهامٌ بمعنى النفي.

﴿أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ﴾: أي: بستانٌ كثيرُ الأشجار والنبات، وقوله: ﴿مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ﴾؛ أي: فيها مِن[1] أشجارِ التمر[2] وزراجين[3] الأعناب، ولم يُرِدْ أنَّ كلَّ بستانٍ متَّخَذٌ مِن هذين، ولكن إذا كثُر فيه هذان جاز إطلاقُ الاسم عليه مِن هذا الوجه، كما يقال: دارٌ مِن آجُرٍّ، وبستانٌ مِن عنبٍ.

والنخيل: جمع نخلٍ، كالعبيد: جمع عَبْد، والكَليب: جمع كلب.

والنخل يكون واحداً فيذكَّر؛ قال تعالى: ﴿أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ﴾ [القمر: ٢٠] ويكون جمعاً فيؤنَّث؛ كما قال تعالى: ﴿أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٧] ويكون جمعَ نخلة، كالنَّمل جمع نملة.

والأعناب: جمع عنب.

وقوله تعالى: ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾: أي: تسيلُ مِن تحت أشجارها المياهُ في الأنهار، وبالماء نماؤها وبهاؤها.

وقوله تعالى: ﴿لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾: أي: لصاحبها فيها سوى النخيل والأعناب الفواكهُ مِن كلِّ بابٍ، فهو[4] نهايةٌ في الحُسن والإعجاب.

وقوله تعالى: ﴿وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ﴾: أي: أتاهُ الشيبُ وفاتَهُ الشبابُ.

---

(١) «من» ليست في (أ) و(ف).

(٢) في (ر) و(ف): «الثمر».

(٣) في (ر): «وعراجين». والزراجين جمع الزَّرَجون بالتحريك، وهو: الكرم، أو قضبانها.

(٤) في (ر) و(ف): «فيهن» بدل: «فهو».

وقوله تعالى: ﴿وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ﴾؛ أي: أولادٌ أطفالٌ صغارٌ ضعافٌ عجَزةٌ[١] عن الاكتساب، وكانت هذه معاشاً له ولأولاده، ولهم منها[٢] الأقواتُ والأثواب.

قوله تعالى[٣]: ﴿فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ﴾: أي: أصابَ الجنَّةَ ريحٌ شديدةُ الهبوب، ملتفَّةٌ في الهواء، حاملةٌ للتراب ﴿فِيهِ نَارٌ﴾؛ أي: صاعقةٌ عظيمةُ الالتهاب ﴿فَٱحْتَرَقَتْ﴾: أي: الجنَّة بالنَّار، فصارت نعمُها[٤] إلى الذهاب، وأصلُها إلى الخراب، فكما يبقى هو وذرِّيَّته في الحسرات[٥] لتقطُّع الأسباب، فكذا الكافرُ والمنافق والمرائي والمنَّان[٦] والمؤذي يتحسَّرون على صدقاتهم[٧] يوم يقومُ الحساب، حين فاتَهم الثوابُ وحقَّ عليهم العذاب.

وقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾: أي: هكذا يُنزل اللهُ الآياتِ ويضرب[٨] الأمثالَ؛ لتتفكَّروا فيها يا أُولي الألباب.

وقال ابنُ عباس رضي الله عنهما: هذا مَثَلُ مَن عمِل الحسنات، ثم فَتنه الشيطانُ فعمل السيئاتِ؛ فأحرق أعمالَه كلَّها.

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: هذه آياتٌ ذكرها اللهُ تعالى على جهة ضَرْب

---

(١) في (ر): «صغار عجزة»، وفي (ف): «صغار ضعاف عجاز».

(٢) في (ر): «ولهم منافع»، وفي (ف): «ولهم مناقع».

(٣) «قوله تعالى» من (ف).

(٤) في (ر): «فصار نعيمها».

(٥) في (ر) و(ف): «في الخسران».

(٦) في (أ): «والمان».

(٧) بعدها في (ف): «يوم القيامة».

(٨) في (ر): «ويصرف».

المَثَل للمُخلِص والمنافق، وللمنفِق في سبيل الله تعالى والمنفِق في الباطل؛ هؤلاء يحصل لهم الخَلَفُ والشَّرفُ، وهؤلاء لا يَحصل لهم إلَّا السَّرف والتَّلف[1]، وهؤلاء ضلَّ سعيُهم وهؤلاء شُكر سعيهم، وهؤلاء تَزكُو أعمالهم وهؤلاء حبِطت أعمالهم، وخسرت أحوالُهم، وختم بالسوء آمالهم، ويُضاعَف عليهم وبالُهم.

ويقال: مَثَل هؤلاء كالذي أَنبت زرعاً؛ فزكا أصلُه ونما فصلُه وعلا فرعُه وكثر نفعُه، ومثَل هؤلاء كالذي خسرت صفقتُه وسُرقت بضاعتُه وضاعت[2] على كِبَر سنِّه حيلته[3]، وتواترت[4] مِن كلِّ وجهٍ محنتُه، هل يستويان مثلاً؟ وهل يتقاربان شَبَهاً[5].

* * *

(٢٦٧) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبۡتُمۡ وَمِمَّآ أَخۡرَجۡنَا لَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلۡخَبِيثَ مِنۡهُ تُنفِقُونَ وَلَسۡتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغۡمِضُواْ فِيهِۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبۡتُمۡ﴾: أي: مـمَّـا يُستطاب مِن أكسابكم، ومنهم مَن حمَلها على الحلالات، لكنَّ ما بعده ـ وهو قوله: ﴿وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلۡخَبِيثَ مِنۡهُ تُنفِقُونَ﴾ والخبيث هو الرديء المُستخبَث ـ يدلُّ على أنَّ الأَولى صرفُه إلى ما قلنا.

---

(١) في (ف): «وهؤلاء يَحصل لهم السَّرف والتَّلف»، وعبارة «اللطائف»: (وهؤلاء لا يحصل لهم في الحال إلا الردّ، وفي المآل إلا التلف).

(٢) في (أ): «وضاقت». والمثبت موافق لما في «اللطائف».

(٣) في (ر) و(ف): «غلته»، وفي (أ): «علته»، والمثبت من «اللطائف».

(٤) في (ف): «وتوافرت». والمثبت موافق لما في «اللطائف».

(٥) بعدها في (ر): «وعملًا»، والمثبت موافق لما في «اللطائف». وانظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٢٠٥ ـ ٢٠٦).

ثم هو أمرٌ بأداء زكاةِ أموالِ التجارة.

وقولُه تعالى: ﴿وَمِمَّآ أَخۡرَجۡنَا لَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ﴾: أي: مِن الغلَّات؛ وهي إنزالُ الأشجار والكروم والأراضي، وهذا أمرٌ بأداء عُشْر الخارج مِن الأراضي العشريَّة.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلۡخَبِيثَ﴾: أي: لا تقصدوا الرديءَ، وقد أَمَّ ويَمَّ وتأمَّم وتَيمَّم: إذا قصَد، ومنه قوله: ﴿فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا﴾ [النساء: ٤٣].

ثم الخبيثُ نقيضُ الطَّيِّب، ولهما جميعاً ثلاثةُ معانٍ؛ الطَّيِّب الحلال والخبيث الحرام، والطَّيِّبُ الطاهرُ والخبيثُ النَّجس، والطَّيِّب ما يَستطيبه الطبعُ والخبيثُ ما يَستخبثُه.

وقيل: أصلُ الخبيث: الرديءُ، وبمعنى الرداءة يقع على المعاني الثلاثة التي قلنا.

وقوله تعالى: ﴿مِنۡهُ تُنفِقُونَ﴾: أي: مِن الخبيث تتصدَّقون.

وقوله تعالى: ﴿وَلَسۡتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغۡمِضُواْ فِيهِ﴾: أي: وأنتم لا تأخذونَ مثلَه ممَّن كان لكم عليه جنسُه إلَّا أنْ تتساهلوا فيه وتَغضُّوا أعينكم عن الاستقصاء على مؤدِّيه، ويقال[1] لمن سامح وساهل: إنَّه[2] قد غَمض طَرْفَه، ويقال: معناه: إلَّا أنْ تستحيوا، وذلك مستعملٌ في اللغة، قال الشاعر:

فغُضَّ الطَّرْفَ إنَّك مِن نميرٍ فلا كَعْباً بلغتَ ولا كِلاباً[3]

وقوله تعالى: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ﴾: أي: مستغنٍ عن صدقاتكم لا يتكثَّر بها إنْ أَعطيتُم، ولا يَنقص مِن ملكه شيئاً إنْ مَنَعتم.

---

(١) في (ر) و(ف): «يقال».

(٢) «أنه»: من (ف).

(٣) البيت لجرير، وهو في «ديوانه» (٣/ ٨٢١).

﴿حَمِيدٌ﴾: مُستحِقٌّ للحمد على[١] أمركم بذلك مع استغنائه عنه؛ لينفعكم بذلك[٢] في الدَّارين.

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: ليَنظُر كلُّ واحدٍ ما الذي ينفقه[٣] لأَجْل نفسِه، وما الذي يُخرجه بأمر ربِّه؛ الذي يخرج عليك مِن ديوانك؛ فما كان لحظِّك فنفائسُ ملكك، وما كان لربِّك فخسائسُ ملكك، الذي لله لقمةٌ لقمة، والذي لأجلك فأجلُّها قيمة، ثم أَبصِر كيف يستره[٤] عليك، بل كيف يَقبله منك، بل أَبصر كيف يعوِّضك عليه، بل أَبصر كيف يَمدحك به، بل أَبصر كيف يَنسُبه إليك؛ الكُلُّ منه فضلاً، ولكنَّه يَنسُبه إليك فعلاً، ثم يُوْليه عليك عطاءً[٥] ويُسمِّيه جزاءً، يوسعك بتوفيقه بِرًّا، ثم يملأُ العالَمَ منك شكراً[٦].

ودلَّت الآيةُ على جواز الكسب، ودلَّت أنَّ أحسنَ وجوه التعيُّش هو التجارة والزراعة، فإنَّ الآيةَ جَمَعتهما، ودلَّت على وجوب زكاةِ مال التجارة وعُشْرِ الأراضي العُشريَّة.

وقيل: كانوا يُخرِجون زكاةَ الفطر مِن التمر الرديء، فنُهُوا عن ذلك.

وقيل: نزلت في التطوُّع، قال البراء بنُ عازب رضي الله عنه: نزلت في الأنصار؛

---

(١) بعدها في (ر) و(ف): «ما».

(٢) في (ف): «ذلك».

(٣) في (أ): «ينفعه» والمثبت موافق لما في «اللطائف».

(٤) في (أ): «يسره»، وفي (ر): «سيرده». والمثبت من (ف) وهو الموافق لما في «اللطائف»، ولفظه: (يستر).

(٥) في (أ): «تولى عليه عطاء»، وفي (ف): «يولي عليك عطاء» وفي «اللطائف»: «ثم يوني عليك عطاءه».

(٦) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٢٠٦).

كانوا إذا كان وقتُ جُذاذ النخل وإزهاءِ البُسر يعلِّقونه على حبلٍ بين أسطوانتَيْن في المسجد، فتأكل منه فقراءُ المهاجرين، فكان يعمدُ بعضهم فيُدخل القنوَ الحشفَ فيُعلِّق، فنزلت فيمَن فعل ذلك: ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ﴾[1] ولو أُهدي لكم ما قَبلتموه ﴿إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا۟ فِيهِ﴾؛ أي: على استحياءٍ مِن صاحبه.

والأشهر الأظهر أنَّه في الواجب.

قال مجاهد: كانوا يتصدَّقون بحشفٍ، فنُهوا عن ذلك، قال: ﴿إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا۟ فِيهِ﴾؛ أي: لا تأخذونه مِن غرمائكم ولا في بيوعكم إلَّا بزيادة على الكيل[2].

وقال قتادة: ﴿وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ﴾ يعني: بآخذي هذا الرديءِ بسعرِ الطَّيِّب ﴿إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا۟ فِيهِ﴾، يقول: إلَّا أنْ ينقصَ لكم[3].

* * *

(٢٦٨) ـ ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ﴾ أي: يخوِّفكم، وعلى الإطلاق يُقال: وَعَدهُ، في الخير، وأوعدهُ في الشَّرِّ، لكن يجوز ذِكْر الوعد في الشَّرِّ إذا قيَّده بما به فُعِل ذلك، كالبِشارة مُطلقُها للخبر السَّارِّ، ثم يقال: بشِّره بالنار، ونحو ذلك على التقييد.

---

(١) رواه الترمذي (٢٩٨٧)، وابن ماجه (١٨٢٢)، والطبري (٤/ ٦٩٩)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٨٨).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٧٠١).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٧٠١ ـ ٧٠٢).

ومعناه: أنَّ الشيطانَ هو الذي يمنعكم عن الإنفاق، أو يأمركم بإعطاء الخبيث؛ لِمَا[١] يخوِّفكم به مِن الفقر بسبب الإنفاقِ وإخراجِ الطيِّب.

وقوله تعالى: ﴿وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ﴾: أي: بالفِعلةِ القبيحة وهي البُخل، والفاحشُ اسمُ البخيلِ لغةً؛ لِفُحْشِ[٢] فِعلِهِ.

قال الكلبيُّ ومقاتل: كلُّ فحشاءَ في القرآن فهي زنًى، إلَّا هذه فإنَّها منعُ الزكاة[٣].

وقوله تعالى: ﴿يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا﴾: أي: يبشِّركم بمغفرةِ الذنوب على[٤] الصَّدقات والنفقات، ويبشِّركم بالتفضُّل عليكم؛ بإعطاء الخَلَف في الدنيا والثوابِ في العقبى.

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾: أي: غنيٌّ كثيرُ الفضل قادرٌ على إعطاء الخَلَف والثواب ﴿عَلِيمٌ﴾ بأفعالكم ونيَّاتكم.

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: الشيطانُ يعدُكم الفقر لفقره، والله يعدُكم[٥] المغفرة لكرمه، الشيطانُ يُشير عليك بإحراز المعلوم وبطاعة الحرص، ولا فقرَ فوقه، ويعدك الفقرَ بردِّك إلى اختيارك وتدبيرك، وبتعليق قلبك بغيره، والاتِّكال على مَن سواه، أو بنسيان ما عوَّدك في سائر عمرك مِن كفايته ورعايته، ﴿وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ﴾؛ أي: بالرغبة في الدنيا والحرصِ عليها، والإيثارِ لجمعها ومنعها عن

---

(١) في (ر): «الحشف بما»، وفي (أ): «الخبيث بما».

(٢) في (ر): «لأن الفحش»، وفي (ف): «الفحش».

(٣) انظر: «تفسير الثعلبي» (٢/ ٢٧٠) عن مقاتل بن حيان.

(٤) في (ر) و(ف): «في».

(٥) في (أ) و(ف): «يعد» في الموضعين.

وجوهها، وبطول[1] الأمل ومتابعة الشهوات، وإيثار الحظوظ، والرجوع فيما تركته لله، والله يعدكم في العاجل بالقناعة، وفي الآجل بالثواب وحُسْن المآب[2].

* * *

(٢٦٩) - ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ﴾: أي: يُعطي اللهُ صوابَ[3] القول والعمل مَن يشاء مِن عباده، فلا يَقبَلُ[4] ما يَعدهُ الشيطان، ويعتمد على ما وعده اللهُ تعالى[5].

وفي الآية ردٌّ على المعتزلة في قولهم بوجوب الأصلح، فإنَّه بيَّن أنَّه يُعطي الحكمةَ مَن يشاء لا الكُلَّ.

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾: (مَن) كلمةُ شرطٍ، وسقطت الياء مِن آخرِ ﴿يُؤْتَ﴾ للجزم بها، وجزاءُ هذا الشرط ﴿فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾؛ أي: أُعطي ذلك.

وكثرت الأقاويل في تفسير هذه الحكمة:

قال ابنُ عباس رضي الله عنهما: هي عِلْمُ القرآن.

---

(١) في (ر) و(ف): «بطول».

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٢٠٦ ـ ٢٠٧).

(٣) في (أ): «ثواب».

(٤) في (ر): «فلا يُقبِل على».

(٥) في (أ): «وعده الرحمن».

وقال ابنُ زيد: هي علم الدِّين.

وقال السدِّيُّ: هي النبوَّة.

وقال مجاهد: هي الإصابة.

وقال إبراهيم: هي الفهم.

وقال الربيع: هي الخشية.

وقيل: هي العلم بوسوسة الشيطان، والتمييزُ بينها وبين إلقاءِ المَلَك في القلب.

وقال عطاء: المعرفة بالله تعالى.

وقال ابنُ عباس رضي الله تعالى عنهما: علمُ تفسير القرآن والعملُ به.

وقيل: السُّنَّة.

وقيل: فهمُ سرائر القرآن.

وقيل: الفقه[1].

ومرَّت أقاويلُ أُخر عند قوله: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [البقرة: ١٢٩].

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: الحكمةُ: أنْ يَحكُم عليك داعي الحقِّ لا خاطرُ النفس، وأنْ تَحكُم عليك قواهرُ الدَّيَّان لا زواجرُ[2] الشيطان.

وقيل: هي أنْ لا تحكم عليك رعوناتُ البشريَّة، ومَن لا حُكم له على نفسه لا حُكم له على غيره.

قال: ويقال: الحكمةُ موافقةُ أمرِ الله تعالى، والسَّفهُ مخالفةُ أمره، والحكمةُ شهودُ الحقِّ، والسَّفهُ شهودُ الخَلْق[3].

---

(١) انظر هذه الأقوال في «النكت والعيون» (١/ ٣٤٤)، و«تفسير الطبري» (٥/ ٨ـ ١٢).

(٢) في (أ) و(ف): «زواجر».

(٣) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٢٠٨).

وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾: أي: وما يتَّعظ بمواعظ اللهِ إلَّا أولو الألباب؛ أي[1]: العقولِ السليمةِ، ولا يتناول هذا كلَّ مكلَّف وإن كان ذا عقل، فإنَّ[2] مَن لا يغلب عقلُه هواه لم ينتفع به، فكأنَّه لا عقلَ له.

* * *

(٢٧٠) ـ ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ﴾: (ما) كلمةُ شرطٍ، وهي للعموم؛ أي: أيُّ شيءٍ أنفقتم، على أيِّ وجهٍ كان منكم.

وقوله تعالى: ﴿أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ﴾: أي: الْتزَمْتم لله تعالى مِن فعل خيرٍ، أو ترك شَرٍّ، ووفَّيتم به، هذا مُضمَر فيه.

وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ﴾: هذا جزاءُ الشرط، والهاءُ راجعةٌ إلى (ما)، ولذلك لم يُثَنَّ مع ذِكْر شيئين: النفقةِ والنَّذرِ؛ لأنَّ (ما) شيءٌ واحدٌ، والكنايةُ راجعةٌ إليه، وهو أبلغُ[3] وعدٍ ووعيدٍ على ما مرَّ.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾: أي: ليس لمَن خالف أمرَنا في الإنفاق، أو خالف ما نَذره مِن الطاعة لنا، مَن يَدفعُ عنه عذابنا؟!

والأنصارُ جمعُ جمعِ النَّاصر؛ فإنَّ النَّصْرَ يُجمع على النَّصْر، كالراكب يُجمع على الرَّكب، ثمَّ النَّصْر يُجمع على الأنصار، ومثلُه: الشاهدُ جمعه: الشَّهْد، ثم جمعُ الشَّهْد: الأشهاد.

---

(١) قوله: «الألباب أي» من (ر).

(٢) في (أ) و(ف): «لأن».

(٣) قوله: «النفقةِ والنَّذرِ؛ لأنَّ (ما) شيءٌ واحدٌ، والكنايةُ راجعةٌ إليه، وهو أبلغ» من (أ).

ومنهم مَن يجعل الأنصارَ جمعَ النَّاصر، وهو كالأصحاب جمع الصاحب، ومنهم مَن يجعله جمعَ النَّصير، كالأشراف جمع الشريف.

وقال بعضُهم في معنى الآية: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ﴾ لوجهِ الله، أو للرِّياء، ﴿أَوْ نَذَرْتُم﴾ في طاعةٍ أو معصيةٍ؛ ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ﴾، وهذا وعدٌ ووعيدٌ.

وقال ابنُ كيسان: معناها: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ﴾ ممَّا فُرض عليكم ﴿أَوْ نَذَرْتُم﴾ إنفاقَه متطوِّعين فوفَّيتم بذلك ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ﴾ وهذا وعدٌ عليهما جميعاً.

وقال الحسن: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ﴾ فأُريد به غيرُ[1] اللهِ تعالى، فإنَّ اللهَ لا يَقبله منكم إذا لم تُريدوه وحده[2].

* * *

(٢٧١) ـ ﴿إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ﴾: أي: إنْ تُظهِروا الصدقاتِ فَنِعْمَ الفعلةُ هذه، وهي كلمةُ مدحٍ، وأصله: نِعمَ مَا، فأُدغمت[3] إحدى الميمين في الأخرى.

وقرأها ابنُ كثير، وعاصمٌ في رواية حفصٍ، ونافعٌ في رواية ورشٍ: بكسر النون والعين، والنونُ في (نِعم) كانت مكسورةً، وحُركت العينُ بحركتها حين احتيجَ إلى

---

(١) «غير» ليست في (أ) و(ف).

(٢) «وحده» ليست في (أ) و(ف).

(٣) في (أ) و(ف): «أدغمت».

تحريكها عند اجتماعِ الساكنينِ حالَ[1] إسكانِ الميم الأُولى بالإدغام.

وقرأ أبو عمرو، وعاصمٌ في رواية أبي بكر، ونافعٌ في غيرِ رواية ورشٍ: ﴿فَنِعْمَّا هِي﴾ بكسرِ النُّون وإسكانِ العين[2]؛ إبقاءً على ما كان، واحتَمَل الجمعَ بين الساكنَيْن لأنَّه عارضٌ ضروريٌّ كما في: الدَّابَّة.

وقرأ ابنُ عامر وحمزةُ والكسائيُّ: ﴿فَنِعِمَّا هِيَ﴾ بفتحِ النونِ وكسرِ العينِ ردًّا إلى الفعل الأصليِّ، وإدغاماً للميم في الميم[3].

وقرأ الحسن: ﴿فَنِعْمَ ما هِي﴾ مفصولة[4]؛ تحرُّزاً عن التغيير.

وقوله تعالى: ﴿وَإِن تُخْفُوهَا﴾: أي: وإنْ تُسرُّوا [5] الصدقاتِ.

وقوله تعالى: ﴿وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾: أي: وتُعطوها الفقراءَ، فالإعطاءُ على الخفيَة خيرٌ مِن الإبداء؛ لِمَا يُخاف في الإبداء مِن الرياء، وليس ذلك في الإخفاء.

وقوله: ﴿فَهُوَ﴾ إنَّما وحَّد الإشارة مع سبق ذِكْر الإخفاء والإيتاء[6]، وهما شيئان؛ لأنَّ المعنى واحدٌ، وهو الإعطاء على خفية.

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: إنْ أَظهرتَ صحبتَك معنا وأَعلنتَ، فلقد

---

(١) في (ف): «حالة».

(٢) وروي عنهم أيضاً وجه آخر، وهو: اختلاس كسرة العين، وهو الإتيان بثلثي الحركة، ولم يذكره ابن مجاهد. انظر: «النشر» (٢/ ٢٣٥ ـ ٢٣٦).

(٣) انظر هذه القراءات في «السبعة» (ص: ١٩١)، و«التيسير» (ص: ٨٤)، و «النشر» (٢/ ٢٣٥ ـ ٢٣٦).

(٤) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٢٤) عن ابن مسعود.

(٥) في (أ) و(ف): «أي تسروها أي».

(٦) في (ر): «الإبداء والإخفاء».

أصبتَ وأحسنتَ، وإنْ حفظتَ سرَّنا عن دخول الوسائط بيننا، فقد صُنْتَ شروطَ الوداد، وشيَّدت مِن بناء الوصلةِ العماد[١].

وقوله تعالى: ﴿وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾ قرأ ابنُ كثير وأبو عمرو وعاصمٌ في رواية أبي بكر: ﴿ونُكفِّرُ﴾ بالنون والرَّفع، ويكون إخباراً عن الله تعالى عن نفسِه بكلمة الجمع، وهو بيانُ العَظَمة، كما في قوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ﴾ في مواضع، ويكون مستأنَفاً غيرَ معطوفٍ على جواب الشرط.

وقرأ نافع وحمزة والكسائي: ﴿ونُكفِّرْ﴾ بالنون والجزم على جواب الشرط، وتقديره: وإنْ تُخفوها وتُؤتوها الفقراء يَكن خيراً لكم، ونُكفِّرْ نحنُ[٢] مِن سيئاتِكم بذلك.

وقرأ ابنُ عامر وعاصمٌ في رواية حفصٍ ﴿وَيُكَفِّرُ﴾ بالياء والرفع[٣]، وتقديره: واللهُ يُكفِّر بذلك مِن سيئاتكم.

ودخول (مِن) للتبعيض؛ أي: يُكفِّر[٤] بعضَ سيئاتكم بهذه الصدقات.

والآيةُ ردٌّ على المعتزلة؛ فإنَّهم يقولون: الصغائرُ تقع مغفورةً، فلا حاجةَ إلى تكفيرها بشيءٍ، والكبائر لا تجوز مغفرتُها، واللهُ عزَّ وعلا أخبر أنَّ الصدقاتِ تُكفِّر بعضَ السيئات، فإنْ كانت تُكفِّر الصغائرَ فقد بطَل قولُهم: إنَّ الصغائرَ لا يحتاج فيها إلى التكفير، وإنْ كانت تُكفِّر الكبائرَ فقد بطَل[٥] قولهم: إنَّه لا يجوزُ غفرانُ الكبائر.

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٢٠٩).

(٢) في (ر) و(ف): «ونحن نكفر».

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ١٩١)، و«التيسير» (ص: ٨٤).

(٤) في (ف): «نكفر».

(٥) في (أ) و(ر): «أبطل» في الموضعين.

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾ أَبدَيْتُم أم أَخْفَيْتُم، أَخْلَصْتم أم راءَيْتُم، مَنعْتُم أم أَعطَيْتُم، فيَجزيكم على وَفقِ ما آتيتم.

وقيل: هو حثٌّ على الإخفاء، فإنَّه يقول: إذا علمتَ أنَّا نعلمُ، فلا حاجةَ إلى إبداء[١].

وقيل: هذا في التطوُّعِ، فأمَّا الفرضُ فالإبداءُ فيه[٢] أَولى؛ نفياً للتُّهَمة عن نفسه، وحملاً للغير على فعله، ولا رياءَ في الفرائض.

وقال الزجَّاج: كان هذا على عهدِ رسولِ الله ﷺ، كان الإخفاءُ في إيتاء الزكاة أحسنَ، فأمَّا اليومَ فالنَّاس[٣] يسيئون الظَّنَّ، فالإظهارُ أحسنُ، وأمَّا[٤] التطوُّع فإخفاؤه أحسنُ[٥].

وقال الكلبيُّ رحمه الله: إنَّ الصحابةَ رضوان الله عليهم قالوا: صدقةُ السِّرِّ أفضلُ أم صدقةُ العلانية، فأنزل اللهُ تعالى هذه الآية[٦].

وقال الشَّعبيُّ رحمه الله: نزلت الآيةُ في أبي بكر وعمر رضي الله عنهما؛ جاء عمرُ بنصف مالِه يَحمله على رؤوس الناس، فقال له رسولُ الله ﷺ: «ما تركتَ لأهلكَ يا عمرُ؟» فقال: نصفَ مالي يا رسولَ الله، وجاء أبو بكر رضي الله عنه بكلِّ مالِه يَكاد يُخفي مِن نفسه حتى دَفَعها إلى رسول الله ﷺ، فقال: «ما تركتَ لأهلك يا

---

(١) في (أ): «إذا علمت أنا فأي حاجة لك إلى الإبداء».

(٢) في (أ): «به».

(٣) في (أ): «فإن الناس».

(٤) في (ف): «فأما».

(٥) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٣٥٤).

(٦) انظر: «تفسير السمرقندي» (١/ ٢٠٤)، و«تفسير الثعلبي» (٢/ ٢٧٢).

أبا بكرٍ؟» فقال: اللهَ ورسولَه، فقال عمرُ لأبي بكرٍ: بنفسي أنتَ، ما سابقنا[١] في بابِ خيرٍ قطُّ إلَّا سبقتنا إليه، فأنزل اللهُ تعالى هذه الآيةَ[٢].

ودلَّت الآيةُ على أنَّ صرفَ الزكاة إلى صنفٍ واحدٍ مِن الأصناف الثمانية جائزٌ، وهو مذهبنا؛ لأنَّ اللهَ تعالى جعل الإخفاءَ خيراً، وهذا أقربُ إلى الإخفاء، ولأنَّه[٣] جعل إيتاءَ الفقراءِ خيراً وهم صنفٌ واحدٌ منهم.

* * *

(٢٧٢) ـ ﴿ ۞ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾: أي: ليس عليكَ يا محمَّد أنْ تُرشد الكفار، ولكنَّ الله يرشدُ مَن يشاء، والخطابُ خاصٌّ، والمراد عامٌّ يتناول كلَّ أهل الإسلام.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: هذه الآيةُ تردُّ على المعتزلة: أنَّ كلَّ الهدى البيان[٤]، فلو كان كذلك لكان رسولُ الله ﷺ يملك ذلك كلَّه؛ إذ عليه البيانُ.

قال: وقيل: أي: ليس عليكَ حسابُ تركِ اهتدائهم، وهذا كقوله: ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ

---

(١) في (ر): «سبقناك».

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٥٣٦).

(٣) في (أ): «لأنه».

(٤) في (ر) و(ف): «للبيان» والمثبت موافق لما في مطبوع «التأويلات».

حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ ﴾ [الأنعام: ٥٢]، وقال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾ [الرعد: ٤٠][1].

واتِّصال هذا الكلام بالنفقات المذكورة قبلَه وبعده[2] يُعرَف بقصَّة نزولها:

قال ابنُ عباس رضي الله عنهما: اعتمرَ رسولُ الله ﷺ عمرةَ القضاء، وكانت معه في تلك العمرة أسماءُ بنتُ أبي بكر رضي الله عنهما، فجاءتها أمُّها قُتيلة وجدَّتها يَسألانها، فقالت: لا أُعطيكما شيئاً حتى أستأمرَ رسولَ الله ﷺ، فإنَّكما لستُما على ديني، فأنزل اللهُ تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ﴾ أي: من مال ﴿فَلِأَنفُسِكُمْ﴾ الثواب ﴿وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنفِقُوا﴾ وما تتصدَّقوا[3] ﴿مِنْ خَيْرٍ﴾ مِن مالٍ ﴿يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾؛ أي: يوفَّر عليكم ﴿وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ فأمرها رسولُ الله ﷺ أنْ تتصدَّق عليهما، فأَعطتهما ووصلتهما[4].

وقال الكلبيُّ رحمه الله: إنَّ ناساً مِن المسلمين كانت لهم أصهارٌ مِن اليهود ورضاعٌ، وكانوا ينفعونهم[5] قبلَ الإسلام، فلمَّا أَسلموا كرهوا أنْ

---

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٢/ ٢٦٥).

(٢) في (أ) و(ف): «قبلها وبعدها».

(٣) في (أ): «تصدقوا».

(٤) انظر: «تفسير الثعلبي» (٢/ ٢٧٤)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ٩٠)، كلاهما عن الكلبي، فالأرجح أن روايته عن ابن عباس هي من طريق الكلبي، وهو متروك. والقصة وردت مختصرة في الصحيحين من حديث أسماء رضي الله عنها، لكن دون ذكر لسبب النزول، رواها البخاري (٢٦٢٠)، ومسلم (١٠٠٣). بل جاء في رواية عند البخاري برقم (٥٩٧٨) أنها سبب نزول قوله تعالى: ﴿لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ﴾ [الممتحنة: ٨].

(٥) في (ف): «ينفقونهم»، وفي (أ) و(ر): «ينفقوا عليهم»، والمثبت من المصادر.

ينفعوهم[١]، فاستأمروا رسولَ الله ﷺ، فنزل: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ﴾ فأعطوهم بعد نزولِ هذه الآية[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ﴾ (ما) كلمةُ شرطٍ، و﴿تُنفِقُوا۟﴾ جزمٌ به، وعلامةُ جزمه حذفُ[٣] النون مِن آخره، وقوله: ﴿فَلِأَنفُسِكُمْ﴾ جزاؤه؛ أي: كلُّ شيءٍ أَنفقتم مِن مالٍ فثوابُه لكم.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ﴾ ذكروا[٤] له وجوهاً كثيرةً، وهي ترجع في الحاصل إلى ثلاثة:

أحدها: أنَّ ﴿وَمَا﴾ للنفي، و﴿تُنفِقُونَ﴾ إثباتٌ، و﴿إِلَّا﴾ استثناءٌ، وهو كلامٌ تامٌّ، وهو تمهيدُ عذرٍ لهم فيما يُعطونه أقرباءَهم الكفارَ؛ أي: ولستم تُنفقون على الكفار مِن أقربائكم إلَّا بأمرِ الله؛ لابتغاء مرضاتِ الله.

والثاني: الواو للحال، و﴿وَمَا﴾ بمعنى (لا)، وهو متَّصلٌ بالكلام الأوَّل، وتقديره: وما تُنفقوا مِن خيرٍ وأنتم لا تنفقون ذلك إلَّا ابتغاءَ وجهِ الله، فلأنفسكم ثوابُ ذلك.

والثالث: أنَّ هذا نفيٌ، ومعناه النهيُ، وكثيرٌ مِن المناهي وردت على طريقة النفي، كقوله عليه الصلاة والسلام: «لا يستام الرجلُ على سومِ أخيه»[٥]، ومعنى هذا: ولا

---

(١) في (ف): «ينفقوهم»، وفي (أ): «ينفقوا عليهم».

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» (٧/ ٣٣٤) ط: دار التفسير، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ٩٠)، كلاهما عن الكلبي، ودون نسبة في «الكشاف» (١/ ٣١٧)، و«تفسير البيضاوي» (١/ ١٦١).

(٣) في (أ): «وعلامة الجزم سقوط».

(٤) في (ف): «ذكر».

(٥) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٩٨٩٩)، والبخاري (٢٧٢٧)، ومسلم (١٥١٥)، ولفظه في =

تنفقوا إلَّا ابتغاءَ وجهِ اللهِ، ومعنى ابتغاءِ وجهِ الله: طلبُ رضا الله، وهو متعارَفٌ في الكلام، يقول الرجل: أَفعلُ هذا لوجهِ زيدٍ؛ أي: لطلب رضاهُ.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾: هذا شرطٌ وجزاءٌ على ما مرَّ.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾: أي: لا تُنقصون، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا﴾ [الكهف: ٣٣]؛ أي: لم تَنقص[١].

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: دلَّت الآيةُ على جواز دفع الكفارات إلى الكفار؛ لأنَّ اللهَ تعالى جعلها نافعةً لنا ومكفِّرةً لِمَا ارتكبنا، وممَّا يوفِّر علينا به الثواب[٢].

* * *

(٢٧٣) - ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ قيل: اتِّصاله بقوله: ﴿إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُواْ﴾ إلى آخرِ الآية ﴿فَنِعِمَّا هِىَ﴾.

وقيل: لمَّا قال: ﴿وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ﴾ كأنَّهم قالوا: لأيِّ الفقراء؟ فقيل: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُواْ﴾.

وقيل: معناه: هذه النفقاتُ المذكورةُ في هذه الآيات للفقراء.

= الصحيحين: أنَّ رسول الله ﷺ نهى أن يستام الرجل على سوم أخيه.

(١) «أي لم تنقص»: من (أ).

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٢/ ٢٦٦).

وقيل: هو ابتداءٌ، وجوابُه محذوفٌ في آخره؛ أي: للفقراء الذين لهم[1] حقٌّ في مالكم.

وقوله تعالى: ﴿أُحْصِرُواْ﴾؛ أي: مُنعوا، وقد فسَّرناه في آية الإحصار في الحجِّ على الاستقصاء.

وقوله تعالى: ﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: في طريق رضا الله، وهم أصحابُ الصُّفَّة؛ وكانوا أربعَ مئةِ إنسانٍ، لم يكن لهم مساكنُ بالمدينة ولا عشائرُ، فكانوا[2] يَخرجون في كلِّ سَريَّة بعثها النبيُّ ﷺ، ثم يرجعون إلى مسجد النبيِّ ﷺ.

ومعنى إحصارِهم في سبيل الله هاهنا: أنَّ اشتغالهم بطاعة الله تعالى وطلبِ مرضاته ومحبة[3] رسوله قد أَحصرهم في مدينة الرسول وفي مسجده.

وقوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي ٱلْأَرْضِ﴾: أي: سيراً في البلاد، كما قال تعالى: ﴿وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [المزمل: ٢٠] ومعنى عدمِ الاستطاعة: أنَّهم يَكرهون المسيرَ[4] لئلا تفوتهم صحبةُ رسول الله ﷺ، وهذا كقوله تعالى: ﴿وَكَانُواْ لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾ [الكهف: ١٠١]؛ أي: يكرهون سماعه ولهم آلاتُ السماع.

وقيل: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا﴾؛ أي: لا يضربون في الأرض، فنفيُ الاستطاعة بنفي[5] الضرب، وهي دلالةٌ واضحةٌ أنَّ[6] حقيقة الاستطاعة مع الفعل، وهي حجَّة لنا على المعتزلة.

---

(١) في (أ) و(ف): «هذه صفتهم».

(٢) في (أ): «وكانوا».

(٣) في (أ): «وصحبة».

(٤) في (أ): «السير».

(٥) في (ر): «تنفي».

(٦) تحرفت في (ر) و(ف) إلى: «أي».

وقوله تعالى: ﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ﴾: أي: يظنُّهم الجاهلُ بحالهم مِن تعفُّفهم[١] ـ أي: بسببِ قناعتهم وامتناعهم عن[٢] مباسطة الناس وعن كشفِ حالِهم لهم[٣] ـ أغنياءَ.

وقوله تعالى: ﴿تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ﴾ قيل: الخطابُ للنبيِّ ﷺ، وقيل: لكلِّ راغبٍ في معرفة حالهم، يقول: تعرفُ فقرَهم بالعلامة في وجوههم مِن أثَر الجوع والحاجة، وقد[٤] قيل: لسانُ الحال أوضحُ[٥] مِن لسان المقال.

والتوفيقُ بين هذا وبين الأوَّل: أنَّ[٦] مَن أراد معرفةَ حالهم بالسؤال لم يَصِل إليهم؛ لأنَّهم لا يَسألون، لكنْ مَن نَظَرَ في وجوههم استدلَّ به على أحوالهم.

وقيل: معنى قوله: ﴿تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ﴾: ليس تعرفُهم بفقرهم، بل نقول: تعرف آثارَ خشوعهم وكثرةَ صلاتهم بالليل بما ظهر في[٧] وجوههم مِن صُفرة السَّهر ونور[٨] قيام الليل.

وقوله تعالى: ﴿لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾: أي: إلحاحاً، وهو لزومُ السؤال، مِن اللِّحاف الذي يُلازم الملتحِفَ به، وظاهره نفيُ سؤالهم على

---

(١) في (ر) و(ف): «التعفف».

(٢) في (ر) و(ف): «من».

(٣) في (ر): «أنهم».

(٤) «قد»: من (أ).

(٥) في (أ): «أفصح».

(٦) في (ف): «أي».

(٧) في (ف): «على».

(٨) قوله: «نور»لم يرد في (أ)، وجاء في (ر): «وتورم».

الإلحاح، وكان يُتوهَّم أنَّهم كانوا يَسألون عند الحاجة بقَدْر الحاجة ولا يُلحُّون، لكن عُرف بقوله: ﴿يَحۡسَبُهُمُ ٱلۡجَاهِلُ أَغۡنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ﴾ أنَّهم ما كانوا يَسألون الناس أصلاً، ولهذا قال ابنُ عباس رضي الله تعالى عنهما في تفسيره: لا يسألون الناس إلحافاً ولا غيرَ إلحاف[1].

وإنَّما استفاد هذه الزيادة بما قلنا، ولعلَّ تركَ غير الإلحاف ذكراً في الآية؛ لفائدةِ إطلاق السؤال لغيرهم عند الحاجة، ورفعِ الإثم عمَّن[2] فعله مضطرًّا.

وقال الزجَّاج: معناه: لا يَسألون الناسَ أصلاً، فيكونَ إلحافاً، واستَشهد بقولِ امرئِ القيس في المعنى[3]:

على لاحبٍ لا يُهتدى بمنارِهِ[4]

أي: لا منارَ به فيُهتدَى له[5].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ هذا شرطٌ وجزاءٌ

---

(١) انظر: «تفسير أبي الليث» (١/ ٢٠٦).

(٢) في (ف): «عن».

(٣) «في المعنى» سقط من (أ) و(ف).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٣٥٧)، والبيت في «ديوان امرئ القيس» (ص: ٩٦)، وعجزه:

إذا سافَهُ العَوْدُ النَّباطيُّ جَرْجَرَا

المعنى: ليس به منار فيُهتدَى به، وكذلك ليس من هؤلاء سؤالٌ فيقعَ فيه إلحافٌ. اللاحب: الطريق المنقاد الذي لا يَنْقَطِع، سافه: شمّه، النباطي: الضخم، جرجر: ضغا خوفاً من بُعده، والعود: الجمل المسن، وإنما جعله عوداً لأنه أعلم بالطريق.

(٥) في (ر) و(ف): «لا منار له فيهتدى».

أيضـاً، فإنَّـه وصلـه بالفاء، وتكريـرُه[١] مراراً لتقريـره وتأكيـده، ولأنَّ كلَّ واحدٍ منها خُـصَّ بجـزاءٍ أو[٢]معنًـى؛ مِن ذكـرِ سـببٍ أو مسـتحِقٍّ أو حالٍ.

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أَخذَ عليهم سلطانُ الحقيقةِ كلَّ طريقٍ، فلا[٣] لهم مِن المشرق مَذْهبٌ ولا مِن[٤] المغرب مَضْربٌ، كيف ما ثووا[٥] رَأَوا سرادقاتِ التوحيد محدِقة بهم، قال القائل[٦]:

كأنَّ فجاجَ الأرضِ ضاقت برَحْبِها عليَّ فما تزدادُ طُولاً ولا عَرْضاً

فلا يَسلم لهم نَفَسٌ واحدٌ[٧] مع الخَلْق، وأنَّى ذلك ولا خَلْقَ، وإذا لم يكن، فإثبات ما ليس بشركٍ[٨] في التوحيد، والفقيرُ الصادقُ واقفٌ مع اللهِ لله بالله، لا إشرافَ للأجانب عليهم، ولا سبيلَ لمخلوقٍ إليهم، يُظهِرهم اللهُ تعالى في عيونِ الأغيارِ في لبسةٍ سوى ما هم عليه، قال تعالى: ﴿يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ﴾ فأمَّا مَن كان محروماً[٩] فلا يُشكِل عليه شيءٌ مِن أحوالهم.

---

(١) في (ر): «وتقديره».

(٢) في (ر): «أخص جزاء و».

(٣) في (ر): «فما».

(٤) في (أ): «في». وعبارة «اللطائف»: (فلا لهم في الشرق مذهب، ولا لهم في الغرب مضرب).

(٥) في (أ): «نووا»، وفي (ف): «تووا». وفي «اللطائف»: (نظروا).

(٦) في (أ): «قال قائلهم».

(٧) في (أ): «واحدة». وليست الكلمة في «اللطائف».

(٨) بعدها في «اللطائف» كلمة غير واضحة كما ذكر المحقق، ورسمها: (سقها).

(٩) في (أ) و(ف): «مجرماً»، وقوله: «فأمَّا مَن كان محروماً فلا يُشكِل عليه شيءٌ مِن أحوالهم» لم يرد في مطبوع «اللطائف».

﴿تَعْرِفُهُم﴾ يا محمَّد أنتَ ﴿بِسِيمَٰهُمْ﴾، ليست تلك السيما ممَّا يَلوح للبصر[١]، تلك سيما تُدركها البصيرةُ، لا إشراف عليهم إلَّا بنور الأحدِّية.

﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾ فإنْ جرى منهم بين الخلق بدون الإلحاف سؤالٌ ـ لِمَا يشير إليه دليلُ الخطاب ـ فذاك صيانةٌ لهم وسترٌ لقصَّتهم؛ ليلاحظهم[٢] الخلقُ بعين السؤال، وليس على سرِّهم ذرَّةٌ مِن الإثبات للأغيار.

ويقال: ﴿أُحْصِرُوا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: وَقَفوا على حكم الله؛ فأَحصروا نفوسَهم على طاعته، وقلوبَهم على معرفته، وأرواحَهم على محبَّته، وأسرارهم على رؤيته.

ويقال: سِيماهم: استبشارُ قلوبهم عند انكسارِ نفوسِهم، وصياح[٣] أسرارهم إلى العرش؛ نشاطاً عند ذبول ظواهرهم عن الانتعاش عياناً، وتكسُّر الظاهر عند تكسُّرِ الباطن[٤].

***

(٢٧٤) ـ ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾: الكلماتُ ظاهرةٌ وقد مرَّ كشفُها.

---

(١) في (أ) و(ف): «للبصير».

(٢) في «اللطائف»: (لئلا يلاحظهم).

(٣) في (ر): «وصفاء»، والمثبت موافق لما في «اللطائف».

(٤) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٢٠٩ ـ ٢١٠).

وقال مجاهدٌ رحمه الله: نزلت الآية في عليِّ بنِ أبي طالب رضي الله عنه؛ كان يملكُ أربعةَ دراهم، فأعطى درهماً بالليل، ودرهماً بالنهار، ودرهماً في السِّرِّ، ودرهماً في العلانية[1]، فأَحسَن اللهُ تعالى الثناءَ عليه بصنيعه.

وروي هذا عن ابنِ عباس رضي الله تعالى عنهما، وزاد فيه: فقال له رسولُ الله ﷺ: «ما حملك على ذلك؟»، قال: حملني أنْ أستوجبَ على اللهِ الذي وعدني. فقال له رسولُ الله عليه الصلاة والسلام: «أَلَا إنَّ ذلكَ لكَ» فأَنزل اللهُ تعالى هذه الآية[2].

وفي رواية: قال: يا رسولَ الله صلى الله عليك وسلم، الأحوالُ أربعٌ فقلت[3]: لعلَّ اللهَ يَقبلُ واحدةً منها، فقال له: «أَبشِر يا عليُّ، فإنَّ اللهَ قد قَبِلها كلَّها» ونزلت هذه الآية[4].

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: ما دام لهم مالٌ لم يَفترُوا ساعةً عن إنفاقه ليلاً ونهاراً، وإذا نفد المال لم يَفتروا مِن شهوده لحظةً ليلاً ونهاراً[5].

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٥٤٣)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٩٢)، وفي إسناده عبد الوهاب بن مجاهد، وهو متروك كما في «التقريب».

(٢) رواه دون هذه الزيادة عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٤٤) من طريق مجاهد عن ابن عباس، وفي إسناده أيضاً عبد الوهاب بن مجاهد، وهو متروك كما ذكرنا، لكن رواه ـ دون الزيادة أيضاً ـ من طريق آخر الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ٣٧٢) (ط: دار التفسير)، وابن مردويه في «تفسيره» كما في «العجاب» لابن حجر (١/ ٦٣٤).

وذكره بهذه الزيادة مقاتل في «تفسيره» (١/ ٢٢٥) دون عزو، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٩٢) عن الكلبي.

(٣) «فقلت» سقط من (ف).

(٤) لم أجده.

(٥) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٢١٠).

(٢٧٥) ـ ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ انتظامُ هذا بما قبله[١]: أنَّ اللهَ تعالى أَمَرَ المؤمن[٢] بإعطاءِ مالِه للفقير، ووعد عليه الثواب، ثم حرَّم عليه أخذَ مالِ غيره[٣] بغيرِ حقٍّ، وأوعَد عليه العقاب.

وقوله: ﴿يَأْكُلُونَ﴾؛ أي: يأخذون؛ فإنَّ الوعيدَ يَلحقُ الآخِذَ كما يَلحقُ الآكِلَ، قال تعالى: ﴿وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدْ نُهُواْ عَنْهُ﴾ [النساء: ١٦١] لكنْ ذُكر الأكل لأنَّ معظمَ مقصودِ الأخذِ الأكلُ.

وقوله: ﴿ٱلرِّبَوٰاْ﴾: هو الفَضْلُ الحرامُ، وأصلُه للفضلِ المطلق، يقال: رَبَا يَربُو رَبْواً، إذا زاد زيادة، وأَرباه غيرُه[٤]، قال تعالى: ﴿وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ [البقرة: ٢٧٦]، وقال تعالى: ﴿وَرَبَتْ﴾؛ أي: ارتفعت وزادت.

والرِّبا المحرَّمُ شرعاً: هو الفَضْلُ مِن حيث القَدْرُ في الأشياء السِّتَّة المنصوصِ عليها لا غير عند داود بنِ عليٍّ الأصبهانيِّ، وهي ما روى أبو سعيد الخدريُّ رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: «الذهبُ بالذهبِ مثلٌ بمثلٍ يدٌ بيدٍ، والفَضْلُ ربًا، والفِضَّةُ بالفِضَّةِ مثلٌ بمثلٍ يدٌ بيدٍ، والفضلُ ربًا، والتمرُ بالتمرِ مثلٌ بمثلٍ يدٌ بيدٍ، والفضلُ ربًا، والحِنطةُ بالحِنطةِ مثلٌ بمثلٍ يدٌ بيد، والفضلُ ربًا، والشعيرُ بالشعير مثلٌ بمثلٍ يدٌ بيدٍ،

---

(١) في (أ): «وانتظام هذه الآية بما قبلها».

(٢) في (ر): «المؤمنين».

(٣) في (ر): «عليهم أخذ مال غيرهم».

(٤) عبارة: «وأرباه غيره» ليست في (ر)، وكلمة «زيادة» ليست في (أ) و(ف).

والفضلُ ربًا، والملحُ بالملحِ مثلٌ بمثلٍ يدٌ بيدٍ، والفضلُ ربًا»، هذه روايةُ محمَّد ـ رحمه الله ـ في كتاب البيوع[١].

وزاد في كتاب الصرف: «كيلٌ بكيلٍ في التمر والحنطة والشعير والملح، ووزنٌ[٢] بوزنٍ في الذهب والفضَّة»[٣]، وهذا الخبرُ غيرُ معلولٍ[٤] عند داود، والحرمةُ مقتصرةٌ عليها عنده، فإنَّه لا يرى القياس.

وقال القائسون: هو معلولٌ، واختلفوا في علَّته:

فقال مالكٌ رحمه الله: هو الاقتياتُ والادِّخارُ، فتعدَّى الحكمُ إلى كلِّ مُقتاتٍ ومدَّخرٍ[٥].

وقال الشافعيُّ رحمه الله: هو الطُّعْمُ في الجنس[٦] في الحنطة والشعير والتمر والملح، فيُعدِّيه إلى كلِّ مأكولٍ ومشروبٍ، والثَّمَنيَّةُ في الذهب والفضَّة، فلا يُعدِّيه إلى غيرهما مِن الوزنيَّات.

والعلَّةُ عندنا: اجتماعُ القَدْرِ والجنسِ، والقَدْرُ: هو الكيلُ فيما يُكال والوزنُ فيما يُوزن.

---

(١) رواه محمد بن الحسن في «الأصل» (٥/ ١ ـ ٢) عن أبي حنيفة، عن عَطِيَّة العَوْفِيّ، عن أبي سعيد الخُدْرِيّ، عن رسول الله ﷺ.

(٢) في (أ): «بالشعير وزن» بدل: «والملح ووزن».

(٣) لم أجده بهذه الرواية، ولم أجد كتاب الصرف في المطبوع من «الأصل» لمحمد بن الحسن.

(٤) قوله: «غير معلول» المراد به العلة في اصطلاح الفقهاء؛ أي: غير خاضع لعلة، وليس المراد به العلة في مصطلح المحدثين، والتي تتعلق بالحكم على الإسناد.

(٥) في (أ): «مقتات مدخر».

(٦) في (أ): «الطعم والجنس»، والمثبت من باقي النسخ، والمراد: الطعم في المطعومات؛ أي: أن العلة في الأربعة الآتية كونها مطعومة. انظر: «شرح مسلم» للنووي (١١/ ٩).

ونوعٌ آخرُ مِن الربا هو الفَضْلُ مِن حيث التعجيلُ، والأولُ حقيقةُ الرِّبا، والثاني شبهة الرِّبا[١]، ويُسمَّى ربا النَّساء.

والأولُ يثبتُ بحقيقة العلَّة، وهي القَدْرُ مع الجنس عندنا في الكيليَّات والوزنيَّات كلِّها، والطُّعْم مع الجنس عنده، ولا يَثبت في النقد بالكيل وحده، ولا بالوزن وحده، ولا بالجنس وحده.

والثاني يثبتُ بشبهة العلَّة، وهي أحدُ وصفَي العلَّة، فيثبت بالكيل وحده، وبالوزن وحده، وعنده بالطُّعم وحده، فأمَّا الجنسُ وحده فعندنا يَثبت به، وعنده لا يَثبت به[٢].

وجملتُه: أنَّ القدرَ والجنسَ إذا وُجِدا حَرُمَ الفضلُ والنَّساء، وإذا عُدما حلَّا، وإذا وُجد القَدْرُ وحده حلَّ الفضلُ وحرمَ النَّساء، وإذا وُجد الجنسُ وحده ففيه هذا الاختلاف.

وشرحُ هذه الأصول في كتب الفقه، ونحن استقصينا الكلامَ في الصور والدَّلائل في «حصائل المسائل»[٣].

وقوله تعالى: ﴿لَا يَقُومُونَ﴾: أي: في[٤] القيامة ﴿إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾: الخَبْطُ: الضَّرْبُ باليد كيف يقع، والرَّمْحُ بالرِّجلَيْن، والزَّبْن بالرُّكبتين، والتخبُّطُ: تكلُّف الخَبْط، والمسُّ: الجنونُ، و: قد مُسَّ، على ما لم يُسمَّ فاعلُه، فهو ممسوسٌ، كما يقال: جُنَّ فهو مجنون، والجنون قد يكون بضرب

---

(١) في (أ): «ربا».

(٢) «به» سقط من (أ).

(٣) كتاب للمؤلف ذكره في خطبة كتابه: «طلبة الطلبة»، وذكره أيضاً عبد اللَّطيف بن محمد بن مصطفى الشهير برياضي زَاده في «أسماء الكتب المتمم لكشف الظنون».

(٤) في (ف): «يوم».

الشياطين والجِنِّ، ولذلك سُمِّي مجنوناً، وهو بتسليط[١] الله تعالى إيَّاهم على الناس، كما يُسلِّط عليهم بعضَ الدوابِّ والسِّباع، وله أنْ يفعل في مُلكه ما يشاء؛ أي: لا يقوم آخذُ الربا في القيامة إلَّا كالذي ضربه الشيطانُ فخَبَله فصار كالمصروع، فهو يقوم ويَسقط ليس كسائر الناس، فإنَّهم يقومون[٢] مِن الأجداث سِراعاً، وهذه عقوبةٌ لهم يُعرَفون بها يومئذٍ، وقد ثَقَّل بطونهم ما أكلنَ[٣] الرِّبا.

وقيل: ينتفخ بطنُه يومئذٍ[٤].

وقيل: أي: يُملأ جوفُه حيَّاتٍ وعقاربَ ونيراناً[٥].

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْ﴾: أي: هذا العقابُ لهم في الآخرة باستحلالهم الربا وتمثيلِهم إيَّاه بالبيع قياساً فاسداً على معارضةِ ورودِ الشرع بخلافه.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: هذه الآيةُ دليلُ جوازِ القياس في العقل؛ لأنَّه لو لم يكن في العقل جوازُه لم يكن لقولهم هذا معنًى، لكن وقعَ قياسهم فاسداً لِمَا قلنا، وفيها دليلٌ أنَّ حرمةَ الرِّبا كانت ظاهرةً عندهم، وكانت هي فيما بينهم كهي فيما بين المسلمين، ولذلك[٦] قال أبو حنيفة رحمه الله: لا يجوز الرِّبا فيما بين أهل الإسلامِ وأهل الذِّمَّة[٧].

---

(١) في (أ): «تسليط».

(٢) في (أ) و(ف): «لأنهم يخرجون»، بدل: «فإنهم يقومون».

(٣) في (أ): «ما أكلوه» وفي (ر): «من أكل».

(٤) «وقيل ينتفخ بطنه يومئذ»: من (أ).

(٥) في (ف): «ونيران»، وليست في (ر).

(٦) في (أ): «فلذلك».

(٧) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٢/ ٢٦٩ ـ ٢٧٠).

وقوله تعالى: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟﴾: أي: كيف يتماثلان والبيعُ محلَّلٌ بتحليل الله تعالى، والرِّبا محرَّمٌ بتحريم الله تعالى.

وقوله تعالى: ﴿فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾: لم يقل: جاءته؛ لأنَّ الفعلَ مقدَّم، ولأنَّ الموعظةَ بمعنى الوعظ، ولأنَّ الموعظةَ تأنيثُها ليس[1] بحقيقيٍّ؛ أي: مَن بلَغه هذا الوعظُ والتحريمُ.

﴿فَٱنتَهَىٰ﴾: أي: امتنع عن الاستحلالِ والأخذِ.

﴿فَلَهُۥ مَا سَلَفَ﴾: أي: فله ما أخذَ فيما مضى قبل التحريم، وليس عليه ردُّه، وأيضاً غُفر له ما مضى في كفره؛ قال تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَنتَهُوا۟ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾ [الانفال: ٣٨].

وأشار الإمام أبو منصورٍ رحمه الله إلى أنَّ معناه: أنَّه لو ندمَ على ذلك الفعلِ صار له بعد أنْ كان عليه، من قوله: ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ﴾ [اللفرقان: ٧٠][2].

وقوله تعالى: ﴿وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾: أي: لا خصومة[3] للمُعطي، بل صار أمرُه إلى الله وحده.

وقيل: أي: مغفرتُه وتعذيبُه إلى الله تعالى، فإنَّ توبته لا يَعلم حقيقتَها إلَّا الله، فهو يغفر له إنْ حقَّق، ويعذِّبه إنْ [لم يحقِّق.

وقيل: أمرُه إلى الله في المستقبل؛ يعصمُه إنْ شاء، ولا يعصمُه إنْ][4] شاء، والأول قد غفر له.

---

(١) في (أ): «الموعظة ليس بمؤنث».

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٢/ ٢٧٠).

(٣) في (أ): «لا حرمة».

(٤) ما بين معكوفتين من (أ).

وقال الإمام القشيريُّ: ﴿فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ﴾: مَن انتبه بزواجر الوعظ، وكبحَ لجامَ الهوى، ولم يُطلِق عنانَ الإصرار، فله الإمهالُ في الحال، فإنْ عاد إلى مذمومِ تلك الأحوال، فليَنتظِر وَشْك[١] الاستئصال، وفجاءةَ النَّكال[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَمَنۡ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ قال الإمام أبو منصور رحمه الله: تعلَّقت المعتزلةُ بظاهر هذا في القول بتخليد الفُسَّاق في النار، أنَّه بعَوْده إلى آكلِ الرِّبا ـ وهو معصيةٌ ـ صار خالداً في النار، وقلنا: معناه: ومَن عاد إلى الاستحلال، بدليلِ ما قبله وما بعده، فإنَّه قال في أوَّله: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ وهذا تسويةٌ بينهما واستحلالٌ لهما، وقال في آخره: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ وهو[٣] مبالغةٌ في صفة الكافر[٤].

❊ ❊ ❊

(٢٧٦) ـ ﴿يَمۡحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرۡبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَمۡحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ﴾: المحقُ: نقصانُ الشيء حالاً بعد حال حتى يذهبَ كلُّه كما في محاقِ الشهرِ، وهو حالُ آخذِ الربا؛ فإنَّه يذهب مالُه كلُّه ولا يَنتفع به ولدُه مِن بعده.

وقوله تعالى: ﴿وَيُرۡبِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾: أي: ينمِّيها ويَزيدها، فيُبارك في مالِه ويَنتفع[٥] به أولادُه مِن بعده.

---

(١) أي: سرعة. انظر: «القاموس» (مادة: وشك).

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٢١١).

(٣) «وهو»: زيادة من (أ).

(٤) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٢/ ٢٧١).

(٥) في (أ): «وينفع».

وهذا في الدنيا، وكذلك في الآخرة؛ فإنَّه يَجعل الصدقات مِن الربا هباءً منثوراً، ويجعلُ الخبيثَ بعضَه على بعضٍ فيركمُه جميعاً فيجعلُه في جهنَّم، ويضاعِف الصَّدقات على ما مر، فيجوزُ أنْ يكون المراد في الدنيا، ويجوز أنْ يكون المراد[1] في الآخرة، ويجوز أنْ يكون[2] كلاهما.

وقال القشيريُّ رحمه الله: ما كان بإذن الله مِن التصرُّفات فمقرونٌ بالخيرات مصحوبٌ بالبركات، وما كان بمتابعة الهوى والشهوات سلَّط الله[3] عليه المحقَ والهلكاتِ[4].

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ﴾: أي: يبغض ﴿كُلَّ كَفَّارٍ﴾ الفعَّال للمبالغة، وهو صفةٌ للمُصرِّ به المصرِّ عليه ﴿أَثِيمٍ﴾ الأثيم أبلغ من الآثم، ومعناه: كلَّ كفارٍ باستحلاله أثيمٍ بأكله.

* * *

(٢٧٧) ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ قد مرَّ تفسيرُ كلِّ كلماتها.

وانتظامُها بما قبلها: أنَّه ليس حالُه كحالِ مَن محقَ اللهُ تعالى طاعته[5] بكفره.

---

(١) «المراد» سقط من (أ).

(٢) «أن يكون»: من (أ).

(٣) لفظ الجلالة ليس في (أ) و(ف).

(٤) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٢١١).

(٥) في (أ): «طاعاته».

(٢٧٨) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾: أي: واتركوا ما بقيَ لكم غيرَ مقبوضٍ مِن مال الرِّبا على مَن عامَلْتُموه به إن كنتم محقِّين[1] في الإيمان؛ فإنَّ الإيمانَ يوجب عليكم طاعةَ ربِّكم فيما أَمركم به، فأمَّا المقبوضُ قبل التحريم فقد دخل في قوله تعالى: ﴿فَلَهُۥ مَا سَلَفَ﴾.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: في الآية دليلٌ أنَّ حدوثَ الحرمة المانعةِ للقبض يَرتفع به العقدُ، ويَثبت به أيضاً أنَّ حدوثَ شيءٍ في عقدٍ معقودٍ قبل القبض، كالمعقود عليه في استيجاب[2] حصَّته مِن الثمن[3].

وقال السدِّيُّ رحمه الله: نزلت الآيةُ في العبَّاس بنِ عبد المطلب وخالد بنِ الوليد وغيرِهما؛ كانت لهم رباً على ثَقيف فأُمروا برفضها[4].

ورويَ أنَّ النبيَّ ﷺ لمَّا دخل مكَّة عامَ الفتح قبل حجَّة الوداع قال: «إنَّ كلَّ ربًا كان في الجاهلية فهو موضوعٌ تحت قدميَّ هاتين، وأوَّل رباً أضعه ربا العبَّاس بنِ عبد المطلب»[5].

وقال عكرمة وعطاءٌ: نزلت في العبَّاس بنِ عبد المطلب وعثمان بنِ عفان، وكانا قد أَسلفا في التَّمر، فلمَّا حضر الجذاذُ[6] قال لهما صاحبُ التمر: لا يبقى لي ما يكفي

---

(١) في (أ): «محققين».

(٢) في (ر) و(ف): «استحقاق».

(٣) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٢/ ٢٧٢).

(٤) انظر: «تفسير الثعلبي» (٢/ ٢٨٤)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ٩٣ ـ ٩٤). ورواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٤٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٥٤٨)، وفيهما: (العباس ورجل من بني المغيرة).

(٥) قطعة من حديث جابر الطويل في الحج، رواه مسلم (١٢١٨).

(٦) في (أ): «الجداد»، وفي (ف): «الحداد».

عيالي إنْ أنتما أخذتُما حقَّكما كلَّه، فهل لكما أنْ تأخذا النصف وتُؤخِّرا النصف، وأُضْعِفَ[١] لكما، ففعَلا، حتى إذا حلَّ ذلك الأجلُ، سألهما التأخيرَ ويُضْعِفُ لهما، فبلغ ذلك النبيَّ ﷺ، فنزلت هذه الآيةُ، فسمعا وأطاعا وأخذا رؤوسَ أموالهما[٢].

وقال مقاتل رحمه الله: نزلت الآيةُ في أربعةِ إخوةٍ: مسعودٍ وحبيبٍ وربيعةَ وعبدِ ياليلَ، وهم بنو عمرو بن عمير بن عوف الثقفي؛ كانوا يداينون بني المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم، وكانوا يُربُون، فلمَّا ظهر النبيُّ ﷺ على الطائف اشترطت ثَقيف أنَّ كلَّ ربًا لهم على الناس فهو لهم، وكلَّ ربًا عليهم للناس فهو موضوعٌ عنهم، وطلبوا[٣] رباهم إلى بني المغيرة، فاختصموا إلى عتَّاب بنِ أَسيد بن أبي العَيص بن أميَّة رضي الله عنه، وكان رسول الله ﷺ استعمله على مكَّة، فقالوا بنو المغيرة: ما لَنا جُعلنا أَشقى الناسِ بالرِّبا وقد وضعه اللهُ عن الناس؟! فقالت ثقيف: إنَّا صالحنا على أنَّ لنا رِبانا، فكتب عتَّابُ بنُ أَسيد إلى النبيِّ ﷺ بالمدينة بقصَّة الفريقين، فأَنزل اللهُ تعالى هذه الآيَةَ، فبعث النبيُّ ﷺ بها إلى عتَّاب بنِ أسيد بمكَّة، فبعث عتَّاب رضي الله عنه بها إلى بني عمرو بنِ عمير بنِ عوف، فقالوا: بل نتوبُ إلى الله تعالى ونَذَرُ ما بقيَ مِن الرِّبا، فإنه لا يَدَانِ لنا بحرب اللهِ ورسولِه، فطلبوا رؤوسَ أموالهم إلى بني المغيرة، فاشتكوا العُسرة، فأَنزل اللهُ جلَّ جلاله: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾[٤].

---

(١) في (ف): «وأضيف».

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» (٢/ ٢٨٤)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ٩٣).

(٣) في (أ) و(ف): «فطلبوا».

(٤) انظر: «تفسير الثعلبي» (٢/ ٢٨٤ ـ ٢٨٥)، ورواه عن مقاتل ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٥٤٨ ـ ٥٤٩)، ورواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٥٠) عن ابن جريج. ورواه الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٩٣ ـ ٩٤) من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس. والكلبي متروك.

وقيل: إنَّ هؤلاء الإخوةَ قالوا حين أسلموا: يا رسولَ الله! متِّعْنا بالطاغية حولاً، ولا نركعَ ولا نسجدَ في الصلاة، ولا نكسرَ أصنامنا بأيدينا، ونطلبَ ربانا مِن الناس، فقال: «أمَّا الطاغيةُ فلا خيرَ في دينٍ مع عبادة الأصنام، وأمَّا الركوع والسجود فلا خيرَ في صلاة لا ركوعَ فيها ولا سجودَ، وأمَّا كسر الأصنام فنحن نكفيكم ذلك، وأمَّا الرِّبا فحرامٌ عليكم؛ لكم ما للمسلمين وعليكم ما على المسلمين»، فنزل في ذلك: ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ﴾ الآية [الإسراء: ٧٣]، ونزل في الرِّبا قولُه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ﴾ الآية[1].

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: الاكتفاءُ بموعود ربِّه خيرٌ للمسلم[2] مِن تعليق قلبِه بمقصودِ نفسه، فأمَّا المقصود فمِن[3] تسويلات النفس، والموعودات[4] مِن مضمونات الحقِّ[5].

* * *

(٢٧٩) ـ ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ﴾: قيل: إنْ لم تتركوا ما بقي مِن الربا أيُّها المؤمنون.

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل بن سليمان» (٢/ ٥٤٣ ـ ٥٤٤). وذكره بنحوه دون إسناد عن ابن عباس رضي الله عنهما الثعلبيُّ في «تفسيره» (٦/ ١١٨)، والبغوي في «تفسيره» (٥/ ١١١).

(٢) في (أ): «للمسلمين»، وفي (ر) و(ف): «والمقصود»، والمثبت من «اللطائف».

(٣) في (أ): «فلمقصود من» بدل: «فأما المقصود فمن». وفي «اللطائف» بدلًا من ذلك: (ومقصودك).

(٤) في (أ): «والموعود»، وفي «اللطائف»: (وموعودك).

(٥) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٢١١ ـ ٢١٢).

وقوله تعالى: ﴿فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾: قرأ أبو عمرو والكسائيُّ مقصوراً، وقرأ عاصمٌ ـ في رواية أبي بكر[١] ـ وحمزةُ ممدوداً[٢].

وتفسير المقصور: فاعلموا أنتم، وتفسير[٣] الممدود: فأَعْلِموا غيرَكم، يقال: آذَنْتُه بكذا إيذاناً، فأَذِنَ به أَذَناً؛ أي: أعلمتُه فعَلِم، وأصلُه: إسماعُ أذنه وإعلامُ قلبه به[٤].

وتقديره: فاعلموا أنَّكم تحاربون الله ورسوله، وهو تعظيمُ حالِ المؤمنين؛ فإنَّه جعل إيذاءَهم كإيذائه[٥]، وهو تشبيهٌ لهم بقُطَّاع الطريق؛ فإنَّ اسمَهم في القرآن هذا: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [المائدة: ٣٣]، والجامع بينهما: أنَّ قاطعَ الطريق يحارب المؤمنين فيأخذ منهم ما لم يُعطِهم، فصار محارباً لله ورسوله على معنى أنَّه آذى أولياءَ الله وأولياءَ[٦] رسوله، والمرابي[٧] أيضاً بأخذِ الزيادةِ على رأسِ مالِه يأخُذ[٨] ما لم يعطِه، فكان كقاطع الطريق في ذلك[٩]، وهذا إثباتُ المعصية دون الكفر في حقِّ مَن لا يستحلُّه، وهذا كقوله ﷺ: «يقول الله تعالى: مَن أهان لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة»[١٠].

---

(١) في (أ): «في رواية غير حفص».

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ١٩٢)، و«التيسير» (ص: ٨٤).

(٣) في (أ): «ومعنى».

(٤) «به» سقط من (أ).

(٥) في (ر): «وهو تعظيم حال الربا فإنه جعل إيذانهم كإيذانه».

(٦) «أولياء»: من (أ).

(٧) في (أ) و(ر): «والمربي».

(٨) في (ر): «أيضاً يأخذ الزيادة على رأس ماله فيأخذ».

(٩) بعدها في (ر): «يأخذ ما لم يعطه».

(١٠) قطعة من حديث قدسي رواه البخاري (٦٥٠٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ: «مَن عادى لي وليًّا فقد آذَنْتُه بالحرب»، وله ألفاظ مقاربة في غير الصحيح، تنظر في «الفتح» (١١/ ٣٤٢).

ولـه وجـهٌ آخـرُ؛ فإنَّـه قـال: ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا﴾؛ أي: فاتركوا إنْ كنتـم مقرِّيـن بتحريمـه، ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا﴾؛ أي: فـإنْ لـم تقولـوا بتحريمـه ولـم تقبلوا ذلـك، فاعلمـوا أنَّكـم كفَّـارٌ محارِبون اللهَ ورسـولَه.

وقوله تعالى: ﴿وَإِن تُبْتُمْ﴾: أي: مِن أخذِ الرِّبا ﴿فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ﴾ قَدْرَ ما أعطيتُموهم ﴿لَا تَظْلِمُونَ﴾ أنتم غرماءكم بأخذِ الزيادة ﴿وَلَا تُظْلَمُونَ﴾؛ أي: هم[1] لا يَظلمونكم بالنقصان عن رؤوس أموالكم.

* * *

(٢٨٠) ـ ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ﴾ رفع ﴿ذُو﴾ مِن وجهين:

أحدهما: أنَّه اسمُ ﴿كَانَ﴾، وخبرُه مُضمَرٌ، كأنَّه قال: وإنْ كان ذو عسرة غريماً لكم، أو: إنْ كان هناك ذو عسرة، أو كان فيكم أو منكم، فيكون الخبر متقدِّماً أو متأخِّراً.

والثاني: أنْ يكون تامًّا مكتفياً باسمِه عن خبره، يقال: كان الأمرُ؛ أي: وقع، وتقدير هذا: وإنْ وقع ذو عسرة، وإنْ حَدث ذو عسرة، وإنْ وُجد ذو عسرة.

وقرأ ابنُ عباس وابنُ مسعود رضي الله عنهم: (وإنْ كان ذا عسرة)[2]؛ أي: وإن كان الغريمُ ذا عسرة.

---

(١) «هم» ليست في (ف).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ١٨٦)، و«المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٢٤)، و«تفسير الثعلبي» (٢/ ٢٨٦). وزيد عند بعضهم نسبتها لعثمان وأبيٍّ.

وقوله تعالى: ﴿فَنَظِرَةٌ﴾: أي: إنظارٌ وإمهالٌ، ورفعُه بطريقين: فعليكم نَظِرةٌ له، أو: فله نَظِرةٌ؛ أي: فأَنظِروه.

وقوله تعالى: ﴿إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾: أي: إلى يسارٍ وغنًى.

وقوله تعالى: ﴿وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ (أنْ) مع الفعل مصدرٌ؛ أي: وتصدُّقُكم بكلِّ المالِ عليه إذا عجز عن إدائه[1] خيرٌ لكم؛ فإنَّه في الدنيا فانٍ وثوابُه في الآخرة باقٍ.

﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: أي: تعملون بعلمكم[2].

والآيةُ نزلت في دَيْن الرِّبا، ثم حكمُ كلِّ دَينٍ[3] كذلك؛ لعموم اللفظ.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: دلَّت الآيةُ على جواز التصرُّف في البيع الفاسد؛ لأنَّه جعل لأرباب الأموالِ النظرةَ إلى ميسرةِ مَن عليه المالُ، ولو كان له أَخْذُه[4] حيثما وجده بعدما تناولته الأيدي، أو كان له حقُّ تضمينِ مَن هو أغنى، لم يكن لإنظار المعسِر إلى وقت الميسَرة معنًى[5].

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: هذا حكمُ الله جلَّ جلالُه في حقِّ المفلِس فيما بيننا في الدنيا، فلا نظنُّه[6] لا يرحمنا مع علمه بإعسارنا وعجزنا وإفلاسنا، وصدقِ افتقارنا إليه، وانقطاعِنا في العُقبى له[7].

---

(١) في (ر): «إجرائه».

(٢) في (أ): «يعلمكم»، وفي (ر) و(ف): «تعلمون بعلمكم»، والصواب المثبت، قال ابن كمال باشا في «تفسيره» عند هذه الآية: (كُني بالعلم عن العمل؛ لأنه إذا كان نافعاً قلَّما يتخلَّف...).

(٣) في (ف): «الدين».

(٤) في (ر) و(ف): «أخذه أخذه»، وفي «التأويلات»: (حق أخذه)، وهو موافق للمثبت.

(٥) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٢/ ٢٧٢ ـ ٢٧٣).

(٦) في (ف): «تظنه».

(٧) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٢١٢).

(٢٨١) ـ ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا﴾: أي: عذابَ يومٍ، ويجوز أنْ يكون على ظاهره؛ لأنَّ يومَ القيامة مَخُوفٌ لِمَا فيه.

﴿تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾: أي: تُردُّون فيه إلى حساب اللهِ وجزائه.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ﴾ التوفيةُ والإيفاءُ: الإكمالُ.

﴿مَّا كَسَبَتۡ﴾: أي: ما عملت مِن خيرٍ أو شرٍّ. وقيل: ما أحرزت مِن ثواب أو عقاب.

وقوله تعالى: ﴿وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾: أي: لا يُنقَصون.

وقيلَ: أي: لا يَجري عليهم ظلمٌ بمنعِ ثوابٍ موعود، أو تعذيبٍ لا على فعلٍ مذموم.

وقيل: إن ابن عباس رضي الله عنهما بكى[١] عند هذه الآية وقال[٢]: هذه آخرُ آيةٍ أُنزلت وخُتم القرآن بالوعيد، وعاش رسولُ الله ﷺ بعدها سبعةَ أيَّام[٣].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما في روايةٍ: هي آخرُ آيةٍ أُنزلت[٤] مِن القرآن،

---

(١) في (أ) و(ف): «وقال ابن عباس رضي الله عنهما وبكى» بدل: «وقيل إن ابن عباس رضي الله عنهما بكى».

(٢) «وقال» سقط من (أ).

(٣) رواه بنحوه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٥٥٤) عن سعيد بن جبير، ووقع في مطبوعه: (تسع ليال)، وعند غيره عن ابن جبير: (سبع) كالمثبت. انظر: «تفسير الثعلبي» (٢/ ٢٩٠)، و«البسيط» للواحدي (٤/ ٤٨٢)، و«تفسير البغوي» (١/ ٢٤٧).

(٤) في (أ): «نزلت».

جاء بها جبريلُ عليه السلام فقال: ضعها على رأس مئتين وثمانين آيةً مِن البقرة. وعاش بعدها رسولُ الله ﷺ أحداً وعشرين يوماً[١].

وقال الكلبيُّ: نزلت بمنًى وبينها وبين موت النبيِّ عليه الصلاة والسلام أحد وثلاثون يوماً.

وقال عطاء: نزلت قبل وفاته بثلاثِ ساعاتٍ، فقال رسولُ الله ﷺ: «اجعلوها بين آية الدَّين وآية الرِّبا»[٢].

وقال أُبيُّ بنُ كعبٍ رضي الله عنه: آخرُ آيةٍ نزلت: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [التوبة: ١٢٨][٣].

وقال البراء بنُ عازب: آخرُ آيةٍ نزلت: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾ [النساء: ١٧٦][٤].

* * *

(٢٨٢) ـ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ ۚ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ ۚ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ ۚ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا ۚ فَإِن كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ ۚ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ ۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ٣٤٧)، ورواه الفراء في «معاني القرآن» (١/ ١٨٣) من طريق الكلبي وهو متروك، عن أبي صالح ولم يسمع من ابن عباس، عن ابن عباس دون قوله: (وعاش بعدها رسولُ الله ﷺ أحداً وعشرين يوماً).

(٢) انظر: «المحرر الوجيز» (١/ ٣٧٨).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ١٠١).

(٤) رواه البخاري (٤٦٠٥)، ومسلم (١٦١٨).

رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ ۚ وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُوا۟ ۚ وَلَا تَسْـَٔمُوٓا۟ أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓا۟ ۖ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا ۗ وَأَشْهِدُوٓا۟ إِذَا تَبَايَعْتُمْ ۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ۚ وَإِن تَفْعَلُوا۟ فَإِنَّهُۥ فُسُوقٌۢ بِكُمْ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ﴾ التَّدايُن والمداينة: التبايعُ والمبايعة بالدَّين، فأمَّا الإقراضُ فهو إعطاءُ العين ليملكَه القابضُ بمثله.

ذكَر في الآيات المتقدِّمة الكسبَ، والإنفاقُ منه، ونهَى عن الإرباء والاسترباء، وأَذِن في البيع والشراء، وبيَّن في هذه الآية كيفيَّة العقود، وعلَّم كيفيَّة[1] ما يُكتب فيها مِن العهود، فقال:

﴿إِذَا تَدَايَنتُم﴾؛ أي: تعاقَدْتُم عقوداً يكون البدَل فيها دَيناً، ثم قوله: ﴿بِدَيْنٍ﴾ تأكيدٌ وإن استُفيد[2] ذلك بالتَّداين.

وقيل: بل هو للتعميم؛ أي: أيِّ دينٍ كان قليلاً أو كثيراً.

وقيل: لمَّا كان التَّدايُن يُذكر للتَّجازي قيَّده بقوله: ﴿بِدَيْنٍ﴾ بياناً أنَّ المرادَ به حقيقةُ المداينة دون المجازاة، كما في قوله: ﴿وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ [الأنعام: ٣٨] لمَّا كان الطيران يُذْكر[3] للسرعة ذكر الجناحين بياناً أنَّ المراد به الحقيقةُ دون المجاز.

---

(١) «كيفية» ليست في (أ) و(ف).

(٢) في (ر) و(ف): «استفاد»، والمثبت من (أ) وهو الصواب.

(٣) في (أ): «يذكر للطيران» وفي (ر): «الطيور يذكر».

وقوله تعالى: ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى﴾ هو الأجلُ المضروبُ لأداء بدَل الدين[١].

وقال ابنُ عباس رضي الله عنهما: الآية في السَّلَم، قال: ولمَّا حرَّم اللهُ تعالى الرِّبا أباح السَّلَف[٢]، فدلَّت الآيةُ على اشتراط الأجل في السَّلَم لصحَّته.

ثم هذه الآيةُ أطولُ آيةٍ في القرآن وأبسطُها شرحاً وأبينُها كشفاً وأبلغُها وجوهاً، يُعلِم بذلك أنَّ مراعاةَ حقوقِ الخلق واجبةٌ، والاحتياطَ على الأموال التي بها قوام أمورِ الدنيا والدِّين لازمٌ.

وقال القشيريُّ: وفيما شُرِع مِن الدَّين رفقٌ لأرباب الحاجات؛ لأنَّ مَن مسَّته الحاجةُ يحمله الحالُ على الاحتيال، ويَضيق به الصدرُ عن الاحتمال، ويمنعه حفظُ التجمُّل عن السؤال، فأذن له في الاستدانة ليَجبُر أمره في الحال، وينتظرَ فضلَ الله في المآل، وقد وعدَ على الإدانة الثوابَ الكثيرَ وذلك[٣] مِن لُطف اللهِ الكبير المتعال[٤].

وقوله تعالى: ﴿فَٱكۡتُبُوهُۚ﴾؛ أي: أَثبتوا ذِكْره في كتابٍ يشتمِل[٥] على وصفِ المعاملةِ ومقدارِ الحقِّ والأجلِ، تَرجعون إليه عند الحاجة إليه، وهذا وإنْ كان خطاباً للجميع[٦] ولكنَّه بناءٌ على التداين، فدلَّ أنَّ المخاطبَ به مَن فعَل ذلك.

وقوله تعالى: ﴿وَلۡيَكۡتُب بَّيۡنَكُمۡ كَاتِبُۢ بِٱلۡعَدۡلِۚ﴾: أي: فليس كلُّ صاحبِ حادثةٍ

---

(١) في (ف): «لأداء البدل».

(٢) رواه بألفاظ مقاربة الطبري في «تفسيره» (٥/ ٧٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٥٥٤).

(٣) في (أ): «الكثير ذلك»، وفي (ر): «الكبير وذلك».

(٤) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٢١٤).

(٥) في (أ): «مشتمل».

(٦) في (ف): «للجمع».

يَعلم الكتابةَ بنفسه، فلْيعيِّن لها [(١)] مَن يَعلم ذلك، وليكتبه الكاتبُ العالِمُ العادلُ الذي يُراعي الطرفين، ولا يزيد فيه ولا ينقص منه عن [(٢)] الحق والعدل بينهما على ما كان، ولا يميل إلى أحدهما بزيادةٍ أو نقصان.

ثم قال العلماء رحمهم الله: ينبغي لهذا الكاتب أنْ يكون ما يَكتبه متَّفَقاً عليه، حتى لا يُتوهَّمَ أنَّه إذا رُفع إلى قاضٍ يرى خلافَه أَبطله.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ﴾: هذا نهيُ مُغايبة، ولذلك سقطت الياء من آخره، والإباءُ: الامتناعُ؛ أي: لا يمتنعْ كاتبٌ عن أنْ [(٣)] يكتبَ هذه الوثيقة.

وقوله تعالى: ﴿كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ﴾: أي: كما ورد به الأمرُ في الشرع مِن الله تعالى.

وقوله تعالى: ﴿فَلْيَكْتُبْ﴾ هذا أمرُ مغايَبة، ولذلك جُزم.

وقوله تعالى: ﴿وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ﴾ وهذا أمرٌ أيضاً على المغايبة، والإملالُ والإملاءُ: الإلقاءُ على الكاتب للكتابة، و﴿الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ﴾ هو الذي عليه الدَّيْن، فلمَّا كان الإملاءُ إليه، دلَّ أنَّ القولَ في الدعاوي قولُ مَن عليه الحقُّ [(٤)].

وقوله تعالى: ﴿وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا﴾: أي: وليتَّقِ الذي عليه الدَّينُ ربَّه، فلا يمتنعْ عن الإملاء جحوداً لكلِّ حقِّه ﴿وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا﴾ [(٥)]؛ أي: ولا ينقص مِن الدَّيْن الذي عليه شيئاً في الإملاء فيكون جحوداً لبعض حقِّه.

---

(١) في (أ): «فليسألها» وفي (ف): «فليس لها»، بدل: «فليعين لها».

(٢) في (أ): «ولا ينقص منه بل ليكتب على».

(٣) في (ر) و(ف): «أي لا يأب كاتب أن».

(٤) في (أ): «الدين».

(٥) «منه شيئاً» ليس في (أ) و(ف).

وقوله تعالى: ﴿فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ بِٱلْعَدْلِ﴾: قيل: السفيهُ: العاقلُ البالغُ الذي بَلغ[١] غيرَ رشيدٍ؛ فهو[٢] مبذِّرٌ لماله مُضيِّع له بسفَهه، والضعيفُ: الصبيُّ، والذي لا يستطيع أنْ يُمِلَّ: المجنون.

وتفسير السفيه بهذا مذهبُ أبي يوسف رضي الله عنه ومحمَّد والشافعيِّ رحمهم الله؛ فإنَّهم يَرون الحَجْرَ عليه؛ فيَبطل تصرُّفه ويقوم مقامه وليُّه، فأمَّا أبو حنيفة رحمه الله فإنَّه لا يَرى الحَجْرَ عليه؛ فهو يفسِّر السفيهَ على ما فسَّره كثيرٌ مِن السَّلَف: أنَّه المجنون؛ لأنَّ السَّفهَ خفَّةُ العقل ونقصانٌ فيه، والمجنون فائتُ العقل أو مختلُّ العقل، والضعيف: الصبي، والذي لا يستطيع أنْ يُمِلَّ هو: الأخرسُ ونحو ذلك[٣].

وقوله تعالى: ﴿فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ بِٱلْعَدْلِ﴾؛ أي: فليَقُم مقامَه عند عجزه في الإملال وليُّه، ووحَّد الكناية[٤] مع سبق ذِكْر الثلاثة؛ لأنَّه أدخلَ بينهم كلمةً، أو فيكون في الحادثة الواحدة واحدٌ منهم، فأضيف الوليُّ إلى ذلك الواحد.

ثم بيَّن أن الكتابة لا تكفي، وإنَّما يقع التوثيقُ بالإشهاد عليه، وذلك[٥]:

قوله تعالى: ﴿وَٱسْتَشْهِدُوا۟ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ﴾: أي: أَشهِدوا على الكتاب اثنينِ مِن ذكوركم، والاستشهاد[٦]: طلبُ الشهادة وسؤالُها؛ فإنَّ سين الاستفعال للطلب والسؤال.

---

(١) في (أ): «يبلغ».

(٢) في (أ): «وهو».

(٣) في (أ): «هذا».

(٤) أي: الضمير، وتحرفت الكلمة في (ر) و(ف) إلى: «الكتابة».

(٥) في (ف): «عليه ذلك»، وفي (ر): «على ذلك».

(٦) في (ر) و(ف): «والاشهاد».

وقوله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ﴾ الألفُ ضميرُ الشاهدين[١]، فإنَّها للتثنية، وقد سبق ذِكْر الشاهدين[٢].

وقوله تعالى: ﴿فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ﴾ له أربعةُ وجوهٍ: فلْيَكن رجلٌ وامرأتان، فلْيَشهد رجلٌ وامرأتان، فالشهيد رجلٌ وامرأتان، فرجلٌ وامرأتان يشهدون.

ثم ليس هذا تعليقَ جوازِ شهادة[٣] رجلٍ وامرأتين بعدم رجلين، وإنْ كان ظاهرُه يقتضيه؛ لإجماع الأمة على أنَّ إشهادَ رجلٍ وامرأتين ـ مع إمكان إشهاد رجلين ـ جائزٌ، لكنَّه بيانُ أنَّ الأَولى أنْ يشهد رجلان إلَّا أنْ يتعذَّر فيصار إلى إشهادِ رجلٍ وامرأتين.

وقوله تعالى: ﴿مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ﴾: أي: أَشهِدوا الرجلين أو الرجل والمرأتين مِن العدول المرْضيين مِن الشهود.

وقوله تعالى: ﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ﴾: قرأ حمزة: ﴿إِنْ تَضِلَّ﴾ بكسر الألف، ﴿فتذكِّرُ﴾[٤] على الشرط؛ أي: إنْ نسيت إحداهما ذكرتها[٥] الأُخرى.

وقرأ الباقون بالفتح، ووجه الفتح: أنَّه يُضمَر فيها لام (كي).

والضلال: النسيان، كما في قوله تعالى: ﴿فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الشعراء: ٢٠].

فإنْ قالوا: كيف قال: ﴿أَن تَضِلَّ﴾ وإنَّما الإشهادُ للإذكار لا للضلال[٦]؟

---

(١) في (أ): «ضمير عن الشهيدين». وفي (ف): «ضمير عن الشاهدين».

(٢) في (أ): «الشهيدين».

(٣) في (أ) و(ف): «إشهاد».

(٤) انظر: «السبعة» (ص: ١٨٤)، و«التيسير» (ص: ٨٥).

(٥) في (أ) و(ف): «ذكرته».

(٦) بعدها في (ر): «بسبب الإذكار»، ولا وجه لها.

قلنا: عنه جوابان:

أحدهما: قول سيبويه: أنَّ الضلالَ سببُ الإذكار، فقدَّم الضلال على الإذكار[١] لأنَّه سببه[٢]، كما يقال: أَعددتُ هذا الحائطَ أن يميل فأدعمه، وإنَّما أَعدَّه للدعم لا للميل، لكن قدَّم عليه الميل لأنَّه سببه[٣].

والثاني: قول الفراء: أنَّه بمعنى[٤] الجزاء، وتقديره: أنْ تذكِّر إحداهما الأخرى إنْ ضلَّت، إلَّا أنَّه لـمَّا قدَّم (أنْ) اتَّصل[٥] بما قبله من العامل فانفتح.

وقوله: ﴿فَتُذَكِّرَ﴾؛ أي: تزيلَ نسيانها وتثبِّت الذِّكرَ في قلبها.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُوا۟﴾: له وجهان: لا يَمتنعِ المدعوُّون لتحمُّل الشهادة عن الحضور ليتحمَّلوا الشهادة، و: لا يمتنع المتحمِّلون إذا دُعوا إلى أداء الشهادة ليؤدُّوها، والأول للندب، والثاني للفَرْض.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْـَٔمُوٓا۟﴾: أي: لا تَملُّوا، قال تعالى: ﴿وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ﴾ [فصلت: ٣٨].

وقوله تعالى: ﴿أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ﴾: أي: مِن أنْ تكتبوا ذلك الدَّين صغُر أو كبُر[٦]؛ أي: قلَّ أو كثُر، فإنَّ جحودَ القليل فيه إثمٌ أيضاً، والتَّوقِّي عنه لازم.

و﴿صَغِيرًا﴾ نصبٌ على الحال، ويجوز نصباً بـ (كان) على الإضمار.

---

(١) من قوله: «لا للضلال...» إلى هنا لم يرد في (أ).

(٢) في (أ): «بسببه»، وفي (ر): «سبب».

(٣) انظر: «الكتاب» (٣/ ٥٣).

(٤) في (ر) و(ف): «لمعنى».

(٥) في (ر) و(ف): «للاتصال».

(٦) في (ر): «صغيراً أو كبيراً».

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: دلَّ هذا على[١] أنَّ السَّلَمَ في الثياب[٢] جائزٌ؛ لأنَّ الكَيْليَّ والوزنيَّ لا يُوصف بالصِّغر والكِبَر[٣].

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ﴾: أي: أعدل، والقِسط: العدل، والـمُقْسِط: العادل، والقاسط: الجائر.

وقوله تعالى: ﴿وَأَقْوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ﴾: أي: أشدُّ تقويماً له؛ فإنَّ الشاهدَ لو اتَّكل على حفظه فقد يتغيَّر، وإذا بَنَى على المكتوب القيِّم[٤] استقام.

وقوله تعالى: ﴿وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓا۟﴾: أي: أقربُ إلى أنْ لا تشكُّوا، فإنَّه قد يقع الشَّكُّ في المقدار والصفات، فإذا[٥] رجعوا إلى المكتوب زال ذلك.

وقوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا﴾: أَمَر بالكتابة في المداينات، وأباح تركَها[٦] في النقد مِن التجارات؛ لزوال الداعي إليها.

وقرأ عاصم ﴿تِجَٰرَةً حَاضِرَةً﴾ بالنصب[٧] على أنَّه خبر (كان)، والاسم مُضمَرٌ، وتقديره: إلَّا أنْ تكون المعاملةُ تجارةً حاضرةً، أو: تكونَ التجارةُ تجارةً حاضرة.

---

(١) «على» من (ر).

(٢) في (أ): «النبات»، والمثبت من باقي النسخ والمصدر.

(٣) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٢/ ٢٨٦).

(٤) في (ر): «القائم».

(٥) في (أ) و(ف): «وإذا».

(٦) في (أ) و(ف): «ترك الكتابة».

(٧) والباقون بالرفع كما سيأتي. انظر: «السبعة» (ص: ١٩٤)، و«التيسير» (ص: ٨٥).

وقرأ الباقون بالرفع على أنَّ (كان) مكتفٍ[١] باسمه، وتقديرُه: إلَّا أنْ تَحدثَ تجارةٌ، أو: تقعَ تجارةٌ، أو يكونُ خبره ﴿تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ﴾.

والتجارةُ الحاضرةُ هي النقدُ بالنقد.

وقوله تعالى: ﴿وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾: في العاجل والآجل جميعاً، وهذا[٢] أمرُ ندبٍ.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾: هذا نهيٌ، وحقُّه الجزمُ، وفُتح لالتقاء الساكنين، وحُرك بالفتح[٣] لأنه أخفُّ الحركات، وفي كيفية حركة الراء الأولى قبل الإدغام قولان:

قال الحسن وقتادةُ وابن زيد وعطاءٌ: هي الكسرة[٤]؛ أي: ولا يضارِرْ، وهو نهيٌ للكاتب والشاهد عن الإضرار بالمتعاملَينِ أو أحدِهما، بالامتناع عن الكتابة وتحمُّل الشهادة في حالِ خوف الفوت، وكذا في كتابةِ غيرِ ما يُملى عليه والتغييرِ منه، وكذا في الشهادة على غير ما لَهُ أو الامتناعِ عن أداء الشهادة.

وقال ابن مسعود ومجاهدٌ رضي الله عنهما: هي الفتحة؛ أي: ولا يضارَرْ[٥]، وهو نهيٌ للمتعاملَينِ عن إلحاق الضرر بالكاتب والشاهد، في أمرهما بالكتابة وتحمُّلِ الشهادة وهما مشغولان بمُهمٍّ لهما، أو بإجبارهما على الفعل مع امتناعهما ووجود

---

(١) في النسخ: «مكتفي»، والمثبت هو الجادة.

(٢) في (أ): «وهو».

(٣) في (أ) و(ف): «إلى الفتح».

(٤) رواه عنهم الطبري في «تفسيره» (٥/ ١١١ ـ ١١٣).

(٥) رواه عنهما وعن غيرهما من الأئمة الطبري في «تفسيره» (٥/ ١١٤ ـ ١١٧) واختاره، وروى عن عمر وابن مسعود ومجاهد أنهم قرؤوا: (ولا يضارَرْ) بالفك وفتح الراء الأولى.

غيرهما، أو التضييقِ عليهما في التعجيل وهما في حاجةٍ لهما ما[1] لم يَفرغا منها، وهو كما مر في قوله تعالى: ﴿لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةُۢ بِوَلَدِهَا﴾ [البقرة: ٢٣٣] أن له وجهين[2].

وقوله تعالى: ﴿وَإِن تَفْعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقُۢ بِكُمْ﴾: أي: الضرارُ[3] فسقٌ وخروجٌ عن الأمر.

وقوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾: هذا كلُّه ظاهر.

* * *

(٢٨٣) ـ ﴿ ۞ وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُواْ كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا تَكْتُمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُواْ كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ﴾: أي: فالوثيقةُ رهانٌ، وهي جمع رهنٍ، وهي[4] العين المقبوضة بالدَّين توثيقاً له.

وقرأ أبو عمرو وابن كثير: ﴿فرُهُنٌ﴾[5] وهو جمعُ جمعٍ.

و﴿مَّقْبُوضَةٌ﴾ نعتٌ للرهان، ودَل ذلك على أن حُكمه دوامُ الحبس، فإنه لا يصير رهناً إلا بابتداء القبض[6]، فذكرُ الرهن ذكرٌ لذلك القبض، ثم وصفُها

---

(١) «ما» ليست في (أ).

(٢) «أن له وجهين» ليست في (ف).

(٣) في (ر): «الضرر».

(٤) في (ف): «وهو».

(٥) انظر: «السبعة» (ص: ١٩٤)، و«التيسير» (ص: ٨٥).

(٦) في (ر): «بالقبض»، وفي (ف): «بابتداء».

بالمقبوضة بعد ذلك اشتراطٌ لدوام[١] القبض فيها.

وقوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ﴾: أي: فإن ائْتَمَن الطالبُ المطلوبَ فلم يَتوثَّقْ[٢] بالكتابة والشهود والرهن فليؤدِّ المطلوبُ ما اؤتُمن[٣] عليه.

والأمانةُ مصدرٌ أُريد بها المفعول به هاهنا؛ كما في قولهم: هذا علمه، وهذه قدرته، وهذه شهوته.

وقوله تعالى: ﴿وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ﴾: أي: فلا يجحد حقه ولا يمنعه.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ﴾: هذا خطاب للشهود.

وقوله تعالى[٤]: ﴿وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ﴾ وكتمانُ الشهادة على ثلاثة أوجه:

الأول: أن تكون له شهادةٌ على المطلوب، والمطلوبُ يظنُّ أنه لا شهادةَ عليه فيقصدُ المنع، وهذا الشاهد لا يخبرُه أن له عليه شهادةً بذلك ليَحمله ذلك على أداءِ الحق[٥].

والثاني: أن لا يَعلم الطالب أن له على حقِّه شاهداً، وهو كالعاجز[٦] في حاله، فلا يخبره[٧] أن له شهادةً على حقِّه فيتقوَّى به.

---

(١) في (ف): «دوام».

(٢) في (ر): «يوثق».

(٣) «اؤتمن» ليست في (أ).

(٤) «وقوله تعالى» ليس في (أ).

(٥) في (ر): «على أداء الشهادة بالحق».

(٦) في (ر) و(ف): «كالفاجر»، ولعله من تحريف الناسخ.

(٧) في (ر) و(ف): «يخبر».

والثالث: أن تكون شهادته ظاهرةً، ولكنْ إذا طلبها المدَّعي منه امتَنع وكتم تلك الشهادة.

وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٞ قَلۡبُهُۥ﴾ قيل[1]: أي: فاجرٌ قلبُه، وقيل: أي: مؤاخَذٌ[2] به قلبُه.

وإنما علَّقه به لأن الكتمان يكون من القلب، ولأنه يكون بقصدِ القلب إلى ذلك.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: إن أصلَ الإثم ينشأُ من القلب؛ قال النبيُّ ﷺ: «إنَّ في الجسد مضغةً إذا صَلَحت صلَح لها سائرُ الجسد[3]، وإذا فسَدَت فسَد لها سائر الجسد، ألَا وهي القلب» ثم يشيع في البدن، فلذلك أضافه إلى القلب، قال تعالى: ﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتۡ قُلُوبُكُمۡ﴾ [البقرة: ٢٢٥] وقال: ﴿وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتۡ قُلُوبُكُمۡ﴾ [الأحزاب: ٥][4].

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ﴾: هذا وعدٌ ووعيدٌ على ما مرَّ مرَّات.

* * *

(٢٨٤) ـ ﴿لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُۖ فَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾: كلمة (ما) تتناول ما فيهما ومَن[5]

---

(١) «قيل» ليست في (ف).

(٢) في (ف): «يؤاخذ».

(٣) كتب فوقها في (ر) كلمة: «كله». ولفظ الصحيحين: «صلح لها الجسد كله»، وكذا بعدها: «فسد لها الجسد كله».

(٤) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٢/ ٢٨٨).

(٥) في (أ): «تتناول من».

فيهما؛ أي: فليس يخفَى عليه من أسرار خلقه وأفعالهم شيءٌ[١]، فمَن ائتَمر بأوامره وانتهَى بنواهيهِ عَلِم ذلك، ومَن خالف ذلك علِم ذلك، حثَّهم[٢] على العمل بكلِّ ما في هذه الآية وما قبلها.

وقوله تعالى: ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾: أي: ما في قلوبكم من كتمان الشهادة وغيرِ ذلك، وهو كقوله: ﴿وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ﴾ الآية [النساء: ١٣٥]، دلَّ ظاهره على المؤاخَذة بما يكون من القلب.

وجملتُه: أن عزمَ الكفرِ كفرٌ، وخطرةَ الذنوب من غير عزمٍ مغفورة[٣]، وعزمَ الذنوب إذا ندم عليه ورجع عنه[٤] واستغفر منه مغفورٌ، فأما الهمُّ بالسيئة ثم يُمنع[٥] عنه بمانعٍ لا باختياره وهو ثابت على ذلك، فإنه لا يعاقب على ذلك عقوبةَ فعله، يعني: بالعزم على الزنا لا يعاقَب عقوبة الزنا، أما هل يعاقَب على العزم عقوبةَ عزم الزنا؟ قيل: هو معفوٌّ عنه؛ لقوله عليه الصلاة والسلام: «إن الله تعالى عفا لأمَّتي عما[٦] حدَّثت به أنفُسَها ما لم تعملْ[٧] أو تتكلَّم به»[٨].

---

(١) في (ر): «فليس شيء من أسرار خلقه وأفعالها خاف عليه».

(٢) في (ف): «وحثهم».

(٣) في (أ): «معفوة».

(٤) في (ف): «إذا ندم عليها ورجع عنها».

(٥) في (ر) و(ف): «يمتنع».

(٦) في (أ): «عفا عن أمتي ما» بدل: «عفا لأمتي عما»، ولفظ الصحيحين: «تجاوز لأمتي عما»، وفي رواية للبخاري: «تجاوز عن أمتي ما»، وفي رواية لمسلم: «تجاوز لأمتي ما».

(٧) بعدها في (ر): «به»، وهي رواية للبخاري.

(٨) «به»: من (أ)، ولم ترد عند للبخاري. والحديث رواه البخاري (٥٢٦٩) و(٦٦٦٤)، ومسلم (١٢٧)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وأكثرهم على أن الحديث في الخَطْرة دون العَزْمة، وأن المؤاخَذة في العزمة ثابتةٌ، وكذا قال الإمام أبو منصور الماتُريديُّ رحمه الله(١).

وذكر شمسُ الأئمة أبو محمد عبد العزيز بنُ أحمد الحَلْوانيُّ رحمه الله في كتاب(٢) «أحكام القرآن» في هذه الآية وقال: إن الخطرة لا يؤاخَذ بها والعزمَ يؤاخَذُ به(٣)، والله جلَّ جلالُه يعاتبُه ويحاسبه، ثم إنْ شاء غفر له وذلك فضلٌ منه، وإن شاء عذَّبه وذلك عدلٌ منه. واستدل بقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٥].

واحتج القائلون به بآيات من القرآن:

منها قولُه: ﴿اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات: ١٢].

ومنها قولُه جلَّ جلاله: ﴿وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ﴾ [المائدة: ٥].

ومنها قولُه عز وعلا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ﴾ الآية [النور: ١٩].

وقال تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ [غافر: ١٩].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ﴾ [التوبة: ٧٨].

وقال تعالى: ﴿وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٠].

وقال تعالى: ﴿وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا﴾ [يونس: ٧].

وقال تعالى: ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا﴾ [آل عمران: ١٣٥].

---

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٢/ ٢٨٩). وكلمة: «الماتريدي» ليست في (أ) و(ف).

(٢) في (أ): «كتابه في».

(٣) في (ر): «والعزمة يؤاخذ بها»، وفي (أ): «والعزم لا يؤاخذ به»، ولعل زيادة (لا) خطأ من الناسخ.

وقال تعالى: ﴿وَيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا﴾ [آل عمران: ١٨٨].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الحج: ٢٥].

وقال الإمام القشيري رحمه الله: ﴿وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ﴾ من المعاني والدعاوي ﴿أَوْ تُخْفُوهُ﴾ من المقاصد والمطالب.

قال: ويقال: ما تُبديهِ العبادة، وما تُخفيهِ الإرادة.

ويقال: ما تُخفيهِ الفكرات والخطرات، وما تُبديهِ السَّكَنات والحركات[١].

وقوله تعالى: ﴿فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾ قال الحسن رحمه الله: ليس يعاقِبُ الله تعالى عبداً يوم القيامة[٢] أسرَّ عملاً أو أعلنَه من حركة في جوارحه، أو همَّ في قلبه، دون أن يعرِّفه إياه يوم القيامة حتى يقرِّره[٣]، ثم يغفرُ ما يشاءُ لـمَن يشاء، ويعذِّب مَن يشاءُ بما يشاء[٤].

وروى الضحَّاكُ عن عائشة رضي الله عنها في قوله تعالى: ﴿وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ﴾ قالت: هو الرجل يَهُمُّ بالمعصية ولا يعملُها، فيُرسلُ عليه من الهمِّ والحزنِ بقَدْرِ ما همَّ به من المعصية، فذلك محاسبتُه[٥].

وفي أكثر التفاسير من وجوه مختلفة: أنه لما نزلت هذه الآية جَزِعت الصحابة رضوان الله عليهم وقالوا: أنُؤاخذ بكلِّ ما حدَّثت به أنفسُنا؟! فنزل قوله تعالى:

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٢١٥).

(٢) في (أ): «ليس الله بتارك عبداً يوم القيامة».

(٣) في (ر) و(ف): «يعذره».

(٤) ذكره بنحوه البغوي في «تفسيره» عند تفسير هذه الآية.

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ١٤٣).

﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾[1]، فتعلَّق ذلك بالكسب دون العزم.

وفي بعضها أنها نُسخت بهذه[2]، وأكثر المحققين من أهل الأصول على أن النسخ يكون في الأحكام دون الأخبار، وهذا خبرٌ[3]، وليس في أكثر الروايات لفظُ النسخ، بل ورود[4] هذه الآية بعد تلك الآية، وهو[5] بيان أنه لا يؤاخَذ بالخَطْرة فهي ليست في وسعه، ويؤاخَذ بالعزمة، أو تكون المحاسبة بالمسائلة ثم يكون العفو، وتفسيرُه ختم الآية وهو قوله تعالى: ﴿فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾.

ثم تكلَّموا في أهل هذه المشيئة، والصحيحُ أنه يعذب الكفار لا محالةَ ولا يغفر الشرك، فأما ما وراء ذلك: فإن شاء غفَره بفضله، وإن شاء عذَّب عليه بعدله.

---

(١) رواه مطولاً مسلم (١٢٥)، والإمام أحمد في «المسند» (٩٣٤٤)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، ومسلم (١٢٦)، والإمام أحمد في «المسند» (٩٣٤٤)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) ورد التصريح بالنسخ في حديث أبي هريرة السابق.

(٣) وقد ذكر ابن عطية رحمه الله في «المحرر الوجيز» (١/ ٣٨٩) للنسخ توجيهاً حسناً، وهو أن تكون الآية لفظها لفظ الخبر ومعناها الأمر، فقال بعد أن ذكر أنه مما يدفع أمر النسخ أن الآية خبرٌ: فإن ذهب ذاهب إلى تقرير النسخ، فإنما يترتب له في الحكم الذي لحق الصحابة حين فزعوا من الآية، وذلك أن قول النبي ﷺ لهم: «قولوا: سمعنا وأطعنا» يجيء منه الأمر بأن يبنوا على هذا ويلتزموه، وينتظروا لطف الله في الغفران، فإذا قرِّر هذا الحكم فصحيحٌ وقوع النسخ فيه، وتُشبه الآية حينئذ قوله عز وجل: ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِ﴾ [الأنفال: ٦٥] فهذا لفظه الخبر ولكن معناه: التزموا هذا وابنوا عليه واصبروا بحسبه، ثم نسخ ذلك بعد ذلك، وأجمع الناس ـ فيما علمت ـ على أن هذه الآية في الجهاد منسوخة بصبر المئة للمائتين، وهذه الآية في البقرة أشبه شيء بها. وتنظر أقوال السلف والعلماء في القول بالنسخ أو الإحكام أو غير ذلك في «تفسير القرطبي» (٤/ ٤٨٦ ـ ٤٨٩).

(٤) في (ف): «بل ورد في»، وفي (ر): «ووردت».

(٥) في (ف): «وهذا».

وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: أي: من المغفرة والتعذيب وغير ذلك.

* * *

(٢٨٥) - ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ﴾: قال الحسن ومجاهدٌ وابن سيرين وابن عباس في روايةٍ: أن جبريل عليه السلام أنزل على محمد ﷺ جميع القرآن إلا هذه الآياتِ الثلاث، فإن الله تعالى أوحى[1] إلى محمد هذه الآيات الثلاث ليلةَ المعراج بلا واسطةٍ، وسورةُ البقرة مدنيةٌ إلا هذه الآياتِ الثلاث[2].

وقال سعيد بن جبير والضحَّاك وعطاءٌ وابن عباس في رواية: أنزلها جبريل على النبيِّ ﷺ بالمدينة.

وقوله تعالى: ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ﴾؛ أي: اعتقد وأقرَّ ﴿بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ﴾؛ أي: بوحي القرآن إليه، ولم يُرِدْ به حدوثَ الإيمان منه[3] بعد أن لم يكن كذلك؛ لأنه كان مؤمناً بالله وبوحدانيته قبل الرسالة منه[4]، ولا يجوز أن يوصف بغير ذلك، لكنْ أراد به الإيمانَ بالقرآن، فإنه قبل إنزال القرآن لم يكن عليه الإيمان به، وهو معنى قوله تعالى: ﴿مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَٰبُ وَلَا الْإِيمَٰنُ﴾ [الشورى: ٥٢]؛ أي: ولا

---

(١) في (أ): «هو الذي أوحى».

(٢) انظر: «تفسير القرطبي» (٤/ ٤٩١). وروى مسلم (١٧٣) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه حديثا فيه أنه ﷺ أعطي في الإسراء خواتيم سورة البقرة.

(٣) في (ر) و(ف): «فيه».

(٤) «منه» ليست في (أ).

الإيمانُ بالكتاب؛ فإنه قال ﴿وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓاْ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ [القصص: ٨٦].

وقال[١] الإمام القشيري رحمه الله: شهادةُ الحقِّ سبحانه لنبيِّه عليه السلام بالإيمان أتمُّ له من إخباره عن نفسه بشهادته.

قال: ويقال: آمَنَ الخلقُ كلُّهم من حيث البرهان وآمن الرسول من حيث العِيَان، آمَنَ الخلق بالوسائط وآمَن الرسول بلا وسائط، آمن الخلق استدلالاً وآمن الرسول مشاهدةً ووصالاً[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾: قيل: هو عطفٌ على الأول؛ أي: والمؤمنون آمنوا بذلك أيضاً[٣] ﴿كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾؛ أي: محمدٌ وأمتُه كلٌّ منهم آمَن بالله ﴿وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾.

وقيل: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ﴾ هذا تامٌّ، وهو إخبارٌ عن إيمانه بالقرآن، وكان هذا بعد الوحي، وإيمانُه بكلِّ الأركان التي سِوَاه كان موجوداً قبل ذلك منه، ثم قال: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾ وإيمانُ المؤمنين بكلِّ هذه الأشياء كان بعد ما دُعوا إليها، فإنهم لم يكونوا عارفين بها مؤمِنين بها، و(كلّ) كلمة تصلح للواحد والجمع، فإنها تعم عمومَ الأفراد[٤]، وفي القرآن: ﴿كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ﴾ [النور: ٤١] ﴿وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [مريم: ٩٥] وهذا للفرد، وقال: ﴿كُلٌّ إِلَيْنَا رَٰجِعُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٣] ﴿وَكُلٌّ أَتَوْهُ﴾ [النمل: ٨٧] وهذا للجمع.

---

(١) في (ف): «قال».

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٢١٥).

(٣) «قيل هو عطف على الأول أي والمؤمنون آمنوا بذلك أيضاً»: من (أ)، ووقع فيها بعدها: «قوله تعالى»، ولا وجه له.

(٤) في (أ) و(ف): «الانفراد».

وقوله تعالى: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ وفي مصحف عبد الله بن مسعود ـ وهو قراءة جماعة من التابعين رضوان الله عليهم أجمعين ـ: ﴿لا يُفرِّق﴾ بالياء رداً إلى قوله: ﴿كُلٌّ﴾[١].

والقراءة الظاهرة: ﴿لَا نُفَرِّقُ﴾ بالنون، وفيه إضمارٌ؛ أي[٢]: يقولون، وهو في كثير من الآيات[٣]: ﴿اتَّخَذُوا مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ﴾ [الزمر: ٣] قالوا: ما نعبدهم.

و﴿أَحَدٍ﴾ بمعنى: آحاد، كما في قوله تعالى: ﴿فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ﴾ [الحاقة: ٤٧]، وقال رُؤْبةُ:

إذا أمـورُ النـاس دِيكَـتْ دوكاً لا يَـرهـبـون أحـداً رَأَوكا[٤]

ومعناه[٥]: بين أحدٍ من رسله وسائِرهم، كتفريق[٦] اليهود والنصارى بالإيمان ببعض الرسل والكتبِ دون بعض.

وقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا سَمِعْنَا﴾: أي: بآذاننا ﴿وَأَطَعْنَا﴾؛ أي: بأبداننا.

---

(١) وهي قراءة يعقوب من العشرة. انظر: «النشر» (٢/ ٢٣٧)، وعزاها الزمخشري في «الكشاف» (١/ ٣٣١) لأبي عمرو، وهي خلاف المشهور عنه.

(٢) «أي»: من (ف).

(٣) في (ر): «وهو كثير في الآيات».

(٤) عزاه الثعلبي في «تفسيره» لرؤبة كالمصنف وليس في ديوانه، وذكره القرطبي في «تفسيره» (٤/ ٤٩٧)، وأبو حيان في «البحر» (٥/ ١٤٠) دون نسبة. قوله: (ديكت دوكاً)؛ أي: ديست دوساً وطحنت طحناً، قال في «الأساس» (مادة: دوك): داكوهم دوكاً: داسوهم وطحنوهم، وتداوكوا في الحرب، ووقعوا في دوكة: في شر أعمالهم.

(٥) في (أ): «أو معناه لا نفرق».

(٦) في (أ) و(ف): «تفريق».

وقيل: ﴿سَمِعْنَا﴾؛ أي: عقَلنا وفهِمنا؛ كما في قوله: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ [الأنفال: ٢١].

وقيل: ﴿سَمِعْنَا﴾؛ أي: قبِلنا، وهو كقولهم: سَمِعَ اللهُ لِـمَن حَمِدَه.

وقوله تعالى: ﴿غُفْرَانَكَ رَبَّنَا﴾: أي: يقولون: اغفر لنا، كما قال تعالى: ﴿فَضَرْبَ الرِّقَابِ﴾ [محمد: ٤]؛ أي: فاضربوا.

أو: يقولون: نسألك غفرانك، وهو أولى؛ لئلا يتكرَّر الدعاء بقوله في آخر السورة: ﴿وَاغْفِرْ لَنَا﴾ ويَصلح الجمع بينهما: نسألك غفرانك فاغفر لنا.

وقوله تعالى: ﴿وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾: أي: المرجعُ في التوفيق في الدنيا والثوابِ في الآخرة(١)، وفيه إقرارٌ(٢) بالبعث والجزاء، وفيه دليلٌ على بطلان الاستثناء، وعلى تحقيق اسم الإيمان بوجوده.

* * *

(٢٨٦) ـ ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾: حمَلها المتكلِّفون لمراعاةِ النظم على قول المؤمنين ذلك؛ أي: هم قالوا: إن الله لا

---

(١) في (أ): «العقبى».

(٢) في (أ): «الإقرار».

يكلِّف نفساً إلا وسعها؛ أي: إلا[١] طاقتها، ولكلِّ نفسٍ ثوابُ ما أطاعت، وعلى كلِّ نفسٍ عقابُ ما عصت. فإنَّ ما قبلها وما بعدها كلامهم.

ويجوز أن يتخلَّل بين كلامي المؤمنين إخبارٌ من الله عز وجل بذلك، ويكون الكلامُ بالمخاطبة والمغايَبة، واعتراضُ الكلام قبل التمام في القرآن كثيرٌ، وهو في كلام البُلغاء موجودٌ.

ومعنى الآية: لا يأمر الله عبداً بما ليس في طاقته، ولكلِّ نفسٍ ثوابُ ما عملت من خيرٍ وعليها عقابُ ما عملت من شرٍّ[٢].

والكسبُ والاكتسابُ كلُّ واحدٍ منهما يَصلح إطلاقُه في عمل الخير والشر، قال تعالى: ﴿وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا﴾ [النساء: ١١١] ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً﴾ [البقرة: ٨١]، وإنما غايَر بين اللفظين عند ذكر عملَين لأنه أعذبُ في السماع[٣]، وإنما جُعل الكسبُ في الخير والاكتسابُ في الشر لأن الافتعالَ فيه زيادةُ تكلُّفٍ على الفعل، والذنبُ لا يؤتَى إلا بزيادةِ جهدٍ من العبد وتكليفٍ من النفس، فأما الخير فعقلُه[٤] ودِينه والمؤمنون والصالحون، والمعاني الغالبة له جالبةٌ.

وقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾: أي: يقولون، ودل هذا على جواز المؤاخَذة في النسيان والخطأ، فإن التحرُّز عنهما في الجملة ممكنٌ، ولولا جوازُ المؤاخَذة في النسيان والخطأ بهما لم يكن للسؤال معنًى.

---

(١) «وسعها أي إلا» من (ر).

(٢) في (ر): «سوءٍ».

(٣) وقع بعدها في (أ) سقط بمقدار ورقة كاملة، وسنذكر نهايته في موضعها.

(٤) في (ر): «ففعله».

وخفَّف الله تعالى عن هذه الأمة فرفع عنها[1] المؤاخَذةَ، وقال النبي ﷺ: «رُفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه»[2]، فدل أنهم مخصوصون بها، والأمم السالفةُ كانوا مؤاخَذين بذلك[3].

وقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾: أي: ثِقْلاً، وجمعُه: الآصار، قال تعالى: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ﴾ [الأعراف: ١٥٧] وهو العباداتُ الشاقَّةُ، والعقوباتُ العظيمة، والأحكامُ الشديدة، وما كان يظهر على جباههم وأبوابِ دُورهم من ذنوبهم التي أَخفَوها.

وقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾: أي: لا تكلِّفنا ما يَشُقُّ علينا الدوامُ عليه، ولم يُرِدْ به عَدَم الطاقة أصْلاً فإنه لا يكون فلا يُسأل، وهو كقول النبي ﷺ: «للمملوك طعامُه وشرابُه وكسوتُه، ولا يكلَّفُ من العمل ما لا يُطيق»[4].

وقيل: أي: ما يَشُقُّ علينا من الدوامِ عليه، وقوله تعالى: ﴿مَا كَانُوا۟ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ﴾ [هود: ٢٠]؛ أي: كان يَشُقُّ عليهم ذلك، لا أنهم لم يستطيعوها أصلاً.

---

(١) في (ف): «فيها».

(٢) رواه الطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٣/ ٩٥)، وابن حبان في «صحيحه» (٧٢١٩)، والحاكم في «المستدرك» (٢٨٠١)، وابن حزم في «الإحكام» (٥/ ١٤٩)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ: «إن الله تجاوز عن أمتي... » وصححه الحاكم وابن حزم. وقد أعله أبو حاتم كما في «العلل» لابنه (١/ ٤٣١) لكن بعلة غير قادحة كما قال الحافظ في «الفتح» (٥/ ١٦١). ورواه ابن ماجه (٢٠٤٥) بلفظ: «إن الله وضع عن أمتي... »، لكن في إسناده انقطاع كما استظهر البوصيري في «الزوائد».

(٣) في (ف): «كانوا مأخوذين فيهما».

(٤) رواه مسلم (١٦٦٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وقوله تعالى: ﴿وَٱعْفُ عَنَّا﴾: أي: اتركْ عقوبتَنا؛ قال عليه الصلاة والسلام: «عَفَوْتُ لأمَّتي عن صَدَقةِ الخيلِ والرَّقيق»[1].

وقيل: أي: تجاوَزْ عنا فلا تعاقِبنا بذنوبنا، وقد عَفَتِ الرِّيحُ الأثر؛ أي: مَحتْه.

وقوله تعالى: ﴿وَٱغْفِرْ لَنَا﴾: أي: استُرْ ذنوبنا لنا[2]، وليس بتكرارٍ؛ فإن الأول تركُه حتى لا يؤاخِذَ به، أو محوُه حتى لا يبقَى، والثاني سترُه حتى لا يظهرَ، وقد يتجاوز عن الشيء فلا يؤاخذ بجزائه لكنْ يُذكَر ذلك ويُظهَر، والمؤمنون أُمروا أن يسألوا التجاوُزَ عنها وإخفاءَها حتى لا يَظهرَ حالهم لأحدٍ، ولا[3] يَفْتضِحوا به.

وقوله تعالى: ﴿وَٱرْحَمْنَآ﴾: أي: أكرِمْنا بكلِّ شيءٍ سمَّيته رحمةً، وقد بينَّا ذلك في سورة الفاتحة.

وقوله تعالى: ﴿أَنتَ مَوْلَىٰنَا﴾: أي: وليُّنا وناصرُنا، وقيل: أي: حبيبُنا، وقيل: أي: متولِّينا، وقيل: أي: حافظُنا، وقيل: أي: مصلحُ أمورِنا، وقيل: أي: وليُّنا ومالكُنا[4].

وقوله تعالى: ﴿فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾: أي: أعنَّا عليهم وادفَعْ عنا شرَّهم.

والنصرة على الكفار تكون بالظفر، وتكون بالحجة، وتكون بالدفع[5]، وهو سؤالُ العِصْمة من الشياطين أيضاً؛ لأنهم منهم.

---

(١) رواه الترمذي (٦٢٠)، وابن ماجه (١٧٩٠)، من حديث علي رضي الله عنه.

(٢) «لنا»: من (ف).

(٣) في (ف): «فلا».

(٤) في (ر): «والينا ومليكنا».

(٥) في (ر): «بالنصرة».

وقد ختمت هذه السورة بما بدأت به، وهو ذكر المؤمنين والكافرين، فإن الله تعالى أخبر في افتتاح هذه السورة أن هذا ﴿ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِ﴾ وأنه ﴿هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ ﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ﴾ ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ﴾ ثم قال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ ثم شهد في آخر هذه السورة لنبيِّه محمدٍ ﷺ ولأمته بهذا الإيمان.

وجمَع بين النبيِّ ﷺ وبين أمته في ذلك، وفي ذلك نهايةُ الفضيلة وكمالُ القَدْر(١) لهذه الأمَّة، ولله الحمدُ والمِنَّة.

وقيل في جميع معاني السورة: إنها تضمَّنت بيانَ التوحيد والعبادات، والمعامَلات والمحاكَمات، والمحلَّلات والمحرَّمات، والـمَثوبات والعقوبات، وأكثرَ ما إليه حاجةُ الخلق في جميع الحالات.

ثم ختم السورة ببيان عظمته وجلاله وسلطنته ومملكته بقوله: ﴿لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ إعلاماً أن قبولَ ذلك كلِّه مما يَلزم الخلقَ، ولا يسعُهم الإخلالُ بها، ولا يمكِنُهم الخروجُ عن حُكمه، ولا يَعزُب شيءٌ من أحوالهم عن علمه.

ثم ذَكر بعده حالَ نبيِّه محمد ﷺ الذي أوحى إليه ذلك، وأنه عظيم الشأن والقَدْر، رفيعُ المنزلة والذِّكر.

ثم مدَح أمَّته بالإيمان بذلك كلِّه، والاعتصامِ منهم(٢) بعدله وفضله، والاستعانةِ منهم به في قولِه وفعله.

ورُوي عن النبيِّ ﷺ أنه لمَّا أُسري به قال له ربُّه عز وجل: «أُعطيتَ يا محمدُ ما

(١) في (ر): «القدرة».

(٢) «منهم» ليست في (ف).

لم يُعْطَ نبيٌّ كان قَبْلَك، أُعطيتَ فاتحة الكتاب، وأُعطيتَ خواتيمَ سورة البقرة، وهي كنزٌ من كنوزِ عرشي، ولمْ يُعْطَهنَّ نبيٌّ كان(١) قبلك»(٢).

ورَوَى أبو أمامة عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «تعلَّموا الزَّهْراوين البقرةَ وآلَ عمران، فإنهما يأتيان أهلَهما(٣) يومَ القيامة كأنهما غيَايَتان، أو كأنهما غمامتان، أو كأنهما فِرْقان من طيورٍ صوافَّ، يحاجَّان عن أهلهما»، ثم قال: «تعلَّموا البقرة، فإن أَخْذَها بركةٌ، وتركَها حسرةٌ، ولا يستطيعُها البَطَلة»، يعني: السحرة(٤).

ثم قال: «هذا لـمَن تعلَّمه فلم يغل فيه، ولم يخف(٥) عنه، ولم يَستأكِلْ به، ولم يَتكثَّرْ(٦) به»(٧).

والحمد لله رب العالمين

* * *

---

(١) «كان» ليست في (ف).

(٢) لم أجده بهذا اللفظ، وروى نحوه مسلم (٨٠٦) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وفيه قول جبريل له: «أَبشِرْ بنُورينِ أُوتيتَهما لم يُؤْتَهما نبيٌّ قَبلك: فاتحةُ الكتاب، وخواتيمُ سورة البقرة، لن تَقرأ بحرفٍ منهما إلَّا أُعطِيتَه».

(٣) في (ف): «أهليهما»، والمثبت من (ر)، وليست الكلمة في مصادر التخريج.

(٤) رواه مسلم (٨٠٤)، والإمام أحمد في «المسند» (٢٢١٤٦) و(٢٢١٥٧)، من حديث أبي أمامة رضي الله عنه. ولفظ مسلم والرواية الأولى عند أحمد: «اقرؤوا» بدل: «تعلموا»، في الموضعين.

(٥) في (ف): «يحف».

(٦) في (ف): «يتكبر».

(٧) لم أجده.

سُورَةُ آلِ عِمرَان

سُورَةُ آلِ عِمۡرَانَ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

بسم الله الذي نزَّل[1] الكتاب، الرحمنِ الذي يرزقُ مَن يشاء بغير حساب، الرحيمِ الذي عنده حُسنُ الثواب.

روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «مَن قرأ في ليلةٍ سورة آلِ عمران صلَّت عليه الملائكةُ من تلك الساعة إلى الغد إلى أن تغيب الشمس»[2].

وعن النبي ﷺ أنه قال: «من قرأ سورة آل عمران أعطي لكل آيةٍ منها أماناً على جسر جهنم»[3].

---

(١) في (ف): «أنزل».

(٢) لم أجده من حديث أبي هريرة، وروى نحوه الطبراني في «الأوسط» (٦١٥٧)، والثعلبي في «تفسيره» (٣/ ٥)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وفيهما: «يوم الجمعة» بدل: «في ليلة». وفي إسناده طلحة بن زيد الرقي وهو ضعيف جدًّا. انظر: «مجمع الزوائد» (٢/ ١٦٨)، و«فيض القدير» (٦/ ١٩٨).

(٣) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٣/ ٥)، والواحدي في «الوسيط» (١/ ٤١١)، من حديث أبي رضي الله عنه. وقال السيوطي في «نواهد الأبكار» (٣/ ١١٢): هذا من الحديث الموضوع الذي روي عن أبي بن كعب في فضائل القرآن سورة سورة، وقد نبَّه أئمة الحديث وحفاظه ونقاده قديماً وحديثاً على أنه موضوع مختلق على رسول الله ﷺ، وعابوا على من أورده من المفسرين في تفاسيرهم.

ثم سورةُ آل عمران مكيةٌ في قول عكرمةَ والحسنِ البصريِّ، مدنيةٌ في قول عامة أهل التفسير[١].

وهي مئتا آيةٍ لا اختلاف فيها، وثلاثةَ آلافٍ وأربعُ مئةٍ وثمانون كلمةً، وأربعةَ عشَر ألفاً وخمس مئة وعشرون حرفاً[٢].

وانتظامُ هذه السورة بالسورة التي قبلها: أن الأولى افتُتحت بذكر الكتاب ومدحِ المؤمنين به وذمِّ الكافرين به، ثم وعدِ المؤمنين ووعيدِ الكافرين، وفي آخر هذه السورة[٣] مدَح الله تعالى نفسَه[٤]، ثم مدَح رسوله، ثم مدَح المؤمنين، ثم ذكر دعواتهم.

وهذه السورة افتُتحت بذكر الكتاب أيضاً، ثم بذكر المؤمنين، ثم بذكر الكافرين به[٥]، وآخرها بمدح الله جل جلاله: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١٦٤]، ثم بذكر المؤمنين، ثم بذكر دعواتهم.

وانتظام افتتاح هذه السورة بآخر تلك السورةِ: أن[٦] خَتْمها بقوله عز وعلا: ﴿فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾، وذكر في أول هذه السورة وحدانية الله تعالى،

---

(١) وقال ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١/ ٣٩٦): مدنية بإجماع فيما علمت. وقال القرطبي في «تفسيره» (٥/ ٥): مدنية بإجماع.

(٢) في (ر): «وست مئة وستة وثلاثون حرفا»، وفي «البيان في عد آي القرآن» للداني (ص: ١٤٣): وحروفها أربعة عشر ألفاً وخمس مئة وخمسة وعشرون حرفاً.

(٣) يعني: السورة التي قبلها، ولو قال: (تلك السورة) لكان أصوب.

(٤) في (ف): «الكتاب».

(٥) «به»: من (ف).

(٦) في (ف): «لأن».

ثم ذكر المؤمنين والكافرين ونَصْرَ الله المؤمنين على الكافرين بقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [آل عمران: ١٣].

ونزول أولها في شأن وفد[١] نجران: ذكر محمد بن إسحاق عن محمد بن جعفر بن الزبير قال: قدِم على رسول الله ﷺ وفدُ نجرانَ سبعون راكباً فيهم أربعةَ عشرَ رجلاً من أشرافهم، وفي الأربعة عشرَ ثلاثةُ نفر إليهم يَؤول أمرُهم[٢]: العاقبُ أميرُ القوم وذو رأيهم وصاحبُ مشورتهم، لا يَصْدُرون إلا عن رأيه، واسمُه: عبد المسيح، والسيدُ ثِمالُهم[٣] وصاحب رَحْلهم ومجتمَعهم، واسمه: الأَيْهَم، وأبو حارثةَ بنُ علقمةَ أخو بكرِ بن وائلٍ أُسْقُفُّهم وحَبرُهم وصاحب مدارسهم[٤] من علمه واجتهاده[٥]، وكانت ملوك الروم قد شرَّفته ونوَّلته وأكرمته[٦] لِمَا يبلغهم عنه من علمه واجتهاده في دِينهم.

فلمَّا وجَّهوا إلى رسول الله ﷺ من نجرانَ كان أبو حارثةَ على بغلةٍ له وإلى جَنبه أخٌ له يقال له: كُرْزُ بن عَلْقمةَ، يسير معه، إذ عثَرت بغلةُ أبي حارثة فقال كُرْزٌ: تَعِسَ الأَبْعدُ! يريد رسول الله ﷺ، فقال أبو حارثة: بل أمُّك تَعِست! فقال: ولمَ؟ قال: والله إنه لَلنَّبيُّ[٧] الذي كنا ننتظِر، فقال له كرز: فما يمنعك منه وأنت تعلمُ هذا؟ قال: ما

---

(١) في (ف): «وفد بني».

(٢) كتب بعدها في (ف) في الهامش: «إليهم».

(٣) في هامش (ف): «الثمال: الغياث، وثمال قومه؛ أي: غياث لهم يقوم بأمرهم».

(٤) (المدارس) قال الشهاب في «حاشيته على البيضاوي» (٢/ ٢١١): بيت اليهود الذي يدرسون به كتبهم، جمع مدراس. قلت: وجاء في بعض المصادر: (المدراس) بلفظ المفرد.

(٥) «من علمه واجتهاده»: من (ف)، ولم ترد في المصادر.

(٦) في المصادر: (شرفوه ومولوه وأخدموه).

(٧) في (ف): «إنه والله النبي».

صنع بنا هؤلاء القوم؛ شرَّفونا وموَّلونا وأكرمونا، وقد أبوا إلا خلافَه، فلو فعلْتُ نزعوا منَّا كلَّ ما تَرى، فأَضمر عليها منه أخوه كُرْزٌ حتى أسلم بعد ذلك، فهو كان يحدِّث بهذا الحديث عنه(١).

وكان أسماء الأربعةَ عشرَ: العاقبُ وهو عبدُ المسيح، والسيدُ وهو الأيهَمُ، وأبو حارثَةَ بنُ علقمةَ، وكُرزٌ والحارثُ وزيدٌ وقيسٌ ويزيدُ ونُبيهٌ وخويلدٌ وعمرٌو وخالدٌ وعبدُ الله ويُحنَّسُ.

فكلَّم رسولَ الله ﷺ منهم أبو حارثَةَ والعاقبُ والسيدُ، وهم على النصرانية على اختلاف من أمرهم؛ يقولون: هو الله، ويقولون: هو ولدُ الله، ويقولون: هو ثالثُ ثلاثةٍ، ويحتجُّون لقولهم: هو الله، بأنه كان يُحيي الموتى ويُبْرِئُ الأسقامَ ويُخبر بالغيوب، ويَخلق من الطين كهيئةِ الطير فينفخُ فيه فيطيرُ، ويحتجون لقولهم بأنه ولد الله بأنه لم يكن له أبٌ يُعْلم، ويحتجُّون لقولهم: ثالثُ ثلاثةٍ، بقول الله: فعلنا وقضينا، ولو كان واحداً لقال: فعلتُ وقضيتُ، ففي كلِّ ذلك من قولهم نزل القرآن.

فلمَّا كلَّمه الحَبْران قال لهما رسول الله ﷺ: «أَسْلِما» فقالا: قد أسلمنا، فقال: «قد كذَبْتُما، يمنعُكما عن(٢) الإسلام دعواكُما(٣) للهِ ولداً، وعبادتُكما الصليبَ، وأكلُكما الخنزيرَ»، قالا: فمَن أبوه يا محمد؟ فصمَتَ رسول الله ﷺ فلم يجبهما، فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهم واختلافِ أمرهم صدرَ سورةِ آل عمرانَ إلى بضعٍ وثمانين آيةً منها إلى قصة المباهلة(٤).

---

(١) وقد روى عنه البيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ٣٨٢ ـ ٣٨٣) هذا القدْر من الخبر إلى هذا الموضع.

(٢) في (ف): «من».

(٣) في (ف): «دعاؤكم».

(٤) انظر: «السيرة النبوية» لابن هشام (١/ ٥٧٣ ـ ٥٧٦)، و«تفسير الطبري» (٥/ ١٧٢ ـ ١٧٤). وهذا القدْر من الخبر هو الذي رواه الطبري.

فلمَّا أتى رسولَ الله ﷺ الخبرُ من السماء في القضاء فيما بينه وبينهم، وأمرُه بملاعَنتهم إنْ رَدُّوا عليه ذلك، دعاهم إلى ذلك فقالوا: يا أبا القاسم! دعنا ننظر في أمرنا، ثم نأتيكَ بما نريدُ أن نفعلَ.

فانصرفوا عنه ثم خَلَوا بالعاقب ـ وكان ذا رأيهم ـ فقالوا: يا عبد المسيح! ما ترى؟ فقال: والله يا معشرَ النصارى لقد عرفتُم إن محمداً لنبيٌّ مرسلٌ، ولقد جاءكم بالفصل من خبرِ صاحبكم، ولقد علمتُم ما لاعَنَ قوم نبيًّا فبَقِيَ كبيرُهم ولا نَبَت[1] صغيرهم، وإنه الاستئصال منكم إنْ فعلتم، فإنْ كنتُم قد أَبَيْتُم إلا إلْفَ دينكم والإقامةَ على ما أنتم عليه من القول في صاحبكم فوادِعوا الرجل ثم انصرِفوا إلى بلادكم.

فأَتَوا رسول الله ﷺفقالوا: يا أبا القاسم! قد رأينا ألَّا نلاعِنَك، وأنْ نتركك على دينك ونرجعَ على ديننا، ولكن ابعث معنا رجلاً من أصحابك ترضاه لنا يَحكم بيننا في أشياءَ قد اختلفنا فيها من أموالنا، فقال رسول الله ﷺ: «ائتوني العشيَّةَ أبعثْ معكم القويَّ الأمين».

قال: فكان عمر يقول: ما أحببتُ الإمارة قطُّ قبل يومئذٍ رجاءَ أن أكون صاحبَها، فرحْتُ[2] إلى الظهر مهجِّراً، فلمَّا صلَّى بنا رسول الله ﷺ الظهرَ سلَّم[3] ثم نظر عن يمينه وعن شماله، وجعلتُ أتطاوَلُ له ليراني، فلم يزل يلتمسُ ببصره حتى رأى أبا عبيدة بنَ الجرَّاح، فدعاه فقال: «اخرُجْ معهم فاقْضِ بينهم بالحقِّ فيما اختلَفوا فيه»، قال عمر رضي الله عنه: فذهب بها أبو عبيدةَ[4].

---

(١) في (ر): «ثبت»، والمثبت من (ف) و«السيرة».

(٢) في (ف): «فخرجت»، والمثبت من (ر) و«السيرة».

(٣) في (ف): «وسلم»، والمثبت من (ر) و«السيرة».

(٤) انظر: «السيرة النبوية» لابن هشام (١/ ٥٨٣ ـ ٥٨٤).

وقال الربيع بن أنسٍ في تفسيره: إن النصارى أتوا رسول الله ﷺ فخاصَموه في عيسى عليه السلام، فقالوا: مَن أبوه؟ فقالوا على الله الكذبَ والبهتان، فقال لهم النبيُّ ﷺ: «أَلَستُمْ تَعلمونَ أنه لا يكون ولدٌ إلا وهو يُشْبِهُ والدَه؟» قالوا: بلى، قال: «ألستُم تعلمون أنه حيٌّ لا يموت، وأن عيسى عليه السلام يأتي عليه الفناء؟» قالوا: بلى، قال: «ألستُم تعلمون أن ربنا قيِّمٌ على كلِّ شيءٍ يَكْلؤه ويحفظه ويرزقه؟» قالوا: بلى، قال: «فهل يملك عيسى من ذلك شيئاً إلا ما عُلِّم؟» قالوا: لا، قال: «فإن ربَّنا صوَّر عيسى في الرَّحِم كيف شاء» ثم قال: «ألستُم تعلمون أنَّ ربَّنا لا يأكلُ الطعامَ ولا يشربُ الشرابَ ولا يُحْدِثُ الحدَثَ؟» قالوا: بلى، قال: «ألستُم تعلمون أن عيسى حملتْه امرأةٌ كما تَحمل المرأةُ ثم وضعَتْه كما تَضَعُ المرأة ولدها وغُذِيَ كما يُغْذَى[1] الصبيُّ، ثم كان يَطْعَمُ الطعامَ ويشربُ الماءَ ويُحْدِثُ الحَدَثَ؟» قالوا: بلى[2]، قال: «فكيف يكون هو كما زعمتُم»، فعرفوا ثم أبوا إلا جحوداً، فأنزل الله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ﴾ الآيات[3].

وقالوا لرسول الله ﷺ: ألستَ تزعم أنه كلمةُ الله وروحٌ منه؟ قال: «بلى»، قالوا: فحَسْبُنا، فأنزل الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ﴾ الآيات[4].

***

(١) هنا آخر السقط الواقع في (أ).

(٢) في (أ): «نعم».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ١٧٤). وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٥٨٥)، والثعلبي في «تفسيره» (٨/ ١٧ ـ ١٩) (ط: دار التفسير).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٢٠٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٥٩٦)، عن الربيع أيضا.

(١) ـ ﴿الٓمٓ﴾.

وقوله تعالى: ﴿الٓمٓ﴾: ذكرنا الأقاويل الكثيرة فيه في أول سورة البقرة، وفتحُ الميم لدى الوصلِ لاستثقالِ الكسرة بعد الياء الساكنةِ، ولاختيارِ أخفِّ الحركات.

وقال الفرَّاء والزجَّاج: أُلقي على الميم فتحُ الهمزة من قوله: ﴿ٱللَّهُ﴾[١]، ولا يقال: هذا أَلِفُ الوصل فلا تكون له فتحةٌ مستحَقَّةٌ؛ لأن ﴿الٓمٓ﴾ هجاءٌ، ويُنوى فيه الوقفُ، ويُنوى بعده الاستئنافُ، فتكون الهمزة في حكم الثابتة[٢].

***

(٢) ـ ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ﴾: فسَّرناه في أول آية الكرسيِّ، وقال ابن عباسٍ رضي الله عنهما: وحَّد الله نفسَه حيث لم توحِّدْه النصارى واليهود والمشركون.

قال: وهو الحيُّ بنفسه لا بإحياء غيره، والقيومُ[٣] به قيامُ كل شيءٍ، وعيسى صلوات الله عليه كان حيًّا بإحياء الله تعالى، وقائماً بإقامته، فكيف يكون إلهاً؟!

***

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٩)، و«معاني القرآن» للزجاج (١/ ٦٥)، وذكر الزجاج بعده وجهاً آخر وهو كون الفتح لالتقاء الساكنين، وهو قول منسوب لسيبويه، والظاهر من كلام الزجاج اختياره، فإنه عقبه بقوله: وهذا القول صحيح لا يمكن في اللفظ غيره. وانظر قول سيبويه في «البحر المحيط» لأبي حيان (٥/ ١٦٣).

(٢) في (ر): «الثابتة»، والمثبت من (أ) و(ف)، والمراد همزة القطع.

(٣) في (أ): «القيوم».

(٣) ـ ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾: أي: فصَّل إنزال القرآن عليك يا محمدُ شيئاً بعد شيءٍ في ثلاثٍ وعشرين سنةً، وهو إنزالُ جبريل بوحي[1] القرآن.

وقوله تعالى: ﴿بِالْحَقِّ﴾ أي: بالصدق فيما اختُلف فيه.

وقيل: لبيان الحق.

وقيل: أي: بالصَّواب والصِّحة والحكمة البالغة.

وقيل: جميع ما فيه صدقٌ لا خُلفَ فيه ولا كذبَ.

وقيل: بإيجابِ شكرِ المنعِم على عباده.

وقيل: بالحقِّ الذي يجب لبعضهم على بعضٍ.

وقوله تعالى: ﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾: أي: موافقاً لِمَا قبله من الكتب المنزَلة في التوحيد وأصلِ الطاعة، واختلافُ الشرائع لا يوجب التناقُضَ على ما مرَّ في سورة البقرة.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ (٣) مِنْ قَبْلُ﴾: أي: من قبلِ إنزال القرآن عليك.

* * *

(٤) ـ ﴿مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾.

وقوله تعالى: ﴿هُدًى لِلنَّاسِ﴾: أي: بيِّناً[2] لهم أمرَ دينهم.

---

(١) في (أ): «الوحي».

(٢) في (أ): «بياناً».

وفي كلِّ هذه الكتب نفيُ كلِّ معبودٍ سوى اللهِ تعالى، وبطلانُ ما يقوله النصارى في عيسى. **قوله تعالى:** ﴿وَأَنزَلَ ٱلۡفُرۡقَانَ﴾[1] قيل: هو بيان القرآن.

وقيل: هو القرآن بعينه، وإنما أعاده بعدما قال في أوله: ﴿نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ﴾ لأنه سمَّاه باسمين، وكلُّ اسمٍ يدل على معنًى؛ فالأول يدل على أنه مجموعٌ لأن الكتابة هي الجمع، والفرقانُ يدل على أنه فارِقٌ بين الحق والباطل، فكان كذِكْرِ صفتين فلم يكن تكراراً.

والجواب الأوضح: أنه ذَكر في أول الآية التنزيلَ على التفعيل، وذلك يَدلُّ على التكرير، وهو إخبارٌ[2] عن تنزيله شيئاً بعد شيءٍ في مدَّةِ عُمره، وذَكر في آخِر الآية الإنزالَ، وهو الإنزالُ أولَ[3] مرَّةٍ، وأراد به من اللوح إلى السماء الدنيا جملةً في ليلةِ القدر في شهرِ رمضان، فهو إخبارٌ عن شيئين، ولذلك قال في التوراة والإنجيل: ﴿وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ﴾ ولم يقل: نَزَّلَ؛ لأنهما أُنزلا جملةً، وذكَر في القرآن مرَّةً تنزيلاً لتفصيل[4] تنزيله في طولِ المدة، وذكَر الإنزال مرةً لإنزاله من اللوح إلى السماء جملةً.

وقيل: الفرقان: المخرِج من الشبهات، قال الله تعالى: ﴿إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا﴾ [الأنفال: ٢٩]، وهو يكون صفةً للتوراة والإنجيل والقرآن[5] جميعاً فقد ذكرها قبله.

وقيل: الفرقان نصرُ الأنبياء، وأراد به في حقِّ الكل.

---

(١) في (ف): «وإنزال القرآن» بدل: «قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱلۡفُرۡقَانَ﴾».

(٢) في (ر): «إخباره».

(٣) في (أ): «والإنزال» بدل: «وهو الإنزال أول».

(٤) في (ف): «تنزيل التفصيل»، وفي (ر): «تنزيلًا للتفصيل».

(٥) في (أ) و(ف): «والفرقان».

وقال السُّـدِّي: فيه تقديـمٌ وتأخيرٌ، وتقديـره: وأنزل التوراةَ والإنجيـل والفرقانَ هدى للناس[١].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞ﴾: أي: بالقرآن؛ قال اللهُ تعالى: ﴿بَلۡ هُوَ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ﴾ [العنكبوت: ٤٩]؛ أي: اليهودَ والنصارى الذين جحَدوا القرآنَ مع أنَّه يوافقُ كتابَهم ﴿لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞ﴾ في الآخرة لا يُطاق بما فعلوا ما لا عذرَ لهم فيه.

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٞ﴾: أي: ممتنعٌ[٢]، مِن قولهم: أرضٌ عَزازٌ[٣]؛ أي: ممتنعةُ السلوك لصعوبتها، ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٞ﴾؛ أي: ممتنعٌ بسلطانه أنْ يُعارضه أحدٌ في عذابٍ أراده بمَن شاءَ.

وقيل: ﴿عَزِيزٞ﴾؛ أي: غالبٌ لا يَمنعه أحدٌ عمَّا يُريده؛ من قولهم: مَن عزَّ بزَّ؛ أي: مَن غَلَبَ سَلَبَ[٤].

وقوله تعالى: ﴿ذُو ٱنتِقَامٍ﴾: أي: ذو عذابٍ[٥].

وقيل: ذو بطشٍ شديدٍ.

وقيل: ذو انتصارٍ مِن أعدائه لأوليائه.

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣/ ٩)، والواحدي في «الوسيط» (١/ ٤١٢)، والبغوي في «تفسيره» (٢/ ٦).

(٢) في (أ): «منيع».

(٣) في (ر): «عزيزة».

(٤) انظر: «الأمثال» لأبي عبيد (ص: ١١٣)، و«غريب الحديث» للخطابي (١/ ١٤٥)، و«جمهرة الأمثال» لأبي هلال العسكري (٢/ ٢٨٨).

(٥) في (ف): «عقاب».

وقيل: هو عامٌّ في حقِّ جميع الكفار.

والآياتُ: الكتبُ كلُّها، وكذلك الأنبياءُ كلُّهم؛ لأنَّ الآيةَ هي العلامة[١]، والأنبياءُ أعلامٌ، قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ﴾ [يوسف: ٧] وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً﴾ [المؤمنون: ٥٠]، وكذلك دلائلُ التوحيد كلُّها آياتٌ؛ قال الله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [يوسف: ١٠٥].

* * *

(٥) ـ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾: أي: فكيف يخفى عليه قولُ هؤلاء النصارى؟ وعيسى كان يَخفى عليه أمرُ السماء، وكذا أمرُ الأرض؛ فقد خفيَ عليه تدبيرُ الكفار في قتله فكيف يكون إلهاً؟ والله هو الذي لا يَخفى عليه شيءٌ.

* * *

(٦) ـ ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ﴾: أي: يَجعلكم على هيئاتٍ[٢] مخصوصةٍ في أرحامِ أمَّهاتكم؛ مِن ذكرٍ وأنثى، وأسودَ وأبيضَ، وتامٍّ وناقصٍ، وطويلٍ وقصيرٍ، وحسنٍ وقبيحٍ.

والصورة: الهيئة[٣]، وهي مِن الصَّوْر وهو الضمُّ والقطع والإمالة، وفي الصُّورة ذلك كلُّه، والتصويرُ بعد التارات الثلاثة[٤] مِن النطفة والعلقة والمضغة.

---

(١) في (أ): «لأن الآيات هي العلامات».

(٢) في (ف): «هيئة».

(٣) في (أ) و(ف): «والهيئة».

(٤) في (أ) و(ف): «الثلاث».

أي: إنَّ الله تعالى هو الذي يَقدر على ذلك، فهو الإلهُ وحده، وعيسى عليه السلام كان مخلوقاً صوَّره اللهُ تعالى في الرَّحِم، وهو المصوِّر والقادر على ما يشاء، فله أنْ يصوِّره[1] مِن غير أبٍ.

وقوله تعالى: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾: نزَّه نفسَه أن يكون عيسى ابناً له.

وقوله تعالى: ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾: أي: المنيع في ملكه وحُكمه ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ في قولِه وفعلِه.

وقال الإمام أبو منصورٍ رحمه الله: قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ فيه نقضُ قولِ القائف، فإنَّه جعل مشيئة التصوير لنفسه، وعِلْمَ ذلك إلى نفسه[2].

***

(٧) - ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾: المُحكَمات: المُتقَنات، و(أمُّ الكتاب): أصلُه وما يُرجَع إليه في تعرُّف المُشكلات، و(أخرُ): جمع أُخرى، والمتشابهات مِثلُ[3] المشتَبِهات، والأقاويلُ فيها كثيرةٌ.

---

(١) في (أ): «يصور».

(٢) في (أ): «لنفسه». وانظر: «تأويلات أهل السنة» (٢/ ٣٠٢).

(٣) «مثل»: من (أ).

وانتظامُها بما قبلها ـ وهو أحدُ هذه الأقاويل ـ: أنَّ النصارى لمَّا احتجُّوا لإثبات قولهم: ثالثُ ثلاثةٍ، بما نزل مِن قولِ الله: نحن فَعَلنا، ونحن قضينا، نزلت هذه الآيةُ، ووجهُ ذلك: أنَّ الآياتِ المحكَماتِ: ما فيها مِن الآيات الدالَّةِ على وحدانيته تبارك وتعالى[١] ونفيِ الإلهيَّة عن غيره، وهي آياتٌ بيِّناتٌ غيرُ محتمِلةٍ[٢] للتأويل، والآياتُ التي فيها: نحن فعلنا، نحن قضينا، متشابهاتٌ يَشتبِه معناها على مَن جهِل وجوهَ خطابِ العرب، وقد أَخبر أنَّ المُحكَمات أصلٌ، ومِن جهتها يَحصل العلمُ بالتوحيد وتأويلُ المتشابه.

وقال ابنُ عباسٍ رضي الله تعالى عنهما: المحكماتُ: ناسخُه[٣]، وحلالُه وحرامُه، وحدودُه وفرائضُه، وما يؤمَن به ويُعمَل به، والمتشابهات: منسوخُه، ومقدَّمُه ومؤخَّره، وأقسامُه وأمثاله، وما يؤمَن به ولا يُعمل به[٤].

فأمَّا المؤمنون فيقولون: كلٌّ مِن عند الله تعالى مُحكَمُه ومتشابهُه، وأمَّا الذين في قلوبهم زيغٌ مِن أهل الشرك فيَحملون المحكَمَ على المتشابه، والمتشابهَ على المحكَم، ويُلبِّسون فيه فيُلبِّسُ اللهُ عليهم.

وقال الكلبيُّ: المحكَماتُ: المبيَّناتُ بالحلال[٥] والحرام، ولم تُنسَخ، وهنَّ ثلاثُ آياتٍ في سورة الأنعام: ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ [الأنعام: ١٥١] إلى آخر الآياتِ[٦]؛ هنَّ أصلُ الكتاب، أَنزلها اللهُ تعالى على محمَّد، وفيها مجمعُ

---

(١) في (أ): «وحدانية الله تعالى».

(٢) في (أ) و(ف): «محتملات».

(٣) بعدها في هامش (ف): «وتبين» وعليها علامة التصحيح، لكن لا يظهر لها وجه.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ١٩٣).

(٥) في (ر): «المبينات الحلال».

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ١٩٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وأورده الثعلبي في «تفسيره» (٣/ ١٠).

الحلال والحرام، وهنَّ إمامٌ في التوراة والإنجيل والقرآن وفي كلِّ كتابٍ، مَن عمِل بهنَّ دخل الجنة، ومَن تركهنَّ دخل النار.

﴿وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ يعني: ما اشتبَهَ على اليهود كعب بنِ الأشرف وأبي ياسرٍ مِن حساب الجُمَّل، وهنَّ: ﴿الٓمٓ﴾ و﴿الٓمٓر﴾ و﴿الٓمٓصٓ﴾ و﴿الٓر﴾[١]، وقد بيَّنَّا تلك القصَّة في أول سورة البقرة.

وفي «تفسير مقاتل» في قوله تعالى: ﴿وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾: يعني: إلى[٢] كم تملك هذه الآية ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾؛ أي: الله يعلم كم يملكون مِن السنين[٣].

وقيل: الآيةُ نزلت في النصارى حين أَتَوا النبيَّ ﷺ وناظَروه في أمرِ عيسى عليه السلام، فقالوا: كان إلهاً؛ لأنَّه كان يُحيي الموتى، ويُبرئ الأَكْمه والأبرص، ويَنفخ في الطين فيصير[٤] طيراً، ويَعلم الغيب، قال: ﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ﴾ [آل عمران: ٤٩]. وردَّ النبيُّ ﷺ قولَهم[٥]؛ أنَّه كان في الرَّحِم، وخرج مِن المبَال، وكان يَنام، وكان[٦] يأكل الطعام ويُحدِث، فنزلت الآيةُ ردًّا عليهم[٧]؛ لأنَّه

---

(١) انظر: «تفسير السمرقندي» (١/ ٢٤٦)، و«تفسير الثعلبي» (٣/ ١١ ـ ١٢)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٩)، جميعهم ذكروه عن الكلبي.

(٢) في (ف): «أي»، وفي (ر): «بين إلى». بدل: «يعني إلى».

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» (١/ ٢٦٤).

(٤) في (ف): «فيكن».

(٥) بعدها في (أ): «بقوله»، وحذفها أولى لأن الآتي مذكور بالمعنى.

(٦) «كان» لم يرد في (أ).

(٧) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ١٧٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٥٨٥)، والثعلبي في «تفسيره» (٨/ ١٧ ـ ١٩) (ط: دار التفسير)، عن الربيع بن أنس، وتقدم في أول السورة.

اشتبه الأمرُ عليهم فجعلوا الدلائلَ التي دلَّت على نبوَّته دلالةً لربوبيَّته[(١)]، وما فعلوا ذلك إلَّا ابتغاء الكفر وابتغاء إيقاع الفتنة بين المؤمنين.

وقيل: الآياتُ المحكمةُ كقوله[(٢)]: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾ [آل عمران: ٢] ﴿وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ﴾ [آل عمران: ٣] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخۡفَىٰ عَلَيۡهِ شَيۡءٞ﴾ [آل عمران: ٥] ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُصَوِّرُكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ كَيۡفَ يَشَآءُ﴾ [آل عمران: ٦]. والمتشابهات كقوله: ﴿الٓمٓ﴾ ﴿الٓمٓرۚ﴾ ﴿الٓمٓصٓ﴾ ﴿الٓرۚ﴾.

وقيل: المُحكَم ما لا يحتمِل إلَّا وجهاً واحداً، والتحكيمُ والإحكامُ: المَنْعُ، والحَكَمةُ مانعةٌ للفرس مِن[(٣)] الجماح، فالمحكَم: ما يمتنع[(٤)] على مَن أراد صرفَه إلى غير مراده، والمتشابهُ ما يحتمِل وجوهاً، وهو مِن الشِّبْه، وهو المِثْل؛ أي: يشبهُ[(٥)] هذا بوجهٍ وهذا بوجه.

وقيل: المُحكَم: ما دلَّ على صفات اللهِ تعالى؛ مِن علمه وقدرته وسمعه وبصرِه وسائرِ صفاته، وأمَّا المتشابه: فما لا بدَّ فيه مِن أنْ[(٦)] يُصرَف عن ظاهره إلى وجهٍ مِن وجوه التأويل فيه، كقوله تعالى: ﴿فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٦] و: ﴿خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ﴾ [ص: ٧٥] و: ﴿تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا﴾ [القمر: ١٤] ونحو ذلك.

وقال ابنُ كيسانَ: المحكَمات: هي التي حُججُها واضحةٌ لا حاجةَ لمن سمعها

---

(١) في (ر): «دلالة الربوبية».

(٢) في (ف): «قوله».

(٣) في (أ): «عن».

(٤) في (ر) و(ف): «يمنع».

(٥) في (ر): «إلى نسبة»، وفي (ف): «إلى تشبه»، بدل: «أي يشبه».

(٦) في (ر) و(ف): «فما لا بد له فيه أن».

إلى طلبِ معانيها، وهي[١] ما أخبر اللهُ تعالى عن التوراة والإنجيل، وما فَعل بالأمم الخالية، وما كان سببَ عقابهم، وما أخبر عن خَلْق الناس مِن نطفةٍ وترابٍ[٢]، ومِن إحيائهم، وإماتتهم، وغير ذلك، فهذا كلُّه محكمٌ، وهو الأصل الذي لو فكَّرتم فيه عَرفتُم أنَّ كلَّ ما جاء به محمَّدٌ عليه الصلاة والسلام حقٌّ مِن عند الله. والمتشابه: هو الذي يُدرَك علمُه بالنَّظر ولا يَعرِف العوامُّ تفصيلَ الحقِّ منه مِن الباطل[٣].

وقال ابنُ كيسان: ومِن المتشابه: ما وَعَدَ اللهُ تعالى المؤمنين مِن النصر والظَّفَر[٤]، وأَوعد الكفار[٥] مِن النقمة وتغيير النعمة، فيقولون: ﴿ٱئۡتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ﴾ [العنكبوت: ٢٩] و: متى[٦] تأتينا الساعةُ، و: ﴿لَّوۡ مَا تَأۡتِينَا بِٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ﴾ [الحجر: ٧]؛ ليُشبِّهوا على الضَّعَفة، وكذلك الآياتُ التي تتطرَّقُ بظواهرها الملحدةُ إلى الطعنِ في كتاب الله تعالى والتلبيسِ بها على الضَّعَفة.

وقيل: المُحكَم: ما اجتمعوا على حُكمه؛ كتوحيد الله تعالى وتنزيهه عمَّا لا يليق بذاته وصفاته، والصلواتِ الخمس، وصيامِ رمضان، ونصبِ الزكوات، وأركانِ الحجِّ، والغُسْل مِن الجنابة، وما أجْمع[٧] عليه الصَّدْر الأوَّل. والمتشابهُ: ما اختلفوا فيه.

قال مِسْعَرُ بنُ كدَامٍ: كان عمرُو بنُ مرَّة إذا صلَّى الفجر بعدما كُفَّ بصرُه قال

---

(١) في (أ): «وهو».

(٢) في (ر): «نطفة أو تراب».

(٣) انظر: «تفسير الثعلبي» (٣/ ١١).

(٤) في (أ): «من النصر والظفر للمؤمنين».

(٥) في (ف): «وأعد للكفار».

(٦) «متى»: من (أ).

(٧) في (ر): «اجتمع».

لأصحابه: أفيكم غريبٌ؟ فإن قالوا: نعم، سكت فلم يُحَدِّث، وإنْ قالوا: لا، أَقْبَل يُحدِّثهم، وإنَّه صلَّى الفجر يوماً، فلمَّا انصرف قال لأصحابه: أفيكم غريبٌ؟ قالوا: نعم، فسكت، فقال الغريب: يَرحمك اللهُ! إنِّي جئتك مسترشداً، إنِّي رجلٌ دخلت في جميع هذه الأهواء، فلم أَدخل في هوًى منها إلَّا القرآن يُدخلني فيه، ولم أخرج مِن هوًى منها إلَّا القرآن يُخرجني منه، حتى بقيتُ ليس في يدي شيءٌ، فقال له: واللهِ الذي لا إله إلَّا هو لقد جئتَ مسترشداً!

فقال: واللهِ الذي لا إله إلَّا هو لقد جئتُ مسترشداً، فقال: أرأيتَ[(١)] ما اختلفوا فيه؛ هل اختلفوا في أنَّ اللهَ واحدٌ؟ قال: لا، قال: فهل اختلفوا في أنَّ محمَّداً رسولُ الله؟ قال: لا، قال: فهل اختلفوا في أنَّ القرآنَ كتابُ الله؟ قال: لا، قال: فهل اختلفوا في الصلوات الخمس[(٢)] أنَّها خمسٌ؟ قال: لا، قال: فهل اختلفوا في رمضان أنَّه شهرُهم الذي يصومونه؟ قال: لا، قال: فهل اختلفوا في الحجِّ أنَّه بيتُ اللهِ الذي يحجُّونه؟ قال: لا، قال: فهل اختلفوا في الزكاة أنَّها مِن مئتي درهم خمسةُ دراهم؟ قال: لا، قال: فهل اختلفوا في الغُسْل مِن الجنابة؟ قال: لا.

قال[(٣)]: فذَكر له هذا وأشباهَه، قال: ثم قال: اقرأ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞ﴾ الآيةَ، فالمحكَم ما اجتمعوا عليه، والمتشابِهُ ما اختلفوا فيه، فشُدَّ يديك بالمحكَم، وإيَّاك إيَّاك[(٤)] والمتشابهَ.

قال: فقال الرجلُ: الحمد لله الذي أرشدني على يديك، فواللهِ لقد جئتُك وإنِّي

(١) في (أ): «أو الله» بدل: «والله الذي لا إله إلا هو لقد جئتُ مسترشداً فقال: أرأيت».

(٢) «الخمس» لم يرد في (أ).

(٣) «قال» لم يرد في (أ).

(٤) «إياك»: من (أ).

لَمِن أسوأ الناسِ حالاً، ثم لقد قمتُ مِن عندك وإنِّي لحَسَنُ الحال، فدعا له ثم قام[١].

فقال عمرو: إنَّ الشيطانَ دعا أهلَ الكتاب إلى أمرٍ فأجابوه، فطرحهم فيما قد علمتُم، وهو داعيكم كما دعاهم وطارحُكم في مِثل[٢] ما طرحَهم فيه، فعليكم بالأمر الأول، قال: فإنْ قال قائلكم: ما الأمرُ الأوَّل[٣]؟ فهو ما اجتَمع عليه المتفرِّقون.

وقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾: أي: مَيْلٌ عن الصواب وتَعرُّفِ الحقِّ.

وقوله تعالى: ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ﴾: أي: يتعلَّقون بالمتشابه منه، ولم يُرِدْ به اتِّباعَ الموافَقة، بل هو طلبُ شُبَه المجادَلة، وهو كقوله تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾ [البقرة: ١٠٢].

وقوله تعالى: ﴿ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ﴾: قيل[٤]: لابتغاء الكفر، كما قال تعالى: ﴿أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾ [النور: ٦٣].

وقيل: هو التماسُ إيقاعِ الضَّعَفة في الفتنة، وهي الصَّدُّ عن الحقِّ في حقِّ الكفار الذين يطلبون الهدى، والإخراجُ عن الدِّين الحقِّ إذا كانوا على الهدى.

وقوله تعالى: ﴿وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾: أي: ولِيبتغوا[٥] مِن الضَّعَفة أنْ يُخبروهم بتأويل هذا[٦] المتشابه، وليس ذلك على معنَى طلبِهم تأويلَه على سبيل التعرُّف والتعلُّم، لكن على سبيل الاستزلال، وإنَّما جعله مبتغَى التأويل؛ لأنَّ الطاعنَ يُخرِجُ

---

(١) في (أ): «قال».

(٢) في (أ): «حكم».

(٣) «قال: فإن قال قائلكم ما الأمر الأول» لم يرد في (ف).

(٤) في (أ): «أي»، وفي (ف): «قيل أي».

(٥) في (أ): «ليبتغوا».

(٦) في (أ): «يخبرهم بتأويل هذه»، وفي (ر): «يخبروهم بتأويله بهذا».

كلامه مخرجَ السؤال ويَقصدُ به ضعيفاً لا بَصَر له فيه يوقع في قلبه شبهةً، وهي[١] عادةُ الملحِدةِ والمبْطِلة[٢] مِن أهل الأهواء.

وقال ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما لعليِّ بنِ أبي طالبٍ رضي الله عنه: لا تُخاصِم هؤلاء الخوارج بالقرآن؛ فإنَّ القرآن حَمولٌ ذلولٌ ذو وجوهٍ، تقول ويقولون، ولكن خذهم[٣] بالسُّنن، فإنَّهم لن يجدوا عنها محيصاً[٤].

وقال عمر بنُ الخطاب رضي الله عنه: يأتي أقوامٌ يأخذونكم بشبهات القرآن، فخُذوهم بالسُّنن، فإنَّ أصحابَ السُّنن أعلمُ بكتاب الله تعالى[٥].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ﴾: منهم[٦] مَن وقف على هذا، وقال: لا يَعلم المتشابهَ إلَّا اللهُ، وفي مصحف عبد الله بنِ مسعودٍ رضي الله عنه: (وما يَعلم تأويلَه إلَّا اللهُ ويقول الراسخون في العلم آمنَّا به)[٧].

---

(١) في (أ) و(ف): «وهو».

(٢) في (أ): «الملاحدة والمبطلين».

(٣) في (ر): «خذوهم».

(٤) رواه الخطيب في «الفقيه والمتفقه» (١/ ٥٦٠) من طريق الأوزاعي قال: خاصم نفر من أهل الاهواء علي بن أبي طالب فقال له ابن عباس...، الحديث، وإسناده منقطع. ورواه ابن سعد كما في «الدر المنثور» (١/ ٤٠) من طريق عكرمة وغيره عن ابن عباس فعكس وجعل القائل عليا والمخاطب ابن عباس، ولعله الصواب.

(٥) رواه الدارمي في «السنن» (١١٩).

(٦) قوله: «منهم» وقع بدلًا منه في (ف): «مر وإذا كانوا أعلم وقد تعلوا السنة فيكون منهم حجة»، وهي عبارة قلقة وغير واضحة.

(٧) انظر: «تفسير الثعلبي» (٣/ ١٥)، وكذا كان يقرأ ابن عباس كما رواه عنه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٢١٨).

وعن عمر بنِ عبد العزيز رضي الله عنه قال في قوله تعالى: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ قال: انتهى علمُهم إلى أنْ قالوا: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾(١).

وقال ابنُ كيسان كذلك، وقال: ولا تنكِرْ أنْ يكون للقرآن تأويلٌ استأثر اللهُ بعلمه دون خَلْقه؛ لأنَّا لا نعلم مرادَ اللهِ عزَّ وجلَّ وحكمتَه في أوامره ونواهيهِ، غيرَ أنَّه أَلزمَنا العملَ بما أَنزل، ولم يُطالبنا بما لا سبيلَ لنا إلى معرفته.

وقال هؤلاء: فائدةُ إنزالِ المتشابه: الإيمانُ به، واعتقادُ حقِّيَّة ذلك و(٢) ما أراد الله به، ومعرفةُ قصورِ أفهام البشر عن الوقوف على مالم يُجعل لهم إليه سبيلٌ.

وأكثر أهل العلم على أنَّ الراسخين في العلم يَعلمون المتشابهَ، ويوصَلُ قوله: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾ بالأوَّل.

وقال مجاهد: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾ يعلمونه و﴿يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾(٣).

قالوا: ولو لم يكن للراسخين في العلم حَظٌّ في عِلم المتشابه إلَّا أنْ يقولوا: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ لم يكن لهم فضلٌ على الجهَّال؛ لأنَّهم جميعاً يقولون ذلك.

قالوا: ولم يزل المفسِّرون إلى يومنا هذا يفسِّرون ويؤوِّلون كلَّ آيةٍ، ولم نَرهم وقفوا عن شيءٍ مِن القرآن فقالوا: هذا متشابهٌ لا يَعلمه إلَّا اللهُ، بل فسَّروه نحوَ حروف الهجاء(٤) وغيرها.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٢١٩)، وابن المنذر في «تفسيره» (٢٥٧).

(٢) «ذلك و»: من (ف).

(٣) انظر: «تفسير مجاهد» (ص: ٢٤٩)، ورواه أبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص: ١٠٠)، الطبري في «تفسيره» (٥/ ٢٢٠)، وابن المنذر في «تفسيره» (٢٥٩)، والنحاس في «القطع والائتناف» (ص: ١٢٦)، وابن الأنباري في «إيضاح الوقف والابتداء» (ص: ١٩٥)

(٤) في (أ) و(ف): «التهجي».

وعن ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما أنَّه قال: كلُّ القرآنِ أَعلمُ إلَّا أربعةً: غِسْلين، وحنَّان، والأوَّاه والرَّقِيْم، ثم رُوي عنه أنَّه عَلِمَ ذلك[١].

قال القُتبيُّ: ولم يُنزِل اللهُ شيئاً مِن القرآن إلَّا ليَنتفعَ به عبادُه، ويدلَّ به على معنًى أَراده، فلو[٢] كان المتشابهُ لا يَعلمه غيرُه لَلَزِمَنا للطَّاعنِ مقالٌ، وهل يجوز أنْ يقال: إنَّ رسولَ الله ﷺ لم يَكن يعرف المتشابهَ، وإذا جاز أنْ يعرفه مع قوله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ جاز أنْ يَعرفه الرَّبَّانِيُّون مِن صحابته[٣].

فعلى قولِ هؤلاء على الوصل معناه: وما يعلم تأويله إلا اللهُ ومَن فضَّله اللهُ مِن الراسخين في العلم؛ أي: الثابتين المستقيمين الذين لا يتهيَّأ استزلالُهم ولا تشكيكُهم، وقد رسخَ الشيءُ في القلب؛ أي: استَحْكَم، يقول: ينبغي للمبتغين ذلك المتشابهَ[٤] أنْ يقصدوا بسؤالهم هؤلاء الراسخين ليكشفوا لهم ذلك إنْ كانوا مسترشِدِين، وفيه أنَّ[٥] اللهَ تعالى لم يُسوِّ بين خَلْقه في العلم بالمتشابهات كما لم يسوِّ[٦] بينهم في سائر العلوم.

وقوله تعالى: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾: أي: المحكَمات والمتشابهات.

ثم على القول الأوَّل ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾ مبتدأٌ، وخبره: ﴿يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ

---

(١) رواه عبد الرزاق في «المصنف» (١٦٠٨)، وانظر: «تفسير السمرقندي» (٢/ ٩٢)، و«تفسير الثعلبي» (٣/ ١٤).

(٢) في (ف): «فإن».

(٣) انظر: «تأويل مشكل القرآن» (ص: ٦٦).

(٤) في (أ): «للمتبعين بالمتشابه»، وفي (ف): «للمتبعين المتشابه».

(٥) في (ف): «منه وإن»، بدل: «وفيه أن».

(٦) في (ر): «كما سوى»، وفي (ف): «كما يسوي».

﴿مِّنۡ عِندِ رَبِّنَا﴾، وعلى القول الثاني هذا في موضع الحال، وتقديره: قائلين آمنا به، فيُستغنى به عن حرف العطف، وهو كقول الشاعر:

الرِّيح تَبكي شَجْوَهُ والبَرْقُ يَلمعُ في غمامَه[١]

أي: والبرق يَبكي أيضاً لامعاً؛ أي: حالَ لمعانِه.

وقيل: الراسخون في العلم: عبد الله بنُ سلام وأصحابُه، قاله مقاتل بنُ حيَّان[٢].

وروى أنسٌ وأبو الدرداء وأبو أُمامة رضي الله عنهم عن النبيِّ ﷺ أنَّه سُئل عن[٣] الراسخين في العلم، فقال: «مَن برَّت يمينُه، وصدَقَ لسانُه، واستقام قلبُه، وعَفَّ بطنُه وفَرْجُه؛ فذاك مِن الراسخين في العلم»[٤].

فإن قالوا: ما الفائدةُ في إنزال المتشابه، ولو كان الكُلُّ محكماً لم يُختلَف في شيءٍ؟.

قلنا: أراد اللهُ جلَّ جلاله أنْ يمتحن عبادَه، فجعل مداركَ العلم على الاختلاف؛ فجعل بعضها جليًّا ظاهراً، وبعضها خفيًّا غامضاً؛ ليُتوصَّل بالجليِّ إلى معرفة الخفيِّ

---

(١) البيت ليزيد بن مفرغ الحميري، وهو في ديوانه (ص: ١٤٣)، و«تأويل مشكل القرآن» لابن قتيبة (ص: ٦٧)، و«إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٣٥٧)، و«الصاحبي» لابن فارس (ص: ٢٣٧)، و«المحرر الوجيز» (٥/ ٧٤)، و«خزانة الأدب» (٦/ ٤٧). ورواية الديوان:

فالريح تبكي شجوها والبرق يضحك في الغمامه

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٦٠٠).

(٣) في (أ): «من».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٢٢٣ ـ ٢٢٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٥٩٩)، والثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٦٢ ـ ٦٤) (ط: دار التفسير). وفي إسناده عبد الله بن يزيد بن آدم، قال عنه أحمد كما في «الميزان»: أحاديثه موضوعة.

مِن طريق الاستنباط والاجتهاد وإتعابِ النفس وإعمالِ الفكر؛ ليتبيَّن المُجِدُّ مِن المقصِّر، والمجتهدُ مِن المفرِّط، فيكون ثوابهم على قَدْر[١] اجتهادهم، ولتكون مراتبُهم على قَدْر علومهم، ولولا ذلك لاستوت الأقدامُ، ولم يتميَّز الخاصُّ مِن العامِّ، ولبطلت المحنةُ، وذهب التفاوتُ بين الناس، ولا يزال الناسُ بخيرٍ ما تفاوتوا، فإن[٢] استـوَوا هـلـكوا، وقال تعالى: ﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [الأنعام: ١٦٥] وقال تعالى: ﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٢١].

وقيل: الحكمة فيه: أنَّ اللهَ تعالى كلَّف عبادَه ضروباً مِن العبادات؛ وجعل بعضَها باللسان، وبعضَها باليد، وبعضَها بالرِّجْل، وبعضَها بالسمع، وبعضَها بالبصر، وبعضَها على كلِّ البَدَن كالصلاة ونحوها، وبعضَها على القلب؛ فجعل بعضَها مُحكَماً وبعضَها متشابهاً؛ ليتعبَ القلب بالتفكُّر في المتشابه منها؛ ليخرجه على موافَقة المحكم منه[٣]، فتكون ذلك عبادةً منه كعبادات سائر الأعضاء.

وقيل: إنَّ القرآنَ نزل بلغة العرب، وعلى موافَقة عادتهم في المخاطبات، ومعلومٌ أنَّهم يتكلَّمون بأنواعٍ مِن الكلام؛ منها الواضحُ البيِّن، ومنها الغامضُ الذي يَحتاج في استخراجه إلى التفكُّر، ومَن نَظَرَ في خُطَبهم وأشعارهم ومخاطباتِ الفصحاء منهم ومكاتباتهم إلى يومنا هذا، عَرف حقيقةَ ما قلنا، فخوطبوا على ما تَعارفوه مِن ذلك فيما بينهم.

---

(١) في (أ) و(ف): «ثوابهم بقدر».

(٢) في (أ) و(ف): «فإذا».

(٣) «منه»: من (أ) و(ف).

ثم إنَّ القرآنَ كلَّه مُحكمٌ في معنًى، وكلَّه متشابهٌ في معنًى، وبعضَه محكمٌ[١] وبعضَه متشابهٌ في معنًى، وقد ذُكر ذلك كلُّه في القرآن:

أمَّا الأول: فقد قال: ﴿كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ﴾ [هود: ١] ومعناه: أنَّ كلَّه مُتقَنٌ لا تناقضَ فيه.

وأمَّا الثاني: فقد قال: ﴿كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ﴾[٢] [الزمر: ٢٣] ومعناه: أنَّه يُصدِّق بعضُه بعضاً، ويُوافق بعضُه بعضاً.

وأمَّا الثالث: فقد قال في هذه الآية: ﴿مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞ﴾ ووجهُ ذلك ما ذكرناه[٣].

ثمَّ الراسخون في العلم ـ وهم الثابتونَ فيه ـ: هم الذين لا يَزولون عن الحقِّ بحشمةٍ أو رشوةٍ.

وقد قلنا: إنَّه أُريد به عبد الله بنُ سلام وأصحابُه مِن الذين لم يُغيِّروا كتابَ الله تعالى، بخلاف كعب بنِ الأشرف وأصحابِه مِن اليهود؛ فإنَّهم وُصِفوا بالتحريف، وبأنَّهم ﴿يَكۡتُبُونَ ٱلۡكِتَٰبَ بِأَيۡدِيهِمۡ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٧٩].

ثم مدح هؤلاء بحُسْن الإقرار بقوله: ﴿يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾، وبحُسْن الاعتقاد بقوله: ﴿كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَا﴾، وبحُسْن الفهم والاعتبار بقوله تعالى:

﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾: أي: لا يتَّعظ ولا يَعتبر إلَّا أولو العقول الخالصة،

---

(١) بعدها في (ف): «في معنى».

(٢) «مثاني» لم يرد في (ف).

(٣) في (أ): «ذكرنا».

وبحسن[١] الدُّعاء، وخوفِ الخاتمة، وسؤالِ الرحمة، وذكرِ الله تعالى ببالغ الأثنية[٢]، والإقرارِ بالقيامة، وذلك قوله تعالى:

* * *

(٨) ـ ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴾.

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا ﴾: أي: لا تُمِلْ قلوبنا عن الحقِّ، وهو خلقُ الميلِ في القلب، ودلَّ ذلك على أنَّ الله تعالى خالقُ أفعالِ العباد.

وقوله: ﴿بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾: يعني: بعد هدايتك إيَّانا؛ وهو خَلْقُ فعلِ الاهتداء أيضاً، ودلَّ على ما دلَّ عليه[٣] الأوَّل.

وقوله تعالى: ﴿وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً﴾: أي: مِن عندك، والرحمةُ تحتمل أنْ يكون أُريد بها[٤] الثباتُ على الإسلام، وتحتمِلُ أنْ يكون المرادُ بها الجنَّةَ، وتحتمِل أنْ يُريد بها كلَّ نعمةٍ.

وقيل: معناه: هَبْ لنا ما نستوجبُ به الرحمةَ بوعدك.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾: هو كثيرُ الهبة ودائمُ الهبة؛ وهي التبرُّع بما ليس على الفاعل فِعْله، ودلَّ ذلك على بطلان قولِ المعتزلةِ في وجوب الأَصْلح على الله تعالى؛ فإنَّ مَن أدَّى ما عليه لم يكن مُنعِماً متفضِّلاً وهَّاباً.

* * *

---

(١) في (ف): «بحسن».

(٢) في (أ): «ببالغ الأبنية»، ولم ترد الكلمتان في (ر).

(٣) «عليه» لم يرد في (أ) و(ف).

(٤) في (ر): «منها».

(٩) - ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوۡمٖ لَّا رَيۡبَ فِيهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوۡمٖ لَّا رَيۡبَ فِيهِ﴾: أي: باعثُ الخلقِ يومَ القيامة وجامعُهم للحساب والجزاء، وهو يومٌ لا شكَّ في كونه.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ﴾: أي: للدَّاعين بالإجابة، وللمطيعين بالإثابة[١]، يَحتمِلُ[٢] أنَّه تمامُ كلام الراسخين، ويحتمل أنَّه ابتداءُ كلامٍ؛ وهو إخبارٌ مِن الله تعالى، ثم يحتمِل أنَّ المرادَ به هاهنا أنَّه لا يُخلِف ميعاده[٣] في إقامة القيامة على الخصوص، ويحتمل أنَّ المرادَ به في كلِّ شيءٍ.

* * *

(١٠) - ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ وَقُودُ ٱلنَّارِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾: هذا ذمٌّ للكافرين بعد مدحِ الراسخين في العلم مِن المؤمنين[٤]، وكان كفرُهم لاغترارهم[٥] بأموالهم وأولادهم؛ فإنَّهم كانوا يَرون عزَّهم بهما، قال تعالى: ﴿وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا﴾ [الأنعام: ٧٠] وقال تعالى: ﴿ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ [الكهف: ٤٦]، فأخبر أنَّ ذلك لا يُغني عنهم، وهو قوله تعالى:

﴿لَن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم﴾: أي: لا تنفعهم، والغَناء بالفتح والمدِّ:

---

(١) في (ر) و(ف): «بالإنابة».

(٢) في (ر) و(ف): «ويحتمل».

(٣) في (ر): «الميعاد».

(٤) في (أ): «بعد مدح المؤمنين الراسخين في العلم».

(٥) في (ف): «لاعتزازهم».

النفع، والغِنَى بالكسر والقَصْر: الغُنية، وقد أَغناهُ؛ أي: جعله غنيًّا[١]، وأغنى عنه؛ أي: نَفَعه ودفعَ الضررَ عنه.

وقوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾: أي: مِن عذاب الله، ومعناه: لا يَصرف عنهم عذابَه، وكانوا يقولون: ﴿نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ [سبأ: ٣٥] وقال اللهُ تعالى في ردِّهم: ﴿وَمَا يُغْنِى عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ﴾ [الليل: ١١].

وقال تعالى: ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ﴾ [المسد: ٢] وهو الولد.

وقال عزَّ وعلا: ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ﴾ [الحاقة: ٢٨].

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٨ ـ ٨٩].

وقال: ﴿وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ [سبأ: ٣٧].

وقوله تعالى: ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ﴾: أي: حطبُ النار، كما في قوله تعالى: ﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ [البقرة: ٢٤]؛ أي: تشتعل بهم وتُحرقهم.

* * *

(١١) ـ ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾: قال الربيع بنُ أنس: أي: لن تغنيَ عنهم أموالهم ولا أولادهم، كما لم تُغْنِ عن آلِ فرعون والذين مِن قبلهم أموالُهم ولا أولادُهم، والدَّأْبُ: العادةُ.

---

(١) سقطت بعدها في (أ) الورقة رقم (١٤٥)، وسنبين نهاية السقط في مكانه.

وقال ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما: أي: صنعُ هؤلاء كصنيع[1] آلِ فرعون في الشِّرك.

وقال الأخفش: أي: أمرُ هؤلاء كأمرِ آلِ فرعون.

وقال الفرَّاء: كفرُ هؤلاء ككفرِ آلِ فرعون.

وقال قُطْربٌ: حالُ هؤلاء كحالِ آلِ فرعون.

وقال مقاتل: أي: دأبُ هؤلاء في تكذيبك كدأبِ آلِ فرعون.

وقال مجاهد: فعل هؤلاء كفعل آلِ فرعون[2].

وقيل: ﴿وَأُولَٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ﴾ تتَّقد بهم كما تتَّقد بآل فرعون.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾: أي: والكفارِ الذين كانوا قبلَهم.

وقوله تعالى: ﴿كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾: أي: بكتبنا وبرسلنا[3].

وقوله تعالى: ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ﴾: أي: عاقبهم بها.

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾: أي: للكفار.

* * *

(١٢) ـ ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾: قرأ حمزةُ والكسائيُّ بياء المغايبة، والباقون بتاء المخاطبة[4]، وكلاهما شائعٌ في متعارف

---

(١) في (ف): «كصنع».

(٢) انظر هذه الأقوال في «تفسير الطبري» (٥/ ٢٣٥ ـ ٢٣٧)، و«تفسير السمرقندي» (١/ ٢٤٨)، و«تفسير الثعلبي» (٣/ ١٨ ـ ١٩).

(٣) في (ف): «ورسلنا».

(٤) انظر: «السبعة» (ص: ٢٠١)، و«التيسير» (ص: ٨٦).

اللسانِ، يُقالُ: وقال زيد: المالُ له والمالُ لي، وقل له: سيخرج وستخرج، وقال تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾[١] [الأنفال: ٣٨] وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا﴾ الآية [الأنفال: ٧٠].

وقيل: الخطابُ لليهود، والمغايَبة عن عَبَدة الأوثان؛ لأنَّ اليهودَ أَظهروا السرور[٢] بما كان مِن المشركين يومَ أُحُدٍ.

وتفسيره: قل لليهود الذين كان لهم عهدٌ ثم نقضوه ـ وهم بنو النضير ـ واعتمَدوا أموالهم وأولادهم: ستُغلبون وتقهرون، فلا تنفعكم أموالُكم ولا أولادُكم، وهذا في الدنيا، وقوله تعالى: ﴿وَتُحْشَرُونَ﴾ أي: تُجمَعون وتُبعَثون إلى جهنَّم، وذلك في العُقبى.

وقوله تعالى: ﴿وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ أي: وبئسَ الفِراش.

وقال مجاهد: أي: بئسَ ما مهَدتم لأنفسكم وقدَّمتم لها[٣].

وكان كما قال؛ فقد أَجلاهم وأَخذ أموالهم في الدنيا، ولهم العذابُ الدائمُ في العقبى.

وقيل: هذا خطابٌ لنصارى بني نجران الذين ذُكروا في أوَّل هذه السورة.

وقال ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما: هو خطابٌ لليهود[٤]، وكانت الغَلَبة على بني قريظة بالقتل والسَّبي.

---

(١) في (ف): «نغفر لهم»، بدل: «يغفر لهم ما قد سلف».

(٢) في (ر): «أظهروا الشرك».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٢٤١).

(٤) رواه أبو داود (٣٠٠١)، والطبري في «تفسيره» (٥/ ٢٣٩ و٢٤٠). وإسناده ضعيف لجهالة محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت.

(١٣) - ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِي فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ ٱلْعَيْنِ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِي فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: قُرئ فيه بالرَّفع على الاستئناف، وبالنصب على المدح[١]، وهذا[٢] شاذٌّ، وبالخفض على البَدَل، وهو قراءة الزهريِّ[٣]، وهو كما قال كُثَيِّر به[٤]:

وكنت كذي رِجلَيْن رِجْلٌ صحيحةٌ ورجلٌ رَمَى فيها الزمانُ فَشَلَّتِ[٥]

يُنشد بالرَّفع والجرِّ معاً.

ولو قلتَ: مررتُ بثلاثةٍ: صريعٌ وجريحٌ، واقتصرتَ عليهما، لم يجز بالجرِّ؛ لأنَّك لم تَستوفِ العددَ، ويَجوز بالرَّفع، وتقديره: منهم صريعٌ، ومنهم جريحٌ، وإذا قلتَ: مررتُ بثلاثةٍ؛ صريع وجريح وسليم، جاز فيه الرَّفع والجرُّ، فإنْ زدتَ فيه: اقتَتَلوا، جاز فيه الرَّفعُ والجرُّ والنصبُ.

وقوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ﴾ إنَّما لم يقل: كانت؛ لتقدُّم الفعل، ولأنَّ الآيَةَ في معنى البيان والبرهان، ولأنَّ تأنيثَها غيرُ حقيقيٍّ، ومعناها: كان لكم أيُّها الكفار المغترُّون بالعَدَد والعُدَد علامةٌ على صِدْق دعوى محمَّدٍ الرسالةَ، وإخبارِه أنَّكم ستُغلَبون وتُحشَرون في طائفتين وفرقتين اجتمعتا للقتال ببدرٍ؛ إحداهما فئةٌ تُجاهِد في

---

(١) قرأ: (فئةً) بالنصب ابن أبي عبلة كما في «المختصر في الشواذ» لابن خالويه (ص: ٢٦).

(٢) في (ف): «وهو».

(٣) انظر: «المختصر في الشواذ» لابن خالويه (ص: ٢٦)، وزاد نسبتها لمجاهد.

(٤) «به» لم يرد في (ف).

(٥) انظر: «ديوان كثير عزَّة» (ص: ٩٩).

سبيل الله، وهم لا كثرةَ فيهم ولا شوكةَ، وهم أصحابُ محمَّدٍ ﴿وَأُخۡرَىٰ كَافِرَةٌ﴾؛ أي: والطائفةُ الأُخرى كافرةٌ بالله ورسوله، وهم كفَّار قريشٍ أبو جهلٍ وأصحابُه، وكانوا تسعَ مئةٍ وخمسينَ رجلاً، وقادوا مئةَ فرسٍ، وساقُوا سبعَ مئةِ بعيرٍ، وفيهم مئةُ فارسٍ درَّاعٍ، وفي الرَّجَّالة راعون[1]، والمسلمون ثلاثُ مئةٍ وثلاثةَ عشرَ؛ بين كلِّ أربعةٍ منهم بعيرٌ، ومعهم ستُّ أدرعٍ وفَرَسانِ، ففي ذلك عبرةٌ لمَن اعتبر حيث غلَب القليلُ الكثيرَ.

وقوله تعالى: ﴿تَرَوۡنَهُم مِّثۡلَيۡهِمۡ﴾: قراءة نافعٍ بتاء المخاطبة؛ أي: تَرَون يا معشرَ اليهود أنتم المشركين مِثْلَي المسلمين، وهذا لم يكن رؤيةَ عيان؛ لأنَّهم لم يكونوا شهوداً، لكنَّه بمعنى العلم كأنَّهم عَلموا بالفريقين.

وقرأ الباقون بياء المغايبة[2]؛ أي: المسلمون يَرَون المشركين مِثْلَي أنفسِهم، ولم يُرِدْ به قصرَ العدد على مِثْلَي عددِ المسلمين على الاستواء، فقد كان المسلمون ثلاثَ مئةٍ وثلاثةَ عشرَ، والمشركون تسعُ مئةٍ وخمسون، وهذا أكثرُ مِن ثلاثة أمثاله، لكن له وجوهٌ:

أحدها: أنَّه لا يُراد بمثل هذا الكلام إلَّا التَّضاعُفُ، وذاك بزيادةٍ عليه، مِثْلَه كان أو مِثْليه أو ثلاثةَ أمثاله، خصوصاً في حقِّ مَن نظَر في الفئتين نظراً واحداً فعرف الكثرةَ دون إحصاءِ[3] العددين حقيقةً، وكذا فيما يُحصى قد يُطلق هذا، يقال له[4]: لا أَقضي حاجتَك وإنْ أَتيتني ألفَ مرَّةٍ، و: لا أَقبل عُذرَك وإن اعتذرتَ سبعينَ مرَّةً، قال تعالى: ﴿إِن تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ سَبۡعِينَ مَرَّةٗ فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡ﴾ [التوبة: ٨٠] ويكون للرَّجل ألفُ

---

(١) «راعون» كذا في (ر) و(ف)، ولعل الصواب: (دراعون).

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٢٠١ ـ ٢٠٢)، و«التيسير» (ص: ٨٦).

(٣) في (ف): «دون أن أحصى».

(٤) «له»: من (ف).

درهمٍ، فيقول: إنِّي أَحتاج[١] إلى مثلِه، يريد أنَّه يَحتاج إلى ألفين، ولو قال: إلى مِثْليه، كان محتاجاً إلى ثلاثة آلاف.

ووجهٌ آخَرُ: أنَّ اللهَ جلَّ جلاله أَرى المشركين في أعين المسلمين ضعفَهم بلا زيادةٍ؛ تشجيعاً لهم على قتالهم، إذ لو وقع عندهم أنَّهم بأضعافهم فربَّما هابوا، وكانوا لا يمتنعون عن قتال ضِعْفهم[٢]، كقوله تعالى: ﴿فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُواْ مِائَتَيْنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓاْ أَلْفَيْنِ﴾ [الأنفال: ٦٦].

وقيل: إنَّ كلَّ واحدةٍ مِن الفئتين رَأَت أنَّها في العدد مثلَ الفئة الأخرى؛ ليُقدِم بعضُهم على بعض، ولو رأى المسلمون المشركين على عددِهم لم يُؤمَن فشلُهم، ولو علم المشركون بعدد المسلمين لم يُؤمَن نكولُهم[٣]، فقلَّل كلَّ فئةٍ عمَّا كانت عليه في عيون الأخرى، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ [الأنفال: ٤٤].

وقال ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه: لقد قُلِّلوا في أعيننا يوم بدرٍ حتى قلتُ لرجلٍ كان إلى جَنْبي: أَتُراهم سبعينَ؟ قال: أُراهم مئةً، فأخذنا رجلاً منهم فقلنا: كم كُنتم؟ قال: كنَّا ألفاً[٤].

---

(١) في (ف): «محتاج».

(٢) في (ف): «وكانوا يمتنعون عن القتال»، ولها وجه بالنظر لما قبلها، لكنها لا تستقيم باعتبار ما بعدها.

(٣) قوله: «ولو علم المشركون بعدد المسلمين لم يُؤمَن نكولُهم»، فيه نظر؛ لأنهم لو علموا عدد المسلمين على الحقيقة لازدادوا رغبة في القتال لأنهم أضعافهم، فهم في تلك الحالة أبعد ما يكون عن النكول.

(٤) رواه أحمد بن منيع في «مسنده» كما في «المطالب العالية» (٤٢٤٧)، والطبراني في «الكبير» (١٠٢٦٩)، والبيهقي في «الدلائل» (٣/ ٦٧)، جميعهم من طريق أبي عبيدة عن ابن مسعود. قال الحافظ: هذا إسناد صحيحٌ، إنْ كان أبو عُبيدةَ سمعه من أبيه، فقد اختُلِفَ في سماعِه منه.

وقوله تعالى: ﴿رَأْيَ ٱلْعَيْنِ﴾؛ أي: في رؤيةِ العين، وقد رأى رَأْياً ورُؤيةً، وأكثرُ ما يُستعمَل في رؤية العين: الرؤية، وفي رؤية[1] القلب: الرَّأي[2]، وفي النَّوم: الرؤيا.

فـ ﴿رَأْيَ﴾ نصبٌ بنزع (في)، وقيل: نصبٌ على الحال، وتقديره: رائين بأعينهم، والعينُ في معنى العيون؛ لأنَّه جنسٌ، فصلح للجمع.

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾: أي: يقوِّي، والأَيْد والأَدُّ: القوَّة، والتأييدُ: التقويةُ.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ﴾: أي: لآيةً، وسُمِّيت بها لأنَّه يُعْبَر بها عن موضع الجهل إلى العلم، مِن العُبور وهو قَطْع النهر والنفوذُ، والاعتبارُ: الاستدلالُ بالشاهد على الغائب، والأبصار: جمع بَصَر، وهو رؤيةُ القلب، وكذلك البصيرة.

وقال مقاتل: إنَّ في نصر المؤمنين وهم قليلٌ، وهزيمةِ المشركين وهم كثيرٌ، لعبرةً لأُولي[3] البصائر في أمرِ الله تعالى.

وقال الحسن في تفسير هذه[4] الآية ـ وهو وجهٌ آخَر سوى الذي قلنا ـ: ﴿يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ﴾؛ أي: يَرون الكفارَ أنَّهم أضعافُ المسلمين، وكذلك كانوا في الظاهر، وهو رأي العين، ﴿وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾؛ أي: يؤيِّد المؤمنين بخمسة آلافٍ مِن الملائكة والكفارُ لا يَرونهم، فأنتم في الباطن أكثرُ منهم، وهم في الظاهر أكثرُ منكم، فدخل في قلوب المؤمنين مِن ذلك رعبٌ، فأذهب اللهُ جلَّ جلاله ذلك

---

(١) «رؤية» لم يرد في (ف).

(٢) في (ر) و(ف): «الرؤية» والصواب المثبت كما سيأتي في سورة يوسف.

(٣) في (ف): «لأهل».

(٤) «هذه»: زيادة من (ف).

مِن قلوبهم في أسرعَ مِن طرفةِ عينٍ ﴿وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصۡرِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ وقد شاء تأييدَ النبيِّ ﷺ وأصحابِه ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةً﴾ للَّذين يُبصرون ما أمرهم به اللهُ، كقوله عزَّ وعلا: ﴿وَمَا يَعۡقِلُهَآ إِلَّا ٱلۡعَٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣].

فإنْ قالوا: أيُّ عبرةٍ في هذا والفئةُ القليلةُ المُبطِلة قد تغلبُ الفئةَ الكثيرةَ المحقَّة؟

قلنا: الآيةُ الواضحةُ والعبرةُ اللائحةُ في ذلك ليست نفسَ غلبةِ القليلِ الكثيرَ، بل معانٍ أُخَرُ:

منها: أنَّ المسلمين لم يكونوا مستعدِّين، وكان الكفار مستعدِّين على ما بيَّنَّا، وهذا في مثل هذا الحال لا يكون إلَّا بأمرٍ سماويّ.

ولأنَّ أبا جهلٍ ـ لعنه اللهُ ـ قال: اللَّهمَّ انْصُر أحبَّ الدِّينَيْن إليك، فوقع ذلك ونزل: ﴿إِن تَسۡتَفۡتِحُواْ فَقَدۡ جَآءَكُمُ ٱلۡفَتۡحُ﴾ [الأنفال: ١٩].

والثالث: أنَّ النبيَّ ﷺ كان أَخبر بذلك بقوله: سيُغلَبون، ونزل عليه قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحۡدَى ٱلطَّآئِفَتَيۡنِ أَنَّهَا لَكُمۡ﴾ [الأنفال: ٧].

ولأنَّ النبيَّ ﷺ رماهم بكفٍّ مِن ترابٍ، وقال: «شاهتِ الوجوهُ» فامتلأت مِن ذلك أعينُهم وعَمُوا وانهزموا، ونزل في شأنه: ﴿وَمَا رَمَيۡتَ إِذۡ رَمَيۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧].

فكانت العبرةُ في هذا كلِّه.

* * *

(١٤) ـ ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلۡبَنِينَ وَٱلۡقَنَٰطِيرِ ٱلۡمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلۡفِضَّةِ وَٱلۡخَيۡلِ ٱلۡمُسَوَّمَةِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ وَٱلۡحَرۡثِۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلۡمَـَٔابِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾: انتظامُ هذه الآية بما قبلها: أنَّه ذكر في الآية الأولى عدمَ نفع الأولاد والأرحام[١] في الحاصل، وذَكر حالَ الآخرة في مقابلتها.

ووجهٌ آخَرُ: أنَّه ذكر قصة بني نجران، واغترارَهم بما حصل لهم مِن ملوكهم مِن حظوظ الدنيا، وذكر هاهنا أنَّه[٢] كلَّه متاعٌ، وأنَّه لا قَدْرَ له في جَنْب الآخرة.

وقوله تعالى: ﴿زُيِّنَ﴾ على ما لم يُسمَّ فاعله، وفاعلُه هو اللهُ تعالى في قول عمر رضي الله عنه،

وروي عنه أنَّه رفع يديه وقال: اللَّهمَّ زيَّنتَ لنا الدنيا وما فيها، وما بعدها خيرٌ منها، فاجعل حظَّنا مِن الذي هو خيرٌ وأبقى[٣].

ودليلُه في كتاب الله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلۡنَا مَا عَلَى ٱلۡأَرۡضِ زِينَةٗ لَّهَا﴾ [الكهف: ٧] ومعناه: تخليقُ الميل والشهوة في القلوب وتصوُّر حُسنها وزينتها، مِن غير أنْ يتعرَّض لذِكْر فاعلها، كما يقال: أين يُذهَبُ بك؟ أي: أين تَذهب؟ مِن غير إرادةِ مَن يُذْهِبُه.

وقوله تعالى: ﴿حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾؛ أي: المشتهيات، مصدرٌ أُريد به المفعولُ، ولذلك جُمع، ودليلُ ذلك أنَّه فسَّره بالمشتهيات[٤]، وهو قوله: ﴿مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلۡبَنِينَ﴾ الآية.

---

(١) في (ف): «عدم نفع الأموال والأولاد ثم ذكر في هذه الآية [...] الأموال والأولاد». وما بين معكوفتين غير واضح في النسخة، ويشبه رسمه كلمة: (قديم).

(٢) في (ف): «أن».

(٣) رواه ابن المنذر في «تفسيره» (٢٨٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٦١٢).

(٤) في (ف): «بالمشهيات».

والشهوة: تَوَقانُ النفسِ إلى الشيء، وقد شَهِيَ شهوةً، مِن بابِ عَلِمَ، واشتَهى يَشتهي، وتشهَّى يتشهَّى، وشهَّاه غيرُه تشهيةً، ورجلٌ شهوانُ، وامرأةٌ شهوى.

والنساء والنِّسوة: جمع امرأة على غيرِ لفظها.

والبنين: جمع ابنٍ، وقد يقعُ في غيرِ هذا على الأولاد كلِّهم ذكورِهم وإناثِهم، وهاهنا أُريد به الذكورُ؛ فهم المشتهَون[1] في الطِّباع والمعَدُّون للدفاع.

قوله تعالى: ﴿وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ﴾: جمع القنطار[2]، والقنطار؛ قيل[3]: هو أربعون أوقيَّةً مِن ذهبٍ أو فضةٍ، وقيل: ألفٌ ومئتا دينارٍ، وهو تشبيهٌ بالقَنْطَرة ـ وهو[4] الجسرُ العظيمُ ـ بمعنى العظَم. وقيل: بمعنى العقد، وقيل: بمعنى التحصين، وقيل: بمعنى الإحكام، وقيل: بمعنى الجمع.

وقال مجاهد رحمه الله: القنطارُ ثمانونَ ألف دينارٍ[5].

وقال الحسن: القنطارُ ديةُ أحدِكم.

وقال معاذ بن جبلٍ رضي الله عنه: القنطار ألفٌ ومئتا أوقيَّةٍ.

وقال أبو هريرة رضي الله عنه: هو اثنا عشر ألف أوقيَّةٍ[6].

---

(١) هنا آخر السقط الواقع في (أ).

(٢) في (ر) و(ف): «القناطر».

(٣) «قيل» ليست في (أ).

(٤) في (أ): «وهي».

(٥) كذا قال، والذي في المصادر عن مجاهد: (سبعون ألف دينار). انظر: «تفسير الطبري» (٥/ ٢٥٨)، و«تفسير ابن المنذر» (٦١٧)، و«تفسير السمرقندي» (١/ ٣١٦)، و«تفسير الثعلبي» (٣/ ٢٤)، و«النكت والعيون» (١/ ٣٧٦).

(٦) روي مرفوعاً وموقوفاً، فممن رواه مرفوعاً الإمام أحمد في «المسند» (٨٧٥٨)، وابن ماجه (٣٦٦٠)، وابن حبان (٢٥٧٣). وقال الحافظ الدارقطني في «العلل» (٨/ ١٦٩): يرويه عاصم بن أبي النجود =

وقيل: هو مئةٌ وعشرون ألف دينارٍ.

وقال الكلبيُّ رحمه الله وأبو نضرةَ[١]: هو مِلْءُ مَسْكِ ثورٍ[٢] ذهباً.

وقال أبو صالح: هو مئةُ رطلٍ.

وقال سعيد بنُ جبير وعكرمة: هو مئةُ ألفٍ ومئةُ مَنٍّ ومئةُ رطلٍ ومئةُ دينارٍ ومئةُ درهمٍ، ولقد جاءكم[٣] الإسلامُ يومَ جاء وبمكَّة مئةُ رجلٍ قد قنطر.

وقال الحكَم: القنطار: ما بين السماء والأرض مِن مالٍ.

وقال السدِّي: القنطار: مئةُ رطلٍ مِن ذهبٍ وفضةٍ.

وقال سعيد بنُ جبير: القنطار بلسان الرومية: مِلْءُ مسكِ ثورٍ ذهباً، وبلسان أفريقيَّة والأندلس: ثمانيةُ آلاف مثقالٍ ذهباً[٤] أو فضةً، وبلسان بَرْبَر: ألفٌ ومئتا مثقالٍ مِن ذهبٍ أو فضةٍ.

وقوله تعالى: ﴿ٱلۡمُقَنطَرَةِ﴾ قال الفرَّاء: المضاعَفة، فالقناطيرُ ثلاثةٌ، والمقنطرةُ تسعةٌ.

وقيل: هي كقولك: دراهمُ مُدَرْهَمة؛ أي: مجعولة كذلك[٥].

= (وهو ابن بهدلة)، واختلف عنه، فرواه عبد الصمد بن عبد الوارث وأبو علي الحنفي عبيد الله بن عبد المجيد، عن حماد بن سلمة، عن عاصم، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ. وغيرهما يرويه عن حماد بن سلمة موقوفاً، وكذلك قال حماد بن زيد عن عاصم، والموقوف أشبه.

(١) هو المنذر بن مالك العبدي، توفي سنة (١٠٨هـ). انظر: «سير أعلام النبلاء» (٤/ ٥٢٩). وتحرف في النسخ إلى: «أبو بصرة».

(٢) المسك (بفتح الميم وسكون السين): هو مسلاخ الجلد الذي يكون فيه الثور وغيره.

(٣) في (أ): «جاء».

(٤) في (ف): «ذهب».

(٥) في (ر): «لذلك»، والمثبت من باقي النسخ، وهو الموافق لما في المصادر. انظر: «النكت والعيون» =

وقال السديُّ: هي المضروبةُ المنقوشةُ.

وقال يمان بنُ رئاب: القناطيرُ: الأموالُ فوق الأرض، والمقنطرةُ: المدفونةُ.

وقال الضحاك: هي المحصَّنة المحكَمة المجموعة المنضَّدةُ بعضها فوق بعض(١).

وقوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ﴾: أي: القناطيرِ مِن هذين الجنسين.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ﴾: الخيل: الأفراس، لا واحدَ لها مِن لفظها، واشتقاقها مِن الخُيَلاء؛ لاختيالها في مشيها(٢)، ومِن التخيُّل؛ فإنَّها تتخَيَّل في عينِ صاحبها أعظم منها؛ لتمكُّنها في قلبه.

و﴿ٱلْمُسَوَّمَةِ﴾: المرعيَّةُ، وقد سامَت السائمةُ؛ أي: رَعَت، وأَسامها وسوَّمها صاحبُها؛ أي: رعاها.

وقيل(٣): المحسَّنة، وهي مِن السِّيما.

وقيل(٤): المُعَلَّمَة، قال تعالى: ﴿بِخَمْسَةِ ءَالَـٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ [آل عمران: ١٢٥].

وقيل: أي: المعدَّة للقتال، قال لبيد:

= (١/ ٣٧٦)، و«البسيط» للواحدي (٥/ ٩٦)، و«تفسير العز بن عبد السلام» (١/ ٢٥٥). ولعل المراد بقوله: «المجعولة كذلك»؛ أي: المجموعة قنطاراً قنطاراً. انظر: «مفردات الراغب» (مادة: قطر)، وفيه: ﴿وَٱلْقَنَـٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ﴾؛ أي: المجموعة قنطاراً قنطاراً، كقولهم: دراهم مدرهمة، ودنانير مدنَّرة.

(١) انظر هذه الأقوال في «تفسير الطبري» (٥/ ٢٥٤ ـ ٢٦٠)، و«تفسير السمرقندي» (١/ ٣١٦)، و«تفسير الثعلبي» (٣/ ٢٣ ـ ٢٤)، و«النكت والعيون» (١/ ٣٧٦)، و«البسيط» للواحدي (٥/ ٩٢ ـ ٩٦).

(٢) في (أ): «مشيتها».

(٣) في (ف): «وهي».

(٤) في (ر) و(ف): «وهي».

ولعمـري لقـد بُلِـيْ بكُلَيْـبٍ   كـلُّ قِـرْنٍ مُسـوَّمٍ للقتـالِ[١]

وقوله تعالى: ﴿وَٱلۡأَنۡعَٰمِ﴾: هي جمع نَعَمٍ، وهي اسمٌ للإبل والبقر والغنم، ولا يقال: النَّعَم، لجنسٍ منها على الإفراد إلَّا للإبل خاصَّة، والنَّعَمُ اسمُ جنسٍ[٢] لا واحدَ له مِن لفظه، كالخيل والإبل والنِّساء والرَّهْط.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلۡحَرۡثِۗ﴾: أي: والزرع، ويقتضي حُبَّ الضَّيْعات[٣]، وجمَع[٤] محابَّ الدنيا هذه الأشياءُ السِّتَّةُ.

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾: ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارةٌ إلى حبِّ الشهوات، ولذلك ذُكِّر ووحِّد، وقال النضر بنُ شميل: ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارةٌ إلى ما ذُكر؛ أي: ما ذُكر[٥] متاعُ الحياةِ الدنيا، وقد أوضحناه عند تفسيرِ قوله تعالى: ﴿عَوَانُۢ بَيۡنَ ذَٰلِكَۖ﴾ [البقرة: ٦٨].

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلۡمَـَٔابِ﴾: أي: المرجعِ، وهو الجنَّة، يقول: إنَّما جُعل ذلك ليُتناول منه بقَدْر المُتْعة[٦] في الدنيا وأَخذِ البُلغة منه، لا ليستكثرَ منه الاستكثارَ الذي يُورِّط صاحبَه في المحظور ويُوْرثه المحذور، وهذا تزهيدٌ في الدنيا،

---

(١) أورده الثعلبي في تفسيره «الكشف والبيان» عند تفسير هذه الآية وهو في المطبوع بحذف الباء (بكليب) أي: ولعمري لقد بلي كليب.

(٢) في (أ): «جمع».

(٣) «ويقتضي حب الضيعات» لم يرد في (ف).

(٤) في (ر): «وجميع».

(٥) بعدها في (ر) و(ف): «من».

(٦) في (ف): «المنعة».

وترغيبٌ في الآخرة، وبيانٌ أنَّه لم يَخلق ذلك كلَّه ليستعملوها(١) في خلافه والصَّدِّ عن سبيله، بل ليتبلَّغوا بها، ثم المآبُ إلى الله تعالى فلْيستعينوا(٢) بها على ذلك.

* * *

(١٥) ـ ﴿ ۞ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ﴾: أي: قل يا محمَّد، أَأُخبركم بما هو خيرٌ مِن جميع ما عدَّدْتُ عليكم مِن المشتهَيات الدنيويَّة، وهذه ألفُ الاستفهام بمعنى استعظامِ ما يخبرهم به، يقول الرجلُ لآخر(٣): أَلَا أُخبرك بما وقع في البلد، ويقال هذا في مهمٍّ.

وقوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ اتَّقَوْا﴾: أي: الكفرَ والمعاصيَ ﴿عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾: قد مرَّ تفسيرُه كلِّه في سورة البقرة(٤)، وهذا كلُّه تفسيرُ قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾.

و﴿جَنَّاتٌ﴾ رفعٌ؛ لأنَّه خبرُ اللام في قوله: ﴿لِلَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ وقراءةُ الخفضِ على أنَّه بدلٌ مِن قوله: بخير(٥).

وقوله تعالى: ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ﴾: ولهم أيضاً رضاً مِن(٦) الله، كما

---

(١) في (ر): «ليستعملوه».

(٢) في (ف): «ليستعينوا».

(٣) في (ف): «للآخر».

(٤) في هامش (ف): «مر تفسير هذا كله في أول سورة البقرة. نسخة».

(٥) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٢٦)، ونسبها ليعقوب في رواية، وليست في «النشر».

(٦) «من»: من (أ).

قال: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ﴾ [المائدة: ١١٩] وقال: ﴿وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُ﴾ [التوبة: ٧٢].

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾: أي: يرى ما يَعملون، ويَقدِر على جزائهم على ما يفعلون، وهذا وعدٌ ووعيدٌ.

وقيل: معناه: واللهُ بصيرٌ بمصالح عباده في دنياهم وأُخراهم، فلا ينبغي لمَن اختار له في الدنيا التوحيدَ والعملَ الصالح أنْ يتَّهمه في منعِ هذه المشتهَيات الدنيويَّة عنه.

وقال عطاء: إنَّ قريظةَ والنضيرَ كانت لهم الأموالُ التي ذُكرت في هذه الآية، والمهاجرون قد أُخرجوا مِن ديارهم وأموالِهم، فنزلت فيهم هذه الآيةُ.

❊ ❊ ❊

(١٦) ـ ﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ﴾: هذا وصفُ المؤمنين[1] الذين لهم جنَّاتٌ، وإعرابه خفضٌ على النعت، ويجوز النصبُ على المدح، ويجوز الرَّفعُ على إضمار (هم)؛ أي: هم الذين يقولون.

وقوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا﴾: مَدَحهم بحُسْن الاعتقاد وصِدْق التضرُّع.

وقوله تعالى: ﴿فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾: هذا ظاهرٌ، وقد مرَّ تفسيره.

❊ ❊ ❊

(١٧) ـ ﴿ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡمُنفِقِينَ وَٱلۡمُسۡتَغۡفِرِينَ بِٱلۡأَسۡحَارِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡمُنفِقِينَ وَٱلۡمُسۡتَغۡفِرِينَ بِٱلۡأَسۡحَارِ﴾: هذا كلُّه نعتٌ للمتقين، وإعرابُه مِن أوجُهٍ ثلاثةٍ:

---

(١) في (أ) و(ف): «المتقين».

أحدها: الخفض؛ عطفاً على خفض ﴿ٱلَّذِينَ﴾.

والثاني: النصب على المدح؛ عطفاً على نصب ﴿ٱلَّذِينَ﴾[(١)].

والثالث: الصرفُ إلى النصبِ على المدح مع أن إعراب ﴿ٱلَّذِينَ﴾ رفع أو خفض[(٢)].

ثمَّ إدخالُ الواو في هذه الصفات مع أنَّها لطائفةٍ واحدةٍ؛ لإرادة المدح، كما في قوله تعالى: ﴿وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا﴾ [آل عمران: ٣٩] وكما يقال: جاء شهرُ الصيام[(٣)]، وشهرُ القيام، وشهرُ الإطعام.

وقوله تعالى: ﴿ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ الصَّبْر[(٤)]: حبسُ النَّفْسِ عن شهواتها المحظورةِ في الشرع، وجميعُ أجناسِ الصبرِ ثلاثةٌ: الصبرُ على الطاعة، والصبرُ عن المعصية، والصبرُ على المكروه، وقال النبيُّ ﷺ: «مَن صبر على المصيبة فله ثلاثُ مئةِ درجةٍ؛ ما بين كلِّ درجتين كما بين السماءِ والأرض، ومَن صبرَ على الطاعة فله ستُّ مئةِ درجةٍ؛ ما بين كلِّ درجتين كما بين السماء والأرض، ومَن صبر عن المعصية فله تسعُ مئةِ درجةٍ؛ ما بين كلِّ درجتين كما بين العرش والكرسيِّ[(٥)]»[(٦)].

---

(١) في (أ): «عطف على نصب الذين» وسقطت الجملة من (ر).

(٢) قوله: «الصرف إلى النصب على المدح مع أن إعراب الذين رفع أو خفض» من (أ) و(ف)، ووقع في (ر) بدلاً منه: «الرفع على إضمار هم»، ولعله وهم أو سبق قلم من الناسخ.

(٣) في (ر) و(ف): «جاء شهر رمضان أي الصيام».

(٤) في (ف): «فالصبر».

(٥) في (أ): «العرش إلى الثرى».

(٦) رواه بنحوه ابن أبي الدنيا في «الصبر» (٢٤) من طريق عُمرَ بنِ يونسَ، عمَّن حدَّثه عن عليٍّ بن أبي طالبٍ رضي الله عنه مرفوعاً، وإسناده ضعيف لإبهام الراوي عن علي رضي الله عنه.

وقولـه تعالـى: ﴿وَٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ قد مرَّ تفسـير الصِّدق في أول سـورة البقرة في قولـه تعالـى: ﴿إِن كُنـتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ [البقـرة: ١١١] وهو على ثلاثةِ أنـواعٍ: صدقُ القـول، وصدقُ الفعل، وصـدقُ النِّيَّة.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلْقَـٰنِتِينَ﴾ القانتُ: المطيعُ، وقيل: الدائمُ على الطاعة، وقيل: هو الدَّاعي، وقيل: هو القائمُ بالليل، وقيل: هو الخاشعُ، وقيل: هو الخاضعُ، وقيل: هو الدائمُ على الطاعة الذي لا يَدخلُه فيها فَترةٌ[1]، ولا يقطعه عنها غفلةٌ.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلْمُنفِقِينَ﴾؛ أي: أموالَهم في وجوه الخير، وغيرَ الأموال أيضاً على ما مرَّ في قوله جلَّ جلاله: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [الأنفال: ٣].

وقوله تعالى: ﴿وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾؛ أي: الذين يسألون اللهَ تعالى مغفرةَ ذنوبهم.

وقيل: إذا كانوا كاملين في معاني الصَّبر والصِّدق والقنوت والإنفاق فلا ذنبَ لهم، فهذا الاستغفارُ منهم يكون للتقصير والنقصان.

وقيل: هم المُصلُّون في آخِرِ الليل، وهو قولُ سعيد بنِ جبير ومجاهد والضحاك وقتادة[2]، سمى الصلاةَ استغفاراً؛ لأنَّ في آخرِها سؤالَ[3] المغفرة.

وقال زيد بنُ أسلم: هم الذين يَشهدون صلاةَ الصبح مع[4] الجماعة[5].

---

(١) في (أ): «قرة».

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» (٣/ ٣٠)، و«النكت والعيون» (١/ ٣٧٨)، ورواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٢٧٣ ـ ٢٧٤) عن قتادة.

(٣) في (ف): «طلب».

(٤) في (ف): «في».

(٥) في (ف): «في الجماعة» وليست في (أ). والخبر رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٢٧٥).

وقال جعفر بنُ محمد الصَّادق: مَن صلَّى بالليل ثم استغفر سبعين مرَّةً في السَّحَر، كُتبَ مِن المستغفرين بالأسحار[(١)].

وقال أنسٌ رضي الله تعالى عنه: أُمرنا أنْ نستغفرَ بالأسحار سبعين مرَّةً[(٢)].

وروى إبراهيم بنُ حاطب، عن أبيه قال: سمعتُ صوتاً في ناحية المسجد وقتَ السَّحَر: إلهي دعوتني فأَجبتُك، وأَمرتني فأَطعتُك، وهذا سَحَرٌ فاغفر لي. فنظرتُ فإذا عبد الله بنُ مسعودٍ رضي الله تعالى عنه[(٣)].

وقال مجاهد رضي الله عنه في قول يعقوب عليه السلام قال: ﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ﴾ [يوسف: ٩٨] قال[(٤)]: أَخَّره إلى وقتِ السَّحَر؛ لأنَّ الدعاءَ فيه مستجابٌ[(٥)].

وقالوا[(٦)]: إنَّ اللهَ تعالى لا يَشغله صوتٌ عن صوتٍ، لكنَّ الدعاءَ في السحر دعوةٌ في الخَلْوة، وهي أبعدُ مِن الرِّياء والسمعة، فكانت أقربَ إلى الإجابة.

وقيل: الآية في شأن النبيِّ ﷺ والصحابةِ الأربعةِ، والصابرون رأسُهم محمَّدٌ عليه الصلاة والسلام، والصادقون رأسُهم أبو بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه، والقانتون

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٢٧٥).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٢٧٥)، والطبراني في «الأوسط» (٩٤٨٤)، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣/ ٤٦٧): رواه الطبراني في «الأوسط»، وفيه الحسن بن أبي جعفر وهو متروك.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٢٧٤)، ورواه أيضاً ابن أبي الدنيا في «التهجد وقيام الليل» (ص: ٣٥٦) لكن من طريق محارب بن دثار، عن عمِّه، عن ابن مسعود رضي الله عنه.

(٤) «قال» لم يرد في (أ).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٥١٠).

(٦) في (ر) و(ف): «وقال».

رأسُهم عمرُ[١] الفاروقُ رضي الله عنه، والمنفقون رأسُهم عثمانُ رضي الله عنه ذو النورين، والمستغفرون بالأسحار رأسُهم عليُّ بنُ أبي طالب رضي الله عنه.

وقال الإمام أبو القاسم القشيريُّ رضي الله عنه: ﴿ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ على ما أمر الله، ﴿وَٱلصَّٰدِقِينَ﴾ فيما عاهدوا الله، ﴿وَٱلْقَٰنِتِينَ﴾ بالاستقامة في محبَّة الله، ﴿وَٱلْمُنفِقِينَ﴾ أرواحَهم في سبيل الله، ﴿وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ﴾ مِن جميع ما عملوا[٢] لرؤية تقصيرهم في الله.

وقيل: ﴿ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ بقلوبهم، ﴿وَٱلصَّٰدِقِينَ﴾ بأرواحهم، ﴿وَٱلْقَٰنِتِينَ﴾ بنفوسهم، ﴿وَٱلْمُنفِقِينَ﴾ بأسرارهم، ﴿وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ﴾ بألسنتهم.

ويقال[٣]: ﴿ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ على صِدْق المقصود[٤]، ﴿وَٱلصَّٰدِقِينَ﴾ في العهود، ﴿وَٱلْقَٰنِتِينَ﴾ بحفظ الحدود، ﴿وَٱلْمُنفِقِينَ﴾ ببذل المجهود، ﴿وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ﴾ على[٥] أعمالهم وأحوالهم عند استيلاء سلطان التوحيد[٦].

ويقال: ﴿ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ الذين صبروا على الطلب، ولم يتعلَّلوا بالهرب، ولم يحتشموا مِن التَّعب، وهجروا كلَّ راحةٍ وطربٍ[٧]، فصبروا على البلوى، ورفضوا الشكوى، حتى وصلوا إلى المولى، ولم يَقطعهم شيءٌ مِن الدنيا والعُقبى.

---

(١) «عمر»: من (أ).

(٢) في (أ) و(ف): «فعلوا».

(٣) في (أ): «وقيل».

(٤) في «اللطائف»: (القصود)، وهو الأنسب بالسياق، لمجيء ما بعدها على الجمع.

(٥) في (ف): «في».

(٦) في (ف): «عند استيلاء سلطان الشهوة في الوجود» والمثبت موافق لما في «اللطائف».

(٧) في «اللطائف»: (وطلب).

﴿وَالصَّادِقِينَ﴾ الذين صدقوا في الطلب فقصدوا، ثم [صدقوا حتى] وردوا، ثم صدقوا حتى شَهدوا، ثم صدقوا حتى وَجدوا، ثم صدقوا حتى فُقدوا، فترتيبهم[1]: قصودٌ ثم ورودٌ ثم شهودٌ ثم وجودٌ ثم خمودٌ.

﴿وَالْقَانِتِينَ﴾ الذين لازموا البابَ، وداموا على تجرُّع الاكتئاب؛ وتركِ المحابّ، ورفض الأصحاب، إلى أنْ تحقَّقوا بالاقتراب.

﴿وَالْمُنْفِقِينَ﴾ الذين جادُوا بنفوسهم مِن حيث الأعمالُ، ثم جادوا بميسورهم مِن الأموال، ثم جادوا بقلوبهم بصدق الأحوال، ثم جادوا بترك كلِّ حظٍّ لهم في العاجل والآجل للقُرب والوصال.

﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ﴾ عن جميع ذلك إذا رجعوا إلى الصَّحْو عند الأسحار في ظهور الأسفار، وهو فجرُ القلوب لا فجرٌ يظهر في الأقطار[2].

* * *

(١٨) ـ ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ۚ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾: أولو العلم[3] هؤلاء الذين سبق ذِكرهم ومَدْحهم، ومِن تمام مدحِهم أنَّهم يَشهدون بهذه الشهادة، وذِكْرُ اللهِ تعالى والملائكةِ قَبْلهم تأسيسٌ لمدحهم، وأنَّهم يشهدون بما شهد اللهُ به وملائكتُه، وهو كقوله تعالى: ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ﴾ [الأنفال: ٤١] وذكر الله تعالى هاهنا لتشريف ذِكْر النبيِّ ﷺ، وهذا كذلك.

---

(١) في (ر): «فتربيتهم»، والمثبت موافق لما في «اللطائف».

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٢٢٤ ـ ٢٢٥)، وما بين معكوفتين منه.

(٣) «﴿قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾ أولو العلم» لم يرد في (أ).

وقال[١] الكلبيُّ: قدم على النبيِّ ﷺ حبرانِ مِن أحبارِ الشام، ولما مرَّا بالمدينة[٢] قالا: ما أشبهَ هذا البلدَ بمدينة خاتمِ الأنبياء، ولمَّا دخلا على رسول الله ﷺ قالا: أَخبِرنا عن أعظم شهادةٍ في كتاب الله تعالى؛ إنْ أنت أَخبرتنا بها آمنَّا بك، فأنزل اللهُ تعالى هذه الآيةَ، فأَسلم الرجلان[٣].

وقال مقاتل: إنَّ عبد الله بنَ سلَام وأصحابَه مِن مؤمني أهلِ الكتاب قالوا الرؤوس اليهود: إنَّ محمَّداً رسولُ الله ودينَه الحقُّ فاتَّبِعوه، فقالت اليهود: دينُنا أفضلُ مِن دينكم، فأَنزل اللهُ تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ يشهدون بها ﴿وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ﴾ بالتوراة؛ عبدُ الله بنُ سلام وأصحابُه يشهدون أَنَّه لا إله إلا هو، ويشهدون أَنَّه قائمٌ على كلِّ نفس بالعدل[٤] ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ﴾ في ملكه ﴿ٱلۡحَكِيمُ ﴾ في أمره، ويشهدون[٥] ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ ﴾[٦].

وقولـه تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ﴾ فالشـهادةُ: الإخبارُ عمَّا شُـوهد؛ أي: شـهودَ نظرٍ أو علمٍ[٧].

وقال مقاتل: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ﴾؛ أي: قالَ اللهُ.

---

(١) في (أ): «قال».

(٢) في (أ): «رأيا المدينة».

(٣) انظر: «تفسير الثعلبي» (٣/ ٣٢)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ٩٩).

(٤) بعدها في (ر) و(ف): «قوله تعالى».

(٥) في (أ): «وشهدوا».

(٦) انظر: «تفسير مقاتل» (١/ ٢٦٧)، و«تفسير الثعلبي» (٣/ ٣٣). والقراءة بفتح همزة (أن الدين) هي قراءة الكسائي وستأتي.

(٧) في (ف): «نظر وعلم».

وقال أبو عبيدة: أي: قضى الله[١].

وقال الزجَّاج: حقيقته: عَلِمَ اللهُ وبيَّن؛ لأنَّ الشاهدَ هو الذي عَلِمَ وبيَّن[٢].

وقيل: ﴿شَهِدَ اللَّهُ﴾[٣]؛ أي: أقام شهادةَ الآيات اللائحة والدِّلالات الواضحة.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: ﴿شَهِدَ اللَّهُ﴾؛ أي: خلقَ اللهُ مِن الخلائق ما يُشهد خَلْقُه كلَّ أحدٍ على إلهيَّته ووحدانيَّته.

قال: وقيل: هي شهادةُ ذاته؛ أي: هو بذاته متعالٍ عن جميع معاني المُحدَثين المربوبين، فهو الإلهُ الخالق المعبود.

قال: فإنْ قال لنا مُلحِدٌ: كيف يصحُّ هذا وهو دعوى؟

قلنا: دعوى مَن ظهر صدقه في شهادته إذا شهد مقبولة، وقد أظهر صدقَ قوله فيما شَهد به لنفسه، وقهر كلَّ مكذِّب في دعواه[٤].

وقال الكلبيُّ والضحاك: شهدَ اللهُ لنفسه بنفسه[٥].

وقال ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما: شهد لنفسه[٦] واستَشْهَد مِن خَلْقه، وحمِد نفسَه، واستَحمَد مِن خلقه، ونزَّه نفسه واستنزَه مِن خلقه؛ أي: قال[٧]: سبحان الله، وأَمر به، فقال: ﴿وَسَبِّحُوهُ﴾ [الأحزاب: ٤٢].

---

(١) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١/ ٨٩).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٣٨٥).

(٣) في (ر): «علم الله».

(٤) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٢/ ٣٣٠ ـ ٣٣١).

(٥) من قوله: «وقهر كل مكذب...» إلى هنا، من (أ).

(٦) بعدها في (ف): «واستشهد خلقه».

(٧) في (ف): «فقال»، بدل: «أي: قال».

وقال القفَّال: شهادةُ اللهِ لنفسه إظهارُ وحدانيَّته، وقد أثبته[١] بما أَظهره في خَلْقه مِن أَمارات الحدوث الدَّالَّة على حاجتها إلى صانعها، وأنَّه لا شريكَ له ولا شبيهَ، وهو كقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ﴾ [التوبة: ١٧]، وهم لم[٢] يكونوا يشهدون لذلك بقولهم، بل يُنكرونه أشدَّ الإنكار، لكن لمَّا كانوا في حالٍ يتبيَّن بها كفرُهم جُعل ذلك شهادةً منهم[٣]، وشهادةُ الملائكة على هذا بما أبانت مِن الحُجج عند الرسل، وشهادة أولي العلم هي بما[٤] أبانوا للناس مِن دلائل التوحيد.

قال: ويحتمِل أنَّ قولَه: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُولُوا ٱلْعِلْمِ﴾ على الشهادة المعروفة التي تؤدَّى بالقول، وشهادة الله لنفسه بما ذكرنا، ولفظُ الشهادة يجمعها معنًى وإنِ اختلفت الشهادات[٥] في أنفسها؛ كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٥٦]، والصلاة مِن الله تعالى غيرُ الصلاة مِن الملائكةِ والبشرِ وإنْ كان يجمعُها لفظُ الصلاة.

وقيل: معنى ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ﴾؛ أي[٦]: أَخبر اللهُ، وكذا شهادةُ الملائكة وأولي العلم، وتقييدُه بكلمة الشهادة تأكيدٌ للإخبار، وهو متعارَف في اللسان: أَشهد أنَّكَ كذا، وكذا شهادةُ المؤذِّن في الأذان، والمصلِّي في القَعْدة، والذي يُسلِم أولاً،

---

(١) «وقد أثبته» لم يرد في (أ).

(٢) في (ر) و(ف): «ولم»، بدل: «وهم لم».

(٣) «منهم» لم يرد في (أ).

(٤) في (أ): «ما».

(٥) في (ر) و(ف): «الشهادة».

(٦) «أي»: من (أ).

والتهليلُ تامٌّ، ولفظةُ الشهادة[١] مؤكِّدة، وقال تعالى: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ﴾[٢] [النساء: ١٦٦].

ثم قوله: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ﴾ هو اسمُ جميع المؤمنين؛ لعلمهم بالله، والجاهلُ اسمٌ للكافر[٣]؛ لجهله بالله، قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّيٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ﴾ [الزمر: ٦٤].

وقوله تعالى: ﴿قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِ﴾ قال الفرَّاء: هو نصبٌ على القَطْع؛ لأنَّه نكرةٌ نُعت بها معرفةٌ[٤]، وتقديره: شهد اللهُ القائمُ بالقِسْط، وهو في معنى قوله: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ﴾ [الرعد: ٣٣] وفي معنى قوله: ﴿ٱلْقَيُّومُ﴾ [آل عمران: ٢] وهو[٥] الذي خلق الخلق، وهو يربِّيهم ويُصلِح شأنهم[٦].

والقسطُ: العدل؛ أي: هو القاضي بينهم بالعدل.

وقوله تعالى: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ قال جعفر بنُ محمَّد الصادقُ: أَعاد هذه الكلمات بعد ذكرها في أوَّل الآية؛ لأنَّ الأُولى إخبارٌ مِن الله تعالى به، والثانية أمرٌ للعباد أنْ يقولوا ذلك[٧].

وقوله تعالى: ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ قيل: ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾ هو[٨] الغالبُ الذي لا يُغلَب،

---

(١) في (ر) و(ف): «تام لفظه والشهادة».

(٢) في (أ): «الآية» بدل: «والملائكة يشهدون».

(٣) في (ف): «الكافر».

(٤) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٢٠٠). ومعنى النصب على القطع؛ قال السمين في «الدر المصون» (٣/ ٧٧): أي: إنه كان مِنْ حَقِّه أَنْ يَرْتفع نعتاً لله تعالى بعد تعريفِه بأل، والأصل: شَهِدَ اللهُ القائمُ بالقسط، فلما نُكِّر امتنع إتباعُه فَقُطِعَ إلى النصب. وهذا مذهبُ الكوفيين، ونَقَلَهُ بعضُهم عن الفراء وحدَه.

(٥) في (ر) و(ف): «هو».

(٦) في (أ): «شؤونهم».

(٧) انظر: «تفسير الثعلبي» (٣/ ٣٤) بنحوه.

(٨) «هو»: ليست في (ر) و(ف)، وقوله: «قيل: العزيز» ليس في (ف).

والقاهر هو[1] الذي لا يُقهَر، يقال: عَزَّ يَعُزُّ ـ بضمِّ العين في المستقبل ـ: إذا غلَب، قال تعالى: ﴿وَعَزَّنِي فِي ٱلۡخِطَابِ﴾ [ص: ٢٣] وفي المَثَل: مَن عَزَّ بَزَّ؛ أي: مَن غَلَب سَلَب.

وقيل: ﴿ٱلۡعَزِيزُ﴾ الذي لا مِثْل له، يقال: عَزَّ يَعِزُّ ـ بكسر العين في المستقبل ـ: إذا قلَّ وجودُ مثلِه، وإذا كان ما يقلُّ وجودُ مثلِه عزيزاً، فالذي لا مِثْلَ له أَولى بهذا الاسم.

وقيل: ﴿ٱلۡعَزِيزُ﴾ هو القادرُ القويُّ، يقال: عَزَّ يَعَزُّ ـ بفتح العين في المستقبل ـ: إذا اشتدَّ، قال تعالى: ﴿فَعَزَّزۡنَا بِثَالِثٖ﴾ [يس: ١٤]؛ أي: فقوَّينا، والأرضُ العَزازُ: التي لا يستقرُّ عليها الأقدامُ.

وقيل: ﴿ٱلۡعَزِيزُ﴾ المنيعُ، وهو الذي لا يُوصَل إليه، يقال: حصنٌ عزيزٌ، إذا تعذَّر الوصولُ إليه، فإذا كان ما[2] يتعذَّر الوصولُ إليه عزيزاً، فالذي يستحيل الوصولُ إليه ـ إذ لا حدَّ له ـ أَولى بهذا الاسم.

وقيل: ﴿ٱلۡعَزِيزُ﴾ هو[3] المعزُّ، كالأليم بمعنى المؤلِم، والوجيع بمعنى الموجِع، و﴿ٱلۡحَكِيمُ﴾ هو المصيبُ في القول والعمل، و﴿ٱلۡحَكِيمُ﴾ المحكِم أيضاً، وقد مرَّ فيه أقاويلُ أُخَرُ في[4] قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [البقرة: ٣٢] في قصَّة آدمَ عليه الصلاة والسلام.

* * *

(١٩) ـ ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ وَمَا ٱخۡتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ﴾.

---

(١) «هو»: من (أ).

(٢) في (ف): «الذي».

(٣) «هو»: من (أ).

(٤) في (أ): «عند».

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ في ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ﴾ و﴿أَنَّهُۥ﴾ في أوَّل هذه الآية أربعة أوجهٍ: فتحُهما، وكسرُهما، وفتحُ الأولى وكسرُ الثانية، وعكسُه.

أمَّا فتحُهما: وهو قراءةُ الكسائيِّ[1]، فعلى إيقاعِ الشهادةِ على الثانية وإضمارِ الباء أو اللام في الأولى: بأنَّه أو لأنَّه، أو إيقاعِ الشهادة على الأولى وإيقاعها أيضاً على الثانية لا بطريق العطف؛ لأنَّه لا عاطف بينهما، لكن على البدل.

وأمَّا كسرهما: فلأنَّ الشهادةَ تجري مجرى القول، فيجوز كسرُ (إنَّه) على معنى: قال الله تعالى: ﴿أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ والثانية على الاستئناف، أو على إيقاع القول والفعل[2] عليه.

وأمَّا كسر الأولى وفتح الثانية: وهو قراءةُ ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما[3]، فالأُولى استئنافٌ، وهو اعتراضُ الكلام قبل التمام، والثانيةُ بإيقاع الشهادة عليها.

وأمَّا فتح الأولى وكسر الثانية: فعلى إيقاع الشهادة على الأُولى واستئنافِ الثانية.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾؛ أي: الدِّينَ الحقَّ والدِّينَ المرضيَّ هو الإسلام، قال الله تعالى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣] وقال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ الآية [آل عمران: ٨٥].

وقال ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما: نزلت: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ حين افتخر المشركون بأديانهم، وقال كلُّ فريقٍ منهم: لا دينَ إلَّا ديننُا، وهو دينُ الله تعالى منذ بَعث اللهُ تعالى آدم عليه السلام، فكذَّبهم اللهُ تعالى وقال: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ الذي جاء به محمَّدٌ عليه الصلاة والسلام، وهو الدِّين

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٢٠٢)، و«التيسير» (ص: ٨٧).

(٢) «والفعل» لم يرد في (أ) و(ف).

(٣) انظر: «المختصر في شواذ القرآن» لابن خالويه (ص: ١٩).

الحقُّ منذ بعث اللهُ تعالى آدمَ، وما سواه مِن الأديان فكلُّها باطلٌ[١].

والإسلامُ: هو الاستسلامُ، وهو الإخلاصُ أيضاً، قال الله تعالى: ﴿وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ﴾[٢] [الزمر: ٢٩].

وهو في الحقيقة: جعلُ كليَّة الأشياء لله تعالى لا شريكَ له فيها في ملكٍ ولا إنشاءٍ ولا تقديرٍ.

وهو دِينُ[٣] كلِّ نبيٍّ كان، قال الله تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا﴾ [آل عمران: ٦٧].

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾؛ أي: الدِّينُ الذي يرتضيه، والذي حَكَم لصاحبه أنَّه يجازيه[٤] ويُعليه، وبالفضل يُلقِّيه، هو الإسلام، وما سواه فمردودٌ، وطريق النجاة على صاحبه مسدود[٥].

وقال في جملة الآية: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ﴾ أي: عَلِمَ اللهُ وأَخبرَ اللهُ وحَكمَ اللهُ بأنَّه لا إله إلَّا هو، فهي شهادةُ الحقِّ للحقِّ[٦] بأنَّه الحقُّ، وأوَّلُ مَن شهد أنَّه اللهُ هو اللهُ[٧]؛ فشهد في آزاله بقوله الأزليِّ، وأخبر عن وجوده الأحديِّ، وكونه الصمديِّ، وذاته القيوميِّ، وعزِّه الديموميِّ، وجلاله السرمديِّ، وجماله الأبديِّ.

ثم في آباده: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ﴾؛ أي: بيَّن اللهُ بما نصب مِن البراهين، وأثبت مِن دلائل

---

(١) الخبر في «البسيط» للواحدي (٥/ ١١٧).

(٢) في (أ): «ورجلا سالماً لرجل»، وهي قراءة سبعية قرأ بها ابن كثير وأبو عمرو كما سيأتي في مكانه.

(٣) بعدها في (ف): «على».

(٤) في (أ) و(ر): «يجازيه به»، والمثبت من (ف) و«اللطائف».

(٥) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٢٢٧ ـ ٢٢٨).

(٦) في (ر): «للخلق»، والمثبت من (أ) و(ف) و«اللطائف».

(٧) لفظ الجلالة ليس في (أ)، وكلمة «هو» ليست في «اللطائف».

اليقين، وأوضح مِن الآيات، وأبدى مِن البيِّنات، فكلُّ جزءٍ مِن جميع ما خَلقَ وفطرَ، ومن كتم العدم أَظهر، على ما شاء[١] مِن الصفة الذاتيَّة حصَل، مِن أعيانٍ مستقلَّة، وآثارٍ في ثاني وجودها مضمحلَّة، وذواتٍ للآفات قابلة، وصفاتٍ في المحالِّ[٢] متعاقِبة.

شهد سبحانه بجلال قَدْره وكمال عزِّه حين لا جحدَ ولا جهدَ ولا عرفانَ لمخلوقٍ، ولا عقلَ ولا نفاق، ولا كفرَ ولا إلحاد ولا شرك، ولا عناد ولا إفك[٣]، ولا سماءَ ولا فضاء، ولا ظلامَ ولا ضياء، ولا أصولَ للمزدوجات، ولا فصولَ[٤] باختلاف الأوقات[٥].

وقوله تعالى: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ لم يؤيِّد[٦] شهادتَه بوحدانيَّته بشهادة الملائكة، بل أسعدهم وأيَّدهم حين وفَّقهم لشهادته وسدَّدهم، وإلى معرفة وحدانيَّته أرشدهم.

وقوله تعالى: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ﴾ هم أولياءُ بني آدمَ[٧] إذا علموا جلالَ قَدْره، وعرفوا كمالَ عزِّه، فأكرمهم حيث قرنَ شهادتهم بشهادته[٨]، فشهدوا عن شهودٍ ويقينٍ لا عن ظنونٍ وتخمينٍ، تَعرَّفَ[٩] إليهم فعرفوا، وأَشهدهم فلذلك شهدوا، ولو لم يقل لهم

---

(١) في (أ) و(ف): «يشاء».

(٢) في النسخ: «لحال»، والمثبت من «اللطائف».

(٣) في (ر): «ولا فلك»، وفي «اللطائف»: (ولا فهم ولا فكر).

(٤) في (أ): «وصول». وانظر التعليق الآتي.

(٥) لفظ العبارة في مطبوع «اللطائف»: (ولا وصول للمزدوجات ولا فضول باختلاف الآفات). وعبارة المصنف أوضح وأمتن.

(٦) في (أ): «لم يوجد»، وسقطت «لم» من (ر) و(ف)، وجاء في هامش (ف): «لم يرد». والمثبت من «اللطائف».

(٧) في النسخ: «هم أولاد آدم»، والمثبت من «اللطائف».

(٨) في (ر): «بشهادة ملائكته». والمثبت من باقي النسخ و«اللطائف».

(٩) في (أ): «فعرف». والمثبت من باقي النسخ و«اللطائف».

إنَّه مَن هو، لَمَا عرفوا مَن هو، ولكنِ العلماءُ يَشهدون بصَحْوِ عقولهم، والموحِّدون يَشهدون بَعْد خمودهم، فهم كما قيل:

مُستهلَكون بقهرِ الحقِّ قد همَدوا　　واستُنْطِقوا بعدما أُفنوا بتوحيدِ[1]

فالمجري[2] عليهم ما يبدو منهم سواهم، والقائمُ عنهم كما هم عليه وبه غيرُهم، ولقد كانوا لكنَّهم بانوا، قال قائلهم:

كتابي إليكم بعد موتي بليلةٍ　　ولم أدرِ أنِّي بعد موتي أكتبُ

وأولو العلم على مراتبَ: فمِن عالمٍ يَعرف أحكامه حلالَه[3] وحرامه، وعالمٍ يعلم أخباره [و]سُننَه وآثاره، وعالمٍ يحفظ كتابه ويعرف تفسيره وتأويله ومحكَمَه وتنزيله، وعالمٍ يعلم صفاته ونعوتَه، ويوضح[4] حُججه وتوحيده، وعالمٍ لاطفه حتى أَحضره[5]، ثم كاشَفَه فقهره، فالاسمُ باقٍ والعين محقٌّ والحكم طارٍ والعبد محوٌ[6].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا ٱخۡتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ﴾: أي: وما اختلف في دينِ اللهِ الإسلامِ اليهودُ والنصارى الذين أُعطوا علمَ التوراة والإنجيل إلَّا مِن بعد ما جاءهم البيِّنات؛ أي: اختلافُهم ليس لقصورٍ في البيان، ولا لغموضٍ في الحجج، بل حججُ التوحيد[7] ظاهرة، ودلائلُه واضحة قاهرة.

---

(١) في (ر): «بتوحيده»، وفي (ف): «بتوحيدهم». ولفظ «اللطائف»: (بعد افتنائهم بتوحيد).

(٢) في (ر) و(ف): «والمجري». والمثبت من (أ) و«اللطائف».

(٣) في (ف): «أحكامه وحلاله»، وفي «اللطائف»: (أحكام حلاله).

(٤) في (أ): «وتوضيح». وفي «اللطائف»: (ويستقوي).

(٥) في (ر): «أظهره». والمثبت من باقي النسخ و«اللطائف».

(٦) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٢٢٦ ـ ٢٢٧).

(٧) بعدها في (ف): «فبيناته»، استدركت في الهامش.

وقوله تعالى: ﴿بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾: قال الأخفش: هو مقدَّمٌ، وتقديره: وما اختلف فيه بغياً بينهم إلَّا الذين.

والبغيُ: هو طلبُ[1] الاستعلاء بالظُّلم؛ أي: عانَدوا الحقَّ وأعرضوا عن التدبُّر؛ حسداً للرُّسل والمؤمنين، وطلباً للرئاسة، وإرادةً للتعزُّز والتعظُّم على الآخرين.

وقيل: وما اختلَف في محمَّدٍ إلَّا أهلُ الكتاب بعد وقوعِ العلم لهم به بما في كتابهم مِن ذِكْره، وفعلوا ذلك حسداً له؛ إذ كان مِن بني إسماعيل وهم مِن بني إسحاق، وفي ذلك قولُه تعالى: ﴿وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾ [البقرة: ٨٩]، وقوله تعالى: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام: ٣٣]، والجحودُ إنكارٌ بعد المعرفة، وحَسَدُهم أنَّهم كرهوا متابعةَ الفقراء الذين سبقوهم بالإيمان، قال تعالى خبراً عنهم: ﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّن بَيْنِنَا﴾ [الأنعام: ٥٣].

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾: أي: الكتبِ والرُّسل، وعلى القول الثاني: بمحمَّد والقرآن.

وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾: أي: فإنَّه سيصير إلى الله سريعاً؛ فيحاسبُه ويجازيه على كفره.

وقيل: ﴿سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ في معنى: شديد العقاب؛ لقوله عليه الصلاة والسلام: «مَن نُوقِش الحساب عُذِّبَ»[2].

* * *

(٢٠) - ﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾.

---

(١) «طلب»: من (أ).

(٢) رواه البخاري (٦١٧١)، ومسلم (٢٨٧٦)، من حديث عائشة رضي الله عنها.

وقوله تعالى: ﴿فَإِنۡ حَآجُّوكَ﴾: أي: خاصَموك، ولم يقل في ماذا؟ وتبيَّن بالجواب أنَّه كان في الدِّين، وهو كما مرَّ في قوله تعالى: ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ﴾ في آيات، وكذا: ﴿يَسۡتَفۡتُونَكَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَقُلۡ أَسۡلَمۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّهِ﴾: أي: أخلصتُ قصدي وتوجُّهي لله لا أتوجَّه إلَّا إليه.

وقيل: ﴿وَجۡهِيَ﴾؛ أي: ديني، وقيل: عملي، وقيل: أي: أسلمتُ نفسي، وكشَفْنا عن حقيقته في قوله تعالى: ﴿بَلَىٰۚ مَنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١١٢].

وقوله تعالى: ﴿وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ﴾: عطفٌ على التاء من ﴿أَسۡلَمۡتُ﴾؛ أي: أسلمتُ أنا وجهي ومَن اتبعني فعل كذلك، وفيه وجهان: أسلمت أنا ومَن اتبعني، و: أسلمتُ ومَن اتبعني، والأكثر مع ذكرِ: (أنا)، قال اللهُ تعالى: ﴿أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي﴾ [يوسف: ١٠٨] فجُمع في القرآن بين الوجهين.

وقيل: إنَّما حذف (أنا) هاهنا؛ لطول الفصل في الكلام، فصار عِوضاً عن ذِكْر الضمير.

يقول: فإنْ خاصموك في إثبات شِركهم، فقل لهم: إنَّ مَن أسلمتُ وجهي له هو(١) الله، وهذا في الجملة حقٌّ عندي وعندكم، وهو(٢) يُوجِب الانقيادَ لجميع ما أَمَر اللهُ به، وقد أقام لي الدلائلَ في نفسي على أنِّي عبدُه ورسولُه، وأوحى إليَّ القرآنَ وأقام لي الدلائلَ ولمَن اتبعني بذلك، فإنْ أَسلمتُم اهتديتم، وإنْ أَعرضتم عن ذلك فقد بلَّغناكم حججَ الله تعالى، وليس وراءَه إلَّا العذاب.

وقوله تعالى: ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ﴾: قال الكلبيُّ رحمه الله: يهودِ المدينة

---

(١) في (ر) و(ف): «فهو».

(٢) «هو» لم يرد في (ف).

ونصارى[١] أهل نجران ﴿وَالْأُمِّيِّينَ﴾: مشركي العرب، وقد بيَّنَّا وجوهه في قوله: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ﴾ [البقرة: ٧٨].

قوله تعالى: ﴿أَأَسْلَمْتُمْ﴾: استفهامٌ بمعنى الأَمْر، كما في قوله تعالى: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩١] وهو كقولك: أَتنزلُ وتأكلُ معنا.

وقوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا﴾: أي: أَسلموا وجوهَهم كما أسلمتُم أنتم[٢] فقد رشدوا.

وقوله تعالى: ﴿وَإِن تَوَلَّوْا﴾: أي: أَعرضوا عن ذلك[٣] ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ﴾ أي: تبليغُ الرِّسالة، وليس بيدك أنْ تَمنعهم عن التولِّي، وكان هذا حين لم يُؤمَر بالقتال، ثم أُمر به.

ولمَّا نزل هذا دعاهم إلى الإسلام، فقالوا: قد أَسلمنا، فقال لليهود: «أَتشهدون أنَّ عيسى كلمةٌ مِن الله ورُوحٌ منه؟» قالوا: معاذ الله، وقال للنصارى: «أَتشهدون أنَّ عيسى عبدُ الله ورسولُه»؟ قالوا: معاذَ اللهِ، ولكنَّه اللهُ، فذلك تولِّيهم عن الإسلام[٤].

وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾: أي: هو[٥] يراهم ولا يَغفُل، وهذا وعيدٌ، وقيل: أي: بصيرٌ بجزاء أعمالهم، وقيل: أي: بصيرٌ بما أسرُّوا وأَعلنوا.

* * *

(٢١) ـ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾.

---

(١) في (ر) و(ف): «والنصارى».

(٢) «أنتم» لم يرد في (أ).

(٣) بعدها في (ف): «قوله تعالى».

(٤) انظر: «تفسير الثعلبي» (٣/ ٣٦)، و«تفسير البغوي» (١/ ٢٨٧).

(٥) «هو» لم يرد في (أ).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾: أي[1]: اليهود كفروا بمحمَّدٍ والقرآنِ وعيسى والإنجيلِ، وخالفوا التوراةَ أيضاً.

وقوله تعالى: ﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾: أي: زكريا ويحيى وغيرَهما.

وقوله تعالى: ﴿بِغَيْرِ حَقٍّ﴾: وقال في سورة البقرة: ﴿بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ [البقرة: ٦١]؛ أي: بغير الحقِّ الذي حدَّه اللهُ وأذن فيه، والنكرة هاهنا على معنى أنَّ القتلَ يكون بوجوهٍ مِن الحقِّ، فمعناه: يقتلون بغير حقٍّ مِن تلك الحقوق.

وذِكْر الكفر والقتل مِن هؤلاء على صيغة المستقبل هو إثباتُ هذه الصفة لهم في الحال، وما كانوا يقتلون للحال، لكن كانوا يتولَّون الآباء الذين فعلوا ذلك، فذُمُّوا به.

وقوله تعالى: ﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾: أي: وقتلوا أيضاً المؤمنين بالأنبياء وأَتباعِهم الذين أَمروهم بالمعروف، وهذا ذمٌّ لهم بالقتل، وبعصيانهم مَن ينهاهم عن القتل، وبقتل الذين أَمروهم بالمعروف.

وقوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾: أي: اجعل لهم بدلَ البشارةِ ـ وهي الخبرُ السَّارُّ ـ الإخبارَ بالنَّارِ، وهو كقولِ القائلِ:

تحيةُ بينِهم ضربٌ وَجِيعُ[2]

وروى أبو عبيدة بنُ الجرَّاح رضي الله عنه قال: قلت: يا رسولَ الله، أيُّ الناسِ أشدُّ عذاباً يوم القيامة؟ قال: «رجلٌ قَتل نبيًّا، أو رجلاً أمر بمعروفٍ ونهى عن منكرٍ»، ثم قرأ رسولُ الله ﷺ: ﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ

---

(١) في (ف): «هم».

(٢) عجز بيت لعمرو بن معدي كرب، كما في «النوادر» لأبي زيد (ص: ١٥٠)، و«الكتاب» لسيبويه (٢/ ٣٢٣)، وهو كثير الدوران في التفاسير والحواشي التي تعنى بالمعاني كـ«الكشاف» و«المحرر الوجيز» و«البحر»، و«فتوح الغيب» و«نواهد الأبكار» و«حاشية الشهاب»، و«روح المعاني»، وصدره:

وخيلٍ قد دلفتُ لها بخيلِ

﴿بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آل عمران: ٢١]. ثم قال: «يا أبا عبيدة، قَتَلت بنو إسرائيلَ ثلاثةً وأربعين نبيًّا مِن أوَّل النهار في ساعةٍ واحدةٍ، فقام مئةُ رجلٍ واثنا عَشَر رجلاً مِن عباد بني إسرائيل، فأمروا مَن قَتلهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر، فقُتلوا جميعاً مِن آخِرِ النهار في ذلك اليوم، وهو الذي ذَكر اللهُ تعالى»[١].

(٢٢) ـ ﴿أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ﴾: ﴿حَبِطَتْ﴾؛ أي: بَطَلت، مِن قولهم: حَبِطت بطونُ الماشيةِ، إذا فسدت مِن مأكلِ الربيع.

أي: أولئك الذين فعلوا ذلك بَطل بكفرهم وقتلِهم الأنبياءَ ما كان لهم مِن عملٍ هو طاعة وعليها ثوابٌ لو سلم مِن الكفر[٢].

أو: أولئك الذين رَضُوا بعمل أسلافهم هذا ممَّن كان في عصر النبيِّ ﷺ بَطل بهذا الرضى الذي هو كفر ما كان لهم مِن عملٍ صالحٍ قبل مبعث النبيِّ ﷺ وكفرهم به.

وقوله تعالى: ﴿فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ﴾؛ أي: لا ينالون بها نفعاً؛ لا[٣] في الدنيا ولا في الآخرة، بل ينالهم الخزيُ بالسَّبي والقتل والجزية في الدنيا، والعذابِ[٤] المقيم في الآخرة[٥].

أو: بطل ثوابُ أعمالهم في الدنيا والآخرة[٦]، قال الله تعالى: ﴿فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ

---

(١) رواه البزار في «مسنده» (١٢٨٥)، والطبري في «تفسيره» (٥/ ٢٩١)، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٢٧٢): رواه البزار وفيه ممن لم أعرفه اثنان.

(٢) في (أ): «سلم من الكفار»، وفي (ر): «أسلم من الكفر».

(٣) «لا»: من (أ).

(٤) في (أ): «وبالعذاب».

(٥) في (أ): «العقبى».

(٦) «أو بطل ثواب أعمالهم في الدنيا والآخرة» لم يرد في (ف).

ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ﴾ [النساء: ١٣٤] وثوابُ الدنيا: الحمدُ والثناءُ والكرامات، وثوابُ الآخرة: ما وُعِدوا(١) في الجنَّة مِن النعيم والدَّرجات.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾: أي: ليس لهم ناصرٌ(٢) يَدفع عنهم الخزيَ والعذابَ في الدنيا والآخرة، وقال عليه الصلاة والسلام: «بئسَ القومُ قومٌ لا يَأمرون بالمعروف ولا يَنهَون عن المنكر، بئسَ القومُ قومٌ يُخيفون الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، بئسَ القومُ قومٌ لا يقومون لله(٣) بالقسط بين الناس، بئسَ القومُ قومٌ يَقتلون الذين يأمرون بالقِسْط»(٤).

* * *

(٢٣) ـ ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يُدۡعَوۡنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ وَهُم مُّعۡرِضُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾: وهذا في صفاتِ اليهود أيضاً و﴿أَلَمۡ تَرَ﴾ قد مرَّ تفسيرُه مرَّاتٍ، وهو تعجيبٌ مِن جميعهم، وتنبيهٌ على سُوء صنيعهم.

وذكر عكرمةُ في نزولها: أنَّ النبيَّ ﷺ دخل مِدْراسَ اليهود ودعاهم إلى ملَّة إبراهيم، فقال رئيسُهم نعيمُ بنُ عمرو: كان إبراهيمُ يهوديًّا، فقال عليه الصلاة والسلام: «فهلمُّوا إلى التوراة بيني وبينكم»، فأَبوا، فأَنزل اللهُ تعالى هذه الآيةَ(٥).

---

(١) في (أ) و(ف): «وعد».

(٢) في (أ): «لهم من».

(٣) «لله» لم يرد في (ف).

(٤) رواه بنحوه الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ١٧٧ ـ ١٧٨) (ط: دار التفسير) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، وفيه عبد الله بن محمد بن المغيرة، قال أبو حاتم كما في «الميزان»: ليس بقوي. وقال ابن يونس: منكر الحديث. وقال ابن عدي: عامة ما يرويه لا يتابع عليه.

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٢٩٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وفي إسناده محمد بن أبي =

وقال الكلبيُّ: فَجَرَ رجلٌ وامرأةٌ مِن أهل خَيْبر، وكانا في شرفٍ منهم، وكان في كتابهم الرَّجْمُ، فأَتَوا رسولَ الله ﷺ رجاءَ رخصةٍ عنده، فحَكَم بالرَّجْم عليهم، فقالوا: جُرْتَ علينا، ليس عليهم الرجمُ، فقال رسول الله ﷺ: «بيني وبينكم التوراة»، فقالوا: قد أَنْصفْتَنا، قال: «فمَن أَعلمُكم بالتوراة»؟ قالوا: ابنُ صُوريا، فأَرسلوا إليه، فدعا رسولُ الله ﷺ بشيءٍ مِن التوراة فيها الرجمُ، دلَّه على ذلك عبد الله بنُ سلام، فقال له: «اقرأ» فقرأ، فلمَّا أتى على آيةِ الرَّجمِ وضع كفَّه عليها، وقام ابنُ سلام فرفع إصبعَه عنها، ثم قرأها على رسول الله ﷺ، فأَمر النبيُّ ﷺ برَجْمهما، فغضبت اليهودُ لذلك، ورجعوا كفاراً، فأنزل اللهُ تعالى هذه الآية: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ﴾ أي: أُعطوا حظًّا مِن التوراة[1].

وقوله تعالى: ﴿يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ﴾: أي: التوراة، وقيل: القرآن؛ لأنَّه مُصدِّقٌ للتوراة.

وقوله تعالى: ﴿لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾: أي: ليقضي، وفي الكتاب بيانُ الحكم، فأُضيف الحكم إليه، كما في صفة القرآن: ﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [البقرة: ١١٩] لأنَّ فيه بيانَ التبشير والإنذار.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ﴾: أي: يُعرِض عن الداعي طائفةٌ منهم، ولم يَصِفْ به الكُلَّ؛ لأنَّه قال في هذه السورة: ﴿مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ﴾ [آل عمران: ١١٣] وقال تعالى: ﴿أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٩].

وقوله تعالى: ﴿وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾: أي: عما دُعوا إليه، فلم يكن تكرارٌ.

وقيل: يُدعَون جميعاً ويتولَّى فريقٌ منهم، وهم رؤساؤهم، وقوله: ﴿وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ أي: الأتباع[2] تقليداً.

= محمد مولى زيد بن ثابت وهو مجهول كما في «التقريب».

(١) انظر: «تفسير الثعلبي» (٣/ ٣٨).

(٢) في (ف): «للاتباع».

وقيل: ﴿يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ﴾؛ أي: الذين عليهم الحدُّ[١]، والرؤساء معرضون عن مَنْعهم عن التولِّي.

وقال مقاتل: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ﴾ كعب بنُ الأشرف وكعب بنُ أسيد ومالك بنُ الصيف وسعيةُ بنُ عمرو ونعمان بنُ أوفى وأبو ياسر بنُ أخطب وأبو نافع بنُ قيس، قال لهم النبيُّ ﷺ: «أَسلموا تهتدوا ولا تكبَّروا[٢]»، قالوا[٣]: نحن أهدى وأحقُّ بالهدى منك، وما أرسل اللهُ رسولاً بعد موسى، فقال ﷺ: «لِمَ تكذِّبوني وأنتم تعلمونَ أنَّ الذي أقولُ حقٌّ، فأَخرِجوا التوراةَ نعملْ نحن وأنتم بما فيها؛ فإنِّي مكتوبٌ فيها»، فأَبوا ذلك، فنزلت الآيةُ[٤].

***

(٢٤) ـ ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾: أي: ذلك التولِّي منهم وقتلُ الأنبياء[٥] لاعتقادهم وقولِهم: لن تمسَّنا النارُ، ولا يعذِّبنا اللهُ بمعاصينا إلَّا أياماً قلائلَ ثم يُخرِجنا منها.

وقيل: هذه الأيامُ أربعون يوماً عندهم، وهي مدة[٦] الأيام التي عَبَدُوا[٧] فيها العجلَ.

---

(١) في (ف): «الذين غلبهم الحسد».

(٢) في «تفسير مقاتل»: «ولا تكفروا».

(٣) في (ر): «فقالوا».

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» (١/ ٢٦٨ ـ ٢٦٩).

(٥) بعدها في (ر) و(ف): «منهم».

(٦) في (ر): «هذه».

(٧) في (أ): «عبد آبائهم»، وفي (ر): «عبدنا».

وقيل: سبعة أيامٍ، وقيل: أربعون سنة، وقيل: مدَّة العمر، وقد أوضحناها في سورة البقرة.

وقوله تعالى: ﴿وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾: الغرورُ: الخداعُ، وقيل: الإطماعُ فيما لا يصحُّ، وهذا عطفٌ على قوله تعالى: ﴿قَالُوا﴾.

وقوله: ﴿فِي دِينِهِم﴾ قال مقاتل: وغرَّهم في دينهم الباطل.

وقال الضحاك: غرَّهم في[1] دينهم الحقّ.

وقوله: ﴿مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾؛ أي: غرَّهم افتراؤهم على الله بقولهم: نحن أبناءُ الله وأحباؤه، فلا يعذِّبنا بذنوبنا إلَّا مدَّةً يسيرةً.

وقال الكلبيُّ: غرَّهم تأخيرُ العذاب عنهم.

وقال مقاتل: غرَّهم عفوُ اللهِ عنهم في الدنيا[2].

وقيل: المغرورون هم ضعفاؤهم، والمفترون كُبراؤهم؛ أي: غرَّ الضعفاءَ قولُ الكُبراء، وإنَّما سماه افتراءً لأنَّهم أضافوا هذا القولَ إلى التوراة، والافتراءُ: اختلاقُ الكذب على الغير.

وقال[3] ابن عباسٍ رضي الله عنهما: زعمت اليهودُ أنَّهم وجدوا في التوراة أنَّ ما بين طرفَي جهنَّم أربعونَ سنةً إلى أنْ يَنتهوا إلى شجرة الزَّقوم، وإنَّما نُعذَّب حتى ننتهيَ إلى شجرة الزَّقُّوم فتذهبَ جهنَّمُ وتَهلِك[4].

---

(١) في (أ): «عن».

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (١/ ٢٦٩).

(٣) في (ف): «قال».

(٤) رواه الطبري (٢/ ١٧٢)، وابن أبي حاتم (١/ ١٥٦)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢٧)، من طرق عن ابن عباس جميعهم في تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ [البقرة: ٨٠].

قال ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما: وأصلُ الجحيمِ سَقَر وفيها شجرةُ الزَّقُّوم، فإذا اقتحموا مِن باب جهنم تبادروا في العذاب حتى انتهوا إلى شجرة الزَّقُّوم وملؤوا البطونَ، قال لهم خازنُ سَقَر: زعمتم أنَّ النارَ لن تمسَّكم إلَّا أيَّاماً معدودات، فقد خلت أربعونَ سنةً وأنتم في الأبد[1].

***

(٢٥) ـ ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَٰهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَٰهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ ﴾: فيه مُضمَر؛ أي: فكيف حالُهم، أو[2]: كيف احتيالُهم يوم القيامة، وقوله: ﴿لِيَوْمٍ﴾ ولم يقل: في يوم؛ لأنَّ معناه: لجزاءِ يومٍ.

وقوله: ﴿لَّا رَيْبَ فِيهِ﴾؛ أي: لا شكَّ فيه؛ أي: في كونه، وله ثلاثةُ أوجهٍ بيَّنَّاها في أول سورة البقرة، ويندفع بها سؤال مَن يقول: شكَّ فيه المنكرون حتى جحدوه، فلمَ نفى الرَّيب عنهم[3]؟!.

وقال الإمامُ القشيريُّ رحمه الله: (كيف) كلمةُ تعجيبٍ[4] لما أخبر به مِن تفخيم[5] الشأن عند بَهْت عقولهم، ودَهْش أسرارهم، وانقطاعِ دعواهم[6]، وانخلاعِ قلوبهم، وترقِّيها إلى تراقِيهم، ثم ما يَلْقونه من الحساب والعتاب، ثم العذاب والعقاب[7].

---

(١) قطعة من الخبر السابق في رواية الطبري.

(٢) في (أ) و(ر): «أم».

(٣) في (ر): «فلم يغني الذنب عنهم»، وفي (ف): «فلم نفى الذنب عنه».

(٤) في (ر): «تعجب»، ومثله في مطبوع «اللطائف».

(٥) في (ر) و(ف): «تعجيب». وعبارة «اللطائف»: (لما أخبر به عن تعظيم الأمر، وتفخيم..).

(٦) في (أ): «دعاويهم»، وفي (ف): «دعوتهم». وفي «اللطائف»: (دواعيهم).

(٧) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٢٣٠).

وقوله تعالى: ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾: مرَّ تفسيرُ ذلك في الآية التي قبل آيةِ المداينة.

* * *

(٢٦) - ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ﴾: انتظامُها بما قبلها: أنَّ اليهودَ ـ لعنهم اللهُ ـ كانوا يكذِّبون النبيَّ ﷺ ويُخالفونه بحَمْل رؤسائهم إيَّاهم على ذلك، وكان النبيُّ ﷺ يتوقَّع زوالَ رئاستهم لنزول هذه الآية، فأمره اللهُ تعالى أنْ يَدعوَ اللهَ تعالى بقوله: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ﴾؛ ليجيبَ دعوته ويحقِّقَ أُمنيته.

وقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُمَّ﴾ قال ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما: هو اسمُ اللهِ الذي إذا دُعيَ به أجاب[١].

وقال [أبو] رجاء العُطارديُّ: مَن قال: ﴿ٱللَّهُمَّ﴾ فكأنَّه دعا اللهَ بجميع أسمائه، وهو مِن أشرف الثناء وأبلغه[٢].

وقال الحسين بنُ الفضل البَجَليُّ رحمه الله: ﴿ٱللَّهُمَّ﴾ مجمعُ الدُّعاء.

وقال الخليل: معناهُ: يا اللهُ، والميم في آخره عوضٌ عن الياء التي[٣] في أوَّله، وجعلوها مِيمين لئلا تختلط بالاسم كلَّ الاختلاط، فلمَّا اجتمعتا ـ ولا حظَّ لهما

---

(١) رواه الطبراني في «الكبير» (١٢٧٩٢) من حديث ابن عباس مرفوعاً، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ١٥٦): فيه جسر بن فرقد وهو ضعيف.

(٢) الخبر بنحوه في «تفسير الثعلبي» (٣/ ٤٢)، وما بين معكوفين منه.

(٣) «التي»: من (ف).

في الإعراب؛ لأنَّهما مزيدتان مِن غير التنبيه ـ فتحت الثانية؛ لئلا يجتمع ساكنان؛ إذ الفتحةُ أخفُّ الحركات[١].

وقال الفرَّاء: ﴿ٱللَّهُمَّ﴾ معناه: يا اللهُ أُمَّنَا بخيرٍ[٢]؛ أي: اقصُدنا به[٣] وأَوصِله إلينا وأعنَّا عليه.

وقوله: ﴿مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ﴾؛ أي: يا مالكَ المُلك، والنداء قد يكون مع حذفِ حرف[٤] النِّداء، كما في قوله تعالى: ﴿فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [الأنعام: ١٤] وفي المفرد: ﴿يُوسُفُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَا﴾ [يوسف: ٢٩]؛ أي: يا يوسف، وتفسير المالك والملك قد مرَّ في[٥] الفاتحة، ومعنى إضافة المالك إلى الملك لشمول المدح، فإنَّه مالك الملوك والملك جميعاً.

وقال الزجَّاج: معناه: مالكَ العباد وما ملَكوا[٦].

وقيل: معناه: مالك أمرِ الدنيا والآخرة.

وقيل: كشفُه: أنت المالك للمُلك وملكه[٧] وقدرته على تصريفه[٨] كيف يشاء، وإلى مَن يشاء، وكلُّ مُلكٍ مِن مالٍ وولدٍ وأنصارٍ، و[٩]سلطانٍ يطاع به صاحبه وينقاد له به الناس بحقٍّ أو باطلٍ في الدنيا أو في الآخرة، فمالكُه اللهُ جلَّ جلاله يُؤتيه مَن

---

(١) انظر: «الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي» للأزهري (ص: ٨٧)، و«تفسير الثعلبي» (٣/ ٤١).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٢٠٣).

(٣) في (ر) و(ف): «فيه».

(٤) «حرف»: من (أ).

(٥) في (أ): «وتفسير الملك والملك مرَّ في تفسير» وفي (ف): «والملك والملك مرَّ في».

(٦) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٣٩٢)، و«النكت والعيون» (١/ ٣٨٣).

(٧) «وملكه»: من (أ) و(ف).

(٨) في (ر) و(ف): «تصديقه».

(٩) في (أ): «أو».

يشاء وينزعه ممَّن يشاء، كما قال تعالى: ﴿تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ﴾[١].

وقيل في سبب نزوله: أنَّ وفدَ نجران لمَّا جاؤوا[٢] إلى رسول الله ﷺ، وعلموا صدقَه، وامتنعوا عن الإسلام بالعلَّة التي ذكرها أبو حارثة بنُ علقمة: مَنَعني مِن[٣] اتِّباعه ما صنعَ بنا ملوكُ النصارى؛ شرَّفونا وموَّلونا وأكرمونا. وحاجُّوا رسولَ الله ﷺ، فنزلت الآيةُ تنبئهم أنَّه لا اعتبارَ بتشريف ملوك الدنيا، والملكُ لله، والشريف مَن تشرَّف[٤] بتشريف اللهِ تعالى[٥].

وروى الكلبيُّ عن أبي صالح عن ابنِ عباسٍ رضي الله عنهم: أنَّ المنافقين واليهودَ لمَّا سمعوا النبيَّ ﷺ يقول: «وَعَدني اللهُ ملكَ فارسَ والرومِ»، كَبُرَ ذلك عليهم وقالوا: هم أعزُّ حمًى وأمنعُ جانباً[٦] مِن أنْ تنالهم أيدي رعاةِ البُهْم، فنزلت هذه الآية[٧]: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ﴾ وهو ملكُ النبيِّ ﷺ وأصحابه ﴿وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ﴾ كما نزعتَ مِن أبي جهل وصناديدِ قريش، ﴿وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ﴾ أعزَّ اللهُ بمحمَّدٍ مَن اتَّبعه ﴿وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ﴾ أذلَّ أهلَ فارس والروم، ولا تقوم الساعةُ حتى يفتحها أهل الإسلام[٨] وينزع الله منهم ملكَهم[٩].

وقوله تعالى: ﴿بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ﴾: النصرُ والغنيمةُ ﴿إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾: مِن الإعزاز

---

(١) «كما قال تعالى ﴿تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ﴾»: من (ف).

(٢) في (أ): «جاء».

(٣) في (أ): «عن».

(٤) في (أ): «شرف».

(٥) الخبر أورده ابن المنذر في «تفسيره» (١/ ١٠٨)، ورواه البيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ١٨٧ ـ ١٨٨).

(٦) في (ف): «جأشاً».

(٧) «الآية» ليست في (ف)، و«هذه» ليست في (ر) و(ف).

(٨) في (ر): «المسلمون».

(٩) في (أ) و(ف): «الله منهم ملكهم»، بدل: «منهم ملكهم».

والإذلال، وقال أنسٌ: كان رسولُ الله ﷺ يحفر الخندقَ فظهرت كُدْيةٌ مثلُ التَّلِّ العظيم، فدعا رسولُ الله ﷺ بالمِعْول وضربها ضربةً واحدةً أزال ثلثَها، وخرجت منها نارٌ، فقال: «اللهُ أكبرُ، كأنِّي بأبيضِ المدائنِ وإنَّ كنوزَها لتُحمَلُ(١) إلى أمتي» ثم ضربها ثانيةً فأزال ثلثاً آخَرَ، فقال: «اللهُ أكبرُ، كأنِّي بقصور الشام وإنَّ كنوزَها لتحمَل إلى أمتي» ثم ضربها ثالثةً فأزالها، فقال: «اللهُ أكبرُ، كأنِّي بعمدان اليمن وإنَّ كنوزها لتحمَل إلى أمتي» فبلغ ذلك المنافقين فقالوا: لم يَكفه ملكُ مكَّة والمدينة حتى طمع في ملكِ فارس والروم، فأنزل اللهُ تعالى هذه الآيةَ(٢).

---

(١) في (ر): «لتحول».

(٢) لم أجده من حديث أنس بتمامه، لكنه مجموع من خبرين، الأول ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣/ ٤٠)، وتلميذه الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ١٠٠) عن ابن عباس وأنس، واقتصرا على آخره، ولفظه: لما فتح رسول الله ﷺ مكة ووعد أمته ملك فارس والروم، قال المنافقون واليهود: هيهات هيهات، من أين لمحمد ملك فارس؟ هم أعزّ وأمنع من ذلك، ألم يكف محمداً مكة والمدينة حتى طمع في ملك فارس والروم؟! فأنزل الله تعالى هذه الآية. وهذا الخبر قال عنه الحافظ في «تخريج أحاديث الكشاف» (ص: ٢٥) بعد عزوه للواحدي في «أسباب النزول»: لم أجد له إسناداً.

وأما الخبر الثاني فهو حديث عمرو بن عوف الطويل في قصة الخندق، رواه الثعلبي في «تفسيره» (٣/ ٤٠ ـ ٤١)، وعنه الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ١٠٠ ـ ١٠٢)، من حديث كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف عن أبيه عن جده، ولفظه قريب مما أورده المصنف عن أنس، لكنه في آخره قرن في النزول مع آية آل عمران آية الأحزاب: ﴿وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا﴾ [الأحزاب: ١٢]. ورواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٤٠) من طريق آخر عن كثير، لكن في نزول آية الأحزاب فقط. وعلى كل فالحديث ضعيف بسبب كثير بن عبد الله.

وروى نحو هذه القصة أيضاً ـ لكن دون كلام المنافقين ولا ذكر النزول ـ النسائي (٣١٧٦) من طريق أبي سُكَيْنَةَ رجلٍ من المحَرَّرينَ، عن رجلٍ من أصحابِ النَّبيِّ ﷺ. وفي «السنن الكبرى» (٨٨٠٧) من حديث البراء رضي الله عنه.

وقصة حفر الخندق وعروض الكدية وضرب النبي ﷺ إياها بالمعول رواها البخاري (٤١٠١) من حديث جابر رضي الله عنه.

وقال الضحاك: إنَّ أهلَ مكة قالوا: يا محمَّد، إنَّ كسرى ينام على فُرُش الدِّيباج والحرير، ويأكل ويشرب في[١] آنية الذَّهب والفضَّة، فإنْ كنتَ رسولاً فأينَ الملكُ؟! لا نرى على رأسِك تاجاً كتاجِ كسرى وقيصر، ولا نرى لك سريراً كسريرهم، ولا ديباجاً ولا[٢] حريراً كديباجهم وحريرهم، فأَنزل اللهُ تعالى هذه الآيَةَ، وأَمره بأنْ[٣] يقول: ﴿ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ﴾[٤]؛ أي: تعطي ملكَ الدُّنيا مَن تشاء أنْ تعطيَه، وقوله تعالى: ﴿وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ﴾؛ أي: تأخذ[٥] وتسلب وتصرف ممَّن تشاء أنْ تنزعَه منه، وهو المحذوف مِن الأول والثاني دلَّ عليه المذكور في صدرهما.

وقوله تعالى: ﴿وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ﴾؛ أي: بما تعطيه مِن الأموال والخَدَم والأنصار وسائرِ أسباب العزِّ والكرامة.

وقوله تعالى: ﴿وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ﴾ إذلالَه بأضدادها.

وقوله تعالى: ﴿بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ﴾؛ أي: أنتَ مالكُ الخير والقادرُ عليه في الدنيا والآخرة، وإنَّما خصَّ الخير بالذِّكر دون الشَّرِّ ـ وإن كان هو مالكَهما ـ لأنَّه موضعُ المدح والثناء والرغبة والدُّعاء، فكانت إضافةُ الخير إليه أقربَ[٦] إلى مراعاة الأدب.

وقيل: هو مِن باب الاكتفاء[٧]، ومعناه: بيدك الخيرُ والشَّرُّ، وهو كما قال في

---

(١) في (أ): «من».

(٢) «لا»: زيادة من (أ).

(٣) في (ف): «أن».

(٤) انظر: «تفسير السمرقندي» (١/ ٢٢٩).

(٥) في (أ): «تأخذه».

(٦) في (أ): «فيه».

(٧) الاكتفاء: أن يقتضي المقام ذكر شيئين بينهما تلازم وارتباط، فيكتفى بأحدهما عن الآخر لنكتة، ويختص غالباً بالارتباط العطفي كقوله: ﴿سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾؛ أي: والبرد، وخصص الحر =

قوله تعالى: ﴿سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾ [النحل: ٨١] أي: تقيكم الحرَّ والبردَ.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ مرَّ ذلك كلُّه، ولا يقدر على شيءٍ أحدٌ غيرُك إلَّا بإقدارك.

وقال عبد العزيز بنُ يحيى: ﴿تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ﴾؛ أي: الملك على إبليس، كما قال النبيُّ ﷺ: «إنَّ الشيطانَ ليفرَق مِن حسِّ عمر»[1]، وقال: «ما سَلَكَ عمرُ فجًّا إلَّا سَلَكَ الشيطانُ فجًّا آخرَ»[2].

وقوله تعالى: ﴿وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ﴾ حتى يغلبه الشيطانُ ﴿وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ﴾ بقهره الشيطانَ ﴿وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ﴾ بغلبةِ الشيطانِ عليه.

وقال السديُّ: ﴿وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ﴾؛ أي: المؤمنين[3]، أَمر اللهُ العبادَ بنصرهم ﴿وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ﴾ أي: الكفار، أَمر اللهُ تعالى العباد بقتلهم.

= بالذكر لأن الخطاب للعرب وبلادهم حارة، والوقاية عندهم من الحر أهم لأنه أشد عندهم من البرد، وقيل في تأويله غير ذلك.

ومنه: ﴿بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ﴾؛ أي: والشر، وإنما خص الخير بالذكر لأنه مطلوب العباد ومرغوبهم، أو لأنه أكثر وجوداً في العالم، أو لأن إضافة الشر إلى الله ليس من باب الآداب.

ومنه: ﴿وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِي ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾؛ أي: وما تحرك، وخص السكون بالذكر لأنه أغلب الحالين على المخلوق من الحيوان والجماد، ولأن كل متحرك يصير إلى السكون.

ومنه: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾؛ أي: والشهادة؛ لأن الإيمان بكل منهما واجب، وآثر الغيب لأنه أمدح، ولأنه يستلزم الإيمان بالشهادة من غير عكس. انظر: «الإتقان» للسيوطي (٢/ ٢٠٣).

(١) قطعة من حديث رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢٢٩٨٩)، والبزار في «المسند» (٤٤١٤) عن بريدة بن الحصيب رضي الله عنه.

(٢) رواه بهذا اللفظ البزار في «مسنده» (٩٠٨٨)، وهو عند البخاري (٣٢٩٤)، ومسلم (٢٣٩٦)، بلفظ: «والذي نفسي بيده، ما لقيكَ الشيطان قطُّ سالكاً فجًّا إلَّا سلك فجًّا غير فجِّك».

(٣) في (ف): «أي من المؤمنين».

وقال أبو بكرٍ الورَّاق: ﴿تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ﴾؛ أي: مُلْكَ النَّفس حتى يغلب شهوتَه وهواهُ، ﴿وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ﴾؛ أي: مُلْكَ النَّفس ﴿مِمَّن تَشَآءُ﴾ حتى يغلبه هواهُ فيتَّخذَه إلهاً، كما قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [الجاثية: ٢٣]، ﴿وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ﴾ بقهره النفسَ ﴿وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ﴾ بقهرِ النفس له.

وقال الحسين بنُ الفضل البَجَليُّ رحمه الله: أي: ﴿تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ﴾ الكبيرَ ﴿مَن تَشَآءُ﴾، ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ [الإنسان: ٢٠] ﴿وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ﴾ الكبيرَ ﴿مِمَّن تَشَآءُ﴾ كما نزعته[1] مِن أهل النار ﴿وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ﴾ بالرُّؤية ﴿وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ﴾ بالحجاب.

وقال مجاهد وسعيد بنُ جبير: الملكُ: النبوَّة[2]، كما في قوله تعالى: ﴿فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَـٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٥٤]، وقولِه تعالى: ﴿وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [البقرة: ٢٥١].

وقالوا أيضاً في سبب نزولها: إنَّ النبيَّ ﷺ لمَّا ابتعثه[3] الله بالرِّسالة، فدعا الخلق إلى الله تعالى، قالوا: ﴿أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا﴾ [ص: ٨]، ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: ٣١]، ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾ [الزخرف: ٣٢]؛ أي: النبوَّة، فأُنزل قوله تعالى: ﴿تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ﴾؛ أي: تعطي النبوَّة مَن تشاء.

وقوله تعالى: ﴿وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ﴾ على هذا التأويل لا يجوز حمله على سلب النبوَّة؛ فإنَّ الله تعالى يقول: ﴿وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَـٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [الدخان: ٣٢]، فلو جاء مِن أحدهم ما يستحقُّ به نزعَ النبوَّة منه كان جهلاً مِن الله تعالى به، والله تعالى متعالٍ[4] عن ذلك، ولكن معناه: وتمنع الملكَ؛ أي: النبوَّة ممَّن تشاء، وهو

---

(١) في (أ) و(ف): «نزعت».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٣٠٤) عن مجاهد.

(٣) في (أ): «انبعثه»، وفي (ر): «أن بعثه».

(٤) في (ر) و(ف): «والله يتعالى».

كقوله تعالى: ﴿يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧]؛ أي: يمنعهم.

ووجهٌ آخَرُ: أن يكون معناه: وتنزع النبوَّة مِن نسلِ مَن تشاء؛ أي: تكون في قومٍ، فينقطع عنهم ذلك بذهاب نبيِّهم، ويُوحَى إلى نبيٍّ مِن غيرهم، كما كان في نسلِ إسحاق عليه السلام في بني إسرائيل، ثم صار في نسلِ إسماعيل عليه السلام في العرب.

وقيل في قوله تعالى: ﴿وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ﴾؛ أي: بالإيمان، كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨]، ﴿وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ﴾ بالكفر؛ قال الله تعالى: ﴿وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلۡمَسۡكَنَةُ﴾ [البقرة: ٦١].

وقيل لأبي بكر بن عبدش[1]: أيَّ قولٍ اخترتَ في هذه الآية، قال: قولاً واحداً: ﴿وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ﴾ بالقناعة[2] ﴿وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ﴾ بالسؤال.

(٢٧) ـ ﴿تُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۖ وَتُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَتُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّۖ وَتَرۡزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾.

وقوله تعالى: ﴿تُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ﴾: الولوجُ: الدخولُ، والإيلاجُ: الإدخالُ، ووليجةُ الرجلِ: بطانته؛ لأنَّه يُطلِعه على داخل أمرِه، ومعنى الآية: أي: تُنقِص مِن ساعات الليل وتَزيدها في النهار.

قوله تعالى: ﴿وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ﴾: أي: تَنقص مِن ساعات النهار وتَزيدها في الليل، وهو تقريرٌ للأوَّل ووصفٌ بكمال القدرة، إذ ليس[3] ذلك في قدرةِ غيرِ الله تعالى.

وقال عطاء: هو ما يَأخذ النهارُ مِن اللَّيل حتى يصيرَ النهارُ إلى خمسَ عشرةَ ساعةً، والليلُ إلى تسعِ ساعاتٍ، وقوله تعالى: ﴿تُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ﴾ هو ما يأخذ الليلُ

---

(١) أبو بكر بن عبدش مفسر نقل عنه الثعلبي في مواضع من «تفسيره»، وسماه في «معجم الأدباء» (٦/ ١٨٣٠): أبو بكر بن عبدوس.

(٢) في (أ) و(ف): «بالقنوع».

(٣) في (ر) و(ف): «وليس»، بدل: «إذ ليس».

مِن النهار حتى يصير الليلُ إلى خمس عشرة ساعةً والنهارُ إلى تسع ساعات[١].

وقيل: معناه: يأتي بالليل[٢] في إِثْرِ النهار، فيُلبِس الدُّنيا ظلمته[٣] بعد أنْ كان فيها ضوءُ النهار، ثم يأتي بالنهارِ[٤] في إِثْرِ الليل فيُلبِس الدنيا ضوءَه، فكأنَّ أحدَهما دخل في الآخر واستتر[٥]، وهو كقوله جلَّ جلاله فيه[٦]: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً﴾ [الفرقان: ٦٢].

وقوله تعالى: ﴿وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾: أي: المؤمنَ مِن الكافر ﴿وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾؛ أي: الكافرَ مِن المؤمن.

وروى الزهريُّ أنَّ النبيَّ ﷺ رأى خالدةَ بنتَ الأسود بنِ عبد يغوث، وكانت صالحةً، وأبوها[٧] كافرٌ، فقال: «سبحان الذي يُخرج الحيَّ مِن الميتِ»[٨].

وقيل: معناه: يجعل الكافرَ مؤمناً والمؤمنَ كافراً، قال الله تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾ [الأنعام: ١٢٢]؛ أي: كافراً فهديناهُ.

وقال الحسن: أي: يُخرج الطَّيِّبَ مِن الخبيثِ، ويُخرج الخبيثَ مِن الطَّيِّب[٩].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٣٠٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٦٢٥)، كلاهما عن السدي.

(٢) في (ف): «الليل».

(٣) في (ر) و(ف): «ظلمة».

(٤) في (ر): «النهار».

(٥) في (أ): «واستتر به» وفي (ف): «واستتر واستقر».

(٦) «فيه»: من (أ).

(٧) في (أ): «وكان أبوها».

(٨) رواه عبد الرزاق في «التفسير» (١/ ١١٧ ـ ١١٨)، وابن سعد في «الطبقات» (٨/ ٢٤٨)، والطبري في «تفسيره» (٥/ ٣١١).

(٩) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣/ ٤٦) عن الفراء. أما الحسن فقد ذكر عنه أبو الليث السمرقندي في «تفسيره» (١/ ٢٢٩)، والثعلبي في «تفسيره» (٣/ ٤٦)، والبغوي في «تفسيره» (٢/ ٢٤)، قوله: يخرج المؤمن من الكافر، ويخرج الكافر من المؤمن.

وقال قتادة: أي: يُخرج النَّسَمةَ الحيَّةَ مِن النطفةِ الميتةِ، والنطفةَ الميتةَ مِن النَّسَمةِ الحيَّةِ[١].

وقال مقاتل: أي: الطيرَ مِن البيضة، والبيضةَ مِن الطير[٢].

وقال الكلبيُّ: أي: السُّنبلة مِن الحبَّة وهي ميتةٌ، والحبَّة مِن السُّنبلة وهي حيَّةٌ، وكذا النَّخلة مِن النواة والنواة مِن النخلة.

وقوله تعالى: ﴿وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾: أي: لا نهايةَ لمقدورِك فما تعطيه العبدَ لا يَنقص ذلك مِن مقدورك شيئاً، وفيه أقاويلُ أُخَرُ كثيرةٌ[٣] ذكرناها عند قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [البقرة: ٢١٢].

وقال الإمامُ القشيريُّ رحمه الله: هذا تعليمُ الخلق[٤] كيف الثناءُ على الحقِّ؛ أي: صِفْني بما أستحقُّه مِن جلال القَدْر[٥]، فقل: يا مالكَ الملكِ، لا شريكَ لك ولا مُعِين، ولا ظهيرَ ولا قرين، ولا مُقاسمَ لك في الذَّات، ولا مُساهمَ في الملك، ولا معاضدَ[٦] لك في الإبداع[٧].

﴿تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَآءُ﴾ حتى نعلم أنَّك المَلِك[٨]، فالمَلِك مِن المخلوقين مَن تذلَّل لله، ومنزوعُ المُلك منهم مَن تكبَّر على الله، فتجمُّلُ الخَلْق في تذلُّلهم للحقِّ، وعزُّهم في محوهم فيه، وبقاؤهم في فنائهم به.

---

(١) انظر: «النكت والعيون» (١/ ٣٨٥)، ورواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٥٠٠) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (١/ ٢٧٠).

(٣) «كثيرة»: من (أ).

(٤) في (أ) و(ف): «الحق»، وكذا وردت في مطبوع «اللطائف».

(٥) في (ر): «كمال القدرة» والمثبت من باقي النسخ و«اللطائف».

(٦) في مطبوع «اللطائف»: «ولا معارض».

(٧) في (ر) و(ف): «في الأفعال والإبداع».

(٨) في «اللطائف»: «أن الملك لك».

﴿وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ﴾ بعرفانك[١]، ﴿وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ﴾ بخذلانك.

﴿وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ﴾ بأنْ يشهدك ﴿وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ﴾ بأنْ يجحدك.

﴿وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ﴾ بأنْ تُؤنِسه بك ﴿وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ﴾ بأنْ توحشَه عنك.

﴿وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ﴾ بأنْ تَشغله بك ﴿وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ﴾ بأنْ تَشغله عنك.

﴿وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ﴾ بسقوطِ أحكامِ نفسه ﴿وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ﴾ بغَلَبات وساوسِ نفسه.

﴿وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ﴾ ببسطِه ﴿وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ﴾ بقبضِه.

﴿تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ﴾ بشدِّ نطاق خدمتك، ﴿وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ﴾ بنفيه عن بساط عبادتك.

﴿تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ﴾ بإفراد سرِّه لك ﴿وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ﴾ بربطِ قلبه بمخلوقٍ لك.

﴿وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ﴾ بإقامته بالإرادة ﴿وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ﴾ تردُّه إلى ما عليه أهلُ العادة.

﴿بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ﴾ ولم يذكر الشَّرَّ حفظاً لآداب الخطاب، وتفاؤلاً بذِكْر الجميل، وتطيُّراً بذِكْر الشَّرِّ.

﴿إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ مِن القَبول والرَّدِّ، والتقريب والطرد، والحجاب والرؤية[٢]، والجمع والتفرقة، والقبض والبسط.

﴿تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ﴾ [حتى] يغلِبَ سلطانُ ضياءِ التوحيد، فلا يبقى مِن آثار النفس وظلماتها شيءٌ ﴿وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ﴾[٣]؛ أي: في آخِر الليل[٤]، حتى كأنَّ

---

(١) في مطبوع «اللطائف»: «بعزِّ ذاتك».

(٢) في (أ): «في الرؤية».

(٣) في (أ): «ويخرج النهار في الليل» وفي (ر): «وتولج النهار في أجزاء الليل».

(٤) «أي في آخر الليل»: من (ف)، وليست في باقي النسخ و«اللطائف».

شموسَ القلبِ قد كسفت[١]، أو كأنَّ الليلَ دامَ، وكأنَّ الصبحَ فُقِدَ، ﴿وَتُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ﴾ حتى كأنَّ الفَتْرة لم تكن، وعهدَ الوصال رجع فتياً، وعُودَ القُرْب صار غضًّا طريًّا ﴿وَتُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ﴾ حتى كأنَّ شجر البرم[٢] أورقَ شوكاً وأثمر شوكاً[٣] ﴿وَتَرۡزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ﴾ حتى لا كدَّ ولا جهدَ، ولا عرقَ جبين، ولا تعبَ يمين، ليله رَوحٌ وراحةٌ، ونهاره طربٌ وبهجةٌ، وساعاته كراماتٌ، ولحظاته قُرباتٌ، ومحاسن أفعاله لا يحصرها لسانٌ، ولا يأتي على استقصاء كُنْهها بيانٌ[٤].

* * *

(٢٨) - ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَلَيۡسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيۡءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنۡهُمۡ تُقَىٰةٗۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾: قيل: نزولُ هذه الآية[٥] في حقِّ حاطب بنِ أبي بَلْتَعة؛ إذ كتب إلى أهل مكَّة: إنَّ محمداً قد قصدكم فخذوا حِذْرَكم، ودفع الكتابَ إلى سارةَ القَوَّالةِ، فأخبر جبريلُ عليه السلام النبيَّ ﷺ بذلك[٦]، فبعث عليًّا رضي الله عنه وأَمَره أنْ يَقتلها إنِ امتنَعت عن دفعِ الكتابِ إليه، فأَدركها فأَنكرت، فهدَّدها فأَظهرته مِن شعرها، فأخذه عليٌّ رضي الله عنه وجاء به إلى النبيِّ ﷺ، فقُرِئ الكتابُ وحاطبٌ حاضرٌ، فقام عمرُ رضي الله عنه وسلَّ سيفَه، وقال: يا رسولَ الله، ائْذَن لي في قتل هذا المنافق؟ فقال: «مَهْ يا عمرُ؛ فإنَّه بدريٌّ،

---

(١) في (ر): «كشفت».

(٢) في النسخ: «البر»، والمثبت من «اللطائف». والبرم: ثَمَر العلف، والعلف: ضرب من شجر العضاه. انظر: «جمهرة اللغة» (١/ ٣٢٨).

(٣) في (أ) و(ف): «شركاً».

(٤) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٢٣٠ ـ ٢٣٢).

(٥) في (ف): «قيل نزلت»، وفي هامشها ما يوافق المثبت.

(٦) «بذلك»لم يرد في (ف)، «النبي ﷺ»لم يرد في (أ).

وإنَّ اللهَ قد اطَّلع على أهل بدر فقال: اعمَلوا ما شِئتم فقد غفرتُ لكم، ولا [(١)] حسابَ عليكم ولا عذابَ» فنزل[(٢)] قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ [الممتحنة: ١]، وقولُه تعالى: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ﴾[(٣)].

وقوله: ﴿لَّا يَتَّخِذِ﴾ نهيٌ، وهو مجزومٌ، وكُسر لالتقاء الساكنين، والأولياءُ: جمعُ وليٍّ، وهو الذي يَلي أمرَ مَن يرضاه بالعون والنُّصرة، وهو يُطلَق على المُعين وعلى المُعان أيضاً، والله وليُّ المؤمنين؛ أي: مُعِينهم[(٤)]، والمؤمنُ وليُّ اللهِ؛ أي: معانُه.

ومعنى الآية: لا يَجعلنَّ أحدٌ مِن المؤمنين أحداً مِن الكافرين وليًّا في أمرٍ مِن الأمور التي يتوالَى[(٥)] بها المتواصلون والمتوادُّون وأهلُ القرابات؛ مِن تعظيمٍ ومحبَّةٍ وصحبةٍ واستشارةٍ في مهمٍّ، بل ينبغي له أنْ يَصرف ذلك إلى المؤمنين.

ومعنى قوله: ﴿مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: مفارقاً للمؤمنين مباعداً لهم؛ لأنَّ مَن كان دون إنسانٍ في المكان، فهو مفارقٌ له مباعدٌ.

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾: أي: ومَن يتولَّهم[(٦)] ﴿فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ﴾: هي كلمةُ تبرُّؤٍ ومفارقةٍ.

وقال السدِّيُّ: ليس مِن ولايةِ اللهِ في شيءٍ؛ لأنَّ اللهَ تعالى قد بَرئ منه[(٧)].

---

(١) في (أ): «فلا» بدل: «فقد غفرت لكم ولا».

(٢) في (أ) و(ف): «ونزل».

(٣) ذكره مختصراً جدًّا مقاتلٌ في «تفسيره» (١/ ٢٧٠)، والثعلبي في «تفسيره» (٣/ ٤٦)، ورواه بتمامه البخاري (٤٨٩٠)، ومسلم (٢٤٩٤)، من حديث علي رضي الله عنه لكن في نزول آية الممتحنة فقط.

(٤) في (أ): «والله ولي المؤمن أي معينه».

(٥) في (ر) و(ف): «يتولى».

(٦) بعدها في (ر) و(ف): «وقوله تعالى».

(٧) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣/ ٤٧).

وقيل: ليس مِن دينِ اللهِ في شيءٍ.

وقيل: مِن توفيق الله.

وقيل: مِن كرامة الله تعالى.

وقيل: مِن ثواب الله.

وقوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَىٰةً﴾: هي على وزن فُعَلَة كتُؤَدَة وتُخَمَة وتُكَأَة، وأصله: وُقاة مِن الوقاية، لكنْ بُني على الفعل، وقد اتَّقى يتَّقي تُقاةً وتُقًى وتَقوَى وتَقيَّةً، وإنَّما صارتا في الفعل؛ لإدغام الواو في التاء بعد إبدالها بالتاء.

ومعناه: إلَّا أنْ يكون في موضعٍ تخافون الكفَّارَ على أنفسكم أو أهاليكم أو أولادكم أو أموالكم بإظهارِ العداوة، فرخَّص لكم إظهارُ الموالاة والموافَقة مع إضمار[1] الحقِّ.

قال ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما: التقيةُ: الكلمةُ باللِّسان، والقلبُ مطمئنٌّ بالإيمان[2].

وقال قتادة: التَّقيَّة: هي أنْ يصلَ رحماً له مِن الكفار[3] المشركين مِن غير أنْ يتولَّاهم في دينهم[4].

وقال النبيُّ ﷺ لعليٍّ رضي الله عنه في موت أبيه: «اذهَبْ فَوارِهِ»[5].

وقوله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾: أي: ذاتَه، وهو كقوله تعالى: ﴿فَٱتَّقُونِ﴾

---

(١) في (أ): «مع إظهار»، وفي (ف): «على إضمار».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٣١٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣٣٨٢).

(٣) «الكفار» لم يرد في (ف).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٣١٨ـ ٣١٩).

(٥) رواه النسائي (١٩٥)، والإمام أحمد في «المسند» (٧٥٩)، وفي إسناده رجل مجهول.

[البقرة: ٤١] ﴿وَٱخۡشَوۡنِ﴾ [المائدة: ٣] ﴿فَٱرۡهَبُونِ﴾ [البقرة: ٤٠] خاطب العوامَّ بقوله: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ﴾ [البقرة: ٢٤]، والخواصَّ بقوله تعالى: ﴿فَٱتَّقُونِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾: أي: إلى جزاءِ اللهِ تعالى مرجعُ الخلقِ؛ فيَجزي كلًّا بعمله.

وانتظامُ هذه الآية بما قبلها: أنَّ كلَّ شيءٍ بيد اللهِ، وكلَّ حادثٍ بصنع الله، فلا ترجوا ولا تخافوا غيرَ الله، ولا تُوالوا أعداءَ الله.

* * *

(٢٩) - ﴿قُلۡ إِن تُخۡفُواْ مَا فِي صُدُورِكُمۡ أَوۡ تُبۡدُوهُ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قُلۡ إِن تُخۡفُواْ مَا فِي صُدُورِكُمۡ أَوۡ تُبۡدُوهُ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُ﴾: هذا تأكيدٌ للأول؛ لأنَّه[١] نَهى عن موالاةِ أعدائه سرًّا وعلانيةً[٢]، وحذَّر مخالفته فيما نَهى، وأخبر أنَّه يَعلم ما أَخفَوه وما أَبدوه، وهذا[٣] أبلغُ وعيدٍ.

وقوله تعالى: ﴿وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾: وهذا ابتداءٌ؛ ولذلك رَفعه، والأولُ جزاءُ الشرط فجزَمه، وإذا عَلم ما في السماوات وما في الأرض كيف يَخفَى عليه ما يُسرُّه[٤] القلبُ.

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾: على إنزالِ ما حذَّركم به بكم، وقيل: مِن المغفرة والعقاب.

---

(١) «لأنه» لم يرد في (ف).

(٢) في (أ): «وعلناً».

(٣) في (ر) و(ف): «وهو».

(٤) في (أ): «لم يخف عليه ما يسره»، وفي (ف): «كيف يخفى عليه ما يسره لم يخف عليه ما يسره»، وكأن الناسخ غير العبارة ونسي أن يضرب على الأولى.

التيسير

في

التفسير

تأليف الإمام

أبي حفص النسفي

نجم الدين عمر بن محمد بن أحمد النسفي الحنفي

٤٦١ - ٥٣٧هـ

يطبع أول مرة محققاً على ثلاث نسخ خطية

تحقيق وتعليق

ماهر أديب حبوش

المجلد الرابع

دار اللباب

بسم الله الرحمن الرحيم

التيسير

في

التفسير

(٤)

حُقوق الطّبع محفُوظة

الطبعة الأولى

١٤٤٠هـ-٢٠١٩م

يُمنع طباعةُ هذا الكتاب أو ترجمته أو تصويرُه ورقياً أو إلكترونياً

إلا بإذن خطي من الدار الناشرة

تحت المُساءلة الدُّنيوية والأُخروية

9 786052 279311

دار اللُّباب

للدِّراسات وتحقيق التُّراث

DAR-ALLOBAB

Lubab Yazma Eserleri İhya ve İlmi Araştırma Yayınları

اسطنبول - تركيا

00905454729850

00902125255551

info@allobab.com

بيروت - لبنان

009615813966

0096170112990

Www.allobab.com

İskenderpaşa mh. Kıztaşı cd. No:7 D:5 Fatih (Özel Fatih Hastanesi Karşısı)

سورة آل عمران

(٣٠) ـ ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا﴾: يحتمل: واحذروا يومَ، ويحتمل: ويُحذِّركم اللهَ نفسَه يومَ، ويحتمل: وإلى الله المصير يومَ، ويحتمل: والله على كلِّ شيءٍ قديرٍ يومَ، ويحتمل: واذْكُر يومَ[(١)].

وقوله: ﴿تَجِدُ﴾؛ أي: تنال، وقوله: ﴿مَّا عَمِلَتْ﴾ هو للعموم، و﴿مِنْ خَيْرٍ﴾ للجنس، و﴿مُّحْضَرًا﴾؛ أي: في كتابِ الحساب[(٢)]؛ قال تعالى: ﴿لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا﴾ [الكهف: ٤٩].

وقيل: ﴿تَجِدُ﴾ ثوابَ ﴿مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا﴾؛ أي: يُعجَّل لها ولا يُؤخَّر عنها[(٣)].

---

(١) وضعف أبو حيان نصبه بـ(يحذركم)، وبـ(المصير)، وبـ(قدير)، وبمضمر، معللًا كل ذلك، كما ناقش الزمخشريَّ في جعله منصوباً بـ(تود)، ذاكراً مَن منع ذلك من أئمة النحو ومن أجازه. انظر: «البحر المحيط» (٥/ ٢٩٣). وانظر تفصيل ذلك أيضاً ومناقشة ما ذكر في إعرابه من وجوه في «الدر المصون» (٣/ ١١٤).

(٢) في (ر): «الحسنات».

(٣) من قوله: «وقيل تجد...» إلى هنا، لم يرد في (ر)، وكلمة «ثواب» ليست في (ف).

وقوله: ﴿وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ﴾: قيل: هو عطفٌ على الأول؛ أي: وتجد عملَ السُّوء أيضاً مُحضَراً[١] ﴿تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا﴾؛ أي: بينَ النَّفس ﴿وَبَيْنَهُۥٓ﴾؛ أي: بين ما عملت مِن سوء[٢] ﴿أَمَدًا﴾؛ أي: غايةً ﴿بَعِيدًا﴾؛ أي: تتمنَّى أنْ تكون مِن هذا العمل في الدنيا ببُعدٍ لا يزولُ أبداً فلا تقع فيه قطُّ؛ لِمَا ترى مِن عقوبته، فيكون هذا زيادةَ صفةٍ على وجود العمل السَّيِّئ مُحضراً، وهو تمنِّي أنْ لم يكن منها ذلك.

وقيل: قوله: ﴿وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ﴾ ابتداءٌ، و﴿تَوَدُّ﴾ إلى آخِره خبرُه.

وقيل: فيه إشارةُ بشارةٍ للمؤمن؛ لأنَّه ذكر أنَّه يجد الخيرَ مُحضراً، وهو كائنٌ لا محالةَ، ولم يذكر إحضارَ الشَّرِّ في حقِّ المؤمن؛ لأنَّ منه ما يُغفر فلا يُحضر، قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾ [الأحقاف: ١٦] فأمَّا الكافرُ فلا يُغفَر له شيءٌ، والعموم في حقِّه، قال تعالى[٣]: ﴿وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًا﴾ [الكهف: ٤٩].

وقوله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾: أعاد[٤] التحذير؛ للتأكيد والتقرير.

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلْعِبَادِ﴾: قال الإمامُ القشيريُّ رحمه الله: هذا للمستأنِفين، وقوله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ﴾ للعارفين؛ أولئك أصحابُ التخفيف والتسهيل، وهؤلاء أصحابُ التخويف والتهويل، ونظيره: بَشِّر المذنبين وأَنذر الصِّدِّيقين[٥].

---

(١) بعدها في (ر) و(ف): «قوله تعالى».

(٢) بعدها في (ر) و(ف): «وقوله تعالى».

(٣) «قال تعالى» لم يرد في (ف).

(٤) في (أ) و(ف): «أعاد هذا».

(٥) «ونظيره بشر المذنبين وأنذر الصِّديقين» لم يرد في (أ)، وليس في مطبوع «اللطائف».

وقيل: أفناهم بقوله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾، ثم أحياهم بقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلْعِبَادِ﴾[١].

ولمَّا قرأ النبيُّ ﷺ هذا الوعيدَ على بني نجران، قالوا: هذا الوعيدُ لا يكون لنا؛ فنحن أبناءُ اللهِ وأحباؤه، فبيَّن اللهُ تعالى أنَّ اللهَ تعالى لا يحبُّ إلَّا مَن يتَّبع حبيبَه، وهو قوله تعالى:

* * *

(٣١) - ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾: الحبُّ والمحبَّةُ كالودِّ والمودَّة، وقد حبَّه وأحبَّه؛ أي: ودَّه، والثلاثي مِن باب: ضرب ودخل جميعاً.

وقال الكسائيُّ: الثلاثيُّ لغةٌ قد ماتت، وبقي الاستعمالُ لقولهم: أَحَبَّ، ويُستعمل في المفعول: المحبوبُ[٢]، دون: المحَبِّ، وقد ذَكر عنترةُ في شعره:

ولقد نزلتِ فلا تظنِّي غيرَه ... منِّي بمنزلة المحَبِّ المكرَمِ[٣]

وقوله تعالى: ﴿فَٱتَّبِعُونِى﴾ أثبت فيه الياء لأنَّه أصلٌ، ولم يثبت في: ﴿فَٱتَّقُونِ﴾ ﴿وَأَطِيعُونِ﴾؛ لأنَّه ختمُ آيةٍ يُنوى بها الوقف[٤].

يقول: قل يا محمَّد: إنْ كنتم تحبُّون اللهَ كما تزعمون، فإنَّ ذلك لا يتحقَّق لكم

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٢٣٤).

(٢) في (ر) و(ف): «ويستعمل المحبوب في المفعول».

(٣) انظر: «ديوان عنترة» (ص: ١٦).

(٤) وهذا التعليل منقوض بقوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [البقرة: ١٩٧] حيث حذفت الياء مع أنه لا ينوى الوقف.

حتى تتَّبعوني وتتركوا موالاةَ الكفار، فإنِّي أدعو إلى الإيمان بما بعثني اللهُ به، وإلى طاعة الله تعالى فيما أمر ونهى، فمَن لم يتَّبعني لم يكن مُحِبًّا لله، إذ محبةُ العبدِ اللهَ إيثارُ طاعته على غير ذلك، فإذا[1] فعلتم ذلك أحبَّكم اللهُ، ومحبةُ اللهِ العبدَ: إرادتُه ثوابَه، ورضاه عنه، واستحسانُه عملَه.

وقوله تعالى: ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾: عطفٌ على قوله تعالى: ﴿يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: يغفرُ لكم ذنوبَكم[2] ويرحمُكم فلا يعذِّبكم.

ودلَّت الآيةُ على شرف النبيِّ ﷺ؛ فإنَّه جعل محبَّتَه متابعةَ حبيبِ نفسِه، وفيه فضيلةٌ[3] على الخليل؛ فإنَّ الخليلَ قال: ﴿فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي﴾ [إبراهيم: ٣٦]، وقال اللهُ تعالى في حقِّ الحبيب: وقل لهم يا محمد[4]: ﴿فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾.

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: قطعَ اللهُ أطماعَ الكلِّ أنْ يَسْلَم لأحدٍ نفَسٌ إلَّا ومقتداهم سيِّد[5] الأوَّلين والآخِرين.

ثم قال: في الآيةِ إشارةٌ إلى أنَّ المحبَّةَ غيرُ معلولة، وليست هي بفعلِ طاعةٍ أو تجرُّدٍ عن آفةٍ، فإنَّه قال: ﴿فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ فأثبتها لهم مع وجود الذُّنوب منهم[6].

* * *

(١) في (ف): «فإن».

(٢) «ذنوبكم» ليست في (أ).

(٣) في (أ): «فضله».

(٤) في (أ) و(ف): «قل لهم» بدل: «وقل لهم يا محمد».

(٥) في (أ): «سيد المرسلين».

(٦) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٢٣٥ ـ ٢٣٦).

(٣٢) ـ ﴿ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ﴾: ولمَّا نزلت الآيةُ الأُولى، قال عبد الله بنُ أُبَيٍّ ابنُ سلولَ المنافقُ ـ لعنه اللهُ ـ لأصحابه: إنَّ محمَّداً يَأمرنا أنْ نحبَّه كما أَحبَّت النصارى عيسى ابنَ مريم، ويَأمرنا أنْ نطيعَه كطاعة الله ـ تعالى ـ، فنزل قوله: ﴿قل أطيعوا الله والرسول﴾[1]؛ أي: أطيعوا اللهَ فيما أمرَ، والرسولَ فيما بيَّن.

وقوله تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟﴾[2]: أي: فإنْ أَعرضوا عن القَبول فقد كفروا، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[3]: وهو أبلغُ مِن أنْ يُقال: يُبغض الكافرين؛ لأنَّه نفيٌ مِن كلِّ وجهٍ، والإثبات يدلُّ على وجهٍ.

***

(٣٣) ـ ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ﴾: قال الكلبيُّ: لمَّا نزل قولُه[4]: ﴿ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ﴾ قالت اليهودُ: يا محمَّد، نحن أبناءُ إبراهيم[5] وإسحاق ويعقوب، ونحن على دينهم، فمدح اللهُ تعالى إبراهيمَ وأولادَه، وكذَّب اليهودَ في دعواهم، فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ﴾[6]؛ أي: اختاره بالرِّسالة إلى الملائكة والجنِّ والإنس وهم أولاده.

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ٢٩٣).

(٢) في (ر) و(ف): «﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ﴾».

(٣) في (ر) و(ف): «والله» بدل: «﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ﴾».

(٤) في (ف): «لما نزلت».

(٥) بعدها في (ر): «وإسماعيل»، وهو خطأ.

(٦) انظر: «تفسير الثعلبي» (٣/ ٥٢) عن ابن عباس. ولعله من رواية الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس.

وقوله تعالى: ﴿وَنُوحًا﴾: أي: اختاره بالرِّسالة وبإعلائه على مَن كفر.

وقوله تعالى: ﴿وَءَالَ إِبْرَاهِيمَ﴾: قيل: هو إبراهيمُ نفسُه، وكذا في قوله: ﴿أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦] وقال الشاعر:

فلا تَبْكِ مَيْتاً بعدَ مَيْتٍ أَجَنَّهُ[١] ... عليٌّ وعبَّاسٌ وآلُ أبي بكرِ[٢]

أي: أبي بكر[٣].

وكذا على هذا القول قولُه تعالى: ﴿وَءَالَ عِمْرَانَ﴾: فهو[٤] نفسُ عمران، وهو عمران[٥] بن أشهم، مِن ولدِ سليمان بنِ داود، وقيل: عمران بن ماثان، وهو والد مريم، ولم يكن اختيارُ هذا بالنبوَّة، بل بالدِّين المَرضيِّ والصلاحِ، وجَعْلِه والدَ مريم وجدَّ عيسى ابنِ مريم أبا أمِّه.

وقوله تعالى: ﴿عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: أي: عالَمي زمانِهم.

وقيل: آلُ إبراهيم: أولادُه إسماعيلُ وإسحاقُ ويعقوبُ والأسباطُ وسائرُ أنبياءِ ذُرِّيَّته، وآلُ عمرانَ: أهلُ عمرانَ والدةُ[٦] مريم؛ يعني حَنَّةَبنتَ فاقوذ رضي الله عنها.

وقيل: آلُ عمران: عيسى بنُ مريمَ بنتِ عمران، فإنَّه مصطفًى بالرِّسالة كآدم ونوحٍ وإبراهيم.

---

(١) في (ر) و(ف): «أحبه» بدل: «أجنة».

(٢) البيت لأراكة بن عبد الله الثقفي في رثاء ابنه عمرو، وأراد بالميت رسول الله ﷺ، وهو في «الكامل» للمبرد (٤/ ٢٢)، و«العقد» لابن عبد ربه (٣/ ٣٠٦)، و«الحماسة البصرية» (١/ ٢٧٧).

(٣) في (ف): «أي أبو بكر»، ولم ترد العبارة في (أ).

(٤) في (أ) و(ر): «هو».

(٥) «وهو عمران» من (ر).

(٦) في (ر): «والد».

وقيل: آل عمران: موسى وهارون ابنا عمران، وهو غيرُ عمران والد مريم، كان هذا بعد ذاك بألفٍ وثمانِ مئةِ سنةٍ. والأوَّل أشبهُ بنظم الآية بما قَبلها وما بعدَها، وموسى وهارون دخلا في ذلك بذكر آل إبراهيم؛ لأنَّهما مِن ذُرِّيَّته.

* * *

(٣٤) ـ ﴿ ذُرِّيَّةَۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ ذُرِّيَّةَۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ﴾: نصب ﴿ ذُرِّيَّةَۢ ﴾ بإضمارِ: اصطفى، ثانياً، أو على البدل، أو على القَطْع؛ لأنَّه نكرةٌ وما قَبله معرفةٌ، وهي فُعُّولةٌ مِن الذَّرْءِ، وهو الخلْق، وأصله: ذُرُّوْءَة، ثم لُيِّنت الهمزةُ فصارت ياءً، ثم جُعلت الواو التي قبلها ياءً ليتَّفقا، ثم كُسرت لأنَّ الياءَ أختُ الكسرة.

والذُّرِّيَّة: الوَلَد عند بعضهم، ومعنى الآية على هذا: أنَّ نوحاً صلوات الله عليه مِن ذرِّيَّة آدمَ، وإبراهيمَ مِن ذرِّيَّة نوحٍ وآدم، وموسى وعمران مِن ذُرِّيَّة إبراهيم ونوح وآدم، ولا يكون آدمُ مِن ذُرِّيَّة أحدٍ؛ فيكونُ مخصوصاً منها.

وقال الكلبيُّ: أي: الأوَّل مِن الآخِر، والآخِر من الأوَّل؛ أي: الجنس واحد.

وقيل: آدم مِن ترابٍ، فرجع الكُلُّ إلى ذلك، وهو كقول القائل المُدْلجيِّ: أشهدُ أنَّ هذه الأقدامَ بعضها مِن بعض[1]. أي: أسامةُ مِن زيدٍ، وزيدٌ مِن حارثة، وكان نظر إلى أقدامِ أسامةَ وزيدٍ لا غيرُ وقال ذلك، لكن تأويل ذلك ما قلنا، فكذا هذا.

ودلَّت الآيةُ على صحَّة أنكحةِ الكفَّار؛ حيث أثبت نسبَ بعضِهم مِن بعضٍ بها.

وقيل: الذُّرِّيَّة: الآباء والأولاد؛ قال تعالى: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ﴾[الإسراء: ٣]

---

(١) قطعة من حديث رواه البخاري (٣٥٢٥)، ومسلم (١٤٥٩)، عن عائشة رضي الله عنها.

وكانوا جميعاً، وهذا لأنَّ الذُّرِّيَّة لمَّا كانت مشتقَّةً مِن الذَّرْء اشتملت[١] الكُلَّ؛ لأنَّ الأبَ خُلق منه الولد، والولد خُلق مِن الأب.

وقال قتادةُ وأبو رَوقٍ: أي: بعضُهم على دينِ بعضٍ[٢]، كما قال تعالى: ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٦٧][٣].

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾: أي: ﴿سَمِيعٌ﴾ لمقالةِ اليهود: ﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾ [المائدة: ١٨] وعلى دينِ إبراهيم وهو دينُ اللهِ ﴿عَلِيمٌ﴾ بعقوبتهم على ذلك.

* * *

(٣٥) ـ ﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ﴾: قال الأخفش: أي: واذكُر يا محمَّد إذ قالت حنَّةُ بنتُ فاقوذ[٤].

وقال الزجَّاج: أي: واصطفى آلَ عمران إذ قالت[٥].

وقيل: ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ إذ قالت؛ فهو ﴿سَمِيعٌ﴾ لمقالتها ﴿عَلِيمٌ﴾ بنيَّتها.

وقوله تعالى: ﴿ٱمْرَأَتُ﴾ هذا ألفُ وصلٍ؛ لأنَّ الأصل: مرأة، فسكَّنوا الميمَ فأدخلوا[٦] الألفَ وقايةً لسكونها.

---

(١) في (ر) و(ف): «شملت».

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» (٣/ ٥٣) عن أبي روق.

(٣) انظر: «البسيط» للواحدي (١٠/ ٥٤٠)، وقد ذكره في هذه الآية عن ابن عباس.

(٤) انظر قول الأخفش في «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٤٠١)، وعزاه الزجاج أيضاً للمبرد، لكنه خالفهما في التقدير كما سيأتي.

(٥) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٤٠١).

(٦) في (ر): «وأدخلوا».

وقوله تعالى: ﴿رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا﴾: أي: يا ربِّ إنِّي التزمتُ التقرُّبَ إليك بتحريرِ ما في بطني مِن الولد، والتحرير: الإعتاق، وهو إثبات الحرية.

وقيل: هو التخليص[١]، وطينٌ حُرٌّ؛ أي: خالصٌ.

قيل: كان بنو إسرائيل لم يكن لهم غنائمُ أعدائهم، فلم يكن لهم مماليكُ يُعتقونهم، فكانوا يحرِّرون أولادَهم تقرُّباً إلى الله جلَّ جلالُه، ويَقطعون منافعَهم عن أنفسِهم ويُفرِّغونهم لخدمة بيتِ الله تعالى.

وقال عكرمة: ﴿مُحَرَّرًا﴾؛ أي: خالصاً للهِ تعالى لا يُخالط أمورَ الدنيا[٢].

وقال محمد بنُ إسحاق: كانت امرأةُ عمرانَ بنِ ماثان أُمسِكَ عنها الولدُ وأَيست، وكانوا أهلَ بيتِ صلاحٍ ودينٍ، فبينا هي تحت ظلِّ شجرةٍ نظرت إلى طائرٍ يُطعِم فرخاً له، فتحرَّكت نفسُها للولد، فدعتِ اللهَ تعالى أنْ يَهب لها ولداً، فحملت بمريم، وهلك عمران، فلمَّا عرفت أنَّ في بطنِها جنيناً جعلته محرَّراً لله تعالى[٣].

وقال الكلبيُّ: هو الذي يكون في بيت المقدس يَخدمه ويَكنسه ويتعاهده حتى يبلغَ، ثم يخيَّر؛ فإنْ[٤] شاء أقام، وإنْ شاء ذهب[٥].

وقيل: معناه: جعلتُ ما في بطني محرَّراً خالصاً لك، لا أستأنسُ به، ولا أتكثَّر[٦] به، ولا أتجمَّل[٧] به، ولا أستعين به في أموري.

---

(١) في (ر): «التخلص».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٣٣٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣٤٢٢)، لكن عن مجاهد.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٣٣٢)، وانظر: «تفسير الثعلبي» (٣/ ٥٤ _ ٥٥).

(٤) في (ف): «إن».

(٥) انظر: «تفسير الثعلبي» (٣/ ٥٥).

(٦) في (ف): «أستكثر».

(٧) في (ر): «أتحمل».

وكـذا ينبغـي للإنسـان أنْ يَطلُـب ولـدَه لله تعالى، وكـذا دعا زكريا عليه السـلام فقـال: ﴿رَبِّ هَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةٗ طَيِّبَةً﴾ [آل عمـران: ٣٨] وقـال تعالـى: ﴿فَهَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا﴾[1] [مريـم: ٥] وقـال إبراهيـم عليـه السـلام: ﴿رَبِّ هَبۡ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الصافات: ١٠٠] وقـال خواصُّ عبادِ اللهِ تعالـى: ﴿رَبَّنَا هَبۡ لَنَا مِنۡ أَزۡوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعۡيُنٖ﴾ [الفرقـان: ٧٤].

وقولـه تعالـى: ﴿فَتَقَبَّلۡ مِنِّيٓۖ﴾: أي: اقْبَـل هـذا الولـدَ المحـرَّر منِّـي[2] ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ﴾؛ أي: لمقالتـي ﴿ٱلۡعَلِيمُ﴾ بِنيَّتـي.

***

(٣٦) - ﴿فَلَمَّا وَضَعَتۡهَا قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي وَضَعۡتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا وَضَعَتۡ وَلَيۡسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلۡأُنثَىٰۖ وَإِنِّي سَمَّيۡتُهَا مَرۡيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا وَضَعَتۡهَا﴾: أي: وَلدت[3] البنتَ.

وقيل: الكنايةُ ترجعُ إلى مُضمَرٍ[4]، وتقديره: فوضعت بنتاً، فلمَّا وضعتها.

وقوله تعالى: ﴿قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي وَضَعۡتُهَآ أُنثَىٰ﴾: قيل: كانوا يحرِّرون الغلمانَ، وكانت ترجو أن تكون غلاماً، فلمَّا كانت جاريةً خافت أنْ لا تُقبَل منها ولا تَصلُح للمسجد؛ إمَّا لأنَّ حالهنَّ على التَّستُّر في البيوت، أو لأنَّ المرأةَ تحيضُ فتحتاج إلى الخروج مِن المسجد.

---

(١) في (أ): «هب».

(٢) بعدها في (ر): «وقوله تعالى».

(٣) في (ر): «وضعت».

(٤) في (ف) و(أ): «مضمرة».

وقيل: كانوا يُحرِّرون الغلمانَ والجواريَ، لكن الأنثى أضعفُ حالاً[١] وأعجزُ، فقالت ذلك اعترافاً بالتقصير.

وقيل: هو استكانةٌ وتذلُّل[٢]، كقول الدَّاعي: أنا عبدُك وابنُ عبدك، وأنا البائسُ الفقيرُ، ونحو ذلك.

وقوله تعالى: ﴿وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتُ﴾: قرأ ابنُ عامرٍ، وعاصمٌ في رواية أبي بكرٍ، ويعقوبُ: بضمِّ التاء؛ وهو إخبارٌ عنها أنَّها قالت ذلك، وقرأ الباقون: ﴿بِمَا وَضَعَتْ﴾ بإسكان التاء[٣]؛ وهو إخبارٌ مِن الله تعالى أنَّه أعلم منها بما وَضَعت؛ لأنَّها علمت بها بعد الولادة، واللهُ تعالى كان عالماً بها في الأزل.

وقوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ﴾: أي: قالت حنَّة: ليست البنتُ في خدمة المسجد كالابن، وهو اعترافٌ أيضاً بالتقصير.

وقال الإمام أبو منصورٍ رحمه الله: أي: وليس الذَّكر في الحاجة إلى الحفظ كالأنثى؛ فإنَّها تحتاجُ إليه لا محالةَ، سألتْ بذلك مِن الله تعالى حفظَها وعونها[٤].

وقوله تعالى: ﴿وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ﴾: هي عبرانيَّةٌ، ومعناها: الخادم، وصارت عربيَّةً باستعمال العرب ذلك في لسانها، وكان ذلك استخارةً منها، ويقول الدَّاعي في الاستخارة: اللَّهمَّ إنِّي أُريد أمرَ كذا، وهو طلبُ الخِيَرة مِن الله تعالى في ذلك.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾: عاذَ لازمٌ، وأعاذَ

---

(١) «حالًا» لم يرد في (أ).

(٢) في (ف): «هو الاستكانة بذلك».

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٢٠٤)، و«التيسير» (ص: ٨٧).

(٤) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٢/ ٣٥٨).

متعدٍّ، وهو الاستعصام والاستغاثة والاستعانة[١]، وسألتْ ذلك في حقِّها وحقِّ ولدها، فأجابها اللهُ تعالى إلى ذلك.

قال الضحَّاك: فكانت مريمُ صوَّامةً قوَّامةً، قد غلبت الأحبارَ فضلاً وعبادةً، وأقبلت الملائكةُ عند ولادتها[٢] عيسى، فكانوا بينَه وبينَ إبليسَ كأنَّهم بنيانٌ مرصوصٌ.

وروى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: «ما مِن مولودٍ إلَّا والشيطانُ يمسُّه حين يُولَد حتى يستهلَّ صارخاً مِن مسِّ الشيطانِ إيَّاهُ إلَّا مريمَ وابنَها»، ثم قال أبو هريرة رضي الله عنه: اقرؤوا إنْ شئتم: ﴿وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [آل عمران: ٣٥][٣].

وقال الحسن: معناه: ﴿وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا﴾ إذا بلغت، وولدَها إنْ كان لها ولدٌ ﴿مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾، فاستجاب اللهُ لها ذلك.

* * *

(٣٥) - ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ﴾: أي: قَبِلها اللهُ تعالى منها ورَضيها، والقَبول مصدرُ قَبِلَ، لا مصدر تَقبَّل، وإنَّما جاز ذلك؛ لأنَّه في معناه، كما يقال: تكرَّم كرماً؛ لأنَّه في معناه.

---

(١) في (ر): «الاستعصام والاستعانة»، وفي (ف): «الاستعصام والاستغاثة».

(٢) في (أ): «ولادة»، وفي (ف): «ولادتها وعند ولادة».

(٣) رواه البخاري (٤٥٤٨)، ومسلم (٢٣٦٦).

وكذا قوله تعالى: ﴿وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾: ولم يقل: إنباتاً، وقد شرحناهُ على الوجه في قوله تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ [البقرة: ٢٤٥] والقَبول مصدرٌ جاء على فَعول ـ بالفتح ـ وهو نادرٌ، وقال أبو عمرو بنُ العلاء: هو فردٌ لا نظيرَ له[١].

وقيل: خمسةُ مصادرَ كذلك[٢]: القَبولُ والوَلوعُ والوَزوعُ ـ أي: المنع ـ والـمَضوُّ في الأمر بمعنى[٣] الـمُضيِّ، يقال: مَضَى في الأمرِ يَمضي مَضُوًّا، ورقَأَ الدَّمُ رَقوءا، والصحيحُ أنَّ مصدر رقأ الدَّمُ هو الرُّقُوء بالضَّمِّ، فأمَّا الحديث: «أكرموا الإبلَ؛ فإنَّ فيها رَقوءَ الدَّمِ»[٤] فالروايةُ الصحيحةُ بفتح الراء، لكنَّه ليس بمصدرٍ، بل الرَّقوء هو في الأصل الدواء الذي يُرقا به الدَّمُ، والمصدرُ بالضَّمِّ.

وأراد في الحديث: أنَّ الإبلَ كأنَّها سببٌ لرُقوء[٥] الدَّمِ؛ أي: تُودَى بها الدِّيَةُ؛ فيُترَكُ بها القصاصُ.

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٥/ ٣٤٤).

(٢) وفيها اختلاف، فزاد بعضهم على ما ذكره المصنف: اللغوب، وزاد غيره: الوَقود، والطَّهور، والهَوِي بفتح الهاء بمعنى السقوط، والرسول بمعنى الرسالة. انظر: «الشوارد» للصغاني (ص: ٣١)، و«حاشية الشهاب على البيضاوي» (٧/ ٢٦١). وهي في رأي بعض أئمة النحو صفاتٌ لمصادر محذوفة، أي: توضأت وُضوءاً وَضوءاً، أي: وُضوءاً حسناً، وما مسنا من لُغوب لَغوب، وصف اللُّغوب بأنه لَغوب، بمعنى: قد لَغَبَ؛ أي: أعيا وتعب، وهذا ضرب من المبالغة على طريقة قولهم: هذا شِعْرٌ شَاعِرٌ، وموتٌ مائِتٌ. انظر: «المحتسب» (٢/ ٢٠١ و٢٨٥).

(٣) في (أ): «في معنى».

(٤) ذكره مرفوعاً الماوردي في «الحاوي» (١٢/ ٢٢٨)، وروى ابن أبي الدنيا في «إصلاح المال» (٧٧) عن أبي عبد الله ابن الأعرابي أنه قال: قال أكثم بن صيفي: أكرموا الإبل؛ فإنها مهر الكريمة، ورقوء الدم، وسُفن البر.

(٥) في (أ): «كلها»، وفي (ف): «كانت»، بدل: «كأنها».

ثم إنَّ الله تعالى ذَكر قَبولها منها، وذلك لضعفها وصِدق نيَّتها في الابتداء، وحيائها في الانتهاء، وكان في ذلك الزمانِ أربعةُ آلافِ محرَّرٍ لم يَشتهر خبرُ واحدٍ[١] منهم اشتهارَ خبرها.

وفيه تنبيهٌ للعبد على أنْ يَرى مِن نفسه التقصيرَ بعد جهدها ليَقبل اللهُ عملَها؛ لإظهارها إفلاسَها، وإضمارِها إخلاصَها.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾؛ أي: أنشأها تنشئةً حسنةً، وغذَّاها تغذيةً صالحةً، وربَّاها تربيةً طاهرةً[٢]، وهو مشبَّهٌ بإنبات النباتِ وتقويتِه وتربيتِه.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: يحتمِلُ أنَّ ذلك أنْ لم يَجعل للشيطان عليها سبيلاً، ويحتمل أنَّه أنْ[٣]لم يَجعل رزقَها وكفايتَها بيد أحدٍ مِن خلقه، بل تولَّى ذلك ببَعثه إليها مِن ألوان الرِّزق؛ كما قال تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقٗا﴾ [آل عمران: ٣٧][٤].

وقال الإمامُ القشيريُّ رحمه الله: القَبول الحَسَن: أنْ[٥] تولَّى اللهُ أمرَها على وجهٍ يَعجب العالَمون منها، وأنبتها نباتاً حسناً بلَّغها فوقَ ما تمنَّت أمُّها، وربَّاها على نعتِ العصمة حتى قالت: ﴿إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ﴾ [مريم: ١٨] ووفَّقها حتى استقامت على الطاعة؛ فكان لا يَدخل عليها زكريا إلَّا وجدها في المحراب، وجعَل كافلَها مثلَ زكريا، ولم يَكِلْ أمرَها إلى غيره، ولم يَطرح مؤنتَها على زكريا،

---

(١) في (ف): «أحد».

(٢) «طاهرة» من (ف).

(٣) «إن» من (أ).

(٤) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٢/ ٣٥٩).

(٥) في (ر) و(ف): «إذا».

بـل بعث رزقَهـا مِـن خزائنه، وهذا كلُّه ثمرةُ حُسـن التسـليم وحُسـن القَبـول[١].

وقوله تعالى: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾: قرأ أهلُ الكوفة مشدَّدة الفاء، والباقون مخفَّفةً[٢].

وقرأ الكوفيُّون ـ غيرَ عاصم في رواية أبي بكر ـ ﴿زَكَرِيَّا﴾ مقصوراً، وقرأ عاصم في رواية أبي بكر ممدوداً منصوباً، والباقون ممدوداً مرفوعاً[٣]، فالمدُّ والقَصْر لغتان فيه، والاسمُ أعجميٌّ، وتكلَّمت به العربُ فعرَّبته.

والكَفْلُ: الضَّمُّ، والكَفالةُ بالمال: ضَمُّ ذمَّةٍ إلى ذمَّةٍ في حقِّ المطالبة بالدَّيْن، والكفالةُ بالنَّفس: ضَمُّ مطالبةٍ إلى مطالبةٍ، وكفالةُ اليتيم: ضَمُّه إلى نفسِه ويَضمن مؤنته[٤]، والكَفْلُ: مواصلةُ الصيام؛ وهو ضمُّ الأيَّام إلى الأيَّام في الصوم على الدَّوام.

ومعنى (كَفَلها) بالتخفيف: ضمَّها إلى نفسه، و﴿زَكَرِيَّا﴾ رفعٌ؛ لأنَّه فاعلٌ.

ومعنى التشديد: جعل اللهُ زكريَّا كافلَها وضامَّها إلى نفسه، و﴿زَكَرِيَّا﴾ نصبٌ؛ لأنَّه مفعولٌ به.

وقصَّته: ما قال الكلبيُّ رحمه الله، قال: لمَّا وَلدت حنَّةُ مريمَ أخذتها فلفَّتها في خِرقةٍ فوضعتها[٥] في المسجد، فتنافس[٦] فيها الأحبارُ ـ بنو هارون ـ أيُّهم تكون عنده، فقال لهم زكريا عليه السلام: أنا أحقُّكم بها؛ خالتُها امرأتي، فقالت له

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٢٣٧ ـ ٢٣٨).

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٢٠٤)، و«التيسير» (ص: ٨٧). والكوفيون من السبعة هم: حمزة والكسائي وعاصم.

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٢٠٥)، و«التيسير» (ص: ٨٧).

(٤) في (أ): «وتضمين مؤنة».

(٥) في (ف): «ووضعتها».

(٦) في (أ): «يتنافس».

الأحبارُ: لو تُركَت لأحقِّ الناسِ بها تُركَت لأمِّها[١] التي ولدَتْها، ولكنَّا نَقترع عليها بأقلامنا فتكون عند مَن خرج سهمُه.

وكان زكريا والأحبارُ في بيت المقدس[٢] يَكتبون العلمَ المدرَّس[٣] التوراةَ والزبور، فأخذوا أقلامَهم التي يكتبون بها، وكانوا سبعةً وعشرين رجلاً، فانطلقوا بها إلى نهرٍ جارٍ، فقالوا: نَطرحُ أقلامَنا هذه على الجِرْية؛ فمَن صعد قلمُه إلى أعلى الجِرية فهو أحقُّ بها، ومن تسفَّل قلمُه مع الجِرية فهو المقروع[٤]، قالوا: نعم، ثم رَمَوا مع الجِرية، فسفلت[٥] أقلامُهم جميعاً مع الجِرية، وصعد قلمُ زكريَّا صلوات الله عليه، فقرَعهم جميعاً وضمَّها إليه واستَرضَع لها[٦].

وقال عطاء: الأقلامُ: القداحُ، دون أقلامِ الكتابة.

وقيل: كانت مِن حديد، ومَشَت على وجه الماء صُعداً.

---

(١) في (ف): «على أمها».

(٢) في (أ): «المدراس». والمثبت من باقي النسخ والمصادر.

(٣) «المدرس» من (ف).

(٤) في (ف): «فلا»، بدل: «فهو المقروع».

(٥) في (أ): «فتسفلت».

(٦) ذكره عن الكلبي ابن أبي زمنين في «تفسيره» (١/ ٢٨٦)، ورواه ابن عساكر في «تاريخه» (٧٠/ ٧٨ ـ ٧٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وفي إسناده إسحاق بن بشر وهو متروك. ورواه البيهقي في «السنن» (١٠/ ٢٨٦ ـ ٢٨٧)، من طريق السدي عن أشياخه عن ابن مسعود وابن عباس وناس من الصحابة، وهذا إسناد فيه مقال قد ذكرناه في أوائل هذا التفسير. ورواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٣٤٩) عن السدي، وانظر: «تفسير الثعلبي» (٣/ ٥٦) وعزاه للمفسرين، و«تفسير البغوي» (١/ ٢٩٦) وعزاه لأهل الأخبار. وعلق البخاري قبل الحديث (٢٦٨٦) بصيغة الجزم عن ابن عباس: اقترَعوا فجرَت الأقلامُ مع الجِرْيَةِ، وعال قلمُ زكريَّاءَ الجِرْيَةَ، فكَفَلها زكريَّاءُ.

وقال ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما: فلمَّا بلغت تسعَ سنين صامت وقامت الليلَ وتبتَّلت حتى غلبتِ الأحبارَ.

قال مقاتل: فبنى لها زكريا محراباً في مسجد بيت المقدس، وجعل بابه في وسطه، وكان يُغلِق عليها الباب لا يَدخل عليها[١] غيرُه، ولا يُرقى إليها إلَّا بسُلَّم[٢].

وقال الزجَّاج: المحرابُ أشرفُ المجالس ومُقدَّمُها، وقيل: المساجد عندهم تسمَّى المحاريب، وهو مِفْعال مِن الحرب؛ لأنَّه يُحارَب فيه الشيطانُ، وهو في اللغة اسمٌ للموضع العالي الشريف، قال الشاعر:

رَبَّةُ محرابٍ إذا جئتُها ... لم ألقها أو أَرْتقي السُّلَّما[٣]

وقال الأصمعيُّ: المحرابُ: الغرفةُ[٤]، قال: أَلَا تراه قال تعالى: ﴿إِذۡ تَسَوَّرُواْ ٱلۡمِحۡرَابَ﴾ [ص: ٢١] والتَّسوُّر لا يكون إلا مِن علوٍ.

وقيل: المحرابُ: اسمٌ للقَصْر أيضاً، قال الشاعر:

أو دُمْيةٍ صوِّر محرابُها ... أو درَّةٍ سِيقت إلى تاجر[٥]

---

(١) في (ف): «إليها».

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (١/ ٢٧٣).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٤٠٣)، والبيت لوضاح اليمن ـ وهو عبد الرحمن بن إسماعيل بن عبد كلال ـ كما في «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (٢/ ١٤٤)، و«الأغاني» للأصفهاني (٦/ ٢٣٧). وعزاه كراع النمل في «المنجد في اللغة» (ص: ٣٢٦) لعمر بن أبي ربيعة.

(٤) انظر: «الزاهر في معاني كلمات الناس» لابن الأنباري (١/ ٤٣٤).

(٥) انظر: «الزاهر في معاني كلمات الناس» لابن الأنباري (١/ ٤٣٣)، و«المقصور والممدود» لأبي علي القالي (ص: ٢٢٣)، و«تهذيب اللغة» (٥/ ١٧)، و«الغريبين» للهروي (مادة: حرب)، قال الأزهري: أرادَ بالمحراب القصر، وبالدُّمْيَة الصُّورة. وروايته في المصادر عدا مطبوع «الزاهر»: (شيفت إلى تاجر). =

وقوله تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا﴾: جاء في التفسير: فاكهةُ الصيف في الشتاء: العنبُ الطَّريّ والتينُ الطريّ، وفاكهةُ الشتاء في الصيف[1]، وفيه دلالةُ إثباتِ الكرامة للأولياء ردًّا على المعتزلة.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا﴾: أي: مِن أين لك هذا ولا يَدخُلُ عليك أحدٌ غيري، ولا يوجد هذا في الدنيا؟

وقوله تعالى: ﴿قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾: أي: جبريلُ يَأتيني به مِن الله تعالى، خلقَهُ لي.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾: قيل: هو تمامُ قولِ مريم.

وقال الحسن: هو ابتداءُ كلامٍ مِن الله جلَّ جلاله، ومعناه: بغير الاستحقاق على العمل.

وقيل: أي: مِن غير أنْ يحاسبَه أحدٌ.

وقيل: أي: زيادة على ما يحتسبه[2] المعطي.

وفيه أقاويلُ أُخَرُ قد ذكرناها في سورة البقرة.

* * *

= وهذا البيت قد يكون ملفقاً من بيتين للأعشى هما:

كبيعةٍ صوِّر محرابها ... بمُذْهَبٍ ذي مرمرٍ مائر

أو بيضةٍ في الدّعص مكنونةٍ ... أو درّةٍ شيفت إلى تاجر

انظر: «الحماسة المغربية» (٢/ ٩٠٢).

(١) انظر ما روي من ذلك في «تفسير الطبري» (٥/ ٣٥٤)، و«تفسير القرطبي» (٥/ ١٠٨).

(٢) في (ر): «يحسبه».

(٣٨) - ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥۖ قَالَ رَبِّ هَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةًۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ﴾: (هنالك) و(هناك) بمعنى (ثَمَّ)، وهو[1] إشارةٌ إلى المكان، وقد يستعمل في الزمان، ومحلُّه نصبٌ بالظرف، ومعناه حينئذٍ؛ أي[2]: لمَّا رأى عندها فاكهةَ الشتاء في الصيف، وفاكهةَ الصيف في الشتاء، على خلافِ مجرى العادة، طمع في الولد على كِبَرِ سِنِّه وعُقر امرأته، وإن كان على خلاف مجرى العادة.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ هَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾: أي: تفضَّل عليَّ بإعطاء ولدٍ طاهرٍ مِن عندك، إذ لا أحدَ غيرُك يَقدر على ذلك، وهو كقوله تعالى: ﴿فَهَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا﴾ [مريم: ٥].

والذُّرِّيَّة: الولد، يقع على الذَّكر والأنثى، والواحد والجماعة، وتأنيثُ الطَّيِّبة؛ للَفظ الذُّرِّيَّة، والطَّيِّب: هو الذي يُستطاب أفعاله وأخلاقه، فلا يكون فيه أمرٌ يُستخبث ويُعاب.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾: أي: مجيبُ الدُّعاء، كما في قولهم: سمعَ اللهُ لمَن حَمده، وقولِهم: سمعاً وطاعةً، وهذا لأنَّ مَن لم يُجِب فكأنَّه لم يسمع، قال اللهُ تعالى: ﴿إِنَّمَا يَسۡتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسۡمَعُونَ﴾ [الأنعام: ٣٦] وصَفَ الكفَّار بأنَّهم غيرُ سامعين إذا[3] كانوا غير مستجيبين[4].

---

(١) في (ر) و(ف): «وهي».

(٢) «أي» من (أ).

(٣) «إذا» من (أ).

(٤) في (أ): «مجيبين».

وقيل: هو على حقيقته؛ أي: إنَّك تَسمعُ الدُّعاءَ ولا يَخفى عليك ما أقولُه وما أُريده[١].

فإنْ قالوا: أليس أنَّ زكريا كان عالماً أنَّ في قدرة اللهِ تعالى ذلك قبل رؤية حالِ مريمَ، فهلَّا سأل ذلك قبل ذلك؟

قلنا: قد يزداد الإنسانُ رغبةً في الشيء إذا عايَنَه وإنْ كان عالماً به قبله، أو كان عنده أنَّه[٢] وإنْ كان في مقدور اللهِ تعالى ذلك لكنَّه لا يفعله، فلمَّا رأى ذلك في حقِّ مريم عليها السلام صحَّ عنده أنَّه جائزٌ في الحكمة فسأله.

ويحتمِل أنَّه كان أَذنَ له في الدُّعاء[٣]، وجعل ميقاتَ الدُّعاء إذا رأى نظيرَه، وهذا نظيرُه.

* * *

(٣٩) ـ ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾: قرأ حمزة والكسائي: ﴿فناديه﴾ بالياء[٤]، وعن ابن مسعودٍ رضي الله عنه أنَّه قال[٥]: ذكِّروا الملائكةَ فإنَّهم ذكورٌ[٦]، يريد به:

---

(١) في (أ) و(ف): «أقوله وأريده».

(٢) بعدها في (ف): «يكون».

(٣) في (أ): «الطاعة».

(٤) يعني: بالإمالة والتذكير، وباقي السبعة: ﴿فَنَادَتْهُ﴾ بالتأنيث. انظر: «السبعة» (ص: ٢٠٥)، و«التيسير» (ص: ٨٧).

(٥) «أنه قال» لم يرد في (ف).

(٦) رواه ابن المنذر وابن مردويه كما في «الدر المنثور» (٢/ ١٨٧).

خالِفوا المشركين في قولهم: إنَّ الملائكةَ بناتُ الله، ولأنَّ الفعلَ مقدَّمٌ والتأنيث للجمع[١]. والباقون قرؤوا بالتاء على اللفظ.

وفي كلِّ الروايات أنَّ النداءَ كان مِن جبريل وحده، وإنَّما ذكَره جميعاً؛ لأنَّ جبريلَ عليه السلام إذا نزل لأمرٍ كان[٢] معه جماعةٌ مِن الملائكة صلوات الله عليهم، فإذا أَخبر بخبرٍ يجوز أنْ يقال[٣]: أَخبر الملائكة، على معنى أنَّه أَخبر وهو معهم وهم[٤] جاؤوا لهذا، كما يقال: حضر فلانُ بنُ فلانٍ خواصّ[٥] السلطان يدعونه إليه، وإنْ كان الذي يخاطبه بالدَّعوة واحداً منهم، إذا كان هو معهم.

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلۡمِحۡرَابِ﴾ الواو للحال، دَلَّ أنَّ المرادات تُطلَب بالصلوات، وفيها إجابةُ الدَّعوات وقضاءُ الحاجات.

وقوله تعالى: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ﴾: قرأ ابنُ عامرٍ وحمزةُ: ﴿إِنَّ اللهَ﴾ بكسر الألف[٦] على إضمار القول، أو جعلِ النداء في معنى القول؛ لأنَّه هو، وقرأ الباقون بالفتح[٧]؛ لوقوعِ فعل النداء عليه، أو جعلِ النداء في معنى الإعلام.

---

(١) في (ر) و(ف): «والتأنيث للحجج»، ولم ترد العبارة في (أ)، والصواب المثبت. قال أبو حيان في «البحر» (٥/ ٣٤٠): الملائكة جمعُ تكسيرٍ، فيجوزُ أنْ تَلْحقَ العلامةُ وأنْ لا تَلحقَ؛ تقولُ: قام الرجالُ، وقامتِ الرجالُ. وإلحاقُ العلامة قيل: أحسنُ، ألَا ترَى: ﴿إِذۡ قَالَتِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ ﴿وَلَمَّا جَآءَتۡ رُسُلُنَا﴾، ومُحَسِّنُ الحذف هنا الفصلُ بالمفعول.

(٢) في (ف): «نزل».

(٣) في (ف): «نقول».

(٤) في (أ): «وقد».

(٥) «خواص» من (أ).

(٦) في (أ): «الهمزة»، والمعنى واحد.

(٧) انظر: «السبعة» (ص: ٢٠٥)، و«التيسير» (ص: ٨٧).

و﴿يُبَشِّرُكَ﴾ يقرأ بالتشديد مِن التبشير، وبالتخفيف مِن البشارة[١]، مِن حدِّ دخل، وقد فسَّرناها في أول سورة البقرة عند قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ [البقرة: ٢٥].

والآيةُ حجَّةٌ لأصحابنا رحمهم الله[٢] في قولهم: مَن قال: إنْ بشَّرني[٣] عبدي بكذا فهو حرٌّ، فأرسل إليه رسولاً بذلك، عتق؛ لأنَّ الله تعالى أخبر أنَّه بشَّره وكان ذلك بلسان رسولِه جبريلَ.

وقوله تعالى: ﴿بِيَحْيَىٰ﴾: وقال تعالى في سورة مريم: ﴿بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٧]، قال الشيخُ الإمامُ الزاهد أبو منصورٍ الماتريديُّ رحمه الله: قيل: يحيى، اشتُقَّ مِن اسمِ اللهِ تعالى الحيِّ، سمَّاه اللهُ تعالى به إكراماً له.

قال: وقيل: سُمِّي به لمَّا حَيِيَ به الدِّينُ والمروءة[٤]، أو حَيِيَ به العلمُ والحكمة، أو حَيِي به الأخلاقُ الفاضلة والأفعال المرضيَّة[٥].

وقال ابنُ عباس رضي الله عنهما: سُمِّيَ به لأنَّه حيي به عُقرُ أمِّه[٦].

وقال الحسين بنُ الفضل رحمه الله: سُمِّيَ به لأنَّ اللهَ تعالى أحياه بالطاعة حتى لم يَعْصِ ولم يَهُمَّ بمعصيةٍ.

وقيل: سُمِّي به لأنَّه سبب حياة مَن آمَنَ به بقلبه.

---

(١) قرأ بالتخفيف حمزة والكسائي، والباقون بالتشديد. انظر: «التيسير» (ص: ٨٧).

(٢) في (أ): «لعلماء» بدل: «لأصحابنا رحمهم الله».

(٣) في (ر): «يبشرني».

(٤) في (أ): «والنبوة». والمثبت موافق لما في «التأويلات».

(٥) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٢/ ٣٦٢).

(٦) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣/ ٦٢)، والبغوي في «تفسيره» (٢/ ٣٤).

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: سُمِّي به لحياة قلبِه بالله تعالى[١].

وقيل: سُمِّي به لأنَّه[٢] إذا قُلب لم ينقلب، بل هو هو، وأولُه كآخِره وآخِرُه كأوَّله، وكذلك[٣] كان يحيى أولاً وآخِراً وظاهراً وباطناً.

وقوله تعالى: ﴿مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾: نصبٌ على الحال، أو على القطع؛ لأنَّه نكرةٌ بعد معرفةٍ.

﴿بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾[٤] قيل ـ وهو قول عامَّة أهل التفسير ـ: هو عيسى عليه السلام؛ لأنَّه كان بكلمة[٥] اللهِ مِن غيرِ أبٍ.

وقيل: سُمِّيَ كلمةَ الله: لأنَّ الناسَ يهتدون به في الدِّين كما يهتدون بكلام اللهِ تعالى، وهذا[٦] كما سَمَّى اللهُ تعالى القرآنَ رُوحاً، وعيسى رُوحاً؛ لأنَّه يُحيي بهما مِن الضلالة كما يُحيي الإنسان بالرُّوح.

وقال أبو عبيدة: ﴿بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: بكتابِ اللهِ تعالى، وسُمِّيَ الكتابُ كلمةً لأنَّ العربَ تقول: أنشدني[٧] كلمةَ فلانٍ؛ أي[٨]: قصيدته التي قالها وإنْ طالت[٩].

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٢٤٠).

(٢) في (أ): «وقيل يحيى»، وفي (ف): «وقيل سمي يحيى».

(٣) في (ر): «ولذلك».

(٤) في (أ): «وكلمة».

(٥) في (ر): «يكلمه»، وفي (أ): «بكلمة من».

(٦) «وهذا» من (أ).

(٧) في (ر): «أسمعني».

(٨) في (أ) و(ف): «يعني».

(٩) انظر: «مجاز القرآن» (١/ ٩١). وفي أوله: (بكتاب من الله) بدل: «بكتاب الله».

وقيل: فيه تقديمٌ وتأخيرٌ، وتقديره: يُبشِّرك بكلمةٍ مِن الله بيحيى مصدِّقاً؛ أي: يُبشِّرك ببشارةٍ مِن الله.

وقيل: تصديقُه بعيسى، إذ بعثه اللهُ نبيًّا إلى بني إسرائيل.

وقال الضحاك: يحيى أوَّل مَن صدَّق بعيسى وشهد أنَّه كلمةٌ مِن الله، وكان يحيى وعيسى ابنا خالةٍ، وأمُّ يحيى بتشايع، وكان يحيى أكبرَ مِن عيسى بثلاث سنين.

وقال ابنُ عباس: كانت أمُّ يحيى تقول لمريم: إنِّي لأجدُ الذي في بطني يسجدُ للذي في بطنك، فذلك تصديقه بعيسى(١).

وقوله تعالى: ﴿وَسَيِّدًا﴾: هو نعتٌ له أيضاً، وهو الذي يفوقُ قومَه في خصال الخير حتى يستحقَّ الرئاسةَ عليهم بسُؤدُده.

وقال مجاهد: السَّيِّد: الكريم على الله تعالى.

وقال قتادة: السَّيِّد: الحليم(٢) الورع.

وقال عكرمة: السَّيِّد الذي لا يَغلبه غضبه(٣).

وقال سعيد بنُ جبير: السَّيِّد الذي يطيع ربَّه ولا يعصيه(٤).

وقيل: السَّيِّد الحَسَن الخلق.

وقيل: الفقيه العامل بعلمه.

---

(١) رواه الطبري (٥/ ٣٧٢)، ومعنى السجود هنا: الخضوع والتعظيم، كما ذكر ابن كثير في «البداية والنهاية» (٢/ ٢٤٢).

(٢) في (ف): «السيد الحكيم» وفي (ر): «الكريم الحكيم».

(٣) روى هذه الأقوال الطبري (٥/ ٣٧٤ ـ ٣٧٦).

(٤) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٢٩٨) (ط: دار التفسير).

قال نجم الدين: وعندي هو الأصوب، فإنَّ عمر بنَ عبد العزيز قال للحسن البصريِّ: شَرُفْتَ في الدُّنيا بعلمك، فاعمل به تَشرُف بالآخرة[١]

وقال عمر: أبو بكر سيِّدُنا وأَعتقَ بلالاً سيِّدَنا[٢]. وأراد به الصلاحَ واحتمالَ الشدائد في الله.

وقيل: هو المالكُ لنفسه.

وقال الخليلُ: ﴿وَسَيِّدًا﴾؛ أي: مطاعاً بعزِّ الطاعة؛ لأنَّ السِّيادة[٣] لمَن له الطاعة، وقال[٤] الله تعالى في بعض الكتب: مَن أطاعني أطاعهُ خلقي.

وقال أحمد بنُ عاصم: السَّيِّد: القانع بما يقسم[٥] له.

وقال الثوري: السَّيِّد الذي لا يَحسد.

وقال أبو بكر الورّاق: هو الراضي بقضاء الله تعالى.

وقال محمد بنُ عليٍّ الترمذيُّ: هو المتوكِّل على الله.

وقال أبو يزيد[٦]: هو الذي عظمت همَّته أنْ تخطر الدنيا بقلبه[٧].

وقيل: هو الذي تحرَّز[٨] عن رقِّ الكونين، وتحقَّق بعبادة المكوِّن.

---

(١) من قوله: «وقال نجم الدين» إلى هنا من (أ).

(٢) رواه البخاري (٣٧٥٤).

(٣) في (أ): «الرياسة».

(٤) في (أ): «قال».

(٥) في (أ): «قسم».

(٦) في (ر): «زيد»، والمثبت من باقي النسخ وهو الصواب، وهو البسطامي كما صرح بذلك الثعلبي.

(٧) ذكر هذه الأقوال جميعاً الثعلبي في «تفسيره» (٣/ ٦٣ ـ ٦٤).

(٨) في (ف): «تحرر».

وقال محمد بنُ عليٍّ الباقرُ: السَّيِّد مَن استوت أحواله عند المنع والإعطاء[١].

وقال النبيُّ ﷺ: «سادةُ الناس في الدنيا الأسخياءُ، وفي الآخرة الأتقياء»[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَحَصُورًا﴾: أي: ممتنعاً مِن النساء مع القدرة عليهنَّ، والحَصَرُ: الحبسُ والمنعُ، وهو فعولٌ بمعنى الفاعل.

وقيل: هو الممتنع عن كلِّ المعاصي.

وقيل: هو المتبتِّل الذي حصر نفسَه عن كلِّ لذَّةٍ في الدنيا.

وقال الإمامُ القشيريُّ رحمه الله: أي: معتَقاً مِن الشهوات، مَكفيًّا أحكامَ البشريَّة مع كونه مِن البشر.

قال: وقيل: أي: متوقِّياً عن المطالبات تعزُّزاً وتقرباً[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَنَبِيًّا﴾: أي: يُوحى إليه إذا بلغ مبلغَه، وهي[٤] مِن النَّبْوة؛ وهي[٥]: الرِّفعة، وإذا هُمز فمِن النبأ، وهو الخبر؛ أي: هو مخبِرٌ عن[٦] اللهِ تعالى، والنبيُّ: الطريق الواضح أيضاً لغةٌ، والأنبياءُ طرقٌ إلى الله تعالى، ولذا قيل للنبيِّ ﷺ: إمامٌ، والإمامُ: الطريقُ الواضحُ، قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ﴾.

---

(١) انظر: «تفسير السلمي» (١/ ٩٩).

(٢) رواه البيهقي في «الشعب» (١٠٨٩٧) من قول علي بن عبد الله بن عباس.

(٣) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٢٤١). ووقعت آخر كلمتين في (أ): «تعزراً وتقززاً»، وفي (ر): «تعذرا وتقدرا»، وفي (ف): «تقدراً وتعززاً». والمثبت من «اللطائف».

(٤) في (ر) و(ف): «هو».

(٥) في (ر): «أي».

(٦) في (ر) و(ف): «من».

وقولـه تعالـى: ﴿مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾: أي: مِن الآباء الصالحيـن[١]، والصَّلاح صفةٌ يَنتظـم الخيرَ كلَّه.

وقيل: الصالح: المؤدِّي حقوقَ الله تعالى وحقوقَ الخلق.

وقيل: هو الذي ينتفي عنه الفسادُ بالكلِّيَّة.

وقيل: قوله: ﴿مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ أي: مِن الأنبياء؛ لأنَّ اللهَ جلَّ جلاله سمَّاهم به، فقال: ﴿إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٦].

* * *

(٤٠) ـ ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾.

وقوله تعالـى: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِي عَاقِرٌ﴾: (أنى) لمعنييـن: كيـف، ومِـن أيـن، ولـم يكن هـذا نفيَ القـدرة، بل سـؤالُ الجهـة أنَّه يكون عـن تَبنٍّ أو توالُـدٍ[٢]، ومِن امرأتي[٣] هـذه أو مِن غيرها، وعلى بقاء شـيبهما أو ردِّهما إلى الشباب.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ﴾: أي: على هذه الحال ومِن هذه المرأة، فإنَّ

---

(١) بعدها في (ر): «أي: من الأنبياء لأنَّ اللهَ جلَّ جلاله سمَّاهم به، فقال: ﴿إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾». وسيأتي هذا قريبا.

(٢) في (ف): «أنه يكون تبني أي توالد» وفي (ر): «أنه يكون نبي أي بوالد»، والمثبت من (أ)، ويؤيده قول القشيري في «لطائف الإشارات» (١/ ٢٤١): (ويحتمل أنه قال: أنّى يكون هذا: أعلى وجه التبني، أم على وجه التناسل؟).

(٣) في (أ): «امرأته».

وحشةَ الانفراد كانت لكما[1] جميعاً، فكذلك الاستئناسُ بالولد يكون لكما جميعاً.

وقال القشيريُّ رحمه الله: يعني: بأيِّ استحقاقٍ منِّي تكون هذه الإجابة لولا فضلُك[2].

والغلامُ: الولدُ الذَّكر، والجارية الأنثى، والكِبَرُ: العلوُّ في السِّنِّ مِن باب علم، وقد كَبِرَ يكبَر كبَراً فهو كبيرٌ، وأمَّا الكبر في القَدْر فمِن حدِّ: شَرُفَ.

وقوله تعالى: ﴿وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ﴾ وقال تعالى في سورة مريم: ﴿وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا﴾ [مريم: ٨] لأنَّ ما بلَغَك فقد بلَغْتَه، فيضاف الفعلُ إلى كلِّ واحدٍ منهما، وهو كقولك: تلقَّيتُ الحائطَ، وتلقَّاني الحائطُ، وقولِه تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا﴾ وقولِه تعالى: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

وقالوا: لا يستقيم هذا في قولك: بلغتُ البلدَ، أنْ يقال: بلغني البلدُ؛ لأنَّه يقتضي مقدِّمة قصدٍ وتوجُّهٍ، والشيبُ بمنزلة الطالب له، فهو يأتيه بحدوثه فيه.

وقوله تعالى: ﴿وَٱمْرَأَتِى عَاقِرٌ﴾: هي التي لا تلدُ، وقد عَقُرَتْ تَعْقُرُ عُقْراً وعَقارةً، مِن حدِّ شَرُف، ورجلٌ عاقرٌ أيضاً: وهو الذي لا يولد له ولدٌ، وعُقْرُ كلِّ شيءٍ أصلُه، وسُمِّيت العاقرُ به؛ لانقطاع النَّسل وكونها[3] على الأصل.

وقيل: كان [4]هو بلغَ تسعاً وتسعين سنةً وامرأته ثمانياً وتسعين سنةً.

وقيل: كان هو بلغ ثلاثَ مئةِ سنةٍ.

---

(١) في (أ): «لهما».

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٢٤١).

(٣) في (أ): «كونها».

(٤) «كان» لم يرد في (ف).

وقال عطاء: كان دعاؤه قبل بشارته بأربعين سنةً، فلذلك نسيَ ما سأل ربَّه حتى قال ما قال.

وقال سفيان بنُ عيينة: حبس اللهُ تعالى عن زكريا عليه السلام حاجتَه ستِّين سنةً ثم بشَّره.

وقال الكلبيُّ قوله: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ﴾ هذا خطابٌ منه لجبريل عليه السَّلام، ومعناه: يا سيِّدي[1].

وقال عامة المفسرين وهو الصحيح: هذا خطابٌ منه لله تعالى ومناجاةٌ معه؛ لأن جبريل عليه الصلاة والسلام بشَّره من الله تعالى، فخاطب به الله تعالى؛ أي[2]: دعا اللهَ الولدَ فاستجابَ له؛ فأصلحَ[3] له عقرَ امرأتِه فحملَتْ بيحيى، ولم يكن زكريَّا يعرف ذلك، وكان هو الذي يفتح باب المذبَح، ويقرِّب القُربان، ولا يدخلون حتى يأذنَ لهم، فبينما هو قائمٌ ذات يومٍ عند المذبَح يصلِّي والناس ينتظرونه أن يأذنَ لهم، وهو قائمٌ يصلِّي في المحراب، إذا[4] هو برجلٍ عليه ثيابٌ بيضٌ، وهو جبريل، فناداه أنَّ الله يبشِّرُك بولدٍ اسمه يحيى.

وهذه الرِّواية تدلُّ على أن البِشارةَ كانت بعدَ العلوق.

وقيل: بل كانت قبلَه؛ فإنه لـمَّا سأل الآيةَ قيل له: آيةُ كونه ألَّا تكلِّم الناس ثلاثًا،

---

(١) انظر: «تفسير أبي الليث» (١/ ٢٣٦)، و«تفسير الثعلبي» (٣/ ٦٥)، و«البسيط» للواحدي (٥/ ٢٣٣)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٣٥).

(٢) «أي»: من (أ)، وفي (ف): «و».

(٣) في (ف): «وأصلح».

(٤) في (ف): «إذ».

فدل ذلك على ما قلنا، ولـمَّا تعجَّب فقال: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ﴾ أجابه جبريل بما ذكرَ في الآية.

وقال الإمام أبو منصورٍ رحمه الله: قال هاهنا: ﴿وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ﴾، وذكر في سورة مريم: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا﴾ [مريم: ٨]، فذكر على التقديم والتأخير، وقال هاهنا: ﴿ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾ وقال هناك: ﴿ثَلَاثَ لَيَالٍ﴾ [مريم: ١٠]، ونعلم أن القصَّة واحدة، وقد ذُكِرَتْ على اختلاف الألفاظ، ولم يكن تكلَّم زكريا بهذا اللِّسان، فدلَّ أنَّه[1] ليس على الخلق حفظ اللَّفظ، إنَّما عليهم حفظ المعاني المدرجَة فيها[2].

قوله تعالى: ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ﴾؛ أي: هو كما قلْتَ إنَّك قد[3] كَبِرتَ وامرأتك عاقرٌ.

وقيل: أي: على هذه الحالِ يُولَد لك؛ لأنَّ الله تعالى قادرٌ على كلِّ شيءٍ.

قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾: يعني: على وفاق العادة وعلى خلاف العادة؛ لكمالِ قدرتِه، ونفاذ مشيئتِه.

وقيل: معناه: كما بشَّرناك به نعطيكَ إيَّاه.

* * *

(٤١) ـ ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً ۖ قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ۗ وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾.

قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً﴾؛ أي: علامةً أَعرف بها علوقَه متى كان،

---

(١) في (ف): «على أنه».

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٢/ ٣٦٥).

(٣) «قد» من (ر).

وكان ذلك[١] ليتعجَّلَ السُّرورَ والغِبطة، وليشتغل بزيادة الشُّكر على هذه الموهبة، وليزيد[٢] في وظائف العبادة عند ظهور الزِّيادة في النِّعمة.

وقال الإمام أبو منصورٍ رحمه الله: يحتمل أنَّ سؤالَ الآية كان لأنَّه خفيَ عليه أن الذي ناداه مَلَكٌ أو غيره؟ وقد يخفى على بعض الأنبياء حالُ بعض الملائكة في بعض الأحوال، كما خفيَ على لوطٍ حتى قال: ﴿إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾ [الحجر: ٦٢]، وخفيَ على إبراهيم حتى جاء بعجلٍ حنيذ، ﴿فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ [هود: ٧٠]، فلذلك[٣] قال ما قال[٤].

قوله تعالى: ﴿قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا﴾؛ أي: علامةُ حدوثِ الولدِ أنَّك لا تستطيع أن تكلِّم الناس ثلاثةَ أيَّامٍ ولياليها، من غير خَرَسٍ ولا آفةٍ أخرى[٥]، فإنه بقي قادرًا على التكلُّم بالذِّكر والتَّسبيح، بدليل أنه أُمِرَ بذلك في هذه الآية، ولأنه قال في سورة مريم: ﴿سَوِيًّا﴾ [مريم: ١٠]؛ أي: سليمَ الأعضاء، يقول: لا تُمْنَعْ عن خطابي لأنِّي لا أمنع أوليائي عن[٦] مناجاتي[٧].

وما قال مقاتلٌ وقتادةُ والرَّبيعُ بن أنس: إنَّ ذلك كان عقوبةً له؛ حيث سألَ الآيةَ بعد البشارةِ[٨] = فذلك باطلٌ، ولا يليق بحال الأنبياء، ولم يكن سؤالُه جنايةً، ولا

---

(١) في (ف): «وذلك» بدل: «وكان ذلك».

(٢) في (ف): «وليزداد».

(٣) في (أ) و(ف): «فكذلك».

(٤) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٢/ ٣٦٥).

(٥) «أخرى» ليس في (ف).

(٦) في (أ): «من».

(٧) انظر: «تفسير القشيري» (١/ ٢٤١).

(٨) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٢٨٦) عن قتادة والربيع.

منعُه عن الكلام عقوبةً؛ لِمَا قلنا: إنَّ سؤالَه لماذا كان[١]، ومنعُه عن كلام النَّاس مع شغلِه بذكرِ اللهِ تعالى أعظمُ الكرامات وأرفعُ الدَّرجات.

ثم ذَكَر الأيَّام هاهنا واللَّيالي هناك، ولا تنافيَ بينهما؛ لأنَّ ذكرَ أحدهما جمعًا يقتضي دخولَ الأخرى فيها لغةً وعرفًا[٢].

---

(١) قوله: «لماذا كان» من (أ)، وفي (ف): «لما كلم كان»، وسقطت العبارة من (ر).

(٢) كلام المؤلف هذا في الآيتين إنما يصلح للتوفيق بينهما، لكنه لا يتعرض لوجه الحكمة من اختلاف اللفظين مع أن المراد واحد في الآيتين، وقد يكون على هذا النحو قولُ الزمخشري في «الكشاف» (٣/ ٧)، ومتابعيه كالرازي في «تفسيره» (٢١/ ٥١٩)، والبيضاوي في «تفسيره» (٤/ ٦) وغيرهما: دل ذكر الليالي هنا، والأيام في آل عمران، على أن المنع من الكلام استمر به ثلاثة أيام ولياليهن.

وقد ذكر الآلوسي في «روح المعاني» (٤/ ١٧٢) من نحو ذلك قولين مرَّض الأول وحقق الآخر فقال: وقيل: الكلام على حذف مضاف؛ أي: ليالي ثلاثة أيام؛ لقوله سبحانه في سورة مريم: ﴿ثَلَٰثَ لَيَالٍ﴾.

ثم قال: والحق أن الآية كانت عدم التكليم ستة أفراد، إلا أنه اقتصر تارة على ذكر ثلاثة أيَّامٍ منها، وأخرى على ثلاث ليال، وجعل ما لم يذكر في كل تبعاً لما ذكر.

قلت: وهذا لا يضيف شيئاً إلى ما سبق، فإنه لم يبين لم ذكرت الأيام هنا والليالي في مريم، لكنني وجدت في ذلك تعليلاً حسناً ذكره أبو جعفر ابن الزبير الغرناطي في كتابه «ملاك التأويل» (١/ ٨٢) حيث قال: في آية آل عمران ذكر الأيام ليناسب قوله: ﴿إِلَّا رَمْزًا﴾ إذ الرمز ما يُفهِم المقصودَ دون نطقٍ؛ كالإشارة بالعين وباليد ـ وقال مجاهد: بالشفتين ـ، وكيفما كان فإنما يدرَك بالعين، ولما لم يذكر الرمز في آية مريم ذكر فيها الليل.

قلت: وهو تأويل حسن، لكن يبقى السؤال: لم ذكر الأيام مع الرمز في آل عمران وذكر الليالي في مريم؟ وقد أجاب عن هذا الآلوسي بجوابين أحدهما معترض والآخر مرجَّح فقال: قيل: وإنما قدم التعبير بالأيام لأن يومَ كلِّ ليلة قبلها في حساب الناس يومئذ، وكونه بعدها إنما هو عند العرب خاصة كما تقدمت الإشارة إليه.

قال: واعتُرض بأن آية الليالي متقدمة نزولاً؛ لأن السورة التي هي فيها مكية، والسورة التي =

والرَّمز هو الإشارة بالشَّفتَين، وقيل: بالحاجبَين، وقيل: بالعينَيْن، وقيل: باليدَيْن، وقيل: بالرَّأس.

= فيها آية الأيام مدنية.

ثم قال: وعليه يكون أول ظهور هذه الآية ليلاً، ويكون اليوم تبعاً للَّيلة التي قبلها على ما يقتضيه حساب العرب، فتدبر فالبحث محتاج إلى تحرير بعد.

قلت: وهو كما قال يحتاج إلى تحرير أكثر، فكتاب الله لا تنتهي عجائبه، وما قاله آخراً من كون الحكمة في ذكر الليالي في مريم للإشارة إلى أن أول ظهور هذه الآية ليلاً هو وجه حسن في التعليل، ويؤيده تعقيبه بقوله: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ﴾ الآية، فإن فيه أن التنفيذ بدأ عقب ذكر الليالي، فيدل على أن بداية تلك الآية كانت من الليل، ولم يرد ذلك في الآية التي ذكرت فيها الأيام.

وقد يكون من حكَم الاختلاف بين السياقين أيضاً حكمة لفظية، وهي: أن قوله: ﴿ثَلَٰثَ لَيَالٖ سَوِيّٗا﴾ في مريم أنسب بفواصل الآيات وتناسق الجُمل من ﴿ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمۡزٗا﴾، هذا مع زيادة الفائدة في قوله: ﴿سَوِيّٗا﴾.

كما يمكن استنباط فائدة أخرى من ذكر الليالي، وهي أمره عليه السلام بقيام تلك الليالي، لأن النائم لا يؤمر بترك تكليم الناس، وإنما يؤمر به اليقظان، والله أعلم.

وينتج من كل ما سبق: أن كل واحدة من الآيتين وقعت في مكانها اللائق بها بحسب السياق والفاصلة، وأن ذكر الليالي في مريم لبيان أن أول ظهور هذه الآية كان ليلاً لأنها الأسبق نزولا، وأنهما بمجموعهما تدلان على أن المنع من الكلام مستمر ثلاثة أيام ولياليهن، وأن ذكر الرمز مع الأيام هو الأنسب من ذكره مع الليالي، وأن في سياق آل عمران فائدة السماح له بالرمز بدل الكلام، وفي مريم فائدة أن المنع عن الكلام كان وهو سليم الجوارح سويُّ الخلق ما به خرس ولا بكم، وأنه مأمور مع ذلك بقيام تلك الليالي، وتبع ذلك في آل عمران أمره بالذكر الكثير والتسبيح بالعشي والإبكار، وتبعه في مريم بيان أن ذلك الأمر بالتسبيح شامل له ولقومه، وذلك في قوله: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنَ ٱلۡمِحۡرَابِ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَيۡهِمۡ أَن سَبِّحُواْ بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا﴾، كما أن الفاء في قوله: ﴿فَخَرَجَ﴾ تفيد التزام أمر الله سبحانه وتنفيذه على الفور، وكذا قوله: ﴿فَأَوۡحَىٰٓ إِلَيۡهِمۡ﴾ حيث أمرهم بذلك بالرمز لا بالكلام تنفيذاً لأمر الله سبحانه.

وصَرْفُه مِن حدِّ دخل وضرب جميعًا.

ونُصب ﴿رَمْزًا﴾ على الاستثناء[١]، وصحَّ استثناء الرَّمز مِن الكلام؛ لأنه دالٌّ عليه قائمٌ مقامَه، أو لأن ﴿إِلَّا﴾ بمعنى: لكن، وهو استثناءٌ منقطعٌ، وعلى هذا نصبُه على المصدر، فتقديره: ولكن أَرْمزُ رمزًا، أو تَرْمز رمزًا.

قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا﴾؛ أي: اذكره بلسانك ذكرًا كثيرًا ﴿وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ﴾؛ أي: صلِّ بكرةً و[٢]عشيًّا.

وقال مجاهد: العَشِيُّ من زوال الشَّمس إلى أن تغيبَ[٣].

وقيل: العشيُّ آخرُ النَّهار[٤].

والعِشاءُ: من غروب الشَّمس إلى نصف اللَّيل.

والعَشاء بالفتح: طعام العشيِّ.

والإبكارُ: من وقت طلوع الفجر إلى وقت[٥] الضحى، ولفظه لفظ المصدر، ووضع اسمًا للوقت، وهو كالبُكْرَةِ، والفعل بَكَّرَ يبكِّرُ تبكيرًا، وبَكَرَ يَبْكُرُ بُكورًا، وأبكرَ يُبْكِرُ إبكارًا، قال[٦] الشَّاعر:

---

(١) في (أ) و(ف): «بالاستثناء»، بدل: «على الاستثناء».

(٢) في (أ) و(ف): «أي صل عشيا».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٣٩٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٦٤٦).

(٤) يأتي العشي بمعنى آخر النهار إذا كان في مقابلة الغدوة أو البكرة أو الضحى ونحوها، والعرب تقول: آتيك العشية أو غداتها، وآتيك الغداة أو عشيتها، فيجعلون معنى الغداة بمعنى أول النهار، والعشية آخر النهار، وكما في قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا﴾ [النازعات: ٤٦]، فمعناها: إلا آخرَ يوم أو أوله. وانظر: «تفسير الطبري» (٢٤/ ١٠١).

(٥) «وقت»: من (ف).

(٦) في (ف): «وقال».

أَلَا بَكَـرَتْ سَـلْمَى وَجَـدَّ بُكُورُهَـا[١]

وقال عمرُ بن أبي ربيعة:

أَمِـنْ آلِ نُعْـمٍ أنـتَ غـادٍ فمُبْكِـرُ[٢]

* * *

(٤٢) ـ ﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ﴾ عطفٌ على قوله: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ﴾، والعامل في ﴿إِذْ﴾ ما مرَّ ثَمَّ.

و﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ أريد بها جبريل وحده كما مرَّ في قصة زكريا، وكلامُ جبريل معها لم يكن وحيًا إليها؛ فإن الله تعالى يقول: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ﴾[٣] [الأنبياء: ٧]، ولا نبوَّة في النِّساء في قول أهل الحقِّ، وما وقع لمريم مِن الخوارق[٤] كان كرامةً لها، وكرامات الأولياء حقٌّ، أو كان معجزةً لزكريًّا، فإنَّها[٥] كانت في زمانه، أو كانت معجزةً لعيسى قبل خروجِه، كالمعجزات التي كانت لنبيِّنا

---

(١) صدر بيت لجرير. انظر: «ديوان جرير» بشرح ابن حبيب (ص: ٨٩٠). وعجزه:

وشَـقَّ العَصـا بعـدَ اجتمـاعٍ أميرُهـا

(٢) انظر: «ديوان عمر بن أبي ربيعة» (ص: ٩١)، وعجزه:

غـداة غـدٍ أم رائـحٌ فمهجِّـرُ

(٣) في (أ) و(ف): «يوحى».

(٤) قوله: «وما وقع لمريم من الخوارق» من (ر)، ووقع في (أ) بدلًا منه: «لكن»، وسقطت العبارة من (ف).

(٥) في (ر): «بأن»، وفي (ف): «أن».

المصطفى ﷺ قبل مبعثه، كالرَّمي بالشُّهب، وتظليل الغمام، وقصةِ الفيل.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰكِ﴾؛ أي: اختارَكِ بالدِّين الحق، وقيل: بحسن القَبول وحسن الإنبات.

قوله تعالى: ﴿وَطَهَّرَكِ﴾؛ أي: من الحيض والنِّفاس.

قوله تعالى: ﴿وَٱصۡطَفَىٰكِ﴾؛ أي: اختارك بولدٍ من غير أبٍ ﴿عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾: ويجوز على هذا الوجه أن يكون للعموم، فإنَّ هذا التَّخصيص كان لها على كل النِّساء، وإن أريد بالاصطفاء الثاني هو التفضيل بالمنزلة في الدِّين، فمعناه: على نساء عالَمي زمانها، فعائشةُ وفاطمة رضي الله عنهما في فضل الدِّين فوقها.

وقيل: ﴿وَٱصۡطَفَىٰكِ﴾؛ أي: اختصَّكِ لعبادته بالتَّحرير، وفرَّغك عن أمر المعاش والمكسب[١]، وطهَّرك عن مسِّ الرِّجال، واصطفاك على نساء العالمين بولدٍ يشهد ببراءتك[٢] وهو في المهد.

وفي «تفسير الحسن»: ﴿وَٱصۡطَفَىٰكِ﴾ بأنَّ أُمَّك كما ولدَتْكِ ألقَتْكِ إلى الله تعالى، فكفَّلك زكريا، وآتاك رزقَك من الجنَّة، وطهَّرك بالإيمان، واصطفاك بولدٍ مثل عيسى.

***

(٤٣) ـ ﴿يَٰمَرۡيَمُ ٱقۡنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسۡجُدِي وَٱرۡكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾.

قوله تعالى: ﴿يَٰمَرۡيَمُ ٱقۡنُتِي لِرَبِّكِ﴾: قال سعيد: أي: أخلصي[٣].

---

(١) في (أ): «والكسب».

(٢) في (أ): «شهد على براءتك»، وفي (ف): «يشهد على براءتك».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٣٩٩).

وقال الضحاك: أي: أطيعي ربك.

وقال قتادة: أي: أديمي الطَّاعة[١].

وقال مجاهد: أي: أطيلي القيام، فقامت حتى تورَّمت قدماها[٢].

قوله تعالى: ﴿وَٱسْجُدِي وَٱرْكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾: قَبل[٣] القنوت القيامُ، والركوعُ والسُّجود بعدهما[٤]، فهذا أمرٌ بالصلاة، والواو للجمع لا للتَّرتيب، فجاز ذكر السجود قبل الركوع، كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا﴾ [الفرقان: ٦٤].

وقيل: السجود: الصلاة، والركوع: الشكر، قال تعالى: ﴿وَخَرَّ رَاكِعًا﴾ [ص: ٢٤]؛ أي: شاكرًا.

وقيل: الركوع: التذلُّل والتواضع.

وقيل: السجود هو الصلاة، والركوع كذلك، ومعنى التكرار: أن[٥] قوله: ﴿وَٱسْجُدِي﴾؛ أي: صلي النافلة وحدك، ﴿وَٱرْكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾؛ أي: صلي الفرض مع المصلِّين في بيت المقدس جماعةً.

وقيل: ﴿وَٱسْجُدِي﴾ أمرٌ بأصل الصلاة، ﴿وَٱرْكَعِي﴾ أمرٌ بإقامة الجماعة في الصلاة.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٣٩٩).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٣٩٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٦٤٨).

(٣) في (أ) و(ف): «قيل».

(٤) في (ر): «بعدها».

(٥) في (أ): «أن في».

وقال الإمام الزاهد أبو منصورٍ رحمه الله: فإن قيل: كيف أُمرَتْ بالركوع مع الراكعين وهي امرأةٌ؟

قال: قيل: كانوا ذوي قرابةٍ منها، ألا ترى أنهم كيف اختصموا في ضمِّها وكفالتها، وزعم كلُّ واحدٍ منهم أنه أحقُّ بذلك.

قال: ويحتمل أنه أراد به: وصلي فيمَن يصلي؛ أي: كُوني من هذه[1] الطبقة، ولم يُرِدْ به الاجتماع في الصلاة في مكانٍ واحدٍ وزمانٍ واحدٍ[2].

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله في قوله تعالى: ﴿يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ﴾ الآيةَ: أي: لازمي بساط العبادة، وداومي على الطاعة، ولا تقصِّري في استدامة الخدمة، فكما أَفردك[3] الحقُّ بمقامك، فكوني في عبادتك أوحَد زمانك[4].

***

(٤٤) - ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ﴾؛ أي: هذا الذي ذكرنا من[5] قصة حنَّة ومريم وعيسى وزكريا ويحيى من أخبار الغيب، لا يُوقَف عليها إلَّا بمشاهدةٍ، أو قراءةِ كتابٍ[6]،..

(١) في (أ): «من هؤلاء»، وفي (ف): «في هذه».

(٢) انظر: «تفسير الماتريدي» (٢/ ٣٦٨).

(٣) في (ف): «أوردك».

(٤) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٢٤٢).

(٥) في (ف): «في».

(٦) في (ر): «كتب».

أو تعلُّمٍ من عالمٍ، أو بوحيٍ[١] من عند الله، وانعدمَت الثلاثة الأُوَل، فتعيَّنت الرابعة، وهو الوحي.

قوله تعالى: ﴿نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾؛ أي: ننزِّله عليك دلالةً على صحَّة نبوَّتك، وإلزامًا على نصارى بني نجران وغيرهم فيما يحاجُّونك.

والوحي في القرآن لِمعانٍ:

للإرسال إلى الأنبياء: قال تعالى: ﴿نُّوحِيٓ إِلَيۡهِم﴾ [يوسف: ١٠٩].

ولإنزال القرآن: قال تعالى: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ﴾ [الأنعام: ١٩].

وللإلهام: قال تعالى: ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ﴾ [القصص: ٧]، وقال تعالى: ﴿وَأَوۡحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحۡلِ﴾ [النحل: ٦٨].

ولإلقاء المعنى المراد: قال تعالى: ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوۡحَىٰ لَهَا﴾ [الزلزلة: ٥]، وقال الشاعر:

أوحى لها القَرارَ فاستقرَّتِ[٢]

وللإشارة: قال تعالى: ﴿فَأَوۡحَىٰٓ إِلَيۡهِمۡ أَن سَبِّحُواْ بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا﴾ [مريم: ١١].

وللوسوسة: قال تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ﴾ [الأنعام: ١٢١].

وأصلُ ذلك كلِّه: الإعلامُ في خفاءٍ[٣].

قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ يُلۡقُونَ أَقۡلَٰمَهُمۡ أَيُّهُمۡ يَكۡفُلُ مَرۡيَمَ وَمَا كُنتَ

---

(١) في (أ): «يوحى».

(٢) البيت للعجَّاج. انظر: «ديوان العجاج» (ص: ٢٦٦)، وبعده:

وَشَدَّهَا بِالرَّاسِيَاتِ الثُّبَّتِ

(٣) في (ر): «حقنا».

﴿لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾: أُضمر فيه: لينظروا أيُّهم يكفل مريم، وقد بيَّنا عند قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ [آل عمران: ٣٧] قصَّة إلقاء الأقلام[١].

﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ﴾ خطابٌ لمحمدٍ ﷺ، وقال ابن عباسٍ رضي الله عنهما: ولو كنْتَ حاضرًا لم يكفُلْها إلَّا أنت؛ لأنَّها زوجتك في الجنَّة[٢].

وقيل: وما كنت حاضرًا، ولكن ذكرُها لك منَّا الآن خيرٌ لك من حضرتك حينئذٍ.

ثم للآية وجهان:

أحدهما ظاهرٌ وعليه الأكثر: أنهم تشاحُّوا فيها، فكلٌّ[٣] يرغبُ في كفالتها.

والآخر غامضٌ[٤]، وقد[٥] ذكر في بعض التفاسير أنَّ كلَّ واحدٍ منهم كان يروم بالقُرعة دفعَ ذلك عن نفسِه؛ فإنَّه كان في زمان عزَّة الطعام.

فعلى الأول: هذا تعجيبٌ من الله تعالى مِن حرصِهم على كفالتها لفضلها.

وعلى الثاني: تعجيب مِن تدافُعهم لكفالتها مع فضلِها، حتى وَفَّقَ لها ورزقها أفضل الكفلاء.

---

(١) في (ر): «كيفية قصة الإلقاء للأقلام».

(٢) لم أقف عليه. وحديث تزويج النبي ﷺ من مريم في الجنة رواه الطبراني في «الكبير» (٢٢/ ٤٥١) من حديث ابن أبي رواد، وفيه محمد بن الحسن بن زبالة، قال الحافظ في «التقريب»: كذبوه. ورواه الطبراني أيضاً (٨٠٠٦) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه، وفيه عبد النور بن عبد الله المسمعي وهو كذاب. ورواه الطبراني أيضاً (٥٤٨٥) من حديث سعد بن جنادة رضي الله عنه، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩/ ٢١٨): فيه من لم أعرفهم.

(٣) في (ر) و(ف): «وكل».

(٤) في (ر): «والآخر ما مضى».

(٥) «وقد» ليس في (ف).

وقال الإمام أبو منصورٍ رحمه الله: أخبره عن صفوة هؤلاء وصنيعهم ليكون على علمٍ من ذلك، أو أخبره ليتأمل بم نالوا الصفوةَ المذكورةَ، فيجتهدَ في ذلك[١].

* * *

(٤٥) ـ ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴾.

قوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ ﴾؛ أي: واذكر يا محمد إذ قال جبريل ـ ووَجْهه ما مرَّ ـ: ﴿يَٰمَرْيَمُ ﴾[٢].

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ﴾: قال ابن عباسٍ رضي الله عنهما: إن مريم رضي الله عنها كانت في مَشرقةٍ[٣] لها قد ضَربت دونها سترًا، إذا هي برجلٍ عليه ثيابٌ بيضٌ ـ وهو جبريل ـ تمثَّل لها بشرًا سويًّا، فلمَّا رأته قالت: ﴿إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴾ [مريم: ١٨][٤]، ثم نفخ في جيب درعها، حتى وصلَت النَّفخة إلى الرَّحم فاشتملَتْ.

وقال وهبٌ: وكان معها ذو قرابةٍ لها يقال له: يوسف النَّجار، وكانت مريم ويوسف يخدمان المسجد، وكان أَوَّلُ مَن أنكرَ حملَ مريمَ يوسفُ هذا، فاستعظمَ ذلك، فإذا أرادَ أن يتَّهمها ذكرَ صلاحَها، وإذا أراد أن يُبرِّئَها رأى ما ظهرَ عليها، فكانَ

---

(١) انظر: «تأويلات اهل السنة» (٢/ ٣٦٩). وقد ذكر الماتريدي وجهًا ثالثًا، وهو دلالة إثبات رسالته، لأنه أخبر عما كان دون أن يعلمه أحد من البشر، فدل أنه إنما علم ذلك من الله تعالى.

(٢) «يا مريم»: من (أ) و(ف).

(٣) في (ر) و(ف): «مشرفة»، والمثبت من (أ)، وهو الصواب. والمَشرقةُ ـ مثلثة الراء ـ: محل شروق الشمس والقعود فيه شتاء. انظر: «حاشية الشهاب الخفاجي على البيضاوي» (٦/ ١٤٨).

(٤) ذكره مفرقاً عن ابن عباس رضي الله عنهما الواحدي في «البسيط» (١٤/ ٢١٢ ـ ٢١٤).

أولَ ما كلَّمها أن قال لها: قد حكَّ في صدري شيءٌ أردْتُ كتمانَه فغلبني ذلك، فرأيْتُ الكلامَ أشفى لصدري. قالت: قلْ. قال: فحدثيني؛ هل ينبت الزرع من غير بذر؟ قالت: نعم. قال: فهل ينبت شجرٌ من غير أصلٍ؟ قالت: نعم. قال: فهل يكون ولدٌ من غير ذكَرٍ؟ قالت: نعم، ألم تعلم أن الله تعالى أنبتَ الزَّرع يومَ خلقَه من غير بذر؟ والبذرُ يومئذٍ إنما صار من الزَّرع الذي أنبتَ الله من غير بذر؟ ألم[1] تعلم أن الله خلق آدم وحواءَ من غير أنثى ولا ذكر؟ فلما قالت له ذلك وقع في نفسه أن الذي بها شيءٌ أكرمها الله تعالى به[2].

قوله تعالى: ﴿بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ﴾؛ أي: بولدٍ يخلقُه من غير أبٍ، يقول له: كن فيكون.

وقيل: ﴿بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ﴾؛ أي: يهدي به إلى الحقِّ كما يهدي بكلامه.

وقيل: كان الله تعالى وعدَ[3] في كتبه السَّابقة أن[4] يبعث عيسى نبيًّا، فلمَّا خلقه وبعثه قال: هذا كلمتي؛ أي: ما كنْتُ وعدْتُ به.

وقيل: معنى قوله: ﴿يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ﴾؛ أي: ببشرى، وهو[5] ولدٌ يولد لك، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ﴾ [النساء: ١٧١]؛ أي: رسالته التي أخبر بها مريم، كما قال: ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا﴾ [مريم: ١٩].

---

(١) في (ر): «أولم».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٤٩٤).

(٣) في (ر) و(ف): «وعد نبيه».

(٤) في (ف): «أنه».

(٥) في (ف): «تبشري وهي».

والإلقاءُ: الإخبارُ؛ قال الله تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾(١) [المزمل: ٥]، وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ [غافر: ٦].

وقيل: الكلمةُ: الأمرُ العظيمُ؛ قال تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ﴾ [البقرة: ١٢٤]؛ أي: أمورٍ عظيمةٍ شاقةٍ، مِن الأمرِ بذبح الولد، والإلقاء في النَّار، والأمرِ بالهجرة، وغيرِها، وكانَ خَلْقُ عيسى عليه السلام أمرًا عظيمًا؛ قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً﴾ [المؤمنون: ٥٠].

وقال الإمام أبو منصورٍ رحمه الله: قوله: ﴿بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ﴾ هذه إضافةُ كرامةٍ، كخليلِ الله، وكليم الله، ونجيِّ الله، وذبيحِ الله، وبيوتِ الله، وللدِّين: نور الله، وللفرائض: حدود الله، ليس في شيءٍ من ذلك توهُّمُ شيءٍ يزيل معنى الخِلْقة فيوجب معنى الرُّبوبيَّة، بل هو لتخصيصه في الفضل على أشكاله، وكذلك قوله: ﴿مِّنْهُ﴾، وهو كقوله: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣]، وليس ذلك على ما توهَّمه النَّصارى(٢).

قوله تعالى: ﴿اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾: قيل: المسيح لقب، والاسم عيسى، وبدئ باللَّقب كما يقال: جاء الشيخُ فلانٌ، والقاضي فلانٌ، والفقيهُ فلانٌ. وهذا على وجه التَّعظيم، ولأنه عُرِفَ بهذا في التوراة وما قبلها من الكتب، فاستقام على هذا قوله: ﴿اسْمُهُ الْمَسِيحُ﴾؛ لأن اللَّقب إذا عُرِفَ صار كالاسم، قال تعالى: ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ﴾ [الحجرات: ١١].

وقال عليه الصلاة والسلام: «لي خمسةُ أسماءٍ: محمَّدٌ، وأحمدُ، والماحي، والحاشرُ، والعاقب»(٣).

---

(١) «قولاً ثقيلاً» ليس في (ف).

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٢/ ٣٦٤).

(٣) رواه البخاري (٣٥٣٢)، ومسلم (٢٣٥٤) من حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه. ومعنى =

وفي معنى (المسيح) أقاويل:

قيل: هو الذَّاهب في الأرض، من قولك: مسحتُ الأرض؛ أي: قطعتُها، ومسَحها القسَّام؛ أي: قدَّرها، وهو فعيلٌ بمعنى الفاعل، كالرَّحيم بمعنى الرَّاحم.

وقيل: هو الذي كان يمسح المرضى فيَبْرؤون. قاله ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما[1].

وقيل: لأنه مُسح من الأقذار وطهِّر، وهو فعيلٌ بمعنى مفعولٍ، كالصَّريع والأسير.

وقيل: كان ممسوحَ القدم؛ أي: لم يكن له أخمص، وهو ما يتجافى عن الأرض من باطن القدم.

وقيل: كان ممسوحًا بدهنٍ طاهرٍ مباركٍ، يُمسَح به[2] الأنبياء.

وقال إبراهيم النَّخعي: المسيح هو الصِّدِّيق[3].

وقال سعيد بن عبد العزيز: هو الممسوح بالبركة[4].

= (العاقب): الذي ليس بعده نبيٌّ.

(١) ذكره السمعاني في «تفسيره» (١/ ٣١٩)، والواحدي في «البسيط» (٥/ ٢٥٥)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٢٨٢).

(٢) بعدها في (ر): «جمع».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٤٠٩)، وابن المنذر في «تفسيره» (١/ ٢٠٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٦٥١).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٤١٠).

وقيل: المسيحُ: الجميلُ، والمسيخُ بالخاء: القبيحُ، وفي الخبر: «على وجهِهِ مَسْحَةُ مَلَكٍ»(١)، وهي(٢) الجمال.

وقيل: المسيحُ: فعيلٌ من السِّياحة؛ أي: كان يسيحُ في الأرض ولا يبيت(٣) في مكانٍ.

قوله تعالى: ﴿عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ قد ذكرنا أنه خبرُ قوله: ﴿ٱسْمُهُ﴾، وإنْ جُعِلَ ﴿ٱلْمَسِيحُ﴾ خبرَه، فهذا بدلٌ عنه.

وقيل: إن كثيرًا من المتحلين قبل خروج نبيِّنا محمَّد ﷺ تنبَّؤوا باسم المسيح، فردَّ ذلك بقوله: ﴿عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ أنه له على الخصوص، لا لكلِّ مُسمًّى باسم المسيح.

قوله تعالى: ﴿وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾: نصبٌ على القطع؛ لأنه نكرةٌ بعد معرفةٍ.

وقد وَجُهَ يَوْجُهُ وَجاهةً، فهو وجيهٌ، من حدِّ شَرُفَ؛ أي: صار ذا جاهٍ ومنزلةٍ وقَدْرٍ.

والجاهُ أصله: الوجاه، حذفت الواو منه تخفيفًا لكثرة الاستعمال.

وجاهُهُ في الدُّنيا: ما قال في صغرِه: ﴿إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [مريم: ٣٠] الآية، كما قال في حقِّ موسى: ﴿فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟ ۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا﴾ [الأحزاب: ٦٩]، ومن الجاه أنَّه كان يستجيبُ دعاءَه، ويعطيه سؤله(٤)، ويُجري على يديه ما يقتضي تعظيمَه.

---

(١) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (١٩١٨٠)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٢٥٠)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٨٢٤٤)، وابن خزيمة في «صحيحه» (١٧٩٧)، من حديث جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه. ولفظ البخاري: قال رسول الله ﷺ: «يدخل من هذا الباب رجل من خير ذي يمن، على وجهه مسحة ملك»، فدخل جرير.

(٢) في (ر) و(ف): «وهو في».

(٣) في (أ) و(ف): «يثبت».

(٤) في (أ): «سؤاله».

وفي الآخرة بأن يُشفِّعه في جملةِ مَن يُشفِّعه من الأنبياء، ويدخلَه الجنة مع المرسلين.

وقال الحسن: وجيهًا في الدنيا بالنبوَّة، وفي الآخرة بالمنزلة(١).

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾: أي: بالمنزلة العُليا من الثَّواب والكرامة في الآخرة؛ فإنَّه ذكرَ الأزواجَ الثلاثةَ: أصحابُ الميمنة، وأصحابُ المشأمة، والسَّابقون، وأشراف أصحاب الميمنة السابقون، وهم المقرَّبون، وعيسى منهم، وقيل: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ [الواقعة: ١٠ ـ ١١](٢).

* * *

(٤٦) ـ ﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ﴾: تقديرُه: ومكلِّمًا، عطفًا على ﴿وَجِيهًا﴾ ولذلك قال بعده: ﴿وَكَهْلًا﴾.

ويجوز أن يكون ﴿وَكَهْلًا﴾ عطفًا على الذي في الظَّرف، وهو قوله تعالى: ﴿فِى ٱلْمَهْدِ﴾؛ أي: حال كونه في المهد طفلًا وحال صيرورته كهلًا، وإنما جاز بصيغة الفعل على إرادة الاسم لأنه للحال، وكلُّ واحدٍ منهما يدلُّ عليه، يقال: دخل فلان عليَّ يتبسَّم، و: دخل عليَّ متبسِّمًا.

والمهدُ: مَضجَعُ الصبيِّ في الرَّضاعة(٣)، وهو من التَّمهيد له، معناه: أنه يتكلَّم

---

(١) قول الحسن في «تفسير الرازي» (٨/ ٢٢٣)، وذكر غيره عن الحسن قوله في معنى ﴿وَجِيهًا﴾: أي: مستجاب الدعوة. انظر: «تفسير ابن أبي حاتم» (١٠/ ٣١٥٨)، و«النكت والعيون» (٤/ ٤٢٧)، و«البسيط» للواحدي (١٨/ ٣٠٠).

(٢) «وقيل ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾»: من (أ).

(٣) في (أ): «رضاعه».

في طفوليَّته في حِجرِ أمِّه شاهدًا على طهارتها وبراءتها؛ كرامةً لها، أو[1] معجزةً لعيسى، فإنه ناقضٌ للعادة، إذ ليس حالُه النُّطق عادةً، وهو ما ذُكر في سورة مريم، قال[2]: ﴿إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ الآية.

قوله تعالى: ﴿وَكَهۡلٗا﴾؛ أي: حال كهوليَّةٍ، وهي ما بين الشباب والشَّيب، من قولهم: اكتهلَ النَّبْتُ: إذا طالَ[3] وقويَ.

وقيل: حدُّها بلوغ أربع وثلاثين سنةً.

فإن قالوا: أيُّ أعجوبةٍ في تكلُّمه كهلًا؟ وإنما[4] ذكر تكلُّمَه في الطفولية أعجوبةً.

قلنا: قيل: معناه: يكلِّمُهم في المهد تبرئةً للأمِّ بطريق الكرامَة، ويكلِّمُهم بعد الكهولة داعيًا إلى الله بالوحي والرِّسالة.

وقيل: أي: يَبتدئُ الدَّعوة إلى الله من حين كان طفلًا إلى أن يصير كهلًا. وهي بشارةٌ للأم بعيشه وبقائه، فكانت معجزةً في ضمن معجزةٍ.

وقيل: معناه: إنَّ كلامَه في طفوليَّته ككلامِه في كهوليَّته[5]؛ لذكائِه وعقلِه في حالَتيْهِ.

وقيل: ﴿وَكَهۡلٗا﴾ بعد نزوله من السَّماء لقتل الدَّجال.

---

(١) في (ف): «و».

(٢) في (ر): «ثم قال».

(٣) في (أ): «أي أطال».

(٤) في (ر): «فإنما».

(٥) في (أ): «كهولته».

وسئل الحسين بن الفضل: هل في القرآن دلالةُ نزول عيسى من السَّماء؟ فقال: نعم، واستدل بهذا، وقال: كان[١] رفعُه إلى السماء قبل أن يصير كهلًا[٢].

وقيل: معناه: يتكلَّم[٣] في حِجرِ أمِّه مرَّةً ببراءةِ أمِّه، ثم يعود إلى حال سائر الأطفال إلى أن يصيرَ كهلًا، فيُوحَى إليه فيتكلَّم[٤] بالوحي.

وقيل: الإنسان يكون صبيًّا[٥] سبع عشرة سنةً، ثم شابًا سبع عشرة سنةً، ثم يكتهِل[٦] بعد أربعٍ وثلاثين سنةً، وكان رفعُ عيسى عليه السلام إلى السماء قبل ذلك، وهو حين كان ابنَ ثلاثٍ وثلاثين سنة وأشهرٍ، وكان ابتداءُ دعوته لثلاثين سنةً.

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾؛ أي: من أفاضل الأنبياء.

وقيل: من الأتقياء، وقد قال في سورة مريم: و﴿كَانَ تَقِيًّا﴾ [مريم: ٦٣].

* * *

(٤٧) ـ ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾.

قوله تعالى: ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ﴾؛ أي: من أيِّ وجهٍ[٧] يكون مع أنَّ بشرًا لم يمسَّني، والمعتاد ذلك.

---

(١) في (ر) و(ف): «فاستدل بهذا قال وكان».

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣/ ٦٩)، والواحدي في «البسيط» (٥/ ٢٦٣).

(٣) في (أ): «تكلم».

(٤) في (أ): «فيكلم».

(٥) في (أ): «حدثًا».

(٦) في (أ) و(ر): «يكهل».

(٧) في (أ): «جهة».

قوله تعالى: ﴿قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾[١]؛ أي: قال جبريل بأمرِ الله: كذلكَ المعتاد، لكنَّ الله تعالى يخلق على خلاف المعتاد ما أرادَ، وهو قادرٌ على ذلك.

﴿يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾[٢] وقد خلقَ آدمَ وحوَّاء من غير أبٍ ولا أمٍّ، وخلق كلَّ شيءٍ من غير شيء.

قوله تعالى: ﴿إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾؛ أي: إذا قدَّر تخليقَ ولدٍ من غير أبٍ كوَّنه من غير تأخيرٍ.

وقوله تعالى: ﴿فَيَكُونُ﴾ رفعٌ لا غير، ولا يجوز نصبه؛ لأنه ليس بخبرِ ﴿كُن﴾، بل هو عطفٌ على قوله: ﴿يَقُولُ﴾، وهذا بخلافِ قوله: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠]، النَّصبُ هناك لِمَا أنَّه عطفٌ على ﴿أَن نَّقُولَ﴾.

* * *

(٤٨) ـ ﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾[٣]: قرأ نافع وعاصم بياء المغايبة عطفًا على قولِه تعالى: ﴿كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾، والباقون بالنون[٤]، إخبارًا من الله تعالى عن نفسِه أنه يفعلُ ذلك، عطفًا على قوله تعالى: ﴿نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾.

و﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ في قول الكلبيِّ: هو كتب الأنبياء المتقدِّمة، قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الشعراء: ١٩٦]، و﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾: الفقهُ[٥].

---

(١) «﴿ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾» من (ف).

(٢) في (أ) و(ر): «قوله تعالى ﴿ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾».

(٣) في (ر) و(ف): «ونعلمه الكتاب والحكمة»، وهي قراءة كما سيأتي.

(٤) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٨٨).

(٥) انظر: «تفسير السمرقندي» (١/ ٢٣٩).

وقال مقاتل: ﴿الكتابَ﴾ هو الكتابة بالقلم(١)، وكانَ أحسنَ النَّاسِ خطًّا في زمانِه، و﴿الحكمة﴾: بيانُ الحلال والحرام(٢).

وقيل: ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾: الخطُّ باليد، و﴿الحكمة﴾: البيانُ باللِّسان.

قوله تعالى: ﴿وَالتوراة والإنجيل﴾: معطوفان على ﴿ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾.

قوله تعالى: ﴿ورسولًا إلى بني إسْرائيل﴾: عطفٌ على قوله: ﴿وَجِيهًا﴾.

وقيل: نصبُه بإضمار فعل، وهو قوله: ويجعله رسولًا.

وقال الزجَّاج: تقديره: ويكلِّم الناس في المهد وكهلًا ورسولًا(٣).

قوله تعالى: ﴿أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾: قرأ نافع بكسر الهمزة من ﴿إِنِّي﴾ على حكاية مخاطبته إيَّاهم وإضمارِ القول، وقرأ الباقون بالنَّصب على إرادة الباء(٤)، ووقوع الرِّسالة عليه على تقدير: رسولًا بأني.

وكان في الكتب المتقدِّمة أن الله تعالى يُنزِلُ على عيسى عليه السلام الإنجيلَ، وكان معروفًا عندهم بهذا الاسم قبل إنزاله، وعرفَتْه مريم، فلذلك بشَّرها جبريل أن الله تعالى يعلِّمه التَّوراة والإنجيل، وكان معلِّمُه لا يعلِّمُه شيئًا إلَّا بدرَه إليه.

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٦٥٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وقال: وروي عن يحيى بن أبي كثير ومقاتل وعثمان بن عطاء مثل ذلك.

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٤٢٦) في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ﴾ [البقرة: ٢٣١].

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٤١٣).

(٤) كذا قال المصنف رحمه الله، وهو وهم منه، فإن الخلاف بين نافع وباقي العشرة إنما هو في قوله: ﴿أَنِّيٓ أَخْلُقُ﴾، أما قوله: ﴿أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ﴾ فقد اتفق العشرة على فتح همزة ﴿أَنِّي﴾. انظر: «السبعة» (ص: ٢٠٦)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٨)، و«النشر» (٢/ ٢٤٠).

قال سعيد بن جبير: لَمَّا ترعرعَ عيسى جاءت به أمُّه إلى الكُتَّاب، فقال له المعلِّم: قل: بسم، فقال عيسى: الله، فقال له المعلم: قل: الرَّحمن، فقال عيسى: الرَّحيم، فقال المعلم: قل: أبجد، فقال عيسى: أتدري ما الألف؟ قال: لا، قال: الألف آلاء الله، والباء بهاء[١] الله، والجيم جلال الله، والدال دوام الله. فقالَ المعلم: كيف أُعلِّم مَن هو أعلمُ منِّي، قالت مريمُ: فدعْهُ حتى يقعد مع الصِّبيان، وكان يخبرُ الصِّبيان بما أكلوا وبما خُبِّئ لهم[٢].

قوله تعالى: ﴿قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾؛ أي: علامةٍ بيِّنة، وهي ما ذكرَ بعدَه من خلقِ الطَّيرِ من الطِّينِ.

وقيل: ينصرفُ إلى كلِّ ما ذكرَ بعدَه من المعجزات، وأراد بالآيةِ: الآيات، على هذا التَّأويل، ولكنَّه وحَّده[٣] لأنه أراد به الجنس، ولأن هذه الآيات كلها تدل على معنًى واحد، فكانت كأنها واحدةٌ، كما في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً﴾ [المؤمنون: ٥٠]، بخلافِ قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ﴾ [الإسراء: ١٢]؛ لأن كل واحدٍ منهما يدل على معنًى آخر.

قوله تعالى: ﴿أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم﴾؛ أي: أقدِّر لأَجْلكم[٤]، قال الشاعر:

وَلَأَنْتَ تَفْري ما خلقْتَ وبَعْـ ـضُ القومِ يخلُقُ ثمَّ لا يفْرِي[٥]

ولا يجوز حمله على التخليق من جهةِ عيسى، الذي هو الإيجاد والاختراع؛

---

(١) في (ر): «بقاء»، والمثبت هو الموافق لمصدر التخريج.

(٢) رواه ابن المنذر في «تفسيره» (٢٧٧)، وصحح إسناده السيوطي في «الدر المنثور» (٢/ ١٩٩).

(٣) في (أ): «لكنه وحدها»، بدل: «ولكنه وحده».

(٤) في (ر): «أجلكم»، وفي (ف): «لكم».

(٥) البيت لزهير بن أبي سلمى. انظر: «ديوانه ـ بشرح الشنتمري» (ص: ٦٣).

فإنه لا يجوز هذا إلَّا من الله تعالى، قال تعالى: ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ﴾ [فاطر: ٣]، فأمَّا قوله تعالى: ﴿أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤]، فمعناه: أحسنُ المقدِّرين، على ما قلنا.

قوله تعالى: ﴿مِنَ الطِّينِ﴾: هو مجموعُ الماءِ والتُّرابِ.

قوله تعالى: ﴿كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ﴾؛ أي: كصورةِ الطَّائر، والطَّير للواحد هاهنا، ولذلك قال: ﴿فَأَنْفُخُ فِيهِ﴾ على التذكير، وقال في (سورة المائدة): ﴿فَتَنْفُخُ فِيهَا﴾ [المائدة: ١١٠]، وذلك يرجع إلى الهيئة.

وقيل: ﴿فِيهِ﴾ يرجع إلى الطِّين.

قوله تعالى: ﴿فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾: قرأ نافع: ﴿طائرًا﴾[1]؛ أي: يطير، وقرأ الباقون: ﴿طَيْرًا﴾؛ أي: يصير طيرًا بإذن الله؛ أي: يقلِبُ اللهُ جسمَه الذي كان طينًا فيجعلُه لحمًا ودمًا، ويخلق فيه الحياة.

قوله تعالى: ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾؛ أي: بتكوينِ اللهِ إيَّاه بلا علاجٍ؛ كقوله[2] تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٤٥]؛ أي: يخلق[3] الله فيه الموت.

وقال الضحَّاك ومقاتل: هو الخفَّاش[4].

وقيل: فيه أعاجيب؛ يبكي ويضحك[5]، ويحمل ويلد ويُرضع، ويطير من غيرِ

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٨٨).

(٢) في (ر): «لقوله».

(٣) في (أ): «أي بخلق»، وفي (ف): «أي إلا يخلق».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٤٢٠)، وابن المنذر في «تفسيره» (١/ ٢٠٧) عن ابن جريج. وذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٢٨٤) عن ابن عباس وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهم.

(٥) في (أ): «هو يضحك ويبكي»، بدل: «يبكي ويضحك».

ريشٍ، وله سنٌّ، ولا[1] يبصرُ في ظلمة اللَّيل ولا في ضوء النَّهار[2]، ويبصرُ فيما بين ذلك.

قوله تعالى: ﴿وَأُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ﴾؛ أي: أُصِحُّ.

وقد بَرَأَ العليل يَبْرَأُ بُرْءًا ـ بضم باء المصدر ـ من باب صَنَعَ؛ أي: صحَّ من علَّته.

وبرأ اللهُ الخلقَ بَرْءًا ـ بفتح باء المصدر ـ من باب صنع أيضًا؛ أي: خَلَق.

وبَرِئَ من الدَّين براءةً، من باب علم؛ أي: سقط عنه.

وبَرِئَ منه براءةً؛ أي: تبرَّأ كذلك أيضًا.

والأكمَهُ: الذي وُلِدَ أعمى.

قوله تعالى: ﴿وَٱلۡأَبۡرَصَ﴾: أي: الذي به بَرَصٌ، وهو بياضٌ في الجلدِ، ولا يزول بالعلاج.

قوله تعالى: ﴿وَأُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: أدعو الله فيُحيي الموتى بدعائي، وهو من صنعِ اللهِ تعالى، وذكر ﴿بِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾ فيما لا يدخل في قدرة العباد؛ إثباتًا ذلك صفةً لله تعالى ونفيًا عن نفسه.

قال الحسينُ بنُ الفضلِ: علم أنَّه يُعبَد ويُتَّخَذُ إلهًا، فنفى عن نفسه الإلهيَّة؛ قطعًا لِحُججِهم عندَ الله تعالى.

وقال الكلبيُّ: كان يحيي الميت باسم الله الأعظم: يا حيُّ يا قيُّومُ[3].

---

(١) «لا» ليس في (ف).

(٢) في (أ) و(ف): «بياض النهار». ووقعت العبارة في (ف) هكذا: «ويبصر في ظلمة الليل لا في بياض النهار»، وهو خطأ، بدليل قوله بعده: «ويبصر فيما بين ذلك». وهو موافق لما ذكره القرطبي وأبو حيان وإسماعيل حقي والآلوسي في تفاسيرهم حيث قالوا: ولا يبصر في ضوء النهار ولا في ظلمة الليل، وإنما يرى في ساعتين: ساعة بعد غروب الشمس، وساعة بعد طلوع الفجر قبل أن يُسفر جدًّا.

(٣) انظر: «تفسير الثعلبي» (٣/ ٧٣)، و«التفسير البسيط» للواحدي (٥/ ٢٧٣).

وقال الضحَّاك: كان يقول: يا حيُّ يا قيُّوم، يا محيي الأموات.

وقال كعب: كان يصلي ركعتين، يقرأ في الأولى: ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ﴾ السَّجدة، وفي الثانية: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾، ثم يمدح ربَّه، ويدعوه[١] بسبعة أسماءٍ: يا حيُّ، يا قيُّوم، يا دائم، يا فرد، يا وتر، يا أحد، يا صمد[٢].

وقال الكلبي: لم يُحيِ عيسى إلَّا أربعةَ نفر: سامَ بن نوحٍ، والعازَرَ، وابنة العاشر[٣]، وابن العجوز؛ مُرَّ به وقد حُمل على سرير الموتى على أعناق الرِّجال، فدعا الله له، فجلسَ على سريره، ونزل، ولبس ثيابه، وحملَ السَّرير على عنقِه، ورجع إلى أهله، وبقي ووُلِدَ له.

وكذا العازَر وابنة العاشر عاشا ووُلِد لهما.

وأمَّا[٤] سامُ بن نوحٍ، فإنَّه دعا ربَّه باسم الله الأعظم، فخرج من القبر وقد شابَ

---

(١) في (ف): «ويدعوا»، وليست في (ر).

(٢) روى نحوه البيهقي في «الأسماء والصفات» (١٦١) عن محمد بن طلحة عن رجل. وقال: ليس هذا بالقوي.

وروى نحوه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٤١) من طريق محمد بن طلحة بن مصرف عن أبي بشر عن أبي الهذيل قوله. وقال ابن كثير في «تفسيره» عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ﴾ [المائدة: ١١٠]: هذا أثر عجيب جدًّا.

(٣) في النسخ: «وابن العاشر»، والمثبت من المصادر. انظر: «تفسير الثعلبي» (٨/ ٣٣٧) (ط: دار التفسير)، و«تفسير السمعاني» (١/ ٣٢١)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٤٠)، و«تفسير القرطبي» (٥/ ١٤٥)، و«تفسير الخازن» (١/ ٢٤٧)، و«تفسير الجلالين» (ص: ٧٣)، و«روح المعاني» (٤/ ٢١٣)، وغيرها. وقد ذكر أكثرهم أن ابنة العاشر كان أبوها رجلاً يأخذ العشور ماتت له بنت بالأمس، فدعا الله تعالى فأحياها، وبقيت زماناً وولد لها.

(٤) في (أ): «فأما».

نصفُ رأسِه، وقال: قد قامَتِ القيامة؟ قال: لا، ولكن دعوْتُ اللهَ باسم الله الأعظم، ولم يكونوا يشيبون في زمن نوحٍ عليه السلام، فشهد لعيسى بنبوَّته، وكان عاش خمسَ مئة عام، ومات وهو غلامٌ شابٌّ، فحَيِيَ، ثم عاد ميتًا[1].

قوله تعالى: ﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾؛ أي: وأُخبركم بما تغدَّيتم به وما تعشَّيتم، وما خبَّأتم لغدٍ من طعامٍ.

وقد ذَخَرَ شيئًا يَذْخَرُهُ ذُخْرًا من باب صنعَ؛ أي: خبأه لحاجةِ نفعٍ، والذَّخيرةُ اسمٌ لذلك، و﴿تَدَّخِرُونَ﴾ تَفْتعِلون منه، وأصله: تَذْتَخِرون، فاستثقلوا التَّاء مع الذَّال فأبدلوا التَّاء دالًا، ثم أدغموها في الذَّال، فصارتا دالًا مشددةً[2].

قال الشَّعبي: وكان عيسى عليه السلام يقول في الكُتَّاب للغلام: إنَّ أهلَكَ خبَّؤوا لك كذا من الطَّعام.

وقال سعيد بن جبير والسُّدِّي وجماعةٌ كذلك[3].

وقال قتادة: إن القوم سألوه المائدة، وكان يُنزِّل عليهم من ثمر الجنَّة، وأمرهم أن لا يخزنوا ولا يخبؤوا لغدٍ، ففعلوا، فأنبأهم بما ادَّخروا، ومسخهم الله تعالى خنازير بما خالفوا[4].

---

(١) ذكر نحوه السمعاني في «تفسيره» (١/ ٣٢١)، والبغوي في «تفسيره» (٢/ ٤٠)، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) وقع في هذا الموضع خلط كثير في النسخ بين الدال والذال، والمثبت من كتب اللغة والتفسير.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٤٢٦)، وابن المنذر في «تفسيره» (١/ ٢٠٤) (١/ ٢١٠)، وابن أبي حاتم في «(تفسيره» (٢/ ٦٥٦) عن سعيد بن جبير، ورواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٤٢٨) عن السُّدِّي.

(٤) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٤٠٦)، والطبري في «تفسيره» (٥/ ٤٢٩)، وابن أبي حاتم في =

قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾؛ أي: إنَّ فيما أتيْتُ به مِن المعجزات لَعلامةً لكم على صدق نبوَّتي إن كنتم مصدِّقين؛ أي: إن كنتم مؤمنين بالله علمتُم أنَّ له أنْ يرسلَ الرُّسل ويقيمَ الحُجج، فصدِّقوني إذ[1] أتيْتُ بها.

وقيل: هو خطابٌ لأهل عصر النبيِّ ﷺ؛ يعني: إنَّ[2] فيما قَصَصْتُ عليكم مِن أمر عيسى لَعبرةً لكم أيُّها اليهود إنْ كنتم مصدِّقين بأنَّ محمَّدًا رسولُ الله.

قال مقاتل: إن كنتم مصدِّقين بعيسى أنَّه عبدٌ مرسلٌ[3].

* * *

(٥٠) ـ ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾.

قولُه تعالى: ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ﴾؛ أي: موافقًا لِمَا[4] كان قبلي، ونصبُه على تقدير: وجئتكم بآيةٍ من ربكم وجئتكم مصدِّقًا، وهو كقول القائل: جئتك بما تحبُّ ومُكرِمًا لك، وليس عطفًا على قولِه: ﴿وَجِيهًا﴾، ولا على قوله: ﴿رَسُولًا﴾[5]؛ لأنَّ ذلك خبرٌ من اللهِ تعالى، وهذا خبرٌ عن[6] عيسى من نفسِه؛ فإنه قال: ﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ﴾.

= «تفسيره» (٢/ ٦٥٦). ورواه الترمذي (٣٠٦١) من طريق قتادة عن خلاس بن عمرو عن عمار بين ياسر مرفوعًا، وقال: حديث غريب. ورجح وقفه على عمار.

(١) في (ر) و(ف): «إذا».

(٢) «إن»: من (أ).

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» (١/ ٢٧٧).

(٤) في (ف): «على ما».

(٥) في (ف): «ولا رسولاً»، وفي (ر): «ورسولاً».

(٦) في (أ): «من».

قوله تعالى: ﴿وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾: الواو لإرادةِ تكرار المجيء؛ أي: وجئتكم لأحِلَّ لكم، أو تقديره: ولأحِلَّ لكم ذلك جئتُكم.

قال قتادة: كان موسى عليه السلام حرَّم عليهم لحومَ الإبل والثُّروب[١]، فورد عيسى بتحليل ذلك[٢].

وقال مقاتل: أي: بعضَ الذي حُرِّمَ عليكم من اللُّحوم والشُّحوم والسَّمك والطَّير وكلِّ ذي ظُفرٍ[٣].

وقال عطاء: هو لحم الإبل وشحومُ الضأن[٤] والمعزِ والبقرِ[٥].

وقيل: إنَّ أحبار اليهود حرَّموا[٦] على بني إسرائيل أشياءَ لم يكن اللهُ تعالى حرَّمها عليهم، فأمرَ اللهُ تعالى عيسى ببيانِ حلِّها.

والمرادُ بالآيةِ: استمالةُ بني إسرائيل في الدَّعوة، بأنَّه إنَّما جاء مصدِّقًا للتَّوراة لا مغيِّرًا لها، ومحلِّلًا أشياء[٧] حُرِّمَتْ عليهم تخفيفًا عليهم.

قوله تعالى: ﴿وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾: أي: أتيتُكم بِعلامةٍ على صدقِ نبوَّتي، وهي ما مرَّ، وتوحيدها لِمَا مرَّ.

---

(١) الثروب: واحدها: ثَرْب، وهو شحم رقيق يغشِّي الكرش والأمعاء. انظر: «القاموس» (مادة: ثرب).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٤٣١).

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» (١/ ٢٧٧).

(٤) في (ر): «وشحم الغنم».

(٥) لم أقف عليه عن عطاء، وروى نحوه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٤٣٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٦٥٧)، عن الربيع، وروى نحوه أيضاً الطبري في «تفسيره» (٥/ ٤٣٢)، وابن المنذر في «تفسيره» (١/ ٢١٢) عن ابن جريج.

(٦) في (أ): «حرموا كانوا».

(٧) في (ف): «ومحل لأشياء».

قوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾: أي: اتقوا اللهَ في تكذيبي و﴿وَأَطِيعُونِ﴾؛ أي: في تصديقي.

* * *

(٥٠) - ﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ﴾: أي: فوحِّدوه وأطيعوه.

قوله تعالى: ﴿هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾؛ أي: الإيمانُ بالله ورسله والطَّاعةُ طريقٌ سويٌّ يؤدِّي بصاحبه إلى الجنَّة.

* * *

(٥٢) - ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى﴾: أي: علم، وقوله تعالى: ﴿هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ﴾ [مريم: ٩٨]؛ أي: تُبصر.

والحسُّ: العلمُ الحاصل بالحاسَّةِ، والحواسُّ الخمس[١] هي طرقُ علمٍ مخصوص لكلِّ واحدٍ منها، وقوله تعالى: ﴿اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا﴾؛ أي: تعرَّفوا الخبرَ.

وقوله تعالى: ﴿مِنْهُمُ الْكُفْرَ﴾؛ أي: فلمَّا علمَ عيسى مِن بني إسرائيلَ الكُفْرَ باللهِ، وأنَّهم لا يزدادون على رؤية الآياتِ إلَّا إصرارًا على الجُحود.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾: الأنصارُ: جمع النَّصير، كالأشراف جمع الشَّريف، والأشهاد جمع الشَّهيد.

وقيل: هو جمع النَّاصر، كالأصحاب جمع الصَّاحب.

---

(١) في (أ): «خمس».

وقيل: الواحد ناصرٌ، والجمع نَصْر، والأنصار جمع الجمع، وكذلك الأشهاد، والفَعْل جمعُ الفاعل له نظيرٌ، كالرَّاكب والرَّكْب، والتَّاجر والتَّجْر.

والنَّاصرُ: المعينُ والمانعُ.

وقولُه: ﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾ له ثلاثةُ أوجهٍ:

قال السُّدِّي وابن جريجٍ: أي: مَن أعواني على هؤلاء الكفَّار مع معونة الله تعالى إيايَ[1]. و﴿إِلَى﴾ بمعنى (مع)؛ كما في قولِه تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ﴾ [النساء: ٢]، وإنَّما جاز ذلك لأنَّ فيه معنى الضَّمِّ والجمع، فصَلح (إلى) مكان (مع)، وهو[2] كما قيل: الذَّوْدُ إلى الذَّوْدِ إبلٌ[3].

وقال الحسنُ: معناه: مَن أنصاري في سلوك السَّبيل إلى الله تعالى[4]، وذلك لأنَّه دعاهم إلى سبيل الله تعالى، فيقول: مَن أعواني على إقامة الدِّين المؤدِّي إلى رضا اللهِ تعالى وإلى ثوابه.

والثالث: مَن أنصاري لله، وكلمة ﴿إِلَى﴾ بمعنى اللَّام، كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ﴾ [يونس: ٣٥][5].

قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ﴾: هم خواصُّ أصحابِه.

وقال الأزهري: هم خُلْصانُ الأنبياء، وسُمُّوا به لأنهم حُوِّروا؛ أي: نُقُّوا مِن كلِّ

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٤٣٧)، وانظر: «تفسير الثعلبي» (٣/ ٧٥).

(٢) «وهو» ليس في (أ).

(٣) الذود إلى الذود إبل: يُراد به أن القليل إذا جمع إلى القليل كثر، والذود ما بين الثّلاث إلى العشر من إناث الإبل، ويجمع أذوادًا. انظر: «جمهرة الأمثال» للعسكري (١/ ٤٦٢).

(٤) انظر: «تفسير الثعلبي» (٣/ ٧٥)، و«تفسير الماوردي» (١/ ٣٩٦).

(٥) انظر: «درج الدرر» لعبد القاهر الجرجاني (٢/ ٤٨٩)، و«تفسير البيضاوي» (٢/ ١٩).

عيبٍ، والدَّقيقُ الحُوَّارَى: الـمُنَقَّى، وقال عليه الصلاة والسلام: «الزُّبيرُ ابنُ عمَّتي، وحواريَّ مِن أمَّتي»(١)؛ أي: مختصِّي(٢).

وقيل ـ وهو قولُ سعيدِ بن جبير ـ: سُمُّوا به لبياض ثيابهم(٣).

وقال الضحَّاك وابن أبي نجيحٍ وأبي أرطاةَ(٤): كانوا قصَّارِين مبيِّضين للثِّياب(٥).

والحَوَرُ: شدَّةُ بياضِ العينِ مع شدَّةِ سوادِها، والنَّعتُ منه: أَحْوَر، والأنثى: حوراء، والجمع: حُورٌ.

ويقال(٦) لنساءِ الحضر: الحواريَّات؛ لبياض ألوانهنَّ وثيابهنَّ، قال الشَّاعرُ:

فقُــلْ للحواريَّــاتِ يَبْكِيــنَ غَيْرنــا ... ولا يَبْكِنــا إلَّا الــكلابُ النَّوابــح(٧)

---

(١) رواه الإمام أحمد بهذا اللفظ في «المسند» (١٤٣٧٤) من حديث جابر رضي الله عنهما، ورواه البخاري (٧٢٦١)، ومسلم (٢٤١٥)، بلفظ: «لكل نبي حواريٌّ وحواريَّ الزبير».

(٢) انظر: «تهذيب اللغة» (٥/ ١٤٨) ونقله الأزهري عن الزجاج، وانظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ١٦٤)، وقد عزاه الهروي تلميذ الأزهري في «الغربيين» (مادة: حور)، والنووي في «شرح مسلم» (٢/ ٢٨)، وابن الأثير في «النهاية» (مادة: حور)، والعيني في «عمدة القاري» (١٤/ ١٤١)، إلى الأزهري.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٤٤٢) عن سعيد بن جبير، وذكره البخاري موقوفًا على ابن عباس رضي الله عنهما في (باب مناقب الزبير) عقب الحديث (٣٧١٦)، ووصله الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٦٢١)، وابن المنذر في «تفسيره» (١/ ٢١٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٦٥٩)، جميعهم من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) في النسخ: «وابن أرطاة»، والمثبت من المصادر وستأتي.

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٤٤٣) من طريق ابن أبي نجيح عن أبي أرطاة، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٤٢) عن الضحاك. وذكره عن أبي أرطاة أيضاً الثعلبي في «تفسيره» (٣/ ٧٦)، وابن عطية في «المحرر الوجيز» (١/ ٤٤٢)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٢٨٦).

(٦) في (ر) و(ف): «وقيل».

(٧) البيت لأبي جلدة اليشكري، كما في «ديوانه» (ص: ٣٣٧)، و«تفسير الطبري» (٥/ ٤٤٤)، و«معاني =

وسُمِّيَ أنصارُ كلِّ نبيٍّ: حواريين؛ تشبيهًا بأولئك.

وقيل: كانوا ملوكًا.

وقال ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: الحواريُّون أصفياء عيسى[١]. وكانوا اثني عشر رجلًا[٢].

وقال الضحَّاكُ: سُمُّوا حواريِّين لصفاءِ قلوبِهم[٣].

وقال السُّدِّي: كانوا ملَّاحين يصطادون السَّمك، فمرَّ بهم عيسى صلوات الله عليه، فقال لهم: أفلا[٤] تمشون معي فتصطادوا[٥] الناس، فآمنوا به واتَّبعوه[٦].

وقال عبد الله بن المبارَك: سُمُّوا به لأنه[٧] كان يبينُ عليهم أثرُ العبادة ونورُها وحسنُها؛ قال تعالى: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ [الفتح: ٢٩][٨].

= القرآن» للزجاج (١/ ٤١٨)، و«الحماسة الصغرى» لأبي تمام (ص: ٢٩)، و«الغريبين» للهروي (٢/ ٥٠٨)، و«الممتع في الشعر» للنهشلي (١/ ١٤٦). وعجزه في «الحماسة الصغرى»:

فقُلْ لنساءِ المِصْرِ يَبْكِينَ غيرنا

(١) ذكره الماتريدي في «تفسيره» (٢/ ٣٨٠)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٢٨٥)، وروى ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٦٦٠) عن الضحاك قال: الحواريون أصفياء الأنبياء.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٦٢٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما ضمن خبر.

وذكره السمرقندي في «تفسيره» (١/ ٢١٧) عن الكلبي، والثعلبي في «تفسيره» (٣/ ٧٧) عن الكلبي وأبي روق، والبغوي في «تفسيره» (٢/ ٤٣) عن الكلبي وعكرمة.

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣/ ٧٧)، والبغوي في «تفسيره» (٢/ ٤٣).

(٤) في (أ): «ألا» بدل: «لهم: أفلا».

(٥) في (ر): «فتصطادون»، وفي (ف): «تصطادون».

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (٤٣٧ ـ ٤٤١) ضمن خبر طويل.

(٧) في (ر): «لأنهم».

(٨) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣/ ٧٧)، والبغوي في «تفسيره» (٢/ ٤٣).

وقال عليه الصلاة السلام: «مَنْ كَثُرَتْ صلاتُهُ باللَّيلِ حَسُنَ وجهُهُ بالنَّهارِ»[١].

وقال عطاء: سلَّمَتْ مريمُ عيسى إلى أعمالٍ شتَّى، فكان آخر ما دفعته إلى الحواريين، وكانوا قصَّارين وصبَّاغين، فدفعته إلى رئيسهم ليتعلم منه[٢]، فاجتمع عنده ثيابٌ، وعرض له سفرٌ، فقال لعيسى: إنك قد تعلَّمْتَ هذه الحرفة، وأنا خارج في سفرٍ لا أرجع إلى عشرة أيَّامٍ، وهذه ثيابٌ مختلفة الألوان، وقد أعلمْتُ على كلِّ واحدٍ منها خيطًا[٣] على اللَّون الذي يصبغ به، فيجب أن تكون فارغًا منها وقتَ[٤]

---

(١) رواه ابن ماجه (١٣٣٣) من حديث جابر رضي الله عنه، وهو باطل مرفوعًا، والصواب أنه من كلام شريك، قال محمَّد بن عبد الله بن نمير ـ كما في «الكامل» لابن عدي في ترجمة ثابت بن موسى ـ: باطل، شُبِّه على ثابت، وذلك أن شريكًا كان مزاحًا، وكان ثابت رجلًا صالحًا، فيشتبه أن يكون ثابت دخل على شريك، وكان شريك يقول: الأعمش عن أبي سفيان عن جابر عن النبي ﷺ، فالتفت فرأى ثابتًا، فقال يمازحه: من كثرت صلاته بالليل حَسُن وجهه بالنهار، فظن ثابت لغفلته أن هذا الكلامَ الذي قال شريك هو من الإسناد الذي قرأه، فحمله على ذلك، وإنما ذلك قول شريك.

قلت: وذكر الحاكم في «المدخل إلى كتاب الإكليل» (ص: ٦٣) نحو كلام ابن عدي وزاد: وليس لهذا الحديث أصل إلا من هذا الوجه، وعن قوم من المجروحين سرقوه من ثابت بن موسى فرووه عن شريك. أخبرنا بصحة ما ذكرته أبو عمرو عثمان بن عبد الله السماك ببغداد قال: حدثنا أبو الأصبغ محمد بن عبد الرحمن بن كامل قال: قلت لمحمد بن عبد الله بن نمير: ما تقول في ثابت بن موسى؟ قال: شيخ له فضل وإسلام ودين وصلاح وعبادة. قلت: ما تقول في حديث جابر: «من كثر صلواته بالليل... »؟ فقال: غلط من الشيخ، وأما غير ذلك فلا يتوهم عليه. وانظر: «الموضوعات» لابن الجوزي (٢/ ٣٤ـ٣٦) فقد رواه من طرق عدة عن جابر وأنس وقال: لا يصح.

(٢) في (ف): «عنده».

(٣) في (أ): «خطًا».

(٤) في (ف): «قبل».

قدومي، وخرج، فطبخ عيسى عليه السلام حُبًّا[١] واحدًا على لون واحدٍ، وجعل جميع الثياب فيه. وقال لها: كوني بإذن الله تعالى على ما أُريد منك. فقدم الحواريُّ والثيابُ في الحُبِّ، فقال له: ما فعلْتَ؟ قال: فرغْتُ مِن صبغِها. قال: أينَ هي؟ قال: في الحُبِّ. قال: كلُّها؟ قال: نعم. قال: أليس قد أعلمْتُ لك على كلِّ واحدةٍ علامةً منها؟ قال: نعم. قال: وكيف تكون كلُّها في حُبٍّ واحدٍ؟ لقد أفسدْتَ تلك الثِّيابَ. فقال عيسى عليه السلام: قم فانظر. فقام مغضبًا، فأخرج عيسى ثوبًا أصفر وثوبًا أحمر إلى أن أخرجها على الألوان التي أرادها، فجعل الحواريُّ يتعجَّبُ، وعلم أن ذلك من الله تعالى، فقال للنَّاس: تعالوا انظروا[٢] إلى ما صنعَ، فآمَنوا به[٣].

وقال ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: صنعَ ملكٌ من الملوكِ طعامًا، فدعا الناس إليه، وكان عيسى عليه السلام على قصعةٍ، وكانت القصعةُ لا تَنقصُ، فذُكِرَ ذلك للملكِ، فقال: أروني ذلك الرَّجلَ، فأَتَوا بعيسى، فقال له الملك: مَن أنت؟ قال: أنا عيسى بن مريم. فقال: أنا أترك ملكي هذا وأَتَّبعُكَ، فانطلق معه، واتَّبعه مَن معه، فهم الحواريُّون[٤].

وقيل: إذا اختلفَتِ الرِّوايات فيهم وأَمكن[٥] الجمع، قلنا: يحتمل أن بعضهم

(١) في (ر) و(ف): «جبًا»، وكذا وقعت فيهما بالجيم في المواضع الآتية، والمثبت من (أ) والمصادر، والحب: الجرة، أو الضخمة منها، أو وعاء للماء والزيت ونحوهما، انظر: «القاموس» و«المعجم الوسيط» (مادة: حبب).

(٢) في (ف): «فانظروا».

(٣) ذكره عن عطاء الثعلبي في «تفسيره» (٣/ ٧٦)، والبغوي في «تفسيره» (٢/ ٤٢ ـ ٤٣)، والقرطبي في «تفسيره» (٥/ ١٤٩).

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣/ ٧٧) عن ابن عون.

(٥) في (ر) و(ف): «فأمكن».

كان ملكًا، وكان بعضهم صيَّادين، وبعضهم قصَّارين، وكلُّهم[١] صاروا صفوتَه وأعوانه، فسُمُّوا به.

فإنْ قيل: فلماذا[٢] استنصر بالحواريِّين على قومه، وإنما بُعِث بالوعظ دون نصب الحرب؟

قلنا: طلبَ الحمايةَ من الكفَّار الذين أرادوا قتلَه عندَ إظهارِ الدَّعوة. كذا قال[٣] الحسن ومجاهد[٤].

وقال الإمامُ أبو منصورٍ رحمه الله: مِن النَّاس مَن يقولُ: لم يكن في شريعة عيسى عليه السلام الأمرُ بالقتال، وفي الآية إشارةٌ إلى ذلك؛ فإنه يقول: ﴿فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُواْ ظَٰهِرِينَ﴾؛ أخبر أنهم أصبحوا على عدوِّهم ظاهرين[٥]، فلا يخلو ذلك من أن يكون[٦] قتالًا أو غلبةً بحجَّةٍ، أو أشياءَ ممَّا قهرهم به، والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ﴾: أي: أنصار دينِه، كما قال: ﴿إِن تَنصُرُواْ اللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾ [محمد: ٧]، والله تعالى لا يُنْصَرُ، ولكن يُنْصَرُ دينُه ورسلُه[٧].

---

(١) في (أ): «وكان بعضهم قصارين وبعضهم صباغين فكلهم».

(٢) في (أ) و(ف): «لماذا».

(٣) في (أ): «قاله».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٤٤٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٦٥٩)، عن الحسن. ورواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٤٤٢) من طريق ابن جريج عن مجاهد، ورواه ابن المنذر في «تفسيره» (١/ ٢١٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٦٥٩) عن ابن جريج. وذكره الماوردي في «تفسيره» (١/ ٣٩٦) عن الحسن ومجاهد.

(٥) في (ف): «منصورين على عدوهم»، بدل: «على عدوهم ظاهرين».

(٦) في (ر): «كان». وعبارة «التأويلات»: (فلا يخلو إما أن يكون).

(٧) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٢/ ٣٧٩ ـ ٣٨٠).

قوله تعالى: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾: أي: صدَّقنا أنَّه أرسلَك ﴿وَٱشْهَدْ﴾ أنت علينا ﴿بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾: منقادون.

والإشهاد في مثل هذا للتَّأكيد، كأنهم قالوا: اعلم يقينًا[1] أنَّنا كذلك.

وقال الإمام أبو منصورٍ رحمه الله: والآية تنقض قولَ مَن يجعلُ الإيمانَ غيرَ الإسلامِ، لأنَّهم أَخبروا أنهم آمنوا وأنهم مسلمون، لم يفرِّقوا بينهما، وهو كقوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الذاريات: ٣٥ ـ ٣٦]، وكذلك قول موسى: ﴿إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٨٤]، وهو قولنا: إنهما واحدٌ؛ فإن الإيمانَ: أن تصدِّق أنَّك عبدُ اللهِ، والإسلامَ: أن تجعلَ نفسَكَ لله سالمةً.

قال: وقيل: الإسلام: اسمٌ لِمَا ظهرَ، والإيمانُ: اسمٌ لِمَا بَطنَ[2].

* * *

(٥٣) ـ ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾.

قوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ﴾: أي: بالكُتبِ التي أنزلتها على الرُّسل جميعًا، فإنْ أرادوا: بما أنزلْتَ على عيسى، فالإيمانُ بواحدٍ من الرُّسل إيمانٌ بجميع الرُّسل وبالكتب كلِّها. قاله[3] أبو منصورٍ رحمه الله[4].

قوله تعالى: ﴿وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ﴾: أي: رسولَك عيسى ﴿فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾؛

---

(١) في (ف): «تيقنا»، بدل: «اعلم يقينًا».

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٢/ ٣٧٩).

(٣) في (ر): «قال الإمام».

(٤) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٢/ ٣٨١).

أي: أثبِتْ أسامينا في جملة مَن شهد بمثل شهادتنا لك بالتوحيد، ولأنبيائك بالتصديق؛ لنفوزَ بما فازوا.

وقيل: في الشَّاهدين أنَّهم هم[1] الأنبياء.

وقيل: هم أمَّة محمَّدٍ ﷺ، ولهم في القرآن أسامٍ كثيرة: المتَّقون، والصَّالحون، والصِّدِّيقون، وحزب الله، والمفلحون، ونحوُ ذلك، وكانَ ذِكْرُ نبيِّنا وذِكْرُنا في كلِّ كتابٍ، وذُكِرَ لكلِّ نبيٍّ وأمَّتِه، وعرَفوا ذلك، فلذلك سَألوا هذا.

وقيل: معنى الكتابة: الضمُّ والجمعُ؛ أي: اجمع بيننا وبينهم في الدُّنيا على التَّقوى والثَّبات على طريق الهدى، وتجنُّبِ طريق الرَّدى، وفي الجنَّة في أنواع الكرامة.

وقيل: معناه: واجعلنا[2] نقوم بحجَّتِكَ ودعوتِكَ عندَ مَن أنكر ما جاءَ به رسولُك؛ لأنَّ الشَّاهد هو الَّذي يحقِّق دعوى المدَّعي.

يقولون: اجعلنا دعاةً إليك، شاهِدين لك بالحقِّ في عبادك. وقد رُوي أن عيسى عليه السلام فرَّقَهم دعاةً في البلدان.

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله في تمام الآية: ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنۡهُمُ ٱلۡكُفۡرَ﴾: لَمَّا بلَّغهم الرِّسالة واختلفوا، فمنهم مَن صدَّقه، ومنهم مَن كذَّبه، وهم الأكثرون = علمَ أنَّه لا تنفكُّ النبوَّة عن[3] البلاءِ وتسلُّط الأعداء، فقطع عنهم قلبَه، وصدَقَ[4] إلى اللهِ تعالى قصدَه، وقال لقومِه: ﴿مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾؛ أي: مَن يساعدني على التَّجرُّدِ

---

(١) «هم» ليس في (أ).

(٢) بعدها في (ر): «نحن».

(٣) في (ر): «من».

(٤) في (ف): «وصرف».

لحقِّه[١]، والخلوصِ في قصدِه؟ فقالَ مَن انبسطَتْ عليهم أنوارُ العنايةِ، واستُخْلِصوا بآثار الحماية[٢]: نحنُ أنصارُ اللهِ، آمنَّا باللهِ، فاشهد[٣] لنا بذلك عندَ الله.

وأمَّا الآخرون فجَدُّوا في المشاقَّة، وبالغوا في العداوة، ودسُّوا له في المكيدة، فتوهَّموا أنَّهم صَلبوا عيسى، وذلك جهلٌ منهم، بل رفعه الله إلى السَّماء، وأنزل بأسَه على الأعداء[٤].

***

(٥٤) ـ ﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾.

قوله تعالى: ﴿ وَمَكَرُواْ ﴾: قال الزَّجَّاجُ: المكرُ: هو السَّعي بالإفساد في حقِّ الغير على خفاءٍ، من قولهم: مَكَر اللَّيلُ وأَمْكَر؛ أي: أَظْلَم[٥]، ومعناه: قصَد الذين لم يؤمنوا به من اليهود في قتلِه.

قوله تعالى: ﴿وَمَكَرَ ٱللَّهُ﴾؛ أي: جازاهم على مكرِهم، ولا يجوز إضافة المكر إلى اللهِ ابتداءً، ويجوز على معنى الجزاء، كما مرَّ في أوَّل سورة البقرة في ذكر الخداع والاستهزاء والسَّيئة والاعتداء.

وكان الحواريون مع عيسى وقد قصد اليهود قتلَه، فهرَبَ منهم وقال للحواريِّين:

---

(١) في (أ): «على التجرد لخلقه» وفي (ر): «على أداء حقه».

(٢) في المطبوع من «اللطائف»: «بآثار التخصيص».

(٣) في (ف): «واشهد».

(٤) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٢٤٥).

(٥) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٤١٩)، و«البسيط» للواحدي (٥/ ٢٩٨) واللفظ له، ولفظ الزجاج في «المعاني»: (المكر من الخلائق خب وخداع، والمكر من الله المجازاة على ذلك، فسمي باسم ذلك لأنه مجازاة عليه...).

أَيُّكم يحبُّ أن يكون رفيقي في الجنَّة على أن يُشَبَّهَ للقوم في صورتي فيقتلوه مكاني؟ فأجابه إلى ذلك بعضُهم وكانوا اثني عشر رجلًا(١).

وقيل: ارتدَّ أحدهم، وكان اسمه يهوذا وصاحب تدبير اليهود في قتل عيسى، فبقي مع عيسى أحد عشر رجلًا.

وقيل: أُبْدِلوا مكانَه آخر، فتمُّوا اثني عشر.

وأمرَ اليهودُ يهوذا أن يدخلَ على عيسى فيقتلَه، فدخلَ فوجدَه قد رُفِعَ إلى السَّماء، وألقى الله تعالى شبهَه عليه، فخرج إلى أصحابه فقال: ما أرى في البيت أحدًا، فظنُّوه عيسى فقتلوه، فكانَ ذلك جزاءَ مكرِهم.

وقال الكلبيُّ رحمه الله: إنَّ ملكَ اليهودِ أرادَ قتلَ عيسى عليه السلام، والدَّاخلُ عليه ليقتلَه لطيانوس، أُلْقِيَ شبهُه عليه فخرَج فقتلوه(٢).

وقال مقاتل: ورفع الله عيسى إلى السماء من بيت المقدس ليلةَ القدرِ في رمضان(٣).

وقال عطاء: كان رجلٌ من بني إسرائيل آمن بعيسى عليه السلام، ثم نافقَ فدلَّ عليه، فجعله الله في صورة عيسى، فطُلِبَ فأُخِذَ وقُتِلَ وصُلِبَ(٤).

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٦٥٦)، وابن المنذر في «تفسيره» (١/ ٢٢٠)، عن ابن إسحاق.

(٢) انظر: «تفسير أبي الليث السمرقندي» (١/ ٢٤٢)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣/ ٤٠٩)، والبغوي في «تفسيره» (٢/ ٤٤)، من طريق الكلبي عن أبي صالح عن أبن عباس رضي الله عنهما. والكلبي متروك.

(٣) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (١/ ٣٩٧)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٣٩٧).

(٤) ذكر نحوه الواحدي في «الوسيط» (١/ ٤٤١) دون نسبة، والخازن في «تفسيره» (١/ ٤٤٤) وعزاه لوهب بن منبه.

وقال وهبٌ: إنهم طرقوا عيسى ليلًا فأخذوه، ونصبوا خشبةً ليصلبوه، فلمَّا أرادوا أن يرفعوه أظلمَتِ الأرضُ، وأرسلَ[١] اللهُ الملائكةَ فحالوا بينهم وبينه، وصلبوا مكانَه يهوذا، وهو الذي دلَّهم عليه، وأشرقَتِ الأرضُ، وقلبَ اللهُ قلوبَ النَّاسِ وأبصارَهم، فجعلوا ينظرون إلى يهوذا في صورة عيسى[٢].

وقيل: الدَّاخل على عيسى[٣] ططوس، وخرج وقد أُلْقِيَ عليه شبههُ فقتلوه، ثم أذهبَ اللهُ صورةَ عيسى عنه، فقالَتْ[٤] عشيرتُه: قتلْتُم ططوس بغير حقٍّ، فنطالبُكم بدمِه[٥]، وقالوا: قتلنا عيسى، ثم اختلفوا فقالوا: إن كان هذا عيسى فأين ططوس؟ وإن كان ططوس فأين عيسى؟ ثم تحاربوا، فقُتِلَ سبعون ألفًا منهم، وهذا جزاءُ مكرِهم بعيسى مِن جنسِ قصدِهم؛ قال الله تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ [النساء: ١٥٧]، وهذا[٦] نظيرُ قصة صالح: ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا﴾ [النمل: ٥٠]، وكانوا تقاسموا بالله لنبيِّتنَّه[٧] وأهلَه، والملائكةُ بيَّتَتْهم فشدخَتْهم.

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾: أي: إنَّ[٨] الماكرين فعلوا ما ليس لهم وهو ظلمٌ منهم وإفسادٌ، والله تعالى فعل ما هو[٩] حقٌّ وعدلٌ وجزاءٌ على الوِفاق.

---

(١) في (أ): «فأرسل».

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣/ ٧٩)، والبغوي في «تفسيره» (٢/ ٤٤).

(٣) في (ف): «وقيل المصلوب».

(٤) في (ر) و(ف): «فقال».

(٥) في (ر) و(ف): «فنطالبكم به أي بدمه».

(٦) في (أ): «وهو».

(٧) في (أ): «لنبيتنه».

(٨) في (أ): «لأن» بدل: «أي: أن».

(٩) بعدها في (ر): «له».

وقال الإمام أبو منصورٍ رحمه الله: قيل: ﴿مَكَرُوا﴾ حيث[١] همُّوا بقتل عيسى، ﴿وَمَكَرَ اللَّهُ﴾ حيث رفعَه إليه وألقى شبَهَهُ على رجلٍ منهم فقتلوه، فذلك خيرٌ لعيسى مِن مكرهم.

وقال: ﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾؛ أي: خير الجازِينَ[٢]؛ يجزي أهلَ الجور بالعدلِ، وأهلَ الخيرِ بالفضلِ.

وقال: المكرُ هو الأخذُ بالغفلةِ، والله يمكرُ؛ أي: يأخذُ مَنِ استحقَّ الأخذَ مِن حيثُ لا يعلمُ[٣].

* * *

(٥٥) - ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾.

قولُه تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾[٤]: أي: ومكرَ اللهُ إذْ قالَ، أو: واذكرْ[٥] يا محمَّدُ إذ قال لعيسى.

وقوله تعالى: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾: فيه أربعة أقاويل[٦] للمفسِّرين:

---

(١) في (ف): «حين»، والمثبت من (أ) و(ر) و«التأويلات».

(٢) في (ر) و(ف): «المجازين»، والمثبت من (أ) و«التأويلات».

(٣) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٢/ ٣٨٢).

(٤) «إني متوفيك»: من (ف).

(٥) في (ف): «اذكر».

(٦) في (ف): «أقوال»، وفي (ر): «أوجه أقوال».

قال الحسنُ وابن جُريجٍ: إني قابضُك برفعِكَ منَ الأرض إلى السَّماءِ[(١)]، والتَّوفِّي والاستيفاءُ: هو قبضُ الشَّيء بتمامِه، وقد وفَّيتُه حقَّه، فتوفَّاه واستوفاه.

وقال الرَّبيع بن أنسٍ: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾: بالنَّوم للرَّفع إلى السماء؛ قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾ [الزمر: ٤٢][(٢)].

وقال ابن عباسٍ ووَهْبُ بن مُنبِّهٍ: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ وفاةَ موتٍ[(٣)].

ثم قال وهبٌ: توفَّاه ثلاثَ ساعاتٍ، ثم أحياه ورفعَه إلى السَّماء[(٤)].

وقالَ ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: في الآية تقديمٌ وتأخيرٌ، وتقديره: إني رافعك إليَّ ثم متوفِّيك بالموت بعد هبوطك في آخر الزَّمانِ[(٥)].

---

(١) رواه عن الحسن عبد الرزاق في «تفسيره» (٤٠٧)، والطبري في «تفسيره» (٥/ ٤٤٨)، وابن المنذر في «تفسيره» (٥٢٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٦٦١).
ورواه عن ابن جريج الطبري في «تفسيره» (٥/ ٤٤٩)، وابن المنذر في «تفسيره» (٥٢٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٦٦٢).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٤٤٨).

(٣) رواه عن ابن عباس رضي الله عنهما الطبري في «تفسيره» (٥/ ٤٥٠)، وابن المنذر في «تفسيره» (٥٢٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٦٦١).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٤٥٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٦٦١). ولعله أخذه من أهل الكتاب؛ ولذا عقبه الطبري بقول ابن إسحاق: والنصارى يزعمون أنه توفاه سبع ساعات من النهار، ثم أحياهُ الله. وقال القرطبي في «تفسيره» (٥/ ١٥٣): والصَّحيحُ أنَّ اللهَ تعالى رفَعَهُ إلى السَّماء من غيرِ وفاةٍ ولا نومٍ كما قال الحسنُ وابنُ زيدٍ، وهو اختيارُ الطَّبريِّ [في «تفسيره» (٥/ ٤٥٢)]، وهو الصَّحيحُ عن ابن عباسٍ، وقاله الضَّحَّاكُ.

(٥) ذكره الواحدي في «البسيط» (٥/ ٣٠٤)، وروى نحوه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٦٦١) عن قتادة، وذكره الراغب الأصفهاني في «تفسيره» (٢/ ٥٩١) عن الفراء.

وفي قراءة عليٍّ رضي الله عنه: (إنِّي رافعُكَ إليَّ ومتوفِّيْك ومطهِّرُك)(١).

ثم لأهل المعاني أقاويلُ أُخرُ منها:

قيل: ﴿مُتَوَفِّيكَ﴾؛ أي: مستوفي مدَّةَ مقامِكَ(٢) في الدُّنيا.

وقيل: أي: متوفِّي عَمَلِكَ، ومتقبِّلُهُ منك، ومثيبُكَ عليه، ورافعُكَ إليَّ في الفضل والمنزلة الرَّفيعة كما تستحقُّه، وهو كقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ [آل عمران: ٤٥].

وقيل معناه: إني مميتُ شَهْوَتِكَ ورافعُكَ إلى السَّماء، فيصيرُ حالُكَ كحال الملائكة.

وقيل: إنَّ الله تعالى توفَّاه ورفعَه، ثم أحياه، وكساه الرِّيشَ، وأنزلَه في اليوم الرَّابع حتى بعثَ الحواريِّين وفرَّقهم في البلاد، فهو أرضيٌّ سماويٌّ، إنسيٌّ روحانيٌّ.

قوله تعالى: ﴿وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾؛ أي: إلى السَّماء، والإضافةُ إلى نفسِه إضافةُ كرامةٍ، وهو كقول إبراهيم عليه السلام: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي﴾ [الصافات: ٩٩].

وقيل: ورافعك إلى الموضع الذي لا حكمَ فيه إلَّا للهِ، وهو السَّماء، فأمَّا الأرضُ ففيها ملوكٌ وحكَّامٌ ظاهرًا.

قوله تعالى: ﴿وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾: أي: مخلِّصُك ومانعُك من الذين كفروا وهمُّوا بقتلِكَ، ولو فعلوا كان ذلك(٣) رجسَ كفرٍ ورجسَ قتلٍ، فطهَّرتُك من(٤) ذلك.

---

(١) لم أقف عليها.

(٢) في (ر) و(ف): «إقامتك».

(٣) «ذلك» ليس في (أ) و(ف).

(٤) في (أ) و(ف): «عن».

وقيل: ﴿وَمُطَهِّرُكَ﴾؛ أي: مُبعدُك عنهم، فلا تسمع منهم كفرًا ولا تراه، يُقالُ: طهَّرَ اللهُ الأرضَ مِن فلان.

وقيل: أي: مبرِّئُك من العيوب التي قالوا فيك، ومنزِّهُك عن ذلك.

قوله تعالى: ﴿وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوۡقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾: أي: أهلَ التَّوحيد والإيمان بالله، دونَ مَن كذَّبه أو كذَبَ عليه، وقد جعل الله المؤمنين فوق الكافرين بغلَبَة الحُجَّةِ، قال الله تعالى: ﴿لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ [التوبة: ٣٣].

وقيل: بالقَهْر والسُّلطان، وقد جعلَ أهلَ الرُّوم فوق اليهود بالقهر والسلطنة[١] إلى يوم القيامةِ؛ أي: ولا يكون لليهود مملكةٌ[٢] إلى يوم القيامة.

قولُه تعالى: ﴿ثُمَّ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ﴾: أي: مصيركم في الآخرة.

قوله تعالى[٣]: ﴿فَأَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ فِيمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ﴾: أي: بتحقيق وعد المؤمنين ووعيد الكافرين.

وقيل: بإظهار المحقِّين والمبطِلين.

وقيل: ذلك بتسويد بعض الوجوه وتبييض بعضها.

وقيل: بإعطاء الكتب بالأيمان والشَّمائل.

* * *

(٥٦) ـ ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَأُعَذِّبُهُمۡ عَذَابٗا شَدِيدٗا فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾.

---

(١) في (ف): «والسلطان».

(٢) في (ر): «أي وتكون مملكته».

(٣) «قوله تعالى» ليس في (أ).

قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا﴾؛ أي: بالمسخ والقتل والقهر والسبي والجزية.

وقيل: بالأمراض والرَّزايا في الأنفس والأموال، كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الدُّنْيَا﴾ [التوبة: ٨٥]، ولا ثواب لهم عليها بخلاف المؤمنين.

وقوله: ﴿وَالْآخِرَةِ﴾: هو عذابُ النَّارِ والخلودُ فيها.

قوله تعالى: ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾: أي: معِينين ومانعين، وللعذابِ دافعين.

* * *

(٥٧) - ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ﴾: قرأ عاصم في رواية حفصٍ بياء المغايبة؛ أي: فيوفِّيهم اللهُ ثوابَ أعمالِهم في الدُّنيا بالإعزاز والإعلاء والتَّمكين من الأعداء، وفي الآخرة بالجنة واللِّقاء.

وقرأ الباقون بالنون[1]، يقول الله تعالى: نحن نوفِّيهم، كما قال في الآية الأولى: ﴿فَأُعَذِّبُهُمْ﴾ [آل عمران: ٥٦]، والجمع لإظهار العظمة والسُّلطان[2].

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾: أي: الكافرين، وقيل: العاصين.

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: إذ قال الله: يا عيسى إني متوفِّيك عنك، وقابضك منك، ورافعك عن نعوت البشريَّة، ومطهِّرك من إرادتِك بالكليَّة، حتى

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٢٠٦)، و«التيسير» (ص: ٨٨).

(٢) في (أ): «والسلطنة».

تكـون متصرِّفًـا بنـا لنـا، ولا يكـون عليك مـن اختيـارك شـيء، وبهذا الوصـف كان يظهـرُ على يديـه إحيـاء الموتى.

قال: ويُقال: طهَّر قلبَه عن مطالعة الأغيار، ومشاهدة الآثار، في جميع الأحوال والأطوار.

﴿وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوۡقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ بالقهر والنُّصرة والحُجَّة، ومتَّبعُوه: الذين لم يبدِّلوا دينَه، ثم يحكمُ الله تعالى بينه وبين أعدائه؛ فأمَّا الكفَّارُ ففي الجحيم، وأمَّا المؤمنون ففي النَّعيم[١].

* * *

(٥٨) ـ ﴿ذَٰلِكَ نَتۡلُوهُ عَلَيۡكَ مِنَ ٱلۡأٓيَٰتِ وَٱلذِّكۡرِ ٱلۡحَكِيمِ﴾.

قولُـه تعالـى: ﴿ذَٰلِكَ نَتۡلُوهُ عَلَيۡكَ﴾: ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشـارةٌ إلـى القصـص المتقدِّمة، ﴿نَتۡلُوهُ عَلَيۡكَ﴾؛ أي: بقراءة جبريل عليك بأمرنا.

وقيل: معناه: نحن نوحيهِ[٢] إليك بعضَه على إثر بعضٍ.

قوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلۡأٓيَٰتِ﴾: أي: من دلالات وحدانيَّتنا وقدرتنا، ونفاذِ مشيئتنا، ودلالات رسالتك أيضًا.

وقيل: ﴿مِنَ ٱلۡأٓيَٰتِ﴾؛ أي: من العجائب والعبر.

قوله تعالى: ﴿وَٱلذِّكۡرِ ٱلۡحَكِيمِ﴾: قيل: ﴿ٱلذِّكۡرِ﴾: القرآن، كما قال تعالى: ﴿وَهَٰذَا ذِكۡرٞ مُّبَارَكٌ﴾ [الأنبياء: ٥٠]، و﴿ٱلۡحَكِيمِ﴾: المحكَم، كالشيء البديع بمعنى المبدَع، وهذا من صفات القرآن؛ قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ﴾ [هود: ١]؛ أي: لا يدخلها انتقاصٌ[٣].

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٢٤٥ ـ ٢٤٦).

(٢) في (أ): «نوحيه نحن» وفي (ر): «نحن نوجه».

(٣) في (أ) و(ر): «انتقاض».

وقال الضحَّاك: أُحْكِم من الشياطين أن يزيدوا فيه أو ينقصوا منه[١].

وقال مقاتل: أي[٢]: أُحْكِمَ فلا يدخلُه باطلٌ[٣].

وقيل: هو من الحكمة؛ لأنه بمنزلةِ: النَّاطق بالحكمةِ، ولأنَّ مُنزلَهُ حكيمٌ، وقد جَعلَ فيه الحكمةَ.

وقيل: هو فعيلٌ بمعنى الفاعل، ومعناه: أنه الحاكم على الكتب كلِّها.

وقال الكلبيُّ: الذكر الحكيم: هو اللَّوح المحفوظ[٤]؛ أي: كان هذا مكتوبًا في اللَّوح على حقيقة ما كان، وكذا ما في القرآن هو[٥] الصدقُ والحقُّ، دون ما قاله أهل الكتاب فإنَّه مغيَّرٌ محرَّفٌ.

* * *

(٥٩) ـ ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ﴾: نزلَتْ في وفد بني نجران، سألوا رسولَ الله ﷺ عن عيسى، قال: «هو عبدُ الله وابنُ أَمَته ورسولُه إلى خَلْقه»، فقالوا: إنه يستنكف عن[٦] ذلك، فنزلَتْ: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ﴾ [النساء: ١٧٢] الآية، فقالوا: إن كان عبدًا لله فمَن أبوه؟ فنزلت هذه الآية:

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٦١١)، ولفظه: (نسخ جبريل بأمر الله ما ألقى الشيطان على لسان النبي ﷺ، وأحكم الله آياته).

(٢) «أي» ليس في (أ).

(٣) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ١٠٢)، والثعلبي في «تفسيره» (٥/ ١١٧).

(٤) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (١/ ٢٤٤).

(٥) في (ر) و(ف): «فهو».

(٦) في (ف): «من».

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ﴾[١]؛ أي: صفته، كقوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ﴾ [الرعد: ٣٥]؛ أي: صفتها.

وقيل: المثَلُ: الشَّبَهُ، وأراد[٢] به التَّشبيهَ في كونه بغيرِ أبٍ، وقوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ ءَادَمَ﴾؛ أي: في كونه بغير أبٍ ولا أمٍّ.

قوله تعالى: ﴿خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ﴾: أي: قدَّره وصوَّرَه من ترابٍ[٣].

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾: قيل: ﴿لَهُۥ﴾ يرجع إلى آدمَ؛ أي: قال له: كنْ بشرًا سويًّا لحمًا ودمًا وعظامًا وكذا وذا روحٍ فكان، ومعناه: كوَّنَهُ كذلك فكان، وقد مرَّ هذا في سورة البقرة بتحقيقه.

وإذا جُعِلَ الخلقُ للتَّصويرِ وقولُه: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ للإحياء، كان ﴿ثُمَّ﴾ على الحقيقة.

وإذا جُعِلَ الخلق لإيجاده بشرًا، فكلمةُ ﴿ثُمَّ﴾ تكون بمعنى الواو، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَٰكُمۡ ثُمَّ صَوَّرۡنَٰكُمۡ﴾ [الأعراف: ١١]، و(ثم) بمعنى الواو في القرآن موجودٌ في آياتٍ؛ منها قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَنَحۡنُ أَعۡلَمُ بِٱلَّذِينَ هُمۡ أَوۡلَىٰ بِهَا صِلِيّٗا﴾ [مريم: ٧٠].

وقيل: ﴿ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ كنايةٌ عن عيسى، و﴿ثُمَّ﴾ على هذا للتَّراخي.

يقول: قد خلقْتُ آدمَ مِن غير ذكرٍ ولا أنثى، فليسَ خَلْقُ عيسى من غير أبٍ[٤] بأعجبَ من هذا، فما هذا الإنكار؟!

---

(١) روى الطبري في «تفسيره» (٥/ ٤٥٩ ـ ٤٦١) عدة آثار في هذا المعنى.

(٢) في (أ): «فأراد».

(٣) في (أ): «منه» بدل: «من ترابٍ».

(٤) في (أ) و(ف): «ذكر».

وقوله تعالى: ﴿فَيَكُونُ﴾، ولم يقل: فكان؛ لأنَّ تقديرَه: فإذا هو كائنٌ، فصلح[١] على صيغة الاستقبال لأنه أيضًا للحال.

وقيل: ﴿ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن﴾ هذا تامٌّ؛ لأنَّ الكونَ مفهومٌ، ثم قال: ﴿فَيَكُونُ﴾؛ أي: فكذا[٢] يكون كلُّ ما خلقه الله تعالى.

وقيل: في الآية دلالةٌ على[٣] جوازِ القِياسِ.

وقال الضحَّاكُ: إن أُسقفي بني[٤] نجران أتيا النبيَّ ﷺ ـ السيدَ والعاقبَ ـ فقالا: يا محمد! هل لعيسى مثلٌ عندك فتَضْربَه لنا؟ قد[٥] أجَّلناك ثلاثة أيامٍ. فلما كان اليومُ الثالث وصلى العصر جاءاه وقالا: هذه الأيام قد مضت فأين المثَل؟ فسكت النبيُّ ﷺ، ففشت المقالة في مجلس أهل مكة أن أُسقفي نجران قد غلَبَا محمَّدًا، فنزلَتِ الآيةُ[٦].

قال الشيخ أبو القاسم بن حبيب[٧]: إنَّ الله عزَّ وجلَّ شبَّه عيسى صلوات الله

---

(١) في (ر) و(ف): «يصلح».

(٢) في (ر): «فهذا»، وفي (ف): «فهكذا».

(٣) «على» ليست في (أ) و(ف).

(٤) «بني»: من (أ).

(٥) في (ف): «فقد».

(٦) قصة مجيء السيد والعاقب إلى النبي ﷺ رويت من وجوه كثيرة، لكن لم أقف عليها بهذا السياق عن الضحاك. انظر: «تفسير الطبري» (٦/ ٤٦٩ ـ ٤٧٠)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٢/ ٢٢٨).

(٧) أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب المفسر النيسابوري، صاحب كتاب «عقلاء المجانين»، كان أديبًا نحويًّا، عارفًا بالمغازي والقصص والسير، انتشر عنه بنيسابور العلم الكثير، وسارت تصانيفه الحسان في الآفاق، توفي سنة (٤٠٦هـ). قال الذهبي: وقد تكلم فيه الحاكم في رقعة نقلها عنه مسعود بن علي السجزي. انظر: «تاريخ جرجان» (ص: ١٩٠)، و«سير أعلام النبلاء» للذهبي (١٧/ ٢٣٧)، و«طبقات المفسرين» للسيوطي (ص: ٤٥ ـ ٤٧).

عليه بآدمَ صلوات الله عليه، فنظرنا فإذا عيسى يشبهُ آدمَ في خمسَ عشرةَ خصلةً:

أحدها: في التَّكوين.

والأخرى[١]: في العناصر؛ لأنَّ آدمَ خُلِقَ من ترابٍ، وهو أحد العناصر، وخُلِقَ عيسى من الرِّيحِ وهي العنصر الثَّاني.

واستوَيا في استغنائِهما عن أبٍ يكونانِ منه[٢].

وتساوَيا في العبوديَّة؛ إذ[٣] كلُّ واحدٍ منهما عبدُ الله، وكانَ[٤] آدمُ نبيًّا وعيسى نبيًّا.

وتساوَيا في المحنَةِ، فكانت محنةُ آدمَ صلوات الله عليه من إبليس، ومحنةُ عيسى عليه السلام من اليهود، وكانَ آدمُ يأكلُ ويشربُ، وكذلك عيسى؛ قال الله تعالى: ﴿كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَ﴾ [المائدة: ٧٥].

وقال القتيبي: أخبر عن الحدثِ بألطفِ ما يكون من الكنايةِ[٥].

وتساويا في الفقر إلى الله تعالى.

وتساويا في الصُّورة.

وتساويا في التَّركيب والتَّأليف.

وتساويا في الأجزاء والأبعاض.

---

(١) في (أ): «والآخر».

(٢) «يكونان منه» ليس في (أ).

(٣) في (أ): «أي».

(٤) في (أ): «فكان».

(٥) انظر: «غريب القرآن» لابن قتيبة (ص: ١٤٥).

وتساويا في الرَّفع إلى السماء ثم الإنزال؛ لأن آدم صلوات الله عليه رُفِعَ إلى الجنة ثم أُنْزِلَ إلى الأرض، ورُفِعَ عيسى إلى السماء الرابعة ثم ينزل إلى الأرض فيكسر الصَّليب ويقتل الخنزير، ونزوله من أشراط الساعة[١].

وتساويا في الخِلْقة؛ لأنهما لم يُخْلَقا أطوارًا كغيرهما.

واستويا في الإلهام؛ حين قال آدمُ لَمَّا عطس: «الحمد لله»[٢]، وقال عيسى: ﴿إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ﴾ [مريم: ٣٠].

وتساويا في التعليم؛ قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: ٣١]، وقال لعيسى: ﴿ونُعلِّمُه[٣] الكتابَ والحِكْمةَ والتَّوراةَ والإنْجيلَ﴾ [آل عمران: ٤٨].

وتساوَيا في نفخ الرُّوح فيهما؛ قال تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ [الحجر: ٢٩]، وقال في عيسى: ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾ [التحريم: ١٢].

وتساويا في الموت؛ قال الله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [الرحمن: ٢٦].

وكلُّ ذلك يردُّ على النَّصارى حيث قالوا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ١٧]، وقالوا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾ [المائدة: ٧٣].

* * *

(٦٠) ـ ﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾.

قوله تعالى: ﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾: أي: ذلك الثَّناء هو الحقُّ من ربِّك، والمبتدأُ محذوفٌ.

وقيل: ﴿ٱلْحَقُّ﴾ مبتدأٌ، وخبرُه محذوفٌ، وتقديرُه: الحقُّ إنما يأتيك من ربِّك.

---

(١) كما ورد ذلك في الحديث الذي رواه البخاري (٢٢٢٢)، ومسلم (١٥٥)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) كما ورد ذلك في الحديث الذي رواه الترمذي (٣٣٦٨) وحسنه عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) في (أ): «ويعلمه».

وقيل: ﴿ٱلۡحَقُّ﴾ مبتدأٌ، و﴿مِن رَّبِّكَ﴾ خبرُه؛ أي: هو من ربِّك.

وقيل: ﴿ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾؛ أي: إيجاد الخلق من ربِّك، فهو الخالقُ لا عيسى، والخطاب على هذا التَّأويل لِمَنْ شكَّ في أمر عيسى عليه السلام من النَّصارى.

وكذلك قولُه تعالى: ﴿فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ﴾.

وقيل: الخطابُ لمحمَّدٍ ﷺ، والمرَاد غيرُه.

قال الإمام أبو منصورٍ رحمه الله تعالى: مِن فعلِ الملوكِ خطابُ مَن هو أعقلُ الرَّعيَّةِ وأعظمُهم قَدْرًا عندهم؛ استكبارًا منهم عن مخاطبة الوضيع.

قال: ولأنَّ العصمةَ لا تزيل المحنة[١] ولا ترفع النَّهي[٢].

وقيل: معناه: فدُمْ على يقينِكَ، ولا تشكَّ في هذا.

* * *

(٦١) ـ ﴿فَمَنۡ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ فَقُلۡ تَعَالَوۡاْ نَدۡعُ أَبۡنَآءَنَا وَأَبۡنَآءَكُمۡ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمۡ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمۡ ثُمَّ نَبۡتَهِلۡ فَنَجۡعَل لَّعۡنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾.

قوله تعالى: ﴿فَمَنۡ حَآجَّكَ فِيهِ﴾: أي: خاصمَكَ في عيسى. وهو قول قتادة[٣].

وقيل: في الله.

ويرجعان إلى معنًى واحدٍ، فإنهم كانوا يقولون: عيسى ابنُ الله، فكان حجاجُهم فيهما.

وقيل: أي: في الحقِّ، وقد ذُكِرَ قبلَه.

---

(١) في (أ): «المحبة»، وفي مطبوع «التأويلات»: «الأمر».

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٢/ ٣٩١).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٤٦٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٦٦٦).

قوله تعالى: ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ﴾: أي: البيانِ في القرآن من الله تعالى، حتى علمْتَ ذلك.

قولُـه تعالـى: ﴿فَقُلۡ تَعَالَوۡاْ﴾: أي: هلمُّـوا، وللواحد: تعالَ، ومعنـاه في الأصل: تَصَاعَـدْ، كأنَّ الدَّاعـيَ كان[1] فـي علوٍ والمدعوَّ في سـفلٍ، فأمـرَهُ أن يتعالى إليه، ثم صار ذلـك لكلِّ مدعوٍّ أيـنَ كانَ.

قوله تعالى: ﴿نَدۡعُ أَبۡنَآءَنَا وَأَبۡنَآءَكُمۡ﴾: أي: نحضِرْ، وجزمه بكونه جوابَ الأمر.

قوله تعالى: ﴿وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمۡ﴾: ظاهرٌ.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمۡ﴾: أي: ونَحضُرْ بأنفسنا.

وقيل: بني أعمامنا ونحوَهم من الإخوة والقرابة القريبة.

وقيل: وأهلَ ديننا وأهلَ دينكم؛ قال تعالى: ﴿وَلَا تُخۡرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ﴾ [البقرة: ٨٤].

وقـد روي أنَّ النبـيَّ ﷺ خـرج بنفسـه وبالحسـن والحسـين وفاطمـةَ وعلـيٍّ رضـي الله عنهـم[2].

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ نَبۡتَهِلۡ﴾: قال الكلبيُّ: أي: نجتهدْ في الدُّعاء[3].

---

(١) «كان»: من (أ) و(ف).

(٢) رواه مسلم (٢٤٠٤) من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، ولفظه: ولما نزلت هذه الآية: ﴿فَقُلۡ تَعَالَوۡاْ نَدۡعُ أَبۡنَآءَنَا وَأَبۡنَآءَكُمۡ﴾ دعا رسول الله ﷺ عليًّا وفاطمة وحسنًا وحسينًا فقال: «اللهم هؤلاء أهلي».

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣/ ٨٤). ورواه ابن المنذر في «تفسيره» (٥٥٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٦٦٨)، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وقال مقاتل: أي: نُخْلِصْ في الدُّعاء[١].

وقال القتيبي: نتداعى باللَّعن[٢].

وقيل: نلتَعِن.

والابتهالُ والمباهلةُ في اللُّغة: هي[٣] اجتماعُ المتخاصِمَيْنِ في مكانٍ يتَّفقان عليه، والدُّعاءُ باللَّعنة على الكاذبِ من الفريقَيْن.

والبُـهْلَةُ بفتح الباء وضمها: اللَّعنة، يُقال: عليه بَـُهْلَةُ اللهِ؛ أي: لعنةُ اللهِ، وأصله: الإهمال والتخليـة، يقـال: ناقةٌ باهـلٌ؛ أي: لا صِرارَ علـى ضَرعها يحلبُها مَن يشـاء، وقـد أبهَلَهـا صاحبُهـا، ورجلٌ باهـلٌ: لا عصا معه يدفع بها عن نفسـه مَـن قصدَه مِن بشَـرٍ أو سبُعٍ[٤].

وقيل: الابتهالُ هو الدُّعاء مع رفع اليد، والمباهِلُ إذا قالَ: عليَّ بَـُهْلَةُ اللهِ؛ فكأنَّه يقولُ: وكَلَني اللهُ إلى نفسِي، وخلَّاني من حفظِه، ومَنْ وكلَهُ اللهُ إلى نفسِهِ وخلَّاه من[٥] حفظِهِ ساعةً فقد هلَكَ بغير[٦] شَكٍّ.

قوله تعالى: ﴿فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾: هو تفسيرُ الابتهالِ؛ أي: فنقُلْ: لعنةُ اللهِ على[٧] الكاذب منَّا. والجَعْلُ بمعنى القول هاهنا، وهو كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا﴾ [الصافات: ١٥٨].

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (١/ ٢٨١)، و«تفسير الثعلبي» (٣/ ٨٤).

(٢) انظر: «غريب القرآن» لابن قتيبة (ص: ١٠٦). وفي (ر): «القتبي» بدل: «القتيبي».

(٣) في (ف): «هو».

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٤٢٣).

(٥) في (أ) و(ف): «عن».

(٦) في (ر): «بلا».

(٧) في (أ) و(ف): «لعن الله»، بدل: «لعنة الله على».

وقيل: تحقيقُه: أنَّا إذا قلْنا ذلك ونحن مجتهدونَ مخلصون في الدُّعاء، استجابَ اللهُ تعالى لنا، ولعنَ الكاذبَ منَّا، فنكون قد جعلنا عليه اللَّعنة.

يقول: إنَّ الحجَّة في أمر عيسى قد بلغَتْ مُنتهاها، وظهرَ الحقُّ في أمرِ عيسى، فإنْ جادلوكَ بعد ظهور بطلان قولهم، وليس وقتَ القتال، فاقطع الحِجاجَ عنهم، فباهلْهم[1] وعاملْهم معاملةَ المعاندين، وهو الدُّعاء إلى الملاعنةِ الَّتي يتميَّز بها المُحِقُّ من المُبْطِل[2] بالاستئصال العاجل المعهود للكاذِب من المتلاعِنين فيما بينهم، وكانوا يقولون: اللَّهم أنزلْ لعنتَكَ على الكاذِبِ منَّا.

وقالَ ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: إنَّ وفدَ نجرانَ قدموا المدينةَ، وهم أربعةَ عشرَ رجلًا من أشرافهم، منهم السَّيِّد وهو كبيرُهم، واسمه أُهَيب[3]، والعاقبُ الذي بعدَه، وهو صاحبُ رأيهم، واسمُه عبدُ المسيح، والثالث أبو حارثة بن علقمة الأسقف، وكان في شرفٍ وخطرٍ عظيمٍ، وكان ملكُ الرُّوم بنى له الكنائس، وكانَ يبعث إليه بالكرامات.

فأقبلُوا حتى قدموا على رسول الله ﷺ في مسجد المدينة بعد العصر، وما رُؤِيَ وفدٌ أجمل منهم، عليهم ثيابٌ حسانٌ، ولهم وجوهٌ وأجسامٌ، فلما دخلوا المسجد قاموا وصلَّوا إلى[4] قبلتهم، فأرادَ أصحابُ النبيِّ ﷺ أن يمنعوهم، فقال رسول الله ﷺ: «دعوهم»، وقد[5] كان نزلَ على النبيِّ ﷺ قبلَ قدومِهم صدرٌ من سورة آل عمران لمحاجَّتهم.

---

(١) «فباهلهم»: من (ف).

(٢) في (ر) و(ف): «الحق من الباطل».

(٣) كذا في النسخ، والذي في المصادر: «الأيهم».

(٤) في (أ) و(ف): «قاموا واستقبلوا».

(٥) «قد»: من (ف).

ثم انتهى أبو حارثة هذا وآخرُ معه إلى النبيِّ ﷺ، فقال لهما رسولُ الله ﷺ: «أسلِما»، فقالا: قد أسلَمْنا قبلَك، فقال النبيُّ ﷺ: «كذبْتُما، يمنعُكُما عن الإسلام ثلاثٌ: عبادَتُكما الصَّليب، وأكلُكُما الخنزير، وزعمُكما[1] أنَّ للهِ تعالى ولدًا». قالوا: يا محمَّدُ، فلِمَ تعيْبُ صاحبَنا؟ قالَ: «ومَنْ صاحبُكم؟»، قالوا: عيسى، قال: «وأيُّ شيءٍ أقولُهُ[2]؟»، قالا: تقولُ: إنَّه عبدُ اللهِ ورسولُه! قالَ: «ليسَ بِهِ عارٌ أنْ يكون عبدًا للهِ»، قالوا: بلى. فأنزل الله: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ﴾ [النساء: ١٧٢]، ونزل: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ﴾ [آل عمران: ٥٩] الآيةَ.

ولَمَّا أنكروا ذلك دعاهُمُ النبيُّ ﷺ إلى الملاعنَةِ، وكانَ رسولُ اللهِ ﷺ خرجَ بنفرٍ مِن أهلِه، وجاءَ عبدُ المسيح بابنِه وبابنِ أخٍ له، فقالَ السيِّدُ للعاقبِ: قد واللهِ علمْتُم إنَّ الرَّجلَ لنبيٌّ مرسَلٌ، ولو لاعنْتُموه لاستأصَلَكم، وما لاعنَ قومٌ قطُّ نبيًّا فبقيَ كبيرُهم ولا نبَتَ صغيرُهم، وإنْ أنتم لم تتَّبعوه وأبيتم إلَّا إلْفَ دينِكم فوادِعُوه وارجعوا إلى بلادِكم.

فأتَوا النبيَّ ﷺ فقالوا: صالِحْنا يا محمَّد. فصالَحَهم النبيُّ ﷺ على ألفَي حلةٍ: ألفٌ في صَفَر وألفٌ في رَجَب، والإعانة في الحروب بثلاثين دِرعًا، وثلاثين فرسًا، وثلاثين بعيرًا بطريق العاريَّة، وكتب لهم كتابًا بذلك.

وفي روايةٍ: قال النبيُّ ﷺ[3]: «إنْ لم تَقبَلُوا فإنَّ اللهَ أمرني أنْ أباهِلَكُم»، فقالوا: بل نرجعُ فننظرُ في أمرِنا ثم نأتيك، وخلا بعضُهم إلى بعضٍ، وقالوا: إنه نبيٌّ، وملاعنَتُه استئصالٌ[4].

---

(١) في (أ): «عبادتكم... وأكلكم... وزعمكم».

(٢) في (أ) و(ر): «أقول له».

(٣) في (أ): «قال عليه السلام».

(٤) روى نحوه أبو نعيم في «دلائل النبوة» (٢٤٥) من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس =

وقال ابن عباسٍ رضي الله عنهما: لو خرجوا لرجعوا لا يجدون أهلًا ولا مالًا[١].

وفي روايةٍ: لَمَّا لم يباهلوا قالَ: «هل لكم في الإسلام؟»، فأبوا، قال: «فهل[٢] لكم في الجزية وأن تؤدُّوها عن يدٍ وأنتم صاغرون؟»، فقبلوا، وقالوا: لا طاقة لنا بحرب العرب[٣].

وروي أنَّه لَمَّا امتنع الكبار عن المباهلة خرج عليهم الأتباع وقالوا: إنَّ هذا الرَّجلَ رضيَ منكم بكلامٍ، فإنْ كنْتُم على الحقِّ فباهلوه، وإنْ كنْتُم على الباطل فأَسلموا نُسلِمْ

= رضي الله عنهما، وقد تقدم في أول السورة نحوه عن محمد بن جعفر بن الزبير والربيع بن أنس.
ومصالحة النبي ﷺ لهم على ما ذكر من الحلل والدروع والأفراس وغيرها رواه أبو داود (٣٠٤١) من طريق السدي عن ابن عباس، وفي سماع السدي من ابن عباس نظر كما قال المنذري ونقله عنه الزيلعي في «نصب الراية» (٣/ ٤٤٥)، ورواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٤٧١) عن السدي، وأبو عبيد في «الأموال» (٥٠٢) عن أبي المليح الهذلي.
وقد ورد حديث المباهلة مع وفد نجران عند البخاري (٤٣٨٠)، ومسلم (٢٤٢٠)، عن حذيفة رضي الله عنه قال: جاء العاقب والسيد صاحبا نجران إلى رسول الله ﷺ يريدان أن يلاعناه، قال: فقال أحدهما لصاحبه: لا تفعل، فوالله لئن كان نبيًا فلاعنا لا نفلح نحن ولا عقبنا من بعدنا، قالا: إنَّا نعطيك ما سألتنا، وابعث معنا رجلًا أمينًا، فقال: «لأبعثن معكم رجلًا أمينًا حقَّ أمين» فاستشرف له أصحاب رسول الله ﷺ، فقال: «قم يا أبا عبيدة بن الجراح»، الحديث. وانظر: «سيرة ابن هشام» (١/ ٥٧٣ ـ ٥٨٤)، و«تخريج أحاديث الكشاف» للزيلعي (١/ ١٨٦)، و«فتح الباري» لابن حجر (٨/ ٩٤).

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢٢٢٥)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (٤١١)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١٠٩٩٥)، والطبري في «تفسيره» (٥/ ٤٧٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٦٦٨).

(٢) في (أ) و(ر): «قال فقال هل».

(٣) رواه سعيد بن منصور في «سننه ـ التفسير» (٥٠٠)، والطبري في «تفسيره» (٥/ ٤٦٩)، عن الشعبي.

معكم. فقالوا: إنَّ هذا زمان خروجِ نبيٍّ[1] آخرِ الزَّمان، ونرى فيه بعضَ الأَمَارات دونَ بعضٍ، فنتوقَّفُ ليظهرَ لنا صدقُه من كذبِه، واتَّفقوا[2] على قَبول الجزيةِ.

وقال عليه الصلاة والسلام: «لو خَرَجوا وباهَلوا لَغَصُّوا بريقِهِم حتَّى مَاتُوا»[3].

وفي روايةٍ قال: «لاضطرم الوادي عليهم نارًا»[4].

وفي روايةٍ قال: «لو ابتهلوا لم يبقَ في الدُّنيا نصرانيٌّ ولا نصرانيَّةٌ إلى يوم القيامة»[5].

وفي روايةٍ: «لو تموا لِمَا خرجوا له ما بقي من أهل نجران عينٌ تطرف»[6].

وفي روايةٍ قال: «كان العذاب تدلَّى عليهم، ولو فعلوا لاستؤصلوا من جديل - أي: وجه[7] - الأرضِ»[8].

---

(١) بعدها في (ر): «في».

(٢) في (أ): «فاتفقوا».

(٣) لم أقف عليه.

(٤) روى نحوه الآجري في «الشريعة» (١٦٩٠) عن جابر رضي الله عنه، وفيه: «والذي بعَثَني بالحقِّ لو فَعَلَا لأَمطَرَ عليهم الوادي نارًا».

(٥) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٤٢٣) وفيه: (وقيل: إن بعضهم قال لبعض: إن باهلتموه اضطرم الوادي عليكم ناراً ولم يبق نصراني ولا نصرانية إلى يوم القيامة). وانظر التعليق الآتي.

(٦) قطعة من خبر ذكره دون سند ولا عزوٍ الثعلبي في «تفسيره» (٣/ ٨٥)، والواحدي في «البسيط» (٥/ ٣٢١)، والبغوي في «تفسيره» (٢/ ٤٨)، ولفظهم: «ولو تلاعنوا لمسخوا قردة وخنازير، ولاضطرم عليهم الوادي نارًا، ولاستأصل الله نجران وأهله حتّى الطير على الشجر، ولما حال الحول على النصارى كلهم حتى هلكوا».

(٧) «أي: وجه» ليس في (أ)، وفي هامشها: الجديل: «الأرض التي فيها الصلابة».

(٨) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٤٧١) عن قتادة، وفيه: (من جديد الأرض)، وجديد الأرض: =

(٦٢) ـ ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾.

قولُه تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ﴾: أي: وما اقتَصَصْنا عليك من أمر عيسى فأَتْبَعنا بعضَه بعضًا هو الصِّدقُ الذي لا كذبَ فيه، والحقُّ الذي لا باطلَ فيه.

وقد قصَّ أثرَه يقصُّه قصًّا؛ أي: اتَّبَعَهُ، والقِصاصُ: إتْباعُ الفعلِ الفعلَ، والقَصصُ: إتْباعُ الخبرِ الخبرَ.

قولُه تعالى: ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ﴾: ﴿مِنْ﴾ لتأكيدِ النَّفي، والمبالغةِ فيه.

قولُه تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾؛ أي: المنتقِمُ من أعدائه، الحكيمُ في تعليم الحُجَجِ لأوليائه.

* * *

(٦٣) ـ ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ﴾.

قولُه تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ﴾؛ أي: فإنْ أعرضوا عن المباهلة، وقيل: عن الإيمانِ بك وتصديقِهم في هذا، فهم مفسدون النَّاسَ، ومفسدون في الأرضِ، واللهُ جلَّ جلالُه عالمٌ[٨] بعقوبتهم.

* * *

(٦٤) ـ ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾.

= وجهها، وقيل: الجدد: الأرض الغليظة، وقيل: الأرض الصلبة، وقيل: المستوية. انظر: «لسان العرب» (مادة: جدد).

(٨) في (ف): «عليم».

قولـه تعالـى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ الآيـة: قالَ الحسـنُ والسُّـدِّيُّ: نزلَـتْ في نصـارى بني نجـران[١].

وقال قتادةُ والرَّبيعُ بن أنسٍ وابنُ جريجٍ: نزلَت في يهودِ المدينةِ[٢].

وقال الكلبيُّ: نزلت الآيةُ في اليهود؛ ناظَروا نصارى بني[٣] نجران في مسجدِ النبيِّ ﷺ، فقالت اليهودُ للنَّصارى: دينُنا خيرٌ من دينِكم، ونبيُّنا خيرٌ من نبيِّكم. وقالت النَّصارى لليهود هكذا، حتى وقعوا في ذكر إبراهيم، فقالت اليهودُ: إن إبراهيمَ كان يهوديًّا. وقالت النَّصارى: بل[٤] كان نصرانيًّا، فكانوا في ذلك إذ دخلَ النبيُّ ﷺ المسجدَ، فقالوا: يا محمَّدُ، احكم بينَنا في إبراهيمَ أنَّه كان يهوديًّا أو نصرانيًّا؟ فقالَ رسولُ الله ﷺ: «لم يكن يهوديًّا ولا نصرانيًّا، بل كان مسلمًا»، فغضبت اليهودُ والنَّصارى، وقالوا: إنَّ محمَّدًا يريدُ أنْ نتَّخذَه ربًّا. فنزلَتْ هذه الآيةُ بيانًا أن محمَّدًا ـ عليه السلام ـ ماذا يريد منهم[٥].

قولُه تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾: نداءٌ لليهود والنصارى.

وقولـه تعالـى: ﴿تَعَالَوْاْ﴾: أي: هلمُّـوا، وهـذا وإن كانَ فـي الأصـل موضوعًا

---

(١) في (ر): «نصارى نجران». والخبر رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٤٧٥) عن السدي. وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٣٩٩) عن الحسن والسدي وابن زيد.

(٢) رواه عنهم الطبري في «تفسيره» (٥/ ٤٧٤ ـ ٤٧٥)، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٦٦٩) عن ابن جريج.

(٣) «بني»: من (أ) و(ف).

(٤) في (ف): «إن إبراهيم».

(٥) ذكر نحوه الثعلبي في «تفسيره» (٣/ ٨٥) عن المفسرين. ورواه دون احتكامهم للنبي وقولهم: (إن محمداً يريد أن نتخذه ربًّا) الطبري في «تفسيره» (٥/ ٢٨١) عن ابن عباس رضي الله عنهما. وفي إسناده محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت، وهو مجهول.

للدُّعـاء من سـفلٍ إلى علـوٍ، ولكن كَثُـرَ اسـتعمالُه في الدُّعـاء، فصارَ أمـرًا بالإقبالِ إلـى حيـث يُدْعـى إليه، ثم صـار أمـرًا بالقصـدِ بالقلبِ إلـى ما يُدعـى إليه.

وقوله تعالى: ﴿إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾: أي: عدلٍ، وقد بيَّنَّا وجوهَهُ عند قوله تعالى: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ﴾ [البقرة: ٦].

وقولُه تعالى: ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾: ﴿أَلَّا نَعْبُدَ﴾ محلُّه خفضٌ، لأنَّه ترجمةٌ عن ﴿كَلِمَةٍ﴾.

وقولُـه: ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾؛ أي: نحـن جميعـاً مقـرُّون أنَّـا مخلوقـون، وأنَّـا عبيـدُ اللهِ، فالعـدلُ أن نعبـدَه وحـدَه، لا كفعـلِ اليهـود فـي عبـادة عُزيـر، ولا كفعلِ النَّصـارى فـي عبادة المسـيحِ.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾: عطفٌ على ﴿أَلَّا نَعْبُدَ﴾.

وقولـه تعالى: ﴿وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾: كذلك؛ أي: لا تتَّخذوني إلهًـا كما اتَّخذَ[1] اليهـودُ عُزيرًا، وكما اتَّخذَ النصارى المسـيحَ.

وقال قتادةُ: أي: لا يتَّخذَ الأتباعُ الرؤساءَ[2] أربابًا من دونِ اللهِ، فيطيعونهم كطاعةِ الله تعالى[3].

وقولُـه تعالـى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾: أي: أعرَضـوا عـن هـذا ﴿فَقُولُوا ٱشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾؛ أي: مخلِصـون لله بالتَّوحيـد والعبـادة، وعلـى ديـن إبراهيـم، فإنَّـه كان حنيفًـا مسـلمًا.

---

(١) في (ف): «اتخذت».

(٢) في (أ) و(ف): «الرؤوس».

(٣) روى نحوه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٤٧٩) عن ابن جريج.

وقال الإمام أبو منصورٍ رحمه الله: تعالوا إلى كلمة عدلٍ بيننا وبينكم، تلك الكلمةُ لأنهم كانوا يقرُّون أنَّ خالقَهم وخالقَ السَّماوات والأرض هو الله، فدعاهم إلى[1] ألَّا يجعلوا عبادتهم إلَّا لمن أقرُّوا له بذلك[2].

ثمَّ إنَّما[3] قال: ﴿إِلَىٰ كَلِمَةٍ﴾ ثم فسَّرها بكلماتٍ؛ لأنَّ العربَ قد تسمِّي الكلامَ المشتمِلَ على القصَّة الطَّويلة: كلمةً، ويسمُّون القصيدة الطَّويلة: كلمةً.

ويجوز أن يكونَ المرادُ بالكلمةِ: لا إله إلَّا الله، وقوله تعالى: ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ تفسيرُها، ثم ما بعدَها تمامُها وتحقيقُها؛ لأنَّ مَن اعترفَ له بالوحدانيَّة لم يشركْ به شيئًا ولم يتخذْ دونَه ربًّا.

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: ﴿وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾: يظهَرُ صدْقُ هذا بتركِ المدحِ والذَّمِّ لهم، ونفيِ الشَّكِّ[4] والشَّكوى عنهم، وتنظيفِ السِّرِّ عن حسبانِ ذرَّةٍ مِن المحوِ والإثباتِ منهم، قال ﷺ: «أصدقُ كلمةٍ قالَتْها العربُ قولُ[5] لبيدٍ: ألَا كلُّ شيءٍ ما خلا اللهَ باطلٌ»[6].

---

(١) «إلى» ليس في (ف).

(٢) انظر: «تفسير الماتريدي» (٢/ ٣٩٣).

(٣) «إنما»: من (أ).

(٤) في (ف): «الشرك»، وفي (أ) و(ر): «الشكر»، والمثبت من «اللطائف».

(٥) في (أ) و(ر): «ما قال».

(٦) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٢٤٨). والحديث رواه البخاري (٣٨٤١)، ومسلم (٢٢٥٦)، عن أبي هريرة رضي الله عنه. ووقع في (أ) و(ر) ومطبوع «اللطائف» زيادة: «وكل نعيم لا محالة زائل»، ولم نثبتها لأنها لم ترد في كتب السنة، بل على العكس جاء أثر بنفيها، وهو ما جاء في «سيرة ابن إسحاق» (ص: ١٧٩)، و«سيرة ابن هشام» (١/ ٣٧٠)، ورواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٨٣١٦)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ١٠٣) في خبر طويل وفيه: أن لبيداً وهو في مجلس =

(٦٥) - ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾.

قولُه تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ﴾: أي: لمَ تخاصمون فيه، فتسمُّونَهُ يهوديًّا أو نصرانيًّا.

قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ﴾؛ أي: مِن بعدِ موتِه.

قيل: نزلَتِ التَّوراةُ بعدَ موتِ إبراهيم بألف سنةٍ، ونزل الإنجيل بعد موته بألفي سنةٍ، واليهوديَّةُ ظهرَتْ مِن أهل التَّوراة لمخالفتهم التَّوراة[1]، والنصرانيَّة ظهرَتْ مِن أهل الإنجيل لمخالفتهم[2] الإنجيل، فكيفَ يصحُّ أن تضافَ هاتان الصِّفتان إلى إبراهيمَ، وقد حدثَتا بعدَه بزمانٍ طويلٍ؟

قولُه تعالى: ﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾: أي: ليس لكم عقلٌ تتفكَّرون به أنَّ هذا الكلامَ فاسدٌ.

* * *

(٦٦) - ﴿هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾.

= من قريش ينشدهم، وعثمان جالس معهم، فقال عثمان بعد أن أنشد لبيد الصدر المذكور: صدقت. ثم قال لبيد:

وكل نعيـــم لا محالـــة زائـــل

فقال عثمان: كذبت، نعيم الجنة لا يزول.

(١) «لمخالفتهم التوراة» ليس في (أ).

(٢) في (أ): «بمخالفتهم».

قولـه تعالـى: ﴿ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ ﴾: ﴿هـا﴾ كلمـة تنبيـهٍ، و﴿أَنتُمۡ﴾ خطابٌ لأهـل الكتـاب، و﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ تأكيدٌ لـ﴿أَنتُمۡ﴾.

وقيل: معنى ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾: الَّذين[1]؛ أي: أنتم الَّذين حاجَجْتُم.

وقيل: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ بمعنى: يا هؤلاءِ، على النِّداء مع حذف حرف النِّداء.

أي: أنتم حاجَجْتُم[2] محمَّدًا في أن دينكم دينُ موسى وعيسى؛ لأنَّ التَّوراةَ والإنجيلَ أُنْزِلا عليهما، وادَّعيتم أنَّ ما يدعو إليه محمَّدٌ يخالفُهما؛ لأنَّكم علمْتُم شرائعَ التَّوراة والإنجيل، وسمعْتُم مِن محمَّدٍ ما يخالفُه ظاهرًا، فإنْ جادلْتُم في هذا لهذا العلمِ، فَلِمَ تجادلون[3] في إبراهيمَ في[4] أنَّه يهوديٌّ أو نصرانيٌّ، وليس في التَّوراة والإنجيل بيان ذلك؟! فهذه[5] مجادلةٌ بغير علمٍ.

قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ﴾ أنَّ إبراهيمَ لم يكن كذلك ﴿وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾: أنَّه كان كما تقولون.

وقيل: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ﴾ ما غابَ وما حضرَ، ﴿وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ إلَّا ما حضرَكم أو بلغَكم الخبرُ به، ولم يحضرْكم إبراهيمُ ولا عندكم خبرُه على الصحَّة.

---

(١) في (أ): «وقيل معناه هؤلاء يعني الذين»، وفي (ر) و(ف): «وقيل معناه معنى هؤلاء الذين»، والصواب المثبت.

(٢) في (أ): «خاصمتم».

(٣) في (أ) و(ف): «تجادلونه».

(٤) «في» ليست في (أ).

(٥) في (أ): «فهي».

وقال الكلبيُّ: ﴿فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ﴾: فيما هو[١] في كتابكم، و﴿فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ﴾: فيما ليس في كتابكم[٢].

وقال قتادةُ: ﴿فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ﴾: فيما أدركْتُم وعاينتُم، و﴿فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ﴾: فيما لم تدركوا ولم تعاينوا[٣].

وقيل: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ﴾ كذبكم ﴿وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾؛ أي: لا تعلمون بما علمْتُم؛ أي: مِن العلمِ ألَّا يُقال شيءٌ على تعيُّن البطلان، ولا على وهم البطلان، وأنتم تقولون ذلك على هذا الوجه.

* * *

(٦٧) - ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾.

قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا﴾: هذا تصريحُ بردِّ[٤] كلامِ الفريقَيْن.

قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا﴾: فسَّرنا الحنيف في قوله تعالى: ﴿بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا﴾ [البقرة: ١٣٥]، وكشفنا عن أصلِه وحقيقتِه.

يقول: كان إبراهيمُ عليه الصلاة والسلام مسلمًا مستقيمًا، مائلًا عن كل خطأ، حاجًّا، مختتنًا، وأنتم يا أهل الكتاب لستُمْ كذلك، فلستُمْ مِن متابعيه.

---

(١) في (ف): «فهو ما»، بدل: «فيما هو».

(٢) ورد نحوه لكن دون عزو لقائل في «تفسير السمرقندي» (١/ ٢٢١)، و«تفسير الثعلبي» (٣/ ٨٧)، و«البسيط» للواحدي (٥/ ٣٣٨)، وغيرها.

(٣) روى نحوه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٤٨٤)، وزاد السيوطي في «الدر المنثور» (٢/ ٢٣٦) عزوه لابن المنذر وعبد بن حميد.

(٤) في (ر): «يرد».

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾: وأنتم تشركون بالله، حيث تقولون: عُزيرٌ ابنُ الله، والمسيحُ ابنُ الله.

* * *

(٦٨) - ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ﴾: أي: إنَّ أحقَّ النَّاسِ بدعواه أنَّه على دين إبراهيم.

قوله تعالى: ﴿لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ﴾: اللَّام جواب ﴿إِنَّ﴾، وهو للتأكيد؛ أي: الذين تابعوه مِن وقتِه إلى هذا الزَّمان.

قوله تعالى: ﴿وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ﴾: أي: محمَّد المصطفى ﷺ؛ لأنَّه اتَّبعَه.

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾: أي: أمَّته[1]؛ فإنَّهم اتَّبعوه.

قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: أي: محبُّهم، رفعَ درجةَ متَّبعيه، فجعلَ لهم الولاية كما جعل له الخُلَّة، وكلتاهما اسمٌ للمحبَّة.

وقيل: ناصرُهم.

وقيل: متولِّيهم ومصلحُ أمورهم.

وقال الإمامُ أبو منصورٍ رحمه الله: يدفعُ عنهم تعنُّتَ أعدائهم في إبراهيم، ويظهِرُ الحقَّ في قولِهم[2].

---

(١) في (ف): «آمنوا بالله».

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٢/ ٣٩٦).

(٦٩) ـ ﴿ وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾.

قوله تعالى: ﴿ وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ ﴾: أي: أحبَّتْ وتمنَّتْ، و﴿لَوْ﴾ كلمةُ تمنٍّ.

قوله تعالى: ﴿وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ﴾: أي: لو تمَّ ذلك لكانوا في الحقيقة مضلِّين أنفسَهم؛ لأنَّ ضررَ ذلك عائدٌ عليهم بما يكتسبونه من الإثم بإضلالِكم؛ قال الله تعالى: ﴿ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ﴾ [العنكبوت: ١٣].

قوله تعالى: ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾؛ أي: وما يعلمونَ أنَّ الله يخبرُ نبيَّه عن ذلك.

قيل: وما يعلمون أنَّ ضررَ قصدِهم يعودُ عليهم.

ونزولُ هذه الآيةِ، ونزولُ قولِه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ﴾ [آل عمران: ١٤٩]، ونزولُ قولِه تعالى: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا ﴾ [البقرة: ١٠٩]، نزولُ هذه الآيات الثَّلاث في فنحاص بن عازورا وزيدِ بنِ قيسٍ وجماعةٍ منهم حين دعوا عمَّارًا وحذيفةَ إلى دينِهم، وقد مرَّتْ قصَّته في سورة البقرة في تلك الآية.

وإنَّما قال: ﴿طَّآئِفَةٌ﴾ لأنَّ ﴿مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ الآية [آل عمران: ١١٣].

وقيل في قولِه تعالى: ﴿وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ﴾؛ أي: لا يَتمُّ لهم ذلك، لكن تلك الشُّبهات التي يريدون استزلالكم[1] بها هي المتمكِّنة في قلوبهم، فيضلُّون بها أنفسَهم.

(١) في (ف): «استزلالهم».

وقيل: الإضلال هو الإهلاك، ومعنى الآية: يريدونَ إهلاكَكم، وما يهلكون إلَّا أنفَسهم بهذا الفعلِ الباطلِ.

والفرقُ بينَ (ودُّوا لو يضلونكم) و(أرادوا أن يضلوكم): أنَّ الإرادةَ تقتضي تحقيقَ المراد، أو تجري مجرى الاستدعاء إلى الفعلِ، وأمَّا التَّمني بـ(لو) فتقديرُ شيءٍ في النَّفس لا على التَّحقيق.

* * *

(٧٠) ـ ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾: قال الضحَّاك: أي: بملَّة إبراهيم، وملَّة الإسلام، وبمحمَّد عليه الصلاة والسلام.

وقال مقاتل: بالقرآن(١).

وقيل: بالتَّوراةِ؛ ففيها ذكرُ النبيِّ ﷺ، وفي جحودِ نبوَّة محمَّد كفرٌ بالتَّوراة.

قوله تعالى: ﴿وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾: أي: أنَّ التَّوراةَ حقٌّ وأنَّها من اللهِ تعالى وفيها ذِكْرُه.

وقال الكلبيُّ: أي: وأنتم شهداءُ اللهِ على نبوَّة رسولِه بما ذكرَ في كتابِكم وتكتمون الشَّهادة(٢).

وقال الضحَّاكُ ومقاتلٌ: ﴿وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ به إذا خلوتُمْ فيما بينكم.

---

(١) روى ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٦٧٧ ـ ٦٧٦) عن مقاتل معناه، ولفظه: ﴿لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ أن القرآن حق، وأن محمدًا ﷺ رسول الله يجدونه مكتوبًا عندهم في التوراة والإنجيل. وروى عنه أيضاً: ﴿لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ يقول: لم تكفرون بالحجج.

(٢) روى نحوه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٦٧٦ ـ ٦٧٧) عن السدي وقتادة.

وقال الإمامُ أبو منصورٍ رحمه الله: الآياتُ: تحتملُ القرآنَ، وتحتملُ الرَّسول[١]، وتحتملُ المعجزات التي جاء بها، ﴿وَأَنتُمۡ تَشۡهَدُونَ﴾؛ أي: تعاينون ذلك[٢].

* * *

(٧١) ـ ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ﴾: قال الكلبي: أي: تقرُّون ببعض صفة النبيِّ ﷺ وتكتمون بعضًا.

واللَّبسُ: الخلطُ.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾: أن ما يدعوكم إليه محمّدٌ حقٌّ، وأنَّه نبيٌّ مرسَلٌ.

وقيل: أي: لِمَ تخلطون التَّوراة بما تكتبونه بأيديكم، وتكتمون الحقَّ فيما تحرِّفونَه، وأنتم تعلمون أنَّ ذلك ليس من التَّوراة؟

وقيل: ﴿وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾؛ أي: تعقلون الأمور، وتميِّزون بين الحقِّ والباطل، ولستم كمَن لا يعلم الحجَّة فيُعذَرَ به.

وقيل: أي: لِمَ تخلطون الإسلام باليهوديَّة أو النَّصرانيَّة، فتقولون: إنها حقٌّ كالإسلام، وأنتم تعلمون أنَّ الدِّين عند الله الإسلام؟

وقال الإمام أبو منصورٍ رحمه الله: ﴿وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ بدلالة الخلقة وبشهادةِ كتبكِم أنَّ دينَ الله حقٌّ[٣].

---

(١) في (أ): «السورة».

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٢/ ٤٠١).

(٣) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٢/ ٤٠١).

وقيل: ﴿وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ ما جزاءُ مَن لبَّسَ الحقَّ بالباطل.

***

(٧٢) ـ ﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجۡهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكۡفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٞ﴾: أي: جماعة، وهي مِن الطَّواف، ولها معنيان:

أحدهما: أنها رفقةٌ تطوف في البلاد في السَّفر.

والثَّاني: أنها جماعةٌ تستوي حلقة يُطافُ حولَها[1].

قوله تعالى: ﴿مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ﴾: اتَّفقَ المفسِّرون أنَّهم اليهودُ هاهنا.

قال السُّدِّيُّ: تواطأَ اثنا عشر حبرًا من اليهود على أن يُؤمنوا بمحمَّدٍ ﷺ ثم يكفروا به، فإذا سُئلوا قالوا: لم يكن بذاك. فحذَّرَ اللهُ جلَّ جلالُه المؤمنين مكرَهم.

قوله تعالى: ﴿ءَامِنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجۡهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكۡفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾: أي: عن دينِهم، ومعناه: آمِنوا بالقرآن الَّذي أُنزل على محمَّدٍ، وهو كالـمُنزَل على المؤمنين أيضًا؛ لأنَّ نفعَه لهم جميعًا.

و﴿وَجۡهَ ٱلنَّهَارِ﴾: أوَّله؛ لأنَّه أوَّلُ ما يواجَه منه، كوجه الثَّوب، ولأنَّ وجهَ[2] الشيء: أعلاه وأشرفه. ونصبُهُ على الظَّرف.

ومعناه عند الأكثر: صدِّقوهم في أوَّل النَّهار، وكذِّبوهم في آخرِه؛ فإن ذلك يحملُهم على الرُّجوع عن دينِهم.

---

(١) انظر: «روح المعاني» (٤/ ٢٧٥)، وفيه: (.. يسوَّى بها حلقةٌ..).

(٢) في (ف): «ووجه» بدل: «ولأن وجه».

وقال الكلبيُّ: قالَ ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: قدمَ النبيُّ ﷺ المدينةَ وهو يصلِّي نحو بيتِ المقدس، فأَعجبَ اليهودَ ذلك وطمِعوا فيه، فلمَّا صُرِفَ إلى الكعبة ـ وذلك عند الظُّهر ـ قال كعب بن الأشرف ومالك بن الصَّيف وكعب بن أسيد: آمِنوا بالذي أنزل على محمَّدٍ وجه النَّهار واكفروا آخِرَه؛ أي: انظروا إلى القبلة التي صلَّى إليها[١] آخر النَّهار واكفروا[٢] بها؛ لعلهم يرجعون إلى القبلة، ويقولون: هم أهل الكتاب، وهم أعلم منا. فيرجعون إلى قبلتكم[٣].

وقال مقاتل: معناه: أظهِروا الإيمان في صدر النَّهار لِمَا سلفَ منكم من الإقرار لمحمَّدٍ، ثم ارجعوا في الآخر؛ لتُوهِموهم أنه وقع الغلط عليكم في صفته. وفيه تشكيكُ ضعَفة المسلمين؛ فإنهم يقولون: هؤلاء أهل الكتاب، ولو أرادوا الكفر حسدًا مع تيقُّنهم بصدقه لم يؤمنوا، وحيث آمنوا دلَّ أنهم يلتمسون[٤] الحقَّ، ثم رجعوا لعلمهم أنه ليس هو كذلك[٥].

وقالوا: على هذا يكون المراد من ﴿وَجۡهَ ٱلنَّهَارِ﴾ و﴿ءَاخِرَهُۥ﴾: وقتَيْن مختلفَيْن، ولا يختصُّ ذلك بأوَّلِ النَّهار وآخرِه.

وقيل: معناه: نافِقوا أصحابَ محمَّدٍ، فآمِنوا وجه النَّهار إذا لقيتُموهم، واكفروا

---

(١) في (ف): «أول النهار واكفروا آخر النهار».

(٢) في (أ): «فاكفروا».

(٣) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (١/ ٢٤٨) عن الكلبي، وروى نحوه الطبري في «تفسيره» (٤٩٧) من طريق عطية العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما، دون ذكر أسماء اليهود، وإسناده ضعيف جداً. وذكر نحوه الثعلبي في «تفسيره» (٣/ ٩١) عن مجاهد ومقاتل والكلبي.

(٤) في (أ): «ملتمسون».

(٥) في (أ) و(ف): «ذلك». وانظر: «تفسير أبي الليث» (١/ ٢٤٨)، و«تفسير الثعلبي» (٣/ ٩١)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٥٤).

آخرَه إذا خلوتُم بأهل دينكم؛ فإنَّ أمرَهم في اضطرابٍ، ونحن نطمع أن يضعُفَ أمرُهم فيرجعوا إلى دينكم. وعلى هذا قوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤].

وفيه معجزةُ النبيِّ ﷺ؛ فإنَّ اللهَ تعالى أطلَعه على سرائرِهم ولم يجحدوا ذلك، فدلَّ على أنَّه بالله علِمَ ذلك.

***

(٧٣) - ﴿وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَى اللَّهِ أَنْ يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ ۗ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَى اللَّهِ أَنْ يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ ۗ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾(1):

آمنَ له؛ أي: صدَّقه؛ قال تعالى خبرًا عن إخوة يوسف: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا﴾ [يوسف: ١٧]، وقال تعالى: ﴿فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ﴾ [العنكبوت: ٢٦].

وقال الإمامُ أبو منصورٍ رحمه الله: يحتمل أن يكون ﴿وَلَا تُؤْمِنُوا﴾؛ أي: في السرِّ، ويتبيَّنُ به أن قولهم: (آمِنوا وجهَ النهار) كان للظاهر(2)، ثم نَهَوا عنه في الباطن؛ أي: أظهِروا لهم الإسلام والموافَقة، ولا تؤمنوا به في الحقيقة.

قال: ويحتمِل ﴿وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ﴾ في أمر القِبلة خاصَّةً؛ أي: صدِّقوهم في كون القبلة بيتَ المقدس، ولا تصدِّقوهم في أن القبلة هي الكعبة.

---

(١) قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾ لم يرد هنا في النسخ، وإنما جاء موزعاً ضمن الأقوال، فوضعناه هنا لأن ما سيأتي من أقوال مرتبط بالآية مجتمعة.

(٢) في (أ) و(ر): «للإظهار».

وأرادوا به المحاجَّة [بالموافقة] في أحد الوقتَيْن عليهم، أن يقولوا: لا نزال ننتقل مِن دينٍ إلى دينٍ، فلا نأمَنُ البقاء على دينٍ، وإنَّ مَن لزم الدِّين الأوَّل أحقُّ بالموافقة، وأنكروا جواز نسخِ الشَّرائع(١).

وفي نَظْم الآية غموضٌ، ولأهل التَّفسير فيه وجوهٌ:

قال مقاتلٌ: في الآية تقديمٌ وتأخيرٌ، وذلك أنَّ اليهودَ قالوا للسَّفِلة: لا تصدِّقوا بالنبوَّة إلَّا لمن تبعَ دينكم اليهوديَّةَ، وصلى إلى قبلتكم بيتِ المقدس؛ فإنَّه لن يُؤتَى أحدٌ من النَّاس مثلَ ما أوتيتم من التَّوراة والمنِّ والسَّلوى، واثبتوا على دينكم، ولا تخبروا أحدًا بأمر محمَّدٍ عليه السلام فيحاجُّوكم به عند ربِّكم، ﴿قُلْ﴾ يا محمَّدُ: ﴿إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ﴾؛ أي: دينُ الله(٢) الإسلامُ، وقبلةُ الله الكعبةُ، و﴿إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾ جوادٌ أعطى محمَّدًا النُّبوَّةَ والرِّسالةَ، وأكرمَ أمَّته بنبيِّه ﷺ ﴿عَلِيمٌ﴾ بخَلْقه(٣).

وقيل: ﴿عَلِيمٌ﴾ بمَنْ يستحقُّه.

وقيل: تقديرُه: ولا تؤمنوا أن يُؤتى أحدٌ مثلَ ما أوتيتم(٤) وأنْ يحاجُّوكم عندَ ربِّكم في القيامةِ؛ أي: لا يُعطى أحدٌ مثلَ(٥) ما أُعطيتم، ولا حجَّة عليكم لأحد، فلا تصدِّقوا أن أصحاب محمد أهدى منكم فيحاجُّوكم بدينهم(٦) في الآخرة عندَ ربكم.

---

(١) انظر: «تأويلات اهل السنة» (٢/ ٤٠٣)، وما بين معكوفتين منه.

(٢) «الله»: من (أ).

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» (١/ ٢٨٤)، و«تفسير السمرقندي» (١/ ٢٤٨).

(٤) في (ف): «أوتي موسى»، وفي هامشها كالمثبت.

(٥) «مثل» ليس في (أ).

(٦) في (ف): «بدينكم».

(٧٣) ـ ﴿وَلَا تُؤْمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾.

وقال الضَّحَّاكُ: ﴿وَلَا تُؤْمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ﴾ هي مَقالةُ اليهود، وقوله: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ﴾؛ أي: الدِّينُ الحقُّ دينُ الله، ولن يُعطى أحدٌ من الهدى والبيان مثل ما أُعطيتم يا أمَّة محمَّدٍ، ولم يعطَ اليهودُ والنَّصارى مِن الهدى فيخاصموكم به عند ربِّكم، بل لكم الحجَّةُ البالغة على مَن خالفكم، ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ﴾؛ أي: النُّبوَّةَ[1] والإسلامَ ﴿بِيَدِ ٱللَّهِ﴾، يعطيه مَن يشاء، وليس أحدٌ ينالُه إلَّا بالله ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾[2].

وقيل: معناهُ: إنَّ البيانَ بيانُ اللهِ، والهدى بمعنى البيان، كما قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ﴾ [فصلت: ١٧]؛ أي: بيَّنَ اللهُ ألَّا يُؤتى أحدٌ مثل ما أوتيتم يا أمَّةَ محمَّدٍ، وألَّا يحاجُّوكم يومَ القيامة؛ لأنَّ الحقَّ ظاهرٌ يومَئذٍ، وقد زالَ التمويه[3] فلا يجادلونكم يومَئذٍ بالباطل، و(لا) مُضمرَةٌ، كما في قوله تعالى: ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّواْ﴾ [النساء: ١٧٦]، وقوله: ﴿شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الأعراف: ١٧٢].

وقال الإمامُ أبو منصورٍ رحمه الله: ﴿أَن يُؤْتَىٰٓ﴾ صلةُ قولِ النَّبيِّ عليه السلام[4]: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ﴾ ولن يُؤتى أحدٌ مِن الآيات مثلَ ما أوتيْتُ

---

(١) في (ر): «فلأن الفضل والنبوة»، وفي (ف): «فلأن الفضل النبوة». بدل: «﴿قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ﴾ أي النبوة».

(٢) رواه بنحوه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٥٠٢) عن السدي.

(٣) في (ر) و(ف): «وقد زالت اليهودية».

(٤) في (ر) و(ف): «قوله للنبي».

أنـا؛ لأنَّ آياتِهـم كانـت حسَّـيةً يفقهُهـا كلُّ أحـدٍ، وآياتـي[١] عقليَّـةٌ لا يفهمهـا[٢] إلَّا الخـواصُّ مِـن النَّـاس[٣].

أو هو خطابٌ للمؤمنين: مثل ما أوتيْتُم مِن الحججِ والبيِّنات الَّتي توضِّح أنَّ الحقَّ في أيديكم.

وقيل: هما كلامان من اليهود، ولهما جوابان:

أحدهما: ﴿وَلَا تُؤْمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ﴾، وجوابه: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ﴾.

والثَّاني: مع إضمار (ولا تؤمنوا) ﴿أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ﴾، وجوابه: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ﴾.

وقيـل: لا إضمـار ثانيًا، وتـمَّ كلام اليهود بـالأوَّل، والثَّاني[٤] جـوابٌ، وإعادة ﴿قُلْ﴾ لطـول الـكلام، أو التَّكريرُ للتَّأكيـد والتَّقرير.

وقيل: ﴿أَوْ يُحَآجُّوكُمْ﴾: ﴿أَوْ﴾ للغايةِ، كما يُقال: (كُلْ أو تشبعَ) بالنَّصب، و: (لا تفارقْهُ أو[٥] يعطيَكَ حقَّكَ)، وتقديرُ الكلامِ: لا تصدقوا أن يُؤتى أحدٌ مثل ما أوتيْتُم

---

(١) في (ف): «وآياتك». وفي «التأويلات»: (وآيات رسول الله).

(٢) في (ر) و(ف): «يفقهها»، والمثبت من (أ) و«التأويلات».

(٣) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٢/ ٤٠٥).

(٤) في (أ): «والباقي».

(٥) في (ف): «حتى»، وهي معنى (أو) على هذا القول. قال الثعلبي في «تفسيره» (٣/ ٩٢): وقال الفرّاء: ويجوز أن يكون (أو) بمعنى (حتّى) كما يقال: تعلَّقْ به أو يعطيَك حقّك؛ أي: حتى يعطيك حقّك، وقال امرؤ القيس:

فقلـت لـه لا تبـك عينـك إنّما ... نحـاول ملـكا أو نمـوت فنعـذرا

أي: حتى نموت. وانظر التعليق الآتي.

إلَّا أنْ[1] يحاجُّوكم عند ربِّكم فيُثبتوا ذلك عليكم بالحجَّة. وهذا على التَّبعيدِ وقطعِ الطَّمعِ، كقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠]، وهذا لا يكون. وهذا قول الفرَّاء.

***

(٧٤) ـ ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾.

قوله تعالى: ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾: قال الحسن ومجاهد والرَّبيع: أي: بالنبوَّة[2]، كما قال عزَّ وجلَّ: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾ [الزخرف: ٣٢].

---

(١) في (أ): «إلى أن»، والمثبت من (ر) و(ف)، والمعنى واحد، فإن (أو) في هذا الموضع تصلح بمعنى: (إلى أن) و(إلا أن)، ثم هناك مواضع من الكلام يصلح فيها كلا اللفظين، كهذه الآية وكبيت امرئ القيس السابق، وهناك مواضع يصلح فيها أحدهما، فمن الآتية بمعنى (إلى أن) قول الشاعر:

لأستسهلن الصعب أو أدركَ المنى ... فما انقادت الآمال إلا لصابر

ومن الآتية بمعنى (إلا أن) قول الشاعر:

وكنت إذا غمزت قناة قوم ... كسرت كعوبها أو تستقيما

انظر: «شرح الكافية الشافية» لابن مالك (٣/ ١٥٤٠ ـ ١٥٤١). وقال ابنه في «شرح التسهيل» (٤/ ٢٥): (وكل ما يصح فيه تقدير (أو) بـ(إلى أن) يصح فيه تقديرها بـ(إلا أنْ)، من غير عكس. ولذلك لم يذكر سيبويه إلا تقديرها بـ(إلا أن)، وهو الصواب).

قلت: والضابط ـ والله أعلم ـ في استعمال أحد اللَّفظين المذكورين: أن الفعل الذي يصلح للاستمرار وتطاول المدة يجوز بعده (إلى أن) و(إلا أن) كقوله: (نحاول ملكا) وقول الآخر: (لأستهلن الصعب)، وما لا يصلح للاستمرار فلا يقدر بعده إلا (إلا أن) كفعل الكسر في قوله: (كسرت كعوبها)، فلا يستقيم أن يقول: كسرت إلى أن تستقيم.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٧٠٥) عن مجاهد والربيع، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٦٨٢) عن مجاهد، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٤٠٢)، والواحدي في «البسيط» (٥/ ٣٥٩) عن الحسن ومجاهد والربيع. وروي عن الحسن غير ذلك، انظر التعليق الآتي.

وقيل: أي: بالإسلام[١].

وقال ابن جريج: أي: بالقرآن[٢].

قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾؛ أي: ذو الإفضال والإنعام.

وفي الآية تدميرٌ على القائلين بوجوب الأصلح.

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: قولُه تعالى: ﴿وَلَا تُؤْمِنُوٓاْ﴾ يحتمِل أن يكون هذا ابتداءَ أمرٍ من الله تعالى للمسلمين[٣]، ومعناه: لا تعاشروا الأضداد، ولا تُفشوا أسراركم للأجانب.

وقوله: ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾؛ أي: بنعمتِه؛ فقومٌ اختصَّهم بنعمةِ الأرزاق، وقومٌ اختصَّهم بنعمة الأخلاق، وقومٌ اختصَّهم بنعمة العبادة، وقومٌ اختصَّهم بنعمة الإرادة، وآخرين بتوفيق الظَّواهر، وآخرين بتحقيق[٤] السَّرائر، وآخرين بعطاء[٥] الأبشار، وآخرين بلقاء الأسرار؛ قال الله تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [النحل: ١٨].

ودلَّتِ[٦] الآيةُ أنَّ الوسائلَ ليس بها شيءٌ، وإنَّما الأمرُ بمشيئةِ اللهِ تعالى[٧].

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٦٨٣) عن الحسن.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٧٠٥)، وابن المنذر في «تفسيره» (٦١٠) عن ابن جريج، كلاهما بلفظ: (القرآن والإسلام).

(٣) في (ر) و(ف): «للمؤمنين»، والمثبت من (أ) و«اللطائف».

(٤) في (ر) و(ف): «بتخصيص».

(٥) في (أ): «بغطاء»، والمثبت من (ر) و(ف) و«اللطائف».

(٦) في (أ): «فدلت». ولفظ «اللطائف»: (ويقال: لمّا سمعوا قوله: ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ علموا أن الوسائل ليست بهادية، وإنما الأمر بالابتداء والمشيئة).

(٧) في (أ) و(ف): «بالمشية» بدل: «بمشيئة الله تعالى».

قال: وقيل: ﴿يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [آل عمران: ٧٤] بالفَهم عنه فيما يكاشفُ به من الأسرار، ويلقيه فيه مِن فنون الأنوار[١].

***

(٧٥) ـ ﴿۞ وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مَنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِقِنطَارٖ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ وَمِنۡهُم مَّنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِدِينَارٖ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ إِلَّا مَا دُمۡتَ عَلَيۡهِ قَآئِمٗاۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ لَيۡسَ عَلَيۡنَا فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٞ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مَنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِقِنطَارٖ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ﴾: وصفَ سبحانَه بعضَ أهلِ الكتاب بحُسن الاعتقاد في[٢] قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمۡ أُجُورَهُمۡ﴾ [النساء: ١٧٣]، وبعضَهم بحسن المعاملة كما في هذه الآية[٣]، وهو أداءُ الأمانةِ.

والقنطارُ مرَّت الأقاويل فيه في قوله تعالى: ﴿وَٱلۡقَنَٰطِيرِ ٱلۡمُقَنطَرَةِ﴾ [آل عمران: ١٤].

و﴿تَأۡمَنۡهُ﴾ بمعنى: تأتمِنْه، يُقال: أَمِنه وائتمَنه؛ قال تعالى: ﴿فَإِنۡ أَمِنَ بَعۡضُكُم بَعۡضٗا﴾ [البقرة: ٢٨٣].

وهذا الخطابُ[٤] لكلِّ سامعٍ.

وقال الكلبيُّ: معناه: مَن إنْ تبايِعْه بالنَّسيئة بثمن قنطارٍ من الذَّهب والفضَّة يؤدِّه إليك ولا يمطلُك، وهم مؤمنو أهل الكتاب؛ عبدُ الله بن سلام وأصحابه.

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٢٥٠ ـ ٢٥١). والعبارة الأخيرة فيه: (ويلقيه إليه من فنون التعريفات).

(٢) في (ر): «كما في»، وليست الكلمتان في (ف).

(٣) في (أ) و(ف): «هاهنا» بدل: «كما في هذه الآية».

(٤) في (ف): «خطاب».

قوله تعالى: ﴿وَمِنۡهُم مَّنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِدِينَارٖ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ إِلَّا مَا دُمۡتَ عَلَيۡهِ قَآئِمٗا﴾: ملحًّا متقاضيًا[١].

قال الكلبيُّ: ومنهم مَن إن تبايعه بالنَّسيئة بدينارٍ لا[٢] يؤدِّه إليك إلَّا ما دمْتَ على رأسه[٣] قائمًا؛ أي[٤]: مُلحًّا مُتقاضيًا، وهو قول مقاتل أيضًا[٥].

وقال أبو سهلٍ: أي: إلَّا أن يكون البيع يدًا بيدٍ.

وقال الضحَّاكُ: هذا في أداء الأمانة؛ أي: الوديعة ونحوها.

وقال الإمام أبو منصورٍ رحمه الله: القنطار والدِّينار للتَّمثيل؛ أي: منهم مَن يؤدِّي الكثير، ومنهم مَن لا يؤدِّي القليل، وهو كقوله تعالى: ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧ ـ ٨][٦].

قالوا: وظاهرُه وإن كان يتناولُ أهلَ الكتابِ، لكنَّ عامَّة أهلِ التَّفسير[٧] على أنَّ الوصف بالأمانة لمن أسلمَ منهم؛ لأنَّ المرادَ مِن الآية ـ واللهُ أعلم ـ: أنَّ اليهود ادَّعوا أنهم المخصوصون بالفضل دون غيرهم، فردَّ اللهُ جلَّ جلالُه عليهم قولهم؛ لأنَّ أداءَ الأمانةِ واجبٌ في الأديان كلِّها، والخيانةُ حرامٌ، ولو ائتُمِنَ أحدُهم على أمانةٍ قليلةٍ

---

(١) «ملحًّا متقاضيًا» من (ر).

(٢) في (أ): «لم».

(٣) في (ر) و(ف): «عليه».

(٤) «أي» ليس في (أ) و(ف).

(٥) روى نحوه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٥٠٩) عن مقاتل ومجاهد.

(٦) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٢/ ٤٠٧).

(٧) في (أ) و(ف): «عامة المفسرين».

لم يؤدِّها إلَّا بعد طول[١] التَّقاضي والإشفاقِ من سوء القالة، فلا يجوز لكم أن تدَّعوا الفضلَ لأنفسِكم وهذا وصفُكم، وإذا كان هذا لذمِّهم[٢] كيف يجوز مدحُ الواحد منهم بأداء الأمانة الجليلة؟

والدَّليلُ على أن التَّفضيل على هذا الوجه قولُه تعالى: ﴿لَيْسُواْ سَوَآءً مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [آل عمران: ١١٠]، فلم يميِّزْ مِن المذمومين إلَّا المؤمنين، وقد ذكرنا عن الكلبي كذلك.

وقال مقاتلٌ: الأوَّلون عبد الله بن سلامٍ وأصحابه، والآخرون الكفَّار من اليهود كعب بن الأشرف وأصحابه[٣].

وقال القتبي: ﴿إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا﴾، أي: مواظبًا على التَّقاضي، ووصفُه بالقائم عليه[٤] استعارةٌ؛ لأنَّ الطَّالبَ[٥] للشَّيء يقوم فيه، والتَّاركَ له يقعد عنه، وعلى هذا قولُه تعالى: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الرعد: ٣٣]، وقوله تعالى: ﴿أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ﴾ [آل عمران: ١١٣]، وقوله تعالى: ﴿قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ﴾ [آل عمران: ١٨]، ونحو ذلك[٦].

---

(١) في (ر): «سوء».

(٢) في (ر): «لذمكم».

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» (١/ ٢٨٥).

(٤) «عليه»: من (أ).

(٥) في (أ): «المطالب».

(٦) انظر: «تأويل مشكل القرآن» لابن قتيبة (ص: ١١٥ ـ ١١٦).

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ﴾؛ أي: ذلك الاستحلالُ ومنعُ الأمانةِ وتركُ قضاءِ الدَّين بسبب أنهم يعتقدون ويقولون: ليس علينا في أخذِ أموال العرب مأثمٌ، ويقولون: في كتابنا كذلك.

ونفي السَّبيل: نفيُ المطالبة؛ قال تعالى: ﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ﴾ [الشورى: ٤١]، وتحقيقُه: أن الـمُطالِب لا يتمكَّن من المطالبة إلَّا إذا وجدَ السَّبيل إلى المطلوب.

وقال مقاتلٌ: إنَّ المسلمين بايعوا اليهود في الجاهليَّة، فلمَّا تقاضاهم المسلمون في الإسلام قالوا: لا حرجَ علينا في حبسِ أموالهم؛ لأنَّهم ليسوا على دينِنا، وزعموا أنَّ ذلك حِلٌّ لهم في التَّوراة(١).

وقيل: كانوا يقولون: نحن أبناء الله وأحبَّاؤه، وسائر النَّاس عبيدٌ لنا، لا جُناح علينا في أموالهم وأخذِها.

وقال الإمامُ أبو منصورٍ رحمه الله: أرادوا بـ(الأميين): العرب؛ حيث كانوا لا كتاب لهم.

قال: وقيل: أرادوا بـ(الأميين) جميع المسلمين؛ قال النبيُّ ﷺ(٢): «نحنُ أمَّةٌ أُميَّةٌ، لا نحسُبُ ولا نكتُبُ»(٣).

قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾: ردَّ الله تعالى عليهم قولَهم أنَّ هذا في التَّوراة، قالَ: يكذبون على الله في هذا ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾: أنهم يكذبون على الله.

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (١/ ٢٨٥). وروى نحوه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٥١٢) عن ابن جريج.

(٢) في (ف): «فإن النبي ﷺ قال» بدل: «قال النبي ﷺ».

(٣) انظر: «تفسير الماتريدي» (٢/ ٤١٠)، والحديث رواه البخاري (١٩١٣)، ومسلم (١٠٨٠)، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

وقيـل: ﴿وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ أنَّ الله تعالـى أمـرَ فـي التَّـوراة بـأداءِ الأمانـة في حقِّ الكلِّ.

وقال الضحَّاكُ: ﴿وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ أنَّ الذي يدعو إليه محمَّدٌ حقٌّ.

* * *

(٧٦) ـ ﴿بَلَىٰ مَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾.

قولـه تعالـى: ﴿بَلَىٰ مَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾: ﴿أَوۡفَىٰ﴾ بمعنـى: وفَّـى؛ إلَّا أنَّ لغـة أهـل الحجـاز: أوفـى، ولغـة أهل نجـد: وفَّى.

و﴿بَلَىٰ﴾ ردٌّ لِمَا قبلَه؛ أي: ليس كما قالت اليهودُ.

وقولـه تعالـى: ﴿بِعَهۡدِهِۦ﴾؛ أي: بعهـد الله، فقـد سـبق ذكـره فـي قولـه تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ﴾.

وقيل: أي: مَن أوفى بعهدِ نفسِه؛ أي: ليس كما قالوا: ليس علينا في الأمِّيين سبيل، بلى مَن أوفى بعهده؛ فأدَّى الأمانةَ واتَّقى اللهَ فلم يخفِها، فإن الله يحبُّه؛ لأنَّه يحبُّ المتَّقين.

وقيل: معناه: كيفَ يصحُّ قولُهم: ليس علينا في الأميِّين سبيل، وفيهم مَن أوفى بعهدِه واتَّقى، والله يحبُّ المتقين.

وقيل: بلى مَن أوفى بعهده وَاتَّقى، وأدَّى الأمانةَ ـ وهم المذكورون في أوَّل الآية: ﴿وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مَنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِقِنطَارٍ﴾ ـ فإنَّ الله يحبُّه.

فإنْ قيلَ: لِمَ لَمْ يقلْ: فإنَّ اللهَ يحبُّه، وهو أقربُ إلى الإيجاز؟

قلْنا: أعاد ذكرَ المتَّقين إبانةً[١] أنَّهم بما[٢] ينالون هذه المحبَّة، وليكون وعدًا لكلِّ متَّقٍ بأيِّ شيء اتَّقى، لا للمذكورين في الآية على الخصوص.

وقال عطاءٌ: بلى مَن أوفى بما عاهد عليه الله[٣] في التَّوراة، واتَّقى اللهَ فيما أحلَّ وحرَّم، وعمل بفرائضه، واتَّقى سخطَه، فإنَّ اللهَ يحبُّ مَن كانت هذه صفتُه، مع الإيمان بمحمَّدٍ عليه الصلاة والسلام، وهو قوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ [البقرة: ٤٠]، وذلك أنَّهم عاهدوا الله تعالى: لئنْ بعثَ محمَّدًا ليؤمنُنَّ به وليصدِّقُنَّه، وعاهدهم الله تعالى لئن فعلوا ذلك ليدخلنَّهم الجنَّة.

* * *

(٧٧) - ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾: ذكرَ وعيدَ ناقضِ العهدِ بعدَما ذكرَ وعدَ الموفي بالعهد.

والاشتراء به[٤] ثمنًا قليلًا: هو الاعتياض به ذلك، وقد ذكرنا تحقيقَه في سورة البقرة عند قوله تعالى: ﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ﴾ [البقرة: ٩٠].

ونزلت الآية في اليهود؛ فإنَّ جماعةً مِن أحبارِهم أتوا كعبَ بنَ الأشرف في قحطٍ يطلبون منه طعامًا، فقال: ما تقولون في هذا الرَّجل الذي يقول: أنا رسول الله؟

---

(١) في (ر): «في آياته»، وفي (ف): «الإبانة».

(٢) في (ف): «بها».

(٣) في (ف): «أوفى بعهده مما عاهد الله عليه».

(٤) في (ف): «واشترائه».

فقالوا: هو عبد الله ورسوله إلى خلقِه. فقال كعب: لو قلتم غير هذا كان لكم عندي طعامٌ وعطاءٌ، فقالوا: نرجع ونتأمَّل، فرجعوا وعادوا وقد بدَّلوا نعتَه بنعت الدَّجال، وقالوا[1]: وجدنا في التَّوراة كذلك. فحلَّفهم لا[2] يرجعون عن هذا، فحلفوا، فأعطى كلَّ واحدٍ منهم ثماني أذرعٍ من كرباسٍ، وصاعًا من شعيرٍ، فنزل في شأنهم هذا[3].

وقيل: نزلت في عَيدان[4] وامرئ القيس[5]..........

---

(١) في (أ) و(ف): «فقالوا».

(٢) في (ف): «أن لا».

(٣) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (١/ ٢٥٠)، والثعلبي في «تفسيره» (٣/ ٩٨) وعزاه للكلبي.

(٤) في (ر) و(ف): «عبدان»، وكذا وقع في أكثر المطبوعات: (عبدان) بالباء، والمثبت من (أ)، وهو الموافق لما في «العجاب في بيان الأسباب» لابن حجر (١/ ٤٥٢) حيث قيده بفتح العين وبعدها ياء نقلاً عن أصحاب المشتبه.

(٥) انظر: «تفسير السمرقندي» (١/ ٢٥٠)، وعزاه لابن عباس من رواية أبي صالح، وفيه: «امرئ القيس بن عابس الكندي وعيدان بن أشوع الحضرمي». والقصة رواها الإمام أحمد في «المسند» (١٧٧١٦)، والنسائي في «الكبرى» (٥٩٥٣)، والطبري في «تفسيره» (٥/ ٥١٧)، من حديث عدي بن عميرة. وجاء في رواية أحمد أن رسول الله ﷺ تلا الآية، دون التصريح بنزولها في هذه القصة، وسندها صحيح. وقد ورد في كتب السنة في سبب النزول ما رواه البخاري (٢٤١٦)، وأبو داود (٣٢٤٣)، والترمذي (١٢٦٩)، والنسائي في «الكبرى» (٥٩٤٨)، وابن ماجه (٢٣٢٣)، من حديث الأشعث بن قيس رضي الله عنه أنها نزلت فيه وفي رجل من اليهود اختلفا على أرض، قال الأشعث: فقدمتُه إلى النبي ﷺ، فقال لي النبيُّ ﷺ: «ألكَ بيِّنَةٌ؟» قلت: لا، قال لليهوديِّ: «احْلِفْ» قلت: يا رسول الله، إذاً يحلفَ ويذهبَ بمالي، فأنزل الله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ إلى آخر الآية. وللحديث في الصحيح روايات أخر سيأتي بعضها.

وروى البخاري (٢٠٨٨) أيضا عن عبدِ اللهِ بنِ أبي أَوْفَى رضي اللهُ عنه قصة أخرى في نزولها: أنَّ رجلًا أَقام سِلعةً وهو في السُّوقِ، فحلفَ بِاللهِ لقد أَعْطَى بها ما لم يُعْطِ ليُوقِعَ فيها رجلًا مِن المسلِمين، فنزلتْ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ الآيَةَ. =

وقد بيَّنا ذلك عند تفسير قولِه تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾ [البقرة: ١٨٨].

وقال الإمامُ أبو منصورٍ رحمه الله: قيل: عهدُ الله: أمرُه ونهيُه، ويحتمِل أن يكون هذا[1] عهدَهم في التَّوراة؛ أن لا يكتموا نعتَ محمَّدٍ ويُظهروه للنَّاس، فكتموه، و(أيمانهم): هي أيمانُهم التي حلفوا كذبًا أنْ ليس في التَّوراة نعتُه، مخافةَ ذهاب الرِّئاسة والمأكلة.

ويحتمل أن يكون عهدُ الله والأيمان واحداً، وهو الحَلِف على أكلِ[2] مالِ الغير بالباطل؛ قال تعالى: ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ [النحل: ٩١].

ويحتمل أن يكون عهد الله: هو ما قبلوا عن الله جلَّ جلالُه، وما ألزمهم الله تعالى، والأيمان: ما حلفوا[3].

قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِي ٱلْءَاخِرَةِ﴾؛ أي: ليس لهم فيها نصيبُ خير ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ﴾؛ أي: لا يخاطبهم الله خطابَ لطفٍ ﴿وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾؛ أي: نظرَ رحمةٍ.

= قال الحافظ في «الفتح» (٨/ ٢١٣): لا منافاةَ بينهما، ويُحْمَلُ على أنَّ النُّزولَ كان بالسَّببَين جميعًا ولفظُ الآيةِ أعَمُّ مِن ذلك.

قلت: ويمكن أن يقال: إنها نزلت في واحدة من القصص المذكورة، وتلاها النبي ﷺ في باقي الحوادث تلاوة فقط تحذيراً من الحلف الكاذب.

(١) في (ف): «هو».

(٢) في (أ): «أخذ».

(٣) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٢/ ٤١١ ـ ٤١٢).

قوله تعالى: ﴿وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾: قيل: أي: لا يُنمِّي أعمالهم بالثَّواب، كما قال تعالى: ﴿وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا﴾ [النساء: ٤٠]، وقيل: أي: ولا يُثْني عليهم بالخير، وقيل: أي: ولا يطهِّرهم.

قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾؛ أي: مؤلمٌ.

وقد كشفنا ذلك كلَّه(١) على الوجه في سورة البقرة.

وقال السُّدِّيُّ: نزلَتْ في الأشعثِ بنِ قيسٍ، نزلَ على بئرِ رجلٍ مِن قومِه كانَ ذلك الرَّجلُ احتفرها ونزلَ عندها(٢) ثم ارتحلَ عنها، فنزل عليها الأشعثُ، فجاء الرَّجلُ وخاصمَه إلى النبيِّ ﷺ، فسألَ النبيُّ ﷺ صاحبَه البيِّنَةَ فلم يأتِ بها، فاستحلفَ الأشعثَ فحلفَ عليها، فقالَ النبيُّ ﷺ: «مَن حلَفَ على مالِ أخيه فاقتطعه(٣) ظلمًا لقيَ اللهَ تعالى معرضًا عنه»(٤).

فيحتمل أنَّها نزلت في هذه الحادثة، فكانت بعمومها صالحةً لقصَّة اليهود،

---

(١) «كله»: من (أ).

(٢) في (أ): «ونزلها»، وفي (ف): «ونزل عليها».

(٣) في (ف): «فاقتطعه».

(٤) لم أقف عليه، وهو مخالف لما في الصحيحين، ففيهما أن النبي ﷺ طلب من الأشعث البينة، ومن غريمه الحلف لما لم يأت الأشعث بالبينة، رواه البخاري (٢٥١٥)، ومسلم (١٣٨)، وليس فيهما ذكر الحلف من أي منهما.
وكذا روى الطبري في «تفسيره» (٥/ ٥١٨) عن ابن جريج: أن الأشعث لم يحلف وتحرج وأعطاه الأرض وزاد من عنده أرضًا أخرى.
وجاء في بعض روايات البخاري والسنن أن القصة وقعت بين الأشعث ويهودي، وقد تقدمت الرواية بذلك قريباً.

فضُمَّت إلى الآية التي[١] قبلها، ويحتمل[٢] أن تكون نزلَتْ في اليهود وصلحَتْ في هذه الحادثة[٣].

وقال مجاهدٌ والشَّعبي رحمهما الله: أقامَ رجلٌ سلعةً أوَّلَ النَّهار، فساومَه[٤] رجلٌ آخرَ النَّهار، فحلفَ بالله الَّذي لا إلهَ إلَّا هو لقد طُلب منه[٥] هذا أوَّلَ النَّهار بكذا وكذا، ولولا المساءُ لما باعه[٦] بهذا الثَّمن، فنزلَتِ الآيةُ[٧].

* * *

(٧٨) - ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ﴾: اللَّيُّ في الشَّيء: أن يجعلَ ظاهرَه باطنَه، وباطنَه ظاهرَه، ولَيُّ العُنق واليد والحبل: هو الفَتْل، وأصله: عطفُ الشيء عن الاستقامة إلى الاعوجاج، والالتواء: الانحراف والانعطاف.

ومعناه: وإنَّ فريقًا من أهل الكتاب ليلوون، فلمَّا وقع الاسم موقعَ الخبر في

---

(١) في (ف): «وتضمنت الآية»، بدل: «فضمت إلى الآية التي».

(٢) في (أ): «ويجوز».

(٣) في (ف): «لهذا»، بدل: «في هذه الحادثة».

(٤) في (ر) و(ف): «فسامه».

(٥) في (ر): «مني».

(٦) في (ر) و(ف): «لم أبعه».

(٧) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٥١٩). وهو بنحوه في «صحيح البخاري» (٢٠٨٨) من حديث ابن أبي أوفى وقد ذكرناه قريباً.

الذِّكر أُدخلَتِ اللَّام فيه، وموضعُها الخبر إذا ذُكر على التَّرتيب، ومعنى ﴿يَلْوُنَ﴾: يحرِّفون الكلامَ ويعدِلون به عن القصد؛ أي: إنَّ جماعةً من اليهود خاصَّةً يحرِّفون ألسنتهم بالتَّوراة.

قوله تعالى: ﴿لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾: أي: لتظنُّوه أنتم[1] مِن التَّوراة ﴿وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾؛ أي: وليس هو من التوراة ﴿وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: يقولون لكم: إنه منزل من عند الله ﴿وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: وليس هو بمنزَّلٍ مِن عند الله[2] ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾؛ أي: ما لم يقله ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾؛ أي: يعلمون أنهم كذلك.

وقيل: قوله تعالى: ﴿يَلْوُنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ﴾؛ أي: بما كتبوهُ بأيديهم، وقوله: ﴿لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾؛ أي: مِن التَّوراة، فهذا غيرُ الأوَّل، وأرادَ أنَّهم يغيِّرون[3] التَّوراة إذا أظهروا لكم الاحتجاجَ بالتَّوراة، وإذا احتججْتُم عليهم بالشَّيء مِن نعتِ محمَّدٍ مضافًا إلى التَّوراة، وهذا تزويرٌ منهم، فلا تقبلوا ذلك منهم.

وفي الآية تنبيهٌ على أنَّه لا ينبغي للمُذكِّر[4] أن يجازفَ فيقولَ عندَ قراءة القارئ أشياءَ لا تليق بالآية، فإنَّه يرى النَّاسُ أنَّه تفسير[5] هذه الآية، والسَّامعُ يعتقد أنَّه يخبر به[6] عن الله تعالى، وهو تقوُّلٌ على الله إذا قالَ ما يخالفه.

---

(١) في (ر) و(ف): «أنه».

(٢) من قوله: «﴿وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾» إلى هنا ليس في (ف)، وفيها بدلًا عنه: «وليس فيها».

(٣) في (أ): «لم يعيروا»، ولعله تحريف.

(٤) في (ف): «للمفسر».

(٥) في (ر) و(ف): «يفسر».

(٦) «به»: من (أ).

(٧٩) - ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ﴾: قوله: ﴿مَا كَانَ﴾ له وجهان:

أحدُهما: النَّفيُ؛ أي: لا يكون الرَّسول بهذا الوصف بحالٍ، وهو كقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ﴾ [مريم: ٣٥].

والثَّاني: أنَّ معناه: حرامٌ على الرَّسول ذلك، كما تقولُ: ما كان لك أن تفعلَ كذا، وهو كقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ﴾ [آل عمران: ١٦١].

واتِّصالُها بما قبلَها: ما جاءَ في قصَّة نزولِها؛ قال[١] ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: لَمَّا دعا النبيُّ ﷺ أهلَ الكتاب، وأوعدَهم على نقضِ العهد وتغييرِ نعتِ النبيِّ ﷺ، قال أبو رافعٍ القُرظيُّ: تريدُ منَّا يا محمَّدُ أنْ نعبدَك ونتخذَك ربًّا كما فعلَتِ النَّصارى بعيسى؟ فأنزلَ الله تعالى هذه الآيةَ ردًّا عليه: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ﴾[٢]؛ أي: ليس لآدميٍّ ﴿أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ﴾؛ أي: يعطيَه اللهُ كتابَه وحيًا إليه، ﴿وَالْحُكْمَ﴾؛ أي: بيانَ الكتاب والقضاءَ بين الخلق، ﴿وَالنُّبُوَّةَ﴾: فيبعثه الله رسولًا إلى خلقه.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللَّهِ﴾؛ أي: اعبدوني واتَّخذوني إلهًا.

وكيف يجوزُ مِن محمَّدٍ هذا وهو ينهاكم أن تتَّخذوا عُزيرًا ربًّا وعيسى كذلك؟! فكيف يرضى ذلك لنفسه[٣]؟!

---

(١) في (ف): «عن».

(٢) رواه ابن إسحاق كما في «السيرة النبوية» لابن هشام (١/ ٥٥٤)، ومن طريقه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٥٢٤)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ٣٨٤).

(٣) في (أ): «في نفسه»، وفي (ف): «بنفسه».

وقيـل: إنَّ علمـاءَ اليهـود لَمَّا حرَّفـوا التَّوراة، ودعَـوا العامَّة إلـى ذلك، صاروا كالمسـتعبَدين لهـم، فأخبـرَ أنَّ هذه الرُّتبـةَ لم تكن للأنبيـاءِ مع أنَّهم الدُّعـاة إلى الله تعالى، فكيـف لهؤلاء؟!

وقيل: هو على ردِّهم؛ أي: ما كان لعزيرٍ وعيسى وغيرهما ﴿أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ﴾: التَّوراةَ والإنجيل، أنْ يقولَ للنَّاس ذلك.

قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ﴾؛ أي: ولكن يقولُ هذا النبيُّ للنَّاس: كونوا ربَّانيِّين.

قال مقاتلٌ: أي: عابدين لله[1].

وقال الكلبيُّ: أي: علماءَ بما في التَّوراة.

وقيل: علماء حكماء فقهاء[2].

وقيل: أي: مصلحين أمورَكم وأمورَ النَّاس بالعلم والعمل.

وقيل: ﴿رَبَّٰنِيِّـۧنَ﴾: منسوبين إلى الرَّبِّ؛ أي: للهِ على الخلوص.

وقيل: الرَّبانيُّون: الَّذين يربُّون النَّاسَ بصغار العلوم قبل كبارها؛ قال تعالى: ﴿لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ﴾ [المائدة: ٦٣].

قال أبو عبيد: سمعْتُ رجلًا عالمًا بالكتب يقول: الربانيون: العلماء بالحلال

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (١/ ٢٨٦) بلفظ: (متعبدين لله).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٦٩١) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وروى نحوه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٥٢٦ ـ ٥٢٨) عن ابن عباس وأبي رزين والحسن وقتادة والسدي ومجاهد والضحاك.

والحرام، والأمرِ والنَّهي[١]، والأحبار: أهل المعرفة بأنباء الأمم وما كان وما يكون[٢].

وقال القشيريُّ: الرَّبانيُّون: العلماءُ باللهِ، الحكماء في الله، القائمون بالله بغَنائهم عن غير الله، يسمعون بالله، وينظرون بالله، بمحو ما سوى الله.

قال: وقيل: الربَّانيُّ: الذي لا تؤثِّر فيه تصاريف الأقدار على اختلافها.

قال: ويقال: الربَّانيُّ: الَّذي لا تهزُّه نعمةٌ ولا تستفزُّه محنةٌ.

قال: ويُقال: الربَّانيُّ: الَّذي لا يتأثَّر بشيءٍ[٣] مِن الحوادث بقلبِه وسرِّه، وإن كان لا يقصِّر في شيءٍ من الشَّرع بفعله[٤].

قوله تعالى: ﴿بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾؛ أي: كونوا لله في تعليم النَّاس وفي الدِّراسة.

***

(٨٠) - ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّۦنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّۦنَ أَرْبَابًا﴾: قرأ عاصم وابن عامرٍ وحمزة بنصب الرَّاء عطفًا على ﴿أَن يُؤْتِيَهُ﴾... ﴿ثُمَّ يَقُولَ﴾، يعني: ولا أن يأمركم، وقرأ الباقون بالرَّفع على الاستئناف[٥]؛ أي: هو لا يأمُركم بذلك، أو: اللهُ لا يأمُركم بذلك.

---

(١) في (ر) و(ف): «والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر».

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣/ ١٠٢)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٢٩٩).

(٣) في (أ): «لا يؤثِّر شيء»، وفي (ف): «لا يؤثر لشيء». وفي «اللطائف»: «لا يبالي بشيءٍ».

(٤) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٢٥٣).

(٥) وأبو عمرو على أصله في الاختلاس والإسكان. انظر: «التيسير» للداني (ص: ٨٩).

وقيل في قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ﴾ هو استئنافُ أمرٍ مِن اللهِ تعالى.

واتِّخاذُ الملائكة أربابًا هو كقول بعضِ العرب: الملائكةُ بناتُ الله، واتِّخاذُ النبيِّين أربابًا هو قول اليهود والنَّصارى في عُزير وعيسى ما قالوا.

قوله تعالى: ﴿أَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡكُفۡرِ بَعۡدَ إِذۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾: استفهامٌ بمعنى التَّوبيخ والنَّفي؛ أي: لا يأمركم.

وقوله: ﴿بَعۡدَ إِذۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾؛ أي: بعد إذ دعاكم إلى الإسلام وإجابةِ بعضكم.

وقيل: أيأمركم اللهُ بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون بشهادة الخِلْقة؛ قال تعالى: ﴿وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [آل عمران: ٨٣].

وقيل: سأل قومٌ النبيَّ ﷺ فقالوا: أَلَا نسجدُ لك؟ قال: «لا ينبغي لأحدٍ أنْ يسجدَ لأحدٍ دون الله»، وأنزل الله هذه الآية[١].

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: أيأمرُكم بإثبات الخلقِ بعد شهود الحقِّ؟!

قال: ويقال: أيأمرُكم بمطالعة الأشكال ومطاوعة الأمثال بعدَ أنْ لاحَ في أسراركم أنوارُ التَّوحيد، وطلعَتْ في قلوبكم شموسُ التَّفريد[٢].

* * *

(٨١) ـ ﴿وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيۡتُكُم مِّن كِتَٰبٖ وَحِكۡمَةٖ ثُمَّ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مُّصَدِّقٞ لِّمَا مَعَكُمۡ لَتُؤۡمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥۚ قَالَ ءَأَقۡرَرۡتُمۡ وَأَخَذۡتُمۡ عَلَىٰ ذَٰلِكُمۡ إِصۡرِيۖ قَالُوٓاْ أَقۡرَرۡنَاۚ قَالَ فَٱشۡهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾.

---

(١) رواه عبد بن حميد كما في «الدر المنثور» للسيوطي (٢/ ٢٥٠) عن الحسن، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣/ ١٠١).

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٢٥٤ ـ ٢٥٥).

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ﴾: قرأ حمزةُ: ﴿لِمَا آتيتكم﴾ بكسر اللَّام؛ أي: لأَجْل أني آتيتكم شكرًا لي بذلك.

وقرأ الباقون بفتح اللَّام[1]، وله وجهان، ففي الآية لامان مفتوحتان: ﴿لَمَآ﴾ ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ﴾:

فأحدُ الوجهَيْن: أنَّ الأولى لام القسم، والثَّانية جوابه، كقوله تعالى: ﴿لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

والثَّاني: أنَّ الأولى لام الابتداء على التَّأكيد، والثَّانية لام القسم، وهو كقولك: لزيدٌ والله لآتينَّه.

و(ما) بمعنى الذي، وتقديره: الذي آتيتُكُمُوه من الكتاب والحكمة لتؤمننَّ به ولتنصرنَّه لأجل ذلك؛ يقول: واذكرْ يا محمَّدُ إذ أخذ الله من[2] النبيِّين الميثاقَ وقال لهم، وهذا مضمر، أو أخذُ[3] الميثاق قولُ: الذي أعطيتكم من كتابٍ أو بيان كتاب[4].

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ﴾: أي: خبرُ رسولٍ، والخبر مضمرٌ ﴿مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ﴾؛ أي: موافقٌ للكتاب الذي معكم.

قوله تعالى: ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ﴾: أي: لتصدقُنَّ برسالته ﴿وَلَتَنصُرُنَّهُۥ﴾؛ أي: ولتُعِينُنَّه بالإيمانِ به، وبيانِ نعتِه، وأمْرِ الأمَّة بالإيمان به.

والمرادُ مِن هذا الرَّسول هو محمَّد ﷺ.

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٨٩).

(٢) في (أ) و(ر): «مع».

(٣) في (ف): «وأخذ».

(٤) في (ف): «الكتاب».

وأخذُ الميثاق كان[١] على ثلاثةِ أوجهٍ:

ميثاق الذُّرية: وهو قوله عز وجل: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ﴾ الآية [الأعراف: ١٧٢].

وميثاق الأنبياء بتبليغ الرسالة: وهو في قوله تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ﴾ [الأحزاب: ٧].

وميثاق الأنبياء بالإيمان بمحمَّدٍ عليه السلام على التَّعيين، وهو في هذه الآية: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ الآية [آل عمران: ٨١].

قوله تعالى: ﴿قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ﴾: أي: قال اللهُ للأنبياء: أأقررتم؟ وهذا[٢] استفهامٌ بمعنى الأمر، كما في قوله: ﴿ءَأَسْلَمْتُمْ﴾ [آل عمران: ٢٠].

وقوله تعالى: ﴿وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى﴾: أي: أَقبِلْتُم على ذلكم عهدي، كقوله: ﴿وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ [البقرة: ٤٨]؛ أي: لا يُقبل.

والإصرُ: العهد.

قوله تعالى: ﴿قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا﴾: أي: قال الأنبياءُ: أقررنا بذلك ﴿قَالَ فَٱشْهَدُوا۟﴾؛ أي: قال اللهُ للملائكة: فاشهدوا على الأنبياء بذلك[٣]. وهو قول سعيد بن المسيب[٤].

قولـه تعالـى: ﴿وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّـٰهِدِينَ﴾: أي: قـال الله تعالـى: وأنا شـاهد أيضًا علـى هذا.

* * *

(١) «كان» ليس في (ف).

(٢) في (أ): «وهو».

(٣) «بذلك»: من (أ).

(٤) ذكـره الثعلبـي فـي «تفسـيره» (٣/ ١٠٥)، والبغـوي فـي «تفسـيره» (٢/ ٦٢)، وابـن الجوزي في «زاد المسـير» (١/ ٣٠٠).

(٨٢) ـ ﴿فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾: أي: أعرض عن هذا العهدِ ونقضَه بعد قَبوله.

قوله تعالى: ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾: جمع ذلك لأنَّ (مَن) كلمةٌ تصلحُ للجمع.

والتَّولي لا يقع من الأنبياء ولا يوصفون بالفسق، لكن له وجهان:

أحدُهما: أنَّ الميثاقَ كان على الأنبياء، وأممُهم على التَّبعية، والتَّولي يقع[1] من الأمم خاصَّةً.

والثاني: أنَّ العصمة لا تزيل المحنة، كما مرَّ ذكرُه مرَّاتٍ، وعلى ذلك[2] قوله تعالى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر: ٦٥]، وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ﴾ الآية[3] [الإسراء: ٧٤].

وقيل في الآية أقاويلُ أُخرُ:

قيل في قوله تعالى: ﴿لَمَا آتَيْتُكُم﴾؛ أي: لئن آتيتكم. وقيل: مهما آتيتكم.

وقيل: ميثاق النبيِّين أُضيف إليهم إضافةَ الفعل إلى مَن يقع الفعل له. وهو تأويل ابن عباسٍ رضي الله عنهما[4]؛ أي: أُخذ الميثاقُ للنبيِّين على الأمم أن يؤمنوا بالرُّسل إذا جاؤوا وأنْ ينصروهم.

---

(١) «يقع» من (ر).

(٢) في (أ): «هذا».

(٣) في (ف): ﴿لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا﴾.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٥٣٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٦٩٣)، ولفظ الطبري: (إنما أخذ الله ميثاق النبيين على قومهم).

وقال السُّدِّي: هذا[١] أخذُ ميثاقِ ذريَّةِ آدمَ المذكورِ في قوله سبحانه: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِىٓ ءَادَمَ﴾ الآية [الأعراف: ١٧٢][٢].

وقال الإمام أبو منصورٍ رحمه الله: قال الكسائيُّ: قيل فيه بوجهين:

أحدهما: ميثاقَ الذين منهم النبيُّون، وهم بنو إسرائيل، وكلُّ ميثاقٍ ذكره الله في القرآن في أهل الكتاب فإنما يُراد به بنو إسرائيل.

والثاني: أخذَ اللهُ ميثاقَ الأنبياء أن يصدِّق بعضُهم بعضًا، وأن يبلِّغوا كتبَ الله تعالى إلى قومهم[٣].

وقال عليٌّ وابنُ عبَّاس وقتادةُ وطاوسٌ وطائفةٌ: هو ميثاقٌ أخذه الله تعالى على النبيِّين أن يصدِّق بعضهم بعضًا؛ الآخِرُ الأوَّلَ، والأوَّلُ الآخِرَ[٤].

وهو على العموم، وليس لنبيٍّ على الخصوص؛ فإنَّ قولَه سبحانه وتعالى: ﴿ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ﴾ هو على النَّكرة، وليس على التَّعريف.

وقال الكلبيُّ وأبو روقٍ ومقاتلٌ والسُّدِّيُّ وعامَّة أهل التَّفسير: هذا أخذُ الميثاق على الأنبياء المتقدمين بالإيمان بمحمَّدٍ سيِّد المرسلِين[٥].

فإنَّ قولَه سبحانه وتعالى: ﴿ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ﴾ وإن كان لفظه لفظَ النَّكرة،

---

(١) في (ف): «هو».

(٢) لم أقف عليه عن السدي، وذكر نحوه الزجاج في «إعراب القرآن» (١/ ١٤٧).

(٣) انظر: «تأويلات اهل السنة» (٢/ ٤١٥ ـ ٤١٦).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٥٤٠ و ٥٤١) عن طاوس وقتادة والحسن، وهو في «تفسير الثعلبي» (٣/ ١٠٥) عن سعيد بن جبير وطاوس وقتادة والحسن والسدّي.

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٥٤٠ و ٥٤١) عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه والسدي.

لكنَّه[١] صار معرفة بالصِّفة، وهو كقوله: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً﴾ [النحل: ١١٢] نكرةٌ وأُريد[٢] بها مكَّة، وصارت معرفة بالصِّفة.

وقيل في قوله سبحانه: ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ﴾: فيه مُضمَر: (قالوا: نعم)، ثم قال الله تعالى: ﴿ءَأَقْرَرْتُمْ﴾؛ أي: أنتم أيها الأنبياء، ﴿وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى﴾؛ أي: عهدي على أممكم.

وقيل: انتظام هذه الآية بالأولى: أنَّ الله تعالى قال لأهل الكتاب: كيف تأنفون من الانقياد لمحمَّد عليه السلام، وقد أخذ الله على الأنبياء الميثاق بالإيمان به ونصرته، وأقرُّوا بذلك والْتزَموه.

فإنْ قالوا: كيف أُخذ عليهم الميثاق بالإيمان به وبنصرته لو جاءهم، وهو لم يجئْهم ولم يدركوه ليَنصروه؟

قلنا: ذُكر لهذا وجوهٌ، لكنَّ الصَّحيح ما قلنا: إنَّه لم يُردْ به مجيئَه إيَّاهم بنفسِه، ونصرتهم إيَّاه بعد خروجه، لكن تأويله: ثم جاءكم خبرُ رسولٍ لتنصرُنَّه بذكرِ نعتِه وإحياءِ اسمِه، وأمرِ الأمم بالإيمان به بعينه.

وقيل في قوله سبحانه وتعالى: ﴿فَٱشْهَدُوا۟﴾؛ أي: أنتم على أنفسكم، كما في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ﴾ [الأعراف: ١٧٢].

وقيل: معناه: قال للأنبياء: فاشهَدوا على الأمم بإقرارهم.

وقيل: معناه: ليشهد بعضُكم على بعضٍ بذلك.

وقيل: ﴿فَٱشْهَدُوا۟﴾؛ أي: بيِّنوا، وذلك لأنَّ الأصل في الشاهد أن يكون مصحِّحًا

---

(١) في (أ): «لفظه للنكرة لكنه»، وفي (ف): «لفظه للنكرة» وسقطت منها «لكنه».

(٢) في (أ): «أريد»، بدل: «نكرة وأريد»، وسقطت العبارة من (ف).

لدعوى المدَّعي، ﴿وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾: من المبيِّنين صحتَه بإجراء حجج النبوَّة[١] على أيديكم.

وقيل: ﴿فَٱشۡهَدُواْ﴾؛ أي: فاعلموا ما أَلْزمْتُموه أنفسكم، ﴿وَأَنَا۠ مَعَكُم﴾ من العالمين بما أخذتُه عليكم، حافظٌ له غيرُ ناسٍ، مجازٍ لكم على ما كان منكم من خلافٍ أو وفاقٍ.

وقيل: ﴿فَٱشۡهَدُواْ﴾ أيُّها الأنبياء لمحمدٍ بالنبوَّة، وأنا على ذلك أيضًا من الشاهدين بإقامة المعجزات له.

قوله تعالى: ﴿فَمَن تَوَلَّىٰ﴾ قال القشيريُّ رحمه الله: فمَنْ حادَ عن سنَّته أو زاغَ عن اتِّباع طريقتِه بعد وضوح أدلَّته فأولئك هم المستوجِبون لمقته ولعنته[٢].

***

(٨٣) ـ ﴿أَفَغَيۡرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبۡغُونَ وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿أفغير دين الله تبغون﴾: استفهامٌ بمعنى التَّوبيخ، والفاء للتعقيب، و(غير) نُصب بوقوع ﴿تبغون﴾ عليه؛ أي: أبعدَ تلك الآيات تبغون غيرَ دين الله.

وقرأ أبو عمرو: ﴿يَبۡغُونَ﴾ بياء المغايبة؛ ردًّا[٣] إلى أهل الكتاب الذين مرَّ ذكرهم، و﴿تُرْجعون﴾ بتاء المخاطبة؛ خطابًا[٤] لكل المكلَّفين.

---

(١) في (ر): «التوراة»، وسقطت العبارة من (ف).

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٢٥٥).

(٣) في (أ): «أداء».

(٤) «خطابًا»: من (أ).

وقرأ عاصم في رواية حفصٍ بياء المغايبة فيهما، والباقون بتاء المخاطبة فيهما[١].

﴿تبغون﴾؛ أي: تطلبون، وقد بَغَى بِغاءً بكسر[٢] باء المصدر؛ أي: زنى، وبَغَى بَغيًا؛ أي: ظَلَم.

قوله تعالى: ﴿وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا﴾: أي: انقادَ له كلُّ مَن فيهما؛ إمَّا طوعًا، وهم الموحِّدون، وإمَّا كرهًا، وهم الجاحدون بما فيهم مِن آثار الصُّنع ودلائلِ الحدوث، وتصريفِهم كيف يشاء[٣] إلى صحةٍ ومرضٍ، وغنىً وفقرٍ، وسرورٍ وحزنٍ، وسائر الأحوال.

وله وجوهٌ أُخَرُ بيَّناها عند قوله تعالى: ﴿لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ كُلّٞ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾ [البقرة: ١١٦].

وقيل: الخطابُ للنَّصارى في قولهم للمسيح؛ أي: أيقولون[٤] في المسيح ما يقولون وهو كان منقادًا لله تعالى.

قوله تعالى: ﴿وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُونَ﴾: أي: إلى جزائه في الآخرة على الخير والشرِّ، وهو ترغيبٌ وترهيبٌ.

وقيل: هو بناءٌ على قوله تعالى: ﴿وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ﴾؛ أي: كما انقادوا له في الدُّنيا يصرِّفهم كيف يشاء، فكذا بعثُهم بعد موتهم مِن تصريفه إيَّاهم على ما شاء وهم لا يملكون امتناعًا، وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا يَمۡلِكُونَ لِأَنفُسِهِمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗا وَلَا يَمۡلِكُونَ مَوۡتٗا وَلَا حَيَوٰةٗ وَلَا نُشُورٗا﴾ [الفرقان: ٣].

---

(١) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٨٩).

(٢) في (أ): «بضم».

(٣) في (أ): «شاء».

(٤) في (ف): «المسيح أي تقولون».

وقيل: ﴿طَوْعًا﴾: حالةَ الاختيار، ﴿وَكَرْهًا﴾: عندَ نزول الشَّدائد وحلول الموت.

وقال ابن عباسٍ رضي الله عنهما: لَمَّا ادَّعى اليهود والنَّصارى ـ لعنهم الله ـ أنَّ إبراهيمَ صلوات الله عليه كان على دينهم، فقال عليه السلام في ردِّهم ما قال، قالوا: لا نرضى بقضائِك ولا ندخل في دينك، فنزل: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ﴾[١].

وقال الإمام أبو منصورٍ رحمه الله: كلٌّ يدَّعي أنه يطلب دِينًا هو دين الله، لكن معناه والله أعلم: أنَّ كلًّا في الابتداء يبغي[٢] دِين الله في نفسه، لكن إذا بانَ له بالآيات أنه ليس على دِين الله، وأن دينَ الله هو الإسلام، فلم يرجع إليه، ولا اعتقده، ولزم غيرَه بالعناد والمكابرة، فهو باغٍ غيرَ دين الله.

ويحتمل: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ﴾؛ أي: أفغير ما في دين الله من الأحكام يبغون، وهو كقوله: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ [المائدة: ٥٠].

ويحتمل: أبغَيرِ[٣] دِين الله يَدينون، وليس على الاستفهام، بل على التَّحقيق، كما في قوله تعالى: ﴿أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ [النور: ٥٠][٤].

وذكر هو عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ قولين:

أحدهما: وله أسلم من في السماوات طوعًا، فأمَّا[٥] أهل الأرض فمنهم مَن أسلم طوعًا، ومنهم مَن أسلم كرهًا مخافةَ السيف[٦].

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣/ ١٠٥). في (أ) و(ف): «تبغون».

(٢) في (أ): «يبتغي».

(٣) في (ر) و(ف): «أفغير».

(٤) انظر: «تفسير الماتريدي» (٢/ ٤١٨).

(٥) في (أ) و(ف): «وأما».

(٦) روى نحوه ابن المنذر في «تفسيره» (١/ ٢٧٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٦٩٦).

والثاني: أسلمَ مَن وُلد في الإسلام طوعًا، ومَن لم يُولد في الإسلام بالسيف كرهًا[١].

وقال قتادة: أسلمَ المؤمنُ طوعًا، والكافرُ عند موته كرهًا؛ قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ﴾ [غافر: ٨٤][٢].

وقال الحسن: ﴿وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ هو على الخصوص[٣]؛ أي: هو في ذكر المؤمنين منهم دون غيرهم.

وقال أبو العالية ومجاهد: أي: كلُّهم أقرَّ[٤] بالعبوديَّة لله تعالى، وإن كان فيهم مَن أشركَ في العبادة؛ قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧][٥].

وقال ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: أسلم كلُّهم في أخذ الميثاق[٦].

---

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٢/ ٤١٨). والقول الثاني لابن عباس رضي الله عنهما رواه الطبراني في «الكبير» (١١٤٧٣) عن ابن عباس مرفوعاً، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦/ ٣٢٦): فيه محمد بن محصن العكاشي وهو متروك. وذكره السمرقندي في «تفسيره» (١/ ٢٥٢ ـ ٢٥٣)، والبغوي في «تفسيره» (٢/ ٦٣)، عن الكلبي.

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٤٢٣)، والطبري في «تفسيره» (٥/ ٥٥٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٦٩٧).

(٣) وردت عن الحسن في تفسير الآية أقوال، فقد روى عنه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٥٥١) قوله: (أكره أقوام على الإسلام، وجاء أقوام طائعين)، وروى ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٦٩٥ ـ ٦٩٦) عنه قولين: الأول قوله: «أهل السماوات، والمهاجرون، والأنصار، وأهل البحرين»، والثاني قوله: «في السماء الملائكة طوعًا، وفي الأرض الأنصار وعبد القيس طوعًا».

(٤) في (ف): «أقروا».

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٥٤٩) عن مجاهد وأبي العالية، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٦٩٦) عن أبي العالية.

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٥٥٠).

وقال أبيٌّ بن كعبٍ: هذا يكون في القيامة على العموم؛ قال الله تعالى: ﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ﴾ [طه: ١١١].

وقال الإمام القشيري رحمه الله: ﴿وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا﴾ لإسبال نور التجلِّي عليهم، ﴿وَكَرْهًا﴾ لإجراء حُكم الهيبة على وجه القهر عليهم[١].

* * *

(٨٤) - ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾: مرَّ تفسير هذه الآية في سورة البقرة.

وقال الكلبيُّ: كفرت النَّصارى بالتوراة، واليهودُ بالإنجيل، وقيل لهم: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ﴾، وأمر الله تعالى نبيَّه أن يقول: آمنا بالله وبما ذكر، و﴿ءَامَنَّا﴾[٢] على الجمع خبرٌ عنه وعن أمَّته، و﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾ هو خلافٌ لأهل الكتاب حيث فرَّقوا.

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: آمنَّا بالله لا بنفوسنا[٣] وحولنا وقوَّتنا[٤].

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٢٥٥).

(٢) في (ر): «أن يقول وإنما ذكر وآمنا»، وفي (ف): «أن يقول آمنا بالله وإنما ذكر آمنا».

(٣) في (ر) و(ف): «بأنفسنا».

(٤) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٢٥٦).

(٨٥) ـ ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾.

قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا ﴾؛ أي: يطلب ﴿فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾.

وقال[١] الإمام أبو منصورٍ رحمه الله: إنَّ[٢] مَن دان غيرَ دِين الإسلام فإنما يتقرَّب به إلى الله؛ لأنَّ كلَّ متدينٍ بدينٍ فإنه يقصد بذلك التقرُّب إلى الله تعالى، فـ[أَخبر أن]ذلك غيرُ مقبولٍ منه؛ لأنَّ الدِّينَ عند الله الإسلام، وهو الدِّين المرضيُّ وعليه الثَّوابُ؛ قال الله تعالى خبرًا عن الكفار: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾ [الزمر: ٣][٣].

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾: أي: لأنه عمل عملًا لا ينتفع به عند حاجته إليه في الآخرة، ولأنه فاته ما كان يمكنه نيلُه من النعيم المقيم والخلود في الجنان لو أسلم.

قال الكلبيُّ: نزلت الآية وما بعدها في عشرة رهطٍ كانوا آمنوا بالله ورسوله ثم ارتدُّوا عن الإسلام[٤] ولحقوا بمكَّة[٥].

وقال مقاتل: نزلت في اثني عشر رجلًا ارتدُّوا عن الإسلام، وخرجوا من المدينة، ثم انصرفوا إلى طريق مكَّة فلحقوا بالكفَّار، منهم طعمة بن أُبيرق الأنصاريُّ، ومِقْيَس بن صُبابة اللَّيثي، وعبد الله بن أنس بن خطل من بني تيم بن مُرَّة، ووَحْوح بن

---

(١) في (ر): «قال».

(٢) في (أ): «أي».

(٣) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٢/ ٤١٩)، وما بين معكوفتين منه.

(٤) «عن الإسلام» ليس في (أ).

(٥) ذكره عن الكلبيِّ السمرقنديُّ في «تفسيره» (١/ ٢٥٣)، وذكر نحوه ابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٣٠١) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

الأسلت[١]، وأبو عامر بن النعمان، والحارث بن سويد بن الصامت الأنصاري من بني عمرو بن عوف أخو الجُلَاس بنِ سويد.

ثم إنَّ الحارث ندم، فرجع تائباً، ثم أرسل إلى أخيه الجلاس بن سويد، ثم أتى فأخبر[٢] النبيَّ ﷺ فلم يردَّ شيئًا، فأنزل اللهُ تعالى في الحارث فاستثنى: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ ﴾؛ يعني: من الكفر، ﴿وَأَصْلَحُوا۟ ﴾ العملَ فيما بقي ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ ﴾ لكفرِه[٣]، ﴿رَّحِيمٌ ﴾ به فيما بقي.

فبلَّغ الحارثُ الأحدَ عشر الذين بمكَّة، فقالوا: نقيم بمكَّة نتربَّص بمحمَّد الموتَ، فإذا أردنا أن نتوبَ أتينا المدينة، فينزل فينا ما نزل في الحارث ويُقبل منَّا ما قُبل منه، فأنزل الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا ﴾ حين بعثَ الله محمَّدًا فأنكروه وكذَّبوه[٤].

***

---

(١) في (ر): «ووجوح بن الأشعث»، وفي (أ) و(ف): «ووحوح بن الأشعث»، والمثبت من المصادر. انظر: «تفسير مقاتل» (١/ ٢٨٨)، و«تفسير الطبري» (٥/ ٥٥٩)، و«الكشاف» (١/ ٣٨١)، و«المحرر الوجيز» (١/ ٤٦٨)، و«العجاب في بيان الأسباب» لابن حجر (٢/ ٧١١). ووقع في المطبوع من «تفسير مقاتل»: (وجوج) بجيمين، ولعله تحريف.

(٢) في (ف): «وأخبر» بدل: «ثم أتى فأخبر». وفي «تفسير مقاتل»: (.. ثُمَّ أرسل إلى أَخِيهِ الجلاس: إني قَدْ رجعت تائباً فسل النَّبيَّ ﷺ هل لي من توبة؟ وإلا لحقت بالشام، فانطلق الجلاس إلى النَّبيّ ـ ﷺ ـ فَأَخْبَرَه..).

(٣) في (ف): «للكفر».

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» (١/ ٢٨٨ ـ ٢٨٩). وروى نحوه عبد الرزاق في «تفسيره» (٤٢٦)، والطبري في «تفسيره» (٥/ ٥٥٨)، وابن المنذر في «تفسيره» (١/ ٢٨١) عن مجاهد. والطبري (٥/ ٥٥٩) عن عكرمة.

(٨٦) - ﴿كَيْفَ يَهْدِى اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَٰتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّٰلِمِينَ﴾.

قوله تعالى: ﴿كَيْفَ يَهْدِى اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَٰتُ﴾: ﴿كَيْفَ﴾ استفهامٌ بمعنى الإنكار؛ أي: لا يهديهم، ونظيره قول الشاعر:

فهذي سيوفٌ يا صُدَيُّ بنَ مالكٍ كثيرٌ ولكنْ أينَ بالسَّيفِ ضارِبُ[1]

(أين) استفهامٌ، ومعناه الجحدُ هاهنا؛ أي: ليس.

ثم هذا في الظاهر عطفُ فعلٍ على اسمٍ، ولا يتَّفقان، فيُحمل الفعل على المصدر، أو المصدر على الفعل؛ ليتَّفقا؛ لأنَّ المراد ذلك، فيحمل على المعنى المراد، ونظيره عطف الماضي على المستقبل وعلى العكس، ووجهُه حمل أحدهما على وفق الآخر.

والتَّقديرُ هاهنا: بعد إيمانهم وشهادتهم أنَّ الرَّسولَ حقٌّ، ومجيءِ البيِّنات إيَّاهم، أو بعد أن آمنوا وشهدوا وجاءهم، وعطفُ الماضي على المستقبل كما في قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾، ونظير الأوَّل قول امرئ القيس:

بكى صاحبي لَمَّا رأى الموتَ دونَه وأيقنَ أنَّا لاحقان بقيصرا
فقلْتُ له لا تَبْكِ عينُكَ إنَّما نحاولُ ملكًا أو نموتَ فنُعذَرا[2]

أي: نحاول أن نملكَ أو نموت، أو نحاول ملكًا أو موتًا.

---

(١) البيت بلا نسبة في «معاني القرآن» للفراء (١/ ١٦٤)، و«المذكر والمؤنث» لابن الأنباري (١/ ٢٠٤)، و«أمالي ابن الشجري» (١/ ٤٠٨).

(٢) انظر: «ديوان امرئ القيس» (ص: ٩٦). ووقع في (ر) و(ف): «تحاول» و«تموت فتعذرا».

وقال آخر:

فَمَـا لَـكَ فيهـا غيـرُ ذكـرَى وحسرةٍ ... وتَسـأَلَ عـن ركبانِهـا أيـنَ يَمَّمُـوا[١]

أي: غير ذكرى وحسرةٍ وسؤالٍ، أو غير أن تتذكَّر وتتحسَّر وتسأل.

ثم معنى الآية عند بعضهم على نظم ما سبق من الآيات: كيف يهدي الله اليهودَ وقد كفروا بعد إيمانهم بمحمَّد قبل مبعثه، وكانوا يستفتحون به على الكفَّار، فلما جاءهم هو وقد[٢] كانت قد جاءتهم البينات في التَّوراة كفروا به.

وعن الحسن البصري: ﴿وَجَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ﴾؛ أي: القرآن[٣].

وعند بعضهم: هذا في المرتدِّين على ما روينا.

قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: هؤلاء ظالمون حين وضعوا الجحود غيرَ موضعه وهم[٤] مختارون لذلك، والله لا يهدي من اختار الضلال.

وقيل: لا يهديهم طريقَ الجنَّة إذا ماتوا كفَّارًا، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمۡ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغۡفِرَ لَهُمۡ وَلَا لِيَهۡدِيَهُمۡ طَرِيقًا ۝١٦٨ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ﴾ [النساء: ١٦٨].

وقيل: معنى الآية: كيف يكونون مهتدين كما يزعمون وقد كفروا.

وقيل: كيف يهديهم للإيمان حالة الكفر.

وقال الإمام أبو منصورٍ رحمه الله: دلَّت الآية أن استطاعةَ الفعلِ مع الفعل،

---

(١) البيت بلا نسبة في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٤٢٣)، و«تفسير الطبري» (٢٠/ ٢٣٦).

(٢) «قد» ليست في (أ).

(٣) روى ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٢٦٩) في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ﴾، عن الحسن قال: قال: «الكتاب: القرآن».

(٤) في (ر): «فهم».

حيث نفى عنهم الهداية حالَ الكفر، وفيه إبطالُ قولِ المعتزلة: إنَّ هدى الله هو البيانُ لا غير، وقد بيَّنَ للكافر، ومع ذلك نفى عنهم ذلك.

وقال في معنى الآية: يحتمل أن هذا كان في قومٍ مخصوصين بأعيانهم، علمَ الله منهم أنهم لا يؤمنون.

وقال: وقيل: معناه: لا يهديهم ما داموا مختارين للكفر[١].

* * *

(٨٧) ـ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمۡ أَنَّ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةَ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ﴾.

قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمۡ أَنَّ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةَ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ﴾[٢]: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾؛ أي: أهل هذه الصِّفة ﴿جَزَآؤُهُمۡ أَنَّ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: طَرْده وإبعاده، ومن الملائكة: دعاؤهم باللَّعنة، ومن الناس أجمعين كذلك.

أمَّا المؤمنون فإنهم يلعنون الظَّالمين، والظَّالمون يقولون: لعنَ اللهُ الظَّالمين؛ لاتِّفاق الكلِّ على قبح الظُّلم، واستحقاقِ الظَّالم اللَّعنةَ، وهو لا يعتقد نفسه ظالمًا، فترجعُ اللَّعنة منه على[٣] نفسه بقوله.

وقيل: هو في الآخرة؛ قال تعالى: ﴿وَيَلۡعَنُ بَعۡضُكُم بَعۡضٗا﴾ [العنكبوت: ٢٥].

وقال الإمام أبو منصورٍ رحمه الله: لعنُ الملائكةِ قولُهم: ﴿إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾ [الزخرف: ٧٧]، ولعنُ النَّاسِ قولُهم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [الأعراف: ٥٠][٤].

---

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٢/ ٤٢٠ ـ ٤٢١).

(٢) «أولئك جَزاؤهم أن عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين»: من (ف).

(٣) في (أ) و(ف): «ويرجع لعنه إلى» بدل: «فترجع اللعنة منه على».

(٤) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٢/ ٤٢١).

(٨٨) ـ ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴾.

قوله تعالى: ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَا ﴾: أي: في اللَّعنة، والخلودُ في اللَّعنة خلودٌ في جهنَّم، وهو كقوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾ خَٰلِدِينَ فِيهِ﴾ [طه: ١٠٠ ـ ١٠١]؛ أي: في الوِزْرِ، وذاك خلودٌ في جهنم.

قوله تعالى: ﴿لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ ﴾: أي: لا يُفتَّر ﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴾؛ أي: لا يُمهَلون، والفرقُ بينَ الكلمتَيْن: أنَّ الإنظارَ: تأخيرُ العبد ليُنظر في أمره، والإمهالَ: تأخيرُه ليَسهُلَ عليه الفعل الَّذي كُلِّفَه.

***

(٨٩) ـ ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾.

قوله تعالى: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ﴾: أي: من كفرهم، ﴿وَأَصْلَحُوا۟ ﴾؛ أي: ما أفسدوه من غرور أتباعِهم وإغوائهم. والإغواءُ إفسادٌ، والرَّدُّ[1] إلى الهدى إصلاحٌ.

قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾: هذا ظاهرٌ.

***

(٩٠) ـ ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴾.

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ ﴾: أي: ارتدُّوا ﴿ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا ﴾: نصبُه بوقوع الفعل عليه، وقيل: على التَّفسير[2].

---

(١) في (ف): «فإذا رد».

(٢) وعند أبي حيان هو منصوب على التمييز المنقول عن الفاعل؛ أي: ثم ازداد كفرهم. انظر: «البحر =

وقيل[١]: معناه: أصَرُّوا عليه وجحدوا ما نزل على المصطفى محمَّدٍ عليه السلام بعد ذلك شيئًا فشيئًا.

وقال الكلبيُّ: معناه: قولهم: نقيم بمكَّة على الكفر ما بدا لنا[٢].

وقال قتادة: هم اليهود كفروا بعيسى ثم بمحمَّد[٣].

قوله تعالى: ﴿لَن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾: قال الحسن: أي: إيمانهم الَّذي كان بمحمَّدٍ قبلَ بعثِه[٤].

وقيل: لن يُقبل إيمانهم عند البأس؛ قال تعالى: ﴿فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا﴾ [غافر: ٨٥].

وقيل: أي: لن تقبل توبتهم التي أظهروها لأنَّهم غير مخلِصين فيها، دليلُه ما قال بعده: ﴿وَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ﴾؛ أي: الثَّابتون بالقلب على ضلالهم الذي كان. وهو قول ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما[٥].

= المحيط» (٥/ ٥٢٦). وسيأتي من كلام المصنف ما يشير إلى التفريق بين النصب على التفسير والنصب على التميز، وذلك في تفسير قوله تعالى: ﴿فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا﴾، حيث قال: و﴿نَفْسًا﴾ نصبٌ على التَّفسير عند الكوفيِّين، وعلى التَّمييز عند البصريِّين، وهما قريبان.

(١) «قيل»: من (ف).

(٢) ذكر نحوه السمرقندي في «تفسيره» (١/ ٢٣٠)، والثعلبي في «تفسيره» (٣/ ١٠٩). وقد تقدم الخبر بذلك قريباً.

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٦٥٣)، والطبري في «تفسيره» (٥/ ٥٦٤)، وابن المنذر في «تفسيره» (١/ ٢٨٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٧٠١).

(٤) نقل نحوه الواحدي في «تفسيره» (٥/ ٤١٩) عن ابن الأنباري، والمروي عن الحسن رحمه الله في تفسير هذه الآية قال: (اليهود والنصارى لن تقبل توبتهم عند الموت). رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٥٦٤)، وسيذكره المصنف قريبًا.

(٥) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٤٠٨).

وقال أبو العالية: لن تقبل توبتهم من[1] الذُّنوب وهم على الكفر[2].

وقيل: هي في قومٍ علم الله تعالى أنهم لا يؤمنون، فقوله: ﴿لَّن تُقۡبَلَ تَوۡبَتُهُمۡ﴾؛ أي: لا يتوبون ليكون لتوبتهم قَبولٌ، وهو كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٞ﴾ [البقرة: ١٢٣]؛ أي: لا تكون لهم شفاعة لتنفع.

وقال الحسن وقتادة: لن تقبل توبتهم لأنهم لا يتوبون إلا عند حضور الموت، والله تعالى يقول: ﴿وَلَيۡسَتِ ٱلتَّوۡبَةُ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ الآية [النساء: ١٨][3].

قوله تعالى: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ﴾: الباقون على ضلالهم، وقيل: الهالكون، وقيل: الضَّالُّون عن الثَّواب الذي رجَوه بهذه التَّوبة.

***

(٩١) ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٞ فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡ أَحَدِهِم مِّلۡءُ ٱلۡأَرۡضِ ذَهَبٗا وَلَوِ ٱفۡتَدَىٰ بِهِۦٓۗ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٞ﴾: الواو للحال ﴿فل فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡ أَحَدِهِم مِّلۡءُ ٱلۡأَرۡضِ ذَهَبٗا﴾: المِلء: قَدْرُ ما يُملأُ، و﴿ذَهَبٗا﴾: نصب على التَّمييز، والتَّمييزُ نوعان:

---

(١) في (أ) و(ف): «عن».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٥٦٥ ـ ٥٦٦)، وابن المنذر في «تفسيره» (١/ ٢٨٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٧٠٢). وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣/ ١٠٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما وأبي العالية.

(٣) «الآية»: من (ف). والخبر رواه عن الحسن وقتادة الطبري في «تفسيره» (٥/ ٥٦٤)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣/ ١٠٩)، والواحدي في «البسيط» (٥/ ٤١٩) عن الحسن وقتادة وعطاء. وانظر: «تفسير ابن أبي حاتم» (٢/ ٧٠٢).

للأفراد؛ كقولك: أحد عشر درهمًا، وعشرون دينارًا.

وللمقادير؛ كقولك: عندي ملءُ زقٍّ عسلًا.

ونصبُه: أن الذي قبله مقدارٌ معروفٌ[١]، والمقدَّرُ مجهولٌ، وهو نكرةٌ بعد معرفةٍ، فانتصبَ وكان مفسِّرًا لذلك المجهول، ومعناه: إنَّ الكافرَ يوم القيامة لو أَمكنه أن يفتديَ بملءِ الدُّنيا ذهبًا وافتدى به[٢] لم[٣] يُقبل منه ولم ينفعْه.

روى أنسٌ عن النبيِّ ﷺ أنَّه قالَ: «يُجاءُ بالكافر يومَ القيامةِ، فيُقالُ له: أرأيْتَ لو كانَ لكَ مثلُ[٤] الأرضِ ذهبًا أكنْتَ مفتديًا به؟ فيقولُ: نعم، فيُقالُ له: لقد سُئِلْتَ أيسرَ مِن ذلك»[٥].

وقالَ الزَّجَّاجُ: معناه: لو افتدى به في دار الدُّنيا مع الإقامة على الكفر لم يُقبل منه[٦].

قوله تعالى: ﴿وَلَوِ افْتَدَىٰ بِهِ﴾: الواو للتَّأكيد، كقولك: عليك بالصِّدق ولو[٧] ضرَّكَ.

قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: أي: مؤلمٌ.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾: أي: مُعِينين، وللعذاب دافعين، وعن المؤاخذة مانعين.

---

(١) في (أ): «معرف».

(٢) في (ف): «إن الكافر يوم القيامة لن يفتدي بملء الأرض ذهباً وإن افتدى به».

(٣) في (أ): «لن».

(٤) في (أ) و(ف): «ملء».

(٥) رواه البخاري (٦٥٣٨)، ومسلم (٢٨٠٥).

(٦) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٤٤١).

(٧) في (ف): «وإن».

وكان إصرارُهم على الكفر لأخذ أموال النَّاس، فأخبرَ أنَّه لا ينفعُهم، ولا ينفعُ الافتداءُ بملء الأرض ذهبًا.

وقيل: هذا[١] تبعيدٌ؛ أي: لا يكون هذا أبدًا، لا أن يملكَه[٢] فيفتديَ به فلا يقبلَ، كما في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠].

* * *

(٩٢) ـ ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٞ﴾.

قوله تعالى: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾: انتظامُها بما قبلها: أنَّه ذكرَ أنَّه لا يُقبَل مِن الكافر الافتداءُ بملء الأرض ذهبًا، ولن ينجوَ من النَّار، ولن يدخل الجنَّة، وحثَّ في هذه الآية المؤمنَ على الإنفاق بما أمكنه قلَّ أو كثرَ؛ فإنَّه ينفعُه وينجِّيه من النَّار ويدخلُه الجنَّةَ.

وقوله تعالى: ﴿لَن تَنَالُواْ﴾؛ أي: لن تُصيبوا.

وقوله: ﴿ٱلۡبِرَّ﴾ قال عطيةُ العوفيُّ: البرُّ: الطَّاعةُ.

وقال أبو روقٍ: البرُّ: الخيرُ.

وقال مقاتل بن حيَّان: البرُّ: التَّقوى[٣].

وقيل: هو جماعُ الطَّاعات.

وهذه الأقاويل ترجع إلى قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾ ـ الآية ـ ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

---

(١) في (ف): «هو».

(٢) في (ر) و(ف): «يملكه».

(٣) ذكره عنهم الثعلبي في «تفسيره» (٣/ ١٠٩)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٣٠٣). ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٧٠٣) عن مقاتل.

والبرُّ: مصدرُ البَرِّ، وهو واحدُ الأبرار؛ أي: لن تصِلوا إلى درجة الأبرار الَّذين يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ [الانفطار: ١٣]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ يَشۡرَبُونَ﴾ [الإنسان: ٥]، ويقول في دعاء الصالحين: ﴿وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلۡأَبۡرَارِ﴾ [آل عمران: ١٩٣].

وقال ابن عبَّاسٍ رضي الله تعالى عنهما: البِرُّ الجنَّة، سُمِّيَتْ به لأنَّها جزاءٌ على البرِّ[1].

وهو كقوله تعالى: ﴿يَلۡقَ أَثَامًا﴾ [الفرقان: ٦٨]، وهو عذاب النَّار، سُمِّيَ به لأنَّه جزاءٌ على الإثم[2].

وقيل: البِرُّ هو لطف الله تعالى بعبده.

وقرئ في الشَّاذِّ: (لن تنالوا البَرَّ) بفتح الباء[3]، وهو الله تعالى؛ قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡبَرُّ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الطور: ٢٨].

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾، قيل: هو الزَّكاة، وقيل: هو الصَّدقة النَّفلُ، وقيل: هو الإنفاق على العيال.

وقال الإمام أبو منصورٍ رحمه الله: ويحتمِل أن يكون البِرُّ هو الإيمان؛ قال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾ الآية [البقرة: ١٧٧]، والإنفاقُ: هو أداء الزكاة، وهو في قومٍ كانوا لا يقبلون الزكاة، فلم ينالوا اسم الإيمان؛ قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ﴾ [فصلت: ٧][4].

---

(١) رواه ابن المنذر في «تفسيره» (١/ ٢٨٤)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣/ ١٠٩).

(٢) في (أ): «جزاء الآثم».

(٣) لم أجدها.

(٤) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٢/ ٤٢٤).

قوله تعالى: ﴿مِمَّا تُحِبُّونَ﴾؛ أي: من أموالٍ[١]، و(من) للتبعيض، فلم يَشترِط إنفاقَ كلِّ المال تيسيرًا على العباد، ووعدَ الجنة على الإنفاق مِن بعضه تخفيفًا على عبده.

ودلَّتِ الآية على[٢] أنَّه لا بأس بمحبَّة شيءٍ من الدُّنيا إذا لم يقدِّمْه على محبَّة الدِّين، قال تعالى: ﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ [البقرة: ١٧٧]، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ﴾ [التوبة: ٢٤]، وهو وعيد العذاب.

وقيل: ﴿مِمَّا تُحِبُّونَ﴾؛ أي: ممَّا يعجبُكم ويَعزُّ عليكم مِن أموالكم.

وقيل: مِن خيارِه وجيادِه دونَ رذاله، وقال النبيُّ ﷺ: «أفضلُ الصدقةِ ما تصدَّقْتَ به وأنت صحيحٌ شحيحٌ تأمُل الغنى[٣] وتخشى الفقر»[٤].

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: ذكَر (مِن) وهو للتَّبعيض، فمَنْ أراد البِرَّ فلينفقْ بعضَ ما يحبُّه، ومَنْ أرادَ البارَّ فلينفقْ جميعَ ما يحبُّه، ومَنْ أنفقَ محبوبه من الدُّنيا وجدَ مطلوبَه من الحقِّ، ومَنْ كان مربوطًا بحظوظ نفسِه لم يحظَ بقرب ربِّه.

قال: ويُقال: إذا كنْتَ لا تصلُ إلى البرِّ إلَّا بإنفاق محبوبِك، فمتى تصلُ إلى البارِّ وأنت تُؤْثر عليه حظوظَك[٥]؟!

وعن أنسٍ رضي الله عنه قال: لَمَّا نزلَتْ هذه الآيةُ قالَ أبو طلحةَ: يا رسولَ اللهِ،

---

(١) في (أ): «الأموال».

(٢) «على»: من (أ).

(٣) في (أ): «العيش»، وهي رواية ابن ماجه والنسائي.

(٤) رواه البخاري (٢٧٤٨)، ومسلم من (١٠٣٢)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٢٥٨).

حائطي الذي في مكان كذا فهو للهِ تعالى، ولو استطعْتُ أنْ أُسِرَّهُ ما[1] أعلنْتُه. فقال رسول الله ﷺ: «ضعْهُ في أقربائِكَ»[2].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما: أنه لَمَّا نزلَتْ هذه الآيةُ أعتقَ جاريةً له كان يحبُّها جدًّا، وزوَّجَها مولًى[3] له، فولدَتْ له صبيًّا، فكان ابنُ عمر رضي الله عنهما يأخذ ذلك الصبيَّ فيستنشقُه[4] ويقبِّلُه، ويقولُ: آهًا لريح فلانة. يعني: أمَّه[5].

قال نافعٌ: وكان ابنُ عمر رضي الله عنهما إذا اشتدَّ عجبُه لشيءٍ من مالِه قدَّمه لربِّه وجعله له، ويتأوَّلُ هذه الآيَةَ، ولقد رأيتُه راحَ ذات عشيَّةٍ ورحْنا معه ونحن حجَّاجٌ، وراح ابنُ عمر على نجيبٍ له قد أخذه بمالٍ، فلمَّا أعجبَه مسيره أناخه، وقال: يا نافعُ، انزعوا عنه رحلَه وزمامَه، وأشعروه وجلِّلوه وأدخلوه في البُدن[6].

وكان إذا رأى من أحدٍ من رقيقِه شيئًا يعجبُه مِن حسنِ صلاةٍ أو خيرٍ أعتقَه، فلربَّما شَمَّر أحدُهم فلزمَ المسجدَ، فإذا رآه على تلك الحالة أعتقَه، فيقول له

---

(١) في (ر): «لم».

(٢) روى نحوه البخاري (١٤١٦)، ومسلم (٩٩٨).

(٣) في (أ): «من مولى»، وفي (ف): «لمولى».

(٤) في (أ): «فيستنشقه» بدل: «فكان ابن عمر إذا اشتد عجبه يستنشقه».

(٥) رواه ابنُ سعد في «الطبقات الكبرى» (٤/ ١٦٧) عن نافع: أن عبد الله بن عمر..، فذكره.
وروى الإمام أحمد في «الزهد» (١٠٧٨) عن مجاهد قال: كان ابن عمر قائماً يصلي فأتى على هذه الآية ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾، فأعتق جارية له وهو يصلي قد أراد أن يتزوجها. ورواه بنحو هذا أبو داود في «الزهد» (ص: ٢٦٣)، وابن المنذر في «تفسيره» (١/ ٢٨٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٧٠٤).

(٦) رواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٤/ ١٦٦)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ٢٩٤).

أصحابُـه: إنهـم يخدعونك، فـكان يقول: مَـن خدَعَنا بـالله انْخَدعْنا له[١].

قال: وكان ابنُ عمر رضي الله عنهما مريضًا، فاشتهى عنبًا، وذلك في الشِّتاء، فخرج بنوه فاشتروا له عنقودًا بدرهمٍ، فلمَّا أُتي به أخذ منه حبَّةً، فإذا[٢] سائلٌ يسأل، فأعاد الحبَّة في موضعها، ثم قال: يا سالم، ناولْه العنقود، فإني سمعْتُ رسول الله ﷺ يقول: «خيرُ الصَّدقةِ ما كان على شهوتها»، فناولَه سالمٌ، ثم اشتراه منه بدرهمٍ، وجاءَ به إليه، وقال: كلْ شهوتَك، فإذا سائلٌ يسأل، فأعادَها إلى موضعها، وفعل كالأوَّل، فكان كذلك ثلاث مراتٍ، ومات عبد الله بشهوته[٣].

وقال أنسٌ رضي الله عنه: لَمَّا نزلَتْ هذه الآية جاء زيدُ بن حارثة بفرسٍ له كان يحبُّه فقال: هذا في سبيل الله، فحمل النبيُّ ﷺ عليها أسامةَ بن زيدٍ، فكأنَّ زيدًا وجد في نفسه، فقال النبيُّ ﷺ: «أمَّا الله فقد قبلها منك»[٤].

وروي أن ضيفًا ضاف أبا ذرٍّ الغفاريَّ، فقال للضَّيف: إني مشغولٌ، فاخرج إلى البرِّ فإنَّ لي بها إبلًا فأتني بخيرها، فذهب وجاء بناقةٍ مهزولةٍ، فقال أبو ذر: خُنْتَني! فقال: وجدْتُ خيرَ الإبل فَحلَها، فذكرْتُ يوم حاجتكم[٥] إليه، فقال أبو ذرٍّ رضي الله عنه: إنَّ يوم حاجتي إليه يوم أوضعُ في قبري، مع أن الله تعالى يقول: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[٦].

---

(١) رواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٤/ ١٦٧)، وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٣/ ١٧٠٩).

(٢) في (ف): «وإذا».

(٣) روى نحو هذه القصة ودون المرفوع منها: ابن المبارك في «الزهد» (٧٨٢)، والإمام أحمد في «الزهد» (١٠٥٢)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٣٠٦٧)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ٢٩٧).

(٤) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٤٢٨)، والطبري في «تفسيره» (٥/ ٥٧٧).

(٥) في (ر): «حاجتك».

(٦) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣/ ١١).

وحُكي أن زبيدة رحمها الله اتخذَتْ مصحفًا بسبعين قطعة كُتب[١] بالذَّهب على الرقِّ، وجُعلت ظهورها من الذهب[٢] مرصعةً بالجواهر، فبينا هي تقرأ القرآن ذات يوم انتهَتْ إلى هذه الآية، فلم يكُ شيءٌ أحبَّ إليها من هذا المصحف، فقالت: عليَّ بالصَّاغة، وأمرَتْ بالذهب والجواهر فبِيعَتْ، وأمرَتْ بحفر الآبار والحياض في البادية من ثمنها[٣].

وفي «الأنوار» ذُكِرَ لها طريقٌ آخر فقالَ: إن سائلًا أتى زبيدة فسأَل منها شيئًا، وتلا هذه الآية: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾، فنظرَتْ زبيدةُ فلم يكن عندها شيءٌ أعزَّ عليها وأحبَّ عندها[٤] من مصحف[٥] كانت تقرأ فيه القرآن[٦]، وكان مكتوبًا كله بالذهب، وكانت أنفقَتْ عليه أربعين مرَّةً خراج مصر، فناولته السائل، وقالت: خذ هذا فليس شيءٌ أحبَّ إليَّ منه؛ لأدخل تحت هذه الآية، فقال لها السائل: إن كان بقي عندك أو معك شيءٌ أحب إليك من هذا المصحف ولم تدفعيه فلا تدخلين في هذه الآية، فدعَتْ بمقراضٍ، وقطعَتْ شعرها ورمَتْ إليه وقالت: لم يكن عندي شيءٌ أحبَّ إليَّ من هذا؛ أمَّا الشَّعرُ فكان[٧] زينةَ بدني، والقرآنُ زينة قلبي، فأعطيتك الزِّينتين لأدخل تحت هذه الآية[٨].

---

(١) في (ر) و(ف): «كتبت».

(٢) «من الذهب» ليس في (ف).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣/ ١١).

(٤) في (ف): «أعز إليها»، وفي (ر): «أحب وأعز عليها».

(٥) في (ر): «من هذا المصحف».

(٦) «القرآن»: من (ف).

(٧) في (أ) و(ف): «فإن الشعر كان»، بدل: «أما الشعر فكان».

(٨) لم أقف عليه، وكان الأولى بالمؤلف رحمه الله تنزيه كتابه عن هذه الأكاذيب الواضحة، فكيف =

وحُكي أنَّ الربيع بن خثيم ضربه الفالج، فكان السَّائل يقوم على بابه يسأل[١]، فيقول الرَّبيع لجاريته: أطعميه السكر فإن الربيع يحب السكر، يتأوَّل قوله تعالى: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[٢].

وطال به وجعُه، فاشتهى لحم دجاجٍ، فكفَّ نفسه أربعين يومًا فأبت[٣]، فقال لامرأته[٤]: لقد اشتهيتُ لحم دجاج منذ أربعين يومًا، فكففْتُ نفسي رجاء أن تكفَّ فأبَتْ، فقالت له امرأته: سبحان الله! وأيُّ شيءٍ هذا، تكفَّ نفسك عنه وقد أحلَّه الله تعالى لك؟! فأرسلت امرأتُه[٥] إلى السوق فاشترَتْ له دجاجةً بدرهمٍ ودانقين، فذبحتْها وشوتها، وخبزت له خبزًا، وجعلَتْ له أصباغًا، ثم جاءت بالخوان فوضعته بين يديه، فقام سائلٌ على الباب، فقال: تصدَّقوا عليَّ بارك الله فيكم، فكفَّ عن الأكل، وقال لامرأته: خذي هذا وادفعيه إليه، فقالت له امرأتُه: سبحان الله! قال:

= لقرشية شريفة مؤمنة تقية أن تقص شعرها وتعطيه لرجل غريب، ثم ما فائدة ذاك الشعر للرجل، وأي منفعة سيجنيها من شعر امرأة غريبة عنه لا يحل له أن ينظر إليه أصلاً كما لا يحل لها أن تكشفه؟ ثم إن الأحمق الذي وضع مثل هذه القصة قد أراد المدح فذم، ليس فقط في أمر الشعر بل في المبالغة في قيمة ذاك المصحف، فكيف يحل لإنسان مهما كان مكانه أن ينفق أربعين مرة خراج مصر من أجل مصحف؟ وكم سيكون حجم هذا المصحف الذي أنفق فيه هذا المبلغ من المال؟ وحاشا لله أن يقبل من عبد مصحفاً قد صرفت فيه أموال الناس ومنعوا منها، سبحانك هذا بهتان عظيم!

(١) في (أ): «على الباب فيسأل»، وفي (ف) «على بابه فيسأل».

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٤٨٦٣)، وهناد في «الزهد» (٦٣٨)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ١١٥).

(٣) «فأبت»: من (ف).

(٤) في (ف): «لزوجته».

(٥) في (أ): «امرأة».

افعلي ما آمرك به، قالت: فأصنع ما هو خيرٌ له، قال: وما هو؟ قالت: نعطيه ثمن هذا وتأكل أنت شهوتك، قال: قد أحسنْتِ، ائتيني بثمنه، فجاءت بثمنه، فقال: ضعيه على هذا، وخذيه وادفعيه جميعًا إليه، ففعلت[١].

قوله تعالى: ﴿وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾: هو[٢] على الشرط، ولذلك جُزم فحُذف النون من آخره، والفاء بمعنى الجزاء؛ أي: ما فعلتم فهو محفوظٌ عليكم وأنتم مَجزيُّون به.

وقال الإمام أبو منصورٍ رحمه الله: فيه دليلُ قَبول القليل من الصدقة؛ لأنهم كانوا يمتنعون عن قليل التَّصدُّق[٣] استحقارًا، فأخبر أنه بذلك عليم[٤] وإن قلَّ، بعد أن يكون لله تعالى[٥].

وقال الإمام القشيري رحمه الله في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ قال: منهم مَن ينفق على ملاحظةِ الجزاء، ومنهم مَن ينفق على مراقبةِ دفعِ البلاء، ومنهم مَن ينفق اكتفاءً بعلمه، قال قائلهم:

ويهتزُّ للمعروفِ في طلبِ العُلا ... لتُذكرَ يومًا عند سَلمى شمائلُه[٦]

* * *

(١) ذكره ابن الجوزي في «صفة الصفوة» (٢/ ٣٧).

(٢) في (ف): «هذا».

(٣) في (أ): «الصدقة».

(٤) في (ر) و(ف): «عظيم». والمثبت من (أ) و«التأويلات».

(٥) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٢/ ٤٢٥).

(٦) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٢٥٩). ونسب البيت للأحوص ولكثير عزة، انظر: «ديوان الأحوص» (ص: ١٦٠)، و«ديوان كثير» (ص: ١٦٧).

(٩٣) ـ ﴿۞ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلّٗا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسۡرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ مِن قَبۡلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوۡرَىٰةُۗ قُلۡ فَأۡتُواْ بِٱلتَّوۡرَىٰةِ فَٱتۡلُوهَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾.

قوله تعالى: ﴿ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلّٗا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسۡرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ مِن قَبۡلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوۡرَىٰةُ﴾:

قال الكلبيُّ: كان يعقوبُ صلوات الله عليه يشتكي عرق النَّسا، وكان أصلُ وجعه أنَّه أقبل من حرَّان[1] يريد بيت المقدس، فلقيه ملَكٌ وهو خلف الأثقال، فظن يعقوبُ عليه السلام أنه لصٌّ فعالجه أن يُصارعه، فغمز الملَكُ فخذَ يعقوب، فكان يَبيت اللَّيل ساهرًا ويَنْصَبُ نهاره، فأقسم لئن شفاه الله ليحرِّمَنَّ أحبَّ الطعام والشراب إليه على نفسه، فشفاه الله، فحرَّم على نفسه لحوم الإبل وألبانها، وكان أحبَّ الطعام والشراب إليه، ثم استنَّ ولدُه بسنَّته، فلمَّا أُنزلت التوراة على موسى حُرِّم عليهم فيها لحومُ الإبل وألبانها لتحريم إسرائيل ذلك على نفسه، فسأل رسولُ الله ﷺ اليهودَ، فقالوا: كل شيءٍ أصبحنا اليوم نحرِّمه فإنه كان محرَّمًا على نوحٍ حتى انتهى إلينا، فنزلت الآية: ﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلّٗا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿قُلۡ فَأۡتُواْ بِٱلتَّوۡرَىٰةِ فَٱتۡلُوهَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ في قولكم، فكرهوا أن يأتوا بالتوراة؛ لأن الذي حُرِّم عليهم في التوراة غير الذي حُرِّم عليهم بظلمهم وكفرهم، فكلُّ شيءٍ

---

(١) حران: من ديار مضر في الجزيرة قرب الرها ونهر الفرات، مدينة قديمة يقال: بناها هاران أخو إبراهيم عليه السلام، وذكر قوم أنها أول مدينة بنيت على الأرض بعد الطوفان، فتحت في أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه على يد عياض بن غنم، كانت مجمع الصابئين، وبقي فيها بعضهم، وينسب لها كثير من العلماء، تقع حاليًّا في جنوب تركيا قرب الحدود السوريَّة، تتبع إداريًّا لمحافظة أورفة. انظر: «معجم البلدان» لياقوت (٢/ ٢٣٥)، و«الروض المعطار» للحميري (١/ ١٩١)، و«أطلس التاريخ الإسلامي» لشوقي أبو خليل (ص: ٨٨).

هو حلالٌ اليوم كان حلالًا لآدم عليه السلام إلَّا ما حرَّم إسرائيل على نفسه[1].

فأمَّا ما حرَّم الله تعالى على اليهود فبظلمهم: كانت بنو إسرائيل إذا أصابوا ذنبًا عظيمًا حرَّم الله تعالى عليهم به طعامًا طيبًا، وصبَّ عليهم رجسًا وهو الموت، فذلك قوله تعالى: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾ الآية [النساء: ١٦٠]، وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِبَغْيِهِمْ﴾ [الأنعام: ١٤٦]، وإنما حُرِّمت عليهم بعد التوراة، وكانت في التوراة لهم حلالًا، فالآية ردٌّ على اليهود أيضًا كالآيات المتقدمة، فكانوا يقولون: إن إبراهيم على ديننا، والمحرَّمات اليوم محرَّمات زمانه، ولا يرون نسخ الشرائع، فرد الله تعالى عليهم ذلك؛ أن هذا ليس من محرَّمات زمن إبراهيم، ولستم على دينه.

قوله تعالى: ﴿كُلُّ الطَّعَامِ﴾؛ أي: كلُّ الأطعمة التي تنازعتُم فيها، وليس بعموم الاستيعاب؛ فإن منها ما هو حرامٌ قبل ذلك من الميتة والدم ولحم الخنزير، فإنه كان محرَّمًا أبدًا.

قوله تعالى: ﴿كَانَ حِلًّا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِ﴾ وهو لحوم الإبل وألبانُها على ما ذكرنا، وكان ذلك بتحريمه على نفسه باليمين، كما قال تعالى في حقِّ نبيِّنا ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ [التحريم: ١]، وهو العسل، أو مارية القِبطية على ما رُوي.

وحرِّم على بني إسرائيل بعد نزول التوراة ما ذُكر في قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ ۖ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ

---

(١) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (١/ ٢٣١)، وقريب منه في «تفسير مقاتل» (١/ ٢٩٠)، ولعل قصة الملك الذي صارعه يعقوب من خرافات الإسرائيليات.

ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلۡحَوَايَآ أَوۡ مَا ٱخۡتَلَطَ بِعَظۡمٖ﴾ [الأنعام: ١٤٦]، واليهود كانوا يقولون: هذا كلُّه كان حرامًا[١] من زمن نوحٍ، فردَّ الله تعالى عليهم ذلك:

وهو[٢] قوله جل جلاله: ﴿قُلۡ فَأۡتُواْ بِٱلتَّوۡرَىٰةِ فَٱتۡلُوهَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾: فاستحضرَهم رسولُ الله ﷺ، فلم يُحضروها لعلمهم أنهم كاذبون، وفي ذلك أوضح دلالةٍ على صدق نبيِّنا عليه الصلاة والسلام.

* * *

(٩٤) ـ ﴿فَمَنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ﴾: أي: ادَّعى تحريمَ ذلك في التوراة ﴿مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ﴾؛ أي: من بعد هذا البيان ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾: والافتراء[٣] قبل هذا البيانِ كان ظلمًا أيضًا، لكن هذا أفحشُ وأشدُّ، وهو كما يُقال: مَن ذبَّ عن غيره في القتال فذلك هو الشجاع؛ أي: هو النهايةُ في الشجاعة.

* * *

(٩٥) ـ ﴿قُلۡ صَدَقَ ٱللَّهُۗ فَٱتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾.

قوله تعالى: ﴿قُلۡ صَدَقَ ٱللَّهُۗ﴾: أي: في قوله: ﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلّٗا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ الآية، لا أنتم فيما قلتُم.

قوله تعالى: ﴿فَٱتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۖ﴾: نصب على الحال ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ كاليهود والنَّصارى، فاتَّبِعُوه في استحلال ذلك كلِّه.

---

(١) في (ف): «كله حرام».

(٢) «وهو» ليس في (ف).

(٣) في (ر): «بالافتراء»، وفي (ف): «الظلم الافتراء».

وقال الحسنُ: أي: صدق الله أن إبراهيمَ كان حنيفًا مسلمًا، فاتَّبِعوا ملَّته[١].

وقال القشيريُّ رحمه الله: ملَّةُ إبراهيم: الخروجُ إلى الله بالكليَّة، والتَّسليمُ لحكمه من غير أن تبقى بقيَّة[٢].

* * *

(٩٦) - ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا﴾: انتظامُها بما قبلها: أن في الآية الأولى ذكرَ ملَّة إبراهيم، وفي هذه الآية ذكرَ[٣] قِبلةِ إبراهيم، ولأنَّ[٤] الحجَّ ممَّا يختصُّ بالملَّة الحنيفيَّة فذكر الكعبةَ وشأنها، ثم الحجَّ إليها.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ﴾ قال عليُّ بن أبي طالبٍ رضي الله عنه والحسنُ البصري: أي: أوَّلُ بيتٍ وُضع للعبادة، وقد كان قبله بيوتٌ[٥].

وقيل: أوَّل بيتٍ مبارَكٍ وُضع للنَّاس.

وقيل: أي: أوَّل مسجدٍ؛ قال الله تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ﴾ [النور: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا﴾ [يونس: ٨٧].

---

(١) لم أقف عليه عن الحسن، وذُكر نحوه في «تفسير مقاتل» (١/ ٢٩١)، و«تفسير ابن أبي زمنين» (١/ ٣٠٣)، و«تفسير السمرقندي» (١١/ ٢٣١).

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٢٥٩).

(٣) «ذكر» ليس في (أ) و(ف).

(٤) في (ف): «لأن».

(٥) رواه عنهما الطبري في «تفسيره» (٥/ ٥٩٠ ـ ٥٩١)، وابن المنذر في «تفسيره» (٧١٦) و(٧١٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٧٠٧).

وقال ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: أي: أوَّل بيتٍ وضع لحجِّ النَّاس(١).

وقـال مجاهد وأكثـر أهل العلم: بل(٢) هـو أوَّل مكانٍ مـن الأرض، ومنه دحيت الأرض(٣).

وفي الخبر: أنَّ مكان البيت خُلق قبلَ خلق الأرض بألفي عامٍ، ولَمَّا حجَّ آدم عليه السلام تلقَّته الملائكة عليهم السلام، فقالوا: بُرَّ حجُّكُ، أَمَا إنَّا حججْنا هذا البيت قبلَك بألفي عام(٤).

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣/ ١١٥).

(٢) «بل» ليس في (ف).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٥٩١ ـ ٥٩٢) عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما وعن مجاهد والسدي.

(٤) روي مرفوعاً، وموقوفاً، ومن قول التابعين:

فالمرفوع رواه ابن أبي الدنيا في «حسن الظن» (٧٥) من حديث أنس رضي الله عنه. وفي إسناده الهيثم بن جماز الحنفي البكاء، قال الذهبي في ترجمته في «الميزان»: بصري معروف، قال ابن معين: كان قاصًّا بالبصرة، ضعيف. وقال مرة: ليس بذاك. وقال أحمد: ترك حديثه. وقال النسائي: متروك الحديث.

ورواه ابن الجوزي في «العلل» (٩٣٧) من طريق محمد بن زياد عن ميمون بن مهران عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً، وقال: قال يحيى: محمد بن زياد كذاب خبيث يضع الحديث. قال الفلاس والسعدي والدارقطني: هو كذاب. وقال ابن حبان: كان ممن يضع الحديث، لا يحل ذكره في الكتب إلا على جهة القدح فيه.

أما الموقوف فقد رواه الأزرقي في «أخبار مكة» (١/ ٤٣ ـ ٤٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه، و(١/ ٤٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٥٩٥٩) عن أنس رضي الله عنه، والطبري في «تاريخه» (١/ ٨١) عن ابن عمر رضي الله عنهما.

وأما التابعين، فقد رواه الشافعي في «مسنده» (ص: ١١٦)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٥/ ١٥٦٥) =

وقال وهب بن منبِّه: لَمَّا هبط آدم إلى الأرض شكى الوحشة، فقال الله تعالى له: أمَا إني سأجعل فيها من ذريتك مَن يسبِّح بحمدي ويقدِّس لي، وسأبوِّء لك بيتًا منها أختاره لنفسي، فأخصُّه[١] بكرامتي، وأُوثره على بيوت الأرض كلِّها، وأسمِّيه بيتي، وإني اخترْتُ مكانه يوم خلقْتُ السماوات والأرض، أجعل ذلك البيت لك[٢] ولمن بعدك حرمًا آمنًا، أحرِّم بحُرمته ما فوقَه وما تحتَه وما حولَه[٣].

وقال ابنُ عبَّاسٍ رضي الله تعالى عنهما: كان في موضع الكعبة قبل خَلْقِ آدم بيتٌ كان[٤] يقال له: بيت الضُّراح[٥].

فلمَّا أُهبط آدمُ إلى الأرض قالت له الملائكةُ: طفْ حول هذا، فلقد طفنا حولَه قبلك بألفي عامٍ، فطاف به آدمُ ومن بعده بنوه[٦] إلى زمن نوحٍ عليه السلام، فلمَّا أراد اللهُ الطُّوفان حُمل إلى السماء الرابعة، وهو البيت المعمور بحيال الكعبة، يطوف به ملائكة السماوات، ودفنَ جبريل عليه السلام الحجر الأسود في جبل أبي قبيس[٧].

= عن محمد بن كعب القرظي، والأزرقي في «أخبار مكة» (١/ ٤٥) عن ابن المنكدر.

(١) في (أ): «وأخصه».

(٢) في (ر) و(ف): «لك حرمًا».

(٣) رواه الأزرقي في «أخبار مكة» (١/ ٤٦)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٣٩٨٥)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٧/ ٤٢٥).

(٤) «كان»: من (أ).

(٥) رواه إلى هنا عبد الرزاق في «المصنف» (٨٨٧٤)، والأزرقي في «أخبار مكة» (١/ ٤٩)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٣٧٠٩).

(٦) «بنوه» ليس في (أ) و(ف).

(٧) ذكر نحوه البغوي في «تفسيره» (١/ ١٥٠).

وقال مقاتل: ولَمَّا حُوِّلت القِبلةُ إلى الكعبة شقَّ ذلك على أهل الكتاب، وقالوا: تعمدون إلى حجارةٍ مبنيَّةٍ فتطوفون بها وتصلُّون إليها وتركتم بيت المقدس[١] أرضَ البركة وأرض المنشر والمحشر، الأرضَ المقدَّسة التي بارك الله تعالى فيها للعالمين، والجبلَ الذي كلَّم الله تعالى عليه موسى صلوات الله عليه، فذمُّوا الكعبةَ ومدحوا بيت المقدس، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾ الآية[٢].

وكانت قبلة بيت المقدس أربعين سنةً[٣].

ثم إضافةُ الكعبة إلى إبراهيم ليست لابتداء بنائه، بل لرفعِه قواعدَها وإظهارِه ما درسَ منها.

قال الإمام القشيريُّ رحمه الله: لا تعلِّقْ قلبَك بأوَّل بيتٍ وُضع لك، ولكن أَفْرِدْ سرَّك للأوَّل الآخر[٤] الذي آثرك، وشتَّان بين عبدٍ اعتكف عند أوَّل بيتٍ وُضع له، وبين عبدٍ لازَمَ حضرةَ أوَّل عزيزٍ كان له[٥].

---

(١) «بيت المقدس» ليس في (أ).

(٢) لم أقف عليه عن مقاتل، وروى نحوه الأزرقي في «أخبار مكة» (١/ ٧٥)، وابن المنذر في «تفسيره» (١/ ٢٩٨)، والواحدي في «الوسيط» (١/ ٤٧٠) عن ابن جريج، وذكر نحوه الثعلبي في «تفسيره» (٣/ ١١٤) عن مجاهد.

(٣) قوله: «وكانت قبلة بيت المقدس أربعين سنةً»، كذا وقعت العبارة في النسخ، ولعل الصواب: (وكان ـ أي: المسجد الحرام ـ قبل بيت المقدس بأربعين سنة)، فقد روى البخاري (٣٣٦٦)، ومسلم (٥٢٠) عن أبي ذر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: قُلتُ: يا رسولَ الله، أيُّ مسجدٍ وُضعَ في الأرض أَوَّلُ؟ قال: «المسجدُ الحرامُ» قال: قلتُ: ثُمَّ أيٌّ؟ قال: «المسجدُ الأقصَى» قُلتُ: كم كان بينهما؟ قال: «أربعونَ سنةً... » الحديث.

(٤) في (ف): «للأول والآخر». وعبارة «اللطائف»: (لأول حبيب آثرك).

(٥) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٢٦١).

وقال: البيت حَجَرة، والعبد مدَرة، فربَط[١] المدَرة بالحجرة.

ثم هو حجرٌ ليس كسائر الأحجار، هو حجرٌ لقلوب الأحباب مُزعِج، بل لأكباد الفقراء مُنضِج[٢]، بل لقلوب قومٍ مثلج، ولأرواح قومٍ مبهج، ولصدور قومٍ مُحرج، ولأرواح قوم مُخرج[٣].

بيتٌ هو مقصد الأحباب ومزارُهم، وعنده تُسمع أخبارهم، وتُشهد آثارهم، نزلوا ببيتٍ كما قيل في بيتٍ[٤]:

إنَّ الدِّيار وإن صمتت[٥] فإن لها   عهداً بأحبابنا إذ عندها نزلوا[٦]

قوله تعالى: ﴿لَلَّذِي بِبَكَّةَ﴾ اللَّام للتَّأكيد في خبر ﴿إِنَّ﴾، و﴿بِبَكَّةَ﴾ قيل: هي مكَّة، والباء والميم يتناوبان لأنهما من مخرجٍ واحدٍ، يُقال: سبَد رأسَه وسمدَه؛ أي: استأصل شعره بالحلق. وأَغبطت عليه الحمَّى وأَغمطت؛ أي: دامَتْ، وضَرْبُ لازمٍ ولازبٍ؛ أي: دائم.

وسُمِّيت بكَّة لأنَّها تبكُّ أعناق الجبابرة ـ أي: تدقُّها ـ إذا قصدوها بسوءٍ.

---

(١) في (ر): «فاربط»، والمثبت من باقي النسخ و«اللطائف».

(٢) في مطبوع «اللطائف»: «منفج». ولعله من نفَج الأرنبُ بمعنى: ثار، أي: تثير تلك الأكباد.

(٣) في (أ) و(ر): «مخرج... محرج».

(٤) قوله: «نزلوا ببيتٍ كما قيل في بيت» من (ر)، ووقع في (أ) بدلًا منها: «بيت كما قيل في بيت»، وفي (ف): «نزلوا بيت كما قالوا في بيت أي شعر».

(٥) في (أ) و(ف): «صمت»، والمثبت من (ر)، وهو الموافق لما في مطبوع «اللطائف».

(٦) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٢٦٠). وهذا البيت جاء في هامش (ر)، وفي متنها وقع غيره وهو:

«بيتٌ به آثار حتى تشهدوا   جنازةً تتلى لديه وتوجد»

وقيل: سُمِّيت بكَّة من قولهم: بكَّهُ يبكُّهُ: إذا زحمه، وتباكَّ النَّاسُ؛ أي: تزاحموا، سميت بذلك لازدحام النَّاس بها في الحجِّ.

وقيل: سُمِّيت بها لأنَّ النَّاس يتباكُّون حولها وفيها، أي: يتدافعون، وقد[١] بكَّه يبكُّه؛ أي: دفعه، قال الشَّاعر:

إذا الشَّريبُ أخذَتْهُ أَكَّةْ ... فخَلِّهِ حتَّى يَبُكَّ بَكَّةْ[٢]

أي: حتى يدفعَ إبله دفعةً فيسقيها، والأكَّةُ: الغَضْبةُ.

وسُمِّيت مكَّة لأنها تمكُّ الذنوب؛ أي: تَذهبُ بها كلِّها، من قولهم: ملكَّ الفصيلُ أمَّه وامْتَكَّ: إذا امتصَّ ضرع أمِّه وشرب كلَّ ما فيه.

وقيل: مكَّة اسمٌ لكل البلدة، وبكَّة قَدْرُ موضع الكعبة من الأرض.

وقيل: بكَّة أرض مكَّة.

وذكر الإمام أبو منصورٍ رحمه الله عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما أنه قال: مكَّة من فجٍّ إلى التنعيم إلى المنحر، وبكَّة[٣] من البيت إلى البطحاء[٤].

قوله: ﴿مُبَارَكًا﴾: أصل البركة: ثباتُ الخير ودوامُه ونموُّه، والبِركة: الحوضُ من ذلك، وبروك الجمل من ذلك، وتبارك[٥] الله؛ أي: كَثُرَ خيرُه ودامَ، ونصبه لوجهين:

---

(١) في (أ): «فيها أي يتدافعون فيها وقام»، بدل: «حولها وفيها أي: يتدافعون وقد».

(٢) الرجز لعامان بن كعب بن عمرو بن سعد التميمي كما في «السيرة النبوية» لابن هشام (١/ ١١٤)، و«تاج العروس» للزبيدي (مادة: أكك)، ومعنى الرجز كما في «تاج العروس» (مادة: بكك): إذا ضجر الذي يورد إبله مع إبلك لشدة الحر انتظارًا فخله حتى يزاحمك.

(٣) في (ر): «بكة... ومكة».

(٤) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٢/ ٤٢٨)، والأثر رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٧٠٩).

(٥) في (أ): «وبارك».

أحدهما: للقطع؛ لأنه نكرةٌ بعد ذكر المعرفة(١).

والثاني: للحال؛ فإن الباء في قوله تعالى: ﴿بِبَكَّةَ﴾ للظرف، وفيه إضمار فعلٍ، كأنه قيل: استقر ببكَّة مباركًا، فكان حالًا.

فبركة(٢) هذا البيت ممَّا لا يخفى، ولكثرتها لا تُحصى.

ومنها: أنه يُجبى(٣) إليه ثمرات كلِّ شيءٍ، ولمن حجَّه المغفرة والجنَّة، وتضعيف الحسنات، وكثرة الدَّرجات.

وقال النبيُّ ﷺ: «صلاةٌ في المسجدِ الحرامِ أفضلُ مِن مئةِ ألفِ صلاةٍ فيما سواه»(٤).

وقال عليه الصلاة والسلام: «مَنْ حَجَّ هذا البيتَ فلم يرفثْ ولم يفسقْ خرجَ مِن ذنوبِه كيومَ ولدتْهُ أمُّهُ»(٥).

وقال عليه الصلاة والسلام: «الحجُّ المبرورُ ليس له جزاءٌ إلَّا الجنَّة»(٦).

قوله تعالى: ﴿وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ﴾: نصبٌ؛ عطفًا على ﴿مُبَارَكًا﴾.

---

(١) في (أ): «معرفة».

(٢) في (ف): «وبركة».

(٣) في (ف): «تجنى».

(٤) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١٤٦٩٤)، وابن ماجه (١٤٠٦)، من حديث جابر رضي الله عنه، وصحح إسناده البوصيري في «مصباح الزجاجة» (٢/ ١٣)، وله شاهد من حديث ابن الزبير رضي الله عنه رواه الإمام أحمد في «المسند» (١٦١١٧)، وابن حبان في «صحيحه» (١٦٢٠)، وصحَّحَه ابنُ عبدِ البرِّ في «التمهيد» (٦/ ٢٦)، وقال: إنَّه الحجَّةُ عندَ التَّنازُعِ.

(٥) رواه البخاري (١٨١٩)، ومسلم (١٣٥٠)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٦) رواه البخاري (١٧٧٣)، ومسلم (١٣٤٩)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وقيل: معناه: وقبلةً للعالمين يهتدون به إلى جهة صلواتهم.

وقيل: أي: يهتدون بإجابتهم إلى ما تَعبَّدوا به عنده.

وقيل: وهدًى إلى الجنة.

وقيل: ﴿وَهُدَى لِّلْعَالَمِينَ﴾ بما فيه من الآيات والدلالات على وحدانيته تبارك وتعالى[1]، لأنه دلالةٌ على أن الله تعالى هو المدبِّر له بما لا يقدر عليه غيرُه؛ من أَمْن الوحش فيه، حتى يجتمع الذِّئب والظَّبي، وحتى يأنس[2] الطير فلا يمتنع فيه كما يمتنع في غيره، وما أشبهه من الآيات.

***

(٩٧) ـ ﴿فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ مَّقَامُ إِبۡرَٰهِيمَۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنٗاۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾.

قوله تعالى: ﴿فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ﴾: وقرأ ابن عباسٍ رضي الله عنهما: (فيه آيةٌ بينةٌ) على الواحد[3]، لأنه فسَّره بشيءٍ واحدٍ، وهو قوله تعالى: ﴿مَّقَامُ إِبۡرَٰهِيمَ﴾، فالأليق به أن يكون الأوَّل واحدًا.

وأمَّا قراءة الجمع فلها وجوهٌ:

قال الأخفش: تقديرُ الآية: فيه آياتٌ بيِّنات منها مقامُ إبراهيم[4]، فاكتفى بذكر

---

(١) في (أ): «وحدانية الله» بدل: «وحدانيته تبارك وتعالى».

(٢) في (ر): «وحتى أمن».

(٣) انظر: «تفسير الطبري» (٥/ ٥٩٨)، ورواه ابن المنذر في «تفسيره» (١/ ٣٠٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٧١١). وتنسب القراءة أيضاً لمجاهد وأبي، انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٢٢).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للأخفش (١/ ٢٢٧)، و«إعراب القرآن» للنحاس (١/ ١٧٢).

واحدةٍ وترك سائرَها، وهي معلومةٌ محسوسةٌ لهم، فكان ذكرُها ذكرَ سائرها، كقولك: (تعلَّمْت أ ب ت ث) فإنَّك تريد كلَّ الحروف.

وقال الكسائي: فيه وجوهٌ:

إن شئت على العطف بغير واوٍ، كأنه قال: فيه آياتٌ بيناتٌ وفيه مقام إبراهيم وغيرُه[١].

وإن شئتَ قلْتَ[٢]: على الإضمار، كأنَّه قال: فيه آياتٌ بيناتٌ منها مقام إبراهيم.

وقيل: المقام مع أنه واحدٌ هو آياتٌ بيِّناتٌ؛ لأن المقام دلَّ على وحدانية الله تعالى وكمال قدرته وعلمه وسائر صفاته وأسمائه، وعلى نبوَّة إبراهيم وصدق دعوته وصدق شرائعه، فكانَ المقامُ الواحد آياتٍ بيِّناتٍ على هذا الوجه، وعلى هذا الوجه[٣] تقديرُه: فيه آياتٌ بيناتٌ هي مقام إبراهيم.

وقيل: ﴿مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ﴾ أريد به المقامات، فهو جمع بحذف الهاء، فالواحدة[٤]: مَقامة، وجمعُها: المقام، كالمعونة يجمع على المعون؛ قال جميل:

بُثَيْنُ الْزَمِي (لا) إنَّ (لا) إنْ لَزِمْتِهِ ... على كثرةِ الواشينَ أيُّ مَعونِ[٥]

والمراد بالمقامات: مناسكَ الحج[٦]، وهي المواضع التي قام فيها إبراهيم

---

(١) «وغيره»: من (أ).

(٢) «قلت»: من (أ).

(٣) «الوجه»: من (أ).

(٤) في (أ): «فالواحد».

(٥) انظر: «ديوان جميل بثينة» (ص ١٠٥) (ط: المؤسسة العربية للطباعة)، و«أدب الكاتب» لابن قتيبة (ص: ٥٨٨)، و«المحكم والمحيط الأعظم» لابن سيده (مادة: عون).

(٦) في (أ): «بالحج».

لأداء أفعال الحجِّ، فصحَّ ذلك تفسيراً لـ ﴿ءَايَٰتٌۢ﴾؛ لأنَّ كلَّ واحدةٍ منها جمع.

وقيل: الآيات البيِّنات: الشَّعائرُ، فإنَّ الشَّعائر هي العلامات، والآيات كذلك.

وقال أبو رجاء: قال الحسن: ﴿فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ﴾، وعدَّهن الحسنُ في أصابعه: ﴿مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ﴾(١).

وبمثله قال ابن جريج: ﴿فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ﴾ وليس ذلك لبيت المقدس، ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾ وليس ذلك لبيت المقدس، ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ﴾ وليس ذلك لبيت المقدس(٢).

فقد فسَّر الآيات بثلاثة أشياءَ، وصار تقديرُه: فيه آياتٌ بيناتٌ: مقام إبراهيم، وأنَّ مَن دخله كان آمنًا، و[أنَّ] لله على الناس حج البيت(٣)، وحذفت (أنَّ) للاختصار، كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ﴾ [الأعراف: ٢٩]؛ أي: وأنْ أقيموا وجوهكم(٤).

فأما(٥) بيان قولنا: مقامُ إبراهيم وغيرُه، فشرحُ ذلك: أنَّ مقام إبراهيم وهو ذلك الحجَر، ففيه أثر قدَمي إبراهيم حيث ساخَتْ فيه قدماه، ليَّنه الله تعالى له.

---

(١) رواه الأزرقي في «أخبار مكة» (٢/ ٦٤)، والفاكهي في «تاريخ مكة» (١/ ٤٥٢)، وانظر: «زاد المسير» لابن الجوزي (١/ ٣٠٧).

(٢) رواه الأزرقي في (أخبار مكة» (٢/ ٧٥)، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٢/ ٢٦٦) إليه وإلى ابن المنذر.

(٣) من قوله: «وليس ذلك لبيت المقدس... » إلى هنا ليس في (أ)، وما بين معكوفتين زيادة يقتضيها السياق.

(٤) «وجوهكم» ليس في (ف).

(٥) في (أ): «وأما».

واختُلف في أصل ذلك:

قيل: إن إبراهيم وإسماعيل رفعَا القواعدَ من البيت، فلما ارتفع ذلك احتاج إبراهيم إلى شيءٍ يقوم عليه، فوضع حجرًا ووضع قدمه عليه، فساخت فيه.

وقيل: إن أصله: أن امرأة إسماعيل عليه السلام أرادت أن ترجِّله وهو راكبٌ، فوضعت حجرًا حتى وضع إبراهيم قدمه عليه، فرجَّلته، وأثَّرت قدمُه فيه.

وقيل: هو الذي قام عليه وأذَّن في الناس بالحج.

ويجوز أن يكون قام عليه في هذه المواضع كلها.

فأما غيرُ ذلك من الآيات التي عُرفت من غير ذكر: فأمْنُ الصَّيد من الناس والذِّئابِ والكلاب، وقلةُ ما يجتمع من الحصى عند الجمرات مع كثرتها وطولِ المدَّة فيها وتوافُرِ الرَّامين في الألوف من السنين من غيرِ رفعِ إنسانٍ ومرورِ سيلٍ عليه[1]، وتركُ الحمام أن يعلو البيتَ أو يقع عليه، وانحرافُها عنه إذا كادت تصير فوقه، وقصةُ أصحاب الفيل، وشأنُ الحجر الأسود، وما روي أنه أودع فيه كتاب أخذ الميثاق على ذرية آدم[2]،

---

(١) «عليه»: من (أ).

(٢) رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (٨٨٩٢)، ولفظه: عن فاطمة بنت سفيان قالت: لما أخذ الله الميثاق من بني إسرائيل، أو آدم، جعله في الركن، فمن الوفاء بعهد الله استلام الحجر.

ورواه الأزرقي في «تاريخ مكة» (١/ ٣٢٣)، والحاكم في «المستدرك» (١٦٨٢)، من طريق أبي هارون العبدي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: حججنا مع عمر بن الخطاب...، وفيه أن عليًّا رضي الله عنه قال لعمر: قال الله عز وجل: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ﴾ [الأعراف: ١٧٢] خلق الله آدم ومسح على ظهره فقررهم بأنه الرب، وأنهم العبيد، وأخذ عهودهم ومواثيقهم، وكتب ذلك في رق، وكان لهذا الحجر عينان ولسان، فقال له افتح فاك. قال: ففتح فاه فألقمه ذلك الرق وقال: اشهد لمن وافاك بالموافاة يوم القيامة، وإني أشهد لسمعت رسول الله ﷺ: «يؤتى يوم القيامة بالحجر الأسود، وله لسان ذلق، يشهد لمن =

وأنه يمينُ الله في الأرض يصافح به عباده[١]، وأنه ياقوتةٌ من الجنَّة[٢]، وأن له يوم القيامة لسانًا وعينين وشفتين، يشهد لمن وافاه بالحج والعمرة[٣].

= يستلمه بالتوحيد» فهو يا أمير المؤمنين يضر وينفع، فقال عمر: أعوذ بالله أن أعيش في قوم لست فيهم يا أبا حسن. قال الحاكم: (ليس من شرط الشيخين، فإنهما لم يحتجا بأبي هارون عمارة بن جوين العبدي). قلت: وأبو هارون العبدي قال عنه الحافظ في «التقريب»: متروك، ومنهم من كذبه.

(١) رواه الخطيب في «تاريخ بغداد» (٦/ ٣٢٨)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥٢/ ٢١٧)، وابن الجوزي في «العلل» (٩٤٤)، من حديث جابر رضي الله عنه. قال ابن الجوزي: لا يصح.
ورواه ابن خزيمة في «صحيحه» (٢٧٣٧)، والحاكم في «المستدرك» (١٦٨١)، وابن الجوزي في «العلل» (٩٤٥)، من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما. قال ابن الجوزي: لا يثبت.
ورواه عبد الرزاق في «المصنف» (٨٩١٩)، والأزرقي في «أخبار مكة» (١/ ٣٢٣ و٣٢٤ و٣٢٦)، والفاكهي في «تاريخ مكة» (١/ ٨٩)، موقوفًا على ابن عباس رضي الله عنهما. وفي إسناده عثمان بن ساج، وفيه ضعف كما في «التقريب» ترجمة عثمان بن عمرو بن ساج.

(٢) رواه ابن خزيمة في «صحيحه» (٢٧٣٤)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١١٠٢٨) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما. وفي إسناده أبو الجنيد الحسين بن خالد، قال عنه ابن معين: ليس بثقة. انظر: «الميزان» (١/ ٤٨٧).
وفي الباب عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «الركن والمقام ياقوتتان من يواقيت الجنة طمس الله نورهما، ولولا ذلك لأضاءتا ما بين المشرق والمغرب»، رواه الإمام أحمد في «المسند» (٧٠٠٠)، والترمذي (٨٧٨)، وإسناده ضعيف والأصح وقفه، قال الترمذي: هذا يروى عن عبد الله بن عمرو موقوفاً قوله، وفيه عن أنس أيضاً، وهو حديث غريب.
قلنا: حديث أنس رواه الحاكم في «المستدرك» (١/ ٤٥٦)، وفي إسناده داود بن الزبرقان، وهو متروك.
أما كون الحجر الأسود من الجنة فقد رواه الترمذي (٨٧٧)، والنسائي (٢٩٣٥)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وقال الترمذي: حسن صحيح.

(٣) رواه الترمذي (٦٩١) وحسنه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، ولفظه: قال رسول الله =

قوله تعالى: ﴿مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ﴾: قد ذكرنا أنه عند بعضهم ذلك الحجر.

وقيل: هو الموضع الذي يُصلَّى فيه من المسجد الحرام؛ قال تعالى: ﴿وَاتَّخِذُوا مِن مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥].

وقيل: هو مواضع[١] أداء أمور الحج.

وقيل: هو الحرم كلُّه.

وقال الشِّبليُّ[٢]: ﴿مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ﴾ هو الخلَّة[٣].

وقال محمَّدُ بن عليٍّ التِّرمذيُّ رحمه الله: ﴿مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ﴾ هو بذلُ النَّفس والمال والولد في رضى[٤] خليله، فمَن نظر إلى عين المقام ولم يتحلَّ بما تحلَّى به[٥] إبراهيم من بذل النَّفس والمال والولد ولم يُسلم فقد بطل سفرُه وضاعَتْ رحلتُه[٦].

= ﷺ في الحجر: «والله ليبعثنه الله يوم القيامة له عينان يبصر بهما، ولسان ينطق به، يشهد على من استلمه بحق».

(١) في (ر): «موضع».

(٢) تحرفت في (أ) إلى: «السبكي». والشبلي: هو أبو بكر دلف بن جحدر، ويقال: ابن جعفر، وهو خراساني الأصل، بغدادي المنشأ والمولد، كان والي دوماوند، تاب في مجلس خيرٍ النَّسَّاج، وصحب الجنيد ومن في عصره من المشايخ، وصار أوحد وقته حالًا وعلمًا، وكان عالمًا فقيهًا على مذهب مالك، كتب الحديث الكثير ورواه، توفي سنة (٣٣٤). انظر: «طبقات الصوفية» للسلمي (١/ ٢٥٧)، و«الرسالة القشيرية» (ص: ١١٦).

(٣) انظر: «تفسير السلمي» (١/ ١٠٨).

(٤) في (أ): «رضاء».

(٥) في «تفسير السلمي»: «ولم يتخل مما تخلى منه».

(٦) انظر: «تفسير السلمي» (١/ ١٠٩).

قولُـه تعالـى: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾: قـال يحيـى بـنُ جَعْـدَةَ: أي: كان آمنًا من النَّار[١].

وتحقيقُه: مَن دخلَه معظِّمًا[٢] له متعبِّدًا لله تعالى أمنَ من النَّار بوعد الله تعالى.

قال عطاء: مَن مات في الحرم بُعث آمنًا. وتلا هذه الآية[٣].

وقد[٤] روي عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «مَنْ ماتَ في أحدِ الحرمَيْنِ مكَّةَ أو المدينة بُعِثَ يومَ القيامةِ آمنًا»[٥].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٦٠٦)، وابن المنذر في «تفسيره» (١/ ٣٠٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٧١٢).

(٢) في (أ): «تعظيمًا»، وفي (ف): «كان معظمًا».

(٣) رواه ابن المنذر في «تفسيره» (١/ ٣٠٤).

(٤) في (ر) و(ف): «وما» وهو خطأ.

(٥) رواه الطبراني في «المعجم الصغير» (٨٢٧)، و«المعجم الأوسط» (٥٨٨٣)، وابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (٤/ ١٣٦)، وابن الجوزي في «الموضوعات» (٢/ ١٢٩)، من حديث جابر رضي الله عنه. قال ابن الجوزي: فيه عبد الله بن المؤمل، قال أحمد: أحاديثه مناكير، وقال ابن حبان: لا يجوز الاحتجاج بخبره إذا انفرد. وفيه موسى بن عبد الرحمن، قال ابن حبان: دجال يضع الحديث.

ورواه الطبراني في «الكبير» (٦١٠٤)، وابن الجوزي في «الموضوعات» (٢/ ١٢٩)، من حديث سلمان رضي الله عنه. وقال ابن الجوزي: فيه ضعفاء، والمتهم به عبد الغفور [هو ابن سعيد الأنصاري]، قال يحيى بن معين: ليس بشيء، وقال البخاري: منكر الحديث تركوه، وقال ابن حبان: كان يضع الحديث على الثقات، لا يحل كَتْبُ حديثه إلا على التعجب.

وروي أيضاً من حديث أنس وعمر وحاطب رضي الله عنهم، وكلها ضعيفة. انظر: «تخريج أحاديث الكشاف» للزيلعي (١/ ١٩٧). قلت: ومع ذلك فقد حسن متنه السيوطي فقال: والذي أستخير الله فيه الحكم لمتن الحديث بالحسن لكثرة شواهده. انظر: «اللآلئ المصنوعة» (٢/ ١٠٩).

وقال ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: أي: ومَن دخلَه مصدِّقًا بفَرْضيَّة حجِّه كان آمنًا من عذاب الله الذي يستحقُّه الجاحدون له(١).

وقال قتادة: كان الحرم أمنًا في الجاهليَّة ومَفزعَ كلِّ خائفٍ ومَلجأَ كلِّ جانٍ، لا يُهاج فيه ذو(٢) جَريرةٍ، ولا يُتعرَّض(٣) فيه لقاتل، فأمَّا اليوم فمَن سرق فيه قُطع، ومَن قَتلَ فيه قُتل، وأحبُّ البقاع إلى الله ما تُؤدَّى فيه فرائض الله تعالى(٤).

وهذا في حقِّ مَن جنى فيه، فأمَّا الجاني إذا التجأ إليه كالحربيِّ والمرتدِّ والقاتل؛ فعند الشافعي يُقتَل فيه، وعندنا لا يُقتل فيه(٥)، ويُلجأ إلى أن يَخرج منه فيُقامَ عليه ذلك؛ لهذه الآية(٦).

فإنَّ قولَه تعالى: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾ تقديرُه: ومَن يدخلْه يكنْ آمنًا؛ لأنه شرطٌ وجزاءٌ، وذلك يكون في المستقبل دون الماضي، ولكلمة الشرط والجزاء أثرٌ في هذا، وهو تغيير الماضي إلى معنى المستقبل؛ فإنَّ قولَك: إنْ زرْتَني زُرْتُك، في معنى(٧): إنْ تَزُرْني أَزُرْكَ.

---

(١) روى نحوه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٥١٧)، عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ﴾ [الحج: ٢٧] قال: ومن دخله من الناس الذين أمر أن يؤذن فيهم، وكتب عليهم الحج، فإنه آمن، فعظموا حرمات الله تعالى، فإنها من تقوى القلوب.

(٢) في (ف): «دون».

(٣) في (أ) و(ر): «يعترض».

(٤) رواه بنحوه عبد الرزاق في «تفسيره» (٤٣٤)، والطبري في «تفسيره» (٥/ ٦٠١)، وابن المنذر في «تفسيره» (١/ ٣٠٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٧١٢).

(٥) «فيه»: من (أ).

(٦) انظر: «الحاوي الكبير» للماوردي (١٢/ ٢٢٠)، و«التجريد» للقدوري (١١/ ٥٦٧٦).

(٧) قوله: «زرتك في معنى» من (أ)، وفي (ر): «أزرْك تقديره»، وسقط من (ف).

والآيةُ في حقِّ مَن جنَى؛ فإنَّ غير الجاني آمنٌ حيث دخل، فإنَّما خُصَّ الحرمُ بذلك لوقوع الأمن فيه لمن جنَى ثم دخله.

وعن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما أنَّه قال: إذا أصابَ الرَّجلُ الحدَّ في الحرم أُقيم عليه، وإنْ[١] أصابه في غير الحرم ثم لجأ إليه لا يُحدَّث ولا يُجالس ولا يُؤاكل ولا يُبايع، حتى يَخرجَ منه، فيُؤخَذ فيُقام عليه الحدُّ[٢].

وقال ابن عمرٍ رضي الله عنهما: لو وجدنا قاتل أبينا في الحرم لم نقتلْه[٣].

وقال الإمامُ أبو منصورٍ رحمه الله في الفرقِ بينَ مَن قَتَلَ فيه وبين مَن قَتَلَ ثم دخلَه: يقول الله تعالى: ﴿ولا تَقْتُلوهم عندَ المسجدِ الحرامِ حتى يُقاتِلوكم فيه فإنْ قاتَلُوكم فاقْتُلُوهم﴾ [البقرة: ١٩١] أباح لهم القتل عند المسجد الحرام إذا قاتلونا، فعلى ذلك يُقام الحدُّ إذا أصابه[٤] وهو فيه، وإذا أصاب في غيره ثم لجأ إليه لم يُقَم[٥]، كما[٦] لم نقاتلْ إذا لم يقاتلونا.

قال: وهذا فرقٌ حسنٌ واضحٌ[٧].

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: ﴿مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ﴾ في الظَّاهر: ما تأثَّر بقدمه، وفي

---

(١) في (ر): «فإن».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٦٠٣ ـ ٦٠٤)، وابن المنذر في «تفسيره» (١/ ٣٠٥)، والأزرقي في «أخبار مكة» (٢/ ١٣٨).

(٣) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٢٨٩١٧) عن ابن عمر وابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) في (أ) و(ف): «أصاب».

(٥) في (أ): «يقتل».

(٦) في (ف): «كما إذا».

(٧) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٢/ ٤٣١).

الإشارة: ما وقف عليه الخليل بهمَّته، وشَرُفَ مقامُ إبراهيم لأنه أثر الخليل، وأثرُ الخليل عند الخليل له خطرٌ جليلٌ.

وقوله تعالى: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾؛ أي: دخل مقام إبراهيم عليه السلام، ومقام إبراهيم التسليمُ، فمَن سلَّمَ الأمورَ إلى الله تعالى لم يبقَ له اختيارٌ، ومَن سقطَ اختيارُه ثبتَ أمنُه وزال حِذارُه.

قال: ويُقال: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ﴾ يرجع إلى البيت، ومعناه: دخوله على وصف الأدب، وأدبُ دخول البيت تسليمُ الأمور إلى ربِّ البيت.

قال: ويقال: لا يكون دخول البيت على الحقيقة إلَّا بخروجك عنك، فإذا خرجْتَ عنك صحَّ دخولُك في البيت.

قال: ويقال: دخولك في بيته لا يصحُّ مع تعريجك في أوطانك ومعاهدك، فإنَّ الشَّخص الواحد لا يكون في حالةٍ واحدةٍ في مكانَين، فمَن دخل بيتَ ربِّه فبالحَرِيِّ أن يخرج من معاهد[1] نفسه؛ ليُكرَم بالدُّخول في مشاهد[2] قُدسه[3].

قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ﴾: الحَجُّ بالفتح والكسر لغتان، كالسَّلْم والسِّلْم، والوَتْر والوِتْر، والكسر لغة أهل نجد، والفتح لغة أهل[4] الحجاز وأهل العالية.

وتفسيره: زيارةُ البيت، في اللُّغة.

---

(١) «معاهد» ليس في (ف). ولعله يريد بالمعاهد: المألوفات.

(٢) في (ف): «مشاهدة».

(٣) في (ف): «مشاهدة قدسه». وانظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٢٦٢ ـ ٢٦٣). والعبارة الاخيرة لم ترد فيه، وهي: «ليُكرَم بالدُّخول في مشاهد قُدسه».

(٤) «أهل» ليست في (أ).

ومعناه: هو أفعالٌ مخصوصةٌ من المناسك في الشَّريعة.

و﴿عَلَى﴾ كلمةُ إيجاب، فدلَّ به[1] على الفَرْضيَّة.

قوله تعالى: ﴿مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗا﴾: ﴿مَنِ﴾ بدل مِن قوله: ﴿ٱلنَّاسِ﴾، وهو خفضٌ، وتقديرُه: على مَن استطاع؛ أي: قدرَ وأطاق إلى البيت ﴿سَبِيلٗا﴾؛ أي: طريقًا؛ أي: قدرَ على الذَّهاب إليه، وأراد به قُدرةَ سلامة الآلات والأسباب.

وفسَّره النبيُّ ﷺ بالزَّاد والرَّاحلة[2]، وهذه تتقدَّم على الفعل، فأمَّا الاستطاعة ـ التي هي قدرة الفعل ـ فإنها مع الفعل عندنا، خلافًا للمعتزلة، فإنهم يقولون: إنها سابقةٌ على الفعل.

و﴿ٱلنَّاسِ﴾ في هذه الآية هم المؤمنون دون الكفَّار؛ فإنهم غيرُ مخاطَبين بأداء الشَّرائع عندنا، وعند الشَّافعي هم مخاطبون بها.

---

(١) «به»: من (أ).

(٢) رواه الدارقطني في «سننه» الأحاديث (٢٤١٣ ـ ٢٤٢٧) من حديث جابر وعبد الله بن عمرو وابن مسعود وأنس وعائشة وابن عمر وابن عباس. وضعف أسانيدها الحافظ في «الكافي الشاف» (ص: ٢٨). وروى حديث ابن عمر أيضاً الترمذي (٨١٣) وابن ماجه (٢٨٩٦). وقال الترمذي: (هذا حديث لا نعرفه من حديث ابن عمر إلا من حديث إبراهيم بن يزيد الخوزي المكي، وقد تكلم بعض أهل العلم في إبراهيم بن يزيد من قبل حفظه). وقال الطبري في «تفسيره» (٥/ ٦١٧): (الأخبار التي رويت عن رسول الله ـ ﷺ ـ في ذلك بأنه الزاد والراحلة فإنها أخبار في أسانيدها نظر لا يجوز الاحتجاج بمثلها في الدِّين).

ورواه الإمام أحمد في «مسائله برواية ابنه عبد الله» (ص: ١٩٧) عن الحسن مرسلاً. وهذا هو الصحيح في هذا الحديث، فقد قال ابن المنذر: لا يثبت الحديث في ذلك مسنداً، والصحيح من الروايات رواية الحسن المرسلة. انظر: «التلخيص الحبير» (٢/ ٢٢١).

وقال الإمام أبو منصورٍ رحمه الله في[1] قول الشَّافعيِّ: إنَّ العبادات تجب على الكافر في حال كفره، فإذا أسلم سقط ذلك عنه: وذلك عندنا لعبٌ وعبثٌ في دين الله، لا يجوز[2] أن يلزمه فرضٌ في حالٍ لا يجوز له فعله، فإذا جاء سبب الجواز سقط عنه[3].

والاستطاعةُ عند بعضهم: صحَّةُ البدن. وقد بيَّنا وجوه ذلك وشرائطه على الاتفاق والاختلاف في «حصائل المسائل»[4].

وقالوا: لَمَّا نادى الخليلُ الخلقَ بالحج باسم النَّاس، فقال: يا أيُّها النَّاس، إنَّ الله قد بنى لكم بيتًا وأمركم أن تحجُّوه فحجُّوه = ذكرَ اللهُ تعالى أمور الحج في آيٍ مِن القرآن مقرونًا باسم النَّاس؛ فقال: ﴿وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ﴾ [الحج: ٢٧]، ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ٩٧]، ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ﴾ [البقرة: ١٩٩]، ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ﴾ [البقرة: ١٢٥]، ﴿وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ﴾ [الحج: ٢٥]، ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ٩٦]، ﴿فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ﴾ [البقرة: ٢٠٠]، ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ﴾ [البقرة: ٨]، ﴿فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ [إبراهيم: ٣٧].

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: الاستطاعة أنواعٌ؛ فمستطيعٌ بنفسه، ومستطيعٌ بماله، ومستطيعٌ بغيره، والأهم وقد[5] غفل عنه الأكثرون: مستطيعٌ بربِّه، وإليه نظرُ كلِّ محقِّق، فإن بلاياه لا يحملها إلَّا مطاياه.

---

(١) في (أ) و(ف): «من».

(٢) في (أ): «لا جائز»، وفي «التأويلات»: (غير جائز).

(٣) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٢/ ٤٣٦).

(٤) «حصائل المسائل»، أو «الحصائل في المسائل»: من كتب المصنف رحمه الله. انظر: «كشف الظنون» لحاجي خليفة (١/ ٦٦٨)، و«هدية العارفين» للباباني (١/ ٧٨٣).

(٥) في (ف): «قد».

ثم إذا كان البيتُ المنسوب إليه لا يوصل إليه من ناحيةٍ من نواحيه إلَّا بقطع المفاوز والمتاهات، فكيف يطمع أن يصلَ إلى ربِّ البيت بدون تحمُّل المشقَّات ومفارقة الرَّاحات؟

ثم حجُّ البيت على أصحاب الأموال، وحجُّ ربِّ البيت على أصحاب الأحوال، وقد ينسدُّ الطَّريق إلى البيت في أحوالٍ، ولا ينسدُّ الطَّريق إلى ربِّ البيت بحال.

والحجُّ هو القصد إلى مَن يعظِّمه، فقاصدٌ بنفسه إلى زيارة البيت، وقاصدٌ بقلبه إلى شهود ربِّ البيت، فالقاصدون بنفوسهم أحرموا عن محرَّمات الإحرام، والقاصدون بقلوبهم أحرموا عن شهود الغير وجميع الأنام، هؤلاء تحلُّلهم عن إحرامهم عند قضاء نسكهم، وهؤلاء تحلُّلهم عن إحرامهم عند شهود ربِّهم(١).

وسبيلُ مَن حجَّ البيت أن يقوم بآداب(٢) الحجِّ، فإذا عقد بقلبه الإحرام يجب أن يفسخ كلَّ عقدٍ يصدُّه عن هذا(٣) الطَّريق، وينقض كلَّ عزمٍ يردُّه عن هذا التَّحقيق.

وإذا تطهَّر تطهَّر عن كلِّ دنسٍ من آثار الأغيار بماء الحياء، ثم بماء الوفاء، ثم بماء الصَّفاء.

وإذا تجرَّد عن ثيابه تجرَّد عن كلِّ ملبوسٍ له من الأخلاق الذَّميمة والأفعال اللَّئيمة.

وإذا لبَّى بلسانه وجبَ ألَّا تبقى شعرةٌ من بدنه إلَّا استجابَتْ لله تعالى.

فإذا بلغ الموقف وقفَ بقلبه وسرِّه حيث وقَفه(٤) الحقُّ بلا اختيارِ مقامٍ.

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٢٦١ـ٢٦٣).

(٢) في (أ): «بأداء».

(٣) في ر): «هذه».

(٤) في (ر): «وفقه».

وإذا وقف بعرفات عرفَ الحقَّ سبحانه، وعرفَ له حقَّه على نفسه، ويتعرَّف إلى الله تعالى بتبرُّئه عن قوَّته وحوله، والحقُّ سبحانه يَتَعَرَّفُ إليه بتولِّيه بمنَّته وطَوله.

وإذا بلغَ المشعر الحرام يذكر مولاه بلسان نفسه، ولا يصحُّ ذكرُه ربَّه مع ذكر نفسه.

فإذا بلغ منًى نفى عن قلبه كلَّ طلبٍ ومُنًى، وكلَّ شهوةٍ وهوًى.

فإذا بلغ رميَ الجمار رمى عن قلبِه وحذفَ عن سرِّه كلَّ علاقةٍ في الدُّنيا والعقبى.

فإذا ذبح ذبح هواه بالكليَّة، وتقرَّب به إلى الله تعالى.

فإذا دخل الحرم عزم على التَّباعد عن[1] كلِّ محرَّم.

فإذا وقعَ طَرْفه على البيت شهد بقلبه ربَّ البيت.

فإذا طافَ بالبيت أخذ سرُّه في الجولان في الملكوت.

فإذا سعى بين الصَّفا والمروة صفا عن كلِّ كدورة بشريَّةٍ وكلِّ آفةٍ إنسانيَّةٍ.

فإذا حلقَ قطعَ[2] كلَّ علاقةٍ بقيت له.

وإذا تحلَّل[3] من إحرام نفسه وقَصْدِه إلى بيت ربِّه استأنف إحرامًا جديدًا بقلبه.

وكما خرج من بيت نفسه إلى بيت ربِّه يخرج من بيت ربِّه إلى ربِّه، فمَن

---

(١) في (أ): «من».

(٢) في (ر): «قطع عن».

(٣) في (أ): «فإذا تحل» بدل: «وإذا تحلل».

استكمل[١] نُسكه فإنما عمل لنفسه، ومَن قصَّرَ فإنَّ الله غنيٌّ عن العالمين[٢].

قوله تعالى: ﴿وَمَن كَفَرَ﴾: أي: مَن لم يرَ الحج فرضًا فقد كفر.

وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: أي: مستغنٍ عنهم وعن طاعاتهم، وإنما أمَرهم به لينفعهم لا لنفعه[٣].

وروى أبو أمامة عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «مَنْ ماتَ ولم يحجَّ حجَّةَ الإسلامِ، ولم تمنعْهُ حاجةٌ ظاهرةٌ أو مرضٌ حابس أو سلطانٌ جائرٌ، فلْيَمُتْ على أيِّ حالٍ شاءَ يهوديًّا أو نصرانيًّا»[٤].

وإنما خصَّ هذين لأنَّ اليهود والنَّصارى هم الذين لا يرون الحجَّ ولا فضل الكعبة.

وقال الضحَّاكُ: ﴿وَمَن كَفَرَ﴾؛ أي: ومَن لم يكن مؤمنًا فلا حجَّ عليه، إنَّما الحجُّ على المؤمنين[٥].

---

(١) في (أ) و(ف): «أكمل».

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٢٦١ ـ ٢٦٤).

(٣) في (أ) و(ف): «لينفعه».

(٤) رواه الدارمي في «سننه» (١٨٢٦)، وأبو يعلى في «معجمه» (٢٣١)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٨٦٦٠)، وقال: وهذا وإن كان إسناده غير قوي فله شاهد من قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه.
ورواه الترمذي (٨١٢) من حديث علي رضي الله عنه، وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وفي إسناده مقال، وهلال بن عبد الله مجهول، والحارث يضعف في الحديث.

(٥) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٧١٦) بلفظ: ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ قال: (كفر بالبيت)، والطبري في «تفسيره» (٥/ ٦١٩)، وابن المنذر في «تفسيره» (٧٥٧)، بلفظ: (من جحد الحجَّ وكفر به). وروى الطبري أيضاً (٥/ ٦٢١) عنه قال: لما نزلت آية الحج، جَمع رسول الله ﷺ أهلَ الأديان كلَّهم فقال: =

وقيل: ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ هو مِن كفران النِّعمة؛ أي: ومَن لم يحجَّ فقد كفر نعمةَ الإسلام ونعمة تشريف الله إيَّاه بإقامة هذه الأعلام.

* * *

(٩٨) - ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾: وقال قبل هذا: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾؛ فالأوَّل على جهة التلطُّف في استدعائهم إلى الحقِّ بتوجيه الخطاب إليهم، وهذا على جهة[(١)] الإهانة بصرف الخطاب عنهم وتوجيهه[(٢)] إلى غيرهم بصدِّهم عن الحقِّ.

وقيل: هو خطابٌ لمحمَّدٍ عليه السلام.

و﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾: اليهود والنَّصارى.

قوله تعالى: ﴿لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾: قال الضحَّاكُ: أي: الإسلام والحجِّ[(٣)].

وقال الكلبيُّ: الحجُّ والقرآن.

قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ﴾: أي: عالمٌ بكفركم وتغييركم نعتَ محمَّدٍ عليه السلام، وأخذِكم الرِّشى.

ثم هذا توبيخٌ على لفظ الاستفهام؛ لأنه سؤالُ تعجيزٍ عن إقامة العذر.

* * *

= يا أيها الناس، إن الله عز وجل كتب عليكم الحج فحجُّوا، فآمنتْ به ملة واحدة، وهي من صدّق النبيّ ﷺ وآمن به، وكفرَتْ به خمس ملل، قالوا: لا نؤمن به، ولا نصلي إليه، ولا نستقبله. فأنزل الله عز وجل: ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾. وكلها من طريق جويبر عنه، وجويبر متروك.

(١) في (ف): «وجه» في الموضعين هذا والذي قبله.

(٢) في (أ): «وتوجهه».

(٣) انظر ما ذكرناه عنه قريباً.

(٩٩) ـ ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: أي: تمنعون وتَصْرفون، وسبيلُ[1] الله الإسلام؛ لأنَّه الطَّريق المؤدي إلى رضى الله تعالى وثوابه.

قوله تعالى: ﴿مَنْ ءَامَنَ﴾: مفعولٌ بالصَّد، و﴿مَنْ﴾ للجمع؛ أي: المؤمنين.

قوله تعالى: ﴿تَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾: أي: تطلبون للسبيل زيغًا وميلًا، واللَّام محذوفةٌ لكثرة الاستعمال، كما قال تعالى: ﴿وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ﴾ [التوبة: ٤٧]؛ أي: يطلبون لكم الفتنة.

والكناية ترجع إلى السَّبيل وهو يذكَّر ويؤنَّث؛ قال تعالى: ﴿وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾ [الأعراف: ١٤٦]، وقال تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ﴾ [يوسف: ١٠٨]، وقال تعالى: ﴿وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [الأنعام: ٥٥]، قرئ بالياء والتاء ورفع اللَّام[2].

والعِوجُ: الزَّيغ والميل.

قال أبو عبيدة: العِوَج بكسر العين: في الدِّين والقول والعمل، والعَوَج بالفتح: في الجدار والحائط وكلِّ شخصٍ[3].

---

(١) في (ف): «سبيل»، وفي (ر): «عن سبيل».

(٢) قرأ أبو بكر وحمزة والكسائي بالياء، والباقون بالتاء، وقرأ نافع ﴿سَبِيل﴾ بنصب اللام، والباقون برفعها. انظر: «التيسير» للداني (١/ ١٠٣).

(٣) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١/ ٩٨).

وصدُّهمُ المسلمين عن السَّبيل: هو قول علمائهم: إنَّه كاذبٌ وليس بنبيٍّ.

وقيل: هو محاربتهم مع المسلمين.

وقيل: هو ثباتهم على كفرهم، وكان ذلك كدعوتهم[1] غيرَهم إلى ذلك.

وقيل: هو إدخال الشُّبَه على المسلمين واستزلالُهم بإدخالهم التحريف فيه وسوءِ التأويل.

قوله تعالى: ﴿وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ﴾: أي: شهداء[2] على أن هذه السبيل هي الحق، وإن كنتم تكتمون شهادتكم.

قوله تعالى: ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾: أي: من الصدِّ عن سبيله وكتمانِ الشَّهادة لنبيِّه.

* * *

(١٠٠) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ﴾.

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ﴾: وبَّخ أولًا أهلَ الكتاب بصدِّ المؤمنين، ثم نهى المؤمنين عن اتِّباع هؤلاء الصَّادِّين.

يقول: إن تطيعوا هؤلاء في سلوك السبيل التي يَدْعونكم إليها ردُّوكم إلى الكفر.

وقد بيَّنَّا سبب نزوله في قوله تعالى: ﴿وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [آل عمران: ٦٩]، وإنما خصَّ فريقًا وطائفةً لأنَّ منهم مَن آمَنَ.

---

(١) في (ر): «دعوتهم».

(٢) «أي: شهداء» ليس في (ف).

وقال عكرمةُ في نزوله: مرَّ شاسُ بن قيسٍ اليهوديُّ على أناسٍ من الأنصار جلوسٍ في مسجد رسول الله ﷺ يتحدَّثون، فقال لصاحبٍ كان معه: أنشدهم حربَ بُعاثٍ لعلَّهم يغضبون، فأنشدهم ما قيل في يوم بُعاثٍ من الشِّعر، فقال ثعلبة بن عَنَمة[١] من الخزرج: لو تأخر الإسلام قليلًا لأجلينا الأوس من يثرب، فغضب أوس ابن قَيْظيٍّ فقال: قد تأخر الإسلام قبل ذلك فما صنعتُم؟! فتنادوا بالسلاح واجتمعت القبائل وتأهبوا للقتال، فخرج إليهم النبي ﷺ فلم يزل بهم[٢] يكفُّ بعضَهم عن بعضٍ ويقول: «عبادَ الله! بعد أن هداكم من الضلالة وأنقذكم من الجهالة وفيكم رسولُ الله ﷺ ترجعون كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض؟!» فلم يزل بهم حتى اصطلحوا واعتنقوا وبكى بعضهم إلى بعضٍ، وقالوا: كان هذا نزغةً من الشيطان، فأنزل الله تعالى هذه الآية[٣].

* * *

(١٠١) ـ ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ﴾: قد[٤] ذكرنا أنَّه كلمة تعجيبٍ؛ أي: من العجب هذا.

---

(١) في (ر): «غتم»، وفي (أ) و(ف): «عتم»، والصواب المثبت.

(٢) «بهم»: من (أ).

(٣) رواه ابن إسحاق كما في «سيرة ابن هشام» (١/ ٥٥٥)، والطبري في «تفسيره» (٥/ ٦٢٧)، عن زيد بن أسلم، وروى نحوه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٦٣١ ـ ٦٣٢) عن السدي ومجاهد. وذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ١١٦).

(٤) في (ف): «وقد».

قوله تعالى: ﴿وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ﴾: أي: كيف تكفرون مع وضوح الدلائل.

وقيل: أي: كيف يطمع هؤلاء في كفركم مع علمهم أن كتاب الله[١] يُتلى عليكم، ورسول الله معكم يبيِّن لكم معانيَه، ويقيم المعجزات الدَّالَّةَ على صدقه.

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: لا ينبغي لمن أشرقت في قلبه شموسُ العرفان أن يقع عليه ظلُّ الكفر والطغيان؛ فإنه إذا أقبل الليل من هاهنا أدبر النهار من هاهنا[٢].

قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ﴾؛ أي: يمتنعْ بالله من أعدائه، والعصمةُ: المنع؛ أي: ومَن يتعلَّق بدين الله.

وقيل: أي: ومن يتمسَّك بكتاب الله.

قوله تعالى: ﴿فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾: أي: أُرشد إلى الدِّين الحقِّ.

قال الإمام أبو منصورٍ رحمه الله: أي: مَن يجعلِ اللهَ له مفزعًا وملجأً عند الشُّبَه والإشكال ﴿فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾؛ أي: يحفظه[٣] عن الشُّبَه[٤].

❊ ❊ ❊

(١٠٢) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾: هو[٥] تفسير الاعتصام.

---

(١) في (أ): «نبيكم».

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٢٦٥).

(٣) في (أ): «لحفظه».

(٤) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٢/ ٤٤٢).

(٥) في (أ): «مر».

وقال ابن عبَّاسٍ وابن مسعودٍ رضي الله عنهم وسعيد بن جبيرٍ والحسن وقتادة: ﴿حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾: أن يُطاع فلا يُعصى، وأن يُذكر فلا يُنسى، وأن يُشكر فلا يُكفر[(١)].

وذُكرَتْ هذه المبالغة في ثلاثة أشياءٍ: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾ [الحج: ٧٨]، ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، ﴿يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ [البقرة: ١٢١].

وقالَ الزَّجَّاجُ: اتَّقوا اللهَ فيما يحقُّ عليكم أنْ تتَّقوه[(٢)].

وقال أنسٌ: لا يتَّقي اللهَ أحدٌ حقَّ تقاتِه حتَّى يَخْزُنَ مِن لسانِه[(٣)]، ويَعدَّ كلامَه مِن عملِه[(٤)].

وقالَ الإمامُ أبو منصورٍ رحمَه اللهُ: قيل: معناه: واحذروا عذابَ اللهِ حقَّ حَذَرِه.

قال: وقيلَ: معناه: أطيعوا اللهَ حقَّ طاعتِه.

قال: وليس في وُسعِ أحدٍ أن يتَّقي اللهَ حقَّ تقاتِه في كلِّ العبادات، ألَا ترى أنَّ

---

(١) رواه ابن المبارك في «الزهد» (٢٢)، وعبد الرزاق في «المصنف» (٤٤١)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٤٥٥٣)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١١٨٤٧) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

وروى نحوه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٦٣٦ ـ ٦٣٩) عن ابن مسعود والحسن والسدي وقتادة وطاوس والربيع بن خثيم وعمرو بن ميمون. وهذا الحديث روي مرفوعاً من حديث ابن عباس ومن حديث ابن مسعود، والصحيح وقفه وقد تقدم الكلام عليه في أول سورة البقرة عند تفسير قوله تعالى: ﴿هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٤٤٨).

(٣) في (ر): «حتى يخزن لسانه»، وفي (ف): «حتى يحرر من لسانه».

(٤) رواه ابن وهب في «الجامع» (٣٧٧)، وهناد في «الزهد» (٢/ ٥٢٣)، وأبو داود في «الزهد» (٣٦٨)، وابن أبي الدنيا في «الصمت» (١٧)، كلهم دون قوله: «ويعد كلامه من عمله»، وذكرها الماتريدي في «تفسيره» (٢/ ٤٤٣).

الملائكةَ بعدما وُصفوا مِن عبادتهم أنهم لا يَفْترون ولا يسأمون يقولون يومَ القيامة: «سبحانَك ما عبدناكَ حقَّ عبادتِك»[١]، وإذا كانَ أحدٌ لا يبلغُ ذلك فلا[٢] يحتمل تكليف مثله، فكان هذا الأمر راجعًا إلى الإسلام، وترك الشِّرك في كلِّ حالٍ.

ولذلك ختم الآية بقوله: ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾؛ أي: كونوا في حالٍ إذا أدرككم الموتُ أدرككم وأنتم مسلمون[٣].

وما ذكر عطاء أنَّه لَمَّا نزلَ قوله تعالى: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾، قالوا: يا رسول الله، وما حقُّ تقاته؟ قال: «أنْ يُطاعَ فلا يُعصى، ويُذكرَ فلا يُنسى، ويُشكرَ فلا يُكفر». قالوا: ومَن يَقوَى على هذا؟ فنزل: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦][٤]= ليس فيه أن الأوَّل كان أمرًا بما ليس في الوسع ثم نزل[٥] التَّخفيف، بل فيه بيان أن ذلك الأمرَ كان بما[٦] هو في الوسع.

وقيل: كان الأمرُ الأوَّل به في حال الأمن وحال الخوف على نفسه وماله، وأُمروا بالائتمار بالأمر والانتهاءِ بالنَّهي بكلِّ حالٍ، ثم وردَ التَّخفيف حالةَ التقيَّة بفعلِ ما أُكره عليه مع طمأنينة القلب على خلافِه.

---

(١) جاء ذلك في أحاديث، منها: ما رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٧٥١) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، ومنها ما رواه الحاكم في «المستدرك» (٨٧٣٩) وصححه من حديث سلمان رضي الله عنه.

(٢) في النسخ: «لا»، والمثبت من «التأويلات».

(٣) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٢/ ٤٤٣ـ ٤٤٤).

(٤) رواه البيهقي في «القضاء والقدر» (٢٩٤) من طريق عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً، وقد تقدم تفصيل الكلام فيه قريباً وفي أول سورة البقرة.

(٥) في (ر) و(ف): «نزل في».

(٦) في (أ): «ما».

وقال القشيريُّ رحمه الله: حقُّ التَّقوى: أن يكون على وَفقِ الأمر، لا يزيد من قِبل نفسِه ولا ينقص.

حقُّ التَّقوى أوّلاً اجتناب الزَّلَّة، ثم اجتناب الغفلة، ثم التَّوقِّي عن كلِّ خلَّةٍ، ثم التَّنقِّي[١] عن كلِّ علَّةٍ، فإذا اتَّقيْتَ عن شهود تقواك بعد اتِّصافك بتقواك فقد اتَّقيْتَ حقَّ تقواك.

وقيل: حقُّ التَّقوى: صونُ العهود، وحفظُ المعهود، وشهودُ الإلهيَّة، والانسلاخُ عن الأوصاف البشريَّة، والجمودُ تحت جريان الحُكم بعد اجتنابِ الذَّنب والجُرم، واستشعارُ الأَنَفة عن التَّوسل إليه بشيءٍ من طاعاتك دونَ صِرف كرمِه، والتَّحقُّقُ بأنَّه[٢] لا يَقبلُ أحدًا بعلَّةٍ، ولا يردُّ أحدًا بعلَّةٍ[٣].

***

(١٠٣) - ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾.

قولُه تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا ﴾: قالَ ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه: أي: تمسَّكوا بالقرآنِ[٤].

---

(١) في (ر): «التبقي»، والمثبت من باقي النسخ، وهو الموافق لما في مطبوع «اللطائف».

(٢) في (ف): «أنه».

(٣) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٢٦٦).

(٤) رواه سعيد بن منصور في «سننه ـ التفسير» (٥١٩)، والطبري في «تفسيره» (٥/ ٦٤٦)، وابن المنذر في «تفسيره» (٧٧٢)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٩٠٣٢).

قال النَّبيُّ ﷺ: «عليكم[١] بكتاب الله؛ فإنَّه نبأُ مَن قبلَكم وخبرُ ما[٢] بعدَكم، وذِكْرُ ما بينكم، وهو حبلُ اللهِ المتين...» الحديث[٣].

واستعارتُه: أنَّ مَنْ تعلق بحبلٍ لم يسقطْ وتوصَّلَ به إلى المقصد، وكذا مَن عَمِل بالقرآن.

وقال النبيُّ ﷺ: «إني تاركٌ فيكم الثَّقلَين؛ كتابُ اللهِ[٤] حبلٌ ممدودٌ مِن السَّماءِ إلى الأرضِ، وعِترتي أهلُ بيتي»[٥].

وقال ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: أي: اعتصموا بدين الله والقرآن[٦].

---

(١) في (ر): «تمسكوا».

(٢) في (أ): «من».

(٣) رواه الترمذي (٢٩٠٦)، وقال: هذا حديث غريبٌ، لا نعرفه إلاَّ مِن هذا الوجه، وإسنادُه مجهولٌ، وفي الحارث مقالٌ.

(٤) في (ر) و(ف): «كتاب الله وعترتي كتاب الله».

(٥) رواه ابن سعد في «الطبقات» (٢/ ١٩٤)، والإمام أحمد في «المسند» (١١١٠٤)، وابنُ أبي عاصم في «السنة» (١٥٥٤)، وأبو يعلى في «مسنده» (١٠٢٧)، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وإسناده ضعيف لضعف عطية العوفي الراوي عن أبي سعيد. وله شاهد من حديث زيد بن أرقم عند مسلم (٢٤٠٨)، والنسائي (٨١٧٥)، بلفظ: «وأنا تارك فيكم ثقلين، أولهما كتابُ الله، فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله، واستمسكوا به»، فحث على كتاب الله ورغب فيه، ثم قال: «وأهلُ بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي»، وفيه التصريح بأن المراد من قوله ﷺ: «وعترتي» هو وجوب مراعاتهم ومحبتهم، واجتناب ما يسوؤهم، والاحتراز عما يؤذيهم، وأما ما ورد مما يفهم منه وجوب الاقتداء بهم، والأخذ بأقوالهم والعمل بها، مثل قوله: «لن تضلوا بعدهما»، أو: «لن تضلوا إن اتبعتموهما»، فأسانيده ضعيفة لا يصلح الاحتجاج بها كما جاء في حاشية «المسند».

(٦) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣/ ١٦٢) دون قوله: «والقرآن».

وقال الكلبيُّ: أي: بدينِ اللهِ وعهدِه[١]، والحبلُ: اسمٌ للعهد، قال تعالى: ﴿إِلَّا بِحَبۡلٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبۡلٖ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٢].

وقال مقاتل: حبل الله الإسلام[٢].

ثم قوله: ﴿جَمِيعٗا﴾ ينقضُ قولَ مَن[٣] تكلَّف ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ﴾ خطاب العامة، ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ﴾ خطاب الخاصَّة؛ فإنَّه قال: ﴿جَمِيعٗا﴾ فعمَّهم جميعًا.

وقيل: هو إجماع الأمَّة؛ أي: تمسَّكوا بالإجماع، ودليلُه قولُ النبيِّ ﷺ: «مَنْ فارقَ الجماعةَ قيدَ شبرٍ فقد خلعَ رِبْقَةَ الإسلامِ مِن عنقِه»[٤]، والرِّبْقَةُ: الحبلُ.

ودليلُ ذلك أيضًا:

قولُه تعالى: ﴿وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾: أي: ولا[٥] تتفرقوا، سقطَتْ إحدى التَّاءَيْن تخفيفًا، كما في قوله تعالى: ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ﴾ [الملك: ٨].

قوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا﴾: يقول: لا تتفرقوا؛ أي: لا تختلفوا في الدِّين كما اختلف أهل الكتاب.

ونعمةُ الله: إنعامُه بالإسلام؛ أي: واذكروا إنعامَه عليكم إذْ كنتم أعداءً في

---

(١) في (ر): «وبعهده».

(٢) رواه بهذا اللفظ الطبري في «تفسيره» (٥/ ٦٤٦) عن ابن زيد. وانظر: «تفسير مقاتل» (١/ ٢٩٣)، وفيه: ﴿بِحَبۡلِ ٱللَّهِ﴾ يعني: بدين الله. وذكر الثعلبي في «تفسيره» (٣/ ١٦٣) عن مقاتل في تفسير الآية قال: ﴿بِحَبۡلِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: بأمره وطاعته.

(٣) «من»: من (أ).

(٤) رواه أبو داود (٤٧٥٨) من حديث أبي ذر رضي الله عنه. ورواه الترمذي (٢٨٦٣) من حديث الحارث الأشعري رضي الله عنه، وقال: حديث حسن صحيح غريب.

(٥) في (أ): «فلا».

الجاهليَّة يضربُ بعضُكم رقابَ بعضٍ، فألَّف بينَ قلوبِكم بالإسلام، فصرتم بإنعامِه عليكم أخلَّاءَ في الدِّين، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠].

و(أصبح) أصلُه: دخل في الصَّباح، وأمسى: دخل في المساء، ثم يُطلَق كلُّ واحدٍ منهما على الصَّيرورةِ أيَّ وقتٍ كانَ، قال الله تعالى: ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ﴾ [المائدة: ٣١]، ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [المائدة: ٣٠]، ﴿إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا﴾ [الملك: ٣٠].

وكان بين الأوس والخزرج حربٌ في مدَّة مئةٍ وعشرين سنةً، فألَّف اللهُ بينَ قلوبِهم بالإسلام، فزالَتْ تلكَ الأحقادُ.

ورُوي أنَّ النبيَّ ﷺ خرج يومًا على حماره يعفور، وكان يعفور إذا رأى منافقًا ردم ردمةً(١)، فمرَّ على عبد الله بن أُبيٍّ المنافق، ففعل كذلك.

وقيل: كان النبيُّ عليه السلام نزلَ، ووقف الحمارُ على الطَّريق، فمرَّ عبدُ الله به(٢)، ففعل كذلك، فقال عبد الله لسايس الحمار: نحِّ الحمارَ فإنَّه يؤذينا، فقال سعدُ بن معاذٍ الخزرجيُّ: أتقولُ هذا لحمار رسولِ الله ﷺ يا ملعونُ؟ فأجابه بشيءٍ، وتعدَّى ذلك إلى المناظرة بين الأوس والخزرج.

فقالت الأوسُ: منَّا خزيمةُ بنُ ثابت ذو الشَّهادتَين، ومنَّا حنظلةُ غسيل الملائكة، ومنَّا سعدُ بن معاذٍ الذي اهتزَّ لموته العرشُ، ورضي الله بحكمِه في بني قريظة.

وقالت الخزرج: منا أربعةٌ أحكموا القرآن؛ أبيُّ بن كعبٍ، ومعاذُ بن جبلٍ، وزيدُ بن ثابتٍ، وسعدُ بن عبادة خطيب الأنصار.

---

(١) في هامش (أ): «أي: ضرط».

(٢) «به» ليس في (ف).

وقالت الأوسُ: أَمَا واللهِ لولا مجيءُ الإسلام وقدومُ النبيِّ ﷺ لقتلنا رؤساءَكم، واستعبدنا أولادَكم، ونكحنا نساءَكم.

وتجادلوا في ذلك حتى صاروا إلى التَّضارب بالنِّعال، ثم بالسِّلاح، فجاءَهم النبيُّ ﷺ، وقرأ عليهم هذه الآية، فاصطلحوا وسكنوا(١).

قوله تعالى: ﴿وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ﴾: أي: حرفِ(٢) وطرفِ، ومثلُه قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ﴾ [التوبة: ١٠٩]، وأَشْفَى على كذا؛ أي: أَشْرفَ عليه؛ أي: كنتم كفَّارًا لو متُّم عليه دخلتم النَّار.

قوله تعالى: ﴿فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا﴾: أي: أنجاكم، يقال: أنقذه واستنقذه؛ أي: نجَّاه؛ أي(٣): هداكم للإسلام فنجَّاكم به من العذاب.

ورُوي أن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما قرأ يومًا هذه الآية، فسمع أعرابيٌّ ذلك، فقال: واللهِ ما أنقذَهم منها وهو يريد أن يقحمَهم فيها. فقال ابنُ عبَّاسٍ: ويحكم اكتبوه مِن غير فقيهٍ(٤).

وقال قتادةُ: هذا خطابٌ للعربِ، كانوا أبينَ النَّاس ضلالةً(٥)، وأشقاهم عيشًا، وأعراهم جلودًا، وأجوعهم بطونًا، مكعومين(٦) على رأس حجرٍ، بينَ أسدَيْن: فارسَ

---

(١) ذكر نحوه الثعلبي في «تفسيره» (٣/ ١٦٠)، والبغوي في «تفسيره» (٢/ ٧٧) عن مقاتل بن حيان. وانظر: «تفسير مقاتل بن سليمان» (١/ ٢٩٤).

(٢) في (ف): «جرف».

(٣) «نجاه أي» ليس في (أ).

(٤) رواه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (٥٠٧).

(٥) في (ر): «كانوا من أبين الناس ضلالة» وفي (ف): «كانوا أبين ضلالة».

(٦) في النسخ: «معكوفين»، والمثبت من «تفسير الطبري»، وهو الصواب، مأخوذ من: كعم البَعيرِ، وهو =

والرُّومِ، مَن عاشَ منهم عاشَ شقيًّا، ومَن ماتَ منهم رُدِّيَ في النَّار، فلمَّا جاء الله بالإسلام هداهُم به مِن الضَّلالةِ، ووسَّع لهم الرِّزق، ومكَّنَ لهم في البلاد، وأظهرَهم على الأعداء، وجعلَهم ملوكًا، فيقول: اذكروا هذه النِّعَم[١].

قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾؛ أي: القرآنَ الَّذي فيه أمرُه ونهيُه، ووعدُه ووعيدُه؛ لتهتدوا به إلى الصَّواب، وما به يُنالُ الثَّواب.

وقال الإمام أبو منصورٍ رحمه الله: قوله تعالى: ﴿فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا﴾ ردٌّ على المعتزلة؛ لأن على قولهم هم الذين ينقذون أنفسهم لا اللهُ تعالى.

قال: ودلَّتِ الآية أنه يلزم خطاب الإيمان حين الفترة؛ لأنَّه قال: ﴿وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران: ١٠٣][٢].

* * *

(١٠٤) - ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ﴾ أمرُ مغايبة[٣]، وقوله: ﴿أُمَّةٌ﴾؛ أي: طائفةٌ.

﴿يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ﴾؛ أي: الائتلاف ﴿وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾: وهو ما استحسنه

= أنْ يُشَدَّ فَمُه إذا هاجَ، فهو مَكْعُومٌ، وجاء في خطبة معاوية رضي الله عنه لما حضرته الوفاة: (.. فهم بين خائف مقموع، وساكت مكعوم..). انظر: «جمهرة خطب العرب» (٢/ ١٨٥ ـ ١٨٦)، و«النهاية في غريب الحديث» (مادة: كعم).

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٦٥٩).

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٢/ ٤٤٧)، ولفظه: وفي قوله: ﴿وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ﴾ الآية: أنه قد يلزم خطاب الإيمان حين الفترة؛ لأنهم في ذلك الوقت كانوا قد أنقذوا.

(٣) في (ر): «معاينة».

الشَّـرعُ والعقـل، وهـو الموافقـة ﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾: وهو[١] ما اسـتقبحه الشَّـرع والعقـل، وهـو المخالفة.

وعلـى هـذا[٢] انتظـامُ هـذه الآية بمـا قبلَها، ثـم يقع ذلك علـى كلِّ خيـرٍ وكلِّ مستحسَـنٍ شـرعًا وعقلًا بعمومِه.

وقيل: الخيرُ: الطَّاعة، والمعروفُ: ما وافقَ الكتاب والسنَّة، والمنكرُ: ما خالف الكتاب والسنَّة.

وقيل: المعروفُ: كلُّ الطَّاعات، والمنكرُ: كلُّ المعاصي.

وقال الضحَّاك: المعروفُ: التَّوحيد، والمنكرُ: الكفر[٣].

قوله تعالى: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾: أي: النَّاجون ممَّا خافوا، والواصلون إلى ما رَجُوا، وقد مرَّ تفسير الفلاح بوجوهه في أول سورة البقرة.

ودلَّ قوله: ﴿مِّنكُمْ﴾ وهي[٤] للتَّبعيض: أن الأمر بالمعروف إذا قام به البعض سقط عن الباقين، وهو على مَن علم ذلك وقدر عليه دون الكلِّ؛ قال تعالى: ﴿لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ﴾ [المائدة: ٦٣].

---

(١) في (أ) و(ف): «هو».

(٢) في (أ): «وهذا على».

(٣) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٧٣٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما، رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٥٨٨) عن أبي العالية.

ولم نقف على هذا القول عن الضحاك، لكن روي عنه في تفسير الآية قوله: هم خاصة أصحاب رسول الله ﷺ، وهم خاصة الرواة. رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٦٦٢)، وابن المنذر في «تفسيره» (١/ ٣٢٥). و(خاصة الرواة) قال ابن كثير: يعني: المجاهدين والعلماء. وقال الثعلبي والبغوي: الرواة الدعاة الذين أمر الله عز وجل بطاعتهم.

(٤) في (أ): «وهو».

وقال الزَّجَّاجُ: (مِن) لإبانة الجنس، كما في قوله تعالى: ﴿فَٱجْتَنِبُواْ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ﴾ [الحج: ٣٠]، والأمر لكلِّ الأمَّة بذلك؛ قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ فوصف الكلَّ بذلك[1].

وقيل: لَمَّا نزلَتْ هذه الآية بعثَ النبيُّ ﷺ جماعةً من أصحابه دعاةً للملوك في أقطار الأرض إلى الله تعالى.

* * *

(١٠٥) - ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ﴾: أي: بالعداوة، ﴿وَٱخْتَلَفُواْ﴾؛ أي: في الدِّيانة، فلم يكن تكرارًا، وهم اليهود والنَّصارى؛ اختلفوا فقالت اليهود: الدِّينُ الحقُّ هو اليهوديَّة، وقالت النَّصارى: بل هو النَّصرانيَّة، واختلفوا في الأنبياء أيضًا؛ فكذَّبَ اليهودُ عيسى ومحمَّدًا، وكذَّبَ النَّصارى محمَّدًا، وقالت اليهودُ: عزير ابن الله، وقالت النَّصارى: المسيح ابن الله.

قوله تعالى: ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾: أي: الحجج على حقيَّة[2] الإسلامِ ومحمَّدٍ والقرآنِ، وعلى بطلان قولهم، وذلك في القرآن، وفي التَّوراة والإنجيل أيضًا.

قوله تعالى: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ﴾: أي: هؤلاء المتفرِّقون المختلفون ﴿لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾: في الآخرة، فإنَّه يدومُ ولا ينقطعُ.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٤٥٢).

(٢) في (ر) و(ف): «حقيقة».

قال الكلبيُّ: ﴿وَلَا تَكُونُوا﴾: خطابٌ للأوس والخزرج، ﴿كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا﴾ يعني: اليهودَ والنصارى، و﴿اخْتَلَفُوا﴾ في الدِّين، ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ في كتابهم.

***

(١٠٦) ـ ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾: ﴿يَوْمَ﴾ نصبٌ على الإغراء، وقيل: على الظَّرف؛ أي: ولهم عذابٌ عظيمٌ في يوم تبيضُّ وجوهٌ وتسودُّ وجوه.

وأكثر أهل التَّفسير على أنه تبيضُّ وجوهُ قومٍ، وتسودُّ وجوهُ آخرين حقيقةً؛ ليتميَّزَ أهلُ الجنَّة مِن أهل النَّار، وعلى هذا قوله تعالى: ﴿يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ﴾ [الرحمن: ٤١]، وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ﴾ [الزمر: ٦٠].

وقال النبيُّ ﷺ: «يُحْشَرُ المؤمنُ ووجهُهُ أضوأُ مِنَ القمرِ ليلةَ البدرِ، ويُحْشَرُ الكافرُ ووجهُهُ أسودُ مظلمٌ»(١).

وفي الخبر في قوله تعالى: ﴿وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ﴾ [القلم: ٤٢]: أنَّ المؤمنين إذا سجدوا رفعوا رؤوسهم ووجوهُهم مثلُ الثلج بياضًا، والكفَّار لا يستطيعون السُّجود(٢)، فإذا نظروا إلى وجوه المؤمنين اسودَّتْ وجوهُهم(٣).

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) «السجود»: من (ف).

(٣) قطعة من خبر ذكره أبو الليث السمرقندي في «تفسيره» (١/ ٢٦١) فقال: (ويقال...)، وأورده =

وعلى هذا قال ابن عبَّاسٍ رضي الله تعالى عنهما: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ﴾ وهم المسلمون، ﴿وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ وهم المنافقون وأهل الملل كلِّها[(١)].

وقال عطاءٌ: يوم تبيضُّ وجوهُ المهاجرين والأنصار، وتسودُّ وجوه بني قريظة والنَّضير[(٢)].

وقال الكلبيُّ وجماعةٌ: هو ظهورُ أثر السُّرور والنِّعمة على وجه أهل الجنَّة، وبضده لأهل النَّار، قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ الآيات [القيامة: ٢٢-٢٣]، ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ﴾ الآيات [عبس: ٣٨]، ﴿وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾ [يونس: ٢٧][(٣)].

ويستعمل هذا في السُّرور وضدِّه؛ قال تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا﴾ [النحل: ٥٨]، ويقال: لفلان عندي يدٌ بيضاء؛ أي: سارَّة.

وفي الخبر: «أوَّلُ صدقةٍ بيَّضَتْ وجوهَ الصَّحابةِ صدقةُ طَيِّءٍ»[(٤)].

= الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٣٧ - ١٣٨) من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، والكلبي متروك، وأبو صالح لم يسمع من ابن عباس.

(١) روى ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٧٢٩)، واللالكائي في «الاعتقاد» (٧٤)، والسهمي في «تاريخ جرجان» (ص: ١٣٢)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٧/ ٣٧٩)، عن ابن عباس في قوله: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ قال: تبيض وجوه أهل السنة والجماعة، وتسود وجوه أهل البدع والضلالة.

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣/ ١٢٤)، والزمخشري في «الكشاف» (١/ ٣٩٩)، وعزاه الواحدي في «البسيط» (٥/ ٤٨٥) لابن عباس من رواية عطاء.

(٣) ذكر نحوه دون نسبة: الزجاج في «معاني القرآن» (٢/ ٣٤٣)، والثعلبي في «تفسيره» (٣/ ١٢٥)، والواحدي في «البسيط» (٥/ ٤٨٥).

(٤) رواه مسلم (٢٥٢٣)، من حديث عدي بن حاتم، قال: أتيت عمر بن الخطاب، فقال لي: (إن أول =

وقال بعضُ الشُّعراء في الشَّيب والخضاب:

يـا بيـاضَ القـرونِ سـوَّدْتَ وجْـهِـي عِــنـدَ بِيـضِ الوجـوهِ سـودِ القـرونِ

فلَعَمْـري لأخضبنَّـكَ[1] جُـهْــدِي عَنْ عِيانـي وعَـنْ عِيـانِ العُيـونِ

بســوادٍ فيــه بيــاضٌ[2] لوجْهِـي وســـوادٌ لوجهِــكَ الملعُـــونِ[3]

قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾: استفهامٌ بمعنى التَّوبيخ، وأُضمر هاهنا: (فيقال لهم)، والقولُ يضمَر في موضعٍ يُعرف ولا يَخفى، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ﴾ [الأنعام: ٩٣].

واختلفوا في الكفر بعد الإيمان:

قال الحسنُ: هم الَّذين كفروا بعد إظهار الإيمان بالنِّفاق[4].

وقال قتادة: هم الَّذين ارتدُّوا[5].

وقال أبيُّ بن كعبٍ: هم جميع الكفَّار أعرضوا عن إيمانهم يوم الميثاق[6].

وقال الزَّجَّاج: هم اليهود والنَّصارى كفروا بمحمَّدٍ عليه السلام بعدما آمنوا به قبلَ مبعثِه[7].

= صدقة بيضت وجه رسول الله ﷺ ووجوه أصحابه صدقة طيئ...).

(١) في (ف): «لأخفينك».

(٢) في (ف): «ابيضاض».

(٣) الأبيات لعلي بن العباس الرومي، كما في «أمالي القالي» (١/ ١١٢)، و«زهر الآداب» للقيرواني (٢/ ٤٥٧)، و«نهاية الأرب» للنويري (٢/ ٣٠).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٦٦٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٧٢٩).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٦٦٤).

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٦٦٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٧٣٠).

(٧) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٤٥٥).

قوله تعالى: ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾: قال الزَّجَّاج: يقال هذا لليائس؛ أي: ليس لكم[١] من هذا خلاصٌ[٢].

* * *

(١٠٧) ـ ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ﴾: أي: في الجنَّة؛ لأنَّها تُنال برحمة الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾: أي: دائمون لا يموتون ولا يخرجون.

وقال الإمام القشيري رحمه الله: يوم تبيضُّ وجوه أصحاب المعاني، وتسودُّ وجوه أرباب الدَّعاوي.

قال: ويُقال: مَن ابيضَّ اليومَ قلبُه ابيضَّ غدًا وجهُه، ومَن كان بالضِّدِّ فعلى العكس.

وأمَّا الَّذين اسودَّتْ وجوههم ففي بكاءٍ ونَوحٍ، وأمَّا الَّذين ابيضَّتْ وجوهُهم ففي أُنسٍ ورَوحٍ[٣].

* * *

(١٠٨) ـ ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ﴾.

قولُه تعالى: ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ﴾: أي: هذه حججُ الله. وقال ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: هي القرآن[٤].

---

(١) في (أ) و(ف): «لك».

(٢) لم أجده.

(٣) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٢٦٩). وفي (ر): «ففي أمن وروح». والرَّوح: الرحمة.

(٤) ذكره الواحدي في «الوسيط» (١/ ٤٧٦).

وقوله تعالى: ﴿نَتْلُوهَا عَلَيْكَ﴾: أي: نوحيها[١] إليك بعضَها على إثرِ بعض.

وقيل: أي: جبريل يتلوها عليك[٢] بأمرنا.

قوله تعالى: ﴿بِالْحَقِّ﴾: أي: بالصِّدق، وقيل: لبيان الحق.

قوله تعالى: ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ﴾: أي: لا يشاء أن[٣] يظلمَ هو عبادَه فيعاقبَهم بلا جُرمٍ منهم.

* * *

(١٠٩) - ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾: أي: ملكًا ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾؛ أي: حكمًا، ولو قال: (وإليه) استقام، ولكن هذا أبلغُ؛ ليكون كلامًا مستقلًّا بنفسه.

فإنْ قالوا: الرُّجوع إليه يكون بعد الذَّهاب عنه، ولم يكن، فلمَ قالَ ذلك؟

قلنا: كانت كالذَّاهبة بهلاكها، وكالرَّاجعة بإعادتها[٤]، ولأنَّ في الدُّنيا يملك بعض الخلق التَّدبير، وفي القيامة يكون كلُّ ذلك للهِ تعالى.

* * *

(١١٠) - ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾.

---

(١) في (ر) و(ف): «نوجهها».

(٢) بعدها في (ر): «أي».

(٣) «يشاء أن» ليس في (ف).

(٤) في (أ) و(ف): «ثم أعادتها»، بدل: «وكالراجعة بإعادتها».

قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾: انتظام هذه الآية بما قبلَها: أنَّه أمرَ بالأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر أوَّلًا، ثم مدحَ في هذه الآية هذه الأمَّة بالأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر.

و﴿كُنتُمْ﴾ قد مرَّ في قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ﴾ [البقرة: ٢٣] أنَّه يجيء على ثلاثة أوجهٍ: للماضي، والحالِ، والاستقبال(١)، وبيَّنَّا أصلَه.

واختُلف فيه هاهنا:

قال الضَّحَّاك: كنتم في اللَّوح المحفوظ(٢).

وقيل: كنتم في سابق(٣) علمي وحكمي.

وقيل: أي: في كتب الأنبياء؛ قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ﴾ [الفتح: ٢٩]؛ أي: صِفَتهم.

وقيل: أي: كنتم مذ كنتم خير أمَّةٍ، كقولك لآخر: كنْتَ مذ كنْتَ مباركًا؛ يعني: مذ خرجتم وآمنتم كنتم خير أمَّةٍ، وأنتم اليومَ كذلك.

وقيل: معناه: حَدَثْتم ووُجِدْتُم خيرَ أمَّة، كقوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ﴾ [البقرة: ٢٨٠].

وقيل: معناه: أنتم خيرُ أمَّةٍ، كما في قوله تعالى: ﴿أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾ [ص: ٧٥]، وقال تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا﴾ [الأعراف: ٨٦] مع أنه قال تعالى في آيةٍ أخرى: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ﴾ [الأنفال: ٢٦]، وإنما صلح

---

(١) في (أ): «وللحال وللاستقبال».

(٢) عزاه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٦٧٦) لبعض أهل العربية، وذكر قولين آخرين غيره ورجحهما عليه.

(٣) «سابق» ليس في (ف).

﴿كُنتُمۡ﴾ مقام ﴿أَنتُمۡ﴾ لأنَّهما ضِدَّان لكلمةِ: (لستم)؛ لأنَّ ذلك للنَّفي وهذان للإثبات، فقام أحدُهما مقامَ الآخر لمشاكلتهما في مُضادَّتهما كلمةَ النَّفي.

وقيل: معناه: صرتُم خيرَ أمَّة، كما في قوله: ﴿وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٤]، ﴿فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُغۡرَقِينَ﴾ [هود: ٤٣]؛ أي[1]: صرتُم بالإيمان بخير الرُّسل وبخروجه في زمانه خيرَ الأمم.

قوله تعالى: ﴿خَيۡرَ﴾ هو كلمة تفضيلٍ، والمراد[2] به: أنَّهم أفضل الأمم، وأكثرُهم[3] طاعاتٍ، وأوفرُهم خيراتٍ.

وقيل: أراد به: أنفعهم، وزيادة نفعِهم بالأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر، ففيه صلاح الكلِّ وخلاصُهم.

قوله تعالى: ﴿أُمَّةٍ﴾: فالأمَّةُ: كلُّ قومٍ اجتمعوا على اتِّباع نبيٍّ، أو جمعتهم دعوة نبيٍّ، وهي في القرآن لعشرة أوجهٍ:

١ ـ للجماعة: قال اللهُ تعالى: ﴿أَسۡبَاطًا أُمَمٗا﴾ [الأعراف: ١٦٠].

٢ ـ ولاتِّباع كلِّ رسولٍ: قال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولٞ﴾ [يونس: ٤٧].

٣ ـ وللملَّة: قال تعالى: ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ﴾ [المؤمنون: ٥٢].

٤ ـ ولأهل ملَّةٍ واحدةٍ: قال تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ﴾ [البقرة: ٢١٣].

٥ ـ ولأمَّة محمَّدٍ على الخصوص:

المسلمين منهم؛ قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا﴾ [البقرة: ١٤٣].

---

(١) كلمة: «أي» من (أ)، ووقع في (ر) و(ف) بدلا منها: «وقيل: معناه».

(٢) في (أ) و(ف): «وأراد».

(٣) في (ف): «وأكثر».

وللكفَّار الَّذين بُعِثَ فيهم رسولُ الله ﷺ[1]؛ قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِيٓ أُمَّةٍ﴾ [الرعد: ٣٠]، وهم أمَّة الدَّعوة، والأوَّلون أمَّة الإجابة.

٦ ـ وللإمام: قال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ [النحل: ١٢٠].

٧ ـ وللطَّريقة: قال تعالى: ﴿لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ﴾؛ أي: أُولو طريقة قيِّمة.

٨ ـ وللصنف: قال تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾ [الأنعام: ٣٨].

٩ ـ وللمدَّة: قال تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ﴾ [هود: ٨].

١٠ ـ وللحين: قال تعالى: ﴿وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ [يوسف: ٤٥].

وسببُ نزول الآية: ما روي أنَّ مالك بن الصَّيف ووهب بن يهوذا اليهودِيَّيْن قالا[2] لابن مسعودٍ وأبيِّ بن كعبٍ ومعاذ بن جبلٍ رضي الله عنهم: إنَّ ديننا خيرٌ من دينكم الذي[3] تدعوننا إليه، ونحن خيرٌ منكم. فأنزل الله تعالى هذه الآية[4].

قوله تعالى: ﴿أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ قيل: أي: ذُكِرَتْ لمن سلفَ مِن النَّاس.

---

(١) في (أ): «بعث فيهم محمد ﷺ».

(٢) في (ر): «مرَّا بيهوديين فقالا»، وهو خطأ.

(٣) في (ر) و(ف): «خير مما».

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» (١/ ٢٩٥). وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣/ ١٢٦) عن عكرمة ومقاتل. ورواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٦٧٢) عن عكرمة مختصراً بلفظ: (نَزلتْ في ابنِ مسعودٍ، وسالِمٍ مولَى أبي حذيفةَ، وأُبيِّ بنِ كعبٍ، ومُعاذِ بنِ جَبَلٍ)، وكذا رواه ابن المنذر في «تفسيره» (١/ ٣٣٢) لكنه ذكر بدل سالم مولى أبي حذيفة: عمار بن ياسر. وكلاهما من طريق ابن جريج عن عكرمة، قال الحافظ في «الفتح» (٨/ ٢٢٥): وهذا موقوف فيه انقطاع.

والإخراجُ في القرآن ذُكِرَ لمعانٍ كثيرةٍ ذكرناها عند تفسير قولِه: ﴿فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢]، منها الذِّكْر، وهو في هذه الآية عند بعضهم.

وقيل: معناه: أُظهِرَتْ للأنبياء يوم القيامة للشَّهادة على الأمم، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣]؛ أي: للنَّاس، وهم الأنبياء، وقد بيَّنا وجهه في تلك الآية.

وقيل: معناه: أُخرِجَتْ للكفَّار ليقاتلوهم ويدعوهم إلى الإسلام[1]، وعلى ذلك معنى الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر اللَّذين ذُكِرا بعدَه.

وقيل: معناه: أُخْرِجَتْ للمؤمنين لتأمروهم بالطَّاعات وتنْهَوهم[2] عن المعاصي.

و(النَّاسُ) تصلح لذلك كلِّه، وهو في القرآن لأكثرَ مِن عشرين وجهًا:

١ ـ لكلِّ بني آدم: قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾ [الحجرات: ١٣].

٢ ـ ولأولاد آدم المسلمين الَّذين كانوا في عصرِه قبلَ أن يكفرَ بعضُهم: قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟﴾ [يونس: ١٩].

٣ ـ ولقوم نوحٍ: قال تعالى: ﴿لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣]، قيل: على قوم نوحٍ لنوح[3] عليه السلام.

٤ ـ ولقوم نمروذ في زمن إبراهيم: قال تعالى: ﴿قَالُوا۟ فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ﴾ [الأنبياء: ٦١].

---

(١) في (ف): «للإسلام».

(٢) في (ر): «لما أمروهم بالطاعات ونهوهم».

(٣) «لنوح»: من (أ).

٥ ـ ولبني إسرائيل: قال تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۝٣ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ٤].

٦ ـ ولقوم فرعون: قال تعالى: ﴿وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى﴾ [طه: ٥٩].

٧ ـ ولقوم يوسف: قال تعالى: ﴿فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ﴾ [يوسف: ٤٩].

٨ ـ ولقوم عيسى: قال تعالى: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ﴾ [المائدة: ١١٦].

٩ ـ ولليهود: قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧].

١٠ ـ ولأهل مكَّة: قال تعالى: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا﴾ [يونس: ٢].

١١ ـ وللصَّحابة[١]: قال تعالى: ﴿يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ﴾ [النساء: ١٤٢].

١٢ ـ ولأهل اليمن: قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ﴾ [البقرة: ١٩٩].

١٣ ـ ولمؤمني أهل الكتاب: قال تعالى: ﴿ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ﴾ [البقرة: ١٣].

١٤ ـ ولكلِّ المؤمنين: قال تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [البقرة: ١٦١].

١٥ ـ ولعامَّة الرُّسل: قال تعالى: ﴿لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [الحج: ٧٨].

١٦ ـ ولمحمَّدٍ عليه الصلاة السلام: قال تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ﴾ [النساء: ٥٤].

١٧ ـ ولنُعيم بن مسعودٍ الأشجعيِّ: قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ﴾ [آل عمران: ١٧٣].

١٨ ـ وللمشركين: قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ﴾ [آل عمران: ١٧٣].

---

(١) في (ف): «وللمنافقين».

١٩ ـ وللدَّجَّال: قال تعالى: ﴿لَخَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَكۡبَرُ مِنۡ خَلۡقِ ٱلنَّاسِ﴾ [غافر: ٥٧].

٢٠ ـ وللحُجَّاج: قال تعالى: ﴿فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ﴾ [إبراهيم: ٣٧].

٢١ ـ وللمنافقين: قال تعالى: ﴿وَتَخۡشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَىٰهُۖ﴾ [الأحزاب: ٣٧].

ويصلحُ للمؤمنين والكافرين والمنافقين في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ [البقرة: ٢١]، فقد سبق ذكرُ[1] الفرق الثَّلاث هاهنا.

قوله تعالى: ﴿تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ﴾: قال أبو هريرة رضي الله عنه: تجيؤون بالكفَّار في السلاسل[2] فتدخلونهم في الإسلام[3].

وقال ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: ﴿تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾: بشهادةِ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ، وهو أعظم معروفٍ، وتنهَون عن التَّكذيب وهو أنكرُ منكرٍ[4].

وقال الكلبيُّ رحمه الله: ﴿تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾: باتِّباع محمَّدٍ، ﴿وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ﴾: عن عبادة الجبت والطَّاغوت[5].

---

(١) في (ر): «ذكره في» وفي (ف): «ذكره».

(٢) في النسخ: «في الإسلام»، والمثبت من المصادر وستأتي.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٦٧٤)، وابن المنذر في «تفسيره» (٨٠٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٧٣٢). ورواه أيضاً البخاري (٤٥٥٧)، ولفظه: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ﴾ قال: خير الناس للناس، تأتون بهم في السلاسل في أعناقهم، حتى يدخلوا في الإسلام».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٦٧٦)، وابن المنذر في «تفسيره» (٨٠٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٧٣٣)، والطبري في «الدعاء» (١٥٤٣).

(٥) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (١/ ٢٦٠)، والواحدي في «البسيط» (١١/ ٧١).

وقال مقاتل: ﴿تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾؛ أي: الإيمانِ بالله، ﴿وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾؛ أي: الشِّرك بالله[١].

وقيل: المعروف الطَّاعة، والمنكر المعصية.

وإنَّما قيل للحسن معروفٌ ـ مع أنَّ القبيح قد يُعرَف أنَّه قبيحٌ ـ لأنَّ القبيحَ وإنْ عُرِفَ فهو كما[٢] لا يُعرَف لخموله وسقوطه، والحسن بمنزلة النَّبيه[٣] الَّذي يُعرف لجلاله وعلوِّ قدره.

وقال الإمامُ أبو منصورٍ رحمه الله: المعروف والمنكر يتوجَّه إلى[٤] ثلاثة أوجهٍ:

١ ـ المعروف: هو المعروف في العقول الَّذي تستحسنه العقول، والمنكر: هو الَّذي قبَّحته العقول وأنكرته.

٢ ـ ويحتمل أنْ يكون المعروفُ: هو الَّذي عُرِفَ بالآيات والبراهين أنَّه حسنٌ، والمنكرُ: ما عُرِفَ بالحُججِ أنَّه قبيحٌ.

٣ ـ ويحتمل أنَّ المعروفَ: هو الَّذي جرى على ألسنِ الرُّسلِ أنَّه حسنٌ، والمنكرُ: هو الذي أنكروه ونهوا عنه.

وعلى الوجوه الثَّلاثة يُخرَّج معنى الآية[٥].

وقال سفيانُ بن عيينة: هذا على الشَّرط: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ ما أمرتم بالمعروف ونهيتم عن المنكر[٦].

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (١/ ٢٩٥)، وروى ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٨٢) نحوه عن أبي العالية.

(٢) في (أ): «مما».

(٣) في هامش (أ): «من نبه ينبه نباهة؛ أي: صار مشهورًا».

(٤) «إلى»: من (ف).

(٥) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٢/ ٤٥٥).

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٦٧٣)، وابن المنذر في «تفسيره» (٨٠٨)، عن مجاهد.

وعن عمرَ[١] أنَّه قال: مَنْ سرَّه أنْ يكون مِن تلك الأمَّة فليؤدِّ شرط الله فيها[٢]؛ إشارةً إلى هذا.

وعن عمرَ أيضًا أنَّه قال: لو شاء الله لقالَ: (أنتم خير أمَّةٍ) فكنا كلُّنا[٣].

وعن الحسن أنَّه قال: قد كانت والله هذه الأمَّة مرَّةَ هكذا[٤]؛ أشار إلى أنَّ هذه الصِّفةَ للصدر الأوَّل.

قوله تعالى: ﴿وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾؛ أي: تدومون على الإيمان به.

قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ ءَامَنَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾: أي: اليهود بمحمَّدٍ ﴿لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُم﴾ من الإقامة على الكفر.

﴿مِّنۡهُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾: أي: عبد الله بن سلام وأصحابه ﴿وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾؛ أي: الخارجون[٥] عن الأمر بالإيمان.

وقال الإمام أبو منصورٍ رحمه الله: لا يُشْكِلُ[٦] أنَّ الإيمان خيرٌ من الكفر، والمراد من الآية: أن علماء أهل الكتاب تمسَّكوا بالكفر لوجهَيْن:

أحدهما: أنهم كانوا أهلَ[٧] عزٍّ وشرفٍ وعلمٍ ينتابُ الناس إليهم، فخافوا

(١) في (ر): «عمر أيضًا».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٦٧٢).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٦٧١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٧٣٢).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٦٧٥)، وابن المنذر في «تفسيره» (١٨٠٦).

(٥) في (أ): «خارجون».

(٦) في «التأويلات»: (لا شك).

(٧) في (ر) و(ف): «على».

ذهابَ ذلك، فأَخبر أَنَّهم لو آمنوا لكان عزُّهم وشرفُهم في الإيمان أكثرَ، وقد ظهر ذلك لعبد الله بن سلام وكعبِ الأحبار.

والثَّاني: أنهم أَبَوا الإيمانَ واتِّباعَ محمَّدٍ وثبتوا على الكفر إشفاقًا على ما لهم من المنافع والمنال أن يذهبَ ذلك عنهم، فأخبر أنَّ الإيمان خيرٌ لهم في الآخرة؛ إذ هذا منقطعٌ، والذي يكون لأهل الإيمان في الآخرة باقٍ دائمٌ لا يزول[١].

وقيل: في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾: أي: ثبتوا على إيمانهم به قبلَ مبعثه[٢] ولم يكفروا به بعدَه.

وقال الإمامُ القشيريُّ رحمه الله: لَمَّا كان المصطفى أشرفَ الأنبياء كانَتْ أمَّتُه[٣] أشرفَ الأمم، وكانت أعمارُهم أقصرَ الأعمار، وعصرُهم آخرَ الأعصار؛ لئلَّا يطول تحتَ الأرض لبثُهم، وما حصلَتْ خَيريَّتُهم[٤] لكثرة صلواتهم[٥] وعباداتهم، ولكنْ بنظرِ الله تعالى إليهم، وتخصيصِه إيَّاهم، ولقد طالَ وقوفُ المتقدِّمين بالباب، ولكنْ لَمَّا خرجَ الإذن بالدُّخول تقدَّم المتأخِّرون[٦]:

وكَمْ باسطِيْنَ إلى وَصْلِنا أَكُفَّهُمُ لمْ ينالوا نَصِيبًا[٧]

وقال في قوله تعالى: ﴿تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾:

---

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٢/ ٤٥٥ـ ٤٥٦).

(٢) في (ف): «بعثه».

(٣) في (أ) و(ف): «كان خدمه» بدل: «كانت أمته».

(٤) في (ر) و(ف): «خيرتهم».

(٥) في (أ) و(ف): «صلاتهم».

(٦) بعدها في (أ): «كما قيل»، وفي (ر) و(ف): «شعر».

(٧) البيت للعباس بن الأحنف كما في «الشعر والشعراء» لابن قتيبة (٢/ ٨١٩).

المعروفُ: خدمةُ الحقِّ، والمنكرُ: صحبةُ النَّفس.

المعروفُ: إيثار حقِّ الحقِّ، والمنكرُ: اختيارُ[١] حظِّ النَّفس.

المعروفُ: ما يُزْلِفُكَ إليه، والمنكرُ: ما يحجبُكَ عنه.

وشرطُ الآمر بالمعروف أن يكون متَّصفًا بالمعروف، وحقُّ النَّاهي عن المنكر أن يكون منصرفًا عن المنكر.

وقال في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا﴾: لو دخل الكافَّة[٢] تحتَ أمرنا وصلوا[٣] إلى حقيقة العزِّ في الدُّنيا والعُقبى، ولكن تركوا فترِكوا[٤].

* * *

(١١١) ـ ﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى ۖ وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى﴾: أي: لن يقدرَ اليهود أن يُلحقوا بكم ضررًا إلَّا أذًى باللِّسان مِن شتمٍ لكُم، وافتراءٍ[٥] على الله بقولهم ما لا يليق به، وهو كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ [الحجر: ٩٧]؛ أي: في الله ما هو منزَّهٌ عنه، بدليلِ أنَّه قال: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ [الحجر: ٩٧]؛ أي: فأنتَ فنزِّهْ ربَّكَ بالقول، ﴿وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ [الحجر: ٩٨] بالفعل، وقال تعالى: ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا﴾ [آل عمران: ١٨٦].

---

(١) في (ر): «إيثار».

(٢) في (ر) و(ف): «الكافر».

(٣) في (ف): «وصل».

(٤) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٢٦٩ ـ ٢٧٠).

(٥) في (ر) و(ف): «أو افتراء».

وقيل: الأذى: هو إسماعُهم المكروه في عيسى ومحمَّدٍ، والطَّعنُ في شرائعِهما.

ولَمَّا حثَّهم في الآية الأولى على القتال الذي هو حقيقةُ الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر، وعدَهم ما أَمِنوا به وقوع الضَّرر منهم في أنفسهم وأموالهم وأهليهم[١] وذراريهم، وأنهم إذا قاتلوهم انهزموا، وذلك:

قوله تعالى: ﴿وَإِن يُقَٰتِلُوكُمۡ يُوَلُّوكُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ﴾؛ أي: يوجِّهوا إليكم ظهورَهم ﴿ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾: في الدُّنيا عند الهزيمة، ولا في الآخرة عند العقوبة.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ﴾ حرفُ عطفٍ، وهو هاهنا[٢] لعطف الإخبارِ لا على وجه الجزاءِ، ولذلك ثبتَتِ النُّون في آخره ولم تسقط، ولم يُجزم على جزاء الشَّرط كقوله تعالى: ﴿يُوَلُّوكُمُ﴾؛ لأنَّ سببَ التَّوليةِ القتالُ، فجُعِلَ جزاءً للقتل، ومَنْعُ النَّصرِ للكفرِ لا للقتالِ، فلذلك لم يَلحقْ به في الجزاء.

وفي الآية أبلغُ بشارةٍ لهم بما يؤُول إليه حالهم وحالُ عدوِّهم.

وفيه دلالةُ صحَّة نبوَّة نبيِّنا محمَّدٍ عليه الصلاة والسلام؛ حيثُ أَخبرَ عمَّا لم يكن، فكان كما أَخبرَ، فما قاتلَهم إلَّا ظَفِر بأيسر مُؤْنةٍ، وهو ظاهرٌ في حديث فتح خيبر، وإجلاء بني النَّضير، وقتلِ بني قريظةَ وسَبْيِهم.

ثمَّ اليهود بعد ذلك اليوم[٣] مقهورون إلى اليوم في كلِّ البلاد، ولا يقوم[٤] لهم رايةٌ إلى يوم القيامة[٥].

---

(١) في (أ) وهامش (ف): «وأهاليهم».

(٢) في (ر) و(ف): «هاهنا لفظٌ».

(٣) «اليوم» ليس في (ف).

(٤) في (ر): «ولم تقم».

(٥) في (أ) وهامش (ف): «التناد».

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله في قوله تعالى: ﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى﴾: إنَّ الحقَّ لا يُسلِّطُ أعداءَه على أوليائِه إلَّا بمقدارِ ما يَصْدقُ إليه فرارُهم، فإذا حقَّ ذلك أكرمَ لديه قرارهم، وإن استطالوا على الأولياء بموجبات حسناتهم انعكس الحالُ بالصّغَرِ والهوان عليهم[1].

* * *

(١١٢) ـ ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ﴾: أي: أُلزموا الذُّلَّ، كالشَّيء يُضرَب على الشَّيء فيَلْصَق[2] به.

قوله تعالى: ﴿أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓاْ﴾: أي: في أيِّ مكانٍ وأيِّ زمانٍ وُجدوا في دار الإسلام.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾: أي: بعهدِ اللهِ[3]؛ لأنَّه يُتعلَّق به للسَّلامة كما يُتعلَّق بالحبل المفتول.

قوله تعالى: ﴿وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾: قال الضحَّاكُ: هو محمَّدٌ عليه السلام، كما في قوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ﴾ [النساء: ٥٤]، وكان وادَعَهم مدَّةً أنْ لا يقاتلهم[4].

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٢٧٠)، وفيه: (وإن استطالوا على الأولياء بموجب حسبانهم انعكس الحال عليهم بالصغار والهوان).

(٢) في (ف): «فيلزق».

(٣) لفظ الجلالة ليس في (أ).

(٤) ذكره الماتريدي في «تفسيره» (٢/ ٤٥٧) عن مقاتل. وروى الطبري في «تفسيره» (٥/ ٦٨٤) عن =

وقيل: ﴿ٱلنَّاسِ﴾: هم المؤمنون، والحبل: هو عقد الذِّمَّة منهم، وعهدُهم وعهدُ محمَّدٍ هو عهد اللهِ لأنَّه بأمرِه.

وقيل: المراد هو عهدهم[1]، وإضافتُه إلى الله تعالى أوَّلًا لتشريفهم، كما في قوله تعالى: ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ﴾ الآية [الأنفال: ٤١].

وقيل: حبلُ الله: هو عهد المسلمين، ﴿وَحَبۡلٖ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾: هو أمانُ قومٍ آخرين من الكفَّار يكونون فيهم، لأنه لا مملكة لليهود، فيكونون في بلاد المسلمين، أو في بلاد الكفَّار[2] من غيرهم، فلا يأمنون إلَّا بعهدٍ[3].

ثم قوله تعالى: ﴿إِلَّا﴾؛ قيل: هو استثناءٌ منقطعٌ، كما في قوله تعالى: ﴿لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوًا إِلَّا سَلَٰمٗا﴾ [مريم: ٦٢]؛ لأنَّ الذِّلَّة لازمةٌ لهم بكلِّ حالٍ، ومعناه: لكنْ يأمنون للحال بعقد الذِّمَّة.

وقيل: هو استثناءٌ متَّصلٌ، وهذا لأنَّ عزَّ المسلمين عزٌّ لهم بالذِّمَّة، وهذا لا يخرجهم من الذِّلَّة في أنفسهم.

قوله تعالى: ﴿وَبَآءُو بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ﴾: قيل: رجعوا، وقيل: احتمَلوا، وقيل: استَحقُّوا، وقد بيَّنا حقيقته في سورة البقرة.

قوله تعالى: ﴿وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَسۡكَنَةُ﴾؛ أي: الانقِماعُ، فهم مقموعون أبدًا.

وقيل: هي الفقر بسبي المسلمين ذراريَهم واستغنامِهم أموالَهم.

= الضحاك في قوله: ﴿إِلَّا بِحَبۡلٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبۡلٖ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ قال: بعهد من الله، وعهد من الناس.

(١) في (ر) و(ف): «عقدهم».

(٢) في (ف): «الكفر».

(٣) في (ر) و(ف): «بعهدهم».

وقيل: زيُّ الفقر مع الغنى[١]؛ عقوبةً لهم على قولهم: إن الله فقيرٌ ونحن أغنياء.

وقال الإمام أبو منصورٍ رحمه الله: جعلَ كلَّ حاجتهم إلى ما يفنى، ويَحتمِلُ خوفَ الفقر مع قيام اليسار[٢].

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾؛ أي: هذا الذُّلُّ والغضب والمسكنة لهم بكفرهم بأنبياء الله تعالى وكتبه.

قوله تعالى: ﴿وَيَقْتُلُونَ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾: زكريا ويحيى وغيرَهما، وهم مِن أسلاف هؤلاء، وهؤلاء يتولَّونهم فوُبِّخوا به.

وقيل: لأنَّهم قصدوا قتلَ محمَّدٍ، وهو كقصد قتل الكلِّ.

وقيل: قتلوا أتباع محمَّدٍ، فأضافه إليهم، كما في الخداع.

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾؛ أي: كان زوال إيمانهم بعصيانهم وعدوانهم، وقد شرحنا ذلك في سورة البقرة.

* * *

(١١٣) ـ ﴿لَيْسُوا سَوَاءً ۗ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً ۗ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ﴾؛ أي: أهل الكتاب[٣] ليسوا بمتساوين.

قوله تعالى: ﴿مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ﴾: قال الزَّجَّاجُ: أي: طائفةٌ ذوو طريقةٍ مستقيمةٍ، و(ذوو) مُضمَر، والأمَّةُ: الطَّريقةُ؛ قال النَّابغةُ:

---

(١) في (ف): «وقيل هي الفقر بعد الغنى».

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٢/ ٤٥٨).

(٣) «أي: أهل الكتاب» ليس في (ف).

حلفْــتُ يمينًــا غــيرَ ذي مـثـنــويَّةٍ وهَلْ يأثَمــنْ ذو أمَّــةٍ وهــو طائــعُ(١)

وقال المازنيُّ: وهذا غير صحيحٍ؛ لأنه عدولٌ عن الظَّاهر، وحكمٌ بالحذف من غير دلالةٍ.

وقـال الإمـام أبـو منصـورٍ رحمـه الله: ﴿أُمَّةٌ قَآيِمَةٌ﴾؛ أي: علـى حـدود الله، وفرائضـه، وطاعتـه، وكتابـه؛ لـم يحرِّفـوه.

وقيل: ﴿قَآيِمَةٌ﴾؛ أي: مهتديةٌ(٢).

وقال الحسنُ وابنُ جريجٍ: ﴿قَآيِمَةٌ﴾؛ أي: عادلةٌ.

وقال ابنُ عبَّاسٍ وقتادةُ والرَّبيعُ: أي: ثابتةٌ على الحق.

وقال السديُّ: أي: قائمةٌ بطاعة الله(٣).

وقيل: أي: مصلِّيةٌ باللَّيل، بدليلِ ما بعده، وهو قوله تعالى:

﴿يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾: أي: يقرؤون القرآن ﴿ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ﴾؛ أي: ساعاته(٤)، واحدها: إِنْيٌ، بتسكين النُّون وكسر الهمزة، كقولك: خِثْيٌ وأختاءٌ(٥)؛ قال الشَّاعر:

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٤٥٨). وانظر البيت في «ديوان النابغة الذبياني» (ص: ٧٧)، وصدره فيهما:

حلفــت فلــم أتــرك لنفســك ريبــة

وهو الصواب، أما الذي ذكره المصنف فهو للنابغة الذبياني أيضًا لكن في قصيدة أخرى، وعجزه:

ولا علــم إلا حســن ظــن بصاحــب

انظر: «ديوان النابغة» (ص: ١٤).

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٢/ ٤٦٠).

(٣) روى جميع هذه الأقوال الطبري في «تفسيره» (٥/ ٦٩٣ ـ ٦٩٤).

(٤) في (أ) و(ف): «ساعات الليل».

(٥) الخِثْيُ: روث البقر. انظر: «النهاية» (مادة: خثي).

فــي كلِّ إِنْــيٍ رعــاهُ القــوم يَنتعِــل[1]

وقيل: واحدُها: إِنًى، بكسر الهمزة وفتح النُّون والقصر، كقولك: مِعًى وأمعاء؛ قال تعالى: ﴿غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

وقيل: هو بفتح الهمزة كالقَرْء والأقراء، وقد أَنَى يَأْنِي؛ أي: حان قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ [الحديد: ١٦].

قولـه تعالـى: ﴿وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾؛ قيـل[2]: أي: يصلُّـون، والـواو للحـال؛ أي: يقـرؤون حالـة[3] الصَّلاة.

وقيل: أي: يتلون قيامًا ثم يخرُّون سجودًا.

وقيل: أي: يتلون خارج الصَّلاة، فإذا تلوا آية السُّجود[4] سجدوا.

---

(١) عجز بيت للمنتخل الهذلي يرثي أثيلة ابنه، كما في «ديوان الهذليين» (٢/ ٣٦)، و«الأزمنة» لقطرب (ص: ٥١)، و«الشعر والشعراء» لابن قتيبة (٢/ ٦٤٩)، و«تفسير الطبري» (٧/ ١٢٥)، و«المسائل البصريات» للفارسي (١/ ٤٧٢)، وعندهم جميعاً:

حلــوٌ ومــرٌّ كعَطــفِ القِــدْحِ مِرَّتــه   فــي كلِّ إِنْــيٍ قضــاه الليــلُ يَنتعِــلُ

قضاهُ: صنعهُ، والانتعال: ركوب الحِرار، انْتَعَلَ الرَّجُلُ: إذا رَكِبَ النِّعَالَ، وهي صِلابُ الأَرْضِ وحِرَارُها، والنعلُ: الحَرَّةُ، والحَرَّةُ: الحِجارةُ السودُ. انظر: «المسائل البصريات» (١/ ٤٧٢)، و«التكملة» للصغاني (٥/ ٥٣١). وقال الأستاذ محمود شاكر في تعليقه على الطبري: ويعني بقوله: حلو ومر؛ أنه سهل لمن لاينه، صعب على من خاشنه. وقوله: كعطف القدح، يريد: أنه يُطوى كما يطوى القدح ثم يعود إلى شدته واستقامته. والمِرَّة: القوة والشدة.

(٢) «قيل» ليس في (ف).

(٣) في (أ): «حال».

(٤) في (أ): «السجدة».

وقيل: السُّجود هو التَّذلُّل(١) لله والخشوع له بالصَّلاة وغيرها، وهما فعلان: تلاوةٌ وتخشُّعٌ.

***

(١١٤) - ﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾.

قوله تعالى: ﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾: هو بيان اعتقادهم وإقرارهم.

قوله تعالى: ﴿وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾: هو بيان جهادهم المشركين ومعاملتهم(٢) مع عصاة المسلمين حقًّا للهِ ربِّ العالمين.

قوله تعالى: ﴿وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾: هو(٣) بيان عملهم بما يقولون.

وقوله تعالى: ﴿وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾(٤): هو تسميةٌ لهم على استجماعهم خصالَ الدِّين، وقد شرحناه في سورة البقرة.

وحقيقة الصَّلاح هو(٥) انتفاءُ الفساد عنه بالكليَّة، وهو نهاية كمال الوصف بالمحاسن، وهو ممَّا مدحَ اللهُ جلَّ جلالُه به الأنبياء(٦)؛ قال تعالى: ﴿وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٦].

وقال الإمام أبو منصورٍ رحمه الله: وقيل: أي: هم مع الصَّالحين في الجنَّة.

---

(١) في (أ) وهامش (ف): «التواضع».

(٢) في (ف): «وتعاطيهم».

(٣) في (ف): «﴿وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ مسارعتهم».

(٤) في (ف): «والصالحين» بدل: «وقوله تعالى: ﴿وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾».

(٥) في (ف): «هي».

(٦) في (ف): «أنبياءه».

وقال: ومَن يعمل ذلك كلَّه فهو صالحٌ[١].

وانتظامُها بما قبلها: أنَّه قال: ﴿مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾، ثم ذكرهما فقال تعالى: ﴿لَيْسُوا۟ سَوَآءً﴾.

فإنْ قالوا: لِمَ ذكرَ أحدَ الفريقَيْن، ولم يذكرِ الفريقَ الآخرَ بعد ذِكْرِ نفي التَّسوية، وذاك لا يقوم بالواحد؟

قلنا: قال الفرَّاءُ: إنَّه حذَف أحدهما وهو مرادٌ، بدلالةِ ما تقدَّم عليه، وهو كقول أبي ذؤيب:

دعانـي[٢] إليهـا القلـبُ إنِّـي لأمرها   مطيـعٌ فمـا أدري أَرُشْـدٌ طِلابُهـا[٣]

يعني: أرشدٌ أم غيٌّ، فحذف هذا[٤].

فعلـى هـذا تقدير الآية: أمَّـةٌ قائمةٌ وأمَّةٌ غيـر قائمـةٍ، و﴿أُمَّةٌ﴾[٥] على هذا رفع بـ ﴿لَيْسُوا۟﴾، وإنَّمـا جُمِع مـع أنَّه متقـدِّمٌ، كما في قولـه: ﴿ثُمَّ عَمُوا۟ وَصَمُّوا۟ كَثِيرٌ مِّنْهُمْ﴾ [المائدة: ٧١]، وقولـه تعالـى: ﴿وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ [الأنبياء: ٣].

---

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٢/ ٤٦٠).

(٢) في (أ): «عصاني» وهو صحيح أيضاً، وانظر التعليق الآتي.

(٣) انظر: «ديوان الهذليين» (١/ ٧١)، و«عيار الشعر» لابن طباطبا (ص: ٩٨)، وفيهما: «لأمره» بدل «لأمرها»، وفي «معاني القرآن» للفراء:

عصيـت إليهـا القلـب إنـي لأمرهـا

وقد ذكر الأستاذ محمود شاكر في تعليقه على «تفسير الطبري» (١/ ٣٢٧) أن معنى البيت لا يستقيم على رواية: (عصيت)، بينما (دعاني) و(عصاني) روايتان صحيحتان.

(٤) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٢٣٠).

(٥) «وأمةٌ» ليس في (ف).

وقال الزَّجَّاج: تمام الكلام عند قوله: ﴿لَيْسُوا سَوَآءً﴾، ويرجع إلى المذكورِين قبله، ثم استأنف قوله: ﴿مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ﴾ وختم بهم(١).

وسببُ نزول هذه الآيةِ: ما قال ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما وقتادة وابن جريجٍ: لَمَّا أسلم عبد الله بن سلامٍ وأصحابه قال أحبار اليهود: ما آمن بمحمَّد إلَّا شرارنا(٢)، فنزلَتْ هذه الآية(٣).

وقال مقاتلٌ: إنَّ اليهود قالوا لعبد الله بن سلام وأصحابه: لقد خسرتُم حين استبدلتُم بدِينكم دِينًا غيره، ولقد عُهد إلينا أنْ لا ندينَ(٤) إلَّا بديننا(٥).

وقال ابن مسعودٍ رضي الله عنه: أخَّرَ النبيُّ ﷺ صلاةَ العشاء ليلةً، ثم خرجَ إلى المسجد بعد هُـوِيٍّ(٦) مِن اللَّيلِ فقال: «أَمَا إنَّه ليسَ مِنْ أهلِ هذه الأديان أحدٌ يذكرُ اللهَ غيرَكم»، فأنزل الله تعالى قولَه: ﴿لَيْسُوا سَوَآءً﴾ الآيات(٧).

فيحتمِل أنَّ أولئك كانوا نفرًا من مؤمني أهل الكتاب.

وقال عطاءٌ: ﴿أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ﴾ هم أربعون رجلًا من أهل نجرانَ من العرب، واثنان

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٤٥٨).

(٢) في (أ) و(ف): «أشرارنا».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٦٩١) وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٧٣٧)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٣٨٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) في (ف): «نؤمن».

(٥) انظر: «تفسير مقاتل» (١/ ٢٩٦)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣/ ١٣٠) عن ابن عباس رضي الله عنهما ومقاتل.

(٦) أي: ساعة. انظر: «القاموس» (مادة: هوي).

(٧) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣٧٦٠)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١١٠٠٧)، وابن حبان في «صحيحه» (١٥٣٠).

وثلاثون من الحبشة، وثمانيةٌ من الرُّوم؛ كانوا على دين عيسى وصدَّقوا بالنبيِّ ﷺ، وكان من الأنصار فيهم عِدَّةٌ قبل قدوم النبيِّ ﷺ، منهم أسعد بن زُرارة، والبراءُ بن مَعرور، ومحمد بن مسلمة[١] ومحمود بن سلمة[٢] وأبو قيس صِرْمةُ[٣] بن أنس، وكانوا موحِّدين مسلمين، يغتسلون من الجنابة، ويقومون بما عرفوا من شرائع[٤] الحنيفيَّة، حتى جاءهم النبيُّ ﷺ فصدَّقوه واتَّبعوه ونصروه[٥].

فوصفهم بقوله: ﴿يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾: بتوحيد الله، ﴿وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ﴾: الشركِ[٦] بالله، ﴿وَيُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾: في كلِّ ما لله رضًى فيه[٧]، من صلة الأرحام، وخلعِ الأنداد، ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

* * *

---

(١) في (أ) و(ف): «سلمة». ولعله محمد بن مسلمة بن سلمة بن خالد بن عدي الأوسيّ الأنصاريّ، أبو عبد الرحمن المدني، ولد قبل البعثة باثنتين وعشرين سنة في قول الواقديّ، وهو ممن سمي في الجاهلية محمداً. وروى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أحاديث. انظر: «الإصابة» (٦/ ٢٨).

(٢) «ومحمود بن سلمة»: من (ف). ولعله: محمود بن مسلمة بن سلمة الأنصاري أخو محمد المذكور آنفاً، قال ابن سعد: شهد محمود أحداً، والخندق، والحديبية، وخيبر، وقتل يومئذ شهيداً؛ دلى عليه مرحب رحى، فأصابت رأسه فهشمت البيضة رأسه. انظر: «الإصابة» (٦/ ٣٥).

(٣) في (أ): «وأبو قيس بن صرمة»، وقد اختلف في اسمه: قيس بن صرمة، وأبو قيس بن صرمة، وصرمة بن قيس، وصرمة بن مالك، وصرمة بن أنس، وقيس بن مالك أبو صرمة، وقيل غير ذلك. انظر: «الإصابة» (٣/ ٣٤١) و(٥/ ٣٦٣).

(٤) في (ف): «الشرائع».

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣/ ١٣٢)، والبغوي في «تفسيره» (٢/ ٩٣).

(٦) كلمة: «الشرك» ليست في (ر)، وكلمة: «المنكر» ليست في (أ).

(٧) «فيه» ليس في (أ) و(ف).

(١١٥) ـ ﴿وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ﴾[١]: قرأ حمزةُ والكسائيُّ وعاصمٌ في رواية حفصٍ بياء المغايبة؛ صرفًا للكلام[٢] إلى أهل الكتاب المذكورين قبله، وقرأ ابن كثيرٍ ونافع وعاصم في رواية أبي بكرٍ وابن عامر بالتَّاء[٣].

وأبو عمرو يجيز كليهما[٤].

وهو خلطٌ لهم بغيرهم من المكلَّفين وخطابٌ لهم، و﴿وَمَا﴾ كلمة شرطٍ، ومعناه: وكلُّ ما عملتم من خيرٍ هو[٥] عندَ الله مشكورٌ غيرُ مكفورٍ، فإنَّ الله تعالى شكورٌ.

وشكرُ اللهِ تعالى للعبد: إظهارُ فعلِه بالثَّناء عليه والثَّواب عليه، والكفرانُ: ستر الصَّنيع؛ قال الله تعالى: ﴿فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ﴾ [الأنبياء: ٩٤]، وقال تعالى: ﴿وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾ [محمد: ٣٥]، وقال تعالى: ﴿لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم﴾ [آل عمران: ١٩٥]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا﴾ [النساء: ٤٠].

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾: سمَّاهم متَّقين كما سمَّاهم صالحين،

---

(١) في (ر) و(ف): «وما تفعلوا من خير فلن تكفروه»، وهي قراءة سبعية كما سيأتي.

(٢) «للكلام» ليس في (ف).

(٣) انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ٢١٥)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٠).

(٤) انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ٢١٥)، و«جامع البيان» للداني (٢/ ٩٣ ـ ٩٤)، و«تفسير الثعلبي» (٣/ ١٣٢). قال مكي في «الكشف عن وجوه القراءات» (١/ ٣٥٤): (المشهور عن أبي عمرو التاء). قلت: ولم يذكر الداني في «التيسير» غيرها.

(٥) في (ف): «فهو».

وإنَّما خصَّهم بالذِّكْرِ[1] مع أنَّه عليمٌ بالكلِّ؛ لأنَّه ذكرَ جزاءَ المتَّقين.

قال الإمامُ القشيريُّ رحمه الله: ﴿لَيْسُواْ سَوَآءً﴾ متى[2] يستوي الضِّياء والظُّلمة، والوصال والفُرقة، والمعتكف على البساط والمنصرف عن الباب، والمتَّصف بالولاء والمنحرف عن الوفاء؟ هيهات لا يلتقيان، فكيف يستويان؟!

قوله تعالى: ﴿وما تفعلوا من خيرٍ فلن تكفروه﴾ [آل عمران: ١١٥]، لم يخبْ عن بابِه قاصدٌ، ولم يخسرْ تاجرٌ، ولم يستوحشْ معه صاحبٌ، ولم يذلَّ له طالبٌ[3].

***

(١١٦) ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۚ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [آل عمران: ١١٦]؛ أي: بمحمَّدٍ والقرآن، وهم اليهود الذين سبقَ ذكرُهم.

﴿لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾؛ أي: لن تمنع ولن تدفع عنهم أموالهم ولا أولادهم من عذاب الله شيئًا، وإنَّما ذكرَ الأموالَ والأولادَ لأنَّها عمدة الإنسان التي يدفع بها[4] عن نفسه، وقد أغنى عنه؛ أي: نَفعه.

قوله تعالى: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۚ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾: مرَّ تفسيره مرَّاتٍ.

***

(١) «بالذكر» ليس في (أ) و(ف).

(٢) تحرفت في (ر) و(ف) إلى: «حتى».

(٣) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٢٧١).

(٤) في (أ) و(ف): «التي بها يدفع الأشياء».

(١١٧) - ﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ﴾:

هاهنا مضمرٌ، وتقديره: مَثَلُ إبطالِ اللهِ نفعَ ما ينفقون؛ لأنَّه شبَّه بالرِّيح، أو المضمر في المشبَّه به، وتقديرُه: مَثَلُ ما ينفقون كمثلِ مُهلَكِ ريحٍ، لتستقيمَ المقابلة، ووجهُه ما مرَّ في قوله: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ﴾ [البقرة: ١٧١].

والكاف في ﴿كَمَثَلِ﴾ زائدة، كما في قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، وهي زائدةٌ[١] مؤكِّدةٌ.

والصِّرُّ: البردُ الشَّديدُ، في قول ابن عبَّاسٍ والحسن وقتادة والرَّبيع والسدي والضَّحَّاك وابن زيد[٢].

وقال الزَّجَّاجُ: هو صوت لهيب النَّار الَّتي في الرِّيح، من صرير الباب[٣].

ويجوز أن يكون صوتَ الرِّيح الباردة الشَّديدة.

وفي[٤] الحديث: نَهَى عمَّا قتله الصِّرُّ من الجراد[٥]؛ أي: البرد.

---

(١) في (ر) و(ف): «وهو زيادةٌ».

(٢) رواه عنهم - عدا الحسن - الطبري في «تفسيره» (٥/ ٧٠٥ - ٧٠٧).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٤٦١).

(٤) في (ر) و(ف): «ففي».

(٥) انظر: «معاني القرآن» للنحاس (١/ ٤٦٤). ولم أجده حديثا مسنداً عن النبي ﷺ، وإنما روي هذا عن عطاء، رواه الإمام أحمد في «العلل» (٢١٦٥) قال: حدثنا هشيم عن حجاج عن عطاء: أنه كَانَ يكره من الجَرَاد ما قتله الصرّ. قال أحمد: لم يسمعه هشيم من حجاج. وذكره أبو عبيد في «غريب الحديث» (٥/ ٥٢٤) عن عطاء أيضاً.

وقوله: ﴿فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ﴾ [الذاريات: ٢٩]؛ أي: في[١] صيحةٍ.

والصَّرصرُ: الرِّيحُ الشَّديدةُ البردِ أيضًا.

وقال مقاتلٌ: الآيةُ في إنفاق سفلةِ اليهودِ على رؤساء اليهود[٢]؛ يقول: ﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ لا للآخرة، وهي في تظاهُرهم على النبيِّ ﷺ، وكتابة الكتاب المحرَّف، واستمالة العوامِّ، في عدم النَّفع وعودِ الضَّرر عليهم عاجلًا وآجلًا كمثل ريحٍ فيها بردٌ شديدٌ.

﴿أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾: بمنع حقوق[٣] الله تعالى في مالهم.

﴿فَأَهْلَكَتْهُ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾: بالكفر والمعاصي ومنعِ حقوق[٤] الله تعالى، بيَّن أنَّ إهلاك[٥] الزَّرع عقوبةٌ على المنع وسوء الصُّنع.

وقيل: ظلموا أنفسهم بأنْ زرعوا في غير موضع الزَّرع أو في غير وقته؛ لأنَّ الظُّلم: وضعُ الشَّيء في غير موضعِه.

ووجهُ المثَل: أنَّ أهل الحرث عملوا وتعبوا وهلك حرثُهم وضاع سعيُهم فلم يحصلوا على شيءٍ[٦]، فكذا هؤلاء في إنفاقهم، لا نفع لهم، وليس لهم إلَّا التَّعبُ والخَيبة، ونظيره قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ﴾ الآية [النور: ٣٩].

---

(١) «في» ليس في (أ).

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (١/ ٢٩٦ـ٢٩٧)، و«تفسير الثعلبي» (٣/ ١٣٣)، و«البسيط» للواحدي (٥/ ٥٢٣).

(٣) في (أ): «حق».

(٤) في (أ): «حق».

(٥) في (أ): «هلاك».

(٦) في (أ): «ذلك».

وقال يَمانُ بن رِئابٍ[1]: الآية في نفقة أبي سفيان وأصحابه يوم بدرٍ، وكان يطعمُهم كلَّ يومٍ واحدٌ من رؤسائهم، وفيهم قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا﴾ الآية [الأنفال: ٣٦].

وقيل: نزلت في نفقة المنافقين مع المسلمين في حرب المشركين[2] مراءاةً للمؤمنين.

وقول مقاتل في النُّزول أوفقُ لِمَا قبله.

* * *

(١١٨) - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ﴾: البطانةُ: خاصَّة الرَّجل الذين يُظهر لهم ما في الباطن، ويكشفُ السرَّ لهم، وفلانٌ بطانةٌ لفلانٍ؛ أي: مداخلٌ له، تشبيهًا ببطانة الثَّوب الذي يلي بدن الإنسان في القرب.

قال ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: نهى اللهُ المؤمنين أن يتَّخذوا اليهود بطانةً من دون المؤمنين فيُفشون إليهم أسرارهم[3].

---

(١) في الأصول الثلاثة: «رباب»، والصواب: المثبت. وهو يمان بن رئاب الخراساني، كان نظارًا متكلمًا، ومن أئمة الخوارج، وأخوه علي بن رئاب من أئمة الروافض، وأخوه هارون بن رئاب من أئمة السنة، وكانوا متعادين. وله: «إثبات إمامة أبي بكر الصديق»، و«أحكام المؤمنين»، و«كتاب التوحيد». انظر: «الضعفاء» للدارقطني (٣/ ١٣٧)، و«تاريخ الإسلام» للذهبي (٣/ ٥٤٣)، و«هدية العارفين» للباباني (٢/ ٥٤٨)، و«الفهرست» لابن النديم (ص: ٢٢٧).

(٢) بعدها في (ف): «في».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٧٠٩).

قوله تعالى: ﴿لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾؛ أي: لا يقصِّرون، وقد أَلَوْتُ آلُو، وما أَلَوْتُ في الحاجة جهدًا، وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ﴾ [النور: ٢٢]؛ أي: لا يقصِّرْ.

والخَبالُ: الفسادُ، والخَبَلُ: الفساد[١] في العقل وهو الجنون، ورجل مخبَّلُ الرَّأي؛ أي: فاسد الرأي، والمختبِلُ كذلك.

و﴿خَبَالًا﴾ نصب على التَّفسير، أو بنزع الخافض[٢]، ومعناه: لا يقصِّرون في إفساد أموركم[٣]، ويُلقون إلى الكفار أسراركم.

وقيل: أي: يقصدون صرفكم عن دينِكم.

قوله تعالى: ﴿وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ﴾: (ما) مع الفعل مصدر، ومعناه: أحبُّوا وتمنَّوا عَنَتَكم؛ أي: إثمَكم على[٤] أن تشاركوهم في أشياءَ تَأْثَمون بها.

وقيل: أي: مشقَّتكم وشدَّتكم في الدِّين. وهو قول ابن جريجٍ[٥].

وقال السديُّ: أي: ضلالكم عن دينكم[٦].

قوله تعالى: ﴿قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾: أي: ظهرت العداوة على ألسنتهم؛ أي: بالتَّكذيب[٧] الظَّاهر والإيذاءِ لكم بالقول.

---

(١) «والخبل الفساد» ليس في (ف).

(٢) «أو بنزع الخافض»؛ أي: لا يألونكم في تخبيلكم، وقيل: انتصابه على أنه مصدر في موضع الحال، والتقدير: متَخبِّلين. انظر: «البحر المحيط» (٦/ ٩٩)، و«الدر المصون» (٣/ ٣٦٤).

(٣) في (أ): «في فساد أمركم».

(٤) «على» من (أ).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٧١١)، وابن المنذر في «تفسيره» (١/ ٣٤٦).

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٧١١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٧٤٣).

(٧) في (ر) و(ف): «التكذيب».

قوله تعالى: ﴿وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾: أي: ما تضمِر قلوبُهم مِن قتلِ رسول الله ﷺ ومِن الكفر بالله أعظمُ ممَّا أظهروه من التَّكذيب.

قوله تعالى: ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾: أي: أخبرناكم بالقرآن ما أرادوا وما أَخْفَوا.

وقال مقاتل: نزلت الآية في حقِّ المنافقين[1].

وقال ابن كيسان: معناه: لا تتَّخذوا المنافقين[2] أخلَّاء دون المؤمنين، وذلك أنَّ الرَّجل من المؤمنين كان يُوادُّ المنافقين على الدُّنيا، فنُهوا عن ذلك؛ لأنهم لا يَدَعونَ أن يُلبِّسوا عليهم ويصدُّوهم عن الدِّين.

ومعنى قوله تعالى: ﴿قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾ على هذا: أنَّه يجري في كلامهم ما يُستدلُّ به على ذلك، وكذا في وجوههم؛ قال تعالى: ﴿فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ [محمد: ٣٠]، وهو في آياتٍ: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ﴾ [التوبة: ٥٨]، ﴿لَا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ﴾ [المنافقون: ٧]، ﴿وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ﴾ [التوبة: ٦١]، ﴿إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾ [الأحزاب: ١٣]، ﴿أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ﴾ [البقرة: ١٣] ونظائرِها.

قوله تعالى: ﴿وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ هذا[3] ظاهرٌ.

وقوله: ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ﴾؛ أي: العلامات المميِّزة بين الأولياء والأعداء ﴿إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾؛ لأنَّ العاقلَ لا يركنُ إلى مَن يريدُ به السُّوء، ولا يثقُ إلَّا بمَن يعلم أنَّه يريد به[4] الخير.

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٧٤٤).

(٢) في (أ): «الكافرين».

(٣) «هذا»: من (أ).

(٤) في (أ): «له».

وقيل: أي: إن كنتم تعقلون الفصلَ[١] بين العدوِّ والوليِّ.

وقيل: أي: إن كنتم تعقلون أنَّ النَّفع في ذلك لكم.

قالَ الإمامُ أبو منصورٍ رحمه الله: يحتمِل: إن كنتم تعقلون الآيات، ويحتمِل: إن كنتم[٢] تنتفعون بعقولكم؛ لأنَّه عزَّ وجلَّ ذكر في غير آيةٍ من القرآن أنَّهم لا يعقلون، وقد كانت لهم عقولٌ، لكن لم ينتفعوا[٣] بها، فنفاه عنهم رأسًا[٤].

* * *

(١١٩) ـ ﴿هَٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾.

قوله تعالى: ﴿هَٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ﴾: ﴿ها﴾ تنبيهٌ، و﴿أَنتُمْ﴾ للخطاب، و﴿أُوْلَآءِ﴾ بمعنى: يا هؤلاء. وقيل: بمعنى الذين، و﴿تُحِبُّونَهُمْ﴾ صلةٌ لـ(الذين).

وقيل: ﴿أَنتُمْ﴾ ابتداءٌ، و﴿أُوْلَآءِ﴾ بمعنى هؤلاء خبر له، و﴿تُحِبُّونَهُمْ﴾ في موضع الحال، ومحلُّ إعرابه النَّصب.

قوله تعالى: ﴿تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ﴾: أي[٥]: يا معشر المؤمنين تحبُّون اليهود بسبب القرابة والرَّضاعة، وهم الذين[٦] لا يحبُّونكم لأجل الدِّين.

---

(١) في (أ): «الفضل».

(٢) في (أ) و(ر): «إن كنتم تعقلون أي».

(٣) في (ف): «لكن لا ينتفعون».

(٤) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٢/ ٤٦٤).

(٥) «أي»: من (أ).

(٦) «الذين» ليس في (أ).

وقيل: أي: تعاملونهم في أمور دنياكم معاملة المحبِّ، فتخالطونهم وتفشون إليهم أسراركم، وهم لا يفعلون ذلك[١]، بل يُخفون أحوالهم عليكم.

وقيل: أي: تَبَرُّونهم وتحبُّون معاشرتهم، وهم لا يفعلون كذلك.

وقيل: أي: تَدْعونهم إلى الإيمان الذي به السَّعادة، وهو فعل المحبِّ، وهم يدعونكم إلى الضَّلال وسوء الفعال، وهو عمل العدوِّ.

قوله تعالى: ﴿وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ﴾: أي: بالكتب كلِّها: التَّوراةِ والإنجيلِ والزَّبور والفرقان[٢] وغير ذلك.

واكتفى باسم الواحد لوجهين:

أحدهما: أنَّه جنسٌ؛ فيصلح للكلِّ، كما يقال: كَثُرَ الدِّرهم في أيدي الناس.

والثَّاني: أنَّه مصدرٌ.

وهاهنا مضمرٌ؛ أي: وهم لا يؤمنون بكتابكم، لكنْ حُذف لدلالة الكلام عليه؛ لأنَّه[٣] قال تعالى في الأوَّل: ﴿تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ﴾، فدلَّ ذلك أن الثاني[٤] مثله، وهذا اختصارٌ[٥] كما في قوله تعالى: ﴿لَيْسُوا۟ سَوَآءً﴾ الآية [آل عمران: ١١٣]، وقوله تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ﴾ الآية [الزمر: ٩].

وقيل: معناه: بالقرآن كلِّه؛ أي: بجميع ما فيه.

---

(١) في (أ): «كذلك».

(٢) في (أ): «والقرآن».

(٣) في (أ): «فإنه».

(٤) في (ر) و(ف): «أن ذلك».

(٥) في (أ): «الاختصار».

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا﴾: فإنَّهم كانوا يقولون: نحن نؤمن بالله وكتبه ورسله، ويُلبِّسون ذلك، وكانوا يقولون: نحن على ذلك، لكنْ محمَّدٌ ليس بنبيٍّ، وما يتلو ليس بكتابٍ منزَلٍ.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَلَوۡاْ عَضُّواْ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَنَامِلَ مِنَ ٱلۡغَيۡظِ﴾: أي: إذا صاروا إلى أهل دينهم عَضُّوا أناملَهم ـ أي: رؤوسَ أصابعهم، جمع أَنمَلة بفتح الميم هو الصَّحيح في اللغة ـ غيظًا مِن اجتماع كلمتِكم وائتلافكم على دينكم، كما يفعله المتناهي في غيظه ـ وهو الغضبُ الكامن[1] في القلب ـ العاجز عن إنفاذه.

وقال الكلبيُّ والضحَّاكُ ومقاتلٌ: الآية في المنافقين[2]، ومعناه: أنتم تظهرون لهم المحبَّة اعتمادًا منكم على ظواهرهم من إظهارهم الإيمان، وهم لا يحبُّونكم في الباطن، وتؤمنون[3] بالكتاب كلِّه وتأخذون بكلِّ ما في القرآن ولا تنافقون ولا تضمرون خلاف ما تظهرون، وهم يخالفون ذلك، ﴿وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ عَضُّواْ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَنَامِلَ مِنَ ٱلۡغَيۡظِ﴾، وهو كما مرَّ في سورة البقرة.

قوله تعالى: ﴿قُلۡ مُوتُواْ بِغَيۡظِكُمۡ﴾: هذا توبيخٌ، يُقال ذلك لمن لا فرَجَ له يُرجى، ومعناه: أنَّ الموت دون ما يرجون.

وقيل: أي: دُوموا على هذا إلى أن تموتوا.

وقيل: أي: أماتكم الله بغيظكم، لفظُ أمرٍ بمعنى الدعاء.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾؛ أي: بعداوة الصُّدور.

---

(١) في (أ): «الكائن».

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٧٤٤ـ ٧٤٥) عن مقاتل والحسن.

(٣) في (ف): «ولو أنهم يؤمنون».

وقيل: أي: بضمائرها، وهو كقولك: ذو مالٍ، وذات مالٍ، بمعنى: الصَّاحب والصَّاحبة، فهو نعتٌ لمؤنَّثةٍ[١] تصحب الصُّدور، فلذلك حُملَتْ على العداوة ونحوِها، وهو وعيد؛ أي: يَعلمُ فيُجازِي.

* * *

(١٢٠) - ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾.

قوله تعالى: ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ﴾: أي: إن تصبكم، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ [ق: ٣٨]، وقولهِ تعالى: ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ﴾ [الحجر: ٤٨].

﴿حَسَنَةٌ﴾: أي: نعمةٌ وأُلفةٌ وغَلَبةٌ وغنيمةٌ وخصبٌ، ونحوُ ذلك من[٢] حالةٍ مستحسنةٍ.

﴿تَسُؤْهُمْ﴾: أي: تحزنهم؛ يُقال: ساءه يَسوؤه؛ أي: أحزنه، وسرَّه يسرُّه خلافُ ذلك، فأما قولُهم: أساء إليه يسيء، فهو خلافُ الإحسان إليه.

قوله تعالى: ﴿وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ﴾: أي: حالةٌ سيِّئةٌ: محنةٌ، أو فُرقةٌ، أو غلبةُ عدوٍّ[٣] وهزيمةٌ، أو جُدوبةٌ.

﴿يَفْرَحُواْ بِهَا﴾: أي: يُسرُّوا بها، وهي[٤] في صفة المنافقين على قول مَن حمل الآيتَيْن قبْلها عليهم، وفي اليهود على قولِ مَن جعلها فيهم، وهي صفة الكلِّ لعداوة الكلِّ، وما[٥] ينبغي أن يُتَّخذ العدوُّ بطانةً.

---

(١) في (ر) و(ف): «مؤنثة».

(٢) في (أ): «ومن».

(٣) في (ر) و(ف): «عدو».

(٤) في (أ): «وهو».

(٥) في (ف): «ولا».

وقال الكلبيُّ: ﴿حَسَنَةٌ﴾؛ أي: ظفرٌ وغنيمةٌ كما في يوم بدرٍ، و﴿سَيِّئَةٌ﴾؛ أي: قتلٌ وهزيمةٌ كما في يوم أحد(١).

قوله تعالى: ﴿وَإِن تَصْبِرُواْ﴾؛ أي: على ما أمرتم ﴿وَتَتَّقُواْ﴾؛ أي: عمَّا نهيتم.

وقيل: أي: وإن تصبروا على أذاهم، وتتَّقوا موالاتهم.

قوله تعالى: ﴿لَا يَضُرُّكُمْ﴾: قرأ ابن كثيرٍ ونافع وأبو عمرو بكسر الضَّاد وسكون الرَّاء، من ضارَ يَضِير، وجزمُه لأنَّه جوابُ الشَّرط.

وقرأ الباقون بضم الضَّاد والرَّاء وتشديدها(٢)، من ضرَّ يَضُرُّ، وهو في موضع الجزم، وحرِّك لاجتماع الساكنين، وضُمَّ إتباعًا لِمَا قبله.

وقرأ عاصمٌ في روايةٍ بفتح الرَّاء(٣)؛ لأنها حركةٌ ضروريَّةٌ، فجُعلَتْ بالفتحة الَّتي هي(٤) أخفُّ الحركات.

قوله تعالى: ﴿كَيْدُهُمْ﴾: هو الاحتيالُ للإيقاع في الهلاك.

يقولُ: إنْ صبرتم على الطَّاعة(٥) واتَّقيتم المعصية، لم يَنَلْكم ما يريدون بكم من الهلاك.

قوله تعالى: ﴿شَيْئًا﴾؛ أي: شيئًا من الضرر، نصبٌ على المصدر(٦)، وقيل: أي: بشيءٍ، نصبٌ بنزع الخافض.

---

(١) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (١/ ٢٦٧)، والماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ٣٧٠).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢١٥)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٠).

(٣) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» لابن خالويه (ص: ٢٧)، و«إعراب القرآن» للنحاس (١/ ١٧٨).

(٤) في (ف): «بالفتح الذي هو» بدل: «بالفتحة التي هي».

(٥) في (ر) و(ف): «الطاعات».

(٦) «نصبٌ على المصدر» ليس في (ف).

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ﴾؛ أي: عالمٌ بكلِّية ما يعملونه، قادرٌ على جزائهم به[١]، وهو أبلغ وعيدٍ.

***

(١٢١) ـ ﴿وَإِذۡ غَدَوۡتَ مِنۡ أَهۡلِكَ تُبَوِّئُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلۡقِتَالِۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ غَدَوۡتَ مِنۡ أَهۡلِكَ﴾؛ أي: واذكر يا محمَّدُ إذ خرجت غدوةً من وطنك منزلِ عائشة إلى أُحدٍ. وهو قول ابن عبَّاسٍ وقتادة ومحمَّد بن إسحاقٍ والرَّبيع والسُّدي وعامَّة المفسِّرين[٢].

وقال الحسنُ ومجاهدٌ ومقاتلٌ: يوم الأحزاب[٣].

قوله تعالى: ﴿تُبَوِّئُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾؛ أي: تهيِّئ لهم، والـمَباءة: الـمَراح، وقد باء؛ أي: رجع، وتبوَّأ: اتَّخذ مسكنًا لنفسِه، وبوَّأه؛ أي: هيَّأه لغيره، ويُعدَّى باللَّام وغير اللَّام، قال تعالى: ﴿وَإِذۡ بَوَّأۡنَا لِإِبۡرَٰهِيمَ﴾ [الحج: ٢٦]، وقال هاهنا: ﴿تُبَوِّئُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾، وهو كقوله[٤]: رَدِفه ورَدِف له، وشكَره وشكر له، ونصحه ونصح له.

وقيل: ترك اللَّام لتقدير: تُرتب المؤمنين، وتُقعد المؤمنين[٥]، وتُنزل، ولو أُريد[٦] اتِّخاذ المكان لهم لكان باللَّام.

---

(١) «به»: من (أ).

(٢) رواه عنهم الطبري في «تفسيره» (٦/ ٦ ـ ٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٧٤٨).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٧٤٨) عن الحسن. وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣/ ١٧٣)، والبغوي في «تفسيره» (٢/ ٩٦) عن مقاتل.

(٤) في (أ): «كقولك».

(٥) «ويقعد المؤمنين» ليس في (أ).

(٦) في (ف): «أراد».

قوله تعالى: ﴿مَقَٰعِدَ﴾: جمع مقعدٍ، وهو موضع القعود، وجاء في التَّفسير: أمكنةُ القتال، ومصافُّ القتال، وكان ينزل[١] كلَّ طائفةٍ موضعًا مخصوصًا.

وسمِّيَتْ مقاعد لأنهم يتمكَّنون فيها[٢] قاعدين إلى أن يقعَ القتال.

وقيل: هي الأماكن، وهي تكون للقيام والقعود جميعًا، ويُسمَّى بأحدهما، ويُدَلُّ على الآخر، وهو كقوله تعالى: ﴿قَبۡلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ﴾ [النمل: ٣٩]، سمَّاه مقامًا ـ وهو للقعود والقيام جميعًا ـ لهذا.

وقال الإمام أبو منصورٍ رحمه الله: وفي الآية: أنَّ الأئمَّة هم الَّذين يتولَّون أمور العساكر، ويختارون لهم المقاعد، وعليهم تعاهُد أحوالهم، ودفعُ الخلل والضياع عنهم ما احتمل وسعُهم، وعليهم طاعة الأئمَّة، وقَبول الإشارة[٣] من الإمام؛ قال الله تعالى: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ﴾ [النساء: ٥٩][٤].

قوله تعالى: ﴿لِلۡقِتَالِ﴾: أي: لأجل مقاتلة الكفار.

﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾: قيل: ﴿سَمِيعٌ﴾ لِمَا يقول المنافقون يومئذٍ، ﴿عَلِيمٌ﴾ بما يُضمرون[٥]، وهو وعيدٌ لهم.

وقيل: ﴿سَمِيعٌ﴾ لِمَا يقول محمَّدٌ للمؤمنين، ﴿عَلِيمٌ﴾ بما يضمرُه، وهو تزكيةٌ للنَّبيِّ ﷺ.

---

(١) في (ر): «وكان يقعد».

(٢) في (ر): «منها».

(٣) في (ر): «الإمارة».

(٤) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٢/ ٤٦٦).

(٥) في (ر): «يضمرونه».

وقيل: ﴿سَمِيعٌ﴾ لمقالة المشيرين عليك[١]، ﴿عَلِيمٌ﴾ بما يضمرون؛ لأنهم اختلفوا، فمنهم مَن أشار بالخروج، ومنهم مَن أشار بالمقام في المدينة، وهو تزكيةٌ للزَّاكي، ووعيدٌ لغير الزَّاكي[٢].

وقال الإمامُ أبو منصورٍ رحمه الله: ﴿سَمِيعٌ﴾ لمقالتكم، ﴿عَلِيمٌ﴾ بسرائركم.

قال: ويحتمل ﴿سَمِيعٌ﴾ بذكركم الله؛ فقد قال: ﴿إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأنفال: ٤٥]، ﴿عَلِيمٌ﴾ بثوابكم.

قال: ويحتمل أنَّه بشارةٌ كما قال تعالى لموسى: ﴿لَا تَخَافَآ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦].

قال: ويحتمل ﴿سَمِيعٌ﴾ مجيبٌ لدعواتكم، ﴿عَلِيمٌ﴾ بما به نصرُكم[٣].

ثم انتظام هذه الآية بما قبلها: أنَّه قال: ﴿وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا﴾، وقال في هذه القصة أيضًا: ﴿بَلَىٰٓ إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ﴾.

***

(١٢٢) ـ ﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾.

قولُه تعالى: ﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا﴾: أي: واذكر[٤] إذ همَّتْ، أو هو ظرفٌ لقوله تعالى: ﴿تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ﴾ ﴿إِذْ هَمَّت﴾؛ أي: قصدت، وهو للخَطْرة هاهنا، لا للعزمة[٥]؛ فإنه قال بعده: ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾.

---

(١) في (ر) و(ف): «عليكم».

(٢) في (ف): «لغير الولي».

(٣) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٢/ ٤٦٧).

(٤) في (ر): «واذكروا».

(٥) في (أ) و(ف): «للعزمة».

و﴿طَّآئِفَتَانِ﴾؛ أي: جماعتان، وهما هنا بنو سَلِمةَ بن جُشَمَ، وهم من الخزرج، وبنو حارثة بن النَّبِيت، وهم من الأوس، وهما جميعًا من الأنصار.

قوله تعالى: ﴿أَن تَفۡشَلَا﴾؛ أي: تجْبُنا من حدِّ عَلِمَ. والفشلُ يقعُ من غير فعلِه فلا يُلام عليه، لكن معناه: أن تفعلا فعلَ مَن يَفشل[1]، وهو الانصراف وتركُ القتال.

وذلك أن عبد الله بن أُبيٍّ ابنَ سلولَ انصرف عن النبيِّ ﷺ في ثلاث مئة نفرٍ من قومه، وبقي رسول الله ﷺ في[2] سبعِ مئة نفرٍ، والمشركون في ثلاثة آلاف رجلٍ، وكان انصرافه لنفاقه، وقيل: لغضبه؛ لأنه كان أشار على النبيِّ ﷺ بالثُّبوت في المدينة والتَّحصُّن بها، وكان أكثرُ المؤمنين يحبُّون الخروجَ، فكره النبيُّ ﷺ خلافَهم والأخذَ بقول ابن أُبيٍّ، فغضب لذلك، وقال: أطاع الولدان وعصاني.

وهمَّتْ هاتان الطَّائفتان بالانصراف كما انصرف ابنُ أُبيٍّ، لا لغشٍّ أو نفاقٍ، بل خوفًا من كثرة المشركين، فتولَّاهم اللهُ بعصمته حتى لم يَفعلا[3]، وحقَّق إيمانهما بقوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾.

وقال الواقديُّ: همَّتْ هاتان الطَّائفتان ألَّا يخرجوا مع النبيِّ ﷺ خوفًا، ثم وفَّقهم الله تعالى فخرجوا[4].

قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾: أي: محبُّهما وناصرهما ومتولِّيهما، والواو للحال، ومعناه: ما كان ينبغي لهما أن يفشلا والله يتولَّى نصرَهما ومعونتَهما.

---

(١) في (أ) و(ف): «فشل».

(٢) في (ر): «ومعه».

(٣) في (ف): «يغفلا».

(٤) انظر: «المغازي» للواقدي (١/ ٣١٩).

وقال قتادة: لَمَّا نزلت الآيةُ قال الحيَّان: والله ما يَسرُّنا أنَّا لم نهمَّ بالَّذي همَمْنا به وقد أخبرنا الله تعالى بأنَّه وليُّنا[١].

ورُوي أنَّه لَمَّا انصرفَ عبدُ الله بن أُبيٍّ بثُلث الجيش قال: يا قوم، علامَ نقتلُ أنفسنا وأولادنا، فتبعهم [عبد الله بن] عمرو بن حرام[٢] فقال: أتترك النبيَّ عليه السلام والصحابة؟ فقال: لو نعلم قتالًا لاتبعناكم، ولو أطَعْتنا لرجعْتَ معنا. وهمَّتْ بنو سلمة وبنو حارثة[٣] بالانصراف، فوفَّقهم اللهُ للسَّداد فلم يرجعوا[٤].

وفي الإخبار عن هذا الهمِّ وهو غيبٌ دلالةُ صدقِ النبيِّ ﷺ؛ فإنَّه أخبر بإخبار الله تعالى وإطْلاعه إيَّاه عليه.

قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾: قال الإمام أبو منصورٍ رحمه الله: أي: فليَعتمِد على ما وعد، وليجتهد في الوفاء بما عهد، وليفوِّض كلَّ أمره إلى الله إذ علم أنَّه بكلِّيته لله، وإليه مرجعه، وبهذه الجملة وعدَ أن ينصر دينَه.

قال: وليس في القرآن تعيين الطَّائفتين، ولا ينبغي أنْ يُذكرَ إلَّا بإقرارٍ منهما، وقد روي أنهما أقرَّتا بذلك لِمَا سمعتا من قوله: ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾[٥].

وقال سهل بن عبد الله التُّسْتَريُّ: جملةُ العلوم أدنى بابٍ من التَّعبُّد، وجملةُ

---

(١) رواه البخاري (٤٠٥١)، ومسلم (٢٥٠٥)، من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

(٢) في النسخ: «حزام»، والمثبت من المصادر وستأتي.

(٣) في (أ): «حارث».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٢٢٢)، وابن المنذر في «تفسيره» (١١٦٦) من طريق ابن إسحاق عن جمع من أشياخه، وهو في «السيرة النبوية» لابن إسحاق (٢/ ٦٤). وما بين معكوفتين من هذه المصادر.

(٥) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٢/ ٤٦٨).

التَّعبُّد أدنى بابٍ من الورع، وجملةُ الورع أدنى بابٍ من الزُّهد، وجملةُ الزُّهد أدنى بابٍ من التَّوكُّل(١).

* * *

(١٢٣) ـ ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ﴾: وانتظامُها بالأولى أنَّه قال: توكَّلوا واذكروا نصري إيَّاكم يوم بدرٍ مع قلَّة عَددكم وعُددكم.

وبدرٌ: بئرٌ بين مكَّة والمدينة، وحافرُها كان رجلًا اسمه بدر، فسُمِّيت به، وسميت تلك النَّاحية به أيضًا. قاله الشَّعبيُّ(٢).

وقال الواقديُّ عن شيوخه: هو اسمٌ لذلك المكان وُضع، لا لهذا(٣).

قوله تعالى: ﴿وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ﴾: جمع ذليلٍ؛ أي: في قلَّةِ عَددٍ وعُددٍ؛ لأنهم كانوا يومئذٍ ثلاثَ مئةٍ وثلاثةَ عشر رجلًا؛ ستَّةً وسبعين من المهاجرين، وبقيَّتُهم من الأنصار، والمشركون ألف رجلٍ، وكان صاحبَ راية رسول الله ﷺ عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه، وصاحبَ راية الأنصار سعد بن عبادة رضي الله عنه.

وقيل: وأنتم أذلةٌ عند أنفسكم؛ لقلَّة العدد والسلاح.

وقيل: عند المشركين، وهو كقوله: ﴿لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ﴾ [المنافقون: ٨]، فأرادوا(٤) بالعزِّ الكثرةَ، وبالذُّلِّ القلَّةَ.

---

(١) انظر: «قوت القلوب» لأبي طالب المكي (٢/ ٤).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ١٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٧٥٠).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ١٧).

(٤) في (أ): «وأرادوا». وفي (ف): «فأراد».

قوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾: أي: اعملوا بطاعته، واجتنبوا[١] معصيته؛ لتقوموا بشكر نعمته.

* * *

(١٢٤) ـ ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُنزَلِينَ﴾.

قوله تعالى: ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ﴾: أي: واذكر يا محمَّدُ ﴿إِذْ تَقُولُ﴾ لأصحابك يومَ أُحُد ـ وعاد إلى قصة أُحُد عند أكثر أهل التَّفسير ـ: ﴿أَلَن يَكْفِيَكُمْ﴾، الكفاية: البلوغ إلى قَدْر الحاجة، والغنى: الزِّيادة على قدر الحاجة.

قوله تعالى: ﴿أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَاثَةِ آلَافٍ﴾: الإمدادُ: إعطاءُ المدد، وهو الزِّيادة على عددهم تقويةً لهم.

قوله تعالى: ﴿مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُنزَلِينَ﴾: أي: من السَّماء، وقرأ ابن عامر بالتَّشديد[٢]، وهو للترادُف على التَّوالي، وقرأ أبو حَيْوَةَ بكسر الزَّاي[٣]؛ أي: آتين بالنَّصر.

قال لهم النبيُّ ﷺ قبلَ لقاء العدو، ووعدهم الإمداد بثلاثة آلاف ملكٍ، فركَنوا إليه، فوعدهم إنِ اتَّقوا وصبروا[٤] الزِّيادة على ذلك، وهو خمسة آلافٍ؛ يعني: زيادة ألفين على ثلاثة آلاف، ولو اتَّقوا وصبروا لأُمدُّوا، لكنْ لم يفعلوا فحُرموا

---

(١) في (ر): «واجتنبوا عن».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢١٥)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٠).

(٣) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» لابن خالويه (ص: ٢٨).

(٤) في (ر) و(ف): «واصبروا».

أصلًا. وإلى هذا القول ذهب الكلبيُّ والواقديُّ ومحمَّدُ بن إسحاق والضَّحاك وعبد الرَّحمن بن زيد بن[١] أسلم[٢].

وقالوا: كان العدوُّ يوم أحدٍ ثلاثة آلافٍ والمسلمون بعد رجوع المنافقين سبعَ مئةٍ، فسألوا رسولَ الله ﷺ: هل يمدُّنا الله عزَّ وجلَّ في هذه الغزوة بالملائكة كما أمدَّنا الله يوم بدرٍ إذ كانوا ثلاثةَ أمثالنا؟ فقال لهم النبيُّ ﷺ: «ألن يكفيَكم أن يمدَّكم ربُّكم بثلاثة آلاف ملَكٍ على عدد الأعداء، وأنتم زيادةٌ على ذلك».

وقالوا: كان هذا بوعد الله له به[٣] بالشَّرط الذي تقدَّم، ووعدهم أيضًا الزِّيادة عليه بالوعد أيضًا.

وقيل: لم يكن بالوعد، لكن لَمَّا سألوه عن ذلك قال لهم: «هل يكفيكم ثلاثة آلافٍ لأسأل الله تعالى ذلك لكم؟» فقالوا: نعم. فسألَ اللهَ عزَّ وجلَّ، فأجابَ ووعدهم بعد ذلك بخمسة آلافٍ إن اتَّقوا وصبروا، والشَّرط[٤] في الوعدَيْن جميعًا.

وعن الحسن: إنَّ الوعدَ بثلاثة آلافٍ من الله تعالى مطلقٌ، والزِّيادةَ إلى خمسة آلافٍ بالشَّرط.

وعلى قوله: جملتُهما[٥] ثمانية آلافٍ[٦].

---

(١) «زيد بن»: من (أ) و(ف).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٢٧) عن عكرمة والضحاك وابن زيد، ورواه ابن المنذر في «تفسيره» (٨٨٣) عن الضحاك، وانظر: «المغازي» للواقدي (١/ ٣١٩).

(٣) «به» ليس في (ف).

(٤) في (ر): «والشرطين»، وفي (ف): «فالشرط».

(٥) في (أ): «جملتها».

(٦) ذكر الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٢٣) عن الحسن قال: كانوا ثمانية آلاف من الملائكة.

وعلى قول غيره معناه: زيادة ألفين على ثلاثة آلافٍ حتى تصير خمسة آلافٍ مع تلك الثَّلاثة الآلاف، وهو[١] كقوله تعالى: ﴿فِيٓ أَرۡبَعَةِ أَيَّامٖ﴾ [فصلت: ١٠]؛ أي: مع اليومَيْن الأوَّلَيْن.

وقال جماعةٌ من المفسرين: هذا الوعد كان في يوم بدرٍ، وهو متَّصلٌ بالأوَّل؛ أي: نصركم يوم بدرٍ، والنبيُّ ﷺ وعدهم ذلك، وحُقِّقَ ذلك، فأُنْزِلَ خمسةُ آلاف ملَكٍ.

وعلى هذا معنى قوله: ﴿بَلَىٰٓۚ إِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأۡتُوكُم مِّن فَوۡرِهِمۡ﴾؛ أي: من وجههم هذا الَّذي قصدوكم منه؛ لأنهم لَمَّا[٢] سمعوا باعتراض المسلمين لعِيرهم[٣] فاروا ـ أي: جاشوا ـ كفوَران القِدْر، وهو غليانها، وقد فارت العين؛ أي: جاش ماؤها، وفورة الغضب هيجانُه، وفورُ الأمر حدَّتُه[٤] وحدوثه.

فلمَّا سمعوا ذلك فاروا وتكثَّروا[٥]، وركبوا كلَّ صعبٍ وذَلولٍ، وخرجوا أقوياء عند أنفسهم، قد أحمتهم جاهليَّتهم، وحرَّكتهم حميَّتهم لأموالهم، فأخبرهم الله تعالى أنهم أَتَوْكم على هذه الحالة فلا تهابوهم؛ فإنَّ الله تعالى يكفيكم شرَّهم، ووعدهم إحدى الطَّائفتين: إمَّا العِير، وإمَّا النَّفير.

وقال هؤلاء: دليل ذلك أنَّه لم ينزل يوم أحدٍ الملائكة.

قال عبيد بن عمير: لَمَّا رجعَتْ قريشٌ من أُحدٍ جعلوا يتحدَّثون في أنديتهم بما

---

(١) في (ف): «وهي» بدل: «مع تلك الثلاثة الآلاف وهو».

(٢) «لما»: من (أ).

(٣) في النسخ: «لغيرهم»، والصواب المثبت.

(٤) في (ر): «حدثه»، وفي (ف): «جدته».

(٥) في (ف): «وتكبروا».

ظفروا، ويقولون: لم نَرَ الخيل البُلْقَ[١]، ولا الرِّجال البيض الَّذين كانوا ببدرٍ[٢].

وما رُوي عن سعد بن أبي وقَّاص أنَّه قال: رأيْتُ يومَ أحدٍ عن يمين النبي ﷺ وعن يساره رجلَيْن عليهما ثيابٌ بيضٌ يقاتلان عنه كأشدِّ القتال، ما رأيتهما قبلُ ولا بعدُ[٣] = فذاك ـ على قول هؤلاء ـ كان للنبيِّ ﷺ على الخصوص؛ لأنَّه صبرَ واتَّقى، ولم يكن للصَّحابة مدد ملَك.

وكذا ما رُوي أنَّ النبيَّ ﷺ [٤] أعطى مصعب بن عمير اللِّواء، فقُتل مصعبٌ، فأخذه ملَكٌ في صورة مصعب، فقال له النبيُّ ﷺ[٥]: «تقدَّم يا مصعب»، فقال: لستُ بمصعب. فعرف أنه ملَكٌ[٦]. فهذا له على الخصوص أيضًا.

وقال بعضُ مَن قال بالقول الأوَّل: لا يستقيم حمل هذه الآية على أهل بدرٍ؛ فإنَّ المذكور في حقِّهم في (سورة الأنفال): ﴿فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ [الأنفال: ٩]، وهذا العددُ غيرُ ذلك.

وقال الفريق الثَّاني: وعدهم بألفٍ[٧]، ثم بزيادة ألفين، فصاروا ثلاثة آلافٍ، ثم بزيادة ألفين آخرين، فصاروا خمسة آلافٍ، وهو كما رُوي أنَّ النبيَّ ﷺ قال

---

(١) بلق: جمع أبلق، وهو ما فيه بياض وسواد من الخيل. انظر: «الصحاح» للجوهري (مادة: بلق).

(٢) رواه الواقدي في «المغازي» (١/ ٢٣٥).

(٣) رواه البخاري (٤٠٥٤)، ومسلم (٢٣٠٦).

(٤) «أن النبي ﷺ» ليس في (أ).

(٥) في (أ): «فقال عليه السلام له»، وفي (ف): «فقال عليه الصلاة والسلام».

(٦) رواه الواقدي في «المغازي» (١/ ٢٣٤)، وابن سعد في «الطبقات» (٣/ ١٢١) عن عبد الله بن الفضل بن العباس.

(٧) بعدها في (ر): «من الملائكة».

لأصحابه: «أيسرُّكم أن تكونوا ربع أهل الجنة؟»، قالوا: نعم. قال: «أيسرُّكم أن تكونوا ثُلُثَ أهل الجنَّةِ؟»، قالوا: نعم. قال: «أيسرُّكم[١] أن تكونوا نصف أهل[٢] الجنَّة؟»، قالوا: نعم. قال: «فإنِّي أرجو أن تكونوا ثُلُثي أهل الجنَّة»[٣].

وروي هذا التَّأويل عن قتادة والرَّبيع قالا: أُمِدُّوا بألف[٤]، ثم صاروا ثلاثة آلافٍ، ثم صاروا خمسة آلاف[٥].

وله وجهٌ آخر حكي عن الشَّعبيِّ قال: حُدِّث المسلمون يوم بدرٍ أنَّ كرزَ بن جابر المحاربيَّ يمدُّ المشركين، فشَقَّ ذلك على المسلمين، فقيل لهم: ألن يكفيكم أن يمدَّكم ربكم بثلاثة آلافٍ، ثم بخمسة آلافٍ؛ أي: إن أتوا، فلما بلغ خبر هزيمة الكفَّار إلى كرزٍ رجع هو[٦]، فلم يُمَدوا بثلاثة آلافٍ ولا بخمسة آلافٍ[٧].

* * *

(١٢٥) - ﴿بَلَىٰٓۚ إِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأۡتُوكُم مِّن فَوۡرِهِمۡ هَٰذَا يُمۡدِدۡكُمۡ رَبُّكُم بِخَمۡسَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾.

---

(١) في (ف): «أبشركم» في المواضع الثلاث.

(٢) كلمة: «أهل» سقطت من (ف) في المواضع الثلاث.

(٣) روى نحوه البخاري (٦٦٤٢)، ومسلم (٢٢١)، من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه. وليس فيه ذكر الثلثين.

(٤) في (ر): «بالألف».

(٥) رواه عنهما الطبري في «تفسيره» (٦/ ٢٥).

(٦) «هو»: من (أ) و(ف).

(٧) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٢٠)، وابن المنذر في «تفسيره» (٨٨٦) و (٨٩٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٧٥٢).

قوله تعالى: ﴿بَلَىٰٓۚ إِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ﴾: أي: تصبروا على القتال وتتقوا الفِرار.

وقيل: ﴿إِن تَصۡبِرُواْ﴾؛ أي: تثبتوا، و﴿وَتَتَّقُواْ﴾ مخالفةَ النبيِّ ﷺ وعصيانَه.

قوله تعالى: ﴿وَيَأۡتُوكُم مِّن فَوۡرِهِمۡ هَٰذَا﴾: قال ابن عباسٍ رضي الله عنهما: من وَجْههم هذا[1]؛ أي: من طريق مكَّة،، ولم يرجعوا وتمُّوا على قصدهم.

وقال مجاهد والضَّحَّاك: أي: من غضبهم[2].

قولُه تعالى: ﴿يُمۡدِدۡكُمۡ رَبُّكُم﴾: جزم بالشَّرط والجزاء.

قوله تعالى: ﴿بِخَمۡسَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾: قرأ ابن كثيرٍ وعاصم وأبو عمرو بكسر الواو، والباقون بفتحها[3].

والتَّسويمُ: الإعلام، والسُّومةُ: العلامةُ الَّتي يعلِّم بها الفارس نفسَه.

ومعنى قراءة الكسر: أنَّهم أعلموا خيلهم في أذنابها ونواصيها وأنفسَهم بنوع لباسٍ.

ومعنى قراءة الفتح: أنَّهم[4] فُعل بهم ذلك؛ وله وجهان: أعلموا أنفسهم بذلك، فهم مفعولون بفعل أنفسهم، أو الله تعالى فعل بهم ذلك.

---

(١) رواه بهذا اللفظ الطبري في «تفسيره» (٦/ ٢٩ ـ ٣١) عن عكرمة وقتادة والحسن والربيع والسدي وابن زيد، وعن ابن عباس بلفظ: من سفرهم هذا. وكذا رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٧٥٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) رواه عنهما الطبري في «تفسيره» (٦/ ٣١) عن مجاهد والضحاك، إلا أن الضحاك قال: (من وجههم وغضبهم). وكذا رواه ابن المنذر في «تفسيره» (٨٨٨) عن الضحاك.

(٣) انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ٢١٦)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٠).

(٤) في (أ) و(ف): «أنه».

وقيل في قراءة الكسر: إنه بمعنى: المتسوِّمين، وقد سوَّم وتَسوَّم، كما يقال: قدَّم وتقدَّم، وحوَّل وتحوَّل.

وفي الخبر: أنَّهم كانوا أعلموا خيولَهم بالصُّوف في النَّواصي والأذناب، وأنفسَهم بالعمائم الصُّفر، وقيل: البيض، قال عروة بالأوَّل[1].

وقال ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: كان سِيما الملائكة يوم بدرٍ عمائمَ بيضٍ قد أرسلوها بين أكتافهم، ويومَ حنين عمائمَ حمرٍ، وفي سائر الغزوات شهدوا ولم يقاتلوا[2].

وقال الإمام أبو منصورٍ رحمه الله: إنما أُعلموا ليَعلمَ المؤمنون أنهم يحتاجون إلى العلامة، قال عليه السلام: «تسوَّموا فإن الملائكة قد تسوَّمَتْ»[3].

وقال الأخفش: ﴿مُسَوِّمِينَ﴾ بالكسر؛ أي: مرسِلين خيلَهم في الغارة، مِن السَّائمة، والتَّسويم كالإسامة، كالتَّقويم في معنى الإقامة.

وقيل: مرسِلين أذناب عمائمهم، وكانوا فعلوا ذلك[4] وهم على خيلٍ بُلْقٍ.

* * *

(١٢٦) ـ ﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾.

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٤٥١) عن عروة، ورواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٣٦) عن عروة عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنه.

(٢) رواه البيهقي في «دلائل النبوة» (٣/ ٥٧).

(٣) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٢/ ٤٧١). والحديث رواه ابن أبن أبي شيبة في «المصنف» (٣٦٦٦٨)، والطبري في «التفسير» (٦/ ٣٤)، عن عمير بن إسحاق مرسلاً. وانظر: «تخريج أحاديث الكشاف» للزيلعي (١/ ٢٢٠).

(٤) في (أ): «كذلك».

قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ﴾: الهاء في: ﴿جَعَلَهُ﴾ يجوز أن تكون كنايةً عن القول الَّذي دلَّ عليه قوله تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ﴾، ويجوز أن تكون كنايةً عن العدد، أو عن الإمداد، أو عن الوعد، أو عن النَّصر، أو عن إنزال الملائكة، يقول: ما فعل ذلك إلَّا ليبشركم[1] بالنَّصر.

قوله: ﴿وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ﴾: أي: ولتسكن قلوبُكم به، وهو عطفٌ على الأوَّل معنًى؛ لأنَّ قوله: ﴿إِلَّا بُشْرَىٰ﴾؛ أي: ليبشركم، أو أضمر فيه فعلًا قبلَه أو بعدَه، وتقديرُه: ولتطمئن قلوبُكم به فعلَ ذلك، أو فعل ذلك لتطئمنَّ[2].

قوله تعالى: ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾: أي: ليس ذلك من الملائكة، بل من الله ﴿ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾؛ أي: العزيز في ملكه، الحكيم في حكمه.

وقيل: ﴿ٱلْعَزِيزِ﴾: المنيع الَّذي لا يلحقه عجزٌ، فلا يُتوقَّع النَّصرُ إلَّا مِن عنده، ﴿ٱلْحَكِيمِ﴾: الفاعل ما توجبُه الحكمةُ، فلا ينصرُ إلَّا أهله.

وقيل: ﴿ٱلْعَزِيزِ﴾: المنيع، فلا يُرام، وليس ما نال[3] أعداؤه من أوليائه لعجزه، ﴿ٱلْحَكِيمِ﴾: يضع الأمور مواضعها تصرُّفًا في ملكِه، فلا اعتراض عليه إنْ نصرَ أو خذلَ.

* * *

(١٢٧) ـ ﴿لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُوا۟ خَآئِبِينَ﴾.

قوله تعالى: ﴿لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾: واتِّصالها بقوله: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ﴾ ﴿لِيَقْطَعَ طَرَفًا﴾.

---

(١) في (ف): «ليسركم».

(٢) «أو فعل ذلك لتطئمن» ليس في (ف).

(٣) في (ف): «فعل».

وقيل: بقوله: ﴿وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ﴾ ﴿لِيَقۡطَعَ﴾.

وقيل: ﴿يُمۡدِدۡكُمۡ رَبُّكُم﴾ بكذا[1] ﴿لِيَقۡطَعَ﴾.

وقيل: هو عطفٌ على قوله تعالى: ﴿وَلِتَطۡمَئِنَّ﴾ حذف حرف العطف، كما يقال: فلان برَّني أكرمني أحسن إليَّ.

وقيل: هو متَّصلٌ بقوله: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ ﴿لِيَقۡطَعَ طَرَفًا﴾ وهو وعدٌ بالشَّرط.

وقوله تعالى: ﴿طَرَفًا﴾؛ أي: قطعةً، وإنما قال: ﴿طَرَفًا﴾ ولم يقل: وسطًا، وإن كان ذلك قطعةً أيضًا؛ لأن القطع بأيدي المسلمين، وإنما يقطعون الَّذين يلونهم من الكفَّار، وهم طرفٌ لا وسطٌ.

وقيل: هذا في أهل بدرٍ، وهو كقوله تعالى: ﴿وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقۡطَعَ دَابِرَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [الأنفال: ٧]، وهو طرفٌ منهم، قاله الحسنُ وقتادةُ والرَّبيعُ[2].

وقيل: صناديدهم وأشرافهم.

وقال السُّديُّ: هو يوم أُحُدٍ، قُتل منهم ثمانية عشر، وقُتل صاحبُ لوائِهم[3].

قوله تعالى: ﴿أَوۡ يَكۡبِتَهُمۡ﴾: قال الخليلُ: الكَبْتُ[4]: هو صرع الشَّيء على وجهِه[5].

---

(١) في (أ): «كذا»، وفي (ر): «كذلك».

(٢) رواه عنهم الطبري في «تفسيره» (٦/ ٤٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٧٥٥_٧٥٦)، ورواه ابن المنذر في «تفسيره» (٩٠٠) عن قتادة.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٤١).

(٤) «الكبت» من (ف).

(٥) انظر: «العين» (٥/ ٢٤٢) (مادة: كبت).

وقيل: الكَبْتُ: وهنٌ يقع في القلبِ، فيَصرع في الوجه لأجله.

وقيل: أي: يذلَّهم.

وقيل: أي: يغيظهم.

وقيل: أي: يهزمهم.

وقيل: أي: يخزيهم.

ويقال: كَبَتَهُ في معنى: كَبَدَهُ؛ أي: ضربَ كبدَه، والدَّال والتَّاء يتعاقبان، يقال: سبَّتَ رأسهَ وسَبَّده؛ أي: حلقَه.

وقيل: معناه: أو[1] يلعنَهم.

والأشبه: يغيظهم، كما قال تعالى: ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُواْ خَيْرًا﴾ [الأحزاب: ٢٥].

قوله تعالى: ﴿فَيَنقَلِبُواْ خَآئِبِينَ﴾: أي: فيرجعوا آيسين، وبينهما فرقٌ؛ فإنَّ الخيبة هي انقطاع الأمل، ولا يكون إلَّا بعد ما أَمَّلَ، واليأس يكون قبلَه وبعدَه.

وقال يمانُ بن رِئابٍ[2]: ﴿لِيَقْطَعَ طَرَفًا﴾؛ أي: ليَهدم[3] ركنًا من أركان الشِّرك، ويُهلك طائفةً منهم، أو يهزمهم فيصرعهم لوجوههم، فيرجعوا بلا ظفرٍ ولا نُجحٍ.

* * *

(١٢٨) - ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾.

---

(١) في (ف): «أي».

(٢) في الأصول الثلاثة: «رباب»، والصواب المثبت، وقد تقدم التنبيه عليه قريبا.

(٣) في (ر) و(ف): «ليهزم».

قوله تعالى: ﴿لَيۡسَ لَكَ مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٌ﴾ الآية[١]: اختلف في نزولها[٢]؛ قال أنس رضي الله عنه: إنَّ النَّبيَّ ﷺ كُسرَتْ رباعيَتُه يومَ أُحُدٍ، وشُجَّ في جبينِه حتَّى سالَ الدَّمُ على وجهِه، فقال: «كيف يفلح قومٌ فعلوا هذا بنبيِّهم وهو يدعوهم إلى ربِّهم»، فنزلَتْ هذه الآيةُ[٣].

وعن ابن عمرَ رضي الله عنهما قال: قال النَّبيُّ ﷺ: «اللَّهمَّ العَنْ أبا سفيانَ، اللَّهم العَن الحارث ابن هشام، اللَّهم العَنْ صفوانَ بن أميَّة، فنزلَتْ: ﴿لَيۡسَ لَكَ مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٌ﴾، فأسلموا وحسنَ إسلامهم[٤].

وقال قتادة: شَجَّ عتبةُ بن أبي وقَّاص رسولَ الله ﷺ وكسرَ رَباعيَته، فقال: «اللَّهمَّ لا تُحِلْ عليه [الحولَ] حتى يموت [كافرا]»، فنزلت الآية، وماتَ دونَ الحول كافرًا[٥].

وقال عكرمة: إنَّ الَّذي دمَّى[٦] وجهَ رسول الله ﷺ يوم أُحُدٍ رجلٌ من هذيل يُقال له: عبد الله بن قَمِئة، فسلَّط الله عليه تيسًا، فنطحَه حتَّى قتلَه[٧].

---

(١) «الآية» من (أ).

(٢) في (ر): «في سبب نزولها»، وفي (ف): «في نزوله».

(٣) رواه مسلم (١٧٩١).

(٤) رواه الترمذي (٣٠٠٤)، وقال: حسن غريب. وأخرجه البخاري (٤٠٧٠) عن سالم بن عبد الله مرسلاً، وأخرجه موصولاً (٤٠٦٩) لكن دون ذكر الأسماء.

(٥) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٤٥٥)، وفي «المصنف» (٩٦٤٩)، والطبري في «تفسيره» (٦/ ٤٦)، والبيهقي في «الدلائل» (٣/ ٢٦٥)، وابن بشكوال في «غوامض الأسماء المبهة» (٢/ ٦٣٧)، جميعهم عن مقسم، وهو مرسل، وليس فيه التصريح بنزول الآية. وما بين معكوفتين من المصادر.

(٦) تحرفت في (ر) إلى: «رمى».

(٧) رواه عن عكرمة سنيد كما في «العجاب في بيان الأسباب» (٢/ ٧٤٩). ورواه عبد الرزاق في =

وقيل: لَمَّا مثَّلوا بحمزةَ ـ كما رُوي ـ قال النَّبيُّ ﷺ: «كيف يفلح قومٌ فعلوا هذا بعمِّ رسول الله»، فنزلت الآية(١).

ومعناه: ليس لك يا محمَّد في إهلاك هؤلاء أو إبقائهم أمرٌ ولا حكمٌ، إنَّما الأمر في ذلك لله يتوب عليهم أو يعذِّبهم، فلا تَدْعُ عليهم، فإنَّهم بين رجلَيْن: مَن سيؤمِنُ بك فيصيرُ كأصحابك، ومَن يموت على كفره فيصير إلى النَّار، ولَعذابُ الآخرة أشدُّ وأبقى.

وقولٌ آخر: إنَّه في قَتَلِةِ أهل بئر معونةٍ.

قال الكلبيُّ ومقاتل: إنَّ جماعةً مِن أهل الصُّفَّة خرجوا لقتال عصيَّة وذكوان، فقُتلوا جميعًا عند بئر معونة، فدعا عليهم النبيُّ ﷺ في الفجر أربعين يومًا، فنزلت الآيةُ، ونُهي عن الدُّعاء عليهم(٢).

= «تفسيره» (٤٥٦) عن يعقوب بن عاصم، وكلاهما مرسل. ورواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٧٥٩٦) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦/ ١١٧): فيه حفص بن عمر العدني وهو ضعيف.

(١) لم أجده.

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣/ ١٤٧) عن مقاتل، وفيه: أنهم كانوا من القرّاء من أصحاب رسول الله ﷺ، وأنهم خرجوا ليعلّموا الناس القرآن والعلم، لا للقتال كما ذكر المؤلف. وعند مسلم (٦٧٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه إشارة لهذا السبب من بعض الرواة، فقد جاء فيه أن النبي ﷺ كان يقول في قنوته: «اللهم العن لحيان ورعلا وذكوان وعصية عصت الله ورسوله» ثم بلغنا أنه ترك ذلك لما نزل الله عليه: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ الآية، لكن قال الحافظ في «العجاب في بيان الأسباب» (٢/ ٧٥٠): وفي هذا نظر؛ لأن ظاهر الآثار الماضية أن الآية نزلت أيام أحد، وقصة بئر معونة متراخية عن ذلك بمدة، لكن يمكن الجمع بأن نزولها تأخر حتى وقعت بئر معونة فكان يجمع =

وقولٌ آخر: أنَّه في المنهزمين يوم أُحدٍ من المسلمين، وهو عن ابن مسعودٍ والكلبي والواقدي: أنَّ النبيَّ ﷺ أراد أن يلعنَهم فنزلَت الآية[١].

وقيل: أراد أن يستغفرَ لهم، فنُهي عن ذلك ـ أيضًا ـ حتى تظهرَ توبتُهم أو يجريَ بنوعٍ خاصٍّ عقوبتُهم كما عُرف في الذين تخلَّفوا عن تبوك.

وقيل: لَمَّا شجَّ يومئذٍ وأُدمي سأل الصَّحابةُ رسولَ الله ﷺ أن يلعنَهم ويدعو بهلاكهم، فقال: «ما بعثني الله لعَّانًا ولا طعَّانًا، ولكن بعثني داعيًا ورحمةً، اللَّهم اهدِ قومي فإنَّهم لا يعلمون»، فنزلَتِ الآيةُ، ونُهي عن سؤال الهداية لهم[٢].

وقيل: نزلت في شأن أبي طالب.

ويجوز أن يكون في الكلِّ.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: ويجوز أن يكون ابتداءَ خطابٍ من الله تعالى من غير أن سبق منه ما يُعاتَب عليه أو يُمنع عنه؛ ليكون أبدًا مقبِلًا نحو الإذن له في كلِّ شيءٍ[٣].

= في الدعاء بين من شج وجهه بأحد ومن قتل أصحاب بئر معونة، فنزلت الآية في الفريقين جميعاً فترك الدعاء على الجميع. وانظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٧٤٢).

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣/ ١٤٧) عن ابن مسعود رضي الله عنه بلفظ: (أن يدعو على المنهزمين) بدل: «أن يلعنهم».

(٢) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (١٣٧٥) مرسلاً. وليس فيه أنه سبب نزول الآية، ولا النهي عن سؤال الهداية لهم. وروى مسلم (٢٥٩٩/ ٨٧) عن أبي هريرة قال: قيل: يا رسول الله، ادع على المشركين. قال: «إني لم أُبعث لعَّاناً، وإنما بُعثت رحمةً».

(٣) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٢/ ٤٧٥).

قوله تعالى: ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾: قيل: هو عطفٌ على قوله تعالى: ﴿لِيَقْطَعَ طَرَفًا﴾ فاعترض[١] بينهما كلامٌ تامٌّ.

وقيل: هو بمعنى: إلَّا أن[٢]، كأنَّه قال: ليس لكَ من الأمر شيءٌ إلَّا أن يعطيَهم اللهُ تعالى التَّوبةَ.

وقيل: إلَّا أن يتوبوا فيَقبلَ[٣] توبتهم أو يعذِّبهم فإنهم ظالمون مستحقُّون للتَّعذيب، فيكون أمرك تابعًا لأمر الله[٤] برضاك بتدبيره.

* * *

(١٢٩) - ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾: أي: الأمر له لا لك؛ لأنَّ ما في السماوات وما في الأرض له لا لك.

قوله تعالى: ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾: هو الذي يهدي مَن يشاء فيوفِّقُه[٥] فيغفر له، ويخذل من يشاء فيعذِّبه على كفره ومعاصيه.

قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: فيغفر[٦] لمن تاب، ويرحم جميعَ خلقه، ومن رحمته جعل للكفَّار عن الكفر بالإيمان مخرجًا ومتابًا.

---

(١) في (أ) و(ف): «واعترض».

(٢) في (ر): (الإذن»، وفي (أ): «إلا»، دون: «أن».

(٣) في (ف): «فيتقبل».

(٤) في (ر) و(ف): «تابعا لله».

(٥) في (أ): «ويوفق»، وفي (ف): «على وفق».

(٦) في (ف): «يغفر».

(١٣٠) - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا﴾: اتِّصالُها بما قبلَها: أنَّ آكل الرِّبا محارِبٌ لله تعالى ولرسوله، فأُلحق بأهل الحرب من الكفَّار في الذِّكر.

وقوله تعالى: ﴿لَا تَأْكُلُوا﴾؛ أي: لا تأخذوا؛ لأنه يُقصد بالأخذ: الأكلُ غالبًا.

نزلت في الأنصار، فكان الرَّجل منهم إذا حلَّ مالُه طلبَه مِن صاحبه، فيقول المطلوب: أخِّرْ عنِّي وأزيدك على مالك، فيفعلون ذلك، فوعظهم الله بقوله: ﴿لعلكم تفلحون﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَضْعَافًا﴾: جمع ضعفٍ، وهو المثل إلى ما زاد، على ما مر في آية تضعيف[1] الصدقات.

﴿مُضَاعَفَةً﴾ نعتٌ للأضعاف، وعن عطاء ومجاهد: أنَّه الزِّيادة في المال للزِّيادة في الأجل عند محلِّه وهو لا يجد ما يقضيه[2].

وقيل: معناه: أي: تضاعِفون به أموالكم.

وفي الآية نهيٌ عن أكل الرِّبا[3] أضعافًا مضاعفةً، فكان تحريمًا لذلك، وثبت تحريم القليل بقوله تعالى: ﴿وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ [البقرة: ٢٧٥]، وقد شرحناه في آخر سورة البقرة مع بيان سبب النُّزول.

---

(١) في (ر) و(ف): «في أنه يضعف».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٥٠)، وابن المنذر في «تفسيره» (٩١٣)، عن عطاء، ورواه عن مجاهد ابن المنذر في «تفسيره» (٩١٢).

(٣) في (ف): «الأكل بالربا».

قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾: أي: اتَّقوا الله في الرِّبا لتفوزوا وتنجُوا من[1] عذاب آكل الرِّبا.

***

(١٣١) ـ ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ﴾: مرَّ تفسيره في أوائل[2] سورة البقرة.

وتحذير المؤمنين عن النَّار الَّتي أُعدَّت للكافرين ردٌّ على المرجئة في قولهم: إن المؤمن لا يُعذَّب بالنَّار[3] أصلًا، ولا يَضرُّ مع الإيمان ذنبٌ.

والآية ردٌّ على المعتزلة أيضًا في أنَّ المؤمن الَّذي هو صاحب كبيرةٍ يخلد في النَّار، والله تعالى أخبر عنها[4] أنها أعدت للكافرين، فلا يكون الخلود فيها للمؤمنين.

وقيل: معنى الآية هاهنا: واتَّقوا استحلالَ الرِّبا، فتكفروا، فتُعذَّبوا بالنَّار[5] الَّتي أُعدَّت للكافرين.

وقيل: يُعذَّب آكل الرِّبا بالنَّار الَّتي يُعذَّب بها الكفار[6] ـ بظاهر هذه الآية ـ مُدَّةً ثم يخرج.

وقال بعضُ أهل المعرفة: نهى الله تعالى الخلقَ عن الإقراض بشرط الأضعاف المضاعفة، واستقرض من عباده على الأضعاف المضاعفة؛ إظهارًا لكرمِه، وأنَّه لا

---

(١) في (أ): «عن».

(٢) في (ف): «أول».

(٣) «بالنار» من (أ) و(ف).

(٤) «عنها» ليس في (أ).

(٥) في (أ): «في النار».

(٦) في (ر): «الكافر».

يَنقص شيءٌ من خزائنه، ورحمةً[١] على خلقه، وصيانةً للعبد عن إلحاق الضَّرر به.

* * *

(١٣٢) ـ ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ﴾: أي: في تحريم الرِّبا ﴿وَٱلرَّسُولَ﴾؛ أي: فيما بيَّن مِن وجوهه ﴿لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾؛ أي: لِتُرحَموا.

* * *

(١٣٣) ـ ﴿۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾: اتِّصالها بما قبلها: أنَّه يقول: وبادروا إلى سببِ مغفرةٍ من ربِّكم، وهو التَّوبة إن أخذتم الرِّبا، واستوجبتُم به النَّار، فتوبوا وسارعوا إلى نيل المغفرة بها.

وقال عطاءٌ: لا تصرُّوا على الذُّنوب، وأسرعوا إلى التَّوبة.

وقيل: هو المبادرة إليها قبل أن تموت، قال عليه السلام: «اغتنم خمسًا قبل خمسٍ... » الحديث[٢].

وقال محمد بن إسحاقٍ: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾ هذا في حربِ أحدٍ؛ أَمرَ النبيُّ

---

(١) في (ر) و(ف): «ورحمته».

(٢) رواه ابن المبارك في «الزهد» (٢)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١١٨٣٢)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٧٢٩)، من حديث عمرو بن ميمون مرسلًا. وصحح إسناده ابن حجر في «فتح الباري» (١١/ ٢٣٥).

ورواه الحاكم في «المستدرك» (٧٨٤٦) وصححه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

ﷺ أصحابَه أن يحفظوا مراكزهم كيلا يدخل الكمين عليهم، فترك الرُّماة المركز[١]، فدخلوا عليهم منه، فعاتبَهم الله تعالى بهذا[٢].

قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾، قال [الضحاك]: هو الجهاد في دينِه.

وقال عثمان بن عفانٍ رضي الله عنه: هو الإخلاص في العمل.

وقال عليٌّ بن أبي طالبٍ رضي الله عنه: هو أداء الفرائض.

وقال يمانٌ: هو الصَّلوات الخمس.

وقال أنس بن مالكٍ رضي الله عنه: هو التَّكبيرة الأولى.

وقال أبو رَوقٍ: وسارعوا إلى الهجرة.

وقال أبو بكرٍ الورَّاق: إلى الطَّاعة.

وقيل: إلى الجمعات[٣] والجماعات[٤].

وقال الإمام القشيري رحمه الله: النَّاس في المسارعة على أقسامٍ: فالعابدون يسارعون بأقدامهم في الطَّاعات، والعارفون يسارعون بهممهم[٥] في القُربات، والتَّائبون يسارعون بندمهم بتجرُّع الحسرات، فمَن سارع بقدمه

---

(١) في (ف): «فنزل الرماة عن المراكز».

(٢) روى نحوه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٥٢)، وابن المنذر في «تفسيره» (١/ ٣٩٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٧٦١). وانظر: «السيرة النبوية» لابن هشام (٢/ ١٠٩).

(٣) في (ف): «الجمعة».

(٤) انظر هذه الأقوال في «تفسير الثعلبي» (٣/ ١٤٨)، وما تقدم بين معكوفتين منه. وقول أنس رواه ابن المنذر في «تفسيره» (٩٢١).

(٥) في (أ) و(ف): «بهمهم»، والمثبت موافق لما في «اللطائف».

وجدَ مثوبته، ومَن سارع بهممه وجد قربته، ومن سارع بندمه وجد رحمته(١).

قوله تعالى: ﴿وَجَنَّةٍ﴾: عطفٌ على ﴿مَغْفِرَةٍ﴾؛ لأن الأولى لإزالة العقاب، والثانية لإنالة الثواب، فتغايرتا فصحَّ العطف.

قوله تعالى: ﴿عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾: أي: وسارعوا(٢) إلى جنَّةٍ ـ أي: إلى عملٍ يوصلكم إلى جنةٍ ـ عرضُها كعرض السَّماوات والأرض، كما قالَ في آيةٍ أخرى: ﴿عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الحديد: ٢١]، وهذا مضمرٌ فيه، كما قال: ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ [لقمان: ٢٨]؛ أي: كخَلْقِ نفسٍ واحدةٍ وبعثِها، وجازَ ذلك لدلالةِ الكلام عليه.

قال ابن عبَّاسٍ والحسنُ: إنَّ السَّماوات والأرض إذا ضُمَّ بعضُها إلى بعضٍ، فعرضُ الجنَّة مثلُها، وأمَّا الطُّول فأكبر من ذلك؛ لأنَّ طول كلِّ شيءٍ يزيد على عرضِه(٣).

وهو كقوله تعالى: ﴿بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾ [الرحمن: ٥٤]؛ يدلُّ على أنَّ ظهائرَها أنفسُ وأرفعُ وأحسنُ منها.

وقيل: أراد بالعرض: المعارَضةَ والمقابَلة؛ أي: لو قُوبلَت الجنَّةُ بالسَّماوات والأرض كانت كذلك.

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٢٧٧).

(٢) في (ف): «سارعوا».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٥٣) من طريق السدي عن ابن عباس، ورواه بسياق آخر ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٧٦١) من طريق عمَّارٍ الدُّهْنيِّ، عن حُمَيدٍ، عن كُرَيبٍ قال: أَرسلني ابنُ عباسٍ إلى رجلٍ من أهل الكتاب أسألُه عن هذه الآية: ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ قال: فأَخرجَ أسفارَ موسى فجَعَل يَنظرُ، قال: تُلْفَقُ كما يُلْفَقُ الثوبُ، وأمَّا طولُها فلا يَقدِرُ قَدْرَه إلا الله.

وما رُوي أنَّ الجنة في السَّماء، أو في السَّماء الرَّابعة، فمعناه: أنَّها مِن جهتِها، لا أنَّها فيها، أو في بعضِها، كما يُقال: في الدَّار بستانٌ، وإن كان يَزيد عليها، ويُراد به: أنَّه مِن جهتها ـ لا أنَّه في بعضها ـ ويُشْرَع بابه إليها[1]، وإن كان بأضعافها.

وقيل: العرض هو السَّعة؛ قال الشَّاعر:

كأنَّ بلادَ الله وهي عريضةٌ ... على الخائف المطلوب كُفَّةُ حابل[2]

أي: واسعةٌ.

وقيل: هذا التَّقدير للواحدِ[3] من أهل الجنَّة، ولكلِّ واحدٍ كذلك، وقال عليه السلام: «إنَّ أدنى أهل الجنَّة منزلةً مَن يُعطَى مثلَ الدُّنيا وعشرة أمثالها»[4].

وقال سهل بن عبد الله التُّستَري: معناه: كما أنَّ السماوات والأرضين عريضةٌ عندكم في رأي العين، فالجنَّة عند أهلها كذلك؛ لا على أنها بقَدْر السماوات والأرض، وكيف ولواحدٍ منهم مثلُ الدُّنيا عشر مرَّاتٍ؟

---

(١) قوله: «لا أنه في بعضها» من (ف)، وقوله: «ويشرع بابه إليها» ليس في (ف).

(٢) نسب البيت لكثيرين؛ لعبد الله بن الحجاج كما في «أنساب الأشراف» للبلاذري (١٣/ ١٥١)، و«الأغاني» للأصفهاني (١٣/ ١٨٢)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٧/ ٣٦٥). وللبيد كما في «محاضرات الأدباء» (٢/ ٢٠٧). ولرزين العروضي كما في «معجم الشعراء» (٣/ ٣٣٥). ولعبيد بن أيوب بن ضرار العنبري كما في «الحماسة البصرية» (١/ ٢٩). وللطرماح كما في «ديوانه» (ص: ١٦٩)، و«التذكرة الحمدونية» (٥/ ٤٣٠). وهو بلا نسبة في «معاني القرآن» للفراء (١/ ٤٧٧).

(٣) في (ر): «لواحد».

(٤) هذا مختصر حديث رواه البخاري (٦٥٧١)، ومسلم (١٨٦)، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

وقال ابن عباسٍ رضي الله عنهما: لو أُلصقت السَّماواتُ[١] بعضُها ببعضٍ والأرضُ كذلك لكانت الجنة الواحدة كذلك[٢].

ونصيب أحدهم مسيرةُ ألف سنةٍ، يَرى أقصاها كما يَرى أدناها، لو ضافه[٣] الجنُّ والإنس مُذ خلقوا إلى أن تقوم[٤] السَّاعة لأطعمهم وسقاهم وكساهم، ولا ينتقص[٥] ممَّا عندَه جناح بعوضةٍ.

وقيل: ليس عند النَّاس أوسعُ من السماوات والأرض، فذكر الله ذلك، فأمَّا سَعة الجنان فلا يعلمها إلَّا الله، وهو كقوله: ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم﴾ [يس: ٨١]، لِمَا أنَّها أعظم المخلوقات وأقواها[٦] عندهم، وكقوله تعالى: ﴿مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ [هود: ١٠٧] لأنها أدومها وأطولها مدةً عندهم[٧]، وكقوله تعالى: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا﴾ [مريم: ٩٠ ـ ٩١]، لأنها أغلظها وأكثفها جرمًا عندهم، وهذا كله لإيقاع الشيء في أفهامهم[٨].

قوله تعالى: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾:

---

(١) في (أ): «السماوات والأرض»، وفي (ر): «السماوات والأرضين».

(٢) روى نحوه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٥٢).

(٣) في (ف): «ضافت».

(٤) في (ف): «إلى قيام».

(٥) في (ف): «ينقص».

(٦) في (ر) و(ف): «وأطولها مدة».

(٧) «لأنها أدومها وأطولها مدةً عندهم» ليس في (ف).

(٨) في (ف): «الفهم».

قيل: أي: الذين اتَّقوا الشِّرك، كما قال: ﴿أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ [الحديد: ٢١].

وقيل: للَّذين اتقوا المعاصي.

وكلاهما صحيحان؛ فالَّذين اتَّقوا المعاصي كلَّها هي لهم بغير عقوبةٍ، والذين اتَّقوا الشِّرك ووقعوا في المعاصي فخاتمةُ أمرهم الرُّجوع إليها.

وقيل: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ ثم قد يدخلُها بفضل الله وبعفوه[1] غير المتَّقين، كما يُقال: أُعدَّت هذه المائدة للأمير، ثم قد يأكلها أتباعه.

ودلَّت الآيتان أنَّ الجنَّة والنَّار مخلوقتان، كما مرَّ في أوَّل سورة البقرة.

* * *

(١٣٤) - ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

ثم ذكر بعض صفات هؤلاء المتَّقين:

وذلك قوله جل جلاله: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ﴾: قال الكلبيُّ: أي: الَّذين ينفقون أموالهم في طاعة الله في الرَّخاء واليسر، وفي الشِّدَّة والعسر[2].

وقال الضَّحَّاك: أي: في الغنى والفقر[3].

وقال السديُّ: أي: في السرور والحزن.

وقيل: في الرُّخص والغلاء.

---

(١) في (أ): «وعفوه».

(٢) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (١/ ٢٤٧).

(٣) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (١/ ٢٤٧).

وقيل: في الكثرة والقلَّة.

وقيل: في الفقد وفي الوجود.

وقيل: في العزَّة وفي الوجود[١].

وقيل: في العرس والمأتم.

قوله تعالى: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ﴾: أي: المتجرِّعين، وقد كظم البعيرُ جِرَّته: إذا ردَّها إلى[٢] حَلْقه، وكظم رأسَ القِربة: إذا شدها[٣] على ملئها، والكظيم[٤] والمكظوم: الممتلئ حزنًا، الممسكُ عليه، والكِظامةُ: القناةُ الممتلئة ماءً، وكذا السِّقاية.

وأخذ بكَظَمه؛ أي: بمجرى نَفَسه، وكظَم خصمَه: أجابه بالـمُسكِت فأفحمه.

وكَظْمُ الغيظِ: تجرُّعُه على القدرة على إمضائه.

والغيظُ: توقُّد حرارة القلب من الغضب، وقد تغيَّظَت الهاجرة: إذا اشتدَّ حميُها؛ قال الأخطل:

لدن غُدْوةٍ حتى إذا ما تغيَّظَتْ هواجرُ مِن شعبانَ حامٍ أصيلُها[٥]

وقوله تعالى: ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ﴾ [الملك: ٨]؛ أي: من شدَّة الحرِّ، وقوله: ﴿سَمِعُواْ لَهَا تَغَيُّظًا﴾ [الفرقان: ١٢]؛ أي: غليانًا.

---

(١) في (ر): «وقيل في العزة والذلة وفي الوجود»، وسقطت العبارة من (ف).

(٢) في (أ) و(ف): «في».

(٣) في (ر): «سدها».

(٤) في (ر): «والكظم».

(٥) انظر: «ديوان الأخطل» (ص: ٢٨٣) (ط: دار الكتب العلمية)، و«تهذيب اللغة» (٨/ ١٥٧). وفي الديوان: «تقيظت».

وقال الإمامُ القشيريُّ رحمه الله: أقوامٌ يكظمون الغيظَ[١] علمًا بأن ذلك بسبب جُرمهم، ويَشهدونهم بعين التَّسلُّط، وآخرون يكظمون الغيظ تحقُّقًا بأنَّ الله يعلم ما يقاسون، فيَهون عليهم التَّحمُّل، وآخرون فنُوا عن أحكام البشريَّة، فوجدوا صافيَ الرَّاحات في الذُّلِّ؛ لأنَّ نفوسهم ساقطةٌ فانيةٌ، وآخرون ما شهدوا ذرةً من الأغيار من الأشياء[٢]، فعلموا أنَّ المقدِّر هو الله، فزالت خصوماتهم ومنازعاتهم مع غير الله، فانقادوا لحكمه، فأكرمهم ببرد الرِّضا[٣].

قوله تعالى: ﴿وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾: أي: المتجاوِزين عن الجانين. وقيل: المسقِطين عن الغرماء المعسرين. وقال أبو العالية: أي: عن المملوكِين[٤].

قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾: أي: هؤلاء محسنون، والله يحبُّ المحسنين.

وقال عليه الصَّلاة والسَّلام: «الإحسانُ أنْ تعبدَ اللهَ كأنَّكَ تراهُ، فإنْ لم تكنْ تراهُ فإنَّه يراكَ»[٥].

وقال الضحَّاكُ في قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٣٦] قال: كان يأسو[٦] جرحاهم، ويداوي مرضاهم، ويجهِّز موتاهم[٧].

---

(١) في «لطائف الإشارات»: «أقوام يحملون على الخلق».

(٢) في «لطائف الإشارات»: «من الأغيار في الإنشاء والإجراء».

(٣) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (١/ ٢٧٨).

(٤) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٧٦٣).

(٥) رواه البخاري (٥٠)، ومسلم (٩)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وقوله: «فإن لم تكن تراه فإنه يراك» من (ف).

(٦) أي: يداوي. ووقع في (ر) و(ف): «يواسوا».

(٧) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ١٥٦).

وقال الحسن: الإحسان: أن يعمَّ ولا يخصَّ كالرِّيح والشَّمس والمطر[١].

وقال الثَّوري: هو أن تُحسِن إلى مَن أساء إليك، فإن الإحسان إلى المحسِن متاجرةٌ كنقد السُّوق؛ خذ مني وهات[٢].

وقال الفضيل بن عياض: الإحسان بعد الإحسان مكافأةٌ، والإساءة بعد الإساءة مجازاةٌ، والإحسان بعد الإساءة كرمٌ وَجُودٌ، والإساءة بعد الإحسان لؤمٌ وشؤمٌ.

وقيل: الإحسان شرطٌ زائدٌ على هذه الصِّفات.

وحُكي أن خادمًا كان قائمًا على رأس الحسن بن علي وهو مع أضيافه على المائدة، فانحرفت قصعةٌ كانت في يد الخادم فسقط منه شيءٌ على الحسن، فنظر إليه مغضبًا تأديبًا له وتثقيفًا له[٣]، لا تعظُّمًا وتجبرًا، فقرأ الخادم: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ﴾، فنكس الحسن[٤] رأسَه، فقال: ﴿وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾، فتبسَّم الحسن[٥] وقال: قد عفوتُ عنكَ، فقال: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ فقال: أنت حرٌّ لوجه الله، وقد زوَّجتك فلانةَ فتاتي، وعليَّ ما يُصلحكما[٦].

* * *

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣/ ١٦٧).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣/ ١٦٧).

(٣) في (ر): «وتعنيفا»، وليس في (ف). والمثبت من (أ)، وهو الصواب، فمِن المَجازِ: التَّثْقيفُ: التَّأديبُ والتَّهذيبُ، يقال: لولا تَثْقِيفُكَ وتَوْقِيفُك ما كنتُ شيئاً، وهل تَهَذَّبْتُ وتَثَقَّفْتُ إلا على يدكَ. انظر: «التاج» (مادة: ثقف).

(٤) «الحسن» من (ف).

(٥) في (أ): «إليه».

(٦) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٧٩٦٤)، وفيه أن القصة جرت مع الحسين رضي الله عنه وجارية.

(١٣٥) ـ ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾.

قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً ﴾ الآية، قال الحسن: هو معطوف على المذكورِين في الآية الأولى؛ أي: أُعِدَّتِ الجنَّة لأولئك ولهؤلاء، إذا تابوا واستغفروا[1].

وقيل: هو عطف على ما يليه، ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً ﴾ الآية.

وقيل: هو استئنافٌ.

والفاحشةُ: ما بلغَ الغاية في القبح من المعاصي، ويقال للطويل المفرِط: إنه لفاحش الطول.

وقال الكلبيُّ: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً ﴾: الزِّنا، ﴿أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ﴾: ما دون الزِّنا من قُبلةٍ أو لمسةٍ أو نظرةٍ فيما لا يحلُّ[2].

وقيل: الفاحشة: الكبيرة، والظُّلم: ما دون ذلك.

وقيل: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً ﴾: هي بالأفعال، وقوله تعالى: ﴿أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ﴾: هو بالأقوال.

وقيل: الفاحشةُ: الأقوال والأفعال، وظلم النَّفس: العقد والإضمار.

---

(١) روى عبد الرزاق في «تفسيره» (٤٦٠)، والطبري في «تفسيره» (٦/ ٦٠) عن الحسن في الآيتين قال: (إن هذين النعتين نعت رجل واحد).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣/ ١٦٩) عن مقاتل والكلبي.

وقيل: الفاحشة: الفعلة الواحدة القبيحة، وقوله تعالى: ﴿أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ هو الإكثار من الذُّنوب.

وقيل: الفاحشة: الفعلة القبيحة يفعلها العبدُ[١] غيرَ عامدٍ، وظلم النَّفس: أن يتعمَّدها.

وقال إبراهيم النخعي: الفاحشة والظُّلم واحدٌ[٢].

وعلى هذا (أو) بمعنى الواو؛ أي: فعلوا فاحشةً وظلموا أنفسهم بها[٣]، كما في قوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا﴾ [الأنعام: ١٤٥].

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: ﴿فَعَلُواْ فَٰحِشَةً﴾: بركونهم إلى أفعالهم، ﴿أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾: بملاحظة أحوالهم.

وقيل[٤]: فاحشةُ كلِّ أحدٍ[٥] وظلمُه على حسَب حاله ومَقامه، وليس الجُرم على البساط كالذَّنب على الباب، وخطورُ المخالفات ببالِ الأكابر كفعلها من الأصاغر، قال قائلهم:

أنتَ عيني وليسَ مِن حقِّ عيني ... غمضُ أجفانها على الأقذاءِ[٦]

---

(١) في (أ): «الرجل».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٦٢)، وابن المنذر في «تفسيره» (٩٣٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٧٦٤).

(٣) «بها» ليست في (ر).

(٤) في (أ): «وقال»، وفي «اللطائف»: (ويقال).

(٥) في (ف): «واحد».

(٦) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (١/ ٢٧٩). والبيت لابن الرومي وهو في «ديوانه» (١/ ١٧)، وفيه: «غض» بدل «غمض».

قوله تعالى: ﴿ذَكَرُواْ ٱللَّهَ﴾: قيل: ذكروا أمرَ الله بالتَّقوى.

وقيل: ذكروا نهيَ الله عن المعصية.

وقيل: ذكروا أمر الله بالتَّوبة والاستغفار.

وقيل: ذكروا وعد الله بالتَّوبة والاستغفار، ووعيدَ الله على الثَّبات والإصرار.

وقيل: ﴿ذَكَرُواْ﴾؛ أي: دعوا الله وذكروه بالثَّناء عليه، فالأوَّل بالقلب كما في قوله: ﴿تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١]، والثَّاني باللِّسان ثناءٌ ودعاءٌ.

وقال مقاتلٌ: الذِّكر هاهنا ذكرُ القلب، وهو خوف العبد من قيامه بين يدي الله تعالى يوم الحساب.

قوله تعالى: ﴿فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ﴾: أي: سألوا الله أن يغفر ذنوبهم.

ولام ﴿لِذُنُوبِهِمۡ﴾ بمعنى: لأجْل ذنوبهم، فأمَّا الصِّلة لهذا الفعل، فإنَّه يُقال: غفرَ الله لفلانٍ ذنبَه، فتوصَل اللَّام بالمذنِب لا بالذَّنب؛ لأنَّ المغفرة هي السَّتر، وهو متعدٍّ، واللَّام في الذَّنب[1] على معنى أنَّه فُعل ذلك له.

قوله تعالى: ﴿وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾: استفهامٌ بمعنى النَّفي، وهو تعجيبٌ من ترك المؤمنين الاستغفار مع علمهم أنَّه لا يغفر الذُّنوب إلَّا الله، ولا يؤمَن العقاب عليها إلَّا بمغفرة الله.

قوله تعالى: ﴿وَلَمۡ يُصِرُّواْ﴾: عطفٌ على قوله تعالى: ﴿فَٱسۡتَغۡفَرُواْ﴾، واعترَض بينهما كلامٌ تامٌّ، وهو من محاسن الكلام.

والإصرارُ: الثَّبات والدَّوام.

---

(١) في (ر) و(ف): «المذنب».

قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ مَا فَعَلُوا﴾؛ أي: من الفاحشة والظُّلم.

قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾: قال الحسين بن واقدٍ: قال عبد الله بن عبيد بن عمير: أي: وهم يعلمون أنَّه لا يغفرُ ذنوبَهم إلَّا الله[1].

وقال الحسين بن الفضل: وهم يعلمون أن لهم ربًّا يغفر الذُّنوب[2].

قال النبيُّ ﷺ: «مَنْ أذنبَ ذنبًا، وعلم أن له ربًّا يغفر الذُّنوب ويأخذ بها، غفر له وإن لم يَستغفر»[3].

وقيل: وهم يعلمون أنَّ الرُّجوع خيرٌ من الإصرار.

وقيل: وهم يعلمون أنه معصيةٌ.

***

(١٣٦) - ﴿أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾.

قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾: ﴿أُولَئِكَ﴾: إشارةٌ إلى الذين إذا فعلوا فاحشةً أو ظلموا أنفسهم استغفروا الله تعالى

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٧٦٧).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣/ ١٧٠).

(٣) رواه الطبراني في «الأوسط» (٤٤٧٢) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢١١): فيه إبراهيم بن هراسة وهو متروك. قلت: وهو مخالف لما رواه البخاري (٧٥٠٧)، ومسلم (٢٧٥٨)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، ولفظ مسلم: عن النبي ﷺ فيما يحكي عن ربه عز وجل، قال: «أذنب عبد ذنباً، فقال: اللهم اغفر لي ذنبي، فقال تبارك وتعالى: أذنب عبدي ذنبًا، فعلم أن له ربًّا يغفر الذنب، ويأخذ بالذنب..»، وفيه بعد الثالثة: «اعمل ما شئت فقد غفرت لك».

على صدق التَّوبة، فقد سوَّى بين المذنبين التَّائبين وبين المتَّقين المحسِنين في هذه الآيات، فقد قال في حقِّ أولئك: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ﴾، وقال في حقِّ هؤلاء: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ﴾، وهذا فضلٌ من الله؛ حيث جعل للعبد المتخلِّف أنْ يتداركَ حالَه ويُلحِقَ بالسَّابقين نفسَه.

قوله تعالى: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ﴾: أي: ما أثابهم الله تعالى به من نعيم الجنان هو في غاية الفضل والشرف والحُسن؛ فإنَّه لا يَتنغَّص ولا يَنتقِضُ[1] ولا يحول ولا يزول.

وقيل: نِعْمَ ما جازاهم الله تعالى على التَّوبة، فليس أحدٌ أذنب إلى خلقٍ ثم ندم يجزيه مثلَه.

وقال الحسن: ﴿وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ﴾: عملوا قليلًا ونعِّموا طويلًا.

وقوله تعالى: ﴿وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ﴾ حثٌّ على العمل.

وأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام: ما أقلَّ حياءَ مَن يطمع في جنَّتي من غير[2] عملٍ، يا موسى، كيف أجود برحمتي على مَن يبخل بطاعتي[3]؟!

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: أوحى الله إلى موسى عليه السلام: يا موسى[4]، قل للظَّلَمة حتَّى لا يذكروني، فإنِّي أوجبْتُ أنْ أذكرَ مَن ذكرَني[5]، وذكري للظَّلَمة باللَّعنة[6].

---

(١) في (ف): «لا يتبعض ولا يتنقص».

(٢) في (أ) و(ف): «بغير» بدل: «من غير».

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣/ ١٧٠).

(٤) «يا موسى» ليس في (أ) و(ف).

(٥) في (ف): «يذكرني».

(٦) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢/ ٢١) عن سفيان بن عيينة بلاغًا.

وقال الله تعالى لظَلَمة هذه الأمَّة: ﴿أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ﴾؛ أي: بالتَّبرِّي من حركاتهم وسكناتهم، علمًا منهم أنَّه لا وسيلة إليه إلَّا به، فخلَّصهم مِن ظلمات نفوسهم؛ فإن رؤية الأفعال ظلماتٌ عند ظهور الحقائق.

ومن طهَّره الله بنور العناية صانه عن التَّورط في مغاليط البشريَّة، وردَّه إلى شهود الربوبيَّة بما سبق له من الحسنى في سابق القسمة[١].

وقال الكلبيُّ في نزول هذه الآية: إنَّ رجلَيْنْ أحدهما أنصاريٌّ والآخر ثقفيٌّ آخى رسولُ الله بينهما، فخرج الثَّقفيُّ في غزاةٍ، واستخلف الأنصاريَّ على أهلِه، فاشترى لهم اللَّحم، فلمَّا أرادَتِ المرأة أن تأخذ منه اللَّحم دخل على أثرها، فدخلت المرأة بيتًا، فتبعها فاتَّقته بيدها، فقبَّل يدها، ثم ندم ووضع التُّراب على رأسه، وخرج وهام على وجهه.

وفي روايةٍ: أقبلَ ذات يوم وهي تغتسل في بيتها ناشرةً شعرَها، فوقع في نفسه، ودخل الدَّار من غير استئذانٍ، فانتهى إليها، وهمَّ أن يمسَّها، فوضعَتْ كفَّها على وجهها، فقبَّل كفَّها، ثم استحيى وندم، وقالت المرأة[٢]: سبحانَ الله! خنْتَ أمانتكَ، وعصيْتَ ربَّك، ولم تُصِبْ[٣] حاجتك، فخرج هائمًا في الجبال.

وقفل رسولُ الله وأصحابه من الغزو، وجعل الرَّجل يتلقَّاه أبوه وعمُّه وابن عمِّه، ولم يرَ الثَّقفيُّ أخاه، فأجزعه ذلك، فلمَّا انتهى إلى أهله قال: أخبِروني ما فعل أخي؟ فقالت: لا أكثر الله في[٤] ....

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (١/ ٢٧٩).

(٢) «المرأة» ليس في (أ) و(ف).

(٣) في (ر): «تقض».

(٤) في (ف): «من».

الإخـوان مثلَـه. وأخبرتـه بخبـره، فمضـى الثَّقفـيُّ[١] إلـى الأنصـاريِّ علـى راحلته ولـم ينزل.

وخرج يطلبه في الجبال، حتى دُلَّ[٢] عليه فوجده ساجدًا يبكي، ويقول: ربي، ذنبي، قد خنْتُ أخي، وظلمْتُ نفسي.

فقال الثَّقفيُّ للأنصاريِّ: قمْ يا أخي وارجع إلى المدينة، فلعلَّ اللهَ يجعل لك مخرجًا.

فقدم المدينة ودخل على أبي بكر الصديق رضي الله عنه وسأله عن صنيعه، فقال: لعلَّها امرأة غازٍ؟ قال: نعم. قال: أما علمْتَ أن الله تعالى يغار للغازي في سبيله ما لا يغار للجالس في بيته، لا توبة لك. فخرج من عنده، ودخل على عمر رضي الله عنه، فسأله عن ذلك، فردَّ عليه عمر مثل ذلك. فخرج من عنده ودخل على عليٍّ رضي الله عنه، فسأله عن ذلك، فردَّ عليه مثل ما ردَّا عليه[٣]. فخرج وهو يقول: يا ويلاه، يا ويلاه، لم أجد عند أحدٍ من أصحاب رسول الله ﷺ فرجًا.

وأتى رسولَ الله ﷺ، فقام على الباب، ثم هتفَ: يا رسولَ اللهِ، المذنبُ المذنبُ. فقال عليه السلام لسلمانَ وهو عندَه: «اخرج فانظر مَن هو؟»، فخرج سلمانُ، فسأل عن ذنبه، فأخبره، فرجع سلمان إلى رسول الله فأخبره بذلك، فقال النبيُّ ﷺ: «ائذن له»، فأذن له، فدخل فسأله مثلَ ما سأل أصحابَه، وردَّ عليه رسولُ الله ﷺ مثلَ ما ردَّ عليه[٤] أصحابُه.

---

(١) «الثقفي» من (ف).

(٢) في (ر) و(ف): «دخل».

(٣) في (ر): «مثل ما رد عليه عمر».

(٤) «عليه» ليس في (أ) و(ف).

فخرج وهو يقول: يا ويلاه، لم أجد عند رسول الله ﷺ مخرجًا[١]، فخرج يصيح، فجعل لا يمرُّ على حجرٍ ومدرٍ[٢] ولا سهلٍ إلَّا تجرَّد وتمرغ عليه، حتى إذا كان ذات يومٍ عند العصر نزل عليه جبريل بتوبته وعذَره بهذه الآية، فدعاه رسول الله ﷺ، وقرأها عليه، فحمد الله تعالى[٣].

وقال عطاء: نزلت في أبي مقبل بن نبهان التمَّار، أتته امرأةٌ جميلةٌ تبتاع التَّمر، فضرب عجُزها، فقالت: والله ما حفظتَ غيبة أخيك، ولا نلت حاجتك. فسُقط في يده، ثم أتى أبا بكر كما حكى في الأولى، إلى أن أتى النبيَّ ﷺ فقال له: «أو ما علمت أن الله تعالى يغضب للغزاة كما يغضب للمرسَلين»، فقام ثلاثة أيامٍ صائمًا، ونزلت الآية في اليوم الرابع[٤].

---

(١) في (أ): «فرجا».

(٢) «ومدرٍ» ليس في (أ) و(ف).

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» (١/ ٣٠١ـ٣٠٢)، و«تفسير الثعلبي» (٣/ ١٦٨)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٢٣ـ١٢٤)، و«تفسير البغوي» (٢/ ١٠٦)، و«العجاب في بيان الأسباب» (٢/ ٧٥٦ـ٧٥٧). ولم يذكر له أحد طريقاً سوى طريق مقاتل والكلبي، وكلاهما لا تصح روايته.

(٤) انظر: «تفسير الثعلبي» (٣/ ١٦٨)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٢٣)، و«تفسير البغوي» (٢/ ١٠٦)، وروى نحوه أبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٦٤٧٣).

قال ابن حجر في «الإصابة» (٦/ ٣٣٠): (ذكره مقاتل بن سليمان في تفسيره، عن الضّحاك، عن ابن عباس، وهكذا أخرجه عبد الغني بن سعيد الثقفي في تفسيره، عن موسى بن عبد الرّحمن، عن ابن جريج، عن عطاء، عن ابن عباس مطوّلا). قلت: ورواه أبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٦٤٧٣) من طريق عبد الغني بن سعيد بهذا الإسناد.

ثم قال الحافظ: (ومقاتل متروك، والضّحاك لم يسمع من ابن عباس، وعبد الغني وموسى هالكان. وأورد هذه القصّة الثّعلبيّ، والمهدويّ، ومكي، والماورديّ في تفاسيرهم بغير سند، لكن ذكر قتادة بعضَ هذا مختصراً).

وقيل: هي في الطَّائفتين إذ همَّتا أن تفشلا، فأُمرتا بالاستغفار.

وقيل: هي في الرُّماة الَّذين تركوا المركز، وفي المنهزمين يوم أحدٍ؛ قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ مِنكُمۡ﴾ الآية [آل عمران: ١٥٥].

* * *

(١٣٧) ـ ﴿ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُمۡ سُنَنٞ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ﴾.

قوله تعالى: ﴿ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُمۡ سُنَنٞ ﴾: أي: مضَتْ.

وقال الزَّجَّاجُ: هاهنا مضمرٌ، وتقديرُه: قد خلَتْ من قبلكم أهلُ سُننٍ؛ أي: طرائقَ في الشَّرِّ فانظروا كيف كان عاقبتهم، والسُّنَّةُ: الطَّريقة[١].

وقد سنَّ سُنَّةً؛ أي: وضع طريقةً تسلك؛ قال لبيد:

مِــنْ مَعْشَــرٍ سَــنَّتْ لهــم آباؤُهُمْ ولكـــلِّ قـــومٍ سُنَّـــةٌ وإمامُهـــا[٢]

وقيل: هي على ظاهرِها، وسُننُ اللهِ: معاملات الله فيهم، فالآية[٣] في شأن أهل أُحُد، ومعناها: قد مضَتْ سُننٌ في المؤمنين والكافرين؛ أنَّ الكفَّار وإن نالوا من المؤمنين بعض النَّيل امتحانًا للمؤمنين فإنَّ العاقبة للمؤمنين؛ قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ سَبَقَتۡ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمۡ لَهُمُ ٱلۡمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ﴾ [الصافات: ١٧١ ـ ١٧٣]، وقال تعالى: ﴿فَٱصۡبِرۡۖ إِنَّ ٱلۡعَٰقِبَةَ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ [هود: ٤٩].

قوله تعالى: ﴿فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾: أي: في بلاد ثمودَ ولوطٍ وشعيبٍ وغيرهم.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٤٧٠).

(٢) البيت من معلقته. انظر: «ديوان لبيد» (ص: ١١٦).

(٣) في (أ) و(ف): «والآية».

قوله تعالى: ﴿فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ رسلي وأوليائي. كان مِن الكفَّار إيذاؤهم والإضرارُ بهم، ثم هلكوا ونجا الأولياءُ.

وقال مجاهد: ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ﴾ من كفَّارٍ ومؤمنين، وخيرٍ وشرٍّ[١].

وقيل: معناه: قد خلت من قبلكم سننٌ بالغلبة للأولياء تارةً وللأعداء أخرى[٢]، ولو كان الظَّفر كلَّ مرَّةٍ للمؤمنين لصار[٣] الإيمان ضروريًّا.

وقيل: هو تنبيهٌ لأهل عصر النبيِّ ﷺ وحثٌّ لهم على طاعة الرَّسول، وزجرٌ عن مخالفته؛ اعتبارًا بمن صدَّق الرُّسل الماضين ومَن كذَّبهم.

وقال جعفر بن محمَّد: ﴿فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾؛ أي: تفكَّروا في القرآن يخبرْكم عمَّا كان، فيصير كأنَّكم سرتم واطَّلعتم على ذلك بالعيان[٤].

* * *

(١٣٨) ـ ﴿هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾.

قوله تعالى: ﴿هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾: قال محمَّد بن إسحاق: أي: هذا الَّذي ذكرتُ لكم من سُنَني[٥] في الماضين بيانٌ لكم وللكفَّار لِمَا يؤول إليه عاقبة أموركم، وهدًى لكم إلى الثَّبات على الحقِّ، وهدًى للكفار إلى قَبول الحقِّ،

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٧١)، وابن المنذر في «تفسيره» (٩٤٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٧٦٨).

(٢) في (ر) و(ف): «تارة».

(٣) في (ر): «لكان».

(٤) في (ر): «على ذلك بالبيان». وليست العبارة في (ف).

(٥) في (ف): «سنتي».

وموعظةٌ لكم في إزالة الضَّعف عن قلوبكم بما نالكم من المشركين(١).

وخصَّ المتَّقين بهما لاختصاصهم بالانتفاع بهما، فالبيان للعامة، والاهتداء والاتِّعاظ للمتَّقين خاصَّةً(٢). ودل هذا على أن البيان غير الهدى.

وقال قتادة والحسنُ: ﴿هَٰذَا بَيَانٌ﴾ إشارةٌ إلى القرآن(٣).

وقال الشَّعبيُّ: بيانٌ من العمى، وهدًى من الضَّلالة، وموعظةٌ من الجهل(٤).

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: بيانٌ لقومٍ من حيث أدلَّةُ العقول، ولآخرين من حيث مكاشفات القلوب، ولآخرين من حيث تجلِّي الحقِّ في الأسرار والغيوب(٥).

* * *

(١٣٩) ـ ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا﴾: الوهنُ: الضَّعفُ، والإيهانُ والتَّوهينُ: الإضعافُ؛ قال تعالى: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ﴾ [لقمان: ١٤]، وقال تعالى: ﴿مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ﴾ [الأنفال: ١٨] قرئ بالتَّخفيف والتَّشديد(٦).

---

(١) روى الطبري في «تفسيره» (٦/ ٧٥)، وابن المنذر في «تفسيره» (٩٤٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٧٦٩) عن ابن إسحاق قال في الآية: «هذا تفسير للناس إن قبلوه».

(٢) في (أ): بتكرير «خاصة».

(٣) رواه عنهما الطبري في «تفسيره» (٦/ ٧٤)، ورواه ابن المنذر في «تفسيره» (٩٤٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٧٦٩) عن قتادة.

(٤) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٤٦٦)، والطبري في «تفسيره» (٦/ ٧٥)، وابن المنذر في «تفسيره» (٩٤٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٧٦٩).

(٥) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (١/ ٢٧٩).

(٦) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو: (مُوَهِّنٌ) بفتح الواو وتشديد الهاء منونة، وقرأ ابن عامر وحمزة =

يقول: لا تَضعُفوا عن قتال هؤلاء بعد أن نبَّهتكم على ما حلَّ بأمثالهم من المكذِّبين.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْزَنُوا﴾: أي: لا تهتمُّوا لِمَا أصابكم من الجراح، والنَّقصِ في المال، والمصيبةِ في الإخوان، فذلك كلُّه تمحيصٌ ودرجاتٌ.

قوله تعالى: ﴿وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ﴾: أي: الأرفعون درجةً بالإسلام، فلا ينبغي للأعلى أن يضعف في مقابلة الأدنى.

وقيل: أي: أنتم الأعلون بالحجَّة، والمحقُّون في هذه المقاتَلة.

وقيل: أي: لكم الظَّفر واليد في العاقبة، وهذا وعدٌ لهم بالنَّصر.

وقيل: أنتم الأعلون عليهم بما ذكر: ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ﴾؛ أي: اليوم، ﴿قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا﴾ [آل عمران: ١٦٥] يعني: يومَ بدرٍ.

وقيل: هذا وعد[1] معلَّقٌ بالشَّرط الَّذي بعدَه، وهو قوله تعالى: ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾؛ أي: إن دمْتُم على إيمانكم فلكمُ العلوُّ عليهم بالظَّفر وغير ذلك.

وقيل: أنتم الأعلون في الجنَّة إذا استُشهدتم.

وقيل: ﴿إِن كُنتُم﴾ بمعنى: إذ كنتم.

وقيل: هو على الشَّرط، ومعناه: إن كنتم مصدِّقين بالله فذاك يدعوكم إلى أن لا تهنوا ولا تحزنوا في قتال عدوِّه.

= والكسائي وأبو بكر عن عاصم: (مُوْهِنٌ) ساكنة الواو منونة (كيدَ) نصب، وروى حفص عن عاصم: ﴿مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ﴾ مضافاً خفيفاً بتسكين الواو وكسر الهاء وضم النُّون من غير تنوين وكسر الدَّال من ﴿كَيْدِ﴾. انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٣٠٠٤)، و«التيسير» (ص: ١١٦).

(١) في (ف): «هو» بدل: «هذا وعدٌ».

وقال بعضهم: أي: أنتم الأعلون وقيل: أي: المنصورون[١].

وقيل: أي: الأعلون في الدُّنيا والآخرةِ.

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحۡزَنُوا۟﴾: إذا قلْتُم بالله وصُلْتُم بالله فلا ينبغي أن تخافوا غيرَ الله.

﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحۡزَنُوا۟﴾ فإنَّ النَّصر من عند الله، والغالب هو الله، ولا شيء ممَّا سوى الله، ومَن سوى الله[٢].

وعاد الكلام في هذه الآيات إلى قصَّة أُحُدٍ الَّتي افتُتِحت بقوله تعالى: ﴿وَإِذۡ غَدَوۡتَ مِنۡ أَهۡلِكَ﴾ [آل عمران: ١٢١]، واعترض بينهما كلامٌ آخرُ من وجهٍ آخر في الظَّاهر، ويمكن الوصل بينهما في هذه القصَّة من الوجه الذي أشرنا إليه، فيصير كلُّه على سَنَنٍ واحدٍ.

وقصَّتُه: ما قال ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: لَمَّا أصيب أصحاب بدرٍ، وكانت وقعةُ بدرٍ في شهر[٣] رمضان لسبعَ عشرةَ ليلةً خلَتْ من عام اثنين من الهجرة[٤]، ووقعة أُحُدٍ في شوال لثماني عشرة ليلة خلَتْ من عام ثلاث من الهجرة[٥]، ورجع أبو سفيان بعِيرهم إلى مكَّة = مشى عبد الله بن أبي ربيعة المخزوميُّ وعكرمة بن أبي جهل في رجالٍ ممَّن أصيب آباؤهم وأبناؤهم وإخوانهم، فكلَّموا أبا سفيان

(١) «وقال بعضهم: أي: أنتم الأعلون وقيل: أي: المنصورون» كذا في النسخ، ولعل الصواب: (وقال بعضهم: ﴿وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ﴾ أي: المنصورون).

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (١/ ٢٨٠).

(٣) «شهر» ليس في (ف).

(٤) في (أ) و(ر): «سنة سبع عشرة» بدل: «لسبع عشرة ليلة خلت من عام اثنين من الهجرة».

(٥) في (أ) و(ر): «سنة ثماني عشرة» بدل: «لثماني عشرة ليلة خلت من عام ثلاث من الهجرة».

ومَن[١] كان له مال[٢] في تلك العير [فقالوا]: يا معشر قريش، إنَّ محمَّدًا قد وتركم، وقتل أخياركم، فأعينونا بهذا المال على حربه؛ لعلنا ندرك بعض ما أصاب منَّا. ففعلوا[٣].

قال الواقديُّ: وكانت العير ألف بعيرٍ، وكان المال خمسين ألفًا من الدَّنانير، وكانوا يربحون[٤] في تجارتهم للدِّينار دينارًا[٥].

وخرج كعب بن الأشرف حتى قدم مكَّة، فوضع رحله عند المطَّلبِ بن وَداعة السَّهْمي وبكى على قتلى قريش من أصحاب القَليب.

فأجمعت[٦] قريش على السير إلى أحدٍ، وكان أبو عزَّةَ عمرُو بن عبد الله الجُمحيُّ أخذه رسول الله ﷺ يوم بدرٍ أسيرًا، فقال: إني ذو بناتٍ فامْنُنْ عليَّ، فمَنَّ رسولُ الله ﷺ، فقال له صفوان بن أمية يوم أحد: إنك شاعرٌ فأَعِنَّا بلسانك واخرج معنا، فقال له[٧]: إن محمدًا قد مَنَّ عليَّ، وإني[٨] لا أريد أن أظاهر عليه أحدًا.

---

(١) في الأصول الثلاثة: «فكلموا أبا سفيان فقال كل من»، والمثبت من المصادر.

(٢) «مال» من (أ). وفي المصادر: (ومن كان له في تلك العير تجارة).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ١٧٣)، وابن المنذر في «تفسيره» (٨٦١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦٩٨)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٣/ ٢٢٤)، جميعهم عن ابن إسحاق يرويه عن أشياخه الزهري وغيره، وانظر: «السيرة النبوية» لابن هشام (٢/ ٦٠)، وما بين معكوفتين من هذه المصادر.

(٤) في (ر) و(ف): «وكان يزكون».

(٥) انظر: «مغازي الواقدي» (١/ ٢٠٠).

(٦) في (أ) و(ف): «فاجتمعت».

(٧) «له» من (أ).

(٨) «إني» ليس في (ف).

فقال له صفوان: أعنَّا بلسانك، فإنَّ لك عليَّ إنْ رجعنا أنْ أُغْنِيَك، وإنْ أُصبتَ أنْ أجعل بناتي مع بناتك، فخرج معهم يدعو الناس ويقول الشعر.

ودعا جبيرُ بن مطعِمٍ غلامَه الوحشيَّ[١] فقال: إن قتلتَ حمزةَ عمَّ محمد فأنت حرٌّ.

فخرجت قريشٌ بالظعائن، وكان أبو سفيان يومئذٍ قائد قريشٍ، فخرجوا وهم ثلاثة آلاف رجلٍ فيهم مئة رجلٍ من ثقيف ومعهم سلاحٌ كثيرٌ، وقادوا مئتي فرسٍ، وفيهم سبعُ مئة دارعٍ[٢]، وثلاثة آلاف بعيرٍ.

وخرج أبو سفيان معه بهندٍ بنت عتبة، وخرج عكرمةُ ببرةَ بنتِ أبي جهلٍ[٣]، وخرج صفوان بن أمية ببرزةَ بنت مسعودٍ، وخرج عمرو بن العاص بريطة بنت منبِّه[٤]، وخرج طلحة بن أبي طلحة بسلافة بنت سعد، وخرج الحارث بن هشام بفاطمة بنت الوليد بن المغيرة.

وكانت هندٌ كلما رأت وحشيًّا قالت: يا[٥] أبا دَسْمَةَ، اشْفِ واسْتَشْفِ.

فخرجوا حتى نزلوا ببطن السبخة على شفير الوادي مما يلي المدينة.

فلما سمع رسول الله ﷺ بهم قال: «رأيتُ في المنام كأني لبستُ درعي الحصينة[٦] فأوَّلْتُها المدينةَ»، وكره[٧] الخروج إليهم.

---

(١) في (ف): «وحشي».

(٢) في (أ): «دراع».

(٣) كذا ذكر المؤلف، وفي السيرة وغيرها: (بأم حكيم بنتِ الحارثِ بنِ هشامٍ). وأم حكيم هي زوج عكرمة وابنة عمه.

(٤) في (أ): «مُنْيَة».

(٥) «يا» ليس في (أ).

(٦) كذا قال، والذي في المصادر: (رأيت أنّي [وعند بعضهم: كأني] أدخلت يدي في درع حصينة).

(٧) في (ر) و(ف): «فكره».

فقال عبد الله بن أُبيٍّ: لا تخرج إليهم يا رسول الله، فوالله ما خرجنا إلى عدوٍّ لنا قط إلا أصاب منَّا، ولا دخل علينا إلا أصبناه، فإن أقاموا أقاموا بشرٍّ محبس، وإن دخلوا إلينا قاتلهم الرجال ورماهم النساء والصبيان بالحجارة فيرجعون خائبين.

فقال رجالٌ من المسلمين ممن أراد الله تعالى أن يكرمهم بالشهادة: اخرج بنا إليهم لا يرون أنَّا جَبُنَّا عنهم.

فلبس رسول الله ﷺ لأْمته وتعمَّم، وتقلَّد السيف، وألقى الترس في ظهره، وأخذ القناة بيده، وخرج إليهم مع الناس في ألفِ رجلٍ منهم مئة دارعٍ.

حتى إذا كانوا بالشوط رجع ابن أبيٍّ بثلث الناس وقال: أطاعهم وعصاني، والله ما ندري ما نقتل أنفسنا؟ ثم انصرف وتبعه [عبد الله بن] عمرو بن حرام فأنزل الله تعالى: ﴿قَـٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُوا۟ قَالُوا۟ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَـٰكُمْ﴾ الآية[1].

فمضى رسول الله ﷺ بأصحابه، وكان خروج النبي ﷺ بعد العصر يومَ الجمعة، فسلك حَرَّةَ بني حارثة، فذبَّ فرسُ بُردةَ بنِ أبي نِيَارٍ بذَنَبه فأصاب قائمةَ سيفِه، فاستلَّه فقال رسول الله ﷺ: «شِمْ سيفَك فإنِّي أرى السيوف ستُسلُّ اليوم»، وكان عليه السلام يحب[2] الفأل.

فقال: «مَن يخرجُ بنا من كثيبٍ في طريق الحَرَّة مخالِفةٍ عنهم[3]»؟ فقال أبو خيثمةَ أخو بني حارثةَ: أنا يا رسول الله، فخرج بهم حتى سلك ماءً لمربعٍ وكان منافقًا

---

(١) «الآية» ليس في (أ).

(٢) في (أ): «يستحب الفأل» بدل: «يحب القتال».

(٣) في (أ): «لمخالفة عنه»، وفي (ف): «بمخالفة عنهم». والذي في المصادر: «مَن رجلٌ يَخرجُ بنا على القومِ مِن كَثَبٍ ـ أي: مِن قُربٍ ـ مِن طريقٍ لا يَمرُّ بنا عليهم؟». انظر: «السيرة النبوية» لابن هشام (٢/ ٦٥)، و«تاريخ الطبري» (٢/ ٦١)، و«تفسير ابن المنذر» (٨٦١).

ضرير البصر، فلمَّا سمع حسَّ رسول الله ﷺ ومَن معه قام يحثو التراب في وجوههم ويقول: إن كنتَ رسول الله فإني لا أرضى أن تدخل حائطي.

فضربه سعدُ بن زيد بالقوس فشجه، فقال رسول الله ﷺ: «هذا أعمى القلب»، ثم خرج حتى نزل بالشعب من أحدٍ في سبعِ مئة رجلٍ، فأمَّر[1] عبدَ الله بنَ جبير أحد بني عمرو بن عوف على الرماة وهم خمسون رجلًا، فقال: «انضَحْ عنا الخيل بالنَّبل لا يأتوننا من خلفنا، وإن كانت علينا أو لنا فاثبت مكانك»، وظاهَرَ بين درعين، وجعل ظهره إلى أحد، وقال: «لا تقاتلوا حتى آمركم بالقتال».

وسرَحت قريش بالظَّهر والكراع، وتهيَّأ رسول الله ﷺ للقتال، وقال: «مَن يأخذ هذا السيفَ بحقِّه ويضربُ العدو حتى ينحني؟»، فأخذه أبو دجانة وكان رجلًا شجاعًا يختال عند الحرب، فلما أخذ السيف اعتمَّ بعمامةٍ حمراء وجعل يتبخترُ، فقال رسول الله ﷺ: «إنها لمشيةٌ يبغضها الله تعالى إلا في هذا الموضع»[2].

وكان مع قريشٍ مئتا فرسٍ[3]، وعلى ميمنتهم خالد بن الوليد، وعلى ميسرتهم عكرمة بن أبي جهل، وعلى الخيل صفوان بن أمية.

وقال أبو سفيان: يا بني عبد الدار، إنما يؤتى الناس من قِبَل راياتهم، فإما أن تَكْفُونا لواءنا وإمَّا أن تخلُّو بيننا وبينه حتى نكفيَكُموه، فقالوا: ستعلم إذا الْتقينا كيف نصنع[4].

---

(١) في (أ) و(ف): «وأمَّر».

(٢) الخبر ورد عن ابن إسحاق كما في «السيرة النبوية» لابن هشام (٢/ ٦٦ ـ ٦٩)، وأصله في «مسند أحمد» (١٢٢٣٥)، و«صحيح مسلم» (٢٤٧٠) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٣) في (أ) و(ف): «فارس».

(٤) في (ر): «ما نصنع».

وكانت هندٌ بنتُ عتبةَ في صواحباتها أخذن(١) الدُّفوف حين حميت الحرب يضربن بها ويقلن:

نحـــن بنـــاتُ طـــارقْ   نمشي علـــى النَّمـــارقْ
إنْ تُقْـــبِلوا نعانِـقْ   ونَفْـــرش الـــنَّمارقْ
أو تُدْبِـــروا نُفـــارِقْ   فراقَ غـــيرِ وامـــقْ(٢)

وكان أبو عامرٍ عبدُ عمرِو بن صيفيٍّ أولَ مَن لقيهم بالأحابيش(٣) وعبيدِ أهل مكة، فقاتلهم قتالًا شديدًا حتى حميت الحرب، وقاتل أبو دجانة، وقتل علي بن أبي طالب طلحة بن أبي طلحة وهو كبش الكتيبة وهو يحمل لواء قريشٍ.

وأخذ اللواء من بعده عثمان بن أبي(٤) طلحة فقتله حمزة، ثم أخذه أبو سعد بن أبي طلحة فرماه سعد بن أبي وقاص بسهمٍ فمات مكانه، وأخذ اللواء بعده مسافع بن طلحة فقُتل، وقتل الحكم بن الأخنس، وعبد الله بن حميد، وأبو أمية بن حذيفة(٥).

ورمى عاصمُ بن ثابتٍ بن [أبي] الأقلح الأنصاريُّ مسافعَ بن طلحة فقال: خذها وأنا ابن الأقلح، وكذلك فعل بأخيه الحارث بن طلحة، فأتته أمه سلافةُ فقالت: مَن رماك يا بني؟ قال سمعت رجلًا رماني وهو يقول: خذها وأنا ابن [أبي] الأقلح، فنذرتْ لئن أَمْكنَها الله من رأس عاصم أن تشرب في قَحْف رأسه خمرًا، وجعلت لمن جاء به مئةً من الإبل.

---

(١) في (أ): «أخذت».

(٢) الوامق: المُحب. وهذا الرجز يقال: إنه لهندٍ بنت طارق بن بَيَاضةَ الإياديةِ، قالته في حرب الفرس لإياد، وتمثلت به هند بنت عتبة. انظر: «اللسان» (مادة: طرق).

(٣) في (ف): «من الأحابيش».

(٤) «أبي» ليس في (أ).

(٥) في (أ): «وأبو حذيفة» بدل: «وأبو أمية بن حذيفة».

وأُخذ أبو عزَّةَ الشاعرُ فأُتي به رسولُ الله ﷺ فضرب عنقه، وقال: «لا تمسح خديك بين الصفا والمروةِ وتقول: خدعت محمداً مرتين».

وأنزل الله نصره؛ قال[١] الزبير بن العوام: فرأيت هندًا وصواحباتها هارباتٍ.

فلما نظرتِ الرماةُ إلى القوم قد انكشفوا أقبلوا يريدون النهب والغنائم، وخلَّوا ظهور المسلمين بحيال المشركين، فأتاهم خيل المشركين من خلفهم، فصرخ صارخٌ ـ ويقال: كان ذلك إبليس ـ : ألا[٢] إن محمدًا قد قُتل، فانكفَّ[٣] الناس، وكان لواء المشركين يومئذٍ مع عبدٍ لبني عبد الدار يقال له: صُؤابٌ الحبشي، فقطعت يده، فأخذ اللواء بصدره وعنقه فقتل.

وكان لواء رسول الله ﷺ يومئذٍ ويوم بدرٍ مع مصعب بن عمير أحدِ بني عبد الدار، فقُتل يوم أحد وأَخذ اللواء من بعده عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه وكانت الراية تسمى العقاب، وكان النبي ﷺ يقعد تحتها، فانكشف المسلمون وأصاب[٤] منهم القوم.

وكان المسلمون أثلاثًا: ثلثٌ قتيلٌ، وثلثٌ جريحٌ، وثلثٌ مهزومٌ.

وقال قتادة: قُتل من الصحابة سبعون: ستةٌ وستون من الأنصار وأربعة من المهاجرين[٥].

وقال الواقدي: وثبت رسول الله ﷺ ومعه أربعةَ عشر رجلاً؛ سبعةٌ من المهاجرين:

---

(١) في (ف): «فقال».

(٢) «ألا» ليس في (أ).

(٣) في (ف): «فانكفأ».

(٤) في (أ): «فأصاب».

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ١٥٠).

أبو بكر وعمر وعلي وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وطلحة وأبو عبيدة والزبير[١]، وسبعةٌ من الأنصار: الحباب بن المنذر، وأبو دجانة، وعاصم بن ثابت، والحارث بن الصمة، وسهل بن حنيف، وأُسيد بن الحُضير، وسعد بن معاذ ـ ويقال: سعد بن عبادة ـ كلهم يقولون: نَفْسي دون نَفْسِك.

وذبَّ مصعب بن عميرٍ عن رسول الله ﷺ حتى قُتل دونه، قتله عبد الله بن قَمِئةَ الليثيُّ، فرجع وهو يُرى أنه قتل النبيَّ ﷺ، وقال: إني قتلت محمدًا، يرى أن مصعبًا[٢] رسول الله ﷺ[٣].

ثم خلصوا إلى رسول الله ﷺ، فقذفوه بالحجارة حتى وقع لشقه وأصيبت رَبَاعِيَته وكُلمت شفتُه وأصيبت وجنته، فقال: «مَن يَشْرِي لنا نَفْسَه؟»، فقال زياد بن السَّكَن الأنصاريُّ[٤]: أنا.

وترَّس أبو دجانةَ نفسَه دون رسول الله ﷺ، فوقع النَّبْل الكثيرُ في ظهره.

وخرج حمزةُ وسِباعُ بنُ عبد العُزَّى وكان يكنى: أبا نِيَار، فضربه حمزة فقتله.

قال وحشيٌّ: وأنا أنظرُ إليه، فهزَزْتُ حربتي ورميتُه بها، فوقعت في ثُنَّته[٥] ثم خرجت من بين رجليه فوقع، ووقعت هندٌ والنسوة يمثِّلن بالقتلى.

وأقبل أبو سفيانَ حين أراد الانصراف فصرخ بأعلى صوته: اُعلُ هبلُ ـ فوق ذروة

---

(١) «والزبير» ليس في (أ)، وقد ذكره الواقدي في «المغازي» (١/ ٢٤٠) في السبعة المذكورين، لكنه لم يذكر فيهم عمر رضي الله عنه.

(٢) بعدها في (ر): «مثل».

(٣) «يرى أن مصعبًا رسول الله ﷺ» ليس في (ف).

(٤) «الأنصاري» من (أ).

(٥) في (أ): «أنثيبه»، وفي (ر) و(ف): «أليته»، والصواب المثبت، كما رواه البخاري (٤٠٧٢).

الجبل(١) ـ يومٌ بيوم بدرٍ(٢)، فقال رسول الله ﷺ لعمر: «أَجِبْه» فقال: الله أعلى وأجلُّ، لا سواءَ، قتلانا في الجنة ينعَّمون(٣) وقتلاكم في النار يعذَّبون. فقال له أبو سفيان: هلمَّ إليَّ يا عمر، فقال له رسول الله ﷺ: «ائته»، فقام عمر إليه، فقال أبو سفيان: أَنشُدكَ [اللهَ](٤) يا عمر، هل قتلنا محمدًا؟ فقال: لا، وإنه ليسمع كلامك، قال: أنت عندي والله أصدقُ من ابن قمئة، زعَم أنه قتَله، وقال أبو سفيان: إنه كان في قتلاكم مُثُلٌ والله ما رضيتها ولا أمرتُ بها ـ وفي روايةٍ: لم آمُرْ بها ولم تَسُؤْني(٥) ـ وقد(٦)

---

(١) قوله: «فوق ذروة الجبل»، كذا ذكر المؤلف، فإن أراد أنه من كلام أبي سفيان فإنه لم يرد في مصدر من المصادر التي وقفنا عليها على كثرتها، ومنها «صحيح البخاري» (٣٠٣٩) و(٤٠٤٣) من حديث البراء. وإن أراد أنه قال ذلك وهو على ذروة الجبل، فله وجه استناداً لما جاء في «سيرة ابن إسحاق» (٣/ ٣١٢): (ثم إن أبا سفيان حين أراد الانصراف علا الجبل ثم صرخ بأعلى صوته). لكنه مخالف لما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما من أنه صاح بهذا الكلام وهو في أسفل الجبل، رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢٦٠٩)، وابن المنذر في «تفسيره» (١٠٥١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٧٨٦ ـ ٧٨٧)، والحاكم في «المستدرك» (٣١٦٣). وفي «السيرة النبوية» لابن هشام (٢/ ٩٣): (أشرف على الجبل ثم صرخ..)، وفي «مغازي الواقدي» (١/ ٢٩٦): (فأَشرَفَ على أصحاب النبي ﷺ في عُرْضِ الجبلِ فنادَى بأعلَى صوتِه..)

(٢) في (أ): «يوم بيوم أحد بيوم بدر»، وفي (ر) و(ف): «يوم بيوم أحد ببدر». وكلاهما خطأ، والتصويب من «صحيح البخاري» وغيره من المصادر.

(٣) في (ر) و(ف): «يتنعمون».

(٤) ما بين معكوفتين من «السيرة النبوية» لابن هشام (٢/ ٩٤) وغيره من المصادر.

(٥) في (ر) و(ف): «تسرني»، والمثبت من (أ)، وهذه الرواية في «صحيح البخاري» (٣٠٣٩) و(٤٠٤٣) من حديث البراء. وباقي القصة منقول مما رواه ابن إسحاق كما في «السيرة النبوية» لابن هشام (٢/ ٩٣ ـ ٩٤)، وفي سياقها عند البخاري اختلاف عنه.

(٦) «قد» ليس في (ف).

كان مرَّ عليه الحُلَيس بن علقمةَ[١] وهو يضربُ شدقَ حمزةَ بزُجِّ الرمح ويقول: ذق عُقَقُ، فقال الحُليس: يا بني كنانة! هذا سيد قريشٍ يصنع بابن عمه ما ترون! فقال أبو سفيان: اكتُمها عليَّ.

وكان أول المسلمين عرف رسولَ الله ﷺ كعب بن مالكٍ قال: عرفتُ رسول الله ﷺ عينيه تحت المغفر تَزْهَران[٢]، فناديت بأعلى صوتي: يا معاشر المسلمين، أبشروا هذا رسول الله ﷺ، فأشاروا[٣] إليَّ أن اسكتْ.

ثم أقبل أنس بن النَّضْر عمُّ أنس بن مالكٍ إلى عمر وطلحة بن عبيد الله في رجال من المهاجرين قد أَلْقَوا بأيديهِم[٤]، فقال: ما يجلسكم[٥]؟ قالوا: قتل محمدٌ، قال: فما تصنعون بالحياة بعده؟! موتوا كرامًا على ما مات عليه نبيُّكم، ثم انحاز إلى القوم فقاتل حتى قُتل[٦].

---

(١) ويقال له: الحليس بن زبان، وقد ذكر في المصادر في هذا الموضع بلفظ: (الحليس بن زبان أخو بني الحارث بن عبد مناة، وهو يومئذ سيد الأحابيش). انظر: «السيرة النبوية» لابن هشام (٢/ ٩٣)، و«تاريخ الطبري» (٢/ ٧١)، و«الاكتفاء» للكلاعي (٢/ ٨٠). وذكر في صلح الحديبية ممن أرسلتهم قريش للتفاوض مع النبي ﷺ باسم الحليس بن علقمة، ولذلك قال الطبري في «تاريخه» (٢/ ١١٩) في قصة الحديبية من رواية الزهري: ثم بعثوا إليه الحليس بن علقمة أو ابن زبان.

(٢) أي: تضيئان، وروي: (تَزرَّان) ومعناه: تتوقدان. انظر: «الإملاء المختصر في شرح غريب السير» لأبي ذر الخشني (٢/ ١١٢).

(٣) كذا في النسخ، وجاء في المصادر: (فأشار) كذا رواه عن الزهريِّ عبدُ الرزاق في «التفسير» (٤٦٥) و(٤٧١)، و«المصنف» (٩٧٣٥)، وابن سعد في «الطبقات» (٢/ ٤٥ ـ ٤٦)، والطبري في «تفسيره» (٦/ ١٥٤)، ومثله في «تفسير الثعلبي» (٣/ ١٧٧)، و«دلائل النبوة» للبيهقي (٣/ ٢١١). وعبارة البيهقي: (فأشار إليه ـ زعموا رسول الله ـ أن اسكت).

(٤) (ألقى بيده) هنا مجاز بمعنى: استسلم، فبقي لا يصنع شيئًا يأسًا أو مللاً، كأنه طرح يده طرحًا بعيدًا عنه.

(٥) في (ر): «يحبسكم». وعبارة «فقال: ما يجلسكم؟» وسقطت من (ف). والمثبت من (أ) والمصادر.

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ١٠٢)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٣/ ٢٤٥)، من طريق ابن إسحاق =

فلما عَرف المسلمون رسولَ الله نهضوا إليه، ونهض معهم نحو الشِّعب ومعه أبو بكر وعمر وطلحة والزبير والحارث بن الصمة في رهطٍ من المسلمين.

ويقول رسول الله ﷺ لسعد بن أبي وقَّاص: «ارْمِ فداك أبي وأمي»، فرمى حتى اندقَّت سِيَةُ قوسه[١].

وأصيبت عين قتادة بن النعمان يومئذٍ حتى وقعت على وجنته، فردها رسول الله ﷺ مكانها فعادت كأحسنِ ما كانت.

فلما انصرف رسول الله ﷺ أدركه أبيُّ بن خلفٍ وهو يقول: لا نجوتُ إن نجوتَ، فقال القوم: يا رسول الله، ألا يعطف عليه رجلٌ منا؟ فقال: دعوه حتى إذا دنا منه تناول رسول الله ﷺ الحَربة من الحارث بن الصِّمَّة ثم استقبله فطعنه[٢] في عنقه وخدشه خدشةً، فتدهده[٣] عن فرسه، ورجع إلى مكة فمات بموضعٍ يقال له: سَرِفُ، وكان قبل ذلك يَلْقَى رسول الله ﷺ بمكة ويقول: عندي رَمَكةٌ[٤] أعلفها كل يومٍ ذرة أقتلك عليها فيقول له رسول الله ﷺ: بل أنا أقتلك إن شاء الله.

= قال: حدثني القاسم بن عبد الرحمن بن رافع أخو بني عدي بن النجار قال: انتهى أنس بن النضر عم أنس بن مالك إلى عمر وطلحة.. الحديث. وهو هكذا في «السيرة النبوية» لابن هشام (٢/ ٨٣).

(١) رواه البخاري (٤٠٥٥)، ومسلم (٢٤١٢)، من حديث سعد رضي الله عنه. سية القوس ـ بكسر السين وتخفيف الياء ـ: ما عطف من طرفيها. انظر: «القاموس» (مادة: سيا).

(٢) في (أ): «فطعن»، وفي (ر): «يطعنه».

(٣) في «السيرة النبوية» لابن هشام (٢/ ٨٤): (تدأدأ)، وشرحها ابنُ هشام بقوله: (تَقَلَّب عن فرسه فجعَلَ يَتدحرجُ).

قلت: ويجوز أن يكون أصله: (تدهده) فقلبت الهاء همزة، فإن الهاء والهمزة قد يتبادلان. انظر: «مجمع الغرائب» للفارسي (مادة: دهه)، و«النهاية» (مادة: دأدأ).

(٤) أي: فرس.

وكان لما رجع يقول: قتلني محمدٌ، فقالت له قريشٌ وبه الطعنةُ في عنقه: ما بك من بأسٍ! فيقول: بلى، قال لي: أنا أقتلك، ولو بزق عليَّ بعد تلك المقالة لقتلني، فمات قبل أن يصل إلى مكة.

وسار رسول الله ﷺ إلى فم الشِّعب، وجاءت فاطمة ومعها قربةٌ من ماءٍ فسقت رسول الله ﷺ، وجعلت تغسل الدم عن وجه رسول الله[1] ﷺ، وتنظر إلى سالم مولى أبي حذيفة وتقول: كيف يفلح قومٌ فعلوا هذا برسول الله ﷺ وهو يدعوهم إليه.

وقال: «اشتد غضبُ الله على مَن أَدْمى وجه رسول الله» ﷺ[2].

قال أنس بن مالكٍ رضي الله عنه: وكان قلب رسول الله ﷺ مشغولًا بعليٍّ وحمزة، فأُتي بعليٍّ رضي الله عنه وعليه[3] نيِّفٌ وستون جراحةً من ضربةٍ وطعنةٍ ورميةٍ، فجعل رسول الله ﷺ يمسحها وهي تلتئم بإذن الله كأنْ لم تكن.

وجيء بحمزة رضي الله عنه مقتولًا في كساءٍ مبقورًا بطنه مجدوعًا أنفه، فبكى رسول الله ﷺ[4]، وقال للشهداء: «زمِّلوهم بدمائهم وكلومهم[5] وقدِّموا أكثَرهم قرآنًا»[6].

وصلى على حمزة سبعين صلاةً[7]، ....

---

(١) في (أ): «عن وجهه».

(٢) رواه البخاري (٤٠٧٣)، ومسلم (١٧٩٣)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. ورواه البخاري (٤٠٧٤) من حديث ابن عباس رضي الله عنه.

(٣) في (ف): «وفيه».

(٤) «عليه» ليس في (أ) و(ف).

(٥) «وكلومهم» ليس في (أ).

(٦) رواه بنحوه البخاري (١٣٤٦) من حديث جابر.

(٧) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤٤١٤) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

وقال: «أمَا إن حمزةَ لا بواكيَ له»(١)، فبكى نساء المدينة أولًا على حمزة ثم على القتلى(٢)، وصار ذلك عادة لهن(٣) إلى هذا اليوم.

قال أنس فلم نجد لحمزة كفنًا فدفنَّاه في الإذخر، فكلما غطَّينا رأسه انكشف رجلاه، وكلما غطينا رجليه انكشف رأسُه.

وهمَّ رسول الله ﷺ بالذين أدموا وجهه، فأنزل الله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾(٤).

***

(١٤٠) - ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ ۚ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾.

قوله تعالى: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ﴾: قرأ أهل الكوفة غيرَ حفصٍ بضمِّها والباقون بفتحها(٥).

قال الأخفش: هما لغتان كالجَهد والجُهد، والكَره والكُره، والضَّعف والضُّعف(٦).

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥٥٦٣)، وابن ماجه (١٥٩١)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) جاء في حديث ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ السابق: فجاء نساء الأنصار يبكين على حمزة، فاستيقظ رسول الله ﷺ، فقال: «ويحهن ما انقلبن بعد؟ مروهن فلينقلبن، ولا يبكين على هالك بعد اليوم».

(٣) في (ر) و(ف): «لهن».

(٤) انظر ما تقدم عند تفسير هذه الآية.

(٥) قرأ بضم القاف أبو بكر وحمزة والكسائي وباقي السبعة بالفتح، انظر: «السبعة» (ص: ٢١٦)، و«التيسير» (ص: ٩٠).

(٦) انظر: «معاني القرآن» للأخفش (١/ ٢٣٣).

وقال الكسائي وجماعةٌ: القَرح بالفتح: الجُرح، وبالضم: ألَمُ الجُرح[١].

وقال أبو عبيدة: بالفتح المصدر وبالضم الاسم.

وقال يعقوبُ الحضرميُّ[٢]: بالفتح: ما كان بسلاح، وبالضم: ما كان بغير سلاحٍ.

ومعناه: إن يُصبكم قرحٌ[٣] وألمٌ وقتلٌ في آخر حربِ أحدٍ فقد أصاب الكفار مثلَ ذلك في أولِ هذا الحرب، فقد بينَّا أنه قُتل وجرح منهم خلقٌ[٤] كثيرٌ.

وقيل: معناه: فقد أصاب القومَ مثلُه في حرب بدرٍ، ونظيره قوله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ ۖ إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾ [النساء: ١٠٤].

وقوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾: أي: نصرِّفها، والمداولة: نقلُ الشيء من واحدٍ إلى آخرَ، وقالوا[٥]: تداوَلَتْه الأيدي؛ أي: تناقلتْه، ومنه قولُه تعالى: ﴿كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ﴾ [الحشر: ٧]؛ أي: يتناقلونها بينهم لا يجعلون للفقراء فيها[٦] نصيبًا.

واختلف في معناه؛ قيل: هي تشديد المحنة على هؤلاء مرةً وتسهيلُها على أولئك، وعلى عكسه، ويكلِّف المؤمنين الصبر على ما ينالهم تعظيمًا لأجرهم، ويخذل الكفار بالتخلية بينهم وبين المؤمنين.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٢٣٤).

(٢) هو يعقوب بن إسحاق بن زيد أحد القراء العشرة.

(٣) في (أ): «جرح».

(٤) «خلقٌ» ليس في (أ).

(٥) في (أ): «يقال».

(٦) في (ر): «منها».

والحكمة في ذلك: أنه لو أظفر المؤمنين أبدًا ولم ينلهم[١] كربٌ ولا نكبةٌ في حربٍ، وكان الكفار مقموعين أبدًا، لسَقَط الاختيار ولآمنوا بالاضطرار، فبطل الثواب والعقاب وزال التكليف والخطاب.

وليس معنى المداوَلة: التسويةَ بين الفريقين في النُّصرة فينصرَ هؤلاء مرةً وهؤلاء مرةً كما توهَّم بعضهم، ألا ترى أن الله تعالى قال: ﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤١]، ولو كان معنى المداولة ما توهَّموه لكان يمحِّص هؤلاء مرةً وهؤلاء مرةً، ويمحقُ هؤلاء مرةً وهؤلاء مرةً، وهو خلافُ ما أَخبر الله تعالى به، بل هو على ما بيَّنَّاه.

وقيل: معنى المداولة: أنه يُدِيل المؤمنين إذا أطاعوه على الكافرين بقذف الرعب في قلوبهم، ويُديل الكفار على المؤمنين برفع هذا الرعب من[٢] قلوبهم إذا عصاه المؤمنون، فأَخبر أنه ينتقم من الفريقين إذا عصَوْه، غيرَ أن انتقامه من أوليائه تأديبٌ لهم لئلا يعودوا إلى مخالَفة أمره[٣]، وانتقامَه من الكفار سخطٌ وعذابٌ بما أشركوا به.

وقيل: المداولة بما في الدنيا من السلامة والعافية والرخاء والسرور وضدِّ ذلك، وأحوالُ الدنيا ليست على الدوام، ويستوي في ذلك الأولياء والأعداء، والحكمة فيه: إزعاج الناس إلى الطاعة وتعريفُهم حقارة الدنيا لتقلَّ رغباتهم فيها وثقتهم[٤] بها، ويرغبوا في الآخرة الباقية الفاخرة.

---

(١) في (ف): «ينالهم».

(٢) في (أ): «عن»، وفي (ف): «في».

(٣) في (ف): «إلى المخالفة لأمره».

(٤) في (ر): «وتعنتهم».

وقال الإمام أبو منصورٍ رحمه الله: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ يومًا للمؤمنين ويومًا عليهم، وذلك للامتحان، قال تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء: ٣٥]، وقال تعالى: ﴿وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [الأعراف: ١٦٨].

قال: فإن طعن طاعنٌ من الملحدين فقال: يقول الله تعالى: ﴿إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾ [محمد: ٧]، وقال تعالى: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾ [آل عمران: ١٦٠]، فإذا نصرتُم دينه فلمْ ينصركم فقد أَخلف[1]، وإن نصركم وغلبكم عدوُّكم مع نصره فذلك[2] كذبٌ.

فجوابه من وجوهٍ:

أحدها: أن قوله: ﴿إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾ معناه: إن تنصروا دين الله في الدنيا ينصركم بالحجج في العقبى، قال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾ [غافر: ٥١]، وقال تعالى: ﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ [النساء: ١٤١].

وقيل: إن تنصروا دين الله ولم تَعْصُوا الله فيه ينصركم.

وقيل: معناه: إنْ تنصروا دينَ الله جملةً يَنصرْكم.

قال عليه السلام: «لن يغلب اثنا عشر ألفًا من قِلَّةٍ كلمتُهم واحدة»[3].

---

(١) في (ر): «وهذا خلف». وفي (ف): «وقد أخلف».

(٢) في (أ) و(ف): «فقد».

(٣) رواه دون قوله: «كلمتهم واحدة» الإمام أحمد في «المسند» (٢٦٨٢)، وأبو داود (٢٦١١)، والترمذي (١٥٥٥)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما. وقد اختلف في وصله وإرساله، فقد قال أبو داود عقبه: (الصحيح مرسل). وقال أيضاً في «المراسيل» عقب الحديث (٣١٤): (وقد أُسند هذا ولا يصح). وقال الترمذي: (لا يسنده كبير أحدٍ غير جرير بن حازم، وإنما روي هذا =

وقيل: معناه: إن تنصروا دين الله في الدنيا[١] ينصركم؛ أي: يَجعلِ النصرَ والظَّفَر في العاقبة لكم، وكان كذلك.

قال: وفي قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ إبطال القول بالأصلح؛ لأن الغلبة لو كانت للمسلمين كان ذلك ألزمَ للحجة وأظهرَ للدعوة وأدعَى إلى الإجابة، وفيها كلٌّ[٢] صلاحٍ، ومع ذلك لم يفعل[٣].

قوله تعالى: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾؛ أي: ليَعلم ذلك موجودًا حالَ وجوده كما عَلم قبل وجوده أنه يوجد، وقد شرحنا ذلك في قوله تعالى: ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ﴾ [البقرة: ١٤٣].

وقال الإمام أبو منصورٍ رحمه الله: ما وصفتَ الله تعالى به إذا ذكرتَ معه الخلقَ تذكر[٤] وقتَ كون الخلق؛ لئلا يُتوهَّم[٥] قِدَمُه، وإذا وصفت به الله تعالى بلا ذكر الخلق وصفتَه به في الأزل، نحو قولك: عالمٌ قادرٌ[٦] سميعٌ بصيرٌ خالقٌ رازقٌ في الأزل.

= الحديث عن الزهري، عن النبي ﷺ مرسلاً. وقال أبو حاتم كما في «العلل» لابنه (١/ ٣٤٧): (مرسل أشبه، لا يَحتمِلُ هذا الكلام أن يكونَ كلامَ النبي ﷺ). قلت: ومع ذلك فقد حسنه الترمذي قبل كلامه المذكور، وصححه ابن خزيمة (٢٥٣٨)، وابن حبان (٤٧١٧)، والحاكم (١٦٢١)، وابن التركماني في «الجوهر النقي» (٩/ ١٥٦)، وابن القطان في «بيان الوهم والإيهام» (٣/ ٤٨٤).

(١) قوله: «معناه إن تنصروا دين الله في الدنيا» ليس في (أ) و(ف). وقوله: «في الدنيا» ليس في «التأويلات».

(٢) «كل» ليس في (أ).

(٣) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٢/ ٤٩٢ ـ ٤٩٣).

(٤) في النسخ: «تذكره»، والمثبت من «التأويلات».

(٥) في (أ): «يوهم».

(٦) في (ر) و(ف): «قدير».

وقال بعض أهل التأويل: معناه: وليكون الذين آمنوا كما علم الله بهم في الأزل[١].

وقيل: أي: وليظهر إخلاص المؤمنين في إيمانهم بصبرهم على ما ينالهم من المشركين وثباتِهم على دينهم، وهو كقوله جل جلاله: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَـٰذِبِينَ﴾.

وقيل: معناه: وليعلم أولياءُ الله الذين آمنوا، جعَل عِلمَ أوليائه عِلمَه تشريفًا لهم.

ثم معنى الواو في قوله تعالى: ﴿وَلِيَعْلَمَ﴾ أنَّ فيه إضمارًا تقديره: ﴿نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ ليتميَّز الخبيثُ من الطيب ـ أو نحوُ ذلك ـ ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾، أو الإضمارُ بعده، وتقديره: وليَعلم الله الذين آمنوا نداولُها بين الناس.

قوله تعالى: ﴿وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ﴾: أي: نداولها ليَعلم وليَجعل بعضَكم شهداء في سبيله فيرفعَ درجاتهم في الآخرة بالشهادة.

وقيل: أي: يجعلَهم[٢] شهداءَ في الآخرة للأنبياء على الأمم.

وقال الإمام الزاهد أبو منصورٍ رحمه الله تعالى: وفيه دلالة[٣] أنهم لا يستوجبون بنفس الإيمان الشهادة على الناس، حتى يُظهِروا العدالة من أنفسهم[٤].

قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾: أي: الكفار والمنافقين، مع أنه قد يُدِيلهم.

---

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٢/ ٤٩٣ ـ ٤٩٤).

(٢) في (أ): «لجعلهم».

(٣) بعدها في (ر): «على»، والمثبت من (أ) و(ف) و«التأويلات».

(٤) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٢/ ٤٩٦).

وقيل: أي: لا يحب المنافقين، فلا يدعُهم مختلِطين بالمؤمنين، بل يمتحن بهذه الأحوال ليَتميزوا، وكان كذلك، فقد كان في المدينة منافقون ومنهم مَن يعبد الله على حرف، فإن أصابه خيرٌ اطمأنَّ به وإن أصابته فتنةٌ انقلب على وجهه، ولمَّا ظهر هذا قال المنافقون: ما وعدَنا الله ورسوله إلا غرورًا، وثبت المخلصون فلم يَهِنوا ولم يرجعوا.

وروي أن امرأةً كانت تحمل قتيلين زوجَها وأخاها أو ابنها[١] على بعيرٍ، فقيل لها: ما الخبر؟ قالت: خيرٌ، رسولُ الله سالمٌ، واتَّخذ الله من المؤمنين شهداءَ ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُواْ خَيْرًا﴾ [الأحزاب: ٢٥]، ثم ساقت بعيرها، وفيها نزلت هذه الآية.

* * *

(١٤١) - ﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾: أي: نداولُها بين الناس ليفعل كذا وليخلِّص المؤمنين بالشهادة، وقد محَصْتُ الشيءَ مَحْصًا؛ أي: خلَّصته[٢] من العيب، ومحَّصْتُه تمحيصًا للتكثير أو للتكرير، وقال الأزهري: محَصْتُ العَقَب من اللَّحم؛ أي: نقَّيتُه منه لأَفْتِلَه وَتَرًا، ومحَصْتُ الذهب بالنار: خلَّصته[٣].

قوله تعالى: ﴿وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾: المحق: إفناء الشيء حالًا بعد حالٍ، وهو كامِّحاق[٤] الهلال.

---

(١) في (ر): «زوجها وأخاها وابنها وعمها»، وفي (ف): «أخاها وابن عمها».

(٢) في (ر): «أخلصته».

(٣) انظر: «تهذيب اللغة» (٤/ ١٦٠).

(٤) في (أ): «كانمحاق».

قال الكلبي: ﴿وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ بما يبتليهم فيأْجُرَهم ويمحوَ ذنوبهم ﴿وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾؛ أي: يستأصلَهم ولا يأجرَهم[١]، فيهلكهم ومعهم ذنوبُهم.

وقال يمان: يمحقُهم؛ أي: يُديلُهم استدراجًا لهم، فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم.

* * *

(١٤٢) ـ ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾.

قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ﴾: قد مر تفسيره في سورة البقرة: أن (أم) يقتضي إضمارَ استفهام قبله ثم عطفاً[٢] بـ(أم) عليه، تقديره: أظننتم أن يكون كذا أم ظننتم أن تدخلوا الجنة مع أنكم لم تجاهدوا في سبيله ولم تصبروا على بلائه.

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ﴾: أي: لم يعلم، قيل: (ما) زيدت على (لم)، وقيل: هما بمعنًى، وقيل: (لمَّا) يجوز أن يوقف عليها تقول[٣]: جاء زيد؟ فيقول الرجل: لمَّا؛ أي: لم يجئ، ولا يجوز ذلك في (لمْ).

وقيل: (لمَّا) جواب: قد فعَل، و(لم) جواب: فَعَل؛ أي: الأول للتأكيد.

يقول: كيف تنالون الجنة ولم يكن منكم جهادٌ في سبيله، وعَلِم أنه لا يكون منكم جهادٌ في سبيله[٤]، ولو كان منكم جهادٌ لعَلِمه لأنه عالمٌ بكلِّ شيءٍ، وقد بينَّا أن الله

---

(١) في (ف): «يستأصلهم وليأخذهم».

(٢) في (ر) و(ف): «عطف».

(٣) في (أ) و(ف): «يقال».

(٤) «في سبيله» ليس في (أ).

يعلم الشيء موجودًا حال وجوده، ويَعلمه قبل وجوده أنه[1] يوجَد حالَ وجوده فيما يوجَد، ويَعلمُ ما لا يوجَد أنه لا يوجَد.

قوله تعالى: ﴿وَيَعْلَمَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾: هو نصبٌ على الصرف كما في قول الشاعر:

لا تنـهَ عــن خلــقٍ وتــأتيَ مـثلَـه عــارٌ عليــك إذا فعلــتَ عظيــم[2]

ومعنى الصرفِ: أنه مصروفٌ عن معنَى مطلقِ العطف، فإنه ليس معناه النهيَ عن إتيان مثله قصدًا كالنهي عن النهي عن خُلُق، بل معناه النهيُ عن الجمع بينهما، وكذا معنى الصرف في هذه الآية ليس هو مطلقَ نفي علمِ الصابرين كنفيِ علمِ المجاهدين، بل معناه نفيُ اجتماعهما.

وهو كقولهم: لا تأكلِ السمكَ وتشربَ اللبنَ؛ أي: لا تجمع بينهما، وليس هو نهيًا عن كلِّ واحدٍ منهما مفردًا.

وقرأ الحسن ويحيى بن يَعْمَرَ: ﴿وَيَعْلَمِ الصَّابِرِينَ﴾ بالكسر[3]، وهو على العطف، وهو مجزومٌ كالأول.

وقـرأ إبراهيـم النخعي ويحيى بـن وثَّـابٍ: ﴿وَيَعْلَـمُ الصَّابِريـنَ﴾ بالرفع على الاسـتئناف[4]؛ أي: وهو يعلـمُ الصابرين.

* * *

---

(١) في (ر) و(ف): «وأنه».

(٢) نسبه سيبويه في «الكتاب» (٣/ ٤١ ـ ٤٢) للأخطل، والزمخشري في «المستقصى» (٢/ ٢٦٠) للمتوكل بن عبد الله الليثي، ونسب أيضاً لسابق البربري وللطرماح كما ذكر البغدادي في «خزانة الأدب» (٨/ ٥٦٨) وقال: والمشهور أنه من قصيدة لأبي الأسود الدؤلي.

(٣) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٢٩) و«المحرر الوجيز» (١/ ٥١٥).

(٤) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٢٩).

(١٤٣) ـ ﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ﴾:

قيل: إن قومًا غابوا عن قتال بدرٍ وعلموا ما نالَ[١] أهل بدرٍ من الفضل بقول النبيِّ ﷺ: «إنَّ الله تعالى اطَّلَع على أهل بدرٍ فقال: اعمَلوا ما شئتُم فقد غفرتُ لكم»[٢] فتمنَّوا قتالًا آخَرَ يَشهدونه، فلما كان قتالُ أحدٍ قصَّر بعضهم فنزل في حقِّهم هذا.

وقوله تعالى: ﴿تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ﴾؛ أي: لقاءَ العدو، لأنه من أسباب الموت فأُطلق عليه اسمه؛ كما في قوله: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ﴾ [البقرة: ١٨٠]، ويقال: رأيتُ الموت في أطراف الأسنَّة.

وقوله تعالى: ﴿فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ﴾: أي: رأيتم لقاءَ العدوِّ ﴿وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ تأكيدٌ لقوله: ﴿فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ﴾، كما يقال: رأيتُه عِيانًا، ورأيتُه بعيني، وسمعتُه بأذني، وفائدتُه: نفيُ وهمِ رؤيةِ القلب وسَمْعِ العلم.

وقيل: معناه: وأنتم تتأمَّلون الحالَ في ذلك كيف هي[٣]؟ لأن النظر تقليبُ البصر نحو المبصَر؛ أي: كانت رؤيةَ تثبُّتٍ وتأملٍ، لا رؤيةَ تلمُّحٍ[٤] وتخيُّلٍ.

---

(١) في (ر): «وعلموا مآل».

(٢) رواه البخاري (٣٠٠٦)، ومسلم (٢٤٩٤)، من حديث علي رضي الله عنه. وهو في قصة كتاب حاطب لأهل مكة يخبرهم بعزم النبي ﷺ على الخروج إليهم، وهذا يدفع ما ذكره المؤلف هنا في سبب النزول، لأنه صريح في أن القصة هنا قبل غزوة أحد. وقد روى هذا الوجه في سبب النزول الطبري في «تفسيره» (٦/ ٩٣ ـ ٩٥) عن مجاهد وقتادة والسدي والربيع والحسن، لكن دون ذكر الحديث، وهو الصواب لما سيأتي من حديث أنس بن مالك في قصة عمه أنس بن النضر، وهو متفق عليه.

(٣) في (ف): «هو».

(٤) في (أ): «لمح».

وقيل: معناه: رأيتُم أسباب الموت وأنتم أصحَّاءُ الأبصار، لا حائلَ بينكم وبينها فتشكُّوا[١] فيها.

وقيل: معناه: رأيتُم الموت وأنتم تقرُبون منه لا تبعُدون من موضعه؛ كما يقال: دُورُنا تتناظرُ؛ أي: تتقارب، قاله أبو العباس ثعلبٌ.

وقال الكلبيُّ: لمَّا أخبرهم[٢] الله تعالى بما فعل بشهداء بدر من الكرامة رغبوا في ذلك وقالوا: اللهم أَرِنَا قتالًا لعلنا نُستشهَدُ فنلحقَ بإخواننا في الجنة، فأراهم الله تعالى ذلك يومَ أحدٍ فلم يَثبتوا، فقال تعالى: ﴿فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ إلى السيوف فيها الموتُ.

وقال أنس بن مالكٍ رضي الله عنه: إن عمِّي أنس بن النضر غاب عن قتال[٣] بدرٍ فقال: غبتُ عن أولِ قتالٍ قاتلَه[٤] النبيُّ عليه السلام، ولئن أشهدني الله قتال المشركين ليرين الله ما أصنع، فلما كان يومُ أحدٍ انكشف المسلمون فقال: اللهمَّ إنِّي أعتذرُ إليك ممَّا صَنع هؤلاء ـ يعني: أصحابَ النبي[٥] ﷺ ـ وأبرأُ إليك مما جاء به هؤلاء، يعني: المشركين، ثم تقدَّم فلقيَه سعد بن معاذٍ، فقال: يا سعد، إيهًا إيهًا[٦] لريح الجنة، والله إني لأجدُها دون أحدٍ، فمضى حتى استُشهد.

قال أنس: فما عرَفناه إلا ببنانه، قال: وجدنا فيه بضعًا وثمانين من ضربةٍ بسيفٍ

---

(١) في (ف): «فتشكون».

(٢) في (ف): «أخبر».

(٣) بعدها في (ر): «أهل»، وفي (ف): «يوم».

(٤) في (ف): «قاتل».

(٥) في (أ) و(ف): «يعني أصحابه».

(٦) في (ر): «إيها إيها إنها»، وفي (ف): «إنها إنها».

وطعنةٍ برمحٍ ورميةٍ بسهمٍ، فكنا نقول: فيه وفي أصحابه أنزلت: ﴿رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِ﴾[١].

وقال مجاهدٌ: قال ابن أبيٍّ وأصحابُه من المنافقين: ﴿لَوۡ نَعۡلَمُ قِتَالٗا لَّٱتَّبَعۡنَٰكُمۡ﴾ [آل عمران: ١٦٧]، فقال الله تعالى: ﴿فَقَدۡ رَأَيۡتُمُوهُ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ﴾ يومَ أحد. فعلى هذا نزلت الآية في المنافقين.

وقال الإمام أبو منصورٍ رحمه الله: يحتمِل قولُه جلَّ جلالُه: ﴿تَمَنَّوۡنَ ٱلۡمَوۡتَ﴾ أنها في قومٍ تمنَّوا عين الموت خوفًا عن الرجوع عن الدين، فتمنَّوا الموت على الإسلام، ويحتمِل أنهم تمنَّوا الموت ليتخلَّصوا عن تعذيب الكفار إياهم، وخافوا بها على دينهم فأحبوا أن يموتوا فيَتخلَّصوا[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ﴾؛ أي: إلى من يموتون بالقتل.

فإن قالوا: تمنِّي الموتِ بالشهادة تمنِّي قتلِ الكافر إياهم على الإيمان، وذاك كفرانٌ، أفلا[٣] يكون رضىً بالكفر؟

قلنا: لا، وهو[٤] تمني الجهادِ والصبرِ عليه إلى أن يُستشهدوا، أو هو تمنِّي أن يعذَّب الكافر على كفره، وهو غاية استقباح الكفر، قال الله تعالى خبرًا عن موسى وهارون صلوات الله عليهما أنهما قالا: ﴿رَبَّنَا ٱطۡمِسۡ عَلَىٰٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ وَٱشۡدُدۡ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُواْ﴾ [يونس: ٨٨].

---

(١) رواه البخاري (٤٠٤٨)، ومسلم (١٩٠٣)، من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) هذا الكلام وقع فيه اختلاف في التقديم والتأخير بين النسخ، وقد أثبتنا ما في (أ) فهو الأقرب لكلام «التأويلات». انظر: «تأويلات أهل السنة» (٢/ ٤٩٧).

(٣) في (ر) و(ف): «وذاك كفرٌ فلا».

(٤) في (ف): «قلنا هو».

وقال(١) الإمام القشيري رحمه الله: مَن ظنَّ أنه يصل إلى محلٍّ عظيمٍ من دون مقاساة(٢) الشدائد أَلْقته أمانيه في مهواة الهلاك، وإنَّ مَن عرَف قَدْرَ مطلوبه سهُل عليه بذلُ مجهوده؛ قال الشاعر:

وما جاد دهرٌ بلذَّاته ... على مَن يَضِنُّ بخلعِ العِذَار(٣)

وقال آخر:

إذا شام الفتى برقَ المعالي ... فأَهْوَنُ فائتٍ طِيبُ الرُّقاد(٤)

* * *

(١٤٤) ـ ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى اللَّهُ الشَّٰكِرِينَ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾: لمَّا انهزم المسلمون يوم أحدٍ عُوتبوا فاعتلوا أنهم سمعوا صارخًا يصرخ: ألَا إن محمدًا قد قتل، فنزلت الآية: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾: أي: مضت، ولم يكونوا لا يموتون ولا يقتلون، بل قتل كثيرٌ منهم ومات(٥) الباقون، وذلك لا يوجب ارتفاعَ الدِّين ولا تركَ أتباعهم جهادَ الكافرين.

---

(١) في (ف): «قال».

(٢) في (ر): «ملاقاة».

(٣) البيت لأبي نواس يرد على مسلم بن الوليد عندما قال له: خلعت عذارك، وأطلت الإكباب على المجون حتى غلب على لبّك، وما كذا يفعل الأدباء. انظر: «التذكرة الحمدونية» (٨/ ٤٠٢).

(٤) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٢٨١). والبيت لأبي عبد الرحمن النيلي كما في «الدر الفريد وبيت القصيد» للمستعصمي (٢/ ٤٥٣).

(٥) في (أ): «وفات».

قوله تعالى: ﴿أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ﴾: الألفُ ألفُ استفهامٍ[١] بمعنى التوبيخ، وهو في الحقيقة داخلٌ في قوله تعالى: ﴿انقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ﴾؛ لأن تقديره: أفتنقلبون على أعقابكم إن مات أو قتل.

وإنما جاز لأنه دخل[٢] الشرطَ فصار كلُّه كلامًا واحدًا بشرطه وجزائه[٣]، فصار دخول الاستفهام في أوله دخولًا في الخبر المذكور فيه، وهو كقولك: أزيدٌ ضربك أم عمرو، وهو في الحقيقة داخلٌ في الضرب وإن ذُكر ظاهرًا في زيد؛ لأن الكلام[٤] صار شيئًا واحدًا.

والانقلاب على العَقِبَين مجازٌ عن الردَّة، وقد كشفنا عن حقيقته في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾.

وقيل: هو مجازٌ عن الانهزام هاهنا؛ كما في قوله تعالى: ﴿نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾ [الأنفال: ٤٨] ومَن انقلب على عقبيه فقد رجع إلى الطريق الذي كان جاء منه، والمنهزِم كذلك صورةً والمرتدُّ كذلك معنًى.

وفيه استنكار كلِّ واحدٍ من الأمرين عليهم، يقول: موتُ النبيِّ ﷺ أو قتلُه لا يوجب الارتداد ولا التخلُّفَ عن الجهاد.

ثم إنما أُدخل[٥] (أو) بين الموت والقتل وهو للتشكيك، مع أن الله تعالى علم أنه يموت ولا يقتل، إخفاءً لعاقبته؛ ليكون قتاله الكفارَ من غيرِ تَوَقٍّ دليلًا على كمال

---

(١) في (أ): «الاستفهام».

(٢) في (أ): «دخله».

(٣) في (ر): «وجوابه».

(٤) في (أ): «الكل».

(٥) في (ر): «دخل».

شجاعته، ولا يحملَ عدوٌّ ذلك على أنه لما سمع أنه يموتُ ولا يقتل أَمِن القتلَ في الجهاد فلذلك لا يَتوقَّى.

وقيل: كان خروجه عن الدنيا بالموت والقتل جميعًا، فإن أُكلة خيبر كانت تُعادُّه، وبها خرج عن الدنيا(١)، وذلك في معنى القتل وهو موتٌ على الفراش ظاهرًا، فلذلك جمع بينهما.

وقال ابن عباسٍ رضي الله عنهما: كان أناسٌ من أهل النفاق قالوا يوم أحد حين فرَّ الناس: إن كان محمدٌ قُتل فالحَقوا بدينكم الأول، فنزلت الآية(٢).

وقال قتادة: لَمَّا أُخبروا بقتل محمدٍ عليه السلام قال ناسٌ منهم: لو كان نبيًا ما قُتل، وقال(٣) ناسٌ: قاتِلوا على ما عليه قاتل نبيُّكم حتى يَفتح الله عليكم أو تلحقوا به، فنزلت الآية(٤).

وقال مجاهد: مرَّ رجلٌ من المهاجرين على رجلٍ من الأنصار يتشحَّط في دمه فقال: يا فلان! أشعرت أن محمدًا قُتل؟ فقال الأنصاري: إن كان محمدًا قتل فقد بلَّغ فقاتِلوا عن دينكم(٥).

---

(١) يشير إلى حديث: «ما زالتْ أُكْلةُ خيبرَ تُعَادُّني فهذا أَوَانُ قَطَعَتْ أَبْهَرِي»، علقه البخاري جزماً (٤٤٢٨) من حديث عائشة رضي الله عنها، ووصله البيهقي في «السنن الكبرى» (١٠/ ١١). وانظر في قصة الشاة المسمومة التي أهديت له ﷺ بخيبر حديث أبي هريرة عند البخاري (٣١٦٩)، وحديث امرأة كعب بن مالك في «مسند أحمد» (٢٣٩٣٣).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ١٠٣ ـ ١٠٥) عن الضحاك وابن جريج. وروى في الموضع نفسه معناه عن ابن عباس في قصة، لكن إسناده ضعيف جدًّا.

(٣) في (ف): «فقال»، والمثبت موافق لما في المصدر.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٩٨).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٩٩و ١٠٢) عن الربيع وابن جريج.

وقال إبراهيم النخعيُّ: لما قُبض النبي ﷺ كان أبو بكرٍ الصديق رضي الله عنه غائبًا، فلما حضر كَشف عن وجه رسول الله ﷺ وقبَّل بين عينيه، وقال: بأبي أنت وأمي طبتَ حيًّا وميتًا، وخرج وصعد المنبر وقال بعد أنْ حمد الله وأثنى(١) عليه: ألَا مَن كان يعبدُ محمدًا فإن محمدًا قد مات، ومَن كان يعبدُ ربَّ محمدٍ فإنه حيٌّ لا يموت، ثم قرأ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾ الآية(٢).

قوله تعالى: ﴿وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾: أي: ومَن يرتدَّ عن الإسلام.

وقيل: أي: ومَن يرجعِ القَهْقَرى في الانهزام.

وقوله تعالى(٣): ﴿فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا﴾: أي: جَلَّ الله أن يَلحقه ضررٌ أو يدخلَ مُلكَه نقصٌ(٤) وإنما ضرَّ نفسَه مَن فعَل ذلك وألحق النقصَ بنفسه، وهذا وعيدٌ للمرتدِّين والمنهزِمين بالعقاب.

قوله تعالى: ﴿وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾: وهذا وعدٌ للثابتين والمجاهدين بالثواب.

***

(١٤٥) ـ ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ۗ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْءَاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ۚ وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا﴾: أي: بإماتة الله للوقت الذي كتبه أجلًا لها.

---

(١) في (أ) و(ف): «بعد حمد الله والثناء».

(٢) رواه البخاري (٣٦٦٧ ـ ٣٦٦٨) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣) «وقوله تعالى» ليس في (أ).

(٤) في (ر): «نقصان».

وقيل: ﴿بِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: بعِلم الله؛ أي: بالوقت(١) الذي عَلم بموته فيه.

وقيل: أي: بأمر(٢) الله ملكَ الموت بقبضِ روحه.

و﴿كِتَٰبٗا﴾ مصدرٌ لفعلٍ محذوفٍ، وتقديره: كتب(٣) الله كتابًا.

وقيل: هو منصوبٌ بحذف الباء؛ أي: بكتابٍ مؤجَّلٍ؛ أي: مكتوبٍ في اللوح المحفوظ، وله وجهان:

أحدهما: أن محمدًا لو مات أو قُتل فذاك حكمٌ جرى عليه من الله تعالى في اللوح المحفوظ(٤) في الأجل الذي جعله له، فلِمَ ارتدادُكم أو انهزامُكم؟

والثاني: أن الموت ليس بالجهاد، ولا الحياةَ بالتخلُّف عنه، وهو تحريضٌ على الجهاد، وبيانٌ أنَّ(٥) المجاهد لا يموت إلا عند أجله(٦)، والمتخلِّفَ عنه لا يَسلم عنه(٧) مع حضور أجله، وهذا ردٌّ على المنافقين قولَـهم: ﴿لَّوۡ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ﴾ [آل عمران: ١٥٦].

قوله تعالى: ﴿وَمَن يُرِدۡ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا﴾: أي: مَن يُرِدْ بقتاله الغنيمةَ أو الذِّكر نُعطِه ذلك.

---

(١) في (أ) و(ف): «في الوقت»، بدل: «أي: بالوقت».

(٢) في (ف): «يأمر».

(٣) في (أ): «كتبه».

(٤) «في اللوح المحفوظ» ليس في (أ).

(٥) في (ر): «بأن» بدل: «وبيان أن».

(٦) في (ف): «لا يموت بغير أجله».

(٧) «عنه» ليس في (أ).

قوله تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْآخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا﴾: أي: ومَن يُرِدْ به إعلاء كلمة الله والأجرَ والدرجةَ في الآخرة نُعطه ذلك.

ورُوي أن النبيَّ ﷺ سئل: إن الرجلَ يقاتل ليُذكر، ويقاتل ليُرى مكانُه، ويقاتل للغنيمة؟ فقال: «مَن قاتَلَ لتكون كلمةُ الله هي العُليا فهو الذي في سبيلِ الله»[١].

ومعنى وصلِ هذا بالأول: أن مَن قاتَل للدنيا انهزم إذا خاف القتل، ومَن أراد به الآخرة اغتَنم الشهادة.

قوله تعالى: ﴿وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ﴾: التكرير للتقرير، والآيةُ وإنْ وردت في القتال فهي عامَّةٌ في كل الأفعال.

* * *

(١٤٦) - ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ﴾: وكم من نبيٍّ قاتل معه ربيون كثير[٢].

قرأ ابن كثيرٍ ونافع وأبو عمرو: ﴿قُتِلَ﴾[٣] وتمَّ به الكلام؛ أي: وكم من نبيٍّ[٤] قُتل وكان معه ربيون كثيرٌ؛ أي: جماعاتٌ، واحدهم: رِبِّيٌّ، منسوبٌ إلى الرِّبَّة وهي الفرقة الكثيرة من الناس، قال حسان بن ثابتٍ:

---

(١) رواه البخاري (٣١٢٦)، ومسلم (١٩٠٤)، من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

(٢) «وكم من نبي قاتل معه ربيون كثير» من (أ).

(٣) قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو. انظر: «التيسير» (ص: ٩٠).

(٤) في (أ): «أي كم نبي قتل».

وإذا معشـرٌ تجافَـوا عـن الحقْـ ـقِ حـمـلـنـا عليهـم رِبِّيًّـا[١]

وقال ابن مسعودٍ رضي الله عنه: الربِّيون: الجموع[٢].

وقال مجاهد: الجموع الكثيرة[٣]، وقال الكلبي: واحدُهم عشرةُ آلافٍ[٤]، وقال الضحاك: الواحد ألفٌ[٥]، وقال قتادة: ﴿رِبِّيُّونَ﴾: ألوفٌ كثيرةٌ[٦].

وقرأ الحسن: (رُبِّيون) بضم الراء[٧]، وقال: تفسيرُه: الصُّبُرُ[٨].

وذكر ابن مجاهدٍ عن بعضهم: (رَبِّيون) بفتح الراء[٩] منسوبٌ إلى الرَّبِّ، كما يقال: ربانيٌّ وإلهيٌّ، ومعناه: عارفون بالله عاملون لله.

---

(١) استشهد به ابن عباس رضي الله عنهما في جواباته لنافع بن الأزرق، كما رواه ابن الأنباري في «إيضاح الوقف والابتداء» (١/ ٧٨). ولم نجده في «ديوان حسان».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ١١١)، وابن المنذر في «تفسيره» (١٠٠٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٧٨٠)، جميعهم بلفظ: ﴿رِبِّيُّونَ﴾: ألوف.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ١١٢ ـ ١١٦) عن مجاهد وابن عباس والحسن وقتادة والضحاك والسدي والربيع وعكرمة.

(٤) رواه ابن المنذر في «تفسيره» (١٠١٠) عن عطاء الخراساني.

(٥) رواه ابن المنذر في «تفسيره» (١٠٠٩).

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ١١٣ و ١١٤) بلفظ: (جموع كثيرة)، وكذا ذكره ابن المنذر في «تفسيره» (١٠١١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٧٨٠). وقد تقدمت الإشارة إليه قريبا.

(٧) انظر: «تفسير الثعلبي» (٣/ ١٨١) عن الحسن وابن مسعود وعكرمة وأبي رجاء، و«المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٢٩) عن علي وابن مسعود وابن عباس.

(٨) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ١١٥) بلفظ: (علماء صبروا)، وفي رواية: (أتقياء صبروا)، ورواه ابن المنذر في «تفسيره» (١٠١٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٧٨٠) بلفظ: (علماء صبرٌ). وروى عنه ابن أبي حاتم أيضاً قوله: (علماء كثير).

(٩) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٢٩)، و«المحتسب» (١/ ١٧٣)، كلاهما ذكرها عن ابن عباس.

وقراءة[١] العامة: ﴿قَـٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ﴾؛ أي: عاوَن النبيَّ عليه السلام في قتالِ العدوِّ جماعاتٌ كثيرةٌ، وعلى هذا ﴿رِبِّيُّونَ﴾ فاعلٌ بفعلهم وهو ﴿قَـٰتَلَ﴾، وعلى الأول رفعُه بقوله: ﴿مَعَهُۥ﴾.

ومعنى القراءتين واحدٌ؛ أي: كم من نبيٍّ قاتل الكفارَ ومعه جماعاتٌ من أتباعه، فأصابتهم جراحاتٌ وقُتل بعضهم فلم يَضعفوا، وكم من[٢] نبيٍّ قُتل هو وكان معه أتباعُه فلم يتركوا الجهاد، وهو قطعٌ لعذرِ هؤلاء في تركهم[٣] الجهادَ بسماعِ خبرِ قتلِ النبيِّ ﷺ.

وقال الإمام أبو منصورٍ رحمه الله: في الآية دلالتان:

إحداهما: على إثبات رسالة محمدٍ[٤] عليه السلام، حيث أَخبر عن حالِ الماضينَ، ولم يختلف إلى أحدٍ يعلم أخبارهم، فعُلم أنه[٥] بإخبار الله له[٦].

والثانية: أن العمل بشريعةِ مَن قبلنا ثابتٌ ما لم يظهر نسخُه؛ لأنه ذكر محاسنهم لنتَّبعهم في ذلك ونقتديَ بهم، وذكر مساوئهم وما لحقهم بذلك لننتهيَ عنها ونكونَ على حذرٍ مما أصابهم[٧].

قوله تعالى: ﴿فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ﴾: الوهن: انكسار الحدِّ[٨]

---

(١) في (ر) و(ف): «وقرأ». والمراد هنا قراءة العامة في ﴿قَـٰتَلَ﴾.

(٢) «من» ليس في (أ).

(٣) في (ف): «ترك».

(٤) في (أ): «النبي».

(٥) «أنه» من (أ).

(٦) «له» من (ف).

(٧) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٢/ ٥٠١).

(٨) في (ر) و(ف): «الجد»، والمثبت من (أ)، وهو الموافق لما في مطبوع «البسيط» للواحدي =

بالخوف، والضعف: نقصان القوة وقيل: فما وهنوا في دينهم وما ضعفوا في أنفسهم.

قوله تعالى: ﴿وَمَا ٱسْتَكَانُواْ﴾: أي: وما استسلموا لعدوِّهم[1] وما خضعوا[2] لهم، والكِينةُ[3] اسمٌ من الاستكانة، وهي الذلة والخضوع.

قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾: أي: الثابتين على الدِّين وجهادِ الكافرين، ورُوي أن النبيَّ ﷺ نادى المنهزمين وقال: «إليَّ أنا رسول الله» فوقفت الأنصار وعرفوا صوته، فطأطؤوا رؤوسهم وشدوا أسيافهم وقالوا: إليك[4] والله بآبائنا وأمهاتنا أنت، وقاتلوا حتى استُشهدوا، ولم ينظر منهم أحدٌ إلى رسول الله ﷺ حياءً منه، وكانوا ثمانيةً وثمانين رجلًا.

***

(١٤٧) ـ ﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾: قرأ العامة: ﴿قَوْلَهُمْ﴾

= (٦/ ٥٦)، و«إيجاز البيان عن معاني القرآن» لأبي القاسم النيسابوري (١/ ٢١٠)، وجاء في «أحكام القرآن» للجصاص (٢/ ٣٢٦): (انكسار الجسد)، وفي «النكت والعيون» (١/ ٤٢٨): (الانكسار بالخوف). وانظر: «تفسير القرطبي» (٥/ ٣٥٣) فقد وقع في نسخه ـ كنسخنا ـ اختلاف بين (الحد) و(الجد). وما أثبتناه هو الصواب، فإن الحد يطلق على بأس الإنسان ـ كما في «القاموس» (مادة: حدد) ـ فإذا خاف هذا الإنسان ذهب بأسه وأصابه الضعف.

(١) في (ر): «للعدو».

(٢) «وما خضعوا» من (ر)، وفي (أ) بدلًا منها: «وما ضعفوا»، وفي (ف): «وخضعوا».

(٣) في (ر): «والكنية»، وفي (ف): «واللينة».

(٤) في (ف): «لبيك».

بالنصب، وهو خبرُ ﴿كَانَ﴾، وقوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن قَالُوا۟﴾ (أنْ) مع الفعل مصدرٌ تقديره: إلا قولُهم، بالرفع[١]، وهو اسم (كان)، وتقدَّم الخبر هاهنا على الاسم.

وقرأ الحسن: (قولُهم) بالرفع[٢]، وهو اسمٌ و﴿أَن قَالُوا۟﴾ خبرٌ وهو في محل النصب.

قوله تعالى: ﴿وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا﴾: هو مجاوزة الحد، يقول: هؤلاء الذين هم أتباعُ الأنبياء الماضين كان قولَهم عند قتل الأنبياء هذا الدعاءُ، وهو مدحٌ لهم أنهم مع حُسن العمل استغفروا من الزَّلَل والخلَل.

وهذا[٣] مبالغةٌ في الاعتراف بالذنب، فإن الإسراف والذنب واحدٌ، وذكرُهما غايةُ سوء الظن بأنفسهم.

وقيل: الذنوب الصغائر، والإسراف بالكبائر[٤].

قوله تعالى: ﴿وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا﴾: قيل: على الإيمان، وقيل: على جهاد العدو.

قوله تعالى: ﴿وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾: أي: بالقوة والغلبة، وقيل: بالبرهان والحجة.

وقال الإمام القشيري رحمه الله: إن الذين درَجوا على الوفاء، وقاموا بحقِّ الصفاء، ولم يرجعوا من الطريق، وطالبوا أنفسهم بالتحقيق، وأخذوا عليها بالتضييق

---

(١) في (أ) و(ف): «وهو مرفوع».

(٢) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٢٩).

(٣) في (ف): «وهو».

(٤) في (ف): «الكبائر».

والتدقيق، وَجدوا محبةَ الحقِّ سبحانه ميراثَ صبرهم، وكان الخَلَفُ لهم[١] الحقَّ عند نهاية أمرهم، فما زاغوا عن شرط الجهد ولا راغُوا[٢] في حفظ العهد، وسلَّموا تسليمًا، وخرجوا عن الدنيا وكان[٣] كل واحدٍ منهم للعهد مستديمًا، وعلى شرط الخدمة والودِّ مستقيمًا، وما قالوا من الدعاء فقد تحقَّقوا بحقائق المعاني، وتحرَّسوا[٤] عن إظهار الدعاوي، ثم نطقوا بلسان الاستغفار، ووقفوا في مواقف الاستحياء، فكانوا[٥] كما قيل:

يتجنَّبُ الآثامَ ثم يخافُها فكأنما حسناتُه آثامُ[٦]

* * *

(١٤٨) ـ ﴿فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

قوله تعالى: ﴿فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا﴾: أي: أعطاهم جزاءهم في الدنيا الظَّفَرَ والنصرَ والغنيمة، والمدحَ والتعظيم والحرمة ﴿وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾؛ أي: الجنة والنعمة والقربة والرؤية، وذكرُ الحُسْنِ في ثواب الآخرة دونَ الدنيا؛ لصِغَر أمر الدنيا وحقارتها، وانقطاعِ ما فيها.

ثم إنما عَطف قولَه تعالى: ﴿وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ على قولِهِ: ﴿فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا﴾ ـ والإيتاءُ هو الإعطاء، وثوابُ الآخرةِ للحال غيرُ معطًى ـ لأن معنى الإيتاء

(١) في «اللطائف»: (عنهم).

(٢) في (ر): «راغوا.. زاغوا». ووقع في مطبوع «اللطائف»: (زاغوا) بالزاي في الموضعين.

(٣) في (أ): «فكان».

(٤) في (ف): «وتحرموا»، وحُرفت الكلمة في مطبوع «اللطائف» إلى: (فخرسوا).

(٥) في (ر): «وكانوا»، وليست في «اللطائف».

(٦) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٢٨٣).

في حق ثواب الآخرة هاهنا هو الحكمُ به والوعد، وهذا كقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ﴾ [التوبة: ٢٩].

وأراد به الالتزام؛ فإن حقيقة الإعطاء يكون بعد سنةٍ، والقتال يسقط بقبولهم الجزية، فكان ذلك إعطاءً على معنى أنه ثبت فصار كالمعطَى.

قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾: أي: هم محسِنون والله يحبهم ويُحسن ثوابَهم.

وقال الإمام أبو منصورٍ رحمه الله: يحتمِل أن يكون هو إحسانَ المعرفة، يقال: فلانٌ يُحسِن كذا، ويحتمِل أن يكون هذا اختيارَ محاسن الأفعال، ويحتمِل أن يكون هذا إحسانًا إلى نفسه بالعمل بما فيه النجاة[١].

وقال الإمام القشيري رحمه الله: ﴿فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا﴾ أقلُّ ذلك القناعةُ، ثم الرضا، ثم العيش معه، ثم الأنسُ[٢] بقربه، ثم كمالُ الفرح بلقائه[٣].

﴿وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾: دخولهم الجنة وهم محرَّرون عنها غيرُ داخلين في أسرها.

قال: ويقال: ثوابُ الدنيا والآخرة: الغيبةُ عن الدارين برؤية خالقهما، ثم حُسنُ ثوابِ الآخرة بدوامه وتمامه، وأنْ لا يشوبه[٤] ما ينافيه[٥].

* * *

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٢/ ٥٠٤).

(٢) في (ف): «الأمن».

(٣) في النسخ: «ببقائه» والمثبت من «لطائف الإشارات»، وزاد: (ثم استقلال السر بوجوده).

(٤) في (ر): «ولا يعارضه»، بدل: «وأن لا يشوبه».

(٥) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٢٨٣ - ٢٨٤).

(١٤٩) ـ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾.

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾:

قال الحسن وابن جريجٍ: أي: إنْ تطيعوا أهل الكتاب[١].

وقال السُّدِّي: أي: إن تطيعوا أبا سفيان وأصحابه يَرجعوكم كفارًا[٢]، وكانوا يقولون للمسلمين: إن محمدًا قد قُتل فالحَقوا بعشائركم تأمَنوا على أنفسكم، وكانوا يقولون: لو كانوا عندنا وأطاعونا ما ماتوا وما قتلوا.

وقوله تعالى: ﴿فَتَنْقَلِبُوا﴾ يجوز أن يكون مجزومًا عطفًا على قوله: ﴿يَرُدُّوكُمْ﴾، ويجوز أن يكون نصبًا لأنه جواب الشرط بالفاء، وحذفُ النونِ يدلُّ على كلٍّ واحدٍ منهما.

* * *

(١٥٠) ـ ﴿بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ﴾.

قوله تعالى: ﴿بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ﴾: ﴿بَلِ﴾ ردٌّ لِمَا قبله وهو طاعة الكفار، و﴿اللَّهُ﴾ مبتدأٌ، و﴿مَوْلَاكُمْ﴾ خبرُه؛ أي: هو ناصرُكم وحافظُكم وحبيبكم ومتولِّي أموركم، فهو أَولى أن يُطاع، وكذلك[٣] هو خير مَن ينصركم فهو أحقُّ أن يؤتمر بأمره.

---

(١) رواه عن ابن جريج الطبري في «تفسيره» (٦/ ١٢٥)، وابن المنذر في «تفسيره» (١٠٣٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٧٨٥).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ١٢٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٧٨٤).

(٣) في (ف): «وذلك».

وقرأ طلحة: (بل اللهَ مولاكم) بالنصب[١]؛ أي: بل أطيعوا الله، و(مولاكم) نعتُه على النصب أيضًا.

* * *

(١٥١) - ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾: بيانُ[٢] قوله: ﴿وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ﴾، والرعب: الخوف الذي يملأ القلب، يقول وإن نالكم للحال بعضُ الشدة بعصيانكم فسنلقي في قلوبهم الخوف فتكونُ العاقبةُ لكم بإيمانكم.

وقد حقَّق هذا الوعدَ فألقى في قلوب أبي سفيان وأصحابِهِ الرعبَ فلم يجيؤوا في بدرٍ الصغرى وإنْ وَعدوا ذلك.

قوله تعالى: ﴿بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾: (ما) مفعولٌ بوقوع ﴿أَشْرَكُوا﴾ عليه، والسلطان: البرهان، وأصله: القوة، فسلطان الملك: قوته، وسلطان المدَّعِي: حُجتُه، وبها يَقْوَى على دفع الـمُبْطِل.

وقيل: هو من السَّليط، وهو دُهن الزيت، وبه ضوءُ السراج، فالسلطان هو الحجةُ النيِّرة، يقول: ألقى الله في قلوبهم الخوف عقوبةً لهم على شركهم ولا حجةَ لهم فيه.

وهذا ذمٌّ لهم على تقليدهم آباءهم في الضلال، وكانوا مقرِّين بالله، وأنه هو[٣]

---

(١) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٢٩).

(٢) في (ر) و(ف): «وهو بيان».

(٣) «هو» من (أ).

خالقُهم، فكان يلزمُهم بحكم إقرارهم ألَّا يعبدوا(١) معه غيرَه، إلا أن يأمرَهم به فيكون ذلك إنزالَ السلطان.

وذكَر الإنزالَ لأن الأمر يكون على ألسنةِ الأنبياء بإنزالِ الله ذلك إليهم بواسطة الملائكة من السماء.

قوله تعالى: ﴿وَمَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ﴾: أي: مصيرُهم جهنم في الآخرة ﴿وَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾؛ أي: وساء مقامُ الكافرين الذين ظلموا أنفسَهم ووضعوا الشيء في(٢) غير موضعه، وقال في حق المؤمنين: ﴿وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ﴾ مكان قوله في حق الكافرين: ﴿وَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

* * *

(١٥٢) - ﴿وَلَقَدۡ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥٓ إِذۡ تَحُسُّونَهُم بِإِذۡنِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلۡتُمۡ وَتَنَٰزَعۡتُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ وَعَصَيۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنۡيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۚ ثُمَّ صَرَفَكُمۡ عَنۡهُمۡ لِيَبۡتَلِيَكُمۡۖ وَلَقَدۡ عَفَا عَنكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥٓ﴾: أي: حقَّق ﴿إِذۡ تَحُسُّونَهُم بِإِذۡنِهِۦ﴾؛ أي(٣): تقتلونهم وتستأصلونهم بتخليته.

وقد حسَّ البردُ الجرادَ؛ أي: قتله واستأصله، يَحُسُّه بالضم، وسَنَةٌ حَسُوسٌ: تأتي على كل شيءٍ، وحرثٌ محسوسٌ؛ أي(٤): استأصله البرد.

---

(١) في (أ): «يعبد».

(٢) «في» ليس في (أ).

(٣) في (ف): «﴿وَلَقَدۡ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥٓ إِذۡ تَحُسُّونَهُم بِإِذۡنِهِۦ﴾؛ أي: حقق لكم أن».

(٤) «أي» ليس في (ف).

يقول: قد صدَق الله هذا الوعدَ، وهو قوله: ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٠]، وقولُه تعالى: ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ﴾ [آل عمران: ١٥١] وقولُه تعالى: ﴿يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم﴾ بكذا[١]، قد صدق هذا الوعدَ في ابتداء الأمر يوم أحدٍ إذ غلبتُم الكفار وقتلتُم كثيرًا منهم، غيرَ أن هذا الوعد كان معلقًا بقوله: ﴿إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟﴾ [آل عمران: ١٢٥].

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ﴾: أي: جبُنْتُم ﴿وَتَنَٰزَعْتُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾؛ أي: اختلفتُم ﴿وَعَصَيْتُم﴾؛ أي: خالفتُم أمر النبيِّ عليه السلام بلزوم المراكز.

وقولُه تعالى: ﴿مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ﴾؛ أي: من قهر الكفار.

و(حتى إذا) يطلب جوابًا، واختُلف في جوابه:

قيل: هو مضمرٌ في آخره، وهو: قطع عنكم نصرته.

وقيل: الواو في ﴿وَتَنَٰزَعْتُمْ﴾ مقحمةٌ زائدةٌ[٢].

وقيل: فيه تقديمٌ وتأخيرٌ[٣]، وتقديره: حتى إذا تنازعتُم فشلتُم، فكان الاختلافُ هو سببَ الفشل، قال تعالى: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟﴾ [الأنفال: ٤٦]، ونظيرُ هذه الواوِ

---

(١) «بكذا» ليس في (ف).

(٢) وهذا لا يستقيم إلا باعتبار التقديم والتأخير ـ وهو ما سيأتي بعده ـ لأن انتفاء هذا الاعتبار يؤدي إلى أن يكون التنازع مسبباً عن الفشل، والأمر على العكس كما جاء في صريح الكتاب وسيأتي.

(٣) يعني: مع القول بزيادة الواو، وهذا قول الفراء؛ أي: زيادة الواو مع التقديم والتأخير. انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٢٣٨). وقد ضعف هذا القول أبو حيان، ورجح القول بالإضمار ـ كالمؤلف فيما سيأتي ـ وأن التقدير: انقسمتم قسمين، مستظهراً ذلك على قول ابن عطية: انهزمتم، والزمخشري: منعكم نصره، وغيرهما: امتُحنتم. وهي تقادير متقاربة كما قال. قلت: وكذا تقدير المصنف الذي يتوافق مع تقدير الزمخشري. وانظر: «البحر المحيط» (٦/ ٢٠٠).

المقحَمة في القرآن في[١] آيات: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ ﴾ [الأنبياء: ٩٦] إلى قوله: ﴿وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ﴾ [الأنبياء: ٩٧]، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا﴾ [الزمر: ٧١]، ﴿فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ١٠٣ وَنَٰدَيۡنَٰهُ﴾ [الصافات: ١٠٣ ـ ١٠٤]، ﴿فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ وَأَجۡمَعُوٓاْ أَن يَجۡعَلُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ﴾ [يوسف: ١٥].

والأصح أن الواو مثبتةٌ والكلَّ موصولٌ، والجواب في آخره محذوفٌ، ومثلُه[٢] في القرآن كثيرٌ، ومنها قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ أَنَّ قُرۡءَانٗا سُيِّرَتۡ بِهِ ٱلۡجِبَالُ﴾ الآية[٣] [الرعد: ٣١]، وجوابه محذوفٌ وتقديره: لكان هذا القرآنَ.

وكان لهم النصر إلى أن اختلفوا وتنازعوا، ومال بعضهم إلى الدنيا وقالوا: لقد[٤] وقع الفتح ونخاف أن نُسبق إلى الغنائم.

وقيل: خافوا أن يكون الأمر في الغنائم يومَ أحدٍ كهو في يوم بدرٍ مَن أخذ شيئًا فهو له خاصةً، فآثَروا الدنيا على طاعة رسول الله.

وقال بعضُ الرماة: بل نلزم مراكزنا[٥]، ونحفظُ وصيةَ نبيِّنا[٦]، فإنه كان قال لهم: «لا تَبْرَحوا مراكزكم وإنْ رأيتُمونا يتخطَّفُنا الطير»[٧]، ففشلوا؛ للتنازع بينهم، وميلِ مَن مال منهم إلى الدنيا، فانقلب الأمر لخلافهم[٨] الشرطَ الذي كان يدومُ به النصر.

---

(١) «في» من (ف).

(٢) في (ف): «ومثل هذا».

(٣) «الآية» من (أ).

(٤) في (ف): «قد».

(٥) في (ف): «مركزنا».

(٦) في (أ): «ونحفظ وصيته».

(٧) رواه البخاري (٣٠٣٩) من حديث البراء، وقد تقدم خلال قصة أحد.

(٨) في (أ): «بخلافهم».

قال(١) الواقدي: ما أَظفر الله رسولَه في موطن ما أظفره وأصحابَه يومَ أحدٍ حتى عصوه، لقد قُتل أصحاب لوائهم وانكشف المشركون وتداعت نساؤهم بالويل بعد ضرب الدُّفوف، وكلما أتى خالد بن الوليد من سفح الجبل(٢) ردَّه الرماة(٣).

وكان النبيُّ ﷺ قال للرماة: «قوموا على مصافِّكم ولا تبرحوا بحال»(٤)، وأميرهم عبد الله بن جُبير.

فلما انهزم المشركون وتبعهم المسلمون قال بعضُ الرماة لبعض: لمَ تقيمون هاهنا في(٥) غيرِ شيءٍ؟ قد هزَم الله العدو فادخلوا عسكر المشركين فاغنَموا مع إخوانكم.

فقال بعضهم: ألم تَعلموا أن النبيَّ ﷺ قال: «احموا ظهورنا ولا تبرحوا مكانكم».

فقال الآخرون: لم يُرِدْ رسولُ الله ﷺ هذا، وقد أذلَّ الله العدوَّ.

فلما اختلفوا خطبهم أميرُهم عبدُ الله بن جبير فحمد الله وأثنى عليه ثم أمرهم بطاعة الله وطاعة رسوله.

فعصوا وانطلقوا، فلم يبق مع الأمير إلا أقلُّ من عشرةٍ، واستدارت رحاهم، ونظر خالد إلى خلاء الجبل فكرَّ عليهم بالخيل في خمس مئة فارسٍ، فحمل الرماة

---

(١) في (أ): «وقال».

(٢) في هامش (أ): «سفح الجبل؛ أي: مضطجعه».

(٣) في هامش (ف): «صدوه» وعليها علامة التصحيح، لكنها ليست في «مغازي الواقدي».

(٤) «ولا تبرحوا بحال» ليس في (ف). وفي «مغازي الواقدي»: «قُومُوا على مَصَافّكم هذا، فاحمُوا ظهورَنا، فإنْ رأيتُمونا قد غَنِمْنا لا تَشْرَكُونا، وإنْ رأيتُمونا نُقْتَلُ فلا تَنصُرونا».

(٥) في (ف): «من»، والمثبت موافق لما في «مغازي الواقدي».

عليهم ورمى عبد الله حتى فَنِيتْ نَبْلُه، ثم طاعن بالرمح حتى انكسر، ثم كَسرَ جَفْنَ سيفه فقاتلهم حتى قتل(١).

قوله تعالى: ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا﴾: أي: الغنيمةَ(٢) ﴿وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ﴾: أي: الثواب والشهادة، قال ابن مسعودٍ: ما علمتُ أن أحدًا منا يريد الدنيا حتى نزلت هذه الآية(٣).

ثم قولُه تعالى: ﴿وَعَصَيْتُم﴾ هذا عامٌّ أريد به الخصوص، وهم الذين خالفوا أمرَ النبيِّ ﷺ في ترك المركز(٤).

ثم فواتُ النصر وغلبةُ العدو كان عقوبةً للعصاة خاصةً، والآخرون أُكرموا بالثناء والثواب ودرجةِ الشهادة، كما يُخسف ببلدٍ وفيهم صبيانٌ وبهائمُ، فتكون العقوبة للعاصِين(٥)، ولا عقوبة للآخرين، وإنما هو درجةٌ لهم وكرامةٌ يومَ الدِّين، وقد رُوي في بعض الأخبار أنه يُخسَف بقومٍ في آخِر الزمان ثم يُبعث كلُّ واحدٍ منهم يوم القيامة على نيَّته(٦).

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾: أي: بهزيمتكم والتولِّي عنهم، وهو حجةُ أهل السنَّة والجماعةِ في أن الله تعالى خالقُ أفعال العباد.

وقولُه تعالى: ﴿لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾؛ أي: ليشدِّدَ عليكم بعصيانكم، وهو ابتداءُ عقوبةٍ.

---

(١) انظر: «مغازي الواقدي» (١/ ٢٢٩ ـ ٢٣٠).

(٢) في (ف): «بالغنيمة».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ١٤٠).

(٤) في (ف): «فتركوا» بدل: «في ترك المركز».

(٥) في (ف): «للمخالفين».

(٦) رواه مسلم (٢٨٨٢) من حديث أم سلمة رضي الله عنها.

وقيل[1]: هو ابتلاءٌ ببليةٍ أَمر الله تعالى بالصبر عليها ووعَد الثواب[2] عليه.

وقيل: معناه: ليبتليكم بسيوف الكفار عقوبةً على ترك الائتمار.

وقيل: ليَمِيز المؤمنَ من المنافق والمطيعَ من العاصي، وحقيقتُه: ليختبركم، ومعناه: ليُعاملكم معاملة المختبِرين؛ لأنه يجازِي على ما يَعمله العبد، لا على ما يَعلمه منه.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ﴾: يعني: أيها المنهزمون، فلم[3] يُهلِكْكُم ولم يسلِّط عليكم عدوَّكم.

وقيل: ترَكَكم أحياءً بعدما قُتل سبعون منكم.

وقيل: غفر لكم مع سَبْق الوعيدِ[4] وقولِه تعالى: ﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ﴾ الآية [الأنفال: ١٦]، وهو العفوُ عن الانهزام.

وقيل: هو العفو عما كان منهم من الفشل وإرادةِ الدنيا.

وقيل: الخطاب في ﴿صَرَفَكُمْ﴾ لغير المنهزمين، وفي ﴿عَفَا عَنكُمْ﴾ للمنهزمين، وإن كان على نسقٍ واحدٍ؛ كما في قوله تعالى: ﴿فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ﴾ [التوبة: ٤٠] الكناية ترجع إلى أبي بكرٍ الصدِّيق رضي الله تعالى عنه، وقوله تعالى: ﴿وَأَيَّدَهُ﴾ ترجع إلى النبي ﷺ؛ لأن الخوف والحزن كانا للصدِّيق، فكانت السكينةُ منزَلةً عليه، وكان التأييدُ بالجنود للنبي عليه السلام معجزةً له، فرجعت

(١) في (ف): «قيل».

(٢) في (أ): «بالثواب».

(٣) في (ر) و(ف): «فإنه لم».

(٤) في (ف): «التوكيد».

إحدى الكنايتين إلى غيرِ مَن رجعت إليه الأخرى، وكذا قولُه تعالى: ﴿ويوقروه ويسبحوه﴾.

قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾: أي: بالعفو عنهم، وقبولِ توبتهم، وتركِ استئصالهم، وبكلِّ حالٍ.

وقال الإمام أبو منصورٍ رحمه الله: في هذه الآيات دلالاتٌ على إبطال قول المعتزلة بوجوب الأصلح على الله تعالى، وهو قولُه[1] تعالى: ﴿نُدَاوِلُهَا بَيۡنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠] وقولُه: ﴿ثُمَّ صَرَفَكُمۡ عَنۡهُمۡ﴾ [آل عمران: ١٥٢] وقولُه تعالى: ﴿وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٢]، وقولُه تعالى: ﴿لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَتۡلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمۡ﴾ [آل عمران: ١٥٤][2].

***

(١٥٣) - ﴿۞ إِذۡ تُصۡعِدُونَ وَلَا تَلۡوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٖ وَٱلرَّسُولُ يَدۡعُوكُمۡ فِيٓ أُخۡرَىٰكُمۡ فَأَثَٰبَكُمۡ غَمَّۢا بِغَمّٖ لِّكَيۡلَا تَحۡزَنُواْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمۡۗ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿إِذۡ تُصۡعِدُونَ﴾: أي: عفا عنكم إذ تُصعدون، والإصعاد: هو النفوذ في مستوى الأرض، والصعود: الارتفاع[3].

وقيل: الإصعاد: الإبعاد في الضرب في الأرض.

وقيل: الإصعاد في الوادي، والصعود في الجبل.

---

(١) في (أ): «وهي قوله»، وفي (ف): «وقوله».

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٢/ ٥٠٧).

(٣) في (أ): «الارتداع».

وقال صاحب (الديوان): الإصعادُ في الأرض، والتصعيد في الجبل، والصعود[1] في السلم.

وقال أبو معاذٍ النحويُّ[2]: كلُّ شيءٍ له أسفلُ وأعلى كالوادي والنهر والزقاق فإنك تقول: أَصعد فيه: إذا أخذ من أسفله إلى أعلاه، وتقول: أَصعَدَ الحاجُّ: إذا ابتدأ يريد مكة، وإذا ارتفع ارتفاعًا كما في السلَّم قلتَ: صَعِدَ.

وقال ابن عرفة[3]: كلُّ مبتدئٍ إذا قصد جهةً[4] من سفرٍ وغيرِه فهو مُصْعِدٌ في ابتدائه منحدِرٌ في رجوعه من أيِّ بلدٍ كان.

وقرأ الحسن وأبو عبد الرحمن السُّلَمي: ﴿تَصْعَدُونَ﴾ بفتح التاء من الصعود على الجبل[5].

وقراءة العامة: ﴿تُصْعِدُونَ﴾ بالضم، وفي قراءةِ أبيٍّ بن كعبٍ وعبد الله بن مسعودٍ رضي الله عنهما: (إذ تُصْعِدون في الوادي)[6]، والرواية المشهورة ذهابُهم في الوادي، ويحتمل أنهم ذهبوا في الوادي ثم صَعِدَ بعضهم إلى[7] الجبل ملتجئًا به.

---

(١) في (أ) و(ف): «والصعود».

(٢) الفضل بن خَالِد، أبو معاذ النَّحْوِي المروزِي مولى باهلة، روى عن عبد الله بن المُبارك وداوُد بن أبي هِنْد،، وَأكْثر عَنهُ الأزهري في «التَّهْذِيب»، وذكره ابن حِبَّان في «الثِّقَات»، وصنَّف كتاباً في القرآن، ومات سنة (٢١١هـ). انظر: «بغية الوعاة» (٢/ ٢٤٥).

(٣) هو إبراهيم بن محمد بن عرفة، توفي سنة (٣٢٣هـ)، وهو مشهور باسم: نفطويه أيضاً.

(٤) في (ر): «كل مستبدئ وجهاً»، وفي (ف): «كل مبتدئ وجهاً»

(٥) انظر: «الكشاف» (١/ ٤٧١)، و«المحرر الوجيز» (١/ ٥٢٦)، و«تفسير القرطبي» (٥/ ٣٦٥).

(٦) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٢٣)، و«الكشاف» (١/ ٤٢٧). ومثل هذه القراءات محمول على التفسير.

(٧) «إلى» ليس في (ف).

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَلْوُۥنَ﴾: أي: لا تعرِّجون، وقيل: لا تَعطِفون، وقيل: لا تَقِفون، وقيل: لا تلتفتون، وقيل: لا تلبثون.

وهو من قولك: لوى جِيدَه إليه ملتفتًا إليه، قال امرؤ القيس:

عشيةَ جاوَزْنا حماةَ وشَيْزَرا   أخو الجَهْد لا يَلْوِي على مَن تَعَذَّرا[١]

وقوله تعالى: ﴿عَلَىٰٓ أَحَدٍ﴾: أي: على أحدٍ من الآحاد، وهو إخبارٌ عن[٢] غايةِ انهزامهم وخوفِ عدوِّهم[٣].

وقال الكلبي: ﴿عَلَىٰٓ أَحَدٍ﴾؛ أي: على الرسول عليه الصلاة والسلام.

قوله تعالى: ﴿وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ﴾: أي: يناديكم في آخركم[٤]، والتأنيثُ لمعنى الطائفة والفرقة، وكان يقول: «إليَّ عبادَ الله»، لا استعانةً[٥] بهم، بل أمرًا بالمعروف ونهيًا عن المنكر وهو الانهزامُ وتركُ قتال الكفار.

---

(١) من قوله: «قال امرئ القيس..» إلى هنا ليس في (أ). وهذا البيت ورد كما ذكره المؤلف في «المخصص» لابن سيده (٤/ ١٤٦)، و«العمدة» لابن رشيق (٢/ ٧٧)، و«الفائق» للزمخشري (١/ ٢٧)، و«التكملة» للصاغاني (٣/ ١٣٧). وعندهم عدا ابن رشيق: (حماة وسيرنا)، قال ابن سيده: أي: وسيرنا جاهد. ومعنى (تعذر): احتبس لما يعذر به، ويروى: (تغدرا)؛ تخلف، قاله الصاغاني. وهذا البيت وقع في الديوان مجموعاً من عجزي بيتين لامرئ القيس (ص: ٩٥)، هما:

تَقَطَّع أسبابُ اللُّبانةِ والهوى   عشيةَ جاوزنا حماة وشيزرا
بسَيرٍ يَضجُّ العَوْدُ مِنْهُ يَمنُّهُ   أخو الجهد لا يلوي على مَن تَعذَّرا

(٢) في (أ): «إخبار من» وفي (ر): «عبارةٌ عن».

(٣) أي: وخوفهم من عدوهم، فالمصدر مضاف إلى المفعول.

(٤) في (أ): «أخراكم».

(٥) في (أ): «استغاثة».

وكان ينادي: «يا آل سورة البقرة، يا آل سورة آل عمران، يا آل الحواميم[١]، يا آل طه»، ونحوَ ذلك، وكان كلُّ فريقٍ تعلَّموا سورًا، فكان[٢] يعرفهم بها، فلم يقف من المنهزمين إلا طلحةُ وتسعةٌ من الأنصار، فتقدَّموا وقاتلوا الكفار حتى استُشهِدَ هؤلاء التسعةُ وبقي طلحة، فقال النبيُّ ﷺ لطلحةَ: «ما بقي من الأنصار في حقِّنا شيءٌ لم يفعلوه، بذلوا أنفسَهم وأموالهم لأجْلنا، وما بقي إلا أنتَ وأنا في نحرِ العدوِّ، فإمَّا أن تتقدَّمَ أو أتقدَّمَ»، فتقدَّم طلحة وقاتلهم فقُطعت إصبعُه فقال: آه، فقال عليه السلام: «لو قلتَ: الله، لرفعَتْك الملائكة إلى السماء والناسُ ينظرون»، ثم قاتلهم حتى هزمهم، وجاء الناس واجتمعوا عند رسول الله ﷺ، ثم جعلوا يتأسَّفون على القتلى وعلى الجرحى وعلى فوتِ الغنيمة، فإذا خالد بن الوليد قد صعد الثنية يقصدهم في خمس مئة فارسٍ[٣]، وذلك[٤] قوله تعالى:

﴿فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ﴾: أي: جازاكم غمَّ قصدِ خالدِ بن الوليد بسبب اغتمامِكم على ما كان من القتل والجرح وفوتِ الغنيمة، وكان ينبغي لكم ألا تغتموا لذلك[٥]، ولذلك قال: ﴿لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ﴾؛ أي: مع سلامة نبيِّكم.

وقيل: بسبب غمِّكم النبيَّ ﷺ بمخالفته.

والثواب: الجزاء كيفما كان، والإثابة والتثويب: إعطاء الجزاء؛ قال تعالى:

---

(١) في (ف): «يا آل سورة الحواميم»، وفي (أ): «يا آل حم».

(٢) في (ر) و(ف): «وكان».

(٣) لم أقف عليه.

(٤) في (ر): «فذلك».

(٥) في (أ) و(ف): «وما كان ينبغي لكم ذلك»، بدل: «وكان ينبغي لكم ألا تغتموا لذلك».

﴿هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ [المطففين: ٣٦]، وقال عليه السلام: «الواهبُ أحقُّ بِهِبَتِه ما لم يُثَبْ منها»(١).

وقيل: بل الثواب إذا أُطلق يراد به الجزاءُ في الخير، وهاهنا أريدَ به أنه قائمٌ مقام الثواب لعصيانهم(٢)، وهذا كما قال تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آل عمران: ٢١]؛ أي: أقم لهم الوعيدَ بالنار مقام البشارة بالمسارّ.

وقيل: معناه: فجزاكم(٣) الله تعالى على عصيانكم غمًّا على غمٍّ، فالباء بمعنى (على)؛ كما يقال: نزلتُ بفلانٍ؛ أي: على فلانٍ.

وقيل: معناه: غمًّا مع غمٍّ؛ كما يقال: ما زلت بفلانٍ حتى فعَل كذا؛ أي: مع فلان.

وقيل: أي: غمًّا متصلًا بغمٍّ، والباء للاتِّصال.

وقال الكلبي: الغمُّ الأول الهزيمة، والغم الثاني إشراف خالد بن الوليد.

وقال ابن جريجٍ: الغم الأول هو(٤) حزنهم على ما أصابهم وأصاب أصحابهم، وولجوا شِعبًا فجاء أبو سفيان وأصحابه وأخذوا فم الشعب، فخافوا على أنفسهم كلِّهم الهلاك، فهو الغم الثاني(٥).

---

(١) رواه ابن ماجه (٢٣٨٧)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٦/ ١٨١)، من طريق إبراهيم بن إسماعيل بن مجمع، عن عمرو بن دينار، عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً، وإبراهيم بن إسماعيل بن مجمع ضعيف، وعمرو بن دينار لم يسمع من أبي هريرة كما قال البيهقي، والصحيح أنه من قول عمر كما قال البخاري في «التاريخ الكبير» (١/ ٢٧١)، ورواه البيهقي (٦/ ١٨١)، عن عمر موقوفًا بلفظ: (مَن وهب هبةً فلم يُثَب فهو أحق بهبته إلا لذي رحم). قال البيهقي: وهو المحفوظ.

(٢) في (ف): «بعصيانهم».

(٣) في (ف): «فجازاكم».

(٤) «هو» من (أ).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ١٥٦) من طريق ابن جريج عن مجاهد.

وقال قتادة: الغمُّ الأول: القتل والجراح، والغمُّ الثاني: سماعُهم أن النبيَّ ﷺ قُتل[١].

وقيل: الغمُّ الأول: غمُّ الجناية في حقِّ النبيِّ عليه السلام، والغمُّ الثاني: هو غمُّ الاعتذار إليه.

وقيل: الغمُّ الأول هو الاغتمامُ بما أصابهم، والغمُّ الثاني هو الاغتمامُ بما فعلوا وما يُجزون[٢] عليه.

وقوله تعالى: ﴿لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ﴾: قيل: هو متصلٌ بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ﴾ لأن العفو يُذهب كلَّ حزنٍ.

وقيل: هو متصلٌ بقوله تعالى: ﴿فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا﴾ هو[٣] أعظمُ من الأول؛ لئلا[٤] تغتمُّوا بالأول.

وقيل: أي: لكيلا تحزنوا بعد هذا على فوتِ الغنيمة، فيحملَكم على الاشتغال عن القتال، فينالَكم ما نالكم في هذه الغزوة من الهزيمة والجراح، ولكيلا تحزنوا على ما[٥] أصابكم من الجراح فيدعوَكم إلى الفشل، فيصيبَكم ما خفتُموه وأنتم عاصون، ولولاه لأصابكم وأنتم مطيعون مأجورون.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ١٥٠)، وابن المنذر في «تفسيره» (١٠٧٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٧٩١).

(٢) في (ف): «يحزن».

(٣) في (ف): «﴿فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ﴾ وهو».

(٤) في (ف): «لكيلا».

(٥) في (ر): «ولكيلا تحزنوا على ما فاتكم وما».

وقيل[١]: أي: ليكون خوفكم و[٢]حزنكم على العصيان بالهزيمة لا على فوت الغنيمة، ولتهتمُّوا بقبح أفعالكم[٣] لا بنقص أنفسكم وأموالكم.

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾: أي[٤]: لا يخفى عليه شيءٌ من أعمالكم، وهذا ترغيبٌ في الطاعة وترهيبٌ عن المعصية.

***

(١٥٤) ـ ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيۡكُم مِّنۢ بَعۡدِ ٱلۡغَمِّ أَمَنَةٗ نُّعَاسٗا يَغۡشَىٰ طَآئِفَةٗ مِّنكُمۡۖ وَطَآئِفَةٞ قَدۡ أَهَمَّتۡهُمۡ أَنفُسُهُمۡ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ ظَنَّ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ مِن شَيۡءٖۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡأَمۡرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِۗ يُخۡفُونَ فِيٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبۡدُونَ لَكَۖ يَقُولُونَ لَوۡ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٞ مَّا قُتِلۡنَا هَٰهُنَاۗ قُل لَّوۡ كُنتُمۡ فِي بُيُوتِكُمۡ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَتۡلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمۡۖ وَلِيَبۡتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمۡ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمۡۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيۡكُم مِّنۢ بَعۡدِ ٱلۡغَمِّ أَمَنَةٗ نُّعَاسٗا يَغۡشَىٰ طَآئِفَةٗ مِّنكُمۡ﴾: هذه الآية من الجوامع، وفيها كلُّ الحروف المعجَمة، والأمَنة: الأمن، وهي مصدرٌ على الفَعَلة كالعَظَمة والغَلَبة.

وقوله تعالى: ﴿نُّعَاسٗا﴾ بدلٌ من الأمنة وترجمةٌ عنها.

وقوله تعالى: ﴿يَغۡشَىٰ﴾ قرأ حمزة والكسائي بتاء التأنيث ردًّا إلى الأمنة، وقرأ الباقون بياء التذكير ردًّا إلى النعاس[٥]، ونظيره: ﴿إِنَّ شجرةَ الزَّقُّومِ طعامُ الأثيمِ

---

(١) بعدها في هامش (ر): «وأنتم» وعليها علامة التصحيح.

(٢) «خوفكم و» ليس في (أ).

(٣) في (ف): «أعمالكم».

(٤) «أي» ليس في (أ).

(٥) انظر: «السبعة» (ص: ٢١٧)، و«التيسير» (ص: ٩١).

كالمُهْلِ تَغْلِي في البُطون﴾ [الصافات: ٦٢][1]، وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ﴾ [القيامة: ٣٧][2].

وقال أبو عبيد[3]: التذكير أولى؛ لأنه يليه في كلِّ هذه الآيات، والصرف إلى الأقرب أولى، ولأن النعاس هو الذي يغشى القوم.

والغشيان هو التغطية والإتيان، يقول: مَنَّ على المؤمنين منكم المخلصين[4] فأمَّنَهُم وأنامَهم وأزال اغتمامهم؛ قال أبو طلحة: ما منَّا أحد إلا وهو يميلُ تحت جحفته من النعاس[5].

وقال أنس: وذكر[6] أبو طلحة أن السيف كان يسقط من يده ثم يأخذه، ثم يسقط ثم يأخذه[7].

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: سمعوا بانصراف العدو فأَمِنوا وناموا، والمنافقون سمعوا به فلم يصدِّقوا ودام خوفهم فلم يناموا، قال تعالى: ﴿ يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا۟ ﴾ [الأحزاب: ٢٠][8].

---

(١) قرأ ابن كثير وحفص عن عاصم: ﴿يَغْلِي﴾ بالياء، وباقي السبعة بالتاء. انظر: «السبعة» (ص: ٥٩٢)، و«التيسير» (ص: ١٩٨).

(٢) قرأ حفص عن عاصم: ﴿يُمْنَىٰ﴾ بالياء، وباقي السبعة بالتاء. انظر: «السبعة» (ص: ٦٦٢)، و«التيسير» (ص: ٢١٧).

(٣) في (ر) و(ف): «عبيدة»، والمثبت من (أ)، وهو الموافق لما في «تفسير الثعلبي» (٣/ ١٨٧)، و«تفسير الرازي» (٩/ ٣٩٤).

(٤) في (أ) و(ف): «منَّ على المخلصين منكم».

(٥) رواه الترمذي (٣٠٠٧)، وفيه: (يميد) والمعنى واحد.

(٦) في (أ): «ذكر».

(٧) رواه البخاري (٤٥٦٢).

(٨) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٢/ ٥١٠).

قوله تعالى: ﴿وَطَآئِفَةٞ قَدۡ أَهَمَّتۡهُمۡ أَنفُسُهُمۡ﴾: هذا ابتداء، وهم المنافقون وكان[١] حضورهم للغنيمة، فلما فاتهم وخافوا على أنفسهم الاستئصالَ ولم يكونوا من أهل الكرامة، لم يؤمِّنهم ولم يُنِمْهم فبَقُوا في الغموم.

وقال سيبويه: ﴿وَطَآئِفَةٞ﴾ هذه واوُ الحال؛ أي: إذ طائفةٌ[٢].

﴿قَدۡ أَهَمَّتۡهُمۡ أَنفُسُهُمۡ﴾؛ أي: حملتهم على الهمِّ؛ يقال: همٌّ مُهِمٌّ، وأمرٌ مهمٌّ، ويقولون: همُّكَ ما أَهمَّكَ.

ثم قوله تعالى: ﴿قَدۡ أَهَمَّتۡهُمۡ أَنفُسُهُمۡ﴾ يَصلُح أن يكون خبراً للابتداء وما بعده كذلك، ويجوز أن يكون قد أهمتهم صفةً لهم وما بعده خبراً.

وقوله تعالى: ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ﴾[٣]؛ أي: أنْ لا ينصرُ محمدًا.

وقوله: ﴿ظَنَّ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ﴾: قيل: أي: ظنَّ أهلِ الجاهلية، وهي حالةُ الكفر، والإضمارُ سائغ.

وقيل: أي: كظنِّهم في الجاهلية، يعني: كانوا يقولون في أنفسهم: لو كان المسلمون على حقٍّ لم تَنَلْهم هذه النكبةُ، ولم يعلموا أن الله يبتلي عبادَه بما شاء ليتميَّز المخلِص من غيره.

وقوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ مِن شَيۡءٖ﴾: أي: من النصر والعلوِّ، وهو استفهامٌ بمعنى الجَحْد؛ أي: لسنا محقِّين فلسنا بمنصورين.

---

(١) في (ف): «كان».

(٢) في (أ): «وإذ طائفة»، والمثبت من باقي النسخ والمصادر، وهو الصواب. انظر: «الكتاب» (١/ ٩٠)، و«معاني القرآن» للزجاج (١/ ٤٧٩)، و«الحجة» للفارسي (١/ ١٥٦)، و«البسيط» للواحدي (٦/ ٩٢)، و«إعراب القرآن» لأبي القاسم الأصفهاني (ص: ٣٢).

(٣) بعدها في (ر): «خبر».

ويقال: الأمر لفلان، وهو كقوله: ﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا﴾.

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾: قرأ أهل المدينة والكوفة: ﴿كُلَّهُ﴾ بالنصب تأكيداً لـ﴿الْأَمْرَ﴾ وقرأ أهلُ البصرة: ﴿كلُّه﴾ بالرفع على الابتداء[١].

أي: الحقُّ لله تعالى ولمن دعا إلى دينه، وهو ينصر أولياءه على كل[٢] حالٍ بالغلبة أو بالحجة، وله أن يبتلي عباده بما شاء.

قوله تعالى: ﴿يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ﴾: أي: من الشك والنفاق.

وقيل: هو ما لا يستطيعون إظهاره خوفاً من سيوف المسلمين، ومن ظهور حالهم للمؤمنين.

وقيل: قال عبد الله بن أُبيٍّ: ﴿هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ﴾؛ أي: إنهم يأتمرون بأمر النبيِّ عليه السلام لا بأمري.

وقوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا﴾: هو[٣] قول ابن أُبيٍّ: لو كانوا عملوا بأمري ولم يخرجوا من المدينة لم يُقتلوا.

وقوله تعالى: ﴿مَا قُتِلْنَا﴾؛ أي: ما قُتل منَّا أحد، يقال: قتَلْناكم؛ أي: قتلنا منكم.

وقيل: معناه: لو كان الأمر إلى اختيارنا واستصوابنا لم نَخرج فلم يُقتل من قراباتنا أحدٌ، وكان أكثرُ القتلى يومئذ من الأنصار، ولم يقتل من المهاجرين إلا يسيرٌ.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ﴾:

---

(١) وهي قراءة أبي عمرو ويعقوب. انظر: «السبعة» (ص: ٢١٧)، و«التيسير» (ص: ٩١)، و«النشر» (٢/ ٢٤٢).

(٢) في (أ): «بكل» بدل: «على كل».

(٣) في (أ): «وهو».

أي: لـو تخلَّفْتُـم فمكَثْتُـم فـي منازلكـم بالمدينـة لخـرج الذيـن كتب عليهـم القتل فـي اللـوح المحفـوظ إلـى مصارعهـم بأُحـد، يقـول: مـا حكَـم الله فهـو كائـنٌ لا محالـة لا دافـع لـه ولا رافع.

وقيل: معناه: أن المنافقين قالوا: لو لم نخرج نحن ما خرج[1] المخلِصون من الأنصار، فإنهم يقتدون بنا اعتضاداً بنا، فقال الله تعالى: لو تخلَّفتم أيها المنافقون لخرج المخلِصون الذين آمنوا بي وبرسولي، فهم أطوعُ لي وأحرصُ على قتال العدوِّ من أن يتخلَّفوا لتخلُّفكم.

وقوله تعالى: ﴿وَلِيَبْتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ﴾: أي: ليُظهر ما في قلوبكم من النفاق، والواوُ مقحَمة زائدةٌ عند بعضهم، وتقديره: ثم أنزل عليكم كذا ليبتلي.

وقيل: الواو ثابتة، وهو معطوف على قوله: ﴿لِّكَيْلَا تَحْزَنُواْ﴾.

وقيل: في آخره إضمار[2]؛ أي: ﴿وَلِيَبْتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ﴾ ﴿وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ﴾ أمركم بالجهاد.

والتمحيص: التخليص، ومعناه: أن المسلمين كانوا يرتابون في أمر المنافقين، فأراد أن يزيل عنهم الشك في أمرهم.

وقيل: الخطاب في الابتلاء والتمحيص للمخلِصين المذكورين في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم﴾؛ أي: فعَل ذلك ليُظهرَ ثقتكم وإخلاصكم[3].

قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾: أي: بما فيها من الخير والشر، وهو

---

(١) في (أ) و(ف): «لم يخرج».

(٢) في (أ): «مضمر».

(٣) في (ر): «نفاقكم وإخلاصكم»، والكلام من قوله: «تعالى: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم ...﴾» إلى هنا ليس في (ف).

وعدٌ ووعيدٌ، يقول: لا يبتليكم ليعلم ما في صدوركم فإنه عالمٌ بها، لكن يعاملكم معاملةَ المختبِر ليجزيَكم على عملكم لا على علمه، أو: ليبتليكم[١] المؤمنون ليعلموكم، فأضاف ابتلاءَهم إلى نفسه تشريفاً لهم.

* * *

(١٥٥) ـ ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ﴾: أي: انهزموا من المسلمين دون المنافقين ﴿يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾؛ أي: اجتمع الجندان: جندُ المسلمين وجند الكافرين[٢] ﴿إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ﴾؛ أي: حملهم على هذه الزلة.

وقوله: ﴿بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا﴾؛ أي: ببعض ذنوبهم؛ من حبِّ الحياة، أو الرغبة[٣] في المال، أو عصيان الرماة بترك المركز، قال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَن كَثِيرٍ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ﴾: أي: تجاوز اللهُ عنهم هذه الزَّلة.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ يغفر الذنب ولا يَعْجَل بالعقوبة.

وقيل: ﴿اسْتَزَلَّهُمُ﴾؛ أي: ذكَّرهم خطايا سلفت منهم، فكرهوا أن يقتلوا ولم يتوبوا[٤] منها، فذهبوا رجاء أن يتوبوا ويستغفروا ثم يموتوا من[٥] بعدما طهروا؛ قال

---

(١) في (أ) و(ف): «يبتليكم».

(٢) في (أ): «المشركين».

(٣) في (ر): «والرغبة».

(٤) في (ف): «ذكرهم خطاياهم التي سلفت منهم ولم يتوبوا».

(٥) «من» من (ف).

الزبير: نزلت الآية في شأن عثمان بن عفان وسعد بن عثمان الزُّرَقيُّ وعقبة بن عمير رضي الله عنهم، خرجوا إلى جبل بناحية المدينة يقال له: الجَلْعَب(١)، فأقاموا به ثلاثاً، فلما رجعوا إلى رسول الله ﷺ قال: «لقد ذهبتُم فيها عريضةً»(٢).

وقال عكرمة: هم عثمان والوليد بن عُقبة وخارجة بن زيد ورِفاعة بن المعلَّى(٣).

وقيل: هم جميع مَن انهزم ذلك اليوم.

وقال الواقدي رحمه الله: دخل المدينة أولاً من المنهزِمين سعدُ بن عثمان هذا، ثم الحارث بن حاطب، وثعلبة بن حاطب، وسوادُ بن غَزِيَّة، وعقبةُ بن عثمان، وخارجةُ بن عامر، وأوس بن قيظِّي، ولقيتْهم أمُّ أيمنَ تحثي في وجوههم التراب وتقول لبعضهم: هلمَّ سيفكَ وهاكَ المغزلُ فاغْزِلْ به(٤).

وقال ابن أبي مليكة: جاء رجلٌ إلى ابن عمر رضي الله عنهما فقال: أشهِدَ عثمان بيعةَ الرضوان؟ قال: لا، قال: أشهد بدراً؟ قال: لا، قال: كان ممن استزلَّهم الشيطان يوم أحد؟ قال: نعم. فقام الرجل، فعلم ابن عمر أنه يريد نقيصتَه فقال: رُدُّوه، فرَدُّوه، فقال: أما بيعةُ الرضوان فإن نبيَّ الله ﷺ قال: «عثمانُ انْطَلَقَ في حاجةِ الله وحاجةِ

---

(١) في (أ): «الجعلب».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ١٧٤)، وابن المنذر في «تفسيره» (١٠٩٥)، عن ابن إسحاق، وهو في «سيرة ابن إسحاق» (٥١٤). ونسبته إلى الزبير وهم لعل سببه أن ابن إسحاق روى قبله خبراً عن الزبير، ثم أتبعه بهذا متصلاً به. والرجلان المذكوران مع عثمان رضي الله عنه في هذا الخبر هما: (عقبة بن عثمان وسعد بن عثمان رجلان من الأنصار ثم من بني زريق)، وفي بعض المصادر بيان أنهما أخوان.

(٣) رواه ابن المنذر في «تفسيره» (١٠٩٤).

(٤) انظر: «مغازي الواقدي» (١/ ١٧٧ ـ ٢٧٨).

رسوله، فأنا أبايعُ له»، فضَرب إحدى يديه على الأخرى، وأما يومُ بدر فإن رسول الله ﷺ خلَّفه على ابنته يمرِّضها وضَرب له بسهمه، وأما استزلالُ الشيطانِ فإن الله عفا[1] عنه، قُم فقد خاب سعيُك وبطَل عملُك[2].

وفي الآية لطفٌ من الله جلَّ جلاله بعباده، حيث أضاف الزَّلَل إلى استزلالِ الشيطان وهو كتمهيدِ العذر لهم، ونظيره قولُ الله عز وجل: ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ [البقرة: ٣٦] ﴿فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ [يوسف: ٤٢] ﴿هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ [القصص: ١٥] ﴿أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ [يوسف: ١٠٠] ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ﴾ [الإسراء: ٥٣] ﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ [الكهف: ٦٣].

* * *

(١٥٦) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُوا۟ غُزًّى لَّوْ كَانُوا۟ عِندَنَا مَا مَاتُوا۟ وَمَا قُتِلُوا۟ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾: وهم المنافقون الذين ظنُّوا من جهلهم أن من لم يتعرض للموت والقتل بالخروج إلى الغزو لم يمت.

وقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ﴾: أي: لأشباههم من المنافقين.

وقيل: أي: لإخوانهم في النسب ـ لا في الدين ـ من المؤمنين الذين تولوا.

---

(١) في (أ): «فقد عفا الله» بدل: «فإن الله عفا».

(٢) رواه عن حبيب بن أبي مليكة أبو داود (٢٧٢٦)، والحاكم في «المستدرك» (٤٥٣٨)، ومتنه عند أبي داود مختصر، ورواه بنحوه من طريق آخر البخاري (٣٦٩٨) والمرفوع فيه بلفظ: «هذه يدُ عثمانَ». فضَربَ بها على يده، فقال: «هذه لعثمانَ». وليس عندهم عبارة: «قُم فقد خاب سعيُك وبطَل عملُك».

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: ولا حاجةَ بنا إلى معرفة القائلين ذلك، والمعنى: أنْ لا تقولوا مثلَ قولهم[١].

وقوله تعالى: ﴿إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ﴾: أي: ساروا فيها لتجارة أو نحوها.

قوله تعالى: ﴿أَوْ كَانُوا غُزًّى﴾: أي: غزاةً، والغُزَّى: فُعَّلٌ من الغازي، وهو كالساجد والسُّجَّد، والراكع والرُّكَّع، والغزو: قصدُ العدوِّ، والمغزى: القصد[٢].

قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا﴾: أي: هؤلاء القتلى ﴿مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا﴾؛ أي: لو لم يخاطروا لعاشوا.

وقوله تعالى: ﴿لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ﴾: أي: يقولون ذلك لأقاربِ القتلى ليكون ذلك حسرةً لهم[٣]، وهي أشدُّ الندامة التي تَقطع القوةَ ونحوَها، والحسرةُ على هذا للسامعين؛ أي: من أهل الإسلام[٤].

وقيل: قالوا ذلك ليَجبن هؤلاء عن القتال من بعدُ، فلم يقبلوا قولهم فصار حسرةً للمنافقين.

وقيل: هذه الحسرة لهم في القيامة.

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾: لا التَّوقِّي[٥] والتلقِّي.

وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ قرأ ابن كثير وحمزةُ والكسائي بياء

---

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٢/ ٥١٣).

(٢) في (ف): «المقصود».

(٣) في (ر): «فيكون ذلك حسرة في قلوبهم».

(٤) «أي من أهل الإسلام» ليس في (أ).

(٥) «لا التوقي» من (أ)، ووقع في (ر) بدلًا منها: «بالتوقي»، وفي (ف): «للتوفي».

المغايَبة خبرًا عن المنافقين، وقرأ الباقون بتاء المخاطَبة للمؤمنين(١)، وكذا افتتاحُ الآية وما بعدَ هذه الآية، وهو وعد ووعيد.

قال الكلبيُّ: نزلت في منافقي أهل الكتاب عبدِ الله بن أبيٍّ، ومُعتِّبِ بن قُشيرٍ، وجَدِّ بن قيسٍ، قالوا لإخوانهم إذا سافروا وماتوا أو غَزَوا فقتلوا: لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا، واللهُ يحيي ويميت في الحضر والسفر.

وقال عطاء: نزلت في المنافقين، قالوا فيمَن بعثهم النبيُّ ﷺ من السرايا إلى بئر معونةَ وإلى الرجيع فأصيبوا: لو كانوا عندنا ما أصيبوا، والله يحيي قلوب أوليائه وأهلِ طاعته، ويميت قلوب أعدائه من المنافقين والكافرين(٢).

***

(١٥٧) - ﴿وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ﴾: اللام في (لئن) لامُ القسم، وقوله تعالى: ﴿لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ﴾ جواب القسم باللام.

وقوله تعالى: ﴿خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾: قرأ عاصم في رواية حفصٍ بياء المغايَبة خبراً عن المنافقين، والباقون بالتاء خطاباً للمؤمنين(٣).

يقول: يا معشر(٤) المؤمنين، إنَّ ما تنالونه بالجهاد والشهادةِ فيه(٥) خيرٌ وأفضل وأنفعُ في الآخرة من مالٍ يُجمع في الدنيا الفانية.

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٢١٧)، و«التيسير» (ص: ٩١).

(٢) في (أ): «والكفار». والخبر في «البسيط» للواحدي (٦/ ١٠٢)، وفيه: عطاء عن ابن عباس.

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٢١٨)، و«التيسير» (ص: ٩١).

(٤) في (ف): «معاشر».

(٥) «فيه» ليس في (ف).

(١٥٨) ـ ﴿وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ﴾ واللامان على ما مر في الآية الأولى، وقال الكسائي: لو تأخرتِ اللام الثانيةُ التي هي جوابٌ إلى ﴿تُحْشَرُونَ﴾ لكان بتشديد النون وحذفِ الواو؛ لأن الفعل المضارع في القَسَم يكون كذلك، فلما حوِّلت اللام إلى (إلى) بقيت كلمة ﴿تُحْشَرُونَ﴾ بحالها، وهو كقولك: لئن أحسنتَ إليَّ لأُحسننَّ إليك، فإذا حلت بينهما قلتَ: لئن أحسنتَ إليَّ لإليك أحسن.

ومعنى الآية: إنكم إنْ[1] متُّم في بيوتكم بعد طولِ العمر، أو قُتلتم في سفرٍ أو حضرٍ، فالمحشرُ إلى الله، وهو الـمُجازي بالأعمال، فلْيَخَفِ الخائفُ العقابَ لا الموتَ والقتلَ الذي لا بد منه.

وقيل: ولئن متُّم أو قُتلتم يا معشر المؤمنين فمَرجعُ الجميع ـ الأولياءِ والأعداءِ ـ إلى الله، فسيرى كلٌّ منكم عاقبةَ أمره، فيعلم[2] المؤمن أن تعرُّضه للقتل بالجهاد لم يضرَّه بل ينفعُه[3]، ويعلمُ الكافر أن توقِّيَه لم ينفعْه بل ضرَّه[4].

وقيل: أي: إذا لم يَقدِروا على ألَّا يُحشروا إليه فكيف يقدرون على دفع الموت أو القتل؟

وقال الإمام القشيري رحمه الله: إذا كان المصير إلى الله طاب المسير إلى الله[5].

* * *

(١) في (ر): «إذا».

(٢) في (أ): «فيسلم».

(٣) في (أ): «نفعه».

(٤) في (ف): «يضره».

(٥) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٢٨٩).

(١٥٩) ـ ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾: (ما) زائدةٌ؛ أي: فبرحمةٍ من الله[1]، وكذا قولُه تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم﴾ [النساء: ١٥٥] و: ﴿عَمَّا قَلِيلٍ﴾ [المؤمنون: ٤٠]، وهذه الزيادة للتأكيد.

وقيل: (ما) اسمٌ، وتقديره: بسببٍ أو شيءٍ، و﴿رَحْمَةٍ﴾ ترجمةٌ له وبدلٌ عنه.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: ويحتمِل: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ عليك، ويحتمل: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ على العالمين ﴿لِنتَ لَهُمْ﴾، واللِّين في القول أنفذُ في القلوب، وأسرعُ إلى الإجابة، وأدعى إلى الطاعة، ولذلك أَمر موسى وهارون به فقال: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾ [طه: ٤٤][2].

و﴿لِنتَ لَهُمْ﴾؛ أي: لطَفْتَ[3] في القول، يقول[4]: بفضل الله وبرحمته[5] لطفتَ للمنهزمين حين لقيتَهم فلم تُخاشنهم، وهو ثناءٌ عليه بحُسن الخلق.

وقيل: هو تذكيرٌ له أنه من الله لا من نفسه.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا﴾: قال الخليل: رجل فظٌّ: ذو فظاظةٍ ـ من حدِّ عَلِمَ ـ، وهو الذي في مَنْطِقه غلظٌ وتجهُّم[6].

---

(١) «من الله» من (ف).

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٢/ ٥١٤ ـ ٥١٥).

(٣) في (ر): «لطفت لهم».

(٤) في (ر): «يقول».

(٥) في (ف): «ورحمته».

(٦) انظر: «العين» (٨/ ١٥٣).

وقوله تعالى: ﴿غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ﴾: أي: قاسيَ القلب غيرَ رقيق القلب.

وقوله تعالى: ﴿لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾: أي: لتفرَّقوا عنك، وقد فضَضْتُ الشيءَ؛ أي: كسرتُه، فانفضَّ؛ أي: انكسر، وفي الكسر تفريقٌ، وفي الانكسار تفرُّقٌ.

يقول: لو كنتَ فظًّا[١] غليظَ اللسان أو القلبِ وخاشَنْتَهم وعاتبتَهم على الانهزام لتفرَّقوا عنك هيبةً لك واحتشاماً مما كان منهم من تولِّيهم عنك.

وقد رُوي أنه لمَّا رآهم لم يَزِدْ على قوله: «لقد ذهبتم فيها عريضةً»[٢].

وقال لهم بالمدينة حين لقيهم: «أمَا إنهم لن ينالوا منكم مثلَها حتى يفتحَ الله تعالى لكم عليهم»[٣].

وقيل: في الآية مدحٌ له بحسنِ الخلُق في كلِّ[٤] حالٍ، لا في حقِّ هؤلاء على الخصوص، ثم أمَره بالدوام عليه وذلك:

قوله تعالى: ﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ﴾: أي: لا تؤاخذهم بما كان منهم ولا تعيِّرهم به[٥] ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ مني تطييبًا لأنفسهم.

وقيل: فائدة الجمع بين الكلمتين: كمالُ اللطف بالمؤمنين، يقول: قد جَنَوا في حقِّك، فأنا أشفعُ إليك فيهم، فاعفُ عنهم، وجنَوا في حقِّي فاشفَعْ إليَّ أنت فيهم واستغفرْ لهم.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: هي أرجى آيةٍ في القرآن، وكذا قولُه:

---

(١) «فظا» ليس في (أ).

(٢) تقدم قريباً.

(٣) انظر: «مغازي الواقدي» (١/ ٣٣٧)، وفيه أن المخاطب بذلك هو طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه.

(٤) في (أ) و(ف): «بكل» بدل: «في كل».

(٥) «به» ليس في (أ).

﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [محمد: ١٩]، أمَره بالاستغفار لهم، ولا يُظنُّ به أنه لم يفعل ولا يُظنُّ بالله عز وجل أنه يأمره بالاستغفار لهم ثم لا يغفر لهم إذا استغفر لهم[١].

وقوله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾: أي: ردَّهم إلى مراتبهم في مشاوَرتهم واستشارتهم في الأمور، والمشاورةُ بين الاثنين والجمع، والاستشارة: طلبُ المشورة وسؤالُها، والمشورةُ الاسمُ على ميزان المعُونة هي اللغة الصحيحة، والـمَشْوَرة على الـمَفْعَلة لغةٌ ضعيفة، وهو طلب الإشارة إلى ما يقع في رأيه وعقله من الصواب.

وقيل: هي من شَوْر الدابة وهو عرضُها.

وقيل: هي من شَوْر[٢] العسل وهو اجتناؤه.

ويحتمِل أنه لمَّا عفا عنهم واستغفر لهم بالأمر قصد بقلبه ألَّا يشاورَهم بعد هذا، فقد شاورهم في[٣] أن لا يخرجوا من المدينة فأحبُّوا الخروج حرصاً على الجهاد، وكان الصواب أنْ لا يخالفوا رأيه، فلمَّا خالفوا[٤] همَّ ألا يشاورَهم بعدُ، فأمره الله تعالى بها تطييباً لقلوبهم؛ ليعرِفوا أنه راضٍ عنهم لم يبق في قلبه شيءٌ مما يرجع إلى أذاهم، ولمَّا بيَّن الله عز وعلا أن أصحابه يتفرَّقون عنه لو كان فظًّا غليظَ القلب[٥] مع أن اتِّباعه دِينٌ ومفارقتَه كفرٌ، فكيف يَتوقع مَن يعاملُ الناس على خشونة اللفظ وقسوةِ القلب أن ينقاد الناسُ كلُّهم له ويتابعوه[٦] ويطاوعوه؟

---

(١) «إذا استغفر لهم» ليس في (ف). وانظر: «تأويلات أهل السنة» (٢/ ٥١٥ ـ ٥١٦).

(٢) في (ر): «شورة»، وكذا في الموضع الذي قبله.

(٣) في (أ): «فقد أشار لهم في»، وفي (ف): «فقد شاورهم على».

(٤) في (ف): «خالفوه».

(٥) في (ف): «غليظا».

(٦) في (ر): «ويبايعوه».

وقال الإمامُ أبو منصور رحمه الله: فيه وجوه:

أحدها: أنه لا يجوز أن يأمرَه بالمشاورة فيما فيه النصُّ، وإنما يأمره بها فيما لا نصَّ فيه، ففيه دليلُ جواز العمل بالاجتهاد.

والثاني: لا يخلو أمرُه بها: إما أن يكون لعظيم قَدْرهم عند الله، أو لفضل عقلٍ، وكيفما كان فلا يجوز لمن دونهم أن يسوُّوا أنفسَهم بهم، ولا جائزٌ أن يأمره بمشاورة أصحابه ثم لا يعملَ برأيهم، دل أنهم إذا اجتمعوا كان الحقُّ معهم[1] لا يشذُّ عنهم[2].

وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾: أي: فإذا عزمتَ على إمضاءِ ما أشاروا عليك به فلا تعتمِدْ عليهم بل اعتمد على الله، وهو يوضح ما قلنا: أن استشارته إياهم لم تكن لحاجته إليها بل لتألُّفهم وتلطُّفهم.

وقال الحسن: إن النبي ﷺ كان غنيًّا عن مشاورتهم، ولكن أحب الله تعالى أن يَستنَّ به الحكَّامُ بعده[3].

وقال أبو عِصمةَ نوحُ بن أبي مريم: كانت العرب إذا أراد سيدهم أن يقطع أمراً دونهم شقَّ عليهم، فأمر اللهُ تعالى نبيَّه أن يشاورَهم في الأمر ليكون أعطفَ لقلوبهم عليه.

وقال أبو هريرة رضي الله عنه: ما رأيتُ أحداً أكثرَ مشاورةً لأصحابه من رسول الله ﷺ[4].

---

(١) في (أ): «بينهم».

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٢/ ٥١٦).

(٣) رواه ابن المنذر في «تفسيره» (١١١٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٨٠١).

(٤) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٨٠١).

وقال عليه الصلاة والسلام[١]: من الحزم أن تستشيروا ذوي الرأي وتطيعوهم فيه[٢].

وقال عليه السلام: ما تشاور[٣] قومٌ قطُّ إلا هُدوا لأَرْشدِ أمرهم[٤].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾[٥]: أبا بكر وعمر[٦].

والتوكُّل في الأمر: هو تفويضُ الأمر إلى الله، والاعتمادُ على كفايته، وقد وَكَل أمرَه إلى فلان يَكِلُه إليه؛ أي: فوَّضه إليه.

وقيل: حَسْبُكَ من التوكُّل أنْ لا تَطلبَ لنفسك ناصراً غيرَ الله، ولا لرزقك خازناً غيرَه، ولا لعملك شاهداً غيره.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾: أي: يُثْني عليهم ويَرْضَى عملَهم ويُحسِن إليهم ثوابهم.

وقال الإمام القشيري رحمه الله: حقيقة التوكُّل: شهودُ التقدير، وإراحة القلب عن كدِّ التدبير، وقولُه تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾؛ أي: يذيقُهم بَرْدَ الكفاية

---

(١) «وقال عليه الصلاة والسلام» ليس في (ر) و(ف).

(٢) من قوله: «وقال عليه الصلاة والسلام...» إلى هنا ليس في (ف). والحديث لم أجده. وجاء في هامش (أ): «وعن الحسن رحمه الله: لما أنزل الله تعالى قوله: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾ قال رسول الله ﷺ لأصحابه: «إن الله ورسوله غنيان عن مشاورتكم، ولكنه أراد أن تكون سنة لأمتي».

(٣) في (أ): «شاور»، وهي رواية الطبري، والمثبت رواية ابن المنذر.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ١٩٠)، وابن المنذر في «تفسيره» (١١١٦).

(٥) في (ف): «﴿وَشَاوِرْهُمْ﴾ نزلت في»، وروي هذا عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس كما ذكر ابن كثير عند تفسير هذه الآية، والمثبت من باقي النسخ وهو الموافق لما في المصادر الآتية.

(٦) رواه النحاس في «معاني القرآن» (١/ ٥٠٢)، والحاكم في «المستدرك» (٤٤٣٦)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٠/ ١٠٨).

ليزولَ عنهم كلُّ تعبٍ ونصَبٍ وأنه يعامل كلًّا بما يستوجبه، فقومٌ يُغْنيهم عند توكلهم بعطائه، وآخرون يكفيهم عند توكُّلهم بغطائه وقوم يرضيهم في عموم أحوالهم حتى يكتفوا ببقائه، ويقفوا معه به له[١] على تلوينات قدَره وقضائه[٢].

***

(١٦٠) - ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾: النصر[٣] نوعان: معونةٌ ومنعٌ.

وقوله تعالى: ﴿وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ﴾: الخذلان: ترك النُّصرة، و(مَن) استفهامٌ لتقرير النفي؛ لأن جوابه يكون بالنفي فأغنى ذكرُه عن ذكره، و﴿ذَا﴾ بمنزلة اسمٍ هو خبرٌ للابتداء[٤]، و﴿ٱلَّذِى﴾ نعته، و﴿مِّنۢ بَعْدِهِۦ﴾ كناية عن الخذلان.

وقوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾: تقريرٌ للأمر بالتوكُّل، وبيانٌ للمعنى الموجِبِ للتوكُّل الداعي إليه.

قال القشيري رحمه الله: حقيقةُ النصرة أن ينصرك على نفسك فإنها أعدى عدوِّك، وهي أن يهزم عنك[٥] دواعيَ فتنتها بعواصم رحمته، حتى تنفضَّ جنود الشهوات بهجوم وفود المنازلات، فتبقى الولاية لله تعالى خالصةً من رُعونات الدواعي التي هي أوصاف البشرية وشهواتُ النفوس.

---

(١) في (أ): «بدله» بدل: «به له». والمثبت موافق لما في «اللطائف».

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٢٩١).

(٣) في (أ): «النصرة».

(٤) في (ر): «الابتداء».

(٥) في (أ): «عندك».

﴿وَإِن يَخْذُلْكُمْ﴾ الخذلان: التخلية بينه وبين المعاصي، فمَن نصَره قبَض على يديه عند الهمِّ بتعاطي المكروه، ومَن خذله ألقى حبلَه على غاربه ووكَله إلى سوء اختياره، فيهيم على وجهه في فيافي البُعد، فتارةً يشرِّق غيرَ محتشِم، وتارةً يغرِّب غيرَ محترم، ومَن نسيه[1] الحق فلا آخِذَ بيده ولا جابِرَ لكسره.

﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ في وجدان الأمان من هذه الأخطار عند صدق الابتهال، وإسبالِ ثوب العفو على الإجرام عند خُلوص الالتجاء[2] بالتبرِّي من الحول والقوة[3]، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

* * *

(١٦١) ـ ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ ۚ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ﴾: قرأ ابن كثير وعاصم وأبو عمرو: ﴿يَغُلَّ﴾ بفتح الياء وضمِّ الغين، ومعناه: يخون في المغنم، وقد غَلَّ يَغُلُّ غُلولاً من حدِّ دَخَل، فأما الغِلُّ الذي هو الضِّغنُ فصَرْفُه من حدِّ ضرَب، والإغلال: الخيانة في كلِّ شيء؛ وقال[4] النبيُّ عليه السلام: «لا إغلالَ ولا إسلال»[5]؛ أي: لا خيانةَ ولا سرقة.

وقرأ الباقون: ﴿أَنْ يُغَلَّ﴾ بضم الياء وفتح الغين[6]، وله وجهان:

---

(١) في (أ) و(ف): «سببه».

(٢) في (ر): «الارتجاء».

(٣) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٢٩٢).

(٤) في (أ): «قال».

(٥) قطعة من حديث صلح الحديبية رواه أبو داود (٢٧٦٦) من حديث المسور ومروان.

(٦) هي قراءة نافع وابن عامر وحمزة والكسائي. انظر: «السبعة» (ص: ٢١٨)، و«التيسير» (ص: ٩١).

أحدهما: أنه فعلُ ما لم يُسمَّ فاعلُه من غَلَّ؛ أي: خان؛ أي: ما ينبغي أن يَخُونه أحد.

والثاني[١]: أنه فعلُ ما لم يُسمَّ فاعلُه من أَغَلَّه؛ أي: وجده غالًّا خائناً؛ أي: ما[٢] ينبغي لنبيٍّ أن يوجَد خائناً.

وسببُ نزول الآية ـ وبه يَظهر تفسيرُه ـ: أن الذين كانوا مع عبد الله بن جبيرٍ يوم أحد من الرماة كان السببُ في إخلالهم بمراكزهم أنهم لمَّا رأوا انكشاف[٣] المشركين تبادروا إلى الغنيمة خوفاً من أن يستوليَ عليها غيرهم من المسلمين، فأنزل الله هذه الآية[٤].

ومعناه والله أعلم: وما ينبغي لنبيٍّ ولا يَحلُّ له أن يخون في الغنيمة، أو يرضى من أصحابه بالخيانة، وأن يأخذوا أكثرَ مما جعله[٥] الله لهم، فما ينبغي لكم معاشرَ الرماة أن تخلُّوا بمصافِّكم خِيفةَ فَوَات حِصَصِكم من الغنيمة، ونظيرُ قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ﴾ قوله تعالى: ﴿قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا﴾ [النور: ١٦]؛ أي: ما يحلُّ، فكذا قوله: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ﴾؛ أي: ما حلَّ له، وإذا لم يحلَّ له لم يفعل.

وقيل: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ﴾؛ أي: ما كان من صفته أن يغلَّ؛ لأن الأنبياء عليهم السلام معصومون عن مثله، ونظيره: ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ﴾ [مريم: ٣٥]؛ أي: لا يكون هذا من صفة الله تعالى.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: نزلت الآية في قطيفةٍ حمراءَ فُقدت، فقال

---

(١) في (أ) و(ف): «والآخر».

(٢) في (ر) و(ف): «ما كان».

(٣) في (ف): «انكسار».

(٤) ذكر هذا عن الكلبي ومقاتل، وسيأتي تخريجه قريباً.

(٥) في (ف): «جعل».

المنافقون: لعل رسول الله ﷺ أخذها، فأنزل الله تعالى هذه الآية فبرَّأه من هذه الصفة(١).

(١) رواه أبو داود (٣٩٧١)، والترمذي (٣٠٠٩)، والطبري في «التفسير» (٦/ ١٩٤) من طريق خصيف عن مقسم عن ابن عباس رضي الله عنهما. قال الترمذي: حسن غريب.. وروى بعضهم هذا الحديث عن خصيف عن مقسم ولم يذكر فيه: عن ابن عباس.
ورواه أبو يعلى في «مسنده» (٢٤٣٨)، والطبري في «تفسيره» (٦/ ١٩٥)، وابن المنذر في «تفسيره» (١١٢٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٨٠٣)، والطبراني في «الكبير» (١٢٠٢٨) و(١٢٠٢٩)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ١٢٦) من طريق خصيف عن عكرمة عن ابن عباس.
وخصيف هذا هو ابن عبد الرحمن، وفيه ضعف من قبل حفظه، قال الحافظ في «التقريب»: (صدوق سيىء الحفظ، خلط بأخرة)، فلعله اضطرب في روايته لهذا الحديث، فمرة قال: عن مقسم، وأخرى: عن عكرمة، لكن للحديث طريق أخرى من رواية مجاهد عن ابن عباس يتقوى بها وستأتي.
قلت: وليس في هذا الحديث تصريح بأن قائل ذلك من المنافقين، وقد اختلف المفسرون في هذا، فذهب بعضهم إلى ما ذهب إليه المؤلف من أن القائل كان منافقاً، ومن هؤلاء الزمخشري ومتابعوه كالبيضاوي والآلوسي. انظر: «الكشاف» (١/ ٤٣٤)، و«تفسير البيضاوي» (٢/ ٤٦)، و«روح المعاني» (٥/ ١٠٠). أما ابن عطية فتردد فيها قائلاً: قيل: كانت هذه المقالة من مؤمنين لم يظنوا أن في ذلك حرجاً، وقيل: كانت من منافقين. وتابعه في هذا القرطبي وأبو حيان. انظر: «المحرر الوجيز» (١/ ٥٣٥)، و«تفسير القرطبي» (٥/ ٣٨٧)، و«البحر المحيط» (٦/ ٢٥٤).
بينما جزم ابن كمال باشا في «تفسيره» بأن القائل كان مؤمناً فقال: وقائلُ ذلكَ مؤمنٌ لم يظنَّ في ذلك حرجاً.
قلت: ولعل القول الأول مرجَّح بما رواه الطبراني في «الكبير» (١١١٧٤)، وفي «الأوسط» (٥٣١٣)، وفي «الصغير» (٨٠٣)، ومن طريقه الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ١٢٧)، والخطيب البغدادي في «تاريخه» (١/ ٣٧٢)، من طريق أبي عمرو بن العلاء، عن مجاهد، عن ابن عباس أنه كان يقرأ: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ﴾ وكيف لا يكون له أن يُغَلَّ وله أن يُقتَل، قال الله: ﴿وَيَقْتُلُونَ الْأَنبِيَاءَ﴾ [آل عمران: ١١٢] ولكن المنافقين اتهموا النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم في شيء، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ﴾، لفظ الطبراني، وفي رواية الواحدي: أنه كان يُنْكِرُ على مَن يقرأُ: (ومَا كانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يُغَلَّ) ويقولُ: كيف لا يكونُ له أنْ يُغَلَّ وقد كان يُقتلُ... الحديث.

وقال محمد بن إسحاق: معناه: ما كان لنبيٍّ أن يكتم شيئاً من وحي الله[١]؛ لأنهم كانوا يكرهون ما يُذكر في القرآن من عيبِ آلهتهم، فأنزل الله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكُۢ بَعۡضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ﴾ [هود: ١٢]، وسألوه أن يطويَ ذلك، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

وقيل: لمَّا ألحَّ عليه الأقوياءُ يسألونه من المغنَم نزلت الآية؛ أي: ما كان له أن يعطيَ قوماً ويمنعَ آخرين[٢].

وقال مقاتل: لمَّا ترك الرماةُ المركزَ، وقالوا: نخشى أن يقول النبيُّ عليه السلام: مَن أَخذ شيئاً فهو له، فقال[٣] لهم النبيُّ ﷺ: «ألم أعهد إليكم أن لا تبْرَحوا[٤] المركز حتى يأتيَكم أمري»، قالوا: تركنا إخواننا وقوفاً، قال: «بل ظننتم أنَّا[٥] نَغُلُّ» فنزلت هذه الآية[٦].

قوله تعالى: ﴿وَمَن يَغۡلُلۡ يَأۡتِ بِمَا غَلَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾: أي: يأتِ به حاملاً[٧] له

---

(١) انظر: «السيرة النبوية» لابن هشام (٢/ ١١٧)، ورواه عن ابن إسحاق الطبري في «تفسيره» (٦/ ١٩٧)، وابن المنذر في «تفسيره» (١١٢٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٨٠٤).

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» (٣/ ١٩٦)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٢٧)، و«البسيط» له (٦/ ١٢٩)، و«تفسير البغوي» (٢/ ١٢٦)، وعزاه الواحدي في كتابيه لابن عباس وعنده: (أشراف الناس) بدل: (الأقوياء).

(٣) في (أ): «وقال».

(٤) في (ر): «تتركوا».

(٥) في (أ): «أن».

(٦) انظر: «تفسير مقاتل» (١/ ٣١٠)، و«تفسير الثعلبي» (٣/ ١٩٦)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٢٧)، و«تفسير البغوي» (٢/ ١٢٦)، جميعهم عن الكلبي ومقاتل.

(٧) في (أ): «داعلا».

فيَفْتضِح بحمله على رؤوس الأشهاد، وهو قوله[١] عليه السلام: «مَن غصَب شبراً من أرضٍ طوَّقه الله يوم القيامة من سبع أرضين»[٢].

وقال عليه السلام لأبي هريرة رضي الله عنه: «لا تخبَأنَّ[٣] من أميرك شيئاً من الغنائم، إذًا[٤] تخرج يوم القيامة وهو متعلِّقٌ بثيابك ولو كانت إبرةً»[٥].

وقيل: معنى ﴿يَأْتِ بِمَا غَلَّ﴾؛ أي: بوِزْرِه.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾: أي: من خيرٍ وشرٍّ ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾؛ أي: لا يُنقصون من جزاء أعمالهم.

وقيل لأبي هريرة رضي الله عنه: كيف يأتي بما غَلَّ وهو كثيرٌ كبير بأنْ غلَّ أموالًا جَمَّةً؟ فقال: أرأيتَ مَن كان ضرسُه مثلَ أحدٍ، وفخذُه مثلَ وَرِقانَ، وساقُه مثلَ جبلٍ[٦]، ومجلسُه ما بين المدينة إلى الرَّبَذة، ألَا يَحمل هذا[٧].

---

(١) في (ف): «كقوله».

(٢) رواه البخاري (٢٤٥٣)، ومسلم (١٦١٢)، من حديث عائشة رضي الله عنها بلفظ: «مَنْ ظَلَمَ قِيدَ شِبْرٍ مِنَ الأَرْضِ طُوِّقَهُ...».

(٣) في (ر): «تخن».

(٤) في (ف): «إذ».

(٥) لم أجده، وروى معناه البخاري (٣٠٧٣)، ومسلم (١٨٣١)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وقال عبد الرزاق في «تفسيره» (٤٧٧): أنا مَعْمرٌ، عن زيد بن أَسلمَ، قال: جاء عَقِيلُ بن أبي طالب بمِخْيَطٍ، فقال لامرأته: خِيطي بهذه ثيابكِ، قال: فبعَثَ النبيُّ ﷺ مناديًا: «ألَا لا يَغُلَّنَّ رجلٌ إبرةً فما دُونها»، فقال عقيلٌ لامرأته: ما أرى إبرتَكِ إلا قد فاتتكِ.

(٦) كذا في النسخ، والذي في المصادر: «مثل بيضاء».

(٧) في (ف): «مثل هذا»، والمثبت من باقي النسخ والمصادر. فقد رواه هناد في «الزهد» (٢٩٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٨٠٥)، وعزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٢/ ٣٦٥). =

(١٦٢) ـ ﴿أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾.

قوله تعالى: ﴿أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ﴾: قال الكلبيُّ والضحَّاك: أي: بتركِ الخيانة ﴿كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: احتمَل ما فيه سخطُ الله تعالى بالغلول(١)، وهذا استفهامٌ في معنى النفي؛ أي: لا يستويان.

وقال الزجَّاج: إن النبيَّ ﷺ قال لهم يوم أحدٍ: «اتَّبعوني في طلبِ العدوِّ»، فتبعه قومٌ منهم وقعد آخرون(٢) من المنافقين، فنزلت هذه الآية(٣).

قولـه تعالـى: ﴿وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾: ترجـع الكنايـةُ إلى مَن باء بسـخطٍ من الله.

وقال عطاء: ﴿أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ﴾ هم المهاجرون والأنصار ﴿كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ هم المنافقون والكفار(٤).

وقال القشيري رحمه الله: أفمَن رضيَ اللهُ عنـه في آزاله، وجعله شاهدًا لأفضاله

= وَرِقان: جبل أسود بين العَرْج والرويثة، على يمين الـمُصعد من المدينة إلى مكة. بيضاء: ثنية التنعيم بمكة. الربذة: من قرى المدينة على ثلاثة أيام قريبة من ذات عرق على طريق الحجاز. من «معجم البلدان».

(١) انظر: «البسيط» للواحدي (٦/ ١٤١)، ورواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٢٠٨)، وابن المنذر في «تفسيره» (١١٣٩)، كلاهما بلفظ: ﴿أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ﴾ قال: مَن لم يغلّ ﴿كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾: كمَن غَلَّ.

(٢) في (أ): «رجال».

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٤٨٦).

(٤) انظر: «البسيط» للواحدي (٦/ ١٤١)، وهو فيه عن ابن عباس في رواية عطاء.

في جميع أحواله، كمَن خذله فجعله متَّكلاً على أعماله، متزحزحاً عن محالِّ[١] إقباله، كلَّا ليس الأمر كذلك[٢].

ونظير هذه الآية قولُه تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ الآية [الجاثية: ٢١].

* * *

(١٦٣) - ﴿هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ﴾: قال الحسين بن الفضل: أي: هم طبقات.

وقيل: فيه إضمار؛ أي[٣]: هم ذوو درجات؛ أي: مراتبَ.

ويجوز أن يكون للفريقين جميعاً، قال الكلبي: أهلُ الجنة بعضُهم أرفعُ من بعضٍ وكلٌّ في كرامةٍ، وأهلُ النار بعضهم أشدُّ عذاباً من بعضٍ وكلٌّ[٤] في هوان[٥].

وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾: وعدٌ للمتابعين ووعيدٌ للمخالفين.

* * *

(١٦٤) - ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾.

---

(١) في (ف): «مجال».

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٢٩٣).

(٣) «أي» ليس في (أ) و(ف).

(٤) في (ف): «وكلهم».

(٥) انظر: «البسيط» للواحدي (٦/ ١٤٤)، و«الوسيط» له (١/ ٥١٦).

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: (قد) كلمةُ التحقيق واللام لزيادة التأكيد[1].

و﴿مَنَّ ٱللَّهُ﴾؛ أي: تفضَّل الله على أهل الإيمان بنبيِّه الذي وصفه باللِّين والخلُق العظيم وتركِ الفَظاظة والغِلْظة.

وقوله تعالى: ﴿إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾: أي: من نسَبهم، وجميعُ العرب من قراباتِ أبيه أو أمِّه.

وقيل: ﴿مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾؛ أي: من جنسهم لا من الملائكة وغيرِهم، وهو إجابة دعاء الخليل صلوات الله عليه: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٩].

والمنَّة في ذلك من وجوه:

أحدها: أنهم كانوا عرَفوا مولده ومنشأه وصدقَه وأمانته وطهارةَ أخلاقه، فاندفع بذلك كثير من الخواطر التي تقع للإنسان لو كان المبعوثُ غريباً يجهلون أصله وأخلاقه.

ومنها: أن لهم شرفاً بكونه من نسَبهم؛ قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [الزخرف: ٤٤] وأيُّ شرفٍ فوق هذا: أنه ظهر منهم رسولٌ له معجزات، وهو أجلُّ الأنبياء كراماتٍ؟

ومنها: أنه كان بلسانهم، فكان ذلك أقربَ إلى الأخذ منه، وتفهُّم أحكام الله تعالى عنه.

وقوله تعالى: ﴿يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾: أي القرآن، و: ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾؛ أي:

---

(١) في (أ): «قد كلمة التأكيد واللام لزيادة التحقيق»، ومثله في (ف) لكن فيها: «للتأكيد» بدل: «التأكيد».

ويطهِّرهم بالإيمان، ويُثْني عليهم، ويشهد لهم بأنهم أزكياءُ؛ قال النبيُّ ﷺ: «خيرُ الناس قَرْني الذي أنا فيه[١]» الحديثَ[٢].

وقال الفرَّاء: يأخذ منهم الزكاةَ فيطهِّرُهم بها[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾: الكتاب: القرآن، والحكمة: السنَّة، وفيها أقاويلُ أُخر ذكرناها في سورة البقرة في[٤] نظير هذه الآية.

وقوله تعالى: ﴿وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾: له وجهان:

أحدهما: أن (إنْ) واللام كلاهما للتأكيد كما في المشدَّدة.

وقيل: (إنْ) للنفي واللام في معنى (إلا)، وكذا في كلِّ آيةٍ على هذا الوجه: ﴿وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤] و: ﴿إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا﴾ [الإسراء: ١٠٨] ﴿وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [الشعراء: ١٨٦].

* * *

(١٦٥) - ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.

قوله تعالى: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا﴾: الألفُ ألفُ الاستفهام

---

(١) في (أ): «الذين أنا فيهم».

(٢) رواه البخاري (٢٦٥١)، ومسلم (٢٥٣٥)، من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه، ولفظه: «خَيْرُكُم قَرْنِي، ثُم الذين يَلُونَهم، ثُم الذين يَلُونهم». ورواه البخاري (٢٦٥٢)، ومسلم (٢٥٣٣)، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه بلفظ: «خير الناس قرني... »، وفي رواية لمسلم: «خيرُ أُمَّتي القرنُ الذين يَلُوني، ثُم الذين يَلُونَهم، ثُم الذين يَلُونَهم.. ».

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٢٤٦).

(٤) في (ر): «وهي»، وفي (ف): «وفي».

بمعنى الاستنكارِ لِمَا أنكروه مما أصابهم يومَ أحد من الجَرح والقتل ونحوِ ذلك، والواوُ لعطف جملةٍ على جملةٍ، وهو وصل التقريع بالخطيئة بالتذكير بالنعمة لفرقةٍ واحدة.

وقوله تعالى: ﴿مُّصِيبَةٌ﴾؛ أي: بليَّة أصابتكم، وقولُه تعالى: ﴿قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا﴾؛ أي: نلتُم من الكفار ضعفَ ذلك، وقال أكثر المفسرين: قَتل الكفَّارُ يومَ أحد من المسلمين سبعين، وكان المسلمون قتلوا من الكفار يوم بدرٍ سبعين وأَسروا سبعين وذلك مِثْلاه.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: أي: أصبتُم منهم يومَ بدرٍ ويومَ أحدٍ في أولِ الأمر، فذاك مرتان وهم أصابوا مرةً[١].

وقوله تعالى: ﴿قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا﴾: أي: قال بعضُكم[٢]: كيف هذا؟ ومن أين هذا؟ لمَ غلبونا وهم مبطِلون ونحن محقُّون؟!

وقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾: أي: قل يا محمدُ هو بعصيانكم، ولولاه لنُصرتم عليهم ثالثةً كما نُصرتم أُولَى وثانيةً.

ثم هذا العصيان عند الكلبي: هو تركُ الرماة المركزَ[٣].

وعند قتادة: هو خروجهم من المدينة مع إشارة النبي عليه السلام بالتحصُّن فيها، ورغبتُهم في الجهاد والشهادة[٤].

---

(١) لم أجده عن ابن عباس، وهو اختيار الزجاج في «معاني القرآن» (١/ ٤٨٨).

(٢) في (أ): «بعضهم».

(٣) انظر: «البسيط» للواحدي (٦/ ١٥٣).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٢١٥).

يقول: بأن[١] أصابتكم نكبةٌ منهم وقد كنتُم أصبتُم مثلَيها منهم تُنكرون هذا، وليس هذا موضعَ الإنكار، فإنكم أصبتُم منهم ضعفَ ذلك، يقولون: لمَ أصابنا هذا؟ أصابكم بشؤم فعلِكم.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾: هذا ظاهر.

* * *

(١٦٦) ـ ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ﴾: أي: اجتمع الجيشان يومَ أحد.

وقوله تعالى: ﴿فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾: أي: فبعِلْم الله ذلك[٢] وقضائه.

وقيل: بتخْلِيَته وتمكينه من الفعل، ولا يجوز أن يكون بمعنى الأمر[٣].

وفي هذه الآية والآية التي قبلها إثبات صحة مذهب أهل السنة، فإنه قال: ﴿مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾ وهو إثبات فعل العبد، وقال: ﴿فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ وهو إثبات تخليق الله تعالى ذلك.

وقوله تعالى: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: أي: ابتلاهم بذلك ليعلم إيمانهم موجوداً حال وجوده كما عَلِم قبلَ[٤] وجوده أنه يوجد، وكذلك:

* * *

(١٦٧) ـ ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ ۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ قَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ لَوْ نَعْلَمُ

(١) في (أ): «إن».
(٢) «ذلك» من (أ).
(٣) في (ر) و(ف): «الفعل».
(٤) في (ف): «حال».

قِتَالًا لَّاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا﴾ وقد مرَّ تقريره مراتٍ.

ومعنى الآية: كان الله تعالى عالماً بما يصيبكم قبل أن أصابكم، وإنما خلَّى بينهم وبينكم ليتميَّز المؤمنون[1] من المنافقين، فيَظهرَ صبرُ الصابرين فيؤجَروا به، فيعلموا[2] أن ذلك أصابهم بعصيانهم فيتوبوا، ويظهرَ من المنافقين ما عَلم الله منهم من الشماتة وسوءِ القول، فتنكشفَ أسرارهم ويعرفَهم المسلمون فيقطعوا[3] موالاتهم، ويستوجبَ الفريقان الجزاءَ بعملهم لا بعلم الله تعالى فيهم.

وقوله تعالى: ﴿وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا﴾: أي: قيل للمنافقين: هلموا ﴿قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾؛ أي: جاهدوا ﴿أَوِ ادْفَعُوا﴾؛ أي: إن لم تقاتلوا فاحضروا الوقعة وكثِّروا السوادَ؛ ليصير ذلك دفعاً لهم عنا[4] بغيرِ قتال.

وقيل: أي: ادفعوا العدوَّ عن أنفسكم.

وقيل: أي: عن أموالكم وذراريكم.

وقيل: أي: عن دينكم.

وقيل: (أو) بمعنى الواو.

فلم يرغبوا فيه واعتلُّوا، وذلك:

---

(١) في (ف): «ليميز المؤمنين».

(٢) في (ر) و(ف): «ويعلمون».

(٣) في (ف): «فيقطعون».

(٤) في (ر): «عنهم».

قوله تعالى: ﴿قَالُواْ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّاتَّبَعْنَاكُمْ﴾: قد ذكرنا أن هذا قولُ عبد الله بن أبيٍّ حين انصرف قبل القتال في ثلاثِ مئة رجل، فدعاه بعض المخلِصين إلى الرجوع فقال ذلك.

وقوله تعالى: ﴿هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ﴾: ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ كلمتان: (يومَ) للظرف، و(إذٍ) للوقت، والتنوينُ أُقيم مقام المحذوف بعده، وتقديره: يومَ إذ قالوا ذلك، وكذلك ﴿إِذًا﴾ في قوله تعالى: ﴿قَالُواْ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾ [النازعات: ١٢] تقديره: تلك إذًا كان ذلك.

ومعناه: هم بهذا الإظهارِ إلى الكفر أقربُ منهم للإيمان[1]؛ إذ كانوا قبلَ ذلك في ظاهر أحوالهم إلى الإيمان أقربَ، حتى هتكوا أستارهم عند مَن كان يخفَى عليه حالُهم من المؤمنين الذين يُحسنون بهم الظنَّ، فأما في الحقيقة فهم كفارٌ قطعاً.

واللام بمعنى (إلى) في الكلمتين، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ﴾ [التوبة: ٦٠]؛ أي: تُصرف إلى الفقراء، وقال تعالى: ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا﴾ [الزلزلة: ٥]؛ أي: إليها، وقال تعالى: ﴿يُنَادِي لِلْإِيمَانِ﴾ [آل عمران: ١٩٣]؛ أي: ينادي إلى الإيمان.

وقوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾: ﴿بِأَفْوَاهِهِم﴾: جمع فمٍ، وأصله: فُوْهٌ، وتصغيره: فُوَيْهٌ، والجمع: أفواهٌ، والنعت: أَفْوَهُ، والأنثى: فَوْهاء، والفعلُ منه: تَفَوَّهَ بكذا؛ أي: تكلَّم، سقطت الهاء من آخر الفُوه تخفيفاً لكثرة الاستعمال، فبقي ناقصاً آخرُه حرفُ علة، فأُبدل بالميم فقيل: الفم، ثم أُعيدت الواو والهاء في التصغير والفعلِ والجمع؛ لأنه لا يَكثر استعمالها فأعيد الاسم إلى الأصل.

وقوله تعالى: ﴿بِأَفْوَاهِهِم﴾ تأكيدٌ، والقول لا يكون إلا بالفم؛ أي: باللسان

---

(١) في (أ): «إلى الإيمان».

الـذي فـي الفـم حقيقة فـي المتكلـم[1] بالآلـة، وهو كقولـه تعالـى: ﴿يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ﴾ [الأنعام: ٣٨] ﴿فَخَرَّ عَلَيۡهِمُ ٱلسَّقۡفُ مِن فَوۡقِهِمۡ﴾ [النحل: ٢٦] و: ﴿يَكۡتُبُونَ ٱلۡكِتَٰبَ بِأَيۡدِيهِمۡ﴾ [البقرة: ٧٩].

وقيل: قيّد بالأفواه نفياً للمجاز وتحقيقاً للمذكور؛ لأن ما في النفْس يسمَّى قولاً، وكذا الإخبارُ بالكتابة يسمَّى قولاً مجازاً.

ثم قولُه تعالى: ﴿يَقُولُونَ بِأَفۡوَٰهِهِم مَّا لَيۡسَ فِي قُلُوبِهِمۡ﴾ قيل[2]: أي: يقولون: لا تقع الحرب، وفي قلوبهم أنها تقع.

وقيل: أي: يُظهرون الإيمان بألسنتهم وليس ذلك في قلوبهم.

وقيل: أي: يقولون بالألسنة: نحن أنصارٌ، وهم أعداء.

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يَكۡتُمُونَ﴾: أي: يُخفون من النفاق.

***

(١٦٨) ـ ﴿ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ وَقَعَدُواْ لَوۡ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْۗ قُلۡ فَٱدۡرَءُواْ عَنۡ أَنفُسِكُمُ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ﴾: قيل: هو نعتٌ لقوله تعالى: ﴿وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ﴾ ومحلُّه نصبٌ.

وقيل: هو رفعٌ، ويرجع إلى قوله: ﴿يَكۡتُمُونَ﴾[3].

وقيل: هو خبرُ ابتداء، وتقديره: هم الذين.

---

(١) في (أ) و(ف): «المتكلم».

(٢) في (ر): «وقيل»، وليست في (أ).

(٣) أي هو بدل من الواو في ﴿يَكۡتُمُونَ﴾. انظر: «البحر المحيط» (٦/ ٢٧٨).

أي: قال هؤلاء المنافقون لعشائرهم ﴿وَقَعَدُوا﴾؛ أي: وتخلَّفوا عن الجهاد: ﴿لَوْ أَطَاعُونَا﴾؛ أي: المستشهَدون فلم يخرجوا ولم يشهدوا القتال ﴿مَا قُتِلُوا﴾؛ أي: لم يُستشهَدوا وكانوا[1] أحياءً.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾: أي: قل يا محمد: فادفعوا عن أنفسكم الموت إذ لم تحضروا القتال إنْ صدَقتم أنَّ مَن لم يشهد القتال حيٌّ فلم يَتلَفْ، وهذا ردٌّ عليهم ما قالوه من الكلام.

وقال أبو القاسم بن حبيب: رأيتُ في بعض التفاسير أنه مات يوم قالوا هذه الكلمة سبعون منافقاً ممن لم يخرجوا إلى الحرب.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: وهذه الآيةُ تردُّ على المعتزلة قولَهم: إنَّ مَن قُتل مات قبل أجَله[2].

***

(١٦٩) ـ ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا﴾: هذا نهيٌ مؤكَّد بالنون المشدَّدة، وهو خطاب للنبيِّ عليه السلام.

وقرأ ابن عامر وحمزةُ وعاصمٌ غير الأعمش: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ﴾ بفتح السين والباقون بكسرها[3]، وهما لغتان.

---

(١) في (أ) و(ف): «فكانوا».

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٢/ ٥٢٨).

(٣) انظر: «التيسير» (ص: ٨٤).

يقول: لا تظنَّنَّ المستشهَدين في سبيل الله[١] طلبَ رضَى[٢] الله أمواتاً.

قال أبو الضُّحى: نزلت في قتلى أحد، قُتل يومئذ سبعون رجلاً: أربعةٌ من المهاجرين: حمزةُ ومصعبُ بن عمير، وشمَّاس بن عثمان المخزوميُّ، وعبد الله بن جحشٍ الأسديُّ، وسائرهم من الأنصار[٣].

ولمَّا قتلوا وأصابوا الرزقَ والخيرَ تمنَّوا أن أصحابهم علِموا ذلك، فقال الله تعالى: أنا أبلِّغهم عنكم، فنزلت الآية[٤].

وقال الكلبي: كان المسلمون يقولون لشهداء بدر وأحد: مات فلان، ومات فلان، فنزلت الآية.

وقوله تعالى: ﴿بَلۡ أَحۡيَآءٌ﴾: أي: بل هم أحياء.

وقوله تعالى: ﴿عِندَ رَبِّهِمۡ﴾: قيل: أي: في حكم الله، وقيل: أي: في الجنة.

وروي[٥] أنَّ أرواحهم في أجواف طيرٍ خضرٍ ترعَى في الجنة بالنهار حيث

---

(١) «الله» ليس في (ف).

(٢) في (أ): «رضاء».

(٣) رواه سعيد بن منصور في «سننه» (٢٨٩٤)، وفي «التفسير» (٥٣٨)، وابن أبي حاتم في «التفسير» (٣/ ٨١٢). وجاء عند ابن أبي حاتم: (استشهد من المهاجرين أربعة وعشرون: حمزة بن عبد المطلب، ومصعب بن عمير، وشمّاس بن عثمان، واستشهد من الأنصار ستة وأربعون). كذا وقع عنده، والذي ذكره غيره من أن الذي قتل من المهاجرين هؤلاء الأربعة فقط هو الموافق لما ذكره أهل المغازي.

(٤) «الآية» ليس في (ف). وهذا الحديث رواه أبو داود (٢٥٢٠) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وإسناده صحيح كما قال القرطبي في «تفسيره» (٥/ ٤٠٦).

(٥) في (أ): «روي».

تشاء، وتأوي بالليل إلى قناديلَ من ذهب معلقةٍ بالعرش، يقول الله تعالى لهم: ما تشتهون؟ فيقولون: تعيد أرواحنا في أجسادنا فنقتلَ في سبيلك مرة أخرى[١].

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله:

قيل: هذه الحياة هي بقاء الذكر والشرف في أهل السماء والأرض.

وقيل: هي جرَيان أعمالهم بعد موتهم.

وقيل: لأنهم أحيَوا أنفسهم في حق الآخرة، والكفارُ أماتوها.

وقيل: لأنهم انتفعوا بحياتهم الفانية والكفارُ لم ينتفعوا بها[٢] فكانوا موتى، وعلى هذا قوله تعالى: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ﴾ [البقرة: ١٨][٣].

وقوله تعالى: ﴿يُرْزَقُونَ﴾ هو ما روَينا الآن، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: الشهداء على نهرٍ يقال له: بارِقٌ، في قبةٍ خضراءَ يخرج إليهم رزقُهم فيها[٤] بكرةً وعشيةً[٥]، وليس ثَمَّ[٦] بكرةٌ ولا عشيَّةٌ، ولكنْ يؤتَون بالرزق على قَدْرِ غَداةِ الدنيا

---

(١) رواه مسلم (١٨٨٧) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٢) «بها» ليس في (أ) و(ف).

(٣) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٢/ ٥٢٨ ـ ٥٢٩).

(٤) «فيها» ليس في (أ) و(ف).

(٥) رواه عن ابن عباس مرفوعاً إلى هنا عبد بن حميد في «مسنده» (٧٢١)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (١٩٣٢١)، والإمام أحمد في «المسند» (٢٣٩٠)، وابن حبان في «صحيحه» (٤٦٥٨)، وابن أبي حاتم في «التفسير» (٣/ ٨١٣)، والحاكم في «المستدرك» (٢٤٠٣) وصححه. وجود إسناده الحافظ ابن كثير عند تفسير هذه الآية، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥/ ٢٩٤): رواه أحمد، وإسناده رجاله ثقات. وعندهم جميعاً: «الشهداء على بارق نهر... ».

(٦) في (أ): «ثمة».

وعشيِّها[1]، فإذا كان يومُ القيامة قال الله تعالى لملائكته: ادعوا إليَّ خيرتي مِن خلقي، فيقولون: يا رب! مَن هم؟ فيقول: الشهداء الذين بذلوا دماءهم وأموالهم وأنفسَهم فيَّ، فيمرُّون إلى ربِّ العزة[2] وسيوفُهم على أعناقهم، فيدخلون مساكنهم في الجنة.

وروى أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ سأل جبريل عن قوله تعالى: ﴿فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الزمر: ٦٨]: «مَن هؤلاء؟ قال: هم الشهداء، وهم متقلِّدو السيوفِ[3] حول العرش»[4].

وقال جابر: يا رسول الله، إن أبي قُتل وترك عليَّ بناتٍ، فقال: «يا جابر، إن الله كلَّم أباك كفاحاً فقال: يا عبد الله سَلْني ما شئتَ، قال: أسألك أن تعيدني إلى الدنيا فأقتلَ فيك ثانيًا، قال: يا عبد الله، إني قضيتُ أنْ لا أُعيد إلى الدنيا خليقةً قبضْتُها، قال: يا ربّ، فمَن يبلِّغُ قومي ما أنا فيه من الكرامة؟ قال: أنا، فأنزل الله هذه الآية»[5].

* * *

(١٧٠) ـ ﴿فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَيَسۡتَبۡشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمۡ يَلۡحَقُواْ بِهِم مِّنۡ خَلۡفِهِمۡ أَلَّا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ﴾: نصب على الحال من ﴿يُرۡزَقُونَ﴾؛ أي: مسرورين.

---

(١) في (أ): «وعشيتها».

(٢) «العزة» ليس في (أ).

(٣) في (ر): «متقلدون بالسيوف»، وفي (ف): «متقلدون السيوف».

(٤) رواه أبو يعلى في «مسنده» كما في «المطالب العالية» (٣٧٠٢)، والحاكم في «المستدرك» (٣٠٠٠) وصححه.

(٥) رواه الترمذي (٣٠١٠) وحسنه من حديث جابر رضي الله عنه. قوله: كفاحاً؛ أي: مواجهة ليس بينهما حجاب ولا رسول. انظر: «النهاية» (مادة: كفح).

وقولـه تعالـى: ﴿وَيَسْتَبْشِرُونَ﴾: أي: يُسـرُّون بالبشـارة ﴿بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ﴾؛ أي: بمـن بقـي خلفَهـم.

قـال الحسـن: يقولـون: تركنا إخواننـا في الصفـوف يقاتلـون العـدوَّ فيُقتلون إن شـاء الله فيلحقـون بنـا، فيصيبـون مـن الكرامة مـا أصبنا[1].

وقوله تعالى: ﴿أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾: أي: ينالون هذا.

* * *

(١٧١) ـ ﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

وقوله: ﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ﴾: أي: يُسرُّون بما أنعم الله عليهم من الثواب، وبما تفضَّل عليهم من زيادة الكرامة، وجمع بينهما لأنها[2] ليست بنعمةٍ مضيَّقة على مقدار الكفاية من غيرِ مضاعفة السرور واللذة.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾: قرأ الكسائي: ﴿وإنَّ﴾ بالكسر على الاستئناف، والباقون بالفتح[3] على معنى: وبأن الله؛ أي: علِموا بأن الله لا يُضيع ثوابَ عملهم، وقد كانوا علِموا قبل ذلك علمَ استدلالٍ والآن علِموا علمَ عِيانٍ.

* * *

(١٧٢) ـ ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِن بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾.

---

(١) في (ف): «أصابنا». وانظر قول الحسن في «البسيط» للواحدي (٦/ ١٧١)، ورواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٢٣٧) عن ابن جريج، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٨١٤) عن سعيد بن جبير.

(٢) في (ف): «لأنهما».

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٢١٩)، و«التيسير» (ص: ٩١).

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾: يجوز أن يكون ﴿ٱلَّذِينَ﴾ مخفوضاً نعتاً لـ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، ويجوز أن يكون مرفوعاً بالابتداء وخبرُه: ﴿لِلَّذِينَ ...﴾ إلخ، ويجوز أن يكون منصوباً على المدح.

وهذا في حقِّ الذين خرجوا إلى غزوة حَمْراء الأسد[١] بعد غزوةِ أحد؛ لأن النبيَّ ﷺ دخل المدينة قافلاً من أُحدٍ يومَ السبت، وأَمر يومَ الأحد بطلب العدو، وقال: «رَحِمَ الله مَن[٢] انتَدب، حتى يعلمَ المشركون أنَّا لم نُستأصَلْ، وأنَّ فينا بقيةً» فانتَدبوا وبهم الجراح حتى بلغوا حمراء الأسد ثم انصرفوا وقد فاتهم أبو سفيان وأصحابه[٣] والمشركون وكان المسلمون سبعون رجلاً ونحوها.

ومعنى قوله: ﴿ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ﴾؛ أي: أجابوا رسولَ الله في اتِّباع العدو، فإن دعوته بهم[٤] دعوة الله، فكانت إجابته إجابة الله.

قوله تعالى: ﴿مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ﴾: أي: الجَرح في غزوة أحد، وبهم أثر ذلك، فاحتملوه ونَشِطوا في ذلك طلباً لرضاء الله، وقد رُوي أنه كان فيهم مَن يحملُ صاحبَه عقبةً ويحملُه صاحبُه عقبةً لِمَا به، ومنهم مَن يتوكَّأُ على صاحبه ساعةً، ويتوكأُ عليه صاحبُه ساعةً.

قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾: أي قد أَحسنوا فيما فعلوا واتَّقوا فلهم على ذلك أجرٌ عظيمٌ لا يَعرف مقدارَه إلا الله.

---

(١) في هامش (أ): «حمراء الأسد هي من المدينة على ثمانية أميال».

(٢) في (ر) و(ف): «رحمة الله على من».

(٣) «وأصحابه» سقط من (أ) و(ف).

(٤) «بهم» من (أ).

وقيل: لمَن أحسَنَ العمل منهم فيما بقيَ واتقَى ارتكابَ ما يُحبط هذا الفعلَ أجرٌ عظيمٌ في الآخرة.

***

(١٧٣) ـ ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ﴾: يجوز أن يكون نعتاً لـ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟﴾، ويجوز أن يكون مبتدأً.

وقصة ذلك[١] ما قال ابن عباس رضي الله عنهما: أن أبا سفيان يوم أحدٍ حين أراد أن ينصرف قال: يا محمد، موعدُ ما بيننا وبينك موسمُ بدر الصغرى لقابلٍ[٢] إن شئتَ، فقال النبيُّ عليه السلام: «ذلك بيننا وبينك إن شاء الله»، فانصرف أبو سفيان إلى مكة فلقي نُعيم بنَ مسعود الثقفيَّ، فقال: يا نعيم، إني واعدتُ محمدًا وأصحابه أن نلتقيَ موسم بدر الصغرى، فبدا لي بعد ذلك ألا أخرجَ إليها، وأكرهُ أن يخرجَ محمد وأصحابه ولا أخرجَ فيزيدَهم ذلك جرأة[٣]، وإن كان الخُلف من قِبَلهم فهو أحبُّ إليَّ، فلك عشرةٌ من الإبل إن حبَسْتَه فلم يخرج.

فقدم نعيمٌ المدينة وهم يتجهَّزون لميعادِ أبي سفيان، فقال: أين تريدون؟ قالوا: واعَدَنا أبو سفيان بموسم[٤] بدر الصغرى، فقال: بئس الرأيُ رأيتم، أتَوْكم

---

(١) في (أ) و(ف): «وقصته».

(٢) في (ر): «نقاتل».

(٣) في (أ): «جراءة».

(٤) في (ف): «لموسم».

في دياركم وقراركم فلم يُفلتْ منكم إلا شريدٌ[١] وتريدون أن تخرجوا؟ فقال النبيُّ ﷺ: «لأَخرجنَّ ولو لم يخرج منكم[٢] معي أحدٌ» فخرج رسول الله ﷺ ومعه سبعون رجلاً حتى وافَوا بدراً الصغرى، فلم يخرج أبو سفيان ولم يكن قتال، ثم انصرفوا[٣].

فقوله تعالى: ﴿قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ﴾ على هذه الرواية اسمٌ للواحد وهو نعيمٌ، وهو[٤] جمعٌ أريد به الواحد، وطريقه[٥] طريقُ مَن انتظر قوماً فجاء واحد، فقال: جاء الناس، إما تفخيماً للشأن، وإما ذكراً لابتداء الإتيان، أو لأن الواحد يكون له أتباعٌ فقولُه قولُهم.

وقيل: هو على حقيقةِ الجمع، وهم[٦] ركبٌ من خُزاعة فيهم معبدُ بنُ أبي معبدٍ الخزاعي[٧].

---

(١) في (ف): «شرذمة».

(٢) «منكم» ليس من (ف).

(٣) انظر: «تفسير السمرقندي» (١/ ٢٩٠)، و«تفسير ابن أبي زمنين» (١/ ٣٣٥)، كلاهما عن الكلبي، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣/ ٢٠٩)، والبغوي في «تفسيره» (٢/ ١٣٧)، عن مجاهد وعكرمة، وذكر الخبر بنحوه مقاتل في «تفسيره» (١/ ٣١٥ ـ ٣١٦). وذكرُ نعيم بن مسعود في هذه القصة لم يثبت، وإنما انحصرت تسميته نعيماً في مقاتل والكلبي وهما متروكان، وما ذكره الثعلبي والبغوي عن مجاهد وعكرمة لم يذكرا له سنداً، وقد رواه عنهما الطبري في «تفسيره» (٦/ ٢٥٠ ـ ٢٥١) مختصراً دون ذكر نعيم، فلعل الثعلبي أدخل في خبرهما ما ليس منه، والله أعلم. وقال ابن حجر: وقد وقع لي أصل القصة بإسناد قوي، والمبلِّغ فيها أيضاً مبهم. انظر: «موسوعة الحافظ ابن حجر الحديثية» (٤/ ٢١٤)، و«حاشية الشهاب على البيضاوي» (٣/ ٨٢)، و«روح المعاني» (٥/ ١٣٨).

(٤) في (ف): «وهذا».

(٥) في (أ): «فطريقه».

(٦) في (ف) و(أ): «وهو».

(٧) كذا قال، وما ذكره مخالف لما في المصادر، انظر التعليق بعد الآتي.

قال عطاء: إن قوماً من بني عبد قيس وهم مسلمون أرادوا المدينة، فمروا بأبي سفيان فقال لهم: إنكم تمرُّون بمحمدٍ، فأريد أن تبلِّغوه مني رسالةً ولكم عليَّ حملُ زبيبٍ بعكاظ[١]، تقولون له: قتلنا خيارَ أصحابك وجرَحنا سائرهم، ولنَرْجعن حتى نجتثَّ مَن بقي، ففعلوا ورأسُهم معبدُ بن أبي معبدٍ الخزاعي، وهو يومئذٍ مشرك، فقال النبيُّ ﷺ: «حسبُنا الله ونعم الوكيل»[٢].

---

(١) في (ر): «مكافأة»، والمثبت موافق لما في المصادر.

(٢) لم أجد القصة هكذا، وقد وردت في كتب التفسير والسير لكن بخلاف ما ذكر المؤلف، فإن ذكر معبد هنا مخالف لما في المصادر، فقد ذكر القصة الواقدي في «المغازي» (١/ ٣٣٨ ـ ٣٣٩)، ورواها ابن إسحاق عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم كما في «السيرة النبوية» لابن هشام (٢/ ١٠٢)، و«تفسير الطبري» (٦/ ٢٤٦)، و«تفسير ابن المنذر» (١١٩٠)، و«دلائل النبوة» للبيهقي (٣/ ٣١٥)، وذكرها الثعلبي في «تفسيره» (٣/ ٢٠٨) من طريق ابن إسحاق عن عبد الله بن خارجة بن زيد بن ثابت عن أبي السائب، وأبو السائب كنية عطاء بن السائب، فلعله هو المراد بعطاء الذي ذكر المؤلف عنه هذا الخبر، لكن في جميع المصادر أن معبد بن أبي معبد الخزاعي هو الذي ثبط أبا سفيان وأثناه عن الخروج لملاقاة المسلمين، فقد ذكروا جميعاً أن معبداً مر برسول الله ﷺ وهو بحمراء الأسد، وكانت خزاعة مسلمهم وكافرهم عيبة رسول الله ﷺ بتهامة، صفقتهم معه لا يخفون عنه شيئاً كان بها، ومعبد يومئذ مشرك، فقال: يا محمد، والله لقد عزّ علينا ما أصابك في أصحابك، ولوددنا أن الله كان عافاك فيهم، ثم خرج من عند رسول الله ﷺ حتى لقي أبا سفيان ومَن معه بالروحاء، قد أجمعوا على الرجعة إلى رسول الله ﷺ وقالوا: قد أصبنا جلّ أصحابه وقادتهم وأشرافهم، ثم رجعنا قبل أن نستأصلهم، لنكرّن على بقيتهم فلنفرغن منهم، فلما رأى أبو سفيان معبداً قال: ما وراءك يا معبد؟ قال: محمد قد خرج في أصحابه بطلبكم في جمع لم أر مثله قط، يتحرقون عليكم تحرقاً، قد اجتمع معه من كان تخلف عنه في يومكم وندموا على صنيعهم، فيهم من الحنق عليكم شيء لم أر مثله قط، قال: ويلك ما تقول؟ قال: والله ما أراك ترتحل حتى ترى نواصي الخيل، ثم ذكر له في ذلك أبياتاً زادت في خوف أبي سفيان، قال: فثنى ذلك أبا سفيان ومن معه، ومرّ به ركب من عبد القيس فقال: أين تريدون؟... إلى آخر القصة التي أوردها المؤلف، لكن دون ذكر أنهم مسلمون ولا أن فيهم معبداً.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ﴾؛ أي: أبا سفيان وأصحابَه جمعوا لكم الجموعَ؛ أي: الجيوش.

وقوله تعالى: ﴿فَٱخْشَوْهُمْ﴾: أي: فاحذروهم فإنكم لا تقاومونهم.

قوله تعالى: ﴿فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا﴾: (زاد) يتعدَّى إلى مفعولين، والإيمان هو اليقين هاهنا، وفاعل (زاد) هو: قولهم، وهو غيرُ مذكور، ولكن دل على هذا الإضمار الفعلُ، وهو قوله عز وجل: ﴿قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ﴾ وهو كقول الشاعر:

إذا نُهِيَ السفيهُ جرى إليه ... وخالفَ والسفيهُ إلى خلافِ[1]

أي: جرى إلى السَّفَه.

ومعنى زيادةِ اليقين بقولهم: ﴿فَٱخْشَوْهُمْ﴾ ونحوِ ذلك: أنهم وجدوا الأمرَ على ما قال لهم رسول الله ﷺ، لا على ما قال أولئك.

وقيل: زادهم جرأةً[2] وقوةً ولم يخافوا بتخويفهم.

وقيل: لمَّا قالوا ذلك كذَّبوهم وأجابوا دعوة الرسول وصدَّقوا وعده.

وقيل: أخبرهم النبيُّ عليه السلام بتفرُّق الأعداء، وأخبرهم المنافقون بالاجتماع، فوجدوا الأمر على ما قال النبي ﷺ[3].

وقيل: لمَّا لم يضعفوا ولم يجبُنوا بقولهم، أنزل الله السكينة في قلوبهم فازدادوا يقيناً وتصديقاً.

---

(١) البيت دون نسبة في «معاني القرآن» للفراء (١/ ١٠٤ و٢٤٩)، و«تأويل مشكل القرآن» لابن قتيبة (ص: ١٤٤)، و«تفسير الطبري» (٦/ ٢٦٨)، و«الحجة» للفارسي (١/ ١٥٥)، و«معاني القراءات» للأزهري (٢/ ٤٦)، وغيرها من كتب التفسير والنحو والقراءات.

(٢) في (أ): «جراءة».

(٣) وهذا عين القول الأول.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: الزيادة في الإيمان من وجوهٍ:

منها: الدوام عليه فيكون زيادةً على ما كان.

ومنها: الثبات عليه بوضوح الحجج.

ومنها: زيادة البصيرة واليقين.

ومنها: محافظةُ حقوقه، والتمسُّكُ بأدلته، والوفاءُ بشرائطه، وهذا كما عدَّت صلاةٌ واحدةٌ ألفاً لِمَا فيها من حفظ الحقوق ومراعاةِ السنن والآداب(١).

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ﴾: أي: كافينا الله، وهو من الحساب والحسَب؛ لأن الكفاية بحسَب الحاجة وعلى حسابها(٢).

وقوله: ﴿وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾: أي: نعم الوليُّ والحفيظُ(٣) والكافي هو، ومَن كان وكيلاً لآخر كان متولِّياً أمرَه، قائماً بتدبيره، حافظاً له، فإن الأمر مفوَّض إليه.

قال مجاهد: فانطلق النبيُّ ﷺ لموعده، حتى نزلوا بدراً فوافقوا السوق، فابتاعوا واتَّجروا وربحوا(٤).

وقال عكرمة: وكانت بدرٌ متجراً(٥) في الجاهلية، فخرج ناسٌ من المسلمين يريدونها، فأتوها فلم يجدوا بها العدو، فاتَّجروا وأصابوا فضلاً(٦).

* * *

---

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٢/ ٥٣٤).

(٢) في (أ): «حسبانها».

(٣) في (أ): «والحافظ».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٢٥٠).

(٥) في (ف): «وكان بدر متجر»، وفي (ر): «وكان بدرا متجرا».

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٢٥١).

(١٧٤) ـ ﴿فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾.

فذلك: **قوله تعالى**: ﴿فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ﴾: أي: انصرفوا من بدرٍ بما أَنعم الله عليهم من العافية والسلامة، وبما أصابوا من الأرباح بالتجارة.

وقيل: النعمة: الأجر، والفضل: زيادةُ قوةٍ في الدِّين.

وقيل: النعمة: الجنة، والفضل: فضل الكرامات.

وقيل: النعمة: محمد، والفضل: التجارات.

قوله تعالى: ﴿لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ﴾: أي: لم يَنَلْهم أذًى من قبل الأعداء ﴿وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ﴾؛ أي: اتَّبعوا ما يُرضي الله.

وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ قال الكلبي: أي: بحبسِ أبي سفيان وأصحابه من المسلمين[1].

* * *

(١٧٥) ـ ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ﴾: أي: يخوفكم أولياءه وهم الكفار.

وعن ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم أنهما قرأا: (يخوِّفُكم أولياءَه)[2]، والتخويفُ يتعدَّى إلى مفعولين، و(أولياءَه) مفعولٌ ثانٍ هاهنا.

---

(١) «من المسلمين» ليس من (ف).

(٢) انظر: «المحتسب» لابن جني (١/ ١٧٧). ورواها ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٨٢٠).

وفي قراءة أبيٍّ: (يخوِّفُكم بأوليائه)[١] وهذا أظهرُ، ونصبه بنزعِ الباء[٢].

وقيل: بل هو المفعولُ الأول، ومعناه: أن الشيطان يخوف أولياءَه المنافقين من المشركين، فيوسوس إليهم ويعظِّم أمورهم عندهم لئلا يخرجوا عوناً للمؤمنين.

وقيل: أي: مَن خافهم فإنما هو من أولياء الشيطان، وأما المؤمنون فلا يخافونهم، ومعنى الآية: أن قولهم: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ﴾ هذا من إلقاء الشيطان في قلوبكم.

وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾: لأن الإيمان يقتضي خوف العبد من الله تعالى دون غيره.

* * *

(١٧٦) ـ ﴿وَلَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِۚ إِنَّهُمۡ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗاۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجۡعَلَ لَهُمۡ حَظّٗا فِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ﴾: هو نهي المغايَبة؛ أي: لا تحزن بما يفعله الكفار من التجمُّع عليك، وبما يفعله المنافقون من مظاهرتهم على ذلك، وذلك مسارعتُهم في الكفر، وهو جُهدهم فيه، وسعيُهم في إطفاء نور الله[٣]

---

(١) انظر: «البسيط» للواحدي (٦/ ١٨٦)، و«تفسير البغوي» (٢/ ١٣٩)، و«المحرر الوجيز» (١/ ٥٤٤). ورواها عن أبيٍّ الثعلبيُّ في «تفسيره» (٩/ ٤٧٢ ـ ٤٧٣).

(٢) في (ر): «بنزع الخافض». ومعنى الكلام: أن قراءة أبي تدل على أن ﴿أَوۡلِيَآءَهُۥ﴾ في قراءة الجمهور منصوب بنزع الخافض الذي هو الباء، وقيل: هو (مِن)، وقراءة أبي ترجح الأول. انظر: «البسيط» للواحدي (٦/ ١٨٦).

(٣) في (أ): «وهو حدُّهم فيه وإطفاؤهم من نور الله».

أسرعَ ما يمكنهم، فكان هذا في[1] المشركين والمنافقين جميعاً.

وقال في آية أخرى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ﴾ [المائدة: ٤١] وهم المنافقون، ثم قال: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾ وهم الكافرون المجاهرون.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا﴾: قيل: معناه: لن يضرُّوك، فإنَّ الله تعالى جلَّ أن يلحقَه المضارُّ والمنافع، ولكن هذا وعدٌ له بالنصرة وأمانٌ له من شرورهم وضرِّهم، وإضافةُ ذلك إلى نفسه تشريفٌ لرسول الله ﷺ.

وقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الْآخِرَةِ﴾: وإرادتُه أن لا يكون لهم ثواباً في الآخرة هي إرادةُ كفرهم ومعاصيهم، فدل أن ذلك كلَّه بمشيئة الله تعالى وإرادته، وهو في قومٍ مخصوصين عَلِم الله منهم أنهم لا يختارون الإيمان فلا يؤمنون.

قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾: أي: في جهنم.

وقيل: الآية في اليهود والمنافقين الذين خوَّفوا المؤمنين.

وقيل: هي فيما أظهره المشركون من الشماتة بالمسلمين فيما أصابهم بأحد.

* * *

(١٧٧) ـ ﴿إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ﴾: أي: استبدلوه به واختاروه عليه، وقد كشفنا عن حقيقته في سورة البقرة.

---

(١) في (أ): «من».

وقيل: هي في المذكورين في الآية الأولى من المنافقين أوالمشركين أو اليهود.

وقيل: هي في المرتدين.

قوله تعالى: ﴿لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: وهذا التكرير للتأكيد والتقرير، فإنْ حُملت على المرتدِّين وعلى اليهود الذين كانوا مُقرِّين بالنبي ﷺ قبل خروجه ثم كفروا به بعد خروجه فمعنى الاشتراءِ والاستبدالِ ظاهرٌ، وإن حُمل على الكفار الأصليين فمعناه: تركُ الإيمان[1] يومَ الميثاق، وإيثارُهم الكفرَ مع قيام الدلائل والتمكُّنِ من الإيمان، وإن حُملت على المنافقين فهي في إظهار كفرهم لأصحابهم بعد إظهار الإيمان للمؤمنين.

* * *

(١٧٨) ـ ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْۚ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًاۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ﴾ قرأ حمزة بتاء المخاطَبة، وهي[2] للنبي ﷺ، و﴿ٱلَّذِينَ﴾ مفعول، و﴿أَنَّمَا نُمْلِي﴾ بدلٌ عنهم، وفعل الحسبان واقع عليه، وهو[3] كقول الشاعر:

فما كان قيسٌ هُلْكُه هُلْكُ واحدٍ ... ولكنه بنيانُ قومٍ تهدَّما[4]

(١) في (أ): «إيمان».

(٢) في (أ): «وهو».

(٣) «وهو» سقط من (أ).

(٤) البيت لعبدة بن الطبيب في رثاء قيس بن عاصم، وهو في «الكتاب» لسيبويه (١/ ١٥٦)، و«الشعر والشعراء» لابن قتيبة (٢/ ٧١٨)، و«معاني القرآن» للزجاج (١/ ٤٩١).

وقرأ الباقون: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ﴾ بياء المغايبة[١]، وهي نهيُ مغايبةٍ، و﴿ٱلَّذِينَ﴾ فاعلٌ، و﴿أَنَّمَا﴾ مفعول؛ أي: لا يظنَّنَّ الكفار أن إملاءَنا لهم خير.

والإملاء: إطالةُ المدة، والـمَلَا مقصوراً[٢]: الدهر، والـمَلَوان: الليل والنهار لطول تعاقُبهما، والملْوة ـ بفتح الميم وكسرها وضمها ـ : المدة، وكذا الملاوةُ بالحركات الثلاث، وقول الله تعالى خبراً: ﴿وَٱهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾ [مريم: ٤٦]؛ أي: حيناً طويلاً، ويقال: عشتَ طويلاً وتملَّيتَ حبيباً[٣]؛ أي: أطلتَ مدتك معه.

واتصالها بما قبلها: أنهم شمتوا بقتل الصحابة، فقال: لا يظنَّ هؤلاء أن إملاءنا لهم خير، بل لو ماتوا في سبيل الله كالشهداء كان خيراً لهم.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ﴾: بالكسر[٤] للابتداء.

وقوله تعالى: ﴿لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًاۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾: وهذا حجةٌ لأهل السنة في أن الله تعالى خلق كلَّ شيء لمَّا علم أنه يكون منه وأنه يختاره، وفي[٥] إبطال القول بوجوب الأصلح؛ فإنه إذا كان إملاؤهم لزيادة الإثم والعذاب كان إفناؤهم أصلح لهم.

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٢٢٠)، و«التيسير» (ص: ٩٢).

(٢) في (ر) و(ف): «مقصور».

(٣) في (ر) و(ف): «حيناً». والمثبت من المصادر. انظر: «الأزمنة» لقطرب (ص: ٥٩)، و«مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١/ ٢٣٤)، و«المعاني الكبير» لابن قتيبة (٢/ ٧٢٩)، و«جمهرة اللغة» (١/ ٤٠٣)، و«الحجة» للفارسي (٦/ ١٩٤). وقال في «الصحاح» (مادة: ملا): ويقال لمن لبس الجديد: أَبْلَيْتَ جديداً وتَمَلَّيْتَ حبيباً؛ أي: عشت معه ملاوَتَكَ من دهرك وتمتَّعت به.

(٤) في (أ): «والكسر»، وفي (ف): «الكسر».

(٥) في (ر) و(ف): «في».

ومَن جعَل هذه اللامَ لامَ العاقبة كما في قوله تعالى: ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ [القصص: ٨] وقال: خلقهم الله[١] ليطيعوا لكنهم عصَوا، ففي هذا تجهيل الله تعالى وتسفيهه؛ لأنه إن علم أنهم لا يطيعون وخلقهم للطاعة فهو سفهٌ، وإن لم يعلم أنهم لا يطيعون فهو جهلٌ، وتعالى الله عن ذلك كلِّه[٢] علوًّا كبيراً.

* * *

(١٧٩) - ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾.

قوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾: أي: ليس من صفة الله تعالى أن يترك المؤمنين على ما أنتم عليه من اختلاط المنافقين بكم وإظهارهم أنهم منكم، وعلى هذا هو رجوعٌ من المغايَبة إلى المخاطبة كما في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم﴾ [يونس: ٢٢].

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: قيل فيه بوجوه[٣]:

قيل: لا يترك الله المؤمنين على ما أنتم عليه أيها المنافقون، ولكن يمتحنكم بالجهاد وأنواع المحن ليَظهر المنافق لهم[٤] من المخلِص.

وقيل: ليظهر الكافر من المؤمن.

---

(١) لفظ الجلالة ليس من (أ).

(٢) «كله» سقط من (أ).

(٣) في (أ): «إنه بوجوه»، وفي (ر): «فيه وجوه».

(٤) في (ر): «لكم»، والمثبت موافق لما في «التأويلات».

قال: وقيل: إن المنافقين كانوا يطعنون[1] في الصحابة ويستهزئون بهم سرًّا، فقال: لا يَدَعُ[2] المؤمنين على ما أنتم عليه أيها المنافقون من الطعن فيهم والاستهزاء بهم، ولكن يمتحنكم بأنواع المحن لتفتضِحوا ويظهرَ نفاقُكم عندهم.

قال: ويحتمِل أن يكون معناه: لا يَدَع[3] المؤمنين على ما أنتم عليه من النفاق والكفر في دارٍ واحدة، ولكن يجعل لكم داراً أخرى يَميز فيها الخبيثَ من الطيب، فيجعلُ الخبيث في النار والطيِّب في الجنة؛ كما قال تعالى: ﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ﴾ الآية[4] [الأنفال: ٣٧][5].

وقيل: على ما أنتم عليه قبل مَبعث النبي ﷺ، أو: على ما وُلدتم عليه فلا يتعبَّدَكم ولا يمتحنكم حتى يتميزَ بالامتحانِ والتكليفِ الخبيث من الطيب بظهور أفعال الفريقين.

واتصالُها بما قبلها: أن في غزوة أحد وفي اتِّباع المشركين بعد ذلك ظهر[6] المخلصُ من المنافق.

وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ ماز يَمِيز مَيزاً؛ أي: فَرَقَ بين شيئين، ومَيَّز يميِّز تمييزاً: إذا فرَّق بين أشياء، وقد مازَهُ فامْتازَ وانْمازَ، وميَّزه فتميَّز.

---

(١) في (ر): «يظنون»، والمثبت موافق لما في «التأويلات».

(٢) في (ر): «ندع»، والمثبت موافق لما في «التأويلات».

(٣) في (ر): «ندع»، والمثبت موافق لما في «التأويلات».

(٤) «الآية» من (أ)، وليس فيها: «﴿فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ﴾».

(٥) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٢/ ٥٤١).

(٦) في (أ): «ظهور».

وقـال مجاهـدٌ وابـنُ جُريـجٍ ومحمد بـن إسـحاق: معناه: حتـى يَمِيـزَ المنافقَ مـن المخلص[١].

وقال قتادةُ والسدِّي: أي: الكافرَ من المؤمن، وهذا التمييزُ بتكليف الجهاد ونحوه ليُظهِر بذلك ضمائرهم[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ﴾: أي: وليس من وصفِ الله تعالى أنْ يُوْقِفكم على غيب القلوب فيجعلَ هذا التمييزَ بإعلامكم ما في قلوبهم لتعلَموا المخلِصَ من المنافق بذلك.

ويحتمِل: ﴿لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ﴾ عنده لتعلَموا أهل الجنة من أهل النار؛ لأنه زوال الامتحان، لكن التمييز بما[٣] قلنا.

وقولـه تعالـى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾: أي: يختـارُ، فيخصُّهـم بإعـلام المؤمـن مـن الكافر، ثم يأمرهـم[٤] بكتمان ذلـك وبالعمل علـى ظاهر الآية ليصـحَّ الامتحان.

ويحتمِل: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ فيمتحنُ خلقَه بشرائعهم، فيتميزُ الفريقان بالامتحان.

وقيل: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ﴾؛ أي: ليجعلَكم كلَّكم عالِمِين بالغيب فتَستغنوا عن الرسل، بل يخص بالرسالة مَن يشاء، ويكلِّف الناسَ[٥] طاعتَهم والانقياد لهم والأخذَ منهم.

---

(١) رواه عنهم الطبري في «تفسيره» (٦/ ٢٦٣)، وابن المنذر عن مجاهد (١٢١٤).

(٢) رواه عنهما الطبري في «تفسيره» (٦/ ٢٦٣ ـ ٢٦٤)، وابن المنذر عن قتادة (١٢١٦).

(٣) في (أ): «ما».

(٤) في (أ): «بأمرهم».

(٥) في (أ): «ويكلف الله»، وفي (ر): «ويكلف الناس إلى».

وقال الكلبيُّ: إن قريشاً قالوا لرسول ﷺ: الرجل منا إذا كان مخالفاً لك تزعُم أنه في النار، وإذا اتَّبع دِينك تزعُم أنه من أهل[١] الجنة، فأخبرنا عن هذا: من أين هو؟ فأنزل الله جلَّ جلاله: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾ من الكفر والنفاق ﴿حَتَّىٰ يَمِيزَ﴾؛ أي: يخلِّص الكافر من المؤمن ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ﴾ يا معشر قريش ﴿عَلَى ٱلْغَيْبِ﴾ فيتبينَ[٢] لكم المؤمنُ من الكافر ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾؛ أي: يصطفي بالنبوَّة مَن يشاء ويعلِّمه ما يشاء من أمره[٣].

وقال أبو العاليةِ: إن المؤمنين قالوا: لو ميَّز الله المنافقين فأعلمهم الناسَ حتى يُعرفوا، فأنزل الله تعالى: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾[٤] فيَعرفَ النبيُّ عليه الصلاة والسلام ذلك ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى﴾ المنافقين[٥] ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ فيُطلعُه على غيبه، ويَمِيزُ له المنافقَ من المؤمن[٦].

وقال مقاتل: إن الكفار قالوا: إن كان محمدٌ صادقاً[٧] فليخبِرْ مَن يؤمنُ منَّا ومَن يكفرُ، فقال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ﴾ [يعني: ليطلعَكم على غيبِ] ذلك، إنما الوحي إلى الأنبياء[٨].

---

(١) في (ر) و(ف): «تزعم أنه في».

(٢) في (أ): «فبين»، وفي (ف): «فيبين».

(٣) «من أمره» ليس من (ف).

(٤) انظر: «تفسير الثعلبي» (٣/ ٢١٨)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٣٢).

(٥) في (أ): «المنافق».

(٦) «من المؤمن» سقط من (أ) و(ف).

(٧) في (ر): «إنَّ محمداً إن كان»، وفي (ف): «إن كان محمداً صادق».

(٨) انظر: «تفسير مقاتل» (١/ ٣١٨)، وما بين معكوفتين منه.

وروى السديُّ عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال: «عُرضت عليَّ أمَّتي في صُوَرها في الطين كما عُرضت على آدم، وأُعلمتُ مَن يؤمنُ بي ممن يكفرُ»، فبلغ ذلك المنافقين، فاستهزؤوا وقالوا: زعم محمدٌ أنه يَعلم مَن يؤمن به ممن يكفرُ ممن لم يُخلق بعدُ، ونحن معه ما يَعرِفنا، فبلغ ذلك رسولَ الله ﷺ، فقام على المنبر خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «ما بالُ أقوام جهَّلوني فطعنوا[1] عليَّ في عِلمي؟ لا تسألوني عن شيء فيما[2] بينكم وبين الساعة إلا أنبأتُكم به»، ونزلت: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾[3]؛ أي: من الاجتماع ﴿حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ وميَّز المؤمنين يوم أحد من المنافقين، حيث أَظهروا النفاق وتخلَّفوا عن رسول الله ﷺ.

قوله تعالى: ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾: هو أمرٌ بابتداء الإيمان في حقِّ الكفار، وأمرٌ بالدوام عليه في حق المؤمنين، وكذا قوله تعالى:

﴿وَإِن تُؤْمِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾: أي: وإنْ توحِّدوا أيها الكفار وتتَّقوا المعاصيَ، وإنْ تَدوموا[4] على الإيمان والتقوى أيها المؤمنون، فلكم ثوابٌ عظيم في الآخرة.

وقال الإمامُ أبو منصور رحمه الله: قيل: إنهم كانوا يقولون: لا نؤمن حتى نؤتَى مثلَما أُوتي[5] الأنبياء؛ كما قال تعالى: ﴿قَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ﴾

---

(١) في (ف) و(أ): «وطعنوا».

(٢) في (ر): «مما».

(٣) انظر: «تفسير الثعلبي» (٣/ ٢١٧)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٣٢)، و«تفسير البغوي» (٢/ ١٤٠). وقد ذكروه دون سند عن السدي عن النبي ﷺ مرسلاً، وليس فيه عندهم ابن عباس.

(٤) في (أ): «تديموا».

(٥) في (ف): «أتوا».

[الأنعام: ١٢٤]، وقال تعالى: ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً﴾ [المدثر: ٥٢] وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ﴾ وإنما يُطْلِع عليه مَن اختاره لرسالته.

قال: وقيل: إن الشياطين كانوا يصعدون إلى السماء فيَسْترِقون السمع فيأتون(١) بالأخبار إلى الكهنة قبل مبعثِ النبي ﷺ، ثم الكهنةُ كانوا يخبرون بها الكفرةَ، فقال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ﴾ بعد بعث(٢) النبيِّ عليه السلام كما كنتُم تطَّلعون على أخبار السماء قبل بعثه، ولكن الله يختار مِن رسله مَن يشاء فيوحي إليه ذلك(٣).

* * *

(١٨٠) ـ ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ﴾: قرأ حمزة بتاء المخاطبة؛ أي: لا تظنَّنَّ يا محمدُ البخلاءَ، و﴿ٱلَّذِينَ﴾ نصبٌ لأنه مفعول، وقوله: ﴿هُوَ خَيْرًا لَّهُم﴾ هذا بدل عن الأول(٤)، والنهيُ واقع عليه.

وقرأ الباقون: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ﴾ بياء المغايبة(٥)، وهو نهي مغايبة، و﴿ٱلَّذِينَ﴾ مرفوع لأنه فاعل.

---

(١) في (ف): «ويأتون».

(٢) في (ف): «مبعث».

(٣) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٢/ ٥٤١).

(٤) وهذا الوجه من الإعراب رده السمين موجباً كون (هو) ضمير فصل، فقال: (هو) في هذه المسألةِ يتعيَّن فَصْلِيَّتُه؛ لأنه لا يخلو: إمَّا أَنْ يكونَ مبتدأً أو بدلاً أو توكيداً، والأولُ منتفٍ لنصبِ ما بعده وهو ﴿خَيْرًا﴾، وكذا الثاني لأنه كان يلزمُ أَنْ يوافِقَ ما قبلَه في الإِعرابِ فكان ينبغي أَنْ يُقالَ: إياه، لا (هو)، وكذا الثالثُ لِما تقدَّم. انظر: «الدر المصون» (٣/ ٥١٠)، وانظر ما قيل في إعراب الآية من وجوه ثمة.

(٥) انظر: «السبعة» (ص: ٢١٩ ـ ٢٢٠)، و«التيسير» (ص: ٩٢).

والبخل: منعُ الحقوق الواجبة في المال؛ من الزكاة والإنفاقِ في الجهاد والحجِّ ونوائب الحق.

وكلمة ﴿هُوَ﴾ ترجع إلى البخل المذكور في قوله تعالى: ﴿يَبْخَلُونَ﴾.

واتصالُها بالأُولى(١): أنه ذمَّ المانعين أموالَهم في سبيل الله في غزوة أحد ونحوِها، فقال: ولا يَتوهَّمن الذين يمتنِعون من إخراج ما يجب عليهم في أموالهم التي أعطاهم الله تعالى ـ والفضلُ: هو فضلُ المال هاهنا كما في قوله تعالى: ﴿يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ [المزمل: ٢٠] ـ أن بخلهم هو خيرٌ لهم في الآخرة.

وقوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ﴾: لأن أموالهم ستزول عنهم ويبقى عليهم وبالُ البخل.

وقوله تعالى: ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾: أي: سيُجعل مالُهم الذي مَنعوه عن الحق طوقاً في أعناقهم؛ كما روَى ابن مسعود رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «مَن منع زكاةَ ماله يصيرُ حيةً ذكراً شجاعاً أقرعَ له نابان، فيطوَّق في عنقه، فينهشُه بنابيه، فيتَّقيه بذراعيه، حتى يُقضى بين الناس، فلا يزال معه حتى يُساقَ إلى النار»(٢).

---

(١) في (أ): «بالأول».

(٢) ذكره مقاتل في «تفسيره» (١/ ٣١٨) دون سند ولا راو، ولم أجده بهذا اللفظ مسنداً، وروى البخاري (١٤٠٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «مَن آتاه الله مالًا فلمْ يُؤَدِّ زكاتَه مُثِّل له مالُه شجاعًا أقرعَ له زَبيبتان يُطوَّقُه يومَ القيامة، ثُم يأخذُ بلِهْزِمَتيه ـ يعني: بشِدْقيه ـ ثُم يقولُ: أنا مالُكَ أنا كنزُك، ثُم تلا هذه الآية: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ إلى آخِر الآية. ورواه بنحو رواية البخاري الترمذيُّ (٣٠١٢)، وابن ماجه (١٧٨٤) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه. وقال الترمذي: حسن صحيح.

وقيل: ﴿سَيُطَوَّقُونَ﴾؛ أي: سيكلَّفون، وهو ما روي: أن ماله يمثَّل له في النار كهيئته، فيقال له: انزل فاخرج، فكلما نزل هوَى في جهنم، فيعذَّب فيها إلى ما شاء الله تعالى[1].

والآية[2] في قول الكلبيِّ في منع[3] الزكاة.

وقال الضحَّاك: هم اليهود، آتاهم الله التوراة فبخلوا ببيانِ نعت محمد ﷺ[4]، ولو أظهروه[5] لكان خيراً لهم: الذِّكرُ والشرف في الدنيا، والثوابُ والكرامة في الآخرة، ولمَّا كتموا كان لهم خزيٌ في الدنيا، ويطوَّقون ذلك في الآخرة؛ أي: يجعل في أعناقهم أطواقٌ من نار علامةً لهم على ذلك.

وقيل: حياتٌ في أعناقهم تلتوي عليهم.

وقيل: بل في[6] كلِّ الأبدان تلتوي عليها، وإنما جُعلت في الأعناق لأن لزوم البيان كان في أعناقهم، وقال النبيُّ ﷺ: «مَن سُئل عن علمٍ وهو[7] عنده فكتمه،

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) في (ف): «الآية»، وفي (ر): «إلا أنه».

(٣) في (ف) و(أ): «على مانع»، بدل: «في منع».

(٤) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٩٥١)، عند تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِ وَيَكۡتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ﴾ [النساء: ٣٧]. وذكره القرطبي في «تفسيره» (٥/ ٤٣٩) عن ابن عباس.

(٥) في (ف): «أظهروا».

(٦) «في» ليست في (أ).

(٧) في (أ): «هو».

أُلجم يوم القيامة بلجامٍ من نارٍ»[(١)]، ولما كان البيانُ باللسان، واللسانُ[(٢)] في الفم، فامتنعوا عنه، عوقبوا بجنسه[(٣)].

وقال مسروقٌ: هو الرجل يرزقه الله مالاً فيمنعُ قرابتَه الحقَّ الذي لهم، فيُجعل[(٤)] حيةً يطوَّقُها، فتقول له: أنا مالُك[(٥)].

وقال بعض المفسرين[(٦)]: يُلزَمون أعمالهم[(٧)] مثلَما يلزم الطَّوقُ العنق، وهو تمثيلٌ كقولهم: طوَّقني منَّته[(٨)]، وقلَّدني عملَ كذا، وقال تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ﴾ [الإسراء: ١٣].

وقال مجاهد: ﴿سَيُطَوَّقُونَ﴾؛ أي: يكلَّفون أن يأتوا بالمالِ الذي بخلوا به عن الحقوق ولا يقدرون[(٩)].

وقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: تحريضٌ على الإنفاق؛ لأن الكلَّ

---

(١) رواه أبو داود (٣٦٥٨)، والترمذي (٢٦٤٩)، وابن ماجه (٢٦٦)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. قال الترمذي: حديث حسن.

(٢) «واللسان» ليست في (أ) و(ف).

(٣) في (ر): «عوقبوا به بجنسه» وفي (ف): «عوقبوا به بحبسه».

(٤) في (ف): «فيجعله».

(٥) رواه ابن المنذر في «تفسيره» (١٢٢٢).

(٦) هو مؤرج بن عمر أبو فيدٍ السدوسي. انظر: «تفسير الثعلبي» (٣/ ٢٢٠)، و«البسيط» للواحدي (٦/ ٢٢١).

(٧) في (ر): «مالهم»، والمثبت من باقي النسخ، وهو الموافق لما في المصدرين السابقين.

(٨) في (أ): «منته».

(٩) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٢٧٦)، وابن المنذر في «تفسيره» (١٢٢٤).

يموتون فتزولُ أملاكهم، والله تعالى يرثهم بملكه القائم[1] الذي لا يزول، وهو كقوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمۡ أَلَّا تُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [الحديد: ١٠].

وقال أبو منصورٍ رحمه الله تعالى: دلَّت الآيةُ أن أهل السماوات يموتون، بخلاف ما تقوله القرامطة أنهم لا يموتون؛ لأنه أَخبر أن له ميراثَ السماوات والأرض، والوارثُ هو الذي يَخلُف الموروثَ فيما كان يضاف إليه، وإن كانوا هم وجميعُ ما في أيديهم لله تعالى ملكاً له[2] وعبيداً، قال النبي ﷺ: «لا يرثُ الكافرُ من المسلمِ ولا المسلمُ من الكافر، إلا المولى من عبده»[3] سمَّى ما يكون للمولى من عبده ميراثاً وإن كان العبدُ وما في يده ملكاً للمولى، فكذا هذا.

ووجهٌ آخَرُ لتسميته ميراثاً: أنه إخبارٌ عن ذهاب أهلها وبقائه عزَّ وعلا، وإنما كان كذلك لأن[4] الميراث يكون لمن له البقاء بعد فناءِ مَن تَقدَّم، والله تعالى هو الباقي بعد فناء الكلِّ، وعلى هذا وراثةُ المسلمين الجنةَ هو بقاؤهم[5] فيها؛ لا انتقالُها من غيرهم إليهم، أو على وراثةِ ما لو كان مَن لم يؤمن آمَن، أو ما ادَّعى اليهود والنصارى أنها لهم بقولهم: ﴿لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰ﴾ [البقرة: ١١١] فصارت ميراثاً لغيرهم[6].

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾: قرأ ابن كثير وأبو عمرو بياء المغايبة عن

---

(١) في (ر): «القديم».

(٢) «له» ليست في (ف).

(٣) رواه بنحوه الدارمي في «سننه» (٢٩٩٣) و(٢٩٩٤) من حديث جابر رضي الله عنه.

(٤) في (ف): «دائماً لأن» وفي (أ): «و»، بدل: «وإنما كان كذلك لأن».

(٥) في (ر) و(ف): «هو بقاء ونعيم».

(٦) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٢/ ٥٤٣ ـ ٥٤٤).

﴿ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ﴾، وقرأ الباقون بتاء المخاطبة[1]، وهو وعدٌ ووعيدٌ على ما مر مرَّات.

* * *

(١٨١) ـ ﴿لَّقَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٞ وَنَحۡنُ أَغۡنِيَآءُۘ سَنَكۡتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتۡلَهُمُ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ﴾.

قوله تعالى: ﴿لَّقَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٞ وَنَحۡنُ أَغۡنِيَآءُ﴾:

اتصالها بما قبلها: أنه تعالى وصف اليهود في الآية الأولى بالبخل، وفي هذه الآية بقولٍ هو أسوأُ من ذلك.

قال قتادة: لمَّا نزل قوله تعالى[2]: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا﴾ الآية [البقرة: ٢٤٥] قالت اليهود: إنما يَستقرض الفقير من الغني، فنزلت الآية[3].

وقال الكلبيُّ والضحاكُ والسديُّ: قال ذلك فنحاصُ بن عازوراء اليهوديُّ من بني مَرْثدٍ ـ وقيل: من بني قينقاع ـ قال له أبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه: يا فنحاص، آمِنْ بالله وحده، وآمِنْ برسوله، وأقمِ الصلاة، وآتِ الزكاة، وأْمُرْ بالمعروف، وانْهَ عن المنكر، وأَقْرِض الله قرضاً حسناً، يُدخِلْك الجنة، فقال: لئن[4] كنتَ صادقاً أنَّ الله يستقرضُنا إنَّ الله إذاً لفقيرٌ ونحن أغنياء، فلطم أبو بكر الصدِّيقُ رضي الله عنه وجهَه وقال: لولا الذي بيننا وبينكم من العهد لضربتُ عنقك، فذهب اليهودي إلى النبيِّ

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٢٢٠)، و«التيسير» (ص: ٩٢).

(٢) في (ف) و(أ): «لما نزلت».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٢٨٠). ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٦٠٤) و(٣/ ٨٢٨)، والضياء في «المختارة» (١٠/ ١١٢ ـ ١١٣)، من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما. رواه الطبري أيضاً في «تفسيره» (٦/ ٢٧٩ ـ ٢٨١) عن مجاهد والحسن وابن زيد.

(٤) في (ر): «قال لئن» وفي (ف): «فقال إن».

ﷺ فأخبره، فدعا النبيُّ ﷺ أبا بكر وقال: «لمَ ضربْتَه؟»، فقال: إنه قال كذا وكذا. فنزلت الآية(١).

وقوله تعالى: ﴿سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا﴾: أي: سنأمر الحفظةَ بكتابةِ ما قالوا؛ ليقرؤوا ذلك في كتبهم يومَ القيامة، ويحاسَبون بها ويجزون عليها.

وقيل(٢): أي: سنحكُم عليهم بجزاءِ ما قالوا؛ كما قال تعالى: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ﴾؛ أي: حكم.

وقيل: أي: سنحفظُ عليهم ذلك، فإن الكتاب من الخَلق يكون لحفظ ما فيه فسمِّي به مجازاً.

وقوله تعالى: ﴿وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾: عطفٌ على ﴿مَا قَالُوا﴾؛ أي: سنكتب ذلك أيضاً.

وقرأ حمزة: ﴿سيُكتَبُ﴾ بالياء وضمِّها على ما لم يسمَّ فاعله ﴿وقتلُهم﴾ بالرفع عطفاً على ﴿مَا قَالُوا﴾(٣) وهو اسمُ ما لم يسمَّ فاعله.

وقوله تعالى: ﴿وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾: قال الضحَّاك: أي: يقول لهم ذلك خزنةُ جهنم في الآخرة، وأضافه الله تعالى إلى نفسه لأنه بأمره؛ كما في قوله تعالى: ﴿سَنَكْتُبُ﴾.

---

(١) انظر: «تفسير الثعلبي» (٣/ ٢٢٢) عن السدي وعكرمة ومقاتل وابن إسحاق. ورواه عن السدي بنحوه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٢٧٩). ورويت هذه القصة من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، رواه ابن إسحاق كما في «السيرة النبوية» لابن هشام (١/ ٥٥٨ ـ ٥٥٩)، والطبري في «تفسيره» (٦/ ٢٧٨ ـ ٢٧٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٨٢٨ ـ ٨٢٩)، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (١٨٣٠)، من طريق عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) «وقيل» سقطت من (أ).

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٢٢١)، و«التيسير» (ص: ٩٢).

والقتل كان من أسلافهم، لكنْ رضيَ هؤلاء بذلك فذُمُّوا به، وتقديره: سنكتب عليهم ما قالوه[1] بأنفسهم، وما رضُوه من قتل آبائهم الأنبياءَ.

و﴿ٱلْحَرِيقِ﴾ الاسم من الاحتراق، قال ذلك في «ديوان الأدب».

وقيل: هو فعيل بمعنى مُفْعِلٍ، وهو اسمٌ للنار لأنها مُحرِقة.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: ليس في الآية بيانُ القائلين، ولا نفعَ في النسبة إلى أحدٍ سوى خوفِ الكذب لو لم يكن منه ذلك، لكنهم قالوه، والأغلبُ على مثله أن يكونوا قالوه سرًّا، وفي إظهاره آية الرسالة، أو كانت الأوائل قالوا ذلك فتكون آية الرسالة في إظهار ذلك، ولا يحتمل أن يكونوا قالوا ذلك بمحضر الصحابة رضوان الله عليهم فصبروا إلا أن يكون في وقت أُمروا بالكفِّ، ويكون في ذلك بيانُ قَدْر طاعتهم لله مع عظيمِ ما سمعوا من القول.

وفي ذكر ذلك دعاءٌ إلى الصبر على أذاهم وسوءِ قولهم؛ إذ هم مع تقلبهم في نِعَم الله جلَّ جلاله، وعلمِهم أنهم لم ينالوا خيراً إلا بالله تعالى، اجترؤوا عليه[2] بمثل هذا القول، والله تعالى مع قدرته وسلطانه يحلُم[3] عنهم ليوم وعَدَهم فيه الجزاءَ، فمَن ليس منه إليهم نعمةٌ، ولا تقدَّم عليهم [منه كبير] منَّةٍ، أحقُّ بالصبر على أذاهم والإعراضِ عن مكافأتهم، وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغْفِرُوا۟ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ﴾ [الجاثية: ١٤][4].

* * *

---

(١) في (ف): «قالوا».

(٢) في (أ): «على الله».

(٣) في النسخ: «يحكم»، والتصويب من المصدر.

(٤) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٢/ ٥٤٦ ـ ٥٤٧)، وما بين معكوفتين منه.

(١٨٢) ـ ﴿ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾: أي: ذلك العذابُ لكم بما قدمتُم من الكفر والمعاصي، والإضافة إلى اليد لِمَا أن عامة ما يكتسبه الإنسان يكون بيده، ولأنه يُذكر للتحقيق على معنى: أنه فَعَل بنفسه لا غيرُه بأمره، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ ﴾ [يس: ٧١].

وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾: أي: وبأن الله لا يظلم عباده، فلا يعاقبُهم من غير جُرمٍ.

* * *

(١٨٣) ـ ﴿ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَآ أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ ٱلنَّارُ قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِى بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِى قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾.

قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَآ أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ ٱلنَّارُ ﴾: ﴿ ٱلَّذِينَ ﴾ يرجع إلى قوله: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ﴾.

قال الكلبيُّ: نزلت الآية في كعب بن الأشرف وغيرِه من رؤساء اليهود، أتوا رسولَ الله ﷺ فقالوا: إن الله قد[1] عهد إلينا ـ أي: أمَرنا وأخذ الميثاق علينا ـ في التوراة أن لا نصدِّق أحداً حتى يأتيَنا بقربانٍ تأكله النار؛ أي: يقرِّبَ قرباناً فتنزلَ من السماء نارٌ فتأكلَه، فإن جئتنا بهذا[2] صدَّقناك، فنزلت الآية[3].

---

(١) «قد» من (أ).

(٢) في (ر): «به».

(٣) انظر: «تفسير الثعلبي» (٣/ ٢٢٣)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٣٤)، و«تفسير البغوي» (٢/ ١٤٤).

وقوله تعالى: ﴿قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ﴾: أي: بالتوراة والإنجيل والمعجزات و﴿جَاءَكُمْ﴾؛ أي: جاء أسلافكم الذين أنتم على ملَّتهم وراضُون بفعلهم، وهو قوله تعالى: ﴿وَبِالَّذِي قُلْتُمْ﴾[١].

وقوله تعالى: ﴿فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ﴾[٢] يقول: إن كان امتناعُكم عن الإيمان لأجْل هذا فلمَ لمْ تؤمنوا بالذي أتَوا به وقتلتُموهم ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ في قولكم: إنكم إنما تؤخِّرون الإيمان لهذا.

وقال السدِّي: إن الله تعالى أمر بني إسرائيل في التوراة: مَن جاءكم يزعم أنه رسولٌ مني فلا تصدِّقوه حتى يأتيَكم بقربانٍ[٣] تأكله النار تنزل من السماء، حتى يأتيَكم المسيح ومحمد عليهما السلام، فإذا أتياكم فآمنوا بهما فإنهما يأتيان بغير قربان.

وقيل: ﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ﴾؛ أي: بشريعةِ قربانٍ.

* * *

(١٨٤) ـ ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ﴾: أي: فإن كذبك هؤلاء اليهود بما لم تأتهم بالقربان[٤] فلا يهولنَّك، ولْيَهونَنَّ عليك، فقد فعلت الأمم بأنبيائها[٥] كذلك.

---

(١) في (ر): «وراضُون بفعلهم، وقوله تعالى: ﴿وَبِالَّذِي قُلْتُمْ﴾ وبهذا القربان الذي قلتم، وقوله تعالى: ﴿فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ﴾».

(٢) جاء هنا في هامش (أ): «أي فلم قتلهم أسلافكم».

(٣) في (أ): «بالقربان».

(٤) في (أ): «بما لم تهم بالقرآن».

(٥) في (ر): «بأنبيائهم».

وقوله تعالى: ﴿جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾: أي: المعجزات الظاهرةِ ﴿وَٱلزُّبُرِ﴾؛ أي: الكتب، جمعُ زَبور، مِن زَبَر يَزْبُرُ: إذا كتب.

وقيل: الزُّبُرُ: أحكام الكتاب، والزَّبور: الكتاب المحكم.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ﴾: أي: المضيءِ البيِّن بالأمر والنهي.

قال الكلبي: (الزُّبر): أحاديث الأنبياء ممن[1] قبْلهم، و(الكتابُ المنير): ما جاؤوا به من الكتاب المنزلِ عليهم.

وقيل: هما واحد في الأصل، وذُكرا جميعاً لاختلاف الوصفين؛ فإن الزبور هو الكتاب الزاجر، والكتابَ المنيرَ هو الكتاب الهادي، وقد زَبَره؛ أي: زجره.

* * *

(١٨٥) ـ ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾.

قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾: أي: كلُّ ذي[2] روحٍ متجرِّعٌ غصصَ الموت، وأنَّث قوله: ﴿ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ لتأنيث النفس سماعاً.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: لمَّا نزل قوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [الرحمن: ٢٦] قالت الملائكة: هلك أهلُ الأرض، وظنُّوا[3] أن أهل السماء لا يموتون، فلمَّا نزل قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ أيقنَ الملائكة بهلاكهم معهم[4].

---

(١) في (ف): «من».

(٢) «ذي» زيادة من (أ).

(٣) في (أ): «فظنوا».

(٤) ذكره أبو الليث السمرقندي في «تفسيره» (١/ ٢٩٦) عن الكلبي، فلعله من رواية الكلبي عن أبي =

والذَّوقُ في موضع الحقيقة: تعرُّفُ طعمِ الشيء بالفم، ثم يُستعمل في أشياءَ بمعنى النَّيل[١]؛ يقال: ما ذقتُ غَمْضاً[٢]، قال المتنبي:

إذا مـا النـاسُ جرَّبهـم لبيبٌ فإنـي قـد طَعِمْتُهـمُ وذاقـا[٣]

وقال تعالى: ﴿فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا﴾ [الطلاق: ٩]، وقال: ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ [آل عمران: ١٠٦]، وقال تعالى: ﴿فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ﴾ [النحل: ١١٢].

واتصال هذه الآية بما قبلها: أن تقديره: لا يحزُنْكَ تكذيبُهم إياك فإنَّ مرجعَ الخلق إليَّ فأجازيهم على التكذيب وأجازيك على الصبر، وذلك قوله تعالى:

﴿وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾: أي: تُعطون على الكمال ثوابَ أعمالكم في الآخرة، فإن الدنيا ليست بدار الجزاء.

وقوله تعالى: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ﴾: أي: بُعِّد، وقد أوضحنا ذلك عند قوله عز وجل: ﴿وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ﴾ [البقرة: ٩٦].

= صالح عن ابن عباس، فقد جرت العادة في مثل هذه الأخبار أن تنسب عند البعض للكلبي وعند آخرين لابن عباس. ورواه ابن المنذر كما في «الدر المنثور» (٦/ ٤٤٧) عن ابن جريج.

(١) في (أ): «على معنى النيل»، وفي (ف): «على معنى الليل»، بدل: «بمعنى النيل».

(٢) في (ر): «ما نلت غمضا».

(٣) انظر: «أبو الطيب المتنبي وما له وما عليه» للثعالبي (ص: ١٢٦)، و«شرح شعر المتنبي» لابن الإقليلي (١/ ٢٨١)، و«اللامع العزيزي في شرح ديوان المتنبي» للمعري (ص: ٧٧٨)، و«أمالي ابن الشجري» (٣/ ٢٤٧)، وفيها جميعاً بدل (طعمتهم): (أكلتهم). قال المعري: هذا البيت في غاية المبالغة وحسن اللفظ؛ لأن الإنسان إذا أكل الشيء فقد خبر منه ما لا يخبر غيره، فجعل الذين جربوا الناس كأنهم قد ذاقوا طعامًا تفرد بأكله. والذوق: إنما يستعمل في الشيء القليل حتى إنه يقال: ذاقه بطرف لسانه.

وقوله تعالى: ﴿وَأُدۡخِلَ ٱلۡجَنَّةَ فَقَدۡ فَازَ﴾: أي: ظَفِر، وقيل: سُعِد، وقيل: أي: نال كلَّ ما يُرجَى، وأمِن كلَّ ما يُخاف.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ﴾: أي: القُربَى، وهي التي في هذه الدار.

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ﴾: والمتاع: السلعة[1] المتقضِّيَة، والغرور: الخداع، وهو إضافة الشيء إلى صفته، ومعناه: أن هذه الحياة الدنيا متعةٌ يقع الاغترارُ بها باعتماد الإنسان عليها، ثم لا تبقَى له فكأنها غرَّته.

***

(١٨٦) - ﴿۞ لَتُبۡلَوُنَّ فِيٓ أَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ وَلَتَسۡمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ أَذٗى كَثِيرٗاۚ وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿لَتُبۡلَوُنَّ فِيٓ أَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ﴾: أي: لتُختبَرُنَّ وتُمتحنُنَّ، واللام والنون على معنى القسم ﴿فِيٓ أَمۡوَٰلِكُمۡ﴾ بالإنفاق في سبيل الله ﴿و﴾ في ﴿أنفسكم﴾ بالقتل والجراح.

وقوله تعالى: ﴿وَلَتَسۡمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾: اليهود والنصارى ﴿أَذٗى كَثِيرٗا﴾[2] ما يؤذيكم سماعُه، كما روَينا من سماع أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه من قول[3] فنحاص بن عازوراء اليهوديِّ في[4] قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٞ وَنَحۡنُ أَغۡنِيَآءُۘ﴾.

---

(١) في (ر) و(ف): «البلغة».

(٢) في (ر): «﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ أَذٗى كَثِيرٗا﴾»، وستأتي الجملة بتمامها في (أ) و(ف).

(٣) في (ف): «حديث».

(٤) «في» زيادة من (ف).

وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ أَذٗى كَثِيرٗا﴾: فإنهم يقولون في الله ما هو منزَّه عنه.

ورُوي أن كعب بن الأشرف كان يهجو النبيَّ ﷺ والمؤمنين، ويحرِّض المشركين على قتالهم، فشَقَّ ذلك على المسلمين، فاحتالوا في قتله حتى قتله محمد بن مَسْلَمَةَ (١).

وقوله تعالى: ﴿وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ﴾: أي: ﴿وَإِن تَصۡبِرُواْ﴾ على الأذى ﴿وَتَتَّقُواْ﴾ الله فلا تخالفوه فيما أمر ﴿فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾؛ أي: مِن عَمَل أهلِ الحزم والعزم.

وقيل: من الأمر الذي ظهَر رشدُه وصوابه وصلاحه.

وقيل: أي: مما يجب أن يَعزِم عليه كلُّ عاقل.

***

(١٨٧) - ﴿وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكۡتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ وَٱشۡتَرَوۡاْ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلٗاۖ فَبِئۡسَ مَا يَشۡتَرُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ﴾:

واتصالها بما قبلها: أنه دعا النبيَّ ﷺ إلى الصبر على أذاهم في الآية الأولى، وبيَّن(٢) في هذه الآية أنهم لا يؤذونه من(٣) خفاءِ حاله عليهم(٤)، فقد أخذ الميثاق عليهم بأن يبيِّنوا حاله وعرَّفهم ذلك.

---

(١) رواه مطولًا البخاري (٤٠٣٧)، ومسلم (١٨٠١)، من حديث جابر رضي الله عنه.

(٢) في (ر): «وبين هو».

(٣) في (ف) و(أ): «عن».

(٤) «عليهم» ليس من (أ).

وقال ابن عباس وسعيد بن جُبير والسديُّ: ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ هاهنا هم اليهود[١].

وقيل: اليهود والنصارى[٢].

وقيل: كلُّ مَن عنده علمٌ من الكتب، وهو قول الحسن وقتادة[٣].

قوله تعالى: ﴿ليُبيِّنُنَّه للنَّاسِ ولا يَكْتُمونَه﴾: قال السدي: الهاء ترجع إلى النبيِّ ﷺ[٤]، وهو معلومٌ غير مذكور.

وقال الحسن وقتادة: هو الكتاب، وهو مذكور[٥].

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وأبو بكر عن عاصم بياء المغايبة فعلاً للذين أوتوا الكتاب، وهو يشاكل قوله: ﴿فَنَبَذُوهُ﴾، وقرأ الباقون بتاء المخاطبة على تقدير أنهم خوطبوا بذلك عند أخذ الميثاق.

يقول: واذكر يا محمد إذ أخذ الله ميثاق أهلِ الكتاب على ألسنة أنبيائهم أن يبينوا الكتابَ وأمرَ محمد عليه الصلاة والسلام للناس ولا يخفونه[٦].

---

(١) رواه عنهم الطبري في «تفسيره» (٦/ ٢٩٤ ـ ٢٩٥)، وفي البخاري (٤٥٦٨) عن ابن عباس معناه. ورواه عن سعيد بن جبير أيضاً ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٧٣٥).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٧٣٦) عن الحسن.

(٣) رواه عن قتادة الطبري في «تفسيره» (٦/ ٢٩٦)، وابن المنذر في «تفسيره» (١٢٥٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٧٣٦).

(٤) رواه عن السدي الطبري في «تفسيره» (٦/ ٢٩٥). ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٧٣٦) عن سعيد بن جبير.

(٥) رواه عن قتادة الطبري في «تفسيره» (٦/ ٢٩٦)، وابن المنذر في «تفسيره» (١٢٥٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٧٣٦).

(٦) في (ف): «تخفوه».

وقوله تعالى: ﴿فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ﴾: أي: تركوه وتغافلوا عنه، فكأنهم ألقَوْه وراء ظهورهم لا يرونه ولا يذكرونه.

وقوله تعالى: ﴿وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾: أي: واستبدلوا به ما ينالونه من سَفِلتهم[١] كرهوا أن يؤمنوا فيقطع[٢] ذلك عنهم فكتموا ما علموا[٣] من ذلك وأمروهم أن يكذبوه[٤].

وقوله تعالى: ﴿فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ أي ساء ما يستبدلون[٥] وقد كشفنا حقيقته في سورة البقرة.

***

(١٨٨) ـ ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

قوله تعالى: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟﴾: أي: لا تظنَّنَّ[٦] يا محمدُ اليهودَ الذين يُسَرُّون بما فعلوا من كتمانِ صفة محمد والتكذيبِ به، وظنُّوا أن ذلك مقبول منهم، وأن الله تعالى لا يخبرك بفعلهم ﴿وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟﴾؛ أي: يُحمدوا على الكتمان حمدَ مَن أَخبر بحقٍّ، وأن يُمدحوا بما ليس فيهم، فيقالَ: إنهم أهل علم ونُسك، وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما والضحاك[٧].

---

(١) في (ف): «تناولوه من سلفهم» بدل: «ينالوه من سفلتهم».

(٢) في (ف) و(أ): «فينقطع».

(٣) في (ف): «عملوا».

(٤) في (أ): «يكذبوا به».

(٥) في (ف): «يشترون».

(٦) في (ف): «ألا تظن»، وفي (ر): «ولا تظن».

(٧) روى معناه عن ابن عباس البخاري (٤٥٦٨)، والطبري في «تفسيره» (٦/ ٣٠١ و٣٠٣).

وقيل: هي في المنافقين، كانوا يتخلَّفون عن القتال مع المؤمنين، وكانوا يحبون أن يُقبل عذرُهم[١]، وأن يُحمدوا على ما لم يكونوا عليه من الإيمان[٢].

وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّهُم﴾: أعاد هذه الكلمة لطول الكلام إعلاماً أن آخره متَّصل بأوله ﴿بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ﴾؛ أي: بمنجاةٍ منه ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: أي: مؤلم في الآخرة.

* * *

(١٨٩) ـ ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: أي: فهو الغنيُّ في الحقيقة وليس بفقير كما قالت اليهود، ولأنه ذَكر جزاء أعمال الفريقين، وبيَّن أن الجازيَ مَن هذا صفته، ولأنه قال: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ﴾؛ أي: لا يفوتونه فله ملكُ السماوات والأرض.

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: تقريرٌ للمعاني الثلاثة، ولو قال: وهو على كل شيء قدير، استقام، فقد مر ذكر الله تعالى مرةً، لكن هذا أبلغُ ليكون كلُّ كلام مستقلًّا بنفسه.

* * *

(١٩٠) ـ ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُولِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُولِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾: هو بيان ملكه وقدرته اللَّذين ذكرهما في الآية الأولى، وقد مر تفسير هذه الآية في سورة البقرة على الاستيفاء والاستقصاء.

---

(١) في (ف): «يقتل عدوهم».

(٢) رواه البخاري (٤٥٦٧) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: وفي ذلك دليلُ لزوم التوحيد باللبِّ؛ إذ صيَّرها آيات لمن له ذلك، وأولُ درجات الآيات أن يعرف منشِئُها وجاعلها آيات[١].

* * *

(١٩١) ـ ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَـٰذَا بَـٰطِلًا سُبْحَـٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ هو نعتٌ لـ﴿لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾، و﴿قِيَـٰمًا﴾: جمعُ قائم، و﴿وَقُعُودًا﴾: جمع قاعد، وهما نصبٌ على الحال، ﴿وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ يتضمن قولَه: ومضطجِعين، وهو كقوله تعالى: ﴿دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا﴾ [يونس: ١٢]؛ أي: دعانا مضطجعاً لجنبه أو قاعداً أو قائماً.

وقيل: الذين يصلُّون قياماً، وقعوداً حالَ عجزهم عن القيام، وعلى جنوبهم بالإيماء حالَ عجزهم عن القعود.

قال رضي الله عنه[٢]: وأنا أقول: يحتمِل ﴿قِيَـٰمًا﴾: حال قيامهم في أمور الشرع على الاستقامة، وحالَ انحرافهم عن الاستقامة بعضَ الانحراف بتردُّد العزيمة، وحال سقوطهم عن القيام[٣] بها بتمام اختيار المعصية.

وقوله تعالى: ﴿يَذْكُرُونَ﴾ قيل[٤]: هو الذكر باللسان على هذه الأحوال الثلاث، فإن الإنسان يكون على إحدى هذه الحالات[٥]..........................

---

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٢/ ٥٥٧).

(٢) الظاهر أن القائل هو المؤلف رحمه الله.

(٣) في (أ): «عن الإيمان».

(٤) «قيل» ليس من (ف).

(٥) بعدها في (ر): «الثلاث».

إلا في النادر، وأراد[١] به دوام ذكر اللسان، وهو قول ابن جريجٍ[٢]، وتبيَّن به أنه يَحسُن ذكر الله تعالى بكلِّ حال.

وقال الزجَّاج: هو عندي ذكرُ القلب بكلِّ حال[٣].

وقيل: ذكرُ القلب لا يخلو عن الخوف، فمعناه: يخافون الله قياماً في تصرُّفهم، وقعوداً في دَعَتهم، وعلى جنوبهم في مضاجعهم.

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: هو الصلاة؛ كما في قوله تعالى: ﴿إِنِّيٓ أَحۡبَبۡتُ حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ عَن ذِكۡرِ رَبِّي﴾ [ص: ٣٢]؛ أي: يصلُّون لله تعالى قياماً[٤] حالةَ القدرة، وقعوداً عند العجز، وعلى جنوبهم إذا ضعفوا عن القيام والقعود[٥].

وقيل: أي: ﴿ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا﴾ بأوامره ﴿وَقُعُودًا﴾ عن زواجره ﴿وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ﴾؛ أي: على اجتنابهم عن مخالفة أمره.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: لمَّا جعل الله تعالى على العبد في كلِّ حالٍ نعمةً ليست تلك في غيرها من الأحوال، نحو أن[٦] جعل القيام نعمةً في قضاء حوائجه وتقلُّبِه في تلك الحال، وجعل القعود راحة له عند الإعياء، وكذا

---

(١) في (ف): «فأراد».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٣٠٩)، وابن المنذر في «تفسيره» (١٢٦٤)، ولفظه فيهما: وَهُوَ ذكر الله فِي الصلاة، وغير الصلاة، وقراءة القرآن.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٤٩٩).

(٤) في (ر): «قياما له».

(٥) انظر: «تفسير الثعلبي» (٣/ ٢٣١) عن علي وابن عباس ـ رضي الله عنهم ـ والنخعي وقتادة. ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٨٤١) عن ابن مسعود رضي الله عنه.

(٦) في (أ): «بجواز» وفي (ر) و(ف): «يجوز أن»، والمثبت من «التأويلات».

الاضطجاعُ، استأداهم الشكرَ له في كلِّ نعمةٍ على كلِّ حال من تلك الأحوال، ومدحهم على ذلك إذا فعلوا[١].

وقوله تعالى: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: أي: للاستدلال[٢].

وقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا﴾ فيه إضمارُ القول[٣]، تقديره: يقولون: يا[٤] ربنا ما خلقتَ هذا، أشار إلى قوله: ﴿فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، ولو أشار إلى السماوات والأرض لقال: هذه.

وقوله **تعالى**: ﴿بَاطِلًا﴾ يجوز أن يكون مفعولاً ثانياً لقوله: ﴿خَلَقْتَ﴾ كما في قوله تعالى: ﴿أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ [الإسراء: ٦١].

ويجوز أن يكون منصوباً بنزع الخافض، وتقديره: لباطل، أو: على باطل، وهو كقوله: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ ۝٣٨ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾، وقولِهِ تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾ [المؤمنون: ١١٥]، ومعناه: ما خلقته باطلاً[٥] عبثاً، بل دليلاً عليك وعلى وحدانيتك وكمالِ قدرتك ولمصالح عبادك.

وقوله تعالى: ﴿سُبْحَانَكَ﴾: أي: تنزهت عن أن تخلق شيئاً عبثاً، وقيل: تقدَّستَ عن كل عيب.

وقوله تعالى: ﴿فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ مر تفسيره.

---

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٢/ ٥٦١).

(٢) في (ف): «استدلالًا».

(٣) في (ر): «للقول». وفي هامش (أ): «قوله: ﴿بَاطِلًا﴾ مفعول له، وقيل: حال من ﴿هَٰذَا﴾ المعنى: ما خلقت شيئاً إلا بحكمة»

(٤) «يا» من (أ). وجاء في (أ) و(ف): «ويقولون» بالواو في أوله.

(٥) «باطلاً» ليس من (ف).

(١٩٢) ـ ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾.

وقوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ﴾: أي: مَن تدخلْه النارَ ﴿فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ﴾؛ أي: فضحته[١]. وقيل: أذلَلْتَه، وقيل: جعلتَه خزيانَ؛ أي: مستحيياً[٢] خَجِلاً بأعماله.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾: أي: مَن ظلَم نفسه بالكفر أو بالمعصية[٣]، أو وضَعَ الشيءَ في غير موضعه، فلا معين له ولا مانع[٤].

وذكرُهم هذا بيانٌ أنهم يعلمون كيف حالُ أهلِ النار، وذلك أجلبُ للإخلاص والتضرُّع عند الاستجارة من النار ممن يستجير وهو ساهٍ عن ذلك أو جاهلٌ له.

* * *

(١٩٣) ـ ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَـٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ﴾.

قوله تعالى: ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَـٰنِ﴾: قال الكلبيُّ: ﴿مُنَادِيًا﴾: داعياً، يعني: محمداً ﷺ[٥].

وقال محمد بن كعب القرظيُّ: هو القرآن[٦]، ليس كلُّ الناس رأى النبيَّ ﷺ[٧].

---

(١) في (ف): «﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ﴾: أي: من تدخلْه النار فقد فضحته».

(٢) في (ر): «أي مستحياً»، وكلمة «أي» ليست في (ف).

(٣) في (ر): «بالكفر والمعصية».

(٤) في (ف): «نافع».

(٥) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٢/ ٥٦٢) عن ابن عباس، ولعله من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس كما تقدم التنبيه على نحو هذا.

(٦) بعدها في (ر): «فإنه» والمثبت من (أ) و(ف)، والمصدر.

(٧) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٣١٤).

وقيل: إن النبيَّ ﷺ داعٍ لمن شهده ولمن جاء بعده، قال تعالى: ﴿لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩] فالصرفُ إليه أولى.

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [فصلت: ٣٣]، وقال تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ﴾[1] [يوسف: ١٠٨]، وقال تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ﴾ [النحل: ١٢٥].

وقوله تعالى: ﴿يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ﴾؛ أي: إلى الإيمان، كما في قوله تعالى: ﴿هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ﴾ [آل عمران: ١٦٧]؛ أي: إلى الكفر، وإنما جاز اللام مقام (إلى) لأن اللام للغرض الذي هو الغاية، و(إلى) للغاية، فتقاربا.

وقيل: فيه تقديم وتأخير: سمعنا منادياً للإيمان ينادي.

وقوله تعالى: ﴿أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ﴾: قيل: ﴿أَنْ﴾ منصوب بوقوع النداء عليه، وقيل: هو منصوب بنزع الباء[2]؛ أي: بأنْ آمنوا بربكم.

وقوله تعالى: ﴿فَـَٔامَنَّا﴾: قال الإمام أبو منصور رحمه الله: دل هذا على أن الإيمان هو الإقرارُ والاعتقاد دون العمل، وعلى بطلان الاستثناء فيه، فإنهم كما دُعوا إليه أجابوا وحقَّقوا ذلك للحال قبل العمل[3]، ولم يستثنوا فيه، ومدحهم الله تعالى عليه[4].

وقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا﴾: المغفرة: ستر الذنوب،

---

(١) بعدها في هامش (ر): «إلا بإذنه» وعليها علامة التصحيح.

(٢) في (ر): «بنزع الخافض».

(٣) في (ر): «وقبل العمل»، وعبارة «التأويلات»: (لأنه لما قال لهم: آمنوا بربكم لم يطلبوا التفسير، ولا قالوا: كم أشياء تكون؟ ولكن أجابوه إجابة موجزة، فقالوا: ﴿فَـَٔامَنَّا رَبَّنَا﴾).

(٤) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٢/ ٥٦٢).

والتكفير كذلك كما[١] مر في سورة البقرة، وإنما جمع بينهما لأن المغفرة قد تكون تفضُّلاً من الله تعالى ابتداءً والتكفيرَ يكون بالحسنات والنوائب والنكبات، فكأنهم سألوا مغفرةَ ما مضى من ذنوبهم فضلاً، وتكفيرَ ما يكون منهم في المستقبل بما يوفِّقهم له[٢] من الخيرات، والصبرِ على ما ينوبهم من الآفات، فكأنهم[٣] سألوا التوفيق لذلك.

قوله تعالى: ﴿وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ﴾: هو جمع البَرِّ؛ كالأجداد: جمع الجَد، أو جمع البار؛ كالأنصار جمع الناصر، والأصحاب جمع الصاحب، وقد مر تفسير البرِّ[٤] في قوله: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ﴾ [البقرة: ١٧٧].

ومعناه: أَمِتْنا مع الأبرار من عبادك الذين رضيتَ أعمالهم، ووفاتُهم معهم: أن يموتوا على مثلِ أعمالهم فيكونوا في درجاتهم، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ﴾ [التحريم: ٨]؛ أي: آمنوا على اتِّباعٍ منهم له وعملٍ بما دعا إليه.

وقيل: ﴿وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ﴾؛ أي: في جملتهم، كما قال: ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم﴾ [النساء: ٦٩]؛ أي: في جملتهم، ويقال: فلان مع أصحاب الألوف في العطاء؛ أي: في جملة الذين إذا أَعطوا أَعطوا ألفاً ألفا[٥].

وقيل: ﴿وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ﴾؛ أي: في عصر الأبرار، ولا تؤخِّرنا إلى زمان الأشرار.

* * *

(١) في (ف) و(أ): «على ما».

(٢) «له» ليس من (أ) و(ف).

(٣) في (ف) و(أ): «فكانوا».

(٤) في (ف): «تفسيره».

(٥) «ألفا» الثانية ليست في (أ).

(١٩٤) ـ ﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾.

قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ﴾: أي: على ألسنةِ رسلك، هذا[1] مضمرٌ، وهو سائغ في اللغة؛ أي: قد وَعدْتَ على ألسنتهم أنَّ مَن مات بَرّاً أَعْزَزْتَه بالثواب ولم تُخْزِه بالعقاب، فأعطنا ذلك.

وقيل: معنى قوله: ﴿عَلَىٰ رُسُلِكَ﴾؛ أي: ما جعلته على رسلك من الشفاعة ومن استغفارهم للمؤمنين والمؤمنات، قال تعالى: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ﴾ [محمد: ١٩]، وقال نوح: ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ﴾ [نوح: ٢٨] وقال إبراهيم: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾: أي: فقد وعدْتَ ذلك بقولك: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [التحريم: ٨]، وقد فسَّرنا الخزيَ في قوله تعالى: ﴿فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٩٢].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾: فإن قالوا: لمَّا وعد ذلك وهو لا يخلفُه، فما معنى السؤال؟

قال الإمام أبو منصور: جوابه من وجوه:

أحدها: أنه[3] وعَدَ ذلك وأمَر بالسؤال؛ كما قال: ﴿كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْـُٔولًا﴾.

والثاني: أن وعد الاستغفار من النبيِّ ﷺ كان مع استغفارٍ يوجد من المذنِب؛

---

(١) في (ر): «هنا».

(٢) في (أ): «وقال إبراهيم رب اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين والمؤمنات» وليست في باقي النسخ، والصواب المثبت.

(٣) «أنه» ليس من (أ).

قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ﴾ [النساء: ٦٤].

والثالث: أن الوعد لهم بذلك[١] إذا ماتوا على ذلك، فهذا سؤالُ أن يميتهم على ذلك.

والرابع: أنه سؤالُ أن يجعلهم من الجملة[٢] الذين كان لهم الوعدُ، إذ الوعد غيرُ مبيَّنٍ لمن هو[٣].

***

(١٩٥) - ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُواْ فِى سَبِيلِى وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ﴾: قال جعفر بن محمدٍ الصادقُ: مَن حَزَبه[٤] أمر فقال خمس مرات: ربَّنا، نجاه الله مما يخاف، وأعطاه ما أراد، واستجاب له ما دعا. واستشهد بهذه الآيات: أن الله تعالى ذكر من هؤلاء أنهم قالوا: ﴿رَبَّنَا﴾ خمس مرات ثم ذكر استجابته لهم[٥].

---

(١) «بذلك» ليس من (أ) و(ف).

(٢) في (ر) و(ف): «جملة»، والمثبت موافق لما في «التأويلات».

(٣) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٢/ ٥٦٤).

(٤) في (ر): «حزنه».

(٥) انظر: «تفسير الثعلبي» (٣/ ٢٣٤)، و«الكشاف» (١/ ٤٥٧).

ومِن أهل العلم[١] مَن ذكر أن هذه الدعواتِ الخمس من النبيِّ عليه السلام وخلفائه الراشدين الأربعة على الترتيب.

وقوله تعالى: ﴿أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَـٰمِلٍ مِّنكُم﴾: أي: فاستجاب بأني، ولو كسر جاز على الحكاية[٢]. والإضاعة: الإهمال والإبطال.

وقوله تعالى: ﴿مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ﴾: ﴿مِّن﴾ لبيان جنسِ مَن أُضيف إليهم العملُ، كقوله تعالى: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَـٰنِ﴾ [الحج: ٣٠].

وقيل: هو لتأكيد النفي؛ أي: أُجازي كلَّ عاملٍ ولا أَترك مجازاته ذكراً كان أو أنثى.

وقال مجاهد: إن أم سلمةَ قالت: يا رسول الله ما بالُ[٣] النساء لا يذكرون في القرآن كما يذكر الرجال؟ فنزلت هذه الآية وقولُه تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَـٰتِ﴾ الآية[٤].

وقوله تعالى: ﴿بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾: أي: كلُّكم مجتمعون على دينٍ واحد[٥]

---

(١) في (ف): «التفسير».

(٢) وقرأ بكسر الهمزة عيسى بن عمر. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٣٠).

(٣) في (ف): «مال» بدل: «ما بال».

(٤) رواه من طريق مجاهد عن أم سلمة الترمذي (٣٠٢٢)، والحاكم في «المستدرك» (٣٥٦٠)، ولم يرد في رواية الترمذي آية آل عمران، وصححه الحاكم، لكن الترمذي نبه على إرساله فقال: هذا حديثٌ مرسَلٌ، ورواه بعضُهم عن ابنِ أبي نَجِيحٍ، عن مجاهدٍ مرسَلًا، أنَّ أمَّ سلمةَ قالت كذا وكذا. ورواه الترمذي (٣٠٢٣)، الحاكم (٣١٧٤) من طريق آخر متصل عن أم سلمة رضي الله عنها. وقال الحاكم: صحيح على شرط البخاري.

(٥) «دين واحد» من (ف).

دينِ الله تعالى، يقال: فلانٌ مني؛ أي: على خُلُقي أو مذهبي[١]، وقال تعالى: ﴿فَمَن شَرِبَ مِنۡهُ فَلَيۡسَ مِنِّي وَمَن لَّمۡ يَطۡعَمۡهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

وقيل: أي: الذكور والإناث بعضُهم من بعضٍ في الخلقة.

وقوله تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ﴾: أي: رحلوا إلى رسول الله ﷺ بالمدينة[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَأُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ﴾: أي: اضطُروا بإيذاء الكفار إلى خروجهم من أوطانهم[٣] وتركِها.

وقوله تعالى: ﴿وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي﴾: أي[٤]: في الجهاد بأنواع الأذى[٥] ﴿وَقَٰتَلُواْ﴾؛ أي: حاربوا الكفار ﴿وَقُتِلُواْ﴾؛ أي: واستُشهدوا في الحرب.

وقرئ: ﴿وقُتِلوا وقاتَلوا﴾[٦]؛ أي: وقتل بعضُهم فلم يَنْكل الباقون بل قاتلوا.

وقوله تعالى: ﴿لَأُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَأُدۡخِلَنَّهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾: أي: لأجزينهم بمحو السيئات وإعطاءِ الجنة والدرجات.

وقوله تعالى: ﴿ثَوَابٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ﴾: قيل: هو نصبٌ على التفسير؛ كقولك: هذا لك هبةً منِّي.

وقيل: هو مصدرُ فعلٍ مدلولٍ عليه أو مضمرٍ؛ لأن قوله: ﴿لَأُكَفِّرَنَّ﴾ و(لأدخلن) بمعنى: لأُثِيبنَّ بهذا، والإضمارُ: يثابون بذلك ثواباً[٧].

---

(١) في (ف): «ومذهبي».

(٢) في (ر): «إلى المدينة».

(٣) في (أ): «ديارهم».

(٤) «أي» زيادة من (أ).

(٥) كذا قال، وفي حصر الأذى بالجهاد نظر، فما أكثر جهات الأذى التي يتعرض لها المؤمن.

(٦) وهي قراءة حمزة والكسائي من السبعة. انظر: «السبعة» (ص: ٢٢١)، و«التيسير» (ص: ٩٣).

(٧) وله وجوه أخر، فقيل: هو حال من ﴿جَنَّٰتٖ﴾ لوصفها؛ أي: مُثاباً بها، أو من ضمير المفعول في =

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلثَّوَابِ﴾: فإنه لا يَفنَى ولا يتكدَّر، وهو كثيرٌ على عملٍ قليلٍ مقدَّر.

***

(١٩٦) - ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ﴾: قيل: الخطاب لكلِّ مكلَّف؛ أي: أيُّها السامع.

وقيل: هو للنبيِّ ﷺ.

ثم هو وإن كان لا يغرُّه تقلُّبُهم وكان معصوماً عن ذلك، فله وجوه قد ذكرناها عند قوله عز وجل: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم﴾ [البقرة: ١٢٠]: أن خطابه خطابٌ لأمته، ولأن العصمة لا تزيل النهيَ، فإنه لو زال النهي عنه بذلك لبَطلت العصمة، فإن العصمة هي الحفظ عن الخلاف، وإذا زال النهي لم يكن خلافاً فلم تكن[١] عصمةً.

ومعنى الآية: لا تغترُّوا[٢] بتصرُّف هؤلاء الكفار واليهود الذين مرَّ ذكرهم في بلاد الله كيف شاؤوا، لا[٣] يؤاخذون بكفرهم وباضطرابهم فيها لاكتساب الأموال والاستكثار منها، ولا تقولوا في أنفسهم: ما لهم آمنين أغنياء متمكِّنين وهم كفارٌ مبطِلون ونحن خائفون مُقِلُّون مع أنَّا مؤمنون مُحِقُّون.

= ﴿وَلَأُدۡخِلَنَّهُمۡ﴾؛ أي: مُثابين، وقيل: إنه بدل من ﴿جَنَّٰتٍ﴾ على تضمين ﴿وَلَأُدۡخِلَنَّهُمۡ﴾ معنى: ولأعطينهم، وقال الكسائي: إنه منصوب على القطع. وفسر بعضهم القطع بالنصب على الحال. انظر: «البحر المحيط» (٦/ ٣٦٨).

(١) في (ر): «فلم يكن»، وفي (ف): «فلا تكن».

(٢) في (ف): «تغتر».

(٣) في (أ): «ولا»، وفي (ف): «وأن لا».

(١٩٧) ـ ﴿مَتَٰعٞ قَلِيلٞ ثُمَّ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۚ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿مَتَٰعٞ قَلِيلٞ﴾: أي: هو متاعٌ؛ أي: منفعةٌ يسيرة ثم تنقطع، ووصَفَه بالقلة وإن طالت مدتهم؛ لأنه بالإضافة إلى النعيم الذي في الجنة الذي لا انقطاع له قليل.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۚ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ﴾: أي: مصيرُهم النارُ وبئس الفراش، وسمَّى ذلك[١] مهاداً وليس في النار تمهيد؛ لأنها بدلُ مهادِ أهل الجنة، وهو كالبشارة بالعذاب جُعلت[٢] بدلاً عن البشارة بالثواب.

* * *

(١٩٨) ـ ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّلۡأَبۡرَارِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ﴾: (لكن) كلمةُ استدراكٍ بإثباتٍ بعد نفيٍ، أو نفيٍ بعد إثبات، تقول: ما قام زيد لكنْ[٣] عمرٌو، وجاء القوم لكن زيدٌ لم يَجِئ.

وقوله تعالى: ﴿ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ﴾؛ أي: خافوه فلم يخالفوا أمره ولا نهيه.

وقوله تعالى: ﴿لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾: والكفار كانت مأواهم النارُ وبئس القرار.

وقوله تعالى ﴿نُزُلٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ﴾: أي: رزقاً أُعدَّ لهم إذا نزلوا أولاً، والنزل يعدُّ

---

(١) «ذلك» ليس من (ف).

(٢) في (أ): «جعل».

(٣) في (ر): «بل».

للأضياف[1] إذا نزلوا[2]، ونصبُه على التفسير، أو على المصدر المدلولِ أو المضمرِ كما مر في قوله تعالى: ﴿ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ﴾: أي: من زهرة الدنيا للكفار.

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: ما من نفسٍ بَرَّةٍ ولا فاجرةٍ إلا والموتُ خيرٌ لها: أَمَّا البَرَّة فإن الله تعالى يقول: ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ﴾ وأما الفاجرةُ فإنه يقول: ﴿إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًا﴾ [آل عمران: ١٧٨][3].

* * *

(١٩٩) - ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۗ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ﴾: لمَّا ذمَّ أهل الكتاب الذين كفروا وكتموا الحق ونبذوه وراء ظهورهم وأساؤوا القول في الله وفي رسوله وفي المؤمنين، مدح منهم المؤمنين[4] الذين آمنوا واتبعوا الحق بهذه الآية.

و﴿لَمَن﴾ لام التأكيد دخلت في الاسم هاهنا دون الخبر، وأنت تقول: إن

---

(١) في (ر) و(ف): «كإنزال بعض الأضياف»، بدل: «والنزل يعد للأضياف».

(٢) «إذا نزلوا» ليس من (ف).

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٤٩٥)، والطبري في «تفسيره» (٦/ ٢٦٢ و٣٢٦)، وابن المنذر في «تفسيره» (١٢١١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٨٤٦)، والحاكم في «المستدرك» (٣١٦٨) وصححه.

(٤) «المؤمنين» زيادة من (أ).

زيداً لعالم، فتُدخل اللام في الخبر دون الاسم، وذلك لأن (إنَّ) واللام كلُّ واحد منهما للتأكيد، فجُعل عند الابتداء بالاسم والتثنيةِ بالخبر (إنَّ) في الاسم واللامُ في الخبر، فإذا دخلت[1] (إنَّ) في غير الاسم وتقدم ذلك وتأخَّر الاسم جُعلت اللام في الاسم[2]، قال تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ﴾ [الليل: ١٢]، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ﴾ [الليل: ١٣]، وقال تعالى ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً﴾ [آل عمران: ٤٩].

وقوله تعالى: ﴿خَاشِعِينَ لِلَّهِ﴾: أي: خائفين خاضعين، وهو نصبٌ على الحال من قوله: ﴿يُؤْمِنُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾: خلافاً لغيرهم الذين نبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً، وقد فسَّرنا ذلك.

وقوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾: أي: ثوابهم في الآخرة.

وقوله تعالى[3]: ﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾: أي: لا يؤخِّر جزاء أعمالهم يومَ القيامة بطول الحساب، فإنه سريع الحساب.

قال مجاهد: نزلت في المؤمنين من أهل الكتاب عبدِ الله بن سلام وأشباهه[4].

وقال قتادة: نزلت في النجاشيِّ، فإنه لمَّا مات وبلغ النبيَّ ﷺ خبرُه صلَّى عليه، فقال بعض الكفار: صلى على علجٍ نصراني لم يره قط، فأنزل الله تعالى هذه الآية

---

(١) في (ف): «أدخلت».

(٢) وخلاصة الكلام: أن اللام عند إرادة التوكيد بها مع (إنَّ) فإنها تقترن بالمتأخر من الاسم أو الخبر.

(٣) «وقوله تعالى» ليس من (أ).

(٤) انظر: «تفسير الثعلبي» (٣/ ٢٣٨)، و«الوسيط» للواحدي (١/ ٥٣٧)، و«تفسير البغوي» (٢/ ١٥٦). ورواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٣٣٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٨٤٦)، وليس فيهما التصريح بأن ذلك هو سبب النزول.

يبيِّن أنه قد آمن بالله، فقال المنافقون: إنه كان يصلي إلى غير الكعبة، فنزلت ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥](١).

وقال عطاء: نزلتْ في أربعين من أهل نجران من بني الحارث بن كعب، واثنين وثلاثين من الحبشة، وثمانيةٍ من الروم، كانوا على دين عيسى عليه السلام وآمنوا بالنبيِّ ﷺ(٢).

و﴿لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ﴾: المهاجرون(٣) والأنصار.

* * *

(٢٠٠) ـ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا﴾: وبعد ما أخبر(٤) في هذه السورة قصةَ بدر وأحدٍ، وما نال المؤمنين من النكبات، وبعد ما أخبر عن حال النصارى في أولها، وعن(٥) حال اليهود في آخرها، ختم السورة بالأمر بالصبر فقال: ﴿اصْبِرُوا﴾؛ أي: على دين الله، وقيل: على أمر الله، وقيل: على الطاعة، وقيل: أي: عن المعصية، وقيل: أي: على المكاره.

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٤٩٩)، والطبري في «تفسيره» (٢/ ٤٥٥) و(٦/ ٣٢٨)، ورواية عبد الرزاق مختصرة. ورواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٣٢٧) مرفوعا متصلاً من طريق قتادة، عن سعيد بن المسيب، عن جابر رضي الله عنه، لكنه قال: في إسناده نظر.

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» (٣/ ٢٣٨)، و«تفسير البغوي» (٢/ ١٥٥)، وما بين معكوفتين منهما.

(٣) في (ف): «المهاجرين».

(٤) في (ر): «أخبر الله».

(٥) «عن» ليس من (ف).

وقوله تعالى: ﴿وَصَابِرُواْ﴾: أي: أعداءَ الله في القتال، فاثْبُتوا ولا تتولَّوا، والمصابرةُ بين الاثنين والجمع.

وقوله تعالى: ﴿وَرَابِطُواْ﴾: أي: كونوا في الثغور رابطين خيولَكم مستعدِّين للقتال، والمرابطة بين الاثنين والجمع؛ أي: يربطُ[1] هؤلاء خيولهم وهؤلاء خيولهم على المقابلة استعداداً للمقاتَلة[2].

وقوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾: أي: في جميع أوامره ونواهيهِ، فليس عليكم الجهادُ فحسب.

وقوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾: أي: لتُفلحوا، ولرجاءِ أن تُفلحوا، والفلاح: الأمن من كلِّ ما يُخاف، والوصول إلى كلِّ ما يُرام.

والصبر: هو حبسُ النفس عمَّا لا يرضاه الله تعالى على ما يرضاه.

وأوَّله: التَّصبُّر: وهو التكلُّف لذلك، ثم المصابرةُ: وهي معارضةُ ما يمنعه عن ذلك، ثم الاصطبارُ: وهو الاعتياد[3] والالتزام، ثم الصبر: وهو كماله وحصولُه من غير كُلفة.

وقال أبو سلمةَ بن عبد الرحمن في قوله تعالى: ﴿وَرَابِطُواْ﴾: لم يكن في زمن النبيِّ ﷺ المرابطةُ في الثغور، وإنما هذا الأمر هو[4] بانتظارِ الصلاة بعد الصلاة[5].

---

(١) في (ر): «أي بربط»، وفي (ف): «أن يربط».

(٢) في هامش (أ): «﴿وَصَابِرُواْ﴾؛ أي: غالبوا الكفار بالصبر فلا يكونوا أشد صبراً منكم ﴿وَرَابِطُواْ﴾؛ أي: أقيموا واثبتوا في الثغور رابطين خيولكم، وأصل الربط الشد، ويستعمل لكل مقيم في ثغر يدفع عمن وراءه وإن لم يكن ثمة خيل».

(٣) في (ف): «ثم الاصطبار والاعتبار».

(٤) «هو» ليس من (ف).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٣٣٤)، وابن المنذر في «تفسيره» (١٢٩٦).

قال النبيُّ ﷺ: «ألَا أدلُّكم على ما يمحو الله به الخطايا ويَرفعُ به الدرجات؟» قالوا: بلى يا رسول الله! قال: «إسباغُ الوضوء على المكاره، وكثرةُ الخطا إلى المساجد، وانتظارُ الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرِّبَاط، فذلكم الرِّباط»(١).

وقال ابن جريج: ﴿ٱصۡبِرُواْ﴾ على طاعة الله ﴿وَصَابِرُواْ﴾ أعداءَ الله ﴿وَرَابِطُواْ﴾ في سبيل الله(٢).

وقال مقاتل: ﴿ٱصۡبِرُواْ﴾ على أمر الله ﴿وَصَابِرُواْ﴾ مع النبيِّ ﷺ في المواطن كلِّها ﴿وَرَابِطُواْ﴾ العدوَّ في الثغور.

وقال عطاء: ﴿ٱصۡبِرُواْ﴾ على دينكم ﴿وَصَابِرُواْ﴾ الوعد الذي وعَد ربُّكم ﴿وَرَابِطُواْ﴾ عدوِّي وعدوَّكم(٣) حتى يرجع عن دينه إلى دينكم(٤) ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾؛ أي: خافوني(٥) فيما نهيتُكم وأطيعوني فيما أمرتكم ﴿لعلكم﴾ تُسْعَدون وتبقَون في الجنة ناعمين مخلَّدين كما بشَّرتكم.

وقال بعض أهل المعرفة: ﴿ٱصۡبِرُواْ﴾ على بلائي ﴿وَصَابِرُواْ﴾ نَعمائي ﴿وَرَابِطُواْ﴾ أعدائي ﴿وَٱتَّقُواْ﴾ محبة مَن سوائي ﴿لعلكم تفلحون﴾ غداً(٦) بلقائي.

---

(١) رواه مسلم (٢٥١)، والترمذي (٥١)، والإمام أحمد في «المسند» (٧٧٢٩)، من حديث أبي هريرة. وقوله: «فذلكم الرباط» تكرر في (أ) و(ر) ثلاث مرات.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٣٣٣). ورواه ابن المنذر في «تفسيره» (١٢٩٣) من طريق ابن جريج عن ابن عباس.

(٣) «وعدوكم» من (ف).

(٤) رواه ابن وهب في «الجامع» (٢/ ٧٠) برقم (١٢٥)، والطبري في «تفسيره» (٦/ ٣٣٣)، وابن المنذر في «تفسيره» (١٢٩٢)، جميعهم عن محمد بن كعب القرظي.

(٥) في (أ): «خالدين» بدل: «أي خافوني».

(٦) «غداً» ليست في (أ).

وقال آخر: ﴿ٱصۡبِرُواْ﴾ عند قيام النفير على احتمال الكُرَب ﴿وَصَابِرُواْ﴾ على مقاساة العناء والتعب ﴿وَرَابِطُواْ﴾ أعدائي بلا هرَب ﴿وَٱتَّقُواْ﴾ بهممكم عن الالتفات إلى[1] السبب ﴿لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ غدا بلقائي على بساط الطَّرب.

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: يقال ﴿ٱصۡبِرُواْ﴾ على الطاعات وعن المخالفات ﴿وَصَابِرُواْ﴾ في ترك الهوى والشهوات، وقطع المنى والعلاقات ﴿وَرَابِطُواْ﴾ بالاستقامة في الصحبة في عموم الحالات.

قال: ويقال: ﴿ٱصۡبِرُواْ﴾ بنفوسكم ﴿وَصَابِرُواْ﴾ بقلوبكم ﴿وَرَابِطُواْ﴾ بأسراركم.

قال: والصبر مرٌّ مذاقتُه إذا كان العبدُ يتحسَّاه على الغَيبة، وهو لذيذٌ طعمه إذا شربه على الشهود والرؤية ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ بمخالفة أهوائكم ﴿لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ الفلاح الظفر بالبغية، وهمةُ القومِ اليومَ الظَّفَرُ بنفوسهم، فإذا ظَفِروا بها ذبحوها بسيوف المجاهَدة، وصلَبوها على عيدان المكابَدة، وبعد فنائهم عنها يحصل بقاؤهم بالمشاهدة[2].

قال رضي الله عنه[3]: وفي فضل هذه السورة أحاديثُ:

روى ابن عباس رضي الله عنهما عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «مَن قرأ سورة آل عمران أعطيَ بكلِّ آيةٍ منها أماناً على جسرِ جهنم»[4].

---

(١) في (ف): «على الإنفاق إلى»، وفي (ر): «على الإنفاق على».

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٣٠٩).

(٣) «قال رضي الله عنه» من (أ). والظاهر أن القائل هو المؤلف.

(٤) لم أجده بهذا اللفظ من حديث ابن عباس. ورواه الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٩ ـ ١٠) (ط: دار التفسير)، والواحدي في «الوسيط» (١/ ٤١١)، من حديث أبيٍّ رضي الله عنه، وقال السيوطي في «نواهد الأبكار» (٣/ ١١٢ ـ ١١٣): هذا من الحديث الموضوع الذي روي عن أبي بن كعب في =

وقال عمر رضي الله عنه: مَن قرأ سورة آلِ عمران في ليلةٍ فهو غني[١].

وروى الشعبيُّ عن مسروقٍ قال: ما خيَّب الله عبداً قرأ مَن ليلته البقرةَ وآلَ عمران والنساءَ، أو من خواتيمِهن، ونعمَ كنزُ المؤمن آخرُ سورةِ البقرة وآلِ عمران والنساء[٢].

وقال أبو العطَّاف: اسم سورة آلِ عمران في التوراة: طيبة[٣].

والحمدُ لله الموفِّقِ على الخيرات، والمترقِّقِ للقلوب القاسيات، الذي يُجازي على الحسنات، ولا يَعزُب عنه مثقالُ ذرةٍ في الأرض والسماوات، بعث محمداً ـ عليه السلام ـ الداعيَ إلى الطاعات والقربات، المؤيَّدَ بالدلالات والمعجزات، الذي هدانا به عن الضلالات، ونجَّانا من المهالك والموبِقات، صلَّى اللهُ عليه أفضلَ الصلوات، وأكملَ التحيات، وعلى أصحابه[٤] الذين لهم يدٌ على العُدَاة،

= فضائل القرآن سورة سورة، وقد نبَّه أئمة الحديث وحفاظه ونقاده قديماً وحديثاً على أنه موضوع مختلق على رسول الله ﷺ، وعابوا على من أورده من المفسرين في تفاسيرهم.

(١) رواه عبد الرزاق في «المصنف» (٦٠١٥)، وأبو عبيد في «غريب الحديث» (٢/ ١٧١)، والدارمي في «سننه» (٣٣٩٥)، والثعلبي في «تفسيره» (٨/ ١٢) (ط: دار التفسير)، والبيهقي في «الشعب» (٢٦١٥)، جميعهم من كلام ابن مسعود، ودون قوله: «في ليلة».

(٢) رواه الطبراني في «الأوسط» (١٧٧٢)، وعنه أبو نعيم في «الحلية» (٨/ ١٢٩) من طريق الشعبي عن مسروق عن ابن مسعود عن النبي ﷺ. قال الطبراني: (لم يَرْوِ هذا الحديثَ عن الشعبيِّ إلا ليثٌ، ولا عن ليثٍ إلا فضيلٌ، تَفرَّدَ به بِشْرٌ). وقال أبو نعيم: (غريبٌ مِن حديث الفُضيل وليثٍ، تَفرَّد به بشرُ بنُ يحيى فيما قاله سليمانُ). ويعني بسليمان الطبراني، وليث هو بن أبي سليم ضعيف، وبشر بن يحيى ضعفه الدارقطني في «سننه» عقب الحديث (٢٩١٩).

(٣) ذكره ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١/ ٣٩٦) عن النقاش.

(٤) في (ر): «آله».

وقوةٌ على المشركين والمشركات، وقوَّى بهم الملَّة الإسلامية والدِّينَ الحنيفية والسيرةَ المرْضيَّة، رضوانُ الله عليهم أجمعين، وعلى مَن اتَّبعهم إلى يوم الدِّين.

لقد أتممتُ هذه السورةَ بمنِّ الله وقوته، وعونه ونُصرته، ختم الله لنا وللمسلمين بخيرٍ، آمين[١]. والحمدُ لله ربِّ العالمين.

* * *

(١) من قوله: «والحمد لله الموفق... » إلى هنا ليس في (أ).

سُورَةُ النِّسَاءِ

سُورَةُ النِّسَاءِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

بسم الله الذي خلقَنا من نفسٍ واحدة، وخلَق[1] منها زوجَها، وبثَّ منهما رجالاً كثيراً ونساءً، وكان في ذلك وفي كلِّ شيء عليماً حكيماً، الرحمن الذي علَّم الإنسان ما لم يعلم وكان فضل الله عليه[2] عظيماً، الرحيم الذي قال: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُواْ بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ [النساء: ١٧٥].

وسورة النساء مدنيةٌ، وهي مئةٌ وسبعٌ وسبعون آيةً، وعند بعضهم: ستٌّ وسبعون، وهو على قولِ مَن لا يجعل قوله: ﴿أَن تَضِلُّواْ ٱلسَّبِيلَ﴾ [النساء: ٤٤] آيةً، وعند بعضهم: خمس وسبعون، وهو على قولِ مَن لا يَعُدُّ هذه[3] آيةً ولا يَعدُّ أيضاً قولَه: ﴿فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [النساء: ١٧٣] في آخر هذه السورة آيةً.

وهي ثلاثةُ آلافٍ وسبعُ مئة وستٌّ وخمسون كلمةً، وخمسَة عشر ألفاً وتسعُ مئة وثمانيةٌ وسبعون حرفاً، ولقارئها ثواب عظيم.

---

(١) في (أ): «وجعل».

(٢) في (ر): «عليك».

(٣) في (أ): «هذا».

روى أُبي بن كعب رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «مَن قرأ سورة النساء أُعطي من الأجر كأنما تصدَّق على كل[1] مَن ورث ميراثاً وحرَّر محرَّراً وبرئ من الشرك، وكان في مشيئة الله تعالى من الذين يتجاوز عنهم»[2].

وانتظام أول هذه السورة بآخر سورة آل عمران: أنه ختم تلك السورةَ بالأمر بالتقوى، ووعد عليه، وكان ذلك أمراً للمؤمنين على الخصوص، وأمر الناس بالتقوى في أول هذه السورة على العموم فقال:

(١) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾: وهذا نداء، والنداء في القرآن على نيِّفٍ وعشرين وجهاً:

نداء التسمية: قال تعالى: ﴿يَٰٓـَٔادَمُ﴾ ﴿يَٰنُوحُ﴾ ﴿يَٰلُوطُ﴾.

ونداء النسبة: قال تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ﴾ ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾.

ونداء الخلقة: قال تعالى: ﴿قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا﴾[3] [الأنبياء: ٦٩].

ونداء الجنس: قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ﴾ [الانفطار: ٦].

ونداء الصفة: قال تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ﴾ [الزخرف: ٤٩].

ونداء الإضافة: قال تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾.

---

(١) «كل» ليس من (أ) و(ف).

(٢) رواه الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٩) (ط: دار التفسير)، والواحدي في «الوسيط» (٢/ ٣)، وإسناده ضعيف جداً، فيه سلام بن سليم المدائني وهو متروك كما في «التقريب». وفيه أيضاً هارون بن كثير، وهو مجهول.

(٣) «بَرْداً وَسَلاَماً» ليس من (أ).

ونداء المذمَّة: قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ﴾ [الجمعة: ٦].

ونداء الإهانة: قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [الكافرون: ١].

ونداء الكرامة: قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾.

ونداء الرفعة: قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾.

ونداء الخصوصية: قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ﴾.

ونداء الحالة: قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾.

ونداء العظمة: قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ﴾ [المؤمنون: ٥١].

ونداء الكناية: قال تعالى: ﴿يسٓ﴾؛ أي: يا سيد المرسلين[١].

ونداء الإشارة: قال تعالى: ﴿طه﴾؛ أي: يا بدرُ، على وجه الحساب[٢].

ونداء اللطافة: قال تعالى: ﴿يَٰبُنَيَّ﴾.

ونداء الشفقة: قال عز وعلا: ﴿يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا﴾ [هود: ٤٢][٣].

ونداء الخاصة: قال تعالى: ﴿يَٰعِبَادِيَ﴾.

ونداء الحاجة[٤]: ﴿يَٰرَبِّ﴾.

---

(١) في (أ): «يا أيها المرسلين»، وهو خطأ. انظر: «تفسير الثعلبي» (٨/ ١٢٠)، و«لطائف الإشارات» للقشيري (٣/ ٢١١)، و«تفسير البغوي» (٧/ ٧)، و«أحكام القرآن» لابن العربي (٤/ ١٩). وعزاه الثعلبي والبغوي لأبي بكر الوراق بلفظ: (يا سيد البشر).

(٢) أي: حساب الجمل، فالطاء في حساب الجمل تسع، والهاء خمس، فيكون أربعة عشر، وهو إشارة إلى مرتبة البدرية لأن البدر يتم فيها، فكأنه قيل: يا بدر. انظر: «غرائب التفسير وعجائب التأويل» للكرماني (٢/ ٧٠٩)، و«الإتقان» للسيوطي (٣/ ٣٣)، و«روح المعاني» للآلوسي (١٦/ ٣٣٩).

(٣) «﴿ٱرۡكَب مَّعَنَا﴾» ليس في (أ)، وفي (ف): «﴿لَا تَدۡخُلُواْ﴾».

(٤) بعدها في (ر) و(ف): «قال تعالى».

ونداء الحسرة: قال تعالى ﴿يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ﴾[١] [الزمر: ٥٦].

ونداء الاستغاثة: قال تعالى: ﴿يَٰوَيۡلَتَآ﴾[٢] ﴿يَٰوَيۡلَتَنَا﴾.

قال[٣]: وقد مر الكلام في اشتقاق (الناس)[٤] في سورة البقرة؛ أنه من الإيناس الذي هو الإبصار، أو من الاستئناس الذي هو الاستبشار، أو من النسيان الذي هو ضدُّ الادِّكار.

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله في كلِّ ذلك: يا مَن أظهرتُكم عن كتم العدم بحكم تكليفي، ثم خصَصْتُ مَن شئتُ منكم بتشريفي، وحرَمت مَن شئتُ منكم هدايتي وتعريفي، ونقلتُكم إلى ما شئتُ بحكم تصريفي.

وقال من الأنس: يا من أَنِسْتَ بحبِّي، واسترْوحْتَ بنسيم قُرْبي، واعتَزَزْتَ بجلال قَدْري، أنت أجلُّ عبادي عندي.

وقال من النسيان: سميتُك إنساناً لنسيانك، فإنْ نَسِيْتَني فلا أخسَّ منك، وإن نسيتَ غيري لذكري فلا أخصَّ منك.

وهذا الخطاب يتفاوت، فهو إذا كان للمذنب فمعناه: يا مَن نسيتَ عهدي، ورفَضْتَ ودِّي، وتجاوَزْتَ حَدِّي، آن لك أن ترجع إلى بابي لتَستحِقَّ لطفي وإيجابي.

وهو إذا كان للعارف فمعناه: يا مَن نسيتَ فينا حظَّك، وصُنتَ عن غيرنا لَحْظَك ولفظك، لقد عظُم علينا حقُّك، ووجب لدينا نصرُك، وجَلَّ لدينا قَدْرُك[٥].

---

(١) «على ما فرطت» من (أ).

(٢) في (ف): «ويلتا».

(٣) «قال» من (أ)، وواضح أن القائل هو المؤلف.

(٤) في (ر) و(ف): «اشتقاقه».

(٥) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (١/ ٣١١ـ ٣١٢).

وقوله تعالى: ﴿ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ﴾ مرَّ تفسيره والكلامُ في وجوهه وفوائده.

وقال الإمام القشيري رحمه الله: التقوى أولُها تركُ الشرك، وآخرُها الاتِّقاء[١] عن كلِّ غيرٍ، وأولُ أغيارِك نفسُك، فمَن اتَّقى نفسَه وقف بلا مقامٍ ولا شهودِ حال، منفرداً[٢] لله ذي الجلال والإكرام[٣].

وقال الواسطيُّ رحمه الله: تقوى العامَّة من الشرك، وتقوى الخاصَّة من المعاصي، وتقوى خاصَّة الخاصَّة من التوصُّل بالأفعال.

وقال الضحاك: أي: وحِّدوا ربَّكم.

وقال الكلبي: أي: أطيعوا خالقكم.

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكُم﴾: أي: قدَّر خَلْقَكم حالاً بعد حالٍ على اختلافِ صوركم وألوانكم.

وقوله تعالى: ﴿مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾:

قال الإمام القشيري رحمه الله: تَعرَّفَ إلى العقلاء بكمال القدرة وتمامِ الحكمة، حيث خلَق جميع هذا الخلقِ من نسلِ شخصٍ واحد، على اختلافِ همَمهم، وتبايُن أخلاقهم، وتفاوُت صورهم، فإن[٤] اثنين منهم لا يتشابهان بكلِّ وجهٍ من[٥] الصورة والخُلق والهمَّة والحالة، فسبحان مَن لا حدَّ[٦] لمقدوراته ولا غايةَ لمعلوماته.

---

(١) في (ف): «الإنقاء».

(٢) في (أ): «متفرداً».

(٣) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (١/ ٣١٢).

(٤) في (ف) و(أ): «وإن».

(٥) في (أ): «في».

(٦) في (ف) و(ر): «مدا»، وفي (أ): «مدى»، والمثبت من «اللطائف».

وقال في قوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾: حكَم الحقُّ سبحانه بمساكنةِ الخَلْق مع الخَلْقِ لبقاء النسل، ولردِّ الـمِثْلِ إلى الـمِثْل، ولرَبْط الشَّكْل بالشَّكْل[١].

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: في كلِّ ما كان الخطابُ للكفرة ذكر على أثره حُججَ وحدانيته ودلائلَ ربوبيته؛ لأنهم لم يَعرفوا ربهم، مِن نحو[٢] ما ذكر: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ [البقرة: ٢١]، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ [النساء: ١]، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ [فاطر: ٥]، ذكر الحجج التي يُتوصَّل بها إلى معرفته، وفي كلِّ ما كان الخطاب للمؤمنين لم يذكر هذه الحجج؛ لأنهم قد عرَفوا ربهم، ولكن ذكَر نعمه التي أنعمها عليهم، وثوابَه الذي وعده لهم، نحو قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ [آل عمران: ١٠٢] الآيات، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [الأحزاب: ٧٠] الآيات[٣]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ﴾ الآية [الحديد: ٢٨]، على هذا يخرج الخطاب في الأغلب[٤].

وقوله تعالى: ﴿مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾: وهو[٥] آدم صلوات الله عليه، وأنث الواحدة لأن النفْس مؤنَّثةٌ سماعاً، ولو ذكَّر جاز ذهاباً به إلى تذكير آدم عليه السلام، وقد قال الشاعر:

أبـوك خليفــةٌ ولدَتْــه أخــرى ... وأنت خليفــةٌ ذاك الكمــال[٦]

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (١/ ٣١٢)، وفيه: (فربط الشكل..).

(٢) في (أ): «حيث».

(٣) في (أ): «الآية».

(٤) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٣/ ٣).

(٥) في (ف) و(أ): «هي».

(٦) البيت دون نسبة في «معاني القرآن» للفراء (١/ ٢٠٨)، و«الزاهر» لابن الأنباري (٢/ ٢٣٠)، =

فجمع بين تذكيرِ المعنى وتأنيثِ اللفظ.

وإنما قال: ﴿مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ مع أنَّا خُلقنا من ذكرٍ وأنثى؛ لأن حواء من آدم، فمَرجِعُ الجميع إلى آدم، والمعنى: خلَقكم من نفسٍ كانت واحدة وهو آدم، ثم خلق منها زوجها، ثم خلقكم منها جميعاً.

وقوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾: أي: امرأته حواءَ، وقد بيَّنَّا كيفية ذلك في سورة البقرة.

ومعنى الإنعام في الخَلق من نفسٍ واحدة: أنه أقرب إلى أن يتعاطفوا، ويأنَس بعضهم ببعض، ويحامي بعضهم على بعض بما[1] بينهم من القرابة والأخوة بالرجوع إلى نفس واحدة.

وقوله تعالى: ﴿وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً﴾: أي: نشر من جهة التناسُل والتوالُد من النفسين[2] أولاداً كثيراً ذكوراً وإناثاً.

وقوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ﴾ قرأ عاصم وحمزةُ والكسائيُّ: ﴿تَسَآءَلُونَ﴾ بالتخفيف بحذف إحدى التاءين، وقرأ الباقون بالتشديد بإدغام إحدى التاءين في السين[3].

ومعناه ما قال ابن عباس رضي الله عنهما: واتقوا الله الذي تَسأل الناس به بعضُهم بعضاً الحوائجَ والحقوق، يقول الرجل: أسألك بالله وأَنشُدك بالله.

= و«العمدة» لابن رشيق (٢/ ٢٨٠).

(١) في (ر) و(ف): «فيما».

(٢) في (ر): «النسل»، وفي (ف): «النفس».

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٢٢٦)، و«التيسير» (ص: ٩٣).

وتكـرار ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ للتقريـر والتأكيد، وذكرُ هـذه الصفة بعـده[١] تنبيه أنه الله تعالـى الـذي لا تنكرون أنه خالقُكم والمسـتحِقُّ للعبـادة عليكم.

وقوله تعالى: ﴿وَالْأَرْحَامَ﴾ قرأ حمزة: ﴿والأرحامِ﴾[٢] خفضاً، وله ثلاثة أوجه:

أحدها: القسَم، فكأنه[٣] أمرهم بالتقوى وحلَّفهم عليها[٤] بالأرحام.

والثاني: بإضمار الخافض، كأنه قال: به وبالأرحام؛ أي: تقولون[٥]: أسألك بالله وبالرَّحِم أن تفعل كذا.

والثالث: أنه مخفوض عطفاً على الهاء في قوله: ﴿بِهِۦ﴾، وهذا ضعيف لأنه لا يعطف على الضمير المخفوض إلا بإعادة الخافض[٦]، لا يقال: مررتُ به وزيدٍ،

---

(١) «بعده» ليس من (أ).

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٢٢٦)، و«التيسير» (ص: ٩٣).

(٣) في (ف): «كأنه».

(٤) في (أ): «عليه».

(٥) في (أ): «أي أتقولون».

(٦) كذا جزم المؤلف باقتضاء إعادة الخافض في العطف على الضمير المجرور، وهذه مسألة تكلم فيها العلماء في قراءة حمزة هذه، وهي قراءة متواترة قد أجمعت عليها الأمة، إلا أن جمهور نحويي البصرة قد تكلموا فيها للعلة التي ذكرها المؤلف، وأولهم ـ كما قال الآلوسي ـ المبرد حيث ذكر في «الكامل» (٣/ ٣٠) أن من يقول بالعطف على المجرور دون إعادة الجار مخطئ في قول البصريين، قال: (لأنهم لا يعطفون الظاهر على المضمر المخفوض، ومَن أجازه من غيرهم فعلى قبح، كالضرورة، والقرآن إنما يحمل على أشرف المذاهب، وقرأ حمزة: (وَالْأَرْحَامِ)، وهذا مما لا يجوز عندنا إلا أن يضطر إليه شاعر). وتبعه في هذا الزمخشري وابن عطية. وقد انبرى للرد عليهم جمع من العلماء من أئمة النحو كابن مالك في ألفيته كما سيرد، وأبي حيان رحمه الله الذي كان من أشد المدافعين عن تلك القراءة، والمشنعين على الزمخشري وابن عطية في كلامهما عليها، وساق =

ولكن يقال: مررتُ[1] به وبزيد، وقد جاء في ضرورة الشعر كما قال الشاعر:

فاليومَ قَرَّبْتَ تهجونا وتَشْتِمُنا ... فاذْهَبْ فما بكَ والأيامِ من عَجَب[2]

وقرأ الباقون بالنصب عطفاً على قوله: ﴿ٱللَّهَ﴾؛ أي: واتقوا الأرحامَ أن تقطعوها وتهمِلوا حقَّها، وجمع بين الحقَّين تعظيماً لحقِّ الرَّحِم، وهو كجمعه بين حقِّه وحقِّ الأبوين بقوله: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾: أي: حفيظاً، وفعيل بمعنى الفاعل، وقد رَقَب يَرْقُب من حدِّ دخَل، رَقْباً ورُقوباً ورِقبةً، يقول: هو حافظٌ لأعمالكم وأقوالكم وأحوالكم يسألكم[3] عمَّا أمركم به من طاعته وصلة الرحم.

* * *

= الكثير من الشواهد التي تثبت جواز العطف على الضمير المجرور دون إعادة، ولخص المسألة ابن كمال باشا فقال: وما ذهب إليه البصريون من امتناع العطف على الضمير المجرور إلا بإعادة الجارِّ، والضعفِ في إضماره، يردُّه هذه القراءةُ الثابتة بالتواتر، فإنها مما يُحتج به لا مما يُحتج عليه، إلا عند مَن لا اعتماد له على القراءات الثابتة، ولا اعتداد لزعمه الفاسد.

قلت: وهو يعرِّض بالزمخشري الذي ردها، والبيضاوي الذي تابعه في ذلك. انظر كلامهم في تفاسيرهم عند تفسير الآية الأولى من سورة النساء. أما ابن مالك فقال في ألفيته:

وعَوْدُ خافضٍ لَدَى عطفٍ على ... ضميرِ خفضٍ لازمًا قد جُعِلا

وليس عندي لازمًا إذ قد أتى ... في النظم والنثر الصحيح مُثْبَتا

ويعني بالنثر الصحيح قراءة حمزة. انظر: «شرح الأشموني لألفية ابن مالك» (٢/ ٣٩٤ ـ ٣٩٦).

(١) «مررت» ليست في (أ).

(٢) انظر: «الكتاب» (٢/ ٣٨٣)، و«الكامل» للمبرد (٣/ ٣٠)، و«معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٧). وهو من أبيات سيبويه الخمسين التي لم يعرف لها قائل.

(٣) في (ف): «ويسألكم».

(٢) ـ ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَتَبَدَّلُوا۟ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ﴾: وهو من التقوى الذي أمر به[1] في أول السورة مرتين.

قال الكلبي: نزلت الآية في رجل من بني غطفان وكان معه مالٌ كثيرٌ لابن أخٍ له يتيمٍ، فلما بلغ اليتيم الحُلُم طلب ماله فمنعه عمُّه، فرفعوا إلى النبي ﷺ فنزلت الآية[2].

وقال مقاتل: خاصمه إلى النبيِّ ﷺ، فأمره أن يردَّ عليه مالَه، وقرأ عليه هذه الآية، فلما سمعها قال: أطعنا الله وأطعنا الرسول، ونعوذ بالله من الحُوب الكبير، فدفع إليه ماله، فقال النبي ﷺ: «هكذا مَن يُوقَ شحَّ نفسه ويُطِعْ ربَّه فإنه يَحُلُّ داره» يعني: جَنَّته، فلمَّا قَبَض الفتى مالَه أنفقه في سبيل الله، فقال النبي ﷺ: «ثبَت الأجرُ وبقي الوِزرُ»، فقالوا: قد عرفنا أنه ثبت الأجر، فكيف بقي الوزر وهو ينفق في سبيل الله؟! فقال: «ثبت الأجرُ للغلام وبقي الوزر على والده»[3].

ومعنى الآية: أنه يقول للأولياء أو الأوصياء: أعطوا اليتامى ـ أي: الذين كانوا يتامى ـ أموالهم التي عندكم إذا بلغوا النكاح ورأيتُم منهم رشداً؛ أي: صلاحاً في دينهم وحفظاً لأموالهم، وهو أمر بحفظ أموالهم للحال، وتسليمِها إليهم بعد البلوغ، وتسميتُهم يتامى باعتبارِ ما كان.

---

(١) في (ر) و(ف): «بها».

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٨٥٤) عن سعيد بن جبير، وانظر التعليق الآتي.

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣/ ٢٤٢)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ١٤٢) عن مقاتل والكلبي. وهو في «تفسير مقاتل» (١/ ٣٥٦). ولم أجده من طريق يحتج به.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: يحتمل هذا وجهين:

أحدهما: احفظوا لتؤتُوا بعد البلوغ.

والثاني: أنفِقوا عليهم من أموالهم ووسِّعوا عليهم النفقةَ، ولا تضيِّقوها[١] لينظروا إلى أموال غيرهم[٢].

وقال عمر رضي الله عنه: مَن وَلي منكم يتيماً له مالٌ فليوسِّعْ[٣] عليه، ولا يُضيِّقْ عليه ولا يُقتِّرْ[٤].

وقال ابن عمر رضي الله عنهما: أَسبغْ[٥] على اليتيم، فإنْ هو مات فقد أحسنْتُم إليه، وإن بقي فسيغنيهِ الله.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَبَدَّلُوا۟ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ﴾: التبدُّل والاستبدال: أخذُ الشيء بدلاً عن الشيء، وله وجوه:

قال الكلبي رحمه الله: لا تذَروا أموالكم التي هي حلالٌ لكم وتأكلوا الحرامَ[٦] من أموال اليتامى. وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما وأبي صالح ومجاهد وسعيد بن جبير[٧].

---

(١) بعدها في (ر): «عليهم».

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٣/ ٥).

(٣) في (ف) و(أ): «فليسبغ».

(٤) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٢٨٠) عن الشعبي.

(٥) في (ر): «وسع».

(٦) «الحرام» ليست في (أ).

(٧) رواه عن مجاهد الطبري في «تفسيره» (٦/ ٣٥١)، وعن أبي صالح وسعيد بن جبير ابنُ أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٨٥٥).

وقال سعيد بن المسيِّب والشعبيُّ والسدِّيُّ والضحَّاك: لا تأخذوا الجيد والرفيع[١] من مال اليتيم وتضعوا مكانه الرديء، لا تأخذوا الشاة السمينة وتجعلوا مكانها المهزولة وتقولوا: شاةٌ بشاةٍ، وتأخذوا[٢] الدرهم الجيد وتجعلوا مكانه الزيفَ وتقولوا: درهمٌ بدرهم[٣].

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله في وجوه هذين الوجهين وزاد عليهما: أي[٤]: لا تأخذوا الخبيثَ من مال اليتيم وتتركوا ما وُعد لكم في الآخرة بحفظ أموالهم.

وقال[٥] أيضاً: لا تأخذوا مال اليتيم وهو خبيثٌ لكم فيؤخذ منكم بالضمان المال الذي لكم[٦] وهو طيب[٧].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ﴾: أي: مع أموالكم؛ كقوله: ﴿مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٥٢]؛ أي: مع الله.

وقيل: أي: مضمومةً إلى أموالكم، ففيه إضمار.

نَهَى أولاً عن أكل أموالهم وحدَها، ثم نَهَى عن أكلها مع مال نفسه خلطاً على

---

(١) في (ر) و(ف): «الجيد الرفيع».

(٢) في (ر) و(ف): «ولا تأخذوا».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٣٥٢) عن ابن المسيب والزهري والضحاك والنخعي والسدي، واللفظ للأخير.

(٤) في (ف): «أن».

(٥) «قال» ليست في (أ).

(٦) في (أ): «لا تأخذ مال اليتيم وهو خبيث لك فيؤخذ منك بالضمان المال الذي لك».

(٧) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٣/ ٥ ـ ٦).

وجهٍ لا يريد به الإصلاحَ، فقد قال: ﴿وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٠] لكن قال: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ﴾ [البقرة: ٢٢٠]، وقد فسَّرنا تلك الآية في موضعها.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾: أي: إن الأكل، ودلَّ عليه قولُه تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا﴾.

﴿كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾؛ أي: إثماً عظيماً، وكذلك الحابُ والحَوْبُ والحَوْبةُ، وقد حاب يَحُوبُ؛ أي: أَثِمَ، وتَحَوَّبَ؛ أي: تحرَّز عن الإثم، ونظيرُه: تَأَثَّم وتَحرَّج وتَحنَّث، هو التحرُّز عن الإثم والحَرَج والحِنْث.

وقيل في نزولها: إن امرأة توفِّي عنها زوجُها وترك بناتٍ صغاراً[1] ومالاً، واستولى ابن عمِّهنَّ على المال، فجاءت المرأة إلى النبيِّ ﷺ وقالت: إنما يُرغب في البنات للمال أو للجمال[2]، ولا جمال لبناتي وقد أخذ مالَهن ابنُ عمِّهن فإما أن يردَّ مالهن أو يضمَّهنَّ إلى نفسه فيَعُولَهنَّ، فنزلت هذه الآية.

* * *

(٣) - ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا﴾.

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى﴾؛ أي: ألَّا تعدلوا.

والقسطُ: العدلُ، وقد أقسط إقساطًا: إذا عدل؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [المائدة: ٤٢]، وقسط قسوطًا؛ أي: جار؛ قال تعالى: ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ [الجن: ١٥].

---

(١) في (أ): «صغائر».

(٢) في (أ): «للجمال أو المال».

قولـه تعالـى: ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ﴾: أي: مَـن طـاب لكـم، كمـا فـي قولـه تعالـى: ﴿وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ٢٣].

وقيـل: (ما) مـع الفعل مصدر، معنـاه: فانكحوا الطَّيِّـبَ؛ أي: النِّـكاحَ الطَّيِّبَ؛ أي: الحلال.

وقـال أبـو العبَّـاس[1]: (مـا) للجنس، كمـا يقال: ما عنـدك[2]؟ فتقـول: رجل، أو: امرأة.

وقيـل (مَن) و(ما) متناوبان[3]؛ قال تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا﴾ [الشمس: ٥]، وقال تعالـى: ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ﴾ [الحجر: ٢٠]؛ أي: ومـا لسـتم، فقد قـال مجاهدٌ: هو الـدَّوابُّ والبهائـم[4]، وقال تعالـى: ﴿فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ﴾ [النور: ٤٥]؛ أي: ما يمشي.

وللجمع بين حكم اليتيم وحكم النِّكاح وجوهٌ مِن التَّأويل:

قيل: معناه: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ﴾؛ أي: في يتامى النِّساء اللَّاتي أنتم أولياؤهن إذا نكحتموهن، وذلك بأن لا تبلُغوا بصَداقهنَّ مبلغ مهور أمثالهنَّ، فاعدلوا عنهنَّ إلى نكاح غيرهنَّ مِن النِّساء، وانكحوا ما طاب لكم منهنَّ[5] ﴿مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾

---

(١) في (ف): «ابن عباس»، وهو تحريف، وأبو العباس هو محمد بن يزيد، وقوله في «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٨)، و«إعراب القرآن» لأبي القاسم الأصفهاني (ص: ٨٧)، و«البحر المحيط» (٦/ ٤١١).

(٢) في (ر) و(ف): «عندكم».

(٣) في (ف): «يتناوبان».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٣٧).

(٥) بعدها في (ف): «قوله تعالى».

﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾ أي: أن لا تعدلوا في الأربع من[١] الأجنبيات فما دونهنَّ إلى أن تقتصروا على الواحدة، فإن خفتم أن لا تعدلوا في[٢] الواحدة المنكوحة فاعدلوا عن النِّكاح إلى تسري الإماء.

وسبب ذلك: أنَّهم كانوا في الجاهليَّة يقصدون إلى ظلم مَن يَلُونهنَّ مِن يتامى النِّساء، ويتزوَّجونهنَّ من غير طيب أنفسهنَّ بما يريدون مِن الصَّداق، فلا يمكنهنَّ الامتناعُ منهم[٣] لضعفهنَّ، إذ كان[٤] ناصرهنَّ على الظَّالم هذا الظَّالم، فلمَّا جاء الإسلام، ونزلَ التَّشديد في أمر اليتامى، اشتدَّ خوفُهم بما كانوا يفعلونَه، فأَخبر الله تعالى أنَّهم إنْ خافوا الإثم في نكاحهنَّ فليتركوا ذلك، وليتزوَّجوا الأجنبيات؛ فإنَّ اليتامى من قراباتهنَّ قد يُظهرْنَ الرِّضا حياءً منهنَّ، ويُضمرْنَ[٥] الكراهةَ، ولا ناصر لهنَّ إذا لحقهُنَّ ظلمٌ، والأجنبيَّات يمكنهنَّ التَّصريحُ بما يضمرْنَ[٦]، والانتصارُ بأوليائهنَّ، فكان ذلك أطيبَ وأبعدَ عن الظُّلم.

ثم التَّبليغُ إلى الأربع توسعةٌ في الملاذِّ، والأمرُ بالاقتصار[٧] على الواحدة حفظٌ عن الجَورِ، والأمرُ بالتَّسرِّي تخفيفٌ، فإنَّ الإماء في الإعفاف كالحرائر، وحقوقهنَّ[٨] أقلُّ.

---

(١) «من» ليس في (ف).

(٢) «الأربع من الأجنبيات فما دونهنَّ إلى أن تقتصروا على الواحدة، فإن خفتم أن لا تعدلوا في» ليس في (أ).

(٣) في (ف) و(أ): «منهن»، والمثبت من (ر) وهو الصواب.

(٤) بعدها في هامش (ف): «قل» وعليها علامة التصحيح، ولا وجه لها.

(٥) في (أ) و(ر): «ويضمرون».

(٦) في (أ): «الصريح بما يردن».

(٧) في (ر): «في الاقتصار».

(٨) في (أ): «وعقوقهن».

وهذا كلُّه تنبيهٌ على الاحتراز مِن مكائد الشيطان في الإيقاع فيما لا يحلُّ، وهي[١] رحمةٌ مِن الله تعالى لنا، ورأفةٌ بنا، وله الحمد.

ويَروي معنى هذا الزُّهريُّ عن عروةَ عن عائشةَ رضي الله تعالى عنها[٢].

والثَّاني: أنَّ قريشًا كان يتزوَّجُ الرَّجلُ منهم العشرَ مِن النِّساء والأكثر، فإذا لم يكن معه مالٌ[٣] صرفَ مالَ اليتيم الذي في حِجره إلى صداقهنَّ، فنُهوا عن ذلك، وقُصِروا على الأربع، وعند الخوف على الواحدة، ثم التَّسرِّي.

ومعنى الآية على هذا: فإن خفتم ألَّا تقسطوا في أموال اليتامى فاقتصروا على نكاح الأربع، فإن عجزتم عن ذلك فواحدة، أو الأمة بالتَّسري. وهذا يرويه طاوسٌ عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما[٤].

والثالث: أنهم كانوا يتوسَّعون في عدد المنكوحات بما يقعون به في الجَور، ويتحرَّزون عن الجَور في أموال اليتامى، فقيل لهم: كما تخافون في ذلك فخافوا في هذا. وهذا قولُ كثيرٍ مِن المفسِّرين؛ قتادة وسعيد بن جبير والضَّحَّاك والسُّدي وغيرهم[٥].

والرابع: كما خفتم في اليتامى إذا وُلِّيتم أموالهم وتحرَّزتم عن أكل أموالهم إيمانًا وتصديقًا، فكذلك فتحرَّزوا عن الزِّنى، وانكحوا ما أحلَّ الله لكم. وهذا قول مجاهد[٦].

---

(١) في (أ): «وهو».

(٢) رواه البخاري (٢٤٩٤)، ومسلم (٣٠١٨).

(٣) في (أ): «فإذا كان عدمًا» وفي (ف): «فإذا كان معدمًا».

(٤) رواه أبو عبيد في «غريب الحديث» (٤/ ٢٢٩)، والطبري في «تفسيره» (٦/ ٣٦٥)، وابن المنذر في «تفسيره» (١٣٢٧).

(٥) رواه عنهم الطبري في «تفسيره» (٦/ ٣٦٣ ـ ٣٦٥).

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٣٦٦)، وابن المنذر في «تفسيره» (١٣٢٥).

والخامس: أنَّ الرَّجل كان يلي اليتيمةَ من قرابته، ولعلها شريكةٌ له بمالها، فلا تطيبُ نفسُه بتزويجها مِن غيره خشيةَ مزاحمتِه إيَّاه في المال المشترَك بينهما، ويرغب أن ينكحها[١] بنفسه لدمامتها أو غير ذلك، فأُمروا إن خافوا أن لا يعدلوا فيهنَّ إذا تزوجوهنَّ أن ينكحوا من الأجنبيات ما أحلَّ الله لهم، ولا يعضلوهنَّ فيتزوجَهُنَّ غيرهم. وهذا يرويه هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها[٢].

والسادس: قولُ الضَّحَّاك، قال: سألوا عن أمر[٣] اليتامى، وتركوا ذكر النساء، فنزلت الآية[٤]: فإن خفتم في أمر اليتامى فما لكم لا تسألون عن أمر النِّساء[٥].

قوله تعالى: ﴿مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾ منصوبات بالترجمة عن ﴿مَا﴾، ولا تنوينَ فيهنَّ لأنَّها غيرُ منصرفة، فإنَّها معدولة عن اثنين وثلاثٍ وأربعٍ، ومعناه: اثنين اثنين وثلاثًا ثلاثًا وأربعًا أربعًا، ومع العدل فيها معنًى آخرُ، وهو وهم الألف واللَّام؛ لأنَّها كالمعارف، ولهذا لا إضافة فيها، فامتنع صرفُها لذلك.

وتعلَّقت الروافض ـ لعنهم الله ـ بظاهرها لإباحة الجمع بين تسع نسوة، فإنَّه ذُكر بالواو لا بـ(أو)، وذلك للجمع.

لكنَّا نقول: هذا على البدل دون الجمع في حالةٍ واحدة؛ أي: فانكحوا مثنى، وانكحوا ثلاث، بدل: مثنى، وانكحوا رباع، بدل مثنى وثلاث.

---

(١) «أن ينكحها» مصدر مؤول مجرور بحرف الجر المقدر: (عن)؛ أي: ويرغب عن أن ينكحها؛ أي: عن نكاحها.

(٢) رواه البخاري (٥١٢٨)، ومسلم (٣٠١٨/ ٨).

(٣) في (ر): «عن أموال».

(٤) «الآية» ليس في (ف).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٣٦٥)، والنحاس في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٢٩١).

والدَّليل على أنَّ المراد هذا لا غيره: أنَّه لو قيل هذا في الأمر بشيء آخر لم يكن إلَّا على هذا الوجه، فإنَّه إذا قيل لقوم: ادخلوا الدَّار مثنى وثلاث ورباع، لم يكن أمرًا بدخول تسعة منهم جملةً في حالة، بل هو أمر لهم أن يدخلوا[1] اثنين اثنين، ولهم أن يدخلوها بدل ذلك ثلاثة ثلاثة، ولهم أن يدخلوا بدل ذلك أربعة أربعة، وكذا في كلِّ موضع، هذا هو قضيَّة اللُّغة، ولا معنى لهذيان الرَّافضة.

قوله تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾: فيه إضمار؛ أي: فانكحوا واحدةً.

وقرأ الحسنُ وأبو جعفرٍ والجحدري: ﴿فواحدةٌ﴾ بالرَّفع[2]، وهذا[3] ابتداءٌ، وخبرُه محذوفٌ، وتقديرُه: تكفيكُم، ونحوُ ذلك.

قوله تعالى: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾: قيل: هذا[4] مرفوعٌ بالابتداء، مع قراءة الأولى بالنَّصب؛ لأنه لا يقع النِّكاح عليها، فلا تُعطَف على المنكوحات.

وقيل: يجوز فيه النَّصب، على إضمار فعل يقع عليها، وتُنصب في الظَّاهر بناءً على المذكور أولاً[5]؛ كما في قولِ القائلِ:

ورأيــتُ زَوْجَــكِ فــي الوغى مـتـقـلِّــدًا سـيفًا ورمحــا[6]

---

(١) في (ر) و(ف): «يدخلوها».

(٢) قرأ بها أبو جعفر كما في «النشر» لابن الجزري (٢/ ٢٤٧)، ونسبت أيضاً للحسن، والأعمش، وحميد، وشيبة. انظر: «الكامل في القراءات» لأبي القاسم اليشكري (ص: ٥٤٢).

(٣) في (أ): «وهو».

(٤) في (ف): «هو».

(٥) في (ف) و(أ): «أولا».

(٦) البيت لعبد الله بن الزِّبَعْرى، وهو في ديوانه (ص: ٣٢)، و«مجاز القرآن» لأبي عبيدة (٢/ ٦٨)، و«معاني القرآن» للفراء (١/ ١٢١)، و«الخصائص» لابن جني (٢/ ٤٣١) و«تفسير الطبري» =

أي: متقلِّدًا سيفًا ومعتقلًا رمحًا، وهنا يُضمَر: فاقصدوا، أو اختاروا.

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ﴾: أي: ذلك أقربُ إلى أنْ لا تجوروا، قال الشاعر:

بميــزانِ قســطٍ وزنُــه غيــرُ عائــلِ[1]

وأصلُ العَوْل: الخروجُ عن الحدِّ.

والعَوْلُ في الفرائض: الخروجُ عن حد السِّهام المسمَّاة.

والعَويلُ: الخروجُ عن حدِّ البكاء المعتاد.

* * *

(٤) ـ ﴿وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحۡلَةٗۚ فَإِن طِبۡنَ لَكُمۡ عَن شَيۡءٖ مِّنۡهُ نَفۡسٗا فَكُلُوهُ هَنِيٓـٔٗا مَّرِيٓـٔٗا﴾.

قوله تعالى: ﴿وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ﴾: أي: مهورَهنَّ، والواحدة: صَدُقة.

والإيتاءُ: الإعطاءُ، وله وجهان هاهنا: الالتزامُ[2] والتَّسليم، ويجوز أن يكونا جميعًا مرادَيْن؛ أي: سَمُّوا لهنَّ ذلك إذا عقدتم، وسلِّموا ذلك لهنَّ[3] إذا الْتَزمتم.

= (١/ ١٣٧). ويروى:

يــا ليــت بعلــك قــد غــدا

(١) قطعة من بيت لأبي طالب. انظر: «تفسير الطبري» (٦/ ٣٧٧)، و«تفسير ابن أبي حاتم» (٣/ ٨٦٠)، و«سيرة ابن هشام» (١/ ٢٧٧).

وللبيت روايات في المصادر، منها:

بميــزان قســط لا يخــس شــعيرة ووازن صــدق وزنــه غيــر عائــل

ومنها:

بميــزان صــدق لا يغــل شعــيرة له شــاهد مــن نفســه غيــر عائــل

(٢) في (ر): «الإلزام».

(٣) في (ف) و(أ): «إليهن».

قوله تعالى: ﴿نِحۡلَةٗ﴾: أي: عطيَّةً، وقد نَحَل نِحلَةً؛ أي: أعطى، ويجوز أن يكون حالًا بمعنى الفاعل، ويجوز أن يكون تفسيرًا، ويجوز أن يكون مصدرًا على غير لفظه، فإنَّ الإيتاء والنِّحلة بمعنًى واحد.

وقيل: معناه ﴿نِحۡلَةٗ﴾؛ أي: عطيَّة من الله لهنَّ.

وقال ابن عرفة: ﴿نِحۡلَةٗ﴾؛ أي: دَينًا، أي[1]: تَدينوا بذلك، فقد شرعَه الله لكم كذلك[2].

قوله تعالى: ﴿فَإِن طِبۡنَ لَكُمۡ عَن شَيۡءٖ مِّنۡهُ نَفۡسٗا﴾: أي: مِن المهر والصَّداق أو المال، فالكناية ترجع إلى المعنى، لا إلى المذكور؛ فإنَّ المذكور (صدقات)، وهي مؤنَّثة، ويجوز أن تكون راجعة إلى الـمُؤْتَى[3] الَّذي دلَّ عليه: ﴿وَءَاتُواْ﴾.

و﴿مِّنۡهُ﴾ ليس للتَّبعيض، بل للتَّجنيس.

و﴿نَفۡسٗا﴾ نصبٌ على التَّفسير عند الكوفيِّين، وعلى التَّمييز عند البصريِّين، وهما قريبان.

وأصل الفعل: للنَّفس، فلمَّا حُوِّلَ الفعلُ إليهنَّ ذُكِرَت النَّفس بيانًا للمراد، وهو كقولك: قرَّ فلانٌ عينًا، وضاق ذرعًا[4].

ولم يقل: (أنفسًا) ـ على الجمع ـ لأنَّه جنسٌ فصلح للجمع، وقال تعالى: ﴿بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا﴾ [الكهف: ١٠٣] على الجمع.

---

(١) «أي» من (أ).

(٢) في (أ): «فقد شرع الله كذلك».

(٣) في (ر): «المعنى».

(٤) يريد: أن هذا من التمييز المنقول عن الفاعل.

والفرق بينهما: أنَّ في قوله تعالى: ﴿طِبْنَ﴾ دلالةً على معنى الجمع فاكتفى بقوله: ﴿نَفْسًا﴾ كما في قولهم: عشرون درهماً.

وأمَّا في قوله: ﴿بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا﴾ إنَّما ذُكِرَ على الجمع لئلَّا يوهِم أنَّه عملٌ واحدٌ[1] أضيف إلى الجمع لرضاهم بوجوده من واحد، كما يضاف القتل إلى الجمع لأنَّهم[2] رضُوا به ومالؤوا[3] عليه.

قوله تعالى: ﴿فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا﴾: أي: طيِّبًا سائغًا، وقد هَنُؤَ الطَّعام يَهْنُؤُ فهو هنيءٌ، ومَرُؤَ يَمْرُؤُ فهو مريءٌ، مِن حدِّ شَرُفَ؛ أي: صار كذلك.

وهَنَأني الطَّعامُ ومَرَأني مِن حدِّ ضَرَبَ؛ أي: ساغ لي.

فإذا أفردوا قالوا: أمرأني بالألف، فأمَّا على الإتباع فيُقال: مرأني، كما يقال[4]: هنأني.

و﴿هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا﴾ نصبهما على الحال، ويجوز على الدُّعاء، كما يُقال: سقيًا ورعيًا.

ومعناه: فإن وهبَت المرأةُ للزَّوج مهرَها أو شيئًا منه عن طيبِ نفسٍ، بلا إكراهٍ ولا رهبةٍ ولا افتداءٍ مِن سوء عِشرةٍ = فليأكلْهُ الزَّوجُ هنيئًا مأمونَ التَّبِعة في الآخرة.

والمراد بالأكل: هو الانتفاع به؛ أكلًا كان ذلك أو غيرَه، وخصَّ الأكل بالذِّكرِ لأنَّه مُعْظَم[5] المقصود بالمال، كما ذَكر ذلك في مال اليتيم ومال الغير والرِّبا.

---

(١) «عملٌ واحدٌ» كذا ضبطت الكلمتان في النسخة الخطية، ويصح أن يكون التركيب إضافياً؛ أي: (عملُ واحدٍ)، ويمثل له بقولهم: بنو فلان قتلوا فلاناً، والقاتل واحد منهم.

(٢) في (ف) و(أ): «جماعة»، بدل: «الجمع لأنهم».

(٣) في (ر): «وتمالوا».

(٤) «كما يقال» ليس في (أ).

(٥) في (أ): «هو المعظم» وفي (ف): «هو معظم».

وقال الكلبيُّ: ﴿وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحۡلَةً﴾ خطاب للأولياء، وكان وليُّ المرأة إذا زوَّجها؛ فإنْ كانت معهم في العشيرة لم يعطها من المهر شيئًا، وإنْ كانت غريبةً حملوها على بعيرٍ إلى زوجها، فلم يكنْ لها إلَّا ذلك، فأمر الله تعالى الأولياء فقال: وأعطوا النِّساء صدقاتهنَّ، فإن طبْنَ لكم عن شيء منه نفسًا فكلوه هنيئاً لا إثم فيه مريئاً لا داءَ فيه[1].

وقيل: مَن اعتلَّ علَّةً فأعيى[2] علاجَها الأطبَّاء، فليُعطِ امرأته مِن مهرِها درهمًا[3]، وليستَوْهِبها ذلك، فإذا وهبَتْهُ له عن رضًا فليشترِ به عسلًا، وليأكلْهُ مع ماء السَّماء؛ فإذا اجتمع له الهنيءُ المريءُ والمبارك والطَّهور والشِّفاء، حصلَتْ له العافيةُ وزال الدَّاء[4]. ذكرَه الإمام أبو منصورٍ رحمه الله عن عليٍّ رضي الله عنه[5].

وقال: وفي الآية: أنَّ النَّفقة وإن كانت عليه فهي إذا قامَتْ بها بطِيب نفسها لم يُحرَجْ هو؛ لأنَّ نفقتها عليه ليسَتْ بأعظم من نفقتِه من مالها إذا أعطتْهُ، ووُصف بالهنيء المريء لأنَّه ربَّما يَستثقلُ الطَّبعُ أكلَ مالها كراهةَ الامتنان، أو بما كان عليه كفايتها، أو بما جرى من الوعيد الشَّديد في منع مهرها، أو بما قد تحتشمه[6] فتبذل له، أو بما يُوهِم الطَّمعَ في مالها والرَّغبةَ في النِّكاح لذلك؛ فطيَّبه اللهُ تعالى حتى وصفه بغاية ما يحتمِل المالُ من الطِّيب.

---

(١) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (١/ ٣٦٠)، والثعلبي في «تفسيره» (٣/ ٢٤٩).

(٢) في (ف) و(أ): «أعيى».

(٣) في مصادر التخريج: «ثلاثة دراهم».

(٤) في هامش (ف): «هذه نكتة شريفة ساقها فيمن أعيى داؤه الأطباء منوطة بالصحة».

(٥) ورواه عن علي ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٣٦٨٧)، وابن المنذر في «تفسيره» (١٣٤٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٨٦٢).

(٦) في (أ): «تعشمه».

وفيه: بيانُ جواز معروفها، وترغيبٌ في حسن المعاشرة بينهما، حتَّى أبقى ذلك بعد الفراق بقوله: ﴿إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَا۟ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ﴾ [البقرة: ٢٣٧]، وذلك ممَّا يُورث المحبَّة، أو يديمها؛ إذ جعلها الله تعالى بينهما بقوله تعالى: ﴿لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: ٢١][1].

***

(٥) - ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا﴾: قال السُّديُّ: لا تعطِ امرأتَكَ وولدَكَ مالَكَ، فيكونوا هم الَّذين يقومون عليك، وأطعمْهم مِن مالِكَ واكسُهم[2].

وقيل: لَمَّا قال: ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ﴾ ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً﴾ بيَّن بهذه الآية أنَّه إنَّما يجب الإيتاء إذا كانوا مِن أهل ولاية أخذ المال، فأمَّا إذا كانوا سفهاءَ غيرَ بالغين مصلِحين فلا يُدفع إليهم، ويُمسَك إلى أن يزولَ السَّفه.

وقال عكرمة ومجاهد: لا يُدفع صَداقُها إليها إذا كانت سفيهةً، ويُدفع إلى أبيها[3].

ورُوي أن رجلًا دفع مالًا إلى امرأته فدفعته في غير الحقِّ فنزلَت الآيةُ[4].

---

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٣/ ١٦).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٣٩٥).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٣٩٣)، وابن المنذر في «تفسيره» (١٣٥٠) عن مجاهد.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٣٩٣) من طريق المعتمر بن سليمان، عن أبيه قال: زعم حضرميٌّ أن رجلاً عمد فدفع ماله...، الخبر. وهو مرسل وحضرمي مجهول، قال ابن المديني: حضرمي شيخ =

وعلى هذا قوله: ﴿أَمْوَٰلَكُمُ﴾؛ أي: الأموالَ التي تَلُونها وتمسكونها وهي مملوكةٌ لليتامى والنِّساء.

أو على معنى: أنَّ الأموال في الجملة مجعولةٌ للنَّاس كلِّهم قوامًا لهم، وهذه الإضافة كالإضافة في قوله: ﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ﴾ [الطلاق: ١]، والبيوت للأزواج، لكنَّها في أيدي النِّساء وتصرُّفهنَّ وسُكْناهنَّ.

وقال الكلبيُّ: السُّفهاءُ: الجهَّال بمواضع الحقِّ، إذا علم أنَّ امرأتَه مُفسِدةٌ وولده مفسدٌ لم ينبغ له أن يسلِّطهم على ماله(١).

وعلى هذا قوله: ﴿أَمْوَٰلَكُمُ﴾ هو إضافةُ الملك إلى مالكه على الحقيقة.

قوله تعالى: ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا﴾؛ أي: جعَل المال.

وفيه تنبيهٌ على عظم خطر المال وعظم نفعه؛ أي: جعله الله تعالى قوامًا لمعاشكم في دنياكم الَّتي جعلها الله تعالى دارَ أعمالكم التي بها تتوصَّلون إلى نعيم الآخرة.

والقيامُ: اسمٌ، وليس بمصدر، وهو الذي تقوم به حياتُه، وتستقيم به أمورُه.

والقِوام بالكسر والفتح كذلك.

وقال معاويةُ بن قُرَّة: عوِّدوا النِّساء (لا)، لَئِنْ(٢) أطعْتَ المرأةَ أهلكَتْكَ(٣).

= بالبصرة روى عنه التيمي، مجهول وكان قاصاً، وقال أحمد: لا أعلم يروي عنه غير سليمان التيمي. قاله في «التهذيب».

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣/ ٢٥٢).

(٢) في (ر): «لأنك إن».

(٣) رواه سعيد بن منصور في «سننه» (٥٦٢)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣/ ٢٥١)، وابن حزم في «المحلى» (٨/ ٢٨٨).

قوله تعالى: ﴿وَٱرۡزُقُوهُمۡ فِيهَا وَٱكۡسُوهُمۡ﴾: أي: أَجْروا[1] على السُّفهاء من[2] أموالهم ما يقيمهم من[3] حوائجهم، واكسوهم قَدْرَ ما يحتاجون إليه، وأمسكوا الباقي.

قوله تعالى: ﴿وَقُولُواْ لَهُمۡ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا﴾: أي: حسنًا في العقول؛ أي: عرِّفوهم أنَّكم إنَّما تَلُونَ أموالهم حفظًا عليهم وصيانةً عن الضَّياع، إلى أن يزول السَّفه عنهم، ويصيروا أحقَّ بأموالهم، فتدفعونها[4] إليهم.

وعلى القول الآخَر: أي: قولوا للنِّساء والأولاد: إنِّي لو مِتُّ فهذا المال يكون لكم، وعلى هذا القول قيل[5]: أي: قولوا: في المال قلَّة، وفي العيال كثرة، ولولا ذلك لأعطيتُكم أكثر من هذا، فإنْ وسَّع الله عليَّ وسَّعْتُ عليكم، فإنَّ مع العسر يسرًا.

وقال الزَّجَّاجُ: أي: علِّموهم أمرَ دينِهم مع الإطعام والكسوة[6].

***

(٦) ـ ﴿وَٱبۡتَلُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنۡ ءَانَسۡتُم مِّنۡهُمۡ رُشۡدٗا فَٱدۡفَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ وَلَا تَأۡكُلُوهَآ إِسۡرَافٗا وَبِدَارًا أَن يَكۡبَرُواْۚ وَمَن كَانَ غَنِيّٗا فَلۡيَسۡتَعۡفِفۡۖ وَمَن كَانَ فَقِيرٗا فَلۡيَأۡكُلۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِذَا دَفَعۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡ فَأَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِمۡۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبٗا﴾.

قوله تعالى: ﴿وَٱبۡتَلُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰ﴾: أي: اختبروا اليتامى وامتحنوهم بدفع بعض

---

(١) في (أ): «أجزوهم».

(٢) في (ر) و(ف): «في».

(٣) في (ر): «في».

(٤) في (ف): «فتدفعوها».

(٥) في (أ): «وقيل»، بدل: «وعلى هذا القول قيل».

(٦) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ١٤).

أموالهم ليتصرَّفوا فيها، فيظهرَ رشدُهم ومعرفتُهم، وفيه دليلٌ على جوازِ إذنِ الصَّبيِّ العاقل بالتِّجارةِ[١].

قولُه تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ﴾: أي: الوطءَ؛ أي: قدروا على ذلك، وهو حالة الإنزال، وهو كنايةٌ عن البلوغ، وهو كما قال في آية أخرى: ﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ﴾ [النور: ٥٩].

قوله تعالى: ﴿فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا﴾؛ أي: أبصرتم، كما قال تعالى: ﴿إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا﴾ [طه: ١٠].

و﴿رُشْدًا﴾؛ أي: هداية في التَّصرُّفات، وصلاحًا في المعاملات.

قوله تعالى: ﴿فَٱدْفَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ﴾: أي: سلِّموا وردُّوا.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: ﴿وَٱبْتَلُواْ ٱلْيَتَٰمَىٰ﴾ يحتمِل وجهين:

أحدهما: الاختبار بالتَّصرُّف في المال على ما بيَّنَّا.

والثَّاني: أنْ يُبتلَى الأيتامُ قبلَ بلوغِهم بأنواع العبادات والآداب؛ ليعتادوا بها، ويتأدَّبوا بها؛ ليعرفوا حقوقَ الأموال وقَدْرها ويحفظوها إذا بلغوا؛ لأنَّهم إذا ابتُلوا بعد البلوغ لم يعرفوا ما عليهم، فكانَ في ذلك تضييعُ حقوقِ اللهِ[٢].

قوله تعالى: ﴿فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا﴾ اختلفَ العلماءُ فيمَنْ بلغَ مبذِّرًا سفيهًا؛ هل يُحجَر عليه؟

فأبو حنيفة رحمه الله لا يرى الحجرَ عليه في تصرُّفاته، وأبو يوسف رحمه الله يقول: لا يَنحجِر بذلك، لكن يستحقُّ حجرَ القاضي عليه، وقال محمَّد رحمه الله:

---

(١) في (ر): «وفيه دليل أن الصبي العاقل يجوز إذنه للتجارة».

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٣/ ٢٢).

يَنحجِر[١] بسفهه، ويُعرف ذلك في الفقهيَّات، وقد أوضحناه في «حصائل المسائل».

وقال الإمام أبو منصورٍ رحمه الله: لا يخلو منعُ المال منهم[٢] من أوجهٍ ثلاثةٍ:

إمَّا أن يُمنَع لفرط[٣] البذل والإنفاق جودًا وسخاوةً وحسنَ ظنٍّ بالله تعالى أنَّه يرزقُه ويُخلفه، وهذا لا يحتملُ[٤]؛ لأنَّه مِن أخلاق الأنبياء وسيرهم[٥]، فلا معنى للنَّهي عن ذلك.

أو يُمنعَ لغلبة شهوتهم، وقضاء وطرهم[٦]؛ فإنَّهم إنْ[٧] مُنعوا عن ذلك في أموالهم تناولوا من أموال غيرهم وتعاطَوا ما لا يحلُّ، فلا يحتمل[٨] أنْ يُمنعوا لذلك.

أو يُمنعَ عنهم مالهم لآفةٍ في عقولهم ونقصٍ في تدبيرهم؛ فإنْ كان[٩] لهذا يمنع[١٠] عنهم أموالهم، فيجب أن يُمنعَ أبدًا، لا مدَّةَ في ذلك، إلَّا بعد ارتفاعه وزواله عنهم[١١].

---

(١) في (ر): «ينحجر عليه».

(٢) في (ف) و(أ): «منه»، وفي (ر): «عنه»، والمثبت من «التأويلات».

(٣) في (أ): «بفرط»، والمثبت من باقي النسخ و«التأويلات».

(٤) في (ر): «يحل»، وفي (ف): «يحتمل الحجر»، والمثبت من (أ) و«التأويلات».

(٥) في (ف): «وسيرتهم»، ومثله في «التأويلات».

(٦) في (ر): «وطرهم فلا يحل أيضاً»، والمثبت من باقي النسخ و«التأويلات».

(٧) في (أ): «فإن هم».

(٨) في (ر): «يحل»، والمثبت من باقي النسخ و«التأويلات».

(٩) في (أ): «كانوا».

(١٠) في (ف) و(أ): «منع». والعبارة في «التأويلات»: (فإن كان لهذا ما يمنع).

(١١) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٣/ ٢٣)، وقال في الاحتمال الثالث: «وهو الوجه، يمنع منه حتى يؤنس منه الرشد».

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا﴾: أي: مجاوزةً عن الحدِّ، وليس فيه إباحةُ القليل وتحريمُ الإسراف، بل هو بيان أنَّه إسرافٌ.

وقيل: في قوله تعالى: ﴿فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ إباحةٌ للأكل من مال اليتيم لوصيِّه عند الحاجة، وهذا نهيٌ عن مجاوزة قَدْر الحاجة.

قوله تعالى: ﴿وَبِدَارًا﴾: أي: مبادرةً، وهي المسارعة.

قوله تعالى: ﴿أَن يَكْبَرُواْ﴾: أي: أن يبلغوا؛ أي: لا تأكلوا وأنتم تبادرون بلوغَهم، وهو كقولك: بادرْتُ مجيءَ زيدٍ؛ أي: فعلتُه قبلَ مجيئِه، ومعناه: تأكلون قبل بلوغِهم واستردادِهم مالهم منكم.

ثم ليس هذا قصرُ التَّحريم على الإسراف وعلى مبادرة البلوغ دون غيرهما، بل هو ذكرُ غالب الحال، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُكْرِهُواْ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾ [النور: ٣٣] ليس هو تحريم الإكراه على الزِّنى مقصورًا على حالِ إرادتهنَّ التَّعفُّف، بل هو ذكرُ غالب الحال، وهو في غير هذه[1] الحال كذلك.

قوله تعالى: ﴿وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ﴾: أي: مَن كان مِن الأوصياء غيرَ محتاجٍ فليتحرَّز عن أكل مال اليتيم.

قوله تعالى: ﴿وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾: قال الشَّعبيُّ ومجاهدٌ ومقاتلٌ والضَّحَّاكُ وسعيدُ بن جبيرٍ: فليأكل منه قرضًا على نفسه يؤدِّيه[2] إليه إذا بلغ[3].

---

(١) في (ف) و(أ): «ذلك».

(٢) في (أ): «فليؤديه».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٤١٢ ـ ٤١٦) عن عمر وابن عباس ـ رضي الله عنهم ـ وسعيد بن جبير ومجاهد والشعبي وعبيدة السلماني والحكم وأبي العالية وأبي وائل.

وعلى هذا قوله تعالى: ﴿فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ﴾؛ أي: إذا قضيتُم ذلك الدَّين فأشهدوا على القضاء؛ لأنه لا يُصدَّق في دعوى سقوطه عن ذمَّته إلَّا ببيِّنةٍ، بخلافِ دعواه ردَّ مالِه عليه بعينه أنَّه يُصدَّق فيه؛ لأنَّه مُؤتَمَنٌ في ذلك.

وقال أبو العالية وقتادة وجماعة: للوصيِّ التَّناولُ مِن نماء مال اليتيم، كشرب ألبان مواشيه، واستخدامِ عبيده، وركوبِ دوابِّه[١]، غيرَ مضرٍّ بمالِه، وليس له أخذُ أصول أموالِه؛ فإنَّه قال: ﴿فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ﴾، فحكمَ في أعيان أموالهم بدفعِها إليهم[٢].

وقال جماعةٌ منهم الكلبيُّ والذين نذكرهم في تفسير (المعروف): له أنْ يأكلَ مِن عين ماله بقَدْر حاجتِه مِن غيرِ عوضٍ[٣].

قال عمرُ رضي الله عنه: إنِّي أنزلْتُ نفسي مِن مالِ اللهِ منزلةَ الوليِّ مِن مالِ اليتيمِ، وتلا هذه الآية[٤].

---

(١) في (أ): «وركوبه ودوابه».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٤٢٠ ـ ٤٢٣) عن أبي العالية وقتادة وابن عباس والحسن والشعبي والضحاك.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٤٢٣ ـ ٦٢٦) عن عمر وعطاء وإبراهيم والحسن وعكرمة وعائشة والنخعي وابن زيد.

(٤) رواه ابن سعد في «الطبقات» (٣/ ٢٧٦)، وسعيد بن منصور في «سننه ـ التفسير» (٧٨٨)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٢٩١٤)، وابن شبة في «أخبار المدينة» (١١٤١)، والطبري في «تفسيره» (٦/ ٤١٢)، والثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٨٣) (ط: دار التفسير). ولا يصلح هذا شاهداً على جواز الأكل من عين المال على الإطلاق، بل فيه تقييد ذلك بالتعويض حين اليسار؛ أي: أنه على سبيل القرض، فقد جاء في تتمة الخبر: (فإذا أيسرت قضيت). وهذا القول من كون الأكل على سبيل القرض روي عن ابن عباس وجمع من أئمة التابعين قد تقدم ذكرهم قريباً، وهو لا يتعارض مع القول الآخر بأن للوصيِّ التَّناولَ مِن نماء مال اليتيم، كشرب ألبان مواشيه، واستخدامِ عبيده ونحو =

ثم اختلفوا في قوله: ﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾:

قال عكرمةُ والسُّديُّ: هو أن يأكل بأطراف أصابعِه، وليس له أن يجعل لباسه من ماله[١].

وقال قتادة في نزول هذه الآية: إن عمَّ ثابت بن وديعة ـ وفي رواية: ثابت بن رِفاعة[٢] ـ كان من الأنصار، وكان ثابتٌ يتيمًا في حِجره، فجاء إلى النبيِّ ﷺ وقال: يا نبيَّ اللهِ، إنَّ ابنَ أخي يتيمٌ، فماذا يحلُّ لي من ماله؟ فقال: «أنْ تأكلَ مِن مالِه بالمعروفِ مِن غير أن تقيَ مالَك بماله، ولا أنْ تتَّخذَ مِن مالِه وفرًا»[٣].

وقال إبراهيمُ النَّخعيُّ: له أن يأكلَ منه ما يسدُّ به جوعته، ويلبسَ ما يواري عورته[٤].

وكذا قال مكحول[٥].

وقال إبراهيم في رواية: هو أن يعمل في مال اليتيم بنفسه بقَدْرِ[٦] ما يأكل[٧].

= ذلك، لأن ذلك قد لا يكفيه ويضطر للأخذ، فيأخذ حينئذ على سبيل القرض، ويدل على هذا الجمع أن بعض الأئمة ممن ذكرناهم قد روي عنهم القولان جميعاً كما تقدم، والله أعلم.

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٤١٧ ـ ٤١٨) عن السدي وعكرمة وعطاء، وعن ابن عباس من رواية السدي.

(٢) وهي رواية الطبري، وفي «الدر المنثور»: «عم ثابت بن وداعة».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٤٢٢).

(٤) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٥١٢)، والطبري في «تفسيره» (٦/ ٤١٩)، وابن المنذر في «تفسيره» (١٣٨٩).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٤١٩).

(٦) في (ر): «قدر».

(٧) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٤٢٤).

وهو قول الشَّعبي وسعيدِ بن المسيِّب[١].

وقال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: ليس هو أمرًا بالأكل من مال اليتيم، بل معناه: فليأكل الوصيُّ من مال نفسه بقَدْر الحاجة، حتى لا يُضطر إلى أكل مال اليتيم[٢]، قال النبيُّ ﷺ: «ما عالَ امرؤٌ اقتصدَ»[٣].

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ﴾: أي: إذا رددْتُم أموالَ اليتامى إليهم فأشهدوا على ذلك النَّاسَ؛ تحرُّزًا عن الظُّنون الكاذبة والقالةِ[٤] السَّيئة، وعن توجُّه اليمين عليكم عند التَّناكُر.

قوله تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾: أي: محاسبًا يوم القيامة، فاتَّقوا أن تمنعوا

---

(١) وروي نحو هذا في الصحيح عن عائشة رضي الله عنها، رواه البخاري (٤٧٥٧)، ومسلم (٣٠١٩)، وفيه: ﴿وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ أنَّها نزلت في والي اليتيم إذا كان فقيراً، أنه يأكل منه مكان قيامه عليه بمعروف.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٤١١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٨٦٩).

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤٢٦٩)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٠١١٨)، و«المعجم الأوسط» (٥٠٩٤)، من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢٥٢): رواه أحمد، والطبراني في «الكبير» و«الأوسط»، وفي أسانيدهم إبراهيم بن مسلم الهجري، وهو ضعيف.

ورواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٢٦٥٦)، و«المعجم الأوسط» (٨٢٤١) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢٥٢): رواه الطبراني في «الكبير» و«الأوسط»، ورجاله وثقوا، وفي بعضهم خلاف.

قلت: لكن في إسناده انقطاع، وله شاهد من حديث طلحة بن عبيد الله رواه البزار في «مسنده» (٣٦٠٥) بلفظ: «من اقتصد أغناه الله»، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢٥٢): وفيه ممن أعرفه اثنان.

(٤) في (ر): «والمقالة».

من مال اليتامى شيئًا معتمدين[١] على أنَّ القولَ قولُ الأمين في حكم الدُّنيا، وهذا وعيدٌ شديدٌ.

وقيل: هذا يرجع إلى قوله تعالى: ﴿فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ ولا يُسرفْ، فإنَّ الله تعالى يحاسبه عليه ويجازيه به.

***

(٧) ـ ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا﴾.

قوله تعالى: ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾:

قال مقاتل بن حيَّان: إنَّ رجلًا توفِّي يُقال له: أوس بن ثابت، وتركَ امرأته أمَّ كُجَّة وثلاث بناتٍ لها، فمنع ميراثهنَّ عرفجةُ وسويدٌ، وهما ابنا عمِّ الميت، وكان أهل الجاهلية لا يورِّثون النِّساء ولا الولدان الصِّغار، ويورِّثون ذوي الأسنان منهم، ويحبسون[٢] اليتيمة ولا يتزوَّجونها لدمامتها، فانطلقت أم كُجَّة إلى النبيِّ ﷺ فقالت: يا نبيَّ اللهِ، إنَّ بناتي أبوهنَّ توفِّي وترك مالًا، وإنَّ عرفجةَ وسويدًا منعاهنَّ ميراثهنَّ، فأنزل الله تعالى ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾ الآية[٣].

وقال الكلبيُّ كذلك، لكنَّه سمَّى الرَّجلَيْن قتادة وعُرْفطة، ولم يبيِّن كم لهم، فأرسل رسول الله ﷺ إليهما: أن لا يقربا من مال أوسٍ شيئًا، فإنَّه ترك لبناته نصيبًا،

---

(١) في (أ): «متعمدين».

(٢) في (أ): «ويحتبسون».

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» (١/ ٣٥٩)، و«تفسير الثعلبي» (٣/ ٢٦٠ ـ ٢٦١).

ولم يبيِّن كم هو حتى أنظر كم هو، ولم ينزل في امرأته شيءٌ، فنزل عليه بعد ذلك قوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِىٓ أَوْلَـٰدِكُمْ﴾ الآية[١].

وفي رواية عكرمة وقتادة: قالا: إنَّ البنت لا تركب فرسًا، ولا تحمل كلًّا، ولا تنكأُ عدوًّا. فنزلَتِ الآية[٢].

قال مقاتلُ بن سليمان: فأخذت المرأةُ الثُّمن، والبنتان الثُّلثين، وابنا[٣] العمِّ الباقي[٤].

قوله تعالى: ﴿مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾: أي: حظًّا مقدَّرًا.

ونصبُه على الحال عند الزَّجَّاج للنَّصيب المذكور قبله[٥].

وقال علي بن عيسى: هو في موضع المصدر.

وقيل: هو مفعول بإضمار: (جعلْتُه) ونحو ذلك.

* * *

---

(١) انظر: «تفسير الثعلبي» (٣/ ٢٦٠ ـ ٢٦١)، وذكره ابن الأثير في «أسد الغابة» (٤/ ٢٣)، (٧/ ٣٧١) عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما، وعزاه ابن حجر في «الإصابة» (١/ ٢٩٣) إلى أبي الشيخ في «تفسيره» عن الكلبي، وعزاه (٨/ ٤٥٦) إلى الواقدي عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما. وروى نحو هذه القصة مختصرة الطبري في «تفسيره» (٦/ ٤٣٠) عن عكرمة، وابن أبي حاتم في تفسيره (٣/ ٨٧٢) من طريق ابن جريج عن ابن عباس، وإسناده منقطع فإن ابن جريج لم يسمع من ابن عباس.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٤٣٠) عن عكرمة.

(٣) في (أ) و(ر): «وأبناء».

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» (١/ ٣٥٩).

(٥) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ١٥).

(٨) ـ ﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾: بيَّنَ حكم الذين يرثون في الآية الأولى، وقال في هذه الآية: وإذا حضر قسمة الميراث الأقرباءُ الذين لا يرثون واليتامى من الأجانب والمساكين منهم فأعطُوهم شيئًا ممَّا يُقسَم، وقولوا لهم قولًا جميلًا: كنتم أحقَّ لأكثر من هذا، لكنْ أمكَنَ هذا القَدْر، ولا تؤذوهم بالمنِّ وسوء الرَّدِّ، وهذا نَدْبٌ واستحباب، وهو باقٍ لم يُنسخ على هذا التأويل.

وقال ابن المسيِّب: كان هذا واجبًا في الابتداء، ثم نسختها آية[1] المواريث والوصايا[2].

وقال مجاهد: هو حقٌّ ثابتٌ ما طابت الأنفس[3].

وقال[4] عكرمة: إذا أُتي بمالِ أيتام؛ فإنْ كان فيه فضلٌ رضِخ[5] منه لذوي قرابته ممَّن لا يرث، وإذا لم يكن فيه فضل اعتُذر إليهم[6].

وعلى هذا قولُه تعالى: ﴿فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ﴾: هو الرَّضخ إذا كان فيه فضل ﴿وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾: هو الاعتذار إليهم إذا لم يكن فيه فضلٌ.

---

(١) «آية» ليس في (أ).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٤٣٥)، وابن المنذر في «تفسيره» (١٤٢١).

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٥٢٦)، والطبري في «تفسيره» (٦/ ٤٣٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٨٧٥).

(٤) في (أ): «وكان».

(٥) الرضخ: العطاء ليس بالكثير. انظر: «الصحاح» للجوهري (مادة: رضخ).

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٤٤٣) من طريق عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وقيل[١]: إذا كان فيه منقولٌ رَزقوا هؤلاء منه، وإن كان عقارًا اعتذروا إليهم.

وقيل: إذا كان الورثة بالغين رضَخوا، وإن كان فيهم صغيرٌ اعتذروا؛ فيقول الوصيُّ: حقُّكم واجب وقرابتكم قريبة[٢]، ولو كان لي في المال نصيب لأعطيتكم، وإذا بلَّغْتُ[٣] الورثة فسيعرفون حقَّكم.

وقال جماعةٌ: ليس هذا في[٤] قسمة الميراث، بل هذا في قسمة المريضِ مالَه في ذوي قرابته بالوصيَّة، على ما كان الأمر عليه قبل نزول آية المواريث، فكان الرَّجل إذا حضره الموت أوصى بماله على ما يراه؛ لقوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾ الآية [البقرة: ١٨٠]، فأمر المريضَ في هذه الآية بما ذكر فيها.

وقوله تعالى: ﴿فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ﴾؛ أي: من المقسوم الَّذي دلَّ عليه قولُه: ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ﴾.

* * *

(٩) - ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾.

قوله تعالى: ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ﴾: قال ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: يعني به عند قسمةِ المريضِ مالَه بالوصيَّة، ينبغي للَّذي

---

(١) في (أ): «فيه».

(٢) في (ف): «قربته».

(٣) في (أ): «وإذا بلغ» وفي (ف): «فإذا بلغ».

(٤) في (ف) و(أ): «من».

حضره إذا أرادَ أنْ يوصيَ بثلثه في حجٍّ أو جهاد أو عِتاق أو صدقة أن يقول[١] للموصي: اتَّقِ اللهَ؛ فإنَّ لك ورثة عجَزةً عن أنفسهم، فيَبْقَون عيالًا على النَّاس، فرُدَّ ذلك عليهم، فإنَّها أعظمُ لأجرك[٢].

وتقدير الآية: وليَخفْ على عيال هذا الميت الذين يأمرونَه بالجُود في قسمتِه[٣] مالَه كما كانوا خائفين على عيال أنفسهم الصِّغار والضِّعاف مِن بعد موتِهم، فليتَّقوا اللهَ، وليأمروا بالعدل، ولينهَوه عن الجَور، وليقولوا للمريض قولًا سديدًا صوابًا.

وعن أنسٍ رضي الله عنه: أنَّ الخلفاء الرَّاشدين أبا بكر وعمرَ وعثمان وعليًّا رضوان الله عليهم أجمعين اتَّفق رأيهم في الوصيَّة على الخمس، وقالوا: الخمس في الوصيَّة اقتصادٌ، والرُّبع جهدٌ[٤] بالورثة، والثُّلث جَنَف؛ لأنَّ الله تعالى رضي الخمس لنفسه من مال الكافرين[٥].

---

(١) في (ف): «يقولوا».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٤٤٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٨٧٧).

(٣) في (ف): «قسمة».

(٤) في (ف): «جيد».

(٥) لم أجده. لكن روي في معناه أخبار كثيرة، منها ما رواه عبد الرزاق في «المصنف» (١٦٣٦١)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٠٩٢٥)، عن علي رضي الله عنه قال: لأن أوصي بالخمس أحب إلي من أن أوصي بالربع، وأن أوصي بالربع أحب إلي من أن أوصي بالثلث، ومن أوصى بالثلث فلم يترك شيئا. وروى البيهقي في «السنن الكبرى» (١٢٥٧٤) عن قتادة قال: ذكر لنا أن أبا بكر رضي الله عنه أوصى بخمس ماله وقال: (لا أرضى من مالي إلا بما رضي الله به من غنائم المسلمين)، وقال قتادة: وكان يقال: الخمس معروف، والربع، جهد، والثلث يجيزه القضاة.

وقيل: معنى الآية: وليخشَ مَن وَلِي مال اليتيم الَّذي يليه ما يخشاه في ولده الضِّعاف لو مات عنهم، فكما يحبُّ أن يُفعلَ بولده بعدَه فليفعلْ بولدِ غيره الَّذي يليه.

وقوله تعالى: ﴿فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾: أي: ولْيخاطبوا اليتيم مخاطبةً جميلة لا انتهار فيها.

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: إنَّ الله تعالى لم[1] يأمر مَن خلَّف أولادًا صغارًا وخافَ عليهم الضَّيعة والفقر أن يستكثر لهم الأموالَ، ويخلِّفَ لهم الأملاك، ولكنَّه أمرَهم أن يتَّقوا الله، فإنَّه يتولَّى الصَّالحين[2].

***

(١٠) ـ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾: أي الذين يتلفون أموال اليتامى بالأكل وغيره من وجوه الإتلاف وخص الأكل بالذكر لما مر أنه المقصود المعظم بأكل المال إنما يأكلون في بطونهم ناراً يصيرون به إلى التعذيب بنار جهنم وقوله ﴿ظُلْمًا﴾ نصب للحال وقيل هو على وجه المصدر بغير لفظه وإنما قيد به لأنه إذا أكل منه بالمعروف عند الحاجة أو بما قدر له القاضي بقدر عمله فيه لم يعاقب عليه.

---

(١) في (ف): «لا».

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (١/ ٣١٦).

أي: إن الذين يُتلفون أموال اليتامى بالأكل وغيره من وجوه الإتلافِ ـ وخصَّ الأكل بالذِّكر لِمَا مرَّ أنَّه المقصود المعظَم بأخذ المال ـ إنَّما يأكلون في بطونهم ما[١] يصيرون به إلى التَّعذيب بنار جهنَّم.

وقوله: ﴿ظُلْمًا﴾ نصب للحال، وقيل: هو على وجه المصدر بغير لفظِه، وإنَّما قيَّد به لأنَّه إذا أكل منه بالمعروف عند الحاجة أو بما قدَّره له القاضي بقَدْر عمله فيه لم يعاقَب عليه.

قوله تعالى: ﴿وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾: أي: سوف يدخلون النَّار المسعورة؛ أي: الملتهِبة، ويقاسون حرَّها.

وقد صَلِيَ النَّارَ يَصْلاها من حدِّ علمَ؛ أي: دخلها وقاسى حرَّها.

وأصلاه غيره إصلاءً وصلَّاه تصلية للتَّعدية، وصَلَيْتُ اللَّحم أَصْلِيهِ من حدِّ ضَرَب: شوَيتُه، واصْطَلى بالنَّار؛ أي: استَدْفأ بها[٢].

قال مقاتل بن حيَّان: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ﴾؛ أي: يستحلُّون، نزلت في مَرثد بن زيد الغطفانيِّ، ولي مال ابن أخيه فأكله، فنزلت هذه الآية[٣].

وقال السُّديُّ: يُبعثُ آكل مال اليتيم يوم القيامة والدُّخان يخرج من دبره، ومن فيهِ وأنفه وأذنيه وعينيه، فيعرفُه النَّاس أنَّه كان يأكل مال اليتيم في الدُّنيا[٤].

***

---

(١) في (ف): «نارًا».

(٢) في (ر): «استدفأها».

(٣) انظر: «تفسير الثعلبي» (٣/ ٢٦٣)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٤٤)، و«تفسير البغوي» (٢/ ١٧١).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٤٥٤).

(١١) - ﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ ۚ فَإِن كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ ۖ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ ۚ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ ۚ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ ۚ فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ ۚ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ ۗ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا ۚ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾.

قوله تعالى: ﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ ﴾: ذكرنا سببَ نزول هذه الآية[١] عند قوله تعالى: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ﴾ في حديث أم كُجَّة.

وسببٌ آخر: أن سعد بن الرَّبيع النَّقيبَ استُشهد يوم أحد وترك ابنتين وامرأةً وأخا[٢] الرَّبيع، فأتَتْ امرأتُه النبيَّ ﷺ وقالت: يا رسول الله، إنَّ الرَّبيع أخذ كلَّ شيء لسعد، وترك ولده[٣] عالة لا مال لهم، فقال النبيُّ ﷺ: «إنَّ الله يرى مكانهما، إن يشأ يُنزل فيهما»، فرجعَتْ فمكثَتْ[٤] أيَّامًا، ثم عادَتْ فأعادَتْ ما قالَتْ، ثم قالَتْ[٥]: إنَّهما لا يتزوَّجان إذا لم يكن لهما مال. وبكَتْ، فنزل الوحي على رسول الله ﷺ: ﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ ﴾، فدعاهم رسول الله ﷺ، وأقرأهم الذي أُنزل عليه، وقال للعمِّ: أعطِ الابنتين الثُّلثين، والمرأة الثُّمن، ولك ما بقي، فكان ذلك أوَّلَ ميراث قُسم بين المسلمين[٦].

---

(١) في (أ): «سبب نزولها».

(٢) في (أ) و(ف): «وأخاه».

(٣) في (ر): «أولاده».

(٤) في (ف): «فرجعت ومكثت»، وفي (ر): «ورجعت ومكثت».

(٥) في (أ): «وقال»، وفي (ف): «وقالت»، بدل: «ثم قالت».

(٦) رواه أبو داود (٢٨٩١، ٢٨٩٢)، والترمذي (٢٠٩٢)، وابن ماجه (٢٧٢٠)، من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما. قال الترمذي: حسن صحيح.

وقوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡ﴾؛ أي: يقول لكم قولًا يوصلُكم إلى إيفاء حقوق الأولاد بعد موتكم. هذا حقيقةُ هذه الكلمة، ومَن قال: أوصني[1]، فمعناه: أوصلني إلى علم ما أحتاج إلى علمه.

والدليل على أنه بمعنى القول: أنَّه أتى بعده بخبر مستأنف، وهو قوله تعالى: ﴿لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ﴾: فدلَّ أنَّ تقديرَه: يقول الله لكم: ﴿لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ﴾، وهو كقوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٞ﴾ [المائدة: ٩]؛ لأن الوعدَ قولٌ، فصار تقديره: قال الله تعالى، فارتفع لذلك ﴿مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٞ﴾، وكذا كلُّ ما جرى مجراه؛ قال الشاعر:

إنـي سـأبدي لـك فيمـا أبـدي
لـي شَـجَنان شـجنٌ بنجـد
وشـجنٌ لـي ببـلاد الهنـد[2]

(شجنان) رُفع لأنَّ الإبداء قول.

وقيل: أُضمر في هذا كلِّه[3] (أنْ) الخفيفةُ، وتقديره: يوصيكم الله أنْ للذَّكر مثلُ حظ الأنثيين، فيقع الفعل على (أنْ) فينتصب[4] هو، وكذلك قوله: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ﴾. قاله الكسائيُّ[5].

---

(١) في (ر): «وأوصى».

(٢) الرجز بلا نسبة في «معاني القرآن» للفراء (١/ ٨٠)، و«تفسير الطبري» (٢/ ٥٨٢)، و«الظرف والظرفاء» للوشاء (ص: ١٠٠). قال الفراء: أنشدني الكسائي...، وذكره.

(٣) في (ف): «كلمة».

(٤) في (ف) و(أ): «فينتصب».

(٥) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٨٠).

وقوله تعالى: ﴿فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡ﴾: قيل: أي: في أولاد الموتى. وقيل[(١)]: في أولاد موتاكم. وقيل: أي: في أولادكم بعد موتكم.

قوله تعالى: ﴿لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ﴾؛ أي: إنْ ترك ابنًا وابنتين، فللابن سهمان ولكلِّ بنتٍ منهما سهم، وعلى هذا لو ترك ابنًا وبنتًا، أو ابنًا وابنتين، أو ابنين وبنتًا، أو ابنين وابنتين، أو ابنًا وبنات[(٢)]، أو بنتًا وبنين، أو بنين وبنات، فلكلِّ ابنٍ سهمان، ولكلِّ بنتٍ سهمٌ.

قوله تعالى: ﴿فَإِن كُنَّ نِسَآءٗ﴾: ﴿كُنَّ﴾ لجمع الإناث، واسم ﴿كُنَّ﴾ للإناث على الإضمار، فقد سبق ذكر الأنثيين، و﴿نِسَآءٗ﴾ خبرُ قوله: ﴿كُنَّ﴾، فنُصب لذلك.

قوله تعالى: ﴿فَوۡقَ ٱثۡنَتَيۡنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَۖ﴾: ﴿فَوۡقَ﴾ نصب؛ لأنَّه كالنَّعت أو التَّرجمة عن عددهنَّ؛ أي: إنْ كنَّ البنات ثلاثًا أو أكثر من ذلك فلهنَّ الثُّلثان فرضًا، والباقي للعَصَبة إن كان.

فأمَّا البنتان: فعند ابن عبَّاس رضي الله عنهما لهما النِّصف؛ لأنَّ الله تعالى جعل الثُّلثين لما فوق الابنتين، ولم يبيِّن فرض الابنتين[(٣)]، فيكون لهما النِّصف الَّذي ذُكر للواحدة[(٤)].

---

(١) «في أولاد الموتى وقيل» من (ف).

(٢) في (ف): «أو ابنتين أو ابنين وبنتًا أو ابنًا وبنات أو بنتًا وابنين أو بنيناً» بدل: «ابنًا وابنتين أو ابنين وبنتًا أو ابنين وبنتين أو أبناءً وبنات».

(٣) في (ر): «اثنتين»، وفي (ف): «الاثنين». كلاهما في الموضعين.

(٤) ذكره ابن عبد البر في «التمهيد» (٥/ ٣٢٣) وقال: هذه الروايةُ مُنكَرةٌ عندَ أهلِ العلمِ قاطبةً، كلُّهم =

وقال عامَّة الصَّحابة رضوان الله عليهم ـ وهو قول عامَّة العلماء ـ: لهما الثُّلثان أيضًا.

وقال الإمامُ أبو منصورٍ رحمه الله: بيانُ الحقِّ للثَّلاث بيانٌ للاثنتين؛ لأن الله تعالى جعل ميراث الواحدة من الأخوات النِّصف بقوله تعالى: ﴿وَلَهُۥٓ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ﴾ [النساء: ١٧٦]، كما جعل حقَّ البنت النِّصفَ إذا لم يكن معها ذكرٌ بقوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَتْ وَٰحِدَةً فَلَهَا ٱلنِّصْفُ﴾، ثم جعل للأختين الثُّلثين بقوله تعالى: ﴿فَإِن كَانَتَا ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ﴾، فإذا نزلت الأخوات منزلة البنات في استحقاق النِّصف إذا كانت واحدةً، واستحقاقِ الثُّلثين إذا كانتا اثنتين فصاعدًا، فعلى ذلك نزل بيان الحكم في الأختين منزلةَ بيان الحكم في البنتين[1].

قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَتْ وَٰحِدَةً﴾: أي: كانت البنتُ واحدة ﴿فَلَهَا ٱلنِّصْفُ﴾؛ أي: فرضًا، والباقي للعصبة إن كان.

ودلَّ هذا على أنَّ الابن[2] إذا انفردَ فله كلُّ المال؛ فإنَّه قال: ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾، والأنثى المنفردةُ لها نصفُ واحد، فالذَّكر المنفرد له نصفان، وهو كلُّ المال.

قوله تعالى: ﴿وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٌ﴾: أي: فرض

= ينكرها ويدفعها بما رواه ابن شهابٍ عن عُبَيدِ الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن ابن عباسٍ: أنه جَعَل للبنتَيْنِ الثُّلُثَيْنِ، وعلى هذا جماعةُ الناسِ، وقد رُوِي عن النبيِّ ﷺ من أخبارِ الآحادِ العُدُولِ مِثْلُ ما عليه الجماعةُ في ذلك.

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٣/ ٤٠).

(٢) في (ر): «ودل هذا أنه».

كلِّ واحدٍ من الوالدَين سدسُ المال إذا[1] كان للميِّت ولدٌ، فإنْ كان الولد ذكرًا فهو العصَبة، وليس للأب إلَّا السُّدس بالفرض.

فإن كان الولد أنثى فليس لها إلَّا النِّصف فرضًا، وللأب سدسُ المال فرضًا، وله باقيه بالتعصيب؛ لقول النبيِّ ﷺ: «ألحِقوا الفرائضَ بأهلِها، فما أبقَتْ فلأولى رجلٍ ذَكَرٍ»[2].

قوله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ﴾: أي: فإنْ لم يكن للميِّت ولدٌ ذكرٌ أو أنثى وكان له أبوان ورثاه، وكان للأم الثُّلث، وهو بيانٌ أنَّ[3] الباقي للأب، فإنَّه[4] عصبة؛ فقد قال تعالى: ﴿وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ﴾، فجعلهما وارثَين، وبيَّنَ نصيبَ أحدهما وهو الأم، فكان بيانًا أنَّ الباقيَ نصيبُ الآخر، وهو الأب.

قوله تعالى: ﴿فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ﴾: هذا يقع على الثَّلاثة من الذُّكور والإناث، من الإخوة لأب وأم، أو لأب، أو لأم، أو مختلفَين؛ قال الله تعالى: ﴿وَإِن كَانُوٓا۟ إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَآءً﴾ [النساء: ١٧٦].

قوله تعالى: ﴿فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ﴾: فأمَّا الاثنان منهم ـ أي: أخوان، أو أختان، أو أخ وأخت ـ فعند عامَّة الصحابة رضوان الله عليهم، وهو قول عامَّة العلماء كذلك.

---

(١) في (ف): «إن».

(٢) رواه البخاري (٦٧٣٢)، ومسلم (١٦١٥)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) «أن» من (ف)، وفي (أ): «لأن».

(٤) في (ف): «وأنه».

وقال ابنُ عبَّاس رضي الله عنهما: للأمِّ الثُّلث في هذه الحالة[١]، كما إذا كان للميِّت أخٌ واحدٌ أو أختٌ واحدةٌ؛ لأنَّ اللهَ تعالى إنَّما حجبَ الأمَّ عن[٢] الثُّلث ونقلَ حقَّها إلى السُّدسِ إذا كان للميِّت إخوةٌ، وهو اسمُ جمعٍ.

وقلنا: ألحق الله تعالى الأختين بالأخوات في حقِّ الاستحقاق، حتى جعل لهما الثُّلثين، فكان ذلك إلحاقًا لهما بهنَّ في حقِّ حجب الأمِّ؛ لأنَّ الحجب دون الاستحقاق.

قوله تعالى: ﴿مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصِي بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍ﴾: قرأ ابنُ كثير وابنُ عامر وعاصمٌ في رواية أبي بكر بفتح الصَّاد على ما لم يُسمَّ فاعله[٣]؛ لأنَّ الموصي غيرُ مذكور، وقرأ الباقون بكسرها؛ لأنَّ الميت مذكورٌ كنايةً في قوله: ﴿إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٞ﴾؛ يعني: هذه السِّهام للورثة بعد تنفيذ وصيَّته على وجهها، وبعد قضاء دينه.

وعن عليٍّ رضي الله عنه أنَّه قال: إنَّكم تقرؤون في كتاب الله تعالى الوصيَّة قبل الدَّين، وإنِّي سمعْتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «الدَّينُ قبلَ الوصيَّة»[٤].

وليس هذا بتغييرٍ لظاهر النَّظم، بل هو تفسيرٌ لحاصل الحكم؛ يعني: أنَّ الورثة لا يرثون إلَّا بعد هذين.

ثم الدَّينُ أهمُّ، وهو من جميع المال، ولا تنفَّذُ الوصيَّة إلَّا بعد قضاء الدَّين، والوصيَّة نفاذُها من الثُّلث ولا تنفَّذ في أكثر من ذلك.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٤٦٤).

(٢) في (أ): «من».

(٣) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٢٨)، و«التيسير» (ص: ٩٤).

(٤) رواه الترمذي (٢٠٩٤)، وابن ماجه (٢٧١٥)، وقال الترمذي: هذا حديث لا نعرفه إلا من حديث أبي إسحاق عن الحارث عن علي، وقد تكلم بعض أهل العلم في الحارث، والعمل على هذا الحديث عند عامة أهل العلم.

ولَمَّا كان المراد أنَّ كلَّ واحدٍ منهما يمنع من[١] الميراث كانَ البَدء بهذا أو ذاك[٢] سواءً ثَمَّ، أو يكون لأحدهما فبان أنَّ أحدهما إذا انفرد مَنَعَ، وإذا اجتمعا وكلُّ واحد منهما مانعٌ مَنَعا أيضًا[٣].

قوله تعالى: ﴿ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ لَا تَدۡرُونَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ لَكُمۡ نَفۡعٗا﴾: ﴿ءَابَآؤُكُمۡ﴾ رفعٌ بالابتداء، و﴿أبناؤكم﴾ عطفٌ عليه، وما بعده من الجملة خبرٌ لهما.

و﴿لَا تَدۡرُونَ﴾ فعلٌ متعدٍّ، لكن لم ينصب كلمة (أيّ) لأن كلمة (أيّ) ابتداءٌ، و﴿أَقۡرَبُ﴾ خبرٌ له، والفعل لا يعمل في الجملة التَّامَّة صورةً.

و﴿نَفۡعٗا﴾ نصبٌ على التَّفسير، ومعناه: أنَّ اللهَ تعالى قد[٤] تولَّى قسمة المواريث ولم يَكِلْها[٥] إلى اجتهادكم، والتَّفاوتُ في السِّهام بتفاوت[٦] المنافع، وأنتم لا تدرون تفاوتها، والانتفاع ثابتٌ في الدُّنيا والآخرة؛ قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ﴾[٧] الآية[٨] [الطور: ٢١]، فإذا أسلمَ أحدُ الأبوَيْن تبعَه الولد الصَّغير في الإسلام، ثم بينهم التَّحامي والتَّناصُرُ والخدمة والبِرُّ والصِّلة واستحقاقُ العِتق والصَّدقة[٩] والنَّفقة، وفي الآخرة يشفعُ بعضُهم لبعضٍ، ويلحق المقصِّر

(١) «من» من (أ) و(ف).

(٢) في (أ): «كان البداية بها وذاك»، وفي (ف): «كان البداية بهذا وذاك».

(٣) في (ر): «منع أيضاً» وسقطت العبارة من (ف).

(٤) «قد» ليست في (أ) و(ف).

(٥) في (ر): «قسمة الميراث ولم يكله».

(٦) في (أ): «وبالتفاوت في السهام بتفاوت»، وفي (ر): «والتفاوت السهام يتفاوت».

(٧) في (ف) و(أ): «وأتبعناهم ذرياتهم» بدل: «﴿وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم﴾».

(٨) في (أ): «﴿أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ﴾».

(٩) «والصدقة» ليس في (أ) و(ف).

بدرجة الموفِّر، ولا سبيل للعباد على الوقوف على حقيقة ذلك، فتولَّى الله تعالى ذلك فضلًا منه.

وقوله تعالى: ﴿أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا﴾: أي: أنفعُ وأرجى في الدَّارين.

قوله تعالى: ﴿فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ﴾: أي: مقدَّرةً موجَبة منه، ونصبُه على الوجه الَّذي قلنا في قوله تعالى: ﴿نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾: أي: عليمًا بمصالحكم وبعجزكم عن موافقة الصَّواب لو وكَل الأمر في التَّقدير إليكم، ﴿حَكِيمًا﴾ فيما قدَّر وحكَم وبيَّن.

* * *

(١٢) - ﴿۞ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم مِّن بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِن كَانُوا أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ﴾: أي: زوجاتُكم، فالمرأة تسمَّى زوجةً، ويجمع على الزَّوجات، وزوجًا يجمع على الأزواج؛ قال تعالى: ﴿وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا﴾ [البقرة: ٢٣٤].

وقوله تعالى: ﴿إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ﴾: أي: ابن أو بنت، ويقع على الواحد[1] والجمع، وعلى ولد الصُّلب وولد الابن وولدِ ابن الابن وإن سَفُلوا.

---

(١) في (أ): «الواحدة».

قوله تعالى: ﴿فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ﴾: فينتقِصُ بسبب الولد، وهو ما فسَّرنا في حقِّ الزَّوج، فيصير النِّصفُ ربعًا.

وقوله تعالى: ﴿مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ﴾: وتفسيرُه ما مرَّ في الآية الأولى.

قوله تعالى: ﴿وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ﴾: أي: للزوجات ﴿إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ﴾: وهو ما فسَّرناه.

قوله تعالى[1]: ﴿فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم ۚ مِّنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ﴾: مرَّ تفسيرُه.

وقولُه تعالى: ﴿وَإِن كَانَ رَجُلٌ﴾: الرَّجل هاهنا هو الميت.

وقوله تعالى: ﴿يُورَثُ﴾: أي: يُنالُ ميراثُه، فعلُ ما لم يُسمَّ فاعلُه من قولك: وَرِثَ، لا من قولك: أورَثَ، ويصح فعلُ ما لم يُسمَّ فاعله منه لأنَّه فعلٌ متعدٍّ، تقول: ورثْتُ فلانًا، ولا تقول: ورثْتُ من فلان؛ قال تعالى: ﴿وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ﴾ [النساء: ١١]، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ يَرِثُهَآ﴾ [النساء: ١٧٦]، وقال تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾ [النمل: ١٦].

قوله تعالى: ﴿كَلَٰلَةً﴾: أي: يُنال إرثُه على كونه ميتًا لا ولدَ له ولا والد.

والكلالةُ[2]: مصدرُ الكَلِّ، قال صاحب «ديوان الأدب»: والكَلُّ: هو الَّذي لا ولدَ له ولا والد[3]، بل له إخوة وأخوات، من قولِكَ: تكلَّله[4] الشَّيء؛ أي: أحاطَ به.

---

(١) «قوله تعالى» من (ف).

(٢) في (ف): «والكلال» وهما بمعنى.

(٣) انظر: «معجم ديوان الأدب» لإسحاق الفارابي (٣/ ١٠).

(٤) في (أ): «تكلل».

قوله تعالى: ﴿أَوِ ٱمۡرَأَةٞ﴾: عطف على قوله: ﴿رَجُلٞ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوۡ أُخۡتٞ﴾: ولم يقل: (لهما)؛ لأنَّه[1] أدخلَ بينهما: (أو) فثبَّت أحدهما، وهو كقوله تعالى: ﴿وَمَن يَكۡسِبۡ خَطِيٓـَٔةً أَوۡ إِثۡمٗا ثُمَّ يَرۡمِ بِهِۦ بَرِيٓـٔٗا﴾ [النساء: ١١٢]، وكان يجوز التَّثنية كما في قوله تعالى: ﴿إِن يَكُنۡ غَنِيًّا أَوۡ فَقِيرٗا فَٱللَّهُ أَوۡلَىٰ بِهِمَاۖ﴾ [النساء: ١٣٥].

وقوله: ﴿وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوۡ أُخۡتٞ﴾؛ أي: لأمٍّ، على هذا إجماع الصَّحابة والعلماء.

وفي مصحف سعد بن أبي وقَّاص: (وله أخٌ أو أختٌ من أمٍّ)[2].

قوله تعالى: ﴿فَلِكُلِّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُۚ﴾: أي: لا يُفضَّل الذَّكر على الأنثى.

قوله تعالى: ﴿فَإِن كَانُوٓاْ أَكۡثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمۡ شُرَكَآءُ فِي ٱلثُّلُثِۚ﴾: أي: الاثنان والأكثر ذكورًا كانوا[3] أو إناثًا أو مختلِطين يستوون في الثُّلث، لا يفضَّل الذَّكر منهم على الأنثى؛ لأنَّ الشِّركة تقتضي التَّسوية[4].

قوله تعالى: ﴿مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصَىٰ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍ﴾: قد مرَّ تفسيرُه.

قوله تعالى: ﴿غَيۡرَ مُضَآرّٖۚ﴾: نصبٌ على الحال؛ أي: لا يكون هذا الموصي بما أوصَى قاصدًا الإضرار بالورثة بما فعَل.

وعن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما موقوفًا عليه ومرفوعًا: «الضِّرار في الوصيَّة[5]

---

(١) في (ف): «لما».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٤٨٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٨٨٧).

(٣) «كانوا» ليس في (أ).

(٤) في هامش (ر): «لأنهم يستحقون بقرابة الأم والأم ترث أكثر من الثلث بالفرضية» وبجانبها علامة لعلها للتصحيح.

(٥) في (أ): «بالوصية».

من الكبائر»، وهو أن يوصي بأكثرَ من الثُّلث، أو يقرَّ لأحدٍ بدينٍ كاذبًا، أو يبيعَ أو يشتري بغُبْن[1].

قوله تعالى: ﴿وَصِيَّةً مِّنَ ٱللَّهِ﴾: كما قال في الآية الأولى: ﴿فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ﴾، ولنصبه وجوهٌ كثيرةٌ، أوجَهُها: أنَّه مصدر لقوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡ﴾ الآيةَ الأولى.

وقيل: هو على التَّفسير.

وقيل: هو على القطع.

وقيل: هو على الإغراء.

وقيل: هو مفعول لقوله ﴿غَيۡرَ مُضَآرّٖ﴾.

وقال الفرَّاء: لكلِّ واحدٍ منهما السُّدس وهم شركاء في الثُّلث وصيةً من الله، كما يُقال: هذا الدِّرهم لك معونةً على كذا، أو هبةً منِّي لك[2].

قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٞ﴾: ﴿عَلِيمٌ﴾ بالمطيع من العباد والعاصي، ﴿حَلِيمٞ﴾ لا يعاجل عاصيهم بالعقوبة، بل يُمهل؛ إذ لا يعجزُه شيءٌ ولا يفوتُه أمرٌ.

---

(١) رواه مرفوعًا الطبري في «تفسيره» (٦/ ٤٨٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤٩٣٩)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٨٩٤٧)، والدارقطني في «سننه» (٤٢٩٣).
ورواه موقوفًا عبد الرزاق في «المصنف» (١٦٤٥٦)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٠٩٣٦)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١١٠٦٢)، والطبري في «تفسيره» (٦/ ٤٨٦)، وابن المنذر في «تفسيره» (١٤٥٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٨٨٨). وقال الحافظ في «الفتح» (٥/ ٣٥٩): (رواه النسائي ورجاله ثقات). وروى المرفوع البيهقي في «السنن الكبرى» (٦/ ٢٧١)، ثم أتبعه الموقوف وقال: هذا هو الصحيح موقوف.. ورفعه ضعيف.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٢٥٨).

(١٣) - ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾.

قوله تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ﴾؛ أي: معالمُ دِينه بيَّن فيها حلالَه[1] وحرامَه، وطاعتَه ومعصيته.

قوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾: شرطٌ وجزاءٌ في وعد المطيعين.

* * *

(١٤) - ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾: شرطٌ وجزاءٌ في وعيد الكافرين.

ولا حجَّة فيه للخوارج والمعتزلة في تخليد صاحب الكبيرة في النَّار؛ فإنَّ الآية في حقِّ الكفَّار؛ لأنَّ الكافر هو الَّذي يتعدَّى الحدود كلَّها، ويكون عاصيًا في كلِّ شيء، فأمَّا المؤمن العاصي فهو مطيع بالإيمان، غيرُ متعدٍّ حدَّ التَّوحيد.

وقال الضَّحَّاك: المعصية هاهنا هي الشِّرك[2].

وقال الكلبيُّ: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾؛ أي: يَكفرْ بقسمة المواريث، ﴿وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ﴾ استحلالًا[3].

---

(١) في (أ) و(ف): «معالم بيّن حلاله».

(٢) ذكره الواحدي في «البسيط» (٦/ ٣٧٥).

(٣) ذكره الواحدي في «البسيط» (٦/ ٣٧٦).

وروى نحوه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٤٩١) عن ابن عباس رضي الله عنهما. وابن أبي حاتم في =

وروى صفوانُ بن سليمٍ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «مَن قطعَ ميراثًا فرضَه اللهُ تعالى قطعَ اللهُ ميراثَه مِن الجنَّةِ»[1].

وقوله تعالى: ﴿وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ يدلُّ على هوانه على الله، وسقوطِ قَدْره عنده، وهو نقيض حال أهل الجنَّة فإنَّهم في جنَّات مُكرَمون.

وقال في حقِّ الكافر: ﴿وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا﴾ وأضافَ الإهانة إلى العذاب لأنَّ الهوان يقع به، والـمُهين في الحقيقة هو الله تعالى؛ قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ﴾ [الحج: ١٨].

* * *

(١٥) - ﴿وَٱلَّٰتِى يَأْتِينَ ٱلْفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ فَٱسْتَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ ۖ فَإِن شَهِدُوا۟ فَأَمْسِكُوهُنَّ فِى ٱلْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾.

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّٰتِى يَأْتِينَ ٱلْفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ﴾: (اللَّاتي): جمع الَّتي، وكذا اللَّواتي واللَّائي[2].

= «تفسيره» (٣/ ٨٩٢) عن سعيد بن جبير ومجاهد.

(١) هذا مرسل، وروي فيه أحاديث مرفوعة ومرسلة، فمن المرفوع: ما رواه ابن ماجه (٢٧٠٣) عن أنس بن مالك رضي الله عنه. قال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (٣/ ١٤١): هذا إسناد ضعيف لضعف زيد العمي وابنه عبد الرحيم.

ومنه: ما رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٧٥٩٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وفيه أبو أيوب مولى عثمان بن عفان، قال عنه الذهبي في «الميزان»: لا يعرف.

أما المرسل؛ فرواه سعيد بن منصور في «سننه» (٢٨٥)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣١٠٤١) عن سليمان بن موسى عن النبي ﷺ. ورواه سعيد بن منصور في «سننه» (٢٨٦) عن عمران بن سليمان عن النبي ﷺ. وكلاهما مرسل.

(٢) في (أ): «واللاء».

والفاحشة: الفعلةُ القبيحةُ، وهي الزِّنا هاهنا.

واتصالها بما قبلَها: أنَّه أمر بالإحسان إليهنَّ في أوَّل آيات السُّورة، وأمر هاهنا بالتَّغليظ عليهنَّ إذا زنَين، وهو إحسانٌ إليهنَّ في الحقيقة، ونظرٌ لهنَّ في الآخرة، وإصلاحٌ لهنَّ(١)، وبيانٌ أنَّه ليس من الإحسان تعطيل الحدود الواجبة عليهنَّ، بل فيه إفسادُهنَّ.

وفيه أيضًا تعريف أنَّ الله تعالى كما يستوفي لعباده، كذلك(٢) يستوفي عليهم؛ إذ ليسَ في حُكمه محاباةٌ.

قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ﴾: أي: اسألوا أيُّها الأئمة الَّذين إليكم إقامةُ الحدود شهادةَ أربعة من الشُّهود على زناهنَّ.

وقوله تعالى: ﴿فَإِن شَهِدُوا۟﴾: أي: شهد(٣) الأربعة على ذلك ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ فِى ٱلْبُيُوتِ﴾؛ أي: احبسوهنَّ، وكان هذا حدَّ الزِّنا في الابتداء.

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلْمَوْتُ﴾: أي: إلى أنْ يستوفيَ مدَّةَ حياتهنَّ الموتُ.

قوله تعالى: ﴿أَوْ يَجْعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾: أي: مَخْلَصًا عن الحبسِ بشيءٍ آخر، وقد جعل ذلك، وهو فيما(٤) روى عبادةُ بنُ الصَّامت رضي الله عنه أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «خذوا عنِّي، قد جعلَ اللهُ لهنَّ سبيلًا: البكرُ بالبكرِ جلدُ مئةٍ وتغريبُ عامٍ، والثَّيِّبُ بالثَّيِّبُ جلدُ مئةٍ ورجمٌ بالحجارة»(٥).

---

(١) في (ر): «إليهن» في الموضعين.

(٢) في (ر) و(ف): «كذا».

(٣) في (أ): «أي شهداء» وفي (ر): «الشهداء».

(٤) في (أ): «وآخر ما»، بدل: «وهو فيما».

(٥) رواه مسلم (١٦٩٠).

فأمَّا الجمع بين الجلد والرَّجم فقد قال به بعضُ النَّاس بهذا الحديث، وعند عامَّة العلماء يرجَم المحصَن ولا يجلَد؛ لحديثِ ماعزٍ فإنَّ النبيَّ ﷺ رجمَه من غير جلدٍ، ولحديث العَسيفِ؛ فإنَّ النبيَّ ﷺ قال لأُنيس: «اغدُ على[1] امرأةِ هذا، فإنِ[2] اعترفَتْ بالزِّنى فارجمْها»[3]، ولم يقلْ: فاجلدها ثم ارجمها.

فانتسخَ هذا الحديثُ بذلك في حقِّ الجلدِ، أو هو محمولٌ على حالَتَيْن[4]، وهو أنَّ الثَّيِّبَ الَّذي لم يجتمعْ فيه شرائطُ الإحصان يُجلَد، وإذا[5] كان محصَنًا يُرجم.

فأمَّا الجمعُ بين الجلد والنَّفي في غير المحصَن فقد قال[6] به الشَّافعي لهذا الخبر.

ونحن قلنا: لا يُنفى؛ لأنَّ الله تعالى قال: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٖ﴾ [النور: ٢]، جعل الجلدات كلَّ الحدِّ، وفي ضمِّ النَّفي إليها جعلُ الجلداتِ بعضَ الحدِّ، وهو نسخٌ، وهذا الحديث انتسخَ بهذه الآيةِ، وعندَ مَن لا يرى نسخَ القرآنِ بالسُّنَّة: آيةُ الحبسِ نُسخَتْ بآية الجلدِ، لا بهذا الحديث.

وقال الإمامُ أبو منصور رحمه الله: هذا لا يصحُّ؛ لأنَّه لا تنافيَ بينَ الجلد والحبس، فكيف يُنسَخ هذا بذاك، بل انتسخَتْ هذه الآيةُ بهذا الخبر، وهو جائزٌ؛ لأنَّ النبيَّ ﷺ ما يقولُ فهو وحيٌ من الله تعالى، فهو نسخٌ لِمَا ثبتَ بالوحي[7].

---

(١) في (ف): «إلى».

(٢) في (أ): «فإذا».

(٣) رواه البخاري (٢٦٩٥)، ومسلم (١٦٩٧) من حديث زيد بن خالد وأبي هريرة رضي الله عنهما.

(٤) في (أ): «الحالتين».

(٥) في (ف): «وإن».

(٦) في (أ): «فقال» بدل: «فقد قال».

(٧) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٣/ ٦٧).

(١٦) ـ ﴿وَٱلَّذَانِ يَأْتِيَـٰنِهَا مِنكُمْ فَـَٔاذُوهُمَا ۖ فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾.

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذَانِ يَأْتِيَـٰنِهَا مِنكُمْ فَـَٔاذُوهُمَا﴾ قال الحسن وعطاء: هما الرَّجل والمرأة يجتمعان على الزِّنا(١)، وأصل الكلمة في الذَّكرين(٢)، لكن إذا اجتمع الذَّكرُ والأنثى وُصِفا بما يُوْصَفُ به الذَّكران؛ تغليبًا للذَّكر على الأنثى.

يقول: والرَّجل والمرأة اللَّذان يأتيان الفاحشة ـ وهي الزِّنا ـ فآذوهما، وهذا حدُّهما، وهو الإيذاءُ باللِّسان في قول قتادة وجماعةٍ(٣)، يقال لهما: بئس ما فعلتُما، أمَا استحيَيْتُما؟! أما خفتُما اللهَ ورسولَه(٤)؟! تعرَّضْتُما لعقوبةِ اللهِ ومقتِه، واستوجَبْتُما التَّفسيقَ وبطلانَ الشَّهادة، وفضَحْتُما أنفسكما وعشيرتَكما، ونحو ذلك.

وعن ابن(٥) أبي طلحة قال: إيذاؤهما التَّعييرُ باللِّسان والضَّرب بالنِّعال ونحو ذلك(٦).

وكذا قال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: هو الأذى باللِّسان واليد(٧).

---

(١) رواه عنهما الطبري في «تفسيره» (٦/ ٥٠٠) ورواه أيضاً عن عكرمة وعبد الله بن كثير.

(٢) في (ر): «الرجلين».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٥٠٢) عن قتادة والسدي ومجاهد.

(٤) «ورسوله» ليس في (أ).

(٥) «ابن» من (أ). وهو علي بن أبي طلحة الذي روى عن ابن عباس رضي الله عنه قسماً كبيراً من التفسير.

(٦) رواه أبو عبيد في «الناسخ والمنسوخ» (٢٣٩)، والطبري في «تفسيره» (٦/ ٥٠٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٨٩٥)، والنحاس في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٣١٠)، جميعهم من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٧) انظر التعليق السابق.

وقال السُّديُّ وابن زيد: آية الأذى في غير المحصَنين، وآية الحبس في المحصَنين[١]؛ لأنَّه قال: ﴿مِن نِّسَآئِكُمْ﴾ على الإضافة، وظاهرُ آيةِ الحبس وإن كان في المرأة وحدها فقد ثبتَ في الرَّجل استدلالًا بها.

وقيل: بل الحبس كان في المرأة خاصَّة[٢]، والأذى في الرَّجل والمرأة جميعًا.

وقال قتادة: يؤذيان جميعًا وتُحبس المرأة[٣].

والمعنى: أنَّ الرَّجلَ يحتاجُ إلى البروز للاكتساب، وفي حبسِه تضييعٌ له ولعيالِه، والمرأةُ لا تحتاج إلى ذلك، وحقُّها لزومُ منزلِها؛ قال تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ [الأحزاب: ٣٣]، ولعلها وقعَتْ في الزِّنا لبروزها، واشتركا في الإيذاء[٤]؛ لأنَّ كلَّ عاصٍ مذمومٌ ملومٌ.

وقال الحسنُ: أوَّلُ ما نزلَ مِن حدِّ الزِّنا الأذى، ثم الحبس، ثم الجلد، فكان ترتيبُ النُّزول على خلاف ترتيب التِّلاوة[٥].

وقال الضحَّاكُ: كان الرَّجل إذا زنى بامرأة[٦] وكانا بكرين حُبسَ كلُّ واحد منهما في بيت، ثم لا يمرُّ بهما مارٌّ إلَّا آذاهما بالتَّعيير: يا فلان، أما استحيَيت حتى زنيْتَ؟!

---

(١) رواه عنهما الطبري في «تفسيره» (٦/ ٤٩٩)، ورواه أيضاً (٢٣/ ٣٣) عن ابن زيد.

(٢) «خاصة» ليس في (أ).

(٣) رواه المروزي في «السنة» (٣٣٧).

(٤) في (أ): «في الآية».

(٥) ذكره عن الحسن الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٤٦٤)، والرازي في «تفسيره» (٩/ ٥٣١). لكن الرازي استبعده فقال: وهذا القولُ عندي في غايةِ البُعْدِ، لأنه يُوجبُ فسادَ التَّرتيبِ في هذه الآياتِ.

(٦) في (ر): «بالمرأة».

وهذا دليلٌ على أنَّ قولَه في هذا أنَّ الأذى مع الحبس كانا مشروعَيْن في وقتٍ واحدٍ في حقِّ الرَّجل والمرأة جميعًا.

وقال مجاهدٌ: آية الأذى في الرَّجلين(١)؛ أي: في الذَّكر يفعلُ ذلك بالذَّكر، وهو اللِّواطة.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: وهذا يكون حجَّةً لأبي حنيفة رحمه الله أنَّه يُعزَّرُ ولا يُحدُّ بالجلد ولا (٢) بالرَّجم، وعلى هذا الوجه حكمُ هذه الآية لم يُنسخ، وعلى قول الآخرين قد نُسخ ذلك(٣).

قوله تعالى: ﴿فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾: أي: فإنْ ظهرَ ندمُهما وأصلحا العملَ بعد ذلك بارتكاب الطَّريقة المحمودة في الصَّلاح والعفَّة ـ وذلك لا يكون إلَّا بعد مُضيِّ مدَّة بعد إظهار التَّوبة ـ فأمسكوا عن إيذائهما وأحسِنوا لهما القَول، فيزولُ الإيذاء والتَّفسيق، ولا يزولُ الحبس؛ لأنَّه تعالى قال: ﴿حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلْمَوْتُ﴾، وذلك تأبيدٌ، ويكون ذلك الحبس(٤) قبل التَّوبة تنكيلًا، وبعد التَّوبة تكفيرًا.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾: يقبلُ توبةَ التَّائب إذا أصلحَ بعد توبتِه، ويرحمُه فلا يردُّ عليه توبته ولا يعذِّبه.

والحاصلُ: أنَّ الرَّجلَ إذا زنى بامرأةٍ وهما محصنان فحدُّهما الرَّجم لا غير، وإذا كانا غيرَ محصنَين فحدُّهما الجلد لا غير، وإذا كان أحدهما محصَنًا

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٤٩٩)، وابن المنذر في «تفسيره» (١٤٧٢).

(٢) في (ف) و(أ): «أو».

(٣) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٣/ ٧٦).

(٤) في (ف): «ويكون إن حبس».

والآخر غير محصَن فعلى المحصَن منهما الرَّجم وعلى الآخر الجلد.

والمحصَنُ: هو أن يكون عاقلًا بالغًا حرًّا مسلمًا دخل بامرأةٍ بالغةٍ عاقلةٍ حرَّةٍ مسلمةٍ بنكاحٍ صحيحٍ.

والإسلامُ شرطٌ من شرائط الإحصان عندنا خلافًا للشَّافعي رحمه الله.

وإسلام المرأة شرطٌ لإحصان الدَّاخل بها عند أبي حنيفة ومحمَّد رحمهما الله، خلافًا لأبي يوسف رحمه الله.

وما رواه الشَّافعيُّ عن ابن عمرَ رضي الله عنهما: أنَّ النبيَّ ﷺ رجمَ يهوديين وكانا قد أُحصنا[١]، فإنَّا نقول: إنَّما رجَمهما بحكم التَّوراة حين لم ينزلْ حكمٌ في ذلك عليه، فقد رُوي أنَّه مرَّ بيهوديٍّ ويهوديَّة مُحمَّمَي الوجه، فقال: «ما شأنُهما؟»، فقيل: إنَّهما زنيا، فقال ﷺ: «حدُّ الزِّنى في كتابكم هذا؟»، فقيل: نعم. فقال عبد الله بن سلام: كذبوا يا رسول الله، بل حدُّ الزِّنى في كتابهم[٢] الرَّجم. فقال ﷺ: «مَن أَعْلمُكم؟»، قالوا[٣]: فتًى بخيبر يقُال له: ابن صوريا الأعور، فدعا به، فأُتي به، وأمرَ[٤] رسولُ الله ﷺ بأنْ يُؤتى بالتَّوراة، وأمره بالقراءة، فلمَّا بلغ آية الرَّجم وضع يدَه عليها، فرفع عبد الله بن سلام يدَه فظهرَتْ آيةُ الرَّجم، فقال عليه الصلاة والسلام: «لِم تَركتمُ[٥] العملَ بكتاب الله؟»،

---

(١) رواه الشافعي في «مسنده» (١٥٧٥)، وابن حبان في «صحيحه» (٤٤٣١)، ولفظ الشافعي: (رجم يهوديين زنيا) دون ذكر الإحصان، وكذا الرواية في البخاري (١٣٢٩) وأطرافه، ومسلم (١٦٩٩)، وفيهما قصة ستأتي.

(٢) في (أ): «كتابكم».

(٣) في (ف): «فقالوا».

(٤) في (ف): «فأمر».

(٥) في (ر): «تكتم».

فقال ابن صوريا: فشا الزِّنى فينا، فكان الوضيع منَّا إذا زنى رجمناه، والشريف إذا زنى تركناه، فأجمعنا على شيء يستوي فيه الوضيع والشَّريف وهو التَّحميم. فقال عليه الصلاة والسلام: «أنا أحقُّ بإحياء سُنَّةٍ قد أماتوها»، فأمر برجمهما[١].

فكان هذا حكمًا بالتَّوراة، ولم يكن الإحصان يومئذ شرطًا، ثم صار الرَّجم المشروع في التَّوراة منسوخًا بآية الإيذاء من القرآن، ثم صار الإيذاء منسوخًا بآية الحبس، ثم صار الحبس منسوخًا بحديث عبادة بن الصَّامت عن النبيِّ ﷺ: «البكرُ بالبكرِ جلدُ مئةٍ وتغريبُ عامٍ، والثَّيِّبُ بالثَّيِّبِ جلدُ مئةٍ ورجمٌ بالحجارة»[٢]، ثم صار[٣] هذا كلُّه منسوخًا بآية الجلد في الزَّاني والزَّانية جميعًا، وصار الحدُّ هو الجلد في كلِّ زانٍ وزانيةٍ، ثم صار هذا منسوخًا بالرَّجم في حقِّ المحصَن بحديث ماعزٍ رضي الله عنه، وبقي غيرُ المحصَن في حكم الجلد بهذه الآية[٤]، هذا هو التَّرتيب في الآيات والأحاديث، وعليه استقرَّ الحكم عندنا، والله أعلم.

* * *

(١٧) ـ ﴿ إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾.

قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ ﴾:

---

(١) رواه بنحوه مسلم (١٧٠٠) من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه. والبخاري (٣٦٣٥)، ومسلم (١٦٩٩)، وابن حبان (٤٤٣٥)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما. ولم يرد في الصحيحين تسمية ابن صوريا.

(٢) رواه مسلم (١٦٩٠).

(٣) في (ف): «و»، بدل: «ثم صار».

(٤) «بهذه الآية» ليس في (ف).

لَمَّا ذكر في الآية الأولى توبةَ الزَّانينَ وأنَّه توَّاب رحيم، أبان في هذه الآية وقتَ التَّوبة.

وقوله تعالى: ﴿عَلَى ٱللَّهِ﴾ ليسَ على الوجوب؛ فإنَّه لا يجبُ للعبد على ربِّه شيءٌ، لكنَّه تأكيدٌ للوعد، على معنى: أنَّه يكون لا محالة كالواجب الذي لا يهمل.

وقد ذكر الله تعالى لفظة (على)[1] في ستَّة أشياء:

١ ـ في الرِّزق: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦].

٢ ـ والنَّجاة: ﴿كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ١٠٣].

٣ ـ والنَّصر[2]: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧].

٤ ـ والهدى[3]: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ﴾ [الليل: ١٢].

٥ ـ والرَّحمة: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ٥٤].

٦ ـ والحساب: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾[4] [الغاشية: ٢٦].

وقوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ﴾ ليست هذه[5] جهالةَ عدم العلم بأنَّه ذنب؛ لأنَّ ذلك عذر، لكنَّها[6] التَّغافلُ والتَّجاهلُ وتركُ التَّفكُّر في العاقبة، كفعل مَن يجهله ولا يعلمه.

وعلى ذلك قولُه تعالى: ﴿فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾

---

(١) في (ف) و(أ): «ذلك»، بدل: «لفظة على».

(٢) في (ف): «والنصرة».

(٣) بعدها في (ر) و(ف): «قال تعالى»، وكذا في الموضعين التاليين.

(٤) «ثم» من (ف).

(٥) في (أ): «هي».

(٦) في (أ): «لكن».

[هود: ٤٦]، وقولُه تعالى: ﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [يوسف: ٣٣]، وقولُه تعالى: ﴿هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ﴾ [يوسف: ٨٩]، وقولُه تعالى: ﴿أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ﴾ [الأنعام: ٥٤].

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: العمل بالجهالة يخرَّج على وجوه:

١ ـ يكون عن غلبةِ شهوةٍ[١] عليه، فيعمل ذلك العملَ على طمعٍ منه أنَّه سيتوب من بعدُ، ويصير رجلًا صالحًا، على ما فعل إخوةُ يوسفَ بيوسفَ[٢]، حيث قالوا: ﴿اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ﴾ [يوسف: ٩]، ثم سمَّاهم بذلك جاهلين في قوله تعالى: ﴿إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ﴾ [يوسف: ٨٩].

٢ ـ ويحتمِل أن يعمل على طمع المغفرةِ، ويتَّكل على رحمة الله تعالى وكرمه[٣].

٣ ـ ويحتمِل الجهالةَ بعقوبة عملِه وقَدْرِ ذلك[٤].

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ﴾ [النساء: ١٧]؛ أي: لا يؤخِّرونها حتى[٥] يفوت وقتُها، وهو حضور الموت.

وقال ابن عبَّاسٍ رضي الله تعالى عنهما: ﴿مِن قَرِيبٍ﴾: ما لم يغرغِرْ بالموت، وينكسِرْ[٦] منه العقل واللِّسان[٧].

---

(١) في (ر): «شهوته».

(٢) «بيوسف» ليس في (أ) و(ف).

(٣) في (أ): «ومغفرته».

(٤) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٣/ ٧٩).

(٥) بعدها في (ر): «لا».

(٦) في (ر): «ويتكسر».

(٧) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٥١٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٨٩٨).

وعن عبادة بن الصَّامت قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَن تابَ قبلَ موتِه بسنةٍ تابَ اللهُ عليه»، ثم قال: «إنَّ السنةَ لكثيرٌ[(١)]»، ثم قال: «مَنْ تاب قبلَ موتِه بشهرٍ تابَ اللهُ عليه»، ثم قال: «إنَّ الشَّهرَ لكثيرٌ»، ثم قال: «مَنْ تابَ قبلَ موتِه بجُمُعةٍ تابَ اللهُ عليه»، ثم قال: «إنَّ الجمعةَ لكثيرٌ»، ثم قال: «مَنْ تابَ قبلَ موتِه بيومٍ تابَ اللهُ عليه»، ثم قال: «إنَّ اليومَ لكثيرٌ»، ثم قال: «مَنْ تابَ قبلَ موتِه بساعةٍ تابَ الله عليه)، ثم قال: «إنَّ السَّاعة لكثيرٌ»، ثم قال: «مَنْ تابَ قبلَ أنْ يُغرغِرَ بها تابَ اللهُ عليه»[(٢)].

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ﴾ على لسان أهل العلمِ قبل الموت، وعلى لسان أهل المعاملة قبل أن تتعوَّد النَّفس على ذلك فيصيرَ له كالطَّبيعة؛ قال قائلهم:

قلْتُ للنَّفسِ إنْ أردْتِ رجوعًا فارجعي قبلَ أنْ يُسَدَّ الطَّريق[(٣)]

قوله تعالى: ﴿فَأُولَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ﴾: أي: يقبل توبتهم.

---

(١) في (أ): «لكثيرة».

(٢) رواه الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (٨/ ٣١٧)، وفيه محمد بن مروان السدي الصغير، وهو متهم بالكذب كما في «التقريب».
وله شاهد من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما رواه الطيالسي في «مسنده» (٢٢٨٤)، والإمام أحمد في «المسند» (٦٩٢٠)، وإسناده ضعيف لإبهام أحد رواته وجهالة آخر. ورواه من طريق آخر الحاكم في «المستدرك» (٧٦٦٤)، وسكت عنه هو والذهبي، وإسناده ضعيف لضعف هشام بن سعد، وعبد الرحمن بن البيلماني.
ولآخر قطعة منه شاهد رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢٣٠٦٨) من حديث رجل من أصحاب النبي ﷺ، وآخر رواه الترمذي (٣٥٣٧) وحسنه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، وثالث رواه ابن ماجه (٤٢٥٣) من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللهُ عَنْهُما.

(٣) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (١/ ٣٢١).

قوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾: أي: ﴿عَلِيمًا﴾ بضمائر عباده وعزمِهم على التَّوبة، ﴿حَكِيمًا﴾ فيما يفعل بعباده، قابلًا توبةَ مَن هو أهلٌ لقبولها.

* * *

(١٨) ـ ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٔـٰنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾.

قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٔـٰنَ﴾: أي: ولا توبةَ للَّذين يُذنبون منهمِكين مصرِّين، وللتَّوبةِ مسوِّفين، إلى أن يزول حال التَّكليف بحضور أسباب الموت ومعاينةِ ملك الموت، وما يُضطرون فيه إلى العلم بالحقائق[1]، فإنَّ هؤلاء لا تُقبل توبتُهم؛ لأنَّه حالةُ اضطرار لا حالةُ اختيار، وقَبولُ التَّوبة ثوابٌ، ولا وعدَ به إلَّا لمختارٍ؛ قال تعالى: ﴿وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [الزمر: ٥٤].

قوله تعالى: ﴿وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾: أي: لا يُقبلُ إيمانُ هؤلاءِ إذا صاروا إلى حالةِ الاضطرار، كما لا يُقبلُ إيمانُه بعدَ البعث أو في القبر.

وقيل: إنَّما لا تُقبل توبةُ هؤلاء لأنَّها كانت باللِّسان لا غير، وهو كقوله تعالى[2]: ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ﴾ [المائدة: ٤١].

وقال الربيع بن أنس: ﴿قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٔـٰنَ﴾: هو المنافق[3].

---

(١) «وما يضطرون فيه إلى العلم بالحقائق» من (أ).

(٢) «كقوله تعالى» من (ف).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٥١٨) عن الربيع بن أنس.

وقال سعيد بن جبير: نزلت الآية الأولى في المؤمنين، والوسطى في المنافقين: ﴿قَالَ إِنِّي تُبْتُ ٱلْـَٔـٰنَ﴾، والأخرى في الكافرين: ﴿وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾[1].

قوله تعالى: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾: أي: الفريق الثَّاني والثَّالث هيَّأنا لهم في الآخرة عذابًا وجيعًا.

***

(١٩) - ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا ۖ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا۟ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَـٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾.

قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا﴾: أي: إكراهًا، ونصبه على الحال، وتقديره: مكرِهين[2].

وعاد الكلامُ إلى الوصيَّة في أمر النِّساء والنَّهيِ عن ظلمهنَّ، والمعنى: يا معشرَ المؤمنين لا يحلُّ لكم أن ترثوا النِّساء كما ترثون الأموال.

وكان أهل الجاهليَّة إذا مات الرَّجل منهم ألقى ابنه أو أخوه أو وارثٌ له آخرُ[3] ثوبَه على امرأته، فلا يمكنها أن تتزوَّج غيرَه، ويكون أمرُ نكاحها إليه،

= ورواه ابن المنذر في «تفسيره» (١٤٨٨، ١٤٩٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٩٠٠) عن الربيع بن أنس عن أبي العالية، بنحو لفظ الأثر الآتي عن سعيد بن جبير.

(١) ذكره الواحدي في «البسيط» (٦/ ٣٩١).

(٢) وعلى هذا هو حال من الواو في ﴿تَرِثُوا۟﴾، وجعله أبو حيان في موضع الحال من النساء، قال: فيقدر باسم فاعل؛ أي: كارهات، أو باسم مفعول؛ أي: مكرَهات. انظر: «البحر» (٦/ ٥٢٥).

(٣) «آخر» من (أ) و(ف).

إن شاء صيَّرها لنفسِه، وإن شاء زوَّجها لغيره[1]، وهو أحقُّ بها من أوليائِها[2].

وقال السُّديُّ: كان إذا سبقَ الوارث فألقى عليها ثوبًا فهو أحقُّ بها ينكحها ويأخذ مهرها، وإن سبقت المرأة فذهبَتْ إلى أهلها فهم أحقُّ بها[3].

وقال الكلبيُّ: كانوا في الجاهليَّة وفي أوَّل الإسلام إذا ماتَ أحدُهم[4] وترك امرأتَه، وله ولد لم يكن منها، أو وارثٌ آخرُ، ألقى ثوبَه عليها وورث نكاحها بصَداق الميت وإنْ كرهت المرأة، فإنْ ذهبَت المرأةُ إلى أهلِها قبل أن يلقيَ عليها ثوبًا فهي أحقُّ بنفسِها، حتَّى توفي أبو قيس بنُ الأسلت، وتركَ امرأته كُبَيشةَ بنت معنٍ، فقام ابن له مِن غيرها يقال له: حصنٌ، وطرح ثوبَه عليها، فورث نكاحها، ثم تركها فلم يَقْرَبها ولم يُنفقْ عليها يضارُّها[5] بذلك لتفتديَ منه بمالها، وكذلك كانوا يفعلون، فأتت كُبيشةُ رسولَ الله ﷺ فأخبرته بذلك[6]، فقال لها رسولُ الله ﷺ: «اقعدي[7] في بيتك حتى يأتيَ فيك أمرٌ»، وسمع النِّساء بالمدينة، فقلْنَ: ما نحن إلَّا مثل كبيشةَ[8]، فأتيْنَ رسولَ الله ﷺ فأخبرنه، فأنزل الله تعالى قوله:

---

(١) في (ف) و(أ): «غيره».

(٢) رواه بنحوه البخاري (٤٥٧٩)، وأبو داود (٢٠٨٩)، والطبري في «تفسيره» (٦/ ٥٢١و٥٢٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٩٠٢). وفي آخره عندهم: فنزلت هذه الآية في ذلك.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٥٢٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٩٠٢).

(٤) في (ف): «أحد».

(٥) في (ر): «ليضارها».

(٦) في (أ): «الخبر».

(٧) في (أ): «اتعدي».

(٨) في (ر): «كبشة»، في المواضع كلها، ويقال لها: كبشة وكبيشة. انظر: «الإصابة» لابن حجر (٨/ ٢٩٥ـ٢٩٦).

﴿لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا﴾[1]؛ أي: جبرًا[2] لهنَّ، فما كان من امرأة أبٍ وابنٍ فلا[3] يحلُّ له نكاحُها، وما كان سوى ذلك فله أن ينكحها بطِيبِ[4] نفسِها بعد انقضاء العِدَّة بالمهرِ والشُّهود[5].

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ﴾: هو[6] عند بعضهم على هذا التَّأويل معناه: ولا تضيِّقوا عليهنَّ بمنع التَّزويج والحبسِ عندكم لتأخذوا منهنَّ بعضَ ما آتاهنَّ الأزواج من الصَّداق. ولكنَّ هذا الوصل لا يصحُّ؛ لأنَّه لا يتَّصل باعتبارِ ما بعده. وهو قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾.

وقيل: كان حدُّ زناها يومئذ[7] استردادَ ما أَخذت من المهر.

والصَّحيح أنَّه حكمٌ مبتدأ، و(هنَّ) راجعة إلى ﴿النِّسَاءَ﴾، وتقديرُه: ولا تعضلوا النِّساء؛ أي: منكوحاتكم إذا تزوَّجْتُموهنَّ ثم كرهتُموهنَّ، فلا تضيِّقوا عليهنَّ بسوء الخلق ومنعِ الحقِّ ليفتديْنَ بالمهر.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾: قال السُّديُّ وأبو قِلَابة: هي الزِّنى؛

---

(١) ذكره بتمامه الثعلبي في «تفسيره» (٣/ ٢٧٥) عن مقاتل بن حيان والمفسرين. ورواه مختصراً النسائي في «الكبرى» (١١٠٢٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٩٠٢)، من حديث أبي أمامة بن سهل بن حنيف رضي الله عنه. ورواه مختصراً أيضاً الطبري في «تفسيره» (٦/ ٥٢٣)، وابن المنذر في «تفسيره» (١٤٩٥)، عن عكرمة.

(٢) في (ف) و(أ): «جزاء».

(٣) في (ف): «لا».

(٤) في (أ): «بطيبة».

(٥) في (ر): «بالطهر والشهور».

(٦) «هو» من (أ).

(٧) «يومئذ» ليس في (أ).

أي: إذا لم تكتفِ بك وطاوعْتَ غيرَكَ فلكَ العضل إلى أن تفتدي منك بالمهر[١].

وقال عكرمة ومقسم والضَّحَّاك: الفاحشةُ: المعاملة السَّيِّئة والنُّشوز[٢]، فللزَّوج في هذه الحالة أن يأخذ منها الفدية، وما جاء ذلك إلَّا من جهتها.

وقال الإمامُ أبو منصورٍ رحمه الله: قوله: ﴿لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا﴾ تقييده بالكره لا يدلُّ على أنه يجوز إذا كان طوعًا؛ لأوجُهٍ:

أحدها: أن تخصيص الشَّيء بالذِّكر لا يدلُّ على نفي ما عدَاه، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ﴾ [الأنعام: ١٥١] ليس فيه أنه يَحل عند عدم الخشية، وقولِهِ تعالى: ﴿إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٠] ليس فيه أنَّه لا يحلُّ إذا لم يؤتهنَّ أجورهنَّ، وقولِهِ تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾.

والثَّاني: أنَّ الوراثة لا تكون إلَّا كرهًا؛ فإنَّها تَثبتُ شاء الوارث والمورِّث أو أبى.

والثالث: أنَّ الموروث يكون مشتركًا بين الورثة، والنِّكاح لا يحتمل الاشتراك.

والرَّابع: أن المرأة من الورثة أيضًا، فإذا ورثَتْ بعض نفسها لم يَسلم للوارث الآخر.

ثم مِلكُ الأبضاع[٣] أدومُ من مِلك المنافع في الإجارات، فإذا انقطع ملك البضع بالموت فملك المنافع أولى[٤].

---

(١) رواه عنهما وعن الحسن وعطاء الخراساني الطبري في «تفسيره» (٦/ ٥٣٢ ـ ٥٣٣).

(٢) رواه عنهم وعن ابن عباس وعطاء ابن أبي رباح الطبري في «تفسيره» (٦/ ٥٣٣ ـ ٥٣٤).

(٣) في (ر): «البعض»، وفي (ف): «البضع».

(٤) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٣/ ٨١ ـ ٨٢).

وقيل في ابتداء هذه الآية وجهٌ[١] آخر؛ روى معمرٌ عن الزُّهريِّ[٢]، وعليُّ بنُ أبي طلحة عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما: أنَّه كان من عاداتهم أن يعضلوا أيَاماهم[٣] وهنَّ كارهاتٌ للعضل؛ حتَّى يمتْنَ فيرثوهنَّ أموالهنَّ، فنُهوا عن ذلك[٤].

ووجهٌ آخر أقربُ إلى الوصل: ما رُوي عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: أنَّه في الرَّجل يبغضُ امرأته فيَضرُّ بها ولا يطلِّقها؛ لتفتديَ منه، أو تموتَ عنده فيرثَها[٥]، فقال: لا يحلُّ لكم أن تمسكوهنَّ على هذا الوجه لترثوا أموالهنَّ، ولا أن تضارُّوهنَّ ليفتديْنَ بما أعطيتموهنَّ من المهور، إلَّا أنْ يَزنيْنَ أو ينشزْنَ، فلكم أخذ المهور منهنَّ إذا أُعطيْنَ.

قوله تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾: قيل: هو مقدَّمٌ في المعنى، وتقديرُه: ولا تعضلوهنَّ وعاشروهنَّ بالمعروف إلَّا أنْ يأتيْنَ بفاحشةٍ مبيِّنة[٦].

ويجوز أن تكون مقدَّرة في موضعها، ويكونَ هذا في غير مَن زَنَتْ، أو ابتداءَ أمرٍ في حقِّ النِّساءِ في غير تلك الحادثة.

والمعاشرة بالمعروف: هي المعاملة على المجاملة خُلُقًا وقولًا ومالًا[٧].

وقيل: هو الإمساكُ بالمعروفِ أو التَّسريح بالإحسان.

---

(١) في (أ): «بوجه» وفي (ف): «توجه».

(٢) رواه عبد الرزاق في «التفسير» (٥٣٨)، والطبري في «تفسيره» (٦/ ٥٢٦).

(٣) في النسخ: «أياماهن»، والصواب المثبت.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٥٢٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٩٠٢).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٥٢٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٩٠٣).

(٦) «مبينة» ليس في (أ).

(٧) في (ف): «وحالاً».

وقيل: هو أن يعاملَها بما لو عاملته به رضيَ بذلك.

وقيل: هو أمرٌ بالمعاشرة بالمعروف في حال سوء خُلقها ونشوزها.

وقال الإمام القشيريُّ رحمَه الله: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾؛ أي: بتعليم الدِّين والتَّأدُّب[١] بأخلاق المسلمين، وحسنِ الصُّحبة على كراهة النَّفس، وأنْ تحتمِل أذاهنَّ ولا تحمِّلهُنَّ كُلف خدمتك، وتتعامى عن مواضع خَجْلتهنَّ[٢].

قوله تعالى: ﴿فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾:

قال الإمام أبو منصور رحمه الله: قيل: إنْ كرهتُم صحبتهنَّ لقبحهنَّ أو لسوء خلقهنَّ فصبرتُم على ذلك فعسى أن يهبَ الله لكم منهنَّ أولادًا تَقَرُّ بهم أعينكم، أو يعطيَ لكم في الآخرة ثوابًا جزيلًا بصبركم وحسنِ معاشرتكم، أو عسى أن تموتَ فيرث منها مالًا كثيرًا يقيم به مصالحه[٣].

وقيل: فإن كرهتم فراقهنَّ فعسى أن يجعل الله في الفراق خيرًا كثيرًا، قال تعالى: ﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ﴾ [النساء: ١٣٠][٤].

❊ ❊ ❊

(٢٠) - ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾.

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ﴾: أي: في غير حال

---

(١) في (أ): «والتأديب»، وفي «اللطائف»: (بتعاليم الدين والتأدب).

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (١/ ٣٢٢).

(٣) في (ر): «مصلحتك».

(٤) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٣/ ٨٤).

نشوزها أو زناها ﴿وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا﴾؛ أي: وقد كنتم أعطيتم المرأة مالًا كثيرًا، وقد ذكرنا الأقاويلَ في مقداره في سورة آل عمران.

قوله تعالى: ﴿فَلَا تَأْخُذُواْ مِنْهُ شَيْـًٔا﴾: أي: من القنطار المقنطَر[١]، لا قليلًا ولا كثيرًا.

قوله تعالى: ﴿أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾: الألف أصله للاستفهام، وهو على معنى الاستنكار والاستعظام؛ أي: أتفعلون هذا وهو قبيحٌ.

و﴿بُهْتَٰنًا﴾؛ أي: ببهتان، ﴿وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾؛ أي: بإثم مبين.

والبُهتانُ: الكذبُ على الغير مواجهةً ومكابرةً[٢] على وجهٍ يحيِّره، من قوله: ﴿فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ﴾ [البقرة: ٢٥٨]؛ أي: تحيَّر.

ووجهُه: أنَّه إذا أخذ ولا[٣] ذنب منها ولا إطلاق للشرع فيه؛ فإمَّا أن يكذب عليها بقوله: فعلَتْ هي كذا استحقَّت به هذا، أو يقول: أباح[٤] الشَّرع هذا، فيكذب[٥] عليها أو على الشَّرع، ويأثم[٦] بهذا الأخذ، وبهذا القول.

وقال القشيريُّ رحمه الله: يعلِّمُهم حسنَ العهد ونعتَ الكرم في العِشرة، ويقول: لا تجمع بين الفُرقة منها واستردادِ المال عنها؛ فإنَّ ذلك تركُ الكرم، وإن

---

(١) في (ف): «المعطى».

(٢) في (أ) و(ف): «مكابرة».

(٣) في (ر): «بلا».

(٤) في (ر) و(ف): «أبى».

(٥) في (ر) و(ف): «فيكون».

(٦) في (ف): «فيأثم».

أعطيْتَ واحدةً مالًا كثيرًا ثم جفوتها بالفراق، فما آتيتَها يسيرٌ في جنب ما آذيتَها بالافتراق(١).

***

(٢١) - ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾.

قوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ﴾: (كيف) كلمة تعجُّب(٢)، يقول: عجبًا منكم من أيِّ وجهٍ ولأيِّ وجهٍ(٣) تأخذون ذلك، وهذا كقوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٨].

قوله تعالى: ﴿وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾: أي: وصلَ الزَّوجُ إلى المرأةِ، والمرأةُ إلى الزَّوجِ.

قال ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: هو كنايةٌ عن الجماعِ، والله تعالى نزَّه كتابه عن ذكر ما يُستشنَع سماعًا، فسمَّاه سرًّا في آية، وإفضاءً في آية، ومسًّا في آية(٤).

وقيل: الإفضاءُ هو الخلوة، من الفضاء، وهي المفازة الخالية. كذا فسَّره الكلبيُّ رحمه الله(٥).

---

(١) في (ف) و(أ): «أذقتها من الاحتراق»، وفي «اللطائف»: «أذقتها من الفراق». انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (١/ ٣٢٣).

(٢) في (ر): «تعجيب».

(٣) في (ف): «معنى».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٥٤١)، وابن المنذر في «تفسيره» (١٥١٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥٠٦٦).

(٥) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (١/ ٣١٦) عن الفراء، وذكر عن الكلبي أن الإفضاء إذا كان معها في لحاف واحد، جامعها أو لم يجامعها.

وبيَّنَ اشتقاقَه أئمَّةُ أهل اللُّغة، وهو حجَّة أصحابنا رحمهم الله في أنَّ المهر يتأكَّد بالخلوة الصَّحيحة من غير وطءٍ.

قوله تعالى: ﴿وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾: هو قولُ الله تعالى: ﴿فَإِمْسَاكُۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحُۢ بِإِحْسَٰنٍ﴾ [البقرة: ٢٢٩]، أضاف ذلك إلى أخذهنَّ لأنَّ الله تعالى أخذ هذا الميثاق على عباده لأجلهنَّ، فهو كأخذهنَّ.

وقيل: كان المعتاد في أنكحة السَّلف: اللهَ عليك لتُمْسِكَنَّ بمعروفٍ أو لتسرِّحَنَّ بإحسان.

والميثاقُ: العهدُ الوثيقُ، والغليظُ للمبالغة(١).

وقال النبيُّ ﷺ: «اتَّقوا اللهَ في النِّساءِ؛ فإنَّهنَّ عَوانٍ عندكُمْ، أخذتموهُنَّ بأمانةِ اللهِ، واستحللْتُمْ فروجَهُنَّ بكلمةِ اللهِ»(٢).

وعن عمر رضي الله عنه قال على المنبر: لا تُغالوا بصَدُقات النِّساء، فقالت امرأةٌ: أنتَّبعُ قولَكَ أم قولَ الله تعالى: ﴿وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا﴾؟ فقال عمرُ رضي الله عنه: كلُّ النَّاسِ أفقهُ من عمرَ حتَّى النِّساء(٣)، تزوَّجوا على ما شئتم(٤).

* * *

(٢٢) ـ ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا﴾.

---

(١) في (أ): «والغليظ المبالغة فيه».

(٢) رواه مسلم (١٢١٨) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما في حديث خطبة حجة الوداع.

(٣) «حتى النساء» ليس في (أ).

(٤) رواه عبد الرزاق في «المصنف» (١٠٤٢٠)، وسعيد بن منصور في «سننه» (٥٩٨)، وابن المنذر في «تفسيره» (١٥١١).

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾: قيل: لمَّا نزل قولُه تعالى: ﴿لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا﴾ قالوا: تركنا هذا، لا نرثهنَّ كرهًا، لكنَّ نخطبهُنَّ فننكحهُنَّ برضاهنَّ، فنزلَتْ هذه الآية، فنُهوا عن ذلك أيضًا، فقالوا[(١)]: كنَّا نفعلُ ذلكَ، فكيفَ حالُ ما كان منَّا؟ فبيَّنَ أنَّه رفعَ إثمَ ذلك عنهم لِمَا أنَّهم لم يعلموا ذلك، أو كان قبل ورودِ الشَّرع بالتَّحريم، وذلك قوله تعالى:

﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾: فإثمُ ذلك مرفوعٌ عنكم[(٢)].

ثم بيَّنَ صفةَ هذا العقد في الحال، وذلك قوله تعالى:

﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً﴾: أي: فعلةً قبيحةً ﴿وَمَقْتًا﴾؛ أي: أشدَّ البغض عندَ اللهِ.

وقوله تعالى: ﴿وَسَآءَ سَبِيلًا﴾: هو نصب على التَّمييز؛ أي: بئس السَّبيلُ هذا؛ فإنَّه يؤدِّي بصاحبه إلى النَّار، والاستثناءُ منقطع، ومعناه: لكن ما قد سلف فقد عُفي عن ذلك.

وقال محمَّد بن جرير: لم يُرِدْ به منكوحةَ الأب؛ فإنَّه لم يقل: (مَن نكح)، بل قال: ﴿مَا نَكَحَ﴾، ويرجع إلى الفعل، وتقديرُه: ولا تنكحوا من النِّساء مثلَ ما كان ينكحُ آباؤكم من المناكح المحرَّمة في الدِّين، فإنْ فعلْتُم ذلك فهو مفسوخٌ عليكم، إلَّا ما قد سلفَ مِن نكاحِ مَن يجوزُ نكاحُ مثله في الإسلام ابتداءً، فإنَّه غيرُ مفسوخٍ عليكم[(٣)].

وقيل: المرادُ بالنِّكاح هو الوطء، كما في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُوا۟ ٱلنِّكَاحَ﴾ [النساء: ٦]؛ أي: لا تطؤوا ما وطئ آباؤكم، وفيه تحريم وطء موطوءة الأب؛ بنكاحٍ

---

(١) في (ف): «قالوا».

(٢) في (أ): «منه».

(٣) انظر: «تفسير الطبري» (٦/ ٥٥٢).

كان، أو بـمِلك[١] يمينٍ، أو زنًى، وهو مذهب أصحابنا رحمهم الله، وعليه كثيرٌ من المفسِّرين منهم عبد الرَّحمن بن زيد بن أسلم.

وسببُ نزولِ هذه الآيةِ ما قال الأشعثُ[٢] بنُ سوَّارٍ: توفِّي أبو قيسٍ، وكان من صالحي الأنصار، فخطب ابنُه قيسٌ امرأةَ أبيه، فقالَتْ: إنِّي أَعُدُّكَ ولدًا، وأنت من صالحي[٣] قومك، ولكني آتي رسول الله ﷺ فأستأمرُه. فأتتْهُ[٤] فأخبرتْهُ، فقال لها رسول الله ﷺ: «ارجعي إلى بيتِك»، فنزلَتْ هذه الآية[٥].

وقال عطاءٌ: كان أبو عمرِو بنُ أميَّة بنِ عبد شمسٍ تزوَّج امرأة أبيه، فولدَتْ من أبي عمرٍو أبا مُعَيط[٦]، وكان نكاحًا في العرب جائزًا، فنهى اللهُ تعالى عنه وحرَّمه، وقال: ﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾؛ أي: تجاوزَ الله عمَّا مضى ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً﴾ في الإسلام ﴿وَمَقْتًا﴾ لمن فعله ﴿وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ مؤدِّيًا[٧] إلى النَّار.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: معناه: أنَّكم إذا انتهيتُم عن ذلك في المؤتنَف، يُغفر لكم ما قد سلف، وإنْ كانَ فاحشةً.

---

(١) في (أ): «ملك».

(٢) في (أ): «أشعث».

(٣) في (ف) و(أ): «صالح».

(٤) في (أ): «فأستأمر فأتت».

(٥) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٩٠٩)، وابن المنذر في «تفسيره» (١٥٢٥)، والطبراني في «الكبير» (٢٢/ ٣٩٣)، من طريق أشعث بن سوار عن عدي بن ثابت عن رجل من الأنصار.

(٦) وولدت منه أيضا مسافراً، وكان لها من أمية أبو العيص وغيره، فكان بنو أمية إخوة مسافر وأبي معيط وأعمامهما. انظر: «المحرر الوجيز» (٢/ ٢٦). واسم أبي عمرو: ذكوان، واسم أبي معيط: أبان. انظر: «طبقات ابن خياط» (ص: ٤١).

(٧) في (أ): «مرديًا».

وقيل: ﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾؛ أي: قبل التَّحريم ﴿إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً﴾؛ أي: صار فاحشةً في الإسلام[1]؛ كقوله تعالى: ﴿فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾ [هود: ٤٣].

***

(٢٣) ـ ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾.

قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ﴾: أمرَ في أوَّل السُّورة بنكاح ما طاب من النِّساء؛ أي: حلَّ، وذكر قبل هذه الآية بعضَ ما لا يطيب، وهو نساء الآباء، وذكر المحرَّمات الباقيات في هذه الآية، وبدأ بالأمهات، وهي جمع الأم، وهي الوالدة.

وقيل: أصلها: الأمَّهة، ولذلك جمعت: أمَّهات، وقد تُجمع: أُمَّات.

وقيل: الأمَّهات يستعمل في الآدميَّات، والأُمَّات في البهائم.

والمراد بهذا بيانُ[2] تحريم محليَّة[3] النِّكاح في حقِّ مَن أُضفن إليهم، وهنَّ سبعٌ بالنسب:

---

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٣/ ٨٧ ـ ٨٨).

(٢) «بيان» ليس في (أ) و(ف).

(٣) في (أ): «تحلية».

الأمَّهات[١]، واسم الأمِّ يقع على الأمِّ بالرِّشدة والزَّنيَّة، وعلى الجدَّة القُربى والبُعدى من قِبَل الأب والأمِّ.

قوله تعالى: ﴿وَبَنَاتُكُمْ﴾: جمع البنت، ويقع على بنت الإنسان[٢]، وبنت الابن، وبنت البنت، وإنْ سفلَتْ.

والبنت المخلوقة من ماء الزِّنا تحرُم على الزَّاني عندنا بظاهر الآية، خلافًا للشَّافعيِّ.

قوله تعالى: ﴿وَأَخَوَاتُكُمْ﴾: جمع الأخت، ويقع الاسم على الأخت لأبٍ وأمٍّ، ولأبٍ، ولأمٍّ.

قوله تعالى: ﴿وَعَمَّاتُكُمْ﴾: جمع العمَّة، وهي أختُ الأب: لأبٍ وأمٍّ، ولأبٍ، ولأمٍّ، وعمَّات الأبِ والجدِّ والأمِّ والجدَّة من الوجوه الثَّلاثة، وكذلك:

قوله تعالى: ﴿وَخَالَاتُكُمْ﴾: جمع الخالة، وهي أخت الأمِّ: لأبٍ وأمٍّ، ولأبٍ، ولأمٍّ، وخالات الأب والجدِّ والأمِّ والجدَّة من الوجوه[٣] الثَّلاثة كذلك.

قوله تعالى: ﴿وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ﴾: ونوافلُهما وإن بَعُدنَ داخلاتٌ في الحكم بالذُّكور يُدْلِينَ أو بالإناث، والأُخوَّة بأيِّ وجهٍ كانَت[٤].

قوله تعالى: ﴿وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ﴾: هذا تحريم الأمِّ من الرَّضاعة.

---

(١) في (ر): «وهن تبع بالسبب للأمهات»، وله وجه بأن يراد بالسبب العطف بالواو؛ أي: ما سيأتي معطوفاً على الأمهات يتبعهن في حكم التحريم. والمراد بالمثبت: أن المحرمات بالنسب سبعة، وما بعدهن حرمن بسبب آخر كالرضاعة وغيرها.

(٢) في (أ): «الأنساب».

(٣) في (ر): «هو للوجوه».

(٤) في (أ): «كان».

قوله تعالى: ﴿وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ﴾: هذا تحريم الأختِ من الرَّضاعة؛ لأبٍ وأمٍّ كانت، أو لأبٍ، أو لأمٍّ، عند عامَّة العلماء.

ويحرم أيضًا بالرَّضاع ما يحرم بالنَّسب[1]، فتحرم البنتُ من الرَّضاع، وبنت الأخ من الرَّضاع، وبنت الأخت من الرَّضاع، والعمَّة من الرَّضاع، والخالة من الرَّضاع، عند عامَّة العلماء.

وقال الإمامُ أبو منصورٍ: قال بشرٌ: لا تحرُم البنت من الرَّضاعة؛ لأنَّها لم تُذكر في الآية، ولا تكون بنته برضاعٍ، وهي مسألة لبن الفحل أنَّه لا يحرِّم عندَه.

قال: وذكر الله التَّحريم في المحرَّمات بنسبٍ، وبيَّن بيانَ إحاطةٍ، وذكر المحرَّمات برضاعٍ، وبيَّن بيان كفايةٍ، لا بيانَ إحاطةٍ.

فإمَّا أنَّ تَرْكَ ذلك للاجتهاد والاستنباط من المذكور، وقد أجمعوا أن بنات الإخوة والأخوات من الرَّضاع محرَّمات وإن لم يذكرْنَ فيها، وكان ذكر الحرمة في الأخوات من الرَّضاع كالذِّكر في أولادهنَّ، فكذا يكون ذكر الحرمة في الأمَّهات من الرَّضاع ذِكرًا في بناتهنَّ، أو تُركَ بيان ذلك للسُّنَّة:

وقد قال ﷺ: «يحرمُ مِن الرَّضاعِ ما يحرمُ من النَّسبِ»[2].

وقال لعائشةَ رضي الله عنها حين استأذنَ عليها أَفلح بن أبي قعيس بعد نزول آية الحجاب: «لِيَلِجْ عليكِ فإنَّه عمُّكِ»، وكان عمَّها من الرَّضاع[3].

---

(١) في (أ): «من النسب».

(٢) رواه البخاري (٦١٥٦)، ومسلم (١٤٤٥) من حديث عائشة رضي الله عنها، ورواه البخاري (٢٦٤٥)، ومسلم (١٤٤٧) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) رواه البخاري (٥٢٣٩)، ومسلم (١٤٤٥)، من حديث عائشة رضي الله عنها.

وعن ابن عبَّاس رضي الله عنهما: أنَّه سُئل عن رجلٍ له امرأتان، أو جاريةٌ وامرأةٌ، فأرضعَتْ هذه جاريةً وهذه غلامًا، هل يَصلحُ للغلام أن يتزوَّجَ الجاريةَ، فقال: لا، اللِّقاحُ واحدٌ[١].

ثم إطلاق قوله تعالى: ﴿أَرْضَعْنَكُمْ﴾ يقتضي ثبوتَ الحرمة بقليلِ الإرضاعِ[٢].

وهو حجَّة لنا على الشَّافعي رحمه الله؛ فإنَّه يَشترط خمسَ رضعات، ويحتجُّ بقول عائشة رضي الله عنها: كان فيما نزلَ: (عشرُ رضعاتٍ يحرِّمْنَ)، ثم نُسخَ ذلك بـ(خمس رضعات يحرِّمْنَ)، فتوفِّيَ النبيُّ ﷺ وهو فيما يُقرأ[٣].

وقال الإمامُ أبو منصورٍ رحمه الله: لسنا نجدُ في القرآن آيةَ النَّاسخ ولا آية المنسوخ، ولا يجوز أن يُقالَ: ضاع من القرآن شيءٌ، فلا نتركُ ما نجدُه ثابتًا في القرآن، محفوظَ النَّقل، ولعلها غلطَتْ فيها[٤].

والرَّضاعُ في الكبر لا يحرِّم عندنا؛ لقوله عليه السلام: «الرضاعُ ما أنبتَ اللَّحمَ، وأنشزَ العظمَ»[٥].

وذلك[٦] في الصَّغير، وذاك في سنتين عند أبي يوسف ومحمَّد رحمهما الله، وسنتين ونصفٍ عند أبي حنيفة رضي الله عنه، وثلاثِ سنين عند زُفَرَ رحمه الله، ويُعرف ذلك في الفقهيَّات.

---

(١) رواه الإمام مالك في «الموطأ» (٢/ ٦٠٢)، والترمذي (١١٤٩).

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٣/ ٨٩ ـ ٩١).

(٣) رواه مسلم (١٤٥٢).

(٤) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٣/ ٩١).

(٥) رواه أبو داود (٢٠٥٩) و(٢٠٦٠) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه. قوله: أنشز العظم؛ أي: رفعه وأعلاه وأكبر حجمه، ويروى بالراء؛ أي: شده وقواه.

(٦) في (ف): «وذاك».

قوله تعالى: ﴿وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ﴾: وجدَّة المرأة[١] القُربى والبُعدى من قِبل أبيها وأمِّها كذلك بالنَّسب والرَّضاع؛ لشمول الاسم، والدُّخولُ بالمنكوحة ليس بشرطٍ للحرمة عند عامَّة العلماء.

وقال مالك وداود وبشرٌ: هو شرطٌ، وقالوا: إن الله تعالى قال: ﴿وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ﴾ ذكر الدُّخول في الثَّانية، وهي معطوفة على الأولى، فكان شرطًا فيهما.

وقلنا: الأولى مطلَقة، وعن ابن عبَّاس رضي الله عنهما أنَّه قال في هذه الآية: أبهِموا ما أبهمَ الله[٢]؛ أي: أطلقوا.

وقوله تعالى: ﴿دَخَلْتُم بِهِنَّ﴾ وصفٌ للأخيرة[٣] وحدها؛ لأنَّ الثَّانية مخفوضة بـ(من)، والأولى مخفوضة بالإضافة، والمخفوضات بخافضين لا يُنعتان بنعتٍ واحد، لا يُقال: مررْتُ بزيدٍ، ونظرت إلى عَمرٍو العاقلَين، ولو كانا مخفوضَين بخافضٍ واحدٍ جاز[٤] ذلك، يُقال: مررْتُ بزيدٍ وعَمرٍو العاقلَيْن.

قولُه تعالى: ﴿وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِي فِي حُجُورِكُم﴾: الرَّبائب: جمع الرَّبيبة،

---

(١) «المرأة» ليس في (أ).

(٢) ذكره بهذا اللفظ البيهقي في «معرفة السنن والآثار» (١٠/ ٩٧)، والسرخسي في «المبسوط» (٤/ ١٩٩)، وابن الأثير في «النهاية في غريب الحديث» (مادة: بهم)، وغيرها من المراجع.
ورواه سعيد بن منصور في «سننه» (٩٣٧) بلفظ: «هي مبهمة فأرسلوا ما أرسل الله واتبعوا ما بيَّن الله عز وجل»، ورواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٦٢٧٩)، وابن المنذر في «تفسيره» (١٥٣٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٩١١)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٣٠٩٨) مقتصرين على لفظ: «هي مبهمة».

(٣) في (ر): «الأخيرة».

(٤) في (أ): «صار».

وهـي بنـت الزَّوجة، والرَّبيـب ابنُهـا، والـرَّابُّ زوج الأمِّ؛ لأنَّه يَـرُبُّ أولادَها.

ونوافلُ الزَّوجة داخلات في الحرمة لشمول الاسم.

والحجورُ: جمع الحِجْر، وهو كناية عن كونهنَّ في ولايتهم وحمايتهم.

ثم كونُ[١] الرَّبيبة في حجر الرَّابِّ شرطٌ للحرمة[٢] عند بعض النَّاس؛ لظاهر الآية، حتَّى لو كانت في حِجر غيره بأن تكون بالغةً تلي أمرَ[٣] نفسِها لم تحرمْ عليه.

وقال عامَّة الصَّحابة والعلماء رضوان الله عليهم: ليس بشرطٍ، وهذا خرجَ على الأغلب؛ لأنهنَّ كُنَّ لا يتزوَّجْنَ غالبًا إذا كان لهنَّ أولاد كبار، ويتزوجْنَ مع الأولاد الصِّغار، ويستعنَّ بالأزواج على تربية الأولاد[٤]، فخرج الكلام مخرجَ الغالب لا على الاشتراط، كقوله[٥] تعالى: ﴿وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِ﴾ [البقرة: ١٨٧] والمباشرة في غير المساجد حالةَ الاعتكاف حرامٌ أيضًا لهذا.

قوله تعالى: ﴿مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ﴾: وهذا الدُّخول شرطٌ بالإجماع.

قوله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾: أي: في نكاح الرَّبائب.

وقال الإمامُ أبو منصورٍ رحمه الله: قال بعضُهم: ﴿دَخَلْتُم بِهِنَّ﴾ كنايةٌ عن الجماع، لكنه عندنا: هو أخذه بيدها في إدخالها في موضع الخلوة والجماع، لا

---

(١) في (ر): «ثم تكون»، وفي (ف): «لأن كون».

(٢) في (ر) و(ف): «الحرمة».

(٣) في (أ): «بالغة على أمر».

(٤) في (ر): «الصغار».

(٥) في (أ) و(ف): «كما في قوله».

نفسُ الجماع، يُقال: فلان دخل بفلانٍ موضعَ كذا، لا يُراد به غيرَ الإدخال لذلك[١].

قلنا: إذا أدخلها في موضع الخلوة[٢] وخلا بها، وجبَ كمال المهر، وتثبُتُ[٣] الحرمة.

وإنْ جعل هذا كنايةً عن الجماع فلأنَّ الجماعَ لا يكون إلَّا بالدُّخول بها مكانًا يسترهما، وإلَّا فحقيقة الدُّخول بها ليس بجماع، ولا بُدَّ مِن أخذه بيدها أو بشيء منها ليكون بذلك هو الدَّاخل بها، لا هي به.

قوله تعالى: ﴿وَحَلَٰٓئِلُ أَبۡنَآئِكُمُ﴾: أي: منكوحاتُ أولادكم، ويقع على النَّوافل وإن بعدوا من ذكور كانوا أو إناث، وتثبتُ الحرمة هاهنا بنفسِ العقد؛ لإطلاق النَّص.

والحلائلُ: جمع الحليلة، وهي الزَّوجةُ، والحليلُ: الزَّوجُ؛ لأنَّ كلَّ واحدٍ منهما يحلُّ للآخر، أو لأنَّ كلَّ واحد منهما يحلِّ في الموضع الذي[٤] يحلُّ فيه الآخرُ، فالأوَّل من الحلِّ، والثَّاني من الحلول.

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ مِنۡ أَصۡلَٰبِكُمۡ﴾ ليس هذا لنفي الحرمة عن حليلة الابن عن الرَّضاع، بل عن حليلة ابن التَّبنِّي؛ لأنَّهم كانوا يجعلونه كولد الصُّلب في هذا، فأبطلَه الشَّرع.

قال الكلبيُّ وعطاءٌ: إنَّ النَّبيَّ ﷺ تبنَّى زيد بن حارثة ثم تزوَّج امرأته بعدما أبانها، فتكلَّم المنافقون والمشركون في ذلك، فنزلَتْ هذه الآية، ونزل قوله تعالى:

---

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٣/ ١٠٢).

(٢) «الخلوة» ليست في (أ)، وفي (ر): «الجماع».

(٣) في (أ): «وثبت»، وفي (ف): «وثبتت».

(٤) في (ر): «موضع».

﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ﴾ [الأحزاب: ٤]، ونزل قوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ [الأحزاب: ٤٠][1].

قوله تعالى: ﴿وَأَن تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ﴾: أي: وحرِّم عليكم الجمعُ بين الأختين في النِّكاح.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾: قال السُّديُّ وعطاءٌ: إلا ما كان من يعقوب جمع بين ليَّا وراحيل، وهما أختان، أو راحيل وتامان أمِّ يهوذا[2]. وكان ذلك حلالًا، وحرَّمه الله تعالى على هذه الأمَّة.

وروى هشامٌ عن محمَّد بن الحسن أنَّه قال: كان أهل الجاهليَّة يعرفون هذه المحرَّمات إلَّا ثنتين، نكاح امرأة الأبِ، ونكاح الأختين، فلذلك قال هناك: ﴿وَلَا تَنكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم مِّنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ [النساء: ٢٢]، وقال هاهنا: ﴿وَأَن تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾؛ أي: رُفع عنكم إثمُ ما قد سلف[3].

وقيل: ﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ من نكاح إحدى الأختين، وماتت أو طلِّقت فتَحلُّ الأخرى بأن يتزوجها.

وقال الإمامُ أبو منصورٍ رحمه الله: ويحتمل: ﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ قبلَ التَّحريم

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٥٦١)، وابن المنذر في «تفسيره» (١٥٥٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٩١٣)، عن عطاء.
وذكره السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٤١) عن الكلبي في آية الأحزاب.

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣/ ٢٨٤). وتعقبه الآلوسي في «روح المعاني» (٥/ ٤٣٧) بقوله: (ولا يساعده التذييل؛ لما أن ما فعله يعقوب عليه السلام إن صح كان حلالاً في شريعته).

(٣) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (١/ ٣١٨).

في الجاهليَّة، ويحتمل: ﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ وإن كان محرَّمًا في ذلك الوقت، فإنهم إذا انتهوا عن ذلك بعد الإسلام غُفرَ ذلك لهم[١].

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا﴾؛ أي: لِمَا كان في الجاهليَّة ﴿رَّحِيمًا﴾: لِمَنْ فعل ذلك[٢] في الإسلام إذا تاب.

* * *

(٢٤) - ﴿۞ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۖ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ ۚ فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَٰضَيْتُم بِهِۦ مِنۢ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾.

قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾: أي: وحرِّم عليكم نكاحُ المنكوحات؛ أي[٣]: اللَّاتي لهنَّ أزواجٌ، إلَّا ما ملَكْتُموهنَّ ملكَ يمينٍ بسبيهنَّ وإخراجهنَّ بدون أزواجهنَّ بعد الاستبراء، وتقع الفُرقة بتباين الدَّارَيْن لا بالسَّبيِّ، ولا تجب العِدَّة، وتحلُّ للغانم بملك اليمين.

قال أبو سعيدٍ الخدريُّ رضي الله عنه: وقعَتْ في سهمي يومَ أوطاسٍ جاريةٌ، فبينا أنا أسوقُها إذ رفعَتْ رأسَها إلى الجبل فقالَتْ: ذاك زوجي، فأنزل الله تعالى: ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾، قال أبو سعيد[٤]: فاستحللْنا فروجهنَّ بها[٥].

---

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٣/ ١٠٥).

(٢) «ذلك» ليس في (أ).

(٣) «أي» من (ف).

(٤) في (أ): «قالت»، وفي (ف): «قال» بدل: «قال: أبو سعيد».

(٥) روى نحوه مسلم (١٤٥٦).

وكانت صفيَّةُ بنت حُييٍّ ذاتَ زوجٍ، فسُبيَتْ يومَ خيبر، واصطفاها رسولُ الله ﷺ لنفسه، فأعتقَها وتزوَّجها، فدلَّ على وقوع البينونةِ، وعدم وجوب العدَّة.

والإحصانُ أصلُه: المنع، والحصنُ: مانعٌ يصدُّ العدو، والدِّرع الحصينة مانعةٌ من شرِّ القاصد، والحِصان بكسر الحاء: الفرسُ الفحلُ المانع من الوقوعِ في يد العدو، والحَصان بفتح الحاء: المرأة العفيفة المانعة فرجَها؛ قال الله تعالى: ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ [التحريم: ١٢]، وأحصنَها الزَّوج فهي محصَنةٌ.

والإحصان في القرآن جاء لمعانٍ:

للنِّكاح: كما في قوله تعالى: ﴿فَإِذَآ أُحْصِنَّ﴾ [النساء: ٢٥]؛ أي: تزوجْنَ، وكما في هذه الآية ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ﴾.

وللحرَّية: كما في قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ﴾ [النساء: ٢٥].

وللعفَّة: كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ﴾ [النور: ٢٣].

وللإسلام، كما في قوله تعالى: ﴿فَإِذَآ أُحْصِنَّ﴾ [النساء: ٢٥] على قول بعض العلماء.

وقوله تعالى: ﴿أَيْمَٰنُكُمْ﴾: جمع يمينٍ، وهي اليد اليمنى، وأضاف المِلك إليها لأنَّها هي المتصرِّفة في عامة التَّصرُّفات[١] غالبًا، وعلى هذا قولُه تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [آل عمران: ١٨٢]، وقوله تعالى: ﴿فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى: ٣٠]، وقوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ﴾، ولأنَّ المملوك كالمقبوض باليد؛ للقدرة عليه.

---

(١) «في عامة التصرفات» ليس في (ف).

وعن جماعة من الصَّحابة رضوان الله عليهم: أنَّ قوله: ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ يقعُ أيضًا على الشِّراء وغيره(١)، فإنَّهم قالوا: إذا بيعت المنكوحة طلقَتْ وحلَّتْ لمشتريها.

وقالوا: بيع الأَمَة طلاقُها.

وعامَّة الصَّحابة والعلماء بعدهم على أن النِّكاح لا يبطل بالشِّراء، ويدلُّ عليه الحديث المشهور: أنَّ بريرة كان لها زوج، فاشترتها عائشةُ رضي الله عنها فأعتقتها، فخيَّرها رسولُ الله ﷺ(٢)، فدلَّ أنَّ النِّكاح لا يبطلُ بالشِّراء.

وقال ابن سيرين في تفسير هذه الآية قولًا آخر، قال: أحلَّ الله لك في أوَّل السُّورة أربعًا، وحرَّم نكاح كلِّ محصنةٍ ـ أي: عفيفةٍ ـ بعد الأربع إلَّا ما ملكَتْ يمينُك(٣).

وقال الإمامُ أبو منصورٍ رحمه الله: وقيل: معناه: والمحصناتُ من النِّساء حرام عليكم إلَّا ما ملكتموهنَّ بالنِّكاح.

قال: وهذا خلاف الظَّاهر؛ لأنَّ ملكَ اليمين غيرُ ملكِ النِّكاح، لأن الله تعالى فصَل بينهما بقوله(٤): ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ﴾ [المؤمنون: ٥ ـ ٦]، وقال تعالى: ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾ [الأحزاب: ٥٢](٥).

---

(١) في (أ): «ونحوه».

(٢) رواه البخاري (٢٥٣٦)، ومسلم (١٥٠٤)، من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٥٤٨)، ومن طريقه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٥٦٩)، من طريق ابن سيرين عن عَبيدة السلماني.

(٤) في (ر): «قال تعالى يفصل بينهما».

(٥) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٣/ ١١٠).

قوله تعالى: ﴿كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾: قال الكسائيُّ: حُرِّمَتْ عليكم أمهاتكم وكذا وكذا كتابًا من عند الله عليكم؛ أي: فريضةً منه[1]، وهو كقوله تعالى: ﴿فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [النساء: ١١]، و: ﴿وَصِيَّةً مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [النساء: ١٢]، و: ﴿ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٩٥]، و: ﴿نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ [النساء: ٧]، وقد بيَّنَّا هناك وجوهَ نصبه.

وقيل: هو على الإغراء على التَّقديم والتَّأخير، وتقديره: عليكم كتابَ الله، كقوله تعالى: ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥].

وقيل: هو على إضمار: احفظوا، أو: اتَّبعوا، أو: الْزَموا[2]، ما كَتب الله عليكم[3].

وقيل: هو نصب بحذف الباء، وتقديره: بكتاب الله عليكم، وكتابُ الله هو حكمُه.

وقيل: أي: ثبت هذا التَّحريم بكتابِ الله الَّذي أنزلَه، أو قد قصَّ ذلك لكم في كتابه.

قوله تعالى: ﴿وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ﴾: قرأ حمزةُ والكسائيُّ وعاصمٌ في روايةِ حفصٍ: ﴿وَأُحِلَّ لَكُم﴾ على ما لم يُسمَّ فاعلُهُ، عطفًا على قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ﴾، وقرأ الباقون على الفعل الظَّاهر[4]، صرفًا إلى اسم الله المذكور في قوله: ﴿كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾.

وقوله: ﴿مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ﴾، قال ابن عبَّاس رضي الله تعالى عنهما؛ أي: ما سوى

---

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٣/ ١١١).

(٢) في (أ): «احفظوا وابتغوا والزموا» وفي (ر): «احفظوا أو الزموا واتبعوا».

(٣) في (أ) و(ف): «عليكم».

(٤) انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ٢٣١)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٥).

هـؤلاء المحرَّمـات[١]، كما فـي قوله تعالـى: ﴿وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ﴾ [البقـرة: ٩١]؛ أي: بما سواهُ.

وقيل: أي: ما قبل ذلكم، كَما في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ﴾ [الكهف: ٧٩]؛ أي: أمامَهم، وينصرِفُ إلى قوله تعالى: ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم﴾ الآية.

وقيل: معناه: ما بعد ذلكم؛ فإنَّ وراء[٢] يستعمل في الخلف في الأغلب، ومعناه: ما بعدَ الأصناف المحرَّمة بالنَّسب والرَّضاع والمصاهرة.

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ الكاف والميم خطاب للرِّجال، كما في قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ﴾، والذَّال إشارة إلى المذكور قبله من المحرَّمات، ولو أشار[٣] إلى المحرَّمات لقال: (وراء تلكم) لكنْ صَرَفَه إلى المذكور، ويقع ذلك عليهنَّ.

قوله تعالى: ﴿أَن تَبْتَغُوا بِأَمْوَٰلِكُم﴾ ترجمةٌ عن قوله: ﴿مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ﴾، وتقديره: وأُحلَّ لكم أن تبتغوا، وقيل: أي: لِأَنْ تبتَغُوا[٤] على إضمار اللَّام، ومعناه: لتبتغوا؛ أي: لتَطلبوا.

قوله: ﴿بِأَمْوَٰلِكُم﴾: قيل: أي: المملوكاتِ بالثَّمن، والمنكوحاتِ بالمهر.

وقيل: هو على المنكوحات لا غير، ودلَّ على أنَّه لا نكاحَ إلَّا بمهرٍ، وأنَّه يجبُ؛ سُمِّي أو لم يُسمَّ.

وذِكْرُ الأموالِ يدلُّ على أنَّ غيرَ المال لا يصلح مهرًا، وأنَّ القليل لا يكفي مهرًا،

---

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٣/ ١١١). ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٩١٧) عن أبي مالك.

(٢) في (ر): «الوراء».

(٣) في (ف): «ولو شاء أشار».

(٤) بعدها في (أ): «أي».

فإنَّ الدِّرهم ونحوه لا يُسمَّى مالًا، ثم هو عندنا لا يكون أقلَّ من عشرة دراهم[١]، وتسمية ما دون العشرة يوجبُ تكميلَ العشرةِ[٢]، وقد قال النَّبيُّ ﷺ: «لا مهرَ أقلُّ مِنْ عشرةٍ»[٣].

قوله تعالى: ﴿مُّحۡصِنِينَ﴾؛ أي: أعفَّاءَ، وهو نصبٌ على الحال؛ أي: مريدينَ التَّعفُّف.

قوله تعالى: ﴿غَيۡرَ مُسَٰفِحِينَ﴾؛ أي: غيرَ زانِين.

والسِّفاحُ: الزِّنى، والسَّفحُ: الصَّبُّ، وسفحُ الجبل: أسفله؛ لأنَّه مصبُّ الماء، وقد سافحَ؛ أي: زَنَى وصبَّ الماءَ باطلًا، وهذا المعنى موجودٌ في الصبِّ[٤] بالنِّكاح، لكن في معانٍ أُخر: مِن إقامة السُّنَّة، وتكثير عباد الله الصَّالحين، وغيرهما، فلمْ يُسمَّ سفاحًا، أما هاهنا فليس فيه إلَّا قضاءُ الشَّهوة وصبُّ الماء، فسُمِّيَ به[٥].

قوله تعالى: ﴿فَمَا ٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِهِۦ مِنۡهُنَّ﴾: أي: فأيَّ تمتعٍ وجدتم منهنَّ بالنِّكاح.

---

(١) «دراهم» من (ف).

(٢) في (ر): «تكملاً للعشرة»، وفي (ف): «تكملاً لعشرة».

(٣) رواه أبو يعلى في «مسنده» (٢٠٩٤)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٣)، والدارقطني في «سننه» (٣٦٠١) و(٣٦٠٢)، من حديث جابر رضي الله عنه. وفيه مبشر بن عبيد، قال عنه الدارقطني: مُبَشِّرُ بنُ عُبيدٍ متروكُ الحديثِ أحاديثُه لا يُتابَعُ عليها.
ورواه عبد الرزاق في «المصنف» (١٠٤١٦)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (١٦٣٧٤)، والدارقطني في «سننه» (٣٤٥٢)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٧/ ٢٤٠ ـ ٢٤١)، عن علي رضي الله عنه موقوفًا عليه. وفي إسناده داود الأودي، قال عنه ابن معين كما نقل البيهقي: داود الأودي ليس بشيء. وانظر: «نصب الراية» للزيلعي (٣/ ١٩٩).

(٤) في (أ): «الوصي»، وسقطت العبارة من باقي النسخ، ولعل المثبت هو الصواب.

(٥) من قوله: «وهذا المعنى موجود..» إلى هنا من (أ).

قوله تعالى: ﴿فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾: أي: مهورهنَّ، وهو كقوله تعالى: ﴿فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذۡنِ أَهۡلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ [النساء: ٢٥]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيۡتَ أُجُورَهُنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٠].

والأجرُ بدلُ منافع العين في الإجارةِ، وبدلُ منافعِ البُضع في النِّكاح.

قوله تعالى: ﴿فَرِيضَةً﴾: أي: مقدَّرًا، وهو نصبٌ على الحال لقوله ﴿فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ [النساء: ٢٤].

قوله تعالى: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ فِيمَا تَرَٰضَيۡتُم بِهِۦ مِنۢ بَعۡدِ ٱلۡفَرِيضَةِ﴾: أي: من الزِّيادة في المهرِ على المسمَّى بعد التَّسمية عند العقد، ودلَّ ذلك على جواز الزِّيادة في المهر في النِّكاح والثَّمن في المبيع[١].

وهو حجَّةٌ لنا على الشَّافعيِّ رحمه الله، وهو يحمل هذا على الحَطِّ والإبراءِ والهِبةِ.

لكنَّا نقول: ذلك يصحُّ برضاها وحدها، فلا معنى لاشتراط التَّراضي وهو من الجانبَيْن؛ لأنَّ التَّفاعلَ بين اثنين، ولَمَّا ذكر التَّراضيَ عُلِمَ أنَّه أرادَ به الزِّيادة في المهر التي[٢] تصحُّ بتراضيهما جميعًا.

وحُكي عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما أنَّه كان يحمِل هذا على المتعة، وكان[٣] يقرؤها: (فما استمتعتُم به منهنَّ إلى أجلٍ مسمَّى) ويقولُ: هكذا نزلَتْ[٤].

---

(١) في (أ) و(ف): «البيع».

(٢) في (أ) و(ف): «الذي».

(٣) في (أ): «فكان».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٥٨٧ ـ ٥٨٨)، وابن المنذر في «تفسيره» (١٥٨٩)، والحاكم في «المستدرك» (٣١٩٢). وقال الطبري عن هذه القراءة: قراءة بخلاف ما جاءت به مصاحف =

قال: وقوله ﴿فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾؛ أي: ما سمَّيْتُم لهنَّ عند المتعة، أوجبَ أداءَ المال بعد الاستمتاعِ، وفي النِّكاح يؤدَّى أوَّلًا ثم يُستمتَع، وقوله: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُم بِهِۦ مِنۢ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِ﴾؛ أي: إن زدتم في المدة أو في البدل[1] بعد المواضَعة الأولى على أقلَّ من ذلك فلا إثمَ عليكم فيهِ.

= المسلمين، وغير جائز لأحد أن يُلحق في كتاب الله تعالى شيئاً لم يأت به الخبر القاطع العذرَ عمن لا يجوز خلافه.

قلت: وقد روى الطبري نفسه (٦/ ٥٨٥) عن ابن عباس خلاف هذا القول، وأن المراد بالآية النكاح المعروف، ولفظه: الاستمتاع هو النِّكاحُ، وهو قولُه: ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَـٰتِهِنَّ نِحْلَةً﴾ [النساء: ٤].

وروى عنه الترمذي (١١٢٢) أنه قال: إنما كانت المتعةُ في أوَّل الإسلام، كان الرجل يَقْدَمُ البلدةَ ليس له بها معرفةٌ فيَتَزوَّج المرأةَ بقَدْرِ ما يَرى أنه يُقيم، فتَحفظُ له متاعَه، وتُصْلحُ له شَيْئَه، حتى إذا نزلت الآيةُ: ﴿إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ﴾، قال ابن عباسٍ: فكلُّ فرجٍ سوى هذين فهو حرامٌ.

قال ابن العربي في «القبس في شرح موطأ مالك بن أنس» (٢/ ٧١٤): وقد كان ابن عباس يقولها ثم ثبت رجوعه عنها، فانعقد الإجماع على تحريمها.

وقال الخطابي: تحريم المتعة كالإجماع إلا بعض الشيعة، ولا يصح على قاعدتهم في الرجوع في المختلفات إلى علي وآل بيته، فقد صح عن علي أنها نسخت.

قلت: بل صح ذلك أيضاً عن غير علي من أئمة أهل البيت فقد روى البيهقيُّ في «السنن الكبرى» (٧/ ٢٠٧) عن جعفرِ بن محمدٍ: أنَّه سئل عن المتعةِ، فقال: هي الزِّنا بعينِه. وانظر: «معالم السنن» للخطابي (٣/ ١٩٠)، و«فتح الباري» (٩/ ١٧٣)، وانظر: «التمهيد» (١٠/ ١٢١)، فقد نقل الإجماع على تحريمها أيضاً.

(١) في (أ): «﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُم بِهِۦ مِنۢ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِ﴾ أي إن أردتم في المدة أو في البدل» وفي (ف): «ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة﴾ أي إن زدتم في المدة أو في المدا» وفي (ر): «﴿فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ أي: ما سميتم الزائد؛ أي: أن زدتم في المدا أو البدل».

لكنَّا نقول: هذا في النِّكاح المطلق، ويدلُّ عليه ما قبلَه وما بعدَه؛ فأمَّا قولُه: ﴿فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ﴾؛ أي: أردتم الاستمتاع به، كما في قوله: ﴿إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ [الطلاق: ١]، و: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ [المائدة: ٦]، و: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [النحل: ٩٨].

وقال بعضُهم: كانت الآية في المتعةِ، لكنَّها[1] أُحلَّتْ ثلاثةَ أيَّامٍ ثمَّ نُسخَتْ، ورويَ أنَّ الصَّحابة رضيَ الله عنهم اشتدَّتْ بهم العزوبةُ في غزوةٍ، فاشتكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ، فأباحَ لهم المتعةَ، ثم نهاهم عنها بعد أيَّامٍ[2].

وعن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: أنَّه قال عند موته: اللَّهمَّ إنِّي أتوُب إليك من قولي في المتعةِ والصَّرف[3].

وعن ابن مسعودٍ رضي الله عنه قال: لَمَّا كان يوم حنين وهزمَ اللهُ تعالى فيه[4] المشركين اجتمعَ جمعُهم بأوطاسٍ، وطلبهم خيلُ رسول الله ﷺ فأدركوهم بأوطاسٍ، فقاتلوهم فهزموهم[5]، وسبَوا نساء العرب، فقالوا: ما تحلُّ لنا هذه النِّساء، ما فارقوا أزواجَهم بطلاقٍ ولا قُتلوا في المعركة، فأنزل الله تعالى قوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾[6].

---

(١) في (أ): «لكنا نقول».

(٢) روى نحوه مسلم (١٤٠٥/ ١٨) من حديث سلمة بن الأكوع رضي الله عنه، و(١٤٠٦) من حديث سبرة الجهني، و(١٤٠٧) من حديث علي رضي الله عنهم جميعاً.

(٣) روى نحوه الفاكهي في «أخبار مكة» (١٧١٤).

(٤) «فيه» من (ف).

(٥) في (أ): «فهزموا»، وفي (ف): «وهزموهم».

(٦) لم أجده من حديث ابن مسعود، وقد تقدم قريباً نحوه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

قال الإمام أبو منصور رحمه الله: أي: ﴿عَلِيمًا﴾ فيما حرَّم وأحلَّ، ﴿حَكِيمًا﴾ وضَعَ كلَّ شيءٍ موضعُه[١].

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾: مرَّ تفسيرُه[٢].

* * *

(٢٥) - ﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِكُم ۚ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ مُحْصَنَٰتٍ غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ ۚ فَإِذَآ أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ ٱلْعَنَتَ مِنكُمْ ۚ وَأَن تَصْبِرُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا﴾: أي: ومَن لم يقدرْ منكم على فضلِ مالٍ.

قوله تعالى: ﴿أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾: أي: الحرائرَ المسلمات، و﴿أَن يَنكِحَ﴾ ترجمةٌ عن ﴿طَوْلًا﴾، أو معناه: لِأَنْ ينكح.

ومعناه: فمَن لم يجد ما يتزوَّج به الحرَّة المسلمة، كما يقولُ الرَّجلُ: لا أستطيع أن أحجَّ؛ أي: لا أجد ما أحجُّ به.

وقيل: هو من قول الرَّجل: يدي تطول لي هذا[٣] الشَّيء؛ أي: تناله، و: يدي مبسوطة على كذا، في معناه.

---

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٣/ ١٢٠).

(٢) «قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ مر تفسيره» من (ف).

(٣) في (ف): «تطول لهذا».

قوله تعالى: ﴿فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾: أي: فلْيَنكِحْ[1] مملوكةً من الإماء المسلمات.

والفتاةُ[2] أصلُها: الشَّابَّة، والفِتاء بالمد: الشَّباب، والفتى: الشَّابُّ.

والأَمَةُ تُسمَّى فتاة، والعبدُ يُسمَّى فتًى، وإنْ كانا كبيرين في السِّنِّ؛ لأنَّهما لا يوقَّران لرقِّهما[3] توقيرَ الكبار الأحرار[4]، ويعاملان معاملة الصِّغار.

قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِكُم﴾: شَرَطَ إيمانَها، ثم أعلمَ أنَّ الحكمَ مبنيٌّ على ظاهر حالها دون باطن أمرها؛ فإنَّه لا يعلمُه إلَّا الله تعالى، وهو كقوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ﴾ الآية [الممتحنة: ١٠].

قوله تعالى: ﴿بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾: أي: إذا جمعكم الإيمان لم تختلفوا في أحكامه، فيكون ذلك أدعَى إلى تأكيد الأُلفة بينهما، والتَّعاونِ منهما على[5] أمور الدِّين.

وقيل: إنَّ النِّكاح يراد به الألفةُ والسَّكن؛ فإذا اتَّفقا في الدِّين كان أقربَ إلى أن يتآلَفا.

وقيل: أي: الاتِّفاق في الدِّين كالاتِّفاق في النَّسب، فلا يُزْري بالحرِّ رقُّ منكوحتِه.

قوله تعالى: ﴿فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ﴾: أي: مواليهنَّ[6]، ودلَّ أنَّ النِّكاح ينعقد بعبارة الأَمَة العاقلة، وينفذ[7] إذا كان بإذنِ مَولَاها.

---

(١) في (ر): «فينكح».

(٢) في (أ): «والفتيات».

(٣) في (ر): «لرق»، وفي (ف): «للرق».

(٤) «الأحرار» ليس في (أ) و(ف).

(٥) في (ف): «في».

(٦) في (ف): «مولاهن».

(٧) في (ر): «وينعقد».

قوله تعالى: ﴿وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾: أي: أعطوهنَّ مهورهنَّ على وفقِ الشَّرع، ولهنَّ قبضُ ذلك بإذن مواليهنَّ، وقد ذكر الإذنَ في الأوَّلِ، فكان ذكرًا في الثَّاني؛ لأنَّ الحادثة واحدة، كما في قوله: ﴿وَالذَّٰكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّٰكِرَٰتِ﴾؛ أي: اللهَ كثيرًا، ﴿وَالْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَٰفِظَٰتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥]؛ أي: فروجهُنَّ.

أو معناه: فالتزموا لهنَّ ذلك، كما في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ﴾ [التوبة: ٢٩].

قوله تعالى: ﴿مُحْصَنَٰتٍ﴾: أي: عفائفَ، نصب على الحال من قوله: ﴿فَانكِحُوهُنَّ﴾.

قوله تعالى: ﴿غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ﴾: أي: زانياتٍ ﴿وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ﴾: الخدَنُ: الصَّديقُ، والخدين كذلك، وذلك كالخلِّ والخليلِ، والمخادنةُ: المصادقةُ، ويقع الاسم على الذَّكر والأنثى، قال تعالى: ﴿وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ﴾ [المائدة: ٥]؛ أي: خدينات.

وكان زناهنَّ في الجاهليَّة من وجهَيْن:

السِّفاحُ: وهو بالأجر لكلِّ مَن[1] يرغبُ فيها.

والمخادَنةُ: وهي مع صديقٍ لها على الخصوص.

وكان الأوَّل يقع إعلانًا، والثَّاني سرًّا، وقيل: كانا يُعلنان جميعًا.

فأمرَه[2] اللهُ أن يتزوَّج أمةً عفيفةً لإقامة مصالح الدِّين، لا زانيةً مكتسِبةً بزناها، ولا متَّخذةً خليلًا على الفجور صافاها.

قوله تعالى: ﴿فَإِذَآ أُحْصِنَّ﴾: قيل: أي: أسلمْنَ، وقيل: أي: نكحْنَ.

---

(١) في (ف): «بكل ما».

(٢) في (أ): «فأمر».

وقوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ﴾: أي: زنَيْنَ ﴿فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ﴾؛ أي: ما على الحرائر من الحدِّ[١]، وهو الجلدُ، فتُجلَد الحرَّة مئةَ جلدةٍ، والأمةُ خمسينَ.

و﴿ٱلْعَذَابِ﴾: الحدُّ؛ قال تعالى: ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ٢]، وقال تعالى: ﴿وَيَدْرَؤُاْ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ﴾ [النور: ٨].

ثم قولُه تعالى: ﴿فَإِذَآ أُحْصِنَّ﴾ ليس لنفي الحدِّ عنها إذا لم تُنكح، بل معناه: أنَّها بالنِّكاح لا يزداد حدُّها.

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ ٱلْعَنَتَ مِنكُمْ﴾: أي: الزِّنى؛ أي: إباحة نكاح الأَمَةِ لمن خشي الزِّنا لو لم يتزوَّجْ بها.

وأصل العنتِ: المشقَّةُ والمضرَّةُ. وله وجوهٌ بيَّناها عند قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٠].

وفي الزِّنى ذلك كلُّه في الدُّنيا والآخرة.

ثم الشَّافعيُّ رحمه الله أخذَ بظاهر الآية، وقال: لا يجوز نكاحُ الأمَةِ إلَّا بثلاثة شرائط؛ اثنان في النَّاكح: عدم طولِ الحرَّة، وخشيةُ العنت. والثَّالث في المنكوحة، وهي أن تكون أَمَةً[٢] مؤمنةً.

وعندنا شيء من ذلك ليس بشرط: أمَّا أوَّل الآية فقد قال الإمام أبو منصورٍ رحمه الله: ليس في[٣]..

(١) في (ف): «الحدود».

(٢) «أمة» ليس في (أ).

(٣) «في» ليس في (ف).

إباحة الشَّيء في حالةٍ دلالةُ حظره ومنعه في حالةٍ[1] أخرى، دليلُه قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّـٰتِىٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ ﴾ [الأحزاب: ٥٠]؛ ليس فيه أنَّها لا تحلُّ له إذا لم يؤتها أجرَها[2].

وأمَّا قوله تعالى: ﴿مِّن فَتَيَـٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَـٰتِ﴾ ففيه إباحةُ المؤمنات، وليس فيه تحريم الكتابيَّات، وقد أباح ذلك في قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُحْصَنَـٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَـٰتِ وَٱلْمُحْصَنَـٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ [المائدة: ٥] وهنَّ العفائفُ عندنا، وهو يحملها على الحرائر، لكنَّ أكثر أهل التَّفسير على ما قلنا، وهذه الأشياء عندنا للاختيار، لا للاشتراط.

قوله تعالى: ﴿وَأَن تَصْبِرُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾: (أنْ) مع الفعل مصدرٌ؛ أي: وصبرُكم عن نكاح الأمَة[3] خيرٌ لكم؛ لأنَّ فيه إرقاقَ الولد.

قال عمر رضي الله عنه: أيُّما حرٍّ تزوَّجَ أمةً فقد أرقَّ نصفَه، وأيُّما عبدٍ تزوَّج حرَّة فقد أعتقَ نصفَه[4].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: «الحرائرُ صلاحُ البيوت، والإماءُ هلاكُ البيوتِ»، أو قال: «فسادُ البيوت»[5].

---

(١) في (ر): «حال» في الموضعين.

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٣/ ١٢٥).

(٣) في (أ) و(ف): «الإماء».

(٤) رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (١٣١٠٣)، وسعيد بن منصور في «سننه» (٧٣٩)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٦٠٦٥)، والدرامي في «سننه» (٣١٧٧).

(٥) رواه باللفظين الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٢٣٢) (ط: دار التفسير)، من حديث أبي هريرة، وفي إسناده أحمد بن محمد اليمامي وهو متروك وكذبه أبو حاتم، ويونس بن مرداس قال الحافظ: لا أعرفه. انظر: «الكاف الشاف» لابن حجر (ص: ٤٢)، و«تخريج أحاديث الكشاف» للزيلعي (١/ ٣٠٦)، و«المقاصد الحسنة» للسخاوي (ص: ٣٠٤).

قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: أي: ﴿غَفُورٌ﴾ لكم إن لم تصبروا، ﴿رَّحِيمٌ﴾ بكم إذ أباح لكم نكاح الإماء.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: ﴿غَفُورٌ﴾ للزِّنى بإقامة الحدِّ[١] إذا احتسبَ ذلك، ﴿رَّحِيمٌ﴾ إذ جعل العذاب عليه الحدَّ في الدُّنيا، لا العقوبةَ في الآخرة.

ويحتمل: أنَّه رحيمٌ جعلَ الحدود في الدُّنيا زواجرَ عن العَود إلى ارتكاب مثلها[٢].

***

(٢٦) - ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ﴾: قال أبو منصور[٣]: يحتملُ: يريدُ اللهُ أن يبيِّنَ لكم ما تأتون وما تذرون، وما لكم وما عليكم، وما به صلاحُكم وفسادكم في أمور[٤] دينكم ودنياكم، لكنَّ حقيقة المراد بالآية إمَّا أن يكون أرادَ جميع ما ذكرنا، أو معنًى خاصًّا ممَّا احتمله الكلامُ، وليس لنا القطع على ما أرادَ به[٥].

ثم قوله ﴿لِيُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ له وجوهٌ:

قال الكسائيُّ والفرَّاء: معناه: أن يبيِّنَ، وكذا قولُه تعالى: ﴿وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ﴾ [الأنعام: ٧١]؛ أي: أن نسلمَ[٦]؛ قال كثيِّر:

---

(١) في (ر): «الحدود».

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٣/ ١٣٢).

(٣) «قال أبو منصور» من (أ)، وفي (ف): «قال هو رضي الله عنه» فضمير (هو) لأبي منصور.

(٤) في (ف): «أمر».

(٥) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٣/ ١٣٢).

(٦) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٢٦٢)، و«إعراب القرآن» للنحاس (١١/ ٢٠٩)، و«إعراب =

أريد لأنسى ذكرها فكأنما تَمثَّلُ لي ليلي بكلِّ طريق[(١)]

أي: أن أنسى.

وقال سيبويه وأصحابه: اللَّام دخلت على تقدير المصدر؛ أي: الإرادة للبيان، وهو كقوله تعالى: ﴿لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾ [يوسف: ٤٣]، وقوله تعالى: ﴿رَدِفَ لَكُم﴾ [النمل: ٧٢][(٢)].

وقيل: المفعول مضمَر هاهنا، واللَّام للتَّعليل، وتقديرُه: يريد الله ما يريد ليبين لكم، وأمرنا بما أمرنا لنسلم[(٣)].

قوله تعالى: ﴿وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾: أي: ويريد أن يدلَّكم على السُّنن التي سنَّها لمن كان قبلكم من أهل الكتاب؛ لتكونوا علماءَ كما كان الذين جاءتهم الرُّسل، ويزولَ عنكم سمةُ الجهالة[(٤)] التي كانت للأميين.

قوله تعالى: ﴿وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾: أي: يوفِّقكم للتَّوبة عمَّا كنتم عليه من الخلاف.

وذكر هذا بعد ذكر أحكام اليتامى والمواريث والمناكح، وكانوا في الجاهليَّة على غيرِ سُنن الأوَّلين، فردَّهم إليها.

= القرآن» للأصبهاني (ص: ٨٩). وتعقب الزجاج هذا القول في «معاني القرآن» (٢/ ٤٢) بقوله: وهذا غلط أن تكون لامُ الجر تقومُ مقام (أن) وتؤدي معناها.

(١) انظر: «ديوان كثير عزة» (ص: ١٠٨).

(٢) انظر: «إعراب القرآن» للأصبهاني (ص: ٨٩). وصوب الزجاج هذا القول لكن لم ينسبه لسيبويه. انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٤٢ ـ ٤٣).

(٣) وهذا القول هو الذي نسبه ابن عطية لسيبويه. انظر: «المحرر الوجيز» (٢/ ٤٠)، و«البحر المحيط» (٦/ ٥٨٤). وذكره الأخفش في «معاني القرآن» (١/ ١٦٩ و٢٥٢) ولم يعزه لسيبويه.

(٤) في (أ) و(ف): «الجاهلية».

قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾: ﴿عَلِيمٌ﴾ بمصالح عباده، ﴿حَكِيمٌ﴾ فيما شرَع لهم.

وقال الكلبيُّ: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ أنَّ الصَّبر[1] عن نكاح الإماء خيرٌ، ﴿وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾؛ أي: يبيِّنَ لكم أن شرائع أهل سائر الكتب في الأنكحة ونحوها[2] كان كذلك، ﴿وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾؛ أي: ويتجاوزَ عنكم ما أصبتُم قبل البيان[3].

وقال عطاءٌ: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ ما يقرِّبكم منه[4]، ﴿وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾؛ أي: يرشدَكم إلى دين إبراهيم وإسماعيل وأولادهما، ﴿وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ حتَّى لا تَدْعوا معه إلهًا آخر، ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بما يستودِعُكم[5] من فرائضه، ﴿حَكِيمٌ﴾ فيما رخَّص لكم.

***

(٢٧) ـ ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا﴾.

قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾: التَّكرير للتَّأكيد والتَّقرير، ومعنى التَّوبة علينا ما بَيَّنَّا.

وقيل فيه معنًى آخر:

---

(١) في (ف): «أن تصبروا».

(٢) في (ر): «وغيرها».

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣/ ٢٩٠)، والواحدي في «البسيط» (٦/ ٤٦٣).

(٤) إلى هنا ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣/ ٢٩٠) عن عطاء.

(٥) في (أ) و(ف): «استودعكم».

﴿وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾: الأولين[١]؛ أي: يبيِّنَ لكم أنَّ سُننهم[٢] كانت في الأنكحة على الضِّيق والشِّدَّة، فكان لا يحلُّ للرَّجل إلَّا امرأةٌ واحدة، وإذا ماتَتْ لم يتزوَّج غيرها، وكان لا يجوز لهم الطَّلاق، ولا يحلُّ نكاح الإماء.

وقوله تعالى: ﴿وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾؛ أي: يرفعَ عنكم هذا الضِّيق، وهو كقوله تعالى: ﴿عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ [المزمل: ٢٠].

﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بمصالح العباد[٣] ﴿حَكِيمٌ﴾ فيما حَكم.

وقيل: أي: يهديَكم كيف فعلوا، وكيف فعل هو بهم؛ لتَّتعظوا.

وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ هو في حقِّ قومٍ علم الله منهم التَّوبة.

قوله تعالى: ﴿وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾: أي: ويريد أعداؤكم من الكفَّار الَّذين إنَّما يتَّبعون ما تميل إليه أهواؤهم أن تميلوا عن طاعة الله وعن دينه ميلًا عظيمًا؛ أي: فاحشًا مُفْرِطًا في الجهل والخطأ.

ثم المراد[٤] بهؤلاء عند بعضهم كُلُّ مبطِلٍ في طريقه على العموم.

وقيل: هم الزُّناة.

وقيل: هم اليهود والنصارى[٥].

وقيل: هم اليهود خاصةً في إحلالهم الأخوات لأبٍ.

---

(١) «الأولين» من (أ)، وليس فيها: «﴿الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾».

(٢) في (ف): «سنتهم».

(٣) في (ف): «بمصالحكم»، وفي الهامش كالمثبت.

(٤) في (ر): «وهم النصارى وقيل اليهود والمراد».

(٥) قوله: «وقيل هم اليهود والنصارى» من (أ)، وفي (ف): «قيل هم النصارى وقيل هم اليهود».

وقيل: إن بعض اليهود قالوا لرسول الله ﷺ: في التوراة إحلالُ الأخت لأبٍ، وأرادوا أن يجرُّوه إلى هذا، فحذَّره الله تعالى قصدَهم.

وقال مجاهد: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾: الزنا ﴿أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمٗا﴾؛ أي: تَزْنوا[1].

وقال السُّدِّيُّ: هم اليهود [والنصارى.

وقال بعضهم: هم اليهود، وذلك أنهم] ينكحون بناتِ الأخِ وبناتِ الأخت، فلما حرَّمهما الله تعالى قالوا: كيف تنكحون ابنةَ الخالة وابنةَ العمة والخالةُ والعمةُ حرامٌ عليكم، فكيف تستحلُّون البناتِ وتحرِّمون الأمهات؟ فنكِحوا ابنة الأخت كما تَنكِحون ابنة الخالة وابنة العمة، فأنزل الله تعالى هذه الآية[2].

***

(٢٨) - ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۡۚ وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا﴾.

وقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۡ﴾: أي: يسهِّلَ في أمور المناكح.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٦٢٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٩٢٦).

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» (٣/ ٢٩٠)، وما بين معكوفتين منه، وقول السدي في هذه الآية: (هم اليهود والنصارى) هو الذي ورد في المصادر عنه. انظر: «تفسير الطبري» (٦/ ٦٢٣)، و«تفسير ابن أبي حاتم» (٣/ ٩٢٥)، و«أحكام القرآن» للجصاص (٣/ ١٢٦)، و«تفسير الثعلبي» (٣/ ٢٩٠)، و«النكت والعيون» (١/ ٤٧٤)، و«تفسير البغوي» (٢/ ١٩٩)، و«المحرر الوجيز» (٢/ ٤٠).

ملاحظة: عبارة: (وقال بعضهم: هم اليهود، وذلك أنهم ينكحون بناتِ الأخِ...)، جاءت في طبعة دار التفسير من «تفسير الثعلبي» (١٠/ ٢٣٥) هكذا: (وقال بعضهم: هم المجوس، وذلك أنهم يحلون نكاح الأخوات من الأب وبناتِ الأخِ...)، وهكذا جاءت العبارة في «تفسير البغوي» (٢/ ١٩٩)، و«الكشاف» (١/ ٥٠١)، و«تفسير الخازن» (١/ ٥١٢)، و«روح المعاني» (٥/ ٤٦٤).

والإمام[١] أبو منصور رحمه الله جعَله في العبادات والتوبة عن الجنايات، وتَرْكِ الاستئصال بالعقوبات، بخلاف أحوال الماضين من الطبقات[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا﴾ قال الكلبيُّ: أي: لا يصبر عن النساء.

وقال طاوسٌ: ضعيفاً في أمر النساء.

وقال سعيد بن المسيِّب: ما أَيِس الشيطان من ابن آدم قط إلا أتاه من قِبَلِ النساء، وقد أتى عليَّ ثمانون سنة، وذهبت إحدى عينيَّ وأنا أعشو بالأخرى، وإنَّ أَخْوَفُ ما أخاف ما أخاف على نفسي فتنةَ النساء[٣].

وقال أبو هريرة رضي الله عنه: اللهم إني أعوذ بك من[٤] أن أزنيَ أو أسرقَ، فقيل له: قد كبرتْ[٥] سنُّك، وأنت صاحبُ رسول الله ﷺ، أتخافُ على نفسك من الزنا والسرقة؟! فقال: كيف آمَنُ وإبليسُ حيٌّ[٦].

وقال الحسن: خُلق من ماء مهين[٧].

وقيل: ضعيفًا في اليقين.

وقيل: أي: فقيرًا؛ قال الله جلَّ جلاله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [فاطر: ١٥].

---

(١) في (ر) و(ف): «وقال الإمام»، والمثبت من (أ)، وهو الصواب.

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٣/ ١٣٨).

(٣) انظر هذه الأقوال في «تفسير الثعلبي» (٣/ ٢٩١).

(٤) «من» من (ف).

(٥) في (ر) و(ف): «كبر»، بدل: «قد كبرت».

(٦) ذكره إسماعيل حقي في «روح البيان» (٢/ ١٩٣)، ولعله نقله من المؤلف.

(٧) انظر: «تفسير الثعلبي» (٣/ ٢٩١).

وقيل: أي: ضعيفًا لا يطيق العقوبة.

وقيل: أي: لا يصبر على الحرِّ والبرد والجوع والعطش.

وقيل: تجرحُه بعوضةٌ وتُؤْلمه بَقَّةٌ.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: يَضيق صدرُه وتَملُّ عن طول التنعُّم نفسُه.

قال: وقيل: خُلق ضعيفًا في الابتداء؛ قال تعالى: ﴿خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ﴾ الآية [الروم: ٥٤].

قال: ويحتمِل ضعفَه في نفسه في حقِّ مَلالته عن العبادات، بخلاف الملائكة فإنهم لا يَفْتُرون ولا يَسْتحِسرون[١].

وقال الإمام القشيري رحمه الله: يريد الله أن يخفِّف عنكم مقاساةَ المجاهدات بما يَلج[٢] لقلوبكم من أنوار المشاهدات.

قال: ويقال: يريد الله أن يخفِّف عنكم تعبَ الخدمة بحلاوة الطاعة.

قال: ويقال: أن يخفِّف عنكم كلف الأمانة بحملها عنكم[٣].

قال: ويقال: أن يخفِّف عنكم تعب الطلب بروح الوصول.

وقال في قوله تعالى: ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾: وصَف بهذا فقرَهم وضرَّهم ليبسط به عذرَهم[٤].

* * *

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٣/ ١٣٨).

(٢) في (ر) و(ف): «يليح». والمثبت من (أ) و«اللطائف».

(٣) في (ر): «كلف الإمامة بجعلها بينكم فتأمل»، وسقطت العبارة من (ف)، والمثبت من (أ) و«اللطائف».

(٤) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٣٢٦ ـ ٣٢٧).

(٢٩) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْۚ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ﴾:

قرأ عاصم وحمزة والكسائي: ﴿تِجَٰرَةً﴾ نصبٌ، على أن الأموال اسمُ (كان) و﴿تِجَٰرَةً﴾ خبرٌ له، وهي مصدرٌ بمعنى المفعول به، وقرأ الباقون بالرفع[١] على أن قوله: ﴿تجارةٌ﴾ مرفوعةٌ بـ(كان)، ومعناه: إلا أن تقع تجارةٌ، كما في قوله: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ﴾ [البقرة: ٢٨٠].

وهذه الآيةُ متَّصلةٌ بما قبلها من آيات[٢] حفظِ أموال اليتامى والنساء والسفهاء عليهم، وإيصالِ المواريث إلى مستحِقِّها[٣]، وتركِ استردادِ مهورِ النساء، وفي هذه نهيٌ عن أخذ أموال الناس بالباطل؛ أي: لا يأكلْ بعضُكم مال بعضٍ على الوجه الذي لم يأمر الله تعالى به ولا أباحه، فإنه باطلٌ ليس بحقٍّ، وهو كالغصب والسرقة والقمار والربا والعقود الفاسدة والرشوة ونحوها.

والمراد من الأكل: الأخذ؛ لِمَا مر في سورة البقرة.

وقوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ﴾ هذا استثناءٌ منقطِع بمعنى: لكن؛ أي: لكن إذا كانت تجارة عن تراضي العاقدين بها فكلوا، ويلتحق بها أسبابُ الملك المشروعة كالهبة والصدقة والإرث والعقود الجائزة؛ لخروجها عن الباطل.

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٢٣١)، و«التيسير» (ص: ٩٥).

(٢) في (أ) و(ف): «متصلة بآيات».

(٣) في (أ): «مستحقيها».

وقوله تعالى: ﴿لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم﴾؛ أي: لا يأكل بعضُكم مال بعضٍ؛ كما في قوله: ﴿فَسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ [النور: ٦١].

وكذا[١] قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾: أي: لا يَقتلْ بعضُكم بعضًا، ذَكر حرمةَ المال والنفس بعد ذِكر حرمةِ الفرج؛ لأن انتهاكها من الموبِقات فنهى عنها كلِّها.

وقيل: معناه: ولا تقتلوا إخوانكم الذين[٢] هم كأنفسكم، وهو إِشارة إلى صدر السورة: ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ الآية، ولأن المؤمنين كنفس واحدة والحديثُ فيه مشهور[٣]، ولأنه إذا قَتل غيره قُتل به قصاصًا فصار كأنه قَتل نفسه.

وقيل[٤]: أي: ولا تهلكوا أنفسكم بإتلاف أموالكم؛ لأنه ذكر في أول السورة أن المال قيامُ الناس، فيكون في هلاك المال هلاكُ البدن.

وقيل: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾؛ أي: لا تعجزوا عن الحيلة والتصرُّف.

وقال الإمام القشيري رحمه الله: لا تقتلوا أنفسكم بارتكاب الذنوب.

وقيل: أي: بتعريضها لمساخط الله.

وقيل: أي: بنظركم إليها.

وقيل: أي: باستحسانكم شيئًا منها.

وقيل: أي: بإيثارها غيرَ رضى الحق[٥].

---

(١) في (أ): «وكذلك».

(٢) في (ر): «إخوانكم في الدين».

(٣) رواه البخاري (٦٠١١)، ومسلم (٢٥٨٦)، من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما، ولفظه: «مَثَلُ المؤمِنين في تَوادِّهم وتَراحُمِهم كمَثَلِ الجسدِ، إذا اشتكَى عُضوًا تَداعَى له سائرُ جسدِه بالسَّهرِ والحُمَّى».

(٤) في (ف): «قوله تعالى ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾».

(٥) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٣٢٧).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا﴾: ولرحمته بكم نبَّهكم على ما فيه صيانةُ أموالكم وبقاءُ أبدانكم.

وقال عكرمةُ والحسن[1]: كان الرجل يتحرَّج أن يأكل عند أحدٍ من الناس شيئًا إلا بالشراء لنزول هذه الآية، حتى نزل قولُه تعالى: ﴿وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَن تَأۡكُلُواْ﴾ إلى قوله: ﴿جَمِيعًا أَوۡ أَشۡتَاتٗا﴾ [النور: ٦١][2].

* * *

(٣٠) ـ ﴿وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ عُدۡوَٰنٗا وَظُلۡمٗا فَسَوۡفَ نُصۡلِيهِ نَارٗاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ عُدۡوَٰنٗا وَظُلۡمٗا﴾: أي: ومن يرتكب النهي عن أكل المال وقتلِ النفس، فلذلك وحَّد.

والعدوان: مجاوزةُ حدِّ الأمر، والظلم: الجَوْر، ومعناه: عالمًا به غيرَ مخطئ ولا متأوِّلٍ[3]، يشير بذلك إلى أنه إذا كان عن جهلٍ أو خطأ أو شبهةٍ لم يستحِقَّ هذا الوعيدَ الشديد.

وقوله تعالى: ﴿فَسَوۡفَ نُصۡلِيهِ نَارٗا﴾: أي: ندخلُه نارَ جهنم.

وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾: أي: وكان إصلاؤه النارَ سهلًا لا يَعْسُر عليه شيء، وهذا الوعيد في حق المستحِلِّ للتخليد على القطع، وفي حقِّ غير المستحِلِّ لبيان استحقاقه دخولَ النار والعقوبةَ فيها مدةً، مع وعد الله تعالى بمغفرةٍ[4] ما دون الشرك لمن يشاء.

---

(١) «والحسن» ليس في (ف).

(٢) رواه عنهما الطبري في «تفسيره» (٦/ ٦٢٧).

(٣) في (أ): «ولا مأول»، وليست في (ف).

(٤) في (أ): «مغفرة».

(٣١) - ﴿إِن تَجۡتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنۡهَوۡنَ عَنۡهُ نُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَنُدۡخِلۡكُم مُّدۡخَلٗا كَرِيمٗا﴾.

قوله تعالى: ﴿إِن تَجۡتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنۡهَوۡنَ عَنۡهُ نُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَنُدۡخِلۡكُم مُّدۡخَلٗا كَرِيمٗا﴾:

الاجتناب: التباعُد، والكبائر: جمعُ كبيرةٍ، وهي الفعلةُ العظيمة الإثم، وقد أضافها إلى جميع المنهيَّات.

والتكفير: السَّتر، والسيئات: جمعُ السيئة، وهي خلافُ الحسنة.

والمَدخل بفتح الميم: الدخول، وموضعُ الدخول أيضًا.

والمُدخَل بضم الميم: موضع الإدخال، ومصدرٌ أيضًا كالإدخال.

والكريم: الحسَن، وهو على[1] وجوهٍ تسعة:

الكريم: العفو الجواد، قال تعالى خبرًا عن سليمان: ﴿فَإِنَّ رَبِّي غَنِيّٞ كَرِيمٞ﴾ [النمل: ٤٠].

والكريم: الفاضل: ﴿هَٰذَا ٱلَّذِي كَرَّمۡتَ عَلَيَّ﴾ [الإسراء: ٦٢]، ﴿وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ [الإسراء: ٧٠].

والكريم: البرُّ الصالح: ﴿إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٞ كَرِيمٞ﴾ [يوسف: ٣١].

والكريم: المكرَّم عند الله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ﴾ [الحاقة: ٤٠].

والكريم: الجامع للمكارم: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ﴾ [الواقعة: ٧٧].

والكريم: المطيع: ﴿كِرَامٗا كَٰتِبِينَ﴾ [الانفطار: ١١].

والكريم: الكتاب المختوم: ﴿إِنِّيٓ أُلۡقِيَ إِلَيَّ كِتَٰبٞ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٢٩].

والكريم: المتكرِّم بنفسه: ﴿ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ﴾ [الدخان: ٤٩].

---

(١) في (ر) و(ف): «وعلى هذا»، بدل: «وهو على».

والكريم: الحسَن: ﴿كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ [الشعراء: ٧] وقال تعالى: ﴿مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾؛ أي: حسنًا، وهو الجنة.

وقرأ عاصم في رواية المفضَّل عنه: (يُكفِّر) بالياء، و(يدخلْكم) كذلك[١]، ويرجع إلى قوله تعالى: ﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾، والباقون بالنون على الاستئناف خبرًا من الله تعالى عن نفسه على خطاب الملوك بصيغة الجمع.

وقرأ نافع وعاصم في رواية أبي بكر: ﴿مَّدْخَلًا﴾ بالفتح والباقون بالضم[٢].

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: اختُلف في الكبائر؛ قيل: هي كبائر الشرك؛ لأنها أنواع: منها الإشراكُ بالله، ومنها الجحودُ بالأنبياء[٣]، ومنها نقصُ الأنبياء[٤]، ومنها الجحود ببعض الأنبياء، ومنها جحود العبادات، ومنها استحلال المحرمات وتحريم المحللات وغيرُ ذلك، وكلُّ ذلك شركٌ بالله تعالى، فإذا اجتنب[٥] كبائر الشرك صار ما دونها موعودًا له المغفرةُ[٦] بالمشيئة بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]، فهو في مشيئة الله تعالى إن شاء عذَّبه وإن شاء عفَى عنه.

قال[٧]: وقيل: أراد بالكبائر كبائرَ الإسلام، ثم يحتمِل وجهين بعد هذا:

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٢٣٢)، و«المحرر الوجيز» (٢/ ٤٣)، وقراءة عاصم في المشهور عنه كقراءة الجمهور بالنون فيهما.

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٢٣٢)، و«التيسير» (ص: ٩٥). ولم يذكرها في «التيسير» عن أبي بكر، والمشهور عنه ضم الميم كباقي السبعة.

(٣) في (ر): «للأنبياء».

(٤) «ومنها نقص الأنبياء» ليس في (أ) و(ف)، ولم يرد في «التأويلات».

(٥) في (ف): «اجتنبت».

(٦) في (ر) و(ف): «بالمغفرة». والمثبت من (أ) و«التأويلات».

(٧) بعدها في (ر): «أبو منصور رحمه الله».

يحتمِل أن تكون الصغائرُ مغفورةً باجتناب الكبائر.

ويحتمِل أن تكون الصغائر مغفورةً بالحسنات؛ لأنه تعالى قال: ﴿نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾ وتكفير السيئات بالحسنات؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَـٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [هود: ١١٤].

ويحتمِل أن يكون التكفير لهما وإنْ لم تُجتنب، ألا ترى أنه قال في آية أخرى: ﴿إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَـٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٧١] رفعًا بالاستئناف، وقال تعالى: ﴿تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾ [التحريم: ٨] يعني: لم يَصِلْ بالفاء فكان في حكم الابتداء، ألَا ترى إلى ما روى أنس عن النبيِّ ﷺ أنه[١] قال: «شفاعتي نائلةٌ لأهل الكبائر من أمَّتي»[٢].

ورُوي عن علي رضي الله عنه أنه سمع امرأة تدعو: اللهمَّ اجعلني من أهل شفاعةِ محمد، فقال: مَهْ، قولي: اللهم اجعلني من الفائزين، فإن شفاعة محمد لأهل الكبائر، ثم قرأ: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ الآية.

ثم إنَّ الله تعالى ذكر تكفير السيئات إذا اجتُنبت[٣] الكبائر، ولم يذكر الحكم إذا لم يجتنبها، فليس فيه أنه إذا لم تُجتنَب لم[٤] يكفِّر، فهو في مشيئة الله تعالى إن شاء كفَّره[٥] وإن شاء عذَّبه، على ما ذكرنا: أن وجوب الحكم في حالٍ لا يوجِب خلاف ذلك الحكم في حالٍ أخرى حظرًا كان أو حلًّا.

---

(١) «أنه» ليس في (أ).

(٢) رواه أبو داود (٤٧٣٩)، والترمذي (٢٤٣٥)، من حديث أنس رضي الله عنه دون كلمة: «نائلة». قال الترمذي: حسن صحيح غريب.

(٣) في (أ): «إن اجتنب» بدل: «إذا اجتنبت».

(٤) في (أ): «لا».

(٥) أي: كفَّر الذنب.

وقرئ في بعض القراءات: (إنْ تَجتنِبوا كبيرَ ما تُنْهَون عنه)[1] فإنْ ثبت هذا فهو يدلُّ على التأويل الذي قلنا: إن المراد به الشركُ[2].

قال: واختلف في كيفية الكبائر وماهيتها[3]:

قال بعضهم: ما أوجب الحد فهو كبيرةٌ؛ كالزنا والسرقة والقذف ونحوها.

وقال آخرون: هي الشركُ بالله تعالى، وقتلُ النفس التي حرَّم الله بغيرِ حقِّها، وأكلُ مال اليتيم، والبهتانُ، والفِرار من الزحف.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه: أنه سئل عن ذلك، فقال: ما ذكر من أول هذه السورة[4] إلى هذه الآية، وهي ثلاثون آية[5].

وقيل لابن عباس رضي الله عنهما: إن عبد الله بن عمر يقول: الكبائر سبعٌ، فقال ابن عباس رضي الله عنهما: هن[6] إلى السبعين أقربُ، ولكن[7] لا كبيرةَ بعد[8] توبة ولا صغيرةَ مع إصرار[9].

---

(١) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٣٢) عن سعيد بن جبير ومجاهد.

(٢) لأن كبير الإثم هو الشرك. انظر: «تفسير القرطبي» (٦/ ٢٦٣).

(٣) في (أ): «ومائيتها»، وفي (ر): «وما يثبتها» وليست في (ف). والمثبت من «التأويلات»

(٤) في (أ): «من أول سورة النساء» وعبارة «التأويلات»: «من أول السورة إلى هنا من المحرمات فهو من الكبائر».

(٥) رواه البزار في «مسنده» (١٥٣٢)، والطبري في «تفسيره» (٦/ ٦٤١ ـ ٦٤٢)، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٢/ ٣٥٤).

(٦) في (ر): «هي».

(٧) في (ف): «وذلك».

(٨) في (أ): «مع».

(٩) رواه بنحوه عبد الرزاق في «تفسيره» (٥٥٥)، والطبري في «تفسيره» (٦/ ٦٥١). وفي رواية للطبري: (إلى سبع مئة أقرب منها إلى سبع، غير أنه لا كبيرة مع استغفار ولا صغيرة مع إصرار). =

وعن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: «ما تقولون في الزنا والسرقة وشرب الخمر؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «هن[١] فواحشُ وفيهنَّ عقوبةٌ»، ثم قال النبيُّ ﷺ: «ألا أنبِّئكم بأكبر الكبائر؟» قالوا: بلى يا رسول الله! قال: «الإشراك بالله وعقوق الوالدين»، وكان متكئًا فجلس ثم قال: «ألَا وقولُ الزور ألَا وقولُ الزور ألَا وقولُ الزور[٢]»[٣] إلى هاهنا كلُّه كلامُ[٤] الإمام أبي منصور رحمه الله[٥].

قال نجم الدِّين رحمه الله: وما ذَكَر من بعض القراءات: (إنْ تَجتنِبوا كبيرَ ما تُنهَون عنه) على الوحدان فهو عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه[٦].

وما ذكَر أن الكبيرة ما أَوجب الحدَّ، فعن ابن عباس والضحاك: أن الكبيرة ما أَوْعَد الله عليه حدًّا في الدنيا أو عذابًا في الآخرة[٧].

= وفي أخرى من طريق سليمان التيمي عن طاوس قال: ذكروا عند ابن عباس الكبائر فقالوا: هي سبع؟ قال: (هي أكثر من سبع وسبع)، قال سليمان: فلا أدري كم قالها من مرّة.

(١) في (أ): «هي».

(٢) في (أ): «ثلاثًا» بدل: «ألا وقول الزور ألا وقول الزور».

(٣) رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٣٠)، والطبراني في «الكبير» (١٨/ ١٤٠)، من طريق الحسن عن عمران بن حصين رضي الله عنه. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ١٠٣): رواه الطَّبرانيُّ في «الكبير»، ورجالُه ثقاتٌ إلا أنَّ الحسن مدلِّسٌ وعنعنه.
ورواه من قوله: «ألا أنبِّئكم بأكبر الكبائر؟» إلى آخر الحديث البخاري (٢٦٥٤)، ومسلم (٨٧)، من حديث أبي بكرة رضي الله عنه.

(٤) في (ف): «قول».

(٥) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٣/ ١٤٤ ـ ١٤٨).

(٦) انظر: «تفسير الثعلبي» (٣/ ٢٩٨)، وتقدم قريباً تخريجها عن غير ابن مسعود.

(٧) انظر: «تفسير الثعلبي» (٣/ ٢٩٦) و«تفسير البغوي» (٢/ ٢٠٣) عن الضحاك. ورواه عن ابن عباس ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٩٣٤) بلفظ: (كل ما وعد الله عليه النار فهو كبيرة). وروى الطبري =

ورَوَى أبو صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: ما نزل حدُّه فمِن الفواحش، وما لم ينزل حدُّه فمن[1] الكبائر.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أيضًا[2] في رواية أخرى: كلُّ ذنبٍ أصرَّ عليه العبد فهو كبيرة، وليس من الكبيرة ما تاب عنه العبد[3].

وقال مالك بن مِغْوَلٍ: الكبائرُ ذنوب أهل البدع، والسيئات[4] ذنوب أهل السنة[5].

وقال الحارث المُحاسِبِيُّ: الكبائر ذنوبُ المستحِلِّين، والصغائر ذنوب المستغفرين.

وقال سفيان الثوري: الكبائر ما كان فيه المظالم بينك وبين العباد، والصغائر ما كان بينك وبين الله لأن الله تعالى كريم يغفر[6]؛ قال النبي ﷺ: «ينادي منادٍ من بُطْنان العرش يوم القيامة: يا أمةَ محمدٍ، إن الله تعالى يقول: أمَّا ما كان لي قِبَلكم فقد وهبتُها لكم، وبقيتِ التَّبِعات فتواهَبوها وادخُلوا الجنة برحمتي»[7].

= في «تفسيره» (٦/ ٦٥٠) عنه قال: (كل ما نهى الله عنه فهو كبيرة)، و(٦/ ٦٥٢) عنه قال: (الكبائرُ: كلُّ ذنبٍ خَتَمَهُ اللهُ بنارٍ، أو غضبٍ، أو لعنةٍ، أو عذابٍ).

(١) في (ر) و(ف): «فهو من».

(٢) «أيضًا» ليس في (أ) و(ف).

(٣) رواه القاضي إسماعيل بن إسحاق في «أحكام القرآن» (٣٨)، والطبري في «تفسيره» (٦/ ٦٥١)، وابن المنذر في «تفسيره» (١٦٧٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٩٣٤)، بلفظ: (لا كبيرة مع استغفار ولا صغيرة مع إصرار).

(٤) في (ر): «والصغائر»، والمثبت من باقي النسخ والمصادر.

(٥) انظر: «تفسير الثعلبي» (٣/ ٢٩٦)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٢٠٣)، و«مدارج السالكين» (١/ ٣٢٢).

(٦) في (ر) و(ف): «يعفو»، والمثبت من (أ) والمصادر.

(٧) رواه البغوي في «شرح السنة» (٤٣٦٥) من حديث أنس رضي الله عنه. وفي إسناده الحسين بن داود البلخي، قال عنه الخطيب: ليس بثقة كان وضاعاً. انظر: «ميزان الاعتدال» (١/ ٤٨٧).

وقال الحسين بن الفضل البَجَلي رحمه الله: الكبائر: ما سماه الله تعالى كبيرًا في القرآن وعظيمًا: ﴿إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٣١] ﴿إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾ [النساء: ٢] ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣] ﴿إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ [يوسف: ٢٨] ﴿هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٦] ﴿إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٣].

وقال أنس بن مالك رضي الله عنه: إنكم تعملون اليوم أعمالًا هي أدقُّ في أعينكم من الشعر كنَّا نَعُدُّها على عهد رسول الله ﷺ من الكبائر(١).

وقال فرقدٌ السَّبخيُّ رحمه الله: قرأتُ في التوراة: أمَّهاتُ الخطايا ثلاث وهي(٢): أولُ ذنب عُصي اللهُ به الكِبْرُ وكان ذلك لإبليس، والحرصُ وكان ذلك لآدم، وقتلُ النفس وكان ذلك لقابيل حين قَتل هابيل(٣).

وعن النبيِّ ﷺ قال: «أكبرُ الكبائر ثلاثةٌ: القنوطُ من رحمة الله، قال تعالى: ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾ [الحجر: ٥٦]، والأمنُ من مكر الله، قال تعالى: ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٩]، والإيَاسُ من رَوح الله تعالى، قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧]»(٤).

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ٢٠٣ ـ ٢٠٤). والحديث رواه البخاري (٦٤٩٢).

(٢) في (أ): «وهن».

(٣) انظر كل ما تقدم من أقوال في «تفسير الثعلبي» (٣/ ٢٩٥ ـ ٢٩٦).

(٤) رواه الطبراني في «الكبير» (١٣٠٢٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما موقوفاً، وفيه بدل القنوط من رحمة الله: الإشراك بالله، مع الاستدلال له بقوله تعالى: ﴿مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ﴾ [المائدة: ٧٢]. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١١٦): (إسناده حسن). وروي مثله من حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً لكن دون ذكر الآيات، رواه البزار (١٠٦ ـ كشف الأستار)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٩٣١). وحسن إسناده السيوطي في «الدر المنثور» (٢/ ٥٠٢)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ١٠٤): (رجاله موثقون). لكن الحافظ ابن كثير =

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «أتاني جبريل عليه السلام فأخبرني عن الله عز وجل قال[1]: وعزَّتي وجلالي إنه ليس من الكبائر كبيرةٌ هي أعظم عندي من حبِّ الدنيا»[2].

وقال القشيري الإمام رحمه الله: الكبائر على لسان أهل العلم هاهنا الشركُ، وعلى لسان أهل الإشارة أيضًا الشركُ الخفيُّ، ومن جملة ذلك: ملاحظةُ الخَلْق، واستحلاءُ[3] قبولهم، والتودُّدُ إليهم، والإغماضُ عن حق الله بسببهم.

وقال في قوله تعالى: ﴿وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾: أي: يُدخلْكم في أموركم وأحوالكم مُدخلًا حسنًا؛ لا تَرون منكم دخولَكم ولا خروجَكم، وإنما تَرون المصرِّفَ لكم ربَّكم سبحانه وتعالى[4].

وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: ثماني[5] آيات في سورة النساء كلُّ

= رحمه الله قال عند تفسير الآية (٣١) من سورة النساء: (في إسناده نظر، والأشبه أن يكون موقوفاً، فقد روي عن ابن مسعود نحو ذلك، وهو صحيح إليه بلا شك).
قلت: رواه من قول ابن مسعود عبد الرزاق في «المصنف» (١٩٧٠١) وفي «التفسير» (٥٥٦)، والطبري في «التفسير» (٦/ ٦٤٨ ـ ٦٤٩)، وابن المنذر في «التفسير» (١٦٦١)، والطبراني في «الكبير» (٨٧٨٣)، فذكر فيه الأربعة: الشرك والقنوط والأمن واليأس، وفي لفظ للطبري: (الكبائر أربع...). وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ١٠٤): (إسناده صحيح).

(١) في (أ): «وروى ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال عن جبريل عليه السلام إن الله تعالى قال».

(٢) ذكره إسماعيل حقي في «روح البيان» (٢/ ١٩٧)، ولعله نقله من المؤلف.

(٣) في (ر): «واستحلال».

(٤) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٣٢٧ـ٣٢٨).

(٥) في (أ): «ثمان».

واحدةٍ منهنَّ خيرٌ لهذه الأمة مما طَلعت عليه الشمس والقمر: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ الآية [النساء: ٢٦]، ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ الآية [النساء: ٢٧]، ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ﴾ الآية [النساء: ٢٨]، ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾ الآية [النساء: ٣١]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ الآية [النساء: ٤٠]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾ الآية [النساء: ٤٨]، ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ﴾ الآية [النساء: ١١٠]، ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ﴾ الآية [النساء: ١٤٧](١).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: الكبائر عشرون، وبسَطها واستدلَّ فيها بالآيات والأخبار، وهذا اختصارها: الإشراكُ بالله، والإيَاسُ(٢) من رَوح الله، والقنوطُ من رحمة الله، والأمنُ من مكر الله، وعقوقُ الوالدين، وقتلُ النفس بغير حقٍّ، وقذفُ المحصَنة، وأكلُ مال اليتيم ظلمًا، والفرارُ من الزحف، وأكلُ الربا، والسحرُ، والزنا، واليمينُ الكاذبة، ومنعُ الزكاة، والغلولُ، وشهادة الزُّور، وشربُ الخمر، وتركُ الصلاة متعمِّدًا، وقطيعة الرَّحِم، والجنَف في الوصية(٣).

* * *

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٦٦٠ ـ ٦٦١)، وفيه: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ [النساء: ١٥٢] بدل: ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ﴾.

(٢) في (ف): «واليأس».

(٣) رواه الطبراني في «الكبير» (١٣٠٢٣)، باختلاف يسير، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١١٦): إسناده حسن.

التيسير في التفسير

تأليف الإمام

أبي حفص النسفي

نجم الدين عمر بن محمد بن أحمد النسفي الحنفي

٤٦١ - ٥٣٧هـ

يطبع أول مرة محققاً على ثلاث نسخ خطية

تحقيق وتعليق

فادي المغربي

المجلد الخامس

دار اللباب

بسم الله الرحمن الرحيم

التيسير

في

التفسير

(٥)

حُقُوق الطَّبْع مَحْفُوظَة

الطبعة الأولىٰ

١٤٤٠هـ-٢٠١٩م

يُمنع طباعةُ هذا الكتاب أو ترجمته أو تصويرُه ورقياً أو إلكترونياً

إلا بإذن خطي من الدار الناشرة

تحت المُساءلة الدُّنيوية والأُخروية

9 786052 279311

دَارُ اللُّبَاب
للدِّرَاسَاتِ وَتَحْقِيقِ التُّرَاثِ

DAR-ALLOBAB

Lubab Yazma Eserleri İhya ve İlmi Araştırma Yayınları

اسطنبول - تركيا
00905454729850
00902125255551
info@allobab.com

بيروت - لبنان
009615813966
0096170112990
Www.allobab.com

İskenderpaşa mh. Kıztaşı cd. No:7 D:5 Fatih (Özel Fatih Hastanesi Karşısı)

سُورَةُ النِّسَاءِ

(٣٢) ـ ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾: وأكثر ما ينشأ قصدُ أخذِ مال الغير بالباطل، وقتلُ النفس بغير حقٍّ، وإهلاكُ نفسه في الخوض في المخاوف، يكون بتمنِّي مال الغير وحالِ الغير، فنهاهم الله تعالى عن ذلك قطعًا لِمَا يَبتني عليه، فقال: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا﴾؛ أي: ولا تشتهوا ﴿مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ﴾؛ أي: الشيءَ الذي فضَّل الله به[١] ﴿بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾: الأغنياءَ على الفقراء والرجالَ على النساء.

قال عكرمةُ ومجاهد: نزلت في قولِ أم سلمة: يغزو الرجال ولا نغزو[٢]، ولنا نصف الميراث، فنزلت: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾[٣] بالذكورة

---

(١) في (أ): «بذلك».

(٢) في (أ): «تغزو» وفي (ف): «تغزو النساء».

(٣) رواه عنهما مختصراً الطبري في «تفسيره» (٦/ ٦٦٥)، ورواه بنحوه عن عكرمة ابن المنذر في «تفسيره» (١٦٧٩)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ١٥٠). ورواه بنحوه أيضاً الترمذي (٣٠٢٢)، والإمام أحمد في «المسند» (٢٦٧٣٦)، من طريق مجاهد عن أم سلمة رضي الله عنها، وفيه انقطاع بينهما، نبه عليه الترمذي.

والجهاد ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُواْ﴾ من الخير ﴿وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ﴾ أيضًا من الخير، فلا حرمان لهنَّ من الثواب بأنوثتهن ومنعِهن عن الجهاد، ولهن خيراتٌ أُخَرُ يُجازَينَ عليها.

وقال قتادة: كان أهل الجاهلية لا يورِّثون المرأة ولا الصبيَّ شيئًا، ويجعلون الميراث لمن يَحترِف، فجعل الله تعالى الميراثَ للمرأة والصبيِّ، وجعل للذكَر مثلَ حظ الأنثيين، فقالت النساء: لو جُعل نصيبنا كنصيب الرجال، وقالت[1] الرجال: إنا لنرجو أن يحاسبنا الله في الآخرة كما فضَّلنا في الدنيا في الميراث[2]، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾[3]؛ أي: الرجالَ بالميراث، **وقوله تعالى:** ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُواْ﴾ يجزي الرجلَ بالحسنة عشرًا ﴿وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ﴾ ويجزي المرأة بالحسنة عشرًا، وليس ذلك على حسب[4] الميراث.

وقال السدِّي: تمنَّى الرجال أن لا يكونَ عليهم جهادٌ، وتمنَّى النساء أن يكنَّ مثلَ الرجال في الجهاد في سبيل الله تعالى، فنُهوا جميعًا عن تمنِّي ذلك[5].

وقال مقاتل بن حيان: تمنى النساء أن يكنَّ مثلَ الرجال في المواريث[6]، فنُهين

---

(١) في (أ) و(ف): «فقال».

(٢) في (ر) و(ف): «بالميراث». ولفظ الطبري: (وقال الرجالُ: إنَّا لنرجو أنْ نُفضَّل على النساء بحسناتنا في الآخرة، كما فضِّلْنا عليهنَّ في الميراثِ).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٦٦٧).

(٤) في (ف): «حساب».

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٦٦٧).

(٦) في (أ): «الميراث».

عن ذلك، فقلن عند ذلك: فلهم[1] من الوِزر على قَدْرِ ما فضِّلوا به من[2] الميراث، فنزل: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ ۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ﴾[3].

وقال قتادةُ: لمَّا جُعل حظُّ الذكر مثلَ حظِّ الأنثيين في الميراث قال الرجال: نرجو أن تكون حسناتُنا مثلَي حسناتهنَّ، وقالت النساء: نرجو أن تكون سيئاتُنا على النصف من سيئاتهم، فنُهوا جميعًا عن ذلك، فنزلت الآية[4].

وقيل: هذا لطفٌ في النهي، وتنبيهٌ أنه لا يضرُّهم تفضيل بعضهم على بعضٍ في الأموال إذا كانوا متساوينَ في ثواب الأعمال.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: يحتمِل أن يكون هذا التمنِّي في الدِّيانة، ويحتمِل أن يكون في النِّعم الدنيوية:

أمَّا في الديانة: فأنْ يتمنَّى أحدٌ أن يكون قَدْره مِثْلَ قَدْرِ آخَرَ عند الناس من العلم والزهد[5] وغيرِ ذلك، فنهي أن يتمنَّى ذلك؛ إذ لم يبلغ هو ذلك المبلَغَ إلا لاحتمال المكاره والمشاقِّ والجهد[6].

وفي الدنيوية: هو أن يتمنَّى مالَ أخيه وزوجتَه وخدَمه، وهو كفرانٌ بما أنعم الله تعالى عليه من سائر النعم.

ويحتمِل أن يكون هذا على ما خاطَب به رسولَ الله ﷺ بقوله: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ

---

(١) في (أ) و(ف): «لهم».

(٢) في (أ): «بعض»، بدل: «به من».

(٣) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٩٣٦)، وانظر: «تفسير مقاتل» (١/ ٣٦٩).

(٤) انظر: «تفسير الثعلبي» (٣/ ٢٩٩).

(٥) في (ر) و(ف): «من الدين والعلم».

(٦) في (ر) و(ف): «والمشاق وغير ذلك من الجهد» والمثبت من (أ) و«التأويلات».

﴿إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ [طه: ١٣١] فأَخبر أنه لم يعطِ للكرامة لكن للفتنة، والعقل(١) يأبى الرغبة فيما يُفتَن(٢) به دون ما يُكرم به.

ثم بيَّن الذي هو أولى بالتمنِّي، وهو قوله تعالى: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ﴾(٣).

ثم أمر بالسؤال من فضله لتوفيق ذلك، وهو قوله تعالى:

﴿وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾: فإنه هو الموفِّق، قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾ [النور: ٢١].

وقيل: واسألوا من أفضاله مثل(٤) ما أعطى فلانًا الذي تتمنَّونه.

ثم إذا تمنى الرجل أن تزول نعمة الغير إليه فقد حسده، وإذا تمنى أن يبقى للغير ذلك ويكونَ له مثلُه فقد غبطه، والأول حرام، والثاني ضارٌّ لو لم يدفعه عن نفسه، ودفعُه: أن يرى فضل الله على فلان، وأنه لا يَشُقُّ عليه ولا يَنْقُص من ملكه لو أعطى للمتمنِّي، فيرغب إلى الله في سؤاله أن يعطيه مثله.

قال سفيان بن عيينة: لم يأمر بالمسألة إلا ليعطيَ(٥).

وقال الحسن: قال النبيُّ ﷺ: «إن الله تعالى لَيُمْسِكُ الخيرَ الكثيرَ عن عبده، ويقول: لا أعطي عبدي حتى يسألَني»(٦).

---

(١) في (ر): «والعاقل»، والمثبت من (أ) و(ف) و«التأويلات».

(٢) في (ر): «يفتتن».

(٣) انظر: «تأويلات اهل السنة» (٣/ ١٤٨ ـ ١٥٠).

(٤) «مثل» من (أ).

(٥) انظر: «تفسير الثعلبي» (٣/ ٣٠٠).

(٦) أورده الديلمي في «الفردوس» (٦٣٢) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

وقرأ ابن كثير والكسائي: ﴿وسلوا﴾ بغير همزٍ تخفيفاً لكثرة الاستعمال، والباقون بالهمز على الأصل(١).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾: أي: بمواضع الاستحقاق لفضل النعم والأرزاق.

وقال الإمام القشيري رحمه الله: على لسان أهل المعاملة أن الأمر بالتَّعنِّي لا بالتمنِّي، وعلى لسان أهل التوحيد أن الأمر بالقضاء والتقدير لا بالتمنِّي في الضمير(٢).

وقال في قوله تعالى: ﴿وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾: أي: لا تتمنَّ نيلَ العطاء، واسأل الله من فضله الرضا بفقد العطاء، وذلك أتمُّ العطاء، فإن التحرُّر عن رقِّ(٣) الأشياء أتمُّ مِن تملُّك الأشياء(٤).

* * *

(٣٣) ـ ﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَٰلِىَ مِمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ ۚ وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَـَٔاتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَٰلِىَ مِمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ﴾ ووجه الانتظام: ولا تتمنوا كثرة الأموال فإنها تصير بعدكم(٥) لغيركم بالميراث.

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٢٣٢)، و«التيسير» (ص: ٩٥).

(٢) في «اللطائف»: (أن الأمر بالحكم والقضاء لا بالإرادة والمنى).

(٣) في (ر): «فإن التحرز عن فقد».

(٤) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٣٢٨ ـ ٣٢٩).

(٥) في (أ): «عنكم»، وفي (ف): «عليكم».

قوله[1]: ﴿وَلِكُلٍّ﴾ منوَّن على تقدير المضاف؛ أي: ولكلِّ ميت، وقيل: لكلِّ مورِّث ﴿جَعَلْنَا مَوَالِيَ﴾؛ أي: ورثةً يَلُونه؛ أي: يَقربون منه، جمعُ مولًى.

وقوله تعالى: ﴿مما ترك الوالدان والأقربون﴾ (مِن) في ﴿مِمَّا﴾ صلة، و(ما ترك) اسم للترِكة الموروثة، و﴿مَوَالِيَ﴾ بمعنى الورثة، وتقع وراثتهم على ما ترك.

وقيل: ﴿وَلِكُلٍّ﴾ هو داخل في المال؛ أي: ولكلِّ مالٍ مما تركه الأبوان وسائرُ القرابات جعلنا[2] لذلك المال ورثةً.

وقيل على الوجه الأول: ولكلِّ ميت جعلنا ورثةً، ثم يضمر هاهنا: يُعطون مما ترك.

وقيل: أو[3] الكلام يتمُّ بـ ﴿مِمَّا تَرَكَ﴾، ثم قوله: ﴿ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ﴾ ابتداءٌ على وجه التفسير للموالي؛ كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ٱلنَّارُ﴾ [الحج: ٧٢].

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ عَاقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾[4] قرأ ابن كثير وأهلُ المدينة وأبو عمرٍو و[ابن] عامر[5]: ﴿عاقَدَتْ﴾ بالألف لأنها بين اثنين، والباقون: ﴿عَقَدَتْ﴾[6] وهو أصل الفعل[7].

---

(١) «قوله» من (أ).

(٢) في (ر): «جعلت»، وسقطت الجملة من (ف).

(٣) في (أ): «أول».

(٤) في (أ): «﴿وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾»، وهما قراءتان سبعيتان كما سيأتي.

(٥) كلمة: «وعامر» سقطت من (أ)، وكلمة «ابن» سقطت من النسخ.

(٦) هي قراءة حمزة والكسائي وعاصم. انظر: «السبعة» (ص: ٢٣٣)، و«التيسير» (ص: ٩٦).

(٧) في (ر): «العقد».

وقرأت أمُّ سعدٍ بنتُ سعدِ بن الرَّبيع: (عَقَّدت) بالتشديد[١]، وهو للتوثيق والتأكيد[٢].

و﴿أَيْمَٰنُكُمْ﴾: جمع يمين، وهي اليد التي أُضيفت المعاقَدةُ إليها كما تضاف سائر الأفعال إلى اليد[٣]، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [آل عمران: ١٨٢].

وقيل: كانوا يصفِّقون بالأيدي عند العقود والعهود؛ أي: يأخذون الأيدي بالأيدي، فلذلك أضيفت إليها.

وقيل: هذه الأيمان هي الأقسام، وكانوا يؤكِّدون العهود بالأيمان، ولذلك سمِّيت محالفةً وحِلفاً، وتقديره: والذين عقَدَت لكم أيمانكم، وهو[٤] عقدُ الموالاة، وهي مشروعةٌ، والوراثةُ بها ثابتةٌ عند عامة الصحابة والعلماء، وهو قولنا[٥]، وتفسيره: إذا أسلم رجل أو امرأة لا وارث له، فيقول لآخر: والَيْتُك على أن تَعْقِلني وتَرِثَني، ويقول الآخر: قبلتُ، انعقد ذلك[٦]، ويرث به الأعلى من الأسفل، ولا يرث به الأسفل من الأعلى[٧]، وله أن ينتقل بولائه عنه إلى غيره ويفسخَه بحضرته ما لم يَعقل عنه جنايتَه، فإذا عَقَل فلا فسخ ولا انتقال،

---

(١) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٣٢)، وزاد نسبتها لمبشر بن عبيد، ورويت عن حمزة في غير المشهور عنه. انظر: «المحرر الوجيز» (٢/ ٤٦).

(٢) في (أ): «والتوكيد».

(٣) «إلى اليد» ليس في (أ) و(ف).

(٤) في (ر) و(ف): «وهي».

(٥) عند أبي حنيفة: إذا تعاقدا على أن يتعاقلا ويتوارثا صح وورث بحق الموالاة، خلافاً للشافعي.

(٦) في (ر) و(ف): «قبلت العقد لذلك».

(٧) «ولا يرث به الأسفل من الأعلى» من (أ)، ووقع في (ف) بدلًا منه: «والأسفل من الأعلى».

وهـذا المولـى في الوراثـة [١] مؤخَّرٌ[٢] عـن ذوي الأرحام؛ لضعـف حاله لاختلاف النـاس فيـه، ومِـن شـرط صحة هـذا العقـد أن لا يكون للأسـفل نسـبٌ، ولا يكونَ لـه معتَـقٌ، ولا يكـونَ عربيًـا لأن العرب لا يُسترقُّون فـلا يكون عليهـم ولاءُ عتاقة، فكـذا ولاء المـوالاة وقـد بيَّنَّا[٣] هـذا كلَّه[٤] فـي «حصائل المسـائل».

وقوله تعالى: ﴿فَـَٔاتُوهُمۡ نَصِيبَهُمۡ﴾ أي: أعطُوا المواليَ بالقرابة والمواليَ بالولاء قسمتَهم[٥] من الميراث.

وقولـه تعالـى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدًا﴾: أي: هـو عالـم الغيب والشـهادة، وهـو أبلغ وعـد ووعيد.

* * *

(٣٤) - ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٞ لِّلۡغَيۡبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ فَإِنۡ أَطَعۡنَكُمۡ فَلَا تَبۡغُواْ عَلَيۡهِنَّ سَبِيلًاۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيّٗا كَبِيرٗا﴾.

وقوله تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾[٦] انتظامُها بالآيةِ التي قبلها أنَّ النساءَ تمنَّينَ حالَ الرِّجال، فنُهينَ عن ذلك، وذكرَ في هذه الآيةِ تفضيلَ الرِّجالِ

---

(١) في (ف): «الورثة».

(٢) في (ر): «يؤخر».

(٣) في (ر) و(ف): «ذكرنا».

(٤) «كله» من (أ).

(٥) في (ر) و(ف): «قسمهم».

(٦) بعدها في (ف): «بما فضل الله».

عليهنَّ، واتصالُها بأوَّل السُّورة أنَّ اللهَ تعالى أمرَ بالعدلِ بينَ النِّساء، وبيَّن هاهنا أنَّ الأمرَ بالإحسان إليهنَّ لا يوجِبُ تركَ تقويمهنَّ.

وقولُه تعالى: ﴿قَوَّٰمُونَ﴾ قال ابنُ عبَّاس رضي الله عنهما: أي: أمراء(١).

وقيل: مسلَّطون.

وقيل أي: قائمون بتأديبهنَّ وتَدبيرهنَّ.

وقوله تعالى: ﴿بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾؛ أي: بتفضيلِ الله الرِّجالَ على النِّساءِ بالعقلِ، والقُوَّةِ، والجماعات، والجُمُعات، والولايات، والشَّهادات، والجهادِ وملكِ النِّكاح، وملكِ الطَّلاق، وتضعيفِ الميراث، وكونِ الأنبياء منهم.

وقوله تعالى: ﴿وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ﴾؛ أي: وبأن نفقتهنَّ عليهم(٢)، ودلَّ على وجوب نفقاتِ الزَّوجاتِ على الأزواج.

وقال الشافعيُّ رحمه الله: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾؛ أي: الأولياءُ هم الذين يَلُونَ تزويجهنَّ دونهنَّ(٣).

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: ولا يَستقيمُ حملُها على الأولياء بدليل قوله تعالى: ﴿وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ﴾، وذاك في حقِّ الأزواجِ دون الأولياء(٤).

ثمَّ بيَّن أنَّ النِّساءَ نوعان:

وذلك قولُه تعالى: ﴿فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ﴾؛ أي: النِّساءُ

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٦٨٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٩٣٩) (٥٢٤٥).

(٢) قوله: «أي: وبأن نفقتهن عليهم» ليس في (ف).

(٣) انظر: «الأم» للشافعي (٦/ ٣١-٣٣).

(٤) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٣/ ١٥٦).

الموصوفاتُ بالصَّلاح هنَّ المطيعاتُ لله تعالى، والرَّاعياتُ حقوق الأزواج في غيبتِهم، فيحفظنَ أنفسهنَّ عن الغيرِ، ويَحفظنَ أموالَ الأزواجِ أيضاً، ودلَّ على أنَّ الصَّلاحَ هو أداءُ حقِّ الله تعالى وحقِّ الخلق.

وقوله تعالى: ﴿بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ﴾؛ أي: ذلك بحفظِ اللهِ وعونِه، كما في قوله تعالى: ﴿بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي﴾ [يس: ٢٧]؛ أي: بمغفرتِه، فإنَّ «ما» مع الفعل بمعنى المصدرِ، ودلَّ على صحَّة مذهب أهلِ السُّنَّة والجماعة في إثباتِ الفعلِ مِن العبدِ والمعونةِ من الله.

وقيل: ﴿بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ﴾؛ أي: بما ألزمهنَّ اللهُ مِن حفظِ ذلك بأمرِه، وهو إضافةُ فعلِ الفاعلِ إلى الآمرِ به، وأضمر هاهنا: فأحسنوا إليهنَّ، وكذا هو في مصحفِ عبد الله بن مسعود رضي الله عنه[1].

والنوع الثاني: وهو قوله تعالى: ﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ﴾؛ أي: تَخشون ترفعهنَّ بالمخالفة؛ لعلمكم بالأعمال[2] المؤدِّيةِ إليه. قاله محمد بن كعب القرظيّ.

وقوله تعالى[3]: ﴿فَعِظُوهُنَّ﴾ قال ابنُ عبَّاس رضي الله عنهما: عظوهنَّ[4] بالكتابِ والسُّنَّة[5].

---

(١) روى الطبري في «تفسيره» (٦/ ٦٩٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٩٤١) (٥٢٥٨) عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قرأ: «فأصلحوا إليهن». قال أبو حيان في «البحر المحيط» (٧/ ٣٨): وينبغي حملُها على التفسير؛ لأنها مخالفةٌ لسواد الإمام، وفيها زيادة، وقد صحَّ عنه بالنقل الذي لا شك فيه أنه قرأ وأقرأ على رسم السواد، فلذلك ينبغي أن تُحمَل هذه القراءة على التفسير.

(٢) في (أ): «بالأحوال».

(٣) بعدها في (ف): «واللاتي تخافون نشوزهن».

(٤) لفظ: «عظوهن» من (ف).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٦٩٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٩٤١، ٩٤٢) (٥٢٦١)، (٥٢٦٤)، واقتصر فيهما على ذكر الكتاب دون ذكر السنة.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: العظةُ كلامٌ يُلَيِّنُ القلوبَ القاسيةَ، ويُرَغِّبُ الطبائعَ النَّافرة، وهي بتذكيرِ العواقِب.

وقوله تعالى: ﴿وَٱهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمَضَاجِعِ﴾؛ أي: إذا لم يَنفعِ الوعظُ فأدِّبوهنَّ بالهَجرِ، وهو القطعُ، ﴿فِي ٱلْمَضَاجِعِ﴾ جمعُ مضجع، وهو موضعُ وضعِ الجَنْبِ للنَّوم، وأصلُ التضجيع والإضجاع[1]: الإمالة.

قيل: هو ألَّا يضاجعَها في مضجعٍ.

وقيل[2]: لم يُرِد به ليُبعِدها[3] مِن مضجعِه؛ فإنَّه لم يقل: عن المضاجع، بل أرادَ أنَّهما يَجتمِعان في مضجعٍ، لكن يولِّيها ظهرَه، ولا يلازِمُها، ولا يَنبسِطُ إليها كما كان يفعلُهُ؛ إعلاماً بالعَتبِ والمؤاخذة[4].

وقوله تعالى: ﴿وَٱضْرِبُوهُنَّ﴾؛ أي: إذا لم تقع الكفايةُ بالهجران، فأدبوهنَّ بالضَّرب، وهو ضربٌ غيرُ خادشٍ ولا جارِحٍ ولا شائن.

وقوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ﴾؛ أي: في الإجابةِ إلى الفِراش[5]، ﴿فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا﴾؛ أي: لا تَطلُبوا العِلَلَ، ولا تَذكروا ما قد كان.

وقيل: أي[6]: لا تُكلِّفوهنَّ محبَّةَ القلب[7]، فليس ذلك بأيديهنَّ، واكتفوا منهنَّ بالطَّاعة، فللنَّاس مِن النَّاس ما يظهرون، ولله مِن النَّاسِ ما يُضمِرون.

---

(١) في (ر) و(ف): «والاضطجاع».

(٢) لفظ: «وقيل» من (أ).

(٣) في (أ): «تبعيدها» بدل: «ليبعدها».

(٤) في (ف): «والوجدة».

(٥) بعدها في (ف): «قوله تعالى».

(٦) لفظ: «أي» من (أ).

(٧) في (أ): «القلوب».

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾؛ أي: إنَّ اللهَ مع عُلُوِّه وكبريائِه لا يؤاخِذُ بأوَّل الحال، ويدعو[1] إلى التَّوبة، ويَقبلُ إذا تابَ[2]، ولا يؤاخِذُ بما قد كان، فالعبدُ أحقُّ بذلك.

وقيل: ذكر[3] علوِّه وكبرياءِه في آخرِ هذه الآية تنبيهٌ للعبدِ، ومنعٌ له عن مجاوزةِ الحدِّ فيما يُقيمُه عليها على وجهِ التَّأديب.

وقال مقاتل: نزلَت الآيةُ في سعدِ بن الرَّبيعِ بنِ عمرو، وهو مِن النُّقباء، وفي امرأته حبيبة بنتِ زيد بن أبي زُهير، وهما من الأنصار ـ وقال الكلبيُّ: بل امرأتُه بنتُ محمَّد بنِ مسلمة[4] ـ وذلك أنَّه لطمَها، فانطلقَ أبوها معها إلى النبيِّ ﷺ، فقال: أنكحتُه كريمَتي، فلطمها، فأمرَها النبيُّ ﷺ بالاقتصاصِ، فلمَّا همَّت بالاقتصاص، أبصر[5] النبيُّ ﷺ جبريلَ يَنزل، فقال لها: كُفِّي، حتَّى انظرَ ما جاءَ به جبريلُ في أمرِك، فنزلَ بهذه الآية، فقال النبيُّ ﷺ: «أردنا أمراً، وأراد اللهُ أمراً، والذي أرادَ اللهُ خيرٌ ممَّا أردناه»[6].

* * *

(٣٥) ـ ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَـٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ﴾[7] الخطابُ لولاة الأمرِ، ولقُضاة العصر.

---

(١) في (ف): «يؤاخذنا... ويدعونا».

(٢) في (ف): «تبنا».

(٣) في (ر) و(ف): «ذكره».

(٤) انظر: «تفسير الثعلبي» (٣/ ٣٠٢).

(٥) في (أ): «أخبر».

(٦) في (أ): «أردنا». وانظر: «تفسير مقاتل» (١/ ٣٧٠).

(٧) بعدها في (ف): «شقاق بينهما».

وقيل: لعشائرِ الزَّوجينِ، أو لجيرانِهما، يقول: إنْ لم يَصلح الأمرُ بالوعظِ والهِجرانِ والضرب حالَ نشوزِها، أو اشتبهَ الأمر أن الإساءةَ منها أو منه، وخفتُم؛ أي: خشيتُم، أو علمتُم الخلافَ والنِّفارَ[1] بين الزَّوجين[2]، وذلك قولُه تعالى:

﴿شِقَاقَ بَيْنِهِمَا﴾، وأصلُ الشِّقاقِ: أنْ يصيرَ أحدُهما في شِقٍّ والآخرُ في شقٍّ[3]؛ بالمخالفة والمباعدة والمعاداة. و﴿بَيْنِهِمَا﴾ خفضَ بالإضافة، ومعناه الوصل، كما قال تعالى: ﴿هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾ [الكهف: ٧٨]، وقال الله تعالى: ﴿لقد تقطع بينكم﴾ [الأنعام: ٩٤] على قراءة الرفع[4].

وقوله تعالى: ﴿فَٱبْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ﴾؛ أي: أرسِلوا متوسِّطاً مِن عشيرة الزَّوج[5]، ومتوسِّطاً مِن عشيرةِ المرأة[6]؛ لينظرا مَن الظَّالم منهما فيؤمَرَ بترك الظلم، فيخلو حكمُ الرَّجل بالرَّجل ويتفحَّصُ عن رأيه في إمساكِها ومفارقتِها، ويخلو حكمُ المرأة بالمرأة، ويفعل كذلك، ثمَّ يلتقيان، فيقبلان على الظَّالمِ منهما، فيحملانِه على العدل.

وقوله تعالى: ﴿إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا﴾[7] قيل[8]: أرادَ به الحكمين.

---

(١) في (أ): «والبعاد».

(٢) بعدها في (ف): «يقول: إن لم يصطلح الأمرُ بالوعظ».

(٣) بعدها في (ر): «آخر».

(٤) هي قراءة ابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وحمزة. انظر: «السبعة» (ص: ٢٦٣)، و«التيسير» (ص: ١٠٥).

(٥) في (ف): «الرجل».

(٦) في (ر): «متوسطان من عشيرة المرأة والرجل» بدل: «متوسطاً من عشيرة الزوج ومتوسطاً من عشيرة المرأة».

(٧) بعدها في (ف): «يوفق الله بينهما».

(٨) لفظ: «قيل» ليس في (ف).

وقوله تعالى: ﴿يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ﴾؛ أي: يؤلِّفْ ببركةِ ذلك بين الزَّوجين، والتَّوفيقُ مِن الموافقة.

ولـمَّا أثَّرَتْ إرادةُ الصَّلاحِ منهما في غيرهما، فإرادةُ الإنسانِ الصَّلاح في نفسِه أولى أن تُؤثِّرَ فيه.

وقيل: أرادَ به[١] أن يوفِّقهما ويسدِّدهما للخيرِ في باب الزَّوجين[٢].

وقيل: أرادَ به إرادةَ الصَّلاح مِن الزَّوجين، ووعدَ عليها[٣] التَّأليفَ بينهما، والتَّسديدَ إيَّاهما.

وفيه حجَّةُ أهل السُّنَّةِ والجماعة في إثبات الفعلِ من العبد، والتوفيقِ مِن الله تعالى.

ورويَ أنَّ عمرَ رضي الله عنه بعثَ الحكمين بين الزَّوجين، فلم يتَّفق لهما الإصلاحُ بينهما، فعلاهما بالدِّرَّة وقال: إنَّ الله تعالى يقول: ﴿إِن يُرِيدَآ إِصۡلَٰحٗا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيۡنَهُمَآ﴾ وإنَّكما لم تريدا إصلاحاً[٤].

وروي أنَّهما تابا، وعادا إلى الزَّوجين، فوجداهما قد اصطلحا، وأغلقا البابَ على أنفسهما[٥].

وقال عَبيدة السلماني: شَهِدت عليًّا رضي الله عنه، إذ جاءت[٦] امرأةٌ وزوجُها، مع كلِّ واحد منهما جماعةٌ مِن النَّاس، فأخرجَ هؤلاءِ حكماً، وهؤلاءِ حكماً، فقال

---

(١) بعدها في (ف): «إرادة الصلاح».

(٢) من قوله: «وقيل أراد به أن يوفقهما» إلى هنا ليس في (أ).

(٣) في (ر) و(ف): «عليه».

(٤) في (أ): «الإصلاح».

(٥) انظر: «التفسير البسيط» للواحدي (٦/ ٤٩٧ ـ ٤٩٨).

(٦) في (أ): «فجاءت» بدل من «إذ جاءت».

عليٌّ رضي الله عنه: أتدريان[١] ما عليكما؟[٢] عليكُما إنْ رأيتُما أن تجمعا أن تجمعا، وإن رأيتُما أنْ تُفرِّقا أن تُفرِّقا، فقالت المرأةُ: رضيت بما في كتاب الله عليَّ ولي، وقال الرَّجل: أمَّا الفرقةُ فلا، فقال علي رضي الله عنه: كذبتَ، حتَّى تُقِرَّ بمثل الذي أقرَّت به[٣].

تَعلَّقَ بعضُ العلماء بظاهرِه، وقال: للحكمَين الجمعُ والتَّفريق.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: ليس لهما التَّفريق، وهذا الحديثُ دليلُنا؛ لأنَّ الزَّوجَ لـمَّا لم يَرضَ به، لم يقل عليٌّ: هو لازمٌ عليك؛ رضيتَ به أو لم ترض، بل قال: لا، حتَّى تُقِرَّ به. فدلَّ أنَّه لا يلزمُ[٤] إلا بأمره.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾؛ أي: بإرادة الحكَمين، ﴿خَبِيرًا﴾؛ أي: بمعاملة الزوجين.

وقيل: أي: يَعلمُ، ويُخبِرُ بما يَعلم.

* * *

(٣٦) ـ ﴿ ۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا ﴾.

ثمَّ ذكرَ بعد حقوقِ الزَّوجين حقوقَ عامَّةِ الخلق، فبدأ بحقِّ نفسِه، وذلك قوله

---

(١) في (أ): «تدريان».

(٢) بعدها في (ف): «أي».

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٥٧٧)، والطبري في «تفسيره» (٦/ ٧١٨)، وابن أبي حاتم (٣/ ٩٤٥) (٥٢٨٢).

(٤) في (ر) و(ف): «يلزمه».

تعالى: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾[١] قال ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: أي: وحدوا الله[٢].

وقيل: أطيعوا الله.

﴿وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ﴾ أي: الشِّركَ الجليَّ، وهو الكفرُ، والشِّركَ الخفيَّ، وهو الرِّياء، قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾ [الكهف: ١١٠].

وقوله تعالى: ﴿وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا﴾ قيل: ﴿إِحۡسَٰنٗا﴾[٣] نصب على الإغراء، وتقديرُه: وإحساناً بالوالدين، ولا إضمار.

وقيل: في أوَّله إضمار: وأحسنوا بالوالدين إحساناً، ومعناه: إلى الوالدين، والباءُ بمعنى: إلى، كما في قوله تعالى: ﴿وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ﴾ [يوسف: ١٠٠].

وبدأ بهما؛ لأنَّ حقَّهما أعظمُ حقوق البشر.

وقوله تعالى: ﴿وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ﴾[٤] أي: بصاحب القَرابة، وهو أمرٌ بصلةِ الأرحامِ المتَّصلين بك بالوالدين. ووحَّد ذا القربى؛ لأنَّه جنسٌ، فيَصلُحُ للجمعِ، أو هو أمرٌ لكلِّ فردٍ منهم بصلة الرَّحم[٥].

وقوله تعالى: ﴿وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ﴾ قد فسَّرناهما في سورة البقرة.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ﴾ قيل: الأوَّلُ هو الجارُ النَّسيب، والثاني هو الجارُ الأجنبيُّ.

---

(١) بعدها في (ف): «ولا تشركوا به شيئاً».

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٩٤٧) (٥٢٨٩).

(٣) قوله: «قيل إحساناً» من (أ).

(٤) «واليتامى والمساكين» زيادة من (ف).

(٥) في (أ): «رحمه».

وقيل: الأوَّل: هو الجارُ المسلِمُ، والثاني: هو الجارُ المشرِكُ المباعِد في الدِّين.

وقيل: الأول: هو الجارُ الملاصِق، والثاني: هو الجارُ الذي لا يُلاصق.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ﴾ قال ابنُ عباسٍ وجماعةٌ رضوان الله عليهم: هو الرَّفيق في السَّفر[١].

وقال عليٌّ وابنُ مسعودٍ رضي الله عنهما: هي الزَّوجةُ التي تكون معك، إلى جنبك[٢].

وقيل: هو الجليسُ، وهو مرويٌّ عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما في روايةٍ قال: إني لأستحيي أنْ يَطأ الرَّجلُ بساطي ثلاثَ مرَّات، ولا يَرى عليه أثرَ بِرِّي عليه[٣].

وقال النبيُّ ﷺ: «الجيرانُ ثلاثةٌ؛ جارٌ له حَقٌّ واحدٌ، وهو حَقُّ الجوار، وهو الجارُ المشركُ، وجارٌ له حقَّان؛ حَقُّ الجوارِ، وحَقُّ الإسلام، وهو الجارُ المسلم، وجارٌ له ثلاثةُ حقوق؛ حَقُّ الجوار، وحَقُّ الإسلام، وحَقُّ القرابة، وهو الجارُ المسلمُ القريب»[٤].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ١٤).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ١١ ـ ١٣) عن ابن عباس ومجاهد والسدي وسعيد بن جبير والضحاك.

(٣) رواه الطبراني في «مكارم الأخلاق» (١٩٠).

(٤) رواه الخرائطي في «مكارم الأخلاق» (٢٤٧)، والطبراني في «مسند الشاميين» (٢٤٣٠)، وابن عدي في الكامل (٦/ ٢٩٢)، ومن طريق ابن عديٍّ البيهقيُّ في «شعب الإيمان» (٩١١٣) من حديث عبد الله بن عمرو. وفي إسناده سويد بن عبد العزيز وعثمان بن عطاء وأبوه، قال البيهقي: ضعفاء، غير أنهم غير متهمين بالوضع.
ورواه البزار كما في «كشف الأستار» (١٨٩٦) من حديث جابر رضي الله عنه، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ١٦٤): رواه البزار عن شيخه عبد الله بن محمد الحارثي، وهو وضاع. لكن رواه الطبراني في «مسند الشاميين» (٢٤٥٨)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٥/ ٢٠٧) من غير طريق الحارثي، وهو عندهم من طريق عبد الرحمن بن فضيل، عن عطاء الخراساني، عن الحسن البصري عن جابر، وعبد الرحمن بن فضيل لم أقف على ترجمته.

وقوله تعالى: ﴿وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ هو الغريبُ، وقال قتادةُ والضَّحَّاكُ: هو الضَّيفُ(١).

وقوله تعالى: ﴿وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ﴾؛ أي: العبيدُ والإماء.

وقيل: يدخلُ فيه(٢) الحيواناتُ المملوكة؛ لعمومِ كلمة «ما»، ولا يجوزُ الإساءةُ إليها بمنع علفِها، وكثرةِ حملها، وعنفِ استعمالها.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا﴾؛ أي: متبختراً في مشيته(٣)، عظيماً في نفسِه، لا يقومُ بحقوق الله تعالى التي عليه، فخوراً يفخرُ على عبادِ الله بما خوَّلهُ الله تعالى مِن نعمتِه(٤).

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: العبوديَّةُ: معانقة(٥) الأمرِ، ومفارقةُ الزَّجرِ.

والشِّرك جليُّهُ: اعتقادُ معبودٍ سواهُ، وخفيُّه: ملاحظةُ موجودٍ سواه.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ قال: من جيرانِك: ملكاك(٦)، فلا تؤذِهما بعصيانِك، وراعِ حقَّهما بما تُملي عليهما مِن إحسانِك، وإذا كان جارُ دارِك مستوجباً للإحسان إليه، فجارُ نفسِك ـ وهو قلبك ـ أولى بألَّا تُضيِّعَهُ، ولا تغفلَ عن حلولِ الخواطرِ المرديةِ فيه، ثمَّ جارُ قلبك ـ وهو معرفتك(٧) ـ أولى أنْ تحاميَ على حقِّها،

---

(١) روى قوليهما الطبري في «تفسيره» (٧/ ١٨).

(٢) في (أ): «ويدخل فيه أيضاً» بدل: «وقيل يدخل فيه».

(٣) في (أ): «مشيه».

(٤) في (ف): «نعمه».

(٥) في (ف): «موافقة».

(٦) قوله: «ملكاك» وقع مكانها في «لطائف الإشارات» بياض، وعلق محققه أنها مشتبهة، فتثبت من هنا.

(٧) في (ر) و(ف): «معرفته»، وتحرفت في «لطائف الإشارات» إلى: «روحك».

فلا تُمَكِّنَ ما[1] يخالفُها مِن مساكنَتِها، ثمَّ جارُ روحِك ـ وهو سرُّكَ أولى أنْ تراعيَ حقَّه، فلا تمكِّنهُ مِن الغَيبةِ عن أوطان الشُّهود، ثمَّ الأولى من ذلك كلِّه أن لا تَغفُل عن قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤][2].

* * *

(٣٧) ـ ﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ﴾ نعتٌ لقوله: ﴿مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾؛ لأنَّه جنسٌ، فكان بمعنى الجمع، والبُخلُ: منعُ الفَضلِ عن ذي الحاجَّة، وأصلهُ: مشقَّةُ الإعطاء.

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: هو على لسان أهل الحقيقة: تركُ الإيثارِ في زمان الاضطرار.

وقال: بخلُ الأغنياءِ بمنع النِّعمة، وبخلُ الفقراءِ بمنع الهمَّة[3].

وقوله تعالى: ﴿وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ﴾ قرأ حمزةُ والكسائيُّ بفتح الباء والخاء، والباقون بضمِّ الباء وتسكين الخاء[4]، وهما لغتان كالرُّشْدِ والرَّشَد والصَّرْف، من باب[5] علم.

قال ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما: نزلَت الآيةُ في رؤساء أهلِ الكتاب، قالوا لرجالٍ

---

(١) في (ر) و(ف): «أن».

(٢) «لطائف الإشارات» للقشيري (١/ ٣٣١).

(٣) «لطائف الإشارات» للقشيري (١/ ٣٣١، ٣٣٢).

(٤) انظر: «السبعة» (ص: ٢٣٣)، و«التيسير» (ص: ٩٦).

(٥) في (أ): «حد».

مِن الأنصار: لا تُنفِقوا أموالَكم، فإنَّا نَخشى الفقرَ عليكم، وما[١] تَدرون ما يكون، فنزلَت هذهِ الآيةُ[٢]: ﴿ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ﴾ بأنفسهم، ﴿وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِ﴾ بقولهم.

وقولُه تعالى: ﴿وَيَكۡتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ﴾؛ أي: يُخفونَ ما أنعمَ اللهُ عليهم به مِن المالِ وسَعَةِ الحال، وهم الذين قال الله تعالى فيهم[٣]: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنُطۡعِمُ مَن لَّوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطۡعَمَهُۥٓ﴾ [يس: ٤٧]، ولـمَّا نزلَتْ آيةُ الاستقراض ﴿قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٞ وَنَحۡنُ أَغۡنِيَآءُ﴾، فهم في غاية البُخلِ بالمال.

وقيل: هو مرويٌّ عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما أيضاً أنَّ المرادَ به البخلُ بما علموا به في التَّوراة مِن نعت محمَّد عليه الصلاة والسلام، وحقِّيَّة[٤] الإسلام، وأمرُهم أصحابَهم بأن لا يُظهروه للمسلمين، وكتمانُهم ذلك[٥].

وقوله تعالى: ﴿وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا﴾ أي: هم كافرون، وقد اعتدنا لهم عذاباً يُهانون به في الآخرة.

وقال طاوس: البُخلُ: هو أن يبخلَ الإنسانُ بما في يدِه، والشُّحُّ: أنْ يَشِحَّ بما في أيدي النَّاس[٦].

وقيل: البخلُ: هو أنْ يأكلَ بنفسِه، ولا يُؤكِلَ غيرَه، والشُّحُّ: ألَّا يأكلَ بنفسِه، ولا غيره[٧]، والسَّخاء: هو أن يأكلَ ويُؤكِلَ، والجودُ: أن يُؤكِلَ ولا يأكُلَ.

---

(١) في (أ): «حد».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٢٤).

(٣) في (ف): «في حقهم».

(٤) في (ر) و(ف): «وحقيقة».

(٥) انظر: «تفسير الطبري» (٧/ ٢٤).

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٢١).

(٧) قوله: «والشح أن لا يأكل بنفسه ولا غيره» ليس في (ف)، وقوله: «ولا غيره» ليس في (أ).

(٣٨) - ﴿وَالَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ﴾ عطفٌ على قوله: ﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ﴾ ذمَّ قوماً منهم بالبُخل، وذمَّ قوماً بالإنفاق في غير الحقِّ.

والرِّياءُ مصدرٌ كالمراءاة، يقال: راءاه يُرائيه رياءً ومراءاةً، كما يُقال: ماراهُ يُماريهِ مراءً ومماراةً؛ أي: يَبذلون أموالَهم لوجوهِ النَّاس، لا لرضاءِ الله تعالى.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ ونفقةُ مَن لا يُؤمِنُ لا تكونُ لرضى اللهِ، بل تكون بتزيين الشيطان، ولذلك ختمَ الآيةَ به، وذلك قوله تعالى:

﴿وَمَن يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا﴾ القرينُ: المقارِنُ، كالشَّريكِ هو المشارك، **وقوله تعالى:** ﴿فَسَاءَ قَرِينًا﴾؛ أي: بئس القرين[1] هو، وما أسوأهُ قريناً له، وهو يكون في الدُّنيا، كما قال تعالى: ﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ [فصلت: ٢٥]، وفي الآخرة أيضاً، كما قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ﴾ [الزخرف: ٣٨]. وقال السُّدِّيُّ: نزلت[2] في المنافقين.

* * *

(٣٩) - ﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾؛ أي: أيُّ شيءٍ عليهم، استفهامٌ بمعنى الاستنكار[3]، يقول: أيُّ مضرَّةٍ ومشقَّةٍ عليهم في الإيمان والإنفاق.

---

(١) قوله: «أي: بئس القرين» ليس في (أ).

(٢) في (أ): «الآية» وفي (ر): «نزل» بدل: «نزلت».

(٣) في (ر) و(ف): «الإنكار».

وقوله تعالى: ﴿وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ﴾[(١)] أخبرَ أنَّهم ممتنعون عنه اختياراً[(٢)]، لا ممنوعون عنه إجباراً، فدلَّ على مذهب أهلِ السُّنَّة والجماعة[(٣)]، وهذا قطْعٌ للعُذر؛ لأنَّ تركَهم الإيمانَ وإنفاقَهم للرِّياء، كان لإبقاء الرياسة، فأخبرَ أنَّ إيمانَهم وإنفاقَهم[(٤)] لا يزيلُ ذلك، بل يزيدُها، كما كان لعبد الله بن سلام وأصحابه، وغيرُهم ماتوا وانقطعَ ذِكْرُهم أصلاً.

وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا﴾ قال الإمامُ أبو منصور رحمَه الله؛ أي: أنشأَهُم على علمِه بأنَّهم لا يؤمنون؛ ليعلمَ الخلائقُ أنَّ مخالفتَهم إيَّاه لا تَضرُّهُ[(٥)].

وقيل: قال ذلك تحذيراً لهم.

وقيل: أي: كان بهم عليماً أنَّهم لا يؤمنون؛ عناداً ومكابرةً، لا لقصور الدليل.

***

(٤٠) ـ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ أي: مقدارَ ذرَّةٍ في الثِّقل، والذَّرَّةُ عند ابنِ عبَّاس رضي الله عنهما: النَّملةُ الصَّغيرةُ الحمراء[(٦)] التي لا تكادُ تُرى مِن صغرِها،

---

(١) قوله: «وقوله تعالى: ﴿وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ﴾» ليس في (أ).

(٢) لفظ: «اختياراً» ليس في (أ).

(٣) لفظ: «والجماعة» ليس في (أ).

(٤) في (ف): «نفاقهم»، ووقع بعدها في (ر) و(ف): «لله».

(٥) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٣/ ١٨٤).

(٦) روى الطبري في «تفسيره» (٧/ ٢٩) عن ابن عباس أنه قال في تفسيرها: رأس نملة حمراء.

وفي روايةٍ عنه أنَّه أدخلَ يدَهُ في التُّراب، ثمَّ رفعَها، ثمَّ نفخَ[١] فيها، وقال: كلُّ واحدةٍ من هذا ذرَّة[٢].

وقيل: الذَّرَّة: الواحدةُ مِن الأجزاء التي تَظهرُ في شُعاع الشمس، إذا وقعَت في الكوَّة.

واتِّصالُها بما قبلَها أنَّ قوله[٣]: وماذا عليهم لو آمنوا بالله، وأنفقوا، واللهُ لا يَظلِمُ مثقالَ ذرَّةٍ[٤]؛ أي: لا ينقصُ مِن أعمال العباد شيئاً.

وقيل: أي: لا يضعُ ذنبَ أحدٍ على أحدٍ وإنْ قلَّ.

وقوله تعالى: ﴿وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفۡهَا﴾ قرأ أهلُ المدينة: ﴿وإن تك حسنةٌ﴾ بالرفع[٥]؛ لأنَّها اسمُ كان، وقرأ أهلُ مكَّة بياء التذكير ورفعِ الاسم؛ لتقديم الفعل على الفاعل[٦]، وقرأ الباقون بتاء التأنيث ونصب الاسم، ومعناه: وإن تكُ زِنَةُ الذَّرَةِ حسنةً وقرأ ابنُ كثير ونافعٌ وابنُ عامر[٧]: ﴿يضعِّفْها﴾ بالتشديد[٨]، والباقون ﴿يُضَٰعِفۡهَا﴾.

---

(١) في (أ): «ونفخ».

(٢) رواه الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٣٢٠ ـ ٣٢١) (١١٢٠) (طبعة دار التفسير).

(٣) قوله: «أن قوله» ليس في (أ).

(٤) قوله: «مثقال ذرة» ليس في (أ).

(٥) هي قراءة نافع من أهل المدينة، وقرأ بها أيضاً ابن كثير المكي. انظر: «السبعة» (ص: ٢٣٣)، و«التيسير» (ص: ٩٦).

(٦) لم أقف على من قرأ: «يك» بالياء، لا من أهل مكة ولا من غيرهم، وقراءة ابن كثير المكي: «وإن تك حسنةٌ» يعني بتاء التأنيث، كما ذكرت قريباً.

(٧) قوله: «ونافع وابن عامر» ليس في (أ).

(٨) هي قراءة ابن كثير وابن عامر، ولم أر من نسبها لنافع، والصواب أن قراءته المتواترة عنه كقراءة الجمهور، يعني: «يضاعفها». انظر: «السبعة» (ص: ١٨٥)، و«التيسير» (ص: ٨١).

وقرأ الحسنُ: «نُضاعفها» بالنون[١] الخفيفة؛ إخباراً[٢] مِن الله تعالى عن نفسِه بكلام الملوك على الجمع.

وقيل: الإضعافُ: إعطاءُ المثلَين، والتَّضعيفُ والمضاعفةُ: إعطاءُ الأمثالِ[٣]، يقول: وإنْ تكُ قدر الذَّرَّة حسنةً، فاللهُ تعالى يُعطِي ثوابَها أضعافاً، لا على قدرِ العمل، وهذا جزاءُ العمل، ثمَّ وراءَه زيادةٌ مِن عنده، وهو قوله تعالى:

﴿وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ أي: يعطِ مِن عنده ثواباً كثيراً كبيراً[٤]، وما وصفَهُ اللهُ تعالى بالعظيمِ[٥]، فمن يَعرِفُ مقدارَهُ مع أنَّه سَمَّى الدُّنيا وما فيها قليلاً، وسمَّى هذا الفضل[٦] عظيماً.

وقال عطاءٌ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ مِن منافقٍ إلَّا جازاهُ بها، ﴿وَإِن تَكُ حَسَنَةً﴾ مِن مؤمنٍ ﴿يُضَٰعِفْهَا﴾ الآية[٧].

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ ذكرَ هذا ونحوَه؛ لئلَّا يَظُنَّ جاهلٌ إذا رأى ألَمَ الأطفالِ، وما يَحُلُّ بهم أنَّ ذلك ظلمٌ منه لهم، لكن ذلك ليُعلَمَ أنَّ الصَّحَّةَ والسَّلامة إفضالٌ مِن الله تعالى عليهم، لا لحقِّهم عليه؛ إذ

---

(١) انظر قراءة الحسن في «تفسير الثعلبي» (٣/ ٣٠٩). ونسبها ابن خالويه في «مختصر في شواذ القرآن»: (ص: ٣٣) لابن هرمز.

(٢) في (أ): «يضاعفها خبراً» بدل: «نضاعفها بالنون الخفيفة إخباراً» ولفظ: «إخباراً» ليس في (ف).

(٣) قوله: «والتضعيف والمضاعفة إعطاء الأمثال» من (أ).

(٤) لفظ: «كبيراً» من (ف).

(٥) في (أ): «بالعظم».

(٦) في (ر): «الأجر».

(٧) لفظ: «الآية» من (أ). والأثر ذكره الواحدي في «الوسيط» (٢/ ٥٣) و«البسيط» (٦/ ٥١٥) من رواية عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما.

له أنْ يَخلُقَ كيف شاء صحيحاً وسقيماً، ثمَّ مَن ظلمَ آخر[١] في الشَّاهِدِ، فإنَّما يَظلِمُ لإحدى خَلَّتين؛ إمَّا لجهل بالعدل والحقِّ، وإما لحاجةٍ تَمسُّه يدفع ذلك به عن نفسِه، والله تعالى غنيٌّ بذاتِه، عالمٌ لم يزل، يتعالى عن أن تمسَّهُ حاجةٌ، أو يَخفي عليه شيءٌ، مع ما أنَّ الظُّلمَ في الشَّاهد هو تناولُ ما ليس له بغير إذنِ مَن هو له[٢]، وكلُّ الخلائقِ مِن كلِّ الوجوه له، فلا معنى للظُّلم.

وقوله تعالى: ﴿وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمًا﴾ وهذا يُبطِلُ قولَ المعتزلةِ: إنَّ مَن ارتكبَ كبيرةً يَخلُدُ في النَّار ومعه حسناتٌ كثيرةٌ، واللهُ تعالى يقول: ﴿وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفۡهَا﴾[٣] الآية[٤].

❊ ❊ ❊

(٤١) ـ ﴿فَكَيۡفَ إِذَا جِئۡنَا مِن كُلِّ أُمَّةِۭ بِشَهِيدٖ وَجِئۡنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدٗا﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَكَيۡفَ إِذَا جِئۡنَا مِن كُلِّ أُمَّةِۭ بِشَهِيدٖ﴾؛ أي: فكيف حالُهم؟ وهذا استفهامٌ بمعنى التوبيخ؛ لأنَّه يقتضي إقرارَ العبد على نفسه بما كان من قبيحِ عملِه.

وقوله جلَّ جلاله: ﴿بِشَهِيدٖ﴾؛ أي: شاهدٍ عليهم، وهو نبيُّهم.

وقوله تعالى: ﴿وَجِئۡنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدٗا﴾؛ أي: أحضرناكَ، وقوله[٥]:

---

(١) في (ر) و(ف): «أحداً»، والمثبت موافق لما في «تأويلات أهل السنة».

(٢) بعدها في (ر): «ذلك».

(٣) قوله: «الآية» وقع مكانه في (أ): «ويؤت من لدنه أجراً عظيماً»، ووقع بعدها في (ر): «هذا يبطل قول المعتزلة».

(٤) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٣/ ١٨٤ ـ ١٨٥).

(٥) «وقوله» ليس في (أ).

﴿عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾؛ أي: هـذه الأمَّـة[١] ﴿شَهِيدًا﴾؛ أي: شـاهداً على مَن آمـنَ بالإيمان، وعلـى من كفـرَ بالكُفْر، وعلى مَـن نافقَ بالنِّفـاقِ؛ أي: بماذا[٢] يعتذرون، وبأيِّ شـيءٍ يَحتجُّـون، وإلى شـفاعةِ مَن يَلتجئـون، إذا أُمِرَ بهم إلـى النَّار؟

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: إذا كان الرَّسولُ هو الشهيدُ على أمَّتِه، وهو الشَّفيعُ لهم، فإنَّما يَشهدُ بما يُبقِي للشَّفاعة موضعاً[٣].

ورويَ أنَّ النبـيَّ ﷺ أمـرَ ابنَ مسـعودٍ رضـيَ الله عنه بقراءة[٤] هذه السـورة، فلمَّا انتهـى إلـى هـذه الآيـة، فاضَتْ عينـا رسـولِ الله ﷺ، وسـكتَ ابنُ مسـعودٍ رضي الله عنـه، ثـمَّ أمـرَهُ حتَّى أعادَ القـراءةَ مِـن أوَّلِ السُّـورةِ إلى هاهنـا، ففاضت عينـاه، حتَّى فعل ذلك ثلاثـاً[٥].

ورويَ أنَّه ما قرأ رسولُ الله ﷺ هذه الآيةَ قطُّ إلَّا بَكى.

وعن جابرِ بن عبد الله قال: بينا نحن جلوسٌ في مسجد رسولِ الله ﷺ وحذيفةُ يَقُصُّ عليهم ويقرأ، فدخلَ رسولُ الله ﷺ، فسكتَ حذيفةُ فقال له رسول الله ﷺ: «عُد يا حذيفة»، قال[٦]: وأنت حاضرٌ؟ قال: «وأنا حاضرٌ، والذي نفسي بيدِهِ، ما خرجتُ

---

(١) بعدها في (ر): «وقوله».

(٢) في (ف): «بما كانوا».

(٣) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (١/ ٣٣٤).

(٤) في (ر) و(ف): «يقرأ».

(٥) لم أقف عليه بهذا السياق، وأخرج البخاري في «صحيحه» (٥٠٥٠)، ومسلم (٨٠٠) عن ابن مسعود قال: قال لي النبي ﷺ: «اقرأ عليَّ»، قلت: يا رسول الله، أقرأ عليك، وعليك أنزل؟ قال: «نعم»، فقرأت سورة النساء، حتى أتيت إلى هذه الآية: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾، قال: «حسبك الآن»، فالتفتُّ إليه، فإذا عيناه تذرفان.

(٦) في (أ): «قال قال» وفي (ر): «فقال».

إليكم حتَّى رأيتُ أبوابَ السَّماء فُتِحَت، ورأيتُ الرَّحمةَ تَنزِلُ عليكم، والذي نفسُ محمَّدٍ بيدِه، ما خرجَ رجلٌ مِن بيتِهِ يؤمُّ بقعةً يُذكَر اللهُ تعالى فيها إلَّا بوَّأَهُ الله بها بقعةً في الجنَّة، اقرأ يا حُذيفة سورة النِّساء»، فقرأها[1] حتَّى إذا بلغَ: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ ﴾ الآية، ففاضَت عينا رسولِ الله ﷺ حتَّى أخضلَ دمعُه لحيتَه، ثمَّ قال: «عُد»، فعاد، حتى قرأ سبعَ مرَّات[2].

* * *

(٤٢) ـ ﴿ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ نُصبَ على الظرف، وأضيف إلى «إذ»، وهي أداةٌ للظَّرف، واتِّصالُها بما قبلَها: إذا جئنا من كلِّ أمَّةٍ بشهيدٍ يومئذٍ. و﴿يَوَدُّ﴾؛ أي: يتمنَّى.

وقوله تعالى: ﴿وَعَصَوُاْ ٱلرَّسُولَ﴾ أي: خالفوا أمرَ المصطفى ونهيَه، وضُمَّتِ الواو من «عصوا» عند التقاء السَّاكنين؛ لأنَّه واوُ جمعٍ، وهي أختُ الضمَّة، فسُكِّنَت للاعتلال، فإذا احتيجَ إلى تحريكها، حُركت إلى أصلها، بخلاف قوله تعالى: ﴿لَوِ ٱسْتَطَعْنَا﴾ [التوبة: ٤٢]، حيثُ كُسِرت لالتقاء الساكنين؛ لأنَّه سكونُ بناءٍ، واضطرُّوا إلى تحريكِها، والساكنُ الأصليُّ يُحرَّكُ إلى الكسرِ عند الضَّرورة[3].

وقوله تعالى: ﴿لَوْ تَسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ﴾ قرأ نافعٌ وابن عامر بفتح التاء وتشديد السين، وأصلُه: تتسوَّى، أُدْغِمَت إحدى التَّاءين ـ وهي الأخيرة ـ في السِّين.

---

(١) في (ف): «فقرأ»، وليست في (ر).

(٢) لم أقف عليه.

(٣) من قوله: «أي خالفوا أمر المصطفى» إلى هنا ليس في (أ).

وقرأ حمزةُ والكسائيُّ بفتح التَّاء، وتخفيف السِّين، على حذفِ التَّاء الثَّانية، كما في قوله تعالى: ﴿تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ﴾ [الملك: ٨].

وقرأ الباقون: ﴿تُسَوَّىٰ﴾ برفع التَّاء وتخفيفِ السِّين، وهو فعلُ ما لم يسمَّ فاعلُه، من التَّسوية.

و«لو» كلمةُ تمنٍّ؛ أي: يتمنَّون لو سُوُّوا بالأرضِ، وسُوِّيَت بهم؛ أي: كانوا مِن جملةِ الأرض، تراباً غيرَ مكلَّفين، قال تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِي كُنتُ تُرَٰبًا﴾ [النبأ: ٤٠]، وهذا لأنَّ الأرضَ إنَّما تُسوَّى بشيءٍ منها، فكأنَّهم تمنَّوا أن يكونوا منها[1].

وقيل[2]: تسويتُهم بالأرض أنْ يُجعَلوا مثلَها، فكأنَّهم[3] تمنَّوا أنْ يجعلَهُم اللهُ تراباً.

وفي قوله تعالى: ﴿يَٰلَيْتَنِي كُنتُ تُرَٰبًا﴾ هذان الوجهان أيضاً[4]: يا ليتني كنتُ تراباً في الأصلِ فلم أكلَّف، ويا ليتني صرتُ تراباً اليوم[5] كما تصيرُ البهائمُ المحشورةُ بعد القصاصِ تُراباً، فلم أعذَّب.

وقيل: يودُّون لو لم يُبعَثوا مِن قبورِهم، أو أعيدوا فيها، فتستوي[6] الأرضُ بهم، كما كانت قبلَ البَعثِ.

وقيل: يَودُّون لو أخذَتْهُم الأرضُ فوَارَتهم بما لحقَهم مِن الخزيِ يومئذٍ،

---

(١) في (أ): «فيها»

(٢) في (أ): «وصفة» بدل: «وقيل».

(٣) من قوله: «تمنوا أن يكونوا» إلى هنا ليس من (ف).

(٤) لفظ: «أيضاً» ليس في (أ).

(٥) «اليوم» ليس في (أ).

(٦) في (ر) و(ف): «فتسوى».

وهـو كقـول الرجـل إذا افتَضَحَ مِن الشَّـيء: ليـتَ الأرضَ أخذَتني وخُسِـفَ بي فيها، ولـم تَنلْنـي هـذه الفضيحةُ، وقد أخبَـرَ اللهُ عن خزيِهـم يومئذٍ، قـال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [السجدة: ١٢]، ﴿وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ﴾ [الشورى: ٤٥].

وقيل: يَودُّون ما يعدلُ بهم ما في الأرضِ من شيءٍ فديةً، وهو كما قال تعالى: ﴿يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ﴾ إلى قوله: ﴿ثُمَّ يُنجِيهِ﴾ [المعارج: ١٤].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا﴾ قيل: هو متَّصِلٌ بقوله: ﴿لَوْ تُسَوَّىٰ﴾، والتَّمنِّي واقعٌ عليهما.

قال عطاء: لو تنطبقُ عليهم الأرضُ ولم[1] يكونوا كَتموا أمرَ محمَّدٍ، ولا كفروا به[2]، ولا نافقوا.

وقيل: هذا وصفُ حالهم يومئذٍ على الابتداء: أنَّهم لا يكتمون اللهَ شيئاً مِن حديثِهم الذي كانوا عليه، بل يُصدِّقونَ أنبياءَهم فيما شَهدوا عليهم مِن الكُفر والمعاصي، قال تعالى: ﴿فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ﴾ [الملك: ١١]، فأمَّا قولُه تعالى: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣]، فقد قيل: معناه: ما كنَّا عند أنفسِنا مشركين، بل توهَّمنا بإضلال الشيطانِ أيَّانا أنَّا مِن الموحِّدين، وكذا قوله تعالى: ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍۭ﴾ [النحل: ٢٨]؛ أي: كنَّا نَظن أنَّا محسنون.

وقيل: ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا﴾؛ أي: عَلِمَ اللهُ ما كان منهم في الدُّنيا، فلا يَسألُهم ليكتموه، وهو كقوله جلَّ جلالُه: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ﴾ [الرحمن: ٣٩]؛ أي: لا يُسألون: ما عملتم؟ لعلمِ الله تعالى به.

---

(١) في (ف): «ولا».

(٢) لفظ: «به» من (أ).

وقيل: يجحدون في الآخرة أوَّلاً، كما أخبرَ اللهُ تعالى عنهم، فإذا جَحدوا وشهِدَت جوارحُهم عليهم؛ افتَضَحوا، وودُّوا لو سُوِّيَت بهم الأرضُ، وألَّا يكونوا كتموا ذلك بجحودِهم.

وقال الحسنُ: إنَّها[١] مواطن، ففي موضعٍ لا يَتكلَّمون، ﴿فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ [طه: ١٠٨]، وفي موضعٍ يتكلَّمون فيكذبون، ويقولون: ما كنا نفعل[٢]، وفي مواطن[٣] يَعترفون وفي موضعٍ يسألون الرَّجعة إلى الدُّنيا، وإنَّ آخرَ تلك المواطن أنَّ أفواهَهم تُختَمُ[٤]، وتَتكلَّم أيديهم وأرجلهم[٥].

وقيل: هذا وصفُ أهلِ الكتاب، كتموا أمرَ محمَّدٍ، وقد علموا به في التَّوراة، قال تعالى: ﴿وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ [النساء: ٣٧]، وكتابُ الله فضلُه وحديثُه، قال تعالى[٦]: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ﴾ [الزمر: ٢٣]، يقول: يَودُّون يومئذٍ لو تُسوَّى بهم الأرضُ، ولم يَكتموا في الدُّنيا ما أنزلَ اللهُ مِن حديثِه، ومن كتمَ شيئاً من كتاب اللهِ، جازَ أن يُقالَ له[٧]: كتمَ اللهَ؛ أي: كتم عباده[٨]، وهو كقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِندَهُ مِنَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٤٠]، وكتمتُ فلاناً، وكتمتُ منه؛ بمعنى.

---

(١) بعدها في (ر): «من».

(٢) رسمها في (أ): «نعقل»، ولعل صوابه: «ما كنا نعمل» كما في «تفسير الثعلبي».

(٣) في (ر) و(ف): «موضع».

(٤) في (ف): «خرست».

(٥) «تفسير الثعلبي» (٣/ ٣١١).

(٦) في (ر): «وقوله»، وفي (ف): «وقول».

(٧) لفظ: «له» من (ف).

(٨) في (ف): «كتم الله عباده»، وبعدها فيها: «أي: منهم».

(٤٣) ـ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغۡتَسِلُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ ﴾ وانتظامُها بقوله تعالى: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ ﴾، والصَّلاةُ رأسُ العبادات بعدَ الإيمان.

ومعناه: لا تدنوا إلى مواضعِ الصَّلاة ـ وهي المساجدُ ـ حالةَ السُّكرِ، فذكرَ الصَّلاةَ، وأرادَ بها مواضعَها، كما في قوله: ﴿لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ ﴾، وهو قولُ عمر وابن مسعود[١]، ودليلُ هذا الإضمار أنَّه عطفَ عليه: ﴿وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ﴾، وهو نهيُ الجُنب عن قُربان المساجدِ، فإنَّه استثنى ﴿عَابِرِي سَبِيلٍ﴾، وذلكَ في حقِّ المساجدِ دون أعيان الصلوات[٢]، ثمَّ النَّهيُ عن قربانِ المساجدِ حالةَ السُّكرِ نهيٌ عن الصَّلاة في تلك الحالة أيضاً؛ لأنَّ النهيَ عن قُربان المساجدِ لحرمة الصَّلاة، فكان النهيُ عن هذا نهياً عن ذلك، ثمَّ النَّهيُ ليس عن عين الصَّلاة، فإنَّها عبادةٌ، فلا[٣] ينهى عنها، بل هو نهيٌ عن اكتساب السُّكْرِ الذي يَعجزُ به عن الصلاة على الوجهِ. قاله الإمام أبو منصور رحمه الله.

قال: وكذلك قولُ رسول الله ﷺ: «لا صلاة للعبدِ الآبقِ، ولا للمرأة الناشزةِ»[٤]،

---

(١) ذكره الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (٣/ ١٨٧) عن ابن مسعود رضي الله عنه.

(٢) في (أ): «الصلاة».

(٣) في (أ): «لا».

(٤) كذا أورده أبو منصور الماتريدي بهذا اللفظ، وروى الترمذي في «سننه» من حديث أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة لا تجاوز صلاتهم آذانهم؛ العبد الآبق حتى =

ليس فيه النَّهيُ عن الصَّلاة، لكنَّ النهيَ عن الإباق والنُّشوز، وهذا لأنَّ الإباقَ والنُّشوزَ والسُّكْرَ ليست بالتي تَعملُ في إسقاط الفرض.

قال: وفي الآية دلالةٌ[1] أنَّ السَّكرانَ مخاطَبٌ؛ فإنَّه قال: ﴿لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ﴾، وإذا كان مخاطباً، عَمِلَ طلاقُه، ونَفذتْ عقودُه[2].

وقوله: ﴿وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ﴾ الواو للحال، والسُّكارى جمعُ السَّكران، كالكُسالى جمع الكسلان، والسُّكر من باب عَلِمَ، وهو انسدادُ طرقِ المعرفة مِن الشُّرب وغيره، مأخوذٌ من سَكْرِ الماء، وهو سدُّ مجراه، من باب دخل، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا سُكِّرَتۡ أَبۡصَٰرُنَا﴾ [الحجر: ١٥]؛ أي: سُدَّت ومُنِعَتِ النَّظر، وسكراتُ الموت أُخِذَت منه، **وقولُه تعالى**: ﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ﴾ [الحج: ٢] هو تشبيهٌ بحالِ السُّكرِ مِن الشَّراب.

وأكثرُ المفسِّرين على أنَّ هذا مِن سُكْرِ الشَّراب.

وقال الضَّحَّاك: معناه: وأنتم سُكارى مِن النَّوم[3]، وهو كقول النَّبيِّ ﷺ: «إذا نَعَسَ أحدُكم في صلاتِه فلينصرف وليرقد؛ فإنَّه لا يَدري لعلَّه يستغفرُ[4]، فيسبُّ نفسه»[5].

= يرجع، وامرأة باتت وزوجها عليها ساخط، وإمام قوم وهم له كارهون» فقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه.

(١) بعدها في (ر) و(ف): «على».

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٣/ ١٨٨ ـ ١٨٩).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٤٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٩٥٩) (٥٣٥٦).

(٤) بعدها في (ر) و(ف): «ربه».

(٥) رواه البخاري في «صحيحه» (٢١٢)، ومسلم في «صحيحه» (٧٨٦) من حديث عائشة رضي الله عنها.

والأظهرُ الأشهرُ هو الأوَّل، ونزولُها في شأن عبدِ الرَّحمن بنِ عوف، صنعَ طعاماً فدعا إليه أبا بكرٍ وعمرَ وعثمانَ وعليًّا وسعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنهم[١] أجمعين، فأكَلوا، وسقاهم خمراً، وذلك قبل تحريمِها، فحضرَتْ صلاةُ المغربِ، فأمَّهم عبدُ الرَّحمن[٢]. وفي روايةٍ: فأمَّهم رجلٌ مِن خيارِهم[٣]، وفي روايةٍ: فأمَّهم عليُّ بنُ أبي طالب رضي الله عنه[٤]، فقرأ: «قل يا أيها الكافرون»، فطرح اللاءات، فنزلَت هذه الآيةُ.

وقد ذكرنا في سورة البقرةِ[٥] ترتيبَ الآياتِ في شأن[٦] الخمر، وأنَّها كيف حُرِّمَت قطعاً، وأنَّ هذه الحادثةَ كانت في وقتٍ لم يكن شربُها في غير أوقات الصَّلاةِ حراماً، وذكرنا معنى هذا النهي.

وقال الإمامُ القشيريُّ رحمه الله: السُّكر: ذهابُ العقلِ، ولا تَصلحُ معه المناجاة مع الحقِّ، والـمُصلِّي يُناجي[٧] ربَّه، فكلُّ ما أوجبَ للقلب الذُّهولَ عن الله تعالى، فهو ملتحقٌ به، ومِن أجلِ هذه الجملةِ حصل السُّكرُ على أقسام؛ فسُكرٌ مِن الخمرِ، وسكرٌ مِن الغفلةِ لاستيلاءِ حبِّ الدُّنيا، وأصعبُ السُّكرِ سكرُك مِن نفسِك، فإنَّ مَن سَكِر مِن الخمرِ، فإن لم يُغفَر له، فقُصاراهُ الحرقةُ[٨]، ومَن سَكِرَ مِن نفسِه ففي الوقتِ على الحقيقةِ له القطيعةُ والفُرقةُ.

---

(١) وقع تفصيل أسمائهم في «تفسير مقاتل» (١/ ٣٧٣).

(٢) رواها الطبري في «تفسيره» (٧/ ٤٥).

(٣) قوله: «وفي رواية فأمهم رجل من خيارهم» من (أ).

(٤) رواها الطبري في «تفسيره» (٧/ ٤٦).

(٥) عند تفسير الآية (٢١٩) منها.

(٦) في (ر) و(ف): «شارب».

(٧) في (أ): «مناج».

(٨) في (أ): «الحرمة».

وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ﴾ بيَّنَ أنَّ السُّكرَ هو أنْ يصيرَ بحالٍ لا يَعلمُ ما يَقول، وحدُّ السُّكرِ عند أبي حنيفة رحمه الله: هو ألَّا يَعرف[١] الأرضَ مِن السَّماء، والرِّجالَ مِن النِّساء، وعند أبي يوسف ومحمد[٢] والشافعيِّ رحمهم الله: هو أنْ يَختلِطَ كلامُه[٣].

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: في الآية دلالةٌ أنَّ في الصَّلاة قولاً فرضاً، نهى عن قربانها في حالةِ السُّكر مخافةَ تركه، أو خوفاً[٤] أن يُدْخِلَ فيها قولاً ليس منها. وفيه دليلُ فساد الصَّلاة بالكلام عمداً أو خطأ؛ لأنَّ السَّكرانَ غير عامد[٥].

وفيه دليلٌ على أنَّ الخطأ الفاحشَ في القراءةِ مفسدٌ للصَّلاة.

وفيه دليلٌ على أنَّ رِدَّةَ السَّكران ليست بردَّةٍ، وهي حجَّةٌ على أبي يوسف رحمه الله، فإنَّه يصحِّحُها كما يُصحِّحُ سائرَ تصرُّفاته، لكنَّ حديثَ قراءةِ بعضِهم سورةَ الكافرون بطرحِ اللاءات، مع أنَّ اعتقادها كفرٌ، ولم يكن كفراً مِن ذلك القارئ؛ حيث كان سكران: دليلٌ على ما قلنا.

وفيه دليلٌ على أنَّه إذا جرى الكفرُ على لسانهِ خطأً مِن غير عمْدٍ، لم يكفر به؛ لأنَّ ما يَجري على لسان السَّكران خطأٌ، فعلى ذلك غيرُ السكران، وهذا لأنَّ الكفرَ بالقلبِ، واللِّسانُ معبِّرٌ عنه، وفي هذه الحالةِ لا يكونُ دليلاً على اعتقادِ القلب، فلم يُجعَل كفراً[٦].

---

(١) في (أ): «يعلم».

(٢) لفظ: «ومحمد» من (أ).

(٣) انظر: «المبسوط» للسرخسي (٢٤/ ٣٠)، و«نهاية المطلب» للجويني (١٤/ ١٦٩).

(٤) في (ر): «وخوفاً».

(٥) في (ر) و(ف): «عاقل».

(٦) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٣/ ١٨٩ ـ ١٩٠).

وقولـه تعالـى: ﴿وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ﴾ الجُنُـب: الـذي خالطَ أهلَـه، أو خرجَ منـه منيُّه بشـهوةٍ واحتـلام، ويَسـتوي فيه الذَّكـرُ والأُنثـى، والواحدُ والتَّثنيـةُ والجمع؛ لأنَّـه علـى صيغـة المصـدر، كالنُّكْر والنَّـذْر[1] بمعنـى الإنـكار والإنذار، وقـد أجنبَ إجنابـاً؛ أي: صار جُنُباً؛ سُـمِّيَ بـه؛ لأنَّه يُجَنَّبُ عن المسـجدِ والقـراءةِ والصَّلاة ونحو ذلـك، وهـو نصـبٌ علـى الحـال؛ أي: لا تَقربوا المسـاجدَ وأنتـم مجنبـون، والجُنُبُ للجمـع هاهنا.

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا﴾ العبورُ: المرور، وقد عبرَ النَّهرَ عبوراً، وهو جمعٌ، وحذف النون للإضافة، وإعرابُه النَّصبُ بالاستثناء من الحال؛ أي: إلَّا أن تدخلوا المساجدَ للعبور[2] لا للجلوس.

وقال الإمامُ أبو منصور رحمه الله: إنَّما كُرِه للجُنُب أنْ يَستوطِنَ المسجدَ، فمروره في المسجد إذا لم يجلس فيه كقراءتِه بعضَ الآية إذا لم يُتِمَّها[3].

وقيل في نزوله: إنَّ رجالاً من الأنصار كانت أبوابهم في المسجد، فكانت تصيبُهم جنابةٌ، ولا ماءَ عندَهم، فيريدون الماءَ، فلا يَجدون ممرًّا إلَّا في المسجد، فأنزلَ اللهُ تعالى: ﴿وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ﴾[4].

وقال عليٌّ وابنُ عبَّاس رضي الله عنهم في تأويل هذه الآية: أي[5]: لا تصلوا

---

(١) قـال الفيروزآبـادي فـي «القاموس» (مـادة: نذر): أنذره ينـذره إنذاراً ونَـذْراً ويُضم (يعنـي: نُذراً)، وبضمتين (يعنـي: نُذُراً).

(٢) في (أ): «للمرور».

(٣) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٣/ ١٩١).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٥٧) عن يزيد بن أبي حبيب.

(٥) في (أ): «أن».

﴿وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ﴾؛ أي: في حال السكر من الشرب، ﴿وَلَا جُنُبًا﴾؛ أي[١]: في حالة الجنابة، ﴿إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ﴾؛ أي[٢]: مسافرينَ غيرَ واجدين للماء، ﴿حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا۟﴾ فتزولَ الجنابةُ، وحتَّى تعلموا ما تَقولون فيزولَ السُّكرُ[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ﴾ جمعُ مريضٍ، كالجرحى جمعُ جريحٍ، والمراد منه[٤]: مرضٌ يُخافُ معه إذا استُعمِلَ الماءُ اشتدادُ المرض، أو امتدادُه، وهذا عندنا[٥].

وقال[٦] الشافعيُّ رحمه الله: إذا كان يخافُ تلفَ النَّفسِ أو طرفٍ منها[٧].

وقوله تعالى: ﴿أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ أي: مسافرين، وهو أن يكون ببُعدٍ مِن العمران ومواضعِ الماء، ولا يُرادُ به كمالُ مدَّةِ السَّفر في هذا الحكم، ولا مسافرٌ يَجِدُ الماءَ، ولمَّا ثبتَ أنَّ الحكمَ لم يَتعلَّق بعينِ المرض والسَّفر، بل بمعنًى فيهما، وهو العجزُ عن استعمالِ الماء[٨]؛ ثبتَ أنَّ الحكمَ كذلك في كلِّ موضعٍ تَحقَّقَ العجزُ.

وثبت به صحَّةُ قول أبي حنيفة رحمه الله في إجازةِ التَّيمُّم للجنابة في المصر إذا

---

(١) بعدها في (ر): «ولا».

(٢) في (أ): «أو».

(٣) أخرج قوليهما الطبري في «تفسيره» (٧/ ٥٠ ـ ٥١).

(٤) في (أ): «به».

(٥) انظر: «المبسوط» للسرخسي (١/ ١١٣).

(٦) في (ف): «وعند».

(٧) قال النووي في «المنهاج» (ص: ٨٣) عند ذكر أسباب التيمم: مرض يخاف معه من استعمال الماء على منفعة عضو، وكذا بطءُ البرء، أو الشَّينُ الفاحشُ في عضوٍ ظاهرٍ في الأظهر.

(٨) من قوله: «ثبت أن الحكم» إلى هنا ليس في (أ).

عَدِمَ الماءَ الحارَّ، أشارَ إليه الإمام أبو منصورٍ رحمَه الله[١]، وإنَّما علَّق ذلك بالمرضِ والسَّفر ظاهراً؛ لأنَّ العجزَ عن استعمالِ الماء يقعُ فيهما غالباً.

وقوله تعالى: ﴿أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ﴾ أي: وجاء، كما في قوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾؛ أي: ويحدِثَ.

والغائط: المكانُ المطمئنُّ مِن الأرض، وكانوا يأتونَه لقضاء الحاجة قبل اتِّخاذِ الكُنُف في البيوت، وهو كنايةٌ عن الحدث.

وقوله تعالى: ﴿أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾ قرأ حمزةُ والكسائي والمفضل عن عاصم[٢]: ﴿لَمَسْتم﴾، والباقون[٣]: ﴿لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾[٤]؛ أي: جامعتُم، فأجنبتم.

قال ابنُ عباس رضي الله تعالى عنه: الملامسةُ واللَّمسُ والمسُّ والمباشرةُ والإفضاءُ والرَّفث كناياتٌ عن الوطء[٥].

وقوله تعالى: ﴿فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً﴾؛ أي: لم تَقدروا على استعمالِه؛ لعدمِه، أو بُعده، أو لفقد[٦] آلةِ الوصولِ إليه، مِن الدَّلو والرِّشاء[٧]، أو لمانعٍ عنه، مِن حيَّةٍ أو سَبُعٍ أو عدوٍّ.

---

(١) في «تأويلات أهل السنة» (٣/ ١٩٢).

(٢) قوله: «والمفضل عن عاصم» ليس في (أ)، وفي (ف): «والمفضل وعاصم». وقراءة عاصم المتواترة عنه كقراءة الجمهور.

(٣) في (أ): «وقرأ الباقون أو» بدل: «والباقون».

(٤) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٣٤)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٦).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٦٤)، ولم يذكر فيه: الملامسة والإفضاء والرفث.

(٦) في (أ): «فقد».

(٧) الرشاء: الحبل. انظر: «مختار الصحاح» (مادة: رشا).

وقوله تعالى: ﴿فَتَيَمَّمُواْ﴾ الأَمُّ واليَمُ والتَّيمُّم والتأمُّمُ: القصد.

وقوله تعالى: ﴿صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ الصَّعيدُ: وجهُ الأرض؛ لأنَّه تصاعدَ عنها، أو لأنَّه يصعدُ عليها، والطَّيِّبُ: الطَّاهرُ.

ويجوز التَّيمُّم بكلِّ ما كان مِن أجزاء الأرض عندَ أبي حنيفة رضي الله عنه، لزقَ بالكفِّ أو لم يَلزق، وعند محمد كذلك، لكن إذا لزقَ بالكفِّ، وعند أبي يوسف رحمه الله الصعيد: هو التُّرابُ والرَّمل[1].

وعند الشافعيِّ رحمه الله هو الترابُ لا غير[2]، والطَّيِّبُ المنبت عنده كما في قوله تعالى: ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ﴾ [الأعراف: ٥٨].

والصَّحيحُ ما قال أبو حنيفة رحمه الله، وعليه أهلُ التَّفسير وأهلُ اللُّغة رحمهم الله، ويؤيِّدُه النُّصوص، قال الله تعالى: ﴿فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا﴾ [الكهف: ٤٠]، وقال تعالى: ﴿صَعِيدًا جُرُزًا﴾ [الكهف: ٨]، وقال النبيُّ ﷺ: «يُحشَرُ النَّاسُ في صعيدٍ واحدٍ»[3].

وقوله تعالى: ﴿فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾ قيل: أي: فامسَحوا الصَّعيدَ بها.

وقيل: الباءُ زائدةٌ، كقوله: ﴿تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ﴾ [المؤمنون: ٢٠]، وتقديره: فامسحوا وجوهَكم وأيديكم.

وهذا تفسيرٌ للتيمُّم وبيانٌ له، وهو مشروعٌ في الجنابةِ والحدثِ جميعاً على قدرٍ واحدٍ.

---

(١) انظر: «المبسوط» للسرخسي (١/ ١٠٨ ـ ١٠٩).

(٢) في (ر) و(ف): «الأغبر».

(٣) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٢٩٧٤) من حديث أسماء بنت يزيد. وإسناده ضعيف.

والأيدي عند الزُّهريِّ إلى الآباط[١]؛ لأنَّ الاسمَ لكلِّها لغةً[٢]، وفي الوضوءِ اقتصرَ على المرافق؛ لأنَّ النَّصَّ مدَّه[٣] إليها.

وقال الأوزاعيُّ: إلى الأرساغ، كما في قوله تعالى: ﴿فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ [المائدة: ٣٨].

وعندنا إلى المرافق معها[٤]؛ لأنَّ التَّيمُّمَ بدلٌ عن الوضوء، فيتقدَّرُ بتقدير الأصل، وفي قطع السَّرقةِ وردَ التَّقديرُ بذلك نصًّا.

وقال مجاهدٌ في قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ﴾: نزلت في رجلٍ مِن الأنصار كان مريضاً، فلم يَستطع أنْ يقومَ فيتوضَّأ، ولم يكن له خادمٌ فيناولَه[٥] الماء، فأتيَ به[٦] رسولُ الله ﷺ، فذكَرَ ذلك له[٧]، فنزلَت الآيةُ[٨].

وقال مقاتل: نزلَت في عبد الرحمن بن عوف، أصابَته جنابةٌ وهو جريحٌ، فشَقَّ عليه الغُسلُ، وخافَ منه، فنزلت الآية[٩].

وتقدير[١٠] الآيةِ على قوله: وإن كنتم جُنباً مَرضى، وتركَ ذكرَ الجنابة؛ اكتفاءً بما

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٩٠).

(٢) في (ف): «لفظاً».

(٣) كذا في (أ) و(ر)، ولعلها: «وحَدُّه»، ورسمها في (ف) محتمل.

(٤) في (ر): «بعدها»، وليست في (ف).

(٥) في (ف): «يناوله».

(٦) في (ر) و(ف): «فأخبر بذلك» بدل: «فأتى به».

(٧) قوله: «فذكر ذلك له» من (أ).

(٨) رواه ابن المنذر (١٨١٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٩٦١) (٥٣٦٥).

(٩) انظر: «تفسير مقاتل» (١/ ٣٧٤).

(١٠) في (ف): «وقال مقاتل: تقدير» بدل: «وتقدير».

ذكرَ قبلَه: ﴿وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِى سَبِيلٍ﴾، وعلى هذا التَّأويل يكون قوله جلَّ جلاله: ﴿أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ﴾ على حقيقة «أو»، مِن غير أنْ تُجعَل بمنزلة الواو، ومعناهُ: وإنْ كنتم جُنُباً، أو مُحْدِثين مرضى أو مسافرين، فتيمَّموا لهما[1] جميعاً على صفةٍ واحدةٍ. وكذا رُويَ عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما وابنِ مسعود وأبي مالكٍ والسُّدِّيِّ رضي الله عنهم أنَّهم حَملوا الآيةَ على الجُنبِ الجريح[2]، وأوَّلوها على هذا الوجه.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ العفوُّ: الكثيرُ العفوِ، وله معنيان:

أحدهما: التَّسهيلُ والتَّخفيف، قال النبيُّ ﷺ: «عفوتُ لكم عن صدقةِ الخيلِ والرَّقيق»[3]، ومعناه أنَّه خفَّف عليكم بإقامةِ الصَّعيدِ الطَّيِّبِ مقامَ الماءِ. **وقوله تعالى:** ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ﴾ بيانُ أنَّ سنَّتَهُ كذلك في كلِّ عباده، **وقوله تعالى:** ﴿غَفُورًا﴾ أي: كثيرَ المغفرة للذُّنوب.

والمعنى الثاني: أنَّه الصَّفح والتَّجاوزُ، ويَرجِعُ إلى أوَّل الآية[4]: ﴿لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ﴾؛ أي: مَن فعلَ ذلك، ثمَّ رجعَ عنه، عفى الله عنه، وغفرَ له، ولم تزل سنَّته في عباده كذلك.

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: جعلَ اللهُ التيمُّمَ بدلاً عن الطَّهارةِ بالماء عند

---

(١) في (ف): «لها».

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٥٩ ـ ٦٠) عن أبي مالك والسدي، وأخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٩٦٠) (٥٣٦٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) رواه أبو داود (١٥٧٤)، والترمذي (٦٢٠)، والنسائي في «الكبرى» (٢٢٦٨)، وابن ماجه (١٧٩٠)، (١٨١٣) من حديث علي رضي الله عنه.

(٤) بعدها في (ر): «وهو قوله»، وفي (ف): «قوله تعالى».

إعوازِ الماء، كذلك النُّزولُ إلى ساحاتِ التَّفرقةِ عن[1] ارتقاءِ ذروةِ الجمع، بقدر ما يحصل من الضَّعف: بدلٌ لأهل الحقائقِ في الشَّرع.

ثمَّ التَّيمُّمُ الذي هو بدلُ الماءِ أعمُّ وجوداً مِن الماء، وأقلُّ استعمالاً، فكلُّ مَن كان أقربَ كانت المطالباتُ عليه أصعبَ.

ثمَّ في التَّيمُّم سقطَ استعمالُه في الرَّأسِ والقدم؛ صيانةً لك عن الهوانِ، وذلك لعزِّ الإيمانِ مع الإفلاس عن[2] الإحسان، ولئِن كان الإفلاسُ يُوجِبُ التَّذلُّل، فعرفانُهُ بجلال سيِّدِه يوجبُ التَّعزُّزَ[3].

* * *

(٤٤) ـ ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَـٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ ﴾ قال الإمام أبو منصور رحمه الله: ﴿ أَلَمْ تَرَ ﴾ كلمةُ تعجيبٍ[4]؛ عن أمرٍ قد بلغَهُ، فيَخرُجُ مخرجَ التَّذكير، أو لم يبلغه، فيَخرُجُ مخرجَ التَّعليم[5]، وقد مرَّ تفسيرُه وإيضاحُه مرَّاتٍ، يقول: ألم تَنْتَهِ[6] رؤيةُ قلبك يا محمَّد إلى اليهود الذين أُعطوا حظًّا مِن التَّوراة، وهم الذين مرَّ ذكرُهم: ﴿ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ ﴾ ﴿وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ ﴾؟

---

(١) في (ر) و(ف): «عند»، والمثبت من (أ)، وهو موافق لما في «لطائف الإشارات» (١/ ٣٣٦).

(٢) في (ف): «إلى».

(٣) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (١/ ٣٣٦).

(٤) في (ف): «تعجب».

(٥) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٣/ ١٩٧).

(٦) في (أ): «تنته».

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: ﴿أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ﴾ مكروا مكراً[١]، فغفلوا وما شعروا؛ أُعطوا الكتابَ، ثمَّ حُرِموا بركاتِ الفهم، فحرَّفوا، وخالفوا، ولم يَعملوا بالعلم[٢].

وقوله تعالى: ﴿يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ﴾؛ أي: بالهُدى، هذا مضمَرٌ، ومعناه: يختارون الغيَّ[٣] على الرُّشد، أو يستبدلونه[٤]، وقد مرَّ شرحُه في سورة البقرةِ مرَّات.

وقوله تعالى: ﴿وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا السَّبِيلَ﴾ أي: ويحبون أنْ تَضلُّوا أنتم سبيلَ الحقِّ كضلالِهم.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: إنَّما أرادوا ذلك؛ ليكونَ النَّاسُ كلُّهم على دينِهم، فتكونَ لهم الرياسةُ على الكلِّ، وأخذُ المرافقِ مِن[٥] الكل.

وقيل: هو كقوله تعالى: ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً﴾ [النساء: ٨٩].

وقال الكلبيُّ: هم اليهودُ ﴿يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ﴾؛ أي[٦]: اليهوديَّة. ﴿وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا السَّبِيلَ﴾ كانوا يأتون عبدَ الله بنَ أُبيٍّ[٧] ومالكَ بن الدُّخْشم[٨]، فيثبِّطونَهم عن

---

(١) في (أ): «مكروا فمكروا»، وفي (ف): «فمكروا» بدل: «مكروا مكراً».

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (١/ ٣٣٧).

(٣) في (ر): «الضلال» وفي (ف): «الهدى».

(٤) في (أ): «ويستبدلونه».

(٥) في (أ): «عن».

(٦) في (أ): «يعني».

(٧) بعدها في (ر) و(ف): «أوفى».

(٨) مالك بن الدخشم صحابي أنصاري أوسي، شهد بدراً وما بعدها، وهو الذي أسر سهيل بن عمرو، وأرسله النبي ﷺ مع معن بن عدي فأحرقا مسجد الضِّرار، اتُّهم بالنفاق، وقال ابن عبد البر: لا يصح عنه النفاق، وقد ظهر من حسن إسلامه ما يمنع اتهامه. انظر: «الاستيعاب» =

الإسلام. يقول: ألم تتعجَّب مِن اليهود مع ادِّعائهم العلمَ، وتفضيلِهم أنفسَهم على غيرهم؛ يَختارون الضَّلالةَ على الهُدى، ولا يَرضون بالاقتصارِ على أنفُسهم في هذا الجهلِ حتَّى يريدوا منكم تركَ دينِكُم.

* * *

(٤٥) ـ ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَآئِكُمْۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَآئِكُمْ﴾ قيل: أي: عالمٌ، كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧]؛ أي: هين.

وقيل: أي: هو أعلمُ بهم منكم؛ لأنَّه يَعلمُ مِن باطنِهم ما لا تَعلمونه؛ أي: هؤلاء اليهودُ أعداؤكم، فلا تَثقوا بهم، ولا تَستعينوا بهم في شيءٍ.

أو معناه: فلا يَهولنَّكم أمرُهُم؛ فاللهُ أعلمُ بهم، وهو منتقمٌ مِنهم، ومجازيهم وناصركم.

وقال الكلبيُّ: ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَآئِكُمْ﴾ مالك بن الدُّخشم وعبد الله بن أُبيٍّ.

وقال الحسن: ﴿بِأَعْدَآئِكُمْ﴾ اليهود، قال الله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ﴾ [المائدة: ٨٢].

وقوله تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا﴾ قال الزَّجَّاج: الباءُ صلةُ الاكتفاء[1]؛ أي: وكفى بالله وليًّا، فاكتفوا به وليًّا؛ أي: مُحِبًّا. وقيل: متكفِّلاً.

وقوله تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا﴾ أي: معيناً، وقيل: مانعاً.

* * *

= (٣/ ١٣٥٠ ـ ١٣٥١)، «الإصابة» (٩/ ٤٥ ـ ٤٦).

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٥٧).

(٤٦) ـ ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟﴾ قيل: أي: الذين أوتوا نصيباً من الكتاب من الذين هادوا.

وقيل: والله أعلم بأعدائكم مِن الذين هادوا[١].

وقيل: وكفى بالله نصيراً مِن الذين هادوا؛ أي: لكم على الذين هادوا[٢]، كما قال تعالى: ﴿وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟﴾ أي: على القوم.

وعلى هذه الوجوه الثلاثةِ قولُه تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ لا يُضمَرُ فيه شيءٌ، ويَستقيمُ على ظاهره، ويكونُ هذا صفةً لهم.

وفي قراءة عبد الله: (ومِن الذين هادوا)[٣]، وعلى هذا لا يَستقيم الوجوهُ الثلاثة، ويكون ابتداءً، وكذا مَن جعلهُ ابتداءً مِن غير واو الاستئناف، فإنَّه يقول: هاهنا مضمرٌ، وتقديره: مِن الذين هادوا مَن يحرِّفون الكَلِمَ. و«مِن» يكون للجمع، كما في قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾ [يونس: ٤٢]، وفي مصحف حفصة رضي الله عنها: (من الذين هادوا من يحرف الكلم[٤] عن مواضعه)[٥]، ونظيرُه في القرآن قوله

---

(١) قوله: «وقيل والله أعلم بأعدائكم من الذين هادوا» من (أ).

(٢) بعدها في (ر) و(ف): «وقيل وكفى بالله نصيراً».

(٣) ذكرها الماتريدي في «تأويلات أهل السنة»، لكن سقطت الواو من مطبوع دار الكتب العلمية (٣/ ١٩٨)! وهي مثبتة في طبعة الرسالة ناشرون (١/ ٤٣٠)، وطبعة دار الميزان التركية (٣/ ٢٥٢).

(٤) في (ر) و(ف): «الكلم».

(٥) ذكرها الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (٣/ ١٩٨).

تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ﴾ [النساء: ١٥٩]؛ أي: إلَّا مَن، **وقوله تعالى**: ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ [الصافات: ١٦٤]؛ أي: إلا من، وهو كقول الشاعر:

فظلُّوا ومنهمْ دَمعُهُ سابقٌ لَه وآخرُ يَثني دمعةَ العينِ بالمَهْلِ[1]

وقوله تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ﴾ أي: يحولون[2]، و«الكلم» جمعُ كلمة، ولذلك قال تعالى: ﴿عَن مَّوَاضِعِهِ﴾، والتَّحريفُ نوعان:

أحدهما[3]: صرفُ الكلامِ إلى غير المراد به بضربٍ من التَّأويلِ الباطل.

والثاني: تبديلُهم الكلمةَ بأُخرى، وكانوا يفعلون ذلك، قال تعالى: ﴿يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٧٩].

وقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا﴾ أي: قولَك، ﴿وَعَصَيْنَا﴾؛ أي: أمرَك[4]، يُظهِرون الأوَّل، ويُضمرون الثاني خوفاً.

وقوله تعالى: ﴿وَاسْمَعْ﴾ أي: قولنا، ﴿غَيْرَ مُسْمَعٍ﴾ أي: لا أسمعَك اللهُ، وهذا كانوا يضمرونَهُ في أنفسهم.

وقيل: معناه: غير مسمَعٍ؛ أي: غيرَ مجابٍ، قاله الحسن[5]، وتحقيقُه على وفق اللُّغة؛ أي: لا نُسمِعُكَ إجابتَنا، وهذا كانوا يضمرونَه أيضاً.

---

(١) البيت لذي الرمة، وهو في «ديوانه» (١/ ١٤١)، وسلف عند تفسير الآية (٩٦) من سورة البقرة.

(٢) في (ر) و(ف): «يحرفون».

(٣) لفظ: «أحدهما» ليس في (أ).

(٤) نص العبارة في (ر) و(ف): «﴿وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾؛ أي: سمعنا قولك، وعصينا أمرك».

(٥) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٥٩٤)، ومن طريقه الطبري في «تفسيره» (٧/ ١٠٦)، وابن أبي حاتم (٣/ ٩٦٦) (٥٣٩٦).

وقيل: كانوا يُظهرونَ قولهم: غير مسمعٍ، وتأويلُه: غير مسبوب، يقال: أسمعتُ فلاناً؛ أي: سببته.

وقوله تعالى: ﴿وَرَٰعِنَا﴾ يوهمون بظاهره أنَّهم يطلبون مراعاتَه عند كلامِهم، وهو إمهالهم حتى يُتِمُّوا كلامَهم.

وقوله تعالى: ﴿لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ﴾ أي: تقليباً، وقد لَوى يَلوي ليًّا[١]؛ أي: يُظهِرون هذا، ويُريدونَ به السَّبَّ بالرُّعونة، وقد مرَّ شرحُه في سورة البقرة.

وقيل: ليُّهم بألسنتِهم إشباعُهم كسرةَ العين في ﴿وَرَٰعِنَا﴾، يريدون: راعينا؛ أي: أنت راعينا[٢]، يريدون وصفَهُ براعي[٣] الغنم.

وقوله تعالى: ﴿وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ﴾ أي: يقولون: هو لا يَصلحُ للنُّبوَّة.

وقيل: كانوا يقولون له: السَّامُ عليك، فيقول: «وعليكم»[٤] فيخرجون ويقولون لولا يعذبنا الله بما نقول؛ أي: لو كان هو على الدِّين الحقِّ، فلماذا لا يُعذِّبُنا اللهُ بهذا.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا۟ سَمِعْنَا﴾؛ أي: قولَك، ﴿وَأَطَعْنَا﴾؛ أي: أمرَك، ولا يقولون: وعصَينا في أنفسِهم.

وقوله تعالى: ﴿وَٱسْمَعْ﴾[٥]؛ أي: قولَنا، ولا يُلحِقونَ به: غيرَ مُسمَع.

﴿وَٱنظُرْنَا﴾ مكان: راعنا، من غير تلبيس؛ أي: انتَظِرنا حتَّى نفرغَ من كلامِنا.

---

(١) بعدها في (ر) و(ف): «حتى يتموا كلامهم».

(٢) قوله: «يريدون راعينا أي: أنت راعينا» ليس في (أ).

(٣) في (ر) و(ف): «برعي».

(٤) رواه البخاري في «صحيحه» (٢٩٣٥)، ومسلم في «صحيحه» (٢١٦٥) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٥) بعدها في (ف): «وانظرنا واسمع».

وقيل: أي: راعنا: خطابُ الأعلى للأدنى، وانظرنا: خطابُ الأدنى للأعلى، فوُبِّخوا على تركِ الاحترام، ودُعوا إلى الاحترام.

وقوله تعالى: ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ قالوا: لما لم يكن في الذي اختاروه خيرٌ أصلاً، لم جعلَ هذا خيراً من ذلك؟ وجوابه أنَّه كذلك على زعمِهم، فخُوطِبوا على ذلك، وهو كقوله: ﴿ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النمل: ٥٩]، **وقوله تعالى:** ﴿ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ [يوسف: ٣٩].

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: معناه[١]: لكان خيراً لهم في الدُّنيا والآخرة؛ أمَّا في الدُّنيا فدوامُ الرياسةِ التي خافوا فوتَها لو أطاعوهُ واتَّبعوه؛ إذ قد أطاعَ منهم قومٌ، فلم تذهب رياستُهم، بل ازدادَ شرفُهم وذكرهُم في الحياة وبعدَ الوفاة[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَأَقْوَمَ﴾؛ أي: أعدلَ، مِن القَيِّم، وهو[٣] المستقيم.

وقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ﴾[٤]؛ أي: طردَهم وأبعدَهم عن رحمتِه بسبب اختيارِهم الكفرَ.

وقوله تعالى: ﴿فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ قال الكلبيُّ: أي: إلا قليلاً[٥]، منهم عبدُ الله ابنُ سلام وأصحابُه.

---

(١) لفظ: «معناه» من (أ).

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٣/ ١٩٩).

(٣) في (ف): «أي» بدل: «وهو».

(٤) بعدها في (ف): «فلا يؤمنون إلا قليلًا».

(٥) قوله: «قال الكلبي أي إلا قليلًا» ليس في (ف).

وعن الكلبيِّ في رواية معمرٍ عنه: إلَّا بقليلٍ[١] ممَّا في أيديهم[٢]؛ أي: ببعضِ الكتب والأنبياء، كما قال خبراً عنهم: ﴿نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ﴾ [النساء: ١٥٠].

وقيل: أي: إلَّا إيماناً قليلاً لا يَتِمُّ به الإيمان، وهو كإقرارهم بأنَّ خالقَهم اللهُ تعالى، ورازقَهم اللهُ تعالى، وتصديقِهم ببعض الكتب وببعض[٣] الأنبياء.

* * *

(٤٧) ـ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا﴾ وهو القرآن، ﴿مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ﴾ أي: موافقاً للكتاب الذي أنزلَ على نبيِّكم، وهو التَّوراة.

وقال الإمامُ أبو منصور رحمه الله: كان موافقاً لما معهم بالمعاني المدرجةِ[٤] فيه والأحكام، لا بالنَّظمِ واللِّسان. وفيه دليلٌ لقول أبي حنيفة رحمه الله، حيث أجازَ الصَّلاة بالقراءة بالفارسيَّة؛ لأن تغيُّرَ النَّظم[٥] واختلافَ اللِّسان، لا يُوجِبُ تَغيُّر المعاني واختلافَ الأحكام[٦].

وقوله تعالى: ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا﴾ الطَّمسُ: محوُ الأثر، قال تعالى: ﴿فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ﴾ [المرسلات: ٨].

---

(١) في (ر): «قليل»، وفي (ف): «قليلًا».

(٢) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» عقب الأثر: (٥٩٨).

(٣) في (أ): «وبعض».

(٤) في (ر): «المذكورة»، وفي (ف): «المدركة».

(٥) في (ر) و(ف): «اللفظ».

(٦) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٣/ ٢٠٠)، وانظر: «المبسوط» للسرخسي (١/ ٢٧).

وقيل: هو التغيير[١]، قال تعالى: ﴿رَبَّنَا ٱطۡمِسۡ عَلَىٰٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ﴾ [يونس: ٨٨]، رويَ أنَّ ذهبَهم وفضَّتهم صارت حجارةً.

وقيل: هو الإغماء، قال تعالى: ﴿وَلَوۡ نَشَآءُ لَطَمَسۡنَا عَلَىٰٓ أَعۡيُنِهِمۡ﴾ [يس: ٦٦].

وقوله[٢]: ﴿مِّن قَبۡلِ أَن نَّطۡمِسَ وُجُوهٗا﴾؛ أي: نمحو ما على الوجهِ من العينين والأنفِ والفم، وسائر أجزاء الوجه، فيصيرَ الوجهُ كالقفا، وهو معنى قول ابن عباس رضي الله عنهما: نجعلها كخفِّ البعيرِ وحافر الدَّابَّة[٣].

وقوله تعالى: ﴿فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدۡبَارِهَآ﴾ أي: نردَّ الأشياءَ المصوَّرة في الوجوه ﴿عَلَىٰٓ أَدۡبَارِهَآ﴾ جمع دُبُر، وهو الخلفُ؛ لأنَّ الدُّبر ما أدبرَ مِن بدنِ الإنسان، والقُبُل: ما أقبلَ منه؛ أي: نَجعلَ ذلك في الأقفيةِ، وهو مسخُ الرَّأس والوجه، فتكونَ الأيدي والبطون والأرجل في مواضعها، والوجهُ بما فيه في القفا، وفيه مِن الخزيِ والقُبحِ ما لا يخفى.

وقوله: ﴿عَلَىٰٓ أَدۡبَارِهَآ﴾؛ أي: في أدبارِها، كما يقال: على وجه فلانٍ أنفٌ طويلٌ، وفمٌ واسعٌ؛ أي: في وجهه، و«نردَّها» بمعنى: نجعلَها ونخلقَها. ومعنى هذه الجملة عن قتادة رحمه الله[٤] وغيره من المفسِّرين.

وقيل: ﴿فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدۡبَارِهَآ﴾؛ أي: نغيِّرَ الوجوهَ[٥] على هيئة أدبارها؛ أي:

---

(١) في (ر) و(ف): «التغيير».

(٢) في (أ): «فقوله».

(٣) انظر: «تفسير الثعلبي» (٣/ ٣٢٤).

(٤) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٥٩٦)، ومن طريقه الطبري في «تفسيره» (٧/ ١١٢).

(٥) في (ر) و(ف): «نعيد الوجه» بدل: «نغير الوجوه».

أقفائها، لا عينَ فيها ولا أنفَ ولا فم، لا أن يجعلَ ذلك في الأقفية، بل يبعثهم[١] عمياً وبكماً، ليس لهم عينٌ وأنفٌ وفم.

وقيل: أي: نجعل وجوهَهم بعد الطَّمس كأقفيتهم منابتَ للشَّعر[٢]، كوجوهِ القردة.

وقوله تعالى: ﴿أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ﴾؛ أي: نمسخهم بالكلية كما جعلنا أصحاب السبت قردةً.

قال الكلبيُّ: لـمَّا نزلَت هذه الآيةُ قَدِم عبدُ الله بن سلام مِن الشَّام، وبلغَه ذلك، فأتى النبيَّ ﷺ، فأسلمَ قبل أن يأتيَ أهلهُ، وقال: يا رسولَ الله، ما كنتُ أرى أنْ أصلَ إليك حتَّى يتحوَّل وجهي في قفاي[٣]. وذكرنا القصَّة بطولها في أوَّل سورة البقرة عند قوله تعالى: ﴿قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ﴾ [البقرة: ١٣].

فإن[٤] قالوا: خوَّفهم اللهُ تعالى إنْ لم يبادِروا إلى الإسلامِ بالطَّمسِ والمسخ، ولم يسلموا، ولم يفعل!

قلنا: لأنَّه أسلمَ بعضُهم، وهو ابنُ سلام وأصحابُه، أو هو[٥] مطلقٌ، فيكونُ الوعيدُ باقياً إلى قيام السَّاعة؛ لأنَّه قال: ﴿وُجُوهًا﴾ على التَّنكير، لا على التَّعريف والتَّعميم.

---

(١) في (ف): «نبعثهم».

(٢) في (ر) و(ف): «الشعر».

(٣) هذا القول ذكره الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (٣/ ٢٠١)، وأبو الليث في «تفسيره» (٢/ ٦٢)، والثعلبي في «تفسيره» (٣/ ٣٢٤)، دون نسبة.

(٤) في (ف): «فلما إن».

(٥) في (أ): «وهو».

وقيل: قوله: ﴿مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ﴾ في الآخرة، وهو محوُ محاسنِ الوجوه، وإدخالُ الأيدي في الصُّدور، والإخراجُ إلى الظُّهور، وإعطاءُ الكتبِ بالشَّمائل ووراءَ الظُّهور، وأمَّا اللَّعن فهو المسخُ في الدُّنيا، ولعلَّه كان في بعضِهم ولم يُنقَل إلينا، أو هو إلى قيامِ السَّاعة.

وقيل: الوعيدان على التَّمثيل لا على[1] التَّحقيق، أشار إلى ذلك الإمامُ أبو منصورٍ رحمه الله[2] وغيره، ومعنى قوله تعالى: ﴿نَّطْمِسَ وُجُوهًا﴾ فيبصرون الحقَّ بغير صورتِه، والباطلَ بغير صورته، بعد أن كانوا يَرون كلَّ شيءٍ على ما هو به بالنَّظرِ في كتبِهم، رُويَ عن الحسن وابنِ أبي نَجيح والسُّدِّيِّ[3] أنَّ معناه: نجعلَهم منصرفين عن الحقِّ، مُقبلينَ على الباطل.

وقيل: أي: نطمسَ وجوهَهم؛ أي: جاهَهم عند أتباعِهم الذين لأجلهم غيَّروا بما يُطلِعهُم على خيانتهم[4]، وقد فعل ذلك.

وعن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم أن المراد به الوعيد بالجلاء[5] عن أوطانِهم[6]، ويقال: لفلانٍ وجهٌ في بلدِه، وهو وجيهٌ عند النَّاس، ويَزولُ ذلك بالغربة، والرَّدُّ إلى الأدبار مجازٌ عن الرَّدِّ مِن الإقبال إلى الإدبار.

وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا﴾ الأمرُ هو المأمور به، والمصدرُ يُطلَقُ على

---

(١) في (أ): «دون» بدل: «لا على».

(٢) في «تأويلات أهل السنة» (٣/ ٢٠١).

(٣) روى أقوالهم الطبري في «تفسيره» (٧/ ١١٣)، وابن أبي نجيح يرويه عن مجاهد.

(٤) في (ف): «جنايتهم».

(٥) في (ف): «بالإجلاء».

(٦) رواه بنحوه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٩٦٩) (٥٤١٨).

المفعولِ به، كما يُقال: هذا الدِّرهمُ ضربُ الأمير؛ أي: مضروبُه؛ أي: عذابُ اللهِ الذي أمرَ بإنزالِهِ مُنزَلٌ بهم لا محالة.

* * *

(٤٨) ـ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾؛ أي: هؤلاء اليهود مشركون، واللهُ تعالى لا يغفر الشِّركَ لمن ماتَ عليه، فأمَّا إذا أسلمَ فقد قال: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ﴾ [الأنفال: ٣٨].

وقوله تعالى: ﴿وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ وهو يَعُمُّ الكبائرَ والصَّغائر؛ أي: هي في جوازِ المغفرة، لكنَّه معلَّقٌ بالمشيئة، وإنْ ماتَ مُصِرًّا عليها[1] مِن غير توبةٍ. وهو ردٌّ على الخوارج والمعتزلة.

وذكر الكلبيُّ، عن أبي صالحٍ، عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما: أنَّ الآيةَ نزلتْ في وحشيّ، والقصَّةُ معروفةٌ؛ أنَّ قولَه: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ الآيات [الفرقان: ٦٨]، نزلَت أوّلاً، ثمَّ هذه الآيةُ، ثمَّ قوله تعالى: ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ [الزمر: ٥٣][2].

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا﴾؛ أي: اختلقَ أعظمَ الأكاذيب.

وقال القشيريُّ رحمَه الله: مَن توسَّل إلى الله بأعمالِه وصفاتِه، أو توهَّم أنَّ

---

(١) في (أ): «عليهما».

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» (٣/ ٣٢٤). والكلبي متهم بالكذب، وأبو صالح باذام مولى أم هانئ ضعيف يرسل، كما ذكرناه قبل.

أحكامَ الله معلولةٌ بحركاتِه وسكناتِه أو رأى[١] خلقاً، أو لاحظَ نفساً، فوطنُه الشِّركُ عند أهل الحقائق[٢]، واللهُ تعالى لا يَغفرُ أنْ يُشرَكَ به، وكذا مَن توهم[٣] أنَّ مخالفاتِه حصلَتْ مِن غير تقديرِه، فهو ملتحِقٌ بهم[٤].

* * *

(٤٩) ـ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم﴾؛ أي: اليهودُ يَمدحون أنفسهم فيقولون: ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾ [المائدة: ١٨]، و﴿لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ [البقرة: ٨٠]، و﴿لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ﴾ [البقرة: ١١١]، وإنَّا نُعلِّمُ أبناءَنا الصِّغارَ التَّوراة، فنُكفِّر بذلك ذنوبَنا، فنصيرُ كأنَّنا لا ذنبَ لنا.

وقوله تعالى: ﴿بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ﴾؛ أي: ليس كذلك، وليس لهم أنْ يُزكُّوا أنفسَهم، واللهُ تعالى هو الذي يُزَكِّي مَن يَشاء، وهم الموحِّدون.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾؛ أي: لا يُنقِصُ اللهُ أحداً مِن عبادِه شيئاً يَستحِقُّه بعملِه، وإنْ قلَّ، ولو كنتُم مستَحِقِّين للتَّزكية، لما منعَكم ذلك.

وقال أهل اللُّغة ـ وهو قولُ الكلبيِّ أيضاً ـ: الفتيلُ ما يَحدثُ بفتل الأصابعِ مِن الوسخ.

---

(١) في «لطائف الإشارات»: «راعى» بدل: «رأى».

(٢) في (ف): «الحقيقة».

(٣) في (ف): «رأى» وفي (ر): «رأى توهم».

(٤) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (١/ ٣٣٨).

وقال الحسنُ: الفتيلُ: ما يكونُ في شَقِّ النَّواةِ طُولاً، والنَّقيرُ: ما يكون في النُّقْرةِ التي في ظهرِ النَّواة، والقطميرُ: قشرها[1].

وقال ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: إنَّ رجالاً مِن اليهودِ أتوا بأطفالِهم إلى النَّبيِّ ﷺ، فيهم بحريُّ بنُ عمرو، ونعمانُ بن أوفى، ومرحب بن زيد، فقالوا: يا محمَّد، هل على هؤلاءِ من ذنبٍ؟ فقال: لا، فقالوا: والله ما نحنُ إلَّا كهيئتِهم، ما عملناهُ بالليل كُفِّرَ عنَّا بالنَّهار، وما عملناه بالنَّهار، كُفِّرَ عنَّا بالليل، فكذبهم اللهُ تعالى بهذِهِ الآية[2].

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: وقولُ الرَّجل: أنا مؤمنٌ، ليس بتزكيةٍ لنفسه، بل هو إخبارٌ عن شيءٍ أُكرِمَ به، والتَّزكيةُ هي أنْ يَرى كونَه برًّا تقِيًّا صالحاً من نفسه، ولأن الإيمان له حدٌّ معلومٌ لا يَتفاوتُ، وكلُّ عبادةٍ ذات حدٍّ فلا امتداحَ ممَّن قد أدَّاها، وأخبرَ بأدائِها، كقوله: صلَّيتُ الظُّهرَ، وأدَّيتُ الزَّكاة، وصُمتُ الشَّهرَ، وحَججتُ البيتَ، فأمَّا قوله: هو بَرٌّ، أو تقيٌّ، أو حبيبُ الله، ممَّا[3] لا يُعرَفُ حدُّه؛ فهو بذلك يترفَّع على الأشكالِ، ويَفتخرُ عليهم، فإن كان صادقاً، فهو غفلةٌ عن رؤيةِ[4] منَّةِ الله تعالى، وإن كان كاذباً، فهو مستَحِقٌّ لمقت الله تعالى ولعنته، وبالله العصمة[5].

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: مَن ركنَ إلى تزكيةِ النَّاس له، واستحلى

---

(١) علقه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٩٧٣) عقب الأثر (٥٤٣٦) عن الحسن وغيره، وهو قول ابن عباس أيضاً، رواه عنه سعيد بن منصور (٦٥٠ ـ تفسير)، وابن المنذر (١٨٦١).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣/ ٣٢٥ ـ ٣٢٦) عن الكلبي.

(٣) في (ر) و(ف): «فمما».

(٤) في (ر): «غافل عن» بدل: «غفلة عن رؤية».

(٥) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٣/ ٢٠٥ ـ ٢٠٦).

قَبولَ[١] الخاصِّ له، فهو من زكَّى[٢] نفسَه، ورؤيةُ النَّفسِ أعظمُ حجابٍ، ومَن توهَّم أنَّه بتكلُّفِه يُزكِّي نفسه؛ بأورادِه، أو باجتهادِه أو حركاته[٣] أو سكناته، فهو في غطاءِ حجابِه[٤].

* * *

(٥٠) ـ ﴿ٱنظُرۡ كَيۡفَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثۡمٗا مُّبِينًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿ٱنظُرۡ كَيۡفَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ﴾ «كيف» كلمةُ تعجيبٍ، وافتراؤهم على الله تعالى ما ذَكرنا مِن كلماتِهم في تزكيةِ أنفُسِهم.

وقوله تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثۡمٗا مُّبِينًا﴾ أي: ظاهراً.

وقيل: أي: مُظهَراً فحشُه ووبالُه، و«أبان» لازمٌ ومتعدٍّ، ﴿وَكَفَىٰ بِهِۦٓ﴾ يُقصدُ بهذه الكلمة تعظيمُ الإثم، ويستعمل في المدح والذَّمِّ، وفي الحديث: «كفى بالموت واعظاً، وكفى بالعبادة شغلاً»[٥]، يعني: لو لم يكن لهم من الذُّنوب إلَّا هذا الافتراء، لكان إثماً عظيماً، لا يجوزُ أن يزكُّوا أنفسَهم معه، فكيف ولهم آثامٌ عظامٌ غيرُها؟!

* * *

---

(١) في (أ): «قبوله».

(٢) في (ر) و(ف): «مزك».

(٣) في (أ): «أو ببركاته». وفي «لطائف الإشارات»: «بحركاته» (دون «أو»).

(٤) في (ف): «فهو غطاء» بدل: «فهو في غطاء حجابه»، وفي «لطائف الإشارات» (١/ ٣٣٨): «فهو في غطاء جهله».

(٥) رواه أحمد في «الزهد» (٩٨٤) عن رجل عن عمار، فهو ضعيف لجهالة الراوي عن عمار، ورواه القضاعي في «مسند الشهاب» (١٤١٠)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٠٧٢) من طريق الحسن عن عمار، وفي إسناده الربيع بن بدر، وهو متروك. انظر: «ميزان الاعتدال» (٢/ ٣٧)، و«تقريب التهذيب». والحسن لم يسمع من عمار. انظر: «تهذيب الكمال» للمزي (٦/ ٩٨).

(٥١) ـ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَٰؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَٰؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا﴾ قال الكلبيُّ: انطلقَ كعبُ بن الأشرفِ اليهوديُّ[1] وحييُّ بنُ أخطبَ في ثلاثين مِن اليهود إلى مكَّة بعد بدرٍ، فبكيا على قتلى بدرٍ، ورَثياهم؛ يريدون بذلك إغراءَ المشركين وتأليبَهم[2] على رسولِ الله ﷺ، فقال كعبٌ: جئناكم لنعينكم على قتالِ محمَّدٍ، فأعجبهم ذلك، فقال له أبو سفيان: أنتم أهلُ كتابٍ وعلمٍ، ونحن أمَّةٌ أمِّيَّةٌ، وأحبُّ الناس إلينا مَن يُعينُنا على قتالِ هذا الرَّجل، فنزلَ كعبٌ على أبي سفيان، فأحسنَ مثواه، ونَزلتِ اليَهودُ في دورِ قريش، فقال كعبٌ لأبي سفيان: ليجئ منكم ثلاثون، ونحن ثلاثون، فنلزقَ أكبادَنا بالكعبة، فنعاهدَ ربَّ البيتِ لنجهدنَّ[3] على قتالِ محمَّدٍ، ففعلوا ذلك.

فقال أبو سفيان لكعبٍ: إنَّك امرؤٌ تَقرأ الكُتُبَ، فأيُّنا أهدى طريقاً، أنحن أم محمَّد؟ فقال كعب: إلى ما يدعوكم محمَّد؟ قالوا: إلى أن نعبدَ الله، ولا نشركَ به شيئاً، قال: فأخبروني، فما أمركم؟ قالوا: نحن ننحرُ الكُومَ، ونَقْري الضَّيفَ، ونَفكُّ العاني، ونَسقي الحاجَّ، ونَعمرُ بيتَ ربِّنا، ونَصِلُ أرحامَنا، ونحن أهلُ الحرم[4].

وزاد في حديث عكرمة هاهنا: ومحمد صُنبورٌ[5]، قطعَ أرحامَنا، واتَّبعَهُ سُرَّاقُ

---

(١) «اليهودي» زيادة من (ف).

(٢) في (أ): «وتحريضهم».

(٣) في (ف): «لنجتهدن».

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» (١/ ٣٧٩)، و«تفسير الثعلبي» (٣/ ٣٢٧ ـ ٣٢٨) دون نسبة الخبر للكلبي.

(٥) صنبور أي: أبتر لا عقب له. انظر: «النهاية» لابن الأثير (مادة: صنبر).

الحجيج، فقال كعب: أنتم والله أهدى سبيلاً ممَّا عليه محمَّدٌ، فأنزلَ اللهُ تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ﴾[١]، الجبتُ: حُيَيُّ بن أخطب، والطَّاغوتُ: كعبُ بن الأشرف[٢]، فكانت اليهودُ تخاصِمُ إليهما، ﴿وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا﴾؛ يعني: ديناً.

وقال عمرُ رضي الله عنه: الجِبتُ: السحر، والطَّاغوتُ: الشَّيطان[٣].

وقال أبو العالية: الجِبتُ: السَّاحر، والطَّاغوت: الكاهن[٤].

وقال عكرمة: هما[٥] صنمان[٦]، كانوا يتحاكمون إليهما[٧].

وقال أبو عبيدة: الجِبتُ والطَّاغوت: كلُّ معبودٍ دون[٨] الله تعالى؛ مِن حجرٍ أو مَدَرٍ أو صورةٍ أو شيطانٍ[٩].

وقيل: الجِبتُ: إبليس، والطَّاغوتُ: أولياؤه، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ﴾ [البقرة: ٢٥٧]، وقد فسَّرنا الطَّاغوتَ في تلك الآيةِ على الوجه.

---

(١) رواه عن عكرمة ابنُ المنذر في «تفسيره» (١٨٨٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٩٧٤) (٥٤٤١).

(٢) وقع تفسير الجبت والطاغوت بكعب وحيي في قول ابن عباس رضي الله عنهما والضحاك. رواه عنهما الطبري في «تفسيره» (٧/ ١٣٩ ـ ١٤٠).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ١٣٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٩٧٤، ٩٧٥) (٤٥٥٣)، (٥٤٤٩).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ١٣٧).

(٥) في (أ): «كانا».

(٦) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٦٠٤)، ومن طريقه الطبري في «تفسيره» (٧/ ١٣٤).

(٧) قوله: «كانوا يتحاكمون إليهما» ليس في (ف).

(٨) في (ر) و(ف): «سوى».

(٩) انظر: «مجاز القرآن» (١/ ١٢٩).

وقالوا: الجِبتُ ليس بعربيَّة محضة.

وقال سعيد بن جبير: هو السَّاحر بلغة الحبشة[١].

وقال عكرمةُ: إنَّ كعبَ بن الأشرف انطلقَ إلى المشركين[٢] مِن قريشٍ، فاستجاشهم على النبيِّ ﷺ، وقال لهم: إنَّا معكم نقاتلُه، فقالوا[٣]: إنَّكم أهلُ كتابٍ، وهو صاحبُ كتابٍ، ولا نَأمنُ أن يكونَ هذا مكراً منكم، فإن أردتَ أنْ نخرجَ معك، فاسجُدْ لهذين الصَّنمين، وآمِن بهما، ففعلَ، ثمَّ قالوا: أنحنُ أهدى أم محمَّد؟ نحنُ نصِلُ الرَّحم، ونَقري الضَّيفَ، ونَطوفُ بالبيتِ، ومحمَّدٌ قطعَ رَحِمَهُ، وخرجَ مِن بلدِه، قال: بل أنتم خيرٌ وأهدى، فنزلت الآية[٤].

* * *

(٥٢) ـ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَمَن يَلۡعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ﴾[٥]؛ أي: هؤلاء اليهودُ طردَهمُ اللهُ تعالى وأبعدَهم مِن[٦] رحمته.

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَلۡعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا﴾؛ أي: معيناً، ومانعاً عنه عذابَ يوم القيامة.

وقال القشيريُّ رحمه الله: طاغوتُ كلِّ أحدٍ نفسُه، وصنمُه مقصودُه، فمن

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ١٣٧).

(٢) وقع في (ف) مكان قوله: «وقال عكرمة أن كعب... إلى المشركين»: «فلما فرغ كعب كلامه».

(٣) في (ف): «فقال له أبو سفيان» بدل: «فقالوا».

(٤) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٦٠٣)، ومن طريقه الطبري في «تفسيره» (٧/ ١٤٣ ـ ١٤٤).

(٥) بعدها في (ف):«ومن يلعن الله فلن تجد له نصيراً».

(٦) في (ف): «عن».

لاحظَ شخصاً، أو طالعَ سبباً، أو عَرَّجَ على علَّةٍ، أو تابعَ هوى، فذلك جِبتُه وطاغوتُه، وأصحابُ الجِبْتِ والطَّاغوتِ مستوجبون اللَّعنةَ، وهو الطَّردُ عن بساطِ العبوديَّة والحجاب عن شهودِ الربوبيَّة(١).

* * *

(٥٣) ـ ﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ﴾ قيل: أي: ألهم؟ لأنَّه لم يسبقها ألفُ الاستفهام ليعطفَ عليها بـ «أم».

وقيل: يُقَدَّمُ عليها ألفُ الاستفهام ويقرَّرُ(٢) هذا على حقيقتِه، وتقديرُه: أهم أولى بالنبوَّة، أم لهم حظٌّ مِن الـمُلك والسَّلطنةِ، فتلزمَ النَّاسَ طاعتُهم، ويسوغَ لهم تفضيلُ أنفسِهم بالتَّزكِّي(٣)، وتفضيلِ المشركين على المسلمين، ولا يَتهيَّأ الرَّدُّ عليهم، وليس لهم ذلك، بل الملكُ لله تعالى، وله قسمةُ الفضائلِ(٤)، قال تعالى: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ﴾ الآية [الزخرف: ٣٢].

وقوله تعالى: ﴿فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا﴾؛ أي: ولو كان لهم هذا الملكُ والسُّلطان، لم يُعطوا أحداً مِن النَّاس شيئاً من الفضل، لا قليلاً ولا كثيراً؛ لبُخلِهم، وهو كقوله: ﴿وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ﴾ [المؤمنون: ٩١]؛ أي: لو كان معه إلهٌ غيرُه، لذهبَ كلُّ إلهٍ بما خلقَ(٥)، و«إذاً» بمعنى: إن كان

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (١/ ٣٣٩).

(٢) في (ر) و(ف): «وتقدير».

(٣) في (ر) و(ف): «بالتزكية».

(٤) بعدها في (ف): «بل».

(٥) من قوله: «أي: ولو كان معه إله» إلى هنا ليس في (أ).

ذلك، يقول الرجل: زيدٌ يأتيك[١] فتقول: إذاً أكرمُه[٢]؛ أي: إن كان ذلك أكرمتُه.

و«إذاً» لها ثلاثةُ أحوال:

إن ابتدأتَ بها مع المستقبل نصبتَه بها، تقول: إذاً أُكرِمَك.

وإذا توسَّطت لم تنصب، تقول: أنا إذاً أكرمُكَ، بالرَّفع لأن تقديره: أنا أكرِمُكَ إذاً.

وإذا أدخلت الفاءَ أو الواو فيها، ووصلتَ بها المستقبلَ، نصبتَ ورفعتَ، تقول: فإذاً[٣] أكرمك، وإذاً أكرمك[٤] بالنَّصب والرَّفع جميعاً، فالنَّصبُ على ظاهرِها أنَّها وليَتِ الفعلَ فعَمِلَت فيه، والرفعُ على المعنى؛ لأنَّ الفاءَ داخلٌ في الفعل، فيصيرُ في التَّقدير: فأكرمك إذاً، وأكرمك إذاً، فتتأخرُ «إذاً» فلا تعمل.

هذا معنى كلام الزجاج[٥]، وعلى هذا قوله: ﴿فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ﴾ تقديرُه: فلا يؤتون إذاً فلم ينصب.

والنَّقيرُ فسَّرناهُ عند قوله: ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [النساء: ٤٩].

* * *

(٥٤) ـ ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ۖ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾.

---

(١) في (ر): «نريد نأتيك»، وفي (ف): «يريد يأتيك» بدل: «زيد يأتيك».

(٢) في (ر): «نكرمه».

(٣) في (أ): «إذاً».

(٤) «وإذا أكرمك» من (ر).

(٥) في «معاني القرآن» له (٢/ ٦٣) ونقله الزجاج عن سيبويه.

وقولـه تعالـى: ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ ﴾ «أم» بمعنـى «بـل»، أو يضمَـرُ فيـه ألـفُ الاسـتفهام، ثـمَّ يُعطَـفُ عليه بــ «أم» كمـا مرَّ.

والحسدُ: تمني زوالِ النِّعمة؛ أي[١] نعمةِ الغير إليه، وهو استفهامٌ بمعنى الإنكار، ومعناه: إن كانوا يَحسُدون المؤمنين، فيُفضِّلون عليهم المشركين بقولهم: هم أهدى منهم سبيلاً.

وقوله تعالى: ﴿عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾؛ يعني: مِن الدِّينِ الحقِّ، والكتابِ الصِّدق، فلا معنى لحسَدِهم؛ لأنَّ الحسدَ إنَّما ينبغي أنْ يقعَ في الشَّيء[٢] الموضوعِ في غير موضع استحقاقِه، وليس كذلك.

وقوله تعالى: ﴿فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾؛ أي: بيانَ الكتابِ، وآلُ إبراهيمَ[٣]: أولادُه، وهم مُقِرُّون بذلك[٤]، وقائلون باستحقاقِهم ذلك، ومحمَّدٌ ﷺ مِن أولادِه، فلِم يُنكِرون ذلك فيه، ولا يُنكِرون في بني إسرائيل، وهم مِن ولدِه.

وقـال ابـنُ عبَّـاسٍ رضـي الله تعالـى عنهمـا: ﴿ٱلنَّاسَ﴾: محمَّـدٌ ﷺ وحـدَه[٥]، وذلـك أنَّ اليهـودَ قالوا: ما شـأنُ محمَّـدٍ، أُعطي النُّبـوَّةَ بزعمِه وهو جائعٌ عـارٍ، لا همَّ لـه إلَّا نكاحُ النِّسـاء، فحسـدوه بنكاحِ النِّسـاء، وأحـلَّ اللهُ له منهـنَّ ما شـاء أنْ ينكحَ، فذلك قوله تعالـى: ﴿عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾، فالحكمـةُ: النُّبوَّة.

---

(١) قوله: «النعمة أي» من (ف).

(٢) في (أ): «المعنى».

(٣) بعدها في (أ): «هو».

(٤) بعدها في (أ): «هم».

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ١٥٤).

وقوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾ السَّلطنةُ لإبراهيم وداود وسليمان والملك: النبوَّةُ، عند مجاهد[١]، واليهودُ لا يَحسُدونَهُم بهذا كلِّه، فلم يَحسُدون محمَّداً به[٢]، وهو من آله.

وقال مقاتل: إنَّ اليهودَ قالوا: انظروا إلى هذا الذي لا يَشبعُ مِن الطَّعام، مالَهُ هَمٌّ إلَّا النِّساء، ولو كان نبيًّا لشُغِلَ عن النِّساء، فقال تعالى: ﴿فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾ يوسفَ وداودَ وسليمان، وكان لداودَ تسعٌ وتسعون امرأة مهريَّة، وثلاثَ مئة سرية، ولسليمان ثلاث مئة حرة، وسبعُ مئةِ سُرِّيَّة، فكيف يَحسدون محمَّداً في تسع نسوة، ولا يَذكرون ما كان لأولئك[٣].

وقال همَّامُ بنُ الحارث: ﴿مُّلْكًا عَظِيمًا﴾ أُيِّدوا[٤] بالملائكة والجنود[٥].

وقال الإمامُ القشيري رحمه الله: ﴿مُّلْكًا عَظِيمًا﴾ هو معرفةُ الملكِ، ويقال: هو المُلكُ على النَّفس. ويقال: هو الإشرافُ على أسرارِ المملكة[٦].

وقيل: ﴿ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ﴾ هو محمَّدٌ عليه الصلاة والسلام. ومعنى الآية: أتحسُدون العربَ على ما آتاهمُ اللهُ من فضله[٧]، فقد آتينا محمَّداً الكتابَ والحكمةَ وملكاً عظيماً إلى قيامِ السَّاعةِ، فلتَحسِدوه، وهذا على وجه[٨] الوعيد، وهو مضمر.

---

(١) رواه عنه الطبري في «تفسيره» (٧/ ١٥٩).

(٢) لفظ: «به» من (أ).

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» (١/ ٣٧٩ ـ ٣٨٠).

(٤) في (أ): «أمدوا».

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ١٦٠).

(٦) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٣٣٩ ـ ٣٤٠).

(٧) قوله: «من فضله» ليس في (أ).

(٨) في (أ): «جهة».

(٥٥) ـ ﴿فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ﴾ قال مجاهد: أي: مِن اليهودِ مَن آمنَ بمحمَّدٍ عليه الصلاة والسلام(١).

وقوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ﴾؛ أي: أعرضَ عنه.

وقيل: أي: منعَ الناسَ عن الإيمانِ به، وقد صدَّ صدوداً، وهو لازمٌ، وصدَّ صدًّا، وهو متعدٍّ، ومثله الوَقفُ والوقوف، والرَّجع والرُّجوع.

وقيل: أي: ومِن أسلافهم مَن آمنَ بإبراهيم، ومنهم مَن أعرضَ عنه(٢).

وقال مقاتل: يعني: مِن آلِ إبراهيمَ مَن آمنَ؛ صدَّقَ بالكتب التي جاؤوا بها، ومِنهم مَن أعرضَ عن الإيمانِ بها(٣).

وقال السُّدِّيُّ: زرعَ إبراهيمُ سنةً، وزرعَ النَّاسُ فيها، فهَلَكَت زروعُ النَّاس، وزكا زرع إبراهيم، فاحتاجَ النَّاسُ إليه، فكانوا يأتونَهُ ويسألونَه، فكان يقولُ لهم: من آمن بي أعطيتُه، ومَن أبى منعتُه، فمِنهم مَن آمنَ به فأعطاه، ومِنهم مَن أبى فلم يُعطِه، فذلك قولُه تعالى في هذه الآية(٤).

وقوله تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا﴾؛ أي: أعددتُ للصَّادِّين جهنَّمَ، وكفى بها ناراً مسعورةً؛ أي: موقَدة(٥)؛ أي: بها الكفايةُ في تعذيبِهم.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ١٦١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٩٨١) (٥٤٨٤).

(٢) في (ر): «عن الإيمان بها» بدل: «عنه».

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» (١/ ٣٨٠).

(٤) رواه ابن المنذر في «تفسيره» (١٩٠٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٩٨١) (٥٤٨٦).

(٥) في (ر) و(ف): «موقودة».

(٥٦) ـ ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوۡفَ نُصۡلِيهِمۡ نَارٗا كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمٗا ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا ﴾ وهم هؤلاء[١]، ﴿سَوۡفَ نُصۡلِيهِمۡ نَارٗا كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم﴾ أي: نُدخلُهم جهنَّم، ومعنى قوله: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم﴾ أي: احترقت.

وقوله تعالى: ﴿بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا﴾؛ أي: أعدنا[٢] تلك الجلودَ غيرَ محترقةٍ، فالغيريَّةُ[٣] على تغاير[٤] الهيئتين، لا تغاير الأصلين، كما تقول[٥] في خاتم انكسر: صُغ لي خاتماً غيرَهُ، وإنَّما هي فضَّةٌ واحدةٌ، وقد يقولُ الرَّجلُ لآخر إذا رآه متغيِّراً عما[٦] كان يراه: جئتني بغير ذلك الوجه الذي فارقتني عليه.

وقيل: «غير» في كلام العرب على وجهين؛ «غير» تضادٍ وتنافٍ، و«غير» تغيُّرٍ واختلافٍ، كقولك لآخر[٧]: كيف أنت؟ فيقول: أنا غيرُ الذي عهدتَ.

وقال ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: ﴿ يَوۡمَ تُبَدَّلُ ٱلۡأَرۡضُ غَيۡرَ ٱلۡأَرۡضِ ﴾ [إبراهيم: ٤٨]: إنَّ الأرض[٨] تلك الأرض، ....

---

(١) بعدها في (ر) و(ف): «قوله تعالى».

(٢) في (أ) و(ر): «أعددنا».

(٣) في (ر): «فالتغيير به»، وفي (ف): «فالتغييرية».

(٤) في (أ): «نظائر».

(٥) في (ف): «يقال».

(٦) في (أ): «متغيراً عما» بدل من «صغيراً كما».

(٧) من قوله: «إذا رآه متغيراً» إلى هنا ليس في (ف).

(٨) بعدها في (ف): «ليس غير».

لكن بُدِّلَت آكامُها وجبالُها وأنهارُها وأشجارُها[١]، وأنشد[٢]:

فمـا النـاسُ بالنَّـاسِ الذيـن عَهدتَهُـم ... ولا الـدَّار بالـدَّار التـي كنتَ تَعـرِفُ[٣]

وإنما احتجنا إلى هذا التأويل؛ لأنَّ الإنسانَ هو المعاقبُ المعذَّب على المخالفةِ، والمثابُ[٤] المنعَّمُ على الموافقة، والإنسانُ هو هذا[٥] الذي يُشاهد[٦]، فلا يَقعُ العذابُ على جلدٍ لم يُعصَ اللهُ فيه.

وما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه موقوفاً ومرفوعاً: أنَّ جلدَ الكافرِ أربعون ذراعاً، وضرسَه مثلُ أحد[٧]، وشفته العليا تضرب سُرَّته[٨]، وبين جلدِه ولحمِه

---

(١) هو في رواية الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، كما ذكر الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (١١/ ٣٧٦)، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٥٧٧) للبيهقي في «البعث»، ولم أقف عليه في مطبوعه.

(٢) بعدها في (أ): «شعر».

(٣) نسبه الجرجاني في «الوساطة بين المتنبي وخصومه» (ص: ١٩٩)، والعسكري في «ديوان المعاني» (١/ ٧٨)، وابن حمدون في «التذكرة الحمدونية» (٩/ ٢٩٦)، والقزويني في «الإيضاح» (ص: ٤١٤) للفرزدق، وذكروا أن الفرزدق أخذه من قول العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه: وما الناس... تعلم (فاختلفت قافيته).

وهو دون نسبة في «مجالس ثعلب» (ص: ٤٩)، و«تفسير الثعلبي» (٣/ ٣٣١).

(٤) في (ف) و(أ): «على المخالفة والمثاب».

(٥) لفظ: «هذا» ليس في (ف).

(٦) في (أ): «نشاهد».

(٧) رواه الترمذي في «سننه» (٢٥٧٧) مرفوعاً، وفيه أن غلظ جلده اثنان وأربعون ذراعاً.

(٨) روى الترمذي في «سننه» (٢٥٨٧) من حديث أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: ﴿وَهُمْ فِيهَا كَـٰلِحُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٤] قال: «تشويه النار فتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه وتسترخي شفته السفلى حتى تضرب سرته».

ديدان كحُمر الوحش تركضُ بين لحمِه وجلدِه، وحيَّاتٌ كأعناقِ البُخْتِ، وعقاربُ كالبِغال[١]، فليس ذلك بزيادة تُخلَق وتُعذَّبُ مِن غيرِ معصيتِه[٢]، لكن إذا زِيدَ ذلك في صورتِه، كان ذلك زيادةَ ثقلٍ على العبد، ويكونُ نفسُ الثِّقل عقوبةً عليه، كسائرِ عقوبات جهنَّم مِن السَّلاسلِ والأغلال، والعقارب والحيَّات.

وقيل: معنى قوله: ﴿بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾؛ أي: سرابيلَ مِن قطِران، سُمِّيَت جلوداً؛ للزومِها جلودَهم، على المجاورة، فكلَّما احترقَت، أُعيدَت أمثالَها.

وقال الحسن: أُعيدَت جلودُهم على[٣] حالها الأول كل يوم سبعين مرة[٤]، وفي روايةٍ سبعين ألف مرةٍ[٥]، وعن النبيِّ ﷺ[٦]: كلَّ يومٍ سبعَ مرَّاتٍ[٧].

وقوله تعالى: ﴿لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ أي: ليَخلُصَ ألَمُه[٨] إليهم على نهاية ما يكونُ فيه، كما قال تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ [الدخان: ٤٩]، ولم يُرِد به أقلَّ ما يَقعُ به الذَّوقُ، إنَّما أُريدَ به التَّناهي، وذكر الذَّوقَ؛ لأنَّ إحساسَهم

---

(١) روى أحمد في «مسنده» (١٧٧١٢)، وابن حبان في «صحيحه» (٧٤٧١) من حديث عبد الله بن الحارث بن جزء قال: قال رسول الله ﷺ: «إن في النار حيات كأمثال أعناق البُخت، تلسع إحداهن اللسعةَ فيجد حَموتها أربعين خريفاً، وإنَّ في النار عقارب كأمثال البغال الموكَفة، تلسعُ إحداهنَّ اللَّسعة، فيجد حموتها أربعين سنة».

(٢) في (ر): «معصية».

(٣) في (أ): «إلى».

(٤) ذكرها الزمخشري في «الكشاف» (١/ ٥٢٢).

(٥) رواها الطبري (٧/ ١٦٤)، وابن المنذر (١٩١٤)، وابن أبي حاتم (٣/ ٩٨٣) (٥٤٩٦).

(٦) بعدها في (ر): «في».

(٧) قال الحافظ ابن حجر في «الكافي الشاف» (ص: ٤٥): لم أجده.

(٨) في (أ): «ألماً».

بـه فـي كلِّ حـالٍ كإحسـاسِ الذَّائقِ فـي تجديد الوجـدانِ مِن غيـر نقصان.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا﴾[1] أي: لا يُمنَعُ[2] عمَّا يوقِعُه بالكفَّارِ مِن العذاب، ﴿حَكِيمًا﴾ فيما يفعلُه بالعباد.

وقيل: ﴿عَزِيزًا﴾ منتقماً ممَّن عصاه، ﴿حَكِيمًا﴾ في تعذيبِ مَن عاداهُ.

وقيل: ﴿عَزِيزًا﴾ لا يُغالَبُ، ﴿حَكِيمًا﴾ لا يُسَوِّي بين الوليِّ والعدوِّ.

* * *

(٥٧) ـ ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا لَّهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا﴾.

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا لَّهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ بيَّنَ جزاءَ الأولياء بعد جزاءِ الأعداء، وقد مرَّ تفسيرُ هذه الكلمات مرَّاتٍ.

وقوله تعالى: ﴿وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا﴾ قال الكلبيُّ: أي: كنًّا كنيناً.

وقال الضَّحَّاك: أي: ظلًّا دائماً.

وقال الحسن: أي: لا تؤذيهِ الحَرورُ فيه[3] ولا السَّموم، والحَرورُ باللَّيلِ، والسَّمومُ بالنَّهار.

وقال ابنُ كيسان: ظليلاً من الرِّياح، وكم[4] ظِلٍّ لا يكونُ ظليلاً.

---

(١) بعدها في (ر) و(ف): «حكيماً».

(٢) في (ر): «يمتنع».

(٣) لفظ: «فيه» من (أ).

(٤) بعدها في (ر): «من».

وقيل: هو كقوله: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾ [الواقعة: ٣٠]، وهو بخلافِ ظلِّ أهل النَّار، قال تعالى: ﴿ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَـٰثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾ لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ﴾ [المرسلات: ٣٠ ـ ٣١]، وهو يَرجعُ إلى قوله: ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾ [الإنسان: ١٣].

وقال البحَّاث(١): ﴿ظَلِيلًا﴾ تأكيدٌ لظلّ(٢)، كما يقال: شعرٌ شاعرٌ، وموتٌ مائتٌ.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: ﴿ظِلًّا ظَلِيلًا﴾: مُظِلًّا عن جميعِ المؤذيات، مِن حرِّ الشمس، وأذى الظُّلمةِ، وبردِ الزَّمان، ونحوِها(٣).

وقال الإمامُ القشيريُّ رحمه الله: همُ اليومَ في ظلِّ الرِّعايةِ، وغداً في ظلِّ الكفاية، بل هم في الدُّنيا والآخرة في ظلِّ العناية(٤).

***

(٥٨) ـ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن

(١) في (ر): «الحارث البحاث»، وفي (ف): «الحارث». وهو ـ والله أعلم ـ أبو جعفر محمد بن الحسن بن سليمان الزوزني الحاكم البحاث، أحد الفقهاء المبرزين، الأعيان المتفننين، تقلد القضاء في كور كثيرة بخراسان وبما وراء النهر، ذُكر أن تصنيفاته في التفسير، والحديث، والفقه، وأنواع الأدب، تربي على المئة، توفي سنة ٣٧٠هـ). انظر: «طبقات الفقهاء الشافعية» لابن الصلاح (١/ ١٣١)، و«طبقات الشافعية الكبرى» (٣/ ١٤٣ ـ ١٤٥)، و«طبقات المفسرين» للداودي (٢/ ١٢٧ ـ ١٢٩).

(٢) في (أ): «للظل» وفي (ف): «ظليلًا تأكيداً لظل» بدل من «البحاث ظليلاً تأكيد لظل».

(٣) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٣/ ٢٢٠).

(٤) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (١/ ٣٤٠).

تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ﴾ وانتظامُها بما قبلها: أنَّ اليهودَ خانوا الأمانةَ التي كانت عندَهم مِن نعتِ[١] الرَّسول ﷺ، وحكموا بالجورِ، حيث جعلوا المشركين أهدى سبيلاً مِن المؤمنين، فأمرَ اللهُ المؤمنين بخلافِ ذلك، وهو أداءُ الأماناتِ إلى أهلِها، والحكمِ بالعدلِ.

وهو عامٌّ في حقوقِ الله تعالى مِن العبادات، وحقوق[٢] النَّاسِ مِن المعاملات، وفي حقِّ النبيِّ ﷺ في تبليغِ الوحي، وفي حقِّ الصَّحابةِ والتَّابعين[٣] وعلماءِ الدِّين وعامَّة المسلمين في تبليغِ ما عندَهم مِن العلم والدِّين إلى سائرِ المؤمنين، وكذلك العدل في الحكم، قال النبيُّ ﷺ: «كلُّكم راعٍ، وكلُّكم مسؤولٌ عن رعيَّتِه»[٤]، وقال ابنُ مسعود رضي الله عنه: الأمانةُ في كلِّ شيءٍ؛ في الوضوء، والصَّلاة، والصَّوم، والزَّكاةِ، والجنابة، وفي الكيلِ والوزن[٥]، وأعظمُ مِن ذلك الودائع[٦].

وقيل: قولُه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾ في الأمناء، **وقوله تعالى:** ﴿وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ﴾ في الأمراء.

وقيل: كلُّه في الأمراء، وهي أمانةُ الفيء والخَراجِ والصَّدَقات وأموالِ بيت المال.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ﴾؛ أي: نِعمَ الوعظُ مِن الله تعالى هذان الأمران، و﴿نِعِمَّا﴾ مرَّ تفسيرُه في سورة البقرة بوجوهِه ومعانيه[٧].

---

(١) في (ر) و(ف): «بعث».

(٢) في (ر): «وفي حقوق».

(٣) «والتابعين» زيادة من (أ).

(٤) أخرجه البخاري (٨٩٣)، ومسلم (١٨٢٩) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٥) في (أ): «والموزون».

(٦) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤/ ٢٠١).

(٧) عند تفسير الآية (٢٧١) منها.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًا﴾[١]؛ أي: لما تقوله القضاة[٢] ﴿بَصِيرًا﴾ بما يعملُه[٣] الأمناء.

وقال محمَّد بنُ إسحاق رحمه الله: لـمَّا افتتح النبيُّ ﷺ مكَّة، طلبَ المفتاحَ مِن عثمان بن طلحة بن عبد الله القُرشيِّ مِن بني عبد الدَّار، وكان يلي البيتَ، فقال: «هاكَ بأمانةِ الله تعالى»، فقال العبَّاس[٤]: يا رسولَ الله، اجمَعهُ لي مع السِّقاية، فنزلَت هذه الآيةُ[٥]، ثمَّ إنَّ عثمانَ بن طلحةَ هاجرَ ودفع إلى أخيه شيبة فهو في ولده إلى اليوم.

وقال سعيدُ بنُ المسيَّب: طلب رسولُ الله ﷺ المفتاحَ يوم دخلَ مكَّة، فقيل له[٦]: إنَّه مع عثمان، فوجَّه إليه عليًّا، فأبى دفعَه إليه، وقال: لو علمتُ أنه رسول الله لدفعتُ المفتاح إليه، فأخذَ عليٌّ المفتاحَ منه قسراً، حتَّى دخلَ رسولُ الله ﷺ البيتَ، وصلَّى فيه، فأنزل الله تعالى هذه الآية، فأمرَ رسولُ الله ﷺ عليًّا بردِّه إليه، فردَّهُ إليه وألطف له[٧]، فقال لعلي رضي الله عنه: أخذتهُ منِّي قهراً ورددتَهُ عليَّ باللُّطف، فقال: إنَّ اللهَ أمرنا بردِّه عليك، وقرأ هذه الآية، فأتى النبيَّ ﷺ، وأسلمَ[٨].

---

(١) بعدها في (ر) و(ف): «بصيراً».

(٢) في (ف): «الخونة» بدل: «القضاة».

(٣) في (ر): «تغله».

(٤) في سيرة ابن هشام (٢/ ٤١٢) أن القائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(٥) «سيرة ابن هشام» (٢/ ٤١١ ـ ٤١٢).

(٦) لفظ: «له» ليس في (أ).

(٧) في (ر) و(ف): «وألطفه».

(٨) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣/ ٣٣٢ ـ ٣٣٣) دون نسبته لابن المسيب. قال الحافظ ابن حجر في «العجاب» (٢/ ٨٩٣): كذا أورده الثعلبي بغير سند جازماً به، وتلقاه عنه غير واحد منهم الواحدي [في «أسباب النزول» ص١٥٠ ـ ١٥١)]، وفيه زيادات منكرة، منها: أن المحفوظ أن إسلام =

(٥٩) ـ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ ولـمَّا أمرَ ولاةَ الأمورِ أنْ يَحكموا بين النَّاسِ بالعدل، وكان رأسُ الولاةِ رسولَ الله ﷺ، أمرَ عبادَهُ بطاعتِه أوَّلاً، ثمَّ بطاعةِ رسولِه فيما يَأمرُ به عن ربِّه؛ فإنَّه لا يَنطِقُ عن الهوى، إنْ هو إلَّا وحيٌ يُوحَى، وطاعتُه طاعةُ الله، ثمَّ بطاعةِ أولي الأمرِ، وهم الذين يقومون في الخلقِ بأمرِ الله تعالى وأمرِ رسولِه، مِن الأُمراءِ والعلماء[1]، على ما اختُلِفَ فيه على ما نُبيِّنُ؛ لأنَّهم يَأمرون بذلك[2] بأمرِ الله وأمر رسوله.

وقال أبو هريرة والكلبيُّ ومقاتلٌ رضي الله عنهم أجمعين: أولي الأمر: أمراءُ السَّرايا[3].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: بعثَ النبيُّ ﷺ خالدَ بن الوليدِ في سَريَّةٍ إلى حيٍّ مِن أحياء العرب، وكان معه عمارُ بن ياسر، فسار خالدٌ، حتَّى إذا دنا من القومِ، ونزلَ ليُصبِّحَهم، فأتاهم النَّذيرُ، فهربوا غيرَ رجلٍ كان قد أسلمَ، فأمرَ أهلَه أن يتهيَّؤوا[4]

= عثمان بن طلحة كان قبل الفتح بمدة، قدم هو وعمرو بن العاص وخالد بن الوليد، فأسلموا جميعاً، بين الحديبية والفتح.

(١) في (أ): «أو العلماء».

(٢) في (ر) و(ف): «فذلك».

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٧/ ١٧٦) عن أبي هريرة، ونسبه الثعلبي في «تفسيره» (٣/ ٣٣٤) لميمون بن مهران ومقاتل والسدي والكلبي، وتحرف الأخير في مطبوعه إلى: «والشعبي» والتصويب من الطبعة المحققة في دار التفسير (١٠/ ٤٣٨)، وهو في «تفسير مقاتل» (١/ ٣٨٣).

(٤) في (ر) و(ف): «يتأهبوا».

للمسير، ثمَّ انطلقَ حتَّى[١] أتى عسكرَ خالد بن الوليد، فدخلَ على عمَّار، فقال: يا أبا اليقظان، إنِّي مسلمٌ، وإنَّ قومي لـمَّا سَمعوا بكم هَربوا، وأقمتُ لإسلامي، أفنافعي ذلك، أو أهربُ كما هرب قومي؟ فقال: أقم، فإن ذلك نافعُك، وانصرفَ الرَّجلُ إلى أهلِه، وأمرَهم بالمقام.

فأصبحَ خالدٌ، فأغارَ على القومِ، فلم يجِد إلَّا ذلك الرَّجلَ، فأخذَهُ وأخذَ مالَهُ، فأتاهُ عمَّار، فقال: خلِّ سبيلَ الرَّجلِ؛ إنه مسلمٌ، وقد كنتُ أمَّنتُه، وأمرتُه بالمقام، فقال خالد: وفيم أنت تجيرُ عليَّ، وأنا الأمير؟! فقال: نعم، وأنا أجير عليك، وأنت الأمير[٢]، وكان في ذلك بينهما كلامٌ، فانصرفوا إلى النبيِّ ﷺ، فأخبروهُ خبرَ الرَّجل، فأمَّنهُ النَّبيُّ ﷺ، وأجازَ أمانَ[٣] عمَّار، ونهاهُ[٤] أنْ يُجيرَ على أميرٍ[٥] بغير إذنِهِ.

فاستبَّ عمَّار وخالدٌ بين يدي النبيِّ ﷺ، فأغلظَ عمارٌ لخالدٍ، فغضبَ خالدٌ، وقال: يا رسولَ الله، أتدع هذا العبدَ يشتمني، فوالله لولا أنت ما شتَمني عمَّار، وكان عمَّارٌ مولًى لهاشم بن المغيرة، فقال رسولُ الله ﷺ: «يا خالد، كفَّ عن عمَّار؛ فإنَّه مَن يَسبُّ عمَّاراً يسبُّه الله، ومَن يُبغِض عمَّاراً يبغضهُ الله»، فقام عمَّار، وتبعَهُ خالدٌ، فأخذَ بثوبِه، وسألَه أن يَرضى عنه، فرضيَ عنه، فأنزل الله تعالى هذه الآيةَ[٦].

---

(١) بعدها في (أ): «إذا».

(٢) قوله: «وأنت الأمير» ليس من (أ).

(٣) في (ر): «وأجاز ما أجاز»، وفي (ف): «وأجار ما أجار» بدل: «وأجاز أمان».

(٤) بعدها في (أ): «عن».

(٥) في (ر) و(ف): «أميره».

(٦) علقه الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٤٣٩ ـ ٤٤٠) (طبعة دار التفسير) عن زاذان عن ابن عباس رضي الله عنهما. ورواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ١٧٨ ـ ١٧٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٩٨٨، ٩٨٩ ـ ٩٩٠) (٥٥٣١)، (٥٥٤٠) من قول السدي. ورواه ابن مردويه ـ كما في «تفسير ابن كثير» ـ، وابن =

وروى أبو هريرة رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «مَن أطاعَني فقد أطاعَ الله، ومَن عصاني فقد عَصى الله، ومَن أطاعَ أميري فقد أطاعَني، ومَن عصى أميري فقد عصاني»[1].

وقال ابنُ عباسٍ رضي الله عنه ـ في رواية ـ ومجاهدٌ وجابرُ بن عبد الله والحسنُ والضَّحَّاكُ والمباركُ بن فضالة رضي الله عنهم: أولي[2] الأمر: أهلُ الفقه والدِّين[3].

وقال أبو بكر الورَّاق: هم الخلفاء الراشدون؛ أبو بكرٍ وعمرُ وعثمانُ وعليٌّ رضوان الله عليهم.

وقال بكرُ بنُ عبد الله المزنيّ: هم أصحابُ رسولِ الله ﷺ[4]؛ لقوله: «أصحابي كالنُّجوم، بأيِّهم[5] اقتديتُم اهتديتم»[6].

= عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٣/ ٤٠٠) من طريق السدي عن أبي صالح عن ابن عباس.

(١) رواه البخاري (٧١٣٧)، ومسلم (١٨٣٥).

(٢) في (أ): «أولو».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ١٨٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٩٨٩) (٥٥٣٤) عن ابن عباس. وانظر: «تفسير الثعلبي» (٣/ ٣٣٤).
ورواه الطبري (٧/ ١٧٩ ـ ١٨٠) وابن أبي حاتم (٣/ ٩٨٩) (٥٥٣٥) عن مجاهد.
ورواه الطبري ٠٧/ ١٧٩) عن جابر بن عبد الله.
ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٦٠٨) عن معمر عن الحسن، ومن طريق عبد الرزاق رواه الطبري (٧/ ١٨١).
ورواه ابن أبي حاتم (٣/ ٩٨٩) (٥٥٣٦) من طريق المبارك بن فضالة عن الحسن.

(٤) قول أبي بكر الوراق وبكر بن عبد الله في «تفسير الثعلبي» (٣/ ٣٣٣ ـ ٣٣٤).

(٥) في (ف): «فبأيهم».

(٦) ذكر الحافظ ابن حجر طرقه في «الكافي الشاف» (ص: ٩٤ ـ ٩٥)، وفي «تلخيص الحبير» (٤/ ٣٥١)، وبين عللها وما فيها، ثم نقل في الأخير عن أبي بكر البزار قوله: هذا الكلام لم =

وقال عطاء: هم الولاةُ مِن المهاجرين والأنصار والتَّابعين لهم بإحسان؛ وهذا لأنَّ طاعةَ الله جلَّ جلالُه إنَّما تَصِحُّ ببيانِ الرسولِ عليه الصلاة والسلام، وبيانُ الرَّسول ثبتَ بنقلِ[١] الوسائطِ، وهم الصَّحابةُ والخلفاءُ ومِن بعدِهم[٢] العلماء، فكانت طاعتُهم طاعة الله[٣].

وقوله تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ قال مقاتلٌ رحمه الله: أي: إن اختلفتُم أنتم والأمراءُ في شيءٍ مِن الحلال والحرام[٤]. ومعنى[٥] قوله تعالى: ﴿فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ﴾؛ أي: القرآن، وقوله: ﴿وَٱلرَّسُولِ﴾؛ أي: ارجعوا إليه في حياتِه، وإلى أحاديثه بعد وفاتِه.

وقوله تعالى: ﴿إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾؛ أي: إنَّ الإيمانَ يُوجِبُ الطَّاعةَ دون العصيان، ودلَّتِ الآيةُ أنَّ طاعةَ الأمراءِ واجبةٌ إذا وافقوا الحقَّ، فإذا خالفوه فلا طاعةَ لهم، قال النبيُّ ﷺ: «لا طاعةَ لمخلوقٍ في معصيةِ الخالق»[٦].

وحكيَ أنَّ مسلمةَ بنَ عبدِ الملك بن مروان قال لأبي حازم: ألستُم أُمِرتُم بطاعَتِنا

= يصح عن النبي ﷺ. وعن ابن حزم قوله: هذا خبر مكذوب موضوع باطل.

(١) في (ر): «بتنفيذ».

(٢) بعدها في (أ): «من».

(٣) في (أ): «لله».

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» (١/ ٣٨٣).

(٥) لفظ: «ومعنى» ليس من (أ).

(٦) رواه بهذا اللفظ الطبراني في «المعجم الكبير» (١٨/ ١٧٠) (٣٨١) من حديث عمران بن حصين، ورواه بنحوه البخاري في «صحيحه» (٤٣٤٠)، ومسلم في «صحيحه» (١٨٤٠) من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

بقوله تعالى: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ﴾؟ فقال أبو حازم: أليس قد نُزِعت عنكم إذا خالفتم الحقَّ بقوله تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾[1].

ودلَّتِ الآيةُ على[2] أنَّ إجماعَ الأمَّةِ حجَّةٌ لا يَجوزُ خلافُها؛ لأنَّه إنَّما أمرَ بالاجتهادِ عند التَّنازع، فإذا أجمعوا فلا وجهَ لخلافه.

وتعلَّقَ أصحابُ الظَّواهر بظاهرِ هذه الآية أنَّ[3] الاجتهادَ والقياس لا يجوزُ؛ لأن اللهَ عزَّ وعلا أمرَ بالرُّجوع إلى الكتابِ والسُّنَّة، فلا يجوزُ غيرُ ذلك.

وقلنا: بل هو دليلُ جواز القياس؛ فإنَّ الرَّدَّ إلى الله والرَّسول هو العملُ بمعنى[4] القرآن والسُّنَّة، فإنَّه أوجبَ في كلِّ متنازَعٍ[5] ردَّه[6] إلى الكتاب والسُّنَّةِ، ولا يوجدُ في كلِّ حادثةٍ نصٌّ ظاهرٌ، فعُلِمَ أنَّه أمرٌ بالنَّظرِ في مودعاتِه، والعملِ على مدلولاتِه ومقتضياته.

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ قال الكلبيُّ: أي: خيرٌ مِن الاختلافِ، وأحسنُ عاقبة، قال الله تعالى: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأۡوِيلَهُۥ﴾ [الأعراف: ٥٣]؛ أي: عاقبتَهُ، وقد آلَ إليه الأمرُ يؤُول أوْلاً؛ أي: عاد، وأوَّله؛ أي: غيَّره تأويلاً حسناً.

وقيل: أحسنُ جزاءً، وهو مِن ذلك أيضاً؛ لأنَّه عاقبةُ العملِ، ومآلُ الأمرِ.

---

(١) انظر: «التفسير الوسيط» للواحدي (٢/ ٧٢).

(٢) لفظ: «على» من (أ).

(٣) في (ر) و(ف): «لأن».

(٤) في (أ): «بمعاني».

(٥) في (ف): «منازع».

(٦) في (ر): «فيه أن يرد» بدل: «رده».

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾[١]؛ أي: لا تتعجَّب[٢] مِن المنافقين الذين يَزعُمون أنَّهم آمنوا[٣] بالقرآن وبالكتبِ الـمُنزلةِ قبله.

وقوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ﴾؛ أي: إذا وَقعَت لهم خصومةٌ تحاكموا إلى الطَّاغوت، كاليَهود الذين ذُكروا قبل هذه الآيات؛ ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾ [النساء: ٥١].

قال الزَّجَّاج: الطَّاغوت: الشيطان هاهنا[٤]، بدليل أنَّه قال في آخره: ﴿وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا﴾[٥].

ورويَ عن مجاهدٍ والضَّحَّاك: الطَّاغوت هاهنا كعب بن الأشرف، فإنَّ يهوديًّا نازعَ منافقاً في أمرٍ، فدعا اليهوديُّ إلى النبيِّ ﷺ، ودعا المنافقُ إلى كعب بن الأشرف[٦] وهذا كان أعجبَ عجبٍ؛ إذ صار المنافقُ يَدعو إلى حاكم اليهود، واليهوديُّ يَدعو إلى حاكم المسلمين.

وقال الكلبيُّ: هذا رجلٌ مِن المنافقين، يقال له بشر، كان بينه وبين رجلٍ مِن اليهود خصومةٌ، فقال اليهوديُّ: انطلق بنا إلى محمَّدٍ ﷺ، وقال المنافقُ لعنه الله: بل نأتي كعبَ بن الأشرف ـ وهو الطاغوت ـ، فأبى اليهوديُّ أنْ يُخاصِمَهُ إلَّا إلى

---

(١) بعدها في (ف): «يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت».

(٢) في (ف): «تعجب».

(٣) بعدها في (ر): «بما أنزل إليك».

(٤) فسر الزجاج الطاغوت في هذه الآية في «معاني القرآن» له: (٢/ ٦٨) بالكاهن والشيطان.

(٥) لفظ: «ضلالًا» من (أ).

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ١٩٣ ـ ١٩٥).

رسول الله ﷺ، فلمّا رأى المنافقُ ذلك، أتى معه رسولَ الله ﷺ، واختصما، فقضى رسولُ الله ﷺ لليهوديِّ، فلمَّا خرجا من عندهِ لزِمَهُ المنافقُ، فقال: انطلق بنا إلى عمرَ ـ رضي الله عنه ـ، فقال اليهوديُّ: اختصمنا إلى محمَّد، فقضى لي عليه، فلم يرض بقضائه! فقال عمر رضي الله عنه للمنافق: أكذلك؟ قال: نعم، فقال لهما: رويدَكما حتَّى أخرجَ إليكما، فدخل البيتَ، ثمَّ خرجَ ومعه السيف، فضرب به المنافقَ، فقتلَهُ، وهرب اليهوديُّ، فنزلت الآية(١).

وقال عطاء: الطاغوتُ: هو حيي بن أخطب(٢).

وقال الحسن: هو وثنٌ كانوا يَتحاكمون إليه وعندهُ رجلٌ يقول للخصمين: قضى بينكما بكذا.

وقال السُّدِّيُّ رحمه الله: نزلت في أناسٍ مِن بني قريظةَ والنَّضير، كانوا قد آمنوا، ونافقَ بعضُهم، فكانت النضير، وهم [حلفاء] الأوس، أشرفَ مِن بني قريظة، وهم [حلفاء](٣) الخزرج في الجاهلية، فكان الرَّجلُ مِن بني قريظةَ إذا قَتَلَ رجلاً مِن بني النَّضير، قُتِل وأُخِذَ منهم الدِّيةُ مئةَ وَسَقٍ من تمر، وإذا قَتَلَ الرَّجلُ من بني النضيرِ رجلاً من بني قريظة، لم يُقتَل به، وأُخِذَ الدِّيةُ ستين وسقاً مِن تمر.

فلمَّا جاءَ اللهُ بالإسلام، قَتَلَ رجلٌ مِن بني النَّضيرِ رجلاً من بني قريظةَ في الإسلام(٤)،

---

(١) أورده الثعلبي في «تفسيره» (٣/ ٣٣٧)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ١٥٥) عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، والكلبي متروك، وأبو صالح ضعيف يرسل، كما سلف غير مرة.

(٢) انظر: «التفسير البسيط» للواحدي (٦/ ٥٥٠).

(٣) ما بين حاصرتين من «تفسير الثعلبي» (٣/ ٣٣٨)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٥٥).

(٤) «في الإسلام» ليس في (ف).

فاختَصموا إلى النبيِّ ﷺ، فقالت بنو النَّضير: قد كنَّا وأنتم[١] في الجاهليَّة اصطلحنا على أنْ نقتلَ منكم ولا تقتلوا منا، وعلى أنَّ دِيَتكُم ستُّون وَسْقاً[٢] ـ والوَسْق: ستُّون صاعاً ـ وديتَنا مئةَ وسْقٍ، نحن نعطيكُم ذلك، فقالت بنو قريظة[٣]: هذا شيءٌ كنتم فعلتموهُ في الجاهليَّةِ؛ لأنَّكم[٤] كثرتم وقللنا، فقهرتُمونا، فصنعتُم ذلك، ونحن وأنتمُ اليوم[٥] إخوةٌ، ليس لكم علينا فضلٌ، وقد جاء اللهُ تعالى بالإسلام، فنحن وأنتم سواءٌ، وقالت الخزرج[٦]: نحن على ما كنَّا عليه. وقالوا: حتى[٧] يجيء أبو بردة الكاهن، فيحكمَ بيننا، فأنزل الله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ﴾ الآية [المائدة: ٤٥]، وأنزل: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ الآية [المائدة: ٥٠].

فأقبل أبو بردة إلى المدينة ـ واسمه هلال بن عويمر ـ وتفاخَرَتْ قريظةُ وبنو النَّضير، أيُّهم أفضل؟ فقال المنافقون مِن[٨] الفريقين: نحاكمكم إلى أبي بردة، وقال المؤمنون: بل نحاكمُ[٩] إلى رسولِ الله ﷺ.

فانطلقوا إلى أبي بردة، فقالوا: احكم بيننا، فقال: عظِّموا[١٠] اللُّقمةَ

---

(١) لفظ: «وأنتم» من (أ).

(٢) بعدها في (ر): «من تمرٍ».

(٣) القائل هنا في «تفسير الثعلبي» و«أسباب النزول»: الخزرج.

(٤) بعدها في (ر): «كنتم».

(٥) في (أ): «ونحن وأنتم»، وفي (ر) و(ف): «وأنتم اليوم»، والمثبت من «تفسير الثعلبي».

(٦) القائل هنا في «تفسير الثعلبي»: بنو النضير. وهو الأصح.

(٧) «حتى» زيادة من (أ).

(٨) في (ف): «في».

(٩) في (ر): «نحاكمكم»، وفي (ف): «تحاكموا».

(١٠) في (ر) و(ف): «أطعموا».

ـ يعني[١] العطيَّةَ ـ فإنِّي أخاف إنْ نَفَّرْتُ[٢] بني قريظة أن يَقتُلني بنو النَّضير، وإنْ نَفَّرْتُ بني النضير أن يقتلني بنو قريظة؛ فإنِّي في دارهم، فأعطوهُ عشرةَ أوسقٍ من تمرٍ فأبى، وسألهم مئةَ وَسْقٍ، فأبوا عليه، فلم يَحكُم بينهم، فأنزل الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟﴾ الآية [النساء: ٦٠]، فدعا النبيُّ ﷺ كاهنَ بني أسلم[٣] أبا بردةَ إلى الإسلام، فأبى وانصرفَ، فقال رسولُ الله ﷺ لابْنَيْه: «أدرِكا أباكما فرُدَّاه، فإنَّه إن جاز عقبة كذا؛ لم يسلم أبداً»، فأدركاهُ، فلم يزالا به حتَّى انصرف وأسلم، وأمرَ النبيُّ ﷺ منادياً: «ألَا إنَّ كاهن أسلمَ[٤] قد أسلم»[٥].

فالطَّاغوتُ هاهنا هو الكاهن.

وقوله تعالى: ﴿وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ﴾؛ أي: يَتبرَّؤوا مِن الطَّاغوت، قال تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ﴾[٦] [البقرة: ٢٥٦].

وقوله تعالى: ﴿وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ﴾[٧]؛ أي: يدعوهم إلى الضَّلال، ويسبِّبَ لهم الضَّلالَ بالوَسوسة.

---

(١) في (أ): «أي».

(٢) في (ر): «نصرت» في هذا الموضع والذي يليه، وهو تحريف، وكذا تحرفت في مطبوع «تفسير الثعلبي» (٣/ ٣٣٨)، وهي على الصواب في طبعة (دار التفسير) (١٠/ ٤٥٥). قال الجوهري في «الصحاح» (مادة: نفر): نَفَّره عليه تنفيراً؛ أي: قضى له عليه بالغلبة، وكذلك: أنفره.

(٣) في (أ): «إسرائيل».

(٤) في (ر) و(ف): «بني سليم» بدل: «أسلم».

(٥) أورده الثعلبي في «تفسيره» (٣/ ٣٣٧ـ٣٣٨)، وروى نحوه الطبري في «تفسيره» (٧/ ١٩٢ـ١٩٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٩٩١ـ٩٩٢) (٥٥٤٩).

(٦) قوله: «قال تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ﴾» وقع في (ف) بعد قوله السالف: «فالطاغوت هاهنا هو الكاهن».

(٧) بعدها في (ف): «ضلالًا بعيداً».

وقوله تعالى: ﴿ضَلَٰلًا بَعِيدًا﴾؛ أي[١]: على وجهٍ لا يَعودون إلى الهُدى أبداً.

* * *

(٦١) ـ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا﴾؛ أي: وإذا دُعيَ هؤلاء المنافقون إلى حكمِ الله تعالى وحكمِ رسوله عليه الصَّلاة والسَّلام، رأيتَهم يُعرِضون عنك إلى غيرك؛ ليُغروهُ بالرِّشوةِ، فيقضي لهم.

* * *

(٦٢) ـ ﴿فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾؛ أي: فكيف يصنعُ هؤلاء المنافقون إذا نالتهم عقوبةٌ، وكانوا متوعدين[٢] بالعقوبات، من نحو قوله تعالى: ﴿لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ۝٦٠ مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا﴾[٣] [الأحزاب: ٦٠ ـ ٦١]، ﴿يُفْتَنُونَ فِى كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ﴾ [التوبة: ١٢٦]، ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ﴾[٤] الآية [التوبة: ١٠١].

---

(١) قوله: «وقوله تعالى: ﴿ضَلَٰلًا بَعِيدًا﴾ أي» ليس في (ف).

(٢) في (ر) و(ف): «موعدين».

(٣) بعدها في (ر) «وقوله تعالى».

(٤) قوله: «﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ﴾»: من (أ).

وقوله تعالى: ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾؛ أي: بما أسلفوا من الجنايات.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا﴾ يقول: إنَّهم تحاكموا إلى الطاغوت ردًّا لحكم الإسلام، وأنفةً عن الانقياد للنبيِّ ﷺ، فكيف يفعلون إذا نالَتْهُم عقوبةٌ مِن الله تعالى بماضي جناياتِهم، ومصيبةٌ في أنفسهم أو أموالهم[١]؟ ثمَّ أتوك يا محمَّدُ خاضعين خاشعين، يتشفَّعون إليك في الكفِّ عنهم، والصَّفح عن جُرمهم، ويَدفعون ذلك عن أنفسِهم بالمعاذير الكاذبةِ، مؤكَّدةً بالأيمان الفاجرة، يقولون: ما أَرَدْنا بالتَّحاكم إلى غير النبيِّ ﷺ إلَّا الإحسانَ إلى خصومنا، وإدامةَ الائتلاف فيما بيننا، والتَّوفيقَ ـ مِن إثبات الوفاق في هذه الآية ـ، وآثرنا التخفيفَ[٢] عن النبيِّ ﷺ، والتسهيلَ على الخصوم؛ بمرافعتِهم إلى مَن لا يُحتشم مِن رفعِ الصَّوتِ بين يديه، عسى أن يتوسَّط بيننا، ولا يَحمِلَنا على الحكم المرِّ؛ فيكون[٣] ذلك تأليفاً بيننا، ودفعاً لوقوع الضَّغائن، وما أشبهَ هذا من الـمَلَق.

وإذا كان هذا مآلَ أمرهم[٤]، فالتَّحاكمُ إليه ابتداءً والانقيادُ لحكمه أولى، مع ما فيه مِن وقوعِ ما يُخافُ وقوعُه مِن المصائب، وهي قِصَّة المنافق واليهوديِّ، فالمصيبةُ قتلُ عمر رضي الله عنه ذلك المنافق، وأضيف الاعتذارُ إلى جملة[٥] المنافقين، والمراد: أولياء ذلك المنافق[٦].

---

(١) في (ر) و(ف): «وأموالهم».

(٢) في (ر) و(ف): «بالتخفيف».

(٣) في (أ): «ليكون».

(٤) في (أ): «أحدهم».

(٥) في (ر): «جميع».

(٦) من قوله: «وأضيف الاعتذار» إلى هنا ليس في (ف).

وقال الحسنُ البصريُّ رحمه الله: فيه اعتراضُ كلامٍ، وتقديره: ﴿يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا﴾، ﴿ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا﴾، ﴿فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾[1]؛ أي: كيف يفعلونَ في هذه الحالةِ؟ وإلى ماذا يلتجؤون؟ إلى الطَّاغوت، أم إلى الله ورسوله؟ وهو كقوله: ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ [الأنعام: ٦٣]، ونحوها من الآيات[2].

وقيل: هي قصَّةُ مسجدِ الضِّرار، وهذا الحَلِفُ عينُ ما ذُكر هناك: ﴿وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [التوبة: ١٠٧]؛ ومعنى قوله: ﴿إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا﴾[3]؛ أي: ما أردنا ببناءِ هذا المسجد إلَّا خيراً وصواباً.

وقال الكلبيُّ في هذه الآية وفيما قبلها: إنَّ الزُّبيرَ بنَ العوَّام وحاطبَ بنَ أبي بَلتعةَ اختصما إلى رسولِ الله عليه الصَّلاة والسَّلام في أمرٍ كان بينهما، فقضى رسولُ الله ﷺ للزُّبير، فمرَّا على المقداد بن الأسود، فقال: لمن كان القضاء يا أبا بلتعة؟ فقال: قضى لابنِ عمَّتِه، ولوى شِدقَه، ففطنَ له يهوديٌّ كان مع المقداد، فقال: قاتلَ الله هؤلاء! يشهدونَ أنَّه رسولُ الله، ثمَّ يتَّهمونَهُ في قضاءٍ يَقضي به[4] بينهم، وايمُ الله، لقد أذنبْنا ذنباً مرَّةً في حياة موسى عليه الصلاة والسَّلام، فدعانا موسى عليه السَّلام إلى التَّوبة، فقال: اقتلوا أنفسَكم، ففعلنا، فبلغَ قتلانا سبعين ألفاً في طاعةِ ربِّنا حتَّى رضيَ عنَّا، فقال ثابت بن قيس بن شماس: أما والله إنَّ اللهَ ليَعلمُ منِّي الصِّدقَ، لو أمرني أنْ أقتلَ نفسي لفعلت، فأنزل الله تعالى في شأن حاطب: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا

---

(١) انظر: قول الحسن في «تفسير ابن أبي زمنين» (١/ ٣٨٣).

(٢) في (أ): «الضرار».

(٣) قوله: «ومعنى قوله: إن أردنا إلا إحساناً» ليس في (ف).

(٤) «به» ليس في (ف).

﴿إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ الآيات [النساء: ٦١][1]، فأقبل حاطبٌ إلى النبيِّ عليه الصَّلاة والسَّلام يعتذرُ عليه ويحلف إن أردنا إلا إحساناً وتوفيقاً.

وهذا زلَّةٌ من الكلبيِّ؛ لأنَّ حاطباً مِن أهل بدرٍ، وهو من المخلصين، وفي الآية نصٌّ على ذِكر المنافقين، وهو قوله تعالى: ﴿رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا﴾، فالصَّحيح أنَّها في اليهوديِّ والمنافقِ على ما مرَّ[2].

***

(٦٣) ـ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ﴾؛ أي: من النِّفاق.

وقوله تعالى: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾؛ أي: تولَّى عن معاقبتهم إلى وقتِ الأمر بالقتال.

وقوله تعالى: ﴿وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا﴾؛ أي: اقتصر على تخويفِهم سوءَ العاقبةِ للحال، وقل لهم فيما يَحِلُّ بهم مِن العذاب إن[3] لم يَرجعوا قولاً[4] يَبلغُ[5] الإقناعَ، ورجلٌ بليغٌ: يَبلغ بكلامه كنهَ ما في قلبِه، والبلاغةُ: إيجازُ اللَّفظِ، وحسنُ التَّرتيب، وبلوغُ المرادِ، والقولُ البليغُ: ما يَبلغُ تمامَ المقصود.

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣/ ٣٣٩ ـ ٣٤٠) عن الصالحي.

(٢) من قوله: «فكيف إذا أصابتهم» أثناء قول الحسن البصري في تفسير الآية السالفة إلى هنا ليس في (ر)، ووقع مكانه فيها: «وسألوا الله مغفرةَ ما كان منهم من الشقاق»، وستأتي في موضعها.

(٣) في (ف): «إذا».

(٤) بعدها في (ف): «بليغاً».

(٥) في (أ) و(ر): «يبلغوا».

وقال الضَّحَّاك: ﴿وَعِظْهُمْ﴾ بلسانِك في الملأ، ﴿وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾ في السرِّ والخلاء.

وقال الحسن: ﴿وَقُل لَّهُمْ﴾: إن أظهرتم[1] نفاقكم قَتلتُكم، فهذا هو القولُ البليغ.

وقيل: القولُ البليغُ: إفرادُ كلِّ واحدٍ بالتَّحذير[2]، والوعظُ على الجملة أنْ يقولَ: يا قوم، اتَّقوا اللهَ، ولا شكَّ أنَّ إفرادَ كلِّ واحدٍ به أبلغُ في الرَّدعِ.

فإن قيل: كيف يتَّفق: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ﴾، والوعظُ لا يتأتَّى مع الإعراض؟

قلنا: قد بيَّنَّا أنَّ هذا الإعراضَ عن المعاتبةِ دون المخاطبة.

وقيل: هو الإعراضُ بالمعاداة.

وقيل: هو الإعراضُ عن قَبول العُذر[3]، وقد رُوِيَ أنَّه لـمَّا وَعظَهم وحذَّرهُم، أخلص كثيرٌ منهم، والأمرُ بالإعراضِ عن قَبول الأعذار[4]؛ كقوله تعالى: ﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُل لَّا تَعْتَذِرُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ﴾ [التوبة: ٩٤]، وكانوا يَميلون إلى موضعِ النَّفع، فإن كان الظَّفرُ للمؤمنين، جاؤوهم، وأظهروا وِفاقهم، وإذا[5] كانت الغَلبةُ للكفَّار وافقوهم وحققوا نفاقَهم، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ اللَّهِ﴾ الآية [النساء: ١٤١].

---

(١) في (ر): «شهرتم».

(٢) في (ف): «بالتحدث».

(٣) في (أ): «الأعذار».

(٤) من قوله: «وقد روي أنَّه لما وعظهم» إلى هنا ليس في (أ).

(٥) في (ف): «وإن».

(٦٤) ـ ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ لـمَّا أمرَ النبيَّ ﷺ بوعظِهم وإبلاغِ القولِ فيهم؛ أمرَهم بطاعتِه فيما أَمَرَ، واتِّعاظِهم[1] بما وعظ، وأخبرَ أنَّ كلَّ رسولٍ أُرسِل كان على الأمَّةِ طاعتُه.

وتعلَّقتِ المعتزلةُ بظاهرِ هذه الآية، وادَّعوا أنَّ اللهَ تعالى أرادَ من عبادِه الطَّاعة؛ فإنَّه أرسلَ الرَّسول للطَّاعة[2]، وهم عصَوا على خلاف إرادته.

والآيةُ حجَّةٌ عليهم؛ فإنَّه قال: ﴿لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾، أخبر أنَّه إنما يُطَاعُ بإذنه؛ أي: بمشيئته. وقيل: بعلمه، فإنَّما يُطيعُ مَن علمَ اللهُ أنَّه يُطيعُ، وشاءَ الله أن يطيع[3].

وجوابٌ آخر: أنَّ المراد به لزومُ الطَّاعة؛ أي: ليَلزَمَهُم أنْ يُطيعوهُ، وعلى هذا قوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦]؛ أي: إلَّا ليلزمهم[4] عبادتي؛ أي: توحيدي وطاعتي.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾ أي: وَضعوها غير مَوضِعها بالتَّحاكمِ إلى الطَّاغوت.

قوله تعالى: ﴿جَآءُوكَ ﴾؛ أي: أتوكَ يا محمَّد، ﴿فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ ﴾؛ أي: رجعوا عن النِّفاقِ، وأخلصوا على الإطلاق، وسألوا اللهَ مغفرةَ ما كان منهم مِن الشِّقاق.

---

(١) في (ف): «وإيقاظهم».

(٢) في (ر): «لإطاعته».

(٣) قوله: «وشاء الله أن يطيع» ليس في (ف).

(٤) في (ف): «لالتزامهم».

قوله تعالى: ﴿وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ﴾ أي: شفعَ لهم إلى ربِّهم.

وقوله تعالى: ﴿لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابٗا رَّحِيمٗا﴾ يَتوبُ عليهم ويَرحمُهم، فلا يُعذِّبهم.

ولمَّا كان الوعدُ هذا للمنافق إذا أخلصَ؛ فكيف بالمؤمنِ المخلصِ[1] العاصِي إذا تابَ وأصلحَ؟

وفيه بيان أنَّ المنافقين إنَّما يأتيهم ما يأتيهم بإصرارِهم وسوء اختيارِهم.

* * *

(٦٥) ـ ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ﴾ رفعَ قدرَ رسولِه عليه الصَّلاة والسَّلام بإضافة نفسِه إليه في القسَم، و«لا» ردٌّ لكلامِهم؛ أي: يَزعُمون أنَّهم مخلصون، ولا صدق في ذلك، وهذا الوجهُ أحسنُ مِن قولِ مَن يجعلُها زائدةً لا معنى لها، وعلى هذا قوله تعالى: ﴿لَآ أُقۡسِمُ﴾ [القيامة: ١].

وقيل: ذُكِرَتْ «لا» في صدر الكلام؛ لأنَّ هذا القسَمَ على أمرٍ منفيٍّ، ولمَّا بعدت عن الفعلِ؛ أُعيدَت في[2] موضعها؛ ﴿لَا يُؤۡمِنُونَ﴾، ونظيرُه قولُه تعالى: ﴿لِّئَلَّا يَعۡلَمَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ أَلَّا يَقۡدِرُونَ﴾ [الحديد: ٢٩].

وقوله تعالى: ﴿لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ﴾؛ أي: لا يكونون مؤمنين حتى يرضَوا بحكمِك.

---

(١) في (أ): «بالمخلص» وفي (ف): «بالمؤمن من المخلص و» بدل من «بالمؤمن المخلص».

(٢) في (ر) و(ف): «عن».

وقولـه تعالـى: ﴿فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾؛ أي: اختلـف، وقـد اشـتجرَ القـومُ وتَشـاجروا؛ إذا اختلفـوا فـي الأمـر، وتداخلَ بعـض كلامِهم في البعـض، كتداخل أغصـان[1] الشـجرة بالتفافها.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ﴾؛ أي: في قلوبِهم ﴿حَرَجًا مِّمَّا قَضَيۡتَ﴾؛ أي: ضيقاً.

وقال مجاهد: شكًّا[2] في أنَّ القضاءَ حَقٌّ. وقيل: إثماً.

وقولـه تعالـى: ﴿وَيُسَلِّمُواْ﴾؛ أي: يَنقـادوا لقضائِـكَ لهـم[3] وعليهـم، ﴿تَسۡلِيمًا﴾؛ أي: انقيـاداً، وذكَـرَ المصـدرَ للتَّأكيـد؛ أي: يَنقـادون حـقَّ الانقيادِ، بلا كراهـةٍ فـي الفـؤاد.

وقال عروة بن الزبير: خاصم رجلٌ من الأنصارِ الزبيرَ في شراجٍ مِن الحَرَّةِ[4]، يَسقي بها النَّخلَ، فقال رسول الله ﷺ: «اسقِ يا زُبير؛ ثمَّ أرسِل الماء إلى جارك»، فقال الأنصاريُّ: أن[5] كان ابن عمتِه؟ ولوى شِدْقَهُ[6]، فتلوَّن وجهُ النبيِّ ﷺ، فقال:

---

(١) لفظ: «أغصان» من (أ).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٢٠١)، وابن أبي حاتم (٣/ ٩٩٥) (٥٥٦٢).

(٣) في (ف): «وهو لهم».

(٤) الشراج: جمع شَرْجة، وهو مسيل الماء من الحرة إلى السهل. والحرة أرض بظاهر المدينة بها حجارة سود كثيرة. «النهاية» (مادة: شرج، حرر).

(٥) في (أ): «أأن».

(٦) قوله: «ولوى شدقه» لم يرد في رواية «الصحيحين»، ووقعت هذه العبارة في رواية الكلبي، وسلفت قريباً عند تفسير قوله: ﴿ثُمَّ جَآءُوكَ يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّآ إِحۡسَٰنٗا وَتَوۡفِيقًا﴾، وهي رواية منكرة، وإقحامها في هذه الرواية قبيح.

«يا زُبير؛ اسقِ أرضَك، واحبِس الماءَ حتَّى يَبلُغَ الجَدْرَ[١]»، فقال الزُّبير: والله إنَّ هذه الآية نزلَت في ذلك؛ ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ الآية[٢].

وكان النبيُّ ﷺ أمرَهُ في الابتداءِ بالاقتصار على أدْنى حقِّه[٣]، فلمَّا قال خَصمُه ما قال؛ أمرَهُ باستيفاء حقِّه.

وقال أبو روق: كان ليهوديٍّ على رجلٍ مسلمٍ مالٌ[٤]، فخاصمَهُ إلى رسول الله ﷺ، فقضى رسولُ الله ﷺ على المسلم، وفرض[٥] عليه أن يؤدِّي إلى اليهوديِّ يوم كذا وكذا من ماله، فخرجا من عندِه، فقال اليهوديُّ: أرضيتَ بما قضى به رسولُ الله ﷺ؟ قال: لا، قال: فبمن ترضى؟ قال: بأبي بكرٍ، فانطلقا إلى أبي بكرٍ فقصَّا عليه القصَّة، فأمرَهُ أبو بكرٍ أن: ارضَ بما أمرَ به رسول الله ﷺ، فخرجا، فلم يرضَ، فقال اليهوديُّ: فبمن ترضى؟ قال: بعمر، فانطلقا إلى عمر رضي الله عنه، فقصَّا عليه القصَّة من أمرِ رسول الله ﷺ وأبي بكرٍ، فقال عمر رضي الله عنه: أفترَضى بما أقضي أنا[٦]؟

---

(١) المراد بالجدر أصل الحائط. وقيل: أصول الشجر. قال النووي: والصحيح الأول، وقدره العلماء أن يرتفع الماء في الأرض كلها حتى يبتل كعب رجل الإنسان. «شرح صحيح مسلم» للنووي (١٥/ ١٠٨).

(٢) رواه البخاري في «صحيحه» (٢٣٥٩)، (٢٣٦٠)، ومسلم في «صحيحه» (٢٣٥٧).

(٣) وقع بعدها في (ر): «والشراح: مسيل الماء، والحرة: موضع الحصى، والجدر: الجدار، والجدر بالكسر والفتح» وفي (ف): «وشراج: مسيل الماء، والحرة: موضع الحصى».

(٤) بعدها في (ر): «قال».

(٥) في (أ): «فرضي» بدل: «وفرض».

(٦) في (ف): «لك» بدل: «أنا».

قال: نعم، قال: امكثا ساعةً حتَّى أخرج فدخل[١] البيتَ، ثمَّ خرج مشتملاً على السَّيفِ صلتاً، فضرب به المسلمَ حتَّى قتله، فبلغ ذلك رسولَ الله ﷺ فرضي؛ فلذلك سمِّي عمرُ الفاروقَ؛ لأنَّه فرَّق بين الحقِّ والباطل، ففيه أنزلت: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ﴾ الآية[٢].

***

(٦٦) ـ ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم﴾ قرأ ابنُ كثير ونافعٌ وابن عامرٍ[٣] والكسائيُّ بضمِّ النون مِن ﴿أَنِ﴾، وضمِّ الواو من ﴿أَوِ﴾؛ لأنَّ الألف في هذين الأمرين في الأصل مضمومةٌ، فنُقلت تلك الضمَّة إلى هذا عند الضَّرورة إلى التحريك؛ لالتقاء الساكنين، وقرأ عاصمٌ وحمزةُ بالكسر فيهما، وقرأ أبو عمرو بكسر الأوَّل وضمِّ الثاني[٤].

فأمَّا كسرُهما فلأنَّ[٥] السَّاكِن إذا حُرِّك حُرِّك بالكسر[٦]، وأمَّا كسرُ أبي عمرٍو

---

(١) في (ر) و(ف): «من» بدل: «فدخل».

(٢) سلف نحوها عن الكلبي عند تفسير قوله: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ﴾ السالف قريباً، ولم يذكر الذهاب إلى أبي بكر رضي الله عنه. وأخرج نحوه الحافظ دحيم، كما في «الدر المنثور» (٤/ ٥٢٤) عن عتبة بن ضمرة عن أبيه.

(٣) «وابن عامرٍ» ليس من (ف).

(٤) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٣٤)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٨).

(٥) في (ر) و(ف): «ولأنَّ» بدل: «فأما كسرهما فلأن».

(٦) في (أ): «إلى الكسر».

الأوَّل فلهذا، وأمَّا ضمُّه الثاني؛ فلاجتماع سببي الضمِّ؛ وهما الواو وضمُّ ألف الأمر، بخلاف: ﴿لَوِ ٱسۡتَطَعۡنَا﴾ [التوبة: ٤٢]؛ لأنَّه لم يجتمع سببان.

وقوله تعالى: ﴿مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنۡهُمۡ﴾[1] قرأ ابن عامر: ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾، وكذا هو في مصاحف أهل الشَّام[2]، وقيل: هو قراءة أُبيٍّ[3].

ووجهه أنَّه استثناءٌ بعدَ تمام الكلام، ومعناه: لكن، والقراءةُ الظَّاهرةُ بالرَّفع بالفعل، وتقديره: ما فَعَلَه إلَّا قليلٌ منهم، وإنَّما جمع مع تقدُّم الفعل على الفاعل على لغةِ بعض العرب، وهو كقولِ قائلهم[4]:

يَلُومونَني في اشتراءِ النَّخيـ ـلِ قَومي وكلُّهمُ أَلْوَمُ[5]

وعلى هذا قول الله تعالى: ﴿عَمُواْ وَصَمُّواْ كَثِيرٌ مِّنۡهُمۡ﴾ [المائدة: ٧١]، وقوله: ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجۡوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ [الأنبياء: ٣].

ومعنى الآية: ولو أنَّا فرضنا على هؤلاء المنافقين قتلَ أنفسِهم بطريقِ التَّوبةِ،

---

(١) في (ف): «قليلًا».

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٢٣٥)، و«التيسير» (ص: ٩٦).

(٣) نسبها الثعلبي في «تفسيره» (ص: ٣٤١) لأبيٍّ بن كعب وعيسى بن عمر وابن أبي إسحاق وابن عامر.

(٤) بعدها في (ر): «شعر».

(٥) أنشده الفراء في «معاني القرآن» (١/ ٣١٦)، وابن جني في «سر صناعة الإعراب» (٢/ ٦٢٩)، وابن الشجري في «الأمالي» (١/ ٢٠١) دون نسبة، ونسبه أبو حنيفة الدينوري في كتاب «النبات» كما نقله عنه عبد القادر البغدادي في «شرح أبيات المغني» (٦/ ١٣٣)، والراغب في «محاضرات الأدباء» (٢/ ٦١٦) لأحيحة بن الجلاح، وقافيته فيهما: «يعذل» بدل: «ألوم»، ولم يرد في «ديوان أحيحة». وينسب أيضاً لأمية بن أبي الصلت، وذكره محقق «ديوانه» في: ما أنشد لأمية وليس له (ص: ٥٥٤)، وانظر تتمة تخريجه فيه.

كما كان لبني إسرائيل، ويَحتمل أنَّه قتلُ بعضِهم بعضاً، ويَحتمل أنَّه مجاهدةُ الأعداء وقَتلُهم، أو فرضنا عليهم الخروجَ مِن ديارهم مهاجرين عنها، ما فعلوه إلَّا قليلٌ[١] منهم، لغلظ الأمرين أخبر[٢] بعلمه فيهم.

قال الكلبيُّ: نزلت في ثابت بن قيس بن شمَّاس، وقد ذكرناه[٣] في قصَّة الزُّبير وخصمِه، وكلام اليهوديِّ، وجواب ثابت: لو أمرني محمدٌ أن أقتلَ نفسي لقتلت[٤]، فهو القليل المستثنى.

وقيل: هو المقدادُ بن الأسود، وهو مذكورٌ في هذه القصَّة أيضاً.

وقال مقاتل: فكان[٥] من القليل؛ عمَّارُ بن ياسر وثابت بن قيس وعبدالله بن مسعود. وقال عمر وجماعةٌ: والله لو فعلَ ربُّنا لفعلنا، والحمدُ لله الذي لم يفعل ذلك بنا[٦]، وقال النبيُّ ﷺ: «والذي نفسي بيده، الإيمانُ أثبتُ في قلوب المؤمنين مِن الجبال الرَّواسي في الأرض»[٧].

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ﴾؛ أي: وإذ لم نُشدِّد عليهم، وأمَرناهُم بالإخلاص وتركِ النِّفاق، فلو اتَّعظوا بهذا الوعظِ.

---

(١) في (ف): «قليلًا».

(٢) في (ر) و(ف): «لفظ... أخبره».

(٣) في (أ): «ذكرنا».

(٤) في (ر): «لفعلت».

(٥) بعدها في (ر) و(ف): «المراد»، والمثبت موافق لما في «تفسير مقاتل»

(٦) في (ر) و(ف): «ربنا».

(٧) «تفسير مقاتل» (١/ ٣٨٧). والحديث رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٢٠٧) عن أبي إسحاق السبيعي، ورواه ابن المنذر في «تفسيره» (١٩٦٦) من طريق أبي إسحاق عن زيد عن الحسن، وابن أبي حاتم (٣/ ٩٩٥) (٥٥٦٥) من طريق أخرى عن الحسن. فالحديث مرسل.

وقيل: لو أمرناهم بقتلِ أنفسهم وخروجِهم من ديارهم، ففَعلوا.

وقوله تعالى: ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾؛ أي: أحمدَ عاقبةً في الدَّارين.

وقوله تعالى: ﴿وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾؛ أي: وآكدَ لعزائمِهم على الثَّبات على الدِّين وتركِ التَّذبذب(١).

* * *

(٦٧) ـ ﴿وَإِذًا لَّآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذًا لَّآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا﴾؛ أي: ولأعطَيناهُم إذا فعلوا ذلك من عندِنا ثواباً كثيراً(٢) في الآخرة لا يَنقطع.

* * *

(٦٨) ـ ﴿وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا﴾؛ يعني: ولثبَّتناهم على الدِّين الحقِّ؛ وهو وعدٌ ببقاءِ الإيمان للمطيعِ المخلِص.

وقال الإمام القشيريُّ في قوله: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ﴾؛ أي: ابسُط لهم لسانَ الوعظِ بمقتضى الشَّفقةِ عليهم، ولكن انْقبِض بقلبك عن المبالاة بهم، والسُّكون إليهم، واعلم أنَّ مَن لا نكون نحن له، لا يغني عنه تعنِّيه(٣) شيئاً.

وقال في قوله: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ﴾: سدَّ اللهُ الطَّريقَ إلى

---

(١) في (ر) و(ف): «التكذيب».

(٢) في (ف): «كبيراً».

(٣) في (ر): «نفسه». وفي (ف): «تعبه»، وكلاهما تحريف، وفي «لطائف الإشارات» للقشيري (١/ ٢٤٣): «أن تعينه»، وهو تحريف أيضاً، والله أعلم.

نفسِه على الكافَّة، إلَّا بعد الإيمان بمحمَّدٍ عليه الصَّلاة والسلام، فمَن لم يمشِ تحت رايتِه، فليس مِن الله في شيءٍ، ثمَّ جعل من شرطِ الإيمانِ به زوالَ المعارِضاتِ بالكليَّة؛ بقوله(١) تعالى: ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ﴾، فلا بدَّ لك مِن تَلقِّي المهالكِ بقلبٍ ضاحك، كما قال قائلُهم:

وحبيبٍ إنْ لم يكُن منصفاً كنتُ مُنْصِفا ... أتحسَّى لهُ الأمرَّ وأسقيه ما صفا

إن يقل لي اشتوِ(٢) ... احترقتُ رِضاً لا تكلُّفا(٣)

***

(٦٩) - ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾ وهذا أعمُّ من الأوَّل؛ أي: ومَن أطاعَ اللهَ تعالى ورسولَه مِنهم ومِن غيرهم، فعملَ بالشَّرائعِ، وانقادَ للأحكام.

وقوله تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم﴾؛ أي: فهم في الآخرة مع الذين أتمَّ اللهُ عليهم النِّعمةَ.

وقوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ﴾ التَّشديدُ للمبالغة في الصِّدقِ، كما في: الفِجِّير والفِسِّيق والشِّرِّيب، وهو الذي لم يَدعْ شيئاً أظهرَه بلسانه إلا حقَّقه بقلبِه وعملِه، وهذه صفةُ السَّابقين إلى متابعةِ الأنبياء، وهم أفاضلُ أصحابهم.

---

(١) في (ر) و(ف): «لقوله».

(٢) تحرفت في «لطائف الإشارات» إلى: «انشق».

(٣) «لطائف الإشارات» للقشيري (١/ ٣٤٤).

وقوله تعالى: ﴿وَالشُّهَدَاءِ﴾ جمع شهيدٍ؛ وهو الذي قام بشهادةِ الحقِّ حتَّى قُتِلَ في سبيل الله.

وقوله تعالى: ﴿وَالصَّالِحِينَ﴾ جمع صالحٍ؛ وهو الذي خَلَصَ[١] عن كلِّ فسادٍ، يعني: هم في الجنَّة معهم، يُجزَونَ الجنَّة، ويُؤتونَ نعيمَها، وليس معناه أنَّهم يُساوُونَهم في الدَّرجات، بل درجاتُهم متفاوتةٌ؛ إذ لا شكَّ في فضيلةِ درجةِ[٢] الأنبياءِ على غيرهم، ثمَّ الصدِّيقون السَّابقونَ إلى تصديقِهم، والكاملونَ في تحقيقِهم، ثمَّ الشُّهداءُ في سبيلِه، ثمَّ الصَّالحون مِن الأُمَّة.

وروى الضحَّاك عن ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهم أنَّ أبا بكرٍ الصِّديقَ رضي الله عنه قال: يا رسولَ الله؛ والله لأفقِدُكَ ساعةً فأكادُ[٣] أموتُ شوقاً إليك، فكيف إن متَّ أنت وبقيتُ بعدَك؟ قال: «إنَّك معي[٤] في الجنَّة»، ونزلَت هذه الآيةُ[٥].

وروي أنَّها نزلَت في ثوبان مولى رسولِ الله ﷺ، وكان بلغَ من حبِّه له أنْ قال: يا رسولَ الله، إنِّي لا أكادُ أصبِرُ عنك، وأذكرُ الآخرةَ، وأنَّك تُرفَعُ في درجةِ الأنبياء، وأنا مع العبيد، فلا ألقاك، فنزلت الآية[٦].

وقال الشَّعبيُّ: جاء رجلٌ مِن الأنصار إلى رسولِ الله ﷺ فقال: لأنتَ أحبُّ إليَّ

---

(١) في (ف): «أخلص».

(٢) في (أ): «درجات».

(٣) في (ر): «لا أفقدك ساعةً إلاَّ أكاد» بدل: «إني لأفقدك ساعة فأكاد».

(٤) في (ر) و(ف): «إني معك».

(٥) لم أقف عليه.

(٦) ذكر نحوه أبو الليث في «تفسيره» (١/ ٣٦٧)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ١٥٨) من رواية الكلبي.

مِن نفسي وأهلي ومالي وولدي، ولولا أنّي[١] آتيك فأراك؛ لظننتُ أنّي سأموت، وبكى، فقال النبيُّ ﷺ: «ما يبكيك؟» قال: ذكرتُ أنّك ستموتُ ونموت، فترفعُ مع الأنبياء، ونحنُ إن[٢] دخلنا الجنَّة؛ كنَّا دونك، فلم يخبرهُ النَّبيُّ ﷺ بشيءٍ، فأنزلَ اللهُ تعالى هذه الآيةَ، فقال له النبيُّ ﷺ: «أبْشِر»[٣].

وقال مقاتلٌ في هذه القصة: فلمَّا توفِّي النبي ﷺ؛ أتاه ابنُه وهو في حديقةٍ له، فأخبرَهُ بموتِ النَّبيِّ ﷺ، فقال: اللهمَّ أعمني، فلا أرى شيئاً أبداً بعد حبيبي، حتَّى ألقى حبيبي، فعميَ مكانَهُ[٤].

وزعم السُّدِّيُّ: أنَّ ناساً مِن الأنصار قالوا: يا رسول الله، إنَّك تسكنُ الجنَّة في أعلاها، ونحن نَشتاقُ إليك، فكيف نصنع؟ فنَزلَت الآية[٥].

وقال الإمامُ أبو منصورٍ ـ رحمه الله ـ بعد ما ذكر حديثَ ثوبان وحديثَ جماعةٍ مِن الصَّحابة رضوان الله عليهم أجمعين: ويَحتمل أنَّها ليست في واحدٍ بعينه، ولكن لها وجوهٌ:

أحدها: أنَّ اليهود وغيرَهم مِن الكفرة الذين آذَوا رسولَ الله ﷺ، وتمرَّدوا في تركِ

---

(١) في (أ): «أنني».

(٢) «إن» ليس من (أ).

(٣) رواه سعيد بن منصور في «تفسيره» (٦٦١)، وابن المنذر في «تفسيره» (١٩٧٤)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٣١٧). وإسناده ضعيف، فهو من رواية خلف بن خليفة عن عطاء بن السائب عن الشعبي، وخلف وعطاء اختلطا بأخرة. انظر: «ميزان الاعتدال» للذهبي (١/ ٦٠٧ ـ ٦٠٨)، (٣/ ٧٨).

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» (١/ ٣٨٨)، واسم الأنصاري عنده: عبد الله بن زيد بن عبد ربه.

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٢١٥).

إجابتِه؛ ظنُّوا أنَّهم وإن أسلَموا وأطاعوا الرسولَ، لم يُقبَل ذلك منهم، ولم يَنزِلوا منزلةَ مَن لم يؤذِه، فأخبرَ أنَّ مَن أطاعَ اللهَ ورسولَه، كان مع هؤلاء كأنْ لم يَترك طاعتَهُ أبداً، وهو كما قال: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ﴾ [الأنفال: ٣٨].

ويَحتمل أنْ يكون ذلك لـمَّا سَمعوا أنَّ لكلِّ واحدٍ من الجنَّة مثلَ الدُّنيا، فظَنُّوا ألَّا يكون لهم الاجتماع؛ لبُعْدِ بعضِهم عن بعض، فأخبرَ أنَّهم يجتمعون؛ لأنَّه كان في الدُّنيا مِن أعظمِ النِّعم، ثمَّ إذا ما[1] تفرَّقوا كان كلُّ واحدٍ منهم في درجته.

ويَحتملُ أن يكون هذا على الابتداء؛ أنَّ مَن أطاعَ الله والرَّسول؛ كان مع هؤلاء في دارٍ واحدةٍ لا يكونون[2] في غيرها[3].

وقوله تعالى: ﴿وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾؛ أي: رفقاء، وقال الفراء: إنَّما وحَّد الرَّفيقَ، وهو صفةُ جمع؛ لأنَّ الرَّفيق والبريدَ والرَّسولَ تَذهبُ به العربُ إلى الواحدِ والجمع، ولا يجوزُ مثله في الكلام: حسن أولئك رجلاً، إنَّما يجوز أن يوحِّدَ صفةَ الجمعِ إذا كان اسماً مأخوذاً مِن فِعل، ولم يكن اسماً صريحاً، ويجوز الجمع أيضاً، وأنشد:

وإذا[4] همُ شَبعوا[5] فالأم طاعم ... وإذا هـمُ جـاعوا فشرُّ جياع[6]

---

(١) لفظ: «ما» من (ف).

(٢) في (أ) و(ف): «يكون».

(٣) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٣/ ٢٤٧).

(٤) في (أ) و(ف): «فإذا».

(٥) في المصادر: «طعموا» بدل: «شبعوا».

(٦) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٢٦٨)، والبيت ذكره أيضاً أبو زيد في «النوادر» (ص: ١٥٢) في قطعة من ثلاثة أبيات، ونسبها لرجل جاهلي.

(٧٠) ـ ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ﴾؛ أي: ذلك الوعدُ، وقيل: ذلك الإنعامُ، و﴿ ذَٰلِكَ ﴾ يجوزُ أن يكون مبتدأ، و﴿ٱلْفَضْلُ﴾ خبراً له، ويجوز أن يكون ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ إشارةً، و﴿ٱلْفَضْلُ﴾ مبتدأ، و﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾ خبراً له.

ودلَّت الآية أنَّ العبدَ لا يجب له الأصلح على الله تعالى، وأنَّ ما يفعلُه اللهُ تعالى بعبدِه، فهو فضلٌ منه، فبَطَلَ مذهبُ المعتزلة.

وقوله تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴾؛ أي: عالماً بأعمالِ عباده، وبمن هو أهل الفضل.

وقيل: أي: ﴿عَلِيمًا ﴾ بمقادير مراتِبهم وجزاءِ أعمالهم.

* * *

(٧١) ـ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ خُذُوا۟ حِذْرَكُمْ فَٱنفِرُوا۟ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُوا۟ جَمِيعًا ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ خُذُوا۟ حِذْرَكُمْ ﴾ انتظامُها بما قبلَها؛ أي[١]: قوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ هذا في المؤمنين المخلِصين، والآياتُ التي قبلَها في المنافقين، وهؤلاء في المشركين المجاهِرين؛ أمرَ المؤمنين بجهاد الكافرين.

وقوله: ﴿خُذُوا۟ حِذْرَكُمْ﴾ أي: تحرَّزوا من إيقاع العدوِّ بكم، وذلك قد يكون بأخذ العدَّة[٢]، قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾، قيل: هي الرَّمي،

---

(١) في (ر) و(ف): «أن».

(٢) بعدها في (ر): «قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ ﴾، يقول: لا تتَّكلوا على ما ضمنتُ لكم، وذاك يكون بأخذِ العدَّة».

﴿وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾ [الأنفال: ٦٠]، يقول: لا تتَّكلوا على ما ضمنتُ لكم مِن النَّصر، فتتركوا الاستعدادَ؛ لأنَّ النصرَ موعودٌ بالقتال، ولا قتالَ إلَّا بسلاحٍ، ولو كان النصرُ أبداً بغير قتالٍ ولا سلاحٍ؛ لبَطلت المحنة.

وقيل: أخذُ الحذر: هو أخذُ السِّلاح، وليس كذلك؛ لأنَّ الله تعالى قال: ﴿وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾ [النساء: ١٠٢]، وقال تعالى: ﴿أَن تَضَعُوٓاْ أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ﴾ [النساء: ١٠٢]، فغايرَ بينهما بالعطف، فصحَّ أنَّ أخذَ الحذر ليس أخذَ السِّلاح على اليقين[١]، بل هو التيقُّظ والتحفُّظ عنهم بأيِّ شيءٍ كان.

وقيل: معناه ههنا: تحرَّزوا منهم، فانفِروا إليهم قبلَ أن يَنفِروا إليكم، قال النبيُّ ﷺ: «ما غُزي قومٌ في عقر دارهم إلَّا ذلُّوا»[٢].

وقيل: أمرَ اللهُ تعالى بالتحرُّز[٣]، مع علمِه أنَّ الحذرَ لا يُغني[٤] من القَدر؛ لما أنَّ الاستسلام للهلاكِ معصيةٌ، وقال النبيُّ ﷺ للأعرابيِّ: «اعقِلْها وتوكَّل[٥]»،

(١) في (أ): «التعين» بدل: «اليقين».

(٢) لم أقف عليه مرفوعاً، وورد من كلام علي بن أبي طالب رضي الله عنه. انظر: «البيان والتبيين» للجاحظ (٢/ ٥٣).

(٣) في (ر): «بأخذ الحذر» بدل: «بالتحرز».

(٤) في (ر): «يمنع».

(٥) بعدها في (أ): «على الله». والحديث رواه الترمذي في «سننه» (٢٥١٧)، وفي «العلل الصغير» (٥/ ٧٦٢ ـ في آخر كتاب «السنن») من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، وقال: قال عمرو بن علي: قال يحيى بن سعيد: هذا عندي حديث منكر، قال الترمذي: هذا حديث غريب من هذا الوجه، لا نعرفه إلا من حديث أنس بن مالك إلا من هذا الوجه، وقد روي عن عمرو بن أمية الضمري عن النبي ﷺ نحو هذا. اهـ. قلت: وحديث عمرو بن أمية رواه ابن حبان في «صحيحه» (٧٣١)، والحاكم في «المستدرك» (٦٦١٦).

وكان النبيُّ ﷺ إذا مرَّ بهدفٍ مائلٍ أسرعَ المشيَ[(١)].

وقوله تعالى: ﴿فَٱنفِرُواْ﴾ النَّفيرُ: الخروجُ إلى العدوِّ غزواً، والنُّفور: النُّدود[(٢)]، والنَّفْرُ: رجوعُ الحاجِّ، وصرفُ كلِّه من باب: ضرب.

وقوله تعالى: ﴿ثُبَاتٍ﴾؛ أي: جماعاتٍ في تفرِقةٍ[(٣)]، واحدتها: ثُبَة، وأصلُها: ثبية؛ بزيادة ياءٍ في آخرها، حُذِفت تخفيفاً، وتعاد في التَّصغير، فيُقال: ثُبَيَّة، والفعل منه: ثَبيتُ؛ أي: جمعت.

وقوله تعالى: ﴿أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعًا﴾؛ أي: مجتمعين[(٤)]، ومعنى الآية: اخرجوا إلى قتالِ العدوِّ فرقةً بعد فرقةٍ؛ أي[(٥)]: اخرجوا إنْ شئتُم مجتَمِعين.

وقيل: أي: اخرجوا سرايا في جهاتٍ شتَّى، أو عسكراً واحداً في جهةٍ واحدةٍ، على حسب الحالةِ الدَّاعيةِ إليه.

وقيل: انفروا ثباتٍ إذا لم يَعمَّ النفير، أو انفروا جميعاً إذا عمَّ النفير.

وقال عبدُ الرَّحمن بنُ زيدِ بنِ أسلم: انفروا سرايا، إذا لم يَخرج النبيُّ ﷺ، أو انفروا جميعاً إذا خرجَ النبيُّ ﷺ، قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ١٢٠]، وهذا إذا خرجَ بنفسِه، ثمَّ قال: ﴿وَمَا

---

(١) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (١٢٩٩) عن يحيى بن أبي كثير قال: بلغني عن النبي ﷺ... وهو مرسل. والهدف كل شيء مرتفع من بناء أو كثيب رمل أو جبل. انظر: «الصحاح» (مادة: هدف).

(٢) يقال: ند البعير، إذا شرد ونفر. انظر: «الصحاح» (مادة: نفر).

(٣) في (ر): «متفرقة».

(٤) قوله: «أي مجتمعين» من (أ).

(٥) في (ر) و(ف): «أو».

كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً﴾ [التوبة: ١٢٢]، وهذا إذا لم ينفر رسول الله ﷺ[1].

وقال الإمامُ أبو منصور رحمه الله: ﴿خُذُواْ حِذْرَكُمْ﴾؛ أي: ما تَحذَرون به عَدوَّكم، وما يحذر به وجوهٌ؛ منها: الأسلحة، ومنها: البُنيان، ومنها: التَّكثُّر[2] عند التَّلقِّي بالثَّبات وذكر الله تعالى، قال تعالى: ﴿فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأنفال: ٤٥]. وفيه الأمر[3] بالإعداد قبل اللقاء، وأيَّد ذلك قولُه تعالى: ﴿وَلَوْ أَرَادُواْ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةً﴾ [التوبة: ٤٦]، وقوله: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠]، وفي الأمر بالإعداد قبل وقتِ الحاجة إليه دليلُ جوازِ الكسبِ لحاجاتٍ تحدُث[4]، وأنَّ الاستعدادَ للحاجاتِ ليس برغبةٍ في الدُّنيا، إذا لم يكن الإعداد لفشلٍ ولا ترك توكُّلٍ[5].

* * *

(٧٢) ـ ﴿وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَىَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ﴾ أمرَ بالجهاد، وأخبرَ أنَّ في المنافقين مَن يُثقِّلُ المخلصين عن ذلك.

---

(١) انظر: «التفسير البسيط» للواحدي (٦/ ٥٨٤).

(٢) كذا في النسخ، ووقع في «تأويلات أهل السنة»: «النكر»، وذكر محققه أنه وقع في إحدى النسخ: «النكار»، وهي كذلك في طبعة دار الميزان التركية (٣/ ٣٢٠)، وفسرها محققها بما في «لسان العرب» لابن منظور (مادة: نكر) قال: المناكرة: المحاربة، وناكره؛ أي: قاتله؛ لأن كل واحد من المتحاربين يناكر الآخر؛ أي: يداهيه ويخادعه.

(٣) في (أ): «أمر».

(٤) في (ر): «للحاجات التي تحدث».

(٥) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٣/ ٢٥٠).

وقوله: ﴿مِنكُمْ﴾ أي: مِن جنسِكم.

وقيل: أي: منكم في الظَّاهر دون الباطن، فقد قال في آيةٍ أخرى: ﴿مَّا هُم مِّنكُمْ﴾ [المجادلة: ١٤].

وقيل: أي: منكم في الحُكم.

وقيل: منكم في الدَّعوى.

و﴿لَمَن﴾ لام الابتداء، واللامُ الثَّانية لامُ القسم، وكذا[١] النون دلالةُ القسم.

وقرأ مجاهدٌ والكلبيُّ: (ليبطِئن) بتخفيفٍ[٢]، وهو من الإبطاء؛ وهو خلافُ الإسراع، وقد[٣] بَطُؤ يَبطُؤ بُطْءاً، فهو بطيءٌ؛ أي صار: بطيئاً[٤]؛ وهو خلاف السَّريع، وأبطأ؛ أي: تثاقل، وتَباطأ[٥]: أَرى من نفسِه ذلك، وبطَّأ غيرَه بالتشديد للتعدية؛ أي: حَمَلَه على الإبطاء، يقول: إنَّ مِن[٦] المنافقين المختلِطين بكم مَن يَمنعُكم عن الجهاد، ويُظهِر من نفسِه الإشفاقَ عليكم وعلى أموالكم وأولادكم.

وقوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ﴾؛ أي: نالتكم نكبةٌ مِن الأعداء.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ قَدْ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيَّ﴾؛ أي: منَّ الله عليَّ.

---

(١) في (أ): «وكذلك».

(٢) ذكرها عنهما المهدوي في «التحصيل» (٢/ ٢٩٧)، وزاد نسبتها للنخعي، وذكرها ابن خالويه في «مختصره» (ص: ٣٣)، والنحاس في «إعراب القرآن» (١/ ٤٧٠) عن مجاهد فقط.

(٣) في (ر) و(ف): «وقيل».

(٤) في (ف): «بطاء».

(٥) في (ف): «وتبطا».

(٦) لفظ: «من» من (أ).

وقوله تعالى: ﴿إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا﴾؛ أي: مع المؤمنين حاضراً قتالَ العدوّ، فينالَني مِن النَّكبة[١] ما نالهم.

قال مقاتل: نزلت في عبد الله بن أُبيٍّ وأصحابه[٢].

* * *

(٧٣) - ﴿وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُن بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيْتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ اللَّهِ﴾ أي: غنيمةٌ، ﴿لَيَقُولَنَّ﴾ هذا المنافق المبطِّئ[٣]: ﴿يَا لَيْتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ﴾ يتمنَّى[٤] أن يكون شهيدَ[٥] القتال معهم، ﴿فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ فأنالَ مالاً كثيراً، ونَصبه لأنَّه جوابُ التَّمنِّي بالفاء،

وقرأ الحسن بالرَّفع[٦] على تقدير: فإنِّي أفوز، على الاستئناف.

وقوله تعالى: ﴿كَأَنْ لَمْ يكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ﴾ قرأ أهلُ المدينة وأبو عبد الرَّحمن ابنُ زيد وأبو رجاء وقتادة والأعمش: ﴿يكن﴾ بياء التذكير[٧].

---

(١) في (ف): «البلية».

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (١/ ٣٨٨).

(٣) بعدها في (ر): «كأن لم يكن بينكم وبينه مودة».

(٤) لفظ: «يتمنى» من (أ).

(٥) في (ف): «أي: يكون شهد» بدل: «أن يكون شهيد».

(٦) ذكرها ابن جني في «المحتسب» (١/ ١٩٢)، وزاد نسبتها ليزيد النحوي.

(٧) هي قراءة نافع المدني وأبي عمرو البصري وابن عامر الشامي وأبي بكر وحمزة والكسائي الكوفيين. انظر: «السبعة» (ص: ٢٣٥)، و«التيسير» (ص: ٩٦). وانظر: «الكامل» للهذلي (ص: ٥٢٨).

وقرأ الحسن: بالتَّاء؛ لأنَّ المودَّة مؤنَّثةٌ لفظاً، وقرأ عاصم[١] وأبو عمرو[٢] بالوجهين.

ووجهُ التَّذكير تقدُّم الفعلِ ودخولُ الحائل، ولأنَّ تأنيثَها غيرُ حقيقيٍّ، ولأنَّ المودَّة بمعنى الودِّ، وفي هذه الكلماتِ ثلاثةُ أوجه:

قيل: هي ملحقةٌ بالحادثة الأولى، ﴿قَالَ قَدْ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيَّ﴾[٣]، وفرحَ بسلامتِه ونكبتكم[٤]، ﴿كأنْ لم يكن بينكم وبينهُ مودَّةٌ﴾.

وقيل: هي[٥] مؤخَّرةٌ عن الحادثة الثَّانية، وتقديره: ﴿يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ مَعَهُمۡ فَأَفُوزَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾، يَحسُدُكم بالاختصاص[٦] بالغنيمة، و﴿كأنْ لم يكن بينكم وبينه مودَّةٌ﴾.

وقيل: هي مُقرَّرة[٧] على نظمها، واعتراضُه لمعنى الحال، لا[٨] لأنَّه من كلامه، تقديره: ﴿لَيَقُولَنَّ﴾، وهو بحالٍ يَظهرُ منه أنَّه يعامِلُكم معاملةَ مَن لا مودَّة بينه وبين من يعامِلُه: ﴿يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ مَعَهُمۡ﴾.

* * *

(١) هي بالتاء قراءة حفص عن عاصم (وهي أيضاً قراءة ابن كثير)، وبالياء قراءة أبي بكر. انظر: «السبعة» (ص: ٢٣٥)، و«التيسير» (ص: ٩٦).

(٢) ذكر الروايتين عنه الهذلي في «الكامل» (ص: ٥٢٨). والمتواتر عنه: «يكن» بالياء.

(٣) في (ر): «وأنعم الله»، وفي (ف): «فأنعم الله» بدل: «قال قد أنعم الله علي».

(٤) في (ر): «وبليتكم».

(٥) بعدها في (ف): «قد تكون».

(٦) في (ر): «على الاختصاص».

(٧) في (ر) و(ف): «مقدَّرة» بدل: «مقررة».

(٨) لفظ: «لا» من (أ).

(٧٤) ـ ﴿ ۞ فَلْيُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَمَن يُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَلْيُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ﴾ أكثرُ المفسِّرين على أنَّه أمرُ مغايبةٍ بالقتال للمؤمنين، و﴿يَشْرُونَ﴾ بمعنى[1]: يبيعون؛ أي: الذين يؤثرون الآخرةَ على الدُّنيا، أمرَهُم أنْ يقاتِلوا لطلبِ رضا الله، دون الغنيمة كما يقاتل المنافقون.

وقال الكلبيُّ: هذا أمرُ مغايبةٍ للمنافقين الذين تخلَّفوا عن أُحُد، و﴿يَشْرُونَ﴾ بمعنى: يشترون؛ أي: يختارونَ الحياةَ الدُّنيا على الآخرة، وتقديرُه أنَّه يقول للمنافقين: فليكونوا من الذين يقاتلون في سبيل الله، قاله الزَّجَّاج[2].

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ رويَ أنَّ الصحابة رضي الله عنهم قالوا للنبيِّ ﷺ: إنَّا نقاتل، فنَقْتُل ولا نُقْتَل في سبيل الله؛ فأنزل الله تعالى هذه الآية، وأشركَهم جميعاً في الأجر[3].

وقال الإمام أبو منصورٍ رحمه الله: في الآية دليلٌ أنَّ المرأةَ إذا سلَّمت[4] نفسَها إلى زوجِها، وجبَ لها كمالُ المهر، وإنْ لم يقبضها الزَّوج، وكذلك البائعُ إذا أسلم[5]

---

(١) في (أ): «بمعنى».

(٢) لم أقف عليه في «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٧٧)، وفيه أنه فسر ﴿يَشْرُونَ﴾ بيبيعون. ثم قال: يقال: شريت بمعنى بعت، وشريت بمعنى اشتريت.

(٣) في (ف): «الآخرة». وانظر: «تفسير مقاتل» (١/ ٣٨٩).

(٤) في (ف) و(ر): «أسلمت».

(٥) في (أ) و(ر): «سلم».

المبيعَ تأكَّدَ الثَّمنُ على المشتري، وإن لم يَقبض؛ لأنَّ الله تعالى جعل الغازي بتسليم النَّفس ـ وإن غلب ولم يقتلْه أحدٌ ـ بمنزلة مَن قتلَه المشركون[١].

* * *

(٧٥) ـ ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ استفهامٌ بمعنى التَّوبيخ.

وقال الإمام أبو منصورٍ رحمه الله: لا يُقَالُ ذلك إلَّا عند سبقِ التَّفريط، ثمَّ لم يَزُل اسمُ الإيمان عنهم، ولم يَسقُط فرضُ الجهاد عنهم، فبطَلَ بذلك قولُ الخوارجِ في مرتكب الكبيرةِ[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ﴾ عطفٌ على قوله: ﴿فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، ومعناه: في تخليص العَجزة مِن الرِّجال البالغين، والنِّساءِ، وصغار الأولادِ المقهورين في أيدي الكفَّار.

وقال الإمام القشَيريُّ: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: أيُّ شيءٍ يَمنعُكم عن القتالِ في سبيلِ الله؟ وما الذي لا يُرَغِّبكم في بذلِ المهجةِ لله؟ وماذا عليكم لو بَذلتُم أرواحَكُم في الله تعالى؟ أتخافون أنْ تخسروا على الله؟ أم لا تعلمون أنَّكم تحشرون إلى الله؟ أم لا تَكتفونَ ببقائِه بعد فنائِكم في الله تعالى؟[٣]

---

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٣/ ٢٥٥ ـ ٢٥٦).

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٣/ ٢٥٦).

(٣) «لطائف الإشارات» للقشيري (١/ ٣٤٦).

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: فيه دليلٌ أنَّ إسلامَ الصَّبيِّ العاقلِ صحيحٌ، فإنَّ ﴿وَٱلْوِلْدَٰنِ﴾ اسمٌ للصغار، وقد حثَّ المسلمين على استنقاذِهم من أيدي الكُفَّار، فدَلَّ على حكم إسلامِهم، ودلَّ على[1] أنَّ استنقاذَ الأسارى من المسلمين عن أيدي الكفَّار واجبٌ بما قدِروا عليه من القتالِ وإعطاءِ المال[2].

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا﴾؛ أي: لا حيلة لهؤلاء المستضعفين ولا ملجأ إلَّا الله، فيقولون: يا ربَّنا، أخرجنا من مكَّة التي أهلُها ظالمون بالشِّرك، وبظُلمنا بالمنعِ عن الخروج، وبحملِنا على الكفرِ بالدَّعوة إليه والتَّعذيبِ عليه.

وقوله تعالى: ﴿وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا﴾؛ أي: وهيِّئ لنا مِن عندكَ مَن يتولَّى كفايتَنا.

وقوله تعالى: ﴿وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾؛ أي: وهيِّئ لنا مِن عندكَ مَن ينصرُنا، ويمنعُنا مِن عدوِّنا، فاستجابَ اللهُ تعالى دعاءَهم، وجعلَ رسولَ اللهِ ﷺ وليَّهم، وعتَّابَ بن أسيد ناصرهم؛ قاله عطاء، فكان يَستنقِذُ واحداً واحداً منهم، ويَبعثه على يد مرثد بن مرثد[3] إلى المدينة، ولمَّا فتح اللهُ تعالى مكَّة على رسول الله ﷺ؛ استخلفَ عليها عتَّاب بنَ أسيد؛ فكان يَنصرُ الضَّعيفَ مِن القويِّ، والمظلومَ من الظالم[4].

وقال ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: كان من المستضعَفين من الرِّجال: سلمةُ بن

---

(١) لفظ: «على» من (أ).

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٣/ ٢٥٧).

(٣) «بن مرثد» ليس من (أ).

(٤) خبر استخلاف عتاب بن أسيد على المدينة ذكره أبو الليث في «تفسيره» (١/ ٣٦٨) من قول الكلبي.

هشام، والوليدُ بنُ الوليد، وعيَّاش بن أبي ربيعة، وأبو جندل بنُ سهيل وغيرُهم، ومن النساء أُمِّي، ومن الوِلدان أنا(١).

وقوله تعالى: ﴿ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا﴾ معناه: البلدةُ التي ظلَمَ أهلُها، وذكَّر؛ لأنَّه نعت الأهلَ دون القرية، وخَفَض؛ لأنَّه ذكر معها؛ وهو كقوله(٢): مررت برجلٍ حسنةٍ امرأتُه، وبامرأةٍ حسنٍ زوجُها.

* * *

(٧٦) ـ ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّـٰغُوتِ فَقَـٰتِلُوٓا۟ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَـٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: في رضا الله.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّـٰغُوتِ﴾؛ أي: الشيطان، وقيل: أي: الأصنام، والطَّاغوتُ: هو ما عُبِدَ من دون الله تعالى.

وهذا تحريضٌ للمؤمنين على الجهادِ من وجهٍ آخر(٣).

وقوله تعالى: ﴿فَقَـٰتِلُوٓا۟ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَـٰنِ﴾ هم الكفَّار.

---

(١) لم أقف عليه بهذا السياق، وأخرج البخاري في «صحيحه» (٤٥٨٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنت أنا وأمي من المستضعفين.

وأخرج البخاري (٤٥٦٠)، ومسلم (٦٧٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يقول حين يفرغ من صلاة الفجر من القراءة ويكبر ويرفع رأسه: «سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد» ثم يقول: «اللهم أنج الوليد بن الوليد وسلمة بن هشام وعياش بن أبي ربيعة والمستضعفين من المؤمنين».

(٢) في (أ): «كقولك».

(٣) لفظ: «آخر» من (أ).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ لا يدَ لَهُ على أنفُسِكم، ولا على أموالِكم، ولا على دينِكم، جبراً ولا قهراً، وإنَّما يكون منه تزيينٌ ووسوسةٌ، ثم يُسلِمُ متابعَهُ إلى الهَلَكة، ويرجع، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ﴾ الآية [الأنفال: ٤٨].

* * *

(٧٧) - ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ قال ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: إنَّ ناساً أتوا النبيَّ ﷺ بمكَّة قبل أنْ يُهاجِرَ إلى المدينة، وشَكَوا إليه ما يَلقَونَ مِن أذى المشركين، وقالوا: كنَّا في عِزٍّ في حالة[1] الجاهليَّة، والآن صرنا أذلَّةً، فلو أذِنْتَ لنا نقتل هؤلاء المشركين على فرشهم، فقال عليه السلام: «إنِّي أُمِرْتُ بالصبر، فكفُّوا أيديكم»؛ أي: أمسِكوا، ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾، فلمَّا هاجروا[2] إلى المدينة، وأمرَهم اللهُ بالقتال؛ كرِهَ بعضُ المؤمنين ذلك؛ فنزلت الآية[3].

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ﴾ أي: فُرِضَ عليهم الجهاد، ﴿إِذَا فَرِيقٌ

---

(١) في (أ): «حال».

(٢) في (أ): «هاجر».

(٣) روى النسائي في «سننه» (٣٠٨٦)، والطبري في «تفسيره» (٧/ ٢٣١)، وابن أبي حاتم (٣/ ١٠٠٥) (٥٦٣٠) نحوه مختصراً.

﴿مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ﴾ أي: خشيةَ طبعٍ، كما قال: ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ﴾ [الأنفال: ٥]؛ أي: كراهة[1] طبعٍ.

وقوله تعالى: ﴿كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً﴾[2] إدخالُ ﴿أَوْ﴾ لمعنيين:

أحدهما: الإبهام[3] على المخاطب؛ أي: هم على إحدى هاتين الصفتين.

والثاني: أنَّه للتخيير؛ أي: إن قلتَ: إنَّهم يَخشون النَّاس كخشية الله؛ فأنت مصيبٌ، وإن قلت[4]: يخشونهم أشدَّ مِن ذلك؛ فأنت مصيبٌ؛ لأنَّه حصلَ لهم ذلك وزيادةٌ.

وقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ أي: هلَّا أمهلتنا إلى الموتِ، فنموتَ على الفُرُش؟ وهو سؤال طلب حكمةٍ، لا لاعتراضٍ ومعارضةٍ، بدليل أنَّهم لم يوبَّخوا على إسداء السُّؤال، بل أجيبوا[5]، وذلك قولُه تعالى: ﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾؛ أي: التَّمتُّع بالحياةِ في الدُّنيا قليلٌ، وسينقضي عن قريب، ولو استُشهِدتم في القتال صِرتُم أحياءً، فتتَّصِلُ الحياةُ الفانيةُ بالحياةِ الباقيةِ في الآخرة.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾؛ أي: خيرٌ لمن اتَّقى[6] الله؛ فأطاعه ولم يَعصِه.

---

(١) في (ف): «كراهية».

(٢) قوله: «كخشية الله» من (أ).

(٣) في (ف): «للإبهام».

(٤) بعدها في (ر): «إنَّهم».

(٥) في (ر) و(ف): «ما وبخوا» بدل: «لم يوبخوا على إسداء السؤال بل أجيبوا».

(٦) قوله: «أي: خيرٌ لمن اتَّقى» من (ر).

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلاً﴾ قرأ أهلُ المدينة[١] وعاصمٌ وأبو عمرٍو بتاء المخاطبة[٢]؛ كما في قوله تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُّكُمُ الْمَوْتُ﴾ [النساء: ٧٨]، وقرأ أهلُ الكوفة بياء المغايبة[٣]، كما في أول هذه الآية.

والفتيلُ قد فسَّرناه في هذه السورة بتفسيرين، يقول: مَن اتَّقى الله[٤] لم يُظلَم شيئاً، وإن قلَّ عمله، بل يُضاعَفُ ثوابُه، فأنتم إذا اتَّقيتم الله، وجاهدتُم عدوَّه بأمرِه، لم يَبطُلْ سعيُكم.

وقوله: ﴿كَخَشْيَةِ اللَّهِ﴾؛ أي: كخشيتهم لله، كقوله: ﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥]؛ أي: كحبِّهم لله.

وقال الكلبيُّ: نزلت هذه الآيةُ في عبد الرحمن بنِ عَوْف، والمقدادِ بن الأسود، وقدامةَ بنِ مظعون، وسعدِ بن أبي وقَّاص، كانوا مع النبيِّ ﷺ قبل أنْ يُهاجروا إلى المدينة يَلقون مِن المشركين الأذى، فيَشتكون إلى رسولِ الله ﷺ ذلك، ويقولون: ائذن لنا في قتالِهم؛ فإنَّهم آذونا، فقال لهم رسولُ الله ﷺ: «كفُّوا أيديكم؛ فإنِّي لم أؤمر بقتالهم»، فلمَّا أُمِروا أنْ يسيروا إلى بدرٍ؛ كره ذلك طلحة بن عبيد الله وجماعةٌ وقالوا: ربَّنا لم كتبتَ علينا القتالَ، فأنزلَ اللهُ تعالى هذه الآيةَ[٥].

---

(١) منهم نافع المدني.

(٢) وهي قراءة ابن عامر أيضاً.

(٣) هي قراءة حمزة والكسائي من أهل الكوفة، وقرأ بها أيضاً ابن كثير المكي. انظر: «السبعة» (ص: ٢٣٥)، و«التيسير» (ص: ٩٦).

(٤) لفظ الجلالة «الله» من (أ).

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣/ ٣٤٥).

وقيل: الآيةُ في حقِّ بني إسرائيل؛ كما قال في سورة البقرة: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ﴾ الآيات على ما بيَّنا.

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: مكَّنك من الدُّنيا، ثمَّ قلَّلها، فلم يَعُدَّها لك شيئاً، ثمَّ لو تصدَّقتَ منها بشِقِّ تمرةٍ، استكثَره منك، وهذا غايةُ الكرم وشرط المحبَّة؛ وهو استقلالُ الكثيرِ مِن نفسِه، واستكثارُ القليلِ مِن حبيبه.

قال: وإذا كانت قيمةُ الدُّنيا قليلةً، فأخسُّ مِن الخسيس مَن رضيَ بالخسيس بدلاً عن النَّفيس.

وقال: إنَّ الله تعالى اختطفَ[1] المؤمنَ مِن الكون بالتَّدريج، فقال أوَّلاً: ﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾ فاختطفهم[2] عن[3] الدُّنيا بالعُقبى، ثمَّ استلبَهم عن الكونين بقوله: ﴿وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ [طه: ٧٣][4].

* * *

(٧٨) ـ ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ۗ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ﴾ تكتب ﴿أَيْنَمَا﴾ موصولةً ههنا، ومفصولةً في قوله تعالى: ﴿أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [الأعراف: ٣٧]؛ لأنَّ (ما) في الأولى صلةٌ زيدت للشَّرط، فاتَّصلت به؛ كما في «حيثما» و«كيفما» و«مهما»،

---

(١) كذا في النسخ، ووقع في «لطائف الإشارات»: «اختلع» بدل: «اختطف».

(٢) في مطبوع «لطائف الإشارات»: «فأحفظهم».

(٣) في (أ): «من».

(٤) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (١/ ٣٤٨).

وفي الثانية اسمٌ بمعنى: الذي، تقديرُه: أين الذي كنتُم تَدعون؟ فكان اسماً مستقلًّا بنفسِه، فلم يوصَل بغيرِه.

و﴿تَكُونُواْ﴾ جُزِمَ بالشَّرط، و﴿يُدْرِككُّمُ﴾ جُزِمَ لأنَّه جزاءُ الشَّرط، يقول: حيثُما كنتُم أدرككُمُ الموتُ، وهو تحريضٌ على الجهاد أيضاً؛ أي: ليس التَّخلُّف عن الجهاد بدافعٍ للموت، وإذا أدرككم الموتُ[1] لا محالة، فالموتُ في الجهاد[2] أنفعُ وأرفع.

وقال الكلبيُّ: لـمَّا قال المنافقون في شهداء أُحُد: لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا، أنزل اللهُ تعالى هذه الآيةَ[3].

وقيل: هو جوابُ قولهم: ﴿لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ﴾ الآية.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ البرجُ: الحصنُ، وقيل: القصرُ، وقيل: البناءُ العالي، وقيل: هنَّ بروجُ السَّماء الاثني عشر. وهذا قول الرَّبيع بن أنس والسُّدِّيِّ[4]، قال تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ﴾ [البروج: ١].

وقوله: ﴿مُّشَيَّدَةٍ﴾ قرأ مجاهدٌ بفتح الميم وتخفيف الياء[5]؛ كما في قوله: ﴿وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾ [الحج: ٤٥]، وقراءةُ العامَّة: ﴿مُّشَيَّدَةٍ﴾ بضمِّ الميم وتشديد الياء[6]،

---

(١) بعدها في (ر): «أدرككم».

(٢) من قوله: «أيضاً أي ليس التخلف» إلى هنا ليس في (ف).

(٣) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ١٦٠) من طريق أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنه.

(٤) نص قول الربيع: ولو كنتم في قصور في السماء، ونص قول السدي: وهي قصور بيض في السماء الدنيا مبنية. انظر: «تفسير الطبري» (٧/ ٢٣٦ ـ ٢٣٧).

(٥) ذكرها الكرماني في «شواذ القرآن» له (ص: ١٣٨) عن زيد بن علي.

(٦) من قوله: «كما في قوله: ﴿وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾» إلى هنا ليس في (أ).

والمخفَّف مِن: شادَ البناءَ يَشيده شيداً؛ أي: رفعَهُ وطوَّله، والمشدَّد من: شيَّدَهُ يُشيِّدُه تشييداً؛ أي: زيَّنهُ وطلاهُ بالشِّيد؛ أي: الجصُّ.

وقيل: على عكسه.

وقال الفرَّاء والكسائيُّ: هما واحدٌ للرَّفع والتَّطويل، إلَّا أنَّ التخفيفَ لأصل الفعل، والتَّشديدَ لتكثيره وتكريره[١]؛ كما في الفَتح والتَّفتيح، والقتلِ والتَّقتيل[٢].

وفي التَّفسير أنَّها الحصون الحصينة.

وقيل: هي القصورُ المرتفعةُ إلى عَنانِ السَّماء.

وقيل: هي منازلُ القمرِ التي في السَّماء.

وقال مجاهدٌ في هذه الآية: كان فيمن كان قبلكم امرأةٌ، وكان لها أجيرٌ، فوَلدَتْ جاريةً، فقالت لأجيرِها: اقتبسْ لنا ناراً، فخرجَ، فوجد بالباب رجلاً، فقال له الرجل: ما ولدت هذه المرأةُ؟ قال: جاريةً، قال: أما إنَّ هذه الجاريةَ لا تموتُ حتَّى تزنيَ بمئةٍ، ويتزوَّجها أجيرُها، ويكون موتُها بالعنكبوت. فقال الأجير في نفسه: فأنا أريدُ هذه بعد أنْ تَفجُر بمئةٍ؟ لأقتلنَّها، فأخذ شفرةً، فدخلَ، فشقَّ بطن الصبيَّة[٣]، وخرجَ على وجهِه، وركبَ البحرَ، وخيطَ بطنُ الصبيَّة، فعولِجَت وبَرِئت، وشبَّت، فكانت تَزني، فأتت ساحلاً مِن سواحل[٤] البحر، فأقامَت عليه تَزني.

ولبِثَ الرَّجلُ ما شاء الله، ثمَّ قَدِمَ ذلك السَّاحل، ومعه مالٌ كثيرٌ، فقال لامرأةٍ

---

(١) في (أ): «ولتكريره».

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٢٧٧).

(٣) في (ف): «الصغيرة».

(٤) في (ر) و(ف): «ساحل».

من أهل السَّاحل: اطلُبي لي امرأةً[١] مِن أجملِ امرأةٍ في القريةِ[٢] أتزوَّجها، فقالت: هاهنا امرأةٌ مِن أجمل النِّساء، ولكنَّها تفجر، فقال: ائتيني بها، فأتتها فقالت[٣]: قَدِمَ رجلٌ له مالٌ كثيرٌ، وقال لي كذا، فقلت كذا، فقالت: إنِّي تركتُ الفجورَ، ولكن إنْ أراد تزوَّجتُه.

قال: فتزوَّجَها، فوقعَتْ منه موقعاً، فبينا[٤] هو يوماً عندها، إذ أخبرَها بأمرِه، فقالت: أنا تلكَ الجارية ـ وأرتهُ الشقَّ في بطنها ـ وقد كنتُ أفجرُ، فما أدري بمئةٍ أو أقلَّ أو أكثر، قال: فإنَّه قال لي[٥]: يكون موتها بالعنكبوت[٦]، قال: فبَنى لها بُرجاً في الصَّحراء وشيَّده، فبينما هما[٧] يوماً في ذلك البرج، إذا عنكبوتٌ في السَّقف، فقالت: هذا يقتلُني[٨]، لا يقتله أحدٌ غيري، فحرَّكتهُ، فسقطَ، فأتتهُ فوضعَت إبهامَ رجلِها عليه، فشَدَختهُ، وساحَ[٩] سمُّه بين ظُفرِها واللَّحم[١٠]، فاسودَّت رجلُها،

---

(١) بعدها في (أ): «جميلة».

(٢) في (ف): «النساء» بدل: «امرأةٍ في القرية».

(٣) بعدها في (ف): «قد».

(٤) في (ر) و(ف): «فبينما».

(٥) قوله: «قال فإنه قال لي» وقع مكانه في (ر): «قال: أي: الأجير فإنه قال أي: قال الرجل الذي خارج الباب». ووقع مكانه في (ف): «فقال زوجها في نفسه: إن الرجل الذي كان خارج الباب قال»، والمثبت من (أ)، وهو موافق لما في «تفسير الطبري».

(٦) بعدها في (ف): «ثم أخبرها بذلك».

(٧) في (ر) و(ف): «هي».

(٨) بعدها في (ر) و(ف): «لأقتلنَّه؛ أي».

(٩) في النسخ الخطية: «فساخ»، والمثبت من «تفسير الطبري».

(١٠) في (أ): «ولحمها».

فماتت، وفي ذلك نزلت هذه الآية: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾[١].

وقوله تعالى: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِ اللَّهِ﴾ يقول: إنْ أصابت هؤلاء المنافقين حالةٌ حسنةٌ؛ نصرٌ وغنيمةٌ، أو خِصْبٌ وسَعةٌ، أو أمنٌ وعافيةٌ[٢]، ﴿يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِ اللَّهِ﴾؛ أي: بعطاء الله تعالى.

وقوله تعالى: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾؛ أي: وإن أصابتهُم حالةٌ سيِّئةٌ؛ قتلٌ أو هزيمةٌ، أو جدبٌ أو بليَّةٌ، وبلاءٌ وشِدَّةٌ، ﴿يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِكَ﴾؛ أي: بسببِك يا محمَّد؛ يتطيَّرون بك؛ كما قال ذلك قوم موسى: ﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَٰذِهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ﴾ [الأعراف: ١٣١]، وكما قال قوم صالح عليه السلام: ﴿اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ﴾ [النمل: ٤٧]، وآخرون قالوا: ﴿إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ﴾ [يس: ١٨].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ﴾؛ أي: قل يا محمَّدُ: كلُّ ذلك بتقديرِ الله، وهو سنَّة اللهِ تعالى في خلقه، قال تعالى: ﴿وَبَلَوْنَاهُم بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ﴾ [الأعراف: ١٦٨]، وقال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ﴾ [الأعراف: ٩٤].

وقوله تعالى: ﴿فَمَالِ هَٰؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ استفهامٌ بمعنى التَّوبيخ، والقومُ هم المنافقون، والفقهُ: الفَهمُ، و﴿حَدِيثًا﴾ نكرةٌ في موضع[٣] النَّفي فتعمُّ؛ أي: يقولون ذلك عن قلَّة معرفةٍ، وغَلَبةِ جهلٍ، لا يَفهمون شيئاً ممَّا قيل لهم على وجهه.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٢٣٥ ـ ٢٣٦) ومن طريقه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣/ ٢٨٨)، ورواه بنحوه الطبري في «تفسيره» (٣/ ١٠٠٧ ـ ١٠٠٨) (٥٦٤٠).

(٢) بعدها في (ر) و(ف): «وقوله».

(٣) لفظ: «موضع»: من (أ).

(٧٩) ـ ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾.

وقال الكلبيُّ: هي في المنافقين ويهود المدينة، هم قالوا ذلك، والردُّ عليهم جميعاً قولُه تعالى: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ أي: ما نالَك يا محمَّدُ مِن حالةٍ حسنةٍ، فهي من فضلِ الله عليك، لا باستحقاقِك [١] بنفسك.

وقال ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: أي: ما أصابَك من ظَفَرٍ أو سرورٍ؛ فمِن الله، لا بحيلتِك [٢] ومَقدرتكَ [٣].

وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾؛ أي: وما نالكَ مِن حالةٍ سيِّئةٍ فبسبب زَلَّةٍ منك، خاطبَ النبيَّ ﷺ، وأرادَ به [٤] أُمَّته.

وقال ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: أي: وما أصابَك وأصحابَك من مكروهٍ مِن العدوِّ وغيره فمِن نفسِك؛ أي: بذنوبِكم، وأنا قضيتُ ذلك عليكم [٥].

وفي قراءة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: (فمن نفسك وأنا قَدَّرتُها عليك) [٦]،

---

(١) في (ف): «فضل من الله لا استحقاق» بدل: «من فضل الله عليك، لا باستحقاقك».

(٢) في (أ): «بجبلتك».

(٣) في (ر): «وقوَّتك». والأثر رواه بنحوه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ١٠١٠) (٥٦٥٥)، (٥٦٥٦).

(٤) في (ف): «وأدبه وأدب» بدل: «وأراد به».

(٥) رواه بنحوه ابن أبي حاتم (٣/ ١٠١٠) (٥٦٥٧).

(٦) انظر القراءة في «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٣/ ٢٦٦)، وذكرها ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٢/ ٨٢) ونسبها لأبيّ وابن مسعود، وذكرها الكرماني في «شواذ القراءات» (ص: ١٣٩)، وزاد نسبتها لابن عباس وأبيّ وعلي بن الحسين وجعفر بن محمد وزيد بن علي. وانظر: «البحر المحيط» (٧/ ٢٠٩).

وهو ثابتٌ بالكتاب[١] أيضاً بما تقدَّم؛ وهو قوله تعالى: ﴿قُلۡ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ﴾.

وقال عطيَّة العوفيُّ: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٖ﴾ يوم بدرٍ ﴿فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ﴾ يوم أحدٍ؛ فمِن نفسك[٢]؛ أي: بذنبِ أصحابك، حيث تَركوا أمرَك، وأخلُّوا بالمركز؛ نظيرُه قولُه تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ﴾ [الشورى: ٣٠]، وقال: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ يَدَاكَ﴾[٣] [الحج: ١٠]، وقال: ﴿قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡ﴾ [آل عمران: ١٦٥]، وقال تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ﴾.

وتعلَّقت المعتزلةُ بظاهرِ هذه الآية، وحمَلت الحسناتِ على الطَّاعات، والسيِّئاتِ على المعاصي، وقالوا: أخبرَ اللهُ تعالى أنَّ الحسناتِ مِن الله، والسَّيِّئات مِن نفسِه، ولا متعلَّق لهم، فإنَّهم لا يقولون: الحسناتُ مِن الله خلقاً وإيجاداً، فلا حجَّة لهم[٤] في ذلك[٥].

وعندنا: الحسنةُ والسيِّئةُ في هذه الآية كالحسنة والسِّيئة المذكورتين في قوله تعالى: ﴿وَبَلَوۡنَٰهُم بِٱلۡحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [الأعراف: ١٦٨]، وقد جاء عن الصَّحابة والتَّابعين في تفسير هذه الآيةِ والآية التي قبلها أنَّ ذلكَ على الغنيمةِ والهزيمة، والخِصبِ والجَدْبِ، والنِّعمةِ والمحنة، ودلَّ ظاهرُ النظم عليه؛ فإنَّه قال: ﴿مَّآ

---

(١) لفظ: «بالكتاب» ليس في (أ).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٢٤٢)، وابن أبي حاتم (٣/ ١٠١٠) (٥٦٥٣)، (٤٦٥٤)، (٥٦٥٨) لكن من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وروى ابن أبي حاتم (٥٦٥٧) من طريق عطية العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) في (ف): «أَيْدِيكُمْ»، وهي في آل عمران الآية (١٨٢)، وفي الأنفال الآية (٥١).

(٤) بعدها في (ر): «فيه».

(٥) في (ف): «فيه لهم» بدل: «لهم في ذلك».

أَصَابَكَ﴾، ولَمْ يقلْ: ما أصبتَهُ، وفي العمل يُذكر كذلك، وهو احتجاجُ الحسين بن الفضل البجليِّ[١] رحمَهُ الله، فإنَّه احتجَّ على المعتزلةِ بهذا الوجه.

وجوابٌ آخرُ أشار إليه الإمام أبو منصورٍ رحمه الله: أنَّه يجوز أنْ يكون أراد به الحسنةَ التي هي الطَّاعة، والسيِّئة التي هي المعصية، ويجوز أنْ يُقال في ذلك: ﴿مَآ أَصَابَكَ﴾؛ لأنَّ ما أصابك فقد أصبتَه، وهو كقوله تعالى: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٤]، **وقوله تعالى**: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا﴾ [مريم: ٦١]، ويكونُ هذا تعليماً للنبيِّ ﷺ وأُمَّته أنَّهم في حقِّ الطاعة يَنبغي لهم أن يُضيفوا ذلك إلى الله تعالى؛ ليروا منه الفضلَ والمنَّة، ويتضرَّعوا إليه، ولا يُضيفوهُ إلى أنفسِهم؛ كيلا يُبطِلوهُ بالعُجب والرِّياء والسُّمعة، ولا يَعتمدوا عليه، وفي حقِّ المعصية يُضيفون ذلك إلى أنفُسِهم؛ حياءً وندماً مِن ذنوبهم[٢]، ولا يُضيفون ذلك إلى الله؛ تمهيداً لعذر أنفسهم[٣].

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ فضلاً، ﴿وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ كَسْباً، وكلاهما من الله تعالى خَلْقاً[٤].

وقوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا﴾ فمنكَ الدَّعوةُ وتبليغُ الرِّسالة، وليس إليك الحسنةُ والسيِّئة.

وقوله تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ أي: عليك وعليهم، يجزي كلًّا بما شَهِدَ عليه.

وقيل: أي: شاهداً بأنَّك رسولُه.

---

(١) هو العلامة المفسر اللغوي المحدث، أبو علي البَجَليُّ الكوفي النيسابوري، إمام عصره في معاني القرآن، توفي سنة (٢٨٢هـ). انظر: «سير أعلام النبلاء» (١٣/ ٤١٤ ـ ٤١٦).

(٢) في (ف): «أنفسهم».

(٣) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٣/ ٢٦٧ ـ ٢٦٨).

(٤) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (١/ ٣٤٩).

(٨٠) ـ ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ في الدُّعاء إلى القتال وغيرِه.

وقوله تعالى: ﴿وَمَن تَوَلَّىٰ﴾[١] أي: أعرضَ عن طاعتِك يا محمَّد. رجع الكلامُ إلى المخاطبة بعد المغايبة، وهو متعارفُ أهلِ الفصاحة، وأحدُ أنواع البلاغة.

وقوله تعالى: ﴿فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾؛ أي: رقيباً عليهم، تُجبِرُهم على الإخلاص، وتعاقِبُ[٢] في تركِ ذلك.

وقيل: أي: ومَن أعرض، فلا حرجَ[٣] عليك؛ لأنَّك لم تُرسَلْ حفيظاً عليهم تحفظُهم عن المعاصي فلا يَعصوا.

وقيل: فما أرسلناكَ حفيظاً تَطَّلع على سرائرهم، إنَّما عليك أنْ تُعامِلهم على ظواهِرهم.

وقال مقاتل: قال النبيُّ ﷺ: «من أحبَّني فقد أحبَّ الله، ومَن أطاعني فقد أطاع الله»، فقال المنافقون: أما ترون هذا الرجل يَنهانا أنْ نعبدَ غيرَ الله، ويريدُ أنْ نتَّخذه حناناً، كما اتَّخذت النَّصارى عيسى بن مريم حناناً؟! فنزلَت هذه الآية[٤].

* * *

(٨١) ـ ﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا۟ مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُۖ وَٱللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَۖ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾.

---

(١) بعدها في (ف): «﴿فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ ومن تولى».

(٢) في (أ): «ويعاتب».

(٣) في (ف): «جناح».

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» (١/ ٣٩٢).

وقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ﴾؛ أي: يقول المنافقون: هذه طاعةٌ، أو: مِنَّا طاعةٌ، أو: لأمرك طاعةٌ، يقولون هذا بحضرتِك.

وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِندِكَ﴾ أي: خَرجوا وغابوا.

وقوله تعالى: ﴿بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ﴾ قال أبو عبيدة: ﴿بَيَّتَ﴾ أي: غيَّر، لغة طيِّئ[1].

وقيل: دبَّر ليلاً، من: بات يبيت بيتوتةً للازم، وبيَّتَ تبييتاً للمتعدِّي.

وقيل: أي: ألَّف وزخرفَ وغيَّر الذي تقول[2]؛ أي: قولاً غير الذي تقول يا محمَّد.

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ﴾؛ أي: يأمرُ الملائكة بانتساخِه، ويُحاسِبُهم به[3] يومَ القيامة، ويُجازيهم عليه.

وقيل: أي: يُنزِل بذلك كتاباً على نبيِّه ﷺ، فيَهتِك أستارَهم بما أخفوهُ باللَّيل.

وقوله تعالى: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ أي: عن مكافأتهم للحال، ونُسِخ ذلك بالأمر بالقتال.

وقيل: أي: لا تتكلَّف لإظهارِ سرِّهم والتطلُّع عليه، فأنا أُطلِعُك عليه؛ إظهاراً لصدق دعواك.

وقوله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ أي: اعتمِد عليه، وثِقْ به؛ فإنَّه يكفيكَهُم[4].

---

(١) كذا قال، والذي في «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١/ ١٣٢) أنه فسر ﴿بَيَّتَ﴾ بـ: قدَّر. وانظر رواية تفسير التبييت بالتغيير عن لغة طيئ في «تفسير الطبري» (٧/ ٤٧٢).

(٢) من قوله: «قال أبو عبيدة» إلى هنا ليس في (ف).

(٣) في (ف): «عليه».

(٤) في (ف): «يكفيك».

وقوله تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ أي: كافياً ومتولِّياً وناصراً.

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: ﴿ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ ﴾ إذا حضروك استسلموا في مشاهدَتِك، فإذا خرجوا انقطعَ عنهم نورُ إقبالِك، فعادوا إلى ظلماتِ نفاقِهم في مخالفتِكَ، قال قائلهم:

إذا ارْعَوى[1] عادَ إلى جَهلِه كذي[2] الضَّنى عادَ[3] إلى نُكْسِهِ[4]

* * *

(٨٢) ـ ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ استفهامٌ بمعنى الأمر، كقوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [المائدة: ٧٤].

والتَّدبُّر: النَّظر في دُبُر الأمر؛ أي: عاقبته، وهو قريبٌ من التَّفكُّر، غير أنَّ[5] التَّفكُّر تصرُّف القلب بالنَّظر في[6] الدَّلائل، والتَّدبُّر تصرُّفه بالنَّظر في العواقب، والتَّدبُّر في القرآن: التأمُّلُ في معانيه بعد تلاوتِه أو سماعه، أو طلبُ ما يؤول إليه ظاهرُه مِن المعنى المرادِ به.

ودلَّ هذا على بطلانِ التَّقليد، ووجوبِ طلبِ الدَّليل، وأنَّه حظُّ أهلِ العلم،

---

(١) في (ف): «الغوى».

(٢) في النسخ الخطية: «كذا»، والمثبت من المصادر.

(٣) في (أ) و(ر): «رد».

(٤) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (١/ ٣٤٩). والبيت لصالح بن عبد القدوس، انظر: «البيان والتبيين» للجاحظ (١/ ١٢٠)، و«طبقات الشعراء» لابن المعتز (ص: ٨٩).

(٥) من قوله: «وقوله تعالى: أفلا يتدبرون» إلى هنا ليس في (أ).

(٦) في (ر): «إلى».

وهم الخاصَّة، وعلى العامَّة اتِّباعُهم فيما فهموهُ منه[١]، وأخبروهم[٢] به.

وقال القشيريُّ رحمه الله: التدبُّر: إثارةُ المعاني بغوصِ الأفكار، واستخراجُ جواهرِ المعاني بدقائقِ الاعتبار[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا﴾؛ أي: ولو لم يكن كلامُ الله الحكيم منزَّلاً من عنده، وكان مِن كلام البَشر، لم يخلُ مِن أنْ يَلحقَهُ اختلالٌ في نظمِه أو معناه، وتناقضٌ فيما ذُكِر فيه؛ لأنَّ المتعارَفَ في الخطيبِ الفصيح البليغ منَّا أنَّه إذا كثُرَ كلامُه، اختلَّ نظامُه، واختلفَتْ أقسامُه، خصوصاً إذا تَطاولت في تفاريقِ كلامِه أيَّامُه[٤].

وقيل: ﴿لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا﴾ فيما أخبرَ النبيُّ ﷺ عن أَشياءَ تكونُ وتَظهرُ بخلافِه، كما كان يَقعُ ذلك في كلامِ كهنتِهم، ولـمَّا ظهرَ جميعُ ما أخبرَ عنه كما أخبر عنه؛ ثبتَ أنَّه مِن عند اللهِ الصَّادقِ الحكيم، الخبير العليم.

فأمَّا اختلافُ القراءات[٥]؛ فكلُّها منزَّلة، وأمَّا اختلافُ الآيات الناسخة والمنسوخة؛ فإنَّ كلَّ حُكمٍ كان في غير زمانِ الحكمِ الآخر، فلم يكن اختلافاً، وأمَّا اختلافُ المفسِّرين في التَّفسير والتَّأويل، فهو الكلام[٦] في محتملاتِ الظَّواهر ومدلولاتِها، ويَحتملُ أنْ تكونَ كلُّها مرادةً بها، وأمَّا اختلافُ العلماءِ في أحكام منها،

---

(١) في (ف): «منهم».

(٢) في (أ): «وأخبروه».

(٣) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (١/ ٣٥٠).

(٤) لفظ: «أيَّامه» ليس في (أ).

(٥) في (أ): «القراءة».

(٦) في (ف): «للكلام».

مع رجوعهم جميعاً إلى التعلُّق بها؛ فذاك اختلافُهم لا اختلافُه؛ وهو كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ﴾ [هود: ١١٠]، وذاك لا يُوجِب اختلافَ التَّوراة، وكقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩]، ﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ﴾ [البقرة: ٢١٣]، ولم يوجبْ ذلك اختلافَ الدِّين، وما يَتعلَّقُ المُلحِدةُ[١] به من آياتٍ[٢] يدَّعون فيها الاختلاف، فقد تفصَّى[٣] عنه أهلُ الحقِّ، وستجدُها مشروحةً في كتابنا هذا في مواضعها إنْ شاء الله تعالى.

* * *

(٨٣) - ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ﴾ هذه الآيةُ والتي قبلها في المنافقين أيضاً، يقول: إذا أتى المنافقين خبرُ أمنٍ للسَّرايا التي بعثَها النبيُّ ﷺ، أو خبرُ خوفٍ لهم، أفشَوه.

وقد ذاعَ ذُيوعاً، وأذاعَهُ غيرُه إذاعةً، وأذاعَ به أيضاً، وشاعَ كذلك، وأشاعه للتعدية، وهو انتشارُ الأمرِ وظهورُه بين النَّاس، وإنَّما ذمَّهم بذلك؛ لأنَّهم كانوا يَتسارعون إلى نشرِه قبلَ تحقُّقه والعلمِ بتفصيلِه؛ لتَختلفَ التَّأويلات مِن سامعِيه، وفيه وقوعُ الفتنة، نحو أن يقعَ[٤] الخبر أنهم غلبوا العدوَّ، فإذا نشروا أنَّ الأمرَ قد تمَّ،

---

(١) في (أ): «الملاحدة».

(٢) في (ف): «الآيات».

(٣) تفصى: تخلص من المضيق والبلية. انظر: «مختار الصحاح» (مادة: فصا).

(٤) في (أ): «نفع».

يتخلَّفُ الـمَدَدُ، وربَّما يُحتاج إليه، أو يقعُ نوعُ وهنٍ، فإذا نشروا أنَّ الدَّبرَةَ وقعَت على المؤمنين بالكلِّيَّة، جَبُنَ الباقون عن الخروج.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ﴾؛ أي: تركوهُ حتَّى يُخبِرهم الرَّسولُ وهو حقيقةٌ؛ لأنَّه يُخبِرُ عن الله بإخبارِه[1] الصِّدقَ.

وقوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ﴾ أي: أمراءِ السَّرايا؛ ليُخبِروهم عن عَيانٍ، وهو على وجهِه وتمامِه.

وقوله تعالى: ﴿لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡ﴾ أي: لوصلَ إلى حقيقةِ علمِه الذين يَستخرجونَ الخبرَ من أمراء السَّرايا والرَّسول.

والاستِنْباطُ: الاستخراج، والنَّبَط: الماء الذي يُخرَجُ مِن البئرِ أوَّلَ ما تُحفَرُ، وأنبطَ فلانٌ واستنبط؛ أي: استخرجَ هذا الماءَ، والنَّبَطُ: جيلٌ من الناس، سمُّوا به لاختصاصهم باستخراج العيونِ والآبار. وقيل: لأنَّهم استُخرِجوا من أرضِهم إلى غيرِها.

وقيل: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ﴾؛ أي: رجَعوا إليه في الاستخبار، ﴿وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ﴾ أي: إلى الذين يَدخلون على النبيِّ ﷺ، ويَلوْنَ أمرَهُ؛ كالخلفاء الرَّاشدين الأربعة، وكبارِ الصَّحابة رضي الله عنهم، لعلِمَه المستنبطون؛ أي: الباحثون بالسُّؤال عن النبيِّ ﷺ. وقوله: ﴿مِنۡهُمۡ﴾ للتبعيض؛ أي: بعضُ كبارِ الصحابة علموا ذلك بالبحث، ثمَّ أخبروا الناسَ عن حقيقتِه.

وقوله تعالى: ﴿أَذَاعُواْ بِهِۦ﴾ هذا وصفٌ للمنافقين بالإرجاف؛ وهو كقوله تعالى: ﴿لَّئِن لَّمۡ يَنتَهِ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ وَٱلۡمُرۡجِفُونَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ﴾ الآية [الأحزاب: ٦٠].

---

(١) في (ف): «بأخبار».

وقيل: معنى الآية: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ ﴾ ﴿إِلَّا قَلِيلًا ﴾، فالمذكورُ في آخرِ الآية مُلحَقٌ بهذا الموضع معنًى، **وقوله تعالى**: ﴿أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ﴾ أي: نشروا به؛ أي: نشروا[1] كلَّه؛ يعني: إذا كان الخبرُ سارًّا للمؤمنين، ذكروا بعضَهُ نفياً للتُّهمةِ، ولم يبيِّنوا تمامَه؛ كراهةَ الخيرِ لأهلِ الإيمان والمعرفة، وإذا كان الخبرُ محزناً[2]، نشروا كلَّه؛ تحزيناً للمؤمنين بالشِّدَّة والنكبة[3]؛ وهو كقوله تعالى: ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا ﴾ [آل عمران: ١٢٠].

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ﴾ أيُّها المخلِصون.

وقوله تعالى: ﴿لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾؛ أي: في إذاعة الخبر.

وقيل: هو على العموم، وهو متابعةُ الشَّيطان في الكفر والمعاصي.

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا قَلِيلًا ﴾ قيل: هو متَّصلٌ بقوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَذَاعُواْ بِهِۦ﴾؛ أي: أفشوه إلَّا قليلاً منهم.

وقيل: هو متَّصلٌ بقوله: ﴿لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ﴾ ﴿إِلَّا قَلِيلًا ﴾[4].

وقيل: هو مقرَّرٌ في موضعه ﴿لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾، وهذا مشكلٌ لو حُمِلَ على مطلقِ الفضلِ والرَّحمةِ؛ لأنَّه يصيرُ تقديرُه: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ لا يتَّبعونه بدون فضلِ الله ورحمتِه. وهذا لا يستقيم؛ لأنَّه لا عصمةَ إلَّا بالله، لكن تأويلُه: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ﴾ بإرسال محمَّدٍ

---

(١) قوله: «به أي نشروا» من (ف).

(٢) في (أ): «مجزياً» بدل من «الخبر محزناً».

(٣) في (أ): «والبلية».

(٤) ما بين معكوفتين زيادة من (أ). وفي (ف): «لعلمه الذين يستنبطونه إلا قليلًا».

﴿وَرَحْمَتُهُ﴾ بإنزال القرآن، ﴿لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ لا يتَّبعونه بالعقل؛ كزيدِ ابن عمرو بن نُفَيل، وقَسِّ بنِ ساعدة، وبَحيرا الرَّاهب، وورقةَ بنِ نوفل، وسيف بن ذي يزن، وآخرين.

وقيل: ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ هم الأطفالُ ومَن لم تبلغْهُ(١) الدَّعوة.

* * *

(٨٤) ـ ﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ الفاء للوصلِ بقولِه: ﴿وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ﴾ [النساء: ٧٤]، وقيل: للوصلِ بقوله: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [النساء: ٧٥]؛ ذكرهما الزَّجَّاج(٢).

وقيل: للوصل بقوله: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ﴾ ﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ ولا تَلتفِت إلى صنيعِهم.

وقوله تعالى: ﴿لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ﴾؛ أي: لا تُلزَمُ الكلفةَ في الجهاد يا محمَّدُ إلَّا في نفسِك، فاخرجْ وإن لم يُساعِدك أحدٌ، ولا شيءَ عليك بتخلُّفهم؛ وهو كقوله تعالى: ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٥٢]، ولا تُعذَرُ أنت ببقائِك وحدَك.

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: أي: استقِم معنا بتسليمِ الكُلِّ منك إلى أمرِنا،

---

(١) في (ف): «تبلغهم».

(٢) في «معاني القرآن» له (٢/ ٨٤ ـ ٨٥).

فإنَّك كما لا يُقارِبكَ[١] أحدٌ في رتبتكَ؛ لعلوِّك على الكلِّ، لا نكلِّفُ[٢] غيرَك[٣] بمثل ما تُكلَّف[٤]، ولا نصرِّفُ[٥] سواكَ فيما تُصرَّف؛ لانفرادِكَ عن أشكالِك، وتوحُّدِكَ عن أمثالِك[٦].

وقوله تعالى: ﴿وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: حُثَّهم على الجهادِ بذكرِ الثَّوابِ والعقاب، أو[٧] بما فيه من إعزازِ الدِّين وذبِّ الأعداء عن حوزةِ المسلمين، أو بوعدِ النُّصْرة والغنيمةِ والتَّمكين[٨]، أو بما ذُكِر بعدَه، وهو قولُه[٩] تعالى: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾، و﴿عَسَى﴾ مِن الله واجبٌ؛ لأنَّه إطماعٌ، والكريمُ إذا أطمَعَ أنجزَ، والكَفُّ: المنع، والبأسُ في الأصل: المكروه، ثمَّ يُوضَع موضعَ الحرب، قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الأحزاب: ١٨]، وكان جُبنهُم لشِدَّة بأسِ الكفَّار، فأمرَه بالتَّحريضِ بهذا الإطماع.

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا﴾؛ أي: بأسُ اللهِ الذي يوقِعُه بالمخالفين أمرُهُ أشدُّ، وتنكيلُه ـ أي: تعذيبُه ـ كذلك، وهو الإبلاغُ في العقوبةِ على وجهٍ يَقعُ به نكولُ الغيرِ عن مثل تلك الجناية، ويجوز أن يكونا جميعاً في الدُّنيا،

---

(١) في (ر) ومطبوع «لطائف الإشارات»: «يقارنك».

(٢) في (أ): «يكلف».

(٣) بعدها في (أ) و(ر): «به».

(٤) في (ف): «تكلفك» بدل «ما تُكلَّف».

(٥) في (أ): «يصرف».

(٦) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (١/ ٣٥١).

(٧) في (أ): «أي».

(٨) في (ف): «والتمكن».

(٩) في (ر) و(ف): «وقوله» بدل: «وهو قوله».

ويجوزُ أن يكون أحدُهما في الدُّنيا، والآخرُ في الآخرة[١]، ثمَّ له ثلاثةُ أوجهٍ:

أحدُها: أنَّ معناه أنَّ عذابَ اللهِ أشَدُّ مِن جميعِ ما يَنالُكم بقتالِهم؛ لأنَّ مكروهَهم يَنقطعُ، ثمَّ يَصيرون إلى الجنَّة، وما يَصِلُ إلى المنافقينَ والكفَّار مِن عذابِ الله تعالى يَدومُ ولا يَنقطِع.

والثَّاني: ولـمَّا كان عذابُ الله أشدَّ، فهو أولَى أنْ يُخَاف، فلا[٢] يجري في أمرِه بالقتال منكم خلافٌ، وهذا وعيدٌ.

والثَّالثُ: ولـمَّا كان عذابُ الله أشدَّ؛ فهو يَدفعُهم عنكم، ويَكفيكُم أمرَهم، وهذا وعدٌ[٣].

وقال الكلبيُّ: لـمَّا[٤] التقى النبيُّ ﷺ وأبو سفيانَ يومَ أُحُدٍ، وكان منهم ما كان؛ رجعَ أبو سفيان إلى مكَّةَ، وواعدَهُ النبيُّ ﷺ موسمَ بدرٍ الصُّغرى؛ وهو سوقٌ يقوم في ذي القعدة، فلمَّا جاء الميعادُ؛ قال النبيُّ ﷺ للناس: «اخرجوا إلى العدوِّ»، فكرهوا ذلك؛ فنزلت هذه الآية، فقامَ النبيُّ ﷺ على المنبرِ خطيباً، وقال في خطبته: «لا أبالي مَن نصرني ومن خَذلني بعد ما قال اللهُ تعالى لي: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾»، ثمَّ نزلَ ولَبِسَ السِّلاحَ، وخرجَ واتَّبعَهُ سبعون راكباً، حتَّى أتى موسمَ بدرٍ، وكفَّ الله بأس الذين كفروا، ولم يوافِ أبو سفيان، ولو لم يتبعْ رسولَ الله ﷺ أحدٌ؛ لمضى بنفسِه، حين قال الله تعالى: ﴿لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ﴾، وقد بيَّنَّا تلك القصَّة عند قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [آل عمران: ١٧٢].

---

(١) في (ر): «العقبى».

(٢) في (ر) و(ف): «ولا».

(٣) في (ف): «وعيد».

(٤) في (ف): «فلما».

(٨٥) ـ ﴿ مَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ مَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ﴾(١)؛ أي: في تحريضِ المؤمنين على الجهاد ﴿يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا﴾؛ لأنَّ الدالَّ على الخيرِ كفاعله.

وقيل: أي: يشفع إلى الأغنياء في تجهيزِ الغُزاةِ الفقراء، يكن له حظٌّ من ثوابِ ذلك، قال النبيُّ ﷺ: «مَن جهَّز غازياً فقد غزا»(٢).

وقيل: مَن يَشفع إلى غيره في عفوٍ عمَّا يَصِحُّ العفوُ عنه، أو في صُلْحٍ(٣)، أو في قضاء حاجةٍ فله فيها ثوابٌ، قال النبيُّ ﷺ «إنَّ مِن أفضلِ الشَّفاعات أن يشفع بين اثنين في نكاح»(٤)، وقال النبيُّ ﷺ: «اشفعوا تؤجروا، ويَقضي اللهُ على لسانِ نبيِّه ما يشاء»(٥).

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا﴾ وهي في تَجبين المؤمنين عن الجهاد على مقابلة القول الأوَّل، فيقول له: أولادُك صِغارٌ فارحمهم، ونفسُكَ ضعيفةٌ، والطَّريقُ بعيدٌ، وفي العدوِّ كثرةٌ، وفي المالِ قلَّةٌ، ونحو ذلك؛ يكن له حظٌّ من الوبال.

والكِفْلُ: الحظُّ(٦)؛ كالنصيب، وغايرَ بينهما للبلاغة. وقيل: الكِفْلُ: المِثلُ.

---

(١) «يكن له نصيب منها» ليس في (أ).

(٢) رواه البخاري (٢٨٤٣)، ومسلم (١٨٩٥) من حديث زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه.

(٣) قوله: «أو في صلح» ليس في (أ).

(٤) رواه ابن ماجه في «سننه» (١٩٧٥) من حديث أبي رُهم. وضعف إسناده الشيخ شعيب الأرناؤوط رحمه الله في تحقيقه «سنن ابن ماجه».

(٥) رواه البخاري (١٤٣٢)، ومسلم (٢٦٢٧) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

(٦) في (ف): «الخطيئة» بدل: «الحظ».

وقيل: هو الجزاءُ المضموم إلى العمل، مِن الكفالة؛ وهي ضمُّ ذمَّةٍ إلى ذمَّةٍ في الضمان بالمال، وضمُّ التزامٍ إلى التزامٍ في الضمان بالنَّفس.

وقيل: الشَّفاعةُ السَّيِّئةُ: شفاعةُ بعض المنافقين إلى النبيِّ ﷺ في بعض في الاستئذان بالتخلُّف عن الجهاد.

وقيل: هي الشَّفاعةُ إلى ظالمٍ في معونةٍ على ظلمٍ، أو إبطالِ حقٍّ، أو تركِ إقامةِ حدٍّ، وأصلُ الشفاعة: هو ضمُّ نفسِه إلى صاحبِ الحقِّ؛ ليجتمعا على مسألة الحاجة مِن المشفوع إليه، وهي مأخوذةٌ من الشَّفع، والشُّفْعَة سمِّيت بها؛ لأنَّها شَفْع ملكٍ إلى ملك.

وقال مقاتل: هو الشَّفاعةُ إلى الله تعالى بدعاء الخير وبدعاءِ الشَّرِّ.

وروى أبو الدَّرداء عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: «من دعا لأخيه المسلم بظهر الغيب؛ قالت الملائكة: آمين ولك بمثله»[1]، وفي حقِّ الدُّعاء بالشرِّ هو كاللعنة إذا لم تُصادف محلَّها؛ رجعَت على[2] صاحبها[3].

وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا﴾؛ أي: مقتدراً، قال الزُّبيرُ بنُ[4] عبد المطَّلب:

---

(١) رواه مسلم في «صحيحه» (٢٧٣٢).

(٢) في (ر): «إلى».

(٣) يشير إلى ما أخرجه أبو داود في «سننه» عن أبي الدرداء قال: قال: قال رسول الله ﷺ: «إن العبد إذا لعن شيئاً صعدت اللعنةُ إلى السماء، فتغلقُ أبواب السماءِ دونها، ثمَّ تهبط إلى الأرض، فتغلق أبوابها دونها، ثم تأخذ يميناً وشمالاً، فإذا لم تجد مساغاً رجعَت إلى الذي لُعن، فإن كان لذلك أهلاً، وإلا رجعت إلى قائلها».

(٤) «بن» ليس من (أ).

وذي ضِغْـنٍ كَفَفْـتُ النَّفْـسَ عنـه وكنـتُ علـى مسـاءَتِهِ مُقِيتـا[١]

وقيل: أي: حافظاً، وقيل: أي: شاهداً؛ أي: يَعلمُ مَن يشفع في حقٍّ ومَن يشفع في باطلٍ، ويحفظُ عليه عملَه ويُجازيه على وفقِه.

***

(٨٦) ـ ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾ الموافق للنَّظم قولُ بعضِ أهل العلم: إذا سُلِّمَ عليكم في أسفارِكم للجهادِ، وهو تحيَّة الإسلام، فأجيبوا بأحسنَ منها؛ أي: بالزِّيادة على السَّلام، بذكرِ الرَّحمةِ والبَركات، أو ردُّوها بمثلِها، واحملوا صاحبها على ظاهر الحال مِن الإسلام، ولا تَقتُلوه؛ وهو كما قال في هذه السُّورة بعد هذا بآياتٍ: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ [الآية: ٩٤].

وقيل: هي عامَّةٌ في السَّلام.

ولـمَّا أَمَر بمعاملة المنافقين بما أَمَر، أَمَرَ[٢] بمعاملةِ المخلِصين بالشَّفاعةِ الحسنةِ إلى غيره، وبتحيَّةِ السَّلام[٣] مِن نفسه، ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم﴾ أي: سُلِّم عليكم، فإنَّ التحيَّة في ديننا بالسَّلام في الدُّنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿فَسَلِّمُوا عَلَى أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ﴾ [النور: ٦١]، وقال تعالى: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ﴾ [الأحزاب: ٤٤]، والتَّحيَّة

---

(١) نسبه للزبير الطبري في «تفسيره» (٧/ ٢٧٢)، وابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٨١٥)، والماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٥١٣)، ونسب لغيره، فنسب لأبي قيس بن رفاعة، ولأحيحة بن الجُلاح الأنصاري. وانظر التوسع في تخريجه في التعليق على «البحر المحيط» (٧/ ٢١٨).

(٢) لفظ: «أمر» من (أ).

(٣) في (ف): «الإسلام».

تَفْعِلةٌ، مِن حيَّا يُحَيِّي تحيَّةً، وكانت تحيَّة العرب عند اللقاء: حيَّاك الله؛ أي: أطالَ اللهُ حياتَك، ونقل ذلك في الإسلامِ إلى السَّلام، وبقيَ الاسمُ كذلك.

وقوله تعالى: ﴿فَحَيُّوا۟ بِأَحۡسَنَ مِنۡهَآ﴾؛ أي: بالزِّيادة؛ عليكم السَّلام ورحمة الله وبركاته، وقوله[1]: ﴿أَوۡ رُدُّوهَا﴾ أي: أجيبوها بقدرها؛ عليكم السَّلام، هذا القدرُ فَرْضٌ، والأوَّل فضلٌ[2]، وبيَّن النبيُّ ﷺ أنَّ في السَّلام عشرَ حسناتٍ، وفي ضمِّ الرَّحمةِ إليه عشرين حسنة، وفي ضمِّ البركات إليها ثلاثينَ حسنةً[3].

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: علَّمهم حُسْنَ العِشْرة وآدابَ الصُّحبة، وأنَّ مَنْ حمَّلَك فضلاً؛ صار ذلك في ذِمَّتك[4] له قَرْضاً[5]، فإنْ زدت على فعله، وإلَّا فلا تَنقُص عن مِثله.

وقال الحسن: أتى رجلٌ، فسلَّم على النبيِّ ﷺ، فقال: السَّلامُ عليكم، فقال النبيُّ ﷺ: «وعليكم السَّلام ورحمةُ الله»، ثمَّ جاء آخر وقال: السَّلام عليكم ورحمةُ الله، فقال النبيُّ ﷺ: «وعليكم السَّلام ورحمةُ الله وبركاته»، ثمَّ جاء آخر فقال: السَّلام عليكم ورحمةُ الله وبركاتُه، فقال النبيُّ ﷺ: «وعليكم»، فقيل: يا رسول الله؛ زدتَ الأوَّل والثَّاني، وقلت للثَّالث: «وعليكم»، فقال النبيُّ ﷺ: «إنَّ

---

(١) «وقوله» ليس من (أ).

(٢) في (ف): «أفضل».

(٣) رواه أبو داود في «سننه» (٥١٩٥)، والترمذي في «سننه» (٢٦٨٩)، والنسائي في «الكبرى» (١٠٠٩٧) من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه، ورواه البخاري في «الأدب المفرد» (٩٨٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وروي عن غيرهما.

(٤) في (أ): «كان كمن ملك» وبعدها بياض بمقدار كلمة بدل قوله: «صار ذلك في ذمتك».

(٥) في (أ): «ملك فضلًا كان كمن ملك له قرضاً» بدل من «حملك فضلًا؛ صار ذلك في ذمَّتك له فرضاً».

الأوَّل سلَّم وأبقى من التَّحيَّة شيئاً، فردَدتُ عليه بأحسنَ منها، وكذلك الثَّاني، وإنَّ الثَّالث جاءَ بالتَّحيَّة كلِّها، فردَدتُ عليه مثلَها»[١].

وعن جابرٍ رضي الله عنه في تأويل هذه الآية: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ﴾: على أهل الإسلام[٢]، ﴿أَوْ رُدُّوهَآ﴾ بمثلِها على أهلِ الشرك[٣].

وكذا قال الكلبيُّ وعطاءٌ والحسنُ والضَّحَّاك: إنَّ المثلَ في حقِّ أهل الذِّمَّة لا يُزادُ عليه[٤].

وروى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: «لا تبدؤوا اليهود والنصارى بالسَّلام، فإنْ بَدؤوكم؛ فقولوا: وعليكم»[٥].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا﴾؛ أي: محاسباً، والفعيلُ في معنى[٦] الفاعِل؛ كالشَّريك والخَليطِ والنَّديم والقَرين والجليس؛ يحاسبكم[٧] على أعمالكم، ويجازيكم عليها.

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٥١٣).

(٢) بعدها في (أ) و(ر): «أو ردوها بمثلها على أهل الإسلام» ليس من (ف).

(٣) لم أقف عليه عن جابر، وأخرجه أبو يعلى في «مسنده» (١٥٣١)، وابن المنذر في «تفسيره» (٢٠٧٥) عن الحسن البصري.

(٤) ذكره الواحدي في «البسيط» (٧/ ١٩) عن الكلبي، وتخريج قول الحسن في التعليق السابق.

(٥) رواه ابن ماجه في «سننه» (٣٦٩٩) عن أبي عبد الرحمن الجهني رضي الله عنه، ولم أقف عليه بهذا السياق عن أبي هريرة، وأخرج مسلم في «صحيحه» (٢١٦٧) من حديثه مرفوعاً: «لا تبدؤوا اليهود والنصارى بالسلام، فإذا لقيتم أحدهم فاضطروه إلى أضيقه».

(٦) في (ف): «بمعنى».

(٧) لفظ: «يحاسبكم» ليس في (أ).

وقال مجاهدٌ: أي: رقيباً[1].

وقال أبو العالية: أي: حفيظاً.

وقيل: أي: كافياً، وقد[2] أحسبَني الشيء؛ أي: كفاني، وقال تعالى: ﴿عَطَآءً حِسَابًا﴾ [النبأ: ٣٦].

* * *

(٨٧) ـ ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۗ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا﴾.

وقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ فهو الحسيبُ وحده، والمقيتُ وحده؛ لا حسيبَ غيرُه، ولا مُقيتَ غيرُه.

ووجهٌ آخر: أنَّه ذكر في الآيات المتقدِّمة مقالاتِ اليهود والمنافقين، وهي كفرٌ، فذكر[3] عقيبَها هذه الكلمات، وهي شهادةُ التَّوحيد؛ كما في مواضع من القرآن: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٌ﴾ الآية [البقرة: ١٦١]، ﴿وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [البقرة: ١٦٣]، ﴿وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝٢٥٤ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٤ ـ ٢٥٥]، ﴿فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، ﴿الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [آل عمران: ١ ـ ٢]، ﴿قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖۘ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ﴾ [المائدة: ٧٣].

---

(١) لم أقف عليه، وأخرج الطبري في «تفسيره» (٧/ ٢٧٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ١٠٢١) (٥٧٣٢) عن مجاهد أنه قال في تفسير «حسيباً»: حفيظاً.

(٢) في (ف): «وقيل».

(٣) في (ر): «فقد ذكر» بدل: «فذكر».

وقيل: هي أساسٌ لما بعده: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ﴾؛ لأنَّ الفاءَ للوصل؛ يَعني: هُوَ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، وهو الذي يَجمعُكم[1] يومَ القيامة، فإيَّاه فاخشَوا دون المنافقين.

وقوله تعالى: ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ﴾ اللام في أوَّله والنونُ في آخره للقسَم.

وقوله تعالى: ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾؛ أي: في يوم القيامة، وقال[2] النابغة:

فلا تَتْرُكَنِّي بالوعيدِ كأنَّني ... إلى النَّاس مَطْلِيٌّ به القارُ أجربُ[3]

أي: في النَّاس.

وقيل: أي: ليَجمعنَّكُم في القبور إلى يومِ القيامة، وهي غايةٌ، ويومُ القيامة: يومُ القيامِ من القبورِ إلى أرض المحشر، قال تعالى: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨].

وقيل: هو يومُ القيامِ في موقفِ الحساب، قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المطففين: ٦].

وقوله تعالى: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ أي: لا شكَّ[4] في كونه، وفيه كلامٌ ذكرناه في أوَّل سورة البقرة.

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾ استفهامٌ بمعنى النَّفي؛ وهو كقوله: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: ١٢٢]؛ أي: لا أصدقَ مِن الله فيما قال وأخبر وحدَّث، فثِقوا بما قال: ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ﴾ وغير ذلك.

---

(١) بعدها في (ف): «إلى».

(٢) في (ف): «كما قال».

(٣) انظر: «ديوان النابغة» (ص: ٧٣).

(٤) بعدها في (ف): «فيه».

(٨٨) ـ ﴿ ۞ فَمَا لَكُمْ فِى ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓا۟ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا۟ مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَمَا لَكُمْ فِى ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ﴾ قال ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: نزلَت الآية في أربعين أو خمسين رجلاً من أهل مكَّة، وذلك أنَّ النبيَّ ﷺ لـمَّا هاجرَ إلى المدينة مع طائفةٍ، وتخلَّفت طائفةٌ بسبب المال والولد؛ أنزل الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يُهَاجِرُوا۟ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟﴾ [الأنفال: ٧٢]، فأراد المتخلِّفون أنْ يُهاجِروا، فمنعَهم مشركو مكَّة بالسَّيف؛ فمنهم مَن افتدى بمالِه وهاجرَ، ومنهم مَن خافَ على نفسِه ومالِه ولم يهاجر، حتَّى أنزل الله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ [العنكبوت: ٢]، فهاجرَ الباقون إلَّا أربعين أو خمسين[1] لم يهاجروا، فأنزل الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ﴾ [التغابن: ١٤]، فبعثَ النبيُّ ﷺ هذه الآيةَ إلى أهل[2] مكَّة، فلم يُهاجِروا حتَّى كانت وقعةُ بدرٍ، فأخرجَ المشركون هؤلاء الأربعين أو الخمسين مع أنفسِهم؛ ليقاتلوا المسلمين؛ إمَّا لأنَّهم لم يَعلموا بإسلامهم، أو علِموا وأكرَهوهُم على موافقتهم، فلمَّا رأوا شوكَة الكفَّار وضعفَ المسلمين، ارتابوا، فقالوا: غرَّ هؤلاء دينهم، فارتدُّوا، وقاتلوا أصحابَ النبيِّ ﷺ، وأنزلَ اللهُ تعالى الملائكةَ مدداً للمسلمين، فقَتلوا هؤلاء القوم؛ كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [النساء: ٩٧]، ولمَّا انتهى الأمرُ ومرَّ المسلمون بهؤلاءِ وعرَفوهُم؛ اختلفوا فيهم، فقال بعضُهم: كانوا مؤمنين أُكرِهوا على الخروج، وقال بعضُهم: كانوا منافقين، فنزلت الآية: ﴿فَمَا لَكُمْ فِى ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ﴾.

---

(١) في (أ): «الباقون الأربعون»، وفي (ف): «الباقون إلا أربعون أو خمسون»، وفي (ر): «المنافقون إلاَّ خمسين أو أربعين». ولعل المثبت هو الصواب.

(٢) لفظ: «أهل» من (ف).

وقال زيدُ بن ثابت: رجع قومٌ خرجوا مع رسول الله ﷺ إلى أُحد، فاختلفَ النَّاس فيهم فرقتين، فنزلَت هذه الآيةُ(١).

وقال مجاهدٌ رحمه الله: هم نفرٌ خرجوا من مكَّة حتَّى قدموا المدينة، فزعموا أنَّهم مهاجرون، ثمَّ ارتدُّوا بعد ذلك، فاستأذَنوا النبيَّ ﷺ إلى مكَّة؛ ليَأتوا ببضائعَ لهم؛ ليتَّجِروا فيها، فاختلفَ فيهم المؤمنون؛ فقائلٌ: هم المنافقون، وقائلٌ: هم المؤمنون، فبَيَّن اللهُ تعالى نفاقَهم، وأمرَ بقتلِهم، فجاؤوا ببضائعهم يريدون هلالَ بن عويمرٍ الأسلميَّ، وبينَه وبينَ رسولِ الله ﷺ حِلْفٌ(٢)؛ وهو الذي حَصِرَ صدرُه أنْ يقاتلَ المؤمنين أو يقاتلَ قومَهُ، فدفعَ اللهُ تعالى عنهم بأنَّهم يَؤمُّون(٣) هلالاً، وبينَه وبين رسولِ الله ﷺ عهدٌ(٤).

وقال سعدُ بن معاذ: خطبَ رسولُ الله ﷺ النَّاسَ فقال: «مَن لي بمن يؤذيني»، فقام سعدُ بنُ معاذ، فقال: إنْ كان منَّا؛ أي(٥) مِن الأوس؛ قتلناه، وإنْ كان من الخزرج؛ أمرتنا فأطعناك، فقام سعدُ بن عبادة فقال: ما بكَ يا ابن معاذٍ طاعةُ رسولِ الله ﷺ، ولقد تكلَّمت بما هو منكرٌ(٦)، فقام محمَّدُ بنُ مسلَمة فقال: اسكتوا أيُّها الناس ما(٧)

---

(١) رواه البخاري في «صحيحه» (١٨٨٤)، ومسلم في «صحيحه» (٢٧٧٦).

(٢) وقع في هامش (ف) ما نصه: «الحلف بالكسر: العهد».

(٣) في (أ): «يؤمنون».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٢٨٢ ـ ٢٨٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ١٠٢٤) (٥٧٤٤).

(٥) قوله: «منَّا أي» ليس في (أ)، ولفظ: «أي» ليس في (ر).

(٦) كذا في النسخ، وفي «سنن سعيد بن منصور»: «تكلمت ما هو منك»، وفي «تفسير ابن المنذر» و«تفسير ابن أبي حاتم»: «عرفت ما هو منك»

(٧) بعدها في (ف): «به».

كان فينا رسولُ الله ﷺ، وهو يأمرنا[١]؛ فأنزلَ اللهُ تعالى هذه الآية[٢].

وقال الكلبيُّ: هاجر ناسٌ من قريشٍ، فقَدموا المدينةَ، فأسلَموا، ثمَّ ندموا، وأرادوا الرَّجعةَ[٣] إلى مكَّة، فاجتووا المدينة فخرجوا، فقال لهم المسلمون: ما تريدون؟ قالوا: اجتَوينا المدينةَ، فخرجنا نَتنزَّه، فصدَّقوهم، فجعلوا يتحوَّلون منقلةً منقلة[٤]، حتَّى تَباعدوا من المدينة، ثمَّ أدلجوا وقد قطعوا أرضاً بعيدةً من المدينة، فلَحِقوا بمكَّة، وكتبوا كتاباً إلى رسول الله ﷺ: إنَّا على الذي فارقناك[٥] عليه من التَّصديق بالله ورسولِه، ولكنَّا اشتقنا إلى أرضِنا، واجتوينا المدينة، ثمَّ إنَّهم أرادوا أن يَخرجوا في تجارةٍ نحو الشَّام، فاستبضعَهُم أهلُ مكَّة، فقالوا: أنتم على دِين محمَّد وأصحابِهِ، وإنْ لقوكم فلا بأس عليكم منهم، فبلغَ ذلك المسلمين، فقال بعضُهم: ما يمنعُنا أنْ نخرجَ إلى هؤلاء فنَقتلَهم، ونأخذَ ما معهم؟ فقال بعضهم: سبحان الله! تقتلون قوماً على دينِكم[٦]، إن لم يذروا ديارَهم وأموالَهم وقرارَهم فقد حلَّت دماؤهم؟! ورسولُ الله ﷺ ساكتٌ، لا ينهى واحداً من الفريقين[٧]، حتَّى نزلت هذه الآية[٨]؛ وهي قوله تعالى: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ﴾؛ أي: أيُّ شيءٍ

---

(١) في (ف): «يأمر».

(٢) رواه سعيد بن منصور في «سننه» (٦٦٣ ـ تفسير)، وابن المنذر في «تفسيره» (٢٠٨٢)، وابن أبي حاتم (٣/ ١٠٢٣) (٥٧٤٠).

(٣) في (ف): «المراجعة».

(٤) المنقلة: المرحلة من مراحل السفر. انظر: «الصحاح» (مادة: نقل).

(٥) في (ر): «فارقتنا».

(٦) بعدها في (ف): «فقالوا».

(٧) بعدها في (ف): «جميعاً».

(٨) هذه الرواية ذكرها الثعلبي في «تفسيره» (٣/ ٣٥٥)، دون نسبتها للكلبي.

لكم؟ استفهامٌ بمعنى الاستنكار ﴿فِئَتَيْنِ﴾ أي: فرقتين[١]؛ نصبٌ على الحال، أو هو نصبٌ على التَّمام، وقيل: على القطع، وقيل: هو على إضمار: كنتم أو صرتم. ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ﴾ كلامٌ تامٌّ، فكان ما بعد ذلك على الوجوه التي قلنا؛ وهو كقولك: مالك واقفاً؟ ونظيرُه في القرآن: ﴿فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ﴾ [المعارج: ٣٦]، وسمَّاهم منافقين بعد إظهارهم الكفرَ بمكَّة؛ لنفاقِهم بالمدينة، وخفاءِ حالِهم على المسلمين.

وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوا﴾ قال ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: أي: ردَّهم[٢].

وقال الزَّجَّاج: أي[٣]: نكسَهم[٤].

وقال قتادة: أهلكهم[٥].

وفي اللغة: ركسه وأركسه؛ أي: ردَّه إلى الحالة الأولى، وقال أميَّةُ بن أبي الصلت:

فأُرْكِسوا في حميمِ النَّار إنَّهُمُ ... كانوا عصاةً وقالوا الإفكَ والزُّورَا[٦]

ومعنى الآية: والله ردَّهم إلى الكفر.

---

(١) في (ر): «فريقين».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٢٨٨)، وابن المنذر في «تفسيره» (٢٠٨٧).

(٣) لفظ: «أي» من (أ).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٨٨).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٢٨٨)، وابن المنذر في «تفسيره» (٢٠٨٩).

(٦) في (أ): «والوزرا». وهو تحريف، والبيت في «تفسير الطبري» (٧/ ٢٨١)، و«التفسير البسيط» للواحدي (٧/ ٢٨)، وانظر: «ديوان أمية بن أبي الصلت» (ص: ٤٠٨).

وقيل: ردَّهم إلى أحكام الشِّرك في إباحةِ أموالهم ودمائِهم، والنَّهي عن موالاتِهم، وغير ذلك.

وقوله تعالى: ﴿أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُواْ مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ﴾ استفهامٌ بمعنى الإنكار.

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا﴾؛ أي: طريقاً يسلكُه غيرَ الطريقِ الذي قضى اللهُ تعالى له[1] به.

وقيل: أي: ديناً يجوز أنْ يُعتقَد.

وقيل: أي: طريقاً إلى الهدى؛ قاله[2] السُّدِّيُّ[3].

وقيل: أي: طريقاً إلى الجنَّة.

وقال الزَّجَّاج: أي: طريقاً إلى الحُجَّة[4].

وفي قوله: ﴿وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓاْ﴾ وفي قوله: ﴿أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُواْ مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ﴾ حُجَّةُ أهلِ السُّنَّة في مسألةِ خلق الأفعال أنَّه مِن الله تعالى، وحقيقةُ الفعلِ مِن العباد.

* * *

(٨٩) ـ ﴿وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءً فَلَا تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ أَوْلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءً﴾ أي: تمنَّوا، وكلمة «لو» تمني، وإنَّما لم يُنْصَب ﴿فَتَكُونُونَ﴾ لأنَّه عطفٌ لا جوابٌ؛ وهو كقوله: ﴿وَدَّ ٱلَّذِينَ

---

(١) قوله: «الله تعالى له» من (ف).

(٢) في (ف): «وقال».

(٣) نسب ابن الجوزي في «زاد المسير» (٢/ ١٥٥) هذا القول لأبي سليمان الدمشقي.

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٨٨).

كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً﴾ [النساء: ١٠٢]، أي: تمنَّى هؤلاء أنْ تكفروا أنتم[1]، فتستووا في الكفرِ المبيحِ للقَتل والسَّبي.

وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ أَوْلِيَآءَ﴾؛ أي: لا توالوهم ما داموا على الكفرِ الموجبِ للمُعاداة.

وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: حتَّى يُسلِموا ويُهاجروا[2]، فيعودوا إلى سبب الموالاة؛ لأنَّهم يصيرون أولياءَ الله، فتَصلحُ موالاتُكم إيَّاهم، ودليلُ إضمارِ الإسلام قولُه: ﴿فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، وذاك لا يكونُ إلَّا بالإسلام، وهذا لأنَّه ذكر كفرَهم بقوله: ﴿كَمَا كَفَرُواْ﴾، فلا يَزولُ ذلك إلَّا بالإسلام، وبعد الإسلامِ شَرط الهجرةَ أيضاً، وكانت فرضاً يومئذٍ.

وقوله تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ﴾؛ أي: أَعرضوا عن الإسلامِ والهجرة.

وقوله تعالى: ﴿فَخُذُوهُمْ﴾ الأخذُ: الأسر.

وقوله تعالى: ﴿وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾؛ أي: في الحِلِّ والحَرَم.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾؛ أي: لا تتولَّوهم، ولا تَستنصِروا بهم على عدوِّكم.

* * *

(٩٠) ـ ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ أَوْ جَآءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَٰتِلُوكُمْ أَوْ يُقَٰتِلُواْ قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَٰتَلُوكُمْ فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْاْ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾.

---

(١) لفظ: «أنتم» ليس في (أ).

(٢) بعدها في (ر): «في سبيل الله».

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٌ﴾؛ أي: يَتَّصلون ويَلتجئون إلى قومٍ مِن أهل عهدكم بعهدٍ وأمانٍ؛ أي: إذا قَصدوا حضرةَ النبيِّ ﷺ، وتعذَّر الوصولُ إليه؛ فالتجؤوا إلى قومٍ معهم للمسلمين عهدٌ، فأمَّنوهم، فأنْفِذُوا أمانَهم، ولا تَقتلوهم. وما قاله أبو عبيدة: ﴿يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوۡمٍ﴾ أي: ينتسبون[1]؛ فليس بسديدٍ؛ لأنَّ أكثرَ أهلِ مكَّةَ أنسباءُ رسول الله ﷺ وأصحابه، ولم يثبت لهم به أمانٌ، والصَّحيحُ ما قلنا.

وقوله تعالى: ﴿أَوۡ جَآءُوكُمۡ حَصِرَتۡ صُدُورُهُمۡ﴾ هذا استثناءُ حالةٍ أُخرى يَأمنون بها، وجاؤوا ماضٍ بمعنى المستقبل؛ لأنَّه عطفٌ على ﴿يَصِلُونَ﴾، وهو كقوله تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ١]؛ أي: يأتي، يعني: وإلَّا الذين يجيئون مستأمِنين منكم. وقوله: ﴿أَوۡ جَآءُوكُمۡ حَصِرَتۡ صُدُورُهُمۡ﴾؛ أي: ضاقت.

وقوله تعالى: ﴿أَن يُقَٰتِلُوكُمۡ أَوۡ يُقَٰتِلُواْ قَوۡمَهُمۡ﴾ وضيقُ صدورِهم عن قتال المؤمنين بإلقاءِ الله تعالى الرُّعبَ في قلوبِهم، وضيقُ صدورِهم عن قتالهم[2] قومَهم أنَّهم على دينِهم، فكانوا لا يصلون إلى نهب الأموال.

وقوله: ﴿حَصِرَتۡ صُدُورُهُمۡ﴾ في معنى الحال؛ كما يقال: جاءني فلانٌ ذهبَ عقلُه؛ أي: ذاهباً عقله.

وقال سيبويه والمبرِّد: لا يجوز الحال بالماضي؛ لأنَّ الحال اسمٌ، والماضي بعيدٌ عن شبه الاسم، بخلاف المستقبل، لكنَّه على طريق الدُّعاء؛ كقوله: ﴿لُعِنُواْ﴾ [النور: ٢٣]، ﴿وَقُتِّلُواْ﴾ [الأحزاب: ٦١][3].

---

(١) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١/ ١٣٦).

(٢) في (ر) و(ف): «قتال».

(٣) انظر: «المقتضب» للمبرد (٤/ ١٢٤)، ونقله الجوهري في «الصحاح» (مادة: حصر) عن سيبويه.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ﴾ بأن يقوِّيهم بعد ضعفِهم، أو ينزعَ الرُّعبَ عن قلوبهم، يقول: اذكروا مِنَّتي، ولا تُعجَبوا بأحوالكم؛ فإنَّ عجزهم عنكم بإعجازي، لا بكم.

وقوله تعالى: ﴿فَلَقَٰتَلُوكُمْ﴾ عطفٌ على: سلَّطهم، وتكرار اللَّام للتَّأكيد، ولو قال: فقاتلوكم، لاستقام، وقرأ مجاهد: (فَلَقَتلوكم)[١] مِن القتل، وقرأ الحسن: (فلقتَّلوكم) بالتَّشديد للتَّكثير[٢].

وقوله تعالى: ﴿فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ﴾؛ أي: تركوا مخالطةَ المسلمين؛ لأنَّهم إذا كان[٣] بهم[٤] قوَّةٌ، فالاحتياطُ في تركِ الاختلاط.

قوله تعالى: ﴿فَلَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ﴾ قيل: هو[٥] تفسيرُ الاعتزال، فإن اعتزلوا عن قتالِكم.

وقيل: في الاختلاط؛ خوفَ اطِّلاعهم على بواطنِ أحوال المسلمين، ووقوعِ ما يُخاف؛ فلذلك شرط الاعتزال[٦].

وقوله تعالى: ﴿وَأَلْقَوْاْ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ﴾؛ أي: الانقياد؛ أي: استسلَموا لكم بطلبِ الأمان، وقيل: أي: بالإيمان.

وقوله تعالى: ﴿فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾؛ أي: طريقاً إلى القِتال واستباحةِ الأرواحِ والأموال.

---

(١) في (ر): «فقتلوكم». والقراءة نسبها ابن خالويه في «مختصره» (ص: ٣٤) للحسن ومجاهد.

(٢) انظر: «شواذ القراءات» للكرماني (ص: ١٤٠)، ونسبها الزمخشري في «الكشاف» (٢/ ٩٠) للجحدري والحسن.

(٣) في (ف): «كانت».

(٤) في (ر) و(ف): «لهم».

(٥) في (ف): «وهو» بدل: «قيل هو».

(٦) من قوله: «قوله تعالى: فلم يقاتلوكم» إلى هنا ليس في (أ).

قال مقاتلُ بنُ حيَّان: الآية[١] في المرتدِّين الذين لحقوا بمكَّة، والقومِ الذين بين[٢] النبيِّ ﷺ وبينهم ميثاق؛ خزاعة وخزيمة وبنو مدلج، كان لهم عهدٌ، ثمَّ نُسِخَ هذا الحكمُ بسورةِ براءة، ونُبِذَ إلى كلِّ ذي عهدٍ عهدُه بقوله تعالى: ﴿فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [التوبة: ٥].

وقال الكلبيُّ رحمه الله: هم[٣] الأسلميُّون، وكان النبيُّ ﷺ وادعَ هلالَ بنَ عويمر عند خروجه إلى مكَّة على ألَّا نعينَك ولا نعينَ عليك، حتَّى ترى ونرى، فمَن وصل إلى هلالٍ من قومه وغيرهم؛ فلهمُ الأمان. والذين جاؤوا حصرت صدورهم بنو مدلج، قوله تعالى: ﴿فَإِنِ ٱعۡتَزَلُوكُمۡ﴾ هو يومُ فتح مكَّة[٤].

وقال سراقةُ بن مالك بن جعشم[٥]: أتيتُ النَّبيَّ ﷺ فقلت: بلَغني أنَّك تريدُ أنْ تبعثَ إلى قومي جيشاً، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «ما تريد؟» قال: أريدُ أن توادعَهُم، فإنْ أسلمَ قومُهم؛ دخلوا معهم، وإلَّا لم تَخشُن[٦] صدورُ قومِهم عليهم، فقال: «اصنع»، فذهب معه خالدٌ، فوادعهم؛ إنْ أسلمَ قومُهم؛ دخلوا معهم، ومَن وصلَ إليهم مِن النَّاس؛ كانوا على مثل عهدِهم، وفيهم نزل: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ﴾ الآية[٧].

---

(١) بعدها في (ر): «نزلت».

(٢) بعدها في (ف): «يدي».

(٣) في (أ): «هو».

(٤) انظر الكلام في «تفسير الثعلبي» (٣/ ٣٥٧) دون نسبته للكلبي.

(٥) قوله: «بن جعشم» من (ف).

(٦) في (أ) و(ر): «يخشن»، وفي (ف): «تخش»، والمثبت من المصادر.

(٧) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٦٦١٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ١٠٢٦) (٥٧٥٠) عن الحسن.

(٩١) ـ ﴿سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا۟ قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱلْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا۟ فِيهَا ۚ فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوٓا۟ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ وَيَكُفُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ﴾؛ أي: قوماً آخرين من المنافقين.

وقوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا۟ قَوْمَهُمْ﴾ قال الحسن: أي: إذا لقُوا المؤمنين قالوا: آمنَّا، وإذا خلوا إلى شياطينِهم؛ قالوا: إنَّا معكم؛ ليأمنوا قتلَ الفريقَين إيَّاهم.

وقال الكلبيُّ رحمه الله: هم أسدٌ وغَطَفان، كانوا حاضري المدينة، وكانوا تكلَّموا بالإسلام، وهم غير مسلمين[1].

وقال السُّدِّيُّ: نَزلت في نُعَيم بن مسعود الأشجعيِّ، كان يَأتي النَّبيَّ ﷺ بخبر المشركين، ويأتي المشركين بخبر النبيِّ ﷺ فيأمنُهم جميعاً[2]، فأمرَ الله تعالى نبيَّه عليه السلام بطردِه، وألَّا[3] يتركَهُ يدخلُ عليه، ففعل.

وقوله تعالى: ﴿كُلَّ مَا رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱلْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا۟ فِيهَا﴾ أي: كلَّما دُعوا إلى الشِّرك؛ عادوا فيه وأجابوا إليه، و﴿ٱلْفِتْنَةِ﴾: الشِّرك، قال اللهُ تعالى: ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾ [البقرة: ١٩١]، والإركاسُ: الرَّدُّ إلى الحالة الأولى، والفاعلون للإركاس قومُهم بالدَّعوة، ويجوز أنْ يكونَ معنى ﴿أُرْكِسُوا۟ فِيهَا﴾: وقعوا فيها من غير أنْ يكونَ لهم موقعٌ؛ كما يقال: فلانٌ معجَبٌ بنفسِه.

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣/ ٣٥٨) من رواية الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس. والكلبي متهم بالكذب. كما سلف غير مرة.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٣٠٢)، وابن أبي حاتم (٣/ ١٠٢٩) (٥٧٦٧).

(٣) في (ف): «وأنه لا».

وقيل: ﴿ٱلْفِتْنَةِ﴾ ههنا: هي قتالُهم المؤمنين، ونصرتُهم الكافرين.

وقوله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ﴾؛ أي: لم يُجانِبوا قتالَكم على التَّأويلِ الأخير، وعلى تأويل الشِّرك: فإن لم يَتركوا مخالطَتكم، بل خالَطوكم في وقتٍ، وخالَطوا قومَهم في وقتٍ؛ عملاً بالنِّفاق، ولذلك قال الكلبيُّ: فإن لم يعتزلوا المسلمين فيَسيروا إلى مكَّة[1].

وقوله تعالى: ﴿وَيُلْقُوٓاْ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ﴾ عطفٌ على «لم يعتزلوا»؛ أي: ولم يَنقادوا لكم بطلبِ الصُّلح.

وقوله تعالى: ﴿وَيَكُفُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ﴾ عطفٌ أيضاً عليه؛ أي: ولم يُمسِكوا عن محاربتِكم.

وقوله تعالى: ﴿فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾؛ أي: في أيِّ موضعٍ أخذتُموهم مِن الحلِّ والحرَم والأشهرِ الحُرُم.

وقوله تعالى: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا﴾؛ أي: فقد أبحنا لكم دماءَهم وأموالَهم، وجعلنا حجَّتكم عليهم قائمةً؛ لدوامِهم على النِّفاق.

وقوله تعالى: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكُمْ﴾ «أولاء» اسمُ إشارةٍ إلى جمعٍ، و«كم» خطابُ جمعٍ، وهي في محلِّ الإضافة[2]، وعند بعضهم: «أولئكم» كلمةٌ واحدةٌ مبنيَّةٌ مع الكاف، وكلُّها في موضع الرَّفع بالابتداء، ولذلك لا تُزايِلُ الكاف، ولا تُوصَل بالهاء بحالٍ، فلا يقال: وأولائه وأولائهم، ولا بالياء والنَّون: أولائي وأولائينا، ويجوز

---

(١) انظر: «تفسير الثعلبي» (١٠/ ٥١٢) (طبعة دار التفسير).

(٢) المعروف عند النحاة أن هذه الكاف حرف للخطاب لا محل لها من الإعراب. قال المرادي في «الجنى الداني»، «لا خلاف في حرفية كاف الخطاب المتصلة باسم الإشارة»، انتهى. وعلى ذلك فلا يجوز إضافة اسم الإشارة إليها لأنها معروفة أولاً، ولأن الكاف حرفٌ ثانياً، والله أعلم.

فيه الإفرادُ والجمعُ في خطاب الجمع، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ﴾ [البقرة: ٢٣٢]، وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ﴾ [الطلاق: ٢]، وقال: ﴿ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ﴾ [البقرة: ٢٣٢]، وقال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ﴾ ثمَّ قال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً﴾ [الحديد: ١٠]، وقال هاهنا: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكُمْ﴾.

(٩٢) - ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ ۚ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا﴾؛ أي: وما كان لمؤمنٍ في حكم الله أنْ يتعمَّد قتلَ مؤمنٍ، وليس المؤمنُ كالكافر الذي تقدَّم ذكرُه في إباحةِ دمِه، **وقوله تعالى**: ﴿إِلَّا خَطَـًٔا﴾؛ أي: إلَّا أنْ [1]يقعَ عندهُ أنَّه كافرٌ، فيقتلُه بناءً[2] على ذلك، وكان عرفه كافراً قبله؛ قاله الإمام أبو منصور رحمه الله، قال[3]: وقد رُوِيَ الإذن في البيات، وقتلِ[4] عيونِ الكَفَرة بما سبقَ مِن ظهور كفرهم، وإن احتملَ إيمانُهم فيما بين الوقتين؛ فيكون معناه: أنَّه حرامٌ عليكم إلَّا مَن هذا وَصْفُه.

قال: وقيل: معناه: ما كان لمؤمنٍ أن يَقتلَ مؤمناً البتَّة، لكن من قَتلَ خطأً فحكمُه كذا[5].

---

(١) في (ف): «لا» بدل من «إلاَّ أنْ».

(٢) لفظ: «بناءً» ليس في (ف).

(٣) لفظ: «قال» من (ف).

(٤) قوله: «البيات وقتل» ليس في (ف).

(٥) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٣/ ٣٠٠).

وهذا استثناءٌ منقطعٌ بمعنى: لكن؛ كما في قوله تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا﴾ [مريم: ٦٢]، وقد مرَّ تقريرُه عند قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ [البقرة: ١٥٠].

وقيل: معناه: وما كان لمؤمنٍ أنْ يقتلَ مؤمناً فلا يقتصَّ به، إلَّا أنْ يكونَ خطأً، فلا قصاص فيه.

وقوله تعالى: ﴿وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾؛ أي: فعليه إعتاقُ رقيقٍ مسلمٍ[١] ذكراً كان[٢] أو أنثى؛ كفارةً لذلك حقًّا لله تعالى.

وقوله: ﴿مُّؤْمِنَةٍ﴾ قال الإمام أبو منصور رحمه الله في اشتراط الإيمان: اختلف في معناه؛ قيل[٣]: لأنَّه أتلفَ نفساً خلقها اللهُ تعالى لعبادته؛ فأوجبَ مكانها نفساً مؤمنةً؛ لتعبدَ الله على ما عبدت تلك.

لكن لو كان التأويلُ هذا؛ لكان يجبُ في العمدِ ما وجبَ في الخطأ؛ لوجود ذلك المعنى، لكن أُوجِب لا لذلك، لكن تغليظاً وتشديداً عليه لـمَّا أتلفَ نفساً لم يؤذن له في ذلك؛ لئلَّا يُقدِمَ على مثله، ولله تعالى أنْ يوجِبَ على مَن شاءَ ما شاء لما[٤] شاء، مِن غير أنْ يُقال له[٥]: لِمَ وكيف.

والثاني: أنَّه أوْجَبَ عليه ذلك؛ لأنَّ الله تعالى أبقى للقاتلِ نفساً مؤمنةً لم يجب عليها القصاص، فأوجبَ عليها مثلها رقبةً مؤمنةً[٦].

---

(١) في (ر): «رقبةٍ مسلمةٍ» بدل: «رقيق مسلم».

(٢) لفظ: «كان» من (ف).

(٣) في (أ): «اختلف في معنى اشتراط إيمان هذه الرقبة وقيل» وفي (ف): «اختلف في معنى اشتراط إيمان هذه الرقبة قيل» بدل من «في اشتراط الإيمان: اختلف في معناه؛ قيل».

(٤) في (ف): «لمن».

(٥) لفظ: «له» من (أ).

(٦) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٣/ ٢٩٩).

وقوله تعالى: ﴿وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦٓ﴾ الدِّيَةُ: بدل النفس، وأصلُها الوِدية؛ كالعِدَةِ أصلها الوعدة، وقد وَداهُ يَديه دِيةً؛ أي: أدَّى ديَتَه، فالدِّيَةُ اسمٌ للمال، واسمٌ للمصدر أيضاً، وهي عشرةُ آلاف درهم، أو ألفُ دينار، أو مئةٌ مِن الإبل، وأصلُها على القاتلِ، وتَتحمَّلها العاقلةُ تخفيفاً عليه، وهي في ثلاث سنين، وتفسيرُها في الفقهيات، وقد أوضحناها في «حصائل المسائل». وقوله: ﴿إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦٓ﴾ أي: أولياءِ المقتول؛ وهم ورثتُه.

وقوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُواْ﴾ أصلُه: يَتصدَّقوا، أدغمت التَّاء في الصَّاد، ومعناه: إلَّا أنْ يُبرِئ الأولياءُ القاتلَ والعاقلةَ عنها؛ وهو كقوله تعالى: ﴿وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيۡرٌ لَّكُمۡ﴾ [البقرة: ٢٨٠] في آية الربا، وهو الإبراءُ عن أصل المال والعفوُ؛ وكذلك قولُه تعالى: ﴿فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ﴾ [المائدة: ٤٥] أي: عفا عن ذلك.

وقوله تعالى: ﴿فَإِن كَانَ مِن قَوۡمٍ عَدُوّٖ لَّكُمۡ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ﴾؛ أي: فإن كان المقتولُ مِن قومٍ أعداءٍ لكم، فالعَدوُّ جمعٌ؛ كما في قوله: ﴿هُمُ ٱلۡعَدُوُّ﴾ [المنافقون: ٤]؛ لأنَّه في صيغةِ المصدر، كالقبول، فيصلحُ للواحد والجمع، كالعَدل والضَّيف.

﴿وَهُوَ مُؤۡمِنٞ﴾؛ أي: المقتولُ مؤمنٌ؛ يعني[1]: إذا أسلمَ الحربيُّ في دار الحرب، ولم يهاجر إلينا فقتَلَه مسلمٌ؛ فلا قصاصَ فيه ولا دِيَةَ، وفيه الكفَّارةُ لا غير، وهو قوله تعالى: ﴿فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖ﴾، والشافعيُّ رحمه الله حملَ[2] الآيةَ على مؤمنٍ اختلطَ بأهل الحرب، فرمى المسلمُ أهلَ الحربِ فأصابَهُ؛ لم يضمَنه؛ لأنَّه بالاختلاطِ بأهلِ الحرب أسقطَ حقَّ نفسِه[3].

---

(١) في (ف): «أي».

(٢) بعدها في (ف): «هذه».

(٣) انظر: «نهاية المطلب» للجويني (١٧/ ٨٨).

وقلنا: هذا لا يستقيم؛ لأنَّه تعالى قال: ﴿مِن قَوۡمٍ عَدُوٍّ لَّكُمۡ﴾، وذاك لا يكونُ منهم، بل يكون فيهم، فالمحمَل الصَّحيح ما قلنا، وهو قول المفسِّرين.

وقوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ مِن قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٌ﴾؛ أي: إنْ كان المقتول ذمِّيًّا مِن أهل ذِمَّة أو موادعةٍ؛ فله عِصمةٌ بالإحراز بالدَّار.

قوله تعالى: ﴿فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ﴾ دلَّ أنَّ دية الذِّمِّيِّ كديةِ المسلم؛ وهو قولنا.

وقوله تعالى: ﴿وَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖ﴾؛ أي: وفيه الكفَّارة أيضاً.

وقوله تعالى: ﴿فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ﴾؛ أي: الرقبةَ المؤمنةَ.

وقوله تعالى: ﴿فَصِيَامُ شَهۡرَيۡنِ مُتَتَابِعَيۡنِ﴾؛ أي: فعليه ذلك بدلاً عن التَّحريرِ.

وقوله تعالى: ﴿تَوۡبَةٗ مِّنَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: تخفيفاً منه؛ كما قال: ﴿عَلِمَ أَن لَّن تُحۡصُوهُ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡ﴾ [المزمل: ٢٠]، وأصلُ التَّوبة: الرُّجوع، فالمذنبُ يَتوبُ إلى الله؛ أي: يَرجعُ إليه بالنَّدامة، والتَّوبةُ مِن الله: إعادتُه إلى الحالة الأولى، والتَّخفيفُ عليه كذلك.

وقيل: إنَّ الكفَّارةَ توبةٌ للعبد، وهي مشروعةٌ مِن الله تعالى للعبدِ(١).

وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا﴾؛ أي: عالماً بالقاتل أنَّه عامدٌ أو مخطئٌ، وعالمٌ بتكفيرِه أنَّه يَنوي به التَّوبةَ أو الإصرار، ﴿حَكِيمًا﴾ في شَرْعِ هذه الأحكام.

قال الكلبيُّ رحمه الله: إنَّ عياش بن أبي ربيعةَ المخزوميَّ أتى النبيَّ ﷺ بمكَّة قبل أنْ يهاجرَ، فأسلمَ، ثمَّ خاف أنْ يُظهِرَ إسلامَهُ، فخرجَ هارباً إلى المدينة، فتحصَّن في دارٍ، فجَزِعَت أمُّه جزعاً شديداً ـ وهي أسماءُ بنت مخرمة(٢) ـ وقالت لابنيها؛ أبي

(١) في (ر): «على العبد».

(٢) اسمها في «جمهرة أنساب العرب» لابن حزم (ص: ٢٣٠): أسماء بنت مخرِّبة.

جهل والحارث بن هشام[١]: والله لا يُظِلُّني سقفٌ ولا أذوق طعاماً حتَّى تأتوني به، فخرجا في طلبِه مع الحارث بن يزيد[٢]، حتَّى أتوا المدينةَ، وقالوا لعيَّاش: إنَّ أمَّك لم يؤوها سقفٌ بعد بُعْدِك، وحلفَت ألَّا تأكلَ ولا تشربَ حتَّى ترجعَ إليها، ولك علينا ألَّا نُكرهَكَ على شيءٍ، ولا نحولَ بينك وبين دينِك، فلمَّا ذكروا له جزع أمِّه؛ نزل إليهم، فأوثقوه بنِسعَةٍ، وجلدَهُ كلُّ واحدٍ منهم مئة جلدةٍ، ثمَّ قدِموا به على أمِّه، فقالت: والله؛ لا أحُلُّك مِن وَثاقِك حتَّى تَكفرَ بالذي آمنتَ به، ثمَّ تركوه مطروحاً موثَقاً في الشَّمس ما شاء الله، ثمَّ إنَّه أعطاهُم الذي أرادوه منه، فأتاهُ الحارث بن يزيد، فقال له: يا عياش؛ هذا[٣] الذي كنت عليه لئن كان هدىً، لقد تركتَ الهدى، ولئن كان ضلالةً؛ لقد كنت عليها، فغضِبَ عيَّاش، وقال: والله، لا ألقاكَ خالياً إلَّا قتلتُك، ثمَّ إنَّ عيَّاشاً أسلمَ بعد ذلك، وهاجرَ إلى النبيِّ ﷺ بالمدينة، ثمَّ إنَّ الحارث أسلم بعد ذلك وهاجر[٤]، ولم يشعر عيَّاشٌ بإسلامه، فبينا عيَّاشٌ يَسيرُ بظَهر قُباء، إذ لقيَ الحارث، فحملَ عليه فقتلَه، فنزلت الآيةُ[٥].

* * *

(٩٣) ـ ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾.

---

(١) وهما أخوا عياش لأمه.

(٢) وقيل في اسمه: الحارث بن زيد بن أبي أنيسة. انظر: «الإصابة» لابن حجر (٢/ ١٥٦، ١٨٤).

(٣) في (ف): «إن».

(٤) من قوله: «وهاجر إلى النبيِّ ﷺ» إلى هنا وقع مكانه في (ف): «فهاجر وأسلم الحارث بعد ذلك».

(٥) ذكره عن الكلبي الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ١٦٢ ـ ١٦٣)، وهو في «تفسير الثعلبي» (٣/ ٣٥٩) دون نسبته للكلبي. وروى نحوه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٣٠٦ ـ ٣٠٨) عن مجاهد وعكرمة والسدي.

وقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا ﴾؛ أي: قاصداً قتلَه لإيمانه وهو كفرٌ، وقيل: أي: قتلَهُ مستحلًّا لقتلِه، وهو كفرٌ أيضاً.

وقال ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: وقوله: ﴿فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا﴾ هو جزاؤُه لو جازاه، لكنَّه يتفضَّل ولا يُخلِّده فيها لإيمانه[١].

وقيل: التَّخليدُ ليس هو التَّأبيد، بل هو تطويلُ إبقائه فيها؛ فإنَّه لم يقل: فيها أبداً، وفي كلِّ موضعٍ ذُكر الخلودُ مع الأبد، فهو للتَّأبيد.

وقيل: نزلت الآية في مَن قتلَ وارتدَّ مع ذلك.

قال أبو روق: نزلت الآيةُ في مِقْيَس بن صُبابة[٢]؛ وذلك أنَّ[٣] أخاً له يقال له: هشام، أسلمَ، وهاجرَ إلى المدينة، فقتلَهُ بنو النَّجَّار خطأً، فجاء مِقْيَس وطلبَ ديَته، وتكلَّم بالإسلام، فبعث النبيُّ ﷺ رجلاً من فهرٍ إلى بني النجَّار، يأمرُهم أن[٤] يؤدُّوا دِية القتيل إلى أخيه، أو قاتلَه، فقالوا: سمعاً وطاعةً لله ورسولِه، ما نَعلمُ له قاتلاً، لكنَّا نؤدِّي دِيتَه، فدَفعوا إلى مِقْيَس مئةً مِن الإبل ديةَ أخيه، فانصرفَ مِقْيَسٌ والفِهْريُّ، حتَّى إذا قَرُبوا مِن المدينة أتاهُ الشَّيطانُ، فوسوسَ إليه[٥]: أيَّ شيءٍ صنعتَ؟ تَقبلُ ديةَ أخيك، فتكون عليك مسبَّة؟! اقتل الفهريَّ نفساً بنفسٍ، ولك الدِّيةُ، فرماهُ بصخرةٍ فقتلَه، وركبَ بعيراً، واستاقَ الإبلَ، فارتدَّ راجعاً إلى مكَّة، وقال في ذلك أبياتاً:

---

(١) رواه بنحوه ابن المنذر كما في «الدر المنثور» (٤/ ٦٠٢)، وانظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٣/ ٣٢٩).

(٢) في (أ): «ضبابة». وهما قولان، قال الحافظ ابن حجر في «الإصابة» (١٠/ ٢٤٥-٢٤٦): بضم المهملة وموحدتين عند أكثر أهل اللغة، وقال ابن دريد: بالضاد المعجمة. اهـ.

(٣) في (ف): «وجد».

(٤) في (ف): «بأن».

(٥) في (ف): «له».

قَتَلْتُ بِهِ فِهْراً وحَمَّلْتُ عَقْلَهُ سَراةَ بني النَّجارِ أربابِ فارعِ[1]

وأدركت ثأري واضطجعت موسَّداً وكنتُ إلى الأوثانِ أوَّلَ راجعِ

فذلك قولُه تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ﴾ بقتله، ﴿خَٰلِدًا فِيهَا﴾ بكفره، **وقوله تعالى:** ﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ﴾؛ أي: انتقم منه، وطردَهُ مِن رحمتِه، فقتلَهُ النبيُّ ﷺ يوم فتح مكَّة[2].

وقيل: وغضبَ اللهُ عليه لقتلِه بعد أخذِ الدِّيةِ، ولعنَه بقتلِه غيرَ قاتلِ أخيه.

وقوله تعالى: ﴿وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ لاجترائه على الله.

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: كما يَحْرُم قتلُ غيرِكَ عليك[3]؛ يَحرُمُ قتلُ نفسِكَ عليكَ، ومن اتَّبع هواهُ، سَعى في دمِ نفسِه، ومَن لم يَنصح مُريداً بحسنِ وعظِه، ولم يعنه بهمةٍ؛ فقد سَعى في دمه[4]، فهو مأخوذٌ بحالِه، وحقيقٌ بأن تكونَ عقوبتُه الأبديَّةُ ألَّا يستمتعَ بما ضنَّ به على المريدين من أحواله، ولقد قال الله تعالى: «يا داود، إذا رأيت لي طالباً فكن له جسراً»[5].

---

(١) في (ر) و(ف): «بارع»، والمثبت من المصادر.

(٢) من قوله: «وقال في ذلك أبياتاً» إلى هنا ليس في (أ). والخبر لم أقف عليه عن أبي روق، ورواه ابن أبي حاتم (٣/ ١٠٣٧ ـ ١٠٣٨) (٥٨١٦) عن سعيد بن جبير، ورواه أيضاً البيهقي في «شعب الإيمان» (٢٩٢) من طريق محمد بن مروان عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، (وهي سلسلة الكذب)، وانظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٦٣ ـ ١٦٤) فقد أورده من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس. وروى الطبري في «تفسيره» (٧/ ٣٤١) نحوه مختصراً من طريق ابن جريج عن عكرمة وغيره، وذكر فيه البيت الأول فقط.

(٣) بعدها في (ر): «كما».

(٤) في (ر): «دم نفسه» بدل: «دمه».

(٥) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (١/ ٣٥٤ ـ ٣٥٥).

(٩٤) - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنۡ أَلۡقَىٰٓ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسۡتَ مُؤۡمِنٗا تَبۡتَغُونَ عَرَضَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٞۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبۡلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَتَبَيَّنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ﴾؛ أي: سرتُم في طريقِ الغزوِ فتأنَّوا في قتلِ من تقتلونَهُ، وهو في قراءة حمزةَ والكسائيِّ: ﴿فتثبتوا﴾ مِن الثبات، وفي قراءة الباقين: ﴿فَتَبَيَّنُواْ﴾[١] مِن البيان؛ وهو العلم؛ أي: لا تَعجلوا، وتأمَّلوا لِتَعلموا.

وانتظامُها بما قبلَها أنَّه أمر بالتثبُّت؛ لئلَّا يقع قتلٌ، عمداً ولا[٢] خطأً فيما لا يجوز، وذكر ممَّن وقع له ذلك قصَّة واحدٍ[٣] في هذه الآية، واختلفَت الرواياتُ فيه:

قال محمَّدُ بنُ إسحاق: نزلت[٤] في مُحَلِّم[٥] بنِ جَثَّامة، كان[٦] خارجاً في غزاةٍ، فمرَّ به عامر بن الأضبط الأشعريُّ[٧] على قَعودٍ له، فحيَّاهم بتحيَّة الإسلام، وكانت بينهما إحنةٌ في الجاهليَّة، فقتله مُحَلِّمٌ، وأخذ مالَه، فلمَّا قَدِمَ على النبيِّ ﷺ وَدى عامراً، وقال: «اللهمَّ لا تغفرْ لـمُحَلِّم بنِ جثَّامة»[٨]، فو الله ما استكملَ سبعاً حتَّى

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٢٣٦)، و«التيسير» (ص: ٩٧).

(٢) في (ر) و(ف): «أو».

(٣) في (ف): «واحدة».

(٤) بعدها في (ف) «الآية».

(٥) في (أ): «محلم».

(٦) بعدها في (أ): «رجلًا».

(٧) كذا في النسخ، والصواب: «الأشجعي».

(٨) رواه أبو داود في «سننه» (٤٥٠٣) من طريق ابن إسحاق ومحمد بن جعفر عن زياد بن ضميرة عن =

مات ودُفِنَ، فلفظَتهُ الأرض، حتَّى أُضجِع بين حجرين ورَضموهُ بالحجارة، ثمَّ دُفن، فلفظتهُ الأرضُ ثلاثَ[١] مرَّاتٍ، فقال النبيُّ ﷺ: «إنَّ الأرض لتقبل مَن هو شرٌّ منه، ولكنَّ الله تعالى أراد أن يريَكم فيه العبرة» ونزلت الآية[٢].

وقال مقاتل: إنَّ النبيَّ ﷺ بعث سَريَّةً، وأمَّر عليهم غالبَ بنَ عبدِ الله اللَّيثيَّ، فلمَّا أصبحوا؛ رأوا رجلاً يقال له: مرداس بن عمرو بن نَهيك العبسي[٣] من بني تيم[٤] بن مرَّة من أهل فدك، ومعه غُنيمةٌ له، فلمَّا رأى الخيلَ ساق غنمَه حتى أحرزَها في الجبل، وكان قد أسلمَ مِن اللَّيل، وأخبر أهله بذلك، فلمَّا دنوا منه كبَّروا، فسمعَ التَّكبيرَ منهم[٥]، فعرَفَهم، فنزلَ إليهم وقال: سلامٌ عليكم، إنِّي مؤمنٌ، فحملَ عليه

= عروة بن الزبير عن أبيه وجده. وهو ضعيف لجهالة زياد بن ضميرة. انظر: «ميزان الاعتدال» للذهبي (٢/ ٨٣).

ورواه ابن إسحاق كما في «سيرة ابن هشام» (٢/ ٦٢٦) ومن طريقه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٣٥٤)، وابن أبي حاتم (٣/ ١٠٤٠) (٥٨٢٦) عن يزيد بن عبد الله بن قسيط، عن القعقاع بن عبد الله بن أبي حدرد، عن أبيه، وليس فيه دعاء النبي ﷺ عليه.

(١) «ثلاث» ليس من (ف).

(٢) خبر موت محلِّم ولفظ الأرض له رواه بنحوه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٣٥٣) عن ابن وكيع عن جرير عن ابن إسحاق عن نافع عن ابن عمر، وسفيان بن وكيع ضعيف، وابن إسحاق مدلس وقد عنعن. وفيه أنه ما مضت به ساعة حتى مات.

وروى ابن ماجه في «سننه» (٣٩٣٠) نحوه من طريق السميط بن السمير عن عمران بن حصين، وهو معضل كما قال الشيخ شعيب الأرناؤوط في تعليقه عليه. وليس فيه ذكر اسم الرجل الذي لفظته الأرض.

(٣) في «تفسير مقاتل»: «العنسي».

(٤) في (ر) و(ف): «تميم»، والمثبت موافق لما في «تفسير مقاتل».

(٥) في (ف): «كبر فعرف التكبير» بدل: «كبَّروا، فسمع التكبير منهم».

أسامةُ بنُ زيد بن حارثةَ الكلبيُّ، فقال مرداس: إنِّي معكم، أشهدُ أن لا إلهَ إلا الله وحدَه لا شريكَ له[١]، وأنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، فطعنَهُ أسامةُ برمحِه، وقتلَه، وأخذَ سلبَهُ وساقَ غنمَهُ، فلمَّا قدمَ المدينةَ أخبرَ رسولَ الله ﷺ بذلك، فلامَهُ وقال: «أقتلتَهُ وهو يقولُ: لا إلهَ إلَّا الله؟» فقال: إنَّما قالها تعوُّذاً، فقال النبيُّ ﷺ: «هلَّا شققت عن قلبه؟» فقال: يا رسول الله؛ لو شققتُ عن قلبه[٢] هل وجدتُ إلا دماً عبيطاً[٣]؟ فقال النبيُّ ﷺ: «عبَّر بلسانه عمَّا في قلبه»، فقال: يا رسول الله؛ استغفر لي، فقال: «وكيف لك بلا إله إلَّا الله؟!» قالها ثلاثاً، واستغفرَ له في الرَّابعة، وقال أسامةُ في نفسِه: لودِدتُ أنِّي لم أولد إلَّا ذلك اليوم[٤]، وفي روايةٍ: وددت[٥] أنِّي لم أُسلِم إلَّا ذلك اليوم[٦]؛ أي: وَدِدتُ أنَّ هذه الحادثة وقعَت لي في الجاهليَّة لا في الإسلام، وأمَرَهُ بردِّ الأغنام، وتحرير رقبةٍ مؤمنةٍ، ونزلت الآية.

وقال سعيدُ بن المسيب: خرجَ المقدادُ في سريَّةٍ فمرُّوا برجلٍ في غنيمةٍ له، فقال: إنِّي مسلمٌ، فقتله المقدادُ، وأخذ غُنيمتَه، فذكرَ ذلك لرسول الله ﷺ، فقال: «قتلَهُ وهو مسلمٌ»، فقال له المقداد: ودَّ لو فرَّ بأهله وماله، فنزلت الآية[٧].

---

(١) قوله: «وحده لا شريك له» من (ر).

(٢) «عن قلبه»: زيادة من (أ).

(٣) في (أ): «غليظاً». والعبيط من الدم: الخالص الطري. انظر: «مختار الصحاح» (مادة: عبط).

(٤) لم أقف عليها، والرواية التالية في «تفسير مقاتل».

(٥) في (ف): «لوددت».

(٦) انظر: «تفسير مقاتل» (١/ ٣٩٨ـ٣٩٩). وأصل قصة أسامة رواها مختصرة البخاري في «صحيحه» (٤٢٦٩)، (٦٨٧٢)، ومسلم (٩٦).

(٧) رواها ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٨٩٤٠)، (٣٣١٠٤)، والطبري في «تفسيره» (٧/ ٣٦٠)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ١٦٥) لكن من حديث سعيد بن جبير.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَـٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ قرأ نافعٌ وابن عامر[١] وحمزة: ﴿السَّلَم﴾[٢] بغير ألفٍ، وهو الاستسلامُ، والباقون بالألف[٣]، وهو تحيَّة الإسلام.

وقوله تعالى: ﴿تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ﴾[٤]؛ أي: تَطلبون متاعَ الحياةِ الدُّنيا، وعند الله أجورٌ عظيمةٌ، وقيل: أي: عند الله غنائم كثيرةٌ[٥]، فاطلبوها مِن حيث أذنَ لكم، وأباحَ لكم.

وقولُه تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ﴾ قيل: إنَّ أسامة قال: إنْ كان هذا مُسلِماً، فلِمَ أقامَ بين الكفَّار؟ فقال تعالى: إنَّكم كنتم تفعلون كذلك.

وقيل: أي: كذلك كنتم كفَّاراً مِن قبل هذا.

وقال ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: كذلك كنتُم مِن قبلُ كفَّاراً تقاتلون على عرض الدُّنيا[٦].

وقوله تعالى: ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾؛ أي: أنعمَ عليكم بالإسلام[٧].

---

(١) في (ر) و(ف): «وأبو عمرو».

(٢) «﴿السَّلَم﴾» ليس من (ف).

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٢٣٦)، و«التيسير» (ص: ٩٧)، و«جامع البيان» للداني (ص: ٤٧٧). ووقع في «التيسير» نسبة القراءة بغير ألف للكسائي، وهو خطأ، والله أعلم.

(٤) «فَعِنْدَ اللهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ» ليس في (أ) و(ف).

(٥) في (أ) و(ف): «﴿فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ﴾» بدل: «وعند الله أجورٌ عظيمةٌ، وقيل: أي: عند الله غنائم كثيرةٌ».

(٦) رواه بنحوه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ١٠٤١) (٥٨٣١).

(٧) بعدها في (ر): «حتى أظهرتم الإيمان».

وقال سعيدُ بن جبير: كذلك كنتم تخفون إيمانكم من قومكم بمكة، فمنَّ الله عليكم بالهجرة حتَّى أظهرتم الإيمان(١).

وقوله تعالى: ﴿فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ كرَّر(٢) الأمرَ به تأكيداً في الوعظ.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا﴾؛ أي: لا يَخفى عليه إضمارُكم وإظهارُكم، وهو يجزيكم على ذلك(٣).

* * *

(٩٥ - ٩٦) - ﴿لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ غَيۡرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلۡمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ عَلَى ٱلۡقَٰعِدِينَ دَرَجَةٗۚ وَكُلّٗا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلۡقَٰعِدِينَ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٩٥﴾ دَرَجَٰتٖ مِّنۡهُ وَمَغۡفِرَةٗ وَرَحۡمَةٗۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ غَيۡرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلۡمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ﴾ ولمَّا أُمِروا بالتَّثبُّت في الجهاد؛ خافَ بعضُهم ما يَقعُ في الجهاد مِن ذلك، فكأنَّه عزمَ على ألَّا يخرجَ، فنزلَت هذه الآيةُ حثًّا لهم على الجهاد.

وقال زيدُ بن ثابت كاتبُ الوحي: كنت أكتبُ لرسولِ الله ﷺ، فقال: «اكتب: لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ»، فجاء عبدُ الله بن أمِّ مكتوم، فقال: يا رسولَ الله؛ إنِّي أحبُّ الجهادَ في سبيل الله، ولكن بي من الزمانةِ ما قد ترى وذهاب بصري، قال زيد: فثَقُلَت فخذُ رسولِ الله ﷺ على فخذي، حتَّى خشيتُ أنْ تَرُضَّها، فقال: «اكتب ﴿لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ غَيۡرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلۡمُجَٰهِدُونَ

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٣٦٣، ٣٦٤)، ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ١٠٤١، ١٠٤٢) (٥٨٣٤)، (٥٨٣٨).

(٢) في (ف): «أكد».

(٣) في (أ): «كله». وفي (ر): «مثله».

﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾»[١] قال زيد: أنزلَها اللهُ تعالى وحدَها فألحقتها، والذي نفس محمد بيده؛ لكأنِّي أنظر إلى ملحقها عند صدعٍ في الكتف الذي كنت أكتب فيه[٢].

و﴿غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ﴾ قراءةُ نافعٍ وابن عامر والكسائيِّ نصباً على الاستثناء أو على[٣] الحال، وقرأهُ الباقون رفعاً على النَّعت[٤]، و﴿الضَّرَرِ﴾ الزَّمانة، والضَّريرُ: الزَّمِن؛ وهو الأعمى والأشلُّ ونحوهما.

ثمَّ في الآيةِ نفيُ المساواةِ بين القاعد وهو[٥] المتخلِّفُ عن الجهاد، وبين الخارجِ للجهاد في الدَّرجة والثَّواب، ثمَّ استثناءُ[٦] أولي الضَّررِ مِن القاعدين ليس لإلحاقهم في الدَّرجة والثَّواب بالمجاهدين، فإنَّ العُذرَ لإسقاطِ الحرج والتَّكليف لا غير، لكن معناه: أنَّه تحريضٌ على الجهاد، والاستثناءُ لبيانِ أنَّهم غيرُ مرادين بالتَّحريض، لا أنَّهم كالمجاهدين في الإثابة والتفضيل، قال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ﴾ الآية [النور: ٦١].

وقوله تعالى: ﴿فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ﴾؛ أي: بعذرٍ[٧]

---

(١) رواه بهذه الألفاظ عبد الرزاق في «تفسيره» (٦٢٣)، ومن طريقه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٣٦٩ ـ ٣٧٠)، وابن أبي حاتم (٣/ ١٠٤٣) (٥٨٤٦). وأخرجه بنحوه البخاري في «صحيحه» (٢٨٣٢)، (٤٥٩٢).

(٢) قول زيد هذا رواه أبو داود في «سننه» (٢٥٠٧).

(٣) في (ر) و(ف): «وعلى».

(٤) انظر: «السبعة» (ص: ٢٣٧)، و«التيسير» (ص: ٩٧).

(٥) «هو» ليس من (أ).

(٦) في (ف): «استثنى».

(٧) قوله: «أي بعذر» من (أ).

﴿دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ﴾[(١)]؛ أي: وعد اللهُ الجنَّة كلَّ المؤمنين؛ المجاهدين، والقاعدين بعذرٍ، والقاعدين بغير عذرٍ، وهذا لأنَّ الجهادَ فرضُ كفايةٍ، فإذا قامَ به البعضُ؛ سقط عن الباقين.

وقوله تعالى: ﴿وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ﴾؛ أي: بغيرِ عذرٍ، ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ ثمَّ فسَّره بما بعده وهو قوله تعالى: ﴿دَرَجَاتٍ مِّنْهُ﴾ قال النبيُّ ﷺ: «هي سبعون درجةً، مِن الدرجة إلى الدرجة جريُ[(٢)] الفرسِ الجوادِ المضمرِ سبعين سنةً»[(٣)].

وقوله تعالى: ﴿وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً﴾ عطفٌ على ﴿دَرَجَاتٍ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ وقيل في قوله: ﴿لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ﴾ الآية: استثنى القاعدَ بعُذرٍ، وألحقَهُ بالمجاهدِ في الثَّواب؛ لتحسُّره على ما فات، وعلى ذلك قولُ رسول الله ﷺ: «الجمعة حجُّ المساكين»[(٤)]، وقولُه: «الصَّلاة قربان كل تقيٍّ»[(٥)].

---

(١) بعدها في (ف): «على القاعدين بعذر».

(٢) في (ف): «عدو».

(٣) لم أقف عليه مرفوعاً، ورواه الطبري (٧/ ٣٧٧ـ٣٧٨)، وابن أبي حاتم (٣/ ١٠٤٥) (٥٨٥٧) عن ابن محيريز قوله.
ووقع في هامش (أ) ما نصه: «تضمير الفرس: أن تعلفه حتى يسمن، ثم ترده إلى القوت، وذلك في أربعين يوماً».

(٤) رواه ابن الأعرابي في «معجمه» (٢٣٧٨)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٧٨) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وفيه عيسى بن إبراهيم الهاشمي، وهو متروك، ومقاتل بن قيس، وهو ضعيف. انظر: «ميزان الاعتدال» (٣/ ٣١٠)، (٤/ ٣٧٧).

(٥) رواه القضاعي في «مسند الشهاب» (٢٦٥) من حديث علي رضي الله عنه، وفيه ابن لهيعة، لكن يشهد له ما أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (١٤٤٤١) من حديث جابر رضي الله عنه، وفيه: «والصلاة قربان».

ثمَّ ذكرَ في الآية مرَّةً: ﴿دَرَجَةً﴾، ومرَّةً: ﴿دَرَجَٰتٍ﴾، وحاصلُه أنَّ اللهَ تعالى فضَّل المجاهد على القاعد[١] بعذرٍ بدرجةٍ، والمجاهدَ على القاعد بغير عذرٍ بدرجاتٍ[٢].

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: الحقُّ[٣] سبحانه وتعالى جمعَ أولياءَه في الكرامات، لكنَّه غايرَ بينهم في الدَّرجات؛ فمِنْ غنيٍّ وغيرُه أغنى منه، ومِن كبيرٍ وغيرُه[٤] أكبرُ منه، هذه الكواكبُ منيرةٌ، لكنَّ القمرَ فوقها، وإذا طلعَتِ الشَّمسُ بهرَت ـ أي: غلبت[٥] ـ جميعَها بنورِها[٦].

* * *

(٩٧) ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمۡۖ قَالُواْ كُنَّا مُسۡتَضۡعَفِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ قَالُوٓاْ أَلَمۡ تَكُنۡ أَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ قال الفرَّاء ومحمَّدُ بنُ يزيد: هو مستقبلٌ، وأصله: تتوفَّاهم، أسقطت[٧] إحدى التاءَين تخفيفاً[٨].

وقيل: هو ماض، والتوفِّي: قبض الروح[٩].

---

(١) في (ر) و(ف): «المجاهدين على القاعدين» بدل: «المجاهد على القاعد».

(٢) في (ر): «بدرجة... درجات»، وفي (ف): «درجة... درجات»، والمثبت من (أ).

(٣) في (ف): «إن الله» بدل: «الحق».

(٤) في (أ): «وآخر».

(٥) قوله: «أي غلبت» من (ف).

(٦) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (١/ ٣٥٦).

(٧) في (ف): «سقطت».

(٨) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٢٨٤).

(٩) في (ف): «الأرواح».

و﴿الْمَلَائِكَةُ﴾ هم ملكُ الموتِ وأعوانُه، أو هو وحدَهُ، وذُكِرَ باسم الجمعِ تعظيماً له[١]؛ كما سمِّي جبريلُ بذلك وحده في قوله: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ﴾ [آل عمران: ٣٩].

وقوله تعالى: ﴿ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾ هو حالُ المقبوضين، والنُّون سقطَت للإضافة، وظلمُهم أنفسَهم: هو تركُ الهجرةِ، ثمَّ الرِّدَّة.

قولُه تعالى: ﴿قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ﴾؛ أي: قالت الملائكةُ لهؤلاءِ الأربعين أو الخمسين الذين تخلَّفوا بمكَّة، ولم يهاجروا ثمَّ قُتِلوا ببدر ـ وقد مرَّت قصَّتهم في قوله تعالى: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ﴾ [الآية: ٨٨] ـ: في ماذا كنتم؟ أي: في أيِّ أمرٍ كنتُم فشغلَكم عن الهجرة والجهاد؟

قوله تعالى: ﴿قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ﴾؛ أي: في أرض مكَّة؛ أي: كان أهلُ مكَّةَ يقهروننا، ﴿قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا﴾؛ أي: قالت لهم الملائكةُ: ألم تكن أرضُ المدينةِ آمِنةً واسعةَ الرِّزق فتهاجروا إليها؟ وهذا استفهامٌ بمعنى الإثبات، وهو ردٌّ[٢] عليهم عذرَهم، ثمَّ هذا الخطابُ والجواب في حالِ سَكَراتِ الموت، وإنْ كان لا يجري بين المحتضِر وسائر البشر، فإنَّه جائزٌ بينه وبين الملائكة؛ لأنَّه لهيبتِهم شُغِل عن غيرهم، فيَجوزُ شغلُه بهم.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: يقولون لهم هذا في الآخرةِ، ويجوزُ أن يكون في القبرِ، فقد ذُكِرَ هذا بعد التوفِّي، ودلَّ ذلك على سؤال القبر[٣].

---

(١) لفظ: «له» ليس في (أ).

(٢) في (ف): «ورد» بدل: «وهو رد».

(٣) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٣/ ٣٣٥).

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: الإشارةُ منه إلى[١] مَن أدركه الأجل وهو في أسرِ نفسِه، وفي رقِّ شهواتِه، ليس له عذرٌ، حيث لم يهاجرْ إلى ظِلِّ قربته ليتخلَّص من هوى نفسِه[٢]؛ إذ لا حجابَ بينك وبين هذا الحديث إلَّا هواك[٣].

وقوله تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ قال مقاتل: هم نفرٌ أسلموا بمكَّة مع النبيِّ ﷺ؛ منهم الوليدُ بنُ الوليدِ بنِ المغيرة، وقيسُ بنُ الوليدِ بنِ المغيرة، والوليد بن عتبة[٤] بن ربيعة، وأبو قيس بن الفاكهِ بنِ المغيرة، وعمرو بنُ أمية بنِ سفيانَ بنِ أميَّة بنِ عبد شمس، والعلاءُ بنُ أميَّة بن خلف، ثمَّ إنَّهم أقاموا فلم يُهاجِروا، وخَرجوا مع المشركينَ إلى قتالِ بدر، فلمَّا رأوا قلَّة المؤمنين؛ شكُّوا في النبيِّ ﷺ، فقالوا: غرَّ هؤلاء دينُهم، فلمَّا قُتِل هؤلاء ببدر؛ قالت لهم الملائكةُ ـ وهو مَلَكُ الموتِ وحدَه ـ فيم كنتم؟ أي: في أيِّ شيءٍ كنتم؟ قالوا: كنَّا مستضعفينَ مقهورين بأرضِ مكَّةَ، لا نُطيقُ أن نُظهِرَ الإيمانَ[٥]، قالت الملائكة: ألم تكن أرضُ الله ـ أي: أرضُ المدينة ـ واسعةً من الضيق فتهاجروا إليها؟[٦]

* * *

(١) بعدها في (أ) و(ر): «أن».

(٢) وقع في هامش (ف) ما نصه: «صوابه: ليتخلص من رق نفسه». وما في الأصول موافق لما في «لطائف الإشارات».

(٣) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (١/ ٣٥٦).

(٤) في «تفسير مقاتل»: «بن عقبة»، وهو تحريف والله أعلم، انظر خبر قتل الوليد بن عتبة بن ربيعة في «سيرة ابن هشام» (١/ ٧٠٩) قتله علي بن أبي طالب رضي الله عنه يوم بدر. لكن ليس فيها إشارة إلى أنه كان مسلماً فارتد أو نافق.

(٥) في (ف): «في الأرض» بدل قوله: «مقهورين بأرض مكَّة لا نطيق أن نُظهِرَ الإيمان».

(٦) انظر: «تفسير مقاتل»: (١/ ٤٠١ ـ ٤٠٢).

(٩٨) ـ ﴿إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾.

وقال عمر بن عطاء المديني: ولـمَّا نزلَ هذا الوعيد، قال المسلمون: هلكَ إخوانُنا الذين بمكَّة، فنزل قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً﴾[1]، إمَّا لضعفٍ في البدن، أو عُدْمٍ من الزَّادِ والمركب.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾ أي: لا يَعرفون طريقاً ولا يَجدون مَن يَهديهم.

وقال ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: لـمَّا نزلَت هذه الآية؛ بعث رسولُ الله ﷺ بها إلى مسلمي مكَّة، فقال جندب[2] بن ضمرة الليثيُّ الجندعيُّ لبنيه: احملوني فإنِّي لست من المستضعفين، وإنِّي لا أهتدي[3] الطَّريقَ، وكان شيخاً كبيراً، فحملوه بنوهُ على سريرٍ متوجِّهاً إلى المدينة، فمات بالتَّنعيم، فبلغ أصحابَ النبيِّ ﷺ موتُه، فقالوا: لو لحقَ بنا؛ لأتمَّ الله أجرَهُ، فأعلمَ اللهُ تعالى أنَّه لا يَخيبُ مَن التمسَ رضاهُ؛ فأنزلَ الله فيه: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾[4].

* * *

(٩٩) ـ ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾.

وقولـه تعالـى: ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ﴾ و«عسـى» مِـن الله واجـبٌ؛ لأنَّه إطمـاعٌ، والكريـمُ إذا أطمـعَ أنجزَ.

---

(١) بعدها في (ف) «وَلاَ يَهْتَدُونَ سَبِيلًا».

(٢) اسمه في «أسباب النزول» للواحدي: «حبيب».

(٣) في (أ) و(ر): «لأهتدي»، والمثبت من (ف)، وهو موافق لما في «أسباب النزول» للواحدي.

(٤) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ١٧٠).

وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ قال الحسنُ: أي: كان عفوًّا غفوراً لعباده قبل أنْ يخلقَهم[١].

وقيل: أي[٢]: كذلك أجرى اللهُ العادةَ في الأوَّلين؛ وهو العفوُ والمغفرةُ للمعذورين، وكذلك يفعلُ بالآخِرين.

وقيل: العفوُ: هو التَّخفيفُ برفعِ الإثم عنهم، وكان له أن يُغلِّظَ المحنةَ في التعبُّد عليهم.

* * *

(١٠٠) - ﴿۞ وَمَن يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِى ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِى ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا﴾ قال الضحَّاك: أي: متحوَّلاً[٣].

وقال أبو رَوْق: أي: مخرجاً عمَّا يَكرهُ.

وقال ابنُ كيسان: أي: مُنقلَباً.

وقال يمانُ بن رئاب: أي[٤]: ملجأً.

وقال السُّدِّيُّ: أي: مبتغَى معيشةٍ[٥].

---

(١) ذكره الزجاج في «معاني القرآن» له (٢/ ٩٥).

(٢) لفظ: «أي» من (ف).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٤٠٠).

(٤) «أي» ليس من (ف).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٤٠١).

وقال المبرِّدُ: أي: مضطرباً متحوَّلاً من الكُفر إلى الإيمان.

وأصله من الرَّغام؛ وهو التُّراب؛ يعني: تربةً غير تربةٍ[١].

وقال أبو عبيدة: أي: مهاجراً[٢]؛ وكذا قال القتبيُّ[٣]، وهو حقيقتُه، فإنَّ الـمُراغَمَ موضعُ المراغمةِ؛ وهي المهاجرةُ على رغم مَن كان فيهم.

وقوله تعالى: ﴿وَسَعَةً﴾ أي: اتِّساعَ رزقٍ.

وقيل: أي: توسُّعاً مِن تضييق الكفَّار عليه.

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾؛ أي: إلى حيث أمرَ اللهُ ورسولُه.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ﴾ عطفٌ على الأوَّل.

وقوله تعالى: ﴿فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ أي: فقد[٤] حصلَ له الأجرُ بوعدِ الله، وهذا[٥] تأكيدٌ للوعدِ، فلا شيءَ يجبُ على الله لأحدٍ من خلقِه.

وقولـه تعالـى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا﴾ يَغفـرُ له ما كان منـه من القُعود إلـى أنْ خرج، ﴿رَّحِيمًا﴾ يرحمُه بإكمال أجر المهاجرين[٦] له.

وقد ذكرنا أنَّها نزلت في جُندبِ بنِ ضَمْرة، وقيل: هو ضمرةُ بن جُندب[٧]، وقيل:

---

(١) في (أ) و(ف): «تربته».

(٢) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١/ ١٣٨).

(٣) في «تفسير غريب القرآن» (ص: ١٣٤).

(٤) لفظ: «فقد» من (ف).

(٥) في (ف): «وهو».

(٦) في (ف): «المجاهدين».

(٧) هو اسمه في قول السدي، رواه عنه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٣٩٦).

هو جُندع بن ضَمرة اللَّيثيُّ[١]، وقيل: هو ضَمْرةُ بنُ العِيص بنِ زِنباع الخزاعيُّ[٢]، وقيل: هو أكثمُ بنُ صيفي[٣]، وقيل: هو ضمضمُ بنُ عمرٍو الخزاعي[٤]، وفي رواية الكلبيِّ: هو جُندَع بن ضَمْرة، قال: والله ما أنا ممَّن استثنى اللهُ تعالى، وإنِّي لأجدُ حيلةً، والله لا أبيتُ اللَّيلةَ بمكَّة، فخرجوا به يحملونَهُ على سريرٍ إلى التَّنعيم، فأشرفَ على الموت، فصفق يمينَه على شِماله، فقال: اللهمَّ هذه لك وهذه لرسولك، أبايعُكَ على ما بايعَكَ به رسولُك[٥] ﷺ، ومات حميداً، فنزلَت هذه الآية[٦].

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: مَن هاجر في الله ما[٧] سوى الله، وصحَّ[٨] قصدُهُ إلى الله تعالى، وجدَ فسْحةً في عِفْوَةِ[٩] الكَرَمِ، ومقيلاً في ذُرى القَبول، وسَعةً في كنفِ القُرب، والمهاجر[١٠] في الحقيقةِ مَن هجرَ نفسَهُ وهواه، ولا يَصِحُّ ذلك إلَّا بانسلاخِه مِن جميعِ مراداته، ومَن قَصدَهُ ثمَّ أدركَهُ الأجلُ قبلَ وصولِه؛ فلا يَنزل إلَّا بساحاتِ وصلِه، ولا يكونُ محطُّ رحلِه إلَّا[١١] أوطان قربه.

---

(١) انظر: «تفسير أبي الليث» (١/ ٣٨٢).

(٢) هو اسمه في قول سعيد بن جبير، رواه عنه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٣٩٣).

(٣) رواه أبو حاتم السجستاني كما في «الدر المنثور» (٤/ ٦٤٥).

(٤) رواه أبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٣/ ١٥٤٩) (٣٩٢٥)، وذكره الجرجاني في «درج الدرر» (٢/ ٦٢٨).

(٥) في (أ): «رسول الله»، وفي (ر): «رسولك رسول الله».

(٦) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣/ ٣٧٣) دون نسبته للكلبي.

(٧) في (ر) و(ف): «مما»، وفي «لطائف الإشارات»: «عما».

(٨) في (أ): «وصبح».

(٩) في (أ): «عقوة». وفي (ف): «ساحة». وعِفوةُ الشيء: صفوته. انظر: «الصحاح» للجوهري (مادة: عفا).

(١٠) في (أ): «والهاجر».

(١١) بعدها في (ف): «في».

(١٠١) - ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ﴾ وهذا من الأمور[1] التي يحتاجون إليها في جهادهم، يقول: إذا سرتُم في الأرض مسافرين؛ فلا مأثمَ[2] عليكم في أنْ تنقصوا من أعداد ركعاتِ الصَّلاة، فتُصلُّوا الفرائضَ التي هي أربعٌ ركعتَين.

وقوله تعالى: ﴿إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾؛ أي: إنْ خشيتم أنْ يَقصدَكُم الكفَّارُ بقتلٍ أو جرحٍ أو أخذٍ.

ثمَّ الخوف شرطٌ لجوازِ القصر عند الخوارج بظاهر هذه الآية، وعند الجمهور ليس بشرطٍ، قال يَعلى بنُ أميَّة لعمرَ بنِ الخطَّاب رضي الله تعالى عنه: ما بالُنا[3] نقصُر وقد أمِنَّا؟ قال: عجبتُ ممَّا تعجَّبتَ منه، فسألتُ رسولَ الله ﷺ عن ذلك، فقال: «صدقةٌ تَصدَّق اللهُ بها عليكم، فاقبلوا صدقتَهُ»[4].

وقالت عائشةُ رضي الله عنها: فُرِضَت الصَّلاةُ ركعتين، ثمَّ أُقِرَّت صلاةُ السَّفر، وزيدَت صلاةُ الحضر[5].

فأمَّا قوله تعالى: ﴿إِنْ خِفْتُمْ﴾؛ فليس للاشتراط، لكن لأنَّ حالَهم حين نزلَت الآيةُ كانت كذلك، فنزلَت على وفقِ الحال؛ وهو كقولِه تعالى: ﴿إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ

---

(١) في (ف): «الأوامر».

(٢) في (ف): «إثم».

(٣) في (أ): «لنا».

(٤) رواه مسلم في «صحيحه» (٦٨٦).

(٥) رواه البخاري في «صحيحه» (٣٥٠)، ومسلم في «صحيحه» (٦٨٥).

أَشۡهُرٖ﴾ [الطلاق: ٤]، وقوله: ﴿وَلَا تُكۡرِهُواْ فَتَيَٰتِكُمۡ عَلَى ٱلۡبِغَآءِ إِنۡ أَرَدۡنَ تَحَصُّنٗا﴾ [النور: ٣٣].

وقيل: هذه الآيةُ في نهاية القَصْر، وهو تركُ الشَّطرِ وتركُ الرُّكوع والسُّجودِ والقيام بالإيماء على الراحلة، وذلك مقصورٌ على حالةِ الخوف، ثمَّ القصرُ رخْصةٌ عند الشافعيِّ؛ لقوله تعالى: ﴿فَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ﴾[1]، وذاك في الرُّخصة لا في العزيمة[2].

وقلنا: في الآية بيانُ حكم[3] حالة الخوف، فتوقَّف حكمُ حالةِ الأمن على قيام الدَّليل، وقد ورد ذلك بلفظة الصَّدقة[4]، ولو بقي فرضُ الأربعة، فأين الصدقة؟[5]

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡكَٰفِرِينَ كَانُواْ لَكُمۡ عَدُوّٗا مُّبِينٗا﴾؛ أي: أعداءً، وقد بيَّنَّا أنَّه يَصلح للجمع[6]، وإنَّما قال: ﴿عَدُوّٗا مُّبِينٗا﴾ على اللفظ، فإنَّه في الوضع للفرد؛ أي: لعداوتِهم يَنتهزون الفرصةَ، فتحرَّزوا[7] عنهم.

***

(١٠٢) ـ ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمۡ فَأَقَمۡتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلۡتَقُمۡ طَآئِفَةٞ مِّنۡهُم مَّعَكَ وَلۡيَأۡخُذُوٓاْ أَسۡلِحَتَهُمۡۖ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلۡيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمۡ وَلۡتَأۡتِ طَآئِفَةٌ أُخۡرَىٰ لَمۡ يُصَلُّواْ فَلۡيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلۡيَأۡخُذُواْ حِذۡرَهُمۡ وَأَسۡلِحَتَهُمۡۗ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ تَغۡفُلُونَ عَنۡ أَسۡلِحَتِكُمۡ وَأَمۡتِعَتِكُمۡ

---

(١) في (أ): «فلا جناح عليكم» وفي (ف): «فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ ولا جناح عليكم» بدل من «فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ».

(٢) انظر: «الأم» للشافعي (٢/ ٣٥٦).

(٣) في (ف): «الحكم».

(٤) يعني: في حديث عائشة السالف قريباً.

(٥) فالقصر عزيمة في مذهب أبي حنيفة رحمه الله. انظر: «المبسوط» للسرخسي (١/ ٢٣٩).

(٦) عند تفسير الآية (٩٢) من هذه السورة.

(٧) في (ر): «فتتحرزوا»، وفي (ف): «فيتحرزوا».

فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓا۟ أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا۟ حِذْرَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ﴾؛ أي: وإذا كنت يا محمَّدُ في أصحابِك الضَّاربين في الأرض، فأردتَ أن تقيمَ بهم الصَّلاة.

وقوله تعالى: ﴿فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ﴾؛ أي: فاجعلهُم طائفتين، ولتَقُم إحدى الطَّائفتين معك؛ يَفتتحون معك الصَّلاةَ، ويُصلُّون معك ركعةً تامَّةً، ولتَقم الطَّائفةُ الأخرى بإزاء العدوِّ.

وقوله تعالى: ﴿وَلْيَأْخُذُوٓا۟ أَسْلِحَتَهُمْ﴾؛ أي: قَطْعاً لطَمعِ العدوِّ فيهم، وهذا استحبابٌ لا إيجابٌ عندنا، خلافاً للشافعيِّ رحمه الله[1].

وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا سَجَدُوا۟ فَلْيَكُونُوا۟ مِن وَرَآئِكُمْ﴾؛ أي: إذا صلَّت هذه الطائفةُ التي معك ركعةً تامَّةً، فليَرجعوا ليقفوا بإزاءِ العدوِّ.

وقوله تعالى: ﴿وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا۟ فَلْيُصَلُّوا۟ مَعَكَ﴾؛ أي: ولتحضر الطَّائفةُ الواقفةُ بإزاءِ العدوِّ، فليَفتتحوا معك الصَّلاة، وليُصلُّوا معك الرَّكعة الثَّانية.

وقوله تعالى: ﴿وَلْيَأْخُذُوا۟ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾؛ أي: ما يَتحرَّزون به من العدوِّ، وأمر[2] به الطَّائفة الثَّانية كما أمرَ به الطَّائفةَ الأولى، وهذا استحبابٌ أيضاً عندنا؛ لأنَّ أخذَ السِّلاحِ ليس مِن أفعال الصَّلاة، فلا يكونُ مِن شرطِها.

وقال الإمام أبو منصورٍ رحمه الله: أَخْذُ الحذرِ: هو أَخْذُ ما يدفعون به سلاحَ العدوِّ مِن التِّرسِ والدِّرع والبنيان[3].

---

(١) انظر: «الأم» للشافعي (٢/ ٤٥٦)، و«المجموع» للنووي (١/ ٤٢٣).

(٢) في (أ): «وأمر».

(٣) «والبنيان» ليس من (ف). وانظر: «تأويلات أهل السنة» (٣/ ٣٤٥).

وأَخْـذُ السـلاحِ: هـو أَخْذُ ما يُقاتلـون به العدوَّ مِن السُّـيوفِ والرِّماح والقِسِـيِّ ونحو ذلك.

والمذكورُ في الآية هو صلاةُ طائفةٍ(١) ركعةً مع النبيِّ ﷺ، ثمَّ صلاةُ طائفةٍ أخرى ركعةً أخرى معه، ولم يبيِّن كيفيَّة إتمامِ الطَّائفتين، واختلف الأخبارُ في ذلك، واختلفَ باختلافِها العلماء؛ فقال أبو يوسف رحمه الله: هذا كان في زمنِ النبيِّ ﷺ؛ لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ﴾، وهذا خطابٌ له على الخصوص(٢)، والمعنى: أنَّهم كانوا يتحرَّون فضلَ الصَّلاةِ خلفَ رسول الله ﷺ، فزال ذلك حين قُبِضَ النبيُّ ﷺ، فانتسخَ.

وقلنـا: هـذا خطابٌ لـه، ولكلِّ قائـمٍ بعدَه لسياسـة الخلق، كما فـي قوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً﴾ [التوبـة: ١٠٣]، ويـدلُّ عليـه أنَّ الصحابـةَ فعلوا ذلـك بعدَ وفاته ﷺ، حتَّـى صلَّـى حذيفة بهم حين لقـوا العدوَّ بطبرسـتان(٣).

وقال الحسن: صلَّى بنا أبو موسى الأشعريُّ كذلك(٤).

ثمَّ عندما يُصلِّي(٥) الإمامُ بالطَّائفة الأولى ركعةً، فينصرف هؤلاء إلى العدوِّ، وتجيءُ الطَّائفة الأخرى الواقفةُ بإزاء العدوِّ، فيصلِّي بهم الإمام الرَّكعةَ الثَّانية، ويَقعدُ بهم، فإذا سلَّم؛ رجعوا ووقَفوا بإزاء العدوِّ، وتجيءُ الطَّائفة الأولى، فيُصلُّون الرَّكعة

---

(١) في (أ): «الطائفة».

(٢) انظر: «المبسوط» للسرخسي (٢/ ٤٥)، وفيه أن أبا يوسف رجع عن هذا القول.

(٣) رواه أبو داود في «سننه» (١٢٤٦) من حديث ثعلبة بن زهدم، والنسائي في «سننه» (١٥٢٩).

(٤) خبر صلاة أبي موسى بالناس صلاة الخوف رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٨٢٧٤)، والطبراني في «الأوسط» (٧٤٧٦)، والبيهقي في «الكبرى» (٦٠٠٨) لكن عن أبي العالية، وفي إسناده محمد بن مقاتل الرازي، وهو ضعيف.

(٥) في (أ): «صلى».

الثانية بغير قراءةٍ؛ لأنَّهم لاحقون، ويُسلِّمون وينصرفون فيقفون بإزاء العدوِّ، ويجيء أولئك[١] فيصلُّون الرَّكعةَ الأولى[٢] بقراءةٍ؛ لأنَّهم مسبوقون، كذلك رواهُ ابنُ مسعود وابنُ عمرَ رضي الله عنهم[٣].

وقال جابرُ بنُ عبد الله رضي الله عنه: غزونا مع رسول الله ﷺ قوماً من جهينة، فقاتلوا قتالاً شديداً، فلمَّا صلَّينا الظهر قال المشركون: لو مِلْنَا ميلةً واحدةً؛ لاختطفناهم[٤]، ونحن تركناهم حتَّى صلَّوا، وندِمُوا على تركِهم، فقال بعضُهم[٥]: دعوهُم، فإنَّ لهم بعدَها صلاةً هي أحبُّ إليهم مِن آبائِهم وأبنائهم؛ يعنون: العصر، فلمَّا أرادَ رسولُ الله ﷺ أنْ يصلِّيَ العصر؛ أنزلَ اللهُ هذه الآية، فصلَّى بهم صلاةَ الخوف على ما قلنا[٦].

وللشافعيِّ رحمه الله مذهبٌ يتفرَّدُ به، ولمالكٍ كذلك، وفيه أقاويلُ أُخَر، شرحنا ذلك في كتاب الصلاة من «حصائل المسائل»[٧].

---

(١) في (ر): «الطائفة الثانية» بدل: «أولئك».

(٢) قوله: «الركعة الأولى» ليس في (ف).

(٣) رواه عن ابن مسعود أبو داود في «سننه» (١٢٤٤)، وعن ابن عمر البخاريُّ في «صحيحه» (٤١٣٣)، ومسلم في «صحيحه» (٨٣٩). وانظر: «المبسوط» للسرخسي (٢/ ٤٦).

(٤) في «صحيح مسلم»: «لاقتطعناهم».

(٥) بعدها في (ر): «لبعضٍ».

(٦) خبر جابر رضي الله عنه رواه مسلم في «صحيحه» (٨٤٠): (٣٠٨) بنحوه وليس فيه قولهم: دعوهم لإن لهم صلاة هي أحب...، وهي في «سنن الترمذي» (٣٠٣٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وروى الطبري في «تفسيره» (٧/ ٤٠٦ ـ ٤٠٧) نحوه من حديث علي رضي الله عنه، وفي إسناده سيف بن عمر التميمي، وهو متروك. انظر: «ميزان الاعتدال» للذهبي (٢/ ٢٣٦).

(٧) في (ر): «شرحناها في الفقهيات» بدل: «شرحنا ذلك في كتاب الصلاة من حصائل المسائل».

وقوله تعالى: ﴿وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ تَغۡفُلُونَ عَنۡ أَسۡلِحَتِكُمۡ وَأَمۡتِعَتِكُمۡ﴾؛ أي: تمنَّى الكفَّار غفلتكم، و﴿لَوۡ﴾ كلمةُ تمنٍّ، والأسلحةُ: جمع السِّلاح؛ وهو كلُّ شيءٍ يُقاتَلُ به، والأمتعةُ: جمعُ متاعٍ؛ وهي[1] الثِّيابُ ونحوها.

وقولُه تعالى: ﴿فَيَمِيلُونَ عَلَيۡكُم مَّيۡلَةٗ وَٰحِدَةٗ﴾؛ أي: فيحملونَ عليكم حملةً واحدةً، ولم يَقُل: فيميلوا؛ لأنَّه لَمْ يُرِدْ به جوابَ التَّمنِّي، بل أرادَ به العطفَ على قوله: ﴿لَوۡ تَغۡفُلُونَ﴾ بخلاف قولِه: ﴿لَوۡ أَنَّ لِي كَرَّةٗ فَأَكُونَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [الزمر: ٥٨].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ إِن كَانَ بِكُمۡ أَذٗى﴾؛ أي: تعبٌ، ﴿مِّن مَّطَرٍ أَوۡ كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓاْ أَسۡلِحَتَكُمۡ﴾؛ أي: لئلَّا يَثْقُلَ عليكم حملُها، ﴿وَخُذُواْ حِذۡرَكُمۡ﴾ أي: تحرَّزوا عنهم بسائرِ الوجوه.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا﴾؛ أي: إذا أخذتُم حِذركم؛ لَمْ يُنْفِذِ اللهُ تعالى للكفَّار عليكم كيداً؛ إذ هم أعداءُ الله تعالى، وقد أعدَّ لهم في الدَّارينِ عذاباً مذِلًّا.

قال ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: غزا رسولُ الله ﷺ بني أنمار، وهم ببطن نخلة، فهزمَهمُ الله، واحرزوا ذراريهم[2] وأموالَهم، ونزلَ رسولُ الله ﷺ والمسلمون ولا يرون أحداً من العدوِّ، فوضعَ النَّاسُ أسلحتَهم، وخرجَ النبيُّ ﷺ لحاجةٍ وقد وضعَ سلاحَه حتَّى قطع الوادي والسماءُ تَرُشُّ، فحالَ الوادي بينَه وبين أصحابِه، فجلسَ في ظلِّ سمُرَةٍ[3]، فبصُر به حويرثُ بن حارثة المحاربيُّ الحضرميُّ، فقال له أصحابه:

---

(١) في (أ) و(ف): «وهو».

(٢) في (ف): «ديارهم».

(٣) في (ر): «شجرة».

هذا محمَّدٌ قد انقطعَ عن أصحابه، فقال: قتلَني اللهُ إنْ لَمْ أقتله، ثمَّ انحدرَ مِنْ الجبل ومعه السَّيفُ، فلم يشعر به النبيُّ ﷺ إلَّا وهو قائمٌ على رأسِه قد سلَّ سيفه، فقال: يا محمد، مَنْ يمنعك منِّي اليوم؟ فقال عليه الصلاة والسلام: «اللهُ عزَّ وجلَّ» ثمَّ قال: «اللهمَّ اكفنيه بما شئت»، ثمَّ أهوى بالسَّيف إلى رسول الله ﷺ ليضربَهُ، فانكبَّ لوجهه لزُلَّخةٍ زُلِّخَها ـ بضمِّ الزاي وتشديد اللام[١] ـ، وندرَ السَّيفُ، فقام النبيُّ ﷺ، فأخذه وقال: «يا حويرث؛ مَن يمنعك منِّي الآن؟» قال: لا أحد، قال: «فتشهد أن لا إله إلَّا الله، وأنِّي عبدُ الله[٢] ورسوله، وأعطيكَ سيفَك» قال: لا، ولكن أشهد ألَّا أقاتلك أبداً، ولا أُعِيْنُ عليك عدوّاً، فأعطاه النبيُّ ﷺ سيفَه، فقال: والله لأنت خيرٌ منِّي، فقال النبيُّ ﷺ: «أجل، أنا أحقُّ بذلك منك»، فرجعَ إلى أصحابه، فقالوا له: ويلك لقد رأيناك قائماً على رأسِه بالسَّيف، فما منعك منه؟ قال: والله؛ لقد أهويتُ إليه بالسَّيفِ لأضرِبَهُ؛ فوالله لا أدري مَن زلَّخني بين كتفَي؟! فخررتُ لوجهي، وخرَّ سيفي من يدي، فأخذَه، وذكر ما كان منه، ثمَّ قطع النبيُّ ﷺ الوادي وأتى إلى أصحابه[٣]، وإذا[٤] هم جميعٌ، فقرأ عليهم هذه الآية: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿وَخُذُوا حِذْرَكُمْ﴾ أي: مِن عدوِّكم[٥].

* * *

---

(١) قوله: «بضمِّ الزاي وتشديد اللام» من (ر). والزلخة: وهو وجع يأخذ في الظهر، لا يتحرك الإنسان من شدته. «النهاية» لابن الأثير (مادة: زلخ).

(٢) في (أ) و(ف): «عبده» بدل من «عبد الله».

(٣) نص العبارة في (ر): «ثم رجع النبي ﷺ لأصحابه» وفي (ف): «ثم رجع النبي ﷺ إلى أصحابه».

(٤) في (أ): «وإذ»، وفي (ر): «فإذا».

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣/ ٣٧٨ ـ ٣٧٩) عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، والكلبي متهم بالكذب وأبو صالح ضعيف كما سلف غير مرة.

(١٠٣) ـ ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْۚ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ قيل: فإذا فرغتُم منها، ﴿فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾؛ أي: بكلِّ حالٍ، وهو الذِّكرُ باللسانِ، والدُّعاءُ بالنَّصر[1]، فإنَّه حال ملاقاة العدوِّ، وهو كما قال: ﴿إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأنفال: ٤٥].

وقيل: أي: إذا أردتُّم أداءَ الصَّلاة؛ فصلُّوا قياماً إنْ قدرتُم عليه، وقُعوداً إنْ عجَزتم عن القيام، ومضطجعين إنْ عجَزتم عن القعود.

وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ قيل: إذا سكنتُم بزوالِ الخوف، فأتِمُّوا الصَّلاة بطائفةٍ واحدةٍ.

وقيل: إذا اطمأننتُم بالصِّحَّة، فأتمُّوا بالقيام والقعودِ، والرُّكوع والسُّجود.

وقيل: إذا أقمتم فأتِمُّوا، ولا تَقصروا.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا﴾ الكتاب[2]: الفرض، وهذا مصدرٌ بمعنى المفعول، والموقوتُ: المؤقَّت، وقد وَقتَهُ يَقِتهُ وقتاً، ووقَّته بالتَّشديدِ يوقِّته توقيتاً؛ يعني: إنَّ الصلاة فريضةٌ مِن الله تعالى، مفروضةٌ لأوقاتٍ معلومةٍ، كلَّما مضى وقتُ صلاةٍ واحدةٍ؛ جاء وقت صلاةٍ[3] أخرى، ليست كالصَّومِ الذي هو مفروضٌ

---

(١) في (ف): «بالنصرة».

(٢) في (أ): «الكتابة».

(٣) لفظ: «صلاةٍ» ليس في (ف)، في الموضعين.

في السَّنةِ مرَّةً، والحجِّ الذي هو في العُمرِ مرَّةً[١]، وذلك لتأكيد[٢] أمرها، وجلالة قدرها، وقوله: ﴿كَانَتْ﴾ دليلٌ على أنَّ الصلاة كانت مفروضةً على الأمم السَّالفةِ كلِّها، وقوله: ﴿عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ دليلٌ على أنَّ الكفَّارَ غيرُ مخاطبين بالشَّرائع.

وقال الإمامُ القشيريُّ رحمه الله: الوظائفُ الظَّاهرةُ مؤقَّتةٌ، ومشاهداتُ القلوب مؤبَّدةٌ، والرسومُ في وقتٍ دون وقتٍ، وأمَّا القلوب؛ فإيَّاكم والغَيبةَ عن الحقيقةِ لحظةً كيفما اختلفَتْ بكم الأحوال، وأمَّا الذِّكر؛ فكيف كنتم وكما كنتم، وأمَّا إقامة الصلاة؛ فإذا اطمأننتُم[٣].

* * *

(١٠٤) ـ ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ﴾؛ أي: لا تَضعُفوا في طلبِ العدوِّ في مكامنهم، نزَلَت في أهل أُحدٍ، وقد بيَّنَّا ذلك في قوله: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ﴾ [آل عمران: ١٤٠].

وقوله تعالى: ﴿إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ﴾؛ أي: تُوجَعون.

وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾؛ أي: تأمَلون الحياةَ الباقيةَ بالشَّهادةِ والرِّزقِ الدَّائمِ في الآخرة، والظَّفَرِ والنُّصرةِ في الدُّنيا، وهم لا يَأملون ذلك.

---

(١) بعدها في (ر): «واحدةً».

(٢) في (أ): «لتأكد».

(٣) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (١/ ٣٥٨ ـ ٣٥٩).

وقيل: معناه: وتخافون مِن الله ما لا يخافون؛ مِن قوله: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ [نوح: ١٣]؛ أي: لا تخافون لله عَظَمَةً، وإنَّما قامَ الرَّجاءُ مقامَ الخوف؛ لأنَّ ما يُرجَى كونُه يُخافُ فوتُه.

وقيل: لا يُستَعْمَل الرجاء في معنى الخوف إلَّا على النفي، فأمَّا على الإثبات فلا.

وقيل: يجوز ذلك، قال قائلهم:

تـوكَّل على الربِّ الكريمِ وثِقْ بهِ ... إذا نابَ أمرٌ مُفظِعٌ لك رائِعُ

فلا كلُّ ما تَرجو من الخيرِ كائنٌ ... ولا كلُّ ما تَرجو[1] من الشَّرِّ واقعُ[2]

وقيل: معنى قوله: ﴿وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾ أي: يحصلُ لكم برجائكم مِن الله ما لا يحصلُ لهم، يقال: لا رجاءَ لك عند فلانٍ؛ أي: لا تحقيقَ لما تَرجُوه.

وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾؛ قيل[3]: ﴿عَلِيمًا﴾ بمصالحِ العباد حين دعاهُم إلى الجهاد، ﴿حَكِيمًا﴾ في تدبيرِ أمورهم.

وقيل: ﴿عَلِيمًا﴾ بما ينالُ المؤمنين من الألمِ في سبيله، ﴿حَكِيمًا﴾ لا يُسوِّي بينَهم وبين الكفَّار في جزائِه.

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: القومُ شارَكوكم في آلام النُّفوس، ولكن خالفتُموهم في مشاهداتِ القلوب، أنتم تَشهدونَ ما لا يَشهدون، وتَجدُون بقلوبِكم ما لا يَجدون، فلا ينبغي أن تستأخروا عنهم في الجدِّ واحتمال الكدِّ[4].

---

(١) في (ف): «تخشى».

(٢) ذكر الثعلبي في «تفسيره» (٦/ ٢٠٣)، والبغوي في «تفسيره» (٥/ ٢١٣) البيت الثاني دون نسبة.

(٣) في (ر): «أي».

(٤) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (١/ ٣٥٩).

(١٠٥) ـ ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمٗا﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ﴾؛ أي: بالحكمِ الحقِّ، وقيل: بحقِّ الله عليكم، وقيل: بحقِّ بعضهم[1] على بعضٍ، وقيل: أي: بالامتحان؛ إذ[2] لا حكمةَ في الإهمال.

وقوله تعالى: ﴿لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ﴾؛ أي: أعلمَك، كما قال: ﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ﴾ [سبأ: ٦]؛ أي: يَعلمُ، وهي مِن رؤيةِ القلب، ودل ذلك على جوازِ الاجتهاد فيما لا نصَّ فيه.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمٗا﴾ أي: لقوم طُعمة بن أُبيرق السَّارقِ المنافقِ معيناً في[3] الخصومة.

وقيل: الخصمُ في الحقِّ، والخصيمُ في الباطل.

وقال ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: نزلت الآيةُ في طعمةَ بن أُبيرق الأوسيِّ، وكان سرقَ دِرعاً مِن جار لهُ يقال له: قتادة بن النُّعمان الأنصاريُّ، وكان الدِّرعُ في جِرابٍ فيه دقيقٌ، وفي روايةٍ: كان يذهب بها في السطوح، فرأى في الجراب خرقاً يَخرجُ منه الدَّقيقُ ويَظهر في السُّطوح، فخاف ظهورَ الحال، فرمى ذلك في دار يهوديٍّ اسمُه زيدُ بن السَّمين، وعلم به زيدٌ، فصعدَ السَّطح واتَّبعه حتَّى رآهُ دخلَ دارَهُ، ثمَّ إنَّ قتادة لمَّا أصبحَ ولم يجدِ الدِّرع؛ اتَّبع الأثرَ إلى دار زيدٍ، فطالبه بها للأثر، فقال: إنَّه عمل

---

(١) في (ر): «بعضكم».

(٢) في (ف): «أي».

(٣) في (ر): «على».

طُعمة، وأتياهُ[١] فجحدَ، وحلفَ على ذلك، واختصموا إلى رسول الله ﷺ، وجاء اليهودُ، فشهِدوا على براءة اليهوديِّ، وجاء بنو[٢] ظفر ـ وهم قوم طعمة ـ وجادلوا عن طعمة، ورُوِيَ أنَّهم عَلِموا أنَّه عَمَل طعمة فقد كان سارقاً في الجاهليَّة، لكن بيَّتوا طول ليلهم[٣]، واتَّفقوا على أنْ يشهدوا بالسَّرقة على اليهوديِّ؛ دفعاً عن طُعمة، ففعلوا ذلك، وهمَّ النبيُّ ﷺ أنْ يعاقِبَ اليهوديَّ، فنزلت الآية[٤].

وذكر مقاتل أنَّ صاحبَ الدِّرع زيدُ بن السَّمين اليهوديُّ، وكان استودَعها عند طُعمةَ، وطلبَها فجحدَها، ورمى بها في دار أبي مُلَيك بن عبد الله الأنصاريِّ[٥].

وذكر عاصم بن عمر[٦] بن قتادة أنَّ السَّارقَ بُشيرُ بنُ أُبيرق[٧]، والمسروقَ منه رفاعةُ بن النعمان أخو قتادةَ بن النعمان[٨].

---

(١) في (ف): «فأتياه».

(٢) في (ف): «قوم».

(٣) في (ف): «ليلتهم».

(٤) ذكر الثعلبي نحوه في «تفسيره» (٣/ ٣٨٠ ـ ٣٨١) من رواية الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما، وأورده الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ١٧٣) عن جماعة من المفسرين، وانظر: «الكافي الشاف» لابن حجر (ص: ٤٩).

(٥) انظر: «تفسير مقاتل» (١/ ٤٠٤).

(٦) في (أ) (ر): «عمرو»، وفي (ف): «عروة»، والمثبت من المصادر.

(٧) ذكره عنه ابن إسحاق كما في «سيرة ابن هشام» (١/ ٥٢٤).

(٨) قوله: «أخو قتادة بن النعمان» ليس في (أ). والذي في مصادر التخريج أن المسروق منه رفاعة بن زيد عم قتادة بن النعمان. والخبر رواه مطولاً الترمذي في «سننه» (٣٠٣٦)، والطبري في «تفسيره» (٧/ ٤٥٨ ـ ٤٦٢) وابن أبي حاتم (٤/ ١٠٥٩، ١٠٦٠) (٥٩٣٣)، (٥٩٣٤)، (٥٩٣٦) من طريق محمد بن سلمة الحراني عن محمد بن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة عن أبيه عن جده قتادة بن =

ولمَّا ظهر حال طُعمة؛ ارتدَّ ولَحِقَ بمكَّة.

وقيل: اليهوديُّ الذي رمى بالدِّرع في دارِه لبيد بن سهل[1].

وقيل: إنَّ طعمةَ حين ظهر حالُه ارتدَّ ومات بحرَّةِ بني سليمٍ كافراً[2].

وقيل: سرقَ بعد ذلك في مواضع[3]، وسرقَ في سفينةٍ كيساً، فأحسُّوا به ورموهُ في البحر[4].

وقيل: سرقَ من خزانة الكعبة بمكَّة، فوقع عليه حجرٌ فقتله.

وقيل في انتظامِها بما قبلَها: إنَّ الآيةَ الأولى في الصَّلاة، وهي أمانةٌ، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ ﴾ الآية [الأحزاب: ٧٢]، وهذه القصَّة في الخيانة.

= النعمان. قال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعلم أحداً أسنده غير محمد بن سلمة الحراني. وروى يونس بن بكير، وغير واحد هذا الحديث عن محمد بن إسحاق، عن عاصم بن عمر بن قتادة مرسلاً، لم يذكروا فيه: عن أبيه، عن جده. اهـ. قلت: ورواه الحاكم في «المستدرك» (٨١٦٤) من طريق يونس بن بكير، وفيه: عن أبيه عن جده. وعمر بن قتادة هذا مجهول، لا يعرف إلا من رواية ولده عنه. انظر: «ميزان الاعتدال» للذهبي (٣/ ٢٢٧).

(١) في رواية الترمذي ومن ذكر معه أن لبيد بن سهل رجل له صلاح وإسلام. وذكره الحافظ ابن حجر في «الإصابة» (٩/ ١٠ ـ ١١) في القسم الأول فهو عنده من الصحابة.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٤٦٦ ـ ٤٦٧) وابن أبي حاتم (٤/ ١٠٦٦) (٥٩٦٧) عن السدي، وفيه أنه نزل على الحجاج بن علاط السلمي فنقب بيته يريد سرقته، فسمع الحجاج خشخشة في بيته وقعقعة جلود كانت عنده، فنظر فإذا هو بطعمة، فقال: ضيفي وابن عمي وأردت أن تسرقني! فأخرجه.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٤٦٨ ـ ٤٦٩) عن عكرمة، وفيه أنه في آخر سرقاته سرق من ركب من بهراء بن قضاعة، وأنهم لما أدركوه قذفوه بالحجارة حتى مات.

(٤) انظر: «تفسير الثعلبي» (٣/ ٣٨٥).

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: ﴿وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا﴾؛ أي: لا تناضِل عن أرباب الحظوظ، وكنْ مع أبناءِ[١] الحقوق، ومَن جنح إلى الهوى، خان فيما أودعَ نفسَهُ مِن التَّقوى، ومَن ركنَ إلى نوازعِ المنى، خانَ فيما طولِب به مِن الحياء لاطِّلاع المولى[٢].

***

(١٠٦) ـ ﴿وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾.

وقولـه تعالـى: ﴿وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ﴾؛ أي: مِـن قصـدك قطـعَ اليهوديِّ بغير سـرقةٍ، والـذَّبَّ عـن طعمة.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾؛ أي: لمن استغفر.

***

(١٠٧) ـ ﴿وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ﴾؛ أي: عن طبقة طعمة، وهم إن خانوا غيرهم؛ فقد أضرُّوا بأنفسِهم، فكان ذلك خيانةً في حقِّ أنفسهم.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا﴾؛ أي: كثيرَ الخيانة، سمَّاه به لسرقتِه مرَّاتٍ. ﴿أَثِيمًا﴾ أي: كثير الإثم، والأثيمُ أبلغُ من الآثم؛ كالشَّهيد أبلغُ مِن الشَّاهد، والرَّحيم أبلغُ من الرَّاحم، وإثمُه كان بيمينِه الكاذبة، ورميِهِ اليهوديَّ البريءَ[٣] بالسرقة.

---

(١) في (ف): «أرباب».

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (١/ ٣٦٠).

(٣) لفظ: «البريء» ليس في (أ).

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: قوله تعالى: ﴿وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ﴾ أي: لأُمَّتك، فإنَّا قد كفيناك حديثَك[١] بقولنا: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٢].

وقال في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ﴾ هم المؤثرون حظوظَهم على حقوقه، والرَّاضون بالتَّعريجِ في أوطان الهوى، دون النُّقلةِ إلى منازل الرِّضى[٢].

***

(١٠٨) ـ ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾؛ أي: يَستترون بمعاصيهم في أخذ الأموالِ وجحد الحقوق، ﴿وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ﴾؛ أي: لا يُمكنُهم الاختفاءُ عن الله تعالى، فإنَّه مطَّلعٌ على سرائرهم.

وقال ابن عبَّاسٍ رضي الله تعالى عنهما: ﴿يَسْتَخْفُونَ﴾ أي: يستحيون، كنى به عنه؛ لأنَّه من أسبابه[٣].

وقوله تعالى: ﴿إِذْ يُبَيِّتُونَ﴾؛ أي: يدبِّرون بالليل، **وقوله تعالى:** ﴿مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾؛ أي: مِن تبرئة طُعمة، واتِّهامِ اليهوديِّ البريء، واستزلال النبيِّ ﷺ.

وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾؛ أي: عالماً بكلِّ وجوهِه.

***

---

(١) بعدها في (ف): «وقديمك».

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (١/ ٣٥٩ ـ ٣٦٠).

(٣) انظر: «التفسير البسيط» للواحدي (٧/ ٧٦).

(١٠٩) ـ ﴿ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلۡتُمۡ عَنۡهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيۡهِمۡ وَكِيلٗا ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ «ها» تنبيهٌ، و﴿أَنتُمۡ ﴾ خطابٌ لرهطِ طُعمة، و﴿هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ بمعنى: يا هؤلاء، وقيل: بمعنى: الذين.

وقوله تعالى: ﴿جَٰدَلۡتُمۡ عَنۡهُمۡ ﴾؛ أي: خاصمتُم عن الخائنين، ﴿فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ ﴾ استفهامٌ بمعنى النفي، ﴿أَم مَّن يَكُونُ عَلَيۡهِمۡ وَكِيلٗا ﴾ عطفٌ على «من»[١] وظاهرُه استفهامٌ، و﴿وَكِيلٗا ﴾؛ أي: حافظاً؛ كالموكَّل على الشيء يَحفظُهُ.

***

(١١٠) ـ ﴿ وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا ﴾؛ أي: ما يسوءُ غيرَهُ مِن سرقةٍ وخيانةٍ[٢] وتهمةٍ بباطلٍ، ﴿أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ﴾ أي[٣]: يعملْ ما يَضُرُّ به نفسَه.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ ﴾ جزمٌ؛ لأنَّه عطفٌ على: «مَنْ يَعمَل».

وقوله تعالى: ﴿يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴾ جزم؛ لأنَّه جزاءُ الشَّرط، دعاهم إلى التَّوبة والاستغفارِ ليغفرَ لهم ما كان مِنهم مِن الأوزار.

وقيل: ﴿ وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا ﴾؛ أي: ما تَسوءُ عاقبتُه، ﴿أَوۡ يَظۡلِمۡ ﴾ ﴿أَوۡ ﴾ بمعنى الواو؛ ويَظْلِمْ بذلك نَفْسَهُ.

---

(١) في (ف): «ما مر».

(٢) في (ف): «أو خيانة».

(٣) في (ف): «أو».

وقال ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: السُّوء هاهنا: السَّرقةُ، والظُّلم: الشِّركُ.

وقيل على عكسِه.

وقيل: الآيةُ عامَّةٌ في كلِّ الذُّنوب، وهي أرجى آيةٍ في القرآن، والاستغفارُ هو سؤالُ المغفرة مع النَّدمِ على المعصية.

* * *

(١١١) ـ ﴿وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾؛ أي: مَن فعلَ ما يَأثمُ به؛ فهو على نفسِه، لا يُعاقَب به غيرُه، وإن أراد تحميلَه غيرَه كما[1] أرادهُ طعمةُ وقومه، ولا يَخفى ذلك على الله تعالى؛ لأنَّه عليمٌ، وهو حكيمٌ لا يَضعُ الشَّيءَ غير موضعِه، ولا يُعاقِب بالذَّنبِ غيرَ فاعلِه.

* * *

(١١٢) ـ ﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيئَةً﴾؛ أي: بغير عمدٍ، ﴿أَوْ إِثْمًا﴾ أي[2]: بعمدٍ.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا﴾؛ أي: يتَّهم بالإثم مَن كان بريئاً عنه، و﴿يَرْمِ﴾ جزم؛ لأنَّه[3] معطوفٌ على ﴿يَكْسِبْ﴾، وذاك جُزِم بالشَّرط؛ وهو كقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ﴾ [النور: ٤].

---

(١) بعدها في (أ): «إذا».

(٢) بعدها في (ف): «تعمد».

(٣) بعدها في (ف): «كان».

وقولـه تعالـى: ﴿فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَانًا﴾؛ أي: كَذِباً محيِّـراً[١] مَنْ كَـذَبَ عليه؛ لغايةِ استحالته.

وقوله تعالى: ﴿وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾؛ أي: وِزْراً[٢] ظاهراً؛ أي: يُظهِرُهُ اللهُ تعالى، فيُعرَفُ بالبُهتان في الدُّنيا، ويعاقَبُ بإثمه في العُقبى.

وقال الكلبيُّ: ولـمَّا نزل: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ الآية [النساء: ١٠٨] عَرَفَ قومُ طعمة أنَّه الظَّالم، فقالوا له: بؤ بالذَّنبِ، واتَّق[٣] الله، فقال: لا والله الذي يُحلَف به، ما سرقَها إلَّا اليهوديُّ، فأنزلَ الله جلَّ جلالُه: ﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً﴾ يميناً كاذبةً، ﴿أَوْ إِثْمًا﴾ سرقة الدِّرعِ، ورميَ اليهوديِّ به[٤]، ﴿فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَانًا﴾ كذباً على غيرِه بما لم يفعل، ﴿وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ ذنباً بيِّناً بينه وبين ربِّه.

ثمَّ قوله: ﴿أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا﴾ إنَّما قال: ﴿بِهِۦ﴾ ولم يقل: بهما، مع سبق ذِكْرِ اثنين؛ لأنَّه صرفَهُ إلى أحدِهما، وهو أقربُهما إليه، كما في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٤]، وهذا بخلاف قوله: ﴿وَإِذَا رَأَوْا۟ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا﴾ [الجمعة: ١١]، لم يَصرِفْهُ إلى أقربِهما؛ لأنَّ التجارةَ هي المقصودةُ، واللَّهوُ بسببها، فكان صرفُه[٥] إلى المقصودِ أولى، وفي الآيتين اللَّتين[٦] قبلَهما كلُّ واحدٍ منهما في المراد مثلُ الآخر، وأحدُهما أقربُ، فكان[٧] أولى.

---

(١) في (ف): «محرّاً».

(٢) في (ر): «وزوراً».

(٣) في (ر): «واستغفر».

(٤) انظر: «التفسير الوسيط» (٢/ ١١٤)، و«البسيط» للواحدي (٧/ ٨٢).

(٥) في (أ): «وكان الصرف» بدل من «فكان صرفه».

(٦) بعدها في (ف): «أي ما».

(٧) في (ف): «وإحداهما أقرب من الأخرى فكانت» بدل: «وأحدهما أقرب فكان».

(١١٣) ـ ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيْءٍ ۚ وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَٰبَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ ﴾؛ أي: ولولا توفيقُ اللهِ وعصمتُه لك يا محمَّد.

وقوله تعالى: ﴿لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ ﴾؛ أي[1]: لقَصَدت جماعةٌ مِن قوم طُعمةَ أن يزلوك[2] بتبرئة[3] طُعمةَ وقطعِ اليهوديِّ.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ﴾؛ أي: وما يكون وبالُ ذلك إلَّا عليهم.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيْءٍ ﴾؛ أي: شيئاً، و﴿مِن﴾ للتأكيد.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَٰبَ وَالْحِكْمَةَ ﴾؛ أي: القرآنَ وبيانَ القرآنِ، قال تعالى: ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴾ [القيامة: ١٩].

وقوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ﴾؛ أي: مِن أمورِ الدِّين، وقيل: مِن أنباءِ الأوَّلين.

وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾؛ أي: مِن وقتِ خلقك إلى الآن بكلِّ شيء، فلم يكن ليترُكَ عصمتَك عن إزلالِ المنافقين، مع ما لهُ عليكَ مِن الفضلِ المبين.

* * *

---

(١) بعدها في (أ): «لقد».

(٢) في (ف): «يريبوك».

(٣) في (أ): «بتنزيه».

(١١٤) ـ ﴿۞ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ﴾ النَّجوى: الاسمُ مِن المناجاةِ؛ وهي المسارَّة، ولـمَّا بيَّت طائفةٌ مِن قومِ طُعمة ما لا يَرضى[1] مِن القول، أخبرَ اللهُ أنَّه لا خيرَ في مثل تلك المسارَّة[2] ﴿إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ﴾.

قيل: النَّجوى هاهنا: اسمُ المتناجين؛ كما في قوله: ﴿وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ﴾ [الإسراء: ٤٧]، و﴿إِلَّا مَنْ﴾ استثناءُ بعضِهم، ومحلُّه خفضٌ، كقولِك: لا خيرَ في قومٍ[3] إلَّا نفرٌ منهم.

وقيل: النَّجوى: المناجاة، وفيه إضمارٌ، وتقديره: إلَّا نجوى مَن أمرَ بصدقةٍ.

وقيل: الاستثناءُ منقطعٌ بمعنى: لكن؛ أي: لكن مَن فعلَ كذا، ومحلُّه رفعٌ بـ: لكن الخفيفة، وقوله: ﴿إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ﴾[4]؛ يعني: بتَصَدُّقٍ[5] بمالٍ على محتاج.

وقوله تعالى: ﴿أَوْ مَعْرُوفٍ﴾ قيل: أي: قرضٍ، وقيل: أي: قولٍ حسن.

وقوله تعالى: ﴿أَوْ إِصْلَٰحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾؛ أي: عند فسادٍ وقعَ بينهم، قال النبيُّ ﷺ لأبي أيوب الأنصاري: «ألَا أدلُّك على صدقةٍ هي خير لك من حُمْرِ النَّعم: تُصلِحُ بين الناس إذا تَفاسدوا، وتقرب بينهم إذا تباعدوا»[6].

---

(١) بعدها في (ر): «الله».

(٢) من قوله: «ولما بيت طائفة» إلى هنا ليس في (ف).

(٣) في (أ): «القوم».

(٤) في (ف): «تلك الحقيقة قوله تعالى» بدل من «بـ(لكن) الخفيفة، وقوله: ﴿إِلَّا مَنْ أَمَرَ﴾».

(٥) في (ف): «يتصدق».

(٦) رواه أبو داود الطيالسي في «مسنده» (٥٩٩)، ومن طريقه البيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٥٨٣) =

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾؛ أي: شيئاً من هذه الثَّلاثة، وقيل: أي: التَّناجي في شيءٍ منها، ﴿ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾ أي: لطلبِ رضا الله.

وقوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ هذا ظاهرٌ، وقد مرَّ تفسيرُه[1].

* * *

(١١٥) ـ ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ﴾؛ أي: ومن يُعادِهِ ويخالفهُ، ويكونُ في شِقٍّ[2] غير شقِّه.

وقوله تعالى: ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ﴾؛ أي: ظهرَ له الرُّشدُ فأسلمَ.

وقوله تعالى: ﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾؛ أي: يكفُرْ، ويَسلُك غيرَ سبيل المؤمنين، ﴿نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ﴾؛ أي: نَكِلْهُ إلى ما اختارَهُ مِن الكفر.

وقوله تعالى: ﴿وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ هذا ظاهرٌ، وهذا في شأن طُعمةَ؛ ارتدَّ وهلكَ في الكُفر، وقد روينا ذلك من وجوهٍ في أوَّلِ هذه القِصَّة، ثمَّ إنَّ الآيةَ بصيغتِها عامَّةٌ في حقِّ مَن اتَّصف بهذه الصِّفات، وفيها دليلٌ على أنَّ الإجماع حُجَّةٌ، ومُتَّبعُ غيرِ سبيلِ المؤمنين ضالٌّ.

* * *

= بلفظ: «ألا أدلك على صدقة يرضى الله ورسوله موضعها»، وفي إسناده أبو الصباح الشامي وعبد العزيز الشامي، ولم أقف على ترجمتهما.

(١) قوله: «وقد مر تفسيره» من (ف). ومر تفسيره عند الآية (٧٤) منها.

(٢) بعدها في (ر): «جانب».

(١١٦) ـ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ فسَّرناهُ في هذه السُّورةِ مرَّةً[١].

واتِّصالها بقصَّة طُعمةَ أنَّه أشركَ بعد الإيمان، وليس للمشركِ غفرانٌ.

وقال مقاتل: فخرج طعمة من مكَّة، ولحق بحرَّةِ بني سُلَيم، فعبدَ صنمَهم حتَّى ماتَ على الشِّركِ، فنزلَ فيه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾[٢]، فبيَّن أنَّ طُعمةَ لو لم[٣] يُشرِك، لكان في سَعَةِ رحمةِ الله أن يَغفِر له.

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾؛ أي: تَناهى تماديهِ في الضَّلال؛ إذ لا جهلَ أفحشُ مِن الجهلِ بالله[٤].

* * *

(١١٧) ـ ﴿ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا ﴾ أي: ما يَعبدون من دون الله إلَّا أوثاناً، وهذا تعجيبٌ مِن بعضِ جهالات أهل الشِّرك، والدُّعاء:[٥] العبادة؛ لأنَّ من عبدَ شيئاً دعاهُ لحوائجِه ومصالحِه، يقول: إنَّهم مع إقرارهم بأنَّ اللهَ جلَّ جلالُه خالقُهم

---

(١) لفظ: «مرة» ليس في (ف). ومر تفسيره عند الآية (٤٨) منها.

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (١/ ٤٠٧).

(٣) بعدها في (ر): «يكن».

(٤) في (ف): «الشرك» بدل: «الجهل بالله».

(٥) بعدها في (ف): «إلى» وهي مقحمة أو محرفة عن «أي».

ورازقُهم، يَعبدون معه أوثاناً يسمُّونها إناثاً؛ كاللّات والعُزّى ومَناة، وعَبَدَ بعضُهم الملائكةَ، وهم قالوا: هم بناتُ الله، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ﴾ [النمل: ٤]، وقال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا﴾ [الزخرف: ١٩]، وقال تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ﴾ [النحل: ٥٧]، مع اعترافِهم أنَّ إناث كلِّ جنسٍ أَخَسُّهُ وأَرذلُهُ، وتقديره: إلَّا إناثاً على زعمهم؛ كما قال: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ﴾ [فصلت: ٤٧]؛ أي: على زعمِكم، **وقوله تعالى:** ﴿وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ﴾(١) [طه: ٩٧]؛ أي: على زعمِك.

وقوله تعالى: ﴿وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا﴾ أي: وما يعبدون إلَّا شيطاناً(٢) عاتياً خبيثاً، خارجاً عن طاعة الله، ظاهراً شرُّه، كالغلام الأمردِ؛ ظهرَ ذقنه، والشجرةِ المرداء؛ سقطت أوراقُها فظهرت عيدانُها.

وعبادتهم الشَّيطان أنَّ بعضهم كانوا يَعبدون الجنَّ؛ وهم من الشَّياطين، ولأنَّهم عبدوا الأوثانَ طاعةً للشيطان، فأُضِيفت العبادةُ إليه، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ﴾ [مريم: ٤٤]؛ أي: لا تَعبدِ الصَّنمَ(٣) بدعاءِ الشَّيطان، فقد قال قبله: ﴿لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا﴾ [مريم: ٤٢]، وهو الصَّنم، ولأنَّ الشَّيطانَ كان يَدخلُ في الصَّنمِ ويكلِّمُهم، وهم يَعبدون الصَّنم، وفيه الشيطان، فكان ذلك عبادةً للشَّيطان، ولأنَّهم أطاعوه في كلِّ ما سوَّل لهم، فكأنَّهم أنزلوهُ منزلةَ المعبودِ، وهو كقوله تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا﴾ [التوبة: ٣١]؛ لإنزالهم إيَّاهم منزلةَ الربِّ فيما شرعوا لهم.

---

(١) بعدها في (ر): «ٱلَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا».

(٢) بعدها في (ر): «مريداً أي».

(٣) في (ف): «الأصنام».

(١١٨) ـ ﴿ لَعَنَهُ ٱللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ لَعَنَهُ ٱللَّهُ ﴾ أي: طردَهُ(١) وأبعدَه مِن رحمتِه.

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾؛ أي: لأجتهدنَّ في إضلالِ عبادِك حتَّى يصيرَ لي(٢) سهمٌ مقدَّرٌ(٣) معلومٌ، وإنَّما قال ذلك؛ لأنَّ الله تعالى كان(٤) قال له: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ﴾ [ص: ٨٥].

قال الحسنُ والكلبيُّ: مِن كلِّ ألفٍ تسعُ مئة وتسعة وتسعون للنَّار(٥)، وهم أتباعُه، وذلك قوله: ﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٧].

***

(١١٩) ـ ﴿ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ ﴾ أي: لأصرِفنَّهم من الهُدى إلى الضَّلال بالدُّعاء والتزيين والاستزلال، قال تعالى خبراً عنه: ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ﴾ [إبراهيم: ٢٢].

وقوله تعالى: ﴿وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ﴾؛ أي: ولأُلقِيَنَّ في قلوبِهم الأمانيَّ، قال تعالى: ﴿فَزَيَّنَ

---

(١) بعدها في (ر) لفظ الجلالة: «الله».

(٢) بعدها في (ر): «منهم».

(٣) في (ف): «بينهم مقدار» بدل: «سهم مقدَّر».

(٤) لفظ «كان» من (أ).

(٥) وهو قول مقاتل في «تفسيره» (١/ ٤٠٨).

﴿لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾[(١)] [النحل: ٦٣]، وقال خبراً عن أمانيهم: ﴿وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا﴾ [مريم: ٧٧]، ﴿وَلَئِن رُّجِعۡتُ إِلَىٰ رَبِّيٓ﴾ الآية [فصلت: ٥٠]، ﴿وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي﴾ الآية[(٢)] [الكهف: ٣٦]، ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوۡ كَانَ خَيۡرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيۡهِ﴾ [الأحقاف: ١١]، ﴿وَقَالُواْ لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰ﴾ الآية [البقرة: ١١١]، ﴿نَحۡنُ أَبۡنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾ [المائدة: ١٨].

وقيل: معناهُ: لأشغلنَّهم بالأمانيِّ عن الإيمانِ والطَّاعات.

وقيل: يُمَنِّيهم طولَ البقاءِ في الدُّنيا؛ ليؤثروها على الآخرةِ.

وقيل: يُمَنِّيهم على الله[(٣)] مع كفرِهم بالله.

وقوله تعالى: ﴿وَلَأٓمُرَنَّهُمۡ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ﴾ والبَتْكُ: القطعُ، من باب: دخل، والتَّبتيكُ: للتَّكثير والتكرير[(٤)]، و﴿ٱلۡأَنۡعَٰمِ﴾: الإبلُ والبقرُ والغنم؛ أي: لأحملنَّهم على أنْ يَقطعوا آذانَ هذه الأشياء ويحرِّموها على أنفسِهم بجعلِها للأصنام، وتسميتِها بحيرةً وسائبةً ووصيلةً وحامياً، ونفسِّرها[(٥)] في تلك الآية إن شاء اللهُ تعالى[(٦)].

وقوله تعالى: ﴿وَلَأٓمُرَنَّهُمۡ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلۡقَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: لَأُزَيِّنَنَّ لهم تغييرَ دينِ الله تعالى الذي فطرَ النَّاسَ عليه، قال تعالى: ﴿فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ﴾ [الروم: ٣٠].

---

(١) في (أ): «وزين».

(٢) قوله: «الآية ﴿وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي﴾ الآية» من (ف).

(٣) في (ف): «الآخرة» وهو تحريف.

(٤) في (ر): «والتكبير».

(٥) في (ر): «وتفسيرها»، وفي (ف): «ويأتي تفسيرها».

(٦) يعني في الآية (١٠٣) من سورة المائدة.

وقيل: أي: فليغيِّرُنَّ الأشياءَ عمَّا خُلِقت له، فيَجعلون للحجارةِ والخشبِ والطِّين منازلَ مَن يستحقُّ العبادةَ، واللهُ تعالى لم يَخلقها لهذا، ويُحرِّمون الأنعامَ والحرثَ، فلا يأكلونَها، ولا يَنتفعون بها، وإنَّما خَلقَها اللهُ تعالى للمنافع.

وقال أنسٌ والحسنُ وإبراهيمُ وعكرمةُ: هو الخِصاء[1].

وقال ابنُ مسعود رضي الله عنه: لعن الله الواشِراتِ ـ أي: محدِّدات الأسنان ـ، والواشماتِ ـ أي: على ظهور الأكفِّ ـ، والمتنمِّصاتِ ـ أي: ناتفات شعور الجبين ـ، والمتفلِّجاتِ للحُسن[2]، المغيراتِ لخلق الله[3].

وقيل: هو نتف الشيب.

وقيل: هو نتف اللِّحية.

وقيل: هو التَّخنُّثُ؛ وهو قول عبد الرحمن بن زيد.

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ يتولَّى مصالحَه، ويَكفيه مُهِمَّهُ، حتَّى انقادَ لأمرِه، وأطاعَه، وحرَّمَ ما أحلَّهُ الله بقوله[4].

وقوله تعالى: ﴿فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا﴾؛ أي: في الدُّنيا والآخرةِ؛ بفوت الطيِّبات، والوقوع في العقوبات.

* * *

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٤٩٤ ـ ٤٩٦) عن أنس وعكرمة ورواه أيضاً عن ابن عباس رضي الله عنهما وشهر بن حوشب وأبي صالح وسفيان.

(٢) بعدها في (ف): «أي».

(٣) رواه البخاري (٤٨٨٦)، ومسلم (٢١٢٥) عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً دون قوله: «الواشرات»، ووقعت هذه اللفظة في رواية الطبري في «تفسيره» (٧/ ٥٠٢).

(٤) لفظ: «بقوله» ليس في (ر).

(١٢٠) ـ ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ﴾؛ أي: يعدهُم البقاءَ في الدُّنيا، ويُمَنِّيهم ذلك بالوسوسة.

وقيل: يعدهم الفقر.

وقيل: هو قوله: ﴿وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٨] كما مر في قصَّةِ بدر.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾؛ أي: خداعاً.

* * *

(١٢١) ـ ﴿أُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ﴾؛ أي: هؤلاء الذين اتَّبعوه مصيرُهُم[1] النَّار، وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا﴾؛ أي: معدلاً.

* * *

(١٢٢) ـ ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ ولم يتَّبعوا الشيطانَ في الأمرِ بالكفر والمعاصي.

وقوله تعالى: ﴿سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ مرَّ تفسيرُها مرَّات.

وقوله تعالى: ﴿وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا﴾؛ أي: صدقاً، لا كوعد الشيطان.

---

(١) بعدها في (ر): «إلى».

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾؛ أي: قولاً، استفهامٌ بمعنى النفي؛ أي: لا أصدقَ مِن الله قولاً.

***

(١٢٣) - ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾؛ أي: ليس الأمرُ على شهواتِكم وأمانيِّكم أيُّها المشركون؛ تقولون في آلهتكم: هم[1] شفعاؤنا عندَ الله، ولا على شهواتِ اليهودِ والنَّصارى[2]؛ يقولون: نحن أبناءُ الله وأحباؤه، ولن تمسَّنا النَّارُ إلَّا أيَّاماً معدودات.

وقوله تعالى: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾؛ أي: مِن المشركين وأهلِ الكتاب وغيرِهم.

وقال الحسنُ البصريُّ رحمه الله: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا﴾؛ أي: شركاً، بدليل أنَّه قال: ﴿وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾[3]، وهذا وعيد الكفَّار؛ ولأنَّه قال بعدَه[4]: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾.

والصَّحيحُ أنَّه مطلقٌ في حَقِّ كلِّ سوءٍ مِن مؤمنٍ أو كافر، بدليل ما رُوِيَ أنَّه لمَّا

---

(١) في (ف): «هؤلاء».

(٢) بعدها في (ر): «أي».

(٣) رواه عن الحسن ابنُ أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٠٧٢) (٥٩٩٧) لكن فيه أنه استدل بقوله تعالى: ﴿وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ﴾ [سبأ: ١٧].

(٤) «بعده» ليس من (أ).

نزلت هذه الآيةُ بكى أبو بكرٍ الصِّديق رضي الله عنه، وقال: كيف الفلاحُ[١] بعد هذه الآيةِ يا رسولَ الله وهي قاصمةُ الظَّهر؟ كلُّ شيءٍ عملناهُ جُزينا به؟ فقال ﷺ: «غفرَ الله تعالى لك يا أبا بكر، ألستَ تمرضُ؟ ألستَ تحزنُ؟ ألستَ تصيبك الأدواء[٢]؟» قال: بلى، قال: «ذاك ما تجزون به»[٣].

وفي روايةٍ قال له: «أمَّا أنت وأصحابُك المؤمنون؛ فتُجزونَ بذلك في الدُّنيا حتَّى تَلْقَوا اللهَ تعالى ولا ذنبَ لكم، وأمَّا الآخرون؛ فيَجمعُ اللهُ ذلك لهم، ويُجزَونَ به يوم القيامة»[٤].

فأمَّا قوله: ﴿وَلَا يَجِدۡ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا﴾ فهو في حقِّ الكافرِ على الإطلاق؛ أنَّه لا يجدُ مَن يَتولَّى حفظَه عن العذاب أصلاً، ولا مَن يَنصرُه فيُعينه، أو يمنعُه عمَّا يُرادُ به من العقاب فعلاً، وفي حقِّ المؤمن أنَّ العاصيَ الذي يُعذِّبُه اللهُ مدَّةً، ثمَّ يُخرِجُه مِن النَّار، ويدخِلُهُ الجنَّة؛ ليس له وليٌّ ولا نصيرٌ يَدفع عنه هذا العذابَ المؤقَّتَ.

***

(١٢٤) ـ ﴿وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ نَقِيرٗا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ

---

(١) في مصادر التخريج: «الصلاح».

(٢) في (أ): «اللواء»، ولعلها: «اللأواء» كما في مصادر التخريج.

(٣) رواه أحمد في «مسنده» (٦٨ ـ ٧٠)، والطبري في «تفسيره» (٧/ ٥٢١ ـ ٥٢٣).

(٤) رواه الترمذي في «سننه» (٣٠٣٩) وذكر أن في إسناده مقالًا بينه. قلت: والحديث صحيح بطرقه وشواهده. كما قال محققو «مسند أحمد».

﴿يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ﴾ كلمة «مَنْ» للجنس، وتَصلحُ للواحد؛ فلذلك قال: ﴿وَمَن يَعۡمَلۡ﴾، ويصلح للجمع، ولذلك قال: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ﴾؛ صرفاً إلى المعنى.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يُظۡلَمُونَ نَقِيرٗا﴾ فسَّرناه مرَّةً في هذه السُّورة[1].

وقال الإمام القشيري رحمه الله: ﴿مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ﴾: مَنْ زرعَ الحنظلَ، لم يَجْتنِ العبهر[2]، ومن شارَ[3] السُّمَّ الزعاف[4]، لم يَجِد طعمَ العسل، كذا من ضَيَّع حقَّ الخدمة، لم يستمكن[5] على بساطِ القُربة، ومن وُسِمَ بالشِّقوةِ، لم يُرزقِ الصَّفوة، ومن نَفتهُ القضيَّةُ، فلا ناصرَ له من البريَّة.

وقال في قوله: ﴿وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾: ومن تَعنَّى في خِدمتِنا، لم يبقَ ضائعاً عن نيلِ نعمتِنا، ومن عنَّيناهُ في طلبِنا، أكرمناهُ بوجودنا، بل مَن جرَّعناهُ كأسَ[6] اشتياقِنا، نوَّلناهُ أنسَ لقائِنا[7].

***

(١٢٥) ـ ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ دِينٗا مِّمَّنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا﴾.

---

(١) عند تفسير الآية (٤٩) منها.

(٢) في (ف): «يجن». والعبهر: النرجس والياسمين ونبت آخر. انظر: «القاموس المحيط»: (عبهر).

(٣) شار بمعنى: اجتنى. انظر: «مختار الصحاح»: (شور).

(٤) في (ف): «النقاع».

(٥) في (ر): «يتمكن».

(٦) في (ف): «كاسات».

(٧) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (١/ ٣٦٦ ـ ٣٦٧).

وقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾ استفهامٌ بمعنى الجَحد، ولما نزل قوله تعالى: ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ [النساء: ١٢٣]؛ قالت اليهودُ والنَّصارى: لقد استوينا كلُّنا، فنزلَت هذه الآيةُ في إبطالِ دينِهم وتفضيلِ دين الإسلام[١].

وقوله: ﴿أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ﴾ أي: أخلصَ دينَه لله.

وقيل: أي: عملَه.

وقيل: أي: سلَّمَ نفسَه.

والوجهُ أشرفُ أعضاءِ الإنسان[٢]؛ فخُصَّ بالذِّكر، ولأنَّ الانقيادَ يَظهرُ في الوجه، وكذلك قولُه تعالى: ﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ﴾ [طه: ١١١].

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ قيل: الأول في الاعتقاد، وهذا في العمل.

وقيل: الإحسان ما قال النبيُّ ﷺ: «هو أن تعبدَ الله كأنَّك تراه، فإنَّك إن لم تكن تراهُ فإنَّه يراك»[٣].

وقيل: أي: أسلمَ وجهَه وهو محسِنٌ في حقِّ عبادِ الله تعالى.

وقوله تعالى: ﴿وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾ خصَّه بالذِّكر؛ إذ هو أجلُّ الأنبياء المفتَخرِ بهم لأهل الكتاب، ثمَّ هم[٤] خالفوهُ في دينِه، فأبطَلوا فضائلَهم، وهو أيضاً

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٥٠٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٠٧٢) (٦٠٠٠).

(٢) في (ف): «الأعضاء» بدل: «أعضاء الإنسان».

(٣) أخرجه البخاري (٥٠)، ومسلم (٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وأخرجه مسلم (٨) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٤) في (أ): «ثم»، وفي (ف): «وهم» بدل: «ثم هم».

للعرب بهذا المحلِّ؛ إذ هو أبو إسماعيل، الذي هو أبو العرب، وهم قد خالفوهُ، فأبطلوا فضائلهم.

وقوله: ﴿حَنِيفًا﴾؛ أي: مستقيماً على منهاجِه في الخِتان، والحجِّ، والجهادِ، ومحاجَّةِ الأعداء، وإقامة الشَّرائع.

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا﴾؛ أي: لا أحدَ[١] أحسنُ ديناً ممَّن أسلمَ وجهَه لله تعالى؛ يعني: أفردَ قصدَه إلى الله تعالى، وأخلصَ عقدَه لله عمَّا سوى الله، ثمَّ استسلمَ في عمومِ أحواله لله بالله، ولم[٢] يدَّخر شيئاً عن الله، لا مِنْ مالِه، ولا مِنْ جسدِه، ولا مِنْ روحِه، ولا مِنْ خلده[٣]، ولا مِنْ أهله، ولا مِنْ ولدِه، وكذلك كان الخليلُ صلواتُ الله عليه[٤].

وقوله تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ أثنى عليه بذلك، وهو أنَّه جعله مختصًّا بالانقطاع إليه؛ بصبرِه وتَحمُّلِ المكارهِ في إقامة دينِه، حتَّى هجرَ أهلَه وولدَهُ، وفارقَ وطنَه وبلده، وبذلَ نفسَه ومالَه وولدَه.

قال أبو العبَّاس المبرد: اختلَّ فلانٌ بالرُّمح قلبَ فلانٍ؛ أي: اختصَّه، وخلَّلَ العطاءَ في بني فلان؛ أي: خصَّهم به.

وقيل: الخُلَّةُ: المودَّة التي توجِب الاختصاصَ بتخلُّل الأسرار.

وقيل: هي من الخَلَّة، التي هي الحاجة، قال زهيرٌ:

---

(١) في (ف): «أجد».

(٢) في (أ) و(ر): «ومن لم». والمثبت من (ف)، وهو موافق لما في «لطائف الإشارات».

(٣) في «لطائف الإشارات»: «جلده».

(٤) «لطائف الإشارات» (١/ ٣٦٧).

وإن أتاه خليلٌ يومَ مَسْغَبةٍ يَقولُ لا غائبٌ مالي ولا حَرِمُ[١]

فإبراهيمُ خليلُ الله؛ أي: المحتاجُ إليه، المنقطعُ إليه بحاجتِه وإظهارِ فاقتِه.

وروى جابرُ بنُ عبدِ الله الأنصاريُّ عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: «اتَّخذ الله إبراهيم خليلاً؛ لإطعامِه الطَّعامَ، وإفشائِه السَّلام، وصلاتِه باللَّيل والنَّاسُ نيام»[٢].

وروى أبو أمامة الباهليُّ عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: «أتدرون لِمَ اتَّخذ الله إبراهيمَ خليلاً؟» قالوا: اللهُ ورسولُه أعلم، قال: «كان إذا ذَكرَ الله بطريقِ الحَلِف لم يَحنث»[٣].

وقال عبيد[٤] بن عمير: كان إبراهيمُ عليه السلام يضيفُ النَّاس، فخرجَ يوماً يَلتمِسُ ضيفاً، فلم يجد، فرجعَ إلى دارِه، فوجدَ فيها رجلاً قائماً، فقال: يا عبدَ الله، مَن أدخلك داري بغير إذني؟ فقال: دخلتُها بإذنِ ربِّها، فقال: من أنت؟ قال: أنا مَلَك الموت، فقال: بمَ جئتني؟ قابضاً أم زائراً؟ قال: لا، بل أرسلني ربِّي إلى عبدٍ مِن عبادِه أبشِّرُه بأنَّ اللهَ قد اتَّخذه خليلاً، قال: من هو؟ فوالله لئن أخبرتَني به، ثمَّ كان بأقصى البلادِ لآتينَّه، ثمَّ لا أبرحُ له خادماً حتَّى يُفرِّق بيننا الموتُ، قال: ذلك العبدُ هو أنت، قال: أنا؟! قال: نعم، قال: فبِمَ اتَّخذني ربِّي خليلاً؟ قال: لأنَّك تُعطي النَّاسَ ولا تَسألُهم[٥].

وقال محمَّدُ بنُ المنكدر: كان إبراهيمُ عليه الصَّلاة والسَّلام مِن أغْيَرِ النَّاس، فكان لا يَدخُلُ دارَه أحدٌ، فبينا هو يوماً في دارِه إذ دخلَ عليه كهيئةِ الإنسان[٦]، فقال

(١) انظر: «شرح ديوان زهير» (ص: ١٥٣). قال شارحه: والحَرِم: المنع، يقول: ليس لمالي منعٌ عنك.

(٢) ذكره أبو الليث في «تفسيره» (١/ ٣٩٢) دون إسناد.

(٣) لم أقف عليه.

(٤) في (ر): «عبيد الله»، والمثبت هو الصواب.

(٥) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٠٧٥) (٦٠١٦)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣/ ٢٧٤).

(٦) في (أ) و(ر): «إنسان».

له إبراهيم: من أدخلَكَ داري؟ قال: أدخلَني ربُّها، قال: ولَها[١] ربٌّ غيري؟ قال: نعم، فعرفَ إبراهيمُ أنَّه مَلكُ الموت، فقال له: يا إبراهيم؛ إنَّ ربِّي أرسلَني إليك، ويقول: إنَّ الخليلَ يُحِبُّ أنْ يَلقى خليلَه، وأمرَني أن أقبضَ روحَك بأيسرِ ما قبضتُ به روحَ مؤمنٍ، قال: فإنِّي أسألُك بالذي أرسلك أن تراجعه[٢]، فصعد فقال: يا رب؛ إنَّ خليلَك سألَني أنْ أُراجِعَك فيه، قال: فائته وقل له: وهل يكرهُ الخليلُ لقاءَ خليلِه؟! فعاد وقال له ذلك، فقال: امضِ لما أُمِرت به، قال: يا إبراهيم؛ أشربتَ الخمر؟ قال: ما شربتُها قط، قال له: فاستنكه[٣]، فقبض نفسه على ذلك[٤].

وقال الكلبيُّ رحمه الله: بعث إبراهيمُ عليه السلام غلمانَهُ إلى خليلٍ له بمصرَ، يَمتارون له سنةَ الجدب، فقال خليلُه: لو كان إبراهيمُ إنما يريدُه لنفسِه، احتملنا ذلك، لكنَّه يريدُهُ للنَّاس، وقد دخلَ علينا ما دخلَ على النَّاس، فرَجعوا، ومرُّوا ببطحاء، وحملوا من رملِها؛ ليُروا النَّاس أنهم جاؤوا بشيء، ثمَّ قدِموا وإبراهيمُ نائمٌ، وحطُّوا الأحمالَ، وفتحتها سارة، فإذا هو أجودُ حُوَّارَى، فخبَزَت وأطعمَتِ النَّاسَ، وانتبهَ إبراهيمُ فوجدَ ريحَ الطَّعام، فقال: من أين هذا الطعام؟ فقالت: من عند خليلِك المصريِّ، فقال: هو من عند الله، فاتخذه الله خليلاً لذلك[٥].

---

(١) في (ر): «أولها». وفي (ف): «ألها».

(٢) في (ف): «قال له: فراجع ربي» بدل: «قال: فإني أسألك بالذي أرسلك أن تراجعه».

(٣) في «العظمة» لأبي الشيخ: «فاستنكهه» ومعناه: شم رائحة فمه، هل شرب الخمر أم لا؟ انظر: «النهاية» لابن الأثير (مادة: نكه).

(٤) رواه أبو الشيخ في «العظمة» (٤٤٨)، وفيه إبراهيم بن أبي بكر بن المنكدر، وهو ضعيف. انظر: «ميزان الاعتدال» للذهبي (١/ ٦٥). والغالب أنه من الإسرائيليات.

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣/ ٣٩٢) عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، وهو إسناد تالف.

وقيل: لمَّا أُلقيَ في النَّار قال له جبريل عليه السَّلام: هل لك مِن حاجةٍ؟ قال[١]: أمَّا إليك فلا، حسبي الله ونعم الوكيل، فاتَّخذَهُ اللهُ خليلاً لذلك[٢].

وقيل: لـمَّا أُمِر بذبحِ الولد[٣]؛ قال: مَن لي بخليلٍ بعده؟ فقال اللهُ تعالى: أنا خليلُك، فاتَّخذَهُ الله خليلاً[٤].

وقال بكرُ بنُ عبدِ الله المزنيُّ: كان إبراهيم عليه السلام يربِّي يتيماً سيِّئ الخلق، ويُكابِدُ فيه[٥] الشِّدَّةَ، فماتَ اليتيمُ، فأكثَرَ الجزعَ عليه، وقال: كنت أحتسِبُ الأجرَ في سوءِ خلقِه، فسمَّاه الله لذلك خليلاً.

وقال شهرُ بن حوشب: قال اللهُ تعالى للملائكة: إنَّ لي في الأرضِ عبداً اسمُه إبراهيم، وإنِّي أريدُ أنْ أتَّخذَهُ خليلاً، فقالوا: نحن نسبِّحُ بحمدِك ونقدِّسُ لك، فلا تتَّخذْنا خليلاً، وتَتَّخِذُهُ خليلاً! قال: فاختاروا منكم مَلَكاً، فاختاروا، فقال اللهُ تعالى له: اهبط إلى الأرضِ، واذكرني بين يدي[٦] عبدي إبراهيم، فهبطَ في صورة مَلك، ومثلَ بين يديه، وقال: الله، بصوتٍ رخيمٍ شجيٍّ، فقال إبراهيم: اذكرهُ مرَّةً أخرى، قال: لا أذكرُهُ مجَّاناً، قال: لك مالي كلُّه، فقال بصوتٍ أشجى منه: الله، فقال إبراهيم: اذكرهُ مرَّةً ثالثةً ولك أولادي[٧]، فقال له الملكُ: أبشِر؛ فإنِّي ملَكٌ، لا أحتاجُ إلى

---

(١) في (أ): «فقال».

(٢) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٤٥) من قول بشر بن الحارث الحافي، دون قوله: فاتخذه الله خليلاً.

(٣) في (ف): «ولده».

(٤) قوله: «فاتخذه الله خليلًا» من (ر).

(٥) في (ف): «منه».

(٦) في (ف): «عند» بدل: «بين يدي».

(٧) في (ف): «ذا وأشار إلى ولده» بدل: «ولك أولادي».

مالِكَ وولدِكَ، وعرجَ إلى السَّماء، فقالوا: حقٌّ له أن يتَّخذهُ خليلاً[1]، ونزلَ جبريلُ عليه السَّلامُ بالبشارة، فقال: وما أمارةُ ذلك؟ قال: أنَّ الله يُحيي الموتى بدعائِك، فعند ذلك قال: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾ [البقرة: ٢٦٠] على الخلَّةِ، لا شكًّا في قدرةِ الله تعالى.

وقال الإمامُ القشيريُّ رحمه الله: إنَّ الله تعالى جرَّدَ الحديثَ عن كلِّ سعيٍ وكدٍّ وطلبٍ وجهد، حين قال: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾، فعُلِمَ أنَّ الخُلَّة كسوةٌ يَكسوها الحقُّ، لا صفةٌ يَكتسِبُها العبد[2].

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: نحن نعلمُ أنَّ اللهَ تعالى لا يُسمِّيه بالذي ذُكِرَ عبثاً باطلاً، لكن سمَّاهُ به تعظيماً لقدره، وإظهاراً لكرامتِه، وبياناً لمنزلتِه عندَهُ بما شاءَ مِن الوجوه التي لعلَّها لم يُطلِعِ الله[3] عليها الخلقَ، ولا يَحتمِلُ أنْ يُدركَ ذلك إلَّا بالوحي، فحقٌّ علينا تعظيمُه ومعرفتُه بالذي اختصَّهُ به، دون تكلُّفِ المعنى الذي كان له ذلك، مع ما لا وجهَ ولا معنى صار به حقيقَ ذلك وأُكْرِمَ به، إلا لمعنًى أكرمَهُ اللهُ تعالى به، ولله أنْ يَبتدِئه بالخلَّة، ثمَّ يُكرِمَهُ بأنواع الكرامات التي هي آثارُ الخلَّة، وأن يكرِمَهُ بأنواع الكرامات التي بها تقعُ كرامةُ الخلَّةِ، ولله تعالى المنُّ في ذلك والفضلُ، وعلينا الحمدُ لله والشُّكرُ بما أكرمَنا مِن معرفةِ كرام خلقِه، وجعل في قلوبِنا مودَّتَهم، حتَّى صاروا أحبَّ[4] إلينا من أمسِّ الخلقِ بنا، بل مِن أنفُسِنا.

ثمَّ ليس للنَّصارى دعوةُ البنوَّة لله تعالى من حيث الكرامة على الاعتبار

---

(١) ذكره الواحدي في «البسيط» (٧/ ١١٦).

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٣٦٧).

(٣) لفظ الجلالة «الله» ليس في (ف).

(٤) بعدها في (ر): «الناس».

بالخلة؛ لأنَّه تعالى عظَّمَ أمرَ الأولادِ حتَّى جعلَهُ كالشِّركِ، ولا كذلك أمرُ الخلَّةِ، ولأنَّ أمرَ الأولادِ حقُّه المجانسةُ، والخُلَّةُ حقُّها الموافقة، ثمَّ أصلُ الأولادِ الشَّهوةُ والحاجةُ، والخُلَّةُ أصلُها الخضوعُ والطَّاعة، ولأنَّ الخُلَّةَ قريبةٌ مِن المحبَّة، والمعنى الذي يقتضي ذلك قد يكون بفعلِ العبد، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، وقال تعالى: ﴿فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١]، ومحالٌ أن يجيء معنى البنوَّة والولادة بشيءٍ مِن الطَّاعة، فلذلك اختلفَ الأمران[1].

***

(١٢٦) - ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: مُلكاً، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطًا﴾؛ أي: عِلماً، بيَّن أنَّه وإنْ رفعَ منزلتَهُ، وأعلى درجتَهُ، فهو عبده، ويحيطُ بكلِّ مِن[2] موافقيه ومخالفيه علمُه.

***

(١٢٧) - ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِى ٱلنِّسَآءِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ فِى يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلْوِلْدَٰنِ وَأَن تَقُومُوا۟ لِلْيَتَٰمَىٰ بِٱلْقِسْطِ ۚ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِى ٱلنِّسَآءِ﴾ ومن الإحسان المجاملةُ في حقِّ اليتامى والنِّسوان.

---

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٣/ ٣٧٢).

(٢) لفظ: «من» ليس في (ف).

نزلت الآية في شأن بنتِ محمَّد بن مَسْلَمة، قاتلِ كعب بن الأشرف، واسمُها خويلة ـ وقيل: عميرة ـ وزوجها رافع بن خديج، كان له منها أولاد، وقد كَبِرتْ وأيسَت من الحيض، فأرادَ أنْ يُطلِّقَها ويتزوَّجَ غيرها، فقالت: لا تُطلِّقني، ودعني أقومُ على ولدي، وتَزوَّج مَن شئتَ، واجعَلْ قسمي كلَّ عشرة أيَّام، أو ما شئتَ، فقال رافع: إن كان هذا يَصلُحُ فهو أحبُّ إلي، فجاء إلى رسولِ الله ﷺ، وذكرَ له ذلك، فقال ﷺ: «لقد سمعَ اللهُ ما تقول، فإنْ شاءَ أجابَك»، فأنزلَ اللهُ تعالى هذه الآية: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِ﴾[1]، وهذا مختصرٌ، وظهرَ بالجواب أنَّ الاستفتاء عمَّاذا كان؟ وتقديرُه: ويسألونك في النساء[2]؛ ما الواجبُ لهنَّ وعليهنَّ؟

وقوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ﴾؛ أي: يجيبكم عن[3] سؤالكم[4].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ﴾ مِنهم مَن جعلَهُ عطفاً على ﴿فِيهِنَّ﴾؛ أي: ويفتيكم فيما يتلى عليكم، لكن قال المحققون من أهل النَّحو: إنَّ عطفَ الظَّاهرِ على المكنيِّ المخفوضِ غيرُ جيِّد إلَّا بإعادةِ الخافض[5].

---

(١) ذكر مقاتل في «تفسيره» (١/ ٤١٢)، والثعلبي في «تفسيره» (٣/ ٣٩٤) نحو هذا الخبر سبباً لنزول الآية التالية: ﴿وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا﴾.

(٢) قوله: «في النساء» من (ر).

(٣) في (ف): «على».

(٤) بعدها في (ر): «عليهم».

(٥) انظر: «الكتاب» لسيبويه (٢/ ٣٨٢ ـ ٣٨٣). وهذا الذي ذكره المؤلف هو مذهب جمهور النحاة، والحق أنه جائز ورد في كلام الله سبحانه في قراءة ﴿تساءلون به الأرحام﴾، في قراءة من قرأ بالخفض، وهو حمزة. وجعلوا منه قوله تعالى: ﴿وكفر به المسجد الحرام﴾ وعلى ذلك الكسائي وابن مالك وغيرهما. قال ابن مالك: وليس عندي لازماً إذ قد أتى في النظم والنثر الصحيح مثبتاً؛ أي: إعادة الجار، والله أعلم.

والصَّحيحُ أنَّه مرفوعٌ معطوفٌ على قوله: ﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾؛ أي: اللهُ يفتيكم، والكتابُ المتلوُّ عليكم يُفتيكم؛ أي: يُبيِّنُ[١] لكم، وهو كقولك: بيَّن اللهُ لنا كذا، وبيَّن القرآنُ كذا، على معنى أنَّ البيانَ فيه، وعلى هذا قولُه: ﴿أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ﴾ [الروم: ٣٥]، يريدُ به أنَّ اللهَ تعالى[٢] يجيبُكم في أمر النِّساء، والذي يُتلى عليكم[٣] في الكتاب يُبيِّن لكم جوابَ سؤالٍ آخر، وهو نكاحُ اليتيمات.

﴿وَمَا يُتْلَىٰ﴾ هو ما ذُكر في أوَّلِ هذه[٤] السُّورة، وكانت بناتٌ استُشْهِدَ آباؤهنَّ، ولهنَّ أموالٌ، وأولياءُ لا غِنى لهم، فسألوا: أيجوزُ لنا أنْ نتزوجهنَّ مع قلَّةِ أموالِنا، فأجيبوا: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا۟ فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾؛ أي: غيرَهن، فأعادوا السُّؤال بناءً على أنَّ لهم حقَّ التَّربية، فعسى أن[٥] يُطلَق لهم ذلك[٦]، فأُجيبوا هاهنا أنَّ الجوابَ ما مرَّ في تلك[٧] الآية.

وقوله تعالى: ﴿فِى يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ﴾؛ أي: اليتيماتِ مِن النِّساء، واليَتامى يَصلحُ للذُّكور والإناث جميعاً.

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّٰتِى لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ﴾؛ أي: لا تُعطونهنَّ ما فُرِضَ لهنَّ من المهورِ؛ لعدم المال لكم.

وقوله تعالى: ﴿وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾؛ أي: تُحِبُّونَ نكاحهنَّ، وتَرغبون في ذلك.

---

(١) في (ف): «يتبين».

(٢) في (أ): «يريد الله أن» بدل من «به أن الله تعالى».

(٣) «عليكم» ليس في (أ).

(٤) لفظ: «هذه» من (أ).

(٥) «أن» ليس في (ف).

(٦) «ذلك» ليس في (ف).

(٧) من قوله: «فانكحوا ما طاب لكم» إلى هنا ليس في (أ).

وقيل: أي: لا تفرضونَ لهنَّ صداقَ أمثالِهنَّ، بل تحطُّون عن ذلك ظلماً.

وقيل: أي: لا تُعطونهنَّ ميراثهنَّ، فتَظلمون مِن هذا الوجه، وتظلمونهنَّ أيضاً بنكاحهنَّ بما دون مهورهنَّ.

وقيل: ﴿وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾؛ أي: عن أن تنكحوهنَّ[1]، ولعدمِ الرغبةِ فيهنَّ لا تنكحونهنَّ، ولرغبتكم في أموالهن تَعضلونهنَّ؛ لترثوهنَّ إذا متنَ.

وقوله تعالى: ﴿وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَن تَقُومُوا لِلْيَتَامَىٰ بِالْقِسْطِ﴾؛ أي: وما يُتلَى عليكم في أوَّل السُّورة يُفتيكُم في هؤلاء أيضاً، وهو قولُه تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ﴾ [النساء: ٢] ﴿وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ﴾ [النساء: ٢]، ﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ﴾ [النساء:٦]، ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا﴾[2] [النساء:٩]، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ﴾[3] [النساء: ١٠]، ونظائرها.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا﴾ ﴿وَمَا﴾ شرطٌ، ولذلك جزم فحذفت النُّون، وقوله: ﴿مِنْ خَيْرٍ﴾؛ أي: مِن اتِّباعِ أمرٍ، واجتنابِ نهيٍ، فقد سبقَ علمُ الله بكونه منكم، وهو جازيكم عليه.

* * *

(١٢٨) ـ ﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ۚ وَالصُّلْحُ خَيْرٌ ۗ وَأُحْضِرَتِ الْأَنفُسُ الشُّحَّ ۚ وَإِن تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾.

---

(١) «أي: عن أن تنكحوهن» ليس في (ف).

(٢) بعدها في (ر): «من خلفهم».

(٣) بعدها في (ر): «ظلماً».

وقوله تعالى: ﴿وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ مِنۢ بَعۡلِهَا﴾[١] هو جوابُ سؤالهم عن أمورِ النِّساء، وتحقيقُ وعدِه: ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ فِيهِنَّ﴾، وهو في خويلةَ[٢] بنتِ محمَّدِ بن مسلمة. وقوله: ﴿خَافَتۡ﴾؛ أي: علمت ﴿مِنۢ بَعۡلِهَا﴾؛ أي[٣]: زوجِها.

وقوله تعالى: ﴿نُشُوزًا﴾؛ أي: ترفُّعاً وكراهةَ صحبةٍ[٤].

وقوله تعالى: ﴿أَوۡ إِعۡرَاضًا﴾ أي: تولِّياً بوجهه.

وقوله تعالى: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَا أَنۡ يَصَّالحَا بَيۡنَهُمَا صُلۡحاً﴾ على أن تكونَ القديمةُ هي القيِّمةَ في البيت، وفي يدها الرَّفعُ والوضع، والقَسْمُ للحديثة، فيكون للشَّابَّةِ لذَّةُ الصُّحبَة، وللعجوزِ مراعاةُ الحرمة.

وإنَّما نفى الجُناح عنهما؛ لأنَّها أسقطَتْ حقَّ نفسِها، والزَّوجُ فعلَ ذلك برضاها، وهما يملكان التَّصرُّفَ في حقوقهما، وهو بخلاف الزِّنى والرِّبا؛ لأنَّهما[٥] لا يَحِلَّان برضا الفاعلين والعاقدين؛ لأنَّ هذه الحرمةَ حقُّ الله تعالى، وهما لا يملكان إسقاطَها.

وقرأ أهلُ المدينة وابنُ كثير وابنُ عامر[٦] وأبو عمرو: ﴿أَنْ يَصَّالحا﴾ بتشديدِ الصَّاد وزيادةِ الألف، وأصلُه: يَتصالحا، فأُدغِمَت التَّاءُ في الصَّاد، وقرأ الباقون: ﴿أَن يُصۡلِحَا﴾ بضمِّ الياء وتخفيف الصَّادِ وكسر اللام[٧]، مِن الإصلاح.

---

(١) بعدها في (ف): «نشوزاً أو إعراضاً».

(٢) لفظ: «خويلة» من (أ).

(٣) بعدها في (ر): «من».

(٤) «صحبة» ليس من (ف).

(٥) في (أ): «أنهما».

(٦) قوله: «وابن كثير وابن عامر» من (ف).

(٧) انظر: «السبعة» (ص: ٢٣٨)، و«التيسير» (ص: ٩٧).

و﴿صُلْحًا﴾ نصبَ على وجهِ المصدر، وليس على بناءِ الفعل، لكن على اعتبارِ الأصْل، وقد أوضحناهُ في قوله تعالى: ﴿يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾[(١)].

وقوله تعالى: ﴿وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ﴾؛ أي: الصُّلحُ منهما على هذا الوجهِ أحسنُ من الدَّوامِ على المخالفةِ والنُّشوزِ والإعراض؛ لأنَّ ذلك يؤدِّي إلى الفِراق.

وقال عبدُ الرَّحمن بن أبي الزناد: نزلَت في سَوْدَةَ بنتِ زَمعة، وكانت مُسِنَّةً، فكَرِهَتْ أن يُفارِقَها النبيُّ ﷺ، وضنَّت بمكانِها منه، وعرفَتْ حبَّهُ لعائشةَ رضي الله تعالى عنها، ومنزلتَها منه، فوهَبَت يومها لعائشة، وقبِلَ ذلك رسولُ الله ﷺ[(٢)].

وقولُه تعالى: ﴿وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ﴾؛ أي: وطُبِعت الأنفسُ على الشُّحِّ، وهو البخلُ وصرفُه مِن حدِّ: ضربَ، والنَّعتُ: الشَّحيح، وجمعُه: الأشحَّة، وإحضارُ النَّفسِ[(٣)] الشحَّ: إلزامُها خلقَهُ حتَّى لا يفارقها، فالمرأةُ تَشِحُّ، فلا تتركُ قَسمها ونفقتَها، والزَّوجُ يَشِحُّ بحظِّهِ مِن الشَّابَّةِ الجميلة، فلا يتركُها لأجل العجوزِ القبيحة، فأمرَهُما بمخالفةِ الطَّبعِ، ومتابعةِ الشَّرعِ؛ بالصُّلحِ، أو إيفاء الحقِّ[(٤)]، وذلك قوله تعالى: ﴿وَإِن تُحْسِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ قيل: أي: إنْ تُحسِنوا أيُّها الأزواجُ بالإجابةِ إلى الصُّلح.

وقيل: أي: بإيفاءِ حقِّ المسنَّةِ.

---

(١) قبلها في (ف): «من ذا الذي».

(٢) رواه أبو داود في «سننه» (٢١٣٥) من طريق عبد الرحمن بن أبي الزناد عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها.

(٣) في (ر): «الأنفس».

(٤) قوله: «أو إيفاء الحق» ليس في (ف).

وقيل: يُحسِنُ كلُّ واحدٍ مِن الزَّوجين بمراعاةِ رضا الآخر.

وقوله: ﴿وَتَتَّقُواْ﴾ قيل: أي: تتَّقوا الميلَ. وقيل: وتتَّقوا الفِراقَ؛ فالله تعالى يَعلمُ ذلك، ويُجازي عليه، وهذا كما قال: ﴿خُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ مِنۡ عَجَلٖ﴾، وهذا بيانُ الطَّبع، ثمَّ قال: ﴿فَلَا تَسۡتَعۡجِلُونِ﴾ [الأنبياء: ٣٧]، وهذا نهيٌ عن متابعةِ الطَّبع، وأمرٌ بموافقةِ الشَّرع.

وقال الإمامُ القشيريُّ رحمَه الله[١]: صحبةُ الخلقِ بعضِهم مع بعض[٢] إذا تجرَّدَت عنْ حديثِ الحقِّ؛ فإنَّها تعرض[٣] الوحشةَ وممازجةَ النُّفرة، فمَن أعرضَ عن الله تعالى بقلبِهِ، أعرضَ الخلقُ عن مراعاةِ حقِّه، وخرجَ الكافَّةُ عليه باستصغارِ أمرِه، واستحقارِ قدرِه، ومَن رجعَ إلى الله تعالى بقلبِه استوى له أمرُه، واتَّسعَ لاحتمالِ سوءِ خُلُقِ الخَلْقِ صدرُه، ﴿وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٞ﴾، واتِّضاعُك في نفسِكَ أحرى بك مِنْ تطاولِكَ على خصمِك بإيثارِ الانتقام، وشهود مالَك من مزيَّة المقام، وأكثرُ النَّاس في أسرِ هذه المحنة.

﴿وَأُحۡضِرَتِ ٱلۡأَنفُسُ ٱلشُّحَّ﴾ وشحُّ النَّفسِ: قيامُ العبدِ بحظِّه، ومَن حُجِبَ عن شهودِ ربِّه، رُدَّ إلى شهود نفسه.

﴿وَإِن تُحۡسِنُواْ﴾ عبادةَ ربِّكم ﴿وَتَتَّقُواْ﴾ شهودَ قدرِكم، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا﴾؛ أي: إذا فنيتُم عنكم وعن عملِكم[٤]، فكفى بالله جازياً لكم[٥].

---

(١) بعدها في (ر): «على».

(٢) في (ر): «مع الخلق» بدل «بعضهم مع بعض».

(٣) في (أ): «بعرض»، وفي «لطائف الإشارات»: «تتعرض للوحشة».

(٤) في (ف): «أعمالكم».

(٥) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (١/ ٣٦٩ ـ ٣٧٠).

(١٢٩) ـ ﴿ وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ وَإِن تُصْلِحُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ﴾؛ أي: ولن تَقدِروا أن تُسوُّوا بين نسائكم في العدلِ في الحبِّ وإنْ جهِدتُم؛ لأنَّ الحُبَّ عملُ القلبِ الذي لا يملِكُه الإنسان.

وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلْمَيْلِ﴾؛ أي: لا تَجمعوا بين ميلِ القلوب وميلِ[1] الأفعال في القَسمِ والنَّفقة.

وقوله تعالى: ﴿فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ﴾ الفاءُ لجواب النهي، وبها نُصِبت «تذروها»، فحُذِفَت النُّون. والمعلَّقةُ: ألَّا تكونَ ذاتَ زوجٍ ولا مطلَّقة.

وقال ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: أي: كالمسجونة[2]؛ فإنَّها منكوحةٌ، لا يَصِلُ إليها منافعُ الزَّوج، وليست بأيمٍ يمكنُها أنْ تتزوَّج، أو تعلمُ بأنَّها لا قائم[3] بحقِّها، فتتكلَّفُ لإصلاحِ أمورِها.

وروي أنَّ النبيَّ ﷺ كان يُطافُ به في مرضِ موتِه على نسائه[4]، ويقول: «اللهمَّ،

---

(١) في (ف) «وبين ميل».

(٢) لم أقف عليه من قول ابن عباس، وأخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٦٥١)، ومن طريقه الطبريُّ في «تفسيره» (٧/ ٥٧٤) من قول قتادة. وأخرج الطبري (٧/ ٥٧٣ ـ ٥٧٤) عن ابن عباس: ﴿فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ﴾ قال: تذروها لا هي أيم ولا ذات زوج.

(٣) بعدهل في (ر): «عليها».

(٤) روى البخاري (١٣٨٩)، ومسلم (٢٤٤٣) عن عائشة، قالت: إن كان رسولُ الله ﷺ ليتفقَّدُ، يقول: «أين أنا اليوم؟ أين أنا غداً؟»؛ استبطاءً ليوم عائشة، قالت: فلمَّا كان يومي قبضَهُ الله بين سَحْري ونَحْري، ودفن في بيتي.

هذا قَسمي فيما أملكُ، فلا تؤاخذني فيما[١] لا أملك»[٢]؛ يعني: من حبِّ عائشةَ رضي الله عنها، وقال النبيُّ ﷺ: «من كانت له امرأتان، فمالَ إلى إحداهما، جاء يوم القيامة وأحدُ شقَّيهِ مائلٌ»[٣].

وقال الإمام القشيري رحمه الله: إذا منعتموهنَّ عن صحبةِ أغيارِكم، ثمَّ قطعتم عنهنَّ ما هو حظُّهنَّ منكم، أضررتم بهنَّ مِن وجهين؛ لا منكم نصيبٌ، ولا إلى غيرِكم سبيل، وإن هذا الحيف[٤] عظيم.

والإشارة فيه أنَّه إذا سُدَّ عليك طريقُ حظوظِك منك، فُتِح عليك شهودُ الحقِّ، ووجودُ اللُّطف؛ فإنَّ مَن كان في الله تعالى تلفُهُ فالحقُّ سبحانه خَلَفُه[٥].

وقوله تعالى: ﴿وَإِن تُصۡلِحُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾ قيل: إن تُصلِحوا ذاتَ بينِكم في حسنِ الصُّحبة.

وقيل: ﴿وَإِن تُصۡلِحُواْ﴾ أعمالَكم بتركِ كلِّ الميل، وتتَّقوا الجَورَ.

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: ﴿وَإِن تُصۡلِحُواْ﴾؛ أي: فيما بينكم وبين الخلق، ﴿وَتَتَّقُواْ﴾ أي: فيما بَيْنَكُم وبين الحقِّ، غفرَ اللهُ لكم ما سلفَ مِن الجورِ[٦].

وقيل: غفرَ اللهُ لكم ميلَ القلب بالحبِّ، ورحمَكُم فلم يعاقبكم.

---

(١) في (أ) و(ر): «بما».

(٢) رواه أبو داود (٢١٣٤)، والترمذي (١١٤٠)، والنسائي (٣٩٤٣)، وابن ماجه (١٩٧١) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣) رواه أبو داود (٢١٣٣)، والترمذي (١١٤١)، والنسائي (٣٩٤٢)، وابن ماجه (١٩٦٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) في (أ) و(ر): «لحيف»، والمثبت موافق لما في «لطائف الإشارات».

(٥) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٣٧٠).

(٦) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٣٧٠).

(١٣٠) ـ ﴿ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦۚ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ ﴾؛ أي: وإنْ لم يصطلحِ الزَّوجان على شيءٍ، وتفرَّقا بالخلعِ، أو بتطليقِه إيَّاها، وإيفائِه مهرَها ونفقةَ عدَّتها؛ أغنى اللهُ كلَّ واحدٍ منهما عن صاحبِه، وكفاهُ أمرَهُ بغيرِه.

وقوله: ﴿مِّن سَعَتِهِۦ﴾؛ أي: مِن غِناه، وقيل: أي: مِن كمال قدرتِه[١].

وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا ﴾ أي: غنيًّا. وقيل: أي: قادراً، يسع قدرتُه إغناءَهما وغيرَ ذلك، ﴿حَكِيمًا ﴾ لا يأمرُ عبادَهُ إلَّا بما هو مصلحةٌ وحكمة.

والواسعُ في صِفةِ الله تعالى يُذكَرُ مِن غير إضافة؛ لأنه أبلغ، فإنَّه واسعُ الرِّزق، واسعُ الفضل، واسعُ الرَّحمة، واسعُ القُدرةِ، واسعُ الغِنى، فيَسعُ[٢] إطلاقه على كلِّ ذلك.

* * *

(١٣١) ـ ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِۗ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَۚ وَإِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ وهو بيانُ السَّعةِ المذكورةِ في الآية الأولى، وبيانُ أنَّه قادرٌ على إغنائهما، فلهُ ما في السَّماوات وما في الأرض.

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ﴾؛ أي: أمرنا الكلَّ بتقوى الله، وهو: أنْ تَعبدوه وتُطيعوه، هذه وصيَّةُ الله في الأوَّلين والآخرين، لم يلحقها نسخٌ ولا تَبديل.

---

(١) بعدها في (ف): «أغناهما».

(٢) في (أ): «فيقع»، وفي (ر): «فيصح».

وقوله تعالى: ﴿وَإِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا﴾؛ أي: مستغنياً عن إيمانِ الخلق، وعن كلِّ شيءٍ، ﴿حَمِيدًا﴾ مستَحِقًّا للحمدِ بذاتِه وصفاتِه وأفعالِه، لا بحَمدِ خلقِه.

* * *

(١٣٢) ـ ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾؛ أي: حفيظاً، وقيل: قائماً بالتَّدبير.

وإنَّما كرَّر ذِكر ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ ثلاثاً؛ للبيانِ عن عللٍ ثلاث، يقول: وجَبَتْ طاعةُ الله فيما وصى[1] به؛ لأنَّ له ملكَ السَّماوات والأرض، وهو غنيٌّ عن كلِّ شيءٍ، حميدٌ بذاتِه، مستَحِقٌّ للحمد؛ لأنَّ له ملكَ السَّماوات والأرض، حفيظٌ لكلِّ شيءٍ، قائمٌ بتدبيرِ كلِّ شيءٍ؛ لأنَّ له ملكَ السَّماوات والأرض، وهو كتكرير قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾[2]، **وقوله تعالى:** ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾[3]، **وقوله تعالى:** ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ﴾[4].

* * *

(١٣٣) ـ ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ﴾؛ أي: يهلككم.

---

(١) في (ف): «أوصى».

(٢) تكررت في سورة المرسلات عشر مرات.

(٣) تكررت في سورة الرحمن إحدى وثلاثين مرة.

(٤) بعدها في (ر): «فهل من مدكر». وهذه الآية تكررت في سورة القمر أربع مرات.

وقوله تعالى: ﴿وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَ﴾؛ أي: ويخلق قوماً آخرين أطوعَ منكم.

وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا﴾؛ أي: على الاستبدالِ، ويجوزُ أنْ يكونَ خطاباً للكفَّارِ، وتخويفاً لهم، ويجوز أن يكون لكلِّ العصاة، وهو كقوله تعالى: ﴿إِلَّا تَنفِرُوا۟ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ [التوبة: ٣٩]، **وقوله تعالى:** ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم﴾ [محمد: ٣٨].

وقيل: لمَّا نزلت هذه الآية ضربَ النبيُّ ﷺ يدَهُ على ظهر سلمان، وقال: «هم قومُ هذا»[١].

وقال الإمام القشيري رحمه الله: لا نهايةَ للمقدورات، فإنْ لم يكن عمروٌ فزيدٌ، وإن لم يكن عبدٌ فعبيد، والذي لا بدلَ عنه ولا خلفَ هو الله الواحدُ[٢] الأحد[٣].

* * *

(١٣٤) ـ ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ﴾؛ أي: من طلبَ بعمله ثوابَ الدُّنيا، لم يَنلْه بإرادتِه وعملِه؛ فإنَّ ثوابَ الدُّنيا والآخرة بيدِ الله تعالى، وهو المعطي، فليَطلب بعَملِه وجهَ الله الذي يملكهُما؛ ليعطيَه إيَّاهما.

وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا﴾ للأقوال، ﴿بَصِيرًا﴾ بالأفعال، وهو وعدٌ ووعيدٌ أنَّه يَجزي كلًّا على وفق عمله.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٥٨٢).

(٢) بعدها في (أ): «القهار».

(٣) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (١/ ٣٧٢).

(١٣٥) ـ ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَاۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْۚ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ﴾ أكثرُ هذه السُّورةِ في الأمر بالقِسطِ في المعاملات، وهذه الآيةُ في الأمر بالقسطِ في الشَّهادات، ولأنَّه ذكرَ مَن أرادَ بعملِه الدُّنيا، وقد يَمنعُ الشَّاهِدُ شهادةَ الحقِّ لطمعِ الدُّنيا، فوصل لذلك ذلك بهذا.

و﴿قَوَّٰمِينَ﴾ مبالغةٌ في[1] قائمين، والقِسْطُ: العدل.

وقوله تعالى: ﴿شُهَدَآءَ لِلَّهِ﴾ نصبُه مِن ثلاثة أوجه: نعتٌ للقوَّامين، وحالٌ لهم في فعلِ القيام بالقسط، وخبرٌ آخر لـ ﴿كُونُواْ﴾؛ أي: قوموا بالعدل، فاشهدوا للنَّاس على النَّاس بما لكم فيه شهادةٌ؛ لوجهِ الله تعالى وتقرُّباً إليه.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ هذه كلمةُ تأكيدٍ؛ أي: وإن كان ضررُ تلك الشهادةِ عائداً إليكم.

وقيل: المرادُ مِن الشَّهادة على نفسِه: هو الإقرارُ بما عليه من الحقِّ لخصمِه؛ فإنَّ الشَّهادةَ إخبارٌ محقَّقٌ، والإقرارُ على نفسِه بما عليه من الحقِّ[2] إخبارٌ.

وقوله تعالى: ﴿أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾؛ أي: وإنْ كانت شهادتُكم على آبائِكم وأمَّهاتِكم[3] وأقاربكم[4]، ولا يَسعكم منعُها حقًّا لهم[5].

---

(١) في (ف): «من».

(٢) «بما عليه من الحق» من (أ).

(٣) «وأمهاتكم» ليس في (ف).

(٤) في (أ): «وأقربائكم».

(٥) في (ف): «لكم».

وقال الإمامُ القشيريُّ رحمه الله: أصلُ الدِّينِ إيثارُ حقِّ الحقِّ على حقِّ الخلقِ، فمَن آثرَ على الله أحداً؛ والداً أو ولداً، أو قريباً أو نسيباً، أو ادَّخرَ عنه نصيباً، فهو عديمُ القِسطِ عن القيام بالقِسط[1].

قال أبو العالية: نزلَت الآيةُ في رجلٍ مِن الأنصار قال: يا رسولَ الله، إن لي والداً، وعليه حقٌّ، وأنا مِن الشُّهود، وما يَمنعُني مِن الشَّهادةِ عليه إلَّا أنَّه معسِرٌ، فنزلَت الآيةُ.

وقوله تعالى: ﴿إِن يَكُنۡ غَنِيًّا أَوۡ فَقِيرًا﴾ قال الأخفشُ: أي: إن يكنْ مَن يُخاصِمُ غنيًّا أو فقيراً[2].

وقوله تعالى: ﴿فَٱللَّهُ أَوۡلَىٰ بِهِمَا﴾؛ أي: أحقُّ بهما فيما اختار لهما من غنًى أو فقرٍ، فلا يحملنَّكم غنى خصمٍ على أنْ تَمنعوا الشَّهادةَ عليه لاحترامه، أو تَشهدوا لهُ بالباطلِ لاحتشامِه، ولا فقرُ فقيرٍ ألَّا تشهدوا له استهانةً به، أو لا تَشهدوا عليه مرحمةً له، أو تَشهدوا له بالباطلِ معونةً له.

وإنَّما قال: ﴿بِهِمَا﴾ على التَّثنية؛ مع إدخال ﴿أَوۡ﴾ بين الغنيِّ والفقير؛ لأنَّه قد ذكرَهُما في الجملة، وذكرَ أنَّ الله أولى بكلِّ واحدٍ منهما، وهو كقوله تعالى: ﴿وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوۡ أُخۡتٞ فَلِكُلِّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُ﴾ [النساء: ١٢].

وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلۡهَوَىٰٓ أَن تَعۡدِلُواْ﴾ له ثلاثةُ أوجه:

أحدها ـ وهو قول الفرَّاء ـ: لِأَن تَعدلوا؛ أي: لا تَتَّبعوا الهوى لتكونوا عدولاً[3].

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (١/ ٣٧٢).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للأخفش (١/ ٢٦٨).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٢٩١). قال السمين الحلبي في «الدر المصون» (٤/ ١١٨): وهو ضعيف في المعنى.

والثاني: في أَلَّا تعدلوا؛ أي: لا تَتَّبعوا الهوى في تركِ العدل، و«لا» مضمرةٌ، كما في قوله تعالى: ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا۟﴾ [النساء: ١٧٦]؛ أي: لئلَّا تَضِلُّوا[١].

والثالث: في أنْ تَعدِلوا عن الحقِّ؛ أي[٢]: تَميلوا عنه.

قوله تعالى: ﴿وَإِن تَلْوُۥٓا۟﴾؛ أي: تُحرِّفوا الشَّهادةَ، فتَشهدوا على وجهٍ لا يَصِحُّ وتتعطَّل.

وقوله تعالى: ﴿أَوْ تُعْرِضُوا۟﴾؛ أي: تتولَّوا عن أدائِها.

وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾؛ أي: مِن تحريفِ الشَّهادةِ وكتمانِها وأدائها على وجهِها، وهو[٣] وعدٌ ووعيدٌ بالجزاءِ على وفق العمل.

وقرأ حمزةُ وابنُ عامر: ﴿وإن تَلُوا﴾ بواوٍ واحدةٍ[٤]، من الوِلايةِ، وهو خطابٌ للقُضاة؛ أي: إنْ[٥] وليتُم القضاءَ فعدلتُم[٦] أو أعرضتُم عن العدلِ وملتُم.

وقيل: هو من قولك: وليتُ الشيءَ بنفسي؛ أي: باشرتُه؛ أي: إنْ فَعلتُم شيئاً مِن ذلك، أو تركتم؛ فلا يَخفى على الله قَصدُكم في ذلك.

وقال السُّدِّيُّ: اختصمَ إلى رسول الله ﷺ غنيٌّ وفقير، فكان ضِلعُه[٧] مع

---

(١) «أي: لئلا تضلوا» ليس من (ف).

(٢) في (أ): «أي». وفي (ف): «أو».

(٣) بعدها في (ر): «من».

(٤) انظر: «السبعة» (ص: ٢٣٩)، و«التيسير» (ص: ٩٧).

(٥) بعدها في (ف): «كنتم».

(٦) بعدها في (أ): «أي».

(٧) وقع في هامش (أ) ما نصه: «الضلع: الميل».

الفقيـر، فـرأى أنَّ الفقيرَ لا يَظلِمُ الغنيَّ، فأبى اللهُ إلَّا أن يَقومَ بالقسـط في الغنيِّ والفقير، فأنـزل اللهُ تعالى هذه الآية[1].

* * *

(١٣٦) - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ اعترضَ بعضُ الملحِدين على هذه الآية فقال: كيف أمرَ اللهُ تعالى أهلَ الإيمانِ بالإيمان؟ وعنه أجوبةٌ:

أحدها: قولُ ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: إنَّ نزولَها في مؤمني أهل الكتاب؛ عبدِ الله بن سلام وأصحابه، قالوا: يا رسول الله، إنَّا نؤمنُ بك وبكتابِك، وبموسى وهارون وعزير، ونكفرُ بما سواهُ[2]، وظنُّوا أنَّ ذلكَ القَدْرَ يكفيهم في كمال إيمانِهم، فنزلَت[3] الآية، وبيَّنَ اللهُ تعالى أنَّ الكفرَ بالبعضِ محبِطٌ للإيمان ببعض، قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ﴾ [النساء: ١٥٠]، ثمَّ قال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗا﴾ [النساء: ١٥١].

وجوابٌ آخرُ: قولُ أبي العالية: إنَّ نزولَها في اليهود، كانوا آمنوا بالنبيِّ ﷺ قبلَ خروجِه، وكانوا يَستفتحون به، فلمَّا خرجَ كفروا به، فأُمِروا بالإيمان به.

وجوابٌ آخر: قولُ الحسن: إنَّ اللهَ تعالى أخبرَ عن اليهود، فقال: ﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٞ

---

(١) انظر: «النكت والعيون» للماوردي (١/ ٥٣٥).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣/ ٤٠١) عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس. وهو إسناد تالف.

(٣) بعدها في (ر): «هذه».

﴿مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ ءَامِنُواْ﴾ الآية [آل عمران: ٧٢]، فتقديرُ الآية على قوله: يا أيُّها الذين آمنوا وجهَ النَّهار، آمِنوا به آخرَ النَّهار.

وجوابٌ آخر: قول مجاهدٍ: إنَّ نزولَها في المنافقين؛ آمَنوا في الظَّاهر، فأُمِروا بالإيمانِ في الباطنِ مع الإيمان بالظاهر، قال تعالى: ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡ﴾ [المائدة: ٤١].

وجوابٌ آخر: قولُ بعض المتأخِّرين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ يومَ الميثاق، ﴿ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ الآن.

وجوابٌ آخر: قولُ أبي بكر الورَّاق وغيره ـ وهو الأصحُّ ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ على الكمالِ والصِّحَّة، اثبتوا على إيمانِكم، ودُوموا عليه[1]، وهو كقوله تعالى: ﴿فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي﴾ [البقرة: ١٨٦]، **وقوله تعالى:** ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ﴾ إلى قوله: ﴿وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ﴾ [غافر: ٧]، **وقوله تعالى:** ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: ١٩]، هذا كلُّه أُريدَ به الثباتُ على ما كان.

وقريبٌ من هذا القولِ قولُ بعضهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ فيما مضى من الوقتِ، ﴿ءَامِنُواْ﴾ في حادثِ الوقت.

وجوابٌ آخر: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ عند رؤيةِ العذاب ﴿ءَامِنُواْ﴾ في حالِ ارتفاعِه؛ فإنَّ الكفَّارَ كانوا إذا وقَعوا في حالةٍ مَخوفةٍ ﴿دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ إِذَا هُمۡ يُشۡرِكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٥].

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ من حيث البرهانُ ومن حيث البيانُ، ﴿ءَامِنُواْ﴾ من حيث الكشفُ والعيان.

---

(١) ذكره الواحدي في «البسيط» (٧/ ١٤٦).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ تصديقاً، ﴿ءَامِنُواْ﴾ تحقيقاً.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ بأنَّ نجاتَكُم بفضلِه لا بإيمانكم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ بأدلَّةِ العقول، ﴿ءَامِنُواْ﴾ إذا أنختُم بساحةِ الوصول، واستمكنَ منكم الحيرةُ وغَلَبَاتُ الذُّهول، ثمَّ أفقتُم، فآمِنوا أنَّ الذي كان غالباً عليكم كان شاهدَ الحقِّ، لا صفة[1] النَّفس؛ فإنَّ الصَّمديَّة ممتنِعةٌ متقدِّسةٌ عن كل قربٍ وبعدٍ، ووصلٍ وفصلٍ[2].

وقوله تعالى: ﴿وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾؛ أي: آمِنوا بالقرآن.

قرأ ابنُ كثير وابنُ عامر وأبو عمرو: ﴿نُزِّل﴾ على ما لم يُسَمَّ فاعله، والباقون: ﴿نَزَّلَ﴾[3]؛ أي: نَزَّلهُ اللهُ تعالى.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ﴾ فيه قراءتان أيضاً على هذا[4]، والمرادُ مِن الكتاب الجنس، وهو جميع الكتب المتقدمة، والإنزالُ: هو بعثُ جبريلَ عليه السَّلام معه مِن السَّماء، والتَّنزيلُ: تفصيلُ الإنزالِ، والقرآنُ كذلك؛ لأنَّه نزلَ مفصَّلاً؛ فلذلك قال في الأوَّل: ﴿نَزَّلَ﴾، وفي الثاني: ﴿أَنزَلَ﴾؛ لأنَّ إنزالَ الكتبِ المتقدِّمةِ كان جملةً.

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾؛ أي: مِن الهُدى، وقيل: أي: مِن النَّجاة. ثمَّ إنَّما علَّقَ الضَّلالَ بذلك كلِّه بالواو

(١) في (ف): «شاهداً للحق لا لصفة» بدل: «شاهد الحق لا صفة»، والمثبت موافق للمصدر.

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٣٧٣ ـ ٣٧٤).

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٢٣٩)، و«التيسير» (ص: ٩٨).

(٤) أي: قرأ ابن كثير وابن عامر وأبو عمرو: ﴿أُنزِلَ﴾ على ما لم يسم فاعله، وقرأ الباقون: ﴿أَنزَلَ﴾.

لا[١] لأنَّ الجمع شرطٌ؛ لأنَّ الكفرَ بكلِّ واحدٍ على الانفراد كفرٌ وضلالٌ، لكن هذه صفةُ قومٍ في زمن النَّبيِّ ﷺ كانوا كافرين بذلك كلِّه، فوَصفَهُم اللهُ بذلك؛ لأنهم كذلك.

* * *

(١٣٧ ـ ١٣٨) ـ ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا ﴿١٣٧﴾ بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا ﴾ قال مجاهد: هم المنافقون[٢]، ﴿إذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم﴾ [البقرة: ١٤]، ويتكرَّرَ[٣] ذلك منهم.

وازديادُ الكفرِ منهم ثباتُهم على الكفرِ[٤] إلى الموت، وهذا القولُ يؤيِّدُه ما بعدَه: ﴿ بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴾.

وقال الكلبيُّ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ بالتَّوراةِ وبموسى، ﴿ثُمَّ كَفَرُواْ﴾ من بعدِ موسى، ﴿ثُمَّ ءَامَنُواْ﴾ بعُزير، ﴿ثُمَّ كَفَرُواْ﴾ بعد عزيرٍ بالمسيح، ﴿ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا﴾ بمحمَّد عليه الصلاة والسلام[٥].

وقيل: ﴿ءَامَنُواْ﴾ بموسى، ﴿ثُمَّ كَفَرُواْ﴾ من بعدِه، ﴿ثُمَّ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ﴾ مِن بعدِه، ﴿ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا﴾ بمحمَّدٍ عليه الصَّلاة والسَّلام[٦].

---

(١) لفظ: «لا» ليس في (ف). والمثبت هو الصواب.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٥٩٧).

(٣) في (ر): «وإنما تكرر» بدل: «ويتكرر».

(٤) في (أ): «عليه» بدل: «على الكفر».

(٥) انظر: «تفسير أبي الليث» (١/ ٣٩٧).

(٦) من قوله: «وقيل آمنوا بموسى» إلى هنا من (أ).

وقوله تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ﴾؛ أي: ليس مِن صفةِ اللهِ عزَّ وجلَّ مغفرةُ الكفرِ؛ فقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ﴾ [النساء: ٤٨].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا﴾؛ أي: سبيلَ الرُّشدِ ما كانوا مختارينَ للكفر.

وقيل: أي: لا يغفرُ لهم إذا ماتوا على الكفرِ، ولا يَهديهم[1] طريقَ الجنَّة، قال تعالى: ﴿وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ﴾ [النساء: ١٦٨ ـ ١٦٩].

ودلَّت الآيةُ على أنَّ اللهَ تعالى قد يَحْرِمُ بعضَ عبادِه الهدايةَ، وهو ردٌّ على المعتزلة في قولِهم: إنَّ اللهَ قد هدى الكلَّ.

وقوله تعالى: ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾؛ أي: ضعْ إخبارَهُم بالعذابِ الأليمِ موضعَ البشارةِ لهم، وهو كقول الشاعر:

وخيلٍ قد دَلَفْتُ لها بخيلٍ ... تحيَّةُ بينِهم ضربٌ وَجيعُ[2]

أي: الضربُ بينهم مكان التَّحيَّة.

وقيل: لمَّا نزلَت آيةُ المغفرة للنبيِّ ﷺ والمؤمنين، قال عبدُ الله بنُ أبيّ: فما لنا؟! فأنزلَ اللهُ تعالى هذه الآية يقول: بَشِّر عبدَ الله بنَ أبيٍّ ومالكَ بن الدُّخْشُم[3] وجدَّ بن قيس بأن لهم عذاباً وجيعاً[4].

---

(١) في (ف): «ليهديهم».

(٢) البيت نسبه سيبويه في «الكتاب»: (٣/ ٥٠) لعمرو بن معدي كرب، وهو في «شعر عمرو بن معدي كرب» المجموع (ص ١٤٩)، وقد أورده الأستاذ مطاع الطرابيشي ـ جامع الديوان ـ في المختلط من شعر عمرو المنسوب له ولغيره. وقال البغدادي في «خزانة الأدب» (٩/ ٢٦٥): وهذا البيتُ نسبه شراح أبيات «الكتاب» وغيرهم إلى عمرو بن معدي كرب الصحابي، ولم أره في شعره. انتهى.

(٣) في ذكر مالك بن الدخشم هنا نظر، فمالك صحابي أنصاري أوسي، شهد بدراً وما بعدها من المشاهد، قال ابن عبد البر: لا يصح عنه النِّفاق، وقد ظهر من حسن إسلامه مَا يمنع من اتهامه. والله أعلم. انظر: «الاستيعاب» (٣/ ١٣٥٠)، و«الإصابة» لابن حجر (٩/ ٤٥ ـ ٤٦).

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» (١/ ٤١٥).

(١٣٩) ـ ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ هذه صفةُ المنافقين؛ أي: يتولَّون الكفَّار[١] لا المؤمنين.

وقوله تعالى: ﴿أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ﴾؛ أي: أيطلبون[٢] عند الكفَّارِ المنَعةَ[٣]، استفهامٌ بمعنى التَّوبيخ، وكان المنافقون يَقولون: لا يَتِمُّ أمرُ محمَّدٍ، فتولَّوا اليهودَ يطلبون منهم المنَعةَ والنُّصرة.

وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾؛ أي: المنعةُ مِن جميعِ وجوهها[٤] لله، لا يَمنعُ مِن عذابِهِ الذي يُنزِلُهُ بالمنافقين مانعٌ مِن هؤلاء الكفَّار الذين يتولَّونهم، ولأنَّ العزَّة والمنعةَ والغلبةَ إذا كانت له، فهو يُعِزُّ أولياءَه لا أعداءه.

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: العزَّةُ الأزليَّةُ لله تعالى وصفاً، والعزَّةُ الحادثة لأوليائه منه لطفاً[٥].

وقال في أوَّل هذه الآية[٦]: إنَّ الذين قاموا و[٧]سقطوا، ثمَّ انتعشوا، ثمَّ عثَروا، ثمَّ ختم بالسوء أحوالهم، أولئك الذين قصَمَتهم سَطَواتُ العِزَّة، وأدركَتْهم شقاوةُ

---

(١) في (ف): «الذين يتولون الكافرين».

(٢) في (ر) و(ف): «يطلبون».

(٣) بعدها في (ر): «والنصرة».

(٤) في (ف): «الوجوه».

(٥) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (١/ ٣٧٦).

(٦) في (ف): «الآيات ما معناه» بدل: «الآية».

(٧) في (ف): «ثم».

القسمة، والحقُّ سبحانه وتعالى لا يَهديهِم لقَصْدٍ، ولا يَدلُّهم على رُشْدٍ، فبَشِّرهُم بالفُرقة الأبديَّة، وأخبِرهُم بالعقوبةِ السَّرمديَّة[1].

***

(١٤٠) ـ ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ﴾ قرأ عاصمٌ بفتحِ النُّون والتَّشديد[2]؛ أي: نَزَّلَ اللهُ تعالى، وقرأ[3] الباقون: ﴿نُزِّلَ﴾ على ما لم يُسمَّ فاعلُه[4].

وقوله تعالى: ﴿أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا﴾؛ أي: إذا جلستُم أيُّها المخلِصون مع المنافقين، وسمعتموهم يَكفرون بالقُرآن ويَستهزؤون به.

وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾؛ أي: لا تَمكثوا على القعود عندهم حتَّى يشرعوا في كلامٍ غيرِ الكفرِ والاستهزاء بالقرآن.

والخوضُ: هو الشُّروعُ، وأصلُه الخوضُ في الماء.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ﴾؛ أي: إذا مكثتُم معهم فأنتم مثلُهم في الوزرِ، ولم يُرِد به التَّمثيلَ مِن كل وجهٍ؛ فإنَّ خوضَ المنافقين فيه كفرٌ، ومكثُ هؤلاء معهم معصيةٌ، وأرادَ به أنَّهم يَأثمون به إثمَ المعصية.

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٣٧٥).

(٢) في (ر): «وتشديد الزاي» بدل: «والتشديد».

(٣) «قرأ» ليس من (أ).

(٤) انظر: «السبعة» (ص: ٢٣٩)، و«التيسير» (ص: ٩٨).

والمرادُ بقوله: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ﴾ هو ما نزلَ بمكَّة في سورةِ الأنعام: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ [الأنعام: ٦٨] وكان ذلك في ابتداءِ الأمر حين لم يكنِ الأمرُ بالقتالِ وارداً، ولـمَّا نزلَت هذه الآيةُ وكانوا إذا خاضوا في ذلك قامَ الـمُخلِصون، فعَلِم المنافقون بذلك، فكانوا يُكثِرون الخوضَ فيه قصداً إلى تفريقِهم، فنزلَ قوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٦٩]؛ أي: ما على المخلِصين المؤاخذةُ والمحاسبةُ في القيامةِ بخوض المنافقين، ﴿وَلَكِنْ ذِكْرَى﴾[1]؛ أي: ذكِّروهم وعِظُوهم، ولا تقوموا عنهم، وكان ذلك ناسخاً للأوَّل، ثمَّ نسخَ هذا بآية القتال؛ أنَّهم إذا سمِعوا مِن ذلك شيئاً قتَلوهم، ولم يتركوهم.

ووجهُ اتِّصالِ هذا بالأوَّل أنَّ العزَّةَ لله، وهو المعِزُّ دينَهُ وأولياءَه، وقد أعزَّكُم، فكنتم بحيث لا يمكِنُكم أنْ تمنَعوهم عن خوضِهم، ثمَّ صِرتُم تقتلونَهم وتستأصلونَهم، وهو بالعزَّةِ التي أعطاكُم.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ سوَّى بين المنافقين وبين الكافرين[2] المجاهرين أنَّهم مخلَّدون في العذابِ[3] أجمعين.

* * *

(١٤١) ـ ﴿الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾.

---

(١) بعده في (ر): «لعلهم يتقون».

(٢) وقع في هامش (أ): «نسخة: الكفار».

(٣) في (ف): «النار».

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ﴾ يجوزُ نعتاً للمنافقين المذكورين في قوله تعالى: ﴿بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾، ويجوزُ مبتدأ، وخبره: ﴿فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾[١].

و﴿يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ﴾؛ أي: يرتقبون بكم، ويَنتظرون عاقبةَ أمركم إذا غزوتُم.

وقوله تعالى: ﴿فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: فتحُ بلادِ الأعداء وغنيمةٌ.

وقوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ﴾ استفهامٌ بمعنى الإثبات؛ أي: قد خَرَجْنا معكم لغزوِ[٢] الأعداءِ. فطَلبوا سهائم الغنيمة[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ﴾؛ أي: حظٌّ مِن الغلبةِ على المسلمين.

وقوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ﴾ الاستحواذُ: الاستيلاء، قال تعالى: ﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ [المجادلة: ١٩].

وقيل: أي[٤] الغلبةُ، وأصلُه من: حاذَ يَحوذُ حوذاً؛ أي: حاطَ يحوطُ حوطاً.

وقيل: أي ضمَّ يَضُمُّ ضمًّا.

واستحوذ بناءٌ خرجَ على الأصل، ولم يُغَيَّر، كقولهم: استعان واستبان، ومعناه: قال المنافقون للكفَّار: ألم نستَوْلِ عليكم؟ أي: أحطنا بكم؛ يعني[٥]: لحياطتكم وتقويتِكم.

قوله تعالى: ﴿وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ جزمٌ بالعطف على: ﴿أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ﴾؛ أي:

---

(١) بعدها في (ر): «يوم القيامة».

(٢) في (ف): «إلى غزو».

(٣) في (ر): «سهائم الغنائم» بدل: «سهام الغنيمة».

(٤) لفظ: «أي» من (ف).

(٥) في (أ) و(ف): «معنى».

ألم نجعلْكُم ممنوعِين من[١] المؤمنين؛ أي: محفوظين[٢]؛ أي: ذببنا عنكم بالأسباب من تثبيطِ المؤمنين عن الجهاد وتعويقِهم بأشياء.

قال الكلبيُّ رحمه الله[٣]: أي: ألم نخبرْكُم بعورةِ محمَّدٍ وأصحابه ـ ﷺ ورضيَ عنهم ـ ونطلِعْكُم على سرائرِهم.

وقوله تعالى: ﴿فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾؛ أي: يقضي بينكم أيُّها الفريقان، فيُدخِلُ المنافقينَ النَّارَ، ويُدخِلُ المؤمنين الجنَّة.

وقوله تعالى: ﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ قيل: لن يجعلَ اللهُ لليهودِ على أصحاب محمَّدٍ يداً، وكان كذلك.

وقال ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: لن يجعلَ اللهُ للكافرين على المؤمنين حُجَّةً أبداً[٤].

وقال الأعمشُ: جاء رجلٌ إلى علي رضي الله عنه فقال: أرأيتَ قولَ الله تعالى: ﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾؟ وهم يقتلونهم في الدُّنيا! فقال: ادْنُ[٥]، فدنا، فقال: ﴿فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ﴾ يوم القيامة ﴿لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾[٦].

---

(١) في (أ): «عن».

(٢) في (أ) و(ر): «المحفوظين».

(٣) بعدها في (ر): «أي».

(٤) أورده الواحدي في «البسيط» (٧/ ١٥٩)، ونسبه لابن عباس والسدي، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٠٩٥) (٦١٣٦) عن السدي.

(٥) في (ر): «ادنه».

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٦٠٩ ـ ٦١٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٠٩٥) (٦١٣٥) من طريق الأعمش عن ذر عن يُسيع الكندي.

وبنحوه قال الحسن، قال: ليس[١] للكفَّار أن يقولوا للمؤمنين: ما نفعَكم إيمانُكم وطاعاتُكم وقد اشتركنا واستوينا في الحال.

وقيل: أي: لا سبيلَ للكفَّار يومَ القيامة على المؤمنين بدفع شهادتِهم عليهم للأنبياء.

* * *

(١٤٢) ـ ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾؛ أي: يُخادعونَ أولياءَ الله وهم المؤمنون، فأضافَ خداعَهم إلى نفسِه؛ تشريفاً لهم، وهو مجازيهم[٢] على ذلك، وقد كشفنا عن حقيقتِه، وبيَّنَّا الأقاويلَ فيه في سورةِ البقرة[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ﴾ جمع كسلان، كالسُّكارى جمعُ سكران، والكسلُ: هو التَّثاقلُ عن الشَّيء؛ لمشقَّتهِ على النَّفسِ[٤] وضعف الدواعي إليه، وهو خلاف[٥] النشاط: وهو الإسراعُ إلى الشَّيءِ لخفَّته على النَّفس وقوَّةِ الدَّواعي إليه، وكسلُهم لأنَّهم لا يَعتقدون وجوبَها، ولا يَعرفون فضلَها.

وقوله تعالى: ﴿يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ﴾؛ أي: إنَّما يقومون إليها إراءَةً للمسلمين[٦].

---

(١) في (أ): «أليس»، وليس في (ف).

(٢) في (ف): «مخادعهم».

(٣) عند تفسير الآية (٩) منها.

(٤) في (ف): «نفسه».

(٥) في (أ): «بخلاف».

(٦) في (ف): «للناس».

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾؛ أي: باللِّسانِ دون الاعتقاد.

وقيل: أي: بما يُجهَر في الصَّلاة دون ما يُخافَتُ بها.

وقال الحسن: أمَا والله، لو كان ذلك القليلُ لوجه الله لكان كثيراً، يقول الله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧]، ويقول: ﴿وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا﴾ [النساء: ٤٠].

* * *

(١٤٣) - ﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ يقال: ذَبذبَهُ فتذبذَبَ؛ أي: جعلَه مُضطرباً فاضطرب، قال النابغةُ:

ألم ترَ أنَّ اللهَ أعطاكَ سُوْرَةً ... ترى كلَّ مَلْكٍ دونَها يَتذبذبُ[1]

والذَّبذبُ: الذُّؤابةُ، سُمِّيَت به لتحرُّكِها، والذَّباذِب: أسافلُ الثوب لذلك[2].

وقوله: ﴿بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ أي: بين ذينك[3]، كما مرَّ في قوله: ﴿عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ [البقرة: ٦٨].

وقوله تعالى: ﴿لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ هو تفسيرُ المذبذبين؛ أي: متردِّدين متحيِّرينَ، لا إلى المسلمين بالكُلِّيَّةِ ظاهراً وباطناً، ولا إلى الكفَّار كذلك.

---

(١) انظر: «ديوان النابغة الذبياني» (ص: ٧٣). قال شارحه: السَّوْرَةُ: المنزلةُ الرفيعة. وقوله: يتذبذب، أي: يتعلَّقُ ويضطربُ. وهذا مثَلٌ، وإنما يريدُ أنَّ منازلَ الملوك دون منزلته، فكأنَّهم متعلِّقون دونه.

(٢) «لذلك»: زيادة من (أ).

(٣) في (ق): «الفتتين».

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴾؛ أي: ومن يخذله اللهُ، فلن تَجِدَ له سبيلاً؛ أي: يا محمَّد، فلن تجد له طريقاً(١) إلى الهدى؛ بما أضلَّهُ اللهُ باختيارِهِ الضَّلال(٢).

❊ ❊ ❊

(١٤٤) ـ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡكَـٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَـٰنًا مُّبِينًا ﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡكَـٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ قال الحسين(٣) بن الفضل رحمه الله: أي: لا تَصنعوا أيُّها المخلصونَ ما يَصنعُ المنافقون، فقد قال في صفتهم: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلۡكَـٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [النساء: ١٣٩].

وقوله تعالى: ﴿أَتُرِيدُونَ أَن تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَـٰنًا مُّبِينًا﴾ استفهامٌ بمعنى التوبيخ؛ أي: لم تريدون أنْ تجعلوا لله عليكم حجَّةً بيِّنَةً على أنفسكم بتعذيبِكم والانتقامِ منكم في الدُّنيا والآخرة؟ فقد أخبرَ أنَّه لا يُعذِّبُ إلَّا مَن عصاهُ، ولله الحجَّةُ البالغةُ على خلقِه في عمومِ الأحوال مِن غير جعلِ جاعلٍ، غير أنَّه لـمَّا نهى عن أمرٍ، وأوعَدَ عليه، فإذا فعله(٤) فكأنَّه ألزمَ نفسَهُ حجَّةَ اللهِ عليه في ذلك(٥).

❊ ❊ ❊

(١٤٥) ـ ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَـٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمۡ نَصِيرًا ﴾.

---

(١) من قوله: «ومن يخذله الله» إلى هنا من (ف).

(٢) من قوله: «وقوله تعالى ومن يضلل الله» إلى هنا ليس في (أ).

(٣) في (ر) و(ف): «الحسن». والمثبت من (أ)، هو الصواب.

(٤) في (ف): «فعل».

(٥) في (أ): «وذلك» بدل من «في ذلك».

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ الدَّركاتُ إلى أسفل، كالدَّرجاتِ إلى أعلى، والواحدُ درَكٌ ودَرْك بالفتح والسكون.

وقرأ حمزةُ والكسائيُّ وعاصمٌ[1] بالسكون، والباقون بالفتح[2].

أخبر أنَّهم ﴿فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾؛ أي: الطبقِ الأسفلِ من النَّار، وهو أشدُّ عذاباً، ولذلك قال سبحانه وتعالى خبراً عمَّا يقول الكافرون في النار: ﴿رَبَّنَا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ﴾ [فصلت: ٢٩].

وقال ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه: المنافقون في الدَّرك الأسفل من النَّار، في توابيتَ مِن حديدٍ مطبقةٍ عليهم[3]، وهذا لأنَّ كفرَهم أفحشُ.

وقوله تعالى: ﴿وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾؛ أي: مانعاً من عذابِ الله.

* * *

(١٤٦) ـ ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا﴾ استثنى التَّائبين منهم؛ ترغيباً لهم في الرُّجوع، قوله: ﴿تَابُوا﴾؛ أي: رجَعوا عن النِّفاق بالإخلاص، ﴿وَأَصْلَحُوا﴾ ما أفسَدوا مِن الأعمال، ﴿وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ﴾ اعتقدوا أنَّ العاصمَ هو اللهُ تعالى مِن المكاره، فلا يَعتصِمون بالخلق بعد هذا، كما كانوا يفعلونه قبل هذا، ﴿وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ﴾ عن[4]

---

(١) في (ف): «قراءة عاصم غير حمزة والكسائي» بدل: «وقرأ حمزة والكسائي وعاصم».

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٢٣٩)، و«التيسير» (ص: ٩٨).

(٣) رواه الطبري: (٧/ ٦٢٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٠٩٨) (٦١٥٣).

(٤) في (أ): «من».

الـرِّياء ونـحوه، ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ﴾؛ أي: في الثَّواب والدرجات، لا في العقابِ والدَّركات.

وقوله تعالى: ﴿وَسَوۡفَ يُؤۡتِ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَجۡرًا عَظِيمًا﴾ جمعَ الكلَّ في الوعدِ بإيتاءِ العظيم مِن الأجر.

وقال الإمام القشيريُّ رحمَه الله[1]: ﴿تَابُواْ﴾ ورجَعوا عن نفاقِهم، ﴿وَأَصۡلَحُواْ﴾ فاسدَ أحوالِهم وأخلاقِهم، ﴿وَٱعۡتَصَمُواْ﴾ بالله وتبرَّؤوا مِن حولِهم وقوَّتِهم، ﴿وَأَخۡلَصُواْ دِينَهُمۡ لِلَّهِ﴾ شاهدوا المنَّةَ لله عليهم، حيث هدَاهم، وعن نفاقِهم نجَّاهم.

وقيل: ﴿وَٱعۡتَصَمُواْ بِٱللَّهِ﴾ باستدامة التوفيق، ﴿وَأَخۡلَصُواْ دِينَهُمۡ لِلَّهِ﴾ رأوا نجاتَهم بفضلِ الله تعالى، لا بفعلِ[2] أنفسهم على التحقيق.

قال: لم يَشترِط كلَّ هذه الشرائط في غيرهم، ثمَّ قال: ﴿مَعَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ﴾، ولم يقل: هم المؤمنون، وقال: ﴿وَسَوۡفَ يُؤۡتِ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَجۡرًا عَظِيمًا﴾[3] ولم يقل: يؤتيهم[4]، مع صلاحِهم بعدَ فسادِهم؛ لفحش ما كان مِنهم، وقد[5] أنشدوا:

العـذرُ مبسوطٌ ولكنـه ... شتَّانَ بين العُذرِ والشُّكرِ[6]

وقيل: إنَّ فُحشَ كفرِهم مِن ثلاثةِ أوجه: سعيِهم في إفسادِ ضعفَةِ المسلمين بالتَّشكيك، وكونِهم طلائعَ الكفَّار في إطلاعِهم على سرائرِ أهلِ الإخلاص والتَّوحيد، وتردُّدِهم بين الحالين مِن غير ثباتٍ على شيءٍ ولا تحقيق.

---

(١) بعدها في (ف): «إن الذين».

(٢) في (أ): «بفضل».

(٣) «أجراً عظيماً»: زيادة من (أ).

(٤) في (ف): «يذكر توبتهم» بدل: «يقل: يؤتيهم».

(٥) في (ف): «قال و».

(٦) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (١/ ٣٧٩ ـ ٣٨٠).

(١٤٧) ـ ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ﴾ استفهامٌ بمعنى الجحود؛ أي: لا يعذِّبُكم، ﴿إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ﴾؛ أي: آمنتم بالله تعالى وشكرتُم له بالطَّاعة.

وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾؛ أي: يَجزيكُم على شكرِكم.

وقيل: الشُّكر مِن الله تعالى: قَبولُ اليَسير مِن العمل، وإعطاءُ الكثيرِ من الثَّواب، وقوله: ﴿عَلِيمًا﴾؛ أي: عالماً بصنيعِكم، وبقدرِ جزائِكُم على أعمالِكُم.

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: ﴿إِن شَكَرْتُمْ﴾ نعمَهُ[1]، ﴿وَءَامَنتُمْ﴾؛ أي: صدَّقتُم بأنَّ نجاتَكم بالله لا بشكركم، والشُّكرُ مِن العبد: شهودُ النِّعمةِ مِن الله، والإيمانُ: رؤيةُ اللهِ في إعطاءِ النِّعمة، فكأنَّه قال: إنْ شاهدتُم النِّعمةَ مِن الله، ثمَّ لم يَقطعْكُم شهودُ النِّعمةِ عن شهودِ المنعمِ.

قوله: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا﴾ حقيقةُ الشكر: هو الثَّناءُ على المحسنِ بذكرِ إحسانِه، فالعبدُ يَشكرُ اللهَ؛ أي: يُثني عليهِ بذكرِ إحسانِه الذي هو نعمتُه عليه، واللهُ يَشكُرُ للعبد[2]؛ أي: يُثني عليه بذكرِ إحسانِه الذي هو طاعتُه له، وقوله: ﴿عَلِيمًا﴾؛ أي: يُثني عليه بطاعتِه، مع علمِه بالكثيرِ مِن أنواعِ معصيتِه[3].

* * *

(١٤٨) ـ ﴿۞ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾.

---

(١) في (ف): «نعمته».

(٢) في (ف): «العبد».

(٣) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (١/ ٣٨٠).

وقوله تعالى: ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾ ذكرَ في الآياتِ المتقدِّمة إيذاءَ المنافقين للمؤمنين، وذكرَ في هذه الآية إباحةَ التَّظلُّم مِن المؤذِين، قال الزَّجاج رحمه الله: تقديره: لا يحبُّ اللهُ أنْ يَجهرَ بالسُّوء إلَّا مَن صارَ مظلوماً، فـ «من» رُفِعَ بفعلِه[١].

و﴿ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ﴾ عند ابن عباسٍ وقتادةَ رضي الله عنهم: أنْ يدعوَ على ظالمه[٢].

وعند مجاهد: أنْ يُخبِرَ بظُلم ظالِمِه إيَّاه[٣].

وعند الحسنِ والسُّدِّيِّ: أن يَنتصِرَ مِن ظالمِه[٤].

وقال عبدُ الرَّحمن بن زيد: نزلَت الآيةُ في أبي بكرٍ الصِّدِّيق رضي الله عنه، شتمَهُ رجلٌ بمكَّةَ، فسكتَ عنه مراراً، ثمَّ ردَّ عليه، فقامَ رسولُ الله ﷺ، فنزلَت هذه الآية[٥].

وقال سعيدُ بنُ المسيَّب: نزلَتْ في رجلٍ ضافَ رجلاً بفلاةٍ مِن الأرضِ فلم يضفه.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ١٢٦).

(٢) روى قوليهما الطبري في «تفسيره» (٧/ ٦٢٥ ـ ٦٢٦)، ورواه ابن أبي حاتم (٤/ ١١٠٠) (٦١٦٩) عن ابن عباس.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٦٢٨).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٦٣٠) عن السدي، ورواه ابن أبي حاتم (٤/ ١١٠١) (٦١٧١) عن الحسن.

(٥) انظر: «تفسير أبي الليث» (١/ ٤٠٠)، و«تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٣/ ٤٠٣)، والخبر عندهما بنحوه دون نسبة. وأخرج أبو داود في «سننه» (٤٨٩٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه نحو هذه القصة دون ذكر نزول الآية.

وقالوا: هذا فيمن نزلَ في موضعٍ لا[١] يجد مأوًى غيرَهُ، ولا طعاماً يشتريه، أو لا ثمنَ عنده، فإذا نزلَ على قومٍ فلم يُضيِّفوهُ فقد ظلموهُ، فله أن يَشْكُوَ منهم.

وقرأ الضَّحَّاكُ وزيدُ بنُ أسلم وابنُ أبي إسحاق وسعيدُ بنُ جُبير ويَعلى بنُ حكيم: (إلا من ظَلَم) بفتح الظَّاء واللام على الفعل الظاهر[٢]، وعلى هذا معنى: ﴿إِلَّا﴾: لكن؛ أي: لكن[٣] مَن جهر بالسُّوء فقد ظلم، وفيه أنَّ ﴿ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ﴾[٤] لا يكونُ مباحاً، وعلى الإطلاق يكونُ حراماً، ومن فعلَهُ فهو ظالمٌ.

وقال الضَّحَّاكُ: هو مردودٌ على قوله: ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ﴾، ﴿إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾ فإنَّه يُعذِّبهُ ثم قال: ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾؛ أي: على كلِّ حال[٥].

وأمَّا قراءةُ العامة: ﴿إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾ على[٦] ما لم يُسَمَّ فاعلُه، فالاستثناءُ على الحقيقة، وفيه إباحةُ التَّظلُّمِ والدُّعاء على الظَّالم، وسُمِّيَ جهراً بالسُّوء مع أنَّه مباحٌ؛ لأنَّه جزاءُ السُّوء، فسُمِّيَ به، وهو كما قال: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ [الشورى: ٤٠].

وقال الحسن: لا يَدعو على ظالِمِه بالهلاك والعقوبة، لكن يقول: اللهمَّ استخرِجْ حقِّي منه، اللهمَّ حُل بينَه وبينَ ما يريدُ بي مِن السُّوء[٧].

---

(١) في (ف): «لم».

(٢) انظر القراءة في «مختصر في شواذ القرآن» (ص: ٣٦) و«المحتسب» لابن جني (١/ ٢٠٣)، و«المحرر الوجيز» لابن عطية (٢/ ١٢٩).

(٣) بعدها في (ف): «كل».

(٤) «فقد ظلم، وفيه أن: ﴿ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ﴾» ليس من (ف).

(٥) رواه ابن المنذر كما في «الدر المنثور» (٥/ ٩٢).

(٦) بعدها في (ف): «فعل».

(٧) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٦٢٦).

وقـال ابـنُ كيسـان: ﴿إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾ يعني: المشـركَ الظالم؛ فإنَّه يَسـتحِقُّ الشَّـتمَ والجهـرَ به.

وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾؛ أي: يَسمعُ ما يُجهَرُ مِن بالسُّوء مِن القول[1]، ويَعلم ما يُقصَد به؛ أنَّه للتَّعصُّب في الدِّينِ، أو للتَّشفِّي، أو للانتقامِ بالباطل.

وقيل: أي: ﴿سَمِيعًا﴾ لدعاءِ المظلوم، ﴿عَلِيمًا﴾[2] بفعل الظَّالم.

* * *

(١٤٩) - ﴿إِن تُبْدُوا۟ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا۟ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِن تُبْدُوا۟ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ﴾ قيل: هو إحسانُ القول فيمن جفاه[3]، والإخفاء: هو إحسان النية في حق من آذاه[4].

وقوله تعالى: ﴿أَوْ تَعْفُوا۟ عَن سُوٓءٍ﴾ هو التَّجاوزُ عمَّن ظلمَهُ في دنياه وعُقباه.

وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾؛ أي: اقتدِ بفعل الله؛ فإنَّه كثيرُ العفوِ عن عباده، مع قدرته على عقوبتِهم.

وقيل: هو وعدٌ للعافي عن ظالِمه بعفوِ الله عنه.

وقال الكلبيُّ رحمه الله: ﴿إِن تُبْدُوا۟ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ﴾؛ أي: إن تبدوا حسنةً، كُتِبت عشراً، ﴿أَوْ تُخْفُوهُ﴾؛ أي: تهمُّوا بها، كُتبت واحدةً كما روي.

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: ﴿إِن تُبْدُوا۟ خَيْرًا﴾؛ أي: طاعةً؛ لتكونوا للنَّاسِ

---

(١) في (ر): «من السوء بالقول»، وفي (ف): «سوء القول». بدل: «بالسوء من القول».

(٢) في (ف): «سمعنا دعاء المظلوم وعلمنا» بدل: «﴿سَمِيعًا﴾ لدعاء المظلوم ﴿عَلِيمًا﴾».

(٣) في (أ): «أحفاه»، وفي (ف): «خفاه».

(٤) في (ف): «أراده».

قدوةً، ﴿أَوْ تُخْفُوهُ﴾ اكتفاءً بعلمِ الله جلَّ جلالُه، ﴿أَوْ تَعْفُواْ عَن سُوٓءٍ﴾ مِن غيركم قهراً لأنفُسِكم؛ ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ﴾[1] يعفو عنكم، وهو قادرٌ على أن يبتليكم بما ابتلى به ظالِمَكُم من وبال ظلمكم.

وقال: مَن أحسنَ إليك، فأبدِ إحسانَك إليه جهراً، ومن كفاك شرَّه، فأخلص له الولاءَ والدُّعاءَ سِرًّا، ومَن أساءَ إليك، فاعفُ عنه كرماً وفضلاً، فالله عافٍ عنك ذنوبَك العِظام، قادرٌ على أن يعطيكَ مِن الفضل والإنعام ما لا تصلُ إليه بالانتصافِ والانتقام[2].

* * *

(١٥٠) ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ ذكرَ أولاً المجاهرين بالكُفر، ثمَّ المنافقين، ثمَّ ذكر اليهودَ والنَّصارى، كذا قال الكلبيُّ ومقاتل: إنَّها فيهم[3]، ووصفَهم بالكفرِ بالله تعالى؛ لأنَّ كفرَهُم ببعضِ أنبيائه وكتبِهِ كفرٌ به؛ لأنَّه ردٌّ لقولِه.

وقوله تعالى: ﴿وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ لـمَّا أضافهم الله تعالى إلى نفسِه بأنَّهم رسلُه، وهم أنكروا رسالةَ بعضِهم، فقد فرَّقوا بقطعِ هذه الإضافة بينَهم وبينَ الله.

وقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ﴾ هم لا يقولون بهذه

---

(١) في (أ): «فإنه»، وفي (ف): «فالله» بدل: «﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ﴾».

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (١/ ٣٨٢ ـ ٣٨٣).

(٣) في «تفسير مقاتل» (١/ ٤١٨) أنها في اليهود؛ لأنهم كفروا بعيسى وبمحمد صلى الله عليهما.

اللَّفظة، لكنَّ اليهودَ يُصدِّقون بموسى وهارون وعزير، ويُؤمنونَ بالتَّوراةِ، ويَكفرونَ بعيسى والإنجيل، وبمحمدٍ والقرآن، والنَّصارى يَكفرون بمحمَّدٍ والقرآن، فرجعَ ذلك إلى هذا القولِ معنى.

وقوله تعالى: ﴿وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾؛ أي: دِيناً بينَ الإيمانِ بالكُلِّ والكفرِ بالكلِّ، وهو الإيمانُ بالبعضِ والكفرُ بالبعض، ثمَّ الجمعُ بين هذا كلِّه ليس بشرطٍ لثُبوتِ الكفر، والواو ليس للشركة، بل هو بمعنى «أو».

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ﴾ أي: يَجحدون الله أصلاً، كالدَّهريَّةِ، ﴿وَرُسُلِهِ﴾ يعني: أو رسلَه، كالذين يُقرُّون بالله، ولا يَرون إرسالَ الرُّسل، كالبراهمة، ﴿وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ هو تفسير هذا، قوله: ﴿وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ﴾ أو يقولون هذا، وهو قولُ اليهودِ والنَّصارى.

* * *

(١٥١) ـ ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾.

ثمَّ هذه الآية مبتدأةٌ، وخبرُها مضمرٌ عند بعضهم في آخرها، وتقديرها: جمعوا المخازي، وعند بعضِهم جوابُه الآيةُ التي بعدها، وهي قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا﴾؛ أي: الإيمانُ بالبعض والكفرُ بالبعض لا يجعلُهم مؤمنين مِن وجهٍ، بل هم كفَّار على الإطلاق.

و﴿حَقًّا﴾ نصبُه مِن خمسة أوجه:

أحدها: الذين كفروا أمراً[1] ﴿حَقًّا﴾ وهو الإيمان، فيكون مفعولاً بفعل الكُفر.

والثاني: الذين كفروا كفراً ﴿حَقًّا﴾، وهو على المصدر.

---

(١) في (ف): «كفراً» بدل «أمراً».

والثالث: الذين كفروا حاقّين فيه؛ أي: قاصدين له، جادّين فيه، وهو على الحال.

والرابع: الكافرون بحقٍّ، نُصب بحذفِ الباء.

والخامس: ﴿حَقًّا﴾ قسم بمنزلةِ[1]: وحقِّ الله.

وقوله تعالى: ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾؛ أي: أعددنا، والعتادُ: العُدَّةُ.

* * *

(١٥٢) ـ ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُولَٰئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾ فسَّرنا ﴿بَيْنَ أَحَدٍ﴾ في آخر سورة البقرة[2]، ثمَّ ذكرَ المؤمنين ومدحَهم[3]: ﴿أُولَٰئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ﴾؛ أي: الثوابَ الموعودَ لهم.

وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ يغفرُ لهم ما تَقدَّمَ مِنهم مِن الكفرِ قبل مجيء محمَّدٍ ﷺ، ويَرحمُهم، فلا يؤاخذُهم بذلك.

* * *

(١٥٣) ـ ﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَانًا مُّبِينًا﴾.

---

(١) بعدها في (ر): «قوله».

(٢) عند تفسير الآية (٢٨٥) منها.

(٣) بعدها في (ف): «قوله تعالى».

وقوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ قال مقاتل: أي: كعبُ بنُ الأشرف وفنحاصُ بن عازوراء وأصحابُهما[1].

وقال عطاء: يعني: بني قريظة والنضير.

وقوله تعالى: ﴿أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾؛ أي: كتاباً مكتوباً مثلَ الألواحِ المنزَلةِ على موسى صلوات الله عليه.

وقيل: أي: جملةً واحدة، كما قال: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً﴾ [الفرقان: ٣٢].

وقيل: أي على كلِّ واحدٍ منهم باسمه، كما قال: ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً﴾ [المدثر: ٥٢]، وقال تعالى: ﴿وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ﴾ [الإسراء: ٩٣].

وقوله تعالى: ﴿فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ﴾؛ أي: هؤلاء خَلَفُ سلفٍ اقترحوا وتحكَّموا على نبيِّهم موسى عليه الصَّلاةُ والسَّلام مع ما جاءهم بالألواح المكتوبة ما هو أكبرُ مِن هذا التَّحكُّمِ عليك، وهذا تسليةٌ للنبيِّ ﷺ، وذلك قوله تعالى: ﴿فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ أي: عياناً، وقيل: فيه تقديمٌ وتأخير، فقالوا جهرةً من القولِ: أرنا الله.

وقوله تعالى: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ﴾؛ أي: العذابُ الهائلُ، وقيل: النَّارُ المحرِقةُ، وقيل: النَّارُ فيها الصَّوت.

وقوله تعالى: ﴿بِظُلْمِهِمْ﴾؛ أي: على أنفسهم بالتَّحكُّمِ على نبيِّهم في الآيات.

وقيل: ﴿بِظُلْمِهِمْ﴾؛ أي: بكفرِهم بموسى بتكذيبه.

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (١/ ٤١٩).

ثمَّ لم يكفِهم هذا حتَّى جاؤوا بظلمٍ آخر، وهو قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱتَّخَذُواْ ٱلْعِجْلَ﴾ أي: إلهاً.

وقوله تعالى: ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ قيل: هي الصاعقةُ، سمَّاها اللهُ مع توحُّدها[١]: بيِّنات؛ لما فيها من دلائل الوحدانيةِ لله تعالى، وصدقِ موسى، وتنبيهِهم على جهلهم، وغير ذلك.

وقيل: كان فيها إماتتُهم وإحياؤهم وأشياءُ أخر، فكانت بيِّنات.

وقال الكلبيُّ وعطاء: هي الآياتُ التسع.

وقوله تعالى: ﴿فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ﴾؛ أي: بالتَّوبةِ، ولم نستأصل الكلَّ.

وقوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا﴾ قال مجاهدٌ وعطاء: حجَّةً بيِّنةً قويَ بها على أعدائِه.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: يعني أنَّ الآياتِ التي أتاهُم بها؛ من اليدِ البيضاء، وتقليب العصا حيةً، وفلقِ البحر، كانت آياتٍ ظاهرةً يَعقِلُها كلُّ أحدٍ إن لم يعاند، وأنَّه بيَّن[٢] أنَّ سؤالَهم الرؤيةَ كان سؤالَ تعنُّتٍ، لا سؤالَ استرشادٍ؛ فإنَّه كان أتى بآياتٍ على رسالتِه، فلم يقبلوها.

وفيه دليلٌ على أن المسؤولَ لا يَلزمُهُ الدَّليل على شهوةِ السَّائل، لكن يَلزمُه أن يأتيَ بما هو دليلٌ في نفسه، ولذلك عاقبَهمُ اللهُ تعالى بالصَّاعقة[٣].

❊ ❊ ❊

---

(١) بعدها في (ف): «وجمع».

(٢) في (ر): «تبين».

(٣) انظر: «تأويلات أهل السنة» لأبي منصور الماتريدي (٣/ ٤٠٧).

(١٥٤) ـ ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا۟ فِى ٱلسَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا۟ فِى ٱلسَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾؛ أي: ورفعنا الجبل[1] فوق رؤوسِهم؛ لأخذِ الميثاق عليهم بأخذِ الكتاب والعمل به، ﴿وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا﴾؛ أي: باب[2] إيلياء مطأطئين عند الدُّخولِ رؤوسَكم، ﴿وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا۟﴾ بأخذِ السَّمك يومَ السَّبت، ﴿وَأَخَذْنَا﴾ عليهم بذلك كله عهداً مؤكَّداً غاية التأكيد، وقد شرحنا هذه الحوادثَ الثَّلاث في سورة البقرة[3].

* * *

(١٥٥) ـ ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾، أي: فبنقضهم، و«ما» زائدةٌ، كما في قوله: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وقد شرحناه.

ثم نقول: فبسببِ نقضِهم هذا الميثاقَ المأخوذَ عليهم، وبكفرِهم بآياتِ التَّوراة، وهو[4] تحريفها، أو بكفرهم بالمعجزات التي أوردَها موسى عليه السلام عليهم،

---

(١) في (ر): «الطور».

(٢) في (أ): «يأت».

(٣) عند تفسير الآيات (٥٨)، (٦٣ ـ ٦٥).

(٤) في (ف): «وتحريفها» بدل: «وهو تحريفها».

وبقتلهم زكريا ويحيى عليهما السلام، وغيرهما من الأنبياء، مِن غير أنْ يُتصوَّر منهم سببُ استحقاق القتل، وبقولهم: قلوبنا غلف؛ أوعيةٌ للعلوم، فلا حاجة لنا إلى قول موسى، أو هي في غلافٍ، فلا نفهم ما يُقال = لعنَّاهم، وسخطْنا عليهم، هذا مضمَرٌ فيه، قاله قتادة؛ لدلالة الكلام عليه؛ لأنَّه قال في سورة المائدة: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ﴾ [المائدة: ١٣]، وكذلك اعتراضُ قولِه تعالى: ﴿بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾ دليلٌ على ذلك.

وقال الزَّجَّاج: يتَّصِلُ بهذا قوله: ﴿حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾؛ أي: بسبب هذه الأشياء عاقبناهم بذلك، وعلى هذا يكون قوله: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟﴾ بدلاً عن قوله: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم﴾[1] وترجمةً عنه.

والأول أوجه؛ لتباعدٍ بين الكلامين في هذا الوجه الثاني.

وقوله تعالى: ﴿بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾ هو ردٌّ لقولِهم: ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾، وقد بيَّنَّا وجوهَ ذلك في سورة البقرة[2].

وقوله تعالى: ﴿فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ذكرنا وجوهَه أيضاً في قوله: ﴿فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ٨٨].

* * *

(١٥٦) ـ ﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا﴾ قيل: وبكفرِهم بعيسى، والأوَّلُ كفرُهم بالتَّوراة وبمعجزاتِ موسى، فلم يكن تكراراً.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ١٢٧).

(٢) عند تفسير الآية (٨٨) منها.

وقيل: معناه أنَّهم كفروا كفراً بعد كفرٍ، وكفراً على كفر، فهو تفحيشٌ لحالهم وقولِهم على مريم بهتاناً عظيماً.

قال الكلبيُّ رحمه الله: إنَّ عيسى عليه السَّلام استقبلَ رهطاً مِن اليهود، فقالوا: قد جاءَكُم السَّاحر ابنُ السَّاحرة(١)، فقال عيسى صلوات الله عليه: اللهمَّ العنْ مَن سبَّني وسبَّ والدتي، فمُسِخوا خنازير(٢).

ورموا أمَّه برجلٍ من الصالحين وهو يوسف بن يعقوب بن ماثان(٣).

ثمَّ في هذه الآية وجهان:

أحدهما: أنَّه عطفٌ على قوله تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم﴾، ﴿وَكُفْرِهِم﴾، ﴿وَقَتْلِهِمُ﴾، ﴿وَقَوْلِهِمْ﴾.

والثاني: أنَّه عطفٌ على قوله: ﴿بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾ وبما(٤) ذكر في هذه الآية.

* * *

(١٥٧) ـ ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ﴾ أي: وبقولهم، وفي عطفِه وجهان كما قُلنا الآن، ﴿عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾ معنى الجمع بين الاسمين ما مرَّ في سورة آل عمران(٥).

---

(١) في «تفسير الثعلبي» (٣/ ٤٠٩) أنهم شتموه وأمه بألفاظ القذف.

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» (٣/ ٤٠٩)، والخبر فيه من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس.

(٣) اسمه في «تفسير مقاتل» (١/ ٤٢٠)، و«تفسير أبي الليث» (١/ ٤٠٢): يوسف بن ماثان.

(٤) في (ف): «ومما».

(٥) عند تفسير الآية (٤٥) منها.

وقوله تعالى: ﴿رَسُولَ ٱللَّهِ﴾ وهم لم يعتقدوهُ رسولَ الله، وله وجهان:

أحدهما: أنَّهم قالوه استهزاءً به، كما قالوا لرسولنا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ [الحجر: ٦].

والثاني: أنَّهم لم يقولوا: إنَّه رسولُ الله، ولكنَّ اللهَ تعالى وصفَه به، وهو كقوله: ﴿لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ﴾ الآية[1]، هم لم يقولوا ذلك كلَّه، لكنَّ اللهَ تعالى وصفَ نفسَهُ بكمالِ القُدرةِ، ثمَّ إنَّهم لم يقتلوه، ولكن ادَّعوا ذلك كذباً، فاستحقُّوا بذلك عقابَ قاتلِه.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ قال الحسينُ بن الفضل رحمه الله: ما ألقى الله تعالى شبهَهُ على أحدٍ؛ لأنَّ أحداً لم يستحقَّ ذلك، ولم يصلح لذلك، ولكن معنى: ﴿شُبِّهَ لَهُمْ﴾ أي: خُيِّلَ لهم، فوقعَ عندهم أنَّ ذلك شبيهٌ به، فقتلوه، أو رأوا[2] مقتولاً، وكانوا قصدوا قتلَ عيسى عليه السلام، فظنوا أنَّ المقتول عيسى[3]، فادَّعوه.

وقد بيَّنَّا الأحاديثَ في ذلك، واختلافَ الطُّرق فيها في قوله تعالى: ﴿وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٥٤].

ونذكرُ خبراً آخر فيه[4] لم نذكرهُ ثَمَّ؛ قال عطاء: ﴿وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾؛ أي: ابنُ العجوز، وذلك أنَّ عيسى عليه السَّلام نزلَ على عجوزٍ، فاستضافَها، فقالت: إنَّ

---

(١) بعدها في (ر): «﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا﴾».

(٢) في (أ): «رأوه».

(٣) في (ف): «هو».

(٤) في (ف): «ونحن نذكر خبراً آخر» بدل: «ونذكر خبرا آخر فيه».

الملكَ يَطلبُ رجلاً مِن قصَّتِه[١] كذا وكذا، وأنا أُضَيِّفُك على ألّا أعصيَ الملك، قال عيسى: اكتمي أمري، وأنا أدْعو ربِّي أنْ يَرزُقَك ما تَمنَّين[٢]، قالت: إنَّ ابني غائبٌ[٣]، فادعُ ربَّك أنْ يَرُدَّه، فدعا ربَّه، فإذا بالغلام، فقال عيسى: لا تُخبري ابنَك بي، فقالت لابنِها: نزلَ بي ضيفٌ على أنْ أؤمِّنَهُ مِن الملك، قال ابنُها: أين هو؟ قالت: هو[٤] في الخزانة، فدخلَ، فرأى عيسى عليه السلام، فقال: قُم إلى الملك، قال عيسى: أحسِن ضِيافتي، وأنا أُعطيكَ ما تُريد[٥]، قال بسخرية[٦]: إنِّي أريدُ أنْ يُزَوِّجَني الملكُ ابنتَه، فقال: أنا[٧] لك بذلك، فلمَّا أصبحَ طالبه[٨] ابنُ العجوزِ بالشَّرط، فقال له: البسْ ثوبَك، وائتِ الملِكَ، وقل له: جئتُك خاطباً ابنتَك، فأتى الملِكَ خاطباً، فأمر به فجُلِدَ، فرَجعَ فقال لعيسى عليه السلام: قُم إلى الملك، فقد عرَّضتني للضَّربِ، فمسَح عيسى الجراحات، فالتأمَت، واعتبرَ الغلامُ بذلك، فرجعَ إلى الملك، فرأى جراحاتِه ملتئمةً، فهالَهُ ذلك، وقال: أتريدُ ابنتي؟ قال: نعم، قال على أنْ تملأَ هذا البيتَ ذهباً، فأخبرَ عيسى، فقال: قم، فإنَّه مملوءٌ ذهباً، وخرج عيسى فتبعَهُ الغلامُ، فلمَّا لحِقَ بعيسى قال: ما جاء بك، قال: لا أوثر على صحبتِك شيئاً، قال عيسى: إنَّ هذا الملكَ قد لحِقَنا، فمَن تشبَّه بي فله الجنَّة، فقال: أنا، فألقى اللهُ تعالى عليه شبهَ

---

(١) في (ف): «قضيته».

(٢) في (ف): «بما تتمنين».

(٣) بعدها في (ر): «عني».

(٤) لفظ: «هو» من (ف).

(٥) في (ف): «تريده».

(٦) في (أ): «فقال الابن يستخبر به» وفي (ف): «قال فجعل يستسخر به» بدل: «قال بسخرية».

(٧) بعدها في (ف): «أقوم».

(٨) في (أ): «طالب».

عيسى، ورفعَ عيسى، فوُجِدَت الصِّفةُ فيه، فذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ﴾ [النساء: ١٥٧] الآية.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: تَعلَّقَ بعضُ النَّاسِ بهذهِ الآيةِ مِن وجهَين:

أحدهما: في احتمالِ الغلطِ والخطأ في المشاهدات والمعاينات.

والثاني: في احتمالِ المتواترِ مِن الأخبارِ الغلطَ والكذبَ.

وقالوا لـمَّا قُتِل ذلك الرَّجلُ ـ وعندهم أنَّه عيسى، لـمَّا كان به[1] شبهُه، ثمَّ لم يكن عيسى: ما يمنعُ أيضاً أنَّ ما يُشاهَدُ ويُعاينُ هو في الحقيقةِ على غير ذلك.

ثمَّ الخبرُ أيضاً قد تواترَ فيهم بقتل عيسى، وكان[2] كذباً، فما يَمنعُ أيضاً أنَّ الخبرَ المتواترَ يجوزُ أن يَخرجَ[3] كذباً وغلطاً.

قلنا: أمَّا الخبرُ بقتله فإنَّما انتشرَ عن ستَّةٍ أو سبعةٍ، كذا ذُكِرَ في القصَّة، وهذا من أخبار الآحاد عندنا.

وأما التَّشبيهُ فهو تشبيهُ الدَّاخلين على الآخرين؛ لأنَّهم دَخلوا بيتاً هو فيه، فلم يَجدوهُ؛ لأنَّه رُفِعَ، وكان ذلك مِن أعظمِ آياتِه، فلمَّا خرجوا لم يُحِبُّوا أن يخبروا النَّاسَ بذلك، فقالوا[4]: قتلناه، فذلك تشبيهٌ منهم لهؤلاء، فلم يكن حجَّةً في دعوى وقوعِ الخطأ في المشاهدات[5].

---

(١) بعدها في (ف): «من».

(٢) في (ف): «فكان ذلك».

(٣) في (ر): «يكون».

(٤) في (أ) و(ر): «بل قالوا» بدل: «فقالوا».

(٥) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٣/ ٤٠٩ ـ ٤١١).

فإن قالوا وهو على من حقَّق[١] إلقاء الشَّبه على غيره: كيف[٢] يجوزُ هذا والإيمانُ[٣] بعيسى واجب؟ وإذا وقعَ عندهم أنَّ هذا عيسى، وجبَ عليهم الإيمانُ به، وهذا تخليطٌ وتلبيس.

قلنا: لا يكون هذا عند الدَّعوةِ ورجاءِ الإيمان، فأمَّا حال همِّهم بقتلِه وعلمِ الله منهم أنَّهم لا يؤمنون، فإنَّه يكونُ تأييداً لرسولِه، وإعجازاً لعدوِّه، فجاز[٤].

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ﴾ قال مقاتلٌ وجماعة: أي: اختلفوا في قتله[٥].

وقوله تعالى: ﴿لَفِي شَكٍّ مِّنۡهُۚ﴾ أي: مِن قتلِه.

وقوله تعالى: ﴿مَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّۚ﴾ فإنَّهم يَدَّعون قتلَه، وهم شاكُّون فيه؛ فإنَّه بعد قتلِهم ذلك الرَّجلَ كانوا يقولون: إنْ كان هذا عيسى، فأين صاحبُنا؟! وإن كان هذا صاحبَنا، فأين عيسى؟!

وقوله تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينَۢا﴾ له وجوه:

أحدها: لم يَتيقَّنوا بقتلِه فإنَّهم ادَّعوه، وهم على شكٍّ.

والثاني: ما قتلوه، وهذا نفيٌ مطلقٌ، قوله تعالى: ﴿يَقِينَۢا﴾؛ أي: هذا النَّفي متيقَّنٌ، ليس فيه شبهةُ القتل.

وقيل: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ﴾؛ أي: وما علموهُ؛ فإنَّه يُستعمَل في العلم لغةً، يقال: قتلتُ

---

(١) في (ف): «وهو على ذلك من حقوق».

(٢) في (ف): «فكيف».

(٣) في (ف): «فالإيمان».

(٤) لفظ: «فجاز» ليس في (أ).

(٥) انظر: «تفسير مقاتل» (١/ ٤٢٠).

هذا الأمرَ يقيناً؛ أي: علمتُ به على[١] التيقُّن[٢]، وغلبتُ على معرفتِه، ووَصلتُ إلى غايتِه، بحيث لم يبق فيه اضطرابٌ، كالمقتولِ لا اضطرابَ به[٣]، قال ذلك الفرَّاءُ[٤] وجماعةٌ مِن أهلِ الأدب.

وقيل في قوله: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ﴾: أي: في صفة عيسى، فإنَّ النَّصارى مختلفون عل مقالاتٍ باطلة؛ أنَّه ابنُ الله، أو الله، أو اللَّاهوت[٥]، أو النَّاسوت واللَّاهوت، وقوله: ﴿لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ﴾ في هذه المقالات، وما علموا ذلك يقيناً، أو ما قتلوه يقيناً.

* * *

(١٥٨) - ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾؛ أي: إلى السَّماء، وقد فسَّرناهُ، وذكرنا وجوهَه في سورة آل عمران[٦].

وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا﴾ حالَ بينهم وبين عيسى أنْ يَقتلوهُ.

وقيل: أي: منتقماً مِن اليهود، وقد فعلَ بتسليط استبسيانوس[٧] الرُّوميِّ عليهم، حتَّى

---

(١) في (أ): «عن».

(٢) في (ف): «اليقين».

(٣) لفظ: «به» ليس في (ر). وفي (ف): «فيه».

(٤) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٢٩٤).

(٥) قوله: «أو اللاهوت» من (ف).

(٦) عند تفسير الآية (٥٥) منها.

(٧) في (ف): «اشبشيانوس». وسلف عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ﴾ [البقرة: ٦١]، واسمه ثمة: «ططوس بن اسبسيانوس»، واسمه في «البدء والتاريخ» للمطهر المقدسي (٤/ ١٢٩): «ططوس بن استيانوس».

قَتَل منهم كثيراً، وقد بيَّنَّاه في قوله تعالى: ﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران: ٥٤].

وقوله تعالى: ﴿حَكِيمًا﴾؛ أي: في رفعِه إلى السَّماء حيًّا، وقالت عائشة رضي الله تعالى عنها: تركَ عيسى عليه السَّلام حين رُفِع إلى السماء خُفَّينِ ومِدْرَعةً ووِسادة، وتركَ النبيُّ ﷺ إزاراً غليظاً وكساءً ووسادةً مِن أدم[1].

* * *

(١٥٩) ـ ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾؛ أي: وما مِن أهلِ الكتابِ أحدٌ، وهذا مضمرٌ، إلَّا ليُصدِّقنَّ به، أو إلا من ليؤمننَّ[2] به قبل موته، وهو كقوله: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ [الصافات: ١٦٤]، وقوله: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ [مريم: ٧١]، قاله الزَّجَّاج[3].

و﴿لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ﴾ في الكنايتين وجوه:

قيل: هما يرجعان إلى عيسى عليه السلام؛ أي: يؤمنُ بعيسى بعدَ نزولِ عيسى إلى الأرض قبلَ موت عيسى. قاله ابنُ عبَّاس وسعيدُ بن جُبير ومقاتلٌ وعكرمةُ وأبو مالك والكلبي والحسن[4].

---

(١) ذكره مقاتل في «تفسيره» (١/ ٤٢١)، ونسب لعائشة القطعة الثانية منه، يعني المتعلقة بنبينا محمد ﷺ.

(٢) في (ر): «إلا ليؤمنن»، وفي (ف): «ليؤمنن» بدل: «إلا من ليؤمنن».

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ١٢٩).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٦٦٤ ـ ٦٦٧) عن ابن عباس وأبي مالك والحسن، وقول مقاتل في «تفسيره» (١/ ٤٢١).

قال ابنُ عباس رضي الله عنهما: إذا بُعِثَ عيسى عليه السلام إلى الدُّنيا، آمنَ[١] به بقيَّةُ اليهود والنَّصارى[٢].

وقيل: الأولى ترجعُ إلى عيسى، والثَّانية إلى الكتابيِّ، قال محمدُ بنُ الحنفيَّة: تأتي[٣] الملائكة اليهوديَّ، فيضربون وجهَه ودُبرَه، ويقولون: يا عدوَّ الله، جاءك عيسى نبيًّا مِن عند الله، فكذَّبتَهُ، فيقول: أشهدُ أنَّ عيسى نبيُّ الله وعبدُه، ويأتون النَّصرانيَّ فيَضربون وجهَهُ ودُبُرَه، ويقولون: يا عدوَّ الله، أتاك عيسى نبيًّا، فقلت: إنَّه ابنُ الله، فيقول: أشهدُ أنَّ عيسى عبدُ اللهِ ورسولُه[٤].

وهو روايةٌ عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما، وقيل له: إنَّا نرى الكتابيَّ يموتُ ولا[٥] يتكلَّمُ به، فقال: إنْ[٦] ضُرِبَ عنقُه، أو خرَّ من فوق بيتٍ، أو غرقَ، أو أُحرِقَ بالنَّار، أو أكلَهُ سبُعٌ، لا تَخرجُ روحُه حتَّى يؤمنَ بعيسى[٧]، لكنَّه لا يَنفعُه[٨]، ولا يُقبَل منه؛ لأنَّه حالة اليأس.

وقوله: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾؛ أي: يكون عيسى عليهم شهيداً بتكذيبِ مَن كذَّبهُ وتَصديقِ مَن صدَّقه.

---

(١) في (ف): «آمنت».

(٢) رواه بنحوه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٦٦٦).

(٣) في (ر): «لتأتي».

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣/ ٤١٢) من رواية الكلبي عن شهر بن حوشب عن ابن الحنفية، والكلبي متهم.

(٥) في (أ): «لا» دون واو العطف.

(٦) بعدها في (ف): «من».

(٧) رواه بنحوه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٦٦٨)، وانظر: «تفسير الثعلبي» (٣/ ٤١٢).

(٨) بعدها في (ر): «إيمان».

وذكر الإمام أبو منصورٍ رحمه الله هذين القولين، وقال أيضاً: وقيل[١]: ﴿لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ﴾ أي: بالله، وقيل: بمحمَّدٍ عليه الصَّلاة والسَّلام؛ لأنَّ عيسى عليه السَّلام إذا نزل دعا النَّاسَ إلى الإيمان بمحمَّدٍ، ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ بأنَّه بلَّغَ الرِّسالةَ، وأقرَّ على نفسِه بالعبوديَّة.

وقيل شهيداً؛ أي: حافظاً.

وقيل: يكونُ محمَّدٌ عليهم شهيداً.

قال: وهذا كلُّه محتمِلٌ، واللهُ أعلم بما أراد[٢].

***

(١٦٠) ـ ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾؛ أي: كانت أُحِلَّت لهم، وكذا هو في حرف ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهم[٣]؛ أي: بسببِ ظلمِهم أنفسَهم بارتكابِ ما نُهوا عنه، ﴿حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ﴾، وهو ما ذُكِرَ في سورة الأنعام: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ۖ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ۚ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ﴾ [الأنعام: ١٤٦].

---

(١) «وقيل» ليس من (أ).

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٣/ ٤١٢ ـ ٤١٣).

(٣) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٣/ ٤١٤)، وحرف ابن عباس ذكره ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٢/ ١٣٥).

وقوله تعالى: ﴿وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا﴾؛ أي: بصرفِهم ومنعِهم، وهو بطريقين: بالقِتالِ، واستغواءِ الضَّعفَةِ والجُهَّال.

* * *

(١٦١) ـ ﴿وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَقَدْ نُهُوا۟ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰا۟﴾؛ أي: وبأخذهم ﴿وَقَدْ نُهُوا۟ عَنْهُ﴾ أي: في التَّوراة، ودلَّ على حُرمةِ الرِّبا في كلِّ الأمم.

وقوله تعالى: ﴿وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ﴾ هو أخذُ الرِّشا في الأحكام واستئكالُ أموالِ الأشرافِ بتَحريفِ الكتاب.

وقوله تعالى: ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ﴾؛ أي: دون مَن آمن. ﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾ في الآخرة، مع تحريم الطيِّباتِ وغير ذلك في الدُّنيا.

ومن استدلَّ بالآيةِ على أنَّ الكفَّار مخاطبون بالشَّرائع؛ فإنَّه ذكرَ التَّحريم والنَّهي، فلا حجَّة له فيه؛ لأنَّ الخلاف في العباداتِ، فأمَّا حقوقُ العباد(١)؛ من أخذِ أموالِهم بالغَصب والسَّرقة والعقود الفاسدةِ، فهم مؤاخذون بأحكامِنا بقوله: ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ [المائدة: ٤٩].

* * *

(١٦٢) ـ ﴿لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ۚ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ أُو۟لَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

---

(١) في (أ): «الناس».

وقولـه تعالـى: ﴿لَّـٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ﴾؛ أي: الثابتـون[1] ﴿مِنۡهُمۡ﴾؛ أي: مِـن أهـل الكتـاب، وهـم عبدُ الله بـنُ سـلام وأصحابُه. وقولـه تعالـى: ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾؛ أي: أصحـاب النبـيِّ ﷺ.

وقولـه تعالـى: ﴿يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ﴾؛ أي: بالقـرآنِ والتَّـوراةِ والإنجيـلِ والزَّبـور.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلۡمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ يُذكَرُ عن عائشة رضي الله عنها أنَّها قالت: هذا خطأٌ مِن الكاتب[2]، والصحيح: والمقيمون الصلاة، عطفاً على قوله: ﴿لَّـٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ﴾. وهذا لا يجوز؛ لأنَّ الله تعالى قال: ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ﴾ [يوسف: ١٢]، فلم يجز وقوعُ الخطأ فيه[3] مع حفظ الله تعالى، ولأنَّه لم يغيِّرْهُ الصحابة، ولو وقع الخطأ لم يُظَنَّ بهم تقريرُه وهم القدوة للأمَّة. ولنصبِه وخفضِه وجوه:

أحدها: أنه نصبٌ على المدح، كما في قول الشَّاعر:

لا يَبْعَـدَنْ قومـي الذيـن هُمُ ... سُـمُّ الـعـداةِ وآفـةُ الجُـزْرِ
النَّازلـيـنَ بكـلِّ مُـعْـتَـرَكٍ ... والطَّـيـبـيـنَ معاقـدَ الأُزْرِ[4]

---

(١) بعدها في (ف): «وقوله».

(٢) رواه عنها الفراء في «معاني القرآن» (١/ ١٠٦)، وأبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص٢٨٧)، وسعيد بن منصور (٧٦٩ ـ تفسير)، والطبري في «تفسيره» (٧/ ٦٨٠ ـ ٦٨١).

(٣) لفظ: «فيه» ليس في (أ).

(٤) البيتـان للخرنـق بنـت بدر بن هفـان، كما فـي «الكتـاب» (٢/ ٦٤)، وهما في «ديوانهـا» (ص: ٢٩)، ولفظـه فيـه: «النازلـون... والطيبيـن». قـال شـارح الديـوان: ويـروى: النازليـن والطيبيـن. ويروى: النازلـون والطيبون.
قال شارح الديوان في البيت الأول: أي: هم لأعدائها كالسُّمِّ، وهم آفةُ الجزر؛ لأنهم ينحرونها للأضياف. وقال: «الطيبين معاقد الأزر» تريد أنهم أعفاء الفروج، والأزر جمع إزار.

والثاني: أنَّه مخفوضٌ، معطوفٌ على قوله: ﴿مِنْهُمْ﴾، وتقديره: ومن المقيمين الصَّلاة.

والثالث: أنَّه مخفوضٌ، معطوفٌ على الكاف التي في قوله: ﴿بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ وتقديرُه: وإلى المقيمين الصلاة، وهم الأنبياء.

وقيل: هو معطوفٌ على «ما»، وهو قوله: ﴿بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾، وتقديرُه: وبالمقيمين، وهم الأنبياءُ أيضاً.

وقيل: هم[1] الملائكة، والصَّلاةُ كانت مشروعةً في كلِّ زمان، قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ﴾[2] [الأنبياء: ٧٣]، وهي من صفاتِ الملائكة، قال تعالى: ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا﴾ [الصافات: ١]، وقال تعالى خبراً عنهم: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ﴾ [الصافات: ١٦٥ ـ ١٦٦] وقال: ﴿وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٦].

وقوله تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ عطفاً على قوله: ﴿ٱلرَّٰسِخُونَ﴾.

﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ أي: المصدِّقونَ بوحدانية الله تعالى، وبكون القيامةِ، وهم مخالفون للمذكورين قبلها أنَّهم كافرون.

وقوله تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ والأوَّلون أعتدنا لهم[3] عذاباً أليماً.

وقال مقاتل: إنَّ عبدَ الله بنَ سلام وأصحابَهُ قالوا للنَّبيِّ ﷺ: إنَّ اليهودَ لتَعلمُ أنَّ الذي جئتَ به حقٌّ، وإنَّك مكتوب عندهم في التَّوراة، فقالت اليهودُ للنَّبيِّ ﷺ: ليس

---

(١) في (ف): «تعم».

(٢) بعدها في (ر): «وإيتاء الزكاة وقيل: هم الملائكة»، وهي مقحمة.

(٣) في (ف): «للكافرين منهم».

كما يقولون، وإنَّهم لا يعلمون شيئاً، وإنهم يُغرونَك ويُحدِّثونك بالباطل، فأنزل اللهُ تعالى هذه الآية[1].

***

(١٦٣) - ﴿۞ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَـٰرُونَ وَسُلَيْمَـٰنَۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ قال ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما: لـمَّا فضح اللهُ تعالى اليهودَ بذكرِ ذُنوبهم وعيوبِهم، غضبوا وقالوا: ليس هذا كلام الله، وما أنزلَ اللهُ على بشرٍ مِن شيءٍ، فنزلَت هذه الآية.

وبدأ بمحمَّدٍ تشريفاً له؛ لأنَّه أفضلُ الأنبياء وأعظمُهم وإن كان خاتماً لهم، ثمَّ جعلَ نوحاً ثانيَهُ في الوحي في هذه الآية، وفي أخذ الميثاق في قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ﴾ [الأحزاب: ٧]، وإنَّما قدَّمه على سائر الأنبياء؛ لأنه أبو البشر، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ﴾ [الصافات: ٧٧]، ولأنَّه أول نذير على الشِّرك، وأوَّل من عُذِّبَ أمَّتُه بردِّهم[2] دعوته، ولأنَّه أطولُ الأنبياءِ عمراً، وأكبرُهم سِنًّا، وجُعِلَت معجزتُه في نفسِه؛ لم تنقُص قوَّتُه، ولم تَسقط سِنُّه، ولم يَبيضَّ شعرُه، مع أنّه عمِّرَ[3] ألف سنة ومئتي سنة، ولم يُؤذَ أحدٌ في اللهِ إيذاءَهُ، وهو أوَّلُ مَن شُرِعَت له الشَّرائعُ، وسُنَّت له السُّنن.

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (١/ ٤٢٢).

(٢) في (ف): «برد».

(٣) في (ف): «أن عمره» بدل: «أنه عمر».

وقوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ﴾ ذكرنا[١] في سورة البقرة[٢] أنَّ الأسباطَ أولادُ يعقوب.

وقوله تعالى: ﴿وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ﴾ قدَّمَ ذكرَ عيسى عليه السلام على أيوب ومَن ذكرَ عليهم السَّلام[٣]، وزمانُه متأخِّرٌ عنهم[٤]؛ لأنَّ الواوَ ليس للتَّرتيب، ولأنَّ البدايةَ تكونُ بالأهمِّ، وهذه الآيةُ في الإنكار على اليهودِ، وطعنِهم على عيسى؛ فلذلك قدَّم ذكرَهُ، وكذا قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ أخَّره عن ذكرِ سليمان مع وجوده قبله؛ لما قلنا: إنَّ الواوَ ليس للترتيب، ولأنَّه أوفقُ لخواتم الآي.

* * *

(١٦٤) ـ ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَرُسُلًا﴾ نصبُه من وجوه:

أحدها: بإضمار: أرسلنا؛ لأنَّه بمعنى الوحي، وقد ذُكِرَ ذلك، فدلَّ على هذا المضمر.

والثاني: بحذف «إلى»؛ أي: وأوحينا إلى رُسُل.

والثالث: بالفعل المذكور بعدَه، وهو قوله تعالى: ﴿قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ﴾، وهو كقوله: ﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ﴾ [يس: ٣٩].

---

(١) في (ر): «قد ذكرنا».

(٢) عند تفسير الآية (١٣٦) منها.

(٣) قوله: «على أيوب ومن ذكر عليهم السلام» من (ف).

(٤) في (أ): «منهم».

والرابع: بالعطف على داود؛ أي: وآتينا رسلاً كُتباً أُخر.

وقوله تعالى: ﴿قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ﴾ قال الكلبيُّ: أي: سمَّيناهم لك في القرآن، وعرفناكهم إلى مَن بُعِثوا[١].

وقوله تعالى: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ﴾؛ أي: لم نسمِّهم لك، فالمسمَّون المذكورون في سورة الأنعام وغيرها، وهي مقدَّمةٌ في النُّزول، وإنْ كانت مؤخَّرةً في الكتابة.

قال ابنُ عباس رضي الله تعالى عنهما: لـمَّا نزلَت الآيةُ الأولى قالت اليهود: ذكرَ محمَّدٌ الأنبياءَ، ولم يَذكر موسى، فنزلَت هذه الآية: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ﴾ الآية[٢].

وسأل أبو ذرٍّ رسولَ الله ﷺ: كم الأنبياء؟ قال: «مئةُ ألفٍ وأربعةٌ وعشرون ألفاً» قال: كم الرُّسلُ منهم؟ قال: «ثلاثُ مئةٍ وثلاثةَ عشر؛ أوَّلُ الرُّسل آدم، وآخرُهم نبيُّكم محمَّدٌ ﷺ، وأوَّلُ رسلِ بني إسرائيل موسى، وآخرُهم عيسى، وبينهما ألفُ نبيٍّ؛ أربعةٌ منهم سريانيون، وأربعةٌ مِن العرب؛ هودٌ، وصالحٌ، وشعيبٌ[٣]، ومحمَّدٌ عليهم الصَّلاة والسَّلام»[٤].

وقوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾؛ أي: بلا واسطةٍ، وهو ردٌّ على المعتزلة الذين لا يُثبتون لله تعالى كلاماً أزليًّا على الحقيقة صفةً قائمةً بذاته؛ لأنَّه

---

(١) انظر: «الوسيط» للواحدي (٢/ ١٤٠).

(٢) ذكره الواحدي في «البسيط» (٧/ ١٩٥).

(٣) في (أ): «شيث».

(٤) رواه ابن حبان في «صحيحه» (٣٦١) مطولًا، والحاكم في «المستدرك»: (٤١٦٦)، قال محقق «صحيح ابن حبان»: إسناده ضعيفٌ جدًّا. وانظر تتمة تخريجه ثمة.

أكَّدهُ بالمصدر، وهو لتحقيق الاسم والصِّفة؛ فإنَّ الفعلَ المذكورَ على المجاز لا يؤكَّدُ بالمصدر.

ودلَّت الآيةُ على أنَّ معرفةَ الرُّسلِ واحداً بعد واحدٍ بأساميهم ليست بشرطٍ لصحَّةِ الإيمان، لكن مِن شرطِه أن يُؤمن بهم جميعاً، ولو كان معرفةُ كلٍّ واحدٍ منهم شرطاً لقَصَّ علينا كلَّ ذلك.

***

(١٦٥) ـ ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾ ﴿ رُّسُلًا ﴾ بدلٌ عن الأوَّل، ﴿مُّبَشِّرِينَ ﴾، أي: بالجنَّة لمن أطاعَ الله، ﴿وَمُنذِرِينَ ﴾ بالنَّارِ لمن عصاه.

وقوله تعالى: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾؛ أي: لئلَّا يكونَ لهم الاحتجاجُ، فيقولوا: ﴿رَبَّنَا لَوۡلَآ أَرۡسَلۡتَ إِلَيۡنَا رَسُولًا ﴾ الآية [طه: ١٣٤].

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: وهذا إنما يكون في العبادات والشرائع التي سبيلُ معرفتِها السَّمعُ لا العقل، وأمَّا الاعتقادات، فإنَّ لزومَها بالعقل، فلا يكونُ لهم الاحتجاجُ؛ إذ في كلِّ شيءٍ مِن خلقه دليلٌ على وجودِه ووحدانيتِه وربوبيَّته[١].

وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾؛ أي: منيعاً قادراً على إعزازِ من أعزَّه، وإذلال من أذلَّه، ﴿حَكِيمًا﴾ بوضعِ كلِّ شيءٍ موضعَهُ.

وقيل: أي: قادراً على إثابةِ مَن صدَّقَهم وعقابِ من كذَّبَهم.

وقيل: ﴿حَكِيمًا﴾ في إرسالهم وكلِّ[٢] شيء.

---

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٣/ ٤٢١).

(٢) في (ر): «وفي كل».

(١٦٦) - ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيۡكَۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَشۡهَدُونَۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيۡكَ﴾ قال الكلبيُّ رحمه الله: إنَّ رؤساءَ مكَّة قالوا: يا محمَّد، إنَّا قد سألنا عنك اليهودَ وعن صفتِك، فزعَموا أنَّهم لا يعرفونَك في كتابِهم، فائتنا بمَن يشهدُ لك أنَّ اللهَ بعثَك إلينا رسولاً، فأنزلَ اللهُ تعالى: ﴿قُلۡ أَيُّ شَيۡءٍ أَكۡبَرُ شَهَٰدَةٗ﴾ إلى قوله: ﴿أَئِنَّكُمۡ لَتَشۡهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخۡرَىٰ﴾ [الأنعام: ١٩]، قالوا: نعم يا محمَّد، نحن نشهدُ على ذلك، ولا نجدُ أحداً يَشهد أنَّك رسولُ الله، فأنزلَ اللهُ تعالى: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيۡكَ﴾ الآية(١).

وشهادةُ الله لرسوله(٢): بما أظهرَ على يدِه مِن المعجزات، وهي شهادةٌ قاطعةٌ، وشهادةُ الملائكة: إقرارُهم بنُبوَّتِه، وفي شهادةِ الله كفايةٌ، وإنَّما قرنَ بها شهادةَ الملائكة؛ تشريفاً لهم، أو على مقابلةِ شهادتِهم بتكذيب الكفَّار، وقد عرفَ النبيُّ ﷺ كثرتَهم وشرفَهم عند الله تعالى، فإذا علمَ شهادتَهم له بذلك، كان ذلك تسليةً له وغُنيةً عن شهادةِ الكفَّار.

وقوله تعالى: ﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦ﴾ قال الزَّجَّاج: أي: أنزلَ القرآنَ الذي فيه علمُه(٣).

وقيل: أي: أنزلهُ مِن علمِه(٤).

---

(١) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ١٧٩) عن الكلبي مختصراً، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣/ ٤١٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) في (ف): «للرسول هي».

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ١٣٤).

(٤) قوله: «وقيل: أي أنزله من علمه» ليس في (أ).

وقيل: أي: أنزلَهُ عالماً باستحقاقِك الإنزالَ عليك، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٢٤].

وقيل: أي: أنزله بما عَلِمَ مِن مصالحِ الخلقِ ومنافعِهم فيه.

وفيه ردُّ قولِ المعتزلة في نفيهم الصفات؛ فإنَّ اللهَ تعالى أثبتَ العلمَ لنفسِه بهذه الآية، وبقولِه: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وقوله تعالى: ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَشۡهَدُونَ﴾ فسَّرناهُ.

وقوله تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾؛ أي: شاهداً.

* * *

(١٦٧) ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ قَدۡ ضَلُّواْ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ قَدۡ ضَلُّواْ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا﴾ هم اليهودُ كفروا بتكذيب محمَّدٍ ﷺ، ومَنعوا النَّاسَ عن سبيلِ الحقِّ بقولِهم للعرب: إنَّا أهلُ العلم، وفي كتابنا أن شريعةَ موسى لا تُنسخُ أبداً، والأنبياءَ لا يكونون إلَّا من ولدِ هارون، وضلُّوا بهذا ضلالاً بعيداً عن الرُّشدِ وعن كلِّ خيرٍ.

* * *

(١٦٨ ـ ١٦٩) ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمۡ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغۡفِرَ لَهُمۡ وَلَا لِيَهۡدِيَهُمۡ طَرِيقًا ١٦٨ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ﴾؛ أي: أنفسَهم بإيرادِها مواردَ الهَلَكة، وظلموا غيرَهم بصدِّهم عن سبيل الله.

وقوله تعالى: ﴿لَمۡ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغۡفِرَ لَهُمۡ﴾؛ أي: ليس مِن صفةِ اللهِ المغفرةُ لهم ما داموا على الكفر.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ۝١٦٨ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ﴾ بخلاف ما قال في حقِّ المؤمنين: ﴿يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [يونس: ٩].

وقال عطاء: أي: إلَّا طريق اليهوديَّة الذي هو طريقُ أهلِ جهنَّم.

وقوله تعالى: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾؛ أي: في جهنم.

وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾؛ أي: كان تخليدُهم في جهنَّم عليه هيِّناً، فهو قادرٌ على الكمال، لا يَتعذَّرُ عليه شيءٌ، ولا يَخرجُ عن قدرتِه مقدورٌ، ثمَّ ليس هذا بإجبارٍ على الكفرِ، ولا منعٍ عن الإيمان، لكنَّه خذلانٌ لهم بسبب اختيارِهم ذلك.

* * *

(١٧٠) - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَـَٔامِنُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ وَإِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ﴾ الباءُ للتَّعديةِ، و«الحق» مفعولٌ به.

وقال الكلبيُّ رحمه الله: الحقُّ: شهادة أن لا إله إلا الله. وقيل: هو القرآن.

وقوله تعالى: ﴿فَـَٔامِنُوا۟﴾ أي: صدِّقوا.

وقوله تعالى: ﴿خَيْرًا لَّكُمْ﴾ قيل: أي: لخيرٍ(١) لكم، ولأجل خيرٍ لكم.

وقيل: هو نصبٌ على الدُّعاء؛ أي: أصبتُم خيراً لكم.

وقال قطرب: أي: فآمِنوا يَكُن خيراً لكم(٢).

---

(١) في (أ): «بخير»، وقوله: «قيل: أي: لخير لكم» ليس في (ف).

(٢) ذكره الواحدي في «البسيط» (٧/ ٢٠٣).

وقال الأخفش: تقديره: اعملوا خيراً لكم[١].

وقيل[٢]: فآمنوا إيماناً خيراً لكم؛ أي: هو أحمدُ عاقبةً مِن الكفر.

وقوله تعالى: ﴿وَإِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: فإن الله غنيٌّ عن إيمانِكم؛ فإنَّ له ما في السَّماوات والأرض وما بينهما.

وقيل: أي: هو قادرٌ على أن يَخسِفَ بكم الأرض، وأنْ يُنزِلَ عليكم من السَّماء العذابَ فإنهما له.

وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا﴾؛ أي: بمَن يؤمنُ وبمَن يكفر، ﴿حَكِيمًا﴾؛ أي: لا يُسَوِّي بينهما في الجزاء.

وقيل: ﴿عَلِيمًا﴾ بأعمال العبادِ كلِّهم؛ مؤمِنهم وكافرِهم، وعليماً بجزائِهم، ﴿حَكِيمًا﴾ في جميعِ ما يَحكُمُ به.

* * *

(١٧١) - ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ﴾؛ أي: لا تَجاوزوا حدَّ الحقِّ، وهو خطابٌ لليهود والنَّصارى جميعاً، وغُلُوُّ اليهودِ في إساءةِ القول في عيسى، بتسميتِه ولدَ الزِّنى، وغُلُوُّ النَّصارى في مدحِ عيسى، وهو قول اليعقوبيَّة

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للأخفش (١/ ٢٦٩).

(٢) بعدها في (ر): «أي».

منهم: عيسى هو الله، وقول النُّسْطُوريَّة منهم: هو ابنُ الله، وقول الملكانية منهم: هو ثالثُ ثلاثةٍ، وهذا كلُّه كفرٌ.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾؛ أي: الصِّدق؛ أي: لا[1] تُضيفوا إليه الولدَ، ولا تَجعلوا عيسى متَّحداً بخالقِه.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ لا ابنُ الله.

وقوله تعالى: ﴿رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ﴾؛ أي: بشارتُه التي بشَّر بها مريم أنَّها تَلِدُ غلاماً زكيًّا مِن غير زوج، قال الله تعالى خبراً عن جبريل عليه السلام: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ﴾ [آل عمران: ٤٥]، وإلقاءُ الكلام: تبليغُه وإسماعُه، قال اللهُ تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓا۟ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبُ﴾[2] [القصص: ٨٦].

وقيل: كلمته؛ أي: كان وجودُه بكلمتِه[3]: كن، فكان، وهو قول الحسن وقتادة[4].

وقيل: أي: كان يُهتدَى به كما يُهتدَى بكلامِ الله، وهو قولُ الحسينِ بن الفضل رحمَه الله.

وقوله تعالى: ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾؛ أي: كان[5] حياةَ الخلقِ، والكفرُ موتٌ، والإيمانُ حياةٌ، وكان تصديقُه[6] واتِّباعه موصولاً إلى هذه الحياة، فكان كالرُّوح التي بها حياةُ

---

(١) في (ف): «ولا» بدل: «أي: لا».

(٢) بعدها في (ر): «إِلاَّ رَحْمَةً مِنْ رَبِّك».

(٣) في (ف): «بكلمة».

(٤) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٦٥٨)، ومن طريقه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٤٠٧)، (٧/ ٧٠٣) عن قتادة.

(٥) بعدها في (ر): «به».

(٦) بعدها في (ر): «بعيسى».

النَّفسِ، وسُمِّيَ الوحيُ روحاً، والقرآنُ روحاً؛ لهذا المعنى، **وقوله تعالى**: ﴿مِّنْهُ﴾؛ أي: هذا الإنعامُ على الخلق كان مِن الله عزَّ وجلَّ.

وقوله تعالى: ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾؛ أي: بعيسى وسائرِ رسل الله.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌ﴾؛ أي: هم[1] ثلاثة، ومن قولهم: عيسى ثلاثةُ أقانيم، وهو جوهرٌ واحد، ويقولون: الثلاثة: الأبُ، والابنُ، وروحُ القُدُس.

وقوله تعالى: ﴿ٱنتَهُواْ﴾؛ أي: عن هذه المقالاتِ.

وقوله تعالى: ﴿خَيْرًا لَّكُمْ﴾؛ أي[2]: يكن خيراً لكم، أو: اعملوا خيراً لكم، أو الخيرُ لكم، كما مرَّ[3].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ﴾ هذا ظاهرٌ، وقد مرَّ تفسيرُ ذلك مرَّات.

وقوله تعالى: ﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ مُلْكاً وخَلقاً، وعيسى منهم.

وقوله تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾؛ أي: حافظاً ومدبِّراً لهما ولما فيهما.

* * *

(١٧٢) ـ ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ﴾؛ أي: لن يأنفَ ولن يَمتنِعَ عن الإقرارِ به، يُعرِّفُهم براءةَ عيسى عمَّا وصفوهُ به، وذلك أنَّ وفدَ[4] نجران

---

(١) في (ف): «هو».

(٢) بعدها في (أ): «إن».

(٣) مر في الآية السابقة.

(٤) بعدها في (ر) و(ف): «بني»، والمثبت موافق للمصادر.

قالوا: يا محمَّد لم تَعيبُ صاحبَنا؟ قال: «ومَن صاحبُكم؟» قالوا: عيسى، قال: «وأيَّ شيءٍ أقول؟» قالوا: تقولُ: إنَّه عبدُ اللهِ ورسولُه، قال: «ليس بعارٍ أنْ يكون عبداً لله»، قالوا: بل هو عارٌ، فنزلَت هذه الآية: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ﴾[1] الآية[2].

وتعلَّقَ المعتزلةُ القائلون بتفضيلِ الملائكة على البشرِ بهذه الآية، وقالوا: إنَّ هذا بمنزلة قول القائل: لا يستنكفُ فلانٌ عن خِدمتي ولا أبوه، ولو قال: ولا عبدُه لم يحسن.

وجوابنا عن ذلك: أنَّ هذا ليس لتفضيل الملائكةِ على البشر، لكنَّه للردِّ على النَّصارى والمشركين؛ فإنَّ النَّصارى قالوا: المسيحُ ابنُ الله، ومشركو العربِ قالوا: الملائكةُ بناتُ الله، فردَّ اللهُ على الفريقين، فقال: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ﴾، وهذا ردٌّ على النَّصارى، ﴿وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ وهذا ردٌّ على مشركي العرب.

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾ رُفِعَ لأنَّ الفاءَ دخلَتْ[3]، فلم يُجزَم على الجزاء، وصار كالابتداء، وقرأ الحسنُ البصريُّ: (فسنحشرهم)، (فنُوفِّيهم)، (ونزيدُهم)، (فنُعذِّبهم) هذه الأربعة بالنُّون[4]؛ إخباراً من اللهِ عن نفسه بخطابِ الملوك، وقراءةُ العامَّة بالياء، وهو أحسن؛ لأنَّه قال: ﴿إِلَيْهِ﴾، وقال قبله: ﴿عَبْدًا لِّلَّهِ﴾، والجمعُ في قولِه: ﴿فَسَيَحْشُرُهُمْ﴾ يرجعُ إلى المعنى، وقولُه: ﴿وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ﴾ توحيدُه لظاهرِ اللفظ، ثمَّ معناه: فإنَّ اللهَ سيجمَعُهم يومَ القيامة إلى حكمه؛ فيجازيهم على استنكافِهم واستكبارِهم.

---

(١) بعدها في (ر): «أَنْ يَكُونَ عَبْداً للهِ».

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» (٣/ ٤٢٠)، ونسبه الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ١٨٠) للكلبي.

(٣) بعدها في (ف): «على الجزاء».

(٤) انظر: «مختصر في شواذ القرآن» لابن خالويه (ص: ٢١٠)، و«التحصيل» للمهدوي (٢/ ٣٨٤).

(١٧٣) ـ ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْتَنكَفُوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ﴾؛ أي: إذا حشرَهُم ميَّزَ بينهم وبين مخالفيهم، فيوفِّرُ ثوابَ المؤمنين المطيعين في جنَّةِ الخلد، **وقوله تعالى:** ﴿وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ﴾؛ أي: يُعطيهم زيادةً على الموعود.

وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْتَنكَفُوا۟ ﴾؛ أي: عن عبادته، ﴿وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ﴾؛ أي: تعظَّموا[1] عن الاعتراف بعبودته[2]، **وقوله تعالى:** ﴿فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ أي: وجيعاً في النَّار.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَجِدُونَ لَهُم ﴾؛ أي: لأنفسهم، ﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾؛ أي: سوى الله ﴿وَلِيًّا ﴾؛ أي: من يتولَّى كفايتَهم[3]، ﴿وَلَا نَصِيرًا ﴾؛ أي: مانعاً عقوبتَهم.

* * *

(١٧٤) ـ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ هو خطابٌ للكلِّ والبرهانُ: الحُجَّةُ، وهو النبيُّ ﷺ؛ أي: جاءَكم حجَّةٌ مِن الله في اعتقادِ ما تَعتقدونهُ، وبطلانِ ما لا يجوزُ أنْ تَعتقدوه من مِلَلِ الكفر.

---

(١) في (ف): «تعاظموا».

(٢) في (ر) و(ف): «بعبوديته».

(٣) بعدها في (ف): «من تعذيبهم».

وقولـه تعالـى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾؛ أي: مضيئاً يُبيِّنُ الحـقَّ مِن الضَّلال، وهو القرآن.

* * *

(١٧٥) ـ ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾.

وقوله تعالـى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِهِۦ﴾ قال ابـنُ جُرَيج: أي: تَمسَّـكوا بالقرآن[1]. وقيـل: أي: امتنعوا بالله.

وقوله تعالى: ﴿فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ﴾ قال الكلبيُّ: أي: في الجنَّةِ ونعيمِها، سمَّاها رحمةً؛ لأنَّها تُنالُ برحمته، كما يُسمَّى المطرُ رحمةً، وسمَّى نعيمَها فضلاً؛ لأنَّه بفضلِه يُنال.

وقوله تعالى: ﴿وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾؛ أي: إلى طلبِ رضوانه طريقاً قيِّماً.

وقال الإمامُ القشيريُّ: ﴿قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ البرهانُ: ما لاحَ في سرائرِهم مِن شواهد الحقِّ، والنُّورُ المبينُ: هو خطابُه الذي في تأمُّلِهم معانيَهُ حصولُ الاستبصار، قوله تعالى: ﴿فَسَيُدْخِلُهُمْ﴾ السِّينُ للاستقبال؛ أي: يحفظُ عليهم إيمانَهم في المآلِ، كما أكرمَهم بالعرفانِ في الحال، وقوله: ﴿وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾؛ أي: يُكرِمُهم بأنْ يَعرِفوا بأنَّ الهدايةَ مِن الله لهم فضلٌ، لا باستحقاقِهم ذلك بطلبِهم وجهدِهم فعلاً[2].

* * *

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٧١٢).

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (١/ ٣٩٥).

(١٧٦) - ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنِ امْرُؤٌا هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ فَإِن كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِن كَانُوا إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾؛ أي: يسألونك، وهذا خطابٌ للنَّبيِّ ﷺ، وقد عاد الكلامُ إلى ما يَقتضيهِ أوَّلُ السُّورة؛ ليكون آخرُها مقتضياً ما اقتضاه أوَّلُها، ويكونَ ما تخلَّلها توكيداً للكلام بما لا بدَّ منه مِن ترغيبٍ وترهيبٍ وتنبيهٍ.

وقوله: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾ إخبارٌ عن سؤالٍ مطلقٍ، وتبيَّن[(١)] بالجواب أنَّ السؤال عمَّاذا كان، كما قلنا في قوله: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ﴾ في آياتٍ[(٢)] مِن سورة البقرة.

وقوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾ وقد فسَّرنا في أول السُّورة[(٣)] أنَّ الكلالة في من ماتَ لا والدَ له ولا ولد.

وقوله تعالى: ﴿إِنِ امْرُؤٌا هَلَكَ﴾؛ أي: إنْ هلكَ امرؤٌ؛ أي: مات، وكلمةُ الشَّرط[(٤)] تلاقي الفعلَ غالباً، ويجوزُ أنْ يُذكَرَ الاسمُ معها والفعلُ بعده، كما في قوله: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ﴾ [التوبة: ٦]، **وقوله تعالى:** ﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزًا﴾ [النساء: ١٢٨].

وقوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ﴾؛ أي: ابن، ﴿وَلَهُ أُخْتٌ﴾؛ أي: للهالكِ وهو الميِّتُ

---

(١) في (ف): «ويتبين».

(٢) في (ف): «الآيات».

(٣) عند تفسير الآية (١٢) منها.

(٤) في (ف): «إن الشرطية» بدل: «الشرط».

أختٌ؛ أي: لأبٍ وأمٍّ، أو لأبٍ؛ فإنَّ الأختَ لأمٍّ حكمُها غيرُ هذا، وقد ذكرنا ذلك في آية الميراث في أول السُّورة.

قوله تعالى: ﴿فَلَهَا نِصۡفُ مَا تَرَكَ﴾؛ أي: فرضُها نصفُ تركَةِ[1] أخيها.

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ يَرِثُهَآ﴾؛ أي: الأخُ؛ لو بقيَ وهلكَت الأختُ، فالأخُ يرثُها، ولمَّا أُطْلِقَ عُلِمَ أنَّه يَستحقُّ كلَّ تركتِها بالعصوبة.

والآية نزلَت في طريقِ مكَّة، ورسولُ الله ﷺ خرجَ في حجَّة الوداع، فأتاهُ جابرُ بن عبد الله الأنصاري وقال: إنَّ لي أختاً، فكم آخذُ مِن ميراثِها إنْ ماتَت، فنزلَت الآيةُ، وابتدأ بموت الرَّجل[2].

ويقال: إنَّ جابراً قد مات قبلَ أختِه، فورِثَته، وفيه عظةٌ، فرُبَّ متربِّصٍ موتَ غيره وهو يموت قبله.

وقد رويَ خلافُ ذلك، قال مقاتل: مرضَ جابرُ بنُ عبدِ الله بالمدينة، فأتاهُ رسولُ اللهِ ﷺ عائداً، فقال: يا رسولَ الله، إنِّي كلالةٌ؛ لا والدَ لي ولا ولد، فكيف أصنعُ في مالي؟ فأنزل الله هذه الآية: ﴿إِنِ ٱمۡرُؤٌاْ هَلَكَ﴾ الآية[3].

ورويَ عنه أنَّه قال: مرضتُ، فأتاني رسولُ الله ﷺ يعودُني وأبو بكرٍ الصِّدِّيقُ رضي الله عنه معه، فوجدني قد أغميَ عليَّ، فتوضَّأ فصبَّ وَضوءَهُ عليَّ، فأفقتُ

---

(١) في (ر): «ما ترك» بدل: «تركة».

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣/ ٤٢١) من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما، وهو إسناد تالف.

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» (١/ ٤٢٦).

فقلت: يا رسولَ الله، كيف أصنعُ في مالي؟ فكان لي تسع[١] أخوات، فلم يُجبني حتَّى نَزلَت هذه الآية[٢].

وقوله تعالى: ﴿فَإِن كَانَتَا ٱثْنَتَيْنِ﴾؛ أي: فإن كانت الأختان اثنتين، ﴿فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ﴾؛ أي: مِن تركةِ الأخ.

وقوله تعالى: ﴿وَإِن كَانُوٓاْ إِخْوَةً﴾؛ أي: جمعاً، ﴿رِّجَالًا وَنِسَآءً﴾ ترجمةٌ عن الإخوة، ودلَّ على أنَّ الاسمَ يَتناولُ الذُّكورَ والإناث جميعاً.

وقوله تعالى: ﴿فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾؛ أي: فللأخ منهم مثلُ نصيبِ الأختينِ بالعصوبة، كما في الأولاد.

وقوله تعالى: ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّواْ﴾ «أن» مع الفعل مصدرٌ، وتقديرُه: يُبيِّن اللهُ لكم الضَّلال، وإذا بيَّنَ الضَّلال فقد بيَّنَ الهُدى؛ إذ هو ضدُّه، وإذا عُرِفَ أحدُهما عُرِفَ الآخرُ بمعرفتِه، فيُجتَنبُ المنهيُّ عنه، ويُقصَدُ المأمورُ به.

وقال عطاءٌ ومقاتلٌ وجماعةٌ: معناه: لئلَّا تَضِلُّوا؛ أي: لا تُخطِئوا[٣]، و«لا» مضمرٌ، وهو كقول القطاميِّ:

رأينــا مــا يَــرى البُصــراءُ فيها ... فـآلــينا عليهــا أن تُباعــا[٤]

أي: ألَّا تبـاعَ هـذه النَّاقـةُ، ونظيرُه فـي القـرآن: ﴿شَهِدْنَآ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾

---

(١) في (ر): «سبع».

(٢) رواه البخاري في «صحيحه» (٦٧٢٣)، ومسلم في «صحيحه» (١٦١٦)، لكن ليس فيه ذكر أخوات جابر، وهو مع ذكر الأخوات في «تفسير الطبري» (٧/ ٧١٦).

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» (١/ ٤٢٦).

(٤) انظر: «ديوان القطامي» (ص: ٤٠).

[الأعراف: ١٧٢]؛ أي: لئلَّا يقولوا، ﴿وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ [النحل: ١٥]؛ أي: لئلَّا تميدَ بكم.

وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾؛ أي: والله عالمٌ بكلِّ شيءٍ من مصالحِ عبادِهِ، فهو تنبيهٌ لهم، ولا يتركُهم سدى، وبيَّن في هذه الآيةِ حكمَ الأختين، ولم يُبيِّن حكمَ الأخوات، وذكرَ في آيةِ أوَّلِ السُّورة حكم البنات[1]، ولم يُبيِّن حكمَ الابنتين تسويغاً[2] للاجتهاد، وتجويزاً للقياس، فاستدلَّ العلماءُ باستحقاقِ الأختين الثُّلُثين أنَّ الابنتينِ كذلك، واستدلُّوا باستحقاق البناتِ الثُّلُثين أنَّ الأخواتِ كذلك، وروي[3] عن عمر رضي الله عنه أنَّه قال: ما سألتُ النبيَّ ﷺ عن شيءٍ[4] أكثرَ ممَّا سألتُه عن الكلالة، ثمَّ طعن في صدري بإصبعه، فقال: «لا[5] يكفيكَ آيةُ الصَّيف التي في آخر سورة النساء؟»[6].

قال الإمام أبو منصور رحمه الله: وفيه دلالةٌ أنْ[7] قد يُترَكُ بيانُ ما يُدرَكُ بالاجتهادِ والنَّظر، فيُجتَهدُ فيدرَك؛ لأنَّ عمرَ رضي الله عنه سألَه غيرَ مرَّةٍ عن ذلك، ولم يُبيِّنْهُ، وأشارَ إلى الآية التي فيها ذكرُ ما سألَ عنه؛ ليَنظُرَ ويَجتهِد؛ ليدرك.

وفيه دليلُ جوازِ تأخرِ البيان؛ لأنَّ عمرَ رضي الله عنه سألهُ غيرَ مرَّةٍ، ولم يُبيِّنه، حتَّى أمرَهُ بالنَّظر في الآية.

---

(١) في الآية (١١) منها.

(٢) في (أ) و(ر): «تسويفاً».

(٣) في (ر): «وقد روي».

(٤) قوله: «عن شيء» ليس في (أ).

(٥) في (ف): «ألا».

(٦) رواه مسلم في «صحيحه» (١٦١٧).

(٧) في (ف): «أنه».

وعن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه أنَّه قال: الكلالةُ: مَن ليس له ولدٌ ولا والدٌ، وكذلك قال عمرُ رضي الله عنه، وقال: إنِّي لأستحيي مِن الله أن أردَّ شيئاً قالَه أبو بكرٍ الصِّديقُ رضي الله عنه[١].

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: قطعَ اللهُ تعالى الخصومةَ بينهم في قسمةِ المواريث بما أظهر لهم مِن النَّصِّ على الحكم؛ فإنَّ المالَ محبَّبٌ إلى الإنسان، وجُبلتِ النُّفوسُ على الشُّحِّ، فلو لم ينصَّ على مقاديرِ الاستحقاق تقابلت[٢] الاجتهادات، وأدَّى ذلك إلى التجاذبِ والخصومات، فقطَعَ الخِصامَ ببيانِ الأقسام، ثمَّ في توريث النِّساء، وإنْ لم يوجدْ منهنَّ الذَّبُّ عن العشيرة؛ دلالةً على[٣] النَّظرِ لهنَّ لضعفهنَّ، وتفضيلُ الذُّكور عليهن؛ لما عليهم مِن تَحمُّلِ المؤن، وكذا السَّعيُ والقيامُ عليهنَّ.

وعن البراءِ بن عازبٍ رضي الله عنه أنَّه قال: آخرُ سورةٍ نزلَت كاملةً سورةُ براءة، وآخرُ آيةٍ نزلَتْ خاتمةُ سورةِ النساء ﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾[٤].

وقال السُّدِّيُّ: آخرُ ما نزلَ مِن القرآنِ ثلاثُ آياتٍ: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾ الآية، ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ﴾[٥] الآية [التوبة: ١٢٩]، ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ﴾ الآية [البقرة: ٢٨١][٦].

---

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٣/ ٤٣٢). والخبر رواه عبد الرزاق في «المصنف» (١٩١٩١)، وسعيد ابن منصور (٥٩١ ـ تفسير)، والدارمي في «سننه» (٣٠١٥)، والطبري في «تفسيره» (٦/ ٤٧٥ ـ ٤٧٦).

(٢) في (أ): «فقابلت».

(٣) بعدها في (ر): «أن».

(٤) رواه البخاري في «صحيحه» (٦٧٤٤)، ومسلم في «صحيحه» (١٦١٨)

(٥) بعدها في (ر): «لا إله إلا هو».

(٦) أورده الثعلبي في «تفسيره» (١١/ ١٠٥) (طبعة دار التفسير).

وروى زيدٌ العمِّيُّ عن أبي نَضرة عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما، عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «مَن قرأ سورةَ النِّساء أُعطِيَ مِن الأجرِ كأنَّما تَصدَّق على كلِّ مَن ورث ميراثاً، وكان له مِن الأجرِ بقدرِ مَن اشترى محرَّماً[1]، وبَرِئ مِن الشِّركِ، وكان في مشيئةِ الله تعالى مِن الذين يتجاوزُ عنهم»[2].

* * *

(١) وقع في هامش (أ) ما نصه: «المراد من المحرم العرب الذي يحرم استرقاقه».

(٢) لم أقف عليه من الطريق التي ذكرها المصنف، وزيد العمي هو ابن الحواري، وهو ضعيف، كما في «التقريب». وروى نحوه الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٩) (طبعة دار التفسير)، والواحدي في «الوسيط» (٢/ ٣)، وابن الجوزي في «الموضوعات» (٤٧١) من حديث أبي بن كعب، وفيه ذكر فضائل سور القرآن سورةً سورة، وقد فرقها الثعلبي والواحدي على مواضعها في مطالع السور.

قال ابن الجوزي: هذا حديث مصنوع بلا شك. ثم قال بعد الكلام عن طرقه: وبعد هذا فنفسُ الحديث يدلُّ على أنَّه مصنوع فإنه قد استقرأ السور، وذكر في كل واحدة ما يُناسبها من الثواب بكلامٍ ركيكٍ في نهاية البرودة، لا يُناسِبُ كلام رسول الله ﷺ

ووقع بعدها في (ر): «والله أعلم»، وفي (ف): «وقد تمت السورة».

سُورَةُ المَائِدَةِ

•Part..Tafseer..Nosair... A.Soboh.. 17x24..2019.job9B......06/24/2019...15:08..20..

سُورَةُ المَائِدَةِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

بسمِ الله الذي يَهدي مَن اتَّبعَ رِضوانَهُ سبلَ السَّلام، ويُخرجُهم مِن الظُّلماتِ إلى النُّور بإذنه، ويَهديهم إلى صراطٍ مستقيم، الرَّحمن الذي يحبُّ المؤمنين ويحبونَه، وذلك فضلُ[1] الله يؤتيهِ مَن يَشاء، واللهُ واسعٌ عليم، الرَّحيم الذي يُدخِلُهم جناتٍ تَجري مِن تحتِها الأنهارُ خالدين فيها أبداً، رضيَ اللهُ عنهم ورضوا عنه، ذلك الفوزُ العظيم.

وسورةُ المائدةِ مدنيَّةٌ، ورُويَ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «إنَّ سورةَ المائدةِ[2] من آخر القرآن تنزيلاً؛ فأحِلُّوا حلالَها، وحَرِّموا حرامَها»[3].

وعن أسماءَ بنتِ يزيد أنَّها قالت: إنِّي لآخذةٌ بزِمامِ العَضباء، ناقةِ رسول الله

(١) بعدها في (ف): «من».

(٢) بعدها في (ف): «كانت».

(٣) أخرجه أبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص: ٢٣٩) عن ضمرة بن حبيب وعطية بن قيس، وهما تابعيان، فالحديث مرسل، وتحرف في مطبوعه إلى: «ضمرة بن حبيب عن عطية بن قيس»، وانظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٥/ ١٥٧ ـ ١٥٨).

وأخرج النسائي في «الكبرى» (١١٠٧٣)، والحاكم في «المستدرك» (٣٢١٠) نحوه عن جبير بن نُفير عن عائشة رضي الله عنها موقوفاً عليها.

ﷺ، إذ نزلَتْ عليه سورةُ المائدةِ كلِّها، وكادَت مِن ثقلِها تَدُقُّ عضدُ النَّاقة(١).

وقيل: هي مدنيَّةٌ إلَّا قوله: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾ إلى قوله: ﴿غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [المائدة: ٣]؛ فإنَّها نزلَتْ بعرفات عشيَّةَ عرفة(٢).

وهي مئةٌ وعشرون آيةً، وقيل: اثنان وعشرون آية، وقيل: ثلاثٌ وعشرون آية، الاختلافُ في ثلاثِ آيات؛ ﴿أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ﴾ [المائدة: ١]، ﴿وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ﴾ [المائدة: ١٥]، ﴿فَإِنَّكُمۡ غَٰلِبُونَ﴾ [المائدة: ٢٣].

وكلماتها ألفان وثمان مئة وثلاث، وحروفُها أحدَ عشر ألفاً وتسعُ مئةٍ وأحد وخمسون(٣).

وقد روى أبيُّ بن كعب عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «مَن قرأ سورةَ المائدة أُعطيَ من الأجرِ بعددِ كلِّ يهوديٍّ ونصرانيٍّ يَتنفَّسُ في دار الدُّنيا عشرَ حسنات، ومُحيَ عنه عشرُ سيِّئات، ورُفِعَ له عشرُ درجات»(٤).

وانتظامُ هذه السُّورة بالسُّورةِ التي قبلها أنَّ اللهَ تعالى ذكرَ في تلك السُّورة حكمَ

---

(١) أخرجه أحمد (٢٧٥٧٥)، والطبري في «تفسيره» (٨/ ٨٩). قال محققو «مسند أحمد»: حسن لغيره.

(٢) قال القرطبي في «تفسيره» (٧/ ٢٤٣ ـ ٢٤٤): وكل ما نزل من القرآن بعد هجرة النبي ﷺ فهو مدني، سواء نزل بالمدينة أو في سفر من الأسفار، وإنما يرسم بالمكي ما نزل قبل الهجرة.

(٣) في «تفسير الثعلبي» (٤/ ٥): و«ثلاثة وثلاثون» بدل: «وأحد وخمسون».

(٤) رواه الثعلبي في «تفسيره» (١١/ ١٠٩) (طبعة دار التفسير)، والواحدي في «الوسيط» (٢/ ١٤٧)، وابن الجوزي في «الموضوعات» (٤٧١) من حديث أبي بن كعب، وفيه ذكر فضائل سور القرآن سورةً سورة، وقد فرقها الثعلبي والواحدي على مواضعها في مطالع السور.

قال ابن الجوزي: هذا حديث مصنوع بلا شك. اهـ. انظر تتمة الكلام عنه في آخر سورة النساء.

أموالِ اليتامى، وحكمَ النِّساء، وحكمَ المواريثِ، وحكم المحرَّمات[١] والمحلَّلات، وحكمَ السَّكران، والصَّلوات، والأمانات، والقِتال، وقتلَ المؤمن، وصلاةَ الخوف، والسَّرقةَ، والخُلعَ، والصُّلحَ، والشَّهادةَ والحكم، وتحكُّمَ[٢] المنافقين وأهل الكتاب، وختمها بقوله: ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ﴾؛ أي: هذه الأحكام؛ لئلَّا تضلُّوا أي: لا تخطئوا، وهذه عهودُ الله مع خلقه، وهي أوامرُه ونواهيه، قال تعالى: ﴿أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ﴾[٣] [يس: ٦٠]، وقال: ﴿أَوْفُوا بِعَهْدِي﴾ [البقرة: ٤٠].

وذكرَ في آخرِ تلك السُّورة نقضَ أهلِ الكتابِ عهودَ الله، وأمرَ في أوَّلِ هذه السُّورةِ المؤمنين بالوفاءِ بهذه العهود؛ مخالفةً لهم.

ونظمٌ آخر: أنَّه حرَّم عليهم بنقضِهم الميثاقَ الطَّيِّبات، وأمرَنا[٤] بالوفاء بالعهود، وأخبرَ أنَّه أحلَّ لنا الطيِّبات بقوله: ﴿أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ﴾ وبما بعدَه.

وقوله تعالى: ﴿أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ﴾ ﴿أَوۡفُواْ﴾ أمرٌ، والعقودُ: العهودُ الموثَّقةُ المحكمَة، مِن عَقْدِ الشَّيء بالشَّيء، وهو شدُّه به، والعقودُ ثلاثةٌ: عهودُ الله مع عباده، وهي أوامرُه ونواهيه، وعهودُ العبادِ مع الله تعالى، وهي الأيمانُ والنُّذور، وعهود[٥] النَّاس فيما بينهم، وهي العقود الشرعية.

* * *

(١) في (أ): «في المحرمات»، وفي (ر): «والمحرمات».

(٢) في (ف): «وحكم».

(٣) قوله: «يَا بَنِي آدَمَ» من (ر).

(٤) في (أ): «وأمر».

(٥) في (أ) و(ر): «وعقود».

(١) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ غَيۡرَ مُحِلِّي ٱلصَّيۡدِ وَأَنتُمۡ حُرُمٌۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ مَا يُرِيدُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ﴾ هذا أمرٌ بالوفاءِ بكلِّ ذلك.

أمَّا **الأول** فهو كقولِه: ﴿وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ﴾ [البقرة: ٤٠].

وأما **الثاني** فهو كقولِه: ﴿وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمۡ﴾ [النحل: ٩١].

وأما **الثالث** فهو كقولِه: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِي نَقَضَتۡ غَزۡلَهَا مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثٗا تَتَّخِذُونَ أَيۡمَٰنَكُمۡ دَخَلَۢا بَيۡنَكُمۡ﴾، ثمَّ هذا الأمرُ للإيجاب، وهو على وجوه عشرة:

للإلزامِ على الدوام، كقوله: ﴿ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ﴾ [النساء: ١٣٦].

وللإيجابِ مؤقتاً، كقوله: ﴿أَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [الأنعام: ٧٢].

وللنَّدب، كقوله: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ﴾ [الإسراء: ٧٩].

وللإباحة، كما في قوله: ﴿وَإِذَا حَلَلۡتُمۡ فَٱصۡطَادُواْ﴾ [المائدة: ٢].

وللتَّكوين، كقوله: ﴿كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾ [البقرة: ٦٥].

وللنَّهي، كقوله: ﴿ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ﴾ [فصلت: ٤٠].

وللردِّ، كقوله: ﴿قُلۡ فَٱدۡرَءُواْ عَنۡ أَنفُسِكُمُ ٱلۡمَوۡتَ﴾ [آل عمران: ١٦٨].

وللتخيير، كقوله: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَ﴾ [الإسراء: ١١٠].

وفي معنى الشَّرط كقوله: ﴿قُلۡ كُونُواْ حِجَارَةً أَوۡ حَدِيدًا ۝٥٠ أَوۡ خَلۡقٗا مِّمَّا يَكۡبُرُ فِي صُدُورِكُمۡ﴾ [الإسراء: ٥٠ ـ ٥١]؛ أي: إن كنتم حجارةً أو حديداً، فلكمُ الموت.

وللإعجاز، كقوله: ﴿فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ﴾ [البقرة: ٢٥٨]، ﴿فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٣].

وقال الإمام القشيري رحمه الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ تشريفٌ، و﴿أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ﴾ تكليفٌ، ولمَّا علِمَ أنَّ في التَّكليفِ مشقَّةً، قدَّمَ التَّشريفَ بالثناء على التَّكليف بالأداء، فقال: يا مَن فتحتُ بصائرَهم بشهودِ حقِّي، لا تكونوا كمَن أعرضتُ عنهم مِن خلقي.

والعقدُ: ما ألزمَكَ بسابقِ إيجابِه، ثمَّ وفَّقك بعد ما أظهركَ عند خطابه لجوابِه، فانبرمَ العقدُ بحصولِ الخطاب، والقَبول بالجواب، ويَدخلُ في ذلك ما عَقَدَ القلبُ معه سرًّا بسِرٍّ؛ من خلوصٍ له أضمرَه، ومعنًى كوشِفَ به وطولِبَ به فاستشعرَه[1].

ثمَّ مِن هذه العقود ما ذكرَهُ مِن بعدُ، **وهو قولُه تعالى:** ﴿أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ﴾ فمِن الوفاءِ بالعهدِ تحريمُ ما حرَّمَهُ، وإحلالُ ما أحلَّه، والبهيمةُ هي التي لا تَعقلُ؛ من قولِهم: استبهمَ الأمرُ عليَّ؛ أي: أشكل، والأنعام هي: الإبلُ والبقرُ والغنم، واحدُها: نَعَم، قال تعالى: ﴿وَٱلۡأَنۡعَٰمَ خَلَقَهَاۖ لَكُمۡ فِيهَا دِفۡءٞ﴾ [النحل: ٥]، وقال: ﴿وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ حَمُولَةٗ وَفَرۡشٗا﴾ الآيات [الأنعام: ١٤٢]، وقد يُطلَق على الإبلِ خاصَّةً.

والبهيمة أضيفت إلى الأنعام، وله وجهان:

أحدهما: أنَّ معناه: البهيمة من الأنعام.

والثاني: أنَّهما واحدٌ، والجمعُ بينهما تأكيدٌ، كما يقال: علمُ اليقين، وحقُّ اليقين، وهو إضافةُ الشَّيء إلى نفسِه، ويدلُّ عليه قوله تعالى في سورة الحج: ﴿وَأُحِلَّتۡ لَكُمُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ﴾ [الحج: ٣٠]، كما جمع بينهما هاهنا، والبهيمةُ على هذا واحدٌ أريد به الجمع، كما في قوله: ﴿ثُمَّ يُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا﴾ [غافر: ٦٧].

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (١/ ٣٩٦ ـ ٣٩٧).

ثم هذا إشارةٌ إلى ردِّ قولِ الثَّنويَّة[١] الذين لا يَرونَ ذبحَ الحيوانات وأكلَها، ويقولون: هي بهائمُ لا تَعقلُ، وأكلُها مِن القسوةِ وقلَّة الرَّحمة، فأخبر أنَّ الحكمَ لله، والخلقَ كلَّه لله، وتناولَها بأمر الله.

وقال الشَّعبيُّ: ﴿بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾: ما في بطون الأنعام[٢].

وروي عن أبي سعيدٍ الخُدريِّ رضي الله عنه أنَّه قال: سُئِل النَّبيُّ ﷺ عن جنين الناقة، قال: هو من بهيمة الأنعام[٣].

وقال الكلبيُّ رحمه الله: ﴿بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾: بقرُ الوحشِ وحُمُر الوحشِ والظَّبيُ[٤].

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾؛ أي: سوى ما يُقرَأ عليكم؛ أي: في قوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ﴾ إلى قوله[٥]: ﴿عَلَى ٱلنُّصُبِ﴾، وإطلاقُ هذا يقتضي حِلَّ تلك الأشياء، ولـمَّا استثنى تلك الأشياء بقيَ الحِلُّ فيما وراءها.

وقوله تعالى: ﴿غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ﴾ نصب على الحال؛ أي: أُحِلَّ لكم[٦] هذا في

---

(١) هم أصحاب الاثنين الأزليين، يزعمون أن النور والظلمة أزليان قديمان. انظر: «الملل والنحل» للشهرستاني (٢/ ٤٩).

(٢) ذكر الثعلبي في «تفسيره» (٤/ ٧) عن الشعبي أنه قال: بهيمة الأنعام: الأجنة التي توجد ميتةً في بطن أمهاتها إذا ذبحت.

(٣) لم أقف عليه بهذا اللفظ، وأخرج أبو داود في «سننه» (٢٨٢٧) عن أبي سعيد، قال: سألت رسول الله ﷺ عن الجنين، فقال: «كلوه إن شئتم» قال: قلنا: يا رسول الله، ننحر الناقة ونذبح البقرة أو الشاة، في بطنها الجنين، أنلقيه أم نأكله؟ فقال: «كلوه إن شئتم، فإن ذكاته ذكاة أمه».

(٤) انظر: «تفسير الثعلبي» (٤/ ٧).

(٥) بعدها في (ر): «وَمَا ذُبِحَ».

(٦) في (ف): «لهم».

غير إحلالِكم الصيد وأنتم محرمون؛ أي: في حالِ ما لا تستحِلُّون ذلك بالاصطياد في الحَرم أو الإحرام.

وقيل: ﴿غَيْرَ مُحِلِّي ٱلصَّيْدِ﴾ يرجعُ إلى اسم الله تعالى؛ أي: أحللنا لكم الأنعامَ غيرَ محلِّين لكم اصطيادَها في الحَرم أو الإحرام[1].

وقوله تعالى: ﴿وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾ الواو للحال والحُرم جمع حرام، ويجوزُ أن يكون هو اسماً للواحد والجَمع، كالجُنُب يُسمَّى به الواحدُ والجمع، قال تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُوا۟﴾ [المائدة: ٦]، والحُرُم والمحرمُ واحد، وقد أحرمَ؛ أي: دخل في الحَرَم، وأحرمَ أي: عقدَ الإحرامَ للحجِّ أو العمرة، وتحريمُ الاصطيادِ ثابتٌ في حقِّهما جميعاً، وتقديرُه: أحِلُّوا بهيمةَ الأنعام غيرَ محلِّين لها في الإحرام إذا كان صيداً، والأنعام يتناولُها؛ لأنَّ البقرَ الوحشيَّةَ منها، والظِّباءُ كالعنوز.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ مِن التَّحريم والتَّحليل للصيد[2].

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: وهذا يردُّ على المعتزلة؛ لأنَّهم يقولون: يريدُ اللهُ طاعةَ كلِّ أحدٍ، ولو أرادَ ذلك لحكم به، إذ أخبرَ أنَّه يَحكُمُ ما يُريد، ولا جائزٌ أنْ يُريدَ ولا يَحكم، ولو حكمَ لنفذَ حكمُه، فدلَّ أنَّه لم يُرِد[3].

❊ ❊ ❊

(٢) ـ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحِلُّوا۟ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَلَا ٱلْهَدْىَ وَلَا ٱلْقَلَـٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَٰنًا ۚ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُوا۟ ۚ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ

---

(١) في (ر) و(ف): «والإحرام».

(٢) تحرف في (أ) و(ر) إلى: «للعبيد».

(٣) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٣/ ٤٣٨).

قَوۡمٍ أَن صَدُّوكُمۡ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ أَن تَعۡتَدُواْۘ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾ الشَّعائرُ: معالمُ الدِّين، واحدتُها شعيرةٌ، والإشعارُ: الإعلامُ، والشِّعرُ العلم، ومعناه هاهنا ما قال ابنُ عباس: أي: لا تَستحِلُّوا شيئاً مِن تركِ المناسك[1]؛ مِن الطَّوافِ بالبيت، والسَّعيِ بين الصَّفا والمروة، ومسحِ[2] الرُّكن، والوقوفِ بعرفات والمزدلفة، ورميِ الجمار؛ لأنَّ عامَّةَ العرب كانوا لا يَرون الصَّفا والمروة مِن شعائر الله، كما بيَّنَّا في تلك الآية، والحُمْس[3] كانوا لا يَرون[4] الوقوفَ بعرفات منها.

وقيل: أي: لا تَصيدوا وأنتم حرم، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلۡمَرۡوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٥٨]، وقال: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾ [الحج: ٣٢]، وقال: ﴿وَٱلۡبُدۡنَ جَعَلۡنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا ٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ﴾ هو اسمُ جنسٍ، فيَقعُ على الأربعةِ الأشهرِ الحُرُم كلِّها، وهي: رجبٌ وذو القَعدة وذو الحِجَّة والمحرَّم؛ أي: لا تَستَحِلُّوا[5] هذه الشهور، ولا تتعرَّضوا بقتلٍ ولا قتالٍ أحداً فيها.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا ٱلۡهَدۡيَ﴾ هو ما يُهدَى إلى الكعبةِ مِن الإبلِ والبقرِ والغنم.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا ٱلۡقَلَٰٓئِدَ﴾ وهي الإبلُ تُقلَّدُ بلحاءِ شجرٍ أو عُروةِ مزادةٍ

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٢٢).

(٢) في (ف): «ومس».

(٣) وقع في هامش (ف) ما نصه: «حاشية: سميت قريشاً حمساً لتشددهم ديناً ودنيا».

(٤) بعدها في (ف): «ذلك».

(٥) بعدها في (أ): «في».

ونحوها، وتُوجِّهُ إلى الحَرَم؛ أي: لا تَستحِلُّوا هذهِ الأشياءَ، فلا تتعرَّضوا لأهلها بسوء[١].

وقوله تعالى: ﴿وَلَآ ءَآمِّينَ﴾؛ أي: ولا تَستحِلُّوا القاصدينَ ﴿ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ﴾؛ أي: الكعبةَ المحرَّمة المحترمة[٢]، وقد أَمَّ يؤمُّ أمًّا[٣]؛ أي: قصدَ، و﴿ءَآمِّينَ﴾ نصب بـ ﴿لَا تُحِلُّواْ﴾، و﴿ٱلْبَيْتَ﴾ نصب بوقوعِ الأَمِّ عليها.

وقوله تعالى: ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا﴾ صفةٌ للآمين؛ أي: يَطلبون فضولَ الأموالِ بالتِّجارات، ويَطلبون رِضوان الله عنهم، والعفوَ عن الجنايات؛ أي: يَقصدونَ البيت لإصلاحِ أسبابِ المعاشِ والمعاد، وإن كان هذا بحقِّ[٤] الآمِّين المؤمنين، فابتغاءُ رضوانِ الله منهم[٥] ظاهر، وإن كان في حقِّ الكفار، فمعناه[٦] أنَّهم يزعُمون أنَّهم يَبتغون رضا اللهِ عنهم[٧]، لكنَّهم لا يَنالونه إلَّا بعد الإيمان.

وقيل: هو ترضِّيهم اللهَ تعالى بتأخيرِ العذاب عنهم، وألَّا يعاجِلَهُم كما عاجلَ المكذِّبين من الماضين، كذلك قال قتادةُ[٨] وجماعةٌ.

وأصلُ ذلك أنَّ اللهَ تعالى عظَّمَ مكَّة وحرَّمَها، وجعلَ النَّاسَ يأتونها من الآفاق،

---

(١) في (ف): «لها» بدل: «لأهلها بسوء».

(٢) لفظ: «المحترمة» ليس في (أ).

(٣) لفظ: «أمًّا» ليس في (أ).

(٤) في (أ): «في حق» بدل: «بحق».

(٥) في (أ): «عنهم».

(٦) بعدها في (ف): «في حق».

(٧) لفظ: «عنهم» ليس في (أ).

(٨) رواه عنه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٤١).

والحامِلُ على الإتيان من أقاصي البُلدان شيئانِ اثنان؛ أمنُ المقصِدِ، وأمنُ الطَّريق إليه، واللهُ تعالى أثبتَهما جميعاً في القديم، فقال: ﴿حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾[1] [العنكبوت: ٦٧]، وقال: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾ [آل عمران: ٩٧]، وأثبتَ أمنَ الطَّريق[2] بتحريمِ الأشهر الحرم الأربعة، وهي: ذو القَعدة لإتيانِهم، وذو الحِجَّة لإقامَتِهم بمكَّة، والمحرَّمُ لرجوعهم، ورجبٌ للسَّفر في غير أيَّام الحجِّ، فكانوا[3] إذا خرجوا إليها لا يتعرض لهم في هذه الأشهرِ الحُرُمِ بتحريمِ الله تعالى ذلك، فكانوا يأمنون على أنفسِهم وأموالِهم بذلك، ولـمَّا كان قد يَبعُدُ الطَّريق، فلا يكفي للإتيان والرُّجوع هذه الأشهر، شرعَ اللهُ تعالى الهديَ والقلائدَ، فكانوا إذا ساقوا ذلك مع أنفسِهم، وقد خرجوا في غيرِ هذه الأشهر، لا يُتعرَّض لهم أيضاً بنهبٍ أو قتلٍ أو إيذاء، فيأمنون بذلك، وكانت الحكمةُ في ذلك كلِّه إقامةَ مصالحِ أهلِ مكَّة وقوام عيشِهم بحملِ النَّاسِ إليهم كلَّ شيءٍ يَحتاجون إليه، قال الله تعالى: ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَٰٓئِدَ﴾ [المائدة: ٩٧].

وكان هذا أمراً قديماً، ومعنى تجديدِ الخطاب بذلك ما رُويَ في شأن نزولِ هذه الآية عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما أنَّه قال: نزلت في الحُطم، واسمه: شريحُ بنُ ضُبيعَة بن شرحبيل البكري، وذلك أنَّه أتى المدينةَ، ودخلَ على النبيِّ ﷺ، فقال: إلامَ تدعو النَّاس؟ فقال: «إلى شهادة أنْ لا إله إلا الله، وإقامِ الصَّلاةِ، وإيتاءِ الزَّكاة»، فقال: حسنٌ، ألا إنَّ لي أصحاباً لا أقطعُ أمري دونَهم، ثمَّ خرجَ فقال النَّبيُّ ﷺ: «لقد دخلَ بوجه كافرٍ، وخرج بعَقِبَي غادر، وما الرَّجلُ بمسلمٍ»، فمرَّ بسَرْحِ المدينة فاستاقَها، وهو يرتجز:

---

(١) بعدها في (أ): «أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله يكفرون».

(٢) بعدها في (ر): «إليه».

(٣) في (أ): «كانوا».

هـذا أوانُ الشَّـدِّ فاشـتدِّي[١] زِيَـمْ
قـد لفَّـكِ اللَّيـلُ بسـوَّاقٍ حُطَـمْ
ليـس براعـي إبِـلٍ ولا غَنَـمْ
ولا بِجـزَّارٍ علـى ظهـرِ وَضَـمْ

فلمَّا كان في العام القابلِ خرجَ في حُجَّاج بكرِ بنِ وائل، فبلغَ ذلك أصحابَ السَّرْح، فقالوا: للنبيِّ ﷺ: هذا الحطمُ خرج حاجًّا في بكر بن وائل، فخلِّ بيننا وبينه، فقال النبيُّ ﷺ: «إنَّه قلَّدَ الهديَ»، فقالوا: يا رسول الله، هذا شيءٌ كنَّا نفعلُه في الجاهليَّةِ، فأبى النبيُّ ﷺ عليهم، ونزلت[٢] الآيةُ[٣].

وكان حكـمُ هـذه الآيـة ثابتاً إلـى[٤] عـام حجَّـة الصِّدِّيق، ونـزولِ سـورة براءة، وكان فيهـا: ﴿فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَـٰذَا﴾ [التوبة: ٢٨]، وفيهـا: ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾، فنُسِـخَ حكـمُ الهـديِ والقلائـد والشـهرِ الحـرام والإحـرام وأمنهـم بهـا بـدون الإسـلام.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُوا۟﴾؛ أي: وإذا خرجتُم من الحَرم أوالإحرام[٥]، فقد زالَ حظرُ الاصطيادِ، وأُبيحَ الاصطياد.

---

(١) في (أ): «الصد فاستدي» بدل: «الشد فاشتدي».

(٢) بعدها في (ف): «هذه».

(٣) ذكر الواحدي الخبر في «أسباب النزول» (ص: ١٨١) عن ابن عباس دون ذكر الأبيات، وأورده الثعلبي في «تفسيره» (٤/ ٨) دون نسبة، وأخرج الطبري نحوه في «تفسيره» (٨/ ٣١ ـ ٣٣) عن السدي.

(٤) في (أ): «في».

(٥) في (ر) و(ف): «والإحرام».

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ﴾ قرأ ابنُ عامر وعاصمٌ في رواية أبي بكر: ﴿شنْآن﴾ بسكون النُّون[١]، والباقون بفتحِها، وهما لغتان عند بعضِهم، وتفسيرُه: العداوةُ، وقد شَنِئ مِن حدِّ: علم، فهو شانِئ، قال تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر: ٣].

وقيل: بالفتح مصدرٌ، وهو العداوة والبُغض، وبالسُّكون النَّعت؛ أي: البغيض.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ﴾ قال ابنُ عبَّاسٍ وقتادة وجماعةٌ مِن أهل اللُّغة: ولا يَحملنَّكم[٢].

وقال الفراء: لا يكسبنَّكم، وقد جرَمَ جُرماً؛ أي: كسبَ، وفلانٌ جَرِيمةُ أهله؛ أي: كاسِبُهم[٣].

وقوله تعالى: ﴿أَن صَدُّوكُمْ﴾ قرأ ابنُ كثير وأبو عمرو: ﴿إِنْ صَدُّوكُمْ﴾ بالكسر على الشرط، والباقون بالفتح[٤] على معنى: بأن صدُّوكم، أو: لأنْ صدُّوكم، وهو الأصح؛ لأنَّ الشرطَ للاستقبال، وهذا كان ثابتاً للحال.

وقوله تعالى: ﴿عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا۟﴾؛ أي: لا يحملنَّكُم صدُّ الكفَّارِ إيَّاكم عن دخولِ مكَّة للعمرةِ عام الحديبية، وبغضُهم، أو[٥] البغيضُ منهم، على أنْ

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٢٤٢)، و«التيسير» (ص: ٩٨). وتحرف في «التيسير»: «أبو بكر» إلى: «أبو عمرو»!

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٤٤) عن ابن عباس وقتادة.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٢٩٩).

(٤) انظر: «السبعة» (ص: ٢٤٢)، و«التيسير» (ص: ٩٨).

(٥) في (أ): «أي».

تَعتدوا أنتم حدَّ الشَّرعِ، فتَمنعوا هؤلاء عن المسجدِ الحرام، فلا قدوةَ في الباطل.

وقوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾؛ أي: على فعلِ الإحسان وتركِ العِصيان.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾؛ أي: ولا تتعاونوا، حُذِفت إحدى التَّاءين تخفيفاً. والإثمُ: الوزر، والعُدوانُ: مجاوزةُ الحدِّ.

وقوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾؛ أي: لمن عصاهُ وما اتَّقاه.

وقال الإمام القشيريُّ رحمَهُ الله: البِرُّ: إيثارُ حقِّه، والتَّقوى: تركُ حظِّكَ، والمعاونةُ على البرِّ بحُسن النَّصيحةِ، وجميلِ الإشارةِ، والمعاونةُ على التَّقوى بقبض أيدي الخطَّائين، وإبلاغُ الموعظةِ وتمامُ المعاونةِ باتِّصافكَ بحميدِ الخصالِ، على الوجهِ الذي يُقتدَى بك، والمعاونةُ على الإثمِ والعُدوان أنْ تعملَ شيئاً يُقتدى بك بما لا يَرضاهُ الدِّين، فيكونُ فعلُك سبباً لفسادِ غيرِك من الموحِّدين.

وقال في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾: هو ما يَعقُبُ الجُرْمَ ممَّا يَسوءُ صاحبَهُ، وشِدَّةُ العقاب: حجابُ المعاقَبِ عن شهودِ المعاقِب، فإنَّ تَجرُّعَ كاساتِ البلاء على شهودِ المُبلِي أحلى مِن الشَّهد(١).

* * *

(٣) ـ ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ۗ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ

(١) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (١/ ٣٩٨ ـ ٣٩٩).

لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ﴾؛ أي: الذي يموتُ بلا زكاة، ﴿وَٱلدَّمُ﴾؛ أي: المسفوحُ وهو السَّائلُ، ﴿وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ﴾؛ أي: كلُّ أجزائِه، وتَخصيصُ اللَّحمِ بالذِّكر لما أنَّه معظَمُ المقصود، وقد قال في سورةٍ أخرى: ﴿فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ﴾ [الأنعام: ١٤٥]، والكناية تَرجِعُ إلى الخنزير، فدلَّ على أنَّ[1] كلَّه نجسُ العين.

وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾؛ أي: وما ذُبِحَ فذُكِرَ عليه غير[2] اسم الله، أو[3]: اسم الأصنام.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلْمُنْخَنِقَةُ﴾ أي: ما اختنقَ بالشَّبكةِ أو بحبلٍ، أو خنقَهُ خانقٌ.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلْمَوْقُوذَةُ﴾ أي: المضروبةُ بالخشب[4]، وقد وقذه، مِن حدِّ ضربَ؛ أي: ضربَهُ حتَّى ماتَ، وفلانٌ موقوذٌ بالعبادة[5] ووقيذٌ[6]؛ أي: قد كسرته وأوهنته[7].

وقوله تعالى: ﴿وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ﴾؛ أي: السَّاقطةُ في بئرٍ أو ماءٍ، أو مِن علوٍّ، وقد ردَّاه فتردَّى؛ أي: أسقطَهُ فسقطَ.

---

(١) في (ف): «أنه».

(٢) في (ف): «هو ما ذبح فلم يذكر عليه» بدل من «أي وما ذبح فذكر عليه غير».

(٣) في (ر) و(ف): «أي».

(٤) لفظ: «بالخشب» ليس في (أ).

(٥) في (أ): «بالعياذة». والمثبت هو الصواب، انظر: «تفسير غريب القرآن» لابن قتيبة (ص: ١٤٠).

(٦) من قوله: «من حد ضرب» إلى هنا ليس في (ف).

(٧) في (أ): «وأرهنته».

وقوله تعالى: ﴿وَٱلنَّطِيحَةُ﴾؛ أي: المنطوحةُ، وقد نطَحَتْهُ الشَّاةُ بقرنِها؛ أي: ضربَتهُ فقتلَتهُ.

وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ﴾؛ أي: ما جرحَهُ أسدٌ، أو ذئبٌ، أو ضبُعٌ، أو نحو ذلك، أو أكلَ شيئاً منه، وماتَ بجرحه، ﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ يرجعُ الاستثناءُ إلى قوله: ﴿وَٱلْمُنْخَنِقَةُ﴾ وما بعدَها، إذا أدركَها وبها حياةٌ، فذبحَها، وسمَّى عليها، حلَّت.

وسُئِل الشعبي عن رجلٍ انتهى إلى شاةٍ وقد[1] خرجَ من عامَّتها الرُّوح، إلَّا أنَّ عضواً منها يتحرَّك، فذبحَها، أتؤكل؟ قال: نعم، كما لو انتهيتَ[2] إلى مجروحٍ خرجَ مِن عامَّةِ جسدِه الرُّوح، فقتلتَهُ[3] خطأً، فعليك[4] ديتُه.

وقال عليٌّ رضي الله عنه: إذا طَرَفَت بعينِها، أو ركَضَت برجلِها، أو حرَّكتْ ذنبَها، فهي ذكيَّةٌ[5].

والتَّأنيثُ في هذه الأسماء لجعلِها صفاتٍ[6] للبهيمة المذكورة في أوَّل السُّورة، وهي مؤنَّثة اللَّفظ.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ﴾؛ أي: على اسم الأصنام.

وقيل: أي: للأصنام ﴿عَلَى﴾ بمعنى اللَّام، و﴿ٱلنُّصُبِ﴾ ما نُصِبَ مِن

---

(١) في (أ): «قد» بدل: «وقد».

(٢) في (ر): «انتهى».

(٣) في (ر): «فقتله».

(٤) في (ر): «فعليه».

(٥) رواه عبد الرزاق في «المصنف» (٨٦٣٤)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (١٩٨٤٨)، والطبري في «تفسيره» (٨/ ٦٤ ـ ٦٥).

(٦) في (أ): «صفة».

الحجارة ونحوِها، فعُبِدَ مِن دون الله، و﴿ٱلنُّصُبِ﴾[١] واحدٌ، وجمعُه: الأنصاب، كالعُنق والأعناق.

وقيل: هو جمعُ نَصْب، كالرَّهْن والرُّهُن، والسَّقْف والسُّقُف، قال الله تعالى: ﴿إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ﴾[٢] [المعارج: ٤٣].

وقوله تعالى: ﴿وَأَن تَسۡتَقۡسِمُواْ بِٱلۡأَزۡلَٰمِ﴾ «أن» مع الفعل مصدر، تقديره: والاستقسامُ بالأزلام؛ بالرَّفع عطفاً على المحرَّمات المذكورة في الآية، والأزلام: القِداحُ المعلَّمةُ، واحدُها زُلَم وزَلَم؛ بضمِّ الزَّاي وفتحها.

وقال الحسن: كانوا إذا أرادوا أمْراً أو سفَراً، يَعمِدون إلى قداحٍ ثلاثة، على واحدٍ منها مكتوبٌ[٣]: أمرَني ربِّي، وعلى واحدٍ منها[٤]: نهاني ربي، والثالثُ غُفْلٌ لا شيءَ عليه، فيُجيلونها، فإذا خرجَ الذي عليه الأمرُ، مضوا[٥] لأمرهم، وإن خرجَ الذي عليه النَّهيُ، كَفُّوا، وإن خرجَ الذي ليس عليه شيءٌ أعادوه[٦].

وقال سعيدُ بنُ جُبير: هي حصىً بيضٌ كانوا يَضربونَها[٧].

وقال السُّدِّيُّ: كانت القداحُ في الجاهليَّةِ عند الكعبة[٨]، فكان الرَّجلُ إذا أراد

---

(١) لفظ: «والنصب» من (ف).

(٢) قراءة حفص وابن عامر بضم النون والصاد، وقرأ الباقون بفتح النون وإسكان الصاد. انظر: «التيسير» (ص: ٢١٤).

(٣) في (ف): «يكتبون».

(٤) بعدها في (ر): «مكتوب».

(٥) بعدها في (ف): «فيه».

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٧٣).

(٧) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٧٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١١٩٨) (٦٧٥٦).

(٨) كذا تحرف على المصنف، وصوابها كما في «تفسير الطبري»: «الكهنة».

شـيئاً، أتـى الكاهـن، فأعطاهُ ذلك، فضَـربَ بها كما ضـربَ عبدُ المطَّلـب على زمزم وعلى عبـد الله والإبل(١).

ومعنى ضمِّ هذا إلى ما ذُبحَ على الأصنام أنَّ ذلك كان في الكعبةِ، وكان هذا أيضاً فيها، والاستقسامُ بها طلبُ القَسْم؛ أي: الحظِّ والنَّصيب مِن الأمرِ مِن جهتِها.

وقيل: الاستقسامُ بالأزلام هو القمارُ بقِداحِ الـمَيسِر.

وقال مجاهدٌ: هو كلُّ قمارٍ من اللَّعب بالكِعاب وغيرها(٢).

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ﴾ أي: الاستقسام بالأزلامِ خروجٌ عن الطَّاعة، وارتكابٌ للنَّهي.

وقيل: يرجع ذلك إلى تناولِ كلِّ محرَّمٍ في هذه الآية.

وقال الإمام أبو منصور: دلَّت الآيةُ على بطلانِ العمل بالقُرعة(٣).

وقولـه تعالـى: ﴿ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمْ﴾ وهـذا حـثٌّ لهـم(٤) علـى التمسُّـكِ بما بيَّـنَ لهم؛ مِن الوفاءِ بالعُقود، وتحليل المحلَّـلاتِ، وتحريمِ المحرَّمات، خلافـاً لمـا كان عليـه المشـركون، يقـول: أعطيتُكم الغلبـةَ عليهـم، وقَهَرْتُهـم(٥)، فلا مطمـعَ لهـم فـي تغييركم عـن دينِكم.

وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ﴾؛ أي: فلا تخافوهم وخافونِ في الثَّباتِ على أمري ونهيي والوفاءِ بعقودي.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٧٥ ـ ٧٦).

(٢) رواه بنحوه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٧٤).

(٣) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٣/ ٤٥٤).

(٤) في (أ): «لكم».

(٥) في (ف): «وقهرتموهم».

وقوله تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾؛ أي: بيانَ شرائعِ دينكم؛ لأنَّ الآيةَ نزلت بعرفات عامَ حجَّةِ الوداع، ولم يكن بعدَها شرعُ حكمٍ؛ قاله ابنُ عبَّاس رضي الله عنهما[١].

وقيل: أي: أكملتُ لكم نصرةَ دينكم؛ لأنَّ النبيَّ ﷺ حجَّ مع أصحابِه، ولم يكن أحدٌ مِن المشركين جاء في ذلك العام للمنع.

وقوله تعالى: ﴿وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي﴾؛ قيل[٢]: بالإسلام، قال تعالى: ﴿فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

وقيل: هي جميعُ النِّعم؛ فإنَّها جنسٌ، قال تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ﴾ [النحل: ١٨]، وهو إنجازُ[٣] ما كان وعد: ﴿وَلِأُتِمَّ نِعۡمَتِي عَلَيۡكُمۡ﴾ [البقرة: ١٥٠].

قال ابنُ عباس رضي الله عنهما: كان إتمامُ النِّعمةِ عليهم أنْ دخلوا مكَّةَ آمنِين، وحجُّوا[٤] مطمئنين، ولم يخالطهُم أحدٌ مِن المشركين[٥].

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: لا يجوزُ أنْ يُقال: إنَّ الدِّين كان قبل ذلك اليوم ناقصاً أو غيرَ مرضي، لكن له وجوه:

أحدها: اليوم أكملتُ برسولِ الله وبعثِه دينكُم، وبه أتممتُ عليكم نِعمَتي، ولا يكونُ اليومُ إشارةً إلى يومٍ بعينِه، بل إلى ذلك الزَّمان.

والثاني: أظهرتُ لكم دينكم وجعلتُ الغلبةَ لكم على المشركين.

---

(١) روى نحوه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٨٠).

(٢) في (ر): «أي» بدل: «قيل».

(٣) في (أ) و(ف): «إيجاز».

(٤) قوله: «وحجوا» من (أ).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٨٣).

والثالث: أمَّنتكُم مِن العدوِّ والعودِ إلى دين أولئك، وآيستُهم عن عودِكم[١] إلى دينهم[٢].

ثمَّ ذكر في حقِّ الدِّينِ الإكمالَ، وفي حقِّ النِّعمةِ الإتمامَ؛ لأنَّ الكاملَ ما لا يَحتمِلُ المزيدَ عليه، والتامَّ يَحتمِلُه.

وقوله تعالى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾ فالإسلامُ هو الدِّينُ المرضيُّ، وهو دينُ الله، وهو الذي لا يقبلُ غيره.

وقالوا: إكمالُ الدِّين في حقِّنا من وجوه: لنا جوامعُ الكَلِم[٣]، وأُعطِيَ رسولُنا جميعَ[٤] ما أعطى الرُّسل، وزيدَ له[٥] ما لم يكن لهم[٦]، وآمنَّا نحن بجميعِ الكُتب والرُّسل، وشريعتُنا باقيةٌ إلى يوم الدِّين[٧] لا تُنسَخ، وأُضْعِفَ لنا ثوابَ الحسنات، ووَعَد لنا تبديلَ السيِّئات، ولنا طرفا الدَّارين؛ نحن الآخرون في الدُّنيا، السَّابقون

---

(١) في (ف): «من دعائكم» وفي هامشها: «نسخة: عن عودكم».

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٣/ ٤٥٥).

(٣) خبر إيتاء النبي ﷺ جوامع الكلم رواه البخاري في «صحيحه» (٢٩٧٧) (٧٢٧٣)، ومسلم في «صحيحه» (٥٢٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) لفظ: «جميع» ليس في (ف).

(٥) في (أ): «عليه».

(٦) روى البخاري في «صحيحه» (٣٣٥)، ومسلم (٥٢١) عن جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «أعطيت خمساً لم يُعطهنَّ أحدٌ قبلي؛ نُصِرتُ بالرُّعب مسيرةَ شهر، وجُعِلَت لي الأرضُ مسجداً وطَهوراً، فأيُّما رجلٍ مِن أمَّتي أدركته الصلاةُ فليصلِّ، وأُحلَّت لي المغانم، ولم تَحِلَّ لأحدٍ قبلي، وأُعطيتُ الشَّفاعة، وكان النبيُّ يُبعَثُ إلى قومه خاصَّةً، وبُعِثت إلى الناسِ عامَّةً».

(٧) في (ر): «القيامة».

في العقبى[١]، وكتابُنا أيسرُ الكتبُ، ورسولُنا أفضلُ الرُّسل، ونحن أكثرُ الأُمم عدداً، وأسبقهم[٢] مورداً.

وقال الضَّحَّاك: نزلَت هذه الآيةُ يومَ عرفة، وهو يومُ الجمعة.

وكان ذلك اليومُ عيداً لليهود وللنَّصارى وللمجوس على حسابهم، ولم تجتمع أعيادُ أهل المللِ كلِّها في يومٍ واحدٍ لا قبله ولا بعده، قاله ابنُ عباس رضي الله عنهما[٣].

ولـمَّا نَزلت كان رسولُ الله ﷺ على ناقتِه العضباء، فبركَتْ مِن ثقلِ الوحي، ثمَّ سُرِّيَ عنه، فتلاها على النَّاس، وعاش ﷺ بعده أحداً وثمانين يوماً، أو اثنين وثمانين.

وقالت اليهود لعمرَ: لقد أُنزِلت عليكم آيةٌ لو أُنزِلَتْ علينا لاتَّخذنا ذلك اليوم عيداً، فقال عمر رضي الله عنه: أشهد أنَّها أنزِلَت يوم عرفة يوم الجمعة[٤]؛ أي: اجتمعَ فيه عيدان، وهو أشرفُ أيَّامِ أهلِ[٥] الإسلام، وأحقُّها بالإعظام.

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: إكمالُ الدِّين تحقيقُ القَبول في المآل، كما أنَّ ابتداءَ الدِّين توفيقُ[٦] الحصولِ في الحال، ولولا توفيقُه لم يكن للدِّين حصولٌ،

---

(١) روى البخاري في «صحيحه» (٨٧٦) ومسلم في «صحيحه» (٨٥٥) عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «نحن الآخرون السابقون يوم القيامة».

(٢) في (ف): «وأقومهم».

(٣) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ١٣).

(٤) رواه البخاري في «صحيحه» (٤٥)، ومسلم في «صحيحه» (٣٠١٧).

(٥) في (ف): «الأيام لأهل» بدل من «أيام أهل».

(٦) في (أ): «بتوفيق».

ولولا تحقيقُه لم يكن للدِّينِ قَبول، وقوله تعالى: ﴿وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي﴾ النِّعمة في الحقيقةِ ما لا يَقطعُك عن المنعم، بل يُوصِلُك إليه[١].

ثـمَّ الدِّيـنُ مضـافٌ إلى العبد في هذه الآيـة؛ لأنَّه سـالكٌ[٢] طريقتَـهُ، ويُضافُ إلـى الله؛ لأنَّـه شـارعُ حقيقتَهُ، والنِّعمـةُ مضافةٌ إلى الله فـي هذه الآيةِ؛ لأنَّـه مُعطيها، وتُضـافُ إلى العبد أيضـاً؛ لأنَّـه المتقلِّبُ فيها.

وقولـه تعالـى: ﴿فَمَنِ ٱضۡطُرَّ فِي مَخۡمَصَةٍ﴾؛ أي: أصابَتْهُ الضَّـرورةُ والحاجةُ إلى شـيءٍ مِن هـذه المحرَّمات فـي مجاعـةٍ، فتناوله[٣]، هـذا مضمرٌ.

وقوله تعالى: ﴿غَيۡرَ مُتَجَانِفٖ لِّإِثۡمٖ﴾؛ أي: غيرَ متمايلٍ إليه قصداً، أو متناولٍ منه إسرافاً، أو مُدَّخر منه اختياراً.

وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾؛ أي: يَغفرُ له فلا يعاقبُه، ويَرحمُه فلا يُعذِّبُه.

والخمص: ضمـورُ البطـن، مِـن حَـدِّ: شَـرُف، وعنـد الجـوع يَضمـرُ البطنُ، قال الأعـشـى:

تَبيتـونَ فـي المشـتى مِـلاءً بطونُكم وجاراتُكُـمْ غَرثـى يَبِتْـن خمائِصَـا[٤]

ويتَّصِل هذا بأوَّل[٥] الآيةِ؛ فإنَّه استثنى حالةَ الضَّرورةِ عن حُرمةِ هذه الأشياءِ المذكورة.

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٤٠١).

(٢) في (ر): «سلك».

(٣) في (أ): «فناوله»، وفي (ف): «فيتناوله».

(٤) انظر: «ديوان الأعشى» (ص٣٦٦) ـ طبعة الرضواني.

(٥) في (ف): «بهذا أول» بدل: «هذا بأول».

(٤) - ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُۖ فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾ قال مقاتل: نزلَت الآيةُ في عَدِيِّ بنِ حاتم الطَّائيِّ وزيد بن مُهَلهل الطَّائيِّ، ويقال له: زيدُ الخيل، وسمَّاهُ النَّبيُّ ﷺ زيدَ الخير[1]، قالا للنبيِّ ﷺ: إنَّ كلابَ آل ذُريح يأخذون البقرَ والحُمُر والظِّباء، فمنها ما يُقتَل، ومنها ما يُدرَكُ ذكاتُه، وقد حرَّمَ اللهُ[2] الميتةَ، فنزلَت الآيةُ: ﴿قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾؛ أي: الذبائح[3].

وقيل: أي: الحلالاتُ المذكورةُ في أوَّلِ هذه السُّورةِ وغيرها.

وقيل: أي: المستطاباتُ مِن الحبوب واللُّحمان التي لم يَرِد تحريمُها.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ﴾؛ أي: وصيدُ ما علَّمتم، هذا مضمرٌ.

والجوارحُ: الكواسبُ للصَّيدِ مِن الكلابِ والفهودِ والبُزاةِ والصُّقور ونحوها، وقد جَرَحَ واجترحَ؛ أي: اكتسبَ، قال اللهُ تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [الجاثية: ٢١]، وقال تعالى: ﴿وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ﴾ [الأنعام: ٦٠]، وجوارحُ الإنسان هي آلاتُ الاكتساب.

---

(١) خبر تسمية النبي ﷺ له بزيد الخير رواه الطبراني في «الكبير» (١٠٤٦٤)، وابن عدي في «الكامل» (٢/ ١٨٤ ـ ١٨٥)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٢٧٦)، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه. قال ابن عدي: هذا حديث منكر، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٩٤): فيه عون ابن عمارة وهو ضعيف.

(٢) بعدها في (ر): «علينا».

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» (١/ ٤٥٤).

وقيل: هي مِن الجِراحة[١]، وهي جوارحُ الصُّيود، ويُشترَطُ لحلِّها الجَرْحُ، فلا تَحِلُّ بالخَنق.

وقوله تعالى: ﴿مُكَلِّبِينَ﴾ نصب على الحال؛ أي: مُضَرِّينَ لها حتَّى تَستكْلِبَ[٢] وتَضْرى بالصَّيد، فتعتادَ أخذَه، وقد استكلبَ العدوُّ وتكلَّب، أي: اشتدَّ وضَرِي وكلَّبَهُ غيرُه.

وقوله تعالى: ﴿تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ﴾؛ أي: الجوارح، وتعليمُها أنْ تَنزجرَ بزجرِك، وتَمضي لإرسالِك، ولا تعدلَ عن سَنَنِ إرسالِك، وتَقتلَ الصَّيدَ جَرْحاً، لا خنْقاً، وتمتنعَ بمنعك، ولا تأكلَ مِن الصَّيدِ.

وقوله تعالى: ﴿فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾؛ أي: ممَّا[٣] لم يأكلن، فإذا أكلْنَ، حرم، وهذا في صيدِ الكلبِ ونحوِه، فأمَّا صيدُ البازي ونحوِه، فأكلُه لا يُحرِّمُه، ويُعرَفُ هذا في الفقهيات.

وقوله تعالى: ﴿مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾ قيل: «من» زائدةٌ، كما في قوله: ﴿كُلُوا مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ﴾ [الأنعام: ١٤١].

وقيل: هو للتبعيض؛ فإنَّ منها ما يُؤكَل، وهو اللُّحومُ والشُّحوم، ومنها ما لا يُؤكَل، كالدَّم والريشِ والعظم.

وقيل: التبعيضُ في أنَّ المجروحَ منها يُؤكل دون المخنوق.

وقوله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾؛ أي: عند الإرسال، وهو شرطُ الحِلّ.

---

(١) في (ر): «الجوارح الجارحة» بدل: «الجراحة».

(٢) في (أ): «تسلب».

(٣) لفظ: «مما» من (ف).

وقوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾؛ أي: واحذروا مخالفةَ أمرِ الله في هذا كلِّه وفي غيره، إنَّ الله محاسبُكم على أفعالِكم، ومجازيكم[1] عليها، ولا يلحقُه فيه لبثٌ لتذكُّرٍ ولا قطعٌ بشغْلٍ.

وقال أبو رافع[2]: استأذن جبريلُ على النبيِّ ﷺ، فأذن له، فلم يَدخل، فأخذَ النبيُّ ﷺ رداءَه وخرجَ، فرآه[3] فقال: «أذنَّا لك[4]»، فقال: أجل، ولكنَّا معشرَ الملائكة لا ندخلُ بيتاً فيه كلبٌ أو صورةٌ، فالتمَسوا، فوجدوا جرواً قد دخل بيتهم، فلمَّا أصبحنا أمَرني رسولُ الله ﷺ بقتلِ الكلاب، فقتلتُ كلابَ المدينة، فقالوا: يا رسولَ الله، ماذا يحلُّ لنا مِن هذه الأُمَّة التي نقتلُها؟ فسكتَ النَّبيُّ ﷺ، فأنزل اللهُ تعالى هذه الآية[5].

فأذِنَ لهم النبيُّ ﷺ باقتناءِ الكلاب التي يُنتفَع بها، وأمرَ بقتلِ الكلبِ العَقور، وقال: «أيُّما قومٍ اتَّخذوا كلباً، ليس بكلب حرثٍ أو صيدٍ أو ماشية؛ فإنَّه يَنقصُ مِن أجورِهم كلَّ يومٍ قيراط»[6]. وفي رواية: «قيراطان»[7].

---

(١) في (ف): «يحاسبكم... ويجازيكم».

(٢) في (ف): «أبو بكر بن رافع» بدل: «أبو رافع».

(٣) لفظ: «فرآه» ليس في (ف).

(٤) في (ر): «آذناك».

(٥) رواه ابن أبي شيبة (١٩٩١٩) مختصراً، والطبري في «تفسيره» (٨/ ١٠٠ ـ ١٠١)، والطبراني في «الكبير» (٩٧٢) من طريق موسى بن عبيدة عن أبان بن صالح عن القعقاع بن حكيم عن سلمى أم رافع عن أبي رافع به. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤/ ٤٢ ـ ٤٣): فيه موسى بن عبيدة الربذي، وهو ضعيف. اهـ. ولم يتفرد به موسى بن عبيدة، بل تابعه محمد بن إسحاق، فرواه من طريقه الحاكم في «المستدرك» (٣٢١٢)، والبيهقي في «الكبرى» (١٨٨٦٦) دون ذكر قصة جبريل عليه السلام.

(٦) رواه النسائي في «المجتبى» (٤٢٨٠) من حديث عبد الله بن مغفل رضي الله عنه، ورواه مسلم في «صحيحه» (١٥٧٥): (٥٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بألفاظ قريبة.

(٧) رواها ابن ماجه في «سننه» (٣٢٠٥) من حديث ابن مغفل، ورواها مسلم في «صحيحه» (١٥٧٥) =

وقيل لابن المبارك: ولم ذاك؟ قال: لأنَّه يَنبحُ على الضَّيفِ، ويُروِّعُ السَّائِل[1].

ودلَّتِ الآيةُ على فضلِ العلم؛ فإن الكلبَ الخسيس بالتعلم جلَّ قدرُه، وحلَّ صيدُه، وفيه عِظَةٌ، وهو أنَّه بتركِ علمِه والأكلِ من صيدِه يُحكَمُ بجهلِه وزوالِ علمه، فلا يَحِلُّ صيدُه، فكذا مَن علم من النَّاس، فخالفَ عِلْمَهُ، وقد سمَّى اللهُ تعالى مخالفَ علمِه جاهلاً، قال تعالى خبراً عن يوسف عليه السلام: ﴿وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ [يوسف: ٣٣]، وقال: ﴿هَلۡ عَلِمۡتُم مَّا فَعَلۡتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذۡ أَنتُمۡ جَٰهِلُونَ﴾ [يوسف: ٨٩].

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: لـمَّا كان الكلبُ المعلَّمُ تركَ حظَّهُ، وأمسكَ ما اصطادَهُ على صاحبِهِ، حلَّت فريستُه، وجازَ اقتناؤهُ، وسقطَتْ نجاستُه وخساستُه؛ كذلك مَن كانت أعمالُه وأحوالُه لله تعالى محضةً، ولا يشوبُها حظُّ نفسِه، تَجِلُّ رتبتُه، وتَعلو حالتُه.

قال: ويُقال: حسنُ الأدب يُلْحِقُ الأخِسَّةَ برتبةِ الأكابر، وسوءُ الأدبِ يَردُّ الأعزَّةَ إلى حالةِ الأصاغر[2].

***

(٥) ـ ﴿ٱلۡيَوۡمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حِلّٞ لَّكُمۡ وَطَعَامُكُمۡ حِلّٞ لَّهُمۡۖ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ إِذَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحۡصِنِينَ غَيۡرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِيٓ أَخۡدَانٖۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلۡإِيمَٰنِ فَقَدۡ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾.

= (٥٧) من حديث أبي هريرة.

(١) انظر: «تفسير الثعلبي» (٤/ ١٩).

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (١/ ٤٠٣).

وقوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾ كرَّرَ المنَّة بهذا؛ تأكيداً.

وقيل: الأوَّلُ بيانُ الحكم، وهذا بيانُ المنَّةِ، و﴿ٱلْيَوْمَ﴾ بمعنى الآن حين أكملتُ لكم الدِّينَ، وأتممتُ عليكم النِّعمةَ.

وقيل: هو يوم نزولِ هذه الآية.

وقيل: هو إشارةٌ إلى عصرِ النَّبيِّ ﷺ، وتُذكَرُ هذه اللَّفظة لحالةٍ دائمة، يقال: لا يصلحُ اليومَ منِّي هذا الأمرُ، ولا يَقدِرُ أحدٌ أنْ يَظلِمَ اليوم.

وقوله تعالى: ﴿وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ﴾؛ أي: ذبائحُهم، قيَّدناهُ به؛ لأنَّ سائرَ الأطعمةِ لا يَختصُّ حِلُّها بالملَّة.

وقوله تعالى: ﴿وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ﴾؛ أي: بالبيع والهبةِ والإباحةِ ونحوِها.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾؛ أي: أُحِلَّ لكم العفائفُ بالنِّكاح، وليس هذا لاشتراط صحَّةِ النِّكاح، بل للاستحباب.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ﴾؛ أي: العفائفُ مِن الكتابيَّات، ويَستوي فيه الحرائرُ والإماء، وهذا عندنا(١)، وقال الشافعيُّ رحمه الله: لا يجوزُ نكاحُ الأمة الكتابيَّة(٢)، وتُحمَلُ المحصنات هاهنا على الحرائر، وعامَّةُ أهلِ التَّفسير على ما قلنا أنَّ المحصنات هاهنا العفائف، والاسمُ يَشملُ الحرائرَ والإماء، وقد بيَّنَّا وجوهَ الإحصانِ في سورةِ النِّساء.

---

(١) انظر: «المبسوط» للسرخسي (٥/ ١١٠).

(٢) انظر: «الأم» للشافعي (٦/ ٢١)، و«روضة الطالبين» للنووي (٧/ ١٣٢).

قوله تعالى: ﴿إِذَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾؛ أي: سمَّيتُم لهنَّ ذلك، وألزِمتُموه[١]، وقد مَرَّ تحقيقُه في سورة النساء[٢].

وقوله تعالى: ﴿مُحۡصِنِينَ غَيۡرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِيٓ أَخۡدَانٖ﴾ فسَّرنا هذه الكلمات في سورة النساء[٣]، ومعناه هاهنا: طالبين التَّعففَ بنكاحهنَّ، لا سافِحين الماءَ بالزِّنى حيثُ شئتُم، ولا متَّخذِي خليلاتٍ على الخصوصِ تزنون بهنَّ.

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلۡإِيمَٰنِ فَقَدۡ حَبِطَ عَمَلُهُۥ﴾ قال قتادة: ذُكِرَ لنا أن ناساً من المسلمين قالوا: كيف نَتزوَّجُ نساءَهم وهم على غيرِ دينِنا، فنزل هذا[٤]؛ يعني أنَّ أهلَ الكتاب وإنْ أُلْحِقَ حكمُهم في حلِّ ذبائحِهم لنا وحلِّ نكاحِ نسائِهم لنا بحكم المسلمين، فإنَّهم لم يفارقوا المشركين[٥]، بل كفروا بالإيمان؛ أي: جَحدوا به أنْ يكونَ ديناً حقًّا لا يُقبَلُ غيرُه، وحَبِط[٦] بذلك عملُهم، وهو تديُّنهم بالكتابِ وبنُبوَّة موسى وعيسى عليهما السَّلام.

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ خسِروا ثوابَ عنائِهم[٧] في الدُّنيا، وقيل: مِن الهالكين، وقيل: معناه أنَّ الكتابيَّة قد يَميلُ إليها زوجُها المسلمُ، فتَدعوهُ إلى دينِها، فحذَّرهُم ذلك.

---

(١) كذا شكلت في (ف)، ووقع في (أ): «والتزموه». وفي (ر): «والتزمتموه».

(٢) عند تفسير الآية (٢٤) منها.

(٣) عند تفسير الآية (٢٥) منها.

(٤) في (ر): «فنزلت هذه الآية» بدل: «فنزل هذا». والخبر رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ١٥٠).

(٥) في (أ): «المسلمين».

(٦) في (ف): «ويحبط».

(٧) في (ف): «عبادتهم».

وقيل: قوله: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِالْإِيمَنِ﴾؛ أي: المؤمَنِ[١] به، مصدرٌ بمعنى المفعول به، وهو الكفرُ بالله، وبما يَجبُ الإيمانُ به.

وقال أبو الهيثم السجزيُّ: الباءُ صلةٌ، كما في قوله: ﴿يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ﴾ [الإنسان: ٦]، وقوله: ﴿تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ﴾ [المؤمنون: ٢٠]، ومعناه: ومَنْ يَكفُر بالإيمان، ويستره[٢] بجحودِه، فقد حبِطَ عملُه؛ أي: بطَلَ جميعُ سعيِه في الإسلام بالكفرِ بعده.

* * *

(٦) - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَوٰةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَوٰةِ﴾ ومن الوفاءِ بالعقودِ المأمورِ به في أوَّلِ السُّورةِ هذا؛ قوله[٣]: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَوٰةِ﴾[٤].

وقال زيدُ بنُ أسلم: أي[٥]: قمتم مِن النَّوم[٦]، وهو حدَثٌ، فلا حاجةَ على هذا القول إلى إضمار: وأنتم محدثون.

---

(١) في (ر): «المؤمن».

(٢) في (ر): «يستره»، وفي (ف): «أي يستره».

(٣) لفظ: «قوله» من (أ).

(٤) من قوله: «ومن الوفاء بالعقود» إلى هنا ليس في (ف).

(٥) بعدها في (ر): «إذا».

(٦) رواه مالك في «الموطأ» (١/ ٢١)، والطبري في «تفسيره» (٨/ ١٥٦).

وفي «تأويلات الإمام أبي منصور رحمه الله»: قال النبيُّ ﷺ: «العينانِ وِكاءُ السَّه فمن نام فليتوضأ»[(١)]، قال: وروي عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما أنَّ النَّبيَّ ﷺ كان ينامُ ثمَّ يُصلِّي، فلا يتوضَّأ، فسئل عن ذلك فقال: «إنِّي لستُ كأحدِكم، إنَّه لتنامُ عيناي، ولا يَنامُ قلبي، ولو أحدثتُ لعلِمت»[(٢)].

وقال آخرون: معناهُ: إذا أردتُم القيامَ إليها، كما في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْءَانَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ [النحل: ٩٨]، وقوله: ﴿إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ [الطلاق: ١].

وقوله تعالى: ﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ﴾ الآيةُ ظاهرُها يَقتضي الأمرَ بالوضوء عند كلِّ قيامٍ؛ محدثاً كان أو طاهراً، وقد كان رسولُ الله ﷺ يتوضَّأُ لكلِّ صلاةٍ قبل فتح مكَّة، فلما كان ذلك اليوم صلَّى الصَّلواتِ الخمسَ بوضوءٍ واحد، فقال عمر رضي الله عنه: صنعتَ يا رسول الله ما[(٣)] لم تكن تصنعهُ، فقال: «عمداً فعلتُ كي لا تُحرَجَ أمَّتي»[(٤)]، فثبتَ بذلك أنَّ الأمرَ بالوضوءِ عند الحدث، وهو مضمَرٌ فيه، وتقديره:

---

(١) رواه أبو داود (٢٠٣)، وابن ماجه (٤٧٧) من حدث علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وضعف إسناده الشيخ شعيب الأرناؤوط. ولم يرد هذا الحديث في «تأويلات أهل السنة» للماتريدي.

(٢) كذا أورده الماتريدي رحمه الله في «تأويلات أهل السنة» (٣/ ٤٦٩)، وأورده الجصاص في «أحكام القرآن» له (٣/ ٣٣٣) من رواية أبي يوسف عن محمد بن عبد الله عن عطاء، وأخرج البخاري في «صحيحه» (١١٤٧)، ومسلم في «صحيحه» (٧٣٨) من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال لها: «يا عائشة، إن عيناي تنامان ولا ينام قلبي».

(٣) في (أ) و(ف): «شيئاً».

(٤) أورده السرخسي في «المبسوط» (١/ ٥) بلفظ: «عمداً فعلت يا عمر كي لا تحرجوا»، ورواه مسلم في «صحيحه» (٢٧٧) بلفظ: «عمداً صنعته يا عمر».

وأنتم محدثون[١]، أو هو للاستحبابِ في حقِّ الطَّاهر، وللإيجاب في حقِّ المحدث؛ لقولِه ﷺ: «الوضوءُ على الوضوء نورٌ على نور»[٢]، وقوله: «لا صلاة إلَّا بطَهور»[٣].

ومعنى قوله: ﴿فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ﴾؛ أي: فليَغسِل كلٌّ مِنكم وجهَه؛ لأنَّ مقابلةَ الجمعِ بالجمع تَقتضي مقابلةَ الإفراد بالإفراد، كما في قوله تعالى: ﴿جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ﴾ [نوح: ٧]، والوجهُ حدُّه من القُصاص[٤] إلى الذَّقن، ومن الأذُن إلى الأذن، وهو مِن المواجهة، وهذا القدرُ هو المواجِه[٥] عند الملاقاة.

وقوله تعالى: ﴿وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ﴾ جمع مرفق، وهو مجتمَعُ طرَفي السَّاعدِ والعَضُد، وفيه لغتان؛ فتحُ الميم مع كسر الفاء، وقلبُ ذلك، و﴿إِلَى﴾ للغاية، فينتهي عندها حكمُ الغَسْلِ عند زُفَر[٦] ومالك[٧]، فلا يَجِبُ غسلُها؛ لأنَّ الحدَّ لا يَدخلُ في

---

(١) في (ر): «فأنتم محدث» وفي (ف): «أنتم محدثون» بدل: «وأنتم محدثون».

(٢) قال المنذري في «الترغيب والترهيب» (١/ ٩٨): لا يحضرني له أصلٌ من حديث النَّبي ﷺ ولعلَّه من كلام بعض السّلف، وَالله أعلم. وقال العراقي في «المغني عن حمل الأسفار» (١/ ١٣٤) (بهامش الإحياء): لم أجد له أصلاً. اهـ. ونقل السخاوي في «المقاصد الحسنة» عن شيخه الحافظ ابن حجر أنه قال: إنه حديث ضعيف، رواه رزين في «مسنده».

(٣) روى مسلم نحوه في «صحيحه» (٢٢٤) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، بلفظ: «لا تقبل صلاة بغير طهور».

(٤) قصاص الشعر حيث تنتهي نبتته من مقدمه ومؤخره (والمراد هنا مقدمه كما لا يخفى) وفيه ثلاث لغات؛ قُصاص وقَصاص وقِصاص، والضم أعلى. قاله الجوهري في «الصحاح» (مادة: قصص).

(٥) في (أ) و(ف): «المواجهة».

(٦) بعدها في (ر): «والشافعي». انظر: «المبسوط» للسرخسي (١/ ٦). ومذهب الشافعي أن المرافق مما يغسل. انظر: «الأم» للشافعي (٢/ ٥٦)، و«المجموع» للنووي (١/ ٣٨٥).

(٧) المشهور من مذهب المالكية أنه يجب غسل المرفقين. انظر: «القوانين الفقهية» لابن جزي (ص٨٣). ونسب النووي في «المجموع» القول بعدم وجوب غسلهما لزفر وأبي بكر بن داود.

المحدود؛ كما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيۡلِ﴾ [البقرة: ١٨٧]، وعندنا يَجِبُ غَسلُها؛ لأنَّ اليدَ اسمٌ لها إلى الإبط، فكان التحديدُ بالمرافق إخراجاً لما ورائها، لا تبليغاً إليها، فبَقِيَت في الغَسل.

وقوله تعالى: ﴿وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ﴾ والمسحُ إمساسُ الماء دون التَّسييل، ثم عند مالكٍ يُفترض مسحُ كلِّ الرأس[١]؛ لأنَّه أطلقَ ذكرَها، فصار كإطلاق ذِكر[٢] الوجوه.

وقلنا: لم يقل: فامسحوا رؤوسَكم، بل قرنَه بالباء، وهو للتَّبعيض، يقال: مسحتُ يدي بالمنديلِ، وبالحائط، ويقال: أخذتُ بالزِّمام، ولو قيل: أخذتُ الزِّمام، كان ذلك دليلاً على الكلِّ.

ثم يقولُ الشافعيُّ: إذا مسحَ ثلاث شعرَات منه كفى؛ لأنَّه بعض[٣].

وقلنا: أمرَ الله تعالى به قصداً، فلا يَتقدَّر بما يَحصُل[٤] مِن غير قصدٍ، فقدَّرناهُ بثلاث أصابع مِن اليد[٥]؛ لأنَّها هي آلةُ المسح، والثلاثُ أكثرُها، وللأكثرِ حكمُ الكلِّ.

وفي رواية عن أصحابنا: هو مقدَّرٌ بالرُّبع؛ لأنَّه يُحكَى عن الكمال، يقول الرجل: رأيتُ فلاناً، وإنَّما رأى جانباً منه، وهو ربعه.

---

(١) انظر: «القوانين الفقهية» (ص٨٤).

(٢) في (ف): «كل».

(٣) هو قول أبي العباس بن القاص من الشافعية، والمشهور من مذهب الشافعية أن لا يتقدر وجوبه بشيء، بل يكفي فيه ما يمكن، حتى لو مسح بعض شعرة واحدة أجزأه. انظر: «المجموع» للنووي (١/ ٣٩٨).

(٤) في (ف): «يتحصل».

(٥) انظر: «المبسوط» للسرخسي (١/ ٦٣).

وقوله تعالى: ﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾ قرأ نافعٌ والكسائيُّ وعاصمٌ في رواية حفص بالنصب[١] عطفاً على قوله: ﴿وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ﴾، فيَدلُّ على فرضيَّةِ غسلِها.

وقرأ [٢]الباقون بالخفضِ، وهو في الظاهر عطفٌ على «برؤوسكم»، فتعلَّق القائلون بأنَّ وظيفتَها المسحُ مِن الرَّوافضِ بظاهرِها، لكنَّا نَقول: خفضُه على الجوار، كما في قول العرب: جحرُ ضبٍّ خَربٍ، وماءُ شنٍّ باردٍ، وفي القرآن: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ۝١٧ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ﴾ إلى قوله: ﴿وَحُورٍ عِينٍ﴾ بالخفض[٣]، وهنَّ لا يُطافُ بهنّ، لكن خفضُها على الجوار، وهو كقول امرئ القيس:

كبيـرُ أنـاسٍ فـي بِجـادٍ[٤] مُزَمَّـلِ[٥]

ولأنَّها محمولةٌ على حال لبسِ الخفَّين، ووظيفتُهما المسحُ في هذه الحالة بهذهِ القراءة، والغَسلُ في حالِ كونهما باديتين بتلك القراءة، والغَسلُ هو المذكورُ في الأحاديثِ المشهورة، وعليه عملُ كلِّ الأُمَّة.

---

(١) وهـي قـراءة ابـن عامـر أيضـاً مـن السـبعة. انظـر: «السـبعة» لابـن مجاهـد (ص: ٢٤٢)، و«التيسـير» للداني (ص: ٩٨).

(٢) «قرأ»: زيادة من (أ) و(ف).

(٣) هي بالكسر قراءة حمزة والكسائي. انظر: «السبعة» (ص: ٦٢٢)، و«التيسير» (ص: ٢٠٧).

(٤) في هامش (ف): «البجاد كساء مخطط».

(٥) «ديوان امرئ القيس» (ص: ٢٥)، وصدره:

كأن أبانـاً فـي أفانيـن ودْقِـهِ

وأبـان: اسـم جبـل، وأفانيـن: ضـروب، والـودق: المطـر. انظـر: «شـرح القصائـد العشـر» للتبريزي (ص: ٥٢). قـال شـارح «الديـوان»: شـبَّه الجبل حين غشـيهُ المطر وعمه الخصب بشـيخٍ ضعيفٍ في بجـاد، والبجاد: الكسـاء المخطَّط، وخص الشـيخ؛ لأنـه متدثر أبداً، متزمـل في ثيابه.

وقوله تعالى: ﴿إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ﴾؛ أي: إلى كعبي كلِّ رجلٍ، والكَعبُ هو العظمُ النَّاتِئ عند أسفل السَّاق، وهو مأخوذٌ مِن قولهم: كَعَبتِ(1) الجاريةُ، إذا نَتأَ ثدياها، فهي كاعبٌ، وهما داخلانِ في وظيفة الغُسل كالمرافق؛ لما مرَّ.

وفرائضُ الوضوء هذه الأربعةُ، وما ورائها سننٌ وفضائلُ تُعرَفُ في الفقهيَّات، والواوُ للجمع المطلقِ، فلا تقتضي التَّرتيب.

وقوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا﴾ هو جمعٌ، **وقوله تعالى:** ﴿فَٱطَّهَّرُواْ﴾؛ أي: تَطهَّروا، وهو غسلُ جميعِ ظاهرِ البدن، ويَدخل فيها الفمُ، والأنفُ، والأذنُ، والسُّرَّةُ، وخِلالُ الأصابع، ومنابتُ الشَّعر.

وقوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ﴾ جمعُ مريض، فيقع على كل مرضٍ.

وقوله تعالى: ﴿أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ يتناولُ كلَّ سفرٍ أيضاً.

وقوله تعالى: ﴿أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ﴾؛ أي: وجاءَ أحدُكم مِن الغائط؛ أي: المكانِ المطمئنِّ، كنايةً عن قضاءِ الحاجة؛ لأنَّهم كانوا يأتونه لذلك.

وقوله تعالى: ﴿أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾؛ أي: جامعتم.

وقوله تعالى: ﴿فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً﴾؛ أي(2): في السَّفر، وقد أحدثتُم بالمجيء من الغائطِ، أو أجنبتُم بالمجامعة، وفاتَ الماءُ الذي كان به الوضوءُ مِن الحدثِ، والاغتسالُ مِن الجنابةِ، أو عجَزتُم عن استعمالِه مع وجوده؛ في المرض الذي يُخافُ باستعمال الماء فيه اشتدادُه أو امتدادُه: يكفيكُم التَّيمُّم بالصَّعيد عن الوضوء

---

(1) في (أ): «كعب».

(2) بعدها في (ر): «فلم تجدوا ماء».

والاغتسال، وذلك قولُه تعالى: ﴿فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ التَّيمُّمُ: القصدُ، والصَّعيدُ: وجهُ الأرض، والطَّيِّبُ: الطَّاهر.

وقوله تعالى: ﴿فَامْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ﴾ هو بيانُ كيفيَّتِه، وهما ضربتان؛ ضربةٌ للوجهِ، وضربةٌ لليدين إلى المرفقين، مع المرفقين عندنا، وفيه اختلافٌ كثيرٌ، يُذكر في الفقهيات.

وقوله تعالى ﴿مِّنْهُ﴾؛ أي: من الصَّعيد، والآيةُ نزلَت في قصَّة عائشةَ رضي الله عنها، قال عمار بن ياسر رضي الله عنه: كان رسولُ الله ﷺ في سفرٍ، ومعه عائشةُ رضي الله عنها، ففقد عقد لها مِن جَزْع، فاحتبسَ النَّاسُ في طلب عقدِها حتَّى أصبحوا في مكانِهم ذلك، وليس معهم ماءٌ، فأتاها أبو بكرٍ رضي الله عنه، فتغيَّظ لها في حبسِها النَّاس، فبينما هم على ذلك، أنزلَ اللهُ تعالى الطَّهورَ في التَّمسُّح بالصَّعيد، فأتى أبو بكرٍ عائشةَ فقال[(١)]: واللهِ ما علمتُ إنَّك لمباركةٌ[(٢)].

وفي رواية أنَّ أسيدَ بنَ حُضير قال لأبي بكر: ما أعظمَ بركتِكُم يا آلَ أبي بكر، إنَّ اللهَ تعالى لم يُنزَل بكم نازلةً إلَّا جعلَ للمسلمين فيها فرجاً ومَخرجاً[(٣)].

وقيل: نزلَت في عبدِ الرَّحمن بنِ عوف، كان به جُدَريٌّ، فأصابتهُ جنابةٌ وعنده

---

(١) في (ف): «وقال لها».

(٢) رواه أحمد (١٨٣٢٢)، وأبو داود في «سننه» (٣٢٠)، والنسائي في «المجتبى» (٣١٤)، وابن ماجه (٥٦٥). وقول أبي بكر لعائشة هو من بلاغات الزهري.

(٣) قول أسيد رواه البخاري في «صحيحه» (٣٣٤)، ومسلم في «صحيحه» (٣٦٧): (١٠٨) من حديث عائشة رضي الله عنها في آخر قصتها، بلفظ: ما هي بأول بركتكم يا آل أبي بكر، وفي رواية مسلم (٣٦٧): (١٠٩) قال أسيد: جزاكِ الله خيراً فوالله ما نزل بكِ أمر قط إلا جعل الله لك منه مخرجاً، وجعل للمسلمين فيه بركة.

ماءٌ، فخشيَ[١]، فرخَّص اللهُ تعالى له في التَّيمُّم[٢] بالصعيد. قاله مقاتلُ بنُ حيان.

وقوله تعالى: ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ﴾؛ أي: ضيق، وقيل: مشقة[٣]؛ أي: لا يريدُ بتكليفِ الوضوءِ والاغتسالِ والتيمُّمِ إيَّاكم تضييقَ الأمر عليكم، وإلحاقَ المشقَّة بكم.

وقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ﴾؛ أي: ولكن يريدُ تطهيرَكُم مِن الحدثِ والجنابة.

وقيل: أي: مِن الذُّنوب، وفي الأحاديث المشهورة أنَّ العبدَ إذا غسلَ أعضاءَ وضوءِه سقطَت ذنوبُه مع قطراتِ الماء[٤].

وقيل[٥]: أي: يريدُ أن تُطيعوهُ، فتوصَفوا بذلك بالطَّهارة التي يُوصَفُ بها المطيعون، وهو نظيرُ التَّزكية.

وقوله تعالى: ﴿وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ﴾؛ أي: ويريدُ إتمامَ النِّعمةِ عليكم بإباحةِ التَّيمُّمِ لكم والتخفيفِ في حالة المرضِ والسَّفرِ عليكم.

---

(١) في (ف): «يخشى استعماله».

(٢) في (ف): «بالتيمم» بدل: «له في التيمم».

(٣) في (ف): «مشقة أي» بدل من «أي: مشقة».

(٤) من ذلك ما رواه مسلم في «صحيحه» (٢٤٤) من حديث أبي هريرة، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «إذا توضأ العبد المسلم أو المؤمن، فغسل وجهه، خرج من وجهه كلُّ خطيئةٍ نظر إليها بعينيه مع الماء، أو مع آخر قطر الماء، فإذا غسل يديه خرج من يديه كلُّ خطيئةٍ كان بطشتها يداه مع الماء، أو مع آخر قطر الماء، فإذا غسلَ رجليه خرجَت كلُّ خطيئةٍ مشتها رجلاهُ مع الماء أو مع آخر قطر الماء، حتى يخرجَ نقيًّا من الذُّنوب».

(٥) لفظ: «وقيل» ليس في (أ).

وقال سعيدُ بن جُبَير: أي: ويدخلكم الجنة؛ فإنَّه لا يتم نعمة[١] إلَّا به[٢].

وقيل: هو الختم على الإسلام، قاله[٣] عليُّ بنُ أبي طالب رضي الله عنه.

وقيل[٤]: تمامُ النِّعمة شهودُ المنعم.

وقوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾؛ أي: لِتشكروا له[٥] قولاً وفعلاً وعقداً.

وقال القشيريُّ رحمه الله: لا صلاةَ إلَّا بطَهورٍ، وكما أنَّ للظواهر طهارةً، فللسَّرائر طهارة، فطهارةُ الأبدانِ بماءِ المطر، وطهارةُ القلوب بماء النّدمِ والخجَل، ثمَّ بماءِ الحياء والوجَل.

وقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ﴾ أي: يُطَهِّرَ ظواهرَكُم عن الزَّلَّة بعصمتِه، ويُطَهِّرَ قلوبَكم عن الغفلةِ برحمتِه.

يُطهِّرَ سرائرَكم عن ملاحظة الأشكال، ويُفرِّغَ ظواهرَكم عن الوقوع في شباك الأشغال.

يُطَهِّر[٦] عقائدَكم عن التَّدنُّسِ بما يُوهِنُها، وأعمالَكم عن الاعتمادِ عليها.

قوله تعالى: ﴿وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ﴾ إتمامُ النِّعمةِ لقومٍ بنجاة نفوسِهم ولقومٍ بنجاتِهم عن نفوسهم، وشتَّانَ بين قومٍ وقومٍ[٧].

---

(١) في (ف): «تتم نعمته».

(٢) أخرجه عبد بن حميد وأبو الشيخ، كما في «الدر المنثور» (٥/ ٢١٧).

(٣) في (ف): «وقال».

(٤) «وقيل:» ليس في (ف). فالقول الآتي في (ف): منسوب لعلي رضي الله عنه.

(٥) في (أ): «الله».

(٦) في (ف): «ويطهر» في هذا الموضع والذي قبله.

(٧) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (١/ ٤٠٥).

(٧) ـ ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُم بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ قيل: هي المذكورةُ في قوله: ﴿وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ [المائدة: ٣].

وقيل: هي إثباتُ الرُّخصِ المذكورةِ في هذه السُّورة.

وقيل: هي الإسلام.

وقيل: هي كلُّ النِّعَم، وأفردَ لأنَّه اسمُ جنس.

وقوله تعالى: ﴿وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُم بِهِ﴾؛ أي: عهدَه الذي عاهدَكم به، وأوثقَه[1] عليكم، وهو مِن العقودِ المذكورةِ في صدر هذه السُّورة.

وقيل: هو قَبولُ[2] الأمرِ والنَّهي.

وقيل: هو عهدُ الله الذي أخذَهُ على العباد بعد الإيمانِ؛ بأداءِ حقوق اللهِ، وحقوقِ العباد.

وقال ابنُ عباس رضي الله عنهما: هو بيعة الرضوان[3]، يقول: واذكروا أيضاً ميثاقه؛ أي: ميثاقَ رسول الله ﷺ الذي واثقَكم به، حين بايعتُموه على السَّمع والطَّاعة في المنشطِ والمكره، وقد كان ذلك غيرَ مرَّةٍ؛ ليلةَ العقبة، وتحتَ الشَّجرة،

---

(١) في (ف): «وأوقعه».

(٢) في (أ): «قول».

(٣) لم أقف عليه، وأخرج الطبري في «تفسيره» (٨/ ٢٢٠) عن ابن عباس رضي الله عنهما أنَّه قال في تفسيرها: يعني: حيث بعث الله النبي ﷺ، وأنزل عليه الكتاب، فقالوا: آمنَّا بالنبي وبالكتاب، وأقررنا بما في التوراة، فذكَّرهم اللهُ ميثاقَه الذي أقرُّوا به على أنفسِهم، وأمرهم بالوفاء به.

وبعد دخول المدينة، فأضافَهُ إلى نفسِه؛ تشريفاً للنبي ﷺ، كما قال في سورة الفتح: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ [الفتح: ١٠]، لهذا، أو لأنَّه[١] كان بأمرِ الله.

وقوله تعالى: ﴿إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾؛ أي: سمعنا قولَك، وأطعنا أمرَك، وكان أهلُ بيعةِ الرِّضوان ألفاً وستَّ مئةِ رجلٍ مخلص[٢].

وقال ابنُ عباس رضي الله عنهما في روايةٍ: هو ميثاقه على بني إسرائيل[٣]، وقد مرَّ بيانُه في سورة البقرة في آيات.

وقال مجاهدٌ رحمه الله: هو ميثاق ذريَّة آدم[٤]، وكذلك قال الكلبيّ[٥]، وقال: «اذكروا»؛ أي: احفظوا.

وقوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾؛ أي: في نقض الميثاق، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾؛ أي: بسرائر الصُّدورِ، مِن الخيرِ والشَّرِّ، وهذا وعدٌ ووعيد.

وقال الإمام القشيري رحمه الله: الآيةُ إشارةٌ إلى التَّعريف السَّابق، الذي لولاه لما

---

(١) في (ف): «ولأنه».

(٢) هو قول موسى بن عقبة، نقله عنه الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (٧/ ٤٤١)، وفي «صحيح البخاري» (٤٨٤٠)، و«صحيح مسلم» (١٨٥٦) من حديث جابر أن الذين بايعوا النبي ﷺ يوم الحديبية ألف وأربع مئة. وفي «صحيح البخاري» (٣٥٧٦)، و«صحيح مسلم» (١٨٥٦): (٧٢) عن جابر أيضاً أنهم كانوا خمس عشرة مئة. وذكر الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» الخلاف في ذلك، وجمع بين الروايات بأنهم كانوا أكثر من أربع مئة، فمن قال: ألفاً وخمس مئة جبر الكسر، ومن قال: ألفاً وأربع مئة ألغاه.

(٣) روى الطبري في «تفسيره» (٨/ ٢٢٠) عنه معناه، وذكرت نصه قريباً فانظره.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٢٢٠).

(٥) انظر: «التفسير البسيط» للواحدي (٧/ ٢٨٨).

عَلِمتَ مَن هو، فأمرَهم بتَذكُّرِ ما سبقَ لهم من القسَم وهو[١] في كتْمِ العدم، ما للأغيارِ عنهم خبر، ولا لهم عينٌ ولا أثر، ولا وقع لأحدٍ عليهم بصر[٢]، وقد سمَّاهم بالإيمان، وحكمَ لهم بالغُفران قبل حصولِ العصيان، ثمَّ لـمَّا أظهرَهُم، عرَّفهم التوحيدَ قبل أنْ كلَّفهُم الحدودَ، وعرضَ عليهم بعد ذلك الأمانةَ، وحذَّرهُم الخيانةَ، فقابلوا قولَه بالتَّصديق، ووعدوا مِن أنفسِهم الوفاءَ بشرطِ التَّحقيق، فأمدَّهم بحسن التَّوفيق، وثبَّتَهم[٣] على سواءِ الطَّريق، ثمَّ شكرَهُم حيث أخبرَ عنهم بقوله: ﴿إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾، ثمَّ قال: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ أي: في نقضِ ما أبرمتُم مِن العقود، والرُّجوعِ عمَّا قدَّمتم من العهود؛ إنَّه عليمٌ، لا يخفى عليه شيءٌ مِن خطراتِ قلوبِكم، وفكرات[٤] صدوركم.

* * *

(٨ ـ ١٠) ـ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (٨) وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ (٩) وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ﴾ وهذا من العقود[٥] أيضاً، وفسَّرنا ذلك في سورة النساء[٦].

---

(١) في «لطائف الإشارات»: «وهم».

(٢) بعدها في (ر): «وقد سبق». وهي مقحمة.

(٣) في (ف): «ونبههم».

(٤) كذا في (ر) و(ف)، وفي «لطائف الإشارات»: «ونيات».

(٥) من قوله: «عما قدمتم من» إلى هنا ليس في (أ).

(٦) عند تفسير الآية (١٣٥).

وقيل: أراد هاهنا(١): أكملتُ لكم دينكم، فكونوا قائمين(٢) بأمرِ الدِّين، في حياةِ نبيِّكم وبعد وفاته، مُبيِّنينَ مُبرهنِينَ مُبلِّغينَ مُعلِّمين.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَئَانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟﴾؛ أي: ولا يحملنَّكُم بغضُ قومٍ على تركِ العدلِ فيهم.

وقوله تعالى: ﴿ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ ﴿هُوَ﴾ إشارةٌ إلى العدلِ المذكور دِلالةً في قوله: ﴿ٱعْدِلُوا۟﴾، **وقولِه تعالى:** ﴿أَلَّا تَعْدِلُوا۟﴾، ولا يُقال: العدلُ تقوى، ولا يكونُ الشَّيءُ أقربَ إلى نفسِهِ؛ لأنَّ معناه: وعدلُكم في حقِّ الأولياءِ والأعداء أقربُ إلى أن تكونوا متَّقين مجتنبين كلَّ السَّيِّئات.

وقيل: معناه: أقربُ إلى اتِّقاءِ النَّارِ والعقوبات.

وقوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾؛ أي: في كلِّ أمرٍ ونهي.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ هو وعدٌ ووعيد، ولذلك ذكرَ بعدها آيتين؛ إحداهما في الوعد، وذلك **قوله:** ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۙ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾، وهذا ظاهرٌ، والأخرى في الوعيد، وذلك **قولُه:** ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾، وهذا ظاهرٌ أيضاً، ثمَّ قولُه: ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ﴾، وقوله: ﴿وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ مرفوعان، ولم يُنصبا بقوله: ﴿وَعَدَ﴾؛ لأنَّهما على الاستئناف، وما قبلَهُ تامُّ المعنى؛ لأنَّ الوعدَ المطلقَ هو الإطماعُ في المسارِّ.

وقيل: قوله: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَئَانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟﴾ في حقِّ اليهودِ

---

(١) بعدها في (ر): «اليوم».

(٢) في (ف): «قوامين».

الذين ذهبَ النَّبيُّ ﷺ يَستعينُ بهم في ديةٍ، فهمُّوا بقتلِه، وقصدَ المسلمون مجازاتَهم، فنزلَت هذه الآية[1].

ولا يقال: إنَّ قتلَ الكفَّار جائزٌ، بل[2] واجب فما[3] معنى الأمر بالعدل فيهم؟ لأنَّا نقولُ: قد تقعُ المعاملةُ منَّا معهم لا على وجهِ العدلِ بالمثلةِ والقذفِ بالفاحشة وقتْلِ الأولاد الصغار لغيظ الكبار، وذلك محرَّمٌ علينا في مقابلة[4] الكفَّار.

***

(١١) ـ ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ ﴾ قال الكلبيُّ: بعث رسولُ الله ﷺ سريةً سبعةً وعشرين رجلاً إلى بني عامرِ بن صعصعة، وكان طريقُهم على بني سُليم، وأمَّرَ عليهم المنذرَ بنَ عمرو، فنزلوا على بني سُليم، وهم صلحٌ لرسول الله ﷺ، فبعث بنو سُليم إلى بني عامر، فأخبَروهم بأمرِ القوم، فلمَّا كان عند الرحيلِ أضلُّوا بعيراً لهم، فتَخلَّفوا، وسارَ المنذِرُ حتَّى أتاهُم وقد جمعوا لهم، واستعدُّوا بالسِّلاح، فالتقوا ببئر معونة، فاستُشهِدوا جميعاً، ثم إنَّ الأربعةَ الذين تَخلَّفوا لطلبِ البعيرِ اتَّبعوا أصحابَهم،

---

(١) أخرجه الطبري: (٨/ ٢٢٣) من قول عبد الله بن كثير، وخبر استعانة النبي ﷺ باليهود في «سيرة ابن هشام» (١/ ٥٦٣)، وفيها أنه نزل في هذه الواقعة الآية التالية، وهي قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ...﴾.

(٢) بعدها في (ر): «هو».

(٣) في (ر): «كما»، وفي (ف): «جاء» بدل: «فما»، والعبارة غير واضحة.

(٤) في (ف): «مقاتلة».

فلقيتهم أمةٌ لبني عامر مسلمةٌ، فقالت: مِن أصحاب محمَّدٍ أنتم؟ قالوا: نعم؛ رجاءَ أن تُسلِم، قالت: النَّجاء النجاء، فإنَّ إخوانَكم[1] قتلوا جميعاً على الماء، تعتورهم النُّسورُ والعقبان، فقال أحد الأربعة: ما ترون؟ قالوا: نَرى أن نرجعَ إلى رسول الله ﷺ، فنخبرَهُ بالأمر، قال: لا، ولكنِّي والله لأتغدينَّ[2] مِن غداء أصحابي، ارجعوا واقرؤوا على رسول الله ﷺ سلامي، قالوا له: فأمهِلنا حتَّى نَتغيَّبَ عنك، فلمَّا تغيَّبوا عنه، صعِدَ الجبلَ، فأشرف على أصحابه، فإذا هم مقتولون، وإذا المشركون قعودٌ يَتغدَّونَ، فانحدرَ بسيفِه فجالدَهم حتَّى قُتِلَ.

وقصدَ الثَّلاثةُ[3] المدينةَ، فلقوا رجلينِ من بني سُليم خارجين من المدينة، فقالوا لهما: من أنتما؟ قالا: مِن بني عامر، قالوا: من الذين قتلوا إخوانَنا[4]، فقتلوهُما لا يَشكُّون أنَّهما مِن بني عامر، وأخذوا سَلَبَهُما، ثمَّ دخلوا المدينةَ، فوجدوا الخبرَ قد سبق إليه، فقال لهم: «قتلتُم رجلين من بني سُليم، مِن أهل ميثاقي، وهذه كسوتُهما بئس ما صنعتم».

وجاء رهط السُّلمين، فقالوا: يا رسول الله، أَقِدنا مِن قتل صاحبينا، فقال لهم: «ليس لكم القوَد؛ لأنَّ صاحبيكم اعتزيا إلى عدوِّنا من بني عامر، ولكنَّا نؤدِّي إليكم ديتَهما».

فانطلقَ رسولُ الله ﷺ يسألُ من ميثاقِه، ومعه أبو بكرٍ وعمرُ وعثمان وعليٌّ رضي الله عنهم، فبدأ ببني قريظة[5]، فأتاهم فقال: «تَعلمون ما أصابنا من دمِ الرَّجلين،

---

(١) بعدها في (ر): «قد».

(٢) في (ف): «لا أتغدين».

(٣) بعدها في (ر): «إلى».

(٤) في (أ): «أخوالنا».

(٥) في «تفسير مقاتل» (١/ ٤٥٩)، و«تفسير الثعلبي» (٤/ ٣٥) أنه ﷺ بدأ ببني النضير.

ونحن نريدُ أنْ نؤدِّي ديَتهما، فاتَّخذوا عندنا يداً نجزيكم بها»، قالوا: مرحباً يا أبا القاسم، إخوانُنا بنو النَّضير، لا نَقضي أمراً دونَهم، نُعلِمُهم ذلك، ثمَّ تأتينا يومَ كذا وكذا، وقد جمعنا لك الذي تُريد.

فرجعَ رسولُ الله ﷺ، فلمَّا كان ذلك اليوم، أتاهم ومعه أبو بكر وعمرُ وعثمانُ وعليٌّ رضي الله عنهم، فأدخلوهُ في صُفَّةٍ لهم، ثمَّ خرجوا يَجمعون السِّلاح، ويَنتظرون كعب بن الأشرف وهو غائبٌ بالمدينة[١] أن يَقدُمَ عليهم؛ ليثوروا به، فنزل جبريلُ عليه السلام، فأخبرَهُ بما يُرادُ به.

فقام رسولُ الله ﷺ، ولم يُؤذِن أحداً مِن أصحابِه؛ مخافةَ أنْ يثوروا به، فخرجَ فقام على الباب، فلمَّا أبطأ على أصحابِهِ، خرجَ أبو بكرٍ في طلبِه، فإذا هو بالباب، فقال: «قد غدرَت بي اليهود ـ اللهمَّ العنْهُم ـ فقم[٢] مكانك، فإذا خرج بعضُ أصحابِكَ فأخبرهُ الخبرَ، وأقِمهُ مكانَك حتَّى يَخرجَ إليه صاحبُه»، ففعلَ، ثمَّ خرجَ عمرُ، فقال له ذلك، ثم خرج عثمانُ[٣]، فقال له عمر ذلك، ثم خرج عليٌّ، فقال له عثمانُ ذلك، حتَّى لحقوه، ونزلت هذه الآيةُ، وعلمَ به اليهودُ بعد ذلك، فتحيَّروا، فقوله[٤]: ﴿ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ خطابٌ لكل الصحابة[٥]؛ فإنَّ النَّبيَّ ﷺ لو أصيبَ كان[٦] ذلك على الكلِّ[٧].

---

(١) بعدها في (ف): «إلى».

(٢) في (ف): «فقف».

(٣) قوله: «فقال له ذلك، ثم خرج عثمان» من (ر).

(٤) في (ف): «وذلك قوله تعالى».

(٥) في (أ): «أصحابه».

(٦) في (ف): «لكان».

وقوله تعالى: ﴿إِذْ هَمَّ قَوْمٌ﴾؛ أي: قصدَ قوم[1]. ﴿أَن يَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾ أي: يَمدُّوها بالقتل.

وقوله تعالى: ﴿فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ﴾؛ أي: منعَها.

وقوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾؛ أي: في كلِّ شيءٍ، واثبُتوا على التَّقوى.

وقوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ وأنتم مؤمنون، فافعلوا ذلك.

وقال جابرُ بنُ عبد الله الأنصاريُّ: نزلَ رسولُ الله ﷺ منزلاً، وتَفرَّق النَّاس في العضاهِ[2] يَستظِلُّون تحتَه، فعلَّقَ النَّبيُّ ﷺ سلاحَهُ بشجرةٍ، فإذا أعرابيٌّ جاء إلى سيف رسولِ الله ﷺ فسلَّهُ، ثمَّ أقبلَ على النبيِّ ﷺ فقال: مَن يمنعُك منِّي؟ فقال: «الله تعالى»، قالَها ثلاثاً، والنبيُّ ﷺ يقول: «الله»، فشامَ[3] الأعرابيُّ السَّيفَ، فدعا رسولُ الله ﷺ أصحابَه فأخبرَهم، فنزلَتِ الآية.

وذكر قتادةُ: أنَّ قوماً أرسلوا هذا الأعرابيَّ، وفيهم نزلَت هذه الآية[4].

وعن قتادة أيضاً: أنَّ هذا كان في الغزوة السابعة، وقد نزلَ بنخلةٍ، فأرادَ بنو ثعلبة وبنو محارب أنْ يَفتِكوا به، وندبوا هذا الأعرابيَّ لذلك، وفيها نزلَت صلاة الخوف[5].

= (٤/ ٣٥) نحوه مختصراً عن مجاهد وعبد الله بن كثير وعكرمة والكلبي.

(١) في (ف): «قصدوا» بدل: «قصد قوم».

(٢) العضاه: شجر أم غيلان، وكل شجر عظيم له شوك، الواحدة: عِضَةٌ، بالتاء، وأصلها: عِضهة. انظر: «النهاية في غريب الحديث» (مادة: عضه).

(٣) الشيمُ: الإغماد، وهو من الأضداد، يكون سلاًّ وإغماداً. انظر: «النهاية» (مادة: شيم).

(٤) رواه عبد الرزاق في «تفسيره»: (٦٨٤)، ومن طريقه الطبري: (٨/ ٢٣٢ ـ ٢٣٣). وهو بألفاظ قريبة في «صحيح البخاري» (٤١٣٩)، و«صحيح مسلم» (٨٤٣) دون قول قتادة الأخير.

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٢٣٢).

وقيل: كان ذلك حين حاصرَ غطفان، وجاءَ هذا الأعرابيُّ ورسولُ الله ﷺ متقلِّدٌ سيفَه، فقال له: يا محمَّد، أرني سيفَك، فأعطاهُ، فجعلَ يهزُّه، ويقولُ: مَن يمنعُك منِّي، إلى آخره كما ذكرنا[١].

***

(١٢) ـ ﴿ ۞ وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ اتصالُها بما قبلَها أنَّ الله تعالى يقولُ لنبيِّه: لا تَعجبنَّ مِن نقض هؤلاء اليهود ميثاقهم معك، وقصدِهم قتلَك؛ فإنَّهم مِن أولادِ قومٍ أخذنا ميثاقَهم فنقضوا.

وقوله تعالى: ﴿وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾ أي: وبعثَ موسى هؤلاءِ بأمرِنا، والنَّقيبُ هو الملِكُ على قولِ ابن عبَّاس؛ أي: على كلِّ سبطٍ مِن بني إسرائيل ملكاً ورئيساً[٢]، وهو مَنْ نَقَّب الشَّيء، سُمِّيَ به؛ لأنَّه يُنقِّبُ عن أحوالِ قومِه، فيَقِفُ على مكنونِ أسرارِهم، ومنه المناقب، وهي الفضائل؛ لأنَّها تَظهرُ بالتَّنقيب عنها.

وقيل: النُّقباءُ: الأمناء[٣]، وبعثَ موسى من الأسباطِ الاثني عشر اثني عشر أميناً؛ ليَتعرَّفوا أخبارَ القوم الذين كانوا بأرض الشام مِن الجبَّارين، وكان الله وعدَ بني

---

(١) في (ر): «ذكرناه»، وفي (ف): «ذكر». وانظر: «تفسير الثعلبي» (٤/ ٣٥).

(٢) انظر: «تفسير أبي الليث» (١/ ٤٢٢).

(٣) هو قول الربيع، رواه عنه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٢٣٦).

إسرائيل حين أخرجَهُم مِن مصر أنْ يَجعلَ تلك البلادَ لهم، فأمرَهُم موسى بالمسيرِ إليهم لقتالِهم، واختارَ مِن كلِّ سبطٍ رجلاً منهم، يتجسَّسون[١] الأخبارَ، ويَرجعون فيُخبرون قومَهم، فيعمَلون[٢] على ذلك.

وقيل: هم الأمراء.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: وقال أبو عوسجة: هم المنظورُ إليهم، والمصدورُ عن رأيِهم.

وقال أبو عبيد: هم الأمناءُ والضُّمناء[٣].

وقال مقاتل: هم الشهداء[٤].

وقال محمَّدُ بنُ إسحاق: هم الكفلاء. وقال هو: وأسماؤُهم فيما يُذكر أهل التوراة: بحشون[٥] بن عميم رأسُ سبطِ بيت يهوذا، ويااليل بن صَعُوراء رأسُ سبطِ بيت يشتاخر، وإلياب بن جولان رأسُ سبط بيت زبالون[٦]، ونصور بن شازورا[٧] رأسُ سبطِ بيت روبيل، وشلامور بن صوريا رأسُ سبطِ بيت شمعون، والياسف بن رعويل رأسُ سبطِ بيت حاذٍ، واليَسع بن عيهود رأسُ سبط بيت أفراييم بن يوسف، وجميل بن ترينون رأسُ سبط بيت منشا بن يوسف، وأبيدن بن خرعون رأس سبط

---

(١) كذا في النسخ، ولعل الصواب: «يتحسسون».

(٢) في (ر): «فيعلمون».

(٣) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٣/ ٤٨٠).

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» (١/ ٤٦٠).

(٥) في (ر): «يجشون»، ووقع بعدها فيها: «لقيام».

(٦) في (أ): «ذبالون»، وفي (ف): «روبالون».

(٧) في (ف): «شابورا».

بيت بنيامين، وخيعور بن شبوذا رأسُ سبط بيت دان، وخيعل بن جعون رأسُ سبطِ بيت أنشا بن يعقوب، وأجزع[١] بن عينان رأسُ سبط بيت نفتايل[٢].

وفي بعض الروايات: من سبطِ روبيل شامول بن بكول، ومن سبطِ شمعون ساقط بن حزن، ومن سبطِ يهوذا كالب بن يوفنَّا، ومن سبطِ أفراييم بن يوسف يوشع بن نون، ومن سبطِ بنيامين رقود[٣] بن فلطا، ومن سبطِ زبالون[٤] جدي[٥] بن شوراهم، ومن سبطِ منشا بن يوسف جويّ بن شوسا، ومن سبط دان حمايل بن آزر، ومن سبط أنشا تور بن مكايل، ومن سبط نفتايل فولايل بن مكيد، ومن سبط يشاخر[٦] أخدع بن عينان[٧].

سارَ بهم موسى عليه السَّلام إلى الأرض المقدَّسةِ بأمر الله تعالى، حتَّى إذا نزلَ بريةً[٨] بين مصر والشام، وهي بلادٌ ليس بها خَمَر[٩]، دعا موسى ربَّه حين آذاهم

---

(١) في (ف): «وأخرع»، وفي (ر): «وأخزع».
(٢) وردت أسماء النقباء في رواية ابن إسحاق في «تفسير الطبري» (٨/ ٢٣٩ ـ ٢٤٠)، وفيه اختلافٌ عما هنا، وبعض الأسماء فيه موافق لما سيأتي في الرواية التالية، فمن أرادها فليرجع إليها فيه.
(٣) في (ف): «رفود».
(٤) في (أ) و(ف): «ذبالون».
(٥) في (ف): «خدي».
(٦) في (أ): «يستاحر».
(٧) قوله: «ومن سبط يشاخر أخدع بن عينان» ليس في (ف).
(٨) في «تفسير الطبري»: «نزل التيه».
(٩) في (ف): «بلاد محرَّة»، وفي «تفسير الطبري» (٨/ ٢٣٩): «بلاد ليس فيها خمر ولا ظل» بدل: «بلاد ليس بها خمر». ووقع في هامش (أ) ما نصه: «الخمر: ما وراك من الشجر أو من الجرف». وانظر: «النهاية» لابن الأثير (مادة: خمر).

الحرُّ، فظلَّلَ الله بالغمام[١]، ودعا لهم بالرِّزق، فأنزلَ الله تعالى عليهم المنَّ والسَّلوى، وأمرَه[٢] الله تعالى أن يُرسِلَ رجالاً يتجسَّسون[٣] له أخبارَ الأرض المقدَّسةِ التي وهبَ اللهُ لبني إسرائيل، فقال لهم: اصعدوا الجبلَ، وانظروا ما في الأرض التي يسكنونَها أقليلٌ أم كثير؟ وهم أقوياءُ أم ضعفاء؟ وانظروا أرضَهم، أذاتُ شجرٍ مثمرة، أم لا؟ وإن كانت ذات شجرٍ مثمرةٍ فاحملوا إلينا من ثمرِها[٤].

فحملوا عنقوداً بين خمسةِ رهْطٍ، وسمُّوا ذلك الوادي وادي العنقود، ثمَّ رجعوا بعد أربعين يوماً، فأتَوا موسى وهارون، وقصُّوا عليهما، وقالوا: هي أرضٌ تَفيضُ لبناً وعسلاً، وهذه من ثمرِها، وأهلُها أقوياءُ أشدَّاءُ، ولهم حصونٌ وثيقةٌ، فقال كالوب[٥] ويوشع: إنَّ لنا بهم قوة، وقال الباقون: إنَّ بها جبابرةً، ورجالاً جساماً، ونحن في أعينِهم مثلُ الجراد، وبكوا من ذلك، فخرَّ موسى وهارون سجوداً، وخرَّق كالوب ويوشع ثيابَهما.

فأوحى اللهُ تعالى إلى موسى: إنْ كان أولئك لا يَقدِرون على دخولِها، فإنِّي غَفرتُ لهم بكلمتِك، وأمَّا كالوب ويوشع فإنِّي أدخلُهما تلك الأرضَ حتَّى يراهما[٦] مَن فيها مِن العماليق والكنعانيين.

---

(١) في (أ) و(ر): «الغمام».

(٢) في (أ) و(ف): «وأمر»، وفي «تفسير الطبري»: «وأمر الله موسى».

(٣) كذا في النسخ، ووقع في «تفسير الطبري»: «يتحسسون»، وهو الأصح.

(٤) انظر رواية ابن إسحاق في «تفسير الطبري» (٨/ ٢٣٨ ـ ٢٤١).

(٥) كذا! وفي «تفسير مقاتل» (١/ ٤٦٦)، و«تفسير الطبري» (٨/ ٣٠١): «كالب»، وكذا ذكر اسمه في ما سلف.

(٦) في (ف): «نريهما».

وقيل: لمَّا أرادَ موسى أنْ يبعثَ هؤلاء، قالوا: إنَّ أولئك أقوياء، ونحن نخافُهم، فوعدَهُمُ الله الحفظَ بما شرَطَ عليهم[١]، وذلك قولُه تعالى: ﴿وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ﴾؛ أي: قال لهم: إنِّي حافظُكم، كما قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠]، ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ﴾ [الأنفال: ١٢]، وقال موسى: ﴿كَلَّآ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي﴾ [الشعراء: ٦٢]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨].

وقوله تعالى: ﴿لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾، قولـه: ﴿لَئِنْ﴾ لام قسم، وقولـه: ﴿لَّأُكَفِّرَنَّ﴾ لامُ جواب، و﴿ٱلصَّلَوٰةَ﴾ اسمُ جنس، وأريد بها كلُّ الصَّلوات، والتَّعزير: النُّصرة في قول الزَّجَّاج[٢] والتعظيم في قول أبي عبيدة[٣]، وأنشد:

وكم من ماجدٍ لهم كريمٍ ... ومِن ليثٍ يُعزَّرُ في النَّدِيِّ[٤]

وأصلُ العَزْرِ: المنع، قال القطاميُّ:

ألا بَكَرَتْ سلمى بغيرِ سَفاهةٍ ... تُعَنِّفُني والمرءُ ينفعُه العَزْرُ[٥]

---

(١) «بما شرط عليهم» ليس من (ف).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ١٥٩).

(٣) نص قول أبي عبيدة في «مجاز القرآن» (١/ ١٥٦): وعزَّرتموهم: نصرتموهم وأعنتموهم ووقَّرتموهم وأيَّدتموهم.

(٤) البيت دون نسبة في «مجاز القرآن» (١/ ١٥٧)، و«الأضداد» للأنباري (ص: ١٤٧). والنَّديُّ والنادي والنَّدوةُ والمنتدى: مجلس القوم نهاراً، أو المجلس ما داموا مجتمعين فيه. انظر: «القاموس» (مادة: ندا).

(٥) انظر: «ديوان القطامي» (ص: ١٢٤)، وفيه: «مي» بدل: «سلمى»، و«تعاتب والمودود» بدل: =

والتَّعزيرُ المشروع في حق الجُناة: هو منعُهم عن المعاودةِ[1] بالتَّأديبِ، وتعزيرُ الأنبياء: نصرتُهم بمنعِ الأعداء عنهم.

وقيل: العَزْرُ متعدٍّ، والتَّعزير: التَّكثير، والتَّكرير منه، وهو نصرتُهم مرَّةً بعد أخرى.

والإقراضُ الحسَنُ: وراء الزَّكاة، وهو الإحسانُ إلى كلِّ محتاجٍ في أيِّ وقتٍ وقعَ مِن غير كراهةٍ في القلب وامتنانٍ على الفقير، بل يَطلُبُ به رضا اللهِ، وتطيبُ به نفسُه.

وقوله تعالى: ﴿فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ قال الكلبيُّ: أي: فمَن نقضَ منكم هذا العهدَ فقد أخطأَ قصْدَ الطَّريق، وضلَّ عن الهُدى.

قال: فأطاع منهم خمسةٌ، أخذوها بحقِّها، وعمِلوا بطاعةِ الله، وأبى سبعةٌ منهم، فاستحلُّوا المحارمَ، وسعَوا في الأرض بالفسادِ، وقَتلوا الأنبياءَ، وخرج خلال الاثني عشرَ نقيباً اثنان وثلاثون كذاباً، يأخذونَ الـمُلكَ بالسَّيف، فلم يَفوا بما أُخِذَ عليهم مِن العهد.

* * *

(١٣) ـ ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ﴾ «ما» زائدة. وقيل: مؤكِّدة.

= «تعنفني والمرء». وظاهر أن معنى العزر في هذا البيت: اللوم كما فسره الأنباري في «الأضداد» (ص: ١٤٧) لا المنع كما ذكر المصنف، فلا يصلح البيت شاهداً لكلامه.

(١) في (ف): «العادة».

قوله تعالى: ﴿لَعَنَّهُمْ﴾؛ أي: طردناهم وبعَّدناهم عن الرَّحمة.

وقال ابنُ عبَّاس رضي الله عنهما: عذَّبناهم بالجزيةِ.

وقال الحسن: مسخناهم(١).

وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَسِيَةً﴾ قرأ حمزةُ والكسائي: ﴿قَسِيَّةً﴾، والباقون: ﴿قَسِيَةً﴾(٢)، والقاسيةُ أظهر، والقَسِيَّةُ أبلغ، والقسوةُ: اليُبْسُ والصَّلابةُ، فلا تَلينُ، ولا تَنقاد لأحكامِ الدين(٣).

وقيل: القَسيَّةُ: الفاسدة، من قولهم: دِرْهمٌ قسِيٌّ؛ أي: فاسد.

وقوله تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ﴾؛ أي: يُغيِّرون كلماتِ التوراة عن مواضعِها، و﴿الْكَلِمَ﴾ جمع كلِمة، كالشَّجر جمعُ شجرة، ولذلك جعل لها مواضع، ولكن قال: ﴿مَوَاضِعِهِ﴾ ذهاباً إلى ظاهره؛ لأنَّه على وزنِ الكذبِ واللَّعب الذي هو واحدٌ مذكَّرٌ.

والتحريفُ له وجهان: كتابةُ غيرِها مكانَها، كما قال: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٧٩].

والثاني: فسادُ التأويل.

وقوله تعالى: ﴿وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾؛ أي: وتركوا نَصيباً ممَّا وُعِظوا به مِن الإيمانِ بمحمَّدٍ.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ﴾؛ أي: أبداً تقِفُ على خيانةٍ منهم،

---

(١) انظر قولي ابن عباس والحسن في «تفسير الثعلبي» (٤/ ٣٨).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٤٣)، و«التيسير» للداني (ص: ٩٩).

(٣) في (ر): «الله عز وجل» بدل: «الدين».

مصدرٌ على وزنِ: فاعلة، كقوله: ﴿فَأُهۡلِكُواْ بِٱلطَّاغِيَةِ﴾ [الحاقة: ٥]، وقوله: ﴿لَيۡسَ لِوَقۡعَتِهَا كَاذِبَةٌ﴾ [الواقعة: ٢]، وهو كقولِهم: سمعتُ راغيةَ الإبل، وثاغيةَ الغنم.

وقيل: معناه: تَطَّلِعُ على فرقةٍ خائنةٍ منهم؛ على النَّعت.

وقيل: أي: على خائنٍ منهم، والهاء للمبالغةِ، كقولهم: فلانٌ راويةُ الشِّعر، وعلَّامة، ونسَّابة.

ويعني به: يهودَ بني النَّضير، منهم كعبُ بنُ الأشرف حين أتاهم النبيُّ ﷺ يَستعينُهم في ديةِ المسلمين، فهمُّوا بقتلِه وقتلِ من معه[١].

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡ﴾ عبد الله بن سلام وأصحابه.

وقوله تعالى: ﴿فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ﴾؛ أي: اترك مكافأتهم للحال[٢]، ﴿وَٱصۡفَحۡ﴾ أي: أعرِض عن قتلِهم إلى وقت الأمرِ بالقتال، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ العافينَ الصافحين، ثم نسخَتْها آيةُ السَّيف.

وقال ابنُ حيَّان: والقليل منهم: كفَّارٌ لا يخونون[٣].

وقال السُّدِّيُّ: من تحريفِهم آيةُ الرَّجم.

وقال إبراهيمُ: كان في التوراة: يا أبناءَ أحباري، فكتبوا: يا أبناء أبكاري[٤].

ثم في قوله: ﴿فَبِمَا نَقۡضِهِم مِّيثَٰقَهُمۡ﴾، وقوله: ﴿وَنَسُواْ حَظّٗا﴾، وقوله: ﴿عَلَىٰ خَآئِنَةٖ مِّنۡهُمۡ﴾ إثباتُ أفعال العباد، وفي قوله تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَا قُلُوبَهُمۡ قَٰسِيَةٗ﴾ إثباتُ

---

(١) انظر ما سلف عند تفسير الآية (١١) من هذه السورة.

(٢) لفظ: «للحال» ليس في (أ).

(٣) انظر: «التفسير البسيط» للواحدي (٧/ ٣٠٦).

(٤) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٣٣).

التَّخليق مِن الله، وهو حجَّةُ[١] أهلِ السُّنَّة والجماعة على الجبريَّة والقدريَّة.

وقال الإمامُ القشيريُّ رحمَه الله: قسوةُ القلبِ: عدمُ التَّوجُّعِ بما يُمتحَنُ به مِن الصَّدِّ، وعن قريبٍ يُمتحَنُ بالرَّدِّ، والرَّدُّ نهايةُ الفراق، وغايةُ البعد، وأوَّل حالِها فوتُ الصَّفوةِ، ثمَّ استيلاءُ الشَّهوةِ، ثمَّ جريانُ الهفوةِ، ثمَّ استحكامُ القَسوةِ، فإن لم يوفَّق للإقلاع عن جملتِها، فهو تمامُ الشِّقوة[٢].

* * *

(١٤) ـ ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَهُمۡ فَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغۡرَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَاوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَسَوۡفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَهُمۡ فَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ﴾ ذكرَ نقضَ العهدِ وتركَ الوفاءِ بالعقد من النَّصارى أيضاً، كما ذكرَ من اليهود.

وقال الحسن: قوله: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ﴾[٣] دليلٌ على أنَّهم ابتدَعوا النصرانيَّة وتلقَّبوا بها[٤].

وفي رواية عنه قال: قيل للنَّصارى: كونوا أنصارَ الله، فقالوا: بل نكونُ نصارى[٥].

---

(١) في (أ): «إثبات».

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (١/ ٤١١).

(٣) لفظ: «قالوا» من (ر).

(٤) انظر: «أحكام القرآن» للجصاص (٤/ ٤٢)، و«التفسير البسيط» للواحدي (٧/ ٣٠٧).

(٥) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٣/ ٤٨٢).

وقوله تعالى: ﴿فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ الإغراءُ بالشَّيء: الإلصاقُ به من جهةِ[1] التَّسليط عليه، قال تعالى: ﴿لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ﴾؛ أي: لنُسلِّطنَّك عليهم.

وقيل: هو التَّحريش[2]، وأصلُه ما قلنا، وقد أغريتُه بالشَّيءِ فغَرِيَ، والغِراء اللُّزوق؛ لما له مِن صفة اللَّزق[3].

وقال الكلبيُّ: ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ﴾ [المائدة: ٦٤]، وهي التي تُفضي إلى التَّعدي بالأفعال[4]، ﴿وَٱلْبَغْضَآءَ﴾ العداوةُ الكامنة في القلب.

وقال إبراهيم: هي الأهواء المتفرِّقة[5].

وقال مقاتلُ بن حيَّان: أغرينا بين النُّسطوريَّة منهم الذين قالوا: عيسى[6] ابنُ الله، وبين اليعقوبيَّة منهم الذين[7] قالوا: إنَّ اللهَ هو المسيحُ بن[8] مريم، وبين الملكانيَّة منهم الذين يقولون: إنَّ الله ثالثُ ثلاثة[9]، فهي عداوةٌ ملصقةٌ لا تُفارقهم، عوقِبوا بها لنقضِهم ميثاقَهم.

---

(١) في (أ): «رؤية».

(٢) في (ف): «التحريض».

(٣) في (أ) و(ر): «اللزوق».

(٤) في (ر): «في الأفعال» بدل: «بالأفعال».

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» للقشيري (٨/ ٢٥٨).

(٦) في (ف): «إن الله هو المسيح».

(٧) من قوله: «قالوا: عيسى ابن الله» إلى هنا ليس في (ف).

(٨) من قوله: «ابن الله وبين» إلى هنا ليس في (أ).

(٩) وهو قول مقاتل بن سليمان في «تفسيره» (١/ ٤٦٣).

وقيل: هذا الإغراءُ بين النَّصارى واليهود، وقد سبق ذكرُهم جميعاً في الآيتين، وذلك ظاهرٌ في قوله: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ الآية [البقرة: ١١٣]، ثمَّ قال: ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ مع ما قال: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ الآية [النساء: ١٥٩].

وقيل: ذلك عند نزولِ عيسى عليه السلام من السماء؛ لأنَّ معناه ـ والله أعلم ـ: بقاءُ هؤلاءِ المصِرِّينَ على نقضِ العهدِ على هذه العداوة إلى الموت.

وقوله تعالى: ﴿وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾ هذا وعيدٌ لهم في الآخرة مع ما ذكرَ لهم من وعيدِ الدُّنيا؛ ﴿يُنَبِّئُهُمُ﴾ به توبيخاً، ثمَّ يُجازيهم عليه تعذيباً وتخليداً.

والوعيدُ بهذا الإغراء ثابتٌ أيضاً في حقِّ اليهود. قال تعالى في هذه السورة: ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ﴾ [المائدة: ٦٤].

* * *

(١٥) ـ ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ خطابٌ لليهود والنَّصارى جميعاً، وقد سبقَ ذكرُهم.

وقوله تعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾؛ أي: محمَّدٌ عليه الصَّلاة والسلام. قال الإمام أبو منصور

رحمه الله: لم يَذكر اسمَهُ؛ ليُعلَم أنَّ الرُّسلَ يُعرفون بالآياتِ المعجزة، دون الأسامي. وفيه دليلٌ أنَّ مَن آمنَ بالرُّسلِ كلِّهم يكون مؤمناً، وإن لم يَعرِف أسماءَهم[1].

و﴿يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا﴾ هو الرَّجمُ المذكور في التَّوراة، والبِشارةُ بالنبيِّ المصطفى محمَّدٍ ﷺ في التَّوراة والإنجيل، وقصَّةُ أصحاب السَّبتِ الذين مُسِخوا قردةً، كانوا يخفونَه[2]؛ لما فيه من السُّبَّة.

وقال الحسين بن الفضل رحمه الله: ومنها ملَّةُ إبراهيم، وحرمةُ لحوم الإبل وألبانِها، كتموها عن السَّفِلة، وقصَّة عيسى.

وقوله تعالى: ﴿وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾؛ أي: يَتركُ بيانَه لكم، وإن أعلمَهُ اللهُ به؛ لأنَّ ما بيَّنَهُ حُجَّةٌ كافيةٌ عليكم.

وروي أنَّ يهوديًّا قال: ما الكثيرُ الذي يَعفو عنه؟ فأعرض عنه، فسأله ثانياً وثالثاً، فأعرضَ[3]، وكان قصد اليهودي أن تظهرَ منه مناقضتُه بتركِ العفو، فلمَّا أعرضَ تيقَّنَ بصدقِه وأسلمَ.

وقوله تعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ﴾ وهو محمَّدٌ ﷺ؛ لأنَّه يُستضاءُ به من ظلماتِ الكفرِ والأهواء.

وقوله تعالى: ﴿وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ﴾ هو القرآنُ، يُبيِّنُ كلَّ شيءٍ بنا إليه حاجةٌ مِن أمورِ الدِّين.

* * *

---

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٣/ ٤٨٤).

(٢) في (ف): «يحرفونه».

(٣) بعدها في (ر): «عنه».

(١٦) ـ ﴿ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَانَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَاتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَانَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَامِ ﴾؛ أي: يُرشِد اللهُ بالقرآن مَن كان همُّه اتِّباعَ مرضاةِ اللهِ بطلب الحقِّ، لا التَّعصُّبِ لدينِ آبائه، إلى طرقِ السَّلامةِ من مكاره الدَّارين.

و﴿ٱلسَّلَامِ ﴾: السَّلامة.

وقيل: ﴿ٱلسَّلَامِ ﴾ هاهنا اسمُ الله تعالى، كما في قوله: ﴿ٱلسَّلَامُ ٱلْمُؤْمِنُ ﴾ [الحشر: ٢٣]؛ أي: إلى طريق الله، وهو دينُ الله.

وقيل: ﴿ٱلسَّلَامِ ﴾ اسمُ الجنَّة، قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَامِ ﴾ [يونس: ٢٥]؛ أي: إلى الطَّريق الذي يُفضي بسالكِهِ إلى الجنَّة.

وقيل: ﴿ يَهْدِى بِهِ ﴾ يرجعُ إلى محمَّدٍ والقرآن؛ لأنَّهما ذُكِرا قبلَه: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴾، وكلُّ واحدٍ منهما يقعُ به الهدايةُ بالدِّلالة، وإنَّما وحَّدَ لأنَّ كلَّ واحدٍ منهما يُساوي الآخرَ في الهداية.

وإنَّما قال: ﴿سُبُلَ ٱلسَّلَامِ ﴾ جمعاً، ودينُ الإسلامِ طريقٌ واحدٌ، ولذلك قال: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ﴾ [الأنعام: ١٥٣]؛ لأنَّ أصلَ الدِّينِ واحدٌ، ولكنَّ طرقَ الطَّاعات مُتفَنِّنةٌ، وكلُّ طريقٍ يُفضي بسالكِه[1] إلى الجنَّة بوعدِ الله على تلك الطَّاعة، ولأنَّ سالكيه متعدِّدون، فجَمعَهُ لاجتماع السَّالكين، كما قال: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ ﴾ [الأنبياء: ٤٧] والميزانُ واحدٌ، لكنَّ الموزوناتِ متعدِّدةٌ، فجمعَ ﴿ٱلْمَوَٰزِينَ﴾ لتعدُّدِ الموزونات.

---

(١) في (ف): «بصاحبه».

وقوله تعالى: ﴿وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ﴾؛ أي: يُخرِجُهم مِن ظُلماتِ الشِّركِ وهي أنواعٌ، إلى نورِ الإيمان وهو واحدٌ.

وقيل: أي: مِن الشُّكوكِ إلى اليقين.

وقيل: أي: من الجَهالاتِ إلى العِلْم.

وقيل: أي: من الضَّلالاتِ إلى الرُّشد.

وقيل: الإخراجُ هاهنا مجازٌ عن الحفظِ، فقد ذكرَ أوَّلاً: ﴿يَهْدِى بِهِ﴾، وما بعد الهداية يكونُ حِفظاً.

وقوله تعالى: ﴿وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾؛ أي: يُثبِّتُهم على الدِّين[1] الحقِّ القيِّم، ومنهم مَن جعلَ قوله: ﴿يَهْدِى بِهِ﴾، ﴿وَيُخْرِجُهُم﴾، ﴿وَيَهْدِيهِمْ﴾ شيئاً واحداً والتَّكرار للتَّأكيد، والصَّحيحُ أنَّ الأوَّلَ إعطاءُ[2] الهداية، والثَّاني: حفظُهم عن الغِواية[3]، والثالث: إبقاؤهم عليه تجديداً للفوائد.

* * *

(١٧) ـ ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ هذا

---

(١) في (ف): «الطريق».

(٢) في (ف): «أعطى».

(٣) في (أ): «عن الهداية» وكتب تحت: «عن»: «على».

توبيخٌ للنَّصارى، وإبطالٌ لقولِهم بقولِهم؛ لأنَّهم قالوا: هو ابنُ مريم، فكيف يكون إلهاً؟ والأمُ أقدمُ من الولدِ، فهو حادثٌ، والحادثُ لا يكون إلهاً، وهو بعضُها في أصلِ الخلقةِ، والمتبعِّضُ لا يكون إلهاً، وهو منتقِلٌ مِن الرَّحِمِ إلى الأرض، والمتمكِّنُ في مكانٍ، والمنتقلُ مِن مكانٍ إلى مكان؛ لا يكون إلهاً.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ استفهامٌ بمعنى النفي؛ أي: فمَن يَمنعُ اللهَ مِن شيءٍ يُريدُ أنْ يفعلَهُ؛ لأنَّ مَن منعَ غيرَهُ عن فعلٍ فقد ملكَ عليه أمرَهُ.

وقوله: ﴿فَمَن يَمْلِكُ﴾ أي: فمن كان يملك؛ لأنَّه[1] ذكرَ إهلاكَ عيسى وأمِّه، وهي مريم، وهي يومئذٍ كانت ميتةً، وإهلاكُها حقيقةً يكونُ في حياتِها، فيكون هذا في معنى الماضي؛ أي: مَن كان يَمنعُ اللهَ عن إهلاك عيسى وإهلاكِ أمه حالَ حياتِها[2]، ونظيرُ هذا[3] المستقبل قولُ القائل:

فانْضَحْ جوانبَ قبرِهِ بدِمائها[4] فلقد يكونُ أخا دمٍ وذبائحِ[5]

أي: فلقد كان يكون.

وقيل: أرادَ بالإهلاكِ: التَّعذيبَ في القيامة، وبيَّن بهذا غايةَ ضلالتِهم في اعتقاد عيسى إلهاً مع أنَّه مقدورٌ عليه، مقهورٌ مجبور.

---

(١) بعدها في (ر): «كان».

(٢) في (ر): «حياتهما».

(٣) بعدها في (ف): «في».

(٤) في (أ): «برجائها». وهو تحريف

(٥) البيت لزياد الأعجم يرثي المغيرة بن المهلب، انظر: «الشعر والشعراء» لابن قتيبة (١/ ٤٣١)، و«شعر زياد الأعجم» (ص: ٥٤)، وانظر تتمة تخريجه ثمة.

وقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ وعيسى منهم، فكان مملوكاً مخلوقاً.

وقوله تعالى: ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾ كما يشاء، بأبٍ وغير أب، فليس فيه ما يُوهِم أنَّ عيسى إله.

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ يخلق ما يشاء كيف يشاء.

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: من اشتملَ عليه أرحامُ الأمَّهات، متى يفارِقُه نقصُ البَشريَّة؟ ومَن لاحت عليه شواهدُ التَّغيير أنَّى يَليق به نعتُ الرُّبوبيَّة؟ ولو قطعَ البقاءَ عن جميع ما أوجَدَ، فأيُّ نقصٍ يعودُ إلى الصَّمديَّة[1]؟

* * *

(١٨) ـ ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾ قال محمَّدُ بنُ إسحاق: قال ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: إنَّ نعمانَ بنَ أضاء، وبحريَّ بنَ عمرو[2]، وشاس بنَ عَدي، كلَّموا رسول الله ﷺ، فدعاهُم إلى الله، وحذَّرهُم نِقْمتَه، فقالوا: ما تُخَوِّفُنا يا محمد، فنحن أبناءُ الله وأحباؤه[3].

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (١/ ٤١٣ ـ ٤١٤).

(٢) تحرف اسماهما في النسخ الخطية إلى: «عثمان بن أمار وجدي بن عمرو». والمثبت من مصادر تخريج الخبر.

(٣) رواه ابن إسحاق كما في «سيرة ابن هشام» (١/ ٥٦٣)، والطبري في «تفسيره» (٨/ ٢٦٩).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: إنَّ الآيَةَ نزلت في يهود المدينة، كعبِ بن الأشرف، وكعبِ بن أسد، وسعيد بن عمرو، ووهب بن يهوذا، وزيد بن التَّابوت، وبحريِّ[١] بن عمرو، وسائر رؤساء اليهود، ومن نصارى نجران السيِّدُ والعاقِبُ ومَن معهما، خاصموا أصحابَ رسول الله ﷺ في الدِّين، فعيَّرهم أصحابُ رسولِ الله ﷺ بالكفرِ، وبغضبِ الله عليهم، فقالت اليهود: إنَّما غضبَ[٢] اللهُ علينا كما يغضبُ[٣] الرَّجلُ على ولدِه، ثمَّ يَرضى عنه، وإنَّا أبناءُ الله وأحباؤه.

وهم معترفون أنَّهم يُعذَّبون في النَّارِ أربعينَ يوماً، عدَّةَ الأيَّام التي عَبدوا فيها العجلَ، فردَّ اللهُ عليهم بهذه الآية.

وقوله تعالى: ﴿**قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم**﴾؛ أي: بالنَّارِ، ولا يُعذِّبُ والدٌ ولدَهُ بالنَّار.

وقال الإمامُ أبو منصور رحمه الله: أي: لم جعلَ منكم القردةَ والخنازيرَ، والوالِدُ لا يَفعلُ ذلك بولده[٤].

وقال سعيدُ بنُ المسيَّب: أرادوا بقولهم: ﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾ أنَّ منَّا عُزَيراً، وهو ابنُ الله على زعمهم، ومنَّا المسيح، وهو كذلك عندَهم[٥]، وهو كقولِ الواحد من القوم: نحنُ الكُتَّاب، ونحن[٦] الفوارس، يعني بذلك: أنَّ منَّا كذا.

---

(١) في النسخ الخطية: «وجدي» وهو تحريف.

(٢) في (ف): (يغضب».

(٣) في (ر) و(ف): «كغضب» بدل: «كما يغضب».

(٤) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٣/ ٤٨٧ ـ ٤٨٨).

(٥) انظر: «التفسير البسيط» للواحدي (٧/ ٣١٦).

(٦) في (ف): «ومنا».

وقوله تعالى: ﴿بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ﴾ أي: خلقٌ مِن خلقِه، فلا بُنوَّةَ.

وقوله تعالى: ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ أي: يَغفِرُ لمَن تابَ مِن النَّصرانيَّةِ واليهوديَّة، ويُعذِّبُ مَن ماتَ عليهما.

وقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ فله التَّصرُّفُ فيهم.

وقوله تعالى: ﴿وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾؛ أي: إلى جزائِه مرجعُ الكلِّ.

* * *

(١٩) ـ ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُوا۟ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ۖ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾؛ أي: يا أهلَ اليهوديَّة والنَّصرانيَّة، وأراد بالكتاب الكتابَين؛ التوراة والإنجيل، وكذلك فيما تقدَّمَ في هذه السُّورة، لكنَّ الكتابَ مصدرٌ، أو اسمُ جنسٍ، فصلحَ للتَّثنية، ولأنَّهما[1] يَعتقدان التَّوراة، فأضيفوا جميعاً إليها.

وقوله تعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا﴾؛ أي: محمَّدٌ ﷺ.

وقوله تعالى: ﴿يُبَيِّنُ لَكُمْ﴾؛ أي[2]: ما لكم وعليكم.

وقوله تعالى: ﴿عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾؛ أي: حالَ فتورِ أمرِ الرُّسلِ بانقطاعِ مجيئِهم مدَّةً يَدْرُسَ فيها الدِّينُ، أو يَكاد يَدرُس.

وقوله تعالى: ﴿أَن تَقُولُوا۟ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ﴾؛ أي: لئلَّا يَقولوا يومَ القيامةِ: كنَّا في زمانِ فترةٍ، فاتَّبعْنا النَّاسَ على ما أدركناهُم عليه، ولم يَكن عندنا علمٌ بما بدَّلوا

---

(١) في (ف): «وإنهما».

(٢) بعدها في (ر): «يبين لكم».

وغيَّروا، فقَطَعَ اللهُ احتجاجَهُم بهذا، و﴿أَن تَقُولُواْ﴾ بمعنى: لئلَّا تقولوا، كما بيَّنَّا في قوله: ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ أَن تَضِلُّواْ﴾ [النساء: ١٧٦].

﴿مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٖ﴾؛ يعني: نبيٌّ مبشِّرٌ بالجنَّةِ المطيعين، ﴿وَلَا نَذِيرٖ﴾ يُنذِر بالنَّارِ الجاحدين.

وقوله تعالى: ﴿فَقَدۡ جَآءَكُم بَشِيرٞ وَنَذِيرٞ﴾ وهو محمَّدٌ ﷺ، فانقطعت حُجَجُكم، وبَطَلَتْ معاذيرُكم بإتيانِه وتبيانه.

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ كانوا يقولون: لا رسولَ بعد موسى، فقال: إنَّ اللهَ قادرٌ على إرسالِ محمَّدٍ وإقامةِ المعجزاتِ له، كما كان قادراً على إرسالِ موسى وإقامة المعجزاتِ له، وعلى كلِّ شيء(١).

وقال ابنُ عبَّاس رضي الله عنهما وقتادة: الفترةُ بين عيسى ومحمَّدٍ خمسُ(٢) مئةٍ وستُّون سنة(٣).

وقال الضحاك ومقاتل: ستُّ مئة سنة(٤).

وقال الكلبيُّ ومجاهدٌ: خمسُ مئةٍ وأربعون سنة(٥).

وقال الكلبيُّ: كان بين موسى وعيسى ألف وسبع مئة سنة(٦)، وكان بينهما ألف

(١) في (ف): «وهو على كل شيء قدير» بدل: «وعلى كل شيء».

(٢) في (أ): «ست مئة».

(٣) رواه عن قتادة عبد الرزاق في «تفسيره» (٦٩١)، والطبري في «تفسيره» (٨/ ٢٧٥).

(٤) انظر قول الضحاك في «تفسير الثعلبي» (٤/ ٤٠)، وقول مقاتل في «تفسيره» (١/ ٤٦٤).

(٥) انظر قول الكلبي في «تفسير أبي الليث» (١/ ٤٢٦)، و«تفسير الثعلبي» (٤/ ٤٠).

(٦) ذكره عن الكلبي الزمخشري في «تفسيره» (١/ ٦١٩).

نبيٍّ، وكان بين مولدِ عيسى ومولدِ محمَّد ﷺ خمسُ مئةٍ وتسعٌ[١] وستُّون سنة[٢]، وكان عيسى حينَ رُفِع ابنَ اثنتين وثلاثين سنة وستَّةَ أشهر.

* * *

(٢٠) ـ ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ ﴾؛ أي: واذكُرْ يا محمَّدُ إذ قال موسى لبني إسرائيلَ حين أنجاهمُ اللهُ مِن فرعون وقومِه، وأخرجَهم مِن أرضِ مصر، ووعدَهم إسكانَهُم أرضَ الشَّام، وأمرَهم بجهادِ أهل أرضِ أريحا مِن بلادِ فلسطين، فذكروا أنَّها أرضونَ لا علمَ لهم بها، ولا يَهتدون لوجهِ قتالِ أهلِها، فبَعثَ موسى اثني عشرَ نقيباً يتجسسون[٣] أخبارَها، فأتوهم وهم أقوياءُ طوال، وقد التقطَهُم بعضُهم، وجعلَهم في حجرِه، وجاء بهم إلى ملكِهم، فنثرَهُم بين يديه، وقال: هؤلاء الذين يَغزوننا وخلَّاهُمُ الملكُ؛ ليَرجعوا ويُخبروهم بحالِهم، فجاؤوا موسى فأخبروهُ به، فقال: اكتموا بني إسرائيلَ ما شاهدتُم؛ لئلَّا يَجبُنوا، فلم يَكتُموا إلَّا رجلين[٤]، نذكرُهما من بعد.

---

(١) في (ف): «وسبع».

(٢) ذكر المباركفوري في «الرحيق المختوم» (ص: ٤١) أن مولد سيد المرسلين ﷺ كان في أبريل سنة (٥٧١م) حسبما حققه العالم الكبير المنصورفوري، والمحقق الفلكي محمود باشا.

(٣) كذا، ولعل الأقرب: «يتحسسون».

(٤) هذا الخبر رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٢٩٠ ـ ٢٩١)، وابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» (٥/ ٢٤٥ ـ ٢٤٦) عن ابن عباس. وهذا الخبر من الإسرائيليات الباطلة، كما نبه عليه الشيخ محمد أبو شهبة في «الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير» (ص: ١٨٥).

فانتشـرَ الخبـرُ في بني إسـرائيلَ مِن جهة العشـرة النُّقبـاء، فأظهـروا الامتناعَ عن قتالِهـم، فحَرَّكهـم[١] موسـى علـى الجهاد بهـذا، وهو قولـه: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَعَلَ فِيكُمۡ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكٗا﴾، وذِكْـرُ النعمـةِ يَسـتَدعي الشُّـكرَ، وطاعـةَ المنعـمِ فيمـا أمـر، ونِعَمُ اللهِ كثيـرةٌ، ومنها مـا قـال: ﴿جَعَلَ فِيكُمۡ أَنۢبِيَآءَ﴾ والأنبياءُ بعد إبراهيـم كلُّهم مِن نسـلِ إبراهيـم، وبنو إسـرائيل أولاده.

وقوله: ﴿وَجَعَلَكُم مُّلُوكٗا﴾ قال الحسن: أحراراً تملكون أنفسَكم بعد ما كنتم في أيدي القبط كأهل الجزية فينا[٢].

وقال مقاتل[٣]: أي: لا يُدخَلُ عليكم إلَّا بإذنٍ[٤]، وكان قومُ فرعون يَدخلون عليهم متى شاؤوا[٥] من غير استئذان تهاوناً بهم.

وقال عطاء: ﴿وَجَعَلَكُم مُّلُوكٗا﴾: آتاكم مِن النِّعمةِ: فَلْقَ البحرِ، وإغراقَ العدوِّ، والآيات[٦].

وقال الضَّحَّاك: كانت منازلُهم واسعةً، فيها مياهٌ جاريةٌ ومن كان له مسكنٌ واسعٌ، وفيه ماءٌ جارٍ، فهو ملك[٧].

وقال قتادة: جعلَ لكم الخدمَ مِن بني آدم، وهم أوَّلُ قومٍ جعلَ لهم ذلك[٨].

---

(١) في (ف): «فحرضهم».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٢٨١) لكن من قول السدي، وانظر: «التفسير البسيط» (٧/ ٣٢٢).

(٣) في (ف): «وقيل» بدل: «وقال مقاتل».

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» (١/ ٤٦٥).

(٥) في (أ): «شاء».

(٦) ذكر الواحدي في «التفسير البسيط» (٧/ ٣٢٢) أنه من رواية عطاء عن ابن عباس.

(٧) انظر: «التفسير البسيط» للواحدي (٧/ ٣٢١).

(٨) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٢٨٠ ـ ٢٨١).

وقيل: أي: جعلَكم بعد ما كنتم[١] تُستَعبدون تَقصِدون الملوكَ وتُجاهِدون.

وقال ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما: أي: جعلَ لكم الخَدَمَ والحشَم[٢].

وقال ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه: مَن كان له بيت وخادم فهو ملك[٣].

وقال مجاهدٌ: كان بنو إسرائيل يقولون: من كان له دار وخادم وزوجة فهو ملك[٤].

وقد روى زيدُ بن أسلم عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: «﴿وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا﴾ مَن كان له مسكنٌ وزوجةٌ وخادمٌ فهو مَلِك»[٥].

وقال الحسن في روايةٍ: أي: جعل لكم المركَبَ والخادم[٦].

وقيل: أي: وجعلَ فيكم الأنبياء، وبهم قوامُ الدين، وجعلَ فيكم الملوكَ، وبهم قوامُ الدُّنيا؛ أي: هيَّأ[٧] أسبابَ معاشِكم ومعادِكم، فاشكروا له بطاعتِكم وجهادِكم.

وقوله تعالى: ﴿وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ أي: عالمي زمانِكم.

وقيل: هو التوراة.

---

(١) لفظ: «كنتم» من (ف).

(٢) روى الطبري في «تفسيره» (٨/ ٢٨٠) عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال في الآية: البيت والخادم، وفي رواية أخرى: كان الرجل من بني إسرائيل إذا كنت له الزوجة والخادم والدار يسمى ملكاً.

(٣) لم أقف عليه عن ابن مسعود.

(٤) روى الطبري في «تفسيره» (٨/ ٢٧٩) نحوه عن الحكم.

(٥) رواه أبو داود في «المراسيل» (٢٠٤)، والطبري في «تفسيره» (٨/ ٢٧٩). قال ابن كثير: هذا مرسل غريب.

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٢٧٩).

(٧) بعدها في (ر): «لكم».

وقيل: هو فلقُ البحر.

وقيل: تظليلُ الغَمام، وإنزالُ المنِّ والسَّلوى.

لكن عند بعضِهم كان هذا في التيه، وكان ذلك بعد هذا الأمرِ بالجهاد، فهو على سائر ما أوتوهُ مِن الآياتِ وأنواع الكرامات.

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: أمر اللهُ بني إسرائيلَ على لسان نبيِّه أنْ يَذكروا نعمَةَ الله، وأمر هذه الأمة بخطابِ نفسِه، لا على لسان مخلوق؛ بأنْ يَذكروهُ، فقال تعالى: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ﴾ [البقرة: ١٥٢]، ثمَّ جعلَ جزاءَ أولئك ثوابَه الذي هو فعلُه، وجعلَ جزاء هؤلاء ذكرَه الذي هو قولُه.

وقال في قوله: ﴿وَجَعَلَكُم مُّلُوكٗا﴾ الملِكُ مِن المخلوقين: مَن عبدَ اللهَ الملِكَ الحقيقيَّ. وقال: الملكُ: مَن مَلَك هواهُ، والمملوكُ مَن هو في رِقِّ شهواتِه ومُناه.

قال: ويقال: ﴿وَجَعَلَكُم مُّلُوكٗا﴾ لم يُحوِجكُم إلى أمثالِكم، ولم يَحجبكُم عن نفسِه بأشغالِكم، وسهَّل سبيلَكُم إليه في عمومِ أحوالِكم.

وقال في قوله: ﴿وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمۡ يُؤۡتِ أَحَدٗا مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾: لئن آتى بني إسرائيلَ بمقتضى جودِه، فقد أغنى عن الإيتاء هذه الأمة فاكتفوا بوجوده، والاكتفاء بوجوده أتم من الاستغناء بمقتضى جوده[1].

* * *

(٢١) - ﴿يَٰقَوۡمِ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَارِكُمۡ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ﴾.

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (١/ ٤١٥).

وقوله تعالى: ﴿يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ ﴿ٱلْمُقَدَّسَةَ﴾: المطهَّرة، وقيل: المباركة.

قال ابنُ عباس رضي الله عنهما: هي أرض بيت المقدس أريحا وغير ذلك[١].

وقال قتادة: أرض الشام[٢].

وقال الكلبيُّ: دمشق وفلسطين وبعضُ الأردن[٣].

وتَقدُّسها[٤]: بكونها مستقرَّ الأنبياء والعُبَّادِ والزُّهَّاد.

وقيل: مقدَّسة: مطهَّرة من الشِّركِ والفواحش، وبركتُها: بكثرةِ الماء والشَّجرِ والثَّمر، قال تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾[٥] [الإسراء: ١]، قالوا: بكثرةِ الماء و[٦]الشجر والثَّمر وسَعَة العيش.

وقال ابنُ عبَّاس رضي الله عنهما: هي مدينةُ الجبَّارين[٧].

قوله تعالى: ﴿ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ أي: قضى أنْ يكون لكم، وقيل[٨]: جعلَها اللهُ لكم.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: قيل: أي: كتبَ اللهُ عليكم قتالَ أهلِها

---

(١) روى الطبري في «تفسيره» (٨/ ٢٨٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه فسرها بأريحا.

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٦٩٥).

(٣) انظر: «تفسير الثعلبي» (٤/ ٤٢).

(٤) في (أ): «وتقديسها».

(٥) قوله: «من المسجد الحرام» من (ر).

(٦) قوله: «الماء و» من (ر).

(٧) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٢٩٨).

(٨) بعدها في (ر): «أي».

ليُسلِموا، والـلامُ بمعنـى: «علـى»، كما فـي قولـه: ﴿وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ [الإسـراء: ٧]؛ أي: فعليها(١).

وقال القتبيُّ: أمرَكُم بدخولِها(٢).

فإن قالوا: رُويَ أنَّهم لـمَّا لم يجيبوا إلى الجهادِ(٣) بَقوا في التِّيه أربعين سنةً، وماتوا فيها، فكيف كانت مكتوبةً لهم، وماتوا قبل أن يدخلوها(٤)؟ قلنا عنه أجوبة:

أحدها: أنَّ هذا كان وعداً مقيَّداً بشرطِ الجهاد؛ لأنَّه وإنْ أُطلِقَ في أوَّل هذه الآية، فقد قال في آخرها: ﴿وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَٰسِرِينَ﴾، وقد خالَفوا الشَّرطَ فحُرِموها.

والثَّاني: أنَّ الخطابَ لبني إسرائيل، وقد وقع الفتحُ على أيدي أولادِ هؤلاء، ودخلوها، فتَحقَّق الوعدُ.

والثَّالث: أنَّ بعض مَن بقيَ في التِّيه الذين كانوا مع موسى حين خاطَبهم، منهم يوشع بن نون وكالب؛ قد(٥) فتحوها ودَخلُوها.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَٰسِرِينَ﴾؛ أي: ولا تَرجِعوا مولِّينَ ظهورَكُم منهزمين، فتَخسروا ما وعدَ لكم؛ مِن الاستيلاءِ على بلادِهم في الدُّنيا، ومن الثَّوابِ في العُقبى.

---

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٣/ ٤٩١).

(٢) انظر: «تفسير غريب القرآن» لابن قتيبة (ص: ١٤٢).

(٣) في (ر): «القتال».

(٤) قوله: «وماتوا قبل أن يدخلوها» من (ف).

(٥) في (ف): «وكالوب وقد» بدل: «وكالب قد».

(٢٢) ـ ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾ قال ابنُ عرفة: أي: أهل سَطوةٍ وقهرٍ.

وقال ابنُ اليزيديِّ[1]: ﴿جَبَّارِينَ﴾؛ أي: عظماء.

وقال الأزهريُّ: ﴿جَبَّارِينَ﴾؛ أي: عاتين[2].

وقيل: عِظامُ الأجسام، يُقال: نخلةٌ جبَّارةٌ: طويلةٌ عظيمة.

وقال قتادة: ﴿إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾؛ أي: أشدَّ منَّا قوَّةً، وأطولَ منا أجساماً[3].

وقال الزُّهريُّ[4]: كان عوج الجبَّار في فلسطين، وقد غلبَ عليها كلَّها.

وقال محمد بن إسحاق: كان أهلُ الكتاب يقولون في عوج: إنَّ السَّحابَ كان يكون إلى معقدِ إزارِه، وكان يَضربُ بيدِه الحوتَ مِن أسفلِ البحر، فيَشويهِ بقَرنِ

---

(١) هو أبو إسحاق إبراهيم بن يحيى بن المبارك، بصريّ سكن بغداذ، وكان ذا قدر وفضل، وحظ وافر من الأدب، وكان شاعراً مجيداً، سمع من أبي زيد الأنصاري والأصمعي، وله كتاب «ما اتفق لفظه واختلف معناه» و«مصادر القرآن» و«المقصور والممدود»، توفي سنة (٢٢٥هـ). انظر: «إنباه الرواة» للقفطي (١/ ٢٢٤ ـ ٢٢٦)، و«بغية الوعاة» للسيوطي (١/ ٤٣٤ ـ ٤٣٥).

(٢) انظر أقوال ابن عرفة وابن اليزيدي والأزهري في «الغريبين» للهروي (١/ ٣٠٩ ـ ٣١٠) (مادة: جبر)، ووقع في مطبوعه: «عاتبين» بدل: «عاتين»! وانظر أيضاً «تهذيب اللغة» للأزهري (١١/ ٥٨).

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٧٠١).

(٤) في (ف): «الأزهري».

الشَّمس، ثمَّ يأكلُه، وكان عُمُرُ[1] ثلاثةَ آلافٍ وست مئة سنة، وولد في دار[2] آدم، ثمَّ عاش حتى قتلَهُ موسى عليه السَّلام[3].

وقيل: كان طولُ هؤلاء الجبارين ثمانين ذراعاً.

وقيل: مئة ذراع.

وقيل: أربع مئة ذراع.

وقيل[4]: ثمان مئة ذراع.

وقيل في عوج: عاج بن عوج.

وقيل: هو الذي أخذَ الاثني عشر نقيباً وجعلَهم في كُمِّه، ثمَّ خلَّاهم، فلمَّا رجعوا أخبر العشرةُ منهم بني إسرائيلَ بحال هؤلاء، فخافوا، فلذلك قالوا: ﴿إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾[5].

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا﴾؛ أي: بالقتال، ﴿حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا﴾ بغيرِ قتال، فيُسلِّموها لنا، ﴿فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا﴾ أي: يسلِّموها لنا طائعين، أو بغيرِ قتال، ﴿فَإِنَّا دَٰخِلُونَ﴾ بلادهم حينئذٍ.

* * *

(١) في (أ): «عمره».

(٢) في (ف): «زمن».

(٣) خبر عوج بن عنق من خرافات وأباطيل بني إسرائيل. انظر بيان ذلك في «تفسير ابن كثير» عند هذه الآية، و«الإسرائيليات» لأبي شهبة (ص: ١٨٥).

(٤) بعدها في (ر): «كان طول عوج».

(٥) لا يخفى أن هذا من الإسرائيليات التي لا يوافقها عقل ولا نقل، وقد نبهت عليها غير مرة. والله الهادي.

(٢٣) ـ ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُواْ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا﴾؛ يعني: قال اثنان مِن أولئك الاثني عشر، وهما يوشعُ بنُ نون وكالب بن يوفنَّا، وهما مِن الذين يَخافون اللهَ، ولا يَخافون غيرَهُ، وذلك بإنعامِ الله عليهما بالتَّوفيق للاعتماد عليه، والأمنِ بوعدِه.

وقيل: أي: من الذين يَخافون الجبَّارينَ طبعاً كخوف غيرهما، لكن أنعمَ اللهُ عليهما بالثِّقةِ بوعدِه، ومجاهدةِ النَّفسِ في الائتمار بأمرِه.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله[1]: وعن سعيد بن جبير أنَّه كان يَقرؤها: (يُخافون) بضمِّ الياء[2].

قال أبو عبيد: جعلَ الرجلين من الجبارين وقد أسلما فاتبعا موسى عليه السلام[3].

وقوله تعالى: ﴿ٱدْخُلُواْ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ﴾؛ أي: قالا لهم: ادخلوا أنتم بابَ بلدِهم، فإذا دخلتم انهزَموا، وكانت الغلبةُ لكم.

وقوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾؛ أي: إنَّ الإيمانَ بالله يوجِبُ الثِّقةَ بوعد الله، والاعتمادَ على نُصرةِ الله، والائتمارَ بأمرِ الله.

---

(١) قوله: «وقال الإمام أبو منصور رحمه الله»: ليس في (ف).

(٢) لم أقف عليها في «تأويلات أهل السنة» لأبي منصور الماتريدي، (١/ ٤١١)، والقراءة في «مختصر في شواذ القرآن» لابن خالويه (ص: ٣٨) عن ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير، وفي «المحتسب» (١/ ٢٠٨) عن سعيد بن جبير ومجاهد.

(٣) القول في «تفسير الثعلبي» (٤/ ٤٣) دون نسبته لأبي عبيد.

(٢٤) ـ ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَآ أَبَدٗا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾.

وقال الكلبيُّ: قالوا: يا موسى أتكذِّبُ عشرةً، وتُصدِّقُ اثنين؟ وعادوا إلى الكلامِ الأوَّل، وذلك قولُه تعالى: ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَآ أَبَدٗا مَّا دَامُواْ فِيهَا﴾؛ أي: وإنْ كثُرَ القول، وامتدَّ الزَّمان.

وقوله تعالى: ﴿فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ﴾ مِن أهل الظَّاهرِ مَن حمل هذا على الظَّاهر، وقال: اعتقدوا في الله الذَّهابَ، وهو كفرٌ مِنهم، لكن لا وجهَ لهذا؛ لأنَّهم لو قالوا ذلك اعتقاداً، وكفروا به لحاربَهم موسى عليه السلام، ولم تكن مقاتلةُ الجبَّارينَ أولى من مقاتلةِ هؤلاء، لكن له وجهان صحيحان:

أحدهما: اذهب أنت، وربُّك جلَّ جلالُه يعينُك على قتالِك، وهو كقوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيۡتَ إِذۡ رَمَيۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧].

والثاني: ﴿وَرَبُّكَ﴾؛ أي: سيِّدُك، وهو أخوك الأكبرُ هارون، اذهبا جميعاً فقاتلاهم، وقوله: ﴿أَنتَ﴾ زِيدَ عماداً لضمير ﴿فَٱذۡهَبۡ﴾، ويجوزُ في المرفوع إثباتُه وحذفُه، قال تعالى: ﴿لَقَدۡ وُعِدۡنَا هَٰذَا نَحۡنُ وَءَابَآؤُنَا﴾ [النمل: ٦٨]، وقال: ﴿أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبٗا وَءَابَآؤُنَآ﴾ [النمل: ٦٧]، وفي المخفوضِ لا بدَّ مِن الإثبات؛ أي: لا بد من إعادة العامل[1].

وقوله تعالى: ﴿فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾ «ها» تنبيهٌ و«هنا» إشارةٌ إلى المكان الحاضر، وهناك إشارة إلى المكان الغائب، و﴿قَٰعِدُونَ﴾؛ أي: مستَقِرُّون ثابتون، لا نَتقدَّم إلى بابِ بلدِهم، ولا نُقاتل أهلَه.

---

(١) قوله: «أي لا بد من إعادة العامل» من (ف).

وقال المقدادُ بن الأسود رضي الله عنه للنَّبيِّ ﷺ: إنَّا لا نقولُ لك: ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ﴾، ولكن نقول: اذهب أنت، وربُّك يعينُك، وإنَّا معكم مقاتلون[1].

***

(٢٥) ـ ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَـٰسِقِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى﴾؛ أي: قال موسى: يا رب، إنِّي لا أملكُ إلَّا نفسي، وأخي أيضاً لا يملِكُ إلَّا نفسَه، فلا نقدِرُ على تكليف هؤلاء شيئاً، وهو رفعٌ عطفاً على موضع الضمير في ﴿أَمْلِكُ﴾، كما في قوله تعالى: ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا﴾ الآية [الأنعام: ١٤٨].

وقيل[2]: ﴿إِلَّا نَفْسِى﴾ وإلَّا أخي، فإنَّه يُطيعُني ولا يُخالِفُني، فأنا مالكُ أمرِه بظاهرِ الحال وموافقتهُ[3] إيَّاي في كلِّ شيءٍ.

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: ولـمَّا ادَّعى أنَّه يَملِكُ نفسَه، عُرِّفَ عجزَهُ عن ملكِهِ نفسَه، حيث أخذَ برأسِ أخيهِ يجرُّه إليه.

ويقال: ﴿لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى﴾؛ أي: لا أدَّخرها عن البذلِ في أمرِك، ولا أملِكُ إلَّا أخي، فإنَّه لا يُؤثِرُ بنفسِه عن الذي كلَّفتُهُ مِن قبلك[4].

وقوله تعالى: ﴿فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَـٰسِقِينَ﴾؛ أي: أخْرِجنا مِن[5] عدادهم، ولا تُلحِقنا بهم في استحقاقِ العقوبة.

---

(١) رواه بنحوه البخاري في «صحيحه» (٣٩٥٢) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٢) بعدها في (ر): «﴿لَآ أَمْلِكُ﴾ أي».

(٣) في (أ): «ولموافقته».

(٤) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (١/ ٤١٧).

(٥) في (أ): «عن».

وقيل: أي: اقضِ بيننا وبينَهم، قال تعالى: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدخان: ٤]؛ أي: يُقضى.

وقيل: أي: باعِدْ بيننا وبينَهم، قال الرَّاجزُ:

يـا رَبِّ فافـرُق بيـنَه وبيـنـي أَشَدَّ مـا فرَّقـتَ بيـن اثْنيـنِ(١)

وقيل: أي: ميِّز بيننا وبينَهم في الآخرة، فيكونُ هؤلاء في النَّار، وهؤلاء في الجنَّة، ولم يقل: بيننا وبينهم؛ لأنَّ فيهم مَن أطاعَهُ، كيوشع وكالب، فلذلك قال: ﴿وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ على التَّخصيص.

* * *

(٢٦) ـ ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ﴾؛ أي: فإنَّ الأرضَ المقدَّسة ممنوعةٌ عليهم أنْ يَدخلوها ويَسكنوها، والتَّحريمُ: المنع، قال تعالى: ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ﴾ [القصص: ١٢]، وهو تَفعيلٌ مِن الحرمان، وكان ذلك عقوبةً لهم بعصيانِهم.

وقيل: أي: التَّوبةُ محرَّمةٌ عليهم، فلا يَتوبون.

وقوله تعالى: ﴿أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ ظرفٌ لقوله: ﴿مُحَرَّمَةٌ﴾، وقيل: لقوله: ﴿يَتِيهُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ﴾؛ أي: يَبقون مُتحيِّرين في الأرضِ التي هُم فيها، وهي البرّ.

---

(١) ذكره أبو عبيدة في «مجاز القرآن» (١/ ١٦٠)، والطبري في «تفسيره» (٨/ ٣٠٥)، وانظر ما علقه عليه الشيخ محمود شاكر في تعليقه على «تفسير الطبري» (١٠/ ١٨٨).

والتِّيهُ: التَّحيُّر الذي لا يُهتَدى لأجلِه للخروجِ إلى الطَّريقِ المستقيم، والتِّيهُ: التكبُّر، مِن ذلك، والتَّيهاءُ: الأرضُ التي لا يُهتَدَى فيها، وكان التِّيهُ مقدارَ ستَّةِ فراسخ عرضاً، في اثني عشرَ فرسخاً طولاً.

وقال مقاتل: أوحى اللهُ تعالى إلى موسى عليه السَّلام أنِّي أحبِسُهم بالنَّهار، وأسيِّرُهم باللَّيل أربعينَ سنة، فإذا بلغَ أجلُهم أربعين سنةً، أرسلتُ عليهم الموتَ، فلا يَدخلُها إلَّا خلوفُهم، غير يوشعَ وكالب، وهما يسوقان بني إسرائيلَ إلى تلك الأرضِ، فتاهَ القومُ في ستة فراسخ، وقالوا لموسى: ما صنعْتَ بنا، ونَدِمَ موسى على ما دعا عليهم[1].

وقيل: لم يقصد موسى بالدُّعاء هذا النوعَ من العذاب، بل أرادَ بهم ما هو أخفُّ منه، وحَزِنَ بهذا، فخفَّفَ الله تعالى عليه ذلك، وذلك قوله تعالى: ﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾؛ أي: لا تحزَن عليهم بما أصابَهم وهم فاسقون مستحِقُّون لذلك.

قال مقاتل: ثمَّ إنَّ اللهَ تعالى أخرجَ ذراريهم بعد أربعين سنةٍ، وقد هلكَتِ العُصاةُ في التِّيه، فأتَوا أريحا، فقتلوا مقاتليهِم، وسبوا ذراريهم، وقتلَ ثلاثةً مِن الجبَّارين، ومات في التِّيهِ كلُّ ابن عشرين سنة، ومات هارونُ في التِّيهِ، ومات موسى بعدَهُ بسنةٍ، واستخلف على بني إسرائيل يوشع بن نون[2].

وقيل: قد أُجيبَتْ دعوةُ موسى في الفَرْق بينه وبينهم؛ فإنَّهم كانوا محبوسين في التِّيه، وموسى وهارون ويوشع وكالب لم يكونوا محبوسين، بل كانوا مخيَّرين،

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (١/ ٤٦٧ ـ ٤٦٨).

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (١/ ٤٦٨).

وإنَّما مَكثوا في التِّيهِ حفظاً لهم على الإسلام والطَّاعة؛ فإنَّهم كانوا يَرجعون عن الدِّين لولاهم.

وقيل: إنَّ قوله: ﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ ما علمَ به بنو إسرائيل، بل علِم به هو، أو[1] هؤلاء الثلاثة معه على الخصوص، ولو علموا بذلك لما تكلَّفوا المسيرَ كلَّ يومٍ مع علمِهم بالحبسِ.

وقيل: إنَّ تظليلَ الغمامِ وإنزالَ المنِّ والسَّلوى كان في هذا.

وقيل: هذا نعمةٌ، وكان حبْسُهم محنةً، بل ذلك كان حين خرجوا من البحرِ، ودخلوا تلك البرِّيَّة، وهذه البرِّيَّةُ غيرُ تلك البرِّيَّةِ[2].

وقيل: يَجوزُ أن يكون هذا في هذه البرِّيَّة، والعقوبةُ في الدُّنيا لا تُنافي النِّعمةَ؛ فإنَّها ليست بدار الجزاءِ على الحقيقة.

وفي تفسير الربيع بن أنس أنَّ حبسَهُم في التِّيهِ كان أربعينَ سنةً، ثمَّ زالَ، فدخلوا تلك الأرض[3].

والصَّحيحُ أنَّهم ماتوا فيها، وفُتِحَت تلك البلادُ لأولادهم.

* * *

(٢٧) ـ ﴿۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَيْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ﴾؛ أي: على أهلِ الكتاب هؤلاء؛ الذين قال أسلافُهم

---

(١) قوله: «هو أو» ليس في (ف).

(٢) لفظ: «البرية» من (أ).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٣٠٧ـ٣٠٨) مطولًا.

لموسى ذلك، وهؤلاء الذينَ في عصرِك مِن أولادِهم يَحسدُونك، وقد همُّوا أنْ يَبسطوا أيديَهم إليك بالقتل، فأخبِرهم بقِصَّةِ ابنَي آدمَ، الذي بَسطَ يدَهُ إلى صاحبِه بالقتلِ حسداً له، وإلى ماذا صار أمرُه مِن خُسران الدُّنيا والآخرة، فكذلك حالُ هؤلاء.

وقيل: يَرجعُ هذا إلى قوله: ﴿يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [المائدة: ١٥]، وكان من ذلك هذه القصَّة.

وقوله تعالى: ﴿نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ﴾؛ أي: خبرَهما.

وقوله تعالى: ﴿بِٱلْحَقِّ﴾؛ أي: ليَعتبروا ويتذكَّروا، لا ليَحمِلوه على اللَّعبِ والباطل ككثيرٍ مِن الأقاصيص التي هي من لهوِ الحديث.

قال الحسن: وبعض الناس يقولون[١]: إنَّ هذين الرجلين من بني إسرائيل[٢]، وضربَ اللهُ المثلَ بهما؛ لبيانِ أنَّ التَّحاسُدَ في بني إسرائيل قديمٌ، وبلغ ذلك حتَّى قَتلَ مَن رُدَّ قربانُه مَن قُبِلَ قربانُه؛ حسداً له على ما آتاهُ الله من فضلِه، وهؤلاء أولادُ أولئك، فلا تُنكِر يا محمَّدُ حسدَهم إيَّاكَ.

وسمَّاهما ابنَي آدم؛ لأنَّهما مِن نوافله، كما سمَّانا بني آدم، وهذا وإن كان أقربَ إلى النَّظم، فهو خلافُ المأثورِ المشهورِ أنَّهما وَلَدا آدمَ لصلبه؛ هابيل وقابيل، على ما رُويَ عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما أنَّه قال: كانت حوَّاءُ تَلِدُ في كلِّ بطنٍ اثنين؛ غلاماً وجاريةً، وقد ولدَت خمسَ مئة بطنٍ، فولَدَت أوَّل بطنٍ قابيلَ وأختَه إقليما، ثمَّ مكثَت سنتَين، ثمَّ ولدَت البطنَ الثَّاني هابيلَ وأخته لبوذا[٣].

---

(١) في (ر) و(ف): «بعده يقول» بدل: «يقولون».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٣٢٤). وذكره ابن كثير في «تفسيره»، وقال: وهذا غريب جدًّا، وفي إسناده نظر.

(٣) اسم أخته في «تفسير مقاتل» (١/ ٤٦٩)، و«تفسير أبي الليث» (١/ ٤٢٩): «ليوذا»، و«تفسير =

فلمَّا أدركوا، أمرَ اللهُ تعالى آدمَ أنْ يُنكِحَ قابيلَ أختَ هابيل، وأنْ يُنْكِحَ هابيلَ أختَ قابيل، فرضيَ هابيلُ بالذي أُمِر، وسخِطَ قابيل؛ لأنَّ أختَه كانت أحسنَهُما، وقال: ما أمرَ اللهُ آدمَ بهذا قطّ، ولا أزوِّجُ هابيلَ أختي، قال آدمُ: فقرِّبا قُرباناً، فمِن أيِّكما تُقُبِّل تزوَّجَها، فقرَّبَ هابيلُ حملاً سميناً مِن خيرِ غنمِه [و](١) لبناً وزُبداً، وقرَّبَ قابيلُ فسيلاً مِن شرِّ زرعِه، فانطلقَ بهم آدمُ إلى الجبلِ، فأضمرَ قابيلُ في نفسِه: ما أبالي تَقبَّل اللهُ منِّي أم لا، لا يَتزوَّج هابيلُ أختي أبداً، وأضمرَ هابيلُ في نفسِه الرِّضا لله، فنزلَت نارٌ مِن السَّماء، فتَقبَّل اللهُ تعالى مِن هابيل؛ لأنَّه كان زاكيَ القلب، ولم يَتقبَّل مِن قابيل، فنزلوا من الجبلِ وتَفرَّقوا.

ثمَّ أتى قابيلُ هابيلَ وهو في غنمه، فقال له: ﴿لَأَقْتُلَنَّكَ﴾(٢)، قال: ولم؟! قال: لأنَّ اللهَ تعالى قبلَ قربانَك وردَّ قُرباني، وستَنكِحُ(٣) أختي الحسناء، وأنكِحُ أختَك القبيحةَ، فيَتحدَّثُ النَّاسُ أنَّك خيرٌ منِّي، ويَفخَرُ ولدُكَ على ولدي، قال له هابيل: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ أي(٤): ممن كان زاكي القلبِ(٥)، ورُدَّ عليك لأنَّك لست بزاكي القلبِ. وروي أن الكبش كان أبيض(٦) أعين أقرن.

وقال السُّدِّيُّ: كان قابيلُ أكبرَ مِن هابيل، فأرادَ آدمُ الخروجَ إلى مكَّة، فطلبَ

= الثعلبي» (٤/ ٤٩).

(١) ما بين حاصرتين من «تفسير الثعلبي» (٤/ ٥٠).

(٢) بعده في (ف): «وهو قوله تعالى: ﴿إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ قال قابيلُ لهابيل: لأقتلنَّك».

(٣) في (أ) و(ف): «وتنكح».

(٤) قوله: «من المتقين أي» ليس في (أ)

(٥) قوله: «أي: ممن كان زاكي القلب» ليس في (ر).

(٦) «أبيض»: زيادة من (أ) و(ف).

إلى السَّماء أنْ تحفظَ عليه أهلَه وولدَه بأمانةِ الله، فأبت، وطلبَ إلى الأرضِ، فأبت، وطلبَ إلى الجبالِ، فأبت، فقال قابيل[1]: أنا أحفظُهم عليك بأمانة الله، فضَمَّنهُ ذلك، وذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ﴾ [الأحزاب: ٧٢]، وانطلق آدمُ إلى مكَّة، فطاف بالبيت، فطلب هابيلُ إلى قابيل أنْ يُزوِّجَهُ أختَه، فقال له قابيل: أنا أكبرُ منك، وأنا وصيُّ أبي، فقال له هابيل: ما أنت خيراً مني، تعال فلنقرِّب قُرباناً، فأيُّنا تُقبِّلَ قربانُه فهو خيرٌ مِن صاحبه، وكان قابيلُ صاحبَ زرعٍ، وهابيلُ صاحبَ غنمٍ، فأخرج قابيلُ سُنبلاً، وأخرج هابيلُ كبشاً سميناً، فجاءت نارٌ فأخذت الكبشَ، وتركتِ السُّنبلَ، فحسَده قابيلُ، فقال: ﴿لَأَقْتُلَنَّكَ﴾، فقال هابيل: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْآخَرِ﴾؛ أي: تَقرَّبا إلى الله بقربانٍ؛ قابيلُ بالسُّنبلة، وهابيلُ بالكبش، فتُقبِّلَ مِن هابيل، ولم يُتقبَّل مِن قابيل، **وقوله تعالى**: قربا قرباناً؛ أي: قَرَّبَ كلُّ واحدٍ منهما[3] قرباناً، أو هو مصدرٌ، فصَلَح للاثنين والجمع.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ﴾؛ أي: قال قابيلُ ذلك؛ أي: كيلا يَقولَ النَّاسُ إذ رأوك ورأوني: هذا مقبولُ القُربان، وهذا مردود القربان[4].

وقوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾؛ أي: قال ذلك هابيل، قال فضالةُ بنُ

---

(١) في (أ): «هابيل».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٣٢٢ ـ ٣٢٣) من رواية السدي عن أبي مالك وأبي صالح عن ابن عباس، وعن مرة عن ابن مسعود، وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ.

(٣) لفظ: «منهما» من (ف).

(٤) في (أ): «مردوده وقول قابيل»، وفي (ر): «مطرود القربان» بدل: «مردود القربان».

عبيد: لأنْ أكونَ أعلمُ أنَّ اللهَ قد تَقبَّل منِّي مثقالَ حبَّةٍ من خردل أحبُّ إليَّ مِن الدُّنيا وما فيها، وتلا هذه الآية(١).

وقالوا: قُبلَ قُربان هابيل لتعظيمه، ورُدَّ قُربان قابيلَ لتحقيرِه، وما ينبغي لأحدٍ أنْ يَترُكَ تعظيمَ الله فيما يَتقرَّبُ به إليه، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾ الآية [الحج: ٣٢]، وقال تعالى: ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا﴾ الآية [الحج: ٣٧] ـ اجتمع في قابيل عقوقُ الأبِ، وحَسَدُ الأخ، وتحقيرُ القُربان، والتَّأخيرُ في الائتمار، فأفضى به ذلك إلى ردِّ الأمر والوقوعِ في الكفر، وكذلك إيثارُ(٢) المعاصي والإصرارُ عليها والاستهانةُ بها.

* * *

(٢٨) ـ ﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾؛ أي: لئن مددتَ، و(اللَّام) للقسم، وكذلك أجيب بـ ﴿مَآ﴾ الذي هو مِن جواب القسم، ولولاه لكان بالفاء، لأنَّ جوابَ الشرط كذلك، وإذا اجتمعا، وصَدرُ الكلامِ للقَسَم، كان اعتبارُه أولى.

وقوله تعالى: ﴿مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ﴾ قيل: أي: أستَسْلِمُ وأصبرُ، ولا أعارض، وكانت معارضةُ القاتِلِ يومئذٍ حراماً، والتَّسليمُ واجباً، فأخبرَ أنَّه يَخافُ اللهَ، ولا يَرتكبُ الحرام.

---

(١) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٧٨ ـ زوائد حماد)، وابن أبي الدنيا في «الإخلاص والنية» (٢٠)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ١٧).

(٢) في (ف): «إتيان».

وقيل: بل كان واجباً ذلك؛ فإنَّ تركَ المعارضةِ إهلاكُ نفسه، ومشاركةُ القاتل[١] في إثمه، لكن معناه: ﴿مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ﴾ مبتدئاً ظالماً لقصدِك ذلك منِّي، وكان عازماً على مدافعتِه إذا قصدَ قتلَهُ، لكن أخذَهُ على غفلةٍ وهو نائم، فشدخَ رأسَه، فلم يُمكنهُ دفعُه.

وذكر[٢] الإمامُ أبو منصورٍ رحمه الله في «تأويلاته»: أنَّ أبا موسى الأشعريَّ رَوى عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «كسِّروا قِسِيَّكُم، وقَطِّعوا أوتارَكم، والزموا أجوافَ البيوت، وكونوا كخيرِ ابني آدم»[٣].

قال الشيخ: هذا في الذين يَقتتلان مع غير إمامٍ عادلٍ[٤] بحميَّةٍ أو عصبيَّةٍ، فهما على الخطأ، فأمَّا الخوارجُ على إمام الهدى فقتالُهم واجبٌ بالإجماع[٥].

روى أنسٌ وأبو سعيدٍ الخدريُّ رضي الله عنهما: أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «سيكونُ في أمَّتي اختلافٌ وفرقةٌ، قومٌ[٦] يُحسِنونَ القولَ، ويُسيئون العملَ، يَمرقون مِن الدِّين كما يَمرقُ السَّهمُ مِن الرَّميَّةِ، ولا يَرجعون، هم شرُّ الخليقةِ والخلق، طُوبى لـمَن قتلَهم وقتلوه، ويدعون إلى كتابِ الله وليسوا منه في شيءٍ، مَن قتلَهُم كان أولى بالله منهم»[٧].

---

(١) في (ر) و(ف): «للقاتل».

(٢) في (ف): «وقال».

(٣) لم أره في «تأويلات أهل السنة» لأبي منصور الماتريدي، والحديث أخرجه أبو داود (٤٢٥٩)، وابن ماجه (٣٩٦١).

(٤) في (ف): «عدل».

(٥) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٣/ ٤٩٩).

(٦) في (ف): «وهم» بدل: «قوم».

(٧) رواه أبو داود في «سننه» (٤٧٦٥).

وقـال النبـيُّ ﷺ: «قاتِـلْ دون مالِـكَ حتَّـى تمنـعَ مالَـك، أو تكونَ مِن شـهداءِ الآخرة»(١).

وقال: «من قُتِلَ دون مالِه فهو شهيدٌ»(٢).

***

(٢٩) ـ ﴿إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ﴾؛ أي: تَرجِعَ، وقيل: أي: تَحتمل(٣).

وقوله تعالى: ﴿بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ﴾؛ أي: بإثمِ قتلِك إيَّايَ، وبسائرِ ما أثِمْتَ به؛ مِن عقوقِ الأب، والحسد، والحقد، والكُفر. أضافَ الإثمَ إلى نفسِهِ أوَّلاً؛ لأنَّه أثِمَ بسببِه، فيَجوزُ إضافتُه إلى كلٍّ واحدٍ منهما، وهو كقوله: ﴿إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ﴾ [نوح: ٤]، وقوله: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ﴾ [الأعراف: ٣٤]، أضافه إلى المؤجَّلِ تارةً، وإلى المؤجِّلِ له تارةً أخرى، فيُضافُ الإثمُ أيضاً إلى الآثم بالجناية، وإلى المجنيِّ عليه أيضاً، وهذا معنى قول قتادةَ ومجاهدٍ والضَّحَّاكِ والسُّدِّيِّ رحمهم الله(٤).

ثمَّ ليس هذا رضا بالذَّنب، بل هو إرادةُ عقوبةِ المذنب، ولذلك جاء في بعض التفاسير: إنِّي أريدُ أنْ تبوءَ بعقوبة إثمي؛ أي: بعقوبةِ إثمِك في قتلي، ﴿وَإِثۡمِكَ﴾؛ أي: بعقوبةِ سائر آثامك.

وقيل معناه: أريدُ أن تكون عليك آثامي التي كانت بذنوبي بسببِ قتلكَ إيَّاي،

---

(١) رواه النسائي في «سننه» (٤٠٨١) من حديث مخارق رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري في «صحيحه» (٢٤٨٠)، ومسلم في «صحيحه» (١٤١) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

(٣) في (ر) و(ف): «تتحمل».

(٤) روى أقوالهم الطبري في «تفسيره» (٨/ ٣٣٠ ـ ٣٣٢).

فقد رُويَ أنه يؤخَذُ من سيِّئات المظلومِ يوم القيامة فتحمَلُ على الظالـم[1].

وقوله تعالى: ﴿فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاؤُا الظَّالِمِينَ﴾؛ أي: فتعذَّبَ بالنَّار إذا بُؤتَ بالإثم، وذلك جزاءُ مَن قتلَ نفساً بغيرِ حقٍّ، واختارَ الدُّنيا على الآخرة، ومَن فعل ذلك، فقد نقصَ نفسَهُ حظَّها مِن ثوابِ الله تعالى.

***

(٣٠) - ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ﴾ يقال: طاعَ لفلانٍ كذا؛ أي[2]: أتاه طوْعاً منقاداً، وطَوَّعَ متعدٍّ له؛ أي: سهَّلَت له نفسُهُ قتلَ أخيه حتَّى فعلَ غيرَ خائفٍ، ولا مُتفكِّرٍ في عاقبتِه، فأطاعَ هواهُ، وقتلَ أخاهُ.

وقال قتادة: زَيَّنت له نفسُه.

وقال مجاهدٌ: شجَّعتهُ[3].

وقال أبو عبيد: أعانَتهُ على ذلك[4].

وقال الكلبيُّ: تابعتهُ نفسُه على ذلك.

---

(١) روي في هذا المعنى أحاديث؛ منها ما رواه البخاري في «صحيحه» (٢٤٤٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «من كانت له مظلمةٌ لأخيه من عرضه أو شيء، فليتحلَّلْهُ منه اليوم قبل أن لا يكون دينارٌ ولا درهمٌ، إن كان له عملٌ صالحٌ أخذَ منه بقدر مظلمته، وإن لم تكن له حسناتٌ، أخذ من سيئات صاحبه فحُمِلَ عليه».

(٢) في (ف): «إذا».

(٣) قولا قتادة ومجاهد رواهما الطبري في «تفسيره» (٨/ ٣٣٧).

(٤) انظر: «تهذيب اللغة» للأزهري (٣/ ١٠٥)، و«التفسير البسيط» للواحدي (٧/ ٣٤١).

وقال يمانُ بن رئاب: سهَّلت له[١].

وقال عبد العزيز بن يحيى[٢]: أجابتهُ إلى ذلك.

وقال أبو عبيدة[٣]: جرَّأتهُ[٤].

وقال المؤرِّج: رخَّصت له[٥].

وقال عطاء[٦]: سوَّلت له نفسُه[٧].

وقوله تعالى: ﴿فَقَتَلَهُۥ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾؛ أي: صار خاسراً دنياهُ وآخرتَهُ، فقد أسخطَ والديه، وفقدَ أخاهُ، وأسخطَ ربَّه، وصار إلى النَّار.

وفي بعض الآثار أنَّه لم يَدرِ كيف يقتلُه، فتمَثَّل له إبليسُ ـ لعنه الله ـ في هيئة طائرٍ، فأخذَ طائراً، فقطعَ رأسَهُ[٨]، ثمَّ وضعَهُ بين حجرَين، فشدخَ رأسَه يُعلِّمُه القتلَ،

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٤٣).

(٢) هو عبد العزيز بن يحيى الكناني المكي، ينسب له كتاب «الحيدة»، (قال الذهبي: لم يصح إسناده إليه فكأنه وضع عليه)، وله تصانيف، كان يلقب الغول لدمامة منظره، كان من أهل العلم والفضل، تفقه للشافعي واشتهر بصحبته. ترجم له المزي في «تهذيب الكمال»: (١٨/ ٢٢٠ ـ ٢٢١) تمييزاً، والذهبي في «ميزان الاعتدال»: (٢/ ٥٥٧).

(٣) في (أ): «عبيد».

(٤) نص قول أبي عبيدة في «مجاز القرآن» (١/ ١٦٢): أي: شجعته وآتته على قتله، وطاعت له؛ أي: أطاعته.

(٥) قول المؤرج من (أ).

(٦) في (ر): «وقيل» بدل: «وقال عطاء».

(٧) بعدها في (ر): «فقتله».

(٨) كذا في النسخ!!

فطلبَهُ ليقتلهُ، حتَّى انتهى إليه في ظلِّ جبلٍ نائماً، وغنمُه تَرعى حولَهُ، فأخذَ صخرةً، فضربَ بها رأسَهُ فمات[١].

وقال الأعمش: لمَّا قتلَ ابنُ آدم أخاهُ، نَشِفَتِ الأرضُ دمَهُ، فلُعِنَت، فلم تَنْشَف دماً[٢] بعده[٣].

وقال النبيُّ ﷺ: «لا تُقتَلُ نفسٌ ظلماً إلَّا كان على ابنِ آدم كِفْلٌ مِن دمِها، وذلك أنَّه أوَّلُ مَن سنَّ القتلَ»[٤].

وقال عبدُ الله بنُ عمر رضي الله عنهما: وقابيلُ: هو أبو يأجوجَ ومأجوج.

وقال عليُّ بن الحسين: وُكِّلَ به ملكان، يَطلُعان بهِ مع الشَّمس إذا طَلَعَت، ويَغرُبان به مع الشَّمسِ إذا غربَت، ويَنضحانِه بالماء الحارِّ مع حرِّ الشَّمس، حتَّى تقومَ السَّاعة[٥].

وقال ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما: لـمَّا قتلَ قابيلُ هابيلَ، وآدمُ بمكَّةَ؛ اشتاكَ الشَّجرُ، وتَغيَّرتِ الأطعمةُ، وحَمِضَتِ الفواكهُ وأمرَّ الماءُ، واغبرَّتِ الأرضُ، فقال آدم: حَدثَ في الأرضِ حادثٌ، فأتى الهندَ وهو يقول:

تَغيَّـرتِ البـلادُ ومَـن عليها ... فوجـهُ الأرضِ مغبَـرٌّ قبيـحُ

تَغيَّـرَ كـلُّ ذي لـونٍ وطعـمٍ ... وقلَّ بشاشـةُ الوجـهِ الصَّبيـح[٦]

---

(١) روى الطبري نحوه في «تفسيره» (٨/ ٣٣٨) عن ابن جريج.

(٢) بعدها في (ر): «آخر».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٣٤٥)، وقول الأعمش هذا لم يرد في (ف).

(٤) رواه البخاري (٣٣٣٥)، ومسلم (١٦٧٧) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٥) ذكره الجرجاني في «درج الدرر» (٢/ ٦٦٦).

(٦) يـروى بجـر القافيـة علـى الإقـواء (وهـو أن يأتي بيـت مجـروراً وآخر مرفوعـاً)، ويـروى بنصب =

وما لي لا أجودُ بسكبِ دمعٍ وهابيلٌ تضمَّنهُ الضَّريحُ

أرى طولَ الحياة عَلَيَّ غمًّا فهل أنا مِن حياتي مُستريحُ(١)

وروي أنَّ الوحوش والطيور كانت تألَفُ أولادَ آدم، فلمَّا وقعَ هذا نفرَتْ واستوحشَتْ، وهاجَتْ ريحٌ أظلمَتْ لها الدُّنيا، وكان آدمُ في مناسكِ الحجِّ، فقال لجبريل عليه السَّلام: ما هذا؟ فقال: هذا مِن شؤمِ قتلِ ابنكَ قابيل أخاه هابيل، فحزنَ لذلك آدمُ، وبكى، ولم يَضحَك(٢) مئةَ سنةٍ لذلك.

وروي أنَّه لم يَقرَبْ آدمُ بعد ذلك حوَّاء مدَّة حياتِه.

***

(٣١) ـ ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: قتلَ أخاه، ولم يَدْرِ ما يَصْنَعُ به، فأرسلَ اللهُ غراباً يُثيرُ التُّرابَ عليه.

= «بشاشة» من غير تنوين، ورفع: «الوجه المليح» (أو الصبيح) قال أبو حيان في «البحر المحيط» (٨/ ١٦٣ ـ ١٦٤): وليس بلحن، قد خرجوه على حذف التنوين من «بشاشة»، ونصبه على التمييز، وحذف التنوين لالتقاء الساكنين.

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (١١/ ٢٨٠ ـ ٢٨١) (١٢٦٠) (طبعة دار التفسير) دون البيتين الأخيرين، وجاء ذكرهما عن ابن عباس أيضاً في الرواية التالية (١١/ ٢٨٣) (١٢٦١). قال الزمخشري في «الكشاف» (١/ ٦٢٦): وهو كذب بحت، وما الشعر إلا منحول ملحون. وقد صحّ أن الأنبياء عليهم السلام معصومون من الشعر.

(٢) بعدها في (ر): «بعد ذلك»، وفي (ف): «ما يضحك».

وقوله تعالى: ﴿لِيُرِيَهُۥ كَيۡفَ يُوَٰرِي سَوۡءَةَ أَخِيهِ﴾؛ أي: ليُبْصِرَهُ كيف يُخفي جثَّةَ أخيه، وقد كانت أنتنَت، فسُمِّيَت سوأةً لذلك.

وقيل: السوءةُ: العورةُ هاهنا، كما في قوله: ﴿يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ﴾ [الأعراف: ٢٦]، وقوله: ﴿لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآ﴾ [الأعراف: ٢٧].

وقال قتادةُ: قَتَلَ غرابٌ غراباً، ثمَّ جعلَ يحثو عليه[١].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: جاء غرابٌ حيٌّ إلى غرابٍ ميتٍ، فواراهُ في التُراب[٢].

وقال الحسينُ بن الفضل: بعث اللهُ غراباً يَبحثُ في الأرضِ بمنقارِه، فعلم أنَّه يَبحثُ الأرضَ ليدفنَ بها أخاه.

وقال بعضُهم: جاء الغرابُ وأثارَ الأرضَ، وواري به هابيل[٣].

وظاهرُ الآيةِ يَحتمِلُ كلَّ ذلك، واللهُ أعلمُ بحقيقة ما كان.

والإمامُ أبو منصور رحمه الله جعل الروايةَ الصَّحيحةَ مواراةَ الغرابِ هابيلَ، لا الغراب الآخر؛ لأنَّه قال: ﴿سَوۡءَةَ أَخِيهِ﴾، والغرابُ لا يكون له سوأةٌ[٤].

وقوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ أَعَجَزۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَٰذَا ٱلۡغُرَابِ﴾؛ أي: قال قابيل: ﴿يَٰوَيۡلَتَىٰٓ﴾ وهي كلمةُ تأسُّف على ما فعَلَ، فلا نفعَ له.

وقيل: الويلُ والويلة: الهلاك، وهذا على وجهِ النِّداء، والألفُ في آخرِه للنُّدبة، وتقديرُ النِّداء في مثل هذا: يا ويلةُ احضري، فقد آنَ أوانُك.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٣٤٣).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٣٤٢).

(٣) في (ف): «أخاه» بدل: «هابيل».

(٤) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٣/ ٥٠١).

وقوله تعالى: ﴿أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ﴾ استفهامٌ بمعنى التعجُّب، وتقديره: أعجَزتُ عن أن أكونَ، وهذا تَحسُّرٌ منه على ما فاتَه مِن مقدارِ هذا العلم الذي وقفَ عليه الغرابُ.

قوله تعالى: ﴿فَأُوَٰرِيَ سَوْءَةَ أَخِي﴾ نصبَ بالفاء في جوابِ الاستفهام.

وقوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّـٰدِمِينَ﴾؛ أي: صار نادماً على حملِه، لا على قتلِه، قال وهبُ بن منبِّه: حملَهُ ثلاثةَ أيَّامٍ لا يَدري ما يَصنع به، حتَّى بعثَ اللهُ تعالى الغُرابين.

وقال الكلبيُّ رحمه الله: حملَهُ سنةً.

وقال مجاهدٌ: حملَهُ مئة سنةٍ يَطوفُ به.

وقال الكلبيُّ: ندم على حملِه والتَّطوافِ به، ولو كانت ندامتُه على قتلِه، لكانت توبةً له.

وقال الحسينُ بنُ الفضل رحمه الله: كانت ندامتُه على ذنبِه، وكذلك قال في قوله تعالى: ﴿فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَـٰدِمِينَ﴾ [الشعراء: ١٥٧]: إنَّهم ندموا على قتلِها، لكنَّ ندمَ الأوَّلين لم يكن توبةً، وكانوا يعاقَبون على جنايتِهم بعد ندامتِهم، كما عُرِف في الذين عَبدوا العجلَ وندِموا، كما قال تعالى: ﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ﴾ [الأعراف: ١٤٩]، ومع ذلك عُوقِبوا بقَتلِ أنفسِهم، وإنَّما جُعِلَ النَّدمُ توبةً في حقِّ هذه الأمَّةِ خاصَّةً.

وقال الإمام أبو منصورٍ رحمَه الله: ويَحتمل أن يكون: ﴿فَأَصْبَحَ﴾ بمعنى: فيصبح، يعني: في القيامة، ماضٍ بمعنى المستقبل، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ﴾ [المائدة: ١١٦][1].

وقيل: لـمَّا قتلَهُ نُودي: كنْ خائفاً أبداً، لا تَرى أحداً إلَّا خفتَهُ أنْ يَقتلك.

---

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٣/ ٥٠٠).

وقيل: لما قتلَهُ اسودَّ جسدُه[١]، فلما رآه آدمُ قال له: أين هابيل؟ قال: لم أكن وكيلاً عليه، قال آدم: بل أنت قتلتَهُ، ولذلك اسودَّ جسدُك[٢]. قال الواقديُّ: فالسُّودان من ولدِه.

وقيل: لـمَّا هامَ به في الأرض خائفاً كان يَرميه مَن رآهُ بحجرٍ، فرآهُ بعض ولدِه، فرماهُ بحجرٍ فقتلَه[٣].

وقيل: أمرَ اللهُ تعالى الرِّيحَ فألقتهُ في أحرِّ موضعٍ في الدُّنيا، فهو يُقاسيهِ في الصَّيف، وتُلقيهِ في أبردِ موضعٍ في الدُّنيا، فهو يُقاسيهِ في الشِّتاء.

وقيل: قَتَلَ أخاه وهو غيرُ مستحِلٍّ له، ولا رادٍّ للأمر، فكان عاصياً، بخلافِ أبيه، وقتلِ أخيه، واستئثارِ أختِه، لكن حملَهُ شؤمُ المعصيةِ على الكفر، وسببُ ذلك أنَّ إبليسَ ـ لعنه الله ـ تَمثَّلَ له في صورةِ إنسانٍ، وقال له: أتدري لم قُبِلَ قربانُ أخيك؟ قال: لا، قال: إنَّه كان يُعظِّمُ النَّارَ، ويَتواضَعُ لها، فلذلك أكلَتْ[٤] قربانَهُ، فاسجُد أنت للنَّار، فسجدَ لها مِن دون الله، فكفرَ بذلك، وهو أوَّلُ مَن سجدَ للنَّار[٥].

وقال محمَّدُ بن عليٍّ التِّرمذي رحمه الله: إنَّ قابيلَ تولَّدَ مِن قوَّةِ حبَّةٍ أكلَها آدمُ مِن الشَّجرةِ مع النَّهي، فأثَّر في فسادِ هذا الولد، فصار أباً ليأجوج ومأجوج الذين يَكثُر فسادُهم في آخر الزَّمان على وجهٍ لا تُعرَفُ غايتُه.

---

(١) في (ف): «وجهه».

(٢) في (ف): «وجهك». وفي هامش (ف): «جسدك».

(٣) انظر: «تفسير الثعلبي» (٤/ ٥٣).

(٤) في (ر): «قبلت».

(٥) انظر: «تفسير الثعلبي» (٤/ ٥٣)، وهذا الخبر وأمثاله مما سبق، مما لم يصل إلينا من طريق صحيح، وأغلبه من الإسرائيليات، فلا يعول عليه. والله أعلم.

(٣٢) ـ ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾؛ أي: بسبب ذلك أكَّدنا القولَ على بني إسرائيلَ، وغلَّظنا[1] الميثاقَ عليهم، وخَصَّ بني إسرائيلَ بالذِّكرِ، والحكمُ ثابتٌ في[2] الكلِّ؛ لأنَّ المخالفين في عصرِ النَّبيِّ ﷺ بقيَّةُ بني إسرائيل، وكانوا يَدينون بالتَّوراة والإنجيل، فذكَّرهم ذلك.

وقوله تعالى: ﴿أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: بغير نفسٍ قتلَها هو، فاستحقَّ القِصاص بذلك.

قوله: ﴿أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: ردَّةٍ؛ فإنَّ الفسادَ اسمٌ للكفر، قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: ٤].

وقيل: أي: زَنَى وهو محصَنٌ، قال النبيُّ ﷺ: «لا يَحِلُّ دمُ امرئٍ مسلمٍ إلا بإحدى معانٍ ثلاثة: زنًى بعد إحصان، وكفرٌ بعد إيمان، وقتلُ مؤمنٍ بغير حقٍّ»[3].

وقوله تعالى: ﴿فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ قال ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما: هذا في حقِّ مَن قتلَ نبيًّا أو إماماً عدلاً[4]، فالآيةُ في حقِّ بني إسرائيل،

---

(١) في (ف): «أي غلظنا».

(٢) بعدها في (ر): «حق».

(٣) رواه أبو داود في «سننه» (٤٥٠٢)، والترمذي في «سننه» (٢١٥٨)، والنسائي في «سننه» (٤٠١٩)، وابن ماجه (٢٥٣٣) من حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٣٤٨ـ٣٤٩).

وكانوا معروفين بقتلِ الأنبياءِ، وقتلُهم قتلُ كلِّ العالم، أو هو في حقِّ كلِّ مقتولٍ، لكن خُصَّ بنو إسرائيل بهذا التغليظ، كما خُصُّوا بسائرِ التَّغليظات.

وقيل: هو في حقِّنا كذلك، ومعنى الآية: أنَّ نفعَ هذا الواحدِ كان يَصلُ إلى كلِّ المؤمنين، وكان يقوم ببدنِه في مصالحِ كلِّ المؤمنين، وكان يقول بلسانِه: اللهمَّ اغفر للمؤمنين والمؤمنات، فيَصِلُ ذلك إلى كلِّ المؤمنين.

وقال الحسينُ بنُ الفضل رحمه الله: هذا في حقِّ قتل المؤمن، فقد قال النَّبيُّ ﷺ: «المسلمون كنفسٍ واحدة»[١]، فكان قتلُه قتلَهم.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: ويَحتمِلُ أنَّه في أول قتيلٍ[٢] قُتِل، حتَّى جعلَ النَّاسُ يَقتلون بعد ذلك بعضَهم بعضاً، يَستنُّون به، وقال النبيُّ ﷺ: «من سنَّ سنةً سيِّئةً، فلهُ وِزرُها ووِزرُ مَن عمِلَ بها إلى يوم القيامة»[٣].

وقيل: أي: يَجِبُ عليه من القَتلِ ما يَجبُ عليه لو قتلَ النَّاس جميعاً.

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ وهو في العفوِ عن القصاصِ، وإبقائه حيًّا، وهو إبقاءُ النَّفعِ منه على كلِّ النَّاس، فهو كإحياءِ كلِّ النَّاس.

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾؛ أي: ولقد جاء بني إسرائيل هؤلاء ﴿رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ الواضحاتِ الدَّالَّاتِ على صدقِهم.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾؛ أي: بعد

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) لفظ: «قتيل»: ليس في (أ).

(٣) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٣/ ٥٠١)، والحديث رواه مسلم في «صحيحه» (١٠١٧) من حديث جرير رضي الله عنه.

ذلك المجيء بالدِّلالات لَمُجاوِزون حدَّ الأمرِ والنَّهي، وناقضونَ الميثاقَ بالعصيان والكُفر.

وقال عطاءٌ: أي: يُسرِفون على أنفسهم.

وقال الكلبي أي: لمشركون، فمِن قائلٍ: الملائكةُ بناتُ الله، وقائلٍ: عزيرٌ ابنُ الله، وقائلٍ: المسيحُ ابن الله، وقائلٍ: الأصنامُ شركاء الله.

وقال مقاتل: المسرفون في سفكِ الدِّماء واستحلالِ المعاصي[(١)].

❊❊❊

(٣٣) - ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِي ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي ٱلدُّنْيَاۖ وَلَهُمْ فِي ٱلْأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِي ٱلْأَرْضِ فَسَادًا﴾ لـمَّا ذكرَ عقوبةَ مَن قتلَ نفساً بغيرِ نفسٍ أو فسادٍ في الأرض، ذكرَ بعدَه عقوبةَ مَن يَسعى بالفساد في الأرض، وهم قطَّاع الطَّريق، وجعلَهم محاربين اللهَ ورسوله؛ لأنَّهم يُحارِبون المؤمنين، وهم أولياءُ الله ورسولِه، فشرَّفَهم بجعلِ محاربتِهم محاربتَه ومحاربةَ رسوله، وقال النبيُّ ﷺ: «يقول الله تعالى: من أهان لي وليًّا فقد بارزَني بالمحاربة»[(٢)]، وهو كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [الأحزاب: ٥٧]، وقال في ضدِّه: ﴿وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾ [الحشر: ٨].

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (١/ ٤٧٢).

(٢) رواه البخاري في «صحيحه» (٦٥٠٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ: «من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب».

وقيل: معناهُ: يُخالِفون اللهَ ورسولَه؛ فإنَّه لا محاربةَ بدون المخالفة.

ثمَّ جعلَ أخذَ مالِ المسلمين بغير حقٍّ محاربةً لله ورسوله بأيِّ طريقٍ كان، فقال في الأخذ قهراً ومجاهرةً: ﴿يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾، وقال في الأخذ لطفاً ومعاقدةً: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٧٩].

وقوله: ﴿وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا﴾؛ أي: بفسادٍ.

وقيل: هو على الحال مصدرٌ بمعنى النَّعت، وتقديره: فاسدين أو مفسدين.

وقيل: هو مفعول ﴿وَيَسْعَوْنَ﴾؛ بمعنى: يكسبون، كما قال: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ [النجم: ٣٩]؛ أي: كسبَ، وأصلُهُ المشيُ عن سرعةٍ، واستُعيرَ في الكسبِ والتَّصرُّف؛ لأنَّه به يَحصُلُ غالباً.

وقوله تعالى: ﴿أَن يُقَتَّلُوٓا۟﴾ التَّقتيلُ: تكثيرُ القتل وتكريرُه.

وقوله: ﴿أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟﴾ التَّصليبُ: تكثيرُ الصَّلْبِ وتكريرُه، وهو نوعُ قتلٍ يكونُ مع التَّعليق في جذع.

وقوله تعالى: ﴿أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ التَّقطيعُ: تكثيرُ القطعِ وتكريرُه، و﴿مِّنْ خِلَٰفٍ﴾؛ أي: تقطع اليدُ اليمنى والرِّجلُ اليسرى.

وقوله: ﴿أَوْ يُنفَوْا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ النَّفيُ: التَّبعيد، وقيل: هو التَّسييرُ في البلاد[1]، وتركُ التَّقرير في مكان، وقيل: هو الحبسُ في السِّجن.

و﴿أَوْ﴾ في هذه الآية ليس للتَّخيير، بل هو للتَّفصيل، وقد بيَّنَّا وجوهَهُ[2] في

---

(١) في (ف): «السير في الأرض» بدل: «التسيير في البلاد».

(٢) في (أ): «وجوه أو» بدل: «وجوهه».

أوائل سورة البقرة، ومعناه: أن يقتَّلوا، ويُكتفى به إذا كان مِن أحدِهم قتلُ أحدٍ مِن أهل الطَّريق، ويُصَلَّبوا مع ذلك، إذا كان منهم قتلٌ وأخذُ مالٍ، وتُقطَّعَ أيديهم وأرجلهم من خلاف، إذا أخذوا المال، ولم يكن منهم قتلٌ، ويُحبَسوا(١) في السِّجن إذا خَوَّفوا النَّاسَ في الطَّريق، ولم يكن منهم قتلٌ ولا أخذُ مالٍ، وهذا الحبسُ يكون نفياً عن الأرض معنًى؛ إذ لا يبقى لهم تَقلُّبٌ في الأرض، وقد قال بعض المسجونين شعر:

خرَجنا مِن الدُّنيا ونحنُ مِن اهْلِها ... فَلَسْنا مِنَ الأحياءِ فيها ولا الموْتَى

إذا جاءَنا السَّجَّانُ يوماً لِحاجةٍ ... عَجِبنا وقُلنا جاءَ هذا مِن الدُّنيا(٢)

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَا﴾؛ أي: فضيحةٌ، و﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارةٌ إلى المذكورِ قبلَه.

وقوله تعالى: ﴿وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾؛ أي: مع عقوبةِ الدُّنيا.

وقال الكلبيُّ عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما: إنَّ رسولَ الله ﷺ وادعَ هلالَ بنَ عويمر ـ وهو أبو بردةَ الأسلميُّ ـ على ألَّا يعينَه، ولا يعينَ عليه، ومَن أتاهُ مِن المسلمين فهو آمن من(٣) أنْ يُهاج، فمرَّ أناسٌ مِن بني كنانة يُريدون الإسلام بأناسٍ من(٤) أسلمَ من قوم هلال، ....

---

(١) في (ر) و(ف): «أو يحبسوا».

(٢) اختلف في نسبتها، فنسبها الجاحظ في «المحاسن والأضداد» (ص: ٣٧ـ٣٨) لعبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، ونسبت في «أمالي المرتضى» (١/ ١٤٥)، و«معجم الأدباء» (١/ ٣٣١)، و«إنباه الرواة» (١/ ٩٧) لصالح بن عبد القدوس، ونسبها ابن عبد البر في «بهجة المجالس» (٣/ ١٠٧ ـ ١٠٨) لعلي بن الجهم.

(٣) لفظ: «من» ليس في (ف).

(٤) تحرفت في النسخ الخطية إلى: «ممن».

ولم يكن هلال شاهداً يومئذٍ، فنهدوا[١] إليهم، فقتلوهم، وأخذوا أموالَهم، فبلغَ ذلك إلى رسولِ الله ﷺ، فنزل جبريلُ عليه السَّلام بالقضية فيهم: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ الآية[٢].

فقال له جبريل: ابعثْ في طلبِ القوم، فمن قدَرْتَ عليه وقد قُتِلَ وأَخَذَ المال، فحَدُّهُ الصَّلب، وإنْ وجدتَه قد قَتَلَ ولم يَأخذِ المالَ فحدُّه القتل، وإنْ وجدتَه قد أخذَ مالاً ولم يَقتُل، فحَدُّهُ القطعُ، تُقطعُ يدُه اليُمنى ورجلُه اليُسرى، ومَن لم يقدِر عليه نُفِيَ مِن الأرض، والنَّفيُ مِن الأرض إذا عجَزوا عن إدراكِه، أن يُنادى عليه: مَن لقيه قتلهُ.

وقال سعيدُ بنُ المسيَّب: نزلَتِ الآية في العُرَنيِّين الذين ارتدُّوا، واستاقوا الإبلَ، وقَتلوا الرِّعاء، والقِصَّةُ مشهورةٌ[٣].

***

(٣٤) ـ ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهِمْ ۖ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهِمْ﴾ فتسقطُ عنهم هذه الحدودُ.

وقوله تعالى: ﴿فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[٤] يغفرُ لهم بالتَّوبة فلا يُعذِّبُهم، ويَرحمُهم، فلا يُعاقِبُهم.

---

(١) يقال: نهد إلى العدو ينهد؛ أي: نهض. انظر: «الصحاح» للجوهري (مادة: نهد).

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» (٤/ ٥٥).

(٣) لم أقف عليه عن سعيد بن المسيب، ورواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٣٦٢) وغيره عن سعيد بن جبير، وقصة العرنيين رواها أيضاً البخاري (٢٣٣)، (٤١٩٢)، (٥٧٢٧)، ومسلم (١٦٧١) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٤) بعدها في (أ): «غفور».

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: والفرق بينه وبين سائر الحدود:

أنَّ التَّوبةَ مِن غيرِ المحارب لا تَظهرُ حقيقةً، فلا تَظهرُ في إسقاطِ ما وجَبَ، وفي المحارب تَظهرُ.

والثاني: أنَّه لو لم يُقبَل منه ذلك لتَمادى في السَّعيِ في الأرض بالفساد، فيَلحقُ بالمسلمين مِن الضَّررِ أكثرُ مِن أخذِهم بذلك[1].

وقال القشيريُّ: السَّعيُ[2] بالفساد على ضربين؛ بالظَّاهرِ، وعقوبتُه هذه الظَّواهر، وبالباطن وعقوبتُه واردةٌ على السَّرائر، وذلك بقطعِ ما كان متَّصِلاً من وارداتِ الحقِّ، والسِّترِ بعد الكَشْف، والحجابِ بعد البَسط، واستشعارِ الوَحْشَة بعد الأنس، وتبديلِ تَوالي التَّوفيق بتتابعِ صنوفِ الخِذلان، والنَّفي عن بساطِ العبادة، والإخراجِ إلى متابعات النُّفوس، وذلك ـ والله ـ خزيٌ عظيمٌ، وعذابٌ أليم.

وقال في قوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟﴾: مَن أقلعَ عن معاصيه، وارتدعَ عن ارتكاب مساويه، قبل أنْ يَنهتِكَ[3] عنه سِتْرُ السَّداد، لا تقامُ عليه في الظَّاهر حدودُ الشريعة، ولا يؤاخِذُه الحقُّ سبحانهُ وتعالى بسالفِ الجريمة، وإذا قَدَر عليه الإمامُ قبلَ إظهارِ التَّوبةِ، أقامَ عليه الحدَّ وإنْ تَقنَّع بنقابِ التَّقوى والخشية، وكذلك إذا سقطَ العبدُ عن عينِ الله، لم يصل بعدَهُ إلى ما كان عليه مِن تقريبِ اللهِ إيَّاه بالمشاهدة[4].

***

---

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٣/ ٥٠٨).

(٢) بعدها في (ر): «في الأرض».

(٣) في (أ): «نهتك».

(٤) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (١/ ٤٢٠ ـ ٤٢١).

(٣٥) - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِى سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ فلا تُؤذوا عبادَ الله، وثِقُوا بوعدِ الله، ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧].

وقوله تعالى: ﴿وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾؛ أي: القُربة بالتَّقوى، فلن يُقرِّبكم إليه غيرُه، لا كما يَفعلُ هؤلاء اليهود بالتَّوسُّل بآبائهم[1]، والإفراطِ في ذلك، حتى يقولوا: ﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾ [المائدة: ١٨].

وقوله تعالى: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِى سَبِيلِهِۦ﴾ هؤلاء اليهودَ وسائرَ الكُفَّار.

وقوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾؛ أي: لِتَأمنوا ما تخافون، وتَنالوا ما تَرجون.

وقيل: لمَّا قال: ﴿وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ وهي القربة، قطعَ وَهْمَ القُربةِ بالمكانِ، فقال: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِى سَبِيلِهِۦ﴾؛ أي: هذا التَّقرُّب بسلوكِ سبيل طاعتِه واجتنابِ مخالفتِه.

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: ابتغاءُ الوسيلة: التَّبرِّي عن الحولِ والقُوَّةِ، والتَّحقق بشهودِ الطَّولِ والمنَّة.

ويقال: ابتغاءُ الوسيلةِ: التَّقرُّب إليه بما سبقَ إليك مِن إحسانِه.

ويقال: هو خلوصُ العقدِ عن الشِّرك[2].

ويقال: هو استدامةُ الصِّدق في الوَلاء إلى آخر العمر.

---

(١) في (أ) و(ف): «بآبائهم» بدل من «إلى آبائهم».

(٢) في «لطائف الإشارات»: «الشك» بدل: «الشرك».

ويقال: هو تجريدُ الأعمالِ عن الرِّياءِ، وتفريدُ الأحوالِ عن الإعجاب، وتخليصُ الأنفاسِ عن الحظوظ[١].

***

(٣٦) - ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُواْ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُواْ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ذكرَ وعيدَ المتباعِدين بعد وعد المتوسِّلين، يقول: لو أنَّ الكُفَّار ملكوا جميعَ ما في الأرض، وملكوا مثلَ ذلك؛ ليفتدوا به، فيُخلِّصوا أنفسَهم مِن عذابٍ حضر[٢]، لم يُتقبَّل ذلك منهم، ولم يُخلَّصوا، ولهم عذابٌ وجيع.

وقال أنسُ بن مالك رضي الله عنهما: قال رسول الله ﷺ: «يُقالُ للكافر يوم القيامة: أرأيت لو كان لك ملءُ الأرض ذهباً، أكنتَ تفتدي به؟ فيقول: نعم، فيقال: لقد سُئلتَ أيسرَ من ذلك»[٣].

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: اليوم يُقبَلُ مِن الأحبابِ مثقالُ ذرَّةٍ، وغداً لا يُقبَلُ مِن الأعداءِ ملءُ الأرضِ ذهباً ودرَّاً[٤].

***

(١) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (١/ ٤٢١).

(٢) في (ر): «جهنم».

(٣) رواه البخاري (٦٥٣٨)، ومسلم (٢٨٠٥): (٥٢).

(٤) في (أ) و(ر): «ودرة». وانظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (١/ ٤٢٢).

(٣٧) ـ ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ﴾ قيل: أي: يَطمعون، كما يقولُ الرَّجلُ لآخر: إنَّما أريدُ أنْ تُعطيني كذا؛ أي: أطمع، وهو قولهم: ﴿لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ [البقرة: ٨٠]، وقال أبو الدرداء[1]:

يقولُ المرءُ فائِدتي ومالِي ... وتقوى اللهِ أفضلُ ما استَفادَا[2]

يُريدُ المرءُ أنْ يُعطَى مُناهُ ... ويَأبَى اللهُ إلَّا ما أَرادَا[3]

فمعناه: يَطمعون اليومَ أنْ يَخرُجوا منها غداً، فقطعَ طمعَهم بقوله: ﴿وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنْهَا﴾.

وقيل: معناه: أي: يَتمنَّون في النَّار أنْ يَخرجوا منها، ولا يكونُ ما يَتمنَّون.

وقيل: هو قصدُهم في النَّار إلى الخروج[4]، ولا يمكَّنون منه، قال تعالى: ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا﴾ [السجدة: ٢٠].

وقيل ـ وهو قول الضَّحَّاك ـ: هو سؤالُهم الإخراجَ مِن النَّار، قال تعالى: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٧]، وقال[5]: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا﴾ [فاطر: ٣٧].

---

(١) في (ر) و(ف): «الشاعر» بدل: «أبو الدرداء».

(٢) البيت الأول من (أ).

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في «التقوى» كما في «الدر المنثور» للسيوطي (١/ ١٣٦)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ٢٢٥).

(٤) في (أ): «إليه» بدل: «إلى الخروج»، وليس في (ف).

(٥) في (ر): «وقالوا».

وقيل: معناه: يكادونَ يَخرجون منها إذا رفعَتهم بلهبِها، وهو كقوله: ﴿جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ﴾ [الكهف: ٧٧].

وقوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ وهذا الخلودُ للكفَّار، وصدرُ الآيةِ فيهم.

وقال مجاهدٌ: إذا أُخرِجَ[1] المؤمنون من النَّار، تمنَّى الكفار أن يكونوا مسلِمين، فذلك قولُه تعالى: ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ﴾ [الحجر: ٢][2].

وقال عوفٌ للحسن البصريِّ رحمه الله: بمَ يدخلون النَّار؟ قال: بذنوبِهم، قلت: وبم يَخرجون؟ قال: بإيمانهم.

* * *

(٣٨) ـ ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ﴾ السَّرقةُ: أخذُ ما ليس له مستخفياً، هذا هو حقيقتها لغةً، واستراقُ السَّمعِ كذلك، والسَّرقةُ الموجبةُ في الشَّرع للقطع: هي أخذُ النِّصابِ مِن الحرزِ على استخفاء، والسَّارقُ: الرجل الفاعل لذلك، والسارقةُ: المرأة، وبدأ بالرَّجل هاهنا، وبالمرأةِ في قوله: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي﴾؛ لأنَّ الدَّاعي إلى ذلك الفعلِ يَنشأ مِن جهتِها غالباً، وهذا الفعلُ وهو السَّرقةُ وجودُه يكونُ مِن الرَّجل غالباً.

وقوله تعالى: ﴿فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا﴾ أضافَ الأيدي إليهما، فيكون عن كلِّ واحدٍ منهما يدٌ واحدةٌ، كما في قوله تعالى: ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [التحريم: ٤]، وتقديرُه: صغى قلبُ كلِّ واحدٍ منكما، فكذلك هاهنا، وتقديرُه: فاقطعوا يدَ كلِّ واحدٍ منهما،

---

(١) في (ف): «خرج».

(٢) روى نحوه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٤٢٩)، ومن طريقه الطبري (١٤/ ١١).

ثمَّ لم يعرف تعيينُ اليدِ التي تُقطع فيها، ولا[١] موضعُ القطعِ منها بإطلاقه، فتوقَّفَ على بيان[٢] النبيِّ ﷺ، وقد بيَّنَهُ فعلاً بقطعِ[٣] يمين السَّارقِ من المفصل[٤]، فصارَ ملتحقاً بالنصِّ كالمنطوقِ به، ولذلك قرأ عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: (فاقطعوا أيمانَهما)[٥]، وهو جمعُ يمين.

وقيل: إنَّما جمعَ الأيدي؛ لأنَّ السَّارقَ اسمُ جنس، وكذلك السَّارقة، وأريد بهما الجمع، فلذلك قال: الأيدي؛ لأنها أفرادٌ مضافةٌ إلى الجمع، وقال: ﴿أَيْدِيَهُمَا﴾ على التثنية، ولم يقل: أيديهم؛ لظاهرِ اللَّفظ، وهذا جمعٌ بين اعتبارِ اللَّفظِ واعتبارِ المعنى في كلامٍ واحد، وهو سائغٌ[٦] لغةً، كالجَمعِ بين تذكيرِ المعنى وتأنيث اللَّفظ، قال الشاعر:

أبــوكَ خليفــةٌ وَلَدَتْــهُ أُخْــرى ... وأنتَ خَلِيفــةٌ ذاكَ الكمــالُ[٧]

---

(١) في (ف): «ولأن موضع كل واحد منهما» بدل: «ولا».

(٢) في (أ): «إطلاق».

(٣) في (ف): «نبه النبي ﷺ فعلى ذلك تقطع» بدل: «بينه فعلا بقطع».

(٤) خبر قطع اليد من المفصل رواه البيهقي في «السنن الكبرى» (١٧٢٤٨ ـ ١٧٢٥٠) من حديث عدي وجابر وعبد الله بن عمرو رضي الله عنهم، وقطع اليد اليمنى لا خلاف فيه بين العلماء. انظر: «تفسير القرطبي» (٧/ ٤٦٨)، وجاء في حدبث عبد الله بن عمرو أخرجه أحمد (٦٦٥٧)، والطبري في «تفسيره» (٨/ ٤١١)، وفي إسناده ابن لهيعة.

(٥) رواها عنه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٤٠٧ ـ ٤٠٨)، وذكرها الفراء في «معاني القرآن» (١/ ٣٠٦)، وابن خالويه في «مختصر في شواذ القرآن» (ص: ٣٩).

(٦) في (ف): «شائع».

(٧) البيت في «معاني القرآن» للفراء (١/ ٢٠٨)، وتفسير الطبري (٥/ ٣٦٢)، و«المذكر والمؤنث» لابن الأنباري (٢/ ١٤٤)، و«تفسير الثعلبي» (٣/ ٥٩) وغيرها دون نسبة.

واتِّصالُ هذه الآية بما قبلَها: أنَّ ذلك في أخذِ مال الغيرِ ظاهراً، وهذا في أخذِه باطناً.

وقوله تعالى: ﴿جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلٗا مِّنَ ٱللَّهِۗ﴾؛ أي: مكافأةً لهما على ما فعلا مِنْ فِعلِ السَّرقةِ.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: فإن قيل: ما الحكمةُ في قطعِ يدٍ قيمتُها ألوفٌ بسرقةِ عشرة دراهم، وقد قال تعالى: ﴿مَنۡ عَمِلَ سَيِّئَةٗ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا﴾ [غافر: ٤٠]؟

قلنا: جزاءُ الدنيا محنةٌ يُمتحَنُ بها المرءُ، ولله تعالى أنْ يَمتحن عباده[١] بما شاء ابتداءً مِن غير جزاءٍ على كَسْب، ولأنَّ القطعَ ليس بجزاءِ ما أخذَ مِن المال، ولكن لـمَا هتكَ مِن الحُرمة، ألا ترى أنَّه قال: ﴿جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا﴾، فيجوز أنْ يَبلغ جزاءُ هتكِ تلك الحرمة قطعَ اليد، وإنْ قصرَ عن البشر علمُ ذلك؛ لأنَّ مقاديرَ العقوبات إنَّما يَعلمُها مَن يَعلمُ مقاديرَ الإجرام، وإذا كان كذلك، فحقُّه التَّسليمُ والانقياد[٢].

وقوله تعالى: ﴿نَكَٰلٗا مِّنَ ٱللَّهِۗ﴾؛ أي: عقوبةً رادعةً لهما من العود، ولغيرِهما مِن الاقتداء بهما، مأخوذٌ من النُّكول، وهو الامتناعُ، وقد شرحنا ذلك في قِصَّة القِردة مِن سورة البقرة[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾ ﴿عَزِيزٌ﴾ أي: منيعٌ لا يُعارَض في حكمِه، ﴿حَكِيمٞ﴾ فيما حكمَ به في شرعِه، فهو تحصينٌ للأموال، ومنعٌ للعِباد عن سيِّء الأفعال.

---

(١) لفظ: «عباده»: من (ر).

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٣/ ٥١٢ ـ ٥١٣).

(٣) عند تفسير الآية (٦٦) منها.

قال ابنُ عباس رضي الله عنهما: نزلت الآيةُ في طُعمَة بن أُبيرِق الظَّفَري سارقِ الدِّرع[١]، وقد بيَّنَّا القصَّة في سورة النِّساء[٢].

* * *

(٣٩) ـ ﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ﴾؛ أي: سرقتِه، كما في قوله: ﴿فَهُوَ جَزَآؤُهُۥۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [يوسف: ٧٥]؛ أي: السَّارقين.

وقوله تعالى: ﴿وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِ﴾؛ أي: ردَّ المسروقَ، وأَرْضى الخصمَ.

وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِ﴾ أي: يقبلُ توبتَه.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾ أي: يَغفِرُ ذنبَه، فلا يَفضحُه، ويَرحمُه فلا يُعذِّبُه.

وقال الإمامُ القشيريُّ رحمه الله: مَن ندِمَ على ما صنعَهُ، وتَداركَ ما ضيَّعَهُ، وأصلحَ مِن أمرِه ما أفسدَهُ، أقبلَ اللهُ عليهِ بفضله فغفرَه[٣]، وأعادَ[٤] عليه باللُّطفِ وجبرَه[٥].

* * *

---

(١) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ١٨٨) عن الكلبي.

(٢) عند تفسير الآية (١٠٥) منها.

(٣) في (ف): «لذنبه فغفره».

(٤) في (أ) و«لطائف الإشارات»: «وعاد».

(٥) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (١/ ٤٢٣).

(٤٠) ـ ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ ﴾؛ أي: يا محمَّدُ، وقيل: أي: يا إنسان؛ خطابٌ لكلِّ مكلَّف، وقيل: الخطابُ للنَّبيِّ ﷺ، والمرادُ جميعُ أمَّته.

وقوله تعالى: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ والمرادُ مِن هذا الاستفهام الأمرُ؛ أي: اعلَمْ أنَّ ملكَ السَّماواتِ والأرض لله.

وقوله تعالى: ﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾؛ أي: السَّارقَ، يأمرُ بقطعِه مع توبتِه.

وقوله تعالى: ﴿وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ﴾ يُسقِطُ الحدَّ عن قاطعِ الطَّريق إذا تابَ قبل أنْ يُقدَرَ عليه، نَفى بذلك وَهْمَ من يقول في نفسه: لم افترقَ حكمُهما؟ فيقول: الملكُ لي، والحكمُ لي، فلا اعتراضَ على فعلي.

وقال الكلبيُّ: ﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ مَن ماتَ على كُفرِه، ﴿وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ﴾ لمَن تابَ مِن ذنبه.

وقال الضَّحَّاك: ﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ على الصَّغيرةِ إذا أصرَّ عليها، ﴿وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ﴾ الكبيرةَ إذا نزعَ عنها[1].

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ أي: على التعذيبِ والمغفرةِ وغيرِهما.

* * *

(٤١) ـ ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ ۛ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ

---

(١) انظر قولي الكلبي والضحاك في «تفسير الثعلبي» (٤/ ٦٣).

سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُوا۟ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ﴾ خاطبَ سائرَ الأنبياءِ باسم التعريف: ﴿يَٰٓـَٔادَمُ﴾ [البقرة: ٣٣]، ﴿يَٰنُوحُ﴾ [هود: ٣٢]، ﴿يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ﴾ [هود: ٧٦]، ﴿يَٰلُوطُ﴾[1]، وخاطبَ محمَّداً ﷺ باسم التَّشريفِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ﴾، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ﴾ [الأنفال: ٦٤].

﴿وَلَا يَحْزُنكَ﴾ لا يغمك المسارعون ﴿فِى ٱلْكُفْرِ﴾.

قوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ﴾ وهم المنافقون.

وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟﴾ عطف على المنافقين.

وقوله تعالى: ﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ﴾ أي: هم ﴿سَمَّٰعُونَ﴾، أضمرَ الابتداء.

وقيل: تمَّ الكلامُ الأوَّلُ بذكرِ المنافقين، وقوله: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟﴾ ابتداءٌ، و﴿سَمَّٰعُونَ﴾ خبره، وانتظامُها بما قبلَها: أنَّ أخذَ المال بقطع الطَّريق والسَّرقة أورثَ[2] العقوبةَ، وأخذَ اليهودِ أموالَ النَّاس لتحريف الكتاب أورثَ الكفرَ.

وقوله: ﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ﴾ مبالغةٌ في السَّماع.

---

(١) وقع خطاب لوط في كلام الملائكة في قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ﴾ [هود: ٨١]، وفي مخاطبة قومه له: ﴿قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ...﴾ [الشعراء: ١٦٧].

(٢) في (أ): «أوجب».

وقال الحسنُ رحمه الله: معناه: ﴿سَمَّٰعُونَ﴾ منك ليكذِبوا عليك[١].

وقوله تعالى: ﴿سَمَّٰعُونَ لِقَوۡمٍ ءَاخَرِينَ لَمۡ يَأۡتُوكَ﴾؛ أي: يَسمعون منك ليُخبِروا مَن لم يَأتِك، والسَّمَّاعون: هم كبارُ اليهود، والذين لم يَأتوك هم عوامُّهم الذين اشتَغلوا بمعايشِهم؛ يعني: يَنقُلون عنك إليهم[٢] غيرَ ما قلت، يَحتالون بذلك للتَّحريف، وكانوا يُفتونهم[٣] بآرائِهم، ويُروِّجون ذلك بقولهم: نأتي محمَّداً فنسمعُه يقولُ كذلك، وهو حكمُ الله في كتابنا وكتابهم، يقول: إنَّ عوامَّهم لا يأتونَك فيعرفوا أحكامَ الإسلام.

وقيل: معنى قوله: ﴿سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ﴾؛ أي: قابلونَ لكذب أحبارهم في أخبارهم، قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ﴾ [الأنفال: ٢١]؛ أي: قالوا: قبلنا، وهم لا يقبلون.

وقوله: ﴿سَمَّٰعُونَ لِقَوۡمٍ ءَاخَرِينَ لَمۡ يَأۡتُوكَ﴾؛ أي: جواسيسُ يأتونك فيتجسَّسون، ثمَّ يَرجِعون فيُخبِرون، وهو كقوله: ﴿وَفِيكُمۡ سَمَّٰعُونَ لَهُمۡ﴾ [التوبة: ٤٧].

وقوله تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ مِنۢ بَعۡدِ مَوَاضِعِهِۦ﴾؛ أي: مِن بعد إنزالِ اللهِ تلك مذكورةً في مواضعها، و﴿ٱلۡكَلِمَ﴾ جمعٌ على صيغةِ الواحد، فجَمَعَ المواضعَ، ووحَّد الكنايةَ في آخرِها لذلك.

وقوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ إِنۡ أُوتِيتُمۡ هَٰذَا فَخُذُوهُ﴾؛ أي: يقولُ أحبارُهم لعوامِّهم: إنْ حَكَمَ لكم محمَّدٌ بما أخبرَنا أنَّه في كتابِنا فاقْبَلوه.

---

(١) انظر قول الحسن في «النكت والعيون» للماوردي (٢/ ٣٨)، وزاد نسبته للزجاج، وهو في «معاني القرآن» له (٢/ ١٧٤).

(٢) بعدها في (ر): «اليهود».

(٣) في (ف): «يفتنونهم».

وقوله تعالى: ﴿وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُوا۟﴾ أي: إنْ حكمَ بخلافِ هذا، فلا تَقبلوهُ، وتَحرَّزوا عن حكمِه.

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ قطعَ رجاءَ محمَّدٍ ﷺ عن إيمانِ هؤلاء، فقال: ﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ﴾ إضلالَهُ في الدُّنيا، وتعذيبَهُ في الآخرةِ، فلن تمنعَ أنت يا محمَّدُ(١) عنهم ذلك. والفتنةُ: قد تكون بمعنى الإضلال، قال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾ [النور: ٦٣]، وقد تكون بمعنى العذاب، قال تعالى: ﴿ذُوقُوا۟ فِتْنَتَكُمْ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ [الذاريات: ١٤].

وقال الزَّجَّاج: ﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ﴾؛ أي: فضيحتَهُ(٢) وإخزاءَهُ بإظهار حاله.

ودلَّت الآيةُ على إرادة الله تعالى أفعالَ العبادِ وخلقها، وهو في من علم أنَّه يَختارُ الكفرَ.

وقوله تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ﴾؛ أي: عن الكفرِ؛ لعلمِه منهم اختيارَ الكفرِ.

وقوله تعالى: ﴿لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ وخزيُ الدُّنيا هو ما قال: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ﴾ [البقرة: ٦١]، وقال: ﴿مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا﴾ [الأحزاب: ٦١].

وقيل: هو أخذُ الجزيةِ منهم.

وقيل: هو السَّبيُ والجلاء.

---

(١) قوله: «يا محمد» من (ر).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ١٧٦).

وقال مقاتل: نزلَت الآيةُ في المنافقين واليهود، والذين هادوا[١] كعبُ بن الأشرف، وكعبُ[٢] بن أسيد، وسعيد[٣] بن عمرو، ومالك بن صوريا[٤]، وكنانة، وشاس بنُ قيس، وأبو نافع[٥]، ويوسف، وعازار[٦]، وسلول[٧]، ومختار بن عمرو بن سلول[٨]، وهم ﴿سَمَّٰعُونَ لِقَوۡمٍ ءَاخَرِينَ﴾ أي: ليهودِ خيبر، ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ مِنۢ بَعۡدِ مَوَاضِعِهِۦ﴾[٩] أي: أمر الرَّجم، وذلك أنَّ رجلاً [يسمى يهوذا] وامرأةً اسمُها بسرة من يهود خيبر زنيا، وكانا في شرفٍ، فكرهوا رجمَهما، وقالوا: إنَّ في دين محمد الضَّرب، فلو كان نبياً كما يَزعُم، فليس على صاحبنا رجم، فكتب يهودُ خيبرَ إلى يهود المدينة، وبعثوا نفراً منهم، وقالوا: سلوا محمَّداً عن الزانيين إذا أحصنا، ما حدُّهما؟ فإن أمرَكم بالجلد فاقبلوا منه، وإن لم تؤتوه ـ أي: الجلد ـ وأمرَكُم بالرَّجم، فلا تَقبلوه منه.

فجاؤوا وسألوا، فأتاهُ جبريلُ بالرَّجم، وقال جبريل: اجعل بينك وبينَهم ابنَ صوريا الأعور، وسلهم عنه، فقال النبيُّ ﷺ: «هل تعرفون غلاماً شاباً أبيضَ أمردَ أعور، يَسكن فدك، يقال له: ابنُ صوريا؟» قالوا: نعم، هو أعلمُ يهوديٍّ بقي في[١٠] الأرض، فأرسلَ

---

(١) بعدها في (ف): «في».

(٢) في (ف): «وفي كعب».

(٣) في (ف): «وسعد».

(٤) في مطبوع «تفسير مقاتل» (١/ ٤٧٤): «وسعيد بن مالك وابن صوريا».

(٥) في «تفسير مقاتل»: «وأبو رافع».

(٦) في «تفسير مقاتل»: «ويوسف بن عازار».

(٧) في (أ): «وشاول».

(٨) في «تفسير مقاتل»: «وسلول بن أبي سلول والبخام بن عمرو».

(٩) في (أ) و(ف): «عن» بدل: «من بعد».

(١٠) بعدها في (ف): «وجه».

إليه النَّبيُّ ﷺ، فجاءَ فقال له: «أنت أعلمُ اليهود؟» قال: كذلك يزعمون، قال النبيُّ ﷺ: «اجعلوه بيني وبينكم»، قالوا: قد رضينا بما رضيت، فقال له: «فإنِّي أنشُدكَ اللهَ الذي لا إلهَ إلا هو، إلهَ موسى وإلهَ بني إسرائيل، الذي أخرجَكم مِن مصر، وفلقَ لكم البحرَ، فأنجاكم وأغرقَ آل فرعون، وأنزلَ عليكم كتاباً فيه حلالُه وحرامه، وظلَّل عليكم الغمامَ، وأنزلَ عليكم المنَّ والسَّلوى، هل وجدتُم في كتابكم الرَّجم على مَن أحصِن؟» قال: نعم، ولولا مخافةُ أنْ أهلِكَ إن كتمتُ أو كذبتُ، ما اعترفت لك به، فقال له قومُه[١]: ما أسرعَ ما أخبرتَهُ به، فأمر النبيُّ ﷺ بهما فرُجِما[٢].

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: فيه وجوهٌ من الدَّلائل:

أحدها: أنَّه ظهرَ بكتمانِهم الحقوقَ التي بينَهم وبين الله تعالى خيانتُهم في كتمانِهم بعثَ النبيِّ ﷺ.

والثاني: إثباتُ رسالته إذ باللهِ عَلِمَ.

والثالث: أنَّهم لـمَّا طلبوا منه الرُّخصةَ والتَّخفيفَ في الحدِّ، دلَّ أنَّهم عرَفوا أنَّه رسولٌ؛ إذ لا يُطلَبُ ذلك مِن غير الرَّسول؛ لكنَّهم عاندوا.

والرابع: جوازُ شهادة بعضِهم على بعض؛ إذ قبلَ شهادةَ ابنِ صوريا عليهم بالرَّجم[٣].

وقال الكلبيُّ: نزلَت الآيةُ في أبي لُبابة بنِ عبد المنذر: وذلك لمَّا استشارَهُ بنو

---

(١) بعدها في (ف): «ما أسرع ما اعترفت به وقال له قومه».

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (١/ ٤٧٤ ـ ٤٧٦)، وانظر أيضاً: «تفسير الثعلبي» (٤/ ٦٣ ـ ٦٤)، والخبر فيه دون نسبته لمقاتل. وهذا الخبر رواه ابن إسحاق كما في «سيرة ابن هشام» (١/ ٥٦٤)، ومن طريقه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٤١٤ ـ ٤١٥).

(٣) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٣/ ٥٢٢).

قريظة: أننزل[١] على حكم سعد بن معاذ[٢]؟ فأشار عليهم بيده أنَّه الذبح، قال أبو لبابة: فما زالتْ قدمايَ حتَّى علمتُ أنِّي خنتُ اللهَ ورسولَه[٣].

وقال قتادة: ذُكِر لنا أنَّ هذا كان في قتل بني قريظة والنَّضير، رجل من قريظةَ قتلَهُ النَّضير، وكانت النَّضيرُ إذا قَتلت مِن قريظةَ لم يُقيدوهم[٤]، وإنَّما يُعطونَهم الدِّيةَ؛ لفضلِهم عليهم، وكانت قريظةُ إذا قتلَت مِن النَّضير لم يَرضَوا إلَّا بالقَوَد؛ لفضلِهم في أنفسِهم تَعزُّزاً، فقدِمَ النَّبيُّ ﷺ على هؤلاء، فأرادوا أن يَرفعوا ذلك إلى النَّبيِّ ﷺ ليَحكمَ بينهم، فقال رجلٌ مِن المنافقين لهم: إنَّ قتيلَكُم هذا عمدٌ[٥]، ومتى تَرفعوه إلى محمَّدٍ أخشى عليكم القَوَدَ، فإنْ قَبِلَ منكم الدِّيةَ فخذوه[٦]، وإلَّا فكونوا على حَذَرٍ[٧].

وقال الإمامُ القشيريُّ رحمه الله: ﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتۡنَتَهُۥ﴾ من أرسلَ عليه قوارعَ[٨] الهوى، وسلَّطَ عليه نوازِعَ الـمُنى، وأذلَّهُ بسُوءِ القضاء، فليس يُلقى عليه غيرُ الشَّقاء[٩].

---

(١) في (أ) و(ر): «أنزل»، ولعل المثبت هو الصواب.

(٢) «أنزل على حكم سعد بن معاذ»: سقط من (ف).

(٣) ذكره أبو الليث في «تفسيره» (١/ ٤٣٦)، ولم ينسبه للكلبي. وأخرجه سعيد بن منصور: (٩٨٧ ـ تفسير)، والطبري: (١١/ ١٢٢)، وابن أبي حاتم: (٥/ ١٦٨٤) (٨٩٧٥) عن عبد الله بن أبي قتادة لكن في سبب نزول قوله تعالى: ﴿لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾ [الأنفال: ٢٧]، وهو مرسل.

(٤) في (أ): «يقدهم». وفي (ف): «يقودوهم».

(٥) في النسخ الخطية: «عبد» والمثبت من مصدر التخريج.

(٦) في (ر): «فاقبلوا».

(٧) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٤٢٦).

(٨) في «لطائف الإشارات»: «غاغة» بدل: «قوارع». والغاغة تطلق على الكثير المختلط من الناس. انظر: «الصحاح» للجوهري: (غوى).

(٩) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (١/ ٤٢٤).

(٤٢) ـ ﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـًٔا وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ﴾ له وجهان كما مرَّ، وهو نعتٌ لـ ﴿أُولَٰٓئِكَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ﴾؛ أي: الحرام المستأصل، وقد سَحَتَهُ وأسْحَتَهُ إذا استأصَلَهُ، قال تعالى: ﴿فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ﴾ [طه: ٦١].

وقال الزَّجَّاج: سُمِّي الحرامُ به؛ لأنَّه يُعقِبُ عذابَ الاستئصال[١].

وقيل: لأنه لا بركةَ فيه، فيزولُ عن قريب.

وقال الخليل: هو القبيحُ الذي فيه العار، فيُسْحِتُ مروءةَ الرَّجل[٢].

وقيل: هو حرامٌ يَحمِلُ عليه الشَّرَهُ، من قولهم: فلانٌ مسحوتُ المعدة، إذا كان أكولاً شَرِهاً. والسُّحت هاهنا: هو الرشوة في الفُتيا والحكمِ وتحريفِ الكتاب.

قال مقاتل بن حيان: هو كعبُ بنُ الأشرف، كانت اليهودُ تَحاكَمُ إليه، فيَرتشي، فيَقضي لمن رشاهُ.

وقال الحسن: كان الحاكمُ في بني إسرائيل إذا أتاهُ أحدهم برشوةٍ جعلَها في كمِّه، فيريها إيَّاه، فينظرُ إليها، ويَتكلَّمُ بحاجتِه، فيَسمع منه، ولا يَنظرُ إلى خصمِه، فيأكلُ الرشوةَ، ويَستمعُ للكذب[٣]، فأنزلَ اللهُ تعالى فيهم: ﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ﴾.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ١٧٧).

(٢) انظر: «العين» للخليل (٣/ ١٣٢) (مادة: سحت).

(٣) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٥٨).

وقال مسروق: سألتُ ابنَ مسعودٍ رضي الله عنه عن السُّحت، أهو الرشوةُ في الحكم؟ قال: لا، ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ و﴿ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾ و﴿لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٤٤، ٤٥، ٤٧]، ولكنَّ السُّحتَ أنْ يَستعينَك على مَظْلَمَةٍ فيُهدي لك، فتَقبلَه، فذلك السُّحتُ[(١)].

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: إذا دفع مالاً ليدفع الظلم عن نفسه أو ماله فهو معذور، رويَ ذلك عن الحسن وعطاء والشَّعبي[(٢)].

وقال أبو الشَّعثاء: لم نَجِد في زمنِ زياد شيئاً أنفعَ لنا من الرِّشا[(٣)].

وأمر النبيُّ ﷺ بلالاً أن يُعطيَ رجلاً[(٤)]، وقال له: «اقطعْ عنِّي لسانَه»[(٥)].

وقوله تعالى: ﴿فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ قال الكلبيُّ: ﴿فَإِن جَآءُوكَ﴾؛ يعني: أهل خيبر، ﴿فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ﴾ بالرَّجمِ، ﴿أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ فلا تقضِ بينهم، أنت في ذلك بالخيار.

قال ابنُ عبَّاس رضي الله عنهما: ثمَّ نُسِخَ الخيار، ووجبَ الحكمُ بقولِه: ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ [المائدة: ٤٩][(٦)].

---

(١) رواه سعيد بن منصور في «سننه» (٧٤١ ـ تفسير)، والطبري (٨/ ٤٣٠).

(٢) لم أقف على هذا الكلام في «تأويلات أهل السنة» للماتريدي.

(٣) انظر: «أحكام القرآن» للجصاص (٤/ ٨٦)، وقول أبي الشعثاء جابر بن زيد رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢١٩٩٠).

(٤) بعدها في (ر): «شيئاً».

(٥) رواه العقيلي في «الضعفاء الكبير» (٣/ ٤١٤)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٢١١٣٠) عن عكرمة، قال البيهقي: هذا منقطع.

(٦) رواه ابن أبي حاتم (٤/ ١١٣٥) (٦٣٨٨)، والحاكم في «المستدرك» (٣٢١٧).

وقوله تعالى: ﴿وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْئًا﴾؛ أي: لن يقدروا على الإضرارِ بك.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾؛ أي: وإن اخترتَ ذلك فاحكم بالعدلِ، إنَّ اللهَ يُحِبُّ العادلين.

وقال عمرُ وعليٌّ وابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهم: السُّحتُ: الرِّشوةُ في الحكمِ، ومهرُ البَغِيِّ، وحلوانُ الكاهن، وثمنُ الكلبِ، وثمنُ الميتةِ، والدَّمِ، والخنزير، وعسَبُ الفحل، وأجرُ النَّائحة والمغنِّيةِ والساحر والقائف، وأجرُ مصوِّر التَّماثيل، وهديَّة الشَّفاعة، والاستعجال في المعصية[1].

وقال الحسن: إنَّما ذلك في الحَكَمِ إذا رشوتَهُ ليُحِقَّ لك باطلاً، أو ليُبطِلَ عنك حقًّا، فأمَّا أنْ يُعطي[2] الرَّجلُ الواليَ يخافُ ظلمَه وعدوانَه شيئاً؛ ليَدرأَهُ عن نفسه، فلا بأسَ به له، وعليه[3] وِزرُه[4].

***

(٤٣) - ﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾.

---

(١) كذا في النسخ، والصواب: «والاستعجال في القضية»، انظر: «تفسير الطبري» (٨/ ٤٣٣ ـ ٤٣٤)، والخبر فيه مروي عن علي رضي الله عنه، وفيه معظم الأصناف المذكورة. ورواه سعيد بن منصور في «سننه» (٧٤٥ ـ تفسير)، ومن طريقه البيهقي في «الكبرى» (١١٠٥٠) من طريق حبيب بن صالح عن ابن عباس، قال البيهقي: هذا منقطع بين حبيب بن صالح وابن عباس، وهو موقوف. وروى الطبري في «تفسيره» (٨/ ٤٣١) عن عمر قال: بابان من السحت؛ الرشا في الحكم، ومهر الزانية.

(٢) بعدها في (ر): «حق».

(٣) في (ف): «وعليك»، وفي (ر): «عليك وعلى الظالم»، بدل: «له وعليه».

(٤) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٥٨).

وقولـه تعالـى: ﴿ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ﴾ اسـتفهامٌ بمعنى الاستنكار؛ يعنـي: كيـف يجعلونـكَ حاكماً فيرضـون بحكمِـكَ، وعندَهـمُ التَّوراة فيهـا حكـمُ الله، فلا يَرضـون به؟

قال ابنُ عباس رضي الله عنهما: هو الرَّجم[١].

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾؛ أي: الرَّجم فلا يقبلونه.

وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ للحال بكتابهم؛ لأنَّهم قد حرفوه.

وقيل: أي: لا يؤمنون في المستقبلِ بكَ وبكتابِك[٢]، وهذا في قومٍ عَلِمَ اللهُ منهم أنَّهم لا يؤمنون.

وقال قتادة: ﴿فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ﴾ بيانُ ما تَشاجروا في أمر قتيلِهم[٣]، قال تعالى: ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ ﴾، وهم يَقتلون النَّفسَين بالنَّفس، وفيها: العين بالعين، وهم يَفقَؤون العينين بالعين.

❊ ❊ ❊

(٤٤) ـ ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٤٤٩) من قول السدي، وروى (٨/ ٤٤٨) عن ابن عباس أنه فسر حكم الله بحدود الله.

(٢) في (ر): «وبحكمك».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٤٤٨ ـ ٤٤٩).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾؛ أي: هدايةٌ إلى الدِّين، ونورٌ يُضيءُ طريقَ[1] الصَّواب في الأحكام.

وقوله تعالى: ﴿يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟﴾؛ أي: انقادوا لحكمِ اللهِ تعالى في التَّوراة، وهو كقوله: ﴿وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾ [البقرة: ١٢٨]، وهو هاهنا مِن الأوصافِ اللَّازمةِ التي ذُكِرَت للمدحِ والتَّشريف، لا مِن الأوصافِ المحتمِلة التي تُذكَرُ للتَّمييز والتَّعريف.

وقوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ هَادُوا۟﴾؛ يعني: على اليهود، واللامُ بمعنى «على»، كما في قوله: ﴿وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ [الإسراء: ٧]؛ أي: فعليها.

وقال مقاتلُ بن حيَّان: أي: لهم وعليهم[2].

وقوله تعالى: ﴿وَٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ﴾ عطفٌ على قوله: ﴿ٱلنَّبِيُّونَ﴾، والرَّبانيُّون: العالِمون العامِلون، نُسِبوا إلى الربِّ؛ لأنَّهم عالمون بهِ عاملون له.

وقيل: لأنَّهم يُربُّون النَّاسَ بعلمِهم.

قوله: ﴿وَٱلْأَحْبَارُ﴾ جمع حبر؛ بفتح الحاء وكسرها، وهو العالمُ الذي يُحَبِّرُ الأمورَ تحبيراً[3]؛ أي: يُحَسِّنُها.

وقال قطرب: هو مِن الجمالِ والهيئة، والعالم له[4] جمالُ العلم وبهاؤه، وفي

---

(١) بعدها في (ر): «الهدى و».

(٢) رواه ابن أبي حاتم وأبو الشيخ كما في «الدر المنثور» للسيوطي (٥/ ٣١٩).

(٣) «تحبيراً»: سقط من (ف).

(٤) في (أ): «به».

الحديث: «يخرجُ رجلٌ مِن النَّارِ قد ذهبَ حِبْرُهُ وسِبْرُهُ»[1]؛ أي: جماله وهيئته[2].

وقوله تعالى: ﴿بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ قيل: الباء[3] صلةُ «الأحبار»؛ أي: العلماءُ المحسنون بسبب حفظِ الكتاب.

وقيل: الباء صلة ﴿يَحۡكُمُ﴾؛ أي: يَحكمون بالتَّوراة بسبب استحفاظِهمُ الكتابَ.

وسينُ الاستفعالِ للطَّلب والسُّؤال، والحفظُ يكونُ عن النِّسيان، ويكونُ عن التَّضييعِ، وقد أُخِذَ عليهم الأمران جميعاً؛ أنْ يَحفظوها فلا يَنسَوها، ويُراعوا حقَّها[4] فلا يُضيِّعوها، فالحكمُ الذي يَحكُمُ به هؤلاء هو الرَّجمُ في الزِّنى، والقِصاصُ في قتلِ العمد، وغير ذلك، وقد ذُكر هذان الأمران قبلها وبعدها.

قوله تعالى: ﴿وَكَانُواْ عَلَيۡهِ شُهَدَآءَ﴾؛ أي: كان هؤلاء جميعاً شهوداً على أنَّه كتابُ الله وحكمُه، وأمرُه ونهيُه.

وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخۡشَوۡنِ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗاۚ﴾ ولمَّا كان الاستحفاظُ لِئلَّا يُحرِّفوا، وكان التَّحريفُ لأمرين؛ لخوفِ الكِبار، وطمعِ العوام، سدَّ عليهم البابين فقال: لا تَخشوا كبارَ القومِ واخشون[5]، ولا تَستبدلوا بأحكامِ دِيني عرضَ الدُّنيا.

---

(١) أورده أبو عبيد في «غريب الحديث» (١/ ٢٢٠)، وقال: وفي هذا الحديث اختلاف، وبعضهم يرفعه وبعضهم لا يرفعه، يقول: عن مطرف بن عبد الله بن الشخير. اهـ. وأخرج الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٥٤٨) عن مطرف بن عبد الله، في قوله: ﴿فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِي سَوَآءِ ٱلۡجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٥٥] قال: «والله لولا أنه عرفه ما عرفه، لقد غيرت النار حبره وسبره».

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» (٤/ ٧٠).

(٣) بعدها في (ف): «كونه».

(٤) في (ف): «حفظها».

(٥) بعدها في (ر): «ولا تشتروا».

وقال الحسينُ بنُ الفضلِ البَجليُّ رحمَه الله: إنَّ اللهَ استحفظَ أهلَ الكتابِ كتابَه، فبدَّلوا، وحفظَ القرآنَ بنفسِه فما بدلوا، قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩]، وكان المعنى في ذلك أنَّه كان بعد التَّوراةِ نزولُ الإنجيل، فعرَّفهم تبديلَ اليهودِ التَّوراة، وكان بعد الإنجيلِ نزولُ القرآن، فعرَّفهُم تبديلَ النَّصارى الإنجيلَ، ولم يكن بعد القرآنِ كتابٌ آخرَ، ولا بعد النَّبيِّ[1] نبيٌّ آخرُ يُعرِّفُهم لو وقعَ التَّحريفُ، فحفِظَهُ بنفسِه عن التَّبديل؛ ليَبقى لهم هادياً إلى سواءِ السَّبيل.

وقوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ «من» اسمُ جنسٍ تَصلحُ للجمعِ فوحَّد الشَّرطَ لتوحيدِ لفظِه، وجمع الجزاء لاجتماعِ معناه، ومعناهُ: ومَن لم يرَ الحكمَ به ولم يعتقده.

وقال عكرمةُ: من جحدَ شيئاً مِن حدود الله فقد كفر، ومن أقرَّ بها ولم يَحكُم بها فهو ظالمٌ فاسق[2].

وقال مقاتل: ﴿فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ﴾ أهلَ خيبرَ أنْ تُخبِروهم بالرَّجم، ﴿وَٱخْشَوْنِ﴾ إنْ كتمتمُوه[3].

وقال الكلبيُّ: ﴿فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ﴾ في إظهارِ صفةِ محمَّدٍ، والعملِ بالرَّجمِ، ﴿وَٱخْشَوْنِ﴾ في كتمانِ ذلك، ﴿وَلَا تَشْتَرُوا۟﴾ بالقرآنِ وبمحمَّدٍ عرضاً يسيراً مِن مآكلِ الدُّنيا، ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ في القرآن، ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾.

وقال الضَّحَّاك رحمه الله: نزلت الآيات الثلاث: ﴿ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ و﴿ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ و﴿ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ في حقِّ اليهود[4].

---

(١) قوله: «بعد النبي» من (ف).

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» (٤/ ٧٠).

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» (١/ ٤٨٠).

(٤) روى الطبري في «تفسيره» (٨/ ٤٥٧) عن الضحاك أنها في أهل الكتاب.

وقال الإمامُ القشيريُّ رحمه الله: مَن اتَّخذ غيرَ اللهِ حكماً، ولم يَحمد[١] تحت جريانِ حُكمِهِ سِلماً، فعن شِرْكٍ خامَرَ قلبَهُ، وكفرٍ قارنَ سِرَّهُ، وهيهات أنْ يكونَ معه سواه[٢].

* * *

(٤٥) ـ ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾؛ أي: في التوراة أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ؛ أي: الواحدةُ تَقتصُّ بالواحدة، وقد خالفتُم ذلك، ففَضَّلتم بني النَّضيرِ على بني قُريظة بالتَّضعيف، ثمَّ أخبرَ أنَّ القِصاصَ فيما دون النَّفس كذلك، وهو قولُه تعالى: ﴿وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ﴾، قرأ الكسائيُّ بالرَّفع، وقد روى أنسٌ عن النبيِّ ﷺ أنَّه قرأ كذلك إلى آخر الآية[٣]، وهو اختيارُ أبي عبيد[٤]،

وقرأ عاصمٌ ونافعٌ وحمزةُ كلَّها بالنَصب عطفاً على ﴿النَّفْسَ﴾.

وقرأ ابنُ كثير وابنُ عامر وأبو عمرو بالنَّصب إلَّا قولَه: ﴿وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾[٥]؛ لأنَّ الأوائلَ على نهج الأول، وهذا أُفرد بخبرٍ، فاستؤنف به.

---

(١) في (ف): «يدخل»، وفي «لطائف الإشارات»: «يجد».

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (١/ ٤٢٦).

(٣) يعني: أنه نصب: ﴿النَّفْسَ﴾، ورفع: ﴿وَالْعَيْنُ﴾ وما بعدها. والخبر رواه أبو داود في «سننه» (٣٩٧٦، ٣٩٧٧)، والترمذي (٢٩٢٩). قال الترمذي: حديث حسن غريب. قال محققو «سنن أبي داود»: إسناده ضعيف.

(٤) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ٢٢)، و«تفسير الثعلبي» (٤/ ٧١).

(٥) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٤٤)، و«التيسير» (ص: ٩٩).

وقال أبو حاتم: الرَّفعُ أولى؛ لأنَّها جملٌ تامَّةٌ، فالاستئنافُ أولى، كما في قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ﴾ [لقمان: ٢٧]، ﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا﴾ [الجاثية: ٣٢] و﴿إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٨].

وقوله: ﴿وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ﴾؛ أي: العينُ الواحدة تُقتَصُّ بالعين الواحدة، وكذلك ما بعدها، وهو قوله تعالى: ﴿وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾؛ أي: فيما يمكنُ حفظُ المساواةِ فيه؛ تحقيقاً لمعنى القصاص.

وقوله تعالى: ﴿فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ﴾؛ أي: عفا عنه، ﴿فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ﴾ للعافي بإحسانه.

وقيل: ﴿فَهُوَ كَفَّارَةٌ﴾ للمعفوِّ عنه بسقوطه، ثمَّ أجرُ العافي على الله.

وقال مجاهدٌ: معناه: فمَن جنى، وخفيَ ذلك على وليِّ الجناية، فأقرَّ به، وسلَّمَ نفسَهُ، فهو كفارةٌ له إذا اقتُصَّ منه.

وقال الضَّحَّاك: كان لبني إسرائيل القصاصُ والعفو، ولم يكن لهم الدِّية، ولنا هذه الأشياءُ الثَّلاثة.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: كانوا لا يَقتلون الرَّجلَ بالمرأةِ، فنزل قوله: ﴿أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ﴾.

وقال مقاتل: قالت بنو قريظة ـ منهم أبو لبابة وسعيد[1] بن عمرو الليثي لكعب بن الأشرف: إخوانُنا بنو النضير[2]، أبونا واحدٌ، ودينُنا واحدٌ، وكتابُنا

---

(١) في «تفسير مقاتل»: «وشعبة».

(٢) كذا في النسخ الخطية، وهو مضطرب، والصواب كما في «تفسير مقاتل» أن أبا لبابة ومن معه قالوا =

واحـد، فـإنْ قتـلَ بنو النضيـر منَّا قتيـلاً، أعطونا سـبعين وسـقاً مـن تمـرٍ، وإنْ قتَلنا منهـم واحـداً، أخذوا منـا مئةً وأربعين وسـقاً، فـإنْ كان القتلى بـواءً(١)، فلِم صارَت جراحاتنـا على أنصـافِ جراحاتهـم؟ فاقض بيننـا وبينَهم.

وكانـت بنو قريظة بينهـم وبين بني النضير دماء، قال: فإنِّي أحكـمُ أنَّ دمَ القُرَظيِّ وفـاءٌ مِـن دمِ النَّضيـريِّ، ودمَ النَّضيري وفاءٌ مِـن دمِ القرظي، وذلك قبـل أن يبعثَ الله محمـداً ﷺ، ليـس لأحدِهمـا فضلٌ علـى الآخر فـي دمٍ ولا عقـلٍ ولا جراحـةٍ، الدَّمُ بالـدَّم، والجِراحـةُ بالجِراحـة، فغضـبَ بنـو النضيـر مِـن ذلـك، وقالـوا: لا نَرضـى بحكمِـك؛ فإنَّـك لنا عدوٌّ، وإنَّك لا تألـوا من وضعِنا وتَصغيرنـا، فأنزل الله: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾؛ يعني: حكمَهم الأول ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ﴾؛ أي: لا أحدَ أحسن ﴿مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾(٢) [المائدة: ٥٠]، ثـمَّ أخبـرَ أنَّـه كتبَ عليهـم القِصاص فـي النَّفس، وفي مـا دون النَّفس بهـذه الآية(٣).

قولُه تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾؛ أي: الواضعون الأمرَ غيرَ موضعه.

* * *

(٤٦) ـ ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم﴾؛ أي: أتبعنا، وقد قَفَاه يَقفُوه قفواً أي: تبعَهُ،

= للنبي ﷺ: إخواننا بنو النضير كعب بن أشرف وكعب بن أسيد و...، أبونا واحد...

(١) يعني: سواء. انظر: «الصحاح» للجوهري (مادة: بوأ).

(٢) قوله: «﴿وَمَنْ أَحْسَنُ﴾ أي لا أحد أحسن ﴿ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾» من (أ).

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» (١/ ٤٨٠).

ومنه القفا والقافية، وقفَّاه يُقفِّيه تقفيةً؛ أي: أتبعَهُ، ﴿عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم﴾ أي: آثارِ الذين أسلموا.

وقيل: على آثار الربانيِّين والأحبار.

وقوله تعالى: ﴿بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾؛ أي: أرسلناهُ بعدَهم.

وقوله تعالى: ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾؛ أي: صدَّق[1] بما تَقدَّمه من نزول التوراة أنَّها حقٌّ، وأنَّها مِن عند الله، وأنَّ العملَ بها واجبٌ عليهم إلى ورود نَسخِ ما نُسِخَ منها.

وقوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْإِنجِيلَ﴾؛ أي: وأعطينا عيسى الإنجيلَ، ﴿فِيهِ﴾؛ أي: في الإنجيل ﴿هُدًى﴾؛ أي: بيانُ التَّوحيد والطَّاعة، ﴿وَنُورٌ﴾ أي: وضياءٌ للطَّريق الحقّ.

وقوله تعالى: ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾ أي: وجعلنا الإنجيلَ موافقاً لما تَقدَّمَهُ مِن التَّوراة في أصل التَّوحيد والطَّاعة.

وقوله تعالى: ﴿هُدًى﴾؛ أي: هادياً إلى الحقِّ، مُرشِداً إليه، ﴿وَمَوْعِظَةً﴾؛ أي: واعظاً، ﴿لِّلْمُتَّقِينَ﴾ خصَّهم بها؛ لانتفاعِهم بها، كما قال في أول سورة البقرة: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢] مصدران بمعنى النعتين، فوصف الكتابَ بها بطريق التَّسبيب.

* * *

(٤٧) ـ ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ﴾؛ أي: في الإنجيل مِن الأحكام.

---

(١) في (ف): «مصدقاً».

وقوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾؛ أي: الخارجون عن الطَّاعة.

* * *

(٤٨) ـ ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ أي: وأنزلنا إليك يا محمَّدُ القرآن ببيانِ الحقِّ، موافقاً لما تقدَّمه مِن التَّوراة والإنجيل.

وقوله تعالى: ﴿وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ قال الكسائيُّ: أي: شاهداً عليه[١]، وأنشد:

إن الكتاب مهيمن لنبينا والحق يعرفه ذوو الألباب[٢]

وقال ابنُ عبَّاس وقتادةُ والحسنُ ومجاهد: أميناً عليه[٣].

وقال الزَّجاج: أصلُه: مؤيمن[٤] بالهمزة مفيعل بمعنى الفعيل، كقولهم: مبيطِر،

---

(١) انظر: «تفسير الثعلبي» (٤/ ٧٣).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٤/ ٧٣)، والواحدي في «الوسيط» (٢/ ١٩٥) و«البسيط» (٧/ ٤٠٧)، والبغوي في «تفسيره» (٣/ ٦٥). وفي «ديوان حسان» (١/ ٣٤٣) في قصيدة يهجو بها الحارث بن المغيرة قريب منه، ولفظه:

أخواتُ أُمِّك قد علِمْتَ مكانَها والحقُّ يَفهمُهُ ذوو الألبابِ

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٤٨٧ ـ ٤٩٠) عن ابن عباس والحسن ومجاهد.

(٤) في «معاني القرآن» للزجاج: «مؤتمن».

بمعنى البَطير، وأبدلت الهمزة بالهاء لتقاربهما، كما في قولهم: أرقتُ الماءَ وهَرَقْتُه، وإيَّاك وهيَّاك، وأيهات وهيهات[(١)].

وقيل: حفيظاً.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: قال أبو عوسجة: مسلَّطاً[(٢)].

وقال الأصم: هي كلمةٌ مأخوذةٌ مِن كتُبهم، غيرُ مأخوذةٍ مِن لسان العرب؛ ليَعلموا أنَّه إنَّما عرف بالله لا أنَّه استخرجَه بلسانه.

ومعنى الكلِّ أن يُؤدِي ما في الكتبِ المتقدِّمة على وجهه وحقيقتِه، مِن غيرِ زيادةٍ ولا نقصان في المعنى، ويُخبِرُ عن تحريف أهل الكتاب وخيانتِهم فيها، ومعنى تصديقِه الكتبَ موافقتُها في التوحيد والعبادة، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، ذكر إنزالَ التَّوراة على موسى، ثمَّ إنزالَ الإنجيلِ على عيسى، ثمَّ إنزالَ القرآنِ على محمَّدٍ صلواتُ الله عليهم، وبيَّن أنَّه ليس للسَّماع فحسب، بل للحكم به، فقال في الأولى: ﴿يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ﴾، وقال في الثَّانية: ﴿وَلۡيَحۡكُمۡ أَهۡلُ ٱلۡإِنجِيلِ﴾، وقال في الثَّالثة: ﴿فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾[(٣)]؛ أي: بالرَّجمِ على المحصَن، وبالتَّسوية في القِصاص بين القرظي والنَّضيري[(٤)].

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ﴾؛ أي: في تركِ القَوَد، وإعطاءِ الدِّيةِ، وتركِ

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ١٨٠).

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٣/ ٥٣٤).

(٣) قوله: «وقوله تعالى: ﴿فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾» ليس في (ف).

(٤) بعدها في (ف): «وقوله تعالى: ﴿فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ قد تقدم الكلام عليه».

الرَّجم واختيارِ الجلد، وهذا ناسخٌ لما تَقدَّمَ مِن التَّخيير: ﴿فَٱحۡكُم بَيۡنَهُمۡ أَوۡ أَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ﴾ [المائدة: ٤٢].

وقوله تعالى: ﴿عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡحَقِّ﴾ قيل: أي: ميلاً عمَّا جاءَك مِن الحق، أضمرَ فيه هذا.

وقيل: أي: بعد ما جاءَك. و«عن» و«بعد» يتناوبان، قال تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ وقال: ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَوَاضِعِهِۦ﴾.

وقوله: ﴿مِنَ ٱلۡحَقِّ﴾؛ أي: البيانِ في القرآن.

وقال الإمامُ القشيريُّ: قدَّم اللهُ تعريفَ رسولِه قصصَ المتقدِّمين بين يديهِ على تكليفِهِ اتِّباعَ ما أُنزِلَ إليه؛ لئلَّا يَسلُكَ سبيلَ الذين سبقوهُ فيستوجب ما استوجبوه.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ﴾؛ أي: لا تَستميلنَّك مودَّةُ قريبٍ، واعتنِق ملازمةَ أمرِ الله بتركِ كلِّ نصيب(١).

وقوله تعالى: ﴿لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗا﴾؛ أي: جعلنا لكلِّ أمَّةٍ شريعةً، وهي في الأصل: المدخلُ إلى الماءِ، وبه الحياةُ والطَّهارةُ والمصالح(٢)، وشرائعُ الدِّين ـ وهي أحكامُه وحدودُه ولوازمُه ـ كذلك.

﴿وَمِنۡهَاجٗا﴾؛ أي: طريقاً واضحاً؛ كأنَّه قال: جعلنا لكلٍّ منكم مورداً وطريقاً إليه، أخبرَ أوَّلاً أنَّ هذا مصدِّقٌ لما قبلَهُ والأصلُ واحد، ثمَّ بيَّن أنَّ الطُّرقَ مختلفةٌ، وكلُّها مؤدِّيةٌ إلى واحد.

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (١/ ٤٢٨).

(٢) لفظ: «والمصالح»: ليس في (أ).

وقال ابنُ عباس رضي الله عنهما: الشَّريعةُ: المنصوصُ عليها في الكتاب، والمنهاج: الثَّابتُ بالسُّنَّةِ(١).

وقال مجاهدٌ والزَّجَّاج: الشِّرعةُ والمنهاج واحدٌ، وهو الطَّريق؛ أي(٢): الدِّين(٣)، وهو كقوله: ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ و﴿ٱلْفُرْقَانَ﴾، وهو تكرارُ اللَّفظِ واتِّحادُ المعنى، كقول القائل:

حُيِّيتَ مِن طَلَلٍ تَقادَمَ عهدُه ... أقوى وأقفرَ بعد أمِّ الهيثمِ(٤)

وقال مقاتل: شِرْعةُ اليهودِ القِصاص، ولا عفوَ ولا ديةَ، وشرعةُ النَّصارى العفوُ لا غير، وشرعتُنا في العمدِ كل ذلك، وكذلك الحدُّ في الزِّنى مختلفٌ(٥).

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ على شرعةٍ واحدةٍ، وهي الإسلام، بلا اختلافٍ ولا تفاوت.

وقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾؛ أي: جعلَ الشَّرائعَ مختلفةً؛ أي: ليَختبركُم فيما أعطاكُم مِن الدِّين.

وقوله تعالى: ﴿فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾؛ أي: فابتَدروا إلى العملِ بالشَّرائع، فهي خيراتٌ كلُّها، جامعةٌ خيرَ الدَّارَين.

وقوله تعالى: ﴿إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾ أيُّها الأمم، ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ

---

(١) روى الطبري في «تفسيره» (٨/ ٤٩٦ ـ ٤٩٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١١٥١، ١١٥٢) (٦٤٨٢، ٦٤٨٥) عنه قال: ﴿شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾: سبيلاً وسنةً.

(٢) في (ر) و(ف): «إلى».

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ١٨٤).

(٤) البيت لعنترة، وهو في «ديوانه» (ص: ١٨٥).

(٥) انظر: «تفسير مقاتل» (١/ ٤٨٢).

تَخۡتَلِفُونَ﴾ وهـو وعـدٌ ووعيـد؛ أي: كنتـم مختلفيـن، فـكان بعضُكـم يُضيـفُ شـيئاً إلـى الله أنَّـه شَـرعَهُ، وينفيـه آخر، فأُثيـبُ منكم المحقَّ علـى حقِّه، وأجـزي المبطِلَ جـزاءَ مثله.

وقال الإمام القشيري: ﴿لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗا﴾ أي: أفردنا[1] كلَّ واحدٍ منكم معاشرَ الأنبياء بطريقةٍ، وأما أنت يا محمَّدُ، فلا يُدانيكَ أحدٌ في طريقتِك على الحقيقة، فأنت المقدَّمُ على الكافَّةِ، والمفضَّلُ على الجملة، ولو شاءَ الله لسوَّى مراتبَكم، ولكن غاير بينكم ابتلاءً، وفضَّلَ بعضَكم على بعضٍ امتحاناً.

وقوله تعالى: ﴿فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾؛ أي: سارعوا إلى الطَّاعات، ومسارعةُ كلِّ أحدٍ على ما يَليقُ بوقتِهِ، فالعابدون يُسارِعون بقدمِهم من حيث الأوراد، والعارفون بهمَمِهم[2] مِن حيثُ المواجيد.

قال: ويقال: استباقُ الزَّاهدين برفضِ الدُّنيا، واستباقُ العابدين بقطعِ الهوى، واستباقُ العارفينَ بنفي الـمُنى، واستباق الموحَّدين بتركِ الورى، واستباقُ المقرَّبين بنسيانِ الدُّنيا والعُقبى[3].

❊ ❊ ❊

(٤٩) ـ ﴿وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعۡضِ ذُنُوبِهِمۡۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ﴾.

---

(١) بعدها في (ف): «بقوله».

(٢) في (ر): «بفهمهم»، و(ف): «بهمهم».

(٣) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (١/ ٤٢٨).

وقوله تعالى: ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ قيل: يتَّصِلُ بقوله: ﴿ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ﴾ وبـ ﴿وَأَنِ ٱحْكُم﴾، ولا يصلح عطفاً على قوله: ﴿فَٱحْكُم﴾ ﴿وَأَنِ ٱحْكُم﴾[١].

وقيل: يتَّصِل بقوله: ﴿مُصَدِّقًا﴾؛ أي: أنزلناه بتصديقِ ما بين يديه وبـ ﴿وَأَنِ ٱحْكُم﴾.

وقيل: يقعُ عليه الإنزالُ، وتقديره: إنَّا أنزلناه إليك ﴿وَأَنِ ٱحْكُم﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ قال أبو عبيد: أي: يصرفوك، وقال قطرب: أي: يَستزِلُّوك، وهو كقوله: ﴿وَإِن كَادُوا۟ لَيَفْتِنُونَكَ﴾[٢].

وقوله تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ﴾؛ أي: فإنْ أعرضوا عن الانقيادِ لحكمك، فاعلم أنَّ اللهَ يُريدُ أنْ يُعجِّلَ لهم عقوبة بعضِ ذنوبِهم في الدُّنيا، فإنَّ الدُّنيا ليست بدار كمالِ الجزاء، وعذابُ الدُّنيا عذابُ بعض الذُّنوب؛ لأنَّه لا يَدوم، وعذابُ الآخرةِ عذابُ جميعِ الذُّنوب؛ لأنَّه يَدوم، وقد أصابَهم بذلك، وهو قتلُ بني قريظة، وإجلاءُ بني النَّضير.

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: معناه: عِظْهُم بلسانِ العلم، فإنْ أبَوا قَبوله، فشاهِدهم بعينِ الحكم، [ويقال:] أشرْ[٣] عليهم باعتناقِ لوازم التكليف، فإن أعْرَضوا، فعاينهُم بعينِ التَّصريف[٤]، فإنَّ الحقَّ سبحانه وتعالى بشرطِ التَّكليفِ

---

(١) من قوله: «قيل يتصل يقوله» إلى هنا ليس في (ف).

(٢) انظر: «التفسير البسيط» للواحدي (٧/ ٤١٤).

(٣) في «لطائف الإشارات» للقشيري: «اشدد» بدل: «أشر»، وما بين حاصرتين منه.

(٤) في (ف): «التصديق».

يُلزمُهم، وبحكمِ التَّصريفِ يُؤخِّرُهم ويقدِّمُهم[١]، فالتَّكليفُ فيما أوجبَ، والتَّصريفُ فيما أوجدَ، والعبرةُ للإيجادِ لا للإيجاب[٢].

وقال مقاتلٌ: إنَّ رؤساءَ يهودِ بني النَّضير قال بعضُهم لبعض: انطلِقوا بنا إلى محمَّدٍ ﷺ نفتِنُه، ونَردُّه عمَّا هو عليه، إنَّما هو بشرٌ، فأتَوهُ فقالوا له: هل لك أنْ تَحكُم لنا على أصحابِنا في أمر الدِّماء[٣] كما كنَّا عليه مِن قبل، فإنْ فعلتَ فإنَّا نبايعك، وإن بايعناك تابعكَ أهلُ الكتابِ كلُّهم، فإنَّا بقيَّتُهم وخيارُهم، فأنزلَ الله هذه الآية يُحذِّرُهُ ويقول: لا تتَّبع أهواءَهم، واحذرْهُم أنْ يَصدُّوك عن بعضِ ما أنزلَ اللهُ إليك من التَّسوية في الدِّماء، فإن أبَوا حكمك، فاعلم أنَّ اللهَ يُريد أنْ يُصيبَهم؛ أي: يُعذِّبَهم في الدُّنيا بالقتلِ والجلاء.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ﴾ أي: من رؤساء اليهود وغيرهم ﴿لَفَٰسِقُونَ﴾ خارجون عن الطَّاعة، فلمَّا نزل هذا، قال كعبُ بن الأشرف ومالكُ بن الصَّيف: لا نرضى بحكمك، فنزل قوله تعالى:

(٥٠) ـ ﴿أَفَحُكْمَ الْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾.

﴿أَفَحُكْمَ الْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾[٤] الألفُ ألفُ الاستفهام، وهو للاستنكار والاستعظام.

و﴿الْجَٰهِلِيَّةِ﴾ حالةُ الشِّرك، والجهلُ المطلقُ يقع على[٥] جهل الكفار، قال تعالى: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّيٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَٰهِلُونَ﴾ [الزمر: ٦٤].

---

(١) في (ف): «ويعذبهم».

(٢) في «لطائف الإشارات» للقشيري (١/ ٤٢٩): «والعبرة بالإيجاد والإيجاب».

(٣) في (ر): «الدنيا»، وفي (ف): «الدين»، والمثبت موافق لما في «تفسير مقاتل».

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» (١/ ٤٨٢ ـ ٤٨٣).

(٥) في (أ): «هو»، وفي (ف): «و» بدل: «يقع على».

والبُغاء: الطَّلَبُ بضمِّ الباء، يقول: أتطلبون حكمَ أهل الجاهليَّةِ في حدِّ الزِّنى والقصاص حيث لم تَرضوا بحكم التَّوراةِ والإنجيلِ والقرآن.

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا﴾ استفهامٌ بمعنى النَّفي؛ أي: لا أحسنُ حكماً مِن الله ﴿لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ أنَّ لهم إلهاً، فيعلمون أنَّه لا أحسنُ حكماً منه[1]؛ لأنَّه على المصلحةِ والحكمةَ، لا على المجازفة والشَّهوة.

وقيل: معناه: عند قومٍ يوقنون بالله وبحكمته، وحرفُ اللَّام، وكلمة «عند» يتقاربان، يقال: لفلانٍ العلمُ بهذا الأمرِ، و: عندهُ العلمُ بهذا الأمر.

وقال الإمام القشيريُّ: أيعودون في ظُلمةِ الحِجاب بعدما انهتكَ سِترُ الارتياب؟! أيطلبون منك أنْ تَحيدَ عن المحجَّة الـمُثلى والطريقة العظمى، بعدما اتَّضحَ لك البراهيُن وتَجلَّى اليقين[2]؟!

***

(٥١) ـ ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ﴾؛ أي: لا تَتولَّوهم.

وقال الإمام أبو منصور: ويَحتملُ: لا تَدينوا بدينهم؛ فإنَّكم إذا فعلتُم ذلكَ صِرْتُم لهم أولياء[3].

وقوله تعالى: ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾؛ لاتِّفاق أديانِهم، فإذا تولَّيتُموهم كنتم على دينِهم.

---

(١) في (ف): «من الله» بدل: «منه».

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (١/ ٤٢٩).

(٣) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٣/ ٥٣٧).

وذلك قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ وهذا إذا تولَّاهم لدينِهم، وأمَّا الصُّحبةُ لمعاملةٍ أو شراءِ شيءٍ منهم، أو لطلب عملٍ منهم، مع المخالفةِ في الاعتقادِ والأمور الدينيَّة، فليس فيه هذا الوعيد.

وقال الإمامُ أبو منصور رحمَه الله: قوله: ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ دليلٌ على أنَّ الكفرَ كلَّه مِلَّةٌ واحدةٌ باطلة(١).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾؛ أي: لا يُرشِدُ الظالمين أنفسَهم بتركِ إخوانِهم المؤمنين وموالاةِ الكافرين.

قال مقاتل: نزلت في أبي لبابة واسمُه مروان، ورجلين آخرين، وذلك أنَّه لـمَّا كان يومُ أحد، خاف ناسٌ مِن المسلمين أن يُدالَ الكفَّارُ عليهم، فقال أحدُهما: إنِّي آتي فلاناً اليهوديَّ فأتهوَّدُ، وقال آخرُ: إنِّي آتي الشَّامَ فأتنصَّر، فنزلَت الآيةُ(٢).

وقال عياض الأشعري: قدم أبو موسى الأشعري على(٣) عمر، ومعه كاتبٌ له نصرانِيٌّ، فدعا به، فقرأ كتاباً، فأعجبَهُ ظرفه وحفظُه، فلمَّا كان يومُ الجمعة قال له عمر: ادع كاتبَك، قال: إنَّه لا يَدخلُ المسجدَ، فقال: أجنبٌ هو؟ قال: لا، ولكنَّه نصرانيّ، فقال: لا تُكرِموهم إذْ أهانَهم الله، ولا تُعِزُّوهم إذ أزلَّهمُ الله، ولا تَأتمِنوهم إذ خوَّنهمُ الله، ولا تُدنوهم إذْ أقصاهمُ الله(٤).

---

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٣/ ٥٣٨).

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (١/ ٤٨٣)، وليس فيه تسمية الرجلين بل جاء ذكر أبي لبابة والرجلين في الكلام عن الآية التالية، فلعله انتقال بصر، والله أعلم. والخبر أخرجه أيضاً الطبري في «تفسيره» (٨/ ٥٠٦)، وابن أبي حاتم (٤/ ١١٥٥ ـ ١١٥٦) (٦٥٠٧) من قول السدي.

(٣) قوله: «الأشعري على»: من (ر).

(٤) رواه البيهقي في «السنن الكبرى» (٢٠٤٠٩).

وقال عطية العوفي: جاء عبادةُ بنُ الصَّامت إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسولَ الله[1]، إنَّ لي مواليَ مِن يهودَ كثيرٌ عددُهم، وإنِّي أبرأُ إلى الله وإلى رسولِه من وَلايتِهم، فقال عبد الله بنُ أبيٍّ: إنِّي رجلٌ أخافُ الدَّوائرَ، ولا أبرأُ مِن ولاية مواليَّ. وهم يهود بني قينقاع، فقال رسول الله ﷺ لعبدِ الله بنِ أُبيّ: «ما بخِلتَ به مِن ولايةِ يهود على عبادةَ فهو لك»، فقال: قد قبِلتُ، فأنزل الله فيهم: ﴿لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ﴾ إلى قوله: ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾[2]، أي: نفاقٌ ﴿يُسَارِعُونَ فِيهِمْ﴾؛ أي: في ولايتهم، ونزلَ في عبادة: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ [المائدة: ٥٥].

وقال عكرمة: نزلَتْ في أبي لبابةَ بنِ عبد المنذر حين تَنصَّح إلى بني قريظةَ، فأشار إليهم أنَّهُ الذبح[3].

* * *

(٥٢) ـ ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسَرُّوا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ﴾؛ أي: فتُبصِرُ يا محمَّدُ المنافقين الذين في قلوبهم شكٌّ في الدِّين، وغِلٌّ على المؤمنين، يُبادِرون في موالاةِ اليهودِ والنَّصارى والكافرين، ثمَّ يَحتجُّون بما لا حُجَّة فيه، وذلك قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ﴾ هي الدولةُ الدائرةُ من قومٍ إلى قوم؛ أي: يقولون: نخافُ أنْ يكون للدَّهر دائرةٌ على المؤمنين، فنضطرَّ إلى هؤلاءِ الكفَّار والالتجاءِ بهم،

---

(١) في (ف): «وقال» بدل من «فقال: يا رسول الله».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٥٠٤).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٥٠٦ ـ ٥٠٧).

فخيَّبَ اللهُ ظنَّهم، وذلك قوله تعالى: ﴿فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ﴾.

قال الكلبيُّ رحمه الله: ﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾؛ أي: شكٌّ ونفاق، ﴿يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ﴾ أي: في ولايةِ اليهودِ ونصارى أهلِ نجران؛ لأنَّهم كانوا أهلَ ريفٍ، وكانوا يَميرونهم ويُقرِضونهم، ويقولون: ﴿نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ﴾؛ أي: سنةٍ جدْبَةٍ[1]، ﴿فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِٱلْفَتْحِ﴾؛ يعني: فتح مكة، ﴿أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ﴾؛ أي: الخصب لمحمَّدٍ وأصحابه، ﴿فَيُصْبِحُوا۟﴾؛ أي: فيَصيروا؛ يعني: أهلَ النِّفاق ﴿عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟﴾؛ أي: أضمَروا في أنفسِهم؛ أي: في قلوبِهم ﴿نَٰدِمِينَ﴾؛ أي: على ما كان مِن ولايتِهم ودسِّ الأخبارِ إليهم[2].

وقيل: ﴿فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِٱلْفَتْحِ﴾ أي: بالفرج[3] من غدرِ اليهودِ؛ بقهرهم حتَّى يُذعِنوا لهم بالذِّمَّةِ وقَبول الجزية، ﴿أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ﴾ بإهلاكهم.

وقال الضَّحاك: ﴿بِٱلْفَتْحِ﴾ لقُرى اليهود فدك وخيبر[4]، ﴿أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ﴾ إجلاء[5] بني النَّضير، وقتلِ بني قريظة.

والفتحُ: هو حلُّ الأمورِ المنعقدة، وفتحُ الأبوابِ المنغلقة.

و«عسى» من اللهِ إطماعٌ، وإطماعُ الكريم إيجابٌ، ومعنى الإطماعِ بهذه الكلمة بدون كلمة التَّحقيق: تعليقُ القلوب بحسن الرَّجاء، وحملُ المؤمنين على صدقِ

---

(١) في (ف): «مجدبة».

(٢) في (أ) و(ف): «الأخبار إليهم» بدل من «الأحبار اليهود».

(٣) في (أ): «بالفرح»، وفي (ف): «بالفرح والسرور».

(٤) ذكره الواحدي في «البسيط» (٧/ ٤٢٢)، والبغوي في «تفسيره» (٣/ ٦٨).

(٥) في (ف): «بإجلاء».

الالتجاء، وكذلك إدخال ﴿أَوْ﴾ بين الأمرين، مع علم الله أنَّه يكون هذا أو هذا؛ لتعلُّقِ القلوبِ بلطفِ الله بهم، دون اعتمادهم على أمرٍ كائنٍ لهم.

قوله تعالى: ﴿فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسَرُّوا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ﴾ ولـمَّا تحقَّقوا ذلك ندموا، لكنَّ ندامتَهم لم تكن على نفاقِهم؛ لأنَّه توبةٌ منهم، بل على تولِّيهم إيَّاهم، واعتدادِهم به، وجملتُه أنَّ اللهَ أخبرَ بهذا الكلام أنَّه لا يكونُ لليهود علوٌّ على المسلمين مِن بعد، وأنَّ المنافقين يَندمون على ذلك، وكان كذلك.

وقال عطاء[1]: ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ عبدُ الله بنُ أبيٍّ وأصحابُه، ﴿يُسَارِعُونَ﴾ في مودَّة بني قينقاع[2]، وكانوا أسارى في يدِ رسول الله ﷺ، فما زال بالنبيِّ ﷺ حتَّى قال: «خُذهُم، لا باركَ اللهُ لك فيهم»، فما بقيَ منهم نافخُ ضَرْمَةٍ[3].

* * *

(٥٣) ـ ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ ۙ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ ۚ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ قرأ أبو عمرو[4] بالنَّصبِ عطفاً على: ﴿فيصبحوا﴾، والباقون بالرَّفع على الاستئناف[5].

---

(١) كذا، ولعل الصواب: «عطية»، وهو العوفي.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٥١٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٥١١) (٦٥٢٠). والضرمة: النار

(٣) أورده الجرجاني في «درج الدرر» (١/ ٥٧٠) عن عطية.

(٤) في (ر): «ابن عامر» بدل: «ابن عمرو»، وهو تحريف.

(٥) انظر: «السبعة» (ص: ٢٤٥)، و«التيسير» (ص: ٩٩).

وقوله تعالى: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ إِنَّهُمۡ لَمَعَكُمۡ﴾؛ أي: يقول المؤمنون لليهود: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ﴾ المنافقين ﴿ٱلَّذِينَ أَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ﴾ مجتهدين غايةَ جهدِهم فيها ﴿إِنَّهُمۡ﴾؛ أي: الحالفون ﴿لَمَعَكُمۡ﴾ أيُّها اليهود ومتولُّوكم وأعوانُكم، وقد وثِقتُم بهم، وقد ظهرَ كذبُهم في أيمانِهم، وخيبةُ ظنونِكم بهم.

وقيل: معناه: ويقول المؤمنون بعضُهم لبعض: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ﴾ المنافقون الذين حلَفوا أنَّهم معكم أيُّها المؤمنون، كما قال تعالى: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمۡ﴾ [البقرة: ١٤]، وقد أظهرَ اللهُ أنَّهم يُوالون أهلَ الكتابِ، فهتكَ أستارَهم.

وقولُه تعالى: ﴿حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ﴾؛ أي: بَطَلَت أعمالُ المنافقين في موالاةِ أهل الكتاب، وانقطَعتْ أطماعُهم.

وقوله تعالى: ﴿فَأَصۡبَحُواْ خَٰسِرِينَ﴾؛ أي: في الدُّنيا والآخرة؛ بفوات المعونةِ، ودوامِ العقوبة.

وقال الإمام القشيري: ﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ﴾ أي: إنَّ الذين سَقِمت ضمائرُهم، وضَعفت في التَّحقيقِ بصائرُهم، سبقَ إلى قلوبِهم هوادةُ الأعداءِ؛ خوفاً من معرَّتِهم، وطمعاً في المأمولِ مِن صُحبتِهم، ولو استيقَنوا أنَّهم في أسرِ العجزِ وذلِّ الإعراض، لأمَّلوا من الله الموعودَ من كفايتِه، والمعهودَ مِن رعايته، ولكنْ حُجِبوا عن محلِّ التَّوحيد والإيمان، فتَفرَّقوا في أوديةِ الظُّنون والحسبان، وعن قريبٍ يأتيكم الفَرَجُ أيُّها المؤمنون، وهم يَستشعِرون النَّدمَ، ويُقاسون الألَمَ، وأنتم تَعلو رؤوسُكم، وتضيءُ بزواهرِ القُرب قلوبُكم، وتَصلون مِن الموعودِ إلى ما يُربي على المقصودِ.

* * *

(٥٤) ـ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ يُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ﴾؛ أي: مَن يرجِعُ منكم عن دينِ الإسلام بموالاة الكفَّار، فليَعلم أنَّ اللهَ لا يُخْلِي دينَه عن أنصارٍ يَحمونَه، وذلك قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾؛ أي: يرضى منهم أعمالَهم، ويُثني عليهم بها، ويُطيعونَهُ ويُؤْثِرون رضاه.

وقوله تعالى: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ جمع ذَلُول، وهو اللَّيِّنُ، يقال: دابَّةٌ ذَلولٌ بيِّنَةُ الذِّلِّ؛ بكسر الذَّال، ورجلٌ ذليلٌ بيِّنُ الذُّلِّ بضمِّ الذَّال، قال تعالى: ﴿لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ﴾ [البقرة: ٧١]، وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا﴾ [الملك: ١٥]، وقال: ﴿فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا﴾ [النحل: ٦٩]. **وقوله تعالى:** ﴿أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ جمع عزيز، وهو الشَّديد، يُقال: ناقةٌ[1] عزوز، إذا تعذَّر استخراج لبنها[2]، وأرضٌ عَزَازٌ؛ أي: صُلبة؛ أي: يأتي بقومٍ رحماءَ بالمؤمنين عاطفين عليهم، غلاظٍ على الكفَّار أشداءَ عليهم.

وقوله تعالى: ﴿يُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: يَبذُلون المجهودَ في قتال الكفَّار؛ حملاً لهم على الإسلام، ومنعاً عن عبادةِ الأصنام.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾؛ أي: لا يَخشون في إظهارِ دينِ الله ملامةَ مَنْ يَلومُهم مِن أقاربِهم الكفَّارِ على قطيعةِ الرحم.

---

(١) في (أ): «جوزة»، وفي (ف): «حورة».

(٢) في (أ): «لبها».

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ﴾ اتِّصافُهم بهذه الأوصافِ ممَّا آتاهمُ اللهُ مِن فضلِهِ؛ ثواباً لهم على حُسنِ نيَّاتِهم.

وقوله تعالى: ﴿يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ يُعطيه مَن يعلَمُهُ أهلاً له؛ باختيارِه طاعتَه، وكراهيةِ معصيته.

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ يَسَعُ فضلُه جميع خلقِه، عَليمٌ بمَن هو مِن أهلِه.

وقال محمَّد بنُ كعبٍ القُرظي: هو في رِدَّة مقيس بن صبابة[١]، وطُعمةَ بنِ أُبيرق، والعرنيين ورجالٍ معدودين، والقومُ الذين ﴿يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ أهلُ اليمن، قَدِموا وأسلموا، وهم ألفان أو ثلاثةُ آلاف[٢]، قال أبو هريرة رضي الله عنه: قال النبيُّ ﷺ: «أتاكُم أهلُ اليَمَن، هم ألينُ قلوباً، وأرقُّ أفئدةً، الإيمانُ يمان، والحكمةُ يمانية»[٣].

وقال عياضُ الأشعري: لـمَّا نزلَ قولُه تعالى: ﴿فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ قال النَّبيُّ ﷺ لأبي موسى الأشعريِّ رضي الله عنه: «هم قومُ هذا»[٤].

وقال الكلبيُّ: ارتدَّ بعد وفاةِ رسولِ الله ﷺ بنو تميمٍ، وبنو حنيفةَ وأسدٍ وغطفان، وأناسٌ مِن كِندة، وفيهم الأشعثُ بن قيس، وبقيَ ثلاثةُ مساجدَ لم يَرتدُّوا بمكَّةَ والمدينة والبحرين، فأتى الله بخيرٍ مِن الذين ارتدُّوا، فشدَّد بهم الدِّين، وهم أحياءٌ

---

(١) في (ف): «صبابة».

(٢) لم أقف عليه.

(٣) رواه البخاري في «صحيحه» (٤٣٨٨)، ومسلم في «صحيحه» (٥٢).

(٤) رواه الطبري (٨/ ٥٢١)، وابن أبي حاتم (٤/ ١١٦٠) ٦٥٣٥، والطبراني في «الكبير» (٧/ ٣٧١) (١٠١٦)، والحاكم في «المستدرك» (٣٢٢٠)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ٣٥١ ـ ٣٥٢).
وهو حديث مرسل، كما جزم بذلك ابن أبي حاتم، فعياض بن عمرو الأشعري عنده تابعي، وهو الأصح، فلم تثبت صحبته، انظر: «تهذيب الكمال» (٢٢/ ٥٧١).

مِن اليمن؛ مِن كندة ومن النَّخَع ومن بَجيلة، ألفان من النَّخَع، وخمسةُ آلافٍ من كِنْدَة وبَجيلة، وثلاثةُ آلافٍ من سائر النَّاس، فجاهدوا في سبيل الله يوم القادسيَّة[١].

وقال عطاء: ﴿بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ قال: هم[٢] الأنصار.

وقال ابنُ عبَّاسٍ والحسنُ البَصريُّ وقتادةُ والضَّحَّاك: هم أبو بكرٍ الصِّدِّيقُ رضي الله عنه وأصحابُه، وذلك أن عامة العرب بعد وفاة رسول الله ﷺ قالوا: أما الصلاة فإنا نصلي وأما الزكاة فلا تغصب أموالنا، فقال أبو بكر رضي الله عنه: لو منعوني عناقاً مما أدوا إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم عليه[٣]، فقال عمر: أليس قال رسول الله ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها» فقال أبو بكر رضي الله عنه: هذا من حقِّها[٤].

وقال الإمامُ أبو منصور: وفيه إثباتُ إمامةِ أبي بكرٍ الصِّديق رضي الله عنه؛ لأنَّ اللهَ مدحَ المجاهدين معه بأمرِه[٥]، فثبتَ أنَّ الائتمارَ بأمرِهِ طاعةٌ وأنَّه مفترَضُ الأمر، وفي ثبوتِ خلافتِهِ ثبوتُ خلافةِ عمرَ وعثمان وعليٍّ رضي الله عنهم.

قال: وفيه دليلٌ على أنَّ عليًّا رضي الله عنه لم تكنْ له الخلافةُ حين قُبِضَ

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٧١).

(٢) في (ف): «وهم» بدل من «قال: هم».

(٣) انظر: «تفسير الطبري» (٨/ ٥١٨ ـ ٥٢١)، والخبر فيه بطوله عن قتادة، ورواه عن الحسن والضحاك مختصراً.

(٤) رواه البخاري (١٣٩٩، ١٤٠٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وفيه أن أبا بكر أجاب عمر بقوله: والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عناقاً كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها. وبرواية: هذا من حقها. رواه الشافعي في «مسنده» (٨٣٧).

(٥) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٣/ ٥٤٢).

رسولُ الله ﷺ؛ إذ لا يَحتمِلُ أنْ يَرى الحقَّ[1] لنفسِه في زمن أبي بكر رضي الله عنه، ثمَّ يتركَ طلبَها، وفيه تضييعُ حقِّ الله عليه، مع قوله: ﴿يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖ﴾[2].

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: ﴿يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: ﴿يُجَٰهِدُونَ﴾ بنفوسِهم باستدامةِ الطَّاعات، وبقلوبِهم بقطعِ المنى والطَّلبات، وبأرواحهم بحذفِ العِلاقاتِ، وبأسرارِهم بالاستقامةِ على الشُّهودِ في دوام الأوقات[3].

* * *

(٥٥) ـ ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ نهى عن موالاةِ الأعداء، وأخبرَ أنَّ وليَّهم هو اللهُ الذي يتولَّى مصالِحَهُم ومراشِدَهم، ويَأمرُ رسولَهُ أنْ يَتولَّاهم بالنَّصيحةِ والدُّعاءِ إلى طاعة الله وطلبِ مرضاتِه، ورَسولُهُ يَأمرُ المؤمنين بأنْ يتولَّوهم بالشفقةِ[4] والمعاونة على التَّقوى والطَّاعة.

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ وهذا من صفاتِ الذين آمنوا.

قوله تعالى: ﴿وَهُمۡ رَٰكِعُونَ﴾؛ أي: هم خاشعون لله، مع استكثارِهم نوافلَ الصَّلوات والصَّدقات.

ورويَ أنَّ الآيةَ نزلَت في عليٍّ رضي الله عنه، تَصدَّق بخاتَمه في ركوعِه، فعلى هذا يكون قوله: ﴿وَهُمۡ﴾ واو الحال، وظاهرُه العموم.

---

(١) في (ف): «الأمر».

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٣/ ٥٤٢ ـ ٥٤٣).

(٣) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (١/ ٤٣٣).

(٤) بعدها في (ر): «والمعونة».

وقال ابنُ عباس: إنَّ بلالاً أذَّن للظُّهر، فخرجَ النَّبيُّ ﷺ والنَّاسُ يُصلُّون، فإذا هو بمسكينٍ يَطوفُ ويَسألُ النَّاسَ، فدعاهُ رسولُ الله ﷺ وقال: «هل أعطاكَ أحدٌ شيئاً؟» قال له: نعم، قال: «ماذا؟» قال: خاتم فضة، قال: «من أعطاك؟» قال: ذاك الرَّجلُ القائم، فنظرَ إليه النَّبيُّ ﷺ، فإذا هو عليٌّ رضي الله عنه، فقال: «على أيِّ حالٍ أعطاكَهُ؟» قال: أعطاني وهو راكعٌ، فنزلتِ الآيةُ[1].

وقيل: قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ في الفرائضِ، وقوله: ﴿وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾ في النَّوافل.

وقال ابنُ عبَّاس: إنَّ رهطاً مِن مؤمني أهلِ الكتاب عبدَ الله بن سلام وأسيد[2] وثعلبة لـمَّا أمرَهُم رسولُ الله ﷺ أنْ يَقطعوا مودَّة اليهودِ، ففعلوا، قالت قريظةُ والنَّضير: ما بالُنا نودُّ أهلَ دينِ محمَّد ﷺ، وقد تبرَّؤوا منَّا، فوالذي نحلف به، لا نُكلِّمُ أحداً منهم، ولا نجالِسُهم، فبلغَ ذلك ابنَ سلامٍ وأصحابَه، فأتوا رسولَ الله ﷺ، فقالوا: إنَّ قومَنا قد هجَرونا، وأقسموا ألَّا يجالسونا، ولا نَستطيعُ مجالسةَ أصحابِك؛ لبُعدِ المنازل، فنزلَتِ الآيةُ، فقرأَها عليهم رسولُ الله ﷺ، فقالوا: رضينا بالله وبرسولِه وبالمؤمنين أولياء[3].

* * *

(١) رواه ابن مردويه كما في «تفسير ابن كثير» و«الدر المنثور» (٥/ ٣٦١) من طريق محمد بن السائب الكلبي، وهو متروك، عن أبي صالح، عن ابن عباس رضي الله عنهما.
قال ابن تيمية في «منهاج السنة» (٧/ ١١): أجمع أهل العلم بالنقل على أنها لم تنزل في علي بخصوصه، وأن عليًّا لم يتصدق بخاتمه في الصلاة، وأجمع أهل العلم بالحديث على أن القصة المروية في ذلك من الكذب الموضوع.

(٢) «وأسيد»: ليس في (ر). وفي (ف): «وأسد وأسيد».

(٣) لم أقف عليه عن ابن عباس، وأورده الثعلبي في «تفسيره» (٤/ ٨٠)، والواحدي في «البسيط» (٧/ ٤٣٣)، والبغوي في «تفسيره» (٣/ ٧٢) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

(٥٦) ـ ﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾؛ أي: ومَن جعلَ اللهَ وليًّا له، يَتولَّى مصالحَهُ ونَصْرَهُ[١]، وجعلَ رسولَه وليًّا له يَدلُّه على مراشدِه، وجعل المؤمنين أولياءَ له[٢]، يَعتضِدُ بهم في أمورِه، ويَجعلُهم موضِعَ سرِّه وصلتِه وبرِّهِ، فهو مِن حزب الله.

وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ قال الحسن: ﴿حِزْبَ ٱللَّهِ﴾ جندُه، وقيل: أنصاره.

والتَّحزُّبُ: التَّجمُّع لدفعِ ما يَحْزُبُ؛ أي: ينوبُ، فأخبرَ أنَّ الغلبةَ لحزب الله، وقد كان كذلك، فقد جعلَ الغلبةَ للمسلمين على اليهود، فقتَلَهُم وأجلاهُم، وفرَّقَهم وسباهم، وخيَّب ظنونَ مَنْ تولَّاهم.

وقال الإمام القشيري: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ لا موالاة بين أولياء الله وأعداء الله، أعداءُ الله[٣]: أعداءُ الدِّين وأعداءُ المسلمين، وأعدى عدوِّكَ نفسُك التي بين جنبيك، ومَن عادى نفسَهُ، لم يَخرج بالمخاصمةِ عنها على الخلق، وبالمعارضةِ فيها مع[٤] الحقِّ.

قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ الفانون عن حظوظِهم، الذين هم خصمُ الحقِّ على أنفسِهم، لا خصمُ أنفسِهم على مولاهم، والغلبةُ بالحجج[٥] والبُرهان لا باليدِ واللِّسان[٦].

---

(١) في (ف): «ونصيره».

(٢) في (أ): «أولياءه» بدل: «أولياء له».

(٣) قوله: «أعداء الله» من (أ).

(٤) في (أ): «عن».

(٥) في (أ): «بالحجاج».

(٦) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (١/ ٤٣٣).

(٥٧) ـ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ﴾ قرأ أبو عمرو والكسائيُّ: ﴿والكفارِ﴾ بالجرِّ؛ عطفاً على قوله: ﴿مِنَ الَّذِينَ﴾؛ أي: ومِن الكفَّارِ، وقرأ الباقون بالنَّصبِ؛ عطفاً على قوله: ﴿لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ﴾[1].

نهى عن موالاةِ كلِّ الكفَّارِ على العموم بعد ما نَهى عن موالاةِ أهل الكتاب على الخصوص، يقول: ﴿لَا تَتَّخِذُوا﴾ اليهودَ والمشركين ﴿أَوْلِيَاءَ﴾، ووَصفهُم فقال: ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا﴾؛ أي: سخريةً ﴿وَلَعِبًا﴾؛ أي: عبثاً؛ أي: يهزؤون به، ويقولون: هو محدَثٌ، لا قرارَ له ولا ثبات، ولا هو مِن عندِ الله آت.

وقوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾؛ أي: واحذروا عذابَ اللهِ؛ في تركِ ما أمرَكُم به، وفعلِ ما نهاكُم عنه مِن اتِّخاذِ الكفَّارِ أولياء وغيرِ ذلك، إن آمنتم، فإنَّ الإيمانَ يُوجِبُ طاعةَ اللهِ، وتركَ موالاةِ أعداءِ الله.

***

(٥٨) ـ ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا﴾؛ أي: وإذا أذَّنَ مؤذِّنكم، فدعا إلى الصَّلاة، اتَّخذوا الصَّلاةَ سخريةً وعبثاً، وقالوا: هذا أمرٌ لا ثباتَ له، فإذا كان صنيعُهم هذا بأجلِّ أمورِ دينكم، فكيف يَجوزُ لكم أنْ تُوالوهم وتَثِقوا بهم؟

وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾؛ أي: إنَّما يَفعلون ذلك لأنَّهم سفهاءُ،

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٢٤٥)، و«التيسير» (ص: ١٠٠).

لا يَعلمون ما في الصَّلاةِ والدُّعاءِ إليها مِن النَّهيِ عن الفحشاءِ والمنكر في الدُّنيا، والثَّوابِ الجزيلِ في العُقبى.

وروي أنَّهم كانوا إذا سمعوا النداء والإقامة قالوا: قد قاموا لا قاموا، قد صلَّوا لا صلَّوا[1].

وقال السُّدِّيُّ: إنَّ نصرانيًّا بالمدينة كان إذا سمعَ المؤذِّن يقول: أشهد أنَّ محمَّداً رسول الله، يقول: حُرِّقَ الكاذبُ، فدخلَ خادِمهُ بنارٍ ليلاً، فتطايرَت شرارةٌ، فاحترقَ بها هو وأهلُه[2].

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: نبَّههم على موجبِ التَّحيُّزِ عنهم، والتَّميُّزِ منهم، فإنَّ المخالِفَ في العقيدةِ لا يكونُ موافقاً في الحقيقة، وأمرهم بأن لا يلاحظوهم إلَّا[3] بعين الاستصغار، كما لاحظوا دينَ المسلمين بعين الاستحقار.

ثمَّ الأذانُ دعاءٌ إلى محلِّ النَّجوى، فمَنْ تَحقَّق بعلوِّ المحلِّ فسَماعُ الأذانِ يوجِبُ له روحَ الرُّوح[4]، ومَن كان محجوباً عن حقيقةِ الحال، لاحظَ ذلك بعينِ اللَّعِب، وأصغى إليه بأذنِ الاستهزاء، وذلك حكمُ الله غايَرَ بين عبادِه على ما[5] يشاء[6].

* * *

---

(١) رواه البيهقي في «دلائل النبوة» (٦/ ٢٧٤ ـ ٢٧٥) من طريق محمد بن مروان السدي عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، والسدي عن الكلبي عن أبي صالح سلسلة الكذب.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٥٣٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١١٦٣ ـ ١١٦٤) (٦٥٥٧).

(٣) لفظ: «إلا» من (ف).

(٤) في «لطائف الإشارات»: «روح القلب واسترواح الروح» بدل: «روح الروح».

(٥) في (أ) و(ر): «من» بدل: «ما».

(٦) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (١/ ٤٣٤).

(٥٩) ـ ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ﴾؛ أي: هل تَعيبون؟ وقيل: تكرهون؟ وقيل: تَطعنون[١]، وقال أبو عوسجة: تُنكِرون؟[٢]

وقال ابن عباس في سبب نزولها: أنّ نفراً مِن اليهود، منهم أبو ياسر بن أخطب ورافعُ بنُ أبي رافع وغيرُهما، أتوا رسولَ الله ﷺ، فسألوهُ عمن يؤمِنُ به من الرُّسل؟ فقال: «أؤمنُ باللهِ وما أُنزِل إلينا، وما أُنزِل إلى إبراهيمَ وإسماعيلَ وإسحاقَ ويعقوبَ والأسباطِ، وما أُوتيَ موسى وعيسى، وما أُوتيَ النَّبيُّون مِن ربِّهم، لا نُفرِّقُ بين أحدٍ منهم، ونحن له مسلمون»، فلمَّا ذكرَ عيسى، جحدوا نبوَّتَه، وقالوا: لا نؤمِنُ بما[٣] آمنتَ به، فأمرَ اللهُ تعالى[٤] نبيَّه ﷺ أنْ يقولَ لهم: ما الذي تَعيبون منَّا في تديُّننا بالإسلام إلَّا أنَّا لم نُفرِّق بين الأنبياء والكتبِ، فآمنَّا بكلِّ مَن أرسلَهُ اللهُ، وبكلِّ ما أنزلَهُ الله، وليس نداؤنا بالصَّلاة والشَّهادةِ لمحمَّدٍ بالرِّسالة جحوداً لـمَن يَنتحلونَهم مِن الأنبياء؛ مِن موسى وغيرِه، بل هو جامعٌ للشَّهادة لله بالتَّوحيد، وللأنبياءِ بالرِّسالة، فلا عيبَ علينا، بل العيبُ عليكم إذ بدَّلتُم وخالفتُم.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ﴾ خارجون عن الطَّاعة، وبعضُكم أسلمَ وأطاعَ، كعبد الله بن سلام وأصحابِه.

---

(١) في (أ): «تقطعون».

(٢) ذكره الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (٣/ ٥٤٨).

(٣) في (ف): «به كما»، بدل: «ما».

(٤) في «تفسير الطبري» (٨/ ٥٣٧ ـ ٥٣٨)، و«تفسير ابن حاتم» (٤/ ١١٦٤) (٦٥٥٩) والخبر مخرج فيهما: فأنزل الله: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ...﴾ الآية بدل: فأمر الله نبيه... إلخ.

(٦٠) ـ ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ ۚ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ﴾ قيل: هذا جوابٌ لكلامٍ محذوف، وهو قولُهم للمؤمنين: إنَّ ثوابَكم على دينِكم ما أنتُم فيه من الفقرِ والضُّرِّ، ولو كنتم مُحقِّين لكنتُم للخيرِ والبِرِّ مستحقِّين، فنزلَ قوله: ﴿قُلْ﴾ يا محمد، ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُم﴾ بمَن هو شرٌّ مثوبةً منَّا؛ أي: جزاء. وقد أثابَهُ؛ أي: جزاه[1]، والمثوبة: الثَّواب، وهو الجزاء.

وقوله تعالى: ﴿مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ﴾؛ أي: هو أنتم وأسلافُكم، و﴿مَن﴾ اسمُ جنسٍ، ولفظه فردٌ ومعناه جمع، فلذلك وحَّد قوله: ﴿مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ﴾، ثمَّ جمعَ: ﴿وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ﴾، واللَّعْنُ في سلفِهم ما ذكرَ: ﴿كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ﴾ [النساء: ٤٧]، وقال: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [المائدة: ٧٨].

وقوله تعالى: ﴿وَغَضِبَ عَلَيْهِ﴾ كما قال: ﴿فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ﴾ [البقرة: ٩٠]، فسلبَهُم مُلكَهم، وشتَّتَ شملَهم، وضربَ عليهم الذِّلَّةَ والمسكنة.

وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ﴾ قيل: جعل أصحابَ السَّبتِ قردةً، وجعلَ أصحابَ المائدة خنازير.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كلا الصِّنفين مِن أصحابِ السَّبت، فشُبَّانهم مُسِخوا قردةً، ومشايخُهم مُسِخوا خنازير[2].

وقوله تعالى: ﴿وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾ عطف على قوله: ﴿مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ﴾؛ أي: ومَنْ عبدَ

---

(١) في (ف): «جازاه».

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» (٤/ ٨٥).

الطَّاغوت، وهو ما عُبِدَ مِن دونِ الله، وجَعَلَهم بطاعتِهم أحبارَهم ورهبانَهم فيما أَمروهم به مِن معصيةِ الله عابدينَ لهم، كما قال: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة: ٣١].

وقيل: أراد بِهِ عبادةَ العجلِ.

وقيل: أراد بـ ﴿ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ كعبَ بنَ الأشرف، كما قلنا في قوله تعالى: ﴿ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ ﴾ [النساء: ٦٠].

وقرأ حمزة: ﴿وعَبُدَ الطَّاغوتِ﴾ بفتح العينِ وضمِّ الباء ونصبِ الدال وخفضِ تاء ﴿الطَّاغوتِ﴾ على الإضافة(١)، والصَّحيحُ من وجهِ قراءته أنَّه أرادَ به جمعَ العبد، يقال: عبدٌ وعبيدٌ وعُبُدٌ جمع الجمعِ، وهو كقولهم: السَّرير والسُّرُر، ثمَّ نُقِلَت ضمَّة العينِ فتحاً؛ لئلَّا يجتمع ضمَّتان، ومعناه: وجعلَ منهم عبدةَ الطَّاغوتِ؛ على الإضافة.

وقرأ بعضُهم: (عُبَّدَ الطَّاغوت)(٢)، وهو جمع عابد.

وقوله تعالى ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ أي: هؤلاء الذين هذه صفاتُهم أردأُ منزلةً، وأبعدُ عن قصدِ الطَّريق ـ وهو الهدى ـ ممَّن قلتم.

ثمَّ ذكر في أول الآية ﴿ بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ ﴾، وقال في آخرها: ﴿ شَرٌّ مَّكَانًا ﴾، وقال: ﴿ وَأَضَلُّ ﴾، ولا شرَّ ولا ضلالَ في المؤمنين، فكيف يكون الفريقُ الآخرُ شرًّا منهم وأضلَّ منهم؟! ومعناه: أنَّه أرادَ به أنَّ حالَكُم شرٌّ مِن حالِ مَن ظننتُم أنَّه في شرِّ حالٍ، وهو ما فيه المؤمنون مِن الفقرِ والضُّرِّ.

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٢٤٦)، و«التيسير» (ص: ١٠٠).

(٢) نسبها ابن خالويه في «مختصر في شواذ القرآن» (ص: ٤٠) للأعمش، ونسبها ابن جني في «المحتسب» (١/ ٢١٤) لابن عباس رضي الله عنهما.

وقيل: هو خطابٌ لهم على ما في زعمهم، كما قال ذلك في الخير: ﴿ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ [يوسف: ٣٩]، ﴿ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النمل: ٥٩].

ولـمَّا نزلَت هذه الآيةُ عيَّرهم المسلمون، وقالوا: يا إخوةَ القردةِ والخنازيرِ، فنكسوا رؤوسَهم بما فضحهم اللهُ تعالى على لسان رسولِه ﷺ.

* * *

(٦١) ـ ﴿وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَقَد دَّخَلُواْ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُواْ بِهِۦۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُواْ يَكْتُمُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا﴾؛ أي: مِن هؤلاء اليهودِ منافقون يَلقونكم بوجهٍ، ويَلقون الكفَّارَ بوجهٍ، فإذا جاؤوا مجلسَ الرَّسول ﷺ قالوا: آمنَّا بما أنزلَ الله، قولاً مجملاً.

وقوله تعالى: ﴿وَقَد دَّخَلُواْ بِٱلْكُفْرِ﴾؛ أي: دخلوا وهم كافِرون.

وقوله تعالى: ﴿وَهُمْ قَدْ خَرَجُواْ بِهِۦ﴾ وخرجوا وهم كافرون، كما يُقال: دخلَ بردائِه وطَيلسانِه؛ أي: وهو لابِسهما، ﴿وَهُمْ﴾ تأكيدٌ أنَّ الكفرَ منهم، ونفيٌ أنْ يكون من أمر[1] النبيِّ ﷺ سبب يوجب[2] لهم الكفرَ.

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُواْ يَكْتُمُونَ﴾؛ أي: بما لم يزالوا يُضمِرون من النِّفاق والحقد عليكم.

* * *

(١) لفظ: «أمر» من (ر).

(٢) في (أ): «موجب».

(٦٢) ـ ﴿وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ﴾؛ أي: مِن اليهود ﴿يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْإِثْمِ﴾؛ أي: الوزر، ﴿وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾؛ أي: الظُّلم، ويجوزُ أن يكونَ الإثمُ في القولِ، والعدوانُ في الفِعل، كما قال في الآية التي بعدها: ﴿عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ﴾؛ أي: الحرام.

وقوله تعالى: ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ هي كلمةُ ذمٍّ.

* * *

(٦٣) ـ ﴿لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ﴾؛ أي: هلَّا[1] ينهاهم العلماءُ العُمَّال، ﴿وَٱلْأَحْبَارُ﴾ هم العلماءُ المحسِنون، ﴿عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ﴾ هو تغييرهم نعتَ النَّبيِّ ﷺ، ﴿وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ﴾ أي: الحرام، ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾، هو ذمُّ العلماء، والأوَّلُ ذمُّ العامة، وقوله: ﴿كَانُوا۟﴾ وصفٌ لهم أنَّهم لم يَزالوا كذلك.

وقال الحسن: ﴿ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ﴾ علماءُ أهلِ التَّوراة، ﴿وَٱلْأَحْبَارُ﴾ علماءُ أهلِ الإنجيل.

وقال الضحاك: هي أخوف آيةٍ في القرآن، حيث أنزلَ[2] تاركَ النَّهيِ عن المنكرِ منزلةَ مرتكبِ المنكر[3].

---

(١) في (أ): «فلا» بدل من «هل لا».

(٢) في (ف): «أوجبت إنزال» بدل من «حيث أنزل».

(٣) رواه ابن المبارك في «الزهد» (٥٧)، والطبري في «تفسيره» (٨/ ٥٥١).

(٦٤) ـ ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ ولـمَّا استوى عامَّتُهم وعلماؤهم في المعاصي ابتلاهُمُ اللهُ تعالى بالسِّنين، وكذلك كانت سُنَّتُه في الماضين، قال الله تعالى: ﴿فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾ [النحل: ١١٢]، وقال: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ﴾ [الأعراف: ١٣٠]، وقال في قصة نوح: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾ [نوح: ١٠ ـ ١١]، فلم يَنتبهوا، ولم ينتهوا، لكن تَجاهلوا وتَسفَّهوا، ووَصفوا اللهَ تعالى بالبخلِ بمنعِ الخصبِ، وتسليطِ المحل، فقالوا: ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾؛ أي: هو بخيلٌ لا يُعطينا ما يَنفعُنا ولا يَضرُّه، والعربُ تُسمِّي البخيلَ مغلولَ اليدين؛ أي: ممسكَ اليدينِ عن العطاء، كالذي هو مغلولٌ حِسًّا، وهو كما قال الله: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾ [الإسراء: ٢٩].

وقوله تعالى: ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾؛ أي: هم الذين قُبِضَت أيديهم عن الإعطاء، فهم الموصوفون بكمالِ البُخل، كما قال تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا﴾ [النساء: ٥٣].

وقيل: وهو وعيدٌ لهم بالغُلِّ في الآخرة، كما قال تعالى: ﴿إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ﴾ [غافر: ٧١].

وقوله تعالى: ﴿وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟﴾؛ أي: بُعِّدوا عن الرَّحمةِ وطُردوا.

وقال الكلبيُّ: نَزلت في فِنحاص بن عازورا اليهوديِّ وأصحابِه، وذلك أنَّ اللهَ تعالى كان بسطَ على اليهود حتَّى كانوا أكثرَ النَّاس مالاً، وأخصبَهُم ناحيةً، فلمَّا

عصوا اللهَ تعالى في محمَّدٍ، وكفروا به، كفَّ اللهُ عنهم بعضَ الذي بسطَ عليهم مِن السَّعة، فقال فِنحاص وأصحابُه: ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌ﴾؛ أي: ممسِكةٌ عنَّا في الرِّزق، محبوسةٌ، لا يَبسطُ[١] علينا كما كان يَبسطُ[٢]، فقال الله تعالى: ﴿غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ﴾؛ أي: أُمسِكتْ أيديهِم أنْ يُنفِقوا في خير.

وقال يمانُ بن رئاب: شدَّد وثقَّلَ عليهم الشَّرائعَ، وهو قوله: ﴿وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡ﴾ [الأعراف: ١٥٧][٣].

وقال الحسنُ: ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌ﴾؛ أي: مكفوفةٌ عن عذابِنا، فليس يُعذِّبُنا إلَّا بما يَبرُّ بهِ قسَمَه قدرَ ما عبدْنا العجلَ سبعةَ أيام، قال الله تعالى: ﴿غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ﴾[٤].

وقيل: إنَّهم قالوا: ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌ﴾ حين نزلَ قولُه تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا﴾، قالوا: هو[٥] فقيرٌ يَستقرِضُ مِن عبادِه، وقالوا: ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌ﴾ لا يوسِّعُ الدُّنيا على محمَّدٍ وأصحابِه.

وقوله تعالى: ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾ اليدُ والعينُ والمجيءُ والإتيانُ ونحوُها صفاتُ الله، وردَ بها القرآنُ فنُثبِتُها لله على اعتقادِ ما أراد اللهُ تعالى بها، مع نفيِ الجوارح عنه وما لا يَليقُ بصفاتِه، ومَن فسَّر اليدَ بالنِّعمة أو بالقُدرة فقد جعل الصفتين واحدةً، واللهُ تعالى أثبتَ كلَّ ذلك، فنُثبِتُ ذلك كلَّه على ما بيَّنَّا.

---

(١) في (أ): «ينبسط».

(٢) في (أ) و(ف): «ينبسط». والخبر أورده الثعلبي في «تفسيره» (٤/ ٨٧) عن ابن عباس وعكرمة والضحاك وقتادة.

(٣) انظر: «تفسير الثعلبي» (٤/ ٨٨).

(٤) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٧٦).

(٥) في (ف): «هذا».

والمفهومُ مِن هذه الكلمةِ هاهنا ردُّ ما قالوا، وإثباتُ سَعَةِ فضلِه وسبوغِ نعمِه على عبادِه.

وقال بعضُ أصحاب المعاني: إنَّهم لـمَّا قالوا: يدُ اللهِ مغلولةٌ، على طريقِ الـمَثَلِ، ذكرَ اللهُ تعالى في مقابلةِ كلامهم ما هو أتمُّ منه في ضدِّ معناه؛ أي: نِعَمُ[1] اللهِ أكثرُ مِن أنْ تُحصَى، وعطاياهُ أوسعُ، وخزائنه[2] أكثر، ومعنى التَّثنية أنَّ المتعارَفَ في الإعطاءِ مِن البشرِ المناولةُ بيدٍ واحدةٍ، فالمناولَةُ باليدين أوسعُ منه[3] وأكثر[4]، فأثبتَ اللهُ صفتَه[5] بإكثار العطاء وإسباغِ النعماء بهذهِ الكلمة؛ على مطابقة كلامهم، ونظيرُه من المطابقة والمقابلة قولُه: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَا﴾ [الشورى: ٤٠]، وقولُه: ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ﴾ [البقرة: ١٩٤]، وقولُه: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ﴾ [النساء: ١٤٢]، وقولُه: ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ﴾ [محمد: ٧]، ونظائرُه.

وقيل: أرادَ باليدينِ نعمةَ الدُّنيا ونعمةَ الدِّين.

وقيل: أراد به أنَّه يَملِكُ الثَّواب والعقاب.

وقيل: أي: ﴿مَبۡسُوطَتَانِ﴾ بالمغفرةِ والتعذيب؛ أي: يَغفرُ لمَن يشاء، ويُعذِّبُ مَن يَشاء.

وقال الإمامُ القشيري: ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾: بل قدرتُه بالغةٌ، ونعمتُه سابغةٌ، ومشيئتُهُ نافذةٌ، وإرادتُه ماضيةٌ.

---

(١) في (أ): «أنعم».

(٢) في (ف): «وخير الله».

(٣) لفظ: «منه» ليس في (أ).

(٤) من قوله: «ومعنى التثنية» إلى هنا ليس في (ف).

(٥) في (ف): «فأثبتت لله صفته» بدل: «فأثبت الله صفته».

قال: وقيل: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ يَضعُ ويَرفعُ، ويَدفعُ ويَنفعُ، فلا يَخلو أحدٌ مِن نعمةِ الدَّفعِ، وإنْ خلا عن نعمةِ النَّفعِ[1].

وقوله تعالى: ﴿يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾؛ أي: يَرزقُ مَن يشاءُ ما يشاءُ على ما يشاءُ مِن توسيعٍ وتضييق، فله الحكمُ والمشيئةُ في كلِّ البَرِيَّة.

وقوله تعالى: ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَـٰنًا وَكُفْرًا﴾ اللامُ للقَسم، وهو للتَّأكيد، ومعناهُ أنَّ كثيراً مِن هؤلاء اليهود يَزداد ـ عند نزولِ القرآنِ بكشفِ سرائِرهم القبيحةِ ـ عناداً وثباتاً على الكفر، وهذا من إضافة الفعل إلى السَّبب؛ كما قال: ﴿فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا﴾ [التوبة: ١٢٥]، وقال: ﴿فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا﴾ [نوح: ٦].

وقوله تعالى: ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ فسرَّناه في هذه السُّورة مرَّة[2]، وهذا عقوبةٌ لهم على ما كان منهم، وامتنانٌ على النبيِّ عليه السلام وأصحابِه؛ فإنَّ ذلك يُورِثُ الفشلَ لعدوِّهم.

وقال مقاتل: ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم﴾ بني النَّضير، ﴿مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ في أمرِ الرَّجمِ[3] في القرآن، ﴿طُغْيَـٰنًا وَكُفْرًا﴾ بالقرآن، ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ﴾ بين اليهودِ والنَّصارى ﴿ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ﴾ أبداً[4].

وقوله تعالى: ﴿كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ﴾ مجازٌ عن همِّهم بتهييجِ الحروبِ على النبيِّ ﷺ، وإبطالِ الله ذلك.

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (١/ ٤٣٧).

(٢) عند تفسير الآية (١٤) منها.

(٣) في (ف): «من الله في أمرهم» بدل: «من ربك في أمر الرجم».

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» (١/ ٤٩٠).

وقال قتادة: لا تَلقى اليهودَ في بلدةٍ[1] إلَّا وهم أذلُّ أهلها، ولقد جاءَ الله بالإسلامِ وهم تحتَ أيدي المجوس[2].

وقوله تعالى: ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي ٱلْأَرْضِ فَسَادًا﴾ قيل: بالمعاصي.

وقيل: باختداع الضَّعفة[3]، وصدِّهم عن الإسلام.

وقيل: بأخذِ الرِّشا وتغييرِ الكتاب.

وقيل: بقطعِ الطَّريقِ، وإخافةِ السَّبيل، وقد ذكر ذلك في هذه السورة مِن صفاتهم.

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ هذا ظاهرٌ.

❋ ❋ ❋

(٦٥) ـ ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَٰهُمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟﴾؛ أي: اجتنبوا المعاصي، ﴿لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾ السَّالفة، ﴿وَلَأَدْخَلْنَٰهُمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ في الآخرة؛ أي: لا يُعذِّبهم بما قالوا، لحاجةٍ له إلى تعذيبهم، بل جزاءً لهم على كفرِهم وتكذيبِهم، ولو أنَّهم آمَنوا وأسلموا، لأَمِنوا وسَلِموا.

وقال الإمامُ القشيريُّ رحمه الله: شرطَ في حقِّهم الإيمانَ والتَّقوى لإدخالهم

---

(١) في (أ): «ببلدة» بدل من «في بلدة».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٥٦٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١١٦٩) (٦٥٩٠).

(٣) في (ف): «بالاختداع للضعفة».

الجنَّة، ووعد للظَّالمين مع السَّابقين والمقتصدين مِن هذه الأُمَّة إدخالَ الجنَّة فقال: ﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا﴾ [الرعد: ٢٣][١].

***

(٦٦) - ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ أَقَامُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِم مِّن رَّبِّهِمۡ لَأَكَلُواْ مِن فَوۡقِهِمۡ وَمِن تَحۡتِ أَرۡجُلِهِمۚ مِّنۡهُمۡ أُمَّةٞ مُّقۡتَصِدَةٞۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ سَآءَ مَا يَعۡمَلُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ أَقَامُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِم مِّن رَّبِّهِمۡ﴾؛ أي: أقاموا العملَ بذلك على الاستقامةِ دون التَّحريف.

وقيل: أي: نصَبوا ذلك بأعينِهم فاتَّبعوه ولم يُخالِفوه، واتَّبعوا القرآنَ أيضًا، وذلك في حكمِ الرَّجمِ والقِصاصِ، وبيانِ نعت[٢] النبيِّ ﷺ، وغيرِ ذلك.

وقيل: هو المحافظةُ على ذلك، كإقامةِ الصَّلوات.

وقوله تعالى: ﴿لَأَكَلُواْ مِن فَوۡقِهِمۡ وَمِن تَحۡتِ أَرۡجُلِهِم﴾؛ أي: لتابَعْنا عليهم بركات السَّماء بالأمطارِ وبركاتِ الأرض بالنَّبات[٣]، وهو كقوله: ﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [الأعراف: ٩٦].

وقال الفرَّاء: هو كقولهم: فلانٌ في الخيرِ مِن قرنِه إلى قدمِه[٤].

وقيل: ﴿مِن فَوۡقِهِمۡ﴾ مِن الثِّمار، ﴿وَمِن تَحۡتِ أَرۡجُلِهِم﴾ من الحبوب.

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (١/ ٤٣٧).

(٢) في (ف): «بعث».

(٣) في (أ): «السماء والأرض بالأمطار والنبات»، وفي (ر) «من السماء بالأمطار وبركات الأرض» بدل: «السماء بالأمطار وبركات الأرض بالنبات».

(٤) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٣١٥).

وقيل: أي: من الجبلِ والسَّهل.

ودلَّ ذلك على أنَّ العملَ بطاعةِ الله سببٌ لسَعَةِ الرِّزق، وهو كقوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢]، وقولِه: ﴿ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ۝١٠ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا﴾ الآيات [نوح: ١٠ ـ ١١]، وقولِه: ﴿وَأَلَّوِ ٱسۡتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ﴾ الآية [الجن: ١٦].

وقيل: هذا إشارةٌ إلى ما جرى على اليهودِ؛ مِن قطعِ نخيلِهم، وإفسادِ زروعِهم، وإجلائِهم.

وقيل: هو جوابُ قولِهم: ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌ﴾ يعنون البخل؛ أي[1]: مُنِعَ ذلك عنهم ليس للبخل، بل حُرِموه للكفر.

وقوله تعالى: ﴿مِّنۡهُمۡ أُمَّةٞ مُّقۡتَصِدَةٞ﴾؛ أي: جماعةٌ جاريةٌ على القصدِ، وهو الطريق العادل؛ أي: لم يزيغوا، ولم يَغلُوا في دينِهم، ولم يَقولوا في المسيح وفي أمِّه غيرَ الحقِّ، وهم الذين آمَنوا بموسى وعيسى ومحمَّد عليه الصَّلاة والسَّلام، كالنَّجاشيِّ وأصحابِه، وعبدِ الله بن سلام وأشكالِه، وبَحيرى الرَّاهب، وسلمان، ورهطٍ مِن الشَّام.

وقوله تعالى: ﴿وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ سَآءَ مَا يَعۡمَلُونَ﴾ سائر اليهود؛ مِن الكفر، وصدِّ الناس عن الإيمان، واستحلالِ السُّحت.

* * *

(٦٧) ـ ﴿۞يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾.

---

(١) في (ف): «الذي».

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ قيل: أي: مِن مقابحِ هؤلاء، ولا تَنظُر إلى قلَّةِ المقتصدين منهم وكثرةِ الفاسقين.

وقوله تعالى: ﴿وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾ قرأ عاصمٌ في رواية أبي بكرٍ ونافعٌ وابنُ عامر: ﴿رِسَالَتَهُۥ﴾ على الجمع، والباقون على الواحد(١).

قالت الملاحدةُ ـ لعنهم الله ـ: هذا كلامٌ لا يُفيد، وهو كقولِك لغلامِك: كلْ هذا الطَّعامَ، فإنْ لمْ تأكلهُ فإنَّك ما أكلتَهُ.

قلنا: هذا قصورُ فهمٍ منكم، وبلادةُ طبع، وقلَّة معرفةٍ بكلام النَّاس، وله وجوهٌ صحيحةٌ:

أحدُها: أنَّ قولَه: ﴿مَآ أُنزِلَ﴾ للعموم، ومعناه: بلِّغ جميعَ ما أُنزِل إليكَ؛ فإنْ لم تُبلِّغ شيئاً منه فإنَّك(٢) لم تبلِّغ رسالاتي كلَّها، وهو كقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ﴾ [النساء: ١٥٠]، ثمَّ قال: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا﴾ [النساء: ١٥١]، جعلَ الكفر ببعضٍ محبطاً أصلَ الإيمان. قاله عليُّ بن مهدي الطبريُّ(٣).

والثاني: قول الحسين بنُ الفضل البجليُّ رحمه الله: معناه: بلِّغ ما أنزل إليك من ربِّك الآن، ولا تَنتظر به كثرةَ الشَّوكةِ والقُوَّة والعُدَّة، فإن لم تُبلِّغ كنتَ كمَن لم يُبلِّغ.

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٢٤٦)، و«التيسير» (ص: ١٠٠).

(٢) في (ر) و(ف): «فكأنك».

(٣) هو أبو الحسن، علي بن محمد بن مهدي، تلميذ الشيخ أبي الحسن الأشعري، كان من المبرزين في علم الكلام، والقوامين بتحقيقه، له كتاب «تأويل الأحاديث المشكلات الواردات في الصفات». انظر: «طبقات الشافعية الكبرى» (٣/ ٤٦٦ ـ ٤٦٧).

وقيل: معناه: بلِّغ ذلك محتسِباً غيرَ خائفٍ أحداً، فإنْ لم تُبلِّغ على هذا الوصف فكأنَّك لم تُبلِّغهُ أصلاً.

وقال الإمامُ أبو منصور رحمه الله: أي: إنْ لم تُبلِّغ ما أُنزِلَ إليكَ لما تَخشى مِن الإهلاكِ والمكر بك، فكأنَّك لم تُبلِّغ الرسالةَ أصلاً، لم يعذرهُ في تركِ تبليغِ الرِّسالةِ إليهم، وإن خافَ على نفسِهِ الهلاكَ، وليس كمَن أُكرِهَ على الكفرِ، رُخِّصَ له أنْ يَتكلَّم به إذا خافَ الهلاكَ على نفسِه، ولا يُرخَّصُ تركُ تبليغِ الرِّسالةِ لذلك؛ لأنَّ تبليغَ الرِّسالةِ باللِّسانِ دون القلب، والإيمانُ تَعلُّقهُ بالقلب، فإذا أُكرِهَ على الكفرِ وقلبُه مطمئنٌّ بالإيمان، رُخِّصَ له ذلك، وأمَّا الرِّسالةُ فلا سبيلَ له أنْ يُبلِّغَها إلَّا باللِّسان، فلذلك لم يُرخَّص له[1] تركُها وإنْ خاف.

وهذا دليلٌ لقولِنا في المكره على الطَّلاق أو العتاق[2]: إذا تكلَّم به عمل، لأن تَعلُّقَ ذلك باللِّسان، لا بالقلب، والإكراه لا يمنع فعلَ اللِّسان، فلا يمنعُ النَّفاذ[3].

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾؛ أي: يَحفظُكَ منهم.

قالت الملحدةُ لعنَهمُ الله: كيف عصمَهُ منهم وقد شجُّوه وأدمَوهُ وقصدوهُ وآذوهُ.

قلنا: وَعدَهُ العِصمةَ مِنَ القَتْلِ، وقد حفظَهُ عن ذلك، فأمَّا سائرُ البلايا والمِحَن، فذلك ممَّا كان يَجري على سائرِ الأنبياء والأولياء، قال الله تعالى: ﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَأۡتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِكُم﴾ الآية [البقرة: ٢١٤]،

---

(١) بعدها في (ف): «على».

(٢) في (ف): «والعتاق».

(٣) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٣/ ٥٥٧).

وقال النَّبيُّ ﷺ: «أشدُّ النَّاسِ بلاءً الأنبياءُ، ثمَّ الأولياء، ثمَّ الأمثل فالأمثل»[١].

وقال محمَّدُ بنُ كعب القرظي: كان رسولُ الله ﷺ يُحرَسُ باللَّيل، وكان يَخاف العدوَّ، فلمَّا نزلَت الآيةُ، ووَعَدَهُ الله ذلك، ترك ذلك[٢]، وكان الشجُّ وغيرُ ذلك قبل هذا.

وقال أنس: كان رسولُ الله ﷺ يُحرَسُ باللَّيل، حتَّى نزلت: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ﴾ ليلاً، فأخرجَ رسولُ الله ﷺ رأسَه مِن قبَّة أدم، وقال: «انصرفوا أيُّها[٣] النَّاس؛ فقد عصَمني الله»[٤].

وقيل: إنَّ رسول الله ﷺ دعا اليهودَ إلى الإسلام، فأكثرَ الدَّعوةَ، فجعلوا يستهزؤون به ويقولون: تريدُ أنْ نتَّخِذَك حناناً، كما اتَّخذتِ النَّصارى عيسى حناناً، فسكتَ رسولُ الله ﷺ تثبتاً، فنزلَتْ هذه الآيةُ في التَّحريض، فعاد إلى دعوتهم، وقال: «ما أُبالي مَن خذلَني ومن نصرني»[٥].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾؛ أي: لا يُرشِدُ إلى الحقِّ أهلَ الكفر، ما داموا مختارين للكفرِ.

---

(١) رواه الترمذي في «سننه» (٢٣٩٨)، والنسائي في «الكبرى» (٧٤٣٩)، وابن ماجه (٤٠٢٣) من حديث سعد رضي الله عنه دون قوله: «ثم الأولياء»، ورواه أحمد في «مسنده» (١٤٨١)، وفيه: «ثم الصالحون» بدل: «ثم الأولياء».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٥٧٠).

(٣) في (ف): «يا أيها».

(٤) أورد الثعلبي في «تفسيره» (٤/ ٩١) عن أنس: كان النبي ﷺ يحرس، وقالت عائشة: فكنت ذات ليلة إلى جنبه... فذكره مطولاً. ورواه البخاري (٢٨٨٥)، (٧٢٣١)، ومسلم (٢٤١٠) من طريق عبد الله بن عامر بن ربيعة عن عائشة رضي الله عنها.

(٥) انظر: «تفسير مقاتل» (١/ ٤٩١ ـ ٤٩٢)، و«تفسير أبي الليث» (١/ ٤٤٩).

(٦٨) ـ ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۖ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ ﴾؛ أي: من الدِّين الحق، ﴿حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ﴾؛ أي: حتَّى تعملوا بجميعِ هذه الكتب على الاستقامةِ والدَّوام.

وقوله تعالى: ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴾؛ قد ذكرنا أنَّ إضافةَ زيادةِ[1] الكفر والطُّغيان إلى نزولِ القرآن بطريقِ التَّسبيب.

وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾؛ أي: لا تَحزن على أنْ لم يدخلوا في دينِك، ولم يَصيروا مِن أتباعِك، فليسوا ممَّن يُتأسَّفُ بفوتهم، وهو كقوله: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ﴾ [فاطر: ٨].

وقيل: معناه: لا تَحزن بنزولِ العذابِ عليهم؛ فإنَّهم كفارٌ، ليسوا منك ولستَ منهم.

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: هذا في الحقيقة تنبيهٌ للكلِّ أنَّه لا قدرَ لأحدٍ ولا لعملٍ، إلَّا بمراعاةِ الأمرِ والنهي، والمحاماةِ على أحكام الشَّرع[2].

* * *

(٦٩) ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾.

---

(١) لفظ: «زيادة» ليس في (ف).

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (١/ ٤٣٩).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ فسَّرنا الآيةَ في سورةِ البقرة[١]، ولـمَّا ذكر وعيدَ الكافرين في الآية الأولى، ذكر وعدَ المؤمنين في هذه الآية.

ثمَّ قوله تعالى: ﴿وَالصَّابِئُونَ﴾ رفعَهُ مع تقدُّم الكلمة[٢] الناصبة، وهي ﴿إِنَّ﴾ كَثُرت فيه الأقاويل، وأوضحُها قولُ الكسائيِّ والفرَّاء والمبرِّد وجماعة: إنَّ قوله: ﴿وَالصَّابِئُونَ﴾ محمولٌ على التَّأخير، مرفوعٌ بالابتداء، وتقديرُه: إنّ الذين آمنوا والذين هادوا مَن آمنَ مِنهم بالله واليومِ الآخر وعملَ صالحاً، فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون، والصَّابئون والنَّصارى كذلك[٣]، وهو كقول الشَّاعر:

وإلَّا فاعْلَمـوا أنَّـا وأنتُـم ... بُغاةٌ مـا حَيينـا فـي شِـقاقِ[٤]

وتقديره: فاعلموا أنَّا بغاةٌ ما حيينا في شقاقٍ، وأنتم كذلك، وأنشد الفرَّاء:

يـا ليتَنـي وأنـتِ يـا لميسُ ... بـبلدٍ ليـسَ بـهِ[٥] أنيـسُ[٦]

---

(١) عند الآية (٦٢) منها.

(٢) بعدها في (ر): «السابقة».

(٣) كذا نسب المصنف هذا القول للكسائي والفراء والمبرد، والصواب أنه قول سيبويه في «كتابه» (٢/ ١٥٥ ـ ١٥٦)، ونسبه له مكي في «مشكل إعراب القرآن» (١/ ٢٣٣)، ونسبه الزجاج في «معاني القرآن» (٢/ ١٩٣)، وابن عطية في «المحرر الوجيز» (٢/ ٢١٩) لسيبويه والخليل ونحاة البصرة. ومذهب الكسائي أنه معطوف على موضع اسم «إن» لأن الأصل فيه الرفع (وهو ما سيذكره المصنف قريباً عن قطرب)، وقال الفراء مثل قوله، غير أنه ذكر أن هذا يجوز في النسق على مثل «الذين» والمضمر. انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٣١٠ ـ ٣١٢)، و«معاني القرآن» للزجاج، و«إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ٣٢)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٨/ ٣٢٢).

(٤) البيت لبشر بن أبي خازم، وهو في «ديوانه» (ص: ١٦٥)، و«الكتاب» (٢/ ١٥٦).

(٥) في (أ): «بها».

(٦) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٣١١)، ولم ينسبه.

وأنشد المبرِّدُ:

يـا ليتَنـي وهُمـا نَخـلو بِـمـنـزلَـةٍ حتَّى يَـرى بعضُنـا بعضـاً ونأتلِـفُ(١)

وقال قطرب: هو مرفوعٌ عطفاً على قوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾، ومحلُّه رفعٌ بالابتداء، و«إنَّ» نصبُها أضعفُ مِن نصبِ أخواتها، مثل: «كأنَّ» و«ليت» و«لعلَّ»؛ لأنها أحدثَت في الكلام معاني، وهي التَّشبيه والتَّرجي والتَّمنِّي، و«إنَّ» لم تُحدِث شيئاً، فيَجوزُ تركُ عملِها، وتصير كأنَّ ابتداءَ الآية: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾، وعلى ذلك قولُ قائلِهم:

فمَنْ يكُ أَمْسى بالمدينةِ رَحْلُهُ فـإنِّـي وقـيَّـارٌ بـهـا لغريبُ(٢)

وقيل: هو عطفٌ على ضميرِ ﴿هَادُوا۟﴾، وتقديرُه: والذين هادوا هم والصَّابئون(٣).

وقيل: هو رفعٌ على الذَّمِّ، وكما يُنصب على الذمِّ قطعاً عمَّا قبلَه مِن غير النَّصب، يجوزُ رفعُه أيضاً قطعاً عمَّا قبلهُ مِن غيرِ الرَّفع.

وقيل: لمَّا ضعُفَ عمل «إنَّ» فلم يَعمل في خبره لـمَّا(٤) بعُد(٥)، لم تعمل في المعطوف عليه إذا بَعُدَ أيضاً.

= والبيت لجران العود. انظر: «ديوانه» (ص: ٥٢)، و«خزانة الأدب» (١٠/ ١٨)، وذكره ثعلب في «مجالسه» (١/ ٢٦٢) دون نسبة.

(١) أنشده الفراء أيضاً في «معاني القرآن» (١/ ٣١١) دون نسبة.

(٢) البيت لضابئ بن الحارث البُرْجُمي، وهو في «الكتاب» (١/ ٧٥)، و«الأصمعيات» (ص: ١٨٤)، و«خزانة الأدب» (١٠/ ٣١٢، ٣٢٠).

(٣) وهو منسوب للكسائي. انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ١٩٢)، و«البحر المحيط» (٨/ ٣٢٢).

(٤) في (أ): «عما». وفي (ف): «أما».

(٥) في (أ): «عما بعد»، وفي (ف): «أتى بعده».

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: بيَّن أنَّهم وإن اختلفت أحوالهم، فبعدما جمعَهم التَّوحيد، فلهمُ الأمانُ مِن الوعيدِ والفوزِ بالمزيد(١).

***

(٧٠) ـ ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًا ۖ كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا۟ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾؛ أي: في كتبِهم بالإيمانِ بالله وبجميعِ الأنبياء.

وقوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًا﴾؛ أي: في تجديدِ هذا الميثاق.

وقوله تعالى: ﴿كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ﴾؛ أي: لا يوافِقُ أهواءَهم.

وقوله تعالى: ﴿فَرِيقًا كَذَّبُوا۟ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾؛ أي: فريقاً كانوا يَقتلون، فإنَّه إخبارٌ عن سَلَفِهم، وذاك ماضٍ، فدلَّ أنَّ «كانوا» مضمرٌ.

قال ابنُ كيسان: كان الأنبياء ضربين(٢)؛ أصحاب كتبٍ وشرائع، لم يصلوا إلى قتلِهم، مثل: نوحٍ وإبراهيمَ وموسى وعيسى(٣) وداود وسليمان، وأنبياء(٤) لم يكن لهم كتبٌ وشرائع قتلوهم، مثل: زكريَّا ويحيى وغيرهما.

وبلغني أنَّهم قتلوا في يومٍ سبعين نبيًّا، وهذا نقضٌ مِنهم للميثاق والعهد، وقد أمرَ في ابتداءِ السُّورة بالوفاء بالعهدِ، ثمَّ ذمَّ في بقيَّةِ السُّورة النَّاقضين للعهد.

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (١/ ٤٣٩).

(٢) بعدها في (ر): «ضرب».

(٣) قوله: «وعيسى» من (ر).

(٤) في (ف): «والذين».

(٧١) ـ ﴿وَحَسِبُوٓاْ أَلَّا تَكُونَ فِتۡنَةٞ فَعَمُواْ وَصَمُّواْ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ كَثِيرٞ مِّنۡهُمۡۚ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَحَسِبُوٓاْ أَلَّا تَكُونَ فِتۡنَةٞ﴾ قرأ أبو عمرو وحمزةُ والكسائيُّ بالرَّفع، وتقديرُه: أنَّه لا يكونُ، والباقون بالنَّصب[1]. بأن يقول: أصرُّوا على الذُّنوب، وظنُّوا لطولِ إمهالِ الله إيَّاهم ألَّا يقع عليهم من الله عقوبة، من قوله: ﴿ذُوقُواْ فِتۡنَتَكُمۡ﴾ [الذاريات: ١٤][2].

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: قال قائلون: الفتنةُ: المحنة؛ أي: حسِبوا ألَّا تأتيَهم الرُّسلُ بامتحانِهم على خلافِ ما أحدَثوا بهوى أنفسِهم[3].

وقوله تعالى: ﴿فَعَمُواْ وَصَمُّواْ﴾؛ أي: ألِفوا المعاصيَ، فصاروا لرَين القلوبِ عُمياً، فلا يُبصِرون قبحَها، وصمًّا، فلا يَسمعون وعظَ النَّاهي عنها.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ﴾؛ أي: ثمَّ أرسلَ اللهُ رُسُلاً، فأجابوهُم، وتابوا لله، فقبِلَ اللهُ توبتَهم.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ﴾؛ أي: ثمَّ امتدَّتِ المهلةُ، فعادوا إلى المعاصي، وألفوها، فصاروا كما كانوا عُمياً وصُمًّا، وهو كقولهم: حبُّك الشَّيءَ يعمي ويُصِمُّ[4].

وقوله تعالى: ﴿كَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ﴾ جمعَ الفعلَ مع التَّقدُّم على الفاعل؛ لأنَّه فعلُ

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٢٤٧)، و«التيسير» (ص: ١٠٠).

(٢) من قوله: «بأن يقول أصروا» إلخ لعل موضعها قبل ذكر قراءة أبي عمرو ومن معه.

(٣) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٣/ ٥٦١).

(٤) انظر: «جمهرة الأمثال» للعسكري (١/ ٢٨٨).

قوم تَقدَّم ذِكرُهم[١]، ثمَّ قولُه: ﴿كَثِيرٌ مِّنْهُمْ﴾ تفسيرُ قدرِ فاعلِيه؛ كما في قوله: ﴿وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ [الأنبياء: ٣]، هذا تفسيرُ وصفِ فاعلِيه.

وقيل: هو على لغةِ بعض العرب، وهو جمعُ الفعلِ مع التقدُّم، يقولون: ذهبوا أصحابُك، قال الشاعر:

أَلْفَيَتا عيناكَ عندَ القَفا   أَوْلَى فأَوْلَى لكَ ذا واقِيَهْ[٢]

وقال الزَّجَّاج: ﴿كَثِيرٌ﴾ خبرٌ لابتداءٍ محذوف؛ أي: العميُ والصُّمُّ كثيرٌ منهم[٣].

ثمَّ إنَّما ذكرَ الكثيرَ لا الكلَّ؛ لأنَّ مِنهم مَن أبصر وسمع، فآمنَ وتبعَ ووفَّى بالعهد ولم يمتنع.

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾؛ أي: بأعمال الأسلاف والأخلاف، فيُجازِيهم على الاستحقاق في الوِفاقِ والخلاف.

وقال مجاهد: فـ﴿تَابَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ تجاوزَ عنهم برفع البلاء[٤].

وقيل: ﴿فَعَمُوا۟ وَصَمُّوا۟﴾ بعدَ موسى، ﴿ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ على عهدِ عيسى، ﴿ثُمَّ عَمُوا۟ وَصَمُّوا۟﴾ بعد عيسى.

---

(١) بعدها في (ف): «ثم ذكرهم».

(٢) البيت لعمرو بن مِلْقَط من قصيدة له، ذكرها أبو زيد في «النوادر» (ص: ٦٢)، وعبد القادر البغدادي في «الخزانة» (٩/ ٢١) قال البغدادي: ألفيتا؛ أي: وجدتا، وقوله: أولى لك، كلمةُ وعيدٍ وتهديد، والواقية: مصدر بمعنى الوقاية. يصفُه بالهروب، ويقول: أنت ذو وقايةٍ مِن عينيك عند فرارك، تَحترِسُ بهما، ولكثرة تلفُّتِك إلى خلفك حينئذٍ، صارت عيناك كأنهما في قفاك.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ١٩٦).

(٤) في (أ): «البلايا».

وقال الحسن: ﴿وَحَسِبُوٓاْ﴾ ألَّا يُبتلَوا في الدِّين، ولا يُفرَضَ عليهم طاعةُ محمَّدٍ ﷺ، ﴿فَعَمُواْ﴾ عن الدِّين، ﴿وَصَمُّواْ﴾ فيه، ﴿ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ﴾ فاستنقذَهم بمحمَّدٍ ﷺ، فكذَّبوه[1]، ﴿ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ كَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ﴾[2] أقاموا على اليهوديَّةِ.

وقال مقاتل: ﴿وَحَسِبُوٓاْ أَلَّا تَكُونَ فِتۡنَةٞ﴾ بلاءٌ وقحْطٌ، ﴿فَعَمُواْ﴾ عن الحقِّ، فلم يُبصِروه، ﴿وَصَمُّواْ﴾ فلم يسمعوهُ، ﴿ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ﴾ رفعَ البلاءَ عنهم، فلم يَتوبوا، ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ﴾ من قتلِ الأنبياءِ وتكذيب الرُّسُل[3].

وقال الإمامُ القشيريُّ رحمه الله: اغترُّوا بطولِ الإمهال، فأصرُّوا على قبيحِ الأعمال[4]، فلمَّا أخذَتهم فجأةُ الانتقامِ، ونوائبُ الأيَّام، لم يَنفعهُم النَّدم، ولم يُثبِت لهم القدم[5].

* * *

(٧٢) ـ ﴿لَقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ وَقَالَ ٱلۡمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ﴾.

وقوله تعالى: ﴿لَقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ﴾ قال الكلبيُّ: هو في نصارى بني نجران، وهو قولُ اليعقوبيَّةِ مِن النَّصارى أنَّ عيسى إلهٌ.

---

(١) قول الحسن: فاستنقذهم بمحمد فكذبوه. ذكره الواحدي في «التفسير البسيط» (٧/ ٤٧٩).

(٢) في (أ) و(ف): «فعموا» بدل: «ثم عموا».

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» (١/ ٤٩٤).

(٤) في (ر): «الأفعال».

(٥) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (١/ ٤٣٩).

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلۡمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡ﴾؛ أي: هو معترفٌ بأنَّه عبدُ الله ورسولُه، وأنَّ اللهَ ربُّه وربُّ بني إسرائيل، ويقولُ لهم: لا تُشرِكوا بالله، ويَتوعَّدُهم عليه، وذلك: قولُه تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ﴾[1]؛ أي: أحداً مِن خلقِه، ﴿فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ﴾ وهو تحريمُ المنعِ، لا تَحريمُ التَّكليف كما في قوله تعالى: ﴿وَحَرَّمۡنَا عَلَيۡهِ ٱلۡمَرَاضِعَ مِن قَبۡلُ﴾ [القصص: ١٢].

وقوله تعالى: ﴿وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ﴾؛ أي: وما للمشركين أعوانٌ يمنعونَهم.

والظُّلم: الشِّركُ، قال اللهُ تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾ [لقمان: ١٣]، وهو وضعُ الشَّيء غيرَ موضعِه.

***

(٧٣) ـ ﴿لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖۘ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ وَإِن لَّمۡ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

ثم ذكر قول عامَّةِ النَّصارى، وذلك قولُه تعالى: ﴿لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖ﴾ وذلك أنَّ النُّسطوريَّة واليعقوبيَّة[2] والـمَلكانيَّة يقولون: المعبودُ واحدٌ بالجوهر، ثلاثةٌ بالأقنوم، والأقانيمُ ثلاثةٌ؛ الأبُ، والابنُ، وروحُ القدس، والابنُ: هو الكلمة، والرُّوح: الحياةُ وكلُّ ذلك إلهٌ واحدٌ، ولا يقولون: ثلاثةُ آلهة، وهي لازمةٌ لهم على قضيَّة مقالهم عقداً، وإن امتنعوا عن إطلاقِه لفظاً، وهي مِن أشنعِ ضلالةٍ، وأقبحِ جهالةٍ، وأفسدِ مقالة.

---

(١) بعدها في (ف): «فقد حرم الله عليه الجنة إنه من يشرك بالله».

(٢) «واليعقوبيَّة»: سقط من (ف).

وقوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ وهو إلهُ الخلقِ أجمعين.

وقوله تعالى: ﴿وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ﴾؛ أي: إنْ لم يَرجِعوا عن هذا القول.

وقوله تعالى: ﴿لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾؛ أي: ليُصِيبنَّ الذين كفروا، ولم يقل: ليَمسنَّهم؛ لأنَّه لو قال ذلك، لخَصَّ الفريقَ الثاني به، والمرادُ به كلا الفريقين، فلذلك قال: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ على العموم.

وقوله تعالى: ﴿مِنْهُمْ﴾؛ أي: مِن كفَّار النَّصارى، وهو زيادةُ تشديدٍ لهم بالتَّخصيص[1] بهذا العذاب هاهنا، وإن كان كلُّ الكفَّار يَستحقُّونَه، وهو كقوله في آخر سورة الفتح: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم﴾ [الفتح: ٢٩]، والكلامُ بدون هذه الكلمة تامٌّ؛ لأنَّه أرادَ به التَّخصيصَ بهذا الوعدِ المذكورين قبلَه والذين معه إلى آخره.

وقوله تعالى: ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ قيل: في الدُّنيا، وقيل: في الآخرة، وقيل: فيهما جميعاً.

❊ ❊ ❊

(٧٤) ـ ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ﴾ استفهامٌ بمعنى الأمر؛ أي: فليَتوبوا إلى الله مِن هذه المقالات، وليُؤمنوا، وليَستغفروا الله بألسنتِهم.

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ يَغفرُ ذنوبَ التَّائبِ، ويَرحمُه، فلا يَردُّ توبتَه ولا يعذِّبُه.

---

(١) في (أ): «للتخصيص».

وقال الإمامُ القشيريُّ رحمه الله: لم يُغلِق بابَ التَّوبة عليهم مع قبيح أقوالهم[١]، وفسادِ عقائدهم وأعمالهم؛ تقويةً لأطماعِ المؤمنين وآمالهم[٢].

***

(٧٥) - ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ﴾؛ أي: ليس عيسى ﴿إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾ يأتي بمثلِ ما أتى به أولئكَ مِن المعجزات، ولم يكن ما أتَوا به مِن الآياتِ مُخرِجاً لهم مِن العبوديَّة، مُثبِتاً لهم استحقاقَ الرُّبوبية، فكذلك عيسى، وكانت أمُّه صِدِّيقةً؛ أي: بَرَّةً تقيَّةً، صَدَقتْ في أعمالِها وأقوالِها وأحوالِها، وذلك لا يوجبُ لها أن تكون إلهاً.

وقوله تعالى: ﴿وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ﴾؛ أي: كانا يحتاجان إلى ما يُقيمُهما مِن الغذاءِ، وكانا يَجوعانِ ويَشبعان، ويكونُ مِنهما ما يكونُ ممَّن يأكلُ الطَّعام، وهو كنايةٌ عن قضاءِ الحاجةِ، فآثارُ الحدوثِ فيهما ظاهرةٌ، وحاجتُهما إلى ما يقيمُهما ماسَّةٌ، وهذا ممَّا لا يَتهيَّأ للنَّصارى دفعُه، فكيف تصحُّ دَعواهم فيما يَدَّعون.

وقوله تعالى: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْءَايَٰتِ﴾؛ أي: تَدبَّر وأبصر بعينِ قلبِك كيف نوضِحُ لهم الدلائل؟!

---

(١) في (ف): «أفعالهم».

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (١/ ٤٤٠).

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ انظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾؛ أي: كيف يُصرَفون عن الحقِّ؟! وهذا تَعجيبٌ مِن الله في ذهابِهم عن الفرقِ بين الرَّبِّ والمربوب.

* * *

(٧٦) - ﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ استفهامٌ بمعنى التَّوبيخ؛ أي: إذا كان المسيحُ وأمُّه يَحتاجان إلى ما يُقيمُهما، لم يَملِكا لأحدٍ ضرًّا ولا نفعاً إلَّا بإذن مالكِهما، كسائر المربوبين، فكيف يعبدان؟!

وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾؛ أي: يَسمعُ مقالاتِ[1] النَّصارى، ويَعلمُ اعتقاداتِهم، فيُجازِيهم جزاء مثلهم، وهذا وعيد.

وقال الإمامُ القشيريُّ رحمه الله: تعليقُ القلبِ بدون الرَّبِّ في استدفاع الشَّرِّ واستجلابِ الخير: إمضاءُ الوقت بما لا يُجدِي، وإذهابُ العمرِ فيما لا يُغني؛ إذ المتفرِّدُ بالإيجادِ بريءٌ عن الأنداد[2].

* * *

(٧٧) - ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ﴾؛ الغلوُّ:

---

(١) بعدها في (ف): «من».

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (١/ ٤٤١).

مجاوزةُ الحدِّ إلى الازدياد، وضِدُّه التَّقصير، وهو النُّقصان عن بلوغ الحدِّ، وكلاهما فاسدٌ[١]، والحقُّ في الوقوفِ عند الحدِّ.

وهذا نهيٌ لليَهود والنَّصارى عن مجاوزةِ الحدِّ في عيسى؛ فإنَّ اليهودَ جاوزوا الحدَّ فيه، حيث نَسبوهُ إلى غيرِ رِشْدَةٍ، والنَّصارى جاوزوا[٢] الحدَّ فيه، فاتَّخذوه إلهاً.

وقوله: ﴿غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾؛ أي: بغير الحقِّ، وهو الباطل.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهْوَآءَ قَوْمٍ﴾؛ أي: أسلافكم، ﴿قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ﴾؛ أي: أحدَثوا هذه الأباطيلَ، فضلُّوا بها في أنفسِهم.

وقوله تعالى: ﴿وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا﴾؛ أي: مِن الناس بدعوتِهم إيَّاهم إليها.

وقوله تعالى: ﴿وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾؛ أي: ثَبتوا على[٣] ذلك الضَّلال.

وقيل: الضَّلالُ الأوَّلُ هو في أصل المذهبِ عن طريقِ الحقِّ، والثاني: ضلالُهم في إضلالِ النَّاس، فإنَّه ضلالٌ، والرُّشدُ: هو الدَّعوةُ إلى الحقِّ دون الضَّلال، ولأنَّهم يُؤاخَذون بضلالِ غيرِهم؛ لأنَّهم هم الذين حملوهُم عليه، قال تعالى: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ [العنكبوت: ١٣]، وقال: ﴿وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ﴾ [النحل: ٢٥].

* * *

(٧٨) ـ ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ﴾.

---

(١) في (ف): «فساد».

(٢) في (أ): «حاذروا».

(٣) في (أ): «عن».

وقوله تعالى: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ﴾ قال ابن عباسٍ رضي الله عنهما: لُعنوا في الزَّبورِ على لسان داود، وفي الإنجيلِ على لسان عيسى بن مريم[1].

وقال الكلبيُّ ومجاهدٌ وقتادة: لُعِنوا على لسان داود، فصاروا قردةً، وهم أصحابُ السبت، ولعنوا على لسان عيسى فصاروا خنازير وهم أصحاب المائدة[2].

وإنَّما خصَّ داودَ وعيسى بالذِّكر؛ لأنَّ مَن قارب عهدَ موسى كانوا على الحقِّ، وإنَّما حدَثت هذه الضَّلالاتُ بعد ذلك.

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ﴾؛ أي: ذلك اللَّعنُ والمسخُ لعصيانِهم أمرَ الله، وعدوانِهم على خلقِ الله.

* * *

(٧٩) ـ ﴿كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ﴾؛ أي: كان لا يَنهى بعضُهم بعضاً عن الفعلِ القبيح الذي فَعلوه.

وقوله تعالى: ﴿لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ﴾ وهو كلمةُ ذمٍّ؛ أي: ما أسوأ تركَ الأمرِ بالمعروف والنَّهيِ عن المنكر.

ورويَ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «لـمَّا وقعَ النَّقصُ مِن بني إسرائيل، جعلَ الرَّجلُ

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٥٨٦ ـ ٥٨٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١١٨١ ـ ١١٨٢) (٦٦٦٢).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٥٨٧) عن مجاهد، ورواه عبد بن حميد وأبو الشيخ، كما في «الدر المنثور» (٥/ ٣٩٩) عن قتادة.

مِنهم يَرى أخاهُ على الذَّنْبِ، فيَنهاهُ عنه، ولا يَمنعُه ذلكَ مِن أن يكون أكيلَهُ وشريبَهُ وجليسَهُ، فضربَ اللهُ قلوبَ بعضِهم ببعضٍ، وأنزلَ فيهم القرآن: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ إلى آخر الأربع آيات»، وكان رسولُ الله ﷺ مُتَّكئاً، فاستوى قاعداً[1]، ثمَّ قال: «كلَّا والذي نفسي بيدِه، حتَّى تأخذوا على يدي الظَّالم، فتأطروهُ على الحقِّ أطراً»[2]، أي: تَعطِفوه.

❋ ❋ ❋

(٨٠) ـ ﴿تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ﴾ قيل: أي: مِن كلِّ أهلِ الكتاب، وقيل: مِن اليهودِ خاصَّةً، وهو أظهر.

وقوله تعالى: ﴿يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾؛ أي: عَبدةَ الأوثان، وهذا لليهودِ خاصَّةً، وكان منهم منافقون يتولَّونَ أصنافَ المشركين لتَذبذبِهم.

وقوله تعالى: ﴿لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾؛ أي: لبئس ما قدَّموا لأنفسِهم ذُخراً لآخرتِهم.

وقوله تعالى: ﴿أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ «أن» مع الفعل مصدرٌ، ومحلُّه رفعٌ، تقديرُه: لبئس ما قَدَّمت لهم أنفسُهم سَخَطُ الله، وهو كقولك: بئس رجلاً زيدٌ[3].

---

(١) في (أ) و(ف): «جالساً».

(٢) رواه أبو داود (٤٣٣٦)، والترمذي (٣٠٤٨) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وهو ضعيف لانقطاع في إسناده، فقد جاء الخبر من طريق أبي عبيدة بن عبد الله بن مسعود عن أبيه، ولم يسمع منه.

(٣) في (ف): «ارتد».

وقيل: هو نصب بفعلِ التَّقديم؛ أي: قدَّمَت لهم أنفسُهم سخطَ الله.

وقيل: حُذِفت منه اللام، وتقديرُه: لأنْ سخِطَ اللهُ عليهم.

وقوله تعالى: ﴿وَفِي ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ﴾؛ أي: في جهنَّم، وهو ما قدمت لهم أنفسُهم.

***

(٨١) ـ ﴿وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ﴾؛ أي: ولو كان هؤلاء اليهودُ يؤمنون بالله، وبموسى، وما أنزل إليه، وهو التوراة، ما اتَّخذوا المشركين أولياء؛ لاختلاف أديانهم.

وقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾؛ أي: كثيرٌ منهم مع كفرِهم متمرِّدون، منهمِكُون في المعاصي.

وقيل: معنى الآية: لو كان المنافقون يؤمنونَ بالله، وبمحمَّدٍ، وبما أنزل إليه؛ أي: القرآن، ما اتَّخذوا المشركين أولياء في السِّرِّ، وهم يدَّعون الإسلامَ في العلانية، ولكنَّ كثيراً من المنافقين لا يُبالون بارتكابِ المعاصي.

وقيل: ولو كان هؤلاء المشركون يؤمنون باللهِ، وبمحمَّدٍ، ما اتَّخذوا هؤلاء المنافقين مِن اليهود أولياء.

وقال الإمامُ القشيريُّ رحمه الله: شرُّ خصال اللِّئامِ مطابقةُ مَنْ يُضادُّ الصَّديقَ مِن الأنام، فإذا كان سَخَطُ الله في موالاة أعدائِه، فرحمتُه في معاداةِ أعدائه[1].

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (١/ ٤٤٢).

(٨٢) ـ ﴿ ۞ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ﴾؛ أي: قَسماً إنَّك يا محمَّدُ تَجِدُ اليهودَ أشدَّ النَّاسِ عداوةً للمؤمنين على الإيمان؛ لأنَّ الغالبَ على اليهود قساوةُ القلوب، والإفراطُ في الحسَد، حتَّى خرجوا بذلك إلى تكذيبِ الأنبياءِ وقتلِهم، وقد قال النبيُّ ﷺ: «ما خلا يهوديٌّ بمسلم إلَّا همَّ بقتله»[1]، وكذلك المشركون، وذلك قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ﴾، وهو تعجيبٌ مِن اليهود وبلوغِ تمرُّدِهم المبلغَ الذين ألِفوا البعداءَ، وتولَّوا الكفَّارَ أهلَ الأوثان، وبَعُدوا عن القُرباء إليهم، وهم النَّصارى، مع أنَّ الأصلَ أنَّ ذوي الأديان المختلفةِ يتَّحابون على الأديان، ويُعادونَ مَن لا يَرجِعُ إلى دينٍ، ألا ترى أنَّ المسلمين في ابتداء الإسلام كانوا يَتعصَّبون لأهلِ الكتاب من الرُّوم، والمشركون يَتعصَّبون للمجوس مِن فارس؛ إذ كان الرُّوم أهل كتابٍ، ولم يكن المجوسُ أهلَ كتابٍ كالمشركين، وكان يجبُ على هذا الأصل أنْ يكونَ أهلُ الكتابِ يَسمعون قولَ مُحمَّدٍ، ويَتديَّنون بما أمرَ به، وإنْ كان المشركون يُعرِضونَ عنه، فلمَّا وافقَ اليهودُ المشركين، عجَّب الله المسلمين مِنهم.

وقوله تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ﴾ قيل: هو في عامَّة النَّصارى، ومعناه أنَّ الغالبَ مِن حال اليهود القساوةُ

(١) أخرجه ابن حبان في «المجروحين»: (٣/ ١٢٢) في ترجمة يحيى بن عبيد الله بن موهب، قال ابن حبان: وكان من خيار عباد الله، يروي عن أبيه ما لا أصل له. انتهى. وقال الحافظ ابن حجر في «التقريب»: متروك.

والإصرارُ على ما هم عليه؛ إشفاقاً مِن زوالِ الرِّئاسةِ والمأكلة[١]، فأيأسَ اللهُ المؤمنين من إيمانِهم والإجابةِ لدَعوتِهم، وكذلك المشركون فيهم الحسدُ والأَنَفَةُ وحَميَّةُ الجاهليَّةِ والنُّفوسُ الأبيَّة، فهم في الإجابة كاليهود، وحرَّضَهم على دعوة النَّصارى وبيَّن أنَّ الأغلبَ عليهم التَّرهُّبُ، ورفضُ الدُّنيا، وميلُهم إلى التَّخلِّي عنها، فقلوبُهم رقيقةٌ، وطبعُهم التَّواضُعُ، فالطمعُ في[٢] انقيادِهم للإسلامِ أقوى.

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ قال ابنُ زيدٍ: القِسِّيسُ: العابدُ[٣]، وكذلك القَسُّ، وتَعارفوا إطلاقَه على رؤوسِ العُبَّاد مِنهم، والرُّهبان جمعُ راهب، وهو الخائفُ مِن الله، وهو كالرُّكبان؛ جمع راكب، والفرسان؛ جمع فارس، وقد يُطلَقُ على الواحد، ويُجمَعُ: على: رهابين، كالقُربان والقرابين، قال الشَّاعر:

لـو عايَنَـتْ رُهبـانَ ديْـرٍ فـي القُلَل ... لانْحـدَرَ الرُّهبـان يَمشـي ونَـزَلْ[٤]

وقيل: القَسُّ والقِسِّيس، كالشَّرِّ والشِّرير[٥]: العالمُ الواقفُ على الحقِّ، الـمُخبِرُ به النَّاس، من قولك: قسَّ الحديثَ؛ أي: نَشَرَهُ بين النَّاس، والرُّهبانُ أصحابُ الصَّوامع، فالأوَّلون أهلُ العِلم، والآخرون أهلُ العمل.

---

(١) في (ر): «والمكايدة».

(٢) في (أ) و(ف): «إلى».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٥٩٨).

(٤) وقع في هامش (ف): «يسعى ويصل». والرجز في «تفسير الطبري» (٨/ ٥٩٨ ـ ٥٩٩)، و«تهذيب اللغة» (٦/ ٢٩٠)، و«تفسير الثعلبي» (٤/ ١٠٠) دون نسبة.

(٥) بعدها في (ر): «وهو».

وعن سلمان رضي الله عنه أنَّه قال: قرأتُ على النبيِّ ﷺ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ﴾، فقال: (ذلك بأنَّ منهم صديقين)[١].

وقال قتادة: الآيةُ في حقِّ مَن آمنَ منهم دون الجميع، قال: وكان أناسٌ مِن أهل الكتاب على شريعةٍ ما جاء به عيسى، يُؤمِنون به، ويَنتمون[٢] إليه، فلمَّا بعثَ اللهُ محمَّداً صدَّقوهُ، وآمنوا به[٣]، وكذلك القصَّةُ تَدلُّ على أنَّها للمؤمنين مِنهم على الخُصوص.

وقال مقاتلٌ: ﴿قِسِّيسِينَ﴾ متعبِّدين، ﴿وَرُهْبَانًا﴾ أصحاب الصَّوامع، ﴿وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ عن الإيمان، نزلت الآيةُ في أربعين رجلاً من مُسلِمي أهلِ[٤] الإنجيل، منهم اثنان وثلاثون[٥] قَدِموا مِن أرض الحبشة مع جعفر، وثمانيةٌ مِن أهل الشَّام؛ منهم بَحيرى الرَّاهب، وأبرهة، وأشرف[٦]، وإدريس، وتمَّام، وقسيم، ودريد، وأيمن، والقِسِّيسون الذين حلَقوا أوساطَ رؤوسِهم؛ فإنَّهم لـمَّا سَمِعوا القرآن من النبيِّ ﷺ قالوا: ما أشبهَ هذا بالذي[٧] كنَّا نُحدَّث مِن حديث عيسى،

---

(١) رواه أبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص: ٢٩٨)، والبخاري في «التاريخ الكبير» (٨/ ١١٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١١٨٣) (٦٦٧٢)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٦١٧٥)، وفي إسناده نصير (ويقال: نضير) بن زياد، قال الأزدي: منكر الحديث. انظر: «ميزان الاعتدال» للذهبي (٥/ ٢٧).

(٢) في «تفسير الطبري»، و«الدر المنثور» (٥/ ٤٠٩): «وينتهون».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٥٩٧).

(٤) بعدها في (ر): «الكتاب وهو».

(٥) في (ر): «الاثنان وثلاثين الذين» بدل: «اثنان وثلاثون».

(٦) في (أ): «الأشرف»، وفي (ف): «والأشرف».

(٧) في (ف): «بالحديث الذي».

فبكوا، وصدَّقوا، فنزلَ فيهم قولُه تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ﴾ إلى قوله: ﴿فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾؛ يعني: المهاجرين والأنصار[١].

وقال سعيدُ بنُ جُبير: بعثَ النَّجاشيُّ وفداً[٢] من أصحابِه، فقرأ عليهم رسولُ الله ﷺ القرآن، فأقرُّوا وأسلموا، وفيهم نزلَ: ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً﴾، ثمَّ رجعوا إلى النَّجاشيِّ فأسلم[٣].

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: وهذا التأويلُ لا يصح؛ لأنَّه يَصيرُ حاصلُ الكلام أنَّ المؤمنَ أقربُ مودَّة للمؤمنين مِن الكفَّار، وذلك كلامٌ لا يُفيد معنًى[٤]، لكنَّه على كلِّ اليهود، وكلِّ[٥] النَّصارى، وقد مرَّ بيانُ حالِ كلِّ واحدٍ مِن الفريقين في الأصل.

أو على أهل عصر النَّبيِّ ﷺ، وكان يهودُ قريظةَ والنَّضير يُعلنون العداوةَ، ويُظاهِرون المشركين على قتال النَّبي ﷺ، حتَّى قاتلَهم رسول الله ﷺ وأجلاهم، ويهودُ المدينة بايعوا أهلَ مكَّة على قتال رسول الله ﷺ، ولم يذكر من النصارى شيء من ذلك، فلذلك كانوا كذلك.

وقال ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: كان رسولُ الله ﷺ بمكَّة، فخاف على أصحابِه مِن المشركين، فبعث جعفرَ بنَ أبي طالب، وعثمانَ بن مظعون، وابنَ مسعودٍ في رهْطٍ مِن أصحابِه إلى النَّجاشيِّ ملك الحبشة، فلمَّا بلغَ ذلك المشركين،

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (١/ ٤٣٩).

(٢) في (ف): «نفراً».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٥٩٤).

(٤) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٣/ ٥٧٣).

(٥) في (ر): «وعلى كل».

بعثوا عمرَو بنَ العاص في رهْطٍ مِنهم، فسَبقوا إلى النَّجاشيِّ، وأتوهُ بهديَّةٍ مِن مكَّة، وقالوا له[١]: إنَّه قد خرجَ فينا رجلٌ سَفَّه عقولَ قريش وأحلامَها، زعمَ أنَّه نبيٌّ، وإنَّه بعثَ إليك رهطاً ليُفسِدوا قومَك عليك، فأحْبَبنا أنْ نأتيَك ونُخبرَك من هم[٢]، فقال: إن جاؤوني نظرتُ فيما يَقولون.

فقدمَ أصحابُ النَّبيِّ ﷺ، فأتوا باب النَّجاشيِّ، فقالوا: يستأذِنُ عليك حزبُ الله، فقال: ائذنوا لهم، فمرحباً بحزب الله، فلمَّا دخلوا عليه قال جعفر: السَّلامُ على مَن اتَّبعَ الهُدى، وخشي عواقبَ الرَّدى، فقال له رهْطُ المشركين: أيُّها الملِكُ، إنَّا قد صدَقناك، وإنَّهم لم يُحيُّوك بتحيَّةِ الملك، فقال لهم: ما منعَكم أنْ تُحيُّوني بتَحيَّتي، فقالوا: إنا قد حييناك بتحيَّةِ أهل الجنَّة وتحيَّةِ الملائكة، فقال لهم: ما يَقولُ صاحبُكم في عيسى وأمِّه، قالوا: إنَّه يَقولُ: عبدُ الله، وكلمةٌ مِن الله ألقاها إلى مريم، ويقولُ في مريمَ: إنَّها العذراءُ الطَّيِّبةُ البَتول، فأخذَ عُوداً مِن الأرض، فقال: ما زادَ عيسى وأمُّه على ما قال صاحِبُكم فوق هذا العود، فكرهَ المشركون قولَه، وتَغيَّرت وجوهُهم، ثمَّ قال لأصحابِ رسول الله ﷺ: هل تَعرفون شيئاً ممَّا أُنزِل عليكم؟ قالوا: نعم، قال: اقرؤوا فقرؤوا[٣].

وفي بعض الروايات: قرأ جعفرُ من أوَّل سورة طه إلى قوله: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ﴾ [طه: ٩]، فانحدَرت دموعُهم ممَّا عرفوا من الحقِّ، فذلك قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا﴾ إلى قوله: ﴿فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾، يعنون: محمداً وأمته[٤].

---

(١) في (أ): «قالوا» بدل: «وقالوا له».

(٢) في (ف): «بأمرهم»، وفي «تفسير الطبري»: «خبرهم» بدل «من هم».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٥٩٥ ـ ٥٩٦).

(٤) ذكره بنحوه الزمخشري في «الكشاف» (١/ ٦٦٩).

ورويَ أنَّ النَّجاشيَّ قال لهم: فهل في كتابِكم ذكرُ مريم؟ قالوا: إنَّ في كتابنا سورةً تُنسَبُ إلى مريم، قال: فاقرؤوها، فقرؤوا: ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ إلى قوله: ﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ قَوۡلَ ٱلۡحَقِّ ٱلَّذِي فِيهِ يَمۡتَرُونَ﴾ [مريم: ٣٤]، فبكى النجاشيُّ، ثم قال: ما تقولون في إبراهيم؟ فقالوا: ﴿ مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا ﴾ فقال: صدقتُم، ما كانت اليهوديَّة والنَّصرانيَّةُ إلَّا بعد إبراهيم.

وفي حديث أمِّ سلمة: أنَّ أهلَ مكة بَعثوا عمرَو بن العاص وعبدَ الله بنَ أبي ربيعة مع هدايا لكلِّ البطارقة، ولـمَّا قدِموا قالوا للنجاشي: إن فتيةً[١] منَّا سفهاءَ، فارقوا دينَ قومِهم، ولم يَدخلوا في دينِك، ودخلوا بلادَك، فرُدَّهم علينا[٢]، فغضب وقال: لا لعَمر الله[٣]، لا أردُّهم إليهم حتَّى أدعوَهم فأكلِّمَهم[٤]، قومٌ لجؤوا إلى بلادي، واختاروا جِواري على جوارِ غيري؛ فإنْ كانوا كما يقولون، رددتُهم عليهم، وإن كانوا على غير ذلكَ منعتُهم، فدَعاهم، فلما دَخلوا عليه، تكلَّم جعفرٌ، فقال له النَّجاشيُّ: ما هذا الدِّينُ الذي أنتم عليه؟ فارقتُم دينَ قومِكم، ولم تَدخلوا في يهوديَّة ولا نصرانيَّةٍ، فما هذا الدِّين؟ قال جعفر: أيُّها الملِك، كنَّا قوماً على الشِّركِ، نعبدُ الأوثانَ، ونأكلُ الميتةَ، ونسيءُ الجوارَ، ونَستحِلُّ المحارِمَ مِن سفكِ الدِّماءِ وغيرِها، فبعثَ اللهُ تعالى إلينا نبيًّا مِن أنفُسنا، نَعرِفُ وفاءَه وصدقَهُ وأمانتَهُ، فدعانا إلى أن نعبدَ اللهَ وحدَه لا شريكَ له، ونَصِلَ الرَّحِم، ونُحسِنَ الجوارَ، ونُصلِّي لله، ونصومَ له، ولا نعبدَ غيرَه، قال: فهل معك شيءٌ ممَّا جاء به؟ وقد دعا أساقفتَهُ، فأمرَهُم

---

(١) في (أ) و(ر): «فئة».

(٢) في (ف): «إلينا».

(٣) في (ف): «والله» بدل: «لعمرو الله».

(٤) في (أ): «فأحكمهم».

فنشروا المصاحفَ حولَه، فقال له جعفر: نعم، فقال: هلمَّ فاتْلُ عليَّ ما جاءَ به، فقرأ عليه صدراً من ﴿كٓهيعٓصٓ﴾، فبكى والله النَّجاشيُّ حتَّى اخضلَّتْ لحيتُه، وبكى أساقفَتُه حتَّى أخْضَلوا مصاحفَهم، ثمَّ قال: إنَّ هذا الكلامَ ليَخرجُ مِن المشكاةِ التي جاء بها عيسى[1]، انْطلِقوا راشِدينَ، لا والله، لا أردُّهم عليكم، ولا أنعمُكم عيناً، فخَرجوا من عنده.

وكان أتقى الرَّجلين[2] عبد الله بن أبي ربيعة، فقال عمرو بن العاص: والله لآتينَّهُ غداً بما استأصِلُ به خضراءَهم، فلأُخبِرنَّه أنَّهم يَزعُمون أنَّ إلهه[3] الذي يعبدُ عيسى بنَ مريم عبدٌ، فقال له عبد الله بن أبي ربيعة: لا تفعل؛ لأنَّهم وإنْ كانوا خالَفونا فإنَّ لهم رَحِماً، ولهم حقًّا، فقال: والله لأفعلنَّ.

فلمَّا كان الغدُ دخلَ عليه فقال: أيُّها الملك، إنَّهم يَقولون في عيسى قولاً عظيماً، فأرسِلْ إليهم فسَلهُم عنه، فبعث إليهم، فدخلوا عليه وعنده بطارقتُه، فقال: ما تَقولون في عيسى بنِ مريم؟ فقال له جعفر: نقول: هو عبدُ الله، ورسولُه، وكلمتُه، وروحُه ألقاها إلى مريم العذراء البَتول، فدلَّى النَّجاشيُّ يدَه إلى الأرض، فأخذ عويداً بين أصبعيه، فقال: ما عدا عيسى بنُ مريم ما قلت هذا العويد[4]، فتناخرَت بطارقتُه، فقال: وإن تَناخرتُم والله، اذهبوا فأنتم آمنون في أرضي؛ مَن سَبَّكُم غرِمَ، ثمَّ مَن سبَّكم غَرِمَ، ثمَّ مَن سبَّكم غَرِم، ما أحبُّ أنَّ لي ذهباً [وأنِّي آذيتُ رجلاً منكم]،

---

(١) في (ف): «موسى وعيسى».

(٢) في (ف): «القوم».

(٣) في النسخ الخطية: «الله»، والمثبت من «السير والمغازي» لابن إسحاق، و«دلائل النبوة» للبيهقي.

(٤) في (ف): «العود».

ووالله ما أخذَ اللهُ منِّي الرِّشوةَ حين[1] ردَّ عليَّ ملكي، فآخذَ الرِّشوةَ فيه، ولا أطاعَ النَّاسَ فيّ، فأطيعَ النَّاسَ فيه، رُدُّوا عليهما هداياهما، فلا حاجةَ لي بها، واخرجا من بلادي، فخرجا وقد ردَّ عليهما ما جاءا به.

فأقمنا مع خير جارٍ، وفي خير دارٍ، فلم نَلبث أنْ خرجَ عليه رجلٌ مِن الحبشة يُنازِعُه في مُلكِه، فوالله ما علِمنا حَزناً قطُّ كان أشدَّ منه؛ فَرقاً مِن أنْ يَظهرَ ذلك الملكُ عليه، فيأتيَ ملكٌ لا يَعرِفُ مِن حقِّنا ما كان يَعرِف، فجعَلنا نَدعو اللهَ تعالى، ونَستنصِرُه للنَّجاشيِّ، فخرجَ إليه سائراً، فقال أصحابُ رسولِ الله ﷺ: مَنْ رجلٌ يَخرُجُ فيَحضُرُ الوقعةَ حتَّى يَنظرَ على مَنْ تكون، فقال الزُّبير ـ وكان مِن أحدثِهم سناً ـ: أنا، فنَفَخوا له قِرْبةً، فجعلَها في صدرِه، ثمَّ خرجَ يَسبحُ عليها في النِّيل، حتَّى خرجَ مِن شِقِّه الآخرِ إلى حيث التقى النَّاس، فحضرَ الوقعةَ، فهزمَ اللهُ تعالى ذلك الملكَ، وقتلَهُ، وظهرَ النَّجاشيُّ عليه، فجاءنا الزُّبير، فقال: أبشِروا، فقد أظهرَ اللهُ النَّجاشيَّ، فوالله ما علمنا فرحنا[2] بشيءٍ قطُّ فرحَنا بظهورِ النَّجاشيِّ، ثمَّ خرجَ مَن خرجَ راجعاً إلى مكَّة، وأقامَ من أقام[3].

وقالت عائشةُ رضي الله عنها في قول النَّجاشيِّ: ما أخذَ اللهُ منِّي الرِّشوةَ: إنَّ والدَ النَّجاشيِّ كان له أخٌ، وله مِن ولدِه من صُلبِه اثني عشر رجلاً، ولم يكن لوالدِ النَّجاشيِّ ولدٌ غيرُ النَّجاشيِّ، فأدارت الحبشةُ رأيَها بينها، فقالوا: لو أنَّا قتلنا أبا

---

(١) في (أ): «حتى».

(٢) في (ر) و(ف): «فرحاً» بدل: «فرحنا»، والمثبت من (أ)، وهو موافق لما في المصادر.

(٣) رواه ابن إسحاق في «السير والمغازي» (ص: ٢١٣ ـ ٢١٦)، وعنه ابن هشام في «السيرة النبوية» (١/ ٣٣٤ـ٣٣٨)، ومن طريق ابن إسحاق أخرجه أيضاً البيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ٣٠١ـ٣٠٤)، وما بين حاصرتين منها.

النَّجاشيِّ، وملَّكْنا أخاهُ؛ فإن له اثنَي عشر رجلاً[١] مِن صُلبِه، [فيَتوارثوا الـمُلك، لبقيَتِ الحبشةُ عليهم دهراً طويلاً] لا يكون بينها اختلاف، فعَدَوا عليه فقتلوه، وملَّكوا أخاه.

فدخلَ النَّجاشيُّ على عمِّه، حتَّى غلبَ عليه، فلم يُدبِّر أمرَهُ غيرُه، وكان لبيباً، فلمَّا رأت الحبشةُ مكانَهُ مِن عمِّه قالوا: لقد غلبَ هذا الغلامُ على عمِّه، فلا نأمنُ أنْ يُمَلِّكَهُ علينا، وقد عرفَ أنَّا قد قتلنا أباهُ، فإنْ فعلَ لم يَدَع منَّا شريفاً إلَّا قتلَهُ، فكلَّموهُ فيه، فقالوا: لنَقتُلَنَّه، أو لنُخرِجنَّه مِن بلادِنا، فمشَوا إلى عمِّه، وقالوا: لقد رأينا مكانَ هذا الفتى مِنك، وقد عرفتَ أنَّا قتلنا أباهُ، وجعلناك مكانَه، وإنَّا لا نأمنُ أنْ تُملِّكَهُ علينا، فيقتلَنا، فإمَّا أنْ تَقتلَه، وإمَّا أنْ تُخرِجَهُ مِن بلادِنا، فقال: ويحكم! قتلتُم أباهُ بالأمس، وأقتلُه اليوم؟! بل أخرجوهُ مِن بلادِكم، فخَرجوا به، فوقفوه[٢] بالسُّوق، فباعوهُ مِن تاجرٍ مِن التُّجارِ يَقذِفُهُ في سفينةٍ[٣] بستِّ مئةِ درهم أو سبع[٤] مئة[٥]، فانطلَقَ به، فلمّا كانت العشيُّ هاجَتْ سحابةٌ مِن سحابِ الخريف، فخرجَ عمُّه يَتمطَّرُ تحتَها، فأصابَتهُ صاعِقةٌ فقتَلتهُ، ففَزِعوا إلى ولدِه، فإذا هم مُحمِقون، ليس في أحدٍ منهم خيرٌ، فمرِجَ[٦] على الحبشةِ أمرُهم، فقال بعضُهم لبعض: تَعلمون واللهِ أنَّ ملِكَكُم الذي لا يُصلِحُ أمرَكُم غيرُه للَّذي بعتموهُ، فإن كان لكم بأمرِ الحبشة حاجةٌ فأدركوهُ قبلَ أن يَذهبَ.

---

(١) في (ف): «ولداً».

(٢) في (ف): «فاخرجوا به فأوقفوه».

(٣) في (ر) و(ف): «سفينته».

(٤) في (أ) و(ف): «تسع».

(٥) بعدها في (ر): «درهم».

(٦) يعني: اختلط. انظر: «مختار الصحاح» (مادة: مرج).

فخَرجوا في طلبِه حتَّى أدركوه، فرَدُّوه، فعَقدوا عليه تاجَه، وأجلسوهُ على سريرِه، وملَّكوه، فقال التاجر: رُدُّوا عليَّ مالي كما أخذتُم منِّي غلامي، فقالوا: لا نُعطيكَ، فقال: إذاً والله أكلِّمُه، فقالوا: وإنْ، فمَشى إليه فكلَّمَه[1]، فقال: أيُّها الملِكُ، إنِّي ابتعتُ غلاماً، وقبضَ منِّي الذين باعوهُ ثمنَه، ثمَّ عدوا على غلامي، فنَزعوهُ مِن يدي، ولم يَردُّوا عليَّ مالي، فكان أوَّلَ ما خُبِرَ[2] مِن صلابةِ حكمِه[3] وعدلِه أن قال: لتَرُدُنَّ عليه مالَهُ، أو لتَجعلنَّ يدَ غلامِه في يدِه، فليَذهبنَّ به حيث يشاء، فقالوا: بل نُعطيهِ مالَهُ، فأعطَوهُ إيَّاه، فلذلك قال: ما أخذَ اللهُ منِّي الرِّشوةَ فآخذَ الرِّشوةَ منه حين ردَّ عليَّ ملكي، وما أطاعَ الناسَ فيَّ فأطيعَهم فيه[4].

***

(٨٣) - ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلۡحَقِّۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ﴾ قال إسماعيل بن عبد الرحمن[5]: بعثَ النَّجاشيُّ اثنَي عشر رجلاً إلى رسول الله ﷺ، فقرأ عليهم القرآنَ، فبكوا، وكان فيهم سبعةُ رهبانٍ وخمسةُ قسِّيسين، أو

---

(١) في (ف): «وإن كلمته لا نعطيك الثمن» بدل من «وإن، فمشى إليه فكلمه».

(٢) في (أ): «خير».

(٣) في (ر): «ملكه وحكمه».

(٤) رواه ابن إسحاق في «السير والمغازي» (ص: ٢١٦ ـ ٢١٧)، وعنه ابن هشام في «السيرة النبوية» (١/ ٣٣٩ـ ٣٤٠)، ومن طريق ابن إسحاق أخرجه أيضاً البيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ٣٠٤ـ٣٠٦)، وما بين حاصرتين منها.

(٥) هو السدي.

خمسةُ رهبانٍ وسبعةُ قِسِّيسين، ففيهم نزلَت هذه الآيةُ[١].

وقوله: ﴿تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ﴾ خطابٌ للنَّبيِّ ﷺ، وقوله: ﴿تَفِيضُ﴾؛ أي: تَسيلُ، والدَّمعُ: ماءُ العين، والمدامعِ: مجاري ماءِ العين، وقد رَوينا أنَّ هذا في النَّجاشيِّ وأصحابِه حيث[٢] سمعوا بالحبشة قراءةَ جعفرٍ فبكوا، فعلى هذا يكونُ قوله: ﴿تَرَىٰٓ﴾ خطاباً لرسول الله ﷺ، على تقدير: لو أنَّك كنتَ معهم لرأيتَ ذلك، أو يكون ﴿تَرَىٰٓ﴾ بمعنى: تعلَمُ وتتيقَّنُ بذلك بإخبارِ الله تعالى إيَّاك به.

وقوله تعالى: ﴿مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّ﴾ بكوا حين عرفوا الحقَّ لمعنيين؛ إمَّا فرحاً بنَيلِ الإيمان، وإمَّا خوفاً مِن اللهِ تعالى بتأخيرِ الإيمان إلى الآن.

وقوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا﴾؛ أي: آمنَّا يا ربَّنا بك وبرسولِك وبكتابِك.

وقوله تعالى: ﴿فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ قال ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: أي: اكتبنا مع محمَّدٍ وأمَّته؛ الذين جعلتَهُم يومَ القيامة شُهداءَ على النَّاس، نَشهدُ بمثل ما يَشهدون به يوم القيامة؛ أنَّه قد بلَّغَ وأنَّ الأنبياءَ قد بلَّغوا[٣].

وقيل: أي[٤]: شهِدنا بأنَّه الحقُّ، ﴿فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ بهذه الشَّهادةِ؛ أي: ألحِقنا بهم، واجعلْ أسماءَنا في صحفِ ملائكتكَ مع أسمائِهم.

***

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٥٩٦، ٦٠١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١١٨٤) (٦٦٧٥).

(٢) في (ف): «حين».

(٣) وقع بعده في (أ): «وقيل: أي نشهد»، والأثر رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٦٠٣ ـ ٦٠٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١١٨٥) (٦٦٨٢).

(٤) بعدها في (ف): «قد».

(٨٤) ـ ﴿ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾.

وقيل: معناه: ألحقنا بالأنبياءِ الذين يَشهدون عندكَ بإيمانِ مَن آمنَ بهم، وكفرِ مَن كفر بهم، ثمَّ أظهروا مِن أنفسِهم الاستبصارَ في دينِهم؛ قطعاً لأطماعِ الكفَّار في رجوعِهم، وذلك قوله تعالى: ﴿ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾ ﴿ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ﴾؛ أي: وبما جاءَنا؛ أي: أيُّ عذرٍ لنا في تركِ الإيمان.

وقوله تعالى: ﴿وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾؛ أي: مع أنَّا نرجو أنْ يُدخِلَنا اللهُ جنَّته مع[1] الصَّالحين لذلك، وقيل: أي: الصَّالحين في أنفسِهم، وقيل: هم الأنبياء، وقيل: هم أمَّةُ محمَّدٍ ﷺ في هذه الآية، وعلى هذا ذكر الجنَّةِ مضمَرٌ.

وقيل: لا إضمار، ومعنى قوله: ﴿أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾؛ أي: يُدخِلَنا في جملتهم.

* * *

(٨٥) ـ ﴿ فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُوا۟ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُوا۟ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾؛ أي: جزاؤهم بما قالوا من كلمةِ التَّوحيد، مع ما كان لهم مِن الاعتقاد، وذلك مذكورٌ في قوله: ﴿مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾، ولا مُتعلَّق للكرَّامية بظاهرِ قوله: ﴿بِمَا قَالُوا۟ ﴾ في[2] أنَّ الإيمانَ بمجرَّد القولِ، فقد قلنا: إنَّه كان مع المعرفة

---

(١) في (ر): «الجنة أي مع» بدل: «جنته مع القوم».

(٢) في (ر): «من».

والاعتقاد، ويدُلُّ عليه أنَّ اللهَ تعالى قال: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٨]، نفى الإيمان عنهم مع قولهم: ﴿ءَامَنَّا﴾؛ لعدم الاعتقادِ منهم.

* * *

(٨٦) ـ ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾ هذا وعيدٌ للكافرين بعدما ذَكَرَ وعدَ المؤمنين.

وقال الإمامُ القشيريُّ رحمَهُ الله: هذا أثرُ الإعراضِ عن الأعداء، والأوَّلُ أثرُ الإقبالِ على الأولياء(١).

* * *

(٨٧) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾. قال الكلبيُّ: إنَّ أبا بكرٍ وعمر، وعليًّا، والمقدادَ بن الأسود، وسالماً مولى أبي حذيفة، وأبا ذر الغفاريَّ، وعبدَ الله بنَ مسعود، وعبدَ الله بن عمر، وسلمانَ الفارسيَّ، وعمَّار بن ياسر، وجماعةً رضي الله عنهم أجمعين، اجتمعوا في دار عثمان بنِ مظعون الجمحي، فذكروا القيامةَ، فرَقُّوا وبكوا، وحرَّموا على أنفسِهم الطيِّبات(٢).

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (١/ ٤٤٤).

(٢) ذكر نحوه الثعلبي في «تفسيره» (٤/ ١٠١)، و«أسباب النزول» (ص: ١٩٨ ـ ١٩٩) من قول المفسرين مطولاً، ولم يذكر فيهما عمر رضي الله عنه، وذُكر معقل بن مقرن.

وفي روايةِ ابن عباسٍ رضي الله عنهما: همَّت طائفة من أصحاب رسول الله ﷺ فقالوا: نَقطعُ مذاكيرنا، ونَتركُ شهواتِ الدُّنيا، ونَسيحُ في الأرضِ كما يَفعلُ الرُّهبان[1].

وفي حديث عكرمة: تَبتَّلُوا وجَلسوا في بيوتِهم[2]، واعتَزلوا النِّساءَ، ولَبِسوا المسوحَ، وحرَّموا طيِّباتِ الطَّعام واللِّباس، وهمُّوا بالخصاء، وأجمَعوا على قيامِ اللَّيل وصيام النهار[3].

فبلغ[4] ذلك إلى رسول الله ﷺ، فأتى عثمانَ في منزلِه، فلم يجدهم، فقال لامرأةِ عثمان ـ أم حكيم بنت أمية السُّلَميَّة ـ: «أحقٌّ ما بَلغني عن زوجكِ وأصحابِه»، قالت: ما هو؟ فأخبرَها به، فكَرِهت أنْ تَكذِبَ رسولَ الله ﷺ حين سألَها، وكرهَتْ أن تُبديَ على زوجِها، فقالت: يا رسولَ الله، إن كان أخبرك به عثمانُ فقد صَدَقك، فقال لها رسولُ الله ﷺ: «قولي لزوجِك وأصحابِه: إنَّ رسولَ الله ﷺ يَقولُ لكم: إنِّي آكلُ وأشربُ، وآكلُ اللَّحمَ والدَسم، وأنامُ وأُصلِّي، وآتي النِّساءَ، وأصومُ وأُفطِر، فمَن رغبَ عن سُنَّتي فليس مني»[5].

وفي رواية: جاء عثمانُ وأصحابُه، فقرأ عليهم هذه الآية، وقال: «إنَّ لأنفسِكم عليكم حقًّا، ولأهاليكم[6] عليكم حقاً؛ فصوموا وأفطروا، وقوموا وارقدوا»، ثمَّ

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٦١١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١١٨٧) (٦٦٨٩).

(٢) في (أ): «واجلسوا في بيوتكم» بدل: «وجلسوا في بيوتهم».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٦١٢).

(٤) هنا رجع إلى تتمة الرواية الأولى.

(٥) انظر: «الهداية إلى بلوغ النهاية» لمكي (٣/ ١٨٤٦ ـ ١٨٤٧).

(٦) في (ف): «وإن لأهاليكم».

جمعَ النَّاس وخطبَهم وقال: «ما بالُ أقوامٍ حرَّموا النِّساء، والطِّيب، والطَّعام، والنَّوم، وشهواتِ الدُّنيا، أمَا إنِّي لست آمرُكم أنْ تكونوا رهباناً وقسِّيسين، وليس في ديني تركُ اللَّحمِ والنِّساء، ولا اتِّخاذُ الصَّوامعِ، وإنَّ سياحةَ أمَّتي الصَّومُ، ورهبانيتَهم الجهادُ، اعبدوا اللهَ، ولا تُشرِكوا به شيئاً، وحُجُّوا واعتَمِروا، وأقيموا الصَّلاةَ، وآتوا الزَّكاةَ، وصوموا رمضان، واستقيموا، ولا تُشَدِّدوا على أنفسِكم؛ فإنَّما هلكَ مَن كان قبلَكم بالتَّشديد؛ شدَّدوا على أنفسِهم، فشدَّد اللهُ عليهم»[1].

وقيل: لـمَّا نزلَ ذِكرُ الرُّهبان والقِسِّيسين، ومَن صفتُهم التَّبتُّل وتركُ الشَّهوات، أحبُّوا أن يَقتدوا بهم، فنزلت الآية.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾؛ أي: لا تَجاوزوا حدَّ الشَّرع؛ فإنَّ اللهَ لا يُحِبُّ مَن اعتدى حدودَه ونقضَ عهودَه.

وقيل: الآيةُ نزلَت في النَّهي عمَّا كان عليه بعضُ العرب مِن تحريم[2] البحيرة والسَّائبةِ والوصيلةِ والحامي وبعضِ الزُّروع.

* * *

(٨٨) ـ ﴿وَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ﴾؛ أي: اتَّقوا مخالفةَ أمرِه ونهيِه.

---

(١) انظر: «تفسير الثعلبي» (٤/ ١٠١)، ويشهد له ما في «صحيح البخاري» (٥٠٦٣) و«صحيح مسلم» (١٤٠١) من حديث أنس رضي الله عنه من خبر الرهط الذين جاؤوا إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادته.

(٢) في (ف): «تعظيم».

وفيه دليلٌ أنَّ الإيمانَ لا يَزولُ بزوال التَّقوى، فقد أثبتَهُ الله مع ذلك.

وقال الإمامُ القشيريُّ رحمه الله: من أمارات السَّعادةِ الوقوفُ على حدِّ الأمرِ؛ إن أباحَ الحقُّ شيئاً، قَبِلَ ذلك، وإنْ حظرَ وقفَ، ثمَّ أكلُ الحلالِ الطَّيِّبِ أنْ يَأكلَ ما يأكلُ على شهودِه؛ فإن نزلَت الحالةُ عن هذا، فعلى ذِكْرِه، فأمَّا الأكلُ على الغفلةِ، فليس بطيِّبٍ عند أهلِ الحقيقة[١].

***

(٨٩) ـ ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾ ولـمَّا نزلت الآيةُ في حقِّ عثمانَ بنِ مظعون وأصحابِه: ﴿لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾، وقد كانوا حلفوا؛ لا يَتنعَّمون، ولا يأتون الأهالي[٢]، ولا يَلبَسون اللَّيِّن مِن الثياب ونحو ذلك، قالوا: يا رسولَ الله، كيف بأيمانِنا التي حلفنا عليها؟ فنزلَت هذه الآية[٣].

ووجهُ آخرُ للانتظام: أنَّ السُّورة في الوفاءِ بالعقود، والأيمانُ مِن العقود، واللَّغوُ اختُلِفَ فيه، وقد تكلَّمنا فيه في سورة البقرة[٤].

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (١/ ٤٤٤).

(٢) في (ر): «النساء».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره (٨/ ٦١٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) عند تفسير الآية (٢٢٥).

وقيل: المرادُ هاهنا إلغاءُ تلك الأيمانِ بالحنث[١] فيها، عملاً بقول النبيِّ ﷺ: «من حلف على يمينٍ فرأى غيرها خيراً منها، فليأتِ الذي هو خيرٌ[٢] ثم ليكفر يمينه»[٣]، فأخبرَ بهذه الآيةِ أنَّهم إذا ألغوها، وحنَثوا فيها، لم يُؤاخذوا بالإثمِ، وعليهم الكفارة.

وقالت عائشةُ رضي الله عنها: اللَّغو: هو ما يَجري في كلام الناس: لا والله، وبلى والله[٤]، ولا كفارةَ فيه. وبه أخذ الشافعيُّ رحمه الله[٥].

وقال أبو هريرة وابنُ عبَّاس ويحيى بنُ سعيد الأنصاري ومكحولٌ وجماعةٌ من الصَّحابة والتَّابعين رضوان الله عليهم أجمعين: هو أنْ يَحلف على الشَّيء يَراهُ من بعيد، فيَظنُّ أنَّه كذا، فيقول: والله إنَّه كذا، فإذا هو خلافه[٦]، فلا مؤاخذةَ في هذا بإثمٍ ولا كفارةٍ، وبه أخذ أصحابُنا رحمهم الله[٧].

وقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ﴾ قرأ ابنُ كثير، ونافعٌ، وأبو عمرو، وعاصمٌ في رواية حفص؛ بالتَّشديد: ﴿عَقَّدتُّمُ﴾.

وقرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ[٨]، وعاصمٌ في رواية أبي بكر وحمَّاد[٩] بالتخفيف.

---

(١) في (أ): «في الحنث».

(٢) بعدها في (أ): «له».

(٣) رواه مسلم في «صحيحه» (١٦٥٠): (١٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) رواه البخاري في «صحيحه» (٦٦٦٣).

(٥) انظر: «الأم» للشافعي (٨/ ١٥٥).

(٦) روى أقوالهم الطبري في «تفسيره» (٤/ ١٩ ـ ٢٠، ٢٥)، ووقع في (أ): «ليس هو كذا» بدل: «هو خلافه».

(٧) انظر: «المبسوط» للسرخسي (٨/ ١٢٩).

(٨) قوله: «وخلف» من (ف).

(٩) قوله: «وحماد» من (ف).

وقرأ ابنُ عامر في رواية ابن ذكوان[١]: ﴿عاقدتم﴾ بالألف[٢].

و«ما» مع الفعل مصدرٌ، وتقديره: بعقدِكمُ الأيمان، وهو اليمينُ على أمرٍ في المستقبل، نفياً أو إثباتاً: ليفعلنَّ كذا، أو لا يفعلُ كذا؛ لأنَّ العقدَ ضِدُّ الحَلِّ، واليمينُ في المستقبل هي التي تَقبلُ الحلَّ، فهي التي يَتحقَّقُ فيها العقدُ. وعلى هذا: لا كفارةَ في اليمينِ الغموس عندنا، وهي اليمينُ الكاذبة في الماضي؛ لأنَّها غير معقودة[٣]، وعند الشافعيِّ رحمه الله: العقدُ: هو القَصدُ بالقلبِ، واليمينُ الغَموس مقصودةٌ بالقلب، فكانت معقودةً، فكانت الكفَّارة فيها مشروعةً[٤].

وقوله تعالى: ﴿فَكَفَّـٰرَتُهُۥٓ﴾ الهاءُ كنايةٌ عن قوله: «ما» في قوله: ﴿بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَـٰنَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَـٰكِينَ﴾ هو أنْ يُغَدِّيَهم ويعشِّيهم، ويجوزُ أنْ يُعطيَهُم بطريقِ التَّمليك، وهو لكلِّ واحدٍ منهم نصفُ صاعٍ مِن حنطة، أو صاعٌ مِن شعيرٍ[٥]، أو صاعٌ من تمر، وعند الشافعيِّ رحمه الله: مدٌّ مِن حنطة[٦].

وقوله تعالى: ﴿مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ﴾ هم مَن في عياله مِن الزَّوجةِ والأولاد والخَدَم، والأوسَطُ: بين الجيِّد والرَّديء، وبين الإسرافِ والتَّقتير، وبين

---

(١) قوله: «في رواية ابن زكوان» من (ف).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٤٧)، و«التيسير» (ص: ١٠٠)، و«جامع البيان» للداني (ص: ٤٨٥) و«النشر» للجزري (٢/ ٢٥٥).

(٣) انظر: «المبسوط» للسرخسي (٨/ ١٢٧).

(٤) انظر: «نهاية المطلب» للجويني (١٨/ ٣٠٤).

(٥) انظر: «اللباب في شرح الكتاب» للغنيمي (ص: ٦٠٣).

(٦) انظر: «منهاج الطالبين» (ص: ٥٤٥).

المـرَّة والثـلاث؛ يعنـي: المرتيـن، والأوسَـطُ: الأعـدل، قـال تعالـى: ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾ [القلم: ٢٨]؛ أي: أعدلُهـم، وقال تعالـى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣]؛ أي: عدولاً.

وقوله تعالى: ﴿أَوْ كِسْوَتُهُمْ﴾ هو مصدرٌ، ومعناها الإلباس، و﴿أَوْ﴾ للتَّخيير، وكذلك قوله: ﴿أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾، فيختار أيَّ الثلاثةِ شاء؛ مِن إطعامِ عشرةِ مساكين، أو إلباسُ عشرة مساكين كلَّ واحدٍ كسوةً تامَّةً، يجوز له فيها الصَّلاةُ، مِن إزارٍ ورداءٍ، أو قميصٍ وسراويل، وللمرأة ذلك مع خمار، أو اعتاقُ رقبةٍ كاملةٍ ليس بها نقصانُ عمى، أو قطعِ يدين أو رجلين ونحوهما، صغيرةً كانت أو كبيرةً، مسلمةً كانت أو كافرة.

وعند الشافعيِّ رحمه الله: لا يجوزُ إلَّا المؤمنة[١]؛ استدلالاً بالرَّقَبةِ في قتل[٢] الخطأ، وعندنا: هذا مطلقٌ، فيَجري على إطلاقه[٣].

والمراد من الرَّقبة تمامُ البدن، ولكنَّ التَّحريرَ في معنى فكِّ الأسيرِ المغلولِ العنقِ، فلذلك ذكرَ الرَّقبة.

وقوله تعالى: ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ﴾ أي: فمَن لم يَجِد أحدَ هذه الأشياء، فكفَّارتُه صيامُ ثلاثةِ أيَّام، وهي مطلقةٌ عند الشَّافعيِّ رحمَه الله؛ إنْ شاءَ تابعَها، وإنْ شاءَ فرَّقَها؛ لإطلاق النَّص، وهي عندنا متتابعةٌ؛ لقراءة عبد الله بن مسعود: (فصيام ثلاثة أيام متتابعات)[٤]، وقراءَتُه بمنزلةِ روايتِه عن النبيِّ ﷺ، فقيَّدنا به المطلقَ.

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ﴾؛ أي: ذلك المذكور.

---

(١) انظر: «الأم» للشافعي (٨/ ١٦٠).

(٢) في (ف): «قتيل».

(٣) انظر: «اللباب» للغنيمي (ص: ٦٠٢).

(٤) رواها الطبري في «تفسيره» (٨/ ٦٥٢)، ورواها أيضاً عن أبي بن كعب رضي الله عنهما.

وقوله تعالى: ﴿إِذَا حَلَفْتُمْ﴾ وأضمر فيه: وحنثتم، كما في قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ أضمر فيه: فأفطر، وأجمعوا أنَّه لا يَجِبُ التَّكفيرُ بنفس اليمين ما لم يَحنَث فيها، واختلفوا في جوازه، فأجازه الشافعيُّ بالمال[١]، وأصحابُنا لم يجيزوا ذلك لا بالمال ولا بالصوم.

وقوله تعالى: ﴿وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾ قيل: أي: فلا تنسوها.

وقيل: أي: فلا تَحْنَثوا فيها.

وقيل: أي: فأقِلُّوا منها، واحفظوا أنفسَكم عنها، قال كثير عزة:

قليلُ الألايا حافِظٌ ليَمينه ... وإن بدرت منه الأليَّةُ برَّتِ[٢]

وقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾؛ أي: كما بيَّنَ حكمَ اليمين، بيَّن سائرِ الأحكام؛ لتَشكروا نعمَهُ ببيانِ ما بكم إليه حاجةٌ.

وقيل: ﴿تَشْكُرُونَ﴾ نعمةَ رفعِ الإثم بيمين اللَّغو، وكان الأوَّلون مأخوذين بها، وكذلك شرَعَ لكم التَّحليل بالكفَّارةِ في اليمين على ما يكونُ الخيرُ في غيرِه، وكذلك رفعَ إثمَ الحنثِ بالكفَّارة، ولم يكن ذلك للأوَّلين.

وقال الإمامُ القشيريُّ رحمه الله: اللَّغوُ عند أهل المعرفةِ: ما يَجري على ألسنتِهم في حال غلباتِ الوجد؛ مِن تجديد العهدِ، وتأكيدِ العقد، فيقول: وحقِّك، لا نظرتُ إلى سواك، ولا قلتُ بغيرِك، ولا حُلْتُ عن عهدِك، وهذا كلُّه عندَهم لغوٌ،

---

(١) انظر: «منهاج الطالبين» (ص: ٥٤٥).

(٢) البيت لكثير عزَّة، وهو في «نقائض جرير والأخطل» (ص: ٤٩)، و«ديوان كثير» (ص: ٣٢٥)، وفيهما: «سبقت» بدل: «بدرت». وسلف البيت عند تفسير الآية (٢٢٤) من سورة البقرة.

وعن[١] شهودِ الأحدِيَّةِ سهوٌ، ومَن أنت في الرِّفعَة حتَّى تعدمن[٢] نفسَك؟ وأين في الدِّيار ديَّار حتَّى تَقولَ بتركِه ووصله[٣] أو هجره، كلَّا، بل هو الله الواحدُ القهَّار.

وكما أنَّ الكفَّارة الشَّرعيَّةَ؛ إمَّا عتقٌ، وإمَّا إطعامٌ، وإمَّا كسوةٌ؛ فإنْ لم تَستطِع فصيامُ ثلاثةِ أيَّام؛ فكفَّارتهم على موجبِ الإشارةِ؛ إمَّا بذلُ الرُّوح بحكمِ الوَجْدِ، أو بذلُ القلبِ بصحَّةِ القصدِ، أو بذلُ النَّفسِ بدوامِ الجهدِ؛ فإنْ عجزتَ فإمساكٌ وصيامٌ عن المناهي والآثام[٤].

* * *

(٨٩) ـ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ﴾ ذكرَ أوَّلاً النَّهيَ عن تحريمِ الطيِّبات، ثمَّ نَهى في هذه الآية عن تناول غيرِ الطَّيِّبات[٥]، ومنها الخمرُ، وقد ذكرنا تفسيرَها ومأخذَها والاختلافَ فيها في سورة البقرة[٦].

وقال سعد بن أبي وقاص: نزلت فيَّ أربع آيات:

إحداها: أنِّي وجدتُ سيفاً يوم بدرٍ، فأخذتُه وأتيتُ رسولَ الله ﷺ وقلتُ: نفِّلنيهِ

---

(١) في (ر): «وعند».

(٢) في «لطائف الإشارات»: «تعدم» بدل: «تعدمن».

(٣) بعدها في (ف): «أو قربه».

(٤) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (١/ ٤٤٥).

(٥) قوله: «عن تناول غير الطيبات» ليس في (أ)، ومن قوله: «ثم نهى في هذه الآية» إلى هنا ليس في (ف).

(٦) عند تفسير الآية (٢١٩) منها.

يا رسول الله، فقال: «ضعهُ حيث وجدتَه»، فأعدتُ السُّؤال، حتَّى فَعلتُ ذلك ثلاثاً، فنزل قوله: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [الأنفال: ١].

والثانية: كنت مريضاً، فعادَني رسولُ الله ﷺ، فقلت: يا رسولَ الله، أأوصي بجميع مالي؟ فقال: «لا»، فقلت: أأوصي بثلُثَي مالي؟ فقال: «لا»، فقلت: أأوصي بثلُثِ مالي؟ فسكتَ، فنزلَ قولُه: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ﴾ إلى قوله: ﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ١٨٠]، وهو الثُّلث.

والثالثة: قالتُ أمِّي: أليسَ قد أمرَ اللهُ تعالى ببِرِّ الوالدين، فوالله لا أَطعمُ طعاماً، ولا أشربُ شراباً حتَّى أموتَ أو تكفر، فكنَّا إذا أردنا أن نُطعِمها أو نسقيها، شَجَرنا[1] فاها بعصا، فأوجَرناها الطَّعامَ والشَّراب، فنزلت الآية قوله: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ﴾ الآية[2] [لقمان: ١٤].

والرابعة: صنع رجلٌ مِن الأنصارِ طعاماً، فدعانا، فأتيناهُ فأكلناهُ، وشربنا الخمرَ حتَّى سَكِرنا، وأخذنا في الحديثِ، وتفاخرنا بالأحساب، فقالت الأنصارُ: نحن أفضلُ منكم، وقالت قريشٌ: نحن أفضلُ منكم، فأخذ رجلٌ مِن الأنصار بلَحْيِ جزورٍ، فضربَ أنفي ففزَرَهُ، فأنزلَ اللهُ تعالى هذه الآية[3].

وقد ذكرنا ترتيبَ نزولِ آياتِ الخمرِ في سورة البقرة[4].

---

(١) في النسخ: «شجونا»، والمثبت هو الصوب، شجروا فاها؛ أي: أدخلوا في شَجْره عوداً حتى يفتحوه به. انظر: «النهاية» لابن الأثير (مادة: شجر).

(٢) في (ر) و(ف): ﴿حسناً﴾ إلى قوله: ﴿وَإِن جَـٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا﴾ بدل قوله: «وهنا على وهن الآية».

(٣) رواه أحمد في «مسنده» (١٥٦٧)، ومسلم في «صحيحه» (٤/ ١٨٧٧ ـ ١٨٧٨) (١٧٤٨): (٤٣).

(٤) عند تفسير الآية (٢١٩) منها.

وقال أنس رضي الله عنه: كنت مع جماعةٍ؛ منهم أبو عبيدة بنُ الجرَّاح، وأبيُّ بنُ كعب، وسهيلُ بن بيضاء[١]، وأبو دجانة، وغيرهم، في دار أبي طلحةَ الأنصاريِّ رضي الله عنهم، وكنت أنا ساقيهم، وهم يَشربون الخمرَ، فمرَّ علينا رجلٌ، فقال: إنَّ الخمر قد حُرِّمت، فوالله ما توقَّفوا[٢] حتَّى قالوا: أهْرِق ما في إنائكَ يا أنس، فأهرقتُه، ثمَّ ما عادوا فيها حتَّى لقوا الله عزَّ وجلَّ[٣].

ولـمَّا نَزلت الآيةُ، وفي آخرها: ﴿فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾، قالوا: قد انتهينا، فقال النبيُّ ﷺ عند ذلك: «أيُّها النَّاسُ، إنَّ اللهَ قد حرَّمَ الخمرَ، فمَن كان عنده منها شيءٌ فلا يَبعْها ولا يَشربْها»[٤].

وقال أنس رضي الله عنه: فأراقوها حتى كانت أنهار المدينة تجري بالخمر[٥].

وقال أنس رضي الله عنه: قَدِمَت لحمزة روايا خمرٍ مِن الشَّام، فقيل له: أشعرتَ أنَّ اللهَ تعالى أنزلَ تحريمَ الخمرِ، قال: سمعاً وطاعةً، فقال النَّبيُّ ﷺ لأصحابه: «قوموا»، فقام أبو بكرٍ وعمرُ وعثمانُ رضي الله عنهم، فدخلوا على حمزةَ، ومع رسولِ الله ﷺ عَنَزةٌ[٦]، فقال النبيُّ ﷺ: «يا حمزةُ، أين الرَّوايا؟» قال: هذه يا رسولَ الله، قال: «خلِّني حتَّى أشقَّها»، قال حمزة: لا تَشقَّها، ودَعني أردها إلى الشَّام، فقال:

---

(١) في (أ) و(ر): «وسهيل البيضاء»، و(ف): «وسهل البيضاء»، والمثبت من المصادر، انظر ترجمة سهيل في «الاستيعاب» (٢/ ٦٦٧ ـ ٦٦٨).

(٢) في (أ): «توافقوا».

(٣) رواه أحمد في «المسند» (١٢٨٦٩)، وأصله عند البخاري (٤٦٢٠)، ومسلم (١٩٨٠).

(٤) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٠١) (٦٧٧٠).

(٥) رواه البخاري (٤٦٢٠)، ومسلم (١٩٨٠) بلفظ: «فجرت في سكك المدينة».

(٦) العنزة: أطول من العصا، وأقصر من الرمح، وفيه زجٌّ (يعني: حديدة) كزجِّ الرمح. «الصحاح»: (عنز).

«لا، إنَّ اللهَ تعالى لعنَ حاملَ الخمرِ، وغارِسَها لا يَغرِسُها إلَّا للخمرِ، ولعنَ مُجتَنيها، وحاملَها إلى المعصرةِ، وعاصرَها، وشاربَها، وبائعَها، ومديرَها، وآكلَ ثمنِها»(١).

وقوله: ﴿وَٱلۡمَيۡسِرُ﴾؛ أي: القِمار، وأصلُه الجَزور، وقد يَسَرَ الجزورَ(٢)؛ أي: جزَّأَهُ أجزاءً، ثمَّ يُقالُ للضَّاربين بالقِداح والمتقامرين على الجزور: ياسرون؛ لأنَّهم جازرون، ثمَّ يُقال للنرد: ميسِر؛ على التَّشبيه، أو لأنَّه قمارٌ كذلك.

وقال ابنُ عباس رضي الله عنهما: الميسرُ: القِمارُ كلُّه، حتَّى لعبُ الصِّبيانِ بالجوزِ والكِعاب(٣).

وفي «التأويلات»: قال النَّبيُّ ﷺ: «اجتنبوا هذا الكِعابَ(٤) الموسومةَ التي يُزجَرُ بها زَجْراً؛ فإنَّها مِن الميسِر»(٥).

---

(١) روى نحوه أبو داود الطيالسي في «مسنده» (٢٠٦٩)، ومن طريقه البيهقي في «شعب الإيمان» (٥١٨١) لكن من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، ولم يصرح فيه باسم حمزة رضي الله عنه. وفي إسناده محمد بن أبي حميد الأنصاري، وهو ضعيف، كما في «ميزان الاعتدال» (١/ ٥٤٢)، (٤/ ١٠٣)، وأبو توبة المصري، وهو مجهول، قال الحافظ ابن حجر في «لسان الميزان» (٩/ ٣٤): وفي حديثه، عن ابن عمر في لعن شارب الخمر زيادةٌ منكرةٌ، فقال فيه: «ولعن غارسها»، والراوي عنه ضعيف. انتهى كلام الحافظ رحمه الله.

(٢) «وقد يسر الجزور»: سقط من (ف).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٦٧٤) من قول مجاهد وسعيد بن جبير. وأخرج عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: الميسر: القمار، كان الرجلُ في الجاهليَّة يُخاطِر على أهله وماله، فأيُّهما قمرَ صاحبَه، ذهبَ بأهلِه ومالِه.

(٤) في (ف): «الكعبان».

(٥) أخرجه أحمد في «مسنده» (٤٢٦٣)، والطبراني كما في «مجمع الزوائد»: (٨/ ١١٣)، قال الهيثمي: رواه أحمد والطبراني، ورجال الطبراني رجال الصحيح. اهـ. وأخرجه موقوفاً على ابن =

وقال النَّبيُّ ﷺ: «مَن لعبَ بالنَّرد فقد عصى اللهَ ورسولَه»[١].

وقال عليٌّ رضي الله عنه: لأنْ آخذَ جمرتَين مِن نارٍ، فأقلبَهما في يدي؛ أحبُّ إليَّ مِن أنْ أقلِّبَ كَعبتين[٢].

وقال عليٌّ رضي الله عنه: الشَّطرنجُ مَيسِرُ الأعاجم[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَٱلْأَنصَابُ﴾؛ أي: الأصنام؛ لأنَّها كانت تُنصَبُ، فتُعبَدُ مِن دونِ الله، وقد بيَّنَّا أصلَه في أوَّل هذه السُّورة[٤].

وقولُه تعالى: ﴿وَٱلْأَزْلَٰمُ﴾ جمع زلَم، وزلم بضمِّ الزَّاي وفتحِها.

قال صاحب «الغريبين»: هي قِداحٌ كانت زُلِمَتْ؛ أي: سُوِّيَت، وأُخِذَ من حُروفِها، وكانت لقريشٍ وغيرِها، مكتوبٌ عليها الأمْرُ والنَّهيُ، وكانت تُجعَلُ في وعاءٍ، فإذا أرادَ الرَّجلُ سفراً أو حاجةً، أدخلَ يدَهُ، فأخرجَ منها زلماً؛ فإنْ خرج الآمِرُ مضى لطِيَّتِه[٥]، وإن خرجَ النَّاهي كفَّ وانصرف[٦].

= مسعود عبدُ الرزاق في «تفسيره»: (٢٥٧)، والطبري: (٣/ ٦٧١)، وابن أبي حاتم: (٤/ ١١٩٦) (٦٧٤٦) وغيرهم، وصحح الدارقطني في «العلل»: (٥/ ٣١٥) الموقوف.

(١) رواه أبو داود في «سننه» (٤٩٣٨)، وابن ماجه (٣٧٦٢) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

(٢) في (ر): «كعبين»، وفي (ف): «الكعبين» والأثر رواه ابن أبي شيبة (٢٦١٥٦).

(٣) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٣/ ٦٠٢)، والخبر رواه عبد بن حميد كما في «الدر المنثور» (٥/ ٤٧٤).

(٤) عند تفسير الآية (٣).

(٥) أي: لنيته. انظر: «الصحاح» (مادة: طوى).

(٦) انظر: «الغريبين» للهروي (٣/ ٨٢٩) (مادة: زلم).

وقوله تعالى: ﴿رِجۡسٞ﴾؛ أي: نَجَسٌ.

وقيل: أي: مستقذَرٌ، ووحّدَ، وهو صفةُ الجمعِ؛ لأنَّه على صيغةِ المصدر.

وقيل: أي: قبيحٌ.

وقيل: أي: إثم.

وقيل: أي سببُ عذابٍ، قال تعالى: ﴿وَيَجۡعَلُ ٱلرِّجۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ﴾ [يونس: ١٠٠]، قيل: هو اللَّعنةُ في الدُّنيا، والعذابُ في الآخرة.

وقوله تعالى: ﴿مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾؛ أي: مما[1] يزيِّنُه ويُحسِّنُه، مع قبحِ عاقبتِه، كما قال في قصة موسى: ﴿فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيۡهِۖ قَالَ هَٰذَا مِنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾ [القصص: ١٥]، يقول: هذه الأشياءُ ﴿رِجۡسٞ﴾؛ أي: ممَّا ينبغي أن يُستقذَرَ ويُجتنَبَ، وهو ممَّا يَدعو إليه الشَّيطانُ ويُحسِّنُه في الحال، ويُخفي قبحَه في المآل.

وقوله تعالى: ﴿فَٱجۡتَنِبُوهُ﴾؛ أي: كونوا مِن هذا الرِّجسِ بجانب، ﴿لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾؛ أي: على الرَّجاءِ للفوز والفلاح.

❊ ❊ ❊

(٩١) - ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ﴾ فـ ﴿ٱلۡعَدَٰوَةَ﴾: ما يُفضي إلى التَّعدِّي بالفعل، و﴿وَٱلۡبَغۡضَآءَ﴾: ما يَتمكَّن[2] مِن البُغض في القلبِ.

وقوله تعال: ﴿فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ﴾؛ أي: في استعمالِهما.

---

(١) في (أ): «ما».

(٢) في (أ): «يمكن».

وقوله تعالى: ﴿وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾؛ أي: يَمنعَكُم عن ذلك، فمِن إيقاع العداوةِ والبغضاء ما رَوينا في حديث سعد بن أبي وقَّاص وضَرْبِ الأنصاريِّ أنفَه(١).

ورويَ أنَّ قبيلتين مِن الأنصارِ شَرِبوا حتَّى ثَمِلوا، فعبثَ بعضُهم ببعضٍ، فلمَّا أفاقوا رأوا الآثارَ في وجوهِهم ولحاهُم، فقال بعضُهم: لو لم يَكن لفلانٍ عليَّ ضغنٌ، لما فعل بي هذا، وقال آخرون: مثلَ ذلك، حتى كادَ يَهيجُ بينهم هَيْجٌ، فنَزلت الآيةُ(٢).

وقال قتادة: كان الرَّجلُ في الجاهليَّةِ يُقامر على أهلِه وماله، فيبقى حزيناً(٣) سليباً، يَنظرُ إلى مالِهِ في يد غيرِه، فكان يَقعُ بينهم عداوةٌ وبغضاءُ، فنزلَتِ الآيةُ في ذلك(٤).

وقوله تعالى: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ استفهامٌ بمعنى الأمر؛ أي: انتهوا، دلَّتِ الآية على تحريم الخمرِ قطعاً من عشرة أوجه:

أحدُها: أنَّه قرنَها بالميسِر، وذاك حرامٌ، فكذا ما قرنَ به.

والثَّاني: أنَّه قرنَها بالأنْصابِ، وهي كذلك.

والثَّالث: أنَّه قرنَها بالأزلام، وهي كذلك.

---

(١) سلف قريباً عند تفسير الآية (٩٠) من هذه السورة.

(٢) أخرجه النسائي في «الكبرى» (١١٠٨٦)، والطبري في «تفسيره» (٨/ ٦٦٠ ـ ٦٦١) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) في (ف) و«ذم الملاهي» لابن أبي الدنيا، «تفسير الطبري»، و«الدر المنثور» (٥/ ٤٧٧): «حزيناً»، والمثبت من (أ) و(ر)، وهو الذي رجحه العلامة محمود شاكر ـ رحمه الله ـ في تعليقه على «تفسير الطبري» (١٠/ ٥٧٣)، فقال: حرب الرجل ماله، فهو محروب وحريب: إذا أخذ حريبته، وهو ماله الذي يعيش به، وتركه بلا شيء.

(٤) رواه ابن أبي الدنيا في «ذم الملاهي» (١١٣)، والطبري في «تفسيره» (٨/ ٦٦٢).

والرَّابع: أنَّه قال: ﴿رِجۡسٞ﴾.

والخامس: أنَّه قال: ﴿مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾.

والسَّادس: أنَّه قال: ﴿فَٱجۡتَنِبُوهُ﴾ أمرٌ به وهو للإيجاب.

والسَّابع: أنَّه وعدَ الفلاحَ على ذلك، وإنَّما يُدرَكُ الفلاحُ باجتناب الحرام.

والثَّامن: أنَّه قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ﴾ وما يُؤدِّي إلى ذلك فهو حرامٌ.

والتَّاسع: أنَّه يَصُدُّ عن ذكرِ الله تعالى وعن الصَّلاة، وذلك حرامٌ.

والعاشر: أنَّه أمرَ بالانتهاء عن ذلك، وإنَّما يَجبُ الانتهاءُ عمَّا هو حرامٌ، ونظيرُ قوله: ﴿فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ قولُه: ﴿فَهَلۡ أَنتُمۡ شَٰكِرُونَ﴾[1] [الأنبياء: ٨٠]، ﴿فَهَلۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [هود: ١٤].

وقال الإمام القشيريُّ رحمَه الله: الخمرُ حرامٌ؛ لأنَّها تُزيلُ العقلَ، وتُورِدُ السُّكْرَ، ومَنْ سَكِرَ مِن خمرِ الغفلةِ فسُكرُه أصعبُ مِن سُكْرِ مَن شَرِبَ الخمرَ، وشربُ الخمرِ يُوجِبُ الحدَّ، وخمرُ الغفلةِ يُوجِبُ البُعدَ، ومَن سَكِرَ مِن الخمرِ فهو ممنوعٌ عن الصَّلاة، ومن سَكِرَ مِن الغفلةِ فهو محرومٌ عن الصِّلَات، وكما أنَّ السَّكرانَ لا يُقامُ عليه الحدُّ ما لم يفق، فالغافلُ لا يَنجعُ فيه الوَعْظُ ما لم يَنتبِه، وكما أنَّ الخمرَ سببُ كلِّ صغرٍ وذِلَّةٍ، فالغَفلةُ سببُ كلِّ بُعد وحَجْبةٍ[2].

* * *

---

(١) «قوله فهل أنتم»: زيادة من (أ).

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (١/ ٤٤٦).

(٩٢) ـ ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾؛ أي: في تحريمِ الخمْرِ والميسرِ ونحوِهما[1]، ولا تُطيعوا الشَّيطانَ في شيءٍ،

وقوله تعالى: ﴿وَاحْذَرُوا﴾؛ أي: عقابَهُ في مخالفتِه.

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: كلَّما كان العبدُ أعْرَفَ بربِّه، كان أخْوَفَ مِن ربِّه، وإنَّما يَنتفي الحذرُ عن العبدِ عند تَحقُّقِ الوعدِ بقوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ﴾ [الأنعام: ٨٢]، وذلك عند دخولِ الجنَّةِ[2].

وقوله تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾؛ أي: قال: فإنْ أعرضتُم فقد قامَت عليكم الحُجَّةُ بإبلاغِ الرَّسولِ ذلك، وبَرِئ الرَّسولُ عمَّا كان عليه، ولا يَملِكُ هو مِن أمرِكم[3] إلَّا التبليغُ الظَّاهر، ثمَّ الحكمُ لله في إثابة المطيعين ومعاقبة العاصين، فاحذَروا نزولَ عِقابه، وحلولَ عذابِه، وهو أبلغُ وعيدٍ وتهديد.

* * *

(٩٣) ـ ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوا وَّآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوا وَّآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوا وَّأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا﴾؛ أي: ذاقوا مِن الخمر، كما في قوله: ﴿وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي﴾ [البقرة: ٢٤٩].

---

(١) في (ف): «وغيرهما»، وليست في (ر).

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (١/ ٤٤٧).

(٣) في (ف): «من أموركم» بدل من «هو من أمركم».

قال مقاتل: لـمَّا نَزلَت الآيةُ في تحريمِ الخمر، قال حُيَيُّ بنُ أخطب: فما حالُ مَن ماتَ مِنكم وهم يَشربونها، فذكر المسلمون ذلك لرسولِ الله ﷺ، وقالوا: إخواننا ماتوا وقتلوا وهم يشربونَها، فأنزل اللهُ هذه الآية[1].

وقال ابنُ كيسان: لـمَّا نزلَ تحريمُ الخمر، قال أبو بكر الصِّدِّيقُ رضي الله عنه: يا رسول الله، كيف بإخوانِنا الذين ماتوا وقد شَربوا الخمرَ، وأكلوا القمار؟ وكيف بالغائبين عنَّا في البلدان، لا يَشعرون أنَّ اللهَ تعالى حرَّم الخمرَ، وهم يَطعَمونها؟ فأنزل الله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ مِن الأموات والأحياء في البلدان إثمٌ ﴿فِيمَا طَعِمُوا﴾ من الخمرِ والقِمار[2].

وقوله تعالى: ﴿إِذَا مَا اتَّقَوا﴾[3] ما حرَّم الله عليهم سواهما، وقيل: اتَّقوا الشِّركَ، ﴿وَءَامَنُوا﴾ بالله ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ في إيمانهم، ﴿ثُمَّ اتَّقَوا﴾ يعني: الأحياءَ في البلدان الخمرَ والقِمار إذا جاءَهم تحريمُها، ﴿وَءَامَنُوا﴾ صدَّقوا بتحريمها، ﴿ثُمَّ اتَّقَوا﴾ ما يُحرَّمُ عليهم بعد هذا بنصٍّ يَرِدُ في التحريم لبعض ما أُحِلَّ لهم، ﴿وَأَحْسَنُوا﴾ فيما تعبَّدهم الله به، ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ فهذا معنى الأمر بالتَّقوى ثلاثاً في هذه الآية.

وقال بعضُ أهل المعرفة: ﴿إِذَا مَا اتَّقَوا﴾؛ أي: الشِّركَ، ﴿وَءَامَنُوا﴾ بالله وحدَهُ، ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوا﴾ في أعمالِهم الصَّالحة عن شهودِ الخَلْق، ﴿وَءَامَنُوا﴾ بأنَّ اللهَ يَعلمُ السِّرَّ والعلانيةَ، ﴿ثُمَّ اتَّقَوا﴾ إعجابَ النَّفسِ؛ ليتحقق بذلك منهم الإحسان، ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾.

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (١/ ٥٠٢ ـ ٥٠٣).

(٢) انظر: «التفسير البسيط» للواحدي (٧/ ٥١٥).

(٣) بعدها في (ف): «وآمنوا أي اتقوا».

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: اتَّقى الشِّركَ فعرفَ، ثمَّ اتَّقى الحرامَ فانصرف، ثمَّ اتَّقى الشُّحَّ فآثرَ وما أسرفَ.

وقال: **الأوَّلُ** للعوامِّ؛ ﴿اتَّقَوا﴾ الشِّركَ والمعاصي، ﴿وَءَامَنُوا﴾ بأنَّ الأمرَ[1] والنَّهي لله، **والثاني** للخواصِّ؛ ﴿اتَّقَوا﴾ المنعَ، ﴿وَءَامَنُوا﴾ بالخلف؛ أي: الله يُخلِف[2]، **والثَّالثُ**: لأشرافِ الخواصِّ، ﴿اتَّقَوا﴾ شهودَ الخلق، ﴿وَأَحْسَنُوا﴾ العملَ لله، فالإحسانُ أنْ تَعبدَ الله كأنَّك تَراه[3]، ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ أعمالاً، والمحسنين أحوالاً، والمحسنين آمالاً[4].

قال ابنُ جريج: إنَّ أبا عبيدة كان بالشام، فوجدَ أبا جندل بنَ سُهيل بنِ عمرو، وضرارَ بنَ الخطَّابِ المحاربيَّ، وأبا الأزور، وهم مِن أصحابِ رسولِ الله ﷺ قد شَرِبوا الخمرَ، فقال أبو جندل: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا﴾، فكتب أبو عبيدة إلى عمرَ: إنَّ أبا جندلٍ خاصَمني بهذه الآية، فكتب عمرُ: إنَّ الذي زَيَّن لأبي جندلٍ الخَطيئةَ هو الذي زيَّنَ له الخصومةَ، فاحددهم، فقال أبو الأزور: أتَحدُّنا؟! قال: نعم، قال: فدعْنا نَلقى العدوَّ غداً، فإنْ قُتلنا فذاك، وإن رَجعنا إليك تَحدُّنا[5]، فلقوا العدوَّ، فاستُشهِدَ أبو الأزور، وحُدَّ الآخران، وكتب عمرُ إلى أبي جندل: إنَّ الذي زيَّن لكَ الخطيئةَ، حظرَ عليك التَّوبةَ: ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ

---

(١) في (ف): «بالأمر» بدل من «بأن الأمر».

(٢) قوله: «أي الله يخلف» من (ف).

(٣) رواه البخاري (٥٠)، ومسلم (٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وأخرجه مسلم (٨) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٤) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٤٤٦ ـ ٤٤٧).

(٥) بعدها في (ر): «قال: نعم».

﴿ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝٢ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ﴾ [غافر: ٢][1].

* * *

(٩٤) - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَيَبْلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلصَّيْدِ تَنَالُهُۥٓ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَيَبْلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلصَّيْدِ﴾ لمَّا قال: ﴿لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟﴾ فقد أمرَهُم أنْ يَقتصِروا فيما يأكلونه، أو لا يأكلونَهُ[2] على ما حَرَّمَ الله تعالى وأحلَّ، ثمَّ بيَّن أنَّ مِن المحرَّماتِ: الخمرُ، والميسرُ، وصيدُ البرِّ على المحرِم.

وقوله تعالى: ﴿لَيَبْلُوَنَّكُمُ﴾؛ أي: بالنَّهي عن الاصطياد، والبلوى والابتلاء: الاختبارُ، وهو مِن الله تعالى لإظهار ما علمَ مِن العبدِ على ما علم، لا ليَعلمَ ما لم يَعلم، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيراً.

وقوله تعالى: ﴿بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلصَّيْدِ﴾ وهو للتبعيض فإنَّ الـمُحَرَّم هو صيْدُ البرِّ دون صيْدِ البحر، وصيْدُ الإحرامِ دون الإحلال، وصيْدُ الحرمِ دونَ الحِلِّ.

وقال الزَّجَّاج: ويجوزُ أن يكون للتَّجنيس، كما في قوله تعالى: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ﴾ [الحج: ٣٠][3].

وقوله تعالى: ﴿تَنَالُهُۥٓ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ﴾؛ أي: تُصِيبُه.

وقال الكلبيُّ وغيرُه: ﴿تَنَالُهُۥٓ أَيْدِيكُمْ﴾ البيضُ والفِراخُ وصغارُ الطَّير بغير سلاح،

---

(١) رواه عبد الرزاق في «المصنف» (١٧٠٧٨).

(٢) في (ف): «بكونه» بدل: «يأكلونه».

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٢٠٦).

﴿وَرِمَاحُكُمْ﴾ جمع رُمْحٍ، وكذا غيره من السِّلاح، وهو كبارُ الطَّيرِ التي لا تُؤخذُ إلا بحيلةٍ، ولا تُصابُ إلَّا بسلاح.

وقوله تعالى: ﴿لِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلْغَيْبِ﴾؛ أي: ليعلمَ اللهُ خوفَ الخائف منه بالامتناعِ عن الاصطياد موجوداً، كما كان يَعلمُ قبل وجودِه أنَّه يُوجَد؛ ليُثيبَهُ على عملِه، لا على علمه فيه، وهو أيضاً يَقتضي ضدَّهُ؛ أي: وليظهرَ إقدامُ مَن لا يَخافُه على الاصطيادِ، فيعاقبَهُ على عملِه، لا على علمِهِ فيه.

وقوله تعالى: ﴿بِٱلْغَيْبِ﴾؛ أي: بالاستدلال، دونَ العلمِ الضَّروري الواقعِ بالعِيان ونحوِه، كما ذكر ذلك في الإيمانِ بالغيب، إذ لا خطرَ للإيمان ولا للخوفِ حالةَ العِيان.

وقيل: معناه: في حالة الغيبةِ عن النَّاس، وهو الخوفُ الحقيقيُّ دون ما يَظهرُ مِنه عند رؤيةِ النَّاس؛ فإنَّه يكون مُراءاةً لا حقيقة لها، كعمل المنافقين.

وقوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾؛ أي: اصطادَ بعد هذا الابتلاء؛ وهو النهيُ والبيان.

وقوله تعالى: ﴿فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ قال ابنُ عباس رضي الله عنهما: يُضْرَبُ على ظهرِه وبطنِه وتُنزَعُ ثيابُه[1].

واسمُ العذابِ يَقع على الضَّرب في الدُّنيا، قال تعالى: ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ٢]، وقال تعالى: ﴿فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ﴾ [النساء: ٢٥]، وقال تعالى: ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ [النمل: ٢١].

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٠٤) (٦٧٩١).

وقيل: هو العذابُ في الآخرة مع الكفَّارةِ في الدُّنيا إذا لم يتب منه؛ لأنَّ الكفَّارةَ لا ترفعُ الذَّنْبَ عن المُصِرِّ.

وقال ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما والكلبيُّ ومقاتلُ بنُ حيَّان: كان ذلك عام الحُديبية حين انطلقَ رسولُ الله ﷺ معتمراً، فكانَت الوحشُ والطَّيرُ والصَّيدُ تَغشاهُم في رِحالِهم، لم يَروها قطُّ كذلك فيما خلا، فنَهاهُم عن أخذِها وهم مُحرِمون(١).

***

(٩٥) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْتُلُواْ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيَۢا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّٰرَةٌ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦۗ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَۚ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُۚ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْتُلُواْ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾ هو جمعُ حَرام، وهو الذي أحرمَ بحجَّةٍ أو عمرةٍ، وهو أيضاً الذي دَخل الحرمَ، والنَّهيُ يَتناولُهما جميعاً، ﴿وَأَنتُمْ﴾ الواو للحال، نَهى عن قتل الصَّيدِ في هذه الحالة، وهو في الحقيقةِ نهيٌ عن التَّعرُّض للصَّيدِ بكلِّ وجهٍ.

وخصَّ القتلَ بالذِّكر؛ لأنَّه هو معظمُ المقصود في الاصطياد، وسمَّاهُ قتلاً لا ذبحاً؛ لبيان أنَّه وإنْ ذبحهُ لم يَحِلَّ، كما لو قتَلَهُ، والصَّيدُ أصلُه مصدرٌ، والمرادُ به هاهنا المَصِيد؛ لأنَّ القتلَ إنَّما يكونُ فيه، والمرادُ مِن الصَّيدِ ما يُقصَدُ اصطيادُه، فهو اسمٌ له قبلَ وقوعه فيه باعتبارِ العاقبة، ثمَّ هو اسمٌ للوحشيِّ الممتنعِ بقوائمِه أو جناحَيه.

وقوله تعالى: ﴿وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ﴾ أوجبَ الجزاءَ في

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٠٤) (٦٧٨٩) عن مقاتل بن حيان.

قتلِ كلِّ صيدٍ، فيَدخلُ فيه عندنا ما يُؤكَلُ لحمُه وما لا يُؤكَلُ لحمُه، إلَّا الخمسَ الفواسِقَ المستثناةَ في الخبر، وهو قوله ﷺ: «خمسٌ فواسقُ يُقتلن في الحلِّ والحَرَم؛ الحيَّةُ، والعقربُ، والفأرةُ، والحدأةُ، والكلبُ العقور»[1]، ويُلْحَقُ بها ما ابتدَأ فعَدا على الآدميِّ، فقتلَهُ ذابًّا عن نفسِه.

وعند الشافعيِّ رحمه الله عنه: إذا قتلَ صيداً غير مأكول اللحمِ لم تَلزمهُ كفَّارتُه[2]، وحُجَّتُنا فيه: قوله ﷺ: «الضّبع صيدٌ، وفيه كبشٌ إذا قتلَهُ المحرِمِ»[3].

وإذا قتل الصيدَ متعمِّداً، فعليهِ الجزاءُ بالنَّصِّ، فأمَّا إذا قتلَهُ مخطِئاً، فقد قال ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما وعطاءٌ وسالمٌ والقاسمُ ـ وهو مذهب داودَ بنِ عليٍّ ـ: لا شيء عليه؛ لأنَّ النَّصَّ في المتعمِّدِ[4]، وقلنا: التَّنصيصُ لا يَدلُّ على التَّخصيص.

وقال الحسنُ ومجاهد: إنَّما يَجِبُ على مَنْ كان مُتعمِّداً لقتلِ الصَّيدِ، ناسياً لإحرامه[5]، ولو كان ذاكراً لإحرامِه، فلا جزاءَ عليه في الدُّنيا، بل جزاؤهُ الانتقامُ في الآخرةِ؛ لآخرِ هذه الآية.

وقلنا: النَّصُّ مطلَقٌ، فإنْ كان في ناسي الإحرام فإنَّه في العمدِ يَدلُّ على الوجوبِ

---

(١) رواه البخاري في «صحيحه» (٣٣١٤)، ومسلم (١١٩٨) من حديث عائشة رضي الله عنه.

(٢) انظر: «الأم» للشافعي (٣/ ٤٩٦).

(٣) رواه ابن خزيمة في «صحيحه» (٢٦٤٨)، والدارقطني في «سننه» (٢٥٤١)، والحاكم في «المستدرك» (١٦٦٣) من حديث جابر رضي الله عنه.

(٤) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (١٥٢٩٥) عن ابن عباس. وذكره عنه وعن عطاء وسالم والقاسم الجصاصُ في «أحكام القرآن» له (٤/ ١٣٣)، والماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (٣/ ٦١٨). وانظر: «المحلى» لابن حزم (٥/ ٢٣٤).

(٥) روى قولهما الطبري في «تفسيره» (٨/ ٦٧٤ ـ ٦٧٦).

بالطَّريق الأَوْلى؛ لأنَّ الكفارةَ لرفعِ الإثم، والإثمُ في العمْدِ أكثرُ، ولا يَرِدُ عليه قتلُ العمدِ أنَّه لا كفَّارة فيه؛ لأنَّ الشَّرعَ أوجبَ القِصاص، وهو أغلظُ مِن الكفَّارة، ولا شيء هاهنا، فلا معنى لمنعِ[1] وجوب الكفارة مع تَغلُّظِ الإثم.

وعن إبراهيم النَّخَعيِّ ومجاهدٍ وعطاء أنَّهم قالوا: عمده وخطؤه سواء[2].

وقوله تعالى: ﴿فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ﴾ قرأ عاصمٌ والكسائيُّ وحمزةُ بالتَّنوين، و﴿مِّثْلُ﴾ بالرَّفع. وقرأ الباقونَ على الإضافة؛ بحذف التَّنوين وخفض ﴿مثل﴾[3].

واختلف الفقهاءُ في حكم هذه الآية، ويَختلفُ لذلك تفسيرُ الآية:

قال أبو حنيفة وأبو يوسف رحمهما الله: إذا قتلَ صيداً مأكولَ اللحم قوَّمهُ عدلان لهما بصرٌ في المكان الذي أصابَهُ، ثمَّ الخِيارُ بعد ذلك إلى القاتل، فإنْ بلغَتْ قيمتُه هَدياً؛ فإنْ شاءَ اشترى بها هدياً، فذبحَهُ في الحَرَمِ، فتَصدَّقَ به على الفقراء، وإنْ شاءَ اشترى بها طعاماً فتصدق به على كل فقير بنصف صاع، وإن شاء صامَ مكان كلِّ نصفِ صاعٍ يوماً، إن شاء متتابعاً وإن شاء متفرقاً[4].

وقال محمَّدٌ والشَّافعيُّ رحمهما الله: الخيارُ فيه إلى الحكمَين؛ فإنْ شاءا حَكما عليه بالهَدي، وإنْ شاءا بالطَّعام، وإنْ شاءا بالصِّيام[5]، فإنْ حَكما بالهَدي أوْجَبا مثلهُ

---

(١) في (أ): «النفي».

(٢) هو قول الجمهور، ونسبه الجصاص في «أحكام القرآن» (٤/ ١٣٣) لعمر وعثمان، ورواية عن الحسن، وإبراهيم، وفقهاء الأمصار، ورواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٦٧٧) عن عطاء والزهري وسعيد بن جبير.

(٣) انظر: «السبعة» لابن المجاهد (ص: ٢٤٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٠).

(٤) انظر: «المبسوط» للسرخسي (٤/ ٨٢ ـ ٨٤).

(٥) انظر: «المبسوط» للسرخسي (٤/ ٨٤)، والصواب أن الشافعي قال: إن التخيير للمكفِّر. انظر: =

خلقةً مِن النَّعم الأهليِّ، فيجبُ في حمارِ الوحشِ بقرةٌ، وفي النَّعامةِ جملٌ، وفي الظَّبي شاةٌ، وفي الأرنب عناقٌ أو جَدْيٌ، وفي اليَرْبوع جَفْرة[1]، فإن لم يكن له مثلٌ صورةً، كالحمامةِ والطَّيرِ الآخرِ يُشترى بقيمتِه هديٌ، وإن حكما بالطَّعام أو الصَّوم ـ كما قال أبو حنيفة وأبو يوسف رحمهما الله ـ فصار الاختلافُ في موضعَين، فيمن له الخِيار، وفي معنى المثل، وعن عمر: أنه أوجبَ المثلَ صورةً، وجعل الخيارَ للحكمين.

وروي عن قَبيصةُ بنُ جابر: أنَّه أصاب ظبياً وهو مُحْرِمٌ، فسألَ عمرَ رضي الله عنه، فشاورَ عبدَ الرَّحمن بنَ عوف، ثمَّ أمرَهُ أنْ يَذبحَ شاةً، فقال قَبيصةُ بنُ جابرٍ لصاحبِه: واللهِ ما عَلِمَ أميرُ المؤمنين حتَّى سألَ غيرَهُ، فأقبلَ عمرُ رضيَ الله عنه يَضرِبُه بالدِّرَّةِ، ويقول: أتغْمَصُ[2] الفُتيا، وتَقتلُ الصَّيدَ وأنت محرم؟! قال الله تعالى: ﴿يَحۡكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ﴾، فأنا عمرُ وهذا عبدُ الرَّحمن بنُ عوف[3].

ومذهبُ أبي حنيفة وأبي يوسف رحمة الله عليهما مرويٌّ عن ابنِ عبَّاسٍ[4] وجماعةٍ مِن الصَّحابة والتَّابعين، وهو أوفقُ للأصول والمعقول؛ لأنَّ النَّصَّ أوجبَ المِثلَ، والـمِثلُ المطلَقُ في الكتاب والسُّنَّة وإطلاقِ الأمَّة مقيَّدٌ بالصُّورة والمعنى، أو المعنى بلا صورة، فأمَّا الصُّورةُ بلا معنى، فلا، ولأنَّ التَّحكيمَ مع شرطِ العدالةِ لا يَليقُ بمعرفةِ الصُّورة التي لا تحتمِلُ الكذبَ، وإنَّما يَليقُ بمعرفةِ القيمة التي تَتفاوتُ، ولأنَّ القيمةَ مرادةٌ هاهنا في الذي لا مثلَ له صورةً بالإجماع، فلا يبقى غيرُها مراداً؛ لأنَّ الاسمَ المشتركَ لا عمومَ له.

= «الأم» (٣/ ٤٧٩ ـ ٤٨٠).

(١) الجفرة من أولاد المعز. انظر: «مختار الصحاح» (مادة: جفر).

(٢) الغمص: الاستصغار. انظر: «مختار الصحاح» (مادة: غمص).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٦٩٠ ـ ٦٩١).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٦٨٣).

فإذا عُرِف هذا، فالتَّفسيرُ الصَّحيحُ على وَفْقِ هذا أن نقول: قوله: ﴿فَجَزَآءٌ﴾ بالتَّنوين؛ أي: فعليه جزاءٌ، **وقوله تعالى:** ﴿مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ﴾ هو تفسيرُ الجزاء.

وأمَّا قِراءةُ الإضافة: فمعناه: فعليه جزاءُ مثلِ المقتول، وجزاءُ مثلِهِ وجزاءُ عينِه سواءٌ، والجزاءُ ما يعادلُ الشَّيء ويُقاوِمُه، **وقوله تعالى:** ﴿مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ﴾؛ أي: المقتول مِن النَّعم؛ فإنَّ الصُّيودَ نعمٌ وَحشيَّةٌ، كالنَّعم الأهلية، ولم يُرِد به أنَّ الواجبَ في الجزاءِ مِن النَّعم، كما قال محمَّدٌ والشَّافعيُّ رحمهما الله.

وقوله تعالى: ﴿يَحْكُمُ بِهِۦ﴾ أي: بالتَّقويم.

وقوله تعالى: ﴿ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًۢا﴾ نُصب بقوله: ﴿فَجَزَآءٌ﴾: أي: يُجزى هدياً، أو حُذف باؤه؛ أي: يُجزَى بهديٍ.

وقوله تعالى: ﴿بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ﴾؛ أي: الحرم، كما قال: ﴿ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾ [الحج: ٣٣]؛ لأنَّ عينَ الكعبةِ ليس بمرادٍ[1] بالإجماع؛ لأنَّها تُصانُ عن إراقةِ الدَّمِ فيها، فأُريدَ بها ما حولَها مِن الحَرَمِ الذي له حرمتُها.

وقوله تعالى: ﴿أَوْ كَفَّٰرَةٌ طَعَامُ مَسَٰكِينَ﴾ قرأ نافعٌ وابنُ عامرٍ على الإضافة، وقرأ الباقون بالتَّنوين فيهما[2]، وهو عطفٌ على قوله: ﴿فَجَزَآءٌ﴾؛ أي: فعليه كفَّارةٌ، وهو إطعامُ المساكينِ إنْ شاءَ على[3] ما فسَّرناه.

وقوله تعالى: ﴿أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا﴾ و﴿أَوْ﴾ للتَّخيير في هذه الأشياء الثَّلاثةِ، فيَختارُ أيَّها شاءَ.

والعَدلُ: المِثل.

---

(١) في (أ): «غير مرادة».

(٢) انظر: «السبعة» لابن المجاهد (ص: ٢٤٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٠).

(٣) بعدها في (ف): «غير».

وقال الفرَّاء: العَدْلُ بالفتح: ما عادلَ الشَّيءَ مِن غيرِ جنسِه، فيَدخلُ فيه الفداءُ والقيمةُ، وعدل الشيء بالكسر: مِثلُه مِن جنسِه، تقول: عندي غلامٌ عِدْلُ غلامِك، فإنْ أردْتَ قيمتَهُ مِن غيرِ جنسِه، فَتَحتَ العينَ[1].

وقال أبو حاتم: العَدلُ بالفتحِ مصدرٌ، والعِدلُ بالكسرِ اسمٌ.

وقال الكسائيُّ: هما واحدٌ[2]، وقد قُرِئ بهما[3].

وقوله تعالى: ﴿صِيَامًا﴾ نصب على التَّفسير.

قوله تعالى: ﴿لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦ﴾؛ أي: ثِقَلَ ما جُوزيَ به في بدنِه أو مالِه، وأصلُ الوبال: هو ثقلُ الشَّيء المكروه، ومنه قوله تعالى: ﴿فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا﴾ [المزمل: ١٦]؛ أي: شاقًّا ثقيلاً، ويقال: اسْتَوبَلتُ الطَّعامَ؛ أي: استثقلته، والوبيل: خشبةُ القَصَّار، والعصا الثقيلة.

وقوله تعالى: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ﴾؛ أي: في الجاهلية قبل النَّهي، وقيل: بالكفَّارة وقع العفو.

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ﴾؛ أي: فاللهُ يَنتقمُ منه، ولذلك رفعَ ولم يجزم، مع أنَّه جزاء الشَّرط، ومعنى هذا الكلام عند سعيدِ بن جبير وعطاء: أي: مَن عادَ إلى قتلِ الصَّيد بعد ورودِ النَّهي، فاللهُ تعالى يُوجِبُ عليه الجزاءَ بهذه الأشياء[4]، ولا يَعفو عنه[5]، وسمَّاهُ انتقاماً كما سمَّاه وبالاً؛ لأنَّه شاقٌّ.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٣٢٠).

(٢) انظر قول الكسائي في «معاني القرآن» للنحاس (٢/ ٣٦٢).

(٣) نسبها ابن خالويه في «مختصر في شواذ القرآن» (ص: ٤١) للنبي ﷺ وابن عباس رضي الله عنه.

(٤) انظر قولهما في «تفسير الطبري» (٨/ ٧١٥).

(٥) بعدها في (ر): «شيئاً».

وقال داودُ بنُ علي: لا جزاءَ عليه في الثَّانية والثَّالثة؛ لأنَّ اللهَ تعالى أوعدَ عليها الانتقامَ، وهو عقوبةُ الآخرةِ لا غير.

وعند عامَّةِ العلماء: يجبُ فيه الجزاءُ؛ لعمومِ قوله تعالى: ﴿وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا﴾؛ فأمَّا الانتقامُ فقد بيَّنَّا أنَّه يَجوزُ أن يكون عبارةً عن الكفَّارة.

وتأويلٌ آخرُ ذكرَهُ عطاءٌ قال: كانوا يَستحِلُّونَ في الجاهليَّةِ قتلَ الصُّيود في حالةِ الإحرام، فقال الله تعالى: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ﴾ في الجاهليَّة بالإسلام، ﴿وَمَنْ عَادَ﴾ بعد الإسلام مستحلًّا، فاللهُ عزَّ وجلَّ يَنتقِمُ مِنه في الآخرة[1].

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾؛ أي: منيعٌ لا يُغالَبُ، منتقِمٌ ممَّن خالفَه لا يُعارَضُ.

وقال الإمام القشيريُّ رحمَهُ الله: حرَّمَ اللهُ تعالى الصَّيدَ على الـمُحرمِ الذي قصدَ زيارةَ البيتِ، والإشارةُ فيه أنَّ مَنْ قصد بيتَنا فيَنبغي أن يكونَ للصَّيدِ منه أمانٌ، ولا يَتأذَّى به حيوانٌ؛ فإنَّ البرَّ مَن لا يُؤذي الذَّرَّ، ولا يُضمِرُ الشَّرَّ، وكما أنَّ الصَّيدَ حرامٌ على المحرمِ إلى أن يَتحلَّلَ، فكذلك الطَّلَبُ والطَّمعُ والاختيارُ حرامٌ على العارفِ ما دام مُحْرِماً بقلبِه، فإذا قَتَلَ الصَّيدَ فعليه الكفَّارةُ، وإذا لاحظَ العارِفُ الأغيارَ، أو طمعَ في شيءٍ، أو اختار، لزمَتْهُ الكفَّارةُ، لكن لا يُكْتَفى منه بجزاءِ المثلِ، ولا بأضعافِ ما تَصرَّف فيه، لكنَّ كفَّارتَه تَجرُّدُه عن كلِّ خيرٍ؛ قلَّ أو كثُر، صغُر أو كبُر[2].

(٩٦) - ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ ۖ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ﴾ وهو ما يُولَد ويَنشأ في الماء، والبَطُّ والنُّحام[3]

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٧١٣ ـ ٧١٤).

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (١/ ٤٤٨ ـ ٤٤٩).

(٣) في (ر) و(ف): «اللحام»، وهو تحريف. والنُّحام بضم النون طائر كالإوز. انظر: «القاموس المحيط» (مادة: نحم).

لا يَدخلان فيه؛ لأنَّهما يُولدان في البرِّ، والبَحرُ لهما مرعى، كما هو للنَّاس متجر[١].

وقوله تعالى: ﴿وَطَعَامُهُ﴾ رويَ عن أبي بكرٍ وعمرَ وابنِ عبَّاسٍ وابنِ عمر وقتادة رضي الله عليهم: أنَّ الطَّعامَ ما قذفَهُ البحرُ[٢].

ومِنهم مَنْ أحلَّ الطَّافي لظاهرِ هذا التَّفسير، ولا يَستقيمُ ذلك؛ فإنَّ الأحاديثَ وردَت في تَحريمِه، وهذا فيما قذفَ فماتَ بآفةٍ[٣].

وعن ابن عباسٍ في روايةٍ أُخرى: الصَّيدُ هو الطَّريُّ منه[٤]، والطَّعامُ هو المملَّحُ منه، ويَدلُّ عليه ما بعدَهُ، وهو قولُه: ﴿مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ﴾؛ أي: للعيرِ وهم القومُ المسافرون، **وقوله تعالى:** ﴿مَتَٰعًا لَّكُمْ﴾؛ أي: متعةً ومنفعةً، والطَّري منه منفعةٌ للحاضرين، والمملَّحُ مِنه للمسافرين، ثمَّ هذا يَقعُ على السَّمك[٥] خاصَّة.

وعند الشَّافعيِّ رحمه الله: كلُّ حيوانٍ في البحرِ فهو حلالٌ[٦] لإطلاقِ هذا النصّ، ولما روى جابرُ بنُ عبد الله قال: بعثَنا رسولُ الله ﷺ في سريَّةٍ، وأمَّرَ علينا أبا عبيدة بنَ الجرَّاح، نَتلقَّى عِيراً لقُريش، وزوَّدنا جِراباً مِن تمرٍ، وكان أبو عبيدة رضي الله عنه يُعطينا تمرةً تمرة، فكنَّا نَمَصُّها كما يَمَصُّ الصَّبيُّ، ثمَّ نشربُ عليها الماءَ، فيَكفينا يوماً إلى اللَّيل، فأصَبنا على ساحلِ البحرِ كهيئةِ الكثيبِ الضَّخم دابَّةً ميتةً تُدعى العنبر، فقال أبو عبيدة: نحن رُسُل رسولِ الله ﷺ، وفي سبيلِ الله، وقد اضْطُرِرتُم فكُلوا، فأَقمنا عليها شهراً، ونحن ثلاث مئةٍ، حتَّى سمِنَّا، ولقد رأيتُنا نَغترِفُ مِنْ وَقبِ عينِها

---

(١) كذا في النسخ، ولعل صوابها: «متجر».

(٢) روى أقوالهم الطبري في «تفسيره» (٨/ ٧٢٦ ـ ٧٣٠).

(٣) مذهب أبي حنيفة تحريم السمك الطافي. وانظر الخلاف حول ذلك في «تفسير القرطبي» (٨/ ٢١٠ـ٢١٣).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٧٢٣، ٧٣١).

(٥) في (ف): «المسافرين».

(٦) انظر: «روضة الطالبين» للنووي (٣/ ١٤٧).

بالقِلال الدُّهنَ، ونَقطعُ مِنها الفِدَرَ كالثَّور، ولقد أخذَ أبو عبيدة منَّا ثلاثةَ عشرَ رجلاً، فأقعدَهُم في وَقْبِ عينها، وأخذ ضِلْعاً من أضلاعِها، فأقامها، ثمَّ رَحَّل أعظمَ بعيرٍ لنا، فمرَّ تحتَها، فتزَوَّدنا مِن لحمها وشائق، فلمَّا قَدِمنا المدينةَ، أتينا رسولَ الله ﷺ، فذكَرنا ذلك له، فقال: «هو رِزقٌ أخرجهُ اللهُ لكم، فهل معكم مِن لحمِها شيءٌ»، فأرسَلنا إلى رسولِ الله ﷺ شيئاً مِنهُ، فأكله[١].

وقلنا: هذا نوعٌ مِن السَّمك، وهو أنواع.

وقال الإمامُ القشيريُّ رحمه الله: حكمُ البحر بخلافِ حكم البرِّ، وإذا غَرِقَ العبدُ في بحارِ الحقائق، سقطَ حكمُه، فصيدُ البحرِ مباحٌ له؛ لأنَّه إذا غرقَ صار محواً، فما دفع إليه ليس منه ولا به؛ إذ هو محوٌ في نفسه، ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ﴾ [يوسف: ٢١][٢].

وقوله تعالى: ﴿وَحُرِّمَ عَلَيۡكُمۡ صَيۡدُ ٱلۡبَرِّ مَا دُمۡتُمۡ حُرُمٗا﴾ فمنهم مَن حملَهُ على لحمِ صيدِ البرِّ مطلقاً حالةَ الإحرام، وإن لم يكن صادَهُ محرِمٌ، وعندنا هذا على الاصطياد والنَّهي عنه، فأمَّا ما صاده حلالٌ فلا بأسَ بأكلِه للمحرِم، وحديثُ أبي قتادة فيه مشهورٌ: قال جابرٌ رضي الله عنه: عقرَ أبو قتادةَ حمارَ وحشٍ، ونحن محرمون وهو حلال، فأكلنا معه، ومعنا رسولُ الله ﷺ[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ﴾ قال ابنُ عباس رضي الله عنهما: إنَّ بني مدلج أتوا رسولَ الله ﷺ، فقالوا: يا رسولَ الله، إنَّا نتكلَّفُ الصَّيدَ،

---

(١) رواه مسلم في «صحيحه» (١٩٣٥). والوقب: داخل عين الحوت. والقلال جمع قُلة، وهي الجرة الكبيرة التي يُقِلُّها الرجلُ بين يديه؛ أي: يَحملُها، والفِدَرُ: القطع. والوشائق: هو اللحم يؤخذ فيغلى إغلاء ولا ينضج، ويحمل في الأسفار. انظر: «شرح صحيح مسلم» للنووي (١٣/ ٨٧ ـ ٨٨).

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (١/ ٤٤٩).

(٣) رواه من حديث جابر أبو عوانة في «مستخرجه» (٧٦٣٥)، وروى نحوه البخاري في «صحيحه» (١٨٢٢)، ومسلم (١١٩٦) من حديث أبي قتادة رضي الله عنه.

فنصطادُ مِن صيد البحر، وربَّما مدَّ البحرُ حتَّى يعلوَ الماءُ كلَّ شيءٍ، ثمَّ يرجعُ، ويَبقى السَّمكُ بالأرضِ، ويذهبُ الماء عنه، فنصيبُه ميتاً فنأكلُه، فحلالٌ لنا أكله؟ فأنزلَ اللهُ تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ﴾ ما حسرَ عنهُ الماءُ وألقاه[١].

ولفظة ﴿مَتَٰعًا لَّكُمْ﴾ يقول: منفعة لكم ﴿وَلِلسَّيَّارَةِ﴾ المسافرين، ﴿وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾؛ أي: في الاصطياد في الحرم والإحرام، ﴿ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ تُبعَثون فيَجزيكم بأعمالِكم.

* * *

(٩٧) ـ ﴿ ۞ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَٰٓئِدَ ۚ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ﴾ لـمَّا حرَّمَ الاصطيادَ في الحرم والإحرام، وكان ذلك لحرمةِ البيتِ الحرامِ، عقَّبهُ ذكرَه.

والكعبة سُمِّيَت بها لتكعُّبها؛ أي: لتربُّعِها، قاله مجاهدٌ وعكرمة رحمة الله عليهما[٢].

وقيل: لكُعوبها؛ أي: لنتوئها، من قولهم: جاريةٌ كاعِبٌ، إذا نتأَ ثدياها.

وقيل: لشرفها، مِن قولهم: أعلا اللهُ تعالى كعبَه؛ أي: شَرَفَهُ، وهو مِن كعب القناة، وهو أنبوبُها، وتكعُّبها[٣]: علوُّها وارتفاعُها.

وقوله: ﴿ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ﴾ ترجمةٌ وبدلٌ عنها، والقِيامُ: العِماد والـمِلَاكُ، وكذلك القِوام، وهو ما يَستقيمُ به الشَّيء.

---

(١) لم أقف عليه عن ابن عباس، وأورده القدوري في «التجريد» (١٢/ ٦٣٦٣) (٣١٣٧٤) من قول أبي السائب.

(٢) روى قوليهما الطبري في «تفسيره» (٩/ ٥ ـ ٦).

(٣) في (أ) و(ر): «وبكعوبها».

وقوله تعالى: ﴿وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ﴾ هذا جنسٌ أريدَ به الجمعُ، وهو الأربعةُ الأشهر الحُرُم؛ رجب، وذو القَعدة، وذو الحِجَّة، والمحرَّم.

وقوله تعالى: ﴿وَالْهَدْىَ وَالْقَلَٰٓئِدَ﴾ فسَّرناهُما في أوَّلِ هذه السورة[1]، يقول: ﴿جَعَلَ اللَّهُ﴾ في حكمِه وشرعِه على ألسنةِ أنبيائه ﴿الْكَعْبَةَ﴾ قِواماً لأمورِ النَّاس، ونِظاماً لها، وكذلك جعل الأشهرَ الحُرُمَ والهديَ والقلائدَ التي تُوجَّه[2] إلى الكعبة، يأمنون بقصدِ الكعبةِ، ودخولِ هذه الأشهُر، وتوجيهِ الهدايا إلى مكَّة شرَّ كلِّ ذي شرٍّ.

ويَحتمِلُ قوله: ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ﴾؛ أي: جَبَلَ القلوبَ على ذلك، وجمعَهُم عليه.

وقال مجاهد[3]: جعلَها اللهُ ﴿قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ﴾ حين لا يَرجون جنَّةً، ولا يَخافون ناراً، وشدَّدَ اللهُ تعالى ذلك بالإسلام[4].

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى السَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾؛ أي: قد عَلِمَ اللهُ تعالى في الأزلِ أنَّ العربَ يكونُ بينهَم سفكُ الدِّماء والتَّباغي، فجعلَ الكعبةَ مأمناً؛ ليتوصَّلوا بها إلى إقامةِ معايشِهم ولا يَتفانوا[5].

* * *

(٩٨) ـ ﴿ اعْلَمُوٓا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ اعْلَمُوٓا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾؛ أي: لمَنْ كفرَ وعصى، وأزالَ

---

(١) عند تفسير الآية الثانية منها.

(٢) في (ر): «يوجه بها» بدل: «توجه».

(٣) في (ر): «مقاتل».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٨).

(٥) قوله: «ولا يتفانوا»: ليس في (ف)، وفي (أ) مكانها: «ويتفانوا».

الأمْنَ عن النَّاس مع هذه المعاني الأربعةِ، واعتدى، ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾؛ أي: لمَن آمنَ واتَّقى، وحفِظ الحقوقَ وراعى.

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: ﴿شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ للخواصِّ إنْ زاغوا عن الشُّهودِ لحظةً، ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ للعوامِّ إنْ رجَعوا إليه بتوبَةٍ وحسرة.

***

(٩٩) ـ ﴿مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾؛ أي: تبليغُ الأمرِ والنَّهي، والوعدِ والوعيدِ، وليس عليه الحملُ على الطَّاعة جبراً، والمنعُ عن المعصية كُرهاً.

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ﴾؛ أي: بالألسنة، ﴿وَمَا تَكْتُمُونَ﴾ أي: بالأفئدة.

وقيل: ﴿مَا تُبْدُونَ﴾ مِن الطَّاعة، ﴿وَمَا تَكْتُمُونَ﴾ من المعصية.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: أي: لا ضررَ عليه في تركِ القوم إجابتَه، وهو كقوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [النور: ٥٤].

قال: والآيةُ ردٌّ على مَن يقول: لا ينجع قول الواعظِ إذا لم يَعمَل بعلمِه، فإذا كان يَعملُ به ينجع قوله؛ فإنَّه ليس أحدٌ مِن الخلقِ أشدَّ استعمالاً للعلمِ مِن الأنبياء، ولم ينفع مواعظُهم في(١) قومهم؛ لشؤمِهم ولشِدَّةِ تعنُّتِهم.

وقال في قوله: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾؛ أي: من المكر له(٢)، والقصدِ إلى قتله، قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [الأنفال: ٣٠]، كلَّما همُّوا به،

---

(١) بعدها في (ر): «بعض».

(٢) في (ر) و(ف): «به».

أطلعَ اللهُ رسولَهُ عليه، وعصمَهُ، وردَّ كيدهم، وقال الله تعالى: ﴿كُلَّمَآ أَوۡقَدُواْ نَارٗا لِّلۡحَرۡبِ أَطۡفَأَهَا ٱللَّهُۚ﴾ [المائدة: ٦٤][١].

* * *

(١٠٠) ـ ﴿قُل لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ كَثۡرَةُ ٱلۡخَبِيثِۚ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قُل لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ﴾ قال السُّدِّيُّ رحمه الله: أي: لا يَستوي المشرك والمؤمن[٢].

ولمَّا أخبرَ أنَّه ﴿يَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا تَكۡتُمُونَ﴾، ذكرَ أنَّه لا يُسوِّي بين خبيثِهم وطيِّبِهم، بل يُميِّزُ بينهما، فيُعاقِبُ الخبيثَ، ويُثيبُ الطَّيِّبَ، وإن قلَّ الطَّيِّبُ، وكثُر الخبيث، وذلك[٣] قولُه تعالى: ﴿وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ كَثۡرَةُ ٱلۡخَبِيثِ﴾، وهو خطابٌ لكلِّ واحدٍ مِن المخاطَبين، ونهيٌ له عن أنْ يُعجَبَ بكثرةِ هؤلاء.

وقال الكلبيُّ وعطاء: أي: لا يَستوي الحرامُ والحلال[٤].

وقوله: ﴿وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ كَثۡرَةُ ٱلۡخَبِيثِ﴾: يريد أنَّ أهلَ الدُّنيا يُعجِبُهم كثرةُ المال وزينةُ الدنيا، ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ﴾ [القصص: ٦٠].

وقوله تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾: أي: العقولِ الخالصة.

وقوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾: أي: على رجاءِ الفوزِ بكلِّ مطلوبٍ، والأمنِ مِن كلِّ مرهوبٍ، والإطماعُ مِن الله تحقيقٌ.

---

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٣/ ٦٣٠).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ١٢ ـ ١٣)، وابن أبي حاتم (٤/ ١٢١٦) (٦٨٧٠).

(٣) لفظ: «وذلك» ليس في (أ).

(٤) انظر: «التفسير البسيط» للواحدي (٧/ ٥٤١).

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: ﴿ٱلْخَبِيثِ﴾: ما اكتسَبَهُ العبدُ حالةَ الغفلةِ عن الحقِّ، ﴿وَٱلطَّيِّبُ﴾: ما اكتسبَهُ على شهودِ الحقِّ.

قال: ويُقال: ﴿ٱلْخَبِيثِ﴾: ما لَم يُخرَج منه حقُّ اللهِ تعالى، ﴿وَٱلطَّيِّبُ﴾: ما أُخرِج منه حقُّه.

قال: ويقال: ﴿ٱلْخَبِيثِ﴾: ما ادَّخرتَهُ لنفسِكَ، ﴿وَٱلطَّيِّبُ﴾: ما قدَّمته بأمرِ ربِّك[١].

(١٠١) - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْـَٔلُوا۟ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ﴾ إنَّما لم يَصرِف[٢] ﴿أَشْيَآءَ﴾، وإن صرَفْتَ: أحياء، وأكفاء، وأسماء؛ لأنَّ أصلَه أشْيياء، على وزن: أفعلاء.

وقالوا: كان أصلُ الواحدِ: شَيِيْء[٣] على وزن فَعِيل، وجمعه أفعلاء، كالنَّصيب والأنصباء، ثمَّ حُذِفت الهمزةُ تخفيفاً، وبَقيَت غيرَ منصرفةٍ لأجلها، فأمَّا الأحياء ونحوها فهي على وزن[٤]: أفعال، وهي منصرفةٌ.

وفي نزول هذه الآية أقاويل، منها ما روى أبو هريرة وأنسُ بنُ مالكٍ رضي الله عنهما أنَّهم[٥] سألوا رسولَ الله ﷺ، فأكثروا المسألةَ، فقامَ على المنبر فقال: «سلوني، فوالله لا تسألونني عن شيءٍ في مقامي هذا إلَّا لأحُدِّثنَّكم[٦]»، فأشفقَ أصحابُه أن يكون حدثَ أمرٌ، فبكوا، فقام عبدُ الله بنُ حذافةَ السَّهميُّ، وكان يُطعَنُ في نسبِه،

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (١/ ٤٥٠).

(٢) بعدها في (ف): «عن».

(٣) في (ف): «أصلًا لواحد لشيء» بدل من «أصل الواحد شيء».

(٤) قوله: «على وزن» من (ف).

(٥) في النسخ الخطية: «أنهما»، والمثبت هو الصواب.

(٦) في (ف): «حدثتكم».

ويُدعَى إلى غيرِ أبيه، فقال: من أبي؟ فقال: «أبوك حذافةُ بنُ قيسٍ السَّهمي»، فأخبرَ أمَّه بذلك، فقالت: لقد عققتَني بسؤالِك هذا، فواللهِ ما رأيتُ ولداً أعقَّ منك، أكنتَ تأمنُ أنْ تكونَ أمُّك قارفَت ما قارفَت بعض نساء الجاهلية فتفضحها على رؤوس الناس[١]، فقال: ما كان يَطمئنُّ قلبي، فوالله لو ألحقَني رسولُ الله ﷺ بعبدٍ حبشيٍّ للَحِقتُ به، وقام آخرُ فقال: أين والدي؟ فقال عليه الصَّلاة والسلام: «مع والدي في النار»، ولم يَزل يُسأَلُ حتَّى اشتدَّ غضبُ رسولِ الله ﷺ، وقام عمرُ فقال: رضينا بالله ربًّا، وبالإسلام ديناً، وبمحمَّدٍ نبيًّا، نعوذُ بالله مِن غضب الله، وغضبِ رسول الله. ثمَّ قال: يا رسولَ الله، إنَّا قريب العهد بالجاهليَّةِ والشِّركِ، فاعفُ عنَّا، عفا الله عنك، فلم يَزل يَقولُه حتَّى سُرِّيَ عن رسولِ الله ﷺ، وسكنَ غضبُه، ونزلت هذه الآية[٢].

وقال ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما وجماعةٌ: إنَّ النَّبيَّ ﷺ كان يَخطبُ ويُخبِر النَّاس بفرضية[٣] الحجِّ، ويقرأ قولَهُ تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾، فقامَ رجلٌ مِن بني أسدٍ ـ وقيل: هو الأقرع بن حابس ـ وقال: يا رسولَ الله أفي كلِّ عامٍ؟ فأعرضَ النَّبيُّ ﷺ بوجهِه، فأعادَ السُّؤالَ، فأعرضَ عنه بوجهِه، فأعادَ السُّؤال، فقال: «لو قلتُ: لكلِّ عامٍ، لوجبَ عليكم، ولو وجبَ عليكم ثمَّ تركتموهُ لضللتُم».

---

(١) في (ر): «الخلائق».

(٢) لم أقف على هذه الرواية بهذا السياق، وذكر مقاتل نحوها في «تفسيره» (١/ ٥٠٨) دون نسبتها لأبي هريرة وأنس، وحديث أبي هريرة رواه أحمد (١٠٥٣١) مختصراً، وفيه سؤال عبد الله بن حذافة وكلامه مع والدته، وأخرجه من طريق آخر الطبري (٩/ ١٧) وفيه سؤال عبد الله، وكلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه.
وحديث أنس رواه مختصراً ومطولاً البخاري في «صحيحه» (٩٣)، (٥٤٠)، (٧٠٨٩)، (٧٢٩٤)، ومسلم في «صحيحه» (٢٣٥٩).
ولم أقف على سؤال الرجل: أين والدي؟ وفي «تفسير مقاتل» أن رجلاً سأل: أين أنا؟

(٣) في (ف): «بفريضة».

ثم إنه[١] قال: «اتركوني ما تركتُكم، فإذا أمرتُكم بشيءٍ فأتوا منه ما استطعتُم، وإذا نَهيتُكم عن شيءٍ فاجتنبوه»[٢].

وروى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنَّه قال: «اتركوني ما تركتكم، فإذا حدَّثتُكم فخذوا عنِّي فإنَّما هلكَ مَن كان قبلَكم بكثرةِ سؤالِهم واختلافِهم على أنبيائهم»[٣].

وقال القفَّالُ رحمَه الله: إنَّ المؤمنين كانوا يَسألون رسولَ الله ﷺ أشياءَ مِن الغيب ومن[٤] المعجزات بإشارة اليهود، كما قال: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ﴾ [البقرة: ١٠٨]، فنُهوا عن ذلك، وهو السُّؤال عن أمورٍ لا حاجةَ لهم بها، وعن اقتراح آياتٍ بعد وقوعِ الكفاية بمعجزاتٍ ظهَرت لهم مِن غير سؤال.

وقوله تعالى: ﴿إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾؛ أي: إنْ تَظهَر لكم تُحزِنكُم، كما ظهرَ لذلكَ السَّائلِ أنَّ أباهُ في النَّار، وفي ظهور الآياتِ المقترحة أيضاً ما يَسوؤهم؛ فإنَّهم لو خالفوا بعدَ ذلك أُهلِكوا، كما قال في آخرِ هذه السُّورة: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ﴾ الآية.

وعلى هذا التفسير يكون قولُه: ﴿مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾ أي: ليس عليه إيرادُ الآياتِ على جهة الاقتراح.

وقوله تعالى: ﴿وَإِن تَسْـَٔلُوا۟ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ﴾؛ أي: وإنْ تَسألوا[٥] عن أشياء بعد نزولِ القرآن بها وفيها إشْكالٌ، ﴿تُبْدَ لَكُمْ﴾؛ أي: تَظهَر لكم، وهذا إطلاقٌ للسُّؤالِ عند الإنزالِ لحلِّ الإشكال، وتوبيخٌ لهم على السُّؤال فيما لا حاجةَ إليه في الحال.

---

(١) لفظ: «إنه» من (ف).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٢٠ ـ ٢١) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما دون ذكر الأقرع بن حابس، ورواه مع تعيينه النسائي في «سننه» (٢٦٢٠) مختصراً.

(٣) رواه مسلم في «صحيحه» (١٣٣٧).

(٤) في (ف): «وعن».

(٥) في (ف): «واسألوا» بدل: «أي وإن تسألوا».

وقيل: فيه تقديمٌ وتأخيرٌ، وتقديره: وإن تسألوا عنها وهي مهمَّةٌ، تُبْدَ لكم حين يُنزَّل القرآنُ؛ أي: يظهرْ ذلك لكم في القرآنِ المنزلِ فيه بعد ذلك.

وقوله تعالى: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا﴾؛ أي: عفا اللهُ عنكم هذه السُّؤالاتِ التي سألْتُموها مِن غيرِ حاجة.

وقيل: بل هي صفةٌ لِتلك الأسئلةِ؛ أي: لا تَسألوا عن أشياءَ قد[1] عفا الله عنكم فيها؛ أي: خُفِّفت[2] عليكم[3]، فلم يُلزِمكم ذلك، وهو كقوله ﷺ: «عفوتُ لكم عن صدقة الخيلِ والرَّقيق»[4].

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ أي: لا يعاقِبُكم إلَّا بعد الإنذار.

وروى أبو ثعلبةَ الخشنيُّ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «إنَّ اللهَ تعالى فرضَ فرائضَ فلا تُضيِّعوها، ونهى عن أشياءَ فلا تَنتهِكوها، وحَدَّ حدوداً فلا تَعتدوها، وعفا عن أشياءَ مِن غيرِ نسيانٍ رحمةً لكم، فلا تبحثوها»[5].

(١٠٢) ـ ﴿قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا۟ بِهَا كَٰفِرِينَ﴾.

---

(١) في (ر): «فقد»، وليست من (أ).

(٢) في (أ): «خفف الله» بدل: «خففت».

(٣) في (ف): «عنكم»

(٤) رواه أبو داود (١٥٧٤)، والترمذي (٦٢٠)، والنسائي في «الكبرى» (٢٢٦٨)، وابن ماجه (١٧٩٠)، (١٨١٣) من حديث علي رضي الله عنه.

(٥) رواه الحاكم في «المستدرك» (٧١١٤)، ورواه موقوفاً على أبي ثعلبة رضي الله عنه الطبريُّ (٩/ ٢٤). وهذا الحديث حسنه النووي في «الأربعين»، وذكر ابن رجب في «جامع العلوم والحكم»: (٢/ ١٥٠) أن للحديث علتين؛ إحداهما أن مكحولاً لم يصح له السماع من أبي ثعلبة. والثانية أنه اختلف في رفعه ووقفه على أبي ثعلبة، ورواه بعضهم عن مكحول من قوله، لكن قال الدارقطني: الأشبه بالصواب المرفوع. قال: وهو أشهر. انتهى. وانظر: «علل الدارقطني»: (٦/ ٣٢٤).

وقوله تعالى: ﴿قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا۟ بِهَا كَٰفِرِينَ﴾؛ أي: سألوا آياتِ الاقتراح، كقوم صالحٍ سألوا النَّاقةَ، ثمَّ كفروا بها وعقروها، وقومِ طالوت قالوا لنبيهم: ابْعث لنا ملِكاً نقاتلْ في سبيلِ الله، فلمَّا كُتِبَ عليهم القتالُ تولَّوا إلَّا قليلاً منهم، وقومِ عيسى سألوا المائدةَ فقال لهم: اتَّقوا اللهَ إن كنتُم مؤمنين، ثمَّ كفروا بها.

وقيل: أي: سألوا، فلمَّا أُخبِروا بما كرِهوا، كذَّبوا الرُّسل.

وقيل: سألوا البيانَ، فلمَّا بيَّن لهم لم يَعملوا به، وكانوا شدَّدوا على أنفسِهم، كأصحابِ البقرةِ، فلمَّا شدَّد عليهم تَركوا.

وقال الإمامُ القشيريُّ رحمَه الله: ﴿لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾؛ أي: إذا أسبل عليكم سترَ اللُّطفِ، فلا تَتعرَّضوا لعلمِ ما أخفي عنكم، فيَتنغَّصَ بالتَّحسُّر عليكم عيشُكم.

ويقال: لا تَتعرَّضوا للوقوفِ على محلِّ الأكابر، ولا تستوجبون ذلك، فيَسوؤكُم تقاصرُ رُتبتِكُم.

وقوله تعالى: ﴿قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ﴾ توهَّم قومٌ أنَّهم مُحرَزون عن التَّأثُّر[1] فيما يُصادِفُهم مِن فجأة المقادير، وذلك منهم ظَنٌّ، كما قال بعضهم:

تَبيَّن يومَ البينِ أنَّ اعْتِزامَهُ
على الصَّبر مِن إحدى الظُّنونِ الكواذبِ[2]

* * *

---

(١) في (ف): «التقاصر».

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (١/ ٤٥١). والبيت لعبد الله بن طاهر كما في «الأغاني» (٥/ ٤١٣) (مصورة الهيئة المصرية للكتاب)، و«تاريخ دمشق» (٢٩/ ٢١٧ ـ ٢١٨).

(١٠٣) ـ ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ﴾ أي: ما شرعَ اللهُ تعالى ذلك، وما جعلَهُ مِن أمورِ الدِّين.

والبَحيرةُ: النَّاقةُ التي تُشَقُّ أذنُها، بَحرتُ أذنَ النَّاقةِ أَبْحَرُها بَحْراً؛ أي: شققتُها شقًّا واسعاً، ومنه البحرُ، وهو اسمٌ لا صفة، ولذلك دخلَتْ فيها الهاءُ، كما في النَّطيحةِ والذَّبيحة والنَّسيكة، وكانت النَّاقةُ إذا نَتَجَتْ خمسة أبطُنٍ، فكان آخرُها ذكراً، بَحروا أُذنَها، وامتنعوا مِن ركوبِها وذبحِها، ولم تُطْرَد عن ماءٍ، ولم تُمنَع عن مرعى، وإذا لقيَها الـمُعيى لم يَركبها.

وقيل: كانوا يَفعلون ذلك بها إذا ولَدَت سبعةَ أبطُن.

وقال مقاتلٌ رحمه الله: إن كان ولدُها الخامسُ ذكراً ذبَحوه للآلهة، وكان لحمُه للرِّجال لا للنِّساء، وإنْ كانت أُنثى شقُّوا أُذنها، لا يُجزُّ لها وبرٌ، ولبنُها للرِّجال دون النِّساء[1].

وقيل: إذا ماتَت اشتركَ فيها[2] النِّساءُ والرِّجال.

وقوله: ﴿مِنۢ بَحِيرَةٍ﴾ ﴿مِنۢ﴾ لتأكيدِ النَّفي على العموم؛ إذ لو قال: ما جعلَ اللهُ بحيرةً، وقعَ عند السَّامعِ أنَّه ما جعلَ بحيرةً واحدةً، بل جعل بحائرَ، فنفى بكلمةِ ﴿مِنۢ﴾ كلَّ بحيرةٍ.

والسَّائبةُ: المخلَّاةُ تَذهبُ حيث شاءَت، مِن قولِهم: سابَ الماءُ؛ أي: جَرى على وجهِه، وانسابَتِ الحيَّةُ كذلك.

وكان الرَّجلُ في الجاهليَّة إذا نذرَ لقدومٍ مِن سفرٍ، أو بَرئَ مِن مرضٍ ونحوه، قال: ناقتي سائبةٌ، فكانت كالبحيرةِ، وكذلك كان من كثُرَ مالُه سيَّبَ واحدةً منها

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (١/ ٥٠٩ ـ ٥١٠).

(٢) في (ر): «في لحمها» بدل: «فيها».

شُكراً، وكانت لا يَنتفعُ بشيءٍ منها، ولا تُمنَعُ مِن ماءٍ ولا[1] مرعى إلى أنْ تَموت، فيَشترِكُ في أكلِها الرِّجال والنِّساءُ، وكان الرَّجل إذا أعتقَ عبداً سائبةً، لم يكن بينهما عقلٌ ولا ولاءٌ ولا إرثٌ.

والوصيلةُ: هي الأُنثى مِن الغنم. قال قتادة: هي في البطن السابع[2].

وقال السُّدِّيُّ: الشاة إذا ولدَتْ ثلاثةَ أبطُنٍ أو خمسة، وكان آخرُ ذلك جدياً، ذَبحوه، وأهدَوْهُ للآلهة، وإن كانَت عَناقاً استَحْيَوها، وإن كان جَدْياً وعَناقاً استحيوهما[3] جميعاً، وقالوا: إنَّها وَصَلَتْ أخاها[4]، فهي فعيلة بمعنى فاعلة.

والحامي: قال مسروق: كان البعيرُ إذا وُلِد وَلَدُ ولدِه قالوا: قد قَضى ما عليه، فلَم يَنتفعوا بظهرِه، وقالوا قد حماهُ[5].

وقال قتادةُ وأبو الأحوص: إذا أدركَ مِن ولدِه عشرةَ فحولٍ قالوا: هذا قد حَمى ظهرَهُ، فلم يُزَمَّ ولم يُركَب، ولم يُمنَع من ماءٍ ولا مَرْعى[6].

يقول: إنَّ الكفَّار قد التزَموا هذه الأشياءَ في أموالِهم، وليس ذلك بشرعٍ مِن الله تعالى يَلزمُهم الوفاءُ به كما يَلزمُهم الوفاءُ بالعقود، بل هي طيِّباتٌ حرَّموها على أنفُسِهم، وقد نَهى اللهُ عنها بقولِه: ﴿لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ [المائدة: ٨٧].

---

(١) لفظ: «لا» من (ف).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٣٥).

(٣) في (أ): «استحبوهما».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٣٥ ـ ٣٦).

(٥) رواه الطبري (٩/ ٣٢).

(٦) رواه الطبري (٩/ ٣٥) عن قتادة، وأورده السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥٥٧ ـ ٥٥٨) عن أبي الأحوص مطولاً، وعزاه لأحمد وعبد بن حميد والحكيم الترمذي وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في «الأسماء والصفات». ورأيت طرفه دون ذكر القطعة التي ذكرها المصنف عند أحمد (١٧٢٢٨)، والطبري (٩/ ٢٩ ـ ٣٠)، وابن أبي حاتم (٤/ ١٢٢٠) (٦٨٨٥)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٧٤٢).

وقيل: أَوَّلُ مَن فعل كل ذلك عمرو بن لحي.

وقال مقاتل رحمه الله: هو عمرو بن رَبيعةَ بن لُحَيّ بن قمعة بن خندف الخزاعيّ(١).

وروى زيدُ بنُ أسلم عن النبيِّ ﷺ قال(٢): «إنِّي لأعلمُ أوَّلَ مَن سيَّبَ السَّوائبَ، وأوَّلَ مَن غيَّرَ عهدَ إبراهيم»، قالوا: مَن هو يا رسولَ الله؟ قال: «عمرو بنُ لُحَيّ، لقد رأيتُهُ يَجُرُّ قُصْبَهُ في النَّار، يُؤذي ريحُه أهلَ النَّار، وإنِّي لأعرف أوَّلَ مَن بحرَ البحائر» قالوا: مَن هو يا رسولَ الله؟ قال: «رجلٌ مِن بني مُدْلِج، كانت له ناقتانِ، فجدعَ آذانَهما، وحَرَّم ألبانَهما، ثمَّ شربَ ألبانَهما بعدُ، فلقد رأيتُه في النَّار وهما يَعضَّانِه بأفواههما، ويَخبِطانه بأخفافِهما»(٣).

وقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَۖ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾؛ أي: يَختلقون بقولِهم: إنَّ اللهَ تعالى أمَرَنا بتحريمِها ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ أنَّ اللهَ تعالى لم يُحرِّمها، وهم عوامُّهم المقلِّدون رؤساءَهم.

* * *

(١٠٤) ـ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ﴾ أي: قيل لأتباعِهم: هلمُّوا إلى حكمِ الله تعالى ورسولِه بأنَّ هذه الأشياءَ غيرُ محرَّمةٍ.

وقوله تعالى: ﴿قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾؛ أي: كافينا ذلك.

وقوله تعالى: ﴿أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ الألفُ ألفُ الاستفهام بمعنى الاستنكار، والواوُ للعطفِ، وفي آخرِه مضمرٌ: يتبعونهم؛ أي: كيف يَجوزُ

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (١/ ٥٠٩).

(٢) في (ف): «إني» بدل من «أنه قال».

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٧٥١)، ومن طريقه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٢٨). وهو مرسل.

تقليدُ قومٍ بما لا عِلم لهم به ولا اهتداءَ لهم فيه.

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: أي: إذا هتفَ بهم[١] داعي الحقِّ بالجُنوحِ إلى الصِّدقِ، صدَّهُم عن الإجابةِ ما مَرَنوا عليه من سُهولة التَّقليد، وإنَّ أسلافَهم لم يكونوا إلَّا في ضلالٍ بعيد[٢].

* * *

(١٠٥) - ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡ ﴾ نصب على الإغراء، بمنزلة قوله: احفظوا أنفسكم، بيَّن اللهُ تعالى في هذه السُّورة الحلالَ والحرامَ، وما يَلزمُ الوفاءُ به مِن عقودِ الدِّين، وما لا يَلزم، وأخبرَ أنَّه ليس على رسولِه إلَّا البلاغُ، فإذا بلَّغَ فقد أدَّى ما عليه[٣]، وإذا قيل لهم تعالوا[٤] إلى حكمِ الله ورسولِه، فلم يَأتوا، لم يَضرَّهُ إصرارُ أولئك، وكذا لا يَضرُّ المؤمنين ضلالُ الكافرين؛ إذا كانوا في أنفسِهم مهتدين، وهو أن يكونوا مؤمنين بكلِّ الطَّاعات، مطيعين، وعن كلِّ المعاصي مُمتنعين؛ فإنَّ الهدايةَ تكونُ بالإيمان والطَّاعات، والاهتداءُ التام كذلك، وبه يَبطلُ قولُ مَن تَعلَّقَ بظاهرِ الآيةِ في أنَّه لا بأسَ بتركِ الأمر بالمعروف؛ فإنَّه[٥] لا يَضرُّ المطيعَ معصيةُ غيرِه؛ لما قلنا: إنَّ الاهتداءَ المطلقَ: هو العملُ بكلِّ الطَّاعات، ومِن ذلك الأمرُ بالمعروفِ والنَّهي عن المنكر.

---

(١) في (أ): «فيهم».

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٤٥٢).

(٣) بعدها في (ر): «وقوله».

(٤) بعدها في (ر): «ما أنزل الله أي إلى».

(٥) في (ف): «وأنه».

وقوله تعالى: ﴿لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ﴾؛ لقوله: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام: ١٦٤].

وقال حذيفةُ: ﴿لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ﴾؛ أي: إذا أمرتُم ونهيتُم(١).

وقال أبو بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه: أيُّها النَّاسُ، لا تَغرَّنَّكم هذه الآية، فيقولَ أحدُكم: عليَّ نفسي؛ فإنِّي سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «لتَأمُرُنَّ بالمعروفِ، ولتَنهَوُنَّ عن المنكر، أو ليَستَعمِلَنَّ عليكم شرارَكُم، ثمَّ لتَدعونَّ اللهَ فلا يَستجيبُ لكم»(٢).

وفي روايةٍ قال في آخر هذا الحديث: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يَقول: «ما مِن قومٍ يُعمَلُ فيهم بالمعاصي، ولم يُغيِّروا، إلَّا أوشكَ أن يعمهم الله بعقابه»(٣).

وقال عبدُ الله بنُ المبارك رحمه الله: هذه الآيةُ أدلُّ دليلٍ على وجوبِ الأمر بالمعروف؛ فإنَّ قولَه تعالى: ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ معناه: عليكم أهلَ دينكم(٤).

وسُئِل ابنُ مسعودٍ رضيَ الله عنه عن هذه الآية، فقال: ما دامَ يُقبَلُ مِنكم فقولوها، فإذا رُدَّت عليكم، فعليكم أنفسَكم(٥).

وذكر قتادةُ عن واحدٍ مِن الصحابة أنه في آخر الزمان(٦).

وقال أبو أميَّة: سألت أبا ثعلبةَ الخشنيَّ فقال: سألتَ عنها خبيراً، قال: سألتُ عنها رسولَ الله ﷺ، فقال: «بل ائتَمِروا بالمعروف، وتَناهوا عن المنكر، حتَّى إذا

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٥٠ _ ٥١).

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» (٢٣)، والطبري في «تفسيره» (٩/ ٥١ _ ٥٢).

(٣) رواه أبو داود في «سننه» (٤٣٣٨)، وابن ماجه (٤٠٠٥).

(٤) انظر: «التفسير البسيط» للواحدي (٧/ ٥٦١).

(٥) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٧٥٨)، ومن طريقه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٤٥).

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٤٥ _ ٤٦).

رأيتَ شُحًّا مطاعاً، وهوًى متَّبعاً، ودنيا مؤثرةً، وإعجابَ كلِّ ذي رأيٍ برأيِه، فعليكَ نفسُك، ودعْ أمرَ العوامِّ، فإنَّ مِن ورائِكم أيَّاماً الصَّبرُ فيهنَّ كمثل قبضٍ على الجمر، للعاملِ فيه مثلُ أجرِ خمسين رجلاً يَعملون مثل عمله»، قالوا: يا رسولَ الله، أجرُ خمسين مِنهم؟ قال: «بل أجرُ خمسينَ مِنكم»[1].

وقيل: هذه الآيةُ تتَّصِلُ بما قبلها؛ أي: إذا دعَوتُموهم إلى حكمِ اللهِ، فلم يُجيبوا، وقلَّدوا آباءَهم، لم يضرَّكم ذلك إذا اهتديتُم أنتم.

وقال الكلبيُّ: إنَّ المنذر بن ساوَى ـ وقيل[2]: المنذر بن عمرو التميميّ[3] ـ كتبَ مِن هجرَ إلى رسول الله ﷺ: إنَّ اليهودَ والنَّصارى والمجوسَ قَبِلوا الجزيةَ، فرضيَ رسولُ الله ﷺ بذلك، فطعنَ في ذلك المنافقون وقالوا: عجباً مِن محمَّدٍ، يَزعُمُ أنَّ اللهَ بعثَهُ ليُقاتِلَ النَّاس حتَّى يقولوا[4]: لا إله إلا الله، وزعمَ أنَّه رُخِّص له في أنْ يُقاتِلَهم حتَّى يُعطوا الجزيةَ، فلا نرى محمَّداً إلَّا وقد قبِلَ مِن مشركي هجر ما ردَّ على إخوانِنا مِن العرب، فأنزل اللهُ تعالى: ﴿لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡ﴾[5] دعوتم إلى الإسلام فقد أبلغتُم وأعذَرْتُم[6].

وقوله تعالى: ﴿إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا﴾ فيَجزي مَن ضلَّ ومَن اهْتدى؛ كلًّا على وفقِ حاله.

---

(١) رواه الترمذي (٣٠٥٨)، وابن ماجه (٤٠١٤)

(٢) بعدها في (أ): «أن».

(٣) في (ر): «الليثي»، وفي (ف): «اليمني».

(٤) في (ف): «يشهدوا أن».

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٤/ ١١٧ ـ ١١٨)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢٠٦) عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، وهو إسناد تالف.

(٦) في (ف): «عذرتم وأنذرتم» بدل: «أبلغتم وأعذرتم».

وقوله تعالى: ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ يُعْلِمُهم بما عَمِلوا، ثمَّ يَجزيهِم على ما عمِلوا.

(١٠٦) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ حِينَ ٱلْوَصِيَّةِ ٱثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَأَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةُ ٱلْمَوْتِ تَحْبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعْدِ ٱلصَّلَوٰةِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِى بِهِۦ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَلَا نَكْتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلْءَاثِمِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيْنِكُمْ﴾ اختلفَت الرِّواياتُ في قصَّة نزولِ هذهِ الآية وتأويلاتُ أهل العلم فيها:

قال ابنُ عبَّاسٍ وأبو موسى الأشعريُّ وسعيدُ بنُ المسيَّبِ وسعيدُ بنُ جُبَير وشُرَيح وإبراهيم وعَبيدةُ ومحمَّدُ بنُ سيرين ومجاهدٌ وابنُ زيد رضوان الله عليهم أجمعين: الآيةُ في المسلمِ يَحضرُه الموتُ في السَّفر، فيريدُ أنْ يُوصِيَ ويدفع مالَهُ إلى وصيٍّ، فإنْ حضرَهُ مسلمان، أشهدَهما على ذلك، وإنْ لم يَجِد مسلمَينِ أشهدَ كافرَين[1]، وشهادةُ الكافرِ على المسلمِ في مثل هذه الحالةِ جائزةٌ.

وقال بعضُهم: كان كذلك ثمَّ نُسِخ، وبقيَ شهادتُهم على جنسِهم بهذه الآية.

وقال الحسنُ وعكرمةُ وعَبيدةُ السَّلمانيُّ والزُّهريُّ: بل الآيةُ في شهادةِ المسلمين، وقولُه تعالى: ﴿ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾؛ أي: مِن قبيلتِكم وعشيرتكم، ﴿أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾؛ أي: مِن غيرِ قبيلتِكم وعشيرتِكم[2].

ومنهم من حمل الشَّهادة فيها على الإيمان، واتِّصالُها بما قبلَها أنَّ اللهَ تعالى بيَّنَ في هذه السُّورةِ المحرَّماتِ والمحلَّلات، ومنها: الجنايات في الأمانات[3]، والآيةُ فيها.

---

(١) انظر: في «تفسير الطبري» (٩/ ٥٦ ـ ٥٧، ٦١ ـ ٦٧، ٧٢ ـ ٧٣)

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٦٧ ـ ٦٩).

(٣) في (ر): «الخيانات والأمانات»، وفي (ف): «الخيانات في الأمانات».

قال ابنُ عبَّاس رضي الله عنهما: نزلتِ الآيةُ في ثلاثةِ نفرٍ خَرجوا تجّاراً مِن المدينة إلى الشَّام، وهم عَدِيُّ بن بداء، وتميمُ بنُ أوسٍ الدَّاريّ، وهُما نصرانيَّان، وبديلُ بنُ ورقاءَ ابنِ حارثة مولى عمرِو بن العاص السُّلميّ، وبُديل كان مسلماً مهاجراً، فلمَّا قدِموا الشَّامَ مرضَ بُدَيل بنُ ورقاء، فكتبَ كتاباً[1]، وأثبتَ فيه جميعَ ما معَهُ مِن الأمتعة والأموال، ودسَّه في رحلِهِ، ولم يُخبِر صاحبَيه بذلك، فلمَّا اشتدَّ وجعُه، أوصى إلى تميم، وأشهدَهُما على وصيَّتِهِ، وأمرَهُما بأنْ يَدفعا متاعَهُ إلى أهلِه إذا رجعَا، ومات، فلمَّا دفناهُ فتَّشا متاعَه، فأخذا منه إناءً مِن فضَّة منقوشاً بالذَّهب، وهو ثلاثُ مئةِ مثقالٍ مِن فضَّةٍ، فغيَّباهُ، فلما قضيا حاجتَهما، رجَعا إلى المدينةِ، ودفعا المتاعَ إلى أهلِه، فلمَّا فتحَ أهلُه متاعَه، وجدوا الصَّحيفةَ فيها تَسميةُ ما معه، وفيها الإناءُ فجاءهما المطَّلِب بن وداعة وعمرو بن العاص، وهما مسلمان مِن قرابةِ الميِّت، فسألاهما الإناء، فقالا: هذا الذي قبضناهُ ودفعَهُ إلينا، فقال المطَّلب وعمرو: هل باعَ بُدَيل شيئاً من متاعِه؟ قالا: لا، قال: فهل طالَ مرضُه، فأنفقَ على نفسِه شيئاً؟ قالا: لا، إنَّما مرضَ[2] حين قدمَ البلدَ، فلم يَلبَث أنْ ماتَ، قالا: فإنَّا قد وجدنا في متاعِه صحيفةً فيها تسميةُ متاعِه، وإنَّا قد فقدنا إناءً مِن فضَّة كذا صفتُه، قالا: لا ندري، ما دفعَ إلينا دفعناهُ إليكم، ومالنا بالإناءِ مِن علمٍ، فتخاصما إلى رسولِ الله ﷺ، فأنزلَ اللهُ تعالى هذه الآيةَ[3].

وفي رواية معمرٍ عن قتادة وابنِ سيرين، وحجَّاج عن ابن جريج عن عكرمة في هذه القصَّة ذكر ابن أبي مارية مولى عمرو بن العاص: أنَّه هو الذي مرضَ وأوصى ومات، دون بُديل بن ورقاء، قال: فأمرَ رسولُ الله ﷺ أن يَستحلِفوهُما بعد صلاة العصر باللهِ الذي لا إله إلَّا هو، ما قبضنا لهُ غيرَ هذا، ولا كتَمنا، قال: فمكثا ما شاءَ اللهُ

(١) بعدها في (أ) و(ر): «فيه».

(٢) بعدها في (ف): «من».

(٣) أوردها الثعلبي في «تفسيره» (٤/ ١١٨ ـ ١١٩) عن الكلبي. وأصل القصة في «صحيح البخاري» (٢٧٨٠).

أنْ يمكُثا، ثمَّ ظهرَ عليهما على إناءٍ مِن فضَّةٍ منقوشٍ، مموَّه بالذَّهب، فقال أهلُه: هذا مِن متاعِه، قالا: نعم، ولكنَّا اشتريناهُ منه، ونَسينا أن نذكرَهُ حين حلَفنا، وكرِهنا أنْ نُكذِّبَ أنفسَنا، فترافعوا إلى النَّبيِّ ﷺ، فنزلَت الآيةُ الأخرى: ﴿فَإِنۡ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسۡتَحَقَّآ إِثۡمٗا﴾ الآية، فأمرَ رسولُ الله ﷺ رجلين مِن أهل الميِّتِ أن يَحلِفا أنَّهما كتما، ثمَّ إنَّ تميم الدَّاريَّ أسلمَ، وبايعَ النَّبيَّ ﷺ، وكان يقول: صدقَ الله ورسوله، إنَّا أخذنا الإناء[1].

وفي رواية: اعترف تميمٌ بالخيانة قبلَ الإسلام، فقال له رسولُ الله ﷺ: أسلِم يتجاوزِ اللهُ عنك ما صنعتَ في شِركك، فأسلمَ وحسُن إسلامُه، ومات عديٌّ نصرانيًّا[2].

والشيخُ الإمام أبو بكر الشَّاشيُّ القفالُ ـ رحمه الله ـ يَحمِلُ الآيةَ على استحلافِهما، ويقولُ في هذه الرواية: إنَّه استحلفَهما، وكذلك في سياقِ هذه الآية: ﴿فَيُقۡسِمَانِ بِٱللَّهِ﴾، وقوله: ﴿أَن تُرَدَّ أَيۡمَٰنُۢ بَعۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ﴾ قال: والشهادة في القرآن جاءت لثلاثةِ معانٍ:

للبيِّنة على دعوى المدَّعي، كما في قوله تعالى: ﴿وَٱسۡتَشۡهِدُواْ شَهِيدَيۡنِ مِن رِّجَالِكُمۡ﴾ [البقرة: ٢٨٢] ونحوها.

وللحَلِف، قال تعالى: ﴿قَالُواْ نَشۡهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾، ثم قال: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةٗ﴾ [المنافقون: ٢].

وللحضورِ، قال تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾.

وتخرَّجُ[3] الآية وتفسيرُها على قوله هذا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ﴾؛ أي: حَلِفُ ما بينكم، وإذا حذَفَ ﴿مَآ﴾، خفضَ ﴿بَيۡنِكُمۡ﴾ على الإضافةِ، كقوله تعالى: ﴿قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيۡنِي وَبَيۡنِكَ﴾ [الكهف: ٧٨].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٨٩ ـ ٩٠).

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (١/ ٥١٤).

(٣) في (ف): «وتخريج».

وقوله تعالى: ﴿إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ﴾ وهو المرض؛ لأنَّه مُقدِّمةُ الموتِ، ويُفضي إليه.

وقوله تعالى: ﴿حِينَ ٱلْوَصِيَّةِ﴾؛ أي: وقتَ الإيصاء، وقتٌ ضُمَّ إلى وقت، كما في قولك: ائتني إذا زَالَتِ الشَّمسُ حين صلاةِ الظهر.

وقوله تعالى: ﴿ٱثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾؛ أي: يَحلِفُ اثنانِ عدلانِ مِن أهلِ مِلَّتِكم أيُّها المسلمون، إذا كانا هما الموصى إليهما والمدفوعُ إليهما مالُ المريض.

وقوله تعالى: ﴿أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾؛ أي: مِن غير مِلَّتِكم[1]، إذا كانا هما المدفوع إليهما المالُ؛ لأنَّ الإنسانَ يَأتمن على مالِه مَنْ شاء؛ كافراً كان، أو مسلماً.

وقوله تعالى: ﴿إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: سِرتُم وسافرتم، ﴿فَأَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةُ ٱلْمَوْتِ﴾؛ أي: اتَّصلَ الموتُ بالمرض.

وقوله تعالى: ﴿تَحْبِسُونَهُمَا﴾؛ أي: تَقِفونَهما للتَّحليف، أمرٌ خرجَ على صيغةِ الخبر.

وقوله تعالى: ﴿مِنۢ بَعْدِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ قيل: هي صلاةُ العصرِ، وأهلُ الأديان كلِّها يُعظِّمون ذلك الوقت.

وقوله تعالى: ﴿فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ﴾ أي: يَحلفان به.

وقوله تعالى: ﴿إِنِ ٱرْتَبْتُمْ﴾؛ أي: شككتُم في أمانتِهما، اعتراضُ شرطٍ هو[2] في تقديرِ التَّقديم.

وقوله تعالى: ﴿لَا نَشْتَرِي بِهِۦ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾[3] فهذا كلامٌ يَتكلَّمُ به الحالِف قبل حَلِفه تأكيداً لحالِه، فقد يقول له القاضي: اتَّقِ اللهَ، ولا تَحلِف بالله كاذباً، تشتري

(١) بعدها في (ف): «أيها المسلمون».

(٢) لفظ: «هو» من (أ).

(٣) بعدها في (ر): «قليلًا».

به ثمناً قليلاً، فيقولُ: معاذ الله أنْ أكونَ كذلك، لا أستبدِلُ بالحَلِفِ أو باسم الله عوضاً يسيراً من الدُّنيا، وإنْ كان هذا الميِّتُ قريباً.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا نَكْتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: لا نكتمُ شيئاً بالحلِفِ بالله، والإضافةُ إلى الله تعالى لما أنَّه ثبت بشرعِه، وهو كقوله: ﴿إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ﴾ [نوح: ٤]؛ أي: الأجلُ الذي أثبتَهُ اللهُ تعالى. و﴿شَهَٰدَةَ﴾ نُصِبَ بنزعِ الباء.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلْءَاثِمِينَ﴾؛ أي: نأثمُ لو حلَفنا على الكذِبِ.

***

(١٠٧) ـ ﴿فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسْتَحَقَّآ إِثْمًا فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْأَوْلَيَٰنِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ لَشَهَٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَٰدَتِهِمَا وَمَا ٱعْتَدَيْنَآ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسْتَحَقَّآ إِثْمًا﴾؛ أي: اطُّلِعَ على خيانتهما، وقد عَثَرَ على الشَّيءِ عُثُوراً؛ أي: اطَّلَعَ عليه، وأعثرَهُ غيرُه عليه؛ أي: أطلعَهُ، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾ [الكهف: ٢١]، وأصلُه: الوقوعُ على الشَّيءِ، مِن العثرةِ بالرِّجلِ، ويُستعمَلُ في الزَّلَّة أيضاً كذلك.

وقوله تعالى: ﴿فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا﴾؛ أي: فإنْ ظهَرَت خيانةُ المدَّعى عليهما؛ كما[1] ظهرَ الإناءُ في أيدي هذين، وادَّعيا أنَّهما كانا اشترياهُ مِن هذا المريضِ قبلَ موتِهِ، وصارا مدعيين على الوارثين وهما منكران، فقد قاما مقام هذين في أنَّهما صارا مدعاً عليهما، وصارتِ البيِّنةُ على المدعيين، واليمين على هذين الوارثين، فقد قاما مقامَهما فيَصيرُ الحلفُ عليهِما.

---

(١) في (ر): «أي» بدل: «كما».

وقوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْأَوْلَيَٰنِ﴾ قرأ ابنُ كثير في رواية قُرَّة[1]، وعاصم في رواية حفص: ﴿ٱسْتَحَقَّ﴾ بفتح التاء والحاء، ومعناه: استحقَّ عليهِمُ الأَوْليان ردَّ الأيمان، والباقون: ﴿استُحِقَّ﴾ بضمِّ التَّاء وكسر الحاء، على ما لم يُسَمَّ فاعلُه.

وقرأ عاصمٌ في رواية أبي بكر وحمزة[2]: ﴿الأوَّلِين﴾ على الجمع، والباقون: ﴿ٱلْأَوْلَيَٰنِ﴾[3] على التثنية بالألف التي هي علامةُ الرَّفع.

وقال الزَّجَّاج: رُفِعَ لأنَّه بدلٌ عن الضمير في ﴿يَقُومَانِ﴾، على معنى: فليَقُمِ الأَوْليان مِن الذين استحقَّ عليهم[4].

وقيل: هو نعتٌ لقوله: ﴿فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ﴾، وتقديره: آخران أولَيان، وإنَّما صحَّ النَّعتُ بالألف واللَّام، مع أنَّ المنعوتَ بغير الألف واللَّام[5]؛ لأنَّهما غيرُ معيَّنين، فأخرجَ الكلام على النَّكرة، ووُصِفا بالقِيام باليمين، فصارا كالـمُعرَّفين، فنُعِتا بالمعرفة.

والأولى هي الأحقّ.

وقال سعيدُ بنُ جبير وابنُ زيد معناه: الأحقَّان بالوراثةِ مِن[6] سائرِ أقرباءِ الميِّت[7].

وقيل: أي: الأحقَّان باليمين.

وأما قراءةُ: ﴿الأوَّلِين﴾ على الجمع، فتقديرُه: فآخران مِن الأوَّلِين الذين

---

(١) المتواتر من قراءة ابن كثير: «استُحِقَّ».

(٢) في (ف): «غير حفص وحمزة وخلف وسهل ويعقوب».

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٢٤٩)، و«التيسير» (ص: ١٠٠).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٢١٦).

(٥) في (أ): «ألف ولام» بدل من «الألف واللام».

(٦) في (أ): «بين».

(٧) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ١٠٣) عن ابن زيد، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ٧٧).

استحقَّ عليهم يقومان مقام الوصيَّينِ في اليمين، وإنَّما كانوا أوَّلين؛ لأنَّ مِلْكَ الإناءِ كان للورثةِ في الظَّاهرِ، فكانوا هم المتقدِّمين في مِلك الإناء.

وقوله تعالى: ﴿فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ﴾؛ أي: الآخرانِ الوارثانِ يَحلفان ما نعلمُ أنَّ مورِّثنا كان باعَ هذا الإناءَ منهما.

وقوله تعالى: ﴿لَشَهَٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَٰدَتِهِمَا﴾؛ أي: ليَمينُنا أحقُّ بالقَبولِ مِن يمين هذين الوصيَّينِ الخائنين.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا ٱعْتَدَيْنَآ﴾؛ أي: ما تَجاوزْنا الحقَّ في يمينِنا.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾؛ أي: إن حلَفنا كاذبين.

***

(١٠٨) ـ ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِٱلشَّهَٰدَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَآ أَوْ يَخَافُوٓا۟ أَن تُرَدَّ أَيْمَٰنٌۢ بَعْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْمَعُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾.

وقولـه تعالـى: ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِٱلشَّهَٰدَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَآ﴾؛ أي: شـرْعُ هـذا الحكـم أقـربُ إلى أنْ يأتـيَ الأوصياءُ بالأيمانِ على وجهِها؛ أي: بالحـقِّ دون الباطل، وجمعَ ﴿أَن يَأْتُوا۟﴾ مـع أنَّهمـا كانا وصيَّيـن اثنين؛ لأنَّـه ابتداءَ ذُكِـرَ في حـقِّ[1] الأوصياء.

وقوله تعالى: ﴿أَوْ يَخَافُوٓا۟ أَن تُرَدَّ أَيْمَٰنٌۢ بَعْدَ أَيْمَٰنِهِمْ﴾ أي: وأن يخافوا إن حلِفوا كاذِبين، وظهرَ ذلك أنْ تُردَّ الأيمانُ على الورثةِ بعد أيمانِ الأوصياء.

وقوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾؛ أي: في الخيانةِ أو اليمينِ الكاذبة.

وقوله تعالى: ﴿وَٱسْمَعُوا۟﴾؛ أي: وعظَ اللهِ واعمَلوا به.

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾؛ أي: لا يُرشِدُ الخارجين عن طاعتِه.

---

(١) بعدها في (ف): «كل».

والذين حمَلوها على الشَّهادةِ المعروفةِ، فتفسيرُ الآية على ذلك أنْ يُقال:

قوله: ﴿شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ﴾ هذا المصدرُ في معنى النَّعت، وأضمر في أوَّله العددَ، وتقديرُه: عددُ الشهود فيما بينكم إذا حضرَ أحدَكم الموتُ وقتَ الوصية اثنان عدلان من أهل دينِكم، أو آخران مِن غيرِ أهل دينكم، فقد كان يومئذٍ مَن كان خارج المدينةَ كلُّهم كفَّاراً، فلا يوجدُ المسلمُ فيهم إلَّا على السَّفر، يقول: فإن لم[1] يوجد المسلمان يُستشهَدُ الكافران.

وقوله تعالى: ﴿فَأَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةُ ٱلۡمَوۡتِۚ تَحۡبِسُونَهُمَا﴾؛ أي: هذين الشَّاهِدين الكافرين، ﴿مِنۢ بَعۡدِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ أي: صلاة[2] العصر، ﴿فَيُقۡسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ﴾؛ أي: شككتُم في صدقِ شهادتهما، فهو شرطُ التَّحليف: ﴿لَا نَشۡتَرِي بِهِۦ ثَمَنٗا﴾؛ أي: يحلفان أنَّا لا نَستبدِلُ باسمِ الله عرضاً يسيراً من الدُّنيا، ﴿وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰ﴾؛ أي: الشَّهادةُ الكاذبةُ تَقعُ إمَّا للرَّغبةِ في الرِّشوةِ، أو للميلِ إلى ذي القرابة، فينَفيان هذين المعنيين؛ لإثبات صدقِهما في الشَّهادة، وتحلِيفُ الشَّاهدِ كان في الابتداءِ ثمَّ نُسِخَ.

وقد رويَ عن عليٍّ رضي الله عنه أنَّه كان يرى ذلك عند الارتياب.

وقولـه تعالـى: ﴿وَلَا نَكۡتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: الشَّـهادةَ الحقَّ[3] التي شـرَعها اللهُ تعالى.

وقوله: ﴿إِنَّآ إِذٗا لَّمِنَ ٱلۡأٓثِمِينَ﴾؛ أي: بكتمان الشَّهادةِ وتغييرها، قال تعالى: ﴿وَمَن يَكۡتُمۡهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٞ قَلۡبُهُۥ﴾ [البقرة: ٢٨٣].

* * *

---

(١) بعدها في (أ): «يكن».

(٢) قوله: «الصلاة أي صلاة» من (ر).

(٣) لفظ: «الحق» ليس في (أ).

(١٠٧) ـ ﴿فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسْتَحَقَّآ إِثْمًا فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْأَوْلَيَـٰنِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ لَشَهَـٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَـٰدَتِهِمَا وَمَا ٱعْتَدَيْنَآ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسْتَحَقَّآ إِثْمًا﴾؛ أي: فإنْ وُقِفَ على كذبِهما في شهادتِهما.

وقوله تعالى: ﴿فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا﴾؛ أي: في الشَّهادة، وتقديرُه: فشاهدانِ آخرانِ يَقومانِ مقامَ الذين استَحقَّ عليهمُ الإثم، و﴿ٱلْأَوْلَيَـٰنِ﴾ نعتُهما؛ أي: هما الأحقَّان بالشَّهادةِ والقَبول.

وقراءة ﴿الأوَّلين﴾ على هذا التفسير نعتُ ﴿ٱلَّذِينَ﴾ أيضاً؛ أي: يقومان مقامَ الأوَّلين الذينَ استحقَّ عليهم الإثمُ، وإنَّما جمع ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ﴾ وهما اثنان، وهما الوصيَّان؛ لأنَّه قال: ﴿مِنَ﴾[1]؛ أي: هما من الذين استحقَّ عليهم الإثمُ.

وقوله تعالى: ﴿فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ﴾؛ أي: إنْ شهِدا، ووقعَ الارتيابُ في صدقِهما يَحلفانِ أيضاً: ﴿لَشَهَـٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَـٰدَتِهِمَا﴾ وما اعتدينا في شهادتِنا، ﴿إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾؛ أي: إنْ شهِدنا[2] بباطلٍ، ذلك أقربُ إلى أنْ يأتيَ الأوَّلون بالشَّهادةِ على وجهِها، فلا يَكتمون شيئاً، ولا يُخالِفون، ولا يُغيِّرون، وأن يخافوا أنْ تُرَدَّ أيمانُهم بأيمانِ الآخرين وشهادتهِم، ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ ولا تخالِفوا أمرَه ونهيَه، ﴿وَٱسْمَعُوا۟﴾ وعْظَهُ، والله لا يُرشِدُ إلى الإسلامِ القومَ الفاسِقين؛ أي: الخارجينَ عن طاعتِه المختارِين للكفرِ ما داموا على اختيارِ الكُفرِ.

***

---

(١) لفظ: «من» ليس في (ف)، ووقع مكانها في (أ): «آخرين»، والمثبت من (ر).

(٢) في (أ): «شهدا».

(١٠٩) ـ ﴿۞ يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ﴾ ذَكَرَ مِن أَوَّلِ السُّورةِ إلى هاهنا الأعمالَ، وذكرَ هاهنا يومَ جزاءِ الأعمال.

و﴿يَوْمَ﴾ نصب على الظرفِ لما قبله؛ قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى﴾؛ أي: لا يَهدي إلى الجنَّةِ ﴿ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ في ذلك اليوم.

وقيل: أضمر فيه: واتَّقوا يومَ يَجمعُ؛ عطفاً على قوله: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾، كما قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٨١].

وقيل: أضمر فيه: واذكروا يوم يَجمعُ الله الرسل.

وقوله تعالى: ﴿فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ﴾؛ أي: ماذا أجابتكم أُممُكم، وهذا للاستشهاد؛ فإنَّهم شهداءُ على الأمم، قال تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١]، ولا يقول في الابتداء للأمم: ﴿مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ إهانةً لهم، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾ [التكوير: ٨ ـ ٩]، وقال لعيسى: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [المائدة: ١١٦]، وقال للملائكة: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ﴾ [سبأ: ٤٠].

وقوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَآ﴾؛ أي: يقولون، وذكر بصيغة الماضي؛ لأنَّه كائنٌ لا محالةَ، فهو كالموجود الآن، وإنما قالوا: لا علم لنا، عند بعضهم؛ لغلبةِ الهيبة؛ لما ذكرَ من الأهوال ومَخوْفِ الأحوال.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله(١): لو كان كذلك لم يتهيَّأ لهم الإجابةُ

---

(١) في (ف): «القشيري» بدل: «أبو منصور رحمه الله»، وهو سبق قلم.

بقولهم: ﴿قَالُواْ لَا عِلْمَ لَنَآ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾، ولأنَّهم شهداء[١]، ولا تَصِحُّ الشَّهادةُ إذا زالَ العقلُ وخفيَ الحال، ولكن لهذا وجهان:

أحدهما: أنَّهم سُئلوا عن حقيقةِ إجابتِهم لهم بالضمائر، فقالوا: إنَّك لم تُطلِعنا على الضَّمائر والغيوب[٢]، فأنت أعلمُ بذلك.

والثاني: أنَّهم كانوا أحدثوا أموراً مِن أنفُسهم وابتدَعوها، ونَسبوا ذلك إلى الرُّسل، كما قال: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ﴾ الآية [المائدة: ١١٦]، فيقولون: لا علم لنا بذلك الذي ابتدَعُوه، ولم نأمرهُم بذلك[٣]، فيُقطع به احتجاجُهم، وإنْ لم يكن لهم الحِجاج.

وقيل: يجوزُ ذلك في أوَّلِ الوهلة؛ لأنَّ طبعَ الإنسان على أنَّه إذا رأى أمراً مخوفاً دَهِشَ، وعلى ذلك خَرَّ[٤] موسى صَعِقاً حين دُكَّ الجبلُ، ويوم القيامة يُجاءُ بجهنَّم ولها زفيرٌ وتَغيُّظٌ، فلا يَبقى مَلَكٌ مقرَّبٌ، ولا نبيٌّ مرسلٌ إلَّا جثا بركبتيه، فلا يَبعُدُ أنْ يَلحقَهم دهشةٌ حينئذٍ، ثمَّ تَزولُ، فيجيبون بما علموا[٥]، ويَشهدون على ما شاهدوا.

وقال الإمام القشيري رحمه الله: يُكاشِفهُم بنعتِ الجلال، فتَنْخَنِسُ[٦] فهومُهم وعلومُهم، حتَّى يَنطقوا بالبراءةِ عن تحقُّق العلمِ في الحال، وكذا يكون الحالُ غداً، مَنْ قال بشيءٍ أو صال[٧] بشيءٍ ممَّا يكونُ نعتاً لمخلوق، فعند ظهور أوائل التَّعزُّر[٨]

---

(١) في (ف): «شهدوا».

(٢) بعدها في (ف): «فلهذا قالوا إنك أنت علام الغيوب أي».

(٣) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٣/ ٦٤٥).

(٤) في (أ): «خرور».

(٥) في (ر) و(ف): «عملوا».

(٦) في (أ): «فتنخس» وفي (ر): «فتنحبس»، والمثبت موافق للمصدر.

(٧) في «لطائف الإشارات»: «مال».

(٨) في (ف): «التعذر»، وفي «لطائف الإشارات»: «وابل التعزز».

تتلاشى الجملةُ؛ فالملائكة يقولون: (ما عبدناك حق عبادتك)، والأنبياء يقولون: ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ﴾[1].

* * *

(١١٠) ـ ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ﴾؛ أي: يُعدِّدُ اللهُ على عيسى يومئذٍ نِعمَه، فيُقِرُّ بذلك كلِّه، ويَتبيَّنُ بذلك بُطلانُ قولِ النَّصارى في اتِّخاذِه واتخاذِ أمِّه إلهين.

والنِّعمةُ اسمُ جنسٍ أُريدَ بها الجمعُ؛ فإنَّه ذكرَ بعده أعدادَ نعمِ الله تعالى، والنِّعمةُ عليه ما ذُكرَ في أوَّلِ[2] هذه الآية وفي غيرها، وفي حقِّ والدتِه ما ذُكرَ في سورة آل عمران: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ﴾ الآيات [آل عمران: ٣٧].

ودلَّت الآيةُ على أنَّ الشُّكر يَجِبُ على الولد بنِعَم الوالدَين؛ لأنَّ النعمةَ عليهما نعمةٌ عليه.

وقوله تعالى: ﴿إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾؛ أي: قوَّيتُك بجبريلَ عليه السَّلام.

وقيل: أي بالاسم الأعظم، وقد فسَّرناه في سورة البقرة على الكشف.

وقوله تعالى: ﴿تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ﴾ وهو ما قال: ﴿إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ الآية [مريم: ٣٠].

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (١/ ٤٥٣ ـ ٤٥٤).

(٢) لفظ: «أول» ليس في (أ).

وقوله تعالى: ﴿وَكَهْلًا﴾؛ أي: بعد ثلاثين سنةً، حين أوْحى إليكَ بالرِّسالة.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾ قيل: الكتابُ والحكمةُ هما التَّوراةُ والإنجيل، وفي كلِّ اسمٍ معنًى آخرُ لمسمًّى واحدٍ.

وقيل: ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾: كُتُب الأوَّلين؛ قيل[1]: التَّوراة والإنجيل.

وقيل: هو الكتابةُ بالقلم، والحكمةُ: فهمُ الكُتب.

وقيل: العملُ بها مع علمِها.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ﴾؛ أي: تُصوِّرُ وتُقدِّر ﴿كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى﴾؛ أي: على صورةِ الطَّير.

وقوله تعالى: ﴿فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى﴾؛ أي: بتَخليقي، كما قال: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٤٥]؛ أي: بتخليق الله موتَها.

وقوله تعالى: ﴿وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى﴾؛ أي: تُصِحُّ المولودَ أعمى، والذي به برصٌ.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى﴾؛ أي: تُخرِجُهم مِن قبورِهم أحياءَ، وقد عددناهم في سورة آل عمران[2].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾؛ أي: وإذ منعتُ اليهودَ عن قتلِك حين همُّوا به؛ إذ أتيتَهم بالعلاماتِ الدالَّة على نُبوَّتِك.

وقوله تعالى: ﴿فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾؛ أي: فقال الجاحدون مِن بني إسرائيل: ما هذا الذي أتيت به إلَّا سحرٌ[3] ظاهر.

---

(١) في (ر): «قبل».

(٢) عند الآيات (٤٨ ـ ٥٠) منها.

(٣) بعدها في (ر): «ظاهر».

وقرأ حمزة والكسائي وخلف[١]: ﴿ساحِرٌ﴾ وهو إشارةٌ إلى عيسى عليه السلام، وقرأ الباقون: ﴿إِلَّا سِحْرٌ﴾[٢]، وهو إشارةٌ إلى ما أتى به. وكيفيَّةُ كفِّ بني إسرائيلَ عنه ما حكيناه في سورة آل عمران.

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: تذكيرُ وجوهِ النِّعم يَستخرِجُ خلاصةَ الحبِّ والهيمان في حديثِ المذكور، وكل وقتٍ للأحباب يمضي، صار لهم حديثاً يُتلى مِن بعدهم؛ إمَّا عليهم وإمَّا عنهم[٣].

***

(١١١) ـ ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ﴾ فسَّرنا الحواريين في سورة آل عمران[٤]، وهذا الوحيُ إلهامٌ، أو وحيٌ إلى نبيِّهم وبلَّغهم، فصار كقوله: ﴿وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم﴾ [الزمر: ٥٥]؛ أي: إلى نبيِّكم، فبلَّغكم.

وقوله تعالى: ﴿أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى﴾؛ أي: عيسى.

وقوله تعالى: ﴿قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾؛ أي: واشهد[٥] يا عيسى ﴿بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾؛ أي: مؤمنونَ مخلِصون.

وقيل: أي: واشهد؛ أي[٦]: يا ربَّنا، وكان هذا دعاءً منهم، وهذا من جملةِ ما عدَّدَ اللهُ على عيسى من النِّعم.

---

(١) لفظ: «وخلف» من (ف).

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٢٤٩)، و«التيسير» (ص: ١٠١)، و«النشر» (٢/ ٢٥٦).

(٣) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (١/ ٤٥٤).

(٤) عند تفسير الآية (٥٢).

(٥) لفظ: «واشهد» من (ف).

(٦) لفظ: «أي» ليس في (ف).

قال عبيدُ بن عمير: كان قولُه: ﴿يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱذۡكُرۡ نِعۡمَتِي عَلَيۡكَ﴾ إلى آخره في الدُّنيا، ولمَّا خاطبَه بهذهِ النِّعم، لبسَ مِن الشَّعر، وأكلَ مِن الشَّجر، وباتَ حيثُ أمسى، ولم يَرفع غداءً لعشاء، ولا عشاءً لغداء، وكان يقولُ: مع كلِّ يومٍ رزقُه[1].

* * *

(١١٢ ـ ١١٣) ـ ﴿إِذۡ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ هَلۡ يَسۡتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيۡنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِۖ قَالَ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُواْ نُرِيدُ أَن نَّأۡكُلَ مِنۡهَا وَتَطۡمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعۡلَمَ أَن قَدۡ صَدَقۡتَنَا وَنَكُونَ عَلَيۡهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِذۡ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ هَلۡ يَسۡتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيۡنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ قرأ الكسائيُّ والأعشى في اختياره[2]: ﴿تستطيعُ﴾ بتاء المخاطبة لعيسى[3]، ومعناه: هلْ تَقدِرُ أنْ تسألَ ربَّك، على الإضمار. وقيل: هل تَستدعي إجابةَ ربِّك، والسينُ للسُّؤال، وسؤالُ الطَّوعِ هو سؤالُ الإجابة، فإنَّ قولك: سألتُه كذا فطاعَ لي؛ أي: أجابَني وفعلَه طائعاً غيرَ كارهٍ.

وقرأ الباقون: ﴿هَلۡ يَسۡتَطِيعُ﴾[4] بياء المغايبة، و﴿رَبُّكَ﴾ بالرَّفع؛ أي: هل يُجيبُ ربُّك، وقد طاعَ[5] له طبعُه؛ أي: أجابَهُ، ولم يَكُن هذا شكًّا مِنهم في[6] قدرةِ

---

(١) رواه ابنُ أبي شيبة في «المصنف» (٣١٨٧٧) بنحوه.

(٢) «والأعشى في اختياره»: زيادة من (ف)، وهي قراءة الأعشى في اختيار أبي بكر كما في «جامع البيان» للداني (ص: ٤٨٧).

(٣) قراءة الكسائي في «السبعة» (ص: ٢٤٩)، و«التيسير» (ص: ١٠١).

(٤) بعدها في (ف): «ربك».

(٥) في (ف): «أطاع».

(٦) في (أ): «على».

عيسى على السُّؤال، أو شكًّا في قدرةِ الله تعالى على الإعطاء، ولكنَّه تلطَّف في السُّؤالِ والرَّجاء، كقولك لآخر: أتستطيعُ أنْ تَقضيَ حاجتي، أو يَستطيعُ فلانٌ أنْ يَقضي حاجَتي بشفاعتِك، ويُفهَمُ منه أنَّك تكرهُ هذا السُّؤال، أو لا تكرهه؟ وفلانٌ يَكرهُ الإجابةَ أو لا يكرهها، وعلى هذا قوله: ﴿مَا كَانُوا۟ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ﴾ [هود: ٢٠]؛ أي: يكرهونه.

وقوله: ﴿أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ قراءة التخفيف[١] وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو وسهل ويعقوب[٢] على أصل الإنزال[٣]، وقراءةُ التَّشديد ـ وهي قراءة الباقين ـ على إنزالِها مرَّةً بعد مرَّةٍ، على ما رويَ، أو على إنزالِها من سماءٍ إلى سماء.

والمائدة: الخوانُ عليها الطَّعام، ويقال معناها: المعطية، وقد ماده؛ أي: أعطاه، قال رؤبة:

نُهـدي[٤] رؤوسَ المترفيـن الأنداد   إلـى أميـرِ المؤمنيـن الممتـاد[٥]

أي: المستعطي، يُقال: امتادَ فلانٌ سيِّدَه، فمادَهُ؛ أي: استعطاهُ فأعطاه[٦].

وقيل: ماد؛ أي: تحرَّك، قال تعالى: ﴿أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ [النحل: ١٥]، ومعنى المائدة: المُميَّدة، فاعلةٌ بمعنى مفعولة[٧]؛..............................

(١) في (ف): «بالتخفيف» بدل من «قراءة التخفيف».

(٢) «وسهل ويعقوب»: زيادة من (ف).

(٣) انظر قراءة ابن كثير وأبي عمرو في «السبعة» (ص: ١٦٤ ـ ١٦٥)، و«التيسير» (ص: ٧٥)، وهي عنهما وعن يعقوب في «النشر» (٢/ ٢١٨).

(٤) في (ر) و(ف): «تهدي»، ولم ينقط حرف المضارعة في (أ)، والمثبت من المصادر.

(٥) انظر: «ديوان رؤبة» (ص: ٤٠)، و«معاني القرآن» للأخفش (١/ ٢٩٢). وفي الديوان: «الصُّدَّاد» بدل: «الأنداد».

(٦) في (ف): «ما أعطاه».

(٧) في (ر): «مفعلة».

أي: المحرَّكة، أو التي تميدُ(١) النَّاسَ حولَها، أو هي(٢) على حقيقتِها؛ أي: متحرِّكةٌ(٣) قابلةٌ للتَّحريك والنَّقل.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾؛ أي: احذروا أنْ يكونَ سؤالُكم سؤالَ شكٍّ.

وقوله تعالى: ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾؛ أي: إذْ كنتُم مؤمِنين.

وقيل: هو على ظاهرِه، ومعناه: أنَّ الإيمانَ يوجِبُ التَّقوى، وقالوا: الحكمةُ في هذا الجواب مِن عيسى لهم كي يَقولوا ما يَدلُّ على إخلاصِهم وتَصديقِهم، وأنَّ سؤالَهم لم يكن عن ارتيابٍ، فلا يقعَ عند السَّامعين أنَّهم شاكُّون أو متعنِّتون، وذلك قوله تعالى: ﴿قَالُواْ نُرِيدُ أَن نَّأۡكُلَ مِنۡهَا وَتَطۡمَئِنَّ قُلُوبُنَا﴾ كما قال إبراهيمُ عليه السلام حين قال: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيۡفَ تُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ قَالَ أَوَلَمۡ تُؤۡمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِي﴾؛ أي: تَزولَ الخطَراتُ والوَساوِسُ والشُّبهات.

قوله: ﴿أَن نَّأۡكُلَ مِنۡهَا﴾؛ أي: نكونَ مخصوصين بهذه النِّعمة.

وقوله تعالى: ﴿وَنَعۡلَمَ أَن قَدۡ صَدَقۡتَنَا﴾؛ أي: نَعلمَ صِدْقَك عِلْمَ عِيان، كما كنَّا علمناها علمَ استدلال.

وقوله تعالى: ﴿وَنَكُونَ عَلَيۡهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾؛ أي: على المائدةِ ونزولها شاهدين على الجاحدين؛ بوقوع العلم بالمشاهدة.

(١١٤) ـ ﴿قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلۡ عَلَيۡنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَۖ وَٱرۡزُقۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾.

---

(١) كذا في (ر)، ولم ينقط حرف المضارعة في (ر).

(٢) في (أ): «أي هو» بدل من «أو هي».

(٣) من قوله: «أو التي تميد» إلى هنا ليس في (ف).

ولمَّا كان السُّؤالُ سؤالَ زيادةِ العلم، لا سؤالَ التَّعنُّتِ، أجابَهم إلى ذلك، وهو قولُه تعالى: ﴿قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلۡ عَلَيۡنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ قال ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: قال عيسى لبني إسرائيل: هل لكم أنْ تَصوموا لله ثلاثين يوماً، ثمَّ تَسألونَه، فيُعطيَكم ما سألتُم، فصاموا[1].

ثمَّ إنَّ عيسى عليه السَّلام لبسَ الشَّعر وقام وصلَّى، ونُبيِّنُ كيفيَّةَ ذلك بعد هذا في القصَّةِ إنْ شاءَ الله تعالى.

ثم دعا عيسى، فقال: ﴿ٱللَّهُمَّ﴾؛ أي: يا الله ﴿رَبَّنَآ﴾؛ أي: يا ربَّنا، ﴿أَنزِلۡ عَلَيۡنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾.

﴿تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا﴾ ﴿تَكُونُ﴾ رُفِع لأنَّه مستقبلٌ ذُكِر بطريقِ الصِّفةِ لا الجزاء، ولو كان جزاءً لجُزِم، وفي قوله تعالى: ﴿فَهَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا ۝٥ يَرِثُنِي وَيَرِثُ﴾ [مريم: ٥ ـ ٦] قرئ بقراءتَين؛ بالجزم للجزاء، وبالرَّفع للصِّفة[2]، وتقديرُه: مائدةً كائنةً لنا عيداً.

وقوله: ﴿عِيدًا﴾؛ أي: طعاماً يُعادُ إليه مرَّةً بعد مرَّةٍ.

وقيل: أي: يكونُ ذلك اليومُ الذي تَنزِل فيه المائدةُ عيداً باقياً، كالأعيادِ لأهلِ كلِّ شريعةٍ؛ تعظيماً لذلك اليوم، وأضافَهُ إلى المائدة، فقال: ﴿تَكُونُ﴾؛ لثبوت ذلك اليوم بسببها[3].

وقيل: إنَّها نَزلَت في يوم الأحد، وهو عيدُ النَّصارى.

وقوله تعالى: ﴿لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا﴾ على القولِ الأوَّل[4]؛ أي: يأكلُ منها

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ١٢١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٤٤) (٧٠١٦).

(٢) «يرثْني ويرثْ» بالجزم هي قراءة أبي عمرو والكسائي، وقرأ الباقون بالرفع فيهما. انظر: «السبعة» (ص: ٤٠٧)، و«التيسير» (ص: ١٤٨).

(٣) في (ر) و(ف): «تشبيها» بدل: «بسببها».

(٤) يعني: على القول بأنها طعام يعاد إليه مرة بعد مرة.

الأوَّلون، وهم الحاضرون، والآخِرون؛ أي: الذين يَأتون مِن بعد.

وقيل: أي: تكونُ المائدةُ طعاماً دائماً لنا.

وقيل: أي: يَجتمعُ أهلُ مِلَّتِنا عليه قوماً بعد قومٍ، كما في الولائمِ العظيمة.

وقوله تعالى: ﴿وَءَايَةً مِّنكَ﴾؛ أي: علامةً شاهدةً على صِدقي، وإزالةً للشُّبهةِ والوَسواسِ.

وقوله تعالى: ﴿وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾؛ أي: أعطِنا ما سألناكَ، وأنت خيرُ المعطِين؛ تَبتدِئ بالعطيَّة قبل الاستحقاق.

ختمَ الدُّعاءَ بالثَّناءِ، كما بدأ به[1] توسُّلاً إلى الله تعالى بطلبِ الإجابة.

* * *

(١١٥) ـ ﴿قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ﴾ وعدَ الإنزالَ، وشرط عليهم شرطاً وهو قولُه تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، وهذا وعيدٌ بالعذابِ بأبلغِ ما يكون، ثم قيل: أرادَ به عالمي زمانِهم، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٢].

وقيل: أرادَ به كلَّ العالم؛ فإنَّه مسخهَم خنازير، ولم يمسخ قوماً كذلك قبلَهم ولا بعدَهم.

وقال الحسنُ البصريُّ وقتادةُ ومجاهدٌ رحمهم الله: لـمَّا سَمِعوا الشَّرْطَ خافوا فاستَعفَوا وقالوا: لا نُريدُها، فلم تَنزل[2].

وقال الحسن: لو نزلَت لكانت باقيةً إلى يوم القيامة؛ لأنهم قالوا: ﴿تَكُونُ لَنَا

---

(١) في (ف): «بدأه» بدل من «بدأ به».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ١٣٠) عن الحسن ومجاهد.

﴿عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا﴾[(١)]. وأكثرُ النَّاسِ على أنَّها نَزلَتْ، وعليه الأخبارُ المشهورة.

رويَ عن سلمان الفارسيِّ رضي الله عنه أنَّه قال: إنَّ الحواريين سألوا عيسى عليه السلام أنْ يَسألَ اللهَ أنْ يُنزِّلَ لهم مائدةً، فقام عيسى ابنُ مريمَ، وألقى الصُّوفَ عنه، ولبسَ جبَّةً مِن شعر، ولحافاً مِن شعر، ثمَّ وضعَ يمينَهُ على شِماله، وصفَّ بين قدميه وألزق[(٢)] كعبَ إحدى قدميه مع الأخرى، وسوَّى الإبهامَ مع الإبهام، وطأطأَ رأسَهُ خاشعاً لله تعالى، وأرسلَ عينيه بالبكاءِ حتَّى سالَت الدُّموعُ على لِحيتِه وصدرِه، وهو يَدعو ويتضرَّعُ إلى ربِّه، ثمَّ قال: ﴿ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾.

فنزلَتْ سفرةٌ حمراءُ بين غمامَتين؛ غمامةٍ فوقَها، والأُخرى تحتَها، منقضَّةٌ في الهواءِ، والنَّاسُ يَنظرون إليها، وعيسى عليه السلام يَبكي، ويقولُ: إلهي، اجعلْها رحمةً، ولا تَجعلها عذاباً، إلهي، كم أسألُك من العجائبِ فتُعطيني، إلهي، أعوذُ بك أنْ يكونَ نزولُها غضباً ورِجْزاً، وأسألُك أنْ تَجعلَها عافيةً وسلامة، ولا تَجعلْها مُثلةً أو فتنة.

فما زال يَدعو ويَتضرَّعُ حتَّى استقرَّت بين يدي عيسى عليه السَّلام، والنَّاسُ حولَهُ يَجِدونَ طيبَ ريحِها، لم يَجدوا قطُّ ريحاً أطيبَ منها، فخرَّ عيسى ساجِداً، وخرَّ[(٣)] الحواريُّون معَه.

وبلغَ ذلك اليهود، فأقبلوا مَغمومين مَكروبين، ونَظروا إلى أمرٍ معجِبٍ، فإذا سُفرةٌ مغطَّاةٌ بمنديلٍ، فرفعَ عيسى رأسَه، واستوى قاعداً، فقال: لينظر مَن كان خيرَنا، وأحسنَنا عملاً عند ربِّه وأوثَقَنا بنفسِه؛ فليَكشِفَ عن هذه الآيةِ حتَّى نَنظرَ إليها، ونحمدَ إلهَنا عليها، ونأكلَ مِنها، فقال الحواريون: فأنتَ أوْلانا بذلك، وأحقُّنا يا روحَ الله وكلمتَه،

---

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٣/ ٦٥١).

(٢) في (أ): «وألقى».

(٣) في (أ) و(ف): «وسجد».

فقام عيسى وتوضَّأ وضوءاً حَسَناً وصلَّى صلاةً حسنةً، وبكى بُكاءً طويلاً، ثمَّ أقبلَ حتَّى جلسَ عند السُّفرةِ، ثمَّ قال: بسم اللهِ خيرِ الرَّازقين، وكشفَ المنديل، فإذا سمكةٌ مشويَّةٌ، ليس لها فلوسٌ، ولا فيها شوكٌ، يَسيلُ السَّمنُ مِنها سيلاناً، وقد وُضِع[1] حولها من ألوانِ البُقول إلَّا الكرَّاث، وخلٌّ عندَ رأسِها، ومِلْحٌ عند ذنبِها، و[حول البُقول] خمسةُ[2] أرغفةٍ، على كلِّ رغيفٍ زيتونٌ وخمسُ رمانات وتميرات[3].

فقال شمعون وهو رأسُ الحواريين: يا روحَ الله وكلمتَهُ، أمِنْ طعامِ الدُّنيا هذا، أم مِن طعامِ الجنَّة؟ فقال عيسى: ما أخوَفني عليكم أن تُعاقبوا، فقال شمعون: لا وإلهِ بني إسرائيلَ، ما أردتُ بما سألتُك عنه سوءاً، فقال عيسى: نزلَتْ وما عليها مِن السَّماءِ شيءٌ، وليس شيءٌ مِنها مِن طعام الدُّنيا، ولا مِن طعامِ الآخرة، وهو ممَّا ابتدعَهُ اللهُ تعالى بالقُدرةِ البالغة، فقال له: كن، فكان، فكُلوا ممَّا سألتُم، واذكروا اسمَ اللهِ عليه، واحمَدوا إلهَكم، واشكروهُ يَزِدكُم؛ فإنَّه القادرُ على ما يَشاء.

فقال الحواريُّون: يا روحَ الله، كُن أنت أوَّلَ مَن يأكلُ مِنها، ثمَّ نأكلُ نحن، فقال عيسى: معاذَ الله، بل يَأكلُ مِنها الذي سألَها وطلبَها، وفرِقَ الحواريُّون أن يكون نزولُها سُخْطةً، وفيها مُثْلَة، فلم يأكلوا منها، فدعا عيسى عليه السَّلام أهلَ الفاقةِ والزَّمانةِ، مِن العميانِ والمجذومين والمختَلِّين والمجانين، ونحوِ ذلك مِن أنواعِ أهل البلاء مِن النَّاس، فقال: كُلوا مِن رزقِ ربِّكم، ودعوةِ نبيِّكم، وآيةً[4] مِن ربِّكم، وليَكن مَهنؤها لكم، وبلاؤها لغيرِكم، فأكَلوا، فصدرَ عن تلك السَّمكةِ والطَّعامِ ألفٌ وثلاثُ مئةٍ؛ ما بين رجلٍ وامرأةٍ شِباعاً، مِن بين فقيرٍ جائع، وذي فاقَةٍ وعيب، فنظرَ عيسى إلى السُّفْرةِ، فإذا هي كهيئتِها حين نزلَت مِن السَّماء، ثمَّ رُفِعَت إلى السَّماء،

---

(١) بعدها في (ر): «خواناً».

(٢) لفظ: «خمسة» ليس في (ف)، وما بين حاصرتين من المصادر.

(٣) في المصادر: «على واحد منها زيتون وعلى الآخر ثمرات وعلى الآخر خمس رمانات».

(٤) في (ف): «وإنه».

وهم ينظرون إليها صاعدةً، ويَنظرون إلى ظلِّها حتَّى توارَتْ، فاستَغنى كلُّ فقيرٍ[١] أكلَ مِنها يومئذٍ حتَّى مات، وبَرِئ كلُّ مبتلًى، فلم يَزل صحيحاً عتيًّا حتَّى مات.

وندمَ الحواريُّون وسائرُ الناس ندامةً شابَت منها[٢] حواجبُهم وأشفارُ أعينِهم[٣]، فكانت إذا نزلت بعد ذلك، أقبلوا إليها مِن كلِّ مكانٍ يَسعون، يُزاحِمُ بعضُهم بعضاً؛ الأغنياءُ والفقراء، والنِّساء والرِّجال، والصِّغارُ والكبار، وكلُّ صحيحٍ ومريضٍ، يَركبُ بعضُهم بعضاً، فلمَّا رأى ذلك عيسى، جعلها نوائب بينهم، ثم كانَت بعد ذلك تَنْزِلُ غِبًّا[٤]؛ تَنزِلُ يوماً، ولا تنزل يوماً، كناقة صالح[٥] ثمود، ترعى يوماً وتَرِدُ يوماً، فلَبثوا بعد ذلك أربعين يوماً، تَنزِلُ ضحًى، فلا تَزالُ موضوعةً يُؤكَلُ منها، فإذا فاء الفيء[٦]، ارتفعَت صاعدةً في[٧] السَّماء يَنظرون إليها وإلى ظلِّها في الأرض، حتَّى تَتوارى عنهم.

ثمَّ أوحى اللهُ تعالى إلى عيسى عليه السلام: أن اجْعَل مائدتي ورزقِي لليَتامى والزَّمْنى والفُقراء، دون الأغنياءِ مِن النَّاس، فتَعاظَم ذلك عند الأغنياء، وأذاعوا القبيحَ، وارتابوا، وشكَّكوا النَّاسَ فيها، حتَّى وقعَت الفتنةُ في قلوبِ المرتابين، وحتَّى قال قائلُهم: يا روحَ الله وكلمتَه، إنَّ المائدةَ لحقٌّ أنَّها تَنزِلُ مِن عند ربنا؟ فقال عيسى عليه السلام: ويْلَكُم هَلَكتُم، العذابُ نازِلٌ بكم، إلَّا أنْ يَعفو اللهُ عنكم[٨] ويرحم.

---

(١) في (ف): «من».

(٢) لفظ: «منها» من (ف).

(٣) وقع في «تفسير ابن أبي حاتم» (٧٠٤٠): «سألت منها أشفاءهم» كذا وهو تحريف، ونص العبارة في «العظمة» و«الدر المنثور» (٥/ ٥٩٦): «سالت منها أشفارهم».

(٤) قوله: «تنزل غباً» ليس في (ف).

(٥) قوله: «صالح» من (أ).

(٦) في (ف): «اكتفوا»، بدل: «فاء الفيء». وفي «تفسير ابن أبي حاتم» و«العظمة»: «إذا قاموا»، وفي «الدر المنثور»: «إذا قالوا»، والمثبت موافق لما في «فوائد» أبي بكر الشافعي.

(٧) في (ف): «إلى».

(٨) لفظ: «عنكم» من (ف).

فأوحى اللهُ تعالى إلى عيسى أنّي آخِذُهم بشرطي الذي اشترطتُ عليهم، وأنّي معذِّبٌ مِنهم مَن كفرَ بعد نزولِها عليهم بعذابٍ لا أعذِّبُه أحداً من العالمين.

فقال عيسى عليه السَّلام: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾، فأخبرَهم بنزولِ العذابِ عليهم، فمسخَ الله تعالى منهم ثلاثةً وثلاثين رجلاً ـ وفي روايةٍ: ثلاثَ مئة وثلاثة وثلاثين رجلاً ـ خنازيرَ فأصبحوا يَأكلون العَذِرة في الحُشوش ويتبعون الزِّبلَ في الطُّرق.

وكانوا باتوا أوَّل اللَّيلِ على فُرُشِهم مع نسائِهم في دورِهم آمِنين، في أحسنِ صورةٍ وأحسن رزقٍ، فأصبَحوا خنازيرَ، فأصبحَ النَّاس ومَنْ بقيَ منهم فَزِعين خائفين مِن عقوبةِ الله تعالى، وعيسى عليه السَّلام يَبكي ويَتضرَّعُ، وأهلوهم يَبكون معه عليهم، وكانت الخنازيرُ تَسعى إلى عيسى عليه السلام إذا أبصرَتْهُ، ويَطيفون حولَه[1]، ويَنظرون إليه، ويَشمُّون ريحَهُ، ويَسجدون له، وأعيُنُهم تَسيلُ دموعاً، لا يَستطيعون كلاماً، ويَقومُ عيسى عليهم، فيناديهم بأسمائِهم[2]: يا فلان ويا فلان، فيقول برأسه: نعم، فيقول: ألَمْ أُنذِركم عقوبةَ الله وأُحذِّركُم؟ فيقولون برؤوسهم: نعم، وذلك قولُه تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ الآية [المائدة: ٧٨]، وأنزلَ اللهُ تعالى على نبيِّه محمَّدٍ عليه الصَّلاة والسلام: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ الْمَثُلَاتُ﴾ [الرعد: ٦].

ثمَّ إنَّ عيسى عليه السلام سألَ ربَّه أنْ يُميتَهُم، فأماتَهُم اللهُ بعد ثلاثةِ أيَّام، فما رأى أحدٌ مِن النَّاس لهم جِيفةً في الأرض، غير أنَّ العقوبةَ إذا نَزلَت مِن السَّماء استأْصلَت[3].

---

(١) في (ف): «به».

(٢) بعدها في (ر): «فيقول».

(٣) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٤٤ ـ ١٢٤٥، ١٢٤٦ ـ ١٢٤٧، ١٢٤٩ ـ ١٢٥٠، ١٢٥١) (٧٠١٩) (٧٠٢٠) (٧٠٢٩) (٧٠٤٠) (٧٠٤٢) (٧٠٤٤)، وأبو بكر الشافعي في «فوائده» (١٠٩٧)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٩٩٩)، وذكره ابن كثير في «تفسيره» عن ابن أبي حاتم، وقال: هذا أثر غريب =

واختلفَت الرِّواياتُ في قدرِ الطَّعام الذي كان فيها وفي نوعه:

رويَ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «نَزلَت وعليها حيتانٌ وأرغفة»[١].

ورويَ عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: خبزٌ وسمكة[٢].

وقال وهبٌ: أقرصةٌ مِن شعيرٍ وحيتان[٣].

وقال عمارٌ وكعبُ الأحبار: نزلَت وعليها ثمرٌ مِن ثمارِ الجنَّة[٤].

وقال عطيَّةُ العوفيُّ: نَزلت وعليها سمكةٌ فيها طعمُ كلِّ شيء.

وقيل: كان عليها كلُّ شيءٍ إلَّا اللحم[٥].

وقيل: إلَّا اللَّحمُ والخبز.

وفي رواية: خمسةُ أرغفة على أحدِها زيتونٌ، وعلى الثَّاني عسلٌ، وعلى الثَّالث سمنٌ، وعلى الرابع جبنٌ، وعلى الخامس قَدِيد، فقالوا: لو أريتنا في هذه الآيةِ آية أخرى، فدعا اللهَ تعالى، فأحيا الحوتَ، وعادَ فيها فلوسُها وشوكُها، ثمَّ قال: عودي بإذنِ الله كما كنتِ، فعادت[٦].

وفي رواية: أكل منها ألفُ رجلٍ، وفي روايةٍ: خمسةُ آلافِ رجل.

وروي أنَّها نزلت يوماً، ورويَ أنَّها نَزلت ثلاثةَ أيَّام، وروي: سبعة أيام، وروي: أربعين صباحاً.

= جدًّا، وذكره أيضاً الشيخ محمد أبو شهبة في «الإسرائيليات» (ص: ١٩٢ ـ ١٩٤)، وطعن فيها.

(١) روى نحوه الترمذي في «سننه» (٣٠٦١) من حديث عمار مرفوعاً وموقوفاً، وذكر أن الموقوف أصح.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ١٢٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٤٥) (٧٠٢٥).

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٧٦٤)، ومن طريقه الطبري (٩/ ١٢٦)، وابن أبي حاتم (٤/ ١٢٤٦) (٧٠٢٧).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ١٢٨) وابن أبي حاتم (٤/ ١٢٤٥) (٧٠٢٣) عن عمار رضي الله عنه.

(٥) رواه ابن أبي حاتم (٤/ ١٢٤٦) (٧٠٢٦).

(٦) هذه الرواية قطعة من رواية سلمان التي سلفت قريباً.

وفي حديث الكلبي: فلمَّا أكلوا منها، ورَجعوا إلى قُراهُم ومنازِلِهم، ونَشروا هذا الحديثَ، ضحكَ الذين لم يشهدوها، وقالوا: ويحكم، إنَّما سحرَ أعينُكم. فمَن أرادَ الله به[١] الخيرَ يُثبِّتهُ على بصيرتِه، ومَن أرادَ فتنتَهُ، رجعَ إلى كفرِه، فمُسِخوا خنازيرَ، ومكثوا ثلاثةَ أيَّامٍ، ثمَّ هلكوا[٢].

وقال ابنُ عمر[٣] رضي الله عنهما: أشدُّ النَّاس عذاباً يومَ القيامة ثلاثةٌ: آلُ فرعون، ومِن كفر من أصحاب المائدة والمنافقون.

ومن أهل النَّظم[٤] مَن قال: لـمَّا قال اللهُ تعالى: ﴿فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابٗا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدٗا مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾، قال عيسى عليه السلام: ﴿إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَ﴾ الآية، وله وجهٌ آخرُ نَذكرُه في موضعِه إنْ شاءَ الله.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: قيل: إنَّ قوماً مِن غيرِ الحواريين سَألوا الحوارِيِّين أنْ يَسألوا عيسى أنْ يسألَ ربَّه ذلك؛ لأنَّهم خواصُّه، وهو كمَن كان له إلى السُّلطان حاجةٌ، فيَرجِعُ إلى خواصِّهِ ليَرفعوه إليه.

وقيل: إنَّ الحوارِيِّين سألوا ذلك، ولكن له وجوهٌ:

أحدها: ما ذكرنا أنَّهم أرادوا الطُّمأنينةَ.

والثاني: أنَّ عيسى عليه السَّلام أخبرَهم أنَّ لهم منزلةً عند الله تعالى، فأحبُّوا أنْ يَعرِفوا ذلك بالإجابة.

والثالث: أنَّهم أحبُّوا أنْ يَعلموا به منزلةَ عيسى عليه السَّلام عند الله[٥].

---

(١) في (ف): «له».

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» (٤/ ١٢٨).

(٣) كذا في النسخ الخطية، والصواب أنه قول عبد الله بن عمرو، أخرجه عنه الطبري في «تفسيره» (٨/ ١٣٢)، وأورده السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٦٠٤ ـ ٦٠٥).

(٤) في (ف): «النظر».

(٥) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٣/ ٦٤٩ ـ ٦٥٠).

وقال القشيريُّ: طَلبوا المائدةَ لِتسكُنَ قلوبُهم، وكلٌّ يَطلُب على قدرِ حالتِه، فمِنهم مَن كان سكونُه في مائدةٍ مِن المطاعمِ يَجِدُها، ومِنهم مَن كان سكونُه في مائدةٍ مِن الموارِدِ يَرِدُها، ومِنهم عزيز، مَنْ يَجِدُ الغِنى عن برهانٍ يتأمَّلُه، أو بيانٍ يَتطلَّبُه.

وقال: شتَّانَ بين أمَّةٍ طلبَ نبيُّهم لهم سُكوناً بإنزال المائدةِ عليهم، وبين قومٍ بَدأهم اللهُ تعالى بإنزالِ السَّكينةِ عليهم مِن غير سؤالِ أحدٍ في حقِّهم.

وقال: لمَّا وعدَهم الإنزالَ حذَّرهم العذابَ؛ ليَعلمَ العالِمون أنَّ المرادَ إذا حصلَ، فالخطرُ أشدُّ، والحالُ مِن الآفة أقربُ، ومهما كانت الرُّتبة أعلى كانت الآفةُ أخفى[1].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾ قيل: انتظامُها بقوله: ﴿فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ﴾، ويقول لعيسى هذا يومَ القيامة، وما بينهُما بيانُ شرفِ عيسى، وأنَّه مع منزلتِه هذه يُخاطَب يوم القيامةِ بهذه الهيئة.

وقال السُّدِّيُّ وقطرب: قال الله تعالى له ذلك حين رفعَهُ إلى السَّماء[2].

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: يحتمل هذا ثلاثةَ أوجه:

أحدُها: أنَّه كان وهو في الأرضِ بين أظهرِهم؛ ليكون ذلك حجَّةً لمن اتَّبعه على مَنْ زاغَ عن طريقته؛ لأنَّه تبرَّأ أنْ يكونَ قال لهم ذلك.

ويَحتمِلُ أنَّه قال له ذلك حين رفعَهُ إلى السَّماء، وقرَّرَ عندَه أنَّ قومَه يقولون ذلك بعد مفارقتِه.

ويَحتمل أنَّه يقول ذلك يوم القيامةِ، ويكونُ ﴿قَالَ﴾ بمعنى: يقول، كما في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ﴾ [غافر: ٤٩][3].

وأكثرُهم على هذا؛ لأنَّ ما قبلَهُ، وهو قولُه تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ﴾، وما

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (١/ ٤٥٥ ـ ٤٥٦).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ١٣٣) عن السدي.

(٣) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٣/ ٦٥٢ ـ ٦٥٣).

بعدَه وهو قوله جل جلاله: ﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡ﴾، وهو في يوم القيامة.

وعن ابن عبَّاسٍ وعطاءِ بن السَّائب كذلك، قال عطاء: فأرعدَ عيسى حتَّى سقطَ إلى الأرض، وهو يقولُ: سبحانك.

وروي أنَّه تتخلَّعُ مفاصِلُه، وتَسقطُ مِن كلِّ شعرةٍ منه قطرة دمٍ.

وهذا حالُ مَن لم يُذنِب، ويَعلمُ أنَّ اللهَ تعالى يَعلَمُ منه أنَّه لم يُذنِب، فكيف حالُ مَن غرِقَ في الذُّنوب إذا خاطَبه بالعِتاب علَّامُ الغيوب؟!

وقوله تعالى: ﴿ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾، وإنَّما خاطبَ بذلكَ عيسى دون النَّصارى؛ لأنَّهم في غاية البغضِ عند الله؛ لغاية فحشِ ما تكلَّموا به، قال تعالى: ﴿كَبُرَتۡ كَلِمَةٗ تَخۡرُجُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡ﴾ [الكهف: ٥]، وقال تعالى: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِنۡهُ وَتَنشَقُّ ٱلۡأَرۡضُ وَتَخِرُّ ٱلۡجِبَالُ هَدًّا﴾ [مريم: ٩٠]، وهذا كقولِه تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلۡمَوۡءُۥدَةُ سُئِلَتۡ ۝٨ بِأَيِّ ذَنۢبٖ قُتِلَتۡ﴾ [التكوير: ٨ ـ ٩]، ولأنَّ عيسى عليه السَّلام أصدقُ النَّاسِ كلِّهم عند النَّصارى، فألزمَهم كذبَهم بقولهم، ثمَّ عذَّبَهم.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ سُبۡحَٰنَكَ﴾ نزَّهَ اللهَ تعالى عن كلِّ سوءٍ أوَّلاً، ثمَّ قال: ﴿مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أَقُولَ مَا لَيۡسَ لِي بِحَقٍّ﴾؛ أي: ما يَنبغي لي أنْ أقولَ ذلك، وهو ظاهرُ البطلان، وقد قلتُ في الصِّغرِ: ﴿إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ﴾ [مريم: ٣٠]، فكيف أقول بخلافه في الكِبَر؟

وقوله تعالى: ﴿إِن كُنتُ قُلۡتُهُۥ فَقَدۡ عَلِمۡتَهُۥ﴾ وهذا اعتذارٌ حسنٌ واضح.

وقولـه تعالى: ﴿تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي﴾؛ أي: في ذاتـي، ﴿وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَ﴾؛ أي: في ذاتك(١).

وقال ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: تَعلمُ ما في غيبي، ولا أعلمُ ما في غيبِك(٢).

---

(١) قوله: «أي في ذاتك»: من (ر).

(٢) ذكره البغوي في «تفسيره» (٣/ ١٢٢).

وقال المبرِّدُ: أي: تَعلمُ ما أعلم، ولا أعلمُ ما تَعلم[١]، وتعلم ما أُخفي ولا أعلمُ ما تُخفي[٢]؛ أي: لا أطَّلِعُ على معنى خطابك هذا.

وقيل: تَعلمُ ما عندي، ولا أعلمُ ما عندك.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ وهو اسمٌ للمبالغة.

* * *

(١١٧) - ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ﴾؛ أي: وحِّدوهُ وأطيعوهُ، وكذلك أخبرَ الله تعالى عنه بقوله: ﴿وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ﴾ [المائدة: ٧٢]، وقال في سورة الزخرف: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ﴾ [مريم: ٣٦]، ونحوُه في سورة مريم.

وقوله تعالى: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ﴾؛ أي: شاهداً على ما يفعلون ويقولون ﴿مَّا دُمْتُ فِيهِمْ﴾ مدَّةَ كوني فيهم، آمرُهم بالمعروف، وأنهاهم عن المنكر.

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى﴾؛ أي: قبضتَني ورفعتَني إلى السَّماء.

وقوله تعالى: ﴿كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾؛ أي: الحفيظَ والمطَّلِعَ.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ مِن قولي وفِعلي، وقولِهم وفعلهم.

* * *

(١١٨) - ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾ إن حُمِل هذا على خطابِه حين رُفِعَ إلى

---

(١) «ولا أعلم ما تعلم»: ليس من (أ).

(٢) هو قول الزجاج في «معاني القرآن» (٢/ ٢٢٣).

السَّماء، فالكنايةُ راجعةٌ إلى الكلِّ، ومعناه: إنْ تُمِتهُم[١] على الكفرِ، وتُعذِّبهم بالنَّار لذلك، فلك الحكمُ في مَلكِكَ[٢] ومِلكك.

ووجهٌ آخر: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ﴾ للحال[٣] ﴿فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾، ﴿وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ﴾؛ أي: وإنْ تُؤخِّر العذابَ عنهم في الحال إلى الآخرة.

وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾؛ أي: المنتقمُ مِنهم في الآخرة، وتأخيرُ العذابِ يُسمَّى مغفرةً، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ﴾ [الرعد: ٦]، قيل: على كفرهم، وقال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ﴾ [الكهف: ٥٨]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [إبراهيم: ٣٦] على ذلك.

وقيل: ﴿وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ﴾؛ أي: وإن تَهدِهم وتغفرْ لهم بذلك، فإنَّك أنت المنيعُ في سُلطانِك ﴿الْحَكِيمُ﴾ في أمرك، لا مانعَ لك عن مغفرتِهم، ولا شيءَ منك إلَّا وفيه الحكمةُ البالغة.

وإن حمل هذا على خطابه يوم القيامة، فمعناه الخصوص مِن العموم، فإن قوله: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ﴾ هذا عامٌّ، وقوله: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ﴾ كذلك، ثمَّ مِنهم مَن ثبتَ على مقالتِه الشَّنيعة، ومنهم من أسلمَ ورجعَ عن ذلك، وحضرَ الفريقان جميعاً يوم القيامة، فيكون قوله: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ﴾ إشارةً إلى الكفَّارِ منهم، ﴿وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ﴾ إشارةً إلى المؤمنين منهم، ثمَّ في قراءة ابن مسعود رضي الله عنه: (وإن تغفر لهم فإنك أنت الغفور الرحيم)[٤]، وهو ظاهرُ المعنى في نظم الآية.

---

(١) في (أ): «تميتهم».

(٢) في (أ): «ملك».

(٣) من قوله: «لذلك فلك الحكم» إلى هنا ليس في (ف).

(٤) انظر القراءة في «تفسير أبي الليث» (١/ ٤٦٩)، و«تفسير البغوي» (٣/ ١٢٣).

فأمَّا قوله: ﴿فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾؛ أي: مع مغفرتك أنت العزيزُ الحكيم، و﴿ٱلۡعَزِيزُ﴾ في صفة الخَلق: المنتقمُ، وظهورُ العزِّ في الانتقام، فيقول هاهنا: عِزُّك ظاهرٌ، وسلطانُكَ قاهرٌ، وبرهانُك باهرٌ، مع عفوِك عن عبادِك، ومغفرتِك ذنوبَ خلقِك، وعفوُ ملوكِ الدُّنيا قد يكونُ لضعفٍ وعجزٍ، وعفوك لا يكونُ إلَّا لفضلِك وإحسانِك(١)، وكمالِ قدرتِك وسلطانِك، فأنت حكيمٌ في كلِّ أمورِك.

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: ﴿فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ المعزُّ لهم بمغفرتك لهم.

وقيل: ﴿ٱلۡعَزِيزُ﴾ الذي لا يضرُّك ذنوبُهم.

وقيل: ﴿ٱلۡعَزِيزُ﴾ القادرُ على الانتقامِ منهم، والعفوُ عن(٢) القدرة سِمَةُ الكرم.

وقيل: ﴿أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ﴾؛ أي: أعزُّ مِن أنْ يَتجمَّل بطاعةِ مطيعٍ، أو يتضرَّر بزلَّة عاصٍ، ﴿ٱلۡحَكِيمُ﴾ تَضعُ كلَّ شيءٍ موضعَهُ(٣).

* * *

(١١٩) ـ ﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡ﴾ قرأ نافع(٤): ﴿يومَ﴾ بالنَّصب على الظَّرف؛ أي: يقولُ الله للأنبياء: ﴿مَاذَآ أُجِبۡتُمۡ﴾، ولعيسى: ﴿ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ﴾ في يوم القيامة.

---

(١) من قوله: «وعفو ملوك الدنيا» ليس في (أ).

(٢) في (ف): «عند».

(٣) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (١/ ٤٥٨).

(٤) في (ف): «عاصم».

وقرأ الباقون بالرَّفع على الابتداء[١]؛ أي يقول الله: إنَّ هذا اليومَ يوم ينفعُ الصَّادِقين فيه صدقُهم في الدُّنيا.

وقال مقاتل رحمه الله: الصادقون: النَّبيُّون يَنفعُهم صدقُهم، وكان عيسى صادقاً في الدَّنيا فيما قال، فيَنفعُه ذلك، فكذلك يَنفعُ النَّبيِّين فيما شَهِدوا به على أممِهم يومئذٍ[٢].

وقال الكلبيُّ: أي: يَنفعُ المؤمنين إيمانُهم، والصَّادقون مِن أسماءِ المؤمنين، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ إلى قوله: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [الحجرات: ١٥]، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ﴾.

وقيل: الصادقون: هم الموفُّون بالعقودِ التي أمرَ اللهُ تعالى بها في أوَّل هذه السورة.

وقوله تعالى: ﴿لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾؛ أي: رضي الله عنهم[٣] بالسَّعيِ المشكور، ﴿وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾؛ أي: بالجزاءِ الموفور.

وقيل: أي: بتوفيقِه إيَّاهم على السَّعيِ المشكور.

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ فإنَّه في الآخرة، وهو باقٍ، والفوزُ في الدُّنيا غيرُ باقٍ.

* * *

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٢٥٠)، و«التيسير» (ص: ١٠١).

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (١/ ٥٢٢).

(٣) قوله: «رضي الله عنهم» من (ف).

(١٢٠) ـ ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾؛ أي: عيسى وأمُّه مِن جملةِ ذلك، فهما مملوكانِ له، فكيف يَكونان إلهين، وهو قادرٌ عليهما، فهما مقدوران له، فكيف يكونان ربَّين.

وقال الإمامُ القشيريُّ رحمه الله: تَمدَّحَ اللهُ تعالى بقدرتِه القديمةِ، الشَّاملةِ لجميع المقدوراتِ، الصَّالحةِ لإيجادِ المصنوعات، فهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ؛ مِن التَّقرُّبِ والإبعاد، والإشقاء والإسعاد، والقَبولِ والرَّدِّ، والإقبالِ والصَّدِّ[١].

وروي عن عليِّ بن أبي طالب رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: «مَن قرأَ سورةَ المائدةِ شَفِعَ له عيسى عليه السَّلام، وأُعطيَ مثلَ أجور[٢] حواريي عيسى، وكُتِبَ لهُ بِكُلِّ آيةٍ قرأَها مثلُ ثوابِ عُمَّار بيتِ المقدس»[٣].

والحمدُ لله ربِّ العالمين[٤]، وصلَّى اللهُ على سيدنا محمَّدٍ وآله وصحبِه وسلَّم تسليماً كثيراً.

* * *

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (١/ ٤٥٩).

(٢) في (ر) و(ف): «أجر».

(٣) لم أقف عليه مسنداً، وأورده الفيروزأبادي في «بصائر ذوي التمييز» (١/ ١٨٥).

(٤) بعدها في (ف): «ربنا آمنا من خوف المشركين».

التيسير في التفسير

تأليف الإمام

أبي حفص النسفي

نجم الدين عمر بن محمد بن أحمد النسفي الحنفي

٤٦١ - ٥٣٧هـ

يطبع أول مرة محققاً على ثلاث نسخ خطية

تحقيق وتعليق

ماهر أديب حبوش

المجلد السادس

دار اللباب

بسم الله الرحمن الرحيم

التيسير في التفسير

(٦)

حُقُوق الطّبْع مَحفُوظَة

الطبعَة الأولىٰ
١٤٤٠هـ-٢٠١٩م

يُمنع طباعةُ هذا الكتاب أو ترجمته أو تصويرُه ورقياً أو إلكترونياً
إلا بإذن خطي من الدار الناشرة
تحت المُساءلة الدُّنيوية والأُخروية

9 786052 279311

دار اللُّبَاب
للدِّرَاسَاتِ وَتَحقِيقِ التُّرَاثِ
DAR-ALLOBAB
Lubab Yazma Eserleri İhya ve İlmi Araştırma Yayınları

بيروت - لبنان
009615813966
0096170112990
Www.allobab.com

اسطنبول - تركيا
00905454729850
00902125255551
info@allobab.com

İskenderpaşa mh. Kıztaşı cd. No:7 D:5 Fatih (Özel Fatih Hastanesi Karşısı)

سُورَةُ الأَنعَامِ

سُورَةُ الأَنْعَامِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

بسم الله الذي خلق السَّماوات والأرض، وجعل النُّور والظُّلمات، الرَّحمن الذي أنزلَ من السَّماءِ ماءً، فأخرجَ به من النَّباتِ، وأكثرَ به الثَّمرات، وأنشأَ به جنَّاتٍ معروشاتٍ وغيرَ معروشاتٍ، الرَّحيم الذي جعلنا خلائفَ الأرضِ، ورفعَ بعضَنا فوقَ بعضٍ درجات.

وسورةُ الأنعام مكِّيَّةٌ إلَّا ثلاثَ آياتٍ نزلَتْ بين مكَّة والمدينة: ﴿قُلْ تَعَالَوْا﴾ إلى قوله: ﴿تَتَّقُونَ﴾ [١٥١-١٥٣].

وهي مئةٌ وخمسٌ وستُّون آيةً، وقيل: ستٌّ، وقيل: سبعٌ، وقيل: ثمانٌ، والاختلافُ في أربع آيات: ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ [الأنعام: ١]، ﴿قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾ [الأنعام: ٦٦]، ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ [الأنعام: ٧٣]، ﴿إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الأنعام: ٨٧].

وكلماتُها ثلاثةُ آلافٍ واثنتان وأربعون، وحروفُها اثنتا عشرةَ ألفاً وأربعُ مئةٍ وثلاثةٌ وثلاثون.

وقال ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: سورة الأنعام كلُّها مكِّيَّةٌ إلَّا ستَّ آياتٍ منها نزلت بالمدينة: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ [الأنعام: ٩١] إلى آخر ثلاث آياتٍ

نَزلَت في ردِّ مقالةِ[١] اليهود لعنهم الله، وقوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا﴾ [الأنعام: ١٥١] إلى ثلاث آيات[٢].

ونزلت هذه السورة جملةً بمكَّة ليلاً، وشيَّعَها سبعون ألف ملك، ولهم زَجَلٌ بالتَّسبيحِ والتَّحميد، حتَّى كادت الأرضُ ترتجُّ، فقال النبيُّ ﷺ: «سبحان الله»، وخرَّ ساجداً، ثم دعا بالكتَّاب، وأمرَ بكتابتِها من ليلتِه تلك[٣].

وقال سعيدُ بنُ جبير: لم يَنزل مِن الوحي شيءٌ إلَّا ومع جبريل أربعةٌ مِن الملائكة يحفظونَه مِن بين يديه ومن خلفه، وهو قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾ [الجن: ٢٧]، إلَّا سورة الأنعام؛ فإنَّها نزلَت ومعها سبعون ألف ملك[٤].

وقال مجاهد: نزلَتْ معها خمسُ مئة ألف ملكٍ يحرسونَها[٥].

وقال كعبُ الأحبار: فُتحت التوراة بأوَّل سورة الأنعام إلى قوله: ﴿يَعْدِلُونَ﴾، وخُتِمت في آخر سورة بني إسرائيل: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ [الإسراء: ١١١] إلى آخر السُّورة[٦].

---

(١) في (أ): «مقالات».

(٢) لم أقف عليه مسنداً عن ابن عباس، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٤/ ١٣١) دون نسبة، وأورد نحوه ابن الجوزي في «زاد المسير» (٣/ ١) من طريق أبي صالح عن ابن عباس، وأخرج النحاس في «الناسخ والمنسوخ» (٢/ ٣١٦) (٤٦٥) عن ابن عباس قال: سورة الأنعام نزلت بمكة جملة واحدة، فهي مكية إلا ثلاث آيات منهن نزلن بالمدينة: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ﴾ إلى تمام ثلاث آيات.

(٣) رواه ابن الضريس في «فضائل القرآن» (٢٠١)، والمستغفري في «فضائل القرآن» (٧٨٢). وفي إسناده أبان بن أبي عياش، وهو متروك، وشهر بن حوشب، وهو ضعيف.

(٤) رواه المستغفري في «فضائل القرآن» (٧٨٨)، وأورده الثعلبي في «تفسيره» (٤/ ١٣١ ـ ١٣٢).

(٥) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٧٧٠).

(٦) رواه ابن الضريس في «فضائل القرآن» (١٩٧)، والطبري في «تفسيره» (٩/ ١٤٧).

وقيل: خُتِمَت بآخرِ سورة هود.

وعن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: «مَنْ قرأ ثلاثَ آياتٍ مِن أوَّل سورةِ الأنعام إلى قوله: ﴿يَكْسِبُونَ﴾ حين يصبح[١]، وكَّلَ اللهُ به أربعين ألف[٢] ملك، يَكتبون له مثلَ عبادتِهم إلى يوم القيامة، ونزلَ ملكٌ مِن السَّماء السابعة، ومعه مِرزَبَةٌ مِن حديد، فإذا أرادَ الشيطان أنْ يُوسوِسَ في قلبِهِ، ضربَهُ بها ضربةً، كان بينه وبينه سبعون حجاباً، فإذا كان يومُ القيامة يقول الله تعالى له: امشِ في ظلِّ عرشي، وكُلْ مِن ثمارِ جنَّتي، واشرب مِن ماءِ الكوثرِ، واغتسل مِن ماء السَّلسبيل، وأنت عبدي وأنا ربُّك»[٣].

وفي حديث أبيٍّ بن كعبٍ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «أُنزِلَ عليَّ سورةُ الأنعام جملةً واحدةً، يُشيِّعُها سبعون ألف ملكٍ، لهم زَجَلٌ بالتَّسبيحِ والتَّحميد، ومَنْ قرأ سورةَ الأنعام ﷺ[٤] واستغفر له أولئك السبعون ألف ملك بعددِ كلِّ آيةٍ من سورة الأنعام يوماً وليلة»[٥].

وانتظامُ هذه السُّورة بسورةِ المائدة:

---

(١) قوله: «حين يصبح» من (ف).

(٢) لفظ: «ألف» من (ف).

(٣) رواه الثعلبي في «تفسيره» (١٢/ ١٦ ـ ١٧) (١٣٤٠) (طبعة دار التفسير) من حديث جابر رضي الله عنه، وضعف محققوه إسناده بأن فيه انقطاعاً بين الحجاج بن محمد وأبي الزبير محمد بن مسلم، وبأن أبا الزبير مدلس وقد عنعن، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ١٠) للسلفي عن ابن عباس رضي الله عنهما، ووهى إسناده.

(٤) «وسلم»: زيادة من (ف).

(٥) رواه الثعلبي في «تفسيره» (١٢/ ١٤ ـ ١٥) (١٣٣٩)، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٧ ـ ٨) لأبي الشيخ، وفي إسناده عند الثعلبي أبو عصمة نوح بن أبي مريم، متروك، وهو واضع الحديث الطويل في فضائل القرآن. انظر: «ميزان الاعتدال» (٥/ ٤٠ ـ ٤١).

أنَّ تلك السُّورةَ في ردِّ مقالات أهلِ الكتاب، وهذه السُّورة في ردِّ مقالات المشركين.

والثاني: أنَّ تلك السُّورةَ في بيان الأحكام، وهذه السُّورة في بيان التَّوحيد، وبهما تعبَّدَ اللهُ عزَّ وجلَّ كلَّ خلقِه.

وانتظامُ أوَّلِ هذه السُّورةِ بآخرِ تلك السُّورة أنْ ختمَ تلك السُّورةَ بالملك، وفتح هذه السُّورةَ بالحمد، وقد قال تعالى: ﴿لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ﴾ [التغابن: ١]، وتقديرُه: أنَّ اللهَ الذي له ملكُ السَّماوات والأرض هو المستحقُّ للحمد.

* * *

(١) ـ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ بسطنا الكلامَ فيه في أوَّلِ سورةِ الفاتحة، ومختصره هاهنا: الثَّناءُ للهِ تعالى على أفعاله كلِّها، والشُّكرُ للهِ تعالى على نعمِهِ كلِّها، والرِّضا منَّا له بقِسَمِه كلِّها، وهو الممدوحُ بالصِّفاتِ التي يَستحقُّها، ودلَّ على ذلك كلِّه الألفُ واللَّامُ في أوَّله، وهما لاستغراقِ الجنس.

قوله: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾؛ أي: بغيرِ عَمَدٍ مِن تحتِها، ولا عِلاقةٍ مِن فوقها، ولا سلسلةٍ مِن جوانبها، قوله: ﴿وَٱلْأَرْضَ﴾؛ أي: الأرضين[1]، وقد قال: ﴿وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: ١٢]، واسمُ الجنس يَقعُ على الجمع.

وقولُه تعالى: ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾؛ أي: خلقَ ذلك كلَّهُ، وهو ردٌّ على الثَّنويَّةِ

---

(١) «أي الأرضين»: ليس من (ف).

في إضافتِهِم خلقَ النُّور إلى يَزدان، وخلقَ الظُّلماتِ إلى أهرمن، وعلى ذلك خلقُ كلِّ خيرٍ وشرٍّ.

وقال الحسنُ البصريُّ: ﴿ٱلظُّلُمَٰتِ﴾: الكفر، ﴿وَٱلنُّورَ﴾: الإيمان[١]، ودلَّ ذلك على أنَّ اللهَ تعالى خالقُ كلِّ أفعالِ العباد.

وقال ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾؛ أي: خلقَ اللَّيلَ والنَّهار.

وقال عليُّ بنُ الحسين: كلُّ ما في القرآن ﴿ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ فهو[٢] الكفر والإيمان، إلَّا في هذه الآية؛ فإنَّه يريدُ بهما اللَّيلَ والنهار، وكذا قال السُّدِّيُّ[٣].

وقال قتادة: ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾؛ أي: النَّارَ والجنَّةَ[٤].

وروى عبدُ الله بنُ عمرو بنِ العاص، عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: «إنَّ اللهَ تعالى خلقَ خلقَهُ في ظلمةٍ، ثمَّ ألقى عليهم مِن نورِه، فمَن أصابَهُ مِن ذلك النُّور يومئذٍ[٥] اهتدى، ومَنْ أخطأَهُ ضَلَّ»[٦].

وقال ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: خلقَ اللهُ تعالى الظُّلمة قبل النُّور.

وقال قتادة: خلق الله السَّماوات قبل الأرض، والظُّلمةَ قبل النُّور، والجنَّة قبل النار[٧].

---

(١) ذكره الواحدي في «التفسير البسيط» (٨/ ٨).

(٢) من قوله: «الليل والنهار وقال علي» إلى هنا وقع مكانه في (ف): «ذلك كله وهو».

(٣) رواه عنه الطبري في «تفسيره» (٩/ ١٤٤ ـ ١٤٥)، وابن أبي حاتم (٤/ ١٢٥٩، ١٢٦٠) (٧٠٨٢)، (٧٠٨٥).

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٤/ ١٣٢).

(٥) بعدها في (ر): «فقد».

(٦) رواه الترمذي في «سننه» (٢٦٤٢)، وقال: هذا حديث حسن.

(٧) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ١٤٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٥٩) (٧٠٧٩)، (٧٠٨٣).

قالوا: خلق الله السَّماواتِ أوَّلاً؛ لأنَّها أشرفُ مِن الأرض، وخلقَ الظُّلمةَ أوَّلاً؛ لأنَّها مِثالٌ للشَّكِّ والحيرة، ثمَّ يُجلِّيها البيانُ والبرهان.

وفي بعض التفاسير: ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾؛ أي: وقد جعلَ الظُّلماتِ والنُّور؛ لأنَّ خلقَهُما كان قبل خلقِ السَّماوات والأرض.

وقال وهبُ بنُ منبه: أوَّل ما خلقَ الله تعالى مكانٌ مظلمٌ، ثمَّ خلق جوهرةً، فأضاءَ بها ذلك المكان، ثمَّ نظر إلى الجوهرةِ نظرَ الهيبةِ، فذابَت فصارَتْ ماءً[1].

وقيل: إنَّما جمعَ الظُّلمات، ووحَّد النور؛ لأنَّه مصدرٌ كالطُّول والهُون، فيَستوي فيه الواحد والجمع.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾، وكلمة ﴿ثُمَّ﴾ كلمةُ تعجيبٍ، يقول الرجل لآخر: إنِّي قد فعلتُ لك كذا وكذا، ثمَّ تَجفوني! أي: مِن العَجب هذا، ونظيره من القرآن: ﴿ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ﴾ [الأنعام: ٢]، ﴿ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ۝١٥ كَلَّآ﴾ [المدثر: ١٥ ـ ١٦]، ﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ﴾ [البقرة: ٨٥]، ومعنى الآية: ثمَّ المشركون مع إقرارِهم بأنَّ اللهَ خلقَهما يَعدلون بِربِّهم سواه؛ أي: يُسوُّون به الأوثان، قاله[2] قطرب، يُقال: عدلَ الكافرُ بربِّه عدلاً وعدولاً، إذا سوَّى به غيرَه فعبدَه، والعدلُ: التَّسويةُ، عدلَ الشَّيءَ بالشَّيء، إذا سوَّاهُ به[3].

وقال النَّضرُ بنُ شُمَيل: ﴿بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾؛ أي: عن ربِّهم يَميلون ويَنحرفون[4]، وهو كقوله: ﴿يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ﴾ [الإنسان: ٦]؛ أي: منها.

---

(١) انظر: «تفسير الثعلبي» (٤/ ١٣٣).

(٢) في (ر): «وقال». وانظر: «تفسير الثعلبي» (٤/ ١٣٣).

(٣) من قوله: «يقال عدل الكافر» إلى هنا ليس في (أ).

(٤) انظر: المصدر السابق.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: يُسَفِّهُهم عزَّ وجلَّ بما جَعلوا له من الشرُّكاء، على إقرارٍ مِنهم أنَّه[١] خالقُ السَّماوات والأرض، ولم يجعلوا له شركاءَ في تخليقِهما، وعلى علمٍ منهم بتَعلُّقِ منافعِ الأرض بمنافع السماء، مع بعدِ ما بينَهما؛ أي: كيف جعلوا له شركاءَ يُشرِكونَهُم في العبادة[٢] والربوبيَّة، وهم يَعلمون أنَّه المتفرِّدُ بذلك كلِّه؟!

وقال: النُّور: ما يَكشِفُ عمَّا استترَ مِن أبصارِ الوجوه والقلوب، والظُّلمة: ما تَستُرُ[٣] وتُغَطِّي على أبصار الوجوه والقلوب[٤].

وقال الرَّبيعُ بنُ أنس: من أوَّل السَّورة إلى قوله: ﴿يَعْدِلُونَ﴾ في التَّوراة ستُّ مئة آية[٥].

***

(٢) ـ ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا ۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ۖ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا﴾؛ أي: هو الله الذي خلق السَّماوات والأرضَ، والظُّلماتِ والنُّور: خلقَكُم مِن آدم، وآدمَ مِن تراب، وخلطَ ترابَهُ بالماء، فصارَ طيناً، ثمَّ صار حمأً مسنوناً، ثمَّ صلصالاً، ثمَّ بشراً سويًّا.

وقال الإمامُ القشيريُّ رحمه الله: أثبتَ القوالبَ مِن الطِّين، وأودعَها عجائبَ السِّرِّ، وأظهر عليها ما لم يَظهر على مخلوقٍ، فالعبرة بالوَصْل لا

---

(١) في (ف): «بأنه».

(٢) بعدها في (ف): «له».

(٣) في (أ): «ما تستتر»، وليست في (ر).

(٤) من قوله: «والظلمة ما تستر» ليس في (ف). وانظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٤/ ٥ ـ ٦).

(٥) رواه عبد بن حميد كما في «الدر المنثور» (٦/ ١١ ـ ١٢).

بالأصل، الأصلُ تربةٌ، والوَصْلُ قُربةٌ، والأصلُ نطفةٌ وقطرةٌ، والوَصلُ تُحفةٌ ونَضْرة[١].

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا﴾؛ أي: قَدَّرَ مُدَّةً.

قال ابنُ عباس رضي الله عنهما والحسن: هو أجلُ الدُّنيا[٢].

وقال الضَّحَّاك: أجلُ العبدِ إلى الموت، وكذا عن ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما في رواية، وهو قول قتادة وعطاء[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ﴾ قيل: أي: هو أجلٌ مسمًّى عندَه[٤]؛ أي: هذا الأجلُ المضروبُ معلومٌ عند الله، لا يَطَّلِعُ عليه غيرُه، قال تعالى: ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ [لقمان: ٣٤]، وأكثرُهم على أنَّه غيرُ الأجلِ الأوَّل؛ فإنَّه مُنكَّرٌ، ولو كان هو الأوَّلَ لعرَّفَهُ؛ فإنَّ النَّكرةَ إذا أُعيدت عُرِّفت، قال تعالى: ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ﴾ [المزمل: ١٥ ـ ١٦]، ثمَّ اختلفَتْ ألفاظُ المفسِّرين فيه:

قال ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: ﴿ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا﴾ أجلُ الموت، ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ﴾ السَّاعةُ والوقوفُ بين يدَي اللهِ تعالى[٥].

وقال الضَّحَّاك: ﴿أَجَلًا﴾ أجلُ العبادِ إلى الموت، ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ الآخرةُ والبعثُ بعد الموت.

---

(١) في (ر): «ونصرة». وانظر: «لطائف الإشارات» للماتريدي (١/ ٤٦٠).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ١٥١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٦٠) (٧٠٩٠).

(٣) سيأتي تفصيل أقوال الضحاك وابن عباس وقتادة وعطاء قريباً.

(٤) قوله: «قيل: أي هو أجل مسمى عنده»: ليس في (ف).

(٥) رواه الطبري (٩/ ١٥٣)، وابن أبي حاتم (٤/ ١٢٦١، ١٢٦٢) (٧٠٩١)، (٧٠٩٦).

وقال قتادة: ﴿ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا﴾ أجل حياتك إلى أنْ تموت، ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ أجلٌ بعد موتِك إلى أنْ تُبعَثَ(١).

وقال الحسن: ﴿ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا﴾ أجل الدُّنيا مِن يومِ خلقِها إلى أن تَفنى، ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ﴾ يوم القيامة(٢).

وقال الضَّحَّاك: ﴿ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا﴾ أجل الموتِ، لكلِّ نفسٍ أجل، ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا﴾ [المنافقون: ١١] ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ﴾ أجلُ السَّاعة ذهابُ الدنيا، والإفضاءُ إلى الله تعالى(٣).

وقال عطاء: ﴿ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ﴾ من مولدِه إلى موتِه، ومن موتِه إلى بعثِه(٤).

ودلَّت الآيةُ على أنَّ الأجلَ واحدٌ، ودلَّ ذلك على بطلانِ قول المعتزلةِ في الأجلَين.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ﴾؛ أي: وبعد هذا البيانِ أنتم تَشكُّون في البعث، و﴿ثُمَّ﴾ هاهنا للتَّرتيب وللتعقيب، وفي قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا﴾ ليس للتَّرتيب والتَّعقيب في الوجود، بل في الإخبار؛ أي: ثمَّ أَخْبَرَكُم أنَّه قضى أجلاً، ولا يجوزُ أنْ يُحمَلَ على ترتيبِ الفعل؛ لأنَّه لا تَرتُّبَ في أفعالِ الله تعالى؛ فإنَّ القولَ به يُوجِبُ القولَ بالحدوث، واللهُ سبحانه يَتعالى عن ذلك علوًّا كبيراً، ويكون هذا على ترتيب الإخبار،

(١) رواه الطبري (٩/ ١٥١)، وابن أبي حاتم (٤/ ١٢٦٢) (٧٠٩٨).

(٢) رواه بنحوه الطبري في «تفسيره» (٩/ ١٥١).

(٣) رواه الطبري (٩/ ١٥١)، وسلف بنحوه قريباً.

(٤) في (ف): «إلى مبعثه» بدل: «ومن موته إلى بعثه». وذكره الواحدي في «البسيط» (٨/ ١٢) من رواية عطاء عن ابن عباس.

كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ﴾ [الأعراف: ١١]، وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا (٦٩) ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا﴾ [مريم: ٦٩]، وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [البلد: ١٧].

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: جعلَ اللهُ تعالى للامتحانِ أجلاً، وللامتنانِ أجلاً، فأجَلُ الامتحانِ في الدُّنيا، وأجلُ الامتنانِ في العُقبى.

قال: ويُقال: ضربَ للطَّلبِ أجلاً، وهو وقتُ المهلة، ثمَّ عقَّبهُ بأجلٍ بعدَهُ، وهو وقتُ الوصلة، فالمهلةُ لها مدًى ومنتهى، والوصلةُ بلا مدًى ولا مُنْتهى[1].

* * *

(٣) ـ ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ﴾ قال أبو روق: هو معبودٌ في السَّماواتِ، ومعبودٌ في الأرض.

وقال ابنُ عباس رضي الله عنهما: هو إلهٌ واحدٌ في السَّماوات وفي الأرض، لا شريكَ له، وهو كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَٰهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ [الزخرف: ٨٤].

وقيل: أي: هو المستحِقُّ للعبادة في السَّماوات وفي الأرض، وذلك بشهادةِ السَّموات والأرض له بالإلهيَّة، كما قال تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [الحشر: ١]، فلا يُبطِل إلهيَّته إنكارُ مَن أنكرها.

وقيل: أي: هو المنفردُ بالتَّدبير فيهما، وهو كما يُقال: فلانٌ هو الملِكُ في بلد كذا وبلد كذا، لا يُرادُ به أنَّه فيهما بالذَّاتِ، بل بالملك والتَّدبير.

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٤٦٠).

وقوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾ قيل: هو مقدَّم في التقدير؛ أي: هو اللهُ الذي ﴿يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾ في السَّماوات وفي الأرض.

وقيل: بل هو مُقرَّرٌ في موضعِه، وتفسيرُ الأوَّل ما قلنا.

قوله: ﴿يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾ قال مقاتل: أي: يَعلمُ سرَّ أعمالِكم وجهرَها(١).

وقيل: يَعلمُ ما تُسِرُّون مِن القولِ، وما تَجهرون به، وهو كقوله: ﴿سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ﴾ [الرعد: ١٠].

وقوله تعالى: ﴿وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾؛ أي: ما تَعملون مِن خيرٍ أو شرٍّ.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: قيل: أي: ﴿يَعْلَمُ سِرَّكُمْ﴾؛ أي: ما تُضمِرون في القلوب، ﴿وَجَهْرَكُمْ﴾ ما تَنطِقون به، ﴿وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ مِن الأفعالِ التي تُعمَلُ بالجوارح، يَعلَمُ ذلك كلَّه، فيُحصيه، ويُحاسِبكم به، ويَجزيكُم عليه، قال تعالى: ﴿وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٤].

قال: وقيل: ﴿يَعْلَمُ سِرَّكُمْ﴾؛ أي ما خلقَ في أعضائِكم مِن الأسرار، كالسَّمعِ في الأُذُن، والبصرِ في العين، والشَّمِّ في الأنف، والذَّوقِ في الفم(٢)، والنُّطقِ في اللِّسان، ﴿وَجَهْرَكُمْ﴾؛ أي: ظواهرَ هذه الأعضاء، والبشرُ لا يَعرفون ماهيةَ هذه الأسرار(٣) وحقائقَها(٤).

***

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (١/ ٥٤٩).

(٢) قوله: «والذوق في الفم» من (ف).

(٣) في (ف): «ذلك» بدل: «هذه الأسرار»، وفي هامشها نسخة موافقة للمثبت.

(٤) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٤/ ١٦).

(٤ ـ ٥) ـ ﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ﴾ ﴿مِّنْ﴾ في الأولى لتأكيد النَّفي وتعميمِ المذكور، وفي الثَّانية للتَّبعيض.

وقال الإمامُ أبو منصور رحمه الله: يَحتمِل من آياتِ توحيدِ الله تعالى[1]، وآياتِ إثباتِ رسالةِ محمَّدٍ عليه الصَّلاة والسَّلام، ويَحتمل آياتِ إثبات البَعث بعد الموتِ، بما أخبرَ أنَّه خلقَهم مِن طينٍ، فإذا ماتوا صاروا تُراباً، فإذا كان إنشاؤهم مِن ترابٍ، يجوزُ إعادتُهم مِن تراب.

قال: ويحتملُ آيات القرآن[2]، ويحتمل المعجزات.

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾؛ أي: مُنصرِفين بقلوبِهم عن تأمُّلها، فلا يَنتفعون بها، وإنَّما يَنتفِعُ بها مَن تأمَّلها ونظرَ فيها.

وسورةُ الأنعام نَزلَتْ في محاجَّةِ المشركين؛ في إثبات الصَّانعِ وتوحيدِه، وإثباتِ البعثِ بعد الموتِ، ولو لم يكنْ له معجزةٌ أخرى، لكان القرآنُ معجزةً؛ حيث عجزَ الكلُّ عن الإتيانِ بمثله.

وفيه دليلُ وجوبِ محاجَّةِ منكري التَّوحيد، وإلزامِهم بالحجَّة.

وقال ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: ﴿مِّنْ ءَايَةٍ﴾ هي انشقاقُ القمر، وكان بمكَّة[3].

---

(١) في (ف): «الآيات التوحيد لله» بدل: «آيات توحيد الله».

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٤/ ١٧).

(٣) انظر: «التفسير البسيط» للواحدي (٨/ ١٦).

قوله تعالى: ﴿إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾؛ أي: مُكذِّبين، ولذلك ذكرَ التَّكذيبَ فيما بعدَهُ، وهو قوله: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ﴾، قال ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: أي: بالقرآنِ، وبمحمَّد ﷺ.

وقال مقاتل: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا﴾؛ أي: أبو جهلٍ، والوليدُ وأميَّةُ بنُ خلف.

وقوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾؛ أي: أخبارُ ما كانوا يَسخرون به مِن آياتِ الله تعالى بنزولِ العقوبةِ بمَن جحدَها.

وقيل: أي: سيَحِلُّ بهم مِن العقوبةِ ما تَنتشرُ به الأخبار، سمَّى ما يُخبِرُ به خبراً على المجاز.

وقوله: ﴿مَا كَانُوا﴾؛ أي: يَظهرُ لهم عند حلولِ العقوبةِ غلطُهم فيما كان مِنهم، وهو عقوبةُ الماضي والرَّاهن جميعاً، وقد جرى عليهم في يوم بدرٍ وغيرِه ما جرى، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ [الحجر: ٩٥]، ونُبيِّنُ تفصيلَ ذلك في تلك الآيةِ إنْ شاءَ اللهُ تعالى.

وقال الإمامُ أبو منصورٍ رحمَه الله: ﴿بِالْحَقِّ﴾؛ أي: بنفسِ محمَّدٍ؛ فإنَّ نبيَّنا عليه الصَّلاة والسَّلام مِن أوَّلِ نُشوئِه إلى آخرِ عمره[1] عُصِمَ، فلَم يأتِ منه ما يُستقبَحُ قَطّ، فدلَّ أنَّ ذلك إنَّما كان لما جعله الله آيةً في نفسِه، وموضعاً لرسالتِه[2]، مع ما كان له من آياتٍ عظيمةٍ، وأعلامٍ عجيبةٍ.

وقال في قوله: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ كان النَّبيُّ ﷺ أوعدَهمُ العذابَ، فقالوا: ﴿عَجِّلْ لَنَا قِطَّنَا﴾ [ص: ١٦]، وقال تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾

---

(١) في (أ): «عهده».

(٢) «لرسالته»: ليس من (أ).

[الحج: ٤٧]، وقال تعالى: ﴿فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾ [الأنفال: ٣٢]، يقولُ الله: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ﴾ صدقُ هذا الخبر[١].

* * *

(٦) ـ ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ﴾ نكرةٌ في موضع[٢] النفي، فعمَّت، وصار كقوله: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ﴾[٣] [يس: ٣١]. والقرنُ: أهلُ كلِّ عصرٍ، سُمُّوا به للاقتران من بعضِهم ببعض.

وقال الزَّجَّاج: القرنُ: أهلُ كلِّ عصرٍ فيه نبيٌّ أو عالمٌ عظيمٌ، سُمُّوا بذلك لاقترانِهم به، وعلى هذا لا يقع الاسمُ على أهل الفترة.

وقيل: مُدَّةُ ذلك سبعون سنة، وقيل: ثمانون سنة[٤].

وقوله تعالى: ﴿مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ﴾ التَّمكينُ في البلادِ إعطاءُ المُكنة والمكانة والعُلُوِّ والغلبة[٥].

---

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٤/ ٢١ ـ ٢٢).

(٢) في (ف): «حال»، وفي هامشها: «صوابه: في موضع النفي».

(٣) من قوله: «نكرة في موضع» إلى هنا ليس في (أ).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٢٢٩).

(٥) في (ف): «العلو» بدل من «والعلو والغلبة».

وقال ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: أعطيناكُم ما لم نُعطِ[١]؛ يعني: وسَّعنا[٢] عليكم في كثرةِ العبيد والمال والأنعام، ومكَّنتُهُ، ومكَّنتُ له، إذا قدَّرتُه على الشَّيء.

وقوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا﴾؛ أي: السحابَ دارًّا بالمطرِ، فكَثُرت غلَّاتُهم، ونَمَت مواشيهِم.

وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَٰرَ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ﴾؛ أي: كثُرت مياهُ الأنهارِ بكثرةِ الأمطار، وتَفجَّرت العيون.

وقوله: ﴿مِن تَحْتِهِمْ﴾؛ أي: من تحتِ أشجارِهم.

وقيل: أي[٣]: تحت تَصرُّفِهم، وكانوا يُجرونَها حيث شاؤوا في السَّواقي إلى المزارع وإلى الحدائق.

وقيل: أي: من تحت قصورهم، وهم مشرفون عليها، يَنظرون فيها.

وقوله تعالى: ﴿فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ﴾؛ أي: بتكذيبِهم أنبياءَهم، وبكفرانِهم نعمَ الله، ولم يُغنِهم ذلك، ولم يَدفعْ عنهم العذابَ.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ﴾ جمعَ للمعنى؛ لأنَّه اسمٌ للطَّائفة ونحوها؛ أي خلقنا بعدَهم قوماً آخرين، فليَحذروا أنْ يَنالَهم مثلُ ما نال أولئكَ إذا فعلوا فعلَهم.

وإنَّما قال: ﴿أَلَمْ يَرَوْا﴾ مع أنَّهم لم يدركوهم؛ لأنَّه عنى به أقواماً قد تَقرَّرَ عندهم أخبارُهم؛ مِن عادٍ وثمودَ وأصحابِ مدين ونحوهم[٤]، فصارَ كأنَّهم شاهدوهم.

---

(١) لم أقف عليه عن ابن عباس، رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٧٧٥)، ومن طريقه الطبري (٩/ ١٥٦ ـ ١٥٧)، وابن أبي حاتم (٤/ ١٢٦٣) (٧١١٠)، (٧١١١) من قول قتادة.

(٢) في (أ): «يعط يعني وسعت» بدل من «نعط، يعني: وسعنا».

(٣) بعدها في (ر): «من».

(٤) في (أ): «وغيرهم».

ثمَّ أدخل اللَّامَ في قولِه: ﴿مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ﴾، ولم يُدخله في قوله: ﴿مَّكَّنَّهُمْ﴾؛ لأنَّهما لغتان: مكَّنهُ ومكَّن[١] له، فجمعَ بينهما في آيةٍ، كما جمع بين الإمهال والتمهيل ـ وهما لغتان ـ في آيةٍ، وهي قوله: ﴿فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا﴾ [الطارق: ١٧]، ونظيرُ التَّمكين التَّبوئة، ويُعدَّي ذلك باللَّام وغيرها[٢]، قال تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ﴾ [الحج: ٢٦]، وقال: ﴿تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ﴾ [آل عمران: ١٢١]، فجمع بين اللُّغتين في آيتين.

وقال الإمامُ القشيريُّ رحمه الله: يقول: إنَّ مَن تقدَّمهُم كانوا أشدَّ تمكُّناً مِن إمهالِنا، وأكثرَ نصيباً في الظَّاهر مِن نوالنا؛ سَهَّلنا لهم أسبابَ المعاش، ووسَّعنا عليهم أبوابَ الانتعاش، فحين وطَّنوا على كواذبِ الـمُنى قلوبهم، وأدركوا مِن أحوالِ الدُّنيا محبوبَهم ومطلوبَهم، فَتحنا عليهم مِن مكامنِ التَّقدير، وأبرزنا لهم مِنْ غوامضِ الأمورِ[٣] ما قَرعوا عليه سنَّ[٤] الندم، وذاقوا دونَه طعمَ الألم، ثمَّ أنشأنا مِن بعدِهم قرناً آخرين، وأورثناهم مساكنَهم، وأسكنَّاهم أماكنَهم، فلمَّا انخرطوا في الغيِّ في سلكهم، ألحقناهم في الإهلاكِ بهم، سُنَّةً منَّا في الانتقام أمضيناها[٥] على أعدائنا، وعادَّة[٦] في الإكرامِ أجريناها لأوليائنا[٧].

---

(١) في (ر): «وتمكن»، وفي (ف): «ونمكن».

(٢) بعدها في (ف): «كما».

(٣) في (ف): «العقول».

(٤) تحرفت في (ر) و(ف) إلى: «من»، ونص العبارة في مطبوع «لطائف الإشارات»: «فزعوا عليه من الندم»!!

(٥) في (ف): «اقتضيناها».

(٦) بعدها في (ف): «منا».

(٧) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (١/ ٤٦١ ـ ٤٦٢).

(٧) ـ ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ قال الكلبيُّ: أي: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ﴾؛ أي: القرآنَ في صحيفةٍ؛ أي: مكتوباً في بياضٍ ﴿فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ﴾؛ أي: مسُّوه[١]، ولم يقل: عاينوه بأبصارِهم؛ لأنَّ ذلك ثابت مقتضى الإنزال، وهو مكتوبٌ معايَنٌ، وأراد به المعنيَيْن؛ أي: عايَنوهُ بأبصارِهم، ومسُّوهُ بأيديهِم، لقالوا: ما هذا إلَّا سحرٌ ظاهرٌ.

نزلت في النَّضرِ بن الحارث، وعبدِ الله بنِ أُميَّة المخزوميِّ، ونوفلِ بنِ خويلد؛ قالوا: يا محمد، لن نؤمنَ لك حتَّى تأتينا بكتابٍ مِن عند الله جملةً، ومعه أربعةٌ مِن الملائكة يشهدون عليه[٢] أنَّه مِن عند الله، وأنَّك رسولُه، فنَزلت هذه الآيةُ[٣].

وفيها قطعُ طمعِه عن إيمانِهم، وهو في قومٍ علمَ اللهُ مِنهم أنَّهم لا يُؤمنون، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾ [الأنعام: ١١١]، ونظير هذا الاقتراح قوله: ﴿وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ﴾ [الإسراء: ٩٣].

وقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ﴾؛ أي: قالوا: هلَّا أُنزِلَ عليه ملكٌ يَشهدُ له بالنُّبوَّةِ، ﴿وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا﴾ كما يَلتمسونَه ويَشهَدُ[٤] له بالنُّبوَّةِ، ويكونُ نذيراً معه يشاهدونه، فلم يُؤمنوا به، لفرغَ من أمرِهم

---

(١) انظر: «تفسير الثعلبي» (٤/ ١٣٥ ـ ١٣٦).

(٢) في (أ): «على»، وليس في (ف).

(٣) انظر: «تفسير أبي الليث» (١/ ٤٧٤)، و«تفسير الثعلبي» (٤/ ١٣٥ ـ ١٣٦)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ٢٠٨).

(٤) في (ف): «من يشهد».

بإنزالِ العذاب المصْطلِم[١] عليهم، من غير إمهالٍ لهم، وهو كقولِه تعالى: ﴿ لَّوْمَا تَأْتِينَا بِٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٧﴾ مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾؛ أي: حين يَحِقُّ العذابُ عليهم ﴿وَمَا كَانُوٓاْ إِذًا مُّنظَرِينَ ﴾ [الحجر: ٨]، وقد أخبر اللهُ تعالى أنَّهم عجِبوا مِن إرسال محمَّدٍ، كما قال: ﴿وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ﴾ [ص: ٤]، وأخبر أنَّهم ﴿قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴾ [الإسراء: ٩٤]، وأجابَ عن ذلك، فقال: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ ﴾ [الإسراء: ٩٥] الآية.

وقال في هذه الآية: ﴿وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا ﴾ في صورتِه، لماتَ النَّاسُ مِن هيبةِ رؤيةِ صورتِه؛ لأنَّ البشرَ لا يَحتملون رؤيةَ الـمَلكِ على صورتِه.

وقال مجاهد: ﴿وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا ﴾ في صورتِهِ، لقامَتِ السَّاعة[٢]؛ إذ إنزالُ الملائكةِ على صورَتِهم[٣] إنَّما يكون في القيامة.

* * *

(٩) ـ ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا ﴾؛ أي: لا يَقعُ لهم فيما سألوا؛ لأنَّا لو أنزلنا ملكاً لجعلناهُ في صورةِ رجل؛ إذ لو أنزلناهُ على صورةِ الملَك، لم يعاينوه[٤]، على العادةِ التي أجراها للنَّاس، وإذا لم يعاينوه، لم يَثِقوا بكلامِه، ولقالوا: لا نَدري أنَّه صوتُ مَلَكٍ أو غيره، ولو جاءَهم بآيةٍ لكان لهم أن يقولوا: إنَّما عجَزْنا

---

(١) يعني: المستأصل. انظر: «القاموس المحيط» (مادة: صلم).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ١٦١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٦٥) (٧١٢١)، (٧١٢٤).

(٣) في (أ): «الملك على صورته» بدل: «الملائكة على صورتهم».

(٤) في (ف): «لما عاينوه» بدل: «لم يعاينوه».

عن معارضَتِك؛ لأنَّك من غير جنسنا، لا أنَّه آيةٌ مِن الله، وإذا لم يَجُز أنْ يَكونَ على صورة مَلَك، لهذا وجبَ أن يُجعَلَ في صورةِ رجلٍ، ثمَّ لهم أنْ يَسألوا الدِّلالةَ أنَّه مَلَكٌ جُعِلَ رجلاً.

وقوله تعالى: ﴿وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ﴾ ولوقعَ الالتباسُ هاهنا كما يَقعُ في إرسالِ البشر، واللَّبْسُ والتَّلبيسُ: تَخليطُ الأمرِ وإضافتُه إليه، على معنى أنَّهم لا يُنكِرون في محمَّدٍ أنَّه بَشَرٌ، ويُنكِرونَ أنَّه رسول، ولو أُنزِلَ مَلَكٌ في صورة رجلٍ، لأنكروا رسالتَه، وأنكروا كونَهُ مَلَكاً، وكان ذلك بإنزالنا، فيكونُ اللَّبسُ منَّا حينئذٍ.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: ولا يجوزُ إضافةُ اللَّبسِ إلى الله تعالى ابتداءً، ويَجوزُ على وجهِ المجازاة، كما في الاستهزاءِ والمكرِ والخِداع[1].

وقال الإمام القشيري رحمه الله: أخبرَ اللهُ تعالى عن كمالِ قدرتِهِ في ابتداءِ ما يُريدُ لخليقتِه، وأنَّه بعد ما قضى لهم الضَّلال، فلو أشهدهَم كلَّ دليلٍ، وأوضحَ لهم كلَّ سبيلٍ، ما ازادوا إلَّا تمادياً في الضَّلال والنُّفرةِ، وانهماكاً في الجهلِ والفتنة[2].

* * *

(١٠) ـ ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ قال الزَّجَّاج: أي: نزلَ بهم مكروهٌ من جهةِ فعلهم، وقال تعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ [فاطر: ٤٣][3].

---

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٤/ ٢٧ ـ ٢٨).

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (١/ ٤٦٢).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٢٣١).

وقال مقاتل[١]: فدار بهم، وكانوا يَستهزؤون بوعيدِ العذاب فنزلَ بهم ذلك[٢].

وفيه تسليةُ النَّبيِّ ﷺ، على أنَّه ليس هو المخصوص[٣] به، فإنَّ سائرَ الأنبياء فُعِلَ بهم كذلك، وفيه وعدٌ له بنصرتِه وإهلاكِ عدوِّه.

وقوله تعالى: ﴿سَخِرُوا مِنْهُم﴾ قيل: أي: مِن الأنبياء، تعديةً لفعلِ السُّخرية.

وقيل: أي: مِن الأُمم؛ فإنَّ مِنهم مَنْ لم يَسخر، فهذا وعيدٌ لمن سَخِرَ مِنهم على الخصوص.

* * *

(١١) ـ ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ قال ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: أي: سافِروا، فاعتبِروا بخرابِ بُلدانِهم[٤]، وزوالِ سلطانِهم؛ بتكذيبِهم أنبياءَهم، وهو كقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُبِينٍ﴾ [الحجر: ٧٩]، ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ (١٣٧) وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الصافات: ١٣٧].

وقال الإمامُ أبو منصور رحمه الله: أراهم آياتٍ سمعيَّةً وعقليَّةً، فلم يَنفعهُم ذلك، فأمرَهُم بالنَّظر في الآياتِ الحسِّيَّة[٥].

وقال الإمامُ القشيريُّ رحمه الله: يقول: دوخوا الأرضَ، وامسحوا الطُّولَ منها

(١) قوله: «وقال مقاتل»: ليس في (أ).

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (١/ ٥٥٠).

(٣) في (أ): «مخصوص». وفي (ر): «بمخصوص».

(٤) هو في «تفسير أبي الليث» (١/ ٤٧٥)، و«تفسير الثعلبي» (٤/ ١٣٦) دون نسبة.

(٥) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٤/ ٢٩).

والعرضَ، ثمَّ انظروا، هل انفلت مِن حكمنا أحدٌ؟ وهل وُجدَ من أمرنا ملتحدٌ؟[1]

* * *

(١٢) ـ ﴿قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُل لِّلَّهِ ۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُل لِّلَّهِ﴾؛ أي: قل للمكذِّبين والمستهزئين: لمَن مُلكُ ما في السَّماوات والأرض، وكانوا مُقرِّين بأنَّ اللهَ جلَّ جلالُه هو الخالقُ والمالك، فليس لهم أنْ يَجعلوا مع اللهِ مِن خلقِه ومُلكِه شريكاً، وكذا إذا كان ذلك كلُّه له، فهو قادرٌ على أنْ يُعاجِلَهُم بالعذاب، واتِّصالُ هذا بالأوَّل مِن هذين الوجهين.

وقوله تعالى: ﴿قُل لِّلَّهِ﴾؛ أي: إن لم يقولوا هم: إنَّه لله، فقل أنت: إنَّه لله.

وقوله تعالى: ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ أصلُه: أوجب، ولكن لا يَجوزُ الإجراءُ على ظاهرِه؛ فإنَّ العبدَ لا يَجِبُ له على الله شيءٌ، لكنَّ سبيلَهُ سبيلُ ما ذُكر بكلمةِ ﴿عَلَى﴾ من قوله تعالى: ﴿عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦]، ﴿عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧]، والمرادُ به: أنَّه وَعَدَ ذلك وعداً مؤكداً، وهو منْجِزُهُ لا محالة.

وقال الحسنُ: حكمَ على نفسِه بالرَّحمة للتَّوابين أنْ يُدخِلَهم الجنَّةَ؛ فإنَّما يَدخلونَها برحمتِه، لا باستحقاقِهم.

وقال الإمامُ أبو منصور رحمه الله: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ أي[2]: جعلَ لهمُ الجمعَ يوم القيامة، وفيه إثابةُ المطيعين، وتعذيبُ العاصين، وذاك

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (١/ ٤٦٣).

(٢) في (ر): «أي».

داعٍ في الدُّنيا إلى التَّوبةِ، وتركِ المعصيةِ، وفعلِ الطَّاعة، وهو من الرَّحمة[١].

وقيل: أي: من رحمتِه تأخيرُ العذابِ عنهم إلى يومِ القيامة، وهذا من رحمتِه في حقِّ هذه الأمَّةِ؛ فإنَّ الأممَ الخالية عُذِّبوا كما كذَّبوا.

وقوله تعالى: ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ﴾ هذا قسَم، وقولُه: ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ قيل: ﴿إِلَىٰ﴾ زائدة.

وقيل: هي في معنى «في».

وقيل: هي بمعنى اللَّام.

وقيل: أي: ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ﴾ في القبورِ إلى يوم القيامة، وهي للغاية.

وقيل: أي: ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ﴾ في الدُّنيا؛ بإلحاق المتأخِّرين بالمتقدِّمين، إلى أنْ يَجمعهُم يومَ القيامة.

وقوله تعالى: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾؛ أي: لا شكَّ في الجمعِ، وله وجوهٌ ذكرناها في أوَّلِ سورة البقرة.

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ الخسرانُ: ذهابُ رأسِ المال؛ أي: مَنْ فاتتهُ نفسُه وهلكَتْ في الحقيقة، فهو الذي لا يُؤمِن.

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: ﴿قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ سائِلهم: هل في الدِّيارِ ديَّار، وهل للكون في التَّحقيق بعد الحقِّ مقدار، فإنْ بَقُوا على جوابٍ يَشفي، فقل: اللهُ في الرُّبوبيَّة يَكفي.

وقال في قوله: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾؛ أي: أخبرَ وحكمَ وأراد كما

---

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٤/ ٣٠)، وقول الحسن السابق فيه.

عَلِم؛ فمَن تعلَّقَ بنجاتِهِ علمُه، سبقَ بدرجاتِهِ حكمُه، ومن عِلْمُه[١] في آزالِه أنَّه يَشقى، فبقدرِ شقائِه في البلاءِ يَبقى[٢].

***

(١٣) ـ ﴿وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِى ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِى ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ قال ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: أي: وله ما استقرَّ في اللَّيلِ والنَّهارِ مِن خلقٍ[٣].

وقال أبو روق: إنَّ مِن الخلقِ ما يَستقرُّ نهاراً، ويَنتشِرُ ليلاً، ومنها ما يَستقرُّ ليلاً، ويَنتشِرُ نهاراً[٤].

وقيل: أراد به سكونَ الأشياءِ بقدرتِه وعظمتِه.

وقيل: معناه: وله ما سَكَنَ وتحرَّكَ، لكن اكتفى بذكرِ أحدِهما؛ لعلمِ المخاطب به اختصاراً، كما في قوله: ﴿سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾ [النحل: ٨١]؛ أي: الحرَّ والبردَ.

وقيل: ﴿سَكَنَ﴾؛ أي: تمكَّن، وهو لكلِّ متحَرِّكٍ وساكن.

أخبرَ بمجموعِ الآيتين أنَّه خالقُ[٥] كلِّ زمانٍ ومكانٍ، وله كلُّ ما تَحويهِ الأمكنةُ والأزمنة.

---

(١) في (أ): «حكمه».

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (١/ ٤٦٣).

(٣) هذا القول رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ١٧٤)، وابن أبي حاتم (٤/ ١٢٦٩) (٧١٤٦) من قول السدي.

(٤) انظر: «تفسير الثعلبي» (٤/ ١٣٨) وتحرف «أبو روق» فيه إلى: «أبو روحي»!

(٥) في (أ): «مالك».

وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾؛ أي: لما يقولونه، ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بما يفعلونه.

وقال الكلبيُّ: إنَّ كفَّارَ مكَّةَ أتوا رسولَ الله ﷺ، وقالوا: يا محمَّد، إنَّا قد علِمنا أنَّه ما يَحمِلُك على هذا الذي تَدعونا إليه إلَّا الحاجة، فنحنُ نَجمعُ لك مِن أموالنا ما يُغنيك، حتَّى تكونَ مِن أغنانا، فنزل قوله تعالى: ﴿وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِى ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾؛ أي: ما استقرَّ في الليل والنَّهار مِن خلقٍ[1].

وقال[2]: ﴿ٱلسَّمِيعُ﴾ لمقالةِ قريش، ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ من حيث يرزقهم.

وقال الإمامُ القشيريُّ رحمَه الله: أي: الحادثاتُ لله ملكاً، وبالله ظهوراً، ومِن الله بَدءاً، وإلى الله رجوعاً، ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لأنينِ المشتاقين، ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بحنين الواجدين[3].

* * *

(١٤) - ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ۗ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا﴾ استفهامٌ بمعنى التَّوبيخ؛ أي: قل يا محمَّدُ للمشركين: أيجوزُ أنْ يُظَنَّ بي أنْ أتَّخِذَ غيرَ الله متولِّياً لي[4] بالحفظِ والكفايةِ والنُّصرة، كما فعلتُم أنتم، فاتَّخذتُم مِن دون الله أولياءَ، فيَحتمِلُ أنَّهم دعوهُ إلى

---

(١) انظر: «تفسير الثعلبي» (٤/ ١٣٧). وذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص٢٠٨) عن الكلبي عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) في (أ): «وهو».

(٣) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (١/ ٤٦٣).

(٤) في (أ): «أي» بدل: «لي».

موافقتِهم على الشِّرك، فقال لهم ذلك، ويَحتملُ أنَّه تَلَطَّفَ في الجواب؛ استدعاءً لهم إلى الإجابة، وأرادَ به: أتتَّخذون أنتم غيرَ الله وَليًّا.

وقوله تعالى: ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ خفض؛ لأنَّه نعت قوله: ﴿أَغَيْرَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: هو مبتدِئ خلقِهما.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: كنتُ لا أدري ما الفاطرُ، حتَّى رأيتُ أعرابيين يختصِمان في بئرٍ، فقال أحدُهما: أنا فطرتُها؛ أي: ابتدأتُ حفرها، فعَلِمتُ أنَّه ابتداءُ الخلق(١).

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾؛ أي: يَرزُق غيرَهُ، ولا يَرزقُه أحدٌ، يُقال: فلانٌ مطعَمٌ للصَّيد؛ أي: مَرزوقٌ منه، وهذه طُعمةُ فلانٍ؛ أي: رزقٌ له، قال أبو تمام:

ومُطْعَمُ النَّصْرِ لم تَكْهَمْ أَسِنَّتُهُ ... يوماً ولا حُجِبَت عن روحِ مُحْتَجِبِ(٢)

وهو كقوله: ﴿لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ﴾ [طه: ١٣٢].

وقيل: هو على ظاهره؛ أي: هو الذي يُغذِّي(٣) الخلقَ، وهو غنيٌّ بذاتِه عن كلِّ شيء، مُنزَّه عن الوصفِ بالطُّعم، فهو غنيٌّ والخلقُ فقراءُ إليه، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ﴾ الآية [فاطر: ١٥].

وقال الإمامُ القشيريُّ رحمه الله: له وَصْفُ الكرمِ، فلذلك يُطْعِمُ، ولهُ حقُّ القِدَم، فلذلك لا يُطْعَم(٤).

---

(١) رواه أبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص: ٣٤٥)، والطبري في «تفسيره» (٩/ ١٧٥).

(٢) انظر: «ديوان أبي تمام» (١: ٥٨). قال شارحه: لم تكهم؛ أي: لم تَنْبُ، وأصل الكهام في السيف، وقد استعير لغيره. اهـ. يقال: سيف كهام؛ أي: كليل.

(٣) هي في النسخ الخطية مهملة الذال، ولعل المثبت هو الصواب.

(٤) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (١/ ٤٦٣).

وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ﴾؛ أي: ما يكونُ لي أنْ أتولَّى غيرَ الله، فقد أُمِرتُ بهذا، ومعناه: أن أكونَ أوَّلَ مَنْ خضعَ وانقادَ مِن العربِ، أو مِن أهلِ مكَّةَ، أو مِن أهلِ العصر، والإسلام: هو الاستسلامُ، ولا تَعلُّقَ به لمن قال: إنَّ الإيمانَ لا يَلزمُ إلَّا بالسَّماع؛ لما أوَّلنا.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ إنَّما صَلَح عطفُ النَّهيِ على الإخبار؛ لأنَّ تقديرَهُ: إنِّي قيل لي: أَسْلِم، ولا تَكونَنَّ[1] مِن المشركين، وقد ذكرنا معنى النَّهي عن الشِّرك في حقِّه في مواضع.

* * *

(١٥) - ﴿قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ قال ابنُ عبَّاس رضي الله عنهما: أي: قل يا محمَّدُ لأهلِ مكَّة: إنِّي أعلمُ إنْ عصيتُ ربي فعَبدتُ غيرَه عذابَ يومِ القيامة[2]. ووصفَهُ بالعظيم؛ لأنَّ فيه الأمورَ العظام.

* * *

(١٦) - ﴿مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُۥ﴾ قرأ حمزةُ والكسائيُّ وخلف[3] وعاصمٌ في رواية أبي بكر وحمَّاد وسهل ويعقوب[4]: ﴿يَصْرِف﴾ بفتح الياء[5]؛ أي: مَنْ يَصْرِف اللهُ عنه العذابَ يومئذٍ.

---

(١) في (أ): «تكن».

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٤/ ٣٧).

(٣) قوله: «وخلف» من (ف).

(٤) قوله: «وحماد وسهل ويعقوب» من (ف).

(٥) انظر: «السبعة» (ص: ٢٥٤)، و«التيسير» (ص: ١٠١)، و«جامع البيان» للداني (ص: ٤٨٨)، =

وقرأ الباقون: ﴿مَّن يُصۡرَفۡ﴾ بضمِّ الياء، على ما لم يسمَّ فاعلُه؛ أي: مَن يُصْرَف عنه عذابُ يومِ القيامة، فقد ذكر العذابَ في الآية الأولى.

وقوله: ﴿فَقَدۡ رَحِمَهُۥ﴾؛ أي: رحمَهُ الله.

وقوله تعالى: ﴿وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡمُبِينُ﴾؛ لأنَّه دائمٌ لا زوالَ له، وليس كفوزِ الدُّنيا أنَّه يَنقطِعُ.

* * *

(١٧) ـ ﴿وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يَمۡسَسۡكَ بِخَيۡرٖ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ﴾ قال ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: أي: إنْ يُصِبكَ اللهُ بفقرٍ، أو مرضٍ، أو بلاءٍ، فلا كاشفَ له إلَّا هو.

وقوله تعالى: ﴿وَإِن يَمۡسَسۡكَ بِخَيۡرٖ﴾؛ أي: بغِنًى، وسَعَةٍ في الرِّزقِ، وصِحَّةٍ في الجسم، فهو مِن عندِه.

وقوله تعالى: ﴿فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ مِن السَّعةِ والضِّيق، وهو تحقيقُ قوله: ﴿أَنۡ أَكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَسۡلَمَ﴾، وأنقادَ لله، فأُقِرَّ له بذلك، ولا أتَّخذَ غيرَهُ وليًّا، وهو المالكُ للنَّفعِ والضُّرِّ.

* * *

(١٨) ـ ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ﴾ القهرُ: القدرةُ على الغَلَبة،

= و«النشر» (٢/ ٢٥٦).

والقهَّارُ: مبالغةٌ في صفةِ القاهر، و﴿فَوْقَ﴾ ليس بصلةٍ لقوله: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ﴾، بل هما كلامان تامَّان، وتقديرُه: وهو القاهر وهو فوق عباده.

و﴿فَوْقَ﴾ ليس للمكان؛ فإنَّ اللهَ خالقُ كلِّ مكانٍ، وقد كان ولا مكان، وهو الآن على ما كان، ولكنَّه أراد به الجلالَ والعلوَّ، وهو مستعمَلٌ في اللُّغة لذلك، قال تعالى: ﴿وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَـٰهِرُونَ﴾ [الأعراف: ١٢٧]، عنوا به العظمةَ والجلال، لا الارتفاع في المكان.

و﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ العالمُ بتدبير الصَّنعةِ، المانعُ عن الخَلل، و﴿ٱلْخَبِيرُ﴾ العالمُ بسرِّ العبادِ وعَلانيتِهم، يقول: وهو القاهرُ، القادِرُ، المحكمُ في أقواله وأفعاله، العالمُ بأحوالِ عبادِه، فلا يُسَوِّي يومَ القيامة بين مَنْ أطاعَهُ ومَنْ عصاه، فلا يَنبغي أنْ يُتَّخَذَ وليٌّ غيرُه، ولا يَنبغي أن يُجعلَ له شريكٌ، ولا يَنبغي أنْ تخافَ المشركين أنْ يَنالوك بسوءٍ.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: فيه جميعُ ما يَحتاجُ إليه أهلُ التَّوحيد في التَّوحيد؛ لأنَّه القاهرُ والخلقُ مقهورون، ومِن البعيدِ أن يكونَ بين القاهر والمقهور مناسبةٌ و[1]مشابهةٌ ومشاركةٌ، وجميعُ التَّوحيد يَدور على هذين[2].

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ﴾ الآية، إنَّما يُنجيكَ مِن البلاءِ مَن يُلقيكَ في العناء.

وقال في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾: عَلَت رتبةُ الأحدِيَّة صفة

---

(١) قوله: «مناسبة و» من (ف).

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٤/ ٣٨).

البشريَّة، فهذا لم يَزل، وهذا لم يَكُن فحصَل، ومتى يكونُ البقاء للحدثان مع وضوحِ هذا السُّلطان[١].

***

(١٩) ـ ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ قال الكلبيُّ: أتى أهلُ مكَّةَ رسولَ الله ﷺ، فقالوا: أما وجدَ اللهُ رسولاً غيرَك، ما نَرى أحداً يُصدِّقُك لما تقول، ولقد سألنا عنك اليهودَ والنَّصارى، فزعموا أنَّه ليس لك عندَهم ذِكرٌ، فأرِنا مَنْ يَشهدُ أنَّك رسولُ الله كما تَزعُم، فأنزل اللهُ تعالى: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً﴾[٢].

ودلَّ هذا على أنَّه يَجوزُ إطلاقُ اسمِ الشَّيء على الله عز وجل، فإنَّه عبارةٌ عن الموجود، واللهُ تعالى موجود، يعني: قل يا محمد للمشركين: أيُّ شيءٍ أعظمُ شهادةً في الصِّدقِ والصِّحَّة؟ فسيقولون: الله؛ لأنَّ هذا قولُهم في الشِّرك.

وقوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾؛ أي: قل لهم بعد هذا: هو اللهُ شهيدٌ بيني وبينكم، على أنِّي قد بلَّغتُكم وتبرَّأتُ مِن أنْ أتَّخِذَ وليًّا غيرَه.

وقوله تعالى: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ﴾؛ أي: وإنَّما أوحيَ إليَّ هذا الكتابُ؛ لأخوِّفَكُم به من عذاب الله.

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ بَلَغَ﴾؛ أي: وجميعَ مَن بلغَه هذا ممَّن غابَ عن بلدِكم، أو

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (١/ ٤٦٤).

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» (٤/ ١٤٠)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ٢٠٨).

تأخَّرَ عن عصرِكم، وتُحذَفُ هاءُ الكنايةِ في الموصول، يقال: مَن أكرمت أبوك؛ أي: مَن أكرمتَهُ.

وقال مجاهد: أي: ومَنْ بَلَغَه مِن الأعاجمِ وغيرِهم[1].

وقال مقاتل: ومَنْ بلَغَهُ مِن الجِنِّ والإنس[2].

وقال سعيدُ بن جبير: ومن بلغَهُ القرآن، فكأنَّما رأى النَّبيَّ عليه الصَّلاة والسَّلام[3]، وهو في حقِّ كلِّ الخلقِ إلى يوم القيامة.

وقول تعالى: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ﴾ هذا إلى آخرِ هذه الآيةِ متَّصلٌ بما قبله، **وقوله تعالى**: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾ هذا معترِضٌ.

قوله ﴿أَئِنَّكُمْ﴾ استفهام بمعنى التوبيخ، **وقوله تعالى**: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى قُل لَّا أَشْهَدُ﴾؛ أي: إنَّكم إنْ شهِدتُم بذلك، فإنِّي لا أشهدُ به.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾؛ معناه: سلهم: أتشهدون بهذا، فإنَّ مِن العجيب أنْ يَشهدوا بهذا بعد وضوحِ البيان، فإنْ لَجُّوا وشَهِدوا فقل: لا أشهدُ معكم، وحُذفَ هذا لدلالة الكلامِ عليه، وقد بيَّنهُ في موضعٍ آخر، فقال: ﴿فَإِن شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ﴾، وهذه الشَّهادةُ مِن الله بإقامة الدلالاتِ ونصبِ المعجزات كما بينا ذلك في قوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ﴾ الآية [آل عمران: ١٨].

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: وفي الآيةِ دلالةٌ على أنَّ البِشارةَ والنِّذارةِ يكونان ببعثِ آخرَ يُبشِّرُ ويُنذِر، وهو دليلٌ لقول أصحابنا رحمهم الله: إنَّ مَن حلف: أيُّ عبدٍ مِن عبيدي بشَّرني بكذا، فهو حرٌّ، فبشَّرهُ برسولٍ أو بكتابٍ، عَتَق.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ١٨٣)، وابن أبي حاتم (٤/ ١٢٧١) (٧١٦٤).

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (١/ ٥٥٤).

(٣) ذكره الزمخشري في «الكشاف».

(٢٠) ـ ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ﴾ قال الحسنُ وقتادة والزَّجّاج: يعرفون محمداً[1]؛ أي: إنَّ أهلَ الكتاب الذين يَرجع إليهم هؤلاء المشركون في السُّؤال، يعرفون أن محمداً رسولَ الله حقٌّ، كما يَعرفون أولادَهم؛ لِذِكْرِه في كتابِهم. وقد ذكرنا حديثَ ابنِ سَلام فيهِ في سورة البقرة.

وقال مجاهد: يعرفون أنَّ الإسلامَ دينُ اللهِ وأنَّ محمَّداً رسولُ الله، يَجدون ذلك مكتوباً عندهم في التَّوراة والإنجيل[2].

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: ويجوز أن يكون معنى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾؛ أي: القرآن، وقد أُمِروا أنْ يَأتوا بمثلِه، فعجَزوا عنه، فلَزِمَتهمُ الحجَّةُ، وثَبتَت لهم به المعرفةُ[3].

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾ يجوزُ أنْ يكون[4] نعتاً لقوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾، ويجوزُ أن يكون مبتدأً، وخبره قوله: ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، وقد فسَّرنا هذا مرَّة في هذه السُّورة[5].

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٧٨٨)، والطبري في «تفسيره» (٩/ ١٨٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٧٢) (٧١٧٠) عن قتادة. وانظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٢٣٤).

(٢) لم أقف عليه عن مجاهد، وأخرجه الطبري في «تفسيره» (٩/ ١٨٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٧٣) (٧١٧١) من قول قتادة.

(٣) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٤/ ٤٢).

(٤) بعدها في (أ): «هذا».

(٥) عند تفسير الآية (١٢) منها.

(٢١) ـ ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ۗ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ استفهامٌ بمعنى الإنكار؛ أي: لا أحدَ أظلمُ ممَّن اختلقَ على الله زوراً، فأشركَ به غيرَه، ووصفَهُ بما لم يَصِف به نفسَه.

وقوله تعالى: ﴿أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾؛ أي: بالقرآنِ وبمحمَّدٍ ﷺ.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾؛ أي: لا يفوزُ المشركون.

وقيل: المشركون وأهلُ الكتابِ ما داموا على ظلمِهم.

* * *

(٢٢) ـ ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾؛ أي: لا يُفلِح الظَّالمون أيَّامَ الدُّنيا ويومَ نحشرُهم.

وقيل: أي: وليتَّقوا يومَ نحشُرُهم؛ أي: نَبعثُهم، ونَجمعُهم كافَّةً، ثمَّ نقولُ للمشركين: أين مَن أشركتُموهم بالله مِن آلهتِكم؛ رجاءَ نفعِهم إيَّاكم عند الله؟

أضاف الشُّركاء إليهم في هذه الآية؛ لأنَّهم همُ الذين جعلوها شركاء، وزعموا أنَّهم شركاء، وقال في آيةٍ أخرى: ﴿أَيْنَ شُرَكَائِيَ﴾ [النحل: ٢٧]، فأضافَهم إلى نفسِه؛ لأنَّهم جعلوها شركاءَ لله، وهو كما قلنا في الأجل أنَّه قال: ﴿إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ﴾ [نوح: ٤]، وقال: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ﴾ [الأعراف: ٣٤]، أضاف الأجلَ إلى نفسِه في آيةٍ؛ لأنَّه هو الجاعل، وأضافَهُ إليهم في آيةٍ؛ لأنَّهم هم المجعولُ لهم.

وقوله: ﴿الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾؛ أي: تقولون.

وقال الإمامُ القشيريُّ رحمه الله: يَجمعُهم يومَ الحشرِ والنَّشر، لكنَّه يُفرِّقُهم في

الحكمِ والأمر، فالبعثُ يَجمعُهم، لكنَّ الحكمَ يُفرِّقُهم(١)، قال تعالى: ﴿فَرِيقٌ فِي ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي ٱلسَّعِيرِ﴾ [الشورى: ٧].

* * *

(٢٣) - ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ﴾ قرأ حمزةُ والكسائيُّ: ﴿يكن﴾ بياء التذكير ﴿فتنتَهم﴾ بالنَّصب، وهو خبرُ كان، والاسم قولُه: ﴿إِلَّآ أَن قَالُواْ﴾؛ لأن ﴿أن﴾ مع الفعل مصدرٌ، وتقديرُه: إلا قولُهم، بالرفع.

وقرأ نافعٌ وعاصم في رواية أبي بكرٍ وأبو عمرو بتاءِ التَّأنيث، و﴿فتنتَهم﴾ بالنَّصب، وعلى هذا يكونُ تقديرُه: إلَّا مقالتُهم بالرَّفع فيكونُ اسماً و﴿فتنتَهم﴾ خبراً.

وقرأ ابنُ كثيرٍ في رواية شبل(٢) وابنُ عامر وحفصٌ عن عاصم: ﴿يكن﴾ بياء التَّذكير(٣) و﴿فِتْنَتُهُمْ﴾ بالرَّفعِ(٤)، وهو اسمٌ، والتَّذكيرُ لتَقدُّم الفعلِ عليه، ولأنَّ تأنيثَها غيرُ حقيقيٍّ، ولأنَّه مصدرٌ بمعنى الفِتن.

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا﴾ قرأ حمزةُ والكسائيُّ وخلف(٥): ﴿ربَّنا﴾ بالنَّصب على النِّداء؛ أي: يا ربَّنا، والباقون ﴿رَبِّنَا﴾ بالكسر(٦)، نعتاً لقوله: ﴿وَٱللَّهِ﴾.

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (١/ ٤٦٥).

(٢) وهي الرواية المتواترة عن ابن كثير.

(٣) كذا قال، وهو وهم، والصواب أن قراءة ابن كثير وابن عامر وحفص: ﴿تَكُن﴾ بالتاء.

(٤) انظر: «السبعة» (ص: ٢٥٤ - ٢٥٥)، و«التيسير» (ص: ١٠١ - ١٠٢).

(٥) قوله: «وخلف» من (ف).

(٦) «بالكسر»: زيادة من (أ). وانظر القراءة في «السبعة» (ص: ٢٥٥)، و«التيسير» (ص: ١٠٢)، و«النشر» (٢/ ٢٥٧).

وقال ابنُ عبَّاس رضي الله عنهما: ثمَّ لم تكنْ معذِرتُهم[١] حين قيل لهم: أين شركائي الذين كنتم تزعمون؟ ﴿إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾، فكذا قال قتادة[٢]، ووجهُه: عذرُ فتنتِهم؛ أي: شركهم في الدنيا، قال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾.

وقيل: سمَّى المعذرةَ فتنةً؛ لأنَّها صارت بليَّةً لزمتهُم بها الحجَّةُ وعذاباً.

وقال الزَّجَّاج: معناه: ثمَّ لم تكن عاقبةُ ﴿فِتْنَتُهُمْ﴾؛ أي: كفرهم، إلَّا تبرؤهم عنها بقولهم: ﴿مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾[٣].

وقوله تعالى: ﴿مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾؛ أي: عند أنفُسِنا، بل كنا موحِّدين بإقرارِنا أنَّ الخالقَ واحدٌ والرَّازقَ واحد، وإنَّما عبدنا الأصنامَ ليُقرِّبونا إلى الله زُلْفى.

وقال الحسن: هذا في المنافقين، كانوا يَكذبون في الدُّنيا، ويَروجُ كذبُهم، فيظنُّونَ في الآخرة أنَّه يَرُوج كذبهم، فيقولون ذلك[٤]، وهو كقوله: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ﴾ [المجادلة: ١٨].

وقال مجاهد ومقاتل: هذا قولُ جميع المشركين إذا جمع الله الخلائق، ورأى المشركون سعة رحمةِ الله، وشفاعةَ الرَّسول للمؤمنين، قال بعضُهم لبعض: تعالَوا نكتمُ الشِّرك؛ لعلَّنا نَنجو مع أهل التَّوحيد، فإذا قال الله تعالى لهم: ﴿أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾، فيَختمُ اللهُ على أفواههم، فتَشهدُ عليهم أيديهم وأرجلُهم[٥].

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٧٣) (٧١٧٥) معلقاً.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ١٩١).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٢٣٦).

(٤) ذكره الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (٤/ ٤٤).

(٥) انظر: «تفسير مقاتل» (١/ ٥٥٥)، ورواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ١٩٤)، وابن أبي حاتم في =

(٢٤) ـ ﴿انظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿انظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ﴾ قيل: يقولُ الله تعالى حينئذٍ لمحمَّدٍ عليه الصَّلاة والسَّلام: انظر كيف كذَبوا على أنفسِهم بقولهم: ﴿وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾؛ أي: تلاشى افتراؤهم: إنَّا نعبدُهم ليَشفعوا لنا، فلم يَحصل ذلك لهم.

وقيل: أي: اشتغلَ عنهم الآلهةُ التي كانوا يَفترون على اللهِ بجعلِها شركاءَ لله، فعلى الأوَّل ﴿مَا﴾ للمصدر، وعلى الثَّاني للاسم.

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: هذا الذي أخبرَ عنهم غايةُ التَّمرُّد؛ حيث جَحَدوا وعلى ذلك أقسموا، ولو كان لهم بالله عِلْمٌ لتَحقَّقوا بأنَّه يَعلمُ سرَّهُم ونجواهم، فلا يَخفى عليه شيءٌ مِن أولاهم وأُخراهم، لكنَّ الجهلَ الغالب عليهم استنطقَهم بما رجعَ بالفضيحةِ عليهم[(١)].

* * *

(٢٥) ـ ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾؛ أي: ومِنْ هؤلاء الظَّالمين مَن يَستمِعُ إليك كالـمُظهِرِ للقَبول والانقياد، وهو مُصِرٌّ على الجحودِ والعناد.

وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ﴾؛ أي: أغطيةً، جمع كِنان، وهو الغطاء، وقد كنَّ الشَّيء إذا صانه، وأكنَّه؛ أي: غطَّاه. **وقوله تعالى:** ﴿وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾؛

= «تفسيره» (٤/ ١٢٧٤) (٧١٨٢) عن مجاهد.

(١) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (١/ ٤٦٥).

أي: جَعلنا في أسماعِهم ثِقَلاً، وليس ذلك بإجبارٍ، بل هو عقوبةٌ لهم على اختيارِهم الكفر على إصرارهم، ويدلُّ عليه ما بعدَه، وهو قوله تعالى: ﴿وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُواْ بِهَا﴾؛ أي: كلَّ آيةٍ اقترحوها.

وقيل: الآياتُ المقترحةُ وغيرُها، وهو في قومٍ علمَ الله منهم الاختيارَ للكفر على الأبد؛ أي: يُدخِلون الشُّبهَ فيها، ويَقولون: لعلَّها سحرٌ، ولعلَّها أساطيرُ الأولين.

وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ﴾؛ أي: يُحاجُّونَك.

وقوله تعالى: ﴿يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ قال ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: أي: أحاديثُ الأوَّلينَ التي كانوا يَسطُرُونَها(١)؛ أي: يكتبونها.

وقال أبو عبيدة: واحدُها إسطار(٢)، وهي التُّرَّهات.

وقال الأخفش: وقيل: واحدها: إسطارةٌ، كالإصبارة(٣)، وقيل: أسطورة(٤)، كالأضحوكة. قال: وهي عندي لا واحدَ لها، وهي كالعباديد والأبابيل(٥).

وقال الزَّجَّاج: هو جمع جمعٍ؛ سطرٌ وأسطارٌ وأساطيرُ(٦).

وقال الكلبي: استمع إليه أبو سفيان بنُ حرب، والوليدُ بنُ المغيرة، والنَّضرُ بنُ الحارث، وعتبةُ وشيبةُ ابنا ربيعة، وأميةُ وأُبي ابنا خلف، والحارث بن عامر: استمعوا

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ١٩٩ ـ ٢٠٠).

(٢) كذا في النسخ الخطية، وفي «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١/ ١٨٩): واحدتها: أسطورة، وإسطارة لغة.

(٣) كذا في (ر) و(ف)، ورسمها في (أ): «كالإحبارة»، ولعل صوابها: «كالإضبارة».

(٤) في (أ): «الأسطورة».

(٥) انظر: «معاني القرآن» للأخفش (١/ ٢٩٦).

(٦) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٢٣٨).

إلى حديثِ رسول الله ﷺ، فقالوا للنَّضر بنِ الحارث: ما يقولُ محمَّد؟ قال: والذي جعل الكعبةَ بيتَهُ، ما أدري ما يقول، إلَّا أنِّي أراهُ يُحرِّكُ لسانَه، ويقولُ أساطيرَ الأولين، مثلما كنتُ أحدِّثُكم عن القرونِ الماضية[1]، وكان النَّضرُ كثيرَ الحديث عن القرون، وقال أبو سفيان: إنِّي لأَرى بعضَ ما يقول حقاً، قال أبو جهل لعنه الله: كلا، فأنزل الله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾؛ يعني: إلى حديثك، ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾؛ أي: غطاءً وغشاوةً؛ ﴿أَن يَفْقَهُوهُ﴾؛ أي: لئلَّا يفقهوه[2].

وقال الحسنُ: أي: ألَّا يقبلوه[3]، كقوله: ﴿يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ﴾ [هود: ٩١]، وقوله: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [المنافقون: ٧]؛ أي: لا يَقبلون عن الله.

وقال محمد بن إسحاق: كلُّ ما في القرآن مِن ذكرِ الأساطير، فهو من قول النَّضر بن الحارث، كان يُسافرُ إلى أرضِ العجم، فيَحفظُ حديثَ رستُم واسفنديار، ويُعارِضُ به القرآن[4].

* * *

(٢٦) ـ ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ ۖ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ﴾؛ أي: هؤلاء الكفَّار يَنهون النَّاسَ عن اتِّباعِ النَّبيِّ ﷺ، وعن الاستماع منه، قاله مجاهد.

---

(١) بعدها في (ر): «أظن».

(٢) «تفسير الثعلبي» (١٢/ ٥٥ ـ ٥٦) (طبعة دار التفسير)، و«تفسير البغوي» (٣/ ١٣٦)، وذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢٠٩) من رواية أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) ذكره الواحدي في «التفسير البسيط» (٨/ ٦١).

(٤) انظر: «سيرة ابن هشام» (١/ ٣٠٠)، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٣٩٩ ـ ٤٠٠) من طريق ابن إسحاق بإسناده عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وقوله تعالى: ﴿وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ﴾؛ أي: يتباعدون بأنفسِهم عنه.

وقيل: ﴿يَنْهَوْنَ﴾ عن القرآن والإصغاءِ إليه، ﴿وَيَنْـَٔوْنَ﴾ عن العملِ به، فقد سبقَ ذكرُه عند قوله: ﴿أَن يَفْقَهُوهُ﴾، وذلك كنايةٌ عن القرآن، وهذا قول قتادة(١).

وقال الكلبيُّ: ﴿يَنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ عن محمَّدٍ مَن سألَهم عنه؛ أنْ يَقربوهُ ويتَّبعوهُ، ويَتباعدون عنه، فلا يتَّبِعونه(٢).

وقال ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: نَزلت في أبي طالب؛ كان يَنْهى أن يُؤذَى رسولُ الله ﷺ، ويَنأى عمَّا جاءَ به(٣).

ورويَ أنَّ قريشاً لـمَّا همَّت بقتلِ النَّبيِّ ﷺ، وعَلِم به أبو طالب، قال للنَّبيِّ ﷺ: أعلمْتَ أنَّ قريشاً همت بقتلك؟ قال: «نعم»، قال: ومن أنبأكَ به، وهذا أمرٌ خفيٌّ؟! قال: «أنبأني به ربي، قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ الآية [الأنفال: ٣٠]»، فقال أبو طالب: نِعْمَ الرَّبُّ ربُّك يا محمَّد، فأوصيك به(٤)، ثم خرج أبو طالب وقال للملأ وهُمْ مجتمِعون: يا قوم، إنَّ محمداً ابنُ أخي وولدي، ومَن همَّ به فأنا مُزهِقٌ روحَه، فطمعَ رسولُ الله ﷺ في إيمانِه، فجاءَ يُحرِّضُه على الإسلام، فقال أبو طالب:

ودَعوتَني وزعمتَ أنَّك ناصِحي ... ولقد صَدَقتَ وكنتَ قبلُ أمينَا
وعرضتَ ديناً لا محالةَ أنَّه ... مِن خيرِ أديانِ البَرِيَّةِ دِيْنَا
لولا الغضاضَةُ أو تكونَ مَسبَّةٌ ... لوجدَتني سَمحاً بذاك مبينَا(٥)

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٢٠٣).

(٢) انظر: «التفسير البسيط» (٨/ ٦٦).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٢٠٤).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ١٣٣ ـ ١٣٤)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٦٨٨) (٨٩٩٨).

(٥) في (ر): «متينا».

واللهِ لـن يَصِلـوا إليـكَ بجمعِهِم حتَّـى أوسَّـدَ فـي التُّـرابِ دَفينَـا
فاصْـدَعْ بأمـرِكَ مـا عليـكَ غضاضَةٌ وابْشِـرْ وقَـرَّ بـذاكَ منْـكَ عيونَـا

فنزلَتْ فيه هذه الآيةُ(١).

وقوله تعالى: ﴿وَإِن يُهۡلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ﴾؛ أي: وما يُورِدونَ مواردَ العذابِ إلَّا أنفسَهم.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَشۡعُرُونَ﴾؛ أي: وما يَنتفعون بعلمِهم.

وقيل: وما يَعلمون ما عليهم مِن العذابِ في الآخرة، وهو نفيُ العلمِ بقَدْرِ ذلك، وهو إعظامٌ له(٢).

* * *

(٢٧) ـ ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيۡتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾؛ أي: حُبسوا، وهو متعدٍّ؛ وقفتُه وقفاً.

قال الأصمعيُّ: قال أبو عمرو: ما سمعتُ أحداً من العرب يقول: أوْقَفْتُ الشَّيءَ؛ بالألف، إلا أنِّي لو رأيتُ رجلاً بمكانٍ، فقلت له: ما أوقفك هاهنا؟ لرأيته حسناً(٣)؛ أي: ما عرَّضك للوقوف.

وقوله تعالى: ﴿فَقَالُواْ يَٰلَيۡتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ قرأ ابنُ عامر(٤) وحمزةُ وعاصمٌ في رواية حفص: ﴿وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ﴾ بالنَّصبِ فيهما على

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (١/ ٥٥٦)، و«تفسير الثعلبي» (٤/ ١٤١ ـ ١٤٢)، والأبيات في «ديوان أبي طالب» (ص: ٩١).

(٢) في (أ): «لهم».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٢٠٧)، وانظر: «تهذيب اللغة» للأزهري (٩/ ٣٣٣).

(٤) قرأ ابن عامر بالرفع في (نكذب) والنصب في (نكون) كما سيأتي. انظر: «البدور الزاهرة» (ص ١٠١).

جواب التَّمنِّي بالواو، وكما في الجواب بالفاء، وتقديرُه: حتَّى لا نُكذِّب وحتَّى نكونَ، وعلى الصَّرف[1] أيضاً، ومعناه: أنَّ قوله: ﴿نُرَدُّ﴾ على التَّمنِّي، وما بعدَهُ ليس على ذلك، بل على الإخبارِ قطعاً، فصرف عن الأوَّلِ بالنَّصب.

وقرأ الباقون بالرَّفع[2] فيهما على الإخبار ابتداءً، وتقديره: ولسنا نُكذِّبُ بآياتِ ربِّنا، بل نكونُ مِن المؤمنين.

وقرأ ابنُ عامر في رواية: ﴿وَلَا نُكَذِّبُ﴾ رفعاً، وهو يكونُ إخباراً واقعاً بين التَّمنِّي وجوابِه، ﴿وَنَكُونَ﴾ بالنصب[3] جواباً للتَّمنِّي بالواو، ومعنى الآية: ولو ترى يا محمَّد إذْ وُقِفَ هؤلاءِ على النَّار.

وقال الزَّجَّاج: أي: على شفير النار، فتكونُ النَّارُ تحتَهم، وهو قبل أن يَدخلُوها[4]، كما في قوله: ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا﴾ [الطور: ١٣].

وقيل: أي: اطَّلعوا عليها، كما يقال: وقفتُ على حقيقةِ هذا الأمر، وأوقفني عليه غيري، وذلك حين قَرُبوا منها، فرأَوها وعرفوها، ويكون أيضاً بعدما دخلوها وعرفوها[5]، فقالوا: يا ليتنا نَرجِعُ إلى الدُّنيا فنؤمنَ ولا نكفر، لرأيت أمراً عظيماً، هذا محذوفٌ، وهو مقدَّرٌ في جواب ﴿وَلَوْ﴾.

* * *

---

(١) الصرف هنا بمعنى الالتفات. انظر: «معجم البلاغة العربية» لبدوي طبانة (ص: ٣٤٠ ـ ٣٤١).

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٢٥٥)، و«التيسير» (ص: ١٠٢).

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٢٥٥)، و«جامع البيان» (ص: ٤٨٨)

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٢٣٩).

(٥) هذا الرأي ذكره الزجاج أيضاً، وجوده.

(٢٨) ـ ﴿بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ﴾ ﴿بَلْ﴾ ردٌّ للأوَّل، ومعناه: ليس ما يتمنَّونه مِن الرَّجعةِ رغبةً في الإيمان، لكن أظهرَ اللهُ أعمالَهم السيِّئةَ على رؤوسِ الأشهادِ يومَ القيامة، ففضحَهم، كما قال: ﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا﴾ [الزمر: ٤٨].

وقيل: ﴿مَّا كَانُوا يُخْفُونَ﴾ هذا من أهل النِّفاقِ، وقد سبقَ ذِكرُهم: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾.

وقيل: أي بدا للأتباعِ ما كان الرؤساءُ يُخفونَ مِنهم؛ مِن صدقِ رسولِ الله ﷺ، ومِن حقيَّةِ[1] البعثِ يوم القيامة.

وقيل: هو إخفاء الضَّمائر، قال تعالى: ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾ [الطارق: ٩]، وقال: ﴿وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾ [العاديات: ١٠].

وقيل: ظهرَ لهم عقابُ ما كانوا يُخفونَهُ مِن سيِّئاتِ أعمالِهم، كقوله تعالى: ﴿هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ﴾ [التوبة: ٣٥]؛ أي: عقابُ ما كَنزتُم.

وقيل: كانَ مِن المشركين مَنْ إذا خوَّفهُ رسولُ الله ﷺ العذابَ بكفرِه، دخلَهُ خوفٌ على سبيلِ الشَّكِّ، فيُخفيه ولا يُبديه، فيَبدو له ذلك في القيامة.

وقيل: ﴿بَدَا لَهُم﴾؛ أي: لمشركي العرب ما كان أهلُ الكتاب يُخفونَه عنهم مِن قبل، وقد سبق ذِكرُهم: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾؛ أي: ولو رُدُّوا إلى الدُّنيا لرجَعوا إلى ما نُهوا عنه مِن الشِّرك.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾؛ أي: في قولهم: ﴿وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

---

(١) في (ر): «حقيقة».

وقال أبو روق: إذا قالوا: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾، وختمَ اللهُ على أفواهِهم، وأنطقَ جوارحَهم، فشَهِدَت بما كتموا، فذلك قوله تعالى: ﴿بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ﴾[1].

وروى مكحولٌ عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّه قال: يَعتذرُ اللهُ إلى آدمَ ثلاثةَ معاذير؛ أي: يلاطِفُه ثلاثَ ملاطفات:

أولاهنَّ أنْ يقول: يا آدم، لولا أنِّي لعنتُ الكذَّابين، وأبغض الخُلْفَ والكذِبَ، لرحمتُ ذُرِّيَّتكَ اليوم من شِدَّةِ ما أعددتُ لهم، ولكن حقَّ القولُ منِّي لمن كذَّب رسلي، وعصى أمري، أنْ أملأَ جهنَّم منهم أجمعين.

ويا آدم، إنِّي لا أُدخِلُ النَّار إلَّا مَنْ عَلِمتُ أنِّي لو رددتُه إلى[2] الدُّنيا لم يَتُب ولم يُراجِع عمَّا نهيتُه عنه، ثم قرأ: ﴿وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ﴾.

ويا آدم، كن أنتَ اليومَ بيني وبين ذُرِّيَّتك، فقُم عند الميزان، فانظُر إلى ما رُفِعَ إليَّ مِن أعمالِهم، فمن زادَتْ حسناتُه على سيِّئاتِه مثقالَ حبَّةٍ مِن خردلٍ، فأدْخِلهُ الجنَّةَ؛ لتعلمَ أنِّي لا أُدخِلُ النَّار إلَّا كلَّ ظالمٍ، ومَن هو أهلٌ لها[3].

وقال الإمامُ أبو منصور رحمه الله: تَعلَّقت الخوارجُ بظاهرِ هذه الآية: ﴿وَإِنَّهُمْ

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٢/ ٦١) (طبعة دار التفسير).

(٢) بعدها في (ف): «دار».

(٣) رواه الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» (٩٢٦)، والطبراني في «المعجم الصغير» (٨٥٥ـ الروض الداني)، والواحدي في «الوسيط» (٣/ ٤٥١ ـ ٤٥٢)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٧/ ٤٥٣ ـ ٤٥٤) من طريق الفضل بن عيسى الرقاشي عن الحسن عن أبي هريرة رضي الله عنه. والفضل كذاب.

لَكَٰذِبُونَ﴾ أنَّ المؤمنَ إذا قال: لا أُذنب ثمَّ أذنبَ، ظهر أنَّه كاذبٌ في قوله الأوَّل، وقالوا في قوله: ﴿يُبَايِعۡنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشۡرِكۡنَ بِٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَلَا يَسۡرِقۡنَ وَلَا يَزۡنِينَ﴾ الآية [الممتحنة: ١٢]: إنَّهنَّ إذا سرقنَ، أو زَنينَ، ظهرنَ أنَّهنَّ بايعن على الكذب، فلم يكن إيماناً ولا بيعةً، وقالوا: لمَّا عَلِم اللهُ تعالى من هؤلاء ﴿وَلَوۡ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ﴾ سمَّاهم بذلك كاذبين للحال، ثبتَ ما قلنا، لكنَّا نقول: ليس كذلك، بل الكذِبُ: هو الإخبارُ عن الشَّيء على خلافِ ما هو به، وإذا كان اعتقادُ المخبر على ما يخبِرُ به، لم يكن على خلافه، فأمَّا الآيةُ فلها وجوهٌ:

أحدها: أنَّهم أضمروا بخلافِ ما أظهروا، وهو كقوله: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشۡهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾ إلى قوله: ﴿وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ [المنافقون: ١].

والثاني: أنَّ معناه: ﴿وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ﴾؛ أي: ليَكذبون في العاقبةِ، ويُخالِفون ما قالوا، كما يُقول: إنَّه فاعلٌ كذا غداً.

والثالث: أنَّه سمَّاهم كاذِبين بكذبِهم القديم، كما سَمى أهلَ النَّارِ كفَّاراً بكفرِهم القديم[1].

وقال الإمامُ القشيريُّ رحمَه الله: ﴿بَلۡ بَدَا لَهُم﴾ غداً تُهْتَك[2] الأستارُ، وتَظهرُ الأسرار، فكم مِن متجلِّلٍ بثوبِ تقواهُ، حكمَ له معارِفُه أنَّه زاهدٌ في دنياهُ، راغبٌ في عقباهُ، مُحِبٌّ لمولاه، مفارِقٌ لهواه؟ يُكشَفُ الأمرُ عن[3] خلافِ ما توهَّموهُ، وافتُضِحَ عندهم بغير ما ظنُّوه، وكم مِن متهتِّكٍ، سُتِرَ بما أُظهِر عليه، ظنَّ الكُلُّ أنَّه خليعُ العِذار،

---

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٤/ ٦٤ ـ ٦٥).

(٢) في (ر): «تنهتك».

(٣) في (أ) و(ف): «على».

مشوَّشُ الأسرار، وظهرَ لذوي البصائرِ طهارتُه، وبرزَ مِن خفايا السِّرِّ حقيقتُه(١).

* * *

(٢٩) ـ ﴿وَقَالُوٓاْ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَقَالُوٓاْ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾؛ أي: قال هؤلاء الكُفَّار: ما الحياةُ إلَّا حياتُنا القربى؛ أي: الحاليَّة، ولا نُبعثُ بعدَ الموتِ أحياءً للجزاء.

* * *

(٣٠) ـ ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾؛ أي: حُبِسوا على حسابِ ربِّهم، أو على عذابِ ربِّهم، أو «على» بمعنى اللام، وتقديرُه: وقفوا لربِّهم، كما قال: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المطففين: ٦].

وقيل: أي: حُبِسوا على ما يكونُ مِن أمرِ الله فيهم، قال تعالى: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ﴾ [الصافات: ٢٤]، ويُقال: هذا الأمرُ موقوفٌ على فلانٍ، وعلى مجيء فلان، وجواب ﴿وَلَوْ﴾ مضمرٌ؛ أي: لرأيتَ أمراً عظيماً.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ﴾؛ أي: قال اللهُ تعالى، أو قال الملَكُ(٢) بأمرِه: أليسَ البعثُ بحقٍّ.

وقوله تعالى: ﴿قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَا﴾ اعترفوا به مُحقِّقاً بالقسم بعدما كانوا يقولون: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾.

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (١/ ٤٦٧).

(٢) في (أ): «قالت الملائكة» بدل: «قال الملك».

وقولـه تعالـى: ﴿قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾؛ أي: فـلا نفـعَ لكـم في هذا الإقـرار، فذُومـوا في هذا العـذابِ بذلـك الإنكار.

* * *

(٣١) ـ ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا۟ يَٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ﴾ الخسران: الهلاكُ وذهابُ رأسِ المال، وقد فاتَ هؤلاءِ خلاصُ أنفسِهم، ولزمَهُم هلاكُها.

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: بالبعثِ للحساب والجزاء، ويكونُ أيضاً برؤية الله التي وعدَها للمؤمنين، وقد كشَفنا معنى الكلمةِ عند قوله: ﴿يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ﴾ [البقرة: ٤٦].

وقولـه تعالـى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً﴾؛ أي: حتَّـى إذا أتتهـم القيامـةُ فجأةً، وسُـمِّيَت القيامةُ سـاعةً؛ لسـرعة الحسـاب فيها، قال تعالى: ﴿وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [الرعـد: ٤١]، كأنَّـه قيـل: وما هي إلَّا سـاعةٌ حتَّى يحصـلَ أهلُ الجنَّة فـي الجنَّة، وأهلُ النَّارِ فـي النَّار.

وقوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ يَٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا﴾؛ أي: يا ندامَتنا على ما قصَّرنا في حقِّها؛ أي: في حقِّ القيامةِ مِن الاستعداد لها، وتقديمِ الأعمالِ الصَّالحةِ لأجلِها، وحقيقةُ ﴿فَرَّطْنَا﴾ جعلنا غيرَنا الفارِطَ؛ أي: السَّابقَ إلى طاعة الله، فحَصلنا مُتخلِّفين.

وقـوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ﴾؛ أي: وهم مع هذا التَّحسُّر يَحمِلون أثقالَ آثامِهم على ظهورِهم، وهو عبارةٌ عن لزومِ تلك الآثام لهم، وكونِهم مثقَلِين بها، مرتَهَنين بعذابِ الله تعالى.

وقوله تعالى: ﴿أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ﴾؛ أي: يَحمِلون.

قال قتادة: يأتي الكافرَ عملُه الخبيثُ في أقبحِ صورةٍ، وأنتنِ ريحٍ، فيقول له: طالما رَكِبتني في الدُّنيا، فهلمَّ أركبكَ، فيركبُ[1] ظهرَه[2].

ونظيرُ الحملِ على الظَّهر ما ذُكِر مِن جعله في العنق، قال تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ﴾ [الإسراء: ١٣]، وما روي[3]: يأتي أحدُكم بالشَّاة في عنقه[4]، وقوله ﷺ: «من غصبَ شبراً من أرض طَوّقَهُ الله إلى سبعِ أرضين يوم القيامة»[5]، وكلُّ ذلك له وجهان:

أحدُهما: معنى اللُّزوم.

والثاني: أن يُجعلَ يوم القيامة صورةً، فيُحمَل على ظهرِه، أو يُطوَّق في عنقِه تعذيباً له.

---

(١) بعدها في (ر): «على».

(٢) أورده عن قتادة الواحديُّ في «التفسير الوسيط» (٢/ ٢٦٤)، و«البسيط» (٨/ ٩٠)، ورواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٢١٦ ـ ٢١٧) عن عمرو بن قيس الملائي وعن السدي.

(٣) بعدها في (ف): «كما».

(٤) لعله يشير إلى حديث ابن اللتبية الذي استعمله رسول الله فجاء فقال: هذا لكم وهذا أهدي لي، فقال ﷺ: «لا يأخذ أحد منه شيئاً إلَّا جاء به يوم القيامة يحملُه على رقبته، إن كان بعيراً له رغاء، أو بقرةً لها خوار، أو شاةً تَيْعَر» رواه البخاري في «صحيحه» (٢٥٩٧)، ومسلم (١٨٣٢) من حديث أبي حميد الساعدي رضي الله عنه.

(٥) رواه البخاري في «صحيحه» (٢٤٥٢)، ومسلم (١٦١٠) من حديث سعيد بن زيد رضي الله عنه، ورواه البخاري في «صحيحه» (٢٤٥٣)، ومسلم (١٦١٢) من حديث عائشة رضي الله عنها، وروي عن غيرهما.

(٣٢) ـ ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ يَرجِعُ إلى قولهم: ﴿إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا﴾؛ أي: وما الحياةُ[1] التي دعوتُم النَّاس إلى التَّمتُّع فيها، وقلتُم لا حياةَ غيرها؛ في قِصَر مدَّتها وسرعة انقضائها في جنب الحياة الآخرة، إلَّا كلَعِبِ الصِّبيان، ولهْوِ الفُرسان.

وقال الإمامُ أبو منصور رحمه الله: أي: الحياةُ الدُّنيا للدُّنيا خاصَّة[2] لعبٌ ولهو، واللَّعب: هو الذي لا حقيقةَ له، ولا مقصدَ فيه، واللهو: ما يُقصَدُ به قضاءُ الشهوة، وهو كالعبثِ المذكورِ في قوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا﴾ [المؤمنون: ١١٥]، يقول: لو لم تكن هذه الحياةُ[3] لدارٍ أُخرى يُرجى بها الثَّوابُ، ويُخشى بها العقاب، لم يكن فيها حكمةٌ، بل كانت لهواً ولعباً، وكذلك خلقُ البشرِ، لو لم يكن للبعثِ والجزاءِ على العمل كان عبثاً[4].

وقوله تعالى: ﴿وَلَلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ قرأ ابنُ عامر: ﴿ولَدارُ الآخرةِ﴾ بلامٍ واحدة على الإضافة[5]، ومعناهُ: ولَدارُ الحياةِ الآخرةِ، أو ولَدارُ النَّشأةِ الآخرةِ، على ما فسَّرناهُ عند قوله تعالى: ﴿وَبِٱلْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة: ٤].

وعلى القراءةِ الظاهرة ﴿ٱلْآخِرَةُ﴾ نعتٌ للدَّار، ومعنى الآية: إنَّ نعيمَ الآخرةِ خيرٌ مِن نعيم الدُّنيا؛ لأنَّه لا يَزولُ ولا يَحول، ولا يُنتقص ولا يَتنغَّص، وخصَّ به المتَّقين؛ لأنَّهم هم المنتفعون به، والصَّائرون إليه.

---

(١) بعدها في (ف): «الدنيا».

(٢) في (ف): «خالصة».

(٣) بعدها في (أ): «الدنيا».

(٤) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٤/ ٦٩).

(٥) انظر: «السبعة» (ص: ٢٥٦)، و«التيسير» (ص: ١٠٢).

وقوله تعالى: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[١] قرأ نافعٌ وأبو جعفر، وابنُ ذكوان عن ابنِ[٢] عامر[٣]، وعاصمٌ في رواية حفص، وسهلٌ ويعقوب[٤]: بتاء المخاطبة، والباقون بياء المغايَبة[٥]؛ أي: أفلا يَعقِلُ المشركون هذا فيعملوا به؟ وهي كلمةُ استبطاء.

* * *

(٣٣) ـ ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ﴾ ﴿قَدْ﴾ في الكلام في مثل هذا النَّظم[٦] لثلاثة أوجه:

أحدها: التوقُّع، كقولك: قد ركبَ الأمير، لقومٍ يَتوقَّعون ذلك[٧]، ولـمَّا سمعَ النَّبيُّ ﷺ حجَّةَ اللهِ عليهم، تَوقَّع ما يُخاطب به في أمورهم[٨]، فقيل هذا.

والثاني: التَّقريبُ من الحال، كقولك: إنْ كان القومُ قد أَتَوا فعرِّفني، ويكون معناه هاهنا تقريبَ حالِ الحزنِ من حال الخطاب.

والثالث: بمعنى التَّقليل في الأحيان، كقولِك: قد يكون كذا، ويكونُ معناه هاهنا: تقليلَ حزنِه بذلك؛ لتسليةِ الله عزَّ وجلَّ إيَّاه.

---

(١) في (ر): «يعقلون».

(٢) قوله: «أبو جعفر وابن ذكوان عن ابن» من (ف).

(٣) لم يختلف على ابن عامر هنا.

(٤) قوله: «وسهل ويعقوب»: زيادة من (ف).

(٥) انظر: «السبعة» (ص: ٢٥٦)، و«التيسير» (ص: ١٠٢)، و«النشر»: (٢/ ٢٥٧).

(٦) في (أ) و(ر): «النظام».

(٧) في (أ): «ركوبه».

(٨) في (أ): «أمرهم».

وقوله: ﴿لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ﴾ قال الحسنُ رحمه الله: قولُ قريشٍ: إنَّك ساحرٌ كذَّابٌ مجنون.

وقيل: هو ما سبق ذكره: ﴿إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾، ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾.

وقال الإمامُ أبو منصور رحمه الله: يَحتملُ أنَّه كان يُحزِنُه افتراؤهم وكذبُهم على الله، أو كان يحزِنهُ تكذيبُ أقاربِه، فإذا كذَّبوه انتهى الخبرُ إلى الأبعدين، فكذَّبوهُ أيضاً، فيَحزنُ لذلك، أو يحزنُ حزنَ طبعٍ؛ لأنَّ طبعَ كلِّ أحدٍ يَنفِرُ عن التَّكذيب، أو كان يَحزنُ إشفاقاً عليهم لما يَنزِلُ عليهم مِن العذاب، وذلك[1] قولُه: ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٣]، وقوله: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ﴾ [فاطر: ٨]، والآيةُ إخبارٌ مِن الله عزَّ وجلَّ أنَّه على علمٍ منه بتكذيبِهم إيَّاه بعثَهُ إليهم رسولاً، وأنَّه لا عذرَ له بتركِ التَّبليغِ وإن كذَّبوه[2].

وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكْذِبُونَكَ﴾ قرأ نافعٌ والكسائيُّ بالتَّخفيف[3]؛ مِن قولك: أكذَبتُ فلاناً؛ أي: وجدتُه كاذباً.

وقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ يقول: لا يَجِدونكَ كاذباً فيما تقول، لكنَّ الكافرين الظَّالمين أنفسَهم، الواضعين الشَّيءَ غيرَ موضعِه، يُنكِرون الحقَّ مع علمِهم به.

وقرأ الباقون: ﴿لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾ بالتشديد، ومعناه: لا يَنسبونكَ إلى الكذب، وهذا مُشكِلٌ مع بقيَّةِ الآية، لكن له وجوهٌ صحيحة.

---

(١) في (ر): «كما في» بدل: «وذلك».

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٤/ ٧٠).

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٢٥٧)، و«التيسير» (ص: ١٠٢).

قال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ﴾ من تكذيبهم إياك في العلانية؛ فإنَّهم لا يُكذِّبونك في السِّرِّ، وقد علموا أنَّك صادقٌ، ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ بمحمَّدٍ والقرآنِ في العلانية(١).

وقال أبو ميسرة: مرَّ رسولُ الله ﷺ على أبي جهلٍ لعنه الله، فقال: يا محمَّد، ما نُكذِّبُك، وإنَّك عندنا لمصدَّقٌ؛ أي: لا نَصِفُكَ بأنَّك رجلٌ كاذبٌ، بل نُسمِّيك أميناً في سائر الأشياء، ولكنَّا نُكذِّبُك فيما(٢) جئتنا به، فأنزلَ اللهُ تعالى هذه الآية(٣).

وقال أبو يزيد المدني: لقيَ رسولُ الله ﷺ أبا جهلٍ، فصافحَهُ، فلقيَهُ بعضُ شياطينه، فقال له: رأيتُكَ تُصافِحه، فقال: واللهِ إنِّي لأَعْلَم إنَّه لصادقٌ، ولكنَّا متى كنا تبعاً لبني عبد مناف، فنزلَت الآية(٤).

وقال السُّدِّيُّ: لـمَّا كان يومُ بدرٍ الْتقى الأخنسُ بن شريق وأبو جهل، فقال الأخنسُ: يا أبا الحكم، أخبرني عن محمَّدٍ، أصادقٌ هو أم كاذب؟ فإنَّه ليس هاهنا أحدٌ يَسمعُ كلامي غيري وغيرُك، فقال أبو جهلٍ لعنه الله: والله إنَّ محمَّداً لصادقٌ، وما كذبَ محمَّدٌ قطّ، ولكن إذا ذهبَ بنو قُصَيٍّ باللِّواء والسِّقاية والحِجابةِ والنَّدوةِ والنُّبوَّة، فماذا يكونُ لسائرِ قريش(٥).

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ١٠٧) من قول الكلبي، والواحدي في «الوسيط» (٢/ ٢٦٥) عن ابن عباس وقتادة والسدي ومقاتل.

(٢) في (أ) و(ف): «ولكنا نكذب ما» بدل من «ولكننا نكذبك فيما».

(٣) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٢/ ٢٦٥)، و«البسيط» (٨/ ٩٧ ـ ٩٨)، و«أسباب النزول» (ص: ٢١١)، وأخرجه عبد بن حميد وابن المنذر وابن مردويه، كما في «الدر المنثور» (٦/ ٤٠).

(٤) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٨٣) (٧٢٣٩).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٢٢٢).

وقال مقاتل: نزلَت في الحارثِ بنِ عامر بنِ نوفلَ بن عبد مناف بن قصي، كان يُكذِّبُ النَّبيَّ ﷺ في العلانية، فإذا خلا به مع أهل بيته[١] قال: ما محمَّدٌ مِن أهل الكذب، ولا أحسبُه إلَّا صادقاً، وقال للنبيِّ ﷺ: إنَّا لنَعلمُ أنَّ الذي تَقولُهُ حقٌّ، وإنَّه لا يَمنعُنا أن نتَّبع الهُدى معك إلَّا المخافةُ مِن أنْ يتخطَّفنا النَّاسُ مِن أرضِنا، فنزلَت الآيةُ[٢].

وقال الحسنُ رحمه الله: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾ بأنَّ اللهَ ليس بخالقهم ولا برازقِهم، ولكنَّ المشركين بدينِ الله الإسلامِ يَجحدون.

وقال الضَّحَّاك: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾؛ أي: لا يُمكنهم إثباتُ الكذبِ عليك، ولا يَقدِرون ألَّا يكونَ الرَّسولُ رسولاً، وعلى ألَّا يكونَ القرآنُ قرآناً، وإنَّما يُكذِّبونك بألسنتِهم[٣].

وفي تفسير مالك بن سليمان: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾؛ يعني: المؤمنين، ﴿وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ﴾؛ أي: الكافرين ﴿بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾، وهو نظيرُ قوله: ﴿فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾ [الأنعام: ٨٩].

وقيل: أي: فإنَّ الكفَّار لا يُكذِّبونكَ بحُجَّةٍ، فلا تَعتدَّ بتكذيبِهم؛ فإنَّه لا حقيقةَ له، وهو كنَفي الرَّمي في قوله: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ﴾ [الأنفال: ١٧].

وقيل: أي: لا يُكذِّبونك في ردِّ الوحي، وإنَّما يُكذِّبونَني؛ لأنَّك تُخبِرُ به عنِّي.

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: قد نَعلمُ ما قالوا فيك، وإنَّما قالوا ذلك بسببِنا ولأجلِنا، وقد كنتَ عظيمَ الجاهِ فيهم قبل أن أوقعنا عليك هذا الرَّقم، وكانوا

---

(١) نص العبارة في «تفسير مقاتل»: «فإذا خلا مع أهل ثقته».

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (١/ ٥٥٨).

(٣) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٨٢) (٧٢٣٦) عن الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما.

يُسمُّونك محمَّداً الأمين، وإنَّما أصابَك ما أصابك لأجلِ حديثِنا؛ أي: لإرسالنا[١]، فغيرُ ضائعٍ لك هذا عندنا، وحالُك فينا كما قيل:

أشاعوا لنا في الحيِّ أشنعَ قِصَّةٍ وكانوا لنا سِلْماً فصاروا لنا حَرْباً[٢]

* * *

(٣٤) ـ ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَإِ الْمُرْسَلِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَإِ الْمُرْسَلِينَ﴾ وقال الكلبيُّ: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ﴾ كذَّبهم قومُهم كما كذَّبتك قريشٌ، ﴿فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا﴾ في أبدانِهم، ﴿حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا﴾؛ أي: عدتنا بهلاكهم[٣]، ﴿وَلَا مُبَدِّلَ﴾، أي: لا مغيِّر ﴿لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾؛ أي: المواعيد في القرآنِ أنَّه سينصرُك والذين آمنوا معك، كما نصرَ الأنبياءَ قبلَك، ﴿وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَإِ الْمُرْسَلِينَ﴾ مِن خبرِهم في القرآن كيف أنجيناهُم، ودمَّرنا قومَهم[٤].

وكان النبي ﷺ منهم إذا أتى قوماً فكذَّبوهُ وأُهلكوا ونجا هو؛ أتى مكَّةَ، فتَعبَّد فيها حتَّى يأتيَهُ الموتُ.

وقال عكرمة: ﴿وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾ يعني قولَه تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا

---

(١) قوله: «أي لإرسالنا» من (ر).

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (١/ ٤٦٩).

(٣) في (أ): «لهلاكهم».

(٤) انظر: «تفسير أبي الليث» (١/ ٤٨٢)، و«تفسير الثعلبي» (٤/ ١٤٥).

﴿لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ الآية [الصافات: ١٧١]، **وقوله تعالى:** ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ﴾ [المجادلة: ٢١][(١)]، وقولُه: ﴿مِن نَّبَإِي۟ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ هو للتبعيض.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: يقول: لستَ بأوَّلِ مُكذَّبٍ مِن الرُّسُل، بل كُذِّبَ إخوانُك قبلَك فصبروا، ولم يتركوا تبليغَ الرِّسالة، فعلى ذلك لا عذرَ لك في تركِ تبليغِها، ثمَّ وعدُهُم بالنَّصر يَحتمِل وجوهاً؛ فيحتمل نَصرَهُم بالحُجَج والبراهين، ويحتمل بالغلبة والقهر، ويحتمل بإهلاك الأعداء[(٢)].

وقال الإمامُ القشيريُّ رحمه الله: يقول: إنَّ مَن سلكَ سبيلَنا؛ صبرَ[(٣)] على ما أصابَه في حديثنا، فلا خَسِرَت فينا صفقتُهم، ولا خفيَت علينا حالتُهم، وما قابلَ حكمَنا مَنْ عرفَنا إلَّا بالـمُهَج، وما حملوا ما لقُوا فيه إلَّا على الحدق.

إن الأُلى ماتُوا على دينِ الهَوى ... وَجَدوا المنيَّة منهلاً معسولاً[(٤)]

* * *

(٣٥) ـ ﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ﴾؛ أي: ثَقُلَ.

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٤/ ١٤٥).

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٤/ ٧١ ـ ٧٢).

(٣) في (ف): «صبرناه».

(٤) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (١/ ٤٦٩)، والبيت نسبه الوشاء في «الموشى» (ص: ٧١) لعمرو بن قنان.

وقوله تعالى: ﴿فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي ٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: سَرَباً[١]، وقال القتيبي: مدخلاً[٢]، وقال أبو عوسجة[٣]: غاراً[٤].

وقوله تعالى: ﴿أَوْ سُلَّمًا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ قال قتادة: درجاً، وقال السُّدِّيُّ: مصعداً[٥].

وقوله تعالى: ﴿فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ﴾؛ أي: ممَّا يَقترحون ذلك فافعل، وهذا مضمَرٌ، يقول: قد ذكرنا أنَّ سائرَ الرسل صبروا، فاصبرْ لتُنصَرَ كما نُصِروا، فإنْ تَعذَّر عليك ذلك، واستعجَلتَ النَّصْرَ، فإن قَدرت على أنْ تأتيَ بذلك مِن الأرضِ أو مِن السَّماء، فافعل، وهذا بيانُ أنَّه ليس بيدِه ذلك، فلا معنى لاستعجالِه وقِلَّةِ صبرِه.

ويُقال هذا الكلامُ لمَن يُنبَّهُ للصَّبر، وأنَّه لا يَنفعُه الاضطراب، وكان النَّبيُّ ﷺ موصوفاً بالصَّبر، والأمرُ به في حقِّه كالأمرِ بالتَّقوى، والنَّهيِ عن الشِّرك[٦]، وسائرُ مخاطباتِه بالأوامرِ والنَّواهي لحكمٍ قد بيَّنَّاها مرَّاتٍ.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ قال الإمام أبو منصور رحمه الله: أي: جعلَهم جميعاً بحيث يختارون الهُدى[٧]، ولكن لـمَّا علمَ أنَّهم يَختارون الكفرَ على الهُدى، لم يشأ أنْ يَجمعهُم على ذلك، ولا يجوزُ أنْ يُحملَ على مشيئة الجبرِ والقهر؛ لأنَّ ذلك لا يكونُ هدًى[٨].

---

(١) قاله ابن عباس، أخرجه عنه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٢٢٦، ٢٢٧).

(٢) تنظر: «تفسير غريب القرآن» لابن قتيبة (ص: ١٥٣).

(٣) بعدها في (أ): «أو».

(٤) ذكره الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (٤/ ٧٤).

(٥) قولا قتادة والسدي أخرجهما الطبري في «تفسيره» (٩/ ٢٢٦ ـ ٢٢٧).

(٦) في (ف): «المنكر».

(٧) بعدها في (ر): «أي».

(٨) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٤/ ٧٤ ـ ٧٥).

وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ أنَّ اللهَ لو شاء لجمعَهم على الهُدى.

وقيل: ﴿مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ أنَّ بعضهم يُؤمِنُ دون بعض.

قال ابنُ عبَّاس رضي الله عنهما: كان النبيُّ ﷺ يحرِصُ على أنْ يؤمِنَ جميعُ النَّاس ويتابعوه على الهدى، فقال: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾(١).

وهذا وقوله: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ يجوزُ خطابُه ﷺ به؛ لِما عُرِفَ أنَّه وإنْ كان معصوماً، ولكنَّ العِصمةَ لا تُزيلُ المِحْنةَ على ما عُرِف.

***

(٣٦) ـ ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾ القولَ(٢)، يقول: إنَّما يَستجيبُ دعاءَك الذين يَسمعون دعاءَك للقَبول والانقياد، فأمَّا مَن ألِفَ الشِّركَ وتمادى في الطُّغيان، فلا.

وقيل: ﴿يَسْمَعُونَ﴾؛ أي: يَنتفعون بالسَّماع.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ قال مقاتل: ﴿وَٱلْمَوْتَىٰ﴾ يعني: كفَّار مكَّة، يَبعثُهم اللهُ في الآخرةِ، ثمَّ إليه يُردُّون، فيَجزيهم بأعمالِهم(٣).

وقيل: هو(٤): ابتداءٌ، وهو على حقيقة الموت.

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٨٤ ـ ١٢٨٥) (٧٢٥٠).

(٢) لفظ: «القول» من (ف).

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» (١/ ٥٥٩).

(٤) «هو»: من (أ) و(ف).

(٣٧) ـ ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: وقال هؤلاء الكفَّارُ: هلَّا نُزِّلَ عليه آيةٌ يقترحُها، كآيات الأنبياءِ الماضين، مثل: فلق البحرِ لموسى، والناقةِ لصالح؛ مِنْ تَسيير الجبال، وتصيير الصَّفا ذهباً، وتفجيرِ الينابيع، وإسقاطِ السَّماءِ كِسَفاً، والرُّقيِّ في السَّماء وإنزالِ الكتاب[1]، ونحو ذلك، قل[2] يا محمد: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ﴾ الآية التي اقترحوها، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

قال مقاتل: ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ ما لهم في نزولِها[3].

وقال القفال رحمه الله: أي: لا علمَ لهم بوجهِ تخصيص كلِّ نبيٍّ بمعجزةٍ، وإنَّ موسى خرجَ في زمن السَّحرةِ، فأتى بمعجزةٍ مِن جنسِ ذلك، وعرفوا أنَّ ما أتى به ليس ممَّا يَدخلُ في وِسْع البشر، وعيسى خرجَ في زمنِ الأطبَّاء، فأتى بمعجزةٍ مِن جنس ذلك، وعرَفوا أنَّه لا يدخل[4] في وِسْعهم ذلك، فلَزِمتهُم به الحُجَّةُ، ومحمَّدٌ ﷺ خرجَ في زمنِ البُلغاء والفُصحاء، فأتى بالقرآنِ، وعَجَزوا عن معارضتِه، ولزِمَتهمُ الحُجَّةُ، ولو أتى بما كان مِن جنسِ معجزاتِ سائرِ[5] الأنبياء، لكان لأهلِ عصرِه أنْ يَقولوا: ليس هذا من جنسِ عملنا، فلا نَقدر على معارضتِك، ولغيرِنا أنْ يُعارِضَك بمثلِه.

---

(١) في (ف): «الكتب».

(٢) في (ف): «وقال».

(٣) نص قول مقاتل في «تفسيره» (١/ ٥٥٩): لا يعلمون بأن الله قادر على أن ينزلها.

(٤) في (ر): «أن ما أتى به ليس» بدل: «أنه لا يدخل».

(٥) في (ر): «بجنس ما كان من المعجزات لسائر» بدل: «ما كان من جنس معجزات سائر».

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أنَّه إذا أُنزِلت الآيةُ الاقتراحيَّةُ ولم يُؤمنوا، استؤصلوا، ومحمَّدٌ ﷺ نبيُّ الرَّحمةِ، فلا استِئصالَ في زمانِه.

ويَحتمل ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أنَّ اللهَ لا يُنزِلُ الآية إلَّا عند الحاجةِ بهم إليها، ولا حاجة إليها، فقد نَزلَت الآياتُ العقليَّةُ والسَّمعيَّةُ والحِسِّيَّةُ؛ أي: القرآنُ، والإخبارُ عن الكائنات، وتكثيرُ الطَّعامِ والشَّراب.

وقيل: ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾؛ أي: لا يَطلبون ذلك للعلمِ، بل للتَّعنُّتِ(١).

* * *

(٣٨) - ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: حيوانٍ يَدِبُّ على وجه الأرض.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ هو للتَّأكيد والتَّحقيق، فإنَّ الطَّيران قد يُستعمَلُ للسُّرعةِ مجازاً، فذِكرُ الجناحين لإثباتِ حقيقةِ الفعل.

وقوله تعالى: ﴿إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾؛ أي: أصنافٌ، وقد ذكرنا وجوهَ الأُمَّة عند قوله: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ [آل عمران: ١١٠].

وقوله تعالى: ﴿أَمْثَالُكُم﴾ قال الإمام أبو منصور رحمه الله: قال أبو هريرة رضي الله عنه: أي: سيحشرون(٢) يومَ القيامة كما تُحشرون أنتم(٣)، ثمَّ يُقتص

---

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٤/ ٧٨).

(٢) في (أ) و(ر): «ستحشر»، والمثبت موافق للمصدر.

(٣) «أنتم»: ليس من (أ).

للبهائمِ بعضِها مِن بعضٍ، ثمَّ يُقال لها: كوني تراباً، فعند ذلك يقول الكافر: ﴿يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ تُرَٰبَۢا﴾ [النبأ: ٤٠](١).

قال: وقيل: ﴿إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُم﴾؛ أي: يفقهُ بعضُها مِن بعض كما يَفقهُ بعضُكم مِن بعض.

قال: وقيل: ﴿أَمۡثَالُكُم﴾ في معرفةِ ما يُؤتى وما يُتَّقى.

ويَحتمل: ﴿إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُم﴾ في الكثرةِ والعددِ والخَلْقِ والصُّنوفِ، تُعرَفُ بالأسامي كما تعرفون أنتم، وهذا قولُ مجاهدٍ رحمه الله(٢).

وقيل: ﴿أَمۡثَالُكُم﴾(٣)؛ أي: مسخَّرةً لكم، وليس يكون مِنهم ما يكونُ مِنكم؛ مِن العنادِ، وتكذيبِ الرُّسلِ، والخروجِ عليهم.

قال: ويحتمل ﴿أُمَمٌ أَمۡثَالُكُم﴾ في معرفةِ وحدانيَّةِ اللهِ تعالى وألوهيَّتِه، وفي حقِّ الطَّاعة له، قال تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ﴾ [الإسراء: ٤٤](٤)، وهو قولُ ابنِ عبَّاسٍ وعطاء(٥).

وقوله تعالى: ﴿مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖ﴾ قال ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما:

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٧٨٦)، والطبري في «تفسيره» (٩/ ٢٣٥ ـ ٢٣٦)، وابن أبي حاتم (٤/ ١٢٨٦) (٧٢٦٢)، والحاكم في «المستدرك» (٣٢٣١). وروى مسلم في «صحيحه» (٢٥٨٢) نحوه عن أبي هريرة مرفوعاً، ونصه: «لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة، حتى يقاد للشاة الجلحاء، من الشاة القرناء».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٢٣٣)، وابن أبي وحاتم (٤/ ١٢٨٥) (٧٢٥٦).

(٣) بعدها في (ف): «أي في الوجود».

(٤) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٤/ ٧٩ ـ ٨٠).

(٥) ذكر الواحدي في «البسيط» (٨/ ١١٢) نحوه من رواية عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما.

مـا تركنـا مقَصِّرين ذكرَ شـيءٍ مِنهـم في اللَّـوح المحفوظ مـن أعدادِهـم وأرزاقِهم وآجالِهم(١).

وقيـل: ﴿ٱلْكِتَٰبِ﴾: القـرآن، وعلـى هـذا التَّأويـل قولُـه: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ هـو معتـرِضٌ هاهنـا، وموضعُـه بعـد تمـام آيتيـن إلـى قولـه: ﴿عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾(٢)؛ يعنـي: كلُّ ما خلقَ في الأرضِ مِـن ذي روحٍ يَدِبُّ على وجهِ الأرض، ويطيـر فـي الهواء، فهي أصنـافٌ مزدوجةٌ ومختلفةٌ، وكلٌّ مِنها مُسَـخَّرٌ لـمَا خُلِقَ له، يَجـري عليـه مِن غير امتنـاع، وبنو آدمَ مخلوقـون لعبـادةِ اللهِ وتوحيدِه، وميَسَّـرون(٣) لـه، ومُقَـرُّونَ عليـه، ثـمَّ أكثرُهـم لا يَجـرون علـى مـا خُلِقـوا لـه، بـل يَتخبَّطـون في الظُّلمـات، وهم الكفَّار، فهـم صُمٌّ وبكـمٌ، ﴿مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾، ﴿مَّا فَرَّطْنَا﴾؛ أي: مـا تركنـا ذكـرَ شـيءٍ فـي القـرآن بالخَلـقِ حاجـةٌ إليه، مجمَـلاً(٤) أو مفصَّلاً.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ قيل: أي: يُبعثون للحسابِ والجزاء، وهم بنو آدم، ولذلك جمع بالواو والنُّون.

وقيل: الحشرُ لكلِّ الأمم، لكن رويَ عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما أنَّه قال: حشرُ الحيوانات موتُها(٥).

وقال عامَّةُ الصَّحابةِ والتَّابعين؛ منهم أبو ذرٍّ وأبو هريرة والحسن: حشرُها:

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٢٣٤)، وابن أبي حاتم (٤/ ١٢٨٦) (٧٢٥٩).

(٢) «إلى قوله: ﴿عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾» من (ر).

(٣) في (ف): «ومبشرون».

(٤) بعدها في (ر): «أو جاحداً منكم». وهي مقحمة.

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٢٣٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٨٦) (٧٢٦١).

بعثُها يومَ القيامةِ للقِصاصِ بين الجمَّاء والقرناءِ ونحو ذلك، ثمَّ تصيرُ تراباً، وذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ [التكوير: ٥](١).

والدَّليلُ على أنَّ الحشرَ هو البعثُ دون الموت قولُ الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ﴾(٢) ونظائرها، كقوله تعالى: ﴿ٱحْشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزْوَٰجَهُمْ﴾(٣) [الصافات: ٢٢].

* * *

(٣٩) ـ ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾؛ أي: بالقرآنِ، وبمحمَّدٍ، وبالبعثِ بعد الموت.

وقوله تعالى: ﴿صُمٌّ وَبُكْمٌ﴾؛ أي: يَتصامُّون عن سماعِ الحقِّ، ويَتباكمون عن القولِ بالحقِّ.

وقوله تعالى: ﴿فِى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾؛ أي: هم في ظلماتِ الكفر.

وقوله تعالى: ﴿مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾؛ أي: من عَلِمَ منه اختيارَ الضَّلالِ، شاء ضلالَهُ، وخلقَهُ فيه، ومَن عَلِمَ منه اختيارَ الاهتداء، شاءَ اهتداءَه، وخلقَه فيه.

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٧٨٧)، والطبري في «تفسيره» (٩/ ٢٣٦) عن أبي ذر مرفوعاً، وقول أبي هريرة سلف قريباً.

(٢) في النسخ: «للملائكة» بدل: «للذين أشركوا»، والمثبت هو الصواب.

(٣) قوله: «كقوله تعالى: ﴿ٱحْشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزْوَٰجَهُمْ﴾» من (ر).

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: ﴿وَمَامِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ تساوَت المخلوقاتُ، وتَماثلتِ المصنوعاتُ في الحاجةِ إلى المنشِئ في حالة الابتداء، وكذا في حالةِ البقاء، وكذا في جميعِ الصِّفاتِ النَّفسيَّةِ، والنُّعوتِ الذاتيَّة، فما مِن شيءٍ، مِن عينٍ وأثرٍ، ورَسْمٍ وطَلَلٍ، إلَّا وهو على وحدانيَّتِه شاهدٌ، وعلى كونه في نفسِهِ مخلوقاً دليلٌ ظاهر، والذين فاتَتهمُ العنايةُ الأزليَّةُ، سَدَّ الحرمانُ أسماعَهم وغَشَّى الخذلانُ أبصارَهم، والإرادةُ لا تُعارَضُ، والمشيئةُ[1] لا تُزاحَم، والحقُّ سبحانه غالِبٌ[2].

* * *

(٤٠) ـ ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ﴾ هذه كلمة استفهام، وعند البصريِّين يجري التَّوحيدُ والجَمع والتَّذكيرُ والتَّأنيثُ والتثنية على الكاف وما بعدها، والتاءُ على حالةٍ واحدةٍ، مفردةً مفتوحةً[3]: أرأيتَكَ، أرأيتكُما، أرأيتكُم، أرأيتَكِ بفتح التَاءِ وكسر الكاف، أرأيتكن.

وعند الكوفيين: يَجري في التَّاء أيضاً، فيقال: أرأيتُك، وأرأيتُماكما[4]، وأرأيتُموكم، وأرأيتُكِ بكسرها، وأرأيتُنَّكُنَّ بنونين مشدَّدتين.

وعلى الطَّريقة الثَّانية: التَّاءُ رفع؛ لأنَّه فاعل، والكاف نصب؛ لأنَّه مفعولٌ به، وعلى الطَّريقة الأولى: الكافُ كالتَّاء رفع على أنَّه فاعل.

(١) بعدها في (ف): «لا تنازع و»، والمثبت موافق للمصدر.

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (١/ ٤٧٠ ـ ٤٧١).

(٣) بعدها في (ر): «نحو».

(٤) في (ر): «وأرأيتماكم». وفي (ف): «وأرأيتكما».

وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَنكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾؛ أي: قل يا محمَّدُ لهؤلاءِ المشركين الذين يَعدِلون بربِّهم: أخبروني عنكم، وعمَّا تَرون عليه أنفسَكم ﴿إِنْ أَتَنكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ﴾ ـ قيل: هو ما أتاهم[1] يوم بدرٍ وأُحُدٍ والأحزاب ـ أو أتتكم القيامةُ بأهوالِها، أإلى غيرِ الله تلتَجئون من الأصنام التي تعبدون؟ أم إلى الله؛ تُقِرُّون أنَّه خالقُكم ورازِقُكم؟

***

(٤١) ـ ﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾؛ أي: بل اللهَ تَدعون، فيَكشِفُ اللهُ عنكم البلاءَ الذي تَدعونَ اللهَ إليه، وهي كلمة غاية؛ أي: إلى أن يَتِمَّ الفرج.

وقوله: ﴿إِن شَآءَ﴾؛ أي: إنَّما يَكشِفُ بمشيئتِه لا بطَلَبِكم؛ إذ لا إكراهَ عليه، ﴿وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾ عطفٌ على قوله: ﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ﴾ وتتركونَ ما كنتُم تشركونَه باللهِ؛ أي: فما معنى عبادتِكم الأصنامَ بعد هذا، وهي لا تُفرِّجُ عنكم الشَّدائدَ، ولا تَستجيبُ دَعواتِكم بالمقاصد[2].

وقال الإمام القشيري رحمه الله: إن تَرددتُم بنفوسِكم، وأطَلتم الفِكرةَ بقلوبِكم، لم تَجدوا منِ دونِه أحداً، ولا عَن حكمِه مُلْتَحداً، فتَعودون إليه في استكشافِ الضُّرِّ، واستعطافِ البرّ، كما قيل:

إلـى بابـي تَعـودُ وإنْ تَنـاءَتْ ديـاري بعـدَ معرفـةِ الرجـالِ

---

(١) في (أ): «أتاكم».

(٢) في (ف): «بالقيامة».

وكما قيل:

قـــد تركنـــاكَ والذيـــنَ تُرِيـــدُ ... فعَســـى أنْ تَملَّهـــم وتَعـــودُ

فإذا جرَّبتَ الكُلَّ، وذُقتَ الحلوَ والمُرَّ، أفضى بك الضُّرُّ إلى بابِه، فإذا رجعْتَ بنعتِ الانكسار، وشواهدِ الاضطرار؛ فإنَّه يَفعلُ ما يُريدُ، إنْ شاءَ أباح[1] اليُسر، وأزاحَ العسرَ، وإنْ شاءَ ضاعفَ الضُّرَّ، وأدامَ المرَّ، فله الخَلقُ والأمر[2].

***

(٤٢) ـ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾؛ أي: أرسلنا إليهم رُسُلاً، فخالفوهم، وصحَّ الحذفُ لوضوح المراد.

﴿فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ﴾ قال الحسن رحمه الله: أي: بالفقرِ والمرض[3].

وقيل: ﴿بِٱلْبَأْسَآءِ﴾: شدَّة[4] البطشِ، ﴿وَٱلضَّرَّآءِ﴾: الأوجاع.

وقيل: الجوع والقحط.

فعلنا بهم ذلك ليَتضرَّعوا، وهو لطفٌ في الدُّعاء إليه، و«لعلَّ» كلمةُ ترجٍّ، ومعناه: كان الأنبياءُ صلوات الله عليهم يَترجَّون منهم ذلك.

***

---

(١) في «لطائف الإشارات»: «أتاح».

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (١/ ٤٧١).

(٣) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٨٨، ١٢٨٩) (٧٢٧٤)، (٧٢٧٩) غير أنه فسر البأساء بالبلاء.

(٤) بعدها في (ف): «المرض و».

(٤٣) ـ ﴿فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ﴾؛ أي: فهلَّا تذلَّلوا ﴿إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا﴾؛ أي: بلاؤنا وشدَّةُ الأمر منا.

وقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾؛ أي: غَلُظَت، فلم تركن[1] للاتِّعاظ بسبب إصرارِهم على سوء اختيارهم.

وقيل: ما جفَّتِ العيونُ إلَّا بقسوةِ القلوب، ولا قسَتِ القلوبُ إلَّا بكثرةِ الذُّنوب.

وقوله تعالى: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾؛ أي: حسَّن إليهم أعمالَهم، فلم يَتوبوا عنها، فقد ذكرَ هاهنا أنَّهم لم يَتضرَّعوا، وقال قبلَه: ﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ﴾، وقال في آيات: ﴿دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [يونس: ٢٢] ولا اختلافَ بينهما؛ لأنَّ تضرُّعهم كان عند إحاطةِ البلاء بهم، كما قال: ﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ﴾ [يونس: ٢٢]، وكانوا يضطرُّون إلى مثل هذا التَّضرُّع، فأمَّا عند نزولِ القحط والغلاء، والمرض والبلاء، فكانوا يقولون: هذا أمرٌ معتادٌ بين العباد، قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ﴾ [الأعراف: ٩٥]، فليس هذا ببلاءٍ نزلَ لأجلِ ذنبٍ، وليس علينا فيه مِنْ عَتَب.

* * *

(٤٤) ـ ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ﴾؛ أي: لم يتَّعِظوا بما وعِظوا، ولم يتضرَّعوا وقد امتُحِنوا.

---

(١) في (أ) و(ر): «تكن»، ولعلها محرفة عن: «تلن».

وقولـه تعالـى: ﴿فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾؛ أي: وسَّـعنا عليهـم النِّعـمَ؛ ليَشـكروا، فلم يشـكروا.

وقولـه تعالـى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟﴾؛ أي: أشِـروا وبَطِـروا، ﴿أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً﴾؛ أي: فجـأةً بالعـذابِ المسـتأصِل، ﴿فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾ أي: فحينئذٍ هم آيِسـون مِن كلِّ خير(١).

وقيل: الإبلاس: انقطاعُ الحُجَّة.

وقيل: الحيرةُ عند حلولِ البليَّة.

وقيل: هو الإطراقُ مِن الحزنِ.

وقيل: هو تغيُّرُ اللَّون.

وقيل: هو شِدَّةُ الحسرةِ.

وقيل: هو الاستسلامُ للهلاك.

❁ ❁ ❁

(٤٥) ـ ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾؛ أي: أُهلِكوا جميعاً؛ لأنَّ دابراً مِن قولهم: دَبَره يَدْبُرُه؛ أي: أتى بعده، فإذا قُطِعَ الجائي بعدَهم، فقد أُهلِكوا(٢) كلُّهم.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ قيل: حَمِدَ نفسَه بنفسه؛ إذ نصرَ أولياءَه، وقهرَ أعداءَه.

---

(١) في (ف): «الخير» بدل: «كل خير».

(٢) في (أ): «هلكوا».

وقيل: بل أمرَ محمَّداً ﷺ بأنْ يَحمَدَ الله على ذلك.

وقال الحسن: إذا سمعتَ بموتِ ظالمٍ فاحمَدِ اللهَ بهذه الآية.

وقيل: أي: اللهُ محمودٌ على كلِّ حالٍ بما كرَّر مِن المواعظِ والأذكار، ولم يُنزِل بهم البوارَ إلَّا بعد الإعذار والإنذار.

* * *

(٤٦) - ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْآيَٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم﴾ ذكرَ إهلاكَ الماضين، وأوعد الحالِّيين[1]، فقال: أعلمتُم، وهو تقرير[2] حجاجٍ، فيه معنى الإنكار؛ إنْ أصمَّكمُ اللهُ، وأعماكم، وشدَّ قلوبَكم، فلم يصل إليها فهمٌ.

وقوله تعالى: ﴿مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ﴾ استفهامٌ بمعنى النَّفي؛ أي: فلا إلهَ سوى اللهِ يأتي بالمأخوذ، وإنما وحَّد ﴿بِهِ﴾[3] لهذا، والفعلُ يدلُّ على المفعول، وهو كقولك: مَن كذبَ كان شرًّا له؛ أي: فإذا لم تكن آلهتُكم تَقدِرُ على ذلك، والقدرةُ على[4] الكمالِ لله ذي الجلال، فما العذرُ في الإشراكِ والضَّلال؟!

وقوله تعالى: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْآيَٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ﴾؛ أي: انظر يا محمَّدُ،

---

(١) في (أ): «الخاليين»، وفي (ر): «الحالتين».

(٢) في (ف): «تقديره».

(٣) في (أ): «وحده» بدل: «وحد به».

(٤) بعدها في (ف): «ذلك و».

كيف نُبيِّنُ[١] ونكرِّرُ لهم الشواهدَ على بُطلان الشِّرك وعلى حَقِّيَّة[٢] الإسلام، ثمَّ هم يُعرِضون عنها؛ أي: عن تدبُّرها وقبولها، و﴿ثُمَّ﴾ كلمةُ تعجيب.

* * *

(٤٧) ـ ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَنكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾.

وقوله[٣] تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَنكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ قال الحسن: ﴿بَغْتَةً﴾؛ أي: ليلاً ﴿أَوْ جَهْرَةً﴾ أي: نهاراً[٤]؛ أي: قل يا محمَّد: أخبروني ﴿إِنْ أَتَنكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ﴾ فجأةً مِن حيث لا تَعلمون، أو علانيةً مِن حيث تَعلمون، فلا يُمكنكُم أنْ تَردُّوه عن أنفسِكم، فهلكتُم به، هل يكون ما نزلَ بكم مِن ذلك إلا هلاكاً نزلَ بقومٍ ظلَموا أنفسَهُم بكفرِهم بربِّهم.

* * *

(٤٨) ـ ﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ قال الكلبيُّ: أي: ﴿إِلَّا مُبَشِّرِينَ﴾ المؤمنينَ بالجنَّة، ﴿وَمُنذِرِينَ﴾ الكافرين بالنَّار، ليس إليهم إلَّا هذا، وليس بأيديهم إنزالُ الآياتِ التي تقترحونها.

---

(١) بعدها في (ف): «لهم».

(٢) في (ر) و(ف): «حقيقة».

(٣) في (ف): «وهو قوله».

(٤) ذكره الواحدي في «البسيط» (٨/ ١٥٠)، والبغوي في «تفسيره» (٣/ ١٤٥) عن الحسن وابن عباس.

وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾؛ أي ﴿فَمَنْ ءَامَنَ﴾ بالله، ﴿وَأَصْلَحَ﴾ أعمالَهُ، ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ بدخولِ النَّار، ولا حزنٌ بفوتِ الجنَّة، وهذا من تبشيرِهم.

***

(٤٩) ـ ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِـَٔايَـٰتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِـَٔايَـٰتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ﴾؛ أي: يُصيبُهم فلا يُفارِقُهم.

وقوله تعالى: ﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾؛ أي: يَخرجون مِن طاعة الله بالكفرِ، وهذا مِن إنذارِهم.

***

(٥٠) ـ ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ اللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ اللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ﴾ ولـمَّا اقترحَ المشركون ـ لعنهم الله ـ على رسول الله ﷺ مِن الآياتِ ما ليس في مقدور البشر، أمرَ اللهُ نبيَّهُ أنْ يُخبِرَ الكفَّارَ عن نفسِه بهذه الجملة، فقال قل لهم: ﴿لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ اللَّهِ﴾ ـ جمع خِزانة وخَزينة، وهي ما يَخزِنُ؛ أي: يحرِزُ بحيث لا تناله الأيدي ويَحفظُ ـ فأملكَ إنزالَ ما تقترحونَه مِن الآيات، أو آتيكم بكنوزِ الأموالِ، وأفجِّرَ لكم الأنهارَ في الجنان، كما قلتم: ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ﴾ [الفرقان: ٧]، ولا أقولُ لكم: إنِّي أعلمُ الغيبَ، فأخبرَكُم بكلِّ ما تَسألون عنه ما لم

يُعلِّمنيهِ اللهُ عزَّ وجلَّ، أو أعلمَ الأمرَ الذي إذا جئتُكم به آمنتُم، وأعلمَ عواقبَ الأمور.

وقوله: ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌ﴾ أقوى على ما لم يقوَ عليه البشرُ فأقهرَكم على ما أُريدُ[١] منكم بقوَّتي، وإنَّما أنا عبدٌ مربوبٌ، بشرٌ مثلُكم، أتَّبعُ ما يُوحي إليَّ ربِّي، فأبلِّغُكم.

وقيل: أي لا أنزِلُ نفسي فوقَ ما أنزَلنيهِ اللهُ تعالى، فلا أقولُ عندي خزائنُ الله، ولا أعلمُ الغيبَ، ولا لي قوَّةُ الملَك، بل أنا رسولُ مَن له الخزائنُ، وله عِلْمُ الغيبِ، وله الملائكةُ وسائرُ الخَلْق.

وقيل: معنى هذه الثلاثة يَرجِعُ إلى شيءٍ واحدٍ، وهو التَّبرِّي عن العِلم بالوقت الذي يَأتيهم فيه العذابُ الذي أنذروا به، بقوله: (ليست عندي خزائن الله)؛ أي: ما خزنَهُ اللهُ مِن العذابِ[٢] في الغيب؛ أي: لم[٣] يُطلِعني اللهُ على ما خزنَه مِن هذا، ولستُ أعلمُ الغيبَ بنفسِي، فأخبرَكُم به، ولستُ ملكاً فأشاهدَ ما تشاهِدُ الملائكة إذا نزلَ العذابُ مِن السَّماء، ما أتَّبع في[٤] العلمِ إلَّا ما يَأتيني به الوحيُ، ولم يأتني الوحيُ بوقتِ عذابكم، وهذا كلُّه جوابُ قولهم: ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [يونس: ٤٨].

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: ويَحتملُ أن يكونَ معناه: لا أقولُ شيئاً مِن هذا، ولو قلت: عندي خزائن الله، وأنا أعلمُ الغيبَ، ولي قوَّةُ الملَك، كان ذلك أشدَّ

---

(١) في (ف): «أريده».

(٢) بعدها في (ر): «الأليم».

(٣) في (أ): «ما»، وفي (ف): «لا».

(٤) في (ف): «من».

لاتِّباعِكم لي وطاعتِكم[١]، لكن أقولُ: أنا بشرٌ مثلُكم يوحى إليَّ، ما أتَّبعُ إلَّا الوحيَ؛ لتَعلموا أنِّي صادقٌ في قولي، مُحِقٌّ في دعواي[٢].

وتعلَّقت المعتزلةُ بظاهرِه في تفضيلِ الملَك على البشر، وليس لهم به متعلَّقٌ لما قلنا: إنَّه أرادَ[٣] قوَّةَ الملَك في البطش، أو اختصاصَهُ بمشاهدةِ ما في السَّماء، دون الفضلِ والقَدْر.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾؛ أي: فأبصروا رشدَكم بقبول إنذاري؛ فإنَّه لا يَستوي الأعمى عنِ الرُّشد والبصيرُ بالرُّشد، أفلا تتأمَّلونَ بقلوبِكم ما فيه رُشدُكم؟

قال قتادة: ﴿ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ﴾: الكافرُ والمؤمن[٤].

وقال سعيد بن جبير ومجاهد: الضَّالُّ والمهتدي[٥].

وقال مقاتل: أفلا تتفكرون أنهما لا يستويان[٦].

وقيل: هذا استفهامٌ بمعنى الأمر؛ أي: فتفكروا.

وقال الإمام القشيري رحمه الله: أي: لا أتخطَّى خطِّي، ولا أتعدَّى حدِّي، ولا أثبتُ شيئاً مِن ذات نفسي، وما أتَّبع إلَّا أمرَ ربِّي[٧].

---

(١) بعدها في (ر): «منا».

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٤/ ٨٩).

(٣) بعدها في (ر): «به».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٢٥٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٩٦) (٧٣٢٣)، (٧٣٢٥).

(٥) ذكره عنهما الواحدي في «البسيط» (٨/ ١٥٤)، ورواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٢٥٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٩٦) (٧٣٢٢)، (٧٣٢٤) عن مجاهد.

(٦) انظر: «تفسير مقاتل» (١/ ٥٦٢).

(٧) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (١/ ٤٧٤).

(٥١) ـ ﴿وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾؛ أي: خَوِّف بالقرآن، فقد سبق ذكره: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾، ﴿ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ﴾ وهم المؤمنون؛ أي: إنَّ الكفَّار المقترَحين ليسوا بقابِلين إنذارَك، فاصرفِ الآن إدامةَ الإنذارِ إلى المؤمنين الذين يخافون البعثَ والحسابَ والجزاء.

وقوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾؛ أي: لا ناصرَ لهم غيرُ الله، ولا شافعَ يستوهِبُ ذنوبَهم؛ أي: الشفعاءُ إنَّما يَشفعونَ بإذن الله، فهو مِن الله تعالى في الحقيقة.

وقوله تعالى: ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾؛ أي: ليَتَّقوا في المستأنَفِ، ويَثبتُوا على الإيمان.

وقال مقاتل: هم الموالي وفقراءُ العرب، ﴿لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ﴾: قريبٌ ينفعُهم، ﴿وَلَا شَفِيعٌ﴾ في الآخرةِ يَشفعُ لهم، ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ المعاصي[1]. وهم جماعةٌ مسمَّون، يذكرون في الآية التي تليها قوله: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾.

وقيل: ﴿وَأَنذِرْ بِهِ﴾ الكلَّ، وإنَّما ينتفع به ﴿ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ﴾، كما قال: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا﴾ [النازعات: ٤٥]، ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ﴾ [يس: ١١]، ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢]، ﴿لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾؛ أي: للكفَّار، وكانوا يقولون: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ١٨]، ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣]، وقال: ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ﴾ [العنكبوت: ٤١].

* * *

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (١/ ٥٦٢).

(٥٢) ـ ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

وقوله: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ قال مقاتل: نزلت الآيةُ في الموالي؛ عمَّار، وبلال، وصُهَيب، وخبَّاب، وسالم، ومِهْجَع، وسعدِ بن مالك، وسلمان الفارسي، وعامر، وابن مسعود، ونحوهم، وذلك أنَّ أبا جهلٍ وأصحابَهُ ـ لعنهم الله ـ قالوا: انظروا إلى هؤلاءِ الذين اتَّبعوا محمَّداً مِن موالِينا وخدمِنا، رذالة النَّاس، وأوباش كلِّ حي، فذكروا ذلك لأبي طالب، فقال أبو طالبٍ لرسول الله ﷺ[١]: لو طردتَ هؤلاءِ عنك، لعل سراةَ قومِك يتَّبِعونك، فأنزلَ اللهُ تعالى هذه الآية[٢].

وقال السُّدِّيُّ: جاء الأقرعُ بنُ حابس، وعيينةُ بنُ حصن، فوجدا رسولَ الله ﷺ مع بلالٍ وصُهيبٍ وخبَّابٍ وناسٍ مِن ضُعفاءِ المسلمين، فحَقَروهم، فخلَوا به، فقالوا: نُحِبُّ أنْ تجعلَ لنا منك مجلساً، تَعرِفُ به العربُ فضلَنا؛ فإنَّ وفودَ العرب تأتيكَ، فنَستحي أنْ ترانا مع هؤلاء الأعبُد، فإذا نحنُ جئناكَ، فاطردهُم عنك، فإذا نحن فَرَغْنا، فاقعد معهم، قال: «نعم»، قالوا: فاكتب لنا بذلك كتاباً، فدعا عليًّا ليكتُبَ ونحن قعودٌ في ناحيةٍ، فنزلَ جبريلُ عليه السَّلام بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ﴾ الآية، ثمَّ ذكرَ الأقرعَ وعيينةَ، فقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾ الآية[٣].

---

(١) بعدها في (ر): «ذلك وقال».

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (١/ ٥٦٢ ـ ٥٦٣).

(٣) رواه ابن ماجه في «سننه» (٤١٢٧)، والطبري في «تفسيره» (٩/ ٢٥٩ ـ ٢٦٠)، وابن أبي حاتم (٤/ ١٢٩٧) (٧٣٣١) من طريق السدي عن أبي سعد الأزدي عن أبي الكَنود عن خباب رضي الله عنه. وضعف إسناده محقق «سنن ابن ماجه».

وقال جُبير بنُ نفير: إنَّ قريشاً أتوا رسولَ الله ﷺ، فقالوا: إن كُنت أُرسِلتَ إلينا، فاطرُد هؤلاء السُّقَّاط عنك، فنكونَ مِن أصحابِك، فركن إليهم، فأنزل الله: ﴿وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ﴾ الآية، وأنزل: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ﴾ الآية[1].

وقال الكلبيُّ: قال لهم رسول الله ﷺ: «نهاني الله عن طرد هؤلاء»، فقالوا: اجعل لنا يوماً ولهم يوماً، فقال: «لا أفعل»، قالوا: فاجعل المجلسَ واحداً، وأَقْبِل علينا، ووَلِّ ظهرَكَ إليهم، فأنزل الله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾ إلى قوله: ﴿فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨][2].

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: ذهب عامَّةُ أهلِ التَّأويل إلى أنَّ النَّبيَّ ﷺ همَّ بطرد هؤلاء، فعاتَبهُ اللهُ في ذلك، ولكنَّه بعيدٌ سمِجٌ؛ يَنسِبون النَّبيَّ ﷺ إلى أقبحِ فعلٍ وأوحشِه، ولا يَحتمِلُ أن يكون النَّبيُّ ﷺ يُقرِّبُ الأعداءَ، ويُبعِدُ الأولياء، ولو فعلَ ذلك لوجدَ الكفرةُ عليه مطعناً، يقولون: يَدعو النَّاسَ إلى الإيمانِ به والتَّوحيدِ والاتِّباع له، فإذا فعلوا ذلك وأجابوهُ، طردَهُم، وأبعدَهم[3]، هذا لعَمري مدفوعٌ في عقلِ كلِّ عاقلٍ، ولكن يَجوزُ أن يكونَ طلبَ ذلك منه أولئك، فأمَّا أنْ يَهُمَّ هو بذلك، فلا يجوزُ، إلَّا أنْ يكونَ هذا مِن الله ابتداءَ تأديبٍ وتعليمٍ له في صُحبة أصحابِه ومعاملتِهم، وإخباراً عن عظيم قدرِهم عنده[4].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَوٰةِ وَالْعَشِيِّ﴾؛ أي: لا تُبعِد.

---

(١) أورده الثعلبي في «تفسيره» (٤/ ١٥٠).

(٢) انظر: المصدر السابق، و«تفسير البغوي» (٣/ ١٤٦).

(٣) في (أ): «أو بعَّدهم».

(٤) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٤/ ٩١ ـ ٩٢).

قال ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما: يَعبدون[١] ربَّهم بالصَّلاة المكتوبة، وكذا قال الحسن وقتادة ومجاهد والضحاك[٢].

وقال إبراهيم النَّخعيُّ: هو الذكر[٣].

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: ﴿بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ﴾ يُشبِهُ أنْ يكونوا مجتمعِين إلى النَّبيِّ ﷺ في كلِّ غداةٍ وعشيٍّ، فيستمعونَ منه، ثمَّ يتفرَّقون كما هو المعتادُ مِن الاجتماعِ عند الفقهاءِ.

ويَحتملُ أنْ يكونَ المرادُ به الليلَ والنَّهارَ، كما في قوله تعالى: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ﴾ [الضحى: ١ ـ ٢].

وجائزٌ أن يكونوا أصحابَ مكاسِبَ، يَجتمعون عنده بالغداةِ والعشِيِّ، ثمَّ يَتفرَّقون للكسبِ.

وجائزٌ أن يكون المرادُ به صلاةَ الغداةِ والعشيِّ؛ فإنَّه لا يَشهدُهما إلَّا أهلُ الإيمان، فأمَّا أهلُ النِّفاقِ[٤]، فكانوا يَشهدون غيرَهما مِن الصَّلوات[٥].

وقوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥ﴾؛ أي: يَطلبون بدعائِهم وذِكْرِهم وصلاتِهم وعبادتِهم رضاهُ.

---

(١) في (ف): «يدعون».

(٢) روى أقوالهم الطبري في «تفسيره» (٩/ ٢٦٣ ـ ٢٦٥).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٢٦٧ ـ ٢٦٨).

(٤) يشير إلى ما أخرجه البخاري في «صحيحه»، (٦٥٧)، ومسلم في «صحيحه»، (٦٥١) عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «ليس صلاة أثقل على المنافقين من الفجر والعشاء، ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبواً».

(٥) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٤/ ٩٢ ـ ٩٣).

وقوله تعالى: ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ﴾؛ أي: إنَّ حقائقَ أمورِ العباد إنَّما تَرجعُ إلى الأعمال التي يُحاسِبهم الله عليها يوم الحشر، لا إلى حسبٍ ورياسة، وضَعةً ودناءةً، بل الجميعُ سواءٌ في حكم الله تعالى، وإنَّما عليك اعتبارُ أحوالِ النَّاسِ في إيمانِهم بك وكفرِهم، وهو كما أخبرَ عن نوحٍ عليه السلام أنَّ قومَه قالوا له: ﴿أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ (١١١) قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١١٢) إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ (١١٣) وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ١١١ ـ ١١٤].

وقيل: أي: أرادَ بالحسابِ الجزاءَ.

وقيل: أرادَ به المؤنة.

وقوله تعالى: ﴿فَتَطْرُدَهُمْ﴾ جوابُ الجحد بالفاء، وهو قوله: ﴿مَا عَلَيْكَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ جوابُ النهي بالفاء، وهو قوله: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ﴾؛ أي: إنْ فعلتَ ذلك، كنتَ وضعْتَ التَّقريب والتَّبعيدَ غير موضعهما.

وقال الإمامُ أبو منصور رحمه الله: ويجوزُ أنَّ أولئك[1] لم يَكونوا أهلَ الحكمة، وقد قال النبيُّ ﷺ: «مَن وضعَ الحكمةَ في غيرِ أهلِها فقد ظلمها، ومن مَنعَها مِن أهلِها فقد ظلمهم»[2].

وقد ذكرنا معنى النَّهي عن هذا ونحوه أنَّه تعليمٌ لغيرِه، ويجوزُ أن يكون له وإن كان معصوماً؛ لأنَّ العصمةَ لا تُزيلُ المِحْنَةَ، ولا تَرفعُ النَّهيَ.

---

(١) في (أ): «هؤلاء» وفي (ر): «أن يكون أولئك» بدل: «أن أولئك».

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٤/ ٩٣)، ولم يرفع الحديث إلى رسول الله ﷺ، بل قال: روي في الخبر، وأورد الديلمي في «الفردوس» (٤٦٣٣) عن ابن عباس قال: قام عيسى بن مريم فقال: يا بني إسرائيل لا تكلموا بالحكمة فتظلموها، ولا تمنعوها أهلها، ألا أخبركم بشراركم؟ من نزل وحده...

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: هذه وصيةٌ للنَّبيِّ ﷺ في بابِ الفقراء والمستَضعفين، وذلك لمَّا قصُر لهم لسانُ المعارضةِ واستدفاعِ ما عرضَ لهم مِن إخلاءِ الرَّسولِ مجلسَه عنهم، سكتوا متصدِّعينَ(١) بقلوبهم بين يدي الله عزَّ وجلَّ، داعين له بحسنِ الابتهال، فتولَّى الحقُّ سبحانَه خصومتَهم، فقال: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾، لا تَنظر يا محمَّد إلى خرقتهم على ظواهرِهم، وانظر إلى حُرْقَتِهم في سرائرِهم، كانوا مستورين، فشهرَهُم اللهُ في بحبوحةِ الهِداية، بإرسالِ جبريلَ إلى محمَّدٍ بهذه الآية، ولولا أنَّه سبحانه وتعالى قال: ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ فشهدَ لهم بالإرادة، وإلَّا فمَن كان يَتجاسرُ أنْ يقولَ: إنَّ مخلوقاً يُريدُ الحقَّ سبحانه وتعالى.

وقد تكلَّموا في الإرادة فأكثروا، وتحقيقُها: اهتياجٌ يَحصلُ في القلب، يَسلبُ القرارَ مِن العبدِ حتَّى يَصِلَ إلى الله، فصاحبُ الإرادةِ لا يَهدأُ ليلاً ولا نهاراً، ولا يَجدُ مِن دون وصولِه إليه سكوناً ولا قراراً، والمريدُ حمول، كما قال قائلُهم:

ثمَّ قطعتُ اللَّيلَ في مهْمَهٍ لا أسداً أخشى ولا ذيبا

يَغلِبُني شَوقي فأَطْوي السُّرى ولم يَزلْ ذو الشَّوقِ مغلوبا

وقيَّد دعوتَهم بالغداةِ والعشيِّ دون الإرادة؛ لأنَّها مِن الأعمالِ الظَّاهرةِ، وهي مؤقَّتةٌ، وأدامَ إرادَتهم، فاستغرقَت جميعَ أوقاتِهم؛ لأنَّها مِن الأحوالِ الباطنة، وهي مؤبَّدةٌ، أصبحوا لا سؤلَ لهم في دنياهم، ولا مطلوبَ لهم في عُقباهُم، ولا همَّ لهم سوى حديثِ مولاهم(٢).

---

(١) في «لطائف الإشارات»: «متضرعين».

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (١/ ٤٧٥ ـ ٤٧٦).

(٥٣) ـ ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ﴾ قال الحسن وقتادة: أي: امتحنَّا وابتلينا بعضَ هؤلاءِ القومِ ببعض[1]، فامتحنَّا الرؤساءَ منْهم بالصَّبرِ على قربِ منازلِ الضُّعفاءِ مِن النَّبيِّ ﷺ، وامتحنَّا الضُّعفاء بالصَّبرِ على الضَّعفِ والفقر، وعلى أذى الرؤساء، وهو كقوله: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً﴾ [الفرقان: ٢٠]، ثمَّ أخبرَ عمَّا انكشفَت عنه هذه الفتنةُ، وهو أنَّ الفقراءَ صبروا، والرؤساءَ اضطربوا، فقالوا: وهو:

قوله تعالى: ﴿لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ﴾ قال قتادة: قال الوليدُ بنُ المغيرة، والأسودُ بنُ عبد المطلب، والأسودُ بن عبدِ يَغوث، والعاص بنُ وائل، والحارثُ بنُ قيس، وعبدُ العُزَّى بنُ عبد المطلب، وعتبةُ، وشيبةُ، والأسودُ بنُ عبد الأسد، والنَّضرُ بنُ الحارث، وأبو جهل بنُ هشام ـ لعنهم الله ـ: أي: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ﴾ الفقراء والضعفاء ﴿مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم﴾ أنعمَ الله عليهم من بيننا، فأعطاهم الإيمانَ والتوحيد، ولم يُعطِنا؟!

قال الكلبي: كان الشريفُ مِنهم إذا نظرَ إلى الوضيعِ قد آمنَ قبلَهُ، حميَ أنفاً أنْ يُسلِمَ، ويقولُ: هذا سبقَني بالإسلام، فلا يسلم[2].

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: ويحتمل قوله: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ﴾ بالفهم والحفظ؛ يَفهمُ هؤلاء منه، ولا نَفهمُ نحن، ويَحتمل: ﴿مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٨٠٠)، والطبري في «تفسيره» (٧/ ٢٧٠) عنة قتادة.
(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» (٤/ ١٥١).

بَيۡنِنَآ﴾ بالتَّقريبِ في المجلسِ، وجعلِهم مَتبوعين مِن بيننا، بعد أنْ كانوا أتباعاً لنا[١].

***

(٥٣) ـ ﴿أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ﴾ المطيعينَ لله، الذين شكروا إنعامي؛ بإرسالِ الرسول، وإنزالِ الكتاب، فهم أولى بإعطاءِ الإسلام ممَّن يَرجعُ إلى حسبٍ رفيعٍ، ومالٍ كثيرٍ، ولا يَنقادُ لأمري، ولا يؤمِنُ بي.

وقال الإمامُ القشيريُّ رحمه الله: ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ﴾ أمَّا الفاضلُ فلْيَشكُر، وأمَّا المفضولُ فلْيَصبر.

ويقال: سبيلُ المفضولِ على لسان أهل[٢] المحبَّةِ الشُّكرُ، ولا يَتقاصر شكرهُ عن شكرِ الفاضل، وقال قائلٌ[٣] في معناه:

أتاني مِنكِ سبُّكِ لي فسُبِّي ... أليس جرى بفيكِ اسمي فحسبي[٤]

وقال آخر:

وأنَّ فؤاداً رُعْتَهُ لكَ شاكرٌ ... وأنَّ دماً أجريتَهُ لكَ حامِدُ[٥]

***

---

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٤/ ٩٥).

(٢) لفظ: «أهل» ليس في (ر) و«لطائف الإشارات».

(٣) في (ر): «قائلهم».

(٤) البيت لأبي نواس، وهو في «ديوانه» (٤/ ١٦).

(٥) «لطائف الإشارات» (١/ ٤٧٦ ـ ٤٧٧)، والبيت للمتنبي، وهو في «ديوانه» (٣/ ٢١٢) (شرح المعري)، وروايته فيه:

وأنَّ فؤاداً رُعْتَهُ لكَ حامدُ ... وأنَّ دماً أجريتهُ بكَ فاخرٌ

(٥٤) ـ ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾؛ أي: وإذا أتاكَ المؤمنون بالقرآنِ وسائرِ الآيات؛ مِن العُربِ والعَجَم، والرُّؤساءِ والأتباع، فابدأهم بتحيَّةِ الإسلام، وكلمةِ السَّلام، وقل: سلامٌ عليكم، وهو الدُّعاءُ بالسَّلامة من الآفاتِ كلِّها، في الدِّينِ والنَّفسِ والمال.

وقوله تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾؛ أي: وعدَكم بالرَّحمةِ وعداً مؤكَّداً.

وقوله تعالى: ﴿أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ قرأ ابن كثير وأبو عمرو وحمزة والكسائي وخلف[1]: ﴿إنَّه﴾ ﴿فإنه﴾، كلاهما بالكسرِ على الاستئناف فيهما، أو على إضمارِ القولِ في الأوَّل.

وقرأ عاصمٌ وابنُ عامر وسهلٌ ويعقوب[2] بالفتح فيهما؛ ترجمةً عن الرَّحمة؛ أي: كتب ﴿أَنَّهُ﴾ ﴿فَأَنَّهُ﴾.

وقرأ نافعٌ وأبو جعفر[3]: ﴿أَنَّهُۥ﴾ بالنَّصب ﴿فإنَّه﴾ بالكسر[4]، وأوقع: كتبَ على الأوَّل، واستأنفَ الثَّاني، و«إنَّ» كلمةُ تأكيد، وإنَّما كرَّرَ مبالغةً في التَّأكيد، ولأنَّه حالَ بين الأولى وخبرِها حائلٌ، فأُعيدَت في موضعِها، كما في قوله: ﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ﴾ [المؤمنون: ٣٥].

---

(١) قوله: «وخلف» من (ف).

(٢) قوله: «وسهل ويعقوب» من (ف).

(٣) «وأبو جعفر»: من (ف).

(٤) انظر: «السبعة» (ص: ٢٥٨)، و«التيسير» (ص١٠٢)، و«النشر» (٢/ ٢٥٨).

والجهالة: هي جهلُ عاقبةِ الأمر، والتَّوبة: الرُّجوعُ عن الذَّنب، والإصلاحُ: تحقيقُ التَّوبةِ بإصلاح الأعمال، وقيل: هو قضاءُ الفوائتِ وردُّ المظالم.

وقيل في نزول الآية: لـمَّا نزل قوله: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾ قال الرؤساء: اجعل لهم يوماً ولنا يوماً، نؤمنْ بك، ونَتَّبِعْك، ونأتيك، وكان النبيُّ ﷺ حريصاً على إسلام المشركين، فشاورَ عمرَ في ذلك، فأشارَ إليه بالإجابة، فواعدَهم أن يأتيَهم يوماً، فتَهيَّئوا ولبسوا وتعطَّروا وتجمَّلوا[1] وزيَّنوا الدَّار، فخرجَ رسولُ الله ﷺ يَقصِدُهم، وقد قام الفقراءُ على الطَّريقِ في ثيابِهم الرَّثَّة، وقد جاء جبريلُ عليه السلام وتَزيَّا بزِيِّهم، وقال: يا محمَّدُ، إلى أين؟ فقال: «إلى ملأ[2] من قريش؛ واعدتُهم رغبةً في إسلامهم»، فوضع يدَهُ على صدرِهِ وصَرَفَه[3]، وقرأ عليه: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ الآية، فانصرفَ، وخَجِلَ عمرُ رضي الله عنه، ودخلَ المسجدَ باكياً، وفارقَ موضعَهُ المعروف؛ حياءً مِن رسولِ الله ﷺ، ونزل في شأن عمرَ وأصحابه: ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾ الآية[4].

وقال عكرمةُ: ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا﴾؛ أي: الذين يَدعونَ ربَّهم بالغداةِ والعشيِّ، وكان النَّبيُّ ﷺ إذا رآهم بدأهم بالسَّلام، وقال: «الحمدُ لله الذي جعلَ في أمَّتي مَن أمرَني أن أبدأَهم بالسَّلام»[5].

---

(١) بعدها في (ف): «وتزينوا».

(٢) في (أ): «الملأ».

(٣) في (أ): «ورقه».

(٤) روى الطبري في «تفسيره» (٩/ ٢٦٢ ـ ٢٦٣) نحوه عن عكرمة. وهو خبر منكر سبق من المصنف نقل كلام الماتريدي في إنكار أمثاله قريباً.

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٤/ ١٥١ ـ ١٥٢)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص٢١٤)، وهو مرسل.

وقال أنسٌ رضي الله عنه: أتى رسولَ الله ﷺ رجالٌ، فقالوا: يا رسولَ الله، إنَّا أصبنا ذنوباً كثيرةً وعظيمة، فسكتَ عنهم رسولُ الله ﷺ، فأنزلَ اللهُ هذه الآية(١).

وقيل: نزلَتِ الآيةُ في وحشيٍّ قاتلِ حمزةَ رضي الله عنه، لـمَّا جاءَ يُسلِّم، كان يستحي مِن الدُّخولِ على رسول الله ﷺ لِـما جنى في حقِّ عمه، فأمرَهُ اللهُ تعالى أن ابتَدِئهُ بالسَّلام؛ تَسكيناً لقلبه.

وقال أهل المعاني(٢): السَّلامُ كلمةُ أمانٍ، فأمرَ النَّبيَّ ﷺ بأن يبدأَ بالسَّلام مَن أتاه للإسلام؛ إثباتاً لأمانِه عند إيمانِه، ولـمَّا قرُبَ خروجُ النَّبيِّ ﷺ مِن الدُّنيا، كان يَهتم لانقطاع سلامِه عن أمَّتِه، فقيل له: إنَّ جبريلَ يَنزلُ كلَّ ليلةِ قدرٍ مع الملائكةِ، فيُسلِّم على كلِّ مسلمٍ، وملكُ الموتِ وأعوانُه إذا نزلوا لقبضِ روحِ المؤمن سلَّموا عليه، قال تعالى ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ﴾ [النحل: ٣٢]، وفي القيامة يَستقبلُ الملائكةُ المؤمنين، فيقولون: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ﴾ [الزمر: ٧٣]، وعند دخول الجنَّة يقولون: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ﴾ [الرعد: ٢٤]، ويقول الله تعالى بلا واسطةٍ: سلامٌ عليكم أحبابي وأوليائي، وذلك قوله: ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ [يس: ٥٨].

* * *

(٥٥) ـ ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ قرأ ابنُ كثيرٍ وأبو عمرو وابنُ عامرٍ، وسهلٌ ويعقوب(٣)، وعاصمٌ في رواية حفص بتاءِ التَّأنيث،

---

(١) ذكره عن أنس رضي الله عنه الثعلبيُّ في «تفسيره» (٩/ ١٥٢)، ورواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٢٧٢ ـ ٢٧٣)، وابن أبي حاتم (٤/ ١٣٠٠) (٧٣٤٥) عن ماهان الحنفي، وكذا أورده عنه الواحدي في «أسباب النزول» (ص٢١٤).

(٢) في (ف): «المعنى».

(٣) قوله: «وسهل ويعقوب» من (ف).

و﴿سَبِيلُ﴾ بالرَّفع؛ لأنَّها فاعلةٌ وهي مؤنَّثةٌ سماعاً، قال تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ﴾ [يوسف: ١٠٨]، ومعناه: ولتَظهرَ.

وقرأ حمزةُ والكسائيُّ وخلف(١)، وعاصمٌ في رواية أبي بكر، وحمَّاد(٢) بياء التذكير، و﴿سَبِيلُ﴾ بالرفع، وهو مذكَّرٌ أيضاً في لغة بني تميم، وقال اللهُ تعالى: ﴿وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾ [الأعراف: ١٤٦]، والتأنيث لغة أهل الحجاز والمدينة(٣) والقرآن نزل بهما.

وقرأ نافعٌ وأبو جعفر(٤) بتاء المخاطبة ﴿سبيلَ المجرمين﴾ بالنَّصب(٥) على أنَّه مفعولٌ، ومعناه: لِتَعلم يا محمَّدُ سبيلَ المجرمين.

يقول: وكذلك نُبيِّنُ الآياتِ ونفتِنُ البعضَ بالبعضِ، ونخاطبُك بمعاملة الرُّؤساءِ والفقراء؛ ليظهرَ أنَّ كفرَ الكافرين؛ لعنادِهم، لا لخفاءِ الحقِّ.

ومعنى الواو في قوله: ﴿وَلِتَسْتَبِينَ﴾ إضمارُ فعلٍ قبلَه، ثمَّ العطفُ عليه، وتقديرُه: ليَظهرَ الحقَّ، ﴿وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾، وفي آخره إضمارٌ أيضاً: ﴿وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ مِن سبيل المؤمنين، وإنَّما حذفَ اختصاراً لوضوحه بدلالة الحال، كما في قوله: ﴿سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾ [النحل: ٨١]؛ أي: الحرَّ والبرد.

وقيل: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ﴾؛ أي: كما فصَّلنا لكمُ الآياتِ نُفصِّلُها لغيرِكم.

---

(١) قوله: «وخلف» من (ف).

(٢) قوله: «وحماد» من (ف).

(٣) قوله: «والمدينة» من (ف).

(٤) قوله: «وأبو جعفر» من (ف).

(٥) انظر: «السبعة» (ص٢٥٨)، و«التيسير» (ص: ١٠٣)، و«النشر» (٢/ ٢٥٨).

وقيل: كما فصَّلنا لكم الآياتِ في مُحاجَّة المشركين، نُفصِّل لكم الآياتِ في كلِّ ما بكم إليه حاجةٌ مِن أمور الدين.

وقيل في قوله: ﴿وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾: فتَجتنبوه، من سبيلِ المؤمنين فتَلزموهُ.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: ﴿نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ﴾ يَحتمِل: نُبيِّنُ الآياتِ مع ما يَعرِفُ السَّامِعون أنَّها آياتٌ مِن عند الله غيرُ مخترعةٍ مِن عند الخلق.

ويَحتملُ: نُبيِّنُ مِن الآياتِ ما يَفصِلُ بين المجرمين وبين المهتَدين، فيَتبيَّنُ سبيلُ هؤلاء مِن هؤلاء(١).

* * *

(٥٦) ـ ﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ قال بعض المشركين لرسول الله ﷺ: استلم بعضَ آلهتِنا حتَّى نؤمِنَ بإلهك، فقال الله تعالى له: ﴿قُلْ﴾ يا محمد: ﴿إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: الأصنامَ، والملائكة، والشَّياطينَ والجِنَّ.

و﴿تَدْعُونَ﴾ أي: تَدعونه إلهاً، وقيل: أي: تعبدون، وقيل: أي تَدعونهُ في مُهمَّاتِ أمورِكم للإجابة.

وقوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ﴾؛ أي: في هذا، وفي طرد الذين يَدعون ربَّهم، وفي كلِّ شيءٍ.

---

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٤/ ٩٦).

وقوله تعالى: ﴿قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾؛ أي: لو فعلتُ ذلك لكنتُ ضَلَلتُ طريقَ الحقِّ.

وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾، أي: إلى طريقِ الحقِّ.

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: ﴿قُلْ إِنِّى نُهِيتُ﴾ أي: صرِّح بالاعترافِ بجميل[1] ما خصصناكَ به؛ مِن وجوهِ العِصْمَة، وأنواعِ النِّعمة، وأخبِرهم أنَّك في كَنَفِ الإيواء تَتقلَّب، وفي قبضة الصَّونِ تتصرَّف، فلا للهوى عليك سلطانٌ، ولا لك عن محلِّ التَّحقيقِ تباعدٌ، ولا عن الحضورِ غيبةٌ[2].

***

(٥٧) ـ ﴿قُلْ إِنِّى عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَكَذَّبْتُم بِهِۦ ۚ مَا عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّى عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى﴾؛ أي: على بيانٍ فاصلٍ بين الحقِّ والباطل، وهو النُّبوَّةُ ونزولُ الوحي.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: إنِّي[3] على حجَّة، تخبِر أنَّ ما يعبدُ هؤلاء، يعبدون اتِّباعاً لهوى أنفسِهم، وهو يَعبدُ الله اتِّباعاً للحُجَّةِ والعقل، وما[4] يُتَّبع بالهوى يَجوزُ أن يتركه صاحبُه، ويتَّبعَ غيرَه لما تهوى نفسُه هذا بعد الأوَّل، فأمَّا ما يُتَّبعُ بالحجَّة والعقلِ والسَّمع، [فإنَّه] لا يَجوز أن يَتركَ اتِّباعَه،

---

(١) في (ر): «بجميع».

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (١/ ٤٧٨).

(٣) في (ر): «أي».

(٤) في (ف): «بخلاف ما» بدل: «وما».

ويتَّبِعَ غيرَه، وفيه تسفيهُهم على التَّعريض، ولهذا قال: ﴿قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ﴾[(١)].

وقوله تعالى: ﴿وَكَذَّبْتُم بِهِۦ مَا عِندِى﴾ قال الزَّجَّاج: البيانُ والبَيِّنةُ واحدٌ، فلذلك ذكَّرَ[(٢)]، وهو كقوله: ﴿هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى﴾ [الكهف: ٩٨]؛ لأنَّه[(٣)] بمعنى الإنعام.

وقيل: أي: كذَّبتُم بمدلولِ البيِّنةِ.

وقيل: أي: كذَّبتُم بربِّي، لأنَّه قد سبقَ ذِكرُه.

وقوله تعالى: ﴿مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ﴾؛ أي: مِن العذاب.

وقوله تعالى: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾؛ أي: ما القضاءُ إلَّا لله في إنزالِه وتأخيرِه وفي كلِّ شيء.

وقوله تعالى: ﴿**يقض**[(٤)] **الحق**﴾ أي: يُتِمُّ الحقَّ، وقيل: يَحكُم بالحقِّ.

ومعنى قوله: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ مع أنَّ القُضاةَ لهم أحكامٌ نافذةٌ: أنَّ الحكمَ الذي يَفصِلُ الحقَّ[(٥)] مِن الباطل على الحقيقة هو للهِ عزَّ وجلَّ وحده.

وقرأ ابنُ كثيرٍ ونافعٌ وأبو جعفر[(٦)] وعاصمٌ: ﴿يَقُصُّ ٱلْحَقَّ﴾ بالصَّاد[(٧)]، من: قَصَّ يَقُصُّ؛ أي: يُخبِرُ بالحقِّ، ولا خُلْفَ في وعدِه ووعيده[(٨)].

---

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٤/ ٩٧)، وما سلف بين حاصرتين منه.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٢٥٦).

(٣) في (ف): «الآية» بدل: «لأنه».

(٤) كذا في النسخ، وهي قراءة أبي عمرو وابن عامر وحمزة والكسائي، وستأتي قراءة الباقين قريباً.

(٥) في (ر): «الحقيقة».

(٦) قوله: «وأبو جعفر» من (ف).

(٧) انظر: «السبعة» (ص: ٢٥٩)، و«التيسير» (ص: ١٠٣)، و«النشر» (٢/ ٢٥٨).

(٨) قوله: «ووعيده» ليس في (ف).

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ﴾؛ أي: القاضين بين عبادِه؛ لأنَّه لا يَخفى عليه الحقُّ والصَّواب.

* * *

(٥٨) ـ ﴿قُل لَّوْ أَنَّ عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ أَنَّ عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ﴾؛ أي: مِن العذاب، قال تعالى: ﴿يَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ﴾ [العنكبوت: ٥٤].

وقوله تعالى: ﴿لَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾؛ أي: لأتمَّ الأمرَ بيني وبينكم بتعجيلي ذلك لكم.

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ وهو يُنزِلُ عليكم العذابَ للوقتِ الذي يَعلمُه أردعَ وأمنع.

قال ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: نزلت هذه الآية والتي قبلها في: النَّضرِ بن الحارث ورؤساءِ قريش، كانوا يقولون: ائتنا بالعذابِ الذي تَعِدُنا، وقام النَّضرُ بنُ الحارث في حَطيمِ الكعبة، فقال: اللهمَّ إنْ كان ما يقولُ محمَّدٌ حقًّا فأتنا بالعذاب، فوقع ذلك به يومَ بدر(١).

قال ابنُ عبَّاس رضي الله عنهما: نزلَت في النَّضر بن الحارث ثماني آيات: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾ [الأنفال: ٣٣]، ﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ﴾ [الإسراء: ١١]، ﴿وَقَالُوا۟ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾ [ص: ١٦]، ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ﴾

---

(١) أورده ابن الجوزي في «زاد المسير» (٣/ ٥١) من رواية أبي صالح عن ابن عباس، وذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢١٤) من قول الكلبي.

[الحج: ٤٧]، ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾ [الرعد: ٦]، ﴿قُل لَّوْ أَنَّ عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ﴾ [الأنعام: ٥٨]، ﴿أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ [النحل: ١]، ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ [المعارج: ١][(١)].

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: أي قل: إنَّ اللهَ تعالى لم يغادرني في فقر التَّطلُّب والتباسِ التَّحيُّر، وأغناني عن كدِّ الاستدلال، ولوَّحَ لي شموسَ التَّحقيق، ولئن بَقيتُم في ظُلمةِ الالتباس، فليس لي[(٢)] قدرةٌ على إزالةِ ما مُنِّيتُم[(٣)] به مِن التَّحيُّر، ونفيِ ما امتُحِنتُم به من التَّردُّد، ولو أنَّ عندي تعجيلَ ما طلبتم، لأجبتُكم إلى ما سألتُم، لكنَّ المنفردَ بالحكم اللهُ الحميدُ، ولا يُعارَضُ فيما يُريد[(٤)].

***

(٥٩) ـ ﴿۞ وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ﴾[(٥)] مفاتح: جمعُ مِفْتَح، بكسر الميم، وهو الإقليدُ الذي يَفتح، وفي قوله: ﴿مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوأُ بِالْعُصْبَةِ﴾ هي جمع

---

(١) لم أقف عليه بهذا السياق، ورواه ابن إسحاق كما في «سيرة ابن هشام» (١/ ٣٠٠) لكنه ذكر من الآيات قوله تعالى: ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [القلم: ١٥]، وأجمل البقية بأنها كل ما ذكر فيه الأساطير في القرآن، وكذا رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٣٩٩ ـ ٤٠٠) من طريق ابن إسحاق.

(٢) في (ر) و(ف): «عندي».

(٣) في (أ): «منعتم».

(٤) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٤٧٨ ـ ٤٧٩).

(٥) بعدها (أ): «هو»، وفي (ر): «لا يعلمها إلا هو».

مَفتَح بفتح الميم، وهي الخزانةُ التي فيها المال، تُفتَح وتُغلق.

ويتَّصِلُ هذا بالآية الأولى: ليس عندي علمُ وقتِ العذاب، وعند الله ﴿مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ﴾؛ أي: عند الله الأشياءُ التي يُفتَح بها المنغلِقُ مِن الأمور التي يَغيبُ علمُها عن الخلق.

وقيل: أي: هو العالِمُ بكلِّ شيءٍ مِن مبتدئِه إلى منتهاه.

قوله تعالى: ﴿لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾ لا يَعلمُ الأشياءَ على حقائقها جملةً وتفصيلاً ﴿إِلَّا هُوَ﴾.

وقال عطاء: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ﴾: ما غابَ عنكم مِن الثَّواب والعقاب، وما يَصيرُ إليه أمري وأمرُكم[1].

وروى ابنُ عمر رضي الله عنهما عن رسولِ الله ﷺ أنَّه قال: «مفاتحُ الغيب خمسةٌ لا يَعلمها إلا الله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ الآية[2].

وقوله تعالى: ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ والعبادُ يَعلمون أنَّ في البحرِ ماءً وحيتاناً، وفي البرِّ رملاً وحصًى وأشجاراً وأوراقاً وأغصاناً، واللهُ يعلم مقاديرَها، وظواهرَها وبواطنَها، وما أودعَ فيها.

وقوله تعالى ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾ قال ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما: ما مِن شجرةٍ في برٍّ ولا بحرٍ إلَّا بها ملكٌ موكَّلٌ يَكتبُ ما يَسقطُ من ورقِها[3].

---

(١) انظر: «تفسير الثعلبي» (٤/ ١٥٤).

(٢) رواه البخاري في «صحيحه» (٤٦٢٧).

(٣) رواه سعيد بن منصور (٨٨١ ـ تفسير)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٠٤) (٧٣٦٩).

وقال كعب: وُكِّل بها ملكان؛ يَكتبُ أحدُهما ما يَسقطُ مِنها، ويَكتبُ الآخرُ ما يطلع.

وقال أبو بكر بن عبدش[1]: ما تسقطُ مِن ورقةٍ إلَّا يَعلمُ كم انقلبَت ظهراً لبطن، إلى أن سقطت على الأرض.

وفي التأويلات: قال بعضُ الحكماء: ما مِن ورقةٍ أو نباتٍ إلَّا وتُقدَّرُ بثلاثة أشياء؛ بالهواء، والأرضِ، والماء، فلو اجتمعَ حكماءُ العالم، لم يدركوا أنَّ الورقَ أو النَّبات؛ كم مقداراً يأخذُ مِن الهواء، وما يأخذُ من الأرض، وما يأخذُ من الماء؟ ولم يُدرِكوا المعنى الذي به الحياةُ والتَّربيةُ، واللهُ تعالى يَعلمُ ذلك كلَّه، وكيف لا يَعلم، وبه أخذَ ما أخذ، وبه اجتمعَ وتَضمَّن وتَربَّى.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ﴾ قال مجاهدٌ: أي: في جوف الأرض.

وقال سعيدُ بنُ جبير: ما مِن حبَّةٍ إلَّا مكتوبٌ عليها: هذا رزقُ فلان[2].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ﴾؛ أي: إلَّا يعلمُها، وهذا للتَّعميم.

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ هو اللَّوحُ المحفوظ.

---

(١) كذا وقع في أصل خطي لـ «تفسير الثعلبي» كما ذكر محققوه (١٢/ ٩٨) (طبعة دار التفسير) وفي مطبوعه نقلاً عن نسخة خطية أخرى: «عبدوس»، في (ر): «أبو بكر بن عبدس» وتحرف في (ف) إلى: «عبد الله بن عباس»، ويروي الثعلبي الخبر عن شيخه أبي القاسم بن حبيب النيسابوري (ت٤٠٦هـ) عن ابن عبدش هذا، وفي «الأنساب» للسمعاني (٣/ ٣٢٧) «طبقات المفسرين» للداودي (٢/ ١٩٣ ـ ١٩٤): محمد بن عبدوس بن أحمد بن الجنيد أبو بكر المقرئ، المفسِّر، الواعظ، النيسابوري، إمام فاضل في القراءات، عالم بمعاني القرآن، سمع منه الحاكم، وأثنى عليه. ومات سنة ثمان وثلاثين وثلاث مئة. فالظاهر أنه هو، والله أعلم.

(٢) لم أقف عليه عن سعيد، وأخرج الثعلبي في «تفسيره» (١٢/ ١٠٠ ـ ١٠١) (طبعة دار التفسير)، والخطيب البغدادي في «تاريخه» (٥/ ٢١٣)، والواحدي في «الوسيط» (٢/ ٢٨١) نحوه من حديث عبد الله بن عمر مرفوعاً، وضعف السيوطي إسناده في «الدر المنثور» (٦/ ٦٥).

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: أي: هو محفوظٌ كلُّه عند الله، ويَحتمِلُ أن يكون معناه: ﴿فِي كِتَٰبٍ﴾؛ أي: في تقديرٍ وحكم.

وقيل: هو اللَّوحُ المحفوظ.

وقيل: هو ما يُكتبُ ليلةَ القدر - أو ليلة البراءة - مِن النسخ، ويُدفَعُ إلى الملائكة[١].

و﴿إِلَّا﴾ بعد ﴿إِلَّا﴾ ليس للاستثناء من الاستثناء[٢]، بل للجمع بمعنى الواو، كقولك: ما زيدٌ إلَّا عند عمرٍو، إلَّا في دارِه.

و قال الحسن: إنَّما ذكرَ إثبات هذه الأشياءِ في اللَّوح المحفوظ؛ ليَعلمَ ابنُ آدمَ أنَّ عملَه أولى بالإحصاءِ؛ لأنَّه للحسابِ والجزاء[٣].

ونظيرُ قوله: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ﴾ قولُه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ غَيْبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [فاطر: ٣٨]، وكذا قوله: ﴿لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الزمر: ٦٣]، ومَن عنده المفاتحُ فله الخزائنُ، وله الملكُ والعِلْمُ والتَّصرُّفُ.

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ﴾: وعندَكَ مفاتِحُ الغيب، فمَنْ آمنَ بغيبِه، أسبلَ اللهُ السِّترَ على عيبِه[٤].

* * *

(٦٠) - ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

---

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٤/ ١٠٠ - ١٠١).

(٢) قوله: «من الاستثناء» من (ر).

(٣) انظر: «التفسير البسيط» للواحدي (٨/ ١٩٣).

(٤) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (١/ ٤٧٩).

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ﴾ أي: يُنيمُكم، وهو كقوله: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا﴾ [الزمر: ٤٢]، والتوفِّي في اللُّغةِ: هو قبضُ الشَّيء على تمامه.

وقوله تعالى: ﴿وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ﴾؛ أي: كسبتُم، وجوارحُ الصَّيدِ: كواسِبُها، قولُه تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ﴾ [المائدة: ٤] من ذلك، والاجتراحُ: الاكتساب، قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [الجاثية: ٢١]، والجوارحُ: الأعضاء؛ لأنَّها كواسب.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: ليس فيه أنَّه لا يَعلمُ ما جَرحْنا باللَّيل، ولا أنَّه لا يتوفَّانا بالنَّهار، فدلَّ أنَّ تخصيصَ الشَّيء في حالٍ بالذِّكرِ لا يَدلُّ على سقوطِ ذلك في حالةٍ أخرى[1].

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ﴾؛ أي: يُوقِظُكم من منامِكم في النَّهار.

وقوله تعالى: ﴿لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾؛ أي: ليُتِمَّ مدَّة الحياةِ.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ﴾؛ أي: بالبعثِ بعد الموت.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ وهذا وعدٌ ووعيد.

* * *

(٦١) ـ ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ قد فسَّرناه في هذه السُّورةِ مرَّة[2]؛ أي:

---

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٤/ ١٠٣ ـ ١٠٤).

(٢) عند تفسير الآية (١٨).

يُصرِّفُهم كيف يشاء، مِن يقظةٍ إلى نومٍ، ومِن نومٍ إلى يقظة، ومِن حياةٍ إلى موت، ومن موتٍ إلى حياة، لا كالأصنام التي اتَّخذتموها آلهةً، وهي لا تَضرُّ ولا تَنفع.

وقوله تعالى: ﴿وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾؛ أي: ملائكةً كراماً كاتبين، يَكتبون أعمالَكم وأقوالَكُم، فيحفظونها عليكم.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: ذكر إرسالَ الحفظَةِ بعد قوله: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ﴾؛ ليُعلَمَ أنَّ إرسالَهم لم يكن لحاجته إلى ذلك؛ لأنَّ الـمُحتاجَ لا يكونُ قاهراً، بل لحكمةٍ، وهي امتحانُ الحفَظةِ بما أمرَهُم به، ولله أنْ يَمتحِن عبادَه بما شاء، وأُخرى لتكونَ العبادُ على حذرٍ، وهذا أبلغُ في الزَّجرِ؛ لأنَّ مَن علِمَ أنَّ عليه رقيباً كان أجدرَ بالحذرِ والنَّظر، وإن كان يَعلمُ أنَّ اللهَ يَطَّلِعُ عليه بدونِه.

والحَفَظةُ هم كتبَةُ الأعمالِ عند بعضِهم، وظاهرُ نظمِ الآيةِ يَدلُّ على أنَّهم هم الذين يَحفظون أنفاسَ الخلقِ ويَعدُّونَها إلى وقتِ انقضائِها، ثمَّ يَقبِضون الرُّوح[1]، ويدلُّ عليه ما بعده وهو قوله تعالى:

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾؛ أي: قَبَضَتْ روحَهُ ملائكةٌ أرسلناهم غيرُ هؤلاء، وهم أعوانُ ملكِ الموت، وقال تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ﴾ [السجدة: ١١]؛ أي: هو الموكَّل به وحدَه، وهو الذي يَلِي ذلك وهؤلاء يُعينونه، وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ [الزمر: ٤٢]؛ أي: هو المقدِّرُ ذلك.

وقال ابنُ عباس رضي الله عنهما: ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾: قبضَهُ ملكُ الموت، وأعوانُه سبعةٌ مِن ملائكةِ الرَّحمةِ، وسبعةٌ مِن ملائكة العذاب، فإذا قبضَ ملكُ الموتِ نفساً

---

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٤/ ١٠٦ ـ ١٠٧).

مؤمنةً، دفعَها إلى ملائكة الرَّحمة، وإذا قبضَ نفساً كافرةً دفعَها إلى ملائكةِ العذاب[١].

وقوله تعالى: ﴿وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ قال ابن عباس: لا يؤخِّرونهُ طرفةَ عين[٢]، ومعناه في اللُّغة: لا يُقصِّرون، والمرادُ به: لا يُقدِّمون ولا يؤخِّرون.

* * *

(٦٢) - ﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ﴾؛ أي: رُدَّ المتوفَّون بردِّ الملائكة.

وقيل: بردِّ اللهِ بالبعثِ والحشر.

﴿مَوْلَىٰهُمُ﴾؛ أي: مالكهم، ﴿ٱلْحَقِّ﴾ لا كموالي الدُّنيا المتغلِّبين.

وإن جُعلَ هذا في حقِّ الكفَّار فقوله: ﴿مَوْلَىٰهُمُ﴾ مع قوله: ﴿وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾: أنَّ المولى هاهنا هو المالكُ والسيِّدُ، وهناك: المعينُ والنَّاصر.

وقوله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ﴾؛ أي: ينفُذُ حكمُه، لا حكم غيرِه فيه.

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ﴾؛ أي: الرَّدُّ إليه للحساب والجزاء، ولا يَشغلُهُ حسابُ أحدٍ عن حساب غيره، ولا يكونُ فيه لبثٌ، ولا يَدخلُه غلطٌ، ولا من العبدِ لجاجٌ، فيُسرِّعُ حسابَهم، ويُعجِّلُ جزاءَهم.

---

(١) ذكره الرازي في «تفسيره» (٣٠/ ٧٣٤)، والقرطبي في «تفسيره» (٨/ ٤١٠) عن الكلبي. وأخرج الطبري في «تفسيره» (٩/ ٢٩١) عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال في تفسير ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾: هم الملائكة أعوان ملك الموت.

(٢) انظر: «تنوير المقباس» (ص: ١١١)، وأخرج الطبري في «تفسيره» (٩/ ٢٩٣) وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٠٧) (٧٣٨٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال في تفسيرها: لا يضيعون.

وقـال الإمـام القشـيريُّ رحمَـه الله: ردَّهـم إلـى نفسِـه، ومـا غابـوا عـن قبضتِـه لحظـةً[١]، ولا خرجوا عن مشـيئته خطـرةً ولا لفظة، والـرَّدُّ إلى مَن ربَّاك خيـرٌ مِن البقاءِ مع مِـن آذاك.

* * *

(٦٣) ـ ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾.

وقولـه تعالـى: ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ اسـتفهامٌ بمعنـى النَّفـي، وظلمـاتُ البـرِّ والبحـر: شـدائدُهما، ويقـالُ لليـوم الـذي فيـه شِـدَّةٌ: يـومٌ مظلـم، ويـومٌ ذو كواكـب، وأنشـد:

بنـي عمِّنـا هـل تَذكـرونَ بلاءَنـا إذا كان يـومٌ ذو كواكـبَ أشـهَبُ[٢]

ويجوزُ أنْ يُرادَ بها عينَ الظُّلمات، فقد يقعُ ذلك في البرِّ والبحرِ في أوقات النكبات.

ويجوزُ أنْ يُراد بها عينَ الظُّلماتِ في اللَّيل في البرِّ والبحرِ في السَّفر.

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (١/ ٤٨٠).

(٢) لم يرد البيت في (ف). ولم أقف عليه بهذه الرواية، وذكر نحوه سيبويه في «الكتاب» (١/ ٤٧)، ونسبه لعمرو بن شأس، وروايته عنده:

بني أسدٍ هل تعلمون بلاءنا إذا كان يوماً ذا كواكبَ أشنعَا

وذكر سيبويه قبله لمقَّاس العائذي:

فدًى لبني ذهلِ بن شيبان ناقتي إذا كـان يومٌ ذو كواكب أشهبُ

وروى الفراء في «معاني القرآن» (١/ ٢١٦) عن بعضهم:

بني عمنا هل تذكرون بلاءنا عليكم إذا ما كان يومٌ قُماطِرُ

وقوله تعالى: ﴿تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ قال ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: أي: علانيةً وسرًّا.

وقال الحسنُ: التَّضرُّع: ما يُرفَعُ به الصَّوتُ، والخفيةُ: ما يُدعى سراً[1].

وقوله تعالى: ﴿**لئن أنجيتنا**[2] **من هذه لنكونن من الشاكرين**﴾؛ أي: يقولون هذا، وأضمر فيه هذا؛ لدلالة ﴿تَدْعُونَهُۥ﴾ على ذلك.

وقرأ أهلُ المدينة وأبو عمرو: ﴿أنجيتنا﴾[3] خطاباً لله تعالى، والباقون[4]: ﴿لَّئِنْ أَنجَىٰنَا﴾ بالألف، أي أنجانا الله ﴿مِنْ هَٰذِهِۦ﴾؛ أي: مِن هذه الظُّلمات.

وقال ابنُ عبَّاس رضي الله عنهما: هي[5] الأهوال والكربات، وقوله: ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾؛ أي: المؤمِنين المؤدِّين شكرَ اللهِ على نعمِه بطاعتِه.

***

(٦٤) ـ ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا﴾؛ أي: سلهُم: مَنْ يُنجيكم منها؟ وإذا أقرُّوا بذلك فقل: هو كما قلتُم؛ اللهُ يُنجيكُم مِن تلك الظُّلماتِ، فتَهتدوا للطريق وهو يُنجيكم. وقوله: ﴿وَمِن كُلِّ كَرْبٍ﴾ أي: غمٍّ يأخذُ بالنَّفْسِ، وكذلك الكُرْبةُ.

---

(١) انظر: «التفسير البسيط» (٨/ ٢٠٠).

(٢) كذا في النسخ، وسيأتي بيان ما فيها من قراءات قريباً.

(٣) هي قراءة نافع وأبي جعفر المدنيين، وقرأ بها أيضاً ابن كثير المكي، وابن عامر الشامي، وأبو عمرو ويعقوب البصريين. انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٥٩)، و«التيسير» (ص: ١٠٣)، و«النشر» (٢/ ٢٥٩).

(٤) في (أ): «وقرأ أهل الكوفة» بدل: «والباقون». وهي قراءة حمزة والكسائي وعاصم وخلف الكوفيين.

(٥) في (ف): «من هذه».

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ﴾؛ أي: لا تُخلِصونَ حينَ[1] تتخلَّصون، ولا تَشكرون، بل تُشرِكون.

* * *

(٦٥) - ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾؛ أي: اللهُ الذي قَدَر على إنجائِكم، هو قادرٌ على إهلاكِكم بأنواعِ العذاب؛ إن شاءَ بعثَ عليكم العذابَ مِن فوقِكم بالطُّوفان والصواعق والقذف بالحجارة والرِّيح والصَّيحة.

وقوله تعالى: ﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ وهو الخسفُ والزَّلزلةُ والإغراقُ.

وقوله تعالى: ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا﴾؛ أي: يَخلِطَكُم فِرَقاً، وأرادَ به الأهواءَ المختلفة.

وقوله تعالى: ﴿وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾؛ أي: الشِّدَّةَ والقتلَ.

وقال الضَّحَّاك رحمه الله: ﴿عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾ مِن قبل كباركم، ﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ ممَّن هو أسفل منكم، ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا﴾ أي: يجعلَكم فِرَقاً، ﴿وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾: يُسلِّطَ بعضَكم على بعضٍ بالقتل.

وقال مجاهدٌ: ﴿عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾: السَّلاطين الظَّلمة، ﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾: العبيدُ السُّوء[2].

وفي «تأويلات» الإمام أبي منصور رحمه الله: قال أبو بكر بن كيسان:

---

(١) في (أ): «حتى».

(٢) قولا الضحاك ومجاهد في «تفسير الثعلبي» (٤/ ١٥٦).

الآيـةُ فـي مشـركي العـرب؛ لأنَّ الآيـاتِ التـي قبلَهـا وبعدهـا فيهِـم، والسُّـورةُ في محاجَّـة المشـركِين(١).

وقال أبيُّ بن كعب: هي في أهلِ الإسلام، وقد جاء اثنانِ بعد وفاة النبيِّ ﷺ؛ ألبِسوا شِيَعاً، وأُذيقَ بعضُهم بأسَ بعضٍ، وبقيَ اثنان لا بدَّ واقعان.

وقال الحسنُ رحمه الله: ثنتان في أهلِ الإسلام؛ الأهواءُ المختلفة، والقتلُ، وثنتان في أهلِ الشِّرك مِن أهل الكتاب، وهما الخسفُ في الأرض، والحجارةُ مِن السَّماء.

وقال في قولِه: ﴿أَن يَبۡعَثَ عَلَيۡكُمۡ عَذَابٗا مِّن فَوۡقِكُمۡ﴾: يَحتملُ إسقاطَ السَّماءِ عليهم، ﴿أَوۡ مِن تَحۡتِ أَرۡجُلِكُمۡ﴾ طيَّ الأرضِ من تحتِكم وخسفكم(٢).

والآية حجَّةٌ في خلقِ أفعال العباد.

ورويَ أنَّ خبابَ بنَ الأرتِّ قال: رأيتُ رسولَ الله ﷺ ليلةً يُصلِّي، فلمَّا فرغَ قال: قلتُ له وقت الصُّبح: لقد رأيتُك تُصلِّي صلاةً ما رأيتُكَ صلَّيتَ(٣) مثلها! قال: «أجل، إنَّها صلاةُ رغبةٍ ورهبة؛ سألتُ ربِّي فيها ثلاثاً، فأعطاني ثِنتين، وزوى عنِّي واحدةً؛ سألتُه ألَّا يُسلِّطَ على أمَّتي عدوًّا مِن غيرِهم، فأعطاني، وسألتُه ألَّا يُرسِلَ عليهم السَّنةَ فتَقتلَهُم جوعاً، فأعطاني، وسألتُه ألَّا يَجعلَ بأسَهم بينَهم، فزواها عني»(٤).

وقال الكلبيُّ: لـمَّا نزلَت هذه الآيةُ، شَقَّتْ على النَّبيِّ ﷺ مشقَّةً شديدةً، فقال: «يا جبريل، ما بقاء أمتي على ذلك؟» فقال: إنَّما أنا عبدٌ مثلُك، فادعُ ربَّك، وقام

---

(١) القول في «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٤/ ١١١) عن أبي بكر الأصم.

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٤/ ١١١ ـ ١١٣، ١١٦).

(٣) في (ف): «تصلي».

(٤) رواه الترمذي في «سننه» (٢١٧٥)، والنسائي في «سننه» (١٦٣٨)، والطبري في «تفسيره» (٩/ ٣٠٤).

رسولُ الله ﷺ، فتوضَّأ وصلَّى، وسأَلَ ربَّه ألَّا يبعثَ على أمَّتِه عذاباً مِن فوقِهم، ولا مِن تحتِ أرجلِهم، ولا يَلْبِسَهُم شِيَعاً، ولا يُذيقَ بعضَهم بأسَ بعض، فنزلَ جبريلُ عليه السلام وقال: إنَّ اللهَ تعالى سمعَ مقالتَكَ، وإنَّه أجارَهُم مِن خصلتين، ولم يُجِرهم مِن خِصلتين؛ أجارَهم ألَّا يبعثَ عليهم عذاباً من فوقهم، ولا مِن تحتِ أرجلِهم، ولم يُجِرهم مِن أنْ يَلبِسَهم شِيَعاً، ويذيقَ بعضَهم بأسَ بعض. فقال: «يا جبريل فما بقاء أمتي» قال: سلِ الله لأمَّتِك، فقام رسولُ الله ﷺ، فتوضَّأ وصلَّى، وسأل ربَّه، فنزل جبريل عليه السلام فقال: إنَّ الله تعالى يقول: إنَّا أرسلنا مِن قبلِكَ رُسلاً إلى قومِهم، فصدَّقهم مُصدِّقون، وكذَّبهم مُكذِّبون، ولم يمنعْنا أنْ نبتليَ الذين زَعموا أنَّهم مؤمنون مِن بعد قبضِ أنبيائِهم ببلاءٍ يعرف فيه صدقُهم مِن كذبهم، ثمَّ نزل: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ﴾ الآيات [العنكبوت: ١ ـ ٢][1].

وروى عبد الله بن عمرو[2] رضي الله عنهما قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «إنَّ بين يدَي السَّاعةِ لهَرْجاً»، قلنا: وما الهَرْجُ؟ قال: «القتلُ والكذبُ» ثلاث مرات، فقلنا: يا رسولَ الله، أكثرَ مِن قتلِنا الكفَّار، فوالله إنَّا لنَقتلُ في العامِ الواحدِ كذا وكذا، قال: «ليس بقتلِكم الكفَّار، ولكن قتلٌ يكونُ بينكم يا معشَرَ أهلِ الإسلام، حتَّى يَقتلَ الرَّجلُ جارَهُ، ويَقتُلُ صاحبَهُ وأخاه وأباه» فقلنا: يا رسول الله، ومعنا عقولنا؟! وفينا

---

(١) رواه البغدادي في «موضح أوهام الجمع والتفريق» (٢/ ٣٥٥ ـ ٣٥٦) من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما، والكلبي متروك، وأبو صالح ضعيف كما سلف غير مرة. وذكره أبو الليث السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٥٣٠) (في مطلع سورة العنكبوت) عن الكلبي.

(٢) في (ر) و(ف): «عمر».

كتاب ربنا؟! قال: «تُنْتَهَبُ عقولُ أكثرِ أهلِ ذلك الزَّمان، حتَّى يَروا أنَّهم على شيءٍ، وليسوا على شيء»[(١)].

وقوله تعالى: ﴿ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَفۡقَهُونَ﴾؛ أي: كيف نُورِدُ عليهم المواعظَ المختلفةَ، مِن بيانِ الحقِّ، وإجابةِ الدُّعاءِ، والإنجاءِ مِن الظُّلمات، وتصريفِ اللَّيلِ والنَّهار، والأمرِ والنَّهي، والوعدِ والوعيدِ، مِن أوَّل السُّورةِ إلى هاهنا؛ ليَستنبطَ هؤلاء المشركون مِنها بُطلانَ قولِهم، وتناقضَ مذاهبِهم.

وقال الإمامُ القشَيريُّ رحمه الله: ﴿وَيُذِيقَ بَعۡضَكُم بَأۡسَ بَعۡضٍ﴾ لا طعمَ أدوى[(٢)] مِن طعمِ الإنسان؛ إنْ شئتَ في الولايةِ والمحبَّةِ، وإن شئتَ في العداوةِ والبُغضة، فمَن مُنيَ بالمعصية[(٣)] مع أشكالِه تَنغَّصَ عليه عيشُه في الدُّنيا، ومَن مُني بمحبَّةِ أمثالِه، تَكدَّرَ عليه حاله مع المولى، ومن صانَهُ اللهُ عن الخلقِ فهو المحفوظُ المعافى[(٤)].

***

(٦٦) ـ ﴿وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوۡمُكَ وَهُوَ ٱلۡحَقُّۚ قُل لَّسۡتُ عَلَيۡكُم بِوَكِيلٖ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوۡمُكَ﴾ قال الحسنُ والسُّدِّيُّ: أي: بالقرآن[(٥)]، وقيل: أي: بتصريفِ الآيات.

---

(١) لم أقف عليه من حديث عبد الله بن عمرو ولا من حديث ابن عمر رضي الله عنهم، وأخرج أحمد في «مسنده» (١٩٦٣٦) نحوه من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

(٢) في «لطائف الإشارات»: «أردأ».

(٣) في «لطائف الإشارات»: «بالبغضة».

(٤) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (١/ ٤٨١).

(٥) انظر: «النكت والعيون» للماوردي (٢/ ١٢٨)، والأثر رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٣١١)، وابن أبي حاتم (١/ ١٣١٣) (٧٤٢٠) عن السدي.

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْحَقُّ﴾؛ أي: الصِّدقُ والكائنُ.

وقوله تعالى: ﴿قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾؛ أي: بحافظِ أعمالِكم حتَّى أجازيَكم عليها، بل الله يَجْزيكم بها.

قال الحسن: وقيل: لستُ عليكم بمُسلَّطٍ أمنعكم جبْراً أنْ تكفروا، بل إليَّ الدَّعوةُ والتَّبليغ(١).

قال ابنُ عباس رضي الله عنهما: نسخَها قولُه: ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾(٢).

وقيل: ﴿لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾ أملكُ تَصريفكم على ما أُريد، وأَنْقلُكم عن أهوائِكم.

* * *

(٦٧) ـ ﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ﴾، أي: لكلِّ خبرٍ استقرارٌ وموضعُ اسْتقرار، فإنَّ اللفظةَ تَصلحُ للمصدر والمكان، ومعناه: لكلِّ خبرٍ قرارٌ على غايةٍ يَنتهي إليها، فيَتبيَّنُ حينئذٍ صدقُه مِن كذبِه، وحقُّه مِن باطله.

وقوله تعالى: ﴿وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ حقيقةَ خبرِ ما كذَّبتم به، وهي كلمةُ وعيد،

---

(١) لم أقف عليه عن الحسن، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ١٢٨)، ونسبه لبعض المتأخرين.

(٢) رواه النحاس في «الناسخ والمنسوخ» (٢/ ٣١٧ ـ ٣١٨) (٤٦٦)، وعقب عليه فقال: هذا خبر لا يجوز أن ينسخ... اهـ.

قلت: وإسناده ضعيف جداً، فيه عاصم بن سليمان الكوزي، وهو معدود في الوضاعين، انظر: «ميزان الاعتدال» للذهبي (٢/ ٣١٩)، وفيه أيضاً جويبر بن سعيد الأزدي، وهو ضعيف جداً كما في «التقريب».

فقيل: إنهم قد علِموا بذلك يومَ بدر، ويجوزُ أن يكون بعضُ وعيدِهم يَتحقَّقُ في الآخرةِ، أو[1] يتحقَّقُ كلُّه يومئذٍ.

وقيل: أي: لكلِّ وعدٍ ووعيدٍ مِن الله وقوعٌ واستقرارٌ، ﴿وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ إذا نزلَ، وهو كقوله: ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ﴾ [ص: ٨٨]، وقوله: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ﴾ [الأعراف: ٥٣].

وقال الحسن: أي لكلِّ عملٍ جزاءٌ، فمَن عملَ خيراً جُوزِيَ به الجنَّةَ، ومَن عملَ سوءاً جُوزيَ به النَّار، ﴿وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ يا أهلَ مكَّة[2].

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: يَحتملُ أن يكون هذا صلةَ قوله: ﴿قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾، لكن ﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ﴾؛ أي: لم أسلَّط على قتالِكم الآن، ﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ﴾ في أن أغنمَ أموالَكم، وأسبيَ ذراريكم إذا وردَ الأمرُ بالقتال[3].

* * *

(٦٨) - ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ﴾ قال الحسنُ وقتادةُ ومجاهدٌ وسعيدُ بنُ جبير: هو خوضُ تكذيبٍ واستهزاء[4].

وقال ابنُ عبَّاس: أمرَ اللهُ رسولَه: إذا رأيتَ المشركين يُكذِّبون بالقرآن وبك،

---

(١) في (ف): «أي».

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» (٤/ ١٥٦).

(٣) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٤/ ١١٨).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٣١٣ ـ ٣١٤) عن قتادة ومجاهد وسعيد بن جبير.

ويَستهزِؤون بذلك، فاترُك مجالستَهم ﴿حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ﴾؛ أي: حتَّى يكون خوضُهم في غيرِ القرآن[١].

وقوله تعالى: ﴿وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ «إن» شرطٌ، و«ما» صلةٌ، والنُّونُ للتَّأكيد، ومعناه: وإنْ يُنسِك الشَّيطانُ بعد النَّهيِ فقَعدتَ معهم.

وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾؛ أي: المشركين، فقُم إذا ذكرتَ.

قال ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: ولـمَّا قدِمَ رسولُ الله ﷺ المدينةَ، جعلَ المنافقون إذا رأوا المسلمين جلوساً أتَوهم، فجلَسوا معهم، ثمَّ استَهزؤوا برسولِ الله ﷺ وبالقرآن، وآذوهم، فنزلَ عليه بالمدينة: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾ أي: بمكَّة، ﴿أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: القرآن، ﴿يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٠] إنْ رضيتُم بخوضِهم، إشارةً إلى هذه الآية.

* * *

(٦٩) ـ ﴿وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ﴾ ولـمَّا كان قولُه: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا﴾ خطاباً لرسولِ ﷺ والمرادُ به أمَّتُه، ردَّ الكلامَ[٢]

---

(١) انظر: «التفسير البسيط» للواحدي (٨/ ٢١٠).

(٢) في (ر): «الخطاب».

إليهم، فقال[١]: ﴿وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ الكفرَ والمعاصي مِن حسابِ الكفَّار الخائضين[٢] شيءٌ.

قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ قال الحسنُ والفرَّاءُ والزَّجَّاج: أي: ولكن عليهم أنْ يُذَكِّروهم[٣] ﴿ذِكْرَىٰ﴾؛ أي: يعظوهم.

وقيل: أي: يَعرضون ذِكرى؛ لأمرِ الله.

وقوله تعالى: ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾؛ أي: لعلَّ الخائضين يتَّقون الدَّوامَ على الخوض.

وقيل: أي: ليُذكِّروهم أنَّ خوضَهم يَسوءُهم؛ ليَتَّقوا مساءَتَهم.

وقيل: أي: وذَكِّرِ المؤمنين؛ ليَدوموا على تقواهم.

وقيل: هذه الآية تتَّصل بقوله: ﴿وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ﴾: وما على المتَّقين حسابٌ، فإنَّما ذكَّرَهمُ اللهُ الحسابَ؛ ليتَّقوا المعاصي.

* * *

(٧٠) ـ ﴿وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ ۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُواْ بِمَا كَسَبُواْ ۖ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ

---

(١) في (أ) و(ر): «فقيل».

(٢) بعدها في (ف): «من».

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٣٣٩)، و«معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٢٦١).

﴿وَذَكِّرْ بِهِۦٓ﴾ يتَّصل بقوله: ﴿وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ﴾، ويُبيِّنُ أنَّ التَّذكيرَ يجبُ أن يكون بالقرآن، وهو كقوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾.

وقوله: ﴿وَذَرِ﴾؛ أي: اتركْ محاجَّةَ هؤلاء بإيرادِ الحُجَجِ عليهم؛ لأنَّها إنَّما تَنفعُ لـمَن تدبَّر وتَفكَّر، وطلبَ الحقَّ بدلائله، وهؤلاء الخائضونَ اتَّخذوا دينَهم عبثاً، لا يَقصِدون طلبَ الحقِّ، ولا يطلبونَ دلائلَه، ولا يُفكِّرون في معادٍ ولا جزاءٍ ولا حساب.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: ويَحتملُ التَّقديمَ والتَّأخير: وذرِ الذين اتَّخذوا اللهوَ واللَّعِبَ ديناً، حتَّى لا يفارقون ذلك[1]، كالدِّين الذي يُتَّخذُ للأبد.

ويحتمل ﴿ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ﴾: ما هويَتهُ أنفسُهم، ودعَتْهم إليه الشَّياطين، ومَن فعلَ ذلك فهو عابثٌ لاعب[2].

وقوله تعالى: ﴿وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ أوهمَهم الشَّيطانُ أنَّ ما أُعطوا فيها مِن رئاسةٍ على الضَّعفة، ووُسِّع لهم فيها مِن الرِّزق، وأُطيل لهم في البَسطة، إنَّما هو لكرامتِهم على الله.

ويجوز أن يكون قوله: ﴿وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا﴾ وعيداً؛ لقوله: ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [الحجر: ٣].

وقوله تعالى: ﴿وَذَكِّرْ بِهِۦٓ﴾؛ أي: وعِظْ بالقرآن.

وقيل: خوِّف بالحساب، فقد سبقَ ذِكْرُه.

وقوله تعالى: ﴿أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ﴾؛ أي: خوفَ الإبسال.

---

(١) بعدها في (أ): «كله».

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٤/ ١٢١).

وقيل: أي: لئلَّا تُبسلَ، كما قال: ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّواْ﴾ [النساء: ١٧٦].

و﴿تُبْسَلَ﴾: قال الفرَّاء: أي: تُرتهن[١].

وقال الحسنُ ومجاهدٌ والسُّدِّيُّ: أي: تُسلمَ للهَلكة[٢].

وقال قتادة: تُحبس[٣].

وقال ابنُ عبَّاس رضي الله عنهما: تُفضَح[٤].

وقال الضَّحَّاك: أي: تُنضَج وتُحرَقَ[٥].

وعن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما في روايةٍ: تُهلك[٦].

وظاهرُه عند أهلِ اللغة: تُسلَم للهَلَكة، وقال عوف بن الأحوص الكلابي:

وإبْسالي بَنيَّ بغيرِ جُرْمٍ ... بعَوْناهُ ولا بِدَمٍ مُراقِ[٧]

أي: إسلامي.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٣٣٩).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٣٢٠ ـ ٣٢١) عن الحسن ومجاهد، وعلقه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣١٨) عقب الأثر (٧٤٥٢) عن مجاهد وعكرمة والحسن والسدي.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٣٢١)، وابن أبي حاتم (٤/ ١٣١٨) (٧٤٥٤).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٣٢٢)، وابن أبي حاتم (٤/ ١٣١٨) (٧٤٥٣).

(٥) انظر: «تفسير الثعلبي» (٤/ ١٥٨)، وتحرف في مطبوعه: «تنضج» إلى: «تحرق»، وهي على الصواب في طبعة دار التفسير (١٢/ ١١١).

(٦) انظر: «تفسير الثعلبي» (٤/ ١٥٨).

(٧) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١/ ١٩٤)، و«المعاني الكبير» لابن قتيبة (٢/ ١١١٤)، و«تفسير الطبري» (٩/ ٣٢٣).

وقوله تعالى: ﴿بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾؛ أي: للنَّفس وليٌّ يَنصرُها، ولا شافعٌ يَستوهِبُ ذنوبَها.

وقوله تعالى: ﴿وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ﴾ أي: وإن تُفدَ كلَّ فديةٍ لا تُقبَل منها.

وقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُواْ بِمَا كَسَبُواْ﴾؛ أي: أولئك الخائضون، و﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا﴾ ارتُهنوا وأُسلِموا للهَلَكة، وحُبِسوا وفُضِحوا بما كسَبوا مِن الشِّركِ والخوض في الباطلِ والمعاصي.

وقوله تعالى: ﴿لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ﴾؛ أي: ماءٌ حارٌّ شديدُ الحرارةِ، يصهَرُ به ما في بطونِهم وتقطَّع أمعاؤهم.

وقوله تعالى: ﴿وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ﴾؛ أي: وجيع.

وقوله تعالى: ﴿بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ﴾؛ أي: بكفرهم.

وقيل: ﴿لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ﴾ بما شَرِبوا من القهوات(١)، ﴿وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ﴾ بما تَناولوا من الشَّهوات.

وقال الإمامُ القُشيريُّ رحمه الله في قوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ﴾؛ أي: مَن كان نقيَّ الثَّوبِ عن ارتكابِ الآثام، كان بمعزلٍ يوم النَّشر عن ملاقاةِ تلك الآلام.

وقال في قوله: ﴿وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا﴾؛ أي: كِلْهم إلى ما اختاروا، فإنَّا اعتدنا لهم مِن خفيِّ المكرِ ما إذا أحللنا[ه] بهم كسرنا عليهم خِمارَ الغفلةِ، وكشَفنا عنهم خِمار الوَهْمِ والجهلة(٢).

---

(١) القهوة: الخمر. انظر: «القاموس المحيط» (مادة: قهو).

(٢) في «لطائف الإشارات» للقشيري (١/ ٤٨٢): «والغفلة» بدل: «والجهلة».

(٧١) ـ ﴿قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَـٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَـٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا﴾؛ أي: أنطلبُ النَّجاحَ ممَّن لا يَملِكُ لنا نفعاً ولا ضرًّا، وهي الأصنام.

وقيل: أي: أَنعبدُ، مِن قوله: ﴿ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٦٧]، ويَرجع إلى قوله: ﴿قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [الأنعام: ٥٦]، والأقرب إلى قوله: ﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾، وكان الكفَّارُ ـ لعنهم الله ـ يتَّخِذون الأصنامَ أولياءَ وشُفعاء.

وقيل: أي: لا يَنفعُنا إنْ أطعناهُ، ولا يَضرُّنا إنْ عصيناهُ.

وقوله تعالى: ﴿وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ عطفٌ على الأوَّل، والاستفهامُ بمعنى الإنكار.

وقال المبرِّد: إذا قلت: ردَّ على عقبِه، فمعناه: جاءَ لينفذَ، فسُدَّ سبيلُه.

وقيل: أي: نرتدَّ عن دينِنا، ونرجعَ إلى ورائِنا، وهو عبارةٌ عن الإدبار والخيبةِ والدَّمار، وهو كقوله: ﴿نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾ [الأنفال: ٤٨]، وقوله: ﴿وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾ [آل عمران: ١٤٤].

وقوله تعالى: ﴿بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾؛ أي: إلى الدِّين الحقِّ.

وقوله تعالى: ﴿كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَـٰطِينُ﴾؛ أي: جرَّتهُ إلى المهاوي، وهي المساقطُ والمهالك، كما يقال: استزلَّتهُ واستغْوتهُ؛ أي: جرَّتهُ إلى الزَّللِ والغِواية[1].

---

(١) في (ف): «أو الغواية».

وقرأ حمزة: ﴿استهواه﴾[1] لتقدُّم الفعلِ؛ أي: إنْ فعَلنا كذلك كنَّا كرجلٍ[2] ذهبَت به الشَّياطينُ في الفلاةِ متَحيِّراً لا يَهتدي لطريقٍ يَتخلَّص[3] منه، ويأمنُ به السُّقوط، وذلك قوله: ﴿فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا﴾؛ أي: لهذا الرَّجلِ أصحابٌ مشفقون عليه، يريدون الخيرَ به، يدعونه إلى الصِّراطِ المستقيم، ويقولون: ﴿ٱئْتِنَا﴾ أضمرَ القولَ لدلالة ﴿يَدْعُونَهُۥٓ﴾ على ذلك؛ أي: يقولون له: دع طريقَ الضَّلالِ وعُد إلينا.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ﴾؛ أي: الطَّريقُ الذي هدى اللهُ إليه، فهو الطَّريقُ المستقيم.

وقوله: ﴿وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾؛ أي: أمرنا اللهُ تعالى أنْ ننقادَ له، ونُسلِّمَ أنفسَنا إليه، فهو خالقُ العالمين وحافظُهم ومدبِّرُ أمورِهم.

* * *

(٧٢) ـ ﴿وَأَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُ ۚ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُ﴾؛ أي: وقيل لنا ذلك، أو هو عطفٌ على قوله: ﴿وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ﴾ باعتبار المعنى؛ فإن تقدير قوله: ﴿وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ﴾؛ أي: قيل لنا: أسلموا، فيجوزُ أنْ يُعطَفَ عليه، و﴿أَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾؛ أي: تذلَّلوا لهُ بالعبادة، ﴿وَٱتَّقُوهُ﴾ ولا تخالفوا أمره ونهيَه بالمعصية.

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٢٦٠)، و«التيسير» (ص: ١٠٣).

(٢) في (أ): «كالرجل».

(٣) في (ف): «مخلص».

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ﴾؛ أي: للحسابِ والجزاء أيُّها العادِلون بالله.

قال الكلبيُّ: نزلت في عبد الرَّحمن بنِ أبي بكر، وقد دعا أباهُ وهو[١] في حالِ كفرِه إلى دين آبائه[٢].

وقال ابنُ عبَّاس والسُّدِّيُّ رضي الله عنهم: هو مثلٌ، يقول: مثلُ مَن يُدعَى إلى الكفرِ كضالٍّ في الطَّريق يَدعوه الغيلان في المفاوز باسمِه ونَسبِه، وأصحابُه يَدعونَهُ إلى الطَّريقِ السَّويِّ، فإن اتَّبعَ الغولَ هلكَ، وإن أجابَ أصحابَه اهتدى[٣].

وقال الإمام القشيريُّ رحمهُ الله: أي قل يا محمَّدُ: أنؤثِرُ الضَّلالَ على الهدى بعدَ طلوعِ شموس البُرهان؟ ونَدَعُ الطَّريقةَ الـمُثلى بعد ظهور البيان؟ ونترك عَقوَةَ[٤] الجنَّة، وقد نزلناها، ونطلبُ مُتبوءًا في الجحيم[٥] وقد كُفيناها؟ إنَّ هذا بعيدٌ مِن العقول، محالٌ مِن الظُّنون، وكيف يُساعِدُ أتباعَ الشَّياطين مَن وجدَ الخلاصَ مِن صُحبتِهم، فأبصرَ الغيَّ في صفتهم؟!

﴿وَأَنۡ أَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُۚ﴾؛ أي: أُمِرنا بملازمةِ الصَّلاة، وهي محلُّ المناجاة، ولسانٌ تعوَّد نجوى السُّلطان، متى يَنطقُ بمكالمةِ أَخِسَّةِ أهلِ الزَّمان[٦].

---

(١) «وهو»: ليس من (ف).

(٢) ذكر سبب النزول هذا أبو الليث في «تفسيره» (١/ ٤٩٤) من رواية أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٤/ ١٥٩) دون نسبة.

(٣) روى قوليهما الطبري في «تفسيره» (٩/ ٣٢٨ـ ٣٣٠)

(٤) العقوة: الساحة. انظر: «الصحاح» (مادة: عقا).

(٥) في النسخ الخطية: «الجنة»! والمثبت من «لطائف الإشارات».

(٦) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (١/ ٤٨٣).

(٧٣) ـ ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ﴾؛ أي: للحقِّ، ولم يَخلقهُما[1] باطلاً.

وقيل: أي: لمنافعِ العباد، ولاستبداءِ الشُّكرِ منهم.

وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ﴾ متَّصلٌ بقوله: ﴿ وَأَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُ ﴾ يومَ، أو هذا ابتداءٌ، وأضمرَ فيه: واحذروا يومَ يقولُ لذلك اليوم: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾؛ أي: يُكَوِّنهُ سريعاً، وعلى هذا تمَّ هذا، ثمَّ قولُه تعالى: ﴿قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ﴾ مبتدأٌ وخبر.

وقوله تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلْمُلْكُ﴾ كذلك، وهما كلامان تامَّان مطلقان.

وقيل: هذا يتَّصِلُ بالأوَّل ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ﴾؛ أي: يوم القيامة، يكونُ[2] ﴿قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ﴾؛ أي: يَتحقَّقُ قولُه الصِّدقُ، ويَقعُ حكمُه الفصل، ﴿وَلَهُ ٱلْمُلْكُ﴾ يومئذٍ، كما قال: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦].

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ﴾ هو تقرير قوله: ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ هو موصولٌ بقوله: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ﴾، وهو ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾؛ أي: عالمُ ما غابَ علمُه عن الخلقِ، وعالمُ ما يشهَدُه الخلقُ، ويَحتملُ: عالمُ السِّرِّ والعلانية.

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ﴾ المصيبُ في أقوالِه وأفعالِه؛ مِن الإماتةِ والإحياء، والإيجادِ والإفناء.

---

(١) في (أ): «يجعلهما».

(٢) في (ر): «يقول».

وقوله تعالى: ﴿ٱلْخَبِيرُ﴾ بأعمالِ عبادهِ؛ ظاهرِها وباطنِها، والعالمُ بجزائِها.

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله في الآية[١]: أي: لا يَعتاصُ على قدرتِه حدوثُ مقصودٍ، ولا يَتقاصَرُ حكمُه عن تصريفِ موجود[٢].

* * *

(٧٤) - ﴿۞ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ﴾؛ أي: اذكرْ لهؤلاءِ العادلينَ بربِّهم قصَّةَ إبراهيم، وهو أبو العرب، وهم أولى النَّاس بالاقتداء به؛ لأنَّهم ذرِّيَّتُه، وبه مفاخرتُهم، إذ قال إبراهيمُ لأبيه آزرَ منكراً عليه، ومتعجِّباً منه.

قوله تعالى ﴿أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً﴾؛ أي: أتجعلُ الأصنامَ معبودةً لك تَعتقِدُها[٣] آلهةً.

قوله تعالى: ﴿إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ بعبادتِكم ما دونَ الله.

ومن قال: إنَّ اسمَ والد إبراهيم تارح[٤] في الرِّوايات المشهورة في نسبه، لا آزر؛ فإنَّه يُقالُ له: يجوزُ أن يكون له اسمان، أو أحدُهما اسماً له، والآخرُ لقباً له عُرِفَ به، فيُنسَبُ إليه، ومَن قال: ﴿آزرُ﴾ بالرَّفع، وهو في بعض القراءات[٥]، فله وجوه:

---

(١) بعدها في (ر): «الأولى».

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (١/ ٤٨٣).

(٣) في (ر): «تتخذها».

(٤) في (ر) و(ف): «تارخ». وهما روايتان، قال الآلوسي في «روح المعاني» (٨/ ٢٤٩): بتاء مثناة فوقية وألفٍ بعدها راءٌ مهملة مفتوحة وحاءٌ مهملة، ويروى بالخاء المعجمة.

(٥) هي قراءة يعقوب من العشرة. انظر: «النشر» (٢/ ٢٥٩).

قيل: هو نداءٌ بمعنى[1]: يا آزر.

وقيل: معناه: يا شيخ.

وقيل: معناه: يا عوج[2]؛ أي: معوجٌّ عن الدِّين.

وقيل على قراءة النصب: إنَّه اسمُ صنمٍ لهم، وتقديره: أتعبدُ آزرَ، أتتَّخِذُ أصناماً آلهة.

وقال وهب: هو إبراهيمُ بنُ تارح بنِ ناحور بن أشرع بن أرغو بن فالغ بن عابر[3] بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح. وفي التَّوراة: شاروع مكان أشرع[4].

* * *

(٧٥) - ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴾ قيل: أي كما أريناهُ ضلالَ أبيه وقومِه حتَّى قال: ﴿إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾، أريناهُ ﴿مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾، و﴿نُرِىٓ ﴾ مستقبلٌ بمعنى الماضي، كما في قوله: ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ﴾ [الأحزاب: ٣٧]؛ أي: وإذ قلتَ.

وقيل: أي: وكما أريناكَ ملكوتَ السَّماوات والأرض والآيات، كذلك أرينا إبراهيم.

و﴿مَلَكُوتَ ﴾ بمعنى الملك، وهو السُّلطان، وتقديرُه: ملكوتَنا في السَّماوات والأرض.

---

(١) في (أ): «يعني».

(٢) في (ر): «أعوج».

(٣) في (أ): «عامر».

(٤) انظر: «المعارف» لابن قتيبة (ص: ٣٠).

قال ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: عُرِجَ بإبراهيمَ إلى السَّماء، فرأى عبداً على فاحشةٍ، فدعا اللهَ تعالى عليه، فأهلكَه، ثمَّ رأى عبداً آخرَ على فاحشةٍ، فدعا الله عليه، فقال اللهُ تعالى[١]: يا إبراهيم، اكفُف دعوتَك عن عبادي؛ فإنَّ عبدي بين خِلالٍ ثلاثٍ؛ إمَّا أنْ أُخرِجَ منه ذُرِّيَّةً طيِّبةً، أو يتوبَ فأغفرَ له، أو النارُ من ورائه، أوَما علمتَ أنَّ مِن أسمائي الحليم؟[٢]

وقال مجاهد: فُرِجَت له السَّماوات السَّبعُ، فنظرَ إلى ما فيهنَّ، حتَّى انتهى نظرُه إلى العرش، وفُرِجَت له الأرضون السَّبع، حتَّى نظرَ إلى ما فيهنَّ[٣].

وقال الضَّحَّاك: أُقيمَ على صخرةٍ، وفُتِحَت له السَّماواتُ فنظرَ إلى مُلْكِ اللهِ تعالى في السَّماوات، حتَّى نظرَ إلى مكانِه في الجنَّة، وفُتِحَت له الأرضون، حتَّى نظرَ إلى أسفلِ الأرضين، فذلك قوله: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا﴾ [العنكبوت: ٢٧]؛ أي: أُريَ مكانَه في الجنَّة[٤].

وقال قتادة: أراهُ الله تعالى ملكوتَ السَّماوات والأرض؛ ملكوت السَّماوات: الشمسُ والقمرُ والنجوم[٥]، وملكوتُ الأرض: الجبالُ والأشجارُ والبحار[٦].

---

(١) بعدها في (ر): «له».

(٢) لم أقف عليه عن ابن عباس رضي الله عنهما، وروى الطبري في «تفسيره» (٩/ ٣٥٠) نحوه عن سلمان رضي الله عنه.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٣٤٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٢٦) (٧٥٠١).

(٤) لم أقف عليه من قول الضحاك، وأخرجه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٣٤٩ ـ ٣٥٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٢٦ ـ ١٣٢٧) (٧٥٠٢).

(٥) في (ر): «والكواكب».

(٦) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٨٢١)، ومن طريقه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٢٧) (٧٥٠٥).

وقيل: نظرَ في المصنوعات، فرأى ما فيها من الدّلالةِ على وحدانيةِ[1] الله تعالى، والشهادةِ له بالحكمةِ والتَّعالي عن الأضداد والأنداد، وإبطالِ أن يُعدَلَ به شيءٌ سواه.

وقوله تعالى: ﴿وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ﴾؛ أي: وليكون مِن الموقنين أريناهُ الملكوت.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: الإيقانُ بالشَّيء: هو العلمُ بحقيقتِه بعد النَّظرِ والاستدلال فيه، ولذلك لا يوصَف الله تعالى باليقين[2].

ثمَّ ليس هذا دلالةَ الشَّكِّ في الابتداء أو الجهلِ للحال، لكن لبيان إيقاعِ العلمِ له ابتدأ بهذه الدلائل، كقوله: ﴿رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ [الرعد: ٢]، ليس هذا رفعاً عن وضعٍ، وقوله: ﴿لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [الأحزاب: ٤٣]، ليس هذا إخراجاً عن إدخال، وقوله: ﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف: ٣٧]، ليس هذا تركاً بعد شروع، بل هذا كلُّه إثباتُ ابتداءٍ فكذلك هاهنا[3].

* * *

(٧٦) ـ ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا﴾ قال ابنُ عبَّاس رضي الله عنهما: إنَّ إبراهيم ولد في زمن نمرود بن كنعان بن كوش بن حام بن نوح، وكان جبَّاراً، وكان له كهَّان يخبرونَه بما يكونُ في الأرض، فقالوا له: إنَّه يولدُ في هذه السَّنة غلامٌ يُفسِدُ

---

(١) لفظ: «وحدانية» من (أ).

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٤/ ١٣١).

(٣) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٤/ ١٣٦ ـ ١٣٧).

آلهةَ الأرض، ويَدعو النَّاس إلى غير دينِهم، ويكونُ هلاكُ ملكِك على يديه[١].

وقيل: إنَّهم وجِدوا ذلك في كتبِ الأنبياء.

وقيل: قالت المنجِّمةُ ذلك.

وقيل: إنَّ نمرود رأى ذلك في المنام، فهالَه[٢]، وقال: الأمرُ في هذا أنْ يعزل الرِّجال عن النِّساء، وينظر كلُّ حبلى في مملكتي، فإذا ولدَت غلاماً قتل، وإذا ولدَت جاريةً تركت، إلى أن تمضيَ هذه السنة التي قلتم، فعمد فعزلَ الرِّجال عن النِّساء، وجعلَ على كل عشرةٍ رجلاً، فإذا طهُرَت امرأةٌ حيلَ بينها وبين زوجِها إلى أن تحيض، فرجعَ آزرُ أبو إبراهيم إلى أهله فوجد امرأتَه قد طهُرت مِن الحيض، فوقعَ عليها في طُهرها، فحملَت[٣].

فقال الكهَّان: إنَّ الغلامَ الذي أخبرناك به قد حملته[٤] أمُّه الليلة، قال نمرود ـ لعنه الله ـ: كلُّ امرأةٍ قد استبانَ حملُها خلوا سبيلها، واحبسوا اللَّواتي لم يَستبِن حملُهن، وكلُّ مَن ولدَت غلاماً فاقتلوه، فلمَّا دنت ولادةُ إبراهيم وأخذَها الطَّلْقُ خرجَت هاربةً؛ مخافةَ أن يُطَّلَعَ عليها، فيُقتل ولدها، فوضعَتهُ في نهرٍ يابسٍ، ثمَّ لفَّتهُ في خِرقةٍ، ووضعَتهُ في حَلْفاء، ورجعَتْ وأخبرَت زوجَها بأنَّها ولَدَت، وأنَّه في موضعِ كذا[٥]، فانطلقَ أبوه، فأخذَهُ مِن ذلك المكان، وحفر له سَرَباً عند نهرٍ، فواراه

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٤/ ١٦١ ـ ١٦٢) ونسبه للمفسرين.

(٢) بعدها في (ر): «ذلك».

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٤/ ١٦٢) من قول السدي.

(٤) في (ف): «حملت به».

(٥) بعدها في (ف): «وكذا».

فيه، وسدَّ عليه بصخرةٍ؛ مخافة السِّباع، وكانت أمُّه تَختلِفُ إليه وتُرضِعُه، فأرضعَتهُ وفطمَتهُ حتَّى شبَّ، فإذا رجَعَت مِن عنده مصَّ إبهامَهُ[١].

وقال أبو روق: كلمَّا دخلَت أمُّ إبراهيمَ عليه وجدتهُ يَمَصُّ أصابعَهُ، فقالت ذات يوم: لأنظُرَنَّ إلى أصابعِه، فوجدَتهُ يَمَصُّ مِن أصبعٍ ماءً، ومن أصبعٍ لبناً، ومِن أصبعٍ عسلاً، ومن أصبعٍ تمراً، ومن أصبع سمناً[٢].

وفي حديث السُّدِّيِّ: لما عظُم بطنُها، وخشيَت عليه، انطلقَ بها آزرُ إلى أرضٍ بين الكوفةِ والبصرة، فأنزلَها في سَرَبٍ مِن الأرضِ، وجعلَ عندها ما يُصلِحُها، فولدَت إبراهيمَ في ذلك السَّرَب، وشبَّ، وكان وهو ابنُ سنةٍ كابنِ ثلاث سنين[٣].

وفي حديث محمَّد بن إسحاق: لـمَّا بلغَ إبراهيمُ خمسةَ عشر شهراً، قال لأمِّه: أخرجيني أنظر، فأخرجَتهُ عِشاءً، وذكر حديث رؤية الكوكب[٤] والقمرِ والشَّمس[٥].

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٤/ ١٦٢) من قول ابن عباس رضي الله عنهما. قال الإمام ابن كثير في كتابه «تفسيره» عند تفسير الآيات (٥١ ـ ٥٥) من سورة الأنبياء: وما يذكر من الأخبار عن إبراهيم عليه السلام في إدخال أبيه له في السَّرب وهو رضيع، وأنه خرج بعد أيام فنظر في الكوكب والمخلوقات، فتبصر فيها، وما قصه كثير من المفسرين وغيرهم، فعامتها أحاديث بني إسرائيل، فما وافق منها الحق مما بأيدينا عن المعصوم قبلناه لموافقته الصحيح، وما خالف شيئاً من ذلك رددناه، وما ليس فيه موافقة ولا مخالفة، لا نصدقه ولا نكذبه، بل نجعله وقفاً، وما كان من هذا الضرب منها فقد ترخَّص كثير من السلف في روايتها، وكثير من ذلك مما لا فائدة ولا حاصل له مما ينتفع به في الدين، ولو كانت فيه فائدة تعود على المكلفين في دينهم، لبينته هذه الشريعة الكاملة الشاملة.

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» (٤/ ١٦٣).

(٣) انظر: «تفسير الثعلبي» (٤/ ١٦٢).

(٤) في (ف): «الكواكب».

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٣٥٦ ـ ٣٥٩) مطولًا.

وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما: قال لأمِّه ذاتَ يومٍ: مَن ربِّي؟ قالت: أنا، قال: فمَن ربُّك؟ قالت: أبوك، قال: فمَن ربُّ أبي؟ قالت له: اسكُتْ، فسكتَ، ثمَّ رجعَت إلى زوجِها فأخبرَتهُ بذلك، فأتاهُ أبوه، فقال لأبيه: مَن ربِّي؟ قال: أمُّك، قال: فمَن ربُّها؟ قال: أنا، قال: فمَن ربُّك؟ قال: نمرود، قال: فمَن ربُّ نمرود؟ فلطمَه لطمةً[1].

وقال مقاتلٌ رحمه الله: انطلق آزرُ بإبراهيمَ عليه السَّلام حين غابَت الشَّمسُ، فنظرَ إبراهيمُ إلى الإبل والخيل والغنم، فسأل أباه: ما هذه؟ قال: إبلٌ وخيلٌ وغنم، فقال في نفسه: ما لهذه بدٌّ مِن أن يكون لها ربٌّ وخالق، وطلعَ المشتري، وكانت تلك الليلةُ آخرَ الشَّهر، فرأى الكوكبَ[2] قبل القمر، فـ﴿قَالَ هَٰذَا رَبِّي﴾[3]، فلم يمكث أنْ سقطَ الكوكبُ، ﴿فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ﴾؛ يعني[4] يقول: لا أحبُّ ربًّا يَغيبُ[5]، ثمَّ طلعَ القمرُ، فرآهُ أعظمَ وأضوأ مِن الكوكب، ﴿قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمۡ يَهۡدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلضَّآلِّينَ﴾، وأصبحَ وطلعَت الشَّمسُ، فرآها أعظمَ وأضوأ مِن القمر[6]، ﴿قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكۡبَرُۖ فَلَمَّآ أَفَلَتۡ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ﴾ ونودي: أن أسلم لربِّ العالمين، فأسلمَ، وكان لا يَرى شيئاً إلَّا قال: ما لهذا بدٌّ مِن أن يكونَ له رَبٌّ، وأخذَ في طعنِ آلهتهم، وجعلَ أبوه يزيِّنها له، فلا يزداد لها إلا بُغضاً، ومنها بعداً.

---

(١) ذكره عن ابن عباس ابنُ الجوزي في «زاد المسير» (٣/ ٧٣)، وانظر: «تفسير الثعلبي» (٤/ ١٦٣).

(٢) في (ف): «الكواكب».

(٣) لم أقف عليه في «تفسير مقاتل»، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٤/ ١٦٣) دون نسبة.

(٤) لفظ: «يعني» من (أ).

(٥) بعدها في (ف): «فلما رأى القمر بازغاً أي».

(٦) بعدها في (ف): «وهو قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمۡسَ بَازِغَةٗ﴾».

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: رُوي في التَّفسير[١] عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما أنَّه رُبِّيَ في السَّرَب، ولم يكن نظرَ إلى شيءٍ مِن خلق السَّماء، فنظرَ عند باب السَّرب في أول الليلة، فرأى الزُّهرةَ بضوئها وتلألئها، وكان في علمِه أنَّ له ربًّا، وأنَّه يَرى، فلم يرَ أضوأَ منها ولا أنور، فـ ﴿قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ﴾ علمَ أنَّ الرَّبَّ دائمٌ لا يَزول، فقال: لا أحبُّ هذا؛ يعني: ليس هذا بربٍّ، والأفول الغروب عند أهل التفسير، وهو عندنا على غيبوبته في[٢] سلطان القمر[٣]، وقَهرَ سلطانَ القمر[٤] سلطانُ النَّجم، والرَّبُّ لا يُقهَر وسلطانُه لا يَزول.

قال: وقال جماعةٌ مِن أهل الكلام: كان هذا منه في وقتٍ لم يَكن جَرى عليه القلمُ، سمعَ الخلقَ يقولون: اللهُ خالقُ السَّماوات والأرض، ولله[٥] ما في السَّماواتِ وما في الأرض، ثمَّ رآهُم عَبَدوا الأصنامَ، وسمَّوها آلهةً، فتأمَّلَها، فوجدَها لا تَسمعُ ولا تُبصِرُ، ولا تَنفعُ ولا تَضرُّ، وعلمَ أنَّ مثلَها لا يحتملُ أنْ يكون يخلق[٦] ما ذكرت، وأنَّ الذي ذلك فعلُهُ عليٌّ عظيمٌ، يجبُ طلبُ معرفتِه مِن العُلُوِّ بما كان يَسمعُ نسبةَ الملائكةِ إلى السَّماءِ، ونزولُ الغيثِ منها، ومجيءُ النُّورِ والظُّلمةِ، وكلُّ[٧] أنواعِ البركات وغيرِها منها، فصرفَ تدبُّر طلبِ الذي نُسِبَ [إليه] الخلقُ إليها[٨].

---

(١) في (ف): «بعض التفاسير».

(٢) بعدها في (ف): «قهر».

(٣) بعدها في (ر): «سلطان النجم».

(٤) قوله: «سلطان القمر» ليس في (ف)، وبعدها في (ر): «في».

(٥) في (ف): «فعلم أن لله» بدل: «لله».

(٦) في (أ): «لخلق».

(٧) بعدها في (ف): «نوع من».

(٨) في (ف): «إليه». وما سلف بين حاصرتين من «تأويلات أهل السنة».

ثمَّ أوَّل ما أخذَ في التَّأمُّل والنَّظر، لم يقع بصرُه على أحسن وأبهى مِن الزُّهرة، فظنَّ ذلكَ، ثمَّ لـمَّا قُهِرَ، علمَ أنَّه ليس هو، وكذلك القمرُ والشَّمسُ؛ إذ رأى في الكل آثارَ التَّسخير، فرجعَ إلى ما سمعَ أنَّه خلقَ السَّماوات والأرض، فوجَّه نفسَهُ إليه بالعبوديَّة، واعترف له بالربوبيَّة، فقال: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا﴾، وكان ذلك أوَّلَ أحوال الاستدلال.

قال: وقال الحسنُ: كان بالغاً قد جَرى عليه القلمُ، وقد كان رأى ما ذكرَ غيرَ مرَّة، لكنَّ اللهَ تعالى لمَّا أرادَ أنْ يَهديَهُ، ألهمَهُ ذلك، فألقى في نفسه، فانتبهَ انتباهَ الإنسانِ لشيءٍ كان عنه غافلاً، فرأى كوكباً أحمرَ يَطلُع عند غروبِ الشَّمس، فراعاهُ إلى أنْ أفلَ، فعلمَ أنَّ ربَّه لا يزولُ ولا يَتغيَّر، ففزعَ إليه، وقال: ﴿لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾، وكذلك في القمر والشمس، إلى أنْ تَبرَّأَ ممَّا كانوا يُشرِكون، ووجَّهَ التَّوحيدَ والعبادةَ إليه(١).

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: ونحن نَتبرَّأُ إلى الله تعالى أنْ نَجعلَهُ رجلاً بالغاً جرى عليه القلم، وهو عن اللهِ تعالى كان بهذه الغفلة، حتَّى يَتوهَّم ذلك في نجمٍ أو قمرٍ أو شمسٍ، مع ما يرى فيها(٢) الظهورَ بعد أن لم يكن، والأفولَ بعد الطلوع، ثمَّ آثارَ التَّسخيرِ والعجز عن التَّدبير، ثمَّ نقولُ ذلك مع ما قال الله تعالى في حقِّه: ﴿إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الصافات: ٨٤]، وقال: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ﴾ [الأنعام: ٨٣]، وقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، فنقول: إنَّ إبراهيمَ كان مؤمناً في ذلك الوقتِ، عارفاً بربِّه حقَّ المعرفةِ، ولكن كلَّمَ قومَه كلامَ مستدرِجٍ؛ بإظهارِ المتابعة لهم؛ ليكونوا به أوثقَ، وإليه أميل، وذلك أبلغُ في الحِجاجِ، وألطفُ في المكيدة، فبدأ بتعظيمِ ما عظَّموه؛ إذ هم قومٌ كانوا يُعظِّمون

---

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٤/ ١٣٤ ـ ١٣٥).

(٢) بعدها في (ر): «من».

النُّجوم، وبالعلمِ بأمرِها أخبروا نمرودَ بولادةِ مَن يَهلِكُ على يديه هو ويزولُ ملكه، ولذلك قال: ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ﴾ [الصافات: ٨٨]؛ أي: في مقايسِها وعلمِها، لا أنَّه نظرَ إليها. قال: وإلى هذا ذهب القتبيُّ[١].

ثمَّ ذكرَ وجوهاً لذلك، ونحن نذكرُ بعضَها وبعضَ ما ذكرَ غيرُه مِن الأقاويل الصَّحيحة فيها إن شاء الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا﴾ يقال: جنَّهُ اللَّيلُ، وجنَّ عليه، وأجنَّه، وأجنَّ عليه؛ أي: ستره.

وقيل: جنَّه؛ أي: سَتَرهُ، وجنَّ عليه؛ أي: أظلمَ عليه، قال الهذلي:

ومـاءٍ وَردتُ قُبـيلَ الكَـرى ... وقد جنَّـهُ السَّـدفُ الأدهَـمُ[٢]

ومنه اشتقاق الجَنَّة والجُنَّة والجِنَّة، والجِنان، والجنين، والجنون، والجَنن.

قوله: ﴿رَءَا كَوْكَبًا﴾ قيل: الزُّهرة، وقيل: المشتري.

قوله: ﴿قَالَ هَٰذَا رَبِّي﴾ قيل: في أوَّله ألفُ الاستفهام، وهو بمعنى الإنكار، وحَذْفُ ألفِ الاستفهام في كلام العربِ سائغ، قال الشاعر:

رفوني وقالوا يا خُويلِدُ لا تـرع ... فقلتُ وأنكرتُ الوجوهَ هُمُ هُمُ[٣]

---

(١) انظر: «تأويل مشكل القرآن» لابن قتيبة (ص:٣٣٧ـ٣٣٨)، وانظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٤/ ١٣٦ ـ ١٣٨).

(٢) هو للبُريق بن عياض الخُناعي أو لعامر بن سدوس. انظر: «شرح أشعار الهذليين» (٢/ ٧٥٢، ٨٣١)، وفيه: «الصباح» بدل: «الكرى»، وهو بمثل رواية المصنف في «تفسير الطبري» (٩/ ٣٥٥). والسدف: السواد في آخر الليل.

(٣) البيت لأبي خراش الهذلي. انظر: «شرح أشعار الهذليين» (٣/ ١٢١٧). قال شارحه: رفوني: أي: سكنوني.

أي: أهم هم. ونظيرُه في القرآن: ﴿يُخَـٰدِعُونَ ٱللَّهَ﴾ [البقرة: ٩]؛ أي: أَيُخادِعون اللهَ، ﴿عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ﴾ [الأعراف: ١٩٤]؛ أي: أعبادٌ، ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ﴾ [الشعراء: ٢٢]؛ أي: أوَ تلكَ نعمةٌ.

وقيل: أضمرَ فيه القولَ؛ يعني: يقولون: هذا ربِّي، وإضمارُ القول في القرآن كثيرٌ، منها: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ﴾ [البقرة: ١٢٧]؛ أي: يقولون: ربَّنا.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَفَلَ﴾؛ أي: غاب، قال ذو الرُّمَّة:

مصابيحُ ليسَت باللَّواتي يَقودُها ... نجومٌ ولا بالآفلاتِ الدَّوالكِ[1]

وصدف[2] مِن باب ضرب[3] ودخل جميعاً.

قوله تعالى: ﴿قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْـَٔافِلِينَ﴾؛ أي: لا أُثني على الذي يَتعاقب عليه الأحوالُ، ويَعتريه التغيُّر والزَّوال باستحقاق الربوبيَّة، ولا أعطيهِ المحبَّة التي تَجِبُ لله الذي يَستحيلُ عليه الزِّيادةُ والنُّقصان، والذَّهابُ والإتيان.

* * *

(٧٧) ـ ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَـٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا﴾؛ أي: طالعاً بارزاً، وثَمَّ قومٌ يَعبدون القمرَ،

---

(١) انظر: «ديوان ذي الرمة» (٣/ ١٧٣٤).

(٢) في (أ) و(ر): «والصرف».

(٣) في (ف): «صرف». ولم يظهر لي وجه ارتباط هذه العبارة بالكلام!!

﴿قَالَ هَٰذَا رَبِّي﴾؛ أي: أهذا[1] ربِّي؟ على وجه الإنكار؛ أي: ليس هذا ربِّي، وأضمرَ القولَ لما مرَّ[2].

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ﴾؛ أي: لئن لم يُثبِّتني اللهُ تعالى على هدايته، لأصيرنَّ مِن الذين ضلُّوا السَّبيل، ولا يجوزُ ذلك على الأنبياء؛ فإنَّهم معصومون، لكنَّه تنبيهٌ لغيرِه، والهدايةُ هي التَّثبيت هاهنا، كما في قوله: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦].

* * *

(٧٨ ـ ٧٩) ـ ﴿ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ (٧٨) إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً﴾؛ أي: فلمَّا أصبحَ ورأى الشَّمسَ طالعةً بارزةً ـ وهناك قومٌ يَعبدون الشَّمس ـ أرادَ أن يُنبِّهَهم، ويُبطِلَ اعتقادَهُم.

﴿قَالَ هَٰذَا رَبِّي﴾؛ أي: أهذا الطَّالعُ؟ أو أهذا النُّور؟ أو أهذا[3] الشَّخصُ؟ وذلك لأنَّ الإشارةَ تقعُ إلى[4] الشَّخص لا إلى الاسم، وهو استفهامٌ بمعنى النَّفي أيضاً.

قوله تعالى ﴿هَٰذَآ أَكْبَرُ﴾ أشارَ إلى الشَّخصِ أيضاً، وأراد أنَّه أكبر[5] شخصاً ونوراً من القمر والكواكب[6].

---

(١) في (ر) و(ف): «هذا».

(٢) «لما مر»: ليس من (ف).

(٣) في (ر) و(ف): «هذا» في المواضع الثلاثة.

(٤) في (ر) و(ف): «على».

(٥) في (ر): «أعظم».

(٦) في (أ): «والكوكب».

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَفَلَتۡ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ﴾؛ أي: فلمَّا غابَت، وعرضَ لها ما عرض للأوَّلين تبرَّأ منها ظاهراً، ونبَّههم بهذا أنَّ الصَّانعَ هو الذي لا يجوزُ عليه شيءٌ مِن علامات الحدوث.

وقال الإمام القشيري رحمه الله: إنَّ إبراهيمَ عليه السَّلام كان يلاحظُ الآثارَ والأغيارَ بالله، ثمَّ كان يرى الأشياء لله تعالى ومن الله، ثمَّ طالعَ الأغيار محواً في الله، فصح منه قوله: ﴿هَٰذَا رَبِّي﴾ إشارةً إلى الله.

وقال: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ﴾ يعني: أحاطَ به سجوفُ[(١)] الطَّلب، ولم يَتجلَّ له صباحُ الشُّهود، وطلعَ له نجمُ العقل، فشاهدَ الحقَّ بسرِّه بنورِ البرهان، ﴿قَالَ هَٰذَا رَبِّي﴾، ثمَّ زيدَ في ضيائه، فطَلعَ له قمرُ العلمِ، فطالعَهُ بحقيقةِ البيان، فـ ﴿قَالَ هَٰذَا رَبِّي﴾، ثمَّ أسفرَ الصُّبح ومتعَ النهار[(٢)]، وطلعَتْ شموسُ العِرفان، فلم يبقَ للطَّلبِ مكانٌ، ولا للتُّهمة قرارٌ، ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ﴾؛ إذ ليس بعد العين ريبٌ ولا بعد الظُّهورِ سترٌ[(٣)].

وقال ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: كان يَنظرُ إلى هذا كلِّه وهو في السَّرب، فلما أفلَت الشَّمسُ أتى باب السَّرب، فرفعَ الصَّخرةَ عن بابِه، وخرجَ وهو ابنُ سبعِ سنين، فنظرَ إلى السَّماء والأرض، ثمَّ قال: ربِّي الذي خلقَ هذا، ثمَّ مضى حتَّى أتى قومَهُ فإذا هم يَعكفون على أصنامٍ لهم، فلمَّا رآهم قال: ﴿يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ﴾ فقالوا: فمَن تعبُدُ أنت؟ فقال، وذلك قوله تعالى: ﴿إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ﴾؛ أي: أخلصتُ دِيني، وسَلَّمتُ نفسي.

---

(١) السجوف جمع سَجْف، وهو الستر. انظر: «القاموس المحيط» (مادة: سجف).

(٢) في (ف): «وظهر النهار». يقال: متع النهار متوعاً: ارتفع قبل الزوال. «القاموس المحيط» (مادة: متع).

(٣) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (١/ ٤٨٥).

وقوله تعالى: ﴿لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾: خلقَها جميعاً، مُبتدِئاً خلقَهما.

وقوله تعالى: ﴿حَنِيفًا﴾؛ أي: مستقيماً، وقيل: مُخلِصاً، وقيل: حاجًّا.

وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾؛ أي: باللهِ شيئاً من خلقه.

وقال الكلبيُّ ومحمَّدُ بن إسحاق: كان ذلك لـمَّا أتت عليه خمسَ عشرة سنة.

وقال الإمام القشيريُ رحمه الله: ﴿إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ﴾؛ أي: أفردتُ قصدي لله، وطهَّرتُ عقدي عن غير الله، وحفظتُ عهدي في الله لله، وخلَّصتُ وجدي بالله، فأنا لله وبالله بل محوٌ في الله، فالله الله[1].

* * *

(٨٠) ـ ﴿وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا ۗ وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ﴾؛ أي: خاصموه بالباطل، وجادلوهُ، وخوَّفوهُ بآلِهتهم، كما قال بعضُ المشركين لنبيهم: ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ﴾ [هود: ٥٤]، فأجابهم وذلك قولُه تعالى: ﴿قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ﴾؛ أي: بالباطل.

﴿وَقَدْ هَدَىٰنِ﴾ هو لمعرفتِه، ولا تَرِدُ شبهةٌ على ما هداني له، فأمَّا الخوفُ فلستُ أخافُ آلهتكم التي تُشرِكونها بالله؛ لأنَّها لا تَضرُّ ولا تَنفع وذلك قوله تعالى: ﴿وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا﴾ أي: إلَّا أنْ يُصيبَني اللهُ مِنها بضُرٍّ، فاللهُ تعالى قادرٌ على أنْ يجعلَ فيما شاء نفعاً، وفيما شاء ضرًّا، فاللهُ هو المالكُ للنَّفع والضُّرِّ، والقادرُ عليهما، لا الأصنام؛ فإنَّها مواتٌ لا فعلَ لها.

وقالوا: كان القوم يعبدون النجوم والأصنام.

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (١/ ٤٨٥).

وقيل: كانوا صوَّروا أصناماً على هيئات النُّجومِ السَّبعة في السَّماء، وبنَوا لكلِّ واحدٍ مِنها هيكلاً يحاكي ذلك.

وقوله تعالى: ﴿وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ فلا يصيبُ عبداً شيءٌ مِن ضُرٍّ أو نفعٍ إلَّا وقد علمَه، فهو إنْ شاءَ عصمَني عن كلِّ[1] ذلك.

وقوله تعالى: ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾؛ أي: أفلا تتَّعِظون بما أقولُ، وتَتفكَّرون أحوالَ أصنامِكُم، فتعلمون أنَّها لا تَستحِقُّ العبادة.

وقيل: ﴿إِلَّا أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا﴾: هو استثناءٌ منقطِعٌ، بمعنى «لكن»؛ أي: لكن لو شاءَ ربِّي أنْ يُصِيبَني ضررٌ، فذاكَ الذي أخافُه.

وقال الإمام القشيري رحمه الله: ﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ﴾ فقال لهم: أتَرومون سَتْرَ الشَّمسِ بإسبالِ أكمامِكم عليها، أو تريدون أنْ تَجرُّوا ذيولَكم، أو تُسدِلوا سجوفكم على ضياءِ النَّهار، وقد تعالى سلطانُه، وتوالى بيانُه[2].

* * *

(٨١) - ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ «كيف» هنا للإنكار.

قال ابنُ عباس رضي الله عنهما: خاصمَهُ قومُه، وخوَّفوهُ أصنامَهم[3]، فقال: وكيف

---

(١) لفظ: «كل» من (أ).

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (١/ ٤٨٥).

(٣) انظر: «التفسير البسيط» للواحدي (٨/ ٢٥١).

أخافُ الأصنام، ﴿وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا﴾ عذراً في كتابِ الله.

وقيل: أي: لا حجَّة معَكم على جوازِ إشراكِه؛ إذ لا حجَّةَ لهم في عبادةِ الجمادِ الذي لا يَقدر على ضرٍّ ولا نفعٍ.

وقوله تعالى: ﴿فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ﴾؛ أي: أهل الدينين أنا وأنتم ﴿أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ فقالوا: أما تخافُ آلهتَنا وأنت تشتِمُها؟ قال إبراهيم: ولا تَخافون أنتم منها، قالوا: ولم ونحن نعبدُها؟ قال: لأنكم تُسوُّونَ بين الصَّغيرِ والكبير، والذَّكرِ والأُنثى، أما تَخافون الكبيرَ إذا سوَّيتموهُ بالصَّغير، أما تخافونَ الذَّكر إذا سوَّيتموهُ بالأنثى، ثم قال لهم: أمَن يَعبدُ إلهاً واحداً أحقُّ أن يأمنَ، أمَّن يَعبدُ آلهةً شتَّى، فقالوا: مَن يعبدُ إلهاً واحداً، قال: فأنا أعبدُ إلهاً واحداً لا شريكَ له، وأنتم تَعبدون آلهةً شتَّى، فقَضوا له على أنفسِهم.

وقيل: وكيف أخافُ الأصنامَ وهي لا تضر ولا تنفع؟ ولا تَخافون أنتم إلهي الذي خلقَكُم فأشركتُم به؟ ﴿فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ﴾ أنا من آلهتِكُم، أم أنتم من إلهي؟!

وقال الإمام القشيري رحمه الله: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ﴾؛ يعني: أيُّ خوفٍ يَقعُ على قلبي ظِلُّهُ ولم أُلِمِ بشركٍ، ولم أجنَحْ قطُّ إلى جَحدٍ؟ وأنتم ما شممتُم رائحةَ التَّوحيدِ في طول عمركم، ولا ذقتُم طعْمَ الإيمانِ في سالفِ دهرِكُم، ثمَّ بسوءِ غفلتِكم تجاسرتُم وما ارعويتُم، وخسِرْتُم [1]فما باليتُم، فأيُّنا أوْلى بأنْ يُلاحظَ بعينِ سرِّه ما هو بِصددِه مِن سوءِ مكرِه وعاقبةِ أمره[2].

---

(١) «وما ارعويتم وخسرتم»: ليس من (ف).

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (١/ ٤٨٦).

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ هذا مبتدأ، واختُلِف في أنَّه ممَّن، قال ابنُ زيدٍ وابنُ إسحاق: هو مِن اللهِ على فصلِ القضاء بذلك بينَ إبراهيمَ وبين قومِه(١).

وقال ابنُ جريجٍ رحمَه الله: هذا جوابُ قومِه لـمَّا سألَهم: ﴿فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ﴾، فقالوا هذا(٢).

وقال الزجاج رحمه الله: وهو جواب إبراهيم كما يسأل العالم ويجيب بنفسه(٣).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنَّه قال: لـمَّا نزلت هذه الآيةُ قالوا: يا رسولَ الله، وأيُّنا لم يَظلم؟! فقال رسول الله ﷺ: «إنَّما هو كقوله: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]»(٤).

ورويَ أنَّه ﷺ سُئِلَ عن هذه الآية، فلم يُجِبهم، حتى جاء رجلٌ فأسلمَ، فلم يَلبث قليلاً حتَّى جاهدَ فاستشهد، فقال رسولُ الله ﷺ: «هذا مِنهم»(٥).

وعن أبي بكرٍ الصِّديقِ رضي الله عنه: أنَّه كان يُفسِّرهُ بالشِّرك(٦).

وعن عمرَ رضي الله عنه: أنَّه كان يُفسِّره بالذَّنب.

والظُّلمُ يَقعُ على ذلك كلِّه، فعلى تفسيرِ الصِّدِّيق معناه: أولئكَ لهم الأمنُ

---

(١) رواه عنهما الطبري في «تفسيره» (٩/ ٣٦٨ـ٣٦٩).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٣٦٩)

(٣) لم أقف عليه في «معاني القرآن» للزجاج، وذكره الواحدي في «البسيط» (٨/ ٢٥٤) من قول ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) رواه البخاري في «صحيحه» (٦٩٣٧)، ومسلم في «صحيحه» (١٢٤).

(٥) رواه سعيد بن منصور في «سننه» (٨٨٥ ـ تفسير) عن إبراهيم التيمي، وهو مرسل.

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٣٧٢).

مِـن العـذابِ المؤبَّـدِ، وعلـى تفسـير الفـاروق معنـاه: أولئـك لهـم الأمـنُ مِـن بعد العـذابِ المؤقَّت.

وقال الحسـنُ والكلبـيُّ: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ﴾ في الآخـرة، ﴿وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ في الدُّنيا.

وقال أبو روق: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ﴾ مِن العذاب، ﴿وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ إلى الحُجَّة.

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: أي: الذين أشاروا إلى الله، ثمَّ لم يَرجِعوا إلى غير الله؛ فإنَّ مَن قال: الله، ثمَّ رجعَ بالتَّفضيلِ عند حاجاته أو مطالباتِه أو شيءٍ مِن حالاته إلى غير الله، فخصمُهُ في الدُّنيا والعُقبى هو الله.

والظُّلمُ في التَّحقيق: وضعُ الشَّيء في غيرِ موضعِه، وأصعبُه حسبان الحدثان ممَّا لم يَكُن فكان، فإنَّ الـمُنْشِئ هو اللهُ عزَّ وجلَّ، والمجري الله، ولا إله إلَّا الله، وسقطَ[1] ما سوى الله[2].

* * *

(٨٣) ـ ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَـٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَـٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَـٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾؛ أي: وتلك الحُجَّةُ التي حاجَّ بها إبراهيمُ قومه حجَّتُنا ﴿ءَاتَيْنَـٰهَآ﴾؛ أي: أرشدناهُ إليها، ووفَّقناهُ للوقوف عليها، وقد ذكرَ في سورةٍ أُخرى ما حاجَّ به قومَه حين كسر أصنامَهم[3]، وفي سورةٍ

---

(١) في (ر): «وأسقط».

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (١/ ٤٨٦).

(٣) في سورة الأنبياء الآيات: (٥١ ـ ٦٧).

أُخرى ما قال للنُّمرود ـ لعنه الله ـ حين قال: أنا أحيي وأميت[١]، فيجوزُ أنْ يكون اسمُ الحجَّة شاملاً هذا كلَّه.

وقوله تعالى: ﴿نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ﴾ قرأ عاصمٌ والكسائيُّ وحمزةُ وخلف ويعقوب[٢] بالتنوين، وهي مفعولُ ﴿نَرْفَعُ﴾، و﴿مَّن﴾ مفعول ثان هاهنا، وقرأ الباقون بغير تنوينٍ على الإضافة وإفرادِ المفعول[٣]، ومعناه: ﴿نَرْفَعُ﴾ مراتبَ ﴿مَّن نَّشَآءُ﴾ من عبادنا، فنؤتيه النُّبوَّة والملكَ والإمامة في الدِّين.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾؛ أي: إنَّه يَضعُ الأشياءَ مواضعَ استحقاقِها، ومِن الحكمةِ إرسالُ الرُّسل، وتخصيصُ النَّبيِّين بالرِّسالة، وتأييدُ الرُّسلِ بالمعجزات، وهو أعلمُ حيث يَجعلُ رسالاته.

* * *

(٨٤) ـ ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ﴾؛ أي: رزقناهُ جزاءً على نصرةِ الدِّينِ ومحاجَّةِ المشركين إسحاقَ ولداً، ويعقوبَ نافلةً.

وقوله تعالى: ﴿كُلًّا هَدَيْنَا﴾؛ أي: هدينا كلَّ واحدٍ مِنهم للحقِّ، ومِن أجلِّ الكرامةِ، وأتمِّ السرورِ: أنْ يكونَ للمرء بعد وفاتِه ولدٌ صالحٌ، خصوصاً إذا كانوا أئمَّةً في الدِّين، فكيف وهم أنبياء؟

---

(١) في سورة البقرة الآية: (٢٥٨).

(٢) قوله: «وخلف ويعقوب» من (ف).

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٢٦٢)، و«التيسير» (ص: ١٠٤)، و«النشر» (٢/ ٢٦٠).

وقوله تعالى: ﴿وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ﴾ قال الفرَّاء: أي: ومن ذريَّةِ نوح[1]؛ لأنَّه نسق عليه ذكرَ يونسَ ولوط، وليسا من ذُرِّيَّة إبراهيم، بل هما من ذُرِّيَّة نوحٍ عليه السَّلام.

وقوله تعالى: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ وهو إعطاءُ الذُّرِّيَّة الطَّيِّبةِ المهديَّة.

وقيل: أي: بالذِّكرِ والشَّرفِ والثَّناءِ الحسن.

وقيل: بالثَّواب والدَّرجات في الآخرة.

* * *

(٨٥ ـ ٨٧) ـ ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ قال الإمامُ أبو منصور رحمه الله: ذكر في فريقٍ أنَّهم محسِنون، وفي فريقٍ أنَّهم صالحون، وفي فريقٍ: فضَّلناهم على العالمين، وفي فريقِ الهدايةَ والاجتباءَ، وهذا ليس على تخصيص كلِّ فريقٍ بما ذكرَ من الوصفِ، ولكنَّه على الجمع أنَّهم كذلك، ثمَّ[2] التفضيلُ يَحتمِلُ أنَّه بالنُّبوَّة[3]، ويَحتملُ أنَّهم

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٣٤٢).

(٢) بعدها في (ر): «هذا».

(٣) من قوله: «أنهم كذلك» إلى هنا ليس في (ف).

كانوا مفضَّلين على العالمين بالإحسانِ والصَّلاح لو لم يكنْ رسالةٌ ولا نبوَّةٌ.

قال: وقوله: ﴿وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ﴾ هم مَن تقدَّمهم، ﴿وَذُرِّيَّٰتِهِمْ﴾ مَن تأخَّر عنهم، ﴿وَإِخْوَٰنِهِمْ﴾ من قارنوهم(١).

وقيل: ﴿وَذُرِّيَّٰتِهِمْ﴾ محمدٌ ﷺ.

وقيل: المؤمنون بعدَهم.

والاجتباءُ يكون بالرِّسالةِ، وهو خاصٌّ لهم، ويكونُ بالتَّوحيد والإسلام، وهو يَعُمُّ الأنبياءَ والمؤمنين، ويَحتملُ أنَّه برفعِ الدَّرجاتِ والفضائل. **وقوله تعالى**: ﴿وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ﴾ للتَّبعيض؛ لأنَّ مِنهم مَن لم يجتبِهم.

وقوله: ﴿يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾، و﴿نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ﴾ يَنقضُ قولَ المعتزلة؛ فإنَّهم يقولون: أعطى الكلَّ مِن الهُدى ما أَعطى الأنبياءَ والرُّسل، وشاءَ لكلِّ أحدٍ أنْ يَبلغَ المبلغَ الذي إذا بلغَ ذلك، صَلَحَ للنبوَّة والرِّسالة، لكنَّهم شاؤوا ألَّا يَبلغوا ذلك المبلغَ، فيجعلون المشيئةَ في ذلك إلى أنفسهم دون اللهِ تعالى(٢).

ودلَّت الآياتُ أنَّ مَن نالَ درجةً أو فضيلةً، فإنَّما نالَ بفضلِ اللهِ ومنَّته.

ثمَّ ذكرُ عيسى فيهم دليلٌ على أنَّ النَّسبَ يَثبتُ مِن قِبلِ الأمِّ، كما يثبتُ مِن قِبل الأب؛ لأنَّه جعلَهُ مِن ذُرِّيَّة نوحٍ، وهو لا يتَّصلُ به إلا بالأمّ.

وحكي أنَّ يحيى بنَ يَعمر كان يُنازِعُ الحجَّاج في أنَّ العلويِّين أولادُ النَّبيِّ ﷺ، وكان الحجَّاجُ يَنفي ذلك، ويقول: هم أولادُ عليٍّ رضي الله عنه لا غير، حتَّى أحضرَهُ

---

(١) في (ف): «قاربوهم».

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٤/ ١٥٤ ـ ١٥٥).

مقيَّداً في يوم مظالم، وقال: لتأتيني بحُجَّةٍ ظاهرةٍ على ذلك وإلا لأقتلنك[١]، فقرأ يحيى هذه الآية، وقال: إن عيسى عليه الصلاة والسلام ما كان لهُ أبٌ، ومع ذلك جعلَهُ مِن ذُرِّيَّةِ نوحٍ بسببِ[٢] أمِّه[٣]، ولذلك[٤] احتُجَّ بقوله تعالى: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ﴾؛ أنه دعا يومئذٍ الحسنَ والحسين رضي الله عنهما[٥]، فكانا من أبنائِه، فأطلقه.

* * *

(٨٨) ـ ﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾؛ أي: ما ذكرَ في قوله: ﴿كُلًّا هَدَيْنَا﴾، وفي قوله: ﴿وَهَدَيْنَٰهُمْ﴾ = هو هُدى الله، ولهُ أنْ يَهدي به مَن يَشاءُ مِن عباده[٦].

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: هذا إنباءٌ عن الحكمِ فيهم لو أشركوا، إلا أنهم لا يشركون؛ لأنَّ اللهَ تعالى

---

(١) في (ف): «قتلتك».

(٢) في (ف): «بنسب».

(٣) خبر الحجاج مع يحيى بن يعمر رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٣٥) (٧٥٥٤) بنحوه عن أبي حرب بن أبي الأسود، ورواه الحاكم في «المستدرك» (٤٧٧٢) عن عبد الملك بن عمير وعاصم بن بهدلة.

(٤) في (ر) و(ف): «وكذلك».

(٥) خبر دعوة الحسن والحسين رضي الله عنهما عند نزول هذه الآية رواه مسلم في «صحيحه» (٢٤٠٤): (٣٢) من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

(٦) بعدها في (ر): «من عباده».

قد عصمَهُم واختارَهُم لرسالتِه، وذكر هذا ليَعلموا أنَّ الحكمَ واحدٌ فيمن أشركَ بالله غيرَه، وضيعاً كان أو شريفاً، وكذا قال في حقِّ الملائكة: ﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّيٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء: ٢٩]، وقولُه: ﴿لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ أي من الحسناتِ والخيرات قبل الإشراك(١).

وقال الإمام القشيري رحمه الله: بيَّنَ أنَّه لولا تخصيصِه إيَّاهم بالتَّعريف، وتفضيلِه لهم على من سِواهم بغاية التَّشريف، لم يكن لهم استحقاقُ ذلك، ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾؛ أي: لو لاحظوا غيراً، أو شاهدوا(٢) من دوننا شيئاً، أو نسبوا شيئاً مِن الحوادث إلى غير قدرتِنا، لتلاشى ما أسلفوهُ مِن عرفانِهم وإحسانِهم؛ فإن الحقَّ لا يَغفِرُ الشِّركَ بحالٍ، وإنْ كان يَغفرُ ما دون ذلك لمن يشاء، ما يشاء من عصيانهم(٣).

* * *

(٨٩) ـ ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ﴾؛ أي: الكتبَ مِن الصُّحف والتَّوراةِ والإنجيل والزَّبور، ووحَّدَ لأنَّه جنسٌ، أي: أوحينا إليهم، وجعلناهُم الحكَّامَ على الأُمم، وأرسلناهُم بالنُّبوَّة.

وقوله تعالى: ﴿فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ﴾؛ أي: فإن يَجحَد بهذه الأشياءِ أهلُ مكَّةَ.

---

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٤/ ١٥٦).

(٢) في (أ) و(ف): «وشاهدوا».

(٣) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (١/ ٤٨٧).

وقوله تعالى: ﴿فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾؛ أي: قد هيَّأنا للإيمانِ بها قوماً ليسوا بها جاحدين، قيل: هم أهلُ المدينةِ، وهو بشارةٌ بإيمانِ الأنصار؛ لأنَّ السُّورةَ مكيَّةٌ.

وقيل: قد أقمنا لمراعاةِ النُّبوَّة والشَّرائعِ والقيام بها هؤلاء الأنبياء، وقد بشَّروا بخروجِكَ، ووَصفوا حالَك، وهذا أرفعُ لقدرِكَ مِن تصديقِ أشراف أهل مكَّة.

وقيل: الموكَّلون بها هم الملائكة.

وجملتهُ: أنَّه لا ضعفَ في حالِكَ بتكذيبِ أهل مكَّة، فقد صدَّقكَ الأنبياءُ والملائكةُ، ومن آمنَ مِن الجنِّ والإنس.

قال الزهري: هم العجمُ.

وقال مجاهد: هم الفرس، وهو كالأوَّل.

وقال أبو روق: هم علماءُ أهل الكتاب الذين أسلموا[١].

والقولُ الأوَّل أنّهم أهلُ المدينة والأنصار: قولُ ابنِ عبَّاس رضي الله عنهما[٢] والكلبيِّ.

* * *

(٩٠) - ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًاۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ الاقتداءُ: الاتِّباع، وقد

---

(١) انظر: أقوال الزهري ومجاهد وأبي روق في «التفسير البسيط» (٨/ ٢٦٧).

(٢) رواه عنه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٣٨٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٣٩) (٧٥٧٤).

قداهُ يَقدُوهُ؛ أي: تبِعَهُ، والقدوة بفتح القاف وضمِّها وكسرها: الأسوة، و﴿ٱقۡتَدِهۡ﴾ أمرٌ، والهاءُ للاستراحة.

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: يعني أولئكَ الذين طهَّرَ اللهُ عن الجحدِ أسرارَهُم، ورفعَ على الكافَّةِ أقدارَهُم، فاقتفِ يا محمَّدُ هداهُم المختار؛ فإنَّ مَن سلك الجدد[1] أمِن العِثار[2].

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: الهدى: اسم لما يُدانُ به، وليس باسم للأفعال، لا يقال لتارك الصلاة أو الصَّوم أو الزَّكاة: ضالٌّ، ودلَّ هذا على أنَّ الأنبياءَ كانوا على دينٍ واحدٍ، والدِّينُ لا يَحتمِلُ النَّسخَ والتَّغييرَ، قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا﴾ [الشورى: ١٣]، فأمَّا الشَّرائعُ فهي مختلفةٌ، تَحتَمِلُ النَّسخَ[3].

وقيل: معناه أنَّ الأنبياءَ كانوا صابرين صالحين، خاشعين عابِدين، زاهدين[4] محسنين، كما ذكروا في آياتٍ، فكن كذلك، كما قال: ﴿وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [النحل: ١٢٧]، ﴿وَٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ [الأحزاب: ٣٧]، ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ﴾ [الحجر: ٩٩]، ونحوها.

وقيل: أراد به ما بعدَه؛ أي: لم يكونوا يسألون الأجرَ مِن الأُمَم على التَّبليغ، فكن كذلك، وذلك قولُه تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا﴾ وكان الأنبياءُ كذلك، قال في قصَّة هودٍ: ﴿يَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِي فَطَرَنِيٓ﴾ الآية [هود: ٥١]، وقال في قصَّة صالحٍ: ﴿لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِي فَطَرَنِيٓ﴾

---

(١) في (ر): «الجداد»، وفي هامشها ـ وكأنها ملحقة بها ـ: «الأرض الصلب». وكذا فسرت في هامش (أ).

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٤٨٨).

(٣) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٤/ ١٥٨ ـ ١٥٩).

(٤) لفظ: «زاهدين» من (ر).

[هود: ٥١]، وقال في قصَّة نوحٍ: ﴿وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍ﴾ [الشعراء: ١٠٩]، وقال في قصَّة شعيبٍ: ﴿وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍ﴾ [الشعراء: ١٨٠]، فكذلك في حقِّ نبيِّنا في هذه السُّورة، وفي سورة حم عسق[١]، وقال في سورة الطُّور: ﴿أَمۡ تَسۡـَٔلُهُمۡ أَجۡرٗا فَهُم مِّن مَّغۡرَمٖ مُّثۡقَلُونَ﴾ [الطور: ٤٠].

والآيةُ دليلٌ على أنَّ أخذَ الأُجرة على تعليم القرآنِ والعلمِ وروايةِ الأحاديث ونحوها، وعلى الإمامةِ والأذانِ لا تجوزُ[٢].

وقوله تعالى: ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ﴾؛ أي: ما هو، يعني: القرآن، إلَّا عظةٌ للجنِّ والإنس، قاله ابن عباس رضي الله عنهما[٣].

ثمَّ في قوله: ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ﴾ أضاف الهدى إلى الأنبياء، وفي قوله: ﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ﴾ أضافهُ إلى نفسِه؛ لأنَّ اللهَ هو الهادي به، والأنبياء هم المهتدون به، وهو كما قلنا في الأجل: ﴿إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ﴾ [يونس: ٤٩]، ﴿إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ﴾ [نوح: ٤].

* * *

(٩١) ـ ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ إِذۡ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٖ مِّن شَيۡءٖۗ قُلۡ مَنۡ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِي جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورٗا وَهُدٗى لِّلنَّاسِۖ تَجۡعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبۡدُونَهَا وَتُخۡفُونَ كَثِيرٗاۖ وَعُلِّمۡتُم مَّا لَمۡ تَعۡلَمُوٓاْ أَنتُمۡ وَلَآ ءَابَآؤُكُمۡۖ قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرۡهُمۡ فِي خَوۡضِهِمۡ يَلۡعَبُونَ﴾.

---

(١) يعني سورة الشورى في الآية (٢٣) منها.

(٢) اختلف في حكم أخذ الأجرة على تعليم القرآن وغيره من القرب. انظر تفصيل ذلك في «الموسوعة الفقهية» (٣٣/ ١٠٠ ـ ١٠١).

(٣) انظر: «التفسير البسيط» للواحدي (٨/ ٢٧٢).

وقوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ﴾ قال مجاهدٌ رحمه الله: الآيةُ نزلَت[١] في مشركي قريش؛ لمَّا قال: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ﴾، قالوا: ما أرسل الله رسولاً ولا أنزل كتاباً، فقال الله: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾.

وقال أبو العالية: وما وصفوا الله حقَّ صفته[٢].

وقيل: أي: وما عرفوه حقَّ معرفتِه.

وقيل: أي: وما عظَّموه حقَّ تعظيمه.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ﴾؛ أي: قل يا محمَّد للمشركين هذا الكلام؛ فإنَّهم وإنْ كانوا لا يؤمنون بموسى والتَّوراة، فإنَّهم يَرجعون إلى أهلِ الكتابِ في كثيرٍ مِن أمورِهم، ويُصدِّقونَهم فيها.

وقوله تعالى: ﴿يَجعلونَهُ قراطيسَ يُبدونَها ويُخفون[٣] كثيراً﴾ قرأ ابنُ كثيرٍ وأبو عمرو بياء المغايَبةِ فيها[٤]؛ خبراً عن أهلِ الكتاب أنَّهم يَجعلون التَّوراةَ صحفاً وكتباً.

والقراطيس: جمعُ قِرْطاس، وهو الكتابُ والصَّحيفة، وقد قرطسَ؛ أي: كتبَ، وقال زهير:

بهـا أخاديـدُ من آثـارِ كاتبِـهـا ... كما تـردَّدَ فـي قرطاسِـهِ القلمُ[٥]

---

(١) لفظ: «نزلت» من (أ).

(٢) انظر: «التفسير البسيط» للواحدي (٨/ ٢٧٤).

(٣) في (أ): «تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون»، وهما قراءتان متواترتان.

(٤) وقرأ الباقون بالتاء فيها. انظر: «السبعة» (ص: ٢٦٢)، و«التيسير» (ص: ١٠٥).

(٥) كذا نسبه لزهير الماورديُّ في «النكت والعيون» (٢/ ٩٥)، ولم أقف عليه في «ديوانه»، والراجح أنه لعدي بن الرقاع، وهو في «ديوانه» (ص: ١١٦)، وفيه وفي «النكت والعيون» «ساكنها» بدل: «كاتبها»، وهو الصواب.

وقيل: أي: طوامير[١].

وقال عبدُ العزيز بن يحيى: ﴿قَرَاطِيسَ﴾؛ أي: كتباً متفرِّقة، وذلك ضربٌ مِن الاستخفاف والتَّهاون، ولذلك نُهي أنْ يصغَّر المصحف[٢].

﴿ويخفون كثيراً﴾ عن العامَّة ما فيه نعتُ محمَّدٍ ﷺ والإسلام، ويبدون صحفاً قد عزلوها عن الجملة في مدحِ بني إسرائيل، وتثبيتِ دين موسى عليه السَّلام، وتأكيدِ أمرهِ، ونحو هذا.

وقيل: يُبدون قراءةَ بعضها، ويُخفون قراءةَ بعضها، وهي في أحكامٍ لا يَرضون بها، كالرَّجمِ والقِصاص ونحوهما ممَّا ذكرنا.

وقوله تعالى: ﴿وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ﴾ قال مجاهدٌ: هو خطابٌ للمسلمين مِن هذه الأمَّة[٣].

وقال الحسنُ: هو خطابٌ للعرب الكفَّار؛ أي: عُلِّمتُم بهذا القرآنِ ما لم تَعلموا أنتم، ولا عَلِمَهُ آباؤكم مِن أخبارِ ما يكون وما كان، ومِن الاحتجاجِ على الكلِّ، ولا يجوزُ أن يعلمَهُ محمَّدٌ إلَّا بوحيٍ، فمن أين جاء إنْ كان اللهُ لم يُنزِل على بَشرٍ مِن شيء؟

وقوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾؛ يعني: إذا قلت: مَن أنزلَ الكتابَ؟ فلم يجيبوا، فقل أنت: اللهُ أنزلَهُ، وقيل: أي: هو الله، وقيل: أي: اللهُ الحكمُ بيننا؛ بإضمارٍ قبلَه أو بعده، والأصحُّ هو الأوَّلُ؛ فإنَّه تامٌّ بغيرِ إضمار.

---

(١) جمع طامور أو طومار، وهو الصحيفة. انظر: «القاموس المحيط» (مادة: طمر).

(٢) روي كراهة ذلك عن عمر وعلي، رواه عنهما أبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص: ٣٩٨).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٤٠٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٤٣) (٧٦٠٦).

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾؛ أي: دَعهم وما هم فيه من التَّخليط والتَّكذيبِ بالكُتب على غير معرفةٍ، فإنَّهم إنَّما يَلعبون، فيأتيهم الجزاءُ على خوضِهم ولعبِهم، وهي كلمةُ وعيدٍ.

وقيل: هو أمرٌ بالكفِّ عن القتال إلى أنْ يُؤمَر به.

قال ابنُ عبَّاس وقتادةُ ومجاهدٌ ومحمَّدُ بنُ كعبٍ القُرَظيُّ والرَّبيعُ بنُ أنس: الآيةُ في اليهودِ والنَّصارى(١)، والسُّورة مكِّيَّةٌ، لكنَّ هذه الآيةَ والتي تليها مدنيَّةٌ.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: كان مالكُ بن الصَّيف رأسَ اليهود، وكان سميناً، فأتى رسولَ الله ﷺ بمكَّة، فقال له رسولُ الله صلى الله عيه وسلم: «أنشدُكَ اللهَ الذي أنزلَ التَّوراة على موسى، هل تجد فيما أنزلَ اللهُ تعالى أنَّ اللهَ تعالى يُبغِضُ الحبرَ السَّمين؟» فقال: نعم، قال: «فأنت الحبرُ السَّمينُ، قد سَمِنتَ مِن مأكلَتِك التي يُطعِمُك اليهودُ» فضحِكَ القومُ، فغضبَ مالكٌ، ثمَّ التفتَ إلى عمر رضي الله عنه، فقال: يا عمر، ما أنزلَ الله على بشرٍ مِن شيءٍ، فأنزل الله: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ﴾ الآية [الأنعام: ٩١]، فلمَّا رجع مالكٌ إلى قومِه، قالوا: يا ويلَك، ما هذا الذي بلغنا عنك؟ قال: إنَّه أغضبَني، فلذلك قلتُ ما قلت، قالوا له: أو كلَّما غضِبتَ كفرتَ، فنزعوهُ، وجعلوا مكانَه كعبَ بن الأشرف(٢).

وقال ابنُ عبَّاس رضي الله عنهما في روايةٍ أخرى: إنَّ اليهودَ قالوا: يا محمد، أنزلَ اللهُ عليك كتاباً؟ قال: «نعم»، قالوا: واللهِ ما أنزل اللهُ تعالى مِن السَّماءِ كتاباً،

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٣٩٥ ـ ٣٩٦) عن محمد بن كعب وقتادة وابن عباس.

(٢) ذكره بهذا اللفظ الزمخشري في «الكشاف» (٢/ ٤٤) دون نسبته لابن عباس. وكذا أورده أبو الليث في «تفسيره» (١/ ٥٠٠)، وليس فيه التفاته إلى عمر رضي الله عنه. وأخرج نحوه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٣٩٣ ـ ٣٩٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٤٢) (٧٥٩٧) عن سعيد بن جبير.

فأنزلَ اللهُ تعالى: ﴿قُلْ﴾ يا محمد: ﴿مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا﴾[١]، أي: ضياءً مِن الضَّلالة، ﴿وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ﴾[٢]؛ أي: تكتبونه[٣] في قراطيسَ مقطَّعةٍ، حتى لا تكونَ مجموعةً؛ لتُخفوا مِنها ما شِئتم، ولا يشعرَ بها العوام، ﴿تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا﴾ بتاء المخاطبة على قراءة الأكثر؛ لأنَّه كان يُواجِهُهم بها، قوله تعالى: ﴿وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوا أَنتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ﴾ على هذا التَّأويل خطابٌ لأهل الكتاب أيضاً، علموا بالتَّوراة ما لم يَعلموا هم ولا آباؤهم.

وقال الإمامُ أبو منصور رحمه الله: لو كان هؤلاء أهلَ الكتاب في الحقيقة ما أنكروا الرُّسلَ، ولا الكتبَ؛ لأنَّ أهلَ الكتاب يؤمنون ببعضِ الرُّسل، وببعضِ الكُتُب، وإنْ كانوا يَكفرون ببعض، لكن هؤلاء أنْكروا الرُّسل لـمَّا كانوا أهلَ نفاقٍ، ويكونُ من اليهود أهلُ نفاقٍ، كما يكونُ مِن أهل الإسلام، كانوا يُظهِرونَ الموافقةَ لهم، ويُضمِرون الخلافَ لهم، والموالاةَ لأهل الشِّرك، ويُظاهِرون عليهم، كما كان يفعل ذلك منافقو أهلِ الإسلام، كانوا يُظهِرونَ الموافقةَ لرسولِ الله ﷺ، ويُضمِرون الخلافَ له، ويُظاهِرونَ المشركين عليه، فأطلعَ اللهُ رسولَه على نفاقِهم؛ ليعلمَ قومُهم خلافَهم، وأنَّ ما كان من تحريفٍ وكتمانٍ كان منهم[٤].

***

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٣٩٦)، وابن أبي حاتم (٤/ ١٣٤٢) (٧٥٩٥)، (٧٥٩٦).

(٢) في (ر) و(ف): «يجعلونه»، ولم ينقط حرف المضارعة في (أ)، وسلف قريباً ما فيها من قراءات، وأثبتها بالتاء لتوافق ما سيأتي.

(٣) في (أ): «مكتوبة»، وفي (ر) و(ف): «يكتبونه»، ولعل المثبت هو الصواب.

(٤) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٤/ ١٦٦).

(٩٢) ـ ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ البَرَكَةُ: ثبوتُ الخيرِ على الازدياد، قال الشاعر:

ولا يُنجي مِن الغَمَراتِ إلَّا بُرَاكاءُ القتالِ أوالفرارُ[1]

أي: الثّبوت للقتال؛ يعني: وهذا القرآنُ كتابٌ كثيرُ الخيرِ، موافِقٌ للتَّوراة التي كانَت قبلَه، وكانت ﴿نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ﴾ وقد أنزلناهُ عليك.

قوله تعالى: ﴿وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾؛ أي: ولتُخوِّفَ أهلَ مكَّة، فأضمرَ الأهل، كما في قوله: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢] وسُمِّيَت مكَّةُ أمَّ القرى؛ لأنَّها مجتَمَعُ أهلِ القُرى، كما تَجتمِعُ الأولاد إلى الأمِّ.

وقال السُّدِّيُّ: لأنَّها أوَّلُ بيتٍ وُضِعَ[2]، فكأنَّ القُرى تنشَّأت عنها.

وقال الزجاج: لأنَّها معظَّمةٌ عليها كتعظيم الأمِّ[3].

وقيل: هي من الأَمِّ، وهو القصدُ؛ لأنَّها مقصِدُ الخلقِ.

﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ من البلاد والبوادي؛ أي: لإنذارِ أهل مكَّة ومَن حولَهُم مِن سكانِ كلِّ المواضع أنزلناه، دلَّت الواوُ على إضمار ذلك في آخره، كما في

---

(١) البيت لبشر بن أبي خازم، وهو في «ديوانه» (ص: ٧٩). والبراكاء ـ بفتح الباء وضمها ـ: الثبات في الحرب والجدّ. انظر: «لسان العرب» و«تاج العروس» (مادة: برك).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٤٠٣ ـ ٤٠٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٤٥) (٧٦١٦).

(٣) نص قول الزجاج في «معاني القرآن» له (٢/ ٢٧١): سميت أمَّ القرى لأنها كانت أعظم القرى شأناً.

قولـه: ﴿وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ﴾ [الأنعام: ٧٥]، أضمـر: «أريناه» في آخره[١].

وقيل: تقديره: ليُصَدِّقَ الذي بين يديهِ وليُنذِر به هؤلاء.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾؛ أي: الذين يُصدِّقون بالآخرةِ مِن[٢] أتباعِ محمَّد عليه الصَّلاةُ والسَّلام، وقد تَدبَّروا هذا القرآنَ، فدلَّهم ذلك على أنَّه مُنزَّلٌ مِن عند الله، فصدَّقوا به، فهم به مؤمنون، وللصَّلواتِ الخمسِ -التي هي أعظمُ العبادات بعدَ الإيمان، وأجمعُها للخضوعِ والخشوعِ وخصالِ الخير- مؤدُّون، وعليها مداومون.

وقوله تعالى: ﴿بِهِۦ﴾ يرجِعُ إلى القرآن، وقال الفرَّاء: إلى النَّبيِّ ﷺ[٣].

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: فإن قيل: إنَّ أهلَ الكتابِ يُؤمنونَ بالبعثِ، ولا يؤمنون بهذا الكتاب، فما معنى هذه الآية؟ والجواب عنه من وجوه:

أحدها: أنَّ هذا في قومٍ مخصوصين منهم، آمَنوا بالبعثِ وآمنوا به.

والثَّاني: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ﴾ بالعلم والحُجَج، آمنوا بالقرآن؛ لأنَّ القرآن جاءَ بتأييد حججِ البعث وتأكيدِه، فلا يجوزُ أنْ يُؤمنوا بما يُؤيِّدُه القرآنُ، ولا يُؤمنوا بالقرآن.

والثالث: أنَّه إخبارٌ عن أوائلِهم أنَّهم كانوا آمَنوا بالبعثِ وبالآيات والحجج، فلمَّا جاءَ محمَّدٌ بالقرآنِ آمَنوا به[٤].

---

(١) ما بين معكوفتين ليس من (ف).

(٢) في (ف): «لمن».

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٣٤٤).

(٤) لفظ: «به» ليس في (ر)، وموضعه في (ف): «بالبعث وبالآيات والحجج».

والرَّابع: أنَّ الآيةَ في المؤمنين؛ أخبرَ أنَّهم آمَنوا بالآخرةِ، وآمنوا بالقرآن.

والخامس: أنَّ معناه: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ﴾ يَحِقُّ لهم أنْ يُؤمِنوا بالقرآن؛ لأنَّه به يَتزوَّدُ إلى الآخرة[1].

وقال غيره: إنَّ أهلَ الكتاب وإنْ آمنوا بالبعثِ، ولكن لا يعتدُّ[2] بإيمانهم؛ لأنَّ إيمانَهم بالآخرة للجزاءِ بالثَّواب والعقاب يَدعوهم إلى الإيمانِ به، والمحافظةِ على الصَّلواتِ، وسائرِ الطَّاعات.

وقال الإمام القشيري رحمه الله: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ﴾ كتابُ الأحبابِ عزيزُ الخطرِ، جليلُ الأثرِ، فيه سلوةٌ عند غَلَباتِ الوجدِ، ومن بقي عن الوصول تذلَّل للرسول، وقيل في معناه:

وكُتبُكَ حولي لا تُفارِقُ مضجعي ... وفيها شفاءٌ للذي أنا كاتمُ

كأنِّي ملحوظ من الجن نظرة[3] ... وهنَّ حواليَّ الرُّقى والتَّمائمُ[4]

* * *

(٩٣) ـ ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمۡ يُوحَ إِلَيۡهِ شَيۡءٞ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثۡلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۗ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلۡمَوۡتِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيۡدِيهِمۡ أَخۡرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُۖ ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ عَذَابَ ٱلۡهُونِ بِمَا كُنتُمۡ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَكُنتُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِهِۦ تَسۡتَكۡبِرُونَ﴾.

---

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٤/ ١٧٢).

(٢) في (ف): «لا يعبأ».

(٣) في (ف): «لحظة».

(٤) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (١/ ٤٨٩).

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾ أي: ومَن أظلمُ لنفسِه وعقلِه، وأوضعُ للشَّيء في غيرِ موضعِه، ممَّن اختلقَ على الله كذباً، وادَّعى أنَّه أرسلَهُ نبيًّا وأوحى إليه، ولم يكن أوحى إليه، كمُسيلِمةَ والعَنسيِّ.

وقوله تعالى: ﴿وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ وممن قالوا: ﴿لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَا﴾ وهو عبدُ الله بنُ سعد بنِ أبي سَرْح.

قال ابنُ عباس رضي الله عنهما: نزلت[1] في مسيلمة الكذاب الحنفي. وكذا قال مقاتل[2]، قال: زعمَ أنَّ اللهَ تعالى أوحى إليه، وكان أرسلَ إلى النَّبيِّ ﷺ رسولين، فقال لهما رسولُ الله ﷺ: «أتشهدان أنَّ مسيلِمةَ نبيٌّ؟» قالا: نعم، فقال ﷺ: «لولا أنَّ الرُّسلَ لا يُقتَلون لضَربتُ أعناقكما»[3].

وقال جابر رضي الله عنه: قال النبيُّ ﷺ: «رأيتُ في المنام كأن في[4] يديَّ سوارينِ من ذهبٍ، فكبُرا عليَّ، فقيل لي: انفخْهُما، فنفختُهما فطارا عنِّي، فأوَّلتُهما الكذَّابين اللذين أنا بينهما؛ كذابُ اليمامةِ مسيلمة، وكذابُ صنعاء الأسود العنسي»[5] قتله قيس بن مكشوح على عهدِ رسول الله ﷺ.

---

(١) يعني قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ...﴾. انظر: «معاني القرآن» للنحاس (٢/ ٤٥٨)، و«التفسير البسيط» للواحدي (٨/ ٢٨٥).

(٢) بعدها في (ر): «مسيلمة».

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» (١/ ٥٧٥ ـ ٥٧٦). وخبر رسولي مسيلمة رواه أبو داود في «سننه» (٢٧٦١) من حديث نُعيم بن مسعود رضي الله عنه.

(٤) في (أ): «بين».

(٥) لم أقف عليه عن جابر، وأخرجه البخاري في «صحيحه» (٣٦٢١)، ومسلم في «صحيحه» (٢٢٧٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وقولـه تعالـى: ﴿وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ وهـو عبدُ الله بـن سـعد بـن أبـي سـرح، مـن بنـي عامر بـن لؤي، أخـو عثمـان مـن الرَّضاعـة، وكان تكلَّم بالإسـلام، فدعـاهُ النَّبيُّ ﷺ ليكتـبَ له، فكان إذا ألقى عليه رسـولُ الله ﷺ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾، كتـب: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، وأشـباه ذلـك، فلمَّـا نـزل قولُـه تعالـى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ﴾ الآيـة، أملـى عليـهِ رسـولُ الله ﷺ الآيـةَ، فعجـبَ عبـدُ الله مِـن تفصيلِ خلق الإنسـان، فقـال: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤]، فقال لـه رسـولُ الله ﷺ: «اكتبهـا فهكـذا نزلت[١]» فشـكَّ عبـدُ الله، وقال: لئـن كان محمَّدٌ صادقـاً، لقـد أوحيَ إليَّ كمـا أوحيَ إليـه، وإنْ كان كاذبـاً لقد قلتُ كما قـال، ثم ارتدَّ عن الإسـلام[٢].

وقال السُّدِّيُّ: فلحقَ بمكَّة بالمشركين، ووشى بعمَّار بنِ ياسر وبعبد ابن[٣] الحضرميِّ، فأخذوهما وعذبوهما حتَّى كفرا باللِّسان، وجُدِعت أذن[٤] عمار، وأنزل الله تعالى فيهم: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [النحل: ١٠٦]؛ يعني: عماراً، ﴿وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا﴾ يعني: عبدَالله بنَ سعد بنِ أبي سَرْح[٥].

---

(١) في (ف): «أنزلت».

(٢) بعدها في (ر): «ونعوذ بالله». والخبر أورده الثعلبي في «أسباب النزول» (ص: ٢١٦) من رواية الكلبي عن ابن عباس رضي الله عنهما دون ذكر تبديله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ بـ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ وأشباهها، وهذا المعنى أخرجه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٤٠٥ ـ ٤٠٦) عن عكرمة والسدي.

(٣) في «تفسير الطبري» (٩/ ٤٠٦): ووشى بعمار وجبير عند ابن الحضرمي.

(٤) في (أ): «أنف». والمثبت موافق لمصدر التخريج.

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٤٠٥ ـ ٤٠٦).

وقال عطاء: ﴿وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ يريد المستهزئين، النضر بن الحارث وأصحابَه، والمقتسمين، قالوا: ﴿لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ﴾ أخبرَ عمَّا يَجري على هؤلاء الظَّالمين المذكورين في أوَّلِ هذه الآية عند موتِهم، فقال: ولو تَرى يا محمَّدُ، إذ هؤلاء المشركون الظَّالمون أنفسَهم وعقولهم في شدائدِ الموتِ وسكراتِه التي تَغمرُ عقولَهم؛ أي: تُزيلُها وتَغلبُ عليها كغمرةِ الماء، ورجلٌ مغامِرٌ؛ أي: مخاطِرٌ بنفسِهِ ملقٍ لها في الغَمَرات.

﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ الذين هم قابِضو الأرواحِ مِن ملائكة العذاب، ﴿بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ﴾ بعنفٍ وغِلْظَةٍ، يَقولون لهم: ﴿أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ﴾ القولُ هاهنا مضمَرٌ لدلالة الحال عليه؛ أي: أخرجوا أرواحَكم مِن أبدانِكم.

وقال الحسن رحمه الله: أي: ﴿أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ﴾ مِن هذه الشَّدائدِ لو قدَرتُم، وهذا توبيخٌ وصيغتُه صيغةُ الأمر، ومعناه التَّقريع، كقوله تعالى: ﴿فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ﴾ [الأنعام: ٣٠][2].

وقوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ﴾؛ أي: الهوانِ والذُّلِّ، ﴿بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ﴾؛ أي: بشركِكُم، وكذبِكم على الله، وتَعظُّمِكُم على الانقيادِ للحقِّ.

وجواب ﴿وَلَوْ﴾ محذوف، وتقديرُه في آخره: لرأيتَ أمراً عظيماً، ونحو ذلك.

---

(١) ذكره البغوي في «تفسيره» (٣/ ١٦٩) من قول ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) انظر: «النكت والعيون» للماوردي (٢/ ١٤٥)، و«التفسير البسيط» للواحدي (٨/ ٢٩٠).

وقال الحسن: هذا في النار[١]، ومعنى قوله: ﴿فِي غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ﴾ أي: في شدائد العذاب، ولم يُرِدْ به حقيقةَ الموت، وهو كقوله تعالى: ﴿وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾ [إبراهيم: ١٧]، وعلى هذا قوله: ﴿أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ﴾، وله وجهان دون إخراج الأروح:

أحدهما ما حكيناه عن الحسن: ﴿أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ﴾ مِن هذه العقوبات.

والثاني: بمعنى لاقوا شِدَّة العذاب، كما يُقال للواقع في الشِّدَّة والغيظ: أخرج نفسَك، وانْزِع روحَك.

وقال الإمام القشيري رحمه الله في قوله: ﴿أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ﴾: إنَّ الذين يَتنزَّلون منزلةَ المحدَّثين، ولم يلق إلى أسرارهم خصائصُ الخطاب، فالحقُّ سبحانه وتعالى عنهم[٢] بريء، والمتشبِّعُ بما لم يَنَل، كلابس ثوبَي زورٍ ـ كما روي[٣] ـ، وأنشدوا في معناه:

إذا اشتبكت دموعٌ في خدود   تبيَّنَ مَنْ بكى ممَّن تباكى[٤]

***

(٩٤) ـ ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾.

---

(١) انظر: «التفسير البسيط» للواحدي (٨/ ٢٩٠).

(٢) في (ر): «منهم».

(٣) رواه البخاري في «صحيحه» (٥٢١٩)، ومسلم في «صحيحه» (٢١٣٠) من حديث أسماء رضي الله عنها.

(٤) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (١/ ٤٨٩)، والبيت للمتنبي، وهو في «ديوانه» (بشرح المعري) (٤/ ٤٢١).

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ﴾ ويقال لهم في الآخرة هذا، أضمَرَ في أوَّله[١]، أو ذَكرَهُ بصيغة الماضي والمرادُ به المستقبل، كما ذكر في كثيرٍ مِن أمورِ يوم القيامة؛ لقربِه وتحقُّقه؛ إلحاقاً بالماضي، كالكائن المتحقِّق.

و﴿فُرَادَىٰ﴾ جمعُ فرد عند الفرَّاء[٢]، وعند بعضِهم جمعُ فريد، كما يُقال: قرين وقُرانى، ورَديف ورُدافى، ولا يَنصرفُ للياء المرسلةِ الزائدة في آخره؛ أي: جئتمونا مُنفرِدِين[٣] عن الأعوانِ والشفعاء، وقيل: عن الأموالِ والخدَمِ والحشَم.

وقوله تعالى: ﴿كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾؛ أي: بهذه الصِّفة جئتُم، لا يَصحبكم ما كنتم تتكثَّرون به مِن الأعوان والأنصار والأموال، ولا معكم ما كنتم تعبدونَهم وتزعمون أنَّهم[٤] شركاءُ لله شفعاءَ لكم.

وقوله تعالى: ﴿وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ﴾ التَّخويلُ: تمليكُ الخَول؛ أي: الخدم والأتباع، وواحدُهم خائل.

وقيل: التَّخويلُ: الإعطاءُ على غير جزاء؛ أي: خلَّفتُم في الدُّنيا ذلك، وتَركتُموهم لا تَنظرون إليهم ولا تلتفتون، كالمنبوذِ وراءَ الظَّهر، إنَّما نظرُكم إلى أعمالِكم التي قدَّمتموها.

وقيل: أي: لم تُقدِّموا ما خوَّلناكم فتَنتفِعوا به، بل تركتموه لمن يَخلُفُكم مِن الورثة.

---

(١) بعدها في (ف): «هذا».

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٣٤٥).

(٣) في (أ): «متفردين».

(٤) في (ف): «أنتم» بدل: «وتزعمون أنهم».

وقوله تعالى: ﴿وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ﴾؛ أي: أصنامَكم التي قلتم: إنها شفعاءُ لكم وشركاءُ لي.

وقوله تعالى: ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ قرأ نافعٌ وأبو جعفر[1] والكسائيُّ، وعاصم في رواية حفص: ﴿بَيْنَكُمْ﴾ بالنَّصب؛ أي: ما بينكم، أو: تقطَّعَ الودُّ بينكم، أو السَّببُ الذي[2] بينكم.

وقرأ الباقون: ﴿بينُكم﴾ برفع النُّون[3]؛ لأنَّه في معنى الاسم، ومعناهُ: تقطَّع وصلُكم.

وقوله تعالى: ﴿وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾؛ أي: بَطَلَ ما قلتُم: إنَّها شفعاؤكم.

وقال عكرمة: قال النَّضر بن الحارث: يَشفعُ لي اللَّاتُ والعُزَّى، فنزلَت هذه الآيةُ[4].

والآيةُ الأولى وعيدٌ لهم عند الموت، وهذا وعيدٌ لهم بعد البعث، و﴿بينُكم﴾ بالرَّفع؛ أي: وصلُكم، والبينُ الفصلُ أيضاً، وهو مِن الأضداد.

وقال الإمام القشيري رحمه الله: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ﴾ دخلتَ الدُّنيا بخِرْقةٍ، وخرجتَ منها بخِرقَةٍ، ألا وتلك الخِرْقةُ أيضاً لبسة[5]، وما دَخلتَ إلَّا بوصفِ التَّجرُّد[6]، ولا خرجتَ إلَّا بحكمِ التَّجرُّد، ثمَّ الأثقالُ والأوزارُ والأحمالُ والأوضار

---

(١) قوله: «وأبو جعفر»: زيادة من (ف).

(٢) لفظ: «الذي» من (أ).

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٢٦٣)، و«التيسير» (ص: ١٠٥)، و«النشر» (٢/ ٢٦٠).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٤١٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٥٠) (٧٦٤٤).

(٥) كذا، ولم يتبينها محقق «لطائف الإشارات» فترك موضعه نقاطاً، فالله أعلم.

(٦) في (ر): «التردد».

لا يَأتي عليها حصرٌ ولا مقدار، فلا مالُكم أغنى عنكم، ولا حالُكم يرفع منكم[١]، ولا شفيعَ يُخاطِبُنا فيكم، لقد تَفرَّقَ وصلُكم، وتَبدَّد شملُكم، وتلاشى ظنُّكم[٢]، وخابَ سعيُكم[٣].

* * *

(٩٥) ـ ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلۡحَبِّ وَٱلنَّوَىٰۖ يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَمُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتِ مِنَ ٱلۡحَيِّۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلۡحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ﴾؛ أي: إنَّ اللهَ الذي أنتم أيُّها المشركونَ معترِفون به هو اللهُ الذي فلقَ الحبَّ؛ أي: شقَّ الحبَّ في الأرضِ، فأخرجَ منه النَّباتَ والزَّرعَ، وفلقَ النَّوى؛ أي: شقَّ النَّوى، فأخرجَ مِنهُ الغِراسَ والأشجار.

وقيل: أي: يَشُقُّ الحبَّ اليابسَ، فيُخرِجُ منه الورقَ الأخضرَ.

والحبُّ: جمعُ حبَّة، والنَّوى: جمعُ نواة.

وقال مقاتل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلۡحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ﴾؛ أي: خالق البُرِّ والشَّعيرِ والذُّرة والحبوبِ كلِّها، ﴿وَٱلنَّوَىٰ﴾ يعني: كلّ ثمرةٍ لها نوى؛ الخوخُ والنَّبْقُ والمشمشُ والغُبيراء والإجَّاص، وما كان من الثِّمار لها نوى[٤].

وقيل: هو ما يُوجدُ من الشَّقِّ في الحبِّ والنَّوى، ووجودُ ذلك على هذه الهيئةِ فيه أعجوبةٌ ودلالةٌ على صنعِ صانعٍ.

---

(١) في (ر) و(ف): «يدفع عنكم»، وفي (أ): «يدفع منكم»، والمثبت من «لطائف الإشارات».

(٢) في (أ): «حلفكم».

(٣) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٤٩٠).

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» (١/ ٥٧٩).

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: أخبرَ أنَّه يَشقُّ النَّواةَ مع شدَّتِها وصلابتِها، ويُخرجُ منه نبتاً أخضرَ ليِّناً، ما لو اجتمعَ كلُّ الخلائقِ على إخراجِ مثلِه ما قَدَروا عليه، وإنَّ مَن قدَرَ على هذا لقادرٌ على إعادة الخلقِ وبعثِهم بعد موتهم.

وفيه دليلٌ أنَّه فعلُ صانعٍ واحدٍ؛ لأنَّه لو كان فعلَ عددٍ لكان إذا أرادَ هذا شقَّه منعَهُ الآخرُ.

وفيه دليلٌ على أنَّه على تدبيرٍ خرجَ، لا جُزافاً، حيث اتَّفقَ ذلك كلُّه في كلِّ عامٍ على وجهٍ واحدٍ[١].

وقوله تعالى: ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾ قال ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: أي: الإنسانِ من النُّطفة[٢].

وقال الحسن: أي: المؤمنِ مِن الكافر[٣].

وقيل: الطائعِ مِن العاصي.

وقيل: الطيرِ من البيضة.

وقيل: أي: السُّنبلة مِن الحبَّة، والشَّجرة من النَّواة.

وقوله تعالى: ﴿وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾ أي: هو مخرجُ الميِّت من الحيِّ؛ النُّطفةِ مِن الإنسان، والبيضةِ مِن الطير، والكافرِ مِن المؤمن، والعاصي من الطَّائع، والحبَّةِ مِن السُّنبلة، والنَّواةِ مِن الشَّجرة.

---

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٤/ ١٨٠ ـ ١٨١).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٤٢٣ ـ ٤٢٤).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (عند تفسير الآية ٢٧ من سورة آل عمران) (٥/ ٣١٠).

و«مخرج» موصولٌ بقوله: ﴿فَالِقُ﴾، وبينهما: ﴿يُخْرِجُ﴾؛ لأنَّه فعلٌ دائمٌ، والاسمُ المأخوذُ مِن الفعلِ يَدلُّ عليه، فتجانسا.

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾؛ أي: القادرُ على هذه الأشياء، والمنعمُ بها هو اللهُ وحدَهُ، لا الأصنام.

وقوله تعالى: ﴿فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾؛ أي: فإلى أين تُصرَفون عن هذا حتَّى تَعدِلوا به غيرَهُ.

* * *

(٩٦) - ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ﴾؛ أي: هو الآتي بالنَّهار معاشاً، والفَلْقُ: الشَّقُّ، و﴿الْإِصْبَاحِ﴾: الصُّبح.

وقوله تعالى: ﴿وجاعلُ اللَّيلِ سكناً﴾ قرأ حمزةُ وعاصمٌ والكسائيّ وخلف[1]: ﴿وَجَعَلَ﴾ وهو فِعلٌ، و﴿اللَّيْلَ﴾ نُصِبَ لأنَّه مفعول، و﴿سَكَنًا﴾ مفعولٌ ثانٍ.

وقرأ الباقون: ﴿وجاعلُ اللَّيلِ سكناً﴾[2] وهو صفةٌ، كقوله تعالى: ﴿فَالِقُ﴾، و﴿الليلِ﴾ مضافٌ إليه، و﴿سَكَنًا﴾ مفعولٌ بالفعلِ الذي دلَّ عليه قولُه: ﴿وجاعلُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا﴾ بالنَّصب على القراءتين المتقدِّمتين؛ أمَّا على قراءة من قرأ: ﴿وَجَعَلَ﴾ فظاهرٌ أنَّهما معطوفان على قوله: ﴿اللَّيْلَ﴾، وأمَّا على قراءةِ مَن قرأ: ﴿وجاعلُ اللَّيلِ﴾ فبتأويل وقوع ﴿جاعلُ﴾ على ﴿اللَّيلِ﴾؛ لأنَّهم

---

(١) قوله: «وخلف» من (ف).

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٢٦٣)، و«التيسير» (ص: ١٠٥)، و«النشر» (٢/ ٢٦٠).

يَذهبون بالفعلِ الدَّائم إذا أضافوهُ مذهبَ الماضي، يقولون: وحشيٌّ قاتلُ حمزة؛ أي: الذي قتلَ حمزة، فإذا نَسقوا على ما خفضوهُ بظاهرِ لفظة الإضافةِ، نَسقوا عليه بالنَّصبِ؛ لأنَّه عندَهم في تأويلِ منصوبٍ.

ومعنى قوله: ﴿حُسْبَانًا﴾ أنَّهما يَسيرانِ في الفلَكِ بحسابٍ معلومٍ، لا يَختلِفُ على مرورِ الزَّمان[1]، وذلك قولُ الكلبيِّ[2]، منازلُهما بحسابٍ معلومٍ لا يُجاوزانِه، حتَّى يَنتهيا إلى أقصى منازلِهما، والحُسبان جمعُ حِساب، كالشُّهبان جمعُ شهاب.

وقيل: أي: بحساب ما يَحتاجُ إليه العبادُ في معايشِهم ومعاملاتهم؛ أما الشَّمسُ فللثِّمار والحرثِ والنَّسل، وفي ذلك قِوَامُ العالم، وأمَّا القمرُ فلآجال الدُّيون، ومواقيتِ الأشياء، كما قال في الأهِلَّة: ﴿هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ﴾ [البقرة: ١٨٩]، وقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ﴾ [يونس: ٥].

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾؛ أي: هو تقديرُ ﴿ٱلْعَزِيزِ﴾ الذي لا يُغالَبُ، و﴿ٱلْعَلِيمِ﴾ بمصالحِ العباد، وما يَعبدون مِن دونه عاجزٌ عن هذا كلِّه، وليس بعزيزٍ ولا عليم، فكيف يُعدَلُ بالله.

* * *

(٩٧) ـ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ قال

---

(١) في (ف): «الأزمان».

(٢) انظر: «تفسير أبي الليث» (١/ ٥٠٣).

قتادة: جُعِلَت النُّجومُ لثلاثة أشياء؛ ليُهتدَى بها في ظلماتِ البَرِّ والبحر، وجُعِلت زينةً للسَّماء[1]، وليُرمى بها الشَّياطين[2].

وقال مقاتل: ﴿جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ﴾ نوراً[3]؛ لتَعرِفوا بها الطَّريق ليلاً إذا سرتُم ﴿فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾[4].

وقوله: ﴿لَكُمُ﴾ ليس للملكِ بل للانتفاع.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: وفيه دليلُ وحدانيَّة الرَّبِّ وتدبيرِه وحكمتِه؛ لأنَّه جعلَ في السَّماءِ أدلَّة يَهتدون بها، ويَستدِلُّون بها على معرفة الطُّرق[5]، مع بعدِ ما بين السَّماءِ والأرض مِن المسافة، وسوَّى أسبابَهما، وعلَّقَ منافعَ بعضِها ببعض؛ ليُعلمَ أنَّه كان بواحدٍ مدبِّرٍ حكيمٍ[6].

وقوله تعالى: ﴿قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾؛ أي: قد بيَّنَّا العلاماتِ الدَّالَّات[7] على انتفاءِ الأضداد والأندادِ لقومٍ يَفهمون.

وقيل: تفصيلُ الآياتِ أن يُؤتَى بها فصولاً، حتَّى يُفردَ كلُّ فصلٍ بالتَّأمُّلِ، فيكون أبلغَ في الاعتبارِ، وأبعدَ مِن الالتباس.

وقال الإمامُ القشيريُّ رحمه الله: ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ﴾ فلقَ صُبحَ الكونِ فأشرقَت به

---

(١) من قوله: «قال قتادة» إلى هنا من (ف).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ١٢٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٩١٣) (١٦٥٣٦).

(٣) من قوله: «وليرمى بها الشياطين» إلى هنا ليس في (ف).

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» (١/ ٥٨٠).

(٥) في (ر) و(ف): «الطريق»، والمثبت موافق لما في «تأويلات أهل السنة».

(٦) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٤/ ١٨٤).

(٧) في (ف): «الدالة».

الأقطارُ، كذلك فلقَ صبحَ القلوبِ، فاستنارَت به الأنوارُ، وكما جعل اللَّيلَ سكناً، تَسكنُ فيه النُّفوسُ مِن كَدِّ التَّصرُّف في أسباب المعاش، كذلك جعلَ اللَّيلَ سكناً للأحبابِ، يَسكنون فيه إلى روحِ المناجاة إذا هدأَت العيونُ مِن الأغيار، كما قيل:

اللَّيـلُ للعاشقيـن سِتـرٌ   يا ليـتَ أوقاتَـهُ تَـدومُ(١)

وجعلَ الشَّمسَ والقمرَ يجريان بحسابٍ معلومٍ، على حدٍّ معلوم، فالشَّمس بوضعها(٢) منذ خلقت لم تَنقُص، ولم تَزدَد، والقمرُ لا يَبقى ليلةً واحدةً على حالةٍ واحدةٍ، بل هو أبداً في الزِّيادةِ والنُّقصان، فلا يَزالُ يَنمو حتَّى يصيرَ بدراً، ثمَّ يَنقُصُ حتَّى لا يُرى، ثمَّ يأخذُ في الظُّهورِ، كذلك دأبُهُ أبداً إلى أن تَنقضي العادةُ، فلا نقصانَ ولا زيادة.

قوله: ﴿وهو الذي جعل لكم النجوم﴾ الآية، فكما أنَّ نجومَ السَّماءِ يُهتدى بها في الفلَوات، فكذلك نجومُ القلوبِ يُهتدَى بها في معرفةِ ربِّ الأرض والسَّماوات(٣).

* * *

(٩٨) ـ ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾ هي آدمُ صلوات اللهِ عليه، وقد فسَّرنا ذلك في أوَّلِ سورة النساء.

---

(١) من قوله: «كما قيل» إلى هنا ليس في (ف)، ولا ورد البيت في «لطائف الإشارات» وهو لأبي فراس الحمداني، انظر: «ديوانه» (ص: ٣٤٤).

(٢) في «لطائف الإشارات»: «بوصفها».

(٣) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (١/ ٤٩٠ ـ ٤٩١).

وقوله تعالى: ﴿فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾ قرأ ابنُ كثيرٍ وأبو عمرو وسهلٌ ويعقوب[١]: ﴿فمستقِرٌّ﴾ بكسرِ القاف، وهو نعتٌ، ومعناه: فمِنكم مُستَقِرٌّ، ومِنكم مُستودَعٌ.

وقرأ الباقون بفتح[٢] القاف[٣]، وهو مصدرٌ أو موضعٌ، ومعناه: فلكم مستقَرٌّ ومستودَعٌ.

واختلف فيهما؛ روى عوفٌ عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما قال: كلُّ مخلوقٍ قد فُرِغَ من خلقه فهو المستَقرّ، والمستودَعُ ما في الأصلاب الذي هو مودَعُ خالقِه[٤].

وكتب حَبْرُ تيماءَ إلى ابن عباسٍ رضي الله عنهما يسألُه عن هذه الآية؟ فكتبَ إليه: المستودَعُ الصُّلب، والمستقر الرحم، ثم قرأ: ﴿وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ﴾ [الحج: ٥][٥].

وقال ابنُ الحنفية على عكسه: المستقر: الصُّلب، والمستودَعُ: الرَّحم[٦]؛ لأنَّ في الآيةِ تقديمَ ذكرِ المستقَرِّ على المستودَع.

وقال الإمام أبو منصورٍ رحمه الله: ويَحتمل ﴿فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾ في كلِّ حال؛

---

(١) قوله: «وسهل ويعقوب» من (ف)، وهي رواية روح عن يعقوب، وقرأ رويس عنه بفتح الراء. انظر: «النشر» (٢/ ٢٦٠).

(٢) في (أ): «فمستقر بنصب» بدل: «بفتح».

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٢٦٣)، و«التيسير» (ص: ١٠٥)، و«النشر» (٢/ ٢٦٠).

(٤) رواه بنحوه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٤٣٨) من رواية العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٥) انظر: «التفسير البسيط» للواحدي (٨/ ٣١٣). ورواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٤٣٨ ـ ٤٣٩)، وفيه أن ابن عباس هو سأل حبر تيماء عن المستقر والمستودع فأجابه الحبر!!

(٦) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٥٦، ١٣٥٧) (٧٦٩٠)، (٧٦٩٧).

لأنَّه مستقرٌّ إلى أنْ يَنتقل[١]، ومستودع؛ لأنَّه على شرف أن يَنتقل، ويَحتمِلُ مستقرٌّ في اللَّيل، ومستودعٌ في النَّهار[٢].

وقال مِقْسَم: المستقرُّ: حيث يَأوي، والمستودَعُ: حيث يَموت[٣].

وقيل: المستقرُّ في الدُّنيا مدَّة حياتِه، والمستودَعُ: القبرُ إلى أنْ يُبعَثَ.

ورويَ عن النَّبيِّ ﷺ: «إنَّ الميِّتَ إذا بُعِثَ قالت الأرض التي كان مقبوراً فيها: اللَّهمَّ هذا ما استودعتَني»[٤].

والاستيداعُ: جعلُ الشَّيء في الشَّيء للاحتفاظِ به.

وقال سفيانُ بنُ عيينة: مستقرُّها في الدُّنيا، ومستودَعُها في الآخرة[٥].

وقال الحسنُ وقتادة: المستقرُّ: في القبر، والمستودَعُ في الدُّنيا حتَّى يَلحقَ بصاحبِه[٦].

وكان الحسن يقول: يا ابنَ آدم، أنت وديعةٌ في أهلِك، وأنشد قول لبيد:

وما المالُ والأهلون إلَّا وَديعَةٌ ... ولا بُدَّ يوماً أنْ تُرَدَّ الوَدائِعُ[٧]

---

(١) في (أ): «سفل».

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٤/ ١٨٥ ـ ١٨٦).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٤٣٤) عن مقسم. ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١١٨٤) عن مقسم عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) رواه ابن ماجه في «سننه» (٤٢٦٣) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٥) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٨٣٤) عن ابن عيينة بإسناده إلى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه. وأخرجه من طريق عبد الرزاق الطبريُّ في «تفسيره» (٩/ ٤٣٥ ـ ٤٣٦)، وابنُ أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٥٥، ١٣٥٧) (٧٦٨٤)، (٧٦٩٥).

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٤٤٢) عن قتادة عن الحسن.

(٧) انظر قول الحسن في «تفسير الثعلبي» (٤/ ١٧٣)، والبيت في «ديوان لبيد» (ص: ١٧٠).

وعنه أيضاً أنه قال: المستقر من مات والمستودع أنتم[١]، وأنشدَ لسليمان بن يزيد العدويِّ:

فُجِعَ الأحِبَّةُ بالأحِبَّةِ قبلَنا ... فالنَّاسُ مَفجوعٌ به ومُفَجَّعُ

مستودَعٌ أو مُستَقرٌّ قد خلا ... فالمستقرَّ يَزورُه المستودعُ[٢]

وقيل: المستودَعُ: ما دامَ في البطن؛ لأنَّه قليلُ اللُّبثِ، وتَختلفُ به الأحوال، فإذا خرجَ فلهُ مستَقَرٌّ في الأرض، على ظهرِها، ثمَّ في بطنِها ثمَّ في الجنَّة، أو في النار، قال تعالى: ﴿إِنَّهَا سَآءَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا﴾ [الفرقان: ٦٦]، وقال: ﴿أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ يَوۡمَئِذٍ خَيۡرٞ مُّسۡتَقَرّٗا﴾ [الفرقان: ٢٤].

وقال كُريب عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما: المستودَعُ: في الصُّلب، وفي الرَّحم، وفي القبر، والمستقرُّ: يوم القيامة. فجعلَ كلَّ موضعٍ لا قرارَ فيه مستودَعاً، وجعلَ المستقرَّ في الآخرة، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلۡأٓخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلۡقَرَارِ﴾ [غافر: ٣٩].

وقوله تعالى: ﴿قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَفۡقَهُونَ﴾؛ أي: يَفهمون[٣].

وقال الإمام أبو منصورٍ رحمه الله: الفقهُ: معرفةُ الشَّيء بمعناهُ الدالِّ على نظيرِه، ولهذا لا يقال: الله[٤] فقيهٌ، والعِلمُ ما يُعلم بنفسه، واللهُ تعالى عالمٌ بالأشياء بذاتِه، لا بأغيارها ونظائرها[٥].

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٥٦، ١٣٥٧) (٧٦٨٩)، (٧٦٩٦).

(٢) البيتان لسليمان بن يزيد في «تفسير الثعلبي» (٤/ ١٧٤)، وليس فيه إنشاد الحسن لهما.

(٣) بعدها في (ف): «الشيء».

(٤) في (أ) و(ر): «لله».

(٥) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٤/ ١٨٦).

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: كما أنَّ للنُّفوسِ والأبشارِ مُستَقرًّا ومستودَعاً، فإنَّ للضَّمائرِ والأسرارِ مستقرًّا ومستودعاً، فمِن عبْدٍ مستقَرُّ قلبِه أوطانُ الشَّهواتِ والمُنى، ومِن عبدٍ مستقرُّهُ مربعُ الزُّهدِ والتُّقى، ومن عبدٍ مستقرُّهُ حيث لا مسكنَ ولا مثوى وراءَ الورى(١).

* * *

(٩٩) - ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۗ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ﴾ نقلَ الكلامَ مِن المغايبةِ إلى الإخبار عن نفسِه جمعاً بخطاب الملوك، وهو متعارفُ أهلِ اللِّسان.

قوله: ﴿بِهِۦ﴾ أي بالماء وهو المطر.

وقوله تعالى: ﴿نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ﴾؛ يعني: نباتَ ما تُنبِتُهُ الأرضُ مِن كلِّ شيءٍ.

وقيل: أي: غذاءَ كلِّ شيءٍ، وما يَنبتُ به ويَنمو كلُّ شيءٍ.

وقوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ﴾؛ أي: مِن النَّباتِ ﴿خَضِرًا﴾؛ أي: زرعاً أخضرَ أوَّل ما يَظهر.

وقوله تعالى: ﴿نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا﴾ أي: مِن الزَّرعِ الأخضر ﴿حَبًّا﴾؛ أي: حباتٍ كثيرةً متراكبةً بعضُها فوق بعضٍ؛ لالتفافها، والحَبُّ جمعُ حبَّة، وإنَّما لم يقل: متراكبة؛ لظاهرِ اللَّفظِ الذي هو للواحدِ في الوضع.

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (١/ ٤٩١).

وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّخۡلِ مِن طَلۡعِهَا قِنۡوَانٞ دَانِيَةٞ﴾؛ أي: ومِن طلعِ النَّخل، وكرر «من»؛ لأنَّ الأُولى تقدَّمَت موضعَها، فأُعيدَت في موضعِها.

وطلعُها: أوَّلُ ما يطلُعُ من ثمرِها.

والقنوان: جمعُ قِنو، وهو الكِباسَة[1]، وقُنوان بضمِّ القاف لغةٌ.

والدَّانية: الـمُتدلِّيةُ القريبةُ مِن المتناوَل، وهذا عن ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما والبراءِ بن عازب وقتادةَ والضَّحَّاك[2].

وقال الزَّجاج: وفيه حذفٌ، وتقديرُه: مِنها دانيةٌ، ومنها بعيدةٌ، كما في قوله: ﴿سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ﴾ [النحل: ٨١] أي: الحرَّ والبرد[3].

وقال الحسنُ: أي: متدانيةً بعضُها إلى بعض[4].

وقوله تعالى: ﴿وَجَنَّٰتٖ مِّنۡ أَعۡنَابٖ﴾ بكسرِ التاء وهو نصبٌ، وهي قراءةُ العامَّة؛ أي: أخرجنا به نباتَ كلِّ شيءٍ وجناتٍ أيضاً، أو[5] عطفاً على قوله: ﴿نُّخۡرِجُ مِنۡهُ حَبّٗا مُّتَرَاكِبٗا وَمِنَ ٱلنَّخۡلِ مِن طَلۡعِهَا قِنۡوَانٞ دَانِيَةٞ وَجَنَّٰتٖ مِّنۡ أَعۡنَابٖ﴾، وبالرَّفع ـ وهي روايةُ الأعشى والبرجميّ[6]..

---

(١) الكباسة: العذق، وهو من التمر كالعنقود من العنب. انظر: «مختار الصحاح» (مادة: كبس).

(٢) روى أقوالهم الطبري في «تفسيره» (٩/ ٤٤٦ ـ ٤٤٨).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٢٧٥).

(٤) ذكره الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (٤/ ١٨٨).

(٥) في (أ): «أي»، وليست في (ف)، والمثبت من (ر)، وهو الصواب.

(٦) هو أبو صالح، عبدُ الحميد بن صالح بن عجلان، البرجميُّ التَّيميُّ الكوفي، مقرئٌ ثقة، أخذ القراءة عرضاً عن أبي بكر بن عيَّاش ثم عن أبي يوسف الأعشى بحضرة أبي بكر، توفي سنة (٢٣٠هـ). انظر: «غاية النهاية» لابن الجزري (١/ ٣٦٠ ـ ٣٦١).

عن أبي بكر[١] عن عاصم[٢] ـ هي معطوفةٌ على قوله: ﴿قِنْوَانٌ﴾، أو يُضمَرُ في أوَّله: ومنه جناتٌ، أو هناك جنات.

وقوله تعالى: ﴿وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ﴾ بالنَّصبِ عطفاً على ﴿وَجَنَّٰتٍ﴾ على قراءة النصب، أو على قوله: ﴿نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ﴾، أو ﴿حَبًّا مُّتَرَاكِبًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ﴾ قال ابنُ عباس رضي الله عنهما: ﴿مُشْتَبِهًا﴾ في المنظر، ﴿وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ﴾ في المطعَم[٣].

وقال قتادة: ﴿مُشْتَبِهًا﴾ ورقُه، ﴿وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ﴾ ثمرُه[٤].

وقال مقاتلُ بن حيان: يشبهُ ورقُ الزَّيتونِ ورقَ الرُّمان[٥].

وقيل: أي: يَتشاكلُ بعضُها في الخِلقةِ والصُّورةِ والطَّعمِ واللَّون، ويَختلفُ بعضُها.

وقيل: ﴿مُشْتَبِهًا﴾ في الألوان، ﴿وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ﴾ في الطُّعوم، أو على العكس.

وإنَّما قال: ﴿مُشْتَبِهًا﴾، ولم يقل: مشتبهة؛ لأنَّه أرادَ به جنسَ الثَّمرِ كلِّه، أو أراد[٦] به المذكور، وخصَّ الرُّمَّان والزَّيتونَ بالذِّكر مِن بين سائر الأشجار[٧]؛ لقربِ مكانِهما مِن القوم المخاطَبين، وعظَمِ خطرِهما عندهم.

---

(١) قوله: «الأعشى والبرجمي عن أبي بكر» من (ف).

(٢) انظر: «جامع البيان» للداني (ص: ٥٠٠)، و«الكامل» للهذلي (ص: ٥٤٥)، والقراءة المشهورة عن أبي بكر عن عاصم كقراءة الجمهور.

(٣) ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» (٣/ ٩٤).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٤٤٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٥٩) (٧٧١٣).

(٥) وهو قول مقاتل بن سليمان في «تفسيره» (١/ ٥٨١).

(٦) في (أ) و(ر): «وأراد».

(٧) في (أ): «الأشخاص».

وقال الزَّجاج: هما شجرتان تَزعُمُ العربُ أنَّ ورقَهما يَشتمل على الغصنِ مِن أوَّلِه إلى آخره، والبركة في ورقه اشتمالُه على عودِه كلِّه[١].

وقوله تعالى: ﴿انظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَيَنۡعِهِۦٓ﴾ قرأ حمزةُ والكسائيُّ وخلف[٢]: ﴿ثُمُره﴾ بالضمِّ، وهو صيغةُ الجمع، وقرأ الباقون بالفتح[٣]، وهو صيغةُ الفرد.

وذكرَ فعله على التَّذكير؛ لظاهر[٤] اللفظ، وكذلك قال: ﴿ثَمَرِهِۦٓ﴾، ولم يقل: ثمرها؛ ذهاباً به إلى المذكور، أو إلى الذي سبقَ ذكره.

واليَنعُ: النُّضجُ والبلوغ، وقد يَنَع يَيْنَعُ وأينعَ، ويقال: ﴿وَيَنۡعِهِۦٓ﴾ هو جمعُ يانع؛ أي: انظروا إلى اليانعِ منه، وهو كالتَّاجِر، وجمعُه التَّجْر.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكُمۡ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾؛ أي: فيما ذكرنا دلالاتٌ على أنَّ لها صانعاً عليماً حكيماً حيًّا، قادراً على تتابعِ نعمه على عبادِه، وعلى البعثِ بعد الموت؛ بما تَرونَ مِن إعادةِ النَّباتِ بعد التَّلاشي، وعلى وجوب الشكرِ له، وبطلانِ إشراكِ غيرِه به، وخصَّ المؤمنين بها؛ لأنَّهم هم المنتفعون بها، كما قال: ﴿هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢].

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: في هذه الآيات بيانُ قدرتِه، وسبوغ نعمتِه، وفيه محاجَّة المشركين في إبطالِ إشراكِهم بالله غيرَهُ، وتوجيهِهم الشُّكرَ إلى غيرِه.

وقال في قوله: ﴿خَضِرٗا﴾: إنَّ الثَّمرَ أوَّل ما يخرجُ يكون خَضِراً، ثمَّ يَتحوَّلُ إلى لونٍ آخر، وأراد به بقاءَ النَّضرةَ بالماء، ولولاه ليبس.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٢٧٦).

(٢) قوله: «وخلف» من (ف).

(٣) انظر: «السبعة» (ص:٢٦٤)، و«التيسير» (ص: ١٠٥)، و«النشر» (٢/ ٢٦٠).

(٤) في (أ): «على ظاهر».

وقال في قوله: ﴿حَبًّا مُّتَرَاكِبًا﴾: هو إخبارٌ عن لطفِه وصنعِه؛ إذ ليس في وِسع البشرِ إخراجُه وتركيبُهُ على ذلك الوجه، وفيه إثباتُ إنشاءِ الشَّيء لا مِن شيء؛ لأنَّه أخرجَ مِن الحبَّةِ والنَّواةِ نباتاً أخضر، ولم يكن في الأصل ذلك.

وفيه نقضُ قولِ الدَّهريَّةِ في كون الأشياءِ في شيءٍ واحد؛ إذ لا يَحتمِلُ كونُ عشرةِ آلاف نواةٍ، أو حبَّةٍ في نواة، أو حبَّةٍ واحدةٍ، أو الشجرةِ بطولها: في النَّواة.

وقال في قوله: ﴿مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ﴾: لمَّا كان التُّرابُ والماءُ واحداً، واختلفَ الخارجُ، عُلِمَ أنَّه بتدبيرِ الله وتخليقِه، لا بالماءِ والتُّراب، وفي إخراجِ الثِّمارِ والحبوب على التَّعاقُب، وإنزالِ المطرِ على التَّفاريق، قطراتٍ لا تَختلِطُ مع كثرتها وازدحامِها وبعدها؛ ما لو اجتمعَ الخلائقُ على حفظه ما قدروا عليه = دلالةٌ أنَّه بمدبِّرٍ عليم حكيمٍ. وكذلك انتقالُ الثَّمرِ مِن حالٍ إلى حالٍ إلى ينعها، على وجوهٍ مختلفةٍ؛ دليلُ ما قلنا[1].

وقال الإمامُ القشيريُّ رحمه الله: تَجانسَت أجزاءُ الأرضِ، وتوافقَت أقطارُ الكون، وتباينَ النَّباتُ في الطَّعم واللَّون، فدلَّ كلُّ مخلوقٍ بلسانٍ فصيحٍ، وبيانٍ صريح، أنَّه لا يَستقِلُّ بنفسِه، وأنَّه موجودٌ بإيجادِ ربِّه[2].

* * *

(١٠٠) ـ ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ﴾؛ أي: جعلَ المشركون الجنَّ شركاءَ لله، وهم الذين قالوا: بيزدان وأهرمن.

---

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٤/ ١٨٦ ـ ١٨٩).

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (١/ ٤٩٢).

وقيل: هو ردٌّ على بني مليح؛ قالوا: إنَّ اللهَ صاهر الجنَّ، فولدت له الملائكة، وهم بناتُه.

وقوله تعالى: ﴿وَخَلَقَهُمْ﴾؛ أي: هو خلقَ الكُلَّ.

وقوله تعالى: ﴿وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ﴾؛ أي: اختلقوا وافتروا عليه بنسبةِ البنين والبنات إليه، وقوله: ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾؛ أي: جهلاً.

وقيل: هم الذين قالوا: عزيرٌ ابن الله، والمسيح ابنُ الله.

وقوله تعالى: ﴿سُبْحَانَهُ﴾ أمرَ عبادَهُ بتنزيهِه عن ذلك، ونصبُه على المصدر.

وقوله تعالى: ﴿وَتَعَالَى﴾؛ أي: تنزَّهَ ﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾؛ أي: من الشَّريك والولد.

* * *

(١٠١) ـ ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

قوله تعالى: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾؛ أي: مبدِعُها، وقد فسَّرناه في سورة البقرة بأتمَّ مِن هذا[1].

وقوله تعالى: ﴿أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ﴾؛ أي: أبدعَ السَّماوات والأرض، ومن فيهما، وما فيهما من الملائكةِ والجنِّ، وكلَّ ما أشرك هؤلاء بالله، فلا يجوزُ أنْ يُسوَّى به شيءٌ مِن خلقِه في العبادة، ولا يجوزُ أن يكون له ولدٌ؛ لأنَّ الولدَ إنَّما يُحتاجُ إليه للاعتضاد به، أو للخدمة منه، أو للاستئناس به، أو لبقاءِ الذِّكرِ به بعد موت الوالد، واللهُ تعالى يَتعالى عن ذلك كلِّه علوًّا كبيراً.

---

(١) عند تفسير الآية (١١٧) منها.

وقوله تعالى: ﴿وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ﴾؛ أي: زوجة؛ أي: مِن أين يكونُ له ولدٌ؟ وكيف يكون له ولد؟ فالولدُ إنَّما يَكون عن ملاقاةِ زوجةٍ، والملاقاةُ والمماسَّة والمحاذاةُ تَستحيلُ في وصف[1] الباري جلَّ وعلا، والصاحبةُ لا تكونُ إلَّا كفؤاً، ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ٤].

وقوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾؛ أي[2]: الأشياء كلّها بتخليقِه وفي ملكه وحكمه، فلا كفؤَ له مِن خَلْقِهِ، ولا حاجةَ له إلى غيرِه.

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ فله العِلمُ والقدرةُ على الكمالِ، فلا مثلَ له، ولا مثال.

***

(١٠٢) ـ ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ﴾؛ أي: الموصوفُ بكمالِ القدرةِ والعلمِ والمُلكِ، والمنزَّهُ عن شبه[3] المخلوقين، هو ﴿ٱللَّهُ رَبُّكُمْ﴾ وحدَه، ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ يَستحِقُّ هذا، فإياه فاعبدوا.

وقوله: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾؛ أي: حافظٌ مُدبِّرٌ، مصرِّفٌ على إرادته[4]، فلا يَستحِقُّ العبادةَ غيرُه.

---

(١) في (ر): «حق».

(٢) بعدها في (ر): «خلق».

(٣) في (ف): «سمة».

(٤) في (ر): «ما يريد بإرادته» بدل: «إرادته».

وقال الإمام القشيريُّ رحمَهُ الله: تَعرَّف إليهم بآياتِه، ثمَّ تَعرَّف إليهم بصفاتِه، ثمَّ كاشفَهم بذاتِه، بقوله: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾، فقوله: ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ تعريفُ العوامِّ والأصاغر، وقوله: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ تعريفُ الخواصِّ والأكابر[١].

***

(١٠٣) ـ ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَ﴾؛ أي: لا تحيطُ به؛ لأنَّ الإحاطةَ تكون بالمحدود والمتناهي، واللهُ يَتعالى عن ذلك، وحملَهُ المعتزلةُ على نفي الرؤية، وليس كذلك؛ فإنَّ الإدراكَ ليس باسم الرُّؤية، ونفيُه ليس بنفي الرُّؤية، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلۡجَمۡعَانِ قَالَ أَصۡحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدۡرَكُونَ ٦١ قَالَ كَلَّآۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ﴾ [الشعراء: ٦١ ـ ٦٢]، نفى الإدراكَ مع إثبات الرؤيةِ، فصحَّ ما قُلنا.

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَ﴾؛ أي: تُحيطُ رؤيتُه وعِلْمُه بالأشياءِ كلِّها، فله كمالُ العلمِ والصِّفات، والمخلوقاتُ كلُّها تحت قدرتِه وسلطانِه ومملكتِه.

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ﴾ قال الإمام أبو منصور رحمه الله: قيل: ﴿ٱللَّطِيفُ﴾ في فعالِه[٢] بالعباد، و﴿ٱلۡخَبِيرُ﴾ العالمُ بالعبادِ وأعمالِ العباد.

قال: وقيل: ﴿ٱللَّطِيفُ﴾: البارُّ الرَّحيم.

قال: وقيل: ﴿ٱللَّطِيفُ﴾: العليمُ بخفيَّاتِ الأشياء، و﴿ٱلۡخَبِيرُ﴾: العليمُ بظواهرِ الأشياء[٣].

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (١/ ٤٩٣).

(٢) في (ف): «أفعاله».

(٣) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٤/ ٢٠٠).

وقيل: ﴿ٱللَّطِيفُ﴾: الذي لا يَخفى عليه شيءٌ.

وقيل: ﴿ٱللَّطِيفُ﴾: العالمُ بدقائقِ الأمورِ ومشكلاتِها.

وقيل: ﴿ٱللَّطِيفُ﴾: الذي أَعطى فوق الكفايةِ، وكلَّفَ دون الطَّاقة.

وقيل: ﴿ٱللَّطِيفُ﴾: المحسِنُ المتفضِّل الرَّفيق.

* * *

(١٠٤) ـ ﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ﴾؛ أي: حُجَجٌ ظاهرات.

وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ﴾؛ أي: فمَن تَدبَّر فيها منصِفاً لا معانِداً[1] ولا متعصِباً، أبصرَ الرُّشدَ، وكان نفعُه له.

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا﴾؛ أي: مَن تَعامى عنها فضَررُ ذلك على نفسِه.

وقال الكلبي: ﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ﴾؛ أي: القرآن ﴿فَمَنْ أَبْصَرَ﴾ صدق القرآن وآمن بمحمَّدٍ، ﴿فَلِنَفْسِهِۦ﴾ عَمِلَ وأحرزَ الثَّواب، ﴿وَمَنْ عَمِىَ﴾ فلم يُصدِّق، فعلى نفسِه جنى[2] العذاب.

وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾؛ أي: قل يا محمَّد: ﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم﴾ في هذه الحالة برقيبٍ أقهرُكم على قَبولِه، بل ذاك إلى الله سبحانَه، ونسَختَهُ آيةُ القِتال.

---

(١) في (ف): «مقلداً».

(٢) في (ف): «جِدّ». ولعل صوابها: «جرَّ».

وقال الإمام القشيري رحمه الله: أوضحَ السَّبيلَ، وألاحَ الدَّليلَ، وأزاحَ العِلل، وأنارَ السُّبلَ، ولكن قيل(١) في معناه شعر:

وما انتفاعُ أخي الدُّنيا بمقلتِهِ إذا استوَت عندَهُ الأنوارُ والظُّلَمُ(٢)

***

(١٠٥) ـ ﴿وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْأَيَٰتِ وَلِيَقُولُوا۟ دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْأَيَٰتِ﴾؛ أي: وكما صرَّفنا الآياتِ في هذه السُّورةِ(٣)، نُصَرِّفُها بعد هذا في سائر السُّور.

وقوله تعالى: ﴿وَلِيَقُولُوا۟ دَرَسْتَ﴾ قرأ ابنُ كثير وأبو عمرو: ﴿دارستَ﴾ بالألف، وقرأ الباقون: ﴿دَرَسْتَ﴾ بغير ألف، بفتح التَّاء على الخطاب، إلَّا ابن عامر، فإنَّه قرأ: ﴿دَرَسَتْ﴾ بتسكينِ التَّاء(٤).

و﴿دارستَ﴾ معناه: ذاكرتَ به أهلَ الكتاب وقارأتهم، وهو عن ابن عباس وسعيد بن جبير(٥).

﴿دَرَسْتَ﴾ بغير ألف؛ أي: قرأتَ عليهم، وتعلَّمتَ منهم.

و﴿درسَتْ﴾ بتسكين التاء؛ أي: هذه أخبارٌ قد دَرَسَتْ وانمحت آثارُها؛ لتَقادُم العهد، وهو عن الحسن(٦).

---

(١) في (ر) و(ف): «ولكن قيل».

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (١/ ٤٩٣)، والبيت للمتنبي، وهو في «ديوانه» (بشرح المعري) (٣/ ٢٥٢).

(٣) بعدها في (أ): «تصرفها».

(٤) انظر: «السبعة» (ص: ٢٦٤)، و«التيسير» (ص: ١٠٥).

(٥) رواه عنهما الطبري في «تفسيره» (٩/ ٤٧٤ ـ ٤٧٥).

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٤٧٧).

وقال ابنُ عبَّاس رضي الله عنهما: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ﴾؛ أي: نُبيِّنُ الآياتِ في القرآن، في كلِّ وجهٍ نَدعوهم بها ونُخوِّفُهم، ﴿وَلِيَقُولُواْ﴾ يعني: أهلُ مكَّة حين تقرأ عليهم القرآن: ﴿دَرَسْتَ﴾ يقولون: تَعلَّمتَ مِن يسار أبي فُكيهة، وجبرٍ مولى قريش، وقرأت علينا، تَزعُمُ أنَّه مِن عند الله[1].

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: واختلافُ القراءات[2] لاختلافِ أقوال[3] الكفَرة لرسول الله ﷺ؛ منهم من قال: ﴿إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ﴾ [النحل: ١٠٣]، فهو تأويل ﴿دارسْتَ﴾، ومنهم من قال: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الأنعام: ٢٥]، فهذا تأويل ﴿درسَتْ﴾ بالسكون، ومنهم من قال: ﴿مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ مُّفْتَرًى﴾ [سبأ: ٤٣] فهذا تأويلُ ﴿دَرَسَتَ﴾ بالفتح[4].

ثمَّ معنى الكُلِّ عند بعضهم أنَّ فيها إضمارَ: لا، وتقديرُه: وكذلك نُصرِّفُ الآيات لئلَّا يَقولوا دارسْتَ أهلَ الكتابِ، أو[5] أخذت منهم، أو هذه أخبارٌ قد مضَت، إذا تأمَّلوا في الآياتِ وعرَفوا الدِّلالات، وهذا الإضمارُ كما في قوله: ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّواْ﴾ [النساء: ١٧٦]، وقوله: ﴿شَهِدْنَآ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، وقوله: ﴿أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ﴾ [المائدة: ١٩].

وقيل: هو بغيرِ إضمار، وهو بيان العاقبة؛ أي: صرَّفنا الآياتِ، فعاندَ بعضهم، وقالوا ذلك، وصارَ بياناً للعالمين، وذلك قوله تعالى: ﴿وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾؛

---

(١) انظر: «التفسير البسيط» للواحدي (٨/ ٣٣٨، ٣٤٠)، و«تفسير البغوي» (٣/ ١٧٥).

(٢) في (أ): «القراءة».

(٣) في (ر): «أقاويل».

(٤) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٤/ ٢٠٤).

(٥) في (أ): «أي». وفي (ف): «و».

أي: المؤمنين العلماء؛ فإنَّ الآياتِ تقعُ بياناً لهم، وزيادةَ علمٍ بالله وبدينِه، فأمَّا المعانِدون فيقولون: هذا شيءٌ أخذتَهُ مِن أهل الكتاب، أو سمعتَ الأخبارَ، فجعلتها كتاباً مِن عندِك، وأضفتَهُ إلى الله كاذباً، فإذا قالوا ذلك، حقَّ العذابُ عليهم.

ثمَّ الواو في: ﴿وَلِيَقُولُوا﴾[١] ﴿وَلِنُبَيِّنَهُۥ﴾ إمَّا أن تكون صلةً، أو يُضمر في آخره فعلٌ؛ أي: وكذلك صرَّفنا الآياتِ، كما مرَّ في قوله: ﴿وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ﴾ [الأنعام: ٧٥]، وقوله: ﴿وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ﴾ [البقرة: ٢٥٩].

* * *

(١٠٦) ـ ﴿ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾[٢]، قال ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: دعا المشركون رسولَ الله ﷺ إلى ملَّةِ آبائه، فأنزلَ اللهُ تعالى: ﴿ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ مِن القرآن[٣].

وقوله: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ فإيَّاه فارْجُ، وإيَّاه فخَفْ.

وقوله تعالى: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ لا تُعاقِبهم في الحال[٤] إلى أنْ يرِدَ الأمرُ بالقتال.

* * *

(١٠٧) ـ ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُوا۟ ۗ وَمَا جَعَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾.

---

(١) في (أ): «قوله» بدل: «وليقولوا».

(٢) بعدها في (ف): «من القرآن».

(٣) ذكر نحوه أبو الليث في «تفسيره» (١/ ٥٠٦) دون نسبة.

(٤) في (ر): «للحال»، وليست في (ف).

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُواْ﴾ بيَّنَ أنَّهم لا يُشرِكون على خلاف مشيئة الله قهراً له، وأنَّه لو علم منهم[1] اختيارَ الإيمان لهداهُم للإيمان، ولكن علمَ مِنهم اختيارَ الشِّرك، فشاءَ لهم الشِّركَ، فأشركوا بمشيئته.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَـٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾؛ أي: مراعياً لأعمالِهم، مأخوذاً بإجرامهم.

وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾ بمسلَّطٍ على إكراهِهم على الإسلام، وليس عليك الآنَ إلَّا التَّبليغُ، إلى أنْ تؤمرَ بِقتالِهم.

***

(١٠٨) ـ ﴿وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ السَّبُّ: الشَّتم والعَيب والطَّعن، و﴿يَدْعُونَ﴾؛ أي: يَعبدونه ويَدعونه إلهاً، ﴿فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ﴾ نصب لأنَّه جوابُ النَّهي بالفاء، و﴿عَدْوًۢا﴾؛ أي: تجاوزاً عن الحقِّ إلى الباطل، وهذه الآيةُ تحقيقُ قوله: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾.

وقال ابنُ عباس رضي الله عنهما: قالوا: يا محمَّد، لتَنتهينَّ عن سبِّ آلهتِنا، أو لنَهجوَنَّ ربَّك، فنهاهُم اللهُ أنْ يَسبُّوا أوثانَهم[2].

وقال السُّدِّيُّ: لـمَّا حضر أبا طالبٍ الوفاةُ، دخل عليه أبو سفيان، والنَّضرُ بنُ الحارث، وأبو جهل، وأميَّة وأبيّ ابنا خلف، والأسودُ بن البختريِّ، وعمرو بن

---

(١) في (أ): «فيهم».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٤٨٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٦٦) (٧٧٦٠).

العاص، فقالوا له: إنَّا نستحي أنْ نقتلَ محمَّداً بعد موتِك[1]، فتقولَ العربُ: كان أبو طالبٍ يَمنعُه، وأنت كبيرُنا وسيِّدُنا، وإنَّ محمَّداً قد آذانا وآذى آلهتَنا، فادْعُه حتَّى يدَعَنا وآلهتَنا، وندعَهُ وإلهَهُ، فدعاهُ، فقال له: إنَّ هؤلاء قومُك وبنو عمِّك، فقال لهم رسول الله ﷺ: «ما تريدون؟» قالوا: نَدَعُكَ وإلهَكَ، وتَدَعُنا وآلهتنا، فقال أبو طالب: لقد[2] أنصفَكَ قومُك، فقال لهم رسولُ الله ﷺ: «هل تعطوني كلمةً إنْ تكلَّمتُم بها ملَكتُم العربَ، ودانت لكم العجم»، قال أبو جهل: نُعطيكَها وعشرةَ أمثالِها، قال رسول الله ﷺ: «قولوا: لا إله إلا الله»، فأبوا، فقال أبو طالب: فهل غيرُها، فإنَّ القومَ قد فزِعوا منها؟، فقال: «لا أريدُ غيرَها»، فقالوا: لتكفَّنَّ عن شتمِ آلهتِنا، أو لنَشتُمَنَّكَ ونَشتمَ مَن يَأمرك به، فذلك قوله: ﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾[3].

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: كيف نهانا عن سَبِّ مَن يَستحِقُّ السَّبَّ؛ مخافة سبِّ[4] مَن لا يَستحِقُّه، وقد أُمِرنا بقتالهم، وإذا قاتلناهُم قتلونا، وقتلُ المؤمنِ بغير حقٍّ منكرٌ، وكذا أمرَ النَّبيَّ ﷺ تبليغَ الوحيِ والتلاوةَ عليهم، وإن كانوا يُكذِّبونَه؟!

قيل: إنَّ السَّبَّ لأولئكَ مباحٌ غيرُ مفروض، وقتالُهم فرضٌ، وكذا التَّبليغُ، وما كان مباحاً فإنَّه يُنهَى عما يَتولَّدُ مِنه ويَحدثُ، وما كان فَرضاً لا يُنهى عن المتولِّدِ منه. وعلى هذا يَقعُ الفرقُ لأبي حنيفة رحمَه الله في مَن قطعَ يدَ قاطعِ يدِه

---

(١) في (ف): «وفاتك».

(٢) في (أ): «قد».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٤٨١ ـ ٤٨٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٦٧) (٧٧٦٢).

(٤) في (ر) و(ف): «لئلا يسبَّ» بدل: «مخافة سب».

قصاصاً، فماتَ منه؛ فإنَّه[١] يضمنُ الدِّيةَ؛ لأنَّ استيفاءه حقَّهُ مباحٌ، فأُخِذَ بالمتولِّدِ منه، والإمامُ إذا قطعَ يدَ السَّارقِ، فمات، لم يَضمن شيئاً؛ لأنَّه فرضٌ عليه فلم يُؤخَذ بالمتولِّدِ منه[٢].

وقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ﴾؛ أي: كما زيَّنَّا لهؤلاء المشركينَ عنودهم وجحودَهم طبعاً[٣]، باختيارهم ذلك وإصرارهم على ذلك طوعاً، ﴿زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ﴾ قبلَهم ﴿عَمَلَهُمْ﴾.

والمعتزلةُ يَحمِلون هذا على وجهٍ آخر، وقالوا معناه: زيَّنَّا لهم الإيمانَ والطَّاعةَ بالأمرِ والوعد، لكنَّهم تَركوا ذلك، واتَّبعوا ما زَيَّن لهم الشيطانُ مِن الكفر والمعصية، وقالوا: إنَّ اللهَ تعالى ذكرَ تَزيينَهُ في حقِّ الإيمان، فقال: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ﴾ [الحجرات: ٧]، وذكر تزيين المعاصي مِن الشَّيطان، فقال: ﴿زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [الأنفال: ٤٨]، فلا يَجوزُ أنْ يُزَيِّنَ اللهُ ما يُزيِّنُ الشَّيطان.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: التَّزيين على وجهين:

تزيينٌ في العقول، وهو تزيينٌ مِن طريقِ الآيات والبراهين، وذلك لا يَحتمِلُ في الكفر والضَّلال أنْ يكونَ مِن جهةِ الآيات.

وتزيينٌ في الطِّباعِ والشَّهوات، ويجوزُ أنْ يكون ذلك للكافر[٤] في الكفرِ

---

(١) بعدها في (أ): «لا»، وهو خطأ.

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٤/ ٢٠٧ ـ ٢٠٨).

(٣) في (ف): «طمعاً».

(٤) في (أ): «للكافرين».

والمعصيةِ مِن الله، وليس إضافةُ ذلك إليه بأكبرَ مِن إضافةِ الإغواءِ والإضلال إليه، فقد ثبتَ ذلك، ومعناه ما مر مرَّات[1].

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾؛ أي: ثمَّ يكونُ إلى جزاءِ الله تعالى مصيرُهم يومَ القيامةِ، فيُخبِرُهم بما عمِلوا ويَجزيهِم عليه.

* * *

(١٠٩) - ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ۚ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ ۖ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾؛ أي: حلفَ هؤلاء المشركون باللهِ مجتهدين في الحَلِفِ، مظهِرينَ للوفاء به.

وقوله تعالى: ﴿لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا﴾؛ أي: كالآياتِ الظَّاهرةِ التي كانت لموسى وعيسى وغيرِهما، ممَّا لا يمكنُ معارضتُه وإنكارُه.

وقيل: هي ما ذُكِرَ في قوله: ﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾ [الشعراء: ٤].

وقيل: هي ما اقترحوهُ ممَّا ذُكِرَ في قولِه: ﴿وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا﴾ الآيات[2]، قالوا: لو جاءت هذه الآية لنصدقنَّ بها، ولنَشهدَنَّ لك بالنُّبوَّةِ ولنَدعَنَّ عبادةَ الأصنام.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ﴾؛ أي: هي مِن عندِهِ تجيء، وهو يأتي بها، لا أنا.

---

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٤/ ٢١٢).

(٢) في سورة الإسراء من الآية (٩٠) إلى الآية (٩٣).

وقوله تعالى: ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ قرأ ابنُ كثيرٍ وأبو عمرو وسهلٌ ويعقوب وخلفٌ وقتيبةُ ونصيرٌ عن الكسائيِّ وأبو بكر وحمَّاد[١] عن عاصم[٢]: ﴿إنها﴾ بالكسر، وهو على الابتداء، ومعناه: وما يُدريكم أنَّكم تؤمنون بها، ثمَّ ابتدأ خطابَ المؤمنين، فقال: ﴿إنها إذا جاءت لا يؤمنون﴾؛ أي: الكفَّار؛ لأنَّهم معاندون.

وقرأ عاصمٌ في رواية حفصٍ والمفضَّلُ[٣] وحمزةُ والكسائيُّ بالفتح[٤]، وله وجهان:

أحدهما: أنَّ معناه: لعلَّها إذا جاءَت لا يؤمنون، كما تقول للرَّجل: ائتِ السُّوقَ؛ أنَّك تَشترِ لنا شيئاً، وقال عديُّ بنُ زيد:

أعاذِلُ ما يُدريكَ أنَّ مَنيَّتي ... إلى ساعةٍ في اليومِ أو في ضُحى الغَدِ[٥]

والثاني: ما قال الفرَّاء: ﴿لَا﴾ هاهنا صلة، ومعناه: وما يُشعركم أنَّها إذا جاءَت لا يؤمنون، وهو كقوله: ﴿وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٥]، وقولِه: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ [الأعراف: ١٢][٦].

وقال الكلبيُّ: لمَّا نزلت الآيةُ التي في «الشعراء»[٧]، قال المشركون ـ لعنهم الله ـ:

---

(١) بعدها في (ف): «عن حماد»، وهي مقحمة.

(٢) من قوله: «وسهل ويعقوب» إلى هنا من (ف).

(٣) قوله: «والمفضل» من (ف).

(٤) انظر: «السبعة» (ص: ٢٦٥)، و«التيسير» (ص: ١٠٦)، و«جامع البيان» للداني (ص: ٥٠١ ـ ٥٠٢)، و«النشر» (٢/ ٢٦١).

(٥) انظر: «الشعر والشعراء»: (١/ ٢٢٦)، و«ديوان عدي بن زيد» (ص: ١٠٣).

(٦) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٣٥٠).

(٧) يعني قوله تعالى: ﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ﴾ [الشعراء: ٤].

أنزِلْها علينا إن كنتَ مِن الصَّادقين، حتَّى نؤمنَ بها، فقال المسلمون: يا رسولَ الله، أنْزِلْها عليهم حتَّى يؤمنوا، فأنزلَ اللهُ هذه الآية(١).

* * *

(١١٠) - ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾؛ أي: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ﴾ عن قَبولِ الحق ﴿وَأَبْصَٰرَهُمْ﴾ عن رؤيةِ الحقِّ عند نزول(٢) الآية التي اقترحوها، فلا يؤمنوا بها، وهذا مضمَرٌ، وليس هذا بإجبارٍ، ولكن جزاءٌ لهم على سوءِ الاختيار، وعقوبةٌ لهم على الإصرارِ.

﴿كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ﴾؛ أي: بالله، فقد سبقَ ذِكرُه.

وقيل: أي بما(٣) سبق ذكره من الآيات ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾؛ أي: حين انشقَّ القمرُ، وظهرَت الآياتُ المتقدِّمةُ على هذه الحالة.

وقيل: أي:كما لم يؤمن به المتقدِّمون عندَ رؤية الآية، كقوم صالح عند خروجِ النَّاقة، وقومِ عيسى عند نزول المائدة، ونحو ذلك.

وقيل: أي: كما لم يُؤمن هؤلاء ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾، وهو عند مجيء النَّبيِّ ﷺ ووحي القرآن، وقد أخبرَ اللهُ تعالى عنهم أنَّهم ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ

---

(١) انظر: «النكت والعيون» للماوردي (٢/ ١٥٦)، ونسبه ابن الجوزي في «زاد المسير» (٣/ ١٠٣) لأبي صالح عن ابن عباس.

(٢) بعدها في (أ): «هذه».

(٣) في (ف): «إن» بدل من «أي بما».

﴿لَيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ﴾؛ أي: النَّصارى واليهودِ والمجوس، ﴿فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾ [فاطر: ٤٢].

وقوله تعالى: ﴿وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾؛ أي: ونتركُهم في تماديهِم يَتحيَّرون، وظهر بآخرِ الآيةِ أنَّ الأوَّل جزاءُ فعلِهم، وفيه إثباتُ الخلق مِن الله تعالى، والفعلِ من العبد، وهو كقوله: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَـٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ إلى قوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا﴾ [الأعراف: ١٤٦].

وقيل: إنَّ قولَه: ﴿كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ﴾ الكافُ للمجازاة كما تقول: فعلتُ بك[1] كما فَعَلتَ بي؛ أي: هذا الخذلانُ جزاءُ تلك المعاندة.

وقيل: ﴿بِهِۦٓ﴾؛ أي بالتقليب؛ أي: بسببِه.

* * *

(١١١) ـ ﴿۞ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ﴾؛ أي: إلى هؤلاء المقترحين كلَّ الملائكةِ، فشَهِدوا لك، وإن كانوا سألوا مَلَكاً واحداً، بقولهم: ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ﴾ [الأنعام: ٨].

وقوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾؛ أي: وأحيينا لهم كلَّ الأمواتِ، فشهِدوا لك، وإنْ كانوا سألوا منك إحياءَ اثنين من موتاهم؛ قصيِّ بنِ كلاب وجدعان بنِ عمرو، وكانا كبيرين فيهم، صدوقين منهم، قالوا: لو أحييتَهما، فشهدا لك بالنُّبوَّةِ لشهدنا نحن أيضاً.

---

(١) بعدها في (أ): «كذا».

وقوله تعالى: ﴿وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا﴾ قيل: أي: وبَعثنا كلَّ حيوانٍ، مِن الفيلِ إلى البعوض؛ أي: أقمنا القيامة.

وقيل: أي: جمَعنا لهم كلَّ النَّاس[1].

﴿قُبُلًا﴾ قرأهُ عاصمٌ وحمزةُ والكسائيُّ وابنُ كثير وأبو عمرو بضمِّ القاف والباء، وهو جمعُ القبيل والقبيلة؛ أي: قبائل، وهو قول مجاهد: فوجاً فوجاً[2]، وقول[3] يمانُ بن رئاب: جيلاً جيلاً.

وقيل: هو جمعُ القبيل الذي هو الضَّمين، كما قال: ﴿أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٩٢]؛ أي: جمَعنا لهم كلَّ الناس ضمناءَ بصحَّةِ أمرِ نبوَّتِك، وبالوفاءِ بوعدِ الثَّواب.

وقيل: هو القُبُل الذي هو ضِدُّ الدُّبُر؛ أي: أتَوْهُم مِن قِبَلِ وجوهِهم، وهو قولُ الفرَّاءِ[4]، وهذا يكون نصباً على الظَّرف، والأوَّلُ على الحال.

وقرأ أبو جعفر[5] ونافعٌ وابنُ عامرٍ: ﴿قِبَلاً﴾ بكسر القافِ وفتح الباء[6]، ومعناه: أي: عياناً ومقابلة، ومنه القِبلةُ.

وقيل: أي: ﴿وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾ كلَّ ما غابَ عنهم مِن ثوابِ الآخرة وعقابِها فرأوهُ معاينةً.

---

(١) في (ف): «إنسان».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٤٩٦).

(٣) في (ف): «وقال».

(٤) ذكره الفراء في «معاني القرآن» له (١/ ٣٥٠ ـ ٣٥١) مع أقوال أخرى، واختار أنه بمعنى الكفالة.

(٥) قوله: «أبو جعفر» من (ف)، ووقع فيها تقديم وتأخير عند ذكر القراءات في هذه الآية ومعانيها.

(٦) انظر: «السبعة» (ص: ٢٦٦)، و«التيسير» (ص: ١٠٦)، و«النشر» (٢/ ٢٦٢).

وقوله تعالى: ﴿مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾؛ أي: لم يؤمنوا برؤيةِ هذه الآيات إلَّا أنْ يشاءَ الله إيمانَهم فيؤمِنوا، فدلَّ على عنادِهم.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: ودلَّ هذا على أنَّ الآيةَ وإن عظُمت، فإنَّها لا تَضطرُّ إلى الإيمان، فلا آيةَ أعظم مِن قيام السَّاعة، واللهُ تعالى يقول: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ [الأنعام: ٢٨]، ويكون معنى قوله: ﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾ [الشعراء: ٤]؛ أي: إنْ شاءَ الله أنْ يخضعوا، لا أنَّ الآيةَ تَضطرُّهم إلى ذلك(١).

ودلَّ أنَّهم إنَّما(٢) لم يؤمنوا؛ لأنَّ اللهَ تعالى لم يَشأ، ولو شاءَ لآمَنوا، ومَن عَلِمَ اللهُ مِنهم اختيارَ الكفرِ والإصرارَ عليه، شاءَ لهُ ذلك، ومَن علمَ منهُ اختيارَ الإيمانِ، شاءَ له ذلك.

وقوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ ولم يقل: كلهم، وإن كانت جهالةُ الكفرِ تعمُّهم(٣)؛ لأنَّ المراد ـ والله أعلم ـ: ولكنَّ أكثرَهم يَجهلون أنَّه لو آتاهُم كلَّ آيةٍ يَقترِحُونها ما آمنوا طوعاً.

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: بيَّنَ أنَّ الآياتِ وإن تَوالَت، وشموسَ البُرهانِ وإنْ تَعالَت، فمَن قصمتهُ العِزَّةُ، وكَبَستْهُ القسمةُ، لم يَزِدهُ ذلك إلَّا ضلالاً، فلم يَستجِدَّ إلا للشقوةِ حالاً(٤).

وقال الكلبيُّ: هم المستهزئون بالقرآن، وهم خمسةُ رهطٍ: الوليد بن المغيرة،

---

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٤/ ٢١٨).

(٢) في (أ): «وذلك أنهم لما».

(٣) في (ف): «بعلمهم».

(٤) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (١/ ٤٩٥).

والعاص بن وائل، والأسودُ بنُ عبدِ يَغوث، والأسودُ بنُ عبد المطَّلب، والحارث بن غيطلة، أَتوا رسولَ الله ﷺ في رهطٍ مِن أهلِ مكَّة، فقالوا: يا محمَّد، ابعثْ لنا بعضَ موتانا حتَّى نسألَهم عنك، أحقٌّ ما تقولُ أم باطل، فنؤمن بك؟ أو ائتِنا بالملائكة يَشهدونَ لك، أو ائتِنا بالله والملائكة قبيلا؛ أي كفيلاً على ما تَقولُ أنَّه الحقُّ، فنزلَت الآيةُ(١).

* * *

(١١٢) ـ ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ﴾؛ أي: وكما جعلنا لك يا محمَّد أعداءً مِن المشركين، مجتمعين على عداوتِكَ، يَسألونك الآياتِ المقترحةَ، ويصوِّرونَ عند أصحابِهم أنَّك عاجزٌ عن الإتيان بها، فكذلك جعلنا لكلِّ نبي عدوًّا، وهذه تسليةٌ له وتعزية.

و﴿شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ﴾ هم الخبثاءُ والبُعداءُ عن الخيرِ منهم، قال تعالى: ﴿وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ﴾ [البقرة: ١٤].

وقال الكلبيُّ: إنَّ إبليسَ قسمَ جندَهُ فريقَين، فبعثَ منهم فريقاً إلى الإنسِ، وفريقاً إلى الجنِّ، فشياطينُ الجنِّ والإنسِ أعداءٌ لرسولِ الله ﷺ ولأوليائه، وهم يَلتقون في كلِّ حينٍ، فيقول شيطانُ الإنس لشيطان(٢) الجنِّ: أَضللتُ صاحبي بكذا،

---

(١) ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» (٣/ ١٠٦) من رواية أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) في (أ) و(ر): «شياطين الإنس لشياطين» بدل: «شيطان الإنسان لشيطان».

فأضِلَّ صاحبَك بمثلِه، ويقول شيطان الجنِّ لشيطان[١] الإنس كذلك، فذلك وحيُ بعضِهم إلى بعض[٢].

وقال قتادةُ: مِن الجنِّ شياطين، ومِن الإنس شياطين، ﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾[٣].

وقال مالك بن دينار: إنَّ شياطينَ الإنسِ أشدُّ عليَّ مِن شياطين الجنِّ، وذلك أنِّي أتعوَّذُ بالله ذهب شيطانُ الجنِّ عنِّي، وشيطانُ الإنسِ يَجيئُني، فيَجرُّني إلى المعاصي عياناً[٤].

وقوله تعالى: ﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾؛ أي: يوسوِس ويخطرُ بالبال بزخارفِ الأقوال، والزُّخرف: الزِّينة؛ أي: يُزيِّنون لهم الكفرَ والمقام على دين الآباء، فيُفسِدون قلوبَ الضَّعفةِ بذلك، ويَمنعونهم عن الإيمان، وهذا غرورٌ مِن شيطان[٥] الجنِّ بالوسوسةِ والتَّمويه، ومِن شياطين الإنس بالقبول، كتزيين إبليس لأبي جهل ما زَيَّن له، وهما عدوَّان للنَّبيِّ ﷺ، كما كان مثلُه لسائر الأنبياءِ، وهم صبَروا حتَّى أتاهمُ الفرجُ، فاقتدِ بهم يا محمَّد.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾ فدلَّ أنَّ كلَّ ذلك بمشيئتِه[٦]، وكذلك

---

(١) في (أ) و(ر): «شياطين الجن لشياطين» بدل: «شيطان الجن لشيطان».

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٤/ ١٨١) عن عكرمة والضحاك والسدي والكلبي. وأخرج الطبري في «تفسيره» (٩/ ٤٩٨) نحوه عن السدي.

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٨٤٦)، ومن طريقه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٥٠٠ ـ ٥٠١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٧١) (٧٧٨٨).

(٤) انظر: «تفسير الثعلبي» (٤/ ١٨٢)، و«التفسير البسيط» (٨/ ٣٧٢).

(٥) في (أ): «شياطين».

(٦) في (ف): «بمشيئة الله».

قولُه: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا﴾ دليلٌ على أنَّ أفعالَ العبادِ كلَّها بخلقِ الله عزَّ وجلَّ، فإنَّ جعلَهم عدوًّا يَخلقُ العداوةَ في قلوبهم، وعداوتُهم كفرٌ، فدلَّ أنَّ الأفعالَ[١] خيرُها وشرُّها مخلوقةٌ لله تعالى.

وقوله تعالى: ﴿فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾؛ أي: على الله تعالى وعليكَ[٢]، فإنَّ اللهَ يَجزيكَ ويَنصرُك ويُخزيهِم، وهو كقوله: ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟﴾ الآية [الحجر: ٣].

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: كلَّما كان المحلُّ أعلى، كانت البلايا أوفى، والمطالباتُ أقوى، فلمَّا كانت رتبةُ الأنبياء أشرفَ، كانت العداوةُ معهم أشدَّ وأصعب[٣].

* * *

(١١٣) - ﴿وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ﴾؛ أي: ﴿يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ﴾؛ ليُغروهم[٤]، وليَميلَ إلى زخرفِ القول الذين لا يُصَدِّقون بالبعث.

وقوله تعالى: ﴿وَلِيَرْضَوْهُ﴾؛ أي: وليُحِبُّوا ذلك.

---

(١) بعدها في (ر): «كلها».

(٢) بعدها في (ف): «يا محمد».

(٣) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (١/ ٤٩٥).

(٤) في (ف): «ليغرهم».

وقوله تعالى: ﴿وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ﴾؛ أي: ولِيكتَسبوا مِن المعاصي ما يُريدون أنْ يقترفوا، كما قال: ﴿فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ﴾؛ أي: ما تُريدُ أن تَقضيه.

وقيل: أي: ولِيَجْتَهدوا في تكذيبِ الأنبياء، وصَدِّ النَّاس عنهم ما في وسعِهم، فليس ذلك بضائرٍ لهم.

والصَّغْو والصُّغوُّ والصَّغَى[1]: الميل، وصرفُه من باب: صنعَ وعَلِم.

والاقترافُ: الاكتساب، قال تعالى: ﴿وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً﴾ [الشورى: ٢٣].

وقيل: تتَّصلُ هذه الآيةُ بقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ﴾؛ لينكشف بامتحاني إيَّاك بهم إيمانُ المؤمنين، وكفرُ الكافرين.

وقيل: ﴿وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ وهم الأتباعُ، ﴿وَلِيَقْتَرِفُوا۟﴾ فعلَهم ﴿مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ﴾ الرؤساء؛ أي: ليَشتركوا في الكفر.

* * *

(١١٤) ـ ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا﴾ استفهامٌ بمعنى الجَحْد، وبمعنى التوبيخ أيضاً.

وقال الكلبيُّ رحمه الله: أي: قل لأهل مكَّة: أغيرَ الله أبتغي ربًّا أعبدُه؟!.

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا﴾ أي: مبيَّناً مفرَّقاً في عشرين سنة سورةً سورةً وآياتٍ آيات.

---

(١) شكلت في (ف): «والصُّغِيُّ». وانظر: «لسان العرب» (مادة: صغا).

وقال عطية العوفي: ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا﴾؛ أي: قاضياً في نزول العذاب(١).

وقال مقاتل: ﴿حَكَمًا﴾ في نزول العذاب ببدر، فليس أحدٌ أحسنُ قضاءً مِن الله تعالى(٢).

وقيل: أي: قُل للذين التمَسوا الآياتِ المقترحةَ، بعدما أخبرتَهم أنَّ اللهَ غيرُ مجيبِهم إليها إذْ هم متعنِّتون؛ أنَّ حكمَ الله في مَن اقترحَ آيةً، ثمَّ كذَّب بها(٣) إذا أتته آيةٌ مصطَلِمةٌ، قل لهم: هذا حكمُ الله فيما سألتموه(٤)، ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ﴾ أطلبُ لكم حاكماً، وهو الذي كفاكم مؤنةَ مسألة الآيات التي حكمُها هذا بما أنزلَ إليكم من الكتاب المفصَّل، الذي قد أتى على تفصيلِ ما بكم الحاجةُ إليه في دِينِكم، وهو الكتابُ الذي أتى بما يُفصِّل بين الصَّادقِ والكاذب، وفصَّل فيه الحلالَ والحرامَ، والأمرَ والنَّهيَ، والوعدَ والوعيد، والإيمانَ والكفر، ونحو ذلك، وهو الكتابُ الشَّاهدُ بصدقي.

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ قيل: أي: أهلُ الكتاب الذين تَرجعون في كثيرٍ مِن أمورِكم إليهم، يَعلمون أنَّ القرآنَ منزَّلٌ مِن ربِّك بالحقِّ.

قال عطاء: والمؤمنون الذين آتيناهم القرآنَ يَعلمون ذلك(٥).

وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾؛ أي: الشَّاكِّين أنَّه مِن عند الله. خاطب

---

(١) انظر: «التفسير البسيط» للواحدي (٨/ ٣٨٤).

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (١/ ٥٨٥).

(٣) بعدها في (ر): «أنه».

(٤) في (ر): «سألتموني».

(٥) انظر: «تفسير الثعلبي» (٤/ ١٨٣).

رسولَه ﷺ، وأرادَ به أمَّتَه؛ أي: دُوموا على يقينِكم بحقِّيَّته. وله وجوهٌ أخرُ بيَّنَّاها في سورة البقرة[١].

وقيل: أي: لا تكوننَّ مِن الشَّاكِّين أنَّهم قد غيَّروا ما في كتبِهم.

***

(١١٥) ـ ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ قرأ عاصمٌ وحمزةُ والكسائيُّ وخلفٌ وسهلٌ ويعقوب[٢]: ﴿كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾؛ لأنَّ كلامَ اللهِ واحدٌ لا يَتعدَّد.

وقرأ الباقون: ﴿كلماتُ ربِّك﴾[٣] على التَّفخيمِ والتَّعظيم ولموافقةِ قوله: ﴿لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾؛ أي: ما أنزلتُه عليكَ مِن كلامي في الاحتجاج على المشركين قديمٌ في معاني الصِّدق والعدل[٤]، وزالَ عنه الكذبُ والجورُ في الاحتجاج، فلا أحدَ يَقدِرُ على تبديلِ شيءٍ منه، فيجعلَهُ جوراً أو كذباً، ولزمَت به[٥] الحجَّةُ، والله سميعٌ عليم؛ أي: سميعٌ لما يَقولونَه، عليمٌ بما يُريدونَه.

وقيل: أرادَ به جميعَ ما وردَ في القرآنِ مِن وعيدهم أنَّها صدقٌ وعدلٌ، فليَستعِدُّوا له إنْ لم يَتوبوا منه.

---

(١) عند تفسير الآية (١٤٧) منها.

(٢) قوله: «وخلف وسهل ويعقوب» من (ف).

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٢٦٦)، و«التيسير» (ص: ١٠٦)، و«النشر» (٢/ ٢٦٢).

(٤) في (أ): «والكذب».

(٥) في (أ): «منه».

وقيل: هو في معنى قولِه ﷺ: «سبقَ القضاءُ، وجفَّ القلمُ بالسَّعادةِ لمن آمنَ واتَّقى، والشَّقاوةِ لمن كفرَ وعصى»[١]، وكلماتُ الله تعالى: أقضياتُه.

وقال قتادة: هي كتابُ اللهِ، لا يَزيدُ فيه المفترون، ولا يَنقصون[٢].

وقال: هو ﴿صِدْقًا﴾ فيما وعد، ﴿وَعَدْلًا﴾ فيما حكم[٣].

وقال الكلبيُّ: ﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾ هو قولُه: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا﴾ الآية [غافر: ٥١].

وعن ابن عباسٍ رضي الله عنهما: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾؛ يعني: لا إله إلا الله، ﴿صِدْقًا وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾: لا إله إلا الله.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: قوله: ﴿صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ تفسير قوله: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾، ولهذا قال أصحابُنا: مَن قال لامرأته: أنتِ طالقٌ أتمَّ الطَّلاق؛ أنَّه طلاق واحدٌ رجعيٌّ، ولا يَرجِعُ إلى تمامِ العدد، بل إلى تمامِ معنى العدل وموافقةِ الشَّرع.

❊ ❊ ❊

(١١٦) ـ ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾؛ أي: تمَّت كلماتي على هؤلاء المشركين، فلا تُطِعهُم وإنْ كثُر عددُهم؛ فإنَّهم ضالُّون، وإنْ أطعتَهم أضلُّوك عن دينِ الله.

---

(١) كذا أورده الواحدي في «التفسير البسيط» (٨/ ٣٧٨)، ولم أقف عليه عند غيره.

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» (٤/ ١٨٤).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٥٠٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٧٤) (٧٨٠٧) (٧٨٠٨).

وقوله تعالى: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾؛ أي: ما يَتَّبعون إلَّا الشَّكَ، قيل: هو قولهم: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ١٨].

وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾؛ أي: وما هم إلَّا يَكذِبون، قيل: أي: في قولهم: ﴿وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾.

قيل: إنَّ المشركين قالوا لرسولِ الله ﷺ: إنَّا نعبدُ الأصنامَ، وهي في الحقيقة عبادة الله؛ لأنَّا ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣]، وكانوا يقولون: هم[1] شفعاؤنا عند الله، وكانوا يرتكبون الفواحشَ ويقولون: اللهُ أمَرَنا بها، ودعَوا رسولَ الله ﷺ إلى موافقتِهم، فنزلَت[2] الآية.

***

(١١٧) ـ ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ كان المشركون يقولون: نحن مهتدون وأنتم ضالُّون، فقال اللهُ تعالى هذا، وهو لطفٌ في الخطاب، وتحقيقُه: إنَّ الله تعالى يَعلمُ أنَّ المشركين ضالُّون، وأنَّ المسلمين مهتدون، وهو كقوله: ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى﴾ الآية [سبأ: ٢٤]، وقوله: ﴿وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ﴾ [غافر: ٢٨].

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: تَقاصرَت علومُ الخلقِ عن إدراك غيبِه إلَّا بقدرِ ما عرَّفهم مِن أمرِه؛ فإنَّه لا يَخفى عليه شيءٌ مِن أمورِ خلقِه[3].

---

(١) في (ر): «هؤلاء».

(٢) بعدها في (ر): «هذه».

(٣) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (١/ ٤٩٦).

(١١٨) ـ ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِـَٔايَٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِـَٔايَٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ﴾ قيل: اتِّصالُها بما قبلَها أنَّها في محاجَّةِ المشركين أيضاً.

قال عكرمة: لمَّا نزلَ تحريمُ الميتة، كتبَ مجوسُ فارس إلى مشركي قريش: إنَّ محمَّداً وأصحابَه يزعُمون أنَّهم يتَّبعون أمرَ الله، وما ذبحَ الله بسكينٍ مِن ذهب ـ يعنون به: ما أماته ـ فلا يأكلونَهُ، وأمَّا ما ذبحوه، فيأكلونَه، فكتب بذلك المشركون إلى أصحابِ محمَّدٍ ﷺ، فوقعَ في أنفس ناسٍ مِن المسلمين من ذلك شيءٌ، فنزلت الآية: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ﴾[١].

الشياطين: أهل[٢] فارس، وأولياؤهم: قريش، وكانت العربُ لا تَأكلُ ما مات حتف أنفِه، وإنَّما حملَهم المجوسُ ـ لعنهُم الله ـ على المحاجَّة به تظاهراً؛ لأنَّهم كلَّهم مشركون، وتعلَّق به المشركون؛ لما أنَّ المسلمين كان يَعدُّون ذبائحَهم للأصنامِ ميتاتٍ، ويَعيبونَهُم على أكلها، فأوردوا هذا النَّوعَ مِن الشُّبهةِ؛ دفعاً عن أنفسِهم هذا العيب، فردَّ اللهُ تعالى عليهم، وأمرَهم بأنْ يُحِلُّوا ما أحلَّ الله، ويُحرِّموا ما حرَّمَ الله، ومجموعُ ذلك في هذه الآية والآيات[٣] بعدها.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: صرفَ أهلُ التَّأويل[٤] الآيَةَ إلى أهل الكفر بهذه القِصَّة، والأشبهُ أنْ يُصرَفَ إلى أهل الإسلام؛ لأنَّه ذكرَ في آخره: ﴿إِن كُنتُم بِـَٔايَٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ﴾، ويكونُ هذا في حقِّ قومٍ امتَنعوا عن الطَّيِّبات، كما قلنا في قوله:

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٥٢١).

(٢) في (أ): «مجوس» بدل: «أهل»، ووضعت في (ر) فوق قوله: «أهل».

(٣) بعدها في (ر): «التي».

(٤) في (أ): «التأويلات».

﴿لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ [المائدة: ٨٧]، فنُهوا عن ذلك بتلك الآية، وأُمِروا بأكلِها في هذه الآية.

أو[١] علمَ اللهُ تعالى أنَّ قوماً من المتقشِّفةِ والمتزهِّدةِ يُحرِّمون ذلك على أنفسِهم، فنهاهم عن ذلك.

وإنْ حُمِلت الآيةُ على المشركين، فمعنى قوله: ﴿إِن كُنتُم بِـَٔايَٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ﴾ لما تعلمونَ أنَّ الخلقَ له، والأمرَ له، وقد بيَّن في الآيات ما تَعلَمون به ذلك[٢].

***

(١١٩) ـ ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾، أي: وأيُّ عذرٍ لكم في ﴿أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾؛ أي: عند الذَّبح.

وقوله تعالى: ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾ قرأ ابنُ كثير وأبو عمرو وابن عامر: ﴿فُصِّلَ﴾ و﴿حُرِّمَ﴾ على ما لم يسمَّ فاعلُه[٣].

وقرأ نافعُ وأبو جعفر[٤]، وعاصمٌ في رواية حفص، وسهلٌ ويعقوبُ جميعاً بالفتح[٥]: ﴿فَصَّلَ﴾ و﴿حَرَّمَ﴾ على الفعل الظاهر؛ إخباراً أنَّ اللهَ تعالى فعلَ ذلك.

---

(١) في (أ): «إذ».

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٤/ ٢٢٩ ـ ٢٣١).

(٣) من قوله: «قرأ ابن كثير» إلى هنا ليس في (ف)، وتأخر إلى ما بعد قوله التالي: «وشارع الحلال والحرام».

(٤) قوله: «وأبو جعفر» من (ف).

(٥) قوله: «وسهل ويعقوب جميعا بالفتح» من (ف).

وقرأ عاصمٌ في رواية أبي بكر، وحمادٌ[١] وحمزةُ والكسائيُّ وخلف[٢]: ﴿فَصَّلَ﴾ بفتح الفاء والصاد، و﴿حُرِّمَ﴾ بضمِّ الحاء وكسرِ الرَّاء[٣]؛ ومعناه: وقد فصَّل اللهُ ذكرَ أجناسِ المحرَّمات؛ وهي الميتةُ والموقوذةُ والمنخنقةُ والمترديةُ والنَّطيحةُ وما أكلَ السَّبُع، وأحلَّ المذكَّى، وهو مالكُ الأعيانِ، وشارعُ الحلالِ والحرام.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾؛ أي: المجوسُ يَحتجُّون بقولِهم: تأكلون ما أمَتُّم، ولا تأكلون ما أماتَهُ اللهُ تعالى، وهذا قولٌ بالهوى، والحكمُ في التَّحليلِ والتَّحريم لمالك الأعيان، وهو اللهُ تعالى، فالحلالُ ما أحلَّهُ اللهُ، والحرامُ ما حرَّمَهُ الله.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِينَ﴾؛ أي: المعتدين مِن الحلالِ إلى الحرام.

❊ ❊ ❊

(١٢٠) ـ ﴿وَذَرُواْ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُواْ يَقْتَرِفُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَذَرُواْ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ﴾ أصلُ كلِّ الإثم: الشِّركُ[٤]، وظاهرُهُ: تكذيب اللِّسان، ﴿وَبَاطِنَهُۥٓ﴾ جحودُ القلبِ، والسُّورةُ في محاجَّةِ أهلِ الشِّرك.

---

(١) قوله: «وحماد» من (ف).

(٢) قوله: «وخلف» من (ف).

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٢٦٧)، و«التيسير» (ص: ١٠٦)، و«جامع البيان» للداني (ص: ٥٠٣)، و«النشر» (٢/ ٢٦٢).

(٤) بعدها في (أ): «والعناد بالله تعالى».

وقيل: هو تفسيرُ الاعتداء المذكورِ في آخر الآية التي قبلها، وهو ظاهرُ الإثمِ وباطنُه، وهو نظيرُ قوله: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ [الأنعام: ١٥١].

وقال قتادة: ﴿ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ﴾: سرُّه وعلانيتُه(١).

وقال عطاء: قليله وكثيره.

وقال مجاهد: العمل والنية(٢).

وقال الكلبيُّ: ﴿ظَاهِرَ الْإِثْمِ﴾: الزِّنى، ﴿وَبَاطِنَهُ﴾ المخالَّة.

وقال السُّدِّيُّ: ﴿ظَاهِرَ الْإِثْمِ﴾ الزِّنى في منازلهنَّ المتَّخذةِ لها، ﴿وَبَاطِنَهُ﴾ الزنا بالصَّديقةِ سرًّا(٣).

وعن الكلبيِّ في روايةٍ: ﴿ظَاهِرَ الْإِثْمِ﴾: طوافُ الرِّجالِ بالنِّساء نهارا، وباطنُه طوافُ النِّساء باللَّيل(٤).

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: ﴿ظَاهِرَ الْإِثْمِ﴾ ما للأغيار عليه اطِّلاعٌ بوجه، وباطنه الإثم: ما هو سرٌّ بينَك وبين الله، لا وقوفَ لمخلوقٍ عليه.

قال: ويُقال: باطنُ الإثمِ: خفيَّاتُ العقائدِ، ومُسترَقاتُ الألحاظ.

ويقال: باطن الإثم: ما تُلَبِّسُهُ على نفسِك بنوع تأويلٍ(٥)، قال النَّبيُّ ﷺ: «استفتِ قلبَك وإنْ أفتاكَ المفتون»(٦).

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٥١٦).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٥١٧).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٥١٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٧٧) (٧٨٢٥) (٧٨٢٩).

(٤) انظره مع الأقوال السابقة في «تفسير الثعلبي» (٤/ ١٨٥).

(٥) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (١/ ٤٩٧).

(٦) روى نحوه الإمام أحمد في «مسنده» (١٨٠٠٦) من حديث وابصة الأسدي رضي الله عنه بلفظ: «يا =

ويقال: ﴿ظَٰهِرَ ٱلۡإِثۡمِ﴾: ما يَظهرُ لجنسِك، ﴿وَبَاطِنَهُۥٓ﴾ ما يَختصُّ به الملَكُ الموكَّلُ بكَ.

ويقال: باطَنُ الإثم على لسان أهل المجاهدات: الرُّكونُ إلى تَتبُّع الرُّخص.

وقيل: ﴿ظَٰهِرَ ٱلۡإِثۡمِ﴾: الشِّركُ الجَلِيُّ، ﴿وَبَاطِنَهُۥٓ﴾ الشِّركُ الخَفِيُّ.

قال: ويقال: أسبغت عليكم النِّعمَ ظاهراً وباطناً، فذَروا لي الإثمَ ظاهراً وباطناً، فإنَّ مِن شرط الشُّكرِ تركُ استعمالِ النِّعَم في مخالفةِ المنعِم[١].

وقيل: ﴿ظَٰهِرَ ٱلۡإِثۡمِ﴾: رؤيةُ الأفعال، ﴿وَبَاطِنَهُۥٓ﴾: طلبُ الرُّكون إليها في السِّرِّ باطناً.

وقيل: ﴿ظَٰهِرَ ٱلۡإِثۡمِ﴾: طلبُ الدُّنيا، ﴿وَبَاطِنَهُۥٓ﴾: طلبُ الجنَّة والنَّعيم، وهما يَشغلان عن الحقِّ، وما يَشغلُ عن الحقِّ فهو إثمٌ.

وقال سهيل[٢]: اتركوا المعاصيَ بالجوارح، وحبَّها بالقلبِ[٣].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡسِبُونَ ٱلۡإِثۡمَ سَيُجۡزَوۡنَ بِمَا كَانُواْ يَقۡتَرِفُونَ﴾؛ أي: يكتسبون.

* * *

(١٢١) ـ ﴿وَلَا تَأۡكُلُواْ مِمَّا لَمۡ يُذۡكَرِ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسۡقٞۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ لِيُجَٰدِلُوكُمۡۖ وَإِنۡ أَطَعۡتُمُوهُمۡ إِنَّكُمۡ لَمُشۡرِكُونَ﴾.

= وابصة استفت قلبك، واستفت نفسك» ثلاث مرات، «البر ما اطمأنت إليه النفس، والإثم ما حاك في النفس، وتردد في الصدر، وإن أفتاك الناس وأفتوك»

(١) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (١/ ٤٩٨).

(٢) كذا في (ر)، ولعل صوابها: «سهل»، وهو سهل التستري، وقوله هذا في «تفسيره» (ص: ١٤٣).

(٣) من قوله: «وقيل ظاهر الإثم رؤية الأفعال» إلى هنا ليس في (أ) و(ف).

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾؛ أي: عند الذبح، ﴿وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ﴾؛ أي: إنَّ متروكَ التَّسميةِ عند ذبحِه عمداً حرامٌ، وهو كقوله: ﴿إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا﴾ [الأنعام: ١٤٥]، وقال في آخر آيةِ تحريم الميتة: ﴿ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ﴾ [المائدة: ٣]، وسُمِّيَ به؛ لأنَّ متناوِلَهُ فاسقٌ.

وقيل: أي: تناولُه فسقٌ؛ أي: خروجٌ عن الطَّاعة.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ﴾؛ أي: يُوسوسُ الشَّياطينُ إلى المشركين ﴿لِيُجَٰدِلُوكُمْ﴾ بقولهم: تأكلون ما أمتُّم، ولا تأكلون ما أماتَهُ اللهُ، وقد ذكرنا أيضاً عن عكرمة: أنَّ الشياطينَ هم المجوس، يُلقِّنون المشركين ذلك في مُحاجَّةِ أهلِ الإسلام.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾؛ أي: أطعتُم الكفَّار في استحلالِ ما حرَّم الله، ﴿إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ مثلَهم.

والآيةُ نصٌّ على تحريمِ متروكِ التَّسميةِ عمداً عند الذَّبْح، وهو حجَّةٌ لنا على الشافعيِّ رحمه الله(١)، وتعلَّقَ بظاهرِه داودُ بنُ عليٍّ(٢)، وحرَّمَ متروكَ التسميةِ ناسياً، وعندنا يحلُّ ذلك، وعن ابن عبَّاسٍ وجماعةٍ أنَّ الآيةَ محمولةٌ على تركِها عامداً.

* * *

(١٢٢) ـ ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ

---

(١) انظر: «المبسوط» للسرخسي (١١/ ٢٣٦)، و«روضة الطالبين» للنووي (٣/ ٢٠٥).

(٢) انظر: «المحلى» لابن حزم (٦/ ٨٧).

﴿فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيۡسَ بِخَارِجٖ مِّنۡهَا﴾ يتَّصل بقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾، وقوله: ﴿وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، ﴿فَكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ﴾، ﴿وَلَا تَأۡكُلُواْ مِمَّا لَمۡ يُذۡكَرِ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ﴾؛ أي: ولا تُطيعوا المشركين فيما يَقولون، فإنَّهم ضالُّون مُضِلُّون، وليس الضالُّ كالمهتدي.

وقوله تعالى: ﴿أَوَمَن﴾ الألفُ للاستفهام، والواو للعطف، وهو استفهامٌ بمعنى النَّفي، ومعناه: أو من كان كافراً فهديناهُ؟ والموتُ هو الكفرُ، والحياةُ هي الإيمان.

وقوله: ﴿وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا﴾ قيل: هو القرآنُ، وقيل: هو الإيمان، وقيل: هو نورُ يومِ القيامة.

وقوله: ﴿يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ﴾ يَمضي به بين الناس، يُرشِدُهم إلى الهدى، أو يَمضي به على السَّلامة في العقبى.

وقوله تعالى: ﴿كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ قيل: المثلُ صلةٌ، ومعناه: كمن هو، وهو كقوله: ﴿مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ﴾ [الرعد: ٣٥]؛ أي: الجنَّة.

وقيل: المثل: الصِّفة؛ أي: كمَن صِفتُه أنَّه: ﴿فِي ٱلظُّلُمَٰتِ﴾، كقوله: ﴿وَلَهُ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ [الروم: ٢٧].

وقيل: ذكر المثل لأنَّه ضربَ به المثل؛ أي: مثلُه كمثلِ مَن كان في الظُّلمات.

وقيل: هي ظُلمات الدُّنيا.

وقيل: ظلماتُ البطن.

وقيل: ظلماتُ القيامة؛ أي: ليسا يَستويان.

وقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلۡكَٰفِرِينَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾؛ أي: زُيِّن لهؤلاء الكفرةِ عملُهم فعملوه، كما زُيِّنَ لسائرِ الكفَّار عملُهم.

وقال الكلبيُّ: نَزلت الآيةُ في عمَّارِ بن ياسر، صدَّقَ بمحمَّدٍ رسولِ الله ﷺ، ﴿وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا﴾ إيماناً يمشي بهِ مع المسلمين[١]، ﴿كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾؛ يعني: أبا جهل[٢] في ظلمات الكفرِ بالله، ﴿لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ ليس بمؤمنٍ أبداً، ﴿كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ أبي جهلٍ وذويه ﴿مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾.

وقال يمانُ بن رئاب: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾ هو عمرُ بنُ الخطَّاب رضي الله عنه، ﴿كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ هو أبو جهل بن هشام[٣]، وكانا جميعاً يؤذيانِ رسولَ الله ﷺ، فدعا رسولُ الله ﷺ لأحدِهما، فاستُجيبَ له في عمر[٤].

وقال مقاتل: نزلت في أبي جهل، وذلك أنَّه قال: زاحَمْنا بني عبدِ منافٍ في الشَّرف، حتَّى إذا صِرنا كفرسَي رهانٍ ـ هذا مثلٌ يُضرَب به عند التساوي[٥] ـ، قالوا: منَّا نبيٌّ يُوحى إليه، واللهِ لا نؤمِنُ له، ولا نتَّبعُهُ أبداً، إلَّا أنْ يأتينا وحيٌ كما يأتيه، فأنزل الله تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ﴾ [الأنعام: ١٢٤][٦].

وقال ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾ يريدُ به حمزةَ بنَ عبدِ المطَّلِب، ﴿كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾؛ يَعني: أبا جهلٍ، رمى رسولَ الله ﷺ بفرث،

---

(١) في (ف): «الناس».

(٢) انظر: «تفسير أبي الليث» (١/ ٥١١)، وذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» (٣/ ١١٦) من رواية أبي صالح عن ابن عباس.

(٣) انظر: «تفسير الثعلبي» (٤/ ١٨٧). ورواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٥٣٤) عن عكرمة.

(٤) روى الترمذي في «سننه» (٣٦٨١) عن ابن عمر، أن رسول الله ﷺ قال: «اللهم أعز الإسلام بأحب هذين الرجلين إليك بأبي جهل أو بعمر بن الخطاب»، قال: وكان أحبهما إليه عمر. قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب.

(٥) قوله: «هذا مثل يضرب به عند التساوي» من (ر).

(٦) انظر: «تفسير مقاتل» (١/ ٥٨٧).

وحمزةُ لم يؤمن بعدُ، فأُخبِرَ حمزةُ[١] بما فعل أبو جهل، وبيدِ حمزةَ قوسٌ، فأقبلَ غضبان، حتَّى علا أبا جهلٍ بالقوس، وهو يقول: أبا يعلى، يَتضرَّعُ إليه ويستكين، يقول: يا حمزة، أما تَرى ما جاء به، سفَّهَ عقولَنا، وسبَّ آلهتَنا، وخالفَ آباءَنا، فقال حمزةُ: ومَن أسفهُ منكم؟! تَعبدون الحجارةَ مِن دونِ الله تعالى! أشهدُ أن لا إله إلَّا الله وحدَهُ لا شريكَ له، وأنَّ محمَّداً عبدُه ورسولُه[٢].

وقيل: الحياةُ أنواع:

حياةٌ بالرُّوح، قال تعالى: ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨].

وحياةُ الأرضِ بالمطر، قال تعالى: ﴿فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [البقرة: ١٦٤].

وحياةٌ بالإيمان، كما في هذه الآية.

وحياةٌ بالطَّاعة، كما في قوله: ﴿إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤].

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: قولُه ﴿وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا﴾ ينقضُ قولَ المعتزلة؛ فإنَّهم يَقولون: العبدُ هو الذي يَجعلُ لنفسِه نوراً يَمشي به، وهو تحريفٌ لظاهرِ القرآن، وعلى هذا قولُه بعد هذا: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا﴾ الآية.

قوله: ﴿كَذَلِكَ زُيِّنَ﴾ اختلف في من زيَّنها:

قال الحسن: زيَّنها الشيطانُ لهم.

وقال غيرُه: زيَّنها الأكابرُ على الأصاغر.

وقال قائلون: زيَّنَها الله.

---

(١) في (ر): «فحضر حمزة فأخبر» بدل: «فأخبر حمزة».

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» (٤/ ١٨٦ ـ ١٨٧)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ٢١٩).

وقال: وما أضيف إلى الشيطان فهو وسوسةٌ، وما أُضيفَ إلى الكفَّار فهو دعوة، وما أُضيفَ إلى الله فهو تخليقٌ وقضيَّة[١].

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: أهلُ الغفلةِ إذا أُلهِموا الذِّكرَ، فقد صاروا أحياءَ بعد الممات، وأربابُ الذِّكر إذا اعتراهُم نسيانٌ فقد ماتوا بعد الحياةِ، والذي هو في أنوارِ القُرْب، وروحِ الاستبصار، لا يُدانيهِ مَنْ هو في أسر الظُّلمات، ولا يُساويهِ مَن هو رهينُ الآفات[٢].

* * *

(١٢٣) ـ ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا ۖ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا﴾؛ أي: جعلنا في كلِّ بلدةٍ مجرميها أكابرَ ورؤساءَ للنَّاس.

واتِّصالُها بما قبلها أنَّ تقديرَهُ: وكما جعلنا لمنْ أحْييناهُ بالإيمان نوراً يَمشي به، فكذلك جعلنا المجرمين أكابر، والأوَّل توفيقٌ، والثَّاني خذلانٌ.

وقيل: وكما وسَّعنا على أكابرِ قريشٍ في الدُّنيا حتَّى يَرأسوا على أهل مكَّة، فكذلك فعلنا بكلِّ قومٍ في كلِّ قريةٍ، وهو إبطالُ وهمِ الكفَّارِ أنَّهم فُضِّلوا على فقراء المسلمين بما أُعطوا من الرِّئاسةِ والسَّعةِ والبَسطة.

وقوله تعالى: ﴿لِيَمْكُرُوا فِيهَا﴾ قال ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: أي: ليَقولوا الكذبَ[٣]، وليَتَجبَّروا على النَّاس فيها، ويَعملوا بالمعاصي.

---

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٤/ ٢٤٩ ـ ٢٥٠).

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (١/ ٤٩٨).

(٣) أورده ابن الجوزي في «زاد المسير» (٣/ ١١٨).

وقيل: أي: ليَظهرَ مِنهم ما علمَ اللهُ منهم، وقد علمَ اللهُ مِنهم[١] أنَّه إذا جعلهم أكابرَ أنَّهم يَمكرون؛[٢] أي: يَقصدون إهلاكَ الأنبياءِ في خُفية.

والمعتزلة يقولون هذه لامُ العاقبة، وما جعلَهُم اللهُ أكابرَ ليمكروا، لكن وجدَ مِنهم في العاقبة كذلك، وهو قوله تعالى: ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ [القصص: ٨]، وهم ما التقطوهُ لذلك، لكن صار كذلك.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: لا يخلو هذا؛ إمَّا أن يقال: إنَّه خلقَهم لغيرِ المكرِ والضَّلال، وهو يَعلمُ أنَّهم لا يَكونون لما يخلقُهم، وذلك ليس فعلَ حكيم؛ أنْ يَعملَ عملاً يَعلمُ أنَّه لا يكون، أو يقال: خلقَهم لذلك، وهو لا يَعلم أنَّهم يكونون كذلك، وهو جهلٌ بالعواقب، واللهُ تعالى يَتعالى عن ذلك، والحقُّ أنَّه خلقَهم ليكونوا على ما علمَ أنَّهم يكونون كذلك، ويختارون ذلك[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ﴾؛ أي: وما يَرجِعُ ضررُ ذلك إلَّا عليهم، ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾؛ أي: وما يَعلمون أنَّه واقعٌ بهم، قال تعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ [فاطر: ٤٣]، وقال: ﴿وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا﴾ [النمل: ٥٠].

* * *

(١٢٤) ـ ﴿وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ ۘ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ۗ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَمْكُرُونَ﴾.

---

(١) قوله: «وقد علم الله منهم» من (ر).

(٢) بعدها في (ف): «وهو قوله تعالى ليمكروا فيها».

(٣) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٤/ ٢٥١).

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ﴾ قد بيَّنَّا قبل هذا بآيتين أنَّ أبا جهلٍ ـ لعنه الله ـ قال ذلك.

وقال ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: أي: إذا أنزلت عليهم آيةٌ مِن السَّماء قال الوليد بن المغيرة وأبو مسعود الثقفي: ﴿لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ﴾ مِن الآياتِ فنكونَ أنبياء[1].

وقيل: أي: نؤتَى من الآياتِ مثلَ ما أوتوا، فيُعظمَنا النَّاسُ[2] بها، وهذه غاية السَّفه؛ أن يُقالَ لرجلٍ[3]: آمن، فيقول: لا أؤمن حتَّى يَجعلني اللهُ نبيًّا.

وقال الضَّحَّاك: سأل كلُّ واحدٍ مِن القوم أنْ يُخَصَّ بالوحي والرِّسالة، كما أخبرَ اللهُ تعالى عنهم: ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً﴾[4].

وقال مقاتل: قال الوليد بن المغيرة: والله لو كانت النبوَّة حقًّا، لكنت أولى بها منك؛ لأني أكبرُ منك سِنًّا وأكثر منك مالاً، أو أنزلت على أبي مسعودٍ الثَّقفيِّ، فنزلت: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: ٣١][5]؛ يعني: مكَّة والطائف، ونزل قولُه تعالى: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾؛ أي: ليس إعطاءُ النُّبوَّة بالشَّهوات، وإنَّما هو بتخصيصِ الله بها مَن رآهُ أهلاً لها، وهؤلاء الكفار محرومون[6]، وعن صفاتِ الحمد مُتعرُّون[7].

---

(١) ذكر نحوه أبو الليث في «تفسيره» (١/ ٥١١) دون نسبته لابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) في (أ): «الله».

(٣) في (ف): «للرجل».

(٤) انظر: «التفسير البسيط» للواحدي (٨/ ٤١٢).

(٥) انظر: «تفسير مقاتل» (١/ ٥٨٨)، و«تفسير الثعلبي» (٤/ ١٨٧).

(٦) في (ر) و(ف): «محرمون».

(٧) في (ر): «مبعدون».

وقولـه تعالـى: ﴿سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: سـينالُهم ذِلَّـةٌ وتَصغيـرُ قـدرٍ.

وقوله تعالى: ﴿وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُواْ يَمۡكُرُونَ﴾ قوله: ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ قيل: أي: من عِند الله، وقيل ـ وهو قولُ الفرَّاء ـ: إنَّ أَنَفتَهم مِن اتِّباعِ الحقِّ صغارٌ لهم عند الله[١].

وقال الزَّجَّاجُ: أي ﴿صَغَارٌ﴾ في الآخرة ومجازاةٌ؛ أنَّه يَنالُهم ذلك إذا صاروا إلى جزائه[٢].

وقيل: ﴿صَغَارٌ﴾ معدٌّ لهم ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾، والصغار والصُّغرُ بضمِّ الصَّاد هو الذُّلُّ، وصرفُه مِن حدِّ: عَلِم، ونعتُه الصَّاغِر، فأمَّا الصَّغيرُ الذي هو نقيضُ الكبير، فصرفُه من حدِّ[٣]: شَرُفَ، ومصدرُه الصِّغَر؛ بكسرِ الصَّاد وفتح الغين.

وقوله: ﴿وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُواْ يَمۡكُرُونَ﴾ وقد أصابَهم ذلك يومَ بدر.

وقيل: هو في المستهزئين به، وقد قُتِلَ كلُّ واحدٍ منهم بقتلٍ غيرِ قتل صاحبِه.

وقال الإمامُ القشيريُّ رحمَه الله: بعد إزاحةِ[٤] العِلَّة، وبيانِ الحُجَّة، وزوالِ الشُّبهة، إقدامٌ[٥] على سوءِ الأدب، وذاك محال من الحال، والتَّصدِّي لمساواةِ أهل الاستحقاق نوعٌ مِن تَسويلات النَّفس، بل موجبٌ لدوامِ الهوان والرِّجس[٦].

***

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٣٥٣).

(٢) لم أقف عليه في «معاني القرآن» للزجاج.

(٣) في (ر): «باب» في الموضعين.

(٤) في (أ): «إزالة».

(٥) تمام العبارة في «لطائف الإشارات»: «فالتعلل باستزادة البصيرة إقدام».

(٦) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (١/ ٤٩٩).

(١٢٥) ـ ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾ أي: فمَن يشاءُ اللهُ أنْ يُرشِدَهُ ويُثبِّتَ له صفةَ الاهتداء؛ يُوسِّع قلبَه للانقياد للحقِّ، والتأمُّلِ في الآيات للقَبول والأخذ، فخَفَّ عليه اتِّباعُ مَن اختارهُ اللهُ تعالى للرِّسالة، وخرجَ مِن أن يكونَ مجرِماً يَنالُهُ الصَّغارُ والعذابُ الشَّديدُ في الدُّنيا والآخرة، وإنَّما يريدُ ذلك في حقِّ مَن علمَ منه اختيارَ الرُّشدِ.

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ﴾؛ أي: يَخذلَه، ويُثبِّتَ له صفةَ الضَّلالة.

وقوله تعالى: ﴿يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ قرأ نافع وأبو جعفر وسهل[١]، وعاصم في رواية أبي بكر، وحمَّاد[٢]: ﴿حَرِجاً﴾ بكسرِ الرَّاء، والباقون بالفتح[٣].

وقال سيبويه: بالفتح مصدرٌ، وبالكسر نعتٌ، وهو أشدُّ الضِّيق[٤].

وقيل: هما واحدٌ كالدَّنِف والدَّنَف، والوَحِد والوَحَد، والفَرِد والفَرَد، وللنَّعت كلاهما.

وروى محمد بن جريج: أنَّ عمرَ بنَ الخطَّاب رضي الله عنه أتى على هذه

---

(١) قوله: «وأبو جعفر وسهل» من (ف).

(٢) «وحماد»: زيادة من (ف).

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٢٦٨)، و«التيسير» (ص: ١٠٦)، و«جامع البيان» للداني (ص: ٥٠٤)، و«النشر» (٢/ ٢٦٢).

(٤) ذكره عن سيبويه الثعلبي في «تفسيره (٤/ ١٨٨)، والبغوي في «تفسيره» (٣/ ١٨٦).

الآيـة، فـرأى راعيـاً، فسـأله[١]: مـا الحرج؟ قـال: هي الشَّـجرةُ التـي لا تصِـلُ إليها الرَّاعيـة؛ لالتفـافِ أغصانِها، واحدتهـا حرجة[٢].

وقال عبيدُ بن عمير: قرأ ابنُ عبَّاس رضي الله عنهما هذه الآية، فقال: هل هاهنا أحدٌ مِن بني بكر؟ فقال رجلٌ: نعم، فقال: ما الحرجة فيكم؟ قال: الوادي الكثيرُ الشَّجر، المستمسِكُ الذي لا طريق فيه، فقال ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: كذلك قلبُ الكافر[٣].

وقال النَّضرُ بن شميل: ﴿حَرَجًا﴾؛ أي: قلقاً[٤].

وقال قتادة: ملتبساً[٥].

وقال مجاهد: أي شاكًّا[٦].

وقال الكلبي: ليس للخير فيه منفذ[٧].

وقوله تعالى: ﴿كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ قرأ ابنُ كثير: ﴿يَصْعَدُ﴾ مخفَّفاً، مِن الصُّعود، وهو الرُّقيُّ.

---

(١) في (أ) و(ف): «فسأل راعياً» بدل من «فرأى راعياً فسأله».

(٢) لم أقف عليها من طريق ابن جريج، وروى الطبري في «تفسيره» (٩/ ٥٤٤ ـ ٥٤٥) نحوه من رواية أبي الصلت الثقفي.

(٣) انظر: «تفسير الثعلبي» (٤/ ١٨٨).

(٤) انظر المصدر السابق.

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٥٤٦).

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٥٤٥).

(٧) انظر: «تفسير الثعلبي» (٤/ ١٨٨) (طبعة دار إحياء التراث)، (١٢/ ٢٠٥) (طبعة دار التفسير).

وقرأ عاصمٌ في روايةِ أبي بكرٍ وحمَّاد[1]: ﴿يصَّاعد﴾ مشدَّداً مع الألف.

والباقون: ﴿يَصَّعَّدُ﴾[2] مشدَّداً بغيرِ ألف، وأصله: يتصعَّد؛ أي: يَتكلَّفُ الصُّعود، فأُدغِمت التَّاءُ في الصَّاد، كما في قوله: ﴿يُذَّكَّرِ﴾.

و﴿يصَّاعد﴾ أصله: يتصاعد، وأُدغمَت التَّاء في الصَّاد.

وقال مقاتل بن سليمان: أي: لا يَقدِرُ على الإيمانِ مَن أضلَّهُ اللهُ تعالى عن الهدى، كما لا يَقدِرُ المتكلِّفُ على الصُّعودِ إلى السَّماء[3].

وهذا الإضلالُ والخُذلان في حقِّ مَن علمَ اللهُ منه اختيارَ الضَّلال، والآيةُ دامغةُ المعتزلةِ في إنكارِهم الهدايةَ والإضلالَ مِن اللهِ تعالى.

وقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾؛ أي: العذاب، وقيل: الإثم، وقيل: اللَّعن، قال تعالى: ﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ﴾ [الأعراف: ٧١][4].

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: مَن شرح الله صدره للإسلام فآيتُه ألَّا يَتحرَّك في باطنِه عِرْقٌ لمنازعةِ التقدير[5]؛ لأنَّ الإسلامَ يَقتضي تسليمَ الكُلِّ، ومَن استثقلَ شيئاً مِن التَّكليفِ، أو بقيَ فيه نفسٌ لكراهةِ شيءٍ فهو غيرُ مستسلمٍ لحكمِه.

---

(١) قوله: «وحماد» من (ف).

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٢٦٨ ـ ٢٦٩)، و«التيسير» (ص: ١٠٦ ـ ١٠٧)، و«جامع البيان» للداني (ص: ٥٠٤)، و«النشر» (٢/ ٢٦٢).

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» (١/ ٥٨٨).

(٤) بعدها في (ف): «وقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ قد تقدم الكلام عليه» وما بعد الآية في الهامش، وفوقه حرف: «خـ» يشير إلى أنها نسخة.

(٥) في (أ): «القدير».

ويقال: نورٌ في البداية هو نورُ العقل، ونورٌ في الوسائط هو نورُ العلمِ، ونورٌ في النِّهايةِ هو نورُ العرفانِ، فصاحبُ العقلِ مع البُرهان، وصاحبُ العلمِ مع البيان، وصاحبُ المعرفةِ في[1] حكم العِيان.

ويقال: مَن وَجدَ أنوارَ الغيبِ، ظهرَ له خفايا الأمورِ، ولم يُشكِل عليه شيءٌ عند ظهورِ النُّور، قال النبيُّ ﷺ: «اتَّقوا فراسةَ المؤمنِ؛ فإنَّه يَنظرُ بنورِ اللهِ تعالى»[2].

ويقال: أوَّل آيةٍ لأنوارِ الغيبِ في العبد: تنبُّهُهُ على نقائصِ قدرِه، ومساوئِ عيبِه، ثمَّ تَشاغُلُه عن شهودِ نفسِه بما يَلوحُ له مِن شهودِ ربِّه، ثمَّ غلباتُ الأنوارِ على سِرِّه، حتَّى لا يشهدَ السرَّ بعدما كان يشهد، كالنَّظرِ في قرصِ الشَّمس، يَستهلِكُ أنوارَ بصرِه في شُعاع الشَّمس، فكذلك تستهلِكُ أنوارُ البصيرة حقائقَ الشُّهود، وفيه خمود العبدِ بالكُلِّيَّة، وبقاءُ الأحديَّةِ بنعتِ السَّرمديَّة[3].

وقوله تعالى: ﴿وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا﴾ قال ابنُ عبَّاس رضي الله عنهما: يعني الإسلام[4]، وقد ذكر في الآية الأولى.

وقال ابنُ مسعود رضي الله عنه: هو القرآنُ[5]، وقد ذكر قبله بآيات[6].

و﴿مُسْتَقِيمًا﴾ نُصِب على القطع؛ لأنَّه نكرةٌ ذُكِرَت بعد معرفة.

وقوله تعالى: ﴿قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾؛ أي: يتذكرون، ومعناه: يتَّعِظون.

---

(١) في (ف): «الحكمة مع» بدل: «المعرفة في».

(٢) رواه الترمذي في «سننه» (٣١٢٧) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٣) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (١/ ٤٩٩ ـ ٥٠٠).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٥٥٤).

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٤/ ١٨٩).

(٦) في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا﴾ [الآية: ١١٤].

(١٢٧) ـ ﴿۞ لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِندَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِندَ رَبِّهِمْ﴾؛ أي: للمتذكِّرين الجنَّة.

وقال الحسنُ والسُّدِّيُّ: السَّلام هو الله تعالى[1]، والدَّارُ أُضيفَت إليه.

وقال الزجاج: أي: دارُ السَّلامة الدَّائمةِ مِن كلِّ آفةٍ وبليَّةٍ[2].

وقيل: هي دارُ السَّلام الذي هو التَّحيَّة، قال تعالى: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ﴾ [الأحزاب: ٤٤].

وقوله: ﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾ أي: مضمونةً عند ربِّهم، حتَّى يوصلَها إليهم.

وقيل[3]: أي: هي[4] في الآخرةِ يُعطيهم إيَّاها.

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ وَلِيُّهُم﴾؛ أي: حبيبُهم، وقيل: ناصرُهم، وقيل: متولِّيهم، وقيل: حافظُهم.

وقوله تعالى: ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾؛ أي: مِن الطَّاعات؛ أي: يتولَّاهم بكرمِه وفضلِه ونُصرتِه؛ جزاءً لهم بأعمالِهم الصالحة.

وقال الحسينُ بنُ الفضل: يتولَّاهم في الدُّنيا بالتَّوفيق، وفي الآخرةِ بالجزاء[5].

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله[6]: دارُ السَّلام: دارُ السَّلامة[7]، ومَنْ كان في

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٥٥٤) عن السدي.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٢٩١).

(٣) لفظ: «وقيل» ليس في (أ).

(٤) بعدها في (ر): «لهم».

(٥) انظر: «تفسير الثعلبي» (٤/ ١٩٠).

(٦) بعدها في (ر): «لهم».

(٧) «دار السلامة» ليس من (ف).

رِقِّ شيءٍ مِن الأعراض، لم يجدِ السَّلامة، وإليه تشيرُ أنَّ القومَ في الجنَّة، لكنَّهم ليسوا في أسْر الجنة.

ويُقال: من لم يسلم اليوم عن الكونين، لم يجد غداً سلامَ مكوِّنِ الكَونين.

ويُقال: دارُ السَّلام غداً لمن سَلِمَ اليومَ لسانُه مِن الغيبة، وجَنانُه مِن العيبة، وظاهرُه مِن الزَّلَّة، وباطنُه مِن الغفلةِ، وعقيدتُه مِن البدعةِ، ومعاملتُه مِن الجفوة، وأعمالُه مِن الرِّياءِ والسُّمعةِ، وأحوالُه مِن العُجبِ والملاحظة.

ويقال: قيمةُ الدَّار بالجار، قال قائلهم:

إنِّـي لأحسُـد جارَكُـم[1] لجوارِكُـم ... طُوبى لِمَـنْ أضْحـى لـدارِكَ جـارَا

يـا ليـتَ جـارَكَ بـاعَ لـي مِـن دارِه ... شِبْـراً لأعـطـيـه بِشـبرٍ دارا

والحقيقةُ وإنْ كانت منزَّهةً عن قَبول الجِوار، وليس القربُ مِنه بتداني[2] الأقطار، فإطلاقُ هذا اللَّفظِ مؤنِسٌ لقلوب الأحباب، وقاطعٌ للوسائطِ والأسباب.

﴿وَهُوَ وَلِيُّهُم﴾ الذي آثَرهم على أشكالهم، فآثروه في جميع أحوالهم، وليُّهم في أولاهم، ووليُّهم في أخراهم، وليُّهم الذي يَطلب رضاهم، وليُّهم الذي لم يَكِلْهُم إلى هواهم، لا إلى دنياهم، ولا إلى عُقباهم، وليُّهم الذي بإفضالِه يُلاطِفُهم، وبجمالِه وجلالِه يُكاشِفُهم، وليُّهم الذي اختطَفهم عن كلِّ حظٍّ ونصيب، وحالَ بينَهم وبين كلِّ حميمٍ ونسيب، وليُّهم الذي حرَّرهُم مِن كلِّ مرجوٍّ ومرهوب، وممنوعٍ وموهوب، وليُّهم الذي ليس لهم سواه، وليُّهم الذي لا يشهدون إلَّا إيَّاه، لا في بدايتِهم يَقصِدون غيرَه، ولا في وسائِطهم يَشهدون غيرَه، ولا في نهايتِهم يَجدون غيرَه[3].

---

(١) في (ف): «داركم»، وفي «لطائف الإشارات»: «داراً في» بدل: «جاركم».

(٢) بعدها في (ف): «اختطفهم»، وهي مقحمة.

(٣) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (١/ ٥٠١ ـ ٥٠٢).

(١٢٨) ـ ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾[1]؛ أي: خوِّفهُم يومَ يبعثُهم[2] فيه جميعاً.

وقوله تعالى: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ﴾؛ أي: ويَقول ـ هذا مضمَرٌ يَدُلُّ عليه الحال ـ: يا معشرَ الشَّياطين، قد أضللتمُ الخلقَ الكثيرَ مِن الإنس، إشارةً إلى قوله: ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ﴾ [النساء: ١١٩]، ﴿لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ [النساء: ١١٨]، ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٦ ـ ١٧]، وقال: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [سبأ: ٢٠].

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ﴾؛ أي: أولياءُ الجنِّ: ﴿رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾ أي: انتفع الجنُّ بالإنسِ، والإنسُ بالجنِّ.

قال الكلبيُّ: كان استمتاعُ بعضِهم ببعض: أنَّ الرَّجلَ مِن الإنسِ كان إذا سافرَ أو خرجَ، فصارَ بأرضٍ قفرةٍ، أو أصابَ صيداً مِن صيدِهم، فخافَ على نفسه مِنهم، قال: أعوذُ بسيِّد هذا الوادي مِن سفهاءِ قومِه، فيَبيتُ في جوارٍ منهم، فهذا استمتاعُ الإنسِ بالجنِّ، واستمتاعُ الجنِّ بالإنس: أن قالوا: قد سُدْنا الإنسَ والجنَّ حين عاذَ الإنسُ بنا، فيَزدادون بذلك شرفاً في قومِهم، وعِظَماً في أنفسِهم[3]. وكذلك قال عكرمةُ ومجاهد[4] وجماعة[5].

---

(١) في (ف): «نحشرهم».

(٢) بعدها في (ف): «الله».

(٣) انظر: «تفسير الثعلبي» (٤/ ١٩٠).

(٤) في (ف): «وقال مجاهد».

(٥) ذكره الواحدي في «التفسير البسيط» (٨/ ٤٣٦) عن الحسن وابن جريج والكلبي وعكرمة.

وقال عبد العزيز بن يحيى: [هو طاعةُ بعضِهم بعضاً، وموافقةُ بعضهم بعضاً.

وقيل:](١) استمتاعُ الإنسِ بالجنِّ: ما كانوا يُلقونَ إليهم مِن الأراجيفِ والسِّحرِ والكهانة، واستمتاعُ الجنِّ بالإنس: قولُهم: نعوذُ بسيِّدِ هذا الوادي من سُفهاءِ أهله، قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن: ٦].

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: وقيل: أي: تعاونَ بعضُنا ببعضٍ في المعصيةِ والمخالفةِ؛ هؤلاءِ بالدُّعاء، وهؤلاء بالإجابة.

وقيل استمتاعُ الجنِّ بالإنس: أنَّ عظامَنا طعامُهم، وأرواثَ أنعامِنا علفُ دوابِّهم(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا﴾ قال الإمامُ أبو منصور رحمه الله: قيل الموت، وقيل: البعثُ يومَ القيامة؛ لأنَّهم كانوا ينكرون ذلك، فأقرُّوا به حينئذٍ(٣).

وقوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ﴾؛ أي: قال الله تعالى: جهنَّمُ مقامُكم، ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ﴾؛ أي: في النَّار، ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾؛ أي: إلَّا مقدارَ وقوفِكم خارجاً منها للعرضِ والحساب، فهم في هذا الوقت مستثنَون عن ذلك.

وقيل: أي: معذَّبون بالنَّار إلَّا ما شاءَ اللهُ مِن تعذيبكم بغير النَّار.

وقال عطاء: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ مَن سبقَ في علمه أنَّه يؤمنُ كما في قوله: ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ﴾ [الجمعة: ٣]؛ فمِنهم مَن آمنَ قبل الفتح: بجيد بن وهب(٤)، وخالد بن

---

(١) ما بين حاصرتين من «تفسير الثعلبي» (٤/ ١٩٠).

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٤/ ٢٥٧).

(٣) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٤/ ٢٥٨).

(٤) في (أ) و(ر): «بجير»، ولم أقف عليه.

الوليد، وعمرو بن العاص، وجبيرُ بن مُطعِم، وعِدَّةٌ، ومِنهم مَن آمنَ بعد الفتح[١]؛ عكرمة بن عمرو، والحارثُ بن هشام، وحكيمُ بن حِزام، وسهيل[٢] بن عمرو، وضرارُ بن الخطَّاب، وهبَّارُ بنُ الأسود، وصفوانُ بن أمية، وعبدُ الرَّحمن بن أبيٍّ بن خلف[٣]، وأبو سفيان بن الحارث، وصخرُ بنُ حرب، وأبو قحافة، وعِدَّة.

وقال الحسن: إلَّا ما شاءَ اللهُ مِن كونِهم في الدُّنيا بغيرِ عذاب[٤].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ بما يَفعلُ بأوليائِه وأعدائِه، ﴿عَلِيمٌ﴾ بالمطيعين والعاصين، يَجزي كلًّا على وفقِ عملِه.

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: يَعتذِرون فلا يُسمَع، ويَحتجُّون فلا يَنفع، ولقد كانوا مِن قبلُ لو أتوا بأقلَّ منه قُبِلَ منهم، لكن سبقتِ القِسمةُ، فحقَّت الشِّقوة[٥].

***

(١٢٩) ـ ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ قيل: أي: نُولِّي ظلمةَ الإنسِ ظلمةَ الجِنِّ، وظلمةَ الجنِّ ظلمةَ الإنس في الآخرة؛ أي: نَكِلُ بعضَهم إلى بعض، كما قال: ﴿نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ﴾ [النساء: ١١٥]؛ فلا يَنفعُ بعضُهم بعضاً، كقول إبليس لعنه الله: ﴿مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ﴾ [إبراهيم: ٢٢]، وقال تعالى: ﴿ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ﴾ [الأعراف: ١٩٥]، و﴿أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ﴾ [الأنعام: ٢٢].

---

(١) انظر: «تفسير الثعلبي» (٤/ ١٩٠).

(٢) في (ف): «وسهل».

(٣) لعل صوابه: عبد الله بن أبي بن خلف، أسلم عام الفتح. انظر: «الاستيعاب» (٣/ ٨٦٥).

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٤/ ١٩٠) دون نسبة.

(٥) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (١/ ٥٠٣).

وقيل: ﴿نُوَلِّي﴾؛ أي: نُسَلِّطُ بعضَهم على بعضٍ، فيَلعنُ بعضُهم بعضاً، ويَتبرَّأُ بعضُهم مِن بعضٍ، ويَدعو بعضُهم بزيادةِ العذابِ على بعض، كما قال تعالى: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾ [الأحزاب: ٦٨].

وقال قتادةُ: أي: يَتبعُ بعضُهم بعضاً في النَّار[١].

وقيل: هو مِن الولايةِ، فقال في حقِّ المؤمنين: ﴿وَهُوَ وَلِيُّهُم﴾، وقال في حقِّ الكافرين: ﴿نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًا﴾؛ أي: نَجعلُ بعضَهم أولياءَ بعض، كما قال في حقِّهم.

ذلك وإذا كان الله وليَّهم، فهو يَنصرُهم ويَحفظُهم، والكفَّار هم أولياء بعض، يَصيرون يومئذٍ أعداء، كما قال: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٦٧].

وقيل في قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: يَقتضي مشبَّهاً ومشبَّهاً به؛ أي: كما يَفعلُ بهم ذلك في الآخرةِ، يَفعلُ بهم في الدُّنيا.

قال مالكُ بنُ دينار: قرأتُ في كتب الله المنزلةِ: أن الله تعالى قال: أُفني أعدائي بأعدائي، ثمَّ أفنيهم بأوليائي[٢].

وقال النبيُّ ﷺ: «إن اللهَ يَنتصِفُ مِن الظَّالم بالظَّالم، ثمَّ يَنتصِفُ مِنهما في القيامة»[٣].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٥٥٨ ـ ٥٥٩).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٤/ ١٩١)، وأخرج نحوه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٨٩) (٧٩٠١).

(٣) لم أقف عليه بهذا اللفظ، وأورده العجلوني في «كشف الخفاء» (١/ ٢٣٩) بلفظ: «إن الله ينتقم من الظالم بالظالم» ثم نقل عن النجم قوله: لا يعرف بهذا اللفظ، لكن روى ابن أبي شيبة وابن أبي =

(١٣٠) - ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ شَهِدۡنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَاۖ وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰفِرِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ﴾؛ أي: يُقالُ لهم[1] يوم يحشرون: ﴿أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ﴾ استفهامٌ بمعنى الإثبات؛ أي: ما عذرُكم في الكفر، وقد أتاكم رسلٌ منكم؟ وهذا[2] خطابٌ للجنِّ والإنس.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: اختلف فيه:

قال بعضُهم: لم يَكن مِن الجنِّ رسلٌ، إنَّما كانتِ الرُّسلُ مِن الإنس، لكنَّه أضافَ إلى الفريقين جميعاً، كما قال: ﴿يَخۡرُجُ مِنۡهُمَا ٱللُّؤۡلُؤُ وَٱلۡمَرۡجَانُ﴾ [الرحمن: ٢٢]، وإنَّما يَخرجُ مِن أحدِهما، وهو المالحُ منهما، وكما قال: ﴿وَجَعَلَ ٱلۡقَمَرَ فِيهِنَّ نُورٗا﴾ [نوح: ١٦]، وإنَّما جعلهُ في واحدةٍ منهنَّ، وكقولِ النَّاس: في سبع قبائلَ مسجدٌ واحدٌ، وإنَّما يكونُ في واحدةٍ منهنَّ.

وقال بعضهم: كان مِن الفريقين جميعاً الرُّسل؛ مِن الجنِّ جنِّيٌّ، ومِن الإنسِ إنسيٌّ؛ لأنَّ الجِنَّ يَستترونَ مِن الإنس، فإنَّما يُرسَلُ إلى الجنِّ رسلٌ يَظهرون لهم، فيُبعَثُ إلى كلِّ فريقٍ الرَّسولُ مِن جوهرِهم.

وقال بعضُهم: كان الرَّسولُ مِن الإنسِ إلى الفريقين جميعاً، وكان مِن الجنِّ

= حاتم عن مالك بن دينار قال: قرأت في الزبور: إني أنتقم بالمنافق من المنافق ثم أنتقم من المنافقين جميعا، وذلك في كتاب الله تعالى. ثم ذكر الآية. وسلف قول مالك قريباً.

(١) بعدها في (ف): «يوم القيامة».

(٢) من قوله: «استفهام بمعنى الإثبات» إلى هنا وقع مكانه في (ف): «أي من ربكم وهو».

النُّذر، قال تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ﴾ [الأحقاف: ٢٩][١].

وقال غير الإمام أبي منصور رحمه الله: وقد قيل[٢]: إنَّ الرُّسلَ مِن الجنِّ كهؤلاء، وهم الذين يَسمعون مِن رسلِ الإنس، ويبلغون بأمرِهم إلى قومهم.

وقال أبو العباس المبرد: ﴿مِّنكُمْ﴾؛ أي: مِن أهل الأرض، والإنسُ والجنُّ مِن أهلِ الأرض[٣] بخلافِ الملائكة لأنهم من أهل السماء.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: وليس لنا إلى معرفة هذا حاجةٌ، إنَّما الحاجةُ إلى معرفةِ الآياتِ والحُجَج التي يأتي بها الرُّسلُ، وقد عجزَ عنها الجِنُّ والإنسُ جميعاً، قال تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ﴾ [الإسراء: ٨٨]، فالجنُّ أقوى على أشياء من الإنس، فإذا عجَزوا عن ذلك فغيرُهم أعجز.

قال: وجائزٌ أنْ يكون الرُّسلُ وإن كانوا من الإنس، فإنَّ الجنَّ يَستمعون مِن الرُّسل، فلَزِمَتهمُ الحجَّةُ، والعملُ بها، والتَّبليغُ إلى قومِهم مِن غير أنْ يَعلمَ الرُّسلُ بذلك[٤].

وقوله تعالى: ﴿يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى﴾؛ أي: يَتلونها عليكم في الأمرِ بالإيمانِ والطَّاعة، والنَّهي عن الكفرِ والمعصية.

---

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٤/ ٢٥٩).

(٢) في (أ): «وقيل» بدل: «وقد قيل»، وليست في (ر).

(٣) قوله: «والإنس والجن من أهل الأرض» من (ر).

(٤) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٤/ ٢٦٠).

وقوله تعالى: ﴿وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾؛ أي: يخوِّفونكم.

وقوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا﴾؛ أي: أقرَرنا بذلك، كما قال ـ خبراً عنه[1] ـ: ﴿فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا﴾ [غافر: ١١]، وقال تعالى: ﴿قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ﴾ [الملك: ٩].

وقوله تعالى: ﴿وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ بيَّن أنَّ مخالفتَهم الرُّسلَ إنَّما كانت لأنَّهم اغترُّوا بالحياةِ الدُّنيا، وظنُّوا أنَّها تدومُ لهم، وتوهَّموا أنَّ ما أُعطوه[2] لِكرامتِهم على الله.

وقوله تعالى: ﴿وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ﴾ بتكذيبِهم، فيقول للمشركين: احذروا أن تكون هذه حالُكم يومَ القيامة.

* * *

(١٣١) ـ ﴿ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ﴾؛ أي: ذلك الإرسالُ إلى الجنِّ والإنس؛ لأجلِ أنَّ ربَّك ليس مِن صفتِه أنْ يُهلِك القُرى بظلمٍ.

قال الكلبيُّ: أي: يُعذِّبَ أهلَها ﴿بِظُلْمٍ﴾؛ أي: بشركٍ، ﴿وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ﴾؛ أي: لم يكن ليهلِكَهم مِن قبل أنْ يأتيَهم رسولٌ فينهاهم[3]، فإنْ رجَعوا، وإلَّا أتاهمُ العذاب.

وقال الإمام أبو منصورٍ رحمه الله: لا يَستأصِلُ اللهُ قوماً إلَّا بعد تَقدُّم الوعيدِ؛ لئلَّا يَحتجُّوا فيقولوا: ﴿لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [القصص: ٤٧]، وإن لم يكن لهمُ الاحتجاجُ بذلك، لما مكَّن لهم، وركب فيهم ما

---

(١) قوله: «خبراً عنه» من (ر).

(٢) في (ف): «أعطوا».

(٣) ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» (٣/ ١٢٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

يَعرفون به أنَّه لم يَخلقهُم عَبَثاً، ولا يَترُكُهم سداً، لكنَّ سنَّتَهُ في الأوَّلين قد مضَت أنَّه لا يُهلِكُهم إلَّا بعد الوعيدِ؛ فضلاً منه ورحمةً، لا أنَّه لا يَسعـ[ـه] ذلك[١].

***

(١٣٢) ـ ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعۡمَلُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ﴾؛ أي: ولكلِّ عاملٍ بطاعةٍ أو معصيةٍ ﴿دَرَجَٰتٌ﴾؛ أي: مراتبُ في الجزاء.

قال الكلبي: أي: بعضُهم أشدُّ عذاباً مِن بعض، وكذلك في الفضائلِ بعضُهم أعلى درجةً مِن بعض، على قدرِ أعمالِهم في الدُّنيا.

وقال القشيريُّ رحمه الله: المحسنُ في روحِ الثَّوابِ متنعِّمٌ، والمجرمُ[٢] في نوحِ العقابِ متألِّـمٌ[٣].

وتَعلَّقَ أبو يوسف ومحمَّدٌ رحمهما الله بظاهرِه؛ في أنَّ الجنَّ لهم ثوابٌ؛ فإنَّه قدَّمَ ذكرَ الجنِّ والإنس، ثم قال: ﴿وَلِكُلٍّ﴾؛ أي: مِن الفريقين.

وقال أبو حنيفة رحمه الله: الكلامُ في أكثرِ هذه الآيات، وكذلك في الآية التي قبل هذه الآيةِ، في مشركي الإنسِ ومؤمنِيهم، فالظَّاهرُ أنَّه فيهم، والأصلُ أنَّ الثَّوابَ لا يُستحَقُّ بالعمل، بل هو محضُ فضلِ الله تعالى، فلا نَشهدُ به إلَّا لِمَن سبقَ له الوعدُ به، ولا نَتيقَّنُ بذلك في حقِّ الجنِّ.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعۡمَلُونَ﴾ قرأ ابنُ عامرٍ بتاء المخاطبة؛ ردًّا

---

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٤/ ٢٦١)، وما بين حاصرتين منه.

(٢) في (ر): «والمسيء».

(٣) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (١/ ٥٠٤).

على قوله: ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ﴾، والباقون بياء المغايبة؛ ردًّا على الآية التي قبلها[(١)].

ومعناه عند الإمام أبي منصورٍ رحمه الله على وجهين:

أحدهما: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ﴾ عن أعمالِهم التي يَعملونها مِن المعصية، ولكن يؤخِّرُ تَعذيبَهم؛ رحمةً منه، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعۡمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمۡ لِيَوۡمٍ﴾ الآية [إبراهيم: ٤٢].

والثاني: أنه على علمٍ بأعمالِهم خلقَهم، لا عن جهلٍ؛ لما أنَّ ضررَ أعمالِهم يَرجِعُ إليهم، لا إليه[(٢)].

* * *

(١٣٣) ـ ﴿وَرَبُّكَ ٱلۡغَنِيُّ ذُو ٱلرَّحۡمَةِۚ إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ وَيَسۡتَخۡلِفۡ مِنۢ بَعۡدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوۡمٍ ءَاخَرِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ ٱلۡغَنِيُّ﴾ فلا يَنتفِعُ بالطَّاعةِ، ولا يَتضرَّرُ بالمعصية، ﴿ذُو ٱلرَّحۡمَةِ﴾ فلا يُعاجِل بالعقوبة.

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: ﴿ٱلۡغَنِيُّ﴾ يُشيرُ إلى عزِّه، و﴿ذُو ٱلرَّحۡمَةِ﴾ يُشيرُ إلى لطفه، أخبرَ بقوله: ﴿ٱلۡغَنِيُّ﴾ عن جلالِه، وبقوله: ﴿ذُو ٱلرَّحۡمَةِ﴾ عن أفضالِه، فبجلالِه يُكاشِفُهم فيُفنيهم، وبأفضالِه يُلاطِفُهم فيحييهم، وسماعُ غِناه يُوجِبُ محوَهم، وسماعُ رحمتِه يُوجِبُ صحوَهم، فهم في سماعِ هذه الآية بين فناءٍ وبقاء، واصطلامٍ وإكرام، وتذويبٍ وتقريب، واحتياجٍ وارتياح[(٣)].

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٢٦٩)، و«التيسير» (ص: ١٠٧).

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٤/ ٢٦٢ ـ ٢٦٣).

(٣) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (١/ ٥٠٤).

وقوله تعالى: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾؛ أي: يُهلككم.

وقوله تعالى: ﴿وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ﴾ يجعل فيها مَنْ يَخلُفُكم مِن غيرِكم مِن النَّاس، أو مِن غيرِهم؛ فإنَّه قال: ﴿مَّا يَشَآءُ﴾، ولم يقل: من يشاء، فلا يَختصُّ بالعُقلاء.

وقيل: ﴿مَّا﴾ هاهنا بمعنى: من، والمراد به: ويأت بقومٍ[1] أطوعَ منكم.

قال عطاء: هم الأنصارُ والتَّابعون بإحسانٍ[2].

وقوله تعالى: ﴿كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ﴾؛ أي: نسلِ قومٍ كانوا قبلَكم.

قال مقاتل: ﴿مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ﴾؛ يعني: أهل سفينة نوح[3].

وقيل: ﴿مِّن﴾ للبدل، كما يُقال: أعطيتُك مِن دينارٍ ثوباً؛ أي: أنشأكُم بدلاً مِنهم.

***

(١٣٤) ـ ﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ﴾؛ أي: مِن مجيء الساعة.

وقيل: مِن العذابِ في الدُّنيا والآخرة.

وقيل: مِن إظهارِ محمَّدٍ ﷺ.

وقال الكلبيُّ: ﴿لَآتٍ﴾؛ أي: لكائنٌ لا خُلفَ فيه.

---

(١) بعدها في (ر): «هم».

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» (٤/ ١٩٢).

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» (١/ ٥٩٠).

وقال الإمام القشيري رحمه الله: الإشارةُ في هذه الآية إلى قِصرِ الأمل، ومَنْ قَصُرَ أملُه، حَسُنَ عملُه، وكلُّ ما هو آتٍ فقريبٌ أجلُه[١].

وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ﴾؛ أي: بفائتين؛ أي: يُدرِكُكم حيث كنتم، وقد قَصدتُ فلاناً فأعجزني؛ أي: سبقني ففاتَني.

***

(١٣٥) ـ ﴿قُلۡ يَٰقَوۡمِ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ إِنِّي عَامِلٞۖ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قُلۡ يَٰقَوۡمِ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ﴾ قرأ عاصمٌ في رواية أبي بكر وحماد[٢]: ﴿على مكاناتكم﴾ بالجمع؛ لأنَّه خطابُ الجمع، وقرأ الباقون: ﴿عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ﴾ على الواحد[٣].

والمكانةُ: الطَّريقةُ والجهة.

وقيل: أي: النَّاحيةُ، وهو عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما[٤] والحسن.

وقال الزَّجَاج: هي مِن التَّمكُّن؛ مصدر المكين، وصيغتُه صيغةُ الأمر، ومعناهُ التَّهديد، كما قال: ﴿ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ﴾ [فصلت: ٤٠][٥].

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (١/ ٥٠٤).

(٢) قوله: «وحماد» من (ف).

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٦٩)، و«التيسير» (ص: ١٠٧)، و«جامع البيان» للداني (ص: ٥٠٥).

(٤) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٩٠) (٧٩٠٩).

(٥) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٢٩٤).

وقوله تعالى: ﴿إِنِّي عَامِلٌ﴾؛ أي: قد أنذرتُكم ونصحتُ لكم، وأنتم مقيمون[١] على تكذيبي، فاثبتُوا على ما أنتم عليه مِن الكفر والمعاصي، وأنا أثبتُ على الإيمانِ والطاعةِ، والصَّبرِ على إيذائكم.

وقوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ﴾ قرأ حمزةُ والكسائيُّ وخلف[٢] بياءِ التَّذكير؛ لتقدُّمِ الفعل، ولأنَّ تأنيثَ العاقبةِ غيرُ حقيقيٍّ.

وقرأ الباقون بتاء التأنيثِ[٣]؛ لأنَّها مؤنَّثةٌ لفظيَّةٌ؛ أي: ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُ﴾ العاقبةُ[٤] المحمودةُ في دار السَّلام.

ويَحتملُ عاقبةَ دارِ الدُّنيا؛ في النَّصرِ والظَّفر ووراثةِ الأرض.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ وأنتم ظالمون لا تُفلِحون.

وقال مجاهدٌ: ﴿مَن تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ﴾: الظَّفرُ في الدُّنيا، والفوزُ في الآخرة.

وعاقبةُ الشَّيء وعُقباهُ وعُقْبُه: آخرُه ومنتهاه.

وقال الكلبيُّ: ﴿اعْمَلُوا﴾ في منازِلكم في أمري، ﴿إِنِّي عَامِلٌ﴾ في أمرِكم بالهلاك، فسوف تعرفون[٥] مَن تكونُ له الجنَّة، إنَّه لا يَأمنُ الظَّالمون.

***

---

(١) في (أ): «تقيمون».

(٢) قوله: «وخلف» من (ف).

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٧٠)، و«التيسير» (ص: ١٠٧)، و«النشر» لابن الجزري (٢/ ٢٦٣).

(٤) في (ف): «عاقبة الدار» بدل: «العاقبة».

(٥) في (أ): «تعلمون».

(١٣٦) ـ ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُوا۟ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا ۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ ۗ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُوا۟ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا ۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ ۗ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ وهذا ممَّا يُوحي شياطينُ الجنِّ والإنس مِن زخرف القول[١]، ومِن ضلالات أهل الشِّرك وجهلِهم وافترائهم على الله، وشرعِهم ما لم يأذن به الله، يقول: سمَّوا لله ممَّا خلقَ مِن الزَّرع الذي يزرعونه، ومن الحيواناتِ التي يَقتنونها مِن البقر والإبل والغنم حظًّا.

قوله تعالى: ﴿فَقَالُوا۟ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ﴾ قرأ الكسائيُّ وحدَه: ﴿بزُعمهم﴾ بضمِّ الزَّاي، والباقون بفتحها[٢]؛ أي: بقولِهم الباطل، ﴿وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا﴾؛ أي: أصنامِنا، وكانوا يجعلونَها شركاءَ لله، وإنما أضافوها لأنفسِهم لاعتقادِهم إيَّاها كذلك.

ثمَّ كان من حكمِهم أنَّ ما جعلوهُ لله مِن حرثِهم، فاختلطَ منه شيءٌ بالذي عزلوهُ لآلهتهم قالوا هذا لآلهتنا، واللهُ غنيٌّ عنها[٣]، ولم يَردُّوه إلى ما عزلوه لله، وما اختلطَ منه شيءٌ ممَّا سمَّوه لآلهتِهم بالذي سمَّوه لله، أخذوهُ وردُّوه إلى نصيبِ آلهتِهم، وقالوا: هذا كان لها، فهي أحقُّ به، وكانوا إذا زرعوا خَطُّوا خطًّا، فقالوا: هذا لله[٤]، وهذا لآلهتنا، وإذا حصدوا ممَّا وقع منه فيما جعلوهُ للآلهةِ؛ بأن ذهبت به الريح أو

---

(١) بعدها في (أ): «غروراً».

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٢٧٠)، و«التيسير» (ص: ١٠٧).

(٣) في (ف): «عن هذا».

(٤) بعدها في (أ): «بزعمهم»، وفي (ر): «تركوه».

غير ذلك، تركوه، وما وقع منه فيما جعلوه لله، أعادوه إلى موضعه، وكان إذا نما وحسُن ما لله، وانتقص ما لآلهتِهم، جعلوا ذلك النَّامي لآلهتهم، ولم يَجعلوا ذلك في عكسه.

هذا في الحرث، فأمَّا في الأنعام، فكانوا يُسمُّون بعضها لله، وبعضَها لآلهتهم، فكانت إذا ولدَت ما لله إناثُها ميتاً، أكلوه، وإذا جعلوا لآلهتهم، فولدَت ميتاً، عظَّموهُ فلم يأكلوه، وبيان ذلك في تفسير البَحيرة والسَّائبةِ والوصيلة والحامي[١].

وقال قتادة: إنْ أصابَتهُم سنةٌ، أكلوا ما جعلوا لله، وتَركوا ما جَعَلوا لآلهتِهم[٢].

وقيل: ما سمَّوه للأصنام كانوا يُنفِقون عليها، وما سمَّوه[٣] لله نحروه[٤] للأضياف والسُّؤَّال، وكذا من الحرث.

وقوله: ﴿سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ في شرعِ ما لم يَشرعِ الله.

وقيل: أي: في تفضيلِ الأصنامِ على الله[٥] في هذه المعاملة.

وقيل: إنَّ الله تعالى قال: لو كان معي شريكٌ كما يقولون، فهذا ليس بعدلٍ في القسمة؛ أن تأخذوا منِّي ولا تُعطوني.

وقال الإمامُ أبو منصورٍ رحمه الله: فيه وجوه سفهٍ منهم:

أحدها: أنَّهم كانوا مقرِّين أنَّ اللهَ خلقَ الأشياءَ كلَّها، ثمَّ جعلوا ممَّا خلقَ نصيباً للأصنام.

---

(١) عند تفسير الآية (١٠٣) من سورة المائدة.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٥٧١).

(٣) في (أ): «سموا».

(٤) في (ف): «نحروا منه».

(٥) قوله: «على الله» ليس في (ف).

ومنها: أنَّهم لم يُسوُّوا في هذه القسمة على ما حكينا، فأخبرَ أنَّه بئسَ الحكم، وهو كما قال: ﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ﴾ [النجم: ٢١].

ومنها: أنَّ الأصنامَ لا تملكُ شيئاً، ولا تَعقِلُ شيئاً، فلا معنى لفعلِهم هذا[1].

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: لـمَّا بنَوا قاعدةَ أمرِهم على موجبِ الهوى، صارت فروعُهم لائقةً بأُصولهم، فهو كما قيل:

إذا كان القضاءُ إلى ابن آوى فتعديلُ الشُّهودِ إلى القرودِ[2]

* * *

(١٣٧) ـ ﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا۟ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ ۖ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ﴾؛ أي: كما زيَّنوا لهم تحريمَ هذه الحروثِ والأنعام بخلافِ حكم الله، كذلك زيَّن لكثيرٍ منهم شركاؤهم قتلَ أولادِهم بغير أمر الله به، وإذنِه فيه.

والشركاء: الشَّياطين هاهنا، لا الأوثان، فكانوا يُعظِّمون الشَّياطينَ ويَقبلون منهم، فصاروا شركاءَ لهم، أشركوهم بالله مِن هذا الوجه، كما كان الأوثانُ شركاءَ لهم، أوقعوا في قلوبِهم[3] بطريقِ الوسوسة قتلَ البنات؛ خشيةَ الإملاقِ ولحوقِ

---

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٤/ ٢٦٦ ـ ٢٦٧).

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (١/ ٥٠٥)، والبيت ذكره الثعالبي في «التمثيل والمحاضرة» (ص: ١٩٣) دون نسبة.

(٣) بعدها في (ف): «من هذا الوجه»، وهي مقحمة.

العار، وإنما قال: ﴿لِكَثِيرٍ﴾، ولم يقل: للكلِّ؛ لأنَّ بني كنانة كانوا لا يَئِدون البنات، روي ذلك عن الحسن ومجاهد والسُّدِّي[١].

وله وجه آخر: قال الكلبيُّ: كان لآلهتهم سَدَنَةٌ وخُدَّامٌ، هم الذين يُزيِّنون للكفَّارِ قتلَ أولادِهم، وكان الرَّجلُ يَحلِفُ في الجاهليَّة: لئن وُلِدَ له كذا غلاماً، ليَنحرنَّ أحدَهم، كما حلف عبدُ المطَّلب على ابنِه عبد الله[٢]، وشركاؤهم هم السَّدنَةُ، وقتل الأولاد بهذا الوجه، وهو ممَّا لم يَأذن به الله.

وقوله تعالى: ﴿لِيُرْدُوهُمْ﴾ أي: ليهلكوهم وقد رَدِيَ يَرْدَى رداً، من باب: عَلِمَ؛ أي: هلك، وأرداهُ غيرُه إرداءً.

وقوله تعالى: ﴿وَلِيَلْبِسُواْ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ﴾؛ أي: ليُشبِّهوا ويُخلِّطوا؛ أي: يُدخِلوا الشُّبهات والتَّخاليطَ في الدِّين الذي شرعَهُ اللهُ لهم، فيَتركوه.

وقال الكلبيُّ: وكانوا على دينِ إسماعيل[٣].

ويحتمل: ﴿وَلِيَلْبِسُواْ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ﴾ الباطل، وهو الشِّركُ فيَلزموه، والدِّينُ يَقعُ على الحقِّ والباطلِ، قال تعالى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: ٦].

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾ فثبَتَ أنَّ الكائناتِ كلَّها بمشيئةِ اللهِ تعالى جلَّ جلالُه، وبطلَ به مذهبُ المعتزلة.

وقوله تعالى: ﴿فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾؛ أي: يَكذبون بقولهم: ﴿وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾ [الأعراف: ٢٨].

---

(١) المروي عن مجاهد والسدي عند الطبري في «تفسيره» (٩/ ٥٧٥ ـ ٥٧٦) تزيين الشياطين للمشركين قتل أولادهم، وليس فيه استثناء بني كنانة من هذا الفعل.

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» (٤/ ١٩٤).

(٣) انظر: «التفسير البسيط» للواحدي (٨/ ٤٦٢).

وقرأ ابنُ عامر: ﴿زُيِّن لكثيرٍ مِن المشركين قتلُ أولادَهم شركائهم﴾ بضمِّ الزَّاي، ونصب الأولاد، وخفضِ الشُّركاء[١]، وتقديره: قتلُ شركائِهم أولادَهم، ففصل بين المضافِ والمضاف إليه، وقد وردَ مثل ذلك في الشعر، قال قائلهم شعر:

فزججتُها بمِزَجَّةٍ ... زجَّ القلوصَ أبي مَزادَهْ[٢]

أي: زجّ[٣] أبي مزادةَ القلوصَ.

وأكثرُ النَّحويين على أنَّه لا يجوزُ؛ لأنَّ القرآنَ لا يُحمَلُ على الشَّاذِّ القبيح[٤]، وقالوا: إنَّما حملَهُ على هذه القراءة؛ لأنَّها في مصاحفِ أهل الشام: ﴿شركائهم﴾ بالياء.

ويجوزُ حملُ ذلك على وجهٍ آخرَ أحسن من هذا: ﴿أَوْلَـٰدِهِمْ﴾ بالخفض، و﴿شُرَكَآؤُهُمْ﴾ كذلك؛ على أنَّه بدلٌ عنه.

وسُمُّوا شركاءَ لأنَّهم يَشْرَكونَهم في النَّسب والنَّعم والميراث.

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٢٧٠)، و«التيسير» (ص: ١٠٧).

(٢) البيت في «الكتاب» (١/ ١٧٦)، و«معاني القرآن» للزجاج (٣/ ١٦٩)، و«الخصائص» لابن جني (٢/ ٤٠٦)، و«خزانة الأدب» (٤/ ٤١٥) وغيرها دون نسبة. قال عبد القادر البغدادي في «الخزانة»: (٤/ ٤١٥): قال ابن خلف: هذا البيت يروى لبعض المدنيين المولدين، وقيل: هو لبعض المؤنثين ممن لا يحتج بشعره.
يقال: زججتُهُ زجًّا: إذا طعنته بالزُّجِّ، وهي الحديدة التي في أسفل الرمح. والقلوص: الناقة الشابة. وأبو مزادة: كنية رجل.

(٣) في (أ): «كزج».

(٤) وقد بين الإمام أبو حيان وجوه هذه القراءة، ورد على منكريها في «البحر المحيط» (٨/ ٤٢٣ ـ ٤٢٦)، فانظره.

وقال الفرَّاء: ويجوز «شركايُهُم» بالياءِ ورفع الياء، على لغة من قال: عشايٌ، في عشاء[١]، قال الشاعر:

إذا الثُّرَيَّا طَلعت عشايا فبِعْ لراعي غنمٍ كِسايا[٢]

وقال الإمامُ أبو منصور رحمه الله: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ﴾؛ قيل: لو شاءَ اللهُ لأهلكَهُم فلم يَفعلوا ذلك.

وقيل: لأعجزَهم ومنعَهم عن ذلك.

وقيل: لأراهُم قبحَ فعلِهم، فلم يفعلوا، ولكن علمَ اللهُ مِنهم أنَّهم يَختارون ذلك، وشاءَ لهم ذلك، فذَرهم[٣].

قوله تعالى: ﴿فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾؛ فإنَّ ضررَ ذلك الافتراءِ عليهم، ليس علينا ولا عليك.

وقال الإمام القشيريُّ رحمَهُ الله: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ﴾ صرَّح بأنَّ المدارَ على المشيئة، والاعتبارَ لسابق القضيَّة[٤].

* * *

(١٣٨) - ﴿وَقَالُواْ هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٣٥٧).

(٢) الرجز دون نسبة في «الأضداد» للأصمعي (ص: ٣٠)، وفيه: «عشيَّهْ... كُسَيَّهْ».

(٣) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٤/ ٢٦٨).

(٤) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (١/ ٥٠٥).

وقوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعْمِهِمْ﴾ ﴿حِجْرٌ﴾؛ أي: حرامٌ، مِن الحَجْرِ، وهو المنعُ، وهذه الأنعامُ والحرثُ هي التي ذُكرت قبل هذا في قوله: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا﴾ وقد فسَّرناهُما.

﴿لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعْمِهِمْ﴾؛ أي: قولِهم الباطل، وهو ما ذكرنا مِن الأصناف والمساكين(١).

وقال الكلبيُّ: أي: الرِّجالُ دون النِّساء.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا﴾ هذا في الحامي كان الفحلُ إذا رُكِبَ ولدُ ولدِه قالوا: حمى ظهره، فلا يُركَبُ، ولا يُحمَلُ عليه، ولا يُمنَع عن مرعًى ولا ماء.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا﴾ قيل: هي أنعامٌ كانوا لا يُحرِّمونها، ويُبيحونَ الانتفاعَ بها، لكن كانوا لا يَذكرون اسمَ اللهِ عليها عند حملٍ أو ركوبٍ أو حَلْبٍ أو غيرِ ذلك.

وقيل: بل كانوا لا يَنتفعون بها، ولو انتفَعوا بها لذكروا اسمَ الله عليها، خصوصاً(٢) إذا حجُّوا عليها؛ فإنَّهم كانوا يَذكرون اسمَ الله عليها بالتَّلبية وغيرها.

وقال أبو وائل: لا يَحجُّون عليها.

وقال السُّدِّيُّ: لا يَذكرون اسمَ اللهِ عليها إذا ذبحوها(٣).

---

(١) في (ف): «الأصناف والمشركين».

(٢) بعدها في (أ): «يحرمونها».

(٣) قولا أبي وائل والسدي رواهما الطبري في «تفسيره» (٩/ ٥٨٢ ـ ٥٨٣).

وذكرَ الإمامُ أبو منصور رحمه الله بعضَ هذه الأقاويل وغيرها، قال: وقيل: أي: لا يَذبحوها للأكل، ولا يَذكرون اسمَ الله عليها وقت الرُّكوب، وهو قوله: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا﴾ الآية [الزخرف: ١٣]؛ لأنَّهم لا يَركبونها، ولكن يُسيِّبونها.

قال: والأقربُ إلى الصَّواب: لا يَنتفِعون بها ليَعرفوا نعمَ الله، ويَشكروا لهُ عليها(١).

وقوله تعالى: ﴿ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ﴾؛ أي: كذِباً على الله أنَّه أمرَهُم بذلك.

وقوله تعالى: ﴿سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ وهذا وعيدٌ(٢).

* * *

(١٣٩) - ﴿وَقَالُوا۟ مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا ۖ وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ ۚ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا﴾ قراءةُ العامَّة: ﴿خَالِصَةٌ﴾ بالرَّفع والتَّنوين، وليست للتأنيث، بل يقال في الاسم: خالصٌ وخالصةٌ، قال الشاعر:

كنتَ أمينِي وكنتَ خالِصَتي ... وليس كلُّ امرئٍ بمؤتَمنِ(٣)

والخالصُ: الذي لا شوبَ فيه.

وقيل: الهاءُ للمبالغة، كما يقال: راويةٌ للشِّعرِ، وعلَّامةٌ، ونسَّابةٌ، ونحو ذلك.

---

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٤/ ٢٧١).

(٢) في (ف): «وعد ووعيد»، والمثبت هو الصواب.

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٤/ ١٩٦)، والواحدي في «البسيط» (٨/ ٤٦٥) دون نسبة.

وقرأ سفيانُ بن الحسين: (خالصةً) بالنَّصب والتَّنوين[١] على أنَّها مصدرٌ، كالعافية والعاقبة واللَّاغية والطَّاغية؛ أي: خلوصاً لذكورنا.

وقرأ ابن عباس: (خَالِصُهُ لذكورنا) برفعِ الصَّاد وهاءِ الإضافة؛ أي: الخالصُ مِنه لذكورنا[٢].

وفي مصحفِ عبد الله بن مسعود: (خالِصٌ لذكورنا)[٣] على التَّذكير؛ لأنَّه نعتُ ﴿مَا﴾، وكذا بعده: ﴿وَمُحَرَّمٌ﴾.

ومعناه: ﴿وَقَالُوا۟ مَا فِى بُطُونِ﴾ البحيرة ونحوِها من الألبان، في قول ابن عباسٍ والشعبيِّ[٤]، وقيل: من الأجِنَّة: مباحٌ لذكورِنا، فيتناولون مِنها، ﴿وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا﴾ أي: إناثنا؛ لأنَّ الإناثَ هنَّ أزواجُ الرِّجال في الجملة، فلا يَحِلُّ لهنَّ شيءٌ مِن ذلك.

وقوله تعالى: ﴿وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ﴾ قرأ ابنُ كثير: ﴿يَكُن﴾ بياء التَّذكير، ﴿ميتةٌ﴾ بالرفع، وهو اسمُ كان، والفعلُ مقدَّمٌ.

وقرأ ابنُ عامر: ﴿وإن تكن﴾ بتاء التَّأنيث، ﴿ميتةٌ﴾ رفع؛ لأنَّها مؤنَّثةٌ لفظاً.

وقرأ أبو جعفر: ﴿وإن تكن﴾ بالتاء، ﴿ميِّتةٌ﴾ بالتَّشديد والرَّفع[٥].

---

(١) ذكرها ابن جني في «المحتسب» (١/ ٢٣٢)، وزاد نسبتها لابن عباس ـ بخلاف عنه ـ والأعرج وقتادة.

(٢) ذكرها ابن خالويه في «مختصر في شواذ القرآن» (ص: ٤٦)، وابن جني في «المحتسب» (١/ ٢٣٢)، وزاد الأخير نسبتها للزهري والأعمش وأبي طالوت.

(٣) ذكرها ابن جني في «المحتسب» (١/ ٢٣٢)، وزاد نسبتها لابن عباس والأعمش بخلاف، ونسبها ابن خالويه في «مختصره» (ص: ٤٦) لابن عباس فقط.

(٤) رواه الطبري عنهما في «تفسيره» (٩/ ٥٨٤ ـ ٥٨٥).

(٥) من قوله: «وقرأ أبو جعفر» إلى هنا ليس في (أ) و(ر).

وقرأ عاصمٌ في رواية أبي بكر وحمَّاد[١]: ﴿وإن تكن﴾ بتاء التَّأنيث، ﴿مَّيۡتَةً﴾ بالنَّصب؛ لأنَّه خبرُ كان، والاسمُ مضمَرٌ على التَّأنيث؛ وإن تكن الأنعام؛ لأن ما في بطونِ الأنعام أنعامٌ.

وقرأ الباقون: ﴿وَإِن يَكُن﴾ بياء التَّذكير، ﴿مَّيۡتَةً﴾ بالنَّصب[٢]، والاسمُ: ما في بطون، وهو مذكَّرٌ، معناه: وإن يكن ما في البطن ميتاً، فالذُّكورُ في حلِّ أكلِه والإناثُ سواءٌ.

وقوله تعالى: ﴿سَيَجۡزِيهِمۡ وَصۡفَهُمۡ﴾ ما تَصِفُ ألسنتُهم مِن التَّحليل والتَّحريم، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلۡسِنَتُكُمُ ٱلۡكَذِبَ﴾ [النحل: ١١٦].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٞ﴾ ﴿حَكِيمٌ﴾ في جزائهم، ﴿عَلِيمٞ﴾ بأفعالهم.

وروَتْ عمرةُ عن عائشة رضي الله عنها قالت: يَعمد أحدُهم إلى مالِه، فيَجعلُه للذُّكور مِن ولدِه دون الإناث، فتَجيء المرأةُ الغريبةُ فتَتَبحبحُ في ماله، وجعلَت ابنتُه تَمتدُّ عيناها إلى مالِ أبيها، ما فعلوه إلَّا كما أخبرَ اللهُ عنهم: ﴿خَالِصَةٞ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِنَا﴾[٣].

وقال الإمام القشيريَّ رحمه الله: أخبرَ عن أشياءَ ابتدعوها على ما أرادوا، وأمورٍ شرعوها على الوجهِ الذي اعتادوا، ثمَّ أضافوا ذلك إلى الحقِّ بغير دليل، ولا

---

(١) قوله: «وحماد» من (ف).

(٢) انظر القراءات المذكورة في «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٧٠ ـ ٢٧١)، و«التيسير» (ص: ١٠٧)، و«جامع البيان» للداني (ص: ٥٠٥ ـ ٥٠٦)، و«النشر» لابن الجزري (٢/ ٢٦٥ ـ ٢٦٦).

(٣) رواه البخاري في «التاريخ الكبير» (٤/ ٧) مختصراً.

من جهة إذنٍ ورسول[١]، والإشارةُ فيه أنَّ مَن نحا نحوَهم في زيادةِ شيءٍ في الدِّين، أو نقصانِ شيءٍ مِن شرعِ المسلمين فهو مُضَاهٍ لهم في البطلان، ومنخرطٌ في سلكِهم في الطُّغيان[٢].

❁ ❁ ❁

(١٤٠) ـ ﴿ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ ۚ قَدْ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ ﴾؛ أي: هَلَكوا وخابوا، والسَّفهُ: خفَّةُ الحِلم بالعَجلة إلى ما لا ينبغي له أن يَعجلَ إليه، ومِن السَّفهِ قتلُ النُّفوسِ المحرَّمةِ، خصوصاً من هو ولدُك وبعضٌ منك، ومَن لم يُذنب إليك ولا إلى غيرِك، ولا جنى جنايةً، وفيه قسوةُ قلبٍ، وقِلَّةُ رحمةٍ، وقطيعةُ رحمٍ، وإساءةٌ إلى بريءٍ، وجُرأةٌ على الله.

وقوله تعالى: ﴿قَدْ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴾ قال الإمام القشيريُّ رحمه الله: انسدَّتْ عليهم طرقُ الثِّقةِ بخالقِ العباد، فحملَتهُم خشيةُ الفقرِ على قتلِ الأولاد، ومن حقائقِ اليقين: كثرةُ العِيال على قلَّة المال[٣].

❁ ❁ ❁

(١٤١) ـ ﴿ ۞ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۚ كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾.

---

(١) في (ف): «ولا رسول» بدل: «إذن ورسول».

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (١/ ٥٠٦).

(٣) المرجع السابق (١/ ٥٠٧).

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ﴾ بيَّن تحريمَ المشركين بعضَ الحروثِ والأنعام، وبيَّن في هذه الآية أنَّها خُلِقَت لنا، وهي حلالٌ ليست بحرام.

و﴿أَنشَأَ﴾؛ أي: خلقَ وابتدأ، ﴿جَنَّٰتٍ﴾ بساتين.

وقوله: ﴿مَّعْرُوشَٰتٍ﴾ قال ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما والسُّدِّيُّ: هي ما عُرِشَ مِن الكُروم[١] ونحوها[٢]، وهو رفعُ بعضِ أغصانِها على بعض.

وقيل: هو ما رُفع[٣] له حِظارٌ كالحائط.

والعرش في اللُّغة: هو الرَّفعُ، وسُمِّيَ السَّريرُ عرشاً؛ لارتفاعه، **وقوله تعالى:** ﴿خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ [البقرة: ٢٥٩]؛ أي: أعاليها. وقيل: هي الكرومُ يُجعَل لها عرائشُ، وهي كالسُّقوف، والعَرْشُ: السَّقف.

وقيل: المعروش[٤]: ما يَقومُ على السَّاق، وغير المعروش: ما يَنبسِطُ على الأرض.

وعن ابن عباسٍ رضي الله عنهما في روايةٍ: المعروشات: الـمَسْموكات، وغيرُ المعروشات: ما خرجَ من الجبالِ والبرِّيَّة من الثِّمار[٥].

وقوله تعالى: ﴿وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ﴾ عطف على: ﴿جَنَّٰتٍ﴾، وهي مفعولةٌ بـ﴿أَنشَأَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ﴾ نُصِب على القطعِ؛ لأنَّه نكرةٌ هي صفةٌ لمعرفة،

---

(١) في (ر) و(ف): «الكرم».

(٢) روى قوليهما الطبري في «تفسيره» (٩/ ٥٩٣ ـ ٥٩٤).

(٣) في (أ): «يرفع».

(٤) في (أ): «العروش» في هذا الموضع والذي يليه.

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٥٩٣).

والأُكُل: الثَّمرُ؛ لأنَّه يُؤكَل، والنَّخل ألوانٌ كثيرةٌ، وكذلك الزَّرع، والهاء في ﴿أُكُلُهُۥ﴾ راجعةٌ إلى ما ذُكِر.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ﴾ عطف على ﴿جَنَّٰتٍ﴾.

قوله تعالى: ﴿مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ﴾ نصب على القطعِ، وتفسيرُه ما مرَّ في قوله: ﴿مُشْتَبِهًا﴾ [الأنعام: ٩٩]، والاشتباهُ والتَّشابهُ واحدٌ، يُقال: اشتبهَتِ الأمورُ وتَشابهت.

وقوله تعالى: ﴿كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ﴾؛ أي: ثمرِ ما ذُكر، ﴿إِذَآ أَثْمَرَ﴾ أي: استبيحوا أكلَهُ، ولا تحرِّموه كتحريمِ المشركين.

وقوله تعالى: ﴿وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾ قرأ ابنُ كثيرٍ ونافعٌ وحمزةُ والكسائيُّ بكسر الحاء، والباقون بفتحها(١)، وهما لغتان، كما في الجدادِ والصّرام والقطاف. وحقُّه العشر.

ويومُ حصادِه: وقت بلوغِه وفصله.

وقال الرَّبيع: هو لُقاطُ السُّنبل(٢).

وقال مجاهدٌ: إذا حصدتَ وحضرَكَ المساكين فاطرَح لهم مِنه، وإذا دُستَهُ وذَرَيْتَهُ فاطرَحْ لهم مِنه، وإذا عرفت كيله، فاعزل زكاته(٣) أي: عشره.

وقال الشَّعبيُّ: تعطي منه ضغثاً(٤).

---

(١) في (ف): «قرأ أبو عمرو وسهل ويعقوب وابن عامر وعاصم بفتح الحاء والباقون بكسرها» بدل قوله: «قرأ ابن كثير ونافع وحمزة والكسائي بكسر الحاء والباقون بفتحها»، وهي نسخة بهامشها. وانظر القراءة في «السبعة» (ص: ٢٧١)، و«التيسير» (ص: ١٠٧)، و«النشر» (٢/ ٢٦٦).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٦٠٦).

(٣) رواه سعيد بن منصور في «سننه» (٩٢٣ ـ تفسير)، ومن طريقه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٣٩٨) (٧٩٥١).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٦٠٥).

وقال مجاهد: كانوا يُعلِّقون العِذقَ عند الصِّرام، فيأكلُ منه الضيف ومن مر به[١].

وقال ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: كان رجالٌ يَتبرَّعون[٢] عند صرامِه، فيقولُ الرَّجل: لا أمنعُ سائلاً حتَّى أُمسي، فعَمَدَ ثابتُ بنُ قيس بنِ شمَّاس إلى خمس مئةِ نخلةٍ، فجذها، ثمَّ قسمها في يومٍ واحدٍ، ولم يَترك لأهلِه شيئاً، فنزلت الآية: ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓا۟﴾ يعني في العطية[٣]، ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ أسرفَ حتَّى لم يَترك لأهلِه شيئاً.

ومَن حملَهُ على العُشر فمعنى قوله: ﴿وَءَاتُوا۟﴾؛ أي: التزموا أداءَه، كما قال: ﴿وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ [النساء: ٢٥]؛ أي: التزموا؛ لأنَّه لا يُسلَّمَ حين يحصد[٤] حتَّى يتمَّ.

وقال سعيدُ بنُ جبير: ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓا۟﴾؛ أي: لا تُعطوا كلَّه[٥].

وقال الزُّهريُّ: لا تسرفوا؛ أي: لا تُنفِقوا في المعصية[٦].

وقال عبدُ الرحمن بنُ زيد: هو أمرٌ للسَّلاطين؛ أي: لا تَأخذوا فوق حظِّكُم[٧].

---

(١) لفظ: «به» من (أ)، ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٨٦١)، والطبري في «تفسيره» (٥/ ٦٠٧).

(٢) بعدها في (أ): «أنه».

(٣) أورده الثعلبي في «تفسيره» (١٢/ ٢٣٧) (طبعة دار التفسير)، والواحدي في «البسيط» (٨/ ٤٨١). وروى الطبري في «تفسيره» (٩/ ٦١٥) نحوه عن ابن جريج.

(٤) في (أ): «يحصده».

(٥) لفظ: «كله» ليس في (ف). ورواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٦١٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٣٩٩) (٧٩٦٧) عن السدي.

(٦) انظر: «تفسير الثعلبي» (١٢/ ٢٣٨) (طبعة التفسير).

(٧) كذا في النسخ الخطية، ولعل صوابها: «حقكم» كما في «تفسير الثعلبي» (١٢/ ٢٣٩) (طبعة دار التفسير)، ورواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٦١٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤٠٠) (٧٩٦٨).

وقال مقاتلٌ وعطيَّة العوفي: أي: لا تشركوا الأوثان في الحرثِ والأنعام[١].

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: قوله: ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ كلُّ ما أنفَقْتَهُ في حظِّ نفسِك فهو إسرافٌ، وإن كانت سِمسِمةً، وما أنفقتَهُ في سبيلهِ فليس بإسرافٍ، ولو أربى على الآلاف[٢].

* * *

(١٤٢) ـ ﴿وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا ۚ كُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا﴾؛ أي: وأنشأ مِن الأنعامِ حَمُولةً، وهي كبارُ الإبلِ التي تُطيقُ الحملَ، ﴿وَفَرْشًا﴾؛ أي: صِغارُها، وهو عن ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما والحسنُ ومجاهد[٣].

وقيل: الحَمولة: ما حُمل [عليه] من الإبل والبقر، وأما الفرشُ فهي الغنم، [٤] عن الحسن في روايةٍ[٥]، وهو قولُ قتادةَ والرَّبيع والسُّدِّيِّ والضَّحاك وابنِ زيد[٦].

وعن ابن عباسٍ رضي الله عنهما في روايةٍ: إنَّ الحَمولة ما حُمِل [عليه] مِن الإبل والبقر والخيل والبغال والحمير، وأما الفَرْشُ فهي الغنم[٧].

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (١/ ٥٩٣)، و«تفسير الثعلبي» (١٢/ ٢٣٨).

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (١/ ٥٠٧).

(٣) رواه عنهم الطبري في «تفسيره» (٩/ ٦١٩ ـ ٦٢٠).

(٤) بعدها في (ر): «وهذا».

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٦٢٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤٠٠) (٧٩٧٣).

(٦) رواه عنهم الطبري في «تفسيره» (٩/ ٦٢١ ـ ٦٢٢).

(٧) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٦٢١)، وما بين حاصرتين منه.

والحَمولةُ جمعٌ لا واحدَ لها مِن لفظِها، وسُمِّي صغارُ الإبلِ فرشاً؛ لاستواء أسنانِها في الصِّغر والانحطاط، كاستواءِ ما يُفترَش.

وقال أبو عمرو: الحَمولةُ: الإبلُ، والفَرْشُ: البقرُ والغنم(١)، يقول: أنشأ مِن الأنعامِ حَمولةً يُنتفَع بها بالحملِ، وصِغاراً يُنتفَع بها من وجوهٍ أُخَر.

وقوله تعالى: ﴿كُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾ أي: استبيحوا كلَّ هذه الأنعام، وهي الإبلُ والبقرُ والغنم.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾؛ أي: ولا تَسلكوا سبيلَ الشَّيطان، ولا تتَّبعوا آثارَهُ في تحريمِها.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ ظاهرُ العداوة. وقيل: أي: مظهِرها، وأبان لازمٌ ومتعدٍّ، فاتَّهموه على أنفسكم وأديانكم.

* * *

(١٤٣) - ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۖ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ ۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۖ نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾ ترجمةٌ عن قوله: ﴿حَمُولَةً وَفَرْشًا﴾.

وقيل: نصب لأنَّه مفعولٌ بقوله: ﴿كُلُوا۟﴾.

وقيل: هو على الإغراء؛ أي: عليكم بها، فانتفعوا بها؛ فإنَّ اللهَ أباحَها لكم.

و﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾؛ أي: ثمانيةَ أصنافٍ، أو ثمانيةَ أفرادٍ، كل ذكرٍ وأنثى زوجان.

وقوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ﴾ قال الزَّجَّاجُ: الضأنُ جمع ضائن، كالتَّجْر جمع تاجر(٢).

---

(١) انظر: «الغريبين» للهروي (٥/ ١٤٣٠) (مادة: فرش).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٢٩٩).

وقيل: هو جمعٌ لا واحدَ له مِن لفظِه، ويُجمَع على: ضَئين، كعبد يُجمَعُ على عبيد.

وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ﴾ قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر بتحريك العين[1]، وهي جمع ماعِز، وهي التُّيوسُ والعنوز.

وفي مصحف أبيّ: «ومن المِعْزَى»[2]، وهي جمعٌ أيضاً، وقال امرؤ القيس:

إذا ما لَمْ تكُن إبلٌ فمِعْزَى ... كأن قرونَ جِلَّتِها العصيُّ[3]

وقوله تعالى: ﴿قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ الألفُ ألف الاستفهام.

وقوله تعالى: ﴿أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾؛ أي: حَوَتهُ وجمعَتهُ وانضمَّت عليه، والأرحام جمعُ رَحِم، وهي المشيمةُ، وهي موضعُ الولد.

وجَمَعَ الأرحام، وإن أضيفَت إلى اثنين؛ لأنَّ ما كان في الحيِّ مِنه عضوٌ واحدٌ، فالإضافة إلى الاثنين بالجمع، قال تعالى: ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [التحريم: ٤]، يقول: أنشأ لكم ثمانيةَ أزواجٍ مِن الغنمِ ذكراً وأنثى، ومن المعزِ ذكراً وأنثى، ومن الإبل كذلك، ومن البقر كذلك، كلُّ ذكرٍ زوجٌ للأنثى، وكلُّ أُنثى زوجٌ للذَّكر، فهي ثمانية أزواجٍ، وهم كانوا يُحرِّمون مِن هذه الأصناف الأربعة، فأمرَ اللهُ تعالى نبيَّه ﷺ أنْ يُحاجَّهم، ويُبطِلَ وجهَ تحريمِهم، فقال: ﴿قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾؛ أي:

---

(١) في (ف): «قرأ أبو جعفر ونافع وحمزة والكسائي وعاصم وخلف وابن فليح وزمعة والخزاعي عن البزي وابن فليح والقواس عن ابن مجاهد وأبي عون عن قنبل [عنه] بتسكين العين، والباقون بتحريك العين» بدل من «قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر بتحريك العين». وانظر القراءة في «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٧١)، و«التيسير» (ص: ١٠٨)، و«جامع البيان» للداني (ص:٥٠٦)، و«النشر» لابن الجزري (٢/ ٢٦٦).

(٢) انظر: «مختصر في شواذ القرآن» لابن خالويه (ص: ٤٧).

(٣) انظر: «ديوان امرئ القيس» (ص: ١٣٦).

الذَّكر من الضَّأنِ والذَّكرُ مِن المعز[١] حرَّم؟ أم الأنثى مِن هذه والأنثى[٢] من هذه؟ أم حرَّم الأجنَّةَ التي اشتملَت عليها الأرحام دون الأصول كالذُّكور والإناث؟ فإنْ كان حرَّم الذُّكور، فيجبُ أن يكونَ كلُّ ذكرٍ حراماً، وإنْ كان حرَّم الأُنثى، فيجبُ أن تكونَ كلُّ أنثى حراماً، وإنْ كان حرَّم الجنينَ، فيجبُ أن يكونَ كلُّ جنينٍ حراماً، وهم لا يقولون ذلك، فتناقضَت مقالاتُهم، وظهرَتْ محالاتهم.

وقوله تعالى: ﴿نَبِّـُٔونِي بِعِلۡمٍ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾؛ أي: أخبروني بحجَّةٍ ما تَقولون مِن طريقِ العِلم، ﴿إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ في دعواكم.

***

(١٤٤) ـ ﴿وَمِنَ ٱلۡإِبِلِ ٱثۡنَيۡنِ وَمِنَ ٱلۡبَقَرِ ٱثۡنَيۡنِۗ قُلۡ ءَآلذَّكَرَيۡنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ أَمَّا ٱشۡتَمَلَتۡ عَلَيۡهِ أَرۡحَامُ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۖ أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَاۚ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيۡرِ عِلۡمٍۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلۡإِبِلِ ٱثۡنَيۡنِ﴾؛ أي: ذكراً وأنثى أيضاً، ﴿وَمِنَ ٱلۡبَقَرِ ٱثۡنَيۡنِ﴾ كذلك.

وقوله تعالى: ﴿قُلۡ ءَآلذَّكَرَيۡنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ أَمَّا ٱشۡتَمَلَتۡ عَلَيۡهِ أَرۡحَامُ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ﴾؛ أي: مِن الإبلِ والبقر كالأوَّل.

وقوله تعالى: ﴿أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَا﴾ وقال في الآية الأولى: ﴿نَبِّـُٔونِي بِعِلۡمٍ﴾، وحاصِلُه أنَّ العلومَ ثلاثةٌ: استدلالٌ، وعِيانٌ، وخبر، فقد

---

(١) في (أ): «والمعز» بدل من «والذكر من المعز».

(٢) في (ف): «أم الأنثى».

أبطلَ الاستدلالَ بأوَّل هذه الآية، ولا عِيان أيضاً؛ فإنَّهم لم يقولوا: شِهدنا اللهَ أمرَ به، ولا خبرَ لهم مِن صادقٍ؛ فإنَّهم لا يَقولون بالرُّسل، فثبتَ أنَّه لا علمَ لهم أصلاً في هذا، فلم يبقَ إلا الافتراء، وهو ظلم، وذلك قولُه تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.

ورُوي أنَّ مالك بن عوف النَّصريّ الجُشَميّ، وكنيتُه: أبو الأحوص[1] جاء إلى رسول الله ﷺ، وقال: يا محمَّدُ، بلغَنا أنَّك لا تُحرِّمُ ما كان آباؤنا يُحرِّمونَه، فقال رسول الله ﷺ: إنَّ الله تعالى خلقَ ثمانيةَ أزواجٍ، وساق الكلامَ إلى آخر الآيتين، فتحيَّر مالكٌ، وعرفَ أنَّه محجوجٌ، فقال: كذلك فعلَ آباؤنا.

وفي روايةٍ قال: إنَّ معي جماعةً مِن قومي، فآتيهم فأخبرهم، فأتى قومَه، فقالوا له: كيف رأيته؟ فقال: رأيتُه رجلاً معلَّماً.

* * *

(١٤٥) ـ ﴿قُل لَّا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ۚ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

وفي روايةٍ قال: يا محمَّد، فما هذه التي حرَّمَها آباؤنا مِن البحيرة والسَّائبةِ والوصيلة والحامي، فنزل قولُه تعالى: ﴿قُل لَّا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ١٩٧)، وليس فيه: «النصري»، وكأنه اختلط رجلان؛ الأول مالك بن عوف النصري رئيس المشركين يوم حنين، وكنيته أبو علي، والثاني مالك بن عوف الجشمي، ويروي عنه أبو الأحوص، واسم أبي الأحوص: عوف بن مالك بن نضلة. انظر: «الطبقات الكبرى» لابن سعد (٦/ ٢٠٩)، و«معجم الصحابة» للبغوي (٥/ ٢٠٤)، و«الإصابة» لابن حجر (٩/ ٦٤، ٦٥ ـ ٦٦).

﴿يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا﴾؛ أي: مصبوباً، وعنى به السَّائلَ، فلا يَحرم الدَّمُ الذي في اللَّحم، ولا الكبد، ولا الطِّحال.

وقوله تعالى: ﴿أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ﴾؛ أي: نجسٌ، والهاءُ تَرجِعُ إلى الخنزير، فدلَّ على أنَّه نَجِسُ العين.

وقوله تعالى: ﴿أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾؛ أي: مفسوقاً به، وهو المذبوحُ للصَّنم[1].

وقوله تعالى: ﴿عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ﴾ دليلٌ على أنَّ المحرَّمَ من الميتةِ أكلُها، فلا يَحرُمُ شعرُها وعظمُها وقرنُها، والجلدُ قبل الدِّباغِ يَحرمُ؛ لأنَّه قد يُشوى فيؤكل، فإذا دُبِغ خرجَ عن الأكل، وجاز الانتفاعُ به.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: تعلق بِشْرٌ بظاهرِه، ولم يُحرِّم شيئاً سوى ما ذُكِر في هذه الآية، وقال في نهيِ النَّبيِّ ﷺ عن كلِّ ذي نابٍ مِن السِّباع، وكلِّ ذي مخلبٍ مِن الطير[2]: إنَّه خبرُ الواحد، فلا يُترَكُ به النصُّ، ولكنَّا نقولُ: الآيةُ في إخبارِه أنَّه لا يَجِدُ فيما أُوحيَ إليه يومَ قال إلَّا ذلك، ثمَّ ثبتَ حرمةُ أشياءَ بالقرآن، وحرمةُ أشياء بقول النبيِّ ﷺ، وهذا الخبرُ مشهورٌ، تلقَّتهُ العلماءُ بالقَبول، فجازَ به الزِّيادةُ على النَّصِّ[3].

وقوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾؛ أي: اضطرَّ إلى شيءٍ مِن هذه المحرَّمات ﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾ بمجاوزة قدرِ الحاجة، ﴿وَلَا عَادٍ﴾ بالتَّزوُّد، وقد بيَّنَّا فيه أقاويل أُخرَ في سورة البقرة[4].

---

(١) في (ر): «لأجل الصنم» بدل: «للصنم».

(٢) رواه مسلم في «صحيحه» (١٩٣٤) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٤/ ٢٩٣ ـ ٢٩٨).

(٤) عند تفسير الآية (١٧٣).

وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ يَغفِرُ له الأكلَ عند الضَّرورة، ﴿رَّحِيمٌ﴾ بإثباتِ الرُّخصةِ.

***

(١٤٦) ـ ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ۖ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ۚ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ﴾ أخبرَ أنَّه حرَّمَ على اليهودِ أشياءَ ببغيِهم على أنبيائِهم وتَحاسُدهم فيما بينهم، كما قال: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾ [النساء: ١٦٠]؛ منها أكلُ كلِّ ذي ظفر.

قال ابنُ عباس رضي الله عنهما وسعيدُ بنُ جبير ومجاهدٌ وقتادةُ والسُّدِّيُّ: هو كلُّ ما ليس بمفرَّجِ(١) الأصابع، كالإبلِ والنَّعامِ والوزِّ والبطِّ(٢).

وقيل: يدخلُ فيه أنواعُ السِّباعِ والكلاب والسَّنانيرِ، وسائرِ ما يَصطادُ بظُفرِه مِن الطَّير.

وذكر القتيبيُّ أنَّ كلَّ ذي مخلبٍ مِن الطَّير، وكلَّ ذي حافرٍ مِن الدَّوابِّ داخلٌ فيه، وحكاهُ عن بعض المفسِّرين(٣).

وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ﴾ ومحَرَّمٌ آخرُ عليهم شحومُ البقر والغنم، واستثنى من ذلك شحمَ الظُّهور والحوايا أنَّه لم يُحرِّم

---

(١) في (ر): «متفرج».

(٢) رواه عنهم الطبري في «تفسيره» (٩/ ٦٣٩ ـ ٦٤٠).

(٣) انظر: «تأويل مشكل القرآن» (ص: ١٥٣).

عليهم، وذلك قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا﴾ جمعَ الظَّهر لأنه فردٌ مِن اثنين أضيف إليهما، كما في قوله: ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [التحريم: ٤].

وقوله: ﴿أَوِ ٱلْحَوَايَآ﴾ جمع حَوِيَّة وحاوياء، فالفعيلةُ تُجمَعُ على فعائل، كالسَّفينة والسَّفائِن، والفاعلاء على فواعل، كالقاصِعاء والقواصع، وفي المعتل يجمع بألفٍ في آخره، كالبليَّة والبلايا، والعَطِيَّة والعطايا، وفي عطفِه وجهان:

قيل: هو رفع عطفاً على قوله: ﴿ظُهُورُهُمَآ﴾، وتقديره: أو حملَتهُ الحوايا مِن الشُّحوم.

وقيل: هو عطفٌ على: ﴿إِلَّا مَا﴾؛ أي: وإلَّا شحومَ الحوايا.

وقال ابنُ عباس وسعيدُ بنُ جُبير وقتادةُ ومجاهدٌ والسُّدِّيُّ: ﴿ٱلْحَوَايَآ﴾: المباعر[1].

وقال أهلُ اللُّغة: هي ما تَحَوَّى في البطن، فاجتمعَ واستدار.

وقوله تعالى: ﴿أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ﴾ هو كلُّ وَدَكٍ اتَّصلَ بعظمٍ كالألْيَة، وما في القوائم والجُنوب والرؤوس والعيون والآذان والمخ، فإنَّه مستثنًى أيضاً.

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾ فيما أَخْبَرْنا به، لا أنتم فيما قلتُم.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: قيل في قوله: ﴿إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ﴾[2] هو سمينُ اللَّحم، وقيل: هو غيرُ ذلك، وكذا اختلفَ في ذي الظُّفر وفي قوله: ﴿أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ﴾، وليس بنا إلى معرفةِ ذلك حاجةٌ؛ لأنَّ تلك شريعةٌ قد نُسِخَت، ولكن

---

(١) رواه عنهم الطبري في «تفسيره» (٩/ ٦٤٤ ـ ٦٤٦).

(٢) بعدها في (أ): «ما».

بنا أن نَعرفَ أنَّ ذلك التَّحريمَ كان بِبغيِهم، وبطل بذلك دعواهم: ﴿نَحۡنُ أَبۡنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥۚ﴾ [المائدة: ١٨]؛ فإنَّ الأبَ والحبيبَ لا يُحَرِّمُ الحلالَ على الابن والحبيبِ بأدنى ظلمٍ.

ودلَّت الآيةُ على صدقِ رسالة النَّبيِّ ﷺ؛ فإنَّه أخبرَ عمَّا كانوا يُخفونَهُ، ولم يكن ذلك ظاهراً عند أحدٍ مِن غيرِهم، فدلَّ أنَّه بالله علمَ ذلك بوحيٍ منه إليه[1].

***

(١٤٧) ـ ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمۡ ذُو رَحۡمَةٖ وَٰسِعَةٖ وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُهُۥ عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ﴾؛ أي: فيما أوحيتُ إليك مِن هذا، ﴿فَقُل رَّبُّكُمۡ ذُو رَحۡمَةٖ وَٰسِعَةٖ﴾[2] وبها يُمهِل المكذِّبين، ولا يعاجلهم بالعقوبة.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُهُۥ عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾؛ أي: إنَّ عذابَهُ وإن تأخَّر، فإذا جاء لم يُرَدَّ عن المجرمين؛ أي: لا يمكنُ ردُّه.

وقيل: ذكر قولَهُ: ﴿فَقُل رَّبُّكُمۡ ذُو رَحۡمَةٖ وَٰسِعَةٖ﴾ بعد التَّكذيبِ؛ دعاءً لهم إلى ترك التَّكذيب، وبيان أنَّهم إذا تركوه رحمَهم وأكرمَهم، قاله الحسن[3].

وقال الإمام القشيري رحمه الله: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمۡ ذُو رَحۡمَةٖ وَٰسِعَةٖ﴾؛ أي: بالمصدِّقين، ولا يُردُّ بأسُه عن المكذِّبين، وفيه بيانُ تَخصيص الأولياءِ بالكرامةِ

---

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٤/ ٣٠٣ ـ ٣٠٤).

(٢) بعدها في (ر) و(ف): «لهم إن»

(٣) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٤/ ٣٠٤).

والرَّحمة[١]، وتخصيصِ الأعداءِ بالطَّرد واللَّعنة، فالصُّورةُ الإنسانيَّةُ جامعةٌ[٢] لهم، والقسمةُ الأزليَّةُ فاصلةٌ بينهم[٣].

* * *

(١٤٨) - ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾؛ أي: يَتعلَّقون بمثلِ هذا الكلام في تكذيبك، وثبوتِهم على شركِهم، وتحريمِهم ما لم يُحرِّمهُ الله.

وقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾؛ أي: كتكذيبهم إيَّاك كان تكذيبُ المتقدِّمينَ رسلَهم، وتعلُّقُهم بمثلِ هذا، فلم يَنفعهم ذلك، إذ لم[٤] يقولوا ذلك عن اعتقادٍ[٥]، بل قالوه استهزاءً.

وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا﴾؛ أي: لاقوا عذابَنا، فالكلامُ حقٌّ، لكن قالوه استهزاءً فذُمُّوا به لذلك، وهو كقوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ﴾ [يس: ٤٧]، وكقوله: ﴿قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾ [المنافقون: ١]، فالقولان حقَّان، لكن لم يقولوا ذلك عن اعتقادٍ، فرُدَّ عليهم ذلك،

---

(١) في (أ): «بالرحمة» بدل: «بالكرامة والرحمة».

(٢) في (أ): «حاصلة».

(٣) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (١/ ٥٠٩).

(٤) في (ر): «ولم»، وفي (ف): «وإذا لم».

(٥) بعدها في (ف): «بك».

وذُمُّوا به، وهذا يكشفُ بطلان وَهْمِ[1] المعتزلة أن الله عابَهم بالإضافة إلى المشيئةِ، فدلَّ أنَّه باطلٌ؛ لأنَّا بيَّنَّا وجهَهُ، ولأنَّه لم يقل: كذلك كَذَبَ الذين؛ بالتَّخفيف، ليكون وصفاً لهم بالكذبِ في هذا القولِ، بل قال بالتَّشديد، فكان المردودُ عليهم تكذيبَهم؛ لأنَّهم[2] جعلوا مشيئتَهُ حجَّة لهم على أنَّهم معذورون به، وهذا مردودٌ، لا الإقرارُ بالمشيئة.

ثمَّ المعتزلةُ مِن هذا الوجه شرٌّ مِن المشركين؛ لأنَّ المشركين أقرُّوا بمشيئة الله تعالى، والمعتزلةُ نفَوها، مع أنَّ الله تعالى أثبتَها في آياتٍ، كما قال: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُواْ﴾ [الأنعام: ١٠٧]، ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾ [الأنعام: ١١٢]، ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ [الأنعام: ٣٥]، وكلُّها في هذه السُّورة، وكذا قال تعالى بعد هذا: ﴿فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٩].

وقال الحسن: أرادوا بالمشيئة هاهنا الرضا، وقالوا: لولا أنَّ اللهَ رضيَ به لعاجَلَنا بالعقوبة، فردَّ اللهُ عليهم[3].

وقيل: كانوا يَدعون مِن هذا الوجهِ أمرَ اللهِ به، كما قالوا: ﴿وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾ [الأعراف: ٢٨]، فَرَدَّ عليهم.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ﴾؛ أي: مِن حُجَّةٍ في هذا تُعدُّ عِلماً في أنَّ مشيئتَه شركَكم تُبيحُ لكمُ المقامَ عليه، وفي أنَّه رضيَ بهِ، وفي أنَّه أمرَ به؛ أي: فلا حجَّة لكم مِن جهةِ العلم بوجهٍ يَصِحُّ التَّعلُّقُ به.

---

(١) في (ف): «قول».

(٢) في (ر): «ولأنهم».

(٣) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٤/ ٣٠٥).

وقوله تعالى: ﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾؛ أي: ما يتبعون إلَّا الظَّنَّ[١]، ﴿وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ أي: وما أنتم إلَّا تكذِبون، وظنُّهم: وهمُهم أنَّ مشيئةَ الله تعالى عذرٌ لهم.

* * *

(١٤٩) ـ ﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ﴾ نهايتَها عليهم، بأوامرِه ونواهيه، ولا حجَّة لهم على الله بمشيئتِه وإرادته.

وقوله تعالى: ﴿فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ وهي دامغةُ المعتزلين[٢] المبطِلين.

* * *

(١٥٠) ـ ﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا ۖ فَإِن شَهِدُوا۟ فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ ۚ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا﴾ «هلمَّ» يوحِّدُه أهلُ العالية في كلِّ حال، وأهلُ نجدٍ يقولون: هلمَّ، هلمَّا، هلمُّوا، هلمِّي[٣]، هلمُمْن[٤].

وقال سيبويه: هو هاء التنبيه ضُمَّ إليها: لم[٥].

---

(١) قوله: «إلا الظن» من (أ).

(٢) في (ف): «المعتزلة».

(٣) بعدها في (أ): «هلما».

(٤) انظر: «تفسير الطبري» (٩/ ٦٥٤)، و«معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٣٠٣).

(٥) انظر: «الكتاب» لسيبويه (٣/ ٥٢٩).

وقال الأخفش: هو «هل»[١] ضمَّ إليها «أم»[٢].

وهو يكون لازماً، كما في قوله: ﴿هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾ [الأحزاب: ١٨]، ويكون متعدِّياً، كما في هذه الآية: ﴿هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ﴾؛ أي: قرِّبوا وأحضِروا الذين يَشهدون لكم.

قيل: أرادَ به الأصنام فإنهم كانوا يسمُّونها شهداء، قال الله تعالى: ﴿وَٱدْعُواْ شُهَدَآءَكُم﴾ [البقرة: ٢٣].

وقوله تعالى: ﴿فَإِن شَهِدُواْ فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ﴾ ولا يُتصوَّرُ منها الشهادة، ولكنَّ هذا مبالغةٌ في النَّفي، كما قال: ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُواْ دُعَآءَكُمْ﴾، ثمَّ قال: ﴿وَلَوْ سَمِعُواْ مَا ٱسْتَجَابُواْ لَكُمْ﴾ [فاطر: ١٤].

وقيل: ﴿هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ﴾ ولا يَجِدون مَن يَشهَدُ لهم بذلك إلَّا أنفسُهم، ﴿فَإِن شَهِدُواْ﴾ لأنفسهم بأنفسهم أو بعضُهم لبعض، فلا تُحقِّقْ شهادتَهم، ولا تُصغِ إليها، ولا تَقبلها.

وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ ۚ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾؛ أي: دعاويهم المبنيَّة على الأهواء.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾؛ أي: الأصنامَ، كما افتتح به السُّورة.

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: أشار إلى أنَّ ما تجرَّدَ عن برهانٍ يُصحِّحُه، وبيانٍ يُوَضِّحُه، فغيرُ مقبولٍ من قائلِه، ولا عذرِ لقائله[٣].

---

(١) في (أ): «متى» بدل من «هو هل».

(٢) لم أقف عليه في «معاني القرآن» للأخفش، وهو قول الفراء في «معاني القرآن» (١/ ٢٠٣)، ونص قول الأخفش في «معاني القرآن» له (١/ ٣١٧): «هلم» قد تكون للواحد والاثنين والجماعة. اهـ.

(٣) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (١/ ٥١٠).

(١٥١) ـ ﴿ ۞ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ هذه الآيةُ وآيتان بعدَها آياتٌ محكماتٌ، كانت أحكامُها ثابتةً في كلِّ الأُمم، لم تُنسَخ، ولا تُنسَخ، وهنَّ جوامعُ أصولِ الدِّين ومعالي الأخلاق، وفيها مصالحُ الدَّارين، يقول: قل للمشركينَ: احْضُروا أقرأ عليكم ما حرَّم ربُّكم عليكم، فهي المحرَّمة دون ما تُحرِّمون ممَّا عددنا، يعني البحيرةَ ونحوها[١].

وقوله تعالى: ﴿أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ قال الزَّجَّاج: أي: وصَّى ألَّا تشركوا به شيئاً فقد قال تعالى: ﴿وَصَّاكُم﴾ في آخر هذه الآية[٢].

وقيل: تقديره: وهو أن قال: لا تشركوا به شيئاً.

وقيل: يقع عليه: ﴿حَرَّمَ﴾، ويحذف: «لا»، وتقديرُه: حرَّم عليكم أنْ تشركوا به شيئاً، كما في قوله: ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا﴾ [النساء: ١٧٦].

وقوله تعالى: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾؛ أي: وأحسنوا بالوالدين إحساناً، وإنَّما ذكرَه في المحرَّمات لأنَّ إيجابَ الإحسان تحريمٌ لتركِ الإحسان، فهو معطوفٌ على المحرَّم معنًى لا لفظاً.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ﴾؛ أي: مِن خوفِ فقرٍ.

---

(١) قوله: «يعني البحيرة ونحوها» من (ف).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٣٠٤).

وقوله تعالى: ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾؛ أي: رزقُكم ورزقُهم منَّا لا منكم، فما يَحمِلُكم على قتلِهم؟ ذكرَ حقوقَ الأولادِ بعد حقوقِ الوالدين.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾؛ أي: اجتنبوا القبائحَ كلَّها، ظاهرَها وباطنَها؛ فإنَّ اللهَ مطَّلِعٌ على جميعِها.

وعن ابن عباسٍ رضي الله عنهما قال: كان من الكفَّار مَن لا يرى بأساً بالزِّنى سرًّا، وكذا قال الضَّحَّاك والسُّدِّيُّ(١).

وقيل: ﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ الزِّنى، ﴿وَمَا بَطَنَ﴾ منها المخالَّةُ.

وقال الإمام أبو منصورٍ رحمه الله: قيل: الظَّاهرُ ما بينَك وبين الخلق، والباطنُ ما بينَك وبين الله تعالى.

وقيل: الظَّاهرُ بالجوارح، والباطنُ بالقلب(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾؛ أي: بما يحقُّ به قتلُها، ومن ذلك ما قال النبيُّ ﷺ: «لا يَحِلُّ دمُ امرئٍ مسلمٍ إلَّا بأحدِ معانٍ ثلاثة: كفرٍ بعد إيمان، وزِنًى بعد إحصان، وقتلِ نفسٍ بغيرِ حقٍّ»(٣).

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾؛ أي: هذه الأشياءُ أكَّدَ اللهُ الأمرَ بها؛ لتعقِلوا عظمَها عند الله، فتمتثلوا أمرَهُ فيها.

---

(١) روى أقوالهم الطبري في «تفسيره» (٩/ ٦٦٩ ـ ٦٦٠).

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٤/ ٣١٤).

(٣) رواه أبو داود في «سننه» (٤٥٠٢)، والترمذي في «سننه» (٢١٥٨)، والنسائي في «سننه» (٤٠١٩)، وابن ماجه (٢٥٣٣) من حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه. وسلف عند تفسير الآية (٣٢) من سورة المائدة.

وقال الرَّبيعُ بنُ خثيم لأخٍ له: هل لك في صحيفةٍ عليها خاتَم محمَّد، ثمَّ قرأ: ﴿قُلْ تَعَالَوْا﴾ إلى آخر الآيات(١).

***

(١٥٢) ـ ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ قيل: هو جمعُ شَدّ، بفتح الشين، وهو القوَّة، قال عنترة في رواية المفضل الضبِّي:

عهدي به شَدَّ النهارِ كأنَّما خُضِبَ البنانُ ورأسُهُ بالعِظْلِمِ(٢)

أي: قوَّةَ ضيائِه عند ارتفاعِه.

وقيل: هو جمعُ شِدَّة، كالأَنْعُم، جمع نعمة، قاله(٣) ابن الأعرابي، وهو بلوغُ كمالِ قوَّتِه وعقلِه(٤).

وقال مالكٌ وربيعةُ وعبدُ الرَّحمن بنُ زيد ويحيى بنُ يعمر: هو أنْ يحتلم أو يبلغ أوانه(٥).

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٦٦٨).

(٢) انظر: «ديوان عنترة» (ص: ٢١٣)، و«تفسير الطبري» (٩/ ٦٦٣)، وفيهما: «اللَّبان» ـ وهو الصدر ـ بدل: «البنان». والعظلم: عصارة شجر، أو نبت يصبغ به. انظر: «القاموس المحيط»: (مادة: عظلم).

(٣) في (ف): «وقال».

(٤) انظر: «الغريبين» للهروي (٣/ ٩٧٨) (مادة: شدد).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٦٦٤) عن مالك وربيعة، وأورده الثعلبي في «تفسيره» (٤/ ٢٠٤) عن يحيى بن يعمر

وقال الشَّعبيُّ: هو حين يُكتَبُ عليه عملُه[١].

وقيل: أوانُه هو بلوغُ خمس عشرةَ سنة.

وقيل: ثماني عشرة سنة.

وهذا خطابٌ للقضاةِ والأوصياء في حقِّ الصِّغار والصغائرِ الذين لا آباءَ لهم، ألَّا يتصرَّفوا في أموالِهم إلَّا بالعقود التي هي أحسن؛ أي: أنفعُ وأنظرُ لهم، إلى وقت البلوغ، ثمَّ تَنقطعُ ولايتهم عنهم.

وقوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ﴾؛ أي: أتِمُّوا الكيلَ في المكيلات، والوزنَ في الموزونات، إذا أدَّيتم ما عليكم مِنها، والميزانُ بمعنى الوزنِ كالميعادِ بمعنى الوَعد، والميقاتِ بمعنى الوقت[٢]، والميزانُ اسمٌ لما يُوزَنُ به، والكيلُ هاهنا اسمٌ لما يُكالُ به، ويكونُ بمعنى المكيال، وهو إطلاقُ اسم المصدر[٣] على اسم الآلة، وإنَّما حملناه على الأوَّل، وهو المصدر فيهما، أو على الثاني، وهو الآلةُ فيهما؛ ليتَّفِقا ولا يَختلفا.

والقِسْطُ: العدلُ، وهو التَّسويةُ في الإيفاء والاستيفاء، دون الازديادِ في الاستيفاء، والنُّقصان في الإيفاء؛ فإنَّه جورٌ، وفيه وعيدٌ بقوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ الآية [المطففين: ١].

قوله تعالى: ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾؛ أي: طاقتَها، فلا يُؤاخِذُها بتقصيرٍ يَقعُ في الكيلِ والوزنِ مِن غير قصدٍ، مع الاجتهادِ في مراعاة العدل.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٦٦٤).

(٢) قوله: «والميقات بمعنى الوقت» من (ر).

(٣) في (أ): «المصدر» بدل: «اسم المصدر».

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا﴾ وهذا في الشَّهادة، ﴿وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ ولو كان المشهودُ له أو المشهودُ عليه ذا قرابةٍ، فما يَنبغي لكم أنْ تَميلوا وتَتركوا العدلَ.

وقوله تعالى: ﴿وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا﴾؛ أي: بأوامرِه ونواهيهِ، وبأيمانِكم ونذورِكم.

وقوله تعالى: ﴿ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَّكَّرُونَ﴾[1]؛ أي: أمرَكُم به، وأكَّد الأمرَ لتتَّعظوا، وأصلُه: تتذكرون، فأُدغِمت التَّاءُ الثَّانيةُ في الذَّال.

* * *

(١٥٣) ـ ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا﴾ قرأ حمزةُ والكسائيُّ وخلف[2]: ﴿وإنَّ﴾ بالكسر على الابتداء، أو على تقدير: وأقول: إنَّ هذا صراطي مستقيماً.

وقرأ ابنُ عامر بفتح الألفِ وتسكين النُّون؛ عطفاً على قوله: ﴿أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ﴾ ﴿وأنْ هذا﴾.

وقرأ الباقون بفتح الألفِ وتشديد النُّون[3]؛ عطفاً على ذلك أيضاً، وإنَّما شدَّد لدُخولِها على الاسم هاهنا.

وقيل: هو متَّصلٌ بقوله: ﴿ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ﴾، وبـ ﴿أنَّ هذا صراطي﴾.

وقوله: ﴿مُسْتَقِيمًا﴾ نُصبَ على القطع؛ لأنَّه نكرةٌ نُعِتَ به مضافٌ، وهو معرفةٌ،

---

(١) هي بتشديد الذال قراءة ابن كثير وابن عامر ونافع وأبي عمرو وأبي بكر عن عاصم، وقرأ حفص وحمزة والكسائي بتخفيف الذال. انظر: «السبعة» (ص: ٢٧٢)، و«التيسير» (ص: ١٠٨).

(٢) قوله: «وخلف» من (ف).

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٢٧٣)، و«التيسير» (ص: ١٠٨)، و«النشر» (٢/ ٢٦٦).

يقول: ما تقدَّم ذكرُه هو[1] طريقي، وهو مستقيمٌ يُفضِي بسالكه إلى الجنَّة.

وقوله تعالى: ﴿فَاتَّبِعُوهُ﴾؛ أي: اسلكوهُ ولا تزيغوا عنه.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾؛ أي: ما سواه من الطُّرقِ الجائرة.

وقال ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي﴾ أرادَ به دينَ الإسلام، ﴿مُسْتَقِيمًا﴾؛ أي: قائماً، وهو الطريقُ الأعظم، ﴿فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾؛ أي: اليهوديَّة والنَّصرانيَّة والمجوسيَّة وعبادةَ الأوثان[2].

وقال مجاهد: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾؛ أي: البدعَ والشُّبهات[3].

وقوله تعالى: ﴿فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾؛ أي: تتفرَّق بكم عن هذا السَّبيل المستقيمِ بجعلكم مفارقيه.

وقيل: ﴿فَتَفَرَّقَ بِكُمْ﴾؛ أي: تُفرِّقُ بعضَكم عن بعضٍ بالاختلاف، ومعنى ﴿عَن سَبِيلِهِ﴾؛ أي: بعد الاجتماع في سبيلِه، كما يقال: كسوتُكَ عن عُرِي، أي: بعد عُرِي.

وروى ابنُ مسعود رضي الله عنه: عن النَّبيِّ ﷺ: أنَّه خطَّ بأصبعِه خطًّا مستقيماً، وقال: «هذا صراطُ الله مستقيماً»، ثمَّ خطَّ خطوطاً يميناً وشمالاً، ثم قال: «هذه السُّبل مشتركةٌ، وليس مِن هذه السُّبل سبيلٌ إلَّا وعليه شيطانٌ يَدعو إليه»، ثمَّ قرأ هذه الآية[4].

---

(١) في (أ) و(ر): «وهو».

(٢) انظر: «التفسير البسيط» للواحدي (٨/ ٥٣٦).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٦٧٠).

(٤) رواه النسائي في «الكبرى» (١١١٠٩)، والطبري في «تفسيره» (٩/ ٦٧١).

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ قال الإمام أبو منصور رحمه الله: ذكَرَ أوَّلاً: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾، ثم قال: ﴿تَذَكَّرُونَ﴾، ثم قال: ﴿تَتَّقُونَ﴾؛ لأنَّهم إذا عقَلوا تَفكَّروا فتذكَّروا؛ أي: اتَّعظوا، فاتَّقوا المحارمَ والمهالك(١).

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟﴾ الآيات؛ هذه أشياءُ عشرةٌ تَضمَّنتها هذه الآيات:

أوَّلُها: الشِّركُ، فإنَّه رأسُ المحرَّمات، والذي لا يُقبَلُ معه شيءٌ مِن الطَّاعات، ويَنقسم ذلك إلى جليٍّ وخفيّ؛ فالجليُّ عبادةُ الأصنام، والخفيُّ ملاحظةُ الأنامِ بعين الإعظام.

والثاني من هذه الخصال: توقيرُ الوالدين، وتركُ العقوقِ بحفظِ ما يَجبُ لهم مِن أكيداتِ الحقوق.

وبعد ذلك: قتلُ الأولادِ خشيةَ الإملاقِ وإراقةُ دمائِهم بغيرِ استحقاق.

ثمَّ ركوبُ الفواحش ما بطنَ منها وما ظهر، وما بدا مِنها وما استَتر، ويدخل في ذلك جميعُ الآثام.

ثمَّ قتلُ النَّفسِ بغيرِ حقٍّ، وذلك إنَّما يكون لفقدِ شفقةِ الخلق.

ثمَّ مجانبةُ مالِ اليتيم، والنَّظرُ إليه بعين التَّكريم.

ثمَّ بذلُ الإنصافِ في المعاملات، والتَّوقِّي عن جميعِ التَّبِعات.

ثمَّ الصِّدقُ في القول، والعدلُ في الفعل.

ثمَّ متابعةُ السَّبيل بما يُشيرُ إليه لوائحُ الدَّليل.

---

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٤/ ٣١٨).

فمن قابلَ هذه الأوامرَ بجميل الاعتناق، سَعِدَ في داريه، وحَظِيَ بعظائم منزلتيه[١].

* * *

(١٥٤) ـ ﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾؛ أي: ثمَّ اتلُ عليهم هذا.

وقيل: ﴿ثُمَّ﴾ هاهنا لترتيبِ الأخبارِ لا الوجود؛ أي: ثمَّ نخبِرُكم أنَّا آتينا موسى الكتابَ كما آتيناك، وهو ما تتلو عليهم، وقد مرَّت له نظائر.

وقيل: هذا يتَّصلُ بقصَّة الأنبياء: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الأنعام: ٨٣]، وكذا[٢]: ﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ [الأنعام: ٨٣].

وقوله تعالى: ﴿تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ﴾ قرأ يحيى بن يعمر: (أحسنُ) برفع النُّون[٣]، وقرأ العامَّةُ بفتحِها، وفي مصحف عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: (على الذين أحسنوا)[٤]، و﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ﴾ في معناه؛ لأنَّه جنسٌ فيَصلُحُ للجمع.

وقيل: ﴿ٱلَّذِىٓ﴾ بمعنى «ما»، وتقديره: على ما أحسنَ، ويكون معناهُ المصدر؛ أي: على إحسانِه وإنعامِه، ثمَّ في معناه خمسةُ أوقاويل:

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (١/ ٥١١).

(٢) لفظ: «وكذا» ليس في (ف).

(٣) رواها الطبري في «تفسيره» (٩/ ٦٧٧)، وذكرها ابن جني في «المحتسب» (١/ ٢٣٤)، والمهدوي في «التحصيل» (١/ ٧٠٢).

(٤) انظر القراءة في «معاني القرآن» للفراء (١/ ٣٦٥)، «مختصر في شواذ القرآن» لابن خالويه (ص: ٤٧).

قال الرَّبيع والفرَّاء: تماماً على إحسان موسى بطاعاته[١]، كأنَّه قال: ليُتِمَّ إحسانَهُ الذي يَستحِقُّ به كمالَ ثوابِه في الآخرة.

وقال مجاهدٌ: تماماً على المحسنين[٢]؛ أي: تماماً للنِّعمة على المحسنين الذين هو أحدُهم.

وقال ابنُ زيد: تماماً على إحسان اللهِ إلى أنبيائه[٣].

وقال الحسنُ وقتادة: أي: لتمام كرامته في الجنة على إحسانه في الدنيا[٤].

وقال بعضُهم: تماماً على إحسانِ الله تعالى إلى موسى بالنُّبوَّة وغيرِها مِن الكرامة.

ومن قرأ: (أحسنُ) بالرَّفع، فمعناه: على الذي هو أحسنُ[٥].

وقيل في وجه النَّصب: إنَّه خفض، لكنَّه لا يَنصرفُ ففُتِح، وتقديرُه أنه بدلٌ عن ﴿ٱلَّذِىٓ﴾ وترجمةٌ عنه، كقولك: مررتُ بالذي خيرٍ منك، بالخفض، وكذا يفعلون بـ «من»، قال الشاعر:

فكفى بنا فضْلاً على مَن غيرِنا حبُّ النبيِّ محمَّدٍ إيَّانا[٦]

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٦٧٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤٢٣) (٨١١٣) عن الربيع، وانظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٣٦٥).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٦٧٤).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٦٧٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤٢٣) (٨١١٠).

(٤) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٨٧٤)، والطبري في «تفسيره» (٩/ ٦٧٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤٢٣) (٨١١٣)، وذكره الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (٤/ ٣١٩) عن الحسن.

(٥) وضعفها ابن جني والمهدوي.

(٦) نسبه سيبويه في «الكتاب» (٢/ ١٠٥) للأنصاري، والفراء في «معاني القرآن» (١/ ٢١) لحسان، =

بخفض غير.

وقال الحسن: أي: مَن أحسنَ صحبتَهُ، تَمَّت عليه نعمةُ الله وكرامتُه[١].

وقيل: ﴿أَحْسَنَ﴾ بمعنى: عَلِمَ، يقال: فلانٌ يُحسِنُ علوماً كثيرة.

وقال عليٌّ رضي الله عنه: قيمةُ كلِّ امرءٍ ما يُحسِنُه[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ عطفاً على ﴿تَمَامًا﴾، ومعناه: إتماماً منَّا لكرامته، وبياناً لهم في كلِّ ما يحتاجون إليه.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: ويَحتملُ: تماماً بالنِّعمةِ والكرامة، ويَحتملُ: تماماً بالبيانِ والحجَّةِ، ويَحتملُ: تماماً بالعلمِ والحكمة[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُم﴾؛ أي: لعلَّ قومَه ﴿بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾؛ أي: بالقيامة يُصدِّقون.

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: يُهوِّنُ عليهم مقاساةَ التَّكليف بما ذَكرَ مِن التَّعريف، فإنَّ الذين كانوا قبلَنا كانوا في الضَّعفِ والعجزِ مثلَنا، ثمَّ صبَروا فظفِروا، وأخلَصوا فتخلَّصوا[٤].

= ونسبه ابن الشجري في «أماليه» (٢/ ٤٤٠ ـ ٤٤١)، وعبد القادر البغدادي في «الخزانة» (٦/ ١٢٢) لكعب بن مالك، وهو في «ديوانه» (ص: ٢٨٩)، وذكر البغدادي أنه نسب أيضاً لعبد الله بن رواحة.

(١) انظر: «تأويلات اهل السنة» للماتريدي (٤/ ٣١٩)، وسلف بمعناه قريباً.

(٢) ذكره الباقلاني في «إعجاز القرآن» (ص: ٦٨)، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١/ ٤١٧) (٦٠٩)، والراغب في «محاضرات الأدباء» (١/ ٤٩)، والزمخشري في «ربيع الأبرار» (٤/ ١٦).

(٣) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٤/ ٣١٩).

(٤) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (١/ ٥١١).

(١٥٥) ـ ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ﴾؛ أي: وهذا القرآنُ كتابٌ[1] مباركٌ، كثيرُ الخيرِ لمن اتَّبعَه، أنزلناهُ إليك كما أنزلنا التَّوراةَ إلى موسى، ﴿فَٱتَّبِعُوهُ﴾؛ أي: اعملوا به، ﴿وَٱتَّقُوا۟﴾ أي: مخالفته، ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾؛ أي: لِترحموا، و«لعلَّ» كلمةُ ترجٍّ؛ أي: اتَّقوا على رجاءِ الرَّحمة، والرَّحمةُ وإن كانت موعودةً للمتَّقين على القطع، فإنَّما ذكر كلمةَ «لعلَّ»؛ لأنَّ حصولَها بالختم على الإيمان، وفيه خطرٌ، فلذلك علَّقها بكلمة التَّرجِّي.

* * *

(١٥٦) ـ ﴿أَن تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَن تَقُولُوٓا۟﴾؛ أي: لئلَّا تقولوا، كما قال: ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا۟﴾ [النساء: ١٧٦].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا﴾؛ أي: اليهود والنَّصارى، ودلَّ هذا على أنَّ المجوسَ ليسوا من أهل الكتاب؛ إذ لو كانوا كذلك، لكانوا ثلاثَ طوائف.

وقوله تعالى: ﴿وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ﴾؛ أي: وما كنَّا عن قراءتِهم الكتابَ إلَّا غافلين، لا علمَ لنا بشيءٍ مِن ذلك[2].

* * *

(١) في (ر): «أنزلناه» بدل: «كتاب».

(٢) في (ف): «اليهود» بدل: «ذلك».

(١٥٧) ـ ﴿أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ ۚ فَقَدْ جَاءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا ۗ سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ﴾؛ أي: أرشد وأطوعَ مِن اليهودِ والنَّصارى، وإنما جمع ﴿مِنْهُمْ﴾ وهما طائفتان؛ لأنَّهما جمعان.

وقوله تعالى: ﴿فَقَدْ جَاءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾؛ أي: بيانٌ وقيل هي القرآن، وقيل: محمَّدٌ ﷺ.

وقوله: ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةٌ﴾ صفتان للقرآن أو للنَّبيِّ ﷺ.

وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ استفهامٌ بمعنى النَّفي؛ أي: لا أظلمَ لنفسِه، أو لا أحدَ أوضعُ للشَّيء غيرَ موضعه ممَّن كذَّب بالقرآن، وقيل: بحجج الله.

وقوله تعالى: ﴿وَصَدَفَ عَنْهَا﴾؛ أي: أعرض، وقد صدفَ صدُوفاً مِن حدِّ: ضرب[١]؛ أي: أعرض، قال الهذليُّ:

صدفَتْ أميَّةُ لاتَ حينَ صُدوفِ صَدَفَتْ وآذنَ جيرتي بخفوفِ[٢]

وقوله تعالى: ﴿سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ﴾؛ أي: العذابَ السَّيء، وهو الموصوف بنهايةِ النِّكاية.

* * *

---

(١) في (أ): «صرف».

(٢) البيت لعمير بن الجعد. انظر: «شرح أشعار الهذليين» (١/ ٤٦٣)، والخفوف: الرحيل.

(١٥٨) ـ ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾؛ أي: أقمنا حُجَجَ الوحدانيَّة وثبوتِ الرِّسالة، وأبطلنا ما يَعتقدون مِن الضَّلالات، ويَذكرون مِن المقالات، فما ينتظرون مِن ترك الإيمان إلَّا أحدَ هذه الأشياءِ الثَّلاثة، وهي: إتيانُ الملائكةِ لقبض الأرواح، وذلك عند الموت، أو: إتيانُ ربِّك؛ أي: أو إتيانُ أمرِ ربِّك كما صرَّحَ به في آيةٍ أخرى: ﴿أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾؛ أي: بإقامةِ القيامة، فإنَّها تقومُ بأمره، وقد قال تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ [النحل: ١]؛ أي: القيامة' أو: إتيانُ بعضِ آياتِ ربِّك مِن أشراطِ السَّاعة، وقيل: هي طلوعُ الشَّمسِ من مغربِها؛ أي: يَنتظرون ارتفاعَ الغيبِ بأحد[١] هذه الأشياء، ووقوع العيان، ولا قَبولَ للإيمان إلَّا بالغيب.

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾ فيه تقديمٌ وتأخير، وتقديرُه: لا يَنفعُ نفساً لم تكنْ آمنت مِن قبلُ أو كسبت في إيمانها خيراً إيمانُها.

و﴿خَيْرًا﴾[٢]؛ أي: طاعةً.

وقيل: أي: إخلاصاً[٣]؛ أي: كما لا يُقبل إيمانُ الكافر بعد طلوعِ الشَّمسِ مِن مغربها، لا يُقبلُ إخلاصُ المنافقِ أيضاً.

---

(١) في (أ): «الغيب بارتفاع أحد» بدل: «ارتفاع الغيب بأحد».

(٢) من قوله: «فيه تقديم وتأخير» إلى هنا ليس في (أ) و(ف).

(٣) بعدها في (ر): «وقيل».

وقد روى أبو هريرة وأبو سعيد الخدري وجماعةٌ رضي الله عنهم عن النَّبيِّ ﷺ: «﴿يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ هو طلوعُ الشَّمس مِن مغربِها»(١)، وعليه عامَّة المفسرين.

وروى صفوانُ بن عسَّال عن النَّبيِّ ﷺ: «إنَّ مِن قبلِ المغرب باباً مفتوحاً للتَّوبة حتَّى تَطلُعَ الشَّمسُ مِن مغربِها مِن ذلك الباب، فإذا طلعَت مِنه، ثمَّ رُدَّت إليه أُغلِقَ، فلا يَنفعُ نفساً إيمانُها ولا توبتُها بعد ذلك»(٢) أو كلاماً هذا معناه.

وقالت عائشة رضي الله عنها: إذا خرجَ أوَّلُ الآياتِ طُرِحَتِ الأقلامُ، وحُبِسَت الحفظةُ، وشهدتِ الأجسادُ على الأعمال(٣).

وقال النَّبيُّ ﷺ: «لا تَقومُ الساعة حتى يكون قبلها عشرُ آيات؛ الدُّخانُ، ودابَّةُ الأرضِ، وخَسْفٌ بالمشرق، وخَسْفٌ بالمغرب، وخَسْفٌ بجزيرةِ العرب، والدَّجَّال، وطلوعُ الشَّمسِ مِن مغربِها، ويأجوج ومأجوج، ونزولُ عيسى بنِ مريم، ونارٌ تخرجُ من قعرِ(٤) عدن»(٥).

وقال الإمامُ أبو منصور رحمه الله: الآيةُ في قومٍ علمَ اللهُ منهم أنَّهم لا يُؤمنون، فأيسَ رسولُ الله ﷺ عن إيمانِهم.

---

(١) رواه مسلم في «صحيحه» (١٥٧) من حديث أبي هريرة، ورواه الترمذي في «سننه» (٣٠٧١) من حديث أبي سعيد الخدري.

(٢) رواه ابن ماجه في «سننه» (٤٠٧٠).

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٨٧٨)، والطبري في «تفسيره» (١٠/ ٢٧).

(٤) بعدها في (ر): «بئر».

(٥) رواه مسلم في «صحيحه» (٢٩٠١) من حديث حذيفة بن أسيد الغفاري رضي الله عنه.

ووقع بعد هذا الحديث في (ف) كلام من تفسير قوله تعالى: ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾ بدايته: «وقال الإمام أبو منصور: ذكر إرسال الرسل» وينتهي بقوله: «ومعناه في اللغة»، وسلف في موضعه.

وقال: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ﴾؛ أي: ما ينظرون[١] إلَّا أنْ تأتيَهم الملائكةُ لقبضِ أرواحِهم، مع اللَّعنِ والسخطِ، فحينئذٍ يؤمنون.

قال: وقيل: أي: ﴿تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ يوم القيامة، كما قال: ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾ [الفرقان: ٢٢]، ﴿أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ﴾؛ أي: عذابُ ربِّك.

قال: والأصلُ فيه أنَّ ما أُضيفَ إلى الله تعالى في موضعِ الوعيد، لا يُرادُ به الذَّات، لكن يُرادُ به نقمتُه وعذابُه، كما قال: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ [آل عمران: ٣٠]، وقال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ﴾ [الكهف: ١١٠]؛ أي: يَخافُ عذاب ربِّه، وقال: ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [آل عمران: ٢٨]، و﴿إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ﴾ [المائدة: ٤٨]، ﴿أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾.

ويحتمل البأسَ، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا﴾ [غافر: ٨٤]، ولا يَنفعُهم إيمانُهم حينئذٍ.

وقيل: هو طلوعُ الشَّمسِ من مغربها.

وقيل: خروجُ الدَّجال، وخروجُ دابَّة الأرض، وروي فيه أحاديثُ، فإن ثبتَ منها شيءٌ، فعليه الاعتماد[٢].

والإيمانُ حينئذٍ ليس بإيمانِ اختيارٍ في الحقيقة، بل هو إيمانُ دفعِ العذابِ عن أنفُسِهم، ولذلك قال: ﴿وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ﴾، وهذا كإيمانِ فرعون ـ لعنه الله ـ عند الغرق، وما[٣] روي أنَّه لا تُقبلُ التَّوبة والإيمان بعد طلوعِ الشَّمس مِن مغربِها،

---

(١) في (ف): «ينتظرون».

(٢) سلف بعض هذه الأحاديث قريباً، وبعضها في الصحيح.

(٣) في (ر): «وهو ما».

وقد زال البأسُ، فمِن البعيدِ أنْ يُدعَو إلى الإيمانِ والطَّاعات، ثمَّ إذا أَتَوا بها لا تقبل، لكنْ[١] معناه أنَّهم لا يُثابون عليها؛ لأنَّ الثَّوابَ بالوعد، ولا وعدَ في هذه الحالة[٢].

وقوله تعالى: ﴿قُلِ انْتَظِرُوا﴾؛ أي: إحدى هذه الثَّلاث، وليس هذا أمرَ تكليفٍ، بل هو تعريفٌ أنَّ العذابَ نازلٌ بهم كالمنتظَر له.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾؛ أي: مستيقنون أنَّه نازلٌ بكم.

* * *

(١٥٩) - ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ﴾ قرأ حمزة والكسائي: ﴿فارقوا﴾ بالألف؛ أي: بايَنوهُ وزايلوه، وقرأ الباقون: ﴿فَرَّقُوا﴾[٣]؛ أي: شتَّتوا.

وقوله تعالى: ﴿وَكَانُوا شِيَعًا﴾ جمع شيعة، وهي الفرقةُ المتابعةُ بعضُها بعضاً، وقد شايعَهُ؛ أي: تابعَه، وشيَّعهُ؛ أي: اتَّبعَه.

وقال قتادة: هم اليهود[٤].

وقال مقاتلٌ والسُّدِّيُّ: هم اليهودُ والنَّصارى، تَركوا دينَهم وكانوا فرقاً، قال تعالى: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ [البينة: ٤]، وقال ﴿وَمَا

---

(١) لفظ: «لكن» ليس في (ف).

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٤/ ٣٢٦ـ ٣٢٩).

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٢٧٤)، و«التيسير» (ص: ١٠٨).

(٤) رواه ابن أبي حاتم (٥/ ١٤٣٠) (٨١٥٥).

وروى عبد الرزاق في «تفسيره» (٨٧٦)، والطبري في «تفسيره» (١٠/ ٣١ـ ٣٢)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٤٣٠) (٨١٥٤) عن قتادة أيضاً أنه قال: هم اليهود والنصارى.

اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم﴾ [آل عمران: ١٩]، وقال: ﴿وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة﴾ [المائدة: ٦٤]. وقوله تعالى: ﴿لست منهم في شيء﴾ أي: لم تُؤمَر بقتالِهم، قال: ثمَّ أُمِرَ بقتالهم في سورة براءة[(١)].

وقال مجاهد: هم أهلُ الأهواءِ والبِدع مِن هذه الأمَّة[(٢)]، وكذا رويَ عن أبي هريرة رضي الله عنه[(٣)] وعائشة[(٤)] وجماعة من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين.

وقال ﷺ: «افترقت اليهودُ على إحدى وسبعين فرقةً، كلُّهم في النَّار إلَّا واحدة، وافترقت النَّصارى على اثنتين وسبعين فرقةً، كلُّهم في النَّار إلَّا واحدة، وستَفترقُ أمَّتي على ثلاثٍ وسبعين فرقةً، كلُّهم في النَّار إلَّا واحدة»، قيل: ومن هم يا رسولَ الله[(٥)]؟ قال: «الذين هم على ما أنا عليه وأصحابي»[(٦)].

ومعنى الآية في حقِّهم: ليس إليك شيءٌ مِن مجازاتهم أو العفو عنهم، إنَّما عليك إنذارُهم وتبليغُ الوحيِ إليهم.

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (١/ ٥٩٩)، وقول السدي أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٣٢، ٣٤).

(٢) ذكر نحوه عنه الواحدي في «البسيط» (٨/ ٥٥٢).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٣٣)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٤٢٩) (٨١٥١).

(٤) ذكره عنها الواحدي في «البسيط» (٨/ ٥٥٢).

(٥) قوله: «يا رسول الله» من (ر).

(٦) رواه بنحوه الترمذي في «سننه» (٢٦٤١) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

ورواه ابن ماجه في «سننه» (٣٩٩٢) من حديث عوف بن مالك، وفيه أن رسول الله ﷺ أجابهم بقوله: «الجماعة».

ورواه أبو داود في «سننه» (٤٥٩٦)، والترمذي في «سننه» (٢٦٤٠)، وابن ماجه في «سننه» (٣٩٩١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه دون قوله: «كلهم في النار... » إلى آخر الحديث.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُمۡ إِلَى ٱللَّهِ﴾ إن شاءَ عاجلَهم بالعقوبة، وإن شاءَ أخَّرها إلى الآخرة، وإن شاءَ وفَّقهم للرُّجوع عنها، فعفى عنهم.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ﴾؛ أي: في الآخرة، ويُجازيهم على ذلك.

وقيل: هم المشركون، فارقوا دينَ إبراهيم عليه الصَّلاة والسلام، وكانوا أحزاباً مختلفين، كما عُرِفَ مِن اختلافهم في أمور الحج وكما اختلفوا في اتخاذ الأصنام واختيارها.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله بعد ما ذكر هذه المقالات: وقيل: هم الحَروريَّة. ولا ندري مَن هم على التَّعيين، ولا حاجةَ بنا إليه، بل الحاجةُ إلى معرفةِ وعيد الموصوفين بذلك.

ومعنى قوله: فارقوا دينهم: الدِّينَ الذي أُمِروا به، ودُعوا إليه.

وقيل: أي: الدِّينَ الذي كانوا عليه في الأصل، ثمَّ فارقوه، كما قال: ﴿أَكَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ﴾ [آل عمران: ١٠٦].

ومعنى قوله: ﴿لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍ﴾؛ أي: مِن دينِهم؛ لأنَّ دينَهُم تقليدُ آبائهم، ودينُك دينٌ بالحجج والبراهين.

وقيل: أي: لا تُسأَلُ عن دينِهم، ولا تُحاسَبُ عليه، كما قال: ﴿مَا عَلَيۡكَ مِنۡ حِسَابِهِم مِّن شَيۡءٍ﴾ [الأنعام: ٥٢][١].

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: أي: لا يَجمعُك وإيَّاهم معنى؛ أنت على حقٍّ، وهم على باطلٍ، ولا اجتماعَ للضِّدَّين[٢].

---

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٤/ ٣٣٢ ـ ٣٣٣).

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (١/ ٥١٣).

(١٦٠) ـ ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ لم يقل: مَن عملَ؛ ليُعلَمَ أنَّ النَّظرَ إلى ما خُتِم به، وعلى ذلك قال النبيُّ ﷺ: «الأعمالُ بالخواتيم». قاله الإمام أبو منصورٍ رحمه الله[١].

والحسنةُ: الفعلةُ الجميلة، وهي الطَّاعة.

قوله: ﴿فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾؛ أي: عشرُ حسناتٍ أمثالها، وذلك معنى التَّأنيث وحَذْفِ الهاء في ﴿عَشْرُ﴾. وقرأ الحسن: (فله عشرٌ) بالتنوين (أمثالُها) بالرَّفع[٢]؛ إظهاراً لهذا المعنى.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: لم يُرِد به القصر على هذا العدد، بل أرادَ به التَّفضُّلَ بالتَّضعيف، قال النبيُّ ﷺ: يقول اللهُ تعالى: «كلُّ عملِ[٣] ابن آدم الحسنةُ بعشْرِ أمثالها إلى سبعِ مئة ضعف، إلَّا الصَّومُ؛ فإنَّه لي، وأنا أجزي به»[٤]، وقال تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ﴾ الآية [البقرة: ٢٦١].

وقوله تعالى: ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ﴾؛ أي: بالفعلةِ القبيحةِ، وهي المعصية، ﴿فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا﴾؛ أي: واحدةً بواحدة، ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾؛ أي: لا يُنقَصون مِن حسناتِهم، ولا يُزادون في سيِّئاتهم.

---

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٤/ ٣٣٤). وقوله: «الأعمال بالخواتيم» قطعة من حديث رواه البخاري في «صحيحه» (٦٤٩٣) من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه.

(٢) انظر: «مختصر في شواذ القرآن» لابن خالويه (ص: ٤٧).

(٣) بعدها في (أ) و(ر): «يعمله».

(٤) رواه مسلم في «صحيحه» (١١٥١): (١٦٤).

وروى أبو ذرٍّ رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: «يقول الله تعالى: الحسنة عشر أو أزيدُها، والسَّيِّئةُ واحدةٌ أو أغفرُها»[(١)].

وقال سفيانُ الثَّوريُّ رحمه الله: لـمَّا نزلت هذه الآية قال النَّبيُّ ﷺ: «ربِّ زدني»، فنزل قوله: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ الآية [البقرة: ٢٦١]، فقال: «ربِّ زدني»، فنزلت: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ الآية [البقرة: ٢٤٥]، فقال: «ربِّ زدني»، فنزل قوله: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠][(٢)].

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: حسنةُ النَّفسِ: تَوفيرُ[(٣)] الخِدمة، وحسنةُ القلبِ: حفظُ الحُرمةِ وحسنةُ الرُّوح: مراعاةُ أدابِ الحِشمة.

وقيل[(٤)]: حسنةُ الزَّاهدين: تركُ الدُّنيا، وحسنةُ المريدين: رفضُ الهوى، وحسنةُ العارفين: قطعُ الـمُنى، وحسنةُ الموحِّدين: التَّخلِّي عن الدُّنيا والعُقبى، والاكتفاءُ بوجود المولى.

ويقال: حسنةُ المبتدِئين: الصِّدقُ في الطَّلب، وحسنةُ الـمُنتهين: حفظُ الأدب، فشرطُ الطَّلب ألَّا يَبقى ميسورٌ إلَّا بَذَلْتَهُ، وشرطُ الأدب ألَّا تَسموَ لك هِمَّةٌ إلى شيءٍ إلا قطعتَهُ.

---

(١) رواه أحمد في «مسنده» (٢١٣٧٧)، ومسلم في «صحيحه» (٢٦٨٧).

(٢) رواه ابن المنذر كما في «الدر المنثور» (٣/ ١٢٦)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٤/ ٢١٢). وروى نحوه ابن حبان في «صحيحه» (٤٦٤٨)، ولم يذكر فيه قوله تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾.

(٣) في (أ): «توقير»، وفي «لطائف الإشارات»: «توفية».

(٤) لفظ: «وقيل» ليس في (ف).

ويقال: للزُّهاد والعُبَّاد وأصحابِ الأورادِ وأربابِ الاجتهاد جزاءٌ محصورٌ معدود، ولأهل المواجيد لقاءٌ غيرُ مقطوعٍ ولا ممنوع(١).

* * *

(١٦١) ـ ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ لـمَّا بيَّنَ الذين فرَّقوا دينَهم وكانوا شِيعاً، أمرَه أن يقول: أرْشَدَني اللهُ إلى الدِّين(٢) المستقيم.

وقوله تعالى: ﴿دِينًا قِيَمًا﴾ قرأ ابنُ كثير وأبو عمرو ونافع: ﴿قيِّماً﴾ بالتَّشديد، وهو نعتٌ، كالجيِّد واللَّيِّن والهَيِّن، والباقون بكسر القاف: ﴿قِيَمًا﴾ وتخفيف الياء(٣)، وهو اسمٌ، كالعنب، يُرادُ به النَّعت.

ونصب ﴿دِينًا﴾ على إرادة إعادة: ﴿هَدَانِي﴾، وذاك يُعدَّى بغير صلةٍ، وباللام وإلى، قال تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦]، وقال تعالى: ﴿هَدَانَا لِهَذَا﴾ [الأعراف: ٤٣]، وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: ٢١٣].

وقوله تعالى: ﴿مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾ هو بدلٌ عن ﴿دِينًا﴾، وبيانُ أنَّ الدِّينَ القيِّم هذا، وإنَّما ذكرَ ذلك حثًّا لهم على اتِّباعه؛ لأنَّه دينُ أبيهم.

وقوله تعالى: ﴿حَنِيفًا﴾ نصب على القطع؛ لأنَّه نعتُ بلفظِ النَّكرةِ للاسم المعرفة.

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (١/ ٥١٣ ـ ٥١٤).

(٢) في (ف): «الصراط».

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٢٧٤)، و«التيسير» (ص: ١٠٨).

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ بالله إشراكَكُم يا معشرَ قريش.

* * *

(١٦٢) ـ ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ﴾؛ أي: صلاتي كلُّها باللَّيل والنَّهار.

﴿وَنُسُكِى﴾؛ أي: حجِّي وعمرتي، وقيل: أي: قراءتي، وقيل: أي عبادتي، وقيل: أي: ديني.

﴿وَمَحْيَاىَ﴾؛ أي: ما أعملُه في حياتي.

﴿وَمَمَاتِى﴾؛ أي: ما أوصي به بعد موتي أنْ يُعمَلَ به.

﴿لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ﴾؛ أي: هو خالصٌ له.

* * *

(١٦٣) ـ ﴿لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿لَا شَرِيكَ لَهُۥ﴾ في شيءٍ مِن ذلك، ولا أشركُ به غيرَه.

وقوله تعالى: ﴿وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ﴾؛ أي: به أمرَني الله.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾؛ أي: أوَّل المنقادِينَ لأمره مِن أهلِ هذا الزَّمان.

وقيل: محياي ومماتي: كلمة تفويض؛ أي: جميعُ ما أتقلَّبُ فيه ملكٌ لله تعالى، جارٍ علي حكمه.

وقيل: محياي: في العملِ الصَّالح، ومماتي: على الإيمان: كلُّه لله تعالى.

أثبتَ الإخلاصَ لنفسِه في الدِّين، ونفى الإشراكَ، وخصَّ الحجَّ والعمرةِ بالذِّكر؛ لأنَّ المشركين كانوا يُدخِلون الشِّرك في التَّلبية، في قولهم: لبيكَ لا شريكَ لك، إلا شريك هو لك، تَملِكهُ وما ملك. ومَن حملَهُ على القربان، فإنَّما خصَّهُ به؛ لأنَّهم كانوا يَذبحون لآلهتِهم، وهو شركٌ، فنَفى ذلك كلَّه عن نفسِه.

وبدأَ بقولِه: ﴿قُلْ﴾، وختم بقوله: ﴿وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ﴾؛ بياناً أنَّه يقولُه ائتماراً لا افتخاراً.

وقال الإمام القشيريُّ رحمَه الله: مَن عَلِمَ أنه لله، لم يبقَ فيه نصيبٌ لغيرِ الله، فاستسلمَ لحكمِ الله، ولم يَعترِض على تقديرِ الله، ولم يُعارِض باختيارِه اختيارَ الله، ولم يُعرِض عن اعتناقِ أمر الله[1].

***

(١٦٤) - ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ ۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾ استفهامٌ بمعنى النَّفي؛ أي: لا يجوزُ في العقل السَّليم أنْ أطلبَ لي مُدبِّراً وحافظاً ومصرِّفاً غيرَ الله، وهو مصرِّفُ كلِّ شيءٍ، وهو ربُّ أصنامِكم وربُّكم.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا﴾؛ أي: لا يكون جنايةُ[2] نفسٍ إلَّا عليها.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: ويَحتملُ أن يكون معناه: ولا يَقعُ عملُ

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (١/ ٥١٥).

(٢) بعدها في (ف): «كل».

نفسٍ إلَّا على وجهٍ يكونُ عليها لا لها لو تُرِكَت واختيارِها، لكنَّ اللهَ تعالى يُوفِّقُها، ويَعصِمُها، وهو كقوله تعالى: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ﴾ [يوسف: ٥٣][1].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰ﴾؛ أي: لا تُحَمِّلُ نفسٌ حاملةٌ حِمْلَ نفسٍ أخرى.

قال عطاء: قال الوليد بنُ المغيرة: اتَّبعوا سبيلي، أحمل عنكم أوزارَكم، فنزلَ هذا[2].

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرۡجِعُكُمۡ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ﴾ مِن الأديان[3] التي فرَّقتموها، وإذا كان الأمرُ بدءاً وعَوْداً راجعاً إلى الله وحدَه، فلا عذرَ في ابتغاءِ ربٍّ سواه.

* * *

(١٦٥) ـ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمۡ خَلَٰٓئِفَ ٱلۡأَرۡضِ وَرَفَعَ بَعۡضَكُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلۡعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٞ رَّحِيمُۢ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمۡ خَلَٰٓئِفَ ٱلۡأَرۡضِ﴾ جمع خليفةٍ، والخلفاءُ جمع خَليف.

قال الكلبيُّ: أي: وهو الذي جعلَكُم يا أمَّةَ محمَّدٍ خلائفَ الأممِ الماضية في الأرض.

---

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٤/ ٣٤٠).

(٢) ذكره الواحدي في «التفسير البسيط» (١٣/ ٢٨٢) (عند تفسير الآية (١٥) من سورة الإسراء) عن عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) في (ر): «الآيات».

وقوله تعالى: ﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ﴾؛ أي: في الـرِّزقِ، والحـالِ، والعُمـر، والخِلقـة، وكلِّ شـيء.

وقوله تعالى: ﴿لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾؛ أي: ليختبرَكم فيما أعطاكُم مِن النِّعم بالشُّكر، وفيما ابتلاكم به من المِحَن بالصَّبر.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ﴾؛ أي: لأعدائه، ﴿وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾؛ أي: لأوليائِه.

وقال القشيري رحمه الله: صيَّر التوبةَ إليكم، وقصرَ حكمَ عصرِكُم عليكم، وفاوتَ الحالات؛ ليَختبرَكُم بالمعاملات؛ أنَّ حسابَهُ بكم لاحقٌ، وحكمَه فيكم سابقٌ[١]. واللهُ أعلمُ بالصَّواب[٢].

***

(١) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (١/ ٥١٥).

(٢) في (ر): «والله أعلم»، وفي (ف): «والحمد لله رب العالمين» بدل: «والله أعلم بالصواب».

سُورَةُ الأَعْرَافِ

سُورَةُ الأَعْرَافِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾ الَّذي أنزلَ الكتابَ على رسولِه لينذرَ به وذكرى للمؤمنين.

﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ الَّذي قصَّ فيه أنباء الأوَّلين تنبيهًا للآخِرين.

﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ الَّذي وعد فيه الرَّحمة للمستمِعين له والمنصِتين.

وروى أبيُّ بنُ كعبٍ رضي الله عنه، عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «منْ قرأَ سورةَ الأعرافِ جعلَ اللهُ بينَه يومَ القيامةِ وبينَ إبليسَ سترًا، وكانَ له آدمُ عليه السَّلام شفيعًا»(١).

وهذه السُّورةُ مكيَّةٌ كلُّها عندَ بعضِهم.

وقال عليُّ بنُ الحسينِ بن واقدٍ: هي مكيَّة إلَّا من قوله: ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى﴾ [الأعراف: ١٦٣] إلى قوله: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ﴾ [الأعراف: ١٧١]، فإنها نزلت بالمدينة(٢).

وهي مئتان وخمس آيات، وقيل: ستُّ آيات.

---

(١) جزء من حديث طويل رواه مفرقًا عند كل سورة منه: الثعلبي في «تفسيره» (٤/ ٢١٤)، والواحدي في «الوسيط» (٢/ ٣٤٧)، ورواه ابن الجوزي في «الموضوعات» (١/ ١٧٣) وقال: مصنوع بلا شكٍّ، وقال السيوطي في «نواهد الأبكار» (٣/ ٤٥٦): رواه الثعلبي عن أبي، وهو موضوع.

(٢) روى نحوه ابن المنذر وأبو الشيخ عن قتادة، كما في «الدر المنثور» للسيوطي (٣/ ٤١٢).

والاختلاف في خمس آيات: ﴿الٓمٓصٓ﴾، ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ [الأعراف: ٢٩]، ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [الأعراف: ٢٩]، ﴿ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ﴾ [الأعراف: ٣٨]، ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [هود: ١١٩].

وكلماتُها ثلاثةُ آلاف وثلاثُ مئة وتسعَ عشرةَ، وحروفُها أربعةَ عَشَر ألفًا ومئةٌ وأربعة وثلاثون.

* * *

(١) ـ ﴿الٓمٓصٓ﴾.

قوله تعالى: ﴿الٓمٓصٓ﴾ قال قتادة: هي من أسماء القرآن(١).

وقال الحسنُ: هي اسمُ هذه السُّورة(٢).

وقال ابنُ عبَّاس رضي الله عنهما: هي اختصارٌ من كلامٍ فهمَه النَّبيُّ ﷺ(٣).

وقال عليُّ بنُ أبي طلحة: هي قسَم أقسم الله تعالى به(٤).

وقال عطاءُ بنُ أبي رباح: هي ثناءٌ أثنى الله تعالى بها على نفسه(٥).

وقال مجاهدٌ: الحروفُ المقطَّعة فواتح السُّور(٦).

---

(١) رواه عبد الرزاق في «المصنف» (٨٨٣)، والطبري في «تفسيره» (١٠/ ٥٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤٣٧).

(٢) ذكره الماوردي في «تفسيره» (٢/ ١٩٨)، والواحدي في «البسيط» (٢/ ٢١). وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (١/ ٥٧) عن الحسن، ولفظه: «﴿الٓمٓ﴾ و﴿طسٓمٓ﴾ فواتح يفتتح الله بها السور».

(٣) ذكره الماوردي في «تفسيره» (٢/ ١٩٨).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٥٣) عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٤/ ٢١٤).

(٦) في (ف) و(أ): «السورة». وقوله رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٢٠٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤٣٧).

وقال السُّدِّي: هي هجاءُ: المصوِّر[١].

وقال أبو الضُّحى عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما: أنا الله أفصِل[٢].

وقال سعيد بن جبير: أنا الله أَصْدَقُ[٣].

وقال أبو رَوْق: أنا الله الصَّادقُ[٤].

وقال أبو صالح عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما: هو[٥] من أسماء الله تعالى مقطَّع[٦].

وقال محمَّد بن كعب: الألف افتتاح اسمه: أحدٌ أوَّلُ وآخِرُ، واللَّام افتتاح اسمه: لطيفٌ، والميم افتتاح اسمه: مجيدٌ مَلِكٌ، والصَّادُ افتتاح اسمه: صمدٌ صادقُ الوعد صانعُ المصنوعات[٧].

وقيل: ﴿الٓمٓصٓ﴾ معناه: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ [الشرح: ١].

وقال الزَّجَّاجُ: أراد بها جميع حروف الهجاء[٨].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٢٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤٣٧).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٥٢).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٤/ ٢١٤)، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٥٢) بلفظ: «أنا الله أفضل».

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٤/ ٢١٤).

(٥) في (ف) و(أ): «اسم».

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٢٠٨).

(٧) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٤/ ٢١٤).

(٨) في (ف) و(أ): «التهجي». وانظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٣١٣).

(٢) ـ ﴿كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ حَرَجٞ مِّنۡهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾

وقوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ﴾: أي: هذا كتابٌ، كقوله: ﴿سُورَةٌ أَنزَلۡنَٰهَا﴾ [النور: ١]؛ أي: هذه سورةٌ.

وقوله تعالى: ﴿فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ حَرَجٞ مِّنۡهُ﴾: قال الحسنُ: أي: ضِيق[(١)]؛ أي: لا يضيق صدرك لتشعُّب الفكر[(٢)] بك خوفًا؛ أي: ألَّا تقومَ بحقِّه.

وقال الفرَّاء أي: لا يضيقُ صدرُك بأنْ يكذِّبوك[(٣)].

وقال ابن عبَّاس ومجاهدٌ وقتادةُ والسُّدِّي: أي: فلا يكن في صدرك شكٌّ[(٤)]؛ أي: لا تشكَّ فيما نلزمك به، فإنما أنزل إليك لتنذرَ به.

وقوله تعالى: ﴿لِتُنذِرَ بِهِۦ﴾؛ أي: بالقرآن.

وقوله تعالى: ﴿وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾؛ أي: أُنزل لإنذار الكافرين، ولتذكير المؤمنين.

وإعرابه نصبٌ، وهو كقولك: جئْتُكَ للزِّيارة وشوقًا إليك.

وقال الزَّجَّاجُ: هو رفعٌ؛ أي: هو ذكرى[(٥)].

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ١٩٩).
ورواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٦٤٢) لكن في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖ﴾ [الحج: ٧٨].

(٢) في (أ): «الفكرة».

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٣٧٠).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٥٤ ـ ٥٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وقتادة والسدي.

(٥) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٣١٥)، وقد أجاز فيه الرفع والنصب والجر.

وقيل: تقديره: إنذارًا وتذكيرًا، ومعناه: أُنزل إليك لتنذرَ الأعداء أنَّه سريع العقاب، وتذكيرًا للأولياء(١) أنَّه غفور رحيم وهَّاب.

وهو وجهُ انتظامِ أوَّل السُّورة بآخر تلك السُّورة، وأمَّا انتظام السُّورتين: فتلك في محاجَّة المشركين، وهذه فيها مع زيادة التَّبيين.

وقال الإمامُ أبو منصور رحمه الله: ﴿الٓمٓصٓ﴾ يحتمِل أن تكون هذه الحروف المقطَّعة خطابًا خاطبَ اللهُ تعالى بها رسلَه يفهمونها ولا يفهمها غيرُهم، على ما يكون للملوك بينهم وبين خواصِّهم إشاراتٌ يفهمونها ولا يفهمها غيرهم، ويكون ذلك بتفهيم الله إيَّاهم، كما قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ﴾ [النساء: ١٠٥] فهي من المتشابه على غيرهم، وليست بمتشابهةٍ عليهم(٢).

وقال في قوله: ﴿فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ حَرَجٞ مِّنۡهُ﴾: يحتمِل أنه على ألَّا يحمِّل نفسَه ما فيه هلاكه، كما قال: ﴿وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ﴾ [النحل: ١٢٧]، وقال: ﴿فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ﴾ [فاطر: ٨]، وقال في آخر هذه السُّورة: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ شُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ﴾ [الأعراف: ١٩٥](٣).

وفيه إثباتُ الأمان له من خوفِه من مكرهم وكيدهم.

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: ﴿كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ حَرَجٞ مِّنۡهُ﴾: كتابُ الحبيبِ تحفةُ الوقتِ، وشفاءٌ عمَّا يلاقيه من ألم البُعد، وهو لداء الضَّنى

---

(١) في (أ): «وتذكير الأولياء»، وفي (ف): «وتذكيرًا لأوليائه».

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٤/ ٣٤٩).

(٣) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٤/ ٣٥٣ ـ ٣٥٤).

مُزيـل، ولوشْـكِ الشـفاء مُنيل[١]، وعلـى حفظ العهد دليـل، وهـو[٢] للعليل تبديل.

* * *

(٣) ـ ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ﴾: قيل: هو ابتداءُ خطابٍ للمشركين.

وقيل: فيه إضمار: قل يا محمَّد للمشركين: اتَّبعوا ما أنزل إليكم؛ أي: إلى نبيِّكم لنَفْعكم.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ﴾: أي: أربابًا وهم الأصنام.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ في التَّحريم والتَّحليل، ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ﴾؛ أي: عظماءَكم، كالأرباب تتَّبعونهم فيما يحلِّلون ويحرِّمون، وهو كقوله: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا﴾ [التوبة: ٣١]؛ أي: يطيعونهم فيما يأمرون وينهون[٣].

وقولـه تعالـى: ﴿قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾: قرأ[٤] حمزة والكسـائيُّ وعاصـمٌ في رواية حفـصٍ: ﴿تَذَكَّرُونَ﴾ خفيفـة الـذَّال، بحذف التَّـاء الثَّانيـة، وأصله: تتذكَّـرون، وقرأ الباقـون[٥] بتشـديد الـذَّال[٦]، علـى إدغام التَّاء فـي الذَّال.

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٥١٨)، والعبارة الأخيرة فيه بلفظ: (ولشفاء الشك مقيل).

(٢) «هو» ليس في (أ) و(ف).

(٣) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٤/ ٣٥٧).

(٤) في (ف): «بإدغام التاء الثانية وأصله تتذكرون وقرأ».

(٥) «يذكرون خفيفة الذال بحذف التاء الثانية وأصله تتذكرون وقرأ الباقون» من (أ).

(٦) وقـرأ ابـن عامـر: (يتذكرون) بيـاء وتاء. انظر: «السـبعة في القـراءات» لابن مجاهـد (ص: ٢٧٨)، و«التيسـير» للداني (ص: ١٠٨، ١٠٩).

ومعناه: قليلًا ما يتَّعظون بتذكير هذا الكتاب؛ أي: قليلٌ مَن يؤمنُ منكم.

وقيل: أي: يتَّعظون بقليلٍ من القرآن، وهو بأخذ بعض ما ذكر فيه من مكارم الأخلاق دون التَّوحيد والشَّرائع.

وقيل: أي: لا يتذكَّرون به أصلًا، وهو إلطافٌ في الكلام بنفي الشَّيء كلِّه بذكر قليل منه.

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ﴾؛ أي: استسلِموا لمطالبات التَّقدير، فقِفوا حيث ما[1] وقفتم، وتحقَّقوا بما عرفتم، وطالعوا ما به كُوشفتم، ولا تلاحظوا غيرًا، ولا تركَنوا إلى علَّةٍ، ولا تظنُّوا أنَّ لكم من دونه وسيلةً[2].

***

(٤) - ﴿وَكَم مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأۡسُنَا بَيَٰتًا أَوۡ هُمۡ قَآئِلُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَكَم مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَا﴾: وهذا من الإنذار والتَّذْكار بما نزل بالماضين من الكفَّار، ومعناه: وكم من أهل قرية، أُضمر الأهلُ فيه، كما في قوله: ﴿وَسۡـَٔلِ ٱلۡقَرۡيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢]، ويدلُّ عليه آخرُ هذه الآية: ﴿أَوۡ هُمۡ قَآئِلُونَ﴾، وهذه[3] صفة الأهل.

وقوله تعالى: ﴿فَجَآءَهَا بَأۡسُنَا بَيَٰتًا﴾: أي: عذابنا المهلِكُ.

وطعن بعضُ الملحدين على هذا، وقالوا: الفاء للتَّعقيب، وكيف يجيء العذاب بعد تمام الإهلاك؟

---

(١) «ما» ليست في (ف).

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (١/ ٥١٩).

(٣) في (ف) و(أ): «وهذا».

وعنه جوابات:

منها: أهلكناها بخذلاننا إيَّاها في المعاصي، فجاءها[١] بأسُنا عقوبةً على المعصية، والمعصيةُ هَلَكةٌ، وقال الأعرابيُّ: هلكْتُ وأهلكْتُ.

وقيل: أي: ﴿أَهۡلَكۡنَٰهَا﴾ تقديرًا، ﴿فَجَآءَهَا بَأۡسُنَا﴾ تحقيقًا.

وقيل: أهلكنا بتوجيه العذاب إليها، فجاءها بأسنا.

وقيل: الأوَّل تقريبٌ، والثَّاني تنفيذٌ.

وقوله: ﴿بَيَٰتًا﴾؛ أي: في حال بيتوتتهم باللَّيل.

وقوله تعالى: ﴿أَوۡ هُمۡ قَآئِلُونَ﴾: أي: حال قيلولتهم بالنَّهار. وهما حالتا غفلةٍ.

وقال الأزهريُّ: البيتوتةُ: الاستراحةُ باللَّيل، والقيلولةُ: الاستراحةُ بالنَّهار نصفَ النَّهار وإن لم يكن مع ذلك نوم، قال الله تعالى: ﴿وَأَحۡسَنُ مَقِيلٗا﴾ [الفرقان: ٢٤]، والجنَّةُ لا نومَ فيها[٢].

وإنَّما قال: ﴿أَوۡ هُمۡ﴾، ولم يقل: (وهم)؛ لأنَّ بعضهم أُهلكَ في وقتٍ، وبعضهم في وقتٍ، ولا يصحُّ الاجتماع في حقِّ قومٍ، وهو كقولنا[٣]: قاتلناهم فما نرى إلَّا قتيلًا أو جريحًا.

أخبر أنَّ عذاب الأوَّلين أصابهم غافلين[٤]، وهو تنبيهٌ للآخِرين.

* * *

---

(١) في (ف): «فجاء».

(٢) انظر: «تهذيب اللغة» للأزهري (٩/ ٢٣٣).

(٣) في (أ): «كقولك».

(٤) «غافلين» من (أ)، وفي (ف): «وهم غافلين».

(٥) ـ ﴿ فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴾: قال الكلبيُّ: أي: دعاؤهم؛ يعني: لَمَّا جاءهم أوائل العذاب اعترفوا على أنفسهم بالشِّرك والظُّلم، ولم ينفعهم ذلك، كما قال فرعون لمَّا أدركه الغرق: ﴿ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [يونس: ٩٠]، فقد قيل له: ﴿ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [يونس: ٩١].

وقيل: ﴿دَعْوَىٰهُمْ﴾: دعاؤهم[1] على أنفسهم بالويل، كما قال: ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ ﴾ [الأنبياء: ١١] إلى أن قال: ﴿ قَالُواْ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿١٤﴾ فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٤].

وقيل: هو الدُّعاء بالخلاص، لكن ضاق الوقت فالتجؤوا[2] إلى الاعتراف، فقام مقام الدُّعاء.

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: ﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا﴾ ركنوا إلى الغفلة، واغترُّوا بطول المهلة، فباتوا في خفض الدَّعَة، وأصبحوا في ظلِّ[3] السَّعة، فصادفَتْهم البلايا بَغتة، وأدركتهم القضايا فجأة، فلا البلاء كُشف عنهم، ولا الدُّعاء سُمع منهم، ولا فِرارٌ نفعَهم، ولا صريخٌ منعَهم، حتى بادوا فلا عين ولا[4] أثر، ولا ذكر ولا خبر؛ تلك ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾ [الأحزاب: ٦٢]، وإذا أنزلَ بأسه بالآخِرين، فلا يملكون كشفَ الضُّرِّ عنهم ولا تحويلًا[5].

---

(١) «دعاؤهم» ليس في (ف).

(٢) في (ف): «بالتجاوز».

(٣) في (أ): «حال».

(٤) «عين ولا» ليس في (أ).

(٥) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (١/ ٥١٩)، وفيه: (بادوا وكأنه لا عين ولا أثر، ولا لأحد منهم =

(٦) ـ ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾: قال الإمام القشيريُّ رحمه الله: أي: فلنسألنَّ الأممَ سؤالَ تعنيفٍ وتعذيب، ولنسألنَّ الأنبياءَ سؤالَ تشريفٍ وتقريب، فلنسألنَّ هؤلاء عن القَبول فيتقنَّعون[1] بذلِّ الخجلِ، ولنسألنَّ هؤلاء عن البلاغ فيتكلَّمون بلسان الهيبة والوجل[2].

وقال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: نسألُ الناس جميعًا عما أجابوا المرسَلين، ونسأل المرسَلين عمَّا بلَّغوا[3].

وقال الضَّحَّاك: يعني: الأممَ الذين أتاهم[4] الرُّسل: هل بلَّغكم الرسل ما أُرسلوا به إليكم؟ ﴿وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾ يعني: الأنبياءَ: هل بلَّغتُم قومكم ما أُرسلتُم به؟ وماذا أجابكم قومُكم[5].

وقال فرقدٌ السَّبخيُّ: ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ﴾: هم الأنبياء ﴿وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾: هم[6] الملائكة[7].

* * *

= خبر، تلك سنّة الله في الذين خلوا من الكافرين، وعادته في الماضين من الماردين).

(١) في (ف): «فيتقعون».

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٥٢٠).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٦٤).

(٤) في (ف): «أتتهم».

(٥) في (أ): «وماذا أجابهم قومهم». والخبر ذكره الواحدي في «الوسيط» (٢/ ٣٤٩).

(٦) «هم» ليس في (أ).

(٧) رواه عبد بن حميد في «تفسيره» كما في «الدر المنثور» (٣/ ٤١٤)، و«فتح القدير» (٢/ ١٨٩).

(٧) ـ ﴿ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴾: أخبر أن مسألته إياهم ليست بمسألةِ استخبارٍ ولا[1] استعلام، إنما هي مسألةُ تقريعٍ وتقريرِ إجرام، بأنْ يقولَ لهم: ألم أفعل بكم كذا؛ كما قال: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ﴾ [الأنعام: ١٣٠] ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ﴾ [يس: ٦٠].

وفي الخبر: يقول الله لهم: «ألم أجعلْ لك سمعًا وبصرًا، ألم أجعلْ لك مالًا وولدًا»[2]، وهذا اقتصاصُ ما كان منه جلَّ جلاله إليهم، يقول: فلنُخبرنَّهم بما كان منهم بعلمٍ منَّا بجميعهم[3]، إذ لم نكن عنها غائبين فتخفى علينا، بل كنَّا شاهِدين ذلك كلَّه.

وقولـه: ﴿بِعِلْمٍ﴾ فيـه إثبات العلـم لله تعالى، وهـو حجتُنا على المعتزلـة النُّفاةِ للصفات.

وما ذكر في بعض الآيات من نفي السؤال؛ من قوله: ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴾ [الرحمن: ٣٩]، وقولِه: ﴿وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [القصص: ٧٨]، وأثبتَها في هذه الآية، وفي قوله جل وعلا: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ ﴾ [الحجر: ٩٢]، فلا تناقُضَ بينهما، بل في القيامة مقاماتٌ؛ في بعضها لا يُسألون وفي بعضها يُسألون، ولأنهم لا يُسألون سؤالَ استعلام ويُسألون سؤالَ توبيخٍ، ولأنهم لا يُسألون: ما فعلتُم؟ ويسألون: لمَ فعلتُم؟ وبأي نيةٍ فعلتُم؟ ولأنهم يُسألون في موضع الحساب، ثم ينقطعُ بعد ذلك فلا يُسألون بعد وقوعهم في العقاب[4].

---

(١) «لا» من (ف).

(٢) رواه البخاري (٣٥٩٥)، والترمذي (٢٩٥٣) واللفظ له، من حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه.

(٣) «بجميعهم» ليس في (ف).

(٤) في (ر): «العذاب».

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله بعد ما ذَكر بعض هذه المقالات: لا يسألُ عمَّا أُظهر وأُبديَ لأن الملائكة قد كتبوا ذلك وثَبت عليهم، ولكنْ يسألُ عمَّا أُسرَّ وأُخفيَ ليَثبت عليهم بإقرارهم.

وقال في قوله تعالى: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ﴾ يحتمِل أنه سؤالٌ عما أجابوا ﴿وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ عما أُجيبوا؛ قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ﴾ [المائدة: ١٠٩] وقال: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: ٦٥]، ويحتمل أن يكون سؤالُ الرسل سؤالَ الشهادة عليهم(١).

* * *

(٨) - ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ﴾: ذكر بعد السؤال وزنَ الأعمال، و﴿الوزنُ﴾ مبتدأ، و﴿ٱلْحَقُّ﴾ خبره؛ أي: هو الحقُّ الكائن المتحقِّق.

وقيل: ﴿ٱلْحَقُّ﴾ نعتُ الوزنِ، و﴿يَوْمَئِذٍ﴾ ظَرْفه وفيه خبرُه؛ أي: الوزن العدلُ يكون يومئذ.

وقال الحسن: ميزان الآخرةِ لها كفَّتانِ، وإن الحسناتِ والسيئاتِ توضعان في كفَّة الميزان(٢).

وكذا قال ابن عبَّاس رضي الله عنهما، قال: فأما المؤمن فيؤتى بعمله في أحسن صورة فيوضع في كفة الميزان وهو الحق، فتثقل حسناته على سيئاته فينجو به، وأمَّا

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٤/ ٣٦٠).

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ٢٠١).

الكافر فيؤتى بعمله في أقبح صورةٍ، فيوضع في كفَّة الميزان، فيخِفُّ وزنه فيقعُ به[(١)] في النار[(٢)].

وقال عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: توضع صحائف الأعمال في الميزان فتوزَن[(٣)].

وقال عُبيد بن عُمير: يوزن الأشخاص، فيؤتَى بالرجل الطويل العظيم الأكول الشروب يوم القيامة فلا يَزِن جناح بعوضة، ثم قرأ ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَزْنًا﴾[(٤)].

وقال مجاهد: الوزن في الآخرة[(٥)] العدل[(٦)].

وفي صفة الميزان أحاديث[(٧)]، ....

---

(١) «به» ليس في (ف).

(٢) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٢٨٢) من طريق محمد بن مروان عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٤/ ٢١٦)، والواحدي في «الوسيط» (٢/ ٣٥٠). ومحمد ابن مروان هو السدي الصغير وهو كذاب، والكلبي متروك، وأبو صالح لم يسمع من ابن عباس.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٦٧١)، وروي عنه أيضا حديث البطاقة الذي سيأتي تخريجه قريباً.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٦٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤٤٠).

(٥) في (ر): «القيامة».

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٦٨ و٧١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ٤٤٠). وذكره الثعلبي في «تفسيره» بلفظ: (والقضاء يومئذ العدل). وروى عنه الطبري في قوله تعالى بعد هذا: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ قَالَ: حَسَنَاتُهُ. وانظر التعليق الآتي.

(٧) منها حديث البطاقة الذي رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٢١٣)، والترمذي (٢٦٣٩) وحسنه، وابن ماجه (٤٣٠٠)، والحاكم في «المستدرك» (٩) و(١٩٣٧) وصحَّحَه، من حديثِ عبد الله بنِ عمرو رضيَ اللهُ عنهما قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ اللهَ سيخلِّصُ رجلاً من أُمتي على رؤوس الخلائق يومَ القيامة فيَنْشُرُ عليه تسعةً وتسعين سِجِلًّا كلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ مَدِّ البصر، ثُم يقول: أَتُنْكِرُ مِن =

= هذا شيئًا؟ أَظَلمكَ كَتَبَتِي الحافظون؟ فيقول: لا يا رب، فيقول: أَفَلَكَ عذرٌ؟ قال: لا يا رب، فيقولُ: بَلَى، إنَّ لكَ عندنا حَسَنَةً وإنَّه لا ظُلْمَ عليكَ اليومَ، فتُخْرَجُ بطاقةٌ فيها: أشهدُ أنْ لا إلهَ إلَّا اللهُ وأنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه، فيقولُ: احْضُرْ وَزْنَكَ. فيقولُ: يا ربِّ ما هذه البطاقةُ مع هذه السِّجلَّاتِ؟ فيقولُ: إنَّك لا تُظْلَمُ، قال: فتُوضَعُ السجلَّاتُ في كِفَّةٍ والبطاقةُ في كِفَّةٍ، فطاشتِ السجلَّاتُ وثَقُلتِ البطاقةُ فلا يَثْقُلُ مع اسمِ الله شيء».

وقد اختلف العلماء في الميزان على قولين:

الأول: ما روي عن مجاهد: أن قوله: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ﴾، معناه: العدل، وقوله: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ معناه: فمن كثرت حسناته، وذكره الرازي عن بعض السلف وعن كثير من المتأخرين، فقال: وهو قولُ مجاهدٍ والضَّحاكِ والأعمش: أنَّ المراد من الميزان: العدلُ والقضاءُ، وكثيرٌ من المتأخِّرين ذهبوا إلى هذا القول، وقالوا: حملُ لفظ الوزنِ على هذا المعنى سائغٌ في اللُّغة، والدَّليلُ عليه، فوجبَ المصيرُ إليه. انظر: «تفسير الرازي» (١٤/ ٢٠٢).

وأما أصحاب القول الثاني فقالوا: معنى ذلك: فمن ثقلت موازينه التي توزن بها حسناته وسيئاته. قالوا: وذلك هو الميزان الذي يعرفه الناس، له لسان وكفتان يُوزَن به أعمالُ العبادِ خيرُها وشرُّها. وقد تقدم هذا عن الحسن وابن عباس وعمرو بن دينار وغيرهم، وهو قول عامة المفسرين كما قال الرازي، وهو الذي صوبه الطبري فقال: والصواب من القول في ذلك عندي، القول الذي ذكرناه عن عمرو بن دينار، من أن ذلك هو الميزان المعروف الذي يوزن به، وأن الله جل ثناؤه يزن أعمال خلقه الحسنات منها والسيئات.

وقال مكي: قال مجاهد: ليس ثَمَّ ميزان، وإنما هو مَثَل ضُرِبَ. وأكثر الناس على أن ثَمَّ ميزاناً توزن به أعمال العباد كيف شاء الله وعلى ما شاء، نقول كما قال، ونوجب ما أَوْجَب، ونؤمن بما في كتاب الله، ولا نتقدم بين يدي الله، ولا نعترض، ولا نكيِّف ما لا علم عندنا منه، ولا نَحُدُّه. انظر: «الهداية» (١٢/ ٨٤١٢).

وقال البيضاوي: والجمهور على أن صحائف الأعمال توزن بميزان له لسان وكفتان، ينظر إليه الخلائق إظهاراً للمعدلة وقطعاً للمعذرة، كما يسألهم عن أعمالهم فتعترف بها ألسنتهم وتشهد بها جوارحهم. ثم أيد ذلك بحديث البطاقة. انظر: «تفسير البيضاوي» (٣/ ٦). =

والإقرارُ بالوزن يومَ القيامة من شرائط السنَّة والجماعةِ، والله تعالى أعلمُ بكيفيته.

وقوله تعالى: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾: إنما جُمع لأن الأعمال كثيرةٌ، فيَحتمل أنه يوزن[1] كلُّ جنسٍ ويكون ذلك موزونًا بميزانٍ، ثم يوزن جنسٌ آخر، فتحصل موزوناتٌ كثيرة، فلذلك جمعها.

وقيل: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ معناه[2]: فالذين ثقلت موازينُهم، و(مَن) للجنس

= وقال الزجاج: اختلف الناس في ذكر الميزان في القيامة، وجاء في بعض التفسير أنه ميزان له كِفَّتَان، وأن الميزانَ أُنزلَ إلى الدنيا ليتعامل الناس بالعدل وتوزن به الأعمال، وقال بعضهم: الميزانُ العدلُ... وقال بعضهم: الميزانُ الكتابُ الذي فيه أعمال الخلق، وهذا كله في باب اللغة والاحتجاج سائغ، إلا أن الأوْلَى مِن هذا أن يُتّبَع ما جاء بالأسانيد الصحاح، فإن جاء في الخبر أنه ميزان له كِفّتان ـ من حيث يَنقُلُ أهلُ الثقة ـ فينبغي أن يُقْبَلَ ذلك، وقد روي عن جرير [ولعل الصواب: جويبر] عن الضحاك أن الميزانَ العدلُ، والله أعلم بحقيقة ذلك، إلا أن جملة أعمال العبادِ موزونةٌ على غاية العدل والحق، وهو قوله: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾. انظر: «معاني القران للزجاج» (٢/ ٣١٩).

قلت: وقول الجمهور من أن المراد حقيقة الوزن والميزان هو الأرجح؛ للحديث، ولعدم الضرورة التي تدعو إلى صرف الكلام عن ظاهره، ولأن هذا لو جاز لفتح باباً للتأويل لا ينتهي كما أشار القشيري فيما نقله عنه القرطبي حيث قال: إذْ لو حُمِلَ الميزانُ على هذا فليحمل الصراط على الدِّين الحقِّ، والجنةُ والنارُ على ما يَرِدُ على الأرواحِ دونَ الأجسادِ، والشَّياطينُ والجنُّ على الأخلاقِ المذمومةِ، والملائكةُ على القُوى المحمودة. وقد أَجمعت الأُمةُ في الصدرِ الأولِ على الأخذِ بهذه الظواهِر من غيرِ تأويل، وإذا أجمعوا على منع التأويل وَجَب الأخذُ بالظَّاهر، وصارت هذه الظواهرُ نصوصًا. انظر: «تفسير القرطبي» (٩/ ١٥٦).

(١) في (ف): «يزن».

(٢) في (ر): «فيحتمل معناه».

فصلَح[١] للجمع، ودليلُه أنه قال في خبره: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ فالمضاف إلى الجمع كان جمعًا.

وقيل: معنى الجمع: إرادةُ الواحد من الجمع، كما يقال: فلانٌ خرج إلى مكة على الجِمال، وإن كان هو على جملٍ واحد، وخرج إلى البصرة في السفن، وإن كان في سفينة واحدة.

قوله تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾: أي: الفائزون بما أَمَّلوا، والآمنون مما خافوا.

وقيل: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ﴾؛ أي: الجزاء بالأعمال فيه بالاستحقاق؛ أي: على العدل، وعلى وِفاق الوعد والوعيد على الأعمال، وقوله: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾؛ أي: رجحت طاعاته ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ﴾ الناجُون المُنْجِحون.

* * *

(٩) ـ ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾: هم الكفار لا إيمان لهم يُعتبَر معه عملُ خيرٍ[٢]، فلا يكون في ميزانهم خيرٌ فتَخِفَّ موازينُهم، و(مَن) في هذا للجمع أيضًا بدليل خبره.

وقوله تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم﴾: أي: غَبَنوا، يعني[٣]: أهلكوها وباعوها بعَرَضٍ من الدنيا يسيرٍ، ووقعوا بذلك في عذابٍ مقيم.

---

(١) في (أ): «يصلح».

(٢) في (ف): «غيره».

(٣) في (ر): «أي».

وقوله تعالى: ﴿بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ﴾: أي: بالكتاب والرسولِ يكفرون، والظلم اسم للكفر؛ قال تعالى: ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٤] وقال: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]، ولذلك عدَّاه بالباء بقوله: ﴿بِـَٔايَٰتِنَا﴾ ـ وإن كان لا يقال: ظلَمَ به ـ لأنه قام مقام لفظة الكفر.

وقيل: الآيات: الحجج، والظلم بها: وضعُها غيرَ موضعها؛ أي: جحودُها[1] وتركُ الانقياد لها.

وقال الإمام القشيري رحمه الله: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ﴾ توزن أعمالهم بميزان الإخلاص، وأحوالُهم بميزان الصدق، فمَن كانت أعماله بالرياء مصحوبةً لم تُقبل أعماله، ومن كانت أحواله بالإعجاب مَشُوبةً لم تُرفع أحواله[2].

* * *

(١٠) ـ ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: أي: جعلنا لكم في الأرض أمكنةً[3] تستقرُّون عليها وفيها[4]، كما قال تعالى: ﴿جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا﴾ [غافر: ٦٤].

وقيل: أي: مكَّنَّاكم يا أمةَ محمد، وهو بيانُ الإنعام عليهم.

وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ﴾: أي: هيَّأنا لكم أسبابَ العيش، جمعُ معيشةٍ من المكاسب.

---

(١) في (ف): «جحدها».

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٥٢٠ ـ ٥٢١).

(٣) في (ف): «لكم الأرض مكنة».

(٤) «وفيها» ليس في (ف).

وقوله تعالى: ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾: أي: قد لزمكم الشكرُ بذلك ولا تشكرون.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: يُقِرُّون بأنَّ الله جلَّ جلاله خالقُهم ورازقُهم ويعبدون غيره.

وقيل: يَشكر المؤمنون دون الكفار، وهم قليلٌ في جنب الكفار.

وقيل: ليس في وُسعهم القيام بشكر جميع نِعمه لكثرتها، فما وُجد منهم من الشكر وإنْ كثر فهو قليل[١].

و﴿مَعَٰيِشَ﴾ لا يهمز لأن الياء فيه أصليَّة لم تَعْرِضْ فيها علةٌ كما عَرَضت في: مدائنَ؛ لأن الياء فيها[٢] زائدة.

وقال الإمام القشيري رحمه الله: ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ لاستعمالكم في الخلاف أبدانَكم، ولإنفاقكم في الإسراف أموالَكم، ولاستغراقكم[٣] في الحظوظ أوقاتَكم، فلا نعمة الفراغ شكرتُم، ولا مِن مسِّ العقوبة شكَوْتم، خسرتُم وما شعرتم[٤].

* * *

(١١) ـ ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ﴾: قال الحسن: ولقد خلقنا أباكم آدم؛ أي: أوجدناه ثم صوَّرناه[٥].

---

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٤/ ٣٦٧).

(٢) أي: في مدائن.

(٣) في (أ) و(ر): «ولاستفراغكم».

(٤) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٥٢١).

(٥) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٤/ ٣٦٧).

والصورة: البِنْيةُ المخصوصة على هيئةٍ ظاهرة، وهي أحسنُ الصور، فإن الإنسان خُلق في أحسن تقويم.

﴿ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِءَادَمَ﴾ والخطاب للأولاد بإنعامٍ كان على أبيهم، وهو كمخاطبات بني[1] إسرائيل بما كان من أسلافهم: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ﴾ [البقرة: ٦٣].

وقال الزَّجَّاج رحمه الله: أي: ابتدأنا خَلْقَكم بآدم[2].

وقال ابن عبَّاس ومجاهدٌ والربيعُ وقتادةُ والضحاكُ والسُّدِّيُّ رحمهم الله: ولقد خلقنا أباكم آدم ثم صوَّرناكم في ظهره[3]، ثم نخبرُكم أنَّا قلنا للملائكة: اسجدوا لآدم.

وقيل: معناه: ولقد قدَّرنا وجودَكم فأَوْجَدْناكم نطفةً، ثم علقةً، ثم مضغةً، ثم عظامًا، ثم كسونا العظام لحمًا، إلى أنْ أكملنا هذه الصورة التي هي في نهايةِ الحُسن، ثم نخبركم أن إكرامنا سبقَ في حقِّ أبيكم آدمَ بإسجاد الملائكة له، و﴿ثُمَّ﴾ على هذا تكون لترتيب الإخبار لا لترتيب الوجود، كما في قول الشاعر:

إن مَن ساد ثم ساد أبوه ... ثم قد سادَ بعد ذلك جدُّه[4]

وقال ابن عبَّاس رضي الله عنهما في حديث خَلْق آدم عليه السلام: ونَفَخ فيه الروحَ

---

(١) في (أ): «وهو كالمخاطبات لبني».

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٣٢١).

(٣) رواه عنهم الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٧٥ ـ ٧٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤٤٢).

(٤) البيت لأبي نواس من قصيدة مدح إبراهيم بن عبيد الله الحجبي. انظر: «ديوانه» (ص: ١٥٤)، و«الأزمنة والأمكنة» للمرزوقي (ص: ٣٦)، و«الهداية» لمكي بن أبي طالب (٣/ ١٩٥٩)، وروايته في هذه المصادر: (قل لمن ساد...). وتقدم عند تفسير قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: ٢٨].

من يافوخه، فلما أتى على عينيه أَبصر ولا يَعقِل، فلما أتى على قلبه عقَل ولمَّا يأت[١] على أسفله، فتحرك فرأى الجنة فعرف إنْ هو قام دخلها، فتحرك فوقع لأن بعضَه لحمٌ وبعضَه دمٌ وبعضَه طينٌ، فقال الله تعالى: ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ﴾ [الأنبياء: ٣٧][٢].

وقوله تعالى: ﴿فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾: فسرناه في سورة البقرة.

وقال الإمام القشيري رحمه الله: ﴿ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾؛ أي: ثم إنَّا نعرِّفُكم سابق أيادينا إلى أبيكم، ثم لاحقَ خلافه بما بقي عرقٌ[٣] منه فيكم، ثم ما عامَلْنا به مَن كان يحسدكم ويعاديكم[٤].

* * *

(١٢) ـ ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾: أي: ما منعك مِن أنْ تسجدَ، و﴿لَا﴾ صلة مؤكِّدة.

وقال الفرَّاء: لمَّا تقدَّم الجحد في أول الكلام أكّد بـ﴿لَا﴾[٥]، كما قال أبو النَّجم:

---

(١) في (ف): «ولما أتى»، وفي (أ) و(ر): «ولم يأت»، والصواب المثبت.

(٢) رواه ابن المنذر في «تفسيره» كما في «الدر المنثور» (٥/ ٦٣٠) عن ابن جريج، ووقع في النسخ: «وخلق الإنسان عجولاً».

(٣) في (ف) و(أ): «عرف»، وفي (ر): «حرف»، والمثبت من «اللطائف».

(٤) في (ف) و(أ): «ويناديكم»، وفي (ر): «قرينًا بكم أي يساويكم»، والمثبت من «اللطائف». انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٥٢١).

(٥) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٣٧٤).

فمـا أَلـومُ البِيـضَ أنْ لا تَسْـخَرا إذا رأَيْـنَ الـشَّمـط القَفَنْـدرا[١]

وقيل: إن في المنع طرفًا من القول فكأنه قال: مَن قال لك: لا تسجد؟ وعلى هذا معنى هذا البيت؛ لأن اللوم قولٌ.

وقولـه تعالـى: ﴿قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾: أي: النـار لهـا علـوٌّ والطيـنُ لـه هبـوطٌ، فلـي عليـه العلوُّ.

تَوهَّم عدوُّ الله أن الجواهر تتفاضلُ بأعيانها، ولم يعلم أن الله تعالى هو الذي يفضِّل ما يشاء بما يشاء، فهو المالك والملك، وله الخلقُ والأمر، ولذلك قال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: أوَّلُ مَن قاس إبليس[٢]، وكفَر بقياسه، وذلك أنه أخطأ حيث فضَّل النارَ على الطين، والطينُ أفضل منها بوجوه:

منها: أن الطين جامعٌ للأشياء والنارَ مفرِّقةٌ لها.

ومنها: أن التراب يكون في الجنة، فقد روي أن ترابها مسكٌ أَذْفَرُ[٣]، وليس في الجنة نار.

ومنها: أن النار يعذَّب بها أعداء الله تعالى ولا تعذيبَ بالتراب.

ومنها: أن النار لا بد لها من مكانٍ، ومكانُها التراب، والتراب لا حاجةَ له إلى النار.

---

(١) انظر: «ديوان أبي النجم» (١٧٩)، و«تفسير الطبري» (١/ ١٩١).

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» (٤/ ٢١٩)، و«الوسيط» للواحدي (٢/ ٣٥٣)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٢١٧). ورواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٨٧) عن الحسن وابن سيرين.

(٣) رواه البخاري (٣٤٩)، ومسلم (١٦٣)، من حديث أبي ذر رضي الله عنه بلفظ: «ترابها المسك». وروى البخاري (٦٥٨١) من حديث أنس رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ قال: «بَيْنَما أنا أسيرُ في الجنة، إذا أنا بنَهَرٍ حافتَاهُ قِبَابُ الدُّرِّ المجوَّف، قلتُ: ما هذا يا جبريلُ؟ قال: هذا الكوثرُ الذي أعطاكَ ربُّك، فإذا طِينُهُ ـ أو طِيبُه ـ مسكٌ أَذْفَرُ» شكَّ هُدْبَةُ.

ومنها: أن النار تتعالى وهو تكبُّرٌ والتراب يتسفَّل، وهو تواضعٌ.

ومنها: أن من صفة النار الطيشَ والخفَّةَ، ومن صفة التراب السُّكونَ والرزانةَ.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: إن جُعلت النار لصلاح الأغذية فالطينُ[1] جعل لوجود الأغذية، والصلاح قد يقع بغير النار من الشمس وغيرها، والطينُ يقوم للنار ويطفئها ويتلفها، والنار لا تقوم للطين ولا تُتْلفه[2].

وقال غيره: الطين مؤتَمَن حافظ، والنار محرِقة غيرُ حافظةٍ، والطين يزيدُ والنار تَنقُص، والطين يُربِّي والنار تُفني.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا﴾: قال مقاتل: أي: من الجنة[3].

وقيل: أي: من السماء؛ لأنه كان فيها.

وقوله تعالى: ﴿فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا﴾: والسماءُ مكانُ المتواضِعين.

وقيل: ﴿مِنْهَا﴾؛ أي: من الأرض إلى جزائر البحور، والأرض مقرُّ بني آدم، والجزائر ليست بموضعِ قرارٍ، قوله: ﴿فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا﴾؛ أي: في الأرض على بني آدم، بل تكون في الجزائر على خوفٍ وذلٍّ، ولا تدخل في مساكن الإنسِ إلا كالمتلصِّص.

وقوله تعالى: ﴿فَاخْرُجْ﴾: قال أبو رَوق: أي: مِن صورتك التي أنت فيها[4].

وقال عطاء: أي: من صورة الملائكة إلى صورة الأبالسة، وكان في صورةٍ

---

(١) في (ف): «فالتراب».

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٤/ ٣٦٩).

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٣٠).

(٤) انظر: «تفسير القرطبي» (٩/ ١٦٩).

حسنةٍ فتحوَّل من صورته، فصار ذقنُه مما يلي جبينَه، وجبينُه مما يلي ذقنَه، ومنخراه مما يلي عينيه، وجفونُ عينيه شقُّهما مما يلي رأسَه، وتحولت أصابعُه مما يلي زنديه، وأصابع رجليه مما يلي عقبيه، وصار شعره نابتًا في رأسه منكوسًا كأنه أجمة له(١).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾: أي: من الأذلَّاء، وهذه المخاطبات لم تكن من الله له بغيرِ واسطة، فإنه لا يستحق ذلك، بل كان على لسان ملَك أو ما شاء الله عز وجل.

* * *

(١٤) ـ ﴿قَالَ أَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ أَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾: أي: أَمْهِلْني إلى يوم القيامة، أراد الخبيث أن لا يذوقَ الموت، فلم يُعطه الله ذلك لكنْ أمهَله إلى آخر الدنيا، وذلك قوله تعالى:

(١٥) ـ ﴿قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ﴾.

﴿قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ﴾: وقال في آية أخرى: ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ﴾ [الحجر: ٣٨] ولم يعيِّنْه له وأبهَمَه.

وقال السُّدِّي: أُنْظِر إلى النفخة الأولى(٢).

وقيل: معناه: أخِّر عقوبتي إلى يوم القيامة، لمَّا خاف تعجيلَ العقوبة، فأُنظر بها،

---

(١) بعدها في (أ): (له)، وليست في المصدر. والخبر ذكره ابن عساكر في «تاريخه» (٦٩/ ١٠٦) عن عطاء دون سند. وفيه: وصار شعره ناتئا في رأسه منكوشاً كأنه أجمة.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٩٠).

أشار بذلك إلى أنه سأل الإنظار فأُجيب إليه، فلو سأل التوبة والمغفرة[١] بالتوبة لم يُردَّ.

وقال الإمام القشيري رحمه الله: أجاب دعاءَه في الحال، ولكن كان ذلك شرًّا له؛ لأنه مكَّنه من مخالفة أمره إلى يوم القيامة، فلم يَزْدَدْ بذلك التمكينِ إلا شقاوةً على شقاوةٍ؛ ليَعلم الكافةُ أنه ليس كلُّ الإجابة للدعوة نعمةً ولطفًا، بل قد تكون بلاءً ومكرًا[٢].

* * *

(١٦) - ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي﴾: أي[٣]: بسبب ما أغوَيْتَني.

وقيل: الباء بمعنى اللام؛ أي: لإغوائك إياي.

وقيل: الباء للقسَم؛ أي: أُقسم بإغوائك إياي، كما أَقسم بقوله: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص: ٨٢].

و﴿أَغْوَيْتَنِي﴾: أضلَلْتني.

وقيل: أفسَدْتني، كما قال: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾ [طه: ١٢١]؛ أي: فسد عيشُه.

وقيل: أي: خيَّبتني، قال تعالى: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾ [النجم: ٢]؛ أي: فما خاب، وقال الشاعر:

فمَن يَلْقَ خيرًا يَحمَدِ الناسُ أمرَه ... ومَن يَغْوِ لا يَعْدَمْ على الغيِّ لائما[٤]

---

(١) في (ر) و(ف): «فلو سأل المغفرة».

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٥٢٢).

(٣) في (ف): «وقيل أي».

(٤) البيت للمرقش الأصغر. انظر: «المفضليات» (ص: ٢٤٧).

أي: ومَن يَخِبْ، لمَّا رأى غوايةَ نفسه جهد في إغواء غيره؛ كما قال: ﴿وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءً﴾ [النساء: ٨٩].

وقوله تعالى: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾: أي: في صراطك، أو: على صراطك، وهو جارٍ مجرى الظروف فجاز حذفُ الصلة فيه، وهو مجازٌ عن التعرُّض لهم للمنع، فإنَّ مَن قعد على الطريق منَعَ المارَّة عن المرورِ فيه.

وقال عكرمةُ: معناه: لأصدَّنَّهم عن دِينك دينِ[1] الإسلام[2]، قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [الزخرف: ٣٧]؛ أي: عن الإسلام.

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: هو كتاب الله تعالى[3].

* * *

(١٧) - ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ﴾:

ذكَر (مِن) في جهتين، و(عن) في جهتين؛ لأن في قدَّام وخَلْف معنى طلبِ النهاية، وفي اليمين والشمال الانحرافَ عن الجهة.

وقال مجاهدٌ: لآتينَّهم من حيث يُبصِرون ومن حيث لا يُبصِرون[4].

وقيل: أي: من كلِّ جهةٍ يمكنُ الاحتيالُ عليهم بها، ولم يقل: من فوقهم؛

---

(١) «دين» من (ف).

(٢) لم أجده عن عكرمة، وقاله مقاتل في «تفسيره» (٢/ ٣١).

(٣) ذكره الواحدي في «البسيط» (٩/ ٥١).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ١٠٠).

لأن رحمة الله تنزل عليهم من فوقهم، قاله ابن عبَّاس رضي الله عنهما[١].

وكذا قال قتادة: لا يستطيعُ أن يحولَ بينك وبين رحمةِ ربِّك[٢].

ولم يقل: من تحتهم؛ لأنه موضع سجودهم، وفيه وعدُ القُربة من الله تعالى.

وقال ابن عبَّاس رضي الله عنهما وقتادةُ والحسن وإبراهيم والسُّدِّي والحكَم وابن جريج: ﴿لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ﴾ فأخبرُهم أنه لا بعثَ ولا جنةَ ولا نار، ﴿وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ﴾ من أمرِ الدنيا فأزيِّنها لهم وأدعوهم إليها وأخوِّفهم الفقر على أنفسهم وعلى مَن يَخلُفهم مِن بعدهم، فلا يَصِلون رَحِماً ولا يؤدُّون زكاةً، ﴿وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ﴾: من قِبَل حسناتهم فأثبِّطهم عنها ﴿وَعَن شَمَآئِلِهِمۡ﴾: فأزيِّنُ لهم السيئات وآمرُهم بها[٣].

وروى حيان عن الكلبيِّ: ﴿مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ﴾: الدنيا أُطغيهم فيها ﴿وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ﴾: الآخرة أشكِّكهم فيها فيكذِّبوا بها ﴿وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ﴾: من قِبَل حسناتهم حتى يُعجَبوا بها ﴿وَعَن شَمَآئِلِهِمۡ﴾؛ أي: شهواتهم.

وفي روايةٍ عنه: ﴿وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ﴾: من قِبَل الدِّين ألبِّس عليهم.

وقال شقيق بن إبراهيم[٤]: ما من صباح إلا قعد لي الشيطان على أربعةِ مراصدَ:

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ١٠١).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٩٧).

(٣) رواه عنهم ـ عدا الحسن ـ الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٩٦ ـ ٩٩)، لكن إبراهيم والسُّدِّي والحكم وابن جريج قولهم في تفسير ﴿مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ﴾ على العكس مما ذكر، وأن المعنى: ﴿مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ﴾: مِن قِبَلِ دنياهم، ﴿وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ﴾: مِن قِبَلِ آخرتهم. وكذا جاء في رواية ثانية عن ابن عباس.

(٤) شَقيق بن إبراهيم أبو عليٍّ الأَزْدِيُّ من أهل بَلخ، حسَن الجري على سبيل التَّوكُّل وحسَن الكلام فيه، وهو من مشاهير مشايخ خُراسان، كان أستاذ حاتم الأصم وصحب إبراهيم بن أدهم وأخذ عنه الطَّريقة وأسند الحديث. انظر: «طبقات الصوفية» للسلمي (ص: ٥٣).

من بين يديَّ، ومن خَلفي، وعن يميني، وعن شمالي، أمَّا مِن بين يدي فيقول لي: لا تَخَفْ إن الله غفور رحيم، فأقول: ذلك لمن تاب وأقرأُ: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾ [طه: ٨٢]، وأمَّا مِن خلفي فيخوِّفني بالضَّيعة على مخلفيَّ، فأقول: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦]، وأما مِن قِبَل يميني فيأتيني من قِبَل الثناء فأقول: ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٨]، وأمَّا مِن قِبَل شمالي فيأتيني من قِبَل الشهوات واللذَّات فأقول: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ [سبأ: ٥٤][(١)].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ﴾ قال ذلك ظنًّا ثم تحقَّق ذلك، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [سبأ: ٢٠].

وقال الحسن: قال: لمَّا استزْلَلتُ آدم ـ وذريتُه أضعفُ منه ـ فأنا على استزلالهم أقدَرُ[(٢)].

***

(١٨) ـ ﴿قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا ۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا﴾: أي: من الجنة، وقيل: من السماء، وقيل: من الصورة الملكيَّة[(٣)].

وقوله تعالى: ﴿مَذْءُومًا﴾ قال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: أي: مَقيتًا[(٤)].

وقال أبو روق: أي: ممقوتًا[(٥)]، وهو كالأول.

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٤/ ٢٢٢)، والزمخشري في «الكشاف» (٢/ ٩٣).

(٢) لم أجده.

(٣) في (ر): «صورة الملائكة».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ١٠٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤٤٦).

(٥) ذكره عنه الثعلبي في «تفسيره» (١٢/ ٣١٧) (ط: دار التفسير)، ورواه الطبري في «تفسيره» =

وقال أبو العالية: أي: مَعيبًا بأشدِّ العيب(١).

وقال ابن زيد: مذمومًا أشدَّ الذمِّ(٢)، وقد ذأَمه يَذْأَمُه ذَأْمًا؛ أي: ذمَّه.

وقال ابن عرفة: ذأمه؛ أي: حَقَره وأَبعده(٣).

وقال مجاهد: أي: مَنْفيًّا(٤).

وقال الكلبيُّ: أي: مُبعَدًا(٥).

وقال الكسائي: أي: مقبوحًا، وقال النَّضْرُ بن شُميلٍ: محسورًا(٦).

وقوله تعالى: ﴿مَّدۡحُورٗا﴾ قال مجاهد: أي: مطرودًا(٧)، والدَّحر في اللغة: الدَّفعُ على وجه الهوان.

وقوله تعالى: ﴿لَّمَن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾: اللام للقسَم.

وقال القشيريُّ رحمه الله: وأخرجه الله تعالى من درجته ومن حالته، ونقله إلى ما استوجبه من طرده ولعنته، ثم يخلِّده في عقوبته، ولا يُذيقه ذرةً من بَرْد رحمته،

= (١٠/ ١٠٢) عن ابن عباس.

(١) ذكر عنه الثعلبي في «تفسيره» (١٢/ ٣١٧) (ط: دار التفسير) قوله: ﴿مَذۡءُومٗا﴾: مُزْرًى به.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ١٠٤).

(٣) ذكره عن ابن عرفة الهروي في «الغريبين» (مادة: ذأم).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ١٠٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤٤٧)، ورواه الطبري أيضاً عن ابن عباس، وفي رواية أخرى عن ابن عباس: صغيراً منفيًّا.

(٥) ذكر عنه الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ٢٠٨) قوله: لئيماً. والثعلبي في «تفسيره» (٤/ ٢٢٢) قوله: ملوماً مَدْحُوراً مقصيًّا من الجنّة ومن كل خير.

(٦) القولان في «تفسير الثعلبي» (١٢/ ٣١٧) (ط: دار التفسير).

(٧) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ١٠٣).

أصبح وهو المقدَّم على الجملة فأمسى وهو أبعدُ الزُّمرة، وهذه آثارُ قهر العزة، وأيُّ كبد تسمع هذه القصة ثم لا تتفتَّت بهذه السياسة[١]؟!

* * *

(١٩) ـ ﴿وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: أي: وقلنا: يا آدم، وقد فسرنا الآية في سورة البقرة.

* * *

(٢٠) ـ ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَا وُۥرِىَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ﴾: أي: أورد عليهما الخواطر المزيِّنة لهما أكلَ الشجرة، وأصل الوسوسة: الصوت الخفيُّ، فهي دعاءٌ على خفاءٍ؛ قال رؤبةُ:

وَسْوَسَ يدعو مخلصًا ربَّ الفلق[٢]

وقوله تعالى: ﴿لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَا وُۥرِىَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا﴾: الإبداء: الإظهار، والمواراة: الستر، والسوءة: العورة مجازًا؛ لأنه يسوءُ صاحبَها ظهورُها؛ أي: قصد بذلك إظهارَ عوراتهما.

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ﴾: قرأ يحيى بن

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٥٢٣).

(٢) الرجز في «ديوان رؤبة» (ص: ١٠٨)، و«تفسير الطبري» (١٠/ ١٠٦).

أبي كثير بكسر اللام[1]، أخذها من قوله: ﴿هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾ [طه: ١٢٠].

وقرأ العامةُ بفتح اللام، وليس فيه تفضيلُ الملائكة على البشر، وما رغَّبهما في ذلك لنيلِ هذا الفضل، فإن آدم لمَّا رأى أن الملائكة أُمروا بالسجود له علِم أن المسجود له أفضلُ من الساجد، أو كان إبليس يعتقد بذلك، ولذلك قال: أنا خيرٌ منه، فوافق اعتقادُه اعتقادَ المعتزلة، فما كان يخفى على آدم ذلك، ولكن قيل: إن الملائكة لا يموتون إلى يوم القيامة، فرغَّبهما في طول العمر.

وقيل: أراد به انقطاعَ الشهوة وسهولةَ الطاعة بحيث لا تلحقُهما الفترةُ، وعدمَ الحاجة إلى شيء من المؤنة، وقد أحبَّا[2] ذلك كلَّه.

وقوله تعالى: ﴿أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾: فلا تموتان أبدًا.

وقال الإمام القشيري رحمه الله: ما رَغِبا في الخلود لنصيبِ أنفُسهما بل للبقاء مع الله، وهذا أَولى ما يُظنُّ بهما، تنزيهًا لمحلِّ النبوة، وقد قيل: ساعات الوصل قصيرة، وساعات الفراق طويلة، ما لبثا في دار الوُصلة إلا بعضًا من النهار، دخلا ضحوةَ النهار وخرجا نصفَ النهار.

ويقال: إن الفراق عينٌ تصيب أهلَ الوصلة، وفيه قيل:

إنْ تكنْ عينٌ أصابَتْك فلا ... زالتِ العينُ تصيبُ الحسنا[3]

---

(١) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٤٨)، و«تفسير الثعلبي» (ط: دار التفسير) (١٢/ ٣١٩)، و«المحرر الوجيز» (٢/ ٣٨٥)، و«البحر المحيط» (١٠/ ٤٣). ونسبوها أيضاً لابن عباس والحسن بن علي والضحاك والزهري. ورواها الطبري في «تفسيره» (١٠/ ١٠٨) عن ابن عباس ويحيى بن أبي كثير.

(٢) في (ف): «أجاز».

(٣) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٥٢٤)، والبيت فيه: =

(٢١) ـ ﴿وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾: أي: حلف لهما إنِّي، بكسر الألف لأن جوابه باللام.

وقال قتادة: خدَعهما بالله فانخدعا، وكذلك المؤمن(١).

***

(٢٢) ـ ﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمۡ أَنۡهَكُمَا عَن تِلۡكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمَا عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ﴾: أي: أوقعهما في المكروه بغروره بهذا القسَم، وأصله من التدلية في البئر؛ أي: الإرسال، وقد دَلَوْتُ الدَّلْوَ أَدْلُوْها: أرسلتُها في البئر لأملأها، وأَدْلَيْتُها: وأخرجتها، ودلَّيتُ فلانًا في البئر بحبلِ غُرورٍ تدليَةً(٢)، والغُرور: إظهارُ النُّصح مع إبطانِ الغش.

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ﴾: أي: أكَلا منها، وهو ينبئ عن القليل منه.

وقوله تعالى: ﴿بَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا﴾: أي: ظهرت لهما لا لغيرهما، وكانا لا يريَان

= إن تكن عين أصابتك فما ... إلا لأنّ العين تصيب الحسنا

وفي عجزه خلل في وزنه الشعري.

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ١٠٩).

(٢) قوله: «ودلَّيتُ فلانًا في البئر بحبلِ غُرورٍ تدليَةً»، فيه نظر، والصواب إما بحذف: «في البئر» فيكون الكلام على سبيل المجاز بمعنى التغرير والتزيين، تقول: دلاني فلان بحبل غرور؛ أي: غرَّني وزيَّن لي القبيح حتى أرتكبه. وإما بحذف: (بحبل غرور)، فيغدو الكلام على الحقيقة. انظر: «تأويلات أهل السنة» (٤/ ٣٨١)، و«غريب الحديث» للخطابي (٢/ ٥٦٤)، وذكر الخطابي قول الشاعر:

وإن امرأً دنياه أكبر همه ... لمستمسك منها بحبل غرور

من أنفُسهما ذلك، وكان عليهما لباس من الظُّفر فزال ذلك إلا ما بقي على رؤوس الأصابع[١].

وقوله تعالى: ﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ﴾: أي: ابتدأا يلزقان على أنفسهما ورق التين[٢] فلا يلتزق، وقيل: الخصف: الترقيع، وقيل: الضم.

وقوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ﴾: أي: عن قُربانها استفهام بمعنى الإثبات.

وقوله تعالى: ﴿وَأَقُل لَّكُمَآ﴾: أي: ألم أقل لكما: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: ﴿وَنَادَىٰهُمَا﴾ يحتمِل أنه أوحَى[٣] بملَك إليهما، ويحتمل أنه إلهامٌ أَلْهمهما[٤].

وقيل: خجلُهما بهذا زاد على كلِّ محنة.

وقيل: كان حالُهما في أولِ اليوم وآخرِه كما قيل:

لله درُّهـــمُ مـــن فـتـيـــةٍ بَكَــروا ... مِثْلَ الملوك وراحوا[٥] كالمساكين[٦]

---

(١) روي هذا عن ابن عباس ولا يصح، فقد رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤٥٢ و١٤٥٩) عنه من طريقين: الأول فيه الحسن بن أبي جعفر الجُفري، قال عنه البخاري: منكر الحديث، وضعفه أحمد والنسائي. انظر: «تهذيب الكمال» (٦/ ٧٣). وفي الثاني النضر بن عبد الرحمن أبو عمر الخزاز، قال عنه أحمد: ليس بشيء، وقال ابن معين: لا يحل لأحد أن يروي عنه، وقال البخاري: منكر الحديث. انظر: «تهذيب التهذيب» (٤/ ٢٢٥).

(٢) في (ف): «الجنة».

(٣) في (ف): «وحي».

(٤) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٤/ ٣٨٤).

(٥) في (ف): «وأمسوا».

(٦) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٥٢٥).

(٢٣) ـ ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا﴾: لمَّا قال الله تعالى لآدم وحواء: ﴿أَلَمْ أَنْهَكُمَا﴾ الآيَةَ اعترفا بالخطيئة وتسارعا إلى التوبة، وقالا: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا﴾: نَقَصْناها ثوابَ الطاعة وعرَّضناها للعقوبة.

وقوله تعالى: ﴿وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا﴾: أي: وإن لم تَستُر علينا ذنبنا ولم ترحمنا بقبول توبتنا.

وقوله تعالى: ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾: أي: الهالكين الذين باعوا حظَّهم من الآخرة بقضاءِ شهوةٍ ساعة.

قال الحسن هي الكلماتُ التي تلقَّاها من ربِّه[1]. وقد بينَّا اختلافَ الأحاديث فيه[2]، وبيَّن في تلك السورة قبولَ توبتهما.

وفي الحديث: أن آدم عليه السلام مشى حتى قام على الصَّفا، وحواء رضي الله عنها جاءت من الجُدَّة وقامت على المروة، وجَعَلا يدعوان ويبكيان مئةَ سنة ـ وفي رواية: مئتي سنة، وفي رواية: ثلاث مئة سنة ـ حتى قُبلت توبتُهما يوم الجمعة، وقال آدم: يا رب، مَن جاءك من ولدي يرجو رحمتك ويخاف عذابك فأَجِرْه من عذابك، قال: لك ذلك[3].

وفي الآية نقضُ قول المعتزلة: إنَّ الصغائر تقع مغفورةً ولا يجوز العقاب عليها، وآدمُ عليه السلام يقول: ﴿وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾.

---

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٤/ ٣٨٥)، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ١١٦) عن الضحاك.

(٢) أي: في تلك الكلمات، وقد تقدم ذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾ [البقرة: ٣٧].

(٣) لم أجده.

(٢٤) ـ ﴿قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ اهْبِطُوا﴾: قال أبو صالح: الخطاب لآدم وحواء صلوات الله عليهما والحية[1].

وقال السُّدِّي: لآدم وحواء وإبليس[2]، لكن إبليس أُهبط قبلهما، فهذا إخبار عن هبوطهم جميعًا، وكان وقوع ذلك متفرقًا، ومعنى قوله: ﴿اهْبِطُوا﴾: انزلوا إلى الأرض.

وقوله تعالى: ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾: فسرناه في سورة البقرة، وفيه تحذيرُ آدم وحواءَ عليهما السلام عند كيدِ إبليسَ ـ لعنه الله ـ في الأرض كما كادهما في الجنة.

وقوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾: مر تفسيره أيضًا، وأراد به أنهم لا[3] يخلدون في الأرض.

وقال الإمام القشيري رحمه الله: أُهبطوا؛ لكنَّ إبليس أُهبط عن[4] رتبته فوقع في اللعنة، وآدمَ أُهبط عن بقعته فتداركتْه الرحمة.

وقيل: لم يخرج آدم عن رتبة الفضيلة وإنْ أخرج عن دار الكرامة، فلذلك قال: ﴿ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ﴾ [طه: ١٢٢]، وأما إبليس فإنه أُخرج عن الحالة والرتبة فلم ينتعِش قط عن تلك السقطة[5].

* * *

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٥٧٢) و(١٠/ ١١٧).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٥٧٣) و(١٠/ ١١٧)، وفي الموضعين: (آدم وحواء وإبليس والحية).

(٣) في (ف): «أن لا»، بدل: «أنهم لا».

(٤) في (أ): «من».

(٥) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٥٢٧).

(٢٥) ـ ﴿ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴾: قرأ ابن كثير ونافع وعاصمٌ وأبو عمرو: ﴿تُخْرَجُونَ﴾ بضم التاء وفتحِ الراء على ما لم يسم فاعلُه من الإخراج، وقرأ حمزة والكسائي بفتحِ التاء وضمِّ الراء على الفعل الظاهر من الخروج[1].

يقول: في الأرض تبقَون أحياءً، وفيها تموتون فتبقون في القبور إلى أن تُبعثوا منها، يُعْلمهم أنهم لا يعودون إلى الجنة إلى أنْ يحشروا من قبورهم، ثم يصيرَ السعداء إلى الجنة والأشقياء[2] إلى النار.

وقيل: لمَّا قال: ﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾ حزن آدم وظنَّ أنْ لا يعودَ إلى الجنة، فقال: ﴿فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾ فتصيرون إلى الجنة، ففرح بذلك.

* * *

(٢٦) ـ ﴿ يَابَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ يَابَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا ﴾: أي: أنزلنا المطر الَّذي يُنبت القطنَ ويقيم البهائمَ التي منها الأصوافُ والأوبار والأشعار، قاله الحسن[3].

وقيل: أي: أنزلنا مع آدم وحواءَ ما به صار اللباسُ، فقد رُوي أنه أُهبط معه ثمانيةُ أزواج من الجنة: من الإبل ذكرٌ وأنثى، ومن البقر كذلك، ومن الغنم كذلك،

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٢٧٩)، و«التيسير» (ص: ١٠٩).

(٢) في (ر): «السعيد... والشقي».

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ٢١٣).

ومن المعز كذلك[١]، وأتاه جبريل بالجلمَينِ[٢] وأمره أن يجزَّ الشاة ففعل، فغزَلته حواءُ وحاكه آدمُ، فاتَّخذ عباءتين إحداهما لآدم والأخرى لحواء.

ووجهُ ذكر هذه الآية بعد الآية الأولى ما ذكر: أنهم كانوا يطوفون بالبيت عراةً بتزيين الشيطان لهم ذلك، فبيَّن الله تعالى بهذه الآية أنَّ إبليس سعى في إعراء آدم وحواء عن اللباس، ثم إن الله تعالى ألبسهما ترغيمًا للشيطان، ثم سعى في إعرائكم عند الطواف، وقد أنزل الله لكم اللباس فلا تنزعوه ولا تُطيعوا الشيطان[٣].

قوله تعالى: ﴿وَرِيشًا﴾ قال ابن زيد الريش: ما فيه الجَمال[٤]، ومنه ريشُ الطائر.

وقيل: اللباس: ما وارَى العورة، والريش: ما وراء[٥] ذلك مما يجمِّل الهيئة.

وقيل: اللباس من القطن، والريش: التوزيُّ[٦] والقصب والملابس النفيسة، قال النَّبي ﷺ: «الإيمان عُرْيان، لباسُه التقوى، وريشه الحياء، وماله العفَّة»[٧].

---

(١) إلى هنا رواه ابن المنذر عن ابن جريج كما في «الدر المنثور» (١/ ١٣٨).

(٢) تحرفت في (أ) و(ف) إلى: «بالحكمين». والجلمان بلفظ التثنية مثل الجَلَم بلفظ المفرد، وهو المقراض، كما يقالُ فيه: المِقْرَاض والمِقراضان ويجوزُ أنْ يُجعلَ الجَلَمَانِ اسمًا واحدًا على فَعَلَان كالسَّرَطانِ والدَّبَرَان، وتُجعل النون حرفَ إعرابٍ، ويجُوز أنْ يَبْقَيا على بابهما في إعراب المثنَّى فيقالُ: شَرَيْتُ الجَلَمَينِ. وجَلَمْتُ الشيءَ جَلْمًا من باب ضَرَب: قطَعْتُه، فهو مجلوم، وجَلَمْتُ الصوفَ والشعرَ قطَعتُه بالجَلَمَيْنِ. انظر: «المصباح» (مادة: جلم).

(٣) ذكر هذا المعنى الطبري في «تفسيره» (١٠/ ١٢٠) ورواه عن مجاهد.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ١٢٤).

(٥) في (ر): «وارى»، وسقطت الجملة من (ف).

(٦) في (ر): «التوري» وفي (ف): «التواري». والتوزي: ثياب تنسب لتوز بلد بفارس. انظر: «المصباح» (مادة: توز).

(٧) في (أ): «الفقه»، وكذا جاءت في بعض المصادر، وفي البعض الآخر كالمثبت. وهذا الحديث رواه الخطيب في «الفقيه والمتفقه» (١/ ١٤٦)، والديلمي في «الفردوس» (٣٨٠)، عن ابن مسعود =

وقال القُتَبي: الريش والرِّياش: ما ظهر من اللِّباس؛ مثل: اللِّبس واللِّباس، والحِرْم والحِرام، والدِّبغ والدِّباغ[1].

وقيل: الرِّيش: الأثاث من متاع البيت؛ من فِراشٍ ودثارٍ ونحوِ ذلك.

وقال ابن الأعرابيِّ: الرياش: المال المستفاد.

وقيل: الرياش: الخِصْب والمعاش.

وقيل: هو المأكول والمشروب.

وقيل: هو اجتماع كلِّ ما يحتاج إليه الإنسان من أسباب حياته.

ورُوي: أن النَّبي ﷺ أعطى النابغة الجعديَّ مئة ناقةٍ بريشها[2]؛ أي: بجميع ما يُصلحها من آلاتها.

= رضي الله عنه مرفوعاً، وذكره الصغاني في «الموضوعات» (ص: ٣٦).

ورواه ابن أبي الدنيا في «مكارم الأخلاق» (١٠٣)، والخطيب في «الفقيه والمتفقه» (١/ ١٤٦) عن ابن مسعود رضي الله عنه موقوفاً، وفيه عند الخطيب: «وكنزه التفقه» ولم ترد العبارة في رواية ابن أبي الدنيا.

ورواه ابن أبي الدنيا في «مكارم الأخلاق» (٩٧)، الترمذي في «نوادر الأصول» (٢/ ٢٠٧)، وابن عساكر في «تاريخه» (٦٣/ ٣٨٩)، عن وهب بن منبه قوله، وذكره عن وهب أيضاً الثعلبي في «تفسيره» (٤/ ٢٢٦)، والمزي في «تهذيب الكمال» (٣١/ ١٤٨)، والذهبي في «السير» (٤/ ٥٥٠)، وغيرهم، وعندهم جميعاً: (وزينته الحياء)، بدل: «وريشه الحياء»، فلعل الريش من تحريف النساخ.

(١) انظر: «غريب الحديث» لابن قتيبة (٢/ ٨٩)، و«غريب القرآن» له (ص: ١٦٦).

(٢) لم أجده حديثاً، إنما هو كلام لحسان رضي الله عنه كما في «الصحاح» (مادة: عصفر)، قال الجوهري: عصافير المنذر: إبل كانت للملوك نجائب، قال حسان بن ثابت: فما حسدت أحداً حسَدي للنابغة حين أمر له النعمان بن المنذر بمئة ناقة بريشها من نوق عصافيره.

وقد تريَّش فلانٌ؛ أي: صار له ما يعيش به، وقال الشاعر:

وريشي منكمُ وهَوَايَ معكمْ   وإنْ كانت زيارتُكم لِمَامَا[١]

ولما كان سترُ العورة أهمَّ ذكَرَه أولًا، ثم ذكَر ما يَستر كلَّ البدن، أو ذكَر اللباسَ ثم سائرَ أسباب المعاش.

وقوله: ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ﴾: قرأ نافع وابن عامر: ﴿ولباسَ التَّقوى﴾ نصبًا عطفًا على لباسًا ﴿وَرِيشًا﴾، والباقون بالرفع على الابتداء[٢].

وقال زيد بن عليٍّ: اللباس: هذا الذي تلبسونه[٣] يواري سوآتكم، وريشًا: الجَمال الذي تتجمَّلون به من الثياب، ولباس التقوى: الدرع والـمِغْفَر والساعدان والساقان يُتوقَّى بها في الحروب[٤].

وقال قتادة والسُّدِّي وابن جريج: هو الإيمان[٥].

وقال الكلبيُّ: هو التوحيد والعفاف[٦].

وقال ابن عبَّاس وسعيد بن جبير رضي الله عنهم: هو العمل الصالح[٧].

---

(١) البيت للراعي كما في «الكتاب» لسيبويه (٣/ ٢٨٧)، وليس في ديوانه، وهو في «ديوان جرير» (١/ ٢٢٥)، ودون نسبة في «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٣٢٨)، و«الزاهر» لابن الأنباري (١/ ٢٥٠)، و«مقاييس اللغة» (٢/ ٤٦٧).

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٢٨٠)، و«التيسير» (ص: ١٠٩). والنصب قراءة الكسائي أيضاً.

(٣) في (ر) و(ف): «تلبسون».

(٤) انظر: «تفسير الثعلبي» (ط: دار التفسير) (١٢/ ٣٢٧).

(٥) رواه عنهم الطبري في «تفسيره» (١٠/ ١٢٥).

(٦) ذكره الواحدي في «البسيط» (٩/ ٨٢)، وزاد: (لأن المؤمن لا تبدو له عورة وإن كان عاريًا من الثياب، والفاجر لا يزال تبدو له عورة وإن كان كاسيًا).

(٧) ذكره عنهما الواحدي في «البسيط» (٩/ ٨١)، ورواه عن ابن عباس الطبري في «تفسيره» (١٠/ ١٢٥).

وقال الحسن: هو الحياء[١].

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾: أي: هذا أنفعُ لكم من التعرِّي.

وقيل: لباس التقوى هو الاكتفاء بالصوف والخشِن من الثياب، وهو خيرٌ من التجمُّل بالملابس الفاخرة.

وقال الإمام القشيري رحمه الله: لباسُ الظاهر يَقِي آفَات الدنيا، ولباسُ التَّقوى[٢] يقي الآفَات التي توجِب سَخَط المولى، ولباسُ التقوى يجمعُ ظاهر العبد وباطنه، فلباسُ التقوى للنفس: لزومُ الزهد بحقيقة الورع، ولباسُ التقوى للقلب: صدقُ القصد بنفي الطمع، ولباسُ التقوى للروح: تركُ العلائق وحذفُ العوائق، ولباس التقوى للسرِّ: الإنقاء من المساكَنات، والتصوُّن عن الملاحظات.

ويقال: للعوامِّ التقوى، وللخواصِّ التَّقوى عن شهود التقوى[٣].

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾: أي: تحصيلُ اللباس من الذي يَنبت بالماء من آيات وحدانية الله تعالى ودلالات على كمال قدرته، واتِّصالُ منافع السماء بالأرض مع بُعْدِ ما بينَهما دليلٌ على أن مُنشئهما ومدبِّرهما واحد، ومعرفةُ الناس كيفيةَ اتخاذ الملابس من ذلك لا يكون إلا ببيان الرسل، فدلَّ ذلك على إثبات الرسالات، أشار إلى ذلك كلِّه الإمامُ أبو منصور رحمه الله[٤].

وقوله تعالى: ﴿لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾: أي: يتَّعظون بالتفكُّر في هذه الآيات.

* * *

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ١٢٥) عن معبد الجهني.

(٢) في (ف): «الباطن».

(٣) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٥٢٨).

(٤) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٤/ ٣٩٥).

(٢٧) ـ ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ ﴾: قال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: أي: لا يُضلَّنكم[١]، وقيل: أي: لا يُزِلَّنكم؛ أي: تحرَّزوا عن الوقوع في فتنته.

وقوله تعالى: ﴿كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ ﴾: أي: سبَّب ذلك بالاستزلال، فيُسبِّب أيضًا لكم الوقوعَ في المخاوف بالاستزلال إنْ لم تتحرَّزوا عن ذلك.

وقوله تعالى: ﴿يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا﴾: أي: نَزَع بطريق التسبُّب[٢]، كما في قوله: ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ﴾ [الأحزاب: ٣٧]؛ أي: وإذ قلتَ، مستقبلٌ بمعنى الماضي.

وقوله تعالى: ﴿لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ﴾: أي: قصَد ذلك.

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ﴾: أُظهر قوله: ﴿هُوَ﴾ ليصح عطفُ الاسم الذي هو بعده عليه، ويكونَ عَطْفَ اسمٍ على اسمٍ.

وقبيله عند الحسن: نَسْلُه، وكذا قال ابن زيد[٣]، كما قال: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ ﴾ [الكهف: ٥٠].

وقال أبو عبيدةَ: أمَّته[٤]. وقال قطربٌ: جموعه. وقال المبرِّد: أشياعه[٥].

---

(١) ذكره عنه الواحدي في «البسيط» (٩/ ٨٤).

(٢) في (ف): «التسبيب».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ١٣٦).

(٤) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١/ ٢١٣)، ولفظه: وجيله الذي هو منه.

(٥) ذكر قول قطرب وقول المبرد الواحدي في «البسيط» (٩/ ٨٥).

وقـال الزَّجَّـاج: أعوانـه[١]. وقـال القُتبـي : أصحابـه[٢]. وقال الكسـائي: جندُه.

وقولـه تعالـى: ﴿مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡ﴾: قـال ابـن عبَّـاس رضـي الله عنهمـا: صَدْرُ الإنسـان لـه مسـكنٌ، ويجـري منه مجـرى الدم.

وقال مالك بن دينار: وإنَّ عدوًّا يراك ولا تراه لشـديدُ المؤنة، إلا مَن عصمه الله تعالى.

وقال يحيى بن مُعاذٍ: الشيطان قديمٌ وأنت حديثٌ، والشيطانُ كيِّس وأنت سليمٌ، والشيطان يراك وأنت لا تراه، والشيطانُ لا ينساك وأنت تنساه، ومِن نَفْسك له عونٌ وليس لك منه عونٌ، وأنت لا تقاومه إلا بعون الله تعالى. وفيه يقول:

ولا أَراه حيـث مـا يَرانـي ... وعـندما أَنسـاهُ لا يَنسـاني

فسـيِّدي إنْ لـم تُغِـثْ سَبانـي ... كـما سَبَى آدمَ مـن جِنَـانِ[٣]

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: فإن قالوا: كيف كلِّفنا محاربتَهم ونحن لا نراهم وليس في وسعنا ذلك؟

قلنا: لم[٤] نكلَّفْ محاربةَ أعيانهم بل دفعَ وسوستهم، ويمكن الوقوف على ذلك بما وُضع للفرق بين الإلهام والوسوسة فيما يقع في القلب، وقد علَّمنا كيفيةَ

---

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٤/ ٣٩٧). وفي «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٣٨٣): يقال لِكل جماعة مِن وَلدٍ قبيلة، وكذلك يقال لكل جمع على شيء واحد: قبيلٌ، قال الله جلَّ وعزَّ: ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡ﴾.

(٢) انظر: «غريب القرآن» لابن قتيبة (ص: ١٦٦).

(٣) انظر الشعر مع الأقوال في «تفسير الثعلبي» (٤/ ٢٢٧).

(٤) في (ف): «لا».

دفع ذلك بقوله: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾ [الأعراف: ٢٠٠] وقوله: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ﴾ [المؤمنون: ٩٧][١].

وقال ذو النون المصريُّ: وإن كان هو يراك من حيث لا تراه فإن الله يراه من حيث لا يرى اللهَ، فاستعن بالله عليه ﴿إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٧٦][٢].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾: أي: خذَلْنا الكفار فاتَّخذوا الشياطين أولياء يطيعونهم ويتَّبعونهم ويجعلونهم بمنزلةِ مَن يتولَّى مصالحهم، وفيه إثبات خَلْق أفعال العباد.

* * *

(٢٨) ـ ﴿وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً﴾: قال الزَّجَّاج: الفاحشة: ما عظُم قُبْحُه[٣].

وقال الحسن: هم عبدة الأوثان، والفاحشة: الشرك[٤].

وقوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾: وقال الحسن: قالوا: لو كَره الله ما نحن فيه لنَقَلنا عنه، فهو أمرٌ منه لنا به[٥].

---

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٤/ ٣٩٧)، وفي كلامه بعض اختلاف مع زيادة.

(٢) انظر: «تفسير القرطبي» (٩/ ١٨٩ ـ ١٩٠)، وذكره الزمخشري في «الكشاف» (٢/ ٩٩) هكذا: كانوا يقولون: لو كره الله منا ما نفعله لنقلنا عنه، وعن الحسن: إن الله تعالى بعث محمداً ﷺ إلى العرب وهم قدرية مجبرة يحملون ذنوبهم على الله، وتصديقه قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ﴾.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٣٣٠)

(٤) انظر: «النكت والعيون» للماوردي (٢/ ٢١٦)

(٥) انظر: «تفسير الثعلبي» (٤/ ٢٢٧).

وقيل: توهَّموا أن آباءهم كانوا عليه بأمرِ الله تعالى.

وقال ابن عبَّاس رضي الله عنهما ومجاهد وسعيد بن جبير والشعبي والسُّدِّي: ﴿ وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً ﴾ هي إبداء السوءات في الطواف[١].

قال الشاعر منهم ـ وقيل: هو من قول امرأةٍ منهم ـ:

اليــومَ يبــدو بعضُــه أو كـلُّــه   وما بــدا منــه فــلا أُحِلُّــه[٢]

وقال الكلبيُّ: ﴿ وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً ﴾: هي[٣] تحريمُ البَحيرة والسائبة والوَصيلة والحامي، قالوا: هو دين آبائنا وأجدادنا نتَّبعها واللهُ أمرنا بها.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ﴾: هي الفاحشة[٤]، وهي الفعلة التي ثبت قبحُها من كلِّ وجهٍ عقلًا وسمعًا، ودلَّ على ثبوت قبح الأشياء قبل ورود السمع، ولو كان القبح لا يثبت قبل ورودِ السمع لكان ما يُؤمر به لا يكون قبحًا، فلا معنى لقوله: ﴿قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ﴾ ولو أَمر به لم يكن فاحشةً.

وقولـه تعالـى: ﴿أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾: أي: أتدَّعـون أن الله أمَـر بهـا، وأمـرُ الله تعالـى يُعرف ببيان رسـله أو الذِّكرِ في كتابـه، وأنتم لا تُقرُّون برسـولٍ ولا كتـاب، فكان هـذا دعوَى بجهلٍ، وهذا اسـتفهامٌ بمعنـى التوبيخ.

وقال القشـيريُّ رحمه الله: اسـتَرْوَحوا في التعلُّل إلى سـلوكِهم نهجَ أسلافهم،

---

(١) رواه عنهم الطبري في «تفسيره» (١٠/ ١٣٧ ـ ١٣٨).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٣٧٧)، و«تفسير الطبري» (١٠/ ١٣٧)، «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٣٣٢)، قال السهيلي: ويُذْكَرُ أنَّ المرأةَ ضُبَاعةُ بنتُ عامرٍ مِن بني عامرِ بنِ صَعْصَعةَ، ثم من بني سَلِمةَ بنِ قُشَيْرٍ. انظر: «الروض الأنف» (٢/ ٢٩١).

(٣) في (ف) و(أ): «هو».

(٤) في (أ): «كالفاحشة».

فاستمسكوا بحبلٍ واهٍ، فزلَّت بهم أقدامُ الغرور، فوقعوا في هذه المحنة[١].

* * *

(٢٩) - ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ﴾: أي: بالعدل، وهو التوحيدُ، لا بما قلتُم: ﴿وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾، ولمَّا كان الشركُ ظلمًا بالنصِّ كان التوحيد عدلًا.

وقوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾: أي: وجِّهوها إلى الله تعالى دون الأصنام، ومنه قول المصلِّي: إني وجَّهتُ وجهي للذي فطَر السماوات والأرضَ حنيفًا.

قوله ﴿عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾؛ أي: موضعِ سجودٍ.

وقوله تعالى: ﴿وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾: أي: واعبدوه؛ كما قال: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [غافر: ١٤]، وقال: ﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا﴾ [النساء: ١١٧].

وقال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ﴾: بلا إلهَ إلا اللهُ ﴿وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ﴾ إلى الكعبة حيث صلَّيْتُم.

وقال الضَّحَّاك: ﴿بِالْقِسْطِ﴾: بالتوحيد[٢].

﴿وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾؛ أي: إذا حضرت الصلاة وأنتم عند مسجدٍ فصلُّوا فيه، ولا يقولَنَّ أحدكم: أصلِّي في مسجدي، وإذا لم يكن عند مسجدٍ فليأتِ أيَّ مسجدٍ شاء ولْيصلِّ فيه ﴿وَادْعُوهُ﴾؛ أي: واعبدوه مخلِصين له العبادة.

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٥٢٩)

(٢) انظر القولين في «تفسير الثعلبي» (١/ ٢٢٧)

وقوله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾: أي: خلقكم. ابْتَدَأ وبَدَأ وأَبْدَأ بمعنًى؛ قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ﴾ [البروج: ١٣]، وقال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ [الروم: ٢٧].

واتصال هذا بما قبله: أنه يقول: أخلِصوا الطاعةَ له فإنكم مبعوثون مَجْزِيُّون على أعمالكم، ثم ذكر الحجة على الإعادة وهو قوله: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾.

* * *

(٣٠) - ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ ۗ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾.

﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾: قيل: نصب ﴿فَرِيقًا ... وَفَرِيقًا﴾ على الحال للعَود، ولذلك قال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: كما بدأكم تعودون سعيدًا وشقيًّا(١).

وفي رواية قال: مؤمنًا وكافرًا كما بدأكم، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾ [التغابن: ٢](٢).

وقال السُّدِّي: تعودون ضُلَّالًا ومهتدين(٣). وقيل غيرُ ذلك.

وقال قتادة: بدأهم من التراب ويعودون إلى التراب، ثم يبعثون من التراب(٤).

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ٢١٧).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ١٤٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤٦٢). ولعل هذا القول والذي قبله واحدٌ، لكن الماوردي ذكره بالمعنى تأثراً بما قدم له الطبري حيث قال: (قال بعضهم: تأويله: كما بدأكم أشقياء وسُعَداء، كذلك تبعثون يوم القيامة، ذكر من قال ذلك...)، ثم رواه عن ابن عباس بهذا اللفظ الثاني.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ١٤٤).

(٤) انظر: «تفسير الثعلبي» (٤/ ٢٢٨)، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ١٤٦) بلفظ: (بَدَأَ خَلْقَهم =

وقال الربيع بن أنس: كما بدأكم عُريًا تعودون إليه عُريًا، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الأنعام: ٩٤][١].

وقال الحسن: كما بدأكم أحياءً تعودون أحياءً بالبعث[٢].

وقيل: ﴿فَرِيقًا... وَفَرِيقًا﴾ نُصبا بقوله: ﴿بَدَأَكُمْ﴾.

وقيل: تم الكلام بقوله: ﴿تَعُودُونَ﴾ ثم قال: ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ﴾ فنصَبه بـ﴿هَدَىٰ﴾، **وقوله تعالى**: ﴿وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ﴾ نُصب بتقديرِ فعلٍ متأخِّر عنه وهو: أَضَلَّ، فإنَّ قوله: ﴿حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ﴾ معناه: أضلَّهم، وهو كقوله: ﴿يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ﴾ [الشورى: ٨] ﴿مَن﴾ نُصب بـ﴿يُدْخِلُ﴾، ثم قال: ﴿وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الإنسان: ٣١] نصَبه لتقدير أحد الفعلين؛ إما: يدخل الظالمين في عذابه، أو: يعذِّبُ الظالمين عذابًا أليمًا، وإنما حُمل على الفعل المقدَّر دون الظاهر تصحيحًا للمقابَلة، وهي من أقسام البلاغة.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾: يطيعونهم ويتولَّونهم.

وقوله تعالى: ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾: قال الإمام أبو منصور رحمه الله: أي: هم عند أنفسهم مهتدون، وليسوا كذلك وذُمُّوا بذلك، فدلَّ أن الحجة والدليلَ يلزم وإنْ لم يُعْرف بعدُ أن يكون العبد بسبيلٍ من الوصول إلى ذلك[٣]، وهذا يردُّ قولَ مَن يقول: إن فرائض الله تعالى لا تلزمُ العبدَ إلا بعد العلم بها[٤].

= ولم يكونوا شيئًا، ثم ذهبوا ثم يُعيدُهم).

(١) انظر: «تفسير الثعلبي» (٤/ ٢٢٨)، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤٦٣) بلفظ: (كما خلَقناكم كذلك تَعودون، تَخرجون من بطون أمهاتكم).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ١٤٥).

(٣) في «التأويلات»: (وإن لم يُعرف بعد أن كيف يكون سبيل الوصول إلى ذلك).

(٤) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٤/ ٤٠٤)

وقال في قوله: ﴿وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ﴾؛ أي: اجعلوا عبادتكم لله ولا تشركوا به شيئًا.

وقيل: أي: أقيموا دِينكم لله، ومنه قوله: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [لقمان: ٢٢]؛ أي: يخلِصْ دِينه.

ويجوز أن يكون الوجه عبارةً عن النفس، ومعناه: أقيموا أنفسَكم لله، وقيل على هذا في قوله: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾؛ أي: ومَن يجعلْ نفسَه سالمًا لله[1].

والآية حجة على المعتزلة في مسألة الهداية والإضلال.

وقال الإمام القشيري رحمه الله: ﴿وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ إشارةٌ منه إلى استدامة شهوده في كلِّ حالة، وأنْ لا ينساه لحظةً في كلِّ ما يأتيه ويَذَرُه ويقدِّمه ويؤخِّره.

وقال في قوله: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾: مَن كانت قِسمتُه منه سبحانه وتعالى له بالسعادةَ[2] كانت فطرتُه على السعادة، ومن كانت فطرتُه على السعادة كانت حالتُه بنعت السعادة، ومن كانت حالته بنعت السعادة كانت عاقبته إلى السعادة. ومَن كانت قسمتُه بالضدِّ فالحالةُ[3] بالضد.

وقال: جملةُ العلم بالقضاء والقَدر: أن[4] يتحقَّق أنه عَلِم ما يكون أنه كيف يكون، وكما عَلِم الحادثات أن تكون أراد به[5] أن تكون كما عَلِم بأنْ تكون[6]، وما

---

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٤/ ٤٠٢).

(٢) في (ف): «من كانت قسمته على السعادة».

(٣) في (أ): «كانت حالته».

(٤) في (ر): «أنه».

(٥) في (ف): «أراد بها» وفي (أ): «وأراد به».

(٦) في (أ): «أن تكون»، وليست هذه العبارة في (ف).

عَلِم أنه لا يكون مما جاز أن يكون أراد أن لا يكون، وكما أراد أن يكون أو لا يكون أخبر أنه يكون أو لا يكون، وعلى الوجه الَّذي أخبر قضى على العبد وقدَّر[1].

* * *

(٣١) - ﴿۞ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾: أي: لباسَكم، في المساجد كلِّها مع المسجد الحرام، وكانوا يتعرَّون عنده في الطواف، فنُهوا عن ذلك وأُمروا بأخذ اللباس للصلاة في المواضع كلِّها.

وقوله تعالى: ﴿وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْ﴾: أي: ﴿وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ﴾ ما أَحلَّ الله ﴿وَلَا تُسۡرِفُوٓاْ﴾: ولا[2] تجاوزوا حدَّ الشرع بتحريمِ ما أَحلَّ الله من البَحيرة والسائبة ونحوِ ذلك.

وقال طاوسٌ: لم يأمرهم بالحرير والديباج، ولكن كان أهل الجاهلية يطوف أحدهم بالبيت عُريانًا ويَدَع ثيابه وراء المسجد، فإن طاف وهي عليه[3] ضُرب وانتُزعت منه، فنزلت الآية[4].

وقال الكلبيُّ: إن بني عامر من أهل الجاهلية كانوا يطوفون بالبيت عراةً؛ الرجالُ بالنهار والنساءُ بالليل[5]، وكانوا إذا قدِموا مسجدَ منى طرح أحدهم ثيابه في رَحْله،

(١) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٥٢٩ - ٥٣٠).

(٢) في (ر) و(ف): «أي لا».

(٣) في (ف): «وهو لابس».

(٤) انظر: «الوسيط» للواحدي (٢/ ٣٦٣).

(٥) في النسخ: «الرجال والنساء بالنهار»، والمثبت من المصادر. انظر: «تفسير الطبري» (١٠/ ١٥٠) =

وهم قريشٌ وكنانةُ وخُزاعةُ[١]، وكانوا لا يصلُّون في ثيابهم، ويقولون: لا نصلِّي في ثيابٍ [٢] أذنبنا فيها، ولا يأكلون من الطعام إلا قوتًا، ولا يأكلون دسِمًا في أيام حجِّهم يعظِّمون بذلك حجَّهم، فقال المسلمون: يا رسول الله، نحن أحقُّ بذلك أن نفعل[٣]، فنزلت الآية: ﴿خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ وكلوا اللحم والدسم ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْ﴾ أحلَّ الله الأكلَ[٤] والشرب ما لم يكن في سرفٍ ولا مَخِيلةٍ[٥].

= رواية عن ابن عباس، و«تفسير ابن أبي حاتم» (٥/ ١٤٦١) رواية عن محمد بن كعب القرظي، و«تفسير الثعلبي» (٤/ ٢٢٩) نقلاً عن المفسرين، وكذا جاء في «تفسير السمعاني» (٢/ ١٧٤)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٢٢٢)، وغيرهما.

(١) قوله: «وهم قريشٌ وكنانةُ وخُزاعةُ»، كذا وضع هؤلاء ضمن مَن يطوفون عراة، والصواب عكسه، فقد روى البخاري (١٥٨٢)، ومسلم (١٢١٩) عن عروة قال: كانت العرب تطوف بالبيت عراة إلا الحمس، والحمس قريش وما ولدت، كانوا يطوفون عراة إلا أن تعطيهم الحمس ثياباً، فيعطي الرجال الرجال والنساء النساء. وكذا جاء في «تفسير السمعاني» (٢/ ١٧٤) عن الزهري: كانت العَرَب يطوفون كذلك عُرَاة إلَّا الحمس، وهم قريش وأحلاف قريش، كانوا يطوفون في ثيابهم، وسموا حمساً؛ بشدتهم في دينهم، ومنه الحماسة لشدتها. ورواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ١٥٤)، وروى (٣/ ٥٢٥) عن عروة قال: والحمس: ملة قريش وهم مشركون، ومن ولدت قريش في خزاعة وبني كنانة.

(٢) في (ف): «أثواب».

(٣) في (ف): «فنحن نفعل كما يفعلون» بدل: «نحن أحق بذلك أن نفعل».

(٤) في (أ): «﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْ﴾ فيما أحل الله من الأكل».

(٥) انظر: «تفسير الثعلبي» (٤/ ٢٢٩) عن الكلبي بلفظ: (كانت بنو عامر لا يأكلون من الطعام إلاّ قوتا، ولا يأكلون دسماً في أيام حجِّهم يعظِّمون بذلك حجَّهم، فقال المسلمون: يا رسول الله، نحن أحق أن نفعل ذلك، فأنزل الله تعالى: ﴿وَكُلُواْ﴾ يعني: اللحم والدسم ﴿وَاشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ﴾ يعني: الحرام). ومثله في «أسباب النزول» للواحدي (ص: ٢٢٦)، لكن أوله: (كان أهل الجاهلية...).

وقيل: ﴿خُذُواْ زِينَتَكُمۡ﴾: هو التجمُّل بأجودِ ما يكون، وهو أجودُ[١] ما يجد إذا قصَد المسجد؛ تعظيمًا له، ولذا سُنَّ التجمُّل[٢] في الجُمع والأعياد.

وعن عطية العوفي وأبي رَوق: أن الزينة هي المشط[٣]، وهو ضربٌ من الزينة.

وقيل في قوله: ﴿وَلَا تُسۡرِفُوٓاْ﴾: إنه نهيٌ عن الأكل والشرب في وقت الحظرِ، ومِن مال الغير بدون الإذن، وتناولِ ما وراء الحاجة.

وقال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: كُلْ ما شئتَ، والْبَسْ ما شئتَ، ما أخطأتك خصلتان: سَرَفٌ ومَخِيلةٌ[٤].

وقيل: الإسراف: الإنفاقُ في المعصية.

وقال مجاهد: لو أنفقتُ مثلَ أحدٍ في طاعة الله تعالى لم يكن سرفًا، ولو أنفقتُ درهمًا أو مدًّا في معصية الله لكان إسرافًا[٥].

وقيل لبعض السلف: لا شَرَف في السَّرَف، فقال: لا سَرَف في الشَّرَف.

وقيل: ﴿وَلَا تُسۡرِفُوٓاْ﴾؛ أي: لا تُشركوا بالله غيرَ الله وأنتم تأكلون وتشربون من رزق الله.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾: لأنه لا يحب الإسراف، فإنْ حُمل هذا على إسراف المسلم فإن الله لا يحبُّه لإسرافه ويحبُّه لإسلامه، وإنْ حُمل على الشرك فإنه لا يحبُّ المشرك مطلَقًا بل يبغضه مطلقًا.

---

(١) «ما يكون وهو أجود» من (ف).

(٢) في (أ): «التزيين»، وفي (ف): «التزين».

(٣) ذكره عنهما الثعلبي في «تفسيره» (٤/ ٢٢٩).

(٤) علقه البخاري قبل الحديث (٥٧٨٣)، ورواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٤٨٧٨).

(٥) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤٦٥).

وحُكي أن الرَّشيد كان له طبيبٌ حاذقٌ نصرانيٌّ، فقال لعليِّ بن الحسين بن واقدٍ: ليس في كتابكم من علم الطبِّ شيءٌ، والعِلم عِلمان: علمُ الأديان وعلمُ الأبدان، فقال له علي بن الحسين: قد جمع الله الطبَّ في كلمةٍ واحدةٍ من كتابه، قال: وما هي؟! قال: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾ فقال النصراني: ولا يُؤْثَر عن رسولِكم في الطبِّ شيء؟ فقال: قد[1] جمع رسول الله ﷺ الطبَّ[2] في خبرٍ واحد، قال: وما هو؟! قال: «المعدةُ بيتُ الدَّاء[3]، والحميةُ رأسُ كلِّ دواء، وأعطِ كلَّ بدنٍ ما عوَّدْتَه»، فقال النصرانيُّ: ما ترك كتابُكم ولا نبيُّكم لجالينوس طبًّا[4].

وقال النَّبي ﷺ: «أَقِلُّوا التَّعَرِّيَ، فإنَّ معكم مَن لا يفارقُكم إلا عندَ الغائطِ، وحين يُفضي الرجلُ منكم إلى أهله، فاستَحْيُوهم وأكرِموهم»[5].

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: ويحتمِل قوله تعالى: ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ

---

(١) «قد» من (ر).

(٢) بعدها في (ر): «كله»، وليست في المصادر.

(٣) في (ف) و(أ): «الأدواء».

(٤) انظر: «تفسير الثعلبي» (٤/ ٢٣٠)، و«غرائب التفسير» للكرماني (١/ ٤٠٢)، و«الكشاف» (٢/ ١٠٠)، و«زاد المسير» (٣/ ١٨٨). قال ابن الجوزي: (هكذا نقلتُ هذه الحكاية، إلا أن هذا الحديث المذكور فيها عن النبي ﷺ لا يثبت). وقال الحافظ في «تخريج أحاديث الكشاف» (ص: ٦٤) عن القصة: (لم أجد لها إسناداً) وعن المرفوع: (لم أجده). وقال السخاوي في «المقاصد الحسنة» (ص: ٣٨٩): (لا يصح رفعه إلى النبي ﷺ، بل هو من كلام الحارث بن كلدة طبيب العرب أو غيره). وجالينوس فيلسوف يوناني له كتب في صناعة الطب وغيرها، وكان ـ كما ذكر المسعودي ـ بعد المسيح بنحو مئتي عام، وبعد بقراط بنحو ست مئة سنة. انظر: «أخبار العلماء» للقفطي (ص: ٨٦).

(٥) ذكره الديلمي في «الفردوس» (٣٤٥) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

مَسْجِدٍ﴾؛ أي: صلُّوا في كلِّ مسجدٍ ولا تخصُّوا بالصلاة مسجدَ حيِّكم، والزينةُ نفسُ الصلاة، فإن العبادة زينةُ كلِّ عابدٍ[1].

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: زينة العبدِ بحضور الحضرة، ولزومِ السُّدَّة، واستدامةِ شهود الحقيقة.

قال: ويقال: زينةُ نفوس العابدين آثارُ السجود، وزينة قلوب العارفين أنوارُ الوجود، فالعابد على الباب بنعتِ العبودية، والعارف على البساط بحُكم الحُرمة[2].

* * *

(٣٢) ـ ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾: استفهام بمعنى الجحدِ، ثم أمَر رسولَ الله ﷺ أن يوبِّخهم على الإسراف الذي نهَى عنه في الآية الأولى، وهو تحريم ما أحَلَّ الله من الطعام واللباس، والزينةُ بمعنى: المزيَّن، كالشهوة تذكر ويراد بها المشتهى.

و﴿زِينَةَ اللَّهِ﴾: ما جعله زينةً لعباده وإباحهُ في شرعه.

و﴿أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ﴾؛ أي: أَوجَد، وقيل: أَظهر.

وقيل: هو على حقيقته؛ لأنه كان في السماء أو في الأرض فأخرجه منهما لهم.

وجواب هذا السؤال متروكٌ؛ لأنه لا جواب لهم يصحُّ؛ لأنهم إن أضافوا التحريم إلى آبائهم، فليس إليهم ذلك، وإن أضافوه إلى الله فلا دليلَ لهم عليه؛ إذ لا تحريم من الله في كتابٍ ولا على لسانِ رسولٍ.

---

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٤/ ٤٠٤ ـ ٤٠٥)

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٥٣٠)، وفيه: (بحكم الحرية).

وقوله تعالى: ﴿قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾: ﴿هِيَ﴾ ترجع إلى الزينة والطيبات جميعًا لأنها للجمع؛ أي: هي للمؤمنين على الأصالة، وللكفار بطريق التبعيَّة، كما قال: ﴿وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا﴾ [البقرة: ١٢٦]، ثم هي في الجنة على الخلوص للمؤمنين لا يَشْركهم فيها غيرُهم وذلك قوله تعالى:

﴿خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ قرأ نافع: ﴿خالصةٌ﴾ بالرفع بـ﴿هِيَ﴾، وقرأ الباقون بالنصب على الحال[1].

وقيل: ﴿فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ صلةُ قوله: ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾؛ أي: المؤمنون في الدنيا لهم الطيباتُ على الخلوص في العُقبى، يقول للمشركين: استَبيحوا ما أخرجتُ لكم من ذلك في الدنيا واشكروا لي على النعم ولا تحرِّموها، فإنْ خالفتم أمري استباحها المؤمنون في الدنيا ثم يَخْلص ذلك لهم في العُقبى ولا شركة لكم معهم فيها.

وقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾: أي: كما نبيِّن لكم هذه الأحكامَ في الحلال والحرام[2]، نبين لكم جميعَ ما بكم حاجةٌ إليه من شرائع الإسلام.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: قال ابن كيسانَ[3]: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ﴾ هي اللباس، كما مر في قوله تعالى: ﴿خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾.

وقال الحسن: هي المراكب؛ كما في قوله: ﴿وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً﴾ [النحل: ٨] ﴿وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ﴾: ألبانُها ولحومُها، وكانوا يحرِّمون ركوبها وأكلَها والشربَ من لبنها[4].

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٢٨٠)، و«التيسير» (ص: ١٠٩).

(٢) «في الحلال والحرام» ليس في (أ).

(٣) كذا قال، والذي في «التأويلات»: (أبو بكر الأصم).

(٤) في (ف) و(أ): «والشرب منها».

قال: وقال بعض أهل التأويل: الزينة هي النبات[1] وما يخرج من الأرض رزقًا للبشر والدوابِّ، قال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا﴾ [الكهف: ٧] وقال: ﴿حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ﴾ [يونس: ٢٤][2].

وقال الإمام القشيري رحمه الله: زينةُ القاصدينَ تركُ العادة، وزينةُ العابدين حسنُ العبادة، وزينةُ اللسان الذِّكرُ، وزينة القلب الفِكرُ، وزينة الظاهر السجود، وزينة الباطن الشهود، وزينة النفس حُسن المعاملة، وزينة الروح دوامُ المواصلة[3].

* * *

(٣٣) ـ ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾: أي: لم يحرِّم الزينةَ والطيبات، وإنما حرَّم القبائح كلَّها ظاهرَها وباطنها.

قال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: كانوا لا يَرَونَ بالزنا سرًّا بأسًا، وكانوا يستقبحونه علانيةً، فنُهوا عنهما جميعًا[4].

وقال قتادةُ ومجاهدٌ: الظاهر نكاحُ الدوابِّ، والجمعُ بين الأختين والأمِّ وابنتِها ظاهرًا، والباطن الزنا[5].

---

(١) في (ف): «الثياب».

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٤/ ٤٠٧)

(٣) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٥٣٠)، وفيه: (بحكم الحرية).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٦٦٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤٦٩).

(٥) رواه عن مجاهدٍ ابنُ أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤٧٠)، والنحاس في «معاني القرآن» (٣/ ٢٨). ورواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٥١٨ و٦٦١) في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا =

وقال الكلبي: الظاهر الزنا، والباطن الـمُخالَّة.

وقال مجاهد الظاهر التعرِّي في الطواف، والباطن الزنا[1].

وقوله تعالى: ﴿وَٱلۡإِثۡمَ﴾: أي: الذنبَ بينك وبين الله تعالى فيما دون الزنا مما لا يُوجب الحدَّ.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ﴾: أي: الاستطالةَ على الناس بغيرِ انتصافٍ يكون من الظالم[2].

وقال الحسن: الإثم: الخمر، من قوله: ﴿قُلۡ فِيهِمَآ إِثۡمٞ كَبِيرٞ﴾ [البقرة: ٢١٩]، والبغي: الاعتداء[3].

وقوله تعالى: ﴿وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا﴾: أي: حجةً؛ أي: الشركُ يكون بهذه الصفةِ بكلِّ حالٍ ـ إلا أنْ يكون من الشرك ما به سلطانٌ؛ أي: حجةٌ، وهو كما يقال: اجتنِب الخمر المذهِبةَ للعقل ـ ليس هو للتمييز بل هو للتحقيق أنه أبداً كذلك.

وقوله تعالى: ﴿وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾: من تحريم هذه الأشياء التي تحرِّمونها من الحرث والأنعام.

وقال عطاء: هو قولهم: الملائكةُ بنات الله[4].

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: قيل: ﴿ٱلۡفَوَٰحِشَ﴾: الكبائر؛ لظهور قبحها عقلًا

= ﴿ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ﴾ [الأنعام: ١٥١].

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ١٦٣).

(٢) في (ر) و(ف): «من المظالم».

(٣) ذكره البغوي في «تفسيره» (٣/ ٢٢٦).

(٤) ذكره الواحدي في «البسيط» (٩/ ١٠٩) من طريق عطاء عن ابن عباس.

وشرعًا ﴿وَٱلۡإِثۡمَ﴾: الصغائر ﴿وَٱلۡبَغۡيَ﴾: هو أخذُ ما عُصم من مالٍ أو نفسٍ، وقوله: ﴿بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ﴾ هو كقولهِ ﷺ: «فإذا قالوها عصَموا مني دماءَهم وأموالَهم إلا بحقها»[(١)]، وقولُه: ﴿وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا﴾؛ أي: عذرًا وهو الإكراه ونحوُه، فإنه قال: ﴿إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ [النحل: ١٠٦][(٢)].

وقال الإمام القشيري رحمه الله: ما ظهر منها: الزلةُ، وما بطن منها: الغفلةُ.

ويقال: ما ظهر منها: ارتكاب المنهيِّ، وما بطن منها: خُطورُها بالبال.

ويقال: ما ظهر منها: هو ما كان ببيان الشريعة، وما بطن منها: هو ما كان بإشارة الحقيقة.

ويقال: فاحشةُ الخواصِّ: تتبُّعُ ما لأنفسهم فيه نصيبٌ.

ويقال: فاحشةُ المحبِّ: الصبرُ عن المحبوب.

ويقال: فاحشةُ قومٍ أن يلاحظوا الغيرَ بعينِ الاستحسان، وقال قائلهم:

يا قرةَ العين سَلْ عيني هل اكْتَحلَتْ ... بمنظرٍ حَسَنٍ مُذْ غِبْتَ عن عيني[(٣)]

ويقال: فاحشةُ قوم أن تَبقَى لهم قطرةٌ من الدمع لم يسكبوها للفُرقة، أو يبقَى لهم نفَسٌ ولم يتنفَّسوا [به] في حسرة، وفي معناه أنشدوا:

لئن بقِيَتْ[(٤)] في العينِ مني دمعةٌ ... فإني إذاً في العاشقِينَ دخيلُ[(٥)]

---

(١) رواه البخاري (٢٩٤٦)، ومسلم (٢١)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٤/ ٤١١ ـ ٤١٢)

(٣) في (ر): «بصري»، والمثبت موافق لما في «اللطائف».

(٤) في (أ): «نفيت».

(٥) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٥٣٢)، وما بين معكوفتين منه.

(٣٤) ـ ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾: أي: ولكلِّ أمةٍ مكذِّبةٍ للرسل مشركةٍ بالله مدةٌ معلومة عند الله[١] يوقِع بها العقوبة عندها.

وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾: أي: لا يتأخرون ولا يتقدمون، فكذلك أهلُ عصرك يا محمدُ.

ودلَّت الآية أنَّ الأجَل واحدٌ.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: وقيل: أجلُهم أن يبعث إليهم رسول فيكذبوه معانِدين، فيَهْلكون عند ذلك ويعذَّبون، قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥][٢].

وقال الإمام القشيري رحمه الله: لكل أمةٍ[٣] مدةٌ، فإذا تناهَت تلك المدةُ زالت تلك الحالة راحةً كانت أو شدةً، وإذا سقط قرصُ الشمس زال سلطانُ النهار، فلا يزداد بعده إلا تراكمُ الظُّلمة، وإذا ارتحل عسكرُ الظلام لطلوع الشمس، فبعد ذلك لم يبق لتعالي النهار تهمة[٤].

* * *

(٣٥) ـ ﴿يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾.

---

(١) في (ف): «عنده».

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٤/ ٤١٢)

(٣) في (ف) و(أ): «قوم».

(٤) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٥٣٢)، وما بين معكوفتين منه.

وقوله تعالى: ﴿يَبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَتِي﴾: (إمَّا) كلمتان: (إنْ ما)[١]، (إنْ) للشرط و(ما) للتأكيد، والنون في آخره تأكيدُ الشرط على وجه القسم.

قيل: هذا معنى قوله لآدم ومَن معه: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٣٨]؛ لأن خطابه يومئذٍ كان خطابًا لآدم وذريته، ولذلك جمعهم في الذكر.

وقيل: هذا كان خطابًا لهم حين أَخْذ الميثاق.

وقال مقاتل: ﴿يَبَنِيٓ ءَادَمَ﴾ هذا خطابٌ لمشركي العرب ﴿إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾ يعني محمدًا وحده، وسماه باسم الرسل تشريفًا له، وقوله: ﴿يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَتِي﴾؛ أي: يتلون عليكم القرآن[٢].

وعلى القولين الأوَّلين قوله: ﴿إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَتِي﴾ معناه: وإن يأتكم ومتى يأتكم أنبياءُ من جنسكم ومن عشيرتكم ـ وهو أدعى إلى الألفة[٣]، وأبلغ في الثقة ـ وهم يحدِّثونكم بآياتي التي أوحيتُ إليهم.

وقوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ﴾: أي: اتَّقى الشركَ والمعاصيَ وأصلحَ العمل في الإسلام.

وقيل: أصلح ما كان أفسده قبلَ ذلك؛ أي: جاء بها على ما يَصلح في الدين دون ما لا يَصلح؛ أي استبَدل النكاحَ بالسِّفاح، وأكلَ الحلال بأكلِ الحرام، والعقود الصحيحة بالفاسدة، والصلاةَ بأركانها وآدابها دون الصلاةِ بالمكَاء والتَّصْدِيَة ونحوِ ذلك.

---

(١) «إن ما» ليس في (أ) و(ف).

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٣٥).

(٣) في (ف): «وهو إلى الألفة أقرب».

وقوله تعالى: ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾: أي: من الوقوع في العقوبات[١] ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ بفواتِ الثواب، وهذا لا يبطل مخافات القيامة[٢] لأن المراد به العاقبة وهو كقول الطبيب يقول[٣] للمريض: لا بأس عليك ولا خوفَ، وإن كان في وجعٍ وضعف.

* * *

(٣٦) ـ ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾: خلافَ مَن اتَّقى وأصلح ﴿وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا﴾: أي: تعاظَموا عن قبولها ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ وهذا وعيدُ المخالفين، والأول وعدُ الموافقين، و(لا خوفٌ عليهم) ذُكر على الجمع ـ مع أن الشرط في الواحد ـ لأن معناه الجمع.

* * *

(٣٧) ـ ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾: ثم أخبر عن هؤلاء الذين يخلَّدون[٤] في النار أنهم هم الذين أَوردوا أنفسهم النار بظُلمهم.

وقوله: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ﴾ استفهام بمعنى النفي؛ أي: لا أظلمُ ممن افترى ـ أي: اختَلق ـ على الله كذبًا.

---

(١) في (ف): «العقاب».

(٢) في (ف): «المخالفات» بدل: «مخافات القيامة».

(٣) «يقول» من (أ).

(٤) في (أ) و(ر): «خلِّدوا».

قال الكلبي: أي: جعل له صاحبة وولدًا.

وقيل: أضاف إليه تحريمَ ما لم يحرِّمه أو إحلال ما لم يحله.

وقيل: قال: إن الله أمرنا بها، ونحو ذلك.

وقوله تعالى: ﴿أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ﴾ قال الكلبي: بمحمدٍ والقرآن.

وقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾: أي: هؤلاء مع نهايةِ ظلمهم ـ وهو وضعُ الشيء غير موضعه، ووصفُ الله تعالى بما لا يليق به، والإضافةُ إليه ما ليس منه ـ لا يَحرِمُهم في الدنيا ما كتب لهم في الكتاب[1]، بل يَصلُ إليهم حظُّهم بما كتب لهم من الرزق، فيمتَّعون في الدنيا بما كُتب لهم في الكتاب السابق، حتى إذا انقضت آجالهم وحضَرهم ملائكة قبض الأرواح وذلك قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ﴾، وهو بسطُ قول الربيع بن أنس: ﴿نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾: ما كتب لهم من الرزق[2].

وفيه أقاويلُ أُخَرُ للمفسرين:

قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: ﴿نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾: ما كتب[3] من الأعمال والأعمار والأرزاق[4].

وقال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: ﴿نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾: أنهم يعملون من خيرٍ أو شرٍّ ويُجزون بكلِّ ذلك[5].

---

(١) «في الكتاب» من (ف).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ١٧٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤٧٤).

(٣) «ما كتب» ليس في (أ) و(ف).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ١٧٥).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ١٧١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤٧٣).

وقال مجاهد: ﴿نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾: ما وُعدوا في الكتاب من خيرٍ أو شرٍّ(١).

وعن مجاهد في رواية: الأعمال التي لم يعملوها بعد لا بد لهم من أن يعملوها(٢).

وقال عطيةُ العوفي: ﴿نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾: من السعادة والشقاوة، قال تعالى: ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾ [الأعراف: ٣٠](٣).

وقال الكلبي: ﴿نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾؛ أي: من العذاب(٤).

وقال السدِّي: زرقةُ العيون وسوادُ الوجوه، قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾ [الزمر: ٦٠](٥).

وقال الزجَّاج: ﴿نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾: ما أخبر الله تعالى من جزائهم: ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ﴾ [الليل: ١٤] ﴿يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾ [الجن: ١٧] ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥] ﴿إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ﴾ [غافر: ٧١](٦).

وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا﴾: ملك الموت وأعوانه من الملائكة ﴿يَتَوَفَّوْنَهُمْ﴾؛ أي: يقبضون أرواحهم ﴿قَالُوٓا۟ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: تعبدون من الأصنام ترجون شفاعتهم ومعونتهم.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ١٧٣).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ١٧١).

(٣) ذكره بهذا اللفظ الواحدي في «البسيط» (٩/ ١١٥). ورواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ١٧٠) بلفظ: (ما سبق لهم في الكتاب). وبنحوه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤٧٤).

(٤) ذكره الواحدي في «البسيط» (٩/ ١١٣).

(٥) ذكره الواحدي في «البسيط» (٩/ ١١٤)، والبغوي في «تفسيره» (٣/ ٢٢٧). ووقع بعدها في (ف): «وكذا قال الكلبي».

(٦) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٣٣٤ ـ ٣٣٥).

وقوله تعالى: ﴿قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا﴾: أي: افتقدناهم فما نرى لهم أعيانًا، ولا نرجو منهم مودة[١] ولا أعوانًا.

وقيل: ﴿أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: الأكابرُ الذين كنتم تستعينون بهم ﴿قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا﴾؛ أي: شُغلوا عنا بأنفسهم.

وقوله تعالى: ﴿وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَٰفِرِينَ﴾: أي: اعترفوا بكفرهم بلفظة الشهادة التي هي لتحقيق الخبر.

* * *

(٣٨) - ﴿قَالَ ٱدْخُلُواْ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِى ٱلنَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ ٱدْخُلُواْ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِى ٱلنَّارِ﴾: أي: يقول الله تعالى لهم على ألسنة ملائكته يوم القيامة مُعْلِمين لهم بما يقعون فيه: ادخلوا[٢] في جملةِ مَن كان قبلَكم من كفَّار الجن والإنس الذين هم[٣] في النار.

وقال مقاتل: ﴿فِىٓ أُمَمٍ﴾؛ أي: مع أمم؛ كما في قوله: ﴿فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى﴾[٤].

والإمام أبو منصور رحمه الله يقول في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ﴾: يحتمِلُ أنه أراد به خزنة جهنم، ومعنى ﴿يَتَوَفَّوْنَهُمْ﴾؛ أي: يعذِّبونهم

---

(١) في (ف) و(أ): «معونة».

(٢) في (أ): «فيما دخلوا» بدل: «فيه: ادخلوا».

(٣) «الذين هم» ليس في (ف).

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٧٤١) و(٤/ ٢٢).

بما فيه شدائدُ الموت[١] وإن كانوا لا يموتون؛ كما قال تعالى: ﴿وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾ [إبراهيم: ١٧][٢].

فعلى هذا تكون الآيتان جميعًا في ذكر حالهم يومَ القيامة، وعلى التأويل الأول تكون الأولى في الدنيا والأخرى في الآخرة.

وقوله تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ﴾: أي: دخلت النار ﴿لَّعَنَتْ أُخْتَهَا﴾؛ أي: الأمَّةَ التي هي مثلُها في الدين ممن سبق إليها، وهي مجاز كما في قوله: ﴿إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا﴾ [الزخرف: ٤٨].

وقال مقاتل: يلعن المشركون المشركين، واليهودُ اليهودَ، والنصارى النصارى، ويَلعن الأتباعُ القادة[٣].

وقال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: ﴿لَّعَنَتْ أُخْتَهَا﴾؛ أي: دَعَت على الأمة التي دخلت قبلها النارَ[٤].

وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعًا﴾: أصله: تدارَكوا، وتفسيره: تلاحَقوا، ومعناه: اجتمعوا.

وقوله تعالى: ﴿قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ﴾: أي: المتأخِّرون للمتقدمين: ﴿رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا﴾؛ أي: هم كذَّبوا الأنبياء فاتَّبعناهم في ذلك، فلو صدَّقوهم لصدَّقناهم.

ويقولون أيضًا: إنهم دَعَونا إلى ذلك وأمرونا به، قال تعالى خبرًا عنهم: ﴿إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا﴾ [سبأ: ٣٣].

---

(١) في (ر): «العذاب».

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٤/ ٤١٧)

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٣٦).

(٤) ذكره الواحدي في «البسيط» (٩/ ١٢١).

وقوله تعالى: ﴿فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ﴾: أي: يا ربنا أضعِفْ لهم العذاب؛ أي: عذِّبهم عذابًا مكرَّرًا زائدًا على عذابنا بضلالهم وإضلالهم.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ﴾: أي: لكلٍّ منكم ومنهم عذابٌ مضاعَفٌ مكرَّر لا ينقطع؛ لاشتراككم في الكفر.

وقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ﴾: قرأ عاصم في رواية أبي بكر بياء المغايبة[1]، ومعناه ما قال مجاهد: لكلٍّ ضعفٌ من القادة والرؤساء على عذابِ السَّفِلة والأتباع، ولكن لا يعلمُ الأتباع، ولو علموا لكان لهم فيه تسلٍّ وخفَّةٌ ونوعُ سرور[2]، وليس لهم شيءٌ من ذلك.

وقال الكلبي: إن أهونهم عذابًا يَرى أنه ليس في النار أشدُّ عذابًا منه.

وقرأ الباقون بتاء المخاطبة لهؤلاء المعذَّبين، ومعناه: لا علم لكم به في الحال.

وقال عطاء: لا علمَ لكم به في الدنيا حتى يَحلَّ بكم ذلك في الآخرة.

وقيل: ﴿وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ﴾ أنه لا عذرَ لكم ولا حجةَ ولا خفَّة بسبب تقدُّمهم وتأخُّركم؛ إذ الحجةُ قائمةٌ عليكم كلِّكم.

وقيل: أي: لا تعلمون أنتم ما عليهم لشدَّة ما عليكم.

* * *

(٣٩) ـ ﴿وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾.

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٢٨٠)، و«التيسير» (ص: ١١٠). وقرأ الباقون بالتاء كما سيأتي.

(٢) في (أ): «وخفة وسرور».

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَتْ أُولَاهُمْ لِأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ﴾: أي: في عقلٍ وتدبُّرٍ، فإنكم سمعتُم ما نزل[1] من المثُلات فلم تعتبِروا.

وقوله تعالى: ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾: من الكفر كما نحن نذوقُه بكَسْبنا.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: الأُولى والأخرى يحتمِلُ أن يكون المراد به: في الزمان؛ أي: في الأمم المتقدِّمة والمتأخرة، ويحتمِل أن يكون المراد بالأولى: القادةَ الذين دخلوا النار أولًا، والأخرى: الأتباعَ الذين دخلوا آخِرًا، وقوله: ﴿لَّعَنَتْ أُخْتَهَا﴾ دليلٌ على أن الكفار إخوةٌ بعضُهم لبعض كما أن المؤمنين إخوة بعضهم لبعض[2].

* * *

(٤٠) ـ ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا﴾: فسَّرناه في هذه السورة.

وقوله تعالى: ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ﴾: قرأ أبو عمرو: ﴿تُفْتَحُ﴾ بتاء التأنيث مخفَّفًا؛ لأن أصل الفعل الفتحُ والأبوابَ جمع.

وقرأ حمزة والكسائي بياء التذكير مخفَّفًا لتقدُّم الفعل.

وقرأ نافعٌ وعاصمٌ وابن عامر[3] [وابن كثير] بتاء التأنيث والتشديد[4]، من

---

(١) في (ر) و(ف): «ترك».

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٤/ ٤١٨ ـ ٤١٩)

(٣) في (ر) و(ف): «وقرأ الباقون».

(٤) انظر: «السبعة» (ص: ٢٨٠)، و«التيسير» (ص: ١١٠)، وما بين معكوفتين منهما.

التفتيح وهو التكريرُ والتكثير، ومعناه: لا تفتَّح لهم أبواب السماء المعروفةِ لأرواحهم إذا ماتوا.

وروَى البراءُ بن عازب وأبو هريرةَ رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ في حديثٍ طويلٍ: أن روح الكافر يُستفتحُ لها في السماء فلا يُفتح وتردُّ إلى سجِّينٍ[١].

وقيل: أي: لا تُفتح لهم أبواب السماء لرفع الأعمال كما تُفتح للأعمال الصالحة، قال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠] بل يُردُّ عملُه[٢] إلى سجِّين، قال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ﴾ [المطففين: ٧]، وقال: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ [التين: ٥]، وهو قول ابن عبَّاس والكلبي رضي الله عنهم[٣].

وجمع بينهما أبو العالية فقال: لا تُفتح[٤] أبواب السماء لأعمالهم ولا لأرواحهم.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: قال بعضهم: أراد بها أبواب الجنان، فإن الجنة في السماء قال: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات: ٢٢]؛ أي: في الجنة.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ﴾ لا ينفي هذا التأويلَ، ولا يكون للتكرير فإن معناه: لا تفتح لهم أبوابها ولا يدخلونها.

---

(١) رواه مسلم (٢٨٧٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. ورواه الإمام أحمد في «المسند» (١٨٥٣٤) من حديث البراء رضي الله عنه.

(٢) «عمله» من (ف).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ١٧١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤٧٣)، من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، ورواه الطبري أيضاً من طريق عطاء عن ابن عباس. وكلاهما رواه من طريق الضحاك عن ابن عباس بالوجه الأول، ولفظه عندهما: ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ﴾ قال: عنى بها الكفار، أنّ السماء لا تفتح لأرواحهم، وتفتح لأرواح المؤمنين.

(٤) بعدها في (ف): «لهم».

وقيل: تمثيل لِرفعةِ القَدْر(١)؛ قال النابغة الجَعْدي:

بلَغْنا السماء مجدُنا وفعالُنا(٢) وإنَّا لنرجو فوقَ ذلك مَظْهرا(٣)

وقال أبو تمَّامٍ الطائيُّ:

فتحٌ تفتَّحُ أبوابُ السماء له وتَبْرُزُ الأرضُ في أثوابها القُشُبِ(٤)

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾ قال ابن عباس: أي: حتى يدخل البعير في ثقب الإبرة(٥).

والسَّمُّ بفتح السين وضمِّها: ثقب(٦). وقرأ ابن سيرين بالضم(٧)، والعامة بالفتح.

والخِيَاط: المِخْيَط؛ قاله الفرَّاء(٨).

وهو تخييبٌ لهم عن دخول الجنة؛ أي: هذا لا يكون أبدًا كما لا يدخل الجملُ في سَمِّ الإبرة أبدًا، والجمل بحاله والسَّمُّ بحاله.

---

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٤/ ٤٢٠).

(٢) في (أ): «رفعًا لنا».

(٣) البيت في «ديوانه» (ص: ٥١ و٦٨)، و«جمهرة أشعار العرب» (ص: ٣٧ و٦٢٩)، و«الشعر والشعراء» (١/ ٢٨٠)، و«الزاهر» لابن الأنباري (١/ ١٧٥)، و«العقد» لابن عبد ربه (١/ ٣٠٨)، و«الموشح» للمرزباني (ص: ٣١٠)، واختلفت روايات صدره في المصادر مع بقاء محل الشاهد فيه.

(٤) البيت من قصيدته المشهورة في فتح عمورية.

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ١٩١).

(٦) في (أ): «خرق»، وفي (ف): «خرم».

(٧) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٤٨ ـ ٤٩) عن أبي السمال.

(٨) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٣٧٩).

وقرأ ابن عبَّاس رضي الله عنهما: (الجُمَّل) بضم الجيم وتشديد الميم[١]، وهو حبلُ السفينة، وهو كبيرٌ غليظ.

وقيل: هو الحبلُ الذي يُصعَد به النخلُ.

وقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾ قال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: أي: وهكذا نُعاقِبُ المشركين.

***

(٤١) - ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾ قال الحسن: ﴿مِهَادٌ﴾: فِراشٌ، و﴿غَوَاشٍ﴾: ظُلَلٌ[٢]، جمعُ غاشيَةٍ وهي المغطِّيَةُ، وهو كقوله تعالى: ﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾ [الزمر: ١٦] وقولِه: ﴿يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ [العنكبوت: ٥٥].

وقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾: أي: الظالمين أنفسَهم بالشرك بالله ووضعِهم الشيءَ غيرَ موضعه.

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: كما أحاطت بهم الذنوب في الدنيا فتدَنَّس بالزَّلة ظاهرُهم وبالغفلة باطنُهم، كذلك أحاطت العقوبات غدًا بجوانبهم، فمِن فوقهم عذابٌ ومن تحتِهم عذابٌ، وفي قلوبهم استيلاءُ الوحشة وغلبةُ الدهشة[٣].

---

(١) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٤٨) عن علي وابن عباس، ورواها الطبري في «تفسيره» (١٠/ ١٩٢) من طريق مجاهد عن ابن عباس، وزاد: (وقال: هو حبل السفينة)، وزاد في رواية عكرمة عنه: (قال: الحبل الغليظ). ونسبها أبو حيان في «البحر» (١٠/ ٩٠) لجمع منهم ابن عباس ومجاهد وأبو مجلز وابن يعمر والشعبي وغيرهم.

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ٢٢٣).

(٣) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٥٣٤).

(٤٢) - ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾: ذكر ثواب المصدِّقين بعد عقابِ المكذِّبين.

و﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ قيل[1]: هو اعتراضُ الكلام قبل التمام، و﴿أُولَئِكَ﴾ جواب: ﴿وَالَّذِينَ﴾.

وقيل: بل هو جوابٌ بعد جوابٍ، وتقديره: والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفسًا منهم إلا طاقتها من الأعمال الصالحات في الدنيا وأولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون في العقبى.

* * *

(٤٣) - ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ﴾: أي: حقد؛ أي: لا حقد لهم ولا حسد ولا تنافُس.

وقوله تعالى: ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ﴾: أي: هم في مواضعَ في غاية النزاهة والطِّيب، وقد زال عنهم الحسدُ فلا يتنافسون بتفاوت المنازل، ولم يبقَ ما كان بينهم في الدنيا من خشونةٍ وأذًى.

---

(١) «قيل» ليس في (ف).

قال قتادة: قال عليٌّ رضي الله عنه: إني لأرجو أن أكون أنا وعثمانُ وطلحةُ والزبير من أهل هذه الآية[١].

وقال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: هم المؤمنون من الصحابة وغيرِهم؛ يكونُ بينهم العداوةُ في الدنيا فيموتون على ذلك فيغفرُها[٢] الله لهم، فإذا أدخلهم الجنة نزع ما كان في قلوبهم من غلٍّ فصاروا إخوانًا على سُررٍ متقابلين[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا﴾ قال سفيان الثوري: أي: لعملٍ هذا ثوابُه[٤].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا لِنَهۡتَدِيَ لَوۡلَآ أَنۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُۖ لَقَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلۡحَقِّ﴾:

قيل[٥]: أي: بالصِّدق.

وقيل: أي: بما هو حقٌّ في العقول وصوابٌ.

وقيل: أي: بالدِّين الحقِّ الذي يستحقُّه على عباده، وهذا بيانٌ منهم لاعتقادهم، وشكرٌ[٦] لله تعالى على إرشادهم.

وقوله تعالى: ﴿وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾: أي: تناديهم الملائكة: أنْ تلك الجنة التي أُخبرتم عنها في الدنيا هي هذه أَوْرَثكُموها الله؛ أي: أعطاكم بأعمالكم، وهي إيمانُهم وطاعاتهم، وسمَّاها ميراثًا لأنه ليس مما يُستحق

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٩٠١)، والطبري في «تفسيره» (١٠/ ١٩٨ ـ ١٩٩).

(٢) في (ف): «فيغفر».

(٣) ذكره أبو الليث في «تفسيره» (١/ ٥٣٢).

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٤/ ٢٣٤)، والواحدي في «البسيط» (٩/ ١٤٠).

(٥) «قيل» من (أ).

(٦) في (ف): «وشكرهم».

بالعمل، بل هو محضُ فضل الله تعالى وَعَدهم على[1] الطاعات؛ كالميراث من الميت لا يكون عوضًا مستحَقًّا عن شيء بل هو عطيةٌ خالصة.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: قال بعض الناس: إن المعتزلة خالفوا الله تعالى فيما أَخبر، وخالفوا الرسلَ فيما أَخبروا عن الله تعالى، وخالفوا أهل الجنة والنار، وخالفوا إبليس:

أما مخالفةُ الله: فإنه قال: ﴿يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [النحل: ٩٣].

وأما مخالفة الرسل: فقد قال نوح عليه السلام: ﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ﴾ [هود: ٣٤].

وأما مخالفة أهل الجنة: فقولهم: ﴿وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ [الأعراف: ٤٣].

وأما مخالفة أهل النار: فقوله تعالى: ﴿لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ﴾ [إبراهيم: ٢١].

وأما مخالفة إبليس: فقول إبليس: ﴿رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى﴾ [الحجر: ٣٩] فهو أعلم بالله من المعتزلة[2].

وقال مقاتل رحمه الله في قوله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾: وذلك أن أهل الجنة لمَّا انتهوا إلى باب الجنة إذا هم بشجرةٍ تنبع من ساقها عينان، فيميلون إلى إحداهما فيشربون منها، فيُخرج الله تعالى ما كان في أجوافهم من غلٍّ وقَذَر فيُطهِّر أجوافهم بذلك، وذلك قوله تعالى: ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ [الإنسان: ٢١]، ثم يميلون إلى العين الأخرى فيغتسلون منها، فيطيِّب[3] الله تعالى أجسادهم من كلِّ

---

(١) في (ر): «وعده من».

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٤/ ٤٢٧)

(٣) في (أ): «فيطهر»، والمثبت موافق لما في «تفسير مقاتل».

دَرَنٍ، وجَرت عليهم النُّضرة فلا تَشعَّثُ رؤوسُهم ولا تَغْبرُّ[١] وجوههم ولا تَشْحبُ أجسادهم، ثم تبشرهم خزنةُ الجنة قبل أن يدخلوها فينادونهم: ﴿أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ فلما استقروا في منازلهم قالوا: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا﴾ أي: لدِينه ﴿وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ﴾: بأنَّ هذا اليوم حقٌّ، فصدَّقناهم[٢].

وقيل: لمَّا لم ينظروا إلى أعمالهم بل ذكروا منَّة[٣] الله تعالى بالهداية، ذكر الله أنهم وَرِثوها بأعمالهم فحصل[٤] لها قيمة.

* * *

(٤٤) ـ ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا۟ نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا۟ نَعَمْ﴾:

قرأ الكسائي: ﴿نَعِم﴾ بكسر العين[٥]؛ لِمَا رُوي عن أبي عثمان النهديِّ: أن عمر رضي الله عنه سألهم عن شيء، فقالوا: نَعَم، فقال: إنما النَّعَم الإبل، فقولوا: نَعِم[٦].

---

(١) في (ر) و(ف): «تتغير»، والمثبت موافق لما في «تفسير مقاتل».

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٣٧ ـ ٣٨).

(٣) في (ف): «نعمة».

(٤) في (ر) و(ف): «فجعل».

(٥) انظر: «السبعة» (ص: ٢٨١)، و«التيسير» (ص: ١١٠). وقرأ الباقون بفتح العين كما سيأتي.

(٦) انظر: «المحرر الوجيز» (٢/ ٤٠٣). وعزاه ابن عطية لكتاب أبي حاتم، وأبو حاتم هو سهل بن محمد السجستاني، قرأ كتاب سيبويه على الأخفش مرتين، وروى عن أبي عبيدة والأصمعي وأبي =

وقرأ الباقون: بفتحها، وهي لغةُ أهل الحجاز وعامةِ العرب.

ومعنى الآية: أن أهل الجنة ينادُون يومئذ أهلَ النار ـ لأنهم مشرِفون عليهم، فإن الجنة عالية وجهنمَ متسفِّلة ـ فيقولون لهم: إنَّا وجدنا ما وَعدنا الله من الثواب حقًّا، فهل وجدتُم ما وَعد ربكم[1] من العقاب حقًا؟ قالوا: نعم.

وإنما يكون هذا تشفِّيًا لقلوب المؤمنين وزيادةَ تعذيب للكافرين، فإنهم كانوا يؤذونهم ويعيِّرونهم كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضْحَكُونَ﴾ [المطففين: ٢٩] إلى قوله: ﴿فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾ [المطففين: ٣٤].

وقوله تعالى: ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ﴾: أي: نادى منادٍ، وهو ملك أو مَن شاء الله:

﴿أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: قرأ ابن عامر وحمزةُ والكسائي وابن كثير بتشديد النون، والباقون بالتخفيف[2].

قال أبو حاتم: التخفيفُ أولى؛ ليكون موافقًا لقوله: ﴿أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ﴾ ﴿أَن قَدْ وَجَدْنَا﴾ ﴿أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾ ﴿أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾.

وقال الأخفش: التشديد أولى؛ لأنها يليها الاسم.

﴿أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾؛ أي: حصَلت على الكافرين دون المؤمنين، وهو إخبارٌ.

وقيل: هو ابتداءُ لعنٍ منهم لهم[3].

= زيد وغيرهم، له مصنفات كثيرة منها كتاب في القراءات، توفّي سنة خمسين ـ أو خمس وخمسين، أو أربع وخمسين، أو ثمان وأربعين ـ ومئتين، وقد قارب التسعين. انظر: «بغية الوعاة» (١/ ٦٠٦).

قلت: ولعل كثيراً مما ينقله الناس عن أبي حاتم هو من كتابه في القراءات، لكنهم لا يعيّنونه.

(١) «ربكم» ليس في (أ) و(ف).

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٢٨١)، و«التيسير» (ص: ١١٠). وقراءة ابن كثير هذه هي من رواية البزي عنه.

(٣) بعدها في (ر): «من الله».

(٤٥) ـ ﴿ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجٗا وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ كَٰفِرُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: أي: يمنعون عن دِين الله بالنهي وإدخال الشُّبَه.

وقوله تعالى: ﴿وَيَبۡغُونَهَا عِوَجٗا﴾: أي: يطلبون لها[1] تغييرًا وإمالةً إلى الباطل.

وقوله تعالى: ﴿وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ كَٰفِرُونَ﴾: أي: كانوا بها جاحدِين.

كلُّه نعتُ الظالمين الذين عليهم اللَّعنةُ.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: فإن قالوا: ذكَر نداءَ أهلِ الجنة أهلَ النار، ونداءَ أهلِ النار أهلَ الجنة، ونداءُ بعضهم بعضًا لا يكون إلا بحيث يكون بعضهم قريبًا من بعض، وقد جاء في وصف الجنة أن أقلَّ ما يكون لواحدٍ من أهل الجنة مثلُ عَرْض الدنيا، وجاء أن الحور العين لو نظرت واحدةٌ منهنَّ إلى[2] الدنيا نظرةً لامتلأت الدنيا من ضوئها وعِطرها، وجاء في وصف النار أن شرارةً لو وقعت في الدنيا لأحرقتْها، فإذا كان[3] بعضُهم مِن بعضٍ بحيث يَسمع من بعض[4]، ألَا يتأذَّى أهل الجنة بأهل النار[5]، ولا يتنعمُ أهلُ النار بنعيم أهل الجنة؟

قلنا: إن الله قادر على أن يُوقع نداء هؤلاء بمسامعِ هؤلاء مع بُعْدِ ما بينَهما، ويُسمعَ كلَّ فريق نداءَ الفريق الآخر، أو يكونُ الله جعَلَ بِنْية هذا الخَلْق غيرَ هذه البِنية

(١) «لها» ليس في (ف).

(٢) بعدها في (ف): «أهل».

(٣) بعدها في (ف): «نداء».

(٤) في «التأويلات»: (فإذا كان بعضهم من بعض بحيث يسمعون بعضهم نداء بعض).

(٥) في (أ): «بالنار»، بدل: «بأهل النار».

مع ارتفاع الآفَات[1] والحجُب، فيَسمعُ بعضُهم نداءَ بعضٍ مِن بُعدٍ، ويُبصِرُ بعضُهم بعضًا؛ لأن في الدنيا المانعُ هي الآفَات والحجبُ وقد ارتفع ذلك، أو تُقرَّب الجنة من النار [والنارُ من الجنة] بحيث يُسمعُ بعضُهم بعضًا ما ذُكر من النداء[2].

***

(٤٦) ـ ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ﴾: قال بعض أهل التفسير: هو السورُ المذكور في قوله: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ﴾ الآية [الحديد: ١٣].

وقوله تعالى: ﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ﴾: هي جمع عُرف، وهو المكان المرتفع، ومنه: عُرف الديك، وذلك لأنه بظهوره أَعْرفُ مما انخفض منه.

وقيل: سمي بذلك لأن أصحاب الأعراف يعرفون أهل الجنة من أهل النار.

وقيل في معنى الآية: أي: وعلى أعالي الحجاب ـ وهو السورُ ـ رجال.

قيل: هم ملائكةٌ موكَّلون بأعالي هذا السور يميِّزون المؤمنين من الكافرين[3] قبلَ إدخالهم الجنةَ والنار، واسم الرجال وإن كان في الأظهر لذكورِ بني آدم، فغيرُ منكرٍ أن يقع على الملائكة كما وقع على الجن في قوله: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ﴾ وسُمُّوا رجالًا لأنهم في صورة الرجال.

---

(١) في (ف): «الآلات».

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٤/ ٤٢٩)، وما بين معكوفتين منه.

(٣) في (ف): «الكفار».

وقوله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ﴾: أي: الكفارَ بسوادِ الوجوه وزُرقة العيون، والمؤمنين بنَضرة النعيم ونورِ الوجوه.

وقوله تعالى: ﴿وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾: يبشِّرونهم بالسلامة من كلِّ مَخوف، وبسلامِ التحية في الجنة.

وقوله تعالى: ﴿لَمْ يَدْخُلُوهَا﴾: أي: أهلُ الجنة بَعْدُ[1] ﴿وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ أي: يرجُون، وهو طمع اليقين كما في قول الخليل: ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ [الشعراء: ٨٢] وهذا هو قولُ الحسنِ وأبي مجلزٍ[2].

***

(٤٧) ـ ﴿۞ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ﴾: أي: أبصار هؤلاء الملائكةِ ﴿تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ﴾؛ أي: حِذاءَهم، وهي جهة اللقاء.

وقوله تعالى: ﴿قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾: أي: قال هؤلاء الملائكةُ هذا بطريق الدعاء حين أَشرفوا على حال[3] أهل النار، وهم متعبَّدون مكلَّفون كبني آدم، فلا يُنْكر أن يدعوا اللهَ لأنفسهم بالأمن.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: قيل: هم أهلُ كرامة الله، أكرمهم بذلك فرفَعهم على السور لينظروا إلى حُكم الله في الخلق وعدلِه فيهم، وينظروا إلى إحسان الله تعالى فيمَن يُحسن إليه[4] [وعدلِهِ فيمَن يعاقبهم].

---

(١) «بعد» ليس في (ف).

(٢) انظر ما رواه عنهما الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٢٢٦ و٢٢٧).

(٣) «حال» من (أ) و(ف).

(٤) في (ف): «إليهم».

قال: وقيل: هم الأنبياء، والأشبهُ أن يكونوا[١] الأنبياءَ، يكونون على الأعراف يَشهدون على الأمم، قال تعالى: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴾ [النساء: ٤١][٢].

وروى عبد الرحمن المزنيُّ قال: سُئل النَّبي ﷺ عن أصحاب الأعراف قال: «ناسٌ قُتلوا في سبيل الله، منَعَهم الجنةَ معصيتُهم آباءَهم، ومنَعَهم النارَ قتلُهم في سبيل الله عز وجل»[٣].

وقال مجاهد: هم أقوام رضي عنهم آباؤهم دون أمهاتهم، وأمهاتُهم دون آبائهم، فلم يدخلهم الله الجنة لأن آباءهم أو أمهاتِهم غيرُ راضين عنهم، ولم يدخلهم النار لرضا آباءهم أو أمهاتهم عنهم، فيُحبَسون على الأعراف إلى أن يقضيَ الله تعالى بين الخلق ثم يدخلهم الله الجنة[٤].

وقال الكلبي: استوت حسناتُهم وسيئاتهم فوُقفوا عليه.

وقال حذيفةُ: هم قوم كانت لهم حسناتٌ وسيئاتٌ، فخالفت بهم حسناتهم عن

---

(١) في (أ) و(ر): «يكون»، وليست في (ف)، والمثبت من «التأويلات» (٢/ ٢٣٤) (ط: الرسالة).

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٤/ ٤٣١)، وما بين معكوفتين منه.

(٣) رواه سعيد بن منصور في «سننه» (٩٥٤ ـ تفسير)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (١١٢٣)، والطبري في «تفسيره» (١٠/ ٢١٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤٨٤). وفي إسناده أبو معشر، وهو ضعيف، وقد اضطرب فيه كما في «الإصابة» (٤/ ٣١١). ورواه الطبري بإسناد آخر لكنه ضعيف جدًّا لتسلسله بالمبهمين. وانظر كلام الشيخ أحمد شاكر على الحديث في تحقيقه لـ «تفسير الطبري» (١٢/ ٤٥٨).

ورواه الطبراني في «الأوسط» (٣٠٥٣) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وفيه محمد بن مخلد الرعيني وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وهما ضعيفان.

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٤/ ٢٣٦)، وما بين معكوفتين منه.

النار، وقصَّرت بهم سيئاتهم عن الجنة، فكانوا كذلك حتى قضى الله فيهم ما قضى(١).

وعلى هذه الأقاويل المتأخِّرة: ﴿لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ أصحابُ الأعراف، وكذلك: ﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ﴾ الآية.

وقال عبد العزيز بن يحيى الكناني(٢): أصحاب الأعراف هم الذين ماتوا في الفترة ولم يبدِّلوا دينهم.

وقيل: هم أولاد المشركين.

* * *

(٤٨) ـ ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَٰهُمْ قَالُوا۟ مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَٰهُمْ قَالُوا۟ مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾: أي: رجالًا من الكفار يعرفونهم بسوادِ الوجوه ونحوِه: ما نَفعكم جماعاتكم؟

وقيل: جَمْعُكم الأموالَ، وتكبُّركم عن الإيمان، أو تعظُّمكم على الناس بالرياسة ونحوها.

وهذا توبيخ للكفار.

* * *

(٤٩) ـ ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ ۚ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٢١٣)، والبيهقي في «البعث والنشور» (١١٠) و(١١١).

(٢) في النسخ: «عبد الرحمن بن يحيى الكتاني»، وفيه خطأ وتحريف، والتصويب من «تفسير الثعلبي» (٤/ ٢٣٦)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٢٣٣)، و«زاد المسير» (٣/ ٢٠٦). وقد تكرر النقل عنه في هذا التفسير.

قوله تعالى: ﴿ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمۡتُمۡ ﴾: وهم ضعفاءُ المسلمين كان الكفار يستخفُّون بهم، فيقول أصحاب الأعراف: أهؤلاء الذين حلَفتم ﴿لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحۡمَةٍ﴾؛ أي: لا يصيبهم الله بكرامة؟ فانظروا إلى حالهم.

وقوله تعالى: ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ﴾: أي: يقول أصحاب الأعراف للضعفاء من المؤمنين ردًا على الكافرين ما أقسموا به: ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ﴾.

وقيل: يقال لأصحاب الأعراف: ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ﴾.

وقال الكلبيُّ: إنهم ينادُون وهم على السور: يا أبا جهل، يا وليدَ بنَ المغيرة، ويا فلان، يعرفونهم بسيماهم، ﴿قَالُواْ مَآ أَغۡنَىٰ عَنكُمۡ جَمۡعُكُمۡ﴾ في الدنيا المالَ والولد، ﴿وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ﴾ عن الإيمان بالله؟ ثم ينظرون إلى أهل الجنة فيَرون فيها الضعفاء والمساكين ممن كانوا يستهزؤون بهم مثلَ سلمانَ وصهيبٍ وخبَّابٍ وأشباههم، فنادَوهم: ﴿ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمۡتُمۡ ﴾ يعني: الضعفاء والمساكين ممن[1] حلفتم وأنتم في الدنيا ﴿لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحۡمَةٍ﴾ يعني: بالجنة، يقول الله تعالى لأصحاب الأعراف: ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ﴾ حين يخاف أهل النار ﴿وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ﴾ حين يحزن أهل النار[2].

وقال أبو العالية: يقول لهم أصحاب الأعراف: ﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنكُمۡ جَمۡعُكُمۡ﴾ فأَقْسَم أهل النار أن أصحاب الأعراف لا يدخلون الجنة، فيقول الله تعالى: ﴿ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمۡتُمۡ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحۡمَةٍۚ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ ﴾ يا أصحاب الأعراف.

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: يحاسَبُ الناس يومَ القيامة، فمَن كانت حسناتُه

---

(١) «ممن» من (ف).

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» (٤/ ٢٣٧)، و«البسيط» (٩/ ١٥٧)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٢٣٣).

أكثرَ من سيئاته بواحدةٍ دخل الجنة، ومن كانت سيئاته أكثر من حسناته بواحدة دخل النار، ثم قرأ: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٨ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ الآية، وإن الميزان يخفُّ بمثقالِ حبةٍ أو يَرجَح، ومَن استوت حسناتُه وسيئاتُه كان من أصحاب الأعراف، فوُقفوا على الصراط ثم عَرفوا أهل الجنة والنار، فإذا نظروا إلى يمينهم فرأوا[١] أهل الجنة قالوا: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾ وإذا نظروا إلى يسارهم فرأوا[٢] أصحابَ النار قالوا: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ فأما أصحابُ الحسنات فيعطَون نورًا فيمشون به بين أيديهم وبأيمانهم، ويُعطَى كلُّ عبد يومئذ نورًا وكلُّ أَمَةٍ نورًا، فإذا أتوا على الصراط سلَب الله نورَ كلِّ منافقٍ ومنافقةٍ، فلما رأى أهلُ الجنة ما لقي المنافقون قالوا: ﴿رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا﴾ [التحريم: ٨]، وأمَّا أصحاب الأعراف فإن النور كان في أيديهم، فلم يُنزع النور من أيديهم، ومنعتْهم سيِّئاتهم أن يَمضوا بها، فبقي في قلوبهم الطمع إذ لم يُنزع النور من أيديهم، فذلك قوله: ﴿لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ ثم أُدخلوا بعد ذلك، وكانوا آخِرَ أهل الجنة دخولًا.

وقال ابن مسعود رضي الله عنه وهو على المنبر: إنَّ العبد إذا عمِل حسنةً كتبت له بها عشرٌ، وإذا عمل سيئةً لم يُكتب عليه إلا واحدةٌ، ثم يقول: وقد هلَك مَن غلَب آحاده عشَراته[٣].

وقال الإمام القشيري رحمه الله: أصحاب الأعراف أصحابُ الأشراف، خُصُّوا بأنوار[٤] البصائر اليومَ فأشرفوا على مقادير الخلق بأسرارهم، وأشرفوا غدًا على

---

(١) «يمينهم فرأوا» من (أ)، ولم ترد في «تفسير الطبري».

(٢) في (ر): «فنظروا».

(٣) رواه بتمامه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٢١٣)، وفي إسناده أبو بكر الهذلي؛ قال عنه الحافظ في «التقريب»: أخباري متروك الحديث.

(٤) في (ف): «بأنواع».

مقامات الكلِّ بأبصارهم وعرفوهم بسيماهم التي وجدوهم عليها في دنياهم، فأقوامٌ موسومون بأنوار القُرب، وآخرون موسومون بآثار الحَجْب، **وقوله تعالى**: ﴿وَنَادَوْاْ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾ سَلِموا اليوم عن النكرة والجحود، وأُكرموا بالعرفان والتوحيد، وسلموا غدًا عن فنون الوعيد، وسُعدوا بلطائف المزيد[1].

* * *

(٥٠) ـ ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُواْ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُواْ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ﴾: فلا صبر لنا على العطش ﴿أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾ من الطعام فلا قرار لنا على الجوع.

وقوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾: أي: الطعامُ والشرابُ هاهنا كثير، ولكن الله تعالى حرَّمهما في هذه الدار على الكافرين، وهو تحريم منعٍ لا تحريمُ تكليفٍ، كما في قوله: ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ﴾ [القصص: ١٢] قال تعالى: ﴿قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الأعراف: ٣٢].

وفي «تفسير المشافَهات»[2]: أن أهل النار ينادُون أهل الجنة بأسمائهم، فينادي

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٥٣٧).

(٢) في (أ): «المشابهات». والمثبت من (ر) و(ف)، ولعله كتاب «المشافهات» لعلي بن إسحاق بن إبراهيم الحنظلي السمرقندي، كما في «الأنساب» للسمعاني (٢/ ٢١٠). وسماه بذلك كما في «المغرب» للمطرزي (مادة: شفه) لأنه زَعَم أنَّ ما ذُكِرَ من التفسير كلُّه مسندٌ إلى رسولِ الله ﷺ فكأنَّه شافهه به. وتوفي علي بن إسحاق الحنظلي سنة مئتين وسبع وثلاثين كما في «الأنساب» (٥/ ٩٢). وكذا ذكر وفاته ابن حبان في «الثقات» (٨/ ٤٦٦) وقال: يروي عن بن المبارك ثنا عنه الحسن بن سفيان. وذكره ابن حجر في «التهذيب» تمييزاً، ونقل عن الدارقطني قوله في «العلل»: علي بن إسحاق ثقة.

الرجلُ أباه وأمَّه وأخته وأخاه، فيقولون: إن النار قد أَعْمت أبصارنا، إن النار قد أَصمَّت أسماعنا، إن النار قد أَنضجت جلودَنا، إن النار قد اطَّلعت على قلوبنا، وإنا خرجنا من الدنيا عطاشًا، وسكنَّا القبور عطاشًا، وخرجنا من القبور عطاشًا، وقد قطع العطش اليومَ حلوقَنا، فأفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله، فيقول أهل الجنة: إن الله حرَّمهما على الكافرين.

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: انظر كيف لا يسقيهم قطرةً، مع استغنائه عن تعذيبهم، وقدرته على أن يعطيَهم ما يريدون، ولكنْ قهرُ[1] الربوبية، والعزَّةُ الأحدية، وأنه فعَّال لِمَا يريد، فكما لم يرزقهم اليوم من عرفانه ذرة، لا يسقيهم غدًا في تلك الأحوال قطرة، وفي معناه أنشدوا:

وأَقْسَمْنَ لا يَسقيننا الدَّهرَ قطرةً ... ولو زخَرت[2] من أرضهنَّ بحورُ

قال: ويقال: إنما الْتَمسوا الماء ليبكُوا به؛ لأنه نفدت دموعهم، وفي هذا المعنى أنشدوا:

يا نازحًا نَزَحَتْ[3] دَمْعي قَطِيعتُه ... هَبْ لي من الدَّمع ما أبكي عليك به

وفي معناه أنشدوا أيضًا:

نَزَف البكاءُ دموعَ عينك فاسْتَعِرْ ... عينًا لغيرك دمعُها مِدْرارُ

مَن ذا يُعيرك عينَه تبكي بها ... أرأيتَ عينًا للبكاء تُعارُ[4]

---

(١) أي: (ولكن هو قهرُ...)، فكلمة «قهر» خبر لمبتدأ محذوف، ولفظ «اللطائف»: (ولكنه قهر).

(٢) في (ر): «زحرت»، وفي «اللطائف»: (فجرت).

(٣) في (أ): «قرحت»، وفي «اللطائف»: (نزفت).

(٤) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٥٣٨).

(٥١) ـ ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُوا۟ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا﴾: وهو نعتُ الكافرين.

وقيل: هو قولُ أهل الجنة في وصفهم.

وقيل: هو قولُ الله تعالى في حقِّهم[1] بعد ذكر أهلِ الجنة ذلك في خطابهم.

ومعنى ﴿ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا﴾؛ أي: على متابعةِ أهوائهم يحرِّمون ما شاؤوا ويُحلُّون ما شاؤوا، غير دائنين لله ولا متَّبِعين أمره.

وقيل: كان دينُهم دينَ إسماعيل فغيَّروه.

وقال أبو رَوقٍ: أي: عيدَهم لهوًا ولعبًا[2]؛ أي: باطلًا وفرحًا، وكذا أهلُ كلِّ دِينٍ، والمسلمون اتَّخذوا عيدَهم صلاةً وطاعةً.

وقوله تعالى: ﴿وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾: أي: خدعهم ما كانوا فيه من عزِّ الدنيا وسَعتها، وظنُّوا أن ذلك من كرامتهم على الله تعالى، وأن لهم مثلَ ذلك في الآخرة.

وقولـه تعالى: ﴿فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُوا۟ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا﴾: يقول الله تعالى: فهـذا اليـومُ الـذي يسـتغيثون بأهـل الجنة نتركهـم في النـار كالمنسـيِّين؛ ﴿كَمَا نَسُوا۟ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا﴾؛ أي: كمـا تركـوا التفكُّـر في الآخرة والجـزاءِ على الأعمال كالمتناسِين لها.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ﴾: عطفٌ على ﴿كَمَا نَسُوا۟﴾؛ أي: وما كانوا يجحدون بآياتنا فلا يصدِّقون أنها مِن عندنا.

---

(١) «في حقهم» ليس في (ف).

(٢) انظر: «زاد المسير» (٣/ ٢٠٩).

وقال الحسن ومجاهد وابن عبَّاس والسدِّي: نتركُهم كما تركوا لقاء يومهم هذا(١).

وقال القشيريُّ رحمه الله: كما تركوا الطاعة تركتُهم في العقوبة، فتأتي عليهم الأحقابُ فلا كشفَ عذابٍ، ولا بردَ شراب، ولا حُسن جواب، ولا إكرامَ خطاب، ذلك جزاء مَن لم يعرف قَدْر الوُصلة في أوقات المهلة(٢).

* * *

(٥٢) ـ ﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُم بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُم بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾: أي: نسُوا أمرنا وجحدوا بآياتنا، ولقد كنَّا آتيناهم كتابًا فصَّلناه؛ أي: جعلناه فصولًا: أمرًا ونهيًا، وتحريمًا وتحليلًا، ووعظًا وضربَ أمثالٍ، بلسانٍ عربيٍّ مُبين، على علمٍ منا بإيضاحه وتقريبه إلى الأفهام، وعلى علمٍ منا بما أَوْدعْناه، وعلى علمٍ منا بمَن يتَّبعه وبمن لا يتَّبعه، وجعلناه هدى ورحمة لمن صدَّقه وعمل به.

وقال القشيري رحمه الله: ولقد أنزلنا إليهم من الكتاب، وأوحينا إليهم من فصل الخطاب، ما لو قابَلوه بحُسن الإصغاء، وتلقَّوه على قَدَم الاستواء، لتخلَّصوا به من محنةِ البِعاد، ولسُعدوا برتبةِ الوداد، ولوصلوا به في الدنيا والآخرة إلى المراد(٣).

* * *

---

(١) ذكره عنهم الواحدي في «البسيط» (٩/ ١٦١)، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٢٣٧ ـ ٢٣٨) عن ابن عباس ومجاهد، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤٩٢) عن ابن عباس والسدي.

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٥٣٩).

(٣) المرجع السابق الموضع نفسه.

(٥٣) ـ ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ﴾: استفهام بمعنى النفي؛ أي: ما ينتظرون إلا عاقبتَه وما يؤول إليه الأمر.

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُۥ﴾: يرجع إلى الكتاب؛ أي: عاقبةُ تصديقه وتكذيبِه، وهو يومُ القيامة.

وقوله تعالى: ﴿يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ﴾: أي: تركوا العملَ بالكتاب في الدنيا ﴿قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾؛ أي: بالصدق في الدنيا.

وقوله تعالى: ﴿فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا﴾: حُذف النونُ للنصب بالفاء جوابًا للتمنِّي ﴿أَوْ نُرَدُّ﴾ بالرفع؛ لأن معناه: وهل نردُّ إلى الدنيا ﴿فَنَعْمَلَ﴾ نصبٌ بالفاء جوابًا للتمني أيضًا ﴿غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ فنصدِّقَ ونتَّبع.

فأيسهم الله تعالى من هذا التمنِّي فقال تعالى: ﴿قَدْ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ﴾: أي: قد غُبنوا وصاروا إلى النار ﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾؛ أي: ما كانوا[1] يكذِبون، وهو قولهم: ﴿وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ [سبأ: ٣٥].

وقيل: أي: بطَل عنهم ما كانوا يعبدونه من الأصنام ثم[2] يرجون الانتفاع بها بالشفاعة والتقريب إلى الله زلفى.

وقال السدِّيُّ: ﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُۥ﴾ وقعةُ بدر[3].

---

(١) «ما كانوا» من (ف).

(٢) «ثم» ليس في (أ).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٢٤٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤٩٤). كلاهما بلفظ: =

وقال الإمام القشيري رحمه الله: إذا كُشف لهم عن أستار الغيب، وتشقَّقت[١] عن قلوبهم أغطيةُ الرَّيب، فهناك لا دعاء لهم يُسمع، ولا بكاء لهم يَنفع، ولا شكوى لهم تُدفع، ولا بَلْوى عنهم تُقْطع[٢].

***

(٥٤) ـ ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾: أي: ليس ربُّكم ومالكُكم وخالقُكم ومدبِّرُكم وحافظُكم الأصنامَ ولا الملائكةَ ولا الجنَّ ولا الذين[٣] تزعمون، بل كلُّ ذلك مربوبٌ مخلوقٌ، بل ربُّكم وخالقُكم ومالكُكم ومدبِّرُكم وحافظُكم اللهُ الَّذي خلَق السماوات والأرض وما بينهما ﴿فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ وإنْ لم يذكر في هذه الآية (وما بينهما)، ولكنَّ ذكر السماوات والأرض يدل على ذلك، وقد نصَّ عليه في الآية التي في أول سورة يونس[٤]، وفي آخر سورة الفرقان[٥]، وفي سورة ق[٦].

= (أما تأويله: فعواقبه، مثل وقعة بدر، والقيامة، وما وعد فيها من موعد).

(١) في (ف): «وانشقت».

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٥٣٩).

(٣) في (أ): «ولا الجن الذين»، وفي (ف): «والجن الذي».

(٤) كذا قال، ويريد الآية الثالثة منها، وليس فيها: ﴿وَمَا بَيْنَهُمَا﴾.

(٥) هي قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾ [الآية: ٥٩].

(٦) هي قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ [الآية: ٣٨].

قوله تعالى: ﴿فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾: قيل: من يوم الأحد إلى يوم الجمعة.

وقيل: هي كأيام الدنيا.

وقيل: هي كأيام الآخرة كلُّ يوم ألفُ سنة.

وكان قادرًا أن يخلقها كلَّها في أقلَّ من لحظة فـ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]، لِمَا قال[١] سعيد بن جبير رضي الله عنه: إنما فعَل ذلك تعليمًا لخلقه التأنِّيَ والتثبُّت في الأمور[٢].

وقيل: ذكرُ المدةِ عبارةٌ عن إحكام خَلْقهما وإتقانِ صُنْعهما، على ما تعارفه الناس فيما بينهم في الإخبار عن إحكام الشيء بإضافته إلى وقتٍ ممتدٍّ.

وقيل: هو دلالةٌ على تركه معاجَلة العصاة بالعقاب، لا لعجزٍ[٣] عن ذلك، لكن إظهارًا لحكمه[٤]، وتنبيهًا للعباد على الرجوع إلى بابه، وإمهالًا للعبد ليتمكَّن من إصلاح أمره.

وقيل: فعَل ذلك لاعتبارِ الملائكة بخَلْق شيءٍ بعد شيء.

وقيل: تدبيرُ الحوادث على إنشاء شيءٍ بعد شيءٍ على ترتيبٍ هو[٥] أدلُّ على عالِمٍ مدبِّر مريدٍ يصرِّفه على اختياره، ويجريه على مشيئته.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾: أي: الملك، يقال: ثُلَّ عرش فلان؛ أي:

---

(١) أي: لكن لم يفعل ذلك لما قال...

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٤/ ٢٣٨)، والواحدي في «البسيط» (٩/ ١٦٧)، والبغوي في «تفسيره» (٣/ ٢٣٥).

(٣) في (أ): «لا العجز»، وفي (ف): «لا لعجزه».

(٤) في (ف): «لحكمته».

(٥) «هو» ليس في (أ).

زال ملكه، والاستواء: ظهور التمام، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ﴾ [القصص: ١٤] ومعناه ـ والله أعلم ـ فيما أشار إليه الإمام أبو منصور رحمه الله: أن خلق السماوات والأرض كان في ستة أيام، ثم في اليوم السابع خلق الممتحَنين؛ أي: الذين يتوجَّه عليهم خطابُ التكليف، ولهم فضيلةُ العقل والتمييز، وظهر لهم تمام ملك الله وعظمته وجلاله، وقبلَ ذلك لم يكن مَن له معرفةُ ذلك، وهم المقصودون بالتخليق، وغيرُهم خُلق لهم وجُعل لهم بالتسخير، فكان بهم ظهَر تمامُ الملك، ومعرفةُ النعم، والوقوفُ على الحجج.

قال: ووجهٌ آخر ما قال بعض أهل التفسير: إن ستة أيام هي ستة أيام الآخرة كلُّ يومٍ ألفُ سنة، فجائز أن يكون تدبير هذا العالم إلى ستة أيام بمعنى ستةِ آلافِ سنة، ثم يكون يومُ السابع يومَ القيامة، وفيه ظهورُ تمام الملك، فيُقِرُّ كلُّ ممتحَن فيه بأن الملك لله تعالى، قال الله تعالى: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦] وقال: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ وقال: ﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾ [الحج: ٥٦] وقال: ﴿وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [إبراهيم: ٢١] وقال: ﴿وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾ [الانفطار: ١٩] وقال: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ﴾ [غافر: ٧] وقال: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٧] فيجوز أن تكون الآية إشارةً إلى ذلك[١].

وهذا ألطفُ ما قيل[٢] فيه، وقد بيَّنا له وجوهًا أُخَرَ في سورة البقرة في قوله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾، فأما حملُ الاستواء على التمكُّن والاستقرار، وتفسيرُ العرش بالسرير، وتجويزُ الانتقال على الله على ما يقوله المشبِّهة، فهو باطلٌ؛ لقول الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، وظاهره متشابهٌ، وحملُ المتشابه على

---

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٤/ ٤٤٣).

(٢) «قيل» ليس في (أ).

المحكم واجبٌ، وإجراؤه على ظاهره بدعةٌ، وتأويلُه على وفق الأصول لازمٌ(١)، وبالله المعونة.

وقوله تعالى: ﴿يُغْشِي ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ﴾ قرأ أبو عمرٍو وأهلُ المدينة بالتخفيف من الإغشاء كما في قوله: ﴿كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ﴾ [يونس: ٢٧] وقوله: ﴿فَأَغْشَيْنَٰهُمْ﴾

---

(١) واضح من كلام المؤلف رحمه الله أنه على مذهب الخلف القائلين بالتأويل في آيات الصفات، والذي لجؤوا إليه بعد ظهور الفرق الضالة من المشبهة والمعطلة وغيرهم، أما الذين ذهبوا مذهب السلف فقالوا: إذا وردَت صفةٌ من صفات الله تعالى موهمةٌ بمشابهةِ المخلوقين؛ كورودِ لفظ اليد والعين ونحوهما، فإننا نُؤمِنُ بها مع القطعِ بأنَّه تعالى ليس كمثلِه شيءٌ في صفاته ولا ذاته، ونُوْكِلُ معرفةَ كيفيَّتها وكيفيَّةِ تعلُّقِها به تعالى إلى الله، ونجريها على ما أجراها الله تعالى ورسوله عليه من غير تأويلٍ ولا تكييفٍ، وهو مذهبُ سلفِ الأمَّة، ويقال له: الطريقُ الأسلمُ، وطريقةُ المتأخِّرين في التأويل يقال لها: الطريقُ الأعلمُ. والحقُّ أنَّ الأَولى بالمؤمن هي الطريقُ الأُولى، فإنَّه لا يحيطُ بالصفة وكيفيَّتها إلا مَن أحاط بكيفيَّة ذات الموصوف، وقد ثبت فيه قوله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠]، وطريقةُ التأويل غايتُها الحملُ على المجازِ، وكونُه المرادَ أمرٌ غيرُ مقطوعٍ به، وإنَّما هو ظنٌّ وتخمينٌ. وقد ذكر أبو حيان رحمه الله في «البحر المحيط» (١٠/ ٥٢٦) عند تفسير هذه الآية قصة الإمام مالك التي تبين منهج السلف في هذا الأمر، وذلك حين جاءه رجل فسأله: كيف استوى؟ فأطرق رأسه ملياً وعلَتْه الرحضاء [عَرَق يغسل الجلد كثرةً] ثم قال: الاستواء معلوم، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وما أظنك إلا ضالاً. ثم أمر به فأُخرج. روى القصة البيهقي في «الأسماء والصفات» (٨٦٧).

وللزيادة في هذه المسألة يراجع كلام ابن القيِّم في شرح قول صاحب «منازل السائرين» في الصفات: إنه لا بدَّ من إثباتها باسمها من غير تشبيه، ونفيِ التشبيهِ عنها من غير تعطيلٍ، والإياس من إدراك كنهها وابتغاء تأويلها. انظر: «منازل السائرين» لأبي إسماعيل عبد الله بن محمد بن علي الأنصاري الهروي (ص: ١٣٩)، و«مدارج السالكين» لابن القيم (٣/ ٣٤٥).

[يس: ٩] وقرأ أهلُ الكوفة غيرَ حفصٍ عن عاصم بالتشديد[١] كما في قوله: ﴿فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ﴾ [النجم: ٥٤].

ثم لمَّا ذكر الاستواء على العرش وهو إخبارٌ عن نفاذِ أمره وكمالِ ملكه واطِّراد تدبيره، بيَّن ذلك في عيانٍ فقال: ﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ﴾؛ أي: يُلبِس الليل النهارَ بظُلمته فيُذهب نورَه.

وقيل: هذا مختصرٌ، وتمامه تقديرًا: ويغشي النهارَ الليل؛ أي: يُلبس النهارَ الليلَ بنوره فيُذهب ظلمته، وهو كقوله: ﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ﴾ [الحج: ٦١] وقوله: ﴿يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ﴾ [الزمر: ٥]، وهذا الاختصار كقوله: ﴿سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾ [النحل: ٨١]؛ أي: الحر والبرد.

وقوله تعالى: ﴿يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا﴾: أي: يَتْبعه سريعًا على ذلك، جعَل الله تعالى تعاقُب الليل والنهار إلى آخِر مدة الدنيا، ولو انقطعتِ الحركاتُ المتعاقِبة المتواصلةُ لانتقَض العالم، وهو قوله: ﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ [الرحمن: ٥].

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: أي: يُظهِر النورَ في ابتداء النهار في طرفٍ من أطراف السماء والظلمةَ في أول الليل، ثم يَنشُر ذلك في جميع أطراف السماء والأرض وما بينهما في قَدْر لحظةٍ، ما[٢] لو أُريد تقديرُ ذلك بجميع ما في الخَلق من المقادير ما قدروا عليه، ليُعلم أن الله على ما يشاء قدير[٣].

وقوله: ﴿يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا﴾ ليس على حقيقةِ الطلب، لكنْ لمَّا كان من كلٍّ واحد

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٢٨٢)، و«التيسير» (ص: ١١٠). ويريد بالكوفيين هنا حمزة والكسائي وعاصم في رواية أبي بكر عنه، وقرأ باقي السبعة بالتخفيف.

(٢) في (ف) و(أ): «مما».

(٣) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٤/ ٤٥٨).

منهما للآخر ما لو كان ممن يكون له الطلب كان طلبًا سمَّاه طلبًا[١]؛ كما قال: ﴿وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ [الأنعام: ٧٠] ولا غرور لها، لكن معناه: لو كان هذا ممن يكون منه الغرور كان غرورًا، فهذا كذلك.

وقال الإمام القشيري رحمه الله: تعرَّفَ الله إلى العوامِّ بآياته الظاهرة الدالَّةِ على قدرته وهي أفعالُه، وتعرَّف إلى الخواصِّ منهم بآياته الدالةِ على نصرته التي هي أفضالُه وإقبالُه، وظهر لأسرار خواصِّ الخاصِّ بنعوته الذاتية التي هي جمالُه وجلاله، فشتَّان بين قومٍ وقومٍ.

ثم كما يَدخل في الظاهر الليلُ على النهار والنهارُ على الليل، فكذلك يَدخلُ[٢] القبضُ على البسط والبسطُ على القبض، ومنه الإشارةُ إلى ليل القلوب ونهارها، فمِن عبدٍ أحوالُه أجمعُ قبضٌ، ومِن عبدٍ أحوالُه أجمعُ بسطٌ، ومِن عبدٍ يكون مرةً بعينِ القبض ومرةً بعين البسط، كما أن في[٣] العالم في بعضِ الأقطار نهاراً بلا ليلٍ، وفي بعضها ليلٌ بلا نهار، وفي بعضها ليلٌ يدخل على نهارٍ، ونهارٌ يدخل على ليلٍ، ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ وبيده الخير والشرّ، والنفعُ والضرّ ﴿تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[٤].

قوله تعالى: ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ﴾: قرأ ابن عامر الكلَّ بالرفع على الابتداء والخبر، وقرأ الباقون بالنصب عطفًا على قوله: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾[٥]؛ أي: ذلَّل هذه الأشياءَ لِمَا خُلِقْن له.

---

(١) «سماه طلبًا» ليس في (ف). وفي هامش (أ): «لما كان أحدهما لا ينفك عن الآخر قال: ﴿يَطْلُبُهُۥ﴾ وهو حال من أحدهما، ﴿حَثِيثًا﴾ حال أيضاً؛ أي: سريعاً».

(٢) «يدخل» ليس في (ف).

(٣) «في» ليس في (ف).

(٤) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٥٤٠).

(٥) انظر: «السبعة» (ص: ٢٨٢)، و«التيسير» (ص: ١١٠).

وقوله تعالى: ﴿بِأَمْرِهِۦٓ﴾ قيل: أي: بتسخيره.

وقيل: أي: بأمر الله يجرِيْنَ ويَنفعن الخَلْق.

وقيل: هو أمر التكوين؛ قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢].

وقوله: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: أي: له الخلائق ملكًا، وله أن يأمرهم بما شاء قطعًا.

﴿تَبَارَكَ ٱللَّهُ﴾ أي: تعالى الله. وقيل: تعظَّمَ الله.

وقيل: كثُر خيره ودام بِرُّه، أثنى على نفسه بما فعَل في خلقه، ودلَّ بذلك على أنه يَلزمُ العبادَ الثناءُ عليه بذلك، ثم صرح ذلك بما بعدَه وهو قولُه تعالى:

(٥٥) ـ ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾.

﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ﴾: أي: اعبدوه علانيةً وسرًا، وارفعوا إليه حوائجكم ﴿تَضَرُّعًا﴾؛ أي: تذلُّلًا وتخشُّعًا، والضَّراعة: الذِّلة، من حدِّ عَلِم ﴿وَخُفْيَةً﴾؛ أي: إخلاصًا؛ لأن الخفيَّ لا يدخله رياءٌ؛ قال تعالى: ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا﴾ [مريم: ٣].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾: أي: المشركين؛ إذا جُعل الدعاء بمعنى العبادة، فأما على الدعوة والسؤال فمعناه: أي: المجاوِزين الحدَّ في الدعاء وفي غيره، وهو نهيٌ عن الجهر في غير موضعه.

وروى أبو موسى الأشعريُّ: أنهم كانوا مع النَّبي ﷺ في غزاةٍ، فأشرفوا على وادٍ فجعلوا يكبِّرون ويهلِّلون رافعي أصواتهم، فقال: «أيها الناس! اربَعوا على أنفسكم، لستُم تدعون أصمَّ ولا غائبًا، إنكم لتَدْعون سميعًا قريبًا إنه لمعَكم»[1].

---

(١) رواه البخاري (٤٢٠٥)، ومسلم (٢٧٠٤). وفي هامش (أ): «الربع: الكف».

وقال الكلبيُّ: ﴿تَضَرُّعًا﴾: علانيةً ﴿وَخُفْيَةً﴾: سرًّا في حوائجكم.

وقال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾؛ أي: أطيعوه سرًّا وعلانيةً[١].

وقال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: ﴿لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾: الذين دعاؤهم دعاءُ الأبرار وعملُهم عمل الفجَّار.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: ويحتمِل أن يكون الاعتداءُ في الدعاء[٢] هو أن يسألَه ما لا يستحقُّه من كرامة الأنبياء والأولياء[٣].

وقال القشيري رحمه الله: الاعتداء في الدعاء: ترك الدعاء، ومِن غايةِ ما يتقرَّر للعبد مِن وَصْفِ كرمه: أن جَعل إمساكه عن الدعاء ـ وهو حاجتُه الذي لا بد له منه ـ اعتداءً منه، وإن الله علَّمهم الأدب في الدعاء، ومن آدابه أن يدعوَ بوصف الافتقار ونعتِ الانكسار ونشرِ الاضطرار[٤].

* * *

(٥٦) ـ ﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَـٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَـٰحِهَا﴾: قال الحسن: الإفساد في الأرض قتل المؤمنين والاعتداءُ على الخلق[٥].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٢٤٨) بلفظ: (سرًّا).

(٢) «في الدعاء» ليس في (أ).

(٣) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٤/ ٤٦٢).

(٤) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٥٤١).

(٥) انظر: «النكت والعيون» (٢/ ٢٣١) بنحوه.

وقيل: هو العملُ فيها بالمعاصي، والإصلاحُ فيها: العمل بالطاعات.

وقيل: هو الكفر، والإصلاح: الإيمان.

وقيل: أي: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ بتكذيب الأنبياء ﴿بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾؛ أي: بعد أن أصلحها الله بانبعاثهم.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: ﴿بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ قيل: بعد ما خلقها الله تعالى طاهرةً عن الإفساد وسفكِ الدماء وغيرِ ذلك[(١)].

وقال عطيةُ العَوْفيُّ: أي: لا تَعْصوا في الأرض فيمسكُ الله المطر ويهلكُ الحرثَ بمعاصيكم[(٢)]، فذلك فسادُها بعد إصلاحها.

وقوله تعالى: ﴿وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾: قال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: ادعوه خوفًا منه وطمعًا فيه، إن إجابة الله سريعٌ إلى المطيعين[(٣)].

وقال الكلبي: خوفًا من عذابه وطمعًا في ثوابه[(٤)].

﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾؛ أي: المؤمنين[(٥)].

وقوله: ﴿قَرِيبٌ﴾ على التذكير؛ قيل: لأن الرحمة مصدر بمعنى: الرحم[(٦)].

---

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٤/ ٤٦٣).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٤/ ٢٤٠)، والواحدي في «البسيط» (٩/ ١٨١)، والبغوي في «تفسيره» (٣/ ٢٣٨).

(٣) ذكره الواحدي في «البسيط» (٩/ ١٨١) دون قوله: «إن إجابة الله سريعٌ إلى المطيعين»، ولفظه: ﴿وَادْعُوهُ خَوْفًا﴾ من عقابه، ﴿وَطَمَعًا﴾ في ثوابه.

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٤/ ٢٤٠).

(٥) في (أ): «إن جنة الله قريب من المؤمنين»، وفي (ر): «إن جنة الله قريب من المحسنين».

(٦) بضم الراء وسكون الحاء، وبضمهما، بمعنى الرحمة. انظر: «حاشية الشهاب على البيضاوي» (٤/ ١٧٥).

وقيل: لأن تأنيثه غيرُ حقيقي.

وقال أبو عبيد رحمه الله: القريب والبعيد إذا كانا اسمين استوَى فيهما المذكَّر والمؤنث[١]، وإن بَنَيْتَهما على قَربَتْ وبَعدَتْ قلت: قريبة وبعيدة[٢].

وقيل: معناه: بمكانٍ قريبٍ من المحسنين.

وقال القشيري رحمه الله: من الإفساد بعدَ الإصلاح: إهمالُ النفس عن المجاهدات بخلع عِذارها حتى تنهمِك في هواها بعد كبح لجامها عن الركض في ميدان الخلاف، ومن ذلك: تفريقُ القلب في أودية المنى بعد جمعه على[٣] أوصاف الإرادة، ومن ذلك: الرجوعُ إلى الحظوظ بعد القيام بالحقوق، ومن ذلك: الاستشعارُ بحبِّ المخلوق بعد تأكيدِ العقد مع المحبوب بأن لا يحبَّ سواه، ولا يُؤثِرَ رضا غيره على رضاه، ومن ذلك: الجموحُ إلى تتبُّع الرُّخَص بعد حمل النفس على ملازمةِ الأشق، ومن ذلك: الرجوعُ عن حُكم الإرادة إلى ما عليه أهلُ العادة.

وقوله: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾؛ أي: المحسنين عملًا والمحسنين أملًا، أما الأول ففي الموفِين والثاني في المقصِّرين[٤].

* * *

(١) في (ف): «الذكر والأنثى».

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٤/ ٢٤٢) عن أبي عبيدة، وهو بنحوه في «مجاز القرآن» (١/ ٢١٦-٢١٧)، وفيه: (... فإذا جعلوها صفة فى معنى مقتربة، قالوا: هي قريبة وهما قريبتان وهن قريبات).

(٣) في (ف): «في». وفي «اللطائف»: (بعد إمساكه على).

(٤) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٥٤١)، وفيه: (المحسنين عملًا والمحسنين أملًا، فالأول العابدون والثاني العاصون).

(٥٧) ـ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَـٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ﴾[١]: متَّصل بقوله: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ الآية.

وقوله تعالى: ﴿نشرًا﴾[٢]: قرأ عاصم: ﴿بُشْرًا﴾ بضم الباء وتسكينِ الشين منوَّنًا جمع بشيرة؛ أي: مبشِّراتٍ، وقرأ حمزةُ والكسائيُّ: ﴿نَشْرًا﴾ بفتح النون وله معنيان:

قال الفراء: هي الريحُ الطيِّبة الليِّنة التي تُنشئ السحابَ[٣]، ومنه قولهم: جاريةٌ طيِّبةُ النَّشْر.

والثاني: أن يكون مصدرًا من نَشَر الذي هو خلافُ طَوَى؛ أي: يَنْشُرها الله نَشْرًا.

وقرأ ابن كثيرٍ ونافعٌ وأبو عمرٍو: ﴿نُشُرًا﴾ بضم النون والشين[٤]، وقرأ ابن عامر: ﴿نُشْراً﴾ بضم النون وتسكين الشين[٥]، جمع نَشور وهو المنتشِر في النواحي.

وقوله تعالى: ﴿بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ﴾: أي: قدَّام مطَره.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: لا يُفهم من قوله: ﴿بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ﴾

---

(١) في (ف): «وهو الَّذي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ نشراً».

(٢) في (أ): «بشراً»، وهما قراءتان كما سيأتي.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٣٨١).

(٤) في (أ): «بضم النون مثقلة».

(٥) انظر: «السبعة» (ص: ٢٨٣)، و«التيسير» (ص: ١١٠). و(نُشُراً) بضم الشين مثل (نُشْراً) بسكونها، حيث سكنت الشين تخفيفاً.

ما يُفهم من قولك: بين يدي فلانٍ[١]، وكذا في قوله: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ﴾ [فصلت: ٤٢] وكذا في قوله: ﴿لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [الحجرات: ١] وقولِهِ: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤][٢].

وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا﴾: أي: حملت سحابًا، جمع سحابة ﴿ثِقَالًا﴾: جمع ثقيلة؛ أي: بالماء.

وقوله تعالى: ﴿سُقْنَٰهُ﴾: أي: ما حملته[٣] السحاب من الماء، كنايةٌ عن المعنى دون اللفظ.

وقيل: أي: سُقنا السحاب، ولفظُه لفظُ[٤] واحدٍ فوحَّد الكناية، ومعناه جمعٌ فوصفه بالثقال، وهو كقوله: ﴿أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٧] بالهاء، و﴿أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ﴾ [القمر: ٢٠] بدون الهاء.

وقوله تعالى: ﴿لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾: أي: إلى أرضٍ هَمدتْ فلا تتحرَّك بنبات.

وقوله تعالى: ﴿فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ﴾: أي: بالسحاب، وقيل: أي: بالبلد.

وقوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ﴾: أي: بالماء ﴿مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾؛ أي: الحبوبِ والفواكه، فإنها مما تُثمره الأرض ﴿كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾: أي: نُحييهم فنبعثُهم، كما أحيينا الأرض فأخرجنا الثمرات.

وقوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾: أي: تتذكرون البعثَ بما تشاهدونه من إحياءِ الأرض.

---

(١) بعدها في (ف): «كذا».

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٤/ ٤٦٤).

(٣) في (أ): «حملت».

(٤) «لفظ» من (ف).

قال الكلبي رحمه الله: وذلك إذا مات الناس[١] كلُّهم مَطَرت السماء أربعين يومًا كمَنيِّ الرجال، فيَنْبُتون في قبورهم بذلك المطر كما يَنبتون في بطونِ أمَّهاتهم، ثم يَخرجون في النفخة الثانية[٢]، وبينهما أربعون سنة.

وقال الإمام القشيري رحمه الله: في الآية إشارةٌ إلى أنه رُبَّ مهجورٍ تمادَى به الصدّ، وبَرَّح به الوَجْد، حتى أَنْحل جسمَه بل أَبطَلَ كلَّه البُعد، وحتى ظَنَّ أنه لا يستقبلُه حيث ما تَوجَّه إلا الطرد، فبينما هو كذلك إذ أتاه بَشيرُ القُرْب، وهبَّت له[٣] رياح الوَصل، فيعود عُودُ إقباله طريًّا، ويصير دارسُ حاله بعد الرثاثة قويًّا، كما قال قائلهم:

كنتُ كمَن أُلبِسَ أكفانَه ... وقُرِّبَ النَّعشُ من المَلْحَدِ
فجال ماءُ الروح في جسمه ... فردَّه الوصل[٤] إلى المَولدِ
تبارَكَ اللهُ وسبحانَهُ ... ما كلُّ همٍّ هوَ بالسَّرْمدِ[٥]

* * *

(٥٨) ـ ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ﴾: أي: الأرض الحُرَّةُ الطين؛ أي: الخالصةُ الطين[٦].

---

(١) في (أ): «الإنسان».

(٢) في (أ): «الأخرى»، وفي (ف): «الآخرة».

(٣) في (ر): «به»، وهذه الجملة ليست في مطبوع «اللطائف».

(٤) في النسخ: «الأصل»، والمثبت من «اللطائف».

(٥) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٥٤٢). والبيت الأخير ليس فيه.

(٦) «أي: الخالصة الطين» ليس في (أ) و(ف).

وقوله تعالى: ﴿يَخۡرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذۡنِ رَبِّهِۦ﴾: أي: بحُكم ربِّه، وقيل: بعِلْم ربِّه، وقيل: بتيسير ربِّه.

وقال قتادةُ: هو مَثَلُ المؤمنِ سمع كتاب الله فعقَله ووعاه وانتَفَع به كمَثَل هذه الأرضِ أصابها الغيثُ فأنبتت وانتُفع بها.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِي خَبُثَ لَا يَخۡرُجُ إِلَّا نَكِدٗا﴾ قال: هو مَثَلُ الكافر يسمعُ القرآن، فلم يَعْقِله ولم يَفهمه ولم يَنتفِعْ به، وقوله: ﴿إِلَّا نَكِدٗا﴾ أي: عسِرًا على قول قتادة[1].

وقال السُّدِّي: أي: قليلًا لا يُنتفَع به[2].

وقال أهل اللغة: النَّكِد: الرجل الممتنِعُ من إعطاء الخير بخلًا ﴿وَٱلَّذِي خَبُثَ﴾ هو السَّبخةُ ونحوُها.

وقال الحسين بن الفضل رحمه الله: شبَّه اللهُ المؤمنَ والكافر بالأرض، وشبَّه نزول القرآن بالمطر، فعلى قَدْرِ طِيْبة التربة وخُبْثِها ورداءتها زكاءُ النَّبْت وزيادتُه[3].

وقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَشۡكُرُونَ﴾: أي: كما بيَّنَّا المثَل في المؤمن والكافر نبيِّن سائرَ ما بالناس حاجةٌ إليه، وقوله: ﴿لِقَوۡمٖ يَشۡكُرُونَ﴾؛ أي: يَنتفع به الشاكرون لله بالإيمان والطاعات على ما رزقهم من العقول وسائر النعم.

* * *

---

(١) قول قتادة في تفسير هذه الآية رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٩١٠)، والطبري في «تفسيره» (١٠/ ٢٥٩)، كلاهما بلفظ: (هذا مثل ضربه الله في المؤمن والكافر). فما ذكره المؤلف هو بسطه ومعناه كما في «البسيط» للواحدي (٩/ ١٩٣).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٢٥٩).

(٣) انظر: «البسيط» (٩/ ١٩٣).

(٥٩) ـ ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾.

وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾: أي: كما أرسلناك إلى قومك، وهو النَّظمُ.

قوله تعالى: ﴿فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾: أي: وحِّدوه وأفرِدوه بالعبادة لتفرُّده بالإلهية[١].

وقوله تعالى: ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾: قرأ الكسائي: بالخفض نعتًا لقوله: ﴿إِلَٰهٍ﴾ وقرأ الباقون بالرفع[٢]؛ لوجهين:

أحدهما: ما لكم غيرُه من إلهٍ.

والثاني: أن (مِن) للتأكيد، وتقديره: ما لكم إلهٌ غيرُه، فرُفع على المعنى.

وقوله تعالى: ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾: أي: أخاف عليكم[٣] من الإصرار على الشرك عذابًا من الله يأتيكم في يومٍ من أيام دنياكم عظيمِ الشأن يُذكر خبرُه في الآخِرين، وهو يوم تُستأصَلون فيه.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: هو عذابُ يوم القيامة[٤].

***

(٦٠) ـ ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾.

---

(١) في (ف): «لتفردوه بالألوهية».

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٢٨٤)، و«التيسير» (ص: ١١٠).

(٣) في (أ): «إني أخاف عليكم»، وليس في (ف).

(٤) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٤/ ٤٦٨).

وقوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ﴾: أي: الأشراف، وهم الذين يملؤون المحافل، وقيل: يملؤون الصدور مهابة.

وقيل: هم الـمِلاءُ بتنفيذ الأمور؛ جمعُ مَليءٍ.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾: من رؤية القلب وهي العلم، وقيل: من رؤية البصر، وقيل: من الرأي، وهو غالبُ الظنِّ.

والضلال: الخطأ والميل عن الصواب.

أي: تدعُونا إلى عبادة إلهٍ واحدٍ وهو خطأٌ بيِّن؛ لأنَّا وَجدنا آباءنا يعبدون آلهةً فقد ضلَلْت أنت عن هذا الطريق.

* * *

(٦١) ـ ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ﴾: أي: عدولٌ عن طريق[١] الحق، ولم يقل: ليست؛ لتقدُّم الفعل، ولأن الضلالة في معنى الضلال، ولأنه ليس بمؤنثٍ حقيقيٍّ.

وهذه اللفظة في[٢] جوابهم تلطُّفٌ وترفُّقٌ، وهكذا كان خطاب الأنبياء أممَهم، وهو أنجعُ في القلوب وأدعَى إلى القبول.

وقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: أي: خالقِ الخلائق أجمعين، أسلُك طريقَه الذي هداني له.

* * *

---

(١) «طريق» ليس في (أ).

(٢) في (أ): «وهذا في»، وفي (ف): «وهذا اللفظ في».

(٦٢) - ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ﴾: قرأ أبو عمرو: ﴿أُبْلِغُكم﴾ مخففًا[1]، من قوله: ﴿لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي﴾ [الأعراف: ٧٩]، وقولِه: ﴿لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ﴾ [الجن: ٢٨].

وقرأ الباقون: مشدَّدًا، من قوله: ﴿بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ [المائدة: ٦٧].

والرسالة: جملةٌ من البيان يحملُها القائم ليؤدِّيها إلى غيره.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: لم يبيِّن فيما إذا[2] كانت الرسالة في كتابٍ أَنزله إليه، أو وحيٍ في غيرِ كتابٍ أُوحي إليه[3] وليس بنا إلى معرفة ذلك حاجةٌ سوى تصديقِه فيما بلَّغ إليهم[4].

ومعنى جمعِ الرسالات: هو تفصيل ذلك في الزمان المديد.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنْصَحُ لَكُمْ﴾ قال الإمام أبو منصور رحمه الله: النصيحة هي الدعاء إلى ما فيه الصلاح، والنهيُ عما فيه الفساد، ومنه قولُ النَّبي ﷺ: «أَلَا إنَّ الدِّينَ النَّصيحةُ»[5]، والنصحُ كذلك، وخلافُه الغِشُّ.

قوله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾: قيل: من نزول العذاب بكم إذا دُمتم على ما أنتم عليه.

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٢٨٤)، و«التيسير» (ص: ١١١)، وهي قراءته هنا في الموضعين، وفي الآية (٢٣) من سورة الأحقاف.

(٢) «إذا» ليس في (ف).

(٣) في (ف): «أو يوحى إليه في غير كتاب»، وعبارة «التأويلات»: (أو بوحي في غير كتاب يوحى إليه).

(٤) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٤/ ٤٧٠).

(٥) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٤/ ٤٧٠). والحديث رواه مسلم (٥٥) عن تميم الداري رضي الله عنه.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: إن الله آتى الرسل العلمَ بأشياءَ لم يؤتِ ذلك غيرَهم، وهو كقول إبراهيم عليه السلام لأبيه آزر: ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ﴾ [مريم: ٤٣][1].

وقال الإمام القشيري رحمه الله: أي: أعلمُ أني وإنْ بالغتُ في تبليغ الرسالة، فمَن لم تسبق له القسمةُ بالسعادة لا ينفعُه نصحي ولا يؤثِّر فيه قولي، فإنَّ مَن أسقطَتْه القسمةُ لم تنعشه النصيحة.

وقال: في قوله: ﴿لَيۡسَ بِي ضَلَٰلَةٞ﴾: إن نوحًا عليه السلام نُسب إلى الضلالة فتولَّى إجابتهم بنفسه فقال: ﴿يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي ضَلَٰلَةٞ﴾، ونبيُّنا عليه الصلاة والسلام نُسب إلى ما نُسب إليه فتولَّى الله الردَّ عنه فقال: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ﴾ [النجم: ٢] فشتَّان بين مَن دَفع عن نفسه وبين مَن دَفع عنه ربُّه[2].

* * *

(٦٣) - ﴿أَوَعَجِبۡتُمۡ أَن جَآءَكُمۡ ذِكۡرٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنكُمۡ لِيُنذِرَكُمۡ وَلِتَتَّقُواْ وَلَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَوَعَجِبۡتُمۡ أَن جَآءَكُمۡ ذِكۡرٞ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾: الألِف للاستفهام بمعنى التوبيخ، والواو للعطف، والعَجَب: تغيُّر النَّفْس بما خَفِي سببُه، وخرج عن العادة مِثْلُه، ولمَّا كان الشيطان زيَّن لهم عبادةَ الأصنام عَجِبوا من نهي نوحٍ عليه السلام إياهم عنها، فقال: أتعجَّبْتم[3] أنْ جاءكم وعظٌ من ربِّكم وتذكير.

وقوله تعالى: ﴿عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنكُمۡ﴾ أي: من جملتكم.

---

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٤/ ٤٧٠).

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٥٤٣).

(٣) في (ف): «أعجبتم».

وقوله تعالى: ﴿لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا۟ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾: أي: ليخوِّفكم العذابَ، ولتَحذروا أنتم فتتَّقوا الشرك والمعصية، ولتُرحموا إذا اتَّقيتم، وليس هذا مما يُتعجَّب منه.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: كانوا ينكرون أن تكون رسلُ الله من البشر، فقالوا: ﴿مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً﴾[المؤمنون: ٢٤] وما ينبغي لهم أن ينكروا؛ لأنهم كانوا رأوا تفضيل بعضِ البشر على بعضٍ، ووضعُ الرسالةِ في الرسل تفضيلٌ لهم، ولله تفضيلُ بعضِ خلقه على بعضٍ؛ إذ له الخلقُ والأمر، على أن ما قالوا: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً﴾ لو كان ذلك في غير جوهرهم(١) كان فيه لَبسٌ واشتباه.

وقيل: في اختلاف الجنس التنافرُ والتَّباعُد، وفي التجانُس السكونُ والتآلُف(٢).

وقال الإمام القشيري رحمه الله: عجِبوا من كون رجلٍ منهم رسولًا لله تعالى، ولم يتعجبوا مِن جعلِ الصنم شريكًا لله، هذا فَرْطُ الجهالةِ وغايةُ الغباوة(٣).

***

(٦٤) - ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ﴾: أي: السفينةِ، واشتقاقُ ذلك من قولهم: فَلَّك ثديُ المرأة: إذا استدار، وفَلْكةُ المِغزل وفَلَكُ السماء من

---

(١) في (ف): «وجوههم».

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٤/ ٤٧٠ - ٤٧١).

(٣) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٥٤٤).

ذلك أيضًا، سُميت السفينة فُلكًا لأنها تدور على الماء كيف أدارها[١] صاحبها.

يقول: فداموا على تكذيب نوحٍ عليه السلام، فخلَّصنا نوحًا والذين آمنوا معه إذ حملناهم في السفينة.

وقوله تعالى: ﴿وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾: أي: بالطوفان ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا عَمِينَ﴾؛ أي: جاهلين. وقد[٢] عَمِي بعينه يَعْمَى عَمًى فهو أَعْمَى، وعَمِي بقلبه فهو عَمٍ[٣]: وهو الذي لا يُبصر بقلبه وعقله.

وقيل: هو الَّذي خَفِيتْ عليه طرقُ الهدى، من قوله: ﴿فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ﴾ [القصص: ٦٦] وجهلوا معالم الحق لإلفِهم الباطلَ وتقليدِهم الآباءَ، ووقع[٤] اليأس من إيمانهم.

وقال وَهْب بن منبِّهٍ رضي الله عنه: هو نوح بنُ لَمْكِ بنِ مَتُّوشَلَخ بن أَخْنوخ ـ وهو إدريسُ النَّبيُّ عليه السلام ـ بن مهلائيل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم[٥].

وقيل: كان كلُّهم مسلمين، وكان نوحٌ أطولَ الأنبياء عمرًا، قال تعالى: ﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ [العنكبوت: ١٤]، واختُلف في تمامِ عمره، والأصحُّ أنه ألفٌ وأربعُ مئةٍ وخمسون سنةً، مئتان وخمسون سنةً قبل الوحي، ومئتان وخمسون بعد هلاك قومه بالطوفان، وتسعُ مئة وخمسون سنة بين قومه، وكان أهل عصره

---

(١) في (ف): «أرادها».

(٢) في (ر): «وقيل».

(٣) في (أ): «عمي».

(٤) بعدها في (ر): «لهم».

(٥) ذكره عن وهب الطبري في «تفسيره» (٩/ ٣٨٣)، وفيه: (... بن يرد بن مهلائيل). فزاد في الآباء (يرد) قبل (مهلائيل).

كلُّهم كفارًا، وكانت الدنيا في عصره عامرةً، فكانت الأراضي لا تفي بالمزارع، فكانوا ينقلون التراب إلى رؤوس الجبال فيبسطونها ويزرعون فيها، وكان نوحٌ عليه السلام يسكنُ الكوفة، وكان مَن خرج منها إلى مكة مضى في ظلِّ الأشجار وكان يدعو الناس إلى الإيمان طولَ هذه المدة، وكانوا يضربونه حتى كان يُغشَى عليه.

وقال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: كان يُضرب فيُلَفُّ في لبدٍ ويُلْقَى في بيته يُرون أنه قد مات، ثم يُفيق فيخرج فيدعوهم، وجاءه رجل يومًا ومعه ابنه وهو يتوكَّأ على عصاً فقال: يا بنيَّ، انظر[1] هذا الشيخ لا يغرَّنك، فقال: يا أبتِ، مكِّنِّي من العصا، قال: فأخذ منه العصا، قال: ضعني بالأرض، فوضعه، فمشى إليه فضربه بالعصا فشجَّه شجةً مُوضحة في رأسه، وسالت الدماء، فقال نوح: يا رب، قد تَرى ما يَفعل بي عبادُك، فإن يكن لك في عبادك حاجةٌ فاهدِهم، وإنْ يكُ غيرَ ذلك فصبِّرني إلى أن تحكُم وأنت خيرُ الحاكمين، فأوحى الله تعالى إليه وآيسه من إيمان قومه، وأخبره أنه لم يبقَ في أصلاب الرجال ولا في أرحام النساء مؤمنٌ، وقال: ﴿وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ﴾ الآية [هود: ٣٦]، وقال: ﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾ [هود: ٣٧]، قال: يا رب! وما الفُلك؟ قال: بيتٌ من خشبٍ يجري على وجه الماء، وأُغْرق أهلَ معصيتي، وأطهر أرضي منهم، قال: يا رب! فأين الماء؟ قال: يا نوح، إنِّي على ما أشاء قدير، قال: يا رب! وأين الخشب؟ قال: اغْرِسِ الشجر، قال: فغرس السَاجَ عشرين سنة، وكَفَّ عن الدعاء فلم يَدْعُهم، وكفُّوا عنه إلا الاستهزاء، وكانوا يسخرون به، فلما أدرك الشجرُ أمره ربُّه فقطعها وجفَّفها ولفَقها[2]، فقال: يا رب! كيف أتَّخذ هذا البيت؟ قال: اجعله على ثلاثِ صورٍ، رأسُه كرأس الدِّيك،

(١) في (ف): «احذر».

(٢) «ولفقها» ليس في (ف).

وجُؤْجُؤُه كجؤجؤ الطير، وذَنَبه كذنَب الدِّيك، واجعلها مُطبَّقةً، واجعل لها أبوابًا في جنبيها، وشُدَّها بدُسُرٍ ـ يعني مساميرَ الحديد ـ وبعث الله تعالى جبريلَ يعلِّمه صنعةَ السفينة[1]، قال: فكانوا يمرُّون به ويسخرون منه ويقولون: ألا تَرون هذا المجنون يتَّخذ بيتًا يسير به على الماء، وأين الماء؟! ويضحكون منه، فذلك قوله: ﴿وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ﴾ [هود: ٣٨]، فأوحى الله تعالى إليه: أن عجِّلْ صنعة السفينة فقد اشتدَّ غضبي على مَن عصاني، فانطلق نوحٌ فاستأجر أجيرين نجَّارين يعملان معه، وسامٌ ويافثُ وحامٌ معه ينحتون السفينة، فجعَل السفينة ستَّ مئة ذراع طولها وستين ذراعًا في الأرض، وعرضَها ثلاثَ مئة ذراعٍ وثلاثةً وثلاثين ذراعًا، وطولَها في السماء ثلاثةً وثلاثين ذراعًا، وأمره بطليه بالقار من داخله وخارجه، ولم يكن في الأرض قارٌ، ففجر الله تعالى عينَ القارِ حيث يَنحت السفينة تغلي غليانًا حتى طلاها، فلمَّا فرغ منها جعل لها ثلاثة أبوابٍ، وأطبقها، وجعل في طَبَق منها السباع والدوابَّ، وألقى الله على الأسد الحمَّى وشغله بنفسه عن الدوابِّ أن لا يتحرك[2]، وجعل الوحوش والطير في الباب الثاني ثم أطبق عليها، وجعل الذَّرَّة[3] معه في الباب الأعلى لضعفها أن لا يطأها الدوابُّ، وقال: يا رب! ما علامة ما بيني وبين الماء؟ فقال: إذا فار التنور[4].

---

(١) في (ر): «الفلك»، والمثبت من (أ) (ف)، وكلا اللفظين وردا في المصادر.

(٢) «أن لا يتحرك» ليس في (أ).

(٣) في هامش (ر): «الذرة: النملة الصغيرة».

(٤) رواه إسحاق بن بشر كما في «الدر المنثور» (٤/ ٤١٩)، ومن طريقه ابن عساكر في «تاريخه» (٦٢/ ٢٤٨)، وذكره الثعلبي في «عرائس المجالس» (ص: ٧٦)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ١٠٢)، والقرطبي في «تفسيره» (١١/ ١٣٠). وإسحاق بن بشر هو صاحب كتاب «المبتدأ»، قال الذهبي في ترجمته من «الميزان»: تركوه، وكذبه علي بن المديني، وقال الدارقطني: كذاب متروك.

قال مجاهد: فار التنُّور بأرض الجزيرة[١].

وقيل: فار بالكوفة في مسجد الكوفة مما يلي أبواب كندة[٢].

وقال جعفر بن محمد: فار التنور في دارِ نوح من تنُّورٍ تخبزُ[٣] [فيه] ابنته، وكان نوح عليه السلام يتوقَّع ذلك، إذ جاءته ابنته فقالت: يا أبتِ، قد فار الماء من التنُّور، فأعطَى النجارين أجورهم إلا نجارًا، قال له: أعطني أجري، فقال: أعطيك أجرك على أن تركب معنا، قال: أيها المجنون أعطني أجري فإن ودًّا وسواعًا ويغوثَ ويعوقَ ونسرًا سيُنجونني مما يريد إلهك، فأخذ نوحٌ صلوات الله عليه فضةً من أصحاب السفينة ودفعها إليه، وقال له: ستعلم أيُّنا المجنون إذا حلَّ العذاب غدًا، وأوحى الله تعالى إليه: ﴿قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ﴾ [هود: ٤٠]، فكان ممن سبق عليه القولُ امرأتُه والقةُ وابنه كنعانُ، فقال: يا رب، هؤلاء قد حملتُهم فكيف لي بالوحوش والبهائم والسباع والطير؟ قال: أنا أحشرهم عليك، فبعث الله جبريل فحشرهم، فجعل يضرب يديه على الزوجين فتقع يده اليمنى على الذكر واليسرى على الأنثى فيدخله السفينة، حتى أدخل[٤] فيها عِدَّةَ ما أَمر الله تعالى به.

---

(١) كذا ذكر عن مجاهد، والذي في المصادر عنه أن ذلك كان بالكوفة. كذا رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٤٠٥)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ١٦٨)، والواحدي في «البسيط» (١١/ ٤١٥)، والبغوي في «تفسيره» (٤/ ١٧٦)، والقرطبي في «تفسيره» (١١/ ١١٥). والذي ذكره المؤلف رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ٢٠٢٩) عن ابن عباس وقتادة: أنه العين التي بالجزيرة عين الوردة. قلت: وعين الوردة هو رأس عين المدينة المشهورة بالجزيرة. انظر: «معجم البلدان» (٤/ ٤٧ و١٨٠).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ٢٠٢٨) عن علي رضي الله عنه، وقال: ورُوي عن حذيفةَ والشعبيِّ ومجاهدٍ نحوُ ذلك.

(٣) في (أ): «بخبر»، وفي المصادر: (تختبز)، وما بين معكوفتين بعدها من المصادر.

(٤) في النسخ: «حتى إذا حمل»، وهو خطأ، والمثبت من المصادر.

قال: فلمَّا جمعهم في السفينة[١] رأت البهائم والوحوش والسباع العذاب، فجعلت تلحَس قدم نوح وتقول: احملنا معك، فقال: إنما أُمرت أن أَحملَ[٢] من كلِّ زوجين اثنين[٣].

قال قتادة رحمه الله: فانفَجرتِ الأرض أربعين يومًا وليلةً، والسماءُ تنهمِرُ مثلَ ذلك، فكان ما خرج من الأرض وما نزل من السماء مقدارًا واحدًا، وجرت السفينة مئة وخمسين يومًا بعد الأربعين التي مطرت وكان في السفينة مع نوح عليه السلام بنوه سام وحام ويافث ونساؤهم الثلاث وكانت السفينة مطبَّقةً.

وقال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: وكان آخِرُ ما حمل نوحٌ عليه السلام الحمارَ، وتعلَّق إبليس بذنَب الحمار، وقد دخلت يداه السفينة ورجلاه خارجتان ولا يستطيع أن يدخل، فجعل الحمار يضطرب، فصاح نوح: ادخل، ويلك ادخل[٤] ولو كان معك الشيطان، فدخل الحمار ودخل معه إبليس، فقال نوح: يا عدو الله! ما أدخلك؟ قال: ألستَ قلتَ للحمار: ادخُل ولو كان الشيطان معك[٥]؟

---

(١) «قال: فلما جمعهم في السفينة» ليس في (ف).

(٢) «أن أحمل» ليس في (أ).

(٣) رواه ابن إسحاق كما في «الدر المنثور» (٤/ ٤٣٠)، ورواه ابن عساكر في «تاريخه» (٦٢/ ٢٥٢) من طريق إسحاق (وهو ابن بشر) عن ابن إسحاق قال: وسمعت من حدثني عن جعفر بن محمد بإسنادهم أنه قال...، وإسحاق بن بشر تقدم قريباً الكلام عليه. والراوي عن جعفر مبهم، والخبر مرسل، والأظهر أنه من أقاصيص أهل الكتاب.

(٤) في (ر): «ونوح يقول ويحك ادخل».

(٥) ذكره عن ابن عباس الثعلبي في «عرائس المجالس» (ص: ٧٨)، ورواه عنه بنحوه عبد بن حميد كما في «الدر المنثور» (٤/ ٤٢٨)، ورواه ابن عساكر في «تاريخه» (٦٢/ ٢٥٧) من طريق إسحاق بن بشر عن مقاتل. وكل هذا من الإسرائيليات والله أعلم. انظر: «الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير» (ص: ٢١٧).

وجاءه عُوجٌ وقال لنوح[1]: أدخلني معك، قال: اخرج يا عدو الله فإني لم أؤمر بك، قال: وطبّق الماءُ على وجهِ الأرض وما بلغ ركبتي عوج[2].

قال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: وعاش عُوجٌ ثلاثة آلاف سنة، وكان عسكرُ موسى عليه السلام فرسخًا في فرسخٍ، فجاء عوجٌ حتى نظر إلى عسكره، ثم أتى الجبلَ فقوَّر منه صخرةً قَدْرَ العسكر، ثم حملها ليُطْبِقها على عسكر موسى، فبعث الله تعالى الهدهد ومعه هذا الماسُ حتى قوَّر الصخرة، فانتَقَبتْ ووقعت في عُنق عوجٍ فطوَّقته وصرعته، فقتله موسى عليه السلام[3].

---

(١) في (ف): «يا نوح».

(٢) ذكره عن ابن عباس الثعلبي في «عرائس المجالس» (ص: ٨١)، وليس بأحسن مما قبله، وانظر التعليق الآتي.

(٣) ذكره الثعلبي في «عرائس المجالس» (ص: ٣٣٠)، وفي «تفسيره» (٤/ ٣٦)، والبغوي في «تفسيره» (٣/ ٢٩)، والخازن في «تفسيره» (٢/ ٢٢)، ولم يذكروا له سنداً ولا راوياً. وقد تعقب العلماء المحققون هذه القصص عن عوج بن عنق وردوها، فمن ذلك قول ابن كثير رحمه الله عند تفسير قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ﴾ [المائدة: ٢٢]، قال: وقد ذكر كثير من المفسرين هاهنا أخبارًا من وضع بني إسرائيل، في عظمة خلق هؤلاء الجبارين، وأنه كان فيهم عوج بن عنق، بنتِ آدم عليه السلام، وأنه كان طوله ثلاثةَ آلاف ذراع وثلاثَ مئة وثلاثة وثلاثين ذراعاً وثلث ذراع، تحرير الحساب! وهذا شيء يُستحى من ذكره، ثم هو مخالف لما ثبت في الصحيح: أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله تعالى خلق آدم وطوله ستون ذراعًا، ثم لم يزل الخلق ينقص حتى الآن».

ثم قد ذكروا أن هذا الرجل كان كافراً، وأنه كان ولد زِنْية، وأنه امتنع من ركوب السفينة، وأن الطوفان لم يصل إلى ركبته، وهذا كذب وافتراء، فإن الله ذكر أن نوحاً دعا على أهل الأرض من الكافرين، فقال: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح: ٢٦] وقال تعالى: ﴿فَأَنجَيْنَـٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ٱلْبَاقِينَ﴾ [الشعراء: ١١٩ ـ ١٢٠] وقال تعالى: ﴿لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ﴾ =

وقيل: إن عوجًا إنما لم يهلك بالطوفان لأنه كان أعان نوحًا على حمل خشب السفينة، فأُمهل مجازاةً له على ذلك.

وقيل: بقَّاه مدةً ليُخبر الآخَرين عما شاهد ليعتبِروا به.

وقيل: إن الذين معه في السفينة كانوا ثمانين، وقيل: أربعين، وقيل: سبعة نفرٍ.

* * *

(٦٥) ـ ﴿ ۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾: عطفٌ على قوله: ﴿نُوحًا﴾؛ أي: وأرسلنا إلى عاد ـ وهم قومٌ سُمُّوا باسم أبيهم، وهو: عادُ بنُ عَوْصِ بنِ إرم بن سامِ بن نوحٍ النَّبيِّ ﷺ ـ أخاهم؛ أي: نسيبَهم هودًا ترجمة له وهو هود بن عبد الله بن رباح بن الخلود[1] بن عاد بن عَوْص بن إِرَم بن سام بن نوحٍ.

= [هود: ٤٣] وإذا كان ابن نوح الكافرُ غرق، فكيف يبقى عوج بن عنق، وهو كافر وولد زنية؟! هذا لا يسوغ في عقل ولا شرع. ثم في وجود رجل يقال له: عوج بن عنق نظرٌ، والله أعلم.

ومما قاله ابن القيم في «المنار المنيف» (ص: ٧٦): من الأمور التي يعرف بها كون الحديث موضوعاً أن يكون مما تقوم الشواهد الصحيحة على بطلانه؛ كحديث عوج الطويل، وليس العجب من جرأةِ مَن وَضَعَ هذا الحديثَ وكَذَب على الله تعالى، إنما العجب ممن يدخل هذا الحديث في كتب العلم من التفسير وغيره ولا يبين أمره.

ثم قال: ولا ريب في أن هذا وأمثاله من وضع زنادقة أهل الكتاب الذين قصدوا الاستهزاء والسخرية بالرسل وأتباعهم.

(١) قوله: «رباح بن الخلود» تحرف في النسخ إلى: «تارح بن حاوث»، والمثبت من المصادر. انظر: «الطبقات» لابن سعد (١/ ٤٥)، و«تاريخ الطبري» (١/ ١٣٣)، و«عرائس المجالس» (ص: ٨٥)، و«تفسير الثعلبي» (٤/ ٢٤٥)، و«تاريخ اليعقوبي» (١/ ٢٢)، و«المنتظم» (١/ ٢٥٢)، و«تاريخ ابن خلدون» (٢/ ٢٣)، و«الدر المنثور» (٢/ ٧٤٨). وهذه رواية الكلبي، وروي في نسبه عن ابن =

قال السدِّي: كان عادٌ قومًا من أهل اليمن بالأحقاف، وهي الرمال.

وقال محمد بن إسحاق ومقاتلٌ وجويبرٌ وسعيد بن جبير: إن عادًا كانوا أصحاب أوثان يعبدونها من دون الله، وذلك أن العرب عبَدت أصنام قومِ نوح بعد نوحٍ، فتفرَّقوا في عبادتهم الأوثان[1]، وفرَّقوا أصنام قوم نوحٍ بينهم، وكانت هُذيل بن مُدْرِكة بن خِنْدِفَ[2] اتَّخذوا سُواعًا إلهًا يعبدونه بدُومة الجَندل، وكانت أنعمُ من طيِّئٍ وأهلُ جُرَش من مَذْحِجٍ من أهل اليمن اتَّخذوا يغوثَ إلهًا يعبدونه بجُرَش، وكانت خَيْوان[3] بطنٌ من هَمْدان اتَّخذوا يعوقَ إلهًا يعبدونه من دون الله بأرض همدان من اليمن، وكانت ذو الكَلَاع اتخذوا بأرض حِمْيَرَ نَسرًا إلهًا يعبدونه من دون الله، وكان قوم هودٍ وهم عادٌ أصحابَ أوثانٍ يعبدونها من دون الله تعالى، فاتخذوا أصنامًا على مثال وَدٍّ وسُواعٍ ويغوثَ ويعوقَ ونسرًا، واتَّخذوا صنمًا يقال له: صمود، وصنمًا يقال له: الهبار، فبعث الله إليهم هودًا، وكان هودٌ من قبيلة يقال لها: الخُلُود، فبعثه الله تعالى إليهم وكان من أوسطهم نسبًا[4]، وأفضلهم موضعًا، وأشرفهم نَفْسًا[5]، وأصبَحهم وجهًا، وكان أبيضَ جَعْدًا باديَ العَنْفَقة[6]، طويلَ اللحية، فدعاهم إلى الله تعالى، وأمرهم أن يوحِّدوا الله وأنْ لا يجعلوا مع الله إلهًا آخَرَ، وأن يكفُّوا عن ظلم

= إسحاق غير ذلك، ذكره الثعلبي. والخلود بضم الخاء واللام كما ذكر صاحب «المنتظم».

(١) في (ر): «الأصنام».

(٢) في (أ): «حدف».

(٣) في النسخ: «حيوان»، والصواب المثبت. انظر: «اللباب في تهذيب الأنساب» (١/ ٤٧٩).

(٤) في (ف): «حسبًا».

(٥) في (ف): «نسبًا».

(٦) العنفقة: شعرات من مقدمة الشفة السفلى، ورجل بادي العنفقة: إذا عري موضعها من الشعر. انظر: «اللسان» (مادة: عنفق).

الناس، قالوا: ولم يأمرهم بغير ذلك من صلاةٍ أو شريعةٍ، فأبوا ذلك[١] فكذبوه، فذلك قوله تعالى:

﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾: مرَّ تفسيرُه كما مرَّ في قصة نوحٍ صلوات الله عليه.

قوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾: استفهام بمعنى الأمر؛ أي: اتَّقوا الله.

* * *

(٦٦) - ﴿قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي سَفَاهَةٖ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي سَفَاهَةٖ﴾: قال الكلبيُّ: أي: في جَهالةٍ.

وقال مقاتل رحمه الله: أي: في حُمق[٢]، وفي اللغة: هي خفَّة العقل.

وقوله تعالى: ﴿لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾: قال الحسن رحمه الله: كان تكذيبهم على الظن لا على اليقين[٣].

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: يحتمل أنهم قالوا: ﴿وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ﴾ في ابتداء ما دعاهم؛ لأنه كان صدوقًا أمينًا عندهم قبل ذلك، فلما أقام الدلالات وأثبت

---

(١) «فأبوا ذلك» ليس في (ف).

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٤٥).

(٣) انظر: «البسيط» للواحدي (٩/ ٢٠٤).

عيبَ آلهتهم عاندوا [١] فقالوا: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [المؤمنون: ٣٨][٢].

وقيل: في تفسير الظن: إنه قوةُ المعنى في النفس من غيرِ بلوغ حالة الثقة [٣] التامة، وليس كالشك الَّذي هو وقوفٌ بين النقيضين من غير تقويةٍ لأحدهما على الآخر.

وقيل: معناه: وإنَّا لنَعْلَمُك، قال الشاعر:

فقلتُ لهم ظُنُّوا بألفَيْ مُدجَّجٍ ... سراتُهم في الفارسيِّ المسرَّد[٤]

أي: اعلموا.

قوله: ﴿مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ قال الكلبي رحمه الله: أي: في ادِّعائك النبوة[٥].

وقال مقاتل رحمه الله: أي: فيما تقول من نزول العذاب بنا[٦].

* * *

---

(١) في (ف): «عادوا».

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٤/ ٤٧٣).

(٣) في (ف): «البينة».

(٤) البيت لدريد بن الصمة. انظر: «الأصمعيات» (ص: ١٠٧)، و«جمهرة أشعار العرب» (ص: ١٨٠)، و«خزانة الأدب» للبغدادي (١١/ ٣٠١). قال البغدادي: المدجج بفتح الجيم وكسرها: الكامل السلاح، وقيل: بالكسر للفارس وبالفتح: الفرس، وإنهم كانوا يدرعون الخيل. و(سراتُهم) بالفتح: أشرافهم، مبتدأ و(بالفارسي) خبره، والباء بمعنى في. والدرع الفارسي يصنع بفارس. والمسرد: المُحكم النسج، وقيل: هو الدَّقيق الثقب.

(٥) انظر: «البسيط» (٩/ ٢٠٤).

(٦) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٤٥)، و«البسيط» (٩/ ٢٠٤).

(٦٧) ـ ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾.

وقولـه تعالـى: ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾: هو كجواب نـوح وقد فسَّـرناه.

***

(٦٨) ـ ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾: أي: ناصحٌ لكم أمينٌ على وحي الله تعالى، وقد فسَّرنا سائره في قصة نوح عليه السلام، ومعنى الأمين على الوحي: أن لا يغيِّره ولا يَكذِب فيه؛ كما قال موسى عليه السلام: ﴿حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾ [الأعراف: ١٠٥].

***

(٦٩) ـ ﴿ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ۚ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً ۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ﴾ قد فسرناه.

وقوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ ﴾: أي: سكانَ الأرض بعدَهم

و﴿خُلَفَآءَ ﴾: جمعُ خَليف، فأما الخلائف فهي جمعُ خليفة.

وقوله تعالى: ﴿وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً ﴾: قيل: هي بسطةُ[1] اليدين بالتصرُّف، وقيل: بالمال، وقيل: هي بسطةُ الجسم في الخِلقة.

---

(١) في (ف): «بسط».

وقال مقاتلٌ: ﴿بَصْۜطَةً﴾؛ أي: في الطول، وكان طول كلِّ واحد منهم اثني عشر ذراعًا [ونصفاً][(١)].

وقال الكلبي: ﴿بَصْۜطَةً﴾ أي: فضيلةً في الطول، وكان أطولُهم مئةَ ذراع وأقصرُهم ستين ذراعًا[(٢)].

وقال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: ﴿بَصْۜطَةً﴾؛ أي: شدة[(٣)]، يعني: قوةً على قوةِ الخلق.

وقال الشَّرْقيُّ بن القُطَامي[(٤)]: كانوا يتكلَّمون بالعربية، وكان الله أعطاهم بسطةً في الخَلق لم يُعطِ غيرهم، وكان طولُ الرجل منهم ستين ذراعًا، وهذا أطولُهم، وكان أقصرُهم ستَّ عشرةَ ذراعًا، وقال الله تعالى خبرًا عنهم: ﴿وَقَالُواْ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ [فصلت: ١٥]، وكان لهم أموالٌ جمَّةٌ، وقد قال الله تعالى في قصة قارون: ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا﴾ [القصص: ٧٨]؛ أي: بالمال، وهم عاد.

وقوله تعالى: ﴿فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ﴾: أي: نِعَمَ الله، جمعُ إِلًى على وزن مِعًى، قال الشاعر:

أبيضُ لا يرهَبُ الهزالَ ولا ... يقطعُ رَحِمًا ولا يخونُ إِلَى

وقيل: أَلًى، بفتح الألف على وزن رحًى.

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٤٥)، وما بين معكوفتين منه.

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» (٤/ ٢٤٦)، و«البسيط» (٩/ ٢٠٥ - ٢٠٦).

(٣) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥١٠).

(٤) هو الوليد بن الحسين، والشرقي لقبه والقطامي لقب والده، كان عالماً بالنسب وافر الأدب، ضم المنصور إليه المهدي ليأخذ من أدبه. انظر: «ميزان الاعتدال» (٢/ ٢٤٨)، و«الأعلام» (٨/ ١٢٠).

وقيل: إِلْيٌ على وزن حِسْيٍ.

يقول: اذكروا بألسنتكم وقلوبكم آلاء الله؛ أي:[1] إنعام الله باستخلافكم في الأرض بعد إهلاك قوم نوح، وبإعطائكم عظَم الأجسام وكثرةَ الأموال، فاذكروا نِعَم الله.

وقوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾: أي: لتفوزوا بكلِّ مأمولٍ، وتُوَقَوا كلَّ محذور.

***

(٧٠) ـ ﴿قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ﴾: أي: على توحُّده.

وقوله تعالى: ﴿وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾: أي: نتركَ ما عبده آباؤنا[2] من الأصنام.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: قرَّر الله سفَههم بهذا تعريضًا، فإنه أخبر عنهم بأنهم عجِبوا بمجيء رسولٍ من البشر، وقالوا: ﴿مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ﴾ [المؤمنون: ٣٣] فلم يرضَوا برسالة البشر[3] ورضُوا بإلهية الخشب والحجر، ثم قلَّدوا آباءهم في عبادة الأصنام التي لا تَعقل ولا تضُر ولا تنفع، ولم يقلِّدوا المؤمنين من قوم نوح الذين آمنوا به فنجَوا معه، واتَّبعوا الكفار الذين أُهلكوا بالطوفان، فكان في حق هؤلاء أيضًا ما كان[4].

---

(١) «آلاء الله أي» ليس في (أ) و(ف).

(٢) في (ف): «نترك ما كانوا عليه».

(٣) في (ر): «برسالته»

(٤) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٤/ ٤٧٥ ـ ٤٧٦).

وقال القشيريُّ: إنهم طاحوا في أودية التفرقة، واستطابوا صحبةَ الأغيار، فشَقَّ عليهم حين طولبوا بهجران العادة والقرار في ساحات التوحيد حتى قالوا ما قالوا[1].

وقوله تعالى: ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾: أي: بما تُوْعِدنا به من العذاب إن كنت صادقًا في هذه الأخبار.

* * *

(٧١) - ﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَٰدِلُونَنِي فِىٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ﴾: أي: قال هود[2]: قد وجَب عليكم من ربكم عذاب وجوبًا لا خُلف فيه، فكأنه قد وقع، وهو كقوله: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ١].

والرِّجس أصله: النَّجَس، وهو المستقذَر، فالرجس عذابٌ يتجنَّبه أولو الألباب.

وقيل: الرِّجس هو زيادة الكفر بالرَّين على القلوب؛ كما في قوله: ﴿فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾ [التوبة: ١٢٥].

والغضب: السخط، وقيل: هو إرادة الانتقام، وقيل: هو إحلال العقوبة بمن يستحقُّها.

وقوله تعالى: ﴿أَتُجَٰدِلُونَنِي فِىٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ﴾: أي: أصنامٍ هي جماداتٌ سمَّيتُموها بأسماءٍ لم يَجعل الله لها شيئًا من

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٥٤٥).

(٢) في (ر): «أي قد قالوا هو».

معاني تلك الأسماء، ولم يُنزل حجةً من استحقاقها تلك الأسماء لا عقلًا ولا شرعًا.

وقيل: السلطان: العذر.

وقوله تعالى: ﴿فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ﴾: ﴿فَانْتَظِرُوا﴾[1] قال الحسن: أي: مواعيدَ الشيطان ﴿إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ﴾؛ أي: مواعيدَ الله[2].

وقيل: قالوا: نَنتظر موته، فقال لهم: انتظروا ذلك أنتم فإنَّا ننتظِر هلاككم بوعد الله.

* * *

(٧٢) - ﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا﴾: قال الإمام أبو منصور رحمه الله: يحتمل: برحمةٍ منا هديناهم، ويحتمل: أنه كان لهم ذنوب لكنْ برحمتنا أنجيناهم، ولأن النجاة لا تكون إلا برحمة الله، قال النَّبي ﷺ: «لا ينجو أحدٌ إلا برحمةِ الله» قيل: ولا أنت؟ قال: «ولا أنا إلا أن يتغمَّدني الله برحمته»[3].

وقوله تعالى: ﴿وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾: أي: استأصلناهم، يقال: دَبَر فلانٌ القومَ يَدْبُرهم فهو دابِرُهم؛ أي: الجائي بعدهم، وقطعُ ذلك يكون باستئصالِ الكل.

---

(١) «إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾ فانتظروا» من (ف).

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٤/ ٤٧٧). وذُكر هذا القول عن الحسن أيضاً عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ﴾ [التوبة: ٥٢]. انظر: «تأويلات أهل السنة» (٧/ ٣٢٤)، و«تفسير الثعلبي» (٥/ ٥٣)، و«البسيط» (١٠/ ٤٨٥)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٥٨)، وذكره الثعلبي (٥/ ١٢٦) أيضاً عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَانتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ﴾ [يونس: ٢٠].

(٣) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٤/ ٤٧٧). ولفظ الحديث فيه: «لا يدخل الجنة أحد إلا برحمة الله...». وبنحو هذين اللفظين رواه البخاري (٥٦٧٣) و(٦٤٦٣)، ومسلم (٢٨١٦).

وقوله: ﴿بِـَٔايَٰتِنَا﴾ لم يبيِّن آياته التي أعطاها هودًا.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: فليس بنا إلى معرفة ذلك من حاجةٍ سوى ما أَخبر أنَّ ما حل بهم من العذاب كان بتكذيبهم الرسلَ والآيات[1].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانُواْ مُؤْمِنِينَ﴾: تأكيد قوله: ﴿كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾.

وقيل: أي: لم يكونوا ليؤمنوا وإنْ تأخَّر عنهم العذاب.

وقال محمد بن إسحاق: فلمَّا عتى عادٌ وتجبَّروا وأَفسدوا في الأرض كلِّها، وقهروا أهلها، أمسك الله تعالى عنهم المطر ثلاث سنين، فبعثوا وفدًا إلى مكة لِيَستسقوا لهم.

وكان أهل مكة يومئذ العماليقَ أولادَ عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح، وسيدُهم إذ ذاك معاويةُ بن بكر، وكان أبوه حيًّا ولكنه كبر.

فلما قُحطوا بعثوا قَيلَ بنَ عترٍ[2]، ولقيم بن هزَّال بن هزيل بن عُتيل[3]، ومَرثد بن سعد بن عفير وكان مسلمًا يكتم إيمانه، وجُلْهُمة بن الخيبريِّ خالُ معاوية بن بكر، ثم بعثوا لقمانَ بن عادٍ الأكبر، فانطلق كلُّ رجل من هؤلاء القوم برَهْطٍ من قومه حتى بلغ عددُهم سبعين رجلًا، فلمَّا قدموا مكة نزلوا على معاوية بن بكر وهو بظاهر مكة خارجَ الحرم، فأكرمهم وأنزلهم وكانوا أخوالَه وأصهاره، فلمَّا نزلوا عليه أقاموا عنده شهرًا يشربون الخمر وتغنِّيهم الجرادتان قَيْنَتان كانتا لمعاوية.

---

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٤/ ٤٧٨).

(٢) في (ر) و(ف): «عثر»، والمثبت من (أ)، ومثله في «تاريخ الطبري» (١/ ١٣٤)، و«البداية والنهاية» (١/ ٢٩٥)، وجاء في المصادر أيضاً: (عنز) و(عير).

(٣) «ولقيم بن هزال بن هزيل بن عُتيل» كذا في «تاريخ الطبري» (١/ ١٣٤) وزاد: بن صد بن عاد الأكبر، وفي «تفسيره» بتحقيق الأستاذ محمود شاكر (١٢/ ٥٠٩): (ولقيم بن هزّال بن هزيل، وعتيل بن صُدّ بن عاد الأكبر).

فلما رأى معاويةُ طولَ مقامهم وقد بعثهم قومهم يتغوَّثون من البلاء الذي أصابهم، شقَّ عليه ذلك، وقال: هلك أخوالي وأصهاري وهم ضيفي نازلون[١] عليَّ، واللهِ ما أدري كيف أصنعُ؟ وإني لأستحيي أن آمُرَهم بالخروج إلى ما بُعثوا له، وشكا إلى قَيْنتيه فقالتا له: قل شعرًا نغنِّيهِم به ولا يدرون مَن قاله، لعل ذلك أن يحرِّكهم، فقال معاوية بن بكر في ذلك أبياتًا غنَّتهم[٢] بها الجرادتان، فلما سمع القوم ما غنَّتا به قال بعضهم لبعض: إنما بعثكم قومكم يتغوَّثون بكم من هذا البلاء، وقد أبطأتم عليهم، فقال قَيْلُ سيدهم: الخمر عليه حرام حتى يذهب فيستَسقيَ لقومه[٣].

فقال مرثد بن سعد بن عُفير[٤]: إنكم والله لا تُسقون بدعائكم، ولكنكم إنْ أطعتُم نبيَّكم وأَنبتم إليه سُقيتم، وأظهر إسلامه عند ذلك، فقال له جلهمةُ: إنك من قَبيلِ عادٍ، وأمُّك[٥] من ثمودَ، فكيف تأمرنا أن نترك دينًا هو دين آبائنا ودين آبائك؟! ثم قالوا لمعاوية بن بكر: احْبِسْ عنا مرثدَ بن سعد لا يَقْدَمن مكة معنا، فإنه قد اتَّبع دين هود، فخرجوا دونه.

---

(١) في (ر) و(ف): «نزلوا».

(٢) في (ر): «تغنيهم».

(٣) في (ر): «الخمر علي حرام حتى أذهب فأستقي لقومي».

(٤) في (أ): «عقير».

(٥) في (ف) و(أ): «وإنك»، والمثبت من (ر)، وهو الصواب، وقد جاء عند الطبري جواب جلهمة لمرثد شعراً، وهو كما في «تفسير الطبري»:

أبـا سَـعْدٍ فإنَّـكَ مِـن قَبيـلٍ ... ذَوِي كَـرَمٍ وأُمُّـكَ مـن ثَمُـودِ
فإنَّـا لـن نُطِيعَـكَ مـا بقِينـا ... وَلَسْـنَا فَاعِلِيـنَ لِمَـا تُرِيـدُ
أَتَأْمُرُنَـا لِنَتْـرُكَ دِيـنَ رِفْـدٍ ... ورَمْـلٍ والصُّـدَاءَ مـع الصَّمـودِ
وَنَتْـرُكَ دِيـنَ آبـاءٍ كِـرَامٍ ... ذَوِي رأيٍ ونَتْبَـعَ دِيـنَ هـودِ

ثم إنه خرج خلفهم، فأتوا مكة وصعدوا الصفا، فقال قَيل بن عترٍ: يا إله هود، إن كان هودٌ صادقًا فاسقنا فإنَّا قد هلكنا، وإنَّا لم نأتكَ[١] لمريض تشفيهِ، ولا لأسيرٍ نُفاديه، فأنشأ الله ثلاث سحابات بيضاءَ وحمراءَ وسوداءَ، ثم نادى منادٍ: يا قَيل، اختر لنفسك ولقومك من هذه السحابات، قال قَيل: أما البيضاء فلا ماء فيها، وأما الحمراء فعارِض، وأما السوداء فهي مُظلمةٌ وهي أكثرها ماءً، فقال: اخترت السوداء، فناداه منادٍ فقال: قد اخترتَ رمادًا رمددًا[٢] لا يُبقي من آل عادٍ أحدًا.

وساق الله تعالى السحابة السوداء بما فيها من النقمة إلى عاد، فخرجت إليهم من وادي، فلما رأوا السحابةَ السوداء مقبلةً استبشروا بها وقالوا: قد جاءنا وفدُنا بالمطر، وقالوا لهود: أين ما كنتَ تُوْعِدنا؟ ما قولك إلا غرورٌ، هذا عارضٌ ممطرُنا، قال الله تعالى لهود: قل لهم: ﴿بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾ [الأحقاف: ٢٤][٣].

وأوحى الله تعالى إلى الريح العقيم وهي في الأرض الرابعة، فخرجت بغيرِ كيلٍ على قَدْر مَنْخِر الثور، حتى رجفت الأرض ما بين المشرق والمغرب، فقال الخُزَّان: يا رب، لن نُطيقها، ولو خرجت على حالها لأهلكت الأرض، فأوحى الله تعالى إليها أن ارجعي، فرجعت وخرجت على قَدْر خَرْتِ[٤] الخاتم، وأوحى الله تعالى إلى هودٍ أن يعتزل بمن معه من المؤمنين في حظيرةٍ، فاعتزلوا وخطَّ عليهم خطًّا، وأقبلت الريح فكانت لا تدخل حظيرةَ هود ولا تُجاوز الخطَّ، وإنما يدخل عليهم منها ما تَلَذُّ

---

(١) بعدها في (ف): «أي لبابك».

(٢) في (أ): «رمدًا».

(٣) رواه عن ابن إسحاق مع بعض الزيادة الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٢٦٩)، وفي «تاريخه» (١/ ١٣٤).

(٤) في (ر): «خرث»، وفي (ف): «جوف». والخرت: الثقب.

به أنفسهم، فأوحى الله تعالى إلى الحيَّات والعقارب بأن يأخذوا عليهم الطرق، فلم تَدَعْ عاديًا يجاوزها، وكانت الريح تحمل الماشية برُعاتها فتقذفُها في البحر، وكانت تدمغهم بالحجارة(١).

فلما عاينوا ما تصنع بهم الريحُ حازوا أهاليَهم وأموالهم وأولادهم ومواشيَهم، ثم قام فيهم رجال لهم شرفٌ فتآمروا على حبس الريح أنْ تصل إلى داخل الشعب(٢)، وتحالفوا على أن لا يفترقوا حتى يموتوا، وأن لا يفارقوا دين قومهم، واستيقنوا بالعذاب.

وكان أول ذلك يومَ الأربعاء، فهبَّت عليهم إلى اليوم الثامن، ولم يبق من رؤساء القوم إلا خلجان وهو رئيسهم، وأتاه هود عليه السلام وقال له: يا خلجان، إنه لم يبق من أصحابك غيرُك، وقد رأيتَ ما صنع الله بمن أطاعك(٣) وعصاه، والتوبةُ مقبولةٌ منك فيدفع الله بها عن بقية قومك، فقال: كيف بمن مضى منهم وهلكوا؟ قال: يُعْقبك الله مكان كلِّ رجل هلك مئةَ رجل، فقال خلجان: لا وأبيك يا هود، لا يجدني ربك أضعفَ أصحابي، وما كنت لأجمع بين اثنين: الغدرِ بالأغيار(٤)، وتركِ المواساة للأصحاب.

ثم قال: يا هود أخبرنا عن هذه الإبل التي تأتينا في الريح، قال: تلك الملائكة

---

(١) رواه إسحاق بن بشر كما في «الدر المنثور» (٣/ ٤٨٧) عن عبد الله بن عمرو بن العاص، ولعله إن صح يكون مما رواه عبد الله عن أهل الكتاب، لكن إسحاق بن بشر متروك، ورواه ابن عساكر في «تاريخه» (٧٤/ ٨٦) عن كعب الأحبار.

(٢) في (ف): «الحصن».

(٣) في (ف): «أطاعه».

(٤) في (ف): «بالأغياب».

يوكِّلها الله بمن شاء، فقال الخلجان: تلك التي تفعل بنا الأفاعيل، ثم قال: هل ربُّك مُقِيْدُنا منهم إن تابعناك؟ قال هود: وكيف يُقِيدُ الله من أهل الطاعة لأهل المعصية؟! لا، ولكنه يُعْقِب مَن بقي منكم بكلِّ رجل هَلَك منكم مئة رجل، فقال الخلجان: إذا لم يُقِدْنا منهم لم أفعلْ.

فلما سمع هودٌ قوله انصرف عنه، وأقبلت الريح والخلجان قائم وحده على فم الشِّعب آخذٌ بجانبيه، وهو يقول:

لا خيرَ في فرعٍ أُصيب أسُّه ... لو لم يجئني جئته أَحُسُّه

يا لك من يوم دهاني أَمْسُه

فانتهت الريح إليه فقلبته على وجهه في الأرض ثم حملته وطرحته ميتًا كأنْ لم يكن شيئًا، ودخلت الشِّعب فجعلت تَقْصِفهم[1] وتُزلزلهم وتقتلهم[2]، فأمسَوا وقد هلكوا جميعًا[3].

وقال الضَّحَّاك رحمه الله: صَفُّوا صفوفًا، وحفَروا تحت أرجلهم إلى الرُّكب، وأوثقوها بالثَّرى كي لا تزيلَهم الريحُ، وقالوا: مَن أشدُّ منَّا قوةً، فأمهلهم الله تعالى ثمانيةَ أيام ليعتبرَ عبادُه، فكانت الريح تقصفهم[4] وتضرب بعضَهم على بعضٍ ولا[5] تلقيهم، فلما كان في اليوم الثامن دخلت من تحت أرجلهم فاحتملتهم فضربت بهم الأرض، فذلك قوله تعالى: ﴿تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٖ مُّنقَعِرٖ﴾ [القمر: ٢٠] وقوله:

---

(١) في (أ): «تعصفهم».

(٢) في (ف): «وتقلبهم».

(٣) رواه الطبري في «تاريخه» (١/ ١٣٧)، وفي «تفسيره» (٢٢/ ١٣٦)، عن ابن إسحاق.

(٤) في (أ): «تعصفهم».

(٥) «لا» ليس في (أ).

﴿بِرِيحٍ صَرْصَرٍ﴾ [الحاقة: ٦] أي: باردة، فكانت تقع على الجلد فتُحرقه[١] برداً حتى ينكشطَ عن اللحم، ثم يصير اللحمُ كقطع النار.

وقال وهب: ما أتت الريح على شيءٍ من النبات والشجر إلا جعلته كالرميم، ونجَّى الله تعالى هودًا، وعاد أصحاب هود على أحسنِ ما كانوا عليه من الخصب، وأتاهم مرثدُ بن سعد فأخبرهم بخبر الوفد بكلِّ شيء كان من أمرهم في مسيرهم، وما كان من أمر السحاب، وزاد المؤمنين إيمانًا ويقينًا واغتباطًا، وحمدوا الله تعالى على ما أكرمهم[٢].

* * *

(٧٣) - ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا﴾ عطفٌ على قوله: ﴿نُوحًا﴾ و﴿هُودًا﴾؛ أي: أرسلنا صالحًا إلى قومه ثمودَ، وهو صالح بن عبيد بن جابر بن ثمود بن جابر بن سام بن نوحٍ النَّبيِّ عليه السلام، وكان رجلًا أحمرَ[٣] إلى البياض، سَبط الشعر، وكان أعزَّ قومه نفرًا، فحماه الله تعالى به وشدَّ ظهره، وكذلك الأنبياءُ يبعثهم الله تعالى في أشرف[٤] قوم وأعزِّهم.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾: فسَّرناه في القصتين

---

(١) في (ف): «فتخرقه».

(٢) في (ر): «على إكرامهم».

(٣) بعدها في (ر): «يضرب».

(٤) في (ر): «أشراف».

قبلها، وكانوا يعبدون الأصنام، وكان يدعوهم إلى التوحيد ويبالغُ في ذلك، فكان يدخل عليهم في بيوتهم ويقوم عليهم في مجالسهم وأفنِيَتهم، ويقعد لهم على قوارع الطرق، ويقصد جماعاتهم ويَهجم عليهم في يوم عيدهم، فلا يزدادون إلا طغيانًا وبُعدًا، فقالوا له: أرِنا آية؟ قال: إن أُرِيْتم [1] آيةً فلم تؤمنوا بها نزل عليكم العذاب.

وكان لهم عيد يجتمعون فيه بأصنامهم، فقالوا له: تخرج معنا إلى العيد فتدعو وندعو، قال: أفتدَعون عبادة الأصنام إن استُجيب لي ولم يُستجب لكم؟ قالوا: نعم، فخرج القوم إلى عيدهم وخرجوا بأصنامهم، وخرج معهم صالح، فاجتمعوا على أن يتمنَّوا عليه أمنيةً وهم يُرون أنه سيعجز عنها، وأن ربَّه لا يُسعفه[2] فيها، فقالوا له: إن آيةَ ما بيننا وبينَك أن تدعوَ ربَّك فيخرجَ لنا من هذه الصخرة ناقةً من الإبل غرَّاء سوداءَ ذاتَ عُرفٍ وناصيةٍ وشعرٍ ووبرٍ، عُشَراء نَتوجًا، فإنْ فعلتَه [3] آمنَّا بك وصدَّقناك واتَّبعناك، وإن عجزتَ عن ذلك فاكْفُف عنا فإنَّا نكره أذاك وشتمك، وقد كنتَ فينا مرجوًّا قبل هذا، وأنت في شرفنا [4] وعزِّنا وحسَبنا.

فلما سمع قولهم ضاق به ذرعًا، وخاف أن لا يكون، وأَعظمَ اللهَ وأجلَّه أن يسأله ذلك، ويتمنَّى عليه مثلَ أماني القوم الذين لا يؤمنون بقدرته، فلم يبرحوا من مجلسهم الَّذي سألوا فيه ذلك حتى تزلزلت[5] الصخرة، فنظروا إليها تتمخَّض وتَزْحَر[6] كما

---

(١) في (ف): «أريتكم».

(٢) في (أ): «يشفعه».

(٣) في (أ): «فعلت».

(٤) في (ف): «فنائنا».

(٥) في (ر): «زلزلت».

(٦) الزحير: الصوت، والنَفَس بأنين. انظر: «القاموس» (مادة: زحر).

تفعل الأنثى للولادة، فما لبثوا أن تفرَّجت عن أمنيتهم التي سألوا بعينها لم تغادر قليلاً ولا كثيراً[١]، فجاءت بناقة غرَّاءَ سوداء ذات شعرٍ ووبر وعُرف وناصية عُشَراء، وسعةُ ما بين جنبيها مئة واثنان وعشرون ذراعًا، ثم أقبلت تمشي حتى توسَّطتهم، ثم بركت للنَّتاج فلم تقُم حتى وضعت سقبًا قريبًا منها في العِظم وليس مثلَها في العظم[٢]، ثم انبعثت تطلب الكلأ.

فشاركتهم في الماء والشجر، ورعت السهل والجبل، ورعت الـمَشْتَى[٣] والـمَصيف، وكانت تَرِدُ الماء غِبًّا[٤] فتَستوعبُ الماء في يوم وِردها، وتسلُك الفجَّ واردةً فيسعُها، ثم ترجع فيه صادرةً قد تملَّأت من الماء فيضيق عنها الفجُّ حتى يَسْحَج[٥] جنبَها، ثم تَرِد فتَصْدُر وأخلافُها[٦] تَشْخُب لبنًا، فتُلقى بالمحالب والآنية والأسقية فتفرِّغ لهم من اللبن مثلَ ما شربت من الماء.

وكان لهم ركيٌّ عميق في الأرض، فإذا جَمَّ[٧] ارتفع الماء حتى يبلغ رأسه، فتَشرع فيه وهو ممتلئٌ يفيض، فلا تزال تشربه وتُدْلي فيه رأسها وعنقَها حتى يغيبَ وحتى تستوعبَه، وطولُ الجبِّ عشرون قامةً.

وكان الشِّرب[٨] مقسومًا بينهم وبين الناقة لهم يومٌ ولها يومٌ، وكانوا يشربون

---

(١) في (ر): «صغيرًا ولا كبيرًا».

(٢) «وليس مثلها في العظم» ليس في (ف).

(٣) «ورعت المشتى» ليس في (أ).

(٤) الغب في سقي الإبل: يوم ويوم.

(٥) أي: يَقْشر.

(٦) في (ف): «وتصدر وأحقافها»

(٧) أي: كثر.

(٨) الشِّرب ـ بكسر الشين ـ: الحظ من الماء.

يومَ الناقة من رؤوس الجبال والمغارات، فشقَّ ذلك عليهم، ولو صبروا لفجَّر الله لهم الأنهار والعيون، ولكنهم استعجلوا وعصَوا ربهم، وقد كانوا يكتفون من الماء ما يُصيبون منه في يومهم الذي كان لهم فيه الشِّرب، وإنما حمَلهم على ما صنعوا الحسدُ والبغي والبغض لناقة الله ولرسوله.

فلبثت بين أظهُرهم زمانًا، فكسَر حدَّهم ما يرون فيها من العُجب وقَطَع ألسنتَهم، وهي شَعْراءُ وَبْراءُ يتحاتُّ عنها الوَبر إذا صافت فتُوْسِعُهم لُحفاً، ويتحاتُّ عنها الشعر إذا شتَت فتُوْسِعهم بيوتًا، فلبثت فيهم[١] ما شاء الله.

وكانت الناقة تَصِيف في الجبل فتهرب منها المواشي أغنامُهم وإبلهم وبقرهم، فتهبط إلى بطن الوادي في حرِّه وجُدوبته، وكانت تهرب من الناقة لعظَمها، وكانت تَشْتو في[٢] السهل فتهرب المواشي منها إلى الجبل، فأَضَرَّ ذلك بمواشيهم للبلاء الذي كتبه الله عليهم.

وكان في ثمود يومئذ امرأتان موسومتان بالجمال الفائق[٣]، غنيَّتان لهما مالٌ كثير من الشاءِ والبقر والنَّعَم، إحداهما تسمَّى: صَدُوف[٤]، والأخرى: عُنَيزة، وكان لهما خِطْبان من قومهما يألفانهما ويتحدَّثان إليهما، أحدهما يقال له: قُدَارُ بن سالفٍ، والآخر يقال له: مِصْدَع بنُ مَهْرَج.

---

(١) «فيهم» ليس في (أ) و(ف).

(٢) في (ف): «وكانت تستوفي».

(٣) في (أ): «بجمال فائق».

(٤) في (ف): «صدوق» وكذا وقع في باقي المواضع الآتية، ومثله في بعض المصادر. انظر: «عرائس المجالس» (ص: ٩٣)، و«روح المعاني» (٩/ ٢١١)، وكذا في نسخة من «البداية والنهاية» (١/ ٣١٣)، والمثبت من (أ) و(ر)، وهو الموافق لما مصادر أخرى. انظر: «تفسير الطبري» (١٠/ ٢٨٧)، و«تفسير الثعلبي» (٤/ ٢٥٣)، و«تفسير ابن كثير» (٣/ ٤٤١).

وكان قدارٌ رجلًا أحمرَ أمعرَ أشقرَ أزرق سُناطًا[١] قصيرًا، وهو خِطْب صَدوف، وكان مصدعٌ عزيزًا منيعًا في قومه، وكان رجلًا نحيفًا طويلًا أهوجَ مضطربًا وهو خِطْب عنيزة[٢]، وكانت هاتان المرأتان أشدَّ قومهما عداوةً لصالح وأعظمَهم كفرًا بما جاء به صالح من الله، وكانتا تحرِّضان قومهما على عقر الناقة لِمَا قد ضرَّت لهما من المواشي.

ثم إن خِطْبَيهما زاراهما يومًا من الأيام، فقالت صدوف: لو كان لنا مزاجٌ لأسقيناكما[٣] خمرًا، ولكن هذا يوم ورد الناقة فلا سبيل إلى الماء، وقالت عنيزة: بلى والله، إن إلى الماء سبيلًا واسعًا لو كانت رجالنا رجالًا، وهل هذه الناقة إلا واحدة من الإبل تُطرد ويضرب وجهها كما تُضرب الغريبة من الإبل، ولكن لا رجال في الوادي.

قال قُدار: فماذا لي عليك يا صَدوف إنْ أنا فعلتُ ما قالت عُنيزة، فكفيتُكِ الناقة اليومَ وخلا لك الشِّرب، فأوردتِ ماشيتكِ وتروَّيتِ وأصبتِ من الماء حاجتَك؟ قالت: لك إذاً نفسي، وسفَرت عن وجهها فإذا هي أحسنُ النساء.

---

(١) في (ر): «سباطًا» وفي (ف): «كوسج سناطاً». والسناط هو الكوسج، كما في «غريب الحديث» لابن قتيبة (٢/ ٧٦)، و«تهذيب اللغة» للأزهري (١٢/ ٢٣٧)، و«غريب الحديث» للخطابي (١/ ٣٠٣). وقال في «القاموس»: والسِّناطُ، بالكسر وبالضم: كَوْسَجٌ لا لحيةَ له أصلاً، أو الخفيفُ العارِضِ ولم يَبْلُغْ حالَ الكَوْسَج، أو لحيتُه في الذَّقَن، وما بالعارضينِ شيءٌ.

(٢) كذا ذكر عن عنيزة، ونحوه في «درج الدرر» للجرجاني (١/ ٦٧٣)، والذي روي عن ابن إسحاق وغيره: أن عنيزة كانت امرأةَ رجل من أشراف ثمود يسمى: ذؤاب بن عمرو، وكانت عجوزًا مسنة، وكانت ذات بناتٍ حسان، وأنها دعت قدارَ بن سالف فقالت: أعطيك أيَّ بناتي شئتَ على أن تعقر الناقة. انظر: «تفسير الطبري» (١٠/ ٢٨٧)، و«عرائس المجالس» (ص: ٩٣)، و«تفسير الثعلبي» (٤/ ٢٥٣)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٢٤٩).

(٣) في (أ): «لأوسعناكما».

ولما سمع مصدعٌ قولها طمع في صاحبته[١] فقال: ما لي عليك يا عُنيزة إن أنا شاركت قُداراً فيما قال، فشاركتِ في الماء صاحبتَك؟ قالت: لك إذًا نفسي، وسفَرت عن وجهها ووجوهِ بناتها فقالت: اختر فينا، فإذا هو حسنٌ لا يعلمه إلا الله.

قالا: فإن كنتُما تريدان ذلك فأَميلا علينا الخمر، فأمالتا عليهما الخمر صِرفًا بغير مِزاجٍ، حتى إذا سَكِرا خرجا إلى أخدانٍ لهما من سفهاء ثمودَ فاستغوياهم[٢]، فأجابهما منهم سبعةٌ فكانوا تسعةً، منهم: قُدَار بن سالف ومِصْدَع بن مهرج، ورباب بن مهرج، والهذيل[٣] بن عثروك، وعيم بن عيم، وعفير[٤] بن كَرْدمٍ، وعاصم بن مَخْرَمةَ، وسَلِيط بن صدقة [٥]، ونشيط بن نفيق[٦].

ثم انطلقوا ومعهم النَّبْلُ [٧] والسيوف حتى قعدوا للناقة على باب الفجِّ، فلما وردت حملوا عليها ليضربوا بسيوفهم فشدَّت عليهم فانهزموا، وكَمَن قُدارٌ من خلفها فتعاطى عرقوبَها الأيمنَ بالسيف فعقرها، وفوَّق[٨] مصدعٌ سهمًا للعرقوب

---

(١) في (أ): «صاحبتها».

(٢) في (أ): «فاستغويا».

(٣) في (ر): «والهزيل»، وفي (ف): «والهديل».

(٤) في (أ): «وعقير».

(٥) في (ر): «صدفة».

(٦) في (أ): «شفيق». وانظر: «التيجان في ملوك حمير» (ص: ٣٩٢) لابن هشام، وفيه عن وهب بن منبه: أن اسم الرهط الذين تحالفوا على عقرها: قدار بن سالف، ومصدع بن مهرج، وذؤاب بن مهرج، والهزيل بن متروك، وغنم بن غنم، وعفير بن كردم، وعاصم بن مخرمة، وسليط بن حدقة، وبسيط بن نعيق.

(٧) في (ف): «النصل».

(٨) فوَّق السهمَ: جعل له فُوْقاً، والفُوْق: موضع السهم من الوتر، ولعله هنا بمعنى: أَفَقْتُ السهم =

الأيسر فخرَّت عَقيرةً، ووجأ قُدار لَبَّتها[١] بالسيف فنحرها، فلما رأى الفصيل ما فُعل بأمه ولَّى هاربًا منهم حتى[٢] صعد جبلًا، ثم رغا رغاءً تقطَّعت منه قلوبُ القوم.

فلما سمع الناس بذلك تبادروا عليها فانتسَلوا[٣] لحمها، وصالحٌ نازحٌ عنها في دار قومه ولا عِلمَ له بها، حتى بلغه الخبر وقيل له: هل علمتَ أن ناقة ربِّك قد عُقرت وتقسَّمت وغلتْ بلحمها المراجلُ؟! فخرج نحوها سريعًا في عُصبة من قومه، فوجدها كذلك، فأَوْعدهم العذاب فشتموه.

وتفاقَم الشرُّ بينهم، ونَشبت العداوة، وقال لهم صالح: التمِسوا الفَصيل، فإنْ أنتم وجدتُموه وإلا فاعلموا أن العذاب نازلٌ بكم، فانطلَقوا يطلبون الفصيل في الجبل، فكلما أرادوا أن يصعدوا على الجبل ازداد الجبل طولًا في السماء فلم يقدروا عليه، فلما رأوا ذلك أيقنوا بالعذاب، وقال لهم صالح: ﴿تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾ [هود: ٦٥]، وذلك عند مساء يوم الأربعاء، قال: وآيةُ ذلك أن تصبحوا غدًا ووجوهُكم مصفرَّةٌ، وبعد غدٍ محمرَّةٌ، واليومَ الثالث مسودَّةٌ، ثم ينزل بكم العذاب.

فلما قال لهم ذلك تآمروا في قتله، فانتَدب له أصحابُ الناقة التي عقروها وهم تسعةٌ، وتعاهدوا على بياته ليقتلوه وأهلَه، ثم انطلقوا يسيرون إليه في بعض الليل، فلما انتهَوا إلى داره لقيَتْهم الملائكة فدمغوهم فأصبحوا قتلى مصروعين، فلمَّا بلغ قومَهم قتلُهم ظنُّوا أن صالحًا هو الذي قتلهم، فخرجوا في جمعٍ عظيم يريدون صالحًا، فلما انتهَوا إليه لقيَهم قوم صالح فقالوا لهم: ماذا تريدون؟ قالوا:

= وأَوْفَقْتُه؛ أي: وضعت فُوقه في الوتر. انظر: «القاموس» (مادة: فوق).

(١) في (أ): «لبها».

(٢) في (ر): «ثم».

(٣) في (ف) و(أ): «فانتشلوا».

نريد نقتل صالحًا وثمانيةً من قومه بمَن قتل منَّا، قال لهم قوم صالح: لا تستعجلوا حتى تستدبِروا الموعد الذي وعدكم ربُّكم[١]، فإن كان حقًّا فلا تزيدوا ربَّكم عليكم غضبًا، وإن كان ما وعدكم باطلًا فأنتم مِن وراء أمركم. فانصرفوا وتركوهم.

فأصبحوا يومَ الخميس ووجوهُهم مصفرةٌ، ثم أصبحت محمرةً يومَ الجمعة، ثم أصبحت مسودَّةً يوم السبت، فلما نظروا إلى وجوههم مسودَّةً خدُّوا لهم أخدودًا وتزمَّلوا بالأنطاع والقباء[٢]، وسدُّوا أبوابهم، ولزموا قُعور البيوت، فلما صيحَ بهم همَدوا، ﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم﴾ [الشمس: ١٤]: أرسل عليهم عذابًا فأهلكهم بذنوبهم ﴿فَسَوَّىٰهَا﴾ [الشمس: ١٤] الصغيرَ والكبيرَ أجمع، لم يَبق منهم أحدًا أخذتهم الصيحة بياتًا من ليلة الأحد ﴿فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾ [الأعراف: ٧٨].

ويقال: إن قُداراً لم يكن لِرِشْدةٍ[٣].

ولم يُفلت منهم غيرُ جارية مقعدةٍ، وكانت شديدةَ العداوة لصالحٍ ولمن آمَن به[٤]، شديدةَ الكفر بالله تعالى، فلما أهلكهم الله أطلقَ لها رجلها ليَعتبر الناس بها[٥]، ولتحدثَهم بالذي رأت من العذاب، فخرجت تسعى حتى إذا انتهت إلى وادي القرى أخبرتهم الخبر، واستسقت من الماء فسقَوها، فلما شربت ماتت.

---

(١) «ربكم» من (ف).

(٢) «والقباء» ليس في (ف).

(٣) أي: كان ابن زنى، وفي خبر ابن إسحاق: (يزعمون أنه كان لزنْيَةٍ، من رجل يقال له: صهياد، ولم يكن لأبيه سالف الذي يُدعى إليه، ولكنه قد ولد على فراش سالف، وكان يدعى له وينسب إليه).
انظر: «تفسير الطبري» (١٠/ ٢٨٧).

(٤) في (ف) و(أ): «معه».

(٥) في (أ): «ليشعر بها الناس» وفي (ف): «ليعتبر لها الناس».

وقال النَّبيُّ ﷺ: «يحشرُ صالحُ على ناقته يوم القيامة»[١].

وقال صالح لقومه: ياقوم، إن هذه دارٌ قد سخط الله عليها وعلى أهلها، فاظْعَنوا عنها فإنها ليست لكم بدار، فقالوا: رأيُنا لرأيك تبعٌ فأْمُرنا نفعل[٢]، قال: تلحقون بحرم الله وأمنه، لا أرى لكم قرارًا دونه، فأَهَلُّوا من ساعتهم بالحج، وأحرموا في العَباء، وارتحلوا قِلاصًا حمرًا مخطمةً بحبالٍ من ليفٍ، ثم انطلقوا يلبُّون آمِّين حرم الله حتى وردوا مكة، فلم يزالوا بها حتى ماتوا، فتلك قبورهم في غربي الكعبة بين دار الندوة والحِجر[٣].

وقوله تعالى: ﴿قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾: أي: علامةٌ تفصِل بين الحقِّ والباطل.

قوله تعالى: ﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ﴾: هي الأنثى من الإبل، وإضافتُها إلى الله تشريفٌ لها؛ لأنها لم تخرج من ناقةٍ بل من صخرةٍ بإخراج الله تعالى معجزةً لصالح.

قوله تعالى: ﴿لَكُمْ ءَايَةً﴾: أي: علامةً ظاهرةَ على رسالتي، ونصبُها على القطع لأنها نكرة وُصفت بها معرفةٌ.

وقوله تعالى: ﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ﴾: أي: ذروها[٤] ترع في أرض الله لا مؤنة عليكم في رعيها وسقيها.

---

(١) رواه الطبراني في «الصغير» (١١٢٢)، و«الكبير» (٢٦٢٩)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. قال الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ٣٣٣): رواه الطبراني في «الصغير» و«الكبير»، وفيه أبو صالح كاتب الليث وهو ضعيف وقد وثق، وعثمان بن يحيى بن صالح المصري كذلك، وبقية رجالهما رجال الصحيح.

(٢) في (ف): «بفعل».

(٣) رواه الأزرقي في «أخبار مكة» (١/ ٧٣) عن وهب بن منبه.

(٤) في (ف): «دعوها».

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ﴾: أي: لا تصيبوها بمكروهٍ من عَقر ونحوه.

قوله تعالى: ﴿فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: أي: وجيعٌ، وهو في الدنيا، وقد قال في سورة أخرى: ﴿فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾ [هود: ٦٤][1].

* * *

(٧٤) - ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا ۖ فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ﴾: أي: سكانَ الأرض بدلًا عن عاد ﴿وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: مكَّنكم من منازلَ تأوون إليها.

وقوله تعالى: ﴿تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا﴾: السهلة: الأرض الليِّنة، والأرض هي الحِجْر، وهو ما بين الحجاز والشام.

وقوله تعالى: ﴿وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا﴾: أي: تجعلون في الجبال بيوتًا بخرقها ونقبها، وكانوا يتخذون القصورَ للصيف وبيوتَ الجبال للشتاء.

قوله تعالى: ﴿فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ﴾: فسَّرناه ﴿وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾؛ أي: لا تُبالِغوا في الإفساد فيها بالكفر، وقيل: بالمعاصي.

* * *

(٧٥) - ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَا قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِمَنْ

(١) بعدها في (ف): «وهو في الدنيا».

ءَامَنَ مِنۡهُمۡ﴾: هو بدلٌ عن الأول، وهو بدلُ البعض عن الكلّ؛ لأن من المستضعَفين مَن لم يؤمن بالله.

وقوله تعالى: ﴿أَتَعۡلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحٗا مُّرۡسَلٞ مِّن رَّبِّهِۦۚ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلَ بِهِۦ مُؤۡمِنُونَ﴾: سألوهم عن العلم فأجابوهم عن الإيمان، وهو خلافُ جوابهم في الظاهر.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: وله وجهان:

أحدهما: أن معنى قوله: ﴿أَتَعۡلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحٗا مُّرۡسَلٞ مِّن رَّبِّهِۦ﴾: أتؤمنون؟ لأنه استفهام بمعنى الاستنكار، وإنما يُستنكر على الإنسان صنعُه، والعلم قد يقع له بغيرِ صُنعه، لكن معناه: أتعلمون ذلك بقلوبكم[١] وتعتقدونه وتُقِرُّون به، فأجابوا بالإيمان لأن السؤال كان عنه معنًى.

والثاني: أن في الجواب إضمارًا، وتقديره: إنَّا عالمون بذلك ومؤمنون به[٢].

* * *

(٧٦) ـ ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا بِٱلَّذِيٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا بِٱلَّذِيٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾: أَخبروا أنهم مخالفون لهم.

وقال القشيري رحمه الله: أجرى الله تعالى سنَّته أنه لا يختصُّ بإفضاله، وجميلِ صُنعه وإقباله، في الغالب من عباده، إلا مَن لا يَسْموا إليه طَرْفٌ بالإجلال، ولا يُوضع له قَدْرٌ بين الأضراب[٣] والأشكال، فأنصارُ كلِّ نبيٍّ إنما هم ضعفاءُ وقته، ثم

(١) «بقلوبكم» ليس في (أ).

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٤/ ٤٨٢).

(٣) في (أ): «الأقران»، والمثبت موافق لما في «اللطائف».

إن مَن لاحظهم من أهل الغفلة بعين الاحتقار، فليس كما يذهب إليه الأوهام[(١)]، ولا كما يَعتقد فيهم الأنام، بل الجواهر مستورةٌ في معادنها، وقيمة المحالِّ بساكنها[(٢)]، قال قائلهم:

وما ضَرَّ نَصْلَ السيفِ إخلاقُ غِمْدِه ... إذا كان عَضْبًا حيث وجَّهْتَه بَرَى

وقال ﷺ: «رُبَّ أشعثَ أَغْبرَ ذي طِمْرين لا يؤبَهُ له، لو أقسم على الله لأبرَّه»[(٣)].

* * *

(٧٧) ـ ﴿فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾: عقرُ الناقة[(٤)]: هو قطعُ العرقوب، والمراد به القتل.

قال الإمام أبو منصور رحمه الله: ذكر هاهنا ﴿فَعَقَرُوا۟﴾ على الجمع، وقال في آيةٍ: ﴿فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ﴾ [القمر: ٢٩] على الواحد، وقال: ﴿إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا﴾ [الشمس: ١٢] على الواحد، والتوفيق: أنه عَقَرها واحدٌ بعونِ الجمع فكأنهم عقروا، ولذلك أوجَبْنا القصاص على الجماعة إذا عاونوا واحدًا، وكذلك حدُّ قطَّاع الطريق إذا قَتلوا واحداً أن يُقتلوا لذلك[(٥)].

---

(١) في (ف): «الأفهام».

(٢) في (ف): «تشاكلها».

(٣) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٥٤٨). والحديث رواه الترمذي (٣٨٥٤) من حديث أنس رضي الله عنه. وقال: حسن غريب.

(٤) «عقر الناقة» من (ف).

(٥) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٤/ ٤٨٢ ـ ٤٨٣).

وقوله تعالى: ﴿وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾: قال مجاهد: العتوُّ: الغلوُّ في الباطل[١].

وقيل: هي مجاوزةُ الحدِّ في الفساد.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: هو النهاية في التمرُّد، ومعناه هاهنا: خالَفوا أمر الله تعالى متهاوِنينَ به مستكبرينَ عن قبوله[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾: أي: بالعذاب الَّذي تهدِّدُنا به، والوعد يذكر في الخير والشر ويُعرف بالقرينة، وإذا أُطلق فهو في الخير.

***

(٧٨) ـ ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾: قال مجاهد والسدِّي: أي: الصيحة[٣]، وكذا ذكر في سورة هود: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ﴾ [الحجر: ٧٣] وقال أيضًا: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً﴾ [القمر: ٣١].

وقيل: الرجفة هي الزلزلة المحرِّكة، والأخذُ ضدُّ الترك.

وقال مقاتل: أي: العذابُ من صيحة جبريل[٤]، فيحتمِلُ أنهم أُرجفوا بالصيحة،

---

(١) انظر: «البسيط» للواحدي (٩/ ٢١٣)، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥١٥) بلفظ: (غَلَوْا في الباطلِ)، وكذا رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٣٠١) لكن فيه: (علوا) بالعين بدل الغين، وعقبه الطبري بقوله: وهو من قولهم: جبّار عاتٍ، إذا كان عاليًا في تجبُّره.

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٤/ ٤٨٣ ـ ٤٨٤).

(٣) رواه عنهما الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٣٠٢ ـ ٣٠٣)، وعن مجاهدٍ ابنُ أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥١٦).

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٤٧).

ويحتمِل أنه أصابهم صيحةُ جبريل وزلزلةُ الأرض أيضًا، فذَكر أحدهما في موضعٍ والآخرَ في موضع[١]، وذكر الصاعقة في موضعين: في ﴿حمٓ﴾ السجدة وفي الذاريات.

وقوله تعالى: ﴿فَأَصۡبَحُواْ﴾: أي: بكرةَ يوم السبت ﴿فِي دَارِهِمۡ﴾؛ أي: في بلدهم، ولذلك وحِّد.

وقيل: معنى ﴿فِي دَارِهِمۡ﴾؛ أي: منازلهم، ووحِّد لأنه جنس؛ كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ﴾ [العصر: ٢].

وقوله تعالى: ﴿جَٰثِمِينَ﴾: قيل[٢]: باركِين على ركبهم موتى، من جثوم الطير.

وقال المبرِّد: ﴿جَٰثِمِينَ﴾: ساكنينَ، وأنشد لجرير:

عَرَفْتُ الـمُنتأى وعرفتُ فيها مطايا القِدْرِ كالحِدَأ الجُثُومِ[٣]

وقال الكلبيُّ رحمه الله: ﴿فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ﴾؛ أي: الزلزلة، واحترقوا بالصاعقة، فأصبحوا ميِّتين قد همَدوا رمادًا لا يتحرَّكون[٤].

وقيل: أتتهم نارٌ من الهواء.

وقيل: خرجت من تحت أرجلهم.

وقيل: ﴿جَٰثِمِينَ﴾: لازقين بالأرض.

* * *

---

(١) «والآخر في موضع» ليست في (أ).

(٢) في (ر): «أي».

(٣) انظر: «ديوان جرير» (١/ ٢١٧)، و«مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١/ ٢١٨)، و«الكامل» للمبرد (٣/ ١٢٠)، و«تفسير الطبري» (١٠/ ٣٠٣)، و«تفسير الثعلبي» (٤/ ٢٥٢)، و«البسيط» للواحدي (٩/ ٢١٥). وفي جميع المصادر: (.. وعرفت منها..).

(٤) انظر: «البسيط» للواحدي (٩/ ٢١٦).

(٧٩) ـ ﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ﴾: أي: أَعرَضَ عنهم وفارقهم لمَّا أُوحي إليه أنه يَنزل بهم العذابُ بعد ثلاثٍ.

﴿وَقَالَ﴾ عند فراقهم ﴿يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ ويَثقل النُّصح على مَن اتَّبع الهَوى واجتنَب الهُدى، قال قائلهم:

وكم سُقْتُ في آثارهم من نصيحةٍ وقد يَستفيدُ البُغضةَ المتنصِحُ(١)

وقال الكلبيُّ رحمه الله: فتولَى عنهم صالح؛ أي: خرج هو ومَن آمن معه من بينهم قبل نزول العذاب ـ وهم مئةٌ وعشرةٌ ـ وهو يبكي، فالتفت فأبصر الدخانَ ساطعًا، فعرف أن القوم قد هلكوا، وكانوا ألفًا وخمسَ مئة دارٍ، فلما هلكوا رجع صالح ومَن آمن معه فسكنوا الديار حتى توالَدوا وتناسلوا وماتوا فيها.

وقال مقاتل: كان مؤمنو قوم صالحٍ سبعين رجلًا، ومؤمنو قوم هودٍ كذلك، فتفرقوا بعد موت صالحٍ وهودٍ، فوقع مؤمنو قوم صالح بجابلقا ومؤمنو قوم هود بجابلسا فهم فيهما، إحداهما بالمشرق والأخرى بالمغرب، وأهل هاتين المدينتين أكثرُ من يأجوجَ ومأجوجَ، وإن يأجوج ومأجوج تسعةُ أضعافٍ، وأهلَ الدنيا تسعةُ أضعافِ يأجوج ومأجوج، ووراءهما تارس ومنسك، وهما من ولد يافث، وهما تسعة أضعاف جابلقا وجابلسا، وكلُّهم أهل النار إلا ما كان من بقية قوم صالحٍ وهودٍ في هاتين المدينتين، وعلى كلِّ جانب من هاتين المدينتين ألفُ بابٍ، من بابٍ إلى بابٍ فرسخٌ، يَحرس كلَّ ليلة على كلِّ باب سبعون ألفًا لا تصل النَّوبة إليهم، ولولا

---

(١) أنشده الأصمعي عن الرياشي. انظر: «العزلة» للخطابي (ص: ٣١).

بقيةُ مؤمني قوم صالحٍ وقوم هودٍ ما أنظرهم الله تعالى طَرْفةَ عين[١].

* * *

(٨٠) ـ ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ﴾: هو عطفٌ على قوله: ﴿نُوحًا﴾ و﴿هُودًا﴾ و﴿صَٰلِحًا﴾؛ أي: وأرسلنا لوطًا، وهو ابن أخي إبراهيم الخليلِ صلواتُ الله عليهما.

وقال القتبي: هو لوط بن هاران[٢] بن تارَخ ـ وهو آزر ـ بن ناحور بن أشرع بن أرغو بن فالغ بن عابر بن شالخ[٣] بن أرفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام[٤].

وقوله تعالى: ﴿أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ﴾: قال الإمام أبو منصور رحمه الله: ذُكر في غيره من الأنبياء دعاؤهم إلى التوحيد أولًا، ولم يُذكر في حقِّ لوط في هذه السورة، لكن ذُكر في سورة الشعراء: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: ١٦٠] إلى أن قال: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ [آل عمران: ٥٠]، فيَحتمِل أن يكون منهم ما كان في سائر الأمم من تقليد آبائهم[٥] في عبادة الأصنام: إنَّا وجدنا آباءنا على ذلك، فقال: ﴿أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾؛ أي: تعملون أعمالًا لم يعملها آباؤكم، فلا تقلِّدونهم في ترك ذلك[٦].

---

(١) ورد نحو هذا ضمن خبر طويل رواه الطبري في «التاريخ» (١/ ٤٧ ـ ٥٢) من طريق أبي نعيم (واسمه: عمر بن صبح)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٤/ ١١٦٣ ـ ١١٦٨) من طريق أبي عصمة نوح بن أبي مريم، كلاهما عن مقاتل بن حيان عن عكرمة عن ابن عباس مرفوعا، ولا يصح؛ فإن عمر بن صبح متروك كذبه ابن راهويه، وكذلك أبو عصمة، كذبوه في الحديث، وقال ابن المبارك: كان يضع.

(٢) في (أ): «هازن»، وفي (ر) و(ف): «هارون»، والمثبت من «المعارف» وغيره.

(٣) في (أ): «شالح»، وفي (ف): «عامر بن شالع».

(٤) انظر: «المعارف» (ص: ٣٠ ـ ٣١).

(٥) في (ف) و(أ): «الآباء».

(٦) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٤/ ٤٨٦).

وقوله: ﴿أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ﴾ استفهامٌ بمعنى التوبيخ، والفاحشةُ: الفعلة القبيحة، وأراد بها اللِّواطة ﴿مَا سَبَقَكُم بِهَا﴾؛ أي: لم يفعلها أحد قبلكم، قوله: ﴿مِنْ أَحَدٍ﴾ (مِن) لتأكيد النفي ﴿مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾؛ أي: من الخلائق.

وقال الكلبيُّ رحمه الله: أولُ مَن فعَل[1] ذلك قومُ لوط؛ لأن بلادهم أَخصبت فانتَجَعها أهل البلدان، فتمثل لهم إبليس لعنه الله في صورة شابٍّ ثم دعا إلى دبره فنُكح في دبره، ثم عملوا بذلك العمل، فلمَّا كثُر ذلك فيهم عجَّت الأرض إلى ربِّها، فسمعت السماء فعجَّت إلى ربها، فسمع العرش فعجَّ إلى ربه، فأمره الله تعالى أن يَحصبهم وأمر الأرض أن تخسف بهم.

وقال محمد بن إسحاق: كانت الشام منازلهم، وكانت لهم قرًى وثمارٌ لم يكن في الأرض مثلُها، فقصدهم الناس فآذَوهم، فعرَض لهم إبليس في صورة شيخ فقال: إن فعلتُم بهم كذا نجوتم منهم، فأبوا، فلما ألَحَّ الناس[2] عليهم قصدوهم فأصابوا غلمانًا صباحًا، فأَخْبَثوا واستَحكم ذلك فيهم.

وقال الحسن: كانوا لا يَنكحون إلا الغرباء[3].

* * *

(٨١) ـ ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ﴾[4]: أَتبع التوبيخ الأولَ بمثله مبالغةً وتفسيرًا للأول.

---

(١) في (ف) و(أ): «عمل».

(٢) في (ف): «لح» بدل من «ألح الناس».

(٣) انظر هذه الأقوال في «تفسير الثعلبي» (٤/ ٢٥٩)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٢٥٥).

(٤) في (ف) و(أ): «﴿أئنكم...﴾»، وهي قراءة ابن عامر وحمزة والكسائي وشعبة.

وقال الكلبي رحمه الله: ﴿لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ﴾؛ أي: أدبارَ الرجال ﴿شَهْوَةً﴾، أي: اشتهاءً؛ أي: أدبارُ الرجال أشهَى عندكم من فروجِ النساء.

وقوله تعالى: ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾: (بل) للإضراب، والأولُ والثاني عيبٌ، فما وجهُ الإضراب عن الأول؟

قلنا: الأول ذكرُ عيبٍ واحد، والثاني بيانُ أنهم مَعيبون بكلِّ عيب، فإن الإسراف مجاوزة الحد في كلِّ شيء.

وقال الكلبي: ﴿مُّسْرِفُونَ﴾؛ أي: مشركون يتعدَّون الحلالَ إلى الحرام.

* * *

(٨٢) ـ ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ﴾: ﴿جَوَابَ﴾ خبر ﴿كَانَ﴾، و﴿أَن قَالُوٓاْ﴾ مصدرٌ وتقديره: إلا قولُهم، بالرفع على أنه اسم ﴿كَانَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَخْرِجُوهُم﴾؛ أي: لوطًا ومَن يَدِينُ بدينه، كنَى عن معلومِين غيرِ مذكورِين.

﴿مِّن قَرْيَتِكُمْ﴾؛ أي: بلدتِكم، وهي من القَرْي وهو الجمعُ، وسميت بها لأنها مجتمَع الناس في الإقامة.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾: أي: يتنزَّهون عن مثلِ عملنا.

قال ابن عبَّاس ومجاهدٌ وقتادةُ: عابُوهم بما يُمدح به[1].

---

(١) رواه عن قتادة عبد الرزاق في «تفسيره» (٢١٧٢)، والطبري في «تفسيره» (١٠/ ٣٠٧). وروى الطبري عن مجاهد وابن عباس قولهما: (يتطهرون من أدبار الرجال وأدبار النساء).

ومعنى الآية: أنهم اعترفوا بكونها فاحشةً مبتدَعة، وقال بعضُهم لبعضٍ ـ أو[١] الأشراف للأتباع ـ: أخرِجوا هؤلاء من هذه البلدة فإنهم يرون هذا نجاسةً ويستعملون في اجتنابه طهارةً.

* * *

(٨٣) ـ ﴿فَأَنجَيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥٓ إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَأَنجَيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥٓ﴾: أي: خلَّصناه وأهلَ بيته وأهلَ دينه، ومنهم ابنتاه: زعورا وريثا[٢].

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ﴾: أي: زوجتَه، واسمها: واهلةُ، وقيل: واعلة[٣].

وقوله تعالى: ﴿كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ﴾ قال الحسن وقتادة: أي: من الباقين في عذاب الله تعالى[٤]. وقد غبَر غُبورًا من حدِّ دخل؛ أي: بقي.

وقال الزَّجَّاج: أي: من الغائبين عن النجاة[٥]. يقال: غَبَر فلان عنَّا زمانًا؛ أي: غاب.

ولم يقل[٦]: من الغابرات؛ لأنها كانت من الرجال والنساء الباقين في الهلاك، فغلِّب التذكيرُ عند الاجتماع.

---

(١) في (ف): «أي».

(٢) في (أ): «رعورا وريثا»، وفي (ف): «زعورا وزيتا»، وفي (ر): «زعورا ورشا». والمثبت موافق لما في «تفسير أبي الليث السمرقندي» (٢/ ٢٥٩)، وجاء في «تفسير الطبري» (١٢/ ٤٩٦): (زغرتا وريثا)، وفي بعض المصادر غير ذلك، ولا طائل من الإطالة في تحرير ذلك.

(٣) في (أ): «والهة وقيل واعلة» وفي (ف): «والهة وقيل واغلة».

(٤) ذكره عنهما الواحدي في «البسيط» (٩/ ٢٢٣)، ورواه عن قتادة الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٣٠٩).

(٥) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٣٥٣).

(٦) في (ر): «ولم تكن».

(٨٤) - ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ﴾: أي: حجارةً، وقد فسَّر ذلك في آية أخرى ﴿فَانظُرْ﴾؛ أي: بعين قلبك يا محمد.

وقوله تعالى: ﴿كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴾: ولم يقل: كانت؛ لتقدُّم الفعل، ولأن تأنيثها غيرُ حقيقي. و(كيف) كلمة تعجيبٍ[1]، والمجرمون: المشركون.

وقال السدِّي: إن لوطًا كانَ ابنَ عمِّ إبراهيم الخليل عليه السلام، أتى مدينة سَدُوم فنزلها وتزوَّج فيهم، فبعثه الله تعالى إليهم نبيًّا، وكانوا ينكحون الرجال، فدعاهم إلى الإسلام وإلى ترك ما يعملون، فأبَوا، وكان لوطٌ يُضيف مَن مرَّ به من الناس، فقالوا له: لا تُضف أحدًا، فذلك قوله: ﴿أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [الحجر: ٧٠]، وأتى الرسل إبراهيم حين بعثوا إلى قوم لوط، فذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى ﴾ [هود: ٦٩] سألهم إبراهيم: أين تريدون؟ وعرَف أنهم الرسل قالوا: أُمرنا أن نُهلك قوم لوط، قال إبراهيم: أرأيتم إن كان بها مئةٌ من المؤمنين أفتهلكونهم؟ قالوا: لا، قال: فخمسون؟ قالوا: لا، قال فعشرون؟ قالوا: لا، قال: فعشرة؟ قالوا: يا إبراهيم ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا﴾ [العنكبوت: ٣٢]، ليس فيها إلا لوط وأهلُه ﴿لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ [العنكبوت: ٣٢]، فلما خرجوا من عنده متوجهين إلى قوم لوط انتهوا إليها نصفَ النهار، فإذا هم بجوارٍ يستقين الماء، فقالوا لهن: هل هاهنا أحد يُضيف؟ قلن: لا، فقالت بنتُ لوط وهي معهن تستقي: نعم، أبي يضيف، فانطلِقوا معي حتى آتيَ بكم منزلَه، فانطلقت بهم إلى منزل أبيها، فرأى قوم لوط قومًا لم يروا مثلهم جمالًا وهيئة[2]، فانجفلوا

---

(١) في (ف) و(أ): «تعجب»، والمثبت من (ر) وهو الأنسب بالكلام.

(٢) في (ف): «وهيبة».

معهم حتى أتوا [١] إلى الدار، فخرج إليهم لوط فناشدهم أن يرجعوا، فأبوا وقالوا: أخرجهم إلينا، فقال: يا قوم! ﴿هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡ﴾ [هود: ٧٨]؛ أي: أحلُّ لكم بالنكاح، ﴿قَالُواْ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنۡ حَقّٖ﴾؛ أي: حاجةٍ ﴿وَإِنَّكَ لَتَعۡلَمُ مَا نُرِيدُ ٧٩ قَالَ لَوۡ أَنَّ لِي بِكُمۡ قُوَّةً أَوۡ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكۡنٖ شَدِيدٖ﴾ [هود: ٧٩] فلما رأوا أن لوطًا لا يخرجهم أمروا امرأة لوط وكانت على دينهم، فأسخنت الماء وجعلت تصبُّه عليهم [٢] ليخرجوا فلم يخرجوا، ولم يُصِب أحدًا منهم من ذلك الماء إلا بَرَص [٣] مكانه، فقال جبريل: افتح الباب فإنهم لا يَصلون إلينا، ففتح الباب فدخلوا فعمُوا، فذلك قوله: ﴿وَلَقَدۡ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيۡفِهِۦ فَطَمَسۡنَآ أَعۡيُنَهُمۡ﴾ [القمر: ٣٧]، فقال جبريل عليه السلام: ﴿يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيۡكَۖ فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ بِقِطۡعٖ مِّنَ ٱلَّيۡلِ﴾ الآية.

فلمَّا علم لوط عليه السلام أنهم رسلُ الله وقالوا: ﴿إِنَّ مَوۡعِدَهُمُ ٱلصُّبۡحُ﴾ [هود: ٨١]، قال: ﴿أَلَيۡسَ ٱلصُّبۡحُ بِقَرِيبٖ﴾ [هود: ٨١] فلمَّا كان في بعض الليل خرج لوط وأهله، فلما كان السَّحَرُ ضَرب جبريل بجناحه ثم حملها ومَن فيها بجناحه [٤] حتى صعد بها إلى السماء، فسمع أهل السماء أصوات الديكة والكلاب، ثم قلَبها فجعل أعلاها أسفلها وأسفلها أعلاها فهوت، فذلك قولُه تعالى: ﴿وَٱلۡمُؤۡتَفِكَةَ أَهۡوَىٰ﴾ [النجم: ٥٣]، ورُموا بالحجارة وتتبَّعت الحجارة الشذَّاذ [٥] حتى إنْ كان الرجل في بلدٍ بعيدٍ أتاه

---

(١) في (ف) و(أ): «انتهوا».

(٢) في (أ): «عنهم».

(٣) في (أ): «برض»، والمثبت من (ر) و(ف)، والبَرَص معروف، أما البَرْض فهو القليل، وبَرَض الماءُ: خرج وهو قليل. انظر: «القاموس» (مادة: برض).

(٤) في (ف): «على جناحه».

(٥) في النسخ: «الشذان» وفوقها في (ف) علامة الاستفهام، والمثبت من المصادر. انظر: «تفسير أبي الليث السمرقندي» (٢/ ٥٨٨)، و«تفسير السمعاني» (٥/ ٢٥٩)، و«تفسير البغوي» (٤/ ١٩٤)، =

الحجر فقتله، ورُموا بالحجارة، فذلك قوله تعالى: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ (٨٢) مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ﴾؛ أي: مختومة ﴿وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ [هود: ٨٣]؛ أي: من ظالمي العرب إن لم يؤمنوا بمحمد ﷺ.

وقال محمد بن إسحاق: كانت المدائن خمسًا: سدوم وصبواييم ودادوما وغامورا وزُغَر[1]، فأهلكوا إلا زُغَر لم يصنعوا صنيعهم، وهي المؤتفكات.

وقال وَهْبٌ: أَمطر الله عليهم الكبريت والنار[2].

وقال: كان رسولًا إلى أهل المؤتفكات وهي خمسُ مدائن، أعظمُها سدوما، ثم غمورا، ثم أدوما[3]، ثم صعورا، ثم صابورا، وكان أهلها أربعةَ آلافِ ألفِ إنسان، ونزل لوط سدوما فلبث فيها بضعًا وعشرين سنة[4]، وهي غربيَّ بحيرة التي تلي أريحا في بطن الأردن.

وذُكر أنه لم يكن مع لوط من المؤمنين إلا بناتُه وهنَّ اثنتا عشرةَ، وأوصى لوطٌ

= وغيرها. وكذا روى ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٨٠٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: فلمَّا كان في جوفِ الليل إذ أَدْخَل جبريلُ جناحَه تحتَ القرية فرفَعها، حتى إذا كانت في جوِّ السماء حتى إنهم ليَسمعون أصواتَ الطَّيرِ، قلَبَها ثم تَتَبَّعَ الشُّذَّاذَ ومَن خَرَج منهم بالحجارةِ.

(١) روى الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٥٣٧) عن ابن إسحاق عن كعب الأحبار أنها: صَنْعة، وصَعْوَة، وعَثْرَة، ودُوما، وسَدُومَ. وفي أسماء هذه القرى اختلاف بين المصادر.

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٨١٠).

(٣) في (ف) و(أ): «أذوما».

(٤) إلى هنا رواه الحاكم في «المستدرك» (٤٠٥٨) عن الواقدي. وفي قوله في عددهم: (أربعة آلاف ألف إنسان) مبالغة لا تخفى، وإن كان قد روي عن غيره، فقد رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٢٢٢) عن قتادة، والطبري في «تفسيره» (١٢/ ٤٩٠) عن معمر، و(١٢/ ٤٩٢) عن ابن جريج، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥١٧) عن مجاهد

ببناته إلى إبراهيم، فزوَّجهن رَهْطًا ممن معه من المؤمنين آمنوا به يوم أُلقي في النار ثم صحبوه، فكلُّ نبي بعد إبراهيم وقبل[١] بني إسرائيل فمن نسل أولئك الرهط: أيوبُ وشعيبٌ وبلعمُ[٢]، وقد حجَّ لوط قبل أن يموت.

وقال الإمام أبو منصور: قال هاهنا: ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوهُم﴾ وقال في سورة أخرى: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ﴾ [العنكبوت: ٢٩] فيحتمِل أن يكون الأولُ جوابَ بعضهم لبعضٍ، والثاني جوابَهم لِلُوط، أو كان ذلك الجوابُ في مشهدٍ والثاني في مشهد آخر، وكلاهما لكلام لوط[٣].

وقال الإمام القشيري رحمه الله: إن الحق سبحانه أباح في الشرع ما أزاح به العُذرَ، فمَن تخطَّى حدَّ الأمرِ، وجَرَى على مقتضَى هوى النَّفْسِ، استوجَبَ إذلالَه، واستَجْلَب باختياره صغره ونكالَه[٤].

* * *

(٨٥) - ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

---

(١) في (أ): «وقيل».

(٢) كذا قال، وبلعم لم يكن نبيا، وستأتي قصته عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا﴾.

(٣) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٤/ ٤٨٩ - ٤٩٠).

(٤) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٥٤٩).

قوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ عطفًا على ﴿نُوحًا﴾؛ أي: وأرسلنا إلى أهل مدين شعيبًا، ومدينُ بينها وبين مصرَ ثماني ليالٍ، ومدينُ في الأصل اسمُ رجل وهؤلاء أولاده، وهو مدين بن مُديان بن إبراهيم، وشعيب هو ابن نُويب؛ قاله قتادة(١)، ويقال: ابن يثروب(٢).

وقال محمد بن إسحاق: هو شعيب بن ميكيل، وأمُّ ميكيل بنتُ لوط النَّبي عليه السلام(٣).

وقال عطاء: شعيب بن توبةَ بنِ مدينَ بنِ إبراهيم(٤).

وقال محمد بن إسحاق: إنه من ولد مديان، واسمه بالسُّريانية: يثروب(٥).

قوله تعالى: ﴿يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾: قد فسرناه ﴿قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾: أي شرائعُ ظاهرةُ المصالح؛ من التوحيد والإخلاص وإيفاء حقوق الناس.

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٤/ ٢٦٠). وقوله: «نويب»، وقع في (أ): «ديويب»، وفي (ف): «يويب»، وسقط من (ر). والمثبت من «تفسير الثعلبي»، ومثله في «تفسير مقاتل» (٢/ ٢٩٣) و(٣/ ٢٧٨ و٣٨٢)، وفي مصادر أخرى: (ثويب)، قال أبو حيان: وقال الشَّرْقي بن قُطامي: شعيب بن عَنْقا بن ثويب بن مدين بن إبراهيم، وقال أبو القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي الطَّلْحيّ الأصبهاني في كتاب «الإيضاح في التفسير» من تأليفه: هو شعيب بن ثويب بن مدين بن إبراهيم. انظر: «البحر المحيط» (١٠/ ١٨٦)، وقيل في اسمه غير ذلك كما جاء في الموضع المذكور من «البحر».

(٢) في (ف): «يتروب».

(٣) انظر: «تفسير الثعلبي» (٤/ ٢٦٠)، و«عرائس المجالس» (ص: ٢٢٦)، وفيهما: (... وأمه ميكيل...).

(٤) انظر: «تفسير الثعلبي» (٤/ ٢٦٠)، و«البسيط» (٩/ ٢٢٥)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٢٥٦)، ووقع في النسخ: «... بن يوبه...»، والمثبت من المصادر. ووقع عند الواحدي: عطاء عن ابن عباس.

(٥) في (ف): «يثرون»، ومثله في «تفسير البغوي» (٣/ ٢٥٦)، والمثبت من باقي النسخ، وهو الموافق لما في «تفسير الثعلبي» (٤/ ٢٦٠)، وفي المصادر غير ذلك، وهذه أسماء يصعب ضبطها.

وقيل: أي: بيانٌ.

وقيل: أي: معجزةٌ، وإن لم يبلُغنا ماذا كانت.

قوله تعالى: ﴿فَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ﴾: قد بينّاه في سورة الأنعام: أن الميزان يُحمل على الوزن[1]، والكيلَ يحمل على المكيال[2]؛ ليستويا.

أمرهم بإيفاء الحقوق التي عليهم من هذين الجنسين.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ﴾: أي: لا تَنْقُصوا الناس الحقوقَ التي تصير لهم عليكم بالعقود.

وقال قتادة: أي: لا تظلموا[3].

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾: قال الكلبي[4]: أي: لا تَنْقُصوا الكيل والوزن فإنه فساد في الأرض.

قال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: كانت الأرض قبل أن يُبعث إليها شعيبٌ رسولًا يُعمل فيها بالمعاصي، ويُستحل فيها المحارم، ويسفك فيها الدماء بغيرِ حقِّها، فذلك فسادُها، فلما بعث إليها شعيب ودعاهم إلى عبادة الله تعالى صلحت الأرض، وكلُّ نبيٍّ بُعث إلى قومه فهو صلاحُهم[5].

وقال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: كان شعيبٌ رسولًا بعد يوسف عليه السلام،

---

(١) في (ف): «الموزون».

(٢) في (ف): «المكيل»، وانظر تفسير قوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ﴾.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٣١١).

(٤) «قال الكلبي» ليس في (ف).

(٥) انظر: «تفسير الثعلبي» (١٢/ ٤٤١) (ط: دار التفسير)، و«تفسير القرطبي» (٩/ ٢٨٢).

وكان من خيرِ قومه، وكان أهل مدين أهلَ شركٍ وبَخْسٍ في مكايلهم وموازينهم[١].

وقال السُّدِّي وعكرمةُ: ما بَعث الله نبيًّا مرتين إلا شعيبًا، بعثه إلى مدين مرةً فأخذهم الله تعالى بالصيحة، ومرة أخرى إلى أصحاب الأيكة فأخذهم الله تعالى بعذابِ يوم الظُّلَّة[٢].

وقال إسحاقُ وجويبرٌ وجماعةٌ: هما واحدٌ[٣].

ولما دعاهم إلى التوحيد وتركِ الظلم كذَّبوه وردُّوا نصيحته، وقالوا: ﴿يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ﴾ الآية، وكان أكثرَ الأنبياء صلاةً ﴿أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ﴾ من الأصنام ﴿أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُا۟﴾ من الإيفاء وترك البَخْس ﴿إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ﴾ [هود: ٨٧]؛ أي: الأحمقُ السفيه.

قال الضَّحَّاك: كانوا إذا دخل عليهم الغريبُ يأخذون دراهمه ويقولون: دراهمك هذه زُيوفٌ، فيقطعونها ثم يشترونها منه بالبَخس؛ أي: النقصان[٤].

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾: أي: الإيفاءُ خيرٌ لكم من البَخْس ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾؛ أي: إن كنتم ممَّن همُّه وقصدُه الإيمانُ بالحق؛ إذ ورد البيان وقام البرهان.

وقال وهبٌ: كان على أهل مدين ملكٌ جبَّار، وكانوا في سعة من العيش ورفاهيةٍ، فأرسل الملك إلى أهل مملكته يأمرهم باحتكار الطعام ونقصِ مكائلهم وموازينهم وقرض الدراهم، وهو أول مَن قرضها، وكانوا يبخسون الناس حقوقهم، فنهاهم عن ذلك شعيب.

---

(١) رواه عنه إسحاق بن بشر وابن عساكر كما في «الدر المنثور» (٣/ ٥٠١).

(٢) رواه عنهما إسحاق بن بشر وابن عساكر كما في «الدر المنثور» (٣/ ٥٠٢).

(٣) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٥٠٢) من طريق جويبر عن الضحاك.

(٤) رواه إسحاق بن بشر وابن عساكر عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ كما في «الدر المنثور» (٣/ ٥٠١).

وكان لهم فسادٌ آخر نهاهم عن ذلك، وهو قوله تعالى:

(٨٦) ـ ﴿ وَلَا تَقْعُدُواْ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًاۚ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْۖ وَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾.

﴿ وَلَا تَقْعُدُواْ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ ﴾: أي: لا تجلسوا في كلِّ طريقٍ، و﴿بِكُلِّ صِرَٰطٍ﴾ و(في كلِّ صراطٍ) و(على كلِّ صراط) تتقاربُ معانيها: الباء للإلصاق، و(في) للظرف، و(على) للاستعلاء.

و﴿تُوعِدُونَ﴾؛ أي: تهدِّدون، وهو على معنى الحال.

قال ابن عبَّاس والحسن وقتادة ومجاهد: كانوا يقعدون على طريقٍ مِن قصد شعيبًا للإيمان به فيخوِّفونه بالقتل[١].

قوله تعالى: ﴿وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: أي: تَصْرِفون عن طريق الإسلام ﴿مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ﴾؛ أي: مَن أراد أن يؤمن بالله عز وجل ﴿وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾؛ أي: تطلبون للسبيل تعويجًا وتحريفًا؛ أي: يقولون: هي سبيلٌ باطلٌ لا حقٌّ.

والعِوَج بكسر العين في الدِّين وفيما لا يُرى، وبالفتح في العُود والحائط وما يرى[٢].

وقال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: كانوا يجلسون في الطرق فيُخبرون مَن أتى عليهم أن شعيبًا كذَّاب[٣].

---

(١) رواه عنهم ـ عدا الحسن ـ الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٣١٣ ـ ٣١٤).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٣٥٤).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٣١٣).

وقال أبو رَوق ـ ورواه عن النَّبيِّ ﷺ ـ: كانوا عشَّارين يَبخسون الناسَ أموالَهم بأخذ[١] العشر، وهم أولُ مَن سنَّ ذلك[٢].

وقال عبد الرحمن بن زيد: كانوا يَقطعون الطرق[٣].

قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ﴾: قال الزَّجَّاج: يحتمِلُ هذا ثلاثةَ أوجهٍ: كثَّرَ عددَكم، و: كثَّركم بالغنى بعد الفقر، و: كثَّركم بالمقدرة بعد الضعف[٤]، فإن الفقراء والضعفاء بمنزلة القليل في كثرة الغنى؛ أي: اذكروا نعمة الله تَشكروا.

قوله تعالى: ﴿وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾: أي: العصاةِ الذين كانوا قبلكم.

وقال الكلبي: هم قوم لوط.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: أَمر[٥] بالنظر في الأسباب التي صار مَن تقدَّمهم بها أهلَ فسادٍ ونزل بهم الهلاك؛ ليَنزجِروا عن مثل صنيعهم، وإلا كانوا عند أنفسهم أهلَ صلاحٍ لا أهلَ فساد[٦].

❊ ❊ ❊

---

(١) في (ف): «يأخذون».

(٢) لم أجده مرفوعاً، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٢/ ٤٤٢) (ط: دار التفسير) عن أبي روق والسدي بلفظ: (كانوا عشارين)، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٣١٤) من قول السدي مختصراً بلفظ: (العشارون).

(٣) انظر: «تفسير الثعلبي» (٤/ ٢٦١).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٣٥٥).

(٥) في (ف): «أمروا».

(٦) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٤/ ٤٩٩).

(٨٧) ـ ﴿ وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُواْ فَٱصْبِرُواْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾.

قوله تعالى: ﴿ وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُواْ فَٱصْبِرُواْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا ﴾: يقول لقومه: لا يمنعْكم عن الإيمانِ بي اختلافُ الناس عليَّ وكثرةُ مَن لم يؤمِن بي، فإن العاقبة المحمودةَ للحق وأهله وإنْ قلَّ عددهم.

﴿فَٱصْبِرُواْ﴾: ليس هذا أمرًا لهم بالمقام على الكفر، لكن معناه: فانتظروا العاقبةَ حتى يحكم الله بيننا بنصرنا وإهلاككم.

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾: خيرُ مَن حكَم بين العباد؛ لأنه يحكم بالحق والعدل.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: يجوز أن يكون ﴿فَٱصْبِرُواْ﴾ أمرًا للمؤمنين، فإنهم كانوا لم يُؤمروا بقتالهم، ويجوز أن يكون أمرًا للكفار، وكانوا يقولون: الحقُّ ما نحن عليه، فإنَّ الله أمرنا بذلك، وهم شفعاؤنا ومقرِّبونا إلى الله زُلفَى، فقال: ﴿فَٱصْبِرُواْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ﴾ في القيامة ﴿بَيْنَنَا﴾ فيتبيَّنَ الحق من الباطل[1].

❊ ❊ ❊

(٨٨) ـ ﴿۞ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴾.

قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ﴾: قال وهبٌ: ولما نهاهم عن التطفيف والبَخس أَرسل إليه ملكُهم وقال له: ما تقول فيما أَمرتُ أنا الناسَ به من

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٤/ ٥٠٠).

الاحتكار ونقصِ المكيال والميزان لمصلحة الناس؟ فقال شعيب عليه السلام: إن في كتاب الله المنزل: أن الملِك إذا كان بمنزلتك وصنع مثلَ ما صنعتَ يقال له: ملك تاجر ملعون فاجر، فقال الملك:

﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ﴾؛ أي: آمنوا بالله مع إيمانك ﴿أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾؛ أي: ديننا.

وإنما ذكروا العَوْدَ مع أن شعيبًا لم يكن في دِينهم قطُّ لوجوهٍ:

منها: أن هذا خطابٌ لقومه وهم كانوا كذلك، ولئن كان شعيب في الخطاب فالغلبة لهم.

ومنها: أنهم توهَّموا أنه كان فيه.

ومنها: أن العود في معنى الصيرورة، ويذكر في غير تحقيق الرجوع؛ قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ﴾ [يس: ٣٩]؛ أي: صار، وقال الشاعر:

لئن كانتِ الأيامُ أحسنَّ مرةً ... إليَّ فقد عادت لهنَّ ذُنوبُ(١)

أي: صارت.

قوله تعالى: ﴿قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ﴾ الألفُ للاستفهام، وهو بمعنى الاستنكارِ، والواو للعطف؛ أي: أتخرجوننا من قريتنا ونحن كارهون لمفارقة الأوطان من غيرِ ذنبٍ منَّا، وهو أمرٌ منكر، وهو كقوله تعالى: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ﴾ [غافر: ٢٨].

وقيل: أي: أولو كنا كارِهين للدخول في ملَّتكم مع ذلك تَحمِلوننا على ذلك.

---

(١) البيت لكعب بن سعد الغنوي كما في «جمهرة أشعار العرب» (ص: ٢١٢)، و«أمالي القالي» (٢/ ١٥١)، و«العقد» لابن عبد ربه (٣/ ٢٣٤)، و«تفسير الثعلبي» (٢/ ٢٣٨)، و«خزانة الأدب» (١٠/ ٤٦١)، ونسب في «الأصمعيات» (ص: ٩٩) لغريقة بن مسافع العبسي.

(٨٩) ـ ﴿ قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴾.

قولـه تعالـى: ﴿ قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ﴾: هـذا جـزاءٌ تقـدَّم علـى الشـرط، والعـودُ هـو الصيـرورةُ دون الرجـوع، علـى مـا قدَّرنا، ودليلـه قولُ الشـاعر:

تلـك المـكارمُ لا قَعْبـانِ مـن لـبـنٍ ... شِـيْـبـا بمـاءٍ فعـادا بَعْـدُ أبـوالا[1]

والـمِلَّة: الديانة التي يتكرَّر العمل بشرائعها، من قولهم: طريق مَليل: يتكرَّر سلوك المارَّة فيها، والملَلُ من تكرُّر الشيء على النفس حتى تسأمَ، وخبز الـمَلَّة: ما يُنضَجُ في الرماد الحارِّ لتكرُّر الحَمْي عليه.

وتقدير الآية: فإنْ دخلنا في دِينكم بعدما خلَّصنا الله تعالى منه إلى حِفظنا عنه بإقامة البراهين وإراءة الحق، فقد افترينا على الله الكذب حيث قلنا من حيث الدلالةُ إنَّه لم يبصِّرْنا الحق ولم يُقِم لنا الدليل، وكونُ الإنجاء بمعنى الحفظ نظيرُ قوله عز وجل: ﴿يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧]؛ أي: يَحفظهم من الظلمات ويُبقيهم في النور.

وقال الإمام القشيري: كما أن أهل الخير لا يميلون إلا إلى أشكالهم، فأهلُ الشر لا يرضَون إلا بمن ساعدهم على أحوالهم، والأوحدُ في بابه مَن بايَنَ نهجَ أضرابه[2].

---

(١) نسب لأمية بن أبي الصلت في «تفسير الثعلبي» (٢/ ٢٦٢)، وهو في ديوانه (ص: ١٧٩)، ونسب لأبي الصلت بن ربيعة الثقفي والد أمية في «السيرة النبوية» لابن هشام (١/ ٦٥)، و«الشعر والشعراء» (١/ ٤٦٢)، وورد أيضاً في «ديوان النابغة الجعدي» (ص: ١١٢).

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٥٥٠).

قوله تعالى: ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَا أَن نَّعُودَ فِيهَا إِلَّا أَن يَشَاءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا﴾: قد ذكر أهل التأويل له وجوهًا، والإمام أبو منصور ردَّها واعتمد على هذا القول: أن معناه: ولا يكون منَّا دخول في ملتكم إلا أن يكون الله تعالى شاء ذلك منا، خاف شعيب أن يكون سبق منه زلةٌ أو تقصيرٌ يقع منه الاختيار لذلك فشاء الله تعالى له[1] ذلك، وكذا الأنبياء كلُّهم خافوا ذلك، وكان خوفهم أكثر من خوف غيرهم[2].

قوله تعالى: ﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾: ونحن لا نعلم إلى[3] ماذا يصير أمرنا.

قوله تعالى: ﴿عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾: أي: اعتمدنا في دفع شرِّكم وكفايةِ أمركم.

ثم دعَوا ربهم، وذلك قوله تعالى:

﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا﴾: أي: اقضِ بيننا ﴿وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ﴾؛ أي: بحُكمك الذي هو الحقُّ، وهو وصفُ تحقيقٍ لا وصفُ تمييزٍ، كما مر في قوله: ﴿ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُواْ﴾ [المائدة: ٤٤].

قوله تعالى: ﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ﴾: أي: القاضِين، فلا محاباةَ في حُكمك، ولا ميلَ ولا زللَ ولا رشوةَ ولا شفاعة، والقضاءُ بالحق يفتح الأمرَ المنغلِق، ولذلك سمي فتحًا.

* * *

(٩٠) ـ ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا﴾: أي: في الأمر بإيفاء الكيل والوزن ﴿إِنَّكُمْ إِذًا﴾؛ أي: حينئذ ـ هو اسم زمان ـ ﴿لَّخَٰسِرُونَ﴾ الأموالَ.

---

(١) «له» من (ف).

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٤/ ٥٠٤). وفي كلامه نظر ظاهر، فكيف يعقل أن يفكر نبي أو يخطر بباله أو بال مؤمن أن الله قد يشاء له المصير إلى ملة الشرك.

(٣) «إلى» من (ف).

وقيل: أي: اتَّبعتموه في دينه خسرتُم بتركِ الدِّين الحقِّ بالباطل، كذا كان زعمهم.

* * *

(٩١) ـ ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴾.

﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ ﴾: أي: الزلزلة ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴾ فسرناه في قصة صالح.

وقال في سورة الشعراء: ﴿فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ ﴾ [الشعراء: ١٨٩]، قيل: هما قصتان وعقوبتان، وقيل: هما واحدة.

وقال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: إن جبرائيل عليه السلام نزل فوقف عليهم فصاح صيحةً رجفت منها الجبالُ والأرض، فقاموا قيامًا وفزعوا، فرجفت بهم الأرض فرمتهم، وخرجت منهم أرواحهم فوقعوا جاثمين[١].

وقال وهب: سلَّط الله عليهم الحرَّ والغُمَّةَ حتى أَنضجهم، فلبثوا فيه سبعةَ أيام ولياليها، ودخل الحرُّ عليهم [٢]في بيوتهم ومظالِّهم، وفي الأودية وظلالِ الأشجار، وصار ماؤهم حميمًا لا يستطيعون شربهُ، فانطلقوا يسوقون ذراريَهم ونساءَهم ودوابَّهم حتى انتهَوا إلى غَيضةٍ وهي الأيكةُ كثيرةُ الشجر، وقد جاءهم سَمومٌ من جهنم، فسلَّط الله عليهم الشمس من فوق رؤوسهم حتى تقلقلت[٣] جماجمُهم، والرمضاءَ من تحتهم حتى تساقطت لحوم أرجُلهم، ثم أُنشئت لهم ظُلَّةٌ من سحابةٍ سوداء، فابتدروها يستغيثون ببردها، فلما صاروا تحتها أَطبقت عليهم فهلكوا فيها، وقيل: أحرقتْهم[٤].

---

(١) رواه ابن عساكر في «تاريخه» (٢٣/ ٧٤).

(٢) «عليهم» ليس في (ف).

(٣) في (ف): «تغلقت».

(٤) رواه ابن عساكر في «تاريخه» (٢٣/ ٧٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٩٢) ـ ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيۡبٗا كَأَن لَّمۡ يَغۡنَوۡاْ فِيهَاۚ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيۡبٗا كَانُواْ هُمُ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾.

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيۡبٗا كَأَن لَّمۡ يَغۡنَوۡاْ فِيهَا﴾: أي: لم يقيموا، وقد غَنِيَ بالمكان؛ أي: أقام، من حدِّ عَلِم، والمغاني: المنازل.

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيۡبٗا﴾ كرَّر لتغليظ الأمر في تكذيبهم شعيبًا.

﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيۡبٗا كَانُواْ هُمُ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾: لا المؤمنون بشعيب الذين قالوا لهم: ﴿إِنَّكُمۡ إِذٗا لَّخَٰسِرُونَ﴾ فإنهم خسروا أنفسَهم وأموالَهم ودينَهم ودنياهم وآخرتَهم.

وقال الإمام القشيري رحمه الله: كانت لهم غلبةٌ في وقتهم، ولكنْ لمَّا اندَرست آثارهم سقط صِيتُهم، وخمل ذكرُهم، وتقشَّع سحاب مَن توهَّم أن فيهم شيئًا.

قوله: ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيۡبٗا كَانُواْ هُمُ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ الحقُّ غالب في كلِّ أمرٍ، والباطل زاهقٌ بكلِّ وصفٍ، وإذا كانت العزةُ نعتَ مَن هو أزليُّ الوجود، والجلالُ حقَّ مَن هو الملِك المعبود، فأيُّ أثر للفطرة مع القدرة، وأيُّ خطرٍ للعلل مع الأزل[1]؟

* * *

(٩٣) ـ ﴿فَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰقَوۡمِ لَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَنَصَحۡتُ لَكُمۡۖ فَكَيۡفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوۡمٖ كَٰفِرِينَ﴾.

قوله تعالى: ﴿فَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ﴾: أي: أعرَض إعراض يأس[2] عن إيمانهم، ﴿وَقَالَ﴾ عند الإعراض: ﴿يَٰقَوۡمِ لَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَنَصَحۡتُ لَكُمۡ﴾؛ أي: فلم تقبلوا، ثم قال: ﴿فَكَيۡفَ ءَاسَىٰ﴾؛ أي: أحزنُ ﴿عَلَىٰ قَوۡمٖ كَٰفِرِينَ﴾ إذ كيف أُظهِر الحزنَ على هلاك قومٍ انقطعت بيني وبينهم الولاية لكفرهم بالله.

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٥٥١).

(٢) في (ف): «يائس».

(٩٤) ـ ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴾.

قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴾: يعني: لم نرسل في قريةٍ من هذه القرى التي قصَصْنا أخبارها وذكَرْنا إهلاكها نبيًّا ينذرهم إلا ضمَمنا إلى إنذارهم بالعذاب المستأصِل ما دون ذلك من الامتحان بالبأساء وهي الجوع والضراءِ وهي المرض.

وقيل: البأساء: الشدةُ في الأنفس، والضَّراء: الشدة في المال.

وقال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: البأساء: الفقر، والضرَّاء: السَّقَم(١).

ليتضرعوا إلى الله وينقادوا لشرعه، قال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: ليستكينوا فيتوبوا(٢).

***

(٩٥) ـ ﴿ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوا۟ وَّقَالُوا۟ قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ فَأَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾.

قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ ﴾: أي: مكان الجَدْبِ الخِصْبَ، ومكان المحنة النعمةَ ﴿حَتَّىٰ عَفَوا۟﴾؛ أي: كثروا، كذا قال ابن عبَّاس رضي الله عنهما ومجاهد والسُّدِّي وابن زيد(٣)، وكذا هو في اللغة.

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ﴾: أي: أصاب أسلافَنا الأحوالُ الضارَّة والأحوال السارة؛ أي: هذا من الاتفاقات التي تقع للناس من تلوُّن الأحوال، ولم يحملوه على التنبيه فلم ينتبهوا ولم ينتهوا.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٢٢٤).

(٢) ذكره الواحدي في «البسيط» (٩/ ٢٤٣).

(٣) رواه عنهم الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٠ ـ ٣٣١).

قوله تعالى: ﴿فَأَخَذْنَاهُم بَغْتَةً﴾: أي: فجأة ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾؛ أي: بوقته، وقيل: بنزوله، وقد كان أنذرهم به رسلُهم، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ﴾ [الأنعام: ١٣١].

قال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: ﴿حَتَّىٰ عَفَوا﴾؛ أي: كثروا وكثرت أموالهم(١).

وقال مجاهد: حتى كثروا وكثرت أموالهم وأولادهم(٢).

وقال المبرِّد: ومنه الحديث: «أَحْفوا الشوارب وأَعْفُوا اللِّحى»(٣).

وقال مقاتل بن حيان: حتى أَشِروا وبَطِروا(٤).

* * *

(٩٦) - ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾؛ أي: خيراتٍ ناميةً من الأمطار والنبات.

قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن كَذَّبُوا﴾: أي: الأنبياءَ.

قوله تعالى: ﴿فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾: قال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: يعني: ولو أن القرى وحَّدوا الله واتَّقوا الشرك والمعاصي لأنزلنا عليهم بركات من السماء بالرزق والمطر والنبات والثمار والخصب، ولكن كذَّبوا الرسل فعاقبناهم بالقحط وغلاء السعر بأعمالهم(٥).

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٠).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٠ و٣٣١).

(٣) رواه البخاري (٥٨٩٢)، ومسلم (٢٥٩)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٤) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٢٧) عن عكرمة.

(٥) ذكره بنحوه الواحدي في «البسيط» (٩/ ٢٤٣)، و«الوسيط» (٢/ ٣٨٩).

وقال الإمام القشيري رحمه الله: ليست العبرةُ بكثرة النعمة إنما العبرةُ بالبركة في النعمة، ألا ترى أن الله تعالى لم يقل في هذا الآية: لضاعَفْنا عليهم النِّعَم، لكن يقول: لباركنا عليهم فيما أعطيناهم[1].

* * *

(٩٧) ـ ﴿ أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴾.

قوله تعالى: ﴿ أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴾: استفهام بمعنى الاستنكار.

قال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: أي: عذابنا ليلًا وقتَ مبيتهم[2].

﴿وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴾ الواو للحال، وأكثر ما يكون نزولُ المحنة في حالة الغفلة، قال قائلهم:

يـا راقـدَ الليـل مسـرورًا بـأوَّله إن الحـوادث قـد يَطْرُقْـن أسـحارًا[3]

* * *

(٩٨) ـ ﴿ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴾.

قوله تعالى: ﴿ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴾: قال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: أي: نهارًا وهم في شغلِ الدنيا فإنه لعبٌ.

والضحى: وقتُ ابتداءِ الأعمال التي يُطلب بها الانتفاعُ ويُرجى بها الاستمتاع.

* * *

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٥٥٣).

(٢) انظر: «الوسيط» (٢/ ٣٨٩).

(٣) البيت لمحمد بن حازم الباهلي كما في «معجم الشعراء» للمرزباني (ص: ٣٧١)، ولعدي بن زيد العبادي كما في «التمثيل والمحاضرة» للثعالبي (ص: ٥٣).

(٩٩) ـ ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ﴾: أي: أَخْذَهم بغتةً، والمكر أصلُه: إظهارُ المحبوب وإخفاءُ المكروه، وإذا بَسط الله تعالى نعمةً على عبدٍ استدعاءً للشكر فلم يفعل، ثم أخذه بغتةً، فقد ظهرت له نعمة وكانت خفيتْ له محنة.

وقيل: هو على الجزاء، كما في قوله تعالى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾ [الشورى: ٤٠] وقال تعالى: ﴿فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٤] وهذا جزاءٌ من الله على مكرهم بالأنبياء كما ذكر في الخداع والاستهزاء.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: المكرُ في الشاهد: أن يراقب من عدوِّه حالَ غفلةٍ فينتقمَ منه، فسمَّى ما ينزل من العذاب بهم في الغفلة مكرًا مجازًا، وعلى هذا: الامتحانُ بين الخلق هو استظهارُ ما خفي على بعضهم [من بعضٍ] فيأمرون بذلك وينهَون، فسمَّى الله ذلك امتحانًا لمعنى الأمر والنهي، وإن كانت الخفياتُ عن الخلق ظاهرةً له باديةً عنده[1].

قوله تعالى: ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾: أي: لا يأمن أَخْذَ الله بغتةً إلا الخاسرون.

قال ابن عبَّاس: أي: إلا الكافرون الذين خسروا أنفسَهم حتى صاروا إلى النار.

وقال علي رضي الله عنه: لا تُنزِلوا الموحِّدين العارفين المخبِتين الجنةَ حتى يكونَ الله هو يحكُم فيهم؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾، ولا تُنزلوا الموحِّدين العارفين المذنبين النار حتى يكون الله هو يحكم فيهم؛ لأن الله يقول: ﴿لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧][2].

---

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٤/ ٥١١)، وما بين معكوفتين منه.

(٢) لم أجده، لكن ذكر الإمام أبو حنيفة في «الفقه الأكبر» (ص: ١٣٨) أحاديث في معناه، فقال: حدثت =

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله الآيتان في المعتزلة؛ لأنهم يأمنون مكرَ الله في الصغائر فيقولون: ليس له أن يعذبهم عليها، وييأسون من روح الله أي من رحمة(١) الله في الكبائر فيقولون ليس له أن يعفو عنها(٢).

وقال الإمام القشيري رحمه الله: مَن عَرَف علوَّ قَدْره [سبحانه] خشيَ خفيَّ مكره، ومَن أمِن خَفيَّ مكره نسيَ عظيمَ قَدْره(٣).

وقال الحسن: قوله: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ﴾ ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ﴾ ﴿أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ﴾ هذه الآيات في الأمم السالفة، وفيه تحذير هذه الأمة عن مثل صنيعهم؛ لئلا ينزل بهم مثل ما نزل بأولئك(٤).

وقال آخرون: هي في أهل القرى من هذه الأمة.

* * *

= عن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ: «لا تقولوا أمتي في الجنة ولا في النَّار دعوهم حتَّى يكون الله يحكم بينهم يوم القيامة».

قال: وحدثني أبان عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله عز وجل: لا تُنزلوا عبَادي جنَّة ولا ناراً حتَّى أكون أنا الَّذي أحكم فيهم يوم القيامة وأُنزلهم منازلهم».

وحدثت عن أبي ظَبْيان قال: قال رسول الله ﷺ: «ويل للمتألين من أمتي» قيل: يا رسول الله وما المتألون؟ قال: «الذين يقولون فلان في الجنَّة وفلان في النَّار».

قلت: والأخير رواه مسدد كما في «المطالب العالية» (٣٠٠١) من حديث جعفر العبدي.

(١) في (ف): «رحمته» بدل: «من رحمة».

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٤/ ٥١١ ـ ٥١٢).

(٣) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٥٥٣)، وما بين معكوفتين منه.

(٤) ذكره الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (٤/ ٥١١).

(١٠٠) ـ ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا﴾: أي: أولم يُبيِّن[١]، استفهام بمعنى الإثبات، وفاعلُه المكرُ المذكور في الآية الأولى؛ أي: أولم يبيِّن ما نزل بالأولين من مكر الله بهم.

وقيل: الفاعل هو الله عز وجل؛ أي أو لم يبين الله تعالى.

قال مقاتل: أولم يبيِّن لكفار مكة الذين قد ورثوا الأرض من بعد هلاك أهلها الماضين[٢].

قوله تعالى: ﴿أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ﴾: أي: لعذبناهم بذنوبهم كما عذبنا الأولين.

قوله تعالى: ﴿وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾: هذا ابتداءٌ، كذا قاله الزَّجَّاج والفرَّاء[٣]؛ أي: ونختم على قلوب هؤلاء ﴿فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ الوعظ؛ لعِلمنا بأنهم يختارون الإصرار على الكفر والاستكبار.

وقيل: أي: لا يجيبون، كما في قوله: سمع الله لمن حمده؛ أي: أجاب الله مَن حمده.

* * *

---

(١) في (ف): «يتبين».

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٥١).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٣٦١)، «معاني القرآن» للفراء (١/ ٣٨٦). قال الزجاج: المعنى: ونحن نطبع على قلوبهم، لأنه لو حمل على ﴿أَصَبْنَاهُمْ﴾ لكان: ولطبعنا، لأنه على لفظ الماضي وفي معناه.

(١٠١) ـ ﴿تِلْكَ الْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَائِهَا ۚ وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ﴾.

قوله تعالى: ﴿تِلْكَ الْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَائِهَا﴾: أي: قصصنا عليك أخبارَها فيما كان منا إليهم من الإعذار، وما كان منهم من الإصرار.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾: أي: المعجزات التي اقترحوها.

قوله تعالى: ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِن قَبْلُ﴾: أي: فما كان من صفتهم الإيمانُ بها، وكانوا كذَّبوا بمثلها من قبل ذلك، وكانوا إنما التمسوها عنادًا لا استرشادًا.

قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ﴾: لمَّا علم منهم أنهم يختارون الثبات على الكفر.

وقال الإمام القشيري رحمه الله: تلك القرى سلكوا طريقًا واحدًا في التمرُّد، واجتمعوا في خطةٍ واحدة في الجَحْد والتبلُّد، فلا إلى الإيمان جَنحوا ولا من العدوان رجعوا، وكذلك صفةُ مَن سبق بالشقاء قسمتُه، وحقَّ بالعذاب عليهم كلمتُه[1].

* * *

(١٠٢) ـ ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ ۖ وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ﴾: قال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: من وفاءٍ فيما أُمروا به، وهو العهد الأول الَّذي أخذ عليهم يوم الميثاق[2].

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٥٥٤)، وما بين معكوفتين منه.

(٢) ذكره الواحدي في «البسيط» (٩/ ٢٥٨)، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٣٤٠) عن أبي بن كعب رضي الله عنه.

وقال مقاتل: إن الله عز وجل أخذ ميثاق ذرية آدم على المعرفة فأقروا بذلك، فلما عقلوا نقضوا العهد فكفروا(١).

وقال ابن مسعود: ﴿مِّنْ عَهْدٍ﴾؛ أي: إيمان، كما قال: ﴿إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾ [مريم: ٨٧](٢).

وقال الضَّحَّاك: هو عهد العقل والفهم.

وقيل: ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم﴾: الأممِ المعذَّبين ﴿مِّنْ﴾ أمانةٍ ووفاءٍ بـ﴿عَهْدٍ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ﴾: أي: ما وجدنا أكثرهم إلا متهتِّكين مجاهِرين بالمعاصي مع كفرهم وشركهم، كما قال في أهل الكتاب: ﴿وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ﴾ [المائدة: ٥٩] وقال: ﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [الحديد: ١٦] وقال: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا﴾.

وقال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: ﴿وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ﴾؛ أي: لتاركين ما أمروا به من الحلال والحرام(٣).

وقال الضَّحَّاك: لناقضين العهد(٤).

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: ﴿لَفَاسِقِينَ﴾؛ أي: لكافرين، وهو تصديقُ ظنِّ إبليس فيهم: ﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٧].

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٥١)، وليس فيه: «فكفروا».

(٢) ذكره الواحدي في «البسيط» (٩/ ٢٥٩).

(٣) ذكره الواحدي في «البسيط» (٩/ ٢٥٩) بلفظ: لعاصين. وروى عنه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٣٤١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٣١) قوله: ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ﴾ وذلك أن الله إنما أهلك القرى لأنهم لم يكونوا حفظوا ما أوصاهم به.

(٤) ذكره الواحدي في «البسيط» (٩/ ٢٥٩).

وقال الإمام القشيري: ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ﴾ نَجَم في الغدر طارقُهم، وأفَلَ من سماء الوفاء شارقُهم، وعُدِم أكثرهم رعايةَ العهد، وحَقَّ من الحقِّ فيهم قسمةُ الردّ.

قال: ويقال: شكا عن أكثرهم إلى أقلهم، فالأكثرون من ردَّتهم القسمة، والأقلون من قبلتهم الرحمة[1].

* * *

(١٠٣) - ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا﴾: أي: أرسلنا ﴿مِنْ بَعْدِهِم﴾؛ أي: بعد الأنبياء الذين[2] مرت قصصُهم ﴿مُّوسَىٰ﴾ هو موسى بن عمران بن قاهث بن لاوي بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل عليه السلام

قوله تعالى: ﴿بِآيَاتِنَا﴾: قال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: أولها العصا وآخرُها الطَّمس[3]، وهو تسعٌ: العصا واليدُ البيضاء والسِّنون والطُّوفان والجرادُ والقمَّل والضفادعُ والدمُ والطَّمس.

﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾: هو الوليد بن مصعب بن ريان، وكنيتُه أبو مُرَّة.

وقال أهل الكتابين: اسمه قابوس بالسُّريانية، وكان من القِبْط، وعُمِّر أكثر من أربع مئةِ سنة.

وقال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: إن فرعون موسى ملَك مصر واستعبد بني

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٥٥٤)، وفيه: (الوصلة) بدل: «الرحمة».

(٢) في (ف): «التي».

(٣) لم أجده عن ابن عباس، وقاله مقاتل. انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٥٥٣).

إسرائيل أربعَ مئة سنة، وذلك بعد يوسف بن يعقوب، وبدء دخول بني إسرائيل مصر حين مَلَك يوسف مصر وضمَّ إليه أبويه وإخوتَه وأهلَ بيته، فمكثوا بمصر، فلمَّا قَبض الله يوسف عليه السلام وهلَك ذلك الملك الذي كان يوسفُ معه وهو ريان بن الوليد، توارثت الفراعنة من العماليق ملكَ مصر، فرعون بعد فرعون، وبشَّر الله تعالى بني إسرائيل بمصر.

وقال محمد بن إسحاق: ملك فرعونُ مصر وهو شابٌّ أخضرُ الشارب، ومكث أربع مئة سنة لا يُصْدَع له رأس ولا يصيبه همٌّ ولا يناوئه[1] عدوٌّ، سلطانُه فيهم ماضٍ وأمرُه جائز.

قوله تعالى: ﴿وَمَلَإِيْهِۦ﴾: أي: الأشرافِ من قومه، وكان مبعوثًا إلى غير فرعون وملئه من أهل زمانهم، لكنهم كانوا أتباعًا لهم.

قوله تعالى: ﴿فَظَلَمُواْ بِهَا﴾ قال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: فجحدوا بالآيات[2].

وقيل: ظلموا أنفسَهم بجحدها.

وقيل: جعلوا بدل[3] الإيمان بها الكفرَ، فإن الظلم وضعُ الشيء في غير موضعه.

وقيل: كفروا وأشركوا بها.

قوله تعالى: ﴿فَٱنظُرْ﴾: أي: بعين قلبك يا محمد ﴿كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾؛ أي: كيف كان آخرُ أمر الذين أَفسدوا في الأرض ببثِّ الكفر فيها.

قال الضَّحَّاك: كانت عاقبتُهم الغرقَ.

---

(١) في هامش (أ): «أي: يعاديه».

(٢) ذكره الواحدي في «البسيط» (٩/ ٢٦٠) بلفظ: (فكذبوا بها).

(٣) في (ف): «بعد».

وقال الإمام أبو منصور: ﴿فَظَلَمُواْ بِهَا﴾؛ أي: سمَّوا الآيات سحرًا، فوضعوها غيرَ موضعها.

ويحتمِل: ظلموا النعم بكفرانها وعبدوا غير الله، فصرفوا الشكر إلى غير المنعم.

ويحتمِل: ظلَم الملأُ الأتباعَ بمنعهم عن اتِّباع الرسل والتأمُّل في الآيات.

ويحتمِل: ظلموا أنفسَهم بجحودها(١).

ثم إنَّ قصة موسى أطولُ قصص الأنبياء في القرآن، وهي مكرَّرة في سور منها، وقد قالت عائشة رضي الله عنها: يا رسول الله، إن الله تعالى أكثرَ ذكرَ موسى في القرآن، فقال: «يا عائشة، مَن أحبَّ شيئًا أكثرَ ذكرَه»(٢) أشار إلى قوله: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾.

وفي هذه السورة فصولٌ من قصته، والبداية هاهنا بذكر مجيئه فرعونَ وأدائه الرسالة، ولم يُذكر هاهنا قصةُ ولادتِه وتربيتِه وغربتِه وتزوُّجِه بنتَ شعيبٍ وعودِه إلى مصر، وقد ذُكر ذلك كلُّه في غير هذا الموضع، فأخَّرنا نحن بيان قصصها إلى مواضعها، ونذكر هاهنا ما روي في قصة مجيئه فرعونَ لعنه الله، ودعوتِه إلى الإسلام، وإظهارِ المعجزة، وما كان من معارضة السحرة إياه، وغلبتِه إياهم وإسلامهم.

وقال الإمام القشيري رحمه الله في الآية: لمَّا انقرضت أيامهم، وتقاصَرت عن بساط الإجابة أقدامهم، بَعَث موسى نبيَّه وضم إليه هارون صفيَّه، فقوبلا بالتكذيب، فسَلك بهم مسلكَ إخوانهم في التعذيب(٣).

---

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٤/ ٥١٦).

(٢) المرفوع منه رواه أبو نعيم والديلمي من حديث مقاتل بن حيان عن داود بن أبي هند عن الشعبي عن عائشة به مرفوعاً، كما في «المقاصد الحسنة» للسخاوي (ص: ٦١٩).

(٣) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٥٥٤ـ ٥٥٥).

ذكر وهبٌ: أن موسى وهارون صلوات الله عليهما لمَّا دخلا دار فرعون لعنه الله ووقفا بين يديه، لقَّن الله تعالى موسى دعوةً دعا بها فقال: لا إلهَ إلا اللهُ الحليمُ الكريم، وسبحان اللهِ ربِّ السماوات السبعِ وربِّ العرش العظيم، والحمدُ لله ربِّ العالمين، اللهمَّ إني أدرأُ بك في نحره، وأعوذ بك من شرِّه، وأستعينُ بك عليه، فاكفِنيه بما شئتَ، فتحوَّل ما في قلب موسى من الخوف أمناً، وتحوَّل ما في قلب فرعون من الأمن خوفًا، فمَن دعا بهذا الدعاء وهو خائفٌ أمَّنه الله تعالى ونفَّس كربته، وخفَّف عنه كُرَب الموت، فتأمَّلَهما فرعون ساعةً حتى عرف موسى عليه السلام، فقال له: مَن أنت؟ قال: أنا رسول ربِّ العالمين، قال: أسألك عن اسمك ونسبك؟ قال موسى صلوات الله عليه: عبدُ الله وابنُ عباده وابنُ إمائه، أذلُّ عباده وأفقرُهم إلى ربٍّ خلقني من تراب، ثم يعيدني فيه، ثم يُنشرني منه يومَ الحساب، وهذا النسبُ المعروف الذي إليه تصير يا فرعون، ومنه خُلقتَ وفيه تعود ومنه تُنشَر، وإليه يصير الأولون والآخِرون، وقال فرعون لعنه الله: لَغيرُ هذا النسبِ وهذا الاسمِ أولى بك وألزمُ لك، أَوَلا تقول: عبدُ فرعون وابنُ عبيده وابن إمائه، الكافرُ لنعمه، الناسي لإحسانه، الغادرُ بسيده، اللصُّ القاطع القاتل؟ قال موسى عليه السلام: تبارك اللهُ ربُّ العالمين، هو أعزُّ وأجلُّ وأعظم من أن يكون معه إلهٌ، أو لعباده ربٌّ غيرُه، بل أنت يا فرعون أحقُّ بما تقول، وهذا أشبه بك، قال فرعون: ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [الشعراء: ١٨] وصرتَ بغَدْرتك أجيرًا ذليلًا خائفًا فقيرًا طريدًا؟ وأجابه موسى بما أجاب على ما نبيِّن في سورة الشعراء إن شاء الله تعالى[١].

---

(١) لم أجده، وروى أوله ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٠٧٨) عن مجاهد قال: كان موسى ﷺ قد مُلئَ قلبُه رعبًا مِن فرعون، فكان إذا رآه قال: اللهمَّ أَدْرأُ بك في نحره وأعوذُ بك من شرِّه، ففَرَّغ الله ما كان في قلب موسى وجعَله في قلب فرعونَ، فكان إذا رآه بال كما يبولُ الحمارُ.

(١٠٤) - ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: أي: مُرسَلٌ إليك من ربِّ[1] الخلائق.

ولا يقال: إن هذا خرج مخرج التمدُّح وهو منهيٌّ عنه.

لأنَّا نقول: هو بيانُ المنَّة من الله تعالى عليه بإرساله، والتمدُّحُ يكون من المرء بأفعاله، لا بما ناله بكرم الله جل جلالُه وأفضاله، ولأنه عرَّفه ذلك لأنَّ من عادة الملوك أنهم لا ينالون رسلَ غيرهم إليهم بمكروهٍ، فبدأ به لئلا يناله بمكروه.

* * *

(١٠٥) - ﴿حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّۚ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾ قرأ نافع: ﴿حَقِيقٌ عَلَيَّ﴾ بتشديد الياء[2]، ومعناه: واجبٌ عليَّ، من قولك: حقَّ الشيءُ يَحِقُّ حقًّا فهو حاقٌّ وحَقيقٌ؛ أي: وجَب.

وقرأ الباقون: بالتخفيف، ومعناه: جديرٌ بأنْ لا أقول على الله إلا الصدقَ.

نعتٌ للرسول، و﴿عَلَىٰٓ﴾ بمعنى الباء؛ قاله الفرَّاء، يقال: جئتُ على حالةٍ حسنةٍ وبحالةٍ حسنة، ورميتُ على قوسٍ وبقوسٍ[3]؛ أي: أنا خليقٌ بأنْ لا أكذبَ على الله تعالى؛ لمكاني من كرامته ورسالته، وعلمي بأنه ربِّي وربُّ العالمين.

---

(١) في (ف) و(أ): «ملك».

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٢٨٧)، و«التيسير» (ص: ١١١).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٣٨٧).

وقالوا: بين الآيتين مضمر؛ أي: أنه لمَّا قال: ﴿إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ كذَّبه فرعون، فقال: ﴿حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ قال الإمام أبو منصور رحمه الله: أي: بما يبيِّن وحدانية الله وألوهيتَه، ويحتمِلُ بيِّنة الرسالة؛ أي: ما يبيِّن أني رسولٌ من ربِّ العالمين غيرُ كاذبٍ عليه(١).

وقوله تعالى: ﴿فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾: أي: أطلِقْهم ودَعِ استعبادهم وخلِّهم معي لأخرجَ بهم إلى أرض الشام التي وعدَها الله لهم، وقال مقاتل: إلى فلسطين(٢).

* * *

(١٠٦) - ﴿قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾: أي: قال فرعون: إن كنت صادقًا في قولك: ﴿قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ فهات بيِّنَتك.

قال الإمام أبو منصور رحمه الله: دلَّت الآية على أن اللَّعين عرَف عبوديةَ نفسه وأنه ليس بإلهٍ، حيث طلب منه الآيةَ على صدق ما ادَّعى من الرسالة، ولو كان عنده أنه إلهٌ لقال: متى أرسلتُك؟ ولم يَطلب منه الآية(٣).

* * *

(١٠٧) - ﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾: (إذا) كلمةُ مفاجأةٍ، وقيل: معناه: ظهَر.

---

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٤/ ٥١٩).

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٥٢).

(٣) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٤/ ٥١٩).

وقال أبو عَوْسجةَ: الثعبان: الحية[١].

وقال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: الحيةُ الذَّكرُ[٢].

وقال الفرَّاء: أعظمُ الحيات[٣].

وقيل: الحية الضَّخم العظيم، مأخوذٌ من ثَعَب الماءَ: إذا فجَره، والمثعَبُ: موضعُ انفجارِ الماء، سُمي به لأنه يجري كعينِ الماء عند الانفجار.

وقوله تعالى: ﴿مُّبِينٌ﴾؛ أي: يبين[٤] أنه حيةٌ لا لبسَ فيه.

قال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: فأوقع موسى العصا وكان جبريل دفعها إليه حين توجَّه إلى مدين[٥].

وقالوا: كانت من الجنة حملها آدم منها إلى الدنيا، وهي من الآس.

فإذا[٦] العصا حيةٌ أصفرُ أشعرُ ذكرٌ أعظمُ الحيَّات، فملأت دار فرعون، فإذا فتحت فاها صار شدقُها ثمانين ذراعًا، ثم شدَّت على فرعون لتبتلعه، فوثب فرعون عن سريره فهرب منها، وهرب الناس فصاحوا، واستغاث فرعون بموسى عليه السلام، فأخذها موسى فإذا هي عصاً كما كانت.

وقال وَهْبٌ: صار أعظمَ ثعبانٍ نظر إليه الناظرون، أسودَ مدلهمًّا يَدبُّ على

---

(١) ذكره الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (٤/ ٥١٩). وأبو عوسجة اسمه مسلم، له صحبة روى عنه ابنه. انظر: «أسد الغابة» (٥/ ١٨١)، و«الإصابة» (٧/ ٢٩٤).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٣٧٥)، وذكره الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (٤/ ٥٢٠).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٣٨٧)، ولفظه: هو الذكر وهو أعظم الحيات.

(٤) في (ر) و(ف): «بين».

(٥) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٨٤٧).

(٦) في (ر): «فأجاء».

قوائم غلاظٍ قصارٍ شدادٍ في[١] مثلِ بدن البُختيِّ العظيم، إلا أنه أطولُ منه بدناً وعنقًا ومشفرًا، وإن له ذنبًا طويلًا غليظًا يقوم عليه فيُشرف على حيطان المدينة برأسه وعنقه، ثم يقع[٢] على الأرض فلا يأتي على شيء إلا حطَمه، وخدَش بقوائمه الصخرَ والرخام والحيطان والبيوت، حتى يرمي بعضها على بعضٍ، يتنفَّس في البيوت والخزائن فيشتعلُ كلُّ شيء منها نارًا، وله عينان تتوقَّدان نارًا، ومنخران يخرج منهما الدخان، وقد صار له المحجَن عُرفًا على ظهره، وشعورًا سودًا غلاظًا مثل الرماح الطِّوال لا يصيب منها شيئًا[٣] إلا قطعه، وقد جعلت الشعبتان له فمًا مثل القَليب الواسع[٤] يخرج منه رياح السَّموم لا يصيب أحدًا منه نفخةٌ[٥] إلا صار أسودَ مثل الليل المظلم، في فيه أضراسٌ وأنياب، في أعلى شدقه اثنان وسبعون ضرسًا، وفي أسفله مثلُ ذلك، له صريرٌ يصمُّ مَن سمعه، ما يسمع[٦] الرجل كلام جليسه إذا ضرب أضراسَه بعضَها على بعضٍ، وإنه ليَهدر مثلَ البعير يتزبَّد شدقاه زبَدًا أبيض، يتطاير لعابه فلا يقع منه قطرةٌ على أحدٍ إلا اشتعل برصاً، فأدخل الثعبان أحدَ شدقيه تحت سرير فرعون والآخر فوقه وفرعونُ ـ لعنه الله ـ على سريره، فسَلَح في

---

(١) «في» ليس في (أ) و(ف).

(٢) في (ف) و(أ): «يقوم»، والمثبت من (ر) و«تاريخ دمشق».

(٣) قوله: «وشعوراً سوداً غلاظاً... لا يصيب منها شيئاً»، كذا في النسخ، وفي «تاريخ دمشق»: (وشعره أسود غلاظ... لا يصيب منه شيء). وانظر التعليق الآتي.

(٤) رواه بنحوه مختصراً إلى هنا ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٩٧٤)، وفي آخره: (... وقد عاد المِحْجَنُ عُرْفًا فيه شعرٌ مثلُ النَّيَازِك وعاد الشُّعْبتانِ فماً مِثلَ القَليبِ الواسعِ فيه أضراسٌ وأنيابٌ لها صَريفٌ، فلمَّا عايَنَ ذلك موسى ولَّى مُدْبرًا ولم يعقب).

(٥) في (ر): «لفحة».

(٦) بعدها في (ف): «منا».

ثيابه، فلما عاين الناس ذلك من أمر الثعبان وكان قد اجتمع أهل المدينة بأسرهم - انهزموا وولوا ذاهبين، وتزاحموا في الأبواب، وتضاغطوا ووطئ بعضهم بعضًا، فمات يومئذ خمسةٌ وعشرون ألفًا، فقام فرعون اللعين فوقع عن سريره[١]، وكان الله تعالى قد أملى له حتى كان يمكثُ أربعين يومًا لا يخرج من بطنه شيءٌ، ولا يُحدِث إلا في كلِّ أربعين يومًا مرة، فلما كان يومئذٍ أحدَثَ في ثيابه حتى علِم به جلساؤه، وكان[٢] يأكل ويشرب جاهدًا، ولا يبصق ولا يتمخَّط لا يتنخع[٣] ولا تَذرِف عيناه، ولا يمرض ولا يصدع ولا يسقم ولا يهرم ولا يفتقر، شاب السن[٤]، فكان[٥] على هذا أربعَ مئة سنةٍ، فلما كان يومئذٍ أحدث وبصق وامتخَط وأخذه المرض والصُّداع واختلف بطنه أربعين مرةً، فلم يزل بعد ذلك يختلف حتى مات عليه[٦].

---

(١) قوله: «خمس وعشرون ألفًا فقام فرعون اللعين فوقع عن سريره» من (أ) و(ف)، ووقع في (ر) بدلًا منه: «كثير من الناس وقام فرعون عن سريره».

(٢) بعدها في (أ): «لا»، والمثبت من باقي النسخ و«تاريخ دمشق».

(٣) في (ف) و(أ): «يتنحنح».

(٤) في (ف): «ولا يهرم شبابه ولا قلع له سنًا».

(٥) في (ف): «فكان أتى». وفي المصدر: (والله يملي له أربع مئة سنة).

(٦) في (ف): «حتى هلك» وفي المصدر: «حتى مات». وهذا الخبر رواه ابن عساكر في «تاريخه» (٦١/ ٦٣ ـ ٦٤)، وفيه من المبالغات التي لا تُقبل، فهذا الحيوان بوصفه المذكور في هذه القصة يخالف نص القرآن الذي جاء فيه أنه حية تسعى وأنه ثعبان مبين، وهذا المذكور لا يشبه الحية أو الثعبان ولا حتى غيرهما من الحيوانات التي نعرفها أو نتخيلها، ثم من الذي استطاع في ذلك الموقف الرهيب الغريب العجيب أن يعد أضراسه التي في شدقه الأعلى أنها اثنان وسبعون، وإن تسنى له ذلك فكيف عرف عدد تلك التي في شدقه الأسفل، وكيف عُرف كم مرة اختلف بطن فرعون إذ ذاك، فلا شك أن هذا الخبر من أباطيل بني إسرائيل.

وقال الحسن رحمه الله: ولمَّا عاين ذلك قال: يا موسى، ارجع يومَك هذا وكفَّ ثعبانك هذا، قاله سرًا دون أصحابه، وقال لأصحابه: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ١٠٩]، وقال له: يا موسى، أَلَا رَفَقْتَ بالأمر قتلتَ خمسة وعشرين ألفًا بهذا أمرك ربُّك الذي بعثك؟ قال: يا فرعون، أنت فعلتَ هذا، يا فرعون أسألُك واحدة وأعطيك أربعًا، قال: وما الَّذي تسألني؟ قال: أسألك أن تعبد الله وحده ولا تشرك به شيئًا، وأعطيك الشبابَ لا تهرم، والملكَ لا ينازعك فيه أحد، والصحةَ لا تَسقم، والجنة خالدًا، فخضع له فرعون وقال: حتى أستأمر آسيَةَ بنتَ مزاحمٍ، فدخل عليها فقال لها: يا آسية، أَلَا تَرَيْن إلى موسى إلى ما يَدْعوني وما يعطيني؟ قالت: وما هو؟ قال: يدعوني إلى أن أعبد الله ولا أشرك به شيئًا وأنَّ لي الشبابَ لا أهرمُ، والملكَ لا ينازعُني فيه أحد، والصحة لا أسقمُ، والجنةَ خالدًا، قالت: يا فرعون، وهل رأيتَ أحدًا يصيب هذا فيَدعَه؟ قال: فخرج فدعا هامان ـ قال الحسن رحمه الله: وكان لا يُعرف له نسب ـ فذكر له ذلك واستشاره، فقال له هامان: أتَعبد بعد إذ كنت تُعبد؟! فبدا له وذكر أمرَ الشيب، فقال: أنا أردُّك شابًّا، فخضَبه بالسواد، وهو أول مَن خضب بالسواد فدخل على آسية، وقال: يا آسية، أَلَا تَرَيني صرت شابًا؟ قالت: مَن فعل هذا بك؟ قال: هامان، قالت: ذاك إن لم يَنْصُل[1].

---

(١) رواه ابن عساكر في «تاريخه» (٦١/ ٦٤ ـ ٦٥)، وليس هذا بأحسن من سابقه، ولعله مكذوب على الحسن، فالظاهر من قول فرعون: قتلتَ خمسة وعشرين ألفًا، أنه مبني على الخبر السابق وتابع له، ثم كيف يتصور أن يدعو موسى فرعون إلى الإيمان بالله على أساس تلك المرغبات التي يخالف بعضها سنة الله في عباده، فمن ذا الذي يعطى الشباب بلا هرم والصحة بلا سقم؟! وأي إيمان هذا الذي بني على زهرة الحياة الدنيا التي هي فتنة للكفار وليست طريقاً للإيمان بالله سبحانه؟ كما قال: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ [طه: ١٣١]، فأي ميزة لفرعون حتى يكون ما جعل لغيره فتنة سبيلاً له للإيمان؟ على أن هذا التمتيع الذي في الآية هو أقل بكثير مما وعد به موسى فرعون في هذا الخبر.

(١٠٨) ـ ﴿ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴾ لمَّا أراه[1] آيةَ العصا قال: هل من آيةٍ غيرِها؟ فنزع يده؛ أي: أخرجها من جيبه فإذا هي منيرةٌ لها شعاعٌ كشعاع الشمس تَكلُّ منها الأبصار، يسطع نورها في السماء، قد أضاء ما حولها ودخل نُورها البيوتَ، وأضاءت منها المدينة، ورؤي من وراء الحجب، فلم يستطع فرعون النظر إليها، ثم ردَّها موسى عليه السلام في كمِّه، ثم أخرجها فإذا هي على لونها الأول.

وقال في آية أخرى: ﴿مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾ [طه: ٢٢] قال أهل التفسير: من غير بَرَص.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: معناه عندنا: من غير أن تُستقبَح وتُستقذَر؛ لأن خروج الشيء عن خِلقته وجوهره مما يُستقبح ويُستقذر، فأخبر أنه لم يكن كذلك.

وقال: فإن قيل لنا: ما الحكمةُ في إلقاء العصا ونزعِ يده من جيبه وتغييرِهما بعد ذلك، ولم يغيِّرهما الله تعالى وهما بحالهما؟

قيل والله أعلم: أراهم ذلك بعد إخراجه من سلطانه وتدبيره، ليُعلَم أنهما صارتا كذلك بصُنع الله عز وجل لا بفِعله، فإنها صارت حيةً بعد ما أخرجها من يده، وصارت يدُه بيضاء بعد ما غيَّبها عن بصره؛ ليُعلم أنهما صارتا كذلك بالله عزَّ وجلَّ لا به[2].

* * *

(١٠٩ ـ ١١٠) ـ ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾.

---

(١) في (ف): «رأى».

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٤/ ٥٢٠).

وقوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾: أي: قال الأشراف من قوم فرعون الذين كانوا حضورًا: إن موسى هذا لساحرٌ حاذقٌ في سحره، وإنما قصدُه إخراجُكم من أرضكم، وأنْ يَغلبكم على بلادكم بقومه من بني إسرائيل إذا نَفذت هذه الحيلة، فماذا تأمرون أيها الوزراء؟

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: ويحتمِل أن يكون المراد به: ولو اتَّبعتم موسى وأَجَبْتُموه إلى ما يدعوكم إليه لأَخرجتُكم من أرضكم، فأضاف ذلك إلى موسى عليه السلام بطريق التسبيب[١].

قالوا: إن الملأ المذكور في أول الآية جماعةٌ دون الوزراء، وقوله: ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ خطابٌ منهم لأصحاب الآراء من المقرَّبين والوزراء، وذكر في سورة الشعراء: ﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ﴾ [الشعراء: ٣٤ ـ ٣٥] فأخبر عن فرعون أنه قال ذلك للملأ، فقيل: إن من المحتمل أن يكون فرعون قال ذلك أولًا، ثم الملأُ قالوا له ذلك، فأخبر الله تعالى عنهم جميعًا.

وقيل: قوله: ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ خطاب من الملأ لفرعون بصيغة الجمع تعظيمًا له، وكذا خطاب الملوك.

وقال الكلبي وأبو عبيدةَ والفراء: هذا الخطاب من فرعون للملأ، يقول: ماذا تشيرون عليَّ في أمره، وهذا على نظم سورة الشعراء ظاهر، وعلى نظم هذه السورة فيه إضمار: قال لهم فرعون[٢].

وقال أهل التحقيق: تحيَّر هذا الملعون عند غلبة سلطان المعجزة فنسي دعوى

---

(١) في (ر): «التسبب». وانظر: «تأويلات أهل السنة» (٤/ ٥٢٦).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٣٨٧).

الإلهية ومرتبةَ كونه آمرًا وناهيًا لهم، فخاطبهم خطاب الأذلَّاء المقهورين المكلَّفين المأمورين: ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾.

* * *

(١١١ ـ ١١٢) ـ ﴿قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ وَأَرۡسِلۡ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَأۡتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٖ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ﴾[١] قرأ نافع ـ غيرَ قالون[٢] ـ وحمزة وعاصم في أكثر الروايات[٣]، والكسائي وعباس عن أبي عمرو[٤] بغير همز إلا أن حمزة يسكن الهاء وهم يكسرونها.

وقرأ الباقون: ﴿أرجئه﴾ بهمزٍ[٥]، وهما لغتان: أرجَيْتُ الأمر وأرجأته؛ أي: أخَّرته.

وقيل في تفسيره: احْبِسه، يعني: موسى ﴿وَأَخَاهُ﴾ يعني: هارون، وكان معه، فقد ذكرهما في موضعٍ آخر فقالا: ﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٦]، و: ﴿إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ﴾ [طه: ٤٧].

---

(١) في (ف): «﴿قالوا أرجئه وأخاه﴾»، وهي قراءة سبعية كما سيأتي.

(٢) قالون هو أحد راويي نافع واسمه: عِيسَى بن مينا، والثاني هو عُثْمَان بن سعيد الملقب بورش، فقراءة نافع غير قالون في السبعة يقصد بها قراءة ورش عنه.

(٣) «وعاصم في أكثر الروايات» ليس في (أ)، «في أكثر الروايات» ليس في (ف).

(٤) «وعباس عن أبي عمرو» ليس في (أ).

(٥) انظر: «السبعة» (ص: ٢٨٧ ـ ٢٨٩)، و«التيسير» (ص: ١١١). واختصر الداني ما فيها من قراءات سبعية بقوله: ابن كثير وهشام: ﴿أرجئه﴾ هنا وفي الشُّعراء بالهمز وضم الهاء ووصلها بواو، وأبو عمرو بالهمز والضَّم من غير صلة، وابن ذكوان بالهمز وبكسر الهاء ولا يصلها بياء، وقالون بغير همز ويختلس الكسرة، وورش والكسائيّ بغير همز ويصلان الهاء بياء، وعاصم وحمزة بغير همز ويسكِّنان الهاء.

ودلت هذه الآيةُ على[1] أن قوله: ﴿فَمَاذَا تَأۡمُرُونَ﴾ من فرعون للملأ، فقد ذكر في هذه الآية جوابهم له قالوا: احْبِسه وأخِّرْ أمرهما حتى ننظرَ في أمرهما، فلا تقتلهما ولا تؤمن بهما.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: ﴿أرجئه﴾؛ أي: أخِّره، هذا يدلُّ على تقدُّم شيء، فكأنه همَّ بقتله فقالوا: أخِّر قتله واحبِسه ولا تقتله؛ ليتبيَّن سحره عند الخلق جميعًا، ويدل على ذلك قوله: ﴿وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ ذَرُونِيٓ أَقۡتُلۡ مُوسَىٰ﴾ [غافر: ٢٦][2].

وقال عطاءٌ الخراسانيُّ: ﴿أرجئه﴾: أخِّره[3]، وهو الأصح؛ لأنه لا[4] يَثبت أنه حبَسهما، ويدل عليه قوله: ﴿فَٱجۡعَلۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكَ مَوۡعِدٗا لَّا نُخۡلِفُهُۥ﴾ [طه: ٥٨].

وقال القشيريُّ رحمه الله: توهَّم البائس أنهم بالتأخير، وتقديمِ التدبير، وبذلِ الجِدِّ والتشمير، يغيِّرون شيئًا من التقدير، ولم يعلموا أن القضاء غالب والحكمَ سابق، وعند حلول الحكم لا سلطان للعلم والفهم، كلا بل هو الله الواحد القهَّار[5].

وقوله تعالى: ﴿وَأَرۡسِلۡ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَأۡتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٖ﴾ وفي قراءة حمزة والكسائيِّ: ﴿بِكُلِّ سَحَّارٍ﴾[6].

والمدائن: جمع مدينة، والحاشر: الجامع.

---

(١) «على» ليس في (ف).

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٤/ ٥٢٦).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٣٥٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٣٣)، من طريق عطاء عن ابن عباس.

(٤) في (ف) و(أ): «لم».

(٥) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٥٥٦).

(٦) انظر: «السبعة» (ص: ٢٨٩)، و«التيسير» (ص: ١١٢).

قال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: يعني: وابعث الشُرَط ليجمعوا السحرةَ من المدائن[١]، وكان له مدائن فيها السحرةُ[٢] عُدَّةً للأشياء إذا حزبه أمر.

فقال فرعون لموسى: اجعل بيننا وبينك موعدًا لا نخلفُه، فتجتمعَ أنت وهارونُ وتجتمعَ السحرة، فقال موسى: موعدكم يوم الزينة، ووافق ذلك يوم السبت في أول يومٍ من السَّنة وهو يومُ النيروز، فخرج موسى وهارون من عنده، وأرسل فرعونُ حاشرين إلى كلِّ مدينة في سلطانه، فاجتمع السحرة لميقاتِ يومٍ معلوم، فاجتمع خمسة عشر ألفَ ساحر، وقيل: كانوا اثني عشر ألفًا.

وقال الحسن رحمه الله: كانوا خمسةً وعشرين ألفًا[٣]، وليس معهم ساحرٌ إلا وهو يُحسِن من السحر ما لا يُحسِن صاحبه، وكان كبراؤهم ألفَ ساحر، وهم الذين عملوا بالعصيِّ والحبال.

والساحر: الفاعل للسحر، والسحَّار: الدوَّام[٤] على ذلك.

وقيل: الساحر: العالم به، والسحَّار: العالم[٥] المعلِّم.

* * *

(١١٣) ـ ﴿ وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴾.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٣٥١ و٣٥٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٣٤).

(٢) في (ف) و(أ): «مدائن فيها السحرة» بدل من «وكان له السحرة في المدائن».

(٣) ذكره ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦١/ ٦٦)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٥/ ٣٠٠) بلفظ: كانوا خمسة وعشرين صفاً، كلُّ ألف ساحر صفٌّ.

(٤) في (أ): «المدافع»، والمثبت من (ر)، وسقطت الجملة من (ف).

(٥) «به والسحار العالم» من (أ).

وقوله تعالى: ﴿وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ﴾ وهاهنا مضمَرٌ: فأرسلَ الحاشرين فجمَعوهم وجاء السحرة فرعون.

قال الكلبيُّ رحمه الله: فأتَوه وكانوا سبعين[1] ساحراً غيرَ رئيسهم، وكان يعلِّمهم رجلان مجوسيان من أهل نينوى[2].

وقوله تعالى: ﴿قَالُوا أئنَّ لنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾[3] قرأ ابن كثيرٍ ونافع وعاصم في رواية حفصٍ: ﴿إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا﴾ من غير ألفِ استفهامٍ، وهو مرادٌ في المعنى، وقرأ الباقون: مع ألف الاستفهام[4].

وقال الكلبي: معناه: إن[5] لنا لَمالًا تعطينا إن غلبْنا موسى.

***

(١١٤) ـ ﴿قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾: أي: في المجالس عندي، أجابهم إلى ما الْتمسوا وزادهم في الميعاد، وقال: أنتم مقرَّبون عندي في المنزلة، فتكونون أولَ مَن يدخل وآخِرَ مَن يخرج.

وقال بعض المفسرين: وعدهم أن يأذَنَ لهم في كلِّ أربعين يومًا مرة واحدة أن يدخلوا عليه.

---

(١) بعدها في (ف): «ألف»، والمثبت من باقي النسخ والمصادر.

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» (٤/ ٢٦٩)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٢٦٤)، وذكره الرازي في «تفسيره» (١٤/ ٣٣٢) عن ابن عباس.

(٣) في (ر): «﴿قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا ...﴾».

(٤) انظر: «السبعة» (ص: ٢٨٩)، و«التيسير» (ص: ١١٢).

(٥) في (ر): «أئن».

وقيل: أي: حوائجُكم عندي مقضيَّةٌ، وشفاعاتُكم لغيركم مقبولة، ومراتبُكم في الدخول والخروج مرفوعة.

وقيل: هو رأس كلِّ كرامة، فإنَّ مَن قرِّب من الملِك وصل إلى كلِّ شيء.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: كان السحر هو الظاهرَ الغالب في ذلك الزمان، فجاء موسى من الآيات على رسالته بنوعٍ ما كانوا يعملون به وجنسه؛ ليَعرفوا بخروجه عن وسعهم أن ذلك ليس بسحرٍ ولكنه آيةٌ سماوية، وكذلك ما جاء به عيسى عليه السلام من الآيات كان ذلك في أيام الحكماء(١)، وكذلك نبيُّنا محمد عليه الصلاة والسلام جاء بالقرآن الذي أعجز الفصحاء والبلغاء عن معارضته، وكان زمانَ بلاغة وفصاحة(٢).

وقال وهبٌ: اجتمع السحرة وهم سبعون ألفًا، ثم ميَّزهم حتى اختار منهم سبعةَ آلاف، ثم ميَّزهم حتى اختار منهم سبعَ مئة، ثم ميَّزهم حتى اختار منهم سبعين ساحرًا من كبرائهم، فجاؤوا بالعصيِّ والحبال فعملوا بها بين يدي فرعون قبل أن يلتقُوا هم وموسى، فلما رآها فرعون تحوَّلت كأنها حياتٌ وأفاعٍ استبشر وطمع في أن يظفر بموسى(٣).

وقال الضحاك: وخرج موسى وهارون وبيد موسى عصًا وعليه عباءةٌ، حتى انتهوا

---

(١) «كان ذلك في أيام الحكماء» من (ف). وعبارة «التأويلات»: (كذلك ما جاء عيسى من الآيات جاء بنوع ما كان يعمله قومه، وهو الطب، فجاء بنوع الطب ليعلموا أنه بالله عرف ذلك).

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٤/ ٥٢٩).

(٣) ذكر أوله عن وهب ابن الجوزي في «زاد المسير» (٥/ ٣٠٠) من طريق عبد المنعم بن إدريس عن أبيه عن وهب. وعبد المنعم بن إدريس قال عنه أحمد بن حنبل كما في «الميزان»: كان يكذب على وهب بن منبه، وقال البخاري: ذاهب الحديث. وقال ابن حبان: يضع الحديث على أبيه وعلى غيره.

إلى الصفوف وهم خمسةَ عشرَ صفًا، وخرج[1] فرعون في عظماء قومه، فجلس في مجلسٍ له على سريرٍ له عليه خيمةُ الديباج ميل في ميلٍ، ومعه هامان وزيرُه وقارون بين يديه، واجتمع الناس في صعيدٍ واحد يقول بعضُهم لبعض: ننظر مَن الغالب فنكون معه، وقال موسى عليه السلام للسحرة: ﴿وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ الآية [طه: ٦١] ﴿فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَىٰ﴾ [طه: ٦٢]؛ أي: قال بعضهم لبعض سرًّا: ما هذا بقولِ ساحرٍ لكن[2] هذا كلامُ الرب الأعلى، ثم نظروا إلى فرعون وسلطانه وبهائه ونظروا إلى موسى وعصاه[3] وكسائه، فنُكسوا على رؤوسهم وقالوا: ﴿إِنْ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ﴾ الآية [طه: ٦٣][4].

* * *

(١١٥) - ﴿قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ﴾: (إمَّا) للتخيير، وتقديره: إمَّا أن تلقيَ أنت أولًا وإمَّا أن نُلقي نحن أولًا، دليلُه ما قال في سورة طه: ﴿إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ﴾ [طه: ٦٥].

قيل: أظهَروا الاقتدار وقالوا: إن بدأت أنت أو بدأنا فلا خوف علينا ولا حِذارَ.

وقيل: بل احترموا، وببركة ذلك أسلموا.

* * *

(١) بعدها في (ف): «عليه».

(٢) «لكن» ليس في (ف).

(٣) في (ف): «إلى موسى وفي يده عصاه».

(٤) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦١/ ٦٦)، من طريق جويبر عن الضحاك. وجويبر متروك، ويرويه عنه إسحاق بن بشر وهو متروك أيضاً.

(١١٦) ـ ﴿ قَالَ أَلْقُواْ فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ قَالَ أَلْقُواْ ﴾: أي: فسترون ما يحلُّ بكم من الخِزْي، ولم يكن هذا أمرًا بتنفيذ السحر ورضًا به، ولكنه تهديد.

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴾: أي: قلبوا أعين الناس عن صحة الإدراك.

وقيل: حيَّروا الأعين.

﴿وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ ﴾؛ أي: حملوهم على الرهبة وهي الخوف، وسين الاستفعال للطلب والسؤال، وذلك لمَّا رأوها تسعى؛ قال تعالى: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴾ [طه: ٦٦].

قال الحسن: ألقى كلُّ رجل منهم ما كان في يده من حبلٍ أو عصًا، وكانوا أخرجوا ثلاثَ مئة وستين وسقًا من الحبال والعصي، فلما ألقوا قالوا: ﴿بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾ [الشعراء: ٤٤]؛ أي: القاهرون[1].

وروي أنها كانت عصيًّا جُوفًا فيها الزئبقُ، فلما أصابها حرُّ الشمس تحركت وخيِّل إلى موسى أنها تسعى إليه، وخاف مَن حضر أن بعضها يسعى إليهم فرَهِبوا فهَرَبوا[2] إذ كان سحرًا عظيمًا؛ أي: هائلًا كثيرَ العدد والملقين.

وقال الحسن رحمه الله: ملؤوا الدنيا في أعينهم حياتٍ، وكان أولُ مَن خطفوا بسحرهم بصرَ موسى وهارون، ثم فرعون والناس، وامتلأ الوادي

---

(١) قطعة من الخبر السابق عند ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦١/ ٦٦).

(٢) «فهربوا» ليس في (أ).

منها، فركب[١] بعضُها بعضًا، وهرب الناس عنهم وانكشفوا، ﴿فَأَوْجَسَ﴾ موسى ﴿فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً﴾[٢].

قيل: هو خوفُ طبعٍ.

وقيل: ظنَّ أن عصيَّهم صارت حياتٍ حقيقةً كعصاه.

وقيل: وهو قول الإمام أبي منصور رحمه الله: خاف أن سحرهم يمنع أولئك عن رؤية حقيقة ما جاء به[٣].

فأوحى الله تعالى إليه: ﴿لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [طه:٦٨]، وجاء جبريل صلوات الله عليه حتى وقف عن يمينه وقال له: ألق عصاك، وذلك قوله تعالى:

(١١٧) ـ ﴿۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾.

﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ﴾: وأضمر هاهنا: فألقاها ﴿فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾: قرأ عاصم في رواية حفص بالتخفيف، ومعناه: تبتلع، من حدِّ عَلِمَ.

وقرأ الباقون: ﴿تَلَقَّفُ﴾ بالتشديد[٤]، وأصله: تتلقَّف، وهي للتكلُّف والتكرُّر، وأُسقطت إحداهما تخفيفًا.

وقوله تعالى: ﴿مَا يَأْفِكُونَ﴾ تقديره: ما يأفكون به، أو: فيه. أي: يكذبون فيقولون: هي حياتٌ حقيقةً، أو: هي غالبةٌ معجزةَ موسى.

وقيل: ﴿يَأْفِكُونَ﴾؛ أي: يصرفونه عن حقيقته بالتخييل، من قوله تعالى: ﴿فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾؛ أي: يُصرفون.

---

(١) في (ر): «يركب».

(٢) قطعة من الخبر السابق عند ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦١/ ٦٦ ـ ٦٧).

(٣) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٤/ ٥٢٨).

(٤) انظر: «السبعة» (ص: ٢٩٠)، و«التيسير» (ص: ١١٢).

وقال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: ألقَى عصاه فصارت ثعبانًا رأسُه في السماء وأحدُ شدقيه[١] بالأرض، ثم ابتلع ما كان من سحرهم حتى ما ترك في الوادي من سحرهم شيئًا، وانكشف الناس وولَّوا هاربين والثعبانُ على إثرهم، فمات بعضهم على بعضٍ بقَدْر سبعين ألفًا.

وقال عبد الله بن زياد بن سَمْعانَ: حدَّثني رجال من أهل العلم: أن فرعون لعنه الله كان في خيمته، إذ أقبل الثعبان في آثار الحيات حتى اقتحم على فرعون في خيمته، فقام فرعون عن سريره ونزل بالأرض، وكان أعرجَ لم يُعرف إلا يومَه ذلك، فمشى يومئذ سبعَ خطوات فعرفوا أنه أعرج.

وقال وهب: فلمَّا وقعت العصا بالأرض انكشف غطاءُ سحرهم عن أعين الناس، فنظروا إلى ما ألقت السحرة عيدانًا وحبالًا، وأكبَّ ثعبان[٢] موسى يمضغُ حبالهم ويَقضَمُ عيدانهم حتى الْتَقَفَ ما يأفكون سبعَ مئة عودٍ وسبعَ مئة حبلٍ، ولم يكونوا يُلقون حبالهم وعصيَّهم بمرةٍ واحدة، ولكنهم يلقون كلَّ مرةٍ عشرةَ أعوادٍ وعشرةَ أحبُلٍ، فكلما وقع على الأرض منه شيء التقمه حيةُ موسى والناس يزدادون عبرًا.

* * *

(١١٨) ـ ﴿ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ ﴾: قال الحسن ومجاهد: أي: ظهر[٣]، وقيل: أي: ثبتت الحجة، وقيل: أي: جاء الحق.

---

(١) في (أ): «شقيه».

(٢) في (أ): «وأكب حية»، وفي (ر): «وأقبل حية».

(٣) ذكره عنهما الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ٢٤٦). ورواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٣٦٠ ـ ٣٦١) عن مجاهد، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٣٦) عن ابن عباس.

وقوله تعالى: ﴿وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾: أي: تلاشَى ما عملوه من العصيِّ والحبال، وقيل: أي: بطل عملُهم.

* * *

(١١٩) ـ ﴿فَغُلِبُواْ هُنَالِكَ وَانقَلَبُواْ صَاغِرِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَغُلِبُواْ هُنَالِكَ﴾: أي: غُلب السحرة في ذلك الموضع ﴿وَانقَلَبُواْ صَاغِرِينَ﴾؛ أي: رجعوا أذلَّاء مقهورين.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: أي: فرعون وملؤه وأتباعه، لا السحرة فإنهم آمنوا وعزُّوا بالإيمان[1].

* * *

(١٢٠) ـ ﴿وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ﴾: أي: ألقاهم ما رأوا من الآية العظيمة ساجدين؛ أي: دعاهم إلى السجود لله تعالى والخضوعِ له.

وقيل: أي: لم يتمالكوا أنْ وقعوا ساجدين فكأن مُلْقيًا ألقاهم، وقريبٌ منه قول بعضهم: أسرعوا ساجدين فكأنهم أُلقوا.

وقيل: هو تنبيهٌ على أن الله تعالى هو خالقُ أفعال العباد، وأن الله تعالى هو الذي خلق فيهم ذلك، فقوله: ﴿سَاجِدِينَ﴾ إثباتُ فعلهم، وقوله: ﴿وَأُلْقِيَ﴾ إثباتُ خلق الله تعالى فعلَهم ذلك.

وقال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: قالت السحرة بعضُهم لبعض: لو كان هذا سحرًا لثبتت حبالُنا وعصيُّنا، وهذا أمرٌ من الله تعالى فخرُّوا ساجدين لله تعالى[2].

---

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٤/ ٥٣٠).

(٢) رواه بنحوه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٣٥٨).

(١٢١ ـ ١٢٢) ـ ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ١٢١ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ تبرَّؤوا من كفرهم وآمَنوا بربّهم، ولمَّا سمعوا من موسى وهارون حين أتيا[1] فرعون ما قالا: ﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ حفظوا هذا الاسم فنفعهم يوم إلقاء العصا فتكلَّموا به، وكذا ينبغي لمن سمع علمًا أن يحفظه وإن كان لا يعمل به للحال لأنه ينفعه في المآل.

ولمَّا قالوا: ﴿ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، قال فرعون: أنا رب العالمين، فقالوا: ﴿رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾ فبُهت فرعون لردهم عليه.

وقيل: معنى قوله: ﴿رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾؛ أي: أَرسل موسى وهارون إلينا، وهو إيمانٌ منهم بهما وتصديقٌ لهما.

وقال[2]: مَن شرَع في شيء حقٍّ أو باطلٍ فليُتْقِنه فإنه يردُّه إلى الحق يومًا، ألا ترى أن السحرة تعلَّموا السحر وهو ضارٌّ، ولمَّا أتقنوه وتناهَوا فيه وقفوا به على أن ما ظهر على يدي موسى ليس من جنسٍ ما يَدخل في حيلةِ المخلوقين، وأنه مِن عندِ ربِّ العالمين، فاهتدوا إلى الإيمان ونجَوا من الخسران.

* * *

(١٢٣) ـ ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُواْ مِنْهَآ أَهْلَهَا ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ﴾: أي: بغيرِ أمري وإذني.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُواْ مِنْهَآ أَهْلَهَا﴾ قال مقاتل: إن

---

(١) في (ف): «أنبآ».

(٢) قوله: «قال» كذا وقع في النسخ دون بيان القائل، وجاء بعده في (ر): «إن».

موسى عليه السلام قال للساحر الأكبر: تؤمن بي إنْ غلبتُك؟ فقال: لآتينَّ بسحرٍ لا يغلبه سحرٌ، ولئن غلبتَني لأومِنَنَّ بك، وفرعونُ ينظر [إليهما ولا يفهمُ ما يقولان] فلما آمنوا، قال: ﴿إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ﴾ [طه: ٧١]، و﴿هَٰذَا﴾ منكم ﴿مكرٌ مكَرْتُموه في المدينة﴾؛ أي: تواطأتُم عليه لتَدخلوا في دينه، وتجتمعوا على إخراج بني إسرائيل من المدينة ليكونوا عبيدًا لكم وخدمًا وتبعًا[(١)].

وقال القشيريُّ رحمه الله: خاطبهم معتقِدًا أنهم هم الذين كانوا[(٢)]، ولم يعلم أن تلك الأسرار قد حرِّرت عن رِق الأشكال، وأن قلوبهم قد طهُرت عن توهُّم التَّفرقة، وأن شمسَ العرفان قد طلَعت في سماء أسرارهم، فشاهدوا الحقَّ بنظرٍ صحيح [و]لم يبق لتخويفات[(٣)] النفس فيهم سلطان، ولا لشيءٍ من العلل فيهم جولان، والله المستعان[(٤)].

وقوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾: هذا وعيد، وهو أبلغ تهديد.

قال مقاتل: كان رأسُ السحرة شمعون[(٥)]، وقال ابن جريج: بَرْحنَّة[(٦)].

* * *

(١٢٤) ـ ﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٢٦٣ ـ ٢٦٤).

(٢) بعدها في (ف): «تواطؤوا معه على هذا المقال»، وليست في «اللطائف».

(٣) في (أ): «لتحريفات».

(٤) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٥٥٨)، وما بين معكوفتين منه، وجاء آخره هكذا: (... ولم يبق لتخويفات النفس فيهم سلطان، ولا لشيء من العلل بينهم مساغ).

(٥) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٥٤).

(٦) في (أ): «برجنة».

وقوله تعالى: ﴿ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ﴾ التقطيع: تكثير القَطْع بكثرة المحالِّ، والخلاف: أن يكون في اليد اليمنى والرجل اليسرى.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾: هو تكثيرُ الصَّلْب، وهو للتشهير. وقال في سورة طه: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ [طه: ٧١]؛ أي: على جذوعها.

❊ ❊ ❊

(١٢٥) ـ ﴿قَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴾: أي: إلى جزائه، استسلَموا لذلك، وطيَّبوا أنفسهم، وقالوا: إذا كان المصير إلى الله طاب المسيرُ إلى الله تعالى.

وقيل: أي: إذا كان المصير إلى الله فهو أحقُّ أن يُتَّقى عذابُه منك بما تهدِّدنا به.

❊ ❊ ❊

(١٢٦) ـ ﴿ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا ۚ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ ﴾: أي: ما تَعيب منَّا ﴿إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا﴾ وهذا مما لا يُعاب، بل ثبت له الإيجاب، ولا يجوز لنا عنه الانقلاب، فلا سبيل إلى إرضائك فقد استسلمنا(١).

ثم دعَوا ربهم أن يصبِّرهم على ما ينالهم من فرعون، وذلك قوله تعالى:

﴿رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا ﴾: أي: صبَّه علينا؛ أي: وفِّره لنا.

وقوله تعالى: ﴿وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴾: أي: على دينِ موسى وهارون.

---

(١) «فقد استسلمنا» ليس في (ف).

وقال الإمام القشيري رحمه الله: لمَّا عملوا لله، وأُوذوا في الله، صرَفوا القصدَ إلى الله، وطلبوا المعونةَ من عند الله، كذا السنَّة فيمَن كان كلُّه لله تعالى أن يكون كلُّه على الله[1].

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: قوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ﴾ هو تمويهٌ وتلبيسٌ منه على قومه لئلا يؤمنوا، كما قال في الابتداء: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ١٠٩].

وقوله: ﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ﴾ هدَّدهم أولًا بأشدِّ العقوبات ثم قال هذا، وهو جهل منه لأنه أيسرُ من قطعهما من جانبٍ؛ لأن ذاك متلِفٌ وذا ليس بمتلفٍ، ولذا شُرع هذا في الحدود، وذاك يعجز عن الصعود، وهذا يقدر على الصعود[2].

وقوله: ﴿إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ﴾ إقرارٌ منهم بالبعث، وهو ثقةٌ بالوعد، وهو تخويفٌ لفرعون: إنَّا وأنت منقلبون إلى جزاء الله، فيُثيبنا على إيماننا ويعاقبُك على صنيعك بنا.

وقوله[3]: ﴿وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ﴾ وكان الحقَّ علينا وعليكم أن نؤمن بها.

وقوله: ﴿رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾ قيل: أنزل علينا، إنما قالوا ذلك لخوفهم أنه لو فعل بهم ما أَوعدهم به فلعلهم لم يصبروا فيتركوا الإيمان، فسألوا الصبرَ عليه

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٥٥٨).

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٤/ ٥٣٣ ـ ٥٣٤). والمراد بالصعود: الصعود على الخشبة للصلب، وعبارة الماتريدي: (... أو أنه اختار القطع من خلاف ليكون مؤنة الصلب عليهم لا عليه؛ لأن المقطوع من خلاف قد يمكن له الصعود على الخشبة، والثاني: لا، والله أعلم).

(٣) في (ف): «قولهم».

للثبات على الإيمان، وسألوا الوفاة على الإيمان، وكذا كان دعاءُ الأنبياء عليهم السلام، وكذا يجب على كلِّ أهل الإسلام.

قال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: فصلبهم فرعون على جذوع النخل، وهو أولُ مَن قطع الأيديَ والأرجلَ من خلافٍ، وأولُ مَن صلب(١).

وقيل: كان ذلك على شاطئ نهر مصر.

وقال وهبٌ: صلبهم في جذوع النخل، كلُّ جذعٍ أربعون ذراعًا.

وقال عطاء: كان رئيس السحرة بأقصى مدائن الصعيد، وكانا أخوين، فلما جاءهما رسول فرعون قالا لأمهما: دلِّينا على قبر أبينا، فدلَّتهما عليه، فأتياه فصاحا باسمه فأجابهما، فقالا: إن الملك قد وَجَّه إلينا لنَقْدَم(٢) عليه؛ لأنه أتاه رجلان ليس معهما رجال ولا سلاح، ولا لهما عزٌّ ولا منَعة، وقد ضاق الملك عن عزِّهما(٣)، ومعهما عصًا إذا ألقياها لا يقومُ لها شيءٌ حتى تبتلعَ الحديد والحجر والخشب، فأجابهما أبوهما: انظرا إذا هما ناما، وإنْ قدرتما أنْ تسلَّا العصا سلًّا فإن الساحر لا يعمل سحره وهو نائم، وإن عملت العصا وهما نائمان فذاك أمرُ رب العالمين ولا طاقةَ لكما بهما ولا للملك ولا لجميع أهل الدنيا، فأَتَياهما في خُفْيةٍ وهما نائمان ليأخُذا العصا، فقصدتهما العصا(٤).

قال سعيد بن جبير: كانت العصا من العوسج(٥).

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٣٦٣).

(٢) في (ف): «أن نقدم».

(٣) في (أ): «من غيرهما»، وهو تحريف ظاهر، والعبارة في «تفسير الثعلبي»: (وقد ضاق الملك ذرعاً من عزهما).

(٤) ذكرهما الثعلبي في «تفسيره» (٤/ ٢٧٠).

(٥) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٧٥٨).

وذكرنا قبل هذا ـ وهو[١] قول السُّدِّي ـ أنها كانت من آسِ الجنة.

وقال وهبٌ: وقال فرعون لموسى وقد انصرف والثعبان على أثره يَنظر إليه الناس حتى دخل المدينة: اعتزِلْ إلى عسكر قومك واكفُف عن الناس هذا الخوف الذي دخلهم، فقد فرَّقْتَهم وشرَّدْتهم، ولن يجتمعوا لك أبدًا، ولن يستجيبوا لك ولن يؤمنوا بك، وأنا ناظرٌ في أمرك وجامعٌ لك الجنودَ، وسوف تَعلم إذا التقى الجمعان، فلا يغرَّنَّك ما سحرتَ به أعين الناس، فقال موسى: أنا عبد مأمور أعمل بوحي الله تعالى، ولا أزال مجاهدَك غيرَ مقصِّرٍ حتى يحكم الله بيني وبينك، وكان الرسول فيما بينهما هامان وقارون.

قال: فأوحى الله تعالى إلى موسى: إنِّي أنا الحليم[٢] الكريم، وأنا الغنيُّ الحميد، فدَعْه إلى أن يَجمع لك الجنود[٣] وأنا مِن ورائه محيط، فأسعِفْه بحاجته واضْرِبْ بينك وبينه أجلًا، وارجع إلى عسكر[٤] قومك أنت وأخوك.

قال: ففعل ما أمره به ربُّه، فلما خرج موسى وهارونُ إلى عسكر قومهما والحيةُ خلفه تُبَصْبِص[٥] حوله،..

---

(١) «هو» ليس في (أ).

(٢) كتب فوقها في (ر): «الحكيم».

(٣) في (ف): «الجموع» وفي هامشها: «الجنود».

(٤) في (أ): «عزك».

(٥) في (أ): «ينصنص»، ولها وجه، فإن النصنصة هي التحريك والاهتزاز، وقد روي عن أبي بكر رضي الله عنه: أنَّهُ كان يَنصْنِصُ لسانه ويقول: إنَّ ذا أوردَني المَوارِد، ومعناه: يُحرِّكُه ويُقلقِلُه، وكلُّ شيءٍ حرَّكْتَه فقد نَصْنَصْتَه. وفيه لغةٌ أخرى: (نَضْنَضْتُ) بالضاد، ومنه: الحيَّةُ النَّضْنَاضُ، وهي القَلِقَةُ. انظر: «غريب الحديث» لأبي عبيد (٤/ ١١٦)، و«الغريبين» للهروي (مادة: نصنص)، و«مجمع الغرائب» لعبد الغافر الفارسي (مادة: نصنص ونضنض).

وقد ملأ الله تعالى الناس منها[١] رعبًا، فلما وصل إلى عسكر قومه أخذ بشدق الحية فإذا هي عصًا يتوكَّأ عليها.

* * *

(١٢٧) - ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ﴾: قال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: إن سحرة فرعون لمَّا غُلبوا آمن بموسى عليه السلام من بني إسرائيل ستُّ مئة ألف[٢]، فقال الملأ من قوم فرعون: أتَدَعُ موسى وقومه من بني إسرائيل ليفسدوا في أرضك بإيقاع الفُرقة والصدِّ عن دينك والدعاء إلى مخالَفتك ﴿وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ﴾؛ أي: يعتزلَك فلا يخدمَك ولا يعبدَك ولا يعبدَ[٣] آلهتك التي تعبدُها.

قال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: كان فرعون اللعين صنع لقومه أصنامًا صغارًا وأمرهم بعبادتها وقال: أنا ربُّكم وربُّ هذه الأصنام[٤].

قال سليمان التيميُّ: كان فرعون يعبدُ البقر[٥].

---

(١) في (أ): «منهما».

(٢) ذكره أبو الليث في «تفسيره» (٢/ ١٢٧).

(٣) «يعبد» ليس في (ف).

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٤/ ٢٧١)، والواحدي في «البسيط» (٩/ ٢٩٢)، وفي «الوسيط» (٢/ ٣٩٦)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٣/ ٢٤٤). وصرح الواحدي في «الوسيط» أنه من رواية الكلبي عن ابن عباس.

(٥) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٣٨).

وقال السُّدِّي: كان يَعبد ما يَستحسِن من البقر، وعلى ذلك أخرج السامري عجلًا جسدًا له خوارٌ فقال: ﴿هَٰذَآ إِلَٰهُكُمۡ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ﴾ [طه: ٨٨][١].

وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه: (وإلاهَتَك)؛ أي: عبادتَك، فلا يعبدُك كما نعبدُك نحن، وكذا قرأ ابن عبَّاس رضي الله عنهما وبكر بن عبد الله والشعبي والضحاك وابن إسحاق[٢]، وقال مجاهد: هو الصحيح؛ لأنه كان يُعبَد ولا يَعبُد[٣].

وقيل في جوابه: يحتمِلُ أنه كان يَعبد ويُعبد، **وقوله تعالى**: ﴿مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي﴾ [القصص: ٣٨]، و: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤] هو على التخصيص؛ لأنه لم يقل: ما علمتُ من إلهٍ غيري، و: أنا الربُّ الأعلى.

وقيل: في تأويل قراءة هؤلاء: (وإلاهتَك): لم يُرَدْ به: وعبادتَك، بل الإلاهةُ اسمٌ للشمس، وهو كان يَعبد الشمس، قال الشاعر:

وأعجلنا الإلاهة أن تؤوبا[٤]

وإنما اعترضوا عليه بهذا وعارَضوه وأنكروا عليه فعلَه مع أنهم يعتقدون أنه ربُّهم وهم عبيده؛ لأنه جرى على خلاف عادة الملوك في ترك السَّطوة عند ظهور المُعارِض الَّذي يخاف منه على المملكة.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٣٦٧).

(٢) تنسب لابن مسعود وابن عباس وعلي وغيرهم. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٥٠)، و«المحتسب» (١/ ٢٥٦)، و«الكشاف» (٢/ ١٤٢)، و«المحرر الوجيز» (٢/ ٤٤١)، و«البحر» (١٠/ ٢٥٤).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ١٢٢)، و(١٠/ ٣٦٨ و٣٦٩) عن مجاهد وابن عباس.

(٤) عجز بيت لبنت عتيبة بن الحارث اليربوعي. انظر: «الجيم» لأبي عمرو الشيباني (٣/ ٢٢٥)، و«تفسير الطبري» (١٠/ ٣٦٩)، وتقدم في أول الكتاب.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ﴾: لمَّا أغرَوه على موسى وقومه، وخوَّفوه غلَبتهم وازديادهم، قال: لن يكون ما تخافون من قهرهم لنا بازدياد عددهم؛ لأني أعيدُ عليهم قتل الأبناء واسترقاقَ النساء والاستخدامَ، فيشغلهم ذلك عن المناكح[1] فلا يزدادون، والقائمون يهلكون، فهم المقهورون ونحن القاهرون.

وذكر أنه يقتلُ أبناءهم ولم يذكر أنه يقتلُ موسى لأنه لم يطمع فيه لِمَا رأى من قوة أمره وعلوِّ شأنه.

***

(١٢٨) ـ ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ قال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: ولمَّا قال الملأ لفرعون ذلك أمر أن يكلِّفوا بني إسرائيل ما لا يطيقونه، فيجيءُ الرجل من القِبْط إلى الرجل من بني إسرائيل فيقول له: انطلِقْ فاكْنِسْ حُشِّي واعْلِفْ دوابِّي واستَقِ لي، وتجيءُ المرأة القِبطيَّة إلى الكريمة من بني إسرائيل فتكلِّفها ما لا تُطيق، ولا يطعمونهم في ذلك، فإذا انتصف النهار يقولون: انطلقوا فاكتسبوا لأنفسكم ما تأكلون، فشكَوا[2] ذلك إلى موسى عليه السلام، فقال لهم موسى: استعينوا بالله على رفع هذا البلاء، واصبروا على الدِّين الحقِّ، إن

---

(١) في (ر): «التناكح».

(٢) في (ف): «فبلغ».

أرض مصر وكلَّ الشام لله يُوْرثها[١] مَن يشاء من عباده والعاقبةُ للموحِّدين[٢].

وقيل: معناه: الأرض كلُّها لله يصرِّفها كيف يشاء، ويجعلها في يدِ مَن يشاء، وفيه تسليةٌ؛ أي: هي لا تبقَى لأحد[٣]، وتنتقِل من قوم إلى قوم، وفيه إطماعٌ أيضًا أن يُورثهم الله أرض فرعون فيكونوا هم قاهرين لهم والوارثين بعدَهم بلادهم، وفيه نهيٌ عن النظر إلى الحال، وأمرٌ بالثقة بما يكون من النصر[٤] والقهرِ للمتقين في المآل.

* * *

(١٢٩) ـ ﴿ قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبۡلِ أَن تَأۡتِيَنَا وَمِنۢ بَعۡدِ مَا جِئۡتَنَاۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُهۡلِكَ عَدُوَّكُمۡ وَيَسۡتَخۡلِفَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبۡلِ أَن تَأۡتِيَنَا ﴾: قال وهب: كانوا أصنافًا في أعمال فرعون، فأما ذوو القوة منهم فيسلخون[٥] السَّواريَ من الجبال، قد قَرِحت أعناقهم وعواتقهم وأيديهم، ودَبِرت ظهورهم[٦] من قطعِ ذلك ونَقْله، وطائفةٌ أخرى قد قَرِحوا من نقل الحجارة والطين يبنون له القصور، وطائفةٌ يُلبِّنون اللَّبِنَ ويطبخون الآجرَّ، وطائفةٌ نجّارون وحدَّادون، والضَّعَفة منهم عليهم الخراجُ ضريبةً يؤدُّونها كلَّ يومٍ، فمَن غرَبت عليه الشمسُ قبل أن يؤدِّيَ

---

(١) في (أ): «يصرفها».

(٢) في (ف): «للمتقين أي الموحدين».

(٣) في (ف): «على أحد».

(٤) في (ر): «التصرف».

(٥) في (أ): «فيصلحون»، والمثبت من (ر) و(ف)، وهو الموافق لما في «تفسير الثعلبي» و«تفسير الخازن»، وجاء في بعض المصادر: (وينحتون)، وبها يتضح المعنى.

(٦) أي: أصابتها الجروح والقروح.

ضريبته غُلَّتْ يمينُه إلى عنقه شهرًا، وأما النساءُ فيَغزلن الكتَّان وينسُجْنَه[١].

وقوله تعالى: ﴿وَمِنۢ بَعۡدِ مَا جِئۡتَنَا﴾: أي: هذا الإيذاءُ باقٍ بعد مجيئك يا موسى، بل زائدٌ.

وقال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: أي: كنا نُطعَم إذا استعملونا من قبلِ أن تجيئنا، فلما جئتنا استعملونا ولم يُطعمونا.

وقيل: كانوا يكلِّفونهم قبل ذلك ضرب اللَّبِن، وبعد ذلك كلَّفوهم[٢] ضرب اللَّبن بالتبن من عندهم.

وهذا يدلُّ على قلَّة أفهامهم، فإن موسى عليه السلام أطمَعهم في أن الله يُورثهم الأرضَ وتكونُ العاقبة للمتقين، فقالوا له: أمَا تشاهدُ قهرَ فرعون إيانا[٣]، وقتلَه أبناءنا، واستعبادَه نساءنا، وأخذَه الجزية منا كما كان قبل مجيئك منه في حقِّنا، فكيف يزول عنَّا قهره؟

وليس هذا بسؤالٍ صحيح على ما قال، فإنه قال: ﴿وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ وقد تَقْرُبُ مدةُ ذلك وقد تَبْعد، وقد أمرهم بالصبر إلى مجيئها.

ولمَّا تكلَّموا بهذا بان لهم وجهُ زوال قهر فرعون وكيفية العاقبة، وذلك قوله تعالى:

﴿قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُهۡلِكَ عَدُوَّكُمۡ وَيَسۡتَخۡلِفَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾: و(عسى) إطماعٌ، وهو من الكريم إيجابٌ؛ أي: اطمعوا في أن الله يهلكُهم ويجعلُكم سكانَ أرضهم[٤].

---

(١) انظر: «تفسير الثعلبي» (٤/ ٢٧٢)، و«تفسير البغوي» (١/ ٩١)، و«تفسير الخازن» (١/ ٤٣)، و«البحر المحيط» (٢/ ٢٣)، و«روح البيان» (١/ ١٢٩).

(٢) في (أ): «كان يكلفهم... وبعد ذلك كلفهم» وهي ليست من (ف).

(٣) في (أ): «آباءنا».

(٤) في (أ): «أراضيهم».

ثـم أخبـر أن الله عز وجـل إذا أعطاهم ذلك استـأداهم شـكره بطاعتـه، وذلك قولـه تعالى:

﴿فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ أي: كيف تشكرون نعمه.

وقيل: أي: يمتحنُكم بما يعطيكم، فالدار الدنيا(١) دارُ امتحان؛ ليظهر(٢) كيف ائتمارُكم بأوامره، وانتهاؤكم بنواهيه، وشكرُكم على عطيَّته، وصبرُكم على بليَّته.

* * *

(١٣٠) ـ ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ﴾: أي: ابتَلينا قومَ فرعون بالقحط، جمع سنةٍ، ويطلق على الجَدْب ولا يطلق على الخِصب؛ لأن الجدب نادرٌ غيرُ غالبٍ(٣)، والنادرُ أحقُّ بالإفراد بالذكر لانفراده بالمعنى الذي ندر به، يقال: أصابتهم سنة؛ أي: جَدْب، وأسنتوا؛ أي: أَجْدبوا.

وقوله تعالى: ﴿وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾: هذا في حق الأشجار والأولُ في الزروع.

وقال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: السِّنونَ لأهل البوادي، ونقصُ(٤) الثمرات لأهل القرى، وهما آيتان(٥).

وقوله تعالى: ﴿لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾: أي: ليذَّكَّروا؛ أي: ليتَّعِظوا ويرجعوا إلى الحق(٦) فيخلصوا.

---

(١) «الدنيا» من (ف).

(٢) في (ف): «لينظر».

(٣) في (ر): «ليس بغالب».

(٤) «من» ليس في (ف).

(٥) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٦٣٢)، والطبري في «تفسيره» (١٥/ ١٠١).

(٦) في (أ): «ويراجعوا الحق».

وعن الحسن: أن موسى عليه السلام لمَّا اعتزل في عسكر قومه أرسل إلى فرعون أنِ اضربْ بيني وبينك أجلًا، فأرسل إليه فرعون: ما هذا الأمرُ مما أفرغُ منه في يومٍ أو يومين، فأوحى الله إليه: أنْ أَنْظِره واضربْ بينك وبينه أجلًا للحجة فإنه ليس يُعجزني، فضرب أجلًا أربعين يومًا، فجعل فرعون يجمع الجموعَ ليقاتله، فكلما أراد وجهًا في مكيدة خذله ربُّه وشتَّت أمره، فلما انقضت الأربعون ولم يصنع فرعون شيئًا تابَع الله عزَّ وجلَّ الآيات فأخذهم بالسنينَ ونقصٍ من الثمرات، فاحتَبس عنهم القطر وأَجدَبت أرضُهم وهلكت مواشيهم وأنعامُهم.

* * *

(١٣١) ـ ﴿فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ﴾: أي: النعمةُ والخِصب والسَّعة والعافية ﴿قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦ﴾؛ أي: هذه التي نستحقُّها وقد تعوَّدْناها ولم تزل كانت لنا، ولم يروا ذلك من الله عز وجل ولم يشكروا له عليه.

وقوله تعالى: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾: أي: جَدْبٌ وضِيقٌ وبَليَّةٌ ومرض ﴿يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ﴾ قال الحسن ومجاهد وابن زيد: أي: يتشاءموا بهم[(١)].

وكانت العرب تزجرُ الطيرَ فتتشاءم بالبارح وهو الذي يأتي من جهة الشمال، وتتبرَّك بالسانح وهو الذي يأتي من جهة اليمين، فسمِّي تطيُّراً لأنه زجرٌ بالطير.

وقوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ﴾: أي: الله هو الذي يأتي بالخير والشرِّ والنَّفع والضُّرّ، ﴿وَعِندَ ٱللَّهِ﴾ بمعنى: من عند الله لا من جهةِ موسى ومَن معه.

(١) رواه عن مجاهد وابن زيد الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٣٧٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٤٣).

وقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾: أي: لا علمَ لهم أنها من الله، وأنه[١] يمتحنُ عباده بالمحن ردعاً عن المعاصي وحثّاً على الطاعات.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: فإنْ قيل: ذكَر أنه أخَذ آلَ فرعون بالسنين[٢] وكان فيهم بنو إسرائيل، فما معنى التخصيص؟

قيل له: يحتمِلُ أن يكون ذلك لهم خاصةً دون بني إسرائيل، أو كان الجدب يضرُّ آلَ فرعون دون بني إسرائيل؛ لِمَا أنهم كانوا يأكلون للشهوة وبنو إسرائيل للحاجة، ومَن يأكل للحاجة كان أقلَّ حاجة ممن يأكلُ للشهوة، فإن لم يجدوا ما يأكلون للشهوة كان ذلك أضرَّ بهم؛ قال النبي ﷺ: «المؤمنُ يأكل في معاء واحد والكافر يأكل في سبعة أمعاء»[٣].

وقال الإمام القشيري رحمه الله: الكَفور لا يَرى فضلَ المنعِم فيلاحظَ الإحسانَ بعين الاستحقاق، ثم إذا اتَّصل به شيء مما يكرهُه تجنَّى وحملَ الأمر على ما تمنَّى:

وكذا المَلُول إذا أراد قطيعةً ... ملَّ الأنيسَ وقال كان وكانا

﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ﴾ المنفرِدِ بالإيجاد، هو الواحدُ ولكن بصائرهم مسدودة، وعقولهم عن شهود الحقيقة مصدودة، وأفهامهم عن إدراك المعاني مردودة[٤].

* * *

---

(١) في (أ) و(ف): «وأن الله تعالى».

(٢) «بالسنين»: من (ر).

(٣) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٤/ ٥٤٣ ـ ٥٤٤). والحديث رواه البخاري (٥٣٩٣)، ومسلم (٢٠٦٠)، وأبو يعلى في «مسنده» (٥٦٣٣)، من حديث ابن عمر رضي الله عنه. ولفظ الصحيحين: «في معى واحد»، والمعنى واحد.

(٤) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٥٦٠).

(١٣٢) ـ ﴿ وَقَالُواْ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا ﴾ قال الخليل: يعني: أيَّ شيء، وأصله: (ما ما) الأولى اسمٌ والثانية[١] صلةٌ، وأُبدلت الألف بالهاء لئلا يوهِم التكرير، وهو مبالغةٌ في العموم.

وقيل: (مَهْ) بمعنى: اكفُفْ و(ما) شرطٌ، قاله سيبويه[٢].

ومعنى الآية: أن قوم فرعون قالوا لموسى: أيَّ شيءٍ أتيتَنا به من آيةٍ تدَّعي أنها من عند الله فإنما هي سحرٌ تريد أن تخدعَنا به.

وقوله تعالى: ﴿فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾: أي: فلا تشتغلْ[٣] بإيرادها فما نحن بمصدِّقينَ لك أنها من عند الله، وهذا منهم[٤] غايةُ الجهل والضلالة؛ إذ كذَّبوه بما لم يأتِ به بعدُ، وأظهروا أنهم مُصرُّون على كذبهم وكفرهم أبداً، غيرُ منقادين للحقِّ وإنْ ظهر وبدا.

قال الإمام أبو منصور رحمه الله: دلت الآية أنهم كانوا معانِدين قد علموا بكلِّ آية قد جاءتهم قبل ذلك أنها من عند الله تعالى، وما كان امتناعُهم عن الإيمان لشبهة أو ريبة[٥].

وقال الإمام القشيري رحمه الله: جعلوا الإصرار على الاستكبار شعارَهم، وهتكوا بألسنتهم في العتوِّ أستارهم[٦].

---

(١) في (أ) و(ف): «والأول اسم والثاني».

(٢) والأول قول الخليل جواباً لسيبويه لما سأله عن (مهما). انظر: «الكتاب» (٣/ ٥٩ ـ ٦٠).

(٣) في (أ): «تستعجل».

(٤) بعدها في (ف): «في».

(٥) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٤/ ٥٤٧).

(٦) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٥٦٠).

(١٣٣) ـ ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ ﴾: قيل: هو السيل الشديد، وقيل: هو المطر المتتابع المُضِرُّ.

وقيل: هو الموت الذريع سَلَّط الله عليهم، وقالوا: سلِّط على البكر من كلِّ شيء من النساء والبهائم.

وقال أبو قِلابة: هو الجدري، وهو أولُ عذاب بني إسرائيل وبقي في الأرض[١].

قوله تعالى: ﴿وَٱلْجَرَادَ﴾: وهو معروف ﴿وَٱلْقُمَّلَ﴾ قيل: هو الدَّبَى، وهي صغارُ الجراد التي لا أجنحة لها في روايةٍ عن ابن عباس رضي الله عنهما، وهو قول قتادة ومجاهد[٢].

وقيل ـ وهو رواية عن ابن عباس، وهو قول سعيد ـ: وهو السُّوسُ التي تقع في الحنطة[٣].

وقال ابن زيد[٤]: هي البراغيث.

وقال أبو عبيدةَ: هي الحَمْنان، وهي كبار القِرْدان[٥].

وقال الحسن وسعيد بن جبير: هي دوابُّ سودٌ صغارٌ[٦]، واحدتها: قُمَّلة.

---

(١) ذكره البغوي في «تفسيره» (٣/ ٢٦٩).

(٢) رواه عنهم الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٣٨٣ ـ ٣٨٤).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٣٨٣) من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس.

(٤) في (أ): «دريد»، والصواب المثبت، وقوله رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٣٨٤).

(٥) انظر: «مجاز القرآن» (١/ ٢٦٦).

(٦) رواه عنهما الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٣٨٥).

وقوله تعالى: ﴿وَٱلضَّفَادِعَ﴾: جمع ضِفْدِع بكسر الضاد والدال، وهو معروف.

﴿وَٱلدَّمَ﴾: معروفٌ أيضاً، قال عبد الرحمن بن زيد: سلَّط الله تعالى عليهم الرُّعاف[1]. وأكثرُهم على أن النيل صار دماً.

قوله تعالى: ﴿ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ﴾ نُصب ﴿ءَايَٰتٍ﴾ من ثلاثة أوجه:

أحدها: بوقوع (أرسلْنا) عليها.

والثاني: على الحال.

والثالث: على التفسير.

و﴿ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ﴾ قال مجاهد: أعلاماً مبيَّنات[2]، يُفصَل بها الحقُّ من الباطل، أو تنفصِل عما يقدر عليه الآدميون.

وقيل: مميَّزاتٍ بعضها من بعضٍ، بين كلِّ آيتين فصلٌ ومدةٌ ليُتأمل في كلِّ واحدةٍ حقَّ التأمل.

وقيل: كان إذا أتتهم آية منها أقامت عليهم أسبوعاً ثم تُقلع عنهم شهراً، ثم تأتيهم أخرى تأكيداً للحجة عليهم.

يقول[3]: قد قالوا: ﴿مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ لكنَّا تابعْنا لهم الآيات، ولم نقطع عنهم البراهين بما أظهروا من الجهالات.

وقوله تعالى: ﴿فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾: أي: فتعاظَموا عن الانقياد

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٣٩٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٤٩)، كلاهما عن زيد بن أسلم والد عبد الرحمن، وكذا ذكره البغوي في «تفسيره» (٣/ ٢٧٢).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٣٩٨) بلفظ: (معلومات).

(٣) في (أ): «بقول لقول».

للحق والإيمان بموسى، وكانوا قد اعتادوا الآثام والإجرام، واكتساب أنفسهم العذابَ اللِّزام.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: الطوفان أمرٌ من أمر[١] الله تعالى طاف بهم، ثم قرأ: ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ﴾ [القلم: ١٩][٢].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: أَرسل الله عزَّ وجلَّ عليهم المطرَ الشديدَ حتى كادوا يهلكون ـ وعن قتادة: حتى قاموا فيه قياما ـ وقالوا: ﴿يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ فكشف الله تعالى عنهم المطر، فأنبت الله عز وجل حروثهم وأحيا بذلك كلَّ شيء من بلادهم، فقالوا: واللهِ ما نحبُّ أنَّا لم نكن مُطِرنا هذا المطرَ وإن كان لَخيراً لنا، فلن نرسل معك بني إسرائيل ولن نؤمن لك، فبعث الله جلَّ جلالُه على حروثهم الجرادَ فأكل[٣] حروثهم وأسرع الجراد في فسادها، فقالوا: يا موسى، ادعُ لنا ربَّك ليكشف عنا الجراد فإنَّا مؤمنون لك ومرسلون معك بني إسرائيل، فكشف الله عنهم الجراد، وكان الجراد قد أبقى لهم من حروثهم بقيةً، فقالوا: قد بقي لنا من حروثنا ما يكفينا[٤]، فما نحن بتاركي ديننا، ولن نؤمن لك، ولن نرسل معك بني إسرائيل، فأرسل الله تعالى عليهم القمَّل، وهي الدَّبَى الذي ليس له جَناح فاتَّبع ما بقي من حروثهم وشجرهم ونباتهم[٥]، وكان القمل أشدَّ عليهم من الجراد، فجزعوا

(١) «أمر» من (ر).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٣٨١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٤٤).

(٣) بعدها في (ر): «عامة».

(٤) في (أ) و(ف): «ما هو كافينا».

(٥) في (ف): «وثيابهم».

من ذلك وقالوا: يا موسى، كما قالوا في الأول والثاني، فكشف الله عنهم القمل[١] فنكثوا وقالوا: لن نؤمن لك ـ إلى آخره ـ فأرسل الله عليهم الضفادع فامتلأت منها البيوت، فليس لهم طعام ولا شراب إلا فيه الضفدعُ، فلقُوا منها شيئاً لم يكونوا لقُوا فيما مضى، فقالوا: يا موسى، مثلما مرَّ، فكشف الله عنهم الضفادع فنكثوا وقالوا: لن نؤمن لك ـ إلى آخره ـ فأَرسل الله تعالى عليهم الدم، فسالت الأوديةُ دماً، وصارت أنهارهم دماً، فكانوا لا يشربون إلا الدم، ولا يَطعمون طعاماً إلا صار[٢] دماً، فلقُوا من ذلك أمراً شديداً ونسوا ما كانوا لقُوا قبل ذلك من البلاء، فسألوا موسى أن يدعوَ لهم ربَّه، فدعا لهم ربه[٣] فكُشِفَ عنهم الضُّرُّ، فنكثوا وقالوا: لن نؤمن لك ـ إلى آخره ـ وكانت آياتٍ مفصَّلات بعضُها على إثرِ بعضٍ؛ لتكون لله عليهم الحجةُ، فانتقم الله عز وجل منهم بعد ذلك فأغرقهم في اليَم[٤].

وقال الكلبي رحمه الله: كانت كلُّ آيةٍ من سبتٍ إلى سبتٍ، ثم الأخرى بعد ذلك بشهر[٥].

وقال أبو روق: بعدها بأربعين يوماً.

وقال قتادة: كان يجتمع سبطيٌّ وقِبطيٌّ على إناء واحد، فإذا الذي يلي السبطيَّ ماءٌ صافٍ، والذي يلي القبطيَّ دمٌ[٦].

---

(١) في (ر): «الضر».

(٢) «صار»: ليس من (أ).

(٣) «فدعا لهم ربه»: من (ف).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٣٨٨ ـ ٣٨٩ و٣٩١ و٣٩٨) عن ابن عباس وقتادة.

(٥) في (أ) و(ف): «ثم الآية الأخرى بعده بشهر».

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٣٨٩) عن قتادة، و(١٠/ ٣٩٤) عن مجاهد.

وفي حديث السدِّي: كان يخرج الدمُ من الرغيف إذا كُسر.

وفي حديث مقاتل: تراكَبَ الجراد قَدْرَ ذراعٍ فلم تُرَ الأرض، وكان كشفُها بأنَّ الله بعث ريحاً فاحتملتْها فألقَتْها في البحر، وكشفُ الضفادع بموتها، وأرسل الله تعالى مطراً جَوداً فقذَفهن في البحر[١].

وذكر وهبٌ هذه الأشياءَ على بَسْط الكلام وتطويله، وذكَر أن الطُّوفان هو الطاعون، ووقع فيهم ومات من أبكارهم في ليلةٍ ثمانون ألفاً، ومن أبكار الدوابِّ كذلك، واحتال فرعون فجمع بين أبكارِ القِبط وأبكارِ بني إسرائيل بين كلِّ بكرين بسلسلةٍ، فمات في الليل أبكارُ القبط دون أبكار بني إسرائيل.

وذكر في الجراد: أن الله تعالى أمر موسى عليه السلام فأشار بعصاه شرقاً وغرباً، فجاء الجراد حتى ظهرت في الهواء كالغمام الأسود، فسترت الشمس ثم غمرت الزروع[٢]، فكان لا يُرى منها شيء، فأكلتها وأكلت الخشبَ من الأبواب والجذوعِ، والحديدَ من السلاسل والمسامير، وكان كشفُها بإشارته بالعصا فذهبت كلُّها.

والقمَّل خرجت من الأرض حيث نكث فيها بالعصا، وأكلت كلَّ شيء حتى السقوفَ وكلَّ رَطْبٍ ويابس.

والضفادع خرجت من النيل بإشارته بالعصا بأمر الله تعالى، فخرجت ودخلت المصر، فامتلأت منها السِّكك والدُّور والطرق، فلا يوجد موضعُ قدم ولا إناءُ طعام وشرابٍ إلا قد امتلأ ذلك منها، وضيَّقت عليهم، وأنتنت الأرض من وطء الناس إياها، وكان لا يمكِنهم أكلُ طعام ولا شربُ شراب إلا معها، وكشفُها بما ذكرنا.

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٥٧ ـ ٥٨).

(٢) في (ف): «الزرع».

والدم: بأنْ ضرب النيل بعصاه بأمر[١] الله عز وجل، فصار دماً عبيطاً، فإذا ورَدَه قومُ فرعون اختضبت أيديهم وأَسقِيَتُهم بالدم، وإذا ورده قوم موسى عليه السلام استَسْقَوا منه ماءً صافياً، وكَشْفُه كان بضربِ العصا أيضاً بأمرِ الله تعالى، وكان فرعون يعتذرُ إلى موسى بعد كلِّ أربعين يوماً: أنَّا لم نتفرَّغ لجمع الجيوش لهذه الحادثة، ويَستنظر مدةً أخرى، ويأمر الله تعالى موسى بأن يُنظره مدةً أخرى إلزاماً للحجة[٢].

***

(١٣٤) ـ ﴿ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ ﴾: قال الحسن ومجاهد وقتادة وابن زيد؛ أي: العذاب[٣].

وقال سعيد بن جبير: أي: الطاعون[٤]، فمات من القِبط سبعون ألفَ إنسان.

وقيل: هو هذه الأشياءُ التي تقدَّم ذكرُها.

وقوله تعالى: ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ ﴾: قيل: هذا العهدُ أنه وعده الإجابة إذا دعاه.

وقيل: هو أن يكشف عنهم العذاب إذا آمنوا.

وقيل: هو بعثُه بالرسالة[٥]

---

(١) في (ف): «بإذن».

(٢) روى ابن عساكر في «تاريخه» (٦١/ ٧١ ـ ٧٥) نحو عن وهب وابن عباس وكعب الأحبار، وكلها من طريق إسحاق بن بشر.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٤٠٠ ـ ٤٠١) عن قتادة ومجاهد وابن زيد.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٣٩٩).

(٥) «وقيل هو بعثه بالرسالة» من (ز).

وقوله تعالى: ﴿لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ أي: لئن دعوتَ الله فكشف عنا بدعائك لنصدِّقنَّك.

وقوله تعالى: ﴿وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾: أي: لنطلقنَّهم ولنُخلِّينَّ عنهم.

وقال وهبٌ: قالوا له: ﴿يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ﴾ [الزخرف: ٤٩]؛ أي: بما أَرسل إليك على زعمك ﴿إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٤٩] ﴿لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ﴾ فقال: لا أدعو وقد سميتُموني ساحراً، فقالوا: يا موسى ادع لنا ربك، فدعا ربه فكشف عنهم.

* * *

(١٣٥) - ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ﴾: أي: إلى الوقت الذي جعَله أجلاً لهلاكهم.

وقوله تعالى: ﴿إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ﴾: أي: ينقضون العهد فلا يؤمنون.

وقال مجاهد: كانت الضفادع تسكن الجِحَرةَ، فلما أرسلها الله تعالى عذاباً إلى فرعون وقومه كانت تجيء حتى تقذف نفسها في التنور المسجور، وفي القِدْر وهي تغلي؛ غضباً لله تعالى، فشكَر الله تعالى لها فأسكنها الماء، وجعل نقيقها التسبيحَ(١).

وذكر الحسن هذا في احتمالها المياه بأفواهها حين أُلقي إبراهيم عليه السلام في النار، وأنها وجَدت هذا بسبب ذلك(٢).

---

(١) لم أجده عن مجاهد، ورواه بنحوه عبد الرزاق في «المصنف» (٨٤١٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٤٨)، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما موقوفاً.

(٢) لم أجده عن الحسن، ورواه عبد الرزاق في «المصنف» (٨٣٩٣)، من حديث أنس رضي الله عنه مرفوعاً.

(١٣٦) ـ ﴿فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾: أي: من الناكثين ﴿فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ﴾؛ أي: أهلكناهم بالماء في البحر ﴿بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾؛ أي: بسببِ تكذيبهم بهذه الآيات بعد تتابُعها.

وقوله تعالى: ﴿وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾: معرضين عنها كالغافلين، أو متغافلين غيرَ متأمِّلين، أو غافلين عن النعمة، أو غافلين عن وقت نزول العذاب، وقد بينَّا قصةَ الغرق في سورة البقرة، ونذكر أيضاً زيادةً على ذلك في سورة يونس وفي سورة الشعراء.

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: جنَّس عليهم العقوبات لمَّا[1] جنَّسوا ونوَّعوا فنونَ المخالفات، فلا في التفكير رَغِبوا، ولا إلى التطهير قصَدوا، وكانت عقوبتهم بصرفِ قلوبهم عن شهود الحقائق أبلغَ مما اتَّصل بظواهرهم من فنون البوائق، ونعوذ بالله من السقوط عن عين الله تعالى[2].

* * *

(١٣٧) ـ ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾: أي: لمَّا أهلكنا فرعون وقومه أسكنَّا قوم موسى الذين

(١) في (أ): «كما».

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٥٦٠ ـ ٥٦١).

كانوا يُستضعفون ـ أي: يُقهرون بقتل الأبناء واستحياء النساء وتكليفِ الأعمال الشاقة ـ أرضَ مصر.

وقيل: أرض الشام مشارقها ومغاربها؛ أي: نواحيها الشرقية والغربية، وهي الأرض التي باركَ الله[1] فيها بكثرة الماء والشجر وفنون النِّعم.

وقيل: بأنها مساكنُ الأنبياء والأولياء.

وقوله تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟﴾: أي: نَجز وعدُ الله، وهي الكلمة الحسنى ـ تأنيث الأحسن ـ على بني[2] إسرائيل بإهلاك عدوِّهم واستخلافهم في الأرض، كما[3] قال: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ الآية[4] [القصص: ٥]، وسميت حسنى لأنها وعدٌ بما يحبون.

وقوله تعالى: ﴿بِمَا صَبَرُوا۟﴾؛ أي: بصبرهم على أذى فرعونَ وقومه، وعلى أمر الله، وثباتهم على الإيمان والطاعة والعملِ بقول موسى: ﴿ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ﴾: أي: أهلكنا ما كانوا يصنعونه من الأبنية والمزارع والكروم.

قال الحسن رحمه الله: يَعْرِشون الكروم؛ أي: يرفعون عرائشها[5].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد: يَبْنون من الدُّور والقصور[6].

---

(١) في (أ) و(ف): «باركنا».

(٢) في (ر): «لبني»، بدل: «على بني».

(٣) في (أ) و(ر): «وما».

(٤) في (أ) و(ف): «إلى قوله: ﴿كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ﴾».

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٤/ ٢٧٣) بلفظ: (وما كانوا يَعْرِشُون من الثمار والأعشاب).

(٦) رواه عنهما الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٤٠٧).

وقرأ ابن عامر وعاصم في رواية أبي بكر: ﴿يَعْرُشُونَ﴾ بضم الراء والباقون بكسرها[١]، وهما لغتان فصيحتان، وقد عَرَش يَعْرُش عَرْشاً؛ أي: بنى بناءً من خشب، كذا قال في «ديوان الأدب»[٢].

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: ﴿مَشَـٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَـٰرِبَهَا﴾ قيل: كان في بني إسرائيل مَن بلغ ملكه مشارق الأرض ومغاربها وهو ذو القرنين وداودُ وسليمان.

وقيل: فضِّلوا على أهل مشارق الأرض ومغاربها؛ كما قال: ﴿وَفَضَّلْنَـٰهُمْ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [الجاثية: ١٦]؛ أي: على عالَمِي زمانهم.

وقال في قوله تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ﴾: قيل: هي الجنة[٣].

وقيل: هي نِعَم الدنيا، وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾؛ أي: نعمة ربك.

وقال وهب: ولمَّا عبروا البحر أرسل موسى عليه السلام جندين عظيمين في كلِّ جندٍ اثنا عشر ألفاً، ونَقَب[٤] عليهم يوشعَ بنَ نون وكالبَ بن يوقنا، وهما اللذان أنعم الله عليهما، إلى مدائن فرعون وخزائنه وهي يومئذ خلوٌ عن أهلها قد هلكوا فلم يبق إلا النسوان والصبيان والزَّمْنى والـهَرْمى، فغنموا أموالهم من الذهب والفضة والجواهر والأمتعة ما لا يعلمه إلا الله تعالى، وأورثهم الله عز وجل ديارهم وأموالهم، فذلك قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَـٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾[٥].

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٢٩٢)، و«التيسير» (ص: ١١٣).

(٢) انظر: «معجم ديوان الأدب» للفارابي (٢/ ١٦٤).

(٣) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٤/ ٥٥١ ـ ٥٥٣).

(٤) في (أ) و(ف): «وبعث».

(٥) انظر: «الكامل» لابن الجوزي (١/ ١٤٤ ـ ١٤٥).

(١٣٨) ـ ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ﴾: أي: الذي غرق فيه فرعونُ وقومه، فصاروا إلى البر ﴿فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ﴾؛ أي: يقيمون على عبادتها.

وقوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا﴾: أي: قالوا لفرط غباوتهم وفسادِ طبائعهم بطول العبودية لفرعون: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا﴾؛ أي: انْصِبْ لنا شيئاً نعبده كما نصب هؤلاء لأنفسهم أصناماً يعبدونها.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾: أي: الإلهية والعبادة، ولا تعلمون ما تقولون.

* * *

(١٣٩) ـ ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ﴾: أي: هؤلاء الذين يعبدون الأصنام ﴿مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ﴾؛ أي: مهلَكٌ مدمَّرٌ، والتَّبَار: الهلاك والدمار.

وقال أبو عوسجة: مُفْسَد[1].

وهو خبر مبتدأ، و﴿مَّا هُمْ فِيهِ﴾ مبتدأ[2]؛ أي: هم في هلاكٍ لا ينتفعون منها بشيء.

وقوله تعالى: ﴿وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ أي: تبطُل عبادتُهم هذه الأصنامَ فيذهب تعبُهم هدراً.

وقال الكلبي رحمه الله: أي: ضلالٌ ما كانوا يعبدون.

---

(١) ذكره الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (٤/ ٥٥٦).

(٢) «وما هم فيه مبتدأ»: من (أ).

(١٤٠) ـ ﴿ قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا ﴾: استفهام بمعنى الإنكار، وتقديره: أَأَطلب لكم غيرَ الله معبوداً!؟

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾: أي: على عالَمي زمانكم، قاله الحسن وجماعة[١].

وقيل: أي: جعَل فيكم النبوَّة والكتابَ والحكمةَ والملكَ، والآياتِ التي لم يكن مثلُها لغيركم.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: وفيه تعليم أنه كيف يؤمَر بالمعروف وكيف يُنهَى عن المنكر، وكيف يُعامَل مرتكب المنهيِّ، يعامَل باللِّين والشَّفقة واللُّطف، دون الغِلظة والجَفوة والعنف، كما فعل موسى بهم مع ما استقبَلوه من الأمر المنكَر، يقول: أمَا تستَحْيُون من هذا القول مع ما مَنَّ الله[٢] عليكم من النعمة[٣] والطَّول، ومن ذلك ما ذُكر بعده، وهو قوله تعالى:

(١٤١) ـ ﴿ وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾.

﴿ وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ﴾[٤]: أي: يُذيقونكم.

وقيل[٥]: يكلِّفونكم سوء العذاب؛ أي: أشدَّه وأشقَّه.

---

(١) ذكره عن الحسن الواحدي في «البسيط» (٩/ ٣٢٧).

(٢) في (أ) و(ر): «مع ما لله».

(٣) في (أ) و(ف): «المنة».

(٤) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٤/ ٥٥٥ ـ ٥٥٦).

(٥) في (أ): «أو».

وقوله تعالى: ﴿يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ﴾: أي: يَسْتَبْقون إناثكم ويتركونهنَّ حيَّاتٍ.

وقيل: يسترِقُّونهنَّ؛ أي: يفتِّشون في حيائهنَّ[١] ـ أي: فروجِهنَّ ـ هل بهنَّ حبَلٌ[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾: قيل: وفي هذا الإنجاءِ نعمةٌ عظيمةٌ؛ كما قال: ﴿وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا﴾ [الأنفال: ١٧].

وقيل: أي: في التَّقتيل والاستحياء محنةٌ عظيمة، واسم البلاء يقع على كلٍّ واحدٍ منهما؛ لأنه من الابتلاء وهو الاختبار، وهو يقع بكلٍّ[٣] واحد منهما، وقد ذكرنا قصةَ ذبح الأبناء واستحياءِ البنات في سورة البقرة، وهذا حديثٌ آخرُ طويل فيه.

قال وهبٌ: رأى فرعونُ في المنام أنَّ الله تعالى واهبٌ لعبدٍ من عبيدك غلاماً يسلبُك مُلكَك، ويُخرجك من أرضك، ويبدِّل عليك نعمتك، ثم[٤] يغرقُك الله وجنودَك حتى تكون للخلائق حديثاً، فلما استيقظ عظُمت عليه رؤياه، فأخبر عظماء الذين حوله، فبكَوا بكاء شديداً وقالوا: سيدَنا! حُلُمٌ باطلٌ، عشتَ دهراً طويلاً ولا ينالُكَ عدوٌّ ولا ينالك همٌّ، فأرسِلْ إلى كهَنتك ومنجِّميك فاخْلُ بهم وعِدْهم الخيرَ من نفسكَ، ثم قُصَّ رؤياك هذه لهم فيخبروك بتأويلها.

وكان لفرعون ألفُ كاهنٍ وألفُ منجِّمٍ وألفُ ساحر، لا يموت منهم أحد[٥] إلا استَبدل مكانه غيرَه، فأرسل إليهم وخلا بهم ووعدهم الخير ثم قصَّ عليهم رؤياه،

---

(١) في (أ): «أحيتهن»، وفي «ف»: «أحيائهن».

(٢) في (أ) و(ف): «حمل».

(٣) في (ف): «على كل».

(٤) في (ف): «و».

(٥) في (أ): «لا يموت أحدهم».

وأخبرَهم أنه امتَنع من الطعام والشراب والنوم لذلك، فسجدوا له وقالوا: علينا تأويل ما رأيت فلا يهولنَّك شيءٌ، ولكنْ أَجِّلْنا أجَلاً ننظُرْ في نَجْم هذا المولود، فأجَّلهم أربعين يوماً.

فخرجوا وصعدوا الجبل ونزعوا ثيابهم ولبسوا الشَّعر، وأكلوا خبزَ الشعير، ينامون على الرماد، يقومون بالليل ويصومون بالنهار، ويتضرعون إلى شياطينهم أن يخبروهم برؤيا الملك، فأوحى الله تعالى إلى حمَلة العرش: أني خالقٌ مولوداً في بني إسرائيل، يولد في الإسكندرية، تحمل به أمُّه في ليلة الجمعة في شهر كذا، في ثلاث ساعات يذهبن من أول الليل، فانطلق به حملة العرش إلى السَّفَرة الكِرَام البَرَرة الذين يؤدُّون الكتبَ إلى الموكَّلين ببني آدم، فانطلق به الموكَّلون وهم الحفظةُ إلى سكان السماوات: أن الله جلَّ جلالُه خالقٌ بشراً في بني إسرائيل.. إلى آخر ما ذكرنا.

وكانت عفاريتُ الجنِّ والإنس يوحي بعضُهم إلى بعض زخرفَ القول غروراً، فكان الجن يصعدون إلى السماء ويَسمعون كلام الملائكة، ويَسترِقُون السمع ويُلْقونه إلى أهل[1] الأرض على ألسنة الكهَنة، فلما سمع الجن ذلك من الملائكة هبطوا به إلى الكهنة فأخبروهم بأمر موسى كلِّه، ففشا ذلك ووصل إلى الكهنة والسحرة والمنجِّمين لتمام أربعين يوماً، فجاؤوا فرعون وقالوا: يا سيدنا قد أتينا[2] بتأويل رؤياكَ، هو عبدٌ من عبيدك يولَد ويعطَى[3] ملكك، ويبدِّل دينَك، ويَقهرك ويعلوك، ويخرجك من أرضك، وإنه يولد بالإسكندرية في شهر كذا في ليلة الجمعة لثلاثِ ساعات يذهبن من أولها، قال: فما الحيلة حتى نعرف أمَّه فنقتلَها

---

(١) «أهل»: من (ف).

(٢) في (أ) و(ف): «أتيناك».

(٣) في (ر): «يولد له يعطى» وفي (ف): «يولد ولداً فيعطى».

فلا تحملَ به ولا تلدَه؟ قالوا: بيننا وبين الوقت الذي تحملُه هذا الشهرُ.

فلم يأت على فرعون شهرٌ أشدُّ عليه منه، ذاب جسمه فيه، وغلَب كَرْبُه، فلما عِيْلَ صبرُه أدخل منجِّميه وكهَنتَه، وقال: أمَا عندكم حيلةٌ ألَّا تحملَ به أمُّه؟ قالوا: نعم، تعزل النساءَ عن الرجال، فلا يَقربُ رجل امرأته، فقال: وكيف الحيلة في ذلك؟ قالوا: مُرْ أن يُخرج منبرُك، ومُرْ مناديك فلينادِ في[1] عبيدك أن يجتمعوا إليك، فإن عبيدك لم يروك ولم ينظروا في وجهك.

قال كعب: وكان الخبيث لا يَظهر لأحدٍ منهم، وكان إذا أراد الركوب نادى مناديَه حتى يدخلوا بيوتهم، ومَن تلقَّاه في مسيره أمره أن يضع وجهَه بالأرض له.

قال وهب: فلمَّا قالت الكهنة له ذلك، قال الملك: ما[2] جئتُموني بأمرٍ أشدَّ عليَّ منه! قالوا: إذا أخرجتَ منبرك وأبرزتَ لهم وجهك فأَحْسِنْ إليهم القولَ، وبشرهم بالخير، وافتح لهم خزائنك، وأخرج لهم من أصناف الأموال وابذُلها[3] لهم، فإنك إذا فعلت ذلك بهم طمِعوا فيما عندك واجتمعوا إليك، حتى لا يتخلفُ منهم أحد، فقُم على المنبر وقُل لهم: إني قد رضيتُ عنكم وعرفتُ نصحكم ورفعتُ عنكم الجزية، ولذلك أبرزتُ لكم وجهي، وفتحتُ لكم بابي، وبذلتُ لكم خزائني، ورأيتُكم له أهلاً مني، فاعرِفوا بذلك رضائي عنكم فأبشروا، وأخِّر ذلك إلى غروب الشمس، ثم قل: إني أحب أن تبيتوا هذه الليلةَ عندي فإذا أصبحتُم انصرفتم، فإنك إذا فعلتَ ذلك بهم أجابوك، فإذا باتوا مكانهم كنتَ حبَستهم عن إتيان النساء، فظفرتَ بحاجتك.

---

(١) في (ف): «فلينادي».

(٢) «الملك/ ما»: ليس في (أ) و(ف).

(٣) في (أ) و(ف): «ثم ابذلها».

فأرسل فرعون مناديَه في بني إسرائيل: أن أجيبوا فرعون الملك، فإنه نصَب لكم منبره، وأظهر لكم وجهه، وهو يريد بكم الكرامة، وقد أمر[١] بإخراج خزائنه ليعطيَكم منها ما لم تكونوا تأملونه، فأسرعت بنو إسرائيل الإجابةَ، وخرجوا جميعاً، وخرج فرعون وخطبهم وليَّن لهم القولَ، ووعدهم الجميل، وأعطاهم الأموال من الجواهر والنقود والكسوة على مراتب الناس، وفرحوا به فرحاً شديداً، فلمَّا أمسوا قال فرعون: أُحبُّ أن أصنع لكم أفضلَ من هذا، فبِيتوا مكانكم حتى تصبحوا فتنصرفوا، فقالوا: لو كلَّفْتنا ألَّا نبرحَ شهراً لفعلنا فباتوا.

ثم دعا فرعون بدابَّته فركبها ليدخلَ المدينة، وركب معه هامانُ وعظماؤه، حتى إذا دنى من باب الإسكندرية أَمر هامانَ والملأَ أن يرجعوا إلى عسكر بني إسرائيل ويَبيتوا معهم ويحرسوهم لئلا ينصرفَ أحد، وكانت مفاتيحُ أبواب المدينة[٢] حينئذٍ مع عمرانَ والدِ موسى، فدعاه ليأخذ المفاتيح منه ويُخرجَه من المدينة ويغلقَ أبوابَ المدينة دونه، وكان منزل عمران في الإسكندرية، قال عمران: يا سيدي، لا تدخل المدينة وحدك فلعلك يَمكُر بك بعضُ مَن يطمع في ملكك، قال: نعَم، ما هذا بأول نُصحك، فادخل معي فأنت أحقُّ بذلك وأوثقُ عندي من غيرك، فادخل وأغلق الأبواب.

وكان ذلك لطفاً من الله تعالى لِمَا أراد من أمر موسى، فدخل مع فرعون وغلَق الأبواب، وبات جميعُ بني إسرائيل في الصحراء ومعهم جندُ فرعون، فقال فرعون لعمران: لا تَبرح من عتبةِ بابي ولا تنزِعْ عنك ثيابك، قال: نعم يا سيدي، فدخل فرعون منزلَه وأغلق عمرانُ الباب دونه، ووضع عمران رأسه على عتبة الباب وعليه ثيابه، وجعل سيفه بين فخذيه فنام، حتى إذا ذهب ثلاثُ ساعات من الليل وذلك ليلةَ الجمعة.

---

(١) في (ف): «وقد أمرنا»، وفي (ر): «وهو يريد».

(٢) في (ف): «مفاتيح الأبواب».

وكان بلَغ امرأةَ عمران أن فرعون قد دخل المدينة ومعه عمران، فلمَّا احتَبس عنها عمرانُ خرجت نحو باب فرعون في طلبه، فلما دنت من الباب أبصرت عمران نائماً، فوقعت عليه تقبِّله، فوثب عمران فإذا هو بها، فقال: ما جاء بك؟ قالت: سمعتُ أنك دخلتَ المدينة، فلما احتَبَسْتَ عني خفتُ عليك سطوةَ هذا الجبَّار فأتيتُك، فضمَّها عمران إلى نفسه فلم يتمالك أن واقعها، فحملت مكانها[1] بموسى، فقال لها عمران: إنِّي لأظنُّ هذا[2] الأمرَ الذي يطلبه فرعونُ وهذا المولودَ الذي يخافه ليس إلا من اجتماعنا الليلة، فاكتمي هذا حتى ننظرَ ماذا[3] يظهر.

فلما حملت بموسى طلَع نجمه في السماء، ولا يولد نبيٌّ إلا طلع له في السماء نجمٌ، ونظرت الكهَنة والسحرة من الليل فإذا هم بنجم موسى قد طلع، وكانت ليلةَ الجمعة، فقاموا فخمَشوا وجوهَهم وخدَشوا لحومهم ومزَّقوا ثيابهم ونتَفوا شعورهم، وولولوا جميعاً بصوتٍ شديدٍ حتى رجَّت المدينة من أصواتهم، فسمع فرعون ذلك فذُعر ثم أسرع إلى الباب وقال لعمران: ما هذا؟ قال: يا سيدي، هذه أصوات بني إسرائيل فرحوا بما أعطيتَهم وأكرمتَهم بلقائك وكلامك، فقال: لعله كما تقول، فلم يزل يختلف ليلته مقبلاً ومدبراً كالتي أخذها المخاض.

فلما أصبح قال: يا عمران، اخرج فانظر ما بالُ صياحهم الليلةَ، فخرج فسألهم فقالوا: مكرُ عدوِّنا غلَب مكرَنا ومكرَ سيدنا، وحُمل بذلك المولودِ البارحةَ، ونظر[4] إلى ما فعَل السحرةُ بأنفسهم فهاله ذلك، فقال عمران: ويلكم غرَرْتم سيدي حتى

---

(١) «مكانها»: ليست في (ف).

(٢) في (أ) و(ر): «اعلمي أني أظن»، بدل: «إني لأظن هذا».

(٣) في (ف): «ما».

(٤) في (ف): «وبصر».

أظهرَ[١] للناس وجهه وفرّق فيهم خزائنه، ثم حشرهم عمران إلى فرعون وهو يُسِرُّ في نفسه ما عَلم مما كان منه مع امرأته.

فلما دخلوا على فرعون ورآهم على تلك الصفة[٢]، وقد جعلوا الرماد والتراب على رؤوسهم، قال: ويلكم ما لكم؟ فخرُّوا له سجَّداً وقالوا: يا سيدنا، عشتَ دهرَ الداهِرين، قد غلَب مكرُ عدوِّنا مكرَنا، وحُمل بذلك المولود البارحةَ، وطلَع نجمه في السماء، فقال: قد استوجبتُم عقوبتي، ولأصلِّبنكم أجمعين، ولأحرقنَّكم بالنار، غرَرْتُموني ـ وقال كما قال عمران ـ، فقالوا: لا تقتلنا، فإن غلبَنا حملُه لا يغلبنا مولدُه، نعرفه بعلامته فنقتلُه، فإنْ فعلْنا ذلك وإلا فاصْلِبنا وأحرقنا. فأَنْظَرَهم إلى مولد موسى، فلم تأت عليه شهور[٣] أطولُ ولا أكثرُ حزناً منها.

فلمَّا وُلد وأَبصر المنجِّمون إلى[٤] كوكبه يزهر قالوا له: قد وُلد، فلما سمع ذلك طارت روحه وتغيَّر لونُه وطاش عقله، وقال: ما الحيلة؟ قالوا: مُرْ مِنبرَك حتى يُخرج إلى ذلك الموضع، ثم مُرْ مناديك ألا تبقى امرأة من بني إسرائيل ولدت ولداً منذ شهرٍ إلا جاءت به إلى الملك، فإنه يريد أن يُكرمهنَّ كما أكرم أزواجهنَّ، ويعطيَهنَّ الحليَّ والحلَلَ والذهبَ والفضَّةَ والجواهر، فإنهنَّ يطمعن ويخرجن، فإذا جئنَك بأولادهنَّ فأعطهنَّ شيئاً[٥] وليِّن لهنَّ القول، ثم اجعَلْهنَّ في بعض مدائنك، ثم مُرْهنَّ فلتَخرجِ امرأةً امرأةً، فانتزِعْ منها ما أعطيتَها ومُر أن يؤخَذ ولدُها، فإن كان ذكراً ذُبح، فإذا فعلتَ ذلك ظَفِرْتَ بعدوِّك ورجع إليك مالُك.

---

(١) في (ف): «ظهر».

(٢) في (ف): «الحالة».

(٣) في (أ): «عليه أشهر»، وفي (ف): «عليهم أشهر».

(٤) «إلى»: من (أ) و(ف).

(٥) «فأعطهن شيئاً»: ليس في (أ)، و«شيئاً»: ليس في (ف).

ففَعل ذلك، وخرجنَ، وأعطاهنَّ، ثم جعلهنَّ في بعض مدائنه، ثم أَمر بخروجهنَّ، فمَن كان[١] ولدها ذكراً ذبحه والأم تنظر إليه لا تملك له شيئاً إلا البكاء، فذبح يومئذ تسعين[٢] ألف ولد، فذلك قولُه تعالى: ﴿يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ﴾ الآية [الأعراف: ١٤١].

* * *

(١٤٢) - ﴿ ۞ وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً﴾: أي: لإتيان الطور وإنزالِ الكتاب ﴿وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ﴾؛ أي: زدناها عليها ﴿فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾؛ أي: الميقاتُ الذي وقَّته له ربُّه، أُضيف إلى الله لتوقيته إياه؛ كما في قوله جل وعلا: ﴿إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ﴾ [نوح: ٤]؛ لأنه ثبت بتأجيله أربعين ليلةً، وهذا التكريرُ مع استفادةِ علمه بالأول لإزالةِ الاشتباه: أن الإتمام بالعشر لم يكن من الثلاثين، فإنه قد يُتوهم ذلك.

وقال في سورة البقرة: ﴿وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ [البقرة: ٥١]، وذلك يدلُّ على أن المواعَدة كانت بالأربعين جملةً، وهذا يشير إلى أنه كان بالثلاثين ثم زِيد بالعشر.

والتوفيقُ بينهما على قول ابن عباس وسعيد بن المسيِّب وأبي رَوق: أن المواعَدة[٣] كانت بالثلاثين ثم زيدت العشرةُ[٤]؛ لِمَا قالوا: إنه أمره بصوم[٥] ثلاثين يوماً ثم يأتي الطُّورَ، فلما تم ثلاثون تسوَّك ليزيلَ الخلوف، فأوحى الله تعالى إليه: يا

---

(١) في (ف): «ومن كانت».

(٢) في (ف): «سبعين».

(٣) في (ف): «الموعدة» في الموضعين.

(٤) في (ف): «زيد العشر» بدل: «زيدت العشرة».

(٥) في (أ) و(ف): «إنه أمر بأن يصوم».

موسى، أمَا علمت أن خُلوفَ فم الصائم أطيبُ من ريحِ المسك، فلذلك زِيد عشرٌ ليصوم فيها فيأتيَ فيه[١] الخلوف[٢].

وما ذكر في سورة البقرة من مواعدة الأربعين فهو بيانُ الحاصل وجمعٌ بين العددين.

وقال الكلبيُّ وجماعةٌ: كانت المواعَدة بالأربعين جملةً، وإنما ذكر عددين لأنه ذو القعدة وعشرُ ذي الحِجة، فالثلاثون عددُ الشهر والزيادةُ عددُ ما اتَّصل به، قال ذلك مجاهد وابن جريج ومسروق[٣].

وقال أبو العالية: إن موسى عليه السلام وعد بني إسرائيل وهم بمصر أنه إذا أهلك الله تعالى عدوَّهم واستنقذهم من أيديهم أتاهم بكتابٍ يبيِّن لهم فيه ما يأتون وما يذَرون، فلما فَعل الله تعالى ذلك بهم سأل موسى ربَّه الكتاب، فأمره الله تعالى أن يصوم ثلاثين يوماً ـ وهو ذو القعدة ـ ليكلِّمه، فلما انسلخ ذو القعدة[٤] أكَلَ من لحاء الشجر، فأمره الله بصيام عشرة أيام من ذي الحجة ليكلِّمه بخُلوف فمه، ففَعل ذلك[٥].

ولـمَّا أراد الانطلاق إلى الجبل أمره الله تعالى أن يختار سبعين رجلاً من قومه من ذوي الحِجَى ليشهدوا له على ما يشاهدونه من كرامة الله تعالى إياه، ففعل ذلك[٦] واستخلف هارون أخاه على قومه، وذلك[٧] قوله تعالى:

---

(١) في (ف): «وبه».

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٥٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) رواه عنهم الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٤١٤ ـ ٤١٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٥٦).

(٤) في (ف): «الشهر».

(٥) انظر: «تفسير الثعلبي» (٤/ ٢٧٤ ـ ٢٧٥)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٢٧٥)

(٦) «ذلك»: زيادة من (ف).

(٧) في (أ) و(ف): «وهو».

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِي فِي قَوْمِي﴾: أي: كُنْ خليفتي عليهم ﴿وَأَصْلِحْ﴾: أي: سِرْ فيهم بالسيرة الصالحة التي لا فساد فيها، وثبِّتهم على ما أخلِّفهم عليه من الإيمان به وإخلاصِ العبادة له.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾: أي: ولا تسلك طريقةَ مَن يُفسد في الأرض بإظهار المعاصي من نفسه، أو الرضا من غيره بإظهارها، وتقريرِهم على ذلك.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما[1] والكلبي: مُرْهم بالصلاح ولا تتَّبع طريق العاصين[2].

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: فإن قيل: ما معنى قوله: ﴿ٱخْلُفْنِي فِي قَوْمِي﴾ وهارونُ كان مبعوثاً معه رسولاً وشريكاً له في الرسالة؛ قال تعالى خبراً عن موسى أنه قال: ﴿وَأَشْرِكْهُ فِيٓ أَمْرِي﴾ [طه: ٣٢]، وقال خبراً عنهما: ﴿إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ﴾ [طه: ٤٧]، وقال تعالى: ﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ﴾ [طه: ٤٧]، وإذا كان هو رسولاً كيف يحتاج[3] إلى الاستخلاف.

قلنا: المأموران بشيء لا ينفرد أحدهما بفعله إلا بأمرِ صاحبه، فلذلك قال: ﴿ٱخْلُفْنِي﴾؛ أي: في الحكم بينهم ﴿وَأَصْلِحْ﴾ ذاتَ بينهم ولا تتَّبع مَن دعاك إلى سبيل المفسدين، ولأن موسى كان أصلاً فيها وهارون مُعيناً له، قال تعالى: ﴿فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِيٓ﴾ [القصص: ٣٤] ولهذا كان هو المناجَى على الخصوص، والمعطَى له

---

(١) بعدها في (ر): «ومجاهد».

(٢) انظر: «البسيط» للواحدي (٩/ ٣٣١) عن ابن عباس والكلبي.

(٣) في (ف): «فكيف احتاج» بدل: «كيف يحتاج».

الألواح[١]، قال تعالى: ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ ﴾ [الأعراف: ١٤٥] وهو الذي قال: ﴿إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا ﴾ [طه: ١٠] وهو الذي نودي، فلذلك استخلفه[٢].

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: إن الله تعالى أَسمع موسى كلامه أولَ ما خاطبه بالرسالة من غير وعدٍ ولا انتظارٍ، ثم وعده أن يُسمعه كلامه مرةً أخرى، وعلَّله بالوعد معلَّقاً بثلاثين ليلةً بعدما أخذ السماعُ الأولُ بمجامع قلب موسى صلواتُ الله عليه، فعلَّق قلبَه بميقاتٍ معلوم فاطمأنَّ قلبه بالميعاد، فلمَّا مضت المدَّة زاده عشراً في العِدَّة، وتأخيرُ وفاءِ الوعد غيرُ محبوبٍ إلا في طريقةِ الأحباب، فإن الـمَطْل عندهم أشهى من الإنجاز، وفي معناه أنشدوا:

أَمْطِلـيـنـي وسَـوِّفي وعِـدِيـنـي ولا تَفِـي

وأنشد الآخر في معناه[٣]:

سعادُ لعَمْرِكُم لا تَهْجُرينا ومَنِّينا الـمُنَى ثم امْطُلينا
عِدِينا في غدٍ ما شئتِ إنَّا نحبُّ وإنْ مَطَلْتِ الواعِدِينا
فإمَّا تُنجِزي عِدَتي وإمَّا أعيشُ بما أؤمِّل منكِ حينا

قال: ولمَّا أُمر بالذهاب إلى فرعون سأل الله تعالى أن يُشرِكَ معه هارون، ولمَّا ذهب إلى الطور للمناجاة خلَّفه في قومه واستَخلفه، وهو موضع الاعتراض في الظاهر، ولكنْ لا اعتراضَ على الأكابر[٤].

---

(١) في (أ) و(ف): «والمعطى للألواح».

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٥/ ٤).

(٣) في (أ): «وأنشدوا».

(٤) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٥٦٣).

ومن الإشارة المعروفة في الآية: أن موسى صلواتُ الله عليه استَخلف هارون واعتمد عليه في حفظ قومه فعبدوا العجل، ورسولُنا ﷺ قال: اللهُ خَليفتي على أمَّتي، فثبَّتهم الله عزَّ وجلَّ على الحق.

* * *

(١٤٣) - ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا﴾: قال الكلبي: أي: لميعادنا الأربعين، واللام لبيان الوقت، كما قال: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ﴾ [الإسراء: ٧٨].

قال وهب: جاء طورَ سِينا ومعه جبريلُ عليه السلام، فتطهَّر وطهَّر ثوبه[١].

﴿وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾: بلا واسطةٍ بغيرِ كيفيةٍ، فلما سمع كلامه طمع في رؤيته لغلَبة شوقه، فسأل ذلك، وهو قوله تعالى:

﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَ﴾: وهو حجةُ أهل السنَّة والجماعة على جواز رؤية الله تعالى، فإن موسى صلوات الله عليه اعتقد جوازها حتى سألها، واعتقادُ جوازِ ما لا يجوز على الله كفرٌ، ومَن جوَّز ذلك على موسى أو على أحدٍ من الأنبياء فهو كافر.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ لَن تَرَىٰنِي﴾: ولم يقل: لن أُرى، ليكون نفياً لجواز الرؤية، بل قال: لن تراني؛ أي: لن تُطيق أنت في الدنيا أن ترانيَ، وهو كما قال تعالى: ﴿فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ وَلَن تَفۡعَلُواْ﴾ [البقرة: ٢٤]؛ أي: لن تُطيقوا أن تفعلوا، وقال الله تعالى: ﴿لَن نَّصۡبِرَ عَلَىٰ طَعَامٖ وَٰحِدٖ﴾ [البقرة: ٦١]؛ أي: لن نطيق أن نصبر.

---

(١) في (أ) و(ف): «ثوبيه».

والدليل على أنه ليس لنفي جوازِ الرؤية بل هو نفيُ طاقة موسى ما ذُكر بعده، وهو قوله تعالى:

﴿وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى﴾: علَّق الرؤيةَ باستقرار الجبل، وهو أمرٌ متصوَّرٌ، فدل على تصوُّر ما عُلِّق به.

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ﴾: أي: ظهر، يقال: جَلَوْتُ الشيء جلاءً وجلَّيْتُه تجليةً؛ أي: أظهرتُه، فانجلَى وتجلَّى؛ أي: ظهر، والمراد به ـ والله تعالى أعلمُ ـ: أعطَى الجبل رؤيتَه وجعَل له حياةً وعلماً علِم به أنه رآه، وهو دليلٌ آخر على أن الله عز وجل جائزُ الرؤية.

وقوله تعالى: ﴿جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾ قرأ أهل المدينة وأبو عمرٍو: ﴿دَكًّا﴾ منوَّناً غيرَ ممدودٍ هاهنا وكذا في سورة الكهف، ومعناه: مدكوكاً؛ أي: مدقوقاً، مصدرٌ بمعنى المفعول.

وقرأ عاصم كذلك هاهنا، وقرأ الذي في سورة الكهف ممدوداً بلا تنوين.

والباقون قرؤوهما ممدوداً بلا تنوينٍ(١)، وهو تأنيثُ الأدكِّ، يقال: ناقةٌ دكَّاءُ: إذا ذهب سنامُها؛ أي: جعَلها مستويةً بالأرض لا أكَمةَ فيها.

وقال الحسن وسفيان وأبو بكر الهذلي: ساخ في الأرض(٢).

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٢٩٣)، و«التيسير» (ص: ١١٣).

(٢) ذكره عنهم الواحدي في «البسيط» (٩/ ٣٣٧)، وعن الحسن وسفيان الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ٢٥٨). ورواه عن سفيان الطبريُّ في «تفسيره» (١٠/ ٤٢٨)، وعن أبي بكر الهذلي بمعناه، ولفظه: (انْقَعَر فدَخل تحت الأرض فلا يَظهرُ إلى يوم القيامة). وقد روي اللفظ أعلاه مرفوعاً، رواه الترمذي (٣٠٧٤) من طريق سليمان بن حربٍ عن حماد بن سَلَمَة، عن ثابتٍ، عن أنسٍ أنَّ النبيَّ ﷺ قرأ هذه الآيةَ ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾ قال حَمَّادٌ: هكذا، وأَمسَك سليمانُ بطَرَف =

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: صار تراباً[١].

وتأنيث الدَّكَّاء ـ مع أنه صفةُ الجبل وهو مذكَّرُ اللفظ ـ على معنى التشبيه بالناقة الدكَّاء؛ أي: مثلَ الدَّكَّاء.

وقيل: أي: جعله أرضاً دكَّاء.

وقيل: الدكَّاءُ لغةً هي الرابيةُ التي لا[٢] تبلغ أن تكون جبلاً، وجمعُها: دكَّاوات.

وقال الحسن: صار الجبل ثلاثَ فرقٍ: ساخت فرقةٌ منها في الأرض، وطارت فرقة فوقعت[٣] في البحر، وطارت فرقة فوقعت بعرفات، فهو شاحبٌ مقشعِرٌّ من مخافة الله تعالى.

وقال أبو بكر الورَّاق: فعَذبَ إذ ذاك كلُّ ماء، وأفاق كلُّ مجنون، وبرئ كلُّ مريض، وزالت الشوك عن الأشجار، واخضرت الأرض وأزهرت، وخمدت نيرانُ المجوس، وخرَّت الأصنام لوجوههن[٤].

وقال الحسن: أوحى الله تعالى إلى الجبل: هل تطيق رؤيتي؟ فغار الجبل وساخ في الأرض وموسى ينظر، حتى ذهب أجمعَ[٥].

وقال وهبٌ: خمَد كلُّ شيء حينئذ، وانقطعت أصوات الملائكة، وجعَل

= إبهامِه على أُنمُلة إصبَعِه اليُمنَى قال: «فسَاخَ الجبَلُ ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾». قال الترمذي: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ غريبٌ لا نعرفُه إلا من حديث حمادِ بنِ سلَمةَ.

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٤٢٧).

(٢) في (ف): «لم».

(٣) «فوقعت»: من (ر).

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٤/ ٢٧٨).

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٤/ ٢٧٨).

الجبلُ يتهدَّم وينهار ويضطرب من تحت موسى حتى اندقَّ كلُّه.

وقيل: صار الجبل ذرَّاتٍ في الهواء، وهو الذي يُرى في الشمس إذا دخل شعاعُها في الكُوَى بتلك الكثرة.

وقوله تعالى: ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾: أي: سقط مغشيًّا عليه؛ أي: لِـهَيبةِ تلاشي الجبلِ بظهور آثار القدرة عليه.

قوله تعالى ﴿فَلَمَّآ أَفَاقَ﴾: أي: من غشيته ﴿قَالَ سُبْحَـٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ﴾.

قال الإمام أبو منصور رحمه الله: خرج هذا الكلام منه مخرج العادة عند رؤية الأفزاع[1] حسَبَ ما يجري على ألسنة الناس عند الأخطار، لا عن ذنبٍ يتذكَّرونه فيتوبون عنه.

ونظيرُ هذا التسبيحِ قولُ عيسى عليه السلام: ﴿قَالَ سُبْحَـٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ﴾ [المائدة: ١١٦]، وقولُ الملائكة: ﴿قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم﴾ [سبأ: ٤١]، وقول الملائكة الذين تكلَّموا في أمر آدم عليه السلام: ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ﴾ [البقرة: ٣٢].

وذكرُ التوبة من غيرِ ذنبٍ كقول إبراهيم عليه السلام: ﴿وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾ [الشعراء: ٨٢]، وقولِ النبيِّ ﷺ في كلِّ يوم مئةَ مرةٍ: «أستغفرُ الله وأتوب إليه»[2].

وقيل: أي: تبتُ إليك من سؤال الرؤية في الدنيا، فإنك إنما وَعدْتَها في الآخرة.

---

(١) في (ر): «الأقراع»، وفي (أ): «الأفراع».

(٢) رواه بنحوه البخاري (٦٣٠٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. ومسلم (٤٨٤) من حديث عائشة رضي الله عنه، و(٢٧٠٢) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: أي: المصدِّقين بأن رؤيتك في الآخرة بالوعد، ولا وعد في الدنيا، ومعنى الأوَّل؛ أي: أولُ أهلِ هذا الزمان؛ لإظهارك[1] ذلك لنا الآن، وإنما أَخْفَى عليه إلى الآن أنه لا يعطي الخلقَ رؤيته في الدنيا مع جوازها؛ ليوجَد منه سؤالُ الرؤية بناءً على معرفته جوازَها؛ ليتحقَّق جواز الرؤية بسؤاله ذلك، فيصيرَ حجةً قاطعةً لأهل الحق على المنكِرين ذلك من أهل البدعة.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: وتَعلَّق نُفاةُ الرؤية بظاهرِ قوله[2]: ﴿لَن تَرَىٰنِى﴾ أنه نفَى ذلك بـ(لن) وهو للتأبيد، وحملوا سؤال الرؤية على وجوهٍ باطلة:

منها: أنهم قالوا: معنى قوله: ﴿أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾؛ أي: أرني آيةً قاطعةً أراها.

ومنها: أنهم قالوا: لم يسأل رؤيةَ الله تعالى لنفسه، بل لقومه حيث قالوا: ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ [النساء: ١٥٣].

ومنها: أنهم قالوا: خفيَ عليه أنه يُرى أو لا يُرى، فسأل ذلك ليَعلم.

والجواب: أن نقول: أمَّا (لن) فهو نفيُ قدرته على رؤية الله تعالى مدةَ الدنيا؛ لأنه جواب سؤاله، وسؤالُه كان في حقِّ رؤية الدنيا، ومثلُه قولُه تعالى: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا﴾ [البقرة: ٩٥] ثم هذا التأبيدُ في الدنيا؛ فإنهم يتمنَّونه في العقبى؛ قال تعالى خبراً عنهم: ﴿يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ﴾ [الحاقة: ٢٧]؛ أي: الموتَ، وقال: ﴿لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ [الزخرف: ٧٧].

وقولهم: إنه سأل الآية.

قلنا: قد كان أَراه الآياتِ الكثيرةَ قبلها، وأَراه أيضاً في ذلك المكان دكَّ الجبلِ،

---

(١) في (ف): «لإظهار».

(٢) في (ف): «بقوله» بدل: «بظاهر قوله».

وقد نُفي بقوله: ﴿لَن تَرَىٰنِى﴾ وذلك لا[١] يحتمِل إراءةَ الآيات، ولأنه قال: ﴿أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾ وأجيب بـ﴿لَن تَرَىٰنِى﴾، وذلك لا يحتمِل إراءةَ الآيات ونفيَ رؤيتها.

وقولهم: إنه سأل ذلك لقومه. لا يستقيم؛ لأنه قال: ﴿أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾ ولم يقل: أَرِهم ينظروا إليك[٢]، وقال: ﴿لَن تَرَىٰنِى﴾ ولم يقل: لن يروني، ولأنه لو كان لسؤال القوم فمِن حقِّه أن يزجرهم عنه ويجهِّلهم فيه كما فعَل ذلك في حقِّ الذين قالوا: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ حيث جهَّلهم وسفَّههم بقوله[٣]: ﴿إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ الآيات [الأعراف: ١٣٨].

وأمّا قولهم: خفي عليه ذلك.

قلنا: يكون هذا جهلاً بالله، وهو كفرٌ، ومَن ظن هذا بالأنبياء فهو كافرٌ وبالله[٤] العصمةُ.

وقد رُوي في هذا أحاديثُ فيها ذكرُ نزول الملائكة والتعنيفِ على موسى عليه السلام بما سأل، ولكنْ ليس ورودُها على وجهٍ يصحُّ، ولا يجوز قبولُها لأنها لا تليق بحال الأنبياء.

وأقاويل الناس في الآية أيضاً على وجوهٍ تختلف، والصحيح الموافقُ للأصول ما قلنا، وبالله المعونةُ.

وقال الإمام القشيري رحمه الله: ولـمَّا جاء موسى عليه السلام مجيءَ المشتاقين،

---

(١) في (أ) و(ف): «فلا»، بدل: «وذلك لا».

(٢) في (ر): «أرهم لينظروا».

(٣) في (أ) و(ف): «وسفههم وقال تعالى» وفي (ر): «وسفههم بقوله قال».

(٤) في (ف): «فهو كافر بالله ونسأل الله».

مجيءَ المغلوبين[١]، جاء موسى بلا موسى، جاء موسى ولم يَبق من موسى شيءٌ لموسى، وآلافُ آلافِ رجال[٢] قطعوا مسافاتٍ وتحمَّلوا مخافاتٍ فلم يذكرهم أحد، وهذا موسى خَطَا خطواتٍ وإلى القيامة يقرأ الصبيان: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا﴾.

ولما جاء موسى باسَطَهُ الحقُّ بالكلام، فلم يتمالك أن[٣] قال: ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَ﴾ فإن غلباتِ الوَجْد استنطقَتْه بطلَب كمال الوُصلة من الشهود، وقد قالوا:

وأَبرحُ ما يكونُ الشوقُ يوماً إذا دَنَتِ الخيامُ من الخيامِ

وقالوا: لا يؤاخَذُ المغلوب بما يقول، وقالوا: إنه لا يَشكر مَن يُنكر[٤].

قال[٥]: و[يقال]: أشدُّ الخلق شوقاً إلى الحبيب أقربهم من الحبيب، هذا موسى وقف في محلِّ المناجاة، وحَفَّت به الكرامات، وكلَّمه بلا واسطةٍ ولا جهات، قال: ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَ﴾ كأنه غائبٌ وهو شاهد، ولكنْ ما ازداد القومُ شرباً إلا ازدادوا عطشاً، ولا ازدادوا قرباً إلا ازدادوا شوقاً.

وقال: سأل موسى الرؤيةَ بالكلام فأُجيب: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ بالكلام، وأَسرَّ المصطفى في قلبه ما كان يرجُوه من تحويل القبلة من ربِّه فقيل له: ﴿قَدۡ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجۡهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبۡلَةٗ تَرۡضَىٰهَا﴾ [البقرة: ١٤٤].

---

(١) في «اللطائف»: (المهيَّمين).

(٢) في (أ): «وألف ألف رجل». ولفظ «اللطائف»: (آلاف الرجال).

(٣) في (أ): «إذ».

(٤) في (ر) و(ف): «لا يشكر ثم ينكر». ولم ترد هذه العبارة في مطبوع «اللطائف».

(٥) في (أ): «قالوا».

وقال: إنه سأل اللهَ الرؤية، فقال له: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾، وقال للخضر: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ [الكهف: ٦٦] قال له: ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٦٧] فصار جوابه (لن) من الحقِّ ومن الخَلق؛ ليبقى موسى بلا موسى، ويصفوَ موسى عن كلِّ نصيبٍ لموسى من موسى[١]، وأنشدوا:

أَبَنِي أَبِينا نحنُ أهلُ منازلٍ ... أبداً غرابُ البَيْنِ فينا يَنْعِقُ

قال[٢]: والبلاء الذي ورد عليه بقوله تعالى: ﴿فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِي ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾ أشدُّ من قوله: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾؛ لأنه صريحٌ في الردِّ، وفي اليأس راحةٌ، وقوله: ﴿فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِي﴾ هذا إطماعٌ فيما مُنعه، فلما اشتدَّ توقُّعه جُعل الجبل دكًّا، وكان قادراً على إمساك الجبل، لكنه قهرُ الأحباب، وبه سبَق الكتاب.

وفي قوله: ﴿انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ﴾ بلاءٌ شديد لموسى؛ لأنه مُنع عن رؤية مقصوده وأُمر برؤية غيره، ولو أُمر في أن يُغمض عينيه ولا ينظرَ إلى شيءٍ بعده لكان الأمرُ أسهلَ عليه، ولكنه قيل له: ﴿لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ﴾.

ثم أشدُّ من ذلك أن الجبل أُعطي التجلِّيَ ثم أُمر موسى عليه السلام بالنظر إلى الجبل الذي قدِّم عليه في هذا السؤال، وهذا صعبٌ شديد، ولكن موسى عليه السلام رضي به وانقاد لحكمه، وفي معناه أنشدوا:

أريدُ وصاله ويريدُ هَجْري ... فأتركُ ما أُريدُ لِمَا يُريد

---

(١) في (ف): «بموسى» بدل: «من موسى»، وليست في (أ)، والمثبت موافق لما في «اللطائف».

(٢) «قال»: ليس من (ف).

وقيل: بل هو لطفٌ به، حيث لم يصرِّح بردِّه، بل علَّله عوناً[١] له على صبره، وقد قيل[٢]:

فذرني أصبر[٣] قليلاً قليلاً

ولمَّا مُنع النظرَ رجع إلى رأسِ الأمر فقال: ﴿تُبْتُ إِلَيْكَ﴾[٤] يعني: إن لم تكن الرؤية التي هي غايةُ الرتبة فلا أقلَّ من رأس الأمر وهو التوبة.

ثم هذا منه إناخةٌ بعَقْوَة[٥] العبودية، وشرطُها: ألا تَبرح عن محلِّ الخدمة إنْ حيلَ بينك وبين وجودِ القُربة؛ لأن القُربة حظٌّ نفسك والخدمةَ حقٌّ ربك، ولَأنْ تكونَ بحقِّ ربِّك أتمُّ من أن تكون بحظِّ نفسك[٦].

* * *

(١٤٤) ـ ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾: لمَّا قال: ﴿تُبْتُ إِلَيْكَ﴾ قال الله تعالى له[٧]: يا موسى، إني استخلصتُك على أهل عصرك.

وقوله تعالى: ﴿بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى﴾: يعني: بأنْ أرسلتُك بما أوحيتُ إليك من

---

(١) في (أ): «عزماً».

(٢) بعدها في (ر): «في معناه».

(٣) كذا في النسخ، والذي في «اللطائف»: (فذرني أفنى).

(٤) بعدها في (ر): «بقولي».

(٥) العقوة: شجر، وما حول الدار والمحلة. انظر: «القاموس» (مادة: عقى).

(٦) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٥٦٤ ـ ٥٦٧).

(٧) «له»: ليست في (أ) و(ف).

الأوامر والنواهي، والوعدِ والوعيد، والأحكام والمواعظ، وبأنْ كلَّمتُك بلا واسطةٍ، وهذا يردُّ قولَ مَن يقول: إن السبعين الذين اختارهم موسى سمعوا كلام الله تعالى؛ لأن في الآية بيانَ الاصطفاء، وهو تنصيصٌ على التخصيص.

وقوله تعالى: ﴿فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ﴾: أي: التَزِمْ ما أَلْزمْتُك، وقيل: أي: أَقبِلْ على ما أنزلتُه عليك، وقيل: أي: اعمَلْ به.

وقوله تعالى: ﴿وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ أي: إنعامي بهذه الأشياء وغيرِها، بالاجتهاد في الطاعة، وتبليغِ الرسالة، والنصيحةِ للأمة، والصبرِ على أعباء هذه الأمانة.

وقيل: أي: دُمْ على شكرك فقد كان الأنبياءُ كلُّهم شاكرين صابرين.

وقال الإمام القشيري رحمه الله: فيه تسكينُ قلب موسى بعد منع الرؤية، كأنه قال: إنْ منعتُك شيئاً واحداً أعطيتُك أشياء؛ اصطفيتُك بالرسالة، وأكرمتُك بشرفِ الحالة، وكلَّمتُك بلا واسطة، فاعرِفْ هذه النِّعَمَ واشكر لي[1] عليها.

وقيل: فيه إشارةٌ لطيفة، كأنه قال: إنْ منعتُك عن مطلوبك، فلا تشكُني إلى قومك بعد رجوعك، وأنشدوا:

إنْ أَعْرضوا فهمُ الذين تَعطَّفوا   كم قد وفَوا فاصْبِرْ لهم إن أَخْلَفوا[2]

* * *

(١٤٥) - ﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا ۚ سَأُو۟رِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ﴾: هي جمعُ لوحٍ، وهو

---

(١) في (أ): «والشكر» بدل: «واشكر لي».

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٥٦٨)، والعجُز فيه: (وإن جنوا فاصبر...).

الصحيفةُ المهيَّأة للكتابة فيها؛ أي: أنزلنا عليه مع ذلك ألواحاً كُتب له فيها كلُّ شيء، ولأمَّته ما[١] الحاجةُ إليه في مصالح الدِّين والدنيا، ويراد بـ﴿كُلِّ شَيْءٍ﴾ هذا، ويراد به أيضاً تعظيمُ قَدْرِه وتفخيمُ شأنه، كما يقول الرجل: دخلتُ السوقَ فاشتريتُ كلَّ شيء، و: عند فلانٍ كلُّ شيء، ومنه قوله تعالى: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأحقاف: ٢٥]، ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ٢٣]: إنما هو صفةٌ لسَعة ملكها ووُفور أسباب سلطانها.

وعرّف الألواح بالألف واللام لأنها مشهورة عندهم.

وقيل: هو بمعنى الإضافة، وتقديره: في ألواحه، كما قال: ﴿فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ [النازعات: ٤١]؛ أي: مأواه.

وقوله تعالى: ﴿مَوْعِظَةً﴾: هي مفعولٌ له؛ أي: ليكون تحذيراً عمَّا لا ينبغي أن يُفعل.

وقوله تعالى: ﴿وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾: أي: تبييناً.

وقوله تعالى: ﴿فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ﴾: أي: وقُلنا له: ﴿خذها بقوة﴾؛ أي: نشاطٍ وجِدٍّ.

وقوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا﴾:

قال ابن كَيْسان: أي: بالفرائض.

وقال قطربٌ: أي: بحسَنها، وكلُّها حَسَن، وهو كقوله تعالى: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: ٤٥]؛ أي: كبيرٌ.

وقال الحسينُ بن الفضل رحمه الله: وهو أن يكون للكلمة معنيان أو ثلاثة فتُصرفَ إلى أشبهه بالحق، وهو قولُه تعالى: ﴿فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾[٢].

---

(١) «ما»: من (ف).

(٢) ذكر هذه الأقوال الثعلبي في «تفسيره» (٤/ ٢٨٣).

وقيل: فيها فرائضُ وفضائلُ، فالأحسنُ الجمع بينهما.

وقيل: أي: بالعزائم دون الرُّخص، وبالأفضلِ الأعلى دون الأنقَصِ الأدنى.

وقيل: أي: فيها بيانُ قصص الأولين وبيانُ أفعالهم، وفيها ذكر المحاسن من الأولياء والمساوئِ من الأعداء، فأُمروا بأن يعملوا بتلك المحاسنِ دونَ المساوئ.

وقوله تعالى: ﴿سَأُوْرِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾: قيل[1]: سأُورِدكم يوم القيامة مأوَى الخارجين من الطاعة وهو جهنم، فتحمَدوا الله على ما أنزلكم من الجنة.

وقيل: أي: سأريكم أرضَ الشام التي كانت للجبابرة الفاسقين وأُوْرِثُكموها.

وقيل: سأريكم مصر ـ وهي دار فرعون وقومِه ـ خاليةً عنهم وأورثُكموها، قاله يمانُ بن رِئابٍ[2].

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: قيل: الموعظة: هي التي تحمِل القلوبَ على القبول والجوارحَ على العمل.

وقيل: هي التي تنهَى عمَّا لا يَحِلُّ.

وقال ابن كيسان: هي التي تليِّن القلوب القاسية، وتُدْمع العيون الجامدة، وتصلح الأعمال الفاسدة.

قال: وعندنا: هي التي تذكِّر العواقبَ، وتحمله على العمل بها.

---

(١) في (ف): «قال».

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٤/ ٢٨٣) عن عطية العوفي، واستدل عليه بقراءة: (سأورثكم)، وهي قراءة شاذة نسبت لابن عباس وقسامة بن زهير. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٥١)، و«البحر» (١٠/ ٣٠٩).

قال[١]: وقوله: ﴿بِقُوَّةٍ﴾ دليلٌ على أن الاستطاعة مع الفعل؛ لأنها[٢] لا تبقى زمانين، فلو لم تكن مع العمل لم يكن الأخذُ بقوة.

وقال في قوله عز وجل: ﴿سَأُوْرِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: أي: جهنم، ويحتمل أن يكون الخطاب للفسَقة: سأريكم يا أهل الفسقِ داركم[٣].

وقيل: ﴿دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾: ما مرُّوا[٤] عليه إذا سافروا من منازل عاد وثمود والماضين.

وقال السدِّي: أي: مصارعَ الفاسقين[٥].

وقال الحسن: لمَّا أراد الله أن يكتب الألواح لموسى بَعث جبريل إلى جنة عدنٍ، فقطع منها شجرةً فاتخذ منها تسعةَ ألواح، وكانت من زمرُّدٍ أخضرَ طولُ كلِّ لوحٍ عشرةُ أذرعٍ بذراعِ موسى، وكذلك عرضُه، فكَتَب التوراةَ وموسى يسمع صريرَ القلم.

وقال مجاهد: كانت من زمرُّدةٍ خضراءَ[٦].

وقال سعيد بن جبيرٍ: من ياقوت[٧].

---

(١) «قال»: ليس من (ف).

(٢) في (ف): «فإنها».

(٣) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٥/ ٣٦ ـ ٣٨). والقول المنسوب لابن عباس رضي الله عنهما رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٤٤١) عن الحسن.

(٤) في (ر): «يمروا»، والمثبت موافق لما في «تفسير الثعلبي» (٤/ ٢٨٣) وعزاه للكلبي.

(٥) ذكره البغوي في «تفسيره» (٣/ ٢٨٢) بلفظ: (مصارع الكفار).

(٦) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ٢٦٠).

(٧) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٦٣). لكنه روى قبله عن سعيد بن جُبيرٍ قال: (كانوا يقولون: كانت الألواحُ من ياقوتةٍ، وأنا أقول: إنما كانت من زمرُّدٍ، وكتابُها الذهبُ...).

وقال أبو العالية: من بَردي(١).

وقال وهبٌ: قطَعها من صخرةٍ صمَّاء من الجبل الذي كان عليه موسى، وليَّنها الله تعالى وسوَّاها، وكانت الألواح عشراً وكانت على طول موسى(٢).

وقال الحسن: فوُضعت الألواح على السماء فشكَت إلى الله تعالى ولم تُطِقْ حملَها، وقالت: يا ربّ! كيف أُطيق أن أحملها، وهلَّا خلقتَ خلقاً يُطيق حملَ ذلك، فبعث الله تعالى جبريل أن يحمل الألواح فيبلِّغها إلى موسى، فلم يُطِقْ حملَها، فقال: يا ربّ، ومَن يُطيقُ حمل هذه الألواح بما فيها من النُّور والبيان والعهود، وهل خلقتَ خلقاً يُطيق حملَ ذلك(٣)؟! فأمدَّه الله تعالى بملائكةٍ يحملونها؛ بعددِ كلِّ حرفٍ في التوراة ملَكٌ، فحملوها حتى بلَّغوها موسى، فوضعوا الألواح على الجبل فانصَدع الجبل وخشع، وقال: يا رب! مَن يطيق أن يحمل هذه الألواح بما فيها، وقد ضرب الله تعالى لهذا القرآن مثلاً فقال: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ [الحشر: ٢١] كما أنزل التوراة على الجبل فلم يُطق حملها.

وقال الربيع بن أنس: نزلت التوراة وهي سبعون وِقْرَ بعيرٍ، فلم يقرأها كلَّها(٤) إلا أربعةٌ: موسى ويوشعُ وعُزيرٌ وعيسى عليهم السلام(٥).

وقال قتادةُ: لمَّا أخذ موسى الألواحَ قال: يا رب، إنِّي أجدُ في التوراة ـ أي:

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٦٣).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٤/ ٢٨٢)، والبغوي في «تفسيره» (٣/ ٢٨١).

(٣) في (ر) و(ف): «يطيق حملها».

(٤) «كلها»: ليس من (ف).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٤٥٥).

الألواح[١] ـ أمَّةً هي خيرُ الأمم، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، فاجعلهم أمتي، قال: تلك أمةُ محمدٍ ﷺ، فقال: يا ربّ، إنِّي أجد في التوراة أمةً سمَّيتَهم المتقين وسمَّيتهم عابدين وصالحين؟ قال: هم أمة محمد، قال: يا ربّ، إنِّي أجد في التوراة أمةً هم الآخِرون السابقون يومَ القيامة؟ قال: هم أمة محمد، قال: يا ربّ، إنِّي أجدُ في التوراة أمةً يأخذون صدقاتها فيأكلونها في بطونهم فيؤجَرون عليها؟ قال: هم أمة محمد، قال يا ربّ، إني أجد في التوراة أمةً هم المستجيبون والمستجابُ لهم؟ قال: هم أمة محمد، قال: يا رب[٢]، إني أجد في التوراة أمةً يقاتلون أهل الضلالة حتى يقاتِلوا الدجَّال؟ قال: هم أمة محمد، قال: يا ربّ[٣]، إني أجد[٤] في التوراة أمةً أناجيلُهم في صدورهم؟ فقال: هم أمة محمد، قال: إني أجد في التوراة أمةً الجنةُ محرَّمةٌ على الأنبياء حتى يدخلَها نبيُّهم، وعلى الأمم حتى تدخلها أمَّتُه؟ قال: هم أمة محمد، قال: إني أجد في التوراة أمةً غَفرْتَ لهم قبل أن يَستغفروك، وأعطيتَهم قبل أن يسألوك؟ قال: هم أمة محمد، قال: إني أجد في التوراة أمةً رضُوا عنك باليسير من الرزق ورضيتَ عنهم باليسير من العمل؟ قال: هم أمة محمد، قال: إني أجدُ في التوراة أمةً هم الشافعون والمشفوعُ لهم؟ قال: هم أمة محمد، قال: فاجعلهم أمتي، قال: إنك لن تدركهم، فقال موسى: الوفدُ وفدي والحياءُ لأمة محمد، فاجعلني من أمة محمد، فقال الله تعالى: ﴿إِنِّي ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي﴾ الآية، فرضي، وزِيدَ: ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٩][٥].

---

(١) «التوراة أي» ليست في (أ)، «أي الألواح» ليست في (ر).

(٢) «يا رب»: ليست في (أ) و(ف).

(٣) «يا رب»: ليست في (أ).

(٤) في (أ): «لأجد»، وكذا في المواضع الآتية حتى آخر الخبر.

(٥) رواه مطولًا ومختصراً عبد الرزاق في «تفسيره» (٩٣٩) و(٩٤٠)، والطبري في «تفسيره» (١٠/ ٤٥٢ و٤٥٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤٦٤). وقال أبو شهبة في «الإسرائيليات =

وفي رواية وهب عن كعب فيه زوائدُ؛ قال: أجد أمةً مرحومة؟ قال: هم أمة محمد أُدخلهم الجنةَ بشهادةِ أنْ لا إله إلا الله، قال: إني لأجد أمةً يُحشرون يوم القيامة غرًّا محجَّلين وجوهُهم على صورةِ القمر ليلة البدر؟ قال: هم أمة محمد، قال: إني لأجدُ أمةً إذا همَّ أحدُهم بحسنةٍ ولم يعملها كُتبت له حسنةً، وإنْ عمِلها كتبت له عشراً إلى[1] ضعفِ سبعِ مئة، وإذا همَّ أحدهم بسيئةٍ ولم يعملها لم تُكتب عليه، وإنْ تركها كُتبت له حسنةً؟ قال: هم أمة محمد، قال: إنِّي لأجد[2] أمةً يصلُّون في اليوم خمسَ مراتٍ في خمس ساعاتٍ، تُفتح لهم أبوابُ السماء وتنزل عليهم الرحمةُ؟ قال: هم أمة محمد، قال: إني أجد في التوراة[3] أمةً يصومون لك[4] شهر

= والموضوعات في كتب التفسير» (ص: ٢٠٥): إن آثار الوضع والاختلاق بادية عليه، والسند مطعون فيه، وهي أمور مأخوذة من القرآن والأحاديث، ثم صيغت هذه الصياغة الدقيقة، وجعلت على لسان موسى عليه السلام.

ثم نقل عن ابن كثير قوله: وروى ابن جرير عن قتادة في هذا قولاً غريباً لا يصح إسناده إلى حكاية قتادة، وقد رده ابن عطية وغير واحد من العلماء، وهو جدير بالرد، وكأنه تلقاه قتادة عن بعض أهل الكتاب، وفيهم كذابون ووضاعون، وأفاكون وزنادقة.

قال: وصدق ابن كثير فيما قال: وأرجح أن يكون من وضع زنادقتهم كي يظهروا الأنبياء بمظهر المتحاسدين، لا بمظهر الإخوان المتحابين...

قال: ومما يؤيد أنه من وضع الإسرائيليين الدهاة أن نحواً من هذا المروي عن قتادة قد رواه الثعلبي وتلميذه البغوي عن كعب الأحبار ولا خلاف إلا في تقديم بعض الفضائل وتأخير البعض الآخر.

قلت: سيأتي خبر كعب لاحقاً بنحو خبر قتادة مع زيادة عليه. وما ذكره من كون البغوي تلميذ الثعلبي، فهو تلميذ الواحدي ـ صاحب «البسيط» و«الوسيط» ـ وغيره من تلامذة الثعلبي.

(١) في (أ): «في».
(٢) في (ر): «إني أجد في التوراة».
(٣) في (أ) و(ف): «إني لأجد في الألواح».
(٤) «لك»: ليس من (ف).

رمضان تَغفر لهم ما كان قبل ذلك، فاجعلهم أمتي، قال: تلك أمة محمد[١]، قال: فاجعل لي هذا الشهر، قال: هو لأمة محمد ـ ﷺ ـ قال موسى: يا رب! وما شهرُ رمضان؟ قال: شهر اخترتُه لنفسي وأعطيتُ فيه من الفضل لأحمدَ وأمته ما لم أعطِ أحداً[٢]، فلو أَذِنْتُ للسماء لشفعت لهم، ولو أَذِنتُ للأرض لشَفعت لهم في ذلك الشهر، ولو أَذنتُ لملائكتي لشفعوا لهم في ذلك الشهر، قال: يا رب، إني لأجد أمةً يحجُّون البيتَ الحرام لا يَقضون منه[٣] وطراً، يَعجُّون لك بالبكاء عجيجاً[٤]، ويَرجُّون بالتلبية رجيجاً[٥]، فاجعلهم أمتي، قال: هم أمة محمد، قال: يا رب، فما تعطيهم على ذلك؟ قال: أَرُدُّهُم بالمغفرة، وأُشفِّعهم[٦] فيمَن وراءهم، قال: يا رب، فإنَّ فيهم مَن ليست نفقتُه بزاكيةٍ ولا عملُه بصالح؟ قال: وما علمُك يا موسى، قال: لولا أنك علَّمْتني لم أعلم، قال: يا موسى، أشفِّع بِرَّهم في فاجرهم، قال: يا رب، إني أجد[٧] أمةً يُحشرون يوم القيامة على ثلاثٍ: ثلثٌ يدخلون الجنة بغير حساب، وثلثٌ يحاسبون حساباً يسيراً ثم يدخلون الجنة، وثلثٌ يمحَّصون، فتقول الملائكة: يا رب، هؤلاء أصحاب الدماء والأموال والفروج، غيرَ أنهم أهلُ لا إلهَ إلا الله، فتدخلُهم الجنة، فاجعلهم أمتي، قال: هم أمة محمد، قال: يا رب، إني أجد[٨] أمةً

---

(١) في (أ): «أحمد»، وكذا في جميع المواضع الآتية.

(٢) في (ر): «لأحد».

(٣) في (ر): «فيه».

(٤) في هامش (ف): «العج رفع الصوت بالتلبية».

(٥) في (أ): «ويزجون بالتلبية زجيجاً» وفي (ف): «ويرجون حجيجاً».

(٦) في (ر): «ويشفعون».

(٧) في (أ) و(ف): «لأجد».

(٨) في (أ) و(ف): «لأجد».

سفهاءَ قليلة أحلامهم[1] يلعنون البهائم ويستغفرون من الذنوب، يرفع أحدهم اللُّقمة إلى فيه فلا تستقرُّ في جوفه حتى تَغفرَ له، يفتتحُها باسمك ويختمُها بحمدك فاجعلهم أمتي، قال: هم أمة محمد، قال: يا رب، بسطتَ هذا الخير لمحمدٍ وأمَّته، اجعلني من أمة محمد، قال: فقال الله تعالى: ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي﴾ الآية [الأعراف: ١٤٤]، فرضيَ موسى وفي نفسه شيءٌ، فقال الله تعالى: ﴿وَمِن قَوۡمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٞ يَهۡدُونَ بِٱلۡحَقِّ وَبِهِۦ يَعۡدِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٩][2].

* * *

(١٤٦) - ﴿سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلرُّشۡدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلۡغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ﴾: ويحتمل أنها متصلةٌ بقصة بني إسرائيل، ومعناه: خذوا بأحسنها بجِدٍّ ونشاط فإنِّي أصرفُ عنها المتكبِّرين، فلا تتكبَّروا لئلا تُصرفوا عنها فتضيِّعوها.

ويحتمِل أن يكون هذا كلاماً معترِضاً خلال هذه القصة إخباراً للنبيِّ ﷺ في حقِّ آيات القرآن.

وقال سفيان بن عيينة: ﴿سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ﴾؛ أي: أَحرِمُهم فَهْمَ القرآن[3].

وقال ذو النُّون: أبى الله أن يُكرم قلوبَ البطَّالين بمكنونِ حكمةِ القرآن[4].

---

(١) في (ر): «أخلاقهم»، والمثبت من (أ) و(ف)، وفي هامش (ف): «أي: عقولهم».

(٢) رواه بنحوه الثعلبي في «عرائس المجالس» (ص: ٢٨٠ - ٢٨٢)، وفي «تفسيره» (٤/ ٢٨٠)، ومن طريقه البغوي في «تفسيره» (٣/ ٢٧٩)، ورواه أيضاً أبو نعيم في «الحلية» (٥/ ٣٨٦).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٤٤٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٦٧)، والثعلبي في «تفسيره» (٤/ ٢٨٤) واللفظ له.

(٤) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٤/ ٢٨٤).

وقيل: أي: سأمنعهم عن الاعتراض عليها والطعنِ فيها، ويصحُّ ذلك في حق آيات موسى وآيات محمد عليهما السلام، وهي القرآن.

وقيل: أي: سأَصرفهم عن أن يفعلوا ما يَمنع عن إبلاغها، ويصحُّ ذلك في حقِّ موسى ومحمد عليهما السلام، قال تعالى: ﴿فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ﴾ [الأعراف: ١٤٥]؛ أي: لا تُظهر من نفسك ضعفاً.

وقال في حق نبينا محمد ﷺ: ﴿بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ إلى قوله: ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧].

وقيل: هي آياتُ الوحدانية، قال عبد الرحمن بن زيد: سأَصرف قلوبَهم حتى لا يتفكَّروا في خلق السماوات والأرض[١].

وقال ابن جريج: الآيات خلق السماوات والأرض؛ أي: أصرِفهم عن الاعتبار فيها[٢].

وقال الحسين بن الفضل: سأصرفهم عن آيات الآفاق حتى لا يتفكَّروا في خلقها ولا يَعتبروا بها، وعن الآيات في أنفسهم حتى لا يَروا فناءها ويُعجبوا بها.

وقال مقاتل: سأصرفهم عن التفكُّر في خلقِ السماوات والأرض وما فيهما من الشمس والقمر والنجوم والبحر والبَرِّ والنبات فيكون لهم عبرةً[٣].

وفي الآية إثباتُ خلق الله عز وجل الأفعالَ، وإثباتُ أفعال العباد.

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: يتعظَّمون عن الانقياد للأنبياء طلباً للعلوِّ والرياسة.

وقوله: ﴿بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾؛ أي: بغير الاستحقاق، وقيل: أي: بغير عملٍ بالحق[٤].

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٤/ ٢٨٤).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٤٤٣).

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٦٣).

(٤) في (ف): «الحق».

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: تكبَّروا على الرسل لأنهم لم يروهم أشكالاً لأنفسهم، وكذا كلُّ مَن تكبَّر على آخر فإنما يتكبَّر لمَّا لم يره مِثلاً لنفسه، أو لما يَرى نفسه سليمةً عن العيوب ورأى في غيره عيوباً، أو رأى لنفسه حقوقاً عليه، وإذا كان الخلق كلُّهم أكفاء بعضُهم لبعض وفيهم العيوبُ والحاجات فلا يسعُ أحداً التكبرُ على أحدٍ، وهو للهِ تعالى فإنه لا مِثلَ له وهو منزَّه عن العيوب والحاجات، فلذلك كان له الكبرياء والعظمة بالحق[1].

وقوله تعالى: ﴿وَإِن يَرَوْا كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا﴾: أي: عناداً، وكذا[2] قالوا: ﴿مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ١٣٢].

وقوله تعالى: ﴿وَإِن يَرَوْا كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ﴾: أي: لأنفسهم فيسلكوه ويَدينوا[3] به، وهو من صفة المعاندين[4].

والرُّشْد والرَّشَد لغتان؛ كالبُخْل والبَخَل، والسُّقْم والسَّقَم، والحُزْن والحَزَن.

وقوله تعالى: ﴿وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾: أي: لأنفسهم يسلكونه ويَدينون به، وهو صفة المعاندين والمتكبِّرين المذكورين في أولها.

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَا﴾: أي: ذلك الصرفُ عن قبول الحق والانقيادِ له بتكذيبهم بآياتنا.

وقوله تعالى: ﴿وَكَانُوا عَنْهَا غَٰفِلِينَ﴾: قال الإمام أبو منصور رحمه الله: أي: غفلةَ إعراض وعنادٍ، لا غفلةَ جهلٍ وسهو[5].

---

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٥/ ٣٩).

(٢) في (ف): «وكذب».

(٣) في (ف): «لأنفسهم فلا يسلكوه ولا يدينوا».

(٤) «وهو من صفة المعاندين»: ليست في (أ) و(ف).

(٥) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٥/ ٣٩).

(١٤٧) ـ ﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ ﴾: أصل اللقاء: رؤيةُ العين، وهؤلاء كذَّبوا برؤية الآخرة؛ أي: الدارِ الآخرة استبعاداً لها وإحالةً لوجودها، و﴿حَبِطَتْ﴾؛ أي: بطَلت وتلاشَتْ.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: يحتمل هذا وجهين:

يحتمل أنهم كانوا مؤمنين ثم كفروا فحبِطت الطاعات التي عملوها في الإيمان.

ويحتمل أنه أراد به المعروفَ والصنائع؛ من صلةِ الرَّحِم والصَّدَقات والخيراتِ التي عملوا بها في الكفر، حبط ثوابُ ذلك حين لم يؤمنوا[1].

وقوله تعالى: ﴿هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: استفهامٌ بمعنى النفي؛ أي: لا يُجزون إلا بما عملوا من الكفر والمعاصي.

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: ﴿الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ التكبُّرُ: توهُّمُ استحقاقكَ الحقَّ.

ويقال: مَن رأى لنفسه قيمةً في الدنيا والآخرة فهو متكبِّر.

ويقال: مَن ظنَّ أن به شيئاً أو منه أو له أو إليه من النفي والإثبات ـ إلا على وجه الاكتساب ـ فهو متكبِّرٌ[2].

* * *

(١٤٨) ـ ﴿ وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِن بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴾.

---

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٥/ ٣٩ ـ ٤٠).

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٥٧٠).

وقوله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾: أي: من بعد انطلاقه إلى الطُّور عجلاً؛ أي: أعَدُّوه ليعبدوه، والعجل: ولدُ البقرة.

وقوله تعالى: ﴿مِنْ حُلِيِّهِمْ﴾: جمع حَلْيٍ بفتح الحاء وتسكين اللام، وهي الحِلْيةُ، وهي ما[1] يُتَّخذ من الذهب والفضة للتنزيين به، والحُليُّ ـ بضم الحاء وكسر اللام وتشديد الياء ـ جمعُه، وتقديره: الفُعول، والواو صيِّرت ياءً لأنها لا تسلَم معها، وكُسرت اللام لأن الياء أختُ الكسرة، وقد يقال: حِلِيٌّ بكسر الحاء إتْباعاً لكسرة اللام.

و﴿مِنْ حُلِيِّهِمْ﴾ إضافة إلى قوم موسى، وفي آية أخرى قال تعالى: ﴿حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ﴾ [طه: ٨٧]، فأضافها إلى قوم فرعون في آية بحُكم الـمِلْك، وأضافها إلى قوم موسى في آيةٍ بحُكم العاريَّة.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: فدل أن العارية يجوز أن تُنسَب إلى المستعير، وفيه دلالةٌ على[2] أن مَن حلف لا يدخل دار فلان فدخل داراً له عاريةً حَنِث[3].

وقوله تعالى: ﴿عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ﴾: هو بدلٌ عنه وترجمة له ومعناه جسماً.

وقال الكلبي: جسداً مجسَّداً ليس فيه روحٌ وله لحمٌ ودمٌ وشعر.

وقوله تعالى: ﴿لَّهُۥ خُوَارٌ﴾: أي: صوتٌ، وهو صوت البقر على الخصوص.

قيل: إن السامريَّ احتال بأن جوَّفه وقابَلَ به الريحَ حتى جاء من ذلك ما يُشبه الخوار، وأَوهمهم أنه صار كذلك.

وقيل: بل صار عجلاً له خوارٌ حقيقةً، قال ابن عباس رضي الله عنهما: كانت فتنتُهم في العشر التي زادها الله تعالى، فلمَّا مضت ثلاثون ليلةً، وكان السامريُّ أخذ

---

(١) في (ف): «وهو الحلية وهو مما».

(٢) «على»: ليس في (أ).

(٣) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٥/ ٤١).

قبضةً من أثرِ فرسِ جبريلَ عليه السلام في البحر، فقال حين مضى ثلاثون ليلةً: يا بني إسرائيل، إنَّ معكم من حليِّ آل فرعون وهو حرامٌ عليكم، فهاتوا ما عندكم فنُحرقَها، فأَتَوه بها، فأوقد ناراً ثم أَلقى الحليَّ في النار، فلما ذاب ألقى تلك القبضةَ من التراب فيها فصار عجلاً جسداً له خوارٌ، فخار خورةً واحدة، فقال السامري: إن موسى ذهب يطلب ربَّكم، فهذا إلهُ موسى وإلهُكم فنسي؛ أي: أخطأ موسى الطريقَ وهاهنا إلهُه.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿فَنَسِيَ﴾؛ أي: ترك السامريُّ ما كان عليه من الإسلام.

قال: ولم يكن هو من بني إسرائيل في النسبة إنما كان وقع بمصر فدخل في بني إسرائيل وأظهر الإسلام، وفي نفسه حبُّ عبادة البقر، واسمه موسى بن ظفر(١).

وقال السدِّيُّ: جعل العجلُ يمشي كما يمشي العجلُ(٢)، قال: واسم السامري: ميحا(٣).

وقال وهب: لم يكن له حركةٌ ولا خطوةٌ، إلا أن الخوار كان يُسمع منه.

وقال أبو هريرة رضي الله عنه: لمَّا قال الله تعالى لموسى: ﴿فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ﴾ قال: يا رب! هذا العجلُ اتَّخذه السامريُّ فممَّن كان صوته؟ قال: مني، قال: يا رب! أنت فتنتَ قومي؟ فقال: إنما فعلت ذلك لأنك سلَّمتهم إلى هارون فقلتَ: اخلُفْني في قومي(٤). وقد بينَّا بعض هذه القصة في سورة البقرة، ونذكُر تمامها في سورة طه إن شاء الله تعالى.

---

(١) روى هذه الأقوال عن ابن عباس الطبري في «تفسيره» (١/ ٦٧٢) و(١٦/ ١٤١).

(٢) قطعة من خبر طويل عن السدي رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٦٧٠) و(١٦/ ١٤٠).

(٣) لم أجده عن السدي، وذكره دون عزوٍ الثعلبي في «تفسيره» (١/ ١٩٤) والبغوي في «تفسيره» (١/ ٩٤)، وعزاه ابن الجوزي في «زاد المسير» (٥/ ٣١٨) للكلبي. وعندهم جميعاً: (ميخا) بالخاء.

(٤) لم أجده عن أبي هريرة، وذكر نحوه مقاتل في «تفسيره» (١/ ١٠٤)، وأبو الليث في «تفسيره» (١/ ٥٦٦).

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا﴾: وهذا تعجيبٌ من الله تعالى عبادَه من سفَههم، يقول: مَن لا يكون له كلام يخاطِب به، ولا منه هدايةٌ يرشِد بها، كيف يكون إلهاً؟ ثم ليس فيه أنه لو كلَّمهم أو هداهم يجوز أن يعبد، قال ذلك الإمام أبو منصور رحمه الله.

قال: وقال في سورة طه: ﴿وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ [طه: ٨٩] ليس فيه أنه لو ضرَّهم أو نفَعهم جاز أن يُعبد؛ ليُعلم أن ذكر[1] حكم الحظر في حالٍ لا يُوجب إباحةَ ذلك في حالة أخرى[2].

وهو معنى قول مشايخنا رحمهم الله: تخصيص الشيء بالذكر لا يدلُّ على نفي ما عداه.

وقوله تعالى: ﴿اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ﴾: أي: اتَّخذوه معبوداً، وكانوا ظالمين أنفسَهم وضارِّين لها بذلك، وواضعين العبادةَ غيرَ موضعها، والظلم يفسَّر بذلك كله.

***

(١٤٩) - ﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ﴾: أي: ندموا، وأصله: أن مَن ندِم وَضع ذقنَه في يده، فالذقن ساقطٌ واليد مسقوطٌ فيها، وليس ذلك لتعدِّي الفعل، لكنَّ طريقَه طريقُ قولك: جلس زيد على البساط، فالبساط محلُّه، ويجوز أن يقال: جُلس على البساط، فيجوز أن يقال: وسُقِط في اليد.

---

(١) «ذكر»: ليس في (أ) و(ف).

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٥/ ٤٢).

وقوله تعالى: ﴿وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا﴾: أي: علِموا، وهو من رؤية القلب.

وقوله تعالى: ﴿قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا﴾: قرأ حمزة والكسائي بتاء الخطاب فيهما ونصبِ الباءِ من ﴿رَبُّنَا﴾ على النداء؛ أي: تابوا ودَعوا ربهم فقالوا: يا ربنا إن لم ترحمنا وتغفر لنا.

وقرأ الباقون بياء المغايبة فيهما ورفعِ الباء من ﴿رَبُّنَا﴾[1] على أنه فاعلٌ بفعله وهو ﴿يَرْحَمْنَا﴾ وعُطف عليه: ﴿وَيَغْفِرْ لَنَا﴾.

وقوله تعالى: ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾: أي: الهالكين المغبونين[2] في الدنيا والآخرة.

وقال القشيري رحمه الله: قوله: ﴿لَا يُكَلِّمُهُمْ﴾ فيه إشارةٌ إلى مخاطبته سبحانه وتعالى عبيدَه، وأن ملوك الخلق إذا جلَّت رتبتُهم أَنفوا من[3] مخاطبةِ خدمهم بلسانهم، قال قائلهم:

وما عَجَبٌ تَناسي ذكر عبدٍ ... على المولَى إذا كثُرَ العبيدُ

والله تعالى بخلافِ هذا أجرى سنَّته مع عباده الأولياءِ والأعداء؛ فأما الأعداءُ فإنه يقول لهم: ﴿اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون: ١٠٨] وأما الأولياء فقد قال ﷺ: «ما من أحدٍ إلا ويكلِّمه ربُّه ليس بينه وبينه تَرْجمانٌ»[4] وأنشدوا:

وما يَزْدَهينا الكبرياءُ عليهم ... إذا كلَّمونا أنْ نُكَلِّمَهُم نزرا[5]

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٢٩٤)، و«التيسير» (ص: ١١٣).

(٢) في (ر): «المفتونين»، وليست في (ف).

(٣) في (ف): «عن». ولفظ «اللطائف»: (استنكفوا أن يخاطبوا).

(٤) رواه البخاري (٦٥٣٩)، ومُسلم (١٠١٦)، من حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه.

(٥) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٥٧١).

التيسير في التفسير

تأليف الإمام

أبي حفص النسفي

نجم الدين عمر بن محمد بن أحمد النسفي الحنفي

٤٦١ - ٥٣٧ هـ

يطبع أول مرة محققاً على ثلاث نسخ خطية

تحقيق وتعليق

ماهر أديب حبوش

المجلد السابع

دار اللباب

بسم الله الرحمن الرحيم

التَّيْسِيرُ
فِي
التَّفْسِيرِ

(٧)

حُقوق الطّبع محفُوظَة

الطبعَة الأولىٰ
١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م

يُمنع طباعةُ هذا الكتاب أو ترجمته أو تصويرُه ورقياً أو إلكترونياً
إلا بإذن خطي من الدار الناشرة
تحت المُساءلة الدُّنيوية والأُخروية

9 786052 279311

دار اللُّباب
للدِّراسَاتِ وتَحقِيقِ التُّراثِ

DAR-ALLOBAB
Lubab Yazma Eserleri İhya ve İlmi Araştırma Yayınları

بيروت - لبنان
009615813966
0096170112990
Www.allobab.com

اسطنبول - تركيا
00905454729850
00902125255551
info@allobab.com

İskenderpaşa mh. Kıztaşı cd. No:7 D:5 Fatih (Özel Fatih Hastanesi Karşısı)

سُورَةُ الأَعْرَافِ

(١٥٠) ـ ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنۢ بَعْدِيٓۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِي وَكَادُواْ يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا﴾: أي: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ﴾ من الطور ﴿إِلَىٰ﴾ بني إسرائيل الذين استخلَف عليهم هارونَ وقد أخبره الله تعالى بما كان من ﴿قَوْمِهِۦ﴾ من عبادة[1] العجل بقوله تعالى: ﴿فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ﴾ [طه: ٨٥] رجع ﴿غَضْبَٰنَ﴾ من ذلك ﴿أَسِفًا﴾ متأسِّفاً على ما كان منهم.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: حزيناً. وقال أبو الدرداء: شديد الغضب[2].

وقوله تعالى: ﴿قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنۢ بَعْدِيٓ﴾: هي كلمة ذمٍّ؛ أي: ساء ما عملتُم خَلْفي بعد غيبتي، يقال: خَلَفه في أهله بخيرٍ وبسوء، وقد كان قال لهارون عليه السلام: ﴿ٱخْلُفْنِي﴾ [الأعراف: ١٤٢]، وهاهنا قال: ﴿خَلَفْتُمُونِي﴾ لأنه كان يجب على كلِّ واحدٍ منهم أن يَحوط[3] صاحبه ويحميَه عن الضلال.

---

(١) في (ف): «عبادتهم».

(٢) رواهما الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٤٥٠).

(٣) في (أ): «يحفظ».

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: رجع ﴿غَضْبَٰنَ﴾ لله على قومه بعبادتهم العجلَ ﴿أَسِفًا﴾؛ أي: حزيناً على قومه بما يَلحقُهم من العقوبة بذلك، وكذا ينبغي لكلِّ مؤمنٍ أن يغضبَ للهِ تعالى إذا رأى ارتكابَ منكرٍ ويتأسَّفَ على ما ينال العُصاة، وقد قال الله تعالى في حقِّ نبيِّنا ﷺ: ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٣]، وقال: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ﴾ [فاطر: ٨]، فدل على حزنه وتأسُّفه على ذلك.

وقال في قوله: ﴿بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ﴾: له وجهان:

الأول: بئسما اخترتُم من عبادتكم العجلَ على عبادة الله تعالى.

والثاني: بئسما اخترتُم اتِّباعَ(١) السامريِّ إلى ما دعاكم إليه بعد اتِّباعكم إياي وأخي رسولَ الله هارونَ، وأمرِنا إياكم بعبادة الله تعالى(٢).

وقوله تعالى: ﴿أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ﴾ قيل: أي: أسبَقتم أمرَ ربِّكم؛ أي: عبدتُم العجل قبل أن يأتيَ به أمر من الله تعالى؛ أي: لو كان هذا مما يجوز أن يُفعل تقرُّباً إلى الله لأمَر الله عز وجل به، فلِمَ فعَلْتُموه قبل أن يأتي به أمر(٣).

وقيل: أي: أعجِلتم وعدَ ربِّكم، فقد قال في سورة طه: ﴿أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا﴾ [طه: ٨٦].

قال الحسن: كان موسى صلوات الله عليه واعَدَهم ثلاثين ليلةً، فلما مضت الثلاثون ولم يرجع قدَّروا أنه قد مات(٤).

---

(١) في (ف): «بئسما اخترتم من عبادتكم العجل اتباع»، وعبارة «التأويلات»: (بئسما خلفتموني باتباعكم).

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٥/ ٤٤).

(٣) ذكر نحو هذا الواحدي في «البسيط» (٩/ ٣٦٩) و«الوسيط» (٢/ ٤١٢)، والبغوي في «تفسيره» (٣/ ٢٨٤)، والرازي في «تفسيره» (١٥/ ٣٧١)، وعزوه للكلبي، ولا حاجة لمثل هذه الأقوال، فكيف يُتخيل ولو على سبيل الافتراض أن يأمر الله سبحانه بعبادة العجل.

(٤) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ٢٦٣)، والواحدي في «البسيط» (٩/ ٣٦٩)، والبغوي =

وقيل: كان واعَدَهم أربعين ليلةً، ولكن عدُّوا عشرين يوماً وعشرين ليلةً وقالوا ذلك.

وقيل: ﴿أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ﴾؛ أي: وعْدَ ربِّكم بالثواب على عبادته حتى عدَلتُم إلى عبادة غيره.

وقوله تعالى: ﴿وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ﴾: جاء عن قومٍ من المفسِّرين: فطرحها على الأرض غضباً، فرُفع[1] منها كذا وبقي كذا.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: كُسِر منها لوحان فتطايرا في السماء بما فيهما من النور والبيان[2].

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: لكن لا يجوز أن يُفهَم من قوله: ﴿وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ﴾ طَرْحَها لا غير، ألَا ترى أنه قال: ﴿وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ﴾ [النحل: ١٥] ليس يفهم منه الطرحُ، وكذا قوله تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ [المزمل: ٥]، إذ لا[3] يُظن بموسى عليه السلام ذلك؛ لأنه يُشبه الاستخفافَ، لكن يُفهم منه الوضعُ لأنه قصَد أَخْذَ[4] رأسِ أخيه، فكان لا يمكنه أخذُه مع أن الألواح في يده، فوضعها ثم أخذ ذلك[5].

= في «تفسيره» (٣/ ٢٨٤)، والرازي في «تفسيره» (١٥/ ٣٧١).

(١) في (أ): «فوقع»، وفي (ف): «فرجع».

(٢) لم أجده بهذا اللفظ، وروى عنه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٤٥٦) أنه قال: (ألقى موسى الألواح فتكسرت، فرفعت إلا سدسها).

(٣) في (ر): «ولا» بدل: «إذ لا».

(٤) «أخذ»: ليست في (أ).

(٥) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٥/ ٤٥). ولهذا الكلام وجه، لكنه لم يبين أنه إذا كان المعنى كذلك فلمَ قال سبحانه: ﴿وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ﴾ ولم يقل مثلاً: ووضع الألواح، أو: وترك الألواح؟ فلا بد أن يكون لاستعمال لفظ الإلقاء دون غيره علة لا تتحقق بغيره.

وقوله تعالى: ﴿وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ﴾: قيل: فعَل ذلك ليناجيَه وليسأله عن السبب الذي وقعوا في ذلك لأجله، وعن الذي منعه عن زجرهم وقتالهم عليه، فتصوَّر عند هارون أنه لغضبه ومؤاخَذته عليه يأخذ لحيته ورأسه يعاقبُه به، فلذلك قال: ﴿لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ﴾ فيتوهَّمَ القوم أنك عاقَبْتني من غير ذنبٍ كان لي فاسمع عذري[1].

وقيل: إنما فعل ذلك لا تغضُّباً عليه متعنِّفاً، بل كما يفعله المتوجِّع للمصيبة بالحادث على قومه كما هو عادةُ أهل المصيبة، فإن كثيراً من الناس يتعلَّق الواحد منهم عند المصيبة برقبةِ مَن يَحلُّ منه محلَّ المصاب، ويجعلُ الآخرُ يده في رقبته أيضاً[2].

قال الإمام أبو منصور رحمه الله: ذكَر في هذه السورة: ﴿وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ﴾، وفي سورة طه دليلٌ على أنه أخذ برأسه ولحيته جميعاً؛ لشدة غضبه لله تعالى على صنيع[3] قومه.

قال: وفيه دليلٌ أنه أخذ شعرَ رأسه؛ لأنه قال: ﴿يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ﴾، ولو أَخذ عينَ رأسه لم يَحتجْ إلى جرِّه، ودلَّ ذلك على أن مَن مسح رأسَه فوق الشعر ثم زال شعرُه لم

---

(١) كذا ذكر المؤلف هذا القيل، وكأن قائله لم يقرأ الآية، فإن الذي ذكر الأخذ بالرأس والجرَّ هو الله سبحانه لا هارون عليه السلام، وهل يقال فيمن أراد أن يناجي آخر ويسأله عن أمر: إنه أخذ برأسه يجره إليه؟ وقول هارون: ﴿لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ﴾ إنما هو تأكيد للأخذ بالرأس مع بيان الأخذ اللحية كذلك، ولعله اكتفى بذكر الرأس هنا لأن اللحية منه.

(٢) في (أ): «رقبته في يده» بدل: «يده في رقبته أيضاً». وليس هذا القيل بأحسن من سابقه، فإننا لو سلمنا ما ذكر من أنه عند المصيبة يأخذ كل واحد برقبة الآخر، فإن الأخذ هنا بالرأس لا بالرقبة، ثم أين يذهب صاحب هذا القيل بقوله: ﴿يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ﴾؟ فهل يحدث مثل ذلك أيضاً عند المصيبة، بأن يأخذ كل واحد برأس من يشاركه في المصيبة ويجره إليه؟!

(٣) في (أ): «صنع»، وفي (ف): «ما صنع».

يسقط عنه حكمُ المسح كما قال أصحابنا، وإذا مسح على لحيته ثم سقطت[١] زال حكمُه ووجب غسلُ ذقنه، لما سمَّى الشَّعرَ رأساً وسمَّى اللحية لحيةً، فسقوطُها يُسقط حكمَ المسح وسقوطُ شعر الرأس لا يُسقط.

قال: ودلَّت الآية على أن الأنبياء كانوا يعملون بالاجتهاد كما كانوا يعملون بالوحي، فإن موسى أخذ برأس أخيه بالاجتهاد إنكاراً على هارون تَرْكَ النكير على قومه، ولو كان بالوحي لم يقل له هارون: ﴿لَا تَأۡخُذۡ بِلِحۡيَتِي﴾[٢]، وهارونُ أيضاً عمِل ما عمِل مع قومه بعد عبادتهم العجلَ بالاجتهاد لا بالوحي، ولهذا اعتذر عنه وقال: ﴿خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقۡتَ بَيۡنَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ ولو فعل شيئاً بالأمر لم يَعتذر منه إلى موسى[٣].

وقوله تعالى: ﴿قَالَ ٱبۡنَ أُمَّ﴾: قرأ حمزةُ والكسائيُّ وابن عامر وعاصمٌ في رواية أبي بكر بكسر الميم، وأصله: يا ابن أمي، وحُذفت الياء تخفيفاً لكثرة الاستعمال في النداء، كما في قوله: (يا قوم) وقرأ الباقون: ﴿ٱبۡنَ أُمَّ﴾ بالفتح[٤].

وقيل: كثُر استعمال هاتين الكلمتين فصارتا كاسمين جُعلا اسماً واحداً، فبُنيا على الفتحة كما في حضرَموتَ وبعلَبكَّ وخمسةَ عشرَ.

وقيل: أصله: يا ابن أمَّاه، على النُّدبة، وسقطت الهاء والألفُ تخفيفاً.

وهذا[٥] قول هارون لموسى عليهما السلام، ومعناه: يا أخي، وكان أخاه لأبيه وأمِّه وإنما خصَّ الأمَّ استعطافاً؛ لأن ذكر الأمِّ يوجب ذلك.

---

(١) في (ر): «ثم زالت لحيته»، والمثبت موافق لما في «التأويلات».

(٢) «بلحيتي»: ليست في (أ) و(ف).

(٣) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٥/ ٤٥ ـ ٤٦).

(٤) انظر: «السبعة» (ص: ٢٩٥)، و«التيسير» (ص: ١١٣).

(٥) في (ف): «وهو».

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِي﴾: أي: لم يَهابوني ولم يَستحُوا مني[١] ﴿وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى﴾: لكثرتهم وغلبتهم.

وقوله تعالى: ﴿فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ﴾: أي: لا[٢] تَسُرَّ المخالفين بما يَسوؤني؛ إذ لا شكَّ أنهم كفروا بعبادة العجل، والكافرُ يفرح بمَساءة المؤمنين، خصوصاً بوقوع التشاجُر بين أخوين رسولين؛ لِمَا في التبايُن من وقوع الوهن في الأمر.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: أي: في عدادِ هؤلاء القومِ الذين ظلموا أنفسَهم بعبادةِ العجل ووَضْعِ العبادة في[٣] غيرِ موضعها، فأكونَ مثلهم في موجِدتك وغضبك علينا.

* * *

(١٥١) ـ ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى﴾: ولمَّا سمع موسى عذرَ هارون عليهما السلام عرفَ أنه لم يكن منه تقصيرٌ، كفَّ غضبه ودعا لنفسه وله، فقال: ربِّ اغفر لي بما فعلتُه بأخي مما أَوهم ظاهرُه كثيراً من الناس أنه كان موجدةً[٤] مني عليه وعقوبةً له، واغفر لأخي تقصيرَه إن[٥] كان منه شيءٌ من ذلك، وإن كان قد بذل جهده في الوعظ والإرشاد للقوم، وكذا ينبغي للكامل الموقَّر أن يستقصِر نفسَه فيما يجب لله عليه، فأولى الناس بهذه الحالة الأنبياء عليهم السلام.

---

(١) في (ف): «فلم يستحيوا».

(٢) «لا»: ليست في (أ).

(٣) «في»: ليست في (ف).

(٤) في (أ): «موجوده».

(٥) في (ر): «إنه».

وقوله تعالى: ﴿وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ﴾: أي: أدخلنا في جملةِ مَن ترحمهم وتُدخلهم الجنة.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ ترضَى بيَسير الشكر عن عظيم النِّعَم، وتقبلُ العذر الواحد في حق ذنوبٍ كثيرة.

قال الكلبيُّ رحمه الله: لمَّا رجع موسى إلى قومه رآهم حول العجل يرقصون ويعبدونه، فقال: ﴿بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِن بَعْدِيٓ أَعَجِلْتُمْ﴾ بعبادةِ العجل قبل أن يأتيكم أمرٌ من ربِّكم ﴿وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِۚ قَالَ ابْنَ أُمَّ﴾ وكان أخاه من أبيه وأمِّه، لكنه قال ذلك ليرفقه عليه ﴿إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي﴾ قهروني وهمُّوا بقتلي ﴿فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَآءَ﴾ عبدةَ العجل ﴿وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ الذين عبدوا العجل ﴿قَالَ﴾ موسى: يا ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي﴾ ما صنعتُ بأخي[1] ﴿وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ﴾؛ أي: نعمتك.

***

(١٥٢) - ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ﴾: أي: معبوداً ﴿سَيَنَالُهُمْ﴾؛ أي: سيصيبُهم ﴿غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾؛ أي: إرادةُ عقوبةٍ لا عفوَ معها.

قيل: قال الله تعالى ذلك لموسى قبل أن يتوب القومُ بقتلهم أنفسَهم.

وقوله تعالى: ﴿وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا﴾: أي: قتلُهم أنفسَهم بأيديهم فإنه هوانٌ وقُبلت به توبتُهم.

---

(١) في (ف): «وأخي».

وقيل: هذا في حقِّ الذين لم يَقبلوا قتلَ[١] أنفسهم بأيديهم فلم يتوبوا، وأُشربَ في قلوبهم حبُّ العجل، فالغضبُ ـ وهو الانتقام ـ في الآخرة لهم، ﴿وَذِلَّةٌ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾: أَخْذُ الجزية، قاله الحسن[٢]، ويدلُّ عليه ما بعده، وهو قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأعراف: ١٥٣].

وقال مكحولٌ: قال موسى عليه السلام: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ﴾ الآية، فقال الله تعالى: صدَق عبدي موسى.

وقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ﴾: أي: الكاذبينَ، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: هذه الآية في أهل عصر النبيِّ ﷺ الذين تولَّوا آباءهم الذين فعلوا هذا، لهم عذابُ النار في العُقبى وأخذُ الجزية في الدنيا[٣].

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: ويحتمِل قولُه: ﴿وَذِلَّةٌ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ ذمَّهم بصنيعهم[٤]، وثناءَ الشرِّ عليهم[٥].

والمفترُون: الكاذبون، وقد كذَبوا في تسميتِهم العجلَ إلهاً ومعبوداً.

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: قوله: ﴿سَيَنَالُهُمْ﴾ هذه السينُ للاستقبال، ومَن لا يضرُّه عصيانُ العاصين لا يبالي بتأخير العقوبة عن الحال، ولكن يكون للإمهال لا للأهمال، ولا ينبغي لمن ألمَّ بذنب ثم لم يؤاخَذ[٦] به أن يَغترَّ بالإمهال[٧].

---

(١) في (ف): «لم يقتلوا».

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٤/ ٢٨٦)، والواحدي في «البسيط» (٩/ ٣٧٩)، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) ذكره الواحدي في «البسيط» (٩/ ٣٧٨ ـ ٣٧٩).

(٤) في (ف): «بصنعهم».

(٥) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٥/ ٤٧).

(٦) في (ف): «يؤخذ».

(٧) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٥٧٣).

(١٥٣) ـ ﴿ وَٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِهَا وَءَامَنُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ يتناول عبادةَ العجل وغيرَ ذلك.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِهَا وَءَامَنُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا ﴾: أي: بعد التوبة ﴿لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾.

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: ذكَر الإيمانَ بعد التوبة، والإيمانُ الذي هو بعدها يحتمِل أنهم آمنوا بأنه يَقبل التوبة، أو آمنوا بأن الحقَّ جلَّ جلالُه لا يَضرُّه عصيان، أو آمنوا بأنهم لا ينجُون بتوبتهم من دون فضل الله عز وجل، أو آمنوا؛ أي: عدُّوا ما سبَق منهم من نقض العهد شركاً فآمنوا من الرأس، أو استداموا الإيمان، أو آمنوا بأنهم لو عادوا إلى ترك العهد وتضييعِ الأمر لسقطوا عن عين الله تعالى إذ ليس كلَّ مرةٍ تسلَمُ الجرَّةُ[١].

* * *

(١٥٤) ـ ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلۡغَضَبُ أَخَذَ ٱلۡأَلۡوَاحَۖ وَفِي نُسۡخَتِهَا هُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلَّذِينَ هُمۡ لِرَبِّهِمۡ يَرۡهَبُونَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلۡغَضَبُ ﴾: أي: سكَن، ولما كان الغضبُ بفَورته دالًّا على ما في النفس للمغضوب عليه، كان بمنزلة الناطق بذلك، فإذا سكنَت تلك الفَورة كان بمنزلة الساكت عما كان متكلِّماً به.

وقال عكرمة: أي: سكت موسى عن الغضب، على القلب[٢].

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٥٧٤).

(٢) ذكره الواحدي في «البسيط» (٩/ ٣٨٢).

وقوله تعالى: ﴿أَخَذَ ٱلۡأَلۡوَاحَ﴾: وقد كان وضَعها ليتفرَّغ لِمَا قصَد له لا رغبةً عنها، فلما فرغ عاد إليها فأخذها.

وقوله تعالى: ﴿وَفِي نُسۡخَتِهَا هُدٗى وَرَحۡمَةٞ﴾: أي: وفيما نُسخ له فيها من اللوح المحفوظ، والنسخ: النقل، ومنه: نسخُ الحُكم، ونسخ الشمسِ الظلَّ، فيقتضي نقلَ مكتوبٍ من أصلٍ إلى آخر، وقد يُطلق على الكتابة وإن لم يكن من أصلٍ آخرَ؛ قال تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسۡتَنسِخُ﴾ [الجاثية: ٢٩] فعلى هذا يكون معناه: وفيما كُتب فيها هدى ورحمة.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أن ما انكسر منه أُعيد له في لوح آخر.

وعن عمرو بن دينار قال: صام موسى عليه السلام أربعين يوماً فأُعطي الألواح، فلما ألقاها وتكسَّرت صام مثلَها فأُعيد له مثلُها[1]، وقد بينَّا ما في أصل هذا الكلامِ من الخلل.

وقوله تعالى: ﴿هُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلَّذِينَ هُمۡ لِرَبِّهِمۡ يَرۡهَبُونَ﴾: أي: يخشون الله تعالى، فيأخذون بهداه ويَقبلون ما فيه لينالوا رحمته.

وإنما قال: ﴿لِرَبِّهِمۡ يَرۡهَبُونَ﴾ ولا يجوز: يرهبون لربهم؛ لأن المفعول إذا تقدَّم ضعُف عملُ الفعل فيه، فصار كالذي لا[2] يتعدَّى في دخول اللام عليه، وهو كقوله: ﴿إِن كُنتُمۡ لِلرُّءۡيَا تَعۡبُرُونَ﴾.

وقيل: هو في معنى: مِن أجْلِ، ويجوز فيه اللام تقدَّمَ أو تأخَّرَ، كما قال تعالى: ﴿رَدِفَ لَكُم﴾ [النمل: ٧٢].

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: ﴿وَفِي نُسۡخَتِهَا﴾؛ أي: وفيما انتَسخ بنو إسرائيل

---

(١) ذكر القولين الثعلبي في «تفسيره» (٤/ ٢٨٧)، والبغوي في «تفسيره» (٣/ ٢٨٥).

(٢) «لا»: من (أ) و(ف).

من الألواح ﴿هُدًى﴾ من كلِّ ضلالةٍ، وبيانٌ من كلِّ عمًى وشبهةٍ، ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ من كل غضبٍ ولعنة، ﴿لِّلَّذِينَ﴾ يخشون ربهم فيعملون به[١].

وقال الإمام القشيري رحمه الله: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ﴾ يشير إلى حُسن إمهال الله العبدِ إذا تغيَّر عن حاله وغلَب عليه ما لا يُطيق، وإذا كان الأنبياءُ صلوات الله عليهم يَغلبهم ما يَصرفهم عن الاختيار فكيف الظنُّ بـمَن دونهم[٢].

***

(١٥٥) ـ ﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا ۖ فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰىَ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ۖ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ ۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا﴾: أي: من قومه، ونزعُ الخافض جائزٌ، وإذا نُزع نُصب الاسم، وقال الشاعر:

ومنَّا الذي اختيرَ الرِّجالَ سماحةً وجُوداً إذا هبَّ الرياحُ الزعازعُ[٣]

أي: من الرجال، وقيل: ﴿قَوْمَهُۥ﴾ نصبٌ بوقوع ﴿وَٱخْتَارَ﴾ عليه.

ثم قوله: ﴿سَبْعِينَ﴾ بدلٌ عنه، وهو بدلُ البعضِ من الكلِّ، كما في قولك: ضربتُ زيداً رأسه.

وقال الكلبي رحمه الله: اختار موسى سبعين رجلاً لينطلقوا إلى الجبل معه،

---

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٥/ ٤٨).

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٥٧٤).

(٣) البيت للفرزدق، وهو في «الجمل» للخليل (ص: ١٢٢)، و«الكتاب» لسيبويه (١/ ٣٩)، و«شرح نقائض جرير والفرزدق» لأبي عبيدة (٣/ ٨٢٢)، و«الكامل» للمبرد (١/ ٣٢)، و«تفسير الطبري» (١٠/ ٤٧٢).

فلم يُصِبْ إلا ستين شيخاً، فأوحى الله تعالى إليه أن يختار من الشبان[١] عشرةً، فاختار فأصبحوا شيوخاً، فاختار من كلِّ سبطٍ ستةَ رهطٍ فصاروا اثنين وسبعين، فقال لهم موسى: إنما أُمرتُ بسبعين رجلاً فليتخلَّف منكم رجلان، فتشاحُّوا على ذلك، فقال: إنَّ لمن قعد مثلَ أجرِ مَن خرج، فقعد رجلان أحدهما كالوب بن يوقنا والآخر يوشع بن نون، وخرج موسى بالسبعين معه إلى الجبل، وأمرهم أن ينتظروا في أسفل الجبل، وصعد موسى الجبلَ، وذكر ما كان إلى أن رجع موسى إلى قومه غضبان أسفاً مع السبعين، فلما رأى السبعون أن بني إسرائيل اتَّخذوا العجل أتوا موسى فقالوا: إن لنا عليك حقاً فأرِنا الله جهرة، فأخذتهم الصاعقة فاحترقوا عن[٢] آخرهم، فظنَّ موسى أنهم احترقوا بخطيئةِ أصحاب العجل، فقال: يا رب ﴿لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰيَ﴾، فذلك قولُه تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ﴾ وقولُه[٣]: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾ [البقرة: ٥٦][٤].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما بخلافه؛ قال: إن الله تعالى أمَره أن يختار من قومه سبعين رجلاً، فاختارهم وبرز بهم ليدعُوا ربَّهم، فكان ممَّا[٥] دعَوا الله تعالى أن قالوا: اللهمَّ أعطِنا ما لم تُعطِ أحداً من[٦] قبلِنا، ولا تعطيه[٧] أحداً بعدنا، فكرِه الله

---

(١) في (أ) و(ف): «الشباب».

(٢) في (أ) و(ر): «فاحترقوا من عند».

(٣) «﴿فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ﴾ وقوله»: من (ف).

(٤) ذكره بنحوه أبو الليث السمرقندي في «تفسيره» (١/ ٥٦٨) عن ابن عباس، والثعلبي في «تفسيره» (٤/ ٢٨٨) عن الكلبي، والطبري في «تفسيره» (١٠/ ٤٦٨) عن ابن إسحاق.

(٥) في (أ) و(ر): «فكانوا فيما».

(٦) «من»: ليست في (أ) و(ف).

(٧) في (ف): «تعطه».

تعالى ذلك من دعائهم فأخذتهم الرجفة[١]، فقال موسى: ﴿رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ﴾ الآية[٢].

وقيل في قوله: ﴿لِّمِيقَٰتِنَا﴾ في هذه الآية: إن الله تعالى وقَّت لموسى وقتاً يأتيه فيه بسبعين رجلاً من خيَار بني إسرائيل ليَعتذروا مما كان من القوم من عبادة العجل، وهذا في[٣] غير الميقات المذكور في قوله: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا﴾ [الأعراف: ١٤٣]، فلمَّا خرج موسى معهم وكانوا في أسفل الجبل كان ما ذُكر في هذه الآية، وهو قوله تعالى:

﴿فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ﴾: أي: زلزلةُ الجبل، وقيل: زلزلةُ أبدانهم فماتوا.

ثم ليس في هذه الآية بيانُ سببها، واختُلف فيه:

قيل: هو بقولهم: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ﴾ [البقرة: ٥٥] وهي نارٌ محرِقةٌ فيها صوتٌ فرجَفوا بصوتها، فالصاعقةُ والرَّجفة واحدةٌ، وإنما أُحرقوا[٤] بها لكفرهم بقولهم: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ لا بسؤالِ الرؤية، أو بسؤال الرؤية جهراً[٥]؛ أي: مقابَلة، وهي تشبيهٌ وهو كفرٌ، فأما أصل الرؤية فهو ثابتٌ وليس فيه مقابَلة.

وقيل: أخذتهم الرجفة بسؤالهم ما لم يؤذَنْ لهم فيه[٦]، وهو ما رَوينا في حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أعطنا ما لم تعطه أحداً قبلنا، ولا تعطه أحداً بعدنا.

---

(١) في (ر): «الصاعقة».

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٤/ ٢٨٩).

(٣) «في»: من (أ).

(٤) في (أ): «احترقوا».

(٥) في (أ): «جهرة» وليس فيها: «أو بسؤال الرؤية».

(٦) في (ف): «به».

وقيل: بل ادَّعَوا عند الله على موسى أنه قتل هارون.

وقيل: بل كانوا من عبَدة العجل، وموسى لم يعلم بذلك.

وقيل: لم يكونوا عبدوا العجل، ولكنهم لم يفارقوهم[١] ولم ينكروا عليهم.

وفي حديث وهب خلافُ هذا كلِّه، وأنَّ أَخْذ الرجفة لم يكن عقوبةً بل هيبةً، وهم خيارٌ ليسوا بجُناة.

قال وهب: إن بني إسرائيل قالوا لموسى عليه السلام: إن طائفة يزعمون أن الله تعالى لا يكلِّمك، ولو كلَّمك ما قمتَ لكلامه، ألم ترَ أن طائفة منا سألوه النظر إليه فلمَّا سمعوا حسَّ جنوده ماتوا، أفلا تسأله أن يُحضركَ طائفةً منا حتى يكلِّمك فيسمعوا كلامه فيؤمنوا وتذهبَ التُّهمة، فأوحى الله تعالى إلى موسى: أن اخترْ من خيارهم سبعين، ثم ارْتَقِ بهم إلى الجبل أنت وهارونُ، واستخلِفْ على بني إسرائيل يوشعَ، فاستخلَف عليهم كما أمره الله تعالى.

ثم انطلق بهم إلى رأس الجبل، فنزل الغمام[٢] فألبس الجبل كلَّه، فلمَّا رأوا ما فيه من الهيبة أخذتهم الرعدة[٣] وقَلِقوا ورجَفوا حتى كادت تَبينُ منهم مفاصلُهم وتُنقَضُ ظهورهم، فلما رأى ذلك موسى صلوات الله عليه رَحِمَهم وهم يومئذٍ أحياءٌ، فدعا اللهَ لهم وقال: ﴿رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّىَ﴾ وخاف عليهم الموتَ، واشتدَّ عليه فَقْدُهم، وكانوا له وزراءَ على الخير سامعين مطيعين، فعند ذلك قال: ﴿أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ﴾ فكشف الله عنهم تلك الرجفةَ والرعدةَ، فسكَنوا واطمأنُّوا وسمعوا كلام الله تعالى موسى، وكانوا عليه شهداء وانصرفوا[٤].

---

(١) في (ف): «يوافقوهم».

(٢) «الغمام»: ليس في (أ).

(٣) في (ر): «الرجفة».

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٤/ ٢٨٨ ـ ٢٨٩).

وهـؤلاء السـبعون غـيرُ السبعين الذين قالوا: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْـرَةً﴾ [البقرة: ٥٥] أولئك أحرقتهم الصاعقة ثم بُعثوا، وهؤلاء أخذتهم الرعدةُ ثم كشفت عنهم.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: لا ندري مَن أولئك السبعون[١].

وقوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّىٰ﴾: وقال مقاتل بن سليمان: وبقي موسى يبكي ويقول: يا رب! ما أقولُ لبني إسرائيل إذا رجعتُ إليهم وقد أهلكتَ خيارَهم؟ لو شئتَ أمتَّهم وإياي معهم من قبلِ أن يَصْحَبوني[٢].

وقيل ـ وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما ـ: ﴿لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ﴾ بما كان منهم وإياي بقتلِ القِبْطي[٣].

وقوله تعالى: ﴿أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ﴾ قال ابن عباس ومقاتل رضي الله عنهما: أي: ﴿أَتُهْلِكُنَا﴾ عقوبةً ﴿بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ﴾؛ أي: الجهَّال، وهم أصحاب العجل، ظنَّ موسى عليه السلام أنهم إنما عذِّبوا باتخاذ بني إسرائيلَ العجلَ[٤].

وإنما قال: ﴿أَتُهْلِكُنَا﴾ على معنى: أن إهلاك[٥] هؤلاء إهلاكٌ لي ولبني إسرائيل لأنهم خِيارُنا.

وقيل: لا يجوز أن يَظنَّ موسى عليه السلام أن هؤلاء أُهلكوا بفعلِ غيرهم؛ لأنه عَلم أن أحداً لا يؤاخَذُ بذنبِ غيرِه، وقد بيَّن ذلك في كتابه، قال تعالى: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [النحل: ٣٦ ـ ٣٨]،

---

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٥/ ٤٩).

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٦٦). ورواه الطبري (١٠/ ٤٦٨) عن السدي.

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٤/ ٢٨٩) عن وهب، وهو تتمة الخبر الذي تقدم قريباً عنه.

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٦٦).

(٥) في (ف): «هلاك».

لكن[١] معنى قوله: ﴿أَتُهْلِكُنَا﴾: أن هذا استفهامٌ بمعنى النفي كما في قوله: ﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ﴾ [الأعراف: ١٩٥]؛ أي: إنك لا تهلكنا بما فعَل[٢] السفهاء، وقد ذكر قبله: ﴿لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰيَ﴾ ومع ذلك لم تفعل، وذلك فضلٌ منك، ثم قال: ﴿أَتُهْلِكُنَا﴾؛ أي: لا تُهلكنا بفعلِ السفهاء، وهذا عدلٌ منك.

وقوله تعالى: ﴿إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾: أي: ما هي إلا فتنتُك[٣]، قال ابن عباس رضي الله عنهما: أي: بليَّتُك[٤]. وقال الكلبيُّ: عذابُك[٥].

وقال الربيع بن أنس ومقاتل: بلاؤك[٦]. وهو كقول ابن عباس رضي الله عنهما.

وقيل: هو راجعٌ إلى قول الله تعالى: ﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ﴾ فقال موسى: هي[٧] تلك الفتنة التي أخبرتَني بها، وهي ابتلاءُ اللهِ تعالى عبادَه بما شاء، قال تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء: ٣٥].

وقوله تعالى: ﴿تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ﴾: أي: مَن قال: اختارهم ثم أهلكهم.

وقوله تعالى: ﴿وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ﴾ أي: مَن قال: إن الله لا يعذِّب أحداً من غيرِ ذنب.

---

(١) في (ر): «وليس»، والمثبت من باقي النسخ، وهو الصواب. انظر: «البسيط» (٩/ ٣٩٠).

(٢) في (ف): «بفعل» بدل: «بما فعل».

(٣) «أي: ما هي إلا فتنتك»: ليس في (أ) و(ف).

(٤) رواه أبو صالح عن ابن عباس بلفظ: (بلاؤك). انظر: «زاد المسير» (٣/ ٢٦٩). ورواه بلفظ المؤلف الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٤٧٧ ـ ٤٧٨) من قول أبي العالية وسعيد بن جبير والربيع بن أنس. والمعنى واحد كما سيأتي.

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٤٧٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٧٥)، عن ابن عباس.

(٦) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٦٦). ورواه الطبري (١٠/ ٤٧٨) عن الربيع بلفظ: (بليتك) كما ذكرنا قريباً.

(٧) في (ر): «هل».

وقيل: ﴿تُضِلُّ بِهَا﴾: بالفتنة ﴿مَن تَشَآءُ﴾: مَن علمتَ منهم اختيارَ الضلال، وقوله: ﴿وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ﴾: مَن علمتَ منهم اختيارَ الهدى.

وقوله تعالى: ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا﴾: أي: متولِّي مصالحِ دِيننا ودُنيانا.

وقوله تعالى: ﴿فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ﴾: تُمْهِلُ ولا تعاجِل، وتغفر الذنب الكثير[1] بالعُذر اليسير، ثم تجود بالعطاء الجزيل الكثير[2].

قال الإمام القشيري رحمه الله: هم قومٌ اختارهم موسى ونحن قومٌ[3] اختارنا الله تعالى، قال: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص: ٦٨]، وشتَّان بين قومٍ وقومٍ، أولئك قوم قالوا: ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ﴾ ونحن قوم يقول الله تعالى لنا: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢][4].

***

(١٥٦) ـ ﴿۞ وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ۚ قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾: أي: أَثْبت لنا نعمةً، وذكر الكتابة لأنها أدوم.

وقيل: أي: وفِّقْنا في الدنيا للحسنات التي تكتبُها لنا الحفظة.

---

(١) في (أ): «الكبير».

(٢) في (أ) و(ف): «الكبير».

(٣) في (ف): «أمة».

(٤) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٥٧٥).

وقوله تعالى: ﴿وَفِي ٱلْآخِرَةِ﴾: أي: فيها حسنةً أيضاً؛ كما قال: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْآخِرَةِ حَسَنَةً﴾ [البقرة: ٢٠١].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: أي: تُبنا إليك[١]، وأصله الرجوع.

وقيل: أي: مِلنا إليك، وليست اليهودية مشتقَّةً منه، فإنها[٢] اسمُ ذمٍّ والهَود صفةُ مدحٍ، وقد قال الله تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا﴾ الآية [آل عمران: ٦٧]، فنفى الاسم عنه، لكنها مشتقَّةٌ من يهوذا، نُسبوا إليه وغيَّرت العرب الذال في النسبة دالاً.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ﴾ جوابُ قول موسى: ﴿لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ﴾ ومعناه: أصيبُ بالعذاب مَن أشاء أن أصيبَه به[٣]، وهو الذي أشاء منه الكفرَ والمعصية، وهو الذي أَعلمُ منه اختيارَ[٤] ذلك.

وقوله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾: قال الإمام أبو منصور رحمه الله: ما من مسلمٍ ولا كافرٍ إلا وعليه من آثار رحمته في الدنيا، وبها يتعيَّشون، وبها يتوادُّون، وفيها يتقلَّبون، لكنها للمؤمنين خاصة في الآخرة، وذلك قوله تعالى:

﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾: أي: سأجعلُها في الآخرة للَّذين يتقون الشرك والمعاصيَ، ويحتمِل أن يكون هذا جواب قولهم: ﴿وَٱكْتُبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ سألوا الحسنة[٥]؛ أي: الرحمة، فقال: هي ﴿لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾[٦].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٤٧٩ ـ ٤٨٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٧٧).

(٢) في (أ): «فإنه».

(٣) «به»: من (ر).

(٤) في (ر): «أعلم أنه اختار».

(٥) في (ر): «الجنة».

(٦) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٥/ ٥٣).

وقال الإمام القشيري رحمه الله: خصَّ بالعذاب مَن يشاء وعمَّ بالرحمة كلَّ شيء، وفيه مجالٌ لآمال العصاة؛ لأنهم إن لم يكونوا من المطيعين والعابدين والعارفين فهم شيء[1].

وقوله تعالى: ﴿وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾: يحتمِل الزكاة المعروفة، ويحتمِل تزكية النفوس؛ قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ [الشمس: ٩]؛ أي: طهرها بالتوحيد والطاعة والدِّين[2].

وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾: أي: بما أنزلناه على الأنبياء قبلك وعليك وعلى الأنبياء بعدك.

وقال الإمام القشيري: الآيات ما يكاشفُهم بها في الأقطار مما يَقِفون عليها بوجوه الاستدلال، وما يلاطفُهم بها في الأسرار مما يجدونها في أنفسهم من فنون الأحوال[3].

* * *

(١٥٧) ـ ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ﴾: وخُصَّ من بينهم رسولُنا محمدٌ ﷺ، وهو بشارةٌ له بمجيئه.

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٥٧٦).

(٢) «والدين»: من (ف).

(٣) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٥٧٧).

وقوله تعالى: ﴿ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ﴾: بغير همزٍ من النَّبْوة وهي الرِّفعةُ، وبالهمز من النبأ وهو الخبر، ومعناه: المخبِر عن الله تعالى. والأميُّ فيه أقاويلُ:

قيل: هو العربيُّ؛ لأن الأميين هم العرب.

وقيل: لأنه كان لا يكتب ولا يقرأ ولا يحسُب، قال الله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَتۡلُواْ مِن قَبۡلِهِۦ مِن كِتَٰبٖ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ﴾ [العنكبوت: ٤٨]، وقال النبيُّ ﷺ: «إنا أمَّةٌ أميةٌ لا نكتبُ ولا نحسُب»[١]، وكأنه نُسب إلى الأم؛ لأن النساء لا يَكتبن، أو لأن الولد يُولد من أمِّه غيرَ كاتب ولا قارئ ولا حاسبٍ إلى أن يتعلم.

وقيل: منسوبٌ إلى الأمَّة؛ أي: هو رأسُ الأمَّة، والهاء تسقط في النسبة كما في المكيِّ والمدنيِّ.

وقيل: لأنه كان من أمِّ القرى وهي مكة.

وقال الإمام القشيري رحمه الله: أظهر الله تعالى أنه لم يكن شيءٌ من فضائله وكمالِ عِلمه[٢] من قِبَل نفسه وتعلُّمِه وتكلُّفِه واجتهاده وتصرُّفه، بل من الله تعالى، فإنه كان أميًّا لا يقرأ ولا يكتب[٣].

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ﴾: قد روَينا في قوله: ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ﴾ حديثَ ذكرِ رسولنا وأمته، وكذلك في الإنجيل.

وقال الكلبي: ولمَّا نزل: ﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ قال أهل الكتاب: نحن المتَّقون وأهلُ الكتاب الأول والعلمِ القديم، فلما نزل:

---

(١) رواه البخاري (١٩١٣)، ومسلم (١٠٨٠/ ١٥)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) في (أ): «عقله».

(٣) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٥٧٧).

﴿وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ قالوا: نحن نؤتي الزكاة، فلما نزل: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ قالوا: نحن آمنا بموسى والتسعِ الآيات[١]، فأكذبهم الله تعالى وأخرجهم منها بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ﴾ يعني: محمداً، وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ﴾ خاتم الأنبياء.

وقوله تعالى: ﴿يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾: بالتوحيد وشرائعِ الإسلام.

وقوله تعالى: ﴿وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾: ما لا يُعرف في شريعته ولا سنَّته[٢].

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: كان مكتوباً عندهم أنه يَأمر بما أَمر اللهُ ويَنهَى عما نهَى الله. ويحتمِل: يأمرهم بما هو معروف في العقل وشهادةِ الخلقة[٣] وهو التوحيد، وينهاهم عما هو منكرٌ في العقل وشهادة الخلقة وهو الكفر والمعاصي[٤].

وقال الإمام القشيري رحمه الله: المعروف هو القيام بحقِّ الله تعالى، والمنكرُ هو البقاءُ بوصف الحظوظ[٥] وأحكامِ الهوى، والتعريجِ في أوطان[٦] المنَى، وما يُظهره العبد من تزويرات الدعوى[٧].

---

(١) في (أ): «بموسى والآيات».

(٢) في (أ) و(ف): «في شريعة ولا سنة».

(٣) في (ر): «الحق»، والمثبت من باقي النسخ والمصدر.

(٤) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٥/ ٥٩).

(٥) في (ف): «الحدود».

(٦) في (ف): «أوطار».

(٧) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٥٧٧). والعبارة الأخيرة فيه: (... وما تصوره للعبد تزويرات الدعوى)، والمؤدى واحد.

وقوله تعالى: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾: قال يمانُ بن رِئابٍ: هو ما أَحلَّ الله تعالى من اللحوم والشحوم وكلِّ ذي ظُفُرٍ.

وقوله تعالى: ﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾: الـمَيْتةَ والدَّمَ ولحمَ الخنزير ونحوَ ذلك.

وقوله تعالى: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ﴾: قرأ ابن عامر: ﴿آصارهم﴾ على الجمع والباقون: ﴿إِصْرَهُمْ﴾ على التوحيد[1]؛ لأنه جنس فيَصْلح للجمع[2].

والإصر: الثِّقْل، وهو العهدُ أيضاً.

وقيل: هو ما وُضع عليهم من الأمور الشديدة.

وقيل: هو ما جعَلوه على أنفسهم؛ قال تعالى: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا﴾ [الحديد: ٢٧].

وقوله تعالى: ﴿وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾: قال الحسن رحمه الله: قالت اليهود: ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة: ٦٤]؛ أي: محبوسةٌ عن عقوبتنا، فقال الله تعالى: ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟﴾ [المائدة: ٦٤]؛ أي: غُلَّت أيديهم إلى أعناقهم في النار، فأَخبر أنَّ أمة محمدٍ لمَّا آمنوا به وصدَّقوه رفَع تلك الأغلال عنهم[3].

وقيل: هي الشرائعُ الشاقَّة والأحكام الغليظة، كانت الأغلالُ في أعناقهم تمنعُهم عن تخطِّيها.

وقال سعيد بن جبير: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ﴾: ما غلَّظوا على أنفسهم من قطعِ أثر البول وتتبُّع العروقِ في اللحم[4].

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٢٩٥)، و«التيسير» (ص: ١١٣).

(٢) «للجمع»: ليس من (أ).

(٣) ذكره الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (٥/ ٦٠).

(٤) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٨٣).

وقالوا: من الإصر والأغلال: تحريمُ السبت، وتحريمُ الصلاة في غير المساجد، وتحتُّمُ القصاص في القتل العمد من غيرِ عفوٍ ولا دِيَةٍ، وقطعُ موضع النجاسة، وفَرْضيةُ صلاة الليل، والزكاةُ ربعُ النِّصاب، والصلواتُ خمسون في اليوم والليلة، ووجوبُ قطع اللسان في الكذب، ووجوبُ قطع الذَّكَر في الزنا، وفَقْءِ العين في النظر إلى الأجنبية، وظهورُ الذنوب في السرِّ على أبواب البيوت.

وقال عطاء: كانت بنو إسرائيل إذا قامت تصلِّي لله لبسوا الـمُسوحَ، وغَلُّوا أيديَهم إلى[1] أعناقهم؛ تواضُعاً لله[2]، وخوفاً من عذابه، وطمعاً في ثوابه، فرفعها الله تعالى عن هذه الأمة.

وقوله تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ﴾: قيل: عظَّموه، وقيل: أعانوه، وقيل: حمَوه، وقيل: مدَحوه وأثنَوا عليه.

وقوله تعالى: ﴿وَنَصَرُوهُ﴾: أي: على عدوِّه، وقيل: نصروا دِينه.

وقوله تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ﴾: أي: القرآنَ، فعملوا به ولم يخالِفوه.

وقوله تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾: أي: الفائزون بكلِّ خير، والناجُون من كلِّ شرٍّ.

وقال ابن جريج[3] وروح بن عُبادة: لمَّا نزل قولُه: ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ﴾ قال إبليس: أنا شيء، فنزل قوله تعالى: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ الآيةَ، فقالت

---

(١) في (أ) و(ف): «في».

(٢) ذكره الواحدي في «البسيط» (٩/ ٤٠٢) عن عطاء عن ابن عباس.

(٣) في (أ): «سريج».

اليهود والنصارى: نحن نتَّقي الله ونؤتي الزكاة ونؤمن بآيات الله[١]، فنزل: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى﴾ الآيةَ، فعزَلها عن إبليس واليهود والنصارى، وجعلها لأمة محمد ﷺ[٢].

وقال القشيريُّ رحمه الله: الذين يتَّقون أن يرَوا استحقاقَ الرحمة[٣] بأفعالهم.

وقال في قوله: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ﴾؛ أي: ثِقلهم، ولا شيءَ أثقلُ من كدِّ التدبير، فمَن نُقل من كدِّ التدبير إلى رَوحِ شهودِ التقدير فقد وضع عنه كلَّ إصرٍ[٤] كبير.

وقال في قوله جل جلاله: ﴿وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ﴾؛ أي: اعتزُّوا هم[٥] بنصرة الرسول، وإلا فالنبيُّ عليه السلام كان الله حسيبَه، ومَن كان استقلالُه بالحقِّ لم يقف انتعاشُه على نصرة الخلق[٦].

وقال عَطيةُ العَوفي: ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ﴾ ولكنْ لا تجبُ إلا للَّذين يتَّقون، الذين هم موصوفون بما في هذه الآية، وذلك أن الكافر يُرزق ويُدفع عنه بالمؤمن لسَعةِ رحمة الله للمؤمن، فيعيش فيها، فإذا صار إلى الآخرة وجبتْ للمؤمن خاصةً، كالمستضيء بسراجِ غيره إذا ذهب صاحب السراج بسراجه[٧].

---

(١) في (ف): «ونؤمن بالله».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» عن ابن جريج وقتادة وأبي بكر الهذلي، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٧٩) عن الهذلي وقتادة. وزاد الثعلبي في «تفسيره» (٤/ ٢٩٠) عزوه لابن عباس، والواحدي في «الوسيط» (٢/ ٤١٦) لسفيان بن عيينة.

(٣) في (أ): «الرؤية»، والمثبت من باقي النسخ والمصدر.

(٤) في (ر): «أمر».

(٥) في (أ): «أي اعتزازهم» ووقع بدلاً منها في «اللطائف»: «اعترف لهم».

(٦) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٥٧٦ ـ ٥٧٨).

(٧) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٤/ ٢٩٠).

(١٥٨) ـ ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾: أي: قل يا محمد: يأيها الناس من العرب وأهلِ الكتابين وغيرِهم: ﴿إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ وقد قال ذلك للناس كلِّهم، بعضِهم مشافهةً، وبعضِهم برسله، وبعضِهم بكتبه، وبعضِهم بنشر الدعوة حتى بلَّغ ذلك بعضُهم بعضاً، ودلَّ ذلك على أن الكتاب من الغائب كالخطاب من الحاضر، وأن لسان الرسول كلسان المرسَل، وأن ظهور الدعوة كبلوغ الدعوة، وكان كلُّ نبيٍّ مبعوثاً إلى قومه، ورسولنا ﷺ إلى الناس كافةً، بل إلى الإنس والجن.

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: صفةُ قوله: ﴿ٱللَّهِ﴾ في قوله: ﴿رَسُولُ ٱللَّهِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾: كذلك.

وقوله تعالى: ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ﴾ ذكر إيمانه بالله، وأمره بأن يأمرَ الخلق[(١)] بالإيمان بالله وبه.

﴿وَكَلِمَٰتِهِۦ﴾[(٢)]: قيل: القرآن.

وقيل: أي: الأمرُ والنهيُ والوعدُ[(٣)] والوعيد والأحكام؛ لأنها بالكلمات.

---

(١) «الخلق»: ليس من (ف).

(٢) في (أ): «وكلمة الله»، وفي (ف): «وبكلماته».

(٣) في (ف): «الأمر والنهي وقيل أي الوعد».

وقيل: بالكتب المنزَلة على سائر الأنبياء قبلَه، وهو صفةُ النبيِّ ﷺ أنه يؤمن بذلك كلِّه، ومَن قرأ: (وكلمتِه)[1] فهو عيسى عليه السلام؛ أي: يصدِّق هو بعيسى عليه السلام أيضاً.

وقال الإمام القشيري رحمه الله: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ صرِّحْ بما رقَّيناك إليه من المقام، وأَفْصِحْ عمَّا لقَّيناك من الإكرام، وقل: إني إلى جماعتكم مرسَل، وعلى كافَّتكم مفضَّل، وديني لمن نظرَ ذلك واعتبرَ مفصَّل، وإلهي الذي له ملكُ السموات والأرض لا شريكَ له ينازعُه، ولا شبيهَ له يضارعُه، فله حقُّ التصرُّف في ملكه بما يُريدُ من حكمه، ومِن جملةِ ما حَكَم وقضَى، ونفذَ به التقدير وأَمضى، إرسالي إليكم لتطيعوه فيما يأمركم، وتحذَروا ارتكابَ ما يزجرُكم، وإن مما أمركم به أنه قال لكم: آمنوا بالنبيِّ الأمي لتفلحوا في الدنيا والعُقبى، وتستوجِبوا الزُّلفى والحُسنى، وتتخلصوا من البلوى والسُّوأى[2].

وقوله تعالى: ﴿وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾: وصفَ متَّبعيه في الآية الأولى ووعدهم بالفلاح، وأمرهم[3] باتِّباعه في هذه الآية ليهتدوا[4]، ثم ذكر جماعةً مهتدين من أمة موسى، وهو قوله تعالى:

(١٥٩) ـ ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾.

﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ﴾: أي: يدعون الناس إلى الحق ﴿وَبِهِۦ

---

(١) نسبت لمجاهد. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٥٢).

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٥٧٨).

(٣) في (أ): «وأمر»، وفي (ف): «وأمرنا».

(٤) في (أ) و(ف): «لتهتدوا».

يَعۡدِلُونَ ﴾ وهم يعملون بالحق والعدل أيضاً؛ أي: وأمةٌ منهم على خلافِ ذلك، وهو تسليةٌ للنبي ﷺ في إجابة البعض دون البعض؛ أي: قوم موسى كانوا كذلك.

واختُلف في هؤلاء مَن هم:

قيل: هم الذين كانوا متَّبِعين لموسى عليه السلام في زمانه.

وقيل: هم قوم منهم كانوا على الحقِّ في عصر محمدٍ ﷺ.

وقيل: هم قومٌ باقون على الحقِّ إلى يوم القيامة.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما والكلبيُّ والسدِّيُّ: هم خلفَ الصين(١).

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٥٠١) من طريق ابن جريج عن ابن عباس رضي الله عنهما، وإسناده منقطع. وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٤/ ٢٩٤)، والواحدي في «البسيط» (٩/ ٤٠٣)، عن ابن جريج والكلبي والربيع والضحاك وعطاء والسدي. وليس في الأخبار الواردة في هذه الحكاية ما يصح، قال الآلوسي في «روح المعاني» (٩/ ٤١٤): وضعَّف هذه الحكاية ابن الخازن [في «تفسيره» (٢/ ٣٠٠)] وأنا لا أراها شيئاً، ولا أظنك تجد لها سنداً يعول عليه ولو ابتغيت نفقاً في الأرض أو سلماً في السماء. اهـ. قلت: يعرِّض بما جاء في بعض الأخبار: أن الله تعالى فتح لهم نفقاً في الأرض فساروا فيه حتى خرجوا من وراء الصين.

وقال أبو شهبة في «الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير» (ص: ٢٠٧ ـ ٢٠٨) عن قصة الصين هذه: وهي من خرافات بني إسرائيل ولا محالة... ونحن لا نشك في أن ابن جريج وغيره ممن رووا ذلك إنما أخذوه عن أهل الكتاب الذين أسلموا، ولا يمكن أبدًا أن يكون متلقًّى عن المعصوم ﷺ...

قال: والذي يترجح عندي أن المراد بهم أناس من قوم موسى عليه الصلاة والسلام اهتدوا إلى الحق ودعوا الناس إليه، وبالحق يعدلون فيما يعرض لهم من الأحكام والقضايا، وأن هؤلاء الناس وجدوا في عهد موسى وبعده، بل وفي عهد نبينا ﷺ كعبد الله بن سلام وأضرابه... أما ما ذكروه فليس هناك ما يشهد له من عقل، ولا نقل صحيح، بل هو يخالف الواقع الملموس، والمشاهد المتيقن، =

وروى وهبٌ عن كعبٍ: أن هؤلاء قومٌ كان عندهم اسمُ الله الأكبرُ، فدعوا الله به فاستجاب لهم، وساروا نحو المشرق واعتزلوا بني إسرائيل، فجعل الله لهم سَرَباً في الأرض، وجعل أمامهم المصابيح تضيء لهم بالنهار، فإذا أمسَوا نزلوا وأظلم عليهم السَّرَب، فإذا أصبحوا أضاءت لهم المصابيح، ومعهم نهرٌ من ماء يجري، وأجرى الله عليهم تعالى أرزاقهم، فساروا سنة ونصفاً حتى خرجوا من وراء الصين إلى أرضٍ طاهرةٍ طيبةٍ فنزلوها، وهم مختلطون بالسباع والوحوش والهوامِّ[1]، لا يضرُّ بعضُهم بعضاً من أجْل أنه ليست لهم ذنوبٌ، ولا يخالطُ طيرُنا طيرَهم، ولا سَبُعُنا سَبُعَهم، وهم متمسِّكون بالإسلام لا يعصُون الله طرفةَ عينٍ تصافحُهم الملائكة[2].

وكذا قال الربيع بن أنس والضحاك، وقالا: لمَّا ظهر التحاسد والتباغي في بني إسرائيل، بعث الله تعالى إليهم جبريلَ عليه السلام، فأدخلهم في نفقٍ[3] من الأرض لا يوصل إليهم، وجعل لهم فيه قناديلَ معلَّقةً[4]، وجعل معهم نهراً، فساروا من

= وقد أصبحت الصين وما وراءها معلوماً كل شبر فيها، فأين هم؟ ثم ما هذا النهر من الشهد؟! وما هذا النهر من الرمل؟! وأين هما؟! ثم أي فائدة تعود على الإسلام والمسلمين من التمسك بهذه الروايات التي لا خطام لها، ولا زمام؟! وماذا يكون موقف الداعية إلى الإسلام في هذا العصر الذي نعيش فيه، إذا انتصر لمثل هذه المرويات الخرافية الباطلة؟! إن هذه الروايات لو صحت أسانيدها لكان لها بسبب مخالفتها للمعقول والمشاهد الملموس ما يجعلنا في حل من عدم قبولها فكيف وأسانيدها ضعيفة واهية؟! وقد قلت غير مرة: إن كونها صحيحة السند فرضاً لا ينافي كونها من الإسرائيليات.

(١) «والهوام»: من (ر).

(٢) لم أجده، وظاهر أنه من الإسرائيليات، وانظر التعليق السابق.

(٣) في (ف): «نقب».

(٤) «معلقة»: من (ف).

بيت المقدس إلى مكانهم الذي هم فيه اليومَ سنةً ونصفَ سنةٍ ألفَ فرسخٍ، فهم في منقطَع من الأرض لا يوصَل إليهم كأنهم بنو أبٍ واحدٍ، وليس لأحد منهم مالٌ دون صاحبه، يُمطَرون بالليل ويَصْحون بالنهار ويَزرعون[١].

وقال الربيع: ﴿وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ﴾ [الإسراء: ١٠٤] هي تلك الأرضُ ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ﴾؛ أي: وعدُ الثانية وهو عيسى بن مريم عليه السلام ﴿جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾؛ أي: بقوم عيسى[٢] ومحمدٍ جمعاً[٣] يحشرون جميعاً في أمة محمدٍ.

وفي «تفسير مقاتل بن سليمان» وهو لي[٤] بإسناد نرويه[٥] عن الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ لجبريل عليه السلام ليلة المعراج: «إني أحبُّ أن أرى القومَ الذين أثنى الله عليهم فقال: ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾»، فقال: إن بينك وبينهم مسيرةَ ستِّ سنين ذاهباً وستِّ سنين راجعاً، وبينك وبينهم نهرٌ من رمل يجري كجري[٦] السهم لا يقف إلا يومَ السبت، ولكنْ سَلْ ربَّك، فدعا اللهَ النبيُّ ﷺ وأمَّن جبريل عليه السلام، فأوحى الله تعالى إلى جبريل عليه السلام أنْ أجبه إلى ما سأل، فركب البراقَ فخطا خطواتٍ فإذا هو بين أظهُرِ القوم، فسلَّم عليهم وسألوه: مَن أنت: قال: «أنا النبيُّ الأمي»، قالوا: أنت الذي

---

(١) ذكره دون عزو مكي بن أبي طالب في «الهداية» (٤/ ٢٥٩٣) وزاد: (ليس يدخر أحد منهم دون أخيه شيئاً، مقيمين على عبادة الله عز وجل، لا يكون على ميت). وهو كسابقه.

(٢) في (ر): «عيسى».

(٣) في (ف): «جميعاً».

(٤) في (أ): «وبقولي» بدل: «وهو لي».

(٥) في (أ): «يرويه».

(٦) في (أ): «مجرى».

بشَّر بك موسى فمَن هذا معك؟ قال: «أوتَرونه؟»[١]، قالوا: نعم، قال: «هو جبريل»، قال: «فرأيتُ[٢] قبورَهم على أبواب دُورهم، فقلتُ لهم: ولم ذلك؟» قالوا: ذاك أجدرُ أن نَذكر الموت صباحاً ومساء، فقال: «إني أرى بنيانكم مستويةً» قالوا: لئلا يُشرفَ بعضُنا على بعضٍ، ولئلا يَسُدَّ أحدٌ على أحدٍ الريحَ والهواء، قال: «فما لي[٣] لا أرى لكم قاضياً ولا سلطاناً؟» قالوا: أنصفَ بعضُنا بعضاً وأعطَينا الحقَّ من أنفُسنا، فلم نحتَجْ إلى قاضٍ يُنصِفُ بيننا، قال: «فما لي أرى أسواقكم خاليةً؟» قالوا: نزرعُ جميعاً ونحصدُ جميعاً، فيأخذ[٤] كلُّ رجلٍ منا ما يكفيه ويدع الباقيَ لأخيه، قال: «فما لي أرى هؤلاء القومَ[٥] يضحكون؟» قالوا: مات لهم ميت يضحكون سروراً بما قُبض عليه من التوحيد، قال: «فما لهؤلاء القوم يبكون؟» قالوا: قد وُلد لهم مولودٌ فهم لا يدرون على أيِّ دِينٍ يُقبض، قال: «فإذا وُلد لكم ذكرٌ فماذا تصنعون؟» قالوا: نصوم لله شكراً شهراً، قال: «فالأنثى؟» قالوا: نصوم لله شكراً شهرين، قال: «ولم؟» قالوا: لأن موسى عليه السلام أخبرنا أن الصبر على الأنثى أعظمُ أجراً من الصبر على الذَّكر، قال: «أفتَزْنون؟»، قالوا: وهل يفعل ذلك أحدٌ، لو فعل ذلك أحدٌ لحصَبَتْه[٦] السماء من فوقه، و[٧]لخُسفت به الأرض من تحته، قال: «أفترْبون؟»، قالوا: إنما يُرْبي مَن لا يؤمن برزق الله تعالى، قال: «أفتمرضون؟» قالوا: لا نمرضُ

---

(١) في (أ): «إذاً ترونه».

(٢) «قال فرأيت» من (أ) و(ف)، وفي (ر): «فإذا».

(٣) في (ف): «فما بالي».

(٤) في (أ): «فيأكل» بدل: «ونحصد جميعاً فيأخذ».

(٥) «القوم»: ليست في (ف).

(٦) في (أ): «لخصته».

(٧) في (ف): «أو».

ولا نُذنب، إنما يُذنب أمتُكَ فيمرضون ليكون ذلك كفارةً لذنوبهم، قال: «أولكم سباعٌ وهَوَامٌّ؟» قالوا: نعم، تمرُّ بنا ونمرُّ بها ولا تؤذينا ولا نؤذيها، فعرَض عليهم النبيُّ ﷺ شريعته والحجَّ، قالوا: وكيف لنا بالحج وبيننا وبينه مسافةٌ بعيدة؟ فدعا النبيُّ ﷺ وأمَّن جبريل عليه السلام.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: فتُطوَى لهم الأرضُ طيًّا حتى يحجَّ مَن يحجُّ منهم مع الناس، فإذا انقضى[1] الحج طُويت لهم الأرض فرجعوا إلى بلادهم.

فلمَّا أصبح النبي ﷺ أخبر مَن بحضرته من قومه وفيهم أبو بكر رضي الله عنه، فقال أبو بكر: فإن قوم موسى بالخير، فعلم الله ما في قلوبهم فأنزل الله تعالى: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ﴾؛ أي: من هذه الأمة أمة ﴿يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨١] فصام أبو بكر شكراً لله تعالى وأعتق عبداً، إذ لم يفضِّل الله أمةَ موسى على أمةِ محمد ﷺ[2].

وذكر الكلبيُّ والضحاك ووهبٌ وكعبٌ ومقاتلٌ وغيرُهم: مرور النبيِّ ﷺ بهم ليلة المعراج وتعليمَه إياهم الصلواتِ الخمسَ والفاتحةَ وسوراً من القرآن.

وفي حديثنا للضحاك[3]: أنهم كانوا يَسْبِتون، فأمرهم أن يتركوا ويجمِّعوا.

***

(١٦٠) ـ ﴿وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًاۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَۖ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًاۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ

---

(١) في (أ) و(ف): «انقطع».

(٢) لم أجده.

(٣) في (ر) و(ف): «وفي حديث الضحاك».

أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَٰمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا﴾ تنصرف الكنايةُ إلى قوله تعالى: ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ﴾؛ أي: فرَّقناهم اثنتي عشرة أسباطاً، والتاء للتأنيث، والهاء في ﴿عَشْرَةَ﴾ كذلك، وفيه لغتان: تسكين الشين، وكسرُها في التأنيث من إحدى عشرةَ إلى تسعَ عشرةَ.

و﴿أَسْبَاطًا﴾ ليس بتفسير العدد، فإنه يُوحَّد ولا يجمع، لكن تقديره: وقطعناهم أسباطاً أمماً اثنتي عشرة قطعةً، و(قطعةً) مضمَرةٌ، وتأنيث العدد لذلك، ويدلُّ عليه: ﴿وَقَطَّعْنَٰهُمُ﴾، ومعناه: وفرَّقناهم اثنتي عشرةَ فرقةً.

والأسباطُ: جمع سبطٍ، وهم أولاد يعقوبَ، وقد شرحناه في سورة البقرة.

و﴿أُمَمًا﴾: جمعُ أمَّة؛ أي: جماعاتٍ، وهو بدلٌ عن قوله: ﴿أَسْبَاطًا﴾ وترجمةٌ له.

والآيةُ في بيان إنعامه على بني إسرائيل، يقول: لمَّا أخرجناهم من أرض مصر وأدخلناهم البرَّ جعلناهم اثنتي عشرةَ فرقةً قبائلَ شتَّى؛ ليكون أمرُ كلِّ سبطٍ متصرِّفاً[1] من جهةِ رئيسهم فيخفَّ الأمر على موسى فيما يَحتاج إليه من تعريف أحوالهم، ويَسهل عليه جمعُهم إذا أراد جمعَهم، ويَعلم كلُّ فريق مرجعَهم في أمورهم.

وقوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾: وكان ذلك في التِّيه، والانبجاس: خروج الماء الجاري بقلةٍ، والانفجار: خروجه بكثرة، وكان البدءُ بقلةٍ ثم يَكثر بالاتساع.

---

(١) في (أ) و(ف): «متعرفاً».

وقوله تعالى: ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ﴾: فسَّرنا هذه الكلمات، وبيَّنا هذه القصةَ في قوله: ﴿وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ﴾ [البقرة: ٦٠].

وقوله تعالى: ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَٰمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟﴾: أي: وقلنا لهم: كلوا ﴿مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ مرَّ كلُّ ذلك في سورة البقرة.

* * *

(١٦١ - ١٦٢) - ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٰٔتِكُمْ ۚ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ﴾: أي: قال لهم موسى بأمرنا ﴿وَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٰٔتِكُمْ ۚ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ مر ذلك في سورة البقرة[1].

---

(١) كل هذا مر في سورة البقرة كما قال المؤلف، لكن وقع هنا بعض الاختلاف في السياق، ولا شك أن لذلك حكمة وغاية، لأن القرآن هو كلام الله المعجز، فلكل حرف فيه غاية، وأي اختلاف بين لفظين فيه فسيكون بلا شك لحكمة، فلا يصح مجرد الإحالة على المتقدم دون بيان علل الاختلاف، وقد أجمل ابن كمال باشا في تفسيره لهذه الآية بعض ما قيل في ذلك، فقال: (هناك: ﴿ٱدْخُلُوا۟﴾ وهنا: ﴿ٱسْكُنُوا۟﴾ والسكنى يتعقَّب الدخول، فأُمروا هناك بالمبدأ وهنا بما تسبَّب عنه، وهناك: ﴿فَكُلُوا۟﴾ بالفاء وهنا بالواو، وذلك لأن الدخول حالةٌ منقضية فحَسُنَ ذكر فاء التعقيب بعده، والسكنى حالةٌ مستمرَّة فحَسُنَ الأمر بالأكل معه لا بعده، وأثبت ﴿رَغَدًا﴾ هناك بعد الأمر بالدخول لأنها حالةُ قدوم فالأكل فيها ألذُّ، بخلاف السكنى المذكور هنا، فإنها حالة استقرار واطمئنان فليس الأكل فيها كالأكل عند الدخول، وأما تقديم الحِطَّة على الدخول وتأخُّرُها عنه فلا تفاوت فيه لأن الواو =

وقوله تعالى: ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَظْلِمُونَ﴾ مرَّ أيضاً.

* * *

(١٦٣) - ﴿وَسْئَلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَسْئَلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ﴾: أي: سَلِ اليهودَ يا محمدُ عن القرية التي كانت قريبةً من البحر وعلى شاطئه، وهي أَيْلةُ، وقيل: مدينُ، وكلاهما عن ابن عباس رضي الله عنهما[1].

وقيل: طبرية.

وقال محمد بن إسحاق: هي مَقْنَا بين مدينَ وعَيْنُونا[2].

= للجمع لا للترتيب، وأما قوله: ﴿وَإِذْ قِيلَ﴾ في مقام ﴿وَإِذْ قُلْنَا﴾ على حذف الفاعل فللعلم، وأما (أنزلنا) و(أرسلنا)، و﴿يَفْسُقُونَ﴾ و﴿يَظْلِمُونَ﴾ فمن وادٍ أحد. اهـ. قلت: ولو كانت من واد واحد لما اختلف اللفظ، فلا بد من حكمة لها، والله أعلم.

(١) رواهما عنه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٦١) و(١٠/ ٥٠٧ و٥٠٩)

(٢) في (أ): «وعينوتا». والصواب المثبت، وهذا القول رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٥٠٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٩٧)، عن ابن زيد. و(عينونا)، وتكتب أيضاً: (عينونى)، وقد تحذف الألف فيقال: (عينون)، ذكرها ياقوت في «معجمه» (٤/ ١٨٠)، وقال: من قرى باب المقدس، وقيل: قرية من وراء البثنية من دون القلزم، في طرف الشام، ذكرها كثير:

إذ هُنَّ في غَلَسِ الظَّلام قوارِبٌ ... أَعْدَادَ عَيْنٍ من عُيُونِ أُثَالِ

يَجْتَزْنَ أَوْدِيَةَ البُضَيْعِ جَوَازِعًا ... أَجْوَازَ عَيْنُونَا، فَنَعْفَ قِبَالِ

ومعنى سلهم؛ أي: قل لهم: ألم يكن كذا[1]؟ فإنهم يصدقونك.

وقيل: ليس هذا بأمرٍ بالسؤال، لكنه تمثيلٌ، كأنه قال: لو سألتهم لقالوا لك كذا، وهو كقوله تعالى: ﴿سَلْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍ﴾ [البقرة: ٢١١]؛ أي: لو سألتهم أكان كذا؟ لأجابوك أنه كان كذا.

وقوله تعالى: ﴿إِذْ يَعْدُونَ فِي ٱلسَّبْتِ﴾: أي: يتعدَّون حدَّ[2] الشرع في دينهم مِن ترك الاصطياد في يوم السبت، وكانوا يكتمون هذه القصة لِمَا فيها من الشُّبه[3] عليهم، فأَطْلع الله نبيَّه ﷺ على ما كتَموه وقصَّ ذلك، وهو قوله تعالى:

﴿إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا﴾: قال ابن عباس: أي: ظاهرةً على وجه الماء[4]. جمعُ شارع.

وقال السدِّيُّ: كان إذا كان يومُ السبت لم يبقَ حوتٌ في البحر إلا خرج، فيُخرِجنَ خراطيمهنَّ من الماء، فإذا كان يومُ الأحد غِبْن[5].

وقال الحسن: ﴿شُرَّعًا﴾ على أبوابهم كأنها الكِبَاش البِيض[6].

وفي روايةٍ قال: إذا كان يومُ السبت جاءت الحيتان فتبطَّحت[7] بأفنِيَتهم كأنها المخاض، فإذا غابت الشمس ذهبت فلا تُرى إلى السبت الآخر[8].

---

(١) في (ر): «هذا».

(٢) في (ف): «حق».

(٣) في (ف): «السيئة».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٥٠٩).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٦٣).

(٦) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ٢٧٢).

(٧) في (أ): «فتنطحت».

(٨) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٥٢٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٩٩).

وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ﴾: يقال: أَسْبَتَ: إذا دخل في يوم السبت، وسَبَتَ؛ أي: أقام السبتَ وعَمِل فيه ما يَعمل في السبت، وعلى المقابلة بقوله: ﴿وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ﴾ يكون قوله: ﴿يَوْمَ سَبْتِهِمْ﴾ مصدراً ليكون مقابَلةُ الفعل بتركِ الفعل، وظاهرُه أنه اسم للوقت في الأول.

وقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾: أي: كانت لا تظهر لهم في غير يوم السبت، وكانوا يحتاجون إلى استخراجها عن مكامنها ومغائصها بالحيَل.

﴿كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم﴾ مستقبلٌ بمعنى الماضي؛ أي: امتحنَّاهم به تغليظاً للمحنة عليهم بفسقهم ومجاهَرتهم بالمعاصي عقوبةً لهم.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: ابتلاهم بهذا النهي ليُرِيَ الخَلْقَ المطيعَ منهم والعاصيَ.

قال: وقال قائلون: ابتلاهم بذلك لما كانوا يفسقون في السرِّ؛ ليكون فسقهم وتعدِّيهم ظاهراً عند الخلق كما كان[1] عند الله تعالى؛ لئلا يقولوا عند التعذيب: إنهم عذِّبوا بلا ظلم ولا تعدٍّ.

وقد بينَّا القصة في سورة البقرة: أنها كانت في زمنِ داودَ عليه السلام في أرضٍ يقال لها: أيلة، مجاورةِ البحرِ بين المدينة والشام.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما في رواية: كانت بين مدين والطور[2].

فكانت الحيتان تظهر على وجه الماء يومَ السبت ولا تظهرُ في غيره، وقد نُهوا عن الاصطياد فيه ابتلاءً حيث اختاروا السبتَ وتركوا يومَ[3] الجمعة، فمكثوا ما شاء الله

---

(١) «كان»: ليست في (أ).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٥٠٧).

(٣) «يوم»: ليست في (ف).

تعالى، ثم إن رجلاً منهم أخذ حوتاً فخرَمه بخيطٍ ثم شدَّه إلى وتدٍ بالساحل وربطه وتركه في الماء، فلما كان الغداةُ أخذه فأكله سرًّا، ففعلوا مثلَ ذلك وهم ينظرون لا يتناهون إلا بقيةً منهم يَنهونهم، حتى ظهر ذلك في الأسواق وبِيع علانية.

* * *

(١٦٤) ـ ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾: أخبر أن أمةً منهم ـ أي: جماعةً ـ وهم الصالحون وعَظوهم، فقال لهم جماعةٌ أخرى: لمَ تَعِظون هؤلاء مع إعراضهم عن القبول منكم واستخفافِهم بوعظكم، وقد أشرفوا على أن يُهلكَهم الله تعالى فيَصطَلِمَهم، أو يعذِّبَهم عذاباً شديداً غيرَ مصطَلِم، ويحتمِل: يهلكُهم في الدنيا و[1]يعذبُهم في الآخرة.

وقوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾: قرأ عاصمٌ في رواية حفص: ﴿مَعْذِرَةً﴾ نصباً وهو مفعولٌ له؛ أي: إعذاراً إلى الله، وقرأ الباقون بالرفع[2]، ومعناه: موعظتُنا معذرةٌ إلى الله تعالى.

وقوله تعالى: ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾: أي: قالوا: نكرِّر الوعظَ إعذاراً إلى الله فيما يلزمُنا من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتأميلاً لرجوعهم واتِّقائهم وانتهائهم.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: كانوا أثلاثاً: ثلثاً نَهوا، وثلثاً قالوا: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ﴾، وثلثاً أصحابَ الخطيئة، فما نجا إلا الذين نَهوا[3].

---

(١) في (أ) و(ف): «أو».

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٢٩٦)، و«التيسير» (ص: ١١٤).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٥٢٠).

وقال السدِّي: فجعل الرجل يَحفر الحَفِيرة[١] ويجعل لها نهراً إلى البحر، فإذا كان يومُ السبت فَتح النهر فأقبل الموج بالحيتان يضربها حتى يلقيَها في الحَفيرة فلا تطيق الخروج، فإذا كان يومُ الأحد جاؤوا وأخذوا فأكلوا وشوَوا وملَّحوا، وفشى ذلك فيهم، فقال لهم علماؤهم: أتصيدون يوم السبت[٢]؟! قالوا: إنما نصيدها يوم الأحد، فلم ينتهوا، فقال بعض الذين ينهَون لبعضٍ: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا﴾ فأجابوا بما ذكرنا، فلما أبوا قال المسلمون: لا تُساكِنوهم في قريتهم، فقسَموا القرية بجدارٍ؛ للمسلمين بابٌ وللمعتدِين بابٌ، ولعنهم داود، فيخرج المسلمون من بابهم والمعتدُون من بابهم، فخرج المسلمون ذاتَ يوم ولم يخرج المعتدون، فلما أبطؤوا تسوَّر عليهم المسلمون الجدارَ فإذا هم قردةٌ يَثِبُ بعضُهم على بعضٍ، فذلك قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾[٣].

* * *

(١٦٥) ـ ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِۦٓ﴾: أي: تركوا ما وُعظوا به تَرْكَ الناسي له، يعني: الذين أخذوا الصيد في السبت ﴿أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ﴾ خلَّصنا الذين كانوا ينهونهم عن هذا الفعل السوء.

وقوله تعالى: ﴿وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ﴾ قرأ ابن كثير وأبو عمرٍو وحمزةُ والكسائي[٤]: ﴿بَـِٔيسٍۭ﴾ على وزن فعيل؛ أي: شديد، والبأس: الشدة وكذلك البؤس.

---

(١) في (أ) و(ف): «الحفرة» في الموضعين.

(٢) في (ر): «لم تصيدون» وفي (ف): «لم تصيدون يوم السبت».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٦٣).

(٤) وهي أيضاً قراءة عاصم بخلاف عن أبي بكر، وسيأتي الوجه الآخر لأبي بكر.

وقرأ نافع: ﴿بِيسٍ﴾ على وزن بئر غير مهموز.

وقرأ ابن عامر كذلك مهموزاً.

وقرأ عاصم في رواية أبي بكر: ﴿بَيْئَس﴾ على وزن فَيْعَل[١].

وعن مجاهدٍ: (بائس) على وزن فاعل[٢]، وفيه قراءاتٌ أُخَرُ شاذةٌ[٣].

وقوله تعالى: ﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾: أي: بخروجهم عن الطاعة[٤].

***

(١٦٦) ـ ﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ﴾: قال ابن عباس رضي الله عنهما: أي: أبوا أن يرجعوا عن المعصية[٥]. وقيل: أي: تمرَّدوا.

وقوله: ﴿قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾: أي: جعلناهم قردةً أذلَّاءَ مُبْعدينَ عن الناس، وقد شرحناه في سورة البقرة.

وقال عكرمةُ: أتيتُ ابنَ عباس رضي الله عنهما يوماً وهو يبكي والمصحفُ في حِجره، قلتُ: ما الذي يبكيك؟! قال: هذه الورقات، فإذا هو في سورة الأعراف، قال: أتعرفُ أيلةَ؟ قلتُ: نعم، قال: كان بها حيٌّ من يهودَ سيقتْ إليهم الحيتانُ يوم

---

(١) هي قراءة أبي بكر بخلاف عنه، والوجه الآخر عنه: ﴿بَيْئِسٍ﴾. انظر: «السبعة» (ص: ٢٩٦)، و«التيسير» (ص: ١١٤).

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» (٤/ ٢٩٨)، وذكرها ابن جني في «المحتسب» (١/ ٢٦٥) عن أبي رجاء.

(٣) وقد ذكر فيها أبو حيان رحمه الله في «البحر» (١٠/ ٣٧١) اثنتين وعشرين قراءة بسط ضبطها ثم لخصها، وقد خرجناها جميعاً في تحقيقنا له، فلتراجع فيه.

(٤) في (ف): «الطاعات».

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٤/ ٢٩٨)، والبغوي في «تفسيره» (٣/ ٢٩٤).

السبت ثم غاصت فلا يقدرون عليها حتى يغوصوا عليها بعدَ كدٍّ، فكانت تأتيهم يومَ السبت شُرَّعاً بيضاً سِماناً، فكان كذلك برهةً من الدهر، ثم إن الشيطان وَسوس إليهم فقال: إنكم نُهيتم عن أكلها في يوم السبت، فخذوها فيه وكلوها في غيره، وقالت طائفةٌ: بل نُهيتم عن أخذها وأكلها وتنفيرها في يوم السبت، وكانوا كذلك حتى جاءت الجمعة الأخرى، فقال الأيمنون: اللهَ اللهَ ويلكم لا تتعرَّضوا لعقوبة الله، واعتزلت ذاتَ اليمين وسكتت، وقال الأيسرون: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ فقال الأيمنون: ﴿مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾[1]، فإن انتهوا فهو[2] أحبُّ إلينا أنْ[3] لا يصابوا ولا يُهلكوا، وإن لم ينتهوا فقد أَعْذرنا[4]، فمضَوا على الخطيئة، فقال الأيمنون: والله ما نبايتكم[5] الليلةَ في مدينتكم، وما نُرى أن تصبحوا حتى يصيبَكم الله بخسفٍ أو قذفٍ أو ببعضِ ما عنده من العذاب، فلما أصبحوا ضَربوا الباب عليهم ونادَوهم فلم يجيبوا[6]، فوضعوا سلَّماً وأعلَوا سورَها رجلاً، فالتفت إليهم فقال: يا عباد الله! قرود والله تَعَاوى لها أذناب، ففتح الباب ودخلوا، فعرفت القرود [أنسابها من الإنس، ولا تعرف الإنسُ أنسابها من القردة، فجعلت القرود تأتي] نسيبَها من الإنس فجعلت تبكي وتشمُّ ثيابه، فيقولون: ألم ننهكم عن كذا؟ فيقولون برأسها: نعم ثم قرأ ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ﴾ فأسمعُ ذكر الذين نَهَوا ولا أسمعُ ذكر الذين سكتوا،

---

(١) في (ر): «ينتهون»، بدل: «يتقون».

(٢) في (أ): «فإنه».

(٣) في (ر): «إذ».

(٤) في (ف): «عذرنا».

(٥) في (أ) و(ف): «لا نأتيكم».

(٦) في (أ) و(ف): «يجابوا».

ونحن نرى أشياءَ ننكرُها فلا نقول فيها، فقال عكرمة: فقلتُ: جعلني الله فداك! أوَلَا تراهم قد كرهوا ما هم عليه فقالوا: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ﴾؟ - وفي رواية: قال لابن عباس رضي الله عنهما: إن[1] لم يقل الله: أنجيتُهم، لم يقل أيضاً: أهلكتهم - قال: فرضيَ وأمر بي فكُسيت بُردين[2].

فصار عن ابن عباس رضي الله عنهما ثلاثةُ أقوال:

أحدها: أنه أهلكهم كما أهلك المعتدين.

والثاني: أنه أنجاهم كما أنجى الناجين[3].

والثالث: أنه توقَّف فيهم.

وقال الحسن: نجت فرقتان وهلكت فرقة، وهم الذين أخذوا الحيتان[4].

وقال الحسن: وأيُّ نهيٍ يكون أشدُّ من إثبات الوعيد، والتخويفِ بالإهلاك والعذاب الشديد، بقولهم: ﴿ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾؟

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: لسنا نَعلم أنهم كانوا مهلَكين أو ناجين، وليس لنا إلى معرفة ذلك حاجةٌ، ولو كان لنا إليه حاجةٌ لبيَّنه[5] لنا، سوى أنه بيَّن مَن نجا منهم بالنهي وعذَّب مَن أَخذ الحيتان بالظلم والفسق[6].

---

(١) في (ف): «إذ».

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٩٥٣)، ومن طريقه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٥١٥)، وما بين معكوفتين منهما. والرواية الأخرى ذكرها الواحدي في «البسيط» (٩/ ٤١٧)، والبغوي في «تفسيره» (٣/ ٢٩٤). وفي رواية للطبري أيضاً (١٠/ ٥١٤) أن عكرمة قال: (فلَمْ أَزَلْ به حتى عرَّفْتُه أنهم قد نجَوا، فكساني حُلَّةً)، وفي أخرى: (فما زلت أبصِّره حتى عرف أنهم نجوا، وكساني حُلَّةً).

(٣) في (ف): «الناهين».

(٤) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٢/ ٤٢١)، والبغوي في «تفسيره» (٣/ ٢٩٤).

(٥) في النسخ: «لبين»، والمثبت من «التأويلات».

(٦) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٥/ ٧٣).

وقال الإمام القشيري رحمه الله: إذا انتهت مدةُ الإمهال فليس بعده غيرُ الاستئصال، وإذا سقط العبد عن عين الله لم ينتعِش بعده أبداً، ومَن أسقطه حكمُ الملوك فلا قبولَ بعد الرد، وفي معناه أنشدوا:

إذا انصرفَتْ نفسي عن الشيءِ لم تَكَدْ ... إليه بوجهٍ آخِرَ الدَّهر تُقبِلُ[(١)]

* * *

(١٦٧) - ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ﴾ قال الحسن رحمه الله: أي: أعلَمَ[(٢)]، وهو قول الزجَّاج[(٣)].

وقيل: أَسْمعَ وأَقْسمَ.

وقوله تعالى: ﴿لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾: أي: ليسلِّطنَّ عليهم؛ أي: اذكر يا محمد إذ أَعْلَمَ الله أسلافهم على ألسنة أنبيائهم أنهم إن غيَّروا وبدَّلوا ولم يؤمنوا بالنبيِّ الأميِّ سلَّط الله عليهم العرب يقاتلونهم إلى أن يُسلموا أو يُعطوا الجزية صاغرين، وهو من سوء العذاب؛ أي: أشدِّه وأشقِّه.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ﴾: لا يحتاج إلى إحضارِ أسبابه وإعداد آلاته.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: مع هذا لمن تاب وأناب، وقد حقَّق الله

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٥٨١).

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ٢٧٣)، والواحدي في «البسيط» (٩/ ٤٢٢ - ٤٢٣).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٢٨٧).

ذلك بما كان من رسول الله ﷺ من إجلائهم عن أوطانهم، وقتلِهم وسبي نسائهم وولدانهم، ثم إنهم إلى الآن مقموعون، وكذا يكونون إلى يوم القيامة.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ﴾؛ أي: قال ربك[(١)].

وقال عطاء: وإذ ختَم ربك.

* * *

(١٦٨) ـ ﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا مِنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا﴾: أي: فرَّقناهم في البلاد فِرقاً.

وقوله تعالى: ﴿مِنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ﴾: أي: دون الصالح.

﴿وَبَلَوْنَاهُمْ﴾: أي: اختبَرْناهم، ومعناه: عامَلْناهم معاملةَ المختبِر، وإن كان لا يَخفى على الله شيء لكن ليُظهر للناس ما كان عَلِمَه منهم.

وقوله تعالى: ﴿بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ﴾: أي: الأحوالِ الحسنة من السَّعةِ والخِصب، والأحوال السيئة من الضِّيق والجَدْب؛ أي: صرَّفناهم على أحوال شتى.

وقوله تعالى: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾: أي: ليرجعوا عن الباطل إلى الحق؛ أي: فلم يرجعوا.

وقال الكلبي: ﴿مِنْهُمُ الصَّالِحُونَ﴾: هم الذين وقعوا وراء الصين، وهم الذين ذكرناهم في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٩] ﴿وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ﴾؛ أي: مَن هاهنا من اليهود[(٢)].

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٤/ ٢٩٠)، والبغوي في «تفسيره» (٣/ ٢٩٥). ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦٠٣) عن مجاهد وسفيان الثوري.

(٢) ذكره الواحدي في «البسيط» (٩/ ٤٢٧)، والبغوي في «تفسيره» (٣/ ٢٩٥). وقد ذكرنا أن قصة الصين ليست سوى خرافة لا أصل لها في هذا الدين.

وقال عطاء ومجاهد: ﴿مِّنْهُمُ ٱلصَّـٰلِحُونَ﴾ الذين آمنوا بمحمد وعيسى ﴿وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ﴾ مَن لم يؤمِن[١].

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: ﴿وَقَطَّعْنَـٰهُمْ﴾ يحتمِل تفريقَهم في وقتٍ واحد في أماكن، ويحتملُ تفريقَهم في الأهواء، ويحتمِل: وقطعناهم في الأرض أمماً أمةً بعد أمةٍ وعصراً بعد عصرٍ، ولذلك قال: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ﴾.

وقال في قوله تعالى: ﴿وَبَلَوْنَـٰهُم بِٱلْحَسَنَـٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾: هذا يخرَّج على وجوه:

اختبرناهم بالنعم ليرجعوا إلينا بالشكر والثناء، وبالمحن ليعرفوا قدرتنا فيرجعوا إلينا بالتضرُّع والدعاء.

ويحتمل: وبلوناهم بهذا وبهذا[٢] ليتقرَّر عندهم أن غيرهم أملكُ بهم من أنفسهم، فيرجعوا إليه بتسليم النفوس لأمره وحكمه.

ويحتمل: وبلونا المؤمن والكافر بالحسنات والسيئات، [حتى إذا رأوا الاستواء] في الدنيا وفي الحكمة التفريقُ بينهم، فيضطروا إلى الإيمان بالبعث لذلك.

ويحتمل: أنه إنما جعَل النعيمَ في الدنيا ليعرفوا لذةَ الموعود[٣] في الآخرة، وكذلك الشدة ليعرفوا به[٤] ألم العذاب في الآخرة، فابتلاهم بالأمرين ليرغبوا في نِعَم الجنة ويَحذروا عقوبات النار[٥].

---

(١) ذكره دون عزو لقائل ابن الجوزي في «زاد المسير» (٣/ ٢٧٩).

(٢) في (ف): «وهذا».

(٣) في (ف): «اللذة الموعودة»، والمثبت من باقي النسخ و«التأويلات».

(٤) «به»: ليست في (ف).

(٥) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٥/ ٧٦ ـ ٧٧)، وما بين معكوفتين منه.

(١٦٩) ـ ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ ۚ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ وَدَرَسُوا۟ مَا فِيهِ ۗ وَٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ ﴾: أي: قومُ سوءٍ يَخْلُفون الأوَّلينَ، ويستعمل الساكن في الذَّم، والخَلَف بفتح اللام: قوم أخيارٌ يخلُفون الأوَّلينَ، ويستعمل هذا في المدح[1].

قال لبيد:

وبقيتُ في خَلْفٍ كجِلْدِ الأجربِ[2]

وقد جاء بالتسكين في المدح في شعرِ حسان رضي الله عنه:

لنا القدمُ الأولى إليك وخَلْفُنا ... لأوَّلنا في طاعةِ الله تابعُ[3]

وقوله تعالى: ﴿وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾: أي: التوراةَ، وهم علماء اليهود ورِثوه من أسلافهم، يقول: جاء بعد هذه الطبقة الذين كان فيهم الصالحون ومنهم دون ذلك قومٌ أردياءُ مذمومون[4].

---

(١) وقد يستعمل هذا في الذم عند البصريين، قال الآلوسي رحمه الله في «روح المعاني» (٩/ ٤٤٠): وعن البصريين أنه يجوز التحريك والسكون في الرديء، وأما الجيد فبالتحريك فقط، ووافقهم أهل اللغة إلا الفراء وأبا عبيدة.

(٢) عجز بيت في «ديوان لبيد» (ص: ٢٤ و٢٦)، و«الأمثال» لأبي عبيد القاسم بن سلام (ص: ٢٧٦)، و«إصلاح المنطق» (ص: ١٧)، و«تفسير الطبري» (١٠/ ٥٣٥)، و«المحرر الوجيز» (٢/ ٤٧٢)، و«البحر المحيط» (١٠/ ٣٧٧)، وكلهم أنشدوه في مجيء الساكن في الذم، لكن الآلوسي رحمه الله في «روح المعاني» (٩/ ٤٤٠) أورده في مجيء المتحرك في الذم، وصدر البيت:

ذهب الذين يُعاش في أكنافهم

(٣) انظر: «ديوان حسان» (ص: ٣١٠).

(٤) في (ف): «مذنبون».

وقوله تعالى: ﴿يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ﴾: العَرَض: حطام الدنيا، وما يصيبُ الإنسانَ منها فهو شيءٌ يَعرِضُ فيزول ولا يبقى، و﴿هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ﴾ بمعنى: هذه الدنيا، وإنما ذُكر لأنه لم يذكر الدار أو الحياة، فكأنه جعله صفة للمكان أو للشيء، يعني: يأخذون الرُّشى لتغيير الأحكام وتعطيلِ الحدود من العِلْية والسِّفلة.

وقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا﴾: أي: إذا عوتبوا على ذلك اعتذروا بما[١] يرجونه من سعة رحمة الله، ويقولون: ﴿سَيُغْفَرُ لَنَا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ﴾: أي: يصرُّون على ذلك ولا يمتنعون، بل إذا وجدوا شيئاً[٢] مثلَه لم يتركوه.

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ وَدَرَسُوا۟ مَا فِيهِ﴾: استفهامٌ بمعنى التقرير؛ أي: قد أُخذ عليهم الميثاقُ في كتابهم أن لا يقولوا على الله إلا الحق؛ أي[٣]: الصدق وقرُّوا[٤] ذلك، والله تعالى ما وعدهم في التوراة المغفرةَ مع الإصرار.

وقال مالك بن دينار رحمه الله: يأتي على الناس زمانٌ إنْ قصَّروا عما أُمروا به قالوا: سيُغفر لنا لم نُشرك بالله شيئاً، كلُّ أمرهم إلى الطمع، خيرهم فيهم[٥] المداهنُ، فهم من هذه الأمة أشباهُ الذين ذكرهم الله تعالى ﴿وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا﴾[٦].

---

(١) في (أ): «مما».

(٢) في (أ): «إذا أمكنهم».

(٣) «الحق أي»: زيادة من (ف).

(٤) في (ر): «وقرأوا».

(٥) في (أ): «فيه».

وقوله تعالى: ﴿وَٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾: أي: خير من أخذِ العَرَض للَّذين يتَّقون الشركَ والمعاصيَ.

وقوله تعالى: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾: بما في كتابهم أنه كذلك.

* * *

(١٧٠) ـ ﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ﴾: قرأ عاصم في رواية أبي بكر بالتخفيف، والباقون بالتشديد[1].

والإمساكُ والتَّمسيك والتمسُّك والاستمساك كلُّه: الاعتصام والتعلُّقُ بالشيء.

ذكَر الممدوحين بعد المذمومين، فقال: والذين يعتصمون بالتوراة، قال مجاهد ومقاتل بن حيان والكلبي: هم مؤمنو أهل الكتاب: عبدُ الله بن سلام وأصحابه، أحلُّوا حلالَه وحرَّموا حرامه، ولم يتخذوه مأكلةً ولم يحرِّفوه ولم يكتُموه[2].

وقال عطاء: هم أمة محمد عليه السلام، والكتابُ: القرآن[3].

وقوله تعالى: ﴿وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: أي: ويقيمون الصلاة التي تنهَى عن الفحشاء والمنكر.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ﴾: في معنى جوابِ أولِ الآية؛ لأن معناه: نوفيهم أجورهم لأنَّا لا نُضيع أجرَ المحسنين، وهو تعليل فيُغني عن إظهار ذكر المعلول.

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٢٩٧)، و«التيسير» (ص: ١١٤).

(٢) ذكره بهذا اللفظ عن مجاهد البغوي في «تفسيره» (٣/ ٢٩٧)، ورواه عنه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٥٤٢) بلفظ: (﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ﴾ مِن يهود أو نصارى).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٤/ ٣٠١)، والبغوي في «تفسيره» (٣/ ٢٩٧).

وقال الإمام القشيري رحمه الله في قوله: ﴿وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا﴾: من أمارات الاستدراج ارتكابُ الزَّلة، والاغترارُ بزمان المهلة، وحملُ تأخير العقوبة على استحقاقِ الوُصلة.

وقال في قوله: ﴿وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ﴾: يعني: التعرُّض لنفَحات فضله سبحانه خيرٌ لمن أمَّل جودَه من مقاساةِ التعب لمن بذَل في تحصيل هواه مجهودَه.

وقال في قوله: ﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾: التمسُّك بالكتاب إيمان، وإقامةُ الصلاة إحسانٌ، فبالإيمان وجَدوا الأمان، وبالإحسان وجدوا الرِّضوان.

ويقال: التمسُّك بالكتاب نجاةٌ، وإقامةُ الصلاة مناجاةٌ، والمناجاة في الحال والنجاةُ في المآل.

وقال في قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾: مَن نقَل إلى بابه قدمَه لم يُعدم في الآجل نعمَه، ومَن رفع إلى ساحات جُوده هممَه نال في الحال كرمَه[1].

* * *

(١٧١) ـ ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ﴾: الآيةُ في تمرُّدهم أيضاً كالتي مضت، ومعناه: وإذ قلعْنا الجبلَ من الأصل وحرَّكناه ورفعناه فوق رؤوسهم، وقد نتَق ما في الجِراب: إذا اقتلعه عن أصله ونثَره، ونَتَقتِ المرأةُ تَنْتُق نُتوقاً ـ من حدِّ دَخَل ـ وهي مِنْتاقٌ: إذا كثُر ولدها، وأصله: الزعزعةُ والنَّقْض، ونَتَقتِ الدابَّة صاحبَها حين تَعْدوا به؛ أي: حرَّكته ورفعَته.

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٥٨٣).

وقوله تعالى: ﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ﴾: أي: علموا أنه واقع عليهم إن لم يقبَلوا ما في التوراة قاله الحسن[١]. وقيل: غلَب ظنُّهم بذلك.

وقوله تعالى: ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ﴾: أي: قُلنا لهم: اقبلوا، وذلك حين جاء موسى بالتوراة وفيها أحكامٌ شاقَّة فامتنعوا عن قبولها، ووعَظهم موسى عليه السلام فلم يقبلوا، فأمر الله تعالى برفع الطور عليهم.

وقيل: هو الطورُ الذي سمع موسى وهو عليه كلامَ الله تعالى وأُعطي الألواح.

وقيل: هو جبلٌ من جبال فلسطين فَرسخاً في فرسخٍ.

وقيل: هو الجبل الذي عند بيت المقدس.

وقيل لهم: إنْ قبلتُم وإلا وقع عليكم فرضَخكم، فقبلوا.

وقوله تعالى: ﴿بِقُوَّةٍ﴾ يدلُّ على أن قوةَ الفعل مع الفعل، فقد ذكرها مع الأخذ.

وقوله تعالى: ﴿وَاذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾: وقد بينَّا القصة وفوائدَها مستوفاةً في سورة البقرة عند قوله عز وجل: ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ﴾.

قال القشيري رحمه الله: قصارى مَن أتى جبراً أن يَنكص على عقبيه طَوعاً، كذلك أهل الكتاب لمَّا قبلوا الكتاب بإجبارِ التكليف ما لبثوا حتى قابَلوه بالتحريف[٢].

❊ ❊ ❊

(١٧٢) ـ ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾.

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ٢٧٦).

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٥٨٤).

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ﴾ الآية: قال القشيري رحمه الله: أخبر بهذه الآية عن سابق عهده وصادق وعده، وتأكيدِ ودِّه بتعريف عبده، وفي معناه أنشدوا:

أَفديكَ والأيامُ أيضاً كلُّها ... يَفْدِينَ أياماً عرَفْتُكَ فيها[1]

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: تكلم الناس في تأويل هذه الآية، فمنهم مَن يقول: ذلك عندما خلَق آدم أَخرج مَن يكون من ذرِّيته مثلَ الذرِّ فعرَض عليهم قولَه: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ لكنهم اختلفوا.

فمنهم مَن يقول: جُعلوا بالمبلغ الذي يجري على مثله القلم، وهو قول الحسن.

ومنهم مَن يقول: عرَض ذلك على الأرواح دون الأبدان.

ومنهم من يقول: [بلا عَرْضٍ] إنه خلَق صنفين فقال: هؤلاء إلى الجنة ولا أبالي، وهؤلاء إلى النار[2] ولا أبالي.

ومنهم مَن يقول: عرَض الكلَّ على ما عليه أحوالُهم وآجالُهم في الدنيا.

والله أعلمُ كيف كانت القصة، أو[3] كيف ترى أحوال الفقر والغنى في الذر، أو[4] كيف قال: هؤلاء في كذا ولا أبالي، مع اجتماعهم على القول بـ ﴿بَلَىٰ﴾؛ لقوله تعالى[5]: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾.

وقد رأينا في تلك الأخبار ما كان حفظُ الناس ـ وبخاصةٍ حفظُ العوام وأهلِ

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٥٨٥).

(٢) في (أ) و(ف): «هؤلاء للجنة... وهؤلاء للنار».

(٣) في (أ) و(ف): «و».

(٤) في (ف): «و».

(٥) في «التأويلات»: (لما عرض عليهم قوله)، بدل: «لقوله تعالى».

الضعف عن تبليغها ـ ألزمَ وأعظمَ في النفع وأبعدَ عن الشبهة من رواياتها وتكلُّفِ الكشف عنها، فنسأل الله العصمة عمَّا به الهلاكُ، والتوفيقَ للنُّصح بما به نجاةُ كلِّ سامع، ودفعُ كلِّ شبهةٍ وحيرةٍ، فإنه لا قوة إلا به.

ومنهم مَن ذهب في تأويل الآية إلى أن المعروف من أمرِ ذرية آدم هو الأخذُ عن الأصلاب والأرحام على ما يكون إلى يوم القيامة، وطوَّل وبيَّن على وجهٍ يتعذَّر ضبطُه على أكثر أهل العلم[١].

لكن ذكر الشيخ أبو بكر القفَّالُ الشاشيُّ رحمه الله في[٢] معنى ذلك ما فهمه وحفظه، والوقوفُ على حاصله أسهلُ وأقرب، قال: ذكر الله تعالى في هذه الآية والآياتِ التي قبلها أن الله عز وجل بالَغ في إلزام الحجةِ وإبلاءِ العذر بما جمع لهم من دلائل السمع ودلائلِ العقل، وذكَر بعد أخذِ الميثاق على بني إسرائيل أخذَ الميثاق على الكلِّ بالعقول التي ركَّبها فيهم وأشهدَهم بها على أنفسهم بقوله ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾؛ أي: أخرجهم من أصلاب آبائهم ونقلهم إلى أرحام أمهاتهم، إلى أن بلغوا بتقليب الأحوال عليهم من نطفةٍ ثم علقةٍ ثم مضغةٍ مخلَّقةٍ وغيرِ مخلَّقةٍ إلى أن بلَّغهم إلى الحال التي يصلُحون فيها للتكليف بكمالِ عقولهم، وأَشْهَدهم بما شاهدوه[٣] من آثار الصنعة فيهم وفي غيرهم على أنفسهم[٤] أن لهم صانعاً قادراً حكيماً عالماً فرداً قد ابتدأهم بالنعمة، وأن له بحكم ملكه أن يستأديَهم الشكرَ على نعمه بالطاعة فيما يأمرهم به، ثم أَتبع ذلك إرسال الرسل وإنزال الكتب

---

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٥/ ٨٢ ـ ٨٣).

(٢) في (ر): «أن»، بدل: «في».

(٣) في (ف): «شهدوه».

(٤) «أنفسهم»: ليست في (أ).

بما فيها من أوامره ونواهيه، وقال لهم تقديراً: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ أنت ربُّنا، بما ظهر عليهم من آثار الصنعة، وهو كما يُتأول عليه قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ [الإسراء: ٤٤] وقولُه تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [الجمعة: ١] على معنى: أنه ما من شيء إلا وهو بما عليه من آثار الصنعة ينزِّه الله تعالى عن الأضداد والأنداد، فأقيمت شهادة الآثار مقامَ شهادة النطق؛ كما قال تعالى: ﴿أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ﴾ [الروم: ٣٥]، وقال تعالى: ﴿هَٰذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ﴾ [الجاثية: ٢٩]، فجعَل لِمَا لا لسان له نطقاً وكلاماً، وهكذا جعل ما يُوجد كلُّ إنسان عليه في نفسه مِن تعاقُب الأحوال كالشهادة منه على نفسه، وما أجراه الله تعالى عليه من ذلك كالتقرير له به، وكأنه قال لهم بما أجراه عليهم: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ وكأنهم قالوا بلسان أحوالهم: ﴿بَلَىٰ شَهِدْنَا﴾ وتمَّ الكلام هاهنا، ثم قال: ﴿أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ﴾ عن أنَّ لنا رباً وصانعاً إذا حُوسبتم يوم القيامة على التوحيد.

وعامةُ المفسرين وجمهورُ الصحابة والتابعين على إخراج ذريةِ آدمَ من ظهره وأخذِه الميثاقَ عليهم في عصره.

وقد رُوي عن عمر رضي الله عنه أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول ـ وقد سئل[1] عن هذه الآية فقال ـ: «خلَق الله تعالى آدمَ ثم مسحَ ظهرَه فاستخرج منه[2] ذرِّيته فقال: خلقتُ هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون، ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذريته فقال: خلقتُ هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون»، فقال رجل: يا رسول الله! ففيم العملُ؟ فقال: «إن الله تعالى إذا خلق الرجل للجنة استعمله بعملِ أهل الجنة حتى يموت على عملٍ من أعمال أهل الجنة فيُدخلَه الجنة، وإذا خلق العبدَ للنار استعمله

---

(١) في (أ): «سئل»، وفي (ف): «يسأل»، بدل: «يقول وقد سئل».

(٢) «منه»: ليست في (أ) و(ف).

بعملِ أهلِ النار حتى يموتَ على عملٍ من أعمال أهل النار فيُدخلَه النار»[١].

وذكر هذه القصةَ على البسطِ والاختصار والإقلالِ والإكثار: ابن عباس وابن مسعود وأبيٌّ بن كعبٍ والكلبيُّ والحسن وعطاءٌ وأبو العاليةِ وسعيد بن جبير وابن جريجٍ ومَعْمَرٌ وعبد العزيز بن يحيى والسدِّي وعوفٌ ومقاتلٌ ومجاهدٌ وأبو مسلمٍ الخَوْلانيُّ وعطاء بن يسارٍ[٢] وعكرمةُ وأبو قِلابةَ وداودُ بن أبي هندٍ رضي الله عنهم.

قال أبو العالية: جمَعهم جميعاً يومئذٍ، فجعلهم أزواجاً[٣]، ثم صوَّرهم، ثم استنطقهم وأخذ عليهم الميثاق ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآ﴾ قال: فإني أُشهِد عليكم السماواتِ السبعَ والأرضينَ السبعَ، وأُشهد عليكم أباكم آدمَ أن تقولوا يوم القيامة ما لم تعلموا، اعلموا أنه لا إلهَ غيري فلا تشركوا بي شيئاً، وإني سأرسل إليكم رسلاً يذكِّرونكم عهدي، وأُنزل عليكم كتبي، قالوا: نشهد أنك إلـهُنا لا إلهَ غيرُك، فأقروا يومئذ بالطاعة ورَفع إليهم أباهم آدم فنظر إليهم فرأى منهم الغنيَّ والفقير وحسَنَ الصورة ودون ذلك، فقال: يا رب لو شئتَ لسوَّيت بين عبادك؟ فقال: إني أحب أن أُشكر، ورأى منهم الأنبياءَ مثل السُّرج، وخُصُّوا بميثاق

---

(١) رواه الإمام مالك في «الموطأ» (٢/ ٨٩٨ ـ ٨٩٩)، والإمام أحمد في «المسند» (٣١١)، وأبو داود (٤٧٠٣)، والترمذي (٣٠٧٥)، وصححه ابن حبان (٦١٦٦). لكن أعله ابن عبد البر في «التمهيد» (٦/ ٣) بجهالة الراوي عن عمر، ثم قال: لكن معنى هذا الحديث قد صح عن النبي ﷺ من وجوه كثيرة ثابتة يطول ذكرها، من حديث عمر وغيره. اهـ. قلت: وثمة حديث آخر عن عمر ـ رضي الله عنه ـ في هذا المعنى أورده الآلوسي (٩/ ٤٦٧) هنا، ورواه الحاكم في «المستدرك» (١٦٨٢)، والبيهقي في «الشعب» (٤٠٤٠)، وأعله بأبي هارون العبدي، وقال الذهبي في «تلخيص المستدرك»: أبو هارون ساقط.

(٢) في (أ): «السائب».

(٣) في (ر) و(ف): «أرواحاً».

آخر في الرسالة والنبوة، قال: وفي هذا الميثاق قولُه: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم: ٣٠] وقولُه تعالى: ﴿هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ﴾ [النجم: ٥٦] وقوله: ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ﴾ [الأعراف: ١٠٢][١].

وفي رواية ابن جريج: خرجتْ كلُّ نفس خُلقت للجنة نقيةً بيضاء، وكلُّ نفس خُلقت للنار مظلمةً سوداءَ، وهم أمثالُ الخردل في صوَرِ الذر، فقال: يا عباد الله أجيبوا، يا عباد الله[٢] أطيعوا، فقالوا: لبيك اللهم لبيك، فأخذ عليهم العهد بالإيمان به وبأمره[٣].

واختلفت الروايات في مكان ذلك:

قال ابن عباس رضي الله عنهما: بدَحْناءِ الطَّائف[٤].

وقال سعيد بن جبير: بنَعْمانِ السَّحابِ عند عرفات[٥].

---

(١) رواه عبد الله بن أحمد في زوائده على «المسند» (٢١٢٣٢)، والطبري في «تفسيره» (١٠/ ٥٥٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥١٦)، والآجري في «الشريعة» (٤٣٥)، والحاكم في «المستدرك» (٣٢٥٥)، والبيهقي في «القضاء والقدر» (٦٦)، والضياء في «المختارة» (١١٥٨)، جميعهم من طريق أبي العالية عن أبي بن كعب رضي الله عنه موقوفاً.

(٢) في (ف): «يا عبادي» في الموضعين.

(٣) رواه بنحوه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٥٥٦) من طريق ابن جريج بعضه عن ابن عباس وبعضه عن مجاهد.

(٤) رواه ابن سعد في «الطبقات» (١/ ٢٩) دون كلمة: «الطائف»، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٤٥) لكن بلفظ: (بدحناء أرض بالهند)، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٢٢٥) (ت: محمود شاكر) بلفظ: (بدهنا أرض بالهند).

(٥) رواه الفاكهي في «أخبار مكة» (٢٩١١). ورواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٥٥٦) بلفظ: (بنَعْمانَ ونَعْمانُ مِن وراءِ عرفةَ). ورواه (١٠/ ٥٥٠) من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس بلفظ: (ببطن =

وقال الكلبي: بين مكة والمدينة والطائف.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما في رواية أخرى: بحراءَ خلفَ جبلِ عرفة[١].

وروي أنه كان بعدما رفع إلى السماوات على باب الجنة في صحراء عرضُها مسيرةُ ثلاثين ألف سنة.

وقال مقاتل: إن الله تعالى مسح صفحةَ ظهرِ آدم اليمنى فأخرج منه ذريةً بيضاءَ كهيئة الذرِّ يتحرَّكون، ثم مسح صفحةَ ظهره اليسرى فأخرج منه ذرية سوداءَ كهيئة الذرِّ وهم ألفُ أمَّة، فقال: يا آدم هؤلاء ذريتُك آخُذ[٢] ميثاقَهم على أن يعبدوني ولا يشركوا بي شيئاً وعليَّ رزقُهم، فقال: نعم يا رب، فقال لهم: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ﴾ ثم أفاضهم إفاضةَ القِدَاح فقال للبِيض: هؤلاء في الجنة برحمتي وهم أصحاب اليمين وأصحابُ الميمنة، وقال للسود: هؤلاء في النار ولا أبالي وهم أصحاب الشمال وأصحابُ المشئمة، ثم أعادهم جميعاً في صُلب آدم، فأهل القبور محبوسون حتى يخرج أهل الميثاق كلُّهم من أصلاب الرجال وأرحام النساء، فمَن مات منهم صغيراً دخل الجنة بمعرفته [بربه]، ومَن بلغ العقل منهم أَخذ ميثاقه أيضاً للمعرفة بربِّه والطاعةِ له، ومَن لم يؤمن إذا بلغ العقل لم يُغنِ عنه الميثاقُ الأول شيئاً، وكان العهد الأول حجةً عليه، قال تعالى: ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ﴾[٣].

❊ ❊ ❊

= نعمان، واد إلى جنب عرفة). ونعمان السحاب: جبلٌ بالقُرْبِ مِن عَرَفَةَ، يقال: إنَّه يتَّصلُ بوادي القُرَى ونواحِيهِ، وهما جَبَلانِ، ونَسَبه إلى السَّحابِ لأنَّه مُشْرِفٌ عالٍ، والسَّحابُ يَرْكُدُ دونَ أعلاه. انظر: «مجمع الغرائب» للفارسي (مادة: دحن).

(١) لم أقف عليه، وانظر ما تقدم من روايات عن ابن عباس.

(٢) في (ف): «أخذت».

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٧٢ ـ ٧٤)، وما بين معكوفتين منه.

(١٧٢) ـ ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾.

وقوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ﴾ تقديرُها: وإذ أخذ ربك من ظهور بني آدم، وما رَويناه أنه أخذ من ظهر آدم، فالتوفيق بينهما: أن الأخذ من ظهر آدم: أنَّ الله أخرج ذرية آدم بعضَهم من بعضٍ إلى آخر الدنيا على ما يتوالدون، فكان ذلك أخذاً من ظهره، وكان ذلك في أدنى مدةٍ كما يكون في موت الكلِّ بالنفخ في الصور وحياةِ الكل بالنفخة الثانية، وكما في تعليم أسماء الأشياءِ لآدم: وما ذكر في الحديث: «مسَح الله ظهره[1] بيده» فهو مسحُ ملَكٍ بأمره.

وعلى هذا ما روي: «خلقَ اللهُ تعالى جنةَ عدن بيده»[2] و«غرس شجرةَ طوبى بيده»[3] وهو كما يقال: ضرب الأمير فلاناً؛ أي: ضربه ضاربٌ بأمره.

وقوله تعالى: ﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾: أي: ذريةَ بني آدم، وهم ذريةُ آدم.

قال ابن عباس رضي الله عنهما وأبي بن كعب: فجعلهم سامعينَ ناطقينَ عقلاءَ مختارين، فإنه أَشهدهم ولا يصحُّ الإشهاد إلا على الموصوفِين بهذه الصفات، ولأنه خاطبهم فدلَّ على سماعهم، وأجابوا فدل على كلامهم، وقالوا: ﴿شَهِدْنَآ﴾ فدل على علمهم وعقلهم، وقال: ﴿أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ فدلَّ على اختيارهم[4]، وليس

---

(١) في (أ) و(ف): «ظهر آدم».

(٢) رواه الطبراني في «الأوسط» (٥٥١٨) و«الكبير» (١٢٧٢٣) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وجوَّد إسناده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٣٩٧). ورواه الحاكم في «المستدرك» (٣٤٨٠) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٥٢٨) من حديث معاوية بن قرة عن أبيه مرفوعاً، وإسناده ضعيف جداً.

(٤) روى معناه عن ابن عباس وأبيٍّ الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٥٥٦ ـ ٥٥٧).

بمستبدَعٍ مستبعَدٍ وضعُ هذه الأشياءِ في الذرِّ الصغارِ من قدرة الله اعتباراً بنمل سليمان وهُدهده، وكلامِ عيسى في المهد، وشهادةِ الرضيع ليوسف عليه السلام.

وقوله تعالى: ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾: أي: فقال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ استفهامٌ بمعنى التقرير، كما في قول الشاعر:

ألستُم خيرَ مَن ركب المطايا وأندَى العالمين بطونَ راحِ[1]

وقوله تعالى: ﴿قَالُواْ بَلَىٰ﴾: وهو في سؤال النفي إثباتٌ فكان إقراراً، وكان من الكلِّ فكان إيماناً منهم؛ لأنه إقرارٌ وتصديق، والإقرار قولهم: ﴿بَلَىٰ﴾ والتصديق ثبت بمقتضَى قوله: قالوا: ﴿شَهِدْنَآ﴾ لأن الإقرار بدون الاعتقادِ لا يكون شهادةً، ولهذا رد الله تعالى على المنافقين قولهم: ﴿قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾ [المنافقون: ١] فقال الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ [المنفقون: ١]، وقولُهم: هو رسول الله، لم يكن كذباً، لكن ذكروا أنهم يشهدون به ولم يكن لهم اعتقادٌ، فلم تكن لهم شهادةً، فكانوا كاذبين في دعوى الشهادة.

وقوله تعالى: ﴿أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾: أي: فعلنا هذا لئلا تقولوا يوم القيامة، قرأ أبو عمرو يقولوا بياء المغايبة، وكذا بعده: ﴿أو يقولوا﴾[2]؛ أي: لئلا يقولَ هؤلاء.

وقرأ الباقون بتاء المخاطبة خطاباً لهؤلاء؛ أي: لئلا تحتجُّوا فتقولوا: إنَّا كنا غافلين عن أن لنا رباً وصانعاً.

* * *

(١) البيت لجرير، وهو في «ديوانه» (١/ ٨٩).

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٢٩٨)، و«التيسير» (ص: ١١٤).

(١٧٣) ـ ﴿أَوْ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَوْ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ﴾: أي: لئلا تقولوا يا معشر المشركين من العرب: إنما أشرك آباؤنا من قبلِ خَلْقِنا وكنَّا أولاداً صغاراً من بعدهم فاتَّبعناهم، ولم يكن لنا علمٌ بهم[1] بأنهم على الباطل وأن الحق في غيره.

وقوله تعالى: ﴿أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾: أي: آباؤنا والعيبُ لهم لا لنا، يقول: سدَدْتُ عليهم[2] هذا البابَ بأَخْذ هذا الميثاق، على قول عامة المفسرين، وبنصب الدلائل العقلية والسمعية على قولِ القائلين[3].

* * *

(١٧٤) ـ ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ﴾: أي: كما بيَّنَّا هذا نبيِّن جميعَ ما يحتاجون إليه قطعاً لعذرهم.

وقوله تعالى: ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾: أي: وليرجعوا عن الشرك إلى التوحيد، والواو زائدة عند بعضهم، ومقرَّرة عند آخرين بتقدير إضمارٍ قبلها أو بعدها.

فإنْ قالوا: ما وجهُ إلزامِ الحجة بقوله: ﴿أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾ ونحن لا نذكر هذا الميثاق وإن تفكَّرنا.

---

(١) «بهم»: من (ف).

(٢) في (أ) و(ف): «عليكم».

(٣) في (أ): «القابلين».

قلنا: الله تعالى أنسانا ذلك ابتلاءً؛ لأن الدنيا دارُ غيب وعلينا الإيمانُ بالغيب، ولو تذكَّرنا ذلك زال الابتلاء، وليس ما يُنسى تزول به الحجة ويَثبت به العذر؛ قال الله تعالى في أعمالنا: ﴿أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ﴾ [المجادلة: ٦] وأَخبر أنه سينبئنا به وقال: ﴿لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ﴾ [ق: ٢٢]، ولأن الله تعالى جدَّد هذا العهد وذكَّرنا هذا المنسيَّ بإرسال الرسل وإنزال الكتب بعده، فلم يَثبُت العذر.

وقال الإمام القشيري رحمه الله: وَسَم بالجهل قوماً فألزمهم بالإشهاد الحجةَ، وأَكرم بالتوحيد آخرين فأشهدهم واضحَ المحَجَّة.

وقال: أَسمَعهم وفي نفسٍ ما أسمعهم أحضرهم لِمَا أسمعهم، ثم أخذهم عنهم فيما أحضرهم، وقام عنهم فأنطقهم بحُكم التصريف(١)، وحَفِظ عليهم بحُسن التولِّي أحكامَ التكليف، فكان سبحانه وتعالى لهم مكلِّفاً، وعلى ما أراد مصرِّفاً، وبما استخلصهم له معرِّفاً، وبما رقَّاهم إليه مشرِّفاً.

وقال في قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ﴾: إذا سدَّت عيونُ البصيرة فما ينفع وضوح الحجة(٢).

* * *

(١٧٥) ـ ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا﴾: اتِّصالُها بما قبلها

---

(١) كذا في النسخ، وفي «لطائف الإشارات»: (التعريف).

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٥٨٥ ـ ٥٨٧).

أنه ذكر إيمان الكلِّ يومَ الميثاق، ثم ذكَّر اليوم بكفر بعضهم، فبيَّن[١] أن ذلك الإيمان ليس بمبقٍ على الإيمان، فإن إيمان بلعم مع الآيات لم يكن مُبْقياً له على الإيمان.

واختلف المفسرون فيمَن نزلت فيه[٢] هذه الآية على أقوال:

قال ابن عباس رضي الله عنهما وابن مسعود ومقاتلٌ والكلبي ومجاهدٌ ووهبٌ وعطاءٌ وعبد الكريم بن أبي المخارق والضحَّاك: هو بلعم[٣]، واختلفوا في نسَبه:

قال ابن عباس والكلبي: هو ابن باعوراء[٤].

وقال ابن مسعود ومجاهد: هو ابنُ أَبر[٥].

وقال عطاء: هو ابن باعر[٦].

وقال مقاتل: هو بلعم بن باعورا بن مان بن لوط[٧].

وقال ابن عباس رضي الله عنهم: كان من مدينة الجبارين[٨] التي مرَّت قصتهم في سورة المائدة.

---

(١) في (أ) و(ف): «ثم بين».

(٢) «فيه»: من (أ) و(ف).

(٣) رواه الطبري (١٠/ ٥٦٦ ـ ٥٦٩) عن ابن عباس وابن مسعود ومجاهد وعكرمة.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٥٦٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦١٧) عن ابن عباس.

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٥٦٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦١٦) عن ابن مسعود، وقيده الطبري في إحدى الروايات عن ابن مسعود (أَبُر) بضم الباء، ولعل فيه إشارة إلى أن باقي الروايات بالفتح.

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٥٦٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦١٨) عن ابن عباس.

(٧) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٢/ ٥٨٩) (ط: دار التفسير)، وفيه: (مأب)، بدل: «مان». وفي «تفسير مقاتل» (٢/ ٧٤): بلعام بن باعورا بن ماث بن حراز بن آزر.

(٨) رواه الطبري (١٠/ ٥٦٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦١٦ ـ ١٦١٧).

وقال مقاتل: كان من مدينةِ بلقاءَ، وسميت بلقاءَ لأن رجلاً ملَكها يقال له: بالقٌ[1].

وكان من قصته: أن موسى عليه السلام أراد أن يغزوَ ملكاً، فقال الملِك لبلعم: إن موسى رجلٌ حديدٌ، ومعه جندٌ كثير، فإن ظهر علينا أهلكَنا، فادْعُ الله تعالى أن يردَّه عنا، فقال: إن فعلتُ ذلك ذهبتْ دنياي وآخرتي، فلم يزالوا به حتى دعا عليهم، قالوا: فوقع موسى وبنو إسرائيل في التِّيه بدعائه، فلما انقضت المحنة قال موسى: يا رب! بأيِّ ذنب وقعتْ لنا هذه المحنة؟ قال: بدعاء بلعم، قال: فكما سمعتَ دعاءه عليَّ فاسمع دعائي عليه، فدعا موسى عليه فسلخه الله مما كان عليه، ونزع منه معرفته فخرجت من صدره كحمامة بيضاء، وذلك قوله ﴿فَٱنسَلَخَ مِنْهَا﴾[2].

وهذا كلامٌ مختلٌّ، واحتباسهم في التِّيه كان بقولهم: ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾ [المائدة: ٢٤] لا بدعاء بلعم، وكيف يُستجاب دعاءُ بلعم وقد انسلخ من الآيات، ولأنه قد دعا على موسى وقومه بالباطل، وكيف دعا موسى على بلعم بزوال الإيمان وكان مبعوثاً إلى الناس ليدعوَهم إلى الإيمان[3].

وقال مقاتل: قال له ملك بلقاءَ: ادع الله على موسى، فقال: إنه من أهل ديني لا أدعو عليه، فنَصب خشبةً ليَصلبه، فلما رأى ذلك خرج على أتانٍ له ليدعوَ عليه،

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٧٤)، و«تفسير الثعلبي» (٤/ ٣٠٤).

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» (٤/ ٣٠٦) عن مقاتل، وسياقه في «تفسير مقاتل» مختلف وسيأتي.

(٣) وقد رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٥٧٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦١٦) عن ابن عباس بسند جيد وسياق لا إشكال فيه، ولفظه: هو رجلٌ من مدينةِ الجبَّارِين يقال له: بَلْعَمُ، وكان يَعْلَمُ اسمَ الله الأكبر، فلمَّا نَزَل بهم موسى أتاه بنو عمِّه وقومُه، فقالوا: إن موسى رجلٌ حديد، ومعه جنودٌ كثيرة، وإنه إنْ يظهر علينا يهلكنا، فادع الله أن يردَّ عنَّا موسى ومن معه. قال: إني إنْ دعوت الله أن يردَّ موسى ومن معه ذهبت دنياي وآخرتي! فلم يزالوا به حتى دعا عليهم، فسلخه الله مما كان عليه، فذلك قوله: ﴿فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾.

فلما عاين عسكرَهم قامت به الأتان ووقفت فضربها، فقالت: لمَ تضربُني وهذه نار قد منعَتْني أن أمشي، فرجع فأَخبر الملك بذلك، فقال الملك: لتدعوَنَّ عليه وإلا[١] لأَصْلبنك، فدعا على موسى عليه السلام بالاسم الأعظم أن لا يدخل المدينةَ، فاستُجيب له، وبلغ ذلك موسى صلوات الله عليه فدعا الله تعالى أن ينزع منه الاسمَ الأعظمَ فنزعه، فذلك قولُه تعالى: ﴿فَأَنسَلَخَ مِنْهَا﴾[٢].

وقال وهبٌ: لمَّا نزل موسى أرضَ كنعان من الشام بين أريحا وبين أردنَّ وجبلِ البلقاء، والتيهُ بين هذه المواضع، أرسل بالق إلى بلعم بن باعوراء[٣] وكان يسكن قريةً من قرى البلقاء[٤]، فقال: إنَّا رهبنا هؤلاء القومَ لأنه قد جاز البحرَ ليُخرجنا من بلادنا ويَنزلها ببني إسرائيل، ونحن قومُك وليس لك بقاءٌ بعدنا، ولا خير لك في الحياة بعدنا، وأنت مجابُ الدعوة، فاخرج وادْعُ عليهم، فقال بلعم: ويلكم، نبيُ الله معه الملائكةُ والمؤمنون! كيف أدعو عليهم وأنا أعلم من الله ما أعلم؟ فلم يزالوا يترفَّقون به ويتضرَّعون إليه، وكانت له امرأةٌ أشبُّ منه وكان[٥] يحبُّها ويطيعها، فدسوا إليها هدايا فقبِلتها، ثم أتوها فقالوا لها: قد نزل بنا ما تَرين فكلِّمي بلعم في هذا، فقالت لبلعم: إن لهؤلاء القومِ حقًّا وجواراً وحرمةً، وليس مثلُك أسلمَ جيرانَه عند الشدائد، وقد كانوا محسِنين إليك، وأنت جدير أن تكافئهم وتهتمَّ بأمرهم، فقال لها: لولا أني أعلم أن هذا الأمر من عند الله لأَجَبْتُهم، فقالت: انظر في أمرهم، فلم

(١) في (أ) و(ف): «أو».

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٧٤ ـ ٧٥).

(٣) في (أ): «باعور».

(٤) في (ف): «بلقاء» هنا وفي الموضع السابق.

(٥) «وكان»: من (ف).

تزَل به حتى ضلَّ وغوى، وكان الله تعالى عزَم له في أول أمره على الرشد ففتنَتْه، فركب حماره فوجَّهها إلى الجبل الذي يُطلعه(١) على بني إسرائيل، فلما(٢) سار غير بعيد ربَضت أتانُه، فنزل عنها فضربها فقامت، فلم تَسِرْ إلا قليلاً حتى ربَضت، ففعل بها مثلَ ذلك، فلم تَسِرْ إلا قليلاً حتى ربَضت، فضربها فأذن لها فكلَّمته(٣) فقالت: يا بلعم! إني مأمورة فلا تظلمني، انظرْ إلى ما بين يديك، ألا ترى أن الملائكة أمامي يردُّوني عن وجهي هذا، يقولون: أتذهبين إلى نبيِّ الله والمؤمنين يدعو عليهم بلعم؟ فخلَّى سبيلها ثم انطلق حتى أشرف على رأس جبلٍ مشرفٍ على بني إسرائيل، فجعل يدعو عليهم، فلا يدعو بشيءٍ من السوء إلا صرف الله به لسانه إلى قومه، ولا يدعو لقومه بخير إلا صرف الله لسانه به إلى بني إسرائيل، فقال له قومه: أتدري ما تصنع؟ فقال هذا مما لا أملك، وهذا شيء قد غلبه الله على لساني(٤).

وفي رواية: فجاءته لمعةٌ فذهبت ببصره فعمِيَ، فقال لهم: قد ذهبت الدنيا والآخرة(٥).

وفي رواية: فلما وقفت الأتان وكلَّمته قالت له: انظر أمامك، فإذا بملَكٍ قد قطع عليه الطريق، فخرَّ ساجداً حتى انكشف عنه الملك، فانطلق لوجهه حتى قدم على القوم، فقرَّب قرباناً فتقبَّل الله تعالى منه، وأوحى إليه: أن موسى خِيْرَتي فانصرِفْ، فرجع فما زالوا به حتى فتنوه فقال: لم يبق إلا المكر والحيلة، اعلموا أنهم أهل كتاب

---

(١) في (أ): «يطالعه».

(٢) في (ف): «فما».

(٣) في (ف): «حتى كلمته».

(٤) رواه ابن عساكر في «تاريخه» (١٠/ ٤٠٣ ـ ٤٠٥).

(٥) ذكرها ابن عساكر في «تاريخه» (١٠/ ٤٠٥).

فإذا أذنب مذنبهم ولم يغيِّر عامَّتهم عمَّهم البلاء، فدُسُّوا في عسكرهم النساء فإني لا أعلم فتنةً أَوشَكَ صرعةً للرجل من المرأة، فانظُروا نساءً لهنَّ جمالٌ فأعطوهن السِّلع ثم أرسلوهن إلى العسكر يَبِعْنها فيه، ولا تَمنعِ امرأةٌ نفسَها عن رجلٍ أرادها، فإنه إنْ زنى[١] منهم رجل كُفِيتُموهم، ففعلوا، فمرت كشي بنت صورا على زمريِّ بن شَلوم[٢] من سبط شمعون بن يعقوب، فأعجبته فأخذ بيدها فأدخلها قبَّته فوقع عليها، فأظهر الله تعالى عليهما كاهن[٣] بن هارون، وكان أعطي بسطةً في الخَلْق وقوةً في البطش[٤]، فأخذ حَربته فدخل عليهما وهو فوقها فطعنهما بحربته حتى أنفذهما، ثم رفعهما كذلك في الهواء وأقبل الناسُ وأنكروا وغيَّروا، فوقاهم الله العذاب، وأقبل موسى وقومُه وحاربوا أهل بلقاء وغلبوهم وقتلوا منهم وأسروا، وأتوا ببلعم أسيراً فقتل، فجاؤوا بما قَبِل من الهدايا وهي عشرُ صحافٍ ذهباً مملوءةٌ وِرِقاً وغَنِموها، وذلك قوله تعالى ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا ﴾[٥].

قيل: هي اسم الله[٦] الأعظم.

---

(١) في (أ): «يزني».

(٢) في (أ) و(ر): «مري بن شولا»، وفي (ف): «موسى بن شولا». والمثبت من المصادر. انظر: «تفسير الطبري» (١٠/ ٥٨٠)، و«تفسير الثعلبي» (٤/ ٣٠٥)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (١٠/ ٤٠٥)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٣٠٢).

(٣) في (أ): «كاهز». والذي في المصادر السابقة أن اسمه: (فنحاص بن العيزار بن هارون).

(٤) في (أ): «الجسم».

(٥) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٠/ ٤٠٣ ـ ٤٠٦) عن وهب، وبنحوه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٥٧٩ ـ ٥٨١) من طريق ابن إسحاق عن سالم بن أبي النضر، ونسب في «تفسير الثعلبي» (٤/ ٣٠٥)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٣٠٢) لابن عباس وابن إسحاق والسدي وغيرهم.

(٦) في (ف): «هو الاسم».

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: العلم[١].

وقال الحسن: الدِّين الحقُّ.

وما يذكر في بعض الروايات أنها الوحي والكتاب وكان نبيًّا، فما ينبغي أن يقال ذلك أو يُقبل؛ لأن أنبياء الله تعالى[٢] مختارون على العلم، قال الله تعالى ﴿وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [الدخان: ٣٢] وقال تعالى ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ فمن المحال أن يكون منهم الانسلاخ عن الدين.

وقيل: الآيات: صحف إبراهيم وكان يحفظُها.

وقيل: هي الكرامات، وكان إذا نظر إلى السماء رأى إلى العرش، وإذا نظر إلى الأرض رأى إلى ما تحت الثرى، وكان وليًّا له كرامات.

قوله تعالى: ﴿فَانسَلَخَ مِنْهَا﴾؛ أي: ترك الآيات وفارقها، فكان كالمنسلِخ الخارج من الشيء.

قال وهب: الآيات:

أولهن: أنه دعا الله تعالى في المرة الأولى فعزم له على رُشده أن لا يفعل.

والثانية: كلام الأتان.

والثالثة: مقام[٣] الملَك.

والرابعة: الإخبارُ بأن موسى عليه السلام خيرةُ الله تعالى من خلقه[٤] وما ينبغي أن يُدْعى عليه وعلى قومه.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٥٧٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦١٨).

(٢) في (ف): «لأن الأنبياء».

(٣) في (أ) و(ف): «كلام».

(٤) في (أ): «خيَّره الله».

فانسلخ منها كلِّها.

وقوله تعالى: ﴿فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾: أي: لَحِقه فغرَّه.

قال الأخفش: (أَتْبَعه) بقطع الألف: صار معه وتَبِعه، و(اتَّبعه) بالتشديد: أخذ[1] في أثره أَدركه أو لم يُدركه؛ قال تعالى في الأول بمعنى الإدراك: ﴿فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ﴾ [الشعراء: ٦٠]؛ أي: أدركوهم.

وقوله تعالى: ﴿فَكَانَ﴾ أي: فصار، كما في قوله: ﴿فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ﴾ [هود: ٤٣]، وقولهِ تعالى: ﴿أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٤] أو: كان في علم الله تعالى أنه ينسلخ من آياته فيكونُ من الكافرين حين ينسلخ[2].

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا﴾: أي: لأَعْلَينا درجتَه في الناس بتلك الآيات.

وقال مجاهد: لرفعنا الكفر عنه[3].

وقال عطاء: لعصمناه من المعاصي[4].

وقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ قال سعيد بن جبير والسدِّي: أي: ركَن[5].

---

(١) في (أ): «أخذه».

(٢) «حين ينسلخ»: ليس في (أ).

(٣) انظر: «تفسير الثعلبي» (٤/ ٣٠٨)، و«النكت والعيون» (٢/ ٢٨٠)، ورواه بنحوه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٥٨٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦١٩).

(٤) انظر: «البسيط» (٩/ ٤٦٥).

(٥) رواه عنهما الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٥٨٤)، وعن سعيد بن جبير ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦١٩).

وقال مقاتل: أي: رضي بالدنيا(١).

وقيل: أي: أحبَّ الجاه في الدنيا، وقد خَلَدَ؛ أي: دام، وأَخْلَدَ؛ أي: سكَن واطمأن.

وقوله تعالى: ﴿وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾: أي: ترك هداهُ واختار(٢) ما دعَتْه إليه نفسُه وهواه من حبِّ دنياه.

وقال أبو رَوقٍ: أي: اختار الدنيا على الآخرة.

وقال الكلبيُّ: أي: اتَّبع مَسافلَ الأمور وترَكَ معاليَها.

وقال يمان بن رِئاب: أي: اتَّبع امرأته؛ لأنها حملتْه على الخيانة(٣).

وقال عطاء: أي: أطاع شيطانه(٤).

وقوله تعالى: ﴿فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ﴾: اللَّهْث من حدِّ عَلِمَ(٥)، وهو التنفُّس الشديد الذي قد يَلحق الإنسان من شدة الإعياء، وهو في الكلاب طبعٌ، وقد يكون من العطش؛ أي: إن حمَلْتَ عليه لتطرده لَهثَ وإن تركتَه لَهث، فسواءٌ عنده الطردُ وتركُه، فكذا هذا الخبيثُ سواءٌ وَرَدَتْ عليه زواجرُ(٦) آيات الله أو لم تَرِدْ فهو بحاله.

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٧٥).

(٢) في (ر): «واتبع».

(٣) في (أ): «الجناية».

(٤) انظر هذه الأقوال جميعها في «تفسير الثعلبي» (٤/ ٣٠٨ ـ ٣٠٩).

(٥) وفي «مختار الصحاح»: بابه قطَع، ومثله في «القاموس» قال: لَهَثَ كمنع لَهْثاً ولُهاثا: أخرج لسانه عطشاً أو تعباً أو إعياءً. وذكر أنه يكون من باب سمع بمعنى العطش.

(٦) في (ر): «واردات».

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: الكلب منقطِعُ الفؤاد فهو يلهث إن حُمل عليه أو[1] لم يُحمل عليه، كذلك مَثَلُ الذي يترك الهدى لا فؤاد له[2].

وقال عطاء: ﴿إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ﴾ ينبح، وإن لم تحمل عليه فكذلك[3].

وقال القتبي: كلُّ شيء يَلهث فإنما يَلهث من إعياءٍ أو عطش، إلا الكلب فإنه يلهث في الكَلال والراحة، والمرض والصحة، والعطش والرِّي، ضرب الله مثلاً للَّذي كفر[4] بآياته أنه ضالٌّ وُعظ أو لم يُوعظ، ونظيرُه قوله تعالى: ﴿وَإِن تَدۡعُوهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمۡۚ سَوَآءٌ عَلَيۡكُمۡ أَدَعَوۡتُمُوهُمۡ أَمۡ أَنتُمۡ صَٰمِتُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٣][5].

وقوله تعالى: ﴿ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۚ فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾: أي: ليتَّعظوا.

وقوله: ﴿فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا﴾ دليلٌ على أن شقاوته كانت من جهته، وهو أنه انسلخ من الآيات، وكانت مراعاتُه إياها[6] حافظةً له، فلمَّا تركها أَتْبعه الشيطانُ، وهو كاللصِّ لا يصل إلى العِير[7] ومعهم الرعاةُ، فإذا فارقوهم وصل إليهم اللصُّ، ولمَّا جَهِل قَدْرها واستخفَّ بها حُرمها وتغيَّرت عليه أحواله؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾ [الرعد: ١١].

---

(١) في (ف): «وإن».
(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٥٨٦) عن ابن جريج.
(٣) انظر: «تفسير الثعلبي» (٤/ ٣٠٩).
(٤) في (ر): «مثلًا للذين كفروا».
(٥) انظر: «تأويل مشكل القرآن» (ص: ٢١٦)، و«تفسير الثعلبي» (٤/ ٣٠٩).
(٦) في (ر): «لها».
(٧) في (ف): «الغنم».

وكان انسلاخُه عنها بسبب طاعته امرأتَه في الميل إلى الدنيا، وأخذِ الحطام من أهل الزمان، ولا شيء أضرُّ بالعالم من الطمع؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ﴾ [التوبة: ٣٤]، وقال تعالى: ﴿يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ﴾ [الأعراف: ١٦٩] وقال الأنبياء: ﴿وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ [الشعراء: ١٠٩].

وقوله: ﴿كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ﴾ لم يسوِّه بالكلب، بل جعَل مَثَلَه كمَثَلِ الكلب في المعنى الذي ذُكر، ولا مساواة بينهما، بل كلبٌ واحدٌ خيرٌ من ألفٍ أو[1] أكثرَ من بلعم، فإن الكلب عارفٌ بالله موحِّدٌ للهِ لا يعاقَب بالنار، وبلعم كافرٌ بالله خالدٌ في عقوبة الله تعالى.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: قيل: إنما ضَرب المثَلَ بالكلب لأن من عادة الكلب أنه[2] يَذلُّ ويَخضع لكلِّ أحد؛ لِمَا يطمع أن ينال منه أدنَى شيءٍ، ولا يبالي ما يصيبه من الذلِّ والهوان، وكذا المكذِّب بالآيات لا يبالي بما يَلحقه من الذلِّ بعد أن يصيب من الدنيا شيئاً.

ويُشْبِهُ أن يكون وجهُ ضربِ هذا المثل: أن مِن عادة الكلب أنه إذا ظَفر بالجيَف ينكبُّ لها[3]، حتى إذا دُعي إلى غيرها لم يلتفت، فكذا الكافر[4].

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: إن الحق سبحانه وتعالى قد يُظهر الأعداء في لباس الخلَّة ثم يردُّهم إلى سابق القِسمة، ويُبرز الأولياءَ بنعت الخلاف والذِّلَّة ثم تغلب عليهم مقسومات الوُصلة.

---

(١) في (أ) و(ف): «و».

(٢) في (ف): «أن».

(٣) في (ف): «عليها».

(٤) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٥/ ٩٢).

(١٧٦) - ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾.

وقال في قوله: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا ﴾: لو ساعدته المشيئة بالسعادة الأزلية لم تَلحقه الشقاوةُ الأبدية، ولكن مَن قصَمَتْه السوابق لم تُنعشه اللواحق.

وقال في قوله: ﴿وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾: إذا كانت مساكنةُ آدم الجنةَ وطمعُه في الخلود فيها أوجب خروجَه عنها، فالرُّكون إلى الدنيا متى يُوجب البقاء فيها[1]؟

هذا كلُّه تمشية مَن قال: إنها في بلعم.

وقال عبد الله بن عمرو بن العاص وسعيد بن المسيِّب وزيدُ بن أسلم وأبو روقٍ: إنها نزلت في أمية بن أبي الصَّلْت[2].

وكان ابتداء أمره أنه كان قد قرأ الكتب، وعلِم أن الله يُرسل رسولاً في ذلك الوقت، وظن أنه يكون ذلك الرسولَ، فلما أُرسل إلى محمد ﷺ حسَده، وكان قصَد بعضَ الملوك، فلما رجع مرَّ على قتلى بدر فسأل عنهم فقيل: قتلهم محمد، فقال: لو كان نبيًّا ما قتل أقرباءه، فلما مات أميةُ فأتت أختُه فارعةُ رسولَ الله ﷺ، فسألها عن وفاة أخيها فقالت: بينا هو راقد أتاه آتيان[3] فقعد أحدهما عند رجليه والآخر

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٥٨٧).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٣٠٣). ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٩٥٨)، والطبري في «تفسيره» (١٠/ ٥٧٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦١٦).

(٣) في (ف): «اثنان».

عند رأسه، فقال الذي عند رجله للَّذي عند رأسه: أَوَعَى؟ قال: وَعَى، قال: أَزكَى؟ قال: أَبى[١].

وفي رواية الكلبيِّ: كَشَطَ سقفَ البيت آتيان[٢]، فنزل أحدهما وشقَّ بطنه، وناداه الذي على ظهر البيت: أَوَعَى؟ قال: وعى، قال: أَزَكَى؟ قال: أبى، ومعه ابنتاه فذكَرتا له فقال: خير أُريد بأبيكما فلم يقبله[٣].

وفي رواية: نزل طيرانِ فشقَّ أحدُهما بطنه وأخرج قلبه وشمَّه، ثم سأله الآخر ذلك فقال ذلك[٤].

وذكرت فارعةُ من شعره لرسول الله عليه السلام قصيدةً ثم قصيدةً، ثم[٥] أنشدت هذه:

عنـد ذي العـرشِ يُعرَضـون عليـه ... يَعلـمُ الجهـرَ والسِّـرارَ الخفيَّـا

يـومَ نأتـي الرحمـنَ وهـو رحيـمٌ ... إنـــه كـــان وعـــدُه مَـأْتـيّا

---

(١) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٩/ ٢٨٢) من طريق إسحاق بن بِشرٍ عن محمدِ بنِ إسحاقَ عن الزهريِّ عن سعيدِ بن المُسَيِّبِ، وعثمانَ بنِ عبدِ الرحمن عن الزُّهريِّ، عن سعيد بن المسيِّب، قال: قدمَتِ الفارِعةُ أختُ أُميَّةَ بنِ أبي الصَّلْتِ على رسولِ الله ﷺ بعدَ فتحِ مكَّةَ..، فذكره. وإسحاق بن بشر متروك والخبر مرسل. ورواه من طريق آخر عن ابن إسحاق ابن عبد البر في «الاستيعاب» (٤/ ١٨٩٠) ولم يسقه بتمامه، وفي سنده إلى ابن إسحاق ضعف كما في «الإصابة» (٨/ ٥١). ورواه صاحب «الأغاني» (٤/ ١٣٤) من طريق آخر عن الزهري، ولم يذكر ابن المسيب. وجاء في هذه الروايات: طائران، بدل: آتيان.

(٢) «آتيان»: ليس من (ف).

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٩٥٩). وفيه: (نسران)، بدل: «آتيان».

(٤) هي رواية إسحاق بن بشر. وقد ذكرناها قريباً.

(٥) «قصيدة ثم»: من (أ) و(ف).

يومَ نأتيه مثلَ ما قال فردًا ... ثم لا بدَّ راشداً أو غويّا

أسعيداً سعادةً أنا أرجو ... أو مُهاناً بما اكتسبتُ[١] شقيّا

إن يؤاخِذْ بما اجترمْتُ فإني ... سوف ألقى من العذاب فَرِيّا

ربِّ إن تَعْفُ فالمعافاةُ ظنِّي ... أو تعاقِبْ فلمْ تُعاقِبْ بَرِيّا

فقال النبيُّ ﷺ: «آمن شعره وكفر قلبه»[٢].

وفي روايةٍ ذكرت أنه أتاها خبر موته قالت: فانطلقت إليه[٣] فوجدتُه منعوشاً قد سجِّي عليه، فدنوت منه فشهَق شهقة وشَقَّ بصرُه ونظر نحو السقف ورفع صوته فقال: لبَّيكما لبَّيكما ها أنا ذا لديكما، لا ذو مال فيغنيَني، ولا ذو أصل[٤] فيحميَني، ثم أُغمي عليه فشهَق شهقةً فشقَّ بصرُه ورفع صوته فقال: لبَّيكما لبَّيكما ها أنا ذا لديكما لا ذو براءةٍ فأعتذرَ ولا ذو عشيرةٍ فأنتصرَ، ثم أُغمي عليه وشهق[٥] شهقةً ونظر نحو السقف فقال: لبَّيكما لبَّيكما ها أنا ذا لديكما:

ربِّ إن[٦] تغفرْ تغفرْ جمّا ... وأيُّ عبدٍ لك لا ألمَّا

ثم أغمي عليه، ثم شهق شهقة فقال: لبيكما لبيكما ها أنا ذا لديكما، ثم قال:

---

(١) في (ف): «كسبت».

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» (٤/ ٣٠٧)، والشعر في «ديوان أمية» (ص: ١٥٥ ـ ١٥٦). والمرفوع منه رواه ابن عبد البر في «التمهيد» (٤/ ٧) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما. وروى مسلم (٢٢٥٥) من حديث الشريد بن سويد عن النبي ﷺ قوله: «فلقد كاد يسلم في شعره».

(٣) في (ر): «فأتيته».

(٤) في (أ): «أهل».

(٥) في (أ) و(ف): «ثم شهق».

(٦) المشهور في رواية هذا الشطر هو: «إن تغفر اللهم»، وبه يستقيم وزن البيت.

كلُّ عيشٍ وإنْ تطاوَلَ يوماً ... صائرٌ مرَّةً إلى أنْ يَزولا
ليتني كنتُ قبلَ ما قد بدا لي ... في قلالِ الجبالِ أرعى الوُعولا
إنَّ يوم الحساب يومٌ عظيمٌ ... شابَ فيه الصغيرُ يوماً ثقيلا

ثم مات، قال النبي ﷺ: «كان مَثَلُ أخيكِ كمَثَلِ الذي آتاهُ الله آياته فانْسَلخ منها» الآية(١).

وفيه قولٌ آخرُ: روى أبو الجوزاء عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما: أن الآية نزلت في البَسوس(٢)، وكان من قصته: أن رجلاً أُعطي له ثلاثُ دعوات مستجابات، وكانت له امرأة يقال لها: البَسوس، وكان له منها ولد فقالت له: اجعل لي منها دعوةً واحدةً، فقال: لك منها واحدة فما تريدين؟ قالت: ادعُ الله لي أن يجعلني أجملَ امرأة في بني إسرائيل، فدعا لها فجُعلت أجمل امرأة في بني إسرائيل، فلما علمت أنه ليس فيهم مثلُها رغبت عنه، فغضب الرجل ودعا عليها فصارت كلبةً نبَّاحةً فذهبت فيها دعوتان، فجاء أولاده(٣) فقالوا: ليس بنا على هذا قرار، قد صارت أمُّنا كلبةً نبَّاحةً والناسُ يعيِّروننا بها(٤)،..............

---

(١) قطعة من خبر سعيد بن المسيب الذي رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٩/ ٢٨٢)، وقد تقدم قريباً. ورواه دون المرفوع صاحب «الأغاني» (٤/ ١٣٤) عن الزهري، وقد تقدم أيضاً. ورواه دون المرفوع أيضا العقيلي في «الضعفاء» (٤/ ٢١) من طريق محمد بن إسماعيل بن طريح الثقفي عن أبيه عن جده عن جد أبيه، قال العقيلي: لا يتابع عليه. ورواه الفاكهي في «أخبار مكة» (١٩٧١) من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، والكلبي متروك.

(٢) في (أ): «الموسوس»، ولعله تحريف.

(٣) في (أ) و(ف): «بنوها».

(٤) في (أ): «بهذا».

ادع الله أن يردَّها إلى[١] الحال التي كانت عليها، فدعا الله تعالى فعادت كما كانت، فذهبت الدعواتُ وبقيت البسوس[٢].

وقال عكرمة: نزلت في اليهود والنصارى ممن آتاه الله كتابه وآياته فانسلخ منها[٣].

وقيل: نزلت في أبي عامر بن النعمان[٤] الراهب، الذي سماه النبيُّ ﷺ: الفاسق، وكان ترهَّب في الجاهلية ولبس المسوح، فقدم المدينةَ فقال للنبيِّ ﷺ: ما هذا الذي جئت به؟ قال: «جئتُ بالحنيفيةِ[٥] دينِ إبراهيم» قال: فأنا عليها، فقال له النبيُّ ﷺ: «لستَ عليها، ولكنك أدخلتَ فيها ما ليس منها» فقال أبو عامر: أمات الله الكاذبَ طريداً وحيداً، فخرج إلى الشام وأرسل إلى المنافقين: استعدُّوا بالقوة والسلاح وابنوا لي مسجداً فإني ذاهب إلى قيصر وآتي بجندٍ وأُخرِجُ محمداً وأصحابه من المدينة، فذلك قوله تعالى: ﴿وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [التوبة: ١٠٧] يعني: انتظاراً لمجيئه، فمات بالشام طريداً وحيداً، فاستجاب الله دعاءه على نفسه[٦].

---

(١) في (ر): «على».

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦١٧) من طريق عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما. والراوي عن عكرمة أبو سعد الأعور ـ واسمه سعيد بن المرزبان ـ وهو ضعيف.

(٣) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦١٨). وروى عنه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٥٦٩) قوله: (هو بلعام)، وفي رواية: (هو بلعم).

(٤) هو أبو عامر بن صيفي بن النعمان بن مالك بن أمية بن ضبيعة، ويقال: بن صيفي بن زيد بن أمية بن ضبيعة، واسمه: عمرو، ويقال: عبد عمرو. انظر: «الاستيعاب» لابن عبد البر (١/ ٣٨٠).

(٥) في (ف): «دين الحنيفية» بدل: «جئت بالحنيفية».

(٦) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٤/ ٣٠٧).

وقال عبادة بن الصامت: هي في قريش، آتاهم الله آياته، فانسلخوا منها فلم يقبلوها فأهلكهم الله، فحذَّر هؤلاء أن يكونوا أمثالهم(١).

وقال قتادة: هذا مثلٌ ضربه الله تعالى لمن عُرض عليه الهدى فأبى أن يقبَله(٢).

وقال الحسن: هو المنافق لا يُنيب إلى الحق دُعي أو لم يُدْعَ، وُعظ أو لم يُوعَظْ، كالكلب يلهثُ طُرد أو تُرك(٣).

وقال ابن كيسان: نزلت في منافقي أهل الكتاب الذين كانوا يعرفون النبي ﷺ كما يعرفون أبناءهم(٤).

* * *

(١٧٧) ـ ﴿ سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُواْ يَظْلِمُونَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُواْ يَظْلِمُونَ ﴾: ﴿ سَآءَ ﴾ بمعنى: بئس، و﴿مَثَلًا ﴾ نصبٌ على التفسير فإنها تَنصب النكرات، تقول: بئس رجلاً زيدٌ، و﴿ٱلْقَوْمُ ﴾ اسمه المعرفةُ، ومعناه: وما أسوأ هذا المثَلَ الذي ضربناه للَّذين كذَّبوا بآياتنا، وإنما استوجبوا هذا المثل لتقبيحِ(٥) الحال بتكذيبهم بآياتنا، وظلمِهم أنفسَهم إذ جَنَوا عليها بما يوجبُ الذمَّ في الدنيا والعقوبةَ في العُقبى.

وقيل: لا سوء في المثل، إنما السوء في الممثَّل، ومعناه: ساء القومُ الذين مثَلُهم

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٤/ ٣٠٧).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٥٨٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦١٧).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٤/ ٣٠٩)، والواحدي في «البسيط» (٩/ ٤٦٩). ورواه بنحوه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٥٨٧).

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٤/ ٣٠٨)، والبغوي في «تفسيره» (٣/ ٣٠٤).

(٥) في (أ): «القبيح».

كمثَل الكلب، وهو كقوله تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ﴾ الآية [الجمعة: ٥].

وقال الإمام القشيري رحمه الله: أيُّ صفةٍ أدنى من صفةِ مَن بُلي بالإعراض الأزليِّ، وأيُّ نعتٍ أعلى من نعتِ مَن أُكرم بالقَبول الأبدي، وأيُّ حيلة تنفع مع مَن يخلق الحيلة، وكيف تصحُّ الوسيلة إلا بمن منه الوسيلة[1].

***

(١٧٨) ـ ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى﴾: أي: مَن يهدِه اللهُ ﴿وَمَن يُضْلِلْ﴾؛ أي: ومَن يضلِلْهم ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ كهؤلاء الذين كذبوا بآياتنا وانسلخوا عنها، وحَّد ﴿ٱلْمُهْتَدِى﴾ وجمع (الخاسرين) لأنَّ مَن لفظُه لفظُ الواحد[2] ومعناه جمعٌ فيجوز التوحيد للَفظه والجمعُ لمعناه.

والآية نصٌّ على إثبات الهداية والإضلال من الله تعالى، وهو فيمَن عَلِم أنه يختار ذلك.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: فهو المهتدي في الآخرة، والخاسر في الآخرة[3].

***

(١٧٩) ـ ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾.

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٥٨٨).

(٢) في (أ): «واحد».

(٣) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٥/ ٩٣).

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ﴾: أي: خلَقْنا[١] ﴿كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ﴾ وهم الكفار المعرِضون عن تدبُّر آيات الله، واللهُ تعالى عَلِم منهم اختيارَ ذلك فشاء منهم ذلك، وخلق منهم ذلك[٢]، وجعل مصيرَهم إلى جهنم لذلك.

وقوله تعالى: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾: أي: لا يفهمون بها الحقَّ ولا يتفكَّرون فيه.

وقوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا﴾: أي: الحقَّ، ولا ينظرون إلى الآيات في الآفاق والأنفُسِ نظرَ اعتبارٍ واستدلال[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ﴾: أي: لا يُصغون إلى ما يُتلى عليهم من آيات الله والمواعظِ، فهم لتركهم استعمالَ هذه الآلات[٤] فيما خُلقت لها كأنهم عُدِموها.

وقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَالْأَنْعَٰمِ﴾: أي: كالبهائم في أنها لا تعقِلُ ولا تميِّز.

وقوله تعالى: ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾: عن الطريق المستقيم منها؛ لأنها مع عدم العقول تجتنِب مَضارَّها، والكفارُ لا يجتنِبون مضارَّهم بل يقفون على الكفر مع علمهم بأنه يُوردهم النار.

وقال الكلبي ومقاتل[٥]: ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ لأن الأنعام تَعرف ربَّها وتذكره وتطيعه والكافر لا يعرفه ولا يذكره ولا يطيعه[٦].

---

(١) في (ف): «أي خلقاً كثيراً».

(٢) «وخلق منهم ذلك»: ليس من (أ).

(٣) في (ف): «الاعتبار والاستدلال»، وفي هامشها ما يوافق المثبت.

(٤) في (أ) و(ف): «الآيات».

(٥) «ومقاتل»: زيادة من (أ) و(ف).

(٦) ذكره عنهما الواحدي في «البسيط» (٩/ ٤٧٧)، وهو في «تفسير مقاتل» (٢/ ٧٦). ووقع هنا في (ر): «وكذا قال مقاتل».

وقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ﴾: أي: المتغافلون عمَّا أَعَدَّ الله لأوليائه من الثواب ولأعدائه من العقاب.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: ﴿بَلۡ هُمۡ أَضَلُّ﴾ لأنهم لا يهتدون وإنْ هُدوا، والأنعام تهتدي إذا هُديت، أو هم أضلُّ لأنهم يَضلون ويُضلون غيرَهم والأنعامُ لا تُضل غيرَها، أو لأنهم لا يُنتفَع بهم والأنعامُ يُنتفَع بها ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ﴾؛ أي: عن فهم ما أُلقي إليهم وأُمروا به، وغافلون عما أُوعدوا[١].

وقال الإمام القشيري رحمه الله: مَن خَلَقه الله لجهنَّم متى يَستوجِبُ الجِنَانَ؟ ومَن أهَّله لسخطه أنَّى يستحق الرضوان؟ هم اليوم في جحيمِ الجحود والكفران، مقرَّنين في أصفاد الخذلان، مُلْبَسين ثيابَ[٢] الحرمان، طعامهم ضريعُ الوحشة، وشرابُهم حميمُ الفُرقة، كما فصَّل[٣] في الكتاب شرح تلك الحالة.

وقال في قوله تعالى: ﴿لَهُمۡ قُلُوبٞ لَّا يَفۡقَهُونَ بِهَا﴾؛ أي: ليس لهم تمييز بين خواطر الحق وهواجس النفس ووساوس[٤] الشيطان، لا ينظرون إلا من حيث الغفلة، ولا يسمعون[٥] إلا دواعي الفتنة، ولا ينخرطون إلا في سلك ركوب الشهوة ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّ﴾ لأن الأنعام رُفع عنها التكليف فإن لم يكن لها وفاقُ الشرع فليس منها خلافُ الأمر[٦].

* * *

---

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٥/ ٩٨).

(٢) في (أ): «بنار»، وفي (ف): «بثياب».

(٣) في (ر): «فسر».

(٤) في (أ): «ووسواس».

(٥) في (أ): «يستمعون».

(٦) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٥٨٩ ـ ٥٩٠).

(١٨٠) ـ ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾: قال مقاتل: إن رجلاً من الصحابة دعا الله في صلاته ودعا الرحمن، فقال رجل من المشركين: أليس يزعم محمد وأصحابه[1] أنهم يعبدون ربًّا واحداً، فما بال هذا يدعو ربَّين اثنين؟! فأنزل الله تعالى هذه الآية، فدعا النبيُّ ﷺ [الرجلَ] وقال: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَـٰنَ﴾ [الإسراء: ١١٠] رغماً لأنوف المشركين، فإنك ما دعوتَ من هذه[2] الأسماء ﴿فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾[3].

وقيل: ﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾ هي الدلالاتُ على معانيها حقيقةً، دون أسماءِ الأصنام التي هي ألقابٌ لا معانيَ لها ولا حقيقةَ.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: يحتمِل أنهم ظنوا أن في إثبات عدد الأسماء إثباتَ عدد من الذات، فأخبر أنه ليس كذلك، فإنه تُسمَّى الحركة: حركةً، عَرَضاً، شيئاً، خَلْقاً، ولا يوجب ذلك إثباتَ عددٍ فيها.

ويحتمِل أنهم وصَفوا الله تعالى بما لا يَحسُن أن يوصف به[4]، وأضافوا إليه أشياء لا يصلُح أن تُضاف إليه، نحو قولهم: يا خالقَ الخنازير، و: يا خالق الخبائث، و: يا إلهَ القِرَدة، ونحوه، فأمرهم أن يَدْعُوه بأسمائه الحسنى التي فيها تعظيمُه، كما يقال: يا رحمن، يا رحيم، يا كريم، يا جواد، يا لطيف، يا هادي، يا مرشد، ونحو ذلك.

---

(١) في (ر): «أليس محمد وأصحابه يزعمون».

(٢) في (أ): «فإنك إذا دعوت من هذه»، وفي (ر): «فإنك إذا دعوته بهذه»، وفي (ف): «لأنك إذا دعوت من هذه»، والمثبت من «تفسير مقاتل».

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٧٦ ـ ٧٧)، وما بين معكوفتين منه.

(٤) في (ف): «لا يحسن وصفه به»، وفي هامشها ما يوافق المثبت.

ويحتمِل أنه أراد بها أنَّ الأسماء الحسنى لله لا للأصنام، فادعوا الله[١] بها لا الأصنام[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ﴾: قرأ حمزة: ﴿يَلْحَدون﴾ بفتح الياء والحاء، من قولهم: لَحَد؛ أي: مال، والباقون: ﴿يُلْحِدُونَ﴾ بضم الياء وكسرِ الحاء من أَلْحد[٣]؛ أي: أمال[٤]، والإلحاد في أسماء الله تعالى: تسميةُ الأصنام بأسمائه، كما سمَّوا اللاتَ من الله، والعزى من العزيز، ومناةَ من المنَّان.

ومن الإلحاد: تحريفُ معاني أسمائه، وتغييرُها، وتفسيرُها[٥] على خلاف حقيقتها.

ومن الإلحاد فيها: تسميةُ الله تعالى بما لم يَرِدْ به الشرع؛ كالجوهر والجسم والعقل والعلة وما يقوله المبطلون.

ومعنى ذرهم؛ أي: دَعْهم فلا تكافئهم بصنيعهم، ولا تُجازِهم بإيذائهم إياك، فإن الله تعالى هو يجزيهم، وذلك قوله تعالى: ﴿سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾.

وقال الإمام القشيري رحمه الله: الإلحاد هو الميلُ عن القصد، وذلك على وجهين: بالزيادة والنقصان: فأهلُ التشبيه زادوا فأَلحدوا، وأهلُ التعطيل نقَصوا فأَلحدوا، فالمشبِّهةُ وصفوه بما لم يَأذن فيه، والمعطِّلة سلَبوه ما اتَّصف به[٦].

---

(١) في (ف): «وادعوه».

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٥/ ٩٨ ـ ٩٩).

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٢٩٨)، و«التيسير» (ص: ١١٤).

(٤) في (أ): «مال»، وسقطت الجملة من (ف)، والمثبت من (ر)، وكلاهما صواب.

(٥) في (ف): «على تفسيرها».

(٦) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٥٩١).

وسئل أبو الحسن البوشنجي[1] عن التوحيد، فقال: إثباتُ ذاتٍ غيرِ مشبَّهةٍ بالذَّوات، ولا معطَّلة عن الصِّفات.

***

(١٨١) ـ ﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴾: أي: وممن خلقْنا للجنة، في مقابَلة الآية الأولى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ﴾ قال النبي ﷺ فيما روى ابن جريج: «هذه أمَّتي بالحقِّ يأخذون ويعطون»[2].

وقد روَينا قبل هذا أنه لمَّا نزل قوله تعالى: ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ﴾ تمنَّى أصحاب رسول الله ﷺ مدحاً في حقِّ هذه الأمة، فنزلت هذه الآية.

وقال الإمام القشيري رحمه الله: هدايتُهم بالحق: أنهم يَدْعون إلى الحق، ويَدلُّون على الحق، ويتحرَّكون بالحق، ويسكنون للحق بالحق، فهم قائمون بالحق، يَصرِفهم الحقُّ للحقِّ بالحقِّ، أولئك هم غياث الخلق[3].

***

(١٨٢) ـ ﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴾.

---

(١) واسمه عليّ بن أحمد بن سهل، كان أوحد فتيان خُراسان، لَقِي أبا عثمان وصَحب بالعراق ابن عطاء والجريري، وبالشام طاهراً وأبا عَمْرو الدِّمشقي، وتكلم مع الشبلي في مسائل، وهو من أعلم مشايخ وقته بعلوم التَّوحيد وعلوم المعاملات، وكان ذا خلق متديِّناً متعهداً للفقراء، مات سنة (٣٤٨هـ) وأَسندَ الحديث. انظر: «طبقات الصوفية» للسلمي (ص: ٣٤٢).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٦٠٠).

(٣) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٥٩١ ـ ٥٩٢).

وقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَنَسۡتَدۡرِجُهُم مِّنۡ حَيۡثُ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾: وقال الخليل بن أحمد: أي: سنطوي عمرهم في اغترار منهم[(١)].

وقال الضحاك: كلما جدَّدوا لنا معصيةً جدَّدْنا لهم نعمة[(٢)].

وقال النبيُّ ﷺ «إذا رأيتَ الله تعالى أنعَم على عبده وهو مقيمٌ على معصيته فاعْلم أنه مستدرج» ثم تلا هذه الآية[(٣)].

والاستدراج استفعالٌ من الدَّرْج؛ أي: يُدْنيه إلى الهلاك درجةً فدرجةً في كتمانٍ وخُفيَةٍ، وقد دَرَج الكتابَ؛ أي: طواه شيئاً بعد شيء، ودَرَج القوم: إذا[(٤)] مات بعضهم في[(٥)] إثر بعضٍ، ودَرَج الصبيُّ: إذا قارَبَ بين خُطاه في المشي.

وقال عطاء: نزلت الآية في المستهزِئين[(٦)].

وقال الإمام القشيري رحمه الله: الاستدراج أن يُلقى في أوهامهم أنهم من أهل الوُصلة، وفي الحقيقة سبقت لهم في القسمة الفُرقة[(٧)].

وقيل: الاستدراج: انتشارُ الصِّيت بالخير في الخَلْق، والانطواءُ على الشرِّ في السرِّ مع الحق.

---

(١) انظر: «تفسير الثعلبي» (٤/ ٣١٢)، و«زاد المسير» (٣/ ٢٩٤)، و«البحر» (١٠/ ٤١٧).

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» (٤/ ٣١٢)، و«البسيط» للواحدي (٩/ ٤٨٦)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٣٠٨)، و«زاد المسير» (٣/ ٢٩٤).

(٣) لم أجده مسنداً.

(٤) في (ف): «أي».

(٥) في (ر): «على».

(٦) ذكره دون عزو الثعلبي في «تفسيره» (٤/ ٣١٢)، والبغوي في «تفسيره» (٣/ ٣٠٨)، وعزاه الواحدي في «البسيط» (٩/ ٤٨٨) للمفسرين.

(٧) في (ر): «سبقت لهم الفرقة في القسمة»، وفي «اللطائف»: (السابق لهم من القسمة حقائق الفرقة).

وقيل: الاستدراج: الرجوع من توهُّم صفاءِ الأحوال إلى ركوب قبيحِ الأعمال.

وقيل: الاستدراج: دعاوى عريضة صدرت عن أحوالٍ مريضة.

وقيل: هو اتِّساع(١) البِرِّ مع إنساء(٢) الشكر(٣).

❊ ❊ ❊

(١٨٣) ـ ﴿ وَأُمْلِي لَهُمْۚ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ وَأُمْلِي لَهُمْۚ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴾: قال الكلبي(٤): أي: أُمْهِلهم، والملاوة بفتح الميم وضمها وكسرها: القطعة من الدهر؛ أي: أؤخِّر عنهم العذابَ مدةً وهم يتوهَّمون أنه توسعةٌ عليهم وإكرامٌ لهم.

وقوله: ﴿إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴾ قال الكلبي: أي: إن أخذي شديد، وقد قتلهم الله كلَّ رجلٍ منهم بغيرِ قتلِ صاحبه، وهو قوله تعالى: ﴿ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴾ [الحجر: ٩٥]، ونفسِّر ذلك في تلك الآية إن شاء الله تعالى.

قال عطاء: قتَلهم في ليلة واحدة(٥).

والكيدُ: الأخذ على خفاءٍ أو مجازاة كيدهم مع رسول الله ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم. والمتين: القويُّ، والمتانة: القوة.

❊ ❊ ❊

---

(١) في (أ): «إيشاع»، وفي «اللطائف»: (إفاضة).

(٢) في (أ): «إنساع» وفي (ر): «انتشاء». وبُيض لها في مطبوع «اللطائف» لاشتباهها في نسخته الخطية.

(٣) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٥٩٢).

(٤) «قال الكلبي»: ليس من (أ) و(ف).

(٥) ذكره دون عزو الثعلبي في «تفسيره» (٤/ ٣١٢)، والبغوي في «تفسيره» (٣/ ٣٠٨)، وعزاه الواحدي في «البسيط» (٩/ ٤٨٨) للمفسرين. وقاله مقاتل في «تفسيره» (٢/ ٧٧).

(١٨٤) ـ ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ ﴾: وهذا تعجيبٌ من الله تعالى عبادَه من مقام الكفار على التكذيب بالنبيِّ ﷺ، وتسميتِهم إياه مجنوناً مع علمهم ما الجنون ووجودِهم إياه منزَّهاً عنه، وسماه صاحبَهم لأنه نبيُّهم يصحبهم ويخالطهم.

قال قتادة: كان رسول الله ﷺ كثيراً ما يحذِّرهم عقوبةَ الله تعالى، فقام على الصفا ليلاً وجعل يدعو قريشاً فخذاً فخذاً: (يا بني فلان، يا بني فلان) إلى الصباح، فقال قائلهم: إن صاحبكم هذا لمجنون، بات يصوِّت إلى الصباح! فنزلت الآية[1].

وقوله: ﴿مِّن جِنَّةٍ﴾؛ أي: جنونٍ، من مسِّ الجنِّ.

وقوله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾: أي: ما هو إلا مخوِّفٌ ظاهر.

* * *

(١٨٥) ـ ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾: هو[2] نظرُ القلب بالتفكُّر. والملكوتُ: الملكُ الأعظم.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ﴾ عطفٌ على ﴿السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ معناه: في جميع مخلوقات الله تعالى من الأشياء.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٦٠٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦٢٤) عن قتادة قال: (ذكر لنا أن نبي الله ﷺ كان على الصَّفا فدعا قريشًا، فجعل يفخِّذُهم فخذًا فخذًا..). وانظر: «الكشاف» (٢/ ١٨٢)، و«تفسير البيضاوي» (٣/ ٤٤)، وفيهما: (.. بات يهوت..)، ومعناه: يصيح.

(٢) في (أ): «هذا».

وقوله تعالى: ﴿وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ﴾: أي: وفي أن يكون أجلُهم لعله اقترب.

وهذا تعجيبٌ من الله تعالى على عباده[١] من مقام الكفار على التكذيب بالساعة والجزاء والحساب، يقول: أو لم ينظروا نظرَ استدلالٍ في السماوات والأرض وغيرهما، الدالَّةِ على قدرة الله تعالى وملكه، فيعلموا أنه لم يخلقْها عبثاً، ولا يترك عبادَه سُدًى، وأنه جعلها قِواماً لهم مدةَ كونهم في الدنيا ليعملوا بطاعة الله، ثم ينقلهم إلى دار الجزاء فيَمِيز بين المطيع والعاصي، وأن مَن مات فقد قامت قيامتُه، وأن آجالهم لعلها قد قربت، وإذا كان كذلك فقد أشرفوا على الهلاك، وإذا هلكوا فلا رجعةَ، ولا تمكِنُ التوبة فيتوبوا.

وقوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ﴾: أي: بأي كلامٍ بعد أجَلهم يؤمنون؛ أي: ليس بعد الموت مستعتَبٌ، ولا إيمانٌ نافعٌ دافعٌ للعذاب.

وقال عطاء: ﴿قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ﴾ يعني: يومَ بدر وأحد[٢].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ﴾ بعد القرآن يصدِّقون[٣]، يعني: أنه كلام الله لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا مِن خلفِه، ولو اجتمعت الخلائقُ لم يأتوا بمثله، فإذا لم يقبلوا هذا فماذا يقبلون؟

ويحتمل أن يكون المراد: أنهم يقبلون الحديث، فإذا لم يقبلوا حديثَ رسول الله ﷺ فبأيِّ حديثٍ يقبلون.

---

(١) «على عباده» ليست في (ر).

(٢) ذكره الواحدي في «البسيط» (٩/ ٤٩٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) ذكره الواحدي في «البسيط» (٩/ ٤٩٢).

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا﴾ ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا﴾ دليل على أن الحقَّ يلزمُ وإن كان لا يُعلم إلا بالتدبُّر والتفكُّر؛ لِمَا أنه أُلحق به[١] التهديد والوعيد الشديد[٢].

وقال القشيري رحمه الله: أَلَاح الله لقلوب الناظرين حقائقَ التحصيل، فمَن لم يعرِّج في أوطان التَّقصير أنزلته مراكبُ السير بساحات التحقيق.

وقال في قوله: ﴿وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ﴾: الناس في مغاليط آمالهم ناسون لوشيك[٣] آجالهم، فكم ناسجٍ لأكفانه، وكم بانٍ لأعدائه، وكم زارعٍ لا يحصدُ زرعَه[٤].

* * *

(١٨٦) - ﴿مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِىَ لَهُۥ ۚ وَيَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِىَ لَهُۥ ۚ وَيَذَرُهُمْ﴾: قرأ حمزة والكسائيُّ وحفصٌ عن عاصم بياء المغايبة، وجزمِ الراء عطفاً على موضع الفاء في جوابِ الشرط، وتقديره: لا يَهده أحد ويذره الله فِي طُغيانِه، وقرأ أبو عمرو بالياء ورفعِ الراء على الابتداء، وقرأ ابن كثير وابن عامر ونافع وأبو بكر عن عاصم بالنون والرفع[٥].

قوله تعالى ﴿فِى طُغْيَٰنِهِمْ﴾: أي: في إفراط ترفُّعهم ﴿يَعْمَهُونَ﴾: أي: يتردَّدون متحيِّرين.

---

(١) في (ف): «بهذا».

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٥/ ١٠٣).

(٣) في (أ): «لوشك».

(٤) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٥٩٣).

(٥) انظر: «السبعة» (ص: ٢٩٩)، و«التيسير» (ص: ١١٥). وقراءة حفص عن عاصم فيهما برفع الراء، كقراءة أبي بكر عنه.

والبداية بالوحدان والختمُ بالجمع؛ لِمَا مرَّ: أن (مَن) لفظه واحدٌ وأريد به الجنسُ، فصلح لذا وذا، يقول: مَن علِم الله منه اختيارَ الضلالة أضلَّه، ومَن أضلَّه لم يهتدِ بالنظر والتفكُّر.

***

(١٨٧) ـ ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا﴾: أي: متى ثبوتُها وقيامُها؟ وقد رسا يرسو رَسْواً؛ أي: ثَبَت.

وقيل: هو استقرارُ الشيء الثقيل، ومنه: الجبال الراسيات، وأرساه غيرُه إرساءً ومُرْسًى؛ كقوله: إدخالاً ومُدْخلاً، وحقيقتُه: متى إثباتُها وتقديرُها؟

وكان النبيُّ ﷺ يدعوهم إلى الإيمان والطاعة، وينهاهم عن الكفر والمعصية، ويحذِّرُهم قيامَ الساعة، فقالوا: متى هي؟

قوله تعالى ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ﴾: أي: لا يكشفها ولا يُظهرها إلا هو، فهو الذي يُقيمها وعنده عِلمُها.

وقوله تعالى: ﴿ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: أي: خَفِيَ علمُها على كلِّ أهل السماوات والأرض، وكلُّ ما خفيَ علمه ثقُل على الفؤاد، رُوي معناه عن السدِّي وغيره[1].

وقيل: ثقُل مجيئُها على السماوات والأرض؛ لِمَا يَرِدُ على السماء بقيامها من الانشقاق وانتشارِ النجومِ وسقوطِ الشمس والقمر، وعلى الأرض من ذهاب بحارها

---

(١) انظر: «تفسير الثعلبي» (٤/ ٣١٣)، ورواه بنحوه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٦٠٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦٢٧).

وزوالِ جبالها؛ أي: يَستعظِم قيامَها أهلُ السماوات والأرض لهذه الأمور الهائلة وأنتم تسألون عنها مستعجلين لها غافلين عما يكون عليكم فيها؟ كما قال تعالى: ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا﴾ [الشورى: ١٨].

وقيل: أي: عظُم وصفُها على أهل السماوات والأرض.

وقوله تعالى: ﴿لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾: أي: فجأة.

وقوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾: أي: كأنك ألحَحْتَ في طلب علمِها واستقصيتَ السؤال عنها فعلِمْتَها، وقد أَحْفَى فلانٌ؛ أي: ألحَّ في المسألة، قال تعالى: ﴿إِنْ يَسْأَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا﴾ [محمد: ٣٧].

وقال الفرَّاء: كأنك فَرِحٌ به، يقال: حَفِيتُ به حفاوةً وتحفَّيتُ تحفِّياً؛ أي: فرحتُ به وبَشَشْتُ(١): وتقديره: يسألونك عنها كأنك حفيٌّ به(٢).

وقيل: الحفيُّ: البرُّ اللطيف، قال تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾ [مريم: ٤٧]، وتقديرها: يسألونك عنها كأنك حفيٌّ بهم؛ أي: برٌّ لطيف، وروي أنهم قالوا: إن بيننا وبينك قرابةً فأخبِرْنا عن وقتها إكراماً منك لنا وعطفاً علينا لقرابتنا، وإنْ كنت تكتمُها عن غيرنا(٣).

---

(١) في (أ): «وتشبثت» بدل: «به وبششت».

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٣٩٩)، وفيه: (كأنك حفي بها). وذكره عنه الواحدي في «البسيط» (٩/ ٥٠٠) بلفظ: (بهم)، وعبارته: (كأنك حفيّ بهم إذا سألوك حين يسألونك عنها؛ أي: فرح بهم، فعلى هذا التقدير: يسألونك عنها كأنك حفيٌّ بهم؛ أي: بارٌّ بهم لطيف). قلت: وعلى ما قاله الواحدي فهذا الوجه كالذي بعده.

(٣) رواه بنحوه عبد الرزاق في «تفسيره» (٩٦٧)، والطبري في «تفسيره» (١٠/ ٦٠٤ و٦١١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦٢٧).

وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾: يتوهَّمون أنه موجودٌ علمُها عند غيرِ الله، قطَع الله أطماعَهم عن معرفتها بخبرٍ من النبيِّ ﷺ وإنما أعاد قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ بعدما قال: ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي﴾؛ لأن ختم الآية بأن الناس لا يعلمونه فقدَّم عليه إثباتَ علمه، ولأن الأول علمُ وقتِها والثاني علمُ كُنْهها.

وقالت عائشة رضي الله عنها: كانوا يعاودون رسول الله ﷺ في هذا السؤال إلى أن نزل قوله تعالى: ﴿فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ﴾ فكفُّوا[1].

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: إنْ كان هذا السؤال عن المكذِّبين لها فهو سؤالُ استهزاءٍ، وإن كان عن المصدِّقين فهو سؤالُ استعلامٍ وإشفاقٍ ليتأهَّبوا لها، فإنهم لمَّا سمعوه يقرأ: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ١] ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ﴾ [القمر: ١] ويقول: «بعثتُ أنا والساعةُ كهاتين»[2] و: «كادت الساعة تَسبقُني»[3] حملهم الخوف على هذا السؤال ليعلموا فيستعدوا.

وقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾؛ أي: أنها كائنة، أو: لا يعلمون أنك لا تعلم متى تكون، أو: لا يعلمون ما لهم وما عليهم فيها[4].

---

(١) لم أجده بهذا اللفظ، وروى ابن راهويه في «مسنده» (٧٧٧)، والبزار في «مسنده» (٢٢٧٩ ـ كشف الأستار)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٩٩)، والحاكم في «المستدرك» (٧) و(٣٨٩٥) وصححه، عن عائشة رضي الله عنها: قالت: لم يزل النبيّ ﷺ يسأل عن الساعة، حتى أنزل الله عزّ وجل: ﴿فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ﴾. قلت: وعلى هذا يكون السائل هو النبي ﷺ بدليل ما جاء في بعض الروايات في آخره: (قال: فانتهى).

(٢) رواه البخاري (٦٥٠٤)، ومسلم (٢٩٥١)، من حديث أنس رضي الله عنه.

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢٢٩٤٧) من حديث بريدة رضي الله عنه.

(٤) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٥/ ١٠٦ و١٠٨).

وقال الإمام القشيري رحمه الله: السائل عنها رجلان: منكِرٌ يتعجَّب لفَرْطِ جهله، وعارفٌ مشتاقٌ يستعجلُ لفَرْط شوقه، والمتحقِّق بوجوده ساكنٌ في حاله(١).

* * *

(١٨٨) ـ ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾: أي: إنما يعلمُ الغيب من قيامِ الساعة وغيرِها مَن يملك النفع والضرَّ على الإطلاق، وهو الله تعالى، وأنا لا أملك الأمرين إلا ما ملَّكني(٢) الله تعالى منهما.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ﴾: قال الزجاج: أي: ولو كنت أعلمُ الغيب لاستكثرتُ من معرفته حتى لا يخفَى عليَّ شيء ﴿وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُ﴾: أي: التكذيب(٣).

وقال الكلبي: ﴿وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ﴾: متى أموتُ ﴿لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ﴾؛ أي: العمل الصالح.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: هذا ليس بقويٍّ؛ لأنه وإن كان لا يعلم

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٥٩٤).

(٢) في (ف): «ملكنيه».

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٣٩٤)، وقد ذكر قولين: الأول ـ وابتدأ به ـ: لادَّخرتُ زمن الخِصْبِ لزمن الجَدْب. والثاني ـ وقدم له بقوله: قيل ـ: لو كنتُ أعلم ما أسأل عنه من الغيب في الساعة وغيرها [لأجبت عنه] ﴿وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُ﴾؛ أي: لم يَلْحَقْني تكذيبٌ. ولعل مراد المؤلف هو القول الثاني، وقد نقله عنه ابن الجوزي في «زاد المسير» (٣/ ٣٠٠) ولم ينقل غيره، وما بين معكوفتين منه.

متـى يموت كان يَسـتكثر مـن[١] الخيـر ولا يقصِّر[٢].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن أهل مكة قالوا: يا محمدُ! ألا يخبرُكَ ربُّك بالسعر الرخيص قبل أن يغلوَ فتشتريَه فتربحَ به، أو يخبرُكَ بالأرض التي يريد أن تُجدِب فترتحلَ منها إلى ما أخصبَتْ، فأنزل الله هذه الآية[٣].

وروى حيان عن الكلبي: ولو كنتُ أعلم جدوبةَ الأرض وقحطَ المطر لهيَّأت لسنةِ القحط ما يكفيها ﴿وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُ﴾ أي: الضرُّ والفقر[٤].

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: وهذا أيضاً ليس بقويٍّ[٥]؛ لأنه ـ وإن كان يعلم ذلك ـ لا يستكثِر المال، ولكن التأويل الصحيح والله أعلم: ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ﴾ قيام الساعة متى يكون وأخبرتُكم به فصدَّقْتُموني وآمنتُم بي لاستكثرتُ الثواب بإيمانكم عند الله تعالى ﴿وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُ﴾؛ أي: تكذيبُكم.

---

(١) «من»: زيادة من (ف).

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٥/ ١٠٩).

(٣) انظر: «تفسير الثعلبي» (٤/ ٣١٣)، و«البسيط» للواحدي (٩/ ٥٠٧)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٢٥٦)، و«زاد المسير» (٢/ ١٧٦) عن ابن عباس، و«تفسير أبي الليث» (١/ ٥٧٣)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ٢٢٨)، عن الكلبي، ولعل الوارد عن ابن عباس هو من طريق الكلبي عن أبي صالح عنه.

(٤) الظاهر أن هذا من تتمة الخبر السابق، فقد ذكره الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (٥/ ١٠٩) معه، ولفظه: (وقال ابن عَبَّاسٍ في قوله: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾: وذلك أن أهل مكة قالوا: ألا يخبرك ربك يا مُحَمَّد بالتجارة المربحة فتتجر فيها فتربح، أو لا يخبرك بسنة القحط والجدوبة، أو يخبرك بوقت السعة والخصب؟! فقال عند ذلك: ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ﴾ من جدوبة الأرض والقحط؛ ﴿لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ﴾ يقول: لتهيأت لذلك ﴿وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُ﴾ من الضر والشدة).

(٥) في (أ) و(ف): «غير قوي» بدل: «ليس بقوي».

أو: ولو كنت أملك لكم نفعاً وضرًّا؛ نفعَ ما غاب ودفع ما غاب[1] اتبعتُموني، فكثر بذلك ثوابي.

أو: ولا أعلم الغيب إلا قَدْرَ ما أُوحي إليَّ، ولو كنت أعلم أكثرَ مما أُوحي إليَّ لاستكثرت من الخير.

أو: ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ﴾: مَن يصدِّقني ومَن يكذِّبني، اشتغلتُ بدعوةِ مَن يجيبُ دون مَن لا يجيب، فاستكثرتُ الأتباع والمطيعين.

قال: وقيل في قوله: ﴿وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُ﴾: أي: الجنون، جواباً لقولهم: إنه مجنون[2]، وقد مر ذكره في قوله: ﴿مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾: أي: هم المنتفِعون بإنذاري وتبشيري، واتصال هذا بما قبله: أني لستُ بعالمِ الغيب بل أنا رسولُ عالمِ الغيب أرسلني نذيراً وبشيراً.

* * *

(١٨٩) ـ ﴿۞ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ۖ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾: بيَّن الإنذار وهو للمشركين، وذكر في آخر هذه الآية شركَ الكافرين.

وقوله: ﴿مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾؛ أي: من آدم.

---

(١) في (أ): «عاب».

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٥/ ١٠٩ ـ ١١٠).

وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾: أي: حواء ﴿لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾؛ أي: ليستأنس بها.

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَغَشَّاهَا﴾: أي: وَطِئها، وأصله: التغطية، والرجلُ لباسٌ للمرأة والمرأةُ لباسٌ للرجل[1]، فكان اجتماعهما تغشِّياً.

وقوله تعالى: ﴿حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا﴾: أي: حين كان نطفةً ﴿فَمَرَّتْ بِهِۦ﴾؛ أي: مضت بالماء على الخفة، أو بالحمل تقوم وتقعد وتمشي على سهولةٍ.

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَثْقَلَت﴾: أي: صارت ذات ثقلٍ بكبر الولد في البطن ﴿دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا﴾؛ أي: سألا الله وقالا: ﴿لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا﴾؛ أي: ولداً سوي الأعضاء.

وقيل: صالحاً في الدين.

وقيل: أي: له صلاحيةُ كلِّ شيء مما يرجوه الآباءُ والأمهات من الأولاد.

وقوله تعالى: ﴿لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾: لك على نعمائك[2].

وقرأ يحيى بن يَعْمَرَ: (فمَرَتْ به) بتخفيف الراء[3]، من مَرَى يَمْري؛ أي: شكَّت أنها حملت أم لا.

وقيل: أي: شكَّت أن في بطنها بشراً مثلَهما أو بهيمةً.

* * *

(١٩٠) ـ ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

---

(١) في (أ) و(ف): «له».

(٢) في (أ) و(ف): «إنعامك».

(٣) نسبت لابن عباس وأبي العالية ويحيى بن يعمر. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٥٣)، و«المحتسب» (١/ ٢٦٩)، و«الكشاف» (٢/ ١٨٦)، و«المحرر الوجيز» (٢/ ٤٨٦)، و«البحر» (١٠/ ٤٤٠).

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا﴾: أي: ولداً سويًّا ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا﴾ قرأ نافع وعاصم في رواية أبي بكرٍ بكسر الشين[١]، ومعناه: نصيباً؛ كما في قوله: ﴿أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ﴾؛ أي: نصيب.

وقرأ الباقون: ﴿شُرَكَآءَ﴾ بضم الشين ومدِّ الآخِر، وهو جمع شريك.

وقوله تعالى: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾: أي: تَنَزَّه الله تعالى عن الشريك.

قال الكلبي: إن إبليس ـ لعنه الله ـ أتى حواءَ حين أَثْقَلت[٢] في صورة رجل فقال: ما هذا الذي في بطنك؟ فقالت: ما أدري، قال: إني أخاف أن يكون بهيمةً، وذلك أولَ ما حملت، فقالت ذلك لآدم، فلم يزالا في همٍّ من ذلك، ثم عاد إليها فقال: إني من الله عز وجل بمنزلةٍ، فإن دعوتِ الله تعالى فولدْتِ إنساناً أتُسَمِّينَه بي؟ قالت: نعم، قال: فإني أدعو الله تعالى، قال: فأتاها وقد ولدت غلاماً، فقال: سمِّيه باسمي، قالت: وما اسمك؟ قال: الحارث، فسمَّتْه: عبدَ الحارث[٣].

---

(١) أي: ﴿شِرْكاً﴾. انظر: «السبعة» (ص: ٢٩٩)، و«التيسير» (ص: ١١٥).

(٢) في (ف): «انقلب» بدل: «حين أثقلت».

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٤/ ٣١٥)، والماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (٥/ ١١١ ـ ١١٢)، ورده الماتريدي كما سيأتي. وهذا الخبر وأمثاله مما دخل على كتب التفسير من الإسرائيليات، وقد فندها وبين حقيقتها ابن كثير في «تفسيره» عند هذه الآية، وكذا أسهب في ردها وبيان خطأ مَن تناولها من المفسرين العلامة أبو شهبة في «الإسرائيليات والموضوعات» (ص: ٢٠٩ ـ ٢١٥) ثم خلص إلى أن التفسير الصحيح لها على وجهين ـ أحدهما لابن كثير ـ فقال: والمحققون من المفسرين منهم مَن نحا منحى العلامة ابن كثير فجعل الآية الأولى في آدم وحواء، وجعل قوله: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا﴾ الآيةَ في المشركين من ذريتهما؛ أي: جعل أولادهما شركاء لله فيما أتاهما، والمراد بهم الجنس؛ أي: جنس الذَّكَر والأُنثى، فمِن ثَمَّ حسُن قوله: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ بالجمع، ويكون هذا الكلام من الموصول لفظاً المفصول معنى، ومنهم من جعل الآيتين في ذرية =

وقد ذُكر في هذه القصة زوائدُ وكلُّها باطلة.

وقد ردَّ الإمام أبو منصور رحمه الله وغيرُه من أئمة الحق هذا القولَ، وأبوا أن يكون آخرُ الآية المذكورة في الشرك في حقِّهما، ولئن ثبتَ أنهما سمَّياه عبد الحارث فهو ليس بشرك فإن المملوك يسمى عبد مالكه وهو ليس بشرك[١].

والتأويل الصحيح للآيتين ما قاله الحسن البصري رحمه الله: أن أول الآية في حق آدم وحواء عليهما السلام، وهو كالكلام المعترِض، والآيةُ الثانية المتَّصلة بها في حقِّ المشركين[٢]، وسياقهما على قوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم﴾ أيها الناسُ ﴿مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ وهي آدمُ ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ حواءَ ﴿لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ فلما تَغشَّى آدمُ حواءَ ﴿حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ فَلَمَّآ أَثْقَلَت﴾ دعا آدم وحواءُ ربَّهما لئن أعطيتَنا ولداً سويًّا صالحاً في الدِّين؛ لأن آدم رأى حين أَخْذِ الميثاق على ذريته[٣] جميعَ أولاده:

= آدم وحواء؛ أي: ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ وهي نفس الذَّكَر ﴿وَجَعَلَ مِنْهَا﴾؛ أي: من جنسها ﴿زَوْجَهَا﴾ وهي: الأنثى، ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا﴾؛ أي: بشراً سويًّا كاملاً، ﴿جَعَلَا﴾؛ أي: الزوجان الكافران ﴿لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا﴾، وبذلك أبدلا شكر الله كفراناً به وجحودًا، وعلى هذا: لا يكون لآدم وحواء ذكر مّا في الآيتين.

قلت: وسيأتي من كلام المؤلف في رد هذه القصة نحو هذا.

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٥/ ١١٢).

(٢) روى الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٦٢٩) عن الحسن قوله: (﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا﴾ كان هذا في بعض أهل الملل، ولم يكن بآدم)، وفي رواية: (عني بهذا ذرية آدم، مَن أشرك منهم بعده) يعني بقوله: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا﴾، وفي رواية ثالثة: (كان الحسن يقول: هم اليهود والنصارى، رزقهم الله أولادًا فهوَّدوا ونصَّروا). وساق هذه الروايات ابن كثير عن الطبري بأسانيدها وعقبها بقوله: وهذه أسانيد صحيحة عن الحسن أنه فسر الآية بذلك، وهو من أحسن التفاسير وأولى ما حملت عليه الآية.

(٣) بعدها في (ف): «وهم».

منهم السَّويُّ ومنهم غيرُ السَّويِّ، ومنهم التقيُّ ومنهم غيرُ التقيِّ، فسألا أن يكون هذا الولدُ سويًّا تقيًّا، وقالا: لئن آتيتَنا ذلك لنشكرنَّ لك، فأعطاهما الله تعالى ذلك فشكَرا؛ لأن آدم وحواء لم يكونا ليَعِدَا من أنفسهما ذلك ولا يفعلا، وهذا مفهومٌ وإن لم يذكر، وتمَّ الكلام.

ثم قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا﴾؛ أي: فلمَّا أعطى مَن بعدَهما مِن أولادهما كلَّ والدٍ ووالدةٍ من أهل الشرك ولداً صالحاً سويَّ الأعضاء جعَل هذان الأبوان لله شركاءَ فيما أعطاهما، وذلك على وجوه:

منها: أنهم كانوا يسمُّون الأولاد: عبدَ العُزَّى، وعبدَ اللَّات، وعبد مناةَ، وعبد يغوثَ، ونحو ذلك.

ومنها: أنهم كانوا يأتون بالأولاد حالما وُلدوا فيمسحونها بالأصنام، ويسجدون لها شكراً على هذه النعمة.

ومنها: أنهم كانوا يعلِّمون أولادهم الشركَ ويحمِلونهم عليه.

وإنما صحَّ صرفُ قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا﴾ على هذين الأبوين لأن أول الآية: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم﴾ وهو خطابُ الجمع، فتناولَ كلَّ الناس، فكان هذان الأبوان فيهم، ويدلُّ عليه ما بعده، وهو قوله جلَّ جلاله: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ وهو جمعٌ، فدل على أنه على المشركين دون آدم وحواء.

وفيه أقاويلُ كثيرةٌ ووجوهٌ مختلفةٌ، وما ذكرناه أصحُّها وأسلمُها.

* * *

(١٩١) ـ ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾: أي: الأصنامَ، وإنما أدخل

فيها الواوَ والنون وذلك فيما يَعقل والأصنامُ جمادٌ؛ لأنهم كانوا يعظِّمونها وينزلونها منزلةَ الفاعلين[١] المختارين، فألحقوها بهم كما في قوله: ﴿أَحَدَعَشَرَكَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ [يوسف: ٤].

* * *

(١٩٢) ـ ﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ﴾: قال مقاتل: أي: ولا تقدر الأصنام منعَ السوء إذا نزل بعبَدتها، ولا تمتنِعُ الأصنام ممن أراد بها سوءاً مِن كسرٍ ونحوِه، فكيف يعبدون مَن هذا حالُه ويتركون عبادةَ الله[٢].

وهو عطفٌ على قوله: ﴿أَيُشْرِكُونَ﴾ وهو استفهامٌ بمعنى التوبيخ.

* * *

(١٩٣) ـ ﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَامِتُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ﴾: قرأ نافع بالتخفيف على الثلاثي، وقرأ الباقون بالتشديد على الافتعال منه[٣].

ومعناه: وإن تدعوا[٤] أنتم هؤلاء المشركين إلى الهدى لم يتابعوكم عليه.

وقوله تعالى: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَامِتُونَ﴾: أي: ساكتون، وهو كقوله تعالى: ﴿ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ٦]، وهو في قوم معاندين علِم الله منهم ذلك.

---

(١) في (أ): «وينزلونها كفاعلين».

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٨٠).

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٢٩٩)، و«التيسير» (ص: ١١٥).

(٤) في (أ) و(ف): «تدعوهم».

وقيل: ﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ﴾؛ أي: الأصنامَ التي تدعونها آلهة[١] ـ فقد مر ذكر ذلك في الآيات التي قبلها ـ لم يكن منها جواب؛ لأنها لا تعقل، فدعاؤها والصمتُ عنها واحد[٢].

* * *

(١٩٤) ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ﴾: أي: الأصنام التي تَدْعونها آلهةً عبادٌ لله أمثالكم، وإنما جعلها عباداً له وهي جمادٌ؛ لأنها مخلوقة لله تعالى، وكلُّ مخلوقٍ لله فهو ذليلٌ لله تعالى كالعبد.

وقيل: في قوله: ﴿عِبَادٌ﴾ ألفُ الاستفهام مضمَرةٌ، وتقديره: أعبادٌ أمثالكم، وإضمارُها جائز كما في قوله تعالى: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ﴾ [البقرة: ٩]؛ أي: أيخادعون الله، وقولِهِ: ﴿هَٰذَا رَبِّى﴾ [الأنعام: ٧٦]؛ أي: أهذا ربي، وهذا استفهامٌ بمعنى النفي؛ أي: ليسوا بعبادٍ أمثالكم بل هي دونكم، ودليلُه ما ذكر في الآية التي بعدها: ﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ﴾ الآيةَ؛ أي: ألَا تأنفون من عبادةِ ما هو دونكم في أنها ليست لها جوارحُ عاملةٌ ولكم ذلك.

وقوله تعالى: ﴿فَٱدْعُوهُمْ﴾: هذا الدعاء غيرُ الدعاء المذكور في أول الآية؛ أي: هذا دعاء السؤال؛ أي: سَلُوا حوائجَكم هذه الأصنام.

وقوله تعالى: ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾: أي: فليُجيبوكم إن كنتم صادقين[٣] أنها آلهةٌ، وهو على وجه التوبيخ والإنكار.

---

(١) بعدها في (ر): «من عباد الله أمثالكم وإنما جعلها عباداً له وهي جماد مضمرة عاجزة».

(٢) في (ر): «والصمت منها سواء».

(٣) «أي: فليجيبوكم إن كنتم صادقين»: ليس في (أ) و(ف).

(١٩٥) ـ ﴿ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ٱدْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ﴾: استفهامٌ بمعنى النفي؛ أي: ليست لهم صفاتُ هذه الآلات، ولهم صورُ(١) هذه الجوارح بلا صفاتٍ، ولكم الجوارح والصفات، فهي دونكم، فمحالٌ منكم عبادتُكم إياهم، وهذا تسفيهٌ لهم، وهو كقول إبراهيم لأبيه: ﴿يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا﴾ [مريم: ٤٢].

وقوله تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ﴾: أي: أصنامَكم، فإنهم جعلوها شركاءَ لله، وأضافها إليهم لادِّعائهم ذلك.

وقيل: أي: الذين شاركوكم(٢) في الكفر.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ﴾: أي: قد ذَممتُ أصنامكم، وسفَّهْتُ عقولكم وأحلامكم، فاقْصِدوني بما شئتُم من الكيد ولا تمهلونِ، فإني لا أخافكم في الله، وهذا مِن صِدْق توكُّله على الله، وهكذا كان سائرُ رسل الله؛ قال تعالى خبراً عن نوح عليه السلام: ﴿فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَا تُنظِرُونِ﴾ [يونس: ٧١]، وقال تعالى خبراً عن هود عليه السلام: ﴿ إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُم﴾ [هود: ٥٦] بعد قوله تعالى: ﴿فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ﴾ [هود: ٥٥]، وقال تعالى خبراً عن إبراهيم عليه السلام: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا﴾ [الممتحنة: ٤].

---

(١) في (ف): «صورة».

(٢) في (ف): «شاركوهم».

وقال الإمام القشيري رحمه الله: صدقُ التوكُّل على الله يوجبُ تركَ المبالاةِ بغير الله، وكيف لا يكون كذلك والمتفرِّدُ[١] بالقدرة على النفع والضرِّ والخير والشرِّ هو الله تعالى[٢].

* * *

(١٩٦) ـ ﴿إِنَّ وَلِـِّۧىَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ وَلِـِّۧىَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ﴾: يقول: كيدوني فلا تنظرون، فإنَّ ناصريْ وحافظيْ اللهُ الذي أكرمني بإنزال القرآن عليَّ.

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾: أي: يكفي مُهمَّات جميعِ الصالحين أيضاً.

وقال الإمام القشيري رحمه الله: مَن قام بحقِّ الله تولَّى الله أموره على وجه الكفاية فلم يُحْوِجْه إلى أمثاله، وأجرى أمورَه على ما يريده بأفضاله، فإنْ لم يَفعل ما يهواه جعَله راضياً بما قضاه، فيكون روح الرضاء أتمَّ له من نفع العطاء[٣].

* * *

(١٩٧) ـ ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ﴾: كرر هذا لأن الأول للتقريع والثاني للتقرير؛ أي: وليي الله الذي ينصرني ومعبودُكم لا ينصركم.

* * *

---

(١) في (ر): «والمنفرد».

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٥٩٧).

(٣) المصدر السابق.

(١٩٨) ـ ﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا۟ ۖ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا۟﴾: قيل: أي: الأصنام، وقيل: أي: عبدة الأصنام[1]، كما في قوله: ﴿لَا يَتَّبِعُوكُمْ﴾، وكذا قوله تعالى:

﴿وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾: يحتمل الوجهين، فإنْ حُمل على الأصنام فمعنى النظر: المقابلة، كما يقال: دُور بني فلانٍ تتناظر؛ أي: تتقابل.

وقيل: معناه: كأنهم ينظرون إليك وليست لهم أعينٌ باصرة.

وإن حمل على المشركين فمعناه: ينظرون[2] إلى صورتك وهم لا يبصرونك على صفاتك بحقيقتك، ولو رأوك كما أنت لآمنوا بك واتَّبعوك.

* * *

(١٩٩) ـ ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ۝١٩٩ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ﴾: أَمرَ محمداً ﷺ ـ بعد تعريف المشركين أن كيدهم لا يضرُّه ـ بمكارم الأخلاق الداعيةِ إلى الألفة والاتفاق فقال: خذ من الناس ـ أي: اقبَلْ منهم ـ ما عفا لك من أخلاقهم؛ أي: تيسَّر وسهُل، ولا تكلِّفهم الجهد، من قولك: أخذت حقي عفواً؛ أي: بسهولة.

وروي أنه سأل جبريل[3] عليهما السلام: «ما الأخذُ بالعفو؟ فقال: أعطِ مَن

---

(١) «وقيل أي عبدة الأصنام»: زيادة من (أ).

(٢) «إليك وليست لهم أعين باصرة وإن حمل على المشركين فمعناه ينظرون»: ليس في (أ) و(ف).

(٣) في (ف): «قال لجبريل» بدل: «سأل جبريل».

حرَمك، وصِلْ مَن قطَعكَ، واعفُ عمَّن ظلَمك، وأحسِنْ[١] إلى مَن أساء إليك»[٢].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ﴾؛ أي: خذ فضلَ أموال الناس، من قوله: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾ وذلك قبل فرض الزكاة[٣].

وقال الضحاك: أي: خُذ ما عفا لك من أموال الناس ولا تسألهم ما وراء ذلك، وهو قبل فرضِ الزكاة[٤]، وبعد ذلك أُمر أن يأخذ منهم طوعاً وكرهاً.

وقوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ﴾: أي: بالمعروف[٥]، وهو ما عرفه العقل والشرع، وهو كالنُّكْر بمعنى المنكَر، وقالوا: من العُرف تقوى اللهِ، وصلةُ الأرحام، وصونُ اللسان عن الكذب ونحوِه، وغضُّ البصر عن المحارم، وكفُّ الجوارح عن المآثم.

وقوله تعالى: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾: هو كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾ [الفرقان: ٦٣] ﴿وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا﴾ [الفرقان: ٧٢]، وهو تحمُّل الأذى، والعفوُ عمَّن جنَى، والحِلمُ عمَّن جفا.

---

(١) في (ف): «وتحسن».

(٢) رواه بنحوه ابن مردويه من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، كما في «الدر المنثور» (٣/ ٦٢٨). ورواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٦٤٣) من طريق سفيان بن عيينة عن رجل قد سماه، ومن طريق سفيان عن أُميٍّ الصيرفي، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦٣٨) من طريق سفيان عن أميٍّ عن الشعبي، وكل هذه مرسلات كما قال ابن كثير عند تفسير الآية، وزاد: (وقد روي له شواهد من وجوه أُخر). قلت: له شاهد من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه عند أحمد (١٧٤٥٢).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٦٤١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦٣٨).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٦٤١).

(٥) «أي: بالمعروف»: ليس في (ف)، وفي (أ): «وأمر بالمعروف».

وقال عطاء: ﴿وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ﴾[١]: بلا إله إلا الله[٢]، ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا﴾ [المرسلات: ١]؛ أي: الأنبياء أرسلوا بلا إلهَ إلا الله.

وقال مقاتل: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ يعني: أبا جهل وأصحابه، ونسخه آيةُ السيف[٣].

وقال عبد الرحمن بن زيد: لما نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ: «كيف يا رب والغضب» فنزل قوله تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾[٤].

(إما) كلمتان: (إنْ) التي هي للشرط، و(ما) التي هي صلةٌ زائدة.

والنون في ﴿يَنزَغَنَّكَ﴾ للتأكيد، والنَّزْغ: الإزعاج بالحركة إلى الشر.

وقال مقاتل: يعني: وإما يفتننَّك من الشيطان فتنةٌ[٥].

وقال عطاء: وإما يَعْرِضنَّك من الشيطان عارضٌ[٦].

ومعناه: إن اعترض لك الشيطان بإفسادِ شيء من هذه الأخلاق التي أمرتك بها ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾؛ أي: فاستعصِم[٧] به من الشيطان الرجيم يَعصِمْك ويثبِّتْك، هذا الجواب مضمرٌ في آخره.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾: أي: سميعٌ لكلامك عليمٌ بمرادك.

---

(١) في (أ): «وأمر بالمعروف».

(٢) ذكره عن عطاء الثعلبي في «تفسيره» (٤/ ٣١٨)، والبغوي في «تفسيره» (٣/ ٣١٦)، وذكره الواحدي في «البسيط» (٩/ ٥٤٤) من طريق عطاء عن ابن عباس.

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٨١)، وانظر المصادر السابقة، فقد ذكروه من تتمة قول عطاء.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٦٤٦) وهو مرسل.

(٥) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٨٢).

(٦) ذكره الواحدي في «البسيط» (٩/ ٥٤٦) من طريق عطاء عن ابن عباس.

(٧) في (ف): «فاعتصم».

(٢٠١) ـ ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ﴾ قرأ نافع وعاصم وابن عامر وحمزةُ: ﴿طَائِفٌ﴾ بالألف، والباقون: ﴿طَيْفٌ﴾ بغيرِ ألفٍ[١].

وقرأ سعيد بن جبير: (طَيِّفٌ) بتشديد[٢] الياء[٣]، وهما واحد عند بعضهم كالميْت والمائت والميِّت.

وقيل: الطيْف مصدرٌ، والطائف نعتٌ.

وقال الزجَّاج: طاف الخيال يَطيف بالياء، وطاف عليهم يطوف ـ أي: دار ـ بالواو[٤].

ومَن جعل هذا من الطَّوف الواوي قال: (طَيْفٌ) أصله: (طيِّفٌ) بالتشديد ثم خفِّف، وهو كالهَيْن والهَيِّن.

والطَّيْف والطائف: ما ألَمَّ بالإنسان من عوارضِ[٥] الشيطان.

يقول: إن المؤمنين المتقين اللهَ إذا نالهم طيفٌ من الشيطان؛ أي: وسوسةٌ بإغراء وتنفيذِ غضبٍ ﴿تَذَكَّرُوا﴾؛ أي: مواعظَ الله ﴿فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾: قيل: أبصروا قبحَ ذلك، وقيل: أي: أبصروا الرُّشدَ فسلكوا طريقَه فسلِموا من نَزْغه، وإن ارتكبوا مأثماً ثم تذكَّروا وتابوا فغفر لهم؛ أي: يا محمد فكذلك فكنْ.

وقال الإمام القشيري رحمه الله: وفيه دليلٌ أنَّ المتقين قد ينالهم ذلك، وهو في

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٣٠١)، و«التيسير» (ص: ١١٥).

(٢) في (أ) و(ف): «بتثقيل».

(٣) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٥٣)، و«البحر» (١٠/ ٤٦٣). وزاد ابن خالويه نسبتها لابن عباس.

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٣٩٦).

(٥) بعدها في (ر): «من».

حال غفلتهم عن ذكر الله تعالى، والذاكر قد يغفلُ، فلكلِّ صارمٍ نَبْوةٌ، ولكلِّ عالمٍ هفوة، ولكلِّ جوادٍ كبوة، ولكلِّ عابد غفوة[١]، ولكلِّ قاصدٍ فترة، ولكلِّ سائرٍ وقفة، ولكلِّ عارفٍ حَجْبة، قال النبي ﷺ «وإنه ليغانُ على قلبي»[٢]، وقال النبيُّ ﷺ «إن الحِدَّة لتعترِي خيارَ أمَّتي»[٣]؛ أي: قد يعتريهم ذلك مع علوِّ رتبتهم فيُخرجهم عن دوام الحِلْم[٤].

* * *

(٢٠٢) ـ ﴿ وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ وَإِخْوَانُهُمْ ﴾: أي: وإخوانُ الشيطان، وهم الغُواة.

وقوله تعالى: ﴿يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ﴾: أي: الشياطين يُديمونهم[٥] في الغي.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴾: أي: لا يَكفُّون بعدما مدَّهم الشياطينُ في غيِّهم.

أي: مَن عمِل بما يأمر[٦] به الشياطين، فإن الشياطين يزيدون في غيِّهم ويلحُّون

---

(١) في (أ): «ولكل عادم شره»، في (ر): «ولكل عايد شره»، والمثبت من (ف). وفي «اللطائف»: (ولكل عابد شدة).

(٢) رواه مسلم (٢٧٠٢) من حديث الأغر المزني رضي الله عنه.

(٣) رواه الطبراني في «الكبير» (١١٣٣٢) و(١١٤٧١)، وأبو يعلى في «مسنده» (٢٤٥٠)، وابن الجوزي في «العلل» (١٢٢٢)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما. قال ابن الجوزي: لا يصح، وفيه آفات سلام الطويل. وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ٢٦): فيه سلام بن سلم الطويل وهو متروك. ورواه ابن أبي شيبة في «مسنده» (٦١٦) من حديث أبي منصور الفارسي، وهو مختلف في صحبته، وقال البخاري: حديثه مرسل. انظر: «الإصابة» (٧/ ٣٨٨).

(٤) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٥٩٩).

(٥) في (ر): «يدعونهم»، وفي (ف): «يمدونهم».

(٦) في (ف): «ما يأمر» وفي (ر): «ما تأمره».

عليهم بالإغراء[١]، ثم لا يمسكون عن ذلك حتى يُهلكوهم، فـ﴿لَا يُقْصِرُونَ﴾ صفةُ الشياطين على هذا.

وقيل: صفةُ الغواةِ المشركين؛ أي: لا ينتهون عن الغي.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: في هذه الآيات تقديمٌ وتأخيرٌ: ﴿وَتَرَاهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ ﴿وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾ ﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا﴾ ـ أي: هلَّا اختلقتها من تلقاء نفسك ـ الآيةَ، ثم بعدها: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ﴾ الآية[٢].

***

(٢٠٣) ـ ﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِن رَّبِّي هَٰذَا بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا﴾: أي: إن الشياطين ليَمدُّونهم في الغيِّ، ومن ذلك أنهم يحملونهم على أن يطالبوك بالآيات المقترَحة، فإذا سألوك إحياءَ ميت[٣] يكلمهم ونحوَ ذلك فلم تأت[٤] به، قالوا لك: هلا اخترتَ هذا الذي سألناك وأتيتَ به وأنت رسولُ الله بزعمك، وللرسول معجزةٌ، فهلا تأتينا بالمعجزة التي نطلبها[٥] منك.

وقال الكلبي رحمه الله: أي: وإذا لم تأتِ أهلَ مكة بآية سألوكها تعنُّتاً قالوا:

---

(١) بعدها في (أ) و(ف): «من عمل».

(٢) لم أجده.

(٣) في (أ): «ميتة».

(٤) في (ف): «تأتهم».

(٥) في (ف): «طلبناها».

هلا تلقَّيتها فأتيتَنا بها من قبلِ أن نسألكها ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ مِن رَّبِّي﴾[١].

وقيل: إذا لم تأتهم بآية اقترحوها قالوا: إنما أنت تتقوَّله فهلا اختَرْتَ شيئاً تقرأه علينا من عند نفسك، وما اعتذارُك بإبطاء الوحي عنك وليس ما تأتي به وحياً؟! ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ مِن رَّبِّي﴾ ولا أَختلِقُه من عند نفسي.

وقال مجاهد: ﴿لَوْلَا ٱجْتَبَيْتَهَا﴾؛ أي: هلا ابتدَعْتَها[٢].

وقال الفرَّاء: تقول العرب: اجتَبيتُ الكلام واختلقْتُه وارتجلْتُه؛ أي: افتعلْتُه[٣].

وقوله تعالى: ﴿هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾: أي: لهذا القرآن حججٌ ظاهرةٌ يبصَرُ بها الحقُّ، وهادي إلى الطريق المستقيم، ويرحمُ الله مَن عمل به فيدخلُهم الجنة، وهذا نفعٌ يختصُّ به المؤمنون.

* * *

(٢٠٤) - ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾: ويتصل بقوله: ﴿هَٰذَا بَصَآئِرُ﴾ يعني: القرآن.

وقال الكلبي: كانوا يرفعون أصواتهم حين يسمعون ذكرَ الجنة والنار، فنزلت هذه الآية[٤].

---

(١) انظر: «الوسيط» (٢/ ٤٣٩)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٣١٨).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦٤٤)، وبنحوه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٦٥٥).

(٣) انظر: «تفسير الطبري» (١٠/ ٦٥٦)، و«تفسير الثعلبي» (٤/ ٣٢٠)، و«البسيط» (٩/ ٥٥٩)، و«زاد المسير» (٣/ ٣١٢)، و«البحر المحيط» (١٠/ ٤٦٨)، وكلمة: «افتعلته» تحرفت في النسخ إلى: «اقتلعته»، والتصويب من المصادر. وانظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٤٠٢)، ولفظه: ﴿لَوْلَا ٱجْتَبَيْتَهَا﴾: هلا افتعلتها، وهو من كلام العرب جائز أن يُقال: اختار الشيء، وهذا اختياره.

(٤) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٩٧٨)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٤/ ٣٢١)، والواحدي في =

وقال قتادة: كان الرجل يأتي وهم في الصلاة فيسلِّم ويسألهم: كم صلَّيتم؟ وكم بقي؟ فنزلت هذه الآية(١).

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: كان المسلمون يتكلمون في الصلاة، فحرم الكلام في الصلاة بهذه الآية(٢).

وقال ابن مسعود وسعيد بن جبير وعطاء ومجاهد وعمرو بن دينار وزيد بن أسلم والقاسم بن مخيمرة: هذا في الخطبة(٣).

وقال مجاهد: في الخطبة والصلاة(٤).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبيَّ ﷺ قرأ في المكتوبة وقرأ أصحابه خلفه، فنزلت هذه الآية(٥).

وكذلك رُوي عن أبي العالية وعلباءَ بن أحمرَ(٦)، وهو نصٌّ على أنه لا قراءةَ على المقتدي، وأن قراءة الإمام قراءةٌ له.

* * *

= «البسيط» (٩/). ووقع بعدها في (ر): «وقال ابن عباس رضي الله عنهما»، ولا وجه لها.

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٩٧٧)، والطبري في «تفسيره» (١٠/ ٦٦٢).

(٢) لم أجده عن ابن عباس بهذا اللفظ، ورواه بنحوه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٨٣٨٠)، والطبري في «تفسيره» (١٠/ ٦٥٩)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) ذكره عنهم ـ عدا ابن مسعود ـ الواحدي في «البسيط» (٩/ ٥٦٥)، والقرطبي في «تفسيره» (٩/ ٤٣١)، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٦٦٤) عن مجاهد.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٦٦٤ ـ ٦٦٦) عن مجاهد وسعيد بن جبير وعطاء.

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٦٦٤).

(٦) ذكره عنهما الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (٥/ ١٢٧). وقوله: «علباء بن أحمر» تحرف في (أ) و(ف) إلى: «علي بن أحمر»، وفي (ر) إلى: «علي بن أحمد».

(٢٠٥) ـ ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعٗا وَخِيفَةٗ وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعٗا وَخِيفَةٗ وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ﴾: قال ابن عباس رضي الله عنهما: عنَى بالذكر القراءةَ في الصلاة، ﴿تَضَرُّعٗا﴾: جهراً باللسان ﴿وَخِيفَةٗ﴾[1]: سرًّا في القلب ﴿وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ﴾؛ أي: لا جهراً مفرطاً[2].

وقوله تعالى: ﴿بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ﴾: أي: العشيات، وهي جمع أصيل، وهي ما بين العصر والمغرب؛ كاليمين والأيمان.

وقيل: الأصيل واحدٌ، وجمعه: الأُصُل، وجمع الأُصُل: الآصال، فهي جمعُ جمعٍ.

وقيل: الأُصُل اسم للواحد أيضاً.

وقيل: التضرُّعُ: الاستكانة، والخيفة: الخوف، والذكر: هو ذكر اللسان، والغدوُّ والآصال في حق الصلاة تخصيصٌ لهذين الوقتين بالذكر، كما في قوله تعالى: ﴿طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ﴾ [هود: ١١٤]، وسائرُها ثبتت[3] بغيرها من الآيات.

وقيل: الغدوُّ والآصال عبارةٌ عن الليل والنهار، وأراد به الذكرَ على الدوام.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ﴾ خاطبه وأراد به أمته؛ أي: لا تقتدوا بالغافلين، لكنْ بالملائكة الذين لا يغفلون، وذلك قوله تعالى:

---

(١) في (أ): «خفية».

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» (٤/ ٣٢٢). وروى عنه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٦٦٤) أنه كان يقول في هذه: ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعٗا وَخِيفَةٗ﴾: هذا في المكتوبة، وأما ما كان من قصص أو قراءة بعد ذلك فإنما هي نافلة.

(٣) في (ف): «يثبت».

(٢٠٦) ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسۡجُدُونَ ۩﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾: هم الملائكة، و﴿عِندَ﴾ بيان قربِ الكرامة دون المكان، فإن الله تعالى يتعالى[١] عن ذلك.

وقوله تعالى: ﴿لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسۡجُدُونَ﴾: أي: فكونوا أنتم كذلك.

وقال الإمام القشيري رحمه الله: أثبت لهم عنديَّةَ الكرامة، وحفظ عليهم أحكامَ العبودية؛ لئلا ينفكَّ حالُ جمعهم عن نعتِ تفرقتهم، هذه سنَّةُ الله تعالى مع خواصِّ عباده[٢]، يلقِّنهم خصائصَ[٣] عين الجمع ويحفظُ عليهم حقائق عين التفرقة؛ لئلا يُخلُّوا بآداب العبودية في أوان وجود الحقيقة[٤].

والحمدُ لله ربِّ العالمين، حمداً لا يشوبُه ريب ولا يخالطه عيب، حمداً لا لكثرته يُؤنَف ولا لجمَّته يُستنكَف، حمداً لا يحصَى عددُه ولا ينتهِي أمدُه، حمداً لا يَضجر عنه الجَلَد ولا يَفتُرُ عنه كلُّ أحد، وصلى الله على سيدنا محمد وآلِهِ وصحبه أجمعين[٥].

* * *

---

(١) في (ف): «نزه».

(٢) في (ف): «عباد الله».

(٣) في «اللطائف»: «يلقاهم بخصائص».

(٤) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٦٠١).

(٥) من قوله: «حمداً لا يشوبه ريب...» إلى قوله: «ولا يَفتُرُ عنه كلُّ أحد» من (أ) و(ف). وقوله: «وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين» من (ر).

سُورَةُ الأَنفَالِ

سُورَةُ الأَنفَالِ

بسم الله الذي مِن عنده النصرُ وهو العزيز الحكيم، الرحمنُ الذي لم يعاجلْ بالعقوبة للقائلين: ﴿فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال: ٣٢]، الرحيمُ الذي وعد الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا بالمغفرة والرزق الكريم.

وسورة الأنفال مدنية، وقيل: إلا آيةً، وهي قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ الآية [الأنفال: ٣٠].

وقيل: غيرَ قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ٦٤] فإنها نزلت بالبيداء في غزوة بدر قبل القتال.

وهي خمسٌ وسبعون آية، وقيل: ستٌّ وسبعون آية، وقيل: سبع وسبعون آية، والاختلاف في ثلاثة مواضع: ﴿ثُمَّ يُغْلَبُونَ﴾ [الأنفال: ٣٦]، ﴿كَانَ مَفْعُولًا﴾ [الأنفال: ٤٢]، ﴿بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ٦٢].

وكلماتُها ألفٌ ومئتان وأربعٌ وثلاثون، وحروفُها خمسةُ آلاف ومئتان وأحدٌ وتسعون[١].

وروى أبي بن كعب رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «مَن قرأ سورة

---

(١) في (ف): «وسبعون».

الأنفال وبراءةَ فأنا شفيعُه يوم القيامة، شاهدٌ أنه بريء من النفاق، وأعطي عشرَ حسنات بعددِ كلِّ منافقٍ ومنافقةٍ، وكان العرش وحملةُ العرش يستغفرون له أيامَ حياته»[(١)].

وذُكر في «تفسير عبد بن حميد» مسنداً عن أبي أمامةَ الباهليِّ رضي الله عنه قال: سألتُ عبادة بنَ الصامت رضي الله عنه عن سورة الأنفال، قال: فينا نزلت معشر أصحاب بدرٍ حين اختلفنا في الأنفال وساءت فيه أخلاقُنا، فانتزعها الله من أيدينا فجعلها إلى رسول الله ﷺ بما أَنزل من قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ فقسَمها على السَّواء[(٢)].

ثم انتظامُ أولِ هذه السورة بآخر تلك السورة: أن الله تعالى ختم تلك السورةَ بذكر عظماءِ السماء، وهم الملائكةُ الذين وصفَهم الله تعالى بأنهم ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٦]، وافتتح هذه السورة بذكر عظماءِ الأرض، وهم المؤمنون ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢].

ووجهٌ آخر: أنه ذكر في ختمِ تلك السورة الخيفةَ وفي افتتاحِ هذه السورة الوجلةَ، وهما واحد[(٣)].

---

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (١٣/ ٨)، وهو قطعة من الحديث الموضوع في فضائل السور، وقد تقدم الكلام عليه مراراً.

(٢) رواه عبد بن حميد كما في «الدر المنثور» (٤/ ٥)، والإمام أحمد في «المسند» (٢٢٧٤٧)، والحاكم في «المستدرك» (٣٢٥٩) وقال: صحيح على شرط مسلم.

(٣) من قوله: «ووجه آخر...» إلى هنا ليس في (أ) و(ف).

ووجهٌ آخر: ذكر هناك الاستماعَ للقرآن والإنصاتَ، وذكر هنا ما زاد في يقين المؤمنين إذا تُليت عليهم تلك الآياتُ.

ووجـهٌ آخَرُ: أنه ذكر هنـاك: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ﴾ [الأعـراف: ٢٠١] وذكر هاهنا: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾.

وانتظام هذه السورة بتلك السورة: أن سورة الأعراف في بيان نصر المؤمنين ونجاتهم، وإهلاكِ الكافرين وعقوباتهم في أزمنةِ سائرِ المرسَلين، وهذه السورة في نصر[1] المؤمنين ونجاتهم[2] وإهلاكِ الكافرين في زمنِ خاتم النبيين، وما وقع ببدرٍ بصناديد المشركين.

* * *

---

(١) في (ف): «نصرة».

(٢) «ونجاتهم»: ليست في (أ) و(ف).

سورة الأنفال

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) ـ ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ﴾: قيل: هو سؤال الاستفتاء.

وقيل: هو سؤال الاستعطاء.

والأنفال: جمع نَفَلٍ، وهو الغنيمةُ، وأصله: الزيادة، ومنه: نوافل العبادات، ونوافل الولادات، والنَّفْل بالسكون: التطوُّع.

وقيل: الأنفالُ هاهنا: ما كان ينفِّلُه رسولُ الله ﷺ بعضَ الغُزاة على الخصوص من سَلَب المقتول ونحوِه.

وقوله تعالى: ﴿عَنِ ٱلْأَنفَالِ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾: أي: يسألُك أصحابُك يا محمدُ عن الغنائم التي غنِمْتَها أنت وأصحابُك يوم بدرٍ: لمن هي؟ قل: لله ولرسوله؛ أي: جعَل الله الأمرَ فيه إلى الله ورسوله[1]، لا حقَّ لأحد منكم في شيءٍ منها إلا بإعطاء الرسول، وله البدل والحرمان والزيادة والنقصان، روى عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما كان يومُ بدر قال النبيُّ ﷺ: «مَن صنَع كذا فله كذا»

---

(١) في (أ): «إلى ما يريد رسوله»، وفي (ر): «إلى ما يراه رسوله».

فتسارع في ذلك الشبَّان وبقيتِ الشيوخ تحت الرايات، فلما فتح الله تعالى وكانت الغنائم ثَم[(١)] جاؤوا يطلبون ما جُعل لهم، فقالت الشيوخ: لا تَذهبوا بها دوننا، فقد كنَّا ردءاً لكم، فتنازعوا فنزلت الآية[(٢)].

وقال أبو أمامة الباهلي: سألتُ عبادةَ بن الصامت عن الأنفال فقال: فينا نزلت، حين اختلفنا في النفل وساءت فيه[(٣)] أخلاقنا، فنزعه الله من أيدينا وجعله إلى رسوله، فقسمه رسول الله ﷺ بين المؤمنين، فكان في ذلك تقوى الله وطاعةُ رسوله وصلاحُ[(٤)] ذاتِ البين[(٥)].

وقال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: نزلت فيَّ هذه الآيةُ، وذلك أنِّي أتيتُ رسولَ الله ﷺ بسيفٍ فقلتُ: يا رسول الله، هذا السيفُ قد شفَى الله به من المشركين، وإني أصبتُه فأعجبني فهبه لي، فقال: «ليس هذا لي ولا لك» فقلتُ: عسى أن يعطيه مَن لم يَبْلُ بلائي، فإذا رسول الله ﷺ خلفي فقلت: يا رسول الله إني أخاف أن يكون نزل فيَّ شيء، فقال: «إنَّ السيف قد صار لي [فهو لك]»، ونزل: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ﴾ الآية[(٦)].

وروى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهم قال: نزلت هذه الآية

---

(١) «ثم»: زيادة من (أ).

(٢) رواه أبو داود (٢٧٣٧)، والنسائي في «الكبرى» (١١١٣٣)، والطبري في «تفسيره» (١١/ ١٣)، وانظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ٢٣١).

(٣) في (ر): «به».

(٤) في (ر): «وإصلاح».

(٥) تقدم قريباً.

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ١٥) وما بين معكوفتين منه، وبنحوه الإمام أحمد في «المسند» (١٥٥٦)، وأصل الحديث عند مسلم (١٧٤٨).

أولاً فصارت الأنفال لرسول الله، ثم نزلت ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ﴾ فقسم الله تعالى ذلك الخمس لرسوله ولمن سمِّي في الآية[1].

وروى أبو صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبيَّ عليه السلام قال وهو يحرض الناس على القتال: «إن الله تعالى وعدني أن يَفتح لي بدراً وأن يُغْنمكم عسكرهم، فمَن قتل قتيلاً فله كذا من غنائمهم» فلما تواقَعوا أوقع الله في قلوب المشركين الرعبَ وانهزموا، وتبعهم سَرَعان[2] القوم، فأسروا سبعين وقتلوا سبعين، وغنموا العسكر وما فيه، وأقام وجوهُ الناس في مصافِّ رسول الله عليه السلام معه، فلم يشذَّ منهم أحدٌ، ثم قام أبو اليَسَر كعب بن عمرو الأنصاريُّ أخو بني سلمة فقال: يا رسول الله! إنك قد وعدتَ مَن قتل قتيلاً فله كذا، ومَن أَسر أسيراً فله كذا، وإنَّا قد قتلنا سبعين وأسرنا سبعين، فقام سعد بن معاذ فقال: والله ما منعنا أن نطلب ما طلب هؤلاء زهادةٌ في الآخرة ولا جبنٌ عن العدوِّ، ولكن كرهنا أن نُعْريَ مصافَّك فيعطفَ عليك خيلٌ من خيلِ المشركين فيصيبوك، فأعرض عنهما رسول الله عليه السلام، ثم قال[3] أبو اليَسَر بمثلِ مقالته وقام سعدٌ بمثل كلامه، وقال: يا رسول الله! إن الناس كثيرٌ، وإن الغنيمة والقتلى دون ذلك، وإن تعطِ هؤلاء الذين ذكرتَ لا يبقى لأصحابك كثيرُ شيء، فنزلت الآية، فقالوا: سمعاً وطاعة يا رسول الله، فرجع القوم وليس لهم من الغنيمة شيء، ثم نزل: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم﴾ الآية[4].

---

(١) رواه عبد الرزاق في «المصنف» (٩٤٨٣)، وأبو عبيد في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٣٤٢)، والطبري في «تفسيره» (٩/ ١٧٥).

(٢) في (ف): «فرسان». وسرعان الناس: أوائلهم المستبقون إلى الأمر. انظر: «القاموس» (مادة: سرع).

(٣) في (ف): «قام».

(٤) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٩٨٨) من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، وذكره ابن أبي زمنين في «تفسيره» (٢/ ١٦٤) عن الكلبي، والثعلبي في «تفسيره» (٤/ ٣٢٤) عن ابن عباس، =

فقوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ﴾ ظاهرُه سؤالُ الاستفتاء، وهو السؤال عن الحُكم، وظهر ذلك بجوابه وإن كان السؤال مطلَقاً كما في قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ﴾ [البقرة: ٢٢٢] ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ﴾ [البقرة: ٢٢٠]، وهذه الأحاديث تدلُّ على أنه سؤالُ الاستعطاء، وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه: (يسألونك الأنفالَ)[١] وهذا ظاهر.

وأما قراءة الجمهور: ﴿عَنِ ٱلْأَنفَالِ﴾ فلا يقتضي إلا سؤالَ الاستفتاء، إلا أن يُجعل ﴿عَنِ﴾ بمعنى: مِن، ويكونَ للتبعيضِ، وحروف الصِّلات تتناوب.

أو يقال: كانوا يستَعْطون أولاً، ثم لمَّا تأخَّر الإعطاء استفتَوه حكمَها ومَصْرِفها، وقد روِّينا عن ابن عباس رضي الله عنهما ـ وهو مرويٌّ عن مجاهد وعكرمة ـ: أن الآية نسخت بقوله: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ﴾ الآية[٢]، فكان في هذه الآية جَعْلُ كلِّها له، وفي الثانية صارت لأهل السُّهمان والغُزاة.

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: هي ثابتة لم تنسخ، وإنما معناها: قل الأنفال لله تعالى، ولا شكَّ أنها لله مع الدنيا وما فيها والآخرة، [و]هي لرسول الله ﷺ يضعها في مواضعها التي أمر الله تعالى بوضعها فيها[٣]، وبيَّن ذلك في الآية الثانية:

= وفي رواية عبد الرزاق بعض اختصار. وعلى كلٍّ فالكلبي متروك.

(١) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٥٤)، و«المحتسب» (١/ ٢٧٢). ووقع في النسخ: «يسألونك عن الأنفال»، وهو خطأ ظاهر.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٢١ ـ ٢٢) عن مجاهد وعكرمة والسدي، وذكره عنهم الواحدي في «البسيط» (١٠/ ١٣) ثم قال: وهذا قول ابن عباس في رواية الوالبي عنه. وذكره عن ابن عباس أيضا الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (٥/ ١٤٢).

(٣) انظر: «تفسير الطبري» (١١/ ٢٢)، و«تفسير الثعلبي» (٤/ ٣٢٦)، و«البسيط» (١٠/ ١٤). وما بين معكوفتين مستفاد من هذه المصادر.

أن لله تعالى خمسه ولأهل السهمان، وأربعة أخماسه للغزاة من الرجَّالة والفرسان.

وقيل: قوله: ﴿لِلَّهِ﴾ هذا للتيمُّن بذكر الله تعالى وتعظيمِ حالِ رسول الله، والحاصل أنها لرسول الله ﷺ يحكم فيها بأمر الله.

قوله تعالى: ﴿فَاتَّقُواْ اللَّهَ﴾: أي: ولا تنازعوا ﴿وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾؛ أي: تآلفوا على الحق. و(ذات) تأنيث قولهم: ذو، ويكون نعتاً لاسمٍ مؤنَّثٍ مضمَر، كأنه قال: وأصلحوا أُلفة بينكم، وعلى هذا نظائره: كنتُ عند فلانٍ ذات ليلةٍ؛ أي: ساعة ليلة.

وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾: أي: بما تُخفيه الصدورُ، ألقت المرأة ذات بطنها؛ أي: حمل بطنها، وافعل كذا في ذات الله؛ أي: في مرضاة الله.

وقيل: (ذات) هي النَّفس، وسيمرُّ ذلك في هذه الوجوه كلِّها.

وقيل: ﴿وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾؛ أي: افعلوا فيما بينكم ما يعودُ بصلاح[1] أحوالكم.

قوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾: أي: أطيعوا الرسول فيما يأمر في الغنيمة وغيرها، فإن طاعته طاعةُ الله فإنها بأمر الله.

﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾: أي: الإيمانُ يوجب ذلك، وهو كما يقال: افعل كذا إن كنت إنساناً؛ أي: الإنسانية توجبُ ذلك فلا تخالِفْها.

وقال الإمام القشيري رحمه الله: ﴿فَاتَّقُواْ اللَّهَ﴾ ولا تطيعوا دواعيَ مُناكم، ولا تحكموا بمقتضَى هَواكم، والتقوى: إيثار رضى الحق على مراد النفس ﴿وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ بالانسلاخ عن شحِّ النفس وإيثارِ حقِّ الغير على ما لَكَ من الحظ، وتنقيةِ القلوب من الحسد والحقد[2].

---

(١) في (ف): «بإصلاح».

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٦٠٢).

(٢) ـ ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾: ولما سمعوا الآية الأولى خافوا واتَّقوا الله وأطاعوا وسلَّموا، وتركوا الأنفال، فمدحهم الله بهذه الآية.

أو يقال: لما قال: ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ وصف المؤمنين الكاملين في الصفات بهذه الآيات، فقال: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾؛ أي: خافت خوفاً شديداً تعظيماً لله تعالى وهيبة منه[١].

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾: أي: قُرئت عليهم بالأمر والنهي والحُكم، قبِلوا هذا الأمر والنهيَ والحكم، وصدَّقوا بالوعد والوعيد، وازدادوا إيماناً إلى إيمانهم بما كان قبل ذلك، وإنْ حُملت على أنهم كانوا آمنوا بها قبل ذلك وهذا على زيادة اليقين أو على الثبات على إيمانهم الكاملِ السابق، وأضاف فعل الزيادة إلى الآيات على التسبيب[٢].

قوله تعالى: ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾: أي: يعتمدون، وبه يثقون.

وقال القشيري رحمه الله: ﴿وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾؛ أي: تخرجهم شدةُ الخوف عن أوطان الغفلة، وتزعجهم عن مساكن الغَيبة، فإذا انفصلوا عن أودية التفرقة، وفاؤوا إلى مشاهد الذكر، نالوا السكون إلى الله عز وجل، فيزيدُهم ما يتلى عليهم من آياته تصديقاً على تصديق، وتحقيقاً على تحقيق، فإذا طالَعوا جلال قدرته توكَّلوا عليه فأمدَّهم برعايته في نهايتهم كما استخلصهم بعنايته في بدايتهم.

---

(١) «منه»: زيادة من (ف).

(٢) في (ف): «التسبب».

قال: وسنَّةُ الله تعالى مع أهل العرفان ترديدُهم بين كشف جلاله وبين لطف جماله، فإذا كاشفَهم بجلاله وجِلت قلوبهم، وإذا لاطفهم بنعت جماله سكنت قلوبهم، قال تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

قال: وقيل: وجلت قلوبهم لخوف فراقه، ثم تطمئنُّ أسرارهم بروح وصاله، فذكرُ الفراق يُفنيهم، وذكر الوصال يحييهم(١).

وقال السدِّي: ﴿وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ عند ذكر الوعيد، وتطمئن قلوبهم بالوعد، وهو كقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾؛ أي: بالوعيد، ﴿ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ﴾ [الزمر: ٢٣]؛ أي: بالوعد.

* * *

(٣) ـ ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾: أي: يُجْرون الصلاة على الاستقامة اللازمة فيها ويديمونها في أوقاتها.

﴿وَمِمَّا﴾ (من) للتبعيض؛ لأن الرزق منه حلالٌ وحرام، والممدوح هو الإنفاق من الحلال؛ أي: ينفقون الحلال من رزقهم في أداء الزكوات ونوافل الصَّدَقات، وفي مصالح الجهاد وسائر الطاعات.

ويحتمل: رزقناهم من سائر النعم من الأموال.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ الآيةَ، ليس ذكرُ هذه الصفات لشرط ثبوت الإيمان بإجماع الأمة أن مَن آمَن عن اعتقادٍ وإقرار على الصحة ثم مات من ساعته قبل أن يوجد منه شيءٌ من هذه الصفات فهو مؤمن، ولكن يحتمِل ثلاثة أوجهٍ صحيحة:

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٦٠٢).

إنما المؤمنون الذين حقَّقوا إيمانهم بهذه الأفعال.

والثاني: إنما المؤمنون الذين ظهر صدقهم عندكم بهذه الأفعال.

والثالث: إنما المؤمنون الذين قبلوا واعتقدوا هذه الأفعال، وهو كما قال تعالى: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ﴾ [التوبة: ٥] هو على القبول والاعتقاد[١].

***

(٤) ـ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾.

قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾: أي: إيماناً حقًّا.

وقيل: المصدِّقون إلهاً[٢] حقًّا.

وقيل: أي: حقيقة، وقيل: هو قسم، وقيل: أي: حقَّقوا أقوالهم بأفعالهم.

﴿لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ﴾: أي: درجاتٌ في الجنة.

وقيل: أي: مراتبُ في الآخرة: من إعطاء الكتب بالأيمان، وتلقِّي الملائكة بالبشارة بالجِنان، وتبييضِ الوجوه بالفضل والإحسان[٣].

قوله تعالى: ﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾: سترٌ للذنوب[٤] فلا يُفتضحون.

﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾: أي: جليلُ القَدْر في الجنة، لا يَفنى ولا يَنتقِص، ولا يتكدَّر ولا يتنغَّص.

---

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٥/ ١٥٢ ـ ١٥٤).

(٢) في (أ): «لها».

(٣) في (أ) و(ر): «وتبييضِ الوجوه وسائرِ وجوه الفضل والإحسان».

(٤) في (ف): «أستر الذنوب».

وقال الحسين بن الفضل رحمه الله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ الذين فعلوا هذه الأفعال ﴿هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ لا الذين يقولون بألسنتهم: آمنَّا، وقلوبهم منطويةٌ على خلافه، لا يقيمون صلاةً ولا يؤدُّون زكاة.

وقال ابن أبي نجيح[1]: سأل رجلٌ الحسنَ: أمؤمنٌ أنت؟ فقال: إنْ كنتَ تسألُني عن الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والجنة والنار والبعث والحساب فأنا بها مؤمن، وإنْ كنتَ تسألُني عن قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ فما أدري أنا منهم أم لا.

وقال الإمام القشيري رحمه الله: ﴿دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ على حسبِ ما أهَّلهم له من الرتب، فبسابق قسمتِه لهم استوجبوها، ثم بصادق خدمتهم ـ حيث وفَّقهم لها ـ بلغوها، ﴿وَ﴾ لهم ﴿مغفرةٌ﴾: سترٌ لمسيئهم في المآل ولأكابرهم في الحال، فيَستر مثالب العاصين غداً فلا يفضحهم لئلا يُحجبوا عن مأمول أفضالهم، ويستر مناقب العارفين عليهم في الحال لئلا يُعجبوا بأحوالهم، وشتانَ بين السترين.

وأما الرزق الكريم: فما يعطيه اليومَ من حيث لا يُحتسب، وفي الجنة لا يقدرُ[2] ما يكتسب.

وقيل: ما لا ينقص بإجرامهم[3].

وقيل: ما لا يشغلهم به عن شهود الرازق[4].

---

(١) قوله: «ابن أبي نجيح» كذا نقله المؤلف عن الثعلبي في «تفسيره» (٤/ ٣٢٨) وهو عبد الله بن أبي نجيح من رجال «التهذيب»، ورواه البيهقي في «الشعب» (٧٦) وفيه: تمام بن نجيح، وهو من رجال «التهذيب» أيضاً.

(٢) في (أ): «بقدر»، وليست هذه العبارة في «اللطائف».

(٣) في النسخ: «ما لا ينقصه بإجرامهم»، والمثبت من «اللطائف».

(٤) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٦٠٣).

(٥) ـ ﴿كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيۡتِكَ بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيۡتِكَ بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ﴾:

قال الإمام أبو منصور رحمه الله: لم يخرج لهذا الكلام جوابٌ في الظاهر؛ لأن جوابه أن يقول: كما أخرجك ربك من بيتك بالحق يفعل[1] بك كذا، ثم أهلُ التأويل اختلفوا في جوابه:

قال بعضهم: هو صلةُ قوله تعالى: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَنفَالِ﴾؛ أي: يجادلونك في الأنفال كما جادلوك إذ أخرجك ربُّك من بيتك، فإنه قال: ﴿وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ۝٥ يُجَٰدِلُونَكَ فِي ٱلۡحَقِّ﴾.

قال: ومنهم من يقول: جوابه في أمره بالقتال، يقول: كما أخرجك ربك من بيتك وهم كارهون، كذلك يكلِّفك القتال وهم كارهون لذلك.

قال: ومنهم مَن يقول: جوابه في قوله: ﴿إِذۡ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ﴾ إلى قوله: ﴿وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلۡأَقۡدَامَ﴾ كما أجبتُم الله تعالى في الخروج للقتال على غيرِ تدبيرٍ منكم في ذلك ولا نظَر، فعلى ذلك يُجيبكم في النعاس أمنةً منه، وإنزالِ الماء من السماء والتطهيرِ به، وتثبيتِ[2] الأقدام، على غير علم منكم ولا تدبير.

قال: ومنهم مَن يقول: كما أخرجك ربك من بيتك غير متأهِّبين ولا مستعدِّين للقتال، كذلك يَعِدُكم النصرَ والظفر[3].

---

(١) في (ف): «فعل».

(٢) في (أ): «ويثبت».

(٣) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٥/ ١٥٥ ـ ١٥٦).

وقال غيره: أي: كما أخرجك ربك من بيتك بالمدينة إلى الروحاء، فاذهب[١] من الروحاء إلى بدر.

وقيل: إنه نزع الأفعالَ من أيديهم بالحق كما أخرجك ربُّك من بيتك بالحق.

وقيل: أي: ما بينّاه لك حق كما أن إخراجك من بيتك كان بالحق.

وقوله: ﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ﴾ ولم يقل: كما خرجتَ، ولا: خرجوا؛ لأن الحامل لهم على الخروج إلى الروحاء طوعاً وطبعاً هو وعدُ الله لهم إحدى الطائفتين أنها لهم، ولم يكن عندهم أنهم يحتاجون إلى القتال، فكان ذلك إخراجاً لهم.

قوله: ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ قال الإمام أبو منصور: يحتمِل: بالحق الذي للهِ عليهم من الأمر بالخروج والقتال، ويحتمِل: بالوعد الذي وعَد من النصر والظفر.

وقيل: ﴿بِٱلْحَقِّ﴾؛ أي: بالقرآن؛ أي: بالأمر في القرآن.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ﴾ قال الإمام أبو منصور رحمه الله: يحتمِل: فريقاً من المؤمنين في الظاهر وهم المنافقون كرهوا ذلك اعتقاداً، كما قال في صفتهم: ﴿وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ﴾ [التوبة: ٥٤]، ويحتمِل أن يكون من المؤمنين في الحقيقة، ويكون هذا كراهيةَ طبعٍ لأنهم أُمروا به وهم غيرُ متأهِّبين له، وهو كقوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦][٢].

* * *

(٦) ـ ﴿يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ﴾: قيل: أي: في القتال، وقيل: أي: في الحق الذي وجب عليهم من ذلك.

---

(١) بعدها في (ف): «به».

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٥/ ١٥٦).

وقيل: يعني[١]: في الوعد الذي وعدهم الله تعالى من الظفر والغنيمة.

وقال ابن عباس ومحمد بن إسحاق: إنما جادَلوه طلباً للرخصة في الانصراف، لا ردًّا لأمر الله تعالى[٢].

قوله تعالى: ﴿بَعۡدَ مَا تَبَيَّنَ﴾: أي: ظهر بقول النبي عليه السلام، وقولُه كان بأمر الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلۡمَوۡتِ وَهُمۡ يَنظُرُونَ﴾: وهذا كان من بعضهم، فأما أكثرهم فكانوا في أشدِّ رغبة فيه[٣].

رُوي أن سعد بن خيثمة وأباه تنازَعَا في الخروج إلى القتال، وكلٌّ واحدٍ منهما يقول: أنا أخرج[٤] وتتخلَّف أنت، فقال سعد: لو كان غيرَ الجنة لآثَرْتُك، إني لأرجو الشهادةَ في وجهي هذا، فقال خيثمة: آثِرْني به فأقِمْ، فأبى سعد، فقال خيثمة: إنه لا بد لأحدنا من أن يقيم، فاستَهَما فخرج سهم سعد، فنهض فاستُشْهد[٥].

وفي تأويل الآية وجهٌ آخرُ: ﴿كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيۡتِكَ بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ﴾ فكان خيراً لهم، فكذلك فأصلِحوا ذات بينِكم ولا تنازَعوا في الأنفال،

---

(١) «يعني»: من (ف).

(٢) رواه عنهما بنحوه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٣٧).

(٣) في هذا الكلام نظر، فإن نسبة الأمر للجميع إما أن يكون تعبيراً عن موقف الأكثر، أو أن البعض فعله والباقي وافقهم، أما أن ينسب فعل البعض للجميع والأكثرون منهم راغبون عنه غير راضين به فلا يقبل أن يفسر به كلام الله سبحانه، وما سيأتي من القصة لا يعبر بالضرورة عن موقف الأكثرين.

(٤) من قوله «فصارت الأنفال لرسول الله» إلى هاهنا من (أ) و(ف).

(٥) رواه سعيد بن منصور في «سننه» (٢٥٥٨)، والحاكم في «المستدرك» (٤٨٦٦).

وإن كرهتُم ذلك فهو خير لكم، قال تعالى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ﴾ قاله عكرمة[١].

وقيل: هذا أمر من الله تعالى لرسوله أن يمضي لأمره في الغنائم على كُرهٍ من أصحابه كما مضى لأمره في خروجه من بيته لطلب العير وهم كارهون.

وقيل: الكاف بمعنى: على؛ أي: امضِ على ما أخرجك ربُّك من بيتك، كما تقول: كن كما أنت؛ أي: اثبت على حالك.

قال الواقدي: كانت وقعة بدر يوم الجمعة السابعَ عشر من شهر رمضان على رأسِ تسعةَ عشر شهراً من الهجرة[٢]، وكانت عيرُ قريش ترجع من الشام، وندب رسول الله ﷺ المسلمين وقال: «هذه عير قريش فيها أموالُهم، لعل الله يُغنِمُكموها فأسرعوا»[٣].

قال مقاتل: كان فيهم أبو سفيان بن حرب، وعمرو بن العاص، وعمرو بن هشام، ومَخْرَمةُ بن نوفلٍ الزُّهريُّ، في أربعين راكباً[٤].

فأخبر جبريل عليه السلام النبيَّ ﷺ بأمر العير، فندب النبيُّ ﷺ أصحابه فساروا، وبلغهم أن النبيَّ ﷺ يريدهم فبعثوا ضمضمَ بن عمرو الغِفاريَّ إلى مكة مستغيثاً، فخرجت قريش، وأخبر جبريل النبيَّ ﷺ بذلك، فقال لأصحابه: «إن الله يعدُكم إحدى

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٣٣).

(٢) انظر: «مغازي الواقدي» (١/ ٢)، ورواه ابن إسحاق كما في «السيرة النبوية» لابن هشام (١/ ٢٤٠) عن أبي جعفر محمد بن علي.

(٣) انظر: «مغازي الواقدي» (١/ ٢٠)، وفيه: «... لعل الله يغنمكموها» فأسرع مَن أسرع... إلخ.

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ١١٦).

الطائفتين: إمَّا العيرُ، وإما فتحُ بدر، فما ترون؟» فأشاروا إليه بالعير[١]، وكرهوا القتال وقالوا: إنَّا لم نتَّخذ أُهبةً للقتال، إنما ندَبْتَنا إلى العير، فأعاد المشورة فأشاروا بالعير، فقال سعد بن عبادة[٢]: يا رسول الله، انظر في أمرك فامضِ له، فوالله لو سرت إلى عدنِ أبينَ[٣] ما تخلَّف عنك رجلٌ من الأنصار، ففرح رسول الله ﷺ بذلك.

وقال المقداد بن الأسود الكندي: يا رسول الله، إنَّا لا نقول لك كما قال بنو إسرائيل لموسى: ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ﴾ [المائدة: ٢٤] بل نقول: امضِ لأمرِ ربِّك فإنا بين يديك مقاتلون ما دامت منا عين تَطرف[٤]، فضحك النبيُّ ﷺ وقال له خيراً[٥].

وفي رواية: قال المقداد: فوالذي نفسك بيده لو سرتَ إلى بَرْكِ الغِماد ـ وهي مدينة بالحبشة ـ لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه، فدعا له بالخير[٦].

---

(١) في (ف): «فأشاروا بالعير»، وفي (ر): «فأشاروا إليه بل العير».

(٢) قوله: «سعد بن عبادة» كذا وقع في بعض الروايات، ومنها ما رواه مسلم (١٩٧٩) من حديث أنس رضي الله عنه، لكن قال الحافظ في «الفتح» (٧/ ٢٨٨): فيه نظر؛ لأن سعد بن عبادة لم يشهد بدراً، وإن كان يعد فيهم لكونه ممن ضرب له بسهمه...، قال: ووقع عند الطبراني أن سعد بن عبادة قال ذلك بالحديبية، وهذا أولى بالصواب.

(٣) في رواية مسلم: (إلى برك الغماد).

(٤) في (أ) و(ف): «تطرف».

(٥) رواه بنحوه البخاري (٤٦٠٩) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٦) ذكر هذه الرواية الواقدي في «المغازي» (١/ ٤٨)، وابن إسحاق كما في «السيرة النبوية» لابن هشام (١/ ٦١٥)، والقرطبي في «تفسيره» (٩/ ٤٦٢). وعندهم بدل «والذي نفسك بيده»: (والذي بعثك بالحق). وقوله: «وهي مدينة بالحبشة»، وقع مثله عند القرطبي، ولم يرد عند ابن هشام، وجاء عند الواقدي بدلاً منه: (وبَرْكُ الغِمَادِ مِن وراءِ مكة بخمسِ ليالٍ من وراءِ الساحلِ مما يَلي البحرَ، وهو على ثمانِ ليالٍ من مكة إلى اليمن).

وفي رواية الواقدي: لما استشارهم قام أبو بكر رضي الله عنه فأحسنَ، ثم قام عمر رضي الله عنه فأحسنَ، ثم قال: يا رسول الله إنها والله قريش ما ذلَّت مُذ عزَّت، ولا آمنت مُذ كفرتْ، والله لا تُسْلِمُ [عزَّها] أبداً ولتقاتلَنَّك، فتأهَّبْ أُهْبتَه وأَعِدَّ لذلك عُدَّته.

ثم قام المقداد وقال ما ذكرناه، ثم قال النبي ﷺ: «أشيروا علَيَّ أيها الناس» وإنما يريد الأنصارَ، وكان يظنُّ أن الأنصار لا تنصُره إلا في الدار، وذلك أنهم شرطوا له أن يمنعوه مما يمنعون منه أنفسَهم وأولادهم، فلما قال ذلك قام سعد بن معاذ فقال: أنا أجيب عن الأنصار، كأنك يا رسولَ الله تريدنا[١]؟ فقال: «أجل»، قال: إنك عسى أن تكون خرجتَ على أمرٍ قد أوحى الله تعالى إليك[٢]، فإنَّا قد آمنَّا بك وصدَّقناك، وشهدنا أن ما جئتنا به حقٌّ، وأعطيناك مواثيقَنا وعهودنا على السمع والطاعة، فامضِ يا نبيَّ الله لِمَا أردْتَ ونحن معك، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضْتَ هذا البحر فخُضْتَه لخُضناه معك ما بقي منا رجل، وصِلْ مَن شئتَ واقطَعْ مَن شئتَ، وخُذ من أموالنا ما شئتَ، وما أخذتَ من أموالنا أحبُّ إلينا مما تركتَ.

فلما فرغ سعدٌ قال رسول الله ﷺ: «سيروا على بركة الله، فإنَّ الله عز وجل قد وعدني إحدى الطائفتين، والله لكأنِّي أنظر إلى مصارع القوم»، وأرانا رسول الله ﷺ مصارعَهم يومئذ: هذا مصرعُ فلانٍ وهذا مصرع فلان، فما عدا كلُّ رجلٍ مصرعَه[٣].

فعلم القوم أنهم ملاقون القتال، وأن العير قد تفلَّتت، ورَجَوُا النصرَ لقول

---

(١) في (ر): «تريدهم»، والمثبت موافق لما في «المغازي».

(٢) العبارة في «المغازي»: (إنّك عَسَى أنْ تكونَ خَرَجْت عن أمرٍ قد أُوحيَ إليك في غيرِه).

(٣) رواه بنحوه مسلم (٢٨٧٣) من حديث أنس عن عمر رضي الله عنه أنه قال: إنَّ رسولَ اللهِ ﷺ، كان يُرينا مَصارِعَ أهلِ بدرٍ بالأمسِ، يقولُ: «هذا مَصْرَعُ فلانٍ غدًا، إنْ شاءَ اللهُ»، قال: فقال عمر: فوالذي بَعَثَه بالحقِّ ما أَخطَئوا الحُدودَ التي حَدَّ رسولُ الله ﷺ.

رسول الله ﷺ، ونزل رسول الله ﷺ أدنى بدرٍ عشاءَ ليلةِ الجمعة لسبعَ عَشْرةَ مَضَتْ من رمضان، فبعث عليًّا والزبيرَ وسعد بن أبي وقاص وبسبسَ بن عمرو يتجسسون[(١)] على الماء، وقال: «أرجو أن تجدوا الخبر عند هذا القليب»، فجاؤوا فوجدوا على القليب روايا قريش وفيها سُقَّاؤهم، فأَفْلَتَ عامَّتُهم، وكان فيهم عجيرٌ، وهو أولُ مَن جاء قريشاً بخبر رسول الله ﷺ وأصحابه، فنادى في العسكر: يا آل غالبٍ! هذا ابنُ أبي كبشةَ وأصحابُه قد أخذوا سُقَّاءكم، فماج العسكر.

فقال النبيُّ ﷺ للسُّقَّاء: «أين قريش؟» فقالوا: خلف هذا الكثيب الذي تَرى، قال: «كم هم؟» قالوا: بين الألف والتسع مئة[(٢)]، فقال: «مَن خرج من مكة؟» قالوا: لم يبقَ أحد إلا خرج، فأقبل النبيُّ ﷺ على الناس فقال: «هذه مكةُ قد ألقَتْ أفلاذ كبدها»[(٣)].

وكان المسلمون مع رسول الله ﷺ ثلاثَ مئةٍ وثلاثةَ عَشَر، ولهم[(٤)] سبعون بعيراً، وكان يتعاقب الإبلَ الاثنان والثلاثةُ والأربعة، فكان النبيُّ ﷺ وزيدُ بن حارثة وعليٌّ يتعاقبون بعيراً واحداً[(٥)].

وكان النبيُّ ﷺ قال حين نزل بالمنزل الأول في اليوم الثاني عشر من شهر رمضان فنظر إلى أصحابه فقال: «يا ربِّ، إنهم حفاةٌ فاحملهم، وجياعٌ فأَشْبِعهم، وعُراةٌ فاكسُهم، وعالةٌ فأَغْنِهم من فضلك»، فما رجع أحد إلا ومعه بعيرٌ وبعيران،

---

(١) في مطبوع «المغازي»: (يتحسسون).

(٢) في (ف): «بين ألف وتسعمئة».

(٣) انظر: «مغازي الواقدي» (١/ ٤٨ ـ ٥٣).

(٤) في (ف): «ومعهم».

(٥) انظر: «مغازي الواقدي» (١/ ٢٣ ـ ٢٤).

واكتسَى مَن كان عارياً، وأصابوا طعاماً من أزوادهم، وأصابوا فداء الأسارى فأُغني به كلُّ عائل(١).

وكانت عاتكة بنتُ عبد المطلب رأت قبل قدوم ضمضمِ بن عمرٍو رؤيا أفزعَتْها، فأرسلت إلى أخيها العباسِ بن عبد المطلب وقالت: يا أخي! رأيت راكباً أقبل على بعيرٍ حتى وقف بالأبطح، ثم صرخ بأعلى صوته: يا آل غُدَرَ انفِروا إلى مصارعكم، صرخ بها ثلاثاً(٢)، فاتَّبعه الناس فدخل المسجد والناس يتبعونه، إذ مَثَل به بعيره على ظهر الكعبة، فصرخ مثلَها ثلاثاً، ثم مَثَل(٣) به بعيره على أبي قُبيس فصرخ مثلها ثلاثاً، ثم أخذ صخرةً من أبي قبيسٍ فأرسلها فأقبلت تهوي حتى إذا كانت بأسفل الجبل ارفضَّت(٤) فما بقي بيت من بيوت مكة إلا دخلته منها فلذةٌ.

وكان عمرو بن العاص يقول: لقد رأيتُ أنا كلَّ هذا، ورأيت في دارنا فلذةً من الصخرة، ولقد كان فيه عبرةٌ ولكنَّ الله تعالى لم يُرِدْ أن نُسلم يومئذٍ وأخَّر إسلامنا إلى ما أراد الله.

فاغتم(٥) العباس لذلك، وخرج فلقي الوليد بن عتبة بن ربيعةَ وكان له صديقاً، فذكرها له واستكتمه، ففشا الحديث في الناس، قال: فغدوتُ أطوف بالبيت وأبو جهلٍ في رَهْطٍ من قريش يتحدَّثون برؤيا عاتكة، قال أبو جهل: يا بني عبد المطلب!

---

(١) انظر: «مغازي الواقدي» (١/ ٢٦).

(٢) في (أ): «ثلاث مرات».

(٣) في (أ) و(ف): «تمثل».

(٤) أي: تفتَّـتَتْ، ووقع في النسخ: «انقضت»، والمثبت من المصادر. انظر: «مغازي الواقدي» (١/ ٢٩)، وكذا في رواية ابن إسحاق عن ابن عباس وعروة بن الزبير كما في «السيرة النبوية» لابن هشام (١/ ٦٠٧) و«دلائل النبوة» للبيهقي (٣/ ٣٠)، ومثله في رواية عروة عند الطبراني في «الكبير» (٢٤/ ٣٤٦).

(٥) في (أ): «فأهم»، وفي (ف): «فاهتم».

أمَا رضيتُم أن يَتنبَّأ رجالكم حتى تتنبَّأ نساؤكم؟ زعمتْ عاتكةُ أنها رأت في المنام كذا، فسنتربَّص بكم ثلاثاً، فإن يكُ ما قالت حقًّا فسيكون، وإن مضت الثلاث ولم يكن نكتُب عليكم كتاباً أنكم أكذبُ أهلِ بيتٍ في العرب، فقال العباس[١]: يا مصفِّر استِهِ، أنت أولى باللوم والكذب منَّا.

فقال العباس: فغدوتُ في اليوم الثالث وأنا حديدٌ مغضَبٌ أرى أنْ قد فاتني منه أمرٌ أحبُّ أن أدركه، فوالله إني لأمشي نحوه وكان رجلاً حديدَ الوجه حديدَ اللسان حديدَ النظر، إذ خرج نحو باب بني سهم يشتدُّ، فقلتُ: ما له لعنه الله؟ أكلُّ هذا فرقاً من أنْ أشاتمَه، فإذا هو قد سمع صوت ضمضمٍ وهو يقول: يا معشر[٢] قريش، العير قد عَرَض لها محمدٌ في أصحابه، الغوثَ الغوثَ، وتجهَّزت قريشٌ فأخرجت أسلحتَها، وأعان قويُّهم ضعيفَهم وخرجوا[٣].

وأقبل أبو سفيان بالعِير، وخافوا خوفاً شديداً حين دنَوا من المدينة، واستبطؤوا ضمضماً والنفير، فلمَّا كانت الليلةُ التي يصبحون فيها على ماء بدرٍ غشيَتْهم تلك الليلةَ ظلمةٌ، وكان اللذان بعثهما رسول الله ﷺ لتجسُّس الخبر نزلا بدراً وسمعا جاريتين تقول إحداهما لصاحبتها: إنما العيرُ غداً أو بعد غد، فرجعا وأصبح أبو سفيان ببدرٍ، فرأى أبعاراً ففتَّها فإذا فيها نوًى، فقال: والله هذه علائفُ يثرب، هذه عيون محمد وأصحابِه ما أُراهم إلا قريباً، فعدَل عيرَه وسار بهم إلى مكة من طريق الساحل، وترك بدراً يساراً وانطلق سريعاً[٤].

---

(١) «العباس»: من (ف).

(٢) في (ف): «معاشر».

(٣) انظر: «مغازي الواقدي» (١/ ٢٩ ـ ٣٢)، و«السيرة النبوية» لابن هشام (١/ ٦٠٧ ـ ٦١٠)، و«المعجم الكبير» (٢٤/ ٣٤٦ ـ ٣٤٧).

(٤) انظر: «مغازي الواقدي» (١/ ٣٩ ـ ٤١).

وخرج أهل مكة، ونزلوا حيث قلنا في حديث سُؤال النبيِّ ﷺ السُّقَّاءَ، ثم قال لأصحابه: «أشيروا عليَّ في المنزل»، فقال الحُباب بن المنذر: يا رسول الله، أرأيتَ هذا المنزل، أمنزلٌ أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدَّمه أو نتأخَّر عنه، أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ فقال ﷺ: «بل هو الرأيُ والمكيدة والحرب»، قال: فإن هذا ليس بمنزلٍ، انطلق بنا إلى أدنى ماءٍ إلى القوم فإني عالمٌ بها وبقُلُبها، بها قَليبٌ قد عرفتُ عذوبةَ مائه، وماؤه كثيرٌ لا يُنزَح، ثم نبني عليه حوضاً ونقذفُ فيه الآنية، فنشرب ونقاتل ونغوِّر ما سواه من القُلُب، فنزل جبريل عليه السلام على رسول الله ﷺ وقال: الرأي ما أشار به الحباب، فقال ﷺ: «الرأيُ ما أشرتَ إليه» ونهض ﷺ وفعل ذلك.

ولمَّا تحول إلى المنزل أرسل عمار بن ياسر وابن مسعود فأطافا بالقوم، ثم رجعَا إلى النبي ﷺ فقالا: القوم مذعورون فَزِعون، إن الفرس ليريدُ أن يَصْهَل فيُضربُ وجهه، مع أن السماء تَسُحُّ عليهم، فلما أصبحوا قال منبِّه بن الحجَّاج وكان رجلاً يبصر الأثر: هذا أثرُ ابن سمية وأثر ابن أمِّ عبدٍ أعرفهما، قد جاءنا محمد بسفهائنا وسفهاء أهل يثرب.

وبُني لرسول الله ﷺ عَريشٌ من جَريدٍ، فقام سعد بن معاذ على باب العريش متوشِّحاً بالسيف، فدخل النبيُّ ﷺ العريشَ هو وأبو بكرٍ، ونزل رسول الله ﷺ بالعدوة الشامية ونزلوا بالعدوة اليمانيَة، ثم دعا رسولُ الله ﷺ ربَّه، فنزل جبريل عليه السلام [بهذه الآية]: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ الآية [الأنفال: ٩].

وعدَّل رسولُ الله ﷺ الصفوف، فتقدم سوادُ بن غَزِيَّة أمام الصفِّ، فدفع النبيُّ ﷺ في بطن سوادٍ بقدحٍ وقال: «استوِ يا سواد»، فقال: قد[١] أوجعتني، والذي بعثك بالحق نبيًّا أَقِدْني، فكشف رسول الله ﷺ بطنَه ثم قال: «استَقِدْ»، فاعتنقَه وقبَّله، فقال

---

(١) «قد»: ليس في (ف).

له: «ما حملك على ما صنعتَ؟» فقال: حضر مِن أمر الله ما ترى، فخشيتُ القتل، فأردتُ أن يكون آخرَ عهدي بك أن أعتنِقَكَ.

وقال عليٌّ رضي الله عنه: وجاءت ريحٌ لم أَرَ مثلها قطُّ شدَّةً، ثم ذهبتْ فجاءت مثلُها أخرى، ثم ثالثةٌ، فكانت الأولى جبريلَ في ألفٍ من الملائكة فكانوا مع رسول الله ﷺ، والثانيةُ ميكائيلَ في ألفٍ فكانوا في ميمنة رسول الله ﷺ وأبي بكر، والثالثةُ إسرافيلَ في ألفٍ ونزل على ميسرةِ رسول الله ﷺ، وأنا في الميسرة[1]، ولمَّا هزم الله أعداءه جعلني رسول الله ﷺ على فرسه، فخرَّت بي فلما خرَّت[2] خررْتُ على عنقها، فدعوت ربي فأمسكني حتى استويتُ، وما لي وللخيل؟! إنما كنتُ صاحب غنم، فلما استويتُ طعنتُ بيدي هذه حتى اختضب مني إبطي.

وخطب رسول الله ﷺ فحمِدَ الله وأثنى عليه وقال: «أمَّا بعدُ، فإنِّي أحثُّكم على ما حثَّكم الله عليه، وأنهاكم عما نهاكم الله عنه، فإن الله عظيمٌ شأنُه، يأمر بالحق ويحب الصدق، ويعطي على الخير أهلَه على منازلهم عنده، به يُذْكرون وبه يَتفاضلون، وإنكم قد أصبحتُم بمنزلٍ من منازل الحق، لا يَقبل الله فيه من أحد إلا ما ابتَغَى به وجهَه، وإن الصبر في مواطن البأس مما يفرِّج الله به الهمَّ، ويُنجي به من الغمّ، به تدرِكون النجاة في الآخرة، فيكم نبيُّ الله يحذِّركم ويأمركم، فاستَحْيُوا اليومَ أن يطَّلع الله على شيء من أمركم يمقتكم عليه، فإن الله يقول: ﴿لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ [غافر: ١٠]، انظروا إلى الذي أمركم به في كتابه، وأراكم في آياته، وأعزَّكم بعد ذلةٍ، فاستمسِكوا به يرضى به ربُّكم عنكم، وأَبْلوا ربَّكم في هذه المواطن أمراً تستوجِبون به الذي وعَدكم من رحمته ومغفرته، فإن وَعْدَهُ حقٌّ وقولَه

---

(١) في (ف): «وكانوا في ميسرته» بدل: «ونزل على ميسرة رسول الله ﷺ وأنا في الميسرة».

(٢) في مطبوع «المغازي»: (فجمزت بي فلما جمزت)، وفي بعض نسخه: (فجرت بي فلما جرت).

صدقٌ وعقابَه[١] شديد، وإنما أنا وأنتم باللهِ الحيِّ القيوم، إليه ألجأْنا ظهورَنا، وبه اعتصَمْنا، وعليه توكَّلنا، وإليه المصير، يغفر الله لي وللمسلمين».

ورأى رسول الله ﷺ قريشاً تصوِّب[٢] في الوادي، وكان أولُ مَن طلَع زَمْعَةَ بنَ الأسود على فرسٍ له يتبعُه ابنُه، فاستجال بفرسه يريد أن يتبوَّأ للقوم منزلاً، فقال رسول الله ﷺ: «اللهمَّ إنك أنزلتَ عليَّ الكتاب، وأمرتَني بالقتال، ووعدتَني إحدى الطائفتين، وأنت لا تُخلِف الميعاد، اللهمَّ وهذه قريش قد أقبلت بخُيَلائها وفخرها تجادِلُ وتكذِّب رسولَك، اللهم نصرَك الذي وعدْتَني، اللهم أَحِنْهم الغداة».

ولمَّا نزل القوم أرسل رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب إلى قريش فقال: ارجعوا فإنه أن[٣] يليَ هذا مني غيرُكم أحبُّ إليَّ مِن أن تَلُوه أنتم، وأَلِيَه من غيرِكم أحبُّ إليَّ من أن أليَه منكم، فقال حكيم بن حزام: قد عَرَض نَصَفاً فاقبلوه، والله لا تُنْصَرونَ عليه بعدما عرَض من النَّصَف، فقال أبو جهل لعنه الله: والله لا نرجع بعد أنْ أَمْكَنَ الله منهم، ولا[٤] نطلبُ أثراً بعد عينٍ، ولا يتعرَّض لعِيرنا بعد هذا أبداً.

فلمَّا تزاحَفَ الناس قال الأسوَدُ بن عبد الأسد المخزوميُّ[٥]: أعاهد الله لأشربنَّ من حوضهم أو لأهدمنَّه أو لأموتنَّ دونه، فشد حتى دنا من الحوض، فاستقبله حمزة ابن عبد المطَّلب فضربه فقطع قدمه، فزحف الأسود حتى وقع في الحوض وهدمه برجله الصحيحة وشرب منه، واتَّبعه حمزة فضربه في الحوض حتى قتله.

---

(١) في (ف): «وعذابه».

(٢) في (ف): «تضرب».

(٣) «أن»: من (ف).

(٤) في (ف): «والله لا».

(٥) «المخزومي»: ليست في (أ) و(ف).

والمشركون ينظرون على صفوفهم وهم يرون أنهم ظاهرون، فدنا الناس بعضهم من بعض.

وقال عكرمة: قال النبيُّ ﷺ: «إن تُطِعْ قريش صاحب الجمل الأحمر رشَدوا» يعني: عتبة؛ لأنه قال: يا معشر قريش، لا تقاتلوا هؤلاء، فإنكم إنْ فعلتُم لم يزلِ الرجلُ منكم ينظر في وجه قاتل أخيه وابنه وابن عمه، فإن[1] يكن محمد ملكاً أكلتُم في مُلك أخيكم، وإن يكن[2] نبياً كنتُم أسعد الناس به، وإن يكن كذَّاباً كفَتْكُموه العرب. فأبوا أن يطيعوه، فقال: أَنشُدُكم الله في هذه الوجوه التي كأنها المصابيحُ أن تجعلوها كأنها وجوهُ الأفاعي، فقال أبو جهل لعنه الله: لقد انتفخَ سَحْرُك[3]، فقال عتبة: يا مصفِّرَ اسْتِهِ[4]، ستعلمُ أَيَّنا الجبانُ اللئيم المفسِد لقومه، ثم قال لأخيه شيبةَ وابنِهِ الوليدِ: انزلا، فخرج عتبةُ وشيبةُ والوليد حتى فصَلوا من الصفوف، ثم دعوا للمبارزة، فخرج إليهم فتيانٌ ثلاثة من الأنصار وهم بنو عفراء: معاذٌ ومعوِّذٌ وعوفٌ، فاستحيا رسول الله ﷺ من ذلك وكرِه أن يكون أولُ قتال[5] لقي فيه المسلمون المشركين في الأنصار، وأحبَّ أن تكون الشوكة ببني عمه وقومه، فأمرهم فرجعوا إلى مصافِّهم، وقال لهم خيراً، ثم نادى منادي المشركين: يا محمد، أخرج لنا الأكفاءَ

---

(١) في (ف): «قاتل أخيه وأبيه وإن».

(٢) في (ر): «كان».

(٣) السَّحْرُ: ما تَعَلَّقَ بالحُلْقوم؛ ولهذا قيل للرجلِ إذا جَبُنَ: انْتَفَخَ سَحْرُه، كأَنَّهم أرادوا الرئةَ وما معها. انظر: «مجمع الغرائب» لعبد الغافر الفارسي (مادة: سحر).

(٤) قوله: «يا مصفر استه» قيل: رَمَاه بالأُبْنة، وأَنَّه كان يُزَعْفِرُ اسْتَه، وقيل: هي كلمةٌ تقال للمُتَنعِّم الذي لم تحنّكه التَّجاربُ، وكأَنَّه أُخِذ من الصَّفيرِ، يريد أَنَّه يُضرِّط نَفْسَه بيده، وهو كقولك: يا ضَرَّاط. انظر: «مجمع الغرائب» (مادة: صفر).

(٥) في (ر): «قتل».

من قومنا، فقال رسول الله ﷺ «قوموا يا بني هاشم فقاتلوا بحقِّكم الذي بعث الله به نبيَّكم إذ جاؤوا بباطلهم ليطفئوا نور الله» فقام حمزة بن عبد المطلب وعليُّ بن أبي طالب وعبيدةُ بن الحارثِ بنِ عبد المطلب بن عبد منافٍ، فمشَوا إليهم، فقال عتبة: تكلَّموا نَعْرفْكم، وكان عليهم البيضُ فأنكَروهم[١]، فقال حمزةُ: أنا حمزةُ بن عبد المطَّلب أسدُ الله وأسدُ رسوله، فقال عتبة: كفؤٌ كريم، وأنا أسدُ الحلفاء، مَن هذان معك؟ فقال: عليُّ بن أبي طالب وعُبيدةُ بن الحارث، فقال: كفؤان كريمان، ثم قال عتبة لابنه الوليد: قُم يا وليد، فقام الوليد وقام إليه علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكان أصغرَ النفر، فاختلَفا ضربتين فقتله عليٌّ، ثم قام عتبةُ فقام إليه حمزة فاختلفا ضربتين فقتله حمزة، ثم قام شيبة فقام إليه عبيدةُ بن الحارث وهو يومئذ أسنُّ أصحاب رسول الله ﷺ، فضرب شيبةُ رِجل عبيدة بذباب السيف فأصاب عضلةَ ساقه فقطعها، وكرَّ حمزة وعليٌّ على شيبةَ فقتلاه، واحتمَلا عبيدةَ فجاءا به إلى الصفِّ ومخُّ ساقه يسيل، فقال عبيدة: يا رسول الله، ألستُ شهيداً؟ قال: «بلى»، ونزلت فيهم هذه الآية: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ﴾ الآية.

وإن إبليس لعنه الله تصوَّر بصورة سُراقة بن جُعْشُمٍ يخبرُ المشركين أنه لا غالبَ لكم[٢] اليوم من الناس، فلما أبصر عدوُّ الله الملائكةَ نكَص على عقبيه وقال: ﴿إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ﴾ [الأنفال: ٤٨]، فتشبَّث به الحارث بن هشام وهو يَرى أنه سراقةُ لِمَا سمع من كلامه، فضرب في صدر الحارث فسقط، وانطلق إبليس لا يُرى حتى وقع في البحر، ورفع يديه وهو يقول: يا رب موعدَك الذي وعدْتَني.

فأقبل أبو جهل لعنه الله على أصحابه فحضَّهم على القتال، وقال: لا يغرنَّكم

---

(١) «فأنكروهم»: ليس من (ف).

(٢) في (ف): «لهم».

خذلانُ سراقةَ إياكم، فإنما كان على ميعادٍ من محمد وأصحابه، سيعلم إذا رجعنا إلى قومه[١] ما نصنع بقومه، ولا يهولنَّكم مقتلُ عتبةَ وشيبةَ والوليدِ فإنهم عَجِلوا وبَطِروا حين قاتلوا، وايمُ الله لا نرجعُ اليوم حتى نفرِّق محمداً وأصحابه في الجبال، فلا أُلْفِيَنَّ[٢] أحداً منكم قتلَ محمداً[٣]، ولكنْ خذوهم أخذاً حتى نعرِّفهم[٤] بالذي صنعوا بمفارقتهم دينكم ورغبتِهم عما كان يَعبد[٥] آباؤهم.

وكان فتيةٌ من قريشٍ سبعةٌ قد أسلَموا فاحتبَسهم آباؤهم، فخرجوا معهم إلى بدرٍ وهم على الارتياب، فلمَّا رأوا قلَّة أصحاب النبيِّ ﷺ قالوا: ﴿غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمۡ﴾ الآيات [الأنفال: ٤٩].

والتحم القتال ورسولُ الله ﷺ رافعٌ يديه يسألُ الله النصرَ وما وعَده، ويقول: «اللهم إنْ ظهر عليَّ هذه العصابةُ ظهر الشرك ولا يقومُ لك دِينٌ» وأبو بكر رضي الله عنه يقول: والله لينصرنَّك الله يا رسول الله، وليُبيِّضنَّ الله وجهَك، فأنزل الله تعالى ألفاً من الملائكة مردِفين.

وكان سِيْما الملائكةِ عمائمَ قد أرخَوها بين أكتافهم خضراً وحمراً وصفراً من نُورٍ، والصوفُ في نواصي خيلهم، وفي مغافرهم[٦] وقلانسهم، وكان الملَك يتصوَّر في صورةِ مَن يعرفون من الناس يثبِّتونهم ويقول: إني قد دنوتُ منهم فسمعتُهم

---

(١) في «المغازي»: (إلى قديد)، وقديد: قرية جامعة بين مكة والمدينة كثيرة المياه.

(٢) في (ف): «ألقين».

(٣) في «المغازي»: (قتل أحداً)، وهو الأنسب بالسياق.

(٤) في (ف): «خذوهم أخذاً نعذبهم».

(٥) في (ر): «عليه».

(٦) في (أ): «مفارقهم».

يقولون: لو حملوا علينا ما ثبتنا، وذلك قوله تعالى: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [الأنفال: ١٢] فأخذ رسول الله ﷺ كفًّا من الحصباء[١] فرماهم بها وقال: «شاهتِ الوجوه، اللهمَّ أرعِبْ قلوبهم وزلزِلْ أقدامهم».

فانهزم أعداء الله لا يَلْوون على شيء، والمسلمون يقتلون ويأسرون، فأقبل عاصم بن عوف كأنه ذئبٌ فقال: يا معشر قريش، عليكم بالقاطِع مفرِّق الجماعات الآتي بما لا نعرف، محمد لا نجوتُ إن نجا، واعترضه أبو دجانة فاختلفا ضربات، وضربه أبو دجانة فقتله، فوقف على سلَبه يسلبه، فمرَّ به عمر وهو على تلك الحال فقال: دَعْ سَلَبه حتى يُجهَض العدوُّ وأنا أشهدُ به لك.

ولما رأت بنو مخزوم مقتَلَ مَن قُتل أجمعوا على أن يُلبسوا لأمة أبي جهل رجلاً منهم، فألبَسوها عبد الله بن المنذر، فقصده عليٌّ فقتله وهو يراه أبا جهلٍ، فضربه فقتله وهو يقول له: خذها وأنا ابن عبد المطلب، ثم ألبَسوها أبا[٢] قيس بن الفاكه، فقصده حمزة وهو يراه أبا جهل فضربه فقتله حمزة وهو يقول له[٣]: خذها وأنا ابن عبد المطلب، ثم ألبسوها آخرَ[٤] فقصده عليٌّ فقتله، وأبو جهل في أصحابه، ثم أرادوا أن يُلبسوها آخر[٥]، فأبى أن يلبسها يومئذ.

فقال معاذ بن عمرو بن الجموح: نظرت إلى أبي جهل يومئذ في مثل الحَرَجة[٦]

---

(١) في (ر): «الحصى».

(٢) في (ف): «ألبسوها آخر وهو أبو».

(٣) في (ف): «فقال» بدل: «حمزة وهو يقول له».

(٤) في «المغازي»: (ثم ألبسوها حرملة بن عمرو).

(٥) في «المغازي»: (أن يلبسوها خالد بن الأعلم).

(٦) الحرجة: الغيضة التي تضايقت لالتفافها. انظر: «الفائق» (١/ ٢٧٣).

وهم يقولون: يا أبا الحكم لا يُخلَص إليك، فعرفتُ أنه هو، فقلتُ: والله لأموتن دونه اليوم أو لأخلصنَّ إليه، فقصدتُه حتى إذا أَمْكنَتْني منه غرةٌ حملتُ عليه فضربتُه ضربةً طرحت رجلَه من الساق، فشبَّهتها بالنواة تنزو من تحت المراضخ(١)، ثم أقبل ابنه عكرمةُ عليَّ فضربني على عاتقي فطرح يدي من العاتق إلا أنه بقيت جلدتُها، فأنا أسحب يدي بجلدة من خلفي، فلما آذَتْني وضعتُ عليها رجلي فتمطَّيت عليها حتى قطعتُها.

ورُوي أن النبي ﷺ نفَّل معاذَ بن عمرو سيفَ أبي جهل وهو عند آله اليومَ، بعد أن أرسل النبيُّ ﷺ إلى عكرمة فسأله: «مَن قتل أباك؟» قال: الذي قطعتُ يده.

ولما وضعتِ الحرب أوزارَها أمر النبيُّ ﷺ أن يُلتمس أبو جهلٍ لعنه الله، قال ابن مسعود: فوجدتُه في آخرِ رَمَقٍ، فوضعت رجلي على عنقه فقلتُ: الحمد لله الذي أخزاك، فقال: إنما أَخزى الله عبدَ بنَ أمِّ عبدٍ، لقد ارتقيتَ مُرتَقاً صعباً يا رويعيَّ الغنم، لمن الدَّبرة(٢)؟ قلت: لله ولرسوله، فاقتلعت بيضته عن قفاه فقلتُ: إني قاتلك يا أبا جهل، قال: لستَ بأول عبد قتل سيده، أمَا إن أشدَّ شيء لقيتُه اليومَ في نفسي لقتلُك إياي، فضربه عبد الله ضربة فوقع رأسه بين يديه، ثم سلبه، فنظر إلى خصره كأنها السياط، وأقبل بسلاحه ودرعه وبيضته فوضعها بين يدي رسول الله ﷺ فقال: أبشر يا نبيَّ الله بقتل عدوِّ الله أبي جهل، فقال النبيُّ ﷺ: «أحقاً يا عبد الله فوالذي نفسي بيده لهو أحبُّ إليَّ من حُمر النَّعم»، وذكرتُ ما به من الآثار فقال: «ذلك ضربُ الملائكة»، وقال: «إنه أصابه جحشٌ(٣) من دفعةٍ دفعتُه في مأدبةِ ابن جدعان

---

(١) المراضخ: جمع المرضخة، والمرضخة حجر يرضخ به النوى؛ أي يكسر. انظر: «النهاية» (مادة: رضخ).

(٢) قوله: «لمن الدبرة»؛ أَيْ: الظَّفَرُ والنَّصْرُ والدَّوْلَة، ويقال: عَلَى مَن الدَّبَرَةُ؟ أَي: الهَزِيْمَةُ. والباء من (الدَّبرة) يجوز فيها الفتح والتسكين. انظر: «مجمع الغرائب» (مادة: دبر)، و«النهاية» (مادة: دبر).

(٣) في (ف): «خمش أي خدش».

فجُحِشت[١] ركبتُه»، فالتمَسوه فوجدوا ذلك الأثرَ، فقال النبيُّ ﷺ: «اللهمَّ قد أنجزْتَ ما وعدْتَني فتمِّم عليَّ نعمتَك»، وقال: «اللهم اكفِني نوفلَ بن خُويلد».

وأقبل نوفلٌ يومئذٍ وهو مرعوبٌ قد رأى أصحابه قتلى، وكان[٢] أولَ ما التقوا يصيح بصوت له زجل: يا معشر قريش، اليومَ يومُ العلا والرِّفعة، فلما رأى قريشاً قد انكشفت جعل يصيح بالأنصار: ما حاجتُكم إلى دمائنا؟ ألَا[٣] ترون مَن تقتلون؟ أمَا لكم في اللِّين من حاجة؟ فأسره جبَّار بن صخرٍ، وكان[٤] يسوقه أمامه، وأقبل عليٌّ رضي الله عنه فقتله، فأُخبر النبيُّ ﷺ بذلك، فكبَّر وقال: «الحمد لله الذي أجاب دعوتي فيه».

وأقبل العاص بن سعيد يحثُّ للقتال، فالتقى هو وعليٌّ فقتله عليٌّ.

وقال عكاشةُ بن مِـحْصَنٍ: انقطع سيفي فأعطاني النبيُّ ﷺ عوداً، فإذا هو سيف أبيضُ، فقاتلتُ به حتى هزَم الله تعالى المشركين، فلم يزل عنده حتى مات.

وبينما حارثةُ بن سُراقةَ رضي الله عنه كارعاً في الحوض إذ أتاه سهمٌ غَرْبٌ[٥] فوقع في نحره، فلقد شرب آخر النهار من دمه، فبلغ أمَّه وأخته وهما بالمدينة مقتلُه، فقالت أمه: والله لا أبكي عليه حتى يَقدَم رسول الله ﷺ فأسأَله، فإن كان[٦] ابني في

---

(١) في (ف): «فخمشت».

(٢) في (ف): «قد رأى قتل أصحابه وهو».

(٣) في (ف): «أما».

(٤) في (ف): «وجعل».

(٥) «سهم غرب»: هو الذي لا يعرف راميه، قال ابن الأثير: يقال: (سَهْم غَرب) بفتحِ الرَّاءِ وسكونها، وبالإضافةِ وغيرِ الإضافةِ. وقيل: هو بالسُّكونِ إذا أَتَاهُ من حيث لا يدري، وبالفتح إذا رماه فأصابَ غيرَه. انظر: «النهاية» (مادة: غرب).

(٦) في (ف): «يكن».

الجنة لم أبكِ عليه، وإن كان في النار بكيتُ عليه[١]، فلما قدم رسول الله ﷺ جاءت وسألت فقالت: يا رسول الله، قد عرفتَ موقع[٢] حارثة من قلبي[٣]، فأردتُ أن أبكيَ عليه ثم قلتُ: لا أفعل حتى أسأل رسول الله ﷺ، فإن كان في الجنة لم أَبْكِ عليه، وإن كان في النار بكيتُه، فقال ﷺ: «أوَجنَّةٌ واحدة، إنها جنانٌ كثيرة، والذي نفسي بيده إنه لفي الفردوس الأعلى»[٤]، فقالت: لا أبكي عليه أبداً، ودعا رسول الله ﷺ بإناءٍ من[٥] ماء، فغمس يده فيه ومضمض فاه، ثم ناول أمَّ حارثة[٦] وأختَه فشربتا منه[٧]، ثم أمرهما أن ينضحا في جيوبهما ففعلتا، فرجعتا وما بالمدينة امرأتان أقرَّ عيناً ولا أسرَّ منهما.

ولما جُمعت الغنائم اختلفوا فيها على ما مرَّ في أول السورة، ونزل ما قلنا، وأخذ عليٌّ رضي الله عنه درعَ الوليد ومِغْفرَه، وأخذ حمزة رضي الله عنه سلاح عتبةَ، وأخذ عبيدةُ بن الحارث رضي الله عنه درعَ شيبة بنِ ربيعة حتى دُفعت إلى ورثته.

وكانت في الغنائم إبلٌ وأنطاعٌ وثياب فقسَّمها بينهم، فجعل يصيب[٨] الرجل البعيرَ ورحلَه معه، وآخرَ بعيران، وآخر أنطاعٌ، وكانت السُّهمان ثلاثَ مئة وسبعةَ

---

(١) في (ف): «بكيته».

(٢) في (ف): «موضع».

(٣) في (ف): «مني».

(٤) رواه بنحوه البخاري (٢٨٠٩) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٥) في (ف): «فيه».

(٦) في (ر): «أمه».

(٧) بعدها في (أ) و(ف): «ثم ناول ابنتها فشربت»، وفيها تكرار، وعبارة «المغازي»: (ثُم ناولَ أمَّ حارثةَ فشرِبَت، ثم ناولَت ابنتَها فشرِبَتْ).

(٨) في النسخ «نصيب»، والمثبت من «المغازي».

عشر سهماً، والرجالُ ثلاثَ مئة وثلاثةَ عشر رجلاً، والخيلُ فرَسان، للراجل سهم وللفارس سهمان.

وكانت إبل الغنيمة[١] مئةً وخمسين بعيراً، وأدَمٌ كثيرٌ حملوه للتجارة فغنِموها، وكان فيما أصابوا قطيفةً حمراءَ، ففقدوها فقالوا: لعل رسول الله ﷺ أخذها، فنزل: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ ﴾ الآية.

وكان غَنِم رسول الله ﷺ جملَ أبي جهل، فلم يزَلْ عنده يَضرب في إبله ويغزو عليه حتى ساقه في هدي الحديبية، فسأله يومئذ المشركون الجملَ بمئة بعير، فقال: «لولا أنا[٢] سمَّيناه في الهدي لفعلْنا».

وأخذ أيضاً ذا الفَقَار صَفيًّا لنفسه، وكان لـمُنبِّه بن الحجَّاج.

ولما أُسر سهيل بن عمرو قال عمر: يا رسول الله، انزِعْ ثنيتيه[٣] فلا يقومَ عليك خطيباً أبداً، فقال: «لا أمثِّله[٤]، ولعله يقوم مقاماً لا تكرهه» فقام سهيلٌ حين جاءه وفاةُ رسول الله ﷺ[٥] بخطبةِ أبي بكر رضي الله عنه بمكة كأنه كان سمعها، فقال عمر حين بلغه كلام سهيل: أشهد أنك رسول الله، يريد حيث قال: «لعله يقوم مقاماً لا تكرهه».

وأمر بالقُلُب أن تغوَّر[٦]، ثم أمر بالقتلى فطرحوا فيها كلُّهم إلا أميةَ بنَ خلف فإنه كان سميناً انتفخ من يومه وتزايلَ لحمه حين جرُّوه، فقال: «اتركوه»، ونظر إلى

---

(١) في (ف): «القسمة».

(٢) «أنا»: ليس من (ف).

(٣) في (ر): «أنتزع ثنيتاه».

(٤) في «المغازي»: (لا أمثل به).

(٥) بعدها في (ر): «يخطبهم»، والمثبت من (أ) و(ف) و«المغازي».

(٦) في (أ): «يعود»، والمثبت من (ر) و(ف) و«المغازي».

عتبةَ يُجرُّ، وكان جسيماً[١] جميلاً في وجهه أثر الجدري، ورأى وجه ابنه أبي حذيفة تغيَّرَ، فقال: «يا أبا حذيفةَ، كأنك ساءكَ ما أصاب أباك» فقال: لا والله يا رسول الله، ولكني رأيتُ لأبي عقلاً وشرفاً كنتُ أرجو أن يهديَه الله تعالى للإسلام.

وقال ﷺ: «الحمد لله الذي جعل حدَّ[٢] أبي جهلٍ الأسفلَ، فصرعه وشفانا منه».

ولما توافَوا في القليب وقف عليهم وناداهم: «يا عتبةَ بنَ ربيعةَ ويا شيبةَ بنَ ربيعةَ ويا أميةَ بنَ خلفٍ ويا أبا جهل بنَ هشام، هل وجدتُم ما وعدكم[٣] ربُّكم حقّاً، فإني قد وجدت ما وعدني ربي حقاً، بئس القومُ كنتُم لنبيِّكم، كذَّبتموني وصدَّقني الناس، وأخرجتُموني وآواني الناس، وقاتلتُموني ونصرني الناس» قالوا: يا رسول الله تنادي قوماً قد ماتوا؟! فقال رسول الله ﷺ: «قد وجدوا ما وعدهم ربهم حقًّا»[٤].

ولما صلَّى العصر بعد انهزام المشركين وصلَّى ركعة تبسَّم، فلما سلَّم سئل عنه فقال: «مر بي ميكائيلُ وعلى جناحه النَّقْع وتبسَّم إليَّ وقال: إني كنت في طلب القوم».

وأتاه جبريل على فرسٍ أنثى قد عصَم ثنيَّتَه الغبارُ وقال: إن ربِّي بعثني إليك وأمرني أن لا أفارقك حتى ترضى، هل رضيتَ؟ فقال عليه الصلاة والسلام: «نعم».

وأمر النبي ﷺ عاصم بن ثابت أن يضربَ عنقَ عقبة بن أبي مُعيط، فجعل

---

(١) في (ر): «سميناً»، والمثبت من (أ) و(ف) و«المغازي».

(٢) في «المغازي»: (خد).

(٣) في (أ): «وعد».

(٤) روى بعضه البخاري (٣٩٧٦) مسلم (٢٨٧٥) من حديث أنس عن أبي طلحة رضي الله عنهما. والبخاري (٣٩٨٠)، ومسلم (٩٣٢) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما. ومسلم (٢٨٧٥) من حديث أنس عن عمر رضي الله عنهما، و(٢٨٧٤) من حديث أنس رضي الله عنه.

يصيح على ماذا(١) أقتل؟ فقال عليه الصلاة والسلام: «لعداوتك لله ولرسوله» فقال: مَن للصِّبْية؟! قال: «النار، قدِّمْه يا عاصمُ فاضْرِبْ عنقَه» فقدَّمه فضرب عنقه، فقال ﷺ: «بئس الرجلُ كنتَ، والله ما علمتُ كافراً بالله ورسوله وكتابه مؤذِياً لنبيِّه أسوأَ منك، فأحمدُ الله الذي قتَلك وأقرَّ عيني منك».

وقدِم رسول الله ﷺ المدينةَ، فقدِم بالأسرى وأمُّ سلمة قيل لها: أُتي بالأسرى، فقالت: يا رسول الله، إن بني عمِّي طلبوا منِّي(٢) أن يُدْخَلَ بهم عليَّ فأُضيِّفَهم وأدهنَ رؤوسَهم وألُمَّ من شعَثهم، ولم أحبَّ أن أفعلَ ذلك حتى استأمرَك، فقال ﷺ: «لستُ أكرهُ شيئاً من ذلك، فافعلي من ذلك ما بدا لك».

وبلغ النجاشيَّ مقتلُ قريشٍ ببدرٍ وما أظفر اللهُ به نبيَّه، فخرج في ثوبين أبيضين(٣)، ثم جلس على الأرض، ثم دعا جعفر بن أبي طالب وأصحابه فقال: أيُّكم يعرف بدراً؟ فأخبروه، فقال النجاشي: أنا بها عارفٌ، قد رعيتُ الغنمَ في جوانبها، ولكن أردتُ أن أتثبَّت منكم، قد نصر الله تعالى رسوله ببدرٍ فاحمَدوا الله على ذلك، فقالت بطارقتُه: أصلح الله الملكَ! إن هذا شيءٌ لم تكن تصنعُه، تلبس ثوبين وتجلس على الأرض؟ فقال: إني من قوم إذا أحدثَ الله لهم نعمةً ازدادوا لها(٤) تواضُعاً، و[يقال: إنه] قال: إن عيسى عليه السلام كان إذا حدَثت له نعمةٌ ازداد لها تواضعاً.

ومشت نساءُ قريش إلى هندٍ بنت عُتبة فقلنَ: ألا تبكِينَ على أبيك وأخيك وعمك وأهل بيتك؟ فقالت: أأبكي فيَشمت بنا محمدٌ وأصحابه ونساءُ بني الخزرج،

---

(١) في (ف): «ما».

(٢) «مني»: ليس من (أ) و(ف).

(٣) في (ف): «أصفرين». وفي هامشها ما يوافق المثبت، وهو موافق لما في «المغازي».

(٤) في (أ) و(ف): «بها».

لا والله حتى أثأر[١] محمداً وأصحابه، فلم تمسَّ دهناً ولم تقرَب فراش أبي سفيان حتى كانت وقعة أحد[٢].

* * *

(٧) ـ ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ﴾: أصل (إحدى): وِحْدَى، قُلب واوُه همزةً لوقوعها طرفاً، والأصل في أحدٍ: وَحَدٌ على هذا، والطائفتان: الجماعتان، وهما عيرُ قريش تَغنمونها أو الجيشُ تقتلونهم.

وقوله تعالى: ﴿وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾: أي: تحبُّون بالطباع الطائفةَ غيرَ ذاتِ الشوكة، وهي السلاحُ، ورجلٌ شاكِي السلاح؛ أي: تامُّه، وأصله[٣] الحدَّةُ، مأخوذة من الشوكة المعروفة، وهي التي تَنبُت في المفازة، وأراد بهذه الطائفة العيرَ، وإنما كان كذلك لخروجهم من غير عِدَّةٍ فخافوا الطائفةَ ذاتَ الشوكة.

وقوله تعالى: ﴿وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ﴾: أي: يُظهِر الدِّينَ الحقَّ بمواعيده في نصرته ونصرةِ أهله.

وقوله تعالى: ﴿وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ﴾: أي: يستأصلَهم، ودابرُ القوم: آخرُهم والآتي بعدهم، وقد دَبَرهم يَدْبُرهم ـ من حدِّ دخَل ـ؛ أي: أتى بعدهم، وإذا قطعَ آخرَهم لم يبقَ منهم أحدٌ.

وقيل: هو قطعُ المدد عنهم.

---

(١) في (ف): «اتبع آثار»، والمثبت من (أ) و(ف) و«المغازي».

(٢) انظر: «مغازي الواقدي» (١/ ٥٣ ـ ١٢٤)، وما سلف بين معكوفتين منه. وكل ما ذكر في هذه القصة مختصر من المصدر المذكور.

(٣) في (أ) و(ر): «وأصل».

(٨) ـ ﴿لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿لِيُحِقَّ الْحَقَّ﴾: أي: يأمرُهم[1] بالقتال ليُحقَّ الحقَّ؛ أي: هذا مضمَر.

﴿وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ﴾: عطف عليه، ومعناه: ليُظهر حقِّيَّة[2] الحقِّ وبطلانَ الباطل.

وقيل: أي: ليُثبت الحقَّ ويزيلَ الباطل.

﴿وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾: قال الكلبي: أي: كفار مكة.

وقال الحسن: نزلت هذه الآية قبل قوله: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ﴾ الآية وهي في القراءة بعدها[3].

وقال الإمام القشيري رحمه الله: أبى الله تعالى أن يصلَ أحدٌ إلى جلائلِ النِّعم إلا بتجرُّع كاسات الشدائد، والانسلاخِ عن مألوفِ الحظوظ والفوائد، وإذا أراد الله تخصيص عبدٍ بولايته قضى لطوارق نفسه بالأفول، وحكم لغصن شهواته بالذُّبول، وأبى لطوالع الحقائق إلا إشراقَها، ولجوامع[4] الموانع إلا امتحاقها[5].

* * *

(٩) ـ ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾: أي: واذكروا إذ كنتم تَستصرِخون ربَّكم وتسألونه تفريجَ ما بكم من الخوف عند التيقُّن بوقوع القتال ولا عُدَّةَ لكم، وتدعونه أن ينصركم عليهم.

---

(١) في (ف): «يأمر».

(٢) في (أ): «حقيقته».

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ٢٩٧).

(٤) في (أ): «وجوامع»، وفي (ر): «وبجوامع».

(٥) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٦٠٥).

ثم معنى الاستغاثة ـ مع سبقِ الوعد بإحدى الطائفتين، وكذا الكراهة الطبيعيَّة الشديدة حتى شبِّهت بالسَّوق إلى الموت ـ ما ذكره الإمام أبو منصورٍ رحمه الله: أن الآية تحتمل وجوهاً:

أحدها: أن الله وعد نبيَّه عليه الصلاة والسلام، وهو لم يبيِّن لهم بعدُ.

والثاني: أنه يبيِّن لهم لكن لم يعرفوا وقته، فلم يأمَنوهم للحال[1].

والثالث: أنهم علموا ذلك بالوعد، لكن هذا كراهةُ طبعٍ لا تخلو النفسُ عنه مع تيقُّن القلب بالوعد.

والرابع: أن يكون النصر موعوداً لهم بالتضرع والاستغاثة، فكان خوفهم من التقصير في ذلك الشرط

والخامس: أنه محنةٌ امتحنهم الله تعالى بها ليثابوا عليها؛ قال الله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ﴾ الآية [البقرة: ١٥٥][2].

وقوله تعالى: ﴿فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾: قرأ نافع وعاصم في رواية أبي بكر بفتح الدال، وقرأ[3] الباقون بكسرها[4].

وقد ردِفه؛ أي: جاء بعده، وأَردفه[5] غيرُه، وقد يجيءُ أردف بمعنى رَدِف لازماً، قال الشاعر:

إذا الجوزاءُ أَرْدَفتِ الثُّريَّا ... ظننتُ بآلِ فاطمةَ الظُّنونا[6]

---

(١) في (ر): «في الحال».

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٥/ ١٥٩).

(٣) في (أ) و(ف): «وقرأها».

(٤) انظر: «السبعة» (ص: ٣٠٤)، و«التيسير» (ص: ١١٦)، والقراءة بفتح الدال فيهما عن نافع فقط.

(٥) في (ف): «وردفه».

(٦) البيت لخزيمة بن نهد كما في «الأغاني» (١٣/ ٨٥)، و«جمهرة الأمثال» للعسكري (١/ ١٢٣)، =

ثم تفسيره هاهنا: قال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿مُرْدِفِينَ﴾؛ أي: مردِفٌ كلُّ ملَكٍ ملكاً[1]، فعلى هذا هم ألفان.

وقال قتادة والسُّدِّي: متتابِعين[2].

وقال مجاهد: أي: مُمِدِّين للمؤمنين[3].

وقيل: لاحِقِين المشركين في انهزامهم، وقد مر وجه الجمع بين ذكر الألْف في هذه الآيةِ، وثلاثةِ آلافٍ في قوله تعالى: ﴿بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ﴾ [آل عمران: ١٢٤]، وخمسةِ آلاف في قوله: ﴿بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ [آل عمران: ١٢٥] في آل عمران في هذه الآية.

* * *

(١٠) ـ ﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ﴾: ولم يجعل الله إمدادكم بالملائكة إلا بشارةً لكم وطمأنينةً لقلوبكم.

ثم قوله: ﴿بُشْرَىٰ﴾ اسمٌ، وقوله: ﴿وَلِتَطْمَئِنَّ﴾ فعلٌ، والتقدير: إلا بشرى لكم وطمأنينةً لقلوبكم، أو: إلا ليبشِّركم ولتطمئنَّ به قلوبكم، فيُجعلان فعلين أو مصدرين ليتَّفِقا.

= و«مجمع الأمثال» للميداني (١/ ٧٥)، وجاء في «الصحاح» (مادة: ردف): خزيمة بن مالك بن نهد، وفي «الأمثال» لأبي عبيد (ص: ٣٤٥): حزيمة بن نهد، بالحاء، وأشار إليه الميداني حيث قال: ويروى: حزيمة، كذا قال أبو الندى في «أمثاله». وفاطمة هي بنت يَذْكُرَ بن عَنَزَة، وكان الشاعر يهواها.

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٥٤).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٥٥)، ورواه عن ابن عباس أيضاً.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٥٥).

وقوله تعالى: ﴿وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ﴾: أي: ليس ذلك بالملائكة بأنفسهم.

وقولُ مَن قال: إن الملائكة لم يقاتلوا يومئذ وإنما نزلوا تسكيناً للقلوب، ليس يستقيم، فقد قال نصًّا[1]: ﴿فَٱضۡرِبُواْ فَوۡقَ ٱلۡأَعۡنَاقِ وَٱضۡرِبُواْ مِنۡهُمۡ كُلَّ بَنَانٖ﴾ [الأنفال: ١٢] وكذا ما ذَكر الصحابة في رؤيتهم ضاربينَ لم يعرفوهم، وقولُ المشركين: ما قهرتمونا وإنما قهرَنا قومٌ لا نراهم الآن.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾: أي: منيعٌ لا يغالَب ﴿حَكِيمٌ﴾ في أفعاله وأقواله[2]، ينصر أولياءه ويَقهر أعداءه.

وقال القشيري رحمه الله: بشَّرهم بالإمداد بالملَك، ثم[3] رقَّاهم عن هذه الحالة بإشهادهم العونَ[4] من الملك، فلم يقرِّرهم إلى المساكنة إلى الإمداد، وقرَّر عندهم أن النصر من عنده والإنجاد، ثم قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾؛ أي: النجاةُ من البلاء حاصلة، وفنون اللطائف متواصلة، والدعواتُ مسموعة والإجابةُ [غير] ممنوعة، ولكن الله تعالى عزيزٌ، والطالب واجدٌ لكن لعطائه، والراغب واصلٌ لكن إلى مَبارِّه، والسبيل سهلٌ لكن إلى وجدان لطفه، فأما الحقُّ فهو عزيز وراء كلِّ فصل ووصل وقرب وبعد، وما وصل أحدٌ إلا إلى نصيبه، ولا بقي أحدٌ إلا عن حظِّه، وأنشدوا:

وقلنَ لنا نحن الأهلةُ إنما ... نُضيء لمن يسري بليلٍ ولا نَقْرِي
فلا بذلَ إلا ما تزوَّد ناظرٌ ... ولا وصلَ إلا بالخيالِ الذي يسري[5]

---

(١) في (ف): «تعالى».

(٢) في (ر): «وأحواله».

(٣) في (ف): «حتى».

(٤) في (ف): «بإشهادهم بالغوث»، وفي «اللطائف»: (بإشهادهم أن الإنجاز).

(٥) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٦٠٥ ـ ٦٠٦)، وما بين معكوفتين منه.

(١١) ـ ﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً ﴾ قرأ عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي بضم الياء وتشديد الشين ونصبِ سينِ ﴿ٱلنُّعَاسَ﴾ من التغشية وهي تعديةُ الغِشْيان.

وقرأ نافع بضم الياء وتخفيف الشين من الإغشاء، وهو للتعدية أيضاً، ولذلك نصَب هو ﴿ٱلنُّعَاسَ﴾ أيضاً.

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو: ﴿يغشاكم﴾ بفتح الياء والتخفيف وضمِّ سِين ﴿النعاسُ﴾[1] من الغِشْيان وهو لازمٌ[2]، و﴿النعاسُ﴾ فاعل.

والنعاس: ابتداءُ حال النوم قبل الاستثقال، يقول: فاطمأنَنْتُم إذا أتاكم النومُ وغطَّى عيونكم، فأَمِنْتُم تلك الليلةَ مع علمكم بقتال العدو.

وقوله تعالى: ﴿أَمَنَةً مِّنْهُ﴾: أي: أماناً[3] من الله تعالى مما[4] خفتُم.

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: النعاسُ في القتال أمنةٌ من الله، وهو في الصلاة من الشيطان[5].

---

(١) انظر هذه القراءات في «السبعة» (ص: ٢٨٢)، و«التيسير» (ص: ١١٦)، و«جامع البيان في القراءات السبع» للداني (٣/ ١١٣٥)، و«النشر» (٢/ ٢٧٦)، وسقطت قراءة نافع من مطبوع «التيسير».

(٢) بل متعد، ومفعوله مذكور معه، وهو الكاف في (يغشاكم)، لكن الفرق عن القراءتين الأخريين أنه فيهما متعد لاثنين، وهنا في (يغشاكم) تعدى الفعل لواحد.

(٣) في (ر): «أمنا».

(٤) في (ف): «فما».

(٥) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٠٠٠)، والطبري في «تفسيره» (١١/ ٥٩).

وقال الكلبي: ونزل النبيُّ ﷺ والمسلمون على غيرِ ماءٍ بجانب الوادي الأدنى، ونزل المشركون بجانبه الأقصى على الماء، والوادي بينهما ذو رملٍ تغيب فيه الأقدام، ثم باتوا ليلتهم تلك وناموا، ثم استيقظوا وقد أجنبوا وليس معهم ماء، فأتاهم الشيطان عند ذلك فوسوس إليهم وقال: تزعمون أنكم على دِين الله وإنكم تصلُّون محدِثين مجنِبين والمشركون على الماء، فأمطر الله تعالى السماء على الوادي حتى سال الماء فيه واشتد الرمل، فاغتسل المسلمون وتوضؤوا وشربوا وسَقوا دوابَّهم، وبنوا على عُدوته حياضاً، فنزل: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ﴾(١).

وقوله تعالى: ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ﴾: أي: من الحدث والجنابة ﴿وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾؛ أي: وسوستَه، وحقيقة اللفظ: إيذاءه وتعذيبَه، كما في قوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ﴾ [الأعراف: ١٣٣] إلى قوله: ﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ﴾ إلى قوله: ﴿لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ﴾ [الأعراف: ١٣٤] هو الإيذاء والتعذيب.

وقوله تعالى: ﴿وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ﴾: أي: يشدِّدَها ويقوِّيَها بالسكون، وحسنِ الظنِّ، وزوالِ الاضطراب والارتياب.

وقوله تعالى: ﴿وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ﴾: أي: في مواقف الالتقاء للقتال.

وقال ابن عباس ومجاهد والضحاك وجماعة من المفسرين؛ أي: لبد الأرض بالماء فصارت الأقدام تثبت فيها(٢).

* * *

---

(١) رواه بنحوه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٦٥ و٦٧) عن ابن عباس والضحاك، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦٦٥ ـ ١٦٦٦) عن قتادة.

(٢) رواه عنهم الطبري في «تفسيره» (١١/ ٦٥ ـ ٦٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦٦٥ ـ ١٦٦٦) عن قتادة.

(١٢) ـ ﴿إِذۡ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمۡ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ سَأُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ فَٱضۡرِبُواْ فَوۡقَ ٱلۡأَعۡنَاقِ وَٱضۡرِبُواْ مِنۡهُمۡ كُلَّ بَنَانٖ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِذۡ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمۡ﴾: أي: كان غشيانُ النعاس وما بعده حين يُوحي الله تعالى إلى الملائكة أني حافظُكم وناصرُكم ومُعِينكم.

وقوله تعالى: ﴿فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾: أي: احملوهم على الثبات بحسنِ الكلام، وكانوا يفعلون كذلك على ما كَتبنا في القصة: سمعتهم يقولون: لو حملوا علينا لانصرفنا.

وقال مقاتل: كان الملَك يمشي أمام الصف [1] في صورة الرجل ويقول: أبشروا فإنكم كثيرٌ وعدوُّكم قليل، واللهُ ناصرُكم، ويَرى الناسُ أنه منهم.

وقوله تعالى: ﴿سَأُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ﴾: أي: ثبِّتوا أنتم بالكلام قلوبَ المؤمنين، وأنا أخوِّف قلوبَ المشركين.

والرعب: الخوف الذي يقطع القلب، من ترعيب السَّنام: وهو تقطيعُه، والذي يملأ القلب أيضاً، من قولهم: رَعَب السيلُ الواديَ: إذا ملأه.

وقوله تعالى: ﴿فَٱضۡرِبُواْ فَوۡقَ ٱلۡأَعۡنَاقِ وَٱضۡرِبُواْ مِنۡهُمۡ كُلَّ بَنَانٖ﴾: جمع بَنَانةٍ، قال السدِّي والضَّحاك وابن جُريجٍ: هي أطراف اليدين والرجلين[2]، ومعناه: أنه أمَر الملائكة بأن يقتلوهم أو[3] يخرجوهم على وجهٍ لا يمتنعون على مَن قَصَد أسرهم.

وقال الزجاج: أباح الله تعالى قتلَهم بكلِّ نوعٍ يكون في الحرب[4].

---

(١) في (ف): «بين الصفين» بدل من «أمام الصف». وفي هامش (ف) ما يوافق المتن.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٧٢ ـ ٧٣) عن ابن عباس والضحاك وعكرمة وابن جريج.

(٣) في (أ) و(ف): «أو».

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٤٠٥).

وقال المبرِّد: فوق العنق[١] هو العنق وهو كقولك رأيت نفس زيد هو زيد.

وقال قطربٌ: هو ما فوق العنق، وهو الرأس.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: أي: اضربوا الأعناقَ فما فوقَها[٢]، كما[٣] قال تعالى: ﴿فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ﴾ [النساء: ١١] أي: اثنتين فما فوقهما.

وقال يمان بن رئابٍ: ﴿فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ﴾؛ أي[٤]: الصناديدَ، كما قال تعالى: ﴿فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ﴾ [الشعراء: ٤] ﴿وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾؛ أي: السِّفْلَة[٥].

* * *

(١٣) ـ ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾: أي: ذلك الذي تقدَّم ذكرُه من الضرب فوق الأعناق وضربِ كلِّ بنانٍ بأنهم[٦] خالَفوا وعادَوا اللهَ ورسوله.

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾: أي: هذا حُكمي على العموم في حقِّ مَن خالفني وعاداني، وأنا شديد العقاب.

* * *

---

(١) في (ف): «الأعناق».

(٢) انظر: «تفسير السمعاني» (١/ ٤٠٢).

(٣) «كما»: ليست في (ف).

(٤) في (أ) و(ف): «يعني».

(٥) في (أ): «السفل».

(٦) في (أ): «أن»، وفي (ف): «بأن».

(١٤) ـ ﴿ ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ ﴾: أي: قاسُوا ذلك، مفعولٌ مقدَّمٌ في الذكر.

وقيل: أي: ذلكم حكمُ الله، أو: ذلكم عذابُ الله فذوقوه.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾: أي: هذا الذي أعددْتُ لكم في الدنيا من القتل والجرح والأسر على أيدي أوليائي، ثم لكم في الآخرة مع سائر الكفار عذابُ النار الذي لا ينقطع.

ثم عطَفَ بالواو الخبرَ على الأمر ـ ولا يتفقان ـ لأن هذا الأمرَ في معنى الخبر؛ أي: تذوقونه.

وقال الإمام القشيري رحمه الله: ذلكم العذابُ فذوقوه معجَّلاً، واعلموا أن للكافرين عذابَ النار مؤجَّلاً، فللعصيان عقوبتان: معجَّلٌ بنَقد، ومؤجَّلٌ بوَعد[1].

* * *

(١٥) ـ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا ﴾: أي: إذا وقع الالتقاءُ مع الكفار في حين المزاحَفة، وهي إذا سوِّيت[2] الصفوفُ، وزحف بعضهم إلى بعض؛ أي: سار سيراً ثقيلاً يدنو به قليلاً قليلاً على زحمةٍ من الجانبين.

وقوله تعالى: ﴿فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴾: أي: فلا تجعلوا أدباركم تلي أعداءكم[3] وذاك يكون بتحويل الوجوه عنهم، وهو كنايةٌ عن الانهزام.

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٦٠٨). ووقع في (أ): «معجل ينفذ ومؤخر بوعد» وفي «اللطائف»: «محصل بنقد ومؤخر بوعد».

(٢) في (ف): «استوت».

(٣) في (ر): «أدباركم إلى أعدائكم».

وقوله: ﴿زَحْفًا﴾ مصدرٌ بمعنى النعت، وهو للجمع، ونصبه على الحال، وتقديره: متزاحِفِينَ.

* * *

(١٦) - ﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ﴾: أي: ومَن ارتكَبَ هذا النهيَ حينئذٍ، واليوم: اسم لبياض النهار إذا أُطلق، فإذا قُرن به فعلٌ لا يمتدُّ يراد به مُطلَق الوقت، فصار قوله: ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ بمنزلة قوله: حينئذٍ.

والتولية تتعدَّى إلى مفعولين.

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ﴾: أي: مائلاً، يقال: تحرَّف وانحرف؛ أي: مال إلى جانبٍ، والحرف: الجانب؛ أي: ينتقلُ من مكانٍ إلى مكانٍ آخر[1] للقتال أيضاً.

وقال السدِّي: هو الاستطراد يريد العودةَ[2]؛ أي: يطردُ فرسَه يطلبُ موضعَ إصابة للعدو.

وقوله تعالى: ﴿أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ﴾: أي: منضمًّا إلى جماعة، يعني: إذا كثُر العدوُّ ولم يكن له بهم طاقةٌ، فانصرف إلى إمامه أو إلى جماعةٍ منهم يمتنعُ بهم ثم يقاتل هو وهم العدوَّ، لم يكن من أهل الوعيد.

والتحيُّز: تَفَيْعُلٌ[3]، ولو كان تَفَعُّلاً لكان: تحوُّزاً بالواو؛ لأن أصله الواو، ويقال:

---

(١) «آخر»: ليست في (ف).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٧٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦٧٠).

(٣) في النسخ: «تفعيل»، والصواب المثبت. انظر: «غريب الحديث» لأبي عبيد (٣/ ١٠٧)، و«تهذيب اللغة» (٥/ ١١٥)، و«البحر المحيط» (١١/ ٤٨)، و«تفسير ابن كمال باشا» عند هذه الآية.

حاز الشيءَ؛ أي: ضمَّه وجمَعه، والحيِّز: مجتمَعُ القوم، فَيْعِلٌ من الحَوْز، ولذلك صارت ياؤه مشدَّدةً، كما في: الجيِّد والسيِّد.

والتحيُّز: الانضمام إليهم والدخولُ في جملتهم، وهو تفعيل من الحيز[1].

والفئة: الجماعة المنقطعة عن غيرها، من الفَأْو: وهو قطع الرأس بالسيف.

وقوله تعالى: ﴿فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾: أي: استوجبه ﴿وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾؛ أي: المسكنُ والملجأُ؛ أي: لا ملجأ له إلا النار وبئسَ الملجأُ.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: كان هذا الوعيدُ مع كثرة الكفار وقلَّة المؤمنين في الابتداء، حيث كان يجب للعشرين أن يصبروا للمئتين، وللمئة أن يصبروا للألْف، ثم خفَّف الله تعالى ذلك، فكان الجهادُ يومئذ لبذل الأنفس[2] للهلاك، فيجوز أن يكون ذلك مشروعاً، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ ٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾ [النساء: ٦٦] فجاز الأمر به امتحاناً، وليس في وسع الواحد القيامُ لعشرة إذا أحاطوا به، ثم خفَّف ذلك وصار لا يجوز للواحد أن يولِّي عن اثنين، فأما في هذه الآية فهو على العموم، وكان في الابتداء كان الأمر[3] بالقتال لبذل النفس للهلاك على ما قلنا.

ويحتمِل أن الله تعالى أمر بذلك ليكون آيةً، ويعرفَ كلُّ واحدٍ[4] أنه إنما قام بالله تعالى لا بقوَّة نفسه[5].

***

---

(١) قوله: «وهو تفعيل من الحيز»: كذا في النسخ، وفيه تحريف وتكرار. انظر التعليق السابق.

(٢) في (ر): «النفس».

(٣) في (ر): «أمراً».

(٤) في (ف): «أحد».

(٥) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٥/ ١٦٥).

(١٧) ـ ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾: ووجه الفاء والوصلِ بها: فلا تولُّوهم الأدبار شكراً لِمَا أنعم الله عليكم من إظفاركم عليهم، فإنكم لم تقتلوهم ولكن الله قتلهم.

قال مجاهد: كان يقول كلُّ إنسان: أنا قَتلتُ فلاناً، أنا قتلتُ فلاناً[١]، فنزلت الآية صيانةً لهم عن الإعجاب، وتنبيهاً لهم أن الله هو الذي هيَّأ[٢] لهم هذه الأسبابَ، وكذا قولُه في خطاب نبيِّه ﷺ:

﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ﴾: قال عكرمة: رمى رسول الله ﷺ كفًّا من ترابٍ إليهم، فما وقع منها شيءٌ إلا في عين رجل[٣].

وقال محمد بن كعب القُرَظيُّ: انهزموا بتلك الرمية.

وقال قتادة: أخذ ثلاثةَ أحجار، فرمى بها وجوهَ الكفار فانهزموا[٤] عند الثالثة.

وقال عبد الرحمن بن زيد: أخذ ثلاثَ حصيات، فرمى بحصاةٍ في مَيمَنة القوم، وحصاةٍ في ميسَرتهم، وحصاةٍ بين أظهُرهم، ثم قال: «شاهتِ الوجوهُ» فانهزموا[٥].

---

(١) «أنا قتلت فلاناً»: من (ف). والخبر رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٨٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦٧٢).

(٢) في (ف): «سبب».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٨٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦٧٤).

(٤) في (أ) و(ف): «فهزموا».

(٥) روى هذه الأخبار الثلاثة الطبري في «تفسيره» (١١/ ٨٥ ـ ٨٦).

ثم ليس في الآية نفيُ وجود الفعل من العبد كما توهَّمتِ[١] الجبرية، بل أثبت الله تعالى الرميَ فعلاً لنبيِّه ﷺ في الآية إذ قال: ﴿إِذْ رَمَيْتَ﴾، وأثبت القتلَ من المجاهدين في آيات، منها قوله: ﴿يُقَـٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ﴾ [التوبة: ١١١]، لكن معناه: إنكم ما أمتُّم وما أَفتُّم الحياة، وما أزهقتُم الأرواحَ، بل اللهُ تعالى فعَل ذلك، وإنما جَرَحتُم وقطعتُم وطعنتُم، وهي مباشرةُ أفعالٍ من العباد يسمَّون بها قاتلين؛ لزهوقِ الروح عقيبَها بإزهاق اللهِ تعالى.

وكذا قوله: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾؛ أي: ما بَلَّغْتَ ذلك[٢] إلى حيث بَلَغ، بل الله تعالى بلَّغه ذلك.

وفائدته: قطعُ دعواها، والإعجابِ بها، والنظرِ إليها، والاعتمادِ عليها، والتفاخُرِ بها، وإثباتُ النظر إلى إنعامِ الله تعالى بها.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: ويحتمل ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ﴾: لم تكن جراحاتكم بحيث يغلبُ[٣] عقيبها خروجُ الروح، ولكن الله تعالى جعلها قاتلةً مع أنها لم تكن مصيبةً للمَقتل.

ويحتمِل: فلَمْ تطمَعوا بخروجكم إليهم قدرتَكم على قتلهم، لكنَّ الله تعالى بلَّغ ذلك، وكذا الرميُ، لا يطمع إنسانٌ يرمي كفًّا من ترابٍ النكبةَ بكلِّ أعدائه.

ويحتمل: ما قتلتُم بانفرادكم بل بمعونتي، كما تقول: ما أنت فعلتَ ذلك ولكنْ فعَله فلان؛ أي: بمعونته فعلتَ أنت ذلك.

---

(١) في (ف): «توهمه».

(٢) في (ف): «وما رميت ذلك»، بدل: «أي: ما بلغت ذلك».

(٣) في (أ) و(ف): «يبلغ».

ويحتمِل أنه جعَل قَتْلَهم قَتْلاً من نفسه، ورميَ النبيِّ ﷺ رمياً من عند[١] نفسه؛ تشريفاً لأفعالهم بإضافتها إلى نفسه؛ لوقوعها له على الخلوص منهم في ابتغاء وجهه[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا﴾: أي: وفعل ذلك ليُنْعِمَ على المؤمنين إنعاماً حسناً بذلك، هذا مضمر.

وقيل: الإضمار في آخره: ﴿وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا﴾ أمرهم بالقتال.

والبلاء يقع على النعمة وعلى[٣] المحنة؛ لأن أصله الاختبارُ، وذلك يقع بالمحنة لإظهار الصبر، وبالنعمة لإظهار الشكر.

والاختبارُ من الله تعالى: إظهارُ ما عَلِم كما عَلِم، لا تحصيلُ علمِ ما لا[٤] يَعلم.

وقيل: البلاء الحسنُ: توفيق الشكر في النعمة، وتحقيقُ الصبر في المحنة.

وقال الإمام القشيري رحمه الله: يَحْسُن البلاء لأنه من الله تعالى، ويَطيب لأنه في الله.

قال: وحسنُ البلاء هو أن تَشهد الـمُبْليَ في عين البلاء.

قال: وقيل: البلاء الحسَن: ما لا دعوى فيه لصاحبه إن كان محبوباً، ولا شكوى إن كان مكروهاً.

قال: ويقال: البلاءُ الحسن: ما لا ضجَر فيه إن كان عُسراً، ولا بطَر فيه إن كان يُسراً.

---

(١) «عند»: ليس من (أ) و(ف).

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٥/ ١٧٠ ـ ١٧١).

(٣) «على»: من (أ).

(٤) في (أ) و(ف): «لم».

قال: وقيل: بلاءُ كلِّ أحدٍ على حسَب حاله، فأصفاهم ولاءً أوفاهم بلاءً، قال ﷺ: «أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الأولياء، ثم الأمثلُ فالأمثل»[١].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾: أي: لدعواتكم ﴿عَلِيمٌ﴾؛ أي: بحاجاتكم[٢]، ينصرف إلى قوله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾.

وقال الإمام القشيري رحمه الله: هذا ترويحٌ لقومٍ وتبريحٌ لقومٍ، ترويحٌ للضعيف اللهيف؛ أي: أسمعُ أنينَك وأعلمُ حنينَك[٣]، وتبريحٌ للعارف العاكف؛ أي: أسمع قالتَك[٤] وأعلم حالتَك، فاسكت واثبُت[٥].

* * *

(١٨) ـ ﴿ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾: قيل: أي: اعلموا ذلكم، وقيل: أي: اشكروا ذلكم.

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ﴾ معطوفٌ على ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ بما ذكرنا من الفعلين.

و﴿مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ قرأ ابن عامرٍ وحمزةُ والكسائي وعاصمٌ في رواية أبي بكر مخفَّفاً ومنوَّناً[٦] ونصبوا ﴿كيدَ﴾.

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٦١١). والحديث رواه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ١٧٢)، والترمذي (٢٣٩٨)، وابن ماجه (٤٠٢٣)، عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه. قال الترمذي: حسن صحيح.

(٢) في (أ): «ما حاجتكم».

(٣) في (أ): «خفيك».

(٤) في (ف): «مقالتك».

(٥) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٦١١)، والكلام فيه بنحوه.

(٦) «ومنوناً»: ليس من (ف).

وقرأ ابنُ كثير ونافع وأبو عمرٍو مشدَّداً منوَّناً.

وروى حفصٌ عن عاصم مخفَّفاً مضافاً[(١)]، والمخفَّف من الإيهان، والمشدَّد من التَّوهين، وكلاهما تعديةُ الوَهْن وهو الضعفُ، والإضافة للحال، والتنوينُ للإخبار عن الاستقبال.

وإيهانُ كيدهم بأمور؛ منها: الإطْلاعُ على عوراتهم، ومنها: إبطالُ حيَلهم، ومنها: إلقاءُ الرعب في قلوبهم، ومنها: تفريقُ كلمتهم، ومنها: نقضُ ما أَبرموا من عزائمهم.

***

(١٩) ـ ﴿ إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ وَإِن تَنتَهُواْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَعُودُواْ نَعُدْ وَلَن تُغْنِىَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ﴾: أي: إن تستنصِروا فقد جاءكم النصر.

وقيل: إن تستكشِفوا فقد جاءكم الكشف.

وقيل: إن تستقضُوا فقد جاءكم القضاءُ.

ونزولُه في أبي جهل لعنَه الله، فإنه قال: اللهم اقضِ بيننا وبين محمد، وانصُرْ أحبَّ الدِّيْنَينِ إليك، وأهلِكْ أقطَعَنا للرَّحِم وآتانا بما لا نَعرف[(٢)]، قال ذلك يوم بدر.

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٣٠٤ ـ ٣٠٥)، و«التيسير» (ص: ١١٦).

(٢) رواه الواقدي في «المغازي» (١/ ٧٠)، وابن إسحاق كما في «السيرة النبوية» لابن هشام (١/ ٦٢٨)، ومن طريقه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٦٦٧٤)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٦٣١)، والطبري في «تفسيره» (١١/ ٩٤)، ومن غير طريقه رواه الطبري أيضاً في الموضع نفسه، جميعهم عن عبد الله بن ثعلبة بن صعير حليف بني زهرة قال: (كان المستفتِح يوم بدر أبا جهل، قال: اللهم أقطعنا للرحم، وآتانا بما لا نعرف، فأَحِنه الغداة)، فأنزل الله: ﴿ إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ﴾. =

وفي رواية: قال: اللهمَّ أَهِنْ أفجرَنا وأقطعَنا للرَّحِم[١].

وقال السدِّي: لمَّا أرادوا الخروج إلى بدرٍ أخذوا بأستارِ الكعبة وقالوا[٢]: اللهمَّ انصرْ أعزَّ[٣] الحزبين عليك، فنزلت الآية: ﴿ إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ﴾[٤]؛ أي: إن تستنصِروا أحبَّ الدِّينين فقد جاء نصر الإسلام، وإن تستكشفوا فقد تمَّ الكشف والإعلام، وإن تستَقْضُوا فقد ظهر الحكمُ بحقيَّة[٥] محمد ﷺ.

وقوله تعالى: ﴿وَإِن تَنتَهُواْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾: أي: عن الكفر، فهو خيرٌ لكم في الدارين.

وقولـه تعالـى: ﴿وَإِن تَعُودُواْ نَعُدْ﴾: قيـل: وإن تعـودوا إلـى الكفـر والتكذيـب نَعُـدْ إلـى الانتقـام والتعذيب.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: وإن تعودوا لقتالِ محمدٍ نَعُدْ عليكم بالقتل والأخذِ والأسرِ كما في يوم بدر[٦].

وقوله تعالى: ﴿وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا﴾: أي: لن تنفعكم جماعتُكم وكثرتُكم شيئاً ﴿وَلَوْ كَثُرَتْ﴾ في العدد.

= وروى الطبري أيضاً عن يزيد بن رومان وغيره: (قال أبو جهل يوم بدر: اللهم انصر أحب الدينين إليك، دينَنا العتيق، أم دينهم الحديث) فأنزل الله: ﴿ إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ﴾ إلى قوله: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾.

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٩٣) عن الزهري.

(٢) في (ف): «أخذ... وقال».

(٣) في (ر): «أحب».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٩٢).

(٥) في (ر): «بحقيقة».

(٦) رواه بنحوه أبو صالح عن ابن عباس كما في «زاد المسير» (٣/ ٣٣٦).

وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: في النصر لهم.

وقال عبد الرحمن بن زيد: استفتحوا بالعذاب فعذِّبوا يوم بدر، وكان استفتاحهم بمكة: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال: ٣٢]، فجاءهم العذاب يوم بدر(١).

* * *

(٢٠) - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾: دعا في الآية الأولى الكفارَ إلى الإيمان، ودعا في هذه الآية المؤمنين عامةً إلى ما يُبقيهم على الإيمان، وهو طاعةُ الله وطاعةُ رسوله.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ﴾: أصله: ولا تتولَّوا عنه، فحُذفت إحدى التاءين(٢) تخفيفاً؛ أي: ولا تُعْرِضوا عنه، ولم يقل: عنهما؛ لأنه صرفه إلى الرسول خاصةً؛ لأن التولِّيَ عنه تولٍّ عن الله(٣)، وهو كقوله في هذه السورة: ﴿ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤]، وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾ [التوبة: ٦٢].

وقوله تعالى: ﴿وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ﴾: أي: أمره ونهيه. وقيل: تلاوتَه كتابَ الله عليكم.

وقيل: أي: تَقْبلون وتتأمَّلون ما يُورده عليكم؛ أي: هذه صفتُكم فلا تعملوا بخلافِ ما تقتضيه حالتُكم.

* * *

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٩٢).

(٢) في (أ) و(ف): «إحداهما».

(٣) في (ف): «لأن التولي عن الله تعالى تول عن رسوله».

(٢١) ـ ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَالَّذِينَ قَالُواْ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَالَّذِينَ قَالُواْ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾: أي: كالذين قالوا سمعنا القرآنَ وأمرَ الله والرسول، ثم هم لا يَعلمون به كأنهم لم يكن لهم إسماعٌ، أو لم يقعْ لهم سماعٌ.

وقيل: أي: لم ينتفعوا بما سمعوا فكأنهم لم يسمعوا.

وقيل: أي: وهم لا يقبَلون، وقد سمع فلانٌ كلامَ فلان؛ أي: قَبِله.

وقيل: هذا[1] تحذيرٌ للمؤمنين أن يكونوا كاليهود والمشركين والمنافقين، فإن اليهود قالوا: ﴿سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ [البقرة: ٩٣]، والمشركون قالوا: ﴿لَا تَسْمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ﴾ [فصلت: ٢٦] وقالوا: ﴿قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ﴾ [الأنفال: ٣١]، وقال: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ﴾ [لقمان: ٧]، وقال في حق المنافقين: ﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُواْ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا ﴾ [محمد: ٢١]؛ أي: لم يَصْدُقوا.

* * *

(٢٢) ـ ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾: هي جمعُ دابَّة، وهي كلُّ حيوانٍ دبَّ على وجه الأرض؛ أي: شرُّ الخَلقِ عند الله منزلةً هم الذين لا ينتفِعون بما يسمعون ولا يعملون به، كأنهم صمٌّ بُكمٌ لا عقولَ لهم يتأمَّلون بها ما يسمعون.

---

(١) في (ف): «هو».

واختُلف في المرادِين به، والصحيح قولُ ابن عباس رضي الله عنهما: أنهم مشركو قريش، فإن السورة في ذكرهم(١).

وقال محمد بن إسحاق: هم المنافقون(٢).

وقيل: هم بنو عبد الدار قُتلوا بأُحُدٍ، وهم: النَّضْر بن الحارث وابناه، والحارث بن علقمة، وطلحة بن عثمان، ومسافعٌ وأبو الجُلَاس وأبو سعدٍ والحارثُ، والقاسط بن شُريحٍ، وأرطأةُ بن شُرَحْبيل.

وقال الإمام القشيري رحمه الله: دواعي الحقِّ بحُسن البيان ناطقة، وألسنةُ البرهان فيما ورد به التكليفُ صادقة، وخواطرُ الغيب بكشف ظُلَم الريب مُفْصِحة، وزواجرُ التحقيق عن متابعةِ التَّمويه للقلوب مُلازِمة، فمَن صُمَّ عن إدراكِ ما خُوطِب به سرُّه، وعَمِيَ عن شهودِ ما(٣) كُوشف به قلبُه، وخَرِس عن إجابةِ ما أُرشد [إليه] من مناجَحةٍ(٤) عقلُه وفهمُه، فدون رتبةِ البهائم قَدْرُه، وفوق كلِّ خسيسٍ من خَلْق الله صُغْره(٥).

* * *

(٢٣) ـ ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ﴾: أي: لو كان في علمِ الله منهم اختيارُ فهمٍ لكلام الله تعالى لأسمعهم إسماعَ تفهيم.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ١٠١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦٧٧)، بلفظ: (هم نفر من بني عبد الدار).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ١٠١). ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦٧٨) من طريق ابن إسحاق عن جعفر بن الزبير عن عروة بن الزبير.

(٣) في (أ): «وعمي عما».

(٤) في: «اللطائف»: (من حجة).

(٥) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٦١٤)، وما بين معكوفتين منه.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ﴾: أي: إسماعَ تفهيمٍ دون توفيقٍ[1] ﴿لَتَوَلَّوا﴾ عنه فلم يعملوا به؛ إذ لم يوفِّقهم الله لِمَا علِم من اختيارهم تركَ العمل به.

وقوله تعالى: ﴿وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾: أي: للحال، فلا تكرار في الكلمتين؛ إذ قوله: ﴿لَتَوَلَّوا﴾ هو عند الإسماع، ﴿وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾ للحال.

وقال الزجَّاج: ﴿لَأَسْمَعَهُمْ﴾ جوابَ كلِّ ما يسألونه، ﴿وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ﴾ ذلك لم يعملوا به ولأَعرضوا عنه[2].

* * *

(٢٤) - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾: ﴿دَعَاكُمْ﴾ فعلُ رسول الله ﷺ، وهو موحَّدٌ ولم يُثنَّ مع سَبْقِ ذكرِ الله ورسوله؛ لأن دعاء الرسول بأمرِ الله، فهو دعاءُ الله تعالى، ودل الموحَّد لذلك على المثنَّى.

﴿لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾؛ أي: إلى ما[3] يفيدُكم الحياةَ الأبدية، وهو دعاءٌ إلى الجهاد فإنه[4] سببُ الشهادة، والشهداءُ أحياءٌ غيرُ أموات، واتصالها من هذا الوجه بما قبلها: لا تخرجوا إلى الجهاد[5] كارهين، وأَجيبوا اللهَ ورسوله في الدعوة إلى قتال المشركين، فإنه حياةٌ لكم أبدَ الآبِدين.

---

(١) «دون توفيق»: من (أ) و(ف).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٤٠٩).

(٣) في (ف): «أي لما».

(٤) في (ف): «فهو».

(٥) في (أ): «للجهاد».

وعن أبيٍّ بن كعب رضي الله عنه: أنه كان يصلي، فدعاه رسول الله ﷺ فأتم الصلاة ثم جاء، فقال ﷺ: «هلا جئتني[١] إذ دعوتُك؟» فقال: كنتُ في الصلاة، فقال: «أمَا سمعتَ قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡ﴾»[٢]، وهذا يدلُّ على العموم أي[٣]: عموم الآية.

وقيل: قوله: ﴿لِمَا يُحۡيِيكُمۡ﴾ إعلامٌ منه جلَّ جلالُه أن دعاءه إلى كلِّ شيء فيه حياةُ الدِّين وهو العلم، فإن الجهل موتٌ والعلمَ حياة.

وفي الخبر: إن الله تعالى ليُحيي القلب الميتَ بالعلم كما يُحيي الأرض الميتة بوابل المطر[٤].

وفي غير هذه الآية ذُكرت الحياةُ للإيمان والموتُ للكفر؛ قال تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ﴾ [الأنعام: ١٢٢]؛ أي: كافراً فهديناه، فيجوز أن يكون قوله: ﴿لِمَا يُحۡيِيكُمۡ﴾؛ أي: يبقيكم على الإيمان الذي هو الحياة العظمى.

وقيل: أي: لِمَا يفيدكم الحياةَ الطيبة في الدارين؛ قال تعالى: ﴿مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗ﴾ [النحل: ٩٧]، وحياةُ الكافر غيرُ طيِّبةٍ بحالٍ، فإنه بها في الدنيا يستفيدُ زوائدَ عقوبات العُقبى، وإذا صار في النار فهو لا يموت فيها ولا يحيى، فإذاً ليست الحياةُ الطيبة إلا لمن آمَن واتقى.

---

(١) في (ف): «أجبتني».

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٩٣٤٥)، والترمذي (٢٨٧٥)، والنسائي في «الكبرى» (١١١٤١)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. قال الترمذي: حسن صحيح.

(٣) «العموم أي»: من (ف).

(٤) رواه الطبراني في «الكبير» (٧٨١٠) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه، وفيه: «بنور الحكمة» بدل: «بالعلم»، وإسناده ضعيف، قال في «مجمع الزوائد» (١/ ١٢٥): فيه عبد الله بن زحر عن علي بن يزيد، وكلاهما ضعيف لا يحتج به.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: ﴿لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾؛ أي: إلى عمل الآخرة التي هي دارُ الحياة؛ قال تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ﴾ [العنكبوت: ٦٤].

وقيل: ﴿لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾؛ أي: إلى الأعمال التي يُحْيي بها شرفكم، ويُبقي حمدَكم وذكرَكم، ويطيِّب بها أيضاً في الجنة حياتكم[1].

وقوله تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ﴾: أي: القلوبُ بيدِ الله، فيمنعُ المرء عن تقليبِ قلبه فيما يشاء[2]، وهذا على اتصاله بأول هذه الآية؛ لأنه[3] تعجيلٌ للعبد إلى الاستجابة قبل أن يُحدث الله له أسباباً لا يتمكَّن العبد معها من تصريف القلب فيما يشاؤه من إصلاح أمره، فيموت غيرَ مستجيبٍ لله ورسوله لم يدرك ما يحييه، ولذلك ذكر الحشر إليه بعده، وهو قوله تعالى:

﴿وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾: أي: تُبعثون وتُجْمعون إليه للجزاء.

وقال قتادة: أي: هو أقربُ إلى قلبه منه، وهو كقوله: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦][4]؛ لأن ما حال بينك وبين الشيء فهو أقربُ إلى الشيء منك، واتصالُه بما قبله وما بعده: استجيبوا لله فإن الله[5] لا يخفَى عليه ما في قلوبكم وإليه حشرُكم.

وقال الضحاك: يحول بين المؤمن والمعصية، وبين الكافر والطاعة[6]؛

---

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٥/ ١٧٧).

(٢) في (ر): «يشاؤه».

(٣) «لأنه»: ليست في (أ) و(ف).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ١١٢)، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ٣٠٨).

(٥) في (أ) و(ف): «فإنه» بدل: «فإن الله».

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ١١٠). وذكره الواحدي في «البسيط» (١٠/ ٨٩) عن ابن عباس والضحاك.

أي: لا يُخلي المؤمنَ التامَّ في الأفعال وقصدِ[1] المعصية بل يعصمه، والكافر على [2]عكسه.

وقال مجاهد: يَحولُ بين المرء وعقله فلا يدري ما يعمل به[3].

وقال القشيري رحمه الله: أي: يصونُ القلوبَ عن تقليب أربابها بما شاء من أسبابها، فيصون قلوبَ العبَّاد عن الجُنوح إلى الكسل فيجدُّون في معاملتهم، ويَصون قلوب المريدين عن التعريج في أوطان الفشل فيَصْدُقون في منازلاتهم[4]، ويصون قلوب العارفين على حدِّ الاستقامة عن الميل[5] فيتحقَّقون بدوام مواصلتهم.

قال: ويقال: حال بينهم وبين قلوبهم لئلا يكون لهم رجوعٌ إلا إلى الله، فإذا سنَح لهم أمر فليس لهم إلى الأغيار سبيل، ولا على قلوبهم تعويل، وكم فرق بين مَن يرجع عند سوانحه إلى قلبه وبين مَن لا يهتدي إلى شيء إلا إلى ربِّه، وقيل في معناه[6]:

لا يهتدي قلبي إلى غيركُمْ　　　لأنه سُدَّ عليه الطريق

قال: ويقال: العلماء هم الذين وجدوا قلوبهم؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ﴾ [ق: ٣٧]، والعارفون هم الذين فَقدوا قلوبهم؛ قال تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾[7].

---

(١) في (ف): «بقصد».

(٢) في (ر) و(ف): «وعلى قياسه»، بدل: «والكافر على».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ١١١)، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ٣٠٨).

(٤) في (ف): «منازلتهم»، وفي (أ) و(ر): «منازلهم»، والمثبت من «اللطائف».

(٥) في (أ): «المثل».

(٦) في (أ): «وهو كما قيل».

(٧) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٦١٥ ـ ٦١٦).

(٢٥) ـ ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً ﴾: النون لتأكيد الجزاء.

وقيل: لتحقيق القسَم، ومعناه: واحذروا عذاباً يَنزل بكم بظُلمكم ـ وهو ترْكُكم الإجابةَ إلى الجهاد[١] وغيرُ ذلك ـ لا يصيب الظَّلَمة خاصةً، بل يعمُّ الكلَّ ثم يكون للظَّلَمة عقوبةً ولغير الظَّلمة كفَّارةً.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: هذا في ترك الأمر بالمعروف عند غلَبة المنكَر، فيصيب الفسقةَ بفسقهم وغيرَ الفسقة بتركهم الأمرَ بالمعروف[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾: أي: إذا نزل عقابُه فهو شديدٌ لا يطاق، ويجوز أن يراد بها فتنةُ الدنيا؛ كما قال: ﴿يُفْتَنُونَ فِى كُلِّ عَامٍ﴾ [التوبة: ١٢٦]، ويجوز أن يراد بها فتنةُ الآخرة؛ كما قال: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ ﴾ [الذاريات: ١٣].

وقال الحسن: الآية في حق الصحابة ـ رضي الله عليهم أجمعين ـ عليٍّ وطلحة والزبيرِ وعمَّار[٣].

---

(١) في (ر): «القتال».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ١١٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦٨٢)، بلفظ: ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً ﴾ قال: أمر الله المؤمنين أن لا يُقرُّوا المنكر بين أظهرهم، فيعمَّهم الله بالعذاب.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ١١٣).

وقال الزبير بن العوام: نزلت هذه الآية وما ندري زماناً[١] أنَّا من أهلها، ونحن عُنينا بها[٢].

وقال السدِّي: نزلت في أهل بدرٍ خاصةً، وأصابتهم يوم الجمل[٣].

وقال الكلبي رحمه الله: نزلت في رجلين من قريش أَخبر الله تعالى نبيَّه ﷺ أنها ستكون بعده في أصحابه، وقد كانت تلك الواقعةُ بعد وفاته[٤] ومضت[٥].

وقرأ ابن الزبير: (لتُصيبنَّ الذين ظلموا)[٦].

وقيل: ﴿لا﴾ زائدة كما في قوله: ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ١٠٩]، ومعناه: اتَّقوا عقوبةً في الآخرة تكون للظَّلَمة خاصةً.

***

---

(١) في (ف): «زمانها».

(٢) بعدها في (ف): «أم لا»، وليست في المصادر. والخبر رواه بنحوه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٠٠٦)، والطبري في «تفسيره» (١١/ ١١٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦٨٢)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٤/ ٣٤٤)، والواحدي في «البسيط» (١٠/ ٩٨)، ولفظه عند ابن أبي حاتم: لقد قرأناها زمانًا وما نَرى أنّا مِن أهلها، فإذا نحن المَعْنِيُّون بها: ﴿وَاتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَاصَّةً﴾.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ١١٥) وزاد: (فاقتتلوا).

(٤) في (أ): «الوقعة بعد وفاته»، وفي (ر): «الوقعة بعده في أصحابه».

(٥) رواه أبو صالح عن ابن عباس مختصرا بلفظ: نزلت في رجلين من قريش، ولم يسمهما. انظر: «زاد المسير» (١١/ ١١٣).

(٦) ذكرها النقاش كما في «المحرر الوجيز» (٢/ ٥١٦)، و«البحر المحيط» (١١/ ٧٣ ـ ٧٤) عن الزبير بن العوام رضي الله عنه، ونسبت أيضاً لابن مسعود وزيد بن ثابت رضي الله عنهما وأبي العالية. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٤٩)، و«الكشاف» (٢/ ٢١٢).

(٢٦) ـ ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ﴾: أي: وتذكَّروا وأَخطِروا ببالكم أولَ حالكم يا معشر[1] المهاجرين إذ أنتم[2] قليلٌ في العدد.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: أي: إذ كنتم قليلاً، ودلَّ هذا على صحة قول أبي حنيفة رحمه الله فيمَن قال: هذا الشيء لفلان اشتريتُه منه، أنه يصدَّق ويصير كأنه قال: هذا كان لفلان[3].

وقوله تعالى: ﴿مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ﴾: أي: مقهورون في أرض مكة.

قال عبد العزيز بن يحيى: أي: في أول الإسلام قبل أن يَكْملوا أربعين[4].

وقال الآخرون: قبل الهجرة.

وقوله تعالى: ﴿تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ﴾: التخطُّف: الأخذُ والانتزاع بسرعة؛ أي: يأخذونكم ليتحكَّموا[5] فيكم بما شاؤوا من القتل والأسر.

وقوله: ﴿يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ﴾ قال الكلبي: أي: أهلُ مكة[6].

وقيل: أي: مَن حولكم من العرب خارجَ مكة.

وقال وهبٌ: أي: فارسُ والروم.

---

(١) في (ف): «معاشر».

(٢) في (ف): «كنتم».

(٣) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٥/ ١٨٢).

(٤) انظر: «البسيط» (١٠/ ١٠٣).

(٥) في (أ): «فيحكموا»، وفي (ف): «فيتحكموا».

(٦) وروي عن ابن عباس. انظر: «زاد المسير» (١١/ ١١٣).

وقوله تعالى: ﴿فَـَٔاوَىٰكُمۡ﴾: أي: في المدينة[١] بالهجرة ﴿وَأَيَّدَكُم بِنَصۡرِهِۦ﴾ أي: بأيدي الأنصار ﴿وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾؛ أي: بما وسَّع بها[٢] من المطاعم.

وقيل: أي: بما أحلَّ من الغنائم.

وقوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾: أي: لتشكروا نعمة الله عليكم، فتبذلوا أنفسكم في إحياء دينه والجهاد مع رسوله، والخروج إلى القتال من غير كراهةٍ ولا استثقال.

وقال الكلبيُّ وقتادة: نزلت الآية في يوم[٣] بدر حثًّا لهم على الجهاد[٤].

وقال الإمام القشيري رحمه الله: ذكَّرهم ما كانوا فيه من القلَّة والذِّلَّة وصنوفِ الخَلة[٥]، وما نقلهم إليه من الإمكان والبَسطة، ووجوهِ الإحسان والحيطة[٦]، وندبهم إلى الشكر على هذه النعم، وحقيقة الشكر: الغَيبة عن النِّعم بالاستغراق في شهود المنعِم[٧].

* * *

(٢٧) ـ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَـٰنَـٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾.

---

(١) في (أ) و(ف): «بالمدينة».

(٢) في (ف): «فيها».

(٣) في (ر): «أهل»، والمثبت من باقي النسخ والمصادر.

(٤) رواه عنهما عبد الرزاق في «تفسيره» (١٠٠٧)، والطبري في «تفسيره» (١١/ ١١٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦٨٢).

(٥) الخَلة: الحاجة والفقر.

(٦) في (أ): «والغبطة».

(٧) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٦١٧ ـ ٦١٨).

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾: متصلٌ بقوله: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ وقولِه: ﴿ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾.

والخيانة: خلاف الأمانة.

وقيل: أصلها الإخفاء، من قوله تعالى: ﴿يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ﴾ [غافر: ١٩].

وقيل: هي منع حقٍّ ضُمِن أداؤه.

وقال محمد ابن إسحاق: أي: لا تُظهروا للرسول ما يُرضيه منكم ثم تخالفونه في السر(١).

ومن ذلك: إظهارُ الطاعة في كلِّ شيء ثم المجادلةُ في أمر الغنيمة، أو الخروجُ إلى القتال المأمورِ به مع الكراهةِ أو تسخُّطِ قَدْرِ ما يعطي عند القسمة.

وقوله تعالى: ﴿وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ﴾: قال ابن عباس رضي الله عنهما: أي: ولا تخونوا أماناتكم(٢)، وهو معطوف على الأول، وجزمُه بالنهي، وعلامة الجزم حذفُ النون.

وقال السدِّي رحمه الله: أي: إذا خنتُم الرسول فقد خنتُم أماناتكم(٣). وهو على هذا واوُ الصَّرف، وهي ناصبةٌ، وعلامة نصبه حذفُ النون، ومعناه: أن حقوق الشرع

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ١٢٤) بلفظ: (لا تظهروا لله من الحق ما يرضى به منكم ثم...)، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦٨٤) من طريق ابن إسحاق، عن محمد بن جعفر بن الزبير، عن عروة بن الزبير بلفظ: (لا تظهروا له من الحق...) وبهذا اللفظ ذكره ابن هشام في «السيرة النبوية» (١/ ٦٦٩) عن ابن إسحاق. فكلمة: (له) تحتمل الله سبحانه وتحتمل الرسول ﷺ، ومحصل الكل واحد.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ١٢٤).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ١٢٣).

أماناتٌ عنده قد قبِلها وضمِن أداءها، فإذا خان الرسول فقد خان هذه[١] الأمانات.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: أي: أنها أمانةٌ، وما فعلتُم خيانةٌ؛ أي: وأنتم تعلمون إثم الخيانة وعقوبةَ الخيانة.

* * *

(٢٨) - ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾: أي: محنةٌ يَظهر بها مُؤْثِرُ حقِّ الله من مُؤْثِر حقِّ نفسِه.

والحامل على الخيانة في الغالب: حبُّ الأموال والأولاد، وتركُ الخروج إلى الجهاد طوعاً وطبعاً كذلك، فبيَّن الله تعالى أنها فتنةٌ وداعيةٌ إلى الخيانة ومُخلَّة بالأمانة.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: ﴿لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾؛ أي: إن أموالكم وأنفسَكم لله، وهي عندكم أمانةٌ استحفظكم فيها، فلا تستعملوها في غير ما أذن لكم فيه لأنه خيانة، ﴿وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ﴾؛ أي: ولا تخونوا أماناتكم التي فيما بينكم.

ومعنىً آخرُ: أن الله تعالى تعبَّدهم بما يرجع إلى منافعهم، فإذا خالفوا فقد خانوا أنفسَهم فضرُّوا أنفسَهم[٢]؛ قال الله تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[٣] [النحل: ٣٣]، وقال: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ [الإسراء: ٧]، وقال تعالى: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾ [فصلت: ٤٦][٤].

---

(١) «هذه» ليست في (ف).

(٢) «فضروا أنفسهم» ليس من (ف). ولفظ «التأويلات»: (خانوا أنفسهم وخانوا أماناتهم).

(٣) في «التأويلات»: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [البقرة: ٥٧].

(٤) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٥/ ١٨٣ ـ ١٨٥).

وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ﴾: لمن تركها ولم يَخُن لأجلها، وراعى الأمانة(١) بشرطها.

وقيل: أي: يا أيها الذين آمَنوا صدِّقوا الله ورسوله و(٢) لا تخونوا الله ورسوله، والخيانة: إظهار الإيمان والنصحِ، وإبطانُ الكفر والغشِّ، ودلالةُ المشركين على عورات المسلمين، وإطلاعُهم على خفيَّات أمور المسلمين.

وقال جابر: إن أبا سفيان خرج من مكة، فجاء جبريل النبيَّ ﷺ فقال: إن أبا سفيان في مكان كذا، فأخبر النبيُّ ﷺ أصحابه بذلك فقال: «فاخرجوا إليه واكتُموا»، فكتب رجل من المنافقين إليه: إن محمداً يريدكم فخذوا حِذْرَكم فأنزل الله هذه الآية(٣).

وقال الزهريُّ والكلبيُّ: نزلت في أبي لبابة مروانَ بنِ عبد المنذر من الأنصار من بني عوف بن مالك(٤) حين حاصر النبيُّ ﷺ قرى يهودِ قريظةَ إحدى وعشرين ليلةً، فسألوا رسول الله ﷺ الصلحَ على ما صالح عليه إخوانَهم من بني النضير على أن يسيروا إلى إخوانهم بأذرعات وأريحا من أرض الشام، فأبى أن يعطيهم ذلك إلا أن ينزلوا على حكم سعد بن معاذ، فأبوا وقالوا: أرسل إلينا أبا لبابةَ، وكان مناصحاً لهم لأن أهله وولده كانوا عندهم، فبعثه النبيُّ ﷺ إليهم فقالوا له: ما ترى؟ فأشار إلى حلقه أنه الذبح، قال: وما زالت قدماي في مكانهما حتى علمتُ أني خُنْتُ الله ورسوله، فنزلت هذه الآية والتي بعدها: ﴿إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ﴾.

---

(١) في (ف): «الأمانات».

(٢) في (ف): «أي»، وليست في (أ).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ١٢١). قال ابن كثير عند تفسير هذه الآية: حديث غريب جداً، وفي سنده وسياقه نظر.

(٤) «بن مالك» ليس من (ف).

وقال الزهري: قال أبو لبابة: والله لا أذوق طعاماً ولا شراباً حتى أموت أو يتاب عليَّ، فمكث سبعة أيام لا يذوق طعاماً ولا شراباً حتى خرَّ مغشيًّا عليه، ثم قيل له: تاب الله عليك، قال: لا والله لا أحلُّ نفسي حتى يكون رسولُ الله ﷺ يحلُّني، فجاءه فحله بيده، ثم قال أبو لبابة: تمام توبتي أن أهجرَ دار قومي التي أصبتُ فيها الذنبَ، وأن أنخلع من مالي، فقال النبيُّ ﷺ: يَجزِيك الثلثُ أن تتصدق به[١].

وقال السدِّي: كانوا يسمعون من النبيِّ ﷺ فيُفْشونه حتى يبلغَ المشركين[٢].

وقال الكلبيُّ: كلُّ أحدٍ مؤتمنٌ على ما افتَرض الله عليه، إن شاء خانها[٣] وإن شاء أدَّاها، لا يطَّلع عليه أحدٌ إلا الله تعالى[٤].

---

(١) ذكره عنهما بهذا السياق الثعلبي في «تفسيره» (٤/ ٣٤٦)، ودون نسبة الزمخشري في «الكشاف» (٢/ ٢١٣ ـ ٢١٤). وخبر الزهري رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ١٢١)، وخبر الكلبي رواه عبد بن حميد كما في «الدر المنثور» (٤/ ٤٨). وذكره مطولاً ابن إسحاق كما في «السيرة النبوية» لابن هشام (٢/ ٢٣٦ ـ ٢٣٨)، ورواه البيهقي في «دلائل النبوة» (٤/ ١٥) من طريق ابن إسحاق عن أبيه عن معبد بن كعب بن مالك، ثم قال: هَكذا قال ابن إسحاقَ بإسناده، وزعَم سعيدُ بنُ المسيِّب أنَّ ارتباطَه بساريَة التَّوبة كان بعد تَخَلُّفِه عن غزوةِ تبوكَ، حين أَعْرَض عنه رسولُ اللهِ ﷺ، وهو عليه عاتبٌ بما فَعَل يومَ قُرِيظةَ، ثُم تَخَلَّف عن غزوة تبوكَ فيمَن تَخَلَّف، واللهُ أعلمُ. وفي روايةِ عليِّ بن أبي طلحةَ، وعَطِيَّةَ بنِ سعدٍ، عن ابن عباسٍ في ارتباطه حين تَخَلَّف عن غزوة تبوكَ، ما يؤكِّد قولَ ابن المسيِّب. اهـ. وروايتي علي بن أبي طلحة وعطية عن ابن عباس رواهما الطبري في «تفسيره» (١١/ ٦٥١ ـ ٦٥٢). وأبو لبابة مختلف في اسمه، فقيل: مروان، كما ذكر المؤلف، وقيل: بشير، وقيل غير ذلك. انظر ترجمته في «الإصابة» في الكنى. وانظر ما سيأتي في قصة تبوك والمخلفين في سورة التوبة.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ١٢٣).

(٣) في (ر): «خالفها».

(٤) ذكره الواحدي في «البسيط» (١٠/ ١١٠).

وقال الإمام القشيري رحمه الله: خيانة كلِّ أحدٍ على حَسَبِ ما وُضع عنده من الأمانة، فمَن اؤتُمِن في مالٍ فتصرُّفُه فيه بغيرِ إذنِ صاحبه خيانةٌ، ومَن اؤتُمن على الحُرَم فملاحظتُه إياهن خيانةٌ، فعلى هذا الخيانةُ في الأعمال: الدعوى فيها بأنها من قِبَلك دون التحقيق بأن منشِئها الله تعالى، والخيانة في الأحوال: ملاحظتُك لها دون غَيبتك عن شهودها باستغراقك في شهود الحق، فإذا أَخلَلْتَ بسنَّة من السُّنن، أو أدبٍ من آداب الشرع، فتلك خيانةُ الرسول، والخيانة في الأمانات بينك وبين الخلق بإيثارك نصيبَ نفسك على نصيب المسلمين بإرادة القلبِ فضلاً من المعاملة بالفعل[1].

* * *

(٢٩) ـ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾: فخرجتُم إلى الجهاد كما أمركم ﴿يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا﴾: نصراً يفرِّق به بين الحق والباطل[2]، والمحِقِّ والمبطِل، كما وعد: ﴿ لِيُحِقَّ ٱلۡحَقَّ وَيُبۡطِلَ ٱلۡبَٰطِلَ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴾ [الأنفال: ٨].

وقيل: أي: ﴿إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ في الْتزامِ جميع ما ألزمناكم من أول السورة إلى هاهنا، وجملتُه: طاعة الله وطاعة رسوله ﴿يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا﴾.

قال ابن زيد وابن إسحاق: أي: هدايةً في قلوبكم تفرِّقون بها بين الحقِّ والباطل[3].

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٦١٨).

(٢) «الحق والباطل» ليس في (أ).

(٣) ذكره عنهما الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ٣١١)، ورواه عن ابن إسحاق الطبري في «تفسيره» (١١/ ١٣١).

وقال مجاهد: أي: مخرجاً في الدنيا والآخرة[١].

وقيل: مخرجاً عن الشبهات[٢].

وقال السدِّي: نجاةً[٣].

وقال الفرَّاء: فتحاً ونصراً، كما قال: ﴿يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾ [الأنفال: ٤١][٤].

وقيل: نصراً وعزاً وثواباً لكم، وخذلاناً وإذلالاً[٥] وعقاباً على أعدائكم، وكلُّ ذلك يفرق بينكم وبينهم في الدنيا والآخرة.

وقوله تعالى: ﴿وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾: وهـذا في الآخرة، والأولُ في الدنيا.

وقولـه تعالـى: ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾: يجـزي بالعمل المنقطِـع ثواباً غيرَ منقطعٍ.

* * *

(٣٠) ـ ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: أي: واذكرْ إذ كان ذلك، ذكر الله

---

(١) ذكره عنه الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ٣١١)، ورواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ١٢٨ ـ ١٢٩) عن مجاهد والضحاك وابن عباس.

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٤/ ٣٤٧) عن مقاتل.

(٣) ذكره عنه الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ٣١١)، ورواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ١٣٠) عنه وعن مجاهد وعكرمة وقتادة، ورواه أيضاً عن ابن عباس لكن بسند ضعيف جدًّا.

(٤) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٤٠٨)، و«النكت والعيون» (٢/ ٣١١).

(٥) في (ر) و(ف): «وذلا».

في هذه الآية من معاملة المشركين وجرأتهم على الله تعالى ما يدعو المؤمنين إلى جهادهم وردِّهم عن سَفَههم وعنادهم، إما بقتلهم أو إدخالهم في الإسلام، فقال: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾؛ أي: كفارُ قريش، ومكرُهم: تدبيرهم في إهلاكه أو إفساد[١] أمره على جهة [٢] الاستسرار، بحيث لا يُعلم إلا عند وقوعه.

وجاء أن أوَّل ما وقع من التدبير هو الحبسُ إليه إلى أن يموت، ثم انتقلوا عنه إلى إخراجه من البلد ونَفْيه، ثم استقرَّ تدبيرهم على قتله، فنزل جبريل عليه السلام فأخبره[٣]، ففارق منزله وبطَل تدبيرُهم أصلاً.

وقوله تعالى: ﴿لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ﴾ فيه أقاويل:

قال ابن عباس رضي الله عنهما والحسن ومجاهد وقتادة: أي: ليُوْثِقوك بوثاق[٤].

وقال عطاء وعبد الله بن كثير والسدِّي: أي: ليحبسوك[٥].

وقيل: أي: ليَسْحَروك [٦]، فيجعلوك ثابتاً في مكان.

وقيل: ﴿لِيُثْبِتُوكَ﴾؛ أي: ليُخرجوك، كما يقال: أثبتَه في الحرب، إذا جرحه جراحةً متلِفةً.

---

(١) في (ف): «هلاكه وفساد».

(٢) في (ف): «وجه».

(٣) في (أ): «وأخبر به»، وفي (ف): «فأخبرهم به».

(٤) رواه عنهم الطبري في «تفسيره» (١١/ ١٣٢).

(٥) رواه عنهم الطبري في «تفسيره» (١١/ ١٣٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦٨٨). وقول السدي عند الطبري: (الإثبات: الحبس والوثاق)، وعند ابن أبي حاتم: (يحبسوك ويوثقوك)، وهما متقاربان، وفيهما الجمع بين هذا القول وسابقه.

(٦) في (ر): «ليسجروك». والمثبت من باقي النسخ، وهو الموافق لما ذكره الطبري في «تفسيره» (١١/ ١٣٣)، واستدل عليه بقصة أبي طالب الآتية.

وقال أبو طالب: يا محمد! ما يأتمرُ بك قومك؟ قال: «يريدون أن يسحروني ويخرجوني ويقتلوني»، قال: مَن خبرك بهذا؟ قال: «ربي»، قال: نِعْمَ الربُّ ربُّك وذلك قوله جل جلاله: ﴿لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾[1].

﴿أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾: أي: من مكة.

وقوله تعالى: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾: أي: يجازيهم جزاءَ مكرهم، ويصنعُ بهم ما هو وَفْقُ قَصْدهم ﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ لأنه بحقٍّ، ولأنه ماضٍ لا محالة.

وقصتُه: ما قاله الكلبي ومقاتل: أن نفراً من قريش منهم أبو جهل، وعتبةُ وشيبةُ ابنا ربيعة، وهشام بن عمرو، وأبو البختري بن هشام من بني أسد، وأبو سفيان، وطُعيمةُ بن عَدِيٍّ، والنضر بن الحارث، وزَمْعةُ بن أسودَ، وحكيم بن حزام، ونبيهٌ ومُنبِّهٌ[2] ابنا الحجَّاج، وأمية بن خلف، اجتمعوا في دار الندوة يريدون المكر بالنبيِّ ﷺ فأتاهم إبليس في صورة شيخ فجلس معهم، فقالوا: ما أدخلك علينا بغير إذننا؟! فقال: أنا رجل من نجد لستُ من أهل مكة، رأيتكم حسنةً وجوهُكم طيبةً ريحُكم فأحببتُ أن أسمع حديثكم وأشيرَ عليكم، فإن كرهتُم مجلسي خرجتُ عنكم.

وفي رواية: قال: أنا شيخ من الماضِينَ أحياني اللاتُ لأعينكم في تدبيركم.

فقالوا: هذا رجل من نجد وليس من أهل تِهَامة فتكلَّموا فلا بأس عليكم منه، فقال أبو البختري لعنه الله: أما أنا فأرى أن تأخذوا محمداً فتجعلوه في بيت وتسدُّوا بابه غيرَ كوةٍ تُلقون إليه فيها طعامَه وشرابه، وتذرُوه فيه حتى يموت كما مات مَن قبله

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ١٣٣) عن المطلب بن أبي وداعة.

(٢) في (أ): «وملبه».

من الشعراء زهيرٍ والنابغةِ، إنما هو رجل[١] كأحدهم فتربَّصوا به رَيبَ المنون، فقال إبليس لعنه الله: بئس الرأيُ رأيُك[٢]، تَعمدون إلى رجل له فيكم آصرةٌ[٣] قد سمع به مَن حولكم تحبسونه فيوشكُ قومُه أن يقاتلوكم عنه؟! قالوا: صدق الشيخ.

وقال هشام بن عمرو من بني عامر بن لؤي: أمَّا أنا فأرى أن تحملوه على بعيرٍ فتخرجوه حيث شاء ويليه غيرُكم، قال إبليس لعنه الله: بئس الرأي رأيك، تعمدون إلى رجل قد أَفسد جماعتكم وتبعه منكم طائفةٌ فتخرجوه إلى غيركم ليفسدهم كما أفسدكم.

وفي رواية: قال: ألم تروا حلاوةَ قوله وطلاقةَ لسانه، والله ليَستجمِعَنَّ عليه خلقٌ[٤] ثم ليأتينكم.

فقال أبو جهل بن هشام لعنه الله: أمَّا أنا فأرى لكم أن تعمدوا إلى كلِّ بطنٍ من قريش فتأخذوا رجلاً منهم، ثم تعطوا كلَّ واحد منهم سيفاً، فيأتونه فيضربونه بأسيافهم فلا يَدري قومه مَن يأخذون به، وتؤدِّي قريش دِيَته، فقال إبليس لعنه الله: صدق والله الشابُّ أن الأمر لكما قال.

فتفرقوا على قول أبي جهل لعنة الله عليه، فنزل جبريل عليه السلام فأخبر النبيَّ ﷺ بأمرهم، وأمره بالخروج، فخرج النبيُّ ﷺ من ليلته تلك إلى الغار، وأنزل الله تعالى هذه الآية[٥].

---

(١) «رجل» ليست في (أ) و(ف).

(٢) في (ف) و(أ): «رأيت».

(٣) الآصرة: الرحم والقرابة. انظر: «القاموس» (مادة: أصر).

(٤) في (ف) و(أ): «خلق».

(٥) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٨٠٤ ـ ٨٠٥)، وفيه: أن الذي نزل هو قوله تعالى: ﴿أَمْ أَبْرَمُوٓا۟ أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ﴾ =

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: نزل عليه هذا بعد قدومه المدينة، ونزل أيضاً: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ﴾[١].

وقال عكرمة: لمَّا خرج النبيُّ ﷺ وأبو بكر رضي الله عنه إلى الغار أَمر عليَّ بن أبي طالب رضي الله عنه فنام في مضجعه، فبات المشركون يحرسونه فإذا رأوه حَسِبوه النبيَّ ﷺ وتركوه، فلما أصبحوا ثاروا[٢] إليه فرأوا علياً، فقالوا: أين صاحبُك؟ قال: لا أدري، فركبوا الصعبَ والذَّلولَ في طلبه فاقتصُّوا أثره، فمرُّوا بالغار فرأوا على بابه نسجَ العنكبوت، فقالوا: لو دخل لم يكن هذا فمكث فيه ثلاثة أيام[٣].

وفي رواية الكلبي رحمه الله: ثم قال لعليٍّ رضي الله عنه: نم في مضجعي وتَسَجَّ[٤] ببُرْدي فإنه لن يَخلُص إليك منهم[٥] شيء تكرهه، ثم خرج النبي ﷺ فأخذ قبضةً من تراب فأخذ الله أبصارهم عنه فلا يرونه، وجعل ينثر التراب على رؤوسهم وهو يقرأ: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا﴾ [يس: ٨] إلى قوله: ﴿فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [يس: ٩]، ثم انصرف حيث أراد، فأتاهم رجل حين أصبحوا فقال: ما تنتظرون هاهنا؟! قالوا:

= ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ۝٨٠﴾ [الزخرف: ٧٩]، ورواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ١٣٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦٨٨)، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وفيه عندهما أن آية الأنفال نزلت عليه بعد قدومه المدينة، وسينبه المؤلف على هذا لاحقاً.

(١) رواه الطبري وابن أبي حاتم. انظر التعليق السابق.

(٢) في (ر): «بادروا».

(٣) رواه عن عكرمة الطبري في «تفسيره» (١١/ ١٣٦)، لكن السياق المذكور رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٠١١)، والإمام أحمد في «المسند» (٣٢٥١)، والطبري في«تفسيره» (١١/ ١٣٦)، عن ابن عباس رضي الله عنهما. وإسناده ضعيف، انظر الكلام عليه في حاشية «المسند».

(٤) في (ف): «واتشح».

(٥) «منهم» ليست في (أ) و(ف).

محمداً، قال: خيَّبكم الله، قد والله خرج عليكم وما ترك رجلاً منكم إلا وضع على رأسه التراب وانطلق لحاجته(١).

ومضى رسول الله ﷺ إلى الغار فدخله وأبو بكر معه، وخلَّف علياً بمكة حتى يؤدِّيَ عنه الودائع التي قبلها، وكانت الودائع توضع عنده لصدقه وأمانته.

وقال الحسين بن الفضل رحمه الله: السورة مدنيةٌ، والله تعالى ذكر مكر المشركين به بمكة، وهو معطوف على قوله عز وجل: ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ﴾ ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ ﴿وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ﴾ الآية.

وقال القشيري رحمه الله: ﴿وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ﴾ إن مكر الله تعالى مع العوامِّ: شَغلُهم بالدنيا وصرفُ هممهم إليها حتى ينسَوا أمرَ الآخرة، [إذ] يوطِّنون أنفسهم عليها إلى أن يأتيهم من مأمنهم فيأخذَهم بغتةً، ومكره بالخواصِّ اغترارُهم بما يظهر لهم من الصِّيت الجميل بين الناس، وما يَظهر على ظواهرهم من صنوف الطاعات، مع ملاحظتهم لها وسكونهم إلى قبول الناس إياهم، فلا تزال أسرارهم بالأغيار مَنوطة، وهي عن الله في الحقيقة محجوبة، وعند الناس أنهم من أهل الكرامة، وفي معناه أنشدوا:

وقد(٢) حسدوني قربَ داري منكمُ ... وكم من قريبِ الدار وهو بعيدُ(٣)

* * *

(٣١) ـ ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا قَالُواْ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾.

---

(١) رواه ابن إسحاق عن يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي. انظر: «السيرة النبوية» لابن هشام (١/ ٤٨٣)، و«تاريخ الطبري» (١/ ٥٦٧).

(٢) في (ف): «وهم».

(٣) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٦٢٠).

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾: أي: وإذا يُقرأ عليهم القرآن المعجِزُ الذي لا يخفى إعجازه على عاقلٍ متأمِّل قالوا: قد سمعنا ما تلوتُم ولو شئنا لقلنا مثلَ هذا، إنما هو حديثٌ كأحاديث كسرى وقيصرَ والملوك الماضين، هذه غايةُ جرأتهم على الله ونهايةُ وقاحةِ وجوههم ومكابرتهم، فإن النبيَّ ﷺ تحدَّاهم به سنين كثيرةً لمعارضةِ سورةٍ منه، فلم يكن عندهم إلا بذل النفوس والأموال والأولاد، فهم - في زعمهم - أسفهُ الناس وأجهلهم، وقدَّموا النفوس[1] والأموال مع إمكانهم بزعمهم تكذيبه بمعارضةِ سورةٍ منه، فإمَّا أن يكونوا بهذا القول مكابِرينَ لعقولهم، أو جاهلين بإدعائهم بما يظهر فيه افتراؤهم.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: لمَّا قصَّ رسول الله ﷺ شأنَ القرون الماضية قال النَّضْر بن الحارث بن علقمة أخو بني عبد الدار: لو شئتُ لقلتُ مثلَ هذا إن هذا إلا أساطيرُ الأولين، - أي: إلا[2] ما سطر الأوَّلون في كتبهم - فقال له عثمان بن مظعون: إن محمداً يقول الحق، قال: وأنا أقول الحق، قال عثمان: فإن محمداً يقول: لا إله إلا الله، قال: وأنا أقول: لا إله إلا الله، لكن هؤلاء بناتُ الله، - يعني: اللاتَ والعزَّى - فقال رسول الله ﷺ: ﴿إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ﴾ [الزخرف: ٨١] قال النضر: ألا ترون أن محمداً قد صدَّقني فيما أقول، - يعني قوله: ﴿إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ﴾ - قال له المغيرة ابن الوليد[3]: والله ما صدَّقك، ولكنه يقول: ما كان للرحمن ولد، ففَطِن لذلك النضرُ

---

(١) في (ر): «إذ بذل النفس»، بدل: «وقدموا النفوس».

(٢) «أي» ليست في (أ)، و«إلا» ليست في (ر).

(٣) كذا وقع عند المؤلف والثعلبي على القلب، وصوابه: الوليد بن المغيرة، وكذا جاء في «تفسير مقاتل».

فقال: ﴿اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ﴾ الآية [الأنفال: ٣٢]، وأنزل الله تعالى: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ [المعارج: ١][١].

فوقع به العذاب يوم بدر وقُتل صبراً، لم يُقتل من الأسرى يومئذ غيرُه وغيرُ عقبة بن أبي معيط[٢]، وقد مر في القصة.

وفيه نزلت: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ﴾ [ص: ١٦][٣].

قال عطاء: لقد نزلت فيه بضعَ عشرةَ آيةً من كتاب الله تعالى[٤].

وقال سعيد بن جبير: لمَّا أَمر النبيُّ ﷺ بقتل النَّضْر يوم بدرٍ ـ وكان المقداد أَسَره ـ قال: يا رسول الله أسيري، قال: «إنه كان [يقول] في كتاب الله ما يقول»، فقال المقداد: أسيري يا رسول الله، فقال النبيُّ ﷺ: «اللهم أَغْنِ المقداد من فضلك»، فقال المقداد: هذا الذي أردتُ[٥].

وقال القشيري رحمه الله: فَرْطُ جهلهم ستَر على قلوبهم قُبْحَ دعواهم في القدرة على معارضة القرآن[٦]، فافتُضحوا عند الامتحان لعدم[٧] البرهان، والعجزِ عما وَصفوا من أنفسهم من الفصاحة والبيان.

---

(١) ذكره عن ابن عباس الثعلبي في «تفسيره» (٤/ ٣٥١)، وهو في «تفسير مقاتل» (٢/ ١١٢ ـ ١١٣).

(٢) كذا قال، وروى ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٦٦٩٢)، والطبري في «تفسيره» (١١/ ١٤٣)، عن سعيد بن جبير زيادة ثالث، وهو: طعيمة بن عدي. ووصله الطبراني في «الأوسط» (٣٨٠١) فرواه من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ١٤٥) عن عطاء، وسماه: النضر بن كلدة. وهو النضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة بن عبد مناف بن عبد الدار. انظر: «الاستيعاب» لابن عبد البر (٤/ ١٩٠٤).

(٤) قطعة من الخبر السابق.

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ١٤٣)، وما بين معكوفتين منه.

(٦) في (ر): «المعارضة للقرآن».

(٧) في: «اللطائف»: (بعدم).

وقيل: لمَّا لاحظوا القرآن بعين الاستصغار حُرِموا بركاتِ الفهم فعدُّوه من جملةِ أساطير الأولين، وكذلك مَن لا يراعي حرمةَ أوليائه يعاقَبُ بأنْ تُستر عليه أحوالهم فيظنَّهم مثلَه فيُطلق فيهم لسانَ الوقيعة وهو بذلك أحقُّ[1].

❊ ❊ ❊

(٣٢) - ﴿وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾: أي: واذكر إذ قال النضر بن الحارث، وإنما جُمع لأنه أراده وأتباعَه، وكذا في الآية الأولى جُمع حيث قال: ﴿قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ﴾ لهذا[2] اللهم إن كان ما أتى به محمدٌ حقًّا من عندك وقد جحَدْناه ﴿فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ ومَطَر في الرحمة وأَمْطَر في العذاب ﴿أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ غيرِ الحجارة من السماء كقوله: ﴿أَفِيضُوا۟ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾ [الأعراف: ٥٠]؛ أي: من غير الماء.

قال محمد بن إسحاق: ﴿فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ كما أَمْطرتَها على قوم لوط ﴿أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ أو ببعضِ ما عذِّبت به الأمم[3].

❊ ❊ ❊

(٣٣) - ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾.

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٦٢٠).

(٢) «لهذا» ليست في (ف)، واستدركت في هامش (ر) وعليها علامة التصحيح.

(٣) انظر: «السيرة النبوية» لابن هشام (١/ ٦٧٠).

وقوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ﴾ أخبر أن تأخير العذاب عنهم مع استيجابهم ذلك أنَّ الله تعالى لا يُنزل عذاب الاستئصال بقومٍ إلا بعد خروج نبيِّهم من بينهم، فقال: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ ﴾؛ أي: هذا الطاغي وأشياعه ﴿وَأَنتَ فِيهِمْ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾: أي: يتوبون من كفرهم ويستغفرون منه.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: كان فيهم أمانان: نبيُّ الله والاستغفارُ، فخرج النبي ﷺ وبقي الاستغفار[1].

وقال الكلبي: ﴿وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾؛ أي: يصلُّون الخَمس.

وقال عكرمة: الاستغفار هاهنا هو الإسلام[2].

وقال أبو مالك وابن أبي أَبْزَى والضحاك وعطيةُ وعبد الرحمن بن زيد: ﴿وَأَنتَ فِيهِمْ ﴾ أي: وأنت مقيم بين أظهُرهم، نزلت إليه هذه الآية وهو بمكة، ثم خرج من بين أظهرهم فاستغفر مَن بها من المسلمين وأنزلت عليه حينئذ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ أي: فيهم واحد[3] من المسلمين من النسوان والولدان، قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ ﴾ الآية [الفتح: ٢٥]، فخرج المستغفرون من مكة فنزل قوله تعالى: ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾ فأذن الله تعالى في فتح مكة، وهو العذاب الأليم الذي توعَّدهم به[4].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ١٥٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦٩١).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ١٥٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦٩٢).

(٣) في (ف): «أحد».

(٤) رواه عنهم الطبري في «تفسيره» (١١/ ١٤٨ ـ ١٥٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦٩٢ ـ ١٦٩٣)، والسياق المذكور هو لخبر ابن أبي أبزى.

وقال محمد بن إسحاق: كان المشركون يقولون: إن الله لا يعذبنا ونحن نستغفرُ، ولا يعذِّب أمة ونبيُّها معها حتى يخرجَ فقال الله تعالى لنبيه: يذكرُ جهالتهم فقال: يقولون: ﴿إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ﴾ ويقولون: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾ ويقولون: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾[1]، وردَّ عليهم كلَّ ذلك بقوله:

(٣٤) - ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَمَا كَانُوٓا۟ أَوْلِيَآءَهُۥٓ ۚ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾: أي: وأيُّ سبب يوجبُ تَرْكَ تعذيبهم بالسيف، وهو حُكم الله في المشركين حتى يسلِموا، وهم غيرُ مستغفرين بل يصدون المؤمنين[2] عن المسجد الحرام إذا أتوه حاجِّين أو معتمِرين أو مصلِّين، مع إظهار المشركين تعظيمَه وتعزُّزَهم به، وهذا تعجيبٌ منهم في تعظيم المسجد الحرام وهم يمنعون المؤمنين عن الحج إليه والصلاة فيه[3].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانُوٓا۟ أَوْلِيَآءَهُۥٓ﴾: أي: وليسوا أولياء الله، وتأخير العذاب عنهم ليس لولائهم[4].

وقوله تعالى: ﴿إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ﴾: أي: ما أولياءُ الله سوى المتقين ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك.

وقيل: وما كانوا أولياءَ المسجد الحرام وإنْ سعَوا في عمارته وسقيِ الحجيج وإطعامهم فيه، وكانوا يَرون أنفسَهم ولاةَ البيت لذلك، وبذلك كانوا[5] يصدون

---

(١) انظر: «السيرة النبوية» لابن هشام (١/ ٦٧٠)، ورواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ١٥١).

(٢) «المؤمنين» ليست في (أ) و(ف).

(٣) «فيه» ليست في (أ).

(٤) «أي: وليسوا أولياء الله وتأخير العذاب عنهم ليس لولائهم» ليس من (ف).

(٥) «كانوا» ليست في (أ) و(ف).

عنه مَن شاؤوا ويأذنون فيه لمن شاؤوا، فأبطل الله تعالى أن تكون لهم تلك الولايةُ وأثبتها للمتقين.

وقيل: أي: وما لهم أنْ لا يعذِّبهم الله في الآخرة، أثبت للمشركين العذابَ بنفي الولاية، وأثبت للمؤمنين الولايةَ بقوله عز وجل: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [البقرة: ٢٥٧] وبقوله: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ٦٢] فأشار بذلك إلى أنه لا يعذبهم، ثم[١] ولئن ثبت تعذيبُ مدةٍ فإنه إذا لم يتأبَّد خفَّ على الجسد[٢]، وفي ذلك ينشد:

إذا سَلِمَ العهدُ الذي كان بيننا ... فوُدِّي وإن شطَّ المزارُ سليمُ[٣]

***

(٣٥) ـ ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً﴾: أي: إلا صفيراً بالأفواه كصفيرِ الأطيار، وقد مَكَا يمكُو مُكَاءً.

﴿وَتَصْدِيَةً﴾: أي: تصفيقاً بالأيدي كفعلِ الصبيان، وإظهاراً للصَّدَى؛ أي: للصوت، وقد صدى يصدي تصدية.

وفسرهما كذلك ابن عباس رضي الله عنهما وابن عمر وعطية ومجاهد والضحاك رضي الله عنهم[٤].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كانت قريش يطوفون بالبيت وهم

---

(١) «ثم» ليس من (أ) و(ف).

(٢) في (أ): «الحد».

(٣) البيت في «لطائف الإشارات» (١/ ٦٢٢).

(٤) رواه عنهم الطبري في «تفسيره» (١١/ ١٦٢ ـ ١٦٦).

عـراةٌ يَصْفِرون ويصفِّقون، فأنـزل الله: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ﴾ الآيـة [الأعراف: ٣٢]، فأُمِـروا بالثياب(١).

وكانوا يعارضون النبيَّ ﷺ في الطواف يستهزؤون به يَصْفِرون ويصفِّقون، فأنزل الله هذه الآية(٢).

وقـال سـعيد بن جبيـر: التصديـة صدُّهم عـن البيت وعـن الصـلاة(٣)، وأصله: التصديـد، وقد صدَّده وصـدَّه(٤)، قُلبت إحـدى الدالين(٥) ياء تخفيفـاً كما في قولهم: تَمطَّـطَ وتَمطَّـى، وتَظنَّنَ وتَظَنَّى، وتقضَّـض وتَقَضَّى.

وقال بعضهم: كان المكاء أذاناً لهم والتصفيقُ(٦) إقامة.

وقال مقاتل: كان النبيُّ ﷺ إذا صلَّى بمكة في المسجد الحرام قام مشركان عن يمينه وآخران عن يساره يَـمْكون ويصفِّقون ليخلِّطوا عليه صلاته، وهم من بني عبد الدار، فقتلهم الله تعالى ببدر(٧).

وقوله تعالى: ﴿فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾: قيل: قالت الملائكة لهم ذلك يوم بدر.

---

(١) رواه الطبـري فـي «تفسيره» (١١/ ١٦٤)، وابـن أبي حاتم فـي «تفسيره» (٥/ ١٦٦٤)، من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ١٦٤) من قول سعيد بن جبير.

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٤/ ٣٥٤) من قول سعيد بن جبير وابن إسحاق. وذكره الطبري في «تفسيره» (١١/ ١٦٧) دون عزو، ويظهر من كلامه أنه مرجوح عنده.

(٤) في (أ): «وصد»، وفي (ر): «وصداه».

(٥) في (ف) و(أ): «الدالات».

(٦) في (ف): «والتصدية».

(٧) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ١١٤).

وقيل: يقولون لهم[١] في جهنم.

وقيل هو صيغةُ أمر في معنى الخبر؛ أي: ذاقوا ذلك؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ﴾ [سبأ: ١٨]، أي[٢]: كانوا يسيرون فيها كذلك

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: كان أحسنُ حالهم التي هم عليها هي حالة الصلاة، فإذا كانت صلاتهم مكاءً وتصديَةً فكيف سائر الأحوال[٣]؟!

ثم ذكرُ صلاتهم على هذا الوجه، وبيانُ ما قالوه على السفاهة: ﴿لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَـٰذَآ﴾، ودعاؤهم بإمطار الحجارةِ عليهم، وجعلُ ذلك كتاباً يتلى في الصلاة، له أوجهٌ[٤] ثلاثةٌ من الحكمة:

أحدها: تعليم الحِلم عن السفهاء.

والثاني: تعريف المعاملة مع السفهاء عند ارتكاب المناكير من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أنهم إذا تمادَوا في غيِّهم، واستقبلوه[٥] بالمكروه والأذى، أن لا يتركَ الأمر بالمعروف والنهيَ عن المنكر، ولا يُؤْيَسَ من خيرهم؛ اقتداءً بالنبي ﷺ.

والثالث: إعلامُ الخلْق أن حجة الله تَلزمُ العبادَ وإن كانوا قد جهِلوها، إذا كان التضييع جاء من قبَلهم في ترك النظر والتفكُّر؛ إذ لو علموا حقيقةَ العلم أنه الحقُّ لم يكونوا ليَدْعوا على أنفسهم بالهلاك.

وقال الإمام القشيري رحمه الله: وما كان الله ليعذِّبَ أسلافهم وأنت في

(١) «لهم» من (ف).

(٢) في (ر): «قيل».

(٣) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٥/ ١٩٤).

(٤) في (ر): «وجوه».

(٥) في (ف): «غيهم واستقبلوا»، وفي (ر): «عتوهم واستقبلوا».

أصلابهم، وليس يعذِّبهم اليوم وأنت فيما بينهم؛ إجلالاً لقَدْرك، وإكراماً لمحلِّك، وإذا خرجت من بينهم فلا يعذِّبهم وفيهم خدَمُك الذين يستغفرون.

ويقال[1]: للجوار حرمةٌ، فجار الكرام في ظلِّ إنعامهم، والكفارُ وإنْ لم يمتَّعوا بقرب الرسول، فقد اندفع[2] العذاب عنهم بمجاورته فيهم[3]، وفي معناه أنشدوا:

وأحبُّها وأحبُّ منزلَها الذي ... نزلت به وأحبُّ أهل المنزلِ[4]

***

(٣٦) - ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: نزلت الآية في إنفاق الكفار يومَ بدر.

وقال الكلبي رحمه الله: إن الذين كفروا بالله ورسوله ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله؛ أي: دينِ الله لأنه طريقُ ثوابه والخلودِ في جنته لمن سلكه على ما أَمر به.

وقوله تعالى: ﴿فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً﴾: أي: فسيقع إنفاقهم حسرة[5]؛ أي: ندامةً وغيظاً.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ يُغْلَبُونَ﴾ أي: يوم بدر.

---

(١) في (ف): «ويقولون».

(٢) في (ف) و(أ): «اندفع».

(٣) «فيهم» ليس من (أ).

(٤) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٦٢١).

(٥) قوله: «أي: فسيقع إنفاقهم حسرة» ليس في (ف).

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ يبعثون ويجمعون بعد القتل.

قال الكلبي: نزلت في المطعِمين يوم بدر، وكانوا اثني عشر رجلاً أطعموا الناس الطعام كل واحدٍ يُطعم مئة[1]، منهم: أبو جهل وأخوه الحارث بن هشام، وعُتبةُ وشيبةُ ابنا ربيعةَ بنِ عبد شمس، ومنبِّهٌ ونبيهٌ ابنا الحجاج، وأبو البَخْتَرِيِّ بنُ هشام، والنَّضر بن الحارث، وحكيم بن حِزام وأُبيٌّ بن خَلَفٍ، وزَمْعة بن الأسود، والحارث بن عامر بن نوفل، والعباس بن عبد المطلب، كلُّهم من قريش[2].

وقال مقاتل: إن رؤوس كفار قريش استأجروا أعواناً على قتال رسول الله ﷺ، فأطعموا أصحابهم في كلِّ يوم عشرَ جُزر[3].

وقيل: هو إنفاق الأموال التي كانت في العير في حرب أحد، وقد بينَّا ذلك في أولِ قصة حرب أحد في أول سورة آل عمران[4].

وقال سعيد بن جبير: نزلت الآية في أبي سفيان، استأجر يوم أحد ألفين من أحابيشِ كنانةَ سوى مَن استجاشَ من العرب، فقاتل بهم رسول الله ﷺ، وهم الذين يقول فيهم كعب بن مالك:

فجئنا إلى موجٍ من البحر وَسْطَه ... أحابيشُ منهم حاسرٌ ومقنَّعُ

---

(١) في (أ): «كل رجل يطعم فئة»، وفي (ر): «كل رجل منهم يطعم فئة».

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٤/ ٣٥٥). وانظر: «السيرة النبوية» لابن هشام (١/ ٦٦٤ ـ ٦٦٦)، و«المغازي» للواقدي (١/ ١٤٤).

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ١١٤).

(٤) والقول بنزول الآية في المطعمين يوم بدر أولى من القول بنزولها في المنفقين يوم أحد؛ لأن السياق قبلها في غزوة بدر، وقد سئل ابن عباس رضي الله عنهما فيما رواه البخاري (٤٦٤٥) عن سورة الأنفال فقال: (نزلت في بدر)، وإن كانت العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

ثـلاثـةُ آلافٍ ونـحـن بـقـيـةٌ ثلاثُ مئينَ إنْ كثُرنـا فأربـعُ[١]

وقال سفيان بن عيينة: قال قريش: لا تنفقوا هذا المال الذي أَفْلَتَ إلا في حرب محمد، فنزلت الآية.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: دلَّت الآية على صدق نبوَّةِ محمد ﷺ، حيث أخبر عن عاقبة أمرهم فكان كما أخبر به، وهو غيب، فثبت أنه عرف ذلك بالله[٢].

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: إنهم وإنْ أَلْهتهم آمالُهم فإلى الخيبة والذِّلة[٣] مآلُهم، لن تغنيَ عنهم أموالُهم، ولن تنفعَهم عند الحاجة أعمالُهم، بل خُتم بالشقاوة أحوالُهم[٤].

***

(٣٧) - ﴿ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ﴾: أي: يجعلَ نفقاتهم حسراتٍ عليهم، ويغلبَهم وإلى جهنم يحشـرَهم؛ ليفترق[٥] الكافر الخبيث الذي نَجست

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ١٧٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦٩٧)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٣/ ٩٤) (ط: دار التفسير)، والماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ٣١٧)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢٣٧). والبيتان من قصيدة لكعب في «السيرة النبوية» لابن هشام (٢/ ١٣٤). وفي جميع المصادر بدل «بقية»: (نَصِيَّة)، والنصية: الخيار من القوم.

(٢) لم أجده في «تأويلات أهل السنة».

(٣) في (ر): «والذل»، وفي «اللطائف»: (فإلى الهوان والذلة).

(٤) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٦٢١).

(٥) في (أ): «ليفرق».

عقيدتـه وأعمالـه مـن المؤمـن الطيِّب الذي طابـت عقيدتـه وأعماله.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ليَمِيزَ الله أهل الشقاوة من أهل السعادة[١].

وقيل: الخبيث: ما لا يصلح لله، والطيِّب: ما يصلح لله.

وقيل: الخبيث: ما حَكَم الشرعُ بقبحه وفساده، والطيِّب: ما شهد العلم بحُسنه وصلاحه.

وقيل: الخبيث: ما يَشغل صاحبه عن الله.

وقوله تعالى: ﴿وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ﴾: ركَم الشيءَ: راكَبَ[٢] بعضَه على بعضٍ، ومنه: السحاب المركوم.

قال الحسن: أي: يركمَهم مع ما أنفقوا. فيحتمِل أن يكون الخبيثُ والطيِّب اسمين للكافر والمؤمن والرَّكمُ للكفار والجمعُ لهم، ويحتمِل أن يكون اسماً للمال الخبيث والطيب والرَّكمُ لنفقاتهم معهم كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ﴾ الآية [التوبة: ٣٥]، وإنْ حُمل[٣] على الكافر فقوله تعالى: ﴿فَيَرْكُمَهُۥ... فَيَجْعَلَهُۥ﴾[٤] على التوحيد يرجعُ على ظاهر اللفظ لأنه فردٌ.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: ويحتمِل هذا أن يكون معناه: يجعلهم في دركاتٍ بعضُها أسفلَ من بعض، ويحتمِلُ جَعْلَ بعضِهم على بعضٍ مقرَّنين في الأصفاد، ويحتمل جَعْلَ بعضهم على بعض على التضييق، قال تعالى: ﴿وَإِذَآ أُلْقُواْ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا﴾ [الفرقان: ١٣].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ١٧٥).

(٢) في (ف): «ركب».

(٣) في (ر): «فإن حمل الآية».

(٤) في (ر) و(ف): «فيركمه جميعا».

وقولـه تعالـى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾: يرجع إلى المعنى لأنـه جمعٌ، أو إلـى أول[1] الآيتين: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾.

وقـال عبـد الرحمـن بـن زيـد: ﴿فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِي جَهَنَّمَ﴾: أن تُجعل نفقاتُهـم فـي قَعـر جهنم، ثـم يقال لهـم: الْحَقـوا بها[2].

والآيةُ في الذين قُتلوا يوم بدر، وما بعدها في حقِّ مَن بقي منهم.

* * *

(٣٨) ـ ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾: أي: قلْ يا محمد لمن بقيَ من كفار قريش بعد قَتلِ[3] مَن قُتل منهم يومَ بدر: إنْ تُقلِعوا عمَّا أنتم عليه من الشرك غَفَر الله لكم ما مضى من الشرك والمعاصي.

وقوله تعالى: ﴿وَإِن يَعُودُواْ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾[4]: أي: وإن يرجعوا إلى قتال المؤمنين فإنَّ الله يفعل بهم ما هو سنَّةٌ في[5] الأوَّلين بنصرِ الأولياء وقهرِ الأعداء، فأضاف السنة إليهم في هذه الآية لأنها مجعولةٌ لهم، وأضافها إلى نفسه في قوله: ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ [فاطر: ٤٣] لأنه هو الذي جعلها، وهو كالأَجَل: أضافه

---

(١) «أو إلى أول» من (أ)، ووقع بدلًا منها في (ر): «وأول»، وفي (ف): «أول».

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٤/ ٣٥٥)، والواحدي في «البسيط» (١٠/ ١٤٦).

(٣) «قتل» ليست في (أ).

(٤) في (ف) و(أ): «وإن تعودوا فقد...» بالتاء، وقد جاء في «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٥٦) عن ابن مسعود أنه قرأ: (إن تنتهوا يغفر لكم)، فلعل في قراءته: (وإن تعودوا) ليتجانس الفعلان.

(٥) «في» زيادة من (أ).

تارةً إلى نفسه بقوله عز وجل: ﴿إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ﴾ [نوح: ٤]، وإلى الخلق أخرى بقوله: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ﴾ [الأعراف: ٣٤] لهذا[١].

وقال ﷺ: «الإسلامُ يَجُبُّ ما قبله»[٢].

وقال الكلبي: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ يعني: أبا سفيان وأصحابه ﴿إِن يَنتَهُواْ﴾؛ أي[٣]: يُسلموا ﴿يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾: يُتجاوَز عنهم من الذنوب ما كان قبل الإسلام ﴿وَإِن يَعُودُواْ﴾ لقتاله ﴿فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ بنصرِ الله رسلَه، ومَن آمَن على مَن كفَر، بقتلهم في الدنيا ولهم العذابُ في العقبى[٤].

وقيل: نزلت في عكرمةَ بن أبي جهلٍ وعمرو بن العاص، فإن النبيَّ ﷺ لمَّا فتَح مكة هرب عكرمةُ إلى الجُدَّة، وركب البحر فهاجت الأمواج وخِيف الغرق، فقال الملاحون: لن ينجيَكم إلا الإخلاصُ ودين محمدٍ، قال عكرمةُ: فإن كان لا يُنجِيني في البحر إلا هذا لا يُنجيني في البر إلا هذا، فعزم على أن يرجع إلى رسول الله ﷺ فيسلمَ، فلمَّا خرج من البحر سالماً أتى المدينة فدخلها بغَلَسٍ، فرأى عمرو بن العاصي قد جاء لذلك، فقال: ما جاء بك يا داهيةَ العرب؟ فقال: ما بقي من مكرٍ إلا عَمِلْتُه فلم يَنفذْ، فعلمتُ أنه الحق، فجئت لأبايع النبيَّ ﷺ، فاجتمعا على إتيانِ رسول الله ﷺ والإسلام وأقبلا[٥]، فلمَّا قَرُبا من الباب كان يُقدِّم كلُّ واحد منهما

---

(١) «لهذا» ليست في (ف)، وكتبت في (ر) فوق السطر.

(٢) قطعة من حديث رواه مسلم (١٢١) عن عمرو بن العاص رضي الله عنه، وفيه أن النبي ﷺ قال له: «أمَا عَلِمْتَ أنَّ الإسلامَ يَهْدِمُ ما كان قَبْلَه».

(٣) في (أ): «إن».

(٤) في (ف) و(أ): «الآخرة».

(٥) «وأقبلا» ليست في (ف).

صاحبَه ويتأخَّر حياءً، فلما دخلا بكَيا، فقال ﷺ: «ما يبكيكما؟» قالا: كثرةُ جفائنا، فقال: «أبشِرا فإن الله يَقْبلُكما» ونزلت الآية.

وقال الإمام القشيري رحمه الله: قل لهم: إنْ حلُّوا نطاقَ العناد أطلَقْنا عنهم عقالَ البِعاد، وإنْ أبصروا قبحَ أفعالهم جُدْنا عليهم بإصلاح أعمالهم، وإنْ جَنَحوا للاعتذار خلعْنا عليهم خلعة الاغتفار(١).

***

(٣٩) - ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ۚ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾: أي: شرك ﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾؛ أي: حتى يخلُص دينُ الإسلام فلا يعبدَ إلا الله، ويجتمعَ الناس كلُّهم على الطاعة والعبادة لله تعالى.

قال ابن عباس والحسن وقتادة والسدي وابن إسحاق وابن زيد: ﴿حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾: أي: شرك(٢).

وقيل: أي: لا يبقى مشركٌ يُفتَتنُ به الجاهلون.

وقال الربيع بن أنس: حتى لا يُفْتَنَ مؤمنٌ عن دينه(٣).

وقوله تعالى: ﴿فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟﴾: أي: عن الفتنة والشرك وصاروا إلى دين الحق معكم ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ يعني: بما يعملون من تركِ الكفر

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٦٢٤).

(٢) رواه عنهم الطبري في «تفسيره» (١١/ ١٧٨ - ١٨٠).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٤/ ٣٥٦)، والواحدي في «البسيط» (١٠/ ١٥١).

والمعصية وفعلِ الإيمان والطاعة، يرى أعمالهم فيجزيهم على وفق أعمالهم[١].

❊ ❊ ❊

(٤٠) ـ ﴿وَإِن تَوَلَّوْاْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْۚ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِن تَوَلَّوْاْ﴾: أي: أعرَضوا عما أنذرتَهم فلم يتدبَّروا فيه ولم يَقبلوه[٢].

وقوله تعالى: ﴿فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ﴾: متولِّي أمورِكم ونصرِكم وإعلائكم فقاتلوهم.

وقوله تعالى: ﴿نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾: على العدوِّ فثِقُوا به.

وقال الإمام القشيري رحمه الله: إن لم تكونوا له بحيث يقال: نِعْمَ العبيدُ أنتم، فنِعْمَ المولَى ونِعْمَ الناصرُ هو لكم[٣].

ويقال: نعم المولى كان لكم يوم قسمةِ العرفان، ونعم الناصرُ لكم يوم نعمة الغفران[٤].

ويقال: نعم المولى هو لك حين لم تكن، ونعم الناصرُ هو لك حين كنتَ.

وقيل: نعم المولى بالتعريف قبل التكليف، ونعم الناصرُ لك بالتخفيف والتضعيف، يخفِّف عنك الطاعات، ويضاعف لك الحسنات، ويكفِّر عنك السيئات[٥].

---

(١) في (ف) و(أ): «عملهم».

(٢) في (ف): «فلم يتدبروا ولم يقبلوا».

(٣) في (ف): «فنعم المولى ونعم النصير على العدو فثقوا به فهو لكم»، والمثبت من باقي النسخ و«اللطائف».

(٤) في (أ): «الفرقان»، والمثبت من باقي النسخ و«اللطائف».

(٥) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٦٢٥).

(٤١) - ﴿۞ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ﴾: أي: إذا قاتلتم المشركين وقهرتُموهم وأخذتُم أموالهم، فإنها ما كانت تحلُّ للأمم السالفة، وقد أحلَّت لكم أربعةُ أخماسها، وليس هذا في هذه الآية، بل فيها [1] بيانُ خُمسها، فأما أربعة أخماسها فحِلُّها لنا بما ذكر في آخر هذه السورة: ﴿فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا﴾ [الأنفال: ٦٩].

وما ذُكر في هذه الآيةِ فقد بينَّا أنه ناسخٌ لِمَا ذُكر في أول هذه السورة: ﴿قُلِ الْأَنفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ وقال هاهنا: ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ﴾.

قيل: هو على تحقيق جعلِ سدسِ الخمس لله، وهذا يُصرف إلى ستر الكعبة.

وقيل: إلى أسلحة الغزاة.

وقيل: بل قوله: ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ﴾ سهمُ الله وسهمُ الرسول سهمٌ واحد، وهو سهم الرسول، وأضافه إلى نفسه تشريفاً له، فإنه ﷺ كان بالله ولله، فكان سهمُه سهمَ الله وهو خُمسُ الخمس.

واختُلف في سهمه ﷺ أنه: هل بقي بعد وفاته أو سقط؟

قيل: سقط؛ لأنه لم يَخلُفْه أحد في الرسالة، فلا يَخلُفه في سهمه.

وقيل: هو باقٍ، وهو لأمير المؤمنين في كلِّ عصرٍ؛ لأنه والي المسلمين كما كان رسول الله ﷺ واليَ المسلمين.

---

(١) في (ف): «بل هو في».

وقوله تعالى: ﴿وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾: هو القريب، وليس فيه أنه قريبُ مَن؟ لكن[1] اجتمعت الأمة أنه أريد به قريبُ رسول الله ﷺ، وهو واحدٌ بمعنى الجمع لأنه جنس، فكان سهمٌ من الغنيمة لأقرباءِ رسول الله ﷺ حالَ حياته، وكان النبي ﷺ يُعطيهم، وعُرف بفعل[2] رسول الله ﷺ أن المراد به أقرباؤه، وما كان يعطيهم كلَّهم.

روي عن جبير بن مطعم قال: لمَّا قسم رسول الله ﷺ سهمَ ذي القربى بين بني هاشم وبني المطَّلب أتيتُ أنا وعثمان رسولَ الله ﷺ فقلنا: يا رسول الله! هؤلاء بنو هاشم لا نُنكر فضلَهم لمكانك الذي وضعَك الله فيهم، أرأيت بني المطلب، أعطيتَهم وحرَمْتَنا -يعني: بني عبد شمسٍ وبني نوفل- وإنما نحن وهم منك بمنزلةٍ واحدة؟ فقال: «إنهم لم يفارقوني في جاهلية ولا إسلام»؛ أي: في حالِ جاهليتهم وبعد إسلامهم «وإنما بنو هاشمٍ وبنو المطلب شيء واحد»، وشبك بين أصابعه[3].

وسقط سهم ذوي القربى بوفاة رسول الله ﷺ؛ أجمع عليه الصحابة رضي الله عنهم؛ لِمَا أشار في هذا الحديث أن الإعطاء كان معلولاً بالنُّصرة، وقد[4] سقطت العلة فسقط[5] معلولُها، وعمِل به الخلفاءُ الراشدون، واتَّبعهم عليه الآخرون، وهو قولُ علمائنا رضي الله عنهم أجمعين. وقال الشافعي رحمه الله: هو باقٍ.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾: وسهمٌ كان لليتامى، وهو

---

(١) في (ف): «وليس قريبٌ مّا ولكن»، في (أ): «وليس فيه أنه قريب من ذلك».

(٢) «بفعل» ليس من (ف).

(٣) رواه البخاري (٣١٤٠)، والإمام أحمد في «المسند» (١٦٧٤١)، والنسائي (٤١٣٧)، ولم يرد في رواية البخاري: «إنَّهم لَمْ يفارقُوني في جاهليَّةٍ ولا إسلامٍ»، وليس عنده: (وشبك بين أصابعه).

(٤) في (ف): «وإن».

(٥) في (ر): «فيسقط».

جمع يتيمٍ، وهو الصغيرُ الذي مات أبوه، وسهمٌ كان للمساكين، وهو جمعُ مسكين، وهو الذي أسكنَتْه الحاجة، وسهمٌ كان لابن السبيل، وهو الغريب البعيد عن ماله، واحدٌ أُريد به الجمع لأنه جنس.

وهؤلاء مصارفُ هذا المال بصفةِ الحاجة، فلا يَحلُّ للغنيِّ منهم، ويجوز الصرفُ إلى صنفٍ واحدٍ منهم[1]، وهو بيانُ الصرف دون الاستحقاق كما عُرف في مصارف الصدقات، وهذا عندنا.

وأربعة أخماسه يقسم بين الغزاة: للفارسِ سهمان وللراجل سهمٌ عند أبي حنيفة، وهو قول أكثر الصحابة رضي الله عنهم، وفيه أكثرُ الأحاديث[2]، وعند أبي يوسف ومحمد رحمهم الله: للفارس ثلاثة أسهم سهمٌ له وسهمان لفرسه، وهو قولُ بعض الصحابة[3]، وفيه بعض الأحاديث[4].

---

(١) «منهم» ليس من (أ).

(٢) منها حديث مجمع بن جارية رضي الله عنه عند الإمام أحمد في «المسند» (١٥٤٧٠)، وأبي داود (٢٧٣٦)، وحديث المقداد بن عمرو عند الطبراني في «الكبير» (٢٠/ ٢٦١)، وحديث الزبير بن العوام في «مغازي الواقدي» (٢/ ٥٢٤)، وحديث عائشة في «تفسير ابن مردويه»، ولا يخلو كل منها من مقال. انظر: «نصب الراية» (٣/ ٤١٦)، و«الدراية» (٢/ ١٢٣).

(٣) وهو قول أكثر أهل العلم كما ذكر ابن المنذر والقرطبي، قال القرطبي: الذي عليه عامة أهل العلم فيما ذكر ابن المنذر أنه يسهم للفارس سهمان وللراجل سهم، وممن قال ذلك مالك بن أنس ومَن تبعه من أهل المدينة، وكذلك قال الأوزاعي ومن وافقه من أهل الشام، وكذلك قال الثوري ومن وافقه من أهل العراق، وهو قول الليث بن سعد ومن تبعه من أهل مصر، وكذلك قال الشافعي رضي الله عنه وأصحابه، وبه قال أحمد بن حنبل وإسحاق وأبو ثور ويعقوب ومحمد.
قال بن المنذر: ولا نعلم أحداً خالف في ذلك إلا النعمان، فإنه خالف فيه السنن وما عليه جل أهل العلم في القديم والحديث. قال: لا يسهم للفرس إلا سهم واحد. انظر: «الأوسط» لابن المنذر (١١/ ١٥٥ ـ ١٥٦)، و«تفسير القرطبي» (١٠/ ٢٦).

(٤) منها حديث ابن عمر عند البخاري (٢٨٦٣)، ومسلم (١٧٦٢)، ولفظه: قسم رسول الله ﷺ يوم =

ثم فيمَن شهد الأمر مَن لا يستحِقُّ السهم ويُرضَخُ له، ومنهم مَن لا يُرضخ[١]، وفي موضع الرَّضخ ومقدارِ الرضخ والمالِ الذي منه الرضخُ كلامٌ، وشرحُه في الفقهيات، وقد أشبَعْنا[٢] الكلام فيه على التهذيب والترتيب في «حصائل مسائل الفقه».

وقوله تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ﴾: يعني: فاعملوا به وارضَوا بهذه القسمة إنْ آمنتُم بالله، فإن الإيمان يوجب الرضا بالحكم والعملَ بالعلم.

وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾: أي: وصدَّقتُم بما أنزلنا على عبدنا ورسولنا محمدٍ ﷺ من الملائكة.

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ﴾: يومَ حربِ بدر، وهو يومُ النصر، ويومُ وقوعِ الفرقان بين الحق والباطل.

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ﴾: المؤمنون والمشركون ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ من إدامة علوِّكم ونصرِكم ما دمتُم على طاعاتكم وبِرِّكم.

وقال جعفر بنُ بَرْقانَ: هو يومُ ستَّةَ عَشَرَ أو سبعةَ عَشَرَ[٣] من شهر رمضان[٤].

وقال عروة بن الزبير: هو يومُ سبعةَ عَشَرَ أو تسعةَ عَشَرَ، وهو أولُ مشهدٍ شهِده رسولُ الله ﷺ من قتال المشركين لإعلاء الحقِّ والدين[٥].

= خيبر للفرس سهمين وللرجل سهماً.

(١) «ومنهم من لا يرضخ» ليس في (ف). وانظر الخلاف في الرضخ وعدمه، وفيمن يرضخ له ومن لا يرضخ، مع أدلته وأقوال العلماء فيه في «تفسير القرطبي» (١٠/ ٢٩ ـ ٣١) بتحقيقنا.

(٢) في (ر): «اتسعنا»، وفي (ف): «استغنى».

(٣) بعدها في (ر): «أو تسعة عشر»، وليست في مصدر التخريج.

(٤) رواه الحارث بن أبي أسامة في «مسنده» (٣٣٢ ـ زوائد).

(٥) رواه بنحوه مطولا الطبري في «تفسيره» (١١/ ٢٠١)، وليس فيه: (سبعة عشر).

(٤٢) - ﴿إِذْ أَنتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُم بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَىٰ وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَٰكِن لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِذْ أَنتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُم بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَىٰ﴾ قرأ ابن كثيرٍ وأبو عمرو بكسر العين والباقون بضمِّها[1]، وهما لغتان، وهي شفيرُ الوادي.

والدنيا: القُربى، تأنيثُ الأدنى، والقصوى: البعدى، تأنيث الأقصى.

يقول: واذكروا إذ كنتم أنتم يا معشرَ المؤمنين[2] من جانبِ شفير الوادي الأدنى إلى المدينة، ﴿وَهُم بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَىٰ﴾؛ أي: الكفارُ بالجانب الأقصى منها إلى جهة مكة.

وقوله تعالى: ﴿وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾: أي: العيرُ، جمع راكب؛ كالصَّحْب جمعُ صاحبٍ في مكان أسفل منكم، على[3] الظرف لا على النعت؛ أي: بقربِ ساحل البحر بينكم وبينهم ثلاثةُ أميالٍ، فلم يمكِنْ للمشركين أن يمضوا إلى عِيرهم فيحمُوها إذ كنتم[4] في وجوههم، ولم يمكنكم أن تمضوا إلى العير فتستولوا عليها إذ كان المشركون في وجوهكم، فتخلَّصت[5] العيرُ وتجرَّد الفريقان للقتال، فنصركم الله وأهلك صناديدهم وأوهَنَ كيدهم، وأعزَّ الإسلام وأَظهر أهله.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ﴾: أي: ولو كان بينكم وبينهم تواعُدٌ لاجتماعكم في موضع معيَّنٍ ثم علمتُم بكثرة عددهم وقوتهم وقلةِ عددكم وضعفِكم لدعاكم الضعفُ إلى التخلُّف.

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٣٠٦)، و«التيسير» (ص: ١١٦).

(٢) في (ف): «المسلمين».

(٣) في (ر): «نصب على».

(٤) في (ف) و(أ): «أنتم».

(٥) في (ف): «فتخلص».

وقيل: ولو تواعدتُم ثم لم يُمدِدْكم بلطفه لاختلفتُم بالعوائق والقواطع.

وقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن لِّيَقْضِيَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾: أي: ولكن وقع ذلك من غير ميعاد[1] ليُتِمَّ الله أمراً كان قد أراده، وما أراد كونَه فهو مفعولٌ لا محالة، وهو عزُّ الإسلام وعلوُّ أهله، وذلُّ الكفر وقهرُ أهله.

وقوله تعالى: ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ﴾: أي: صار الأمر فيما أراده إلى أن اتَّضح العذر ولزمت الحجةُ، وظهر الحق والباطل، فيَضلُّ مَن ضلَّ عن[2] تمام البيان ويَهتدي مَن اهتَدَى[3] على كمالِ البرهان، فالهلاكُ الكفرُ والحياةُ الإيمان؛ قال تعالى: ﴿أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ﴾ [النحل: ٢١]، وقال: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾ [الأنعام: ١٢٢].

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾: أي: قولَ الفريقين ﴿عَلِيمٌ﴾؛ أي: قصدَ الفريقين.

وقرأ عاصمٌ في رواية أبي بكرٍ ونافعٌ: ﴿مَن حَيِيَ﴾ بإظهار الياءين لامتناع الإدغام في مستقبَله: يَحْيَى، وقرأ الباقون: ﴿مَنْ حَيَّ﴾ على الإدغام[4]؛ للُزوم الحركة في الثاني فجرى مجرى: ردَّ.

* * *

(٤٣) ـ ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ ۗ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾.

---

(١) في (ف): «ميعاده».

(٢) في (ف) و(أ): «عن».

(٣) في (ف) و(أ): «اهتدى».

(٤) انظر: «السبعة» (ص: ٣٠٦)، و«التيسير» (ص: ١١٦).

وقوله تعالى: ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا﴾: أي: وإنَّ الله سميعٌ عليمٌ بما قالوا وأضمَروا فأراك يا محمد في نومك قلةَ عدد المشركين.

ويحتمِلُ أنه رأى في منامه ما كان تأويلُه ضَعْفَ أمر العدو[١]، كأنه رآهم قليلَ العدد، وتأويلُه ضعفُ أمرهم، ورؤيا الأنبياء وحي، فأَخبر أصحابه به، وقد قال: «إني أُريتُ مصارعَ القوم غداً»[٢] فقَوِيتْ نفوسُهم، وكانوا يخافون ويتحدثون بقلةِ عددِ أنفسهم وكثرةِ عددِهم، فأراه الله تعالى ذلك، ولا يكون هذا إراءةَ الشيء على غير[٣] ما هو به؛ لأن الرؤيا تخييلٌ وتنبيهٌ على شيء بتمثيل[٤]، وقد صوَّرنا نوعَ تأويل.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ﴾: أي: ولو رأيتَ في منامك ما يكونُ تأويله قوةَ أمرهم ثم أَخبرتَ أصحابك بذلك لفشلوا؛ أي: جبُنوا وانصرفوا.

وقوله تعالى: ﴿وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ﴾: أي: ولاختلفْتُم فلم تتَّفقوا على قتالهم ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ﴾: أي: من الفشل والتنازُع بما أراك.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾: أي: بسرائر القلوب؛ أي: فعَل ذلك لِمَا علِم من حُسن نيَّاتكم[٥].

* * *

---

(١) في (ف) و(أ): «العدد».

(٢) رواه بنحوه مسلم (٢٨٧٣) من حديث أنس عن عمر رضي الله عنه أنه قال: إنَّ رسولَ اللهِ ﷺ، كان يُرينا مَصارِعَ أهلِ بدرٍ بالأمسِ، يقولُ: «هذا مَصْرَعُ فلانٍ غدًا، إنْ شاءَ اللهُ»، قال: فقال عمر: فوالذي بَعَثَه بالحقِّ ما أَخطَؤوا الحُدودَ التي حَدَّ رسولُ اللهِ ﷺ. وقد تقدم عند تفسير قوله تعالى: ﴿كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ﴾.

(٣) «غير» ليست في (ف).

(٤) في (ر): «يتمثل».

(٥) في (أ): «من جبن ينالكم».

(٤٤) ـ ﴿ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ﴾: وهذا لطفٌ آخرُ؛ قلَّل المشركين في أعينِ المؤمنين حين التقَوا حتى قال ابن مسعود رضي الله عنه: لقد قلِّلوا في أعيننا يومَ بدرٍ حتى قلتُ لصاحبٍ لي إلى جنبي: كم تراهم[1] سبعين؟ قال: أراهم مئة، حتى أخذنا رجلاً منهم فسألناه، قال: كنَّا ألفاً[2].

وقلَّل المؤمنين في أعينِ المشركين، فهان أمرُهم عليهم حتى قال أبو جهل لعنه الله: خذوهم بالأيدي أخذاً ولا تقاتلوهم بالسلاح، وكان ذلك سبباً لحرص الفريقين على الملاقاة، فقضى الله تعالى أمره فيهم إذ[3] كان أمرُه مفعولاً، ومعناه: يكون، لكنْ لمَّا كان مما يكون لا محالة أَخبر عنه بـ﴿كَانَ﴾ كأنه قد كان.

وقال الكلبي: استقلَّ المؤمنون المشركين والمشركون المؤمنين؛ ليجترئَ بعضُهم على بعض.

وقوله: ﴿لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ﴾ كائناً في علمه بنصرِ الإسلام وأهلِه وذلِّ الشرك وأهله.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: ويحتمِلُ التقليلُ من الجانبين: أن المسلمين رأوا الملائكةَ معهم فكان المشركون في مقابَلة المسلمين والملائكةِ

---

(١) في (ف): «ترى القوم».

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٧٨٣٣)، والطبري في «تفسيره» (١١/ ٢١١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٧١٠).

(٣) في (ف): «إنه».

قليلاً، ولم يَرَ المشركون الملائكةَ فكان المسلمون في مقابَلةِ المشركين قليلاً[١].

وقوله تعالى: ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾: فيَحكم فيها بما يريد.

وقال الإمام القشيري رحمه الله: وإذا أراد الله نصرةَ عبدٍ فلو كاده جميعُ البشر أو أرادوه بكلِّ ضررٍ لم يَنفلَّ من شفا[٢] نُجحه حدّ، ولم يحصل بينه وبين متاح لطفه له سدّ، وإذا أراد الله بعبدٍ سوءاً فليس له ردّ، ولا ينفعه جِدّ، ولا يُنعشه بعد ما أسقطه حكمُه جهد[٣].

* * *

(٤٥) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ﴾: أي: لاقيتُم جماعةً من المشركين يقصدونكم فاثبتوا ولا تنهزموا.

وقوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾: أي: ادعوا في تلك الحالة ربَّكم، واسألوه الثباتَ والصبر والعلوَّ والنصر؛ كالذين قالوا: ﴿رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٠] فإنكم إذا فعلتُم ذلك كان فيه فلاحُكُم وهو الظَّفرُ بالعدو.

وقال النبيُّ ﷺ: «لا تتمنَّوا لقاء العدوِّ واسألوا الله العافية، وإن لقيتُموهم فاثبُتوا وأكثِروا ذكرَ الله، وإن أَجْلبوا وصيَّحوا فعليكم بالصَّمت»[٤].

---

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٥/ ٢٢٩).

(٢) في (ر): «سنا».

(٣) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٦٢٨). وكلمة «جهد» تحرفت في النسخ إلى: «حد».

(٤) رواه عبد الرزاق في «المصنف» (٩٥١٨)، والدارمي في «سننه» (٢٤٤٠)، وعبد بن حميد في «مسنده»

وقال سعيد بن جبير: ﴿فَاثْبُتُوا﴾ فإني معكم ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾ فإنهما خصلتان: الغنيمة أو الشهادة[1]، قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ﴾ [التوبة: ٥٢].

وقيل: أمَر الله تعالى بكثرة الذكر بكلِّ حال وإنْ غلب الهمُّ والشغلُ بالنفس والمال، فقال في حق النفس في هذه الآية: ﴿فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾ الآية، وقال في حقِّ المال: ﴿فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾ الآية [الجمعة: ١٠].

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: ذكر هاهنا: ﴿فَاثْبُتُوا﴾ وذكر قبل هذا: ﴿فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ﴾، فدلَّ أن الأمر بالشيء نهيٌ عن ضدِّه، والنهيَ عن الشيء أمرٌ بضده[2].

وقال الإمام القشيري رحمه الله: جميع الخيراتِ في ثبات القلب، وبه يتبيَّنُ أقدارُ الرجال[3]؛ كما قال الصدِّيق رضي الله عنه حين صدمته الفجيعةُ بوفاة رسول الله ﷺ حتى[4] قال: مَن كان يعبدُ محمداً فإن محمداً قد مات، ومَن كان يعبد ربَّ محمدٍ فإنه حيٌّ لا يموت[5].

* * *

---

(٣٣٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٧١١)، من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما. وروى البخاري (٣٠٢٤) من حديث عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه مرفوعاً: «أيُّها النَّاسُ، لا تَمنَّوا لقاءَ العدُوِّ، وسَلُوا اللهَ العافيَةَ، فإذا لَقِيتُموهم فاصبِروا، واعلموا أنَّ الجنة تحت ظلالِ السُّيوفِ».

(١) ذكره الواحدي في «البسيط» (١٠/ ١٨٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٥/ ٢٣٠).

(٣) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٦٢٨).

(٤) في (ف): «حين».

(٥) رواه بنحوه البخاري (٣٦٦٨) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٤٦) ـ ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾: أي: في التآلُف على نصرة الدين.

وقيل: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ﴾ في الأمر بالقتال ﴿وَرَسُولَهُ﴾ فيما يأمركم به حالةَ الالتقاء مِن تقدُّمٍ أو تأخُّر أو كفٍّ أو إقدام[1]، أو نحوِ هذا مما يُوجبه تدبير قادة الجيوش.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا﴾: أي: لا تختلفوا، والتنازع: طلَبُ كلِّ واحدٍ من صاحبه أن يَنزِع عما هو عليه.

وقوله تعالى: ﴿فَتَفْشَلُوا﴾: أي: فتَجْبُنوا، نصب بالفاء في جواب النهي؛ أي: في التنازُع قلةُ الأعوان[2] وفيها الجبن، وفي الجبن غلبةُ العدوِّ.

وقوله تعالى: ﴿وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾: هي ريحُ النصرة، قال ﷺ: «نُصِرْتُ بالصَّبا وأُهلكت عادٌ بالدَّبور»[3]، وقال الله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ [الأحزاب: ٩].

وقال مجاهد وقتادة: ويَذهب نصرُكم[4].

وقال السدي: جرأتُكم وحِدَّتُكم[5].

---

(١) في (ف): «بكف أو قدم» بدل: «أو كف أو أقدام».

(٢) في (أ): «الإخوان».

(٣) رواه البخاري (١٠٣٥)، ومسلم (٩٠٠)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٢١١) عن مجاهد.

(٥) في (أ): «أي جرأتكم وحدكم» وفي (ف): «جرأتكم وجدكم»، وبهذا اللفظ ذكره البغوي في «تفسيره» (٣/ ٣٦٤)، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٥٧٦) (تحقيق محمود شاكر) بلفظ: (حدكم وجدكم)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٤/ ٣٦٣) بلفظ: (جماعتكم وحدتكم)، وقال الواحدي في «البسيط» (١٠/ ١٨٢): قال السدي: (جرأتكم)، وقال مقاتل: (حدتكم).

وقال عطاء: جَلَدُكم[١].

وقال النَّضْر بن شُميل: قوَّتُكم.

وقال الأخفش: دولتُكم.

وقال يمان بن رئاب: غلَبتُكم[٢].

وقال ابن كيسان: ظَفَرُكم ورعبُ عدوِّكم منكم.

ويعبر عن الدولة بالريح؛ يقال: هبت لفلانٍ ريحٌ، إذا جاءت دولتُه.

وقال بعض المتأخرين:

إذا هبَّت رياحك فاغتنِمْها فعُقْبَى كلِّ خافقةٍ سكونُ
ولا تَغْفُلْ عن الإحسانِ فيها فلا تدري الركونُ متى يكونُ[٣]

وقوله تعالى: ﴿وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾: أي: هو مُعينُهم وحافظُهم.

* * *

(٤٧) - ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرٗا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ﴾.

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٤/ ٣٦٣)، وذكره الواحدي في «البسيط» (١٠/ ١٨٢) عن ابن عباس بلفظ: (جلدكم وجدكم).

(٢) ذكر الأقوال الثلاثة الثعلبي في «تفسيره» (٤/ ٣٦٣).

(٣) انظر: «التمثيل والمحاضرة» (ص: ٢٤١)، و«أساس البلاغة» (مادة: روح)، وعزاهما برهان الدين الوطواط في «غرر الخصائص الواضحة» (ص: ٤٠) لابن هندو، وقال الثعلبي: أنشدني أبو القاسم المذكر قال: أنشدني أبو نصر بن محمد بن الحسين الكرخي الكاتب، فذكرهما. انظر: «تفسير الثعلبي» (١٣/ ١١٣).

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِم بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ﴾: أي: اشتغالاً عن شكر النعمة بإظهار التطاوُل على الناس بإسرافِ نفقةٍ في غيرِ رضى اللهِ عز وجل ونحوه، وقد بَطِر من حدِّ عَلِمَ؛ قال تعالى: ﴿بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا﴾ [القصص: ٥٨].

وقيل: البَطَر: سوءُ احتمال الغِنَى، وهو قريب من الطغيان، قال الشاعر:

وإذا غَنِيْتَ فلا تكن بَطِراً وإذا افتقرتَ فتُهْ على الدَّهرِ[١]

وقوله: ﴿وَرِئَاءَ النَّاسِ﴾؛ أي: مرآةً لهم؛ أي: اخرجوا إلى الجهاد محتسِبين، لا بَطِرين ولا مُرائين كالمشركين، فإنهم خرجوا يفعلون ذلك.

وقوله تعالى: ﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾: أي: دين الله ﴿وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾؛ أي: عالمٌ، وهو وعيدٌ وتهديد.

قال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهدٌ وعروةُ بنُ الزبير ومحمد بن إسحاق: خرج أهل مكة لحماية العير التي كانت مع أبي سفيان، وأخرجوا المعازف والقِيَان، فلما نجا أبو سفيان أرسل إليهم: أن ارجعوا فقد سلِمَت عيرُكم، وهم بالجحفة، فقال أبو جهل لعنه الله: والله لا نرجع حتى نَرِدَ بدراً وننحرَ جُزراً ونشربَ خمراً، وتعزف علينا القِيَان، ويرانا مَن غشِيَنا من أهل الحجاز، وتسمعَ بنا العرب فلا يزالون يهابوننا[٢].

وروي أنه قيل: يا رسول الله! الرجل يقاتل ليَغْنَم، ويقاتل ليُذكر، ويقاتل ليُرى مكانه، فمَن في سبيل الله؟ فقال ﷺ: «مَن قاتل لتكون كلمةُ الله هي العليا»[٣].

* * *

---

(١) البيت لمحمد بن جرير الطبري. انظر: «تاريخ بغداد» (٢/ ١٦٦)، و«شعب الإيمان» (٤٦٣١)، و«معجم لأدباء» (٥/ ٢٤٤)، و«سير أعلام النبلاء» (١٤/ ٢٧٦)

(٢) رواه عنهم الطبري في «تفسيره» (١١/ ٢١٧ - ٢٢٠).

(٣) رواه البخاري (٣١٢٦)، ومسلم (١٩٠٤)، من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

(٤٨) ـ ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَعْمَـٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَعْمَـٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ﴾: أي: محيطٌ بهم إذ زيَّن لهم الشيطان أعمالهم[1]؛ أي: حسَّن في قلوبهم ثباتَهم على قتال المسلمين، وأوهمهم القوةَ والغلبة وانتشارَ الصيت في العرب بالجَلادة والمنَعة، وقال: ﴿لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾؛ أي: من جيش محمد ﴿وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ﴾؛ أي: مجيرٌ لكم وضامنٌ لكم السلامة من اعتراض المعترِضين.

والجار: هو المجير الذي يعطي الخائفَ الأمان، وقد استجاره فأجاره؛ أي: استأمَنه فأمَّنه.

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ﴾: أي: تلاقت ورأى بعضهم بعضاً، و﴿ٱلْفِئَتَانِ﴾: جماعة المؤمنين وجماعة المشركين.

وقوله تعالى: ﴿نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾: النكوص: رجوعُ القَهْقَرى خوفاً مما يَرى؛ أي: ولَّى مدبراً حين نظر إلى الملائكة مردِفين زائدين على عدد المشركين ﴿وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ﴾؛ أي: رجعتُ عما كنتُ ضمنتُ لكم من الأمان ﴿إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ﴾؛ أي: لأني أرى الملائكة ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ﴾؛ أي: أخاف عقابه على أيدي مَن أراهم ولا ترونهم أنتم ﴿وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ لا يردُّ عقابه بشيء ولا يقاوَم.

وقصته: ما ذكرنا: أن إبليس تصوَّر لهم بصورة سُراقة بن مالك بن جُعْشُم[2]

(١) «أعمالهم» ليست في (أ) و(ف).

(٢) في (ف): «وحثهم» بدل: «بن جعشم».

وشجَّعهم وضمِن لهم، ثم انهزم حين نزلت الملائكة، وكان هؤلاء المشركون تخوَّفوا من بني بكر بن كنانة إذ كانوا قتلوا منهم قتيلاً، فلم يأمَنوا يوم خروجهم إلى بدر أن يأتوهم من ورائهم، فتصوَّر لهم إبليس بصورة سراقة ـ وهو من بني بكر بن كنانة ـ وقال: إني جار لكم من بني بكر، فركَنوا إلى قوله وساروا وهو معهم إلى أن كان ما قلنا، وهذا جائز في زمن النبوة، ويكونُ علَماً لرسول الله ﷺ ليُخبر أصحابه بذلك، ويخبِرَ به مَن أَفْلتَ من القتل من قريش، فيكون ذلك دلالةً على نبوته، قال ذلك ابن عباس والشعبيُّ وقتادةُ وابن إسحاق[1].

وقال قتادة: قوله: ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ﴾ كذَب والله، ما به مخافةُ الله، ولكنه علم أنه لا قوة له ولا منعة، وتلك عادة عدوِّ الله لمن أطاعه، حتى إذا التقى الحقُّ والباطل أسلمَهم شرَّ مُسْلَمٍ وتبرَّأ منهم[2].

وقال الكلبي رحمه الله: خاف اللعين أن يأخذه جبريل عليه السلام ويعرِّفَهم حالَه، ولما نكص على عقبيه أخذ الحارثُ بن هشام بيده فقال: أعَلَى هذه الحالة تخذلنا؟! قال: إني أرى ما لا ترون، قال: والله ما نرى إلا جعاسيس يثرب! قال: إني أخاف الله، قال الحارث: فهلا كان أمس؟ فدفع في صدر الحارث وانطلق، وانهزم الناس، فلما قدموا مكة قالوا: هزم الناسَ سراقةُ بن مالك، فبلغ ذلك سراقةَ، فقال: بلغني أنكم تقولون: إني هزمتُ الناس، فوالله ما شعرتُ بمسيركم حتى بلغني هزيمتُكم، فقالوا: ما أتيتنا يوم كذا؟ فحلف لهم، فلما أسلموا علموا أن ذلك كان الشيطان[3].

* * *

(١) رواه عنهم الطبري في «تفسيره» (١١/ ٢٢١ ـ ٢٢٣).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٢٢٣).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٤/ ٣٦٥)، والبغوي في «تفسيره» (٣/ ٣٦٦).

(٤٩) ـ ﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ﴾: أي: واذكروا إذ كان يقول المنافقون، أو: قال إبليس ذلك إذ يقول المنافقون، وهم المعلِنون للنفاق، المترئِّسون على طبقتهم[1] ﴿وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ ممن دخل في الإسلام حديثاً وفي قلبه بقيةُ شكٍّ لا يعادي المسلمين ولا يُعِين عليهم: ﴿غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ﴾ توهَّموا أن دينهم يَقيهم ونبيَّهم يحميهم وهم بهذه القلة والمشركون بهذه الكثرة والعدة.

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾: أي: يثقْ بالله ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ لا يغالَبُ ﴿حَكِيمٌ﴾ لا يسوِّي بين وليِّه وعدوِّه.

وقال مجاهد: نزلت الآيةُ في قوم كانوا مستضعَفين بمكة، فلما خرجت قريش أخرجوهم كرهاً، فلما نظروا إلى قلة المسلمين ارتدُّوا فقتلوا جميعاً، منهم: قيس بن الوليد بن المغيرة، وأبو قيس بنُ الفاكهِ بن المغيرة، والحارث بن زَمْعَةَ، وعلي بن أمية بن خلف، والعاص بن منبِّه بن الحجاج، خرجوا من مكة وهم على الارتياب[2].

وقال محمد بن إسحاق: هم ثمانية نفرٍ، من قريش خمسةٌ كانوا أقروا بالإسلام فاحتبسهم آباؤهم عن الهجرة، فخرجوا إلى بدر معهم على الارتياب، فلما رأوا قلة

---

(١) في (ر) و(ف): «طبقاتهم».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٢٢٧)، ورواه الطبري أيضاً (٧/ ٣٨٣) عن قتادة في سبب نزول قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ﴾ إلى قوله: ﴿وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ٩٧]، وكذا قال ابن إسحاق كما سيأتي.

أصحاب النبيِّ ﷺ قالوا: غرَّ هؤلاء دينُهم حتى أقدموا[١] عليه مع قلَّتهم وكثرة عدوهم، وأسماء الخمسة: قيس بن الوليد بن المغيرة وأبو قيس المخزوميان، والحارث بن زَمْعة بن الأسود بن المطلب، وعلي بن أمية، والعاص بن منبه بن الحجاج[٢].

وزاد فيهم مقاتل: والوليد بن الوليد بن المغيرة، والوليد بن عتبة، وعمرو بن أمية ابن سفيان بن أمية، كان هؤلاء أسلموا بمكة ثم أقاموا بها مع المشركين ولم يهاجروا، فقتل هؤلاء مع المشركين، فضربت الملائكة وجوههم وأدبارهم، وذلك قوله تعالى:

(٥٠) ـ ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾.

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾[٣]: قدَّم المفعول وهو ﴿ٱلَّذِينَ﴾، وهو منصوب بوقوع التوفِّي عليهم، و﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ رفعٌ لأن فعلَ التوفِّي منهم وهو قبض أرواحهم.

يقول: ولو ترى يا محمد إذ كان يتوفَّى الملائكةُ أرواحَ الكفار ﴿يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ﴾: أي: يضربون بآلات الحرب كلَّ أجسادهم ما أَقبل منها وما أدبر، لرأيتَ أمراً عظيماً، جواب (لو) هذا، وهو محذوف، وهذا أبلغُ من الذكر؛ لأن النفس تذهب فيه كلَّ مذهب. وتم الكلام هاهنا.

وقوله تعالى: ﴿وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ هذا في الآخرة؛ أي: يقول الملائكة لهم: ذوقوا عذاب الإحراق.

---

(١) في (ف): «قدموا على ما قدموا».

(٢) قاله ابن إسحاق كما في «السيرة النبوية» لابن هشام (١/ ٦٤١) لكن في سبب نزول قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ الآية.

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ١٢٠ ـ ١٢١).

وقيل: أي: عذابَ النار؛ لأن الحريق اسم للنار.

وقيل: كان مع الملائكة مقامعُ من حديد كلما ضَربوا التهبتِ النار في الجراحات، فذلك قوله: ﴿وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾؛ أي: قاسُوا وجرِّبوا.

وقيل: يجوز أن تكون هذه الآيةُ في الذين لم يُقتلوا ببدر، وأخبر الله تعالى عن أحوالهم عند حضور آجالهم: أن الملائكة تقبض أرواحهم بالضرب على وجوههم وأدبارهم، فيكون قبضُ أرواحهم مشاكلاً بقبض أرواح الذين قُتلوا ببدر ضرباً وطعناً، ومِن خلفٍ وقدَّامٍ، وفوق الأعناق وعلى كلِّ بنان، ويكون جوابُ (لو): لعلمْتَ أنَّ مَن مات حتفَ أنفه ومَن مات في الحرب يتقاربان في العذاب الشديد.

* * *

(٥١) ـ ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾: أي: وتقول الملائكة لهم في النار: ذلك الإحراقُ والتعذيب جزاؤكم بما قدمتُم(١) من الكفر والمعاصي بأنفسكم مباشرة.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ لا يعاقبُهم بغير ذنب منهم(٢).

* * *

(٥٢) ـ ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾: أي: عادة هؤلاء المشركين بالنبيِّ ﷺ كعادةِ فرعون وآلِه بالنبيِّ موسى عليه السلام.

---

(١) في (ر): «قدمت أيديكم».

(٢) «منهم» ليست في (أ)، وسقطت الجملة كلها من (ف).

وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾ من الكفار ﴿كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: بما أنزل على نبيِّه ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمۡ﴾: أي: عاقبهم بها، فأهلكهم ببدرٍ كما أهلك أولئك بالإغراق في البحر.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيّٞ﴾: لا يغلبه شيء ﴿شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ لا يطاق عقابه ولا يردُّه شيء.

***

(٥٣) ـ ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرٗا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرٗا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾: حُذف حرف[1] النون من (يكن) تخفيفاً لكثرة الاستعمال؛ لأن (كان) و(يكون) أمُّ الأفعال؛ لأن (ضرَب) في معنى: كان ضرَب، و(يضرب) في معنى: يكون يضرب[2]، فلما كانت أمَّ الأفعال وكثر استعمالها للحاجة إليها احتملت هذا الحذف، ولم[3] يحتملْه نظائرها مِن: لم يَصُن ولم يخن.

يقول: إن الله جلَّ جلالُه بكرمه لا يَبتدِئ قوماً بإنزال هذا العذاب عليهم حتى يَسبق منهم ما يستحقُّون به العذاب، فيوقَعُ بهم حينئذ، كذا كانت سنَّته في الأمم الماضية كما هي الآن في مشركي العرب، غيَّروا ما أَنعم الله عليهم من ابتعاث محمدٍ ﷺ فكذَّبوه وأخرجوه، فغيَّرنا نعمَنا عليهم فأنزلنا بأسنا بهم.

---

(١) «حرف» زيادة من (ف).

(٢) «يضرب» ليست في (أ).

(٣) في (ف): «ولا».

وقال السدِّي: أي: النعمةُ محمد ﷺ، أنعم الله تعالى به على قريش فكفروا به وكذَّبوه فنقله إلى الأنصار[١].

وقال الكلبي: أنعم الله على أهل مكة فأطعمهم من جوع وآمَنهم من خوف، وبعث محمداً ﷺ إليهم، ولم يكن يعذِّبُهم حتى يغيِّروا ما بأنفسهم من النعم كفراً بها وتركاً لشكرها، فغيَّروا ذلك فغيَّر الله تعالى ما بهم، قال الله تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً﴾ الآية [النحل: ١١٢][٢].

وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾: أي: وبأن الله سميعٌ لا يخفى عليه من كلام خلقه شيء، عليمٌ بما في صدورهم.

وقال الإمام القشيري رحمه الله: إذا أنعم الله على قومٍ وأراد دوامها لهم أكرمهم بتوفيق الشكر، فإذا شكروا نعمته قيَّدوها فدامت لهم، وإذا أراد الله إزالةَ نعمة من عبدٍ أذلَّه[٣] بخذلان الكفران، فإذا حاد عن طريق الشكر فقد عرَّض النعمة للزوال، وما دام العبد لشكرِ النعمة مقيماً كان الله تعالى لإنعامه عليه مُديماً، فإذا قابَل النعمة بالكفران انبتَر سِلكُ نظامه، فبقَدْرِ ما يزيد في إصراره يزول الأمر عن قراره[٤].

* * *

(٥٤) ـ ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾: أي: صنيعُ هؤلاء بك كصنيعِ آل

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٢٣٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٧١٨).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٤/ ٣٦٨).

(٣) في (أ): «أزاله».

(٤) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٦٣٣).

فرعون بموسى عليه السلام ﴿وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾ بأنبيائنا، وليس هذا بتكرارٍ، فإن الأولى في الكفر والمخالَفة والمؤاخَذةِ بالمعاقبة، وهذا في كفران النعمة والابتلاء بزوال النعمة.

وقوله تعالى: ﴿كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ فَأَهۡلَكۡنَٰهُم بِذُنُوبِهِمۡ﴾: على العموم ﴿وَأَغۡرَقۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ﴾ على الخصوص ﴿وَكُلّٞ كَانُواْ ظَٰلِمِينَ﴾ قال الله تعالى: ﴿فَكُلًّا أَخَذۡنَا بِذَنۢبِهِۦ﴾ [العنكبوت: ٤٠].

* * *

(٥٥) ـ ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾: أي: شرَّ الخلائق الدابِّين على وجه الأرض هم أهل الكتاب الذين أَلِفوا الكفر، فهم لإلفهم ذلك لا يؤمنون بك.

قال مقاتل: هم يهود بني قريظة، وذلك أن اليهود لعنهم الله نقضوا العهدَ الذي كان بينهم وبين رسول الله ﷺ، وأعانوا مشركي مكة بالسلاح على قتال محمدٍ ﷺ وأصحابِه، وقالوا: نسينا وأخطأنا، ثم عاهدهم الثانيةَ فنقضوا العهد، فذلك قوله تعالى:

(٥٦) ـ ﴿ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنۡهُمۡ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهۡدَهُمۡ فِي كُلِّ مَرَّةٖ وَهُمۡ لَا يَتَّقُونَ﴾.

﴿ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنۡهُمۡ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهۡدَهُمۡ فِي كُلِّ مَرَّةٖ وَهُمۡ لَا يَتَّقُونَ﴾[1]: ﴿عَٰهَدتَّ مِنۡهُمۡ﴾؛ أي: أخذتَ العهد منهم.

وقيل: أي: الذي عاهدتَهم منهم؛ أي: من الذين كفروا من أهل الكتاب.

قال الكلبي: نزلت في بني قريظة من اليهود؛ منهم كعب بن الأشرف وأصحابه

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ١٢٠ ـ ١٢١).

الذين ينقضون العهدَ ﴿فِي كُلِّ مَرَّةٍ﴾؛ أي: في كلِّ حينٍ وعامٍ، فنقضوا العهد يومَ الخندق حين ركب كعبٌ إلى أهل مكة فوافقهم على مخالفة رسول الله ﷺ[١]. وكذلك قال مجاهد[٢].

وكان السبب في نقضهم العهد: أنهم كانوا سكان المدينة، فلما رأوا علوَّ أمر رسول الله ﷺ حسدوه، فطابَقوا المشركين وأظهروا لهم المظاهرة إن احتيج إليهم.

* * *

(٥٧) ـ ﴿فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ﴾: (إمَّا) كلمتان: (إنْ) التي هي للشرط، و(ما) التي هي للتأكيد، ولذلك أدخل نون التأكيد في ﴿تَثْقَفَنَّهُمْ﴾ كما تكون في القسم؛ لأن كل واحد منهما للتأكيد.

والثَّقف: الأخذ بسرعة، يقول: فإن أظهروا نقضَ عهدك وكاشَفوك وبادَوك بالمحاربة فظَفِرْتَ بهم ﴿فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ﴾: أي: نكِّل هؤلاء تنكيلاً يكون سبباً لشرود مَن خلفهم؛ أي: نُفورهم وهربهم وخوفهم.

وقوله تعالى: ﴿لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾: أي: يتَّعِظون فيمتنِعون لهذا الخوف عن نقض العهد.

قال عطاء: أثخِنْ فيهم القتلَ حتى يخافَك غيرهم من أهل مكة وأهل اليمن[٣].

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٣٦٩).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٢٣٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٧١٩).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٤/ ٣٦٨)، والواحدي في «البسيط» (١٠/ ٢٠٧).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قرأ: (فشرِّذ بهم) بالذال[١]، قيل: هو في معناه.

وقال قطربٌ: بالدال: التنكيل، وبالذال المعجمةِ: التفريق.

* * *

(٥٨) ـ ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ ﴾: هي كقوله: ﴿ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ ﴾ في أنها[٢] كلمتان والنون للتأكيد، وهذا حكمُ مَن ظهرت منه دلالةُ خيانةٍ لا كشفُ خيانة، والآيةُ الأولى في كشف الخيانة، ونقضِ العهد على الإبانة[٣].

والخوف: العلم؛ أي: وإنْ علمت ﴿مِن قَوْمٍ خِيَانَةً ﴾ وهمًّا بنقض العهد ﴿فَانۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ﴾؛ أي: أَلْقِ إليهم الخبرَ أنك نقضتَ العهد الذي بينك وبينهم لتكونوا أنتم وهم في العلم بالنقض على سواء؛ أي: على استواء[٤]؛ أي: مستوِين فيه، ولا تحاربْهم قبل الإعلام لأنه خيانة والله لا يحب ذلك، وذلك قوله تعالى:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴾: وقد كان بنو قينُقاع لمَّا انصرف رسول الله ﷺ من غزوةِ بدرٍ أظهروا ما يدلُّ على إضمارهم الخيانةَ إلى أن انكشف أمرهم بما فعلوه، فسار إليهم رسول الله ﷺ وحاصرهم وأنزلهم على حكمه، فكتَّفهم ليقتلهم، فكلَّمه ابن أُبيٍّ في أمرهم وألحَّ عليه، فأخذ رسول الله ﷺ من أموالهم ما أحبَّ ونفاهم، فخرجوا إلى أذرعات، ولما كان يومُ الأحزاب وظهر من بني قريظةَ مظاهرةُ أبي سفيان على حرب رسول الله ﷺ، فعل بهم ما فعل من قتلِ المقاتِلة وسبي الذرِّية

---

(١) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٥٥)، و«المحتسب» (١/ ٢٨٠).

(٢) في (ف): «فإنها» بدل: «في أنها».

(٣) في (ف) و(أ): «الأمانة».

(٤) «أي: على استواء» ليست في (ف).

وأخذِ الأموال، ثم كان من بني النضير ما كان، وأجلاهم بعد أن خرَّب ديارهم وقطع نخيلَهم وأخَذ من أموالهم ما أحبَّ، وكلُّ هذا عقوبةٌ غليظة تردع السامعين مِن فعلِ ما أوجبَها، ويقع بها الاتِّعاظ والتذكُّر لمن عقَل.

* * *

(٥٩) ـ ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَبَقُوٓا۟ ۚ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَبَقُوٓا۟ ﴾[١]: قرأ عاصم في رواية حفص وابنُ عامرٍ وحمزة: ﴿يَحْسَبَنَّ﴾ بياء المغايبة وفتحِ السين، والباقون بتاء المخاطبة وكسرِ السين[٢]؛ أي: يا محمد لا تظنَّنَّ الكافرين السابقين.

و﴿سَبَقُوٓا۟﴾ في معنى الحال، وعلى ياء المغايَبة لا بد من إضمارِ اسم قبل الذين كفروا أو بعد ذلك، وتقديره: ولا يحسبنَّ أحدٌ أو حاسِبٌ الذين كفروا سبقوا، أو: ولا يحسبن الذين كفروا أنفسَهم أو قومَهم أو سلفَهم سبَقوا.

وقال الزجَّاج رحمه الله: تقديره: لا يحسبن المؤمنون الذين كفروا سبَقوا[٣].

ومعنى الآية: ولا تحسبن مَن بقي من المشركين بعد وقعة بدرٍ ممن كان شهدَها فأفلَتَ أو لم يكن شهدها سبقوا؛ أي: فاتوا فلا يلحقهم عذاب الله.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾: أي: لا يفوتون، وقرأ ابن عامر: ﴿أنهم﴾ بفتح الألف[٤]، ومعناه: لأنهم، يقال: طلبت فلاناً فأعجزني؛ أي: فاتني فعجزتُ عن إدراكه.

---

(١) في (ف) و(أ): «ولا تحسبن...»، وهما قراءتان كما سيأتي.

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٣٠٧)، و«التيسير» (ص: ١١٧).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٤٢١).

(٤) انظر: «السبعة» (ص: ٣٠٧)، و«التيسير» (ص: ١١٧).

وقال الحسن: لا يعجزون الله؛ أي: لا يفوتونه حتى لا يبعثُهم الله يوم القيامة.

وقيل: أي: لا يعجزونك يا محمد حتى يُظْفِرَكَ الله بهم.

وقال الإمام القشيري رحمه الله: كيف يعارضُ الحقَّ أو ينازعُه مَن في قبضته تقلُّبُه، وبقدرته تَصَرُّفه، وبتصريفه إياه عدمه وثبوته[١].

* * *

(٦٠) ـ ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾: أي: هيِّئوا للكفار ما قدرتُم عليه، ﴿مَّا﴾ نصبٌ لأنه مفعولٌ به بقوله: ﴿وَأَعِدُّواْ﴾.

﴿مِّن قُوَّةٍ﴾؛ أي: من الأشياء التي تكون قوةً لكم عليهم من الرجال والكراع والسلاح.

وروى عقبةُ بن عامر عن النبيِّ ﷺ: أن القوة هي الرميُ[٢]، وهو لا ينفي[٣] غيره، لكنه من جليل ما يُعَدُّ لذلك.

وروى ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «ما مدَّ الناس أيديَهم إلى شيء من السلاح إلا وللقوس عليه فضل»[٤].

وقال عمر رضي الله عنه: نِعْمَ السلاحُ القوسُ[٥].

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٦٣٥).

(٢) رواه مسلم (١٩١٧).

(٣) في (ر) و(ف): «وهي لا تنفي».

(٤) ذكره الديلمي في «الفردوس» (٦٣١٣)

(٥) قوله: «وقال عمر رضي الله عنه: نعم السلاح القوس» زيادة من (أ) و(ف). ولم أقف عليه.

وروى مكحول عن النبي ﷺ أنه قال: «مَن رمَى بسهم في سبيل الله بَلَغ أو قصَّر كان له عدل رقبة»[١].

وقال مكحول رضي الله عنه: تعلَّموا الرمي فإن ما بين الهدفين روضةٌ من رياض الجنة[٢].

وروى عقبة[٣] عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «كلُّ شيء يلهو به ابنُ آدم باطلٌ إلا ثلاثاً: رميَه بقوسه، وتأديبَه فرسَه، وملاعبتَه امرأته» ثم قال: «ارمُوا واركبوا، والرميُ أحبُّ إليَّ من الركوب، ومَن ترَكَ الرميَ بعد ما عَلِمه فقد كفر من علمه»[٤].

وعن أبي المعتمر قال: قال رسول الله ﷺ: «علِّموا أبناءكم السباحةَ والرميَ، ونعمَ الملتَهى المغزلُ[٥] للمرأة المؤمنة»[٦].

---

(١) رواه عبد الرزاق في «المصنف» (٩٥٣٩) من طريق مكحول عن بعض الصحابة عن النبي ﷺ. ورواه الطبراني في «الكبير» (٧٦١٠) من طريق مكحول عن أبي أمامة عن النبي ﷺ. ورواه الإمام أحمد في «المسند» (١٧٠٢٠)، والنسائي (٣١٤٢)، من حديث عمرو بن عبسة رضي الله عنه. وهو حديث صحيح.

(٢) رواه ابن المنذر كما في «الدر المنثور» (٤/ ٨٣). وروي مرفوعاً من طريق مكحول عن أبي هريرة، لكن في إسناده ضعف وانقطاع. انظر: «التلخيص الحبير» (٤/ ١٦٤).

(٣) «عقبة» ليس من (أ) و(ف).

(٤) رواه أبو داود (٢٥١٣)، والترمذي (١٦٣٧)، والنسائي (٣٥٧٨)، وابن ماجه (٢٨١١)، من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه. قال الترمذي: حسن صحيح. وقوله: «ومَن ترَكَ الرميَ بعد ما عَلِمه فقد كفر من علمه» كذا في النسخ، والذي في المصادر: «ومن تركَ الرّميَ بعد ما عَلِمَه رَغْبةً عنه، فإنها نعمةٌ تركَها» أو قال: «كَفَرَها». وأخرج نحو هذه القطعة الأخيرة مسلم (١٩١٩) عن عقبة بن عامر مرفوعا، ولفظه: «من علم الرمي ثم تركه فليس منا، أو قد عصى».

(٥) في (ف): «الغزل».

(٦) رواه بنحوه البيهقي في «الشعب» (٨٦٦٤) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما وقال: عبيد العطار منكر الحديث.

وقوله تعالى: ﴿وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾: هو مصدر رابطْتُ العدوَّ مرابطةً ورِباطاً، وهو أن يَربط المسلمون خيولهم في الثَّغر بمقابلةِ ربطِ الكفار خيولَهم لقصد المسلمين، والمفاعَلة بين اثنين أو حزبين، وهو عطف على قوله: ﴿مِّن قُوَّةٍ﴾؛ أي: وأعدُّوا ما قدرتُم عليه من رميٍ ورباطِ الخيل.

وقوله تعالى: ﴿تُرۡهِبُونَ بِهِۦ﴾: أي: تخيفون بسبب الرباط الكفار، وهم ﴿عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ﴾ وهو واحدٌ أُريدَ به الجمع؛ كما في قوله: ﴿هُمُ ٱلۡعَدُوُّ﴾ [المنافقون: ٤]، وهم الكفار من المشركين واليهودِ الذين هم بقرب المسلمين ويعرفونهم.

وقوله تعالى: ﴿وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ﴾: أي: وتُرهبون أعداءً آخَرين من دونهم؛ أي: سوَى هؤلاء.

قال مجاهد: هم بنو قريظة.

وقال السدِّي: هم أهل فارسَ.

وقال الحسن وابن زيد: هم المنافقون(١).

وقيل: هم كفَرةُ الجن، وهم يَفزعون من صهيل الخيل.

وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «إنهم الجنُّ» ثم قال: «إن الشيطان لا يُخبِّلُ أحداً في دارٍ فيها فرسٌ عتيق»(٢).

---

(١) ذكره عنهم الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ٣٣٠) ورواه عنهم ـ عدا الحسن ـ الطبري في «تفسيره» (١١/ ٢٤٨ ـ ٢٤٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٧٢٣ ـ ١٧٢٤).

(٢) رواه الحارث بن أبي أسامة في «مسنده» (٦٥٢ ـ زوائد)، والطبراني في «الكبير» (١٧/ ١٨٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٧٢٣)، وابن عدي في «الكامل» (٣/ ٣٦٠)، من حديث عريب المليكي. وذكره ابن كثير عند تفسير هذه الآية وقال: هذا الحديث منكر، لا يصح إسناده ولا متنه. وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٢٧): فيه مجاهيل.

وقيل: كلُّ عدوٍّ خافٍ.

وقوله تعالى: ﴿لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾: أي: قد أعدَّ لهم جزاء عملهم[1].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾: (ما) كلمة شرطٍ، ولذلك جزَم فحُذفَ النونُ في ﴿تُنفِقُوا۟﴾ وحُذف الياء في ﴿يُوَفَّ﴾.

أي: وكلُّ نفقةٍ قلَّتْ أو كثُرتْ تنفقونها في طاعة الله وخصوصاً في الجهاد فأجرُه موفَّرٌ عليكم بالواحد سبعُ مئة إلى ما فوقَ ذلك، وأنتم لا تُنقَصون من أجورِ أعمالكم شيئاً.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾؛ أي: لا تَخرجوا إلى الحروب كما خرجتُم إلى بدرٍ بغير السلاح؛ لأن حرب بدر كانت آيةً، فأمَركم بالخروج إليها بغير سلاح ليميزَ بين الحقِّ والباطل بهذه الآية، وفي غيرها أمَر بالاستعداد تعلُّقاً بالأسباب التي دبَّر بها أمورَ العباد[2].

قوله: ﴿مِّن قُوَّةٍ﴾ هي الاستطاعةُ التي هي سلامةُ الآلات، ولذلك كانت قبل الفعل، فأما القوةُ التي هي علةُ الفعل فإنها تكون مع الفعل.

وقوله تعالى: ﴿وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ قيل: هم الشياطين، وهو كما قال: ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ [الأعراف: ٢٧] ويقع الإرهابُ بالخيل في حقِّهم بما فيه من قمع أوليائهم، أو يكون فيه إرهاب أوليائهم وينسب إليهم.

ويجوز أن يراد به كلُّ عدوٍّ يَظهر من بعد ذلك إلى يوم القيامة، ودلَّ ذلك على قيام فرض الجهاد إلى يوم القيامة.

---

(١) في (ر) و(ف): «مثلهم».

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٥/ ٢٤٧).

وقال الإمام القشيري رحمه الله: الناس مختلفون في قوة القلب على حسَب اختلاف أحوالهم[١]، فواحدٌ يقوَى قلبه بموعود[٢] نصره، وآخرُ يقوَى قلبه بأن الحقَّ عالم بحاله، وآخرُ يقوى قلبه بتحققه بأنه بمشهدٍ من ربه، قال تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: ٤٨].

وآخرُ يقوى قلبه بإيثار رضى الله تعالى على مراد نفسه.

وآخرُ يقوى قلبه برضاه بما يفعله مولاه.

وقيل: أقوى جُنَّةِ العبد في مجاهدةِ العدوِّ تبرؤُه من حوله وقوَّته[٣].

وقد قال النبيُّ ﷺ: «بك أقاتل وبك أحاول»[٤].

❊ ❊ ❊

(٦١) ـ ﴿۞ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا﴾: أي: مالوا إلى الصلح فمِلْ إليها، جنَحت السفينة: إذا[٥] مالت، وجَناح الطائر يقع به الميل في أحد شقيه، والجُناح: الميل إلى المأثم.

وقرأ عاصم في رواية أبي بكر: ﴿للسِّلم﴾ بكسر السين، والباقون بفتحها[٦]،

---

(١) في (ف): «حالاتهم».

(٢) في (ف): «بموعد».

(٣) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٦٣٥).

(٤) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١٨٩٣٧)، والنسائي في «الكبرى» (٨٥٧٩)، وابن حبان في «صحيحه» (١٩٧٥)، من حديث صهيب رضي الله عنه. وهو حديث صحيح.

(٥) في (ف): «أي».

(٦) انظر: «السبعة» (ص: ٣٠٨)، و«التيسير» (ص: ١١٧).

وهما لغتان، وهي مؤنَّثة ـ أي: سماعاً ـ أي[1]: استعدَّ لقتالهم وقاتِلْهم، وإذا مالوا إلى الصلح فصالحهم.

وقوله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾: أي: في خيانةٍ[2] يُضْمرونها، أو كيدٍ يريدونه.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾: لِمَا يجري بينك وبينهم ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بما يضمرونه من كيد وهو كافيك.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ ولا تخَفْ خيانتَهم ونقضَهم العهدَ فإن الله يُطلعك عليه ويكفيك.

قال: وقال الحسن رحمه الله: نسخها: ﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ الآية [التوبة: ٢٩].

قال: وقال بعضهم: نسخها قوله: ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾.

قال: وقال بعضهم: نسخها ﴿فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ﴾ [محمد: ٣٥].

قال: والوجه فيه: أن الإمام إذا رأى الصلح والموادعة للمسلمين أنفعَ، وهم طلبوا ذلك، أجابهم إليه، وإذا طلبوا هم منه الصلحَ وبالمسلمين قوةٌ للقتال والحرب معهم لم يُجبهم إلى ذلك، وكذا قوله: ﴿فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ﴾ هو نهيٌ أن ندعوَهم نحن إلى السَّلم ونحن الأعلَون وبنا قوةٌ، وما ذكر هؤلاء من نسخه فذلك لا نعرفه[3]، والله أعلم.

* * *

(١) «سماعاً أي» من (ر).

(٢) في (ف): «جناية».

(٣) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٥/ ٢٥١ ـ ٢٥٢).

(٦٢) ـ ﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُ﴾: أي: إن يريدوا بجنوحهم للسَّلم أن يخدعوك لضعفٍ يكون فيهم في ذلك الوقتِ فيلتمسوا السَّلْم ليَسلَموا إلى أن يَقْوَوا ويُمكنَهم انتهازُ الفرصة منك ﴿فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُ﴾؛ أي: كافيكَ خداعَهم وناصرَك عليهم.

وقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ﴾: بمددِ الملائكة يومَ بدر ﴿وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ الذين ألَّف بين قلوبهم على نصرتك، ومجاهدةِ الكفار على طاعتك، بعد تبايُنٍ وتباغُضٍ كان بينهم.

وقوله تعالى: ﴿لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ﴾: هم الأوس والخزرج، ما كان يطمع في تألُّفهم بإنفاق الكثير من الأموال.

وقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡ﴾: بفضله ولطفه ﴿إِنَّهُۥ عَزِيزٌ﴾ لا يُردُّ ما يفعله ﴿حَكِيمٞ﴾ لا يَنتقِض تدبيره ولا يختلُّ سلطانه.

قال الكلبي: ﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ﴾ يعني: يهود بني قريظةَ يخدعوك بالصلح لتكفَّ عنهم، فالله حسبُك، هو الذي أعانك وقوَّاك ﴿بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ ـ يعني: الأوسَ والخزرج ـ يومَ بدر، وألَّف وجمع بين قلوبهم بالإسلام.

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ﴾: وليس بتكرارٍ؛ لأن قوله: ﴿فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُ﴾ معناه: فإنه يكفيك خداعهم، وهذا الثاني عامٌّ في كلِّ كفايةٍ يحتاج إليها.

وقوله تعالى: ﴿وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾: له وجوه:

أحدها: النصب، بمعنى: يكفيك ويكفي مَن اتَّبعك؛ كما قال: ﴿إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهۡلَكَ﴾ [العنكبوت: ٣٣]، وقال الشاعر:

إذا كانت الهيجاءُ[١] وانشقَّتِ العصا فحسبُك والضحَّاكَ سيفٌ مهنَّدُ[٢]

وهذا معنى قولِ الشعبيِّ وابنِ زيد[٣].

والثاني: الرفع بالعطف على اسم الله عز وجل، وهو معنى قول الحسن[٤]، ومعناه: كافيك الله وكافيك أيضاً مَن اتبعك من المؤمنين.

وأجاز الوجهين الكسائيُّ والفرَّاءُ والزجَّاج[٥]، ويجوز أن يكونا مرادَين[٦] بالآية.

و(مَن اتَّبعك) على قول أكثرهم للجمع؛ أي: ومتَّبِعونك من المؤمنين يَكْفونك أيضاً، وعلى القول الأول: الله يكفيك ويكفي متَّبِعيك من المؤمنين.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: نزلت هذه الآية بالبيداء في غزوة بدر قبل القتال[٧].

قال: وسورة الأنفال كلُّها مدنية إلا هذه الآيةَ فإنها نزلت بالبيداء[٨].

---

(١) في (أ): «إذا كنت في الهيجاء».

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٤١٧)، و«الصحاح» (مادة: عصا)، و«شرح المفصل» لابن يعيش (٢/ ٤٨)، وعزاه في «ذيل الأمالي» (ص: ١٤٠) لجرير، وليس في ديوانه.

(٣) بل هو صريح قولهما كما رواه عنهما الطبري في «تفسيره» (١١/ ٢٦٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٧٢٧).

(٤) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٠/ ٦٨).

(٥) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٤١٧)، و«معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٤٢٣).

(٦) في (ف): «ويجوز أن المرادين»، وفي (أ): «ويجوز أن يكونوا مرادين».

(٧) ذكره عنه الواحدي في «البسيط» (١٠/ ٢٣١)، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ٣٣١) عن الكلبي، فلعله مما رواه الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس. وذكر هذا القول أيضا ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٢/ ٥٤٩) عن النقاش. وقد سئل ابن عباس رضي الله عنهما فيما رواه البخاري (٤٦٤٥) عن سورة الأنفال فقال: (نزلت في بدر).

(٨) ذكره عنه الواحدي في «البسيط» (١٠/ ٢٣١).

وقال مقاتل: ﴿وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾: الأنصار(١).

وقال عطاءٌ: المهاجرون والأنصار(٢).

ومنهم مَن جعل ﴿وَمَنِ اتَّبَعَكَ﴾ للواحد و(مِن) للتبعيض، وهو ما روى الكلبيُّ(٣) عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن الآية نزلت في إسلام عمر رضي الله عنه(٤)، فإنْ صح فالآية مكية في السورة المدنية.

* * *

(٦٤) ـ ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ﴾: أي: حُثَّهم ورغِّبْهم في القتال بذكر ثواب الآخرة، ووجودِ النصر والظَّفرِ في العاقبة.

وقوله تعالى: ﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ﴾: ﴿يَكُنْ﴾ هاهنا تامٌّ؛ له اسم ولا خبر له(٥)، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ﴾ [البقرة: ٢٨٠]،

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ١٢٤)، و«البسيط» (١٠/ ٢٣٢). والذي في «تفسير مقاتل» أنه في الآية التي قبلها، وهو قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾.

(٢) ذكره الواحدي في «البسيط» (١٠/ ٢٣٢) من طريق عطاء عن ابن عباس.

(٣) «الكلبي» ليست في (ف).

(٤) رواه الطبراني في «الكبير» (١٢٤٧٠)، والواحدي في «الوسيط» (٢/ ٤٦٩ ـ ٤٧٠). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٢٨): (فيه إسحاق بن بشر الكاهلي، وهو كذاب). قلت: وليست طريق الكلبي بأصلح من هذه، وقد رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٧٢٨) عن سعيد بن جبير، لكن قال القرطبي في «تفسيره» (١٠/ ٦٧): (وقع في السيرة خلافه..) وانظر باقي كلامه ثمة، وانظر: «السيرة النبوية» لابن هشام (١/ ٣٤٢).

(٥) «له» ليس من (أ) و(ف).

وتقديره: إن يَحضر منكم القتالَ عشرون، وقوله: ﴿صَٰبِرُونَ﴾ نعتٌ للعشرين، وهو خبر بمعنى الأمر؛ أي: ليَثبُتِ العشرون للمئتين ولا يُولُّوا، فأمر بمقاومة الواحد العشرةَ، وكان هذا في الابتداء.

وقوله تعالى: ﴿وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ يَغْلِبُوٓاْ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾: هو كذلك؛ قال ابن عباس رضي الله عنهما: كتب عليهم ألا يَفِرَّ الواحد من العشرة ثم خفَّف[1] عنهم وأُمروا ألا يَفِرَّ الواحد من الاثنين[2]، وطريق إثبات الأمرِ بهذا الخبر: أن ظاهره: إنْ يصبر العشرون يَغلبوا مئتين، وتقديره: فاصبروا تَغْلِبوا.

وقوله تعالى: ﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾: الفقه: هو إخراج ما لم يُذكر مما ذُكر، يعني: أن الكفار إنما يقاتلون على الدنيا لا علم لهم بما وعد الله عليه إذا كان على الحق من الجزاء والعطاء، وأنتم أيها المؤمنون تفقهون وقد سمعتُم أَثْنِية المجاهدين وأجزيَة المقاتلين، فهذا يشجعكم ويثبِّتكم ويصبِّر قليلَكم على قتال كثير المشركين.

وقال محمد ابن إسحاق رحمه الله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾؛ أي: لا يقاتلون على[3] بيِّنةٍ وحقٍّ، ولا معرفةٍ لخيرٍ ولا شرٍّ[4].

وقال مقاتل بن حيان: لما نزل ﴿حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ﴾ قام النبي ﷺ فقال: «مَن قتل قتيلاً فله كذا ومَن أسر أسيراً فله كذا»، وبعث حمزة في ثلاثين راكباً، فلقي أبا جهل لعنه الله في ثلاثِ مئة راكب، ونزلت هذه الآية، ولما كان يوم بدر خفَّف الله عنهم[5]. فذلك قوله تعالى:

---

(١) في (ف) و(أ): «خففت».

(٢) رواه البخاري (٤٦٥٣).

(٣) في (ف): «عن».

(٤) انظر: «السيرة النبوية» لابن هشام (١/ ٦٧٥).

(٥) انظر: «البسيط» (١٠/ ٢٤٤) وعزاه للمفسرين، و«الكشاف» (٢/ ٢٣٥) وعزاه لابن جريج. وانظر =

(٦٦) ـ ﴿ٱلْـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًاۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓاْ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾.

﴿ٱلْـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا﴾: قرأ عاصم وحمزة: ﴿ضَعْفًا﴾ بفتح الضاد، والباقون بضمِّها[1]، وهما لغتان كالـمَكْث والـمُكْث.

أي: كان الله عَلِم منكم في الأزل أنكم تَضعفون في هذه الحالة عن مقاومة الواحد العشرةَ، وكان في أول الأمر لخواصِّ أصحاب النبيِّ ﷺ زيادةُ استبصارٍ وقوةُ قلب، فلما اختلط بهم سائر الناس وفيهم مَن يكون به حبُّ الأهل والولد والمال، وأنه يضعف القلبُ عن مقاومة الكثير من الكفار، خفَّف عنهم وفرَض أن يقاوم الواحد الاثنين.

وقيل: أي: عَلِم الآن ضعفكم قد وُجد كما كان عَلِم في الأزل أنه يوجد فخفَّف عنكم.

وقوله تعالى: ﴿فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓاْ أَلْفَيْنِ﴾: هذا تقرير[2] مقاومة الواحد الاثنين.

قوله تعالى: ﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾: أي: بحُكم الله وعِلم الله.

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾: أي: وإنما يقاوم الواحد الاثنين إذا صبر، والله مُعِين الصابرين وحافظُهم.

* * *

= قصة سرية حمزة في «مغازي الواقدي» (١/ ٩)، و«السيرة النبوية» لابن هشام (١/ ٥٩٥).

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٣٠٨ ـ ٣٠٩)، و«التيسير» (ص: ١١٧).

(٢) في (ر) و(ف): «تقدير».

(٦٧) ـ ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾:

قال الواقدي: ولما حبَس الأسرى ببدر استَعملَ عليهم شُقرانَ، فقالوا: لو بعثنا إلى أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه فإنه أَوْصَلُ قريش لأرحامنا، ولا نعلم أحداً أعظمَ عند محمد منزلةً منه، فبعثوا إلى أبي بكر رضي الله عنه فأتاهم، فقالوا: يا أبا بكر، إن فينا الآباءَ والأبناء والأخوالَ والعمومةَ وبني العم، وأبعدُنا قريبٌ، فكلِّم صاحبَك فيَمُنَّ علينا أو ليفادينا، فقال: نعم إن شاء الله تعالى، لا آلوكم خيراً إن شاء الله، ثم انصرف إلى رسول الله ﷺ.

قالوا: وابعثوا إلى عمر ـ رضي الله عنه ـ فإنه مَن قد علمتُم، ولا نأمنُ أن يُفسد عليكم، لعله يكفُّ عنكم، فأرسلوا إليه فجاءهم، فقالوا له مثلَ ما قالوا لأبي بكر، فقال: لا آلوكم شراً، ثم انصرف إلى النبيِّ ﷺ فوجد أبا بكر والناسَ حوله، وأبو بكر يليِّنه ويَفْثَؤه[١] ويقول: يا رسول الله، بأبي وأمي، قومُك فيهم الآباء والأبناء والعمومةُ والأخوال، وأبعدُهم منك قريبٌ فامنُن عليهم منَّ الله عليك، أو فادِهم يستنقِذْهم الله بك من النار فتأخذَ منهم ما أخذتَ قوةً للمسلمين.

ثم قام فتنحَّى ناحيةً، وسكت رسول الله ﷺ فلم يُجِبْه، ثم جاء عمر رضي الله عنه فجلس[٢] مجلسَ أبي بكر فقال: يا رسول الله، هم أعداء الله كذَّبوك وقاتَلوك،

---

(١) في (أ): «ويعثاه»، وفي (ر): «ويفتوه»، وليست من (ف). والمثبت من «المغازي»، ومعناه: يسكن غضبه. انظر: «القاموس» (مادة: فثأ).

(٢) بعدها في (ف): «في»، وليست في «المغازي».

اضرِبْ رقابهم هم رؤوسُ الكفر وأئمةُ الضلالة، يوطِّئ الله بهم الإسلام ويذلُّ بهم أهل الشرك.

فسكت رسول الله ﷺ فلم يُجبه، وعاد أبو بكر رضي الله عنه إلى مجلسه الأول وقال: يا رسول الله، بأبي أنت وأمي، قومُك فيهم الآباء والأبناء والأخوال والعمومة، وأبعدُهم منك قريبٌ فامنُنْ عليهم أو فادهم، هم عِتْرتُك[1] وقومك، لا تكن[2] أولَ مَن يستأصلهم، يهديهم الله خيرٌ من أن تُهلكهم.

فسكت عنه رسول الله ﷺ ولم يردَّ عليه شيئاً، وقام أبو بكر ناحيةً وعاد عمر فجلس مجلسه فقال: يا رسول الله، ما تنتظرُ بهم، اضرب رقابهم[3] يوطِّئ الله بهم الإسلام ويذلُّ أهل الشرك، اشفِ صدور المسلمين.

فسكت رسول الله ﷺ فلم يجبه، وقام ناحية وجلس، وعاد أبو بكر رضي الله عنه وكلَّمه بمثل كلامه فلم يجبه، فتنحَّى ناحيةً، ثم قام عمر فكلَّمه بمثل كلامه فلم يُجبه.

ثم قام رسول الله ﷺ فدخل قبَّته فمكث فيها ساعةً، ثم خرج والناس يخوضون في شأنهم، يقول بعضهم: القولُ ما قال أبو بكر، وآخرون يقولون: القول ما قال[4] عمر، فلما خرج رسول الله ﷺ قال: «ما تقولون في صاحبيكم هذين؟ دعوهما فإن لهما مَثَلاً، مَثَل أبي بكر في الملائكة مَثَلُ ميكائيلَ ينزل بالرحمة، ومَثَله في الأنبياء كمثل إبراهيم عليه السلام، كان ألينَ على قومه من العسل، أَوْقَد له قومُه النار فطرحوه فيها، فما زاد على أن قال: ﴿أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَفَلَا

---

(١) قوله: «هم عترتك» من «المغازي»، ووقع بدلا منها في (أ): «عزتك»، وفي (ر) و(ف): «هم عثرتك».

(٢) في النسخ: «تكون»، والمثبت من «المغازي».

(٣) في (ف) و(أ): «أعناقهم».

(٤) في (ف): «قاله».

تَعۡقِلُونَ﴾ [الأنبياء: ٦٧] وقال: ﴿فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّيۖ وَمَنۡ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [إبراهيم: ٣٦]، ومثَلُه[١] مثَلُ عيسى إذ يقول: ﴿إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَۖ وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨]، ومثل عمر في الملائكة كمثلِ جبريل ينزل بالسخطة من الله والنِّقمة على أعداء الله، ومَثَلُه في الأنبياء كمَثَل نوح عليه السلام كان أشدَّ على قومه من الحجارة إذ يقول: ﴿لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح: ٢٦]، فدعا عليهم دعوةً أَغرق الله بها الأرض جميعاً، وكمثل موسى إذ يقول: ﴿رَبَّنَا ٱطۡمِسۡ عَلَىٰٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ وَٱشۡدُدۡ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُواْ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ﴾ [يونس: ٨٨]، وإن بكم عَيلةً فلا يفوتنَّكم رجل من هؤلاء إلا بفداءٍ أو ضربةِ عنق»، فقال عبد الله بن مسعود: يا رسول الله، إلا سهيل بن بيضاء فإني رأيتُه يُظهر الإسلام بمكة[٢]، فسكت النبي ﷺ، قال عبد الله بن مسعود: فما مرَّت عليَّ ساعةٌ قطُّ كانت أشدَّ عليَّ[٣] من تلك الساعة، فجعلت أنظر إلى السماء أتخوَّف أن تسقط عليَّ الحجارةُ لتقدُّمي بين يدي اللهِ عز وجل ورسولِه بالكلام، فرفع رسول الله ﷺ رأسه فقال: «إلا سهيل بن بيضاء»، فما مرت عليَّ ساعةٌ قط أقرَّ لعيني منها، ثم قال رسول الله ﷺ: «إن الله يشدِّدُ[٤] القلب

(١) بعدها في (ف): «أيضاً» وليست في «المغازي».

(٢) جاء في «المغازي» هنا: (قال ابنُ واقدٍ: هذا وهمٌ، سهيلُ بن بيضاءَ مِن مُهاجِرة الحبشة، ما شهدَ بدرًا، إنما هو أخٌ له يقال له سَهْلٌ). قلت: وكذا قال ابن سعد في «الطبقات» (٥/ ٢١٣): (والذي روى هذه القصة في سهيل ابن بيضاء قد أخطأ، سهيل ابن بيضاء أسلم قبل عبد الله بن مسعود ولم يستَخْفِ بإسلامه، وهاجر إِلَى المدينة وشهد بدْرًا مَعَ رسولِ اللهِ ـ ﷺ ـ مسلمًا لا شك فيه، فغلط من روى ذلك الحديث ما بينه وبين أخيه؛ لأن سهيلًا أشهر من أخيه سهل، والقصة فِي سهل، وأقام سهل بالمدينة بعد ذلك وشهد مع النبي ـ ﷺ ـ بعض المشاهد، وبقي بعد النبي ﷺ). قلت: وقد ورد الاسم على الصواب في رواية الحديث عند الإمام أحمد برقم (٣٦٣٤).

(٣) في (ر): «فما مرَّت ساعةٌ عليَّ قطُّ أشدُّ».

(٤) في (ف): «ليشدد».

فيه حتى يكون أشدَّ من الحجارة، ويليِّن القلبَ فيه حتى يكون ألينَ من الزُّبد»، فقبِل رسول الله ﷺ الفداء[١].

وفي رواية: قال عمر: أرى أن تمكِّننا منهم، فتمكِّنَ عليًّا من عقيل حتى يضربَ عنقه، وتمكِّنَ حمزةَ من أخيه العباس حتى يضربَ عنقه، حتى يعلم ربُّنا أنه ليس في قلوبنا للكفار هوادةٌ، قال عمر رضي الله عنه: فرضي رسول الله ﷺ ما قال أبو بكر رضي الله عنه، فلما كان من الغد أتيتُ رسول الله ﷺ فإذا هو وأبو بكر رضي الله عنه يبكيان، فقلت: يا رسول الله! أخبرني من أيِّ شيء تبكيان؟ فإنْ وجدتُ[٢] بكاءً بكيتُ، وإن لم أجد بكاءً تباكيتُ، فقال رسول الله ﷺ: «أبكي للَّذي كان من أصحابك في أخذهم الفداء، ولقد عُرض عليَّ عذابكم أدنى من هذه الشجرة» وهي قريبةٌ من رسول الله ﷺ «ولو نجا منه أحدٌ لنجا منه ابنُ الخطاب» فأنزل الله تعالى قولَه: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾[٣]؛ أي: يُكثِرَ القتل ويَغلب ويَقهر في أرض العرب.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: أي: وما كان لنبيٍّ أن يأخذ من الأسرى الفداءَ حتى يَغلب في الأرض، حتى إذا أخذ الفداء أو أطلقهم بعدما غلَب في

---

(١) انظر: «مغازي الواقدي» (١/ ١٠٧ ـ ١١٠)، ورواه بنحوه دون قوله: «إن الله يشدد...» الإمام أحمد في «المسند» (٣٦٣٢) من طريق أبي عبيدة عن أبيه عبد الله بن مسعود، ورواه أيضاً (٣٦٣٤) ولم يسق لفظه، بل اقتصر على بيان الاختلاف في ابن بيضاء، فجاء فيه: (سهل بن بيضاء) على الصواب، وقد نبهنا إليه قريباً. ورواه الترمذي (١٧١٤) و(٣٠٨٤) مختصراً، وقال: حديث حسن وأبو عبيدة لم يسمع من أبيه.

(٢) في (ر): «أجد».

(٣) رواه مسلم (١٧٦٣) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما. دون قوله: «ولو نجا منه أحد لنجا منه ابن الخطاب». وفيه: «... عرض عليَّ عذابهم...».

الأرض يكون رجوعهم إلى غيرِ منعةٍ وشوكةٍ، وإذا لم يَغلب في الأرض ثم أخذ الفداء يكون رجوعهم إلى منعةٍ، وذلك لا يحلُّ[١].

وقالوا: هذا عتابٌ للنبي ﷺ بألطفِ وجهٍ، فإنه لم يقل له: ما كان لك أن تفعلَ، بل أخبره أنه لم يجعلْ لأحدٍ من الأنبياء ذلك؛ أي: لم يَشْرعْ لهم، وفي هذا من التعظيم لنبيِّه ﷺ ما لا خفاءَ به.

وقوله تعالى: ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا﴾: ولم يقل: تريد ـ خطاباً للنبيِّ ﷺ ـ، بل خاطب الناس.

وقيل: ليس بخطابٍ أيضاً للكل، فإن أبا بكر ومَن كان بمثلِ[٢] حاله ما أشاروا[٣] إلى أخذ الفداء رغبةً في المال، بل رجاءَ إسلام الكفار، والأقلُّون منهم رغبوا في المال، فعاتبهم الله تعالى بقوله: ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا﴾؛ أي: تختارون المال الذي هو شيءٌ قليلٌ عارضٌ يزول.

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ﴾: أي: يختار لكم ثواب الآخرة دون عرَض الدنيا.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: إن الله تعالى أراد لأهل بدرٍ الآخرةَ وثوابها، وهم أرادوا العير وعرَض الدنيا، فكان ما أراد الله تعالى لهم لا ما أرادوا[٤].

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾: أي: فأَريدوا الآخرةَ يعزَّكم، ولا تخافوا العدو فإن الله يَقهرهم، وهو حكيمٌ فيما يَأمر به ويختاره.

---

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٥/ ٢٥٨).

(٢) في (أ): «مثل» وفي (ف): «بمثل» بدل: «كان بمثل».

(٣) في (ف): «أشار».

(٤) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٥/ ٢٦٠)، وفي قوله: (وهم أرادوا العير وعرض الدنيا) نظر، فقد نسب ذلك للجميع دون أن يستثني، وقد ذكر المؤلف الجواب عنه قريباً.

(٦٨) ـ ﴿لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾: قيل: لولا حكمُ الله في المجتهِدين أنه لا يعاقبُهم فيما يجوز فيه الاجتهادُ لأصابكم فيما أخذتُم من الفداء عذاب عظيم.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: لولا كتابٌ من الله سبق في تحليل الغنائم لكم لأصابكم العذاب(١).

وقال الحسن: إن الله تعالى أطعم هذه الأمةَ الغنيمة، وإنهم أَخذوا الفداء من أسارى بدر قبل أن يُؤمروا به، فعاب(٢) الله ذلك عليهم ثم أحلَّه لهم(٣).

وقال محمد بن إسحاق: ﴿لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ﴾ أني لا أعذِّب إلا بعد النهي ـ ولم يكن نهاهم ـ لعذَّبْتُكم فيما صنعتُم(٤).

وقال سعيد بن المسيب: لولا كتاب من الله سبق لأهل بدرٍ بالسعادة(٥).

وقال عبد الرحمن بن زيد: سبَق من الله العفوُ عنهم والرحمةُ لهم(٦).

* * *

(٦٩) ـ ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٢٧٧).

(٢) في (أ): «فعاتب»، والمثبت من باقي النسخ و«البسيط».

(٣) انظر: «البسيط» (١٠/ ٢٥٨)، ورواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٢٧٦) دون قوله: «فعاب...».

(٤) انظر: «السيرة النبوية» لابن هشام (١/ ٦٧٦).

(٥) ورواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٢٨٠).

(٦) ورواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٢٨١).

وقوله تعالى: ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾: أي: فقد أحلَلْتُ لكم الغنائم التي كانت محرَّمةً على الأمم قبلكم فكلوها حلالاً طيباً؛ أي: محلَّلةً قد زالت عنكم التَبِعة والإثم فيه.

وروى أبو هريرةَ رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «ما أُحلَّتِ الغنائم لأحدٍ من سودِ الرؤوس قبلَكم، كانت النارُ تنزل من السماء فتأكلُها»(١).

وقال علي بن أبي طلحة: كان الله كتَب في أمِّ الكتاب: إن الغنائم والأسارى حلالٌ لأمة محمد ﷺ، فأخذوا الغنائم وأسروا الأسارى قبل أن ينزل في ذلك شيءٌ، فأنزل الله تعالى: ﴿لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ فلمَّا نزلت هذه الآية أمسكوا عن مد أيديهم إلى شيء من الغنائم، فنزل: ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾: في الائتمارِ بأوامره والانتهاءِ بنواهيهِ.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾: لِمَا كان منكم قبل هذا ﴿رَّحِيمٌ﴾ لم يعاجِلْكم بالعقوبة، ولا يعذِّبُكم بعد التوبة.

* * *

(٧٠) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّمَن فِىٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

---

(١) ورواه الترمذي (٣٠٨٥) وقال: حسن صحيح.

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٧٣٤) من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس دون قوله: «فلما نزلت هذه الآية أمسكوا...»، وهذه القطعة ذكرها الواحدي في «البسيط» (١٠/ ٢٦٠) عن المفسرين.

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّمَن فِي أَيْدِيكُم مِّنَ الْأَسْرَى﴾[١] قرأ أبو عمرو: ﴿من الأسارى﴾ وقرأ الباقون: ﴿مِّنَ الْأَسْرَى﴾[٢].

أُمر النبي ﷺ باستمالة الأسارى الذين أخذ منهم الفداء ترغيباً لهم في الإسلام، فقال: قل يا محمد للأسارى الذين في أيديكم:

﴿إِن يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا﴾: أي: إن يعلم اعتقادَ الإيمان والتصديقِ في قلوبكم موجوداً كما علِمه قبل وجوده أنه يوجدُ ﴿يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنكُمْ﴾؛ أي: يُعطِكم في الدنيا والآخرة أكثرَ مما أُخذ منكم، وهو قوله تعالى[٣]: ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ ذنوبكم[٤] ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

قال عكرمة: وكان العباس ممن أُخذ في الأسارى، فأَوثقوه ورسولُ الله ﷺ يسمع أنينَه، فأمره الله تعالى أن يأخذ منهم الفداءَ، فأنزل الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّمَن فِي أَيْدِيكُم مِّنَ الْأَسْرَى﴾[٥] قال رسول الله ﷺ للعباس: «افتدِ» قال: وبمَ أفتدي ولستُ أملك شيئاً؟ فقال رسول الله ﷺ: «الأربعون ديناراً التي دفعتَ إلى أم الفضل يوم خرجتَ» قال العباس: ومَن أخبرك بهذا؟ فوالذي لا يُحلف بأعظمَ منه ما عَلم به[٦] أحد، فقال رسول الله ﷺ: «أخبرني به ربي» فقال العباس: وربُّك يعلم ما

---

(١) في (ف) و(أ): «الأسارى»، بدل: «الأسرى»، وهما قراءتان كما سيرد.

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٣٠٩)، و«التيسير» (ص: ١١٧).

(٣) «وهو قوله تعالى» ليست في (أ).

(٤) «ذنوبكم» ليست في (أ) و(ف).

(٥) في (أ): «الأسارى».

(٦) في (ف): «بها».

نُخفيه؟ قال: «نعم» فأقرَّ العباس وقال: ما استيقنتُ أنك رسول الله ﷺ إلا الساعةَ[١].

وروي أن فداء كلِّ أسير كان عشرين أوقيةً، وفدى العباس بأربعين أوقيةً عن نفسه وعن ابن أخيه عقيلٍ، قال العباس رضي الله عنه: فأبدلني الله تعالى خيراً منه، ولي اليوم عشرون عبداً إن أدناهم ليضرب بعشرين ألفاً، وأعطاني زمزم ما أحبُّ أنَّ[٢] لي بها جميعَ أموال مكة، وإني لأنتظر المغفرة وليس شيء أفضل منها[٣].

***

(٧١) ـ ﴿وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُواْ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُواْ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ﴾: قال الحسن: وإن يريدوا خيانتَك مرةً أخرى فيرجعوا إلى الكفر بعدما مَننْتَ عليهم وأطلقتَهم من أسرهم، فخانوك بالقتال لك[٤] والعونِ عليك ﴿فَقَدْ خَانُواْ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ﴾؛ أي: خانوا أولياءه ونقضوا العهدَ وقاتلوك ﴿فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ﴾؛ أي: أَمْكَنَك الله منهم؛ أي: أَقْدَرَك عليهم[٥].

وقال ابن كيسان: ﴿خَانُواْ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ﴾؛ أي: نكثوا ما أعطَوا من أنفسهم عند

---

(١) روى نحوه الإمام أحمد في «المسند» (٣٣١٠) من طريق ابن إسحاق قال: حدثني من لا أتهم عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما، والحاكم في «المستدرك» (٥٤٠٩) ـ وصححه ـ من حديث عائشة رضي الله عنها، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٣/ ١٤٢) من طريق ابن إسحاق، عن يزيد بن رومان، عن عروة، عن الزهري وجماعة سماهم. ورواه ابن سعد في «الطبقات» (٤/ ١٥) من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس.

(٢) في (ر): «أن يكون».

(٣) قطعة من خبر الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس عند ابن سعد (٤/ ١٥)، ورواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٢٨٤ ـ ٢٨٧) من طرق أخرى عن ابن عباس دون ذكر إعطائه زمزم.

(٤) «لك» ليس من (أ) و(ف).

(٥) ذكره الواحدي في «البسيط» (١٠/ ٢٦٣).

البلاء من العهد: ﴿لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [يونس: ٢٢] ﴿فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ﴾[١]؛ أي: انتقم منهم فعذَّبهم بك وبالمؤمنين وهم مع صناديدهم ورؤسائهم، فكيف بعد ذهابهم بالقتل؟

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾: بخَلْقه ما يستحقُّونه من عقابه ﴿حَكِيمٌ﴾ في حكمه وأمره.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ﴾ يعني: العباسَ وأصحابه في قولهم: نشهدُ إنك لرسولُ الله، ولنَنْصَحنَّ لك على قومنا، يقول: إن كان هذا خيانةً فقد خانوا الله من قبلُ فأَمْكَنك منهم[٢].

وهذه الآيةُ والتي قبلها في العباس وعقيل بن أبي طالب ونوفل بن الحارث، وكان العباس أحد العشرة الذين ضمِنوا إطعام أهل بدر، ولم يكن بلَغَتْه النَّوبة حتى أُسر وأُخذت منه عشرون أوقيةً من ذهب كان خرج بها ليُطعم الناس، وأُسر قبل الإنفاق وأُخذ منه ذلك المال، فكلَّم رسول الله ﷺ أن يجعل تلك العشرين أوقيةً من الفداء فلم يفعل، وقال له[٣]: «أمَّا شيء خرجتَ به تستعين به علينا فلا أتركُه لك»، وأَضْعَفَ عليه الفداءَ وكلَّفه فداءَ عَقيلٍ ونوفلٍ، فقال العباس: يا محمد! تركتَني أسأل قريشاً الدَّهرَ في كفِّي، فقال رسول الله ﷺ: «فأين الذهبُ الذي دفعتَه إلى أم الفضل وقتَ خروجك من مكة، فقلتَ لها: إني لا أدري ماذا[٤] يُصيبني في وجهي هذا، فإن حدثَ لي حدثٌ فهذا لك ولعبد الله ولعبيد الله وللفضل وقُثم»؟ يعني: بنيهِ، فقال له

---

(١) المصدر السابق.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٢٨٧).

(٣) «له» زيادة من (ف).

(٤) في (ف) و(أ): «ما».

العباس: وما يدريك؟ قال: «أخبرني به ربي» فقال له العباس: فأنا أشهد أنك صادق، وأشهد[١] أنْ لا إله إلا الله وأنك عبده ورسوله، ولم يَطَّلع عليه أحد إلا الله[٢].

* * *

(٧٢) - ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمِۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾: لمَّا ذمَّ الخائنين الناقِضين العهدَ مدح بعدهم المهاجرين والأنصار الموفِينَ بالعهد فقال: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ ﴾ مع رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة ﴿وَجَٰهَدُواْ ﴾ بعد ذلك الكفارَ ﴿بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ﴾ مخلِصين طالبين رضا الله، ﴿و﴾ أهلَ المدينة ﴿الذين أووا﴾ رسولَ الله ﷺ وأصحابَه ونصروهم على أعداء الله[٣]، فهم طبقةٌ واحدةٌ يجب على كلِّ واحد من الصنفين موالاةُ الآخر ومواتاتُه ومواساته ومؤاخاته، وكذا فعل رسول الله ﷺ حين قدم المدينة آخى بين المهاجرين والأنصار، فجعل لكلِّ مهاجريٍّ أخاً أنصاريًّا، فجَرَوا على ذلك حتى شاطروا المهاجرين أموالَهم ودُورهم، وكان يكون لرجل من الأنصار داران فيعرضُهما على أخيه من المهاجرين على أن ينزل له عن أيَّتهما شاء.

وابن عباس ومجاهد وقتادة والسدي وعبد الرحمن بن زيد وجماعة[٤] حملوا

---

(١) «أشهد» زيادة من (ف).

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ١٢٧)، و«تفسير الثعلبي» (٤/ ٣٧٤)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٣٧٨).

(٣) في (ف) و(أ): «على أعدائهم».

(٤) «وجماعة» ليس من (ف).

هذه الولاية على الوراثة، وقالوا: كان التوارُث في الابتداء بهذه المؤاخاةِ دون القرابة إذا لم يكن معها هجرةٌ، فكان لا يَرِث المهاجرُ من[1] غير المهاجرِ ولا غيرُ المهاجر من المهاجر وإن كانا قريبين، حتى كان يومُ فتح مكةَ فسقطت فريضةُ[2] الهجرة ونزلت آية المواريث بالقرابات[3].

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّن وَلَايَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا﴾: أي: لا يلزمُكم موالاتُهم، ولا يجري التوارُث بينكم وبينهم.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ﴾: أي: الذين آمنوا وأقاموا في بلدهم أو باديتهم ولم يهاجروا إليكم فقصَدهم عدوٌّ من الكفار فطلبوا منكم النصرَ فانصروهم.

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ﴾: أي: قومٍ من الكفار بينكم وبينهم موادَعةٌ، فعليكم في هؤلاء الوفاءُ بالعهد وتركُ الحرب، ولم يَلزَمْكم نصرةُ الذين آمنوا ولم يهاجروا على هؤلاء.

وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾: أي: بما تعملون مِن موالاة مَن يجب موالاتُه وتركِ موالاة مَن لا يجوز موالاته، وهو تحذير عن تعدِّي حدِّ الشرع في الموالاة وتركِها.

* * *

(٧٣) ـ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾.

---

(١) «من» ليس من (ف).

(٢) في (ف) و(أ): «فرضية».

(٣) رواه عنهم الطبري في «تفسيره» (١١/ ٢٨٩ ـ ٢٩٣)، وقول ابن عباس رواه أبو داود (٢٩٢٤).

وقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍ ﴾: أي: لا تتولَّوا الكفار فليسوا بأوليائكم بل بعضُهم أولياء بعضٍ، وليس معناه أنه يلزمُهم أن يتولَّى بعضُهم بعضاً كما في المسلمين، لكنْ أريد به نفيُ الولاية بين الكفار والمسلمين.

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا تَفۡعَلُوهُ تَكُن فِتۡنَةٌ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾: (إلا) كلمتان: (إنْ) التي هي للشرط و(لا) التي هي للنفي، وحذفت النون في آخر الفعل للجزم بالشرط.

وقيل: هو متصل بقوله: ﴿فَعَلَيۡكُمُ ٱلنَّصۡرُ ... إِلَّا تَفۡعَلُوهُ تَكُن فِتۡنَةٌ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾؛ أي: كفرٌ ﴿وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾: تسافُكُ دماءٍ؛ لأن ترك التناصُر في الدِّين يُورث ذلك.

وقيل: هو مقرَّر في موضعه، ويرجع إلى كلِّ ما سبق ذكرُه، ومعناه: إن خالفتُم ما أمَرناكم به من التولِّي للمؤمنين والتبرِّي من الكافرين، ظهر الكفر وتركُ العمل بالشرائع والتهارُجُ وفسادُ الدِّين والدنيا.

وقال عبد الرحمن بن زيد: كان المهاجر المؤمنُ والمؤمنُ الذي لم يهاجر لا يتوارثان وإن كانا أخوين مؤمنين، فلما كان يوم فتح مكةَ وانقطعت الهجرة توارَثوا حيثما كانوا بالأرحام، وقال النبي ﷺ: «لا هجرة بعد الفتح» وقرأ: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٍ﴾[1].

* * *

(٧٤) ـ ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴾.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٢٩٦)، وقوله: «لا هجرة بعد الفتح» رواه البخاري (٢٧٨٣)، ومسلم (١٣٥٣)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

وقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ ﴾ أعاد ذكر وصِفِهم[١] ليبنيَ عليه بيانَ مدحهم وجزاءَ فعلهم، وهو قوله تعالى:

﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾: قال ابن كيسان: أي: الذين حقَّقوا إيمانهم بالهجرة والجهاد وبذلِ الأموال في دين الله.

وقوله تعالى: ﴿لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾: كما بيَّن في أول هذه السورة الثناءَ والجزاءَ لهذه الطائفة، ثم بيَّن الذين يؤمنون ويهاجرون من بعدُ، وهو قوله تعالى:

(٧٥) ـ ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعْدُ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمْۚ وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌۢ ﴾.

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعْدُ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمْ﴾: أي: اللاحقين بحكم[٢] السابقين، وهم من جملتكم وداخلون في ولايتكم.

وقوله تعالى: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾: أي: بالتوارُثِ، وانتَسخ به ما كان من المؤاخاة بين الذين هاجروا والذين آوَوا ونصروا، وهو نصٌّ على توريث ذوي الأرحام عند عدم أصحاب الفرائض والعصبات، وهو حجةٌ لنا على الشافعي رحمه الله فإنه لا يورِّثهم.

وقوله تعالى: ﴿فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾: قال الزجَّاج: في حُكم الله[٣].

وقيل: في اللوح المحفوظ، وقيل: أي: في القرآن.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌۢ﴾: فيقضي بين عباده بما شاء من أحكامه.

---

(١) بعدها في (ف): «للنبي عليه الصلاة والسلام».

(٢) في (ف) و(أ): «حكم».

(٣) ذكره الواحدي في «البسيط» (١٠/ ٢٧٢)، ولم أجده في «معاني القرآن» للزجاج.

وقال الإمام القشيري رحمه الله في قوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَهَاجَرُواْ ﴾ يريد: مَن سلك مسلكهم في الحال، ومَن سيلحق بهم في الاستقبال، فالأُلفة تجمعُهم، والولاية تشملُهم، فلهم من الله في العُقبى جزيلُ الثواب، والنجاةُ من العذاب، وفي الدنيا الولايةُ والتناصُر والمودةُ والتقارب.

وقال: المؤمن للأجانب مُجانب، وللأقارب مُقارب، والكفار بعضهم أولياءُ بعض، وقد قيل:

طيـرُ السـماء إلـى أُلَّافهـا تقـعُ[١]

وبالله العون[٢] والتوفيق.

اللهم بك أستعينُ على الطاعات والقُرَب، وإليك أَلْتجِئُ على تحصيل العلم والأدب، فبحُرمة حبيبك ونبيِّك المصطفى، وابنِ عمه وحبيبه المرتضَى، أَحْيِني يا ربِّ كما تحبُّ وترضى، وصلَّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين، والحمدُ لله ربِّ العالمين.

* * *

(١) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٦٤١). والمذكور عجز بيت كما في «العقد» لابن عبد ربه (٢/ ١٧٩)، وصدره:

والإلـفُ ينـزع نحـو الآلِفيـنَ كمـا

(٢) في (ف): «الغوث».

سُورَةُ التَّوبَةِ

سُورَةُ التَّوبَةِ

روي(١) عن أبيٍّ بن كعب رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «مَن قرأ سورة الأنفال وبراءةَ فأنا شفيعٌ له يوم القيامة، وشاهدٌ أنه بريءٌ من النفاق، وأُعطي عشرَ حسناتٍ بعددِ كلِّ منافقٍ ومنافقةٍ، وكان العرشُ وحملةُ العرش يستغفرون له أيامَ حياته»(٢).

وهي مدنية، وآياتُها مئة وتسعٌ وعشرون آيةً، وقيل: مئةٌ وثلاثون آية، والاختلاف في آيتين: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ٣]، ﴿يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [التوبة: ٣٩].

وكلماتها ألفان وأربعُ مئة وثمان وتسعون، وحروفها عشرةُ آلاف وتسعُ مئة وسبعةَ عشر.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: قلتُ لعثمان بن عفَّان: ما حملكم على أن عمدتُم إلى الأنفال وهي من المثاني وإلى براءةَ وهي من المئين فقرنْتُم بينهما، ولم تكتبوا بينهما سطر: بسم الله الرحمن الرحيم، ووضعْتُموها في السبع الطِّوال؟ فقال عثمان رضي الله عنه: كان النبي ﷺ يأتي عليه الزمان ينزل عليه السورُ ذواتُ العدد، فكان إذا نزل عليه الشيءُ يدعو بعض من يكتب له فيقول له: «ضعوا هذه الآيات في

(١) في (ر) و(ف): «روينا».

(٢) قطعة من الحديث الموضوع في فضائل السور، وقد تقدم الكلام عليه مراراً.

السورة التي يُذكر فيها كذا وكذا»، وكانت الأنفال مما أُنزل عليه بالمدينة، وكانت براءة من آخر القرآن، وكانت قصتُها شبيهةً بقصة الأنفال فظننَّا أنها منها، وقُبض النبيُّ ﷺ ولم يبيِّن لنا أنها منها، فمِن أَجْل ذلك قرنَّا بينهما ولم نكتُب بينهما بسم الله الرحمن الرحيم، وكانتا تُدعيان: القرينتين، فوضعناهما[١] في السبع الطِّوال[٢].

وقال سفيان بن عيينة وقد سئل: لمَ لمْ يُكتب في صدر براءة بسم الله الرحمن الرحيم؟ قال: إن التسمية رحمة، والرحمةُ أمانٌ، وهذه السورة نزلت في المنافقين بالسيف ولا أمان للمنافقين[٣].

وسئل علي بن محمد العلويُّ الكوفي[٤] عن ذلك فقال: لأن بسم الله الرحمن الرحيم مفتاح[٥] سِلمٍ وبركة، وبراءةَ مفتاحُ حربٍ وهلكةٍ، فلم يَجُز افتتاحُ السِّلم والبركة بافتتاح الحرب والهلكة.

وقال ابن كيسان: نزلت براءة على تسعٍ من هجرة النبيِّ ﷺ.

---

(١) في (ف): «فعرضناهم».

(٢) رواه أبو داود (٧٨٦)، والترمذي (٣٠٨٦). وهو حديث تفرد بروايته يزيد الفارسي، ويكاد يكون مجهولاً كما ذكر الشيخ أحمد شاكر في «المسند» (٣٩٩) وقال: فلا يقبل منه مثل هذا الحديث ينفرد به، وفيه تشكيك في معرفة سور القرآن الثابتة بالتواتر القطعي قراءة وسماعاً وكتابة في المصاحف، وفيه تشكيك في إثبات البسملة في أوائل السور، كأن عثمان كان يثبتها برأيه وينفيها برأيه، وحاشاه من ذلك، فلا علينا إذا قلنا: إنه حديث لا أصل له، تطبيقاً للقواعد الصحيحة التي لا خلاف فيها بين أئمة الحديث.

(٣) رواه الثعلبي في «تفسيره» (١٣/ ١٦٤).

(٤) لعله علي بن محمد بن جعفر، أبو الحسين العلويّ الكوفي الحماني، شاعر من أهل الكوفة، وكان وجيه الكوفة في عصره، وبها وفاته، وكان يقول: أنا شاعر وأبي شاعر، إلى أبي طالب، كلهم شعراء. توفي سنة (٣٠١هـ). انظر: «الأعلام» (٤/ ٣٢٤).

(٥) «مفتاح» من (أ).

وقال الزهري: كان سعيد بن المسيِّب يقول: الأنفال وبراءة سورة واحدة[١].

وقال أبو عطيةَ: كتب إلينا عمر رضي الله عنه: تعلَّموا سورةَ براءة، وعلِّموا نساءكم سورة النور[٢].

وقال البراء بن عازبٍ: آخرُ سورة أنزلت كاملةً سورةُ براءة[٣].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: كانت براءةُ تسمَّى: الفاضحة، على عهد رسول الله ﷺ، فضحت أقواماً يومَ النحر ـ وهو الحجُّ الأكبر ـ بما أَنزل الله من شؤونهم[٤]، وما كانوا يكتمون من غشِّ النبيِّ ﷺ[٥].

ومن المفسرين مَن سماها بسبعة أسماء: سورة التوبة، والمبعثِرة؛ أي: المظهِرةُ لأسرار المنافقين، من قوله: ﴿إِذَا بُعۡثِرَ مَا فِي ٱلۡقُبُورِ﴾ [العاديات: ٩]، والفاضحة، والمنكِّلة، والمشرِّدة، والمخزِيَة من قوله تعالى: ﴿وَيُخۡزِهِمۡ﴾ [التوبة: ١٤]، والمدمدِمة وهي المهلِكة.

***

(١) ذكره الواحدي في «البسيط» (١٠/ ٢٧٩ ـ ٢٨٠).

(٢) رواه سعيد بن منصور في «سننه» (١٠٠٤ ـ تفسير)، والبيهقي في «الشعب» (٢٤٣٧).

(٣) رواه البخاري (٤٣٦٤)، ومسلم (١٦١٨).

(٤) في (ف) و(أ): «سوآتهم».

(٥) لم أجده بهذا اللفظ، وروى البخاري (٤٨٨٢)، ومسلم (٣٠٣١) عن سعيد بن جُبيرٍ، قال: قلتُ لابن عباس: سورةُ التَّوبةِ، قال: التوبةُ؟ هي الفاضحةُ، ما زالتْ تَنْزِلُ: ومنهم ومنهم، حتى ظَنُّوا أنَّها لن تبقِيَ أحدًا منهم إلَّا ذُكِرَ فيها.

سورة التوبة

(١) ـ ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ﴾: أي: هذه براءةٌ؛ أي: انقطاعُ عصمةٍ من الله ورسوله ﴿إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾؛ أي: ملقاةٌ إلى المشركين الذين عاهَدْتُموهم.

* * *

(٢) ـ ﴿فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾: أي: قل لهم: ﴿فَسِيحُوا۟﴾؛ أي: سيروا على مهلٍ على الأمان من القتال أربعةَ أشهرٍ من هذا الوقت إلى تمامِ هذه المدة، وكان الذين لهم عهد مع رسول الله ﷺ على أنواع:

منهم: مَن بقي مِن مدته أكثرُ من أربعة أشهر.

ومنهم: مَن بقي قَدْرُ أربعةِ أشهرٍ.

ومنهم: مَن بقي أقلُّ من ذلك.

فجعل الكلَّ على مدةِ أربعة أشهرٍ، وكان هذا فضلاً من الله جلَّ جلالُه حيث لم يأمر بمباغَتتِهم[1] بالحرب ليُنظَروا ولا يَحتجُّوا بشيء.

---

(١) في (ر): «بمتابعتهم».

وقال محمد بن إسحاقَ: هم صنفانِ من المشركين:

أحدهما: كُليبٌ، كانت مدةُ عهدهم أقلَّ من أربعةِ أشهر، فأُمهِلوا بالسياحةِ تمامَ أربعةِ أشهر.

والآخر: خزاعةُ، وكان مدة عهدهم سنتين، فقُصِرَ على أربعة أشهر، وهم حربٌ بعد ذلك يُقتلون حيثما أُدركوا، ويؤسَرون إلى أن يؤمِنوا.

وقال الكلبي: إنما كانت أربعةُ الأشهر[1] لمن كان عهدُه دون أربعةِ الأشهر، فأُتم له أربعة الأشهر، ومَن كان عهدُه أكثرَ من ذلك بقي حقُّهم بقوله: ﴿فَأَتِمُّوٓاْ إِلَيۡهِمۡ عَهۡدَهُمۡ إِلَىٰ مُدَّتِهِمۡ﴾[2].

وقيل: التأجيل[3] بأربعةِ الأشهر[4] لمن نقض العهد، فأما الذي لم ينقض ولم يظاهر أحداً على المؤمنين فقد أمر بإتمام العهد بينه وبينهم إلى مدته بقوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمۡ عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۖ فَمَا ٱسۡتَقَٰمُواْ لَكُمۡ فَٱسۡتَقِيمُواْ لَهُمۡ﴾.

وقال محمد بن كعب: بَعَث رسول الله ﷺ أبا بكرٍ رضي الله عنه أميراً على الموسم سنةَ تسعٍ بالبراءة، ثم أَتْبَعه عليًّا رضي الله عنه[5].

قال جابر رضي الله عنه: كنتُ مع عليٍّ رضي الله عنه حين أَتْبعَه رسول الله ﷺ

---

(١) في (ر): «الأربعة أشهر» وفي (ف): «أربعة أشهر».

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٠٤٣)، والطبري في «تفسيره» (١١/ ٣١١)، والثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٦).

(٣) من قوله: «فأتم له أربعة الأشهر...» إلى هنا من (أ).

(٤) في (ر): «أربعة أشهر»، وفي (ف): «دون الأربعة أشهر».

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٣٠٩).

أبا بكرٍ، فلما كان بالعَرْجِ[١] ثوَّبَ لصلاة الصُّبح، فلمَّا استوى أبو بكرٍ رضي الله عنه ليكبِّر سمع الرغاء، فوقف وقال: هذا رُغاءُ ناقةِ رسول الله ﷺ الجدعاء، لقد بدا لرسول الله ﷺ في الحجِّ، فإذا عليها عليٌّ رضي الله عنه، فقال أبو بكر رضي الله عنه: أميرٌ أم رسول؟ قال: لا بل رسول[٢] أرسلني رسول الله ﷺ ببراءةَ أقرؤها على الناس في مواقف الحج، فقَدِما مكة، فلما كان قبلَ التروية بيومٍ قام أبو بكر رضي الله عنه فخطب الناس وحدَّثهم عن مناسكهم، ثم قام عليٌّ فقرأ ثلاثين أو أربعين آيةً من براءةَ[٣]. وأجَّل المشركين أربعةَ أشهر.

وفي رواية: كان ذلك يومَ عرفةَ، وأجَّل المشركين عشرين من ذي الحجة والمحرمَ وصفراً وشهرَ ربيعٍ الأول وعشراً من شهر ربيع الآخر[٤]، ونادى الناسَ في منازلهم: لا يدخل الحرم إلا مؤمنٌ، ويُتَمُّ إلى كل ذي عهدٍ عهدَه، ولا يحج بعد العام مشركٌ، ولا يطوف بالبيت عُرْيان[٥].

وقال الزهري: ﴿فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾ نزلت في شوال، فهي أربعة الأشهر: شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم[٦].

---

(١) في هامش (أ): «العرج بسكون الراء من مراحل طريق مكة».

(٢) «لا بل رسول» من مصادر التخريج، ووقع في النسخ بدلاً منه: «بلى».

(٣) رواه الدارمي في «سننه» (١٩١٥)، والنسائي (٢٩٩٣)، وابن حبان في «صحيحه» (٦٦٤٥). وتكرر في الحديث ذكر خطبة أبي بكر وقيام علي بقراءة براءة أربع مرات: قبل يوم التروية بيوم، ويوم عرفة، ويوم النحر، ويوم النفر الأول.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٣٠٩) عن محمد بن كعب القرظي، ورواه بنحوه أبو عبيد في «الأموال» (٤٤٩)، والطبري في «تفسيره» (١١/ ٣١٠)، عن مجاهد.

(٥) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٧٩٧٧)، والنسائي (٢٩٥٨)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٦) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٠٤١)، والطبري في «تفسيره» (١١/ ٣١٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٧٤٧).

وعلى هذا التخريج يكون هذا قوله تعالى: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[١].

وقال مقاتل: نزلت في ثلاثة أحياء من العرب: خزاعة ومنهم هلال بن عويمر، وبنو مدلج منهم سراقة بن مالك بن جُعْشُم الكنانيُّ، وفي بني خزيمة بن عامر[٢]، وهما حيان من كنانة كان النبي عليه السلام عاهدهم عشر سنين بالحديبية، فجعل الله عز وجل أجَلَ الذين كانوا في العهد أربعةَ أشهر من يوم النحر إلى عشرٍ من شهر ربيعٍ الآخر[٣].

وقيل: ولمَّا ضربت لهم مدةٌ قالوا: نسيح في الأرض[٤] في المدة على أمان ثم نحتال فنمتنعُ. [فنزل][٥] قوله تعالى:

﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ﴾: أي: فائتي الله؛ أي: لا تقدرون أن تفوتوا فتخرجوا عن قبضة قدرته تعالى.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾: أي: واعلموا أن الله يخزيكم فيذلُّكم ويفضحُكم.

وقال الإمام القشيري رحمه الله: وإن قطع عنهم [الوصلة فقد] ضرب لهم مدةً على وجه المهلة، على أنهم إن أقلعوا عن الضلال وجدوا في المآل ما فَقدوا من الوصال، وإن أبوا إلا التمادي في ترك الخدمة والحرمة انقطع ما بينه وبينهم من العصمة.

---

(١) بعدها في (أ): «واحداً». وانظر ما سيأتي عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ﴾.

(٢) قوله: «وفي بني خزيمة بن عامر» من «تفسير مقاتل»، ووقعت العبارة في النسخ: «ومن بني خزيمة وعامر».

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ١٥٦).

(٤) «في الأرض» من (ف).

(٥) ما بين معكوفتين من «تفسير ابن كمال باشا» عند هذه الآية.

ثم ختم الآية بما معناه: إن أصرَرْتم على قبيح آثاركم مشيتُم إلى هلاككم بقدمكم، وسعَيتُم في عاجلكم في إراقة دمكم، وحصَلتُم في أجلكم على ندمكم، فما خسرتم إلا في صفقتكم، وما جرَّ حينكم[١] سواكم:

تبدَّلتْ وتبدَّلْنا وأَخْسَرُنا … مَن ابتغى عوضاً يَسْلي فلم يجدْ[٢]

* * *

(٣) - ﴿وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ ۚ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ﴾: قال ابن زيد والزجاج: أي: إعلامٌ من الله لكم يا معشرَ المسلمين[٣]، فليُؤْذِن به بعضُكم بعضاً فقد أمرتُ رسولي بإعلامكم.

﴿يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ هو ﴿وَرَسُولُهُۥ﴾: ورفع ﴿وَرَسُولِهِۦٓ﴾ بإضمارِ هو، وقرأ عيسى بن عمر: (ورسولَه) نصباً عطفاً على قوله: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ﴾[٤]، وقرأ الحسن: (ورسولِه) بالخفض على معنى القسَم[٥].

وقيل: إن أعرابيًّا سمع رجلاً يقرأ بالخفض فقال: إن كان الله بريئاً من رسوله فأنا

---

(١) في (أ): «حن حينكم»، وفي (ف): «جر حينكم».

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٦). والبيت لأبي الفرج عبد الواحد بن نصر بن محمد المعروف بالببغاء. انظر: «تاريخ دمشق» (٣٧/ ٢٨٨).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٣٢١) عن ابن زيد، وانظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٤٢٩).

(٤) انظر: «تفسير الثعلبي» (٥/ ١١)، و«المحرر الوجيز» (٣/ ٧)، و«زاد المسير» (٣/ ٣٩٧).

(٥) انظر: «تفسير الثعلبي» (٥/ ١١). قال السمين في «الدر المصون» (٦/ ٩): هذه القراءة يبعد صحتها عن الحسن للإبهام.

بريءٌ منه أيضاً، فأخذ الرجل بتلبيبه وجاء به إلى عمر رضي الله عنه، فقصَّ الأعرابي قراءته، فعند ذلك أمر عمر بتعليم العربية[١].

يقول: أَعْلِموا هذا، فقد أَعْلمت المشركين ذلك بقولي: ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ﴾.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: وإعلامٌ لأهل العهد من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر أن الله بريءٌ ممن يَعْدِل به غيرَه ورسولُه أيضاً بريءٌ منه[٢].

وقال القشيري رحمه الله: بَرِح الخفاءُ[٣] فليس لهم ولاء، إذ لم يكن منهم [بما عقدوا] وفاء، فليَعْلم[٤] الكافةُ أنهم أعداء:

أشاعوا لنا في الحي أشنعَ قصةٍ ... وكانوا لنا سلماً فصاروا لنا حرباً[٥]

وقوله تعالى: ﴿فَإِن تُبۡتُمۡ﴾: أي: رجعتُم يا أهل مكة من الكفر ﴿فَهُوَ خَيۡرٌ لَّكُمۡ﴾ في الدنيا والآخرة، تنجُون به من السيف في الدنيا ومن العذاب في العُقبى.

وقوله تعالى: ﴿وَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ﴾: أي: أبيتُم إلا عبادةَ الأوثان، وأعرضتُم عن الإيمان، ودمتُم على هذا التولِّي والخذلان[٦] ﴿فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ غَيۡرُ مُعۡجِزِي ٱللَّهِ﴾: أي: غيرُ فائتِيه.

وقوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾: أي: أَعْلِمهم بذلك، فكان بشارةً للمؤمنين والمطيعين بالثواب، والكافرين بالعذاب[٧].

---

(١) انظر: «تفسير الثعلبي» (٥/ ١١).

(٢) «منه» ليست في (أ) و(ف).

(٣) أي: وضح الأمر وزالت خفيته. انظر: «أساس البلاغة» (مادة: برح).

(٤) في (أ) و(ر): «فأَعْلَم»، والمثبت من (ف) و«اللطائف».

(٥) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٧)، وما بين معكوفتين منه.

(٦) «والخذلان» ليست في (أ) و(ف).

(٧) «والكافرين بالعذاب» ليس في (أ) و(ف).

والحج الأكبر هو الحج، والحج الأصغرُ هو العمرة.

وفي يوم الحج الأكبر اختلاف:

قال عليٌّ وابن عباس وأبو هريرة وعبد الله بن عمر وابن أبي أوفى والمغيرةُ بن شعبة وابن مسعود وجماعةٌ من التابعين رضوان الله عليهم أجمعين: هو يوم النحر[١]، وابن عمر والمغيرةُ رضي الله عنهما رَوَيا ذلك عن النبيِّ ﷺ[٢]؛ لأن الركن في باب الحج الوقوفُ بعرفة وطوافُ الزيارة، ويجوز الوقوف بعرفة في ليله، ويجب طوافُ الزيارة في نهاره، ويقع أعمالٌ كثيرةٌ فيه من إراقة الدماء والحلق والرمي، وفيه يَحِلُّ المحرم.

وقال عمر، وابن عباس في رواية، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن عمر، وجماعةٌ من التابعين: هو يومُ عرفة[٣]؛ لقول النبيِّ ﷺ: «الحجُّ عرفة»[٤]، وبفَوَاتِ الوقوف بعرفةَ فواتُ[٥] الحج.

وقال مجاهد: هو أيام الحج كلُّها[٦]؛ لأن أفعال الحج تؤدَّى فيها، ويطلق اليوم على الأيام لأنه جنس.

---

(١) رواه عنهم الطبري في «تفسيره» (١١/ ٣٢٤ ـ ٣٣٥). ورواه عن علي والمغيرة وابن أبي أوفى أيضاً سعيد بن منصور في «سننه» ـ التفسير ـ (١٠٠٧) و(١٠٠٨) و(١٠٠٩).

(٢) رواه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أبو داود (١٩٥٤)، وابن ماجه (٣٠٥٨)، والطبري في «تفسيره» (١١/ ٣٢٤ ـ ٣٣٥)، وعلقه البخاري عقب الحديث (١٧٤٢). ولم أجده مرفوعاً عن المغيرة.

(٣) رواه عنهم الطبري في «تفسيره» (١١/ ٣٢١ ـ ٣٢٤).

(٤) رواه أبو داود (١٩٤٩)، والترمذي (٩٠٤)، وابن ماجه (٣٠١٥)، من حديث عبد الرحمن بن يعمر الديلي رضي الله عنه.

(٥) في (أ): «فوت».

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٣٣٥ ـ ٣٣٦).

وقال محمد بن سيرين: الحج الأكبر: العام الذي حجَّ فيه رسول الله ﷺ، اتَّفق فيه حجُّ الملل[١].

* * *

(٤) - ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَٰهِرُوا۟ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾: قيل: الاستثناء من الأمر بسياحةِ أربعة[٢] أشهر، ولهم تمامُ مدتهم.

وقال الزجَّاج: الاستثناء من براءة الله ورسوله إلى المشركين[٣].

وقيل: من قوله: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾.

والصحيح: أنه استثناء منقطع بمعنى: لكن، والبراءةُ والإنذار بالعذاب في حقِّ كلِّ الكفار، وتقديره: لكن الذين عاهدتم من المشركين ﴿ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا﴾؛ أي: لم يطعنوا في دينكم ولم يدلُّوا على عوراتكم ولم يَسْعَوا في نقيصةِ أمركم ﴿يُظَٰهِرُوا۟ عَلَيْكُمْ أَحَدًا﴾؛ أي: لم يعاونوا عليكم عدواً ﴿فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ﴾ فإنَّ حفظ العهد تقوى، قال الله تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ٧٦].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾: أي: الحافظين العهدَ.

---

(١) ذكره عن ابن سيرين النحاس في «معاني القرآن» (٣/ ١٨٣)، والبغوي في «تفسيره» (٤/ ١٢). ورواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٣٣٧) عن الحارث بن نوفل.

(٢) «أربعة» ليس من (أ) و(ف).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٤٣٠).

والآية نزلت في بني ضَمْرةَ وبني كنانة، وكان بقي لهم من مدتهم تسعةُ أشهر.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: مدةُ مَن كان له عهدٌ من المشركين قبل أن تنزل براءةُ أربعةُ أشهر من يوم أُذِّن بالبراءة إلى العاشر من شهر ربيعٍ الآخِر، فذلك أربعةُ أشهر، فإنْ نقَض المشركون عهدهم وظاهروا عدوًّا فلا عهدَ لهم، وإنْ وفَوا بعهدهم الذي بينهم وبين رسول الله ﷺ ولم يظاهروا عليه عدوًّا فقد أُمر بأنْ يفيَ عهدَهم[1].

* * *

(٥) ـ ﴿فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ﴾: قال الحسن: أي: خرجت ومضت هذه أربعة الأشهر[2] التي قال: ﴿فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾ لسائر المعاهدين، وتسعةُ أشهر لبني كنانة، وخمسون يوماً من يوم النحر إلى آخر المحرَّم لمن لم يكن له عهد، وهو قول مجاهدٍ وعمرِو بن شعيبٍ ومحمدِ بن إسحاق وجماعةٍ، وسميت حرماً لأنهم حرُم قتلُهم فيها بحكم الأمان[3].

وقيل: الأشهر الحرم: رجبٌ وذو القعدة وذو الحجة والمحرَّم.

وقد روَينا عن الزهريِّ أن نزولَ براءة كان في أولِ شوال، فكان يمضي الأربعةُ الأشهر بمضيِّ شوال وذي القعدة وذي الحجة والمحرم، فيكون الأمر بقتلهم عند انسلاخ الأشهر الحرم الثلاثة بعد شوال.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٣٤٢).

(٢) في (ر): «الأربعة أشهر».

(٣) رواه عنهم الطبري في «تفسيره» (١١/ ٣٤٥ ـ ٣٤٦).

وقوله تعالى: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾: أي: في الحلِّ والحرم.

وقوله تعالى: ﴿وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ﴾: أي: ضيِّقوا عليهم المسالك، ولا تَدَعوهم يضربون في البلاد بالتجارة وغيرها.

وقوله تعالى: ﴿وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾: أي: على كلِّ مرصدٍ، وفي كلِّ مرصدٍ؛ أي: مَرْقَبٍ، والمرصد: الطريق الذي يُرقب فيه العدوُّ؛ أي: في كلِّ طريق يُظَنُّ مرورُهم فيه ليأخذوهم.

و﴿كُلَّ مَرْصَدٍ﴾ على هذا منصوبٌ بنزع الخافض.

وقيل: هو نصبٌ على الظرف؛ لأنه مكان القعود.

وهذا كلُّه تبعيدٌ[1] لهم عن مكة، ومنعٌ لهم عن دخولها والاجتماعِ مع المسلمين في الحج، وهو تحقيقٌ لِمَا نودي فيهم: لا يحجُّ بعد العام مشركٌ.

وقوله تعالى: ﴿فَإِن تَابُوا﴾: أي: رجعوا عن الكفر[2] ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا الزَّكَوٰةَ﴾؛ أي: التزموهما ﴿فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾؛ أي: لا تقتلوهم ولا تأسروهم ولا تضيِّقوا عليهم.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: غفر لهم كفرَهم ومعاصيَهم بالإيمان به، ويرحمهم فلا يعذِّبهم.

وقال الإمام القشيري رحمه الله: إذا أسلم الكافر بعد شركه، ولم يقصِّر فيما[3] وجب عليه من قِسْمي فعله وتركه، حصل الإذن في تخليةِ سبيله وفكِّه، قال الشاعر:

---

(١) في (ف) و(أ): «بتبعيد».

(٢) في (ف): «أي عن الكفر»، وليست في (أ).

(٣) في (ف): «ولم يعص فيما»، وفي (ر): «ولم ينقض مما».

إنْ وجَدْنـا لِمَـا ادَّعيـتَ شـهودا[١]　　لم تَجِـدْ عندنـا لحـقٍّ جُحـودا[٢]

ولمَّا قرأ عليٌّ رضي الله عنه هذه الآيات قام رجل فقال: أرأيتَ لو جاء رجلٌ مستأمنٌ ليستمع[٣] القرآن، أتقتلونه؟ قال: لو صبرتَ لبيَّنْتُ لك حكمَه فيما أنزل الله تعالى فإنه مذكور فيما أقرأ، وهو قوله تعالى:

(٦) ـ ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾: تقديره: وإن استجارك أحدٌ من المشركين حتى يسمعَ كلام الله ﴿فَأَجِرْهُ﴾؛ أي: إن جاءك أحد من المشركين الذين لا عهد لهم يسألُك أن تُؤمِّنه وتكونَ جاراً له من وثوبِ المؤمنين عليه حتى يسمع كلام الله ويتأمَّلَه، فأَجِبْه إلى ذلك وأَجِره، وإن جاء وسمع وتدبَّر ولم يؤمِن فلا تقتلْه فقد أمَّنْته، ولكنْ أَوْصِله إلى حيث يأمَنُ على نفسه، وهو قوله تعالى:

﴿ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ﴾: أي: الكفارُ جاهلون مقلِّدون جارُون على الإلْف، فإذا الْتَمَس سماعَ كلام الله فأَجِبْه فقد يكون مسترشِداً، فإذا سمع وتأمَّلَ زالت عنه الشبهةُ فأسلمَ، فإنْ لم يفعل ورجع إلى موضعه فلكُم بعد ذلك إذا[٤] وجدتُموهم قَتْلَهم وأخذَهم لأنكم قد أَعْذَرتُم إليهم.

وقال عطاء: ﴿حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ يعني: ما أَعَدَّ الله تعالى لأوليائه من الثواب ولأعدائه

---

(١) في (ر): «الشهودا».

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٨).

(٣) في (أ): «يستأمن يستمع»، وفي (ف): «يستأمن ليسمع».

(٤) في (ف): «إن».

من العقاب، وما افترض الله عز وجل في دِينه من الصلاة والزكاة والصوم والحج[١].

قوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ﴾ فأسمِعوهم[٢] حتى يعلموا.

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: إذا استجارك المشركُ اليومَ لا يُردُّ حتى يسمع كلام الله، فإذا استعاذ المؤمن طول عمره من الفراق متى يُمنَع عن سماع كلام الله؟ ومتى يكون في زمرة مَن يقول لهم: ﴿اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون: ١٠٨][٣]؟

* * *

(٧) ـ ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ اللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدتُّمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۖ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ اللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِ﴾ كيف استفهام بمعنى الإنكار؛ أي: لا يكون للمشركين عهد عند الله يأمنون به من عذابه في الآخرة وعهد عند رسوله يأمنون به على أنفسهم عذاب الدنيا من القتل والأخذ.

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدتُّمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾: يجوز أن يكون استثناءً من المشركين الذين لا عهد لهم، وتقديره: إلا الذين عاهدتم، ويجوز أن يكون بمعنى: لكن؛ أي: لكن الذين عاهدتُم عند المسجد الحرام فلا تنقُضوا عهدهم ولا تتعرَّضوا لهم.

وقوله تعالى: ﴿فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ﴾: أي: على عهدهم ﴿فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ﴾؛ أي: على عهدكم ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾؛ أي: الذين لا ينقضون العهد.

---

(١) ذكره الواحدي في «البسيط» (١٠/ ٢٩٩).

(٢) في (أ): «فأسمعهم».

(٣) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٩).

وقال السدِّيُّ وابن جريجٍ: هم بنو جَذِيمة[١].

وقال محمد بن إسحاق: هم قبائل من بني بكر[٢] عاهَدوا يوم الحديبيَة[٣].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: هم قريش[٤].

وقال عبد الرحمن بن زيد: هؤلاء قريش لم يستقيموا، فضُرب لهم بعد الفتح أربعةُ أشهر ليُسلموا أو ليَلحقوا بأيِّ البلاد شاؤوا، فأسلموا قبل أربعة أشهر[٥].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما في رواية: أنهم بنو ضَمْرةَ[٦].

وقال الحسين بن الفضل: هم بنو جذيمة[٧] وكنانة.

وقال مقاتل: هم خزاعةُ وبنو مدلج وبنو جذيمة[٨].

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: أي: كيف يستحقُّون أن يُعطَوا العهدَ وقد نقضوا العهود التي[٩] بينهم وبين ربهم، وهو عهد الخلقة؛ إذ في خلقة كلِّ أحدٍ الشهادةُ على وحدانية الله تعالى وألوهيتِه، ونقضوا ما عُهد إليهم في كتبهم من إظهار

---

(١) رواه عنهما الطبري في «تفسيره» (١١/ ٣٥٠).

(٢) في (ر) و(ف): «كنانة»، والمثبت من (أ) والمصادر.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٣٥١)، وهو في «السيرة النبوية» لابن هشام (٢/ ٥٤٤).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٣٥١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٧٤٩).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٣٥٢).

(٦) ذكره عن ابن عباس ابن الجوزي في «زاد المسير» (٣/ ٤٠٠)، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ٣٤٢) عن الكلبي، فلعل خبر ابن عباس من طريق الكلبي عن أبي صالح عنه.

(٧) في (ر): «خزيمة».

(٨) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ١٥٨).

(٩) في (ف): «العهد الذي».

صفة محمد ونعته[١] للخلق، ونقضوا العهود التي بينهم وبين رسول الله ﷺ ولم يحفظوها، فكيف يستحقُّون أن يعطَوا عهداً مع هذا، إلا أن الله عز وجل بفضله أَذِن أن يُعطَوا العهود، وما استقاموا لكم بالوفاء بالعهد فاستقيموا لهم بذلك[٢].

وقال القشيري رحمه الله: كيف يكون المفلسُ في عرفانه كالمخلِص في إيمانه؟ وكيف يكون المحجوبُ عن شهوده كالمستهلَك في وجوده؟ ﴿فَمَا ٱسْتَقَـٰمُوا۟ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ﴾: إن تمسكوا بحبل وفائنا أحلَلْناهم في ظلِّ ولائنا، وإن زاغوا عن عهدنا ابتليناهم بصَدِّنا، ثم لم يَبرحوا على بُعْدنا[٣].

وقولـه تعالـى: ﴿كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ﴾: فيه إضمـارٌ؛ أي: كيف يكونُ لهـم عهدٌ وهـم إنْ يَظفـروا بكـم ويغلِبوكم، وهـو كقوله عز وجـل: ﴿فَأَصْبَحُوا۟ ظَـٰهِرِينَ﴾ [الصف: ١٤].

وقوله تعالى: ﴿لَا يَرْقُبُوا۟ فِيكُمْ﴾: أي: لا يحفظوا ﴿إِلًّا وَلَا ذِمَّةً﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: الإلُّ: القرابة، والذمَّة: العهد[٤].

وقال عبد الرحمن بن زيد: كلاهما العهد[٥].

وقال مجاهد: الإلُّ القرابة، والذمة الميثاق[٦].

---

(١) في (ر) و(ف): «وبعثه»، والمثبت من (أ) و«اللطائف».

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٥/ ٣٠٤).

(٣) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ١٠)، وفيه: «ثم لم يربحوا في بعدنا»، وفي (أ): «ثم لم يربحوا على بعدنا».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٣٥٥-٣٥٦).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٣٥٧).

(٦) لم أجده عن مجاهد، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٧٥٨) عن السدي بلفظ: ﴿إِلًّا وَلَا ذِمَّةً﴾: عَهْدًا ولا قرابةً ولا ميثاقًا.

وقال قتادة: الإِلُّ: الحِلف، والذِّمة: العهد(١).

وقال الحسن: الإل: الجوار(٢).

وقال أبو عبيدة: الإل: اليمين(٣)، وهو مأخوذٌ من الأَليل وهو البريق(٤) واللَّمَعان.

وقال الزجاج: أصله التحديد، من الأَلَّة؛ أي: الحَرْبة(٥).

وقال المبرِّد: كرَّر لمَّا اختَلف اللفظان وإن كان معناهما واحداً، وهو كقوله: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ﴾، وكما قال الشاعر:

وأَلْفَى قولَها كذباً ومَيناً(٦)

وقوله تعالى: ﴿يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾: بحُسنِ القول ﴿وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ﴾ التصديقَ ﴿وَأَكْثَرُهُمْ فَٰسِقُونَ﴾: عاصون ناقضون العهد.

* * *

(٩) ـ ﴿ٱشْتَرَوْاْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٣٥٧).

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ٣٤٣)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٣/ ٤٠٢).

(٣) انظر: «مجاز القرآن» (١/ ٢٥٣).

(٤) في (ر): «البرق».

(٥) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٤٣٤).

(٦) عجز بيت لعدي بن زيد، وهو في «ديوانه» (ص: ١٨٣)، وصدره:

وقدَّمَتِ الأديمَ لراهشَيهِ

وهذا القول ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ١٤) وعزاه للسدي وابن زيد وأحد قولين عن مجاهد، ولم يرتضه الآلوسي فقال: ويأباه إعادة (لا) ظاهراً فليس هو نظير: فألفى قولها كذباً ومينا، فالحقُّ المغايرة بينهما. انظر: «روح المعاني» (١٠/ ٢٣٧).

وقوله تعالى: ﴿ٱشۡتَرَوۡاْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلٗا فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِهِۦٓ﴾: قال عطاء: كان أبو سفيان يعطي الناقة والطعامَ ليصدَّ الناس بذلك عن متابعةِ النبي ﷺ[1].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾: أي: أعمالُهم هذه في نهاية السوء.

وقال القشيري رحمه الله: مَن رضي من الله بغيرِ الله أَرخصَ في صَفْقته فخسِر في تجارته، فلا له بما آثَرَ على الله استمتاع، ولا فيما دونه له إقناع، بقي عن الله ولم يستمتِعْ بغير الله، ألَا ذلك هو الخسران المبين[2].

* * *

(١٠) - ﴿لَا يَرۡقُبُونَ فِي مُؤۡمِنٍ إِلّٗا وَلَا ذِمَّةٗۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُعۡتَدُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿لَا يَرۡقُبُونَ فِي مُؤۡمِنٍ إِلّٗا وَلَا ذِمَّةٗ﴾: قد فسَّرناه، والأولُ في صفة[3] ناقضي العهد، والثاني في صفة المشترِين بآيات الله ثمناً قليلاً.

وقيل: الأول على الخصوص لأنه قال: ﴿فِيكُمۡ﴾، والثاني على العموم لأنه قال: ﴿فِي مُؤۡمِنٍ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُعۡتَدُونَ﴾: أي: المجاوِزون حدودَ الله تعالى، وهذا حثٌّ على قتالهم لسوء أعمالهم، وقال تعالى: ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ﴾ [البقرة: ١٩٤].

* * *

(١١) - ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِۗ وَنُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾.

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ١٥)، والواحدي في «البسيط» (١٠/ ٣١٠).

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ١١).

(٣) «صفة» ليس من (أ) و(ف).

وقوله تعالى: ﴿فَإِن تَابُواْ﴾: أي: مِن الشرك ﴿وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾؛ أي: قبلوهما ﴿فَإِخْوَٰنُكُمْ فِي ٱلدِّينِ﴾؛ أي: فهم إخوانكم في الإسلام، وقد زالت المعاداة، وارتفعت المقاتَلة والمباراة.

وقوله تعالى: ﴿وَنُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾: أي: نبيِّنها للَّذين يعملون بعلومهم.

***

(١٢) - ﴿وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيْمَٰنَهُم مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمْ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيْمَٰنَهُم مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ﴾: أي: نقضوا ﴿وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمْ﴾؛ أي: عابوه ﴿فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ﴾ ونقضُ العهد كافٍ لإباحة القتل، ولكن ذُكر الطعنُ في الدِّين لزيادة تحريكِ المؤمنين على قتالهم.

وقيل: معناه: وإنْ نكثوا أيمانهم بطعنهم في دِينكم، ويذكر الفعلان بواوٍ بينهما والثاني تفسيرُ[1] الأول، كقولك: استخفَّ فلان بحقِّي وردَّني عما طلبتُ إليه.

وقوله تعالى: ﴿فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ﴾: أي: قاتلوهم فإنهم أئمة الكفر؛ أي: المقتدَى بهم والمتَّبَعون[2]؛ لأنه قيل: أريد به بنو بكر الذين عدَوا على خزاعة فأعانتْهم قريش فانتَقض عهدهم وغزاهم لذلك رسول الله ﷺ، وهم كلُّهم قريش وأشياعهم، وبهم كان يقتدي سائر المشركين.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ﴾: أي: لأنهم[3]، وقرأ ابن عامر: ﴿لا إيمان لهم﴾ بكسر الألف، وله وجهان:

---

(١) في (أ) و(ر): «غير»، والمثبت من (ف) وهو الصواب.

(٢) في (أ): «والمتبوعون».

(٣) «أي: لأنهم» ليس في (ف).

أحدهما: إنهم لا إيمان لهم بالله بل هم كفار.

والثاني: أنه إعطاء الأمان[١]؛ أي: لا تُعطوهم الأمانَ فإنهم لا يستحقُّون ذلك.

وقرأ الباقون بفتح الألف وهي جمع اليمين[٢]؛ أي: لا عهود لهم ولا أقسام.

وقوله تعالى: ﴿لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ﴾: أي: قاتِلوهم لينتَهوا عن الطعن في دينكم، و(لعل) كلمةُ تَرَجٍّ؛ أي: قاتِلوهم مؤمِّلين انتهاءَهم، ناوين بقتالكم ردَّهم عن الكفر.

وقيل: أي: لا تستنكروا نكثَهم فلا ثقةَ بأيمانهم.

وقال ابن جريج: أئمةُ الكفر: رؤساء[٣] قريش ـ وكذا قال الضحَّاك والسدِّي[٤] ـ نكثوا[٥] العهد وعملوا في إخراج الرسول.

وقال مقاتل: أئمة الكفر: أبو سفيان والحارث بن هشام وسهيل بن عمرو وعكرمة بن أبي جهل، نقضوا العهدَ الذي كان بينهم بالحديبيَة[٦].

ولا يصح ما رُوي عن الكلبي عن ابن عباس رضي الله عنهم: أنهم أبو جهل وعتبة وشيبة وأمية بن خلف ونظراؤهم[٧] = لأنهم قتلوا يوم بدر، وهذه الآيات نزلت في فتح مكة.

---

(١) أي: يراد المصدر من قولك: آمنته فأنا أومنه إيمانًا، تريد: أماناً. انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٤٢٥)، و«وتفسير الطبري» (١١/ ٣٦٦).

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٣١٢)، و«التيسير» (ص: ١١٧).

(٣) في (ف): «رؤساء».

(٤) رواه عنهما الطبري في «تفسيره» (١١/ ٣٦٤).

(٥) في (أ): «ونقضوا».

(٦) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ١٥٩).

(٧) لم أجده، وقد روي أيضاً عن غير ابن عباس، رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٣٦٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٧٦١)، عن قتادة. وذكره أبو حيان في «البحر» (١١/ ٢٠٧) ثم تعقبه =

(١٣) ـ ﴿ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ وَهَمُّوا۟ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ ﴾: وهذا تحريك لهم على قتال هؤلاء، وهو استفهام بمعنى الإغراء، وهؤلاء القوم هم قريش؛ أي: نقضوا أيمانهم التي كانت بالحديبية وأعانوا أعداءكم بني بكر على حلفائكم خزاعة.

﴿وَهَمُّوا۟ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ﴾ من مكة، وهو قوله تعالى: ﴿أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾ [الأنفال: ٣٠] وقوله: ﴿مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَتْكَ﴾ [محمد: ١٣]، وقوله تعالى: ﴿لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا﴾ [الإسراء: ٧٦].

وقوله عز وجل: ﴿وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ قال مجاهد: نقضوا العهد بإعانة بني بكر على خزاعة[1].

وقال آخرون: بدؤوكم بقتالِ بدرٍ؛ لأن النبيَّ ﷺ خرج للعير، والكفارُ بعد إحراز[2] العير لم ينصرفوا وقالوا: نخرج إلى بدرٍ فنشربُ بها الخمر وتَعزف علينا القَيْناتُ[3] وتهابُنا العرب، فكانوا هم البادئين.

وقوله تعالى: ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ﴾: استفهام بمعنى النهي ﴿فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾؛ أي: الإيمان يوجبُ الخشية من الله تعالى في مخالفةِ أمره، فلا مَدفع لحكمه ولا مَرَدَّ لقضائه، وأنتم مؤمنون فحقِّقوا شرط إيمانكم، وهذا أبلغ تحريكٍ وتشجيع.

= بقوله: وهذا ضعيفٌ إنْ لم يُؤخَذْ على جهةِ المِثَال، لأنَّ الآيةَ نزلت بعد بدرٍ بكثيرٍ. وقد ذكر الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ١٦) عن ابن عباس نحو قول مقاتل الذي تقدم قريباً.

(١) رواه بنحوه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٣٦٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٧٦١).

(٢) في (ر): «أخذ».

(٣) في (أ): «القنان»، وفي (ف): «القيان».

(١٤ ـ ١٥) ـ ﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ﴾: أمرهم بقتال المشركين، ووعَد عليه هذه الأشياءَ، وجزم كلَّها لأنه جزاءٌ عليه.

وقوله تعالى: ﴿وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ﴾: رفعٌ؛ لأنه مبتدأ غيرُ معطوف، ولكنه متصلٌ بالأول معنًى؛ أي: ومن فوائد القتال أنه يتوب بسببه بعضُ مَن تأمَّل فيه.

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾: لا يكون عليه خفاء ﴿حَكِيمٌ﴾ لا يَلحقه خطأ، ﴿عَلِيمٌ﴾ بما كان منهم ﴿حَكِيمٌ﴾ فيما[1] أمر فيهم.

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: شفَى[2] صدور المؤمنين على حسَب مراتبهم في الدرجات والمقامات، فمنهم مَن شفاءُ صدره في قهرِ عدوه، ومنهم مَن شفاءُ صدره في نيلِ مَرْجوِّه، ومنهم مَن شفاءُ صدره في الظَّفَر بمطلوبه، ومنهم مَن شفاءُ صدره في لقاء محبوبه، ومنهم مَن شفاءُ صدره في دَرك مقصوده، ومنهم مَن شفاءُ صدره في البقاء بمعبوده[3]، وكذلك ذهابُ غيظِ قلوبهم تختلف أسبابه وتتنوَّعُ أبوابه، ﴿وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ﴾ حتى يكون استقلالُه بمحوِّل الأحوال لا بصفاء الأحوال[4].

---

(١) في (ف) و(أ): «بما».

(٢) في (ف) و(أ): «شفاء».

(٣) في (أ): «ببقاء معبوده» وفي (ر) و(ف): «في لقاء معبوده»، والمثبت من «اللطائف».

(٤) في (أ): «لا بصفات الأحوال»، وهذه الجملة ليست في «اللطائف». انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ١٢).

(١٦) ـ ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِن دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا ﴾: أي: أظننتم أن تُتركوا على ما أظهرتُم من الإيمان باللسان[١] ولا تُبْتَلَون بالقتال.

وقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ ﴾: أي: لم يوجد منكم جهادُ المشركين، ولو وُجد لعَلِمه الله تعالى موجوداً؛ لأن الله يعلم في الأزل ما يوجد أنه يوجد، ويعلمه موجوداً حين يوجد، لأنه جل وعلا يعلم كلَّ شيء على ما هو به، وقد قرَّرناه في سورة البقرة عند قوله تعالى: ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ﴾ [البقرة: ١٤٣]، وفي سورة آل عمران في قوله: ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ﴾ [آل عمران: ١٤٢].

قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِن دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً ﴾: عطف على ﴿جَاهَدُوا﴾؛ أي: ولم يعلمِ الله الذين جاهدوا منكم ووالَوا اللهَ ورسولَه والمؤمنين ولم يتولَّوا غيرَ الله ورسولِه والمؤمنين ولم يتَّخذوا من دون الله أولياء و[٢]خواصَّ.

والوليجة: البطانةُ الخاصة، من الولوج وهو الدخول، وَلِيجتُك: صديقُك الذي تُطْلعه على ما في داخل قلبك.

وصفة المؤمن المخلِص ألا يتَّخذ بطانةً من الكفار، ولا يتولَّى غيرَ الرسول والمؤمنين الأبرار.

وذكر الله هاهنا لتأكيد الأمر في موالاة الرسول والمؤمنين، ومعنى ذكرِه: أن هذه الموالاةَ مع الرسول والمؤمنين[٣] بأمره وشرعه، وما ينبغي للمؤمن أن يتولَّى

---

(١) «باللسان» ليست في (أ).

(٢) الواو ليست في (أ).

(٣) «ومعنى ذكره أن هذه الموالاة مع الرسول والمؤمنين» من (أ).

الكفار، قال جل جلاله: ﴿لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء: ١٤٤]، وقال تعالى: ﴿لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ﴾ [آل عمران: ١١٨] وقال: ﴿لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ [الممتحنة: ١٣].

وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾: من الموافَقة والمخالَفة، وهو وعد ووعيد.

وقال الإمام القشيري رحمه الله: مَن ظنَّ أنه يكتفَى منه بالدعوى دون تحقيقِ المعنى فهو على غَلَطٍ من حسبانه، وفي غَلَبٍ من حسابه، بل المطلوبُ صدقُ المجاهدة في الله، وتركُ الركون إلى غير الله، وإذا اتَّخذ وليجة من الكفار فشا في الأعداء الأسرار، وأولى مَن يهجره المرءُ لئلا تطَّلع على الأسرار نفسُه التي هي أعدَى عدوِّه.

حُكي عن أبي يزيد رحمه الله أنه قال في بعض أوقات مكاشفاته: كيف أطلبك؟ فقيل له: فارق نفسك وتعال.

والحرية عزيزةٌ، قال قائلهم:

أتمنَّى على الزمان مُحالا ... أن ترَى مقلتايَ طلعةَ حرٍّ[1]

* * *

(١٧) - ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنفُسِهِم بِالْكُفْرِ ۚ أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ﴾: واتِّصالها بما قبلها: أن الله عزَّ وعلا حرَّض على قتال المشركين من وجوهٍ، وهذا وجهٌ آخرُ من ذلك،

(١) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ١٣).

وهو أن مكة مولدُكم ومنشؤكم، وفيها قبلتُكم، وبها مفاخرتُكم، وقد استولى المشركون عليها وأخرجوكم منها، وقاموا بعمارة المسجد الحرام الذي فيها وليسوا بأهل ذلك، فقاتلوهم وأخرجوا ذلك من أيديهم، وقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ﴾؛ أي: أن يلُوا عمارتها.

وقيل: كان فيما نودي فيهم مع البراءة: ألا يحجَّ بعد العام مشركٌ[1]، وفي هذه الآية إشارةٌ إلى منعهم عن قصدها والطوافِ بها وعمارتها بالصلاة.

ومعنى الآية على هذا: ليس في حكم الله تعالى أن يعمُر المشركون مساجد الله بالصلاة فيها وحجِّها والطواف بها وعمارتها وهم غيرُ مؤمنين، وذلك قوله تعالى:

﴿شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنفُسِهِم بِالْكُفْرِ﴾: وقيل: هو اعترافهم بعبادة الأوثان وإن لم يصرِّحوا بالاعتراف بلفظ الكفر والشرك.

وقيل: هو قولهم في التلبية: لبَّيك لا شريك لك إلا شريكٌ هو لك تملكُه وما مَلَك؛ أي: ليس لهم أن يحجُّوها[2] وهم قائلون في الحج هذا.

وقيل: أي: ما يدينون به دليل على كفرهم، لا أنهم يقولون: نحن كفار، وهو كقولك للرجل: إن[3] كلامك ليشهدُ أنك ظالم؛ قاله الحسن[4].

وقال السدِّي: إن النصراني إذا قيل له: مَن أنت؟ قال: نصرانيٌّ، وكذلك اليهوديُّ والمشرك والوثنيُّ[5].

---

(١) رواه البخاري (٣٦٩)، ومسلم (١٣٤٧)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) في (ف): «يحجوا».

(٣) في (ر): «إذا كان»، وفي (ف): «إذ كان»، بدل: «إن».

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٣/ ٢٢٨) (ط: دار التفسير)، والواحدي في «البسيط» (١٠/ ٣٣١)، والبغوي في «تفسيره» (٤/ ٢٠).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٣٧٤ و٣٧٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٧٦٥). وذكره =

ثـم قوله: ﴿مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ﴾ يجـوز أن يكون المرادُ به حقيقةَ الجمـع؛ أي: في كلِّ المسـاجد الحُكمُ هذا.

وقال الحسن: هو المسجد الحرام، وإنما جُمع لأنه قبلةُ المساجد كلِّها وإمامُها، يقول: ما كان للمشركين أن يُتركوا فيكونوا من أهل المسجد الحرام(١)، وطريقه طريق قولهم: خرج فلان إلى الحج على البغال، أو: على الإبل، ويراد به الجنسُ لا الجمع.

قال ابن إسحاق: وقالت قريش: إنَّا أهل الحرم وسُقاة الحجيج وعمَّار هذا البيت، لا أحد أفضل منا، فقال الله جلَّ جلالُه ذلك(٢).

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: لمَّا أُسر العباس يومَ بدرٍ أقبل عليه المسلمون فعيَّروه بكفره بالله تعالى وقطيعةِ الرَّحِم، وأغلَظَ عليٌّ للعباس القولَ، فقال العباس: ما لكم تذكرون مساوئنا ولا تذكرون محاسننا؟! فقال له عليٌّ رضي الله عنه: ألكُم محاسنُ؟ قال: نعم، إنَّا لنَعْمُر المسجدَ الحرام، ونَحجب الكعبة، ونسقي الحاجَّ، ونَفُكُّ العانيَ، فأنزل الله جلَّ جلاله ردًّا على العباس: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُواْ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ﴾ إلى قوله: ﴿ٱلْفَآئِزُونَ﴾(٣).

= الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ١٨)، والواحدي في «البسيط» (١٠/ ٣٣١)، والبغوي في «تفسيره» (٤/ ٢٠).

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ١٨)، والواحدي في «البسيط» (١٠/ ٣٢٩)، والبغوي في «تفسيره» (٤/ ٢٠).

(٢) انظر: «السيرة النبوية» لابن هشام (٢/ ٥٤٧).

(٣) ذكره بهذا اللفظ الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ١٨)، والواحدي في «البسيط» (١٠/ ٣٢٨) وفي «أسباب النزول» (ص: ٢٤٣)، والبغوي في «تفسيره» (٤/ ١٩). ورواه بنحوه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٣٧٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٧٦٨)، ولم يذكرا فيه عليًّا.

وقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ﴾: ما ذكروه من محاسنهم بطَل ثوابُها لشركهم.

وقوله تعالى: ﴿وَفِي ٱلنَّارِ هُمۡ خَٰلِدُونَ﴾: لكفرهم، أخبر الله تعالى أنهم ليسوا بأهلٍ لعمارتها، ولا في قيامهم ما يوجب الكفَّ عن قتلهم؛ لأنهم مشركون حبِطت أعمالهم واستحقُّوا الخلود في النار.

* * *

(١٨) ـ ﴿إِنَّمَا يَعۡمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمۡ يَخۡشَ إِلَّا ٱللَّهَۖ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعۡمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمۡ يَخۡشَ إِلَّا ٱللَّهَۖ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾: أي: إنما يستحقُّ القيام بعمارتها مَن كان بهذه الصفة، فهو يعظِّم البيت حقَّ تعظيمه.

وقوله: ﴿وَلَمۡ يَخۡشَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾؛ أي: لم يعمل ذلك كلَّه إلا لخشية الله.

وقيل: أي: لم يخشَ إلا الله فلم يتخلَّفْ عن قتال المشركين لخشيتهم، وهو إشارةٌ[1] إلى ما قال: ﴿أَتَخۡشَوۡنَهُمۡۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَوۡهُ﴾ [التوبة: ١٣]، وقال: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ﴾ [آل عمران: ١٧٥].

وقوله: ﴿فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾ و(عسى) من الله إطماعٌ، وإطماع الكريم إيجابٌ؛ أي: المستكمِلون هذه الخصالَ ثابتون على الهداية خارجون عن الضلالة.

وروى أبو سعيد الخُدري رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ: «إذا رأيتم الرجل يعتادُ

(١) في (أ): «بخشيتهم وهو إشارتهم»، وفي (ر): «لخشيهم وهو إشارة».

المسجدَ فاشهَدوا له بالإيمان، قال الله تعالى في كتابه: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾»(١).

وقال القشيري رحمه الله: عمارة المساجد التي هي مواقفُ العبودية لا تتأتى إلا بتخريبِ أوطان البشرية، فالعارفُ يَعمُر المسجد بتخريبِ أوطان شهوته، والزاهد يَعمره بتخريب أوطان مُنْيته، والعارف يَعمره بتخريب أوطان علاقته، والموحِّد يَعمره بتخريب أوطان ملاحظته، ولكلٍّ منهم صنفٌ مخصوص(٢)، وكذلك رتبتُهم في الإيمان مختلفة، فإيمانٌ من حيث البرهان، وإيمانٌ من حيث البيان، وإيمانٌ من حيث العِيان، وشتَّان ما هم(٣).

***

(١٩) - ﴿ ۞ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: الحاجُّ أريد به الجمعُ لأنه جنس(٤)، وتقدير الآية: أجعلتم

---

(١) رواه الترمذي (٢٦١٧) و(٣٠٩٣) وحسنه، وابن ماجه (٨٠٢)، وابن خزيمة في «صحيحه» (١٥٠٢)، وابن حبان في «صحيحه» (١٧٢١)، والحاكم في «المستدرك» (٧٧٠) وصححه، وهو من طريق دراج بن سمعان عن أبي الهيثم (وهو سليمان بن عمرو العتواري) عن أبي سعيد رضي الله عنه. ودراج قال عنه الحافظ في «التقريب»: صدوق وفي حديثه عن أبي الهيثم ضعف.

(٢) في (أ): «صف مخصوص». وعبارة «اللطائف»: (وكلّ واحد منهم واقف فى صفته، فلصاحب كلّ موقف منهم وصف مخصوص).

(٣) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ١٤).

(٤) «لأنه جنس» ليس في (أ) و(ف).

صاحب سقاية الحاجِّ وعمارةِ المسجد الحرام كمَن آمن بالله واليوم الآخر، أو: أجعلتُم سقايةَ الحجَّاج وعمارةَ المسجد الحرام كإيمانِ مَن آمن بالله واليوم الآخر وجهادِ مَن جاهد في سبيل الله؛ لأن الصحيح مقابلة الفعل بالفعل أو الفاعل بالفاعل، ويصير كذلك بهذا الإضمار، وله طريقٌ آخرُ: أن يُجعل السِّقاية والعمارة وهما مصدران كالنعتين، وتقديره: أجعلتُم ساقي الحاجِّ وعامرَ المسجد الحرام كمَن آمن، وهو كالعدل يراد به العادل، وتحقيق هذا قراءةُ عبد الله بن الزبير وأبي وجزةَ السعدي: (أجعلتُم سُقاةَ الحاج وعَمَرة المسجد الحرام)[1].

وقوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ﴾: أي: في الدرجة.

﴿لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: قال مقاتل أي: المشركين إلى الحجة[2].

وقيل: إلى الجنة.

وقيل: إلى الإسلام مع اختيارهم الكفرَ.

روي أن علياً والعباس وشيبةَ بن عثمان ـ وقيل: طلحة بن شيبة ـ تفاخروا، فقال العباس: أنا أسقي الحجيج، وقال شيبة: أنا أَعْمُرُ مسجد[3] الله، وقال علي: ما أدري ما تقولان! لقد صلَّيت إلى القبلة ستةَ أشهر قبل الناس، وأنا صاحب الجهاد مع رسول الله ﷺ، فنزلت الآية[4]، وعرَفوا أن سقي الحجيج وعمارةَ البيت لا يَعدلان الإيمان والجهاد، وكان العباس وشيبةُ غيرَ مسلمَين يومئذ.

---

(١) انظر: «المحتسب» (١/ ٢٨٦). وهي رواية ابن وردان عن أبي جعفر من العشرة. انظر: «النشر» (٢/ ٢٧٨). واسم أبي وجزة: يزيد بن عبيد السعدي المدني الشاعر، من رجال «التهذيب».

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ١٦٣).

(٣) في (أ): «مساجد».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٣٨٠).

وقال النعمان بن بَشير: كنت عند منبرِ رسول الله ﷺ في نفرٍ من أصحابه، فقال رجل منهم: ما أبالي ألا أعمل عملاً بعد الإسلام إلا أنْ أسقي الحاجَّ، وقال آخر: بل عمارةُ المسجد الحرام أحبُّ إليَّ، وقال آخر: بل الجهاد في سبيل الله خيرٌ مما قلتُم، فزجرهم عمرُ رضي الله عنه وقال: لا ترفعوا أصواتكم عند منبرِ رسول الله ﷺ ـ وذلك يومَ الجمعة ـ فإذا صلى الجمعة دخلتُ إليه[1] فاستفتيتُه عما اختلفتُم فيه، ففعلوا فأنزل الله هذه الآية[2].

وقال مرةُ الهَمْدانيُّ: قال عليٌّ للعباس: يا عم! ألا تهاجرُ؟ قال: ألستُ في أفضلَ من الهجرة؟ ألستُ أسقي الحجيجَ وأَعْمُرُ المسجد الحرام؟ فنزلت الآية[3].

وقال مجاهد: أُمروا بالهجرة، فقال العباس: أنا أسقي الحاجَّ، وقال طلحة: أنا حاجب[4] الكعبة، لا نهاجر، فنزلت الآية[5].

وقال القشيريُّ رحمه الله: ليس مَن قام بمعاملةِ ظاهره كمَن استقام في تصحيح سرائره، ولا مَن استضاء بسراج علومه كمَن استبصَر بشُموس معارفه، ولا مَن نُصب بالباب من حيث الخدمةُ كمَن مُكِّن من البساط من حيث القُربة، وليس نعتُ مَن تكلَّف نِفاقاً كوصفِ مَن تحقَّق وفاقاً، بينهما بونٌ بعيد[6].

***

---

(١) في (أ): «عليه».

(٢) رواه مسلم (١٨٧٩).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٢٠)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢٤٥)، عن ابن سيرين ومرة الهمداني. ورواه من طريق آخر ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٧٦٩).

(٤) في (أ): «صاحب».

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٣٨٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٧٦٨ و١٧٧٠).

(٦) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ١٥).

(٢٠) ـ ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ﴾: أي: مِن سقاية الحاجِّ وعمارةِ المسجد الحرام بلا إيمانٍ، وليس لأولئك درجةٌ في الفضل، لكن معناه: أنهم يعتقدون لأنفسهم درجةً، فقال: هؤلاء أعظمُ درجةً على الحقيقة من أولئك على ما يتوهَّمونه لأنفسهم.

وقيل: معناه: أعظمُ درجةً من المؤمنين الذين لم يهاجروا ولم يجاهدوا.

وقوله تعالى: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾: أي: الناجُون.

* * *

(٢١) ـ ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ﴾: أي: عند الموت على ألسنة الملائكة، وفي الجنة بلا واسطةٍ.

وقوله تعالى: ﴿لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾ أي: في جنات[1].

* * *

(٢٢) ـ ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾: هذا كلُّه ظاهر.

وقال القشيري رحمه الله: بشارةُ العُصاة بالرحمة، وبشارةُ المطيعين بالجنة والنعمة، وبشارةُ العصاة بالنجاة، وبشارةُ المطيعين بالدرجات، وبشارة العصاة بالخلاص، وبشارة المطيعين بالاختصاص.

---

(١) في (ر) و(ف): «أي وبجنات».

ويقال: بشَّر العصاة بالرحمة، والمطيعين بالرضوان، والكافةَ بالجنة، وقدَّم العاصي في الذكر، وقدم المطيع بالبِرِّ، والذكرُ قولُه وهو قديم، والبِرُّ طَولُه وهو عميم.

وقيل: بشَّر بنفسه ليزيد في محبة عبده؛ لأن القلوب مجبولةٌ على حبِّ المبشِّر، يقول قائلهم:

لــولا تمتُّــعُ مُقلتــي بلـقـائـه ... لـــوهبتُها لمبشِّــري بإيَابــه[1]

وقوله تعالى: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ﴾ عرَّفهم أنهم برحمته وصلوا إلى طاعته، لا بطاعتهم وصلوا إلى نعمته.

وقوله تعالى: ﴿لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾ قومٌ نعيمهم عطاءُ ربهم على وصف التمام، وقومٌ نعيمُهم لقاءُ ربهم على نعت الدَّوَام، فالعابدون لهم تمامُ عطائه، والعارفون لهم دوام لقائه[2].

***

(٢٣) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّواْ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّواْ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾: قال ابن عباس رضي الله عنهما: ولمَّا أمر النبيُّ ﷺ بالهجرة إلى المدينة جعل الرجل يقول لأبيه وأخيه وامرأته وقَرابته: إنَّا قد أُمرنا بالهجرة إلى المدينة فاخرجوا معنا، فمنهم مَن يعجبه ذلك ويتسارع فيه، ومنهم مَن يأبى ذلك، ومنهم مَن يتعلق به زوجته وعيالُه وولده

---

(١) في (ف): «بلقائه».

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ١٦ ـ ١٧).

فيقولون له: نَنْشُدُكَ الله ألا تضيِّعنا، فيَرِقُّ ويجلس ويَدَعُ الهجرة، فنزل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ ﴾(1) الذين بمكة ﴿أَوۡلِيَآءَ﴾ في الدين والعون والنصرة ﴿إِنِ ٱسۡتَحَبُّواْ﴾؛ أي: اختاروا ﴿ٱلۡكُفۡرَ عَلَى ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ﴾ بعد نزول هذه الآية في الإقامة ﴿فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡ﴾ على الكفر ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾(2).

وقال مقاتل: نزلت في السبعة الذين ارتدُّوا عن الإسلام ولحقوا بمكة، فنهى الله عن ولايتهم فقال: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ﴾ يا معشر المؤمنين ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾(3).

وقال القشيري رحمه الله: علامةُ الصدق في التوحيد قطعُ العلاقات، ومفارقةُ العادات، وهجرانُ المعارف والقَرابات، والاكتفاءُ بالله على دوام الحالات(4).

* * *

(٢٤) - ﴿ قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ وَأَمۡوَٰلٌ ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٞ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٖ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ وَأَمۡوَٰلٌ

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٢١)، والواحدي في «البسيط» (١٠/ ٣٤٠) والبغوي في «تفسيره» (٤/ ٢٤)، جميعهم من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس. والكلبي متروك، وأبو صالح لم يسمع من ابن عباس.

(٢) في (ف): «وأولئك».

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ١٦٤).

(٤) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ١٨).

﴿ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا﴾: أي: اكتسبتُموها[١] ﴿وَتِجَٰرَةٞ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٖ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾: قال مقاتل: قل يا محمد للمتخلِّفين عن الهجرة: إن كان المقام مع آبائكم وأبنائكم وإخوانكم وأزواجكم[٢] وعشيرتِكم، وأموالٍ اكتسبتُموها، وتجارةٍ ترجُون حصولَ أرباحها وتخشَون كسادها، ومساكنَ رضيتُموها، أحبَّ إليكم من الهجرة إلى الله ورسوله ومن جهادٍ في نصرة دينه فانتظروا حتى يأتي الله بأمره بفتح مكة[٣].

وقال عطاء: ﴿بِأَمۡرِهِۦ﴾؛ أي: بقضائه[٤].

وقال الحسن: ﴿بِأَمۡرِهِۦ﴾ من عقوبةٍ عاجلةٍ أو آجلة[٥].

وقيل: أي: بعذابه، كما قال ﴿أَتَىٰهَآ أَمۡرُنَا﴾ [يونس: ٢٤].

وقال القفال: قطَع وجوهَ العُذر بهذا التعديد والبسطِ من الكلام، فلم يُجِزْ تركَ الهجرة والجهاد في سبيل الله للميل إلى الشيء من الأسباب[٦] المميلة، ولم يجعلْ ما يَثقُل على الإنسان فراقُه من أبٍ برّ، وابنٍ يَتزيَّن به، وأخٍ يَعتضِد بمعونته، وزوجةٍ يَسكن إلى صحبتها وإلْفِها وخدمتها، وعشيرةٍ يَتعزَّز بهم ويستعين على دفع الـمُلِمَّات بنصرتهم، وأموالٍ مكتسَبة قد استَنفذَ في تحصيلها الوُسع، وأنفق على جمعها العُمر،

---

(١) «أي: اكتسبتموها» ليست في (ف).

(٢) «وأزواجكم» زيادة من (أ).

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ١٦٤).

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٢٢)، والبغوي في «تفسيره» (٤/ ٢٥).

(٥) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ٣٤٩)، والواحدي في «البسيط» (١٠/ ٣٤٣).

(٦) في (أ): «الأشياء».

وتجشَّم على حملها الأسفار، وخاف عليها الضَّيَاع بالغيبة عنها، وتجارةٍ قائمة يرجو حصولَ أرباحها، ومنازلَ قائمةٍ[١] عامرةٍ نَزْهةٍ[٢] مألوفةٍ يَتحصَّن فيها من أذى البرد والحر، وأَعدَّ فيها مواضع للشتاء والصيف، حجةً في مخالفةِ ما أمر الله تعالى من الهجرة وجهادِ الكفار، وأَخبر أنَّ مَن آثَرَ طاعة الشيطان على طاعة الرحمن فليستعدَّ لنزول أمر الله، فإنه ينزل به ما لا مَدفع له ولا اعتصام منه بنصرةِ قرابةٍ أو عشيرةٍ، ولا يتحصَّن بمساكنَ حَريزة، وليعلم أن الله لا يُرشد الفاسقين المستخفِّين بدِينه إلى صوابٍ في تدبيره، ولا يهديهم إلى طريق رضوانه ورحمته ما داموا[٣] على اختيارِ مخالفته.

وقال الإمام القشيري رحمه الله: مَن نَفَقتْ أسواقُ دينه[٤] كسدت أسواق حظوظه، وما لم تَخلُ منك منازل الحظوظ لا تَعْمُر بك مشاهدُ الحقوق[٥].

***

(٢٥) - ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ﴾: قال قتادة: هو وادٍ بين مكة والطائف[٦].

---

(١) «قائمة» ليست في (أ) و(ف).

(٢) بسكون الزاي وتكسر؛ أي: بعيدة عن ذِبَّان القُرى وومَد البحار وفساد الهواء. انظر: «القاموس» (مادة: نزه).

(٣) في (ف): «كانوا».

(٤) في (ف): «من نفقت سوق ذنبه» وفي مطبوع «اللطائف»: (من كسدت سوق دينه).

(٥) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ١٨).

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٣٨٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٧٧٢).

وقال عروة: هو وادٍ إلى جنب ذي المجاز[١].

يقول: لقد نصركم الله في مواطنَ كثيرةٍ مثلَ بدرٍ والأحزاب، وأعلاكم على عدوِّكم مع ضعفِكم وقلةِ عددكم في مقامات كثيرة من بين غزوةٍ وسرية، ويومَ حنين[٢]، فليَهُنْ عليكم أمرُ الآباء والأبناء والإخوان والعشيرةِ والأموال، وأسباب المنَعة[٣] الدنيوية، ولا تظنُّوا النصر بها، فانقطِعوا إلى الله بالكلية واطلبوا من عنده النصرَ والمعونة.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ﴾ حين كان فزعُكم إلى الله ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ﴾ بعدما ولَّيْتُم فزعتُم إلى الله أيضاً، فنصركم أيضاً[٤].

وقوله تعالى: ﴿إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾: أي: أعجبكم كثرة عَددكم ووفورُ عُددكم ﴿فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ﴾ الكثرة[٥] ﴿شَيْـًٔا﴾؛ أي: لم تنفعكم الكثرة شيئاً.

﴿وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾: (ما) مع الفعل مصدر، وتقديره: برُحْبها؛ أي: مع رُحْبها[٦]؛ أي: سَعَتها؛ لطلب العدو إياكم، قال الشاعر:

كـأنَّ بـلادَ الله وهـي عريضـةٌ ... على الخائف المطلوب كُفَّةُ حابل[٧]

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٣٨٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٧٧٣).

(٢) بعدها في (ر): «إذاً».

(٣) في (ر) و(ف): «المتعة».

(٤) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٥/ ٣٢٣ ـ ٣٢٤).

(٥) «الكثرة» ليست في (أ) و(ف).

(٦) في (أ): «رحبتها».

(٧) نسب البيت لكثيرين؛ لعبد الله بن الحجاج كما في «أنساب الأشراف» للبلاذري (١٣/ ١٥١)، و«الأغاني» للأصفهاني (١٣/ ١٨٢)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٧/ ٣٦٥). وللبيد كما في «محاضرات الأدباء» (٢/ ٢٠٧). ولرزين العروضي كما في «معجم الأدباء» (٣/ ٣٣٥). ولعبيد =

أي: حِبَالة صيَّاد[١].

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾: أي: منهزِمين ابتُليتُم في أول[٢] الالتقاء بالهزيمة لإعجابكم بكثرتكم دون اعتمادكم على نصرة الله، وعلى إلقائه الرعبَ في قلوب الأعداء، فلم ينفعكم العَددُ والعُدد التي لم تكونوا على مثلها في الوقائع التي نُصرتم فيها مثلَ بدر والأحزاب، وكانوا اثني عشر ألفاً حتى قالوا: لن نُغلبَ اليوم عن قِلَّة، وضاقت عليكم الأرضُ فلم تجدوا طريقاً إلى الخلاص إلا بالهزيمة، وذلك أن مَن أُعجب بعُدته[٣] اعتَمد عليها فلم يتضرَّع إلى الله تعالى ولم يسأله النصر، فحُرم ذلك بتركِ التضرُّع والدعاء.

وقال الواقدي[٤]: لما فتَح الله تعالى على رسوله ﷺ مكة مشت أشراف هوازن بعضُهم إلى بعض، وكذا ثقيفٌ بعضها إلى بعضٍ، وحشَدوا[٥] وبَغوا وقالوا: واللهِ ما

= ابن أيوب بن ضرار العنبري كما في «الحماسة البصرية» (١/ ٢٩). وللطرماح كما في «ديوانه» (ص: ١٦٩)، و«التذكرة الحمدونية» (٥/ ٤٣٠). وهو بلا نسبة في «معاني القرآن» للفراء (١/ ٤٧٧).

(١) في (ف): «صيد».

(٢) في (ف): «في الأول عند».

(٣) بعدها في (ف): «التي».

(٤) قال الواقدي في روايته لهذه الواقعة: حدَّثنا مُحَمّدُ بنُ عبدِ الله، وعبدُ اللهِ بنُ جعفرٍ، وابنُ أبي سَبْرَةَ، ومحمدُ بنُ صالحٍ، وأبو مَعْشرٍ، وابنُ أبي حَبيبةَ، ومحمدُ بنُ يحيى بنِ سهلٍ، وعبدُ الصَّمَدِ بنُ محمدٍ السعديّ، ومعاذُ بنُ محمد، وبُكَيرُ بنُ مِسمارٍ، ويحيى بنُ عبد الله بن أبي قتادةَ، فكلٌّ قد حدَّثنا بطائفةٍ، وغيرُ هؤلاء حدَّثنا ممن لم أُسَمِّ أهلُ ثقةٍ، فكلٌّ قد حدَّثنا بطائفةٍ من هذا الحديثِ، وبعضُهم أَوعَى له مِن بعضٍ، وقد جمعْت كلَّ ما قد حدثوني به، قالوا...، فذكره. انظر: «المغازي» (٣/ ٨٨٥). وقد نقل المؤلف عنه ما سيأتي بشيء من الاختصار.

(٥) في (أ) و(ر): «وحسدوا»، والمثبت من (ف) و«المغازي».

لاقى محمدٌ قوماً[١] يُحْسِنون القتال، فأَجْمِعوا أمركم فسيروا إليه قبل أن يسير إليكم.

فأجمعوا أمرهم على ذلك، وسيدُ هوازنَ مالك بن عوفٍ النَّصريُّ، وسيدُ ثَقيفٍ عبد ياليل بن عمرٍو الثقفيُّ، فأجمَعوا المسير بالناس إلى رسول الله ﷺ، فجاؤوا ومعهم نساؤهم وأموالهم حتى نزلوا بأوطاسٍ، فعسكَروا ودريدُ بنُ الصِّمَّة معهم، وهو يومئذٍ شيخ كبيرٌ ابنُ مئة وستين سنة، ليس فيه شيء إلا التيمُّن به ومعرفتُه[٢] بالحرب، فلما نزل الشيخ مسَّ الأرض بيده فقال: بأيِّ وادٍ أنتم؟ قالوا: بأوطاسٍ، قال: نِعْمَ مجالُ الخيل، لا حَزْنٌ ضَرِسٌ ولا سهلٌ دهسٌ[٣]، ما لي أسمع رغاء البعير ونهاق الحمير، وثُغاء الشاة وخوار البقر وبكاء الصغير؟ فقالوا: ساق مالك بن عوف مع الناس أبناءهم ونساءهم وأموالهم، فقال: أين مالكٌ؟ فقالوا: هذا مالكٌ، فدُعي له مالك، فقال: مالكُ إنك لم تصنع بتقديم بيضة هوازن إلى نحور الخيل شيئاً، فانقض هذا الرأي، فغضب مالك وقال: والله لا أفعل ولا أغيِّر أمراً صنعتُه، إنك قد كَبِرْتَ وكبر علمُك، وحدث بعدك مَن هو أبصرُ بالحرب منك، هل من رأي غيرِ هذا؟ قال: نعم، نجعل كميناً يكون لك عوناً، إن حمل القوم عليك جاءهم الكمين من خلفهم، فقال مالك: هذا الرأي وأنا أقبله.

وكان رسول الله ﷺ افتتح مكة لثلاثَ عشرةَ ليلةً مضت من رمضان، وغزا يوم السبتِ السادس من شوال، واستعمل على مكةَ عَتَّابَ بنَ أَسِيدٍ يصلِّي بهم، ومعاذَ بن جبل يعلِّمهم السُّنن والفقه، وخرج النبيُّ ﷺ في اثني عشر ألفاً من المسلمين، عشرةِ آلاف من أهل المدينة وألفين من أهل مكة.

---

(١) في (ف): «أقواماً».

(٢) في (أ): «في معرفته».

(٣) الحزن: المرتفع من الأرض، والضرس: الذي فيه حجارة محددة، والدهس: اللين الكثير التراب. انظر: «الإملاء المختصر» لأبي ذر الخشني (ص: ٣٨٤).

وقال الحسن: كانوا ثمانيةَ آلاف.

وقال عطاء: كانوا ستةَ عشر ألفاً[1].

فلما فصل[2] قال رجل من الصحابة ـ قال السديُّ: هو سَلَمةُ بن سلَامة[3] ـ: لا نُغلبُ اليومَ عن قلَّة، وكان النبيُّ ﷺ قال: «خيرُ الأصحاب أربعةٌ، وخير السرايا أربعُ مئةٍ، وخير الجيوش أربعةُ آلافٍ، ولا يغلَب اثنا عشر ألفاً عن قلةٍ كلمتُهم واحدة»[4].

---

(١) ذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ٢٦).

(٢) في (ر): «فلما وصل»، وليست في (ف).

(٣) ذكره الواحدي في «البسيط» (١٠/ ٣٤٦)، وفي «الوسيط» (٢/ ٤٨٧)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٣/ ٤١٣)، عن ابن عباس رضي الله عنهما. ولم أجده عن السدي، بل روى الطبري في «تفسيره» (١١/ ٣٨٩) عن السدي: أن القائل هو رجل من أصحاب رسول الله ﷺ ولم يعيِّنه، وعن قتادة أنه قال: (وذكر لنا أن رجلا قال...)، ومثله روى البيهقي في «الدلائل» (٥/ ١٢٣) عن الربيع. وكذا رواه دون تعيين البزار في «مسنده» (١٨٢٧ ـ كشف) من حديث أنس رضي الله عنه، وفيه: (قال غلام منا من الأنصار...). فإن كان كذلك فيستبعد أن يكون القائل سلمة بن سلامة؛ لأن هذا صحابي كبير شهد العقبتين وبدراً وأحداً والمشاهد، فلا يخبر عنه بلفظ: (غلام من الأنصار)، لكن الحديث فيه علي بن عاصم بن صهيب، قال عنه الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦/ ١٧٨): (وهو ضعيف لكثرة غلطه وتماديه فيه). ومع ذلك فليس خبر ابن عباس بأصلح منه؛ لأنه قد ذكر بلا سند، بل ذكره الواحدي في تفسيريه من طريق عطاء عن ابن عباس، وهذا الطريق قد كثر وروده عند الواحدي دون سند يعرف، مع وقوعه عند غيره في الغالب من قول عطاء، وقد نبهنا لهذا في المقدمة وسقنا عليه الأمثلة الكثيرة.

(٤) رواه أبو داود (٢٦١١)، والترمذي (١٥٥٥)، والواقدي في «المغازي» (٣/ ٨٩٠)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، قال الترمذي: إنما روي هذا الحديث عن النبي ﷺ مرسلاً. وقال أبو داود: والصحيح أنه مرسل. وقال أبو حاتم كما في «العلل» لابنه (١/ ٣٤٧): مرسل أشبه، لا يحتمل هذا الكلام أن يكون كلام النبي ﷺ.

فسمع رسول الله ﷺ قول هذا الرجل فساءه كلامه، فوُكلوا إلى كلمة الرجل، وانتهى النبيُّ ﷺ إلى حنينٍ مساء يوم الثلاثاء، وأَمر أُنيسَ بنَ مَرْثَدٍ الغَنَويَّ أن يحرسهم الليلةَ على فرسه على جبل، وقال له حين أصبح: «ما على هذا ألا يعمل عملاً بعد هذا».

وخرج رجال من أهل مكة من أشرافهم وهم كفارُ قريش ينظرون لمن تكون الدَّبْرة، منهم صفوانُ بن أمية، وفيها كانت استعارةُ دروعه، وقولُه[1]: أغصباً يا محمد؟! وقولُه عليه السلام: «بل عاريةٌ مؤدَّاة»، ولما وقعت الهزيمة أولاً على المسلمين مرَّ رجل بصفوان فقال: أبشر فقد هُزم محمد وأصحابه! فقال صفوان: فَضَّ الله فاك، قال[2]: ربٌّ من قريش أحبُّ إلي من ربٍّ من هوازن إن كنت مربوباً.

وانحدر رسول الله ﷺ بأصحابه في وادي حنينٍ ـ وهو [وادٍ] حدورٌ ـ وقد مضت مقدمته على تعبئة، وركب النبي ﷺ بغلته البيضاء دُلْدُلَ، ولبس درعه والمغفَرَ والبيضة، فاستقبل الصفوف وطاف عليها بعضاً خلفَ بعضٍ، فحضَّهم[3] على القتال وبشَّرهم بالفتح إنْ صدَقوا وصبروا.

وقال أنس رضي الله عنه: ولمَّا انتهينا إلى وادي حنينٍ ـ وله مضائقُ وشعبٌ ـ استقبلَنا من هوازنَ شيءٌ لا والله ما[4] رأيتُ مثلَه في ذلك الزمان قطُّ من السَّواد والكثرة، قد ساقوا نساءهم وأبناءهم وأموالهم، فبينا نحن في غلس[5] الصبح إنْ شعرنا إلا بالكتائب قد خرجت علينا من مضيق الوادي فحملوا حملةً واحدةً وهم

---

(١) في (ف): «وفيها قال».

(٢) «قال» ليست في (أ).

(٣) في (ر): «فحثهم».

(٤) بعدها في (أ) و(ف): «إن»، والمثبت من (ر) و«المغازي».

(٥) في (ر): «غبش»، والمثبت من (أ) و(ف) و«المغازي».

أربعةُ آلاف قد جرَّدوا سيوفهم وكسروا غمودها[١] ـ وقيل: أحرَقوها ـ فانكشفت[٢] أولُ الخيول مولِّيةً، وتبعهم الناس مولِّين منهزِمين لا يلوون على شيء، فالتفت النبيُّ ﷺ عن يمينه ويساره والناسُ منهزمون وقال: «يا أنصار الله وأنصارَ رسوله، أنا عبد الله ورسوله» ولم يكن مع النبيِّ ﷺ إلا العباسُ بنُ عبد المطلب وهو آخذٌ بلجام بغلةِ النبيِّ ﷺ، وأبو سفيان بنُ الحارث بن عبد المطلب آخذٌ بثَفَر[٣] بغلة النبي ﷺ، وكان العباس صيِّتاً، فقال له عليه السلام: «اصرخ: يا معشر الأنصار، يا أصحاب السَّمُرة، يا أصحاب الشجرة، يا أصحاب سورة البقرة»، فأقبلوا كأنهم الإبل إذا حنَّت[٤] إلى أولادها، يقولون[٥]: الكرَّةُ بعد الفرَّة[٦]، قد أشرعوا الرماح ـ قال العباس رضي الله عنه: حتى إني لأخاف على رسول الله ﷺ رماحَهم أشدَّ من خوف رماح المشركين ـ يؤمُّون الصوت يقولون: لبيك لبيك، فلما اختلطوا واجتلدوا ورسول الله ﷺ قائمٌ على بغلته البيضاء يقول: «أَنْشُدُك وعدك، لا ينبغي لهم أن يظهروا»، ثم قال للعباس: «ناولني حصياتٍ[٧]»، فناوله حصياتٍ من الأرض ثم قال: «شاهت الوجوه»، ورمى بها وجوهَ المشركين وقال: «انهزَموا وربِّ الكعبة»[٨]، وأُخبروا بعد ذلك أنه لم يبقَ منهم أحد إلا أمتلأتْ عيناه من التراب.

---

(١) في (ر): «غمودهم»، وفي (ف): «أغمادها».

(٢) في (ف): «فانكسرت»، والمثبت من (أ) و(ر) و«المغازي».

(٣) الثفر بالتحريك: السير في مؤخر السرج. انظر: «القاموس» (مادة: ثفر).

(٤) في (أ): «أخنت» والمثبت من (ف) و(ر) و«المغازي».

(٥) في (ر) و(ف): «وهم يقولون»، والمثبت من (أ) و«المغازي».

(٦) في (أ): «الفر». وفي (ر): «النفرة»، والمثبت من (ف) و«المغازي».

(٧) في (ر) و(ف): «ناولني حصاة من الأرض»، والمثبت من (أ) و«المغازي».

(٨) روى نحوه مسلم (١٧٧٥) و(١٧٧٧)، من حديث ابن عباس وسلمة بن الأكوع رضي الله عنهم.

وكان من دعائه يومئذ: «اللهم لك الحمد، وإليك المشتكَى، وأنت المستعان»، فقال له جبريل صلوات الله عليه: لقد لُقِّنْتَ الكلمات التي لَقَّنَ الله تعالى موسى يومَ فلَق له البحر.

وكان النبيُّ ﷺ في مئةٍ صابرة: ثلاثةٌ وثلاثون من المهاجرين، وسبعةٌ وستُّون من الأنصار، وكان النبيُّ ﷺ يقول: «أنا النبيُّ لا كذب، أنا ابن عبد المطلب»[1]، وهذا غايةُ شجاعته حيث لم يُخْفِ[2] اسمه في تلك الحالة، ولم يَخَفِ الكفار على نفسه.

وكان عثمان وعليٌّ وأبو دجانةَ وأيمنُ بن عبيدٍ رضي الله عنهم يقاتلون بين يدي النبيِّ ﷺ، وكرَّت الأنصار ووقفت هوازنُ قَدْرَ حَلَبِ ناقةٍ ثم كانت الهزيمة، وكان سعد بن عبادة يصيح بالخزرج، وأُسيد بن حضيرٍ بالأوس، فثابوا ـ أي: رجعوا[3] ـ من كل ناحيةٍ كأنهم النحل قد أشرعوا في قتل الذرية، فنهاهم عن ذلك.

قال أنس: وتقدَّم رسول الله ﷺ بحَرْبته أمام الناس، وهزمهم الله تعالى، وأمر رسول الله ﷺ أن يُقتل كلُّ مَن قُدر عليه ففعلوا، وبعث أبا عامرٍ[4] الأشعريَّ في آثار مَن توجَّه إلى أوطاسٍ وعقَد له اللواء، فقتَل منهم كثيراً ثم استُشهد[5]، وغنموا كلَّ أموالهم.

وأمر النبيُّ ﷺ بالغنائم فجُمعت، ونادى مناديهِ: مَن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يَغُلَّ، وردَّ عقيل بن أبي طالب إبرةً كان أخذها[6].

---

(١) رواه البخاري (٢٨٦٤)، ومسلم (١٧٧٦)، من حديث البراء رضي الله عنه.

(٢) في (ر): «يمح».

(٣) «أي: رجعوا» من (ف).

(٤) في (ف) و(أ): «عامر».

(٥) في (ف): «استشهد».

(٦) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٤٧٧) عن زيد بن أَسلمَ قال: جاء عَقِيلُ بن أبي طالب بمِخْيَطٍ، فقال =

وجاء رجل بحبلٍ فطلب من النبيِّ ﷺ أن يجعله له، فقال: «نصيبي منه لك، فكيف تصنعُ بأنصباء المسلمين؟».

وفي سبايا أوطاسٍ قال عليه الصلاة والسلام: «ألَا لا تُوطأ الحَبَالى حتى يَضَعْن حملَهنَّ، ولا الحَيَالى حتى يَستبرئنَ بحيضةٍ»[(١)].

وفيها أتت الشَّيماء أختُ النبيِّ ﷺ من الرضاعة فبسط لها رداءه وأكرمها وحياها.

وقال سعيد بن جبير رضي الله عنه: أَمَدَّ[(٢)] الله نبيَّه بخمسة آلاف ملَك[(٣)].

وقال رجل من الأعداء بعد تقضِّي القتال: أين الخيلُ البُلْقُ والرجالُ عليهم الثيابُ البيض، ما كنَّا نراكم فيهم إلا كهيئةِ الشَّامة، وما قُتلنا إلا بأيديهم؟ فأَخبروا بذلك النبيَّ ﷺ فقال: «تلك الملائكة»[(٤)].

وقال الزهريُّ: وبلغني أن شيبة بن عثمان قال: استَدْبَرتُ النبيَّ ﷺ يومَ حنينٍ وأنا أريد أن أقتُله بطلحة بن عثمان وعثمان بن طلحة وقد قُتلا يوم أحد، فأَطْلع الله رسوله على ما في نفسي، فالتفتَ إليَّ وضرب في صدري وقال: «أعيذكَ بالله يا شيبةُ»، فأُرْعِدَتْ فرائصي، فنظرت إليه وهو أحبُّ إليَّ من

= لامرأته: خِيطي بهذه ثيابكِ، قال: فبعَثَ النبيُّ ﷺ مناديًا: «ألَا لا يَغُلَّنَّ رجلٌ إبرةً فما دُونها»، فقال عقيلٌ لامرأته: ما أرى إبرتَكِ إلا قد فاتتكِ.

(١) ذكره بهذا اللفظ الشافعي في «الأم» (٧/ ٣٤٦) عن أبي يوسف قال: بلغنا...، وذكره. ورواه بنحوه أبو داود (٢١٥٧) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه. والحيالى: جمع حائل، وهي التي لا حبل بها.

(٢) في (ف): «أيد».

(٣) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٧٧٤).

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٢٤)، والبغوي في «تفسيره» (٤/ ٢٨).

سـمعي وبصري، فقلتُ: أشـهدُ أنك رسـولُ الله، وأن الله أَطْلعك على ما في نفسـي[١].

ولمَّا انهزموا أتَوا أوطاس وبها أموالُهم وعمالُهم، وبعث رسول الله ﷺ على إثرهم فقتلوا منهم مقتلةً عظيمة، وهرب أميرهم مالك بن عوف فأتى الطائف وتحصَّن بها وأخذ ماله وأهله فيمَن أخذ، وحاصروهم بقية الشهر، فلمَّا دخل ذو القعدة وهو شهرٌ حرام لا يحلُّ به القتال انصرف عنهم فأتى الجِعْرانة وأَحرم منها بعمرة، وقسَّم بها السبيَ والمال، وكانوا أصابوا يومئذ ستة آلاف سبي، ثم جاء قومهم وأسلموا وقالوا: في السَّبي عماتُك وخالاتك، ولو كنَّا[٢] أرضعنا النعمانَ بن المنذر لكنَّا نرجو عائدته اليوم، وأنت خيرُ الناس وأبرُّهم وأرحمُهم وأوصلُهم للرحم، فقال عليه السلام: «أيما أحبُّ إليكم أنسابكم أو أموالكم؟» فقالوا: أنسابنا، فقام عليه السلام خطيباً وقال: «إن هؤلاء جاؤونا مسلمين، وقد خيَّرناهم فاختاروا أنسابهم، فمَن كان بيده شيء وطابت نفسه أن يَردَّ فشأنُه، ومَن لا تَطِبْ نفسُه[٣] فليُعطنا وليكن قرضاً علينا حتى نُصيب شيئاً فنعطيَه مكانه»، فقالوا: رضينا وسلَّمنا، فردُّوا[٤].

وأُخذ أميرهم[٥] مالك بن عوف فأُتي به النبيُّ ﷺ، فقال له: «ما تريد، أقتلك أم أفاديكَ أم أمُنُّ عليك أم تُسلِم؟» فقال: أما الإسلام فلا أُسلم أبداً، وأما القتل فإن قتَلْتَني قتلتَ عظيماً، فإن مننتَ عليَّ فأعتَقْتَني مننتَ على عظيم، فقال: «أمنُّ عليك

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٢٤)، والبغوي في «تفسيره» (٤/ ٢٨).

(٢) في (ف) و(أ): «أنا».

(٣) «تطب نفسه» من (ف).

(٤) رواه بنحوه البخاري (٤٣١٨ ـ ٤٣١٩)، والإمام أحمد في «المسند» (١٨٩١٤)، من حديث مروان بن الحكم والمسور بن مخرمة رضي الله عنهما. وبنحوه أيضاً رواه النسائي (٣٦٨٨)، والإمام أحمد في «المسند» (٦٧٢٩) و(٧٠٣٧)، من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

(٥) في (أ): «منهم».

وأطلقُك»، ففعل فقال: تعجبتُ من حُسن خُلقك[١]، ولا يكون هذا إلا من نبيٍّ حقٍّ، فأسلم وحسُن إسلامه[٢].

وقسَّم بالجعرانة غنائمَ حنينٍ، وتألَّفَ أناساً منهم أبو سفيان بنُ حرب والحارث ابن هشام وسهيل بن عمرو والأقرع بن حابس، فقالت الأنصار: أَمِن الرجل وآثَرَ قومه، فبلغ ذلك رسولَ الله ﷺ وهو في قبةِ أدَمٍ، فقال: «يا معاشر الأنصار، ما هذا الذي بلغني عنكم، ألم تكونوا ضلَّالاً فهداكم الله، ألم تكونوا أذلةً فأعزَّكم الله، ألم ألم»، فقال سعد بن عبادة: ائذن لي أتكلم، فقال: «تكلَّم»، فقال: أمَّا قولك: كنتم ضلَّالاً فهداكم الله، فكنَّا كذلك، وأما قولك: كنتم أذلةً فأعزكم الله، فقد علمَتِ العرب أنه ما كان حيٌّ من أحياء العرب أمنعَ لِمَا وراءَ ظهورهم منَّا، فقال عمر: يا سعد، أتدري مَن تكلِّم؟ فقال: يا عمر، أكلِّم رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده لو سلكتِ الأنصار وادياً والناسُ وادياً لسلكتُ واديَ الأنصار، ولولا الهجرةُ لكنت امرءاً من الأنصار» ثم قال: «يا معشر الأنصار، أمَا ترضَون أن ينقلبَ الناس بالإبل والشاة وتنقلبون أنتم برسولِ الله إلى بيوتكم؟» فقالت الأنصار: رضينا بالله ورسوله، ما قلنا ذلك إلا ضنًّا بالله ورسوله، فقال رسول الله ﷺ: «إن الله ورسوله يصدِّقانكم ويَعذرانكم»[٣].

فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة قام خطيباً فقال: «أما إن خطيب الأنصار لو

---

(١) في (أ): «تخلقك».

(٢) انظر قصة إسلام مالك بن عوف في «السيرة النبوية» (٢/ ٤٩١)، و«طبقات ابن سعد» (١/ ٣١٢)، عن محمد بن سلام الجمحي، وفي «دلائل النبوة» للبيهقي (٥/ ١٩٣) عن سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير، وفيه أنه أعطاه مئة من الإبل واستعمله على من أسلم من قومه.

(٣) قطعة من خبر رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٢٨٧ ـ ٢٨٩) عن قتادة، وإسناده ضعيف لإرساله.

قال: كنت طريداً فآويناك، وكنت خائفاً فأمنَّاك، وكنت مخذولاً فنصرناك، وكنت وكنت، لكان قد صدَق»، فبكت الأنصار وقالت: يد الله أعظم علينا مَنًّا(١).

وقال الإمام القشيري رحمه الله: المنصور مِن الله مَن عصمه عن التوهُّمات، ولم يَكِلْه إلى تدبيره في الأمور، بل أقامه مقام الافتقار متبرِّئاً من الحول والقوة، متحقِّقاً بتصاريف القدرة، ولمَّا أعجبتهم كثرتُهم تفرق عن رسول الله ﷺ في الحال أكثر الأصحاب، وكُشف عن القوم جلابيب السر، واضطربت القلوب، وخانت القوى أصحابها فلم تُغْنِ عنهم كثرتهم، فاستخلص الله أسرارهم بصدق الرجوع إليه، فأنزل سكينته عليهم وقلَب الأمر على الأعداء، وخفَقت رايات النصرة(٢)، ووقعت الدَّبْرة على الأعداء فانقلبوا صاغرين(٣).

* * *

(٢٦) ـ ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾.

قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾: أي: الرحمة التي(٤) يسكن إليها القلب.

وقيل: هي الأَمَنة والطمأنينة.

وقيل: هي زوال الاضطراب الذي يعتري القلب، وثبات القلب للحرب.

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٢٥).

(٢) في (ف) و(أ): «وحققت آيات النصر».

(٣) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ١٨ ـ ١٩).

(٤) «التي» ليس في (أ) و(ف).

وفي هذه الآية نقضُ قول المعتزلة؛ لأنه سماهم مؤمنين بعد التولِّي؛ قاله الإمام أبو منصور رحمه الله[١].

وقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾: أي: من الملائكة ﴿وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ بالهزيمة والقتل والسبي.

قوله تعالى: ﴿وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾: إذا لاقَوا المؤمنين أن يكون الدَّبرة على الكافرين والنصرة للمؤمنين.

قال القشيري رحمه الله: السكينة ثَلَجُ القلب عند جريان حكم الربّ وخمود آثار[٢] البشرية بالكلية، والرضا بما يبدو من الغيب من غير معارضةِ القضية، والسكينةُ الـمُنزلة على المؤمنين اختطافُ الحق إياهم [عنهم] حتى لم تستفزَّهم رهبةٌ من مخلوق، وسكن عنهم كلُّ إرادة واختيار.

﴿وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ من وفور اليقين وزوائد الاستبصار ﴿وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ بتطويحهم في متاهات التغرير[٣]، والسقوطِ في وهدة [ضيق] التدبير، والغيبة عن شهود التقدير[٤].

***

(٢٧) ـ ﴿ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: ثم

---

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٥/ ٣٢٦).

(٢) في (ر): «نار».

(٣) في (ف): «التعزير». وعبارة «التأويلات»: (بالتطوح في متاهات التفرقة).

(٤) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ١٩)، وما بين معكوفتين منه.

يوفِّق الله عز وجل للإيمان بعد ذلك مَن يشاء فيَقبله ويغفر له، وهو الغفور للمؤمنين الرحيم بهم أجمعين.

وقيل: ﴿ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ﴾؛ أي: يقبل توبة المنهزمين إذا علم منهم الصدق والندم، وهم المهاجرون والأنصار دون مَن رجعوا إلى الحرب في الظاهر ولهم نفاقٌ وكفرٌ في الباطن.

* * *

(٢٨) - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾: أي: أنجاس، وإنما وحَّد لأنه في الأصل مصدر فلا يُثنَّى ولا يُجمع ولا يُؤنَّث، يقال: رجل نَجَسٌ، ورجلان وامرأتان نَجَسٌ، ورجال ونساء نَجَسٌ، ومعناه: أنهم أنجاس في اعتقادهم وأحوالهم وأفعالهم وأقوالهم؛ لأنهم يشركون بالله غيرَه ويريدون بأعمالهم سواه، فهم مستقذَرون يجب اجتنابهم.

وقوله تعالى: ﴿فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا﴾: وهذا من جملة ما وقع به الأذانُ يومَ الحج الأكبر مع البراءة من العهود وبه الانتظام؛ أي: فامنعوهم من الحج بعد هذا العام، وكذا من دخول الحرم للتجارة وغير ذلك.

وقال الإمام مالك رحمه الله: لا يُترك الذِّمِّي يدخل مسجداً؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾.

وقال الشافعي رحمه الله: يمنع عن دخول المسجد الحرام فحَسْبُ لهذه الآية.

وعندنا لا يُمنع عن دخول المسجد الحرام أيضاً، والآية في دخولهم للحج؛ لأنهم كانوا يعملون في الحج أعمال المشركين، فأمر الله تعالى بتنزيه المسجد الحرام والحرَم عن ذلك أيضاً، فأما نفس الدخول فغيرُ ممنوع عنها.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً﴾: أي: فقراً قال تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ﴾ [الضحى: ٨]، قال الشاعر:

ولا يـدري الفقيـرُ متـى غِـنَـاه ... ولا يدري الغنـيُّ متـى يَعُولُ[1]

وقوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ﴾: قيل: إنهم كانوا يَرِدُون بمكة تجاراً فتترفَّقُ أهلُها بهم في معايشهم، فلمَّا أُمروا بمنعهم منها أشفقوا من ضِيق المعاش وانقطاعِ التجارات، فوعدهم الله تعالى الغِنى من وجه آخر من فضله وأمَّنهم من الفقر.

قال مقاتل: أغناهم الله من فضله فأسلم أهلُ صنعاء وجُدَّةَ وجُرَش، وحملوا الطعام إلى مكة على ظهور الدَّوابِّ، فكفاهم[2] ما كانوا يتخوَّفون[3].

وقوله تعالى: ﴿إِن شَآءَ﴾ علَّق بالمشيئة قطعاً للآمال عن الأسباب، وصرفاً لها إلى الله تعالى؛ كما قال الله تعالى: ﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ [الفتح: ٢٧].

---

(١) البيت لأحيحة بن الجلاح، وهو في «ديوانه» (ص: ٧٤)، و«جمهرة أشعار العرب» (ص: ٢٧ و٥١٨)، و«معاني القرآن» للفراء (١/ ٢٥٥)، و«مجاز القرآن» (١/ ٢٥٥) و(٢/ ٣٠٢)، و«تفسير الطبري» (٦/ ٣٧٥) و(١١/ ٣٩٩)، و«معاني القرآن» للزجاج (١/ ٣٦٨) و(٢/ ٤٤١)، و«جمهرة اللغة» (١/ ٥٩ و٥٧١)، و«الزاهر» لابن الأنباري (١/ ١٤١)، و«غريب الحديث» للخطابي (١/ ٩٨)، و«الصحاح» (مادة: عيل). وفي جميع هذه المصادر: (متى يعيل).

(٢) في (ر): «فأمنهم».

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ١٦٦).

وقولـه تعالـى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ﴾: أي: بمصالح العباد ﴿حَكِيمٌ﴾ فيما حكَم[١] وأراد.

وقال الكلبي: ولما قال علي بن أبي طالب: ﴿فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا﴾ قال له أناس من بكر بن وائل من التجار: يا أهل مكة، ستعلمون إذا فعلتُم هذا ماذا تلقَون من الشدة، ومن أين تأكلون، فشقَّ ذلك عليهم، فأنزل الله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: فأمرهم الله تعالى بقتال أهل الكتاب وأغناهم من فضله[٢].

وقال عطاء: أغناهم الله تعالى بالجزية الجارية شهراً فشهراً عاماً فعاماً[٣].

وقال القشيري رحمه الله: مَن أناخ بعقوة[٤] كرم مولاه، واستمطر من سحائب جدواه[٥]، أغناه عن كلِّ سبب، وكفاه كلَّ تعب، وقضى له كلَّ أَرَب، وأعطاه[٦] من غير طلب[٧].

***

---

(١) في (ر) و(ف): «فعل».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٤٠٠).

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٠٧١)، والطبري في «تفسيره» (١١/ ٤٠٤)، لكن عن قتادة.

(٤) في (ر): «بباب»، وفي (ف): «بعفوة»، والمثبت من (أ) و«اللطائف». والعقوة: شجر، وما حول الدار والمحلة. انظر: «القاموس» (مادة: عقى).

(٥) في «لطائف الإشارات»: (جوده).

(٦) في (أ): «وأغناه»، والمثبت من (ر) و(ف) و«اللطائف».

(٧) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ١٩)، وما بين معكوفتين منه.

(٢٩) - ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ﴾: بيَّن في الآي الأُوَل قتالَ المشركين، وبيَّن في هذه الآية قتال اليهود والنصارى.

ولو قال: (قاتِلوا أهل الكتاب) لكفى، وإنما جمَع هذه الأوصافَ الذميمة تحريضاً للمؤمنين على قتالهم؛ لأنها صفاتٌ توجب البراءة منهم والعداوةَ لهم.

وإنما قال لهم: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ وهم يدَّعون الإيمان بالله؛ لأنهم يؤمنون بالله الذي له الولد وهو شبيهٌ بالخَلق، وهذا ليس بإيمانٍ بالله، وكذا يصدِّقون الله بإرسال بعض الأنبياء ولا يصدقونه في إرسال بعض وهو يبطل الإيمان بالله.

وكذا قال: ﴿وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ وهم يدَّعون الإيمان به؛ لأنهم لا يصدقون بما فيه من الوعد والوعيد، فيقولون: لن تمسنا النار إلا أياماً معدودةً، ويقولون: ليس في الجنة مطاعمُ ومشاربُ ومناكح، ولا يكون هذا إيماناً باليوم الآخر.

﴿وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾: من الخمر والخنزير، وتحريف الكتاب، وكتمانِ نعت النبي ﷺ.

﴿وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ﴾ وهو الإسلام؛ فإن اليهودية والنصرانية دينٌ باطل، فإنه نسخَ بعضَ أحكام التوراة والإنجيل، وهم قد حرَّفوا البعض، وقد قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٨٥].

وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ﴾: أي: إلى أن يُعطوا الجزية؛ كما قال: ﴿فَإِن

تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [التوبة: ٥]؛ أي: قبلوهما، مَدَّ وجوبَ القتال إلى هذه الغاية وهي قبولُ الجزية، وهذا حكم أهل الكتاب بالنصِّ، وحكمُ المجوس كذلك بالخبر، وهو قولُه عليه السلام: «سُنُّوا في المجوس سنَّةَ أهل الكتاب غيرَ ناكحي نسائهم ولا آكِلِي ذبائحِهم»[1]، ولا يجوز هذا في مشركي العرب؛ لقوله عليه السلام: «لا يُقبل منهم إلا الإسلام أو السيف»[2] ويجوز في الهنود والأتراك والديلم عندنا خلافاً للشافعي رحمه الله تعالى، وهي تعرف في الفقهيات.

وقوله تعالى: ﴿عَن يَدٍ﴾: قيل: عن نقدٍ، فلا تؤخَّر عن وقتها، من قوله: يداً بيدٍ.

---

(١) رواه دون قوله: «غير ناكحي...» مالك في «الموطأ» (١/ ٢٧٨) عن جعفرِ بن محمد بن عليٍّ عن أبيه: أنَّ عمرَ بن الخطاب ذَكَر المجوسَ فقال: ما أدري كيف أَصنعُ في أَمْرِهم؟ فقال عبد الرحمن بن عوفٍ: أَشْهدُ لَسمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «سُنُّوا بهم سُنَّةَ أهلِ الكتابِ». قال ابن عبد البر في «التمهيد» (٢/ ١١٤ ـ ١١٦): هذا حديث منقطع لأن محمد بن علي لم يلق عمر ولا عبد الرحمن بن عوف... ولكن معناه متصل من وجوه حسان.

وقوله: «غير ناكحي...» لم يرد في هذا الخبر، وإنما هو مدرج فيه كما قال ابن حجر في «التلخيص الحبير» (٣/ ١٧٢)، قال: لكن روى عبد الرزاق وابن أبي شيبة والبيهقي من طريق الحسن بن محمد ابن علي قال: (كتب رسول الله ﷺ إلى مجوس هجر يعرض عليهم الإسلام، فمن أسلم قبل، ومن أصر ضربت عليه الجزية، على ألا تؤكل لهم ذبيحة، ولا تنكح لهم امرأة)، وفي رواية عبد الرزاق: (غير ناكحي نسائهم، ولا آكلي ذبائحهم)، وهو مرسل، وفي إسناده قيس بن الربيع وهو ضعيف، قال البيهقي: وإجماع أكثر المسلمين عليه يؤكده.

ثم قال الحافظ: تنبيه: تبين أن الاستثناء في حديث عبد الرحمن مدرج، ونقل الحربي الإجماع على المنع إلا عن أبي ثور، ورده ابن حزم بأن الجواز ثبت عن سعيد بن المسيب أيضا، وأخرج ابن أبي شيبة، من طريقه جواز التسري من المجوس بإسناد صحيح، وعن عطاء وطاوس وعمرو بن دينار كذلك.

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٤/ ١١٧ ـ ١١٨) من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس.

وقيل: عن يدِ مَن عليه، فيُحضره[١] بنفسه ويؤدِّي، ولا يُرسل به رسولاً، ولا يبعثه على يد ولده أو وكيله أو عبده.

وقيل: عن طيبِ نفسه، فيعطي بيده من غيرِ أن يُكرَه عليه؛ أي: دليلُ[٢] قبولهِ طوعُه دون أن يُكره عليه، فإنه إذا احتاج إلى ذلك بقي القتلُ والقتال والسبي ولا يثبت عقد الذمة.

وقيل: عن انقياد، يقال: أعطى فلان بيده، إذا استسلَم وانقاد.

وقيل: أي: عن رؤيتهم ذلك إنعاماً منكم عليهم بترك القتال[٣] بهذا، من قولك: اصطنعتُ إلى فلان يداً.

وقوله تعالى: ﴿وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾: أي: أذلَّاءَ مقهورين يأتون للأداء مشاةً لا ركباناً، ويؤدون قياماً والآخذُ قاعدٌ ويدُه تحت يدِ الآخر، ويؤخذ بتلبيبه[٤] عند الأخذ ويحرَّك ويقال: أدِّ الجزية يا يهودي، أو: يا نصراني.

وقيل: أي: تصاغرت إليهم أنفسُهم بما احتاجوا إليه من بذل الجزية لحقنِ دمائهم.

وقال الكلبي: نزلت في بني قريظة وبني النضير.

والجزية على ثلاث مراتب: على المعتمِل في السَّنة اثنا عشر درهماً، وعلى وسط الحال أربعة وعشرون درهماً، وعلى كامل الغنى ثمانيةٌ وأربعون درهماً،

---

(١) في (ر) و(ف): «فيحضر».

(٢) في (أ): «أي ذلك».

(٣) في (أ): «القتل».

(٤) في (أ): «ويدخله بتلبيبه»، وفي (ر): «ويدخله بتلبيسه».

كذلك وظَّفها عمر رضي الله عنه(١)، وبهذه الجزية أغناهم عن العيلة، وهو وجه اتصال هذه الآية بالأولى.

* * *

(٣٠) - ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾: قرأ عاصم والكسائيُّ وسهل ويعقوب في روايةٍ: ﴿عُزَيْرٌ﴾ بالتنوين؛ لأنه اسم مصغَّر فهو مصروف، ولأنه اسم خفيف فيُصرف وإن كان أعجمياً كنوحٍ ولوطٍ، ولأنه اسم مبتدأ وهو مفردٌ غيرُ منسوب و﴿ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ خبره، وقرأ الباقون بغير تنوين(٢)؛ لأنه اسم أعجمي مفرد، ولأن ﴿ٱبْنُ﴾ صفة له وتقديره عزيرُ ابنُ الله معبودُنا، أو: نبينا، على هذه القراءة.

ثم هذا بيانُ قوله: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ مع دعواهم؛ لأن هذا قولُهم في الله.

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾: أي: هو قول(٣) يقولونه بألسنتهم لا حجةَ لهم على صحته.

وذكر الإمام أبو منصور رحمه الله هذا ثم قال: أو قالوا ذلك بأفواههم من(٤) غير شبهةٍ اعترضت لهم تَحْمِلهم على ذلك(٥).

---

(١) انظر: «أحكام القرآن» للجصاص (٤/ ٢٩٠)، و«شرح صحيح البخاري» لابن بطال (٥/ ٣٣١)، و«المبسوط» للسرخسي (١٠/ ٧٨).

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٣١٣)، و«التيسير» (ص: ١١٨). وقراءة يعقوب في «النشر» (٢/ ٢٧٩).

(٣) في (ف): «أي هم».

(٤) في (أ): «على».

(٥) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٥/ ٣٥٧).

وقوله تعالى: ﴿يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ﴾[١]: قرأ عاصم بالهمزة والباقون بغير همزة[٢]، وهما لغتان: ضاهَيتُه وضاهأته؛ أي: شابَهْتُه، ومعناه عند ابن عباس رضي الله عنهما: شابَهوا عبدة الأوثان في هذا القول[٣].

وقيل: في قولهم: الملائكة بنات الله.

وقال الزجَّاج: أي: في تقليدهم أسلافَهم في هذا القول[٤].

وقيل: أي: المشركين في إثبات الشركاء لله.

وقوله تعالى: ﴿قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ﴾: قال ابن عباس رضي الله عنهما: أي: لعنهم الله[٥].

وقيل: أي: قتَلهم الله، وقيل: أي: عاداهم الله، وقيل، أي: أهلكهم الله.

وقوله تعالى: ﴿أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾: أي: من أين يصرفون عن الحق، والصرفُ عن الحق ضلال.

قال مقاتل: إن اليهود لعنهم الله قتلوا أنبياءهم، فرفع الله عنهم التوراة ومحاها من قلوبهم، فخرج عزيرٌ يسيح في الأرض، فأتاه جبريل عليه السلام فقال: أين تذهب؟ قال أطلب العلمَ، فعلَّمه جبريل صلوات الله عليه التوراةَ كلَّها، فجاء عزير بالتوراة إلى بني إسرائيل فعلَّمهم، فقالوا: لم يعلَم عزير هذا

---

(١) في (ف): «يضاهون قول...».

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٣١٤)، و«التيسير» (ص: ١١٨).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٤١٤).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٤٤٣).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٤١٥)، وابن أبي حاتم (٦/ ١٧٨٣).

العلمَ إلا لأنه ابن الله[١]. وله طرق أخرى ذكرنا بعضها في سورة البقرة.

وقال السدِّي: إن العمالقة ظهرت عليهم فقتلوهم وأخذوا التوراة، وهرب علماؤهم الذين بقُوا ودفنوا كتبَ التوراة في الجبال، وكان عزيرٌ غلاماً يتعبَّد في رؤوس الجبال لا ينزل إلا يوم عيد، فجعل يبكي ويقول: يا رب، تركت بني إسرائيل بغير عالِمٍ؟ فجعل يبكي حتى سقطت أشفار عينيه، فنزل مرة إلى العيد فلمَّا رجع إذا بامرأة قد مَثَلت له عند قبرٍ تبكي وتقول: يا مطعماه يا كاسياه، فقال لها: ويحك! مَن كان يطعمُكِ ويكسوكِ؟ قالت: هذا الرجل، يعني: زوجها، قال: فمَن كان يطعمك ويكسوك قبله؟ قالت: الله، قال: فإن الله حيٌّ لا يموت، قالت: يا عزير، فمَن كان يعلِّم العلماء قبل بني إسرائيل؟ قال: الله، قالت: فلمَ تبكي عليهم؟! فلما عَلِم[٢] أنه خُصم ـ أي: غُلب[٣] ـ ولَّى مدبِراً فقالت: يا عزير، إذا أصبحتَ غداً فأْتِ نهرَ كذا فاغتسِلْ فيه ثم اخرج فصلِّ ركعتين، فإنه يأتيك شيخ فما أعطاك فخذ منه، فلما أصبح انطلق إلى ذلك النهر فاغتسل ثم صلى ركعتين، فجاءه الشيخ فقال: افتح فاك، ففتح فاه فألقى فيه شيئاً كهيئة الجَمرة العظيمة مجتمِعاً [كهيئة القوارير] ثلاث مرات، فرجع عزير وهو من أعلم الناس بالتوراة، فقال: يا بني إسرائيل، قد جئتُكم بالتوراة، فقالوا: يا عزير! ما كنتَ كذَّاباً، فعمد فربط على كلِّ أصبع له قلماً، وكتب بأصابعه كلِّها حتى كتب التوراة، فلما رجع العلماء استخرجوا كتبهم التي دفنوها في خوابٍ، فعارضوها بتوراة عزير فوجدوها مثلها، فقالوا: ما أعطاك الله هذا إلا لأنك ابنه[٤].

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ١٦٧). ورواه بنحوه ابن أبي حاتم (٦/ ١٧٨١) عن ابن عباس، لكن إسناده ضعيف.

(٢) في (أ): «عرف».

(٣) «أي: غلب» ليس من (أ) و(ف).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٤١٠)، وما بين معكوفتين منه. ولعله أخذه من الإسرائيليات.

وأما النصارى فقد قال الكلبي: كان شركُهم أنهم كانوا على الحق إحدى وثمانين سنةً بعد ما رُفع عيسى عليه السلام إلى السماء يصلُّون إلى القبلة ويصومون، حتى وقع فيما بينهم وبين اليهود حربٌ، وكان في اليهود رجلٌ شجاع يقال له: بولس، قتل جماعةً من أصحاب عيسى ثم قال لليهود: كان الحق مع عيسى فكفرنا وجحدنا، والنار مصيرُنا، فنحن مغبونون إن دخلوا الجنة ودخلنا النار، وإني أحتال فأُضلُّهم حتى يدخلوا معنا النار، وكان له فرسٌ يقال له: العُقاب، يقاتِل عليه، فعَرقب فرسَه وأظهر الندامة ووضع على رأسه التراب، فقالت له النصارى: مَن أنت؟ قال: أنا بولسُ عدوُّكم فنوديت من السماء: ليست لك توبةٌ إلا أن تتنصَّر، وقد تُبتُ. فأدخَلوه في الكنيسة فدخل فيها سنةً لا يخرج ليلاً ولا نهاراً حتى تعلَّم الإنجيل، ثم خرج وقال: نوديتُ: إن الله تعالى قَبِل توبتك، فصدَّقوه وأحبُّوه، ثم مضى إلى بيت المقدس واستخلف عليهم نسطور، وعلَّمه أن عيسى ومريم والإله كانوا ثلاثةً، ثم توجَّه إلى الروم وعلَّمهم اللاهوتَ والناسوت، وقال: لم يكن عيسى بإنْسٍ فتأنَّسَ، ولا بجسمٍ فتجسَّمَ [ولكنه ابن الله]، وعلَّم رجلاً يقال له: يعقوب، ذلك ثم دعا رجلاً يقال: مَلْكا، فقال له: إن الله لم يَزَلْ ولا يزال كان عيسى.

ولمَّا استمكَن منهم دعا هؤلاء الثلاثة واحداً واحداً، وقال لكلٍّ واحد منهم: أنت خالصَتي، ولقد رأيت عيسى في المنام فرضي عني، وقال لكل واحد منهم: إني غداً أذبحُ نفسي فادعُ الناس إلى نحلتك، ثم دخل المذبح [فذبح نفسه] وقال: إنما أفعل ذلك لمرضاة عيسى، فلما كان يوم ثالثه دعا كلُّ واحد منهم الناسَ إلى نحلته، فتبع كلَّ واحد منهم طائفةٌ من الناس، فافتُتنوا واختلفوا إلى يومنا هذا، فجميع النصارى من الفرق الثلاث[1].

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٣٣)، والواحدي في «البسيط» (١٠/ ٣٧٦)، والبغوي في «تفسيره» (٤/ ٣٨)، وما بين معكوفتين من هذه المصادر.

(٣١) ـ ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾: أي: أطاعوا علماءهم وعُبَّادهم فيما أمروهم به من الاعتقاد والعمل طاعةَ العبيد الأرباب.

وقوله تعالى: ﴿أَرۡبَابٗا﴾؛ أي: كالأرباب، وهو كقوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارٗا﴾ [الكهف: ٩٦] أي: كالنار.

وعن عدي بن حاتم قال: أتيتُ النبيَّ ﷺ وكنتُ نصرانيًّا، فوافَقْتُه يقرأ سورة براءة، فبلغ قوله: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ فقلت: يا رسول الله! ما نعبدُهم من دون الله، قال: «أليس يحلُّون لكم ما حرَّم الله عليكم فتستحلُّونه، ويحرِّمون عليكم ما أحلَّ الله لكم فتحرِّمونه؟» فقلت: بلى، فقال: «تلك عبادتهم»(١).

وقال أبو البَخْتريِّ: أمَا إنهم لو أَمروهم أن يعبدوهم من دون الله ما أطاعوهم، ولكن كفَّروهم فجعلوا حلالَ الله حراماً وحرامَه حلالاً، فأطاعوهم فكانت تلك الربوبية.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ﴾: أي: اتَّخذوه إلهاً معبوداً.

وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗا﴾: أي: إلا أن يعبدوا إلهاً واحداً؛ كما في قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمۡ﴾ [النساء: ٢٦]، وقد كشفنا عن حقيقته.

---

(١) رواه الترمذي (٣٠٩٥)، وقال: حديث غريب... وغطيفُ بن أَعْيَنَ (أحد رواته) ليس بمعروف في الحديث.

ثم بذلك أمرهم الله تعالى في كتابه، وبذلك أمرهم عيسى عليه السلام بقوله: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ﴾ [مريم: ٣٦].

وقوله تعالى: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾: أي: تنزيهاً له عن إشراكهم به غيرَه.

* * *

(٣٢) ـ ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾: أي: يريد أهل الكتاب أن يُبطلوا[١] حججَ الله جلَّ جلالُه بجدالٍ منهم بألسنتهم من غيرِ حجة.

وقال الحسن والسدي: نورُ الله تعالى: القرآن والإسلام[٢].

وقيل: الدلالة والبرهان.

وقال الضحاك: يريدون أن يَهلك محمدٌ وأصحابه ولا يُعبدَ الله بالإسلام[٣].

وقال: ﴿وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ﴾: أي: لا يريد الله إلا تمامَ هذا النور، وهو إبقاءُ الإسلام والإيمان[٤] والقرآن، وإيضاحُ الحجة والبرهان، وفيه تخييبُهم وقطعُ أطماعهم.

---

(١) بعدها في (ف): «نور الله».

(٢) رواه عن السديِّ الطبريُّ في «تفسيره» (١١/ ٤٢٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٧٨٥)، وذكره عن الحسن ابن الجوزي في «زاد المسير» (٣/ ٤٢٦)، وزاد معه قتادة.

(٣) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٧٨٥).

(٤) «والإيمان» ليست في (أ).

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾: أي: على كراهيةِ اليهود والنصارى؛ إذلالاً[١] لهم وكبتاً وغيظاً.

وقال القشيري رحمه الله: مَن رام أن يستر شعاع الشمس بدخان نيرانه، أو عالَج أن يدفع حكم السماء بحيلته وتدبيره[٢]، أو يُسقطَ نجوم الفلك بسهام تقديره، أظهر رعونتَه ثم لم يحظَ بمراده، كذلك مَن توهم أن حُجج التوحيد يعلوها رهجُ الشُّبَه فقد أحال في ظنِّه وافتضح في وهمه[٣].

***

(٣٣) ـ ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ﴾: أي: محمداً ﴿بِٱلْهُدَىٰ﴾؛ أي: بالتوحيد.

وقيل: بفرائض[٤] الله على خلقه.

وقال الكلبي: أي: بالقرآن الذي يهدي إلى الرشد.

﴿وَدِينِ ٱلْحَقِّ﴾: أي: الإسلام، وإضافته إلى الحق لوجهين:

أحدهما: أن الحق هو اسم الله، والمراد دينُ الله.

والثاني: أن الحق هو الإسلام؛ لأنه حقٌّ والكفر باطل، ويجوز أن يقال: دين الإسلام؛ أي: طريق الإسلام وملة الإسلام وشريعة الإسلام.

---

(١) في (ف) و(أ): «إضلالًا».

(٢) في (أ): «بمجيء تدبيره»، وفي (ر) و(ف): «بمحن تدبيره»، والمثبت من «لطائف الإشارات».

(٣) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٢٢).

(٤) في (ر) و(ف): «بفرض».

وقوله تعالى: ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾: أي: ليُغْلِبَه[(١)] على الأديان كلِّها على كراهةِ المشركين الظهورَ والعلوَّ والغلبةَ، قال الله تعالى: ﴿فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ﴾ [الصف: ١٤]، والدِّين اسم جنسٍ فيَصلح للجمع.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿لِيُظْهِرَهُۥ﴾؛ أي: ليعلِّمه شرائعَ الدِّين كلَّها، فيُظهرَه ويُطلعَه عليها[(٢)]، والهاء عائدة إلى النبيِّ ﷺ على هذا التأويل، وهو كقوله: ﴿وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ﴾ [التحريم: ٣]؛ أي: أَطْلَعه عليه، وعلى التأويل الأول تعودُ الهاء إلى الدِّين، والإظهار بمعنى الإعلاء.

وقال الكلبي: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ﴾ بالقرآن والإيمان ليُظهِر دينه على الأديان كلها، فلا يبقى دينٌ إلا ظهر عليه الإسلام، وسيكون ذلك ولم يكن بعد، ولا تقومُ الساعة حتى يكون ذلك.

وقال الضحاك: عند نزول عيسى[(٣)]، فلا يبقى أهل دينٍ إلا دخل في الإسلام أو أدَّى الجزية إلى المسلمين.

ورُوي عن النبي ﷺ أنه قال: «ينزلُ عيسى بن مريم فيَكْسرُ الصَّليبَ ويَقتلُ الخنزيرَ ويضعُ الجزية»[(٤)]، فلا يبقى على وجه الأرض إلا مسلِمٌ أو مسالم.

---

(١) في (أ): «ليغلبه»، وفي (ف): «للغلبة».

(٢) رواه الطبريُّ في «تفسيره» (١١/ ٤٢٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٧٨٦)، وذكره عن الحسن ابن الجوزي في «زاد المسير» (٣/ ٤٢٦)، وزاد معه قتادة.

(٣) ذكره الواحدي في «البسيط» (١٠/ ٣٩١)، والبغوي في «تفسيره» (٤/ ٤٠)، ورواه الطبريُّ في «تفسيره» (١١/ ٤٢٢) عن أبي هريرة وأبي جعفر.

(٤) رواه البخاري (٢٤٧٦)، ومسلم (١٥٥)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وزادا: «ويَفيض المالُ حتى لا يَقبله أحدٌ».

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ أزاح العِلل بما ألاح من الحُجَج، وأزال الشُّبَه بما أوضح من النَّهج، فشُموس الحق طالعة، وأدلةُ الشرع لامعة، وأنشدوا:

هي الشمسُ إلا أن للشمس غَيبةً   وهذا الذي نَعنيه[1] ليس يَغيبُ[2]

***

(٣٤) ـ ﴿۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَـٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۗ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَـٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: وصَفَ الأحبار والرهبان الذين اتَّخذهم[3] أهلُ الكتاب أرباباً فقال: لا تتوهَّموا في كثير من الأحبار والرهبان[4] صلاحاً، ولا تغترُّوا بظاهر زيِّهم وسكونهم، فإن ذلك كلَّه مصائدُ للمَطامع، واستجلابٌ للرِّياسة، ومكائدُ للصدِّ عن سبيل الله، والجرِّ إلى الضلالة، وذلك بأخذِهم الرِّشا من الأشراف والعامة، وتحريفِ الكتاب، وكتمانِ نعت[5] النبيِّ ﷺ وحقِّيَّة الإسلام.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: أي: يجمعون ويحتازون[6].

---

(١) في (ر) و(ف): «نبغيه»، والمثبت من (أ) و«اللطائف»، ومثله في هامش (ر).

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٢٢).

(٣) في (ر) و(ف): «اتخذوهم» وهي على لغة: أكلوني البراغيث.

(٤) بعدها في (ف): «الذين اتخذوهم أهل الكتاب أرباباً».

(٥) في (ر): «بعث».

(٦) في (أ): «ويخبئون».

وقيل: أصله هو كبسُ[1] الشيء بعضِه على بعضٍ.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: أي: لا يُخرجونها في طاعة الله، ولم يقل: ينفقونهما؛ لأنه أراد به[2] الكنوز.

وقيل: اكتفى بأحدهما عن الآخر إيجازاً، ومثله: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا﴾ [الجمعة: ١١]، وقد أطلنا الكلام في نظائرها في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا﴾ [النساء: ١١٢].

وقوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾: أي: ضعِ الوعيدَ بالعذاب الأليم موضعَ البشرى بالنعيم في حقِّهم على التعميم.

ثم قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ﴾ قيل: هو معطوفٌ على ﴿إِنَّ كَثِيرًا﴾ وهو من صفات أهل الكتاب: جمعُ المال، ومنعُ حقوق الله تعالى فيه، والبخل، وقد مرت آياتٌ في إثبات غايةِ بخلهم.

وقيل: هو مبتدأٌ في مانعي الزكاة من المسلمين.

وقيل: هو عامٌّ يتناول الكلَّ.

وقال السدِّي: هي في أهل القبلة[3].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: هي خاصةٌ عامةٌ؛ أي: خاصةٌ في السبب عامة في النسب[4].

---

(١) في (ر): «كنز».

(٢) «به» ليس من (أ) و(ف).

(٣) رواه الطبريُّ في «تفسيره» (١١/ ٤٢٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٧٨٩).

(٤) «أي: خاصة في السبب عامة في النسب» ليس من (أ) و(ف).

وروي عن أبي ذر رضي الله عنه أنه قرأ هذه الآية على معاويةَ في أمرٍ من الأمور، فقال معاوية: ليست هذه الآية فينا، إنما هذه الآية في أهل الكتاب، فقال أبو ذر رضي الله عنه: إنها لفينا وفيهم[١].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما موقوفاً عليه ومرفوعاً إلى النبي ﷺ أنه قال: «ما أُدِّي زكاتُه فليس بكنز»[٢].

---

(١) رواه البخاري (٤٦٦٠).

(٢) رواه البيهقي في «السنن الكبرى» (٤/ ٨٣) من طريق محمد بن جبير عن سفيان عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر مرفوعاً بلفظ: «كل ما أدي زكاته فليس بكنز وإن كان مدفوناً تحت الأرض، وكل ما لا يؤدى زكاته فهو كنز وإن كان ظاهراً» قال البيهقي: ليس هذا بمحفوظ، وإنما المشهور عن سفيان عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر موقوفاً.
ورواه الطبراني في «الأوسط» (٨٢٧٩) وابن عدي في «الكامل» (٣/ ٤٢٦) من طريق سويد بن عبد العزيز عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر مرفوعاً، ولفظه: «كل مال وإن كان تحت سبع أرضين يؤدى زكاته فليس بكنز، وكل مال لا يؤدى زكاته وإن كان ظاهراً فهو كنز» قال ابن عدي: رفعه سويد إلى النبي ﷺ وغيره يرويه موقوفاً.
والموقوف رواه الشافعي في «مسنده» (ص: ٨٧)، وعبد الرزاق في «المصنف» (٧١٤٠) و(٧١٤١).
وفي الباب عن أم سلمة قالت: «كنتُ ألبَسُ أوضاحاً مِنْ ذَهَبٍ، فقلت: يا رسولَ الله، أكنزٌ هو؟ قال: «ما بلغ أن تُؤَدَّى زكاتُه، فزُكِّيَ، فليس بكَنزٍ» أخرجه أبو داود (١٥٦٤) واللفظ له، والحاكم في «المستدرك» (١٤٣٨)، من طريق عطاء عن أم سلمة. ورجاله ثقات إلا أن عطاء ـ وهو ابن أبي رباح ـ لم يسمع من أم سلمة فيما قاله علي بن المديني. ومع ذلك فقد صححه ابن القطان، وجوَّد إسناده الحافظ العراقي، فيما نقله عنهما الحافظ ابن حجر في «الفتح» (٣/ ٢٧٢).
وروى البخاري في «صحيحه» (١٤٠٤): عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه سئل عن هذه الآية فقال: من كنزها فلم يؤدِّ زكاتها فويل له، إنما كان هذا قبل أن تنزل الزكاة، فلما أنزلت جعلها الله طهرًا للأموال. وقد ترجم له البخاري بقوله: (باب ما أدي زكاته فليس بكنز).

وقال سالم بن أبي الجَعْد: لمَّا نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ: «تبًّا للذهب والفضة» قالها ثلاثاً، فشقَّ ذلك على الصحابة رضوان الله عليهم، فقالوا: أيَّ مال نتخذُه؟ [فقال عمر: أنا أعلمُ لكم ذلك، فقال: يا رسول الله، إن أصحابك قد شقَّ عليهم، وقالوا: فأيَّ المال نتخذ؟]فقال رسول الله ﷺ: «لساناً ذاكراً، وقلباً خاشعاً، وزوجةً تُعِين أحدكم على دينه»(١).

***

(٣٥) ـ ﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾: وهو ظرفٌ لِمَا قبله؛ أي: فبشِّرهم بعذاب أليم يعذَّبون به يومَ يحمَى عليها؛ أي: يوقَد على هذه الأموال، وقد حَمِيَ يَحْمَى بالنار من حدِّ علم، وأَحْمَى غيرَه إحماءً.

وقوله تعالى: ﴿فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ﴾: أي: فتُوْسَمُ بالكنوز

---

(١) حديث حسن بطرقه وشواهده، رواه الطبريُّ في «تفسيره» (١١/ ٤٢٨) وما بين معكوفتين منه. وهذا بعضه مرسل عن سالم، وبعضه ـ وهو المروي عن عمر ـ منقطع، وسالم بن أبي الجعد روى عن عمر لكنه لم يدركه، وهو ثقة روى له الجماعة.

ورواه الإمام أحمد في «المسند» (٢٢٣٩٢)، والترمذي (٣٠٩٤)، وابن ماجه (١٨٥٦)، من طريق سالم عن ثوبان به، وهو منقطع أيضاً، قال الترمذي: هذا حديث حسن، سألت محمد بن إسماعيل (البخاري) فقلت له: سالم بن أبي الجعد سمع ثوبان؟ فقال: لا.

ويشهد له ما رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢٣١٠١) من طريق سلم بن عطية الفقيمي عن عبد الله ابن أبي الهذيل عن صاحب له: أنه انطلق مع عمر فقال: يا رسول الله قولك: «تبًّا للذهب والفضة» ماذا؟ فقال ﷺ: «لساناً ذاكراً، وقلباً شاكراً، وزوجة تُعين على الآخرة» ورجاله ثقات غير سلم بن عطية فقد ليَّنه الحافظ ابن حجر في «التقريب».

المحمَّاة بالنار جباهُ الكافرين، وهي جمعُ جبهة، وهي صفيحةُ أعلى الوجه فوق الحاجبين، ﴿وَجُنُوبُهُمْ﴾ وهي جمع جَنْبٍ، ﴿وَظُهُورُهُمْ﴾ وهو جمع ظَهرٍ، وخُصَّت بالكيِّ هذه المواضعُ لأن الكيَّ على الجبهة[1] يظهر للعيون فيكون أبلغَ في التشهير والتعذيب، وهو كقوله: ﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلۡخُرۡطُومِ﴾ [القلم: ١٦]، والجنوب مقاتل فكيُّها أشد إيجاعاً، والظهور فيها القوة، وفيه إزالةُ القوة بالكلية.

وقال أبو بكر الورَّاق: إنما خُصَّت بالكيِّ هذه المواضع لأن الغنيَّ المانعَ للزكاة إذا رأى الفقير انقبض وجهه، وإذا ضمَّه والفقيرَ مجلس[2] ازورَّ عنه فعارضه بجنبه، وإذا ملَّه قام وولَّاه ظهره[3].

قال محمد بن عليٍّ الترمذي: لأنه يَبذخ ويَشمخ برأسه بسبب ماله ويقع على كنزه بجنبه ويتساند إليه بظهره[4].

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: الجبهة مقدِّمة الوجه، وهم لم يقدِّموها إلى الآخرة، ولم ينفقوها في سبيل الله، فعذِّبوا على الجباه والجُنوب لأنهم أخذوها من كلِّ جانبٍ، وعلى الظُّهور لأنهم أنفقوها في الصدِّ عن سبيل الله وتوليةِ الظهور عن الحق، ويحتمِل ذكرُ هذا إحاطةَ العذاب بهم من كلِّ الجهات؛ كقوله تعالى: ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٞ وَمِن فَوۡقِهِمۡ غَوَاشٖ﴾ [الأعراف: ٤١]، وكقوله عز وجل: ﴿لَهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ ظُلَلٞ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحۡتِهِمۡ ظُلَلٞ﴾ [الزمر: ١٦]، وقال تعالى: ﴿أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَا﴾ [الكهف: ٢٩].

وجعلَ الله تعذيبَ أهل النار في الآخرة بالأسباب التي منَعتهم عن طاعة الله

---

(١) في (ف): «لأنه»، بدل: «لأن الكي على الجبهة».

(٢) في (ف): «وإذا جلس الفقير مجلساً»، بدل: «وإذا ضمه والفقير مجلس».

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٤٠)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٣/ ٤٣١).

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٤٠).

تعالى ودعَتْهم إلى مخالفة أمره، فيجمع بينهما في النار، وهو كقوله تعالى: ﴿نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾ [الزخرف: ٣٦]، وقوله تعالى: ﴿ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ﴾ [الصافات: ٢٢] ونحو ذلك[١].

وقال القشيري رحمه الله: لمَّا طلبوا الجاهَ عند الخَلق بمالهم وبخلوا بإخراج حق الله تعالى عنه شانَ الله وجوههم، ولمَّا ولَّوا جوانبهم[٢] وأسندوا ظهورهم إلى أموالهم كوَى الله جباههم وجنوبهم وظهورهم[٣].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ﴾؛ أي: على الكنوز[٤].

﴿فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ﴾؛ أي: لا يوضع دينارٌ مكانَ دينارٍ، ولا درهمٌ مكان درهمٍ، ولكن توسَّع جلودهم فيوضع[٥] لكلِّ دينار ودرهم كيةٌ على جلده.

وروى أبو هريرة رضي الله عنه أن النبيَّ ﷺ قال: «ما من رجلٍ لا يؤدي زكاة ماله إلا جعل الله ماله يوم القيامة صفائحَ من نارٍ فتُكوى بها جبهتُه وجنبُه وظهره في يومٍ كان مقداره[٦] خمسين ألفَ سنة، حتى يُقضى بين الناس ثم يَرى سبيلَه إما إلى الجنة وإما إلى النار، وما من صاحب إبلٍ ولا بقرٍ لم يؤدِّ زكاتَها إلا بُطح لها يوم القيامة بقاعٍ قَرْقرٍ تطؤه بأخفافها وأظلافها وتَنطِحُه بقرونها وتَعَضُّه بأفواهها، كلما

---

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٥/ ٣٦٣).

(٢) في (أ): «ولما شدوا جوانبهم»، وفي (ف): «ولما سدوا جوانبهم»، وليست هذه الجملة في «اللطائف».

(٣) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٢٣).

(٤) ذكره الواحدي في «البسيط» (١٠/ ٤٠٣).

(٥) في (ر) و(ف): «فتكوى»، والمثبت من (أ) و«البسيط» (١٠/ ٤٠٣)، والكلام منه.

(٦) في (أ): «قدره».

مرَّت عليه أُخراها عادت عليه أُولاها، حتى يُقضى بين الناس في يومٍ كان مقدارُه خمسين ألفَ سنة، ثم يَرَى سبيله إمَّا إلى الجنة وإمَّا إلى النار، وما من صاحب غنمٍ لا يؤدِّي حقَّها إلا أُتي بها يومَ القيامة تَطَؤُه بأظلافها وتنطحُه بقرونها»[1]، ثم ذكر ما ذكر في الأول.

وقوله تعالى: ﴿هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ﴾: القول هاهنا مضمَر، وتقديره: يقال لهم ـ أو: يقول لهم خزنةُ جهنم ـ: ﴿هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ﴾؛ أي: هذا الذي تَرونه هو الذي كنَزْتُم في الدنيا؛ أي: جمعتُم فلم تؤدُّوا حقَّه ﴿فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ أي: هذا بذاك، وهو كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾ [النساء: ١٠].

* * *

(٣٦) ـ ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا﴾: وبه يتمُّ الحول، وبتمام الحول تجب الزكاةُ في النصاب[2]، وهو وجه اتصالها بالآية الأولى.

ووجهٌ آخر: أنها متصلة بجملةِ ما نزلت فيه السورة؛ لأن النبيَّ عليه السلام أراد أن يحج عامَ نزولِ هذه السورة، وكان الحج حينئذٍ على حساب النَّسيء في ذي

---

(١) رواه مسلم (٩٨٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) في (أ): «النصب».

القعدة، وفي السنةِ الثانية في ذي الحجة، ولهذا قال عليه السلام عامَ حجِّ الوداع: «إنَّ الزمان قد استدارَ كهيئته يومَ خَلْق السماوات والأرض» وأَبْطَلَ النسيء[1].

ووجهٌ آخر للاتصال: أن السورة في قتال المشركين وصفتهم أنهم نجسٌ، وأفعالُهم كذلك، ومِن قبائحهم النسيءُ وهو تغييرُ حُكم الله تعالى.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا﴾: أي: شهورِ السَّنة ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: في حكم الله ﴿ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا﴾ نصبٌ لأنهما اسمان جُعلا اسماً واحداً وبُني على الفتحة لأنها أخفُّ الحركات.

وإنما قُدِّرت الشهور القمرية بالاثني عشر لأن الشهور الشمسية كذلك؛ لنزولها في اثني عشر برجاً، وتمام السنة الشمسية بذلك، فجعلت السنة القمريةُ اثني عشر شهراً أيضاً؛ ليَتوافَقوا على حسابٍ واحد، قال تعالى: ﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ [الرحمن: ٥].

وقوله تعالى: ﴿فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾: قال ابن عباس رضي الله عنهما: في الإمام الذي عند الله كتبه يومَ خلَق السماوات والأرض[2].

وقال علي بن الحسين بن واقد: أي: في اللوح المحفوظ[3]، وهو كقوله في سورة الحج: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ﴾ [الحج: ٧٠] وكذا في سورة الحديد.

وقيل: في قضاء الله وإيجابِ الله على خلقه من أحكامها.

---

(١) رواه البخاري (٣٢٩٧)، ومسلم (١٦٧٩)، من حديث أبي بكرة رضي الله عنه.

(٢) ذكره الواحدي في «البسيط» (١٠/ ٤٠٧).

(٣) ذكره الواحدي في «البسيط» (١٠/ ٤٠٧) عن الواقدي، والمشهور بهذا اللقب هو محمد بن عمر صاحب «المغازي»، وعقبه الواحدي بقوله: وهو قول عامة أهل التأويل، ونحو هذا يُحكى عن ابن عباس: (﴿فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ قال: في الإمام...) فذكر ما سبقه من قول ابن عباس.

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾: ولم تزل الأمم تتناسخُه إلى أن غَيَّرت العرب في شِركها ما غَيَّرتْ منها.

وقوله تعالى: ﴿مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾: أي: من الاثني عشر شهراً أربعةُ أشهر حُرمٌ: جمعُ حرام، وهي: رجبٌ وهو فرد، وذو القعدة وذو الحجة والمحرمُ وهي سردٌ، وكذا فسَّرها النبي ﷺ[١].

ومعنى الحرام[٢]: أنه يحرم فيها القتال والقتل، وكانت العرب تعظِّمها، حتى لو لقي الرجل منهم فيها قاتلَ أبيه لم يَهِجْه.

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾: أي: الحساب المستقيم، كما قال ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾؛ أي: يوم الحساب، ومعناه: إن الشهور على حساب مستقيم فلا تغيِّروها بالنسيء.

وقيل: الأخذ به الدِّينُ المستقيم.

وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾: قال ابن عباس رضي الله عنهما: أي: في جميع الشهور، لأنها شهودٌ عليكم بما تعملون.

وقال قتادة: في الأربعة الحرم[٣].

وظلمُ النفس هو المعصيةُ؛ لأنه يَضرُّ[٤] بها نفسَه وينقص بها[٥] حظَّه.

---

(١) رواه البخاري (٣٢٩٧)، ومسلم (١٦٧٩)، من حديث أبي بكرة رضي الله عنه.

(٢) في (أ): «الحرم».

(٣) رواه الطبريُّ في «تفسيره» (١١/ ٤٤٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٧٩٣).

(٤) في (ر): «لأنها يضرب».

(٥) في (أ): «وينقص لها»، وفي (ر): «وينقض بها».

وإنما خَصَّ هذه الشهورَ الأربعة بالنهي عن ظلم النفس فيها مع أنه حرامٌ في كل وقت بياناً أنه فيها أغلظ، وهو كقوله تعالى في حق مكة: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ﴾ الآية [الحج: ٢٥]، والظلم في كل مكانٍ حرام، وقولِه تعالى: ﴿فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٩٧] وكلُّ ذلك في كل وقت حرام، وقولِ النبي ﷺ في وعيدِ مَن زَنَى بحليلة الجار[1]، والزنا بكلِّ امرأةٍ حرام، فالتخصيص دلالةُ التغليظ في كل ذلك.

وقيل: ﴿فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾ بالبداءة بالقتال، ولا بأس بقتالِ مَن بدأكم له فيها.

وقوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً﴾: أي: جميعاً.

وقيل: أي: لا تظلموا فيهن أنفسكم إذا قوتلتُم فيهن بأنْ تتركوا القتال، لكنْ قاتلوهم في هذه الحالة.

وقوله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾: لا مع المشركين؛ أي: حافظُ المتقين وناصرُهم، وهم الذين يتقون الشرك.

وقيل: أي: الذين يتَّقون هتك حرمة هذه الأشهر.

وقيل[2]: الذين يتقون بدء المشركين[3] بالقتال فيها.

وقال عطاءٌ الخراساني: أحلَّ الله القتال في الشهر الحرام بقوله: ﴿بَرَاءَةٌ مِّنَ

---

(١) رواه البخاري (٤٧٦١)، ومسلم (٨٦)، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٢) «وقيل» من (أ).

(٣) في (ف): «يتقون بداية المشركين»، وفي (ر): «يتقون الشرك».

ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ﴾ الآيات، وبقوله جلَّ جلالُه: ﴿وَقَٰتِلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً﴾ يقول: فيهن وفي غيرهن.

***

(٣٧) ـ ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ ۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ ۚ زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَٰلِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ﴾: أي: التأخير.

قيل: هو مصدر كالرحيل.

وقيل: هو فعيلٌ بمعنى المفعول، ومعناه: المؤخَّر، أي: الشهر المؤخَّر[1]، من قولهم: نسأ الشيءَ وأنسأه؛ أي: أخَّره، ومنه: النسيئة في البيع.

وقوله تعالى: ﴿زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ﴾؛ أي: تأخيرُ حرمةِ المحرَّم إلى صفر بدعةٌ زائدة على بِدَع سائر الكفار.

وقوله تعالى: ﴿يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾: قرأ حمزة والكسائيُّ وعاصم في رواية حفصٍ بضم الياء وفتح الضاد[2]؛ أي: الأتباع يَضِلون به بإضلال الرؤساء، على ما لم يسم فاعله.

وقرأ الحسن وجماعة بضم الياء وكسر الضاد[3]: يُضِلُّ الرؤساء به الأتباعَ.

---

(١) في (ف): «المؤخر».

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٣١٤)، و«التيسير» (ص: ١١٨).

(٣) انظر: «المحتسب» لابن جني (١/ ٢٨٨ ـ ٢٨٩). وهذه قراءة يعقوب من العشرة. انظر: «النشر» (٢/ ٢٧٩).

وقرأ الباقون بفتح الياء وكسر الضاد[١]: يضل الرؤساء؛ أي: يقعون في الضلال بما يفعلون.

وقوله تعالى: ﴿يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا﴾: أي: يُحلُّون القتالَ في هذا الشهر مرةً ويحرِّمونه مرةً، حُذف (في) عن الفعل كما يُحذف عن[٢] الاسم، فيقال[٣]: الشهر الحرام والشهر المحرَّم؛ أي: المحرمُ فيه القتال.

وقوله تعالى: ﴿لِّيُوَاطِـُٔواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾: أي: ليُوافقوا عدةَ ما حرَّم الله، والمواطَأة: الموافَقة، وتواطَأَ القوم على كذا؛ أي: توافَقوا؛ أي: يحرِّمون صفراً مكان المحرَّم، ويُحلُّون المحرَّم ويقولون: الأشهر الحرم أربعةٌ، وقد حرَّمنا أربعةَ أشهر.

وقوله تعالى: ﴿فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾: أي: ليتوصَّلوا بهذه الحيلة إلى إحلالِ الشهر الذي حرَّم الله.

وقوله تعالى: ﴿زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَٰلِهِمْ﴾:

قال الحسن: الشيطان زيَّن لهم ذلك[٤].

وقيل: أنفسُهم زينت لهم ذلك.

وقيل: الله عز وجل زيَّنها بالتخليق امتحاناً.

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾: أي: إلى الحقِّ حالَ اختيارهم الثباتَ على الباطل.

وقيل: لا يهديهم طريق الجنة في الآخرة.

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٣١٤)، و«التيسير» (ص: ١١٨).

(٢) في (ر): «في».

(٣) في (ر) و(ف): «فقال».

(٤) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٧٩٦).

وقال الكلبي: أولُ مَن نسأ الشهور رجلٌ من بني كنانة يقال له: نُعيم بن ثَعلبة، وكان يكون على الناس بالموسم إذا همَّ الناس بالصَّدَر قام فخطب فقال: لا مردَّ لِمَا قضيتُ أنا الذي لا أُعاب ولا أجاب[1]، فيقول له المشركون: لبيك ربَّنا، ثم يسألونه أن يُنسئهم شهراً يغيرون[2] فيه فيقول: فإن صفراً العامَ حرام، فحَلُّوا الأوتار ونزَعوا[3] الأسنَّة والأزجَّة، وإن قال: هو حلال، عقَدوا الأوتار فشدُّوا الأزجة وأغاروا على الناس، وكان بعد نعيم بن ثعلبة رجل يقال له: جُنَادة بن عوف بن أمية الكِنانيُّ، وهو الذي أدركه رسول الله ﷺ[4].

وقيل: كان يلي ذلك عامر بن الظربان.

وقال قتادة: كان يفعل ذلك أبو ثُمامة صفوان بن أمية أحد بني فُقيم بن الحارث[5].

---

(١) في (أ) و(ر): «أخاف»، والمثبت من (ف)، وهو الموافق لما «معاني القرآن» للفراء، و«تفسير البغوي» و«زاد المسير» و«درج الدرر»، وفي «تفسير الثعلبي»: (أخاب)، وفي بعض نسخه كالمثبت.

(٢) في (ف): «يغزون».

(٣) في (ر): «الأوثان وانزعوا».

(٤) ذكره عن الكلبي الثعلبي في «تفسيره» (١٣/ ٣٦٤)، والبغوي في «تفسيره» (٤/ ٤٦ ـ ٤٧). وذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» (٣/ ٤٣٥) عن الفراء، وهو في «معاني القرآن» للفراء (١/ ٤٣٦). والجرجاني في «درج الدرر» (١/ ٧٦٤) من طريق محمَّد بن مروان عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس. ومحمد بن مروان هو السدي الصغير، وهو متهم بالكذب، والكلبي متروك، وأبو صالح لم يسمع من ابن عباس. والقول بأن فاعل ذلك هو نعيم بن ثعلبة ذكره أيضاً الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ٣٦١) عن الزبير بن بكار. وابن عطية في «المحرر الوجيز» (٣/ ٣٣) عن أبي علي البغدادي، لكنه تعقبه بقوله: واسم نعيم لم يعرف في هذا، وما أرى ذلك إلا كما حكى النقاش: من بني فقيم كانوا يسمون: القلامس، واحدهم: قَلَمَّس، وكانوا يُفتون العرب في الموسم، يقوم كبيرهم في الحجر ويقوم آخر عند الباب ويقوم آخر عند الركن فيفتون.

قال ابن عطية: فهم على هذا عدة، منهم نعيم وصفوان ومنهم ذرية القلمس حذيفة وغيرهم.

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٤٥٤).

وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أبو ثمامة كنية جنادة بن عوف بن أمية الكناني[١] الذي قدَّمناه.

وقال عبد الرحمن بن زيد: هو رجل من بني كنانة يقال له: القَلَمَّس، في الجاهلية[٢].

وأنشد أبو عبيدةَ لبعضِ بني كنانةَ في الافتخار بهذا:

أَلَسْنا الناسئينَ على مَعَدٍّ شهورَ الحِلِّ نجعلُها حراماً[٣]

وقال السدي: كانت العرب يَشُقُّ عليهم أن يمكثوا ثلاثةَ أشهر لا يُغِيرون فيها، وإذا أراد رئيسهم أن يُغير[٤] قال: إني أحلَلْت المحرَّم وحرَّمت صفراً مكانه، فقاتل الناس في المحرم، فإذا كان صفرٌ غمدوا السيوف، ثم يقول في قابل: أحلَلْتُ صفراً وحرَّمتُ المحرَّم[٥].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٤٥١).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٤٥٦).

(٣) البيت لعمير بن قيس بن جذل الكناني، كما في «السيرة النبوية» لابن هشام (١/ ٤٥)، و«شرح القصائد التسع الطوال» لابن الأنباري (ص: ٢٥٨)، و«معجم الشعراء» للمرزباني (ص: ٧٢)، و«تهذيب اللغة» (١٣/ ٥٨)، و«النكت والعيون» (٢/ ٣٦١). وعزاه الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٤٥)، والقرطبي في «تفسيره» (١٠/ ٣٢١) للكميت، والرواية في «ديوان الكميت» (ص: ٣٥٧):

وكنا الناسئين على معدٍّ شهورَهم الحرامَ إلى الحليلِ

(٤) في (ر): «أرادوا نسيئهم أن يغيِّر» وفي (ف): «أرادوا نسيئهم أن يغيِّروا»، وفي نسخة: «أرادوا أن يغيِّروا نسيئهم»، والمثبت من (أ)، وهو المتفق مع مصدر التخريج. انظر التعليق الآتي. وضبط (يغير) و(يغيروا) في جميع النسخ بتشديد الياء من التغيير، وله وجه، والأحسن عدم التشديد من الإغارة، كما في سابقه، وكما سيأتي في تخريجه.

(٥) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٧٩٦) بلفظ: كان رجلٌ من بني مالكِ بنِ كِنانَةَ يقالُ له: =

وقال عبد الرحمن بن زيد: كانوا يحلُّون المحرَّم ويسمُّونه صفراً، ويحلُّون بعده صفراً ويجعلون في هذا العام صفَرين، ثم يحرِّمون المحرَّم وصفر في القابل ويجعلونهما المحرَّمين[١].

وفي حديث الحسن: أنهم كانوا يغيِّرون الشهور كلَّها فيتغيَّر شهرُ الحج أيضاً، ولمَّا فتح الله مكة سنة ثمانٍ من الهجرة ـ وكانت في تلك السنةِ غزوةُ حنينٍ ـ مضى النبيُّ عليه السلام منها إلى الطائف ثم إلى جِعْرانة وقسَّم بها غنائم حنين في ذي القعدة واعتمر فيه، ولم يؤذَنْ له أن يحجَّ في ذلك العام لأن حجَّهم كان وقع في ذي القعدة، ولمَّا كانت سنةُ تسع وقع الحجُّ في ذي الحجة، وأرسل النبيُّ عليه السلام أبا بكر رضي الله عنه إلى مكةَ واستعمله على الحج وعلَّمه المناسك، ونزلت سورةُ براءةَ بعد خروج أبي بكر، فبعث النبيُّ عليه السلام عليَّ بن أبي طالب رضي الله عنه وأمره إذا خطب أبو بكر وفرغ من خطبته أن يقوم فيقرأ على الناس سورةَ براءة، ففعل ونبذ[٢] إلى المشركين عهدَهم، وقال: «لا يجتمعنَّ[٣] مسلمٌ ومشركٌ على هذا الموقف بعد عامهم هذا»، وإنما لم يحجَّ النبيُّ ﷺ تلك السنة لمخالطة الكفار، وأُخِّر ليكون حجُّه في السَّنة التي بعدها بدون المشركين.

وكان أبو بكر رضي الله عنه هو الذي يخطبُ على الناس ويصلِّي بهم ويَدفع بهم في الموقف.

= جُنَادةُ بنُ عوفٍ يُكْنَى أبا أُمامةَ يُنْسِئُ الشهورَ، وكانت العربُ يشتدُّ عليهم أنْ يمكُثوا ثلاثةَ أشهرٍ لا يُغِيرُ بعضُهم على بعضٍ، فإذا أراد أنْ يُغِيرَ على أَحدٍ قام يومَ منى فخَطب...، الخبر.

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٤٥٦).

(٢) في (ر): «فقد نبذ» بدل: «ففعل ونبذ».

(٣) في (ر): «يحجن».

فلمَّا كانت سنة عشرٍ أَذِنَ الله تعالى لنبيِّه في الحج، فحجَّ رسول الله ﷺ حجةَ الوداع، فوقف بعرفة وقال: «يأيها الناس، إنَّ الزمان قد استدار كهيئته يومَ خلق الله السماوات والأرض، فلا شهر يُنسأ، ولا عِدَّة تُخطأ، وإن الحج في ذي الحجة إلى يوم القيامة»(١).

وقال الإمام القشيري رحمه الله: قولُه جلَّ جلاله: ﴿مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾ لمَّا علِم أنهم لا يداوِمون على ملازَمة القُرَب أفرد بعضَ الشهور بالتفضيل ليخصُّوها باستكثار الطاعات فيها، فأما الخواصُّ من عباده فجميعُ الشهور لهم شهرُ رمضان، وجميع الأيام لهم جمعةٌ، وجميع البقاع لهم مكةُ، وأنشدوا في معناه:

يـا ربِّ إن جهـادي غيـرُ منقطِـعٍ   فـكلُّ أرضِـك لـي ثَغْرٌ وطرسـوسُ

وقال في قوله: ﴿فَلَا تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾: أمَر العوامَّ أَلَّا يَظلموا قلوبهم في جميع(٢) الشهور بارتكاب الزَّلَّة، وأَمر الخواصَّ أن يَظلموا قلوبهم في جميع الشهور باحتقاب(٣) الغفلة، فظُلم النفس أن يَجعل العبد زمامَه بيد شهواته فتُورده(٤) موارد الهلكات، وظلمُ(٥) القلب أن يلاحِظ الخلقَ فيَحرمَه أُنسَ المشاهَدات، ومَن ظلم نفسه بارتكاب المحظورات ابتُلي بالفترة في الطاعات، ومَن ظلم قلبه بالمساكَنات امتُحن بعدم الصَّفوة في مرور الأوقات.

---

(١) لم أجده عن الحسن، وذكره الأزرقي في «أخبار مكة» (١/ ١٨٢ ـ ١٨٦) مطولًا عن الكلبي.

(٢) في (أ): «أنفسهم في بعض»، وفي (ف): «قلوبهم في بعض»، بدل: «قلوبهم في جميع»، والمثبت من (ر) و«اللطائف».

(٣) في (ر): «باحتقار»، والمثبت من (أ) و(ف) و«اللطائف». واحتقب معناه: ادخر. انظر: «القاموس» (مادة: حقب).

(٤) في النسخ: «فيوردها». والمثبت من «اللطائف».

(٥) في (ر): «وظلماء».

وقال في قوله عز وجل: ﴿وَقَـٰتِلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً﴾: لا سلاحَ أمضى على العدوِّ من تبرُّئِك من حولك وقوتك.

وقال في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ﴾: الدِّين ملاحظةُ الأمر ومجانبةُ الوِزر وتركُ التقدُّم بين يدي الله تعالى في جميع أحكام الشرع، والآجالُ في الطاعات مضروبة، والتوقُّف في عرفانه[1] متَّبَع، والصلاحُ في الأمور بالإقامة على حدِّ العبودية، وتركِ الاعتراض[2] والمعارضة على الربوبية[3].

* * *

(٣٨) - ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ فَمَا مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمْ﴾: هو حرف استفهامٍ بمعنى التوبيخ ﴿إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: اخرجوا إلى الغزو، وقد نَفَر نفيراً من حدِّ ضَرَب، وسبيل الله: طريق طلب[4] رضَى الله، وسمِّي به لأنه يُفضي بسالكه إلى الجنة.

وقولـه تعالى: ﴿ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾: أي: تثاقلتُم، وأدغمت التاءُ في الثاء فبُدئ بها - وهي ساكنة - عليها، فزيدَ عليها الألفُ ليكون المبتدأ بالمتحرِّك، ومثله: ﴿ٱدَّارَكُواْ﴾ [الأعراف: ٣٨].

---

(١) في (أ): «والتوقيف في عرفانه»، وفي (ر): «والتوقف في عرفاته»، وفي مطبوع «اللطائف»: «والتوفيق في عرفانه».

(٢) في (ف) و(أ): «الإعراض».

(٣) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٢٥)، والجملة الأخيرة ليست فيه.

(٤) «طلب» ليس من (أ).

وهذه معاتبةٌ للمؤمنين، حيث قيل لهم: ﴿وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً﴾ فتباطؤوا فعُوتبوا على ذلك، وهو وجه النَّظم؛ أي: ما السببُ الذي يدعوكم إذا قال لكم الرسول: اخرجوا في الجهاد في سبيل الله، تثاقلتُم عنه إلى الإقامة بأرضكم لبلوغ الثمار وطلبِ[١] الظلال، وتعبِ الخروج لشدة الحر.

وقوله تعالى: ﴿أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾: أي: بدلاً عن الآخرة ونعيمِها الخالد الذي لا يَبيد.

وقوله تعالى: ﴿فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾: لأن هذا منقطِعٌ وذاك باقٍ، وهذا كلُّه تقريعٌ وتعجيبٌ من سوء الاختيار.

وقال مجاهد: أُمروا بغزوة تبوك بعد الفتح وبعد الطائف وبعد حُنينٍ، أمروا بالنَّفير في الصَّيف حين أَثمرت النخيل وطابت الثمارُ واشتهَوا الظِّلالَ، فشقَّ عليهم الخروجُ فاعتلُّوا فقالوا: فينا الثقيلُ وذو الحاجة وذو الضَّيعة والشغل، فنزلت الآية[٢].

وقال الكلبي: إن النبيَّ ﷺ أقام بالمدينة بعد[٣] مرجعِه من الطائف، فأمر بالجهاد لغزوة الروم حين طابت ثمار المدينة وأَينعت، فعظُمت على الناس غزوة الروم ـ وقال قتادة: لغزوة تبوك قبَل الشام[٤] ـ وذلك في زمانِ عسرةٍ من الناس، وجَدْبٍ من البلاد، وشدةٍ من الحر، وأَحبُّوا الظلالَ والمقامَ في ثمارهم، وكان النبيُّ ﷺ قلَّما يخرج في غزوة إلا كنَى عنها إلا غزوةَ تبوك؛ لبُعدِ شُقَّتها وكثرة العدوِّ،

---

(١) في (أ): «وطيب».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٤٦٠).

(٣) «بعد» ليست في (أ)، وتحرفت في (ر) إلى: «بيد».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٤٦١).

ليتأهَّب الناس، فأمرهم بالجهاد وأخبرهم بالوجه الذي يريد، فلما علم الله عز وجل تثاقُل المسلمين أنزل هذه الآية(١).

قال الإمام القشيري رحمه الله: الجنوحُ إلى التكاسُل والاسترواحُ إلى التغافُل من أمارات ضعف الإيمان؛ إذ الإيمان غريم ملازمٌ لا يرضى من العبد بغيرِ ممارسةِ الأشقِّ وملابَسة الأحق(٢).

قال أصحاب رسول الله ﷺ: بايعنا رسول الله ﷺ على السَّمع والطاعة في العسر واليسر والـمَنشَط والـمَكرَه، بل بايعناه على الموت.

ثم قال: ﴿أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾: هل يَجمل(٣) بالعابد أن يختار دنياه على عُقباه؟ أم هل يَحْسُن بالعارف أن يُؤْثِر هواه على رضا مولاه، وغيبةُ يوم من الزاهد(٤) عن الباب تَعدل شهوراً، وغيبة لحظة من العارف عن البساط تَعدلُ دهوراً، وأنشدوا:

الإلفُ لا يصبرُ عن إلفِهِ   أكثرَ مما تَطْرفُ العَين
وقد صَبَرْنا عنكم ساعةً   ما هكذا فعلُ المحبِّين(٥)

* * *

(٣٩) ـ ﴿إِلَّا تَنفِرُوا۟ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٤٦).

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٢٥).

(٣) في (ف): «يحمد»، وفي (أ) و(ر): «يحمل»، والمثبت من «اللطائف».

(٤) في (ر) و(ف): «الدهر»، والمثبت من (أ) و«اللطائف».

(٥) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٢٥ ـ ٢٦).

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا تَنفِرُوا۟ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾: (إلا) كلمتان: (إنْ) للشرط و(لا) للنفي؛ أي: إن لم تخرجوا إلى الغزو يعذِّبكم عذاباً وجيعاً لأبدانكم وقلوبكم في الدنيا والآخرة.

وقوله تعالى: ﴿وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾: أي: يُنشئُ قوماً آخرين، ويأت بهم بدلاً عنكم، يحضون على[1] أمره، ويحرِّضون على مجاهدة عدوِّه.

وقال أبو رَوْق: وهم أهل اليمن[2].

وقال سعيد بن جبير: هم أهل فارس[3].

وقيل: الملائكة.

وقال القشيري رحمه الله: ﴿وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾: يَصْرِفْ ما كان عليكم من الإقبال إلى[4] غيرِكم من الأشكال، وليس كلُّ مَن حفر بئراً يَشرب من مَعينها، وفي معناه أنشدوا:

أسقي رياحينَ الحِفاظ مَدامِعي ... وسوايَ في روضِ التواصُلِ يرتعُ[5]

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا﴾: عطفٌ على ما سبق، وهو مجزومٌ لأنه جواب الأمر، وعلامةُ جزمه حذفُ النون في آخره، وهو ظاهرٌ أنه لا يضرُّ اللهَ شيئاً ولا يَنقصُ من ملكه شيئاً.

---

(١) في (ف) و(أ): «إلى».

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٣/ ٣٧٢) (ط: دار التفسير).

(٣) المصدر السابق.

(٤) في (ر): «إلى قوم».

(٥) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٢٦).

وقيل: معناه: ولا تضرُّوا رسولَه وأولياءه شيئاً، فإن الله عزَّ وجلَّ ينصرُه بما شاء بدونهم(١).

وقولـه تعالـى: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: أي: هـو علـى نصـرِ رسـوله بغيركـم وإفنـاءِ الكفـارِ بغيـرِ قتـالِ أحـدٍ قدير؛ إذ هـو القـادرُ على كلِّ شـيء.

وقال القشيريُّ رحمه الله: العذابُ الأليم: ألا يعاتبه على تأخير الرجوع.

وقيل: العذابُ الأليم: أن يُعرِض العبد عن الطاعة فلا يَبعث وراءه طالباً(٢) من [جنود] التوفيق يردُّه إلى الباب.

وقيل: العذاب الأليم: أن يسلبه حلاوة النجوى إذا آب.

وقيل: العذاب الأليم: الصُّدودُ يوم الورود.

وقيل: العذاب الأليم: الوعيد بالفراق، فأمَّا نفسُ الفراق فهو عين(٣) التلف، وأنشدوا(٤):

وزعَمْـتَ أنَّ البَيْـنَ منـكَ غـدا　　　　هدِّدْ بذلـك مَـن يعيـشُ غـدا(٥)

* * *

(٤٠) ـ ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ

---

(١) في (ف): «ينصره بما شاء بدونكم»، وفي (ر): «ينصرهم بما شاء بدونهم».

(٢) في (ر): «عن الطاعات فلا يتوب ولا يكون معه طالب».

(٣) في (ر): «نفس»، وفي «اللطائف»: (تمام).

(٤) في (ر) و(ف): «كما قال»، بدل: «وأنشدوا».

(٥) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٢٦).

ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمۡ تَرَوۡهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفۡلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلۡعُلۡيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ﴾: (إلا) كلمتان كما مر؛ أي: إنْ لم تنصروا محمداً في هذه الحالةِ فما هو ممن يُضيَّع، فقد نصره الله أضعفَ ما كان فلن يخذله الآن.

وقوله تعالى: ﴿إِذۡ أَخۡرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾: أي: حين مكرِ قريشٍ فاضطُرَّ إلى أن خرج ليلاً مستخفياً إلى المدينة مهاجراً خائفاً مشفِقاً من لحوق الطلب، لا أنيسَ معه ولا أليف إلا رجلٌ واحد وهو أبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه.

ثم قال هنا: ﴿إِذۡ أَخۡرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾، وقال في آية أخرى: ﴿وَهَمُّواْ بِإِخۡرَاجِ ٱلرَّسُولِ﴾ [التوبة: ١٣]، وقال في آية أخرى: ﴿كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ﴾ [الأنفال: ٥].

والتوفيق: أنهم همُّوا بإخراجه(١) بأنفسهم، فاضطُر فخرج بسبب همِّهم، والله أَذِن له في الخروج وقدَّر ذلك عليه.

وقوله تعالى: ﴿ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ﴾: نصبٌ على الحال، وهو حالٌ من النبيِّ ﷺ، و﴿ٱثۡنَيۡنِ﴾ خفضٌ بالإضافة، وهو محمد المصطفى وأبو بكر الصدِّيقُ رضي الله عنه؛ أي: هو أحدُ اثنين ليس معهما ثالثٌ.

وقوله تعالى: ﴿إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ﴾: وهو الثَّقْبُ(٢) العظيم في الجبل، وهو في جبلٍ بمكة(٣) يقال له: ثور، قاله قتادة(٤).

---

(١) في (ف) و(أ): «أن يخرجوه».

(٢) في (ف): «النقب».

(٣) في (أ): «وهو جبل مكة».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٤٦٥).

وهو مأخوذ من غار يغور؛ أي: دخل في عميقٍ.

وقولـه تعالـى: ﴿إِذْ يَقُولُ﴾: أي: النبـيُّ ﷺ ﴿لِصَاحِبِهِۦ﴾؛ أي: أبـي بكـر ﴿لَا تَحْزَنْ﴾؛ أي: لا تهتـمَّ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾؛ أي: حافظُنـا وناصرُنـا ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ﴾ قـال الزجَّـاج: أي: علـى النبيِّ ﷺ[1]، كما قال في هذه السـورة: ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾ [الفتح: ٢٦].

وقيل: على أبي بكر[2]؛ لأنه هو الخائف المحتاجُ إلى الأمن، وأما النبيُّ ﷺ فقد كان ساكناً بما وُعد له من النصرة.

وقوله تعالى: ﴿وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾: أي: وقوّى محمداً، وهو عطفٌ على قوله: ﴿فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ﴾، والجنود: الملائكة أيَّده بهم في حرب بدرٍ وحُنينٍ.

وقولـه تعالـى: ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ﴾: قـال الحسـن: هـي الشـرك.

﴿وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا﴾ وهـي: لا إلـه إلا الله، علَتْ هـذه الكلمة[3] إلى قيام السـاعة.

و(كلمةُ الله) رفعٌ بالابتداء، وهي غيرُ معطوفة على الأولى؛ لأنه لم يَجعل الجعلَ واقعاً عليها بل استأنف الكلام بها.

وقال ابن كيسان: ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ﴾: هي ما قدَّروا بينهم من الكيد به ليقتلوه فلم ينالوا أملَهم ﴿وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا﴾ وعدُ الله أنه ناصرُه[4].

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٤٤٩).

(٢) وأجازه الزجاج أيضاً. انظر المصدر السابق.

(٣) في (ر): «الكلمات».

(٤) ذكره الواحدي في «البسيط» (١٠/ ٤٤٤).

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: ويحتمِل: وجعَل أهلَ كلمة الذين كفروا هم الأسفَلينَ، قال الله تعالى: ﴿مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ﴾ [فصلت: ٢٩] وأهلُ دين الله هم الأعلَونَ(١)، قال تعالى: ﴿وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ﴾ [آل عمران: ١٣٩](٢).

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ﴾: أي: في انتقامه ﴿حَكِيمٌ﴾ في تدبيره وأحكامه.

وقصتُه: أن قريشاً لمَّا اجتمعوا في دار الندوة يمكرون بالنبيِّ ﷺ، وتشاوروا في أمره على ما مر تفسيره في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [الأنفال: ٣٠]، وترك رسول الله ﷺ عليًّا على فراشه ليلاً، وخرج مع أبي بكر الصديق رضي الله عنه يتوجَّهان إلى المدينة.

قالت عائشة رضي الله عنها(٣): جاء رسول الله ﷺ واستأذن علينا ـ وذلك في نحر الظهيرة متقنِّعاً ـ في ساعةٍ لم يكن يأتينا فيها، وقال حين دخل لأبي بكر: «أَخْرِجْ مَن عندَك»، فقال أبو بكر رضي الله عنه: إنما هم أهلك، فقال: «إنه قد أُذن لي في الخروج للهجرة»، فقال أبو بكر رضي الله عنه: فالصحبةَ يا رسول الله بأبي أنت وأمي، فقال: «نعم»، قال: فخذ إحدى راحلتيَّ هاتين، فقال عليه السلام: «بالثَّمن»، وكان اشتراهما بثماني مئة، فأخذ رسول الله ﷺ القَصواء(٤)، وكان يعلفها(٥)، وكان

---

(١) في النسخ: «الأعلين»، والمثبت من «التأويلات»، وهو الأنسب بالآية.

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٥/ ٣٧٦).

(٣) قوله: «قالت عائشة...» من هنا ورد أكثره عند البخاري (٣٩٠٥) و(٤٠٩٣) و(٥٨٠٧) من حديث عائشة، و(٣٩٠٦) من حديث سراقة بن مالك، ومن حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما عند البخاري (٣٦١٥) و(٣٦٥٢) و(٣٩١٧)، ومسلم (٣٠٠٩) كتاب الزهد. وما كان من غير الصحيحين سنبينه بعون الله.

(٤) في البخاري (٤٠٩٣): (فأَعطَى النبيَّ ﷺ إحداهما وهي الجَدْعاءُ).

(٥) «وكان يعلفها» ليست في (أ). وهذه العبارة حتى قوله: «في خلافة أبي بكر رضي الله عنه» لم =

يغزو عليها المغازي ويحج عليها حتى ماتت في خلافة أبي بكر رضي الله عنه.

قالت عائشة رضي الله عنها: فجهزناهما بأخفِّ[١] الجِهاز: لحم وخبز، وصنعنا لهما سفرةً في جرابٍ، فقطعت أسماءُ بنت أبي بكر قطعةً من نطاقها فأَوْكَتْ به الجِرابَ، فلذلك كانت تسمى ذاتَ النطاقين.

وقيل: كانت تَنتطِقُ بنطاقين، فحلَّت[٢] أحدهما فجعلته عِلَاقاً للسفرة، والآخرَ عصاماً لفم القِرْبة[٣].

وخرج النبيُّ ﷺ ليلاً من بيته ونفرٌ من قريش يرصدونه على الباب، فأخذ حفنةً من البطحاء فجعل يذرُّها على رؤوسهم وهو يتلو: ﴿يسٓ ۝١ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ﴾ الآيات، ومر ولم يعلموا به، وانتهى إلى بيت أبي بكر الصديق رضي الله عنه، فخرجا معاً، وكان أبو بكر استأجر عبد الله بن أُريقِط، فدفع إليه الراحلتين وواعده غار ثورٍ بعد ثلاثِ ليال، وأتاهما بهما حينئذ فارتحلا عليهما إلى المدينة[٤].

قال أبو بكر رضي الله عنه: فأحيينا[٥] يومَنا وليلتنا حتى قام قائم الظهيرة،

= ترد عند البخاري.

(١) في (أ): «بإخفاء»، وفي البخاري: (أَحَثَّ).

(٢) في (ر) و(ف): «فخلعت».

(٣) روى هذه الرواية إسحاق بن راهويه في «مسنده» (١١٦١) من حديث عائشة رضي الله عنها، وفي إسناده انقطاع.

(٤) وردت هذه القطعة ضمن خبر طويل رواه ابن سعد في «الطبقات» (١/ ٢٢٨ ـ ٢٢٩) عن شيخه الواقدي من حديث ابن عباس وعلي وعائشة أم المؤمنين وعائشة بنت قدامة وسراقة بن جعشم رضي الله عنهم دخل حديث بعضهم في بعض.

(٥) في (ر): «فاختبينا»، والمثبت موافق لما في البخاري (٣٦٥٢) عن البراء بن عازب، وفيه: (فأحيينا أو سرينا)، وفي الرواية الأخرى (فأحثثنا).

فرميتُ ببصري هل أرى من ظلٍّ فنأويَ إليه، فرأيت صخرة فنزلناها، فنظرتُ بقية ظلِّها فسوَّيته وأخذتُ فروةً كانت معي ففرشتُها لرسول الله ﷺ وقلتُ: اضطجعْ يا رسول الله حتى أنفضَ ما حولك، فإذا غلامٌ راعٍ قد أقبل في غنمٍ له يريد هذه الصخرةَ للظل، فقلتُ: لمن أنت يا غلام؟ قال: لرجل من قريش، وسمَّاه فعرفتُه، فقلت: هل في غنمك من لبن؟ قال: نعم، فقلت: هل أنت حالبٌ لي؟ قال: نعم، فأعطيته فحلب، وقد زويتُ لرسول الله ﷺ إداوةً من ماء[1]، فصبَبْتُ على اللبن حتى وجدتُ بردَ الماء من تحت الإناء، فأتيتُ بها النبيَّ ﷺ فوافَقْتُه قد استيقظ، فقلتُ: اشرب يا رسول الله، فشرب منه، ثم قلتُ: قد آن الرحيل يا رسول الله.

فارتحلنا والقوم يطلبوننا، فأدركَنا سراقة بن مالك بن جُعْشُمٍ على فرس له، فقلت: هذا الطلب قد لحقنا يا رسول الله، قال: ﴿لَا تَحْـزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾.

فلما دنا قِيدَ[2] رمحين أو ثلاثةٍ قلت: هذا الطلب قد لحقنا، وبكيتُ، قال: «ما يبكيك؟» قلت: أنا واللهِ ما على نفسي أبكي، ولكن إنما أبكي عليك يا رسول الله، فدعا عليه رسول الله ﷺ فقال: «اللهم اكفِناه بما شئتَ»، فساخت فرسه في الأرض إلى بطنها، فوثب عنها[3] ثم قال: يا محمد! قد علمتُ أن هذا عملك، ادع الله على أن ينجيَني مما أنا فيه، فوالله لأعمِّين على من ورائي من الطلب، وهذه كنانتي فخذ سهماً منها فإنك ستمرُّ على إبلي وغنمي بمكان كذا وكذا، فخذ منها حاجتك، فقال له رسول الله ﷺ: «لا حاجة لنا في إبلك»، فدعا له رسول الله ﷺ، فانطلق راجعاً إلى أصحابه ومضى رسول الله ﷺ وأنا معه.

---

(١) في البخاري (٣٦٥٢) عن البراء بن عازب: (وقد جَعَلْتُ لرسولِ اللهِ ﷺ إداوةً على فمها خِرقةٌ)، وفي الرواية الأخرى (ومعي إِدَاوةٌ من ماء عليها خِرقةٌ، قد روَّأْتُها لرسولِ الله ﷺ).

(٢) في (أ): «قدر».

(٣) في (ف): «من عليها».

وكانت قريشٌ جعلت لمن أخذَ محمداً وأبا بكر ديتَهما، وسمع سراقة رجلاً يقول: رأيت في الطريق سواداً أظنه محمداً، فخرج مختفياً على أن يأخذهما فكان ما كان.

وقال أبو بكر لعائشةَ رضي الله عنها: لو رأيتِني ورسولَ(١) الله ﷺ إذ صعدنا الغار، فأمَّا قدَما رسول الله ﷺ فتقطَّرتا دماً، وأما قدماي فغارتا كأنهما صفوانٌ، فقالت عائشة: إن رسول الله ﷺ لم يتعوَّد الحفية(٢).

ولو رأيتِنا ونحن نصعد في الغار مرةً هو أمامي ومرةً أنا أمامَه حتى سبقتُه إلى الغار، فدخلتُه فطلبتُ فيه حجراً فما وجدتُه، فألقمتُه عقِبي، فدخل رسول الله ﷺ عليَّ، فقال أبو بكر رضي الله عنه: إن كانت لدغةٌ لدغَتْني أحبُّ إليَّ من أن تلدغَ رسول الله ﷺ(٣).

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: قال أبو بكر: حين انتهينا إلى باب الغار فقلتُ: يا رسول الله! الغار موضعُ المكاره فدعني أدخل قبلك، فإن كان فيه شيء مكروهٌ كان لي دونك، فدخل فرأى جِحَرَةً، وكان عليه بردٌ سابرٌ ثمينٌ، فخرقه وحشا تلك الجِحَرة، وبقي جِحران فسدَّهما بعقبيه وقال: ادخل يا رسول الله، فدخل(٤).

وجاءت العنكبوت فضربت على بابه بعِشَاشٍ بعضِها على بعضٍ، وأرسل الله تعالى زوجاً من حمامٍ حتى باضتا في أسفل الثقب، وأثبت الله على باب المغارة يمامةً(٥).

---

(١) في (أ): «لقد رأيتني ولرسول»، بدل: «لو رأيتني ورسول».

(٢) رواه ابن مردويه كما في «الدر المنثور» (٤/ ٢٠١)، وابن عساكر في «تاريخه» (٣٠/ ٨١)، من حديث عائشة.

(٣) ذكره المقريزي في «إمتاع الأسماع» (٨/ ٣٢٨) وعزاه للواقدي، ولم أجده في المطبوع من «مغازيه».

(٤) لم أجده.

(٥) رواه مطولًا ومختصراً ابن سعد في «الطبقات» (١/ ٢٢٩)، والطبراني في «المعجم الكبير» =

ومكثا فيه لثلاثِ[١] ليالٍ يبيت عندهما عبد الله بن أبي بكر وهو غلام لَقِنٌ، فكان يرجع منهما[٢] عند السَّحَر فيصبح مع قريشٍ بمكة فلا يسمع أمراً يَكيدون به إلا وعاه حتى يأتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام، وكان عامر بن فُهيرة مولَى أبي بكر رضي الله عنه يأتي بمنحةٍ بالليل بعد العِشاء فيبيتان في منحته، فإذا أَسحر رجع[٣].

وخرج الطلب من مكة، وقَفَوا آثارَهما إلى باب الغار ثم انقطع الأثر، فوقفوا على الجبل فوق الغار، فقال أبو بكر رضي الله عنه: يا رسول الله! لو أن أحدهم نظر إلى قدميه لأبصرنا، فقال: «يا أبا بكر، ما ظنُّك باثنين اللهُ ثالثهما»[٤].

وقال واحدٌ: ندخل الغار، فقال أمية بن خلفٍ: ما أَرَبُكم إلى الغار؟ إن عليه لعنكبوتاً كان قبل ميلاد محمد، ثم جاء فبال في صَدْع الغار حتى سال بولُه بين يدي

= (٢٠/ ٤٤٣)، والعقيلي في «الضعفاء» (٣/ ٤٢٢ ـ ٤٢٣) من طريق عون بن عَمرٍو القَيسيِّ، عن أبي مُصعبٍ المكِّيِّ قال: أدركْتُ زيدَ بنَ أَرْقَمَ وأنسَ بن مالكٍ والمغيرةَ بنَ شعبةَ فسمِعْتُهم يتحدَّثون: أنَّ النبيَّ ﷺ ليلةَ الغارِ...، فذكره، وعون ـ ويقال: عوين ـ بن عمرو القيسي، أعله العقيلي به وقال: لا يتابع عليه، وأبو مصعب المكي مجهول. وانظر: «نصب الراية» (١/ ١٢٣). وقصة نسج العنكبوت رواها أيضاً الإمام أحمد في «المسند» (٣٢٥١) بإسناد ضعيف كما ذكر محققوه، لكن قال ابن كثير في «البداية والنهاية» (٤/ ٤٥١) عنه: هذا إسنادٌ حَسَنٌ، وهو من أَجودِ ما رُوِي في قصةِ نَسْجِ العنكبوتِ على فمِ الغارِ.

(١) «لثلاث» ليست في (أ).

(٢) في (ف): «عنهما».

(٣) قوله: «وكان عامر بن فهيرة...» لفظ البخاري في الرواية (٣٩٠٥): (ويَرْعَى عليهما عامرُ بن فُهَيرةَ مولَى أبي بكر مِنْحَةً من غنمٍ، فيُريحُها عليهما حين تَذهبُ ساعةٌ من العِشاءِ، فيَبِيتان في رِسْلٍ، وهو لبنُ مِنْحَتِهما ورَضِيفِهما، حتى يَنْعِقَ بها عامرُ بنُ فُهَيْرةَ بغَلَسٍ، يَفعلُ ذلك في كلِّ ليلةٍ من تلك اللَّيالي الثَّلاثِ).

(٤) رواه البخاري (٤٦٦٣)، ومسلم (٢٣٨١)، من حديث أبي بكر رضي الله عنه.

النبي ﷺ وأبي بكر، فنهى النبي ﷺ يومئذ عن قتل العنكبوت وقال: «إنها جند من جنود الله تعالى»[١].

وفي رواية قالوا حين رأوا العنكبوت وبيض الحمام: ولو دخلاه لانكسر البيض وتفسَّخ بيت العنكبوت، فانصرفوا[٢].

وقال الإمام القشيري رحمه الله: إن الله جلَّ جلالُه جعل رسوله أماناً لأهل الأرض بقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾ [الأنفال: ٣٣]، ثم جعله في أمان العنكبوت حين نسج على باب الغار ليُعلم أنه من عند الله دون الأغيار.

وقالوا: إن للبقاع دولاً، متى خطر ببالِ أحد أن يصير ذلك الغار مثوَى سيد الأولينَ والآخِرين، ولكن الله عز وعلا يختصُّ بقسمته ما[٣] يشاء، كما يختص برحمته مَن يشاء[٤].

وفيه بيان فضل الصديق رضي الله عنه حيث[٥] جعله الله لرسوله صاحبَه،

---

(١) رواه أبو نعيم من طريق الواقدي: حدثني موسى بن محمد بن إبراهيم عن أبيه عن النبي. انظر: «الخصائص الكبرى» للسيوطي (١/ ٣٠٦). والواقدي متروك كما أن الخبر منقطع. وليس في هذا الخبر قوله: «ثم جاء فبال في صدع الغار حتى سال بوله بين يدي النبي ﷺ وأبي بكر»، ولا يصح مثل هذا، لكن جاء في خبر طويل رواه الطبراني في «الكبير» (٢٤/ ١٠٦ ـ ١٠٧) عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها: (فقال أبو بكر لرجل يراه مواجه الغار: يا رسول الله إنه ليرانا، فقال: «كلا إن ملائكة تسترنا بأجنحتها»، فجلس ذلك الرجل فبال مواجه الغار). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦/ ٥٤): رواه الطبراني وفيه يعقوب بن حميد بن كاسب وثقه ابن حبان وغيره وضعفه أبو حاتم وغيره.

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٤٨ ـ ٤٩) عن الزهري.

(٣) في (ر) و(ف): «من»، والمثبت من (أ) و«اللطائف».

(٤) في (ر): «ثم يختص برحمته لما يشاء»، وليست في (أ) و(ف)، والمثبت من «اللطائف».

(٥) في (أ): «حين».

وعدَّه ثانيَه، ثم هو في القبر ضجيعُه وفي الجنة رفيقُه[1].

وقال رجل من الشيعة: ما ظنُّك في خمسة سادسهم جبريل؟ فقال أبو يوسف: ما ظنُّك باثنين الله ثالثهما.

وقالت الروافض في قوله: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾: لا يخلو إما أن يكون حزنُ أبي بكر طاعةً أو معصيةً، فإن كان معصيةً ففيه نقصانه لا فضلُه، وإن كان طاعةً فلمَ نهاه رسول الله ﷺ؟

قلنا: لم يكن حزنُه سوءَ الظنِّ بربه تعالى، ولا استبطاءً لنصره، لكنْ شفقةً على رسول الله ﷺ وحبيبه، وكان[2] ذلك شيئاً نشأ عن طبعه ولا نقصَ في مثله.

ثم نعارضهم بخوف موسى وهارون عليهما السلام، وقال الله تعالى لهما: ﴿لَا تَخَافَآ إِنَّنِى مَعَكُمَآ﴾ [طه: ٤٦] إلى آخر السؤال حَذْوَ القُذَّة بالقُذَّة[3]، على أنهما قالا: ﴿إِنَّنَا نَخَافُ﴾ [طه: ٤٥]، وليس في القرآن أن أبا بكر رضي الله عنه قال: إني أحزن، وقد قال أبو بكر رضي الله عنه في شعره:

قال النبيُّ ولم أَجْزع يوقِّرني ... ونحن في سُدفةٍ من ظُلمةِ الغارِ
لا تَخْشَ شيئاً فإنَّ الله ثالثُنا ... وقد تكفَّل لي منه بإظهارِ
وإنما كيدُ مَن تَخشَى بوادرَه ... كيدُ الشياطين قد كادَتْ بكفَّارِ

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٢٧).

(٢) في (ف): «أو كان»، وفي (ر): «ولكن».

(٣) أي: كما تُقَدَّر كلُّ واحدةٍ منهما على قَدْر صاحبتها وتُقْطَع، يُضرب مَثَلاً للشيئين يستويان ولا يَتفاوتان. والقُذَّة واحدة القُذَذ: وهي رِيشُ السهم، ومنه الحديثُ: «لتَرْكَبُنَّ سَنَنَ مَن كان قبلكم حَذْوَ القُذَّة بالقُذَّة». انظر: «النهاية» (مادة: قذذ).

والله يهلكهم طرًّا بما صنعوا وجاعلُ المنتهَى منهم إلى النارِ[1]

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: ﴿لَا تَحْزَنْ﴾ ليس بنهي عن الحزن، بل هو على تخفيف الأمر عليه وتيسيرِ الحالة التي هو عليها[2].

وهو كقوله تعالى: ﴿أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: ٣٠].

وكما قال النبيُّ ﷺ لأبي بكر رضي الله عنه، فقد قال لرسول الله ﷺ: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ [الحجر: ٨٨] ولم يكن حزنه معصيةً بل كان شفقةً، فهذا مثله.

وقال القشيري رحمه الله: كان حزنُه لا لنفسه بل لله عز وجل؛ لأنه قال له رسول الله ﷺ: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ وحزنٌ لا يذهب إلا بمعية الحق ما يكون إلا بحق الحق[3].

* * *

(٤١) ـ ﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا﴾: هو نصب على الحال، والخِفَاف: جمع خفيف، والثِّقال: جمع ثقيل.

---

(١) ذكر الأبيات عن أبي بكر رضي الله عنه ابن إسحاق فيما رواه عنه أبو نعيم في «دلائل النبوة» (٢٣٧)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٠/ ٨٥ـ٨٦)، وأوردها الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٤٨)، والسهيلي في «الروض الأنف» (٤/ ١٤٢) (ط: إحياء التراث)، والكلاعي في «الاكتفاء» (١/ ٢٩٠)، ومعنى يوقرني: يسكنني ويهدئني. وأسدف الليل: إذا أرخى ستوره وأظلم. وفي بعض المصادر (سُدَف).

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٥/ ٣٧٤).

(٣) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٢٨).

وقال الحسن ومجاهد والضحاك: أي: شبَّاناً وشيوخاً.

وقال أبو صالح: أي: أغنياء وفقراء.

وقال الحكَم: فارغين ومشاغيل.

وقال ابن عباس وقتادة: نِشاطاً وغيرَ نِشاطٍ، بكسر النون: جمع نشيط.

وقال أبو عمرو: ركباناً ومشاة.

وقال ابن زيد: ذا ضيعةٍ وغيرَ ذي ضيعةٍ[1]، وحملتُه على حالٍ يخفُّ فيه النَّفير أو على حالٍ يثقُل فيه النفير.

وقال مرَّة الهَمْداني: أصحَّاءَ ومرضَى.

وقال [حضرميٌّ]: إن ناساً كان بعضهم عليلاً وبعضهم كبيراً فقالوا: لا إثم علينا، فنزلت الآية.

وقال يمان بن رئابٍ: عزَّاباً ومتأهِّلين.

قال [محمد]: وشهد أبو أيوبَ الأنصاريُّ بدراً ثم لم يتخلَّف عن غزاةٍ إلا عاماً واحداً ثقُل مدةً، ثم تكلَّف وخرج، وقال: قال الله تعالى: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ ولا أجدُني إلا خفيفاً أو ثقيلاً[2].

وخرج سعيد بن المسيب إلى الغزو وقد ذهبت إحدى عينيه، فقيل له: إنك

---

(١) في (أ) و(ف): «ذا صنعة أو غير ذي صنعة»، وهو تحريف.

(٢) روى هذه الأقوال الطبري في «تفسيره» (١١/ ٤٦٨ ـ ٤٧٣)، وما بين معكوفتين منه. عدا قولي مرة الهمداني ويمان بن رئاب فذكرهما الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٤٩). وحضرمي قال ابن المديني: شيخ بالبصرة روى عنه التيمي، مجهول وكان قاصًّا، وقال أحمد: لا أعلم يروي عنه غير سليمان التيمي. قاله في «التهذيب». ومحمد: هو ابن سيرين.

عليلٌ صاحب ضر فقال: استنفَر الله الخفيفَ والثقيل، فإن لم يمكنِّي الحربُ كثَّرتُ السوادَ وحفظتُ المتاع(١).

وقوله تعالى: ﴿وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾: أي: مِن تَرْكه.

وقيل: ليس هذا للتفضيل، بل لإثبات أصل الخير؛ أي: ذلكم صلاحٌ وخيرٌ لكم، وتركُه فساد وشرٌّ لكم.

وقوله تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: أي: الخير والشر.

وقيل: أي: إن كنتم تعلمون صدقَ الوعد على فعله وصدقَ الوعيد على تركه.

وقيل: أي: إن كنتم تعملون بما تعلمون.

وقال الإمام القشيري رحمه الله: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا﴾؛ أي: في حالِ حضور قلبكم فلا يمسُّكم نَصَبُ المجاهدات ﴿وَثِقَالًا﴾ إذا رُددتم إليكم في مقاساة تعبِ المكابَدات، فإن البيعة أُخذت عليكم(٢) في المنشَط والمكرَه.

﴿خِفَافًا﴾ إذا كنتم محمولين في حال الجمع ﴿وَثِقَالًا﴾ إذا كنتم متحمِّلين في أوان التفرقة.

﴿خِفَافًا﴾ إذا تجرَّدتُم عن رِقِّ المطالبات ﴿وَثِقَالًا﴾ إذا كان على قلوبكم ثقلُ الحاجات(٣).

***

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٤٩) عن الزهري قال: خرج سعيد بن المسيب... فذكره.

(٢) في (أ) و(ر): «منكم».

(٣) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٢٩).

(٤٢) ـ ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّاتَّبَعُوكَ وَلَٰكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ ۚ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ﴾: أي: لو كان المدعوُّ إليه ﴿عَرَضًا قَرِيبًا﴾؛ أي: شيئاً من متاع الدنيا قليلاً لا بقاء له(١).

وقيل: أي: غنيمةً قَرُب مُتناوَلُها، كما قال في غنائم بدر: ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا﴾ [الأنفال: ٦٧].

وقوله تعالى: ﴿وَسَفَرًا قَاصِدًا﴾: أي: سهلاً وسطاً من الأسفار ﴿لَّاتَّبَعُوكَ﴾؛ أي: هؤلاء المنافقون المعتلُّون بعللٍ لاتبعوك إلى حيث قصدت.

﴿وَلَٰكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ﴾: أي: المسافة.

وقيل: هي قطعة من الأرض يَشُقُّ سلوكها على صاحبها لبُعدها.

فلما لم يكن خروجُهم لرضى الله تعالى بل لأجل نفع الدنيا تعلَّلوا.

وقوله تعالى: ﴿وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ﴾: أي: لو كان لنا زادٌ وراحلةٌ لخرجنا على موافقتكم، وهي استطاعةُ سلامةِ الآلات وتهيُّؤ الأسباب فإنها تتقدم الفعل، فأما الاستطاعةُ التي يقع الفعل بها فإنها مع الفعل عندنا، ولا متعلَّق للقدرية فيها؛ لِمَا قلنا: إن المراد بها استطاعة الأسباب.

وقوله تعالى: ﴿يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ﴾: أي: يُوْرِدونها نارَ جهنم بكذبهم.

---

(١) «لا بقاء له» تحرفت في (ف) و(أ) إلى: «لأثقاله».

قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ﴾: أنه[1] لا استطاعة لهم، وهو ما ذكرنا من سلامة الآلات وتهيُّؤ الأسباب؛ أي: فلا تَقبلوا لهم عذراً.

و﴿إِنَّهُمۡ﴾ لم تنتصِب بوقوع[2] العلم عليها لمكان اللام بعدها.

وقال مجاهد: إنهم لكاذبون فيما يقولون: ﴿لَخَرَجۡنَا مَعَكُمۡ﴾ ليس في قلوبهم ذلك.

وقال قتادة: هم جماعة من المنافقين منهم جدُّ بن قيس ومعتِّب بن قُشير.

ودلت الآية على صدق النبيِّ ﷺ في دعوى الرسالة؛ لأنه أَخبر أنهم سيَحلفون كذا، وكان[3] كما أخبر، وذاك لا يعلمه إلا العالِمُ بالعباد عالمُ الغيب.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: ﴿لَوۡ كَانَ عَرَضٗا قَرِيبٗا وَسَفَرٗا قَاصِدٗا لَّٱتَّبَعُوكَ﴾؛ أي: لو كان نفعاً حاضراً أو غائباً من منافع الدنيا لاتبعوك، فإن صفتهم كانت اتِّباعَ المنافع، وقال الله تعالى في صفتهم: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖ﴾ الآية [الحج: ١١].

وقال في قوله تعالى: ﴿يُهۡلِكُونَ أَنفُسَهُمۡ﴾: قيل: يُظهِرون نفاقَهم بترك الخروج، كقوله تعالى: ﴿مَّلۡعُونِينَۖ أَيۡنَمَا ثُقِفُوٓاْ أُخِذُواْ وَقُتِّلُواْ تَقۡتِيلٗا﴾ [الأحزاب: ٦١][4].

وقال القشيريُّ رحمه الله: كان ذلك تعليلاً فاسداً من أهل النفاق، وكذا مَن كان غيرَ متحقِّقٍ في قصدِه غيرَ مُبالِغ في جهده، وأنشدوا:

وكـذا الــمَلولُ إذا أراد قطيعةً   مـلَّ الوصـالَ وقـال كان وكان

ومَن جدَّ في الطلب لم يعرِّج في أوطان الفشل، يصلُ السَّير بالسُّرى ولم يبالِ من مقاساة العناء:

---

(١) «أنه» من (أ).

(٢) في (أ) و(ر): «لوقوع» والمثبت من (ف) وهو الصواب.

(٣) في (أ): «أو كذا».

(٤) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٥/ ٣٧٨).

ثـم قطعـتُ الليـلَ فـي مَهْمَـهٍ لا أسـداً أخشـى ولا ذئبـا

يغلبُنـي شـوقي فأطـوِي النَّوَى ولـم يَـزَلْ ذو الشـوقِ مغلوبا[1]

* * *

(٤٣) ـ ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَتَعْلَمَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴾.

وقولـه تعالـى: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ﴾ قـال الحسـين بـن الفضل: هـذا من لطيف المعاتَبـة، ولـو لـم يفتتح الخطـاب بالعفـو لَمَا كان يقـوم بقولـه: ﴿لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾، فطيَّب الله نفسـه بتصديـر العفو[2].

وقال القفَّال: ذكَر الله في هذه الآية والآياتِ التي بعدها أحوالَ مَن تخلَّف عن غزوة تبوك وخلَّف غيره، وحلَّاهم بأوصافهم، وأذاع[3] بذكرهم حتى عرَفهم المسلمون، وذكَر أيمانَهم وحجَجهم ومعاذيرهم الباطلة.

والمراد من ذلك والله أعلم: أن تكون أوصاف مَن بعدهم من أهل النفاق مقرَّرةً عند العلماء مخلَّدةً في كتاب الله تعالى، يُعرَف بما يوجد منها في الأخلاف[4] نفاقُ المنافقين منهم إذ كان فاتهم زمانُ النبوة وانقطع الوحي، فإذا عرفوهم بأوصافهم لم يغترُّوا بظواهرهم ولم يأمنوهم على أنفسهم ودينهم.

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٣٠).

(٢) في (أ): «بتقديم العفو»، وفي (ر): «بتصديق العفو»، والمثبت من (ف) وهو الموافق لما في «البسيط» للواحدي (١٠/ ٤٥٤).

(٣) في (ر) و(ف): «وبدأ».

(٤) في (أ) و(ر): «الأخلاق».

وقوله تعالى: ﴿لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾: أي: في التخلف عن الغزو ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ﴾.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: يحتمِل: حتى يُطلعكَ الله على نفاقهم فيكونَ ذلك آيةً من آيات النبوة إن لم تأذن لهم بالتخلُّف، أو[1] إنْ لم تأذن لهم يتبيَّن لك نفاقهم؛ لأنهم يتخلَّفون عنك ويفارقونك وإن لم تأذن لهم، والذين صدَقوا لا يفارقونك، فيتبيَّن لك هؤلاء من هؤلاء، ويظهر كذب المنافقين من صدق المؤمنين.

قال: وفيه دليل أنَّ النبي ﷺ أذِن لهم بالتخلف[2] بالاجتهاد لا بالأمر، إذ لو كان بأمرٍ لم يُعاتَب عليه، ووقع في اجتهاده أنهم معذورون فأذن لهم، ثم إنما عوتب مع أنه اجتهد ـ وله ذلك ـ لأنه ترَك الأفضلَ، وهو تركُ الإذن حتى يتبيَّن له الصادق من الكاذب، وعِتابُ الأنبياء يكون على ترك الأفضل مع فعل الفاضل[3].

* * *

(٤٤) ـ ﴿لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾: أي: أنْ لا يجاهدوا؛ كما في قوله تعالى: ﴿شَهِدْنَا ۛ أَن تَقُولُوا﴾ [الأعراف: ١٧٢] أي: لا يستأذنك في التخلُّف بغير عذرٍ مَن كان يؤمن بالله فيطيعه بالأمر بالجهاد، وباليوم الآخر فيرجو فيه ثواب الجهاد، والله عليم بمن يتَّقيهِ ولا يخالف أمرَه بالجهاد ولا يتخلَّف عنه.

---

(١) في النسخ: «و»، والمثبت من «التأويلات».

(٢) في (ر) و(ف): «في التخلف».

(٣) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٥/ ٣٧٩).

(٤٥) - ﴿إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ﴾: بالتخلُّف[١] من غير عذرٍ ﴿الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ فلا يَرون لله طاعةً، ولا يرجون في القيامة مثوبة ﴿وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ﴾؛ أي: شكَّت في حقيقة الإسلام.

وقوله تعالى: ﴿فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾: أي: يتقلَّبون[٢].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: ذكر الله تعالى[٣] هذا في المنافقين الذين يستأذنون من غير[٤] عذرٍ ذمًّا لهم، فأمَّا المؤمنون الذين لهم عذرٌ فقد قال الله تعالى في حقِّهم: ﴿وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ﴾ الآية [النور: ٦٢][٥].

وقال مقاتل: كان المستأذنون من المنافقين تسعةً وثلاثين رجلاً[٦].

وقال محمد بن إسحاق: أَذِن لقوم كانوا من ذوي الشرف، فيهم عبد الله بن أبيٍّ والجدُّ بن قيس، لعِلمه أنهم إن خرجوا أفسدوا عليه الجند[٧].

وقال الإمام القشيري رحمه الله: حسناتُ الأعداء مردودة، وسيئاتُ الأحباب مغفورة[٨]، وأنشدوا في معناه:

---

(١) «بالتخلف» ليست في (أ).

(٢) «أي: يتقلبون» ليست في (أ).

(٣) «ذكر الله تعالى» ليست في (أ).

(٤) في (ر): «بغير».

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٤٨٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٨٠٦).

(٦) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ١٧٢).

(٧) انظر: «السيرة النبوية» لابن هشام (٢/ ٥٤٩ ـ ٥٥٠).

(٨) في (أ): «معقودة»، والمثبت من باقي النسخ و«اللطائف».

مَـن ذا يؤاخـذُ من يحـبُّ بذَنْبه ... وله شـفيعٌ فـي الفؤاد مشـفَّعُ[١]

* * *

(٤٦) ـ ﴿ ۞ وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً وَلَـٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَـٰعِدِينَ ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ﴾: أي: معكم للغزو ﴿لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ﴾؛ أي: لهيَّؤوا للخروج ﴿عُدَّةً﴾؛ أي: أُهبةً، قرأ عبد الله بن شداد: (عِدَّةً) بكسر العين[٢]؛ أي: جماعةً من الآلات والقوة قبل وقت الخروج كإعداد المسلمين ذلك.

قال القشيري رحمه الله: تعالى لو صدقوا في الطاعة لاستجابوا ببذل الوسع والطاقة، ولكن سَقمت إرادتُهم فحصلت دون الخروج بلادَتُهم، ولذلك قيل:

لـو صـحَّ منـك الهوى[٣] ... أُرْشِـدْتَ فـي الحِيَـلِ[٤]

وقوله تعالى: ﴿وَلَـٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ﴾ أي: لـم يـرضَ الله تعالى بخروجهم وانبعاثهم[٥]، وهو الانطلاق بسرعة، يقال: بعَثْتُه فانْبَعَث.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: والوجه الذي لم يرضَ به هو ما ذكره بعده: ﴿لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا﴾ الآية[٦].

وقوله تعالى: ﴿فَثَبَّطَهُمْ﴾: أي: ثقَّلهـم عن الخروج وحبَسـهم، وقـد ثَبِط من

(١) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٣١).

(٢) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٥٣).

(٣) في (ف): «الهدى».

(٤) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٣١).

(٥) «أي: لم يرض الله تعالى بخروجهم وانبعاثهم» من (ر).

(٦) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٥/ ٣٨٠).

حـدِّ عَلِـم؛ أي: ثَقُل، وثبَّطـه غيرُه تثبيطـاً، وفيه دلالةُ خلـق الله تعالى أفعالَ البشـر.

وقوله تعالى: ﴿وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾: أي: العجزةِ المتخلِّفين من الزَّمْنَى والنساء[1] والصبيان والمجانين، وهذا الأمر يحتمِل أن يكون من النبيِّ عليه السلام حيث استأذنوه فأذن لهم ظنًّا أن لهم عذراً، وهو ما قال في هذه السورة: ﴿فَإِن رَّجَعَكَ اللَّهُ إِلَىٰ طَائِفَةٍ مِّنْهُمْ﴾ إلى قوله: ﴿فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ﴾؛ أي: هو من الله تعالى لهم على[2] التهديد والتوعيد؛ كقوله تعالى: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾ [فصلت: ٤٠].

أو الشيطان وسوس لهم وزيَّن في قلوبهم ذلك ودعاهم إليه.

أو قال بعضهم ذلك لبعض.

أو معناه: أقعَدْناهم، وهو إخبار بلفظة الأمر، كما في قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا مِن بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ﴾ [الإسراء: ١٠٤].

وقال القشيري رحمه الله: إن الله سبحانه بأمر التكليف دعاهم، ثم بأمر التكوين ثبطهم وأقصاهم[3].

* * *

(٤٧) ـ ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا﴾: أي: فساداً، وليس معناه أنهم كانوا في فساد والمنافقون زادوا في فسادهم، لكن معناه: لو خرجوا فيكم ما

---

(١) «والنساء» من (ف).

(٢) في (ر): «من»، وفي (ف): «في».

(٣) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٣٢).

زادوكم قوةً، ولكن أوقعوا فساداً بالتجبين والتهويل من الكفار، وترديدِ الرأي، وتزيينِ الأمر لفريق وتقبيحِه عند فريق[١] ليختلفوا بتفرق كلمتهم لا ينتظم أمرهم.

وقال مُرَّة الهَمْداني: ﴿إِلَّا خَبَالًا﴾؛ أي: غشًّا[٢].

وقال يمان بن رِئابٍ: إلا مكراً[٣].

وقال عبد الرحمن بن زيد: إلا شماتةً بكم[٤].

وقال عطاء: إلا ضعفاً وجُبناً[٥].

وقوله تعالى: ﴿وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ﴾: هي لام القسم، وأَوْضَعَ تعديَةُ وَضَع؛ أي: أسرع، قال الشاعر:

يــا ليتنــي فيـهــا جَـذَعْ أَخُـــبُّ فيهـا وأَضَـــعْ[٦]

ومفعوله مضمَرٌ؛ أي: ﴿وَلَأَوْضَعُوا﴾ الإبلَ ﴿خِلَالَكُمْ﴾؛ أي: فيما بينكم، كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا﴾ [النمل: ٦١]؛ أي: لحثُّوا الإبل مسرعين فيما بينكم في النميمة وإفساد ذاتِ البَين والتخليط.

وقوله تعالى: ﴿يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ﴾: أي: يطلبونكم، والفتنة: المحنة، وأصله: إخراج خَبَث الذهب بالنار.

---

(١) في (ر): «وتقبيحه لفريق».

(٢) ذكره الواحدي في «البسيط» (١٠/ ٤٦٥).

(٣) المصدر السابق.

(٤) الذي رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٤٨٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٨٠٧)، عن ابن زيد يفيد أن المعنى على قوله: إلا تخذيلاً.

(٥) ذكره الواحدي في «البسيط» (١٠/ ٤٦٥) عن ابن عباس.

(٦) البيت لدريد بن الصمة. انظر: «ديوانه» (ص: ٩٣)، و«السيرة النبوية» لابن هشام (٢/ ٤٣٩).

وقـال الإمام أبو منصـور رحمه الله: الفتنة الشـرك[١]، ويحتمِـل القتلَ وإدخالَ الفشـل والجبنِ فيهم.

وقال في قوله تعالى: ﴿وَلَأَوْضَعُواْ خِلَٰلَكُمْ﴾: يحتمِل: ولأَدْخلوا رواحلَهم بينكم حتى لا يصيبَهم الأذى، كانوا يتستَّرون بالمسلمين لئلا يصيبَهم البلاء والشدة[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ﴾: قال قتادة: أي: وفي عسكركم مَن يسمع قولَهم[٣] اغتراراً بظاهر أحوالهم في التنصُّح[٤] للمسلمين، فينصرفُ عن القتال فيقتدي به غيرُه فيرجع.

وقـال مجاهـد وجماعـة: وفيكم جواسـيسُ للمنافقيـن ينقلون إليهـم منكم ما يسـمعون فيكم[٥].

وقال قتادة[٦]: وفيكم من المؤمنين أهلُ محبةٍ لهم يطيعونهم ويقبَلون قولهم لشرفهم فيهم.

وقولـه تعالـى: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾: أي: المنافقيـن، فيكشـف لكـم عن مكنـون سـرائرهم لتحذَروهم.

---

(١) في (أ): «يحتمل الفتنة الشرك»، وفي «التأويلات»: (قيل: يبغون منكم الفتنة، وهو الشرك الذي كانوا هم عليه).

(٢) في (ر): «الأذى والشدة». والمثبت من باقي النسخ و«التأويلات». انظر: «تأويلات أهل السنة» (٥/ ٣٨١ ـ ٣٨٢).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٤٨٦).

(٤) في (ف): «التنصيح».

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٤٨٦) بلفظ: (يُحَدِّثون بأحاديثكم، عيونٌ غيرُ منافقين).

(٦) كذا قال، وهذا القول مذكور في المصادر عن ابن إسحاق. انظر: «السيرة النبوية» لابن هشام (٢/ ٥٥٠)، «تفسير الطبري» (١١/ ٤٨٦)، و«البسيط» (١٠/ ٤٧٤).

وقيل: أي: عليمٌ بمن يوجِّه أفعاله عن[١] وجوهها ويضعُها غيرَ موضعها.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: أي: لا عن جهلٍ أَمهَلهم على ما هم عليه، لكنه أخَّرهم ليومٍ، قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ الآية [إبراهيم: ٤٢][٢].

وقال القشيري رحمه الله: أَخبر الله تعالى في هذه الآية عن سابق علمه فيهم، وذكَر ما عَلِم أنه لا يكون أنه[٣] لو كان كيف كان يكون.

وقال: لو ساعدوكم في الخروج لكان يَلحقُكم من سوء سيرتهم في التضريب بينكم والنميمةِ فيكم والسعي فيما يسوؤكم أكثرُ مما ينالكم بتخلُّفهم من نقصان عددكم، ومَن ضرُّه أكثرُ مِن نَفْعه فعَدَمُه خيرٌ مِن وجوده، ومَن لا يَظهر مِن حضوره غيرُ شروره فتخلُّفُه خيرٌ من حضوره[٤].

* * *

(٤٨) ـ ﴿لَقَدِ ٱبْتَغَوُا۟ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا۟ لَكَ ٱلْأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿لَقَدِ ٱبْتَغَوُا۟ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ ﴾: في الوقائع، منها في حرب الخندق بقولهم: ﴿يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ﴾ [الأحزاب: ١٣]، وفي حرب أحدٍ بانصراف ابن أبيٍّ بأصحابه وهم ثلاثُ مئة، وبقي النبيُّ ﷺ في أصحابه وهم[٥] سبعُ مئة، وقد

---

(١) في (ف) و(أ): «غير».

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٥/ ٣٨٢).

(٣) في (ف): «وأنه»، وفي «اللطائف»: (أنْ).

(٤) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٣٢).

(٥) «أصحابه وهم» ليس في (أ).

مرت القصة، وليلةَ العقبة[١] بإلقاء شيء بين قوائم ناقةِ النبيِّ ﷺ بالليل حتى تَنْفرَ وتُلقيَ النبيَّ ﷺ، ووقوف اثني عشرَ منافقاً ليلتئذٍ على الثنيَّة ليَفتكوا بالنبيِّ ﷺ وأخبره الله تعالى بذلك[٢]، وبتجبين المؤمنين في الغزوات.

وقوله تعالى: ﴿وَقَلَّبُواْ لَكَ ٱلْأُمُورَ﴾: أي: صرَّفوا[٣] فيك الآراء والحِيَل.

وقيل: بغَوا لك الغوائل.

وقيل[٤]: قد مكَروا بك ليُثبتوك أو يقتلوك أو يُخرجوك.

وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ﴾: أي: الإسلام ﴿وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾؛ أي: كثُر المؤمنون، وقيل: أي: نصَرهم[٥] الله ﴿وَهُمْ كَٰرِهُونَ﴾؛ أي: المنافقون كارهون ظهورَ الدِّين ونصرَ المسلمين.

وقيل: قوله[٦]: ﴿مِن قَبْلُ﴾؛ أي: من قبلِ أن[٧] يَقْوَى أمرك ويكثُرَ أنصارك لم ينفذ لهم فيك شيءٌ، فكيف اليوم وقد ظهرت قوتُك وكثرت شيعتُك؟

وقال محمد بن إسحاق: لمَّا خرج النبيُّ ﷺ إلى تبوك ضربَ عسكره على ثنيةِ الوداع، وضرب عبد الله بن أبيٍّ عسكره أسفلَ منه على [حِدَةٍ بحذاءِ ذُبابٍ] جبلٍ

---

(١) ليست هذه العقبة المشهورة في بيعة الأنصار للنبي ﷺ، لكنها قصة أخرى ستأتي في هذه السورة.

(٢) هي قصة العقبة السابقة وستأتي في هذه السورة عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَهَمُّواْ بِمَا لَمْ يَنَالُواْ﴾.

(٣) في (ف): «وضربوا».

(٤) «قيل» من (أ).

(٥) في (ف): «نصر».

(٦) في النسخ: «قولهم»، والصواب المثبت.

(٧) «من قبل أن» ليس في (أ) و(ف).

بالجبانة[١] أسفلَ من ثنية الوداع، فلما سار رسول الله ﷺ تخلَّف ابن أبيٍّ، وعبد الله ابن نبتلٍ، ورِفاعةُ بن التابوت، وأبو زيد[٢]، وأوس بن قيظيٍّ وجماعةٌ من عظمائهم فنزلت هذه الآية[٣].

* * *

(٤٩) ـ ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّي ۚ أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّي﴾ أي: ومن المنافقين مَن يقول: ﴿ائْذَن لِّي﴾ في التخلُّف ﴿وَلَا تَفْتِنِّي﴾؛ أي: ولا تُوْقِعني في الفتنة؛ أي: الكفر.

﴿أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾: أي: قد وقعوا في الكفر قبل هذا.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾: مشتمِلةٌ عليهم لا يخرجون منها.

وقيل: أي: جامعةٌ للمنافقين وسائرِ الكافرين؛ كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٤٠].

وقال محمد بن إسحاق: قال النبيُّ ﷺ لجدِّ بن قيس المنافقِ: «هل لك في جِلَاد بني الأصفر؟» يعني: الروم، فقال: يا رسول الله، ائذَنْ لي ولا تفتنِّي، فوالله قد

---

(١) ما بين معكوفتين من «تفسير الطبري» و«تاريخه»، وفي «السيرة»: (على حدة نحو ذباب).

(٢) في (ر): «وأخو زيد»، ولم يرد في كتابي الطبري، وفيهما: ورفاعة بن زيد بن التابوت أخو بني قينقاع. ومن قوله: «وعبد الله بن نبتل...» إلى آخر الخبر لم يرد في «السيرة».

(٣) انظر: «السيرة النبوية» لابن هشام (٢/ ٥١٩)، و«تفسير الطبري» (١٤/ ٢٨٥ ـ ٢٨٦) تحقيق محمود شاكر، و«تاريخ الطبري» (٢/ ١٨٢)، ونزول الآية في هذه القصة لم يذكره ابن هشام في «السيرة» عن ابن إسحاق، لكن رواه الطبري من طريق ابن إسحاق عن عمرو بن عبيد عن الحسن البصري.

عرفَ قومي ما رجلٌ أشدَّ عُجْباً بالنساء منِّي، وإني أخشى إن رأيتُ نساء بني الأصفر ألَّا أصبرَ عنهن! فأَعرض عنه رسول الله ﷺ وقال: «قد أذنتُ لك»، ونزلت الآية(١).

وقيل: أراد بالفتنة الردَّةَ إذا دعَوه (٢) إلى النصرانية.

وقيل: أراد به: إنَّا عسى أن نُواقعهنَّ قبل القسمة فوقعنا في الفتنة؛ أي: الإثم.

وقيل: أراد به: إنَّا نشتغل بهنَّ ونُفتَتنُ بهن فيشغلُنا ذلك عن طلب المعاش وعن الخروج للجهاد.

وأيَّ ذلك أراد لم يَعذره(٣)، وبيَّن أنه قد وقع في الفتنة لمخالفة النبي ﷺ.

قال أبو العالية: كان الأصفرُ رجلاً من الحبشة ملَك الروم فوُلدت له بناتٌ لُعْسٌ(٤) لم يُرَ مثلُهن في الحسن.

وقال الإمام القشيري رحمه الله: أَبرَزَ القوم قبيحَ فعالهم(٥) في مَعرِض

---

(١) انظر: «السيرة النبوية» لابن هشام (٥/ ٥١٦)، و«تفسير الطبري» (١١/ ٤٩٢)، و«تفسير الثعلبي» (٣/ ٢٠٧)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ٢٤٧ ـ ٢٤٨). وقد رواه ابن إسحاق ومن طريقه الطبري عن الزهري وجماعة من أشياخه مرسلاً، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٨٠٩) متصلاً من طريق بن إسحاقَ ثنا سعيدُ بنُ عبد الرحمن بنِ حسانَ بنِ ثابتٍ عن جابر بن عبد الله قال: سمعْتُ رسولَ اللهِ ـ ﷺ ـ يقول لجَدِّ بنِ قيسٍ.. فذكره. ورواه بنحوه الطبراني في «الكبير» (١٢٦٥٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وفي إسناده يحيى الحماني وهو ضعيف كما قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٣٠).

(٢) في (ف): «دعونه».

(٣) في (أ) و(ر): «لم يُعذر».

(٤) جمع لعساء، وهي التي في لونها أدنى سواد مشربة من الحمرة. انظر: «القاموس» (مادة: لعس).

(٥) في (ر): «قبح أفعالهم».

التحرُّج[1]، وراموا التلبيسَ على رسول الله ﷺ وعلى المؤمنين سوءَ سيرتهم وخبثَ سريرتهم، فبيَّن الله تعالى أن الذي فرُّوا منه بزعمهم سقطوا فيه بفعلهم[2].

***

(٥٠) ـ ﴿إِن تُصِبۡكَ حَسَنَةٞ تَسُؤۡهُمۡۖ وَإِن تُصِبۡكَ مُصِيبَةٞ يَقُولُواْ قَدۡ أَخَذۡنَآ أَمۡرَنَا مِن قَبۡلُ وَيَتَوَلَّواْ وَّهُمۡ فَرِحُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِن تُصِبۡكَ حَسَنَةٞ تَسُؤۡهُمۡ﴾: أي: إنْ تنَلْك غنيمةٌ ونصرٌ وعافيةٌ[3] كما كانت يوم بدر يحزُنهم ذلك؛ أي: هؤلاء المنافقين.

وقوله تعالى: ﴿وَإِن تُصِبۡكَ مُصِيبَةٞ﴾: أي: نكبةٌ وهزيمةٌ، وقيل: كما كانت يوم أحد.

﴿يَقُولُواْ قَدۡ أَخَذۡنَآ أَمۡرَنَا مِن قَبۡلُ﴾: أي: قد كنَّا أخذنا حِذْرنا واحتطْنا لأنفسنا بالتخلُّف عنهم، وأخذنا أمرنا بالوثيقة.

﴿وَيَتَوَلَّواْ وَّهُمۡ فَرِحُونَ﴾: مسرورون بما أصاب المسلمين.

***

(٥١) ـ ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوۡلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾: قال الكلبي: أي: قل يا

---

(١) في (ر): «التحريج»، وفي (ف): «التخريج»، وفي مطبوع «اللطائف»: (التخرج)، والمثبت من (أ) ولعل المراد به: ادعاء التحرج إزاء بنات بني الأصفر للهروب من الخروج.

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٣٣).

(٣) في (ر): «ونصرة وعافية»، وفي (ف): «ونصر وعاقبة».

محمد لهؤلاء المنافقين: لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا في اللوح المحفوظ[١].

وقال الضحاك: إلا قضاءُ[٢] الله تعالى وقدرُه علينا.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: أي: إلا ما جاء به القرآن: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم﴾ الآية [التوبة: ١١١][٣].

وقوله تعالى: ﴿هُوَ مَوْلَىٰنَا﴾ أي: مالكُنا ونحن عبيدُه.

وقال الكلبي: هو ناصرُنا على عدونا[٤]، وفي رواية عنه قال: هو أولى بنا من أنفسنا في الموت والحياة[٥].

وقيل: هو وليُّنا.

وقيل هو متولِّي أمورنا وكافينا[٦].

وقوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾: أي: فلْيَثِقْ به الموحِّدون.

وقال الإمام القشيري رحمه الله: إذا علم العبد أن ما أصابه فبإرادةِ مولاه سقط عن قلبه ما يهواه، واشتغل بروحِ رضاه، وعذُبَ عنده ما صعُبَ من بلواه، وأنشدوا في معناه:

إن كان يرضيكمُ مرضاةُ حاسدِنا[٧] ... فما لجرحٍ إذا أرضاكمُ ألمُ

---

(١) انظر: «البسيط» (١٠/ ٤٨٠).

(٢) في (أ): «قضاه» وفي (ف): «قضاء» بدل: «إلا قضاء».

(٣) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٥/ ٣٨٦).

(٤) ذكره الواحدي في «البسيط» (١٠/ ٤٨٢) عن ابن عباس، فلعله مما روي من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس.

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٥٣).

(٦) في (ر): «وكفايتنا». والكلام من قوله: «وقوله تعالى: ﴿هُوَ مَوْلَىٰنَا﴾» إلى هنا سقط من (أ).

(٧) في «اللطائف»: (إن كان سركم ما قال حاسدنا).

وقال: شهودُ جريانِ التقدير يخفِّف على العبد كلَّ عسير.

وقال: أول التوكُّل الثقةُ بوعده، ثم الرضا باختياره، ثم نسيان أمورك بما يغلب على قلبك من أذكاره.

وقال: بداية التوكُّل سكونُ السرِّ عند حلول الأمر، ونهايتُه التفويضُ وهو استواءُ الحلو والمرّ والنعمة والضرّ[1].

***

(٥٢) ـ ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ﴾: ﴿هَلْ﴾ استفهامٌ بمعنى النفي، والتربُّص: الانتظار، و﴿ٱلْحُسْنَيَيْنِ﴾: تثنيةُ الحُسنى، والحُسنى تأنيثُ الأحسن، والأحسنُ تفضيلُ الحسَن، وأريد به نعتُ الحالتين أو الخصلتين.

ومعناه: قل يا محمد: ما تنتظِرون يا معشر المنافقين بنا إلا واحدةً من خَصلتين، وكلُّ واحدة منهما نهايةٌ في الحُسن غايةٌ فيما يُحمد في العاقبة[2]، وهي الغنيمة أو الشهادة، فليس مما يجري علينا من جهتكم موضعُ شماتة.

قال الكلبي: ﴿إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ﴾: النصر أو الشهادة.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: أي: إمَّا أن نُقتلَ ففيه الحياةُ والرزقُ، وإمَّا أن نَغلِب فيؤتينا الله أجراً عظيماً، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٧٤][3].

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٣٣ ـ ٣٤).

(٢) في (أ): «من العافية».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٤٩٧).

وقال الحسن: هي الغنيمةُ في الدنيا والجنةُ في الآخرة.

وقال ابن كيسانَ: شهادتُنا، أو إسلامُكم بدعوتنا.

وقال الإمام أبو القاسم بن حبيب: سألني بعضهم: كيف قال: ﴿إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ﴾ والمؤمن ينتظِر كلتا الحسنيين: الفتحَ في الدنيا والثوابَ في الآخرة بوعدِ الله تعالى: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ﴾ [الصف: ١٠] إلى قوله: ﴿وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾ [الصف: ١٣]؟

فقلت: هذا خطاب المنافقين، وكانوا يتربَّصون بالمؤمنين أحدَ الأمرين: إما أن يُنصروا، وإما أن يُقتلوا، فأَخبر أنهم إن غَلبوا كانت لهم حُسنى وإن غُلبوا فكذلك، وأما المؤمنُ فإنه ينتظر في الجهاد كلتا الحسنيين.

وقوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا﴾: قال ابن جريج: ﴿مِّنْ عِندِهِۦٓ﴾: الموت ﴿أَوْ بِأَيْدِينَا﴾: القتل[1].

وقال الكلبيُّ: ﴿بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ﴾ مما[2] أصاب الأممَ الخالية[3]، وبما شاء الله من العذاب والنقمة ﴿أَوْ بِأَيْدِينَا﴾: بالسيف.

وقال ابن كيسان: ﴿بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ﴾[4] فيعاقبكم في الدنيا في أنفسكم وفي الآخرة بالنار ﴿أَوْ بِأَيْدِينَا﴾ إن أظهرتم ما في قلوبكم قتلناكم[5].

وقوله تعالى: ﴿فَتَرَبَّصُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ﴾: قال الكلبيُّ: أي: انتظِروا هلاكنا فإنا ننتظر هلاككم.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٤٩٧) من طريق ابن جريج عن ابن عباس رضي الله عنهما، وهو منقطع.

(٢) في (أ): «بما».

(٣) ذكره الواحدي في «البسيط» (١٠/ ٤٨٥) بلفظ: (كما أصاب...).

(٤) في (أ) و(ف): «بعذاب الله من عنده».

(٥) ذكره الواحدي في «البسيط» (١٠/ ٤٨٥).

وقال الحسن: ﴿فَتَرَبَّصُوٓاْ﴾ مواعيد الشيطان، فإنه كان يمنِّيهم موتَ النبيِّ ﷺ؛ قال: ﴿أَمۡ يَقُولُونَ شَاعِرٞ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيۡبَ ٱلۡمَنُونِ﴾ [الطور: ٣٠] ﴿إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ﴾ مواعيدَ الله من إظهار دينه واستئصال مَن خالفه[١].

وقال الإمام القشيري رحمه الله: إن ظفرنا بكم فنصرٌ وغنيمة، وإعزازٌ للدِّين ورفعة، وإن قُتلنا فشهادةٌ ورحمة، ورضوانٌ من الله وزلفة، وإن أصابتنا هزيمةٌ ونكبة، فذلك سبب لنيل الأجر والمثوبة، فإذاً لا يستقبلنا إلا ما هو حسن ونعمة[٢]، وأما أنتم فإنْ ظفرنا بكم فتعجيلُ ذلٍّ لكم ومحنة[٣]، وإن قُتلتم فعقوبةٌ من الله وسَخطة، وإن كانت لكم اليدُ في الحال فخذلانٌ من الله وتخلية، وسببُ زيادة عذابٍ ونقمة[٤].

* * *

(٥٣) ـ ﴿قُلۡ أَنفِقُواْ طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمۡ إِنَّكُمۡ كُنتُمۡ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قُلۡ أَنفِقُواْ طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمۡ إِنَّكُمۡ كُنتُمۡ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ﴾: ﴿أَنفِقُواْ﴾ أمرٌ صيغةً ومعناه الشرط؛ كقول الشاعر:

أسيئي بنا أو أحسني لا ملومة ... لدينا ولا مَقْلِيَّة إنْ تَقَلَّتِ[٥]

كأنه قال: إن أسأتِ أو أحسنتِ لا[٦] تلامي، فكذا هذا: إن أنفقتُم طوعاً بالاختيار

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٥٣)، والواحدي في «البسيط» (١٠/ ٤٨٥).

(٢) في (ر): «إلا ما هو حسنى».

(٣) في (ر) و(ف): «فتعجيل ذلك لكم»، وفي «اللطائف»: (فتعجيل لذلِّكم ومحنة).

(٤) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٣٤).

(٥) البيت لكثير عزة، وهو في «ديوانه» (ص: ٨٠)، و«معاني القرآن» للفراء (١/ ٤٤١)، و«الشعر والشعراء» (١/ ٥٠٦).

(٦) في (أ): «لن».

أو كرهاً بالإجبار لن يُتقبل منكم؛ لأنكم كنتم في القِدَم[١] فاسقين منافقين خارجين عن الطاعة والإخلاص، وإنما يتقبل الله من المتقين، وطوعُ المنافق لا يكون لرجاء ثواب الله ولطلب رضا الله، لكن ما يفعله بطبعه فهو من طوعه، وكرهُه ما يُطلب منه ويُجبر عليه.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: نزلت في جَدِّ بن قيس حيث قال: ﴿ٱئۡذَن لِّي وَلَا تَفۡتِنِّيٓ﴾ وأُعِيْنُك بمالي، فنزلت هذه الآية[٢].

وقال القشيريُّ رحمه الله: المردود لا يُقبل منه توسُّلٌ، ولا يغيِّر حكمَ شقاوته تكلُّفٌ ولا تعمُّل.

وقيل: تقرُّبُ العدو يُوجب زيادة المقت، وتحبُّبُ[٣] الحبيب يُوجب زيادةَ العطف، قال الله تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖ﴾ [الفرقان: ٧٠][٤].

* * *

(٥٤) - ﴿وَمَا مَنَعَهُمۡ أَن تُقۡبَلَ مِنۡهُمۡ نَفَقَٰتُهُمۡ إِلَّآ أَنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأۡتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمۡ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمۡ كَٰرِهُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَهُمۡ أَن تُقۡبَلَ مِنۡهُمۡ نَفَقَٰتُهُمۡ إِلَّآ أَنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأۡتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمۡ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمۡ كَٰرِهُونَ﴾: (مَنَع) يتعدَّى إلى مفعولين، تقول: منعتُ زيداً مرادَه، وهاهنا أحدُ المفعولين: هم، والثاني: ﴿أَن تُقۡبَلَ﴾

(١) في (ف): «القديم».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٤٩٩) من طريق ابن جريج عن ابن عباس رضي الله عنهما، وهو منقطع.

(٣) في (ر) و(ف): «وتحية»، والمثبت من (أ) و«اللطائف».

(٤) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٣٤).

لأنه في معنى المصدر، وتقديره: وما منع المنافقين قبولَ نفقاتهم في سفرهم معك وفي غير ذلك طوعاً أو كرهاً إلا كفرُهم بالله وبرسوله، وهو رفعٌ لأنه فاعل.

وكما لا تُقبل نفقاتهم لا تُقبل صلاتهم لكفرهم، وهم لنفاقهم لا يأتونها إلا متثاقِلين؛ لأنهم لا يرجون بأدائها ثواباً ولا يخافون بتركها عقاباً، ولا ينفقون شيئاً إلا على كراهةٍ منهم.

ثم ذمُّهم على الكسل مع أنه لا صلاةَ لهم ذمٌّ على النفاق الذي يَبعث على الكسل، وفَقْدِ الإيمان الذي يَبعث على النشاط.

وقال الإمام القشيري رحمه الله: فقَدوا الإخلاص في أعمالهم فعَدِموا الاختصاصَ في أحوالهم، وحُرِموا الخلاص في عاجلهم ومآلهم(١).

* * *

(٥٥) ـ ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ وقال ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة: فيه تقديم وتأخير؛ فلا تعجبْك أموالهم ولا أولادهم في الحياة الدنيا إنما يريد الله ليعذبهم بها في الآخرة(٢).

وقال الحسن: هي على نَظْمها، ومعناه: يعذبهم بها في الدنيا بأخذ الزكَوات منهم بغيرِ طيبةِ نفسٍ منهم، والإنفاق في سبيل الله كذلك.

وقال [ابن] زيد: أي: بالمصائب(٣).

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٣٥).

(٢) «إنما يريد الله ليعذبهم بها في الآخرة» ليس في (ف).

(٣) روى هذه الأقوال الطبري في «تفسيره» (١١/ ٥٠٠ ـ ٥٠١).

وقيل: أي: بكونهم مكظومين، وقد غصُّوا[١] بما يُضمِرونه من النفاق ويَرونه من علوِّ المسلمين عليهم، ولا سبيل لهم إلى إظهار ما في نفوسهم[٢].

ومعنى قوله: ﴿لِيُعَذِّبَهُم﴾؛ أي: أن يعذِّبهم.

وقيل: فيه إضمار: إنما يريد الله أنْ يمليَ لهم فيها ليعذِّبهم[٣]، وإنْ حُملت الآية على المشركين فتعذيبُهم في الدنيا قد يكون بالسبي والاستغنام.

وقوله تعالى: ﴿وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ﴾: أي: تخرجَ أرواحهم ﴿وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾؛ أي: حالَ الكفر.

وقيل: ﴿تَزْهَقَ﴾: تذهب، قال تعالى: ﴿وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ [الإسراء: ٨١].

وقيل: تَهْلِكَ؛ قال تعالى: ﴿وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ﴾؛ أي: هلك.

ودلَّت الآية على إبطال القول بالأصلح؛ لأنه أخبر أن إعطاء المال والأولاد إياهم للتعذيب والإماتةِ على الكفر.

ودل قولُه تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ﴾ على إرادة الله أفعالَ العباد كلِّها خيرَها وشرَّها؛ لأن إرادة العذاب إرادةُ ما يعذَّب عليه.

***

(٥٦) ـ ﴿وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ﴾: أي: على دينكم وطريقتكم ﴿وَمَا هُم مِّنكُمْ﴾؛ أي: على دينكم الإسلام ﴿وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ﴾؛ أي: يخافونكم

---

(١) في (ف) و(أ): «عصموا».

(٢) في (أ): «أنفسهم».

(٣) «ليعذبهم» من (ر).

على أنفسهم إن صرَّحوا[١] لكم بما في قلوبهم، فلذلك يحلِفون إنهم لمنكم، قال تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ﴾ [المجادلة: ١٦]، وقال تعالى: ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ﴾ [المنافقون: ٤].

* * *

(٥٧) ـ ﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً﴾: قال ابن عباس رضي الله عنهما: أي: حِرزاً. وقال قتادةُ: أي: حِصناً[٢].

وقال عطاءٌ: مَهْرباً[٣].

﴿أَوْ مَغَارَاتٍ﴾: جمع مغارة، قال ابن عباس رضي الله عنهما: أي: غيراناً[٤]، جمع غارٍ، والغار: الثَّقب الواسع في الجبل.

وقيل: المغارة: المدخلُ الساتر، وقيل: المغارات: المكامِن التي يُتوارى فيها.

﴿أَوْ مُدَّخَلًا﴾: مفتعلاً من دخل، وهو موضع الدخول.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: أي: سَرَباً[٥]، وقال الضحاك: مأوًى[٦].

وقوله تعالى: ﴿لَوَلَّوْا إِلَيْهِ﴾: أي: وجوههم[٧].

---

(١) في (ر) و(ف): «أن يصرحوا».

(٢) روى القولين الطبري في «تفسيره» (١١/ ٥٠٤).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٥٤)، والبغوي في «تفسيره» (٤/ ٥٩).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٥٠٤).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٥٠٤).

(٦) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٥٤)، والبغوي في «تفسيره» (٤/ ٥٩).

(٧) «أي: وجوههم» ليست في (أ) و(ف).

وقوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾: أي: يُسرعون لا يردُّهم شيءٌ، من الفَرَس الجَموح الذي لا يردُّه اللِّجام.

يقول: يحلفون لكم إنهم لمنكم كاذبين خوفاً من القتل؛ لتعذُّر خروجهم من بلادكم، ولو استطاعوا ترك دورهم وأموالِهم والالتجاءَ إلى بعض الحصون أو الغِيران -أي: المواضع التي تسترهم عن رؤيتكم- لفعلوه استثقالاً لكم وتكرُّهاً للقائكم.

وقال ابن كيسان: ﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَئًا﴾ قوياً[1] يأمنون فيه، ﴿أَوْ مَغَارَاتٍ﴾: غيراناً يَسْتَخْفون فيها ﴿أَوْ مُدَّخَلًا﴾ في أهل حربكم لا ينالهم منكم ما يخافون من القتل والأسر، لأسرعوا إلى واحد من الثلاثة ﴿وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾: يركبون رؤوسهم لا يَلْوون على شيء[2].

قال الإمام القشيري رحمه الله: إن المُماذق[3] في الخُلة ينسلُّ عن سِلكها بأضعف خَلَّة[4]، إن وجد مهرباً آوى إليه، وإن أمل نيلَ ما يعلَّل به انتهزه واتَّكل عليه[5].

* * *

(٥٨) - ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾.

---

(١) «قوياً» زيادة من (أ).

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» (١٣/ ٤١١) (ط: دار التفسير)، و«البسيط» (١٠/ ٤٩٧).

(٣) في (ف) و(أ): «المتمارق»، وفي (ر): «الممارق»، والمثبت من «اللطائف». والمماذق: الذي لا يخلص في وده.

(٤) الخلة بالضم: الصداقة، وبالفتح: الحاجة.

(٥) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٣٦).

وقوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ﴾: قرأ الحسن والأعرج وسهل ويعقوب: ﴿يَلْمُزك﴾ بضم الميم[١]، وقرأ القرَّاء[٢] بكسرها وهما لغتان.

وقال الحسن: أي: يَعيبك[٣].

وقيل[٤]: اللمزُ: العيب مُسَارَّةً، والهمز: العيب مجاهَرةً؛ قاله الزجَّاج[٥]، قال الله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾.

وقال قتادة: ﴿يَلْمِزُكَ﴾؛ أي: يَطعن عليك[٦].

وقال عطاء: أي: يغتابك[٧].

أي: ومن المنافقين مَن يعيبك في إعطاء الصدقات أهلَها، فيقول: إن محمداً يفرِّق الصدقات على شهوته، فيعطي مرة ويَحْرِم مرة أخرى، ويعطي واحداً ويَحْرِم آخر، ويعطي الأغنياء المؤلَّفةَ قلوبهم ويمنع الفقراء، فيَلمزك لجهله بمواضع الأحكام.

وقوله تعالى: ﴿فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾: أي: إن

---

(١) انظر: «النشر» (٢/ ٢٧٩) عن يعقوب. و«تفسير الثعلبي» (٥/ ٥٦) عن الحسن والأعرج وأبي رجاء وسلام ويعقوب.

(٢) في (ف): «وعامة القراء» بدل: «وقرأ القراء».

(٣) انظر: «البسيط» (١٠/ ٥٠٠) عن الكلبي.

(٤) كلمة: «قيل» من (أ)، وفي (ر): «قال»، وليست في (ف).

(٥) في النسخ: «وقال الزجاج»، والصواب المثبت. انظر: «تفسير ابن كمال باشا» عند هذه الآية، وانظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٤٥٦). وظاهر كلامه اختيار عدم الفرق بينهما، وكذا في تفسير سورة الهمزة (٥/ ٣٦١).

(٦) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٠٩١)، والطبري في «تفسيره» (١١/ ٥٠٦).

(٧) انظر: «تفسير الثعلبي» (٥/ ٥٦) عن عطاء، و«البسيط» (١٠/ ٥٠٠) عن عطاء عن ابن عباس.

أعطاهم النبيُّ عليه السلام منها ما أرادوا رضُوا وذكروه بالجميل وأثنوا عليه، وإن لم يعطهم منها غضبوا منه وطعنوا عليه.

قال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه: بينا رسول الله ﷺ يقسم مالاً إذ جاءه ابن أبي الخويصرة ـ وهو حُرقوصُ بن زهير ـ التميميُّ عظيم من عظماء المنافقين، فقال: اعدل يا رسول الله، قال: «ومَن يَعدِلْ إن لم أعدلْ؟!» فقال عمر رضي الله عنه: ائذن لي أضربْ عنقه، فقال: «دَعْه، فإن له أصحاباً يَحْقِر أحدكم صلاته في صلاتهم، وصيامَه في صيامهم، يَمْرُقون من الدِّين كما يمرُق السهم من الرميَّة، وآيتُهم رجل أسودُ ذو ثدية مثل ثدي المرأة تَدَرْدَرُ[1]، يخرجون على فترة من الناس»، قال أبو سعيد رضي الله عنه: سمعتُ هذا من رسول الله ﷺ، وأشهد أن عليّاً حين قتلهم[2] جيء بالرجل على النعت الذي وَصف رسول الله ﷺ[3].

وروي أنَّ هذا الطاعن كان رجلاً غائر العينين كثَّ اللحية مشرِفَ الجبهة، فقال لرسول الله ﷺ: اعدل فإنك لم تعدل! فقال عليه السلام: «لا تأمنوني وأنا أمينُ ربي؟» ثم قال: «يخرجُ من ضِئضئ هذا قومٌ يقرؤون القرآن يقتلون أهل الصلاة»[4].

ولما خرج قال النبي عليه السلام: «مَن يقوم إلى هذا فيقتله؟» فقال أبو بكر رضي الله عنه: أنا يا رسول الله فذهب فوجده قائماً في الصلاة، فرجع وقال:

---

(١) قوله: «ذو ثدية مثل ثدي المرأة تَدَرْدَرُ» كذا في النسخ، ولفظ الصحيحين: «إحدى عَضُدَيْه مِثْلُ ثَدْي المرأة، أو مثلُ البَضْعَة تَتَدَرْدَرُ»، وفي رواية للبخاري: «إحدى يديه...»، والباقي كالأولى، وفي أخرى: «إحدى يديه ـ أو قال: ثَدْيَيْه ـ مثلُ ثَدْي المَرأة، أو قال: مِثْلُ البَضْعة تَدَرْدَرُ». والبَضعة: القطعة من اللحم، وتدردر: تضطرب وتذهب وتجيء.

(٢) قوله: «قتلهم» كذا في رواية للبخاري، وفي باقي روايات الصحيحين: «قاتلهم».

(٣) رواه البخاري (٣٦١٠) و(٦١٦٣) و(٦٩٣٣)، ومسلم (١٠٦٤/ ١٤٨).

(٤) رواه البخاري (٣٣٤٤)، ومسلم (١٠٦٤/ ١٤٣) من حديث أبي سعيد رضي الله عنه.

يا رسول الله، وجدته في القيام، وقال عليه السلام: «مَن يقتله؟» فقال عمر رضي الله عنه: أنا، فذهب فوجده في الركوع، فقال: لم يقتله الصدِّيق في القيام فكيف أقتلُه في الركوع؟ فرجع فقال: يا رسول الله وجدتُه في الركوع، ثم أعاد رسول الله ﷺ ذلك فقال عثمان رضي الله عنه: أنا أقتلُه، فذهب فوجده في السجود فقال: إن أبا بكر وعمر لم يقتلاه بالقيام والركوع فكيف أقتلُه في السجود؟ فرجع فأعاد رسول الله ﷺ الكلام، فقال عليٌّ رضي الله عنه: أنا أقتلُه، فقال عليه السلام: «تقتلُه إن وجدتَه» فلم يجده فرجع، فقال عليه السلام: «قد قلتُ إنك لا تجده، لكن هلاكه يكون على يديك»، وكان كذلك، وقتل فيمَن خرج بالنَّهْرَوَان ذلك على عهد عليٍّ رضي الله عنه(١).

***

(٥٩) ـ ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ﴾: أي: ما آتاهم رسول الله فإنه يؤتى بأمر الله، قال عليه السلام: «الله المعطِي وأنا القاسمُ»(٢)، وقال عليه السلام: «والذي نفسي بيده ما أعطيكم شيئاً ولا أمنعُكم، إنما أنا خازن»(٣).

وقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ ﴾: أي: كافينا ورازقُنا من حيث شاء، فيعطينا كفايتَنا وإن تأخَّرت.

وقوله تعالى: ﴿سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾: فما آتاه فهو فضلٌ منه سواءٌ كان بكسب العبد أو بغير كسبه.

---

(١) لم أجده.

(٢) رواه البخاري (٣١١٦) من حديث معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٥٠٦) عن قتادة مرسلًا.

وقوله تعالى: ﴿وَرَسُولُهُۥٓ﴾ أي: سيؤتينا رسوله بأمره.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ﴾: أي: في توسعة أرزاقنا علينا من حيث نشاءُ، وفي آخره مضمرٌ؛ أي: لكان خيراً لهم، وهو أبلغ من الذكر؛ لأن النفْس تذهب فيه كلَّ مذهبٍ والذِّكر يَقصُره على ما ذُكر دون غيره.

وقال الإمام القشيري رحمه الله: لو وقف القوم مع الله بشرطِ الرضا لآتاهم[١] فنون العطاء، ولو حفظوا مع رسوله الأدبَ لسُعِدوا بوجدان الأَرَب من غير معاناة تعبٍ ولا مقاساةِ نَصَبٍ، لكنهم عرَّجوا في أوطان الطمع فوقعوا في الذل والحَرَب[٢].

* * *

(٦٠) ـ ﴿۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾: بيَّن مصارفَ الصَّدقات في هذه الآية، وردَّ على[٣] مَن عاب النبيَّ ﷺ في صرف الصدقات إلى حيث كان يصرف وأعلم أن الله عزَّ وعلا أمره بذلك، وأن الذين كانوا يطمعون فيها لم يكونوا مستحقِّيها فإنهم كانوا أغنياء، والله تعالى جعل مصارفها للفقراء، فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ﴾ وليست اللام دلالةَ الملك بينهم بالسويَّة فإنهم مجهولون، والمجهولون لا يَصْلُحون للاستحقاق بطريقِ الملك، بل هي لبيان أن الصرف لهم

---

(١) في «لطائف الإشارات»: (بسر الرضا لأتتهم).

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٣٧).

(٣) «على» ليست في (أ).

دون غيرهم؛ كما يقال: الخلافة لبني العباس، وميراثُ فلان لقرابته؛ أي: ليست لغيرهم، لا أن تكون بينهم بالسويَّة [١].

ثم الفقرُ هو شدةُ الحاجة، والمسكنةُ في معناه، لكنْ تدلُّ على انكسار صاحبها وتَذَلُّلِهِ، فإن المسكين عند الناس اسمٌ للمرحوم، والمغايرةُ في الاسم تدلُّ على نوعِ تفاوتٍ.

واختُلف في أن الفقير أضعف حالاً أم المسكين؟

قال فقهاء العراق أبو حنيفة وغيرهم رضوان الله عليهم: الفقير: الذي لا يَسأل؛ لأن عنده ما يكفيه للحال، قال الشاعر[٢]:

أما الفقيرُ الذي كانت حَلوبَتُه ... وَفْقَ العيال فلم يُترك له سَبَدُ[٣]

والمسكين أضعفُ حالاً منه، وهو الذي يَسأل لأنه لا يجد شيئاً، قال الله تعالى: ﴿أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ [البلد: ١٦]؛ أي: لَصِق بالتراب لقُربه.

وهو قول عامَّة السَّلف، وهو اختيار يونسَ البَصري وأبي العباس ثعلبٍ الكوفي.

وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما والحسنِ وجابر بن زيد والزهريِّ ومجاهدٍ: أن الفقير المتعفِّفُ الذي لا يَسأل، قال الله تعالى ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ﴾ إلى قوله: ﴿لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾ [البقرة: ٢٧٣]، والمسكين

---

(١) في (أ): «بالتسوية».

(٢) «قال الشاعر» من (ف).

(٣) البيت للراعي النميري، وهو في «ديوانه» (ص: ٦٤)، و«تفسير الثعلبي» (٥/ ٥٨)، و«البسيط» (١٠/ ٥٠٣). السبد بالتحريك: القليل من الشَّعر، يقال: ما له سبد ولا لبد؛ أي: لا قليل ولا كثير. انظر: «القاموس» (مادة: سبد).

الـذي يَسـأل[1]، وقد بينّا أن المسـألة تشـيرُ إلى المذلّـة وهي ظاهرة[2] في المسـألة.

وقال الشافعي رضي الله عنه: الفقير أضعف حالاً[3]؛ لأن الاسم من كَسْرِ الفَقَار، وهو نهايةُ الاضطرار، وأما المسكين فهو الذي يَسكن قلبه إلى شيءٍ وهو معه، وقد قال الله تعالى: ﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ﴾ [الكهف: ٧٩].

وقيل: الفقراء أهلُ الصُّفَّة، وكانوا لا يخرجون ولا يَسألون شيئاً ولا يملكون شيئاً، والمساكين هم الطوَّافون السائلون، ولذلك قال عليه السلام: «ليس المسكينُ الذي تردُّه اللُّقمة واللقمتان والتمرةُ والتمرتان، لكن المسكين الذي لا يَسأل الناس شيئاً، ولا يُفطَنُ لمكانه فيُتصدَّقَ عليه»[4]، وهو دليل على أنهم كانوا يطلقون هذا الاسم على السُّؤَّال الذين يُتصدَّق عليهم بالكِسَر واللُّقَم.

ورُويت عن السلف ألفاظٌ مختلفة في الصنفين:

قال جابر: الفقراء فقراء المهاجرين، والمساكين الذين[5] لم يهاجروا[6].

وقال الحسن: الفقير الجالس في بيت، والمسكين الذي يتتبع[7].

---

(١) رواه عنهم الطبري في «تفسيره» (١١/ ٥٠٩ ـ ٥١٠)، وذكره عنهم الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٥٧)، والواحدي في و«البسيط» (١٠/ ٥٠١ ـ ٥٠٢).

(٢) في (ف): «وهذا ظاهره».

(٣) «حالًا» من (ف).

(٤) رواه البخاري (١٤٧٩)، ومسلم (١٠٣٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) بعدها في (ر): «يتصدق عليهم بالكسر واللقم»، وليست في المصادر.

(٦) ذكره عن جابر بن عبد الله الرازيُّ في «تفسيره» (١٦/ ٨٥)، ورواه أبو عبيد في «الأموال» (١٩٤١) عن ابن عباس رضي الله عنهما، ورواه أبو عبيد أيضاً في «الأموال» (١٩٤٠)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (١٠٥٩٣)، والطبري في «تفسيره» (١١/ ٥١١) عن الضحاك، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٥٧) عن النخعي والضحاك.

(٧) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٥٠٩) بلفظ: (... والمسكين الذي يسعى).

وقال قتادة: الفقير الذي به زَمانةٌ، والمسكين الصحيحُ المحتاج[١].

وقيل: الفقير الذي له دون النصاب، والمسكين الذي لا شيء له.

وقال عبد الرحمن بن أَبْزى: كان ناسٌ من المهاجرين لأحدهم الدار والزوجة والعبد والناقة يحج عليها ويغزو، وسماهم الله تعالى فقراء، وجعل لهم سهماً في الزكاة[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا﴾: هم عمالُ الصدقات يُصرَف إليهم منها ما يكفيهم وأعوانَهم كَفافاً لا إسرافاً.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ﴾: هم قومٌ من رؤساء العرب أسلموا، وكان رسول الله ﷺ يتألَّفُهم على الإسلام ويستدنيهم[٣] عليه، ويستدعي به إليه أتباعهم.

روى معمر عن يحيى بن أبي كثير أنهم من بني مخزوم: الحارث بن هشام وعبد الرحمن بن يربوع، ومن بني أمية: أبو سفيان بن حرب، ومن بني جُمَح: صفوان بن أمية، ومن بني عامر بن لؤي: سهيل بن عمرو وحُويطب بنُ عبد العُزّى بنِ أبي قيس[٤]، ومن بني أسد بن عبد العُزَّى: حكيم بن حزام، ومن بني هاشم: أبو سفيان بن حارث بن عبد المطلب، ومن بني فَزارةَ: عُيينةُ بن حِصنِ بن حذيفة، ومن بني تميم: الأقرع بن حابس، ومن بني نصرٍ: مالك بن عوف، ومن بني سليم: العباس بن مرداس، ومن بني ثَقيفٍ: العلاء بن حارثة[٥].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٥١١).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٥١٢).

(٣) في (ف): «ويستديمهم».

(٤) في (أ): «وحويصب بن عبد المطلب»، وفي (ر) و(ف): «وحويطب بن عبد العزى بن عبد المطلب»، والصواب المثبت.

(٥) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١١٠٣)، والطبري في «تفسيره» (١١/ ٥٢٠).

ومنهم: عَدِيُّ بن حاتم الطائيُّ، والزِّبْرِقان بنُ بدر، وزيدُ الخيل، ومَخرمةُ بن نوفلٍ، وعُمير بن وَهْبٍ، وهشام بن عمرٍو، وقيس بن عديٍّ، وأبو السَّنابل بنُ بَعْكَكٍ، وعلقمة بن عُلاثَةَ، وجدُّ بن قيس، وعمرو بن مرداس.

وقال الواقدي: قسَّم رسول الله ﷺ غنائم الطائف وحنينٍ بالجِعْرانة، وكان غَنِمَ أربعة آلاف أوقيةٍ، فأعطى المؤلَّفة قلوبهم أولَ الناس، وجاءه أبو سفيان بن حربٍ وبين يديه الفضةُ، فقال: يا رسول الله! أصبحت أكثر قريش مالاً، فتبسَّم رسول الله ﷺ، فقال أبو سفيان: أعطني من هذا المال يا رسول الله، فقال: «يا بلال، زِنْ لأبي سفيان أربعين أوقيةً، وأعطه مئة من الإبل»، فقال أبو سفيان: ابني يزيدَ أعطه، قال رسول الله ﷺ: «زِنُوا ليزيدَ أربعين أوقية وأعطُوه مئةً من الإبل»، فقال أبو سفيان: والله إنك لكريم، فداكَ أبي وأمي والله لقد حاربتُك فنعم المحاربُ كنتَ، ثم سالمتُك فنعم المسالمُ أنت، جزاك الله خيراً.

وأعطى صفوان بن أمية مئةً من الإبل، وكان يطوف مع النبيِّ ﷺ يتصفَّح الغنائم إذ مرَّ بشِعبٍ فيه إبلٌ وغنم كثيرة من الغنائم[1]، فجعل صفوان ينظر إليه متعجِّباً، قال رسول الله ﷺ: «أعجبكَ يا أبا وهب هذا الشِّعبُ؟» قال: نعم، قال: «هو لك وما فيه»، قال صفوان: أشهد ما طابت بهذا نفسُ أحد قطُّ إلا نبيٌّ، وأشهد أنك رسول الله عليك السلام.

وأعطى عيينةَ بن حِصن مئةً من الإبل، والأقرعَ بن حابس مئةً من الإبل، والعباس بنَ مرداس خمسين من الإبل، فعاتبه في أبيات:

أَتَجْعَـلُ نَهْبـي ونَهْـبَ العُبَيـ ـــدِ[2] بيـن عُيينَـةَ والأقـرعِ

(١) في (ف): «الغنيمة».

(٢) في هامش (أ): «العبيد: اسم فرس العباس بن مرداس».

وما كان حصنٌ ولا حابسٌ يفوقان مرداسَ في مَجمعِ
وما كنتُ دون امرئٍ منهما ومَن تضعِ اليومَ لا يُرفعِ
وقد كنتُ في الحرب ذا تُدرإٍ[١] فلم أُعطَ شيئاً ولم أُمنَعِ[٢]

فقال عليه السلام: «اقطعوا لسانه»، فهاب الناس، ثم أُعلموا أنه أراد به قطع كلامه بزيادة العطية، فأعطوه تمام[٣] مئة من الإبل[٤].

وكان رسول الله ﷺ يعطيهم كذلك كلَّ سنة، فلما قبض رسول الله ﷺ واستُخلف أبو بكر رضي الله عنه جاؤوا يستبدلون منه الخطَّ[٥] بذلك، فبذل لهم، فجاؤوا إلى عمر رضي الله عنه وعرضوا عليه الخطَّ وطلبوا منه التقرير، فأخذ ذلك منهم ومزقه وقال: كان النبي ﷺ يتألَّفكم على الإسلام، فأما اليوم فقد أعزَّ الله الإسلام، فالإسلامُ أعز من أن يُرشى عليه، فإن ثبتُّم على الإسلام بغير رشوة وإلا فبيننا وبينكم السيف، فعادوا إلى أبي بكر وقالوا: أنت الخليفة أم عمر؟ فقال: هو إن شاء[٦]. فسقط سهم المؤلفة قلوبهم بإجماع الصحابة رضي الله عنهم.

---

(١) أي: ذا دفع، من قولك: درأه، إذا دفعه.

(٢) روى هذه القطعة من الخبر ـ دون البيت الأخير ـ مسلم (١٠٦٠) من حديث رافع بن خديج رضي الله عنه.

(٣) «تمام» ليست في (أ).

(٤) انظر: «مغازي الواقدي» (٣/ ٩٤٤ ـ ٩٤٧).

(٥) في (أ): «مستبدلين منه الخطة».

(٦) رواه بنحوه البخاري في «التاريخ الأوسط» (١/ ٨١)، والفسوي في «المعرفة والتاريخ» (٣/ ٣١٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٨٢٢)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٧/ ٢٠)، والخطيب في «الجامع» (٢/ ٣٠٤)، عن عبيدة السلماني، ورواه بنحوه أيضاً الإمام أحمد في «فضائل الصحابة» (٣٨٣) عن نافع.

وقوله تعالى: ﴿وَفِي ٱلرِّقَابِ﴾: أي: المكاتَبين، يُعطَون شيئاً[1] من الصدقات فيؤدُّون بها بدلَ الكتابة فينالون به العِتق.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلْغَـٰرِمِينَ﴾: أي: المديونينَ[2] الذين ليس لهم بعد قضاءِ الدَّين ما يقع به الغنى.

وقوله تعالى: ﴿وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: أي: الغزاةِ المحتاجين، وإن كانوا أغنياءَ بأموالهم خلَّفوها في بلدهم.

وقوله تعالى: ﴿وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾: أي: الغريبِ البعيد عن ماله.

وقوله تعالى: ﴿فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ﴾: أي: إيجاباً من الله؛ أي: يُصرف إليهم ولا يصرف إلى غيرهم.

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾: أي: بمصالح عباده ﴿حَكِيمٌ﴾؛ أي: في أحكامه.

ثم عند الشافعي رضي الله عنه: لا بد أن يصرف إلى الأصناف السبعة ـ فقد سقط سهم المؤلفة قلوبهم ـ من كلِّ صنفٍ ثلاثةٌ تحقيقاً لمعنى الجمع.

وعندنا: إن صُرف إلى صنف واحد وإلى شخصٍ واحد جاز؛ لأنهم ذُكروا البيان أسباب الحاجة، ألا ترى أنه قال في آية أخرى: ﴿وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢٧١]، وقال عليه السلام لمعاذ بن جبلٍ رضي الله عنه: «خُذْها من أغنيائهم ورُدَّها في فقرائهم»[3]، فأَوجب الصرف إلى المحتاجين، ثم بيَّن بهذا

---

(١) «شيئاً» من (ر).

(٢) في (ر): «أي في الديون».

(٣) رواه البخاري (١٣٩٥)، ومسلم (١٩) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

النصِّ أسباب الحاجة، فصاروا صنفاً واحداً في التحقيق، وهو مذهبُ عامة الصحابة رضي الله عنهم: عمرَ وعليٍّ وابنِ مسعود وابنِ عباس وحذيفةَ وغيرِهم، وكذا قال جماعة من التابعين: سعيد بن جبير والضحاك وأبو العالية وإبراهيم النخعي وميمون بن مهران[١].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: أيَّ صنفٍ أعطيتَه من هذه الأصناف[٢] جاز.

قال حذيفة: إن شئتَ جعلتَها في صنفٍ واحد[٣] وإن شئتَ جعلتَها في صنفين.

وقال سعيد بن جبير: لو وضعتَها في صنفٍ واحد أجزأ عنك، ولو نظرت إلى أهل بيت من المسلمين فقراءَ متعفِّفين فجَبَرْتَهم[٤] بها كان أحبَّ إليَّ[٥].

وقال الإمام القشيري رحمه الله: الفقير الصادق عندهم: مَن لا سماءَ تُظِلُّه ولا أرضَ تُقِلُّه، ولا سِمةَ[٦] تتناوله، ولا معلوم يَشغلُه، ولا علاقة تَقطعه، فهو عبدُ الله بالله[٧]، يُردُّ[٨] إلى التمييز في أوان العبودية، وفي غير هذا الوقت مُصْطلَمٌ عن شواهده فانٍ عن أغياره.

---

(١) روى أقوال هؤلاء الأئمة من الصحابة والتابعين ـ عدا عليًّا والضحاك ـ الطبري في «تفسيره» (١١/ ٤٣١ ـ ٤٣٢).

(٢) «من هذه الأصناف» من (أ).

(٣) بعدها في (ر): «أجزى عنك».

(٤) في (أ) و(ر): «فخيرتهم»، والمثبت من (ف) وهو الموافق لما في «تفسير الطبري». والجبر: أن تغني الرجل من فقر.

(٥) روى هذه الأقوال الطبري في «تفسيره» وقد تقدم قريباً تخريجها.

(٦) في (ف) و(أ): «سمة».

(٧) في (ف) و(أ): «عند الله بالله». وفي مطبوع «اللطائف»: (عبد بالله لله).

(٨) في «اللطائف»: (يرده).

وقيل: الفقير: مكسور الفَقَار، فهو عندهم: مَن سقط اختيارُه، وتعطَّلت عنه ديارُه، واندرست في استيلاءِ مَن اصطَلَمه آثارُه، وكأنه لم يبق منه إلا أخبارُه، قال الشاعر:

أمـا الرُّسـومُ فـمُـخْـبِـراتٌ أنـهـم   رحَلوا قريبـاً مـن جِـوار المنـزلِ[1]

وأما المسكين: فهو الذي أسكنَتْه حالتُه بباب معبوده، لا يَبرح عن سدَّته، فهو معتكِفٌ بقلبه، لا يغفل لحظةً عن ربِّه، وهي مراتبُ الحاجة والفقر والمسكنة:

فذو الحاجة: مَن يرضى بدنياه وتسدُّ الدنيا فقره.

والفقير: الذي يكتَفي بعُقباه وتَجبُر الجنة فقرَه.

والمسكين: الذي لا يرضى بغير مولاه، لا إلى الدنيا يلتفت، ولا بالآخرة يشتغل، ولا بغير مولاه يكتفي.

* * *

(٦١) ـ ﴿وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ﴾: أي: ومن المنافقين قومٌ يؤذون النبيَّ عليه السلام.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: لم يبيِّن بماذا يؤذونه؟ فيحتمِلُ أنهم كانوا يُؤذونه بتكذيبه وتركهم إجابتَه وطاعتَه، ويحتمِل أنهم يؤذونه بكلماتٍ يُسمعونه وطعنٍ يَطعنون به.

وقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ﴾ قال أبو عَوسجةَ: هو الذي مَن قال له شيئاً

---

(١) «من جوار المنزل» من (ر)، وليس في (أ) و(ف) و«اللطائف».

سمعه، ومَن حدَّثه بشيء صدَّقه، والأُذن التي هي جارحة السماع كذلك، وكان النبيُّ ﷺ يستمع إلى كلام كلِّ مَن حدَّثه بشيء؛ لكرمه وشرفه ومجده وحُسن خلقه.

وقيل: أرادوا به أنه يقبل كلَّ عذرٍ صدقاً كان أو كذباً، وكان النبيُّ عليه السلام كذلك لكرمه وحُسن خلقه، فظن أولئك أنه إنما يقبله ويعاملُهم به لسلامة قلبه وصغر همته وقصور يده[1].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ﴾: أي: أنا أذن خير لكم[2]، وهو إضافةُ الشيء إلى صفته كقوله: هو رجلُ خيرٍ؛ أي: قل يا محمد: إن الذي يقبل العذر خيرٌ ممن لا يقبله، فكيف تؤذونه وتعيبونه؟!

وقيل: إنه يسمع الخير ويَقبله دون الشر.

وقوله تعالى: ﴿يُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾: أي: يصدِّقه ﴿وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾؛ أي: ويصدِّق المؤمنين[3] بما شهدوا به عنده، فلا يَقبل[4] إلا ما ثبتَ صدقُه بإخبار الله عز وجل عنهم فيما قالوا وليس عندهم أحد من المسلمين، أو بشهادة المؤمنين إذا قالوا ذلك بحضرتهم.

ولفظة الإيمان تعدَّى بالباء واللام، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾ [يوسف: ١٧] ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ﴾ [العنكبوت: ٢٦].

وقيل: كانوا يذكرون أشياء لو بلغه ذلك آذاه، فإذا قيل لهم: لا تفعلوا فإنه

---

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٥/ ٤١). وجاء في (ف): «ويعاملهم به ليس لسلامة قلبه بل لصغر همته..»، والمثبت من باقي النسخ و«التأويلات».

(٢) «أي: أنا أذن خير لكم» من (أ).

(٣) في (ف): «﴿يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: يصدق الله ويصدق المؤمنين».

(٤) بعدها في (ر): «عنده».

يبلغه الخبر، قالوا: نأتيه فنعتذر إليه فيصدِّقنا لأنه أُذنٌ، فقال الله تعالى: ﴿قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ فإذا أخبره الله تعالى بكذبكم أو شهد المؤمنون على قولكم لم يصدِّقكم.

وقوله تعالى: ﴿وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ﴾: أي: وأنا رحمةٌ لمن آمن منكم مع أنكم إذا آذَيْتُموني فيلزمُكم العذاب، فإذا آمنتُم بي فلكم الرحمةُ والثواب.

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: في الدارين.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: نزلت في خِذَام بن خالد، والجُلاس بن سويد، وإياس بن قيس، ومَخْشيِّ بن حميِّر[١]، وسِمَاك بن زيدٍ، وعُبيد بن هلالٍ، ورِفاعةَ بن عبد المنذر[٢]: كانوا يقولون في رسول الله ﷺ ما لا ينبغي، فقالوا: لا تفعلوا فإنَّا نخاف أن يبلغَه هذا فيوقِعَ بنا، فقال الجلاس: إنه أذنٌ نقول ما شئنا ثم نحلف له فيصدِّقنا، فنزلت الآية[٣].

---

(١) في النسخ: «مخشي بن خويلد»، ومثله في «تفسير الثعلبي» (٥/ ٦٢)، والصواب المثبت. وقد اختلف في اسمه، فقيل: مَخْشي كما هنا، وقيل: مُخاشِن، وقيل: مخشِّنٌ، وقيل: ابن مخشي. انظر: «السيرة النبوية» لابن هشام (٢/ ٥٢٤ ـ ٥٢٥)، و«تاريخ خليفة بن خياط» (ص: ١١٤)، و«الاستيعاب» (٤/ ١٤٦٥)، و«التعريف والإعلام» للسهيلي (ص: ٧٠)، و«المحرر الوجيز» (٣/ ٥٥)، و«تفسير القرطبي» (١٠/ ٢٩٢)، و«تجريد أسماء الصحابة» للذهبي (٢/ ٦٤). وذكر القرطبي الخلاف في اسمه عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةً﴾ [التوبة: ٦٦] عن ابن إسحاق وخليفة بن خياط وابن عبد البر والسهيلي، ثم قال: (وذكر جميعهم أنه استشهد باليمامة، وكان تاب وتسمى عبد الرحمن ودعا الله أن يقتل شهيداً، ولا يعلم بقبره). قلت: وسيأتي هذا قريباً من رواية السدي.

(٢) قوله: «ورفاعة بن عبد المنذر» كذا وقع ذكره في هذا الخبر، ولعل الصواب غيره، فرفاعة صحابي جليل ذكره ابن إسحاق فيمن شهد بدراً. انظر: «السيرة النبوية» لابن هشام (١/ ٦٨٨)، و«تجريد أسماء الصحابة» للذهبي (١/ ١٨٤).

(٣) ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» (٣/ ٤٦٠) من طريق أبي صالح عن ابن عباس، ولعله من رواية =

وذكر مقاتل في جملتهم: شاس بن قيس، والمخشي بن حمير، وعبيد[١] بن مالك، ورفاعة بن زيد، ثم قول الجلاس ذلك[٢].

وقال أبو حاتم سهل بن محمد: هو نبتل بن الحارث[٣]، وكان رجلاً أَدْلَمَ[٤] ثائرَ الشعر، أحمر العينين، أسفع الخدين، مشوَّه الخِلقة، وفيه قال النبيُّ ﷺ: «مَن أحبَّ أن ينظر إلى الشيطان فلينظرْ إلى نبتلِ بن الحارث» وكان يَنمُّ حديثَ النبيِّ ﷺ إلى المنافقين، فقالوا له: لا تفعل، فقال: إنما هو أذنٌ، مَن حدَّثه بشيء صدَّقه، أقول هذا ثم آتيه فأعتذرُ إليه[٥].

وقال الحسن: قال المنافقون: ما هذا الرجل إلا أذنٌ يقبل ما يسمع ليست له عزيمةٌ، فنزلت الآية[٦].

= الكلبي عن أبي صالح عنه، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٣/ ٤٤٩) (ط: دار التفسير) دون عزو، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٨٢٦) عن السدي. وذكره أيضاً مقاتل كما سيأتي. وقد روي أن الجلاس قد تاب وحسنت توبته كما سيأتي عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ﴾.

(١) في (ف) و(أ): «وعبيدة».

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ١٧٨)، وفيه بدل «شاس»: (شماس). وبدل «عبيد بن مالك»: (عبيد بن الحارث).

(٣) وقاله ابن اسحاق أيضاً. انظر: «السيرة النبوية» لابن هشام (١/ ٦٨٨)، و«تفسير الطبري» (١١/ ٥٣٥)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ٢٤٩). ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٨٢٦) من طريق محمد بن إسحاقَ عن محمدِ بن أبي محمدٍ عن عكرمةَ أو سعيد بن جبيرٍ عن ابن عباسٍ.

(٤) الأدلم: الطويل الأسود، والشديد السواد من الناس. انظر: «معجم متن اللغة» (مادة: دلم).

(٥) انظر: «السيرة النبوية» لابن هشام (١/ ٥٢١)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ٢٤٩).

(٦) ذكره الواحدي في «البسيط» (١٠/ ٥٢١).

قالوا: عابهُ الجهَّال بما هو آيةُ كرمه وغايةُ حُسن شِيَمه، قال عليه السلام: «المؤمنُ غِرٌّ كريم، والمنافق خِبٌّ لئيم»(١).

وقيل: العاقل هو الفَطِنُ المتغافل، وأنشدوا في معناه:

وإذا الكريمُ أتيتَه بخديعةٍ ... فرأيتَه فيما تَرُومُ يُسارِعُ

فاعْلَمْ بأنك لم تخادِعْ جاهلاً ... إنَّ الكريم بفَضْلهِ مُتخادِعُ

* * *

(٦٢) - ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ﴾: أي: يعتذر هؤلاء ويحلفون بالله(٢) كاذبين ليُزيلوا سَخَطكم.

﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾: أي: يحقُّ عليهم في إزالة سَخَطكم أن يُخلصوا، فإذا فعلوا ذلك أرضَوا الله ورسوله فيرضى المؤمنون به؛ لأن الله تعالى إذا رضي عن العبد أرضى عنه الناس.

ثم إنه قال: ﴿أَن يُرْضُوهُ﴾ على التوحيد - مع سَبْقِ ذكر الله ورسولِهِ - لأنه أراد: أن يرضوا الرسولَ، وإرضاؤه إرضاءُ الله تعالى؛ كما قال ﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾ [النور: ٤٨]؛ لأن حكمَه حكمُ الله.

وقيل: إنه لا يُذكر بعد ذكر الله ورسوله كنايةٌ ترجعُ إليهما(٣)؛ لأنه تسويةٌ بينهما،

---

(١) رواه أبو داود (٤٧٩٠)، والترمذي (١٩٦٤)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وفيهما: «والفاجر» بدل: «والمنافق». قال الترمذي: (غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه).

(٢) في (ر) و(ف): «ويحلفون عليه».

(٣) في (ف): «عليهما». وهذا الذي قاله المؤلف هو في القرآن كما قال لكنه منقوض في السنة =

وتركُ تعظيمٍ في حق الله عز وجل، ولهذا قال النبيُّ عليه السلام فيمَن تكلَّم عنده وقال: مَن أطاع الله ورسوله فقد رشَد، ومَن عصاهما فقد غوَى: «بئس خطيبُ القوم أنت»[1]، كره منه ذكر كناية واحدة راجعةٍ إلى اسم الله تعالى وإلى اسم رسوله.

قال السدي: اجتمع ناسٌ من المنافقين منهم جلاسُ بن سويدٍ ووديعةُ بن ثابت ورجالٌ آخرون وعندهم غلامٌ من الأنصار يقال له: عامر بن قيس - وفي روايةِ غيرِ السديِّ: هو زيد بن الأرقم[2] - فحقَروه، وقالوا: إن كان ما يقولُ محمد حقًّا لنحن شرٌّ من الحمير، فغضب الغلام وقال: والله إن ما يقول محمد حقٌّ، وأنتم شرٌّ من الحمير، ثم أتى النبيَّ ﷺ فأخبره، فدعاهم فسألهم فحلفوا إن عامراً كاذب، وحلف عامر أنهم كذَبةٌ، فصدَّقهم النبي ﷺ، فقال عامر: اللهم صدِّق الصادقَ وكذِّب الكاذب، وكان واحدٌ من المنافقين قال[3] بعد ما سمع عامر كلامهم[4]: ودِدْتُ أني قدِّمْتُ فجُلدْتُ مئةَ جلدة وأنه لا ينزل فينا شيءٌ يفضحنا، فنزلت: ﴿وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ﴾ ونزلت: ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ﴾ الآية [التوبة: ٦٢][5].

= الصحيحة بقول النبي ﷺ في الحديث المتفق عليه: «ثلاثٌ مَن كُنَّ فيه وَجَدَ حلاوةَ الإيمانِ: أنْ يكونَ اللهُ ورسولُه أحبَّ إليه مما سواهما...».

(١) رواه مسلم (٨٧٠) من حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه.

(٢) روى هذه الرواية ابن شبة في «أخبار المدينة» (٧٠٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٨٤٢)، والبيهقي في «الدلائل» (٤/ ٥٧)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، وفيه ذكر نزول قوله تعالى: ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ﴾ [التوبة: ٧٤].

(٣) في (ف): «فقال واحد من المنافقين».

(٤) في (ف): «بعدما سمع كلام عامر».

(٥) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٨٢٦) في نزول قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ﴾ فقط.

وورد نحو هذه القصة في نزول قوله تعالى: ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ﴾ رواه الطبري في =

(٦٣) ـ ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْخِزْىُ ٱلْعَظِيمُ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْخِزْىُ ٱلْعَظِيمُ ﴾: استفهامٌ بمعنى التوبيخ؛ أي: ألم يعلم هؤلاء المنافقون أنه مَن يُعادِ الله ورسوله.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: يخالف الله.

وقال الأخفش: يحارب الله.

وقال قطرب: يعاند الله[1].

والمحادَّة بين اثنين: أن يصير كلٌّ واحد منهما في حدٍّ غيرِ الحد الذي عليه الآخَرُ معاداةً ومخالفةً وممانعةً.

﴿فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ﴾ وتكرار (أنَّ) للمبالغة في التأكيد، و﴿خَٰلِدًا فِيهَا﴾: دائماً فيها[2] بكفره، ومَن صار[3] كذلك فقد عظُم خِزْيه؛ أي: افتَضَح أبلغَ الافتضاح، وبلغ غايةَ الهوان، والخزيُ: الهوان بما يُستحيَى مِن مثله.

= «تفسيره» (١١/ ٥٤٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٨٢٨)، عن قتادة.

وروي نحوها أيضاً في نزول قوله تعالى: ﴿ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ ﴾ [التوبة: ٧٤]، رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٥٦٩) عن عروة وابن إسحاق ومجاهد، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٨٤٣) عن كعب بن مالك وابن عباس رضي الله عنهم. وروي أيضاً من حديث أنس وقد خرجناه قريباً.

(١) ذكر هذه الأقوال الواحدي في «البسيط» (١٠/ ٥٣١).

(٢) «دائماً فيها» ليس من (أ).

(٣) في (أ): «كان».

قال ابن عباس رضي الله عنهما: نزلت في رهط من المنافقين تخلفوا عن غزوة تبوك ـ وقد سميناهم ـ جاؤوا حين رجع رسول الله ﷺ يعتذرون فيحلفون، فنزلت هذه الآية وغيرها[1].

***

(٦٤) ـ ﴿ يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ ﴾: ﴿ يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ ﴾ خبرٌ عن حذَرهم عند أكثر المفسرين.

وقال الزجَّاج: هو بمعنى الأمر[2].

قال الإمام أبو منصور رحمه الله: ويحتمِل ذلك: أي: ليحذر المنافقون أن تنزل عليهم؛ أي: على النبيِّ عليه السلام فيخبرهم به[3]، والمنزلُ على الرسول منزلٌ على الأمَّة معنًى؛ لأنه خطاب لهم بما فيه.

وقوله تعالى: ﴿تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾؛ أي: تخبرهم بذلك، ولم يكن ذلك لإعلامهم فقد علموا به، لكن بإخبارهم أنه لا يخفَى على الله ولا يُخفيه عن رسوله، وليَهْتِكَ أستارهم للمؤمنين ليعلموا به، وعلى القول الذي قالوا: إنه خبرٌ عنهم، فلكثرةِ ما كان يُطْلع الله رسولَه عليه كانوا يحذرون ذلك، ولخُبث اعتقادهم وشدة كفرهم كانوا يُؤذونه ويستهزؤون به، وذلك قوله تعالى:

---

(١) ذكره الواحدي في «البسيط» (١٠/ ٥٢٩).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٤٥٩).

(٣) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٥/ ٤١٩).

﴿قُلِ اسْتَهْزِءُوا﴾: وصيغته أمرٌ وهو للتهديد؛ كقوله تعالى: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾ [فصلت: ٤٠]، ودليله قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ﴾؛ أي: مظهرٌ، وقد أظهر أحوالهم في هذه السورة، ولذلك سميت فاضحةً مبعثِرة.

وقال الحسن: كانوا يسمُّونها حافرة؛ لأنها حَفرت ما في قلوبهم فأظهرته[1].

وقال قتادة: كانوا يسمونها المثيرة[2].

وقال الكلبي ومقاتل: نزلت في الجلاس بن سويد وأصحابه وقد سميناهم[3].

وقال عطاء: هم سبعون رجلاً أنزل الله تعالى أسماءهم وأسماء آبائهم، ثم رفعت مرحمةً على العباد، ولأن أولادهم أسلموا وأخلصوا[4].

وقال السدِّي: جاء واحد من المنافقين اسمه مَخْشيٌّ بن غليظ وقال: إن اسمي واسمَ أبي من شرِّ الأسماء يا رسول الله، فغيِّرهما لعل الله يغيِّر حالي، وكان منافقاً، فسماه النبي ﷺ: عبد الله بن عبد الرحمن فأسلم وأخلص وقال: اللهم إني أسألك أن أُقتل في سبيلك لا يُقدَر لي على[5] جثةٍ، ولا يُعلم لي مقتل، فقُتل بوقعة[6] مسيلمة الكذَّاب[7].

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٦٤)، وفيه بدل «الحافرة»: «الحفَّارة».

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٨٢٩).

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ١٧٨)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٦٨).

(٤) ذكره الواحدي في «البسيط» (١٠/ ٥٣٣) عن عطاء عن ابن عباس، والبغوي في «تفسيره» (٤/ ٦٨)، عن ابن عباس.

(٥) في (أ): «يعذر» بدل من «يقدر لي على».

(٦) في (أ): «يوم».

(٧) لم أجده، وذكر نحوه القرطبي كما ذكرنا عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، وقد ذكرنا ثمة الخلاف في اسمه، لكن لم أجد من ذكر أن اسم أبيه (غليظ).

(٦٥)ـ ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴾: أي: ولئن قلت لهم: لم قلتُم كذا، حين أطلعك الله على ذلك، قالوا: ﴿إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾؛ أي: لم يكن ذلك عن اعتقادٍ وشكٍّ في الدِّين، لكن على العادة من الناس إذا اجتمعوا لم تخلُ أحاديثهم عن أن يجريَ فيها القول على سبيل المساعدة والاستئناس من الهزل، فقل يا محمد إنكاراً عليهم: أبالله وآياته ورسله تفعلون هذا؟ وهو لا يحتمِل إلا الجِدَّ والصدق دون الهزل واللعب.

قال محمد بن إسحاقَ: قال هذا وديعة بن ثابت[1].

وقال مقاتل بن حيَّان: نزلت في ثلاثةِ نفرٍ: معتِّب بن قُشيرٍ ووديعةَ بن ثابتٍ ومخشيِّ بن حميرٍ، ولكن عبد الله بن عبد الرحمن لم يمالِئْهما في الحديث، ولكنه كان يسير مجانباً لهما ويضاحكُهما، فقال وديعة لمعتِّبٍ: أيطمعُ هذا الرجل في الشام وقصورها؟ هيهات! ويظنُّ أن جِلَاد بني الأصفر هيِّن، فنزلت هذه الآية، فبعث النبيُّ ﷺ عمار بن ياسر فقال لهم: احترقتُم أحرقكم الله، قلتُم كذا وكذا، فجاؤوا يعتذرون، فأنزل الله تعالى هذه الآية[2].

---

(١) انظر: «السيرة النبوية» لابن هشام (١/ ٥٢٣).

(٢) انظر: «تفسير مقاتل بن سليمان» (٢/ ١٧٩)، وذكره ابن أبي زمنين في «تفسيره» (٢/ ٢١٩) عن الكلبيِّ، والواحديُّ في «البسيط» (١٠/ ٥٣٦) عن الكلبي ومقاتل بن سليمان، والجرجاني في «درج الدرر» (٤/ ٦٨) دون عزو، ورواه بنحوه دون ذكر الأسماء ودون ذكر عمار الطبري في «تفسيره» (١١/ ٥٤٤ ـ ٥٤٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٨٣٠) عن قتادة. وقد وقع في =

وفي رواية زيد بن أسلم: نظرتُ إلى هذا القائل متعلِّقاً بنسع ناقة رسول الله ﷺ[١].

وفي رواية عبد الله بن عمر: رأيتُ عبد الله بن أبيٍّ يشتدُّ بين يدي رسول الله ﷺ والحجارةُ تَنكبُه وهو يقول: إنما كنَّا نخوض ونلعب، ورسول الله ﷺ يقول: ﴿أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ﴾[٢].

وعذَر النبي ﷺ الذي لم يمالِئْهم حين اعتذر وهو عبد الله بن عبد الرحمن، وفي رواية: مخشيُّ بن حميِّر، وفي رواية: الحمير بن الحمير[٣].

وقال القشيري رحمه الله: مَن استهان بالدِّين، ولم يحتشِم مِن تركِ حرمة الإسلام والمسلمين، جعله الله في الحال نكالاً، وسامه في الآخرة صغراً وإذلالاً،

= المصادر اختلاف في الأسماء، لكن لم يذكر أحد فيهم: عبد الرحمن بن عبد الله، ولعل ذكره وهم، فإن عبد الرحمن هذا هو نفسه مخشي، سماه به النبي ﷺ عند توبته كما تقدم في خبر السدي، وكما ذكر القرطبي، وهو الذي لم يمالِئْهما في الحديث، وهو المراد بقوله تعالى: ﴿إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ﴾ على قول طائفة من العلماء. انظر: «تفسير القرطبي» (١٠/ ٢٩٢ ـ ٢٩٣)، وانظر ما تقدم عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٥٤٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٨٢٩ ـ ١٨٣٠) عن زيد بن أسلم، عن عبد الله بن عمر قال: (قال رجل في غزوة تبوك في مجلس: ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغبَ بطونًا ولا أكذبَ ألسنًا ولا أجبن عند اللقاء! فقال رجل في المجلس: كذبتَ، ولكنك منافق! لأخبرن رسول الله ﷺ، فبلغ ذلك النبي ﷺ ونزل القرآن. قال عبد الله بن عمر: فأنا رأيته متعلقًا بحَقَب ناقة رسول الله ﷺ). فالقائل: «نظرت» هو عبد الله بن عمر لا زيد بن أسلم.

(٢) رواه الهروي في «ذم الكلام» (٤/ ٩٣) من طريق نافع عن ابن عمر. ورواه بنحوه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٥٤٣) عن زيد بن أسلم عن ابن عمر دون ذكر اسم الرجل.

(٣) قوله: «وفي رواية: الحمير بن الحمير» ليس في (ف)، ولم أقف عليه، وقد تقدم قريباً ذكر الخلاف في اسمه، ومخشي بن حمير هو اسمه قبل التوبة، وعبد الله بن عبد الرحمن سماه إياه النبي ﷺ عند التوبة، كما تقدم في خبر السدي قريباً.

والحقُّ سبحانه لا يرضى دون أن يُذيق العتاةَ بأسَه، ويسقيَ كلًّا على ما يستوجبُه كأسُه، وقد أرخَى الله للمنافقين عنان إمهالهم، ثم هتك أستارهم بأقوالهم وأفعالهم(١).

***

(٦٦) ـ ﴿لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا﴾: أي: لا تتكلَّموا بالعذر الباطل ﴿قَدْ كَفَرْتُم﴾: فقد صرَّحتم بما يوجب الكفر ﴿بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾: بعد إظهاركم الإيمانَ باللسان.

وقوله تعالى: ﴿إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾(٢): قرأ عاصم: ﴿نَّعْفُ﴾ بالنون وفتحها وضم الفاء، ﴿نُعَذِّبْ﴾ بالنون وضمِّها وكسر الذال، ﴿طَائِفَةً﴾ بالنصب، إخباراً من الله تعالى عن نفسه بكلمة التعظيم، وقرأ الباقون: ﴿يُعْفَ﴾ بالياء وضمها وفتح الفاء ﴿تُعذَّبْ﴾ بالتاء وضمها وفتح الذال على ما لم يسمَّ فاعله، ﴿طائفةٌ﴾ بالرفع(٣).

ومعناه: إن تركنا العقوبة في الحال في حقِّ بعضهم وهم العامةُ والأتباع الذين لا ضرر منهم على المسلمين لنعاقبهم في الآخرة، نعذبْ طائفة منهم من الكبراء المعلِنين بالأراجيف الساعين بين المسلمين بالفساد بالقتل.

قال تعالى: ﴿جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ [التوبة: ٧٣]، ﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ﴾ [الأحزاب: ٦٠] إلى قوله تعالى: ﴿وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا﴾ [الأحزاب: ٦١]، وقوله تعالى:

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٤٢).

(٢) في (ف): «إن يعف... تعذب...»، وهي قراءة أكثر السبعة كما سيأتي.

(٣) «﴿طَائِفَةٌ﴾ بالرفع» من (ر). وانظر القراءتين في «السبعة» (ص: ٣١٦)، و«التيسير» (ص: ١١٨).

﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ﴾ [النساء: ٨٨] إلى قوله عز وعلا: ﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾[١] [النساء: ٨٩].

﴿بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾[٢] وهو اسمٌ نهاية الذم؛ لأنه يدل على انقطاعه عن كلِّ الخيرات، من الجَرْم: وهو القطع.

وقيل: ﴿إِن نَّعْفُ عَن﴾ قومٍ منهم نعلمُ أنهم يتوبون ويخلصون ﴿نُعَذِّبْ﴾ قوماً منهم نعلم أنهم على النفاق يدومون.

وقيل: ﴿إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ﴾ منهم بالإيمان ﴿نُعَذِّبْ طَائِفَةً﴾[٣] بالموت على الكفر.

وقيل: ﴿إِن نَّعْفُ﴾ فلم نأمر بالقتل في حق قومٍ لم يظهر نِفاقهم للنبيِّ ﷺ وللمؤمنين كما قال جل جلاله: ﴿لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾ [التوبة: ١٠١] ﴿نُعَذِّبْ﴾ بالأمر بالقتل والتشهيرِ مَن ظهَر نفاقُهم بهذه الأحوال.

وقال محمد بن كعبٍ القرظي: ﴿نَّعْفُ﴾ عن طائفةٍ منهم: هي واحدةٌ[٤]؛ كما قال تعالى: ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ٢]، وهو الذي ذكرنا في الآية التي قبلها أنه لم يمالِئْهم واعتذر فعُذر ﴿نُعَذِّبْ طَائِفَةً﴾ وهم الذين خاضوا.

وقيل: هو الواحد أيضاً، وهو وديعة بن ثابت.

* * *

---

(١) في (ف): «واقتلوهم حيث ثقفتموهم».

(٢) في النسخ: «إنهم كانوا مجرمين».

(٣) في (ف): «تعذب طائفة».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٥٤٧) بلفظ: (طائفة: رجل).

(٦٧) - ﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْۗ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ﴾: أي: مجتمعون على النِّفاق، مطابقون على إيذاء الرسول والمؤمنين على اتِّفاق[1].

﴿يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ﴾: بما يُنكره الشرع والعقل ﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ﴾: ما يرضاه الشرع والعقل. ومن المنكرات: تركُ الجهاد، وهم به يَأمرون، ومن المعروف: الجهاد، وهم عنه يَنْهَون.

﴿وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ﴾: أي: عن الإنفاق في الجهاد وسُبُل الطاعات من الزكوات ونوافلِ الصدقات.

وقوله تعالى: ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ﴾: أي: تركوا ذكر الله وطاعته ﴿فَنَسِيَهُمْ﴾ أي: خذلهم.

﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾: أي: هم الخارجون عن قبول أمر الله والعملِ به.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ﴾؛ أي: بتكذيب رسول الله ﷺ ﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ﴾؛ أي: عن تصديقِه واتِّباعه[2].

وقال الضحاك: يأمرون بالكفر وينهون عن الإسلام[3].

وقال القشيري رحمه الله: المنافق لصاحبه أسٌّ به قِوامُه، وأصلٌ به قيامُه، يُعِينه

---

(١) في (ر) و(ف): «عن النفاق».

(٢) ذكره الواحدي في «البسيط» (١٠/ ٥٤١) عن عطاء عن ابن عباس.

(٣) المصدر السابق.

على فساده، ويعمِّي عليه طريقَ رشاده، والمؤمنُ يَنصر المؤمن؛ يبصِّره عيوبَه، ويقبِّح في عينه ذنوبه، فهو على السَّداد يُنْجده، ومن الفساد يُبْعده، والمنافقون يقبضون أيديهم لا يُنفقون في سبيل الله، ولا يَجِدُّون في إعانة عباد الله، ولا يأخذون بأيدي الضعفاء لوجه الله، ولا يرفعون أيديهم في طلب الحوائج إلى الله.

﴿نَسُواْ ٱللَّهَ﴾؛ أي: تركوا طاعتَه وآثروا مخالفتَه ﴿فَنَسِيَهُمْ﴾: تركهم وما يختارون؛ كما قال تعالى: ﴿وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ﴾ [البقرة: ١٧][1].

* * *

(٦٨) ـ ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ هِيَ حَسْبُهُمْۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ﴾: أي: الذين يُظهِرون الإيمان ويضمِرون الكفر.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلْكُفَّارَ﴾: أي: المجاهرين به.

﴿نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ هِيَ حَسْبُهُمْ﴾: أي: واقعةٌ موقعَ ما استحَقُّوه من الجزاء على كفرهم.

﴿وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ﴾: طردهم من رحمته ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾: دائم.

وقال القشيري رحمه الله: لهم النار في الآجلة، والعذابُ المقيم في العاجلة، وتلك[2] عذابُ الحُرقة، وهذه عذاب الفُرقة.

* * *

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٤٣).

(٢) في (ر): «ذلك».

(٦٩) ـ ﴿كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا فَاسْتَمْتَعُواْ بِخَلَٰقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِى خَاضُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى الدُّنْيَا وَالْأَخِرَةِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ الْخَٰسِرُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾: خطابٌ للمنافقين، وفي أوله مضمَرٌ، وتقديره: وأنتم في معاملتكم كالذين من قبلكم.

وقيل: أي فِعْلي بكم في الدنيا والآخرةِ كفِعْلي بالذين مِن قبلكم.

وقوله تعالى: ﴿كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً﴾: قال ابن عباس رضي الله عنهما: أي: منعةً وبطشاً[1].

وقوله تعالى: ﴿وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا﴾: يتكثَّرون بالأولاد ويعتضِدون[2] بالأموال، فلم يعتصِموا بقوة أنفسهم ومعونةِ أولادهم وأنصارهم وكثرةِ أموالهم حين كذبوا رسلي واستحقُّوا إنزال بأسي.

وقوله تعالى: ﴿فَاسْتَمْتَعُواْ بِخَلَٰقِهِمْ﴾: أي: صَرَفوا إلى التمتُّع الحاليِّ نصيبَهم من الدنيا ولم يقدِّموا إلى الآخرة.

﴿فَاسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ﴾: فعلتُم أنتم في الدنيا فِعلَهم.

وقوله تعالى: ﴿وَخُضْتُمْ كَالَّذِى خَاضُوٓاْ﴾: أي: في آيات الله بالباطل، فإذا كنتم في سوء المعاملة مثلَهم، وفي القوة والمنعة دونهم، فما يؤمِّنُكم أن يصيبَكم من العقوبة مثلُ[3] ما أصابهم.

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٦٦) دون عزو.

(٢) في (أ): «ويتعصون».

(٣) «مثل» ليست في (أ) و(ف).

وقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ﴾: أي: الذين رضُوا من آخرتهم بدنياهم بَطَلَتْ أعمالهم في الدارين فلا ينتفعون بها: أمَّا في الدنيا فقد قصدوا بذلك توهينَ الإسلام وقهرَ أهله وعلوَّ أنفسهم، فأبطل الله تعالى كيدَهم وخيَّب أملهم، قال تعالى: ﴿لَا يَهۡدِي كَيۡدَ ٱلۡخَآئِنِينَ﴾ [يوسف: ٥٢]، ﴿لَا يُصۡلِحُ عَمَلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ [يونس: ٨١]، ﴿كُلَّمَآ أَوۡقَدُواْ نَارٗا لِّلۡحَرۡبِ أَطۡفَأَهَا ٱللَّهُۚ﴾ [المائدة: ٦٤]، وفي الآخرة لا ثواب لهم ولا نجاة.

وقوله تعالى: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾: ذهبت أموالهم فيما ضرَّهم ولم ينفعهم، ولو ذهبت فيما لا ينفعُهم ولا يضرُّهم كانت خسراناً، فكيف وقد ذهبت فيما يضرُّهم ولا ينفعهم؟ قال تعالى: ﴿قُلۡ هَلۡ نُنَبِّئُكُم بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا ١٠٣ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ [الكهف: ١٠٣ ـ ١٠٤].

* * *

(٧٠) ـ ﴿أَلَمۡ يَأۡتِهِمۡ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ وَقَوۡمِ إِبۡرَٰهِيمَ وَأَصۡحَٰبِ مَدۡيَنَ وَٱلۡمُؤۡتَفِكَٰتِۚ أَتَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَلَمۡ يَأۡتِهِمۡ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ وَقَوۡمِ إِبۡرَٰهِيمَ وَأَصۡحَٰبِ مَدۡيَنَ وَٱلۡمُؤۡتَفِكَٰتِۚ﴾: هي قَرْياتُ لوطٍ، ومعناها: المنقلِبات[1]، حيث جعَل الله عاليَها سافلَها، و﴿أَلَمۡ﴾ استفهام بمعنى التقرير.

قال القفَّال: أي: قد أتاهم خبرُ الأمم السالفة، سمعوا ذلك وعرَفوه، وشاهدوا آثار إيقاع الله بهم بما جعلهم نكالاً وعبرةً لغيرهم؛ كما فعل بقوم نوحٍ صلوات الله عليه حين أُهلكوا بالغرق، وعادٍ بالريح الصَّرصَر العاتية، وثمودَ بالرجفة والصاعقة،

---

(١) في (أ): «الملقيات».

وقومِ إبراهيم بالتشتيت وسلب الملك والنعمة؛ أي: من نمرود، وأصحابِ مدين بعذابِ يوم الظلة، وقومِ لوط بانقلاب الأرض، وكلُّ ذلك كان عدلاً من الله تعالى وحكمةً وعقاباً لمن ظلم نفسه وعصى ربَّه وكذَّب رسلَه واستحقَّ عقابه، فليحذر المنافقون أن يُفعل بهم ما فُعل بأولئك.

وقوله تعالى: ﴿أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾: يرجعُ هذا إلى كلِّ هذه الأمم، وإنْ صُرف إلى ما يليه وهي المؤتفكات ـ ورسولُ أهلها واحد وهو لوط عليه السلام ـ فقد قيل: كان في كلِّ قرية رسولٌ من جهة لوط، فلذلك جُمع.

وقوله تعالى: ﴿فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾: أي: ليس من صفة الله تعالى ظلمُ العباد بتعذيبهم من غير ذنبٍ.

وقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾: بإيقاعها فيما يوجب العقوبة.

* * *

(٧١) ـ ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾: ذكر بمقابلةِ المنافقين والمنافقات: المخلِصين والمخلصات، وتغاير صفات الفريقين، فالمخلصون ذكورهم وإناثهم يتوالون على الدين ويتناصرون ويتعاونون حتى إن الرجل ليخرج إلى الجهاد وامرأته تهيئ أسبابه وتخرج النساء مع الرجال أيضاً فيداوين الجرحى ويعالجن المرضى ويصلحن الطعام ويحملن الماء وكذا كل الخيرات في الدين.

وقوله تعالى: ﴿يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾: وقد فسَّرناهما في تلك الآية، وهو خلاف صفات المنافقين.

﴿وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾: وهو خلافُ صفة المنافقين، هؤلاء يصلُّون وفي الصلاة ذكرُ الله، وأولئك داوَموا على نسيان الله.

﴿وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾: وهو خلاف صِفة[1] المنافقين، فإنهم يقبضون أيديهم.

﴿وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾ في كلِّ الأوامر والنواهي، فهو خلاف صفة المنافقين ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾[2].

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ﴾: بخلاف المنافقين[3] ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ قال مقاتل: ﴿عَزِيزٌ﴾ في ملكه ﴿حَكِيمٌ﴾ في أمره[4].

وقال القفَّال: ﴿عَزِيزٌ﴾: منيعٌ قادرٌ على مجازاة المطيعين والعاصين ﴿حَكِيمٌ﴾ في توفيق المؤمنين وخذلان المنافقين.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: ذكَر في المؤمنين والمؤمنات: ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾، وذكَر في الكفار: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾، وذكَر في المنافقين: ﴿بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾، ولم يقل: بعضهم أولياءُ بعض؛ لأن المؤمنين يتوالَون ويتناصرون ويتعاونون على الدِّين الحق، والكفارَ لهم دينٌ أيضاً وهو باطل وهم يتوالون عليه ويتعاونون ويتناصرون، فأما المنافقون فليس لهم دِينٌ يُظهرونه ويمكِنُهم التوالي والتعاونُ والتناصُر عليه، لكن بعضهم على صفةِ بعضٍ، فلذلك قال: ﴿بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾[5].

---

(١) في (ر): «صفات».

(٢) «﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾» ليس في (ف).

(٣) في (ر) و(ف): «بخلاف ما للمنافقين».

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ١٨١).

(٥) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٥/ ٤٢١ ـ ٤٢٢).

وقال في هذه الآية: يجوز أن يكون هذا إخباراً عنهم أنهم كذلك؛ لأنهم صاروا بالإسلام أولياء؛ قال تعالى: ﴿إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، ويجوز أن يكون أمراً من حيث المعنى؛ أي: ليكونوا أولياء بعضُهم لبعضٍ، فقد نهى عن موالاة الكفار لقوله[(١)]: ﴿لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ﴾ [النساء: ١٤٤]، وبقوله تعالى: ﴿لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ﴾ [المائدة: ٥١]، فكان أمراً لهم أن يكون[(٢)] بعضهم أولياءَ بعض[(٣)].

وقال القشيريُّ رحمه الله تعالى: إن الله تعالى وصف المؤمنين بأنهم يتحابُّون في الله، ويقومون بحقِّ الله، ويتصاحبون لله، ويعادُون مَن يعادُون لأجل الله، تركوا حظوظهم لحقِّ الله، وآثروا على هواهم[(٤)] رضاء الله، أولئك الذين عصمهم الله في الحال وسيرحمهم في المآل[(٥)].

* * *

(٧٢) - ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾: وهو في مقابلةِ قوله: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ [التوبة: ٧٢].

---

(١) «لقوله» كذا في النسخ، ولعل الأحسن: (بقوله).

(٢) في (أ): «أمراً لهم بكون».

(٣) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٥/ ٤٢٦).

(٤) في (أ): «أحوالهم» وفي (ر): «أنفسهم». والمثبت من (ف) و«اللطائف».

(٥) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٤٥).

وقوله تعالى: ﴿وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً﴾: أي: جزاءً عمَّا احتمَلوه من أذى الحر وسوءِ المنازل في أسفارهم للغزوات وتركِهم مواطن الراحات.

وقوله تعالى: ﴿فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٍ﴾: أي: إقامةٍ، وقد عَدَن بالمكان عَدْناً، والمعدِن: الـمُقام؛ أي: هي مواضع إقامةٍ وثباتٍ لا يبغون عنها حِوَلاً، وليس هذا بتكرارٍ لقوله تعالى: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾؛ لأن قوله: ﴿جَنَّٰتِ عَدۡنٍ﴾ إخبارٌ بدوام مُقامهم فيما أُعدَّ لهم من المساكن، وقولَه: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ إخبارٌ بدوام النعيم لهم في الجنان، فهما معنيَان مختلفان.

وقال الأعمش: ﴿عَدۡنٍ﴾ وسط الجنة[1].

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: بطنان الجنة[2].

وقال عبد الله بن عمرو[3] رضي الله عنهما: إن في الجنة قصراً يقال له: عدن، حوله البروج والمروج، وله خمسة آلاف باب لا يدخله إلا نبيٌّ أو صدِّيق[4].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٥٦١).

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٣٧٤)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٥١٦٧)، والطبري في «تفسيره» (١١/ ٥٦١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٨٤٠). وهذا القول هو بمعنى المذكور قبله عن الأعمش، فإن معنى بطنان الجنة: وسطها، كما جاء في رواية الطبري لخبر ابن مسعود من طريق الأعمش عن عبد الله بن مرة عن مسروق عن ابن مسعود، وفيه: (فقلت للأعمش: ما بطنان الجنة؟ قال: وسطها). وقوله: «وقال ابن مسعود رضي الله عنه: بستان الجنة» ليس في (أ) و(ف)، وقد استدرك على هامش (ر).

(٣) في النسخ: «عمر»، والمثبت من المصادر.

(٤) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (١٩٣٨٠) و(١٩٣٩٣) و(٢١٩١٩) و(٣٢٥٦٠)، والطبري في «تفسيره» (١١/ ٥٦٣)، وزيد في بعض الروايات: (أو شهيد أو إمام عادل). وبهذه الزيادة رواه البزار في «مسنده» (٢٤٨٧) من حديث عبد الله بن عمرو مرفوعاً، لكن إسناده ضعيف، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥/ ١٩٦): فيه عبد الله بن مسلم بن هرمز وهو ضعيف.

وقال الكلبي: ﴿عَدْنٍ﴾؛ أي: أعلى درجةِ الجنة، وفيها عينُ التسنيم، والجِنَانُ حولها محدِقةٌ بها[١]، وهي مغطَّاةٌ من يومِ خلَقها الله تعالى حتى يَنزلها أهلُها الأنبياءُ والصدِّيقون والشهداءُ والصالحون ومَن شاء الله جل جلاله.

وقال مقاتل: ﴿وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً﴾: قصورُ الدرِّ والياقوت والذهب، فتهبُّ ريحٌ طيِّبةٌ من تحت العرش فتُدخل عليهم كُثبانَ المسك الأبيض[٢].

وقال عطاء: ﴿عَدْنٍ﴾: نهر في الجنة جنَّاتُه على حافَّتيه[٣].

وروى أبو الدرداء رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «عدنٌ دارُ الله التي لم ترَها عينٌ ولم تخطرْ على قلب بشر، لا يسكنُها من بني آدمَ غيرُ ثلاثة: النبيون والصديقون والشهداء[٤]، يقول الله تعالى: طوبى لمن دخلك»[٥].

وقال الحسن: سألت أبا هريرة وعمران بن حُصين عن قوله تعالى: ﴿وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾ فقالا: على الخبير سقطت، سألنا رسول الله ﷺ فقال: «قصرٌ في الجنة من اللؤلؤ فيه سبعون داراً من ياقوتة حمراء، في كلِّ دار بيتٌ من زمردةٍ خضراء، في كلِّ بيتٍ سبعون سريراً، على كلِّ سريرٍ سبعون فراشاً من كلِّ لون، على كلِّ فراش زوجةٌ من الحور العين»[٦].

---

(١) «بها» من (أ).

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ١٨١ ـ ١٨٢).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٥٦٤).

(٤) بعدها في (ف): «والصالحين».

(٥) رواه البزار في «مسنده» (٣٥١٦ ـ كشف الأستار)، والدارقطني في «المؤتلف والمختلف» (٣/ ١١٥١)، وابن الجوزي في «العلل» (٢١)، وقال: هذا الحديث من عمل زيادة بن محمد، لم يتابعه عليه أحد.

(٦) رواه البزار في «مسنده» (٣٥٦٣)، والطبري في «تفسيره» (١١/ ٥٥٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» =

وقوله تعالى: ﴿وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾: أي: أعظمُ من هذه النعم قَدْراً وأشرفُ منها ذكراً رضوانُ الله تعالى عن هؤلاء، ومن رضوانه قبولُ أعمالهم اليسيرةِ، وتيسيرُ الحساب عليهم، وإثابتُهم على الأعمال المنقطِعة نعماً لا تَنقطع وكلَّ كرامةٍ في الدنيا والآخرة.

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾: أي: الرضوان الذي نالوه هو الفوز العظيم الذي لا أعظم منه؛ لأنه دركُ كلِّ مطلوب، ووصولٌ إلى كلِّ مأمول، وأمانٌ من كلِّ محذور.

وقال الإمام القشيري رحمه الله تعالى: المساكنُ لا تطيب للساكن إلا برؤية المحبوب، إلا أنه قد تختلف بهم الهمَم: قومٌ تَطيبُ مساكنهم بوجود عطائه[1]، وقومٌ تَطيب أنفسهم بشهود لقائه، قال قائلهم:

وإنِّي لأهوَى الدارَ ما يستقرُّ بي ... لها الودُّ إلا أنها مِن دياركا

وقال آخر:

أجيرانَنا ما أوحشَ الدار بعدَكمْ ... إذا غِبْتُمُ عنا ونحن حُضورُ[2]

* * *

(٧٣) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾: لمَّا وصف الله المنافقين

= (٦/ ١٨٤٠)، وابن الجوزي في «الموضوعات» (٢/ ٤٢٤)، وقال: موضوع.

(١) في (ر) و(ف): «خطابه»، والمثبت من (أ) و«اللطائف».

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٤٥ ـ ٤٦).

والكفار، وكشف له أحوال المتسترِّين منهم بالإظهار، أمَره بجهادهم الذي هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهو من صفات المؤمنين، وخلافُ ذلك من صفات المنافقين.

وقال عطاء: نسخت هذه الآيةُ كلَّ شيء من الصَّفح والعفو(١).

وقوله تعالى: ﴿جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ﴾ أي: بالسلاح في وقته وباللسان في وقته.

﴿وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: باللسان(٢).

وقال الحسن وقتادة: بإقامة الحدود(٣).

وقيل: بالسيف بعدما ظهرت أحوالهم، قال تعالى ﴿أَيۡنَمَا ثُقِفُوٓاْ أُخِذُواْ وَقُتِّلُواْ تَقۡتِيلٗا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡ﴾: أي: ولا تداهِنْهم وآيِسْهم من نفسك، وقرِّرْ عندهم أنه لا موادَّة بينك وبينهم، وإنما هو الإسلام أو السيف.

وقوله تعالى: ﴿وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُ﴾ غلبوا في الجهاد أو غلبوا ﴿وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ جهنم.

وقال القشيريُّ رحمه الله: المجاهدةُ أولُها باللسان، بشرحِ البرهان وإيضاحِ الحجج والبيان، ثم إنْ حصل من العدوِّ جحدٌ بعد إزاحة العذر فالوعيدُ والزجر بالإعلان، فإن لم يَنجَعِ الكلام ولم يَنفعِ المَلام فالقتالُ والحِراب بالسَّيف والسِّنان(٤).

---

(١) ذكره عنه الثعلبي في «تفسيره» (١٣/ ٤٧٨)، والواحدي في «البسيط» (١٠/ ٥٥٣)، والبغوي في «تفسيره» (٤/ ٧٤).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٥٦٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٨٤٢).

(٣) رواه عنهما الطبري في «تفسيره» (١١/ ٥٦٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٨٤١).

(٤) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٤٦).

(٧٤) ـ ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا﴾: وهذا ينتظِمُ لِمَا سبق من ذكر مقابحِ المنافقين وطعنِهم في الرسول وفي الدِّين.

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ﴾: هي كلُّ لفظةٍ ترجع إلى الطعن في الدِّين أو في الرسول، وقد بيَّنَّا بعضها.

وقوله تعالى: ﴿وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ﴾: أي: حكَم لهم بالكفر بهذه اللفظة بعدما حكَم بإسلامهم بظاهر إقرارهم، واختلفت الروايات في هذا القائل:

قال عروةُ وابن إسحاقَ ومجاهدٌ: هو الجُلَاس بن سُوَيدِ بنِ الصامت، وقد بيَّنَّا قصتَه في الآيات المتقدمة، ومقالتَه: إن كان ما [(١)] جاء به محمد حقًّا لنحن شرٌّ من الحمير[(٢)].

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: هذه الكلمة ليست بكفر إلا إن ثبت معها زيادة عليها هي كفر.

وقال قتادة: هو عبد الله بنُ أبيٍّ ابنُ سَلولَ حين قال: ﴿لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ﴾[(٣)].

---

(١) في (ف): «الذي».

(٢) رواه عنهم الطبري في «تفسيره» (١١/ ٥٦٩ ـ ٥٧١). ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٨٤٣) من طريق محمد بن إسحاقَ عن محمدِ بن أبي محمدٍ عن عكرمةَ أو سعيد بن جبيرٍ عن ابن عباسٍ.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٥٧٢).

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: ذكَر هذا القولَ أيضاً، وحكى عنه أنه قال: والله ما مَثَلُنا ومَثَلُ محمدٍ إلا كما قال القائل: سمِّنْ كلبَك يأكُلْك.

قال: ويُشبه أن يكون هذا متَّصلاً بقوله: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ﴾ [التوبة: ٦٥]، وكانوا يستهزئون بالله وآياته ورسوله، وهو كفر، أو قالوا قولَ كفرٍ لم يبين الله لنا ذلك، فلا نفسِّره أنهم ماذا قالوا لمَّا ليس لنا إلى معرفة ذلك حاجة[(١)].

وقوله تعالى: ﴿وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا﴾ قال مجاهد: هو همُّ عبد الله بن أبيٍّ ﴿لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ﴾[(٢)].

وقال مجاهد في روايةٍ: هو همُّ الجلاس بقتلِ مَن أنكر عليه قولَه: إن كان ما يقول محمد حقًّا لنحن شرٌّ من الحمير، على ما روينا[(٣)].

وقال الكلبي: ﴿وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا﴾ يعني: المنافقين ليلةَ العقبة، همُّوا بقتل النبيِّ عليه السلام في غزوة تبوك: عبد الله بن أبيٍّ، وعبد الله بن سعد بن أبي سَرْحٍ القرشي، وطعمةُ بن أُبَيْرِقٍ، والجُلاس بن سُويدٍ، ومجمِّع بن جارية، وأبو عامر بن النعمان، وأبو الأخوص[(٤)]، وكانوا خمسة عشر رجلاً.

---

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٥/ ٤٣٠).

(٢) ذكره دون عزو الطبري في «تفسيره» (١١/ ٥٧٣ ـ ٥٧٤). وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ٣٨٣) عن قتادة.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٥٧٣). وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٨٤٥).

(٤) في (أ): «الأحوص». وهذا الخبر ذكره مقاتل في «تفسيره» (٢/ ١٨٣ ـ ١٨٤)، وفيه: (وأبو الخواص). وروى نحوه البيهقي في «الدلائل» (٢/ ٢٥٨) عن ابن إسحاق في خبر طويل، وفيه أن النبي ﷺ أنبأ حذيفة بأسمائهم وكانوا اثني عشر رجلاً منهم المذكورون هنا، وفيه بدل «أبو الأخوص»: «أبو حاضر =

وقال ابن كيسان: لمَّا رجع رسول الله ﷺ من غزوة تبوك وقف له على العقبة اثنا عشر رجلاً من المنافقين ليفتِكوا به إذا علَاها ومعهم رجلٌ مسلم، فأخبر جبريل النبي عليه السلام بما قدَّروا وتنكَّروا له في ليلةٍ مظلمة، فأمر جبريلُ رسولَ الله ﷺ أن يرسل عليهم[1] مَن يضرب وجوهَ رواحلهم، وعمارُ بن ياسر يقود برسول الله ﷺ وحذيفةُ يسوق به، فقال لحذيفة: «اضْرِبْ وجوهَ رواحِلهم»، فضرب بها حتى نحَّاهم، فلما نزل قال لحذيفة: «مَن عرفتَ من القوم؟» قال: لم أعرف منهم أحداً، غير أني عرفتُ جمل فلانٍ، فقال رسول الله ﷺ: «إنهم فلانٌ وفلانٌ» حتى عدَّهم كلَّهم، فقال حذيفة: ألا تبعثُ إليهم فيأتوك؟ قال: «أكرهُ أن يقول العرب لمَّا ظفر بأصحابه أقبل يقتلهم، بل يكفيناهم الله بالدُّبيلة» قيل: يا رسول الله، وما الدُّبيلة؟ قال: «شهابٌ من نارِ جهنم يضعُه على نيَاط فؤاد أحدهم حتى تَزهَق نَفْسُه»[2]. النياط: عرقٌ متعلِّق بالقلب إذا انقطع مات صاحبه[3].

= الأعرابي». لكن البيهقي رحمه الله توقف عند ذكر عبد الله بن أبيٍّ معهم حيث قال: (إلا أن ابن إسحاق ذكر قبل هذا أن ابن أبيٍّ تخلف في غزوة تبوك، ولا أدري كيف هذا؟).

(١) في (ف) و(أ): «إليهم».

(٢) ذكره عن ابن كيسان الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٦٤)، والبغوي في «تفسيره» (٤/ ٦٩). ورواه بنحوه البزار في «مسنده» (٢٨٠٠)، والبيهقي في «الدلائل» (٢/ ٢٦٠) من حديث حذيفة رضي الله عنه. ورواه الإمام أحمد في «المسند» (٢٣٧٩٢) من حديث أبي الطفيل عامر بن واثلة رضي الله عنه، وإسناده قوي، ورواه البيهقي أيضاً (٢/ ٢٥٨) من طريق أبي الأسود عن عروة، ومن طريق يونس عن ابن إسحاق، لكن إخبار النبي ﷺ بأسمائهم على التعيين لم يرد في شيء من هذه الأخبار سوى خبر ابن إسحاق. انظر التعليق السابق. وحديث الدبيلة رواه مسلم (٢٧٧٩) عن حذيفة رضي الله عنه، وفيه: «في أُمتي اثنا عَشَر منافقًا لا يدخلون الجنة، ولا يَجِدون رِيحها، حتى يَلِجَ الجملُ في سَمِّ الخِيَاطِ ثمانيةٌ منهم تَكْفِيكهم الدُّبَيْلَةُ، سِرَاجٌ من النَّارِ يَظْهَر في أكتافهم، حتى يَنْجُمَ من صدورِهم».

(٣) «النياط: عرق متعلق بالقلب إذا انقطع مات صاحبه» ليس في (أ) و(ف).

وقال أبو رَوْقٍ: ذكروا أن اثني عشر رجلاً من المنافقين أتوا رسول الله ﷺ وهو في بيته ليفتكوا به، فأتاه جبريل فعرَّفه إياهم حتى عرَفهم وأخبرَ بقصتهم، فقال رسول الله ﷺ: «إن اثني عشر رجلاً من المنافقين ائتمَروا بأمر لم ينالوه، فلْيقوموا ولْيستغفروا فأستغفرَ لهم» فلم يقوموا فقال: «قم يا فلان قم يا فلان»، حتى أتى على آخرهم، فقالوا: يا رسول الله، نستغفرُ الله ونتوبُ إليه مما كنَّا عليه من الكفر، فقال: «الآن ولم تُجيبوني[1]؟! اخرجوا عني» فخرجوا مفتضَحين، فنزلت فيهم: ﴿وَهَمُّواْ بِمَا لَمْ يَنَالُواْ﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا نَقَمُوٓاْ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ﴾: أي: ما عابوا.

وقيل: أي: ما طعنوا.

ومعناه: أي: ليس للمؤمنين عندهم ذنبٌ يَعيبونهم به ويغتاظون به عليهم إلا أنْ أغناهم الله من فضله[3] بالغنائم والصدقات، ورسولُه كان سبباً لذلك وموصِلاً إليهم، وهذا ليس مما يُنقم به.

وقوله تعالى: ﴿فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ﴾: أي: إنْ يُخْلِص هؤلاء المنافقون فهو خيرٌ لهم في الدنيا والآخرةِ؛ لنجاتهم من العقاب ووصولِهم إلى الثواب في العُقبى، وأمنِهم وعزِّهم وحُسنِ ذكرِهم في الدنيا.

---

(١) في (ف) و(أ): «تخشوني».

(٢) لم أجده، وهو مخالف للأخبار السابقة مرسلة ومرفوعة من أن القصة وقعت خلال غزوة تبوك، وقد روي في قوله تعالى في هذه السورة: ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ﴾ خبر شبيه ببعض ما هنا، رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٦٤٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٨٧٠)، والطبراني في «الأوسط» (٧٩٢)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وفيه: قام رسول الله ﷺ يوم جمعة خطيبا فقال: «قم يا فلان فاخرج فإنك منافق، اخرج يا فلان فإنك منافق» فأخرجهم بأسمائهم ففضحهم.. الحديث. وسيأتي بتمامه عند تفسير قوله تعالى: ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ﴾.

(٣) «من فضله» من (ف).

وقوله تعالى: ﴿وَإِن يَتَوَلَّوْا﴾: أي: عن التوبة عن النفاق[(١)] ﴿يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا﴾ باللعن وهتك السِّتر والجلاء والسَّبي والقتل ﴿وَ﴾ في[(٢)] ﴿الْآخِرَةِ﴾ بعذابِ النار أبداً.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾: أي: في الدنيا ﴿مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾: أي: مَن يتولَّى الذبَّ عنهم إذا نزل عذابُ الدنيا، ولا مَن ينصرُهم فيمنعُ الله عن تعذيبهم، ولم يذكر الآخرة لأن الملكَ يومئذ لله فلا وليَّ ولا نصير يومئذ لأحد، فأما في الدنيا فقد يكون للإنسان وليٌّ ونصير، وهؤلاء ليس لهم في الدنيا ذلك.

وقيل: أي: ما لهم مَن يوالونهم ويتعصَّبون لهم، ولا مِن أعوانهم والقائمين بنصرتهم في هذه الدنيا مَن يصرفُ عنهم العذاب في العُقبى.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ولمَّا نزل ﴿فَإِن يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ قام الجلاس فقال: أسمع الله يَعْرِض عليَّ التوبة، والله لقد قلتُ هذا، وإن الذي أخبر عني لصادقٌ، فتاب وحسُنت توبته[(٣)].

وقال الإمام القشيري رحمه الله: تمنَّوا زوال دولة الإسلام، فأبى الله إلا إعلاءَ أمرِها على الدوام.

﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ﴾؛ أي: وما عابوهم إلا بما هو أجلُّ الخصال، فلم يحصلوا إلا على الخزي والنكال.

---

(١) «عن النفاق» من (أ).

(٢) «في» من (أ) و(ف).

(٣) ذكره عن عطاء عن ابن عباس الواحدي في «البسيط» (١٠/ ٥٥٧). وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٧٠)، والواحدي في «البسيط» (١٠/ ٥٥٧)، والبغوي في «تفسيره» (٤/ ٧٠)، عن الكلبي. ورواه عبد الرزاق في «المصنف» (١٨٣٠٣)، والطبري في «تفسيره» (١١/ ٥٧٦)، عن عروة بن الزبير، وهو عندهم متصل بقصة قوله: (لنحن شر من الحمير).

وقوله تعالى: ﴿فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ [وأقوى أركانِ] التوبة: حلُّ عقدة الإصرار عن القلب، ثم القيامُ بكلِّ حقوق الرب(١).

***

(٧٥) - ﴿ ۞ وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾: أي: ومن هؤلاء المنافقين مَن عاهد الله، هو ثعلبةُ بن حاطب، وقد كتبنا هذه القصة في أمالي بعض(٢) مشايخنا ببخارى مسنداً عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه: أن ثعلبة بن حاطب رضي الله عنه قال لرسول الله ﷺ: ادع الله أن يرزقني مالاً، فقال النبي ﷺ: «ويحك يا ثعلبة، قليل تؤدِّي شكره خيرٌ من كثيرٍ لا تُطِيقه»، ثم قال له مرةً أخرى، فقال له: «أَلَا ترضَى أن تكونَ مثلَ نبيِّ الله؟ فوالذي نفسي بيده لو شئتُ أن تسير معي الجبال ذهباً وفضةً لسارت» فقال: والذي بعثك بالحق نبيًّا لو دعوتَ الله أنْ يرزقني مالاً لأعطينَّ كلَّ ذي حقٍّ حقَّه، فقال النبيُّ ﷺ: «اللهمَّ ارزقه مالاً».

فاتَّخذ غنماً فنَمَتْ كما ينمو الدودُ، فضاقت عليه المدينة فتنحَّى عنها فنزل وادياً من أوديتها، ثم جعل يصلي الظهرَ والعصر بجماعةٍ ويترك ما سواهما، ثم نمت وكثرت فتنحَّى(٣) حتى ترك الصلوات إلا الجمعةَ، وهي تنمو كما ينمو الدود، حتى ترك الجمعة، فطفِقَ يتلقى الركبان يوم الجمعة يسألهم عن الأخبار، فسأل رسولُ الله ﷺ: «ما فعل ثعلبة» قالوا: يا رسول الله، اتَّخذ غنماً فضاقت عليه المدينة، وأخبروه

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٤٧)، وما بين معكوفتين منه.

(٢) قوله: «في أمالي بعض» من (ر)، ووقع بدلًا منه في (أ): «من بعض»، وفي (ف): «لبعض».

(٣) «فتنحى» ليست في (أ) و(ف).

بأمره، فقال النبي عليه السلام: «يا ويحَ ثعلبةَ يا ويحَ ثعلبة» فأنزل الله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ وأنزلَ عليه فرائضَ الصدقة، فبعث النبيُّ ﷺ رجلين على الصدقة وكتب لهما كيف يأخذان الصدقة وأسنانَ الإبل، وأمرهما أن يخرجا ويأخذا الصدقاتِ من المسلمين، وقال لهما: «مُرَّا بثعلبة وبفلانٍ من بني سليمٍ فخُذا منهما الصدقة»، فخرجا حتى أتيا ثعلبة، فسألاه الصدقة فأقرآه كتاب رسول الله ﷺ، فقال: ما هذه إلا جزيةٌ، ما هذه إلا أختُ الجزية، ما أدري ما هذا؟! انطلِقا حتى تفرغا ثم عودا إليَّ، فانطلقا.

وسمع بهما السُّلمي، فنظر إلى خِيَار أسنان إبله فعزلها[1] للصدقة، ثم استقبلهما بها، فلما رأوها قالوا: ما يجب عليك هذا، وما نريد أن نأخذ منك هذا، قال: بلى خذوه فإن نفسي بذلك طيِّبة، وإنما هي لي، فأخذوها منه، فلما فرغا من صدقاتهما رجعا حتى مرَّا بثعلبة، فقال: أروني كتابكما، فنظر فيه فقال: ما هذه إلا أختُ الجزية! فانطلِقا حتى أرى رأيي.

فانطلقا حتى أتيا رسول الله ﷺ، فلما رآهما قال: «يا ويح ثعلبة» قبل أن يتكلَّما ودعا للسلمي بالبركة، فأخبراه بالذي صنع ثعلبة والذي صنع السلميُّ، فأنزل الله تعالى فيه: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ﴾ الآيات، وعند رسول الله ﷺ ناسٌ[2] من أقارب ثعلبة، فسمع ذلك فخرج حتى أتاه فقال: ويلك يا ثعلبة، قد أنزل الله فيك كذا وكذا، فخرج ثعلبة حتى أتى رسول الله ﷺ، فسأله أن يقبل منه صدقته، فقال عليه السلام: «إنَّ الله قد منعني أن أقبل منك صدقتك» فجعل يَحثي على رأسه التراب، فقال له رسول الله ﷺ: «هذا عملُك، قد أمرتُك فلم تُطِعني» فلما أَبى أن يقبل منه شيئاً رجع إلى منزله.

---

(١) في (ف): «فعدها».

(٢) «ناس» ليست في (أ) و(ف).

وقُبض رسول الله ﷺ ولم يَقبل منه شيئاً، حتى أتى أبا بكر حين استُخلف فقال: قد علمتَ منزلتي من رسول الله ﷺ وموضعي من الأنصار، فاقبل صدقتي، فقال أبو بكر: لم يقبلها منك رسول الله ﷺ وأنا أقبلها؟! فقُبض أبو بكر رضي الله عنه ولم يقبلها.

فلما ولي عمر رضي الله عنه أتاه فقال: يا أمير المؤمنين، اقبل صدقتي، فقال: لم يقبلها منك رسول الله ﷺ ولا أبو بكر وأنا أقبلها؟! فقبض عمر ولم يقبلها منه.

ثم ولي عثمان رضي الله عنه أتاه يسأله أن يقبل صدقته، فقال: لم يقبلها رسول الله ﷺ ولا أبو بكر وعمر وأنا أقبلها منك؟! فلم يقبلها منه عثمان، وهلك ثعلبة في خلافة عثمان رضي الله عنه[1].

وذكروا أن ثعلبة قبل سؤال المال وحدوث هذا الحال كان ملازماً لمسجد رسول الله ﷺ ليلاً ونهاراً، وكان يلقب بذلك: حمامةَ المسجد، وكانت جبهتُه صارت كرُكْبةِ البعير لكثرة سجوده على الأرض ـ وقيل: على الحجارة المحمَّاة بالشمس ـ وجعل يخرج كلما فرغ رسول الله ﷺ من الفجر بالجماعة من غير لبثٍ واشتغالٍ بدعاء أياماً، فقال له عليه السلام: «مالك صرت تعمل أعمال المنافقين من تعجيل الخروج بعد الجماعة؟»، فقال: يا رسول الله، إني في غاية الفقر والفاقة، ولي ولامرأتي ثوبٌ واحد وهو الذي عليَّ، فأنا أصلِّي فيه هاهنا وهي عريانةٌ في البيت، ثم أعود إليها فأنزعه وهي تلبسه فتصلي فيه، فسَلِ الله أن يوسِّع عليها، ثم القصة على ما سقناها[2].

---

(١) رواه ابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٢٢٥٣)، والطبري في «التفسير» (١١/ ٥٧٨)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٧٨٧٣)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ٢٨٩ ـ ٢٩٢) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه، قال البيهقي: هذا حديث مشهور فيما بين أهل التفسير، وإنما يروى موصولًا بأسانيد ضعاف. وقال الذهبي في «تجريد أسماء الصحابة» (ص: ٦٦): منكرٌ بمرَّة.

(٢) ذكره حقي في «روح البيان» (٣/ ٤٦٩)، والآلوسي في «روح المعاني» (١٠/ ٤٣٢).

وقوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ﴾؛ أي: وسَّع علينا المالَ ﴿لَنَصَّدَّقَنَّ﴾؛ أي: لنتصدَّقن، أُدغمت التاء في الصاد وشُدِّدت؛ أي: لنصرفنَّ[1] في وجوه الخير من الجهاد وغيره ﴿وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

قيل: مِثْلَ عثمان بنِ عفان وعبدِ الرحمن بن عوف في البذل والسخاء.

* * *

(٧٦) ـ ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾.

﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾: ووسَّع الله عليهم الدنيا ﴿بَخِلُوا۟ بِهِۦ﴾؛ أي: بالفضل، فمنعوا حقوقه ﴿وَتَوَلَّوا۟﴾؛ أي: عن طاعة الله وطاعة رسوله في أداء حقوق الأموال ﴿وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾؛ أي: عن الإسلام وأحكامه.

* * *

(٧٧) ـ ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ﴾.

﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا﴾: قال مجاهد: فأعقبهم اللهُ نفاقاً[2]؛ أي: جعل عاقبةَ ذلك نفاقاً.

﴿فِى قُلُوبِهِمْ﴾؛ أي: ترديداً واضطراباً في العقيدة، وشكًّا في الإسلام، وهذا من الله تعالى جزاءٌ لهم على بخلهم.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: ويحتمِل: فأَعقبهم دواماً على نفاقهم[3]،

---

(١) في (ف): «لنصدقن».

(٢) ذكره الجصاص في «أحكام القرآن» (٤/ ٣٥٠)، والواحدي في «البسيط» (١٠/ ٥٦٤) بلفظ: (أعقبهم الله ذلك بحرمان التوبة كما حرم إبليس).

(٣) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٥/ ٤٣٣).

فقد[1] قيل: كانوا منافقين فخذلهم الله وتركهم في ضلالهم لاختيارهم ذلك.

وقوله تعالى: ﴿إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ﴾: أي: إلى يوم القيامة، وهو لتأبيدِ نفاقهم، فمَن بقي منافقاً إلى يومِ القيامة لم يثبت له حكمُ الإسلام أبداً.

ثم هو حجةٌ لنا في مسألةِ خَلْق الأفعال، ومسألة[2] الأصلح.

وقال الحسن: فأَعقبهم بخلُهم نفاقاً[3]؛ أي: صار سبباً لذلك، وقوله: ﴿إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ﴾ أي: يرون بخلَهم؛ كما قال: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٨]، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ﴾ [آل عمران: ٣٠].

وقوله تعالى: ﴿بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ﴾: فوَعْدُهم: عهدُهم المذكور في أول الآية، وكذبُهم: قولُهم: ﴿لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾، ودلَّ على أنَّ مَن قال: لأفعلنَّ كذا، وهو ينوي ألا يفعله كان كاذباً.

وقال النبيُّ ﷺ: «ثلاثٌ من علامات المنافق[4]: إذا حدَّث كذب، وإذا وعَد أَخْلَف، وإذا اؤتُمن خان» [5]، ومعناه: إذا استحلَّ ذلك، أو كانت هذه الأشياء في الدِّين لا في معاملة الخَلق.

وذكر محمد بن جرير في «تفسيره» عن معبد بن ثابت أنه قال في هذه الآية: إنما هو شيء نوَوْه في أنفسهم ولم يتكلَّموا به يدلُّ عليه ما بعده، وهو قوله تعالى:

---

(١) «فقد» ليست في (أ).

(٢) في (ر): «ومثله».

(٣) ذكره الجصاص في «أحكام القرآن» (٤/ ٣٥٠).

(٤) في (أ): «المنافق».

(٥) رواه البخاري (٣٣)، ومسلم (٥٩)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٧٨) ـ ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾.

﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾[١]: استفهامٌ بمعنى التوبيخ؛ أي: يعلم ما أَسرُّوه في أنفسهم يومَ عاهدوه وما يتناجَونه فيما بينهم مما لا يَشْرَكُهم في العلم به غيرُهم من الطعن على شرائع الإسلام من الصدقات ووجوهِ الطاعات، وهو علَّامُ الغيوب لا يخفى عليه من الغائبات شيءٌ.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: أي: من الغائبات عن الخَلق، ولا يَغيب عن الله تعالى شيء[٢].

***

(٧٩) ـ ﴿ ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾: أي: هم الذين يَعيبون المتطوِّعين، أُدغمت التاء في الطاء وشدِّدت، وقوله ﴿مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾؛ أي: من المخلِصين في الصدقات الزائدة على الزكَوات اللازمة، فيقولون: يراؤون بما يفعلون.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾: أي: ويَعيبون الفقراء الذين يأتُون بما لا يَفي حالهم بأكثرَ منه، والجُهْد بالضم: الطاقة، والجَهْد بالفتح: المشقَّة[٣].

---

(١) لم أجده عند الطبري، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٧٣)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٣/ ٤٧٥).

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٥/ ٤٣٤).

(٣) ويجوز في معنى الطاقة فتح الجيم أيضاً. انظر: «مختار الصحاح» (مادة: جهد).

وقال الشعبيُّ: الجَهد بالفتح: في العمل، والجُهد بالضم: في القوت[1].

وقيل: هما لغتان كالضَّعف والضُّعف، والكَرْه والكُرْه، وهما الحملُ على النفس بما يشقُّ عليها.

وقوله تعالى: ﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ﴾: أي: يَهْزَؤون.

وقوله تعالى: ﴿سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ﴾: أي: جزاهم[2] جزاءَ سُخريتهم، وقد بيَّنا نظائره في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [البقرة: ١٥]، وقوله تعالى: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ﴾ [الأنفال: ٣٠].

وقوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي: في الدنيا والآخرة.

وقال الكلبي: قال النبيُّ ﷺ: «اجمعوا صدقاتكم»، فجاء عبد الرحمن بن عوف بأربعة آلافِ درهم، وقال: قد كان لي ثمانيةُ آلافِ درهم، فأقرضتُ ربِّي أربعةَ آلافٍ وأمسكتُ لنفسي أربعةَ آلاف، فقال عليه السلام: «بارك اللهُ لك فيما أعطيتَ وفيما أمسكتَ»، ثم جاء عمر بنحو ذلك، وجاء عاصم بن عديٍّ بسبعين وسقاً من تمر ـ وفي رواية: بمئة وسقٍ ـ، فلمَزه المنافقون وقالوا: ما أعطاه إلا رياءً، وجاء أبو عقيلٍ بصاعٍ من تمر، فأمره رسول الله ﷺ أن يضعه فوق الصدقات، فلمزه المنافقون وقالوا: كان الله غنيًّا عن صاع أبي عقيل، ولكنه أحبَّ أن يذكِّر نفسه ليعطى من الصدقة[3].

---

(١) ذكره الواحدي في «البسيط» (١٠/ ٥٦٩).

(٢) في (ف) و(أ): «جازاهم».

(٣) رواه أبو الشيخ في «تفسيره» عن الحسن مرسلًا مطولًا كما في «الدر المنثور» (٤/ ٢٥٢)، وللقصة شواهد عن جمع من الصحابة والتابعين رواها الطبري في «تفسيره» (١١/ ٥٨٨ ـ ٥٩٦)، ومنها حديث أبي هريرة رضي الله عنه عند البزار (٢٢١٦ ـ كشف الأستار). وخبر أبي عقيل رواه البخاري (١٤١٥)، ومسلم (١٠١٨) من حديث أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه.

وقال مقاتل: الذين يلمزونهم هم معتِّبُ بن قُشير وحَكيم بن زيد(١).

وقال عطاء: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾: سهل بن رافع(٢).

وقيل: هو أبو خيثمة.

وفي رواية: قال لعبد الرحمن: «أكثرتَ يا عبد الرحمن، هلا تركتَ لأهلك شيئاً» قال: تركتُ لهم شطرَ مالي، فدعا له بما روينا(٣).

***

(٨٠) ـ ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾:

قال الإمام أبو منصور رحمه الله: قال عامةُ المفسرين: لمَّا مات عبد الله بن أبيٍّ أراد رسول الله ﷺ أن يصلِّي عليه، فأخذ عمر بثوبه فقال: ما أمرك الله بهذا؛ قال: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ فقال: «قد خيَّرني ربي» فقال عمر رضي الله عنه: إنه قال: ﴿إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ قال: «أزيد على السبعين فعسى الله أن يغفر لهم» فأنزل الله عند ذلك ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ [المنافقون: ٦](٤)، ولكن هذا

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ١٨٦).

(٢) ذكره الواحدي في «البسيط» (١٠/ ٥٦٨) من طريق عطاء عن ابن عباس. وتحرف فيه «رافع» إلى: نافع.

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ١٨٥).

(٤) رواه مختصراً عبد الرزاق في «تفسيره» (١١١٣) عن قتادة، والطبري في «تفسيره» (١١/ ٦٠١) عن =

يَبْعُد؛ أن يفهم رسول الله عليه السلام التخييرَ وعمرُ يمنعه عن ذلك، ولا يجوز أن يفهم التخيير من ذلك، أو يخرج ذلك على التحديد، أو تكون هذه منسوخةً بالآية التي في المنافقين لأنه وعيدٌ والوعيد لا يحتمِلُ النسخ.

والوجه فيه والله أعلم: إن استغفرتَ لهم فإن استغفارك ليس بالذي يردُّ ولا يجاب، لكنهم كفروا بالله ورسوله، وقد تعلم من حُكمي أني لا أغفر لمن مات على ذلك، فخرج ذلك على الاعتذار لرسول الله ﷺ في ذلك، والنهيِ[1] له عن الاستغفار؛ كما قال تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ ﴾ الآية [التوبة: ١١٣]، وقد علم هو كفرَ المنافقين؛ إذ لا يُحتمَل أن يكون ذلك قبل أن يطَّلع رسول الله ﷺ على كفرهم[2].

وقال غيره: قوله عز وجل: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ ليس بأمرٍ، وقوله: ﴿أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ ليس بنهي، و﴿أَوْ﴾ ليس بتخييرٍ، بل هو تسويةٌ بين الفعلين: أنه لا يقع به المغفرة،

= ابن عباس، وإسناده ضعيف جداً. وأورد عليه أنّ سورة براءة آخر ما نزل فكيف تكون الآية التي في (سورة المنافقين) نازلة بعدها. قاله الشهاب في «الحاشية» (٤/ ٣٤٩).

وقال ابن حجر «الكافي الشافي» (ص: ٧٨): (وأصله في المتفق عليه عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: لما توفي عبد الله بن أبي جاء ابنه إلى رسول الله ﷺ فسأله أن يعطيه قميصه يكفن فيه أباه فأعطاه، ثم سأله أن يصلي عليه، فقام يصلي عليه، فأخذ عمر رضي الله عنه بثوبه فقال: أتصلي عليه وقد نهاك الله أن تصلي عليه؟ فقال: «إنما خيرني فقال: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ الآية، وسأزيده على السبعين» فصلى عليه، فأنزل الله تعالى: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا﴾ فتُركت الصلاة عليهم. لفظ مسلم). قلت: رواه البخاري (٤٦٧٠، ٤٦٧٢)، ومسلم (٢٤٠٠).

(١) في (أ): «النهي» دون الواو، ولها وجه، لكنها وقعت في باقي النسخ «والتأويلات»: «والنهي»، بالواو.

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٥/ ٤٣٦).

وطريقُه طريقُ قول الرجل: اطلب مني هذا أو لا تطلب، فإن طلبت سبعين مرة فلَمْ أعطِكَ، هو بيانٌ أنه لا يقع في ذلك ولا أثر لذلك، والتقدير بالسبعين ليس يُقصَر عليه، بل هو بيانُ الكثرة والمبالغةُ فيها، فإن السبعين جمع السبع، وعلى السبع أكثر الأعداد: عددُ السماوات والأرضين، والأقاليمِ والبحارِ والأعضاء، وتاراتِ بني آدم وأرزاقهم[1]، والأيام السبعة، وأسباع القرآن، وأيام الدنيا، وغير ذلك، والجمع نهاية فيه، وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا﴾ [الأعراف: ١٥٥] وقوله: ﴿سَبْعُونَ ذِرَاعًا﴾ [الحاقة: ٣٢]، وقول النبي ﷺ «ما أصرَّ مَن استغفر وإن عاد في اليوم سبعين مرة»[2].

فمعناه: إنك وإن انتهيتَ في عدد الاستغفار لم ينفعهم ذلك.

وقيل: كان يستغفر لهم بطلبهم وكانوا يسخرون بذلك، قال الله تعالى: ﴿سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا﴾ الآية [الفتح: ١١]، ولذلك قال: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ [المنافقون: ٦]؛ أي: سواء عندهم، فليس ذلك منهم على الجِدِّ والتحقيق.

وقيل معناه: سواءٌ عند الله في حقهم الاستغفارُ وتركُه؛ لِمَا قال: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾: أي: الخارجين عن الإيمان، ما داموا مختارين[3] للكفر والطغيان.

وقال القشيري رحمه الله: مَن غلبَتْه الشِّقوة لم تنفعه الشفاعةُ والدعوة، وصريعُ القدرة لا يُنعشه الجهد والحيلة[4].

---

(١) في (ر): «وأرزاق بني آدم»، بدل: «وتارات بني آدم وأرزاقهم».

(٢) رواه أبو داود (١٥١٤)، والترمذي (٣٥٥٩)، من حديث أبي بكر رضي الله عنه. قال الترمذي: هذا حديثٌ غريب إنما نَعْرِفُه من حديث أبي نُصَيْرَةَ، وليس إسنادُه بالقويِّ.

(٣) في (ر): «والمختارين»، بدل: «ما داموا مختارين».

(٤) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٤٩).

(٨١) ـ ﴿ فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُواْ يَفْقَهُونَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ ﴾: المخلَّفون: الذين لم يخرجوا مع رسول الله ﷺ والمؤمنين إلى غزوة تبوك، ولتسميتهم بذلك معانٍ:

أحدها: أن الله تعالى خلَّفهم، وهم الذين ﴿كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ﴾.

والثاني: أن النبيَّ ﷺ لم يأذن لهم[١] بالخروج وتركهم.

والثالث: أن النبيَّ ﷺ والمؤمنين لم يَعبؤوا بهم، ولا عَدُّوهم في جملةِ مَن يُتكثَّر بمثلهم في العسكر أو يُعتضَد بهم في رأيٍ ومشورةٍ لمَّا علموا بتثاقلهم عن الجهاد.

وتسميتُهم بذلك على هذه الوجوه تهجينٌ[٢] لهم وسبٌّ وذمٌّ، وفي معناه يقول الأخطل يهجو قوماً:

مخلَّفــون ويقضــي النــاسُ أمرَهــم[٣]

وقوله تعالى: ﴿بِمَقْعَدِهِمْ﴾ يجوزُ أن يكون مصدراً كقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾ [القمر: ٥]؛ أي: بقعودهم، ويجوز أن يكون موضعاً ومعناه: فرحوا بالمدينة وبمنازلهم وحوائطهم لِمَا نالوا من الدَّعة والراحة.

وقوله تعالى: ﴿خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: على مخالفته[٤] بمعنى المصدر.

---

(١) في (ر): «تأذن لهم»، بدل: «لم يأذن لهم».

(٢) في (ر): «تهجير».

(٣) وعجزه:

وهــم بغيــبٍ وفــي عَمَيــاءَ مــا شَــعروا

انظر: «المقاصد النحوية» للعيني (٢/ ٥٩٣).

(٤) في (ف): «بمخالفته» بدل: «على مخالفته».

وقيل: أي: خَلْف رسول الله ﷺ، وهو كقوله عزَّ وجلَّ: ﴿لا يلبثون خلفك إلا قليلاً﴾ [الإسراء: ٧٦] وقرئ: ﴿خِلَٰفَكَ﴾، على المعنيين.

وقوله تعالى: ﴿وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: أي: استثقلوا ذلك لكفرهم.

وقوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلْحَرِّ﴾: أي: قال بعضهم لبعضٍ ـ وقيل: قالوا للمؤمنين ـ: لا تخرجوا للغزو، فإنه وقع في شدة حرٍّ لا يؤمَن معها قلةُ المياه وكَلالُ الظهور والضعفُ عن المشي، فعاب الله عز وجل هذا من قولهم وهدَّدهم عليه بالنار، وذلك قوله تعالى:

﴿قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّاۚ لَّوْ كَانُواْ يَفْقَهُونَ﴾: أي: أخبِرهم يا محمدُ أن لهم على تخلُّفهم وتثبيطهم غيرَهم نارَ جهنم إليها مصيرُهم، وتأذِّيهم بحرِّها أشدُّ من تأذِّيهم بحرِّ الشمس والهواء.

وقوله تعالى: ﴿لَّوْ كَانُواْ يَفْقَهُونَ﴾؛ أي: لو تدبَّروا وتفكَّروا كما يفعل ذلك مَن فَهِم وفَقِه، ولو فَقِهوا وفهموا[1] لاحتملوا قليل التعب والأذى في طاعة الله ليُفضيَ بهم ذلك إلى النعيم المقيم.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ضرب النبيُّ ﷺ عسكره على ثنية الوداع، وضرب عبد الله بن أبيٍّ عسكره أسفلَ من الثنية، وكان أعظمَ العسكرين، فلما سار رسول الله ﷺ فتخلف عبد الله فيمَن تخلَّف من المنافقين وأهل الريب، فنزلت الآية[2].

---

(١) «وفهموا» ليست في (أ) و(ف).

(٢) لم أجده عن ابن عباس، ولم أجده في نزول هذه الآية، وروى الطبري في «تفسيره» (١١/ ٤٩٠ ـ ٤٩١) هذه القصة من طريق ابن إسحاق عن عمرو بن عبيد عن الحسن البصري في سبب نزول قوله تعالى: ﴿لَقَدِ ٱبْتَغَوُاْ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ﴾ الآية [التوبة: ٤٨]، وقد تقدم عند تفسير الآية المذكورة.

وقال مقاتل: ﴿ فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ ﴾؛ أي: رضي المخلفون ﴿بِمَقْعَدِهِمْ﴾: بقعودهم عن غزوة تبوك ﴿خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾ وهم بضعةٌ وثمانون رجلاً، فمنهم مَن اعتلَّ بشدة الحر، ومنهم مَن اعتلَّ بالعسرة ﴿وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ﴾ وقال بعضهم لبعض: ﴿لَا تَنفِرُواْ فِى ٱلْحَرِّ﴾ مع محمد، نزلت في سبعة منهم أبو لبابةَ وأصحابه، فإن[1] الحر شديد والسفر بعيد ﴿قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُواْ يَفْقَهُونَ﴾؛ أي: يعلمون[2].

* * *

(٨٢) - ﴿ فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلًا وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلًا وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا ﴾: أمرٌ[3] بمعنى التهديد؛ كقوله: ﴿ٱعْمَلُواْ مَا شِئْتُمْ﴾ [فصلت: ٤٠]، ومعناه: يضحكون على فرحهم بتخلُّفهم، وهذا في الدنيا قليل ثم يكون في الآخرة بكاءً كثيراً دائماً لا ينقطع.

قوله تعالى: ﴿جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾: من الكفر والنفاق والمعاصي.

* * *

(٨٣) - ﴿ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُواْ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَٰتِلُواْ مَعِىَ عَدُوًّا ۖ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُواْ مَعَ ٱلْخَٰلِفِينَ ﴾.

قوله تعالى: ﴿ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ ﴾: أي: رجعك[4] الله من غزوةِ تبوك إلى المدينة، وقد بقي من المنافقين طائفةٌ وهلكت طائفةٌ.

---

(١) قوله: «فإن»، كذا في النسخ، وفي «تفسير مقاتل»: (قالوا).

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ١٨٧).

(٣) من هنا وقع خرم في (ر) بمقدار ورقتين، وسوف نبين نهايته في موضعها.

(٤) في (ف): «ردك».

وقيل: تخصيص طائفةٍ منهم تخصيصُ رؤسائهم.

وقد روى شعبة عن قتادة أنهم كانوا اثني عشر رجلاً[١].

وقوله تعالى: ﴿فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ﴾: أي: معك إلى غزوة أخرى ﴿فَقُل لَّن تَخْرُجُواْ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَٰتِلُواْ مَعِىَ عَدُوًّا﴾؛ أي: فامنعهم عن الخروج معك للقتال، عاقِبْهم بأنْ لا تستصحِبَهم[٢] استخفافاً بهم، ودلالةً على سقوط محلِّهم والاستغناء في الأمور عنهم.

وقوله: ﴿إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ فلم تخرجوا إلى تبوك ﴿فَٱقْعُدُواْ مَعَ ٱلْخَٰلِفِينَ﴾ قال الحسن وقتادة: أي: مع النسوان والصبيان[٣].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: أي: مع مَن تخلَّف من المنافقين بغيرِ عذرٍ[٤].

وقيل: مع مَن تخلَّف عن الجهاد بعذرٍ من العميان والزَّمْنى.

وقيل: مع أهل الفساد، من قولهم: خَلَف فوهُ خُلوفاً: إذا تغيَّر إلى الفساد.

وقال القشيري رحمه الله: يقول: لا تنخدعْ لتملُّقهم، ولا تَثِقْ بقولهم، ولا تمكِّنْهم من صحبتك فيما يظهرونه من الوفاق، بعد ما ظهر وتقرَّر منهم الكذب والنفاق، وإذا انقطع سلكُ العهد لم يحتمل الشدّ، وإذا اتَّسع الخرقُ لم ينفع بعده الرقع[٥].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٦٠٩) من طريق سعيد عن قتادة. وسعيد هو ابن أبي عروبة، فلعل كلمة (شعبة) في النسخ محرفة عن: (سعيد).

(٢) في (ف): «تصحبهم».

(٣) ذكره عنهما الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ٣٨٨). ورواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٦٠٩) عن قتادة بذكر النساء فقط.

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٧٨)، والماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ٣٨٨). ورواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٦٠٩) بلفظ: (والخالفون الرجال).

(٥) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٥٠). وفيه: (... وإذا وهن سلك العهد...)، وهو الصواب، فإن المنقطع لا يصلح ذكر الشد معه، وإنما يكون ذاك للَّذي وهن.

(٨٤) ـ ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَـٰسِقُونَ ﴾.

قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ﴾: هذه فضيحةٌ لهم بعد الوفاة، وما ذُكر قبلها خزيٌ لهم في حالة الحياة.

وقال قتادة: دخل رسول الله عليه السلام على عبد الله بن أبيٍّ ابنِ سلولَ في مرض موته وكان دعاه[١]، فسأله أن يصليَ عليه ويقومَ على قبره ويكفنَه في قميصه، ففعل ذلك، فنزلت الآية[٢].

وعن عمر رضي الله عنه أنه قال: لمَّا توفي عبد الله بن أبيٍّ ووضعناه ليصلَّى عليه، قام رسول الله عليه السلام، فقلت: أتصلي على عدوِّ الله، القائلِ يوم كذا: كذا، والقائل يوم كذا: كذا، وعدَّدتُ أيامه الخبيثة، فتبسم رسول الله عليه السلام وصلَّى عليه، ثم مشى معه وقام على حفرته حتى دُفن وانصرف، فوالله ما لبث إلا يسيراً حتى نزل: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا ﴾ الآية، فما صلى رسول الله عليه السلام على منافقٍ أبداً ولا قام على قبره[٣].

وفي الآية تقديم وتأخير، وتقديره: ولا تصلِّ أبداً على أحدٍ منهم مات ولا تَقُمْ على قبره.

قيل: هو نفسُ القيام وهو نوعُ إكرام.

وقيل: هو القيامُ بأسباب دفنه ومواراته[٤].

---

(١) في (ف): «عاده».

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ١٦١)، والطبري في «تفسيره» (١١/ ٦١٤).

(٣) رواه بنحوه البخاري (١٣٦٦)، ومسلم (٢٤٠٠).

(٤) في (أ): «وموالاته».

وفي «التأويلات» أنه قيل: يا رسول الله! تُلبِسُ عدوَّ الله قميصك، قال: إني لأرجو أن يُسلم بقميصي ألفٌ من بني الخزرج[١]، وكان كذلك[٢].

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَـٰسِقُونَ﴾: أي: قد كفروا وأصرُّوا وعليه ماتوا، فليسوا أهلاً في إجلالك.

قوله تعالى: ﴿وَهُمْ فَـٰسِقُونَ﴾؛ أي: مُعلِنون للمعاصي.

وقال القشيريُّ رحمه الله: يقول: ليس بعد التبرِّي تولِّي، ولا بعد الفراق وِفاق، ولا بعد الحَجْبة قُربة[٣].

* * *

(٨٥) - ﴿وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَـٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَـٰفِرُونَ﴾.

قوله تعالى ﴿وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَـٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَـٰفِرُونَ﴾: فسَّرنا الآية مرةً، ومعنى التكرير: المبالغةُ في التأكيد والتقرير، أو لأن كلَّ آيةٍ في فرقةٍ غيرِ الأخرى.

ومعنى اتصالها بالأولى: أَمْضِ في المنافقين هذه الأحكامَ ولا يَهولنَّك ما يتكثَّرون به من الأموال والأولاد.

---

(١) رواه ابن شبة في «أخبار المدينة» (٧٣٢) عن الحسن، و(٧٣٤) عن قتادة، وفيهما: (من بني النجار) بدل: (من بني الخزرج). ورواه عن قتادة أيضاً الطبري في «تفسيره» (١١/ ٦١٤)، وفيه: (من قومه).

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٥/ ٤٤٠). وانظر: «معاني القرآن» للزجاج (٢/ ٤٦٣). وفيه: (فيروى أنه أسلم من بني الخزرج ألف لما رأوه يطلب الاستشفاء بثوب رسول الله ﷺ). قلت: وهذا كله لم يرد به خبر يصلح للاحتجاج به.

(٣) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٥١).

وقال الإمام القشيري رحمه الله: ولا تحسبنَّ أن تمكين أهل النفاق من تنفيذِ مرادهم وتكثيرِ أموالهم وأولادهم إسداءُ معروف منا إليهم، وإسباغُ إنعامٍ من لدُنَّا عليهم، إنما ذلك مكرٌ بهم واستدراجٌ لهم، وإمهالٌ لا إهمال، وسيلقون[1] غبَّه عن قريب[2].

***

(٨٦) ـ ﴿ وَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٌ أَنۡ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ ٱسۡتَـٔۡذَنَكَ أُوْلُواْ ٱلطَّوۡلِ مِنۡهُمۡ وَقَالُواْ ذَرۡنَا نَكُن مَّعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ ﴾.

قوله تعالى ﴿ وَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٌ أَنۡ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ ﴾: هو الأمر بابتداء الإيمان في حقِّ الكافرين، وبالدوام على الإيمان في حقِّ المؤمنين، وأمرٌ بالإخلاص في حق المنافقين.

قوله تعالى: ﴿وَجَٰهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ﴾: أي: جاهدوا الكفار مبايِعينَ[3] لرسوله.

قوله تعالى: ﴿ٱسۡتَـٔۡذَنَكَ أُوْلُواْ ٱلطَّوۡلِ مِنۡهُمۡ﴾: قال ابن عباس رضي الله عنهما ومقاتل والحسن: أي: أولو الغنى[4].

وقال ابن كيسان: وهو الكثيرُ المنظور إليهم[5].

وقيل: الطَّول: العُدَّة التي يُتمكَّن بها من مطاولة الأعداء.

قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ ذَرۡنَا نَكُن مَّعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ﴾: أي: دعنا[6] نقعدْ مع المتخلِّفين.

---

(١) في (ر): «وسيقولون»، وفي (ف): «وسيطوقون»، والمثبت من «اللطائف»، ولعل ما في (أ) محرف عنه.

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٥١).

(٣) في (ف): «متابعين».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٦١٦) عن ابن عباس، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٨٥٨)، وذكره الواحدي في «البسيط» (١٠/ ٥٨٥) عنه وعن الحسن. وانظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ١٨٨).

(٥) ذكره الواحدي في «البسيط» (١٠/ ٥٨٥) بلفظ: (الكبراء المنظور..).

(٦) في (أ): «ذرنا».

(٨٧) ـ ﴿رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ﴾: أي: النساءِ المتخلِّفات، والفواعل[١] جمع الإناث.

وقيل: معناه: مع الخِسَاس، من قولهم: فلانٌ خالفةُ أهله، إذا كان دونهم في أسباب الفضل، وهذا تعييرٌ لهم وذمٌّ.

قوله تعالى: ﴿وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾: أي: خُتم عليها فخُذلوا لاختيارهم الكفر والنفاق.

قوله تعالى: ﴿فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾: قيل: لا يعلمون.

قال الضحاك: أي: لا يقبلون أمر الله[٢]، وهذا كقوله: ﴿مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ﴾ [هود: ٩١]؛ أي: لا نقبل.

قال الإمام أبو منصور: الفقه: معرفةُ الشيء بمعناه الدالِّ على نظيرِه، ومنَعَهم الطبعُ أن يعرفوا الأشياء[٣] بمعانيها ونظائرها للحجاب الذي وقع، فإن الإيمان نورٌ تبصَر به عواقبُ الأمور، وتُرفع السُّتور عن القلوب، والكفرُ ظلمةٌ تَستر ذلك[٤].

وقال الإمام القشيري رحمه الله: تعلَّل أولو السَّعة وركَنوا إلى اختيار الدَّعة، وقعدوا عن بساط العبادة، ورضُوا بالتعريج في ميدان التفرقة، ولو أنهم رجعوا إلى الله بصدق النَّدم لقابلهم بالفضل والكرم، ولكن القضاء غالبٌ والتكلُّفَ ساقط[٥].

* * *

---

(١) في (ف): «والقواعد».

(٢) ذكره الواحدي في «البسيط» (١٠/ ٥٨٦) وتحرف فيه «يقبلون» إلى: (يعلمون).

(٣) في (أ): «الأسباب»، والمثبت من (ف) و«التأويلات».

(٤) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٥/ ٤٤٣).

(٥) في (ف): «والتكليف ساقط» والمثبت من (أ) و«اللطائف». انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٥٢).

(٨٨) ـ ﴿ لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ جَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾.

قوله تعالى: ﴿ لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ جَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ﴾: وهو صفةُ الرسول عليه الصلاة والسلام والمخلِصين الذين معه، بخلافِ صفة أولئك المنافقين.

قوله تعالى: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ﴾: أي[1]: المنافعُ والمحاسن في الدارين: من الأمن، والثناء الحسن، والصحبةِ مع رسول الله ﷺ في المغازي وإصابة المغنم، وصلاةِ النبيِّ عليه السلام عليهم، والقيام على قبورهم، وفي الآخرة بالكرامات الموعودة في الجنة.

قوله تعالى: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾: الفائزون بكلِّ مطلوب والبالغون في أنفسهم وأعدائهم كلَّ مأمول.

* * *

(٨٩) ـ ﴿ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾.

قوله تعالى: ﴿ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾: وهذا ظاهر.

* * *

(٩٠) ـ ﴿ وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾.

قوله تعالى: ﴿ وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ ﴾: يقال: اعتذرْتُ إلى

---

(١) في (أ): «أي مع».

فلان؛ أي: تكلَّمت بالعذر، فعذرني ـ بالتخفيف ـ أي: قَبِل عذري، وأَعْذَرْتُ[١] إليه؛ أي: أقمتُ العذرَ الصحيح على أمري، وعذَّرتُ ـ بالتشديد ـ أي: أتيتُ بما هو صورةُ العذر ولا عذرَ لي فيه حقيقةً.

والآية قرئت بقراءتين: بالتخفيف وهي قراءةُ ابن عباس[٢]، وبالتشديد وهي قراءة سائر الناس.

وبالتخفيف إخبارٌ عن قوم أتوا بالعذر الصحيح فعُذِروا، وبالتشديد إخبارٌ عن أعراب تكلَّموا بالعذر ولا عذر لهم فلم يُعذَروا، وفي الآية ذمٌّ لهم.

وجملتُه: أن نزول السورة في الجهاد، وصار الناس على أصناف:

منافقو أهل المدينة: وقد ذكرهم في قوله: ﴿ٱسْتَـْٔذَنَكَ أُوْلُواْ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ﴾.

والمخلصون: وذكرهم في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ جَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ﴾.

وأعراب أهل البادية مَن لهم عذر حقيقةً أو لا عذرَ لهم، وذكرهم الله في قوله: ﴿وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ﴾ من الأعراب على القراءتين.

وآخرون من الأعراب تخلَّفوا من غيرِ استئذانٍ، وذكرهم في قوله تعالى: ﴿وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾؛ أي: أظهروا الإيمان بالله ورسوله وهم كافرون في الباطن، فقد كذَبوا بذلك الله ورسولَه.

وقيل إنهم بايعوا رسول الله ﷺ على الجهاد ثم تخلَّفوا عن هذه الغزوة، فقد كذَبوا الله ورسوله فيما قالوا في تلك البيعة.

---

(١) في (أ) و(ف): «واعتذرت»، والصواب المثبت.

(٢) كما في «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٥٩)، وهي قراءة يعقوب من العشرة كما في «النشر» (٢/ ٢٨٠)، ورواية عن الكسائي ـ في غير المشهور عنه ـ كما في «جامع البيان» للداني (٢/ ١٨٢).

وقيل: لمَّا دعاهم رسول الله ﷺ إلى هذه الغزوة قالوا: نستعدُّ[1] ونلحقُ بك، فلم يفعلوا فذلك كَذِبُهم.

قوله تعالى: ﴿سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: في الدنيا والآخرة بكفرهم وكذبهم، ولم يقل: سيصيبهم، [ليدلَّ على أن من أهل النفاق مَن قد آمن، وأن مَن تاب يُقبل ذلك منه][2] [فيكون قوله]: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ الآيةَ لمن مات منهم على الكفر ولم يخلص، دون مَن تاب وأخلص.

وقوم آخرون[3] من ضعفاء المسلمين لم يكن لهم عُدَّةٌ فجاؤوا واستعانوا، فذلك قوله تعالى:

(٩١) - ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ﴾:

فالضعفاء: هم الذين لا قوةَ لهم بسبب كبرِ سنٍّ أو زَمانةٍ أو عَرَجٍ أو عمىً.

والمرضى: الذين بهم علةٌ يرجى زوالها إلا أنه في الحال لا طاقةَ بهم.

والذين لا يجدون ما ينفقون: هم الفقراء.

فهؤلاء لا حرج عليهم؛ أي: لم يضيِّق الله تعالى عليهم بالقعود بل وسَّعه عليهم.

---

(١) في (ف): «سنستعد».

(٢) ما بين معكوفتين من «تأويلات أهل السنة» (٥/ ٤٤٥)، والكلام فيه بنحوه، وما جاء بعده بين معكوفتين زدناه ليستقيم السياق.

(٣) في (ف): «وهم قوم» بدل: «وقوم آخرون»، والمثبت من (أ)، وهو الموافق لما في «تفسير ابن كمال باشا» عند هذه الآية.

قوله: ﴿إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾: أي: لم يثبِّطوا غيرَهم من الموسِرين والأصحَّاءِ عن الخروج، ولم يوهِموهم أن قعودهم كان لجواز التخلُّف لكلِّ مَن أراده، بل بيَّنوا سبب تخلُّفهم، وحرضوا القادرين عليهم[1]، وقاموا بأسبابهم عند خروجهم وأسبابِ مَن خلَّفوهم بالمعونة.

قوله تعالى: ﴿مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ﴾: وهم هؤلاء ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: يغفر لهم تخلُّفهم، ويرحمُهم بإزالة الحرج عنهم.

***

(٩٢) ـ ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّواْ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ﴾: أي: ولا حرجَ أيضاً على الأصحاء[2] الذين لا يستطيعون المشي ويحتاجون إلى المركب، وجاؤوك يا محمد وسألوك أن تعطيَهم مراكب تحملُهم عليها، وقد حمل الأمير فلاناً؛ أي: أعطاه مركباً.

قوله تعالى: ﴿قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ﴾: أي: قد فرَّقت ما كان عندي على الناس فلم يبقَ شيء أهيِّئُ به مراكبكم.

قوله تعالى: ﴿تَوَلَّواْ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ﴾: أي: انصرفوا من عندك وهم يبكون تأسُّفاً على فَوتِ صحبتك وتخلُّفِهم عنك، وهذه أمارةُ إخلاصهم وقعودهم بالعُذر، وشدةِ شوقهم إلى لقاء رسول الله ﷺ وتحسُّرِهم على فَوت ثواب الجهاد.

---

(١) في النسخ: «عليهم» والصواب المثبت. انظر: «تفسير ابن كمال باشا» عند هذه الآية.

(٢) في (أ): «المرضى». والمثبت من (ف)، وهو الموافق لما في «تفسير ابن كمال باشا» عند هذه الآية.

واختلفوا فيمَن نزلت فيهم هذه الآية:

قال مجاهد: في نفرٍ من مُزينةَ(١)، وهم مَعْقلُ بنُ مقرِّنٍ والنعمانُ بن مقرِّن(٢).

وقال مقاتل: نزلت في سبعة نفرٍ من جُهينةَ ومُزينةَ وبني عُذرةَ(٣): عمرو بن خيثمة(٤) من بني عمرو بن عوف، وعُلبةُ بن زيد أخو بني حارثة(٥)، وعمرو بن حزم من بني واقف(٦)، وسالم بن عمير وعبد الرحمن بن كعب وهو أبو ليلى من بني

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٦٢٥) بلفظ: (هم بنو مقرن من مزينة)، قال ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٣/ ٧١)، والقرطبي في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٣): وعلى هذا جمهور المفسرين. وانظر التعليق الآتي.

(٢) «والنعمان بن مقرن» من (ف)، وفي الاقتصار على اسم أو اثنين نظر، فقد كانوا سبعة إخوة هاجروا وصحبوا النبي ﷺ، ولم يشاركهم في هذه المكرمة غيرهم، وهم: النعمان، ومعقلٌ، وعقيلٌ، وسويدٌ، وسنانٌ، وعبد الله، وعبد الرحمن. انظر: «الاستيعاب» (٣/ ١٤٣٢)، و«تفسير القرطبي» (١٠/ ٣٣٣)، و«تجريد أسماء الصحابة» للذهبي (١/ ٣٣٦ و٣٥٦)، و«القاموس» (مادة: قرن).

(٣) قوله: «من جهينة ومزينة وبني عذرة» ليس في «تفسير مقاتل».

(٤) في (أ): «خيثم»، والمثبت من (ف)، ولم أقف على أي منهما. وفي «تفسير مقاتل»: (عمرو بن عبسة)، وفي نسخة منه: (عمرو بن غنمة)، وقد ذَكر غيرُه عمرَو بن غنمة في البكائين، لكن من بني سلمة لا من بني عمرو بن عوف، وذَكر من بني عمرو بن عوف: سالم بن عمير. رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٦٢٦) عن محمد بن كعب وغيره.

(٥) في (أ) و(ف): «وعلية بن زيد بن حارثة»، ووقع في اسمه في «تفسير مقاتل» تحريف كثير، والصواب المثبت. انظر: «السيرة النبوية» لابن هشام (٢/ ٥١٨)، و«الاستيعاب» (٣/ ١٢٤٥)، و«الإصابة» (٤/ ٥٤٦)، وغيرها. قال الحافظ: علبة بضم أوله وسكون اللام بعدها موحدة، ابن زيد بن عمرو بن زيد بن جشم بن حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس الأنصاري الأوسي. ذكره ابن إسحاق وابن حبيب في «المحبّر» في البكّاءين في غزوة تبوك... إلى آخر ما قال.

(٦) في «تفسير مقاتل»: (وعمرو بن حزام من بني سلمة)، وفي خبر محمد بن كعب وغيره المتقدم: (ومن بني واقف: هرمي بن عمرو). وفيه وفي غيره ممن ذكر اختلاف كثير في كتب السيرة والتفسير.

النجار، وعمرو بن خزيمة من بني سلمة، هؤلاء الستة هم من الأنصار، وعبد الله بن المغفل المزني، أتوا النبي عليه السلام فقالوا: احملنا فإنا لا نجد ما نخرج عليه، فقال: «لا أجد ما أحملُكم» فانصرفوا يبكون[١].

وقال الحسن: نزلت في أبي موسى الأشعريِّ وأصحابه[٢].

وقيل: هم معقل بن يسار، وصخر بن سلمان، وعبد الله بن كعب، وسالم بن عمر، وثعلبة بن عثمة؛ كلهم من الأنصار، وعبد الله بن المغفل وصخر بن خنساء.

وقال قتادة: نزلت في عائذ بن عمرو وغيره[٣].

قال أبو مسعود الأنصاري: جاء رجل إلى رسول الله عليه السلام فقال: احملني، فقال: «ليس لي ما أحملُك، ائتِ فلاناً فإنه يحملك»، فأتاه فحمله، فأُخبر رسول الله بذلك، فقال رسول الله عليه السلام: «مَن دلَّ على خيرٍ فله مثلُ أجرِ مَن عَمِله»[٤].

وقال الحسن: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ﴾ هي في عبد الله بن أم مكتوم وأصحابه[٥].

* * *

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ١٨٩ ـ ١٩٠).

(٢) ذكره الواحدي في «البسيط» (١٠/ ٥٩٥). وانظر حديث أبي موسى رضي الله عنه في «صحيح البخاري» (٣١٣٣)، و«صحيح مسلم» (١٦٤٩).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٦٢٣) دون كلمة: «وغيره». وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٨١) وفيه: (وأصحابه).

(٤) رواه أبو داود (٥١٢٩).

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٨١) عن الضحاك. وروى ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٨٦١) عن زيد بن ثابت قال: كنت أكتب لرسول الله ﷺ فكنت أكتب براءة، فإني لواضع القلم على أذني إذ أمرنا بالقتال، فجعل رسول الله ﷺ ينظر ما عليه إذ جاءه أعمى فقال: كيف بي يا رسول الله وأنا أعمى؟ فنزلت: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ﴾.

(٩٣) - ﴿ ۞ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَآءُۚ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ﴾: أي: سبيلُ اللوم والعتاب والعقاب ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَآءُ﴾: ومعنى التكرير المبالغة في التقرير.

وكذلك **قوله**: ﴿رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

* * *

(٩٤) - ﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْۚ قُل لَّا تَعْتَذِرُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْۚ وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ﴾: أي: يعتذر إليك هؤلاء المنافقون المتخلِّفون إذا رجعتُم إلى المدينة التي فيها مساكنُكم ومساكنهم.

قوله تعالى: ﴿قُل لَّا تَعْتَذِرُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ﴾: أي: لا تقبلوا عذرَهم وقولوا لهم: لا تتكلَّموا بالعذر ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ﴾؛ أي: فإنَّا لا نصدِّقكم.

قوله تعالى: ﴿قَدْ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ﴾: أي: قد عرَّفنا الله[1] إضماركم عداوتَنا وكذبَكم في معاذيركم.

وقوله تعالى: ﴿وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾:

قال ابن عباس رضي الله عنهما: أي: إنْ عملتُم خيراً وتبتُم إلى الله مِن تخلُّفكم فسيرى الله عملكم ورسولُه فيما تستأنِفون، ثم ترجعون ﴿إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ

---

(١) هنا نهاية الخرم في (ر).

﴿وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾؛ أي: إلى جزاء الله لا يخفى عليه شيءٌ، فيخبركم بما عملتُم ويَجزيكم على ذلك[1]، وهو كقوله تعالى: ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟﴾ إلى قوله: ﴿فَإِن يَتُوبُوا۟ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ [التوبة: ٧٤].

* * *

(٩٥) - ﴿سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ﴾: أي: إعراضَ صفحٍ ﴿فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ﴾؛ أي: إعراضَ مقتٍ، وأظهِروا لهم الاستخفافَ بهم، وعرِّفوهم أن إقرارهم أوضعُ من أن يَصلحوا لصحبة رسول الله ﷺ والمؤمنين.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ رِجْسٌ﴾: أي: أنجاسٌ نجاسةَ كفرٍ ونفاق.

وقيل: هو كقوله تعالى: ﴿لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا﴾ [التوبة: ٤٧].

وقوله تعالى: ﴿وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾: وإن لم تُجازِهم في الدنيا وصفَحْتَ عنهم.

* * *

(٩٦) - ﴿يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾: أي: يلتمِس هؤلاء المنافقون المتخلِّفون بحَلِفهم أن يُرضوكم وتَطيبَ قلوبُكم لهم، فلا ترضَوا عنهم، وإنْ أعرضتَ عن عقوبتهم على تخلُّفهم،

---

(١) ذكره الواحدي في «البسيط» (١١/ ٧).

ولكن أبغِضوهم بقلوبكم ساخطين معاملاتهم إياكم[١]، فإن الله لا يرضى عنهم لعلمه بكذبهم وفسقهم، ومأوى الفاسقين النار، قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ﴾ [السجدة: ٢٠].

قال الإمام القشيري رحمه الله: مَن كان مسخوطَ الحقِّ لا ينفعُه أن يكون مرضيَّ الخَلْق، وليست العبرةُ بقول غير الله، إنما المدارُ على ما سبق من السعادة في حُكم الله[٢].

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: سمى الله الكفارَ والمنافقين فاسقين في آياتٍ وإن كان اسم الكافر والمنافق أبلغَ في الذمِّ من اسم الفاسق؛ لأن اسم الفاسق يأنَفُ منه كلُّ ذي دِينٍ، فإنه خروجٌ عما يَدِينُ به، فأخبر الله تعالى أنهم مع تديُّنهم بالباطل فاسقون في معاملاتهم، خارجون عن دياناتهم، مستوجبون لـمَذمَّاتهم.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: نزلت في جدِّ بن قيس ومعتِّب بن قشيرٍ، وكانوا ثمانين رجلاً[٣].

وقال مقاتل: نزلت في عبد الله بن أبيٍّ لعنه الله، وذلك أنه حلف للنبيِّ ﷺ بالله الذي لا إله إلا هو لا يتخلَّف عنه وليكوننَّ معه على عدوِّه، وطلب إلى النبي ﷺ أن يرضى عنه، فنزلت الآية[٤]، وحلف عبد الله بن أبي سرحٍ لعمر بن الخطاب أن يرضى

---

(١) قوله: «وإنْ أعرضتَ عن عقوبتهم على تخلُّفهم، ولكن أبغِضوهم بقلوبكم ساخطين معاملاتهم إياكم»، كذا وقع في النسخ، ولعل الصواب التبديل بين الجملتين؛ أي: «ولكن أبغِضوهم بقلوبكم ساخطين معاملاتهم إياكم، وإنْ أعرضتَ عن عقوبتهم على تخلُّفهم».

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٥٦).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٨٢)، والبغوي في «تفسيره» (٤/ ٨٥).

(٤) «فنزلت الآية» من (ر)، وليست في (أ) و(ف)، وفي «تفسير مقاتل» بدلًا منها: (يقول الله: ﴿فَإِن تَرْضَوْاْ عَنْهُمْ﴾ يعني: عن المنافقين المتخلفين ﴿فَإِن تَرْضَوْاْ عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَـٰسِقِينَ﴾).

عنه فنزلت الآية، وقال النبيُّ ﷺ حين قدم المدينة «لا تجالسوهم ولا تكلِّموهم»(١).

* * *

(٩٧) - ﴿ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾: يتصل بما سبق: ﴿وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ﴾ [التوبة: ٩٠].

أي: سكان البوادي إذا كانوا كفاراً أو منافقين فهم أشدُّ كفراً ونفاقاً؛ لبعدهم عن رسول الله ﷺ، وغيبتهم عن مجالسته، وقلةِ ما يَرِدُ عليهم من مواعظ القرآن، فهم بذلك أحرى أن يَجهلوا حدود العبادات والشرائع المنزلة من الله على رسوله.

وقيل: الحدود: الأوامر والنواهي؛ قال تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾ [البقرة: ٢٢٩]، ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾ [البقرة: ١٨٧].

وهو ﴿عَلِيمٌ﴾ بسرائر المؤمنين والكفارِ والمنافقين ﴿حَكِيمٌ﴾ في تعريف أوليائه ذلك ليميِّزوا بين الأولياء والأعداء، وحكيمٌ أيضاً في كلِّ ما يأمر به في حقِّ كلِّ طبقة.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: نزلت في أعاريبِ أسدٍ وغطفانَ ومَن حوالي المدينة منهم(٢).

﴿وَأَجْدَرُ﴾؛ أي: أحرى ﴿أَلَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ من فرائضه في كتابه.

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ١٩١). وقول النبي ﷺ: «لا تجالسوهم ولا تكلموهم» رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٨٦٥) عن السدي مرسلاً.

(٢) ذكره الواحدي في «البسيط» (١١/ ١٠). ورواه أبو الشيخ كما في «الدر المنثور» (٤/ ٢٦٦) عن الكلبي، فلعله مما روي من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس.

وقال الضحاك: هم أعرابُ بني أسدٍ وبني تميمٍ.

وقال مقاتل: هم أعرابُ مُزينةَ[١].

وقال ابن كيسان: ﴿وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا﴾ حججَ الله وتوحيدِه وتثبيتِ رسالة رسوله[٢]؛ لأنهم لا ينظرون فيها ولا يعلمونها.

وقال يمانُ بن رئابٍ: حدودُه: الحرام والحلال[٣].

﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بما يسرُّون ﴿حَكِيمٌ﴾ في احتجاجه.

* * *

(٩٨) ـ ﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا﴾: أي: ومن هؤلاء الأعراب من يَعُدُّ ما أنفق في نائبةٍ أو وجهِ برٍّ وصدقةٍ ـ كان النبيُّ ﷺ يبعث الناس عليها[٤] ـ أو في تجهيز غازٍ غرامةً، ولا يفعله حسبةً[٥]؛ لأنه لا يؤمن بالله ولا يصدِّق بالبعث والجزاء، ولا ينال به[٦] عوضاً في الدنيا، ولا يخاف عقوبةً في الإمساك.

وقوله تعالى: ﴿وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ﴾: أي: يَنتظر بكم الحوادث.

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ١٩١).

(٢) في (أ): «رسالة رسله»، وفي (ف): «رسالته»، والمثبت من «البسيط» للواحدي، والكلام منه.

(٣) ذكر القولين الواحدي في «البسيط» (١١/ ١٥).

(٤) «كان النبي ﷺ يبعث الناس عليها» ليست في (أ) و(ف).

(٥) في (ر) و(ف): «حسنة».

(٦) في (أ): «يتألى به» وفي (ر) و(ف): «يناله به»، والمثبت هو الأنسب بالسياق.

قال يمان بن رئابٍ: أي: ينتظِر أن تنقلبَ الأمور عليكم فيموتَ الرسول ويظهرَ عليكم المشركون(١).

وقوله تعالى: ﴿عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾: أي: عليهم يدور البلاء والخزيُ، فلا يَرون في محمد ودِينه إلا ما يسوءهم.

قرأ ابن كثير وأبو عمرو: ﴿دائرة السُّوء﴾ بضم السين والباقون بفتحها(٢).

قال الكسائي: مَن ضمَّ السين أراد بالسوء البلاءَ والشدة وهو إضافة، ومَن فتح السين جعل السوء نعتاً للدائرة، فيكون كقولك: رجلُ سَوءٍ وامرأةُ سَوءٍ.

قال الإمام القشيري رحمه الله: خبُثت عقائدهم فانتظروا للمسلمين ما تمنَّوه من حلول المحن بهم، فأبى الله إلا أن يَحيق بهم مكرُهم، وقد قيل في المثل: إذا حفرْتَ لأخيك فوسِّع، فربما يكون ذلك مقيلَك(٣).

ويقال: مَن نظر إلى ورائه لم يوفَّق في كثير من تدبيره ورأيه(٤).

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾: أي: لمقالاتهم(٥) ﴿عَلِيمٌ﴾؛ أي: بنيَّاتهم.

* * *

(٩٩) ـ ﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِ أَلَآ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

---

(١) ذكره الواحدي في «البسيط» (١١/ ١٦)، والبغوي في «تفسيره» (٤/ ٨٦).

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٣١٦)، و«التيسير» (ص: ١١٩).

(٣) في (ر): «مقتلك».

(٤) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٥٧).

(٥) في (ف): «لمقالتهم».

وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾: أي: ومن هؤلاء الأعراب مَن يخالفُهم في الصفة، و﴿مَن﴾ للجمع هاهنا لأنه جنس؛ أي: ليسوا بكفارٍ ولا منافقين، بل هم مؤمنون بالله واليوم الآخر مصدِّقون بالبعث والجزاء.

وقوله تعالى: ﴿وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِ﴾: أي: ينفقون في سبيل الله ببعثِ رسول الله ويرونه قربةً؛ أي: طاعةً مقرِّبةً إلى رحمة الله، يرجع إليهم ثوابها، وينالون بها الدرجات في الآخرة، ويكتسبون[1] بها صلواتِ الرسول: وهو دعاؤه المتبرَّكُ به، واستغفارُه المرجوُّ إجابتُه.

وقوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ﴾: أي: لهم[2] ما نوَوا ورجَوا.

وقوله تعالى: ﴿سَيُدْخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِي رَحْمَتِهِۦٓ﴾: قال ابن عباس رضي الله عنهما: أي: في جنته[3].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: أي: يغفر ذنوبهم ويكفِّرها بهذه النفقات، ويرحمهم ولا يجزيهم بالعقوبات.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: هم مَن أسلَمَ مِن أعراب أسدٍ وجهينةَ وغِفارٍ وأَسْلَمَ[4].

وقال مجاهد: هم بنو مقرِّنٍ من مُزينة.

قال القشيري رحمه الله: تنوَّعوا فمنهم مَن غشَّ فلم يربح، ومنهم مَن نصَح فلم

---

(١) في (ف): «ويكسبون».

(٢) «لهم» زيادة من (ف).

(٣) ذكره الواحدي في «البسيط» (١١/ ٢٢ ـ ٢٣).

(٤) ذكره الواحدي في «البسيط» (١١/ ١٩).

يخسر، فأما الذين مذَقوا[١] فهم في مهواةِ هوانهم، وأما الذين صدَقوا فهم في رَوح إحسانهم[٢].

* * *

(١٠٠) - ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾:

وانتظامها بما قبلها: أن الله تعالى ذكر من أول السورة إلى هاهنا أقسامَ الكفار، وهم ثلاثة: أهل الشرك، وأهل الكتاب، وأهل النفاق[٣]، وقد ذكرهم على الترتيب إلى هاهنا، ثم ذكر أقسام المؤمنين وهم ثلاثة: المطيعون، والعاصون التائبون، والعاصون المصرون، أما المطيعون فهو قوله: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾ وهو ابتداءٌ وجوابه: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ إلى آخر الآية.

وقال الكلبي: هم الذين سبقوا إلى الإيمان والهجرة والجهاد والنصرة ﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ﴾ هم الذين جاؤوا بعدهم وعملوا عملَهم إلى قيام الساعة.

فعلى قوله: الآية تتناول جميع المهاجرين: وهم الذين هجروا أوطانهم بمكة ورحلوا مع رسول الله ﷺ إلى المدينة، وجميعَ الأنصار: وهم أهل المدينة سُمُّوا به للنصرة، والمهاجرون أيضاً نصروا رسول الله ﷺ، لكنَّ اختصاص[٤] أهل المدينة

---

(١) في (ر) و(ف): «مرقوا»، والمثبت من (أ) و«اللطائف».

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٥٧).

(٣) في (أ): «والمنافقون» بدل: «وأهل النفاق».

(٤) في (ر) و(ف): «ولذلك اختص».

بهذا الاسم لِمَا أنهم نصروا رسول الله ﷺ والمهاجرين معه لمَّا جاؤوهم، فآوَوهم ونصروهم، ثم اجتمعوا جميعاً على نصرة النبي عليه السلام في الغزوات.

وقوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ﴾ ليس للتبعيض على هذا القول بل للتجنيس.

﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ﴾: هم جميع متَّبِعيهم بالإحسان في كل عصر وزمان.

والإحسان: قيل: هو الإخلاص؛ كما قال تعالى: ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [البقرة: ١١٢].

وقال النبيُّ ﷺ: «الإحسانُ أن تعبدَ الله كأنك تراه، فإنْ لم تكن تراه فإنه يراك»[١].

وقيل: هو إحسان العمل.

وقيل: هو الإحسان إلى الناس.

وقيل: الآية خاصةٌ في السابقين من جملتهم، و﴿مِنَ﴾ للتبعيض واختلف في ذلك:

قال ابن عباس رضي الله عنهما: هم الذين صلَّوا إلى القبلتين وشهدوا بدراً[٢].

وقال الشعبي: مَن بايَعَ تحت الشجرة من الحديبيَة فهو من المهاجرين الأولين[٣].

---

(١) رواه البخاري (٥٠)، ومسلم (٩)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) لم أجده عن ابن عباس، ورواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٦٣٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٨٦٨)، عن سعيد بن المسيب. وليس عند الطبري: (وشهدوا بدراً)، ورواه دون هذه العبارة أيضاً الطبري في «تفسيره» (١١/ ٦٣٨ ـ ٦٤٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٨٦٨)، عن أبي موسى الأشعري وابن سيرين وقتادة. وزاد ابن أبي حاتم نسبته للشعبي ـ في إحدى الروايات عنه ـ والحسن.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٦٣٧ ـ ٦٣٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٨٦٨).

وقال عطاء: هم أهلُ العقبة السبعون[١].

وقيل: هم السابقون من أهل كلِّ قبيلة إلى الإسلام وإلى العلم وإلى القرآن[٢] وإلى الشهادة.

وقرأ الحسن وسلام ويعقوب: ﴿والأنصارُ﴾ بالرفع عطفاً على قوله: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ﴾[٣]، ويكون السبق صفةً للمهاجرين خاصة.

وقراءة العامة بالخفض عطفاً على ﴿ٱلْمُهَٰجِرِينَ﴾ والسبقُ صفةٌ لهم جميعاً، سبق أولئك بالهجرة وسبق هؤلاء بالنصرة.

وقرأ عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (الذين اتبعوهم بإحسان) بغير واوٍ نعتاً لـ﴿الأنصارِ﴾ بأنهم اتبعوا المهاجرين بإحسان.

وروي عنه أنه سمع رجلاً يقرأ: ﴿وَٱلَّذِينَ﴾ بالواو فقال: مَن أقرأك هذا؟ قال: أبيُّ بن كعب، فسأل عنه أبيًّا، فقال: أقرأنيه رسول الله ﷺ، قال أبيٌّ رضي الله عنه: وتصديق ذلك في سورة الجمعة: ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ﴾ [الجمعة: ٣][٤].

---

(١) لم أجده عن عطاء، وذكره الواحدي في «البسيط» (١١/ ٢٣ ـ ٢٤) عن ابن عباس وغيره بلفظ: سبّاق الأنصار أهل بيعة العقبة الأولى وكانوا سبعة، والثانية وكانوا سبعين، والذين آمنوا بالمدينة حين قدم عليهم مصعب بن عمير يعلمهم القرآن.
وذكر الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ٣٩٥)، والواحدي في «البسيط» (١١/ ٢٣) عن عطاء قوله: هم الذين شهدوا بدراً.

(٢) «وإلى القرآن» ليست في (ف).

(٣) انظر: «تفسير الثعلبي» (٥/ ٨٣)، وذكرها ابن خالويه في «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٥٩) عن عمر رضي الله عنه والحسن وقتادة ويعقوب. وقراءة يعقوب من العشرة. انظر: «النشر» (٢/ ٢٨٠).

(٤) رواه أبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص: ٣٠١)، والطبري في «تفسيره» (١١/ ٦٤٠ ـ ٦٤١)، وجاء قول أبيٍّ في رواية الطبري: (بلى، تصديق هذه الآية في أول سورة الجمعة: ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ =

وقال الحسن: قرأ عمر يوماً: (والأنصارِ الذين اتَّبعوهم بإحسان) وعنده أبيٌّ بن كعب، فقال أبيٌّ: ﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ﴾ يا أمير المؤمنين! فقال عمر[1]: (الذين اتَّبعوهم بإحسان)، فقال أبي: والله لأقرأنيها [2] رسول الله ﷺ مِن فيه إلى فيَّ وإنك تبيع القُرظ بالبقيع، فقال عمر: صدقتَ، ولئن شئتَ قلتَ: شهدنا وغبتُم ونَصرنا وخَذلتم وآوينا وطَردتم، وتابع عمرُ أبيًّا[3].

وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قرأ يوماً بغير واو، فقيل له: هاهنا واو، فقال: هذه الواو عندي خيرٌ من الدنيا وما فيها، يعني: ثبوتَ الشركة للمتأخِّرين في فضل المتقدمين[4].

وقال عطاءٌ: ﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ﴾ يريد: الذين يذكُرون المهاجرين والأنصارَ بالخير والرحمة والدعاء[5]، أشار إلى قوله: ﴿وَالَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَٰنِ﴾ [الحشر: ١٠].

= بِهِمْ﴾ إلى: ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾، وفي سورة الحشر: ﴿وَالَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَٰنِ﴾، وفي الأنفال: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنۢ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَٰهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَٰٓئِكَ مِنكُمْ﴾، إلى آخر الآية). قال الآلوسي في «تفسيره» (١٠/ ٤٨٤): ومراده أن هذه الآيات تدل على أن التابعين غير الأنصار.

(١) بعدها في (ر): «هم».

(٢) في (ف): «أقرأنيها».

(٣) ذكر هذه الرواية الزمخشري في «الكشاف» (٢/ ٣٠٤).

(٤) في (ر): «للمتأخر في فضل المتقدم».

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٨٣)، وذكره الواحدي في «البسيط» (١١/ ٢٤) من طريق عطاء عن ابن عباس.

وقوله تعالى: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٍ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾: هذا ظاهرُ التفسير.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: في الآية دلالةُ الرد على الروافض؛ لأنهم يجعلون أبا بكر وعمر وهؤلاء ظلمةً وعلى غير الحق بتوليةِ الإمارة والخلافة أبا بكر وعمر وعثمان= لأنه أخبر أن الله تعالى راضٍ عنهم، فدلَّ أنهم كانوا على حقٍّ وصواب، وأن مَن وصفهم بالظلم والتعدِّي فهو الظالم والمتعدي.

وفيه دلالةُ وجوبِ[1] تقليد الصحابة رضوان الله عليهم والاقتداءِ بهم؛ لأنه مدح الذين ﴿ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ﴾ فدلَّ أنهم إذا أَخبروا بخبرٍ وقالوا قولاً يجب العمل به ولا يسعُ تركه[2].

وقال الإمام القشيري رحمه الله: السابقون مختلفون، فمِن سابقٍ بصدق قدمه، ومِن سابق بصدق[3] همَمِه، والسابقُ على الحقيقة: مَن ساعدته القسمةُ[4] بالتوفيق، وأسعدته القضيةُ بالتحقيق، فسبق لهم من الله تعالى رحمتُه، وسيقَ[5] لهم عنايتُه.

ويقال: بسبق عنايته بهم سَبقوا بطاعتهم له، وبرضاه عنهم وصلوا إلى رضاهم عنه[6].

* * *

(١) في «التأويلات»: (جواز).

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٥/ ٤٦١).

(٣) في (أ) و(ر): «بصادق».

(٤) في (ر): «العناية».

(٥) في (ر): «وصدق»، وفي (ف): «وصدقت».

(٦) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٥٨).

(١٠١) ـ ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾.

ثم ذكر بعد ذكر الأنصار ـ وهم المخلصون من أهل المدينة ـ المنافقين، وذلك قوله:

﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ﴾ ويتصل هذا بقوله: ﴿الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا﴾.

وقوله: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم﴾؛ أي: حول مدينتكم، وهو المحيط بها.

وقوله تعالى: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ﴾: هؤلاء سكَّانها، ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم﴾ سكانُ أطرافها، والذين سبق ذكرهم في قوله تعالى: ﴿الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا﴾ سكانُ البادية.

وقوله تعالى: ﴿مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ﴾ صفةُ مَن في المدينة ومَن حولها؛ أي: عتَوا وطغَوا وثبَتوا عليه، وأعيوا[١] خبثاً.

وقال مقاتل: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ﴾ يعني: جهينةَ ومزينة وأسلمَ وغِفار وأشجع، كانت منازلهم حول المدينة، ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ﴾ عبد الله بن أبيٍّ، ومعتِّب بن قُشيرٍ، والجُلاس بن سُويد، ووحوح[٢] بن الأسلت، وأبو عامر بن النعمان الراهب سماه النبيُّ ﷺ: الفاسق.

﴿لَا تَعْلَمُهُمْ﴾: أي: لا تعرف نِفاقَهم ﴿نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾: نحن نعلم نفاقهم ﴿سَنُعَذِّبُهُم

---

(١) في (أ): «وأعتوا».

(٢) في (أ): «ووجوع»، وفي (ر): «ووجوح». والمثبت من (ف) وهو الموافق لما في المصادر. انظر ما تقدم عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾، ووقع في المطبوع من «تفسير مقاتل»: (وحوج)، وهو تحريف أيضاً.

﴿مَرَّتَيْنِ﴾ عند الموت بضرب الملائكة وجوهَهم وأدبارهم، وفي القبر بمنكرٍ ونكير ﴿ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ في الآخرة[١].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: أول العذابين: بدر، والثاني: عذاب القبر، والثالث: عذاب جهنم[٢].

وقال مقاتل: العذاب الأول: السيف يوم بدر، والثاني: عند الموت، والثالث: في الآخرة[٣].

وقال الكلبي: القتل وعذاب القبر وعذاب النار.

وقال مجاهد: الأول القتل والسبي[٤].

وقال الحسن: الأول: عذاب النبي عليه السلام ـ يعني: قوله تعالى: ﴿مَّلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا﴾ [الأحزاب: ٦١] ـ والثاني: عذاب القبر[٥]، والعذاب العظيم في الآخرة[٦].

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ١٩٣).

(٢) القول بأن أول العذابين بدر لم أجده عن ابن عباس وسيأتي من قول مقاتل، أما القول بأن العذاب الثاني عذاب القبر فقد رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٦٤٤) عن ابن عباس وجمع من الأئمة على اختلاف بينهم في العذاب الأول، والذي عن ابن عباس: أن المرة الأولى فضيحة المنافقين بكشف أسمائهم للناس، والثانية عذاب القبر، وروى في ذلك قصة ستأتي قريباً. وذكر أيضاً عن ابن عباس من وجه غير مرتضًى ـ كما قال ـ: إحدى المرتين الحدود، والأخرى عذابُ القبر.

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٨٨)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٣/ ٤٩٣)، عن مقاتل بن حيان.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٦٤٥).

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٨٨) بلفظ: (عذاب النبي وعذاب الله، يعني بعذاب النبي ﷺ قوله تعالى: ﴿مَّلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا﴾)، ورواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٦٤٧) بلفظ: ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ﴾ قال: (عذاب الدنيا وعذاب القبر).

(٦) في (أ): «النار».

وقال عطاء: هم الأوس والخزرج ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيۡنِ﴾ الأمراض في الدنيا وعذاب الآخرة، وذلك أن مرض المؤمن كفَّارةٌ ومرضَ المنافق عقوبةٌ[1]، وعلى هذا لا يكون قوله: ﴿ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ عذاباً ثالثاً، بل يكون إخباراً عن قَدْر العذاب في المرة الثانية.

وقال الضحاك: مصائب الدنيا وعذاب الآخرة.

قيل: هو إخراجهم إلى الغزو[2] لقتال إخوانهم، وأخذُهم بالإنفاق في الجهاد لتقوية أعدائهم على أوليائهم، ثم ما يرون من عزِّ المسلمين وعلوِّ قَدْرهم وازديادِ غيظ أنفسهم بذلك، ثم العذابُ العظيم في جهنم.

وقيل: الأول: إخراجُهم من المسجد، والثاني: تخريبُ مسجد الضرار، والعذابُ العظيم في الآخرة.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: قام رسول الله ﷺ يوم الجمعة فقال: «اخرج يا فلان فأنت منافق، اخرج يا فلان فأنت منافق، اخرج يا فلان فأنت منافق» وأخرجهم من المسجد بأسمائهم وفضَحهم، ولم يكن عمرُ شهد تلك الساعةَ، فلقيَهم عمر وهم يخرجون من المسجد فظنَّ أنهم قد صلَّوا، فاختبأ منهم حياءً أنه لم يشهد الجمعة، واختبؤوا من عمر وظنُّوا أنه قد علم بأمرهم، فدخل المسجد فإذا الناس لم

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٨٨). وذكره الواحدي في «البسيط» (١١/ ٢٨) من طريق عطاء عن ابن عباس. وليس عندهما عبارة: «الأوس والخزرج»، ولا يظهر لذكرها وجه هنا، بل وردت في بعض التفاسير عند قوله تعالى: ﴿وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡمَدِينَةِ﴾ قال السمعاني في «تفسيره» (٢/ ٣٤٣): (قوم من الأوس والخزرج)، ومثله في «تفسير البغوي» (٤/ ٨٩)، وذكره الواحدي في «البسيط» (١١/ ٢٦) عن ابن عباس.

(٢) في (ف): «العدو».

يصلُّوا، فقال له رجل من المسلمين: أبشرْ يا عمر فقد فضح الله المنافقين اليوم(١).

وقيل: ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ﴾ على معنى متابعةِ العذاب عليهم في الدنيا دون تعيينِ العدد، وهو كقوله تعالى: ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ﴾ [التوبة: ١٢٦].

وقوله تعالى: ﴿لَا تَعْلَمُهُمْ﴾ كان ذلك يومئذ، ثم كشف له أحوالهم بالعلامات، قال تعالى: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ [محمد: ٣٠]، وبالتعيين أيضاً كما مر.

وقال الإمام القشيري رحمه الله: الأول: ظنُّهم أنهم على شيء، والثاني: خيبةُ آمالهم، والثالث: ظهور ما لم يحتسبوه(٢).

* * *

(١٠٢) - ﴿وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ﴾: أي: أقرُّوا، وهم القِسمُ الثاني من أقسام المؤمنين الذين ذكرناهم.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: هذا في أقوام كانوا تخلَّفوا عن غزوة تبوك لا على اعتقاد الخلاف، لكنْ لتأخُّرهم الاستعداد(٣) إلى أن فاتهم اللُّحوق بالنبيِّ عليه السلام، وكان ذلك منهم ذنباً لا نفاقاً منهم، فندموا على ذلك واعترفوا فتاب الله عليهم.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٦٤٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٨٧٠)، والطبراني في «الأوسط» (٧٩٢). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٣٤): فيه الحسين بن عمرو بن محمد العنقزي، وهو ضعيف.

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٥٩).

(٣) في (ف): «للاستعداد».

وروي أنهم كانوا ثمانيةَ نفر، وقال الضحاك: سبعة، وقال قتادة: تسعة فيهم أبو لُبابةَ الأنصاريُّ، وهو من أفاضل الصحابة.

وروى حيان عن الكلبيِّ عن أبي صالحٍ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كانوا ثلاثةً: أبو لُبابةَ بن عبد المنذر، وأوس بن ثعلبةَ، ووديعةُ بن حزام، تخلفوا عن رسول الله ﷺ مخرجَه إلى تبوك، فلما بلغهم ما نزل فيمَن تخلف عن رسول الله ﷺ أيقنوا بالهلاك، فأوثقوا أنفسهم على سواري المسجد، فلم يزالوا كذلك حتى قدِم رسول الله ﷺ المدينة[1] فسأل عنهم فذكر له أنهم أقسموا أن لا يحلوا أنفسهم حتى يكون رسول الله ﷺ هو الذي يحلهم، وقال رسول الله ﷺ: «وأنا أقسم أن لا أكون أول من حلهم إلا أن أؤمر فيهم بأمر» فلما نزل: ﴿خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ فقال رسول الله ﷺ: «إنَّ عسى من الله واجبٌ» فقام إليهم فحلَّهم، فأتوا نبيَّ الله بأموالهم فقالوا: هذه أموالنا التي خلفَتْنا عنك فتصدَّقْ بها عنا، قال: «ما أُمرتُ فيها بأمر» فنزل: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾[2].

وقال قتادة: ذكر أنهم سبعة، وفيهم جدُّ بن قيس وأوس بن خزام وثعلبة بن وديعة وعامر، كلُّهم من الأنصار[3].

وقال الزهري: ربط أبو لبابة نفسه بساريةٍ وحلف لا يحلُّ نفسَه ولا يذوق طعاماً

---

(١) «المدينة» زيادة من (أ).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٦٥١)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ٢٧١)، وابن مردويه كما في «الكافي الشاف» (ص: ٨٠) من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما. وقوله في الخبر: «إن عسى من الله واجب» ليست من كلام النبي ﷺ، بل من كلام ابن عباس رضي الله عنه، وقد رواه عنه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٨٧٤).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٦٥٣)، وأسماء الأربعة فيه: (جَدُّ بن قَيْسٍ، وأبو لُبَابَةَ، وحَرَامٌ، وأَوْسٌ)، وكذا رواه عنه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٨٧٣)، وفي مطبوعه: (خذام) بدل: (حرام).

ولا شراباً حتى يموت أو يتوبَ الله عليه، فمكث سبعاً كذلك حتى غُشي عليه، ثم تاب الله عليه وحلَّه النبيُّ ﷺ، فقال: يا رسول الله: إن من توبتي أن أهجر دار قومي التي أصبتُ فيها الذنب، وأن انخلع من مالي كلِّه صدقةً إلى الله تعالى ورسوله، فقال عليه السلام: «يجزيك الثلث»[1].

وقال سعيد بن جبير: ومن أصحاب أبي لبابة مرداس وكردم وأبو قيس[2].

وقال الحسن: هم أبو لبابة مروان بن عبد المنذر وأوس بن خزام ووديعة بن ثعلبة.

وكان سببُ تخلُّفهم: أن النبيَّ ﷺ خرج غداةَ يوم الخميس، وكان قدَّم فقراء الصحابة، وكان الأغنياء والأقوياء مع رسول الله ﷺ، وقال أبو لبابةَ وأصحابه: نمكث اليوم ونلحقُ بهم الليلةَ، فلما أَمْسَوا ثقَّل عليهم الشيطانُ الخروج ـ وكذا مَن قصَّر في الطاعة قليلاً سهَّل الشيطان عليه كثيراً ـ فقالوا: نخرج سحَراً، فغلبهم النوم، فلما أصبحوا خافوا أن يخرجوا فلا يلحقوا بالنهار بهم وفي الطريق أعداء، فقالوا: نخرج في الليلة القابلة، فلما أمسوا قالوا: بعُدوا علينا[3] فلا يمكننا لحوقُهم، فقعدوا.

وقوله تعالى: ﴿خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا﴾: يقال: خلَطْتُ الشيءَ بالشيءِ: إذا امتزجا، وخلَطْتُ الشيءَ والشيءَ ـ من غير باءٍ ـ: إذا جمعتَ بينهما فلم يمتزجا، يقال: خلطتُ الماء باللبن، وخلطتُ الدراهم والدنانير.

وقال الكلبي: ﴿خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾: التوبةَ ﴿وَءَاخَرَ سَيِّئًا﴾: تقاعُدَهم عن القتال.

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١١٢٣)، والطبري في «تفسيره» (١١/ ٦٥٧).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٦٥٣).

(٣) في (أ): «عنا».

وقال الحسن: ﴿خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ قيل: هذا خروجهم إلى الجهاد معك ﴿وَءَاخَرَ سَيِّئًا﴾: تخلُّفهم عن تبوك[1].

وقيل: خرجوا مرةً وقعدوا مرةً.

وقوله تعالى: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ قال الكلبي: ﴿عَسَى﴾ من الله واجب[2]؛ أي: هو إطماعٌ، وإطماع الكريم واجب.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ هذا ظاهر.

وقال بعض العلماء: المسيءُ منَّا إلى مخلوقٍ إذا خافه لم يخلِّصه من ذلك إلا شيئان: الإنكار والفِرار[3]، والمسيء في حقِّ الله تعالى لا ينجيه إلا شيئان: الإقرار والقَرار[4]، قال قائلهم:

أَقْرِرْ بذَنْبكَ ثم اطْلُبْ تَجاوُزَنا ... واعلَمْ بأنَّ جحودَ الذَّنْبِ ذَنْبان[5]

***

(١٠٣) ـ ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً﴾ قد روَينا أن أبا لبابة وأصحابه لمَّا تاب الله

---

(١) ذكر القولين الواحدي في «البسيط» (١١/ ٣١ ـ ٣٢).

(٢) تقدم قريباً عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) في (ر) و(ف): «والإقرار».

(٤) في (ر) و(ف): «والفرار».

(٥) ذكره دون نسبة الثعلبي في «تفسيره» (٣/ ١٧٠)، والثعالبي في «المنتحل» (ص: ١١٥)، والراغب في «محاضرات الأدباء» (١/ ٢٨٥).

تعالى عليهم جاؤوا بأموالهم إلى رسول الله ﷺ ليتصدَّق بها كفارةً لذنوبهم وشكراً لِمَا أنعم الله عليهم من قبول التوبة فقال عليه السلام: «لم أؤمر فيها بأمر» فنزلت الآية.

و﴿مِنْ﴾ للتبعيض، وقد روَينا أنه أخذ الثلث.

وقوله تعالى: ﴿تُطَهِّرُهُمْ﴾: التاء لخطاب النبيِّ ﷺ؛ أي: تطهِّر نفوسهم من الذنوب بها.

قوله تعالى: ﴿وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾: أي: يحصُل لهم الثناء الحسن والرفعة بها، والإضافة إلى النبي ﷺ بطريق التسبيب.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: أي: ﴿تُطَهِّرُهُمْ﴾ من الآثام ﴿وَتُزَكِّيهِم﴾ من البخل والمنع وأخلاق اللئام[1].

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: أي: ﴿تُطَهِّرُهُمْ﴾ من طلب الأعواض عليها ﴿وَتُزَكِّيهِم﴾ من ملاحظتهم إياها.

﴿تُطَهِّرُهُمْ﴾ عن شحِّ نفوسهم ﴿وَتُزَكِّيهِم﴾ بأن لا يتكثَّروا[2] بأموالهم، بل يتعزَّزون بالتجرُّد عنها، ويرون عظيمَ منَّة الله عليهم بوجدان التجرُّد منها[3].

ثم اختُلف أن هذه الصدقة ما هي:

قيل: صدقةُ نفلٍ، والكلام مبتدأٌ غيرُ مرتبطٍ بشيء.

وقيل: هي صدقةُ حثَّ النبيُّ ﷺ عليها يوم الخروج إلى تبوك، وهي ما قلنا في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ ٱلۡمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾ [التوبة: ٧٩] فيرتبِط هذا بذلك، والآياتُ نزلت في هذه القصة.

---

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٥/ ٤٦٦).

(٢) في (ف) و(أ): «يتكبروا». وفي «اللطائف»: (يتكاثروا).

(٣) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٦٠).

وقيل: هي صدقةُ أبي لبابةَ والمتخلِّفين، والآية تتصل بالآية التي قبلها.

وقيل: هي الزكاةُ، ويدل عليه ما روَينا في قصة ثعلبة في قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ﴾ وأن هذه الآيات لمَّا نزلت بعث النبيُّ ﷺ المصدِّقين إلى ثعلبة وغيره.

وقوله تعالى: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾: أي: ادعُ لهم واستغفِرْ.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾: قرأ عاصم في رواية حفصٍ والمفضلِ وحمزةُ والكسائيُّ وخلفٌ على التوحيد، والباقون: ﴿صَلَوٰتَكَ﴾ على الجمع[1].

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾: أي: ﴿سَمِيعٌ﴾ دعاءَك ﴿عَلِيمٌ﴾ شفقتَك.

وقيل: ﴿سَمِيعٌ﴾ لما أظهَروه لك من التوبة ﴿عَلِيمٌ﴾ بصدق نيَّاتهم فيه.

ومعنى السكن: طمأنينةُ القلب.

وقيل: كان إذا أتى رجل بصدقته وهو مؤمنٌ مخلصٌ دعا له، وإذا أتى بها منافق لم يَدْعُ له، وكان إذا دعا لمن أتى بالصدقة سكَن قلبُه إلى أنه مخلِصٌ.

وقيل: لأن[2] المؤمن يسكُن قلبه بدعاء النبيِّ ﷺ، ولعلمه أنه يستجاب له فيه.

* * *

(١٠٤) ـ ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟﴾: يجوز أن يكون هذا الاستفهامُ بمعنى الإثبات، ويجوز أن يكون بمعنى الأمر كما في قوله: ﴿أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا﴾.

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٣١٧)، و«التيسير» (ص: ١١٩).

(٢) في (أ): «إن».

وقوله تعالى: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ﴾: أي: عن عباده كلِّهم إذا أخلصوا، ويأخذُ كلَّ[١] الصدقات؛ أي: يقبلها ويُثيب عليها.

وقيل: جعل الله أخذَ النبي ﷺ أخذاً له تشريفاً[٢] للنبيِّ عليه السلام، وقد روي: «أن الصدقة تقع في يد الله تعالى قبل أن تقع في يد السائل، فيربِّيها كما يربِّي أحدكم فلُوَّه»[٣]، وهذا ترغيبٌ للعباد في فِعلها، وبيانٌ أنه قابِلُها والمثيبُ عليها والمكثِرُ قليلَها.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾: أي: كثير قبول التوبة ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ بترك[٤] العقوبة، وهذا وعدٌ لهؤلاء أنه قبِل توبتهم ورضي صدقتَهم.

* * *

(١٠٥) - ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟﴾: أي: قل لهؤلاء التائبين اعملوا الطاعات بعد قبول التوبة وأخذِ الصدقة ﴿فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ﴾ فيثيبُكم عليه ﴿وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ فيعلمون بصدق توبتكم، فيخالطونكم ولا يهاجرونكم[٥] كما يفعلون بالمنافقين.

---

(١) «كل» زيادة من (أ).

(٢) في (ف): «تصديقاً».

(٣) رواه البخاري (١٣٤٤)، ومسلم (١٠١٤)، والنسائي (٢٥٢٥)، والترمذي (٦٦١)، وابن ماجه (١٨٤٢)، وابن حبان في «صحيحه» (٣٣١٩)، وابن خزيمة في «صحيحه» (٢٤٢٥)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) في (أ): «برفع»، وفي (ف): «بفعل».

(٥) في (ف): «يجاهدونكم».

وقوله تعالى: ﴿وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾: أي: تُرجَعون في القيامة إلى جزاءِ مَن يعلم الظاهر والباطن.

﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: أي: يخبركم به ويجزيكم عليه.

وقيل: أي: لا تنظروا إلى قبول التوبة وأخذِ الصدقة فتتركوا العمل، بل اعملوا ما عشتُم[1].

وقيل: أي: أصلحوا أعمالكم في المستأنَف، واحذروا العَود إلى مثل ما كان منكم، فإن النبي عليه السلام والمؤمنين يراعون أعمالكم ولا يخفى عليه ثباتُكم على التوبة أو زوالُكم عنها، والله عزَّ وجلَّ لا يخفَى عليه سرائرُكم، وهو يُثيبكم[2] بأعمالكم ويجزيكم عليها، وهو ترغيب وترهيب.

وقيل: هو خطاب للمنافقين ووعيدٌ لهم.

وقيل: هو خطاب للمؤمنين: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ﴾ فيثيبُكم ﴿وَرَسُولُهُۥ﴾ فيزكِّيكم ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ فيَشهدوا لكم بالخير.

وروى الإمام أبو منصور رحمه الله: أن النبي ﷺ مروا عليه بجنازة فأَثنوا عليها فقال عليه السلام: «وجَبَتْ» قيل: يا رسول الله، وما وَجَبتْ؟ قال: «الملائكة شهداءُ الله في السماء، وأنتم شهداءُ الله في الأرض، فإذا شهدتُم وجبتْ» ثم قرأ النبيُّ ﷺ هذه الآية[3]، قال: وفيه دلالة أن إجماع الأمة حجةٌ[4].

---

(١) في (ف): «عسيتم».

(٢) في (ف) و(أ): «ينبئكم».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٦٣٢) من حديث سلمة بن الأكوع رضي الله عنه. وله شاهد من حديث أنس رواه البخاري (١٣٦٧)، ومسلم (٩٤٩)، دون ذكر تلاوة الآية، ودون قوله: «الملائكة شهداءُ الله في السماء».

(٤) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٥/ ٤٧٢).

وقال الإمام القشيري رحمه الله: خوَّفهم برؤيته سبحانه وتعالى أعمالَهم، فلمَّا علم أن فيهم مَن يتقاصرُ حاله عن الاحتشام لاطِّلاع الحق قال: ﴿وَرَسُولُهُۥ﴾، ثم قال لمن نزلت رتبتُه: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾، وقد خسر مَن لا يمنعه الحياءُ، وسقط مِن عين الله مَن هتكَ جلبابَ الاتِّقاء، وقال عليه السلام: «إنَّ مما أدركَ الناس من كلام النبوة: إذا لم تستَحْيِ فاصنع ما شئت»[1] قال الشاعر:

إذا قَلَّ ماءُ الوجهِ قلَّ حياؤُه ... ولا خيرَ في وجهٍ إذا قلَّ ماؤه[2]

* * *

(١٠٦) ـ ﴿وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ﴾[3] قرئ بالهمزة وغير الهمزة[4]، ومعناه: مؤخَّرون موقوفون إلى أن[5] يظهر أمر الله فيهم.

وقوله تعالى: ﴿إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾: قيل: الإرجاء من العباد، فكانت طائفة تقول: إن الله يتوب عليهم كما تاب على أبي لبابة وأشكاله، وطائفة تقول: إن الله يعذبهم ويردُّ توبتهم ويمنع الناس من مكالمتهم ويفرِّق بينهم وبين نسائهم، أو يأمر بقتلهم أو نفيهم، فنزل القرآن بقبول توبتهم: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟﴾ [التوبة: ١١٨].

---

(١) رواه البخاري (٣٤٨٤) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٦١).

(٣) في (ف): «وآخرون مرجؤون...»، وهما قراءتان كما سيأتي.

(٤) قرأ بالهمز ابن كثير وأبو بكر وأبو عمرو وابن عامر، والباقون بغير همز. انظر: «السبعة» (ص: ٢٨٧ ـ ٢٨٩)، «التيسير» (ص: ١١٩).

(٥) في (أ): «ومعناه مرجون إلى أن»، وفي (ف): «ومعناه مرجون موقوفون إلى أن».

وقيل: الإرجاء كان من الله إذ أخفى أمرهم مدةً ثم بيَّن توبتهم على أجمل الوجوه حين قرن توبتهم بتوبته على النبيِّ ﷺ والمهاجرين والأنصار، على ما نذكر في تلك الآية.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ﴾ ليقضيَ فيهم ما هو قاضٍ[١].

وهم ثلاثةُ نفر: كعب بن مالك من بني سلمة، وهلال بن أمية الواقفي، ومُرارة بن الربيع الزبيدي، وكانوا تخلَّفوا عن غزوة تبوك وفعلوا كما فعل أبو لبابة وأصحابه، وكانوا مرجئين لأمر الله لا يتولاهم أصحاب رسول الله ﷺ ولا يتبرؤون منهم، حتى نزلت: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟﴾ وكانوا لم يُوْثِقوا أنفسهم بالسواري فلم يَدْروا أيُتاب عليهم أم يعذَّبون[٢].

وقال الضحاك: كانوا من أفاضل الصحابة مياسيرَ، ولم يتَّسع لهم العذرُ كما اتَّسع لأبي لبابة وأصحابه؛ لأنهم لم يبالغوا في التنصُّل[٣] والاعتذار كما فعل أبو لبابة، فأخِّر أمرهم[٤].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: فوقَفَهم النبيُّ ﷺ خمسين ليلة، ونهى الناس عن مكالمتهم ومخالطتهم، وأمر نساءهم بالاعتزال منهم، حتى شفَّهم القلق،

---

(١) ذكره الواحدي في «البسيط» (١١/ ٤٣).

(٢) في (أ): «يعذبون».

(٣) في (ر): «التوبة»، وسقطت الجملة من (ف).

(٤) ذكره الواحدي في «البسيط» (١١/ ٤٢) عن ابن عباس، وفيه بدل «فأخر أمرهم»: (فوقف رسول الله ﷺ أمرهم، ونهى الناس عن مكالمتهم ومخالطتهم، حتى نزل قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟﴾ [التوبة: ١١٨] الآيات بعد خمسين ليلة).

ونَهِكهم الحزن، وضاقت عليهم أنفسُهم؛ لإعراض الناس عنهم، واعتزال الأهل والولد منهم، وكانوا ممن شهدوا بدراً، فتاب الله عليهم بعد خمسين ليلة(١).

* * *

(١٠٧) ـ ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا﴾: ذكر جماعةٌ أنهم طائفةٌ من المنافقين بالمدينة كانوا بنَوا(٢) بقرب قُباءٍ مسجداً يعارضون به مسجدَ النبي ﷺ بقُباء، وكانوا اثني عشر رجلاً كلُّهم من الأوس والخزرج: خِذَام بن خالد، وثعلبة بن حاطب، ومعتِّب بن قُشيرٍ، وأبو حبيبةَ بن الأزعر، وعبَّاد بن حُنيفٍ، وجارية بن عامر، وابناه مجمع بن جارية ويزيد بن جارية، ونَبْتَل بن الحارث، وبَحْزَج الضُّبَعي، وبِجاد بن عثمان، ووديعة بن ثابت، وكانوا أتوا النبي ﷺ وهو يتجهز إلى تبوك فقالوا: يا رسول الله، إنَّا قد بنينا مسجداً لذي العلَّة والحاجة والليلة الـمَطِيرة والليلة الشاتية، ونحن نحبُّ أن تأتيَنا فتصليَ فيه، فقال: «إني على جناحِ سفرٍ وحالِ شغلٍ، ولو قدِمْنا أتيناكم فصلَّينا فيه».

فما انصرف رسول الله ﷺ من تبوك حتى نزل بوادٍ بينه وبين المدينة ساعةٌ من نهار، فأتاه خبرُ المسجد، فدعا رسولُ الله ﷺ مالك بن الدُّخْشُم أخا بني سالم بن عوف، ومعنَ بن عديٍّ أو أخاه عاصم بن عديٍّ فقال: «انطلِقا إلى هذا المسجد

---

(١) انظر التعليق السابق. وروى حديثهم مطولاً البخاري (٤٤١٨)، ومسلم (٢٧٦٩)، من حديث كعب بن مالك رضي الله عنه.

(٢) في (ف): «يقيمون».

الظالمِ أهلُه فاهْدِماه وحرِّقاه»، فهدَماه وحرَّقاه، وتفرَّقوا، ونزلت هذه الآية[(١)].

ورُوي أنهم بنَوه بكتاب أبي عامر بن النعمان ـ المعروف بالراهب ـ إليهم، وذلك أن أبا عامر هو الذي حزَّب الأحزاب على رسول الله ﷺ، فلما انصرف المشركون بما انصرفوا به خرج إلى الشام يستنصِر قيصرَ على رسول الله ﷺ، فكتب إلى هؤلاء المنافقين يأمرهم ببناء المسجد، وأخبرهم أنه سيظهر على رسول الله ﷺ إذا جاء صلَّى في هذا المسجد، فنزل قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا﴾؛ أي: يضارُّون به أهل مسجد رسول الله ﷺ، ولا يقصدون به الخير[(٢)].

وقوله عز وجل: ﴿وَكُفْرًا﴾؛ أي: كفراً منهم بالله لأنهم اتَّخذوه لأبي عامرٍ المشركِ، وقصدوا به مخالفة الله والرسول.

وقوله تعالى: ﴿وَتَفْرِيقًا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: ليصليَ بعضهم فيه جاهلاً[(٣)] بالحال، فيتفرَّقَ الناس عن رسول الله ﷺ ولا يتوفَّرون[(٤)] في مسجده.

وقوله تعالى: ﴿وَإِرْصَادًا﴾: أي: إعداداً، وقد أَرْصَدَ؛ أي: أَعَدَّ، ورَصَدَ؛ أي: ترقَّبَ.

وقوله تعالى: ﴿لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ﴾: أي: أعدَّ[(٥)] المسجد لأبي عامر،

---

(١) انظر: «السيرة النبوية» لابن هشام (٢/ ٥٣٠) عن ابن إسحاق، وروى نحوه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٦٧٣) من طريق ابن إسحاق عن الزهري، ويزيد بن رومان، وعبد الله بن أبي بكر، وعاصم بن عمر بن قتادة.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٦٧٥ ـ ٦٧٩) عن ابن عباس وجمع من الأئمة.

(٣) في (أ) و(ف): «جاهلين».

(٤) في (أ) و(ر): «يتوقرون».

(٥) في (ر): «أعدوا».

وهو الذي حارب الله ورسوله من قبلُ؛ أي: من قبلِ بناء هذا المسجد، يعني: يوم الخندق.

وقوله تعالى: ﴿وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ﴾: أي: لم نقصد به إلا الرِّفقَ بالضعفاء والتسهيلَ في الشتاء.

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾: أي: في قولهم: ﴿إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ﴾.

وهذا المعروف بالراهب سماه النبيُّ ﷺ: الفاسقَ، وكان ترهَّبَ في الجاهلية ولبس الـمُسوح، فلما قدم النبيُّ ﷺ المدينةَ قال للنبيِّ عليه السلام: ما هذا الذي جئتَ به؟ قال: «جئتُ بالحنيفيةِ دينِ إبراهيم»، قال أبو عامر: فأنا عليها، قال النبيُّ ﷺ: «إنك لستَ عليها» قال: بلى، ولكنكَ أدخلتَ في الحنيفيّة ما ليس منها، فقال النبيُّ ﷺ: «ما فعلتُ، ولكني جئتُ بها بيضاءَ نقيةً»، فقال أبو عامر: أماتَ الله الكاذب طريداً وحيداً.

فخرج إلى الشام وأرسل إلى المنافقين: أنِ استعدُّوا بما استطعتم من قوةٍ وسلاح، وابنوا لي مسجداً فإني ذاهبٌ إلى قيصر فآتي بجندٍ تُخرج محمداً وأصحابَه، فمات الفاسق بالشام طريداً وحيداً كما دعا، وابنه حنظلةُ غسيل الملائكة فاستُشهد يوم أحد.

وقال الحسن: لمَّا التمس هؤلاء من النبيِّ ﷺ أن يأتي مسجدهم فيصليَ فيه، فجعل ينتظر الوحي، فجعل لا يأتيهم وأولئك لا يأتونه يفعلون بالصلاة في مسجدهم، فلما طال ذلك عليه دعا بقميصه ليلبسَه ويأتيَهم، فبينا هو يَزرُّه[1] عليه إذا بجبريلَ نزل وأنزل قوله: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًاۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ﴾[2].

* * *

---

(١) في (ر) و(ف): «فبينما هو يزرره».

(٢) رواه بنحوه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٦٧٨) عن قتادة.

(١٠٨) ـ ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾.

﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾: أي: لا تقُمْ في مسجد الضرار للصلاة ما عشتَ، وهو كقوله عليه الصلاة والسلام: «مَن صام رمضان وقامه»(١).

وقوله تعالى: ﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ﴾: قيل: هو مسجدُ رسول الله ﷺ أُسِّس لإحياء دين الله وإظهار معالم شريعته التي لا يقومُ بها إلا مَن اتَّقى الله تعالى.

قال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه وأبيُّ بن كعب رضي الله عنهما: قال النبيُّ ﷺ: «هو مسجدي هذا»(٢).

وقوله تعالى: ﴿مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾: أي: أولِ الأيام إذا ميزت(٣) يوماً يوماً؛ كما تقول: أعطيتُ كلَّ رجل في الدار(٤)؛ أي: كلَّ الرجال إذا ميزوا رجلاً رجلاً.

وقوله تعالى: ﴿أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ﴾: للصلاة من مسجد أُسس على غير التقوى، بل ضراراً وكفراً وتفريقاً وإرصاداً، وذلك ليس بحقٍّ فكيف يكون هذا أحقَّ؟

قلنا: هو مبالغةٌ، ومعناه: لو كان ذلك حقًّا فهذا أحقُّ، فكيف وذاك باطل؟

وقيل: هو مسجد قُباء.

وقوله تعالى: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا﴾: أي: مخلصون يحبُّون أن

---

(١) رواه أبو داود (١٣٧١)، والترمذي (٦٨٣)، وابن ماجه (١٣٢٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه مسلم (١٣٩٨)، والترمذي (٣٠٩٩) وصححه، والنسائي (٦٩٧)، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه. واللفظ للترمذي والنسائي. ورواه الإمام أحمد في «المسند» (٢١١٠٧)، والحاكم في «المستدرك» (٣٢٨٤) وصححه، من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه.

(٣) في (ر): «الأيام التي امتيزت».

(٤) في (ر): «الدراري».

يصلُّوا لله عز وجل متطهِّرين بأبلغ الطهارة، لا كأهل مسجد الضِّرار الذين يصلُّون صورةً لا حقيقةً وهم مدنَّسون بالنفاق.

وقيل: هو التطهُّر عن الذنوب بالإخلاص لله تعالى.

وعن جابرٍ وأنسٍ وجماعة: أن الآية لما نزلت دعا رسول الله ﷺ أهل مسجد قُباء فقال: «إنَّ الله قد أَثْنى عليكم بطُهوركم، فما طُهورُكم؟» قالوا: إنَّا نستنجي بالماء، فقال: «فعليكُموه»(١).

وقال عطاء: كانوا يستنجون بالماء ولا ينامون بالليل على الجنابة(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ﴾: أي: يحبُّ هؤلاء ومَن فعَل مثلَ فِعلهم.

وقال يزيد بن شجرةَ: أتت الحمَّى رسولَ الله ﷺ في صورة جاريةٍ سوداءَ، فقال لها رسول الله ﷺ: «مَن أنت» قالت: أنا أمُّ مَلْدم، أنشِّفُ الدَّمَ، وآكُلُ اللَّحم، وأصفِّر الوجه، وأرقِّق العظم، فقال النبيُّ ﷺ: «مرِّي فاقْصِدي الأنصار فإن لهم علينا حقوقاً» فحُمَّ الأنصارُ، فلما كان من الغد قال: «ما لي لا أرى الأنصار؟»، قال: حُمُّوا عن آخرهم، قال: «قوموا بنا نعودُهم» فعادهم وجعل يقول: «أبشِروا فإنها كفَّارة وطُهورٌ»، فقالوا: يا رسول الله، فادْعُ الله أن يديمَها علينا أياماً حتى تكونَ كفَّارة لذنوبنا، فأنزل الله تعالى يُثني عليهم: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ﴾ بالحمَّى عن معاصيهم ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ﴾(٣).

---

(١) رواه ابن ماجه (٣٥٥)، والدارقطني في «سننه» (١٧٤) وقال: عتبة بن أبي حكيم (أحد رجال الإسناد) ليس بقوي.

قال القرطبي في «تفسيره» (١٠/ ٣٨٠): وهذا الحديث يقتضي أن المسجد المذكور في الآية هو مسجد قباء، إلا أن حديث أبي سعيد الخدري نصَّ فيه النبي ﷺ على أنه مسجده فلا نظر معه.

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٩٤)، والبغوي في «تفسيره» (٤/ ٩٦).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٩٥)، ولم أجده مسنداً من حديث يزيد بن شجرة، لكن روي معناه =

قال مقاتل: أَمر رسول الله ﷺ في مسجد الضرار بعدما هُدم وأُحرق أن يتَّخذ كناسةً يُلقَى فيها الجِيَفُ(١).

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: في هذه الآية دلالةُ نبوةِ محمد ﷺ؛ لأنه معلوم أنهم أَسرُّوا وأَضمروا فيما بينهم من الضِّرار والكفر والتفريق بين المؤمنين، فأَطْلَعَ الله نبيَّه على ما أسرُّوا ليُعلَم أنه إنما عرَف ذلك بالله تعالى(٢)، وكذا قال في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾(٣)، وكذا قال في كثير من آيات هذه السورة فيما يرجع إلى إضمارهم السوءَ في حقِّ النبي ﷺ وأصحابه.

وقال الإمام القشيري رحمه الله: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟﴾: يتطهَّرون عن وضَر المعاصي وذلك سِمَةُ التائبين، ويتطهَّرون عن الشهوات والأمانيِّ وذلك صفةُ الزاهدين، ويتطهَّرون عن محبة المخلوقين [ثم] عن شهود أنفسهم فيما به يتَّصفون، وذلك صفة المحبين(٤).

﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ﴾ بأسرارهم عن مساكنةِ المخلوقين وملاحظة المسبوقين(٥).

= دون ذكر سبب النزول من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، رواه الإمام أحمد في «المسند» (١٤٣٩٣)، وقال محققوه: رجاله رجال الصحيح وفي متنه غرابة.

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ١٩٨).

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٥/ ٤٧٦ ـ ٤٧٧).

(٣) المصدر السابق (٥/ ٤٧٩).

(٤) في «اللطائف»: (صفة العارفين).

(٥) في (ر) و(ف): «المسرفين». وانظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٦٢) وما بين معكوفتين منه. ووقع في (ر) و(ف): «وملاحظة المسرفين»، وعبارة «اللطائف»: (عن المساكنة إلى كل مخلوق، أو ملاحظة كل محدث مسبوق).

(١٠٩) ـ ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ أُسِّسَ بُنْيَانُه﴾: قرأ نافعٌ وابنُ عامر على ما لم يسمَّ فاعلُه، وقرأ الباقون على الفعل الظاهر ﴿بُنْيَانَهُ﴾ بالنصب على أنه مفعول به[١].

والألفُ استفهام بمعنى الإنكار، والبنيان: البناء.

وقوله تعالى: ﴿عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ﴾: بحذف تنوينه لأنه على وزن فَعْلَى: وأصله: وَقْوى.

وقوله تعالى: ﴿خَيْرٌ﴾: هو على التفضيل فسِّر كذلك، وإنما لم يدخل فيه ألف (أَفْعَل) لأن الخير والشر فيهما اشتراكٌ، فقد يراد بهما الاسمُ بدون التفضيل.

وقوله تعالى: ﴿أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ﴾ الشَّفا: الطَّرَفُ، والجُرُف: الوادي الذي تجرَّف[٢] بالماء أصلُه فيبقى واهياً، وهو من الجَرْف والاجتراف: وهو اقتلاعُ الشيء من أصله، والهاري[٣]: الساقط الواقع الذي يتداعَى بعضُه على إثر بعضٍ كما ينهار الرمل الرقيقُ والشيء الرِّخْوُ، قاله قُطْرُبٌ.

وقال أبو عوسجة: أي: رخوٌ سريعُ الانهدام[٤].

ورجلٌ هارٍ؛ أي: ضعيفٌ، وقد هار يَهُور هَوْراً: إذا انصدع بالتهدم، فهو هائر.

وإنما قيل هاهنا: ﴿هَارٍ﴾؛ لأنه قُلب فصار (هارٍ) مكان: هائر، كما يقال:

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٣١٨)، و«التيسير» (ص: ١١٩).

(٢) في (أ): «ينجرف» وفي (ف): «يتجرف».

(٣) في النسخ: «والهار»، والصواب المثبت.

(٤) ذكره عنه الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (٥/ ٤٨٣) بلفظ: الهار: الهش الذي ليس بصلب.

عاقَ يَعوقُ فهو عائق[١]، ثم قيل في النعت: عاقٍ، على القلب[٢]، قال الشاعر:

ولو أني رَمَيْتُك من بعيدٍ لعاقَك من دعاءِ الذئب عاقِ[٣]

ويقال أيضاً: هار يَهَارُ فهو هارٌ على الرفع، وتقديره: هَورٌ، كما يقال: رجلٌ مالٌ؛ أي: متموِّلٌ، وتقديره: مولٌ، وعلى هذا لا قلبَ.

وقوله تعالى: ﴿فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ﴾: أي: تساقَطَ وتناثَرَ به؛ أي: بصاحبه فسقطا معاً فيها، والباء للتعدية والإيصال.

ومعنى الآية: أيُّ الفريقين أولى بالخيرية: مَن أسَّس بناء المسجد يريدُ به تقوى اللهِ وطاعتَه وهم أهلُ مسجد قُباء أو مسجدِ المدينة، أم مَن أسَّس بناءه على النِّفاق والشِّقاق والكفر والتفريق وانتظارِ الكفار أن يأتوه فيَقصدوا به كيدَ المسلمين، ويتدبَّروا في الاحتيال لتوهين الدِّين، فلا يَلبثُ احتيالُهم أن يَبطُلَ وظنونُهم أن تخيبَ، فينهدِمُ البناء وينهارُ الأساس، ثم تكون عاقبة أهله[٤] دخولَ جهنم؟

ولم يقل: هو في نار جهنم للحال؛ لأنه ما دام حيًّا أمكنه أن يُخلِصَ فيتخلَّصَ ولا يقعَ فيها.

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾: أي: لا يهديهم للرشد ولِمَا يتمُّ

---

(١) في (ر): «عاق»، وسقطت من (أ) و(ف)، والصواب المثبت.

(٢) «على القلب» ليس من (أ) و(ف).

(٣) البيت لذي الخِرَق الطُّهَوي قُرْط بن شُريحٍ كما في «الدلائل في غريب الحديث» لقاسم بن ثابت السرقسطي (١/ ٣٠٤)، ودون نسبة في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٩٤)، و«كتاب الألفاظ» لابن السكيت (ص: ٤٠٩)، و«تفسير الطبري» (١٤/ ٥٩٦)، و«الصحاح» (مادة: عقا).

(٤) في (ر): «عاقبته».

به تدبيرُهم الفاسد؛ كما قال تعالى: ﴿لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾ [يوسف: ٥٢]، ولا يوفِّقهم للخير عقوبةً لهم على نفاقهم.

وقال محمد بن إسحاق: إن الذي كان يؤمُّ في ذلك المسجد مجمِّع بن جارية، فلمَّا أنزل الله في شأنه ما أنزل، وأمر النبيُّ ﷺ بهدمه، وفرِّقت تلك الجماعة، وذهب مَن كان يصلي من بني عمرو بن عوفٍ في مسجدهم إلى المسجد(١) الذي بنَى رسول الله ﷺ بقُباء، كلَّم بنو عمرو بن عوف عمر بن الخطاب رضي الله عنه في خلافته ليأذن لمجمِّع بن جارية فيؤمَّهم في مسجدهم، فقال: ولا نَعِمَتْ عينٌ، أليس بإمام(٢) مسجد الضرار؟ فقال له مجمِّعٌ: يا أمير المؤمنين! لا تعجَلْ عليَّ، فوالله لقد صلَّيت فيهم والله إني لا أعلم ما أضمَروا عليه، ولو علمتُ ما صليتُ معهم فيه، كنت غلاماً قارئاً للقرآن وكانوا شيوخاً ولم أعلم ما في أنفسهم(٣)، وكانوا لا يقرؤون من القرآن شيئاً، فصلَّيتُ ولا حسبتُ ممَّا صنعوا شيئاً، إلا أنِّي قلتُ: يتقرَّبون إلى الله، فعذَره وصدَّقه وأمره بالصلاة لقومه(٤).

* * *

(١١٠) ـ ﴿لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ﴾: أي: شكًّا وشبهة؛ أي:

---

(١) «إلى المسجد» ليس في (أ) و(ف).

(٢) في (ف): «كان يؤم».

(٣) في (ف): «نفوسهم».

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٩٣)، والبغوي في «تفسيره» (٤/ ٩٥).

كان ألقَى إليهم أبو عامر أنه يأتي مسجدَهم فيصلِّي فيهم، ويكون له ولهم الظهور على المسلمين، فلا يزال ذلك في قلوبهم[١].

وقوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ﴾: قرأ ابن عامر وحمزةُ وعاصمٌ في رواية حفصٍ بفتح التاء، وأصله: تتقطَّع، فحذفت إحداهما تخفيفاً، وقرأ الباقون بضمِّها[٢]، وهو ما لم يسمَّ فاعله من التقطيع[٣].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: هو الموت[٤].

وقال عكرمة: هو في القبر[٥].

وقال المبرِّد: تقطُّع القلب: تشقُّقه وانصداعه ولا بقاء مع ذلك، وهو كقوله تعالى: ﴿لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ﴾ [الحاقة: ٤٦]، وهو نياط القلب، والحياةُ تنقطع عند انقطاعه، وهذا إخبار بموتهم على نفاقهم وإصرارهم عليه حالَ حياتهم.

وقيل: معناه: إن خطأهم وضلالهم فيما قصدوه ببناء هذا المسجد لا يزول عنهم إلا أن يموتوا فيستيقِنوا بالمقتِ[٦]؛ لأنه حالُ زوال الشكوك.

وقال المبرد: أي: لا يزال هدمُ بنيانهم غيظاً في قلوبهم إلى الموت، قال الشاعر:

قضَيْنـا مـن تِهَامـةَ كلَّ ريـبٍ ... وخيبرَ ثـم أَجمَمْنـا السـيوفا[٧]

---

(١) بعدها في (ف): «أي شكاً وشبهة».

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٣١٩)، و«التيسير» (ص: ١٢٠).

(٣) في (ف): «التقطع».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٦٩٨).

(٥) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٨٨٦).

(٦) في (أ): «بالموت».

(٧) البيت لكعب بن مالك رضي الله عنه. انظر: «طبقات الفحول» (١/ ٢٢١).

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: قال بعضهم: ﴿رِيبَةً﴾؛ أي: حسرةً وندامةً، وهو على وجهين:

يحتمِل أنهم تابوا وندموا على ما صنعوا.

ويحتمِل: حسرةً وندامةً لمَّا افْتَضحوا بما صنعوا.

وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾: أي: بضمائر العباد ﴿حَكِيمٌ﴾ في التمييز بين أهل الصلاح وأهل الفساد.

* * *

(١١١) ـ ﴿۞ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ۚ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ ۚ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم﴾: بدأ السورة بالبراءة من الكافرين، ثم بالأمر بقتال المشركين، ثم بالحثِّ على الخروج إلى غزوٍ عظيم اختَلفت فيه أحوال المنافقين، وذمَّ فيه المتخلِّفين، ثم مدَح في هذه الآية المجاهدين، وذكَر كرامتهم[1] يوم الدِّين، فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم﴾ ﴿بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾ أخبر عزَّ وجلَّ أنه تاجَرَ[2] عبادَه المؤمنين على أبدانهم وأموالهم بما أَعدَّ لهم من جناتِ النعيم عنده ـ مع أن الأشياء كلَّها مِلكُه ـ لطفاً منه بعباده؛ كما قال تعالى: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الصف: ١٠]، وهو كما قال: ﴿مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ [البقرة: ٢٤٥].

---

(١) في (ف): «كراماتهم».

(٢) في (ف): «بأجر» بدل: «أنه تاجر».

وقوله تعالى: ﴿يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: أي: يبذلون أنفسهم وأموالهم في طاعة الله والجهاد لأعدائه على إعلاء كلمته.

﴿فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَ﴾: أي: تارةً هم يقتلون العدوَّ وتارةً يقتلهم العدو، فإذا فعلوا ذلك فقد سلَّموا ما باعوا واستحقُّوا بوعد الله ثمنَ ما أَعطوا وهو الجنة، وهذا مستعارٌ من الكلام تشبيهاً بالبيع المعروف الذي حقيقتُه إعطاء شيء وأخذُ[1] بدلٍ عنه.

وقرأ حمزة والكسائي: ﴿فيُقتَلون﴾ بضمِّ الياء وفتح التاء على ما لم يسمَّ فاعله ﴿ويَقْتُلون﴾ على عكسه على الفعل الظاهر[2]، وهذا أدلُّ على ثبات قلوبهم وجرأتهم على عدوهم[3]، وأنهم لم ينكسروا لِمَا جرى على بعضهم، كما قال: ﴿وكائنْ من نبيٍّ قُتِلَ معه ربِّيُّون كثيرٌ فما وهَنوا﴾[4] الآية [آل عمران: ١٤٦].

وقوله تعالى: ﴿وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ﴾: ﴿وَعۡدًا﴾ نصبٌ على الحال من قوله: ﴿بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ﴾، أو معناه: بوعدٍ عليه حقٍّ، فنُصب بنزع الخافض، ومعناه: عهداً عليه لازماً أَوحى به إلى أنبيائه وأثبته في كتبه.

وقوله تعالى: ﴿وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ﴾: استفهامٌ بمعنى النفي، وهو بيانٌ أن المراد من الوعد المذكور قبله هو العهد.

وقيل: بل المراد من هذا العهدِ هو الوعد، وهو بيانٌ أن الشراء ليس على حقيقته، وهو مبادلةٌ صورةً ومواعدةٌ معنًى.

وقوله تعالى: ﴿فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ﴾: أي: فافرحوا به فإنكم

---

(١) في (ف): «واحد».

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٣١٩)، و«التيسير» (ص: ٩٣).

(٣) «على عدوهم» ليست في (أ).

(٤) في (ر): «وكأين من نبي قاتل معه...»، وكلها قراءات سبعية.

تبيعـون فانيـاً ببـاقٍ، وتأخذون ثمناً من مشـترٍ هـو المالـك، وبمبيعٍ هو ملكُـه وحقُّه، ثـم لا يَخـرج مـن أيديكـم بهذا البيـع إلا حيـاةٌ منغَّصـةٌ[١] فانيـةٌ، ومـالٌ[٢] قليـلٌ تافهٌ تعتاضـون منـه حيـاةً مهنَّأة دائمـةً، ونعمـاً في جنـاتِ الخلـد باقيةً.

وقوله تعالى: ﴿وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾: وهذا الشراء على هذا الوجه لكم فيه ربحٌ عظيم.

وروي عن عبد الله بن رواحة أنه قال: يا رسول الله اشترِطْ، لربِّك ولنفسك ما شئت علينا، قال: «أشترِطُ لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأَشترِطُ لنفسي أن تمنعوني مما تمنعون به أنفسكم وأموالكم» قالوا: فإذا فعلنا ذلك فما لنا؟ قال: «الجنة» قال: ربحَ المبيع لا نُقيل ولا نَستقيل، فنزلت هذه الآية[٣].

وقال الحسن: مرَّ أعرابيٌّ بالنبيِّ ﷺ وهو يقرأ هذه الآية، فقال: كلامُ مَن هذا؟ قال: «كلامُ اللهِ تعالى» قال: بيعٌ والله مربحٌ، لا نُقيله ولا نَستقيله[٤]، فخرج إلى الغزو فاستُشهد[٥].

---

(١) في (أ): «منقضية».

(٢) في (ف): «وبمال».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٦ ـ ٧) عن محمد بن كعب القرظي. وذكره ابن العربي في «أحكام القرآن» (٢/ ٥٨٩) وقال: (وهذا مما لا يوجد صحيحاً). ومراده والله أعلم: أنه لم يرد في حديث متصل؛ لأنه أعقبه بنحوه عن الشعبي ثم قال: وهذا وإنْ كان مقطوعًا فإنَّ معناه ثابتٌ مِن طرقٍ.

(٤) في (ف): «لا نقيل ولا نستقيل».

(٥) ذكره عن الحسن الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٩٧)، ورواه بنحوه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٨٨٦) من طريق عطاء الخراساني عن جابر رضي الله عنه، وعطاء الخراساني لم يسمع من جابر. انظر: «المراسيل» لابن أبي حاتم (ص: ١٣٠).

وقال جعفر بن محمد الصادقُ: ليس لأبدانكم ثمنٌ إلا الجنةَ، فلا تبيعوها إلا بها، وأنشد الأصمعيُّ لجعفر الصادقِ:

أُثامِنُ بالنَّفسِ النفيسةِ ربَّها ... فليس لها في الخَلْقِ كلِّهم ثَمنْ
بها تُشترَى الجنات، إنْ أنا بعتُها ... بشيءٍ سواها إنَّ ذلكم غَبنْ
إذا ذهبتْ نفسي بدُنيا أصيبُها ... فقد ذهب الدنيا وقد ذهب الثمن[1]

وفي بعض الكتب المنزلة على بعض الأنبياء: يا بني آدم، ما خلقتكم لأربح عليكم إنما خلقتُكم لتربحوا عليَّ[2].

وفي التوراة: الجنةُ جنتي والمالُ مالي، فاشتروا جنَّتي بمالي، فإنْ ربحتُم فلكم وإن خسرتُم فعَلَيَّ[3].

وقال الإمام القشيري رحمه الله: البائعُ لا يستحقُّ الثمنَ إذا امتَنع عن المبيع، فلذلك لا يستحقُّ العبدُ الجزاءَ الموعودَ إلا بعد تسليم النَّفْس والمال على موجَب أوامر الشرع.

ويقال: لا يكون في الشرع البائعُ والمشتري واحداً فيتولَّى طرفي العقد إلا الأبَ والجدَّ؛ لفَرْط شفقتهما وكمال نظرهما، ولما كانت رحمة الله بالعبد أتمَّ ونظرُه له أبلغَ، وكان سبحانه وتعالى أولَى بالمؤمن منه بنفسه، تولَّى العقدَ عنه عليه.

وقيل: علِم الله تعالى سوءَ خُلقك فاشتراك قبل أنْ أَوجدك، وغالى بثمنك لئلا يكون لك حقُّ الاعتراض عند بلوغك.

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٩٧)، والطبرسي في «مجمع البيان» (١١/ ١٤٧).

(٢) ذكره القشيري في «لطائف الإشارات» (٢/ ٦٤).

(٣) ذكره القشيري في «لطائف الإشارات» (٢/ ٦٥)، وأورده الديلمي في «الفردوس» (٥١٠) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

وقيل: لا يصح للمؤمن أن يتعصَّب لنفسه بحالٍ؛ لأنها ليست له ومشتريها أولى بها من صاحبها الذي هو أجنبيٌّ عنها.

وحُكي عن الجنيد أنه مرض مرضاً، فدعا الله تعالى أن يَشفيه، فنودي في السرِّ: يا فضولي، لِمَ تَدخُل بيني وبين نفسك، أما علمت أن نفسك لي أتصرَّفُ فيها كيف شئت.

وقيل: أخبر أنه اشتراها لئلا يدَّعيَ العبد فيها ولا يساكنَها ولا يلاحظَها ولا يُعجب بها.

وإنما قال: ﴿أَنفُسَهُمْ﴾ ولم يقل: قلوبَهم؛ لأنها فيها فدخلت في الحُكم معها.

وقيل: ذكَر النفوسَ والأموال، وجعَل الجزاء عليهما الجنة، فأما القلوب فعطاؤها رؤيتُه عز وجل.

وقيل: ذكر شراءَ النفوس والأموال لأنها مَعيبةٌ، ولا يَرغب المشترون[1] في شراء المعيب، فاشترى هو ذلك بكرمه ترويجاً لِمَا كسَد على العبد امتناناً عليه.

وقيل: اشترى النفوس منهم بالثمن فوهبوا القلوب له شكراً لذلك.

وقيل: القلوب ليست في أيديهم[2] فلا يقدرون على تسليمها، ولا يُشتَرى ما لا يمكن تسليمه كالطير في الهواء والسمك في الماء.

وقال أبو عليٍّ الدَّقَّاق: القلوب موقوفةٌ على محبة الله تعالى والوقف لا يشترى.

وقال في قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ﴾ ولم يقل تعالى:

---

(١) في (ف): «المشتري».

(٢) في (ف) و(أ): «أيديهم».

بثَمن مبيعكم، ليُعلم أن الاستبشار بزوال الأنفس والأموال عن حكمهم وخلاصهم عن آفاتها[١].

***

(١١٢) ـ ﴿ٱلتَّـٰٓئِبُونَ ٱلۡعَـٰبِدُونَ ٱلۡحَـٰمِدُونَ ٱلسَّـٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّـٰجِدُونَ ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَـٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ٱلتَّـٰٓئِبُونَ﴾: وفي مصحف عبد الله: (التائبين)[٢] نعتاً لقوله: ﴿مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾.

فأما الرفع فلوجوه:

أحدها: هم التائبون.

والثاني: ﴿فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَ﴾ ولذلك ضمير في آخره، وهذا بدل[٣] ذلك الضمير.

والثالث: هو مبتدأ وخبرُه مضمَر في آخره: لهم الجنة، وكذا ما بعده فوجوهُه ما بينَّا[٤].

ولمَّا مدَحهم وزكَّاهم بما كان منهم ذكَر خصالهم التي هي صفات المتحقِّقين[٥]

---

(١) في (أ): «آفاتهما». وانظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٦٤ ـ ٦٥)، وفي كلام المؤلف بعض الزيادة والاختلاف.

(٢) وكذا ما بعده إلى آخر الآية كله بالياء. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٦٠).

(٣) في (أ): «يدل على».

(٤) في (ر): «لما قلنا»، وفي (ف): «لما بينا».

(٥) في (ر) و(ف): «المتخلقين».

بالإيمان، ولذلك ختم بالإيمان بقوله: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ كما افتتح به بقوله: ﴿ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: هذه الصفاتُ مما شَرَطه الله عز وجل على أهل الجهاد؛ إذا وفوا للهِ[1] بشرطه وفَى لهم بشرطهم.

وقال الحسن: هذه أعمالهم قبل الجهاد.

وعنه في رواية: قال: على هذا الشرط اشترى منهم[2].

وأما تفسير (التائبين) فقد قال قتادة وعطاء: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ﴾ من الشرك ثم لم ينافقوا في الإسلام[3].

وقيل: الراجعون عن المعاصي.

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: التائبون أصناف: فمِن راجعٍ يَرجع عن زلَّته إلى طاعته، ومِن راجعٍ يَرجع عن متابعة[4] هواه إلى موافقة رضاه، ومِن راجعٍ يرجع عن شهود نفسه إلى شهود لطفه، ومِن راجعٍ يرجع عن الإحساس بنفسه وأبناء جنسه إلى الاستغراق في حقائق حقِّه[5].

وقوله تعالى: ﴿ٱلْعَٰبِدُونَ﴾: أهل العبادة والعبودية.

وقال الكلبي: أي: المطيعون المخلصون[6].

---

(١) في (ر): «وفوا له».

(٢) لم أجده بهذا اللفظ، ولعله يريد ما رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٨٨٦) عن الحسن في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم﴾ قال: هم الذين وفَوا ببيعتهم.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٨ ـ ٩) عن قتادة والحسن.

(٤) في (ر) و(ف): «سابقة».

(٥) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٦٦).

(٦) ذكره الواحدي في «البسيط» (١١/ ٦٩) بلفظ: (الذين أخلصوا لله العبادة).

وقال عطاء: الموحِّدون لله[1].

وقال الحسن: الذين عبدوا الله باتِّباع أمره وآثَروه على مَن دونه[2].

وقال القشيري رحمه الله: ﴿ٱلْعَـٰبِدُونَ﴾: الخاضعون لله بكلِّ وجهٍ، الذين لا تسترِقُّهم كرائم الدنيا، ولا تستعبدُهم عظائم العُقبى، ولا يكون العبد عبداً لله على الحقيقة إلا بعد تجرُّده عن كل حادث[3].

وقوله تعالى: ﴿ٱلْحَـٰمِدُونَ﴾: أي: الـمُثْنُون عليه بآلائه، الشاكرون له على نعمائه، المادحون له بصفاته وأسمائه.

وقال القشيري رحمه الله: الحامدون له: هم الذين لا اعتراض لهم على ما يحصل بقدرته، ولا انقباض لهم عما يجب له من طاعته.

وقيل: هم الذين يحمدونه على منعه وبلائه كما يحمدونه على صنعه وعطائه[4].

وقوله تعالى: ﴿ٱلسَّـٰٓئِحُونَ﴾: أي: الصائمون، قالت عائشة رضي الله عنها: قال رسول الله ﷺ: «سياحةُ[5] أمتي الصيَّام»[6].

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٨٨٩) عن سعيد بن جبير.

(٢) ذكره الواحدي في «البسيط» (١١/ ٦٩). وروى الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٨٨٩) عن الحسن قوله: عبدوا الله على أَحايينهم كلِّها في السَّرَّاء والضَّرَّاء.

(٣) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٦٦).

(٤) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٦٧) وفيه: (... على نفعه وعطائه).

(٥) في (أ): «سياحة».

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ١٥) عن عائشة رضي الله عنها موقوفاً بلفظ: (سياحة هذه الأمة الصيام). ورواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ١١)، والعقيلي في «الضعفاء» (١/ ٣١٧)، وابن عدي في «الكامل» (٢/ ٦٣٨)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً. وقال العقيلي: فيه حكيم بن خذام كان يرى القدر، منكر الحديث. ورواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ١١) عن أبي هريرة موقوفاً، =

وقال سفيان بن عيينة: إنما قيل للصائم: سائح؛ لأنه تارك اللَّذات كلِّها من المطعم والمشرب والنكاح[١]، كمَن يسيح في الأرض؛ أي: كمَن يسير فيها.

وقيل: طلَّابُ العلم الداخلون فيه.

وقال الإمام القشيري رحمه الله: هم الصائمون عن شهود غير الله، الممتنعون عن خدمة غير الله تعالى، المكتفون من الله بالله.

وقيل: ﴿ٱلسَّٰٓئِحُونَ﴾: السائرون في الأرض على جهة الاعتبار طلباً للاستبصار، الذاهبون بقلوبهم في مشارق الأرض ومغاربها بالتفكُّر في جوانبها، والاستدلالِ بآياتها على خالقها، والجائلون بأسرارهم في الملكوت، فيجدون روحَ الوصال، ويعيشون بنسيم الأنس بالتحقُّق بشهود ذي الجلال[٢].

وقوله تعالى: ﴿ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ﴾: أي: المحافظون على الصلوات فرضِها ونفلِها تذلُّلاً إليه وخضوعاً.

وقال عطاء: ﴿ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ﴾ بنيةٍ صادقةٍ بلا رياءٍ ولا سمعة[٣].

وقال الإمام القشيري رحمه الله: ﴿ٱلرَّٰكِعُونَ﴾: الخاضعون لله في جميع الأحوال بخمودهم تحت سلطان التَّجلِّي.

وفي الخبر: إن الله تعالى إذا تجلَّى لشيء خشع[٤] له.

= وصوب وقفه ابن كثير عند تفسير هذه الآية. وقد روي هذا القول عن جمع من الصحابة والتابعين، فقد رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ١١ ـ ١٥) عن أبي هريرة وعائشة كما تقدم، وعن ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهم، وعن سعيد بن جبير ومجاهد والحسن والضحاك وعطاء.

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٩٨)، والبغوي في «تفسيره» (٤/ ٩٩).

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٦٧).

(٣) ذكره الواحدي في «البسيط» (١١/ ٧١) من قول ابن عباس بلفظ: (الذين يصلون لله بنية صادقة).

(٤) في (ر): «خضع». والمثبت من باقي النسخ و«اللطائف».

و﴿ٱلسَّٰجِدُونَ﴾ بنفوسهم في الظاهر على بساط العبودية، وبقلوبهم في الباطن عند شهود الربوبية[1].

وقوله تعالى: ﴿ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾: أي: الإيمان والطاعة ﴿وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ﴾: أي: الكفر والمعصية.

وقال بسام[2] بن عبد الله: ﴿ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾؛ أي: بإقامة السنَّة والجماعة ﴿وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ﴾: عن الهوى والبدعة[3].

وقال الإمام القشيري رحمه الله: ﴿ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ﴾ هم الذين يَدْعون الخَلْق إلى الله تعالى ويحذِّرونهم عن غير الله تعالى، يتواصَون على الإقبال على الله وتركِ الاشتغال بغير الله تعالى[4].

وفي زيادة الواو في قوله تعالى: ﴿وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ﴾ أقاويلُ:

قيل: الواو تدخل للمبالغة في المدح للمنعوت واحداً كان أو جماعةً، قال تعالى: ﴿وَسَيِّدٗا وَحَصُورٗا وَنَبِيّٗا﴾ [آل عمران: ٣٩].

وقيل: لأن الأمر والنهي متقابلان، والمعروفَ والمنكر كذلك، فكانا

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٦٧).

(٢) تحرف في (ر) و(ف) إلى: «بشار»، وسقطت الجملة من (أ)، والصواب المثبت، وهو بسام بن عبد الله الصيرفي أبو الحسن الكوفي، روى عن زيد بن علي بن الحسين وأخيه أبي جعفر الباقر وجعفر الصادق وعطاء وعكرمة، وغيرهم، وعنه ابن المبارك ووكيع وأبو نعيم وغيرهم، من رجال «التهذيب».

(٣) ذكره عن بسام الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٩٨)، ودون عزو البغوي في «تفسيره» (٤/ ٩٩)، كلاهما أورده مختصراً بلفظ: (المعروف السنَّة والمنكر البدعة).

(٤) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٦٨).

كالمتعاندَين[١]، فأدخل بينهما حرف العطف كما في قوله تعالى: ﴿ثَيِّبَٰتٖ وَأَبۡكَارٗا﴾ [التحريم: ٥].

وقيل: هي واو الثمانية؛ لأنها الصفة الثامنة، والعرب تخصُّ ذلك بالواو، كما في قوله تعالى: ﴿ثَيِّبَٰتٖ وَأَبۡكَارٗا﴾ [التحريم: ٥]، وقوله تعالى: ﴿وَثَامِنُهُمۡ كَلۡبُهُمۡ﴾ [الكهف: ٢٢]، وقوله: ﴿وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا﴾ [الزمر: ٧٣]؛ لأن أبواب الجنة ثمانيةٌ.

ولا أصل لهذا القول عند المحققين، فليس في هذا العدد ما يوجب ذلك، ولا استعمال على الاطِّراد كذلك، قال الله تعالى: ﴿ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُ﴾ بغير واو.

وقال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعۡ كُلَّ حَلَّافٖ مَّهِينٍ﴾ الآيةَ بغيرِ واوٍ في الثامن.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ﴾: قال الحسن: هم أهل الوفاء ببيعة الله[٢].

وقيل: حدود الله: أوامره ونواهيه، قال تعالى: ﴿تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعۡتَدُوهَا﴾ [البقرة: ٢٢٩]، ﴿تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقۡرَبُوهَا﴾ [البقرة: ١٨٧].

وقيل: هي معالمُ الشرع.

وقال القشيري رحمه الله: هم الواقفون حيث وقَفهم الله تعالى، الذين يتحرَّكون إذا حرَّكهم ويسكُنون إذا سكَّنهم، يحفظون مع الله أنفاسهم[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾: أي: الذين بايَعهم الله ليستبشروا، وقال بنفسه: ﴿فَٱسۡتَبۡشِرُواْ﴾ وقال لنبيِّه: ﴿وَبَشِّرِ﴾ ليتضاعفَ الاستبشار.

---

(١) في (أ): «كالمتغايرين».

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٩٨ ـ ٩٩)، والبغوي في «تفسيره» (٤/ ٩٩). ورواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ١٨) بلفظ: (القائمون على أمر الله).

(٣) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٦٨).

وقيل: أي: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ من المجاهدين وغيرهم، لمَّا خَصَّ المجاهدين بقوله: ﴿فَٱسْتَبْشِرُوا۟﴾ سكَّن قلوب القاعدين بعذرٍ بقوله: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ لئلا يَقْنطوا.

* * *

(١١٣) - ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾:

اتصالها بما قبلها: أنها حثٌّ للنبي ﷺ والمؤمنين على قطعِ موالاة المشركين أحيائِهم وأمواتِهم، قريبِهم وبعيدهم؛ تأكيداً لِمَا أمرهم به من الجهاد؛ إذ لا يَتهيَّأ ذلك مع الأقارب خصوصاً إلا بقطع الموالاة والوداد[1].

و﴿مَا كَانَ﴾ تأكيدُ نفيٍ[2]؛ كما في قوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ﴾[3] [النمل: ٦٠]، ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ﴾ [مريم: ٣٥]، ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٤٥]، ﴿مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ﴾ [يوسف: ٣٨]، ﴿وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ﴾ [يوسف: ٧٣].

وتقديره: يَبعُد من أخلاقهم أن يسألوا الله تعالى مغفرةَ المشركين وإن كانوا أقرباءهم بعد أن عرفوا أنهم أعداءُ الله، والمستوجِبون سخطَ الله، والمستحِقُّون عذابَ الله تعالى.

---

(١) في (ف): «والوارد».

(٢) في (أ): «تأكيد بقي»، وفي (ر): «تأكيداً للنفي».

(٣) في (ف): «تؤذوا رسول الله»، بدل: «تنبتوا شجرها».

وقال بعض أهل التفسير: ﴿مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾؛ أي: ظهر لهم شركُهم، فقد قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ [النساء: ٤٨].

وقال مجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة والضحاك: أي: بعد ما ماتوا على شركهم فقد انقطع رجاءُ صيرورتهم وكونِهم[١] أهلاً للمغفرة[٢].

وقال عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه: رأيت رجلاً يستغفر لأبويه وهما مشركان، فقلت له: أتستغفر لأبويك وهما مشركان؟ فقال: أليس قد استغفر إبراهيم لأبيه وهو مشرك؟ فذكرت ذلك للنبيِّ ﷺ فنزلت هذه الآية[٣].

وقال الحسن: أُتي النبي ﷺ فقيل له: إن فلاناً يستغفر لآبائه وهم مشركون؟! فقال: «ونحن نستغفر لهم» فنزلت هذه الآية، فأمسَكوا عن الاستغفار[٤].

وقال سعيد بن المسيب [عن أبيه][٥]: لمَّا حضرت أبا طالبٍ الوفاةُ دخل عليه رسول الله ﷺ وعنده أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية فقال: «يا عم، قل: لا إلهَ إلا الله، كلمةً أحاجُّ لك بها عند الله» فقالا له: يا أبا طالب، أترغبُ عن ملة آبائك، فلم يزالا به حتى قال آخرَ ما كلَّمهم به: هو على ملَّة عبد المطلب، فقام رسول الله ﷺ من عنده باكياً وقال: «لأستغفرنَّ لك ما لم أُنْهَ عنك» فنزلت هذه الآية[٦].

---

(١) «وكونهم» من (ف).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٢٩) عن الضحاك.

(٣) رواه النسائي (٢٠٣٦)، والترمذي (٣١٠١) وقال: حديث حسن.

(٤) الخبر مروي في «تفسير مجاهد» (ص: ٣٧٥).

(٥) ما بين معكوفتين من الصحيحين وكتب السنة.

(٦) رواه البخاري (٣٨٨٤)، ومسلم (٢٤)، من حديث المسيب بن حزن رضي الله عنه.

قال الواحدي في «البسيط» (١١/ ٧٤): واستبعده الحسين بن الفضل؛ لأن هذه السورة من آخر القرآن نزولاً، ووفاة أبي طالب كانت بمكة في عنفوان الإسلام. =

وذكر الكلبي أن النبيَّ ﷺ زار قبرَ أمه في ألف فارسٍ وهو يريد أن يستغفر لها، فلما قام عند قبرها فإذا هو بجبريل عليه السلام فوضع يده على صدر النبيِّ ﷺ ونزلت الآية، فبكى النبيُّ ﷺ وبكى المسلمون، فما رؤي يومٌ أشدَّ باكياً وأكثرَ[1] من يومئذ[2].

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: لا يصح حديث استغفار النبيِّ ﷺ لعمِّه

= قلت: وكذا قال ابن كمال باشا في «تفسيره» عند هذه الآية متعقباً: (وفيه: أنَّ موتَ أبي طالب كان قبل الهجرة، وهذا آخر ما نزلت بالمدينة، لا يقال: ما ذكر إنَّما يتمُّ لو كان نزول الآية عقيب موت أبي طالب، وليس بلازم؛ لجواز أن يكون النبي عليه السلام يستغفر له إلى وقت نزول الآية = لأنَّا نقول: الظاهر من قوله: (فنزلت) إنَّما هو التَّعقيب بلا تراخٍ.

وقد ذكرنا في تحقيقنا له ما ذكره الآلوسي في توجيه هذا الإشكال: أن الفاء للسببية لا للتعقيب، يعني أن قوله: (فنزلت) لا يراد به أن النزول كان عقيب القول، بل يراد أن ذلك سبب النزول، قال: واعتمد على هذا التوجيه كثير من العلماء، وهو توجيه وجيه.

لكنه عاد فذكر أنه يعكر عليه ما رواه ابن سعد عن علي كرم الله تعالى وجهه، وفيه: (وجعل رسول الله ﷺ يستغفر له أياما ولا يخرج من بيته حتى نزل عليه جبريل عليه الصلاة والسلام بهذه الآية).

قال: فإنه ظاهر في أن النزول قبل الهجرة لأن عدم الخروج من البيت فيه مغيًّا به... والأولى في الجواب عن أصل الاستبعاد أن يقال: إن كون هذه السورة من أواخر ما نزل باعتبار الغالب كما تقدم فلا ينافي نزول شيء منها في المدينة. انظر: «روح المعاني» (١٠/ ٥٣٩). والخبر الذي رواه ابن سعد في «الطبقات» (١/ ١٢٣)، وفي إسناده الواقدي وهو متروك.

(١) في (ف): « في يوم أشد بكاء ولا أكثر» وفي (ر): «في يوم أكثر وأشد بكاء».

(٢) لم أقف عليه بهذا السياق، والكلبي متروك، لكن روى مسلم (٩٧٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: زار النبي ﷺ قبر أمه، فبكى وأبكى من حوله، فقال: «استأذنت ربي في أن أستغفر لها فلم يؤذن لي، واستأذنته في أن أزور قبرها فأذن لي، فزوروا القبور فإنها تذكر الموت». وليس فيه أن الآية نزلت في ذلك، لكن روي عن ابن مسعود نحو هذه القصة على أنها سبب نزول الآية، رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٨٩٤)، والحاكم في «المستدرك» (٣٢٩٢)، والبيهقي في «الدلائل» (١/ ١٨٩).

وأمِّه[١]، فقد عَلم بكفرهما وموتهما عليه[٢]، ولا يخفى عليه أن الله تعالى لا يَغفر للمشرك، إذ في العقل والحكمة تعذيبُ الكافر أبداً، وأنْ لا يُغفر له؛ إذ في ذلك تسويةٌ بين الوليِّ والعدو، وهو ليس بحكمة، وجائز أن يكون استغفر للمنافقين قبل أن يتبيَّن له نفاقُهم، فلما تبيَّن له كفَّ، والاستغفار للمشرك حالَ حياته يجوز على معنى سؤال الإسلام له والمغفرةِ بسببه، فأما مع قيام الكفر فلا[٣].

***

(١١٤) ـ ﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ﴾:

قيل: لمَّا ورد النهي عن الاستغفار للمشركين قال الناس: إن إبراهيم استغفر لأبيه المشرك[٤]، فنزلت هذه الآية[٥].

ومعناها: ولم يكن سؤالُ إبراهيم عليه السلام اللهَ أن يغفر لأبيه المشركِ إلا

---

(١) بل حديث استغفاره لعمه قبل نزول الآية متفق عليه كما تقدم، أما استغفاره لأمه فقد ثبت أنه لم يؤذن له فيه. انظر التعليق السابق. وهذا الكلام منقول عن الماتريدي بالمعنى، وليس في كلامه التعرض لعدم صحة الحديث.

(٢) كذا قال، وفي ذكرهما معًا نظر، فإن أبا طالب قد أدرك الدعوة وعرض عليه الإسلام فأبى، أما أم النبي ﷺ فإنها لم تدرك دعوته، فأكثر ما يمكن أن يقال فيها: إنها من أهل الفترة، وهؤلاء علمُ عاقبتهم عند الله.

(٣) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٥/ ٤٩٢)، والكلام فيه بنحوه.

(٤) في (ف): «وهو مشرك».

(٥) رواه ابن سعد في «الطبقات» (١/ ١٢٤) عن عمرو بن دينار مرسلًا، ورواه بنحوه النسائي (٢٠٣٦)، والترمذي (٣١٠١) وحسنه، من حديث علي رضي الله عنه.

بسببِ أنه كان وعَد لأبيه لقوله: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ﴾ [مريم: ٤٧] فوفى بذلك الوعد وسأل الله أن يغفر له.

ومعناه: أن يهديه للإسلام ويجعلَه أهلاً للمغفرة ويغفرَ له بعد إسلامه، وهو كقول هود لقومه: ﴿فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ﴾ [هود: ٦١] وكقول نوح عليه السلام: ﴿ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا﴾ [نوح: ١٠] ليس هذا بأمرٍ لهم أن يقولوا: نستغفر الله، ولكن هذا أمرٌ بالإسلام ليصيروا أهلاً للمغفرة لهم.

وكذا قولُ إبراهيم عليه السلام: ﴿وَٱغْفِرْ لِأَبِيٓ﴾ [الشعراء: ٨٦]؛ أي: أعطِهِ السبب الذي تَغفرُ له به، وهو التوحيد.

وعلى هذا القولِ يكون قولُه: ﴿وَعَدَهَآ﴾ خبراً عن فعل إبراهيم، وقولُه تعالى: ﴿إِيَّاهُ﴾ كنايةً عن أبيه.

وقال بعض المفسرين: بل قوله: (وَعَد) خبرٌ عن فعل والدِ إبراهيم أنه وعد إبراهيم، وقوله: ﴿إِيَّاهُ﴾ كنايةٌ عن إبراهيم، وتلك المواعَدةُ أنه كان قال لإبراهيم: إني أُسلم وقتَ كذا، فكان يستغفر له، ومعنى استغفاره[1]: سؤالُه المغفرةَ له بعد ما أسلم، أو سؤالُه إعطاءَ الإسلام الذي به يغفر له.

وقيل: كانت المواعدةُ مؤقتةً، فانتهى إبراهيم إلى ذلك الوقت فظن أنه أسلم فاستغفر له مطلقاً، ولذلك قال: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الشعراء: ٨٦]؛ أي: قبل هذا؛ كما قال: ﴿سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧]؛ أي: قبل التوبة، فلما ظهر أنه لم يُسلم تبرَّأ منه.

وعلى القول الأول: ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾: أي: لمَّا مات على الكفر تبرَّأ منه، وهذه الجملة حاصلُ كلام الإمام أبي منصور رحمه الله.

---

(١) في (أ): «استغفار»، وفي (ف): «الاستغفار».

ثم أورد سؤالاً على قوله: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ﴾ إلى قوله: ﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ﴾ [الممتحنة: ٤]: لمَّا استثنَى هذا من الاقتداء به عُلم أنه لا يجوز، وسؤالُ الهداية للكافر والمغفرةِ جائز بعد هذا، فما معناه؟

وأجاب أن معناه: حتى يُعلم[١] المراد من استغفاره؛ أي: إذا وقع عند السامع أنه سؤال المغفرة مطلقاً لا على الوجه الذي قلنا فما ينبغي له أن يفعله مقتدياً به في ظاهر الاستغفار[٢].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾: (الأواه) في اللغة: المتأسِّف، وهو[٣] المتوجِّع والمتحزِّن، قال المثقِّب العبدي:

إذا ما قمتُ أَرحَلُها بليلٍ ... تأوَّهُ آهةَ الرجلِ الحزينِ[٤]

أصلها: تتأوه، بتاءين.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: (الأواه): التوَّاب[٥].

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: الدَّعَّاء[٦].

وقال الحسن وقتادة: الرحيم[٧].

---

(١) في «التأويلات» (حتى نعلم).

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٥/ ٤٩٣)، والكلام فيه بنحوه.

(٣) في (أ): «هو في اللغة التأوه لي هو» وفي (ف): «هو في اللغة المشاقة وهو»، بدل: «الأواه في اللغة: المتأسف وهو».

(٤) انظر: «ديوان المثقب» (ص: ١٦٤).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٤٠) وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٨٩٦).

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٣٤ ـ ٣٥).

(٧) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٣٥ ـ ٣٨) عن الحسن وقتادة وابن مسعود وعمرو بن شرحبيل. والأول أصح إسناداً عن ابن مسعود كما قال النحاس في «معاني القرآن» (٣/ ٢٦١).

وقال محمد: الموقن[١].

وقال كعب: القائل: آه، عند ذكر النار[٢].

وقيل: المؤمن[٣].

وفي «التأويلات»: عن النبي عليه السلام أنه سئل عن (الأوَّاه) فقال: «الدَّعَّاء الخاشع المتضرِّع»[٤].

وفيها: عن ابن عباس رضي الله عنهما: (الأواه): المؤمن[٥].

وفيها قيل: (الأواه): الفقيه الموقن[٦].

وفيها: قيل: المسبِّح[٧].

وقال في (الحليم): هو الذي لا يغضَبُ ولا يَسفَه عند سَفَهِ السَّفيه[٨].

وقيل (الحليم) هاهنا: هو أنَّ جَهْلَ الكافر لم يمنعه عن الدعاء إلى الله تعالى،

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٣٨ ـ ٤٠) عن ابن عباس ومجاهد وسفيان والضحاك وعكرمة وعطاء. زاد ابن عباس في رواية وعكرمة وعطاء: (بلسان الحبشة). وزاد سفيان: (وقال بعضهم: الفقيه الموقن). وفي رواية عن مجاهد: (مؤتمن موقن).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ١٠٢)، والبغوي في «تفسيره» (٤/ ١٠٢).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٤٠) عن مجاهد، ورواه ابن عباس وابن جريج بلفظ: (المؤمن بالحبشية).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٤٣ ـ ٤٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٨٩٥ ـ ١٨٩٦) عن عبد الله بن شداد بن الهاد، وهو مرسل، وفيه شهر بن حوشب وهو ضعيف.

(٥) تقدم تخريجه عنه بلفظ: (المؤمن بالحبشية).

(٦) في النسخ: «الموفق»، والمثبت من «التأويلات»، وكذا روي عن سفيان كما تقدم قريباً.

(٧) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٤١) عن سعيد بن المسيب.

(٨) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٥/ ٤٩٤).

وعن المواعدة الجميلة التي يرجو بها الحملَ على الإسلام، وذلك مثلُ ما ذكر في سورة مريم في مخاطبةِ أبيه في آيات.

* * *

(١١٥) ـ ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ﴾:

قال مجاهد: إن الله لا يَحكم بضلالكم عن الحقِّ باستغفاركم للمشركين إلا بعد أنْ تبيَّن لكم أنكم منهيُّون عنه[١].

وقال الكلبي: لمَّا أنزل الله الفرائضَ فعمل بها الناسُ، ثم جاء ما ينسخها من القرآن وقد غاب أناسٌ[٢] وهم يعملون بالأمر الأول من القبلة والخمر وأشباه ذلك، سألوا رسول الله ﷺ عن ذلك فأنزل الله تعالى هذه الآية[٣].

وقال الكلبيُّ: ويقال: وما كان الله ليُبطِلَ عملَ قوم قد عملوا بالمنسوخ حتى يتبيَّن لهم الناسخ[٤]، ونظيره: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤٣]، وقولُه: ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟﴾ الآية [المائدة: ٩٣].

---

(١) رواه بنحوه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٤٧ ـ ٤٨).

(٢) في النسخ: «الناس»، والمثبت من المصادر، وستأتي.

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ١٠٤)، والبغوي في «تفسيره» (٤/ ١٠٣) عن مقاتل والكلبي، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٣/ ٥١٠) من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس. وهو في «تفسير مقاتل» (٢/ ٢٠٠).

(٤) هذا تتمة قول الكلبي عند الثعلبي. انظر التعليق السابق.

وقال الضحاك: وما كان الله ليعذِّبَ قوماً حتى يبيِّن لهم ما يأتُون وما يَذَرون، والإضلال: الإهلاك، يقال: ضلَّ الماء في اللَّبَن[١].

قال أبو رَوْق: وما كان الله ليتركَ قوماً في الضلال وإنْ عملوا بالمنسوخ حتى يبيِّنَ لهم ما نُسخ من القرآن ثم يعملون به بعد ذلك.

وقال القشيري: مَن أهِّل لبساط الوُصلة ما مُنيَ بعده بعذاب الفُرقة إلا إذا أسرَّ بعده تركَ الخدمة[٢].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾ هذا ظاهر[٣].

❊ ❊ ❊

(١١٦) ـ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۚ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۚ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ﴾: ينتظِم بما مرَّ من الحثِّ على الجهاد أن له الخَلْقَ كلَّهم يصرِّفهم كيف يشاء يُبقي ويُفني، فامضوا على بيعتكم ولا يَهُولنَّكم كثرةُ الأعداء، وتوكَّلوا عليَّ فأَوْفوا بالمبايعةِ أنصرْكم، فإن لم تُوفوا بها خذلْتُكم ثم لا يكون لكم وليٌّ ولا نصير.

وعلى قولِ مَن حمل الآية الأولى على النَّسخ فوجهُ الانتظام له: أنه ينسخ حكماً بحكمٍ وأمراً بأمرٍ، يَحكم في أهل السماوات والأرض بما يشاء.

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ١٠٤)، والبغوي في «تفسيره» (٤/ ١٠٣).

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٦٩)، ولفظه: (من أحلَّه بساط الوصلة ما مُني بعده بعذاب الفرقة، إلا لمن سلف منه ترك حرمة). ومن قوله: «وقال القشيري..» إلى هنا ليس في (أ) و(ف).

(٣) «هذا ظاهر» ليس في (أ) و(ف).

وقال الإمام القشيري رحمه الله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ وهو لا يتجمَّل بوجود مملوكاته، ولا يَلحقه نقصٌ بعدم مخلوقاته، يُحيي مَن يشاء بعرفانه، ويميت مَن يشاء بكفره وطغيانه، يُحيي مَن أقبل عليه بتضرُّعه ويميت مَن أعرض عنه بترفُّعه(١).

* * *

(١١٧) ـ ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ﴾ الآية:

قال ابن عباس رضي الله عنهما: ولما نزلت هذه السورة وفي آياتها بيانُ معاملات المنافقين على التفصيل(٢) ظننَّا أنه لا يبقى أحدٌ منَّا إلا نزل فيه قرآنٌ، إلى أن نزلت هذه الآية، وكانت السورة تدعى: الفاضحة، ولما نزلت هذه الآية سُميت بها: سورةَ التوبة(٣).

وقوله تعالى: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ﴾ قال أبو عبيدة: هو مفتاح كلام، لمَّا كان هو سببَ التوبة على القوم ذُكر معهم(٤)، كما في قوله تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ﴾ [الأنفال: ٤١].

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٦٩ ـ ٧٠).

(٢) في (ف): «التفصيل ومنهم».

(٣) لم أجده بهذا اللفظ، وروى البخاري (٤٨٨٢)، ومسلم (٣٠٣١) عن سعيد بن جُبيرٍ، قال: قلتُ لابن عباس: سورةُ التَّوبةِ، قال: التوبةُ؟ هي الفاضحةُ، ما زالتْ تَنْزِلُ: ومنهم ومنهم، حتى ظَنُّوا أنَّها لن تبقِيَ أحدًا منهم إلَّا ذُكِرَ فيها.

(٤) في (ف): «معهم».

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: هو العفو عن إذنه للمنافقين بالتخلُّف عنه[1]، قال تعالى ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾: قال الإمام أبو منصور رحمه الله: قيل: هو في حقِّ زلَّاتٍ سبقت منهم يومَ أحد وغيره، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟ ۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٥].

وقيل: هو في حقِّ هفَواتٍ كانت منهم في غزوة تبوك؛ همُّوا أن ينصرفوا في غير وقت الانصراف على غيرِ إذنٍ لشدائدَ أصابتهم.

قال: ويجوز أن يكون أراد الإدامةَ والثباتَ[2] على التوبة الماضية، كما عُرف في قوله: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ وقولهِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ﴾ [النساء: ١٣٦] أنه على الدوام والثبات دون الابتداء والإنشاء.

قال: ويحتمل أنه على أنهم حيث صبروا على ما أصابهم من الجهد والشدة كشف الله عنهم أشياء كانت مستورةً عنهم، وجلَّى لهم أغطيةً كانت لا تنجلي لهم من قبلُ، فازدادوا تفويضاً وتسليماً ورجوعاً إلى ربهم، فذلك توبةُ الله عليهم وتوبتُهم إلى الله تعالى[3].

ثم الجمعُ بين المهاجرين والأنصار وبين النبي ﷺ في هذا غايةُ التشريف لهم والتشهير[4]، حيث أَشرك بينه وبينهم في التطهير.

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ﴾: أي: في غزوة تبوك وقد أصابتهم

---

(١) ذكره الواحدي في «البسيط» (١١/ ٨٠).

(٢) في (ر) و(ف): «والإثبات».

(٣) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٥/ ٥٠٢ ـ ٥٠٣).

(٤) في (أ): «غاية تشريف وتشهير».

فيها مشقَّةٌ شديدة من قلةِ الزاد والماء والمركب، وهذا عن مجاهد وجابر وقتادة(١).

قال عبد الله بن محمد بن عقيل: كان ذلك عسرةً من الماء، وعسرةً من النفقة، وعسرةً من الظَّهر(٢).

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: قيل لعمر بن الخطاب رضي الله عنه في شأن العسرة، قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى تبوك في قيظٍ شديد، فنزلنا منزلاً أصابنا فيه عطشٌ شديد حتى ظننَّا أن رقابنا ستُقطع، حتى إنْ كان الرجل يذهبُ يلتمس الماء فلا يرجع حتى يظنَّ أن رقبته ستُقطع، وحتى إن الرجل ينحرُ بعيره فيعصرُ فَرْثَه فيشربه ويجعل ما بقي على كبده، فقال أبو بكر: يا رسول الله، إن الله قد عوَّدك في الدعاء خيراً فادع الله لنا، قال: «نعم» فرفع يديه فلم يرجعهما حتى أظلَّت السماء ثم سكَبت، فملؤوا ما معهم، ثم ذهبنا ننظر فلم نجدها جاوزت العسكر(٣).

وقال قتادة: ذُكر لنا أن الرجلين كانا يشقَّان التمرة بينهما، وكان النَّفَر يتداولون التمرة بينهم يمصُّها هذا ثم يشربُ عليها الماء، ثم يمصُّها هذا(٤).

وقال الحسن ومَعْمرٌ: كان الرجلان والثلاثةُ على بعيرٍ واحد يتعاقبون، وكان زادُهم التمرَ والمَحْضَ(٥) وشيئاً من الشعير، وإهالةً مُنتنةً(٦).

---

(١) رواه عنهم الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٥٠ ـ ٥١).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٥٠).

(٣) رواه البزار في «مسنده» (٢١٤)، والطبري في «تفسيره» (١٢/ ٥٢)، وابن حبان في «صحيحه» (١٣٨٣)، وابن خزيمة في «صحيحه» (١٠١)، والطبراني في «الأوسط» (٣٢٩٢)، والحاكم في «المستدرك» (٥٦٦) وقال: صحيح على شرط الشيخين. وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦/ ١٩٥): رواه البزار والطبراني في «الأوسط» ورجال البزار ثقات.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٥١).

(٥) في (ر): «والمخض». والمحض: اللبن الخالص. انظر: «القاموس» (مادة: محض). وفي المصادر: (التمر المسوِّس)، بدل: «التمر والمحض».

(٦) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ١٠٤)، والبغوي في «تفسيره» (٤/ ١٠٤)، والقرطبي في «تفسيره» =

وفيها قصةُ دعائه بتمرٍ قليلٍ، وجَعْلِه في قصعةٍ، والدعاءِ[1] بالبركة، حتى أَخذ الناسُ ـ وهم أكثرُ من ثلاثين ألفاً ـ أزوادهم والتمرُ بحاله[2].

وفيها كانت قصةُ وضعه كفيه في ماءٍ قليل، وانفجارِ الماء من أصابعه العشر، حتى شربوا وسَقَوا دوابَّهم وملؤوا أوعيتهم[3].

وقوله تعالى: ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٖ مِّنۡهُمۡ﴾[4]: قرأ حمزة وعاصم في رواية حفص: ﴿يَزِيغُ﴾ بياء التذكير لتقدُّم الفعل، وقرأ الباقون بتاء التأنيث بسبب الجمع[5]، كما في قوله تعالى: ﴿وَتَطۡمَئِنَّ قُلُوبُنَا﴾ [المائدة: ١١٣].

وقوله: ﴿يَزِيغُ﴾؛ أي: تميل ﴿قُلُوبُ فَرِيقٖ مِّنۡهُمۡ﴾؛ أي: جماعةٍ، ولم يقل: زاغت، بل قال: ﴿كاد يزيغ﴾ ولم يقل: قلوبهم، بل قال: ﴿قُلُوبُ فَرِيقٖ مِّنۡهُمۡ﴾ وهذا في الزيغ يجوز أن يكون ميلاً عن المضيِّ وقصداً للرجوع، ويحتمِل أن يكون وقوعَ الاضطراب في القلوب.

يقول: تناهى بهم العسر، واشتدَّ عليهم الأمرُ، حتى قارَبوا أن تضطرب قلوب بعضهم، فتداركهم الله، وكذا كان حال الأنبياء وأتباعِهم من قبلُ، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا﴾ [يوسف: ١١٠]، وقال: ﴿وَلَمَّا

= (١٠/ ٤٠٧ ـ ٤٠٨)، عن الحسن. الإهالة: الشحم. انظر: «القاموس» (مادة: أهل).

(١) في (أ): «ودعا».

(٢) رواه مسلم (٢٧/ ٤٥).

(٣) رواه مالك في «الموطأ» (١/ ١٤٣)، ومن طريقه مسلم (٧٠٦/ ١٠) (كتاب الفضائل)، وفيه أن الماء نبع من عين بعد أن غسل النبي ﷺ فيه يديه ووجهه. وكذا روي عن ابن إسحاق في «السيرة النبوية» لابن هشام (٢/ ٥٢٧).

(٤) في (ر) و(ف): «من بعد ما كاد تزيغ...».

(٥) انظر: «السبعة» (ص: ٣١٩)، و«التيسير» (ص: ١٢٠).

يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ﴾ الآية [البقرة: ٢١٤]، وقال: ﴿هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [الأحزاب: ١١].

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾: أي: وفَّقهم للرجوع إليه والاعتصام به، وقبِل ذلك منهم.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾: والجمع بين الاثنين[1] للمبالغة والتأكيد.

وإنما كرَّر ذكر التوبة لوجوهٍ:

أحدها: أن قوله: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ﴾ هو للتوفيق للتوبة، ثم قولَه: ﴿ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ لقبولها، والأول لِمَا سلف والثاني لِمَا كان منهم في هذه الغزوة، أو الأول للكلِّ والثاني لمن كاد يزيغ قلبه على الخصوص.

وقيل: الأول: العفو، والثاني: التخفيف، حيث قفَل بهم النبيُّ ﷺ قبل الحرب، قاله الحسن، وهو كقوله تعالى: ﴿عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ [المزمل: ٢٠]؛ أي: خفَّف عنكم فأسقطه عنكم.

وقال الإمام القشيري رحمه الله: كذا سنَّةُ الله مع أوليائه إذا أشرفوا على العطب وقاربوا من التلف، واستمكن اليأس من قلوبهم من النصرة، ووطَّنوا أنفسهم على أن يذوقوا أليمَ البأس والعسرة، يُمطر عليهم سحائبَ الجود والنصر الموعود، فيعيد عودَ الحياة بعد يبسه طريًّا، ويَردُّ وردَ الأُنس عقيب[2] ذبوله غضًّا جنياً[3].

* * *

(١١٨) ـ ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ

---

(١) في (ف) و(أ): «الاسمين».

(٢) في (ف): «بعد».

(٣) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٧٠).

عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ﴾: أي: وتاب أيضاً على الثلاثة الذي خلِّفوا.

قال قتادة: أي: عن غزوة تبوك[1].

وقال مجاهد: أي: عن التوبة[2].

وقيل: أي: عن[3] الذين خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً، قال تعالى: ﴿وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ﴾، أو[4] عن المذكورين في قوله: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾ فابتهلوا ودعوا فتاب الله عليهم.

وللأول وجهان:

أحدهما: أنه تقدَّمهم القوم فهم مخلَّفون بتقدُّم أولئك.

والثاني: خلَّفهم الله؛ أي خلَق فيهم التخلُّف، ودل ذلك على خلق الأفعال.

وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾: أي: اتَّسعت، وقد رَحُب رُحْباً بضم راء المصدر، فهو رَحْبٌ بفتحها، من حدِّ شَرُف.

و(ما) مع الفعل مصدر تقديره: برُحبها؛ أي: بلغ منهم الغمُّ والتأسُّف والندمُ مبلغاً لا يجدون منه مخرجاً ولا يهتدون لحيلة، كما قال الشاعر:

كأنَّ بلادَ الله وهي عريضةٌ ... على الخائف المطلوب كُفَّةُ حابلِ[5]

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٥٦).

(٢) ذكره عن مجاهد الواحدي في «البسيط» (١١/ ٨٤). ورواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٥٤) عن عكرمة وقتادة. ورواه عن قتادة أيضاً ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٩٠٤).

(٣) «عن» ليس من (أ) و(ف).

(٤) في (أ): «أي».

(٥) نسب لعبد الله بن الحجاج، وللبيد، ولرزين العروضي، ولعبيد بن أيوب بن ضرار العنبري، وللطرماح، =

وقوله تعالى: ﴿وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ﴾: أي: اشتدَّ غمُّهم وضِيقُ صدورهم وحياؤهم فصاروا كأنهم لا يجدون موضعاً يُخفونها فيه.

وقوله تعالى: ﴿وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ﴾: أي: أيقنوا أنه[1] لا معتَصَم من الله إلا بالله، ولا مخلِّص من عقاب الله إلا عفوُ الله.

وقيل: كان ذلك حين كلَّموا النبيَّ ﷺ في ذلك فلم يُجبهم بشيء.

و﴿حَتَّىٰٓ إِذَا﴾ يقتضي جواباً، وهو محذوف هاهنا، وهو معطوف عليه ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾، وهو أن يقال: خفَّف عليهم ـ أو: رحمَهم، ونحوه ـ ثم تاب عليهم.

وقيل ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا﴾ كلمة غايةٍ وتقديره: وخلِّفوا إلى هذه الغاية ثم تاب عليهم، وعلى هذا الوجه لا حذف فيه.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ﴾: أي: وفَّقهم للتوبة فتابوا.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾: وهذا ظاهرٌ.

والآية نزلت في كعب بن مالكٍ من بني سَلِمةَ، وهلال بن أمية الواقفيِّ، ومُرارةَ بنِ الربيع الزبيدي.

وذكر محمد بن إسماعيلَ البخاريُّ في «الجامع»: عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك عن أبيه عن جده أنه قال: لم أتخلَّفْ عن رسول الله ﷺ في غزوة غزاها إلا غزوة تبوك، وكان من خبري: أنِّي لم أكن قطُّ أقوى ولا أيسرَ مني حين تخلَّفْتُ عنه في تلك الغزوة، والله ما اجتمعتْ عندي قبله راحلتان قطُّ حتى جمعتُهما في تلك الغزوة، ولم يكن رسول الله ﷺ يريدُ غزوةً إلا ورَّى بغيرها، حتى كانت تلك الغزوةُ غزاها رسول الله ﷺ في حرٍّ شديد، واستقبل سفراً بعيداً وعدوًّا كثيراً، فجلَّى

= وقد تقدم عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾ [التوبة: ٢٥].

(١) في (ف): «أن».

للناس أمرهم ليتأهَّبوا أُهبةَ غزوِهم، فأخبرهم بوجهه الذي يريد، والمسلمون مع رسول الله ﷺ كثيرٌ، ولا يجمعُهم كتاب حافظ. يريد الديوان.

قال كعب: فما رجلٌ يريد أن يتغيَّب إلا ظَنَّ أنه سيَخفى له ما لم ينزل فيه وحيٌ الله تعالى، وغزا رسول الله ﷺ تلك الغزوةَ حين طابت الثمار والظلال، وتجهَّز رسول الله ﷺ والمؤمنون معه، فطُفقت أغدو لكي أتجهَّز[١] معهم، فأرجعُ ولم أقضِ شيئاً، فأقول في نفسي: أنا قادر عليه، فلم يزل يتمادى بي ذلك حتى خرج رسول الله ﷺ والمسلمون معه ولم أقضِ شيئاً من جَهازي، فقلت: أتجهَّز بعده بيوم أو يومين ثم ألحقُهم، فغدوتُ بعد أن فصَلوا لأتجهَّز فرجعتُ ولم أقضِ شيئاً، ثم غدوتُ ثم رجعتُ ولم أقضِ شيئاً، ولم يزَل بي ذلك حتى أسرعوا، وهممتُ أن ارتحلَ فأدركَهم وليتني فعلتُ، ولم يقدَّر لي ذلك، فكنتُ إذا خرجتُ في الناس بعد خروج رسول الله ﷺ فطفتُ فيهم أَحزنني أنْ لا أرى إلا رجلاً مغموصاً عليه النفاق[٢]، أو رجلاً ممن عذَره الله من الضعفاء، ولم يذكُرني رسول الله ﷺ حتى بلغ تبوكَ[٣]، فقال وهو جالس في القوم: «ما فعَل كعبٌ؟» فقال رجل من بني سَلِمة: يا رسول الله، حبسه بُرداه[٤] ونظرُه في عِطْفه، فقال معاذ بن جبل رضي الله عنه: بئس ما قلتَ، والله يا رسول الله ما علمنا عليه إلا خيراً، فسكت رسول الله ﷺ.

قال كعب بن مالك: فلمَّا بلغني أنه توجَّه قافلاً حضَرني همِّي، وطَفِقْتُ أتذكَّر الكذب وأقول: بماذا أخرج من سَخَط رسول الله ﷺ غداً، واستعنْتُ على ذلك بكلِّ ذي رأي من أهلي، فلمَّا قيل: إن رسول الله ﷺ قد أظَلَّ قادماً زاح عني الباطلُ،

---

(١) في (ف): «لأتجهز».

(٢) أي: متهماً به. انظر: «شرح مسلم» للنووي (١٧/ ٨٩).

(٣) بغير صرف للأكثر، وفي رواية: (تبوكاً) بالصرف على إرادة المكان. انظر: «فتح الباري» (٨/ ١١٨). وقال النووي في «شرح مسلم» (١٧/ ٨٩): هكذا هو في أكثر النسخ (أي: نسخ مسلم): (تبوكاً) بالنصب.

(٤) في (أ): «برده».

وعرفت أني لن أخرج عنه أبداً بشيءٍ فيه كذب، فأجمعتُ صِدْقه.

وأصبح رسول الله ﷺ قادماً، وكان إذا قدم من سفره بدأ بالمسجد فركع فيه ركعتين ثم يجلس للناس، فلما فعل ذلك جاءه المخلَّفون وطفِقوا يعتذرون إليه ويحلفون له، وكانوا بضعةً وثمانين رجلاً، فقبل منهم رسول الله ﷺ علانيَتَهم وبايعهم واستغفرَ لهم، ووكَلَ سرائرهم إلى الله تعالى، فجئتُه، فلما[1] سلمت عليه تبسَّم تبسُّم المغضَب ثم قال: «تعال»، فجئتُ أمشي حتى جلستُ بين يديه، فقال لي: «ما خلَّفك، ألم تكن قد ابتَعْتَ ظَهْرَك؟!» فقلت: بلى، إني والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيتُ أنْ سأخرج من سَخَطه بعذرٍ، ولقد أُعطيتُ جدلاً، ولكني والله لقد علمتُ لئن حدَّثتك اليوم حديثَ كذبٍ ترضى به عني ليوشكنَّ الله أن يُسخطك عليَّ، ولئن حدَّثتُك حديثَ صدق تجدُ عليَّ فيه إنِّي لأرجو فيه عفو الله، لا والله ما كان لي من عذرٍ، والله ما كنتُ قطُّ أقوى ولا أيسرَ مني حين تخلَّفتُ عنك، فقال رسول الله ﷺ: «أمَّا هذا فقد صَدَق، فقُم حتى يقضيَ الله فيك» فقمتُ، وسار رجال من بني سَلِمة فاتَّبعوني فقالوا لي: والله ما علِمناك كنتَ أذنبتَ ذنباً قبل هذا، ولقد عجزتَ أن لا تكون قد اعتذرتَ إلى رسول الله ﷺ بما اعتذر إليه المتخلِّفون[2]، قد كان كافِيَكَ ذنبَك استغفارُ رسول الله ﷺ، فوالله ما زالوا يؤنِّبونني حتى أردتُ أن أرجع فأكذِّبَ نفسي، ثم قلت لهم: هل لقيَ هذا معي أحد؟ قالوا: نعم، رجلان قالا مثلَ ما قلتَ فقيل لهما مثلُ ما قيل لك، فقلت: مَن هما؟ قالوا: مُرارة بن الربيع العنبريُّ وهلالُ بن أميةَ الواقفيُّ، فذكروا رجلين صالحين قد شهدا بدراً فيهما أسوةٌ، فمضيت حين ذكروهما لي.

---

(١) في (ف): «و».

(٢) في (أ) و(ر): «المخلفون».

ونَهى رسول الله ﷺ المسلمين عن كلامنا مِن بينِ مَن تخلَّف عنه، فاجتنبَنا الناس وتغيَّروا لنا، حتى تنكَّرتْ في نفسي الأرضُ فما هي التي أعرفُ، فلبثنا على ذلك خمسين ليلةً، فأمَّا صاحباي فاستكانا وقعدا في بيوتهما يبكيان، وأما أنا فكنتُ أشبَّ القوم وأجلدَهم، فكنتُ أخرج فأشهد الصلاة مع المسلمين، وأطوف في الأسواق ولا يكلِّمني أحدٌ، وآتي رسول الله ﷺ فأسلِّم عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة، فأقول في نفسي: هل حرَّك شفتيه بردِّ السلام عليَّ أم لا؟ ثم أصلِّي قريباً منه فأسارقُه النظر، فإذا أقبلتُ على صلاتي أقبلَ إليَّ، وإذا التفتُّ نحوه أعرض عنِّي، حتى إذا طال عليَّ ذلك من جفوةِ الناس مشيتُ حتى تسوَّرتُ جدار حائط أبي قتادة، وهو ابنُ عمي وأحبُّ الناس إليَّ، فسلَّمتُ عليه فوالله ما ردَّ عليَّ السلام، فقلت: يا أبا قتادة! أَنشدُكَ بالله هل تعلمُ أني أحبُّ الله ورسوله؟ فسكتَ، فعدتُ له فنَشَدْتُه فسكت، فعدتُ له فنَشدْتُه فسكت، فعدتُ له فنَشدْتُه فقال: الله ورسوله أعلمُ، ففاضت عيناي وتولَّيت حتى تسوَّرتُ الجدار.

فبينا أنا أمشي بسوق المدينة إذا بنَبَطيٍّ من أنباط الشام ممن قدِم بالطعام يبيعه بالمدينة يقول: مَن يدلُّ على كعب بن مالك؟ فطَفِق الناسُ يشيرون له إليَّ، حتى إذا جاءني دفع إليَّ كتاباً من ملك غسان، فإذا فيه: أمَّا بعدُ، فإنه قد بلغني أن صاحبك قد جفاك، ولم يَجعلك الله بدارِ هوانٍ ولا مَضْيعةٍ، فالْحَقْ بنا نواسك، فقلتُ لما قرأتُها: وهذا أيضاً من البلاء، فتيمَّمت بها التَّنُّور فسجَرْتُه بها.

حتى إذا مضت أربعون ليلةً من الخمسين إذا رسولُ رسولِ الله ﷺ يأتيني فقال: إن رسول الله ﷺ يأمرُك أن تعتزلَ امرأتك، فقلتُ: أطلِّقُها أم ماذا أفعل؟ قال: لا بل اعتزِلها ولا تَقْرَبها، وأرسل إلى صاحبيَّ بمثل ذلك، فقلت لامرأتي: الْحَقي بأهلك فتكوني عندهم حتى يقضيَ الله في هذا الأمر.

قال كعب: فجاءت امرأة هلال بن أميةَ رسولَ الله ﷺ فقالت، إن هلال بن أمية شيخٌ ضائع ليس له خادم، فهل تكره أن أخدمه، قال: «لا، ولكنْ لا يَقْربْكِ» قالت: والله ما به حركةٌ إلى شيء، والله ما زال يبكي مذ كان من أمره ما كان إلى يومه هذا، فقال لي بعضُ أهلي: والله لو استأذنتَ رسول الله ﷺ في امرأتك كما استأذنَتِ امرأة هلال بن أمية أن تخدمه، فقلت: والله لا أستأذن فيها رسول الله ﷺ، وما يدريني ما يقولُ رسول الله ﷺ إذا استأذنتُه فيها وأنا رجل شابّ؟

فلبثتُ بعد ذلك عشرَ ليالي حتى كَمَلتْ لنا خمسون ليلة مِن حينِ نَهَى رسول الله ﷺ عن كلامنا، فلما صلَّيت الفجر صبحَ خمسين ليلةً وأنا على ظهر بيتٍ من بيوتنا، فبينا أنا جالس على الحال التي ذكر الله تعالى قد ضاقت نفسي وضاقت عليَّ الأرض بما رحُبت، سمعتُ صوت صارخٍ أوفَى على جبل سَلْعٍ بأعلى صوته: يا كعب بن مالكٍ أبشِرْ، فخَررتُ ساجداً، وعرفتُ أنْ قد جاء الفرجُ[1].

وآذن[2] رسولُ الله ﷺ بتوبةِ الله علينا حين صلَّى صلاة الفجر، فذهب الناس يبشِّروننا، وذهب قِبَل صاحبيَّ مبشِّرون، وركض رجلٌ إليَّ فرساً، وسعى ساعٍ مِن أسلمَ[3] فأَوْفَى على الجبل، فكان الصوتُ أسرعَ من الفرس، فلما جاءني الذي سمعتُ صوتَه يبشِّرني نزعتُ له ثوبيَّ فكَسَوْتُه إياهما ببُشراه، والله ما أملك غيرهما يومئذٍ، واستعرتُ ثوبين فلبستُهما وانطلقتُ إلى رسول الله ﷺ، فتلقَّاني الناس فوجاً فوجاً يهتفُ لي بالتوبة، يقولون: ليَهْنِك توبةُ الله عليك.

قال كعبٌ: حتى دخلتُ المسجد، فإذا برسول الله ﷺ جالسٌ والناسُ حوله،

---

(١) في (أ): «جاءني الفرج»، ولفظ الصحيحين: (جاء فرجٌ).

(٢) أي: أَعْلَمَ.

(٣) بعدها في مسلم: (قِبَلي)؛ أي: نحوي.

فقام إليَّ طلحةُ بن عبيد الله يهرولُ حتى صافحني وهنَّأني، والله ما قام إليَّ رجلٌ من المهاجرين غيره، ولا أنساها لطلحة.

قال كعب: فلما سلَّمْتُ على رسول الله ﷺ قال رسول الله ﷺ وهو يَبْرُق وجهُه من السرور: «أبشر بخير يومٍ مرَّ عليك منذ ولدَتْكَ أمُّك» قلتُ: أمِن عندك يا رسولَ الله أم مِن عند الله؟ قال: «لا، بل من عند الله»، وكان رسول الله ﷺ إذا سُرَّ استنار وجهه كأنه قطعةُ قمر، وكنَّا نعرف ذلك منه، فلما جلست بين يديه قلتُ: يا رسول الله، إن من توبتي أن أنخلعَ من مالي صدقةً إلى الله تعالى وإلى رسوله، فقال رسول الله ﷺ: «أمسِكْ عليك بعضَ مالك فهو خيرٌ لك»، قلتُ: إني أمسكُ سهمي الذي بخيبر، فقلتُ: يا رسول الله، إنما نجاني بالصدق، وإنَّ من توبتي ألَّا أحدِّث إلا صدقاً ما بقيتُ، فوالله ما أعلم أحداً من المسلمين أبلاه الله تعالى من صدقِ الحديث منذ ذكرتُ ذلك لرسول الله ﷺ أحسنَ مما أبلاني، ما تعمَّدتُ منذ ذكرتُ ذلك لرسول الله ﷺ إلى يومي هذا كذباً، وإني لأرجو أن يحفظَني الله تعالى فيما بقيتُ.

فأنزل الله تعالى على رسول الله ﷺ: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾ إلى قوله: ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾، فوالله ما أنعمَ الله عليَّ من نعمةٍ قط بعد أن هداني للإسلام أعظمَ في نفسي من صِدقي رسولَ الله ﷺ أنْ لا أكونَ كذَبْتُه فأَهلِكَ كما هلك الذين كذَبوا، فإن الله تعالى قال للَّذين كذَبوا حين أَنزل الوحيَ شرَّ ما قال لأحد، قال سبحانه: ﴿سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ﴾ إلى قوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾.

قال كعب: وكنَّا تخلَّفنا [أيها الثلاثة] عن أمر أولئك الذين قبِل منهم رسول الله ﷺ حين حلفوا له فبايَعهم واستغفر لهم، وأرجأ رسول الله ﷺ أمرَنا حتى قضى الله تبارك وتعالى فيه، فلذلك قال الله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ﴾ وليس الذي

ذكَر الله مما خلِّفْنا عن الغزو، وإنما هو تخليفُه إيانا وإرجاؤه أمرَنا عمَّن حلف له واعتذر إليه فقَبِل منه[١].

***

(١١٩) - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾: أي: القائلين بالحقِّ العامِلين به، و: ﴿مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ في معنى: من الصادقين، أو: في الصادقين؛ لأن (مع) هو للمصاحبة، و(في) للوعاء، و(من) للتبعيض، فإذا كانوا في جملتهم فهم على المعاني الثلاثة.

وقيل: هذا أمر للصحابة رضوان الله عليهم إذا خرجوا مع رسول الله ﷺ أن يتَّقوا مخالفتَه، وأن يكونوا على مذهبِ مَن يستعمل الصدق في أقواله وأفعاله، وهو من قولك: أنا مع فلان؛ أي: على مذهبه.

وقيل: معناه: اتَّقوا الله في الدنيا لتكونوا مع الصادقين في الجنة في العقبى، من قول الله تعالى: ﴿فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ﴾ الآية [النساء: ٦٩]، وطريقُه طريقُ قولك: ائتني وخُذْ كذا؛ أي: لتأخذَ كذا.

وفي قصة كعبٍ التي سُقناها ما يدلُّ على أن الآية نزلت في المجاهدين، فقد قال الله تعالى فيهم: ﴿وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾، وليس هو مجرَّدَ القول، بل هو التحقيقُ في الإيمان، قال الله تعالى: ﴿فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾ [محمد: ٢١] وقال تعالى: ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٢٣]، فكان معنى الآية: ولا تعودوا إلى التخلُّف عن رسول الله ﷺ في مغازيه لتكونوا قد صدَقْتُم في إيمانكم.

---

(١) رواه البخاري (٤٤١٨)، ومسلم (٢٧٦٩)، وما بين معكوفتين منهما.

وقال الحسن[1]: بلغني أنه كان لأحدهم حائطٌ كان يومئذ خيراً من مئة ألف درهم، فقال: يا حائطاه! ما خلَّفني عن رسول الله ﷺ إلا ظلُّك وانتظارُ ثمرك، اذهب فأنت في سبيل الله، ثم لحق برسول الله ﷺ، وأما الآخرُ فلم يكن له إلا أهيلٌ له، فقال: يا أهيلاه[2]! ما بطَّأني عن رسول الله ﷺ ولا خلَّفني عنه إلا الضِّنُّ بك، لا جرم والله لأكابِدَنَّ المفاوزَ حتى ألحق برسول الله ﷺ، وأما الثالث فلم يكن له أهل ولا مال فقال: يا نفسُ! والله ما خلفني عن رسول الله ﷺ إلا حبُّ الحياة لا جرم[3] والله لأكابدنَّ الشدائد حتى أَلحق برسول الله ﷺ، ثم ركب نعليه[4] ومعه زادُه تحت إبطه، فلحق برسول الله ﷺ.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: يا أيها الذين آمَنوا من أهل الكتاب، اتَّقوا الله وكونوا مع الصادقين؛ أي: مع المجاهدين[5].

وقيل: يا أيها الذين آمَنوا من أهل مكة ولم يهاجروا، اتَّقوا الله وكونوا مع المهاجرين.

---

(١) ذكر قوله الزمخشري في «الكشاف» (٢/ ٣١٩).

(٢) في «الكشاف»: «ولم يكن لآخر إلا اهله فقال: يا أهلاه».

(٣) «لا جرم» ليست في (ف).

(٤) في (أ): «بغلته».

(٥) ذكره الواحدي في «البسيط» (١١/ ٨٧) عن ابن عباس ومقاتل بلفظ: (يعني به مؤمني أهل الكتاب، يأمرهم بالجهاد وأن يكونوا مع المهاجرين)، وبهذا اللفظ ذكره في «الوسيط» (٢/ ٥٣٣) لكن عن الكلبي ومقاتل، فلعله مما روي من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس. أما مقاتل بن حيان فقد رواه عنه باللفظ المذكور ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٩٠٦).
وذكره عن ابن عباس أيضاً الزمخشري في «الكشاف» (٢/ ٣٢١)، وفيه بدل: «أي: مع المجاهدين»: (أي: كونوا مع المهاجرين والأنصار، ووافقوهم وانتظِموا في جملتهم، واصدقوا مثل صدقهم).
وهذا الذي قاله الزمخشري هو الأوفق بالمعنى، فغير المسلم يطلب منه أولاً أن يكون مع المسلمين قبل أن يطلب كونه في المجاهدين.

قال الضحاك: ﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾: مع أبي بكر وعمر رضي الله عنهما[١].

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: اتقوا مخالفةَ الله فيما يأمركم به، وكونوا مع الموافِقين لأمره.

ودلت الآية على أن إجماع الأمة حجةٌ؛ لأنه أمرهم بالكون مع الصادقين في دِينه، فلزم قبول قولهم[٢].

وقال يمانُ بن رئابٍ: ﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾: اصْدُقوا كما صَدَق هؤلاء الثلاثة.

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: والله ما يَصلُحُ الكذب في جِدٍّ ولا هَزْلٍ، ولا أن يَعِدَ[٣] أحدُكم صبيَّه ثم لا يُنجزه، اقرؤوا إن شئتم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾[٤].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٨٦) عن الضحاك وسعيد بن جبير.

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٥/ ٥٠٦).

(٣) في (أ): «أن بعد»، وفي (ف): «لأن يعد».

(٤) رواه بتمامه وكيع في «الزهد» (٤٠١)، والثعلبي في «تفسيره» (٥/ ١٠٩)، والواحدي في «الوسيط» (٢/ ٥٣٣).

ورواه دون قوله: (اقرؤوا إن شئتم...) ابن ماجه (٤٦)، والإمام أحمد في «المسند» (٣٨٩٦)، ووكيع في «الزهد» (٣٩٦)، وعبد الرزاق في «المصنف» (٢٠٠٧٦) و(٢٠١٩٨)، وسعيد بن منصور في التفسير من «سننه» (١٠٤٩)، وهنَّاد في «الزهد» (١٣٧٢)، والطبراني في «الكبير» (٨٥١٨).

ورواه دون قوله: «ولا أن يعد أحدكم صبيه ثم لا ينجزه»، ابن المبارك في «الزهد» (١٤٠٠)، وسعيد بن منصور في التفسير من «سننه» (١٠٤٧) و(١٠٤٨)، ووكيع في «الزهد» (٣٩٥)، والطبري في «تفسيره» (١٢/ ٦٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٩٠٦). وجاء عند وكيع والطبري وابن أبي حاتم بدل ﴿مَعَ الصَّادِقِينَ﴾: (من الصادقين)، وهو الصواب في هذا الخبر، فقد جاء عند الطبري وابن أبي حاتم عقبها: (قال يعني: الراوي للخبر ـ: وكذلك هي قراءة ابن مسعود: «من الصادقين»).

وقال عبد الله بن عامر: أتانا رسول الله ﷺ في بيتنا وأنا صبيٌّ، فخرجت ألعبُ، فقالت أمي: تعال أعطِكَ، فقال رسول الله ﷺ: «ما أردتِ أن تعطيهِ؟» قالت: تمراً، فقال رسول الله ﷺ: «أمَا إنك لو لم تُعطِه كانت كذبة»(١).

وقال قتادة: ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ الصدقُ في النية، والصدقُ في العمل، والصدقُ في الليل والنهار، والصدق في السرِّ والعلانية(٢).

وقال أهل المعرفة: هو الصدقُ في الأحوال.

وفي الزَّبور: كَذَب مَن ادَّعى محبَّتي فإذا جنَّه الليل نام عنِّي.

***

(١٢٠) ـ ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ﴾:

ثم حثَّ جلَّ جلالُه ساكني المدينةِ من غير المهاجرين والأنصارِ ومَن حولهم من الأعراب ـ مُزينةَ وأشجعَ وأسلمَ وجهينةَ وغِفار ـ على ما حثَّ عليه الأنصار، فقال: ما ينبغي لهؤلاء أن يتخلَّفوا عن رسول الله ﷺ إذا استنفرهم واستَنهضهم إلى

---

(١) في (أ): «كنت كذابة»، وفي (ف): «فأنت كذابة». والحديث رواه أبو داود (٤٩٩١). وفي الباب عن أبي هريرة، رواه الإمام أحمد في «المسند» (٩٨٣٦)، ولفظه: «من قال لصبي: تعال هاكَ، ثم لم يُعطِه، فهي كذبةٌ».

(٢) رواه ابن أبي حاتم (٦/ ١٩٠٧).

غزوٍ، ولا أنْ يَضِنُّوا بأنفسهم حتى ينفرد هو بتحمُّل المشقَّة دونهم، بل يلزمُهم جميعاً أن يخرجوا معه.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ﴾؛ أي: ولا أن يرغبوا، عطفاً على الأول، والرغبة: طلب المغفرة، فقولك: رغب في كذا؛ أي: طلب المنفعةَ به، وقولك: رغب عن كذا؛ أي: طلب المنفعة بتركه، ومعنى ﴿وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ﴾؛ أي: يطلبوا المنفعة بتوقيَةِ أنفسهم دون نفسِ رسول الله ﷺ.

وقال قطربٌ: أي: لا يَكرهوا لأنفسهم ما يَرضاه الرسولُ لنفسه.

وقال أبو الهيثم السِّجْزيُّ[1]: أي: لا يكونوا أشفقَ على أنفسهم منهم على رسول الله ﷺ.

وقال ابن كيسان: أي: لا يرضَوا أن يكونوا في خَفْضٍ ودَعةٍ ورسولُ الله ﷺ في شدةٍ ونصَب.

وقال القشيري رحمه الله: أي: ليس لهم أن يُؤْثِروا على النبي ﷺ شيئاً من أهل وولد ومال ونفسٍ وروح، ولا يخسرون بذلك به[2].

ثم وصل به ما يحرِّكهم به عليه، وهو قوله تعالى:

---

(١) لعله عبيد الله بن عبد اللهِ السِّجزِي أبو الهيثم، يروي عن أبي إسحاق السَّبيعِي، روى عنه ابنه حسين بن عبيد الله. انظر: «الثقات» لابن حبان (٧/ ١٤٧). وفي موضع آخر من «الثقات» (٨/ ٤٠٤): عبيد الله السجزِي أبو الهيثم يروي عن سُفْيان الثَّوْريّ روى عنه قُتيبة بن سعيد الحكايات. وفي «تاريخ الإسلام» للذهبي (٤/ ٦٨٨): عُبَيْدُ الله بن محمدِ بنِ عبدِ اللهِ بن سِنَان بن طُغَانَ التُّرْكيُّ الخُراسانيُّ السِّجْزِيُّ الفقيهُ، أبو الهيثم، توفي (١٧١ ـ ١٨٠ هـ)، كان جَدُّه مُتَولِّيَ إمرةِ خراسانَ، وقد أُدخل عُبيدُ الله وهو صغيرٌ على الحسنِ البَصريِّ وسَمع من أيوبَ السَّخْتِيَانيِّ، وهشامِ بن حسَّان، وابنِ إسحاقَ. وعنه: عثمانُ بنُ زائدةَ وهو أكبرُ منه، وابن المبارك، وغيرهما، كان من كبار الفقهاءِ، وما رأيتُ لأحدٍ فيه تضعيفًا.

(٢) «به» من (ف)، وفي «اللطائف»: (وليس يخسرون على الله، وأنى ذلك؟). انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٧٢).

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: أي: ذلك الحثُّ والترغيب بأنهم لا ينالهم عطشٌ ولا تعبٌ ولا مجاعة في طريق الجهاد.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ﴾: أي: ولا يطؤون بأقدامهم أو خيولهم أرضاً، والموطئ يجوز أن يكون مصدراً ويجوز أن يكون موضعاً كالموضِع[1].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا﴾: أي: لا يجدون، ومعناه: لا يصيبون من أحدٍ منهم شيئاً من جَرحٍ أو قتلٍ أو ضربٍ أو تشديدٍ أو أخذِ مالٍ ونحوِ ذلك.

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ﴾: أي: حَصَل لهم بكلِّ واحدٍ من هذه الآثار حسنةٌ مقبولة.

وإنما قال: ﴿بِهِ﴾ مع ذكر أشياءَ جمعاً؛ لأنه لمَّا أَدخل بين شيئين (لا) مكرَّراً صار كلُّ فعل مفرَداً بالذكر مقصوداً بالوعد، وهو كما قال أصحابنا: مَن حلَف لا يأكل خبزاً ولا لحماً، يَحنث بواحدٍ منهما، ولو قال: والله لا آكلُ خبزاً ولحماً، لم يحنث إلا بهما جميعاً.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾: أي: هم محسِنون، والله لا يُبطِل ثوابَهم.

* * *

(١٢١) ـ ﴿وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً﴾: قال ابن عباس رضي الله عنهما: قليلةً ولا كثيرةً[2].

---

(١) في (ر) و(ف): «كالمرجع».

(٢) انظر: «تنوير المقباس» (ص: ١٦٨). وذكر عنه الواحدي في «البسيط» (١١/ ٩١): يريد تمرة فما =

وقيل: ﴿صَغِيرَةً﴾: إنعالُ فرسٍ، أو خَرْزُ مِطْهرةٍ، أو خَصْفُ نعلٍ، و﴿كَبِيرَةً﴾: شراكُ كُراعٍ أو سلاح، أو إعدادُ زاد.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا﴾: قال ابن عباس رضي الله عنهما: مُقبِلين ومُدْبرين[1].

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ﴾: أي: عملٌ صالحٌ كما مرَّ مرةً، ويستقيم: إلا كُتب لهم ذلك.

وقوله تعالى: ﴿لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: أي: يأمر بكتابةِ هذه الأشياء في كتبهم ليُخرجها لهم يوم القيامة، فيجزيَهم على كلِّ واحد منها جزاءَ أحسنِ عملٍ كان لهم، فيُلحق ما دونه به شكراً لسعيهم وتوفيراً لأجرهم.

قالوا في الآية: إن مَن قصَد طاعةً كان قيامُه وقعودُه ومشيُه وحركاتُه فيها كلُّها حسناتٍ مكتوبةً له، فما أعظمَ بركات الطاعات.

وقال قتادة: ما ازداد قومٌ في سبيل الله من أهاليهم بعداً إلا ازدادوا من الله قرباً[2].

وقال القشيريُّ رحمه الله: ذلك بأنهم لا يرفعون لأجله سبحانه خطوةً إلا قابلهم بألفِ خطوةٍ، ولا ينقلون لله قدماً إلا لقَّاهم لطفاً وكرماً، ولا يقاسون فيه عطشاً إلا سقاهم من شرابِ لطفه كأساً، ولا يتحملون لأجله مشقَّةً إلا أعطاهم سروراً ونصرةً، ولا ينالون من الأعداء ما يوجب وهَنهم إلا شكَر سعيَهم[3].

* * *

(١٢٢) ـ ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾.

= فوقها ولا أدنى منها، وروي عنه: ولو عِلاقة سوط.

(١) ذكره الواحدي في «البسيط» (١١/ ٩٢).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٧٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٩٠٩).

(٣) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٧٢).

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾:

قال الكلبي: لمَّا أنزل الله تعالى عيوبَ المنافقين وبيَّن نفاقهم في غزوة تبوك، قال المؤمنون: والله لا نتخلَّف عن غزوةٍ يغزوها رسول الله ﷺ ولا سريةٍ أبداً، فلما قدم رسول الله ﷺ وأمر بالسرايا إلى العدو[1] نفر المسلمون ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ جميعاً، وتركوا رسول الله ﷺ وحده بالمدينة، فنزلت الآية الكريمة الشريفة عليه ﷺ[2].

فعلى هذا تفسيرُ الآية: ليس من حُكم المؤمنين رضي الله عنهم أن ينفروا جميعاً ويتركوا رسول الله ﷺ بغيرِ أصحابٍ ويضيِّعوا أهاليَهم وأموالَهم، فهلَّا خرج من كلِّ قبيلةٍ جماعةٌ منهم للغزو، وقعد طائفةٌ ليتعلَّموا من رسول الله ﷺ القرآن والأحكام.

والتفقُّه: التفعُّل من الفقه، وهو طلبُه وتحصيلُه، والفقه: فهمُ موجَبات المعاني المضمَّنةِ فيها من غير تصريحٍ بالدلالة عليها، ولينذرَ هؤلاء المتفقِّهون قومَهم الخارجين إلى الغزو إذا رجعوا من الغزو إليهم ليَحذروا مخالفةَ الشرع إذا سمعوا وعلموا[3].

وبنحوه قال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟﴾ جميعاً ويتركوا النبيَّ ﷺ وحده، فهلَّا ﴿نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ﴾ يعني: السرايا، ولا يخرجوا إلا بإذنه، فإذا رجعت السرايا ونزل بعدهم قرآنٌ تعلَّمه القاعدون من النبيِّ ﷺ، قالوا: إن الله تعالى أنزل على نبيِّكم بعدكم قرآناً، وقد تعلَّمناه، فيمكثُ السرايا يتعلَّمون ما أَنزل الله تعالى على نبيِّهم بعدهم، ويبعث سرايا أخرى، [فذلك قوله]:

---

(١) في (أ): «الغزو».

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ١١١)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢٦٣)، وفي «البسيط» (١١/ ٩٣)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٣/ ٥١٦)، جميعهم عن ابن عباس من رواية الكلبي.

(٣) في (ر): «وعملوا».

﴿لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ﴾ [يقول]: حتى يعلموا ما أنزل الله على نبيِّهم ويعلِّموه السرايا إذا رجعت إليهم لعلهم يحذرون[١].

وذكر الإمام أبو منصور رحمه الله هذا القول وقولاً آخر عن بعضهم: أن النبي ﷺ كان إذا خرج للغزو خرجوا جميعاً معه، فتبقى المدينة خاليةً من الرجال، فنهى الله عن ذلك وقال: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً﴾ مع رسول الله ﷺ، فهلا نفر من كلِّ عشيرة قومٌ ليتفقَّهوا في الدين من رسول الله ﷺ ولينذروا قومهم أهلَ المدينة إذا رجع المتفقِّهون إليهم لعلهم يحذرون.

وقيل: ﴿وَلِيُنذِرُواْ﴾؛ أي: وليُخْبروا الكفَّار المقيمين بالمدينة بما نصَر الله به رسولَه وقهر أعداءه، وليحذَر الكفارُ عن أن ينالَهم كذلك فيُسلموا، وإليه ذهب الحسنُ وابن كيسان، وقالا: نسخت هذه الآية ما قبلها: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ﴾ ﷺ[٢].

وهذه الآيةُ في الظاهر بخلافِ قوله: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ ولكنَّ التوفيق بينهما: أن النبيَّ ﷺ إذا خرج وفي أصحابه قلةٌ فعلى الآخرين أن يخرجوا معه، وإذا خرج وفي أصحابه كثرةٌ قعد البعض لحفظ المدينة والأهل والولد.

وقيل: أحدهما إذا عمَّ النَّفيرُ والآخر إذا لم يعمَّ.

وذكر أيضاً قولاً ثالثاً: أنه في الوفود القادمين من الآفاق للتعلُّم[٣].

وقد رُوي أن حيًّا من بني أسد بن خُزيمة أصابتهم سنةٌ وشدةٌ، فأقبلوا بالذراري معهم والصِّبية حتى نزلوا المدينة، وأفسدوا طرقها بالعَذِرات وأَغلوا أسعارها، فنزلت:

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٧٧)، وما بين معكوفتين منه.

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٥/ ٥٠٦).

(٣) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٥/ ٥٠٨ ـ ٥٠٩).

﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً﴾ الآية[١]، وفيه تعليمٌ لهم أن الواجب عليهم أن ينفر إلى رسول الله ﷺ قومٌ يتعلَّمون ثم يرجعون إلى مواضعهم فيعلِّمون أولئك.

قال: وفي الآية دليلُ سقوط الجهاد عن الجماعة إذا قام به البعض.

وفيها دلالةٌ لزوم العمل بخبر الآحاد[٢] وإن احتمَل الغلط؛ لأن الطائفة تحتمِل اجتماعهم على الكذب أو الغلط، ثم ألزمَ قومهم قبول خبرهم[٣].

وقال القشيري رحمه الله: المسلمون على مراتب: فعوامُّهم كالرعية للملك، وكتبةُ الحديث كخُزَّان الملك، وأهلُ القرآن كحفَّاظ الدفاتر ونفائس الأموال، والفقهاءُ بمنزلة الوكلاء للملك؛ إذ الفقيهُ يوقِّع عن الله تعالى، وعلماءُ الأصول كالقوَّاد وأمراء الجيوش، والأولياء كأركان الباب، وأربابُ القلوب وأصحابُ الصفا كخواصِّ الملك وجلسائه، فيشتغل كلُّ قوم بحفظ أركان الشرع، وآخرون بإمضاء الأحكام، وآخَرون بالردِّ على المخالِفين، وآخرون بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وجُعل قومٌ مفردِين بحضور القلب وهم أصحابُ الشهود، وليس لهم شغل، يراعون مع الله أنفاسهم وهم أصحاب الفراغ، لا يستفزُّهم طلب ولا يهزُّهم أربٌ[٤]، فهم بالله لله بمحوٍ [عن] ما سوى الله، وأما الذين يتفقَّهون في الدين فهم الداعون إلى الله، وإنما يُفهِم الخلقَ عن الله إذا كان يَفهم عن الله[٥].

(١٢٣) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ﴾: أي: يَقْربون

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ١١١)، والبغوي في «تفسيره» (٤/ ١١٢)، عن الكلبي.

(٢) في (ر): «الواحد».

(٣) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٥/ ٥١٠ ـ ٥١١).

(٤) في (أ): «يهزهم أمن» وفي (ف): «يهزهم أمر»، وفي (ر): «يهمهم أمر»، والمثبت من «اللطائف».

(٥) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٧٣)، وما بين معكوفتين منه.

منكم، وقد وَلِيَه يَليهِ وَلْياً؛ أي: جاهِدوا الأقربَ فالأقربَ إليكم، ولا تدَعوا الأقربَ وتقصِدوا الأبعد فيَقصدَ الأقربُ بلادَكم وأهاليَكم وأموالكم وأولادَكم.

وفيه: أنهم إذا أَمِنوا الأقربَ كان لهم مجاوزتُهم إلى الأبعد(١).

قال ابن عباس رضي الله عنهما: أمر الله المؤمنين أن يقاتلوا الأدنى فالأدنى من عدوِّهم من أهل المدينة مثلَ قُريظةَ والنَّضير وخيبرَ وفدكَ(٢).

وذكر أن الذين يلُونهم من الأعداء يومَ نزول هذه الآية هم الروم الذين بهم ختم رسول الله ﷺ غزوة تبوك؛ لأن بلاد العرب كانت قد فتحت عليه وكانت مسافتهم إلى الروم أقرب منها إلى بلاد الأعاجم(٣)، وكان الكلام متصلاً بما تقدم من ذكر غزوة تبوك.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: قيل: كان هذا الأمر أولاً بقتال الأدنى فالأدنى، ثم ورد الأمر بقتال الكلِّ بقوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً﴾.

وقيل: كان النبي ﷺ إذا غزا ربما يجاوز(٤) كفاراً ويقاتل الأبعدَ لتكون آية لنبوته، وأنه لا يبالي ولا يخاف مَن تركَه، فنزلت الآية تعليماً للمؤمنين أمرَ الحرب كما علَّمهم ذلك في سائر الآيات من الأمر بأخذِ الحذر وإعدادِ ما استطاعوا من قوة.

وقيل: هذا إنباءٌ عن دوام الجهاد مع الأعداء أبداً؛ لأنه كلما فُتح ناحيةٌ صار الذين بقُوا وراء هؤلاء يلونهم(٥).

وقوله تعالى: ﴿وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً﴾: قال الضحاك: أي: عنفاً، وقال مجاهد:

---

(١) في (ف): «كان لهم محاربة الأبعد».

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ١١٢)، والواحدي في «البسيط» (١١/ ٩٦) واللفظ له.

(٣) روي نحو هذا عن ابن عمر عند الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ١١٢)، وعن ابن عباس عند الواحدي في «البسيط» (١١/ ٩٦).

(٤) في (أ): «يجاور».

(٥) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٥/ ٥١١ ـ ٥١٢).

أي: شدة، وقال عطاء: أي: شجاعة، وقال الحسن: أي: صبراً[١].

وقوله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾: أي: معكم إن اتَّقيتُموه[٢] في أوامره ونواهيه من الجهاد وغيره، ومعكم؛ أي: مُعِينكم وناصرُكم وحافظُكم.

(١٢٤) ـ ﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِ إِيمَانًا﴾: أي: فمِن المنافقين مَن يقول لأصحابه أو لضَعَفة المؤمنين على سبيل الهزء والاستخفاف بالقرآن عند نزول السورة: أيُّكم زادته هذه السورة تصديقاً؛ أي: إنَّا لم نزدَدْ بهذه إيماناً، ولا أحدث بنا[٣] نزولُها تصديقاً بما يدَّعيه محمد من الوحي والشرائع التي فيها المشاقُّ والمخاطرةُ بالنفوس والأموال والأولاد.

ثم أجيبوا عن هذا بما يذكر بعده، وهو قوله تعالى:

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾: أي: فأما المخلِصون فإن هذه السورة صارت سبباً لزيادة تصديقهم ويقينهم وإخلاصهم، وهم يفرحون بما نزل فيها من الوعد على الإيمان والعمل حتى يتبيَّنُ ذلك في وجوههم وبشرتهم.

(١٢٥) ـ ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾: أي: شك، وقيل: أي: نفاق، وقيل: غلٌّ، وقيل: ضغنٌ على المؤمنين.

وقوله تعالى: ﴿فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾: أي: صارت سبباً لزيادة كفرهم وتكذيبهم، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ [التوبة: ٢٨].

---

(١) ذكر هذه الأقوال الواحدي في «البسيط» (١١/ ٩٧) وقول عطاء عزاه لابن عباس.

(٢) في (ر): «اتبعتموه».

(٣) في (ف): «لنا».

وقيل: الرِّجس: الأذى، ومعناه: امتلاءُ صدورهم من الغيظ مما يَرون من علوِّ المسلمين وقهرِ الكافرين والمنافقين.

وقوله تعالى: ﴿وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ﴾: وهو إخبار عن إصرارهم عليه إلى الموت، وهو كقوله تعالى: ﴿لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [التوبة: ١١٠].

وقال القشيري رحمه الله: إنزالُ[1] القرآن لقوم شفاءٌ ولقوم شقاء، فأما المخلصون فزادتهم السورة إيقاناً فارتقَوا من حدِّ تأمُّل البرهان إلى روح البيان، ثم من روح البيان إلى أُنس العِيان، فشُموسُ العِرفان طالعة على أسرارهم، وأنوار التحقيق مالكةٌ لأرواحهم، فلا لهم تعبُ الطلب، ولا عليهم سلطان الفكر والدأب، وشعاعُ شُموس العرفان مستغرقٌ لأنوار العلم والبيان، يقول قائلهم:

فلمَّا استبانَ الصُّبحُ أَدْرَجَ ضوءُه بإسفاره أنوارَ ضوءِ الكواكب[2]

(١٢٦) - ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾: قرأ حمزة: ﴿أَولا ترَوْن﴾ بتاء المخاطبة للمؤمنين، وقرأ الباقون بياء المغايبة خبراً عن المنافقين[3]؛ أي: عجباً منهم كيف قستْ قلوبهم وعَمِيت أبصارهم عما يَتتابع عليهم من أنواع المحن حتى لا يخلو كلُّ عامٍ من محنةٍ أو محنتين، ثم لا يرجعون عن كفرهم ولا يتَّعظون بما يصيبهم.

وقال الحسن وقتادة: هذه الفتنة هي القتلُ[4] والسبيُ ونصرُ المؤمنين[5].

---

(١) في (ف): «أنزل»، وفي «اللطائف»: (جعل الله إنزال).

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٧٤).

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٣٢٠)، و«التيسير» (ص: ١٢٠).

(٤) في (أ): «القتال».

(٥) رواه عنهما الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٩٢)، وعن الحسن عبدُ الرزاق في «تفسيره» (١١٤٥)، =

وقال مجاهد: القحط والجوع[١].

وقيل: بهتك أستارهم كإخراجهم من المسجد وطردِهم عن المحافل.

وقيل: بالمرض والحوادث.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: قيل: يُبتلَون بالجهاد والغزو، فيتخلَّفون عنه فيظهر بذلك نفاقُهم[٢].

وقال عكرمة: ينافقون ثم يؤمنون ثم ينافقون[٣].

وقال يمان بن رئاب: ينقضون عهدهم مرةً أو مرتين.

وقال القشيري رحمه الله: ثم إن سنةَ الله تعالى ألَّا يُخلي أرباب التكليف من دلائل التعريف، والتحريكِ لهم في كل وقت بنوعٍ من البيان، والتعريك في كلِّ أوانٍ بضربٍ من الامتحان، فمنهم مَن لا يزداد بإيضاح البرهان إلا زيادةَ الخذلان، والحَجْبةَ عن فوائد البيان، وأما أصحاب الحقائق فما يكون لغيرهم في كلِّ عامٍ مرة أو مرتين فلهم في كلِّ نَفَسٍ مرات وتارات، لا يخليهم الحق سبحانه من زواجرَ توجِب بصائر، وخواطرَ زواهرَ تتضمن تكليفاتٍ وأوامر، قال قائلهم:

كأن رقيباً منك حلَّ بمهجتي ... إذا رُمتَ تسهيلاً عليَّ تصعَّبا[٤]

* * *

(١٢٧) ـ ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟ۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾.

= وكلها بلفظ: (يبتلون بالغزو في سبيل الله في كل عام مرة أو مرتين).

(١) رواه عنهما الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٩٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٩١٥).

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٥/ ٥١٥).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ١١٣).

(٤) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٧٥).

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾: أي: بعضُ هؤلاء المنافقين إلى بعضٍ إيماءً ببصره واستخباراً بإشارته.

وقوله تعالى: ﴿هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ﴾: أي: هل يتفقَّد[1] انصرافكم أحدٌ من المخلِصين.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟﴾: أي إذا وجدوا غفلةً من المؤمنين انصرفوا كراهيةً لسماع القرآن.

وقيل: خوفاً مما ينزل من ذكر مقابحهم.

وقيل: حذراً من نزول الأمر بالجهاد، وتكليفِ النبيِّ ﷺ إياهم بالخروج، واضطرارِهم إلى الإجابة إذا خاطبهم به.

وقيل: هي كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَـٰرِهِمْ نُفُورًا﴾ [الإسراء: ٤٦].

وقوله تعالى: ﴿صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم﴾: حيث اختاروا الانصراف عن الإيمان، وعلِم الله ذلك منهم فصرفهم عنه، وهو دليلُ خلقِ الأفعال، وهو كقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف: ٥].

وقال الحسن: ثم انصرفوا على عزم الكفر والتكذيب بمحمدٍ والقرآن[2].

وقوله تعالى: ﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾: أي: استحقُّوا ذلك عقوبةً لهم على تركهم التدبُّر في القرآن كمَن لا يفقهُ ذلك.

***

(١٢٨) - ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.

---

(١) في (ف): «يتقصد».

(٢) ذكره الواحدي في «البسيط» (١١/ ١٠٤).

وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾: ختم السورة بذكر صفات الرسول الذي أنزل عليه القرآن، ومنه كان لهم البيان؛ كما في هذه السورة وسائر الفرقان.

وقوله تعالى: ﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾: أي: آدميٌّ مثلِكم.

وقيل: هو خطاب للعرب؛ أي: من نسبكم عربيٌّ مثلُكم، وذاك أقرب إلى الألفة، وأبعدُ من اللَّجاجة، وأسرع إلى فهم الحُجة.

وقيل: لمَّا كان منكم وقد عرفتُم صدقَه وأمانته لم يقع في قلوبكم كذبُه ولا خيانتُه(١).

وقرأ ابن عباس وفاطمة بنت رسول الله ﷺ ورضي عنها: (مِن أَنْفَسِكم) بفتح الفاء(٢)؛ أي: من أشرَفكم وأفضلِكم، من قولهم: شيءٌ نفيسٌ؛ أي: خطير.

وقوله تعالى: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾: أي: شديدٌ عليه عنتُكم؛ أي: هلاكُكم، وقيل: مشقَّتُكم، وقيل: إثمكم.

وقيل: العنتُ: الأذى الذي يَضيقُ به الصدر، ولا يهتدي للمخرج منه؛ أي: لشفقته عليكم يَشُقُّ عليه ما يسوءكم.

وقيل: أي: لا يدعوكم إلى شيء فيه ذلك، بل إلى كلِّ يُسرٍ وخفَّه(٣).

وقال عبد العزيز بن يحيى الكِنانيُّ: ﴿عَزِيزٌ﴾ نَعَته بالعزَّة على ربِّه ثم قال: ﴿عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾؛ أي: عليه الشفاعةُ فيما أثمتُم كالدِّية على العاقلة(٤).

---

(١) في (أ): «وهم كذب وخيانة» وفي (ف): «كذب ولا خيانة» بدل: «كذبه ولا خيانته».

(٢) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٦٠).

(٣) في (ف): «كل سر وخفية».

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٤/ ١٤٧) لكن باختلاف عما هنا، ولفظه: قال عبد العزيز بن يحيى: نظم الآية: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ﴾ =

وقوله تعالى: ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾: أي: على إيمانِ مَن لم يؤمِن منكم.

وقوله تعالى: ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾: الرأفة: أشدُّ الرحمة، والرحمةُ أعمُّ من الرأفة؛ لأنها استعملت في كلِّ نفع كالمطر والسعة والعافية وغيرها، فكان المعنى في الرؤوف: الشَّفيق[1] العطوف، وفي الرحيم: النافع المُفْضِل[2].

وقال الحسين بن الفضل: لم يجمع الله تعالى لأحد من الأنبياء بين اسمين من أسمائه إلا لنبيِّنا محمدٍ ﷺ، فإنه قال: ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾، وقال لإبراهيم: ﴿حَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٤]، وقال لإسماعيل: ﴿صَادِقَ الْوَعْدِ﴾ [مريم: ٥٤] وليحيى: ﴿وَسَيِّدًا وَحَصُورًا﴾ [آل عمران: ٣٩].

* * *

(١٢٩) - ﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾: أي: قرَّرنا صفاتك عندهم، فإن أعرضوا عنك ولم يصدِّقوك بل خالفوك وعادَوك ﴿فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ فعرِّفْهم أن الله الذي لا إلهَ إلا هو كافيكَ مكروههم[3] وناصرُك عليهم.

وقوله تعالى: ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾: أي: أخبرهم أنك فوَّضتَ أمورك إليه.

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾: أي: ذو القدرة والسلطان والملك، والعرشُ عبارةٌ عن الملك، يقال: ثُلَّ عرشُه؛ أي: زال ملكه.

وإنْ حُمل على العرش الذي فوق السماوات فذكرُه ذكرُ كلِّ المخلوقات لأنه

= رَّحِيمٌ﴾ ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾، لا يهمه إلّا شأنكم، وهو القائم بالشفاعة لكم، فلا تهتموا لما عنتم ما أقمتُم على سنَّته فإنه لا يرضيه إلّا دخولكم الجنة.

(١) في (ر): «الشفوق».

(٢) «المفضل» ليست في (ف).

(٣) في (أ) و(ر): «مكروههم»!.

أعظمُها فذكرُه ذكرها، وإضافةُ الله إليه إضافةُ[١] بيانِ خَلْقه ومُلْكه وقدرته وعلمه وعظمته وسلطانه[٢].

وقال القشيري رحمه الله: لقد جاءكم رسولٌ يشاكِلُكم في البشرية لكنه يأتيكم فيما أفردناه[٣] به من الخصوصية، وألْبسناه لباسَ الرحمة عليكم، وأقمناه بشواهدِ العطف والشَّفقة على جملتكم، قد وكَل همَّته بشأنكم، [و]أكبر[٤] همَّته في إيمانكم.

وقوله تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ أمرَه أن يدعوَ الخلق إلى التوحيد، ثم قال: فإن أعرضوا عن الإجابة فكنْ لنا بنعتِ التجريد.

ويقال: قال له: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ﴾ [الأنفال: ٦٤] ثم أمره بأن يقول: ﴿حَسْبِيَ ٱللَّهُ﴾، وقوله: ﴿حَسْبُكَ ٱللَّهُ﴾ عينُ الجمع، وقوله: ﴿فَقُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ﴾ تفرقةٌ، بل هو جمع الجمع؛ أي: قل، ولكنْ بنا تقول، فنحن المتولُّون عنك، وأنت مستهلَكٌ[٥] في عين التوحيد، فأنت بنا، ومحوٌ عن غيرنا[٦].

وروَى الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبيٍّ بن كعب: أنهم جمعوا القرآن في مصحفٍ في خلافة أبي بكر رضي الله عنه، فكان رجال يكتبون يملي عليهم أبيُّ بن كعب، فلما انتهوا إلى هذه الآية: ﴿صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ ظنُّوا أنه آخرُ القرآن، فقال لهم أبي بن كعب: إن النبي ﷺ قد أقرأني بعد هذه آيتين: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ﴾ إلى آخر السورة، فهذا آخر ما أنزل من القرآن، فخُتم الأمرُ

---

(١) «إضافة» زيادة من (ف).

(٢) «وسلطانه» ليس من (أ).

(٣) في (ر) و(ف): «أوردناه».

(٤) في (أ): «أكثر».

(٥) في (ر): «ستهلك»، وفي (ف): «المستهلك».

(٦) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٧٦).

بما فُتح به؛ بـ: لا إله إلا الله، قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥][1].

وقال البراء بن عازبٍ: آخرُ سورةٍ نزلت كاملةً براءة[2].

وقال يحيى بنُ جَعْدَةَ: كان عمر رضي الله عنه لا يَكتب آيةً في المصحف حتى يَشهَدَ عليها رجلان، فجاءه رجل من الأنصار بالآيتين من آخر سورة التوبة، فقال عمر رضي الله عنه: والله لا أسألك عليهما بينةً كذلك كان رسول الله ﷺ، فأثبته[3].

والحمد لله رب العالمين، قد أتممت هذه السورة بعون الله وطاقته، وتوفيقه ورأفته.

---

(١) رواه عبد الله ابن الإمام أحمد في زوائده على «المسند» (٢١٢٢٦)، وابن أبي داود في «المصاحف» (ص: ٥٦ و١١٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٩١٩)، والضياء في «المختارة» (١١٥٥).
وقوله: «إلا يوحى» هكذا جاءت في النسخ الخطية و«المسند»: بالياء التحتية المضمومة، وفتح الحاء، وهي قراءة جمهور القراء، وقرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم: ﴿نُوحِيٓ﴾، بالنون المضمومة وكسر الحاء.
قوله: «فختم بما فتح به...»، يعني: أن الله تعالى افتتح الدِّين بالتوحيد، واستدلَّ على ذلك بقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ وختم الدين بالتوحيد أيضاً فقال في آخر آية مِن سورة براءة: ﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُلۡ حَسۡبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ﴾.

(٢) رواه البخاري (٤٣٦٤)، ومسلم (١٦١٨).

(٣) رواه سعيد بن منصور في «سننه» (١٠٥٣ ـ تفسير)، وإسناده منقطع لأن يحيى بن جعدة لم يسمع من عمر كما في «المراسيل» لابن أبي حاتم (ص: ١٨٨). ورواه من طريق آخر الطبري في «تفسيره» (١٢/ ١٠٠)، وفيه سفيان بن وكيع وهو ضعيف جدًّا. وخبر وجود هاتين الآيتين مع خزيمة الأنصاري رواه البخاري (٤٦٧٩) من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه حين أمره الصدِّيق بجمع القرآن.

التيسير في التفسير

تأليف الإمام

أبي حفص النسفي

نجم الدين عمر بن محمد بن أحمد النسفي الحنفي

(٤٦١-٥٣٧هـ)

يطبع أول مرة محققاً على ثلاث نسخ خطية

تحقيق وتعليق

جمال عبد الرحيم الفارس

المجلد الثامن

دار اللباب

بسم الله الرحمن الرحيم

التيسير

في

التفسير

(٨)

حُقوق الطّبع محفُوظَة

الطبعة الأولى
١٤٤٠هـ ـ ٢٠١٩م

يُمنع طباعةُ هذا الكتاب أو ترجمته أو تصويرُه ورقياً أو إلكترونياً
إلا بإذن خطي من الدار الناشرة
تحت المُساءلة الدُّنيوية والأُخروية

9 786052 279311

دار اللُّباب
للدِّراسات وتحقيق التُّراث
DAR-ALLOBAB
Lubab Yazma Eserleri İhya ve İlmi Araştırma Yayınları

بيروت ـ لبنان
009615813966
0096170112990
Www.allobab.com

اسطنبول ـ تركيا
00905454729850
00902125255551
info@allobab.com

İskenderpaşa mh. Kıztaşı cd. No:7 D:5 Fatih (Özel Fatih Hastanesi Karşısı)

سُورَةُ يُونُسَ

سورة يونس

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

بسم الله الَّذي أنزلَ آياتِ الكتاب الحكيم، الرَّحمنِ الَّذي يدعو إلى دار السَّلام ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، الرَّحيمِ الَّذي لا رادَّ لفضلِه يصيبُ به مَن يشاءُ مِن عباده وهو الغفور الرَّحيم.

وهذه السُّورة مكيَّةٌ، وهي مئة وعشر آيات، وقيل: تسع، وقيل: ثمان، والاختلاف في ثلاث آيات: ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [يونس: ٢٢]، ﴿وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [يونس: ٥٧]، ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [يونس: ٢٢].

وكلماتُها ألفٌ وثماني مئة وثلاث وثلاثون، وحروفُها سبعة آلاف وثلاث مئة وسبعة وتسعون(١).

وروى أبيُّ بنُ كعبٍ رضي الله عنه، عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «مَنْ قرأَ سورةَ يونُسَ أُعْطِيَ مِنَ الأجرِ(٢) عشرَ حسناتٍ بعددِ مَن كذَّب بيونس وصدَّق(٣) به، وبعددِ مَن غرقَ مع فرعون»(٤).

---

(١) في (أ): «وتسعة وتسعون». وفي «البيان في عد آي القرآن» للداني (ص: ١٦٣): سَبعة آلاف وخمس مئة وسَبعة وسِتُّون حرفاً كحروف هود.

(٢) «من الأجر» من (أ).

(٣) في (ف): «ومن صدق».

(٤) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ١١٦)، والواحدي في «الوسيط» (١/ ١٧٤). قال ابن الجوزي في =

وانتظامُ أوَّل هذه السُّورة بآخر تلك السُّورة: أنَّه ختم تلك بثنائه بقوله: ﴿وَهُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ﴾، وبدأ هذه السُّورة بـ ﴿الٓر﴾، وهو مُنزل الكتاب الحكيم، ولأنَّه ذكر في ختم تلك السُّورة تولِّيَ الكفَّار، وفي افتتاح هذه السُّورة في ذكر المنافقين والمشركين[1] وحسنِ عاقبة المخلصين، وفي هذه السُّورة محاجَّةُ الكافرين وما نزل بالكفَّار الماضين، وخلاص المخلصين.

* * *

(١) ـ ﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿الٓر﴾: قال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: أنا الله أرى[2].

وروى عكرمة عنه: ﴿الٓر﴾ و﴿حمٓ﴾ و﴿نٓ﴾ إذا اجتمعَتْ فهي الرَّحمن[3].

وقيل: هي اسم السُّورة.

وقيل: هي اسم القرآن.

وقيل: هي ثلاثةٌ مِن أسماء الله تعالى الحسنى، وهي الله واللَّطيف والرَّحيم.

وقيل: معناه: اللهُ بعثَ جبريلَ به إلى رسولِه.

وقيل: الألفُ آلاءُ الله، واللَّام لطفُه، والرَّاء رحمتُه.

= «الموضوعات» (٤/ ٣٤٤): مصنوع بلا شك. وقال ابن كثير في «تفسيره»: حديث منكر من سائر طرقه. وانظر: «الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة» للشوكاني (ص: ٢٩٦).

(١) في (ف): «والشياطين». قلت وليس في افتتاح هذه السورة ذكرٌ للمنافقين، ثم إن هذه السورة مكيَّة ولا نفاق في مكة.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ١٠٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٩٢١).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ١٠٣ ـ ١٠٤) واللفظ له، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٩٢١).

وقوله تعالى: ﴿تِلْكَ﴾: قال أبو عبيدة: أي: هذه(١)، كما مرَّ في أوَّل (سورة البقرة): ﴿ذَٰلِكَ الْكِتَابُ﴾ [البقرة: ٢].

وقال الزَّجَّاج: أي: الآيات الَّتي تقدَّم ذكرُها قبلَ هذه السُّورة(٢).

وقيل: لَمَّا كانت ﴿الر﴾ اسم السُّورة، فقوله: ﴿تِلْكَ﴾ إشارةٌ إليها، وهو كقولهم: هند هي الكريمة.

وقوله تعالى: ﴿ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ﴾: أي: الآتي بالحكمةِ.

وقيل: أي: المحكم عن التَّناقض والتَّغيير والتَّبديل.

وقيل: أي: الحاكم، كالعليم بمعنى العالم؛ أي: فيه بيان الأحكام.

وهذا كلُّه صفةُ القرآن.

وقيل: هو صفةُ اللَّوح المحفوظِ، كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ﴾ [الزخرف: ٤]. وعلى هذا تكون ﴿تِلْكَ﴾ إشارةً إلى الغائب على ظاهر وصفِه؛ أي: هذه السُّورة تلكَ آياتُ الكتابِ المكتوبةُ في اللَّوح المحفوظ، وكَّلْنا بحفظِها الثِّقات، ثمَّ أوحيناها إليك في أوقاتٍ.

وقيل: أي: هذه تلك الآيات الموعودة لك يوم الميثاق.

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: ذلك الكتاب الذي وعدْتُكم به، وقد حقَّقنا لكم الميعاد، وأوصلنا لكم أسباب الوداد، وانقضى عنكم زمان البِعاد، فاستقيموا على نهج الأحباب، وتمسكوا بوثائق الأسباب(٣).

---

(١) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١/ ٢٧٢).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٥).

(٣) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٢/ ٧٧).

(٢) ـ ﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ﴾: أي: أتعجَّبَ مشركو مكَّة أنْ جعلْنا لنا رسولًا إليهم، وهو من جنسهم، يفهمون منه، ويسكنون إليه، ويعرفون صدقَه وأمانته، أن أنذِر المشركين وبشِّر المؤمنين، وهو كقوله: ﴿ وَعَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ﴾ الآية [ص: ٤]، و: ﴿ مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا ﴾ [المؤمنون: ٢٤].

وليسَ بعجَبٍ؛ لأنَّ الخَلْقَ خلقُهُ، والـمُلْكَ ملكُه، وله أنْ يرسِلَ إليهم رسولًا، ويأمرَهم بما يريدُ، وينهاهم عمَّا يريدُ.

وإذا صحَّ هذا في العقول فإرسال البشر أولى وأقرب إلى أن يسكنوا إليهم وأن يعقلوا عنهم من إرسال الملائكة الذين لا يُعايَنون.

ثمَّ ليس في نفسِ ما أتوا به ما تنكرُه العقولُ، إنَّما هو حثٌّ على الشُّكر والطَّاعة للمنعِم، ودعاءٌ إلى شرائعَ بها صلاحُ بينِهم، وتآلُفُ قلوبِهم، وارتفاعُ التَّظالم عنهم، وإنذارٌ لِمَن عصاه بالعذابِ الأليمِ، وتبشيرٌ لِمَن أطاعَه بالنَّعيم المقيم.

وقوله تعالى: ﴿ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾: قيل: أي: سوابقَ أعمالٍ صالحةٍ قدَّموها ذُخرًا لآخرتهم.

والقَدَمُ: ما قُدِّمَ مِن العملِ؛ قال حسَّان رضي الله عنه:

لنا القدمُ العُلْيا إليكَ وخلفُنَا ... لأوَّلِنا في طاعةِ اللهِ تابعُ[1]

(١) انظر: «ديوان حسان» (ص: ٣١٠). وفيه: «الأولى» بدل «العليا».

وقال ذو الرُّمَّة:

لكُمْ قَدَمٌ لا يُنْكِرُ النَّاسُ أنَّها ... مع الحَسَبِ العادي طَمَّتْ على البَحْرِ[1]

والصِّدقُ: الحَسَن، ويُذكَر على الإضافة بطريق المدح، يُقال: رجلُ صِدْقٍ، وثَوْبُ صِدْقٍ، وفَرَسُ صِدْقٍ.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: ﴿أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ﴾ قال: محمَّدٌ ﷺ شفيعٌ لهم يومَ القيامةِ[2].

وقيل: تُذكَر اليدُ مكان الصَّنعة[3] مجازًا، والقدمُ مكان السَّعي أيضًا؛ لأنَّ الكسْبَ يقعُ باليد، والسَّعي بالقدم، وقال تعالى: ﴿وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا﴾ [الإنسان: ٢٢].

وقال ابن عبَّاس والحسنُ رضي الله عنهم: ﴿قَدَمَ صِدْقٍ﴾: عملَ صِدْقٍ يَقدَمُون عليه[4]؛ قال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ﴾ يعني: الجنَّة.

وقال عطاء: مَقامَ صدقٍ لا زوالَ عنه ولا بؤسَ فيه[5].

وقال الرَّبيع بن أنس: ثوابَ صدقٍ[6].

وقال قتادة: سَلَفَ صدقٍ[7].

---

(١) انظر: «ديوان ذي الرمة» (٢/ ٩٧٢)، وفيه: «الفخر» بدل «البحر».

(٢) رواه ابن مردويه، كما في «الدر المنثور» للسيوطي (٤/ ٣٤٢).

(٣) في (أ) و(ف): «الصنيعة».

(٤) ذكره بهذا اللفظ الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ١١٧) عن الحسن، وروى نحوه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ١٠٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما، ولفظه: «أجرًا حسنًا بما قدَّموا من أعمالهم».

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ١١٧).

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ١٠٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٩٢٣).

(٧) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ١١١)، وذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٩٢٣).

وقال يمانُ بن رئابٍ: هو إيمانهم[١].

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: ويحتمِلُ أنَّ معناه: ثبتَتْ أقدامهم فلا تزلُّ؛ قال تعالى: ﴿فَتَزِلَّ قَدَمٌۢ بَعۡدَ ثُبُوتِهَا﴾ [النحل: ٩٤][٢].

وقال ابن عبَّاس رضي الله عنهما في رواية: تسبقُ لهم السَّعادة في الذِّكر الأوَّل[٣].

وقال عبد العزيز بن يحيى: هو قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ﴾ [الأنبياء: ١٠١][٤].

وقيل: هو تقديم الله تعالى هذه الأمَّة يوم القيامة؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «نحنُ الآخرونَ السَّابقون»[٥]، وقال عليه الصَّلاة والسَّلام: «إنَّ الجنَّةَ محرَّمةٌ على الأنبياء حتَّى أدخُلَها أنا، ومحرَّمَةٌ على الأممِ ما لم تدخُلْها أمَّتي»[٦].

وقوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٞ مُّبِينٌ﴾: في أوَّله مضمر؛ أي: لَمَّا جاءَهم وأنذرهم قال الكافرون: إنَّ هذا المدَّعي لساحرٌ مبينٌ، وهو قراءة ابن كثير

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ١١٧).

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٦/ ٥).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ١١٠).

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ١١٧).

(٥) رواه البخاري (٢٣٨)، ومسلم (٨٥٥)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٦) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣١٨٠٢) من طريق مكحول عن عمر رضي الله عنه، ورواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٩٤٢)، من طريق آخر عمر رضي الله عنه. ورواية ابن أبي شيبة مرسلة، قال أبو زرعة كما في «المراسيل» لابن أبي حاتم (ص: ١٦٦): مكحول عن عمر مرسل، ورواية الطبراني قال عنها أبو زرعة: حديث منكر، لا أدري كيف هو؟ انظر: «علل الحديث» لابن أبي حاتم (٥/ ٥٣٥).

وعاصم وحمزة والكسائي؛ أي: يخدعنا بتخاييله، ويقودنا إلى الانقياد له، ويعرِّضُ أنفسَنا وأهالينا وأولادَنا للتَّلَف في مجاهدة عدوِّه.

وقرأ الباقون: ﴿لسحرٌ مبينٌ﴾[1]؛ أي: إنَّ هذا الَّذي أتى به لَسِحْرٌ ظاهرٌ.

وقال الأستاذ أبو عليٍّ الدَّقاقُ: جوَّزَ الكفَّار أن يكون المنحوت مِن الخشب والمعمول مِن الصُّفر والشَّبَه[2] إلهًا معبودًا، وتعجَّبوا أنْ يكونَ مثلُ محمَّدٍ في جلالةِ قَدْرِهِ رسولًا مبعوثًا، هذا هو الضَّلال البعيد.

وقال الإمام القشيريُّ رحمَه الله: ﴿أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ﴾: هو ما قدَّموه لأنفسِهم مِن طاعات أخلصوا فيها، وعباداتٍ صدَقوا في القيام لها.

وقيل: هو ما قدَّم الحقُّ لهم يومَ القيامةِ مِن عنايتِه بشأنهم، وما قضى لهم مِن فنون إحسانِه.

وقيل: هو ما رفعوه مِن أقدامِهم في بدايتهم في زمان إرادتهم؛ فإن لأقدامِ المريدِيْن المرفوعةِ لأجل اللهِ حُرْمَةً عندَ اللهِ، ولأيَّامِهم الخالية في حال تردُّدهم، ولياليهم الماضية في طلبه وهم في حرقةِ تحيُّرهم = حقًّا يرعاه الله، قال الشَّاعر:

مَن ينسَ حُرْمَةَ دارٍ قَدْ تَخَوَّنَها ... رَيْبُ الزَّمانِ فإنِّي لسْتُ أنساك

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ٣٢٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٠).

(٢) الشَّبَه، النحاس الأصفر، والصُّفر: النحاس الجَيِّد، وقيل: هُوَ ضَرْبٌ من النُّحَاسِ، وقيل: هو ما صَفرَ منه، ورجَّحه شيخُ الزبيدي؛ لمناسبة التَّسْمية. انظر: «تاج العروس» (مادة: صفر). ولم ترد كلمة «الشبه» في «لطائف الإشارات»، والكلام منقول منه، وقد غير محققه كلمة الصفر إلى: (الصخر) مخطِّئاً ما جاء في نسخ «اللطائف» من كلمة (الصفر).

وقال آخر:

تلكَ العهودُ بشدِّها مختومةٌ   عندي كما هيَ عَقْدُها لم يُحْلَلِ[١]

* * *

(٣) ـ ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾: مرَّ تفسيرُه في سورة الأعراف.

وقوله تعالى: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾: قال مجاهد: يقضي الأمرَ وحدَه[٢].

والأمرُ جنسٌ أُريد به الجمع؛ أي: يقدِّرُ الأمورَ كلَّها، ويُمضيها في الدُّنيا والآخرة، مِن خَلْقِ أفعالِ العباد وأقوالهم وأحوالهم، وإظهارِ الحوادث مِن الموت والحياة، والعزِّ والذُّل، والصِّحَّةِ والمرض، والسَّعةِ والضِّيق، والخيرِ والشَّر، وإعطاءِ الذُّكور والإناث مِن الأولاد، وتصريفِ اللَّيل والنَّهار، والرِّيحِ والسَّحاب، والحرِّ والبرد، وكلِّ شيء؛ قال تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩].

ولَمَّا كان الموكَّلون على بعض هذه الحوادث من الملائكة، قال في وصفهم: ﴿فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا﴾ [النازعات: ٥].

وكذلك أمورُ الآخرة كلُّها من الثَّواب والعقاب، واللُّطف والعِتاب، والعفوِ والحساب، والكشف والحجاب، بتدبيره وتقديره.

وقوله تعالى: ﴿مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ﴾: أي: لا يفعلُ شيئًا مِن هذه الأمور بشفاعةِ أحدٍ.

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٢/ ٧٧ ـ ٧٨)، والبيتان فيه دون نسبة.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ١١٤ ـ ١١٥).

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُ﴾: أي: هو المستحقُّ للعبادة فإيَّاه فاعبدوا.

وقوله تعالى: ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾: أي: أفلا تتَّعظون بما يعظِكُم اللهُ به مِن الإيمانِ به وتركِ الشِّرك.

وقال الإمام القشيري رحمه الله في قوله تعالى: ﴿فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [يونس: ٣]: لا يحتاجُ فعلُه إلى مدَّةٍ، وكيفَ وهو خالق المدَّة، خلقَ السَّماوات والأرض في ستَّة أيَّام، وتلك الأيَّام أيضًا مِن جُملة ما خلقَ مِن الأيَّام.

﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾ معناه: اتِّصافُه بعزِّ الصَّمديَّة، وجلال الأحديَّة، وانفرادُه بنعت الجبروت وعلاء الرُّبوبيَّة، تقدَّس الجبار عن الأقطار، والمعبود عن الحدود[1]، والدَّيان عن المكان.

﴿يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ﴾؛ أي: الحادثاتُ صادرةٌ عن تقديرِه، وحاصلةٌ بتدبيرِه، فلا شريكَ يعضدُه، ولا معارِضَ يقصدُه.

﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ﴾ تعريفٌ، وقوله تعالى: ﴿فَٱعۡبُدُوهُ﴾ تكليفٌ، فحصولُ التَّعريف بتحقيقِه، والوصولُ إلى ما وردَ به التَّكليف بتوفيقه[2].

* * *

(٤) ـ ﴿إِلَيۡهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقًّاۚ إِنَّهُۥ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلۡقِسۡطِۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ شَرَابٞ مِّنۡ حَمِيمٖ وَعَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ﴾.

---

(١) في (ف): «الحدوث».

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٢/ ٧٨).

وقولـه تعالـى: ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾: أي: إلـى جـزاءِ اللهِ رجوعُكـم جميعًـا يـومَ القيامةِ.

وقولـه تعالـى: ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا﴾: نصـبٌ علـى المصـدر علـى إضمـار الفعل؛ أي: وَعَـدَ اللهُ ذلـك وَعْـدًا صدقًا.

﴿إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ﴾: أي: ليتعبَّدهـم ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾؛ أي: يميتهـم، ثـم يعيدهـم أحيـاءً[1] يـوم القيامـة ليجزيهـم.

والخَلْقُ أصلُه مصدرٌ، فلم يُجمَع، ومعناه الجمع، فلذلك وحَّدَ الكنايةَ بعدَه.

وقوله تعالى: ﴿لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِ﴾: أي: بالعدْلِ، وهو قوله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ [النساء: ٤٠].

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: ﴿بِٱلْقِسْطِ﴾؛ أي: يجزي المحسنين جزاء الإحسانِ، والمسيئين جزاء الإساءة، ويفصل بين العدو والولي في الجزاء، وهو العدل.

ويحتمِل: ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالفضل؛ فقد قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾ [النساء: ١٧٣].

وسمَّاه قسطًا وهو العدل؛ لأنَّ العدلَ وضعُ الشَّيء في موضعِه، وهذا وضعُ الفضلِ في[2] موضعِه، فكان عدلًا من هذا الوجهِ.

ويحتمل أن يكون القِسطُ صفةً للعالمين؛ أي: عملوا الصَّالحات بقسطهم في الدُّنيا؛ أي: عدلهم[3].

---

(١) في (ف): «أي يميتهم بعد إحيائهم ثم يبعثهم».

(٢) «في» من (ف).

(٣) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٦/ ٨ ـ ٩).

وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ﴾: مِن ماءٍ حارٍّ مغليٍّ قد انتهى حرُّه، وهو في جهنَّم، ومِن صفتِه أنَّه كالـمُهلِ يشوي الوجوهَ، وأنَّه يقطِّع أمعاءَهم.

وقوله تعالى: ﴿وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ﴾: أي: عذابٌ يَخلصُ وجعُه إلى قلوبِهم بكفرِهم.

***

(٥) - ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾.

وقولـه تعالـى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا﴾: أي: خلـقَ الشَّـمسَ فجعلَهـا ﴿ضِيَآءً﴾ للخلـق بالنَّهار.

﴿وَٱلْقَمَرَ نُورًا﴾؛ أي: وخلق القمرَ فجعلَه نورًا لهم باللَّيل.

والضِّياءُ نورٌ معه حرٌّ، والنُّورُ لا حرَّ معه، والضِّياءُ أعمُّ وأتمُّ مِن النُّور، والضِّياءُ والنُّورُ مصدران جُعِلا نعتَيْن.

وقال الكلبيُّ: جعلَ الشَّمسَ ضياءً بالنَّهارِ، والقمرَ نورًا باللَّيل، تضيءُ وجوههُما لأهل السَّماواتِ، وظهورُهما لأهلِ الأرض.

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: للعقول نجومٌ، وهي للشَّياطين رجومٌ، وللعلوم أقمارٌ، هي أنوارٌ واستبصارٌ، وللمعارف شموسٌ، ولها على أسرار العارفين طلوعٌ. وقد قيل:

إنَّ شـمسَ النَّـهارِ تـغـربُ بـالـلَّـيـ ... ـلِ وشـمسُ القلـوبِ ليسَ تغيْبُ(١)

---

(١) للحلاج، كما في «تاريخ الطبري» (١١/ ٢٣٣)، وهو في «ديوانه» (ص: ٢٣)، وقبله: =

وكما أنَّ في السَّماء شمسًا وقمرًا، والشَّمسُ أبدًا بضيائها، والقمرُ في الزِّيادة والنُّقصان أبدًا، وكما استترَ بمحاقِهِ، بدا بعد ذلك حتَّى يكمل بدرًا بإشراقه، ثمَّ يأخذُ في النَّقص إلى أن لا يبقى منه شيء لتمام انمحاقه، ثمَّ يعودُ جديدًا، وكلُّ ليلةٍ تجدُ مزيدًا، فإذا صار بدرًا تمامًا، لم يجد أكثرَ مِن ليلةٍ لكمالِه مقامًا، ثم يأخذ في النُّقصان إلى أن يخفى شخصُه ويتمَّ نقصُه = كذلك مِن النَّاس مَن هو مردودٌ بينَ قبضِه وبسطِه، وصحوِه ومحوِه، وذهابِه وإيابِه، لا فناءَ فيستريح، ولا بقاءَ له دوامٌ صحيحٌ.

قال الشَّاعر:

كلَّمــا قلْــتُ قَــدْ دَنَــا حَــلُّ قَيْــدِي ... قدَّمونــي فأوثَقُــوا الــمِسْمارَا[1]

وقوله تعالى: ﴿وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ﴾ قيل: أي: وقدَّر القمرَ منازلَ، فعل يتعدَّى إلى مفعولَيْن، وهو كقولِه: ﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ﴾ [يس: ٣٩]، يجري في كلِّها كلَّ شهرٍ مرَّة.

وإنَّما خصَّ القمرَ به لأنَّه هو الذي يعرِّفُ الشُّهور، وباجتماعِها تكون السِّنون.

وقيل: معناه: وقدَّرهما منازلَ؛ أي: الشَّمس والقمر، وإنَّما وحَّد[2] اكتفاءً، كما في قولِه عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾ [التوبة: ٦٢]، وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٤]، وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا﴾ [النساء: ١١٢]، وقوله: ﴿وَإِذَا رَأَوْا۟ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا﴾ [الجمعة: ١١]، وهذا لأنَّه يُعرَف بالشَّمس ابتداءُ النَّهار وانتهاؤه، وباجتماع الأيَّام واللَّيالي تُعرَف الشُّهور.

= طلعت شمسُ مَنْ أُحِبُّ بليلٍ ... فَاسْتَنَارَتْ فَمَا تَلاهَا غُرُوبُ

(١) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٢/ ٨٠). والبيت للشبلي. انظر: «محاضرات الأدباء» (٢/ ٨١٨)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٦٦/ ٧٦).

(٢) في (أ): «وإنما ذكر واحدًا».

وقوله تعالى: ﴿لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾: فعددُ السِّنين: معرفةُ الشُّهور وتمام السَّنة، والحساب: هو الآجالُ والمواقيْتُ المقدَّرة بالشُّهور والسِّنين.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: بالشَّمس تُعرَفُ أوقاتُ الصَّلوات في الشِّتاء والصَّيف والرَّبيع والخريف، ولا يُعرَفُ ذلك بالقمر، وبالقمر تُعرَف الشُّهور والسِّنون، ولا يُعرَف ذلك بالشَّمس.

وفي مصحف حفصة رضي الله عنها: (وقدَّرهما منازلَ)[1].

وقوله تعالى: ﴿مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ قال أبو بكر الأصم الكيساني[2]: [أي]: ما خلقَ اللهُ ذلك إلّا وقد جعلَ فيه دلالة معرفتِه.

وقال الإمام الزاهد أبو منصور رحمه الله: قال قائلون: ما خلقَ اللهُ ذلك إلَّا وقدْ جعلَ فيه الشَّهادة له على الخلْقِ، وهو شهادةُ الوحدانيَّة والألوهيَّة.

وقال بعضهم ما خلق الله ذلك إلَّا للأمر الكائن لا محالة، وهو البَعْثُ.

ويحتمل: ما خلق الله ذلك إلَّا بالحكمة، لم يخلق ذلك عبثًا باطلًا، وهو كقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا﴾ [ص: ٢٧][3].

---

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٦/ ١١). ووقع في (أ): «وقدرها منازل»، وفي (ف): «وقدرناها منازل»، وكلاهما مخالف للمصدر المذكور.

(٢) قوله: «قال أبو بكر الكسائي» كذا في (أ) و(ر)، وليست في (ف)، وفي مطبوع «التأويلات»: «قال أبو بكر الأصم والكيساني»، ولعل الصواب ما أثبتناه، وقد أكثر الماتريدي من النقل عن أبي بكر الكيساني، وهو خيران بن العلاء، أبو بكر الكلبي الكيساني الأصم من أهل دمشق، روى عن الأوزاعي وزهير بن محمد وحماد بن سلمة روى عنه ابنه عمرو بن خيران وأبو عمرو الأوزاعي وهو شيخه، وغيرهما. انظر: «تاريخ دمشق» (١٧/ ٧٣).

(٣) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٦/ ١١).

وقوله تعالى: ﴿يُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾: قرأ أبو عَمرو بياء المغايبة، بناء على قوله: ﴿مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [يونس: ٥][١]، وقرأ الباقون بالنُّون بناءً على قوله: ﴿أَنْ أَوْحَيْنَآ﴾.

ومعنى قوله: ﴿نفصل﴾؛ أي: نبيِّن العلامات التي يُستدلُّ بها على الحقِّ.

وخصَّ العالمين بذلك لأنَّهم هم المنتفِعونَ[٢] بها.

* * *

(٦) ـ ﴿إِنَّ فِى ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِى ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾: قال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: قال أهلُ مكَّة: ائتنا بآيةٍ حتَّى نؤمنَ لك، فنزلت هذه الآية[٣].

أي: فيما يتعلَّق بما خلقْنا مِن الشَّمس والقمر ـ مِن اختلافِ اللَّيل والنَّهار لأوقاتٍ معلومةٍ على نسقٍ واحدٍ ـ لآياتٌ؛ لأنَّ في ذلك بقاءَ الدُّنيا إلى حين، وتدبيرَ معايشِ أهلِها، فمَن تدبَّر ذلك علم أنَّ الدُّنيا مخلوقةٌ لمكثِ الخَلْقِ فيها، وخالقُهم لم يهملْهُم، بل جعلَها لهم دارَ عملٍ، فلا بُدَّ مِن أمرٍ ونهيٍ، ثمَّ جزاءٍ ليُفرِّق بينَ المطيع والعاصي، فمَن تدَّبر هذا اتَّقى العاقبةَ وما فيها للعاصي مِن العقوبة، فكان الانتفاع بالآيات للمتقين فلذلك أضيفَتْ إليهم.

---

(١) وقرأ بالياء أيضاً ابن كثير وحفص. انظر: «السبعة» (ص: ٣٢٣)، و«التيسير» (ص: ١٢١).

(٢) في (ر): «المتفوِّهون».

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ١٢٠).

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: اختصاصُ النَّهارِ بضيائِه، وانفرادُ اللَّيل بظلمائه، مِن غير استيجابٍ لهذا ومِن غير استحقاقِ عِتابٍ مع هذا = دلالةٌ على أنَّ الرَّدَ والقَبولَ والمنعَ والوصولَ ليس بمعلولٍ بسببٍ، ولا حاصلٍ بأمرٍ مكتسَب، كلَّا إنَّها إرادةٌ ومشيئة، وحكمٌ وقضيَّة، والنَّهارُ وقتُ حضور الغَفلة في أوطان كسبِهم، واللَّيلُ وقتُ أرباب الوصلة لانفرادهم بشهود ربِّهم[1].

***

(٧) - ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَـٰتِنَا غَـٰفِلُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا﴾ قيل: أي: لا يخافون عقابَنا.

وقال مقاتل: لا يخافون البعثَ[2]. كما قال: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ [نوح: ١٣]؛ أي: لا تخافون للهِ عظمةً.

وقيل: أي: لا يطمعون في ثوابِنا.

وهذه الكلمة من الأضداد، وقد أوضحنا ذلك في قوله: ﴿وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾ [النساء: ١٠٤].

وإنَّما سمَّى ذلك: لقاءَ اللهِ؛ لأنَّه لا[3] يقدر على ذلك إلَّا الله، فجُعِلَ لِقاؤُهُ لقاءَه تفخيمًا لشأنِه، كما جُعِلَ إتيانُ جلائلِ آياتِ الله إتيانَ اللهِ لذلك.

وقوله تعالى: ﴿وَرَضُواْ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّواْ بِهَا﴾: أي: سكنوا إليها، فلم يفكِّروا في عاقبةٍ ولا حسابٍ ولا جزاءٍ ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَـٰتِنَا غَـٰفِلُونَ﴾؛ أي: لا يتدبَّرون فيها.

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٢/ ٨٠).

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٢٢٧).

(٣) في (أ): «لما لم».

(٨) ـ ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾: أي: مِن الكفر والمعاصي.

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: أنكروا جوازَ الرُّؤيةِ فلم يرجوها، والمؤمنون آمنوا بجوازِ الرُّؤية فأمَّلوها.

وقيل: لا يرجون لقاءَه لأنَّهم لم يشتاقوا إليه، ولم يشتاقوا إليه لأنَّهم لم يحبُّوه، ولم يحبُّوه لأنَّهم لم يعرفوه، ولم يعرفوه لأنَّهم لم يطلبوه، ولم يطلبوه لأنَّ اللهَ تعالى أرادَ أنْ لا يطلبوه، ولو أرادَ أنْ يطلبوه لطلبوا، ولو طلبوا لعرفوا، ولو عرفوا لأحبُّوا، ولو أحبُّوا لاشتاقوا، ولو اشتاقوا إليه لرجوا لقاءَه، ولو رجوا لقاءَه لرأَوه؛ قال تعالى: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَأٓتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ ﴾ الآية [السجدة: ١٣].

وقال في قوله: ﴿وَرَضُواْ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾: أصحابُ الدُّنيا رضوا بالحياة الدُّنيا فحُرِموا الجنَّةَ، والعبَّادُ والزُّهادُ ركنوا إلى الجنَّةِ ورضوا بها، فبقُوا في مراتبِ الوصلةِ.

وقال: لَمَّا كان الذي لا يرجو لقاءَه مأواه العذاب والفُرقة ثبتَ أنَّ الَّذي يرجو لقاءَه فعاقِبتُه الاقتراب والوصلة واللِّقاء والزُّلفة(١).

* * *

(٩) ـ ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾: وهم الَّذين يرجون لقاءَ اللهِ.

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٢/ ٨١).

﴿يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ﴾: قيل: يرشدُهم بإيمانهم في الدُّنيا إلى الخيرات، ويرزقُهم الدَّوام عليه والثَّبات.

وعلى هذا القولِ يكون قوله تعالى: ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ﴾: أي: وتجري، بإضمار الواو، وبالحذف يصير كلامًا مبتدأً غيرَ الأوَّل أيضًا.

وقيل: يهديهم في الآخرةِ إلى الجنَّة، وعلى هذا الإضمارِ قال مجاهد: ﴿يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم﴾: لهم نورٌ يمشون به(١).

وقال الضَّحَّاكُ: ﴿يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم﴾: إلى الجنَّة في الآخرة(٢).

وقال مقاتلٌ: ﴿يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم﴾ على الصِّراط إلى الجنَّة بالنُّور(٣).

وقوله: ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ﴾؛ أي: بينَ أيديهم في البساتين، كما قال: ﴿قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ [مريم: ٢٤]، ومَا كانَتْ قاعدةً عليه، ولكن كان ذلك بينَ يديها، وكذا قالوا في قوله تعالى: ﴿وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ﴾ [الزخرف: ٥١].

وقيل: بأمرِهم ومشيئتِهم، كما يُقال: هذا تحتَ تصرُّفِه، وكذا قالوا في قوله: ﴿وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ﴾ [الزخرف: ٥١].

وقوله تعالى: ﴿فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾: يتنعَّمون فيها مِن غير مشقَّةٍ ولا مؤونةٍ.

* * *

(١٠) ـ ﴿دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ١٢٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٩٢٩).

(٢) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ١٠٥).

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٢٢٧). وهو شبيه بقول مجاهد.

وقوله تعالى: ﴿دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا﴾: أي: دعاؤهم، وهو مِن دعا يدعو، كالشَّكوى مِن شكا يشكو.

وقوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ﴾؛ أي: كلامُ أهلِ الجنَّة فيها تنزيهُ اللهِ عمَّا كان في الدُّنيا يُضاف إليه مِن الأضداد والشركاء.

وقوله تعالى: ﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾؛ أي: وآخرُ ما يتكلَّمون فيه مِن النَّعيم: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، يحمدونَه على ما أدرَّ عليهم مِن نِعمِه، يبتدئون كلَّ نعمةٍ بالتَّسبيح لله، ويختمونها بالحمد لله، كما كانوا في الدُّنيا يبتدئونَ النِّعمةَ بالتَّسميةِ ويختمونها بالحمدِ.

وقيل: هي على حقيقة الدَّعوى التي تكون مِن المدَّعي.

قال الإمام أبو منصور رحمه الله: قال قائلون: أي: يدَّعون في الآخرة مِن الإيمان والتَّوحيد لله تعالى والتَّنزيه ما ادَّعوه في الدُّنيا مِن ذلك؛ فإنَّ التَّسبيحَ هو تنزيهُ اللهِ تعالى، وتبرئتُه عن جميع العيوب الَّتي وصفَتْهُ بها المشبِّهة والملحِدة[1].

وقيل: الدَّعوى هي التَّمني؛ قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾ [فصلت: ١٣]؛ أي: يتمنَّون ويشتهون.

وروى سعيدُ بن جبير عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما أنَّه قال: ﴿دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ﴾: كلَّما اشتهى أهلُ الجنَّة شيئًا قالوا: ﴿سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ﴾، فجاءَهم ما يشتهون[2].

---

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٦/ ١٣).

(٢) ذكره الواحدي في «البسيط» (١١/ ١٣١)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ١٠).

وقال الكلبيُّ: ﴿ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا ﴾؛ أي: قولهم في الجنَّة: ﴿سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ ﴾، فإذا سمع الخدَّام ذلك أتوهم بما يشتهون(١).

وقال مقاتل: هذا علَم بين أهل الجنَّة وبين الخدَّام في الطَّعام، فإذا قالوا ذلك أتوهم الخدَّام بالموائد، فوضع بين أيديهم ما أرادوا على مائدة هي مِيلٌ في ميلٍ(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ﴾: أي: تحيَّةُ بعضِهم لبعضٍ ذلك؛ قال الله تعالى: ﴿ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَٰمًا ﴾ [مريم: ٦٢].

وقال الكلبيُّ: يحيِّي بعضُهم بعضًا بالسَّلام، وتأتيهم الملائكةُ مِن عند ربهم بالسَّلام(٣).

وقوله تعالى: ﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾: قال الكلبيُّ: إذا فرغ أحدهم من كلامه قال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾(٤).

وقال مقاتل: إذا فرغوا من الطَّعام والشَّراب حمدوا ربَّهم على ما أعطاهم(٥).

وقال ابن جريج: إذا مرَّ بهم الطَّير يشتهونه قالوا: ﴿سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ ﴾، فتأتيهم فتسلِّم عليهم، فيردُّون عليه، فإذا أكلوا حمدوا(٦).

وقيل: ﴿ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا ﴾: هي مِن دعوى أهل الدُّنيا، وهي من تداعيهم في الحروب بآلِ فلان، ومعنى الآية: أنهم كانوا في الدُّنيا متضاغنين متقاتلين، فإذا

---

(١) ذكره الواحدي في «البسيط» (١١/ ١٣١)

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٢٢٨).

(٣) ذكره الواحدي في «البسيط» (١١/ ١٣١) عن ابن عباس رضي الله عنهما والكلبي.

(٤) ذكره الواحدي في «البسيط» (١١/ ١٣١).

(٥) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٢٢٩).

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ١٢٦).

صاروا إلى الجنَّة نُزِعَ ذلك مِن قلوبهم، وصاروا إخوانًا على سررٍ متقابلين، فيكون تداعيهم بتسبيح الله وتحميده، فلذلك وصله بقوله: ﴿وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ﴾.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: له ثلاثةُ أوجهٍ:

أحدها: أنَّه بيان أنَّه ليس على أهل الجنَّة شيءٌ من العبادات سوى التَّوحيد، وهي كلمة التَّوحيد.

والثَّاني: أنهم يقولون ذلك لعظيمِ ما يرَون من النَّعيم، وعجيبِ ما عاينوا.

والثَّالث: شكرًا لِمَا أعطاهم مِن ألوان النَّعيم(١).

وقال محمَّد بن عليٍّ الباقر: كلامُ أهلِ الجنَّة ثلاثة: التَّسبيح والتَّحميد وتسليم بعضهم على بعض، ورزَقَ اللهُ تعالى هذه الثَّلاثة للمؤمنين في الدُّنيا في الصَّلاة؛ يفتتحون الصَّلاة بالتَّسبيح، ويفتتحون القراءة بالحمد، ويختمون بالسَّلام.

وقال الحسين بن علي: إذا أرادوا الطَّعام والشَّراب سبَّحوا، وإذا فرغوا حمدوا، وإذا اشتاقوا هلَّلوا، وإذا تلاقوا سلَّموا، وإذا تفرَّقوا بعدَ التَّزاور فآخر دعواهم ـ أي: آخر كلامهم عند التَّفرُّق ـ الحمد لله ربِّ العالمين(٢).

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: ﴿ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ ﴾؛ أي: ثناؤهم عندَ اللِّقاء سبحانَك اللَّهمَّ، وتحيَّتُهم مِن الله عند اللِّقاء السَّلام، يحمدونَه بحمدٍ أبديٍّ سرمديّ، وهو يحيِّيهم بسلامٍ أزليّ، وكلامٍ أبديّ، عزيزٍ صمديّ، وحبيبٍ أحديّ(٣).

* * *

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٦/ ١٤).

(٢) لم أقف عليهما.

(٣) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٢/ ٨٢). وآخره: (...وهو عزيز صمديّ ومجيد أحديّ).

(١١) - ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُم بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُم بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ﴾: وهذه منتظِمة بقوله تعالى: ﴿لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ﴾، ولغفلتهم إذا أُنذِروا استعجلوا العذابَ جهلًا منهم، ولو عجَّل اللهُ لهم ذلك إذا استعجلوه بدعائِهم كما يستعجلون بالخير لَمَا قاموا لعذابنا، بل ماتوا؛ لأنَّ تركيبَهم لا يحتمِل ذلك في الدُّنيا.

وقوله تعالى: ﴿لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ﴾؛ أي: فُرِغَ منه وقُطِعَ. وقال أبو ذُؤَيْب:

وعليهما مَسْرُودتانِ قَضاهُما ... داودُ أو صَنَعُ السَّوابغ تُبَّعُ[1]

وقرأ ابن عامر: ﴿لَقَضَى إليهم أَجَلَهُم﴾ بالنَّصب على الفعل الظاهر؛ أي: لقضى الله إليهم أجلَهم، والباقون بالضَّمِّ على ما لم يسمَّ فاعله[2].

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: تقديرُ الآية على هذا القولِ: ولو يعجِّلُ اللهُ للنَّاس الشَّرَّ إذا استعجلوه كما يعجِّل لهم الخيرَ إذا استعجلوه لهلكوا[3].

واستعجالُهم الشَّرَّ ذُكِرَ في آياتٍ: ﴿فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال: ٣٢]، ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ [المعارج: ١]، ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ

---

(١) انظر: «ديوان الهذليين» (١/ ١٩). والمسرودتان: مثنى «المسرودة»، والدرع المسرودة: المنسوجة بحيث يدخل بعض الحلق في بعض. وقضاهما: صنعهما. والصنع بفتحتين: الذي يحسن العمل بيديه. والسوابغ: جمع سابغة، وهي الدرع الواسعة الوافية. وتبَّع: لقب لكلِّ مَن ملك اليمن. انظر: «شرح الشواهد الشعرية» لمحمد حسن شراب (٢/ ٩٧).

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٣٢٣)، و«التيسير» (ص: ١٢١).

(٣) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٦/ ١٥).

﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا﴾ [الشورى: ١٨]، ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ﴾ إلى قوله: ﴿آلْآنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ [يونس: ٥١]، ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ﴾ [الرعد: ٦]، ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾ [الحج: ٤٧]، ﴿أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ [النحل: ١].

واستعجالُهم بالخير في آياتٍ: ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ﴾ [النحل: ٥٣]، ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا﴾ [يونس: ١٢] ونحوهما.

وعلى هذا قيل: إنَّها نزلَتْ في النَّضر بن الحارث حين قال: ﴿إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا﴾ الآية [الأنفال: ٣٢](١).

وقيل: هو في دعاءِ الإنسانِ على نفسِه أو غيرِه بالهلاك عند الغضب، ونظيرُه قوله تعالى: ﴿وَيَدْعُ الْإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنسَانُ عَجُولًا﴾ [الإسراء: ١١].

قال الكلبيُّ: ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ﴾؛ أي: العقوبة إذا دعوا على أنفسِهم أو على أولادهم(٢): أخزاهُم الله تعالى ولعنَهم اللهُ، كما يعجِّل لهم بالخير إذا دعوه بالرَّحمة والعافية والفرج فيرزقُهم ويدفَعُ عنهم لَمَاتوا وهَلَكوا(٣).

وقال مقاتلٌ: لو استُجيبَ لهم في الشَّرِّ كما يحبُّون أنْ يُستجابَ لهم في الخير لهلكوا(٤).

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله مع ذِكْرِ هذَيْن القولَيْن: ويُشبهُ أنْ يكونَ معناه:

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ١٤٤ ـ ١٤٥) عن سعيد بن جبير ومجاهد والسدي، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦٩٠) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) في (أ): «أموالهم».

(٣) ذكر نحوه الواحدي في «البسيط» (١١/ ١٣٥).

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٢٢٩).

ولو يعجِّلُ اللهُ للنَّاس الشَّرَّ باكتسابِهم الشَّر وارتكابهم إيَّاه كما يعجِّل لهم الخير وقتَ اكتسابهم الخيرَ لهلكوا(١).

وقوله تعالى: ﴿فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾: وهذا ابتداءُ كلامٍ معناه: فحن نذَر؛ أي: نترك الذين لا يخافون البعثَ في تماديهم يمضون متحيِّرين.

وقيل: فيه مُضمَرٌ: لكنَّا لا نفعلُ ذلك ونؤخِّر عذابهم إلى الآخرة، وندَعُهم في الدُّنيا كذلك.

قال القشيريُّ رحمه الله: معناه: لو أجبناهم إذا دعوا على أنفسِهم وأعزَّتهم عندَ غيظِهم وضجَرِهم لعجَّلْنا إهلاكَهم، لكنَّا تحمَّلْنا [أنْ] لا نجيبهم، وبرحمتنا عليهم لا نسمعُ بالإجابة دعاءَهم، وربَّما يشكو العبدُ بأنَّه لا يجيبُ دعاءَه، وتركُ إجابتِه لطفٌ به منه، قال الشَّاعر:

أنـاسٌ أعرَضـوا عنَّـا ... بِـلا جُـرْمٍ ولا مَعنـى
أسـاؤوا ظنَّهـم فينـا ... فهـلَّا أحسـنوا الظَّنَّـا
وإنْ كانـوا لنـا كُنَّـا ... وإنْ عـادوا لنـا عُدْنـا
وإنْ كانـوا قـد استغنوا ... فـإنَّا عنهـم أغنـى(٢)

* * *

(١٢) ـ ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾.

---

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٦/ ١٥).

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (١/ ٦٢٤) (٢/ ٨٣)، والشعر لمحمود بن الحسين كشاجم. انظر: «ديوانه» (ص: ٣٩٤) مكتبة الخانجي، تحقيق النبوي عبد الواحد شعلان.

وقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ ﴾: أي: وإذا أصابَ الواحدَ مِن المشركين البلاءُ والمكروهُ في بدنِه ومالِه.

﴿دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا ﴾: أي: على أيِّ حالٍ كانَ مِن اضطجاعٍ أو قُعودٍ أو قيامٍ.

﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ ﴾: أي: فإذا أزلنا عنه بلاءه ﴿مَرَّ ﴾؛ أي: استمرَّ على شركِه لا يرى ذلك منَّا، وعادَ إلى ما كان عليه ﴿كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ ﴾؛ أي: كأنَّه لم يدْعُنا في بلاءٍ أصابَه.

﴿كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾: أي: كالذي زُيِّنَ لهذا الإنسان زُيِّنَ لسائر المشركين المجاوزين حدودَ الشَّرع بالإشراك بالله وتكذيب الأنبياء ووضع الأموال والأنفس في الموضع الذي لا ينتفعون به في عبادة الأصنام وغيرها = ﴿مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ من الدُّعاء عندَ البلاءِ والنِّسيان عند الرَّخاء، وهذا التَّزيين مِن اللهِ تخليقًا، ومِن الشَّيطان وسوسةً، ومِن الأصحاب دعوةً وتلبيسًا.

وقال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: نزلَتِ الآيةُ في أبي حذيفةَ هشام بن المغيرة(١).

وقال عطاءٌ: في الوليدِ بن المغيرة وعتبةَ بن ربيعة(٢).

وقال الإمام الزَّاهد أبو منصور رحمه الله: قال بعض أهل التَّأويل: جميع ما ذُكر في القرآن الإنسان فالمراد منه الكافر: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ ﴾ [الانشقاق: ٦]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ﴾ [الانفطار: ٦]، ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴾ [العصر: ٢]،

---

(١) هو قول مقاتل في «تفسيره» (٢/ ٢٣٠).

(٢) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٢/ ٥٤٠).

وعندي مَن دخل في هذه الصِّفة من أهل الإيمان ـ وهي الدُّعاء عند البلاء وتركُه عند الرَّخاء ـ فهو مرادٌ بهذه الآية(١).

وأنشد القشيريُّ رحمه الله في معنى قوله: ﴿مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ﴾ قولَ الشَّاعر:

كأنَّ الفَتـى لـم يَعْـرَ يومًـا إذا اكتَسى ... ولـم يـكُ صُعلـوكًا إذا مـا تمـوَّلا(٢)

* * *

(١٣) ـ ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ ۙ وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ﴾: قال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: بينَ القرنَين ثمانٍ وعشرون سنة(٣).

﴿لَمَّا ظَلَمُوا۟﴾: كفروا بالله، وهو وضع الشَّيء في غير موضعِه، وهو ظلمُ نفسِه أيضًا.

وقوله تعالى: ﴿وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾؛ أي: وقد كانت جاءتهم رسلُهم بالحُجَج الواضحة.

﴿وَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟﴾؛ أي: علمنا أنهم لا يؤمنون بدعاء الرُّسل وإظهار الآيات.

وقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾؛ أي: كذلك نفعل بالمجرمين الذين نعلمُ أنَّهم لا يؤمنون، فنحن قادرون على معاجلة هؤلاء المستعجلين بالشَّر،

---

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٦/ ١٦).

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٣٠٢). والبيت لجابر بن ثعلب الطائي. كما في «ديوان الحماسة» لأبي تمام (ص: ١١٠).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ١٢٢).

لكنَّا نمهلُهُم لعلمنا أنَّ فيهم مَن يؤمنُ، وهو كعكرمة بن أبي جهل وخالد بن الوليد ونحوهما.

* * *

(١٤) ـ ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ ﴾: أي: سكانَها ﴿مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ قال الإمام أبو منصور رحمه الله:

يحتمِل: جعلَكم مكانَ أولئك لم يهلكْهم[1]، وهو تذكيرٌ للنِّعمة.

ويحتمل: جعلكم خلائف أولئك في المحنة والعبادة؛ أي: ابتلاكم بالأمر والنَّهي كما فعل بأولئك.

وقوله تعالى: ﴿مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ قال: لم يزلِ اللهُ تعالى عالماً بما كان ويكون منهم مِن الطَّاعة والمعصية، ولكنْ ليَعْلَمهم عصاةً ومطيعين؛ لأنَّ المعصية إنما تكون بعدما يكون النَّهي، والطَّاعة إنما تكون بعدما يكون الأمر، فيَعْلَمكم عاصين كما علم أنه يكون منكم معصية، ويعلمكم مطيعين كما علم أنه يكون منكم طاعة[2].

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: مَن لم يعتبر بمَن سبقَه اعتبر به مَن لحقَه، ومَن لم يعتبر بما سمعَه اعتبر به مَن تَبعه[3].

* * *

(١) كذا وقعت العبارة في النسخ، وعبارة «التأويلات»: (جعل أنفسكم خلف أنفس أولئك الذين لم يهلكهم).

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٦/ ١٨).

(٣) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٢/ ٨٤).

(١٥) - ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ﴾: وهذا إخبارٌ ببعضِ جهالات المشركين، معناه: وإذا تُقرأ عليهم آياتُنا في القرآن واضحاتِ الإعجاز في النَّظم والمعنى ليسمعوه ويتدبَّروه، قال الَّذين لا يؤمنون بالبعث والجزاء للنَّبيِّ عليه الصلاة السلام: ائتِ بقرآنٍ غيرِ هذا، ليس فيه شتمٌ لآلهتِنا، ولا تسفيهٌ لأحلامِنا، ولا وعيدٌ بالعذاب لنا، ولا أمرٌ ولا نهيٌ ممَّا يَشُقُّ علينا، أو بدِّل القرآنَ فاجعل فيه بَدَلَ السَّبِّ مدحًا، وبدل الوعيدِ وعدًا.

والإتيانُ بغيرِه قد يكون مع قيامِه، وتبديلُه لا يكون إلَّا برفعِه ووَضْعِ آخرَ مكانَه، أو تغييرِ أشياء منه.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ﴾: أي: مِن جهةِ نفسي؛ لأنَّه ليس قولي ولا كلامي، وإنَّما هو وحيُ الله تعالى إليَّ، وذلك قوله تعالى: ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ﴾؛ أي: ما أتَّبع إلَّا الوحيَ.

وقوله تعالى: ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾: أي: أخشى إنْ عصيْتُ اللهَ بتركِ تبليغِه إليكم، أو تبديلِه على مرادِكُم، عذابَ يومِ القيامة.

وقيل: عذاب يومٍ هائلٍ في الدُّنيا يَنزلُ عليَّ العذابُ فيه.

قال قتادة: هم مشركو مكَّة[1].

وقال الكلبيُّ: هم المستهزئون بالقرآن، وهم خمسةُ رهطٍ: الوليدُ بن

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ١٣٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٩٣٤).

المغيرة، والعاصُ بن وائل، والأسود بن المطَّلب، والأسود بن عبد يغوث، والحارث بن غيطلة(١).

وقال مقاتل: ﴿قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾: عبد الله بن أبي أميَّة المخزوميُّ، والوليد بن المغيرة، ومكرز بن حفص، وعمرو بن عبد الله بن أبي قيس العامريُّ، والعاص بن عامر بن هاشم، قالوا للنَّبيِّ ﷺ: ائْتِ بقرآن غير هذا القرآن ليس فيه تركُ عبادةِ اللَّات والعزَّى ومناة وهبل، وليس فيه عَيبها، أو بدِّله فكلِّم به مِن تلقاء نفسِك(٢).

﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ﴾: فإذا أُمِرْتُ بأمرٍ فعلْتُ، ولا أبتدع ما لم أؤمر به، إنِّي أخاف إن فعلْت ما لم أؤمر به عذابَ يوم عظيم، نسخَها قولُه جلَّ جلالُه: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٢](٣).

وأنزل الله تعالى في شأنهم: ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ﴾ [هود: ١٢](٤).

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: إذا اقترحوا عليكَ أنْ تأتيَهم بما لم آمرْكَ به أو

---

(١) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ١٠٧) دون ذكر أسمائهم. وقد روي عن ابن عباس أن هؤلاء الخمسة هم المستهزئون المذكورون في قوله تعالى: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾. انظر: «تفسير عبد الرزاق» (١٤٦٥)، و«تفسير الطبري» (١٤/ ١٥٠)، و«معاني القرآن» للنحاس (٤/ ٤٦)، و«النكت والعيون» (٣/ ١٧٥)، و«المحرر الوجيز» (٣/ ٣٧٥).

وقوله: الحارث بن غيطلة، هو الحارث بن قيس وغيطلة أمه. انظر: «تاريخ دمشق» (٤١/ ٩٠).

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٢٣١)، ولم يذكر هنا من الأسماء المذكورة سوى الوليد، فقال: «الوليد بن المغيرة وأصحابه أربعين رجلًا»، لكنه ذكرها في تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ﴾ [الفرقان: ٢١]. انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٢٣٠)، و«تفسير الثعلبي» (٥/ ١٢٣).

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» (٥/ ١٦٨).

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٢٧٣).

تريَهم ما لم أُظهِرْ عليك فأخبرهم أنَّك غيرُ مستقلٍّ بك، ولا موكولٍ عليك، أنا القائم عليك، المصرِّفُ لك، وأنت المتَّبع لِمَا أُجريه عليك، غيرُ مبتدِعٍ بما يحصل منك[1].

***

(١٦) ـ ﴿ قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ ﴾: أي: قل يا محمَّدُ لهؤلاء: لو شاء الله ما قرأتهُ عليكم بألَّا ينزِله عليَّ ﴿وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ﴾؛ أي: ولا أعلمَكُمُ اللهُ به.

دريْتُ الشَّيءَ درايةً؛ أي: علمْتُه، وأدريْتُه غيري إدراءً؛ أي: أعلمْتُه.

وقوله تعالى: ﴿فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ﴾ قال الضَّحَّاكُ: لقد لبثْتُ فيكم قبلَ نزول القرآن عمرًا طويلًا أربعين سنة ولا أقرأ لكم شيئًا ولا آتيكم به[2].

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾: أنَّه ليس مِن قِبَلي.

وقيل: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أنِّي لو كنْتُ أردْتُ شيئًا غير طاعتي لربِّي فيما أوحاه إليَّ لكان ذلك قبلَ نزول القرآن ـ وهو وقت شبابي ـ أمكَنَ، وأنا على ذلك حينئذ أقدَرُ، وعلى الدَّفع عن نفسي أقوى، وإذا تلوته عليكم في هذا الوقت فإنَّما ذلك للوحي ولخوف العذاب بالعصيان.

وقيل: ﴿فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا﴾ قبلَ نزولِه، تعرفون حالي في مولدي ومنشئي وسفري وحضري، لم أشتغل بتعلُّمه، ولا اختلفتُ إلى مَن يعرفُه، فإذا

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٢/ ٨٤).

(٢) قاله مقاتل. انظر: «تفسيره» (٢/ ٢٣١)، وروى نحوه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ١٣٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٩٣٥) عن قتادة.

كانت هذه حالتي وجئتكم به مِن غير تعلُّم فاعلموا واعقلوا أنَّه مِن عند الله تعالى.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: ويحتمل: لبثْتُ فيكم سِنينَ ولم تعرفوني كذبْتُ قطُّ، فكيفَ أفتري على اللهِ، وأخترعُ القرآنَ مِن عندِ نفسي[1]؟!

* * *

(١٧) - ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ قال ابنُ عبَّاس رضي الله عنهما: فمَنْ أظلَمُ ممَّنْ اختلقَ على اللهِ كَذِبًا أنَّ معَه شريكًا وصاحبةً وولدًا، أو عبدَ الأوثانَ، أو كذَّبَ بمحمَّدٍ والقرآن، إنَّه لا يأمَنُ المشركون[2].

ويحتمل هذا ثلاثةَ أوجهٍ:

أحدُها: أنَّه إخبارٌ مِن اللهِ جلَّ جلالُه، والصِّفةُ المذكورة في الآية مِن المشركين الكذبُ والتَّكذيب جميعًا.

والثَّاني: أنَّه متَّصل بقول النَّبي ﷺ الذي أمرَه اللهُ تعالى به في الآية الأولى أنْ يقول، ومعناه أنَّه قال: لا أحدَ أظلمُ ممَّن افترى على الله كذبًا؛ أضافَ إليه ما لم ينزلْهُ، أو بدَّل ما أنزلَه، وممَّن نفى ما أنزلَه عنه فكذَّبه فيه؛ أي: لا أظلَمَ مِن هذين: أحدهما ما ينفيه عن نفسه، والآخر ما يثبتُه للمشركين.

والثالثُ: أنَّه نفى الأمرَيْن عن نفسِه؛ أي: إذا أتيْتُ بغيرِ هذا القرآن، أو بدَّلْتُ هذا القرآنَ، كنْتُ قد افتريْتُ على الله الكذبَ وكذَّبْتُه فيما أنزلَه عليَّ.

---

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٦/ ٢١).

(٢) نحوه عن ابن عباس في «البسيط» (١١/ ١٤٨)، ودون نسبة في «تفسير الثعلبي» (٥/ ١٢٤).

﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾؛ أي: لا يظفرون بمطلوبٍ، ولا يصلون إلى مأمولٍ، ولا يأمنون من محذورٍ.

***

(١٨) - ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾: قال ابنُ عبَّاس رضي الله عنهما: أي: ويعبدون من دون الله الأصنامَ الَّتي لا تضرُّ مَن عصاها ولا تنفعُ مَن أطاعَها في معاشٍ ولا رزقٍ ولا غيره[١].

﴿وَيَقُولُونَ﴾: يعني أهل مكَّة: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾: يعنون الأصنام ﴿شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾.

وقال الحسنُ: أي: في إصلاحِ المعاشِ؛ لأنَّهم كانوا لا يقرُّون بالمعاد، قال تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْۙ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ﴾ [النحل: ٣٨][٢].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾: أي: أتخبرون اللهَ بما لا يعلمُه موجودًا؛ أي: بما يعلمُه غيرَ موجودٍ؛ لأنَّه لو كان موجودًا لكان معلومًا له وجودُه؛ لأنَّه عالمٌ بكلِّ شيءٍ، وكيف يصحُّ وجودُ ما لا يعلمُه؟

وقوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَهُۥ﴾: تنزيهُ اللهِ عن كلِّ سوءٍ ﴿وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾: قرأ حمزةُ والكسائيُّ بتاء المخاطبة، كما قال تعالى: ﴿أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ﴾، والباقون على المغايبة، كما قال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ﴾ ﴿وَيَقُولُونَ﴾[٣].

---

(١) نحوه دون نسبة في «تفسير الثعلبي» (٥/ ١٢٤).

(٢) ذكره الواحدي في «البسيط» (١١/ ١٤٩).

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٣٢٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢١).

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: مَن علَّقَ قلبَه بالمخلوقين في استدفاع المضارِّ واستجلاب المسارِّ فهو كالسَّالكِ سبيلَ عبدةِ الأصنامِ؛ إذِ الموجِدُ والمنشِئُ للأشياء مِن العدمِ هو اللهُ المنفردُ بالأزليَّة والقِدَم[1].

* * *

(١٩) ـ ﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾: قال أبو روق: وما كان النَّاس إلَّا أمَّة واحدة على ملَّة الإسلام زمنَ نوح عليه السلام بعد الغرقِ، فاختلفوا وتفرَّقوا، ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾ بأنْ جعل للدُّنيا مدَّةً وأجلًا، ﴿لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ﴾: لأقيمَ عليهم السَّاعة[2].

وقال الكلبيُّ: ﴿أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾: كافرةً على عهد إبراهيم عليه السلام، ﴿فَٱخْتَلَفُوا۟﴾: فتفرَّقوا مؤمنًا وكافرًا، ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾: أنَّ اللهَ أخَّر هذه الأمَّة فلا يهلكُهم بالعذاب كما أهلكَ الَّذين مِن قبلِهم، ﴿لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ مِن الدِّين[3].

وقال الحسنُ: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾: في حكمِه أنَّه لا يقضي بينهم فيما اختلفوا فيه مِن الثَّواب والعِقاب دونَ القيامة ﴿لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ﴾ في الدُّنيا،

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٢/ ٨٦).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ١٢٥).

(٣) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ١٠٩)، والثعلبي في «تفسيره» (٥/ ١٢٥).

فأدخلَ المؤمنين الجنَّةَ بأعمالهم، والكافرين النَّارَ بكفرِهم، ولكنَّه سبقَ مِن اللهِ الأجَلُ، فجعلَ موعدَهم يومَ القيامةِ[1].

وقال مجاهدٌ والسُّدِّيُّ: كان النَّاسُ أمَّةً واحدةً على الإسلام في زمنِ آدمَ صلوات الله عليه[2].

والآيةُ تنتظِم بقوله: ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ﴾ [يونس: ١١]، وهي تسليةٌ للنَّبيِّ ﷺ في تأخير العذاب عنهم.

وقيل: ﴿لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾: بإهلاكِ المبطِلين وتخليصِ المحقِّين.

* * *

(٢٠) ـ ﴿وَيَقُولُونَ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾: أي: مِن الآيات المقترحة، كما قال: ﴿وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا﴾ [الإسراء: ٩٠] الآيات.

وقوله تعالى: ﴿فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ﴾: أي: مالكُ الأشياء الغائبةِ والعالِمُ بها هو اللهُ تعالى، وهو أعلمُ بما ينزِّلُ عليكم مِن الآيات وما لم ينزِّلْ، وإنَّما أنا نذيرٌ مبلِّغٌ، وقد بلَّغتُكم ما نزَّله عليَّ مِن القرآن الَّذي جعلَه آيةً لي، فليس بعدَ هذا إلَّا العقوبة المنتظرَة.

وقوله تعالى: ﴿فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ﴾: أي: فانتظروا إهلاكَهم فإنَّا منتظرون ذلك.

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ١٢٥)، والواحدي في «البسيط» (١١/ ١٥٢).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٦٢٢ ـ ٦٢٣) عن مجاهد و(٣/ ٦٢٥) عن السدي.

وقال الحسنُ: ﴿فَانْتَظِرُوا﴾ مواعيدَ الشَّيطان فيما يغرُّكم ويمنِّيكم ﴿إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ﴾ لمواعيد اللهِ[1].

***

(٢١) - ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِّن بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِي آيَاتِنَا قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِّن بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُمْ﴾: أي: إذا أعطينا المشركين خِصْبًا بعد جَدْب، ومَطَرًا بعد قَحْط، وسَعةً بعدَ ضِيق، ندعوهم بذلك إلى الشُّكر.

وقوله تعالى: ﴿إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِي آيَاتِنَا﴾: ﴿إِذَا﴾: كلمةُ مفاجأة؛ أي: ظهرَ منهم مكرٌ في آياتِنا؛ أي: حملَهم الطُّغيان على إخفاء قصد السُّوء بآياتِنا، بأن تصوَّروا أعلام الدُّعاء إلى الشُّكر منهم بغير صورتها، وتغييرها[2] عن وجهها، ويقولون: هذا شيءٌ جاءَنا باستحقاقِنا، وهو كقوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ﴾ [الأعراف: ١٣١]، وكقوله: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِن بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي﴾ [فصلت: ٥٠].

وقوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا﴾: أي: هو استدراجٌ منه لهم مِن حيثُ لا يعلمون، وإملاءٌ لهم، وهو أسرعُ مِن فعلِهم، فلا حاجةَ للهِ في إمضائِه إلى تلبُّثٍ.

ويحتملُ أنْ يكونَ معناه: يستعينون بنعمةِ اللهِ على الاحتيال على المؤمنين، والإنفاقِ في ابتغاء الغوائل لهم، فيوقِفُ اللهُ تعالى نبيَّه على ذلك؛ قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ إلى قوله ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ﴾ [الأنفال: ٣٠].

---

(١) ذكره الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (٤/ ٤٧٧)، والثعلبي في «تفسيره» (٥/ ١٢٦).

(٢) قوله: «وتغييرها» كذا في (ر) و(ف)، وغير واضحة في (أ).

وقال مقاتل بن حيَّان: ﴿إِذَا لَهُم مَّكْرٌ﴾: لا يقولون: هذا رزقُ اللهِ، وإنما يقولون: سُقينا بِنَوْءِ كذا، وهو قولُه تعالى: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ [الواقعة: ٨٢]، ﴿قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا﴾؛ أي: صنيعًا[١]، فقتلَهم اللهُ يومَ بدرٍ.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رُسُلَنَا﴾: أي: الحفظة مِن الملائكة.

﴿يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ﴾: أي: ما تقولون في الصَّدِّ عن الإيمان والتَّكذيب.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: ﴿قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا﴾؛ أي: أسرعُ لجزاءِ المكرِ، وأعجل أخذًا لكم من حيث لا تعلمون أنتم[٢].

* * *

(٢٢) ـ ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾: وفي قراءة ابن عامر: ﴿يَنْشُرُكُمْ﴾؛ أي: يهيِّئ لكم أسباب الانتشار[٣]، وقرأ الباقون: ﴿يُسَيِّرُكُمْ﴾[٤]؛ أي: يهيِّئ لكم أسبابَ السَّيرِ طلبًا للمعاشِ، ويهديْكُم إلى ذلك، ويُيسِّرُ لكم ذلك بالدَّوابِّ وغيرِها.

وقوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ﴾: أي: السُّفُنِ، واشتقاقها مِن فَلْكَةِ المِغْزَلِ،

---

(١) انظر: «تفسير الثعلبي» (٥/ ١٢٦)، و«البسيط» (١١/ ١٥٥).

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٦/ ٢٦).

(٣) في (أ): «أسباب الاتسار»، وفي «ف»: «الأسباب للاستبشار»، وفي (ر): «الانتشار»، والصواب المثبت.

(٤) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٣٢٥)، و«التيسير» (ص: ١٢١).

وفَلَكِ السَّماء، ومعناها: الدَّورانُ في الماءِ، وهي تجيءُ للجَمْعِ والواحِدِ، ويذكَّرُ ويؤنَّثُ، وهاهنا للجمعِ.

وقوله تعالى: ﴿وَجَرَيْنَ بِهِم﴾: والنُّون للجمع، ثمَّ رجع للمغايبة بقوله: ﴿بِهِم﴾ بعدَ ذِكْرِ المخاطبة: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ﴾، وهو طريقٌ مسلوكٌ لأهل اللِّسانِ، ومعدودٌ في الفصاحةِ والبيان، مع أنَّه خِطابٌ لِمَنْ كانَ في تلك الحالة، وإخبارٌ لغيره من النَّاس، وهو كقولِ لَبِيْدٍ:

باتَـتْ تَشَـكَّى إلـيَّ النَّفـسُ مُجْـهِـشَةً   وقَدْ حَمَلْتُـكِ سَـبْعًا بَعْـدَ سَـبْعِيْنَا[1]

وقوله تعالى: ﴿بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ﴾: أي: جرَتِ السُّفنِ براكبيها بريحٍ ليِّنةٍ يُسْتَطابُ هبوبُها، ويستقيمُ مرورُ السُّفنِ بها.

وقوله تعالى: ﴿وَفَرِحُواْ بِهَا﴾؛ أي: سُرُّوا بهذه الرِّيح، وأمنِ السَّفينةِ لمحالِّها[2].

وقوله تعالى: ﴿جَآءَتۡهَا رِيحٌ عَاصِفٞ﴾: أي: انتقلَتِ الرِّيح فصارَتْ عاصفًا شديدةَ الهبوبِ.

قوله تعالى: ﴿وَجَآءَهُمُ ٱلۡمَوۡجُ مِن كُلِّ مَكَانٖ﴾: أي: تلاطَمَتِ الأمواجُ مِن كلِّ جانبٍ مِن جوانبِ السَّفينةِ.

وقوله تعالى: ﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ أُحِيطَ بِهِمۡ﴾: أي: أشرفوا على الهَلَكَةِ، وغلَبَ ظنُّهم أنَّهم لا يتخلَّصون مِن الغرقِ.

وقوله تعالى: ﴿دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾: أي: بالاعتقادِ والعلمِ أنَّه لا يخلِّصُهم

---

(١) انظر: «ديوان لبيد بن ربيعة» (ص: ١٣٩)، وبعده:

فـإن تزادي ثلاثًا تبلغـي أملاً   وفي الثلاث وفـاء للثمانينا

(٢) في (ر): «وأمر السفينة لحالها»، وفي (ف): «وأمن السفينة».

منها غيرُه: ﴿لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ﴾؛ أي: فقالوا: ربَّنا لَئِنْ خلَّصْتَنا مِن هذه الرِّيح ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ لَكَ، لا نُنْكِرُ نعمَتَكَ، ولا نعبدُ غيرَكَ، ولا نشرِكُ بِكَ شيئًا.

***

(٢٣) - ﴿فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم ۖ مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ﴾: أي: منها ﴿إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾؛ أي: عادوا إلى خلافِ الشُّكر، واستطالوا في الأرضِ على النَّاس، بغير أن يكون ذلك مباحًا لهم فيكون حقًّا، وقهرُوهم وسلبُوهم وقتلُوهم ونسُوا عهودَهم.

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم﴾: أي: بغيكُم يجلبُ إلى أنفسِكُم المكارِهَ، فهو أوقعُ عليكم، ضارٌّ بكم.

وقوله تعالى: ﴿مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾: قرأ عاصم في رواية حفص بالنَّصب على الحال أو القطع، والباقون بالرَّفع على إضمار (هو) أو (ذاك)[1].

أي: ومدَّةُ البغي وصاحبِه مدَّةٌ قليلة في الدُّنيا، كالشَّيء يُتَمَتَّعُ به ثمَّ ينقضي.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ﴾: في الآخرة ﴿فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: فنخبرُكُم بذلك، ونجزيكُم عليها.

وقال محمَّد بن كعب القرظيُّ: ثلاثٌ مَنْ كُنَّ فيه كُنَّ عليه: البغيُ والنَّكثُ والمكر؛ قال اللهُ تعالى: ﴿إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم﴾، ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ [فاطر: ٤٣]، ﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾ [الفتح: ١٠][2].

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٣٢٥)، و«التيسير» (ص: ١٢١).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣١٨٧)، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٣٦) إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: يريدُ أنَّهم يُصبِحونَ في النِّعم يجرُّون أذيالَهم، ثمَّ يمسُون يشكون بلبالهم[١]، وقد يبيتون والبهجةُ ملكَتْهم، ثمَّ يصبحون وخفايا التَّقدي أهلكَتْهم، وقد قيل في معناه[٢]:

أقمْنا زمانًا والعيونُ قريرةٌ ... ومِنْ بعدُ عُدْنا والعيونُ سَوافِكُ[٣]

فإذا رجعوا إلى اللهِ بإخلاصِ الدُّعاء جادَ عليهم بكشْفِ البَلاءِ، فلمَّا أنجاهم بإجابة دعائهم إذا هم في بغيهم يرجعون، وعلى مناهجِهم في تمرُّدهم يسلكون[٤].

وقال: إنَّما بغيُكم على أنفسِكم؛ أي: تمتُّعكم في أيَّام قلائل، ثمَّ تلقون في ذلك وبيلًا، وتقاسُون بذلك عذابًا طويلًا.

***

(٢٤) ـ ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾: ثُم بيَّنَ متاعَ الحياة

---

(١) في (أ): «بشكوى بلبالهم»، وفي (ف): «بسكون بلبالهم»، وفي مطبوع «اللطائف»: «يشكون لياليهم»، والبَلْبَال: الهمُّ. انظر: «الصحاح» للجوهري (مادة: بلل).

(٢) «وقد قيل في معناه» من (ف)، وفي (أ): «شعر»، وليست في (ر)، وفي «لطائف الإشارات»: «وأنشدوا».

(٣) البيت نسب للقشيري نفسه صاحب «اللطائف»، كما في: «وفيات الأعيان» لابن خلكان (٣/ ٢٠٧)، و«سير أعلام النبلاء» للذهبي (١٨/ ٢٣٢)، و«الوافي بالوفيات» للصفدي (١٩/ ٦٤).

(٤) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٢/ ٨٧ ـ ٨٨).

الدُّنيا المذكورةِ في الآية المتقدِّمة: أنَّ مثال هذه الحياة، أو صفةَ هذه الحياةِ القريبةِ المدَّةِ، كمطرٍ أنزلناه مِن السَّحاب ﴿فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: فنبَتَ نباتًا مختلفَ الأنواع، مختلطٌ[1] بعضُها ببعضٍ، وهو فيما لم يَنبُت بعدُ، فيَنبُتُ به.

ويجوز أن يكون في النَّبْتِ الحادث: إذا نزلَ به المطرُ اختلطَ بالمطرِ؛ أي: اتَّصل كلُّ واحدٍ منهما بالآخر، فاهتزَّ وربَا.

﴿مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ﴾: مِن اللُّبَاب ﴿وَٱلْأَنْعَٰمُ﴾؛ أي: البهائمُ والمواشي وغيرها من القشور.

وهو فيما يشتملُ على القشر واللُّبِّ، فقد ينبُتُ مَا يأكلُ كلَّه النَّاسُ كالحبوب، وما يأكلُ كلَّه الأنعامُ كالحشيش.

وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا﴾: أي: زِينَتَها، والزُّخرفُ: الذَّهبُ.

وقال قتادة: بهجتَها.

وقال الضَّحاكُ: حسنها.

وقال أبو العالية: جمالها.

وقوله تعالى: ﴿وَٱزَّيَّنَتْ﴾؛ أي: تزيَّنتْ، أُدغمَت التَّاءُ في الزَّاي، وزِيدَت الألفُ ليكون الابتداء بالمتحرِّك؛ أي: اكتسبَتْ رونقًا وجمالًا باختلاف ألوان النَّبات مِن صُفرة وحمرة وخضرة وبياض ونحوِها.

وقوله تعالى: ﴿وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ﴾: قيل: أي: على استصحابِ تلكَ الحال، وحصلوا على غير شيء منها؛ لأنَّ القادرَ عليهم وعليها أهلَكَها.

---

(١) في (أ): «مختلفة الأنواع» بدل: «مختلف الأنواع مختلط».

وقيل: أي: قادرون على أخذِ ما فيها مِنَ النَّبات والحبِّ والثَّمر، وعلى التَّنزُّهِ بزهرتِها، والانتفاعِ بوجوهِ منافعِها.

وقوله تعالى: ﴿أَتَىٰهَآ أَمۡرُنَا﴾: وهو ما يرسلُه عليها مِن عذابٍ يستأصل نباتَها، مِن بردٍ أو ريحٍ أو صاعقةٍ أو نحو ذلك.

قوله تعالى: ﴿لَيۡلًا﴾: أي: باللَّيل ﴿أَوۡ نَهَارٗا﴾؛ أي: بالنَّهار ﴿فَجَعَلۡنَٰهَا حَصِيدٗا﴾؛ أي: مقطوعًا ساقطًا ﴿كَأَن لَّمۡ تَغۡنَ بِٱلۡأَمۡسِ﴾؛ أي: لم تكنْ على تلكَ الصِّفة فيما قبلُ. وقد غَنِيَ بالمكان: إذا أقام به، من حدِّ عَلِم.

وقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ﴾؛ أي: فكما بيَّنا هذا المثل نبيِّن سائرَ الآيات ﴿لِقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ﴾؛ أي: هم المنتفعون بها.

وقال الإمام الزَّاهد أبو منصور رحمه الله: قيل: ضرب مثل الحياة الدُّنيا بالزَّرع مِن وجوهٍ:

أحدها: إنَّه يخبرُ عن سرعةِ زوالِها وانقطاعِها، كالنَّبات الَّذي يتسارع إلى الزَّوال والانقطاع بالآفة.

والثَّاني: إنَّه يخبرُ عن تغيُّرها[1] وانقلابِ أمرِها، كالنَّبات الَّذي يتغيَّر في أدنى مدَّة.

والثَّالث: إنَّه ذكر مسرَّة صاحب الدُّنيا وابتهاجَه بالحياة الدُّنيا كما يكون ذلكَ لصاحبِ الزَّرع به، ثم يكون ما ذكر.

والرَّابع: أنَّ معناه: مَثَلُ الحياة الدُّنيا للحياة الدُّنيا فيما ينفقون[2] فيها، مثَلُ

---

(١) في (ر) و(ف): «تقلبها».

(٢) في (أ): «ينتفعون».

صاحب الزَّرع الذي يُنْفِقُ عليه لِمَا يأمُلُ مِن المنافع، ثمَّ يكون ما ذكر، ولو علم ذلك في الابتداء ما فعل، فكذلك صاحبُ الدُّنيا فيما فعل(١).

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: شبَّه الحياةَ الدُّنيا بالماء الذي ينزل من السَّماء، ينبُتُ به النَّبات، وتخضرُّ به الأرض، وتظهر الثمار، ويوطِّن أربابُها عليها أنفسَهم، فتصيبهم جائحةٌ سماويَّةٌ بغتةً، وتصيرُ كأنْ لم تكنْ، كذلك الإنسانُ بعد كمالِ سِنِّه، وتمام قوَّتِه، واستجماع الخصال المحمودة فيه تخترمُه المنيَّة، وكذلك أمورُه المنتظِمةُ تبطل وتختلُّ بوفاته، كما قيل:

فقدناه لَمَّا تَمَّ واعتمَّ بالعُلا ... كذاك كسوفُ البدرِ عندَ تمامِهِ(٢)

ومِن وجوهِ تشبيهِ الأموالِ الدُّنيويَّة بالماء المنزَل مِن السَّماء: أنَّ المطرَ لا يُستنزَل بالحيلة، كذلك الدُّنيا لا تساعد إلَّا بالقسمة(٣)، ثمَّ إنَّ المطرَ وإنْ كان لا يجيء إلَّا بالتَّقدير فقد يُستسقَى، كذلك الرِّزق وإن كان بالقسمة فقد يُلتَمَس مِن الله تعالى ويُستعطَى.

ومنها: أنَّ الماءَ في موضعِه سببُ حياةِ النَّاس، وفي غير موضعِه سببُ خرابِ

---

(١) في (أ): «يفعل». وانظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٦/ ٢٩)، وفيه: (...ولو علم في الابتداء أن أمر زرعه يؤول ويصير إلى ما صار لكان لا ينفق؛ فعلى ذلك صاحب الحياة الدنيا لو علم أن عاقبة أمر نفقته تصير حسرة عليه وندامة ما أنفق، كما أن صاحب الزرع الذي ذكر وبلغ المبلغ الذي ذكر لو علم أن عاقبته كما كان ما أنفق عليه، أو لو علم أنه لا ينتفع به ما أنفق تلك النفقة، أي: لو علم أن سروره وابتهاجه به لا يبقى ولا يدوم إلى آخره ما تكلف ذلك، أو لو علم أنها تزول عنه وتنقطع عن تلك السرعة ما أنفق ذلك وما تكلف الذي تكلف).

(٢) البيت لأبي الفتح البستي في الصاحب. انظر: «التمثيل والمحاضرة» للثعالبي (ص: ٢٣٢)، و«زهر الآداب» للقيرواني (٢/ ٤٥١).

(٣) في (أ): «لا يساعد إلا بالسمة»، وفي «لطائف الإشارات»: «لا تساعدها إلا القسمة».

الموضع، كذلك المال لمستحقِّه سببُ سلامتِه وانتفاعِ المتَّصلين به، وعند مَن لا يستحقُّه سببُ طغيانِه وسببُ بلاءِ مَن هو متَّصلٌ به، كما قيل: نِعمُ اللهِ لا تُعاب، ولكن ربَّما استُقبِحَتْ على يد أقوام.

ومنها: أنَّ الماءَ إذا كان بمقدارٍ كانَ سببَ الصَّلاحِ، فإذا جاوزَ الحدَّ كان سببَ الخراب، كذلك المالُ إذا كان بقدر الكفاية والكفاف فصاحبُه منعَّم، فإذا زادَ وجاوزَ الحدَّ أوجبَ الكُفران والطُّغيان.

ومنها: أنَّ الماءَ ما دام جاريًا كان طيِّبًا، فإذا طالَ مكثُه تغيَّر، كذلك المالُ إذا أنفقَه صاحبُه كان محمودًا، فإذا ادَّخره وأمسكَه كان معلولًا مذمومًا.

ومنها: أنَّ الماءَ إذا كان طاهرًا كان حلالًا يصلُح للشُّرب ويصلح للطُّهور ولإزالة الأذى، وإذا كان غير طاهرٍ فبالعكس، وكذلك المالُ إذا كان حلالًا، وبعكسه إذا كان حرامًا.

ويُقال: كما أنَّ الرَّبيعَ تتورَّد أشجارُه، وتظهر أزهارُه، وتخضرُّ رِباعُه، وتتزيَّن بالنَّبات وِهادُه وتِلاعُه[1]، ثم لا يُؤْمَنُ أنْ تصيبَه آفةٌ مِن غير ارتقاب، وينقلبُ الحالُ بما لم يكنْ في الحساب، كذلكَ مِن النَّاس مَن يكون له أحوالٌ صافية، وأعمالٌ بشرطِ الخلوص زاكية، وغصونُ أُنْسِهِ متدلِّية، ورياضُ قُرْبِهِ مُؤْنِقَة، ثمَّ تصيبُه عينٌ، فيذبلُ عودُ وِصالِه، وينسدُّ بابُ عوائدِ إقبالِه، كما قيل:

عينٌ أصابَتْكَ إنَّ العينَ صائبةٌ ... والعينُ تسرعُ أحيانًا إلى الحسَنِ[2]

---

(١) في «أ»: «بالنبات من البر وهاده وتلاعه»، وفي (ر): «بالنبات وتأمن من البرودات وتلاعه»، وفي (ف): «بالنبات ويأمن من البرودات»، والمثبت من «لطائف الإشارات».

(٢) انظر: «لطائف الإشارت» للقشيري (٢/ ٨٩)، والبيت بلا نسبة فيه، وأورده بلا نسبة كذلك الإشبيلي =

(٢٥) ـ ﴿وَاللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾؛ أي: لا يدعوكم إلى الرُّكون إلى الدُّنيا الَّتي هي تعرض الآفات، بل إلى الجنَّة الَّتي فيها السَّلامة عن كلِّ العاهات.

قال الزَّجَّاجُ: ﴿دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾: دار السَّلامة عن كلِّ آفةٍ[1].

والسَّلام والسَّلامة، كاللَّذاذ واللَّذاذة، والرَّضاع والرَّضاعة[2].

وقال الحسنُ وقتادةُ: السَّلام: اللهُ، ودارُه: الجنَّةُ[3].

ومعنى الآية على القول الأوَّل: واللهُ يدعوكم إلى عمل الآخرة الَّتي سَلِمَ صاحبُها مِن الحزن والخوف، ونعيمُها مِن التَّغيُّر والفناء.

وقوله تعالى: ﴿وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾: أي: مَن حَسُنَتْ إجابته أجابَه اللهُ إليها؛ أي: هداهُ إلى الطَّريق الَّذي يفضي به إليها.

فالدُّعاءُ عامٌّ، والهدايةُ خاصَّة؛ إذ الكلُّ مدعوٌّون، والسُّعداءُ منهم مهديُّون.

وقيل: ﴿دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾: دار التَّحيَّة؛ قال تعالى: ﴿تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ﴾ [إبراهيم: ٢٣]: وهي مِن بعضهم لبعض؛ وقال تعالى: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ

= في «قانون التأويل» (ص: ٥٨٦)، والمستعصمي في «الدر الفريد» (٧/ ٢٧٦). وفي «اللطائف»: (الحسد) بدل «الحسن».

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ١٥).

(٢) انظر: «غريب القرآن» لابن قتيبة (ص: ٦)، و«معاني القرآن» للنحاس (٢/ ٢٨٥).

(٣) رواه عن قتادة عبد الرزاق في «تفسيره» (١١٥٣)، والطبري في «تفسيره» (١٢/ ١٥٤)، وذكره الماوردي في «تفسيره» (٢/ ١٦٧)، والواحدي في «البسيط» (٧/ ٣١٢).

وروى ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٩٤٣) عن الحسن قال: ما من ليلة إلَّا ينادي منادٍ: يا صاحب الخير هلمَّ، ويا صاحب الشرِّ أقصر، فقال رجل للحسن: أتجدها في كتاب الله؟ قال: نعم ﴿وَاللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾.

عَلَيْكُمْ﴾ [الرعد: ٢٣ ـ ٢٤]: وهو سلام الملائكة، وقال تعالى: ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ [يس: ٥٨]: وهو سلام الله تعالى.

وقال الإمام القشيري رحمه الله: الدُّعاءُ تكليفٌ، والهدايةُ تعريفٌ، فالتَّكليف على العموم، والتَّعريف على الخصوص، التَّكليف بحقِّ سلطانه، والتَّعريف بحكم إحسانِه، الدُّعاء قولُه، والهداية طَولُه.

و﴿دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾: دار السَّلامة؛ سلم أهلُها مِن الحُرْقةِ والفُرْقةِ؛ سلموا مِن الحُرْقةِ فحصلوا على لذَّة عطائِه، وسلموا مِن الفُرْقةِ فوصلوا إلى عزيز لقائِه.

وقيل: لا يصلُ إلى دار السَّلام إلَّا مَن سلمَتْ نفسُه مِن سجود الصَّنم، وقلبُه من الشِّرك والظُّلم.

ودرجاتُ تلكَ الدَّار متفاوتةٌ، فالَّذي سلمَ قلبُه عن صحبة الأغيار أعلى درجةً ممَّنْ سلمَتْ نفسُه عن الذُّنوب والأوضار.

والصِّراطُ المستقيمُ: طريقُ المسلمين، فهذا للعوام بشرط علم اليقين، ثمَّ طريقُ المؤمنين وهو طريق الخواصِّ بشرط عين اليقين، ثمَّ طريقُ المحسنين وهو طريقُ أشراف الخواصِّ بشرط حقِّ اليقين، فهؤلاء بنور العقل أصحاب البرهان، وهؤلاء بكشف العلم أصحاب البيان، وهؤلاء بضياء المعرفة بوصف العِيَان، وهم الَّذين قال لهم النَّبيُّ ﷺ: «الإحسانُ أنْ تعبدَ اللهَ كأنَّكَ تراهُ»[1]، و: «المسلمُ مَنْ سَلِمَ المسلمونَ مِن لسانِه ويدِه»[2].

والمحسنُ: مَن سَلِمَ الخَلْقُ بأجمعِهم عَن قلبِه.

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٢/ ٩٠ ـ ٩١)، والحديث رواه البخاري (٥٠)، ومسلم (٩)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. ورواه مسلم (٨) من حديث عمر رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري (١٠)، ومسلم (٤٠)، من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

(٢٦) ـ ﴿۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾: أي: للَّذين أحسنوا الأعمال الحسنى[1].

قال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: الحُسنى: الحسنة[2]، والزِّيادة: عشرةُ أمثالِها.

وعن علقمة قال: ﴿وَزِيَادَةٌ﴾: هي التَّضعيف[3].

وقال الحسن: ﴿وَزِيَادَةٌ﴾: عشرة أمثالها إلى سبع مئة ضعف[4].

وقال مجاهد: الحُسنى: الجنَّة، والزِّيادةُ: المغفرةُ والرِّضوانُ[5].

وقال عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه: الزِّيادةُ: غرفةٌ مِن لؤلؤةٍ واحدةٍ، لها أربعةُ أبوابٍ، الغرفةُ والأبوابُ مِن لؤلؤةٍ واحدةٍ[6].

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: قيل: الحُسنى: الجنَّة لأنَّها جزاءُ الإحسان، كما سمَّى النَّارَ السُّوأى؛ قال تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾ [الروم: ١٠] لأنَّها جزاءُ الإساءة.

---

(١) في (أ): «أي للَّذين أحسنوا زيادة؛ أي: للَّذين أحسنوا الأعمال الحسنى».

(٢) تحرفت في النسخ إلى: «الجنة»، والصواب المثبت. انظر: «تفسير الطبري» (١٢/ ١٦٣)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٣٤٢)، و«الكشاف» (٢/ ٣٢٧). ومع ذلك فالخبر إسناده ضعيف جدًّا.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ١٦٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٩٤٦).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ١٦٣).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ١٦٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٩٤٥).

(٦) رواه سعيد بن منصور في «سننه» (١٠٥٨ ـ تفسير)، والطبري في «تفسيره» (١٢/ ١٦٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٩٤٥)، جميعهم من طريق الحكم بن عتيبة عن علي رضي الله عنه. وإسناده ضعيف للانقطاع بين الحكم وعلي رضي الله عنه، وقال ابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ٢٤): لا يصح.

قال: وقيل: الزِّيادة: المحبَّة في قلوب العباد، يحبُّه المحسنون ويهابه كلُّ أحدٍ من غير سلطان.

قال: وقيل: التَّضعيف حتَّى يكون عشرًا وسبعَ مئة وما شاء الله؛ يدلُّ عليه قوله تعالى في مقابلتِه: ﴿وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةِۭ بِمِثۡلِهَا﴾.

قال: وقال قائلون: الزِّيادة هي قَبول حسناتِه مع ما فيها مِن الخَلْطِ بالسَّيئات.

قال: وقال قائلون: الحُسنى: ما تقدِّرُها العقول وتدركُها وتصوِّرها الأوهامُ، والزِّيادةُ هي الَّتي لا تقدِّرها العقولُ ولا تدركُها ولا تصوِّرها الأوهامُ، كما قال عليه الصلاة والسلام: «وفيها ما لا عينٌ رأَتْ، ولا أذنٌ سمعَتْ، ولا خطرَ على قلبِ بشر»(١).

وقال أبيُّ بنُ كعبٍ رضي الله عنه: سألْتُ رسولَ اللهِ ﷺ عن هذه الآية، فقالَ: «الحُسْنَى الجنَّةُ، والزِّيادَةُ النَّظَرُ إلى وجهِ اللهِ تعالى»(٢).

وقال أنسُ بنُ مالكٍ رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ في قولِه جلَّ جلالُه: ﴿وَلَدَيۡنَا مَزِيدٞ﴾ [ق: ٣٥] قالَ: «يتجلَّى لهم ربُّهم»(٣).

وعن صهيبٍ رضي الله عنه: أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ تلا هذه الآية: ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ

---

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٦/ ٣٢ـ ٣٤). والحديث رواه البخاري (٣٢٤٤)، ومسلم (٢٨٢٤)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ١٦٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ١٠٤٤)، والدارقطني في «الرؤية» (١٨٣)، واللالكائي في «الاعتقاد» (٧٨٠). وله شاهد من حديث صهيب رضي الله عنه سيأتي قريباً.

(٣) رواه الدارمي في «الرد على الجهمية» (١٩٨)، والبزار في «مسنده» (٧٥١٨)، واللالكائي في «الاعتقاد» (٨١٣)، كلهم موقوفًا على أنس رضي الله عنه، وقال البزار: وهذا الحديث لا نعلم رواه عن أنس بهذا اللفظ إلا عثمان بن عمير أبو اليقظان، وعثمان صالح.

وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١١٢): رواه البزار، وفيه عثمان بن عمير وهو ضعيف.

وَزِيَـادَةٌ﴾ قالَ «إذا دخلَ أهلُ الجنَّةِ الجنَّةَ، وأهلُ النَّارِ النَّارَ نادى منادٍ: يا أهلَ الجنَّةِ، إنَّ لكم عندَ اللهِ موعدًا، يريدُ أنْ يُنْجِزَكُمُوْهُ. فيقولون: ما هو؟ ألم يبيِّضْ وجوهَنا، ويثقِّلْ موازينَنا، ويدْخِلْنا الجنَّةَ، ويجرْنا من النَّار؟ قالَ: فيَكْشِفُ الحِجابَ، فيتجلَّى لهم، فينظرون إليه، والَّذي نفسُ محمَّدٍ بيدِه، ما أعطاهم شيئًا هو أحبُّ إليهم ولا أقرُّ لأعينِهم مِنَ النَّظرِ إليه»[1].

والآيةُ تنتظمُ هذه الأقاويلَ كلَّها، وأولى التَّفاسيرِ تفسيرُ رسولِ الله ﷺ، وقد قال به جماعة من الصَّحابة رضوان الله عليهم والتَّابعين: أبو بكر الصِّدِّيق، وحذيفة بن اليمان، وأبو موسى الأشعري، وكعب بن عجرة، وصهيب بن سنان، وعبادة بن الصَّامت، وابن عبَّاس، وعامر بن سعد، وعبد الرَّحمن بن أبي ليلى، وعبد الرَّحمن بن سليط، وعكرمة، والحسن، والضَّحَّاك، والسُّدي، ومقاتل، وعطاء[2]، وعامَّة المفسِّرين: الزِّيادةُ: النَّظر إلى وَجْهِ اللهِ تعالى.

وروى قيسُ بن أبي حازم، عن جرير بن عبد الله قال: كنَّا عندَ رسولِ اللهِ ﷺ، فنظرَ إلى القمرِ ليلةَ البَدْرِ، فقال: «إنَّكُمْ سَتَرَوْنَ ربَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هذا القَمَرَ، لا تُضَامُّونَ في رُؤْيَتِهِ»[3].

وهذا تشبيهُ الرُّؤيةِ بالرُّؤيةِ، لا تشبيهُ المرئيِّ بالمرئيِّ، وهو القول الحقُّ، وعليه أهل السُّنَّة والجماعة[4].

---

(١) رواه مسلم (١٨١)، والترمذي (٢٥٥٢)، والإمام أحمد في «المسند» (١٨٩٣٥) واللفظ له.

(٢) انظر أقوالهم في «تفسير الطبري» (١٢/ ١٥٦ ـ ١٦٤)، و«رؤية الله» للدارقطني (ص: ١٥٦ ـ ٣٠٨)، و«الاعتقاد» للالكائي (٣/ ٥٠٣ ـ ٥٦٠).

(٣) رواه البخاري (٥٥٤)، ومسلم (٦٣٣).

(٤) وقد طعن الزمخشري في «الكشاف» (٣/ ٣٤٢) بهذا الحديث ونعته بـ(المرقوع) ونعت أهل السنة =

وروى منصور بن عمَّار، عن يزيد بن شجرة قال: إنَّ مِنَ الزِّيادةِ أنْ تَمُرَّ السَّحابةُ بأهلِ الجنَّةِ، فتقولَ: ما تريدون أنْ أُمطِرَكُمْ؟ فلا يريدون شيئًا إلَّا مطرتْهم[1]، فتمطرُهُمْ منعَّمات.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَرۡهَقُ وُجُوهَهُمۡ قَتَرٞ﴾: أي: لا يغشاهم غبارٌ.

وقيل: القترةُ: غَبَرةٌ معها سوادٌ؛ أي: على وجوهِهم سِيْما الفرح والسُّرور، كما قال تعالى: ﴿تَعۡرِفُ فِي وُجُوهِهِمۡ نَضۡرَةَ ٱلنَّعِيمِ﴾ [المطففين: ٢٤]، وقال تعالى: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ﴾ [القيامة: ٢٢ ـ ٢٣]، وقال تعالى: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ مُّسۡفِرَةٞ ۝٣٨ ضَاحِكَةٞ مُّسۡتَبۡشِرَةٞ﴾ [عبس: ٣٨ ـ ٣٩].

وهو خلافُ حالِ وجوه أهل النَّار: ﴿وَوُجُوهٞ يَوۡمَئِذٍ عَلَيۡهَا غَبَرَةٞ ۝٤٠ تَرۡهَقُهَا قَتَرَةٌ﴾ [عبس: ٤٠ ـ ٤١]، وقال هاهنا: ﴿كَأَنَّمَآ أُغۡشِيَتۡ وُجُوهُهُمۡ قِطَعٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مُظۡلِمًا﴾ [يونس: ٢٧].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا ذِلَّةٌ﴾: أي: هَوان.

وقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾: هذا ظاهرٌ.

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ﴾ في الواجبات، ولم يبخلوا بالمندوباتِ.

= القائلين به بـ(المشبهة والمجبرة) لأنهم يعتقدون بجواز رؤيته تعالى ووقوعها في الآخرة، خلاف المعتزلة القائلين بامتناع ذلك. وقد تعقبه كثير من العلماء، ومنهم الآلوسي حيث قال: (وقول الزمخشري عامله الله تعالى بعدله: (إن الحديث مرقوع) بالقاف؛ أي: مفترى، لا يصدر إلا عن رقيع، فإنه متفق على صحته، وقد أخرجه حفاظ ليس فيهم ما يقال). انظر: «روح المعاني» (١١/ ١٠٣).

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ١٣٠)، والزمخشري في «الكشاف» (٢/ ٣٤٢). ورواه أبو نعيم في «الحلية» (٥/ ٢١٤) عن كثير بن مرة. ويزيد بن شجرة هو أبو شجرة الرهاوي (نسبة إلى الرها بطن من مذحج) الشامي، يقال له صحبة، وكان أمير الجيش في غزو الروم، توفي سنة (٥٨هـ). انظر: «سير أعلام النبلاء» (٩/ ١٠٦).

وقيل: ﴿أَحْسَنُواْ﴾: لم يبقَ عليهم حقٌّ إلَّا قاموا به، إن كانَ حقَّ الحقِّ فمِن غير تقصيرٍ، وإنْ كان حقَّ الخَلْقِ فمِن غير تأخيرٍ.

وقيل: أحسنوا في المآل كما أحسنوا في الحال، فاستداموا بما فيه واستقاموا.

وقيل: الحسنى في الدُّنيا: توفيقٌ بدوام وتحقيقٌ في تمام، وفي الآخرة: غفرانٌ معجَّلٌ، وعِيَانٌ على التأبيد محصَّل.

وقوله: ﴿وَزِيَادَةٌ﴾ قال أهلُ المعرفةِ: الحسنى، الرُّؤية، والزِّيادةُ دوامُها.

وقيل: الحسنى: اللِّقاء، والزِّيادة: البقاء في حال اللِّقاء.

وقولُه تعالى: ﴿وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ﴾؛ أي: لا يُردُّون مِن غير شهودٍ إلى رؤيةِ غيره.

﴿هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾: في فنونِ أفضالهم، في جميع أحوالهم[1].

***

(٢٧) ـ ﴿وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍۖ كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثْلِهَا﴾: قال الكلبيُّ: عملوا الشِّركَ والمعاصي[2].

﴿جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ﴾: أي: لهم جزاءُ سيِّئةٍ ﴿بِمِثْلِهَا﴾؛ أي: قصاص ذلك بمثلِها، وهي النَّارُ، هي مثلُها؛ أي: هي موافِقةٌ لعمَلِهم، اعتقدوا الشِّركَ على الأبدِ، فعُوقِبوا فيها على الأبد.

﴿وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾: أي: يغشاهم هوانٌ، وآثار خيبةٍ وحرمان، وهو كقوله تعالى:

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٢/ ٩١ ـ ٩٢).

(٢) ذكره الواحدي في «البسيط» (١١/ ١٧٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما في رواية الكلبي.

﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٤]، وكقوله تعالى: ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ﴾ [عبس: ٤٠ ـ ٤١].

وقوله تعالى: ﴿مَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ﴾: أي: مانع مِن عذابِ اللهِ تعالى مِن جهة أصنامِهم وأعوانِهم.

وقوله تعالى: ﴿كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا﴾: قرأ ابن كثير والكسَّائيُّ بسكون الطَّاء. وقال الأخفش: معناه؛ أي: بعضًا من اللَّيل، وقرأ الباقون بفتح الطَّاء، وهي جمع قِطْعة[1].

وقوله تعالى: ﴿مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا﴾: نصبه على الحالِ مِن قولِه: ﴿مِّنَ اللَّيْلِ﴾ حالَ إظلامِه، وهو كقوله: ﴿وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران: ١٠٦].

وقال القشيريُّ رحمه الله: وُسِمُوا بذلِّ الحِجاب، وعُوْقِبوا بتأبيد العذاب[2].

وقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾: وهذا ظاهر.

* * *

(٢٨) ـ ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَاؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾: أي: نجمع الَّذين كسبوا السَّيئات وما عبدوهم من دونِ الله تعالى في الموقف ﴿ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾؛ أي: للمشركين: ﴿مَكَانَكُمْ﴾: نصب على الملازَمةِ[3]، معناه: الزَموا مكانَكم واثبتوا مكانَكم[4].

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ٣٢٥)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢١).

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٢/ ٩٢).

(٣) في (ر) و(ف): «الإغراء».

(٤) «واثبتوا مكانكم» ليس في (ف).

وقوله تعالى: ﴿أَنتُمْ وَشُرَكَآؤُكُمْ﴾: ﴿أَنتُمْ﴾ توكيدٌ لأسماء المخاطَبين بالأمر بلزومِهم مكانَهم و﴿وَشُرَكَآؤُكُمْ﴾ عطفٌ عليهم. وأضاف الشُّركاء إليهم لأنَّهم القائلون بذلك.

وقوله تعالى: ﴿فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ﴾: أي: فرَّقنا بينَهم، وقد زِلْتُهُ أزِيْلُهُ؛ أي: فرَّقْتُه، وزَيَّلْتُه للتَّكثير والتَّكرير، وليس مِن الزَّوال، وذاك واويٌّ وهذا يائيٌّ.

وقال تعالى: ﴿لَوْ تَزَيَّلُواْ﴾ [الفتح: ٢٥]، وجاء في الحديث: «خَالِطُوا النَّاسَ وزايِلُوْهُم»[1]؛ أي: خالطوهم بالأبدان، وفارقوهم في الأعمال.

يقول: إنَّا نقولُ للمشركين: الزموا مكانَكم وآلهتكم للحسابِ، لا تفرَّقوا.

وقيل: أي: اثبتوا مكانَكم مع شركائِكم ليعينوكم، ويشفعوا لكم، ويعصموكم من عذاب الله، وهي كلمةُ توبيخٍ.

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٦٩٨٨) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥/ ٢٣٦): رواه الطبراني في «الأوسط» عن شيخه محمد بن علي المروزي، وهو ضعيف.
وجاء موقوفًا عن عدد من الصحابة:
فرواه عبد الرزاق في «المصنف» (٢٠١٥٢) عن عمر رضي الله عنه قال: (خالطوا الناس بما يحبون، وزايلوهم بأعمالكم، وجدوا مع العامة).
ورواه وكيع في «الزهد» (٥٣١)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٦٢٢١)، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: (خالطوا الناس وزايلوهم وصافحوهم، ودينكم لا تكلمونه)، ورواه أيضاً الطبراني في «المعجم الكبير» (٩٧٥٦، ٩٧٥٧)، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٢٨٠): رواه الطبراني بإسنادين، رجال أحدهما ثقات.
ورواه الدارمي في «سننه» (٣١٢) عن علي قال: (خالِطُوا الناس بألسنتكم وأجسادِكم وزايِلُوهم بأعمالِكم وقلوبِكم فإن للمرءِ ما اكتَسَبَ وهو يوم القيامةِ مع مَن أَحَبَّ).
وروي مرسلاً؛ رواه هناد بن السري في «الزهد» (٢/ ٥٨٨) عن عبد الله بن باباه مرسلًا.

وقوله تعالى: ﴿فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَاؤُهُم﴾؛ أي: ميَّزْنا بينَ العابدين والمعبودين؛ لأنَّ المعبودين إنْ كانوا ملائكةً فهم مميَّزون عن أهل النَّار إلى المواضع التي هي مقاماتهم.

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ شُرَكَاؤُهُم﴾: قيل: هم الملائكة: ﴿مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ﴾: وهو كقوله **تعالى**: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ (٤٠) قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ﴾ [سبأ: ٤٠ ـ ٤١]؛ أي: قالت الملائكةُ: إنَّ الجنَّ ـ وهم الشَّياطين ـ دعَتْهم إلى عبادَتِنا، ونحن منهم بُرءاءُ، فإنَّما عبدوا الشَّياطين؛ لأنَّهم أطاعوهم فيما أمروهم، وهو كقوله: ﴿أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ﴾ [يس: ٦٠].

وقال الكلبيُّ ومقاتلٌ ومجاهدٌ: ﴿شُرَكَاؤُهُم﴾: الأصنامُ، يُنْطِقُهُمُ اللهُ **تعالى**، فيقولون: ﴿مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ﴾: ما علمْنَا بعبادتكم إيَّانا، ولا أَمَرْنا بها، ولا عبادةَ إلَّا بأمْرِ المعبودِ(١).

وعلى هذا قوله تعالى: ﴿فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ﴾؛ أي: فرَّقنا بينَ المشركين وبين أصنامِهم وما كان بينَهم من التَّواصل.

وقيل: أي: جعلنا الأصنام ترابًا، وجعلنا المشركين في النَّار.

وقيل: ﴿شُرَكَاؤُهُم﴾: أعوانهم وقرناؤهم في الشِّرك، وقوله: ﴿فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ﴾ هو قوله تعالى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟﴾ الآية [البقرة: ١٦٦]، قاله مجاهد(٢).

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٢٣٦)، وروى نحوه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ١٧١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٩٤٨) عن مجاهد.

(٢) انظر: «الوسيط» للواحدي (٢/ ٥٤٦)، و«تفسير ابن كثير» عند هذه الآية.

وقيل: فرَّقنا بينهم فلم يتناصروا، وقال تعالى: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ﴾ [الصافات: ٢٤]، ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ﴾ [الصافات: ٢٥].

وقيل: هو تفريقهم في الدَّرَكات في النَّار؛ لأنَّ بعضَهم أسفل من بعضٍ.

* * *

(٢٩) ـ ﴿فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَٰفِلِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَٰفِلِينَ﴾؛ أي: ما كنَّا عنها إلَّا غافلين.

و﴿شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ أعمُّ وأحسنُ مِن قوله: شهيدًا لنا ولكم، أو: علينا وعليكم؛ لأنَّه ينتظمُهما.

قال الكلبيُّ: لَمَّا قالتِ الأصنام: لم نعلمْ بعبادتكم إيَّانا، قالوا: بل عبدناكم، فيقولون هذا.

وعلى قول مَن قال: هم الملائكة، فهم يقولون هذا؛ أي: اللهُ يشهدُ ويعلمُ أنَّا لم نعلم بها، ولم نرضَ، ولم نأمرْ.

* * *

(٣٠) ـ ﴿هُنَالِكَ تَبْلُوا۟ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ ۚ وَرُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿هُنَالِكَ تَبْلُوا۟ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ﴾: قرأ حمزة والكسائيُّ: ﴿تتلو﴾ بتاءَيْن، مِن التِّلاوة؛ أي: يقرأُ في كتابِه، وهو قول الفرَّاء(١).

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٤٦٣).

وقيل: تَتْبَعُ.

وقال ابن زيدٍ: تُعاين[١].

وقيل: هو معنى ما رُوي: (يُمَثَّل لكلِّ عابدٍ معبودُه، فيُقال له: اتْبَعْهُ، فيتَّبِعُهُ، فيوردُهُ النَّارَ)[٢].

وقرأ الباقون: ﴿تَبْلُوا﴾ بالباء المعجمة مِن تحتِها بواحدة[٣].

وقال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: أي: تَخْتبِرُ[٤]؛ معناه: في هذا الموقف تَختبِرُ كلُّ نفسٍ ما قدَّمَتْ من عملٍ، حتَّى ترى تَنتفِعُ به أو لا تَنتفِعُ.

والمعنى: ظهور الأعمال؛ أي: هنالك تظهرُ للعاملين أعمالُهم الَّتي قدَّموها، وقوله: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [هود: ٧] أنه يرجع إلى ظهور أعمالهم.

وقوله تعالى: ﴿وَرُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ﴾: أي: ورُدَّ العابدون والمعبودون

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ١٧٤).

(٢) روى نحوه البخاري (٨٠٦)، ومسلم (١٨٢)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، ولفظهما: (يجمع الله الناس يوم القيامة فيقول: من كان يعبد شيئًا فليتبعه، فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس، ويتبع من كان يعبد القمر القمر، ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت...».

(٣) انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ٣٢٥)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢١).

(٤) ذكره الواحدي في «البسيط» (١١/ ١٨٤).

ورواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ١٧٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٩٤٩)، عن مجاهد. وقد ورد هذا المعنى في كثير من كتب التفسير، وضبطت الكلمة في المطبوعات بالمبني للمجهول: (تُخْتَبَر)، لكن كلام الزمخشري في «الكشاف» (٢/ ٣٤٤) يدل على أنها بالمبني للمعلوم، حيث قال: ﴿تَبْلُوا﴾: تختبر وتذوق ما أَسْلَفَتْ من العمل فتعرف كيف هو، أقبيح أم حسن، أنافع أم ضارّ، أمقبول أم مردود؟ كما يختبر الرجل الشيءَ ويتعرّفه ليكتنه حاله.

إلى حكم اللهِ الذَّي هو مولاهم في الحقيقة، لا مولَى لهم غيرُه، فيحكم بينهم، ويتبيَّن الصَّادق مِن الكاذب.

وقوله تعالى: ﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾؛ أي: يضلُّ ما كانوا يقولون: نعبدُهم ليشفعوا لنا.

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: إنَّما يقفون على خسرانهم إذا ذاقوا طعْمَ هوانِهم، فإذا رُدُّوا إلى اللهِ لم يجدوا إلَّا البعد مِن الله، والطَّرد عن الله، وذلك جزاءُ مَن آثرَ غيرَ اللهِ على اللهِ[1].

***

(٣١) ـ ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾:

وهذه محاجَّة لهم بما يُبطِلُ اعتقادَهم وقولَهم بالشِّرك، يقول: قلْ يا محَّمد للمشركين: مَنْ يُنزِلُ مِن السَّماء ومَن يخرِجُ مِن الأرضِ رزقَكم، ومَنْ يدبِّرُ أمرَ ذلكَ؟

أمَّنْ يملِكُ أسماعَكُم وأبصارَكُم يصرِّفُها كيفَ يشاءُ، ولو أرادَ أنْ يسلبَها حسَّها لفعَل؟

ومَنْ يخرِجُ الولدَ الحيَّ مِن النُّطفةِ الميتةِ ـ وعلى القلب ـ ويخرِجُ الشَّجرةَ مِن النَّبات ـ وعلى القلب ـ والزَّرعَ مِن الحبَّة ـ وعلى القلب ـ والمؤمنَ من الكافر ـ وعلى القلب ـ ومَن يقدِّرُ أمورَ الخلائق؟

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٢/ ٩٣).

﴿فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ﴾؛ لأنَّ ذلك اعتقادهم ﴿فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ مِن تعجيزكم إيَّاه عن إعادة الموتى أحياءً في الآخرة كما كانوا في الدُّنيا.

وقال الإمام الزَّاهد أبو منصور رحمه الله: ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ عقوبتَه ونقمَته بالإشراك؟

ويحتمل: ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ عبادةَ غيرِه دونَه، وإشراكَ غيره في الألوهِيَّةِ به؟

ويحتمل: ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ صرْفَ شكرِه إلى غيرِه، وقد أقررْتُم أنَّه هو المنعِم عليكم بهذه النِّعم؟

ويحتمل: ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ عصيانَه ومخالفتَه وقد عرفتُموه[1]؟

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: ﴿فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ﴾ ولكن ظنًّا لا عن بصيرةٍ، ونُطقًا لا عن تصديقِ سريرة[2].

* * *

(٣٢) ـ ﴿فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ﴾: أي: فاعلُ ذلك كلِّه هو اللهُ الحقُّ، يحقُّ له الرُّبوبيَّةُ والألوهيَّة.

وقوله تعالى: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ﴾: أي: فليسَ بعدَ عبادتِه إذا عبدْتُم غيرَه إلَّا الضَّلالُ عن الحقِّ.

وقوله تعالى: ﴿فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾: أي: مِن أين تُصرَفون عن هذا الأمر بعدَ المعرفة.

---

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٦/ ٣٨).

(٢) انظر: «لطائف الإشارت» للقشيري (٢/ ٩٤).

وقال عطاء: فكيفَ تَصْرفون عقولَكم إلى عبادةِ مَن لا يَسمَعُ ولا يُبْصِرُ ولا يخلقُ ولا يرزقُ(١).

* * *

(٣٣) ـ ﴿كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓاْ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾: قرأ نافع وابن عامر: ﴿كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ هاهنا وفي آخر هذه السُّورة على الجمع، والباقون على التَّوحيد(٢)؛ أي: حَقَّ كلامُ ربِّك؛ أي: خبره.

﴿عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓاْ﴾: وهم قومٌ بأعيانِهم، خرجوا عن طاعة الله تعالى، وعلمَ اللهُ منهم اختيارَ البقاءِ على الضَّلالة.

﴿أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾: وهو كقولِه عزَّ وجلَّ: ﴿لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يس: ٧].

* * *

(٣٤ ـ ٣٥) ـ ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ (٣٤) قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾.

---

(١) ذكره الواحدي في «البسيط» (١١/ ١٨٨)، و«الوسيط» (٢/ ٥٤٧)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ٢٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما. ولفظه عندهم: (كيف تُصْرَف عقولكم...)، وهذا أحسن من لفظ المؤلف؛ لأنه موافق للفظ القرآن ﴿تُصْرَفُونَ﴾ بالمبني للمجهول، فتفسيرها بالمبني للمعلوم فيه بعدٌ.

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ٣٢٦)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٢).

وقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾: قال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: أي: قل يا محمَّد لأهل مكَّة: هل مِن أصنامِكم مَن يبدأُ الخلْقَ في بطنِ أمِّه نطفةً وعلقةً ومضغةً، ثمَّ يعيدُه ببعثِه بعدَ الموتِ؟ فإنْ أجابوك فقالوا: الله، وإلَّا فقلْ لهم: اللهُ يبدأُ الخلقَ ثمَّ يعيدُه بعدَ الموت، فمِن أينَ تُصرَفون عن الحقِّ؟ استفهام بمعنى التَّوبيخ(١).

والخَلْق: اسمُ جنسٍ يصلح للجَمْع، وهو في الأصل مصدر أيضًا، فلا يُثنَّى ولا يُجمَع.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ﴾: قال مقاتلٌ: قُلْ: هل مِن شركائِكم الَّلاتِ والعُزَّى ومناةَ والأصنامِ الَّتي تعبدونها أحدٌ يَهدِي إلى دين الإسلام؛ أي: فلا بُدَّ لهم مِن أن يقولوا: لا، إنَّها لا تعقلُ ولا تميِّز، ولا تضرُّ ولا تنفعُ، فقلْ لهم أنت ـ وذلك قوله تعالى ـ: ﴿قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ﴾؛ أي: إلى الحقِّ(٢).

والهداية تتعدَّى على ثلاثة أوجه، يُقال: هديتُه كذا، ولكذا، وإلى كذا.

قوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ﴾: قرأ ابنُ كثير وابن عامر وورش عن نافع: ﴿يَهَدِّي﴾ بفتح الهاء وتشديد الدَّال، وأصلُه: يهتدي، فأُدغمتِ التَّاء في الدَّال، ونُقلَتْ فتحتُها إلى الهاء لئلَّا يجتمع ساكنان.

وقرأ أبو عمرو ونافع في رواية غير ورش: ﴿يَهدِّي﴾ باختلاس فتحة الهاء وتشديد الدَّال(٣).

---

(١) ذكر نحوه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ١٧٧ ـ ١٧٨) دون عزو.

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٢٣٧ ـ ٢٣٨).

(٣) هي قراءة أبي عَمْرو، وقالون عن نافع، وهي أنهما يخفيان حركة الهاء، والنَّصُّ عن قالون بالإسكان، وقال اليزيدي عن أبي عَمْرو: كانَ يُشمُّ الهاء شيئًا من الفتح. انظر: «التيسير» (ص: ١٢٢).

وقرأ عاصم[١]: ﴿يَهِدِّيٓ﴾ بفتح الياء وكسر الهاء وتشديد الدَّال إتباعًا لكسرة الدَّال بعد الهاء.

وعن عاصم في رواية أبي بكر بكسر الياء لانكسار الهاء؛ لتتَّفق الحركات.

وقرأ حمزة والكسائيُّ: ﴿يَهْدِي﴾ بإسكان الهاء وتخفيف الدَّال على الأصل الثلاثي[٢].

وأمَّا معناه: فقد قال عطاء: إنَّ محمَّدًا دعا قومَه إلى الحقِّ والرَّشاد، وهو أحقُّ أنْ يُتَّبَعَ ممَّن لا يدعو إلى الحقِّ ولا يهتدي إلَّا أنْ يُهْدَى[٣].

وقال الحسنُ: ﴿أَفَمَن يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ﴾ وذلك هو الله تعالى ﴿أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ﴾؛ أي: يُعمَلُ بأمرِه ﴿أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ﴾ إلى خير؛ أي: هو جمادٌ لا يعرفُ هدًى مِن ضلالٍ، ولا خيرًا مِن شرٍّ، ولا نفعًا مِن ضُرٍّ[٤].

وقوله: ﴿إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ﴾ قيل: هو استثناءٌ منقطع، ومعناه: لكنَّه يُهْدَى؛ أي: يُحْمَلُ ويُنْقَلُ مِن مكانٍ إلى مكانٍ، والهديةُ: ما تُنْقَلُ وتُحْمَلُ مِن مكانٍ إلى مكانٍ، والهَدْيُ: ما يُنْقَلُ إلى الحرم، وهَدَى العروسَ: نقلَها إلى بيتِ زوجِها.

أي: هو لا يستطيعُ أنْ ينتقلَ بنفسِه، فكيفَ يهدِي غيره؟

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: ويحتمل: إلَّا أنْ يُنطقَه اللهُ في القيامةِ، ويهديَه إلى القولِ بالحقِّ، كما تقدَّم ذكرُه في قوله: ﴿مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ﴾ [يونس: ٢٨]، ﴿إِن

(١) في رواية حفص.

(٢) انظر جميع ما ذكر من قراءات في «السبعة في القراءات» (ص: ٣٢٦)، و«التيسير» (ص: ١٢٢).

(٣) ذكر نحوه ابن زنجلة في «حجة القراءات» (ص: ٣٣٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) ذكره الواحدي في «البسيط» (١١/ ١٩٣).

﴿كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ﴾ [يونس: ٢٩]، فإذا فعل الله تعالى بهم ذلك صاروا كذلك، ويكون معناه: ﴿إِلَّا أَنْ يُهْدَى﴾؛ أي: يجعلَهم اللهُ بحيث يهتدون إذا هُدُوا، ويجيبون إذا دُعوا(١).

وقوله تعالى: ﴿فَمَا لَكُمْ﴾: استفهامٌ بمعنى التَّوبيخ ﴿كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾: كذلك.

وقيل: معناه: كيف تقضون بالجَوْر، وصَرْف العبادة والشُّكر إلى مَن لا يملكُ شيئًا.

* * *

(٣٦) ـ ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا﴾: أخبرَ بالسَّبب الَّذي صاروا به إلى الضَّلال، فقالَ: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا﴾؛ أي: بغير دليل، نحو اقتدائِهم بأسلافِهم ظنًّا منهم أنَّهم مصيبون.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾: لا ينفعُ في معرفةِ الحقِّ نفعًا مّا؛ أي: لا يدلُّ عليه، ولا يوجبه.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾: مِن الشِّرك، واتِّباع الظَّنِّ، وترك الحقِّ، فهو يجازيهم على ذلك، وهو وعيدٌ لهم.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: قال بعضُهم: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا﴾: هم كبراؤهم، يقولون: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٣]، وقولهم: ﴿هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٨].

---

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٦/ ٤١).

وقال بعضُهم: هم أتباعُهم، فإنَّ الكُبراء عرفوا البراهين وعاندوا، والعوامَّ قلَّدوا ظنًّا منهم أنَّ الكبراء على الحقِّ[١].

* * *

(٣٧) - ﴿ وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ قال الإمام أبو منصور رحمه الله: هذا يخرج على وجهَيْن:

أحدهما: ما كان هذا القرآن بالذي يحتمِل الافتراء من دون الله؛ لخروجِه عن طَوْقِ البشر ووُسْعِهم، كذلك الذي يُحِيْلُ لكونه مفترًى في نفسِه[٢].

والثَّاني: لِمَا أُودِعَ فيه من الحكمة والصِّدق، يدلُّ على كونِه مِن عند اللهِ؛ إذ كلامُ غيرِه يحتملُ السَّفه والكذب والاختلاف[٣].

وهذه الآية تتَّصل بقولِه: ﴿ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ﴾ ـ الآية ـ ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾: نصبه بـ(كان)؛ أي: يصدِّقُ هذا القرآنُ الكُتبَ المتقدِّمة، ولو كان محمَّد هو الَّذي افتراه مِن عند نفسِه لم يخرج موافِقًا لها؛ لأنَّ محمَّدًا لم يعرف سائر الكتب، ولَمَّا خرج موافقًا لها دلَّ أنَّه مِن عند اللهِ جاء؛ قال تعالى: ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ ﴾ الآية [العنكبوت: ٤٨].

---

(١) المصدر السابق، الموضع نفسه.

(٢) قوله: «كذلك الذي يُحِيْلُ لكونه مفترًى في نفسِه» كذا في النسخ، وعبارة «التأويلات»: (فذلك بالذي يحيل كونه مفترى بجوهره). انظر: «تأويلات أهل السنة» (ط: الرسالة ناشرون) (٢/ ٤٨٠).

(٣) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٦/ ٤٣).

وقوله تعالى: ﴿وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾: أي: ما كُتِبَ لهم وعليهم.

وقال الحسنُ: ﴿وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾: الوعدَ لِمَنْ أطاعَه بالنَّعيم المقيم، والوعيدَ لِمَنْ عصاه بالعذاب الأليم(١).

وقوله تعالى: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: أي: لا شكَّ فيه أنَّه كلامُ ربِّ الخلائق أجمعين.

* * *

(٣٨) ـ ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾: أم ينسبونه(٢)، على استفهام فعلِه(٣)، فيتَّصل بقوله: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا﴾ [يونس: ٢]، أو يُضمَر هاهنا استفهام، وهو: أفيعترفون بهذا أم يقولون افتراه.

وقيل: بل معناه كما في قوله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ﴾ [الطور: ٣٣].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾: وهذا أمرُ إعجاز؛ أي: أنتم أصحابُ لسانٍ وبيانٍ، وإنَّما أنا رجل منكم، فتكلَّفوا أنتم أن تأتوا بسورةٍ مثلِ هذا القرآن في نظمِه وصحَّة معانيه وزوال الاختلاف عنه، فاستعينوا بمَن استطعتم مِن خلق الله تعالى إنْ كنتم صادقين أنَّه مفترًى، وأنَّ محمَّدًا يقدر على الإتيان بقرآن غيره وتبديله.

---

(١) ذكره الواحدي في «البسيط» (١١/ ٢٠١).

(٢) في (أ): «أم بينوه» وليست منقطة، وفي (ف): «أم ينسق به».

(٣) في (أ): «قوله».

وقال القشيريُّ رحمه الله: انسدَّتْ بصائرُهم، فلم يزدادوا بكثرة السَّماع إلَّا عمًى على عمًى، كما أنَّ أهلَ الحقيقة ما ازدادوا إلَّا هدًى على هدًى، فسبحانَ مَن جعلَ سماعَ خطابِه لقومٍ سببَ تحيُّرهم، ولآخرين مُوجِبَ تبصُّرهم(١).

* * *

(٣٩) ـ ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾؛ أي: ليسَ تكذيبُهم القرآنَ لكونه مفترًى عندهم بيقينٍ، مِن غير إحاطةِ علمِهم به أنَّه كذلك، ولم تأتهم حقيقةُ ما تؤول إليه عاقبةُ مَن كذَّب به مِن نزول النِّقمة بهم.

وقال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: ﴿تَأْوِيلُهُ﴾: ما يكون منه في الدُّنيا وما يكون منه في القيامة مِن العذاب(٢).

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: قيل: بل كذَّبوا بالبديهة مالم يحفظوا نظمَه ولا لفظَه، ولا نظروا فيه، ولا تدبَّروا ليعلموا معناه وتأويله وتفسيره(٣).

وقوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾: أي: مِن الأمم رسلَهم تسرُّعًا لا تثبُّتًا.

وقوله تعالى: ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾: أي: الَّذين ظلموا نفوسَهم وعقولَهم كيف نزل بهم العذابُ، فليتَّقِ هؤلاء أن تكون عاقبتُهم كذلك.

وهو تسليةٌ للنَّبيِّ عليه الصَّلاة والسَّلام، وتخويفٌ للمكذِّبين.

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٢/ ٩٦).

(٢) ذكره الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (٦/ ٤٤).

(٣) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٦/ ٤٣).

(٤٠) ـ ﴿وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ﴾ قال الكلبيُّ ومقاتل: ومِن أهل مكَّة مَن سيؤمنُ بالقرآن ويصدِّق به[١].

﴿وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦ﴾: أي: لا يصدِّق أنَّه مِن عند الله.

﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ﴾ في الأرض بالمعاصي، وقيل: مَن يدوم منهم على فسادِ الكفر ممَّن يتوبُ منهم.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: أي: على علمٍ بما يكون منهم، خلقَهم لا عن غفلةٍ وجهلٍ، لا يضرُّه فسادُ مفسِدٍ، ولا ينفعُه صلاحُ مصلحٍ.

ويحتمل أنَّه على الوعيد والتَّهديد[٢].

* * *

(٤١) ـ ﴿وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾: أي: فإنْ كذَّبوك قبلَ أن يكون إيمانُ مَن علمَ اللهُ أنَّه يؤمِنُ فقل لهم: لي عملي في التَّبليغ والتَّنبيه، ولكم عملكم الَّذي تُؤْثِرونَه لأنفسكم، وأنتم بريئون ممَّا أعمل وأنا بريء ممَّا تعملون، كلٌّ يُحاسَبُ على عملِه دونَ عملِ غيرِه.

وقال الكلبيُّ ومقاتل: نسخَتْها آيةُ القتال[٣].

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٢٣٩). وذكره عن الكلبي الواحدي في «البسيط» (١١/ ٢٠٤).

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٦/ ٤٥).

(٣) ذكره عنهما الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ١٣٣)، والواحدي في «الوسيط» (٢/ ٥٤٨). ورواه الطبري =

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: بَرِحَ[1] الخفاءُ، وكُشِفَ الغِطاءُ، فلا المحسنُ بجُرمِ المسيءِ مُعاقَب، ولا المسيءُ بحُكمِ المحسِنِ مخاطَب، بل كلٌّ بما يعملُه مُحاسَب[2].

***

(٤٢) ـ ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾؛ أي: للرَّدِّ، لا للفهم، و(مِن): اسمُ جنسٍ، فصلح للجمع بمعناه.

وقوله تعالى: ﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ﴾: استفهام بمعنى الجحد؛ أي: لسْتَ بقادرٍ على إفهامِ مَن يتصامَم عن سماعِ الحقِّ، فلا يعقلُه ولا يفهمُه.

***

(٤٣) ـ ﴿وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ﴾: وحَّدَ الفعل لأنَّه واحد في اللَّفظ، وإن كان جمعًا في المعنى للجنس.

وقوله تعالى: ﴿أَفَأَنتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ﴾: أي: كما ليس لك أنْ تُسْمِعَ الصُّمَّ، فتجعلَ لهم أسماعًا يعقلون بها عنك ما تقول، فليسَ لك أن تهدِي العُمْيَ إلى طريقٍ يسلكونَه وهم لا يبصرون، وهو كقوله: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ الآية [القصص: ٥٦].

= في «تفسيره» (١٢/ ١٨٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٩٥٤)، عن ابن زيد.

(١) أي: زال.

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٢/ ٩٧).

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: نفى في الأوَّل العقلَ، وفي الثَّاني البصر؛ لأنَّه بالبصر يُتوصَّلُ إلى اهتداء الطُّرُقِ والسُّلوك فيها، ألا ترى أنَّ البهائمَ قد تُبْصرُ الطُّرُقَ وتَسلكُ فيها، وتتقي بها المهالِكَ، ولا تَعقِل لِمَا ليس لها سماع العقل مع سماعها الصَّوت، فبظاهرِ البصرِ تبصِرُ الأشياء، وبظاهرِ السَّمع بدون العقل لا تعرفُ الأشياء(١).

* * *

(٤٤) ـ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ ٱلنَّاسَ شَيۡـٔٗا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ ٱلنَّاسَ شَيۡـٔٗا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴾: أخبرَ أنَّ ما حلَّ بأولئك مِن عذاب الاستئصال فإنَّما حلَّ بهم بظلمِهم أنفسَهم، واللهُ تعالى مُنزَّه عن أنْ يظلمَ أحدًا مِن خلقِه.

وقيل: إنَّ اللهَ تعالى لا ينقصُ مِن ثواب العباد شيئًا، ولكنهم ينقصون ذلك بفعلِهم.

* * *

(٤٥) ـ ﴿ وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ كَأَن لَّمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةٗ مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيۡنَهُمۡۚ قَدۡ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ ﴾: أي: اذكر يومَ نحشرُهم إلى الموقف ﴿كَأَن لَّمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةٗ مِّنَ ٱلنَّهَارِ ﴾: وهي مقدارٌ مِن الزَّمان يُقسَم به اليومُ واللَّيلة على أربعةٍ وعشرين منها، ذكَّرَهم القيامة وما فيها من الجزاء ليخافوا ويتهيَّؤوا لها.

---

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٦/ ٤٦)، والعبارة الأخيرة فيه بلفظ: (ولا تعقل لما ليس لها سمع العقل، فلا تعقل لما يسمع القلب بعقل، وبظاهر البصر تبصِر الأشياء).

قال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: ﴿كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓا۟﴾ في قبورِهم ﴿إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ﴾[(١)].

وقال الضَّحَّاكُ: قصرَتِ الدُّنيا في قلوبِهم مِن هولِ ما استقبلوا، فكأنَّهم لم يلبثوا في الدُّنيا إلَّا ساعة[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾: يعرفُ بعضُهم بعضًا ساعةً، ثمَّ تنقطع المعرفة؛ قال تعالى: ﴿وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾ [المعارج: ١٠]، وقال تعالى: ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠١].

وقوله تعالى: ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ﴾: قيل: هو حالهم حين خسروا.

وقيل: هو ابتداءٌ، ومعناه: قد هلكَ وغُبِنَ المكذِّبون بالقيامة اغترارًا بالحياة الدُّنيا، وهذه حالها.

﴿وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ﴾: حيث اعتقدوا التَّكذيب بالقيامة.

ويحتمل أن يكون قولُه: ﴿وَمَا كَانُوا۟﴾ عطفًا على قوله: ﴿كَذَّبُوا۟﴾، ويحتمل أن يكون عطفًا على قوله: ﴿قَدْ خَسِرَ﴾.

قال الإمام القشيريُّ رحمه الله: الأيَّام بعد مضيِّها في حكمِ اللَّحظةِ لمن أمكن فيها، ومتى يكون لها أثرٌ بعد تقضِّيها؟ والآتي من الوقت قريبٌ كأنْ قَد، والماضي مِن الدَّهر بعيدٌ كأن[(٣)] لم يُعهَد[(٤)].

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ١٣٤)، والواحدي في «البسيط» (١١/ ٢١٠).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ١٣٤).

(٣) في (ر): «والآتي من الوقت قريب، وكان الماضي من الدهر بعيد كأن»، وفي «تأويلات أهل السنة»: «والآتي من الوقت قريب، وكأنّ قدر الماضي من الدهر».

(٤) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٩٨). ووقع في (ر): «والآتي من الوقت قريب، وكأن الماضي من الدهر بعيد كأن لم يعهد»، وفي «اللطائف»: «والآتي من الوقت قريب، وكأنّ قدر الماضي من الدهر لم يعهد».

(٤٦) ـ ﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ﴾ أصلُه: وإنْ ما؛ (إن): للشَّرط، و(ما): صلة، والنُّون للتَّوكيد، ومعناه: وإنْ أريناك.

وقال مقاتل: ﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ﴾ في حياتك ﴿بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ﴾ من العذاب؛ يعني: القتلَ ببدر ﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ قبل عذابهم[1].

فكان البعضُ هو القتلُ ببدرٍ، وسائرُ العذابِ نزلَ بهم بعد الموت.

﴿فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾: بعدَ الموتِ، فنجزيهم بأعمالهم.

﴿ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ﴾: ﴿ثُمَّ﴾ لترتيب الإخبار؛ أي: ثم ليُخبركم أنَّ اللهَ شهيدٌ ﴿عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ﴾ مِن الكفر والمعاصي، فيجزيهم عليها.

* * *

(٤٧) ـ ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ قُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ قُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾: قال مقاتل: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ﴾ فيما خلا ﴿رَّسُولٌ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ﴾ في الآخرة ﴿قُضِىَ بَيْنَهُم﴾ بالعدل، كما يُقضى بينَكَ وبينَ أمَّتك ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ في أعمالهم، فلا يُنقصون من محاسنهم، ولا يزادون على مساوئهم[2].

وقال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: فإذا جاء رسولهم فكذَّبوه قضي بينهم وبين

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٢٤٠).

(٢) المصدر السابق، الموضع نفسه.

رسولهم يوم القيامة، فيقول الله تعالى: ألم يأتكم رسلٌ بكتبي؟ فيقولون: ما أتانا منك رسولٌ ولا كتابٌ، ثم يُؤتَى بالرَّسول فيقول: قد أبلغتُهم كتابَك ورسالاتِك، فيقول الله تعالى: مَن يشهدُ لك؟ فيقول: الملائكة، فتُدعَى الملائكة، فيقولون: نشهدُ أنَّه قد بلَّغ(١).

وقال عطيَّة العوفي: فإذا جاء رسولهم وبلَّغهم الرِّسالةَ، فكذَّبوه، قضي بينهم وبين رسولهم في الدُّنيا بالعدل، فعُذِّبَ المكذِّبون، ونجا الرُّسل والمؤمنون، ﴿وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾ لا يُعذَّبُ أحدٌ بغير ذنبٍ، ولا على غير حجَّةٍ، قال الله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا﴾ [الإسراء: ١٥](٢).

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: لم يخلُ زمانٌ مِن شرعٍ، ولم يخلُ شرعٌ مِن حكمٍ، ولم يخلُ حكمٌ عمَّا يتعقَّبه مِن ثواب أو عقاب(٣).

* * *

(٤٨) ـ ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾: قال مقاتلٌ: لَمَّا قالَ: ﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعۡضَ ٱلَّذِي نَعِدُهُمۡ﴾ يعني: من العذاب، قالوا: ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ أنَّ العذابَ نازلٌ بنا، فنزل هذا(٤).

* * *

---

(١) ذكره الواحدي في «البسيط» (١١/ ٢١٨) دون قوله: «فيقول الله تعالى: مَن يشهدُ لك...إلخ».

(٢) ذكره الواحدي في «البسيط» مفرقاً (١١/ ٢١٧ و٢١٩).

(٣) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٢/ ٩٩).

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٢٤٠).

(٤٩) ـ ﴿ قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِى ضَرّٗا وَلَا نَفۡعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۗ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌۚ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ فَلَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِى ضَرّٗا وَلَا نَفۡعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ﴾: أنْ يملِّكَنيه، وهكذا لا أملكُ إنزالَ العذابِ بكم الآن.

وقوله تعالى: ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌۚ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ فَلَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ ﴾: قال مقاتل: قلْ يا محمَّد لكفَّار مكَّة: لا أملكُ لنفسي دفعَ سُوء عنها، ولا سَوق خيرٍ إليها، إلَّا ما شاء الله فيصيبني، فكيف أملكُ إنزالَ العذابِ بكم، ولكلِّ أمَّة وقتٌ معلوم للعذاب، مكتوبٌ في اللوح المحفوظ، فإذا جاءَ وقتُ عذابِهم لا يتقدَّمون ساعةً حتَّى يُعذَّبوا ولا يتأخَّرون، فكذلك هذه الأمَّة[١].

والعذابُ: القتلُ ببدر.

* * *

(٥٠) ـ ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِنۡ أَتَىٰكُمۡ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوۡ نَهَارٗا مَّاذَا يَسۡتَعۡجِلُ مِنۡهُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِنۡ أَتَىٰكُمۡ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوۡ نَهَارٗا مَّاذَا يَسۡتَعۡجِلُ مِنۡهُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴾: قيل: فيه تقديمٌ وتأخيرٌ وإضمارٌ، وتقديرُه: ما ترَوْن وما تقولون ماذا يستعجِل منه المشركون إنْ أتاكم عذابُه الذي تستعجلونَه أخذًا بالنَّهار وباللَّيل، كيف تصنعون؟

وقال القشيريُّ رحمه الله: مَنْ عرَفَ كمالَ القُدْرةِ لم يأمَنْ مِنْ أخذِ الفَجأة، ومَن خافَ البياتَ لم يستلذَّ السُّبات، ومَنْ توسَّد الغفلة أيقظَتْه فجأة العقوبة، ومَنْ استوطأ مركبَ الزَّلَّة عثرَ به في وَهْدة المحنة[٢].

---

(١) المصدر السابق (٢/ ٢٤١).

(٢) انظر: «لطائف الإشارت» للقشيري (٢/ ١٠٠).

وقالَتْ بنتُ الرَّبيعِ بنِ خُثَيْمٍ لأبيها: ما لَكَ لا تنام؟ فقالَ: إنَّ أباكِ يخافُ البيات[١].

* * *

(٥١) ـ ﴿ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓۚ ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ كُنتُم بِهِۦ تَسۡتَعۡجِلُونَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ ﴾: استفهامٌ بمعنى التَّوبيخ؛ أي: بعدَما استعجلْتُم العذابَ إذا وقعَ آمنتم بالله، وهو غيرُ نافعٍ لكم؛ لأَنَّه إيمانُ يأسٍ.

وقيل: ﴿ءَامَنتُم ﴾؛ أي: صدَّقْتُم بالعذابِ، وكنتم تستعجلون به استهزاءً وتكذيبًا، وحين رأيتم صدَّقتم به.

وقوله تعالى: ﴿ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ كُنتُم بِهِۦ تَسۡتَعۡجِلُونَ ﴾: أي: ويقال لهم ذلك، والألف المقطوعةُ في أوَّله استفهام بمعنى التَّوبيخ.

و﴿ءَآلۡـَٰٔنَ ﴾ أصلُه مِن قولِكَ: آنَ لَكَ أنْ تفعلَ كذا، أُدخلَتْ عليه الألف واللَّام للتَّعريف وجُعل كالاسم، وتُرك على الفتحة لأنَّه فعلٌ في الأصل، وهو كما رُوي: نهى النَّبيُّ ﷺ عن قِيْلٍ وقالٍ[٢]. جُعلا كالاسمَيْنِ، وتُرِكا على ما كانا فِعْلَيْن.

يعني: يُقال لهم: آلآن تؤمنون وترجون الانتفاع به.

قوله تعالى: ﴿وَقَدۡ كُنتُم ﴾ في مَهَلٍ لو أردْتُم فيه الإيمان لأمكَنكُم، ولم تفعلوا، والآنَ حين ارتفعَ الابتلاء ترجون الانتفاع بالإيمان الذي لا اختيار لكم فيه على الغيب، بل أنتم إليه مضطرون.

---

(١) رواه الإمام أحمد في «الورع» (٢٥٣)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٩٥٤، ٩٥٥).

(٢) رواه البخاري (٦٤٧٣)، ومسلم (٥٩٣)، من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه. وهذا الكلام في ﴿ءَآلۡـَٰٔنَ ﴾ منقول من «معاني القرآن» للفراء (١/ ٤٦٨).

أي: إنَّ هذا ممَّا لا يكون.

وهذه أشياء لم تكن بعدُ، وأخبرَ عنها بفعلٍ ماضٍ تنبيهًا على أنَّها كائنةٌ لا محالةَ، وهو كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ﴾ [المائدة: ١١٦].

* * *

(٥٢) ـ ﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أنفسَهم بالشِّرك والتَّكذيب: ﴿ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾: ذوقوا هذا العذابَ، فإنَّه خالدٌ لكم لا يزول، تصيرون إلى القبر فتُعذَّبون فيه، ثمَّ تُبعَثون فتُحشرون إلى جهنَّم، فتُعذَّبون فيها خالدين، وهو جزاءٌ وِفاقٌ لكسْبِكُم.

* * *

(٥٣) ـ ﴿وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ﴾: أي: ويستخبرونك يا محمَّد بعدَ هذا الاقتصاص منك عليهم: أحقٌّ ما تقولُ، وأنت فيه جادٌّ متيقِّنٌ للصِّدق فيه؛ أي: إنَّ هذا عجيبٌ.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِي وَرَبِّي﴾: أي: قلْ: نعم، أقسم بالله ﴿إِنَّهُ لَحَقٌّ﴾، و(إي) لا يُقال إلَّا مع الأيمان، ولا يُذكَر على الإفراد.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾: أي: بفائتين.

وقال الكلبيُّ: ويستخبرونَكَ ـ أي: أهلُ مكَّة ـ: أحَقٌّ ما جئْتَنا به مِن نزول العذاب بنا، والبعْثِ بعد الموت؟ قل: نعم، إي وربِّي إنَّ العذابَ نازلٌ بكم، وما أنتم عليه بفائتين[١].

---

(١) ذكره الواحدي في «البسيط» (١١/ ٢٢٣).

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: ويحتمل: أَحَقٌّ ما تدعونا إليه مِن التَّوحيد، وهو كقولهم لإبراهيم عليه السلام: ﴿أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٥٥]، وقولِهم لموسى عليه السلام: ﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾ [البقرة: ٦٧][(١)].

* * *

(٥٤) - ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ ۗ وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ ۖ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ﴾ قال الإمام أبو منصور رحمه الله: أخبرَ أنَّه لو كان لكلِّ نفسٍ أشركَتْ جميعُ ما في الدُّنيا مُلكًا لها لافتدَتْ به عندَ نزولِ العذابِ به لشدَّة العذاب طلبًا للخَلاص، وإنْ كانَ الَّذي منعَ الكفَّار عن الإيمان هو حبُّهم الدُّنيا وحرصُهم عليها وبخلُهم بها، وقال الله تعالى: ﴿وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ الآية [يونس: ٧][(٢)].

وقوله تعالى: ﴿وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ﴾: هذا ابتداءٌ غيرُ معلَّقٍ بـ(لو)، ومعناه: أخفَوها؛ أي: عن أتْباعِهم.

وقيل: أي: أضمروها على ما كان منهم مِن التَّكذيب.

وقيل: أي: أظهروها، والإسرارُ لغةٌ في الإظهار والإخفاء جميعًا، وهو مِن الأضداد، وهو قولهم: ﴿يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ﴾ [الأنعام: ٢٧] ونحوُ ذلك.

وقوله تعالى: ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ﴾: أي: بالعدل؛ أي: يُجزى المحسنُ

---

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٦/ ٥١).

(٢) المصدر السابق (٦/ ٥٢).

على إحسانه، والمسيءُ على إساءتِه، فلا يُنقَصُ مِن ثوابٍ ولا يُزادُ على عِقابٍ ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾.

ثمَّ قوله: ﴿وَأَسَرُّوا﴾ ﴿وَقُضِيَ﴾ ماضٍ ومعناه المستقبل؛ لأنَّه مِن أمور الآخرة، لكنَّها كائنةٌ لا محالة، فلذلك ذكرَه بصيغة التَّحقيق.

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: أي: لا يُقبَلُ منهم صَرْفٌ ولا عَدْلٌ، ولا يقعُ فيما سبقَ مِن الوعيدِ خُلْفٌ، ولا تنفعُهم نَدامةٌ وإنْ صدَّقوها، ولا ينالهم كرامةٌ وإنْ طلبوها، ولا يجري عليهم ظلمٌ في الجزاء، كلَّا، بل هو اللهُ العَدْلُ في القضاء، والفَرْدُ في العَلاء، بنعت الكبرياء(١).

* * *

(٥٥) ـ ﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَلَآ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: أي: ليسَ للظَّالم مُلْكُ ما في الأرض ليفتديَ به، بل للهِ.

ووجهٌ آخر: أنَّه قادرٌ على تحقيقِ ما أَوعدَ به؛ لأنَّه مالكُ ما في السَّماوات وما في الأرض.

وقوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾: أي: كائنٌ، بالرَّحمة كانَ أو بالعذاب.

وقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾: قال الإمام أبو منصور رحمه الله:

أي: لا ينتفعون بعلومِهم.

ويحتمل: لا يكتسبون سببَ العلمِ بالتَّأمُّل والنَّظر في الأدلَّة.

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٢/ ١٠١).

وقال في أوَّل الآية: فيه[١] دلالة البعث مِن وجهَيْن:

أحدهما: أنَّ مَن قدرَ على إيجاد السَّماوات والأرض لا عن شيءٍ قدرَ على إحياء الخلق بعدَ إفنائهم.

والثَّاني: أنَّ خلقَ السَّماوات والأرض وتعليقَ منافعِ بعضِها ببعض والإفضالِ على الخلق بأنواعِ النِّعم مِن كمال الحكمة، وقد أخبرَ أنَّه ما خلقَهما باطلًا، فلو كانَتا للفناءِ ولا حياةَ بعدَه كانَ يكون خارجًا عن الحكمةِ، ولا وجهَ له[٢].

* * *

(٥٦) ـ ﴿هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾: تحقيقُ الأوَّل.

وقال الإمام القشيري رحمه الله: يحيي القلوبَ بأنوار المشاهدات، ويميْتُ النُّفوسَ بأنواع المجاهدات.

قال: ويُقال: يحيي مَن أقبلَ عليه، ويميْتُ مَن أعرضَ عنه، يحيي بالرَّجاء ويميْتُ بالقنوط[٣].

* * *

(٥٧) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾.

---

(١) في (أ): «إليه»، وفي (ر) و(ف): «إنه»، والمثبت من «التأويلات».

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٦/ ٥٣ ـ ٥٤).

(٣) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٢/ ١٠١).

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾: قال ابنُ عبَّاس رضي الله عنهما: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ يعني: قريشًا ﴿قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ يعني: في القرآن، وهي ما دعا إلى النُّسك والخشوع، وصرفَ عن الإثم والفسوق[١].

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: قيل: هي النَّهيُ، قال الله تعالى: ﴿يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ﴾ [النور: ١٧]؛ أي: ينهاكم.

قال: وقيل: هي الَّتي تدعو إلى كلِّ مرغوبٍ، وتزجرُ عن كلِّ مرهوبٍ.

قال: وقيل: هي الَّتي تُلينُ كلَّ قلبٍ قاسٍ، وتُجلِّي كلَّ قلبٍ مُظلمٍ[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ﴾: الشِّفاءُ: كالدَّواء لإزالة الدَّاء، وداءُ الجهل أضرُّ مِن داء البدن، وعلاجُه أعسرُ، وأطباؤه أقلُّ، والشِّفاء منه أجلُّ:

لكلِّ داءٍ دواءٌ يُستَطَبُّ بِهِ إلَّا الحماقةَ[٣] أعيَتْ مَنْ يُداويها[٤]

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: شفاءُ كلِّ أحدٍ على حسب حاله، فشفاء المذنبين بوجود الرَّحمة، وشفاء المطيعين بوجود النِّعمة، وشفاء العارفين بوجود القُرْبة، وشفاء الواجدين بوجود الحقيقة.

و[يقال]: شفاء العاصين بوجود النَّجاة، وشفاء المطيعين بوجود الدَّرجات، وشفاء العارفين بالقُرْب والمناجاة[٥].

---

(١) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٢/ ٥٥٠)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ٤٠).

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٦/ ٥٤).

(٣) في (ر): «الجهالة».

(٤) البيت مشهور ولا يعرف قائله، انظر: «العقد» لابن عبد ربه (٢/ ٢٢٦)، و«محاضرات الأدباء» للراغب الأصبهاني (١/ ٢٨)، و«أساس البلاغة» للزمخشري (مادة: طبب).

(٥) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٢/ ١٠٢)، وما بين معكوفتين منه.

وقوله تعالى: ﴿وَهُدًى﴾: أي: إرشاد إلى الصَّواب ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ منه؛ أي: مِن الله تعالى على عبادِه، ببيان شرائع الدِّين والأمورِ الَّتي توصلُهم إلى جنَّته ونعمته.

وقوله تعالى: ﴿لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾: أي: هم الَّذين ينتفعون بها.

وقيل: ﴿وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾؛ أي: تخليصٌ مِن العذاب للَّذين يؤمنون به؛ أي: يصدِّقون بأنَّه مِن عند الله.

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: الموعظةُ لأربابِ الغيبة ليتوبوا، والشِّفاء لأصحاب الحضور ليَطِيبوا.

قال: وقيل: الموعظةُ للعوامّ، والشِّفاء للخواصّ، والهُدى لخاصِّ الخاصّ، والرَّحمة لجميعهم، وبرحمته وصلوا إلى ذلك[1].

***

(٥٨) ـ ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ﴾: الفَضْلُ: الزِّيادة في النِّعمة، وفَضْلُ اللهِ: إفضالُه، كالنَّبات يجيء بمعنى الإنبات؛ قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ [نوح: ١٧].

أي: قلْ يا محمَّد لهؤلاء الَّذين هِمَّتُهم جمعُ الأموال وأسباب الرِّفعة في الدُّنيا، لا الإيمان: بفضل الله وبرحمته افرحوا، لا بالمال وأسبابِ الجلال والجمال، وهو قوله تعالى:

﴿فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾: قرأ الحسنُ بتاء المخاطبة[2]، وكان الكسائيُّ يَعيب هذه

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٢/ ١٠٢).

(٢) ذكرها عنه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ١٩٨)، وهي رواية رويس عن يعقوب. انظر: «حجة =

القراءة، والفرَّاء يجيزُها؛ لأنَّه رَدٌّ إلى الأصل، وهو قوله عليه الصَّلاة والسَّلام: «لتأخذوا مصافَّكم»[1].

وقراءة العامَّة بياء المغايبة.

واللام في أمر المغايبة لازمة، وفي المخاطبة جائزة.

وقوله تعالى: ﴿هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾: هو يرجع إلى قوله: ﴿فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾، وذلك يرجع إلى ما سبق ذكرُه، وهو فضل الله ورحمته.

= القراءات» لابن زنجلة (ص: ٣٣٣)، و«النشر» لابن الجزري (٢/ ٢٨٥).

ورويت عن أبي بن كعب رضي الله عنه رفعاً ووقفاً، والصواب الوقف، فقد رواه سعيد بن منصور في «سننه» (١٠٦٢ ـ تفسير) عن أُبيِّ بنِ كعبٍ، قال: قال لي رسولُ اللهِ ﷺ: «أُمِرْتُ أنْ أَقرأَ عليكَ القرآنَ»، قال: قُلْتُ: سَمَّاني لك ربِّي؟ قال: «نَعَمْ»، فتَلَا: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ قال: بكتاب اللهِ وبالإسلامِ خَيرٌ مما يجمعون. والصواب أن المرفوع من هذا الحديث ينتهي عند قوله: «نعم»، أما الآية فقد جاء في كثير من الروايات أن الذي قرأها هو أبي رضي الله عنه، وأنه قرأ فيها: ﴿فلتفرحوا﴾ بالتاء، انظر: «مصنف ابن ابي شيبة» (٣٠٩٣٧) تحقيق محمد عوامة، و«مسند أحمد» (٢١٢٣٧)، و«خلق أفعال العباد» (٥٣٤)، و«سنن أبي داود» (٣٩٧٩)، و«شرح معاني الآثار» (٥٥٨٧). ويشهد لذلك أن الحديث رواه البخاري (٣٨٠٩)، ومسلم (٧٩٩)، عن أنس رضي الله عنه، وينتهي عند قوله: «نعم».

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٤٦٩ ـ ٤٧٠). وقد رد الطبري كلام الفراء في «تفسيره» (١٢/ ١٩٨).

وحديث: «لتأخذوا مصافكم» كذا تناقلته كتب النحو والتفسير. انظر: «الجمل في النحو» للخليل (ص: ٢٦٧)، و«اللامات» للزجاجي (ص: ٩٣)، و«تفسير الثعلبي» (٥/ ١٣٦)، و«الكشاف» للزمخشري (٢/ ٣٥٣)، و«الإنصاف في مسائل الخلاف» (٢/ ٤٢٧).

ورواه الإمام أحمد في «المسند» (٢٢١٠٩)، والترمذي (٣٢٣٥) وصححه، من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه بلفظ: «على مصافكم كما أنتم»، ولا شاهد فيه.

وقيل: هما يرجعان إلى القرآن؛ لأنَّها تتَّصل بالآية الأولى وهي في ذكر القرآن، وفيه الفضل والرَّحمة: أمَّا الرَّحمة فقد قال في الآية الأولى: ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةٌ﴾، وأمَّا الفضل فقد قال: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ﴾ إلى أن قال: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ﴾ [الجمعة: ٢ ـ ٤].

وقال ابن عبَّاس رضي الله عنهما والحسن وقتادة وجماعة: فضلُ الله: الإسلام، ورحمتُه: القرآنُ[١].

وقال الضَّحَّاكُ على عكسه[٢].

وقال أبو سعيد الخدريُّ: فضلُ الله: القرآنُ، ورحمتُه: أن جعلَكم مِن أهلِه[٣].

وقال ابن عمر رضي الله عنهما: فضلُ الله: الإسلامُ، ورحمتُه: تزيينُه في قلوبكم؛ قال تعالى: ﴿حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات: ٧][٤].

وقال خالدُ بن مَعْدَان: فضلُ الله: الإسلامُ، ورحمتُه: سترُه[٥].

وقال عبد العزيز بن يحيى[٦]: فضلُ الله: النِّعمُ الظَّاهرة، ورحمتُه: النِّعمُ الباطنة.

---

(١) رواه عنهم الطبري في «تفسيره» (١٢/ ١٩٦ ـ ١٩٧).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ١٩٧).

(٣) رواه سعيد بن منصور في «سننه» (١٠٦٤ ـ تفسير)، والطبري في «تفسيره» (١٢/ ١٩٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٩٥٨).

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ١٣٥).

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ١٣٥). وفيه: «السنة» بدل «ستره».

(٦) في المطبوع من «تفسير الثعلبي»: (الكسائي) بدل «عبد العزيز بن يحيى»، وفي مطبوع دار التفسير: «الكتاني»، وكلاهما محرف عن: (الكناني)، وهو كما أثبت المصنف هنا: عبد العزيز بن يحيى الكناني المكي المتكلم، كان من أهل الفضل والعلم، وله مصنفات عدة، وينسب له «كتاب الحيدة» =

وقال أبو بكر الورَّاق: فضلُ الله: النَّعماء، وهو ما أعطى وحَبَا، ورحمتُه: الآلاء، وهو ما صرفَ وزوَى.

وقال سفيان بن عيينة: فضلُ الله: التَّوفيقُ، ورحمتُه: العصمة.

وقال سهل بن عبد الله: فضلُ الله: الإسلامُ، ورحمتُه: السُّنَّة.

وقال الحسين بن الفضل: فضلُ الله: الإيمانُ، ورحمتُه: الجنَّة.

وقال ذو النُّون المصري: فضلُ الله: دخول الجنان، ورحمتُه: النَّجاةُ من النِّيران[1].

وروى أبيُّ بن كعبٍ رضي الله عنه، عن النَّبيِّ ﷺ: ﴿بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ﴾ قال: «بكتاب الله والإسلام»[2].

وقيل: فضلُ الله: الإسلامُ، ورحمتُه: الثَّباتُ على الإسلام.

وقيل: فضلُ الله تعالى: الإسلامُ، ورحمتُه: أنْ جعلَنا مِن أمَّة محمَّد عليه الصَّلاة والسَّلام.

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: فضلُ الله: ما أباحَ لهم مِن الخيرات، ورحمتُه: ما أزاح عنهم من الآفات.

وفضلُ الله: ما أكرمَهم به مِن إجراء الطَّاعات، ورحمتُه: ما عصمَهم [به] مِن ارتكاب الزَّلَّات.

= وأنكر الذهبي نسبته إليه، وكان ممَّن تفقَّه بالشَّافعي واشتهر بصحبته، وهو الذي ناظر بشراً المريسي عند المأمون في نفي خلق القرآن، وتوفي في حدود (٢٤٠هـ). انظر: «تاريخ بغداد» (١٢/ ٢١٢)، و«طبقات الفقهاء» للشيرازي (ص: ١٠٣)، و«تاريخ الإسلام» للذهبي (٥/ ٨٧٣)، و«الوافي بالوفيات» للصفدي (١٨/ ٣٤٨).

(١) ذكر هذه الآثار الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ١٣٥).

(٢) رواه سعيد بن منصور في «سننه ـ التفسير» (١٠٦٢)، والصواب وقفه على أبيٍّ كما تقدم قريباً.

وفضلُ الله: دوامُ التَّوفيق، ورحمتُه: تمام التَّحقيق.

فضلُ الله: ما اختصَّ به أهل الطَّاعات مِن صنوف إحسانِه، ورحمتُه: ما يختصُّ به أهل الزَّلات مِن وجوه غفرانه.

فضلُ الله: المعرفةُ في البداية، ورحمتُه: المغفرةُ في النِّهاية.

فضلُ الله: أنْ أقامَك لشهود الطَّلب، ورحمتُه: أنْ رزقَكَ الوجود بعد الطَّلب.

فضلُ الله: أنْ عرَّفك بشرط البرهان، ورحمتُه: أنْ أشهدَكَ بحكم البيان إلى أنْ تراه غدًا بكشف العِيَان.

فضلُ الله: الرُّؤية، ورحمتُه: إبقاؤهم في حالة الرُّؤية.

وقوله تعالى: ﴿فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾؛ أي: بما أهَّلَكم له، لا بما تتكلَّفون مِن حركاتِكم وسكناتِكم، وتَصِلون إليه بنوعٍ مِن تصنُّعكم وتعمُّلكم.

﴿هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ مِن الأموال الوافية، ويتَّصفون به من الأحوال الزَّاكية[١].

قال: ويُقال: الذي لك منه في سابق القسمة خيرٌ لك ممَّا تكلَّفْتَه مِن صنوف الطَّاعة والخدمة[٢].

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: وفي الآية: أنَّ الله تعالى بإنزال القرآن تفضَّل؛ إذْ له ألَّا ينزِّل، وفيه: أنَّ أهل الفترة يُؤاخذون في حال فَتْرتهم[٣].

---

(١) العبارة في «اللطائف»: «﴿هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾؛ أي: ما تتحفون به من الأحوال الزاكية خير مما تجمعون من الأموال الوافية».

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٢/ ١٠٢ ـ ١٠٣).

(٣) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٦/ ٥٥).

(٥٩) ـ ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا﴾: قال الإمام أبو منصور رحمه الله: أضافَ إنزاله إلى السَّماء وإنْ كانت الأرزاقُ إنَّما تخرجُ مِن الأرض؛ لِمَا أنَّ أسبابَها متعلِّقة بالسَّماء مِن المطر والشَّمس والقمر، في الإنبات والإنضاج والتَّلوين، وقال تعالى: ﴿وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ﴾ [الذاريات: ٢٢]، وهو على هذا.

ويحتمِلُ قولُه: ﴿أَنزَلَ﴾؛ أي: خلقَ، كما قال تعالى: ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾ [الزمر: ٦].

وقوله: ﴿فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا﴾ [يونس: ٥٩]: مِن البَحيرة والسَّائبة والوَصيلة والحامي.

وقيل: ما جَعَلوا لله ممَّا ذَرأَ مِن الحَرْثِ والأنعامِ[١]. وقد مرَّ بيانُ الأمرَيْن.

وفيه دليلٌ على أنَّ الحرام مِن رِزق الله كالحلال.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ﴾: استفهام بمعنى الإنكار ﴿أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾؛ أي: بل على الله تَكْذِبون.

وقال الكلبيُّ: قلْ يا محمَّد لأهل مكَّة: أرأيتم ما أنزلَ اللهُ لكم في الكتاب مِن رزقٍ حلالًا، فجعلْتُم ممَّا رزقَكم اللهُ حرامًا على النِّساء وحلالًا على الرِّجال، وهذا في شأن البَحيرة والسَّائبة والوصيلة والحامي، قُلْ: آلله أمركم به أم على الله تختلقونَ الكذبَ ما لم يأمُر به[٢].

---

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٦/ ٥٥).

(٢) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ١٢٢) دون نسبة.

وقال مقاتل: قلْ لكفَّار مكَّة قريشٍ وخزاعةَ وثَقيفٍ وعامرِ بن صعصعةَ وبني مُدْلجٍ وعامر والحارث ابني عبد مناة: ﴿أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ﴾؛ يعني: الحرثَ والأنعام، ﴿فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا﴾ يعني: ما حرَّموا للآلهة من الأنعام، ﴿قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ﴾ بتحريمه، بل على اللهِ تقولون الكذب[1].

* * *

(٦٠) ـ ﴿وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾: استفهامٌ بمعنى التَّوبيخ والتَّقريع، وأضمرَ في آخره: (بالله)؛ أي: وما ظنُّهم باللهِ في يوم القيامة، ماذا يفعلُ بهم جزاءً على افترائهم عليه؟

وقال الإمام الزَّاهد أبو منصور رحمه الله: فإنْ قيل: كيف أُوعدوا بيوم القيامة وهم لا يؤمنون بالبعث؟

قيل له: قد ألزمَهم الحُجَّة على كون[2] البعث بما أقام مِن الدَّلائل، وبما جعلَ في عقولهم من الإيمان به؛ إذْ ليسَ مِن الحكمة خلقُ الخلقِ للفناء خاصَّة.

وبعدُ فإنَّه قد يُوعَد المرء بما لا يَتيقَّنُ به، ويخوَّف عليه وإنْ لم يحطْ علمُه به.

ومعنًى آخر: ﴿وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ لو خرجَ الأمر حقًّا، وظهرَ ما قالَه رسولُ الله ﷺ مِن البعث صدقًا[3].

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٢٤٢). وزاد في هامش (ر): «كقوله: ﴿أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ﴾ يقول: بل أنا خير» وعليها إشارة التصحيح.

(٢) أي: على حصول. وكلمة «كون» ليست في (أ). وفي «التأويلات»: (بكون).

(٣) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٦/ ٥٧).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾: قال الإمام أبو منصور رحمه الله: أي: على كلِّ النَّاس بما ساقَ إلى الكلِّ مِن الرِّزق، كافرهم ومؤمنهم، وبما أخَّر عنهم العذابَ، وبما بعثَ إليهم الرُّسل والكتب من غير أن كانت منهم سابقةُ صنعٍ يستوجبون به ذلك، ومنه خصوص فضلِ الله على المؤمنين(١).

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾ فضلَه وإنعامَه عليهم؛ لجهلهم بمواقع النِّعم الَّتي ساقَها إليهم.

* * *

(٦١) ـ ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ﴾: واتِّصالُه بما قبلَه: إنَّ الله لذو فضل على النَّاس في الإمهال، وليس إمهالُه لخفاء أحوالهم عليه؛ لأنَّك يا محمَّد ما تكون في شأن؛ أي: أمر ﴿وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ﴾؛ أي: وما تقرأ ممَّا أنزلَ عليك ﴿مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ﴾؛ أي: ولا تعمل أنت شيئًا وسائر النَّاس ﴿مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا﴾: عالمِيْنَ به شاهدين عليه.

وقوله تعالى: ﴿إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾؛ أي: تسرعون فيه وتنبسطون وتنتشرون.

﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ﴾: قال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: لا يغيب(٢).

وقرأ الكسائيُّ بكسر الزَّاي وغيره بالضَّم(٣)، وهما لغتان.

---

(١) المصدر السابق، الموضع نفسه.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٢٠٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٩٦٣).

(٣) انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ٣٢٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٣).

ومعنى العُزوب: البُعد والغيبة.

﴿مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ﴾: أي: وزنِ نملةٍ صغيرةٍ.

وقيل: الذَّرُّ: ما يَتراءى في الهواء عندَ وقوعِ الشَّمس في الكوَّة ونحوها.

﴿فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ﴾: قرأ[١] حمزة بالضَّم[٢]، ردًّا على موضع قوله: ﴿مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ﴾؛ لأنَّ ﴿مِن﴾ زائدةٌ لتأكيد النَّفي، وتقديرُه: وما يَعزبُ عن ربك مثقالُ ذرَّة.

﴿إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾: قال أبو روق: هو اللَّوح المحفوظ[٣].

وقيل: أي: هو مثبَتٌ عندَ اللهِ، كتبَه ملائكةُ اللهِ، وأحصاهُ اللهُ.

ويُقال: ردَّهم إلى كتابة ذلك عليهم لعدمِ اكتفائِهم في الامتناع عمَّا نُهُوا عنه برؤيتِهِ وعلمِهِ.

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: خوَّفهم بما عرَّفهم مِن اطِّلاعه عليهم في جميع أحوالهم، ورؤيتِهِ لِمَا يُسْلفونه مِن فنون أعمالِهم، والعلمُ بأنَّه يراهم يوجِبُ استحياءهم منه، وهذه حالةُ المراقبة، فالعبد إذا علم أنَّه يراه مولاه استحيى منه، وترك متابعة هواه، ولا يحوم حول ما نهاه، وأنشدوا في معناه:

كأنَّ رقيبًا منك حلَّ بمُهْجَتي ... إذا رُمْتُ تسهيلًا عليه تصعَّبا[٤]

---

(١) في (أ): «قرأهما».

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ٣٢٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٣).

(٣) ذكره الواحدي في «البسيط» (١١/ ٢٤٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) البيت بلا نسبة في «مرآة الزمان» لسبط ابن الجوزي (١٦/ ٢٨٥)، و«مسالك الأبصار» لابن فضل الله العمري (٨/ ٣٦٥)، و«طريق الهجرتين» لابن القيم (ص: ٣٠٩).

وقال آخر:

أعاتِبُ عنك النَّفسَ في كلِّ خَصلةٍ   تعاتِبُني فيها وأنتَ مقيمُ

وقال في قوله: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ﴾: فكيفَ يخفى عليه ذلك، أو يتقاصرُ عنه علمُه، وهو مُنشِئُه ومُوجِدُه؟ وببعض أحكامِه الجائزة عليه[1] مخصِّصُه[2].

* * *

(٦٢) ـ ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾: ولَمَّا خوَّفَ بيومِ القيامة أعداءَه ذكرَ ما يعطي فيه أولياءَه.

قال ابنُ كيسان: أولياءُ اللهِ هم الَّذين تولَّى الله هداهم بالبرهان الَّذي أتاهم، وتولَّوا القيام له بحقِّه، والدُّعاءَ إليه عامَّةَ خلقِه[3].

وقيل: هم الَّذي يُوْلِيهم اللهُ ثوابَه وكرامَته.

وقال القشيريُّ رحمه الله: الوليُّ على وزن فعيل، مبالغةٌ مِن الفاعل، وهو مَن توالَتْ طاعاتُه مِن غير أنْ يتخلَّلها عصيان.

ويجوزُ أن يكونَ الفَعيل بمعنى المفعول هاهنا، كالجريح والقتيل، فيكون الوليُّ مَن يتوالى عليه إحسانُ اللهِ وإفضاله، ويكون في معنى كونه محفوظًا في عامَّة

(١) «عليه» ليست في (أ) ولا في مطبوع «اللطائف».

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٢/ ١٠٤).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ١٣٨).

أحواله مِن المحن، وأشدُّ المحن ارتكابُ المعاصي، فيعصمُه اللهُ تعالى دوام أوقاته عن الزَّلات(١).

وروي عن النَّبي ﷺ أنَّه سُئِلَ عن أولياء الله قال: «هم الَّذين إذا رُؤوا ذُكِرَ اللهُ»(٢).

وقال عمر رضي الله عنه: سمعْتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «إنَّ مِنْ عبادِ اللهِ أناسًا ما هُمْ بأنبياءَ ولا شهداءَ يَغبِطُهُم الأنبياءُ والشُّهداءُ يومَ القيامةِ بمكانِهم مِن اللهِ تعالى»، فقال رجلٌ: مَنْ هُمْ يا رسولَ الله؟ وما أعمالُهم؟ نحبُّهم بذلك. قال: «رجالٌ يتحابُّون بِرُوْحِ اللهِ مِنْ غيرِ أرحامٍ بينَهم، ولا أموالٍ يتعاطَوْنَها بينَهم، فواللهِ إنَّ وجوهَهُمْ لَنُورٌ وإنَّهم لَعَلَى منابرَ مِنْ نُورٍ، لا يخافونَ إذا خافَ النَّاسُ، ولا يحزنونَ إذا حَزِنَ النَّاسُ»، ثمَّ قرأ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾(٣).

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٢/ ١٠٤ ـ ١٠٥).

(٢) حديث حسن بشواهده، رواه ابن صاعد في زياداته على «الزهد» لابن المبارك (٢١٨)، والبزار في «مسنده» (٥٠٣٤)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١١١٧١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٩٦٤)، من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما.
وروي عن سعيد مرسلًا بإسناد أصح من إسناد الموصول، رواه ابن المبارك في «الزهد» (٢١٧)، وابن أبي الدنيا في «الأولياء» (١٥)، والطبري في «تفسيره» (١٢/ ٢١٠).
وله شاهد رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢٧٥٩٩)، والبخاري في «الأدب» (٣٢٣)، وابن ماجه (٤١١٩)، من حديث أسماء بنت يزيد رضي الله عنها، بلفظ: «خياركم الذين إذا رؤوا ذكر الله عز وجل».

(٣) رواه أبو داود (٣٥٢٧). قال ابن كثير في «تفسيره»: (إسناد جيد، إلا أنه منقطع بين أبي زرعة وعمر رضي الله عنه).
قلت: وله شاهد رواه النسائي في «الكبرى» (١١١٧٢)، وأبو يعلى في «مسنده» (٦١١٠)، وابن حبان في «صحيحه» (٥٧٣)، عن أبي هريرة بإسناد صحيح.

وقال ابن زيد: أولياءُ اللهِ: هم الَّذين وصفَهم الله في الآية الثَّانية: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴾ [يونس: ٦٣][1].

وقوله: ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ﴾ مِن النَّار ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ بفَوْتِ الجنَّة.

وقال مقاتل: ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ﴾ أن يدخلوا النَّار ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ أن يُخرجوا مِن الجنَّة[2].

وقال ابن كيسان: ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ﴾ من عذاب الله ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ مِن فوات ثواب الله[3].

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ في الحال ولا في المآل؛ لأنَّ حقيقةَ الخوفِ: توقُّعُ محذورٍ يصيب في المستقبل، أو ترقُّبُ محبوبٍ يزولُ في المستأنَف، وهم بحكمِ الوقْتِ ليس لهم تطلُّع في المستقبل، والحزنُ مِن الحُزونة، وهم في الحال في رَوح الرِّضا بكلِّ ما جرى[4].

***

(٦٣) ـ ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴾.

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴾: قيل: هو نصبٌ نعتًا لقوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ﴾.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٢١٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٩٦٥).

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٢٤٣).

(٣) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (١/ ٥١٣) بلا نسبة.

(٤) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٢/ ١٠٥). وفيه: (...وهم في روح الرضا بكلّ ما يجري فلا تكون لهم حزونة الوقت).

وقيل: هو مبتدأٌ، وخبره: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ﴾.

وقال الكلبيُّ: يتَّقون الشِّرك والمعاصي.

وقال الإمام القشيري رحمه الله: ﴿ءَامَنُواْ﴾: أقاموا بقلوبهم موجب المعارف، و﴿وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾: استقاموا بنفوسهم بأداء الوظائف(١).

* * *

(٦٤) - ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْأَخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾: مِن الملائكةِ عندَ قبضِ الأرواحِ ﴿وَفِى ٱلْأَخِرَةِ﴾ تتلقَّاهم لإدخال الجنَّة.

وروى أبو الدَّرداء عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «هي الرُّؤيا الصَّالحة يراها المسلمُ أو تُرى له»(٢).

وقال الضَّحَّاك: يعلمُ أينَ هو مِن قبلِ أنْ يموتَ(٣).

وقال الزُّهريُّ: هي البشارةُ قبلَ الموتِ(٤).

وقال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: هي قولُه لنبيِّه عليه الصَّلاة والسَّلام: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٨٧](٥).

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٢/ ١٠٦). وفيه: (قاموا بقلوبهم من حيث المعارف...).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢٧٥١٠)، والترمذي (٢٢٧٣)، وقال: حديث حسن.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٢٢٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٩٦٥).

(٤) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١١٦٣)، والطبري في «تفسيره» (١٢/ ٢٢٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٩٦٦).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٢٢٣).

وقال الحسنُ: هي ما بشَّرَ اللهُ به المؤمنين في كتابه[1]، ﴿وَفِي ٱلْآخِرَةِ﴾ قوله تعالى: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم﴾ [التوبة: ٢١].

وقوله تعالى: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ﴾: أي: لمواعيدِه في كُتُبِه، وعلى ألسنةِ رسلِه.

وقيل: لهذه البشارة.

وقيل: لِمَا مَضى مِن سُنَّته في الأوَّلين مِن الإهلاك والاستئصال للمكذِّبين.

وقيل: لحُجَجِ اللهِ وبراهينِه.

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾؛ أي: ذلك التَّبشير.

وقيل: أي: ذلك الموعود هو الفلاح العظيم، لأنَّه نَيْلُ جميعِ ما يُرْجى، والأمنُ مِن كلِّ ما يُخْشَى.

وقال القشيريُّ رحمه الله: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْآخِرَةِ﴾ إذا قاموا بما به أُمِروا، واستقاموا في ترك ما عنه زُجِروا، وبشَّرتهم الشَّريعة بالخروج عن عُهدة الإلزام، وبشَّرتهم الحقيقة باستيجابِ الإكرام بما كوشفوا به مِن أعلام هذه البُشرى في عاجلِهم، وأمَّا في آجلهم فالحقُّ يتولَّى ذلك، قال تعالى: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ﴾ [التوبة: ٢١].

قال: ويُقال: البِشارة العظمى: ما يجدونه في قلوبهم مِن ظفرهم بنفوسهم، وسقوط مآربهم، والرِّضا بالكائن بتقدير ربِّهم، هذه هي النِّعمة العظمى، ووجدانُ هذه الحالة هي البشارةُ الكُبْرى[2].

---

(١) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٢/ ٥٥٣).

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٢/ ١٠٦).

(٦٥) ـ ﴿ وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ﴾: أضافَ النَّهيَ إلى قولِهم؛ لأنَّه هو السَّبب لحزنِه، ومعناه: لا تحزن بقولهم، وهو كقولك: لا أراك هاهنا، تضيفُ النَّهي عن الرُّؤية إلى نفسِك، ومعناه: لا تكن هاهنا فأراك، ومعنى الآية: لا تحزن بقولهم: متى هذا الوعد؟

وقال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: ﴿ وَلَا يَحْزُنكَ ﴾ تكذيبهم[(١)].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾: هو ابتداءٌ بمعنى: فإنَّ العزَّة كلَّها لله، له المنعةُ والسُّلطان.

وقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾: أي: لأقوالهم ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾؛ أي: بضمائرِهم وأفعالهم، وهو مُنْزِلٌ بهم عذابَه، فلا يمتنعون عنه.

وقال ابن المسيِّب: ﴿إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ﴾: يعزُّ مَن يشاءُ، وقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨] وعزَّةُ الرَّسولِ والمؤمنينَ باللهِ جميعًا، فهي كلُّها لله[(٢)].

وقال مقاتلٌ: ﴿ وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ﴾: إنَّك مفترٍ كذَّاب[(٣)].

وقيل: في القرآن: إنَّه سِحر وإنَّه مُفترًى.

وقيل: في الله بما لا يليق به مِن الصَّاحبة والولد.

* * *

---

(١) ذكره الواحدي في «البسيط» (١١/ ٢٥١)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ٤٥).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ١٣٩).

(٣) لم أجده هكذا، وانظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٢٤٣)، وفيه: (يعني: أذاهم).

(٦٦) ـ ﴿ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِۗ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ ﴾: أي: كلُّهم عبيدُه، يفعلُ بهم ما يشاء، ولا يَمتنِع مِن تعذيبِه مَن شاءَ تعذيبَه.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَ ﴾: له وجوهٌ:

أحدُها: أنَّه استفهام، ومعناه: أيَّ شيءٍ يتَّبع الَّذين يدعون الأصنامَ شركاءَ لله؟ ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ﴾؛ أي: ما يتَّبعون إلَّا الظَّنَّ، وهو توهُّمهم شفاعةَ الأصنام لهم، حتَّى قالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾ [الزمر: ٣]، وقال تعالى: ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ ﴾ [الزمر: ٤٣] ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾؛ أي: وما هم إلَّا يَكذِبون، وقيل: يقولون بالظَّنِّ.

والثَّاني: أنَّ ﴿مَا﴾ بمعنى: الَّذي، ومعناه: والذين يتَّبعون الذين يدَّعونهم شركاء ما يتَّبعون فيهم إلَّا الظَّنَّ.

والثَّالثُ: أنَّ ﴿مَا﴾ للنَّفي، ومعناه: ولا يتَّبعُ الَّذين يدعون مِن دون الله شركاء، وهو مفعول ﴿يَتَّبِعُ﴾ لا ﴿يَدْعُونَ ﴾؛ أي: الَّذين يتَّبعونهم ليسوا بشركاء، وإنَّما يتَّبعونهم ظنًّا أنَّها تنفعهم، وهو ظنٌّ كاذبٌ.

والرَّابع: أنَّ ﴿مَا﴾ للنَّفي، و﴿إِن ﴾ نفيٌ، وهو تكرارٌ لنفيِ شيءٍ واحدٍ للتَّأكيد، وهو كتكرار (قبل) في قوله: ﴿ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ ﴾ [الروم: ٤٩].

* * *

(٦٧) ـ ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوۡمٍ يَسۡمَعُونَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًا ﴾: وهو إخبارٌ عن قدرتِه على ما تعجزُ عنه أصنامُهم.

يقول: هو الَّذي جعلَ لكم اللَّيل تسكنون فيه إذا أويتم إلى منازلكم منصرفين من الحركة والاضطراب في طلب المعاش، وجعل النَّهار ذا إبصار؛ أي: يقع فيه الإبصار على المبصَرات، ويكون فيه بروزُ الأشياء للعيون بعدَ الاستتار بظلمة اللَّيل، وهو كقوله تعالى: ﴿فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٢١]؛ أي: ذاتِ رضًا، و﴿مَّآءٍ دَافِقٍ﴾ [الطارق: ٦]؛ أي: ذي دَفْقٍ، وليلٍ نائم؛ أي: ذي نومٍ؛ أي: يُنام فيه.

وقال جريرٌ:

لقدْ لُمْتِنَا يا أمَّ غيلانَ في السُّرَى ... وَنِمْتِ وَما لَيْلُ المَطِيِّ بنائِمِ[1]

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوۡمٍ يَسۡمَعُونَ﴾: أي: لَعلامَاتٍ على قُدرةِ اللهِ تعالى ووحدانيتِه لِمَن يسمعُ الوَعْظَ فيتدبَّرُه بقلبٍ حاضرٍ، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ أَوۡ أَلۡقَى ٱلسَّمۡعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧].

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: الليل لأهل الغَفْلة بعدٌ وغيبةٌ، ولأهل النَّدم توبةٌ وأوبةٌ، وللمحبِّين زلفةٌ وقربةٌ[2].

وأوحى الله تعالى إلى داود عليه السَّلام: كَذَبَ مَن ادَّعى محبَّتي فإذا جَنَّ اللَّيلَ نام عَنِّي[3].

---

(١) انظر: «ديوان جرير» (٢/ ٩٩٣).

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٢/ ١٠٧).

(٣) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٧١)، و«إحياء علوم الدين» (٤/ ٣٣٣)، و«المنثور» =

(٦٨) ـ ﴿ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَانٍ بِهَذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَانٍ بِهَذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾: وهذا تعجيبٌ مِن اللهِ تعالى مِن جرأةِ المشركين على الافتراء على اللهِ تعالى بإضافةِ الأولاد إليه.

وحاجَّهم في ذلك فقال: ﴿ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾: وهو ما كانوا يقولون: إن الملائكة بنات الله.

ثمَّ نزَّه نفسَه فقال: ﴿سُبْحَانَهُ﴾ تنبيهًا للعباد على تنزيهِه.

ثمَّ قال: ﴿هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾؛ أي: فلا حاجةَ به إلى الولدِ الَّذي إنَّما يُتكثَّر به ويُتعزَّز به في الحياة وبعد الوفاة، فمَن كان مالكًا للسَّماوات والأرض لم يوصَف بالحاجة إلى التَّكثُّر والتَّعزُّز.

ثمَّ أخبرَ أنَّه لا سلطان لهم بهذا؛ أي: لا حجَّة.

وقوله تعالى: ﴿أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾: استفهامٌ بمعنى الإنكار.

وقال القشيريُّ رحمه الله: لا يجوز في صفةِ اللهِ تعالى الوِلادةُ لتوحُّده، وأنَّه لا قسيم له، ولا يجوز منه التَّبني أيضًا لتفرُّده، وأنَّه لا شبيهَ له[1].

= لابن الجوزي (ص: ٣).

وروي هذا القول عن الفضيل بن عياض. رواه الدينوري في «المجالسة» (١/ ٤٤٥)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ٩٩).

وروي أيضًا عن أبي سليمان الديراني. رواه أبو طاهر السلفي في «الطيوريات» (٣/ ١٠٣٤).

(١) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٢/ ١٠٨).

وقال الإمام الزَّاهد أبو منصور رحمَه الله: إنَّ في الشَّاهد مَن اتَّخذ ولدًا إنَّما يَتَّخذُ لأحدِ أوجهٍ ثلاثةٍ: إمَّا لحاجة تمسُّه، أو لشهوة تغلبُه، أو لِمَا يَستنصرُ به على آخر ممَّن يخافه، فإذا كان له مُلْك السَّماوات والأرض، وملك ما فيهما، وكلُّهم عبيده وإماؤه، فلا حاجةَ تقع له إلى الولد؛ إذ هو الغنيُّ والمالك[1].

* * *

(٦٩) ـ ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴾: أي: الَّذين يقولون: للهِ ولدٌ، لا ينجونَ في الآخرةِ مِن العقوبةِ، ولا يصلون إلى ما رجَوا مِن الأصنام مِن الشَّفاعة.

* * *

(٧٠) ـ ﴿ مَتَٰعٌ فِي ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلْعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴾.

وقوله: ﴿ مَتَٰعٌ فِي ٱلدُّنْيَا ﴾: أي: هو متاعٌ لهم؛ أي[2]: تمتُّعٌ وانتفاعٌ بالدُّنيا الفانية القليلة مدَّةً قصيرة.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلْعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴾: وهذا ظاهر.

* * *

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٦/ ٦٦).

(٢) «أي» ليست في (أ).

(٧١) - ﴿۞ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ نُوحٍ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكُم مَّقَامِي وَتَذۡكِيرِي بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡتُ فَأَجۡمِعُوٓاْ أَمۡرَكُمۡ وَشُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُنۡ أَمۡرُكُمۡ عَلَيۡكُمۡ غُمَّةً ثُمَّ ٱقۡضُوٓاْ إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ نُوحٍ﴾: هذه تسليةٌ للنَّبي ﷺ فيما نالَه مِن إيذاءِ قومِه بالتَّكذيب، وإعلامٌ للمشركين خبرَ المستعجِلين بالعذابِ: أنَّ الأمم الماضية استعجلوا فأُمْهِلوا إلى أنْ حَقَّ القولُ ثم أُخذوا، فليسَ إمهالي هؤلاء للعجزِ، بل لِمَا كانَ للأوَّلين حين وقعَ اليأسُ مِن إيمانِهم.

ومعنى قولِه: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ نُوحٍ﴾؛ أي: واقرأْ يا محمَّد على قومِك المشركين خبرَ نوحٍ عليه السَّلام.

وقوله تعالى: ﴿إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكُم﴾: أي: شَقَّ عليكم وثَقُلَ ﴿مَّقَامِي﴾؛ أي: قيامي فيكم بحقوقِ اللهِ تعالى ﴿وَتَذۡكِيرِي بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: الَّتي أوحاها إليَّ، وجعلَها علاماتٍ لحقيَّة[1] هذا الدِّين.

﴿فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡتُ﴾: أي: اعتمدْتُ.

﴿فَأَجۡمِعُوٓاْ أَمۡرَكُمۡ﴾: قرأَ نافع بالوصل، مِن الجَمْع، وقرأ الباقون بالقَطْع، مِن الإجماع[2]، وهو العزم؛ أي: اعزموا على أمركم.

وقوله تعالى: ﴿وَشُرَكَآءَكُمۡ﴾: قال الفرَّاء: أي: وادْعوا شركاءَكم، أضمرَ فعلًا آخر سوى الأوَّل[3]. وهو كقول القائلِ:

---

(١) في (ر) و(ف): «لحقيقة».

(٢) لنافع روايتان في ذلك، واحدة مثل بقية القراء، والثانية بفتح الميم، وقرأ بها أيضًا رويس بخلف عنه. انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٢٨)، و«شرح طيبة النشر» لابن الجزري (ص: ٢٤٩).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٤٧٣).

علَفْتُهــا تبنًــا ومــاءً بــاردا[١]

أي: وسقيتها ماء باردًا.

وقال آخر:

ورأيــتُ زوجــك فــي الوغى   متــقــلِّدًا ســيفًا ورمحــا[٢]

أي: ومعتقِلًا رمحًا.

وقال الزَّجَّاج: هو مفعول معه؛ أي: مع شركائِكم[٣].

وقال بعضهم: (أَجْمِعوا)؛ أي: أَعِدُّوا، فيقع على الاسمين جميعًا[٤]: ﴿أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ﴾؛ أي: آلهتكم، وقيل: أي: الَّذين يشاركونكم في التَّكذيب.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً﴾: هو نهيُ مغايبةٍ للأمر، ومعناه: لا تجعلوا أمركم عليكم غمة[٥].

---

(١) صدر بيت أنشده الفراء لبعض بني دُبَير ـ قبيلة من أسد ـ يصف فرسه. انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ١٤)، و«تفسير الطبري» (١/ ٢٦٤)، و«الكشاف» (٢/ ١٠٨)، و«خزانة الأدب» للبغدادي (١/ ٤٩٩). وعجزه:

حَتَّــى شَــتَتْ هَمّالَــةً عَيْناهَــا

(٢) البيت لعبد الله بن الزِّبَعْرى، وهو في ديوانه (ص: ٣٢)، و«مجاز القرآن» لأبي عبيدة (٢/ ٦٨)، و«معاني القرآن» للفراء (١/ ٤٧٣)، و«الخصائص» لابن جني (٢/ ٤٣١) و«تفسير الطبري» (١/ ١٣٧). ويروى:

يــا ليــت بعلــك قــد غــدا

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٢٨).

(٤) بعدها في (ر): «وقوله تعالى».

(٥) قوله: «هو نهي مغايبة للأمر ومعناه لا تجعلوا أمركم عليكم غمة» من (ر).

قال المبرِّد: أي: فرِّجوا عن[1] أنفسِكم ولا تغمُّوها.

وقيل: أي: ضيقًا وغمًّا.

وقيل: أي: مغطًّى ملبَّسًا. قاله الأخفش[2]، وأنشدوا لطرفة:

لَعَمْـرُكَ مـا أمـري علـيَّ بغُـمَّةٍ   نهاري ولا ليلـي علـيَّ بِسَـرْمَدِ[3]

وهو من قولهم: غُمَّ الهلال، وأصلُه: أنَّ مَن أضمرَ شيئًا فكَّر في إمضائه، وانتهزَ الفرصة فيه، فهو في غمٍّ منه والتباس، لا يدري أيتهيَّأ له إمضاؤه أم لا؟

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ﴾: أي: افرُغوا إليَّ ممَّا تريدون بي، ومعناه: أتمُّوه، وهو كقوله تعالى: ﴿فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ﴾ [طه: ٧٢].

وإدخال (إلى) على معنى: أَلْقوا إليَّ ما استقرَّ رأيُكم عليه مفروغًا منه.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُنظِرُونِ﴾: أي: ولا تُمهِلون.

وقال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: ﴿فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ﴾: قولكم وعملكم ﴿وَشُرَكَاءَكُمْ﴾: واستعينوا بآلهتكم ﴿ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً﴾ يعني: أظهروا أمركم ولا تكتموا ﴿ثُمَّ اقْضُوا﴾ امضوا ﴿إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ﴾؛ أي: لا ترقبوا فيَّ أحدًا[4].

وقال الضَّحَّاكُ: أي: انهضوا إليَّ ولا تؤخِّرون[5].

---

(١) في (ف): «فرحوا».

(٢) ذكر نحوه الزجاج في «معاني القرآن» (٣/ ٢٨)، ونقله الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (٦/ ٦٩) عن الكسائي.

(٣) انظر: «ديوان طرفة» (ص: ٢٩).

(٤) انظر: «تنوير المقباس» للفيروزابادي (ص: ١٧٧).

(٥) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٩٦٩).

(٧٢) ـ ﴿فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَمَا سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ﴾؛ أي: فإن أعرضتم ﴿سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٍ﴾ فتحتجُّوا به عليَّ لإعراضكم.

وقيل: أي: فلا ضرر عليَّ لأنِّي لم أَدْعُكم إلى الإيمان لأجرٍ آخذُه منكم يفوتُني إذا لم تؤمنوا، فإنَّما الضَّرر في ذلك عليكم بما يفوتكم مِن ثواب الله.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: يقول: كيف أعرضْتُم عن قَبوله ولم أسألكم أجرًا على ذلك فيكونَ لكم عذرٌ في الإعراض، وهو كقوله: ﴿أَمۡ تَسۡـَٔلُهُمۡ أَجۡرٗا فَهُم مِّن مَّغۡرَمٖ مُّثۡقَلُونَ﴾ [الطور: ٤٠].

وفيه دلالةٌ على منعِ أخذِ الأجر على تعليمِ العلم؛ لأنَّه لو جازَ ذلك لكان لهم عذرٌ ألَّا يبذلوا ذلك، ولا يتعلَّموا شيئًا مِن ذلك، وفيه هَدمُ شرائعِ اللهِ تعالى وإسقاطُها[1].

وقوله تعالى: ﴿إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾: أي: المُنقادين.

وقيل: أي: مِن المخلصين.

* * *

(٧٣) ـ ﴿فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيۡنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَعَلۡنَٰهُمۡ خَلَٰٓئِفَ وَأَغۡرَقۡنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُنذَرِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيۡنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَعَلۡنَٰهُمۡ خَلَٰٓئِفَ وَأَغۡرَقۡنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾: أي: أسكناهم في الأرض بعد إهلاك الَّذين قبلَهم، وأغرقنا المكذِّبين.

---

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٦/ ٧٠).

﴿فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُنذَرِينَ﴾: أي: الَّذين أنذرَهم نوحٌ صلوات الله عليه.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: كان أنذرَ نوحٌ جميعَ قومِه مَن آمن ومَن لم يؤمن، فيَحتمِل أن يكون معناه: فانظر كيف كان عاقبة مَن أجاب ومَن لم يجب.

ويحتمل أن يكون معناه: عاقبةُ الَّذين لم يقبلوا الإنذار ولم يجيبوا، وكانت بالهلاك والاستئصال(١).

* * *

(٧٤) - ﴿ثُمَّ بَعَثۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِۦ رُسُلًا إِلَىٰ قَوۡمِهِمۡ فَجَآءُوهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ بِهِۦ مِن قَبۡلُۚ كَذَٰلِكَ نَطۡبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِۦ رُسُلًا إِلَىٰ قَوۡمِهِمۡ﴾: أي: أقوامِهم؛ كصالحٍ إلى ثمودَ، وهودٍ إلى عاد، وغيرهما.

﴿فَجَآءُوهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾: أي: بالمعجزات ﴿فَمَا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ بِهِۦ مِن قَبۡلُ﴾؛ أي: أصرُّوا على التَّكذيب، وكان في علمِ الله تعالى أنَّهم لا يؤمنون، وكذلك أرادَ منهم.

﴿كَذَٰلِكَ نَطۡبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾؛ أي: نختم على قلوب الظَّالمين؛ أي: المجاوزين الحدَّ؛ أي: مَن علمنا منه اختيارَ الإصرار على الكفر خذلناه، وأوجدنا منه ذلك.

وقيل: أي: فما كان المتأخِّرون ليؤمنوا بما كذَّب به مَن قبلَهم مِن الأممِ كقوم عادٍ وثمود.

وقال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: فلم يكونوا ليصدِّقوا بالرَّسول والكتاب بما كذَّبوا به في أخذ الميثاق عليه(٢).

---

(١) المصدر السابق (٦/ ٧١).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٤/ ٢٦٥)، والواحدي في «البسيط» (٩/ ٢٥٧)، عند تفسير قوله =

وقال الفرَّاء: لم يكونوا ليؤمنوا لك يا محمَّد بما كذَّبوا به في الكتاب الأوَّل. يعني: اللَّوح المحفوظ(١).

وقال الإمام الزَّاهد أبو منصور رحمه الله: ويحتمِل: بما كذَّبوا به مِن قبلِ بعثِ الرَّسول، ويكون دليلًا على أنَّ أهل الفترة يُؤاخذون بالتَّكذيب في حالِ الفترة.

ويحتمِل: ﴿فَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ﴾(٢) بعد إتيان البيِّنات ﴿بِمَا كَذَّبُواْ بِهِۦ﴾ مِن قبلِ إتيان البينات(٣).

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: قصَّ اللهُ تعالى عليه نبأَ الأوَّلين، وشرح له أحوال جميع الغابرين، ثمَّ فضَّلَه على كافَّتهم أجمعين، فكانوا نجومًا وهو البَدر، وكانوا أنهارًا وهو البَحر، به انتظم عقدُهم، وبنورِه أشرقَ نهارُهم، وبظهورِه خُتِمَ عددُهم، فكان كما قيل:

يومُــك وجــهُ الدَّهــر مِــن أجلِــه ... حَــنَّ غَــدٌ والتَفَــتَ الأمْــسُ(٤)

= تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٠١] بلفظ: (فما كان أولئك الكفار ليؤمنوا عند إرسال الرسل بما كذبوا من قبل يوم أخذ ميثاقهم حين أخرجهم من ظهر آدم فآمنوا كرهاً وأقروا باللسان وأضمروا التكذيب). وانظر: «تنوير المقباس» للفيروزآبادي (ص: ١٣٤).

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٤٧٤).

(٢) بعدها في (ر) و(ف): «به».

(٣) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٦/ ٧١).

(٤) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٢/ ١١٠)، والبيت عنده بلفظ:

يــوم وحســب الدهــر مــن أجله ... حيّــا غــد والتفــت الأمــس

والبيت لابن الرومي كما في «ديوانه» (٢/ ١٩٩)، و«التذكرة الحمدونية» (٤/ ١٧٠)، و«الدر الفريد» للمستعصمي (٨/ ٢٦٥)، وصدره عندهم: =

(٧٥) ـ ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَىٰ وَهَارُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَىٰ وَهَارُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ﴾: أي: ثمَّ أرسلنا مِن بعدِ الرُّسل موسى وأخاه هارون إلى فرعون ـ لعنه الله ـ وأشرافِ قومِه ووزرائِه وأهل مشورته ﴿بِآيَاتِنَا﴾: بالعصا واليد وغيرهما، فتعظَّموا عن الانقياد لموسى وأخيه، وكانوا عُتاةً ومَردَة، لا يبالون مِن اكتساب الآثام.

وقال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: ﴿بِآيَاتِنَا﴾ التِّسع ﴿وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ﴾: مشركين[1].

***

(٧٦) ـ ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ﴾: أي: فلمَّا جاءَتْهم العصا ـ الَّتي التقمَتْ حبال السَّحرة وعصيَّهم ـ وسائرُ المعجزات، قالوا: هذا سحرٌ ظاهرٌ وتخييلٌ بيِّنٌ.

***

(٧٧) ـ ﴿قَالَ مُوسَىٰ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَٰذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ مُوسَىٰ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ﴾: استفهامٌ بمعنى التَّقريع[2].

= ذلك عرس الدهر من أجله

(١) انظر: «تنوير المقباس» للفيروزآبادي (ص: ١٧٧).

(٢) في (ف): «التقرير».

وقوله تعالى: ﴿أَسِحْرٌ هَٰذَا﴾: وهو بلفظ الاستفهام، وقد ذَكَرَ عنهم أنَّهم قطَعوا القول به حيث قالوا: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [يونس: ٧٦].

فيجوز أن يكونوا قطَعوا القول به مرَّة، وكذلك بلفظ الاستفهام على وجه الإنكار مرَّة، يعني: أتأتينا بهذا على مقابَلةِ سِحرنا مع كثرته وتقدُّمنا في صنعته؟! فذكرَ اللهُ تعالى ما ذكروا في الحالَتَيْنِ جميعًا.

ويجوز أن يكون معناه: ﴿أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ﴾ وتمَّ الكلام؛ أي: أتقولون هذا للحقِّ لَمَّا جاءكم، ثمَّ قال: ﴿أَسِحْرٌ هَٰذَا﴾، وهو استفهامٌ بمعنى التوبيخ، وتعجيبٌ مِن قولِهم، وليس بحكايةٍ لقولِهم.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ﴾: أي: لا يفوزون في الدُّنيا ولا في الآخرة.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: الفلاحُ: الظَّفرُ بالحاجةِ والغَلَبةُ، والسِّحرُ باطلٌ، فيكون مغلوبًا والحقُّ غالبٌ.

ويحتمل: والسَّاحرون في الدُّنيا لا يفلحون في الآخرة.

ويحتمل أن يكون معناه: ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ﴾ بسحرهم في حال سحرِهم، وكذا: ﴿لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ [الأنعام: ٢١]، و﴿لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٧]، فإذا تَرَكُوا ذلك أفلَحُوا[1].

* * *

(٧٨) - ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ﴾.

---

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٦/ ٧٣).

وقوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَلۡفِتَنَا﴾: أي: لِتصْرِفَنا، وقد لَفتَهُ فالْتَفتَ؛ أي: صَرَفَهُ فانْصَرَفَ.

وقوله تعالى: ﴿عَمَّا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَا﴾: لا نعرِفُ نبوَّةً ولا مَلِكًا ولا إلهًا غيرَ فرعون.

وقوله تعالى: ﴿وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾: أي: المُلْك في أرضنا، فتعظموا علينا.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا نَحۡنُ لَكُمَا بِمُؤۡمِنِينَ﴾: أي: بمصدِّقين في دعوة النُّبوَّة ووعيد العذاب، أرادوا قطعَ أطماعِهما في إيمانِهم.

وقال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: ﴿عَمَّا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَا﴾؛ أي: عمَّا كان يعبدُ آباؤنا، وكانت لفرعون أصنامٌ صغارٌ صنعَها لهم، وأمرَهم بعبادتها، ﴿وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾؛ أي: السُّلطان والمُلْك والشَّرف في الأرض؛ أي: في أرض مصر[(١)].

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: ويحتمل: وتكون لكما الألوهيَّة الَّتي كان يدَّعي فرعونُ لنفسِه؛ لأنَّ عندهم أنَّ مَن أُطيعَ واتُّبعَ فقد عُبِدَ ونُصِّبَ إلهًا[(٢)].

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: رَكَنوا إلى التَّقليد فيما دانوا، فاستحبُّوا استدامة ما عليه كانوا، فلحقهم سوء العقيدة وسوء الطَّريقة حتَّى توهَّموا أنَّ الأنبياء إنَّما دعَوهم إلى الله لتكون لهم الكبرياء على خلق الله، ولم يعلموا أنَّهم إنَّما دعَوهم إلى اللهِ لله بأمرِ الله[(٣)].

***

---

(١) ذكر بعضه الثعلبي في «تفسيره» (٤/ ٢٧١)، وانظر: «تنوير المقباس» للفيروزآبادي (ص: ١٧٨).

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٦/ ٧٤).

(٣) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٢/ ١١٠).

(٧٩) ـ ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِي بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِي بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ﴾: ولَمَّا جاء موسى بالعصا واليد البيضاء وصارَتِ العصا ثعباناً قالوا لفرعون: إنَّه سِحْرٌ، فاستشارَهم، فأشاروا عليه بجمع السَّحرةِ، فأمرَ بذلك.

وإنَّما قال: ﴿بِكُلِّ سَٰحِرٍ﴾ للتَّعاون، ولئلَّا يفوتَه شيء مِن السِّحر بتخلُّف البعض.

* * *

(٨٠) ـ ﴿فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُواْ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُواْ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ﴾: أي: فسترون إبطالَ اللهِ تعالى ذلك.

ولم يكن هذا أمراً بالسِّحر ولا رضًى به، لكنَّه تهديدٌ مِن الوجه الَّذي قلنا، والواثِقُ بالحجَّة يمكِّنُ الخصمَ مِن الابتداء بالشُّبهة، حتَّى إذا بلغَ الغاية جاءَ الحقُّ فدمغ الباطل، وليس لِمَنْ أعانَه اللهُ عزَّ وجلَّ غالبٌ.

* * *

(٨١) ـ ﴿فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ﴾: قرأ أبو عَمرو بالمدِّ على الاستفهام، وعلى قراءته: ﴿مَا جِئْتُم بِهِ﴾ استفهام؛ أي: أيُّ شيءٍ جئْتُم به؟ ثم قال: ﴿آلسِّحر﴾؛ أي: أهو السِّحر؟

وقرأ الباقون بغيرِ مَدٍّ[١]، وعلى هذا: ﴿مَا جِئْتُم بِهِ﴾ بمعنى: الَّذي جئتم به، وهو مبتدأ، و﴿ٱلسِّحْرُ﴾ خبرُه، ومعناه: هذا هو السِّحر الَّذي أضفتُموه إليَّ.

ومعنى قراءة المد: تجيئون بالسِّحر تقصدون به معارضةَ المعجزة، وهو إنكارٌ عليهم.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ﴾: أي: يجعله مغلوبًا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾:

قال الإمام أبو منصور رحمه الله: أي: لا يجعلهم بأعمالهم الفاسدة صالحين، أو: لا يجعل أعمالَهم الفاسدة صالحةً[٢].

***

(٨٢) ـ ﴿وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ﴾: قال الإمامُ أبو منصورٍ رحمَه اللهُ: الحقُّ حَقٌّ وإن لم يَحِقّ، والباطلُ باطلٌ وإنْ لم يَبطل، وقد قال تعالى: ﴿لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ﴾ [الأنفال: ٨]، ولكن معناه: ليجعل الحقَّ في الابتداء حقًّا، فيصير حقًّا، ويجعل الباطل في الابتداء باطلًا، فيكون باطلًا؛ أي: بإبطاله الباطل يكون باطلًا، وبتحقيقه الحقَّ يكون حقًّا.

وقوله تعالى: ﴿بِكَلِمَٰتِهِۦ﴾؛ أي: برسالات رسلِه؛ إذ بهم يظهر الحقُّ من الباطل، وهم حُجَجُ الله في الأرض، وبالحُجَجِ يظهرُ الحقُّ مِن الباطل.

ويحتمل: بآياتِه الَّتي أنزلَ عليه بها ظهورَ الحقِّ وبُطْلانَ السِّحر.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (١/ ٣٢٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٣).

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٦/ ٧٤).

ويحتمل: ﴿بِكَلِمَٰتِهِۦ﴾: بمواعيده بظفَرِ موسى وقومِه وهلاكِ أعدائِه(١).

وقيل: إحقاقُ الحقِّ: إظهارُه وتمكينُه بالدَّلائل الواضحة والآيات اللائحة حتَّى يرجع الطَّاعن عليه حسيرًا والـمُناصب له كسيرًا.

وقيل في قوله: ﴿بِكَلِمَٰتِهِۦ﴾: هي مواعيده بقوله: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ الآية [القصص: ٥]، وقوله تعالى: ﴿فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا ۚ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ الآية [القصص: ٣٥]، وهو قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات: ١٧١]، ثمَّ بيَّن الكلمةَ: ﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [الصافات: ١٧٢].

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾: قال مقاتل: يعني القِبْط(٢).

وقال القَفَّال: أي: فرعونُ وقومه؛ لأنَّه سمَّاهم مجرمين في قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ [يونس: ٧٥].

والمجرمُ: مَنِ اعتادَ اكتسابَ المعاصي، يُقال: فلانٌ جريمُ أهلِه؛ أي: دائمٌ على الاكتساب لهم.

* * *

(٨٣) ـ ﴿فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ۚ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ۚ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾: قال ابنُ عبَّاس رضي الله عنهما:

---

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٦/ ٧٤ ـ ٧٥).

(٢) في «تفسير مقاتل» (٢/ ٢٤٥) أن الذين آمنوا بموسى عليه السلام أهل بيت أمهاتهم من بني إسرائيل وآباؤهم من القبط.

يعني: لم يصدِّق موسى إلَّا قليلٌ مِن قوم فرعون، وهم سبعون أهل[١] بيت مِن القبط مِن آل فرعون، والأمَّهات مِن بني إسرائيل، فجعل الرَّجلُ يتبع أمَّه وأخواله[٢].

﴿عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ﴾[٣] يعني: أشراف قومه وجنده[٤] أن يقتلهم.

﴿وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي ٱلْأَرْضِ﴾: لمخالف في أرض مصر ﴿وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ يعني: مع المشركين في النَّار، وهذا تسليةٌ للنَّبيِّ عليه الصلاة والسلام في قلَّة مَن آمنَ بِهِ.

وقيل: معنى الآية: فما صدَّق موسى إلَّا أعقابُ قومٍ مِن قوم موسى، وهم بنو

---

(١) في (ر) و(ف): «ألف».

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ١٤٣)، والواحدي في «البسيط» (١١/ ٢٨٤). وروى الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٢٤٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «الذرية: القليل».

(٣) في النسخ: «وملئه» بدل ﴿وَمَلَإِيْهِمْ﴾، والمثبت هو الصواب، وانظر التعليق الآتي.

(٤) كذا شرح المؤلف قوله: ﴿وَمَلَإِيْهِمْ﴾، وهذا التفسير على ما جاء في النسخ ظاهر، لكنه على لفظ الآية يحتاج إلى بيان؛ لأنه فسر ضمير الجمع بضمير مفرد، فكان لا بد من بيان ذلك، قال الزمخشري في «الكشاف» (٢/ ٣٦٣): فإن قلت: إلام يرجع الضمير في قوله: ﴿وَمَلَإِيْهِمْ﴾؟ قلت: إلى فرعون، بمعنى آل فرعون، كما يقال: ربيعة ومضر، أو لأنه ذو أصحاب يأتمرون له. ويجوز أن يرجع إلى الذرية، أي: على خوف من فرعون وخوف من أشراف بني إسرائيل، لأنهم كانوا يمنعون أعقابهم خوفاً من فرعون عليهم وعلى أنفسهم، ويدل عليه قوله: ﴿أَن يَفْتِنَهُمْ﴾ يريد: أن يعذبهم.
قلت: وهذا كله على عود الضمير في ﴿قَوْمِهِۦ﴾ إلى موسى، أما على عوده إلى فرعون فالمعنى ظاهر، وعود الضمير على فرعون رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٢٤٦) عن ابن عباس، وهو الذي صححه المؤلف كما سيأتي، ورجحه ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٣/ ١٣٧) بأن المعروف في القصص أن بني إسرائيل كانوا في قهر فرعون، وكانوا قد بشروا بأن خلاصهم على يد مولود يكون نبيًّا صفته كذا كذا، فلما ظهر موسى عليه السلام اتبعوه ولم يعرف أن أحدا منهم خالفه.

إسرائيل، كان الزَّمان بعدَ مجيء موسى امتدَّ على موسى حتَّى ماتَ كثيرٌ من الآباء وبقي أولادُهم فآمنوا به. وهو قول مجاهد(١).

والصَّحيح: ﴿فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ﴾ مِن قوم فرعون ﴿إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ﴾ حقَّقوا أقوالهم: ﴿وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٧٨] إلَّا يسيرٌ ممَّن قلنا: إنَّ أمهاتهم كنَّ إسرائيليَّات آمنوا ميلًا إليه مِن جهة قرابات الأمَّهات، ومع هذا كانوا خائفين مِن فرعون وأعوانه أن يفتنوهم عن دينهم؛ أي: يصرفوهم؛ إذ كان فرعونُ ـ إلى أن أهلَكَه الله ـ غالبًا في ملك مصر لأهلِها(٢) بالغَلَبة والقَهْر، مسرفًا مجاوز القَدْرَ في الكفر بادِّعاء الألوهيَّة، وقتل النُّفوس.

وقيل: هؤلاء النَّفر اليسير: امرأةُ فرعون، وخربيل مؤمن آل فرعون، وخازن فرعون، وامرأة خازنه(٣).

ثم قوله: ﴿وَمَلَإِيْهِمْ﴾ على الجمع له ثلاثةُ أوجهٍ:

أحدها: أنَّه يرجع إلى الذُّرِّيَّة.

والثَّاني: أنَّه يرجع إلى فرعونَ، وكان ملكًا، وذكرَهُ مع أتباعِهِ، يُقال: قدمَ الخليفةُ مع أتباعِه وأنا أخافُ السُّلطانَ؛ أي: أخافُه وأتباعه.

والثَّالث: أنَّه ذَكَرَ فرعون، ومعناه: آل فرعون، أضمر الآل، كما في قوله تعالى: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾؛ أي: أهل القرية، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ [الطلاق: ١]؛ أي: يا أمَّة النَّبيِّ.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٢٤٥).

(٢) كلمة «لأهلها» غير واضحة في (أ)، ووقع في (ف): «ملك الأرض لأهلها»، وفي (ر): «تلك الأرض لأهلها».

(٣) روى الطبري هذا القول في «تفسيره» (١٢/ ٢٤٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ﴾: أخبرَ أنَّ موسى لم يضعفْ قلبُه لقلَّة مَن آمن مِن قوم فرعون، بل قال لِمَنْ آمنَ به منهم: على الله توكَّلوا، ولا تخافوا فرعونَ وملأه.

وقال الإمامُ أبو منصور رحمه الله: فيه دلالة أنَّ الإيمانَ والإسلامَ واحدٌ؛ لأنَّه بَدأَ بالإيمان وخَتَمَ بالإسلام، وإنَّما جمعَ بينَهما لأنه يشير إلى زيادةِ فائدةٍ مع أنَّ الأصلَ واحدٌ، فإنَّ الإيمانَ هو اعتقادُ تركِ تضييع كلِّ حقٍّ، والإسلامَ اعتقادُ تسليمِ كلِّ حقٍّ، ولأنَّ الإيمانَ هو التَّصديق بكليَّة الأشياء فيما فيها الشَّهادة لله تعالى بالرُّبوبيَّة والألوهيَّة، والإسلامَ هو جعلُ كلِّ الأشياء لله تعالى سالمة(١).

وقال الإمام القشيريُّ رحمَه الله: بيَّنَ أنَّه لا يُكتَفى بالأقوال، بل لا بدَّ مِن صدقِ الأحوال.

وحقيقةُ التَّوكُّل: توسُّلٌ يتقدَّمُه تنصُّل، ثمَّ يَعلمُ أنَّ نجاته بفضلِ الله تعالى تحصل، لا بما يأتي به من التَّكلُّف والتَّعمُّل(٢).

* * *

(٨٥) - ﴿فَقَالُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَقَالُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾: أجابوه إلى ما أمرَهم به.

وقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: قال مجاهدٌ: له معنيان:

أحدُهما: لا تعذِّبْنا بأيدي قوم فرعون، وهو كقوله تعالى: ﴿عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ﴾ [يونس: ٨٣].

---

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٦/ ٧٦).

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٢/ ١١٢).

والثَّاني: لا تعذِّبْنا بعذابٍ مِن عندك، فيقولَ قومُ فرعون: لو كانوا على حقٍّ ما عُذِّبوا، وما سُلِّطنا عليهم، فيُفْتَنوا فتنةَ كفرٍ وضَلالٍ(١).

* * *

(٨٦) ـ ﴿ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾: أي: أخرِجْنا مِن بين أظهرِهم، فنأمنَهم ونعبدَك آمنين.

وقيل: أي: خلِّصنا مِن استعبادهم، وأخذهم(٢) بالأعمال الشاقة والمهن الخسيسة.

* * *

(٨٧) ـ ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ ﴾: أي: هارون ﴿ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا ﴾؛ أي: اتَّخذوا، وقيل: أي: تَمكَّنا.

و(مصر) لا تُصرَف؛ لأنَّه مؤنَّث معرفة؛ لأنَّها بلدة أو كورة أو أرض.

﴿ لِقَوْمِكُمَا ﴾؛ أي: لأجلِهم.

﴿ وَٱجْعَلُوا۟ ﴾: أي: أنتما وهم ﴿ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً ﴾: قال مجاهدٌ: أي: نحو الكعبة(٣).

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٢٥٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٩٧٦).

(٢) كذا في النسخ، ولعل الأولى أن يقول: (وأخذهم إيانا).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٢٥٨).

ورواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٢٥٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٩٧٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وقيل: فيه إضمار؛ أي: اجعلوا بيوتكم قبلةً إلى الكعبة.

وقال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: إنَّ فرعون لَمَّا أتاه موسى عليه السلام بالرِّسالة أمرَ بمساجد بني إسرائيل فكُسِّرَتْ كلُّها، وكانت المساجدُ ظاهرةً، فأمرهما الله تعالى أن يَجعلا لقومِهما مساجدَ في جوفِ البيوت، ولا يظهروها[١].

﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: أي: حافظوا عليها بشروطها.

﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: أي: يا موسى، بشِّرْهم بقُرْبِ الخَلَاص.

وخصَّ به موسى لأنَّ هارون كان تابعًا له، وذلك أنَّ موسى صلوات الله عليه كان يأمرُ فرعونَ بأنْ يُرْسِل معه بني إسرائيل، فيَخرجوا مِن مصر إلى الشَّام بوعد الله تعالى أنْ يُوْرثهم إيَّاها ويجْعلَهم سكانَها، وكان فرعونُ يأبى عليه، وكان لذلك وقتٌ معلومٌ، فأمرَهما اللهُ تعالى أنْ يُقيْمَا بمصر مطمئنين متمكِّنين، لا يستعجلان، وأنْ يَأْمُرا بني إسرائيل بذلك، ويتَّخذوا مساجدَ في بيوتهم، ويصلُّوا فيها سِرًّا، منتظرين للفرج، وهكذا عادة المسلمين إذا حزبَهم أمرٌ فَزِعوا إلى الصَّلاة.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: ويَحتمِل هذا الأمرَ بالانفصال مِن فرعون وقومه باتِّخاذ البيوت لهم في طرفٍ مِن المصر، حتَّى إذا أرادوا الخروج من عندهم قدروا على ذلك، ولا يكون المرورُ عليهم، وكان ذلك الانفصال مِن جهة القِبلة[٢].

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: مَهَّدْنا لهم لعبادتنا مَحَالَّ وهي نفوسُهم، ولمعارفنا منازلَ وهي قلوبُهم، ولمحبَّتنا مواضعَ وهي أرواحُهم، ولمشاهدتنا معاهدَ

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ١٤٤)، وروى نحوه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٢٥٥).

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٦/ ٧٨).

وهي أسرارُهم، فنفوسُ العابدين بيوتُ الخدمة، وقلوبُ العارفين أوطان المعرفة، وأرواحُ المهيَّمِين مشاهد الحِشمة، وأسرار الموحِّدين منازل الهمَّة(١).

***

(٨٨) - ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾: ضاقَ صدرُ موسى مِن معاملةِ فرعون وقومه، فدعا عليهم فقال: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً﴾ في هيآتهم في المحافل، وإذا ركبوا وبرزوا للنَّاس، ﴿وَأَمْوَٰلًا﴾ مِن ذهب وفضَّة.

وقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ﴾: أي: يا ربنا أعطيتهم ذلك ليُضِلُّوا النَّاس عن طاعتك(٢).

وقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ﴾: أي: أهلِكْها وأذهبْ آثارَها؛ لأنَّهم

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٢/ ١١٢).

(٢) كذا شرح المؤلف هذه الجملة ولم يصنع شيئاً، فهو لم يبين ما في اللام التي في ﴿لِيُضِلُّوا۟﴾ من الوجوه، ولا توجيه ذلك على كل وجه من الوجوه، وقد استوعب ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٣/ ١٣٩) ذلك فقال: (وقوله: ﴿لِيُضِلُّوا۟﴾ يحتمل أن تكون لامَ «كي» على بابها على معنى: آتيتهم الأموال إملاء لهم واستدراجاً فكان الإيتاء كي يضلوا، ويحتمل أن تكون لام الصيرورة والعاقبة، كما قال: ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ [القصص: ٨] والمعنى: آتيتهم ذلك فصار أمرهم إلى كذا، وروي عن الحسن أنه قال: هو دعاء. ويحتمل أن يكون المعنى على جهة الاستفهام؛ أي: ربنا ليضلوا فعلتَ ذلك، وفي هذا تقرير الشنعة عليهم).

يستعينون بنعمتِكَ على معاصيك، وإنَّما أمرتَهم بأن يستعينوا بها على طاعتِك وسلوك سبيلِك.

قال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: بلغَنا أنَّ الدَّراهم والدَّنانير صارت حجارةً منقوشة كهيئة الدَّراهم والدَّنانير(١).

وقوله تعالى: ﴿وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾: قال الإمام أبو منصور رحمه الله: يحتمل هذا وجهَين:

واجعل على قلوبهم قساوةً وغلظةً تنفِّر الأتباع منهم ومَن يقلِّدهم عن اتِّباعهم وتقليدهم، فيكون ذلك أهون علينا في استنقاذ الأتباع، وأَدْعى للأتباع إلى الإيمان.

الثَّاني: اطبعْ على قلوبهم(٢).

﴿فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾: أي: ليرَوا ذلك، ويحتمِل الغاية؛ أي: إلى أن يروا العذاب الأليم، وكان كذلك فإنَّهم لم يؤمنوا إلى الغرق، وكان ذلك إيمانَ يأسٍ، فلم يُقْبَل.

وقوله تعالى: ﴿فَلَا يُؤْمِنُوا۟﴾ يحتمِل النَّصبَ جوابًا للأمر بالفاء، ويحتمِل عطفًا على قوله تعالى: ﴿لِيُضِلُّوا۟﴾، ويحتمِل الجزمَ بالنَّهي على معنى الدُّعاء، وهو كقول الشَّاعر:

فلا يَنْبَسِطْ مِنْ بينِ عينَيْكَ ما انْزَوَى ... ولا تلْقَنِي إلَّا وأنفُكَ راغِمُ(٣)

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ١٤٥).

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٦/ ٧٨).

(٣) البيت للأعشى. انظر: «ديونه» (ص: ١٧٨).

وقال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: ﴿وَٱشۡدُدۡ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُواْ﴾؛ أي: أهلكْهم كفَّارًا[١].

وقال مجاهد: ﴿وَٱشۡدُدۡ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ﴾: بالضلالة، ﴿فَلَا يُؤۡمِنُواْ﴾: بالله تعالى بما يرون مِن الآيات ﴿حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ﴾[٢].

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: هذا محمولٌ على أنَّ الله تعالى أخبرَ موسى عليه السلام أنَّهم لا يؤمنون، فيَسَعُه[٣] هذا الدُّعاء، كما أخبر الله تعالى نوحًا أنَّه لن يؤمن مِن قومِك إلَّا مَن قد آمن، فقال: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح: ٢٦]، فأمَّا قبل أنْ يخبرَه بذلك فلا يسعه أن يدعوَ بهذا الدعاء، وهو إنَّما أرسلَه إليهم ليدعوهم إلى الإيمان[٤].

وهذه الآيةُ دليلٌ على أنَّ الدُّعاء على الغير بالموت على الكفر لا يكون كفرًا، ولا يكون رضًا بالكفر، ولا استحسانًا له، بل هو غاية استقباح له، فإنَّه لا يدعو به على أحدٍ إلَّا وعنده أنَّه أفحش جنايةٍ، وعليه أعظم عقوبةٍ.

* * *

(٨٩) ـ ﴿قَالَ قَدۡ أُجِيبَت دَّعۡوَتُكُمَا فَٱسۡتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ قَدۡ أُجِيبَت دَّعۡوَتُكُمَا﴾: والدُّعاء كان مِن موسى عليه السلام وحدَه في الظَّاهر؛ فإنه قال: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ﴾، وإنَّما قال: ﴿دَّعۡوَتُكُمَا﴾ لوجوه:

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٢٦٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٩٧٩).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٢٦٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٩٧٩).

(٣) قوله: «فيسعه» هنا معناه والله أعلم: فيسوغ له ويحق له.

(٤) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٦/ ٧٩).

أحدها: أنَّه يحتمل أنَّ هارون دعا أيضًا، وإنما ذُكر عن موسى لأنَّه كان أصلًا.

والثَّاني: يحتمل أنَّ هارون اقتدى به فيما دعا، واتَّبع ألفاظَه فيه، فكان الأصلُ موسى فأُضِيفَ إليه، ثمَّ كانت الإجابة لهما.

والثَّالث: أنَّ موسى عليه السَّلام يدعو وهارون عليه السَّلام يؤمِّنُ، والتَّأمينُ دعاءٌ، فإنَّ معناه: كذلكَ فليكُنْ.

وقوله تعالى: ﴿فَٱسْتَقِيمَا﴾: على ما أنتما عليه من الإبلاغ والوعظ إلى حلول الوقت، ولا تستعجلا.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾: فرعون وقومه.

قرأ ابنُ عامر: ﴿ولا تَتَّبعانِ﴾ بتخفيف النُّون[1]، وهو إخبارٌ لا نهيٌ، وقرأ الباقون بالتَّشديد: ﴿وَلَا تَتَّبِعَآنِّ﴾ نهيٌ، والنُّون للتَّأكيد، كما في الواحد: لا تقولَنَّ ولا تفعلَنَّ.

وقال ابن عبَّاس وابن جريج رضي الله عنهم: مكثَ فرعون بعد الدَّعوة أربعين سنة[2].

وقال الإمام القشيريُّ رحمَه الله: مِن شرط الدُّعاء صِدْقُ الافتقار في الابتداء، ثمَّ حُسْنُ الانتظار في الانتهاء، وكمالُه بالرِّضا بجريان الأقدار، بما يبدو مِن المسارِّ والمضارّ.

والاستقامةُ في الدُّعاء: سقوطُ التَّقاضي على الغيب، والخمودُ عن الاستعجالِ بُحسْنِ الثِّقة وجميل الظَّنِّ[3].

---

(١) هي رواية ابن ذكوان عن ابن عامر. انظر: «السبعة» (ص: ٣٢٩)، و«التيسير» (ص: ١٢٣).

(٢) رواه ابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنهما، كما في «الدر المنثور» للسيوطي (٦/ ٤١٥).
ورواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٢٧٣) عن ابن جريج.

(٣) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٢/ ١١٣).

(٩٠) ـ ﴿ ۞ وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ وَجُنُودُهُۥ بَغۡيٗا وَعَدۡوًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ﴾: أي: أجبنا دعاءَهما، وأمرنا بني إسرائيل بالخروج للوقت المعلوم، ويسَّرنا لهم أسبابَه، فلم يعلمْ فرعونُ وملؤُهُ بهم، ولا بخبرِ استعدادِهم للخروج؛ لإخفائِنا ذلك عنهم، وصَرْفِنا إيَّاهم عنهم باشتغالهم بدفن أبكارِهم، إذْ متنَ تلك اللَّيلة.

وقوله تعالى: ﴿فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ وَجُنُودُهُۥ﴾: أي: طلبوا لحاقَهم، وكذا قولُه: ﴿فَأَتۡبَعُوهُم مُّشۡرِقِينَ﴾ [الشعراء: ٦٠].

﴿بَغۡيٗا﴾: أي: استطالةً عليهم ﴿وَعَدۡوًا﴾؛ أي: ظلمًا واعتداءً.

قال قيس[(١)]: كانَ مع موسى عليه السلام مِن بني إسرائيل ستُّ مئة ألف، وكان مقدِّمة فرعون سبعَ مئة ألف، كلُّ رجل منهم على حصان، على رأسه بيضة، وبيده حَرْبَة، وهو خلفَهم في جمعٍ كثيرٍ، فلمَّا انتهى بنو إسرائيل إلى البحر قالوا: يا موسى، أين ما وعدتنا؟ هذا البحرُ بينَ أيدينا، وهذا فرعونُ على أثرنا وجنوده، فقال موسى للبحر: انفلقْ أبا خالد، قال: لن انفلق لك، أنا أقدمُ منك وأشدُّ خلقًا، فنُودي موسى: أنِ اضرِبْ بعصاك البحرَ، فضربَ، فانفلقَ البحرُ، وكانوا اثني عَشَرَ سِبْطًا، حتَّى كان لكلِّ سِبْطٍ طريقٌ[(٢)].

قال وهبٌ: وارتفعَ بينَ كلِّ طريقَيْن الماءُ كالجبل، وكانوا بني عمٍّ، لا يرى

---

(١) هو قيس بن عُبَاد، أبو عبد الله البصري، مخضرم مات بعد الثمانين، ووهم من عده في الصحابة. قاله في «التقريب».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٥٧٤).

بعضُهم بعضًا، ولا يسمعُ بعضُهم كلامَ بعضٍ، فأوحى الله تعالى إلى الجبال من الماء أن تشبَّكي، فظهرَتْ مشبَّكاتٌ حتَّى رأوا وسمعوا ومضوا، فعاد البحر إلى حالِه، فلمَّا انتهى أوَّل جنود فرعون هابَتِ البَحر[1]، ومُثِّل لحصان فرعون فرسٌ عليه جبريل، وفرعونُ لا يراه، فوجدَ الحصانُ ريحهَا، فانسلَّ خلفَ فرس جبريل في الماء، فقال فرعون: هابني البحرُ، فلمَّا دخل آخرُ جنود فرعون البحر وخرج آخرُ بني إسرائيل انطبقَ عليهم[2].

فلمَّا ألجمَه الغرقُ، وذلك قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ﴾: ﴿ٱلۡغَرَقُ﴾ بفتح الرَّاء: القُرْبُ مِن الهلاكِ بغَمرةِ الماء، والغَرْقُ بتسكينها: الهلاكُ فيها.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ﴾: قرأ حمزةُ والكسائيُّ: ﴿إِنَّه﴾ بالكسر على الابتداء، فقوله: ﴿ءَامَنتُ﴾ كلامٌ، وقولُه: ﴿إِنَّهُۥ﴾ ابتداءُ كلامٍ آخر، وهو كالبدل عن الأوَّل، وقرأ الباقون بفتحها[3] لوقوع ﴿ءَامَنتُ﴾ عليها.

وقوله تعالى: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَاْ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾؛ أي: المؤمنين، وقيل: أي: المخلصين، وقيل: أي: المنقادين.

* * *

(٩١) ـ ﴿ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾: أي: قال جبريل: ﴿ءَآلۡـَٰٔنَ﴾ استفهام بمعنى التَّوبيخ، وأضمر فيه: آلآن آمنْتَ؛ أي: عندَ الغرق، وهي

---

(١) «البحر» من (ف).

(٢) ذكر نحوه الثعلبي في «تفسيره» (٦/ ٢٥٥).

(٣) انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ٣٣٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٣).

حالة اليأس، ﴿وَقَدْ عَصَيْتَ﴾ أمرَ اللهِ بالإيمان ﴿قَبْلُ﴾ هذه الحالة، ﴿وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ في أرض مصرَ بالدُّعاء إلى عبادة غير الله.

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: أي: أبعدَ طول الإمهال، والإصرارِ على ذميم الأفعال، والرَّكض في ميدان الاغترار، وفَوْت وقت الاعتذار، هيهات هيهات، لقد استوجبْتَ أنْ يُرَدَّ عذرُكَ في وجهِكَ، فلا لِعُذرِكَ قَبولٌ، ولا لك إلى ما تَرومُه وصولٌ[1].

وروى ابنُ عبَّاس رضي الله عنهما عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: لَمَّا قال فرعون: لا إلهَ إلَّا الله، أتاهُ جبريلُ فحشا فاه بالتُّراب؛ خشيةَ أنْ تدرِكَه رحمةُ الله تعالى[2].

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: لم يُقبَلْ إيمانُ فرعونَ في ذلك الوقت لوجهَيْنِ:

أحدهما: أنَّ إيمانَه عندَ خوفِ الهلاكِ إيمانُ دفعِ البأس، لا إيمانُ حقيقةٍ، وهو كإيمان الكفرة في الآخرة.

والثَّاني: أنَّ الإسلامَ تسليمُ النَّفس إلى الله تعالى، فإذا آمنَ في وقتٍ خرجَتْ نفسُهُ مِن يدِه لم يَصِرْ مُسْلِمًا نفسَه إلى الله تعالى؛ إذ ليسَ نفسُه في يدِه فيُسْلِمَها[3].

وعن كعبِ الأحبار قال: أمسك فيضُ[4] مصرَ عن الجري، فقالَتِ القبطُ لفرعونَ: إنْ كنْتَ ربًّا فأجرِ الماء، فركبَ وأمرَ جنودَه بالرُّكوبِ، وكان مناديه ينادي كلَّ ساعةٍ: ليقفْ فلانٌ بجنوده قائدًا لهم، فجعلوا يقفون على درجات، حتَّى بقي

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٢/ ١١٤).

(٢) روى نحوه الترمذي (٣١٠٧) وقال: حديث حسن، و(٣١٠٨) وقال: حسن صحيح من هذا الوجه.

(٣) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٦/ ٨٠ ـ ٨١).

(٤) في (ف): «نيل».

هو وحجَّابُه ووزراؤُه، فأمرَهم بالوقوف، فتقدَّمهم وحدَه بحيث لا يرونَه، ونزلَ عن دابَّته، ولبس ثيابًا، فأتاه جبريل وهو وحده يستفتي: ما قولُ الأميرِ في عبدٍ لرجلٍ، نشأَ في مالِه ونعمتِه، ولا سيِّدَ له غيره، فكفرَ نعمتَه، وجحدَ حقَّه، وادَّعى السِّيادة دونَه، فكتبَ فرعون فيه: يقول أبو العبَّاس الوليدُ بنُ مصعب بن ريَّان: جزاءُ العبد الخارج على سيِّده الكافر نعماءَه أن يغرقَ في البحر، فأخذَه جبريل ومرَّ، فلمَّا ألجمَه الغرق وأيقنَ بالهلاك ناولَه جبريلُ خطَّه وغرَّقه.

قال كعب: ورماه الماءُ كأنَّه ثور إلى السَّاحل[1].

* * *

(٩٢) ـ ﴿ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴾.

وقوله[2] تعالى: ﴿ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ ﴾: أي: نلقِيْكَ على نَجْوَةٍ مِن الأرض؛ أي: ارتفاعٍ ﴿بِبَدَنِكَ ﴾؛ أي: جسدًا لا روحَ فيه.

وقيل: أي: مع درعك، والبَدَنةُ والبَدَنُ: الدِّرعُ.

وقيل: ﴿نُنَجِّيكَ ﴾ مِن النَّجاة، وهي الخَلاص؛ أي: تخلصُ مِن دوابِّ البحر، فنخرجُكَ ولم تأكلْكَ.

ورُوي أنَّ بني إسرائيل قالوا: ما ماتَ فرعونُ، ولا يموتُ أبدًا، فألقاه البحرُ بأمر الله تعالى إلى السَّاحل، فعاينوه وأيقنوا بموتِه[3].

---

(١) الخبر من الإسرائيليات، وذكره عن كعب الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ١٤٧)، ودون عزو الزمخشري في «الكشاف» (٢/ ٣٦٨)، وفيه (فعرفه) بدل «فغرقه».

(٢) في (ف): «فذلك قوله».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٢٨٠) عن قيس بن عباد، وسيأتي قريباً عن السدي.

وقوله تعالى: ﴿لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً﴾: أي: لتكونَ لِمَنْ بقيَ مِن بعدِكَ علامةً، فتزولَ وساوسُ الشَّيطان وخُدَعُه عن الضَّعَفة بتوهُّمِهم حياتَه أو خلاصَه عن الهلاك؛ إذ كانَ عندَهم إلهًا معبودًا، وتكون آيةً يستدلُّون بك على ما يلزمُهم مِن الانقيادِ للأنبياء، والإجابةِ لدعوتِهم، وإلَّا حَلَّ بهم ما حلَّ به.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ﴾: أي: فعلْنا ذلكَ بفرعونَ مع تكبُّرِه وإسرافِه ودعواه الإلهيَّةَ، فنحنُ على إهلاك هؤلاء المشركين الذين هم دونَه لقادرون، ولو فكَّروا لعلموا ذلك، لكنَّهم غافلون.

وقال السُّديُّ: قالَتْ بنو إسرائيل: إنَّ فرعونَ لم يغرقْ، وإنَّه يدركُنا الآنَ ويقتُلُنا، فأوحى اللهُ تعالى إلى البحرِ فقذَفَه، فأخذَ بنو إسرائيلَ أسلحتَهم(١).

وقال ابنُ عبَّاس رضي الله عنهما: لم يكنِ الماءُ ينبذُ الغريقَ قبلَ فرعونَ، فلمَّا أغرقَ اللهُ عزَّ وجلَّ فرعونَ أمرَ الماءَ بنَبْذِ الغريق(٢).

وذُكِرَ أنَّ في قراءة أبي حنيفة رضي الله عنه: (فاليومَ نُنَحِّيكَ) بالحاء المهملة مِن تحتها(٣)، مِن التَّنحية، وهي التَّبعيد، (بيدَيْكَ): تثنية اليدِ(٤)، (لتكونَ لِمَنْ خلقَكَ)

---

(١) لم أجده هكذا، وروى ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٩٨٤) عن السدي: قوله: ﴿لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً﴾: لبني إسرائيل آية.

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٩٨٤)، وإسناده ضعيف.

(٣) نسبت لأبي بن كعب ومحمد بن السميفع ويزيد البربري. انظر: «المحتسب في شواذ القراءات» لابن جني (١/ ٣١٦). وذكره ابن الجزري في «النشر» (١/ ١٦) عن ابن السميفع وأبي السمال مثالاً على ما نقله غير الثقة، مما غالب إسناده ضعيف.

(٤) ذكرها ابن كمال باشا في «تفسيره» ولعله أخذها من المؤلف.

بالقاف[١] (آيةً)؛ أي: نبعدك عن الرَّحمة بما كسبَتْ يداكَ مِن الجفوة، لتكون من خالقِكَ لخلْقِهِ آيةً.

***

(٩٣) ـ ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ فَمَا ٱخْتَلَفُوا۟ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ﴾: أي: مكنَّاهم بعدَ إغراق فرعون وقومه مكانًا حَسنًا محمودًا، وأنزلناهم منازلَ فرعونَ وقومِه، وأورثناهم أرضَ الشَّام وهي منازل الصِّدق. قاله قتادة[٢].

وقال الحسن: أي: مصر، وهو منزلٌ صالحٌ آمنٌ خصْبٌ[٣].

وقال الضَّحَّاكُ: مصر والشَّام[٤].

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: ويحتمِل قولُه عزَّ وجلَّ: ﴿مُبَوَّأَ صِدْقٍ﴾؛ أي: صدَّقنا لهم بها ما وعَدْنا بقولنا: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ الآية [القصص: ٥].

ويحتمل: مبوَّأَ أهلِ صدقٍ، كما قال: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ﴾ الآية [الإسراء: ٨٠][٥].

---

(١) نسبت لعلي رضي الله عنه، انظر: «تفسير الثعلبي» (٣/ ٣٠١)، و«البحر المحيط» (١٢/ ١٧٣).

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١١٧٢)، والطبري في «تفسيره» (١٢/ ٢٨٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٩٨٥).

(٣) ذكره الواحدي في «البسيط» (١١/ ٣١١).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٢٨٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٩٨٥).

(٥) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٦/ ٨٢ ـ ٨٣).

وقوله تعالى: ﴿وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾: أي: الأقواتِ والأطعمة المستطابة.

ويحتمل: الـمَنَّ والسَّلوى.

وقوله تعالى: ﴿فَمَا ٱخْتَلَفُوا۟ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ﴾: قيل: فما اختلفوا في نبوَّة محمَّد ﷺ إلى أن جاءَهم هو، فحينَئذٍ كفرَ بعضُهم به وآمنَ بعضُهم.

و﴿ٱلْعِلْمُ﴾: معرفتُهم به قبلَ خروجِه، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ﴾ [البقرة: ٨٩].

وقيل: بل كانوا مختلِفِيْنَ في كثيرٍ مِن أمورِ دينِهم قبلَ الـمَبْعَثِ، طلبًا للرِّئاسة، وبغيًا مِن بعضهم على بعضٍ، حتَّى ألجأَهُم ذلك إلى القتال، تعسُّفًا في التَّأويل، وتعصُّبًا للمذاهب، وقوله: ﴿حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ﴾؛ أي: الكتاب والأحكام، فاختلفوا بعد فراقِهم موسى عليه السَّلام، على الوجه الَّذي قُلْنا.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾: فيَمِيزُ المحقَّ من الـمُبْطِلِ، فيجزي كلًّا منهم على استحقاقِه، ويُنزله منزلةَ استيجابه[1]، على حكم وعده ووعيده.

وقيل: أراد به اليهود الَّذين كانوا في عصر النَّبيِّ ﷺ، أنزلَهم الله تعالى منزلةَ كرامةٍ وفضلٍ، فما اختلفوا في محمَّد حتَّى جاءَهم العلمُ عيانًا؛ أي: المعلوم، وهو محمَّد عليه الصَّلاة والسَّلام.

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: يقول: أَدَلْنَا لهم الأيام، وأكثَرْنا عليهم الإنعام،

---

(١) في (أ): «وينزل منزله استجابة» ولم تنقط الأخيرة، وفي (ف): «وينزل منزله الاستحباب»، وفي (ر): «وينزل منزلة استحباب». وكلها غير ظاهرة، والمثبت من «تفسير ابن كمال باشا» وقد نقل كلام المؤلف بحرفه.

وأكرَمْنا لهم المقام، وأتَحْنا لهم فنونَ الحسنات، وأدْرَرنا عليهم جميع الخيرات، فلمَّا قابلوا النِّعمةَ بالكفرانِ، وأصرُّوا على البغي والعُدوان، أذقناهم سوءَ العذاب، وسدَدْنا عليهم أبواب ما فتحْنا لهم مِن التَّكريم والإيجابِ، ذلك جزاءُ مَن حادَ عن طريقةِ الوِفاق، وجنحَ إلى جانبِ الشِّقاقِ(١).

***

(٩٤) - ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ﴾: يقول: إنَّ قصَّة فرعون وموسى على ما اقتَصَصْتُه عليك، فإنْ كنْتَ شاكًّا فيه ﴿فَسْـَٔلِ﴾ المؤمنين مِن أهل الكتاب عن ذلك ﴿ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾: أي: مِن الشَّاكِّيْنَ.

وتكلَّمَ النَّاسُ في هذه الآية وأكثروا؛ لأنَّ ظاهرَها مشكِلٌ؛ فإنَّ النَّبيَّ عليه الصلاة والسلام لم يكن يشكُّ فيما أُنْزِلَ عليه.

قال أكثرُ المفسِّرين: الخطابُ للنَّبي عليه الصلاة والسلام، والمرادُ غيرُه ممَّنْ شكَّ فيه، والعربُ تفعل كذلك، وفيه المثل السَّائر: إيَّاكِ أعني واسمعي يا جارة(٢). ومثله في القرآن: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ [الأحزاب: ١]، ويدلُّ عليه قوله تعالى في آخر الآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء: ٩٤] على الجمع.

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٢/ ١١٥).

(٢) انظر: «مجمع الأمثال» للميداني (١/ ٢٩).

وقال القتبي: الخطابُ لغيرِه، وهو مَن شكَّ فيه.

قال: كان النَّاس على عهد النَّبيِّ ﷺ أصنافًا:

منهم كافرٌ مكذِّب لا يرى إلَّا أنَّ ما جاءَ به باطل.

ومؤمنٌ مصدِّق يعلم أنَّ ما جاءَ به حقٌّ.

وشاكٌّ في الأمرِ لا يدري كيف هو؟ يقدِّم رجلًا، ويؤخِّر أخرى.

فخاطَبَ اللهُ تعالى هذا الصِّنفَ مِن النَّاسِ، فقالَ: إنْ كنْتَ أيُّها الشَّاكُّ في شَكٍّ ممَّا أنزلْنا إليك من الهدى على لسان محمَّد، فسَلِ الأكابرَ مِن أهلِ الكتاب والعلماء الَّذين يقرؤون الكتاب مِن قبلِكَ، مثل عبد الله بن سلام وسلمان الفارسي وتميم الدَّاري وأشباههم، شهدوا على صدقِه، ولم يُرِدِ المعاندين منهم[(١)].

وقيل: خرجَ هذا الكلامُ مخرجَ المبالغةِ في شِبْهِه[(٢)]، وهو كقولِكَ لعبدِكَ: إنْ كنْتَ عبدي ـ وتعلَمُ أنَّه كذلك ـ فانتهِ إلى أمري، وإلَّا فأسألِ النَّاسَ يخبروك أنَّك عبدي، وهو لا يشكُّ في عبوديَّتِه لسيِّده[(٣)].

---

(١) انظر: «تأويل مشكل القرآن» لابن قتيبة (ص: ١٦٨)، وفي آخره تقديم وتأخير: (ولم يرد المعاندين منهم فيشهدون على صدقه).

(٢) في (أ): «في تثنيته»، وفي (ر): «في شبه»، وفي (ف): «تَبْيِيْنُه». ولعل المثبت هو الصواب؛ أي: فيما يشابهه من الكلام وأسلوب الخطاب، وعلى عادة العرب في مثله. انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٤٧٩) ولعله أول القائلين بهذا الوجه من التأويل، و«تفسير الثعلبي» (٥/ ١٤٩)، و«تفسير السمعاني» (٢/ ٤٠٤)، و«وغرائب التفسير وعجائب التأويل» لتاج القراء الكرماني (١/ ٤٩٤) وضعفه، و«تفسير البغوي» (٤/ ١٥٠).

(٣) ولم يرتض هذا بعض العلماء، فقد ضعفه تاج القراء الكرماني كما ذكرنا، ووجه تضعيفه ما قاله أبو العباس الرازي في «مباحث التفسير» (ص: ١٦٠) بقوله: لا وجه له؛ لأن قول القائل لعبده: إن كنت =

وتقديرُ هذه الآية على هذا: قدْ أخبَرْناكَ بما تعلمُ أنَّك لا تشكُّ فيه، فإنْ كنْتَ في شَكٍّ فيه فاسألِ العلماءَ به، ثمَّ يعودُ حقيقة الأمر إلى أنَّ ما أخبرناك به صِدقٌ، ينبغي للكفَّار أنْ يصدِّقوك، فإنْ لم يصدِّقوك فلْيَسألوا غيرَكَ مِن أهل الكتاب.

والأمورُ إذا وقعَتْ فيها المبالغةُ خرجَ الخطاب فيها إلى ما لا يكون، قال تعالى: ﴿وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ﴾ [الأحزاب: ١٠]، قال تعالى: ﴿وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ﴾ [إبراهيم: ٤٦]، وقال تعالى: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا﴾ [مريم: ٩٠]؛ أي: لو جازَ كونُ هذه الأشياء لكانت في هذه الحالة.

فكذا هذا معناه: لو كنْتَ ممَّنْ يلحقُكَ شَكٌّ فيما أخبرناك به، فسألْتَ أهلَ الكتاب، لأزَالُوا عنك الشَّكَّ بتصديقِهم إيَّانا فيما أخبَرْناك به، وهو كقوله تعالى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر: ٦٥]؛ أي: لَئِنْ كنْتَ ممَّن يجوزُ ذلك عليك لبطلَ عملُكَ.

وقيل: علم الله تعالى أنَّ الرَّسولَ عليه الصَّلاة والسَّلام لا يشكُّ، فإنَّما خاطبه بهذا ليقول: أنا لا أشكُّ؛ لِيُثاب على ذلك، كما قال لعيسى عليه السلام: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ ليقول: ﴿سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾ [المائدة: ١١٦]؛ لِيُثَابَ على ذلك.

وقد رُوي أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال لجبريل: «أنا لا أشكُّ، ولا أسألُ»(١).

وقال الزُّهريُّ: نزلَتِ الآيةُ في السَّماء، ومعنى قوله: ﴿فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ﴾: الملائكة.

= عبدي فأطعني، يقوله وهو متيقن أنه عبده، فيلزم أن الله تعالى يعلم أن نبيه ﷺ شاك؛ لأنه قال: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ﴾ كقولنا: إن كنت غلامي.

(١) رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (١٠٢١١)، والطبري في «تفسيره» (١٢/ ٢٨٨)، عن قتادة مرسلًا.

وقال عبد العزيز بن يحيى: أي: فإنْ كنْتَ في ضِيقِ صَدْرٍ مِن تعنُّتِ الكفَّار لِمَا أُنْزلَ عليك، فاسألْ أهلَ الكتابِ: كيفَ صبرَ الأنبياءُ على أذى قومِهم، وكيف كانَتْ عاقبةُ أمرِهم[1].

***

(٩٥) ـ ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾: هي خطابُ رسولِ اللهِ ﷺ ظاهرًا، والمراد به غيره، أو هي خطابُ غيرِه، وهو على ما مرَّ في الأولى.

وإنْ حُمِلَتْ على خطابِه وإرادَتِه فقد مَرَّ مرَّات أنَّ العِصمةَ لا تزيلُ النَّهيَ، بل قيام النَّهيِ شرطٌ لتحقُّقِ العصمة.

***

(٩٦ ـ ٩٧) ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ (٩٦) وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ (٩٦) وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾: وهي تسليةُ رسول الله ﷺ وإزالةُ ضِيقِ صَدْرِه بتأخُّر إسلام قومِه.

وقال الإمامُ أبو منصورٍ رحمه الله: ﴿حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ هو قولُه عزَّ وجلَّ: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [هود: ١١٩].

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ١٥٠).

ويحتمِلُ قولَه: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ﴾ إلى قولِه: ﴿مَّا كَانُواْ لِيُؤْمِنُوٓاْ﴾ [الانعام: ١١١].

وحاصلُه: أنَّ مَن علمَ اللهُ منه اختيارَ الكُفْرِ وإصرارَه عليه شاء له الكُفْرَ فلا يؤمِنُ أبدًا(١).

وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ عندَ البأسِ فيؤمنون به، ولا ينفعُهم، أو في القيامة فلا يُقبَل منهم.

* * *

(٩٨) ـ ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَـٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَـٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَـٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ﴾ الآية: أي: فهلَّا، وهو تحريضٌ، و﴿قَرْيَةٌ﴾؛ أي: أهلُ قرية؛ أي: فهلَّا آمنَ أهلُ قريةٍ مِن الَّذين عُوجِلوا بالعذاب، فكان ينفعهم إيمانهم ويُقبَل منهم، وهاهنا مُضمَر: ولم يؤمنوا فضرَّهم كفرُهم ﴿إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ﴾.

﴿لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾: والخزيُ: الهوانُ الَّذي يفضحُ صاحبَه.

وقال الحسنُ: لم يكن ذلك فيما خلا ـ أنْ يؤمِنَ أهلُ قرية بأسرها حتَّى لا يشذَّ أحدٌ منهم ـ إلَّا قوم يونس؛ أي: فهلَّا كانت القُرى كلُّها هكذا.

وقوله تعالى: ﴿وَمَتَّعْنَـٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾: أي: إلى حضورِ آجالِهم.

---

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٦/ ٨٥).

وأكثر المفسرين على أن إيمان قوم يونس لم يكن حين عاينوا هذا العذاب، لكنَّ يونسَ صلوات الله عليه أخبرَهم بدنوِّ نزول العذاب بهم، وفارقَهم، وتلك حالةٌ لم يَزُلِ التَّكليفُ فيها عنهم، فراجعوا عقولَهم، فأبصروا رشدهم، فآمنوا، فانصرفَ العذابُ الَّذي كان أشرفَ عليهم عنهم.

وكان ذلك مخالفًا لحالةِ فرعونَ حين أدركَه الغرقُ؛ لأنَّه آمنَ في حالِ معاينةِ العذابِ، وهي حالةُ زوالِ التَّكليف عنه، فلم ينفَعْهُ الإيمانُ، كقوله تعالى: ﴿فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا﴾ [غافر: ٨٥].

وقوله تعالى: ﴿كَشَفْنَا عَنْهُمْ﴾ لا يدلُّ على حصولهم في العذاب، بل يقع ذلك على إشراف العذاب عليهم، كما قال تعالى: ﴿وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا﴾ [آل عمران: ١٠٣] كان الإنقاذُ منها حالةَ الإشراف عليها، لا الحصولِ فيها.

وقال قتادة: ذُكِرَ لنا أنَّ قومَ يونسَ عليه السَّلام كانوا بنِينَوى مِن أرضِ الموصِل، فلمَّا فقدوا نبيَّهم قذفَ اللهُ في قلوبِهم التَّوبة، فلبسوا المسوحَ، وخرجوا فنزلوا على تلٍّ، وفرَّقوا بينَ كلِّ بهيمةٍ وولدِها، وعجُّوا أربعين ليلةً، فلمَّا علمَ اللهُ تعالى الصِّدق مِن قلوبِهم، كشفَ عنهم العذابَ، وتابَ عليهم، ومتَّعهم إلى حين الموت(١).

وقال وهبٌ: قال يونسُ لقومِه: إنَّ أجلَكُم أربعون يومًا وليلة، فإنْ لم تستجيبوا له عذَّبكم عذابًا يفنيكُم ويستأصلُكُم. قالوا: فإنَّ آيةَ ما بينَنا وبينك الأجل، فإنْ رأيْنا أسبابَ العذابِ صدَّقْناك، فدخلوا مدينتهم يأتمرون وينتظرون في أمره، فلمَّا مضى مِن الأجل خمسة وثلاثون يومًا غامَتْ عليهم السَّماء غيمًا أسودَ هائلًا، يدخِّنُ دخانًا شديدًا، ثمَّ يهبط حتَّى يغشى مدينتهم، حتَّى اسودَّتْ سطوحُهم منه، فلمَّا رأَوا ذلك

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٢٩٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٩٨٨).

قد تتابعَ عليهم أيقنوا بالهلاك، فنقلوا يونسَ إليهم[(١)]، فنزلَ بينَ أظهرِهم، وبرزوا إلى الصَّعيد بأنفسِهم ونسائِهم وصبيانِهم ودوابِّهم، فعجُّوا إلى ربِّهم، وفرَّقوا بين دوابِّهم وأولادِها، فحنَّ بعضُها إلى بعضٍ، وعلَتْ أصواتُها، وفعلوا ذلك عمدًا لتختلط أصواتُها بأصواتِهم، وحنينُها بحنينِهم؛ ليرحمَهم ربُّهم، فرحمَهم، واستجابَ لهم، وقَبِلَ توبتَهم، وكشفَ العذابَ عنهم، فذلِكَ قولُه تعالى: ﴿إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ﴾ [يونس: ٩٨][(٢)].

وقال مقاتل: كان العذابُ فوقَ رؤوسِهم قدْرَ ميلٍ[(٣)].

فكشفَ اللهُ عنهم يومَ عاشوراء يومَ الجمعة، فحذَّرَ اللهُ تعالى أهلَ مكَّة أنهم إنْ آمنوا عندَ نزولِ العذابِ لم ينفعْهم، كما لم ينفعِ الأممَ الخالية إلَّا قومَ يونسَ.

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: تداركَتْهم الرَّحمة الأزليَّة فيما أَجْرَى عليهم [من] توفيق التَّضرُّع، فكشَفَ عنهم العذابَ، وبرحمَتِه وصلوا إلى تضرُّعِهم، لا بتضرُّعِهم وصلوا إلى رحمتِه[(٤)].

* * *

(٩٩ ـ ١٠٠) ـ ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾.

---

(١) في (ف): «فلقوا ما قال يونس إليهم»، وفي (ر): «فلقوا يونس إليهم».

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ١٥٢)، والبغوي في «تفسيره» (٤/ ١٥١).

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٢٥٠).

(٤) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٢/ ١١٦)، وما بين معكوفتين منه.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا﴾: أخبرَ عن كمالِ قُدْرَتِهِ ونفوذ مشيئتِه: أنَّه لو شاءَ لآمنَ مَن في الأرض كلُّهم فلا يبقى فيها إلَّا مؤمنٌ موحِّدٌ، ولكنَّه شاءَ أنْ يؤمِنَ به مَن عَلِمَ منه اختيارَ الإيمانِ به، وشاءَ ممَّنْ عَلِمَ منه أنَّه يختارُ الكُفْرَ ولا يؤمِنُ به ألَّا يؤمِنَ به.

وقوله تعالى: ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾: استفهام بمعنى النَّفي؛ أي: لا تملكُ أنت يا محمَّد أنْ تكرِهَهم على الإيمان؛ لأنَّ الإيمانَ يكونُ بالاعتقادِ والإقرار، ولا يمكن الإكراه على الاعتقاد.

وقيل: كان هذا بمكَّة حين لم يُؤمَروا بالقتال، ثمَّ أُمِروا بالمدينة بالقتال، وهو إكراهٌ على الإيمان.

وقال ابنُ عبَّاس رضي الله عنهما: كان رسولُ الله ﷺ حريصًا على إسلام أبي طالب وقومِه، فأبى اللهُ ذلك عليه إلَّا مَن علم في سابق علمه أنَّه يؤمِنُ، فأنزل الله تعالى قولَه: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ١٠٠][(١)].

قال عطاء: أي: بمشيئةِ الله تعالى، وهو كقوله تعالى: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٠٢][(٢)].

وقال عطيَّةُ العوفيُّ: أي: بقضاءِ اللهِ وقَدَرِه[(٣)].

وقال عبد العزيز بن يحيى: أي: بعلمِ الله وتوفيقِه[(٤)].

---

(١) ذكره الواحدي في «البسيط» (١١/ ٣٢٤)، وانظر: «تنوير المقباس» للفيروزآبادي (ص: ١٨٠).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ١٥٣).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٤/ ٢٩٨) (ط: دار التفسير)، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٣٠٠) عن سفيان.

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ١٥٣)، وفيه بدل «عبد العزيز بن يحيى»: (الداني)، وفي الطبعة =

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: لا تحتمِلُ الآية إلَّا هذا[١]، ولا تحتمِلُ الأمرَ والإطلاقَ؛ لأنَّه كم مِن مأمورٍ بإيمانٍ لم يُؤْمِن به، فلم تحتملِ الأمر، ولا تحتملُ الإباحةَ، لأنَّه لا يُباحُ تركُ الإيمان في حالٍ[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَيَجۡعَلُ ٱلرِّجۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ﴾: هذا مبتدأٌ، ومعناه: ونجعل الإثم، وقيل: العذاب.

وقيل: أي: جزاءَ الرِّجس؛ أي: الكفرَ.

وقيل: الرِّجس: الشَّيطان؛ قال عليه الصلاة والسلام في دعاء الخَلاء: «اللَّهمَّ إنِّي أعوُذ بك مِن الرِّجْسِ النَّجِس، الخبيثِ الـمُخْبِث، الشَّيطانِ الرَّجيمِ»[٣].

أي: ويسلِّط الشَّيطانَ على الَّذين لا يستعملون عقولَهم، ولا يعملون بما تدعوهم إليه.

***

(١٠١) ـ ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ﴾.

= الأخرى (١٤/ ٢٩٨): (الكتاني)، وكلاهما تحريف عن الكناني، وهو عبد العزيز بن يحيى المذكور، وقد سبق مثل هذا التحريف مراراً. انظر ما تقدم عند تفسير قوله تعالى في هذه السورة: ﴿هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ﴾

(١) أي: لا يحتمل قوله: ﴿إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾ سوى المشيئة والإرادة، كما هي العبارة في «تأويلات أهل السنة».

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٦/ ٨٨).

(٣) رواه ابن ماجه (٢٩٩) من طريق عُبَيْدِ الله بنِ زَحْرٍ، عن عليِّ بنِ يَزِيدَ، عن القاسمِ، عن أبي أمامة رضي الله عنه مرفوعاً. قال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (١/ ٤٤): هذا إسناد ضعيف، قال ابن حبان: إذا اجتمع في إسنادِ خبرٍ عبيد الله بن زحر وعلي بن يزيد والقاسم فذاك مما عملته أيديهم.

وقوله تعالى: ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: أي: قلْ يا محمَّد للمشركين: انظروا أيُّ شيءٍ في السَّماوات والأرض مِن العِبَرِ؟ مِن مجيء اللَّيل والنَّهار، ومجرى النُّجوم والأفلاك، ونتاج الحيوان، وخروج الزُّروع والثِّمار، ووقوف السَّماوات والأرض بغير عمادٍ، وكلُّ ذلك تدبيرٌ يقتضي مدبِّرًا لا يُشبهُ الأشياء، ولا يُشْبِهُه شيءٌ.

وقيل: أي: فيها عجائبُ الصُّنع الذي أنتم مقرُّون بأنَّ اللهَ تعالى خلقَها، فإنَّكم إذا نظرْتُم علمْتُم أنَّه مِن صُنْعِ مَن لا يجوز أنْ يكونَ له في مُلْكِه شريك.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا تُغْنِي ٱلْآيَٰتُ﴾: يجوزُ أنْ تكونَ (ما) نفيًا، ويجوز أن تكونَ استفهامًا ﴿وَٱلنُّذُرُ﴾: الرُّسل ﴿عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾؛ أي: وما ينفعُ ذلك إذا لم يستدلُّوا به فيؤمنوا.

وقال الإمام القشيريُّ رحمَه الله: الأدلَّة وإنْ كانت ظاهرة فما تغني إذا كانت البصائرُ مسدودة، كما أنَّ الشَّمس وإنْ كانَتْ طالعةً فما تغني إذا كانَتِ الأبصارُ عن الإدراكِ بالعَمى مردودة، كما قيل:

وما انتفاعُ أخي الدُّنيا بمُقْلَتِهِ إذا استوَتْ عندَهُ الأنوارُ والظُّلَمُ[1]

***

(١٠٢) ـ ﴿فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِهِمْ قُلْ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِهِمْ﴾: أي: فلينتظرْ

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٢/ ١١٧). والبيت للمتنبي. انظر: «ديوانه» (ص: ٣٦٣) ت: عبد الوهاب عزام.

هؤلاء المتَّبعون للهوى والظَّنِّ، التَّاركون للنَّظر والاستدلال في الشِّرك والتَّكذيب، أنْ[1] ينزلَ عليهم مِن عذابِ اللهِ ما نزلَ على الأممِ الخاليةِ المكذِّبة أنبياءَها.

وقال قتادة: إلَّا مثلَ وقائعِ اللهِ عزَّ وجلَّ في الأوَّلين قومِ نوحٍ وعادٍ وثمودَ[2].

وقال يمان بن رئاب: ﴿مِثْلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوْا﴾؛ أي: مثل عذابهم، والعربُ تسمِّي العذابَ: أيَّامًا، والنَّعيم: أيَّامًا؛ قال تعالى: ﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ﴾ [إبراهيم: ٥]؛ أي: بنِعمِ اللهِ، وكلُّ ما مضى عليك مِن خير أو شرٍّ فهو أيَّامٌ؛ لوقوعه في الأيَّام[3].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ﴾: أي: إنجازَ وعدِه لي في إنزال العذاب بكم إنْ أقمْتُم على تكذيبي.

وقال الإمامُ أبو منصور رحمَه الله: يحتمِل: هل ينتظرون بي يومًا مِن الهلاك إلَّا مثلَ ما انتظر الَّذين خَلَوا مِن قبلِهم برسلِهم مِن الهلاك.

ويحتمل: هل ينتظرون نزولَ العذاب بهم إلَّا مثل ما انتظرَ أولئك مِن نزول العذاب بهم.

ويحتمل: هل ينتظرون مِن تأخيرهم الإيمانَ إلى وقتِ نزولِ العذاب بهم إلَّا مثلَ ما أخَّرَ أولئك، وهو يخرج على الإياس من إيمانهم.

* * *

(١٠٣) - ﴿ثُمَّ نُنَجِّى رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّى رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾: أي: ثمَّ نخبركم أنَّ مِن سُنَّتِنا إذا أنزلْنا العذابَ بقومٍ أنْ نُخْرِجَ مِن بينِهم رسولنا والذين آمنوا معَه.

---

(١) في (أ) و(ر): «إلا أن».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٣٠٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٩٩١).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ١٥٣) دون نسبة.

وقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: أي: ننجِي المؤمنين مِن العذابِ في كلِّ زمانٍ.

﴿حَقًّا عَلَيْنَا﴾: ظاهرُه: واجبًا علينا، وحقيقتُه: وَعْدًا منَّا مؤكَّدًا لا خُلْفَ فيه؛ لأنَّ العبادَ لا يجبُ لهم على اللهِ تعالى شيءٌ.

وقال الإمامُ أبو منصورٍ رحمَه اللهُ: ﴿ثُمَّ نُنَجِّى رُسُلَنَا﴾؛ أي: أنجيْنا؛ لأنَّه لا رسولَ بعدَ رسولِنا محمَّد ﷺ(١).

فهذا مستقبلٌ بمعنى الماضي، وفي بعضِ الآيات ماضٍ بمعنى المستقبَل.

* * *

(١٠٤) - ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾: وهم المذكورون في أوَّل السُّورة: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا﴾.

﴿إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى﴾: ما هو؟(٢) أو في دينِ الإسلام الَّذي علمْتُم ما هو، لكن شككْتُم أحقٌّ هو أم لا؟ فها أنا أكشفُ لكم ماهيتَه وحقيقتَه.

أمَّا الأوَّل: فذلك قوله تعالى: ﴿فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: الأصنامَ والجنَّ والملائكة ﴿وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ﴾؛ أي: يميتُكم، وهو الذي يحييكم، فهو القادر على كلِّ شيءٍ على الكمال، فله استحقاقُ العبادة دونَ غيرِه، وهو إشارةٌ إلى بيانِ حقيقة دينِه.

---

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٦/ ٩٠).

(٢) في (أ): «ما هو ديني ما هو».

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: ويحتمِل: إنْ كنتم في شَكٍّ مِن دينِ الإسلام أحقٌّ هو؟ شككْتُم في دينكم أيضًا، فإنْ لم تجيبوني إلى هذا الدِّين الذي لا شكَّ فيه، ودعوتُموني إلى دينِكم مع الشَّكِّ فيه، فهو سَفَهٌ.

ويحتمل: إنْ كنْتُم في شكٍّ مِن ديني الَّذي أدينُ به وأدعوكم إليه، فأنا لا أشكُّ فيه، فلا أعبدُ الذين تدعون مِن دون اللهِ، هذا مضمَرٌ.

ويحتمل: إنْ كنْتُم في شكٍّ مِن ديني وما أعبد، فلا تعبدون ذلك ولا تدينون به، فأنا لا أعبد ما تعبدون ولا أدين ما تَدينون، وهو كقوله تعالى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: ٦][1].

وقوله تعالى: ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾؛ أي: أمرني الله تعالى به، فقال: كُنْ مِن المؤمنين، ولذلك عطف عليه ما هو بصيغة الأمر.

* * *

(١٠٥) ـ ﴿وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

وهو **قوله تعالى:** ﴿وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ﴾ قال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: أي: أَخْلِصْ عملَك[2].

وقيل: أي: قوِّم إقبالَك وتوجُّهَكَ على ما أُمِرْتَ به.

وقيل: أي: أقمْ نفسَكَ لله خالصةً سالمةً، لا نَصِيْب فيها لغير الله. وهذا قول الإمام أبي منصور رحمه الله[3].

---

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٦/ ٩٠ ـ ٩١).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ١٥٤).

(٣) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٦/ ٩١).

وقيل: أي: أقمْ وجهَكَ في الصَّلاة نحو الكعبة.

وقال أيضًا: أقمْ نفسَكَ على ما عليها شهادةُ[1] خِلْقتها، إذ خِلْقةُ كلِّ نفسٍ تشهدُ على وحدانيَّة الله تعالى وأُلوهيَّته.

وقال أيضًا: أقمْ وجهَ أمرِكَ لِمَا تَدِيْنُ به وتُقِيْمُ عليه[2].

﴿حَنِيفًا﴾: أي: مستقيمًا.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾؛ أي: قيل لي ذلك، عطفًا على الأوَّل، وكذلك قوله تعالى:

* * *

(١٠٦) ـ ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: أي: لا تدعُ غيرَ اللهِ إلهًا.

وقيل: أي: لا تعبدْ.

وقيل: أي: لا تَدْعُهُ بحوائجِكَ.

وقولُه: ﴿مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ﴾؛ أي: لا يقدر على نفعٍ ولا ضرٍّ، وهو صفةُ الأصنام.

فإنْ قيل: ولِمَ قال: ﴿مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ﴾، وهو لو نفعَ وضرَّ لم تجزْ عبادتُه؛ لأنَّها لا تحقُّ إلَّا لله وحدَه؟

---

(١) في (أ) و(ر): «بشهادة»، والمثبت من (ف) و«التأويلات».

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٦/ ٩١).

قلْنا: معناه: ما لا ينفعُك ولا يضرُّك نفعَ الإلهِ وضرَّه؛ ولأنَّ عبادةَ ما لا ينفعُ ولا يضرُّ أخسرُ للصَّفقة، وأبعدُ عن الشُّبهة[1].

* * *

(١٠٧) - ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ﴾: أي: وقيل لي ذلك أيضًا، وهو عطفٌ على الأوَّل.

وقال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ﴾؛ أي: يُصِبْكَ اللهُ بفاقَةٍ في معيشَتِكَ، أو آفةٍ في جسدِكَ، فلا كاشفَ لذلك الضُّرِّ إلَّا هو[2].

﴿وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ﴾: يُصبْكَ بسعةٍ وغنًى وصحَّةِ جسمٍ ﴿فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ﴾: فلا مانِعَ لرزقِه ﴿يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾: يخصُّ به مَن يشاءُ مِن خلقِه.

﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾: غفورٌ لِمَنْ تابَ مِن شركِه، رحيمٌ بإنعامِه على جميعِ خَلْقِهِ.

أمرَه أنْ لا يخافَ شيئًا مِن الأصنام أو أحدًا مِن أولئك الأقوام في مجاهرتهم[3] بخلاف دينِهم، بل يخافُ اللهَ إنْ دعا مِن دونِه ما لا يضرُّه وما لا ينفعُه؛ لأنَّ اللهَ تعالى إن أصابَه بضرٍّ فلا كاشفَ له غيره، وإنْ أصابَه بخير فليس إلى أحدٍ سوى الله ردُّه، وهو الغفورُ الذي يسترُ الذُّنوب، والرَّحيم بمَنْ يتوب.

---

(١) في (ف): «وأبعد للشبهة»، وكلمة: «وأبعد» كذا في (ر) و(ف)، وغير واضحة في (أ).

(٢) ذكره الواحدي في «البسيط» (١١/ ٣٣٥)، وانظر: «تنوير المقباس» للفيروزابادي (ص: ١٠٧).

(٣) في (أ) و(ف): «مجاهدتهم».

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: وفي الآيات نقضٌ على المعتزلة، فإنَّه قال: ﴿وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ﴾ وهم يقولون: أرادَ اللهُ مِن الكافر الإيمانَ، وهو ردَّه فلم يؤمِن، وتسميتُه فضلًا يدلُّ على أنَّه ليس على الله شيءٌ، فإنَّ الفَضْلَ هو فعلُ ما ليسَ عليه(١).

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى﴾؛ أي: إنْ كنتُم في غطاءٍ مِن الذَّنب، فأنا في ضياءٍ مِن الغَيْب، أنتم في ظلمةِ الجهل، وأنا في شموس الفَضْل، أنتم في سُدفَةِ(٢) الضَّلالة، وأنا في خِلْعة الرِّسالة وعلى نور الدِّلالة، أنتم في وَهْدَة العوج، وأنا ثابتٌ على سواء النَّهج.

وقال في قوله تعالى: ﴿وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ﴾: أي: وقيل لي: أخلصْ قصدَكَ للدِّين، وجرِّدْ قلبَكَ عن إثباتِ كلِّ ما لحقَه قهر التَّكوِيْن.

وقال في قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ﴾ الآية: كما تفرَّد بإبداع الضُّرِّ واختراعِه فلا شريك يعضدُه، كذلك توحَّدَ بكشْفِ الضُّرِّ وصرفِهِ فلا نصير ينجدُه.

وقال: عَذُبَ الضُّرُّ حيث كان بفعلِه، فما أوجبَ عينَ الضُّرِّ منَ الحزنِ والحرَبِ(٣)، أبدلَ مكانَه إضافتُه إلى فعلِه السُّرورَ والطَّرب(٤).

***

---

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٦/ ٩٢).

(٢) في (ر): «شدفة». والسُّدفة: الظلمة، والشدفة بمعناها. انظر: «القاموس المحيط» (مادة: سدف وشدف).

(٣) الحَرَب: الغضب. انظر: «التاج» (مادة: حرب).

(٤) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٢/ ١١٨ ـ ١١٩).

(١٠٨) ـ ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾: أي: المذكورون في أوَّل هذه السُّورة، وهم مشركو قريشٍ ﴿قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ﴾: قال ابنُ عبَّاس رضي الله عنهما: يعني جاءكم محمَّد ﷺ بالقرآن[1].

وقيل: أي: ببيان ما يحقُّ عليكم أن تعتقدوه، وتقولوا به، وتعملوا عليه.

وقال الإمامُ أبو منصور رحمه الله ـ بعدَما ذكَرَ أنَّ الحقَّ هو محمَّدٌ ﷺ ـ: وقيل: هو القرآن، ويُشْبِه أن يكون هو الدِّينَ الذي شكُّوا فيه؛ أي: قد جاءكم ما يزيلُ عنكم ذلك الشَّكَّ إنْ لم تكابروا في الحججِ والبراهين[2].

﴿فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ﴾: أي: فمَنْ سلَكَ سبيلَ الرَّشاد المؤدِّي إلى الحقِّ الَّذي جئْتُ به فإنَّما يهتدي لنفسِه بما يفوزُ مِن رضاءِ خالقِه ومِن ثوابِه، بالنَّعيم المقيم الَّذي لا يشوبُه كَدَرٌ ولا يلحقُه غِيَرٌ.

﴿وَمَن ضَلَّ﴾: عن هذا السَّبيلِ فوقعَ في غيرِه ﴿فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾: على نفسِه؛ أي: ضرُّه على نفسِه باعوجاجِه عن طريقِ الحقِّ، لا يَضرُّ خالقَه بضلالِه، كما لا ينفعُه باهتدائِه.

﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾: قال الحسنُ: أي: بحفيظٍ يحفظُ أعمالَكم، إنَّما أنا نذيرٌ، واللهُ الحافظُ عليكم أعمالكم[3].

وقيل: أي: لسْتُ مسلَّطًا على إدخالِ الإيمانِ في قلوبِكُم، وإنَّما أنا مبلِّغٌ مُرْشِدٌ.

---

(١) ذكره الواحدي في «البسيط» (١١/ ٣٣٦)، وانظر: «تنوير المقباس» للفيروزابادي (ص: ١٨٠).

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٦/ ٩٢ ـ ٩٣).

(٣) ذكره الماوردي في «تفسيره» (٢/ ١٢٨)، والواحدي في «البسيط» (٨/ ٢٠٥).

(١٠٩) ـ ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ﴾: أي: لسْتَ عليهم بوكيلٍ مسلَّطٍ على قلوبهم فتتصرَّفَ فيها، ولكنَّكَ مبلِّغٌ فاتَّبعْ وحيَنا.

وقال الحسنُ: ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾: مِنْ دِيْنِه الَّذي بيَّنه في كتابه[١].

ثمَّ عزَّاه فقال: ﴿وَاصْبِرْ﴾: على ما تسمعُ منهم مِن الأذى والتَّكذيبِ لك ﴿حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ﴾ تعالى، فيأتيَكَ أمرُهُ ونهيُه وحكمُه، وما وعدَكَ مِن إظهارِ دينِه[٢] ونصرِكَ.

﴿وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ في عدلِ حُكمِه، وإنجازِ وعدِه، وصدقِ كلماتِه.

وقيل: ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ لأنَّه لا يلحقُه في حكمِه زللٌ ولا خللٌ، ولا يمنعُه عن إمضائِه مانعٌ.

وقال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: كان مِن حكمِه أمرُه بالقتال، ونَسَخَ بِهِ: ﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾[٣].

وقال الضَّحَّاكُ: حكَم بالقتل يومَ بدر وأُحُد والأحزاب.

وقال أنسٌ رضي الله عنه: لَمَّا نزلَتْ هذه الآية بعثَ رسولُ الله ﷺ إلى الأنصار، فجمَعهم ولم يجمعْ معهم غيرهم، وقال: «إنَّكم ستجدون بعدي أَثَرةً فاصبروا حتَّى

(١) نحوه بلا نسبة في «تفسير السمرقندي» (٢/ ١٣٦).

(٢) في (ر) و(ف): «دينه الذي بينه».

(٣) ذكره الواحدي في «البسيط» (١١/ ٣٣٧). وقال ابن الجوزي في «نواسخ القرآن» (ص: ١٦١): روى أبو صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: هذه الآية منسوخة بآية القتال، وهذا لا يصح عن ابن عباس، وقد بينّا أنه لا يتوجه النسخ في مثل هذه الأشياء، لأن معنى الآية: ما أنا بوكيل في منعكم من اعتقاد الباطل وحافظٍ لكم من الهلاك إذا لم تعملوا أنتم لأنفسكم ما يخلصها.

تلقَوْني على الحوض»، قال أنسٌ رضي الله عنه: فلم يصبروا[١].

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: ﴿وَٱصۡبِرۡ﴾؛ أي: وَقِفْ عندَ جَرَيان أحكامِنا، وانسلِخْ عن مرادِكَ بالكليَّة، ليجريَ عليكَ ما نريدُ مِن القضيَّة[٢].

وقال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: سورةُ يونس كلُّها مكيَّة إلَّا قوله: ﴿وَمِنۡهُم مَّن يُؤۡمِنُ بِهِۦ وَمِنۡهُم مَّن لَّا يُؤۡمِنُ بِهِۦ﴾ فإنها مدنيَّة نزلَتْ في اليهود[٣].

وبالله العونُ والتَّوفيقُ[٤].

***

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٤/ ٣٠٣) عن أنس دون سند. ورواه البخاري (٣١٤٧)، ومسلم (١٠٥٩) دون ذكر الآية. وقال الحافظ في «تخريج أحاديث الكشاف» (ص: ٨٦): ذكره الثعلبي عن أنس بغير سند، والقصة المذكورة متفق عليها من حديث عبد الله بن زيد في أثناء حديث، ومن حديث أسيد بن حضير، ليس فيه كون الآية سبب ذلك، بل سببه قسمة غنائم حنين.

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٢/ ١٢٠).

(٣) ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ٣).

(٤) في (أ): «تم الجلد الأول من تفسير التيسير بعون الله تعالى وحسن توفيقه، في تاريخ سنة ٩٦٩»، وفي (ر): «نجز النصف الأول من تفسير القرآن العظيم للإمام أبي حفص عمر النسفي الحنفي رحمه الله تعالى وغفر له ولكاتبه، وحسبنا الله ونعم الوكيل، آمين».

سُورَةُ هُودٍ

سُورَةُ هُودٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

بسمِ الله الذي أنزل الكتاب المُحكَم المُفصَّل المبيَّن، الرَّحمنِ الذي جعل العاقبة للمتَّقين، الرَّحيمِ الذي لا يُضيعُ أجرَ المحسنين.

وروى أبيُّ بن كعب رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنَّه قال: «مَن قرأ سورة هود أُعطِيَ مِن الأجر عشرَ حسناتٍ بعددِ مَن صدَّقَ بنوحٍ وكذَّبَ به وبهود وصالح وشعيب ولوط وإبراهيم وموسى عليهم السَّلام، وكان يوم القيامةِ إنْ شاءَ اللهُ مِن السُّعداء»[1].

وهذه السُّورة مكيَّة، وهي مئة وثلاثٌ وعشرون آية، وقيل: اثنتان وعشرون، وقيل: إحدى وعشرون.

والاختلاف في سبع آيات: ﴿بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ﴾ [هود: ٥٤]، ﴿يُجَٰدِلُنَا فِي قَوۡمِ لُوطٍ﴾ [هود: ٧٤]، ﴿مِّن سِجِّيلٖ مَّنضُودٖ﴾ [هود: ٨٢]، ﴿إِنَّا عَٰمِلُونَ﴾ [هود: ١٢١]، ﴿إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [هود: ٨٦]، ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخۡتَلِفِينَ﴾ [هود: ١١٨].

---

(١) رواه الواحدي في «الوسيط» (٢/ ٥٦٣). وهو قطعة من الحديث الموضوع في فضائل السور، وقال ابن الجوزي في «الموضوعات» (١/ ١٧٤): مصنوع بلا شك. وانظر: «الفتح السماوي» (٢/ ٧٢٤)، و«الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة» للشوكاني (ص: ٢٩٦).

وكلماتُهـا ألفٌ وتسـع مئة وسـبع عشـرة، وحروفها سـبعة آلاف وسـبع[١] مئة وسـبعة وثلاثون[٢].

وانتظامُ هذه السُّورة بسورة يونس: أنَّ هذه السُّورة تشتمل على ما اشتملَتْ عليه تلك السُّورة مِن محاجَّات المشركين وشُبَهِهم وإنكارهم، وأقاصيصِ الأمم الخالية، وغيرِ ذلك من المعاني.

وانتظامُ أوَّل هذه السُّورة بآخر تلك السُّورة: أنَّه ذكرَ هناك اتِّباع ما يُوحَى إليه، وذكر هاهنا صفة الكتاب الذي أُوحيَ إليه، ولأنَّ اختتامَ تلك ببيان أنَّ له الفصلَ والأحكام، وافتتاح هذه ببيان أنَّ منه التَّفصيلَ والإحكام.

***

(١) ـ ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾.

وقوله تعالى: ﴿الٓرۚ﴾ مرَّتْ الأقاويلُ فيه في تلك السُّورة.

قال الإمام القشيريُّ رحمه الله: الحروفُ الثَّلاثة قَسَمٌ بثلاثةٍ مِن صفاتِ اللهِ تعالى؛ أي: بانفرادي بالرُّبوبيَّة، ولطفي بِمَنْ عرفَني بالأحديَّة، ورحمتي على كافَّة البريَّة: أنَّ هذا ﴿كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ﴾؛ أي: حُفِظَتْ عن التَّغيير والتَّبديل ﴿ثُمَّ فُصِّلَتۡ﴾ ببيانِ نُعوتِ الحقِّ ممَّا يتَّصف به من جلال[٣] الصَّمديَّة، وما تعبَّد به الخلقَ مِن أحكام العبوديَّة، ثمَّ ما ألاح[٤] لقلوب المحبِّين فيه مِن لطائف القربة في عاجلِهم،

---

(١) في (أ) و(ف): «وست»، وانظر التعليق الآتي.

(٢) انظر: «البيان في عد آي القرآن» للداني (ص: ١٦٣)، وفيه: وكلمها ألف وتسع مئة وخمس عشرة كلمة، وحروفها سَبعة آلاف وخمس مئة وسَبعة وسِتُّون حرفاً كحروف يونس.

(٣) في (ف): «النعوت».

(٤) في (أ): «لاح».

والبُشرى بما وعدَهم به مِن عزيز لقائِه في آجلِهم، وخصائصهم الَّتي امتازوا بها عمَّن سواهم(١).

وقوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ﴾: أي: هذا كتاب.

وقيل: أي: هذه السُّورة المسمَّاة ﴿الٓر﴾ كِتَابٌ ﴿أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ﴾؛ أي: نُظمَتْ نَظمًا مُحْكمًا، لا يلحقُه خَللٌ ولا تناقضٌ في النَّظم والمعنى.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ فُصِّلَتۡ﴾؛ أي: جُعلَتْ فُصولًا؛ حلالًا وحرامًا، وأمرًا ونهيًا، وترغيبًا وترهيبًا، ومواعظ وأمثالًا، لكلِّ معنًى منها فصلٌ غير مختلطٍ بغيره، حتَّى يُتمَكَّنَ مِن تَدبُّرِها كلِّها.

وقال الحسنُ: ﴿أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ﴾ بالأمر والنَّهي، و﴿فُصِّلَتۡ﴾ بالثَّواب والعقاب(٢).

وقال قتادةُ: ﴿أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ﴾ من الباطل، ﴿ثُمَّ فُصِّلَتۡ﴾ بالحلال والحرام(٣).

وقال مجاهدُ: ﴿أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ﴾ بالجملة، ﴿ثُمَّ فُصِّلَتۡ﴾: بُيِّنَتْ بِذِكرِ آية آية(٤).

وقيل: ﴿فُصِّلَتۡ﴾؛ أي: بُيِّن فيها ما بالناس إليه حاجةٌ في أمور دينهم.

وقيل: ﴿فُصِّلَتۡ﴾: أُنْزِلَتْ متفرِّقة شيئًا بعدَ شيء.

وقوله تعالى: ﴿مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾: أي: أنزلَه ربٌّ حكيمٌ مُحْكِمٌ للأمورِ، واضعٌ

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٢/ ١٢٠).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٣٠٩).

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١١٧٩)، والطبري في «تفسيره» (١٢/ ٣١٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٩٩٥).

(٤) ذكره بهذا اللفظ القرطبي في «تفسيره» (١١/ ٦٦)، وبنحوه الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ٤٥٦). ورواه مختصراً الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٣١٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٩٩٥) ولفظه: ﴿ثُمَّ فُصِّلَتۡ﴾ قال: فُسِّرَتْ.

كلَّ شيءٍ موضعَه، خبيرٌ عالمٌ بحقيقةِ الأشياء، وأنزلَه اللهُ تعالى، لم يفْتَرِه محمَّدٌ ولا تقوَّلَه، ولا قالَتْه الشَّياطينُ، ولا الكهنةُ، ولا الشُّعراء.

وقيل: ﴿خَبِيرٍ﴾ بوجوه المصالح فيها، لم يُنْزِلْها جملةً، بل مفصَّلًا لِمَا قال: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا﴾ [الفرقان: ٣٢].

وقال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: ﴿أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ﴾؛ أي: لم تُنْسَخْ بكتابٍ كما نُسخَتِ الكتبُ والشَّرائع بها(١).

وقيل: ﴿فُصِّلَتْ﴾: فُسِّرَتْ(٢).

ثمَّ في قولِه: ﴿مِن لَّدُنْ﴾ أنَّه صلة قوله تعالى: ﴿أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾؛ أي: الإحكام والتَّفصيل مِن الله تعالى.

وقيل: هي صلة قوله: ﴿كِتَٰبٌ﴾؛ أي: هو منزَّل مِن عند الله.

وقال الإمام الزَّاهد أبو منصور رحمه الله تعالى: ﴿أُحْكِمَتْ﴾ فلا يأتيها الباطلُ مِن بين يدَيْه ولا مِنْ خلفِه، ﴿ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾: ثم بَيَّنَتْ ما يؤتى وما يُتَّقى، وما لهم وما عليهم(٣).

وفيه بيانُ جوازِ تأخُّر البيان لأنَّ (ثم) للتَّراخي(٤).

* * *

---

(١) ذكره الواحدي في «البسيط» (١١/ ٣٤٢)، وانظر: «تنوير المقباس» للفيروزآبادي (ص: ١٨١).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٣١٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٩٩٥)، عن مجاهد، وقد أشرنا إليه قريباً.

(٣) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٦/ ٩٤).

(٤) المرجع السابق (٦/ ٩٦).

(٢) ـ ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ﴾: أي: وممَّا فُصِّلَ فيه أَلَّا تعبدوا.

ويجوز أنْ يكونَ نصبًا بـ(أنْ)، و(أنْ) مع الفعل مصدرٌ، ومعناه: تركُ عبادتِكم غيرَ الله ممَّا فُصِّلَ فيه.

ويجوز جزمًا بالنَّهي، وتقديرُه: قلْ يا محمَّد: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾، ومِن تفصيلِه أنِّي أقول لكم: لا تَعْبُدُوا غيرَ الله.

﴿إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾: فإنَّني لكم مِن اللهِ مخوِّف بالعذاب إنْ عصيْتُموه، ومُبَشِّرٌ بالثَّواب إنْ أطعْتُموه.

* * *

(٣) ـ ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥۖ وَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ﴾: عطف على الأوَّل، وهو دليلٌ أنَّ الأوَّلَ جزمٌ على النَّهي، وهذا عطفُ الأمرِ على النَّهي، وهو أولى مِن تأويل مَن أوَّلَه على إعراب النَّصب.

ومعناه: سَلُوا ربَّكم أنْ يغفر(١) ما أسلفْتُم مِن الذُّنوب بالشِّرك.

﴿ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ﴾: أي: ارجعوا إليه بالإخلاص له.

والاستغفارُ ينتظِم النَّدمَ على ما سلف، وإحسانَ العمل في المؤتنَف، حتَّى يكون الإنسانُ راجعًا بعملِه إلى ربِّه، ولهذا قدَّمَ ذِكْرَ الاستغفارِ على ذِكْرِ التَّوبةِ،

---

(١) في (أ) و(ف): «يستر».

وتقديره: اطلبوا مغفرةَ ربِّكم بالإسلام، والنَّدمِ على سالف الإجرام، والثَّبات على الطَّاعة في باقي الأيَّام، وارجعوا إلى اللهِ تعالى بالإخلاصِ والاستسلام، على الثَّبات والدَّوام.

وقيل: أي: اطلبوا المغفرة بأنْ تجعلوها عوضَكم، ثمَّ توصَّلوا إلى مطلوبِكم بالتَّوبة واجعلوها سببَكُم، فالمغفرةُ أوَّلٌ في الطَّلب وآخرٌ في السَّبَب.

وقيل: معناه: استغفروا ربَّكم مِن ذنوبِكم السَّالفة، ثمَّ توبوا إليه في المستأنَف متى وقعَتْ منكم المعصيةُ.

وقوله تعالى: ﴿يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا﴾: هو جوابُ الأمرِ، وتقديرُه: إنْ تفعلوا ذلك يعمِّرْكُمُ اللهُ تعالى في الدُّنيا، فتتمتَّعون بالأرزاق المباحة والملاذِّ المحلَّلة متاعًا حسنًا، لا تَذُمُّون عاقبتَه كمتاع المشركين.

﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: وهو مدَّة العمر لكلِّ إنسان.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: ﴿مَّتَٰعًا حَسَنًا﴾؛ أي: تستحسِنون في الآخرة ذلك التَّمتُّع، وأمَّا الكفَّار فإنَّهم لا يستحسنون في الآخرة ما مُتِّعوا به في الدُّنيا؛ لأنَّ تمتُّعَهم في الدُّنيا كان للدُّنيا، وتمتُّعَ المسلمين كان للتَّزوُّد للآخرة[1].

وأصلُ التَّمتُّع: إطالةُ الشَّيء والمدُّ فيه، يُقال: حبلٌ ماتع؛ أي: طويل، ومَتَعَ النَّهارُ؛ أي: ارتفعَ، وقال اللهُ تعالى خبرًا عن نوح عليه السَّلام: ﴿أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ۝٣ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [نوح: ٣]، وقال تعالى: ﴿ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝١١ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا﴾ [نوح: ١٠ - ١٢]، فهذا كلُّه مِن الـمَتاعِ الحَسَنِ.

---

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٦/ ٩٥).

وقال الفرَّاء: ﴿ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ﴾؛ أي: وتوبوا إليه؛ لأنَّ الاستغفارَ هو التَّوبة، والتَّوبة هي الاستغفارُ[(١)].

وقال الكلبيُّ: ﴿ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ﴾؛ أي: صلُّوا لربِّكم[(٢)].

وقال مقاتلٌ: فدعا رسول الله ﷺ أهل مكَّةَ إلى التَّوبة والاستغفار وعبادة الله تعالى، فأبَوا فابتلاهم اللهُ تعالى بالقَحْطِ سَبْعَ سنين، ثمَّ أكلوا العِظام المحرَّقة والجِيَفَ والكلاب[(٣)].

﴿وَيُؤۡتِ كُلَّ ذِي فَضۡلٖ فَضۡلَهُۥ﴾: قال أبو العالية: أي: مَن كثُرَتْ طاعاتُه في الدُّنيا زادَتْ درجاتُه في الآخرة؛ لأنَّ الدَّرجات تكون بالأعمال[(٤)].

وقيل: أي: يُؤْتِ كلَّ ذي إفضال على النَّاس جزاءَ إفضالِه، سُمِّيَ جزاءُ الفضلِ فضلًا كما يُسمَّى جزاءُ السَّيئةِ سيئةً.

وقيل: أي: ويؤتِ كلَّ ذي فَضْلٍ فضيلةً في الدِّين بعملٍ صالحٍ جزاءَ فضيلتِه وعملِه.

وقال ابنُ عبَّاس رضي الله عنهما: أي: مَن زادَتْ حسناتُه على سيِّئاتِه دخلَ الجنَّة، ومَن زادَتْ سيِّئاتُه على حسناتِه دخلَ النَّارَ، ومَنِ استوَتْ حسناتُه وسيِّئاتُه كان مِن أهلِ الأعراف، ثمَّ يدخلون الجنَّة[(٥)].

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ١٧٤)، والواحدي في «البسيط» (١١/ ٣٤٥).

(٢) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ١٥٥).

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٢٧١).

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ١٥٧).

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ١٥٧).

وقال مجاهد: هو ما يحتسبُه الإنسانُ مِن كلامٍ يقولُه بلسانِه، أو عملٍ يعملُه بيدِه ورجلِه، أو ما يجتهد فيه من طاعة[١].

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: ويحتملُ: ﴿وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ﴾ ما آتاه بفَضْله.

ويحتمل: [وَيُؤْتِ] كلَّ ذي فضلٍ في الدُّنيا فضلَه في الآخرة[٢].

وهو كما روي: «أهلُ المعروفِ في الدُّنيا هم أهلُ المعروف في الآخرة»[٣]؛ أي: يُجعَلون أهل الشَّفاعة، فيَصطنعون المعروف إليهم.

وقوله تعالى: ﴿وَإِن تَوَلَّوْا﴾: أصلُه: تتولَّوا، حذفت إحدى التَّائين تخفيفًا؛ أي: وإنْ تُعْرضوا عمَّا فُصِّلَ لكم مِن هذه المعاني وتصرُّوا على الشِّرك.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٣١٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٩٩٧).

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٦/ ٩٦)، وما بين معكوفتين منه.

(٣) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٥٤٢٩)، والإمام أحمد في «الزهد» (٢٣٦٨) عن أبي عثمان النهدي مرسلًا.

ورواه البخاري في «الأدب المفرد» (٢٢١)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٨/ ٣٧٥) من حديث قبيصة بن برمة الأسدي رضي الله عنه.

ورواه البزار في «مسنده» (٥٩٧٩) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

ورواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (١٥٦، ٤٩٣١)، و«المعجم الصغير» (٧٤٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ورواه الطبراني في «المعجم الصغير» (١٩٩) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

ورواه الحاكم في «المستدرك» (٤٢٩) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

ورواه ابن الجوزي في «العلل» (٨٣٤ـ٨٤١) من حديث عمر وابن عمر وأبي موسى وسلمان وأبي الدرداء وابن عباس، ثم قال: (هذا حديث لا يصح)، ثم ذكر عللها.

﴿فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾؛ أي: عظيمٍ شديد، وهو يوم القيامة، لِمَا فيه مِنَ الأهوال وجزاء الأعمال.

وقيل: ﴿عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾: قتلُهم يوم بدر.

* * *

(٤) ـ ﴿إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾: هذا وعيد يوم القيامة.

وقوله: ﴿قَدِيرٌ﴾؛ أي: على مجازاتِكم على أعمالِكم وغير ذلك.

وقال القشيري رحمه الله: ابتدِئوا باستغفاركم، ثمَّ توبوا بترك أوزاركم، والتَّنقي عن إصراركم.

قال: ويقال: استغفروا من الذُّنوب، ثمَّ توبوا عن توهُّم نجاتِكم باستغفاركم؛ لعلمكم بأنَّ نجاتكم تكرمةٌ لا بأعمالكم.

وقال أيضًا: استغفروا لطلب حظوظكم من عفونا، فإذا فعلتم ذلك فتوبوا عن طلب كلِّ حظٍّ ونصيبٍ، وارجعوا إلينا، واكتفوا بنا راضين بما نختارُه مِن التَّجاوُز عنكم أو غير ذلك ممَّا نختارُه لكم.

وقال في قوله تعالى: ﴿مَّتَٰعًا حَسَنًا﴾: هو إعطاءُ الكفايةِ مع زوالِ الحِرْصِ.

وقيل: هو القناعةُ بالموجودِ.

وقيل: هو أنْ لا يحوجَه ولا يجعلَ لأحد عليه مِنَّة، لا سيَّما لِلَئيم.

وقيل: هو أنْ يوفِّقه لاصطناع المعروف إلى المستحقِّين.

وقيل: هو أنْ تُقضَى على يدَيْه حوائجُ النَّاسِ.

وقيل: هو أنْ لا يُلمَّ في حال شبابِه بزلَّة، ولا يتَّصفَ في حال مشيبه عن الله بغفلة.

وقيل: هو أنْ يكون راضيًا بما يجري عليه في حالَتَي العسر واليسر.

وقال في قوله تعالى: ﴿وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُۥ﴾: هو أنْ يَسترَ عليه فضلَه حتَّى لا يلاحِظَ حالَه ومقامَه، بل ينظر إلى نفسه وإلى ما هو منه وله بعين الاستحقار والاستصغار.

وقيل: هو أنْ يرقِّيه عن التَّعريج في أوطان البشريَّة إلى مناجاة شهود الأحديَّة، فيُنقَّى[1] عن شُحِّ البشريَّة، والتَّكدُّر بما يبدو مِن مفاجأت التَّقدير.

وقال في قوله تعالى: ﴿إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ﴾: تنقطع الدَّعاوى عند الرُّجوع إلى الله تعالى، وتَنتَفي الظُّنون، ويحصل اليأسُ مِن غير الله تعالى، ويبقى العبد بنعتِ الاضطرار في وصف الانتظار[2].

***

(٥) ـ ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا۟ مِنْهُ ۚ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ﴾: أخبر عن معاداة المشركين للنَّبيِّ ﷺ وجهلِهم باللهِ في ظنِّهم أنَّهم يَسْتَخْفون منه، فقال: ﴿أَلَآ﴾؛ أي: تنبَّهوا على أحوال المشركين، وقِفوا على جهلِهم، فإنَّهم يُسرُّون العداوة في قلوبِهم، وهو كقولهم: طَوَى كَشْحَهُ.

ووجهُ ذلك: أنَّ مَن ثنَى الشَّيء ـ أي: عطَفَه وطواه ـ خفيَ في أثنائه ما يقع فيه، وخفيَ باطن الشَّيء المطويِّ، فجعلَه مثلًا لإضمار العداوة في الصَّدر.

---

(١) في (أ): «فينتفي».

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٢/ ١٢٣).

﴿لِيَسۡتَخۡفُواْ مِنۡهُۚ﴾: أي: يقصدون بذلك إخفاء ذلك على الله تعالى جهلًا منهم.

﴿أَلَا حِينَ يَسۡتَغۡشُونَ ثِيَابَهُمۡ﴾: أي: اعلموا أنَّهم حين يتغطَّون بثيابِهم ويُدخلون رؤوسَهم فيها ﴿يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَۚ﴾؛ أي: يعلمُ اللهُ ما يضمرون، فكيف وهم بارزون؟! ولكنَّهم أهلُ جهلٍ، ومَن كان هذا حالُه لم يُستَبْعَدْ منه أنْ يُشرِكَ بالله غيرَه.

وقولُه تعالى: ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾: أي: سرائرها وضمائرها.

ووجه آخر: أنَّهم كانوا إذا احتاجوا في أمرٍ مِن الأمور أنْ يَمرُّوا بالنَّبيِّ ﷺ طأطؤوا رؤوسَهم وتغشَّوا ثيابهم فيها؛ لِئلَّا يراهم النَّبيُّ ﷺ فيحتاجوا إلى الدُّخول عليه أو التَّسليم عليه، فأخبرَ اللهُ عن ذلك وقال: ﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ يَثۡنُونَ صُدُورَهُمۡ﴾، وهو عبارةٌ عن شِدَّةِ خَفْضِ الرَّأس، حتَّى يحتاجُ صاحبُها إلى أنْ ينحنيَ فيثنيَ صدرَه.

فيقول: أَلَا حينَ يفعلونَ هذا ويضمُّون إليه في بعضِ الأحوالِ أنْ يغطُّوا رؤوسَهم بثيابهم ليُخفوا أشخاصَهم مِن النَّبيِّ ﷺ يعلمُه اللهُ، ويعلم ما يسرُّون في منازلهم عليه وما يعلنون فيه.

ووجه آخر: ﴿يَثۡنُونَ صُدُورَهُمۡ﴾؛ أي: يَحْنون صدورَهم لتنخفضَ رؤوسُهم وتتطامَنَ آذانُهم، فلا يصلَ إليها ما يَقرأُ عليها رسولُ الله ﷺ مِن القرآنِ، وهو كقوله تعالى في قصَّةِ نوحٍ عليه السلام: ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوۡتُهُمۡ لِتَغۡفِرَ لَهُمۡ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَٱسۡتَغۡشَوۡاْ ثِيَابَهُمۡ﴾ [نوح: ٧].

وقال ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: ﴿يَثۡنُونَ صُدُورَهُمۡ﴾؛ أي: يُخفون ما في صدورِهم مِنَ الشَّحناء والعداوةِ(١).

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٣٢١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٩٩٨).

نزلَتْ في الأخنس بن شَرِيقٍ الثَّقَفي، كان رجلًا حلوَ الكلامِ، حلو المنطق، يلقى رسولَ الله ﷺ بما يحبُّ، وينطوي بقلبِه على ما يكرهه(١).

وقال قتادة: أي: يحنون صدورَهم، وأخفى ما يكون الإنسانُ إذا حنى صدرَه وتغطَّى بثوبه، وأضمر همَّه في نفسِه(٢).

وقال مجاهد وعكرمة: ﴿يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ﴾ بشكٍّ(٣) في الله عزَّ وجلَّ وفي رسوله(٤).

وقال السُّديُّ: ﴿يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ﴾؛ أي: يعرضون بقلوبِهم عنك، من قولهم: ثنيْتُ عناني(٥).

وقال مجاهدٌ: ﴿يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ﴾ مِن العداوة، ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ مِن الوِفاق، ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾؛ أي: بما في القلوب من الخير والشَّرِّ.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: ليستَخْفوا منه إنْ كانت الآيةُ في المنافقين

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ١٥٧)، والبغوي في «تفسيره» (٤/ ١٦٠)، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وصرح ابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ٧٦) أنه من طريق أبي صالح عن ابن عباس. وذكره السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ١٣٨)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٦٥)، عن الكلبي، وعلى هذا فلعله من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس.

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١١٨١)، والطبري في «تفسيره» (١٢/ ٣١٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٩٩٩).

(٣) في (ر): «أي يعرضون بقلوبهم شك»، وليست هذه العبارة في خبر مجاهد وعكرمة بل هي عن السدي كما سيرد.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٣١٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٩٩٩) عن مجاهد، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٣٢١) عن عكرمة عن ابن عباس.

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ١٥٧)، والبغوي في «تفسيره» (٤/ ١٦٠).

فهو الاستسرار والاستتار مِن رسولِ اللهِ ﷺ؛ لأنَّهم كانوا يُظهرون موافقتَه ويضمرون مخالفتَه، وإن كانت الآيةُ في المشركين فهو على الاستسرار والاستتار مِن اللهِ عزَّ وجلَّ؛ لأنَّهم كانوا لا يبالون بمخالفة رسول الله ﷺ، وعندهم أنَّ اللهَ لا يطَّلعُ على ما يسرُّون.

وفيه دلالة على نبوَّة محمَّدٍ ﷺ؛ حيث أخبر عن ضمائرِهم، فثبتَ أنَّه علِم ذلك بالله[1].

***

(٦) - ﴿۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا﴾: أي: وما مِن شيءٍ مِن الحيوانات التي تدبُّ على الأرض إلَّا واللهُ تعالى متكفِّل برزقِها؛ أي: بما يُقيمُها؛ إذ الحيُّ مِن الخلقِ لا بُدَّ له ممَّا يقيمُ حياته، ولا قيام للحيوانات إلَّا بكفايتها[2]، وهي رزقُها.

قال مجاهدٌ: ما جاءَها مِن رزقٍ فمِنَ اللهِ، وربَّما لم يرزقْها حتَّى تموتَ جوعًا، ولكن ما كان مِن رزقٍ فمِنَ اللهِ، و﴿عَلَى﴾ بمعنى (من)[3]، كقوله تعالى: ﴿ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [المطففين: ٢].

وقوله تعالى: ﴿وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَا﴾: أي: ويعلمُ مستقرَّها مِن الأرضِ

---

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٦/ ٩٧).

(٢) في (ر): «بكلفتها»، وفي (ف): «بتكلفاتها».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٣٢٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ٢٠٠١).

حيثُ تأوي إليه، وموضعَها الذي تموتُ فيه، أو تُدفَن فيه فتُسْتَودعُ فيه إليه إلى حين تَنْبَعث.

وقال مجاهدٌ: ﴿مُسْتَقَرَّهَا﴾ في الأرحام، ﴿وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾ في الأصلاب[1].

وقوله تعالى: ﴿كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾: أي: في اللَّوحِ المحفوظِ مكتوبٌ.

وقيل: يُكتَب الآنَ موجودًا، كما كُتِبَ في اللَّوح المحفوظِ معلومًا؛ يعني: مَن كانت هذه قدرتُه، وهذه صفتُه في الإحاطة في الأشياء، كيفَ يخفى عليه ما يفعلُه هؤلاء المشركون مِن ثني صدورِهم ظانِّين أنْ يخفى عليه ذلك؟

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: قيل: ﴿مُسْتَقَرَّهَا﴾ باللَّيل، ﴿وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾ بالنَّهار في معايشِها، ويُشْبه أن يكون هذا إخباراً عن العلم بها في كلِّ حالٍ مِن سكونِها وحركتِها، يخبرُ أنَّه إذا لم يَخْفَ عليه كونُ كلِّ دابَّة في بطن الأرض، وما كان في الأرحام، وما استُودِعَ في الأصلابِ، كيف تخفى عليه أعمالُكم الَّتي عليها العقاب ولكم بها الثَّواب[2].

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: أراحَ القلوبَ عن تعبِ التَّقسيم، والأفكارَ عن نَصَبِ التَّفكير[3] في باب الرِّزق، حيث قال: ﴿إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾، فسكنَتِ القلوبُ لَمَّا تحققَّتْ أنَّ الرِّزقَ على الله تعالى.

قال النَّبيُّ ﷺ: «إذا أُحِيْلَ أحدُكُمْ على مَلِيءٍ فَلْيَحْتَلْ»[4].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٣٢٦).

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٦/ ٩٩).

(٣) في جميع النسخ: «الترحم»، والمثبت من «لطائف الإشارات».

(٤) رواه البخاري (٢٢٨٧)، ومسلم (١٥٦٤)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، ولفظهما: «إذا أُتبع أحدكم على مليء فليتْبع».

ويقال: إذا كان الرِّزقُ على اللهِ فمِنَ المحالِ طلبُهُ مِن غيرِ اللهِ.

قال: ولم يقل: (ما يشتهِيْهِ ومقدار ما يكفِيْهِ)، بل هو موكولٌ إلى مشيئتِه، فمِن موسَّعٍ ومِن مُقتَّرٍ[1].

***

(٧) ـ ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾: فسَّرناه عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [الأعراف: ٥٤] في (سورة الأعراف).

وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾: بيَّنَ أنَّ خَلْقَ العَرْشِ والماءِ كان قبلَ خَلْقِ السَّماواتِ والأرض.

والعرشُ: شِبْهُ سريرِ المَلِكِ، لتطوفَ الملائكةُ به، ويحفُّون حولَه، ويمجِّدون اللهَ تعالى ويعظِّمون مِن حولِه، كما قال تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ﴾ الآية [الزمر: ٧٥].

وفي وقوفِ العرشِ على الماءِ، والماءِ على غيرِ قَرار، أعظمُ اعتبارٍ على كمالِ قُدْرةِ الملِكِ الجبَّار، ولو شاءَ لجعلَ العرشَ على غيرِ قَرار، كما جعلَ الماءَ ـ الَّذي هو أدعى للقرار وأحوجُ إليه ـ على غير قرار.

وعن كعب الأحبار أنَّه قال: لَمَّا أرادَ اللهُ تعالى خَلْقَ الماءِ خَلَقَ ياقوتةً خضراء،

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٢/ ١٢٤ ـ ١٢٥).

ثمَّ نظرَ إليها بالهيبة فصارَتْ ماءً، ثمَّ خَلَقَ الرِّيحَ فجعلَ الماءَ على متنِها، ثمَّ وضعَ العَرْشَ على الماء[1].

وقوله تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾؛ أي: خلقَ جميعَ ذلك ليعامِلَ عبادَه معاملةَ المختبِرِ لهم، مظاهرةً في الاحتجاج عليهم؛ ليمتثلوا أمرَه، ويؤدُّوا على نعمِهِ شكرَه، ويستدلوا بآياتِه على وحدانيَّتِه وقدرَتِه على ما يشاء، وفي ذلك إثباتُ البعثِ لِيُجازيَ المحسِنَ على إحسانِهِ، والمسيءَ على إساءَتِه.

ومعنى الابتلاءِ: فعلُ ما يظهرُ به الشَّيء وإنْ كان معلومًا، ألَا ترى أنَّ الرَّجلَ قد يخالفُ الرَّجلَ في جودة فضَّته ورداءتها، وهو عالمٌ بحقيقةِ ما يقول، فيقول لصاحبِهِ: تعالَ ندخلْها النَّارَ، فننظرَ أجيِّدة هي أم رديئة.

وقوله: ﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ قال ابنُ عبَّاس رضي الله عنهما: أيُّكم أعملُ بالطَّاعة.

وقال مقاتلٌ: أيُّكم أتقى لله.

وقال الحسنُ: أيُّكم أزهدُ في الدُّنيا وأتركُ لها[2].

وقال الإمامُ القشيريُّ رحمه الله: أحسنُ الأعمالِ ما غابَ عن ملاحظةِ عاملِهِ.

وقال: هو ما ينظرُ إليه صاحبُه بعين الاستصغار والاستقلال.

وقيل: أحسنُ الأعمال ما لا يطلبُ صاحبُه عليه عوضًا.

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ١٥٨)، والبغوي في «تفسيره» (٤/ ١٦٢). وظاهر أنها من الإسرائيليات.

(٢) ذكر هذه الآثار الثلاثة الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ١٥٩).

وقيل: ما غاب عنه صاحبُه لاستغراقِه في شُهود المعبود[١].

وقوله تعالى: ﴿وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ وصلَ هذا بما ذكرَ مِن خلقِ السَّماوات والأرض؛ لأنَّ ذلك ذُكِرَ أساسًا لهذا؛ أي: خلقناها على الاتِّساق والانتظام دلالةً على الخالق القادر، وكان خلقُها للمُمْتَحنِيْن، وما خُلِقَتْ لأنفسِها، لأنَّها للفناء، ولو كان لذلك ـ لا للابتلاء ـ كان عبثًا، وبالابتلاء ظهرَ المحسِنُ والمسيءُ، وجزاءُ ذلك بعدَ البعثِ.

ولو قلْتَ يا محمَّد للمشركين: إنكم مبعوثون للجزاء على ما انكشفَ بالابتلاء، أنكروا وتعجَّبوا، وقالوا: ما هذا القولُ إلَّا سحرٌ ظاهرٌ؛ أي: خديعةٌ منكم لنا، ومنعٌ عن لذَّات الدُّنيا وزينتِها، واجترارٌ إلى الانقيادِ لكم والدُّخولِ في طاعتكم.

وقال الإمام الزَّاهد أبو منصور رحمه الله: قوله تعالى: ﴿إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ﴾ نفسُ هذا الكلام لا يحتمِل أنَّه يُسمَّى سحرًا، لكن معناه: أنَّه إذا أخبرهُم بِه، وأقام الحُججَ والبراهينَ عليه، قالوا للحججِ والبراهينِ عليه: هذا سحرٌ.

ويحتملُ وجهًا آخر: وهو أنَّه بيانُ سَفهِهم، أنَّهم اعتادوا نسبةَ كلِّ شيءٍ إلى السِّحرِ حتَّى الأشياء الَّتي لا تحتملُ السِّحرَ، وهي الأخبارُ، لأنَّ السِّحرَ إنَّما يكون في تقليب الأشياء، فأمَّا فيما يُخبرُ عن شيءٍ يكون فلا[٢].

***

(٨) ـ ﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَىٰ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ ۗ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾.

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٢/ ١٢٥).

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٦/ ١٠١).

وقوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ﴾: أي: حينٍ معلوم ﴿لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُۥٓ﴾؛ أي: استعجَلُوه على سبيلِ الاستهزاءِ، يعنونَ أنَّ هذا الوعيدَ بالتَّعذيب على التَّكذيب ليسَ بحقٍّ.

ثمَّ أخبرَ أنَّه لا معنى لاستعجالِهم، وهو قوله تعالى: ﴿أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ﴾؛ أي: بكثرةِ أعوانٍ، ولا بحيلةِ محتالٍ، ولا بقوَّةٍ مِن قِبَلِهم، ولا مِن قِبَلِ آلهتهم.

وقوله تعالى: ﴿وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾: أي: يحيقُ بهم، يعني: ينزلُ بهم، ماضٍ بمعنى المستقبل؛ لأنَّه كائنٌ لا محالةَ، فألحقَه بالحاصِلِ الموجود.

***

(٩) - ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَـٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِنَّا رَحْمَةً﴾: أي: إذا أعطينا المشرك المكذِّب باللهِ عزَّ وجلَّ منَّا سَعةً في الدُّنيا، وصحَّةً في الجسم، ووفورًا في الولدِ؛ لِيَشْكُرَ بها لنا، ويستعينَ بها على طاعتِنا.

﴿ثُمَّ نَزَعْنَـٰهَا مِنْهُ﴾: لكفرانِه، فأذقناه ضِيقًا وسُقْمًا ونَقْصًا في المال والولد.

﴿إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ﴾: لأنه يئس وكفر نعمتنا[1]، وقال: أهانني ربِّي فلا أعبدُ ربًّا يهينُني، كأنَّه يَئِسَ مِن زوالِ ما حلَّ به، فهو لذلكَ معرِضٌ عن ربِّه، لا يتوقَّع خيرًا، ولا يأملُ فَرَجًا.

وجاءَ في التَّفسير: أنَّ ﴿ٱلْإِنسَـٰنَ﴾ هو عبدُ اللهِ بنُ أبي أميَّة المخزومي، أذقْنَاه رحمةً منَّا: رخاءً ونعمةً، ﴿ثُمَّ نَزَعْنَـٰهَا مِنْهُ﴾؛ أي: سلبْنَاها منه، ﴿إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ﴾ في الشِّدة، ﴿كَفُورٌ﴾ في النِّعمة[2].

---

(١) في (ر): «بنعمتنا»، وفي (ف): «نعمتنا»، بدل: «لأنه يئس وكفر نعمتنا».

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» (٥/ ١٥٩).

(١٠) ـ ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ﴾: أي: ولَئِنْ أزلنا[1] البأساءَ بالنَّعماء لم يَرَ أنَّ ذلكَ استدعاءٌ للشُّكرِ، ولكنَّه يقول: ﴿ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ﴾؛ أي: الأحوال السَّيِّئة الَّتي كانت تَسُوؤني؛ أي: كان ذلك سُوءًا أصابني وذهبَ، كما يكون هذا بأكثر الأحوال، ويصيبُ أكثرَ النَّاس تتلوَّن عليهم الأمورُ، فلا يعتبرُ بما يُمْتَحَنُ به وبما يُنْعَمُ عليه، فلا يقابلُ البأسَ بالصَّبرِ، ولا النِّعمةَ بالشُّكرِ، إعطاءً للعبوديَّةِ حقَّها، ولكنَّه في حال البؤس يحيل ذلك على أنَّ الله تعالى أهانَه، وفي حالة النِّعمة يعدُّها اتِّفاقًا حسنًا، يحمدُ عليه زمانَه.

﴿إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ﴾: أي: مِن عادتِهِ الفرحُ والبَطَرُ بالنِّعمة، والفخرُ بها على الكافَّة، حتَّى يخرجَ بذلك إلى تكذيبِ الأنبياء، وجحودِ البعثِ والجزاءِ.

* * *

(١١) ـ ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾: هو استثناءٌ منقطعٌ، معناه: لكن الذين صبروا على المكاره، وصبروا عن المعاصي، وعملوا الطَّاعات.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ﴾: أي: مغفرة الذُّنوب ﴿وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾؛ أي: ثوابٌ عظيمٌ.

ويجوزُ أنْ يكونَ على حقيقةِ الاستثناءِ، ويكونَ الإنسانُ المذكور في الآية الأولى بمعنى: النَّاس؛ لأنَّه اسمُ جنسٍ فيصلح للجَمْعِ، فيكون معناه: أكثرُ النَّاسِ على كذا، وقومٌ مستثنًى منهم.

---

(١) في (أ): «أبدلنا».

وعلى القولَيْنِ جميعًا يخرج قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾ إلى قوله: ﴿إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ﴾ [المعارج: ٢٢]، إلى قوله تعالى: ﴿فِي جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ﴾ [المعارج: ٣٥]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِي خُسْرٍ﴾ الآية [العصر: ٢].

* * *

(١٢) - ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكُۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَضَآئِقُۢ بِهِۦ صَدْرُكَ أَن يَقُولُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌ ۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكُۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَضَآئِقُۢ بِهِۦ صَدْرُكَ أَن يَقُولُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌ ۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾: قال مقاتلٌ: إنَّ أهلَ مكَّةَ قالوا: ائتِنا بكتابٍ ليسَ فيه سبُّ آلهتِنا، ولا مخالفةُ آبائِك، فهمَّ رسولُ اللهِ ﷺ أنْ يَدعَ سبَّ آلهتِهم، فأنزلَ اللهُ تعالى هذه الآيةَ[1].

وقال الإمامُ أبو منصورٍ رحمه الله: وهذا على النَّهي؛ أي: لا تتركْ بعضَ ما يُوحَى إليك، وهو كما يقولُ الرَّجل لآخرَ: لعلَّكَ تريدُ أنْ تفعلَ كذا، وهو ينهاه عنه.

ويتضمَّنُ له البشارةَ بالأمن ممَّا يخافُ أنْ يلحقَهُ مِن جهتِهم، ولزومَ التَّبليغ، وذلك أنَّ الأخيار إذا ابتُلوا بالأشرار فقد يؤذَنُ لهم بمفارقتِهم، وتركِ الأمرِ فيهم، فبيَّنَ أنَّه ليس له ذلك، وعليه التَّبليغُ مع ذلك[2].

وقوله تعالى: ﴿وَضَآئِقُۢ بِهِۦ صَدْرُكَ﴾ الضَّائقُ يُذْكَرُ للضِّيقِ العارض، والضِّيْقُ يُذْكَرُ للضِّيْقِ اللازم، وكان ما يلحقُه مِن كلامِهم أمرًا عارضًا، فلذلك قال: ﴿وَضَآئِقُۢ بِهِۦ صَدْرُكَ﴾.

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٢٧٣).

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٦/ ١٠٥).

﴿أَن يَقُولُوا۟﴾؛ أي: بأنْ يقولوا.

قال مقاتلٌ: قالَ هذا عبدُ الله بن أبي أميَّة: ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ﴾[1]، وكان للمال عندَهم خطرٌ ﴿أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌ﴾ [هود: ١٢]؛ أي: ليصدِّقَه بما يقول، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ﴾ يا محمَّد ﴿نَذِيرٌ﴾: مخوِّف مبلِّغ، ليس بيدك الإتيانُ بالأموالِ وإنزالُ الملائكة.

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ﴾؛ أي: حافظ لكلِّ ما يقولون فيك؛ إذ هو الحفيظ عليهم لا أنت، قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾ [الإسراء: ٥٤]، ونظيرُ هذه الآية: ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٣].

* * *

(١٣) - ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾: (أم) كلمةُ عطف على استفهامٍ بألفٍ، وتقديره: أيكذِّبونَكَ أمْ يقولون: افتراه.

وقيل: أيكتَفُون بما أوحينا إليك أم يقولون: افتراه.

والمفسِّرون يقولون: معناه: بل يقولون افتراه.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ﴾: أي: مثل القرآن ﴿مُفْتَرَيَٰتٍ﴾؛ أي: على زعمكم أنَّ القرآن مفترًى.

وهذا أمرُ إعجازٍ كما مرَّ في (سورة البقرة)، وهذه الآية نزلَتْ قبلَ قولِه تعالى: ﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ﴾ [يونس: ٣٨]، ونزل أوَّلًا قولُه تعالى: ﴿فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ﴾

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ١٥٩) دون نسبة.

[الطور: ٣٤]، وهو كُلُّ القرآن، فلمَّا ظهرَ عجزُهم عنه تحدَّاهم بعشر سورٍ، ثمَّ لَمَّا ظهرَ عجزُهم عنها تحدَّاهم بسورةٍ، فلمَّا ظهرَ عجزُهم لزمَتْهم الحُجَّة بالكليَّة.

وقوله تعالى: ﴿وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾: مِنَ الجنِّ والإنسِ ليُعِينوكم على الإتيان بعشر سورٍ مثلِه، في نظمِه ومعانيه، والأخبارِ الصَّادقة عن الأمور الماضية والآتية، والإطْلاع على ما في ضمائركم، فأتوا بما فيه هذه المعاني، والإطْلاع على ما في ضمير محمَّد(١).

﴿إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾: أنَّه افتراه مِن عندِه، ولسانُكم مثلُ لسانِه.

* * *

(١٤) ـ ﴿فَإِلَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلۡمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَإِلَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلۡمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾: له وجهان:

أحدهما: فإنْ لم يستجِبْ لكم أيُّها المشركون أحدٌ مِن العرب ولا مِن غيرهم ممَّنْ استعنْتُم به، عِلْمًا منه بالعجزِ، وأنتم عاجزون أيضًا، فاعلموا حينَئذٍ أنَّ القرآنَ أُنزِلَ مِن عندِ اللهِ، فإنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ أنزلَه بعلمِه؛ أي: وهو عالمٌ بإنزالِه على ما يكون حجَّة على خلقه.

ويحتمل: أنَّه أنزله بالأنباء(٢) الَّتي هو عالمٌ بها، يُعلمُها مَن شاءَ مِنْ خلقِه، فاستدِلُّوا بذلك على أنَّه لا إلهَ إلَّا هو.

---

(١) في (أ): «على ما في ضميرهم».

(٢) في (أ): «بالأشياء».

ويحتمل: وإذ عجزتم عن معارضته فاعلموا أنَّ محمَّدًا محقٌّ في دعوى الرِّسالة، فلا يجوز أن يكون كاذبًا فيما يخبرُكُم به: أنَّه لا إلهَ إلَّا هو وحدَه، دونَ أصنامِكم، فهل أنتم مسلمون؟ آنَ لكم أنْ تؤمنوا بالله وتصدِّقوه.

ووجه آخر: فإنْ لم يستجبْ هؤلاء المشركون لكم يا محمَّد ويا أصحاب محمَّد إلى ما دعوتموهم إليه مِن معارضة القرآن على نظمِه، فتيقَّنوا أنتم بلجاجهم وإصرارهم، ودُوموا على علمِكم بأنَّ القرآن مِن عندِ اللهِ، وأنْ لا إلهَ إلَّا هو، ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾: منقادون لله، مخلصون له، دائمون على الإيمان والإحسان؟

* * *

(١٥) - ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾: أي: الدَّاعي لهؤلاء المشركين إلى الدَّوام على الشِّركِ الدُّنيا وزينتُها.

وقال الفرَّاء: تقديرُه: مَن يُرِدِ الحياةَ الدُّنيا، فلذلك قال في جزائه: ﴿نُوَفِّ إِلَيْهِمْ﴾ بحذف الياء للجزم[1].

وقال الإمامُ أبو منصورٍ رحمَه الله: اختُلف فيها:

فقال بعضُهم: الآيةُ في الكفَّار، يعملون أعمالًا هي في الظَّاهر صالحةٌ؛ مِن التَّصدق على الفقراء، وعمارات الطُّرق، واتِّخاذِ القناطر والرِّباطات، يقول: نوفِّ إليهم جزاءَ أعمالهم في الدُّنيا، وهم فيها لا يُنقَصون، وهو ما وُسِّعَ عليهم في الدُّنيا.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢٧٦).

وجائزٌ أنْ يكون: ﴿نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا﴾؛ أي: نردُّ عليهم أعمالَهم التي عملوها في الدُّنيا فلا نقبلُها[1].

﴿وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾؛ أي: لا يُنقَصون ما قُدِّرَ لهم مِن الرِّزق إلى انقضاء مدَّتهم بشركهم بالله جلَّ جلاله[2].

* * *

(١٦) ـ ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ﴾: خالدين فيها بشركهم.

﴿وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: ما هو طاعةٌ عندهم.

وقال بعضُهم: هي في المؤمنين الذين عملوا الصَّالحات مراءاةً للخَلْق، نوفِّ إليهم جزاءَ أعمالهم فيها من الذِّكْرِ والشَّرفِ، وما طلبوا بأعمالهم في الدُّنيا من المباهاة وغيرها، وبطلَ ما كانوا يعملون في الآخرة؛ لأنَّهم عملوها لغير الله تعالى، فلا يُجزَوْنَ بأعمالِهم تلك، وإلى هذا ذهبَ ابنُ عبَّاس رضي الله عنهما[3].

قال[4]: وروي عن النَّبي ﷺ أنَّه سُئِلَ: ما بالُ العبدِ المعروفِ بالخير يُشدَّد عليه الموت، والرَّجل المعروف بالشَّرِّ يُهَوَّنُ عليه الموت؟ فقال: «المؤمنُ تكون له الذُّنوب فيُجازَى بها عندَ موتِهِ، فيفضي إلى الآخرة ولا ذنبَ عليه، والكافرُ يكون له

---

(١) في (ر): «رياء»، وهي سقط من (ف).

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٦/ ١٠٨).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٣٤٧).

(٤) أي: الماتريدي.

حسناتٌ، فيُجازَى بها عند الموت، يخفَّفُ عنه كَرْبُ الموتِ، ثمَّ يفضي إلى الآخرة، وليسَتْ له حسنةٌ». أو كلام هذا معناه.

وعلى هذا معنى الآية: أنَّهم لا يستوجبون بتلك الأعمال إلَّا النَّار؛ لأنَّه إذا راءى بها لم يخلِصْها لله تعالى، وضيَّع أمرَه، ومَنْ ضيَّعَ فرائضَ اللهِ تعالى استوجبَ التَّعذيب عليه، وله العَفْوُ، وليسَ في الآيةِ أنَّه لا محالةَ يعذِّبهم بعمل المراءاة(١).

وقال الإمامُ القشيريُّ رحمَه الله: يقولُ: مَن قنع هنا بالدُّنيا التي الدَّناءة صفتُها، مننَّا عليه بإمتاعِ أيَّامٍ تقلُّ مدَّتها، لكن يَعقبُ أَرْيَ كمالها شَريُ زوالِها، ويتبعُ طعمَ عسلِها سمُّ حنظَلِها(٢).

***

(١٧) ـ ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ ۚ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ ۚ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾: استفهامٌ بمعنى النَّفي، والآيةُ في بيان عدم التَّسوية بينَ المؤمنين وهم المذكورون في هذه الآية، وبينَ المشركين وهم المذكورون في الآية الأولى.

معناه: ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾؛ أي: حجَّةٍ وبيان، وهم المؤمنون بمحمَّد والقرآن، فهم على حجَّة بمجيء محمَّد عليه السلام ﴿وَيَتْلُوهُ﴾؛ أي: ويتبعُ محمَّداً(٣)

---

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٦/ ١٠٧ ـ ١٠٨).

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٢/ ١٢٨). والأري: العسل، والشري: الحنظل.

(٣) في (أ): «ويتلوه محمد»، وفي (ر) و(ف): «ويتبع محمد»، والصواب المثبت.

الذي هو البيِّنة ﴿شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾[١]؛ أي: مَن يشهدُ بصدقِه، هو جاءَ به[٢]، وهو القرآنُ.

﴿قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾؛ أي: ولهذا المؤمن مع هذا الشَّاهد شاهدٌ قبلَه، وهو كتابُ موسى التَّوراةُ الَّذي أنزلَه الله تعالى إمامًا لبني إسرائيل يقتدون به، ورحمة لهم أنقذَهم اللهُ تعالى به من النَّار في الآخرة، ومِن استعباد فرعون وقومه في الدُّنيا، وفي التَّوراة الشَّهادةُ بمحمَّدٍ، والبشارة به، والإخبار بصفتِه وصفةِ أمَّتِه.

يقولُ: أفمَنْ اجتمَعَتْ له هذه الحجج ـ وهي النَّبيُّ والقرآنُ والتَّوراةُ ـ الشَّاهدةُ المبشرة فآمنَ بها[٣]، كمَنْ أعرضَ عن النَّذير[٤]، ومالَ إلى الحياة الدُّنيا وزينتِها، فهذا هو الجوابُ المحذوفُ، وبه النَّظمُ بينَ الآيتَيْنِ.

وقال الحسنُ بن عليٍّ وعبدُ الرَّحمن بن زيدٍ: الشَّاهد هو النَّبيُّ ﷺ، وقوله: ﴿مِّنْهُ﴾: مِنَ اللهِ تعالى[٥].

وقال ابن عبَّاس ومجاهد وإبراهيم والفرَّاء والزَّجَّاجُ: هو جبريلُ يتلو القرآنَ على محمَّد عليهما السلام[٦].

---

(١) في (أ) و(ف): «شاهد به».

(٢) في (ر): « وهو ما جاء به».

(٣) في (ر) و(ف): «الشاهدة بمحمد والبشارة به والإخبار بصفته وصفة أمته فآمن بذلك».

(٤) في (ف): «التدبر».

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٣٥٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ٢٠١٤ ـ ٢٠١٥) عن الحسين بن علي رضي الله عنه، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم.

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٣٥٩) عن ابن عباس ومجاهد وإبراهيم، وابنُ أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ٢٠١٤) عن ابن عباس ومجاهد، وقال عقب خبر ابن عباس: وروي عن أبي العالية وأبي صالح ومجاهد وإبراهيم وعكرمة والضحاك وعطاء الخرساني وخصيف نحو ذلك.
وانظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٦)، و«معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٤٣).

وقال الحسنُ وقتادةُ: شاهدٌ مِن النَّبيِّ عليه الصَّلاة والسَّلام، هو لسانُه[١].

وقال مجاهدٌ: ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ قال: ملَكٌ يحفظُه ويسدِّدُه[٢].

وقال ابنُ حبيبٍ: ورأيْتُ في بعض التَّفاسير: الشَّاهدُ صورةُ النَّبيِّ ﷺ ووُجُهه ومخايلُهُ؛ لأنَّ مَنْ كانَ له حِسٌّ صحيحٌ ونظرَ إليه علمَ أنَّه ليسَ بوجهِ كذَّابٍ متخرِّصٍ، ولا ساحرٍ، ولا كاهنٍ، ولا مجنونٍ[٣]. ويؤيِّد هذا التَّفسير قولُه: ﴿مِّنْهُ﴾.

وقال مقاتلٌ: ليس الَّذي هو على بيانٍ مِن ربِّه كالَّذي موعدُه النَّار[٤].

فجعلَ جوابَه فيما بعدَه، والأوَّلُ جوابُه فيما قبله، وهو كقوله تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ﴾ [الزمر: ٩]، قيل: جوابُه فيما قبله: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩]، وقيل: فيما بعده: ﴿قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ﴾ [الزمر: ٨].

وقوله تعالى: ﴿أُولَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾: قيل: هم أصحابُ محمَّدٍ عليه الصَّلاة والسَّلام.

وقيل: هم أصحاب موسى أهلُ الكتاب الَّذين آمنوا بمحمَّد عليه الصَّلاة والسَّلام.

وقوله: ﴿بِهِۦ﴾؛ أي: بالقرآن، وقيل: أي: بمحمَّد.

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ﴾: ففي الهاء قولان أيضًا كالأوَّل.

---

(١) رواه عنهما الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٣٥٤).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٣٦٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ٢٠١٤).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ١٦٢)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ٨٦)، والرازي في «تفسيره» (١٧/ ١٦١) دون نسبة.

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٢٧٦).

﴿مِنَ ٱلْأَحْزَابِ﴾: أي: الفرق والأصناف، وهم اليهود والنَّصارى والمجوس والمشركون.

﴿فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ﴾: أي: إن لم يُسلمْ.

﴿فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ﴾: أي: شكٍّ ﴿إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾: لا يقصدون التماسَ الحقِّ، فيكونَ همُّهُم التَّصديقَ بما قامَتْ به دلائلُه.

وقال الإمام القشيريُّ رحمَه الله: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ البيِّنةُ لأقوامٍ برهانُ العلمِ، ولأقوامٍ بيانُ الحقيقة على القطع والجزم، يُشهدهم الحقُّ ما لم يُطْلِع عليه غيرَهم، فهو كما قيل:

ليلِي مِنْ وجهِكَ شمسُ الضَّحى ... وإنَّما السُّدْفَة في الجوِّ
والنَّاس في الظُّلمة مِن ليلِهم ... ونحنُ مِن وجهِكَ في الضَّوِّ(١)

***

(١٨) - ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾: أي: لا أظلمُ على نفسِه وعقلِه ممَّنْ كَذَبَ على اللهِ، فنفَوا عنه كلامَه، وأضافوه إلى غيرِه.

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٢/ ١٢٩)، والبيتان ورد نحوهما في «لطائف الإشارات» (١/ ٥٦) برواية:

ليلي من وجهك شمس الضحى ... وظلامه في الناس ساري
والناس في سدف الظلا ... م ونحن في ضوء النهار

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُعۡرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمۡ ﴾: في موقف القيامة ﴿ وَيَقُولُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ ﴾؛ أي: الملائكة الَّذين كتبوا أعمالهم، وقيل: الأنبياء، وقيل: أهل الجمع:

﴿هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ ﴾: قالوا: إن له أضدادًا وأندادًا.

وقوله تعالى: ﴿أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾: هذا إخبارٌ مِنَ اللهِ تعالى، وتعليمٌ للخَلْقِ أنْ يلعنوهم، وهم المشركون الواضعون العبادةَ في غير موضعِها، والضَّارُّون أنفسَهم.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُعۡرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمۡ ﴾؛ أي: تُعرَضُ أعمالُهم على أنفسِهم عندَ ربِّهم، كقوله تعالى: ﴿إِذۡ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ ﴾ [الأنعام: ٣٠]؛ أي: عندَ ربِّهم؛ إذِ الأمرُ والنَّهيُ كان لأنفسِهم، فكانَ عرضُهم لهم[١].

* * *

(١٩) ـ ﴿ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجٗا وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾: أي: يمنعون النَّاس عن دينِ اللهِ وطريقِ طاعتِه بالتَّحريف وإدخال الشُّبَه.

﴿ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجٗا ﴾: أي: يطلبونها[٢] ـ أي: للسَّبيل، وهي مؤنَّثة سماعًا ـ تعويجًا؛ أي: يطلبونَ أنْ يَعْدلوا بالنَّاس عنها.

﴿وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ﴾: أي: جاحدون.

* * *

---

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٦/ ١١١ ـ ١١٢).

(٢) في (ر) و(ف): «يطلبون بها».

(٢٠) ـ ﴿أُولَٰٓئِكَ لَمْ يَكُونُوا۟ مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلْعَذَابُ ۚ مَا كَانُوا۟ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُوا۟ يُبْصِرُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿أُولَٰٓئِكَ﴾: هو جواب قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾.

﴿لَمْ يَكُونُوا۟ مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: أي: فائتين هربًا؛ أي: لا يتخلَّصون من عذابِه ولو ساروا حيث ساروا في الأرض.

﴿وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ﴾: يتولَّون نصرَهُم، وردَّ العذابِ عنهم في الدُّنيا والآخرة، بل ﴿يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾؛ أي: يواصَلُ ولا يقطع[1]، ويزادون عذابًا على عذابٍ، قال تعالى: ﴿كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا﴾ [الإسراء: ٩٧]، وقال تعالى: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ﴾ [النساء: ٥٦].

وقال الكلبيُّ: يضاعف على الرُّؤساء ضعفَ ما على غيرِهم مِنَ الأتباع[2].

﴿مَا كَانُوا۟ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُوا۟ يُبْصِرُونَ﴾: أي: كانوا يستثقلون أنْ يسمعوا القرآنَ، وأنْ ينظروا إلى عجائب خلقِ اللهِ تعالى بالاعتبار.

وفي متعارَف الكلام: ما أستطيعُ أنْ أسمعَ كلامَ فلانٍ، أو أنظرَ إلى فلانٍ، إذا كان مستثقَلًا.

ودلَّتِ الآيةُ أنَّ الاستطاعةَ الَّتي هي علَّة الفعلِ ـ وهي قدرةُ الفعل حقيقةً ـ تكون مع الفعل؛ فإنَّ الله تعالى نفى ذلك عنهم حيث انتفى عنهم الفعل، فأمَّا الاستطاعة الَّتي هي سلامةُ الأسباب والآلات فقد كانت ثابتةً لهم، فإنَّهم كانوا ذوي أذانٍ وعيونٍ.

* * *

---

(١) في (ر): «مواصلا لا ينقطع».

(٢) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ١٤٤) بلا نسبة.

(٢١) ـ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾: أي: أوردوا أنفسَهم الهلاكَ والعذابَ، حذرًا مِن غير أن اعتاضوا مِن أنفسِهم مِن أعراض الدُّنيا بدلًا، بل تعبوا في الدُّنيا بعبادة الأصنام، ووردوا الآخرة وقد فقدوها[١] ولم يحصلوا منها ومن عبادتها على نفعٍ، وكانوا مفترين في أنَّها آلهةٌ وشفعاءُ وشهداء.

وقال ابنُ عبَّاس رضي الله عنهما: أي: بطلَ افتراؤُهم فلم يجلبْ ثوابًا[٢].

* * *

(٢٢) ـ ﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي ٱلْأٓخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي ٱلْأٓخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ﴾: (لا جرم) كلمةٌ تقولُها العرب بمعنى: لا بُدَّ، ولا محالةَ، وكثرَتْ في الكلام حتَّى صارَتْ بمعنى: حقًّا.

وقيل: (لا) نفيٌ، و(جرم)؛ أي: كَسَبَ، يعني: كَسَبَ كفرُهم خسرانَهم[٣].

وقيل: (جرم)؛ أي: قطع؛ أي: لا قطعَ لهم عن الخسران.

وقال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: ﴿لَا جَرَمَ﴾ نعم[٤].

---

(١) في (أ): «فقدروها» بدل من «وقد فقدوها».

(٢) لم أجده عن ابن عباس، وقاله الواحدي في «البسيط» (١١/ ٣٨٤) ولفظه: (بطل افتراؤهم في الدنيا فلم ينفعهم في الآخرة شيئًا).

(٣) هذا قول الزجاج، لكنه يحتاج لتفصيل أكثر، فالمعنى عليه: أن ﴿لَآ﴾ ردٌّ لقولهم؛ أي: ليس ذلك كما وصفوا ﴿جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ﴾ أي: جَرَمَ فعلُهم هذا أن لَهُم النارَ؛ أي: كسب فعلهم أن لهم النارَ. فتكون ﴿أَنَّ﴾ في موضع نَصْبٍ، و﴿جَرَمَ﴾ بمعنى كَسَب. انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٢٠٧ و٢٢٠).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٢٦٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ٢٠١٩).

وقال الضَّحَّاكُ: لا شكَّ[١].

وقال النَّضر بن شميل: ذلك[٢].

وقال مجاهد: حقًّا؛ أي: إنَّهم في الآخرة هم الأعظمون خسرانًا، والأشدُّون عذابًا وهوانًا.

وقال الإمام القشيريُّ رحمَه الله: أولئك الَّذين خسرَتْ صفقتُهم، وبارَتْ بضاعتُهم، لَقُوا الهوانَ، وذاقوا البأسَ والحرمان[٣].

* * *

(٢٣) - ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخْبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخْبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾: ذكرَ الأولياءَ بعدَ ذِكْرِ الأعداءِ. ﴿وَأَخْبَتُوٓاْ﴾ اختلفَتْ ألفاظُ المفسِّرينَ فيه:

قال ابنُ عبَّاس رضي الله عنهما: أي: أنابوا إلى ربهم[٤].

وقال مجاهدٌ: أي: اطمأنُّوا إلى ذِكْرِ ربِّهم[٥].

---

(١) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ١٤٥) بلا نسبة. وذكر ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٢٨٠) عن الضحاك: ﴿لَا جَرَمَ﴾ قال: لا كذب.

(٢) في (أ): «لكن»، وفي (ر): «لك».

(٣) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٢/ ١٣٠).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٣٧٤).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٣٧٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ٢٠١٩).

وقال قتادة: أي: خضعوا وخشعوا(١).

وقال الحسنُ: الإخباتُ: الخشوعُ للمخافةِ الثَّابتة في القلب(٢).

وقيل: الإخباتُ: سكونُ الجوارحِ خضوعًا للهِ تعالى، والخَبْتُ: الأرضُ المستويةُ الواسعةُ(٣).

* * *

(٢٤) ـ ﴿ ۞ مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ ۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ ﴾: والفريقان هما المذكوران في هذه الآية، وهما المشركون والمؤمنون، فالأعمى والأصم هو المشرك، عَمِيَ بعين قلبه فلم ينظر نظر اعتبار، وصُمَّ بسمع قلبه فلم يسمع إلى الوعظ للادِّكار، والبصيرُ والسَّميع هو المؤمن، أبصَروا الحقَّ بعيون قلوبِهم، وسمعوا بآذان القلوب مواعظ ربِّهم.

وقوله تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ﴾: استفهامٌ بمعنى النَّفي.

وإنَّما ثنَّى ـ وإنْ ذكرَ أربعةَ أسماءٍ وهي جمعٌ ـ لأنَّ الأعمى والأصم من صفة إنسانٍ واحدٍ، وكذا السَّميع والبصير لواحدٍ، فكانا اثنين.

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ١٨٦)، والطبري في «تفسيره» (١٢/ ٣٧٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ٢٠٢٠).

(٢) في (أ): «الإخباتُ والخشوعُ المخافةُ»، وفي (ر): «الإخباتُ والخشوعُ للمخالفة»، وفي (ف): «الإخباتُ والخشوعُ للمخافة»، والمثبت من «تفسير القرطبي» (١١/ ٩٦).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٤٢٧)، وفيه: واشتقاقه من الخَبْتِ مِن الأرْضِ، وهي المكان المنخْفِض منها، فكل مُخْبِت متواضع.

وقوله تعالى: ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾: أي: تتَّعظون، استفهام بمعنى الأمر؛ أي: اتَّعِظوا.

* * *

(٢٥) ـ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ﴾: وذكرَ قصصَ الأنبياءِ تنبيهًا على ما يلزم[١] رسول الله ﷺ من الصَّبر على أذى قومِه المشركين، وتحذيرًا للمشركين أنْ ينزلَ بهم في تكذيب رسول الله ﷺ ما نزل بالأوَّلين في تكذيب المرسلين، وتبشيرًا للمؤمنين بالنَّصر والنَّجاة والتَّمكين.

وقال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: سُمِّيَ نوحًا لكثرة نياحه على نفسِه[٢].

وذُكر[٣] أنَّه مرَّ بكلبٍ فقال: ما أقبحَهُ! فأوحى الله تعالى إليه: أنِ اخلقْ أنتَ أحسنَ منه، فأخذَ يبكي وينوحُ على نفسِه حتَّى أوحى اللهُ إليه: يا نوحُ، كم تنوحُ[٤]؟

فإذا كان في طول عمرِه فعلَ فعلةً واحدةً أو قالَ كلمةً واحدةً لم يؤذَنْ له فيها، فناحَ على نفسِه إلى أنْ سُمِّيَ بالنَّيَّاحِة، فكيفَ حالُ مَن لا يذكرُ يومًا مضى مِن عمرِهِ في مدَّةِ تكليفِه إلَّا على ذنوبٍ كثيرةٍ؟

وقوله تعالى: ﴿إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾: قرأ ابنُ كثير وأبو عَمرو والكسائيُّ:

---

(١) في (أ): «تنبيها في تكذيب رسول» بدل: «تنبيها على ما يلزم».

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ٤٤).

(٣) في (ر) و(ف): «وذلك».

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ٤٤)، والقشيري في «لطائف الإشارات» (٢/ ١٣١)، دون نسبة، والظاهر أنه من أباطيل أهل الكتاب.

﴿أنّي لكم﴾ بالفتح؛ لوقوع فعلِ الإرسال عليه، وقرأ الباقون بالكسر على الابتداء[1]، وتقديرُه: فقلنا له: قل لهم: إنّي لكم ﴿نَذِيرٌ﴾؛ أي: مخوِّف لكم، ﴿مُّبِينٌ﴾؛ أي: مظهِرٌ ذلك.

* * *

(٢٦) - ﴿أَن لَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَن لَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾ قيل: لئلّا تعبدوا، وقيل: بأن لا تعبدوا، ثمَّ هو يحتمِلُ النهيَ، ويحتمِل النَّصب؛ لوقوع فعل الإرسال أو الإنذار على المصدر.

وقوله تعالى: ﴿عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾ الأليمُ في الظَّاهرِ صفةُ العذاب، وإنَّما خُفِضَ ولم يُنصبْ للمجاورة.

وقيل: هو صفةُ اليومِ، وتقديرُه: عذاب يومٍ أليمٍ عذابُه، كما يُقال: أخشى عذابَ يومٍ شديدٍ عذابُه، وهو كقوله تعالى: ﴿فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾ [إبراهيم: ١٨]؛ أي: عاصف الرِّيح.

وهذا اليوم يجوز أن يكون في الدُّنيا، ويجوز أن يكون في الآخرة.

وقال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: هو الغرق والطُّوفان[2].

* * *

(٢٧) - ﴿فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ﴾.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ٣٣٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٤).

(٢) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ١٤٦) دون عزو.

وقوله تعالى: ﴿فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ﴾؛ أي: قال أشرافُ قومِه الَّذين يتكلَّمون عمَّن دونهم: ما نراك إلَّا إنسانًا مثلنا، والَّذي[١] تدَّعيه مِن النُّبوَّة يوجبُ فضلًا لكَ علينا يُلْزِمُنا أنْ نكون أتباعًا لك، وإنَّما أنت آدميٌّ مثلنا، ولم يتَّبعْكَ مِن قومِكَ خيارُ قومنا وعقلاؤنا فيلزمَنا اتِّباعهم، بل سَفِلتُنا وسُقَّاطنا.

والرَّذْلُ: الحقيرُ، وجمعُه: الأرذال، وجمعُ الجمعِ: الأراذل.

﴿بَادِىَ ٱلرَّأْىِ﴾: قرأ أبو عَمرو: ﴿بادئ﴾ مهموزًا، ومعناه: أوَّلَ الرَّأي؛ أي: اتَّبعوك بأوَّل رأيهم مِن غير أن يستشيروا أو يتأمَّلوا[٢].

وقرأ غيرُه: ﴿بَادِىَ ٱلرَّأْىِ﴾ بغير همزة[٣]؛ أي: ظاهر الرَّأي؛ أي: بما بدا لهم مِن غير تأمُّل.

وقيل: ﴿هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ﴾؛ أي: بأوَّل الرُّؤية وبظاهر الرَّأي يعرفهم أنَّهم أراذل، وما نرى لك يا نوحُ ولا لمنْ اتَّبعَك علينا فضلًا نِلْتموه لمخالفتنا في دينِنا فتتبعَكم طلبًا لذلك الفضل، بل نظنُّكم كاذبين في دعوى الرِّسالة.

والأظهرُ أنَّ الأراذل جمع الأرذل[٤]، فقد قال تعالى في سورة الشعراء خبرًا عنهم: ﴿وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ﴾ [الشعراء: ١١١].

---

(١) قوله «الذي» معطوف على الكاف في «نراك»؛ أي: (وما نرى الذي...).

(٢) في (ف): «يعتبروا».

(٣) انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ٣٣٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٤).

(٤) في (ف): «الأرذال جمع الأراذل» بدل من «الأراذل جمع الأرذل».

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: وهكذا كان الكفَّار يردُّون على الرُّسل بهذا: أنتم بشرٌ مثلُنا، وجوابُ ذلك ما قال خبرًا عنهم: ﴿إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ [إبراهيم: ١١]، وجواب قولهم: ﴿وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا﴾: أنَّ هؤلاء لَمَّا لم يتَّبعوا الرُّؤساء الذين هم أرباب الأموال والنِّعم، واتَّبعوا الرُّسل الَّذين لم يرَوا في أيديهم ذلك، دلَّ أنَّهم إنَّما اتَّبعوهم بالحُجَج والبراهين(١).

وقوله تعالى: ﴿بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ﴾ دلَّ أنَّهم كانوا يردُّون الدَّلالات الباهرة بالظُّنون الكاذبة.

وقال الإمام القشيريُّ رحمَه الله: أنكروا نبوَّته لمشاكلتِه إيَّاهم في الصُّورة، ولم يعلموا أنَّ المباينةَ بالسَّريرة والسِّيرة لا بالصُّورة.

ونظروا إلى مَنْ آمنَ به بعين الاستحقار، وشاهَدوهم بالاستصغار، وما استصْغَرَ أحدٌ أحدًا برؤية الفضل عليه إلَّا سلَّطَه اللهُ عليه، والمرءُ بأصغرَيْه، وبالمعاني الامتيازُ لا بالمباني، قال الشَّاعرُ:

تـرى الرَّجـلَ النَّحيـف فتزدَرِيْـهِ ... وفي أثوابِـهِ رجـل يزيـرُ(٢)
فـإنْ أكُ في شراركـمُ قليـلًا ... فـإنِّي في خياركـمُ كثـيرُ(٣)

---

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٦/ ١٢١).

(٢) في (ف): «مزير».

(٣) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٢/ ١٣٢)، ونسب البيت الأول للعباس بن مرداس السلمي رضي الله عنه. انظر: «الحماسة ـ شرح المرزوقي» (٣/ ١١٥٣)، ونسب لكثير عزة، انظر: «أمالي القالي» (١/ ٤٧)، و«زهر الآداب» للقيرواني (٢/ ٤١٠)، ونقل التبريزي في «شرح الحماسة» =

(٢٨) ـ ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴾: أي: قال نوحٌ: يا قومِ أخبروني إنْ كنْتُ على بيانٍ وحجَّةٍ ووضوحٍ مِن ديني، وكان اللهُ آتاني رحمةً مِن عندِه، بأنْ جعلَني رسولاً إليكم، ووعدني النَّصر عليكم، واشتبهَتْ عليكم تلك الرَّحمة، وخفيَتْ حتَّى صرْتُم كالعُمْي عنها، أيتهيَّأ لي أنْ أُلزِمَكُم إيَّاها؛ أي: أَقهَرَكم وأُكرهَكم على فهمِها ورؤيتِها بأبصارِ قلوبِكم، وأنتم لها كارهون؟!

ويحتمِل أنْ يكونَ المراد مِن الرَّحمة: ما أنعمَ الله عليه مِن الهدى، يقول: إنْ كانَ اللهُ تعالى هداني فأردْتُ أنْ أُشركَكُم فيها، وخفيَ عليكم هذا فظننْتُم بي غير الحقِّ، أيتهيَّأ لي أنْ ألزمَكُم هذه النِّعمة، فأوصلَها إليكم على كرهٍ منكم؟!

وقال ابنُ عبَّاس رضي الله عنهما: ﴿عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى﴾؛ أي: على دِينٍ.

وقال الضَّحَّاك: أي: على بصيرةٍ.

وقال عطاء: على أمرٍ ظاهرٍ مكشوفٍ[١].

= (٣/ ٨٩) عن أبي رياش عزوه لمعاوية بن مالك الكلابي معود الحكماء.

وفي «سمط اللآلي» لأبي عبيدة البكري (١/ ١٩٠) ذكر الخلاف في نسبة البيت إلى من ذكرنا، وزاد نسبته إلى ربيعة الرقي، وصحح أنه لمعاوية بن مالك.

والبيت الثاني ذكرته بعض المصادر السابقة، وأهملته أخرى.

(١) لم أقف على هذه الأخبار، والأول ذكره الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (٤/ ٩٧)، والسمرقندي في «تفسيره» (٢/ ١٤٦) بلا نسبة.

وقال مقاتلٌ: على معرفة(١).

﴿وَءَاتَىٰنِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ﴾: قال ابنُ عبَّاس رضي الله عنهما: يعني: الرِّسالة والعاقبة(٢).

وقال مقاتل: هدًى(٣).

وقوله تعالى ﴿فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ﴾: قرأ حمزةُ والكسائيُّ وحفصٌ عن عاصمٍ بضمِّ العين وتشديد الميم؛ أي: عمَّاها اللهُ تعالى عليكم؛ أي: أخفاها، والباقون بتخفيف الميم وفتح العين(٤)؛ أي: خَفِيَتْ، يُقال: عَمِيَ عليَّ خبرُ فلان؛ أي: التبس.

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: ﴿إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي﴾ الصُّبحُ لا خللَ في ضيائِهِ لكون الحاضرين عُميانًا، فالسَّيفُ لا خللَ في إمضائه لكونِ ضاربِيْه صبيانًا(٥).

* * *

(٢٩) - ﴿وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًاۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًاۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾: أي: لا أطلبُ منكم على

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٢٧٩)، وفيه: «﴿بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي﴾ يعني: بيان».

(٢) ذكره الماوردي في «تفسيره» (٢/ ٤٦٦)، والواحدي في «البسيط» (١١/ ٣٩٨)، بلفظ: (النبوة).

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٢٧٩).

(٤) انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ٣٣٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٤).

(٥) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٢/ ١٣٢).

تبليغِ الرِّسالة مالًا، فلا تهمةَ عليَّ فيما أدعوكم إليه، ولا صورتي صورةُ مَن يطمعُ في أموالكم، والرِّياسةِ في أمور الدُّنيا عليكم، فتظنُّوا بي الكذبَ، وما أَجري إلَّا مِن اللهِ بوعد الله، فللَّه أعملُ، ومنه أرجو، وما أنا بطارد الَّذين آمنوا بي واتَّبعوني - والطَّردُ: الإبعادُ على وجهِ الهوان - إنِّي إذا كنْتُ لا اسألُكم شيئًا مِن أموالكم، فأراذلكم وأفاضلُكم عندي سواء؛ لأنِّي داعٍ للجميع، فمَنْ أجابني قبلْتُه.

وقولُهم: اتَّبعوك باديَ الرَّأي، فعليَّ العمل بظاهر ما أرى، فأكتفي بظاهر إيمانهم، وأَكِلُ باطنهم إلى الله، فإنَّهم ملاقوه، وصائرون إليه، فيسألهم عن أعمالهم، ويجزيهم على وفق صنيعهم، ويطردهم عن رحمتِه إنِ استحقوه بمخالفةِ باطنهم ظاهرَهم.

وقيل: سألوه طردَهم ليؤمنوا به؛ أَنَفةً مِن أن يكونوا معهم. وهذا عن ابن جريج[1].

ثمَّ قال: ﴿وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ﴾: فتظنُّون أنَّ النَّاس يتفاضلون بالأحساب والأنساب، لا بالأعمال والأحوال.

وقيل: تجهلون أنَّهم خير منكم.

* * *

(٣٠) - ﴿وَيَٰقَوۡمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمۡۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾.

---

(١) روى نحوه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٣٨٥)، وذكره الواحدي في «تفسيره» (١١/ ٤٠٣).

وقولـه تعالـى : ﴿وَيَٰقَوۡمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمۡۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾؛ أي: مَـن يمنعُنـي مِن عـذابِ اللهِ ﴿إِن طَرَدتُّهُمۡۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾؛ أي: فتُخْطِـرون[1] ببالكم فتعلموا أنَّـه لا يجـوزُ لـي طردُهـم والحـال هذا.

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: طردُ مَن قرَّبه اللهُ وأدناه يوجِبُ لصاحبه الخِزْيَ في الدُّنيا، والصَّغارَ في عُقباه[2].

* * *

(٣١) ـ ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٞ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزۡدَرِيٓ أَعۡيُنُكُمۡ لَن يُؤۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيۡرًاۖ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمۡ إِنِّيٓ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

وقوله تعالى : ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٞ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزۡدَرِيٓ أَعۡيُنُكُمۡ لَن يُؤۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيۡرًاۖ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمۡ إِنِّيٓ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: أي: ولا ادَّعي أنَّ عندي خزائنَ الأموالِ فأبذلَها لكم لتتَّبعوني، وأستميلَكم بها لتُطيعوني.

وقيل: ما عندي خزانةُ الهداية لأهديَكم أنا إلى الحقِّ دون الأراذل، ولا أعلم الغيب فأخبرَكم بما تسألونني عن الأمور الكائنة من بعدُ مِن النِّعم والمحن لتطلبوها وتتحرَّزوا عن المخاوف، ولا أقول: إنِّي ملَك من السَّماء أخبركم بأخبار السَّماء، ولا أقول لهؤلاء الَّذين تحتقرهُم أعينكم ـ وقد زَرَيْتُ عليه زِرايةً؛ أي: عِبْتُهُ، وأزرَيْتُ عليه؛ أي: قصَّرْتُ به، وازدريْتُهُ؛ أي: احتقرْتُهُ ـ ﴿لَن يُؤۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيۡرًا﴾؛ أي: إيمانًا ﴿ٱللَّهُ

(١) في (أ): «فتخطروني».

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٢/ ١٣٣).

﴿أَعْلَمُ بِمَا فِيٓ﴾ قلوبِهم مِن الصِّدق وغيره، وعليه أحدُ تأويلات قولِه تعالى: ﴿وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ﴾؛ أي: ما في قلوبهم، ولو طردتهم فأنا إذًا مِن الظَّالمين أنفسَهم بطردِ مَن أُمِرْتُ بقَبولِه.

* * *

(٣٢) ـ ﴿قَالُوا۟ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا﴾؛ أي: خاصمْتَنا فبالَغْتَ فيها ـ وقد جادَلَه يجادِلُه؛ أي: خاصمَه ليُرجِعَهُ عمَّا هو عليه، وأصلُهُ الجَدْلُ، وهو الفَتْلُ[1] ـ وليس ذلك ممَّا يُثْبِتُ عندَنا صدقَكَ في دعوى رسالتِكَ فيُخافَ إنذارُك.

﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾: مِن العذابِ على مخالفتِنا إيَّاك ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾؛ أي: صادقًا في ذلك.

* * *

(٣٣) ـ ﴿قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾: (إنَّما) كلمةُ تحقيقٍ، ومِن تحقيقِه أنْ يكونَ له دونَ غيره؛ أي: ليسَ الإتيانُ بالعذابِ إليَّ، وإنَّما يأتي اللهُ به إنْ شاءَ، وإنْ شاءَ صرفَه عنكم، وما أنتم بفائتين[2] عنه إن تأخَّر عنكم حتَّى يلحقَكُم، بل يلحقُكُم متى شاءَ.

* * *

---

(١) تحرفت في النسخ إلى: «القتل»، والصواب المثبت. انظر: «القاموس» (مادة: جدل).

(٢) في (أ): «بغائبين».

(٣٤) ـ ﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ ۚ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ ۚ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾: النُّصح نقيضُ الغش، وهو إمحاضُ إرادةِ الخيرِ في الدلالة.

وقيل: هو إعلامُ موضعِ الغيِّ ليُتَّقى، والرُّشدِ ليُقْتَفى(١).

يقول: نصحْتُكُم، ولكن لا ينفعُكُم نصحي إذا لم تقبلوه وأراد الله إغواءَكم، هو اللهُ ربُّكم؛ أي: مدبِّركم ومُقِيمكم في الدُّنيا إلى وقت إهلاكِكم، ثمَّ إليه تُرجعون فيحاسبُكم ويجازيكم.

* * *

(٣٥) ـ ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَىَّ إِجْرَامِى وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَىَّ إِجْرَامِى وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ﴾: قال مقاتلٌ: هذا كلامٌ اعترضَ في قصَّة نوح سلام الله عليه، والمعنى: أم يقول أهلُ مكَّة: افترى محمَّدٌ القرآنَ؛ أي: اختلقَه مِن تلقاء نفسِه، قل يا محمَّد: إنْ اختلقْتُه فعليَّ جزاءُ جرمي، وأنا بريء ممَّا تجرمون أنتم. ثم رجعَ إلى قصَّة نوحٍ عليه السَّلام(٢).

وقيل: تقديرُه وتلفيقُه: أفيؤمِنُ أهلُ مكَّة بما أخبرْتَهم يا محمَّدُ مِن قصَّة

---

(١) في (ر): «ليتبع»، وسقطت من (ف).

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٢٨١).

نـوحٍ تقريـرًا لحالـك، أم يقولـون: اختَلَقـه؟ فإنْ قالـوا ذلك فقـلْ: إنِ افتريتُـهُ فعليَّ عقـابُ ذنبـي، وأنتـم بريئـون مـن جُرمـي لا تُؤاخـذون بـه، وأنـا أيضًـا بـريء مِـن جُرمكـم لا أؤاخَـذ به.

وقال الإمام أبو منصور رحمة الله عليه: قال بعضهم: هو قولُ قومِ نوحٍ: إنَّ نوحًا افترى على الله أنَّه أرسلَه إليهم، فأجابَهم بما أجابَ[1]. فعلى هذا القصَّة منتظِمة.

***

(٣٦) ـ ﴿وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾.

وقولـه تـعـالى: ﴿وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾؛ أي: أوحينا إليه فقلْنا له: لن يصدِّقَكَ بعدَ هذا منهم إلَّا مَن قد آمن[2]، فلا تحزن ولا تبأس، هو حزنٌ في استكانةٍ، وهو افتعال مِن البؤس؛ أي: فلا تتصوَّر بصورةِ مَن أصابه البؤس بما فعلوا، ولَمَّا أُخْبِر بذلك وأيسَ مِن إيمانهم دعا عليهم فقال: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح: ٢٦].

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: دلَّتِ الآيةُ أنَّ للإيمانِ حكمَ التَّجدُّد؛ فإنَّ قولَه: ﴿إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ﴾ استثناءٌ ممَّن لا يؤمِن في المستقبل، فكان إثباتًا لإيمانهم في حادث الوقت.

وقوله تعالى: ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ يحتمِل الكفر؛ لأنَّ الأنبياء كانوا يحزنون

---

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٦/ ١٢٧).

(٢) في (أ): «أسلم».

بكفر المشركين؛ قال الله تعالى لنبيِّنا عليه السلام: ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٣].

ويحتمِل أنَّهم كانوا همُّوا بقتله والمكرِ به، فقال: لا تحزن بما كانوا يسعَون في هلاكك؛ فإنِّي أكافيهم[1].

* * *

(٣٧) ـ ﴿وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا﴾: أي: بحِفْظنا إيَّاك حفظَ مَن يراك ويملكُ دفعَ السُّوء عنك.

وقيل: بأعين أوليائنا مِن الملائكة الموكَّلين بك.

﴿وَوَحۡيِنَا﴾؛ أي: أَمْرِنا وتعرِيْفنا صفتَها وقدرَها وهيئاتِها.

﴿وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾: في الكافرين بسؤال النَّجاة، وقيل: بسؤال الإيمان، وقيل: في سؤال بعض أهلِك مِن جملتهم.

﴿إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ﴾: أي: كلُّهم حقَّ القولُ عليهم بأنَّهم لا يؤمنون، وبإغراقنا يُغرقون، وهو تعريفٌ للمشركين في عهد النَّبيِّ ﷺ المستعجِلين العذابَ أنَّ اللهَ تعالى لا يعذِّبُهم عذابَ الاستئصال إلَّا إذا كان في معلومِ الله أنَّهم لا يؤمنون، ولا يخرجُ مِن أصلابهم مَن يؤمن.

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: أي: قمْ بشرطِ العبوديَّة في صنع السَّفينة بأمرنا

---

(١) في (ر): «مكافئكم»، وفي (ف): «كافيهم».

وتحقُّق شهودِنا، وأنَّك بمرأى منَّا، ومَن علِم اطِّلاع الحقِّ عليه لم يلاحِظ نفسَه ولا غيرَه، ولا سيَّما وقد تحقَّق بأن المجريَ هو الله سبحانَه وتعالى.

ثمَّ قال له: راعِ حقَّ الأدب فيما لم يكن لكَ إذنٌ منَّا في الشَّفاعة لأحد، فلا تخاطبْنا فيه[1].

***

(٣٨) ـ ﴿وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ ۚ قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ ۚ قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾: أي: وكان يصنعُ السَّفينة؛ أي: يعملُها، وكلَّما مرَّ عليه أشرافُ قومِه ﴿سَخِرُوا۟ مِنْهُ﴾؛ أي: مِن نوح.

وقيل: مِن صنعِه[2].

وقيل: كانوا يقولون: صرْتَ نجَّارًا بعدَ النُّبوَّة، على طريق الاستهزاء.

وقيل: السُّخريةُ: إظهارُ خلافِ الإبطان على جهةٍ يُفهَم منها استضعاف[3] عقلِ مَن يُسْخَر منه[4]، ومنه[5] التَّسخيرُ، وهو التَّذليل والاستضعاف.

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٢/ ١٣٥).

(٢) في (ر): «صنعته».

(٣) في (ر): «استصغار».

(٤) في (أ): «به».

(٥) في (ف): «وهو من».

وقيل: لَمَّا كانت هائلةً طويلةً عريضةً واسعةً، ولا ماء هناك يحمِل مثلَها، كانوا يتضاحكون ويتعجَّبون من عملِها، فقال نوحُ: ﴿إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ﴾.

قال الزَّجَّاج: أي: إنْ تستجهلونا فإنَّا نستجهِلُكم[1].

وقيل: ﴿إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا﴾ في الدُّنيا ﴿فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ﴾ في الآخرة ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ إذا نزل بكم العذاب.

وقيل: فإنَّا نُظهِرُ[2] عاقبة هذا العمل بما تعملون إذا نزلَ بكم العذاب.

وقيل: إنَّا كنَّا نسخرُ منكم إذْ نكتُمُكم حقيقةَ عملِنا، ولا نكشِفُ لكم عمَّا يُراد بكم منه.

قال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: أعدَّ[3] نوحٌ عليه السَّلام السَّفينة في سنَتَين، وكانت مِن السَّاج، فجعل لها ثلاثةَ أبواب، بعضها أسفلَ من بعض، وجعل لها ثلاثة بطون، فجعل في البطن الأسفل الوحوش والسِّباع، وجعل في البطن الأوسط الأنعام والدَّواب، وركب هو ومَن معه البطن الأعلى مع ما يحتاجُ إليه مِن الزَّاد[4].

وقال مقاتلٌ: وحمل معه جسدَ آدمَ، وجعلَه معترضًا بينَ الرِّجال والنِّساء[5].

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٥٠).

(٢) في (أ): «نظهر منكم».

(٣) في (ر) و(ف): «اتخذ».

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ١٦٦)، والبغوي في «تفسيره» (٤/ ١٧٤).

(٥) قطعة من خبر رواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (١/ ٤٢)، ومن طريقه الطبري في «تاريخه» (١/ ١١٥)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦٢/ ٢٤٦)، من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس.

وفي تفسير مالك بن سليمان الهروي: أنَّ الحيَّة والعقرب أَتيا نوحًا عليه السلام، فقالَتا: احملْنا، فقال نوحٌ صلوات الله عليه: إنَّكما سببُ الضُّرِّ والبلاءِ[1]، فأنا لا أحملكما، قالَتا: احملْنا فإنَّا نضمنُ لَكَ أنَّا لا نضرُّ أحدًا ذكرَكَ، فمَنْ قرأَ حين خاف مضرَّتهما: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الصافات: ٧٩] ما ضرَّتاه[2].

* * *

(٣٩) ـ ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾: يتَّصل هذا بقوله: ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ﴾، ولقوله: ﴿مَن يَأْتِيهِ﴾ وجهان:

الرَّفع إذا جعل معناه: فسوف تعلمون أيُّنا يأتيه عذابٌ يخزيه.

والنَّصب إذا جعل تقديرُه: فسوف تعلمون الذي يأتيه عذاب يخزيه؛ أي: يفضحه، وهو الغرقُ، ﴿وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾؛ أي: يجب عليه عذابٌ دائم؛ أي: عذاب الآخرة، وهو قوله تعالى: ﴿أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا﴾ [نوح: ٢٥].

* * *

(٤٠) ـ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾.

---

(١) في (ر): «الضر في البلاد».

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ١٧٠).

وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ وَمَنۡ ءَامَنَۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ﴾: أي: فعمل السَّفينة وفرغ ومضى زمانٌ، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا﴾؛ أي: حضر وقتُ مجيء أمرِنا بإهلاكِهم ﴿وَفَارَ﴾؛ أي: ارتفع الماء من الأرض لشدَّةِ الاندفاعِ[1] ﴿ٱلتَّنُّورُ﴾.

قال الحسن: كان تنورًا لحوَّاء، حتَّى صار إلى نوحٍ، فقيل له: إذا رأيْتَ الماءَ يفورُ مِن التَّنُّور فاركبْ أنت وأصحابُك السَّفينة[2].

وقال مقاتلٌ ومجاهدٌ: تنور الخابزة في منزل نوحٍ[3].

وقال الشَّعبيُّ: اتَّخذَ نوحٌ السَّفينة في جوف مسجدٍ بالكوفة، وكان التَّنُّور على يمين الدَّاخل فيه، ممَّا يلي بابَ كندة[4].

وقال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: التَّنُّورُ وجهُ الأرض[5].

وبه قال الزُّهريُّ وسفيان بن عيينة[6].

---

(١) في (ر): «شدة ارتفاع»، وفي (ف): «شدة اندفاع»، وفي (أ): «بشدة اندفاع»، والمثبت من «تفسير ابن كمال باشا» عند هذه الآية.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٤٠٤).

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٢٨٢)، وروى نحوه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٤٠٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ٢٠٢٨) عن مجاهد.

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ١٦٨)، وروى بعضه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٤٠٥)، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ٢٠٢٨) عن محمد بن علي، وقال: وروي عن حذيفة والشعبي ومجاهد نحو ذلك.

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٤٠١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ٢٠٢٩).

(٦) ذكره عنهما الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ١٦٨)، والواحدي في «البسيط» (١١/ ٤١٤).

وقال قتادة: التَّنُّورُ أشرفُ موضعٍ في الأرض(١).

وقال الضَّحَّاك: ﴿وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾؛ أي: انبجسَ من وجه الأرض(٢).

وقال عليٌّ رضي الله عنه: ﴿وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾؛ أي: طلع الفجر(٣).

وقال عطاء: ﴿وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾؛ أي: طلعت الشَّمس(٤).

وقوله تعالى: ﴿قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾: في رواية حفصٍ عن عاصم: ﴿مِن كُلٍّ﴾ بالتنوين؛ أي: من كلِّ صنفٍ من البهائم والسباع ودوابِّ البر والبحر والهوامِّ والطُّيور ﴿زَوْجَيْنِ﴾ وهو مفعولٌ ﴿ٱثْنَيْنِ﴾ وهو توكيد له.

وقرأ الباقون: ﴿مِنْ كلِّ زوجَيْنِ﴾ على الإضافة(٥)؛ أي: مِن كلِّ صنفٍ له ذكر وأنثى، والزَّوج واحدٌ له شكلٌ، والزَّوجان ذكر وأنثى.

وقال الحسن في قوله: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ [الذاريات: ٤٩]: السَّماء زوجٌ والأرضُ زوجٌ، والشِّتاءُ زوجٌ والصَّيف زوجٌ، واللَّيل زوجٌ والنَّهار زوجٌ، حتَّى يصير الأمرُ إلى اللهِ الفَرْدِ الَّذي لا يشبهُهُ شيءٌ(٦).

وكان اللهُ أرادَ أنْ يكون عندَه في السَّفينةِ أصلٌ لكلِّ حيوانٍ لتتناسلَ إذا زال الطُّوفان، لأنَّ الباقي كان يهلك بالغرق.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٤٠٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ٢٠٢٩).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٤٠١).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٤٠٢ ـ ٤٠٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ٢٠٢٨).

(٤) رواه سعيد بن منصور في «تفسيره» (١٠٨٨) عن علي رضي الله عنه.

(٥) انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ٣٣٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٤).

(٦) ذكره الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٤٠٩)، وروى عنه (٢١/ ٥٤٧) قال: الشمس والقمر.

وقوله تعالى: ﴿وَأَهْلَكَ﴾ عطفٌ على الأوَّل، يعني: واحملْ أهلَكَ، وهم أولادُه ونساؤُه.

﴿إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ﴾؛ أي: الوعيد.

وقيل: أي: الحكمُ بالهلاك، وهذا المستَثنى ابنُه كنعان وامرأتُه.

﴿وَمَنْ ءَامَنَ﴾؛ أي: واحملْ مَن آمنَ، عطف على الأوَّل، وهو للجمع؛ أي: والَّذين آمنوا.

﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾: قال الأعمش: هم سبعة[1]. وقال ابن جريج: ثمانية[2].

وقال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: ثمانون نفسًا[3].

ولما خرجوا من السفينة بالجودي سكنوا قرية وهناك موضعٌ يُقال له: سوق الثَّمانين[4].

وقيل: كانوا عشرة، وهم نوحٌ وبنوه الثَّلاثة ونساؤهم ونفرٌ آمنوا به.

وقال الكلبيُّ: كان في السَّفينة ثمانون نفسًا[5]؛ نوحٌ وامرأتُه سوى الَّتي غرقَتْ، وثلاثة بنين له: سام وحام ويافث، وثلاث نسوة لهم، واثنان وسبعون إنسانًا سواهم.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٤١١).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ١٦٩).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٤١٢).

(٤) رواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (١/ ٤٢)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦٢/ ٢٤٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما من طريق الكلبي.

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٤/ ٢٤٥).

وروى أبو أمامةَ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «لم يكن في السَّفينة مع نوح غير ثمانية؛ نوح وامرأته وبنوه وكنائنهم»(١).

وقال سعيد بن المسيِّب: ولدُ نوحٍ ثلاثةٌ؛ سام وحام ويافث، ووُلِدَ لكلِّ واحدٍ منهم ثلاثةٌ، فولد سام العرب وفارس والرُّوم، وولد يافث يأجوج ومأجوج والتُّرك والصَّقالب، وولد حام السُّودان والقبط(٢) والبربر(٣).

* * *

(٤١) ـ ﴿۞ وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٜىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٜىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ﴾؛ أي: وقال نوحٌ: اركبوا في السَّفينة، وهو الأظهر.

ويحتمل: وقال الله تعالى: اركبوا فيها وقولوا: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٜىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ﴾.

ويحتمل ألَّا يكون هذا على معنى التَّكلُّم به، ولكن على معنى ما يُقال للرَّجل: سِرْ على اسم الله، وافعل كذا بسم الله، دعاء له؛ أي: افعلْه مباركًا لك فيه.

وقوله تعالى: ﴿مَجْرٜىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ﴾ قرأ حمزة والكسائيُّ وحفص عن عاصم: ﴿مَجْرٜىٰهَا﴾ بفتح الميم ومعناه: جريانها.

---

(١) قال الزيلعي في «تخريج الأحاديث والآثار» (٢/ ١٤٦): (غريب، ورواه الطبري في «تفسيره» موقوفًا على قتادة). وكذا قال ابن حجر في «تخريج أحاديث الكشاف» (ص: ٨٦) وقال: (لم أره مرفوعاً). وهو من قول قتادة في «تفسير الطبري» (١٢/ ٤١٠).

(٢) في (أ): «والنبط».

(٣) روى نحوه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٤٥١) عن سعيد عن قتادة.

وقرأ الباقون بضمِّ الميم[١]، ومعناه: إجراؤها.

وقيل: ﴿مَجۡرٜىٰهَا﴾: موضعُ جريانها، ووقتُ جريانها، وبالضَّمِّ: موضعُ إجرائِها ووقتُ إجرائِها.

وفي إعرابِه وجهان: الرَّفع لأنَّه خبر الباء[٢]، والنَّصبُ بنزع الخافض: عند مجريها[٣]، أو: في مَجْريها[٤].

﴿وَمُرۡسَىٰهَآ﴾ بالضَّم بالإجماع، وهو من الإرساء، وهو الثَّبات، وله ثلاثة معانٍ أيضًا: الإثبات، وموضع الإثبات، ووقت الإثبات.

وإعرابُه أيضًا النَّصب والرَّفع على ما مرَّ، فالرَّفع على الإخبار، والنَّصب على التبرُّك[٥] والتَّكلُّمِ بالتَّسمية.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ٣٣٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٤).

(٢) كذا قال، والمعروف في مثله العكس، أي: الجار والمجرور هو الخبر، والاسم الظاهر المتأخر مبتدأ، ويجوز أيضاً الرفع على أنهما فاعلان لـ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ﴾ كونه حالاً. انظر: «الكشاف» (٢/ ٣٩٤_٣٩٥)، و«البحر المحيط» (١٢/ ٢٥٩)، و«روح المعاني» (١١/ ٤٥٥).

(٣) وليس المراد بنزع الخافض هنا ما هو معروف من كونه حرف الجر، بل المراد به حذف المضاف الذي هو كلمة: عند، وقد ذكر غيره من الأئمة هنا في الحذف كلمة: وقت، وتفصيل المسألة: أن ﴿مَجۡرٜىٰهَا وَمُرۡسَىٰهَآ﴾ إذا اعتبرا مصدرين ميميين بمعنى الإجراء والإرساء، فيقدر مضاف محذوف هو كلمة (عند) أو (وقت)؛ كما في قولك: أتيتك خفوقَ النجم، و: جئتك مقدَمَ الحاج، فإن التقدير: وقت خفوقه، ووقت قدوم الحاج، إلا أنه لما حذف المضاف سد المضاف إليه مسده وانتصب انتصابه، وهو كثير في المصادر، ويكون انتصابهما بما في ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ﴾ من معنى الفعل، والتقدير: متبركين بسم الله وقت الإجراء والإرساء، أو عندهما. وفي إعرابهما وجوه أخر، انظر المصادر السابقة.

(٤) أي: أنهما منصوبان على الظرفية الزمانية أو المكانية، وهي التي تكون بتقدير حرف الجر (في). انظر المصادر السابقة.

(٥) في (ر) و(ف): «الترك».

وقال الضحَّاك: كان نوحٌ صلوات الله عليه إذا أرادَ أن تجري قال: بسم الله، فجرَتْ، وإذا أراد أن ترسو قال: بسم الله، فرسَتْ، والإرساء: إمساكُ السَّفينة بما تقفُ به[١].

وقال الإمام أبو منصور رحمَه الله: ويحتمل أنَّها بسم الله تجري وبه تقف، وأنَّها ليست كسائر السُّفن الَّتي بأهلها تجري وبهم تقف، وهم الَّذين يتولَّون إجراءَها ووقفَها، وسفينةُ نوح عليه السَّلام كان جريها بالله وبه رُسوُّها، لا صنعَ لهم في ذلك، وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ﴾ [هود: ٤٢]، وما كان في تصرُّف[٢] النَّاس لم يجرِ في مثل هذه الحال سالمة[٣].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾: أي: غفورٌ لنا رحيمٌ بنا، يسترُ علينا الزلَّات، ويرحمنا بالنَّجاة.

وقال الكلبيُّ: ركب فيها نوح عليه السلام لعشرٍ مضَيْن مِن رجبٍ، وخرجوا منها يومَ عاشوراء[٤].

* * *

(٤٢) - ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ﴾.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٤١٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ٢٠٣٣).

(٢) في (ف): «تصريف».

(٣) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٦/ ١٣٣).

(٤) روى نحوه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ٢٠٤٠) عن قتادة، وورد نحوه في حديث مرفوع رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٤١٩) عن عبد الغفور بن عبد العزيز عن أبيه. قال الشيخ أحمد شاكر: خبر هالك من نواحيه جميعًا.

وقوله تعالى: ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ﴾: أي: ركبوا في السَّفينة فجرَتْ بهم في أمواجٍ عظيمةٍ هائلةٍ تشبه الجبال؛ أي: كانت الأمواج ترفع السَّفينة، وكانت السَّفينة كالموج العظيم الَّذي يشبه الجبال.

وقوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ﴾: أي: كان معتزلًا عنه: ﴿يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ﴾ ولم يقل: من الكافرين؛ لأنَّ حالَته كانت ملتبِسةً عليه؛ لأنَّه كان ينافقه.

وقيل: علِمَ كفرَه، ولكن معنى ندائه: يا بُنَيَّ أسلِمْ ولا تكن ثابتًا على الكفر مع الكفَّار، واركبْ معنا تسلَمْ.

* * *

(٤٣) - ﴿قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ﴾: أي: قال ابنه كنعان: سألتجئ إلى جبل يمنعني من الماء ويمسكني.

﴿قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾: أي: لا مانعَ اليومَ من عذاب اللهِ الَّذي نزلَ بأمرِه ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ﴾؛ أي: إلَّا الله الَّذي قد رحمنا بما آمنَّا مِن الغرق.

وقيل: ﴿لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ﴾؛ أي: لا معصوم؛ كما في قوله تعالى: ﴿فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٢١]؛ أي: مرضيَّة، وقوله تعالى: ﴿مِن مَّاءٍ دَافِقٍ﴾ [الطارق: ٦]؛ أي: مدفوق، وقال الشَّاعر:

بطـــيءُ القيـــامِ رخيـــمُ الـــكلا مِ أضحَـــى فـــؤادِي بـــه فاتنـــا[١]

أي: مفتونًا.

وكذلك قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ﴾؛ أي: إلَّا مَن رحم اللهُ، وإنَّما يرحمُ اللهُ مَن أسلَمَ، فأسلِمْ تسلَمْ، وكان هذا حين فار التَّنُّور قبلَ أنْ يصيرَ[٢] الغرقى بحالٍ يعاينون أسبابَ الآخرة، فيكونَ إيمانُهم إيمانَ يأسٍ.

وقوله تعالى: ﴿وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾: قيل: أي: حالَ بينَ كنعان وبين الالتجاء بالجبل الموجُ.

وقيل: حالَ بينَ نوحٍ وبينَ ابنِه الموجُ.

﴿فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾: قال الإمام أبو منصور رحمة الله عليه: أي: صارَ من المغرقين، أو كان في علمِ الله تعالى أنَّه يغرق، لا أنَّه كان مِن المغرقَيْن قبلَ ذلك، وعلى هذَيْن الوجهَيْن قولُه في إبليس: ﴿وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٤][٣].

وقال الإمام القشيري رحمه الله: أخطأ المسكين من وجهَيْن:

أحدهما: أنَّه رأى الهلاكَ مِن الماء، وكان من الله تعالى.

ورأى النَّجاة والعصمة من الجبل، وهي من الله جلَّ جلاله.

---

(١) انظر: «الصحاح» (مادة: فتن)، و«تفسير الثعلبي» (٥/ ١٧١).

(٢) في (أ) و(ر): «قبل أن يصير الطوفان بحال يصير».

(٣) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٦/ ١٣٤).

قال: ويقال: احتمل أنْ لو قيل له: يا نوح؛ غرَّقنا العالم بدعائِكَ، فلا عليكَ إنْ غرَّقنا ولدًا لك في جملتِهم[١].

وذكرَ الشَّيخ الإمام أبو بكر الفارسيُّ[٢] في «تفسيره» قال: رُوِي عن عكرمة أنَّه قال: لمَّا قال نوح لابنه كنعان: اركب معنا؛ قال: سآوي إلى جبل أتَّخذ فيه[٣] قبَّة من صُفْر، وحملَ فيها الطَّعام والشَّراب، وردمَ بابَها، فلمَّا علا الماءُ فوقَها؛ ألقى الله تعالى عليه البول، فجعل يبولُ ولا ينقطع حتَّى امتلأَتِ القبَّة، فغرَّق الله تعالى الكفَّارَ بالماء وغرَّقه ببوله[٤].

***

(٤٤) ـ ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: قال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ﴾؛ أي: نشِّفي ماءَكِ الَّذي يخرج منك ﴿وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي﴾؛ أي: احبسي ماءَك، ﴿وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ﴾؛ أي: نقصَ ونشَّفته الأرض، وصار ما نزل من السَّماء هذه البحورَ، ﴿وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ﴾: هلكَ مَن هلكَ ونجا مَن نجا، واستقرَّت

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٢/ ١٣٨).

(٢) أحمد بن محمد بن أيوب أبو بكر الفارسي الواعظ المفسر، نزيل نيسابور، كان يحضر مجلسه نحو عشرة آلاف، أخذ عنه أبو عبد الله الحاكم، توفي سنة (٣٦٤هـ). انظر: «طبقات المفسرين» للسيوطي (ص: ٣١).

(٣) «فيه» ليس في (أ) و(ف).

(٤) ذكر نحوه القشيري في «لطائف الإشارات» (٢/ ١٣٩) دون نسبة.

السَّفينة بعدَما طافَتِ الأرضَ كلَّها في ستَّة أشهر[١] ﴿عَلَى ٱلْجُودِيِّ﴾ وهو[٢] جبلٌ بأرض الموصل، ﴿وَقِيلَ بُعْدًا﴾؛ أي: سُحقًا، ﴿لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ يعني: قوم نوح الَّذين غرقوا.

وقالوا: معنى الآية: جرت بهم السَّفينة إلى أن تناهى[٣] الأمر وبلغ هذا المبلغ.

الابتلاع: الازْدِراد، والإقلاع: الإمساك، والغيض: النَّقص متعدٍّ، والاستواء: الاستقرار، وقُضِيَ الأمر: فُرِغ منه، والبُعْد: الهلاك.

وما ذُكِرَ في الآية من القول فيحتمل أن تكون الملائكةُ قالَتْ ذلك لفظًا، وقد وضع الله تعالى فيها[٤] فهمًا، ويحتمل أن يكون عبارة عن بلوغ الأمر ذلك المبلغَ وجَرْيِه على ما جَرَى؛ كما في قوله تعالى: ﴿أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠].

وفي الآيةِ من عجيْبِ البلاغة وجوهٌ كثيرةٌ:

منها: أنَّه خرجَ مخرجَ الأمرِ على معنى التَّعظيم لفاعلِه؛ لأنَّه مِن غير معاناة ولا لُغوب.

ومنها: حسنُ تقابلِ المعاني.

ومنها: حسنُ ائتلافِ الكلام.

ومنها: حسنُ البيانِ في تقرير الحال.

---

(١) رواه بنحوه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (١/ ٤٢)، والطبري في «تاريخه» (١/ ١١٥)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦٢/ ٢٤٦) من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس.

(٢) في (أ): «وقيل».

(٣) في (أ): «يتناهى».

(٤) «فيها» من (أ). والضمير فيها يعود على الأرض والسماء المخاطبين.

ومنها: الإيجازُ مِن غير إخلال.

ومنها: سياق القصَّة في أوجز خطبة.

إلى غير ذلك ممَّا دلَّ عليه هذا الكلام مِن الحُسْن العجيب واللُّطْف البديع.

وقال الضَّحَّاك: مطرَتِ السَّماءُ أربعين يومًا اللَّيل والنَّهار، وخرج ماء الأرض أربعين يومًا، فارتفع الماءُ على كلِّ جبل خمسة عشر ذراعًا، وسارَتْ بهم السَّفينةُ، وطافَتْ بهم في الأرضِ كلِّها ستَّة أشهرٍ لا تستقرُّ على شيءٍ، حتَّى أتَتِ الحرَمَ وطافَتْ أسبوعًا، ورُفِع البيت الَّذي بناه آدم إلى السَّماء السَّادسة، وهو البيت المعمور(١).

وقال قتادة: بعثَ نوحٌ عليه السَّلام الغرابَ لينظرَ، فوجد جيفةً فوقعَ عليها، فبعثَ الحمامة فأتَتْه بورق الزَّيتون، فأُعْطِيَتِ الطَّوْقَ في عنقِها والخضابَ في رجلها(٢).

***

(٤٥) ـ ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾.

وقول الله تعالى: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾: أي: دعا اللهَ تعالى فقال: ربِّ؛ إنَّ ابني مِن أهلي، وقد وعدتني إنجاءَ أهلي، ووعدُكَ الصِّدق لا خُلْفَ فيه، وأنت الحاكمُ بالعَدْل لا يشوبُ حكمَكَ زلَلٌ

---

(١) رواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (١/ ٤٢)، والطبري في «تاريخه» (١/ ١١٥)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦٢/ ٢٤٦) من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس.

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٢٠١)، والطبري في «تفسيره» (١٢/ ٤٢٣).

ولا خطأٌ فترجعَ، وقد حكمْتَ بإنجاء أهلي، وهذا ابني مشرِفٌ على الهلاك، فعرِّفني السَّبب فيه لأكونَ على علمٍ، فيسكنَ له قلبي.

قال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: كان هذا ابنَه مِن صُلْبِه(١).

وقال مجاهد: كان ابن امرأته(٢).

وقال قتادة: سألْتُ عنه الحسن فقال: والله ما كان ابنه، قلْتُ: إنَّ الله تعالى أخبر عنه أنَّه قال: ﴿إِنَّ ٱبۡنِي﴾ وأنت تقول: لم يكن ابنه، وإنَّ أهل الكتاب لا يختلفون في أنَّه كان ابنه، فقال الحسن: ومَنْ يأخذ دينَه مِن أهل الكتاب(٣).

وقال: إنَّ نوحًا قال: ﴿مِنۡ أَهۡلِي﴾ ولم يقلْ: منِّي(٤).

﴿وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ﴾ أي: الوعدَ بالعذاب هو الصِّدق، ﴿وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ﴾ قضيْتَ لقومٍ بالنَّجاةِ ولقومٍ بالغرقِ.

* * *

(٤٦) - ﴿قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾: قال الإمام أبو منصور رحمه الله: كان عند نوح أنَّ

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٤٢٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ٢٠٣٨).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٤٢٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ٢٠٣٥).

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٢١٥)، والطبري في «تفسيره» (١٢/ ٤٢٧).

(٤) هذه زيادة على الخبر السابق ذكرها عن الحسن الواحدي في «البسيط» (١١/ ٤٣٤)، والزمخشري في «الكشاف» (٢/ ٣٩٦). وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ١٧٢) عن أبي جعفر الباقر.

ابنه كان على دينه؛ لِمَا أنَّه كان يُظهرُ الموافَقة له، وإلَّا لا يحتمِل أنْ يقولَ: إنَّ ابني مِن أهلي، ويسألَه نجاته، وقد سبق عنه النَّهيُ عن سؤال مثلِه؛ لقوله: ﴿وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ﴾ [هود: ٣٧]، فكان سألَ على الظَّاهر الَّذي عندَه، كما كان أهل النِّفاق يظهرون الموافقة لرسولِنا ويُضمِرون خلافَه، ولم يَعلَمْ بذلك حتَّى أطلَعه اللهُ تعالى عليه، فكذلك حال نوح عليه السَّلام، ولم يكن قوله: ﴿لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَ﴾ تكذيبًا لقوله: ﴿إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي﴾، لكن معناه: هو مِن أهلك على ما عندك، وليس هو من أهلك الذي بشَّرْتُك بنجاتهم(١).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖ﴾: قرأ الكسائيُّ على الفعل؛ أي: ﴿عَمِلَ﴾ ابنُك عملًا ﴿غيرَ صالحٍ﴾؛ أي: كفرَ وما أسلَمَ، فأفسدَ وما أصلحَ.

وقرأ الباقون: ﴿إِنَّهُۥ عَمَلٌ﴾ بالتَّنوين ﴿غَيۡرُ صَٰلِحٖ﴾ بالرَّفع(٢)، وله وجهان:

أحدهما: إنَّ سؤالَك هذا عملٌ ليسَ بصالحٍ، وهذا عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما ومجاهد وإبراهيم(٣).

وقيل: ﴿عَمَلٌ﴾ نعتُ الابنِ، مصدرٌ أُقيمَ مقامَ الفاعل؛ قاله الزَّجاج(٤)، وأنشد قول الخنساء:

ترتَعُ ما رَتَعَتْ حتَّى إذا ادَّكَرَتْ ... فإنَّما هيَ إقبالٌ وإدبارُ(٥)

---

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٦/ ١٣٦).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٣٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٥).

(٣) رواه عنهم الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٤٣٣ _ ٤٣٤).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٥٥).

(٥) انظر: «ديوان الخنساء» (ص: ٣٨٣).

أي: مقبلةٌ ومدبرةٌ.

وقال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: ﴿لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ الذين وعدْتُك أنْ أُنْجِيَهُمْ[١].

وقال الضَّحَّاكُ: أي: ليسَ مِن أهلِ دينِكَ ووِلَايتِكَ[٢].

﴿فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾؛ أي: أخبرْتُكَ عن حالِ ابنِكَ إذْ كنْتَ غيرَ عالم به، فلا تسألني بعدَها ما ليس لك به علم؛ أي: معرفةُ باطنه حتَّى آذنَ لك فيه ﴿إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ بأحكامي الَّتي منها ألَّا تسألني ما لم آذنْ لكَ فيه.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: ﴿إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ هو كما قال لنبيِّنا محمَّد عليه السَّلام: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأنعام: ٣٥]، وإنْ كان في علمِهِ أنَّه لا يكون مِنَ الجاهلين، وهو لِمَا ذكرنا مرَّات أنَّ العصمةَ لا تمنع النَّهيَ عن الشَّيء، بل بالنَّهي تظهر العصمة[٣].

* * *

(٤٧) ـ ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ﴾ أي: أنْ أعودَ إلى ما لا أعلمُ بالإذن في سؤالِه.

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٢٣٣)، والطبري في «تفسيره» (١٢/ ٤٢٩).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٤٣٢).

(٣) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٦/ ١٣٨).

﴿وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾: أي: وإنْ لم تسترْ عليَّ ما مضى من هذا السُّؤال، ولم ترحمني بقَبول إنابتي، أكنْ مِن الهالكين.

وهذا ثناءٌ مِنَ اللهِ تعالى على نبيِّه نوح، وتعريفٌ لنبيِّه محمَّد صلَّى الله عليهما وسلَّم تعظيمَ الأنبياء قبلَه أمرَ اللهِ، وتَوقِّيهم عن تقصيرٍ يقعُ منهم أو انبساطٍ وإنْ قَلَّ.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: قوله تعالى: ﴿وَتَرْحَمْنِيٓ﴾؛ أي: بالعصمة عن العَود إلى مثلِه ﴿أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِيٓ﴾ هو طلبُ المغفرةِ والرَّحمةِ بالكناية، وهو آكدُ وأبلَغُ مِن قوله: (اللَّهم اغفرْ لي وارحمْني)؛ لأنَّ قولَه: ﴿وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِيٓ﴾ قطعُ رجاءِ المغفرةِ والرَّحمةِ مِن غيرِه، وإخبارٌ أنَّه لا يملِكُ أحدٌ ذلك غيرَه، وليس في قوله: (اغفرْ لي وارحمْني) قطعُ كونِ ذلك مِن غيرِه، بل هو يدلُّ على طلبِ المغفرةِ والرَّحمة لا غيرَ، وعلى ذلك سؤالُ آدم وحوَّاء: ﴿وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣][(١)].

* * *

(٤٨) ـ ﴿قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ۚ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ۚ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي: قلْنا له؛ لأنَّه قال: ﴿بِسَلَٰمٍ مِّنَّا﴾.

وقيل: قالَتِ الملائكةُ بأمرِنا.

---

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٦/ ١٣٨).

﴿يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ﴾؛ أي: انزل من السَّفينة إلى الأرض.

وقيل: مِن الجوديِّ إلى قرار الأرض.

﴿بِسَلَٰمٖ﴾؛ أي: تحيَّةٍ؛ كما قال: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٖ فِي ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الصافات: ٧٩]، وهو الثَّناءُ الحسَنُ.

وقيل: أي: بسلامةٍ مِن الآفاتِ.

﴿وَبَرَكَٰتٍ﴾: جمعُ بَرَكَةٍ؛ وهي ثبوتُ الخيرِ بتمامه[١]، وهو في حقِّه تكثيرُ ذرِّيَّتِه وأتباعِه، وجعلُ أكثرِ الأنبياء مِن ذرِّيَّتِه، وأئمَّةِ الدِّين في القرون الباقية مِن نسلِه، وسائرُ المنافعِ.

﴿وَعَلَىٰٓ أُمَمٖ مِّمَّن مَّعَكَ﴾ قال الإمام أبو منصور رحمه الله: أرادَ الأممَ الَّذين كانوا مِن بعدِه، فإنَّه لم يكنْ معَه يومَئذ إلَّا نفرٌ يسيرٌ، ودلَّ هذا أنَّ دينَ الأنبياءِ جميعًا دينٌ واحدٌ وإنِ اختلفَتْ شرائِعُهم، فإنَّه جعلَهم ممَّن معَه على اختلافِ شرائعِهم[٢].

ثمَّ يجوز أن يكون هذا السَّلام ممَّا سألَ: ﴿وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ﴾، والبركات ممَّا سألَ: ﴿رَّبِّ أَنزِلۡنِي مُنزَلٗا مُّبَارَكٗا﴾ [المؤمنون: ٢٩].

وقوله تعالى: ﴿وَأُمَمٞ سَنُمَتِّعُهُمۡ﴾ هذا ابتداء كلام[٣]؛ أي: أُمَمٌ مِنَ الكفَّار مِن نسلِكَ أُمَتِّعُهم في الدُّنيا إلى انقضاءِ آجالِهم، ثمَّ يصيبُهم في الآخرة عذابٌ أليمٌ في النَّار.

* * *

---

(١) في (أ): «ونمائه».

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٦/ ١٤٠).

(٣) «كلام» ليس في (أ) و(ف).

(٤٩) - ﴿تِلْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

وقوله: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾: أي: هذه الأنباءُ مِن أنباءِ الغيبِ؛ أي: مِن أنباءِ الأممِ السَّالفة التي يَغيبُ العلمُ بها عمَّن لم[1] يعرِّفه اللهُ تعالى.

﴿نُوحِيهَآ إِلَيْكَ﴾: نقصُّها عليك؛ لِتَقِفَ عليها بعدَ أنْ كُنْتَ أنتَ وقومُكَ لا تعلمُونها؛ إذْ كنتم أُمِّيِّين.

ويحتمِل أنْ يكونَ العربُ لم يعرفوا خبرَ الطُّوفان أصلًا، فإنَّ بعضَ الملاحدة والفلاسفة ينكرون ذلك إلى يومِنا.

ويحتمِل أنَّهم عرفوا قصَّةَ الطُّوفانِ لشهرَتِه، لكن لم يعرفوا قصَّة الابنِ الَّذي غرقَ، وهذا أولى.

وقوله تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ﴾؛ أي: على ما أُمِرْتَ به ونُهِيْتَ عنه.

وقيل: على أذى الكفَّار.

وقيل: كما صبرَ الأنبياء، قال الله تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

﴿إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾: قيل: اتَّقَوا الشِّرك، فإنَّه ذكر هذا بمقابلةِ قولِه: ﴿وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ﴾ وهم الكفَّار.

---

(١) في (ف): «لا».

وقيل: أي: الذين اتَّقَوا الشِّرك والمعاصيَ، ولهم العاقبةُ الحميدةُ المطلقة، وقد مرَّ بيان[١] هذه القصَّة بتمامها في (سورة الأعراف).

***

(٥٠) ـ ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾: عطف على قوله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ﴾.

﴿قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾: مرَّ تفسيرُه وشرحُه في (سورة الأعراف).

﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ﴾ على اللهِ في إضافتكم إليه الشُّركاء.

***

(٥١) ـ ﴿يَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِىٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.

﴿يَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِىٓ﴾: أي: خلَقَني.

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ ما أقولُ لكم فتتدبَّروه، فيتبيَّنَ لكم صِدْقي.

وقال الإمام أبو منصور رحمة الله عليه: ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ﴾ يحتمِلُ: في تسميتِكُم الأصنامَ آلهةً، ويحتمِل: في قولِكم: الله أمرنا بها، ويحتمِل: في إنكارِكم الرِّسالة، أو البعْثَ بعدَ الموت.

---

(١) في (ر) و(ف): «سياق».

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أنَّ اللهَ واحدٌ، وأنَّه ربُّ كلِّ شيءٍ[(١)].

***

(٥٢) - ﴿وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ﴾: مرَّ تفسيرُه في أوَّلِ هذه السُّورة، وقدَّم الاستغفارَ على التَّوبة لأنَّ المغفرةَ هي الغرضُ، والتَّوبةَ سببٌ يُتوصَّلُ به إليها، فقدَّمَ ذِكْرَ الغرضِ على السَّببِ.

وقيل: استغفروا بالإيمان، ثمَّ ارجعوا بأعمالِكم وأموالِكم إليه دونَ غيرِه.

وقوله تعالى: ﴿يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾: أي: يُرسِل المطرَ في وقتِه مدرارًا لا ينقطع، والمدرارُ: الكثيرُ[(٢)] الذي لا ينقطع، والمدرارُ: الكثيرُ المتتابع، و(مِفْعَال) صفةُ مبالغة؛ كقولهم: مِتجار ومِعطار ومِطعام[(٣)] ومِغوار.

وقال ابنُ عبَّاس رضي الله عنهما: ﴿مِّدْرَارًا﴾: متتابعًا[(٤)].

وقال مقاتلُ بن حيَّان[(٥)]: دائمة.

وقال ابن كيسان: غزيرًا كثيرًا[(٦)].

---

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٦/ ١٤٢).

(٢) «الكثير» ليس في (أ).

(٣) في (أ): «ومطعان» بدل من «ومعطار ومطعام».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٤٤٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٦٣).

(٥) في (ر) و(ف): «بن سليمان بن حيان»، ولم أجد القول الآتي بهذا اللفظ عن أي منهما، وقاله أبو عبيدة في «مجاز القرآن» (١/ ١٨٦).

(٦) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ١٧٤) عن مقاتل بن حيان وابن كيسان.

وقوله تعالى: ﴿وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ﴾: أي: يَهَبْ لكم أموالًا وأولادًا زيادةً على ما حصلَ عندَكم اليومَ مِن ذلك، فتقدروا على دفعِ أعدائِكم بكثرةِ عددِكُم، وكانوا في قوَّةٍ فوُعِدوا الزِّيادة على ذلك.

وقال مقاتلٌ: حبسَ اللهُ تعالى عنهم المطرَ ثلاثَ سنين، وأعقمَ أرحامَ نسائِهم، فلذلك قال ذلك(١).

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾: أي: لا تُعْرِضوا عن الإيمان مُذْنِبين.

وقال القشيريُّ رحمه الله: ثمَّ توبوا بعد الاستغفار مِن توهُّمكم أنَّ نجاتكم باستغفاركم، بل تحقَّقوا أنَّكم لا تجدون نجاتكم إلَّا بفضلِ ربِّكم، فبفضلِه وصلْتُم إلى استغفاركم، لا باستغفارِكُم وصلْتُم إلى نجاتِكُم.

وقوله: ﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾ الاستغفارُ: قَرْعُ بابِ الرِّزْق، فإذا رجعَ العبدُ إلى اللهِ تعالى بحسْنِ تضرُّعِه فتحَ اللهُ تعالى عليه أبوابَ رحمتِه، ووفَّر عليه أسبابَ نعمتِه(٢).

* * *

(٥٣) ـ ﴿قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ﴾: أي: بحجَّةٍ واضحةٍ على دعوى رسالَتِكَ لِتُلْزِمَنا تصديقَكَ والانقيادَ لك.

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٢٨٥).

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٢/ ١٤١).

﴿وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِيٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ﴾؛ أي: مِن أجلِ قولِك؛ كما يُقال: كسوْتُكَ عن عُرْيٍ؛ أي: مِنْ أجلِ عُرْيِكَ.

وقيل: الباء و(عن) متناوبان[1]، قال تعالى: ﴿فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٩]؛ أي: عنه، وقال هاهنا: ﴿عَن قَوْلِكَ﴾؛ أي: بقولِكَ.

﴿وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾: أي: بمصدِّقين.

* * *

(٥٤ ـ ٥٥) ـ ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ ۗ قَالَ إِنِّيٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦ ۖ فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ﴾.

وقولـه تعالـى: ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ ۗ قَالَ إِنِّيٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦ ۖ فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ﴾: أي: ما نقولُ إلَّا أصابَكَ بعضُ آلهتنا بجنونٍ؛ أي: خَبَلٍ في عقلِكَ؛ قالَه ابنُ عبَّاس والحسنُ ومجاهد[2].

وقيل: أي: ما نظنُّ وما نقولُ فيما بيننا إذا ذكرنا حديثَكَ إلَّا أنَّ بعضَ أصنامِنا الَّتي نعبدُها أصابَكَ بجنون، عقوبةً لك على الدُّعاء إلى تركِها ورفضِ عبادتِها.

فقال هودٌ: ليسَ هو كما تقولون، وأنا أُشهِدُ اللهَ تعالى وأُشهِدُكم أنِّي بريءٌ مِن شركِكم، غيرُ موافقٍ لكم على دينِكم، فاستعمِلوا الحيَلَ أنتم وآلهتُكم الَّتي تزعمون

---

(١) في (أ): «متساويان».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٤٤٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد، وذكره الواحدي في «البسيط» (١١/ ٤٤٦) عن الحسن.

أنَّها اعترتني بسوءٍ في الإساءةِ بي وإيصالِ المكاره إليَّ، ثمَّ لا تؤخِّروا ذلك؛ لننظرَ هل يمكنكم أو يمكن آلهتكم أن يفعلوا بي شيئًا مِن السُّوء؟

وهذا دليلُ صحَّة نبوَّتِه؛ لأنَّه قال ذلك لثقته بوعدِ الله بحفظِه ونصرتِه.

فإنْ قالوا: لِمَ قالوا: ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ﴾، وقد قالوا أقولًا غيرَ ذلك؟

قلْنا[1]: معناه: في سببِ الخلاف، ويدلُّ عليه ظاهر الحال.

فإنْ قالوا: لِمَ قالَ: ﴿وَٱشْهَدُوٓاْ﴾، وليسوا بأهلٍ للشَّهادةِ؟

قلْنا: لتقومَ الحجَّة عليهم، لا بهم[2].

* * *

(٥٦) - ﴿إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُم ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُم﴾: أي: فوَّضْتُ أمري إلى اللهِ تعالى، مدبِّري ومدبِّركم، ومُقِيمي ومُقِيمكم، لا أعتمدُ إلَّا عليه، ولا أخافُ غيرَه؛ إذ كلُّ شيءٍ في قبضةِ قدرَتِه وسلطانِه.

وقوله تعالى: ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ﴾: أي: ما مِن[3] نفسٍ تَدِبُّ على الأرض إلَّا هو قاهرٌ لها مصرِّفٌ لها على ما يريدُه بها.

---

(١) في (ف): «قلنا قالوا قولاً».

(٢) في (ف): «لا لهم» وليست في (ر).

(٣) «ما من» من (ف).

والأخذُ بالنَّاصية كنايةٌ عن الإذلالِ والقَهْر، وكانت العربُ إذا أسرَتْ رجلًا فأرادَتْ إطلاقَه جزَّت ناصيتَه؛ ومثلُه قولُه تعالى: ﴿فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ﴾ [الرحمن: ٤١].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾: قيل: أي: إنَّ ربِّي يدلُّ على صراطٍ مستقيمٍ. وقيل: يحثُّ عليه. وقيل: يحملُكم عليه.

وقيل: هو بغير إضمارٍ، ومعناه: إنَّ ربِّي على الحقِّ لا يَعدلُ عنه.

* * *

(٥٧) ـ ﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ إِلَيْكُمْ ۚ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾: أصلُه: فإن تتولَّوا، سقطَتْ إحدى التَّاءين تخفيفًا؛ أي: فإنْ تُعرِضوا بعدَ هذا عن الإيمان بالله لم يلزمْني مِنْ تَبعَةِ إعراضِكُم شيء[1].

وقولُه تعالى: ﴿فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ إِلَيْكُمْ﴾: مِن الدُّعاء إلى الإيمان ﴿وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾؛ أي: ويهلكُكم اللهُ بعدَ هذا، ويجعلُ غيرَكم خَلَفًا عنكم.

﴿وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـًٔا﴾: ولا يدخلُ مُلْكَه بإهلاكِكم نقصٌ، ولا تقدرون على أن تضرُّوه أو تضرُّوا أولياءَه بكيدِكُم.

﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾: أي: لا يخفَى عليه شيءٌ، ولا يذهبُ عنه شيءٌ، ولا يفوتُه.

---

(١) في (أ): «بشيء».

وقيل: أي: بكلِّ شيءٍ حفيظ، فيحفظُ أنبياءَه وأولياءَه.

وقيل: أي: يحفظُ الأعمالَ فيُجازي عليها.

* * *

(٥٨) ـ ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا هُودٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَنَجَّيۡنَٰهُم مِّنۡ عَذَابٍ غَلِيظٖ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا﴾: أي: أمرُنا بإهلاكِ عادٍ ﴿نَجَّيۡنَا هُودٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَنَجَّيۡنَٰهُم مِّنۡ عَذَابٍ غَلِيظٖ﴾؛ أي: شديد، وأصله: الكثيف الثَّقيل، وهو هاهنا استعارةٌ عن الشِّدَّةِ والهولِ، وهو ما نزلَ بهم مِن عذابِ الدُّنيا.

وقيل: هو عذابُ الآخرة أيضًا في حقِّ المؤمنين.

وقوله: ﴿بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا﴾ قال الإمام أبو منصور رحمه الله: هذا يدلُّ على أنَّ مَن نجا نجا برحمةِ اللهِ تعالى لا بعملِه، ولذلك قال النَّبيُّ ﷺ: «لا يدخلُ أحدٌ الجنَّةَ إلَّا برحمةِ اللهِ»، قيل: ولا أنتَ يا رسولَ اللهِ؟ قال: «ولا أنا، إلَّا أنْ يتغمَّدني اللهُ برحمَتِهِ»[1].

ثم يحتمِل قولُه: ﴿بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا﴾؛ أي: ببعثِ هودٍ إليهم حتَّى اتَّبعوه فنجَوا لذلك.

ويحتمل: ﴿بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا﴾؛ أي: بتوفيقنا إيَّاهم للإيمان حتَّى نجَوا به[2].

* * *

(٥٩) ـ ﴿وَتِلۡكَ عَادٞۖ جَحَدُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ وَعَصَوۡاْ رُسُلَهُۥ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَمۡرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٖ﴾.

---

(١) رواه البخاري (٦٤٦٣)، ومسلم (٢٨١٦)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٦/ ١٤٦).

وقوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾: بالنَّبيِّ والحُجج[1] ﴿وَعَصَوْا رُسُلَهُ﴾ لأنَّهم إذا عصَوا هودًا فقد عصَوا كلَّ الرُّسل؛ لأنَّ كلَّ الرُّسل يدعون إلى الله تعالى، فعصيانُ واحدٍ منهم عصيانُ الكلِّ.

﴿وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾: أي: كلِّ متكبِّر مخالف؛ وهم رؤساؤهم.

قال السُّدِّيُّ: الجبَّار: الَّذي يقهَرُ النَّاسَ ويُجْبِرُهم على ما أراد[2].

وقال عكرمةُ: الجبَّار: الَّذي يقتلُ على الغضب[3].

وقال أبو عوسجةَ: الجبارُ: المتجبِّر، وهو المتكبِّر، والعنيدُ: هو المعاند المخالف[4].

وقال القُتَبي: العَنود والعَنيد والعانِد: المعارِضُ لك بالخلاف عليك[5].

وقال أبو عبيدة: العَنيد والعَنود والعاند: الجائر[6].

وفي الآيةِ تسليةُ النَّبيِّ ﷺ فيما كان يقاسي مِن البلاء، وتقويةٌ للمؤمنين فيما نُدبوا إليه مِن حُسْنِ الرَّجاء، والوعدُ بتبديل ما كانوا يلقونَه مِن الشِّدَّة والرَّخاءِ.

* * *

---

(١) «بالنبيِّ والحجج» ليس في (ف).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٢٨٧)، والواحدي في «تفسيره» (٢١/ ٣٩٧).

(٣) ذكره الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (٦/ ٣٧٧) دون عزو، وعزاه الواحدي في «البسيط» (١٤/ ٢١٠) للكلبي.

(٤) ذكره الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (٦/ ١٤٧).

(٥) انظر: «غريب القرآن» لابن قتيبة (ص: ٢٠٥).

(٦) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١/ ٢٩٠).

(٦٠) ـ ﴿وَأُتْبِعُواْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ عَادًا كَفَرُواْ رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَأُتْبِعُواْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾: أي: أُلحقوا، واللَّعنة: الطَّرد، ومعناه: لُعِنوا في الدُّنيا والآخرة، طُرِدوا وبُعِّدوا عن رحمةِ الله.

ثمَّ بيَّن السَّبب فقال:

﴿أَلَآ إِنَّ عَادًا كَفَرُواْ رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ﴾: أي: هلاكًا، منصوبٌ على المصدر بإضمار الفعل، وقد مرَّ سياق القصَّة في (سورة الأعراف).

* * *

(٦١) ـ ﴿۞ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا﴾: عطفٌ على قولِه: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ﴾ [هود: ٢٥].

قوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾: مرَّ تفسيره.

وقوله تعالى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾: أي: ابتدأ خلقكم من الأرض، فخلقَ أباكم آدم مِن التُّراب، وجعلَكم عمَّارَها؛ أي: سكَّانها[1]، وعامر الأرض: ساكنها، قال الشاعر:

فإنَّكَ مِنْ بيتٍ لِعَيْنيَ مُعْجِبٌ وأعجبُ في عَيْني مِن البَيْتِ عَامِرُه[2]

---

(١) في (أ): «ساكنيها».

(٢) البيت لعبد الله بن الدمينة، وهو في «ديوانه» (ص: ١٨٣)، و«أمالي القالي» (١/ ٧٨)، برواية: «وأحسن في عيني» بدل «وأعجب في عيني».

وقيل: أي: القائمين بعمارتها بالزِّراعة والغرس والبناء والحفر.

وقيل: أي: عمَّركم فيها؛ أي: جعل لكم فيها أعمارًا.

وقيل: أعمرها لكم[١]؛ أي: جعلها لكم مدَّة عمركم.

وقوله تعالى: ﴿فَٱسۡتَغۡفِرُوهُ﴾: أي: اسألوا مغفرتَه بالإيمان ﴿ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ﴾؛ أي: ارجعوا إليه بالنَّدم وسؤال الثَّبات.

﴿إِنَّ رَبِّي قَرِيبٞ﴾: أي: إلى مَن رجاه ﴿مُّجِيبٞ﴾ لمن دعاه.

قال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: ﴿وَٱسۡتَعۡمَرَكُمۡ فِيهَا﴾ أي: أعاشكم[٢].

وقال الضَّحَّاكُ: أطالَ عُمُرَكم[٣].

وقال مجاهدٌ: أعمرَكم، من العُمرى[٤].

وقال قتادة: أسكنكم فيها[٥].

وكان هود عليه السَّلام يسكنُ وادي القرى بين المدينة والشَّام[٦]، وكانت عاد باليمن.

* * *

---

(١) «لكم» من (أ).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ١٧٦).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ١٧٦)، والماوردي في «تفسيره» (٢/ ٤٧٩)، والواحدي في «البسيط» (١١/ ٤٥٥).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٤٥٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ٢٠٤٨). ومعناه: أعمرَكم فيها، ويرِثُها منكم بعد انصرامِ أعماركم.

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ١٧٦).

(٦) كذا قال، والصواب أن هذه مساكن ثمود قوم صالح.

(٦٢) ـ ﴿قَالُواْ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَالُواْ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ﴾: أي: كنَّا نرجوك للانتفاع بك، ونتوقَّع القوَّة فيما بيننا[1] مِن جهتك، فأُخْلِفَ رجاؤُنا.

وقيل: كنْتَ ترحمُ الضَّعفاء وتعودُ المرضى ونحوَ ذلكَ قبلَ ادِّعائِكَ النُّبوَّة، فصرْتَ تخالفُنا وتسفِّهُنا.

وقوله تعالى: ﴿أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾: الَّذين كانوا أكملَ عُقولًا منَّا، وأبصرَ بالأمور كلِّها، وهو استفهامٌ بمعنى الإنكار.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾: أي: في[2] شكٍّ مُريبٍ مُوقِعٍ للرِّيبة فيك؛ أي: التُّهمة؛ أي: ونحن فيما تدعونا إليه مِن ترك عبادة آلهتنا وإفرادِ ربِّك بالعبادة في شكٍّ يوجِبُ اتِّهامك فيما تضيفه إلى اللهِ تعالى[3]؛ إذْ ليسَ يجوزُ أنْ يكونَ آباؤنا يجهلونَ الحقَّ ويتركون الدِّين الَّذي يرضَى اللهُ تعالى به.

* * *

(٦٣) ـ ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥ فَمَا تَزِيدُونَنِى غَيْرَ تَخْسِيرٍ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥ فَمَا تَزِيدُونَنِى غَيْرَ تَخْسِيرٍ﴾: أي: أجابهم عن قولهم: ﴿وَإِنَّنَا لَفِى

---

(١) في (أ) و(ر): «القوة في ديننا».

(٢) بعدها في (أ) و(ف): «كلِّ».

(٣) في (أ): «إلى آدم».

﴿شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾ فقال: أخبروني عنكم؛ إنْ كنْتُ محقًّا في دَعوى الرِّسالة، وكنْتُ على بيانٍ مِن ربِّي في أنَّه لا إلهَ غيرُه، وأنَّه أرسلني إليكم، وأمَرَني بإنذارِكم، وكان الله تعالى أعطاني من عندِه كرامةً، وخصَّني بها مِن الإيمان والرِّسالة، أيجوز لي مع هذا أنْ أعصيَ ربِّي فأُقصِّرَ في تبليغ رسالته، وأقابل رحمتَه بمعصيتِه فأستحقَّ نزولَ عذابِه وسَخطِه؟! فمَن ينصرُني حينَئذٍ فيمنعَ عنِّي عذابَه؟ فما تزيدونني بهذا الاحتجاج[1] غيرَ أنْ أضلِّلَكم وأَضلِّل[2] آباءكم.

قال ابنُ عبَّاس رضي الله عنهما: أي: غير بصارةٍ[3] في خسارتِكم[4].

وقال الحسينُ بنُ الفضل: غير نسبتي إيَّاكم إلى الخسارة[5].

وقال الإمام الزَّاهد أبو منصور رحمه الله: قال بعضُهم: فما تزيدونني بمجادلتكم إلَّا خسرانًا.

وقيل: فما تزدادون بمعصيتكم إيَّاي إلَّا خسرانًا لأنفسِكم.

وقال القتبيُّ: ﴿غَيْرَ تَخْسِيرٍ﴾: غير نقصان[6].

---

(١) في (أ): «الاجتماع».

(٢) أي: أنسبكم أنتم وآباؤكم إلى الضلال إذ تعبدون غير الله. وتحرفت العبارة في (ر) و(ف) إلى: «أضلّكم وأضلَّ».

(٣) في (ر) و(ف): «مضارة».

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٤/ ٣٩٣) (ط: دار التفسير)، وانظر: «تنوير المقباس» للفيروزابادي (ص: ١٨٧)، وفيه: «﴿فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ﴾: فما ازداد إلا بصيرة في خسارتكم».

(٥) ذكر نحوه الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ١٧٦)، والواحدي في «البسيط» (١١/ ٤٥٧).

(٦) انظر: «غريب القرآن» لابن قتيبة (ص: ٢٠٥).

وقال أبو عوسجة: هو من الخسران [يقال: خسَّرتُه]؛ أي: ألزمْتُه الخسران(١).

***

(٦٤) ـ ﴿وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً﴾: قال الإمام أبو منصور رحمه الله: إذا أُضيفَتْ جزئيَّةُ الأشياء إلى الله تعالى فهو على تعظيمِ تلك الجزئيَّات المضافة إليه.

فإذا أُضيفَتْ إليه كليَّة الأشياء فهو على إرادة تعظيم الله تعالى وتبجيلِه؛ نحو قوله تعالى: ﴿لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١٠٧]، ﴿وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ﴾ [النمل: ٩١](٢).

وقوله تعالى: ﴿لَكُمْ ءَايَةً﴾ يقول: إنْ شككْتم في أمري فهذه آيةُ اللهِ معجزةٌ تبيِّن لكم صدقَ نبوَّتي.

والآيةُ فيها أنَّ اللهَ تعالى أخرجَها لهم(٣) من الصَّخرة وهم يشاهدونها، وخرجَتْ وهي حاملٌ كما طلبوا، وكانت تشربُ يومًا تنفردُ به ولهم يومٌ، وتأتي هي المرعى يومًا والوحشي يوماً، وقد مرَّتْ قصَّتُها في (سورة الأعراف).

---

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٦/ ١٥٠) وما بين معكوفتين منه، ومعنى ألزمته الخسران: نسبته إلى الخسران، ومثله: فسَّقتُه وفجَّرتُه؛ إذا نسبتَه إلى الفسق والفجور. انظر: «تفسير الثعلبي» (٥/ ١٧٦).

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٦/ ١٥١).

(٣) «لهم» ليس في (أ).

وقوله تعالى: ﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ﴾: قيل: بمنعٍ عن الشُّربِ، فقد قال: ﴿نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا﴾ [الشمس: ١٣]، وقيل: بعَقْرٍ.

وقوله تعالى: ﴿فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾[1]: أي: عاجلٌ إنْ مَسَسْتموها بسوء.

وقال أبو موسى الأشعريُّ: أتيْتُ مصدرها[2] الَّذي اضطُرَّتْ إليه فلم تجدْ منفذًا، فإذا هو ستُّون ذراعًا[3].

* * *

(٦٥) - ﴿فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَعَقَرُوهَا﴾: أي: فعقرَها أخو ثمود قُدار بن سالف، ومعه مِصْدَع بن مَهْرَج.

﴿فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ﴾: أي: بلدكم.

وقيل: أي: في دار الدُّنيا، ولو أراد بها المنازل لقال: في ديارِكم.

وقيل: أراد بالواحد الجمع؛ كما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾ [الحج: ٥]، وتقديرُه: ليتمتَّعْ كلُّ واحدٍ منكم في دارِه.

والتَّمتُّع: التَّلذُّذ بالمدركَات الحسيَّة.

يقول: أمهلَكُم اللهُ تعالى ﴿ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾ بلا زيادةٍ، ثمَّ تُعذَّبون، وهو العذابُ القريبُ الَّذي ذكرْتُ لكم.

---

(١) بعدها في (ر): «فيأتيكم عذاب».

(٢) تحرفت في (أ) و(ر) إلى: «مقدرها»، والمثبت من (ف) والمصادر.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٢٩٧)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ١٧٦)، والزمخشري في «الكشاف» (٢/ ١٢١) و(٣/ ٣٢٧). وليس في المصادر: «الذي اضطرت إليه».

﴿ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾: أي: مكذوبٍ فيه.

ورُوِي أنَّه قال لهم: تمتَّعوا في دارِكُم ثلاثةَ أيَّام، ثمَّ يجيء هلاكُكُم، فتصبح ألوانُكم في أوَّلِ يومٍ مصفرَّة، وفي اليوم الثَّاني محمرَّة، وفي اليوم الثَّالث مسودَّة، ثمَّ تُستأصَلون في اليوم الرَّابع(١).

فكان كما قال؛ لأنَّهم عقروا النَّاقة يوم الأربعاء، واستُؤصِلوا يوم السَّبت.

* * *

(٦٦) - ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْىِ يَوْمِئِذٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا﴾: أي: بالعذاب ﴿نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا﴾؛ أي: أخرجناهم مِن بينهم.

وقوله: ﴿بِرَحْمَةٍ مِّنَّا﴾ فسَّرناها في قصَّة عاد.

وقوله تعالى: ﴿وَمِنْ خِزْىِ يَوْمِئِذٍ﴾: قرأ الكسائيُّ ونافع في روايةٍ بنصب الميم على الظَّرف، والباقون بالخفض على الإضافة(٢).

والخزيُ: الفضيحةُ بالعذابِ الـمُهين المستأصِل.

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٩١٣) عن معمر. ورواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٢٨٤) عن السدي و(١٠/ ٢٩٥) عن قتادة.

وهو قطعة من حديث طويل رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٤٥٨ ـ ٤٦٢) من حديث عمرو بن خارجة رضي الله عنه مرفوعاً.

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ٣٣٦)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٥).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْعَزِيزُ﴾: أي: القادر على إهلاك مَن يريد، المنيعُ سلطانُه[١] مِن أنْ يغالبَه العبيد[٢].

وقيل: ﴿ٱلْقَوِيُّ﴾ في نصرة أوليائِه، ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾: المنتقِم مِن أعدائه لأوليائِه.

* * *

(٦٧) ـ ﴿وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ﴾: يُقال: صاحَ بهم جبريل، ويُقال: الصيحةُ: النِّداء بوقوع العذابِ ونزولِ الصَّاعقة.

وقيل: هو الصَّوت الهائل الذي يجيء فلا تتمالكُ له القلوب، بل تنفطرُ وتنخلع، فيموت السَّامعون لها.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: قيل: الصَّيحة: الصَّاعقة.

وقيل: هي اسمٌ لكلِّ عذاب، ولا يُدرَى كيف كان؟ أو كان عذابهم قَدْر صيحةٍ مِن سرعة وقوعِه بهم، أو لمَّا رأوا العذاب صاحوا فيما بينهم، فلمَّا جاءتهم الصَّيحة ماتوا[٣].

﴿فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾: أي: صاروا.

وقيل: كان العذابُ باللَّيل؛ فلذلك قال: ﴿فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾؛ أي: ساقطِيْن على الوجوه.

وقيل: ساقطين على الرُّكب.

---

(١) في (أ): «بسلطانه».

(٢) في (أ): «العنيد».

(٣) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٦/ ١٥٢).

وقيل: لازِقِيْن بالأرض.

وقال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: ميِّتين(١).

وقال قتادة: هالكين(٢).

وقال مجاهد: جامدين(٣).

وقال ابن كيسان: ساقطين كجثوم الطَّائر.

* * *

(٦٨) ـ ﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا إِنَّ ثَمُودَا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا﴾؛ أي: كأنْ لم يقيموا فيها، غَنِيَ بالمكانِ ـ مِن حدِّ علم ـ: إذا أقامَ به(٤).

﴿أَلَا إِنَّ ثَمُودَا كَفَرُوا رَبَّهُمْ﴾: فبذلك استحقُّوا هذا العذاب ﴿أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ﴾؛ أي: هلاكًا.

وقرأ الكسائيُّ وحده بالتَّنوين والخفض موافقةً للأوَّل، والباقون تركوا تنوينه وفتحوه، ونوَّنوا الأوَّل(٥)؛ لأنَّ (ثمودًا) إنْ جُعِلَ اسمَ قبيلةٍ لم يُصرَف لاجتماع

---

(١) في (ر) و(ف): «ساكتين». والخبر ذكره الواحدي في «البسيط» (٩/ ٢١٦).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٤٦٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ٢٠٥٢).

(٣) في (ف): «خامدين»، وهكذا ذكره الواحدي في «البسيط» (٩/ ٢١٦) عن ابن عباس، وهو قول مقاتل في «تفسيره» (٢/ ٤٧ و٢٨٩) وبعض المفسرين، والمثبت من (أ) و(ر) وكذا ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٤/ ٢٥٢) دون نسبة.

(٤) «به» ليس في (أ) و(ف).

(٥) لكن حمزة وحفصاً منعاه الصرف في الأول أيضاً. انظر: «السبعة» (ص: ٣٣٧)، و«التيسير» (ص: ١٢٥).

التَّعريف والتَّأنيث فيه، وإن جُعِل اسمًا للقوم صُرِف؛ لأنَّ العلَّتَيْن لم تجتمعا، ولمَّا جاز صرفُه وتركُ صرفِه اختير الصَّرف في النَّصب دون الرَّفع والجرِّ؛ لأنَّ النَّصبَ أخفُّ الحركات.

***

(٦٩) ـ ﴿ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُواْ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ ﴾: ﴿ رُسُلُنَآ ﴾؛ أي: الملائكة.

قال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: جبريل وملكان[١].

وقال الضَّحَّاك: كانوا تسعة.

وقال السُّدِّيُّ: كانوا أحدَ عشرَ ملَكًا على صورة الغِلمان الحسان[٢].

كانوا نزلوا لإهلاكِ قومِ لوطٍ وقراهم بنواحي الشَّام، وإبراهيمُ كان ببلاد فلسطين فمرُّوا به، ولوطٌ كان ابن أخي إبراهيم[٣]، فجاؤوا إبراهيم بالبشرى:

قيل: البشارة بهلاك قوم لوط.

وقال الحسن: البشارة بأنَّ اللهَ تعالى يهَبُ له إسحاق ولدًا، ويجعله رسولًا إلى عبادِه، وبعدَه يعقوب نافلة[٤].

---

(١) في (ر) و(ف): «جبريل وميكائيل». والمثبت من (أ)، وهو الموافق لما ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ١٧٧)، والواحدي في «البسيط» (١١/ ٤٦٦)، ولفظهما: «جبريل وميكائيل وإسرافيل».

(٢) ذكره عن الضحاك والسدي: الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ١٧٧)، والواحدي في «البسيط» (١١/ ٤٦٦).

(٣) في (ف): «ابن عم إبراهيم وكان ببلاد فلسطين» بدل: «ابن أخي إبراهيم».

(٤) ذكره دون نسبة مقاتل في «تفسيره» (٢/ ٢٩٠)، والطبري في «تفسيره» (١٨/ ٣٩٣)، والثعلبي في «تفسيره» (٥/ ١٧٧).

وقيل: بسلامته وسلامة قومِه مع هلاك قوم لوط.

وقيل: بدوام الخُلَّة والوصلة.

وقيل: بسلام الله.

وقيل: هو سرٌّ بين الحبيبَيْن لا اطِّلاع عليه للغير، قال قائلُهم:

بـينَ المحبِّـيْنَ سرٌّ ليـسَ يفشـيْه   قـولٌ ولا قلـمٌ للخَلْـقِ يحكيْـهِ[1]

وقوله تعالى: ﴿قَالُواْ سَلَٰمًا﴾: نصبٌ بوقوعِ القولِ عليه، كأنَّه قال: أظهَروا سلامًا، أو: قدَّموا سلامًا، وما يجري مَجراه.

وقيل: ﴿قَالُواْ﴾ مقرَّر على نظمِه، و﴿سَلَٰمًا﴾ منصوبٌ بإضمار الفعل؛ كأنَّهم قالوا: نسلِّم عليك سلامًا، أو قالوا: نسلِّم سلامًا؛ لأنَّ السَّلام بمعنى السَّلامة، وهو كقوله تعالى: ﴿فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ﴾ [محمد: ٤] أنَّه نصبٌ على إضمارِ الفعلِ.

وقوله تعالى: ﴿قَالُواْ سَلَٰمًا﴾: أي: عليكم سلامٌ.

وقال: الفرَّاء: قال حين نكِرهم: ﴿سلام﴾؛ أي: هو سلام ـ أي: سلامةٌ ـ إن شاء الله، مَن أنتم[2]؟

وقوله تعالى: ﴿فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾: أي: وَلَد بقرةٍ، سُمِّي به لتعجيلِ أمرِهِ بقُرْبِ مِيلادِه.

قال ابن عبَّاس ومجاهد وقتادة: أي: نَضيجٍ[3].

---

(١) انظر: «تفسير الثعلبي» (٩/ ١٣٩)، و«لطائف الإشارات» للقشيري (٢/ ١٦٥).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢١).

(٣) رواه عنهم الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٤٦٨).

وقال الحسن: أي: مشويٌّ(١).

وقال ابن عرفة: مشويٌّ بالرِّضاف. والرَّضيف: الحجرُ المحمَّى، وهو (فعيل) بمعنى مفعول، وقد حنذَه؛ أي: شواه تحتَ الأرض بالحجارة المحمَّاة.

وقيل: هو السَّمين الَّذي يسيل منه الوَدكُ(٢).

ومعنى ﴿فَمَا لَبِثَ﴾؛ أي: فما مكَثَ؛ إذ كان عندَه طعامٌ مُعَدٌّ للأضيافِ كلَّ يوم، أو عجَّل تقديم الطَّعام، فأمرَ بذبحِ عجلٍ وحنَّذه، وجعل قرب المدَّة بسبب التَّعجيل كعدم اللَّبْث مبالغةً مجازًا.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: فيه دليلٌ على أنَّ الأدبَ إذا نزل الضَّيف هو تقديمُ الطَّعام قبلَ المحادثة والمساءَلَة، ولو كان إبراهيم عليه السلام اشتغلَ بذلك عرف أنَّهم ملائكةٌ، فلم يشتغلْ باتِّخاذ الطَّعام(٣).

* * *

(٧٠) ـ ﴿فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ﴾: أي: لمَّا رآهم لم يمدُّوا أيديَهم إلى الطَّعام للأكل ﴿نَكِرَهُمْ﴾ أي: أنكرهم، يقال: نَكَر وأنْكَر واستَنْكَر، قال الأعشى:

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٤٧٠) عن سفيان.

(٢) الودك: دسم اللحم. انظر: «الصحاح» للجوهري (مادة: ودك).

(٣) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٦/ ١٥٤).

وأنكرَتْنـي ومـا كانَ الَّـذي نَكِـرَتْ مِنَ الحوادثِ إلَّا الشَّـيْبَ والصَّلَعَا[١]

وقال أبو العالية: يقال: نَكِرَ بقلبِهِ، وأنكرَ بعينِهِ[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾: أي: أضمرَ، وقيل: أي: أحسَّ.

وقيل: أنكرَهم حين لقيَهم لا يعرفهم، قال تعالى في سورة الحجر: ﴿قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾ [الذاريات: ٢٥]، وازداد ذلك حين لم يتناولوا طعامَه، فأضمر في قلبِهِ خوفًا، وكان القوم إذا نزل بهم ضيفٌ فلم يأكلْ طعامَهم ظنُّوا أنَّه لم يَجِئْ بخيرٍ، وأنَّه يحدِّث نفسَه بشرٍّ[٣].

وقوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ لَا تَخَفْ﴾: لمَّا علمَتِ الملائكةُ أنَّه استشعرَ خوفًا منهم أمَّنوه بأنْ كشفوا له الأمر فقالوا: ﴿إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ﴾؛ أي: لإهلاكهم.

وقيل: إنَّهم دَعَوُا اللهَ تعالى بإحياءِ العجلِ، فطَفِر حيًّا إلى مرعاه؛ أي: وثبَ[٤].

***

(٧١) ـ ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ﴾.

وقولـه تعالـى: ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ﴾ هـي سـارة بنت هـاران بـن ناحـور، بنت عمِّ إبراهيـم بـن آزر بـن ناحور.

---

(١) نسب للأعشى في الكثير من كتب الأدب والتفسير، وهو في «ديوانه» (ص: ١٥١). غير أن أبا عبيدة ذكر في «مجاز القرآن» (١/ ٢٩٣) عن يونس عن أبي عمرو أنه هو الذي زاد هذا البيت في شعر الأعشى، وقال: فأتوب إلى الله منه.

(٢) انظر: «تفسير القرطبي» (١١/ ١٦٣).

(٣) في (ف): «وأنه يحدث شرًا».

(٤) في (أ): «ذهب».

وقيل: كانت قائمةً مِن وراء السِّتر تنظرُ إلى الملائكةِ وإبراهيم.

وقيل: كانت قائمةً على رؤوسِهم تخدمُهم على الطَّعام، وكانت عجوزًا فلم يكنْ بذلك بأسٌ، حكاه الإمامُ أبو منصور رحمه الله، وقال: لسنا ندري أين كانت قائمة(١).

وقوله تعالى: ﴿فَضَحِكَتْ﴾ قيل: ضحكَتْ تعجُّبًا لِمَا أشرفَ من العذاب على قوم لوط وهم غافلون، فإنَّه وصلَه بقوله: ﴿إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ﴾ [هود: ٧٠].

وقيل: ضحكَتْ سرورًا بما زالَ مِن الرَّوع عنها وعن إبراهيم بظهورهم ملائكةً.

وقيل: ضحكَتْ تعجُّبًا مِن امتناع الأضياف عن الأكل.

وقال وهب: ضحكَتْ تعجُّبًا مِن أن يكون لهما ولدٌ وقد هَرِمَا، وعلى هذا يكون في الآية تقديُم وتأخيرٌ: فبشرناها بإسحاق فضحكت.

وقال مقاتل: ضحكَتْ من خوف إبراهيم منهم وهم عدد قليلٌ، وهو بينَ خَدَمِه وحَشَمِه(٢).

وقال عكرمة: أي: حاضَتْ، تقولُ العربُ: ضحكَتِ الأرنبُ: إذا حاضَتْ(٣).

---

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٦/ ١٥٥).

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٢٩٠).

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٢١٢). ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ٢٠٥٥) عن ابن عباس. وتعقب هذا القول ابن كمال باشا في «تفسيره» عند هذه الآية بقوله: (وأما ما قيلَ: إنَّ (ضحِكَت) بمعنى: حاضَت. رُدَّ بأن التعجُّبَ بعدَه يبعدُه، إذ لا يُعجَبُ من الولادةِ في زمن الحيضِ...). وللآلوسي في «روح المعاني» (١٢/ ١٦ ـ ١٧) مناقشة حسنة بين المؤيدين لهذا القول والمعارضين له فلتنظر ثمة.

وقيل: ضحكَتْ سرورًا بالبشارة بالولد، وقد بلغت ثمانيًا وتسعين سنة، وإبراهيم ابن مئة وعشرين سنة.

وقوله تعالى: ﴿فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ﴾: أي: على ألسنةِ الرُّسلِ ـ وهم الملائكة ـ بولدٍ اسمُه إسحاق ﴿وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ﴾: قرأ حمزةُ وابنُ عامر وعاصم في رواية حفصٍ: ﴿يَعْقُوبَ﴾ بالنَّصب، والباقون بالرَّفع[1]، وهو على الابتداء.

ووجه النَّصب: أنَّ المعطوف على المخفوض بخافضٍ وبينهما حائلٌ يُحتاج فيه إلى إعادة الخافض، فيقال: مررْتُ بزيدٍ ومِن بعده بعبدِ اللهِ، فإذا لم يأتوا بالباء في (عبد الله) نصبوه، كأنَّهم أرادوا: ورأيْتُ مِن بعدِه عبدَ الله.

ووجه آخر: أنَّ قوله: ﴿فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ﴾ بمنزلةِ قوله: فوَهَبْنا لها إسحاقَ، فعطفَ عليه ﴿يَعْقُوبَ﴾ بالنَّصب.

وقيل: الوراء: النَّافلة، فإنْ صحَّ هذا، وإلَّا فظاهر ما يُفهَم مِن وراء وهو الخَلْف، يدلُّ على البشارة بالنَّافلة أيضًا، فإنَّه يكون بعدَه.

ودلَّت الآيةُ أنَّ الذَّبيح هو إسماعيل، فإنَّ الله تعالى بشَّر إبراهيم عليه السَّلام بأن يكون لإسحاق ولدٌ، وكان يعلمُ أنَّه لا يموت حتَّى يُولَد له ذلك، فلا يكون على هذا في الأمرِ بذبح هذا الولد امتحانٌ؛ إذ يعلم أنَّه لا يتحقَّق فيه الذَّبح للحال، فتعيَّن للابتلاء الولد الآخر؛ وهو إسماعيل.

* * *

(٧٢) ـ ﴿قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ﴾: لمَّا بُشِّرَتْ بإسحاق تعجَّبَتْ، فقالَتْ: يا ويلتَا،

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ٣٣٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٥).

فافتتحَتْ بالدُّعاء بالويل على ما جرَتْ به العادة، وكأنَّها قالَتْ: يا عجباً.

﴿ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ﴾: أي: مُسنَّة، لم تدخلها الهاء لأنَّها وُضِعَتْ للأنثى خاصَّة.

وقوله تعالى: ﴿وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا﴾: أي: زوجي، ونصب ﴿شَيْخًا﴾ على الحال، أو على القطع؛ لأنَّه نكرةٌ نُعِتَ بها معرفة.

﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾: ولم يكن هذا إنكارًا لقدرةِ اللهِ تعالى، بل هذا ممَّا يَرِدُ مثلُه على النَّفس إذا سُمعَ بغتة، على ما عليه طبعُ البشريَّة.

وقد يكون التَّعجُّب من جهة تمنِّيها لسرعة كون ذلك، فتقول: أنَّى يكون هذا؟ فمتى يكون قريبًا أو بعيدًا؟ وأُحوَّل شابَّة وزوجي شابًّا، أو نكون على حالِنا؟ فإنَّه عجبٌ عادة.

* * *

(٧٣) ـ ﴿قَالُوٓاْ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾: أي: لا عجبَ أنْ يَرزقَ اللهُ مثلَكُما(١) ولدًا.

وقوله تعالى: ﴿رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾: يحتمِلُ أن يكون إخبارًا؛ أي: أنتم أهلُ بيتٍ نزَّل الله عليكم الرَّحمة والبركات بما آتى مِن النُّبوَّة وتمَّمَ مِن النِّعمة.

ويحتمِلُ الدُّعاء؛ أي: واصل(٢) الله لكم يا أهلَ البيت.

---

(١) في (ف): «منكما».

(٢) في (ر): «وأسأل».

وفيه ردٌّ على مَن أنكرَ مِن الرَّافضة أنْ يكونَ أزواجُ النبيِّ ﷺ مِن أهلِ البيت في قوله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ [الأحزاب: ٣٣].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾: قال الحسن: أي: محمودٌ كريمٌ(١).

وقيل: أي: محمودٌ على نعمِه عند خلقِه، وكريمٌ منعِم على عبادِه، فأنتم أولى بهذه النِّعمة إذ كنتم أهل خلَّته وموالاته.

ثمَّ أوَّل القصَّة ﴿قَالُواْ سَلَٰمًا﴾، وفي هذه الآية ذكرَ الرَّحمة والبركات، وهي إتمام التحيَّة، ولمَّا قالوا: ﴿رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ﴾ بقي هذا الدُّعاء على ألسنة هذه الأمَّة في الصَّلوات: «كما صلَّيْتَ وباركْتَ ورحمْتَ على إبراهيم وعلى آل إبراهيم»(٢).

والبركة: الزِّيادة والنَّمو، وقد استجيب ذلك، فبنو إسرائيل منهم، وهم الخلْقُ الكثير، والعربُ مِن أولاد إسماعيل، وهم الجمُّ الغفير.

* * *

(٧٤) ـ ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ﴾: أي: الخوف، راعَه يروعُه: إذا أفزعَه وخوَّفه، وهو ما مرَّ: ﴿وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾.

---

(١) ذكره الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (٦/ ١٥٨)، والبغوي في «تفسيره» (٤/ ١٩٠) دون نسبة.

(٢) رواه الحاكم في «المستدرك» (٩٩١)، والبيهقي في «سننه» (٢/ ٣٧٩)، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، وفيهما: «وترحمت». وبنحوه رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٦٤١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وأصل الحديث رواه البخاري (٣٣٧٠)، ومسلم (٤٠٦) من حديث كعب بن عجرة رضي الله عنه، دون ذكر الرحمة.

﴿وَجَآءَتۡهُ ٱلۡبُشۡرَىٰ﴾: وهو ما بينَّا، فأضمر جوابَ (لمَّا) هاهنا، وهو: انبسطَ لمعارضَتِهم وصفتهم[1].

﴿يُجَٰدِلُنَا فِي قَوۡمِ لُوطٍ﴾: أي: جعل يجادلهم، قال الحسن: يجادلُ رسُلَنا مِن الملائكةِ[2].

واختُلِفَ في ذلك الجدال:

قال الحسن: هو قوله: ﴿إِنَّ فِيهَا لُوطٗاۚ قَالُواْ نَحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَن فِيهَاۖ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهۡلَهُۥٓ﴾ [العنكبوت: ٣٢][3].

وقال قتادة: أيُعذِّبُون إنْ كان فيهم خمسون من المؤمنين؟ قالوا: لا حتَّى نزلهم إلى عشرة، فقالوا: لا[4]، وذلك قوله: ﴿فَمَا وَجَدۡنَا فِيهَا غَيۡرَ بَيۡتٖ مِّنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [الذاريات: ٣٦].

وقيل: جادلَهم ليعلَمَ بأيِّ شيءٍ استحقُّوا عذاب الاستئصال، وهل ذلك واقعٌ بهم لا محالة، أم على سبيل الإخافة لِيُقبلوا إلى الطَّاعة؟

وقيل: ﴿يُجَٰدِلُنَا﴾؛ أي: يسألُنا إمهالَهم رجاءَ أنْ يسلِموا، أو سمَّاه جدالًا لأنَّه كان يحرص في السُّؤال حِرْصَ المجادل عنه[5].

وقال القشيريُّ رحمة الله عليه: كانَتْ مراجعةُ إبراهيمَ مع اللهِ تعالى في أمرِ قومِ

(١) «وصفتهم» ليس في (أ).

(٢) ذكره عن الحسن الماوردي في «تفسيره» (٢/ ٤٨٧)، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٣٩٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما، ونقله الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ١٨٠) عن عامة أهل التفسير.

(٣) انظر التعليق السابق.

(٤) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٢٢١)، والطبري في «تفسيره» (١٢/ ٤٩٠).

(٥) «عنه» من (ف).

لوطٍ بحقِّ اللهِ تعالى، لا لحظِّ نفسِه، فسَلَّمَ[١] له الجِدال، وهذا يدلُّ على علوِّ شأنِه حيثُ تجاوزَ عنه ذلك[٢].

* * *

(٧٥) - ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ﴾: الحليمُ: البطيءُ الغضبِ، والأوَّاه: الدَّعَّاء، وقيل: الرَّحيم.

وقيل: المتأوِّه أسفًا على ما فاتَ قومَ لوطٍ مِن الإيمان، والمنيب: الرَّاجع إلى اللهِ جلَّ جلالُه بالإخلاص، وهذا مدحٌ له وبيانٌ أنَّ سؤالَه كان عن رحمةٍ ورِقَّةٍ، ولم يكن معارَضةً ولا اعتراضًا على قضيَّةٍ.

* * *

(٧٦) - ﴿يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ﴾: أي: قيل له: تولَّ عن هذا الجِدال والسُّؤال؛ لأنَّ العذابَ نازلٌ بهم لا محالةَ.

﴿إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾: أي: عذاب ربِّك، وقيل: أمرُ الله تعالى بالعذابِ.

﴿وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ﴾: أي: سيأتيهم عذابٌ لا يُرَدُّ ولا يُدفَع بالشَّفاعة، فسَكَتَ وتركَ السُّؤال.

* * *

---

(١) في (أ): «فسمى»، والمثبت من باقي النسخ و«اللطائف».

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٢/ ١٤٧).

(٧٧) ـ ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ﴾: أي: ساءَه مجيئُهم؛ أي: حزَنَه، والكنايةُ ترجع إلى الرُّسل.

﴿وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾؛ أي: ضاقَ نفسُه عن هذا الحادث[1]، وذِكْرُ الذَّرْعِ مَثَلٌ، وهو المساحة في الحقيقة، وكأنَّه قَدْرُ البَدَنَ مجازًا؛ أي: بَدَنُه ضاقَ قَدْرُه عن احتمالِ ما وقعَ؛ أي: لمَّا صار هؤلاء الملائكةُ مِن عند إبراهيم إلى لوط في صورة البشر، ورآهم حِسانَ الوجوه، خافَ عليهم مِن قومِه أنْ يقصدوهم في منزلِه ولا يمكنُه دفعُهم، ولم يمكنْه التَّصريح به للأضياف، وساءَه وضعفَ عنه احتمالُه.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: يحتمل أنْ يكونَ قولُه: ﴿سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾ لمكان الأضياف، ويحتمِل أنْ يكون كلاهما بهلاك قومِه، ويحتمِل أن يكون أحدهما في هذا، والآخر في ذلك[2].

﴿وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾: أي: شديد، ولا تُستعمل إلَّا في الشَّرِّ، مأخوذٌ مِن العِصابة؛ كأنَّه التفَّ على النَّاس بالشَّرِّ، أو التفَّ بعضُ شرِّهِ ببعض.

وقيل: هو مِن إحاطةِ شرِّه بالنَّاس، ومنه عِصابة الرَّأس، وعُصْبَةُ الرَّجلِ: قرابتُه المحيطون[3] به.

* * *

---

(١) في (أ): «عن هذه الحادثة».

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٦/ ١٦٠) بنحوه.

(٣) في (أ): «قرائبه والمحيطون».

(٧٨) ـ ﴿وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ قَالَ يَـٰقَوْمِ هَـٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ﴾: قال ابن عبَّاس ومجاهد وقتادة والسُّدِّيُّ: أي: يُسرعون في المشي(١).

وقال الضحَّاك: يسعون(٢).

وقال الفرَّاء: هو مشيٌ بينَ الهرولَةِ والجَمْزِ(٣).

وإنَّما أسرعوا إلى الأضياف لمَّا أعلمتهم امرأة لوط ـ وكانت كافرةً ـ فقالَتْ: ما رأيْتُ أحسنَ وجوهًا، ولا أطيبَ ريحًا، ولا أنظفَ ثيابًا منهم.

وقوله تعالى: ﴿وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾: كنايةٌ عن إتيانهم الذُّكْران.

﴿قَالَ يَـٰقَوْمِ هَـٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾: قال مجاهدٌ: بناتُ قومي؛ لأنَّ النَّبيَّ كالأبِ لقومِه، وأزواجُه أمَّهاتُهم، وأولادُهم كأولادِه(٤).

وقال مقاتلٌ وجماعة: أرادَ بنات صُلْبِه(٥).

﴿هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾؛ أي: أحلُّ لكم بالنِّكاح.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٥٠٠ ـ ٥٠١).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٥٠٠).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٨٧)، وفيه: «يهرعون؛ أي: يسرعون بسيرهم. والإهراع: الإسْرَاع فيه، شبيه بالرِّعدة».

(٤) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٢١٤)، والطبري في «تفسيره» (١٢/ ٥٠٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ٢٠٦٢).

(٥) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٢٩٢).

وقال الحسين بن الفضل: أي: على شرط إسلامكم(١).

وقال آخرون: لعلَّه في ذلك الوقت كان يُباح للمشركِ المسلمةُ(٢)، وكان ذلك في ابتداء الأمر جائزًا في هذه الأمَّة، فالنَّبيُّ ﷺ زوَّج ابنتَه مِن عتبةَ بن أبي لهبٍ وأبي العاص بن الرَّبيع وكانا كافرَيْن(٣).

ثمَّ قوله: ﴿أَطْهَرُ﴾ لا يدلُّ على أنَّ إتيان الذُّكران كان طاهرًا، لكنَّهم اعتقدوا طهارةَ ذلك، فبنى ذلك على زعمِهم، وهو كما رُوِيَ أنَّ أبا سفيان بن حرب قال يوم أُحُد: أعْلُ هبل، فقال النَّبيُّ ﷺ لِعُمرَ: «قل: الله أعلى وأجلُّ»(٤).

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: ويحتمل أن يكون هذا تعريفًا لهم خُبْثَ ذلك الفعلِ، ويكون معنى قوله: ﴿هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾: هذا أقلُّ خبثًا مِن ذلك؛ أي: الزِّنى بالبنات دون إتيان الذُّكران في الخبث، وكانوا يعتقدون حرمةَ الزِّنى، فبيَّن(٥) أنَّ هذا يزول بالنِّكاح، وذاك لا يزول بحال(٦).

وقوله: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي﴾: أي: لا تُخجلوني في أضيافي، ولا تفضحوني فيهم.

---

(١) ذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ١٩١).

(٢) في (أ): «كان ينكح المشرك المسلمة».

(٣) انظر: «سيرة ابن هشام» (١/ ٦٥٢)، و«دلائل النبوة» للبيهقي (٢/ ٣٣٩).

(٤) رواه البخاري (٣٠٣٩) من حديث البراء رضي الله عنه.

(٥) في (أ): «فسر»، وفي (ف): «فتبين».

(٦) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٦/ ١٦١). وهذا كلام مردود، وإغراق في التأويل، فكيف يظن بهؤلاء أنهم يرون الزنا حراماً ثم يستحلون ما أقبح منه وهو إتيان الذكور، ومن أين عرف هذا القائل أن هؤلاء القوم الذين بلغوا غاية السوء أنهم كانوا يحرمون الزنا وهم كافرون أصلاً بالله فاعلون لأقبح القبائح، ثم كيف يتصور أن يدعو نبي لفاحشة من أجل بيان ما أفحش منها؟

وقوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ﴾: أي: مهتدٍ إلى طريق الحقِّ، فينهاكم عن هذا، ويدفعَكم عن أضيافي.

وقال عكرمة: أليسَ منكم رجلٌ رشيدٌ[1] يقول: لا إله إلَّا الله[2]؟

* * *

(٧٩) - ﴿قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ﴾: قال محمَّد بن إسحاق: أي: لسنَ لنا بزوجات[3].

وقيل: أي: ما لنا فيهنَّ مِن حاجةٍ، فجعلوا تناول ما لا حاجةَ لهم فيه كتناول ما لا حقَّ لهم فيه.

﴿وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ﴾: مِن إتيان الذُّكور[4].

* * *

(٨٠) - ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً﴾: أي: عُدَّة، وجوابُه محذوفٌ، وهو أبلغ؛ لأنَّ النَّفس تذهبُ فيه كلَّ مذهب.

وقيل: هو كلمة تمنٍّ؛ أي: ليتَ لي بكم قوَّة.

---

(١) «رشيد» ليس في (أ).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ٢٠٦٣) عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما. وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٤/ ٤٥٨) عن عكرمة إلى أبي الشيخ.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٥٠٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ٢٠٦٣).

(٤) في (أ): «الذكران».

وقوله تعالى: ﴿أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾: مجازٌ عن عشيرةٍ يلتحقُ بهم ويستعينُهم[١].

وفي الخبر: «ما بعثَ اللهُ تعالى بعدَه نبيًّا إلَّا وهو في كثرةٍ مِنْ عشيرَتِهِ ومَنَعَةٍ تسكينًا لقلبِهِ»[٢].

وقيل: لو أنَّ لي بكم قوَّة على هدايتكم لهديْتُكم، وعن هذه الحالةِ أنجيْتُكُم.

***

(٨١) ـ ﴿قَالُواْ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَالُواْ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيْكَ﴾ قيل: قالوا: إنَّ ركنَكَ لشديدٌ، وإنَّا رُسُلُ ربِّك أُرسِلْنا لإهلاك قومِكَ، فلا تخفْ، فلن يصلوا إليك بمساءَةٍ فينا.

قال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: وكان لوطٌ عليه السَّلام أغلقَ بابَه، والملائكةُ في دارِه، وقومُه على الباب يناظرونه، فقال جبريل صلوات الله عليه: إنَّا رسلُ ربِّك فافتحِ البابَ، ففتحَ ودخلوا، وذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ﴾[٣] [القمر: ٣٧]؛ أي: أعميناهم أو[٤] محوناها.

---

(١) في (ف): «ويستغيث بهم»، وفي (ر): «وأستغيث بهم».

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١٠٩٠٣)، والترمذي (٣١١٦)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) روى نحوه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥١٨).

(٤) في (أ): «أعميناها و» بدل من «أعميناهم أو».

وقوله تعالى: ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ﴾ قرأ ابن كثير ونافع: ﴿فَاسْرِ﴾ بالوصل مِن سَرَى، والباقون بالقطع مِن أَسْرَى[١]، وهما لغتان في اللازم، والتَّعديةُ هاهنا بالباء.

فخرج وأهله وأولاده والمؤمنون معه ﴿بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ﴾: قال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: بطائفةٍ مِن اللَّيل[٢].

وقال الضَّحَّاك: ببقيَّة من اللَّيل. وقال قتادة: بصدْرِه. وقال الأخفش: بعد جنح[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ﴾: قرأ ابن كثير وأبو عمرو: ﴿امْرَأَتُكَ﴾ رفعًا بدلًا عن قوله: ﴿أَحَدٌ﴾، والباقون بالنَّصب على الاستثناء[٤].

والنَّهي عن الالتفات أمرٌ بالإسراع ليتباعدوا عن القوم فلا ينالهم أثرُ عذابهم.

وقيل: أي: لا تشتغل قلوبُكم بما خلَّفتم من المال والمتاع، وامضوا مُخِفِّين مسرعين.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ﴾: مِن العذاب؛ لأنَّها كافرةٌ مثلهم.

فقال لوط لجبريل: متى وقتُ هلاكهم؟ قال: ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ﴾ فقال لوط: أريدُ أسرَعَ مِن ذلك، فقال جبريل عليه السَّلام: ﴿أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾: استفهامٌ بمعنى الإثبات.

* * *

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ٣٣٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٦).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٥٢٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ٢٠٦٥).

(٣) ذكره الأقوال الثلاثة الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ١٨٣).

(٤) انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ٣٣٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٥).

(٨٢) - ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا﴾: أي: العذاب الَّذي أَمَرْنا به ﴿جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا﴾؛ أي: جعلَ جبريلُ أعلى قريتِهم سافلَها بأمرِنا، على ما مرَّ سياقُ القصَّة في (سورة الأعراف).

وقوله تعالى: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ﴾: أي: وأمطرنا عليهم بعد التَّقليب أحجارًا من سِجِّيل.

قيل: حجارة صلبة ليسَتْ مِن جنس حجارة البَرَد.

وقال ابن عبَّاس رضي الله عنهما وقتادة: هو فارسيٌّ معرَّب سَنْك وكَلْ[1]، كالدِّيباج والجاموس.

وقال أبو عبيدة: هو شديد من الحجارة[2].

وقيل: هو مثل السَّجْلِ في الإرسال عليهم[3]؛ أي: الدَّلو.

وقيل: السَّجل: هو الإرسال.

وقيل: هو من السِّجِلِّ - المشدَّد باللَّام - وهو الكتاب؛ أي: حجارة كَتَبَ عليها اللهُ تعالى أن يعذِّبهم بها.

---

(١) رواه عن ابن عباس رضي الله عنهما ابن أبي شيبة (٢٩٩٧٨)، والطبري في «تفسيره» (١٢/ ٥٢٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ٢٠٦٨)، وزاد بعضهم فيه: (حجر وطين). وروى عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٧٠٠)، والطبري في «تفسيره» (١٢/ ٥٢٦) عن قتادة قال: (السجيل: الطين).

(٢) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١/ ٢٩٦).

(٣) «عليهم» ليس في (أ).

وقال الفرَّاء: طينٌ طُبِخَ حتَّى صار كالأرحاء، و﴿مَّنضُودٍ﴾؛ أي: يتبعُ بعضُها بعضًا[1]، كالمتاعِ المنضودِ بعضُها على بعضٍ.

وقيل: كانت منضودة في السَّماء معدَّة.

* * *

(٨٣) ـ ﴿مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾.

وقوله تعالى: ﴿مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ﴾: نُصِبَتْ لأنَّها نعتُ قوله تعالى: ﴿حِجَارَةً﴾؛ أي: معلَّمةً في خزائن الله تعالى الَّتي لا يُتصرَّف فيها إلَّا بإذنِهِ بعلاماتٍ تعرفُها الملائكةُ إذا أُمِرُوا أنْ يمطروها.

وقال الحسنُ: أي: مختومةً[2].

وقال الرَّبيع بن أنس: مكتوب على كلِّ حجرٍ اسمُ مَن رُمي به، وكذا قال عكرمة[3].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾: أي: لم تكنْ لتُخطئَهم.

وقيل: اتَّبعَتْ المتفرِّقين عنهم في الأمصار والأسفار.

وقيل: مِن مشركي قريش، وسأل النَّبيُّ ﷺ جبريلَ عن هذا فقال: «يعني: من ظالمي أمَّتِك»[4].

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢٤).

(٢) ذكره الواحدي في «البسيط» (١١/ ٥١٦).

(٣) ذكره الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (٦/ ١٦٥)، والبغوي في «تفسيره» (٤/ ١٩٤)، بلا نسبة.

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ١٨٤)، والواحدي في «البسيط» (١١/ ٥١٩) من حديث أنس رضي الله عنه بلا إسناد. قال الولي العراقي: ذكره الثعلبي بغير إسناد، ولم أقف له على إسناد. انظر: «الفتح السماوي» للمناوي (٢/ ٧٢٠).

وقوله تعالى: ﴿بِبَعِيدٍ﴾؛ أي: بمكان بعيد.

(٨٤) ـ ﴿ ۞ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ ۚ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾: عطف على قوله: ﴿نُوحًا﴾.

﴿قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾: مرَّ تفسيرُه.

﴿وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ﴾: كانوا مشركين، فدعاهم إلى التَّوحيد وإخلاص العبادة لله تعالى، ثمَّ نهاهم عن ظلم النَّاس في الكيل والوزن، وحذَّرهم سوء عاقبتِه.

وقوله تعالى: ﴿إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ﴾: أي: أراكم في الخِصْب وسَعَةِ الرِّزق[١]، وكثرة النِّعم، ورُخْص الأسعار، على وجهٍ لا ضرورةَ بكم معه إلى نقصِ الكيل والوزن، فاستَبْقُوا نعمةَ الله عليكم.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ﴾ أي: محيطٍ بكم عذابُه، كما قال: ﴿عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾ [هود: ٢٦]، ويوم شديد[٢]، و﴿يَوْمٍ مُّحِيطٍ﴾ [هود: ٧٧]، إنِّي أخاف عليكم إنْ تلقَّيتم هذه النِّعم بالكُفْران وظلمِ النَّاس أنْ يأتيَكُم عذابُ يومٍ محيطٍ بكم، فلا تتخلَّصون عنه.

* * *

(١) في (أ): «في الخصب والسعة والرزق».

(٢) كذا في النسخ، وليست آية.

(٨٥) ـ ﴿ وَيَٰقَوۡمِ أَوۡفُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ وَيَٰقَوۡمِ أَوۡفُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِ ﴾: أي: أتمُّوها بالعَدْلِ.

أعاد الأمر بالإتمام بعد تقديم النَّهي عن ضدِّه، وهو كقولك: صِلْ قرابَتْك ولا تقطَعْها، فيكون الجمعُ بينَ الأمر والنَّهيُ عن ضدِّه دليلًا على تأكُّد وجوبه.

﴿وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ ﴾: أي: ولا تنقصوا النَّاس ما استحقُّوه عليكم بالعقود.

﴿وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ﴾: العِثِيُّ: المبالغةُ في الإفسادِ، من حدِّ عَلِمَ.

وجعلَ هذه المعاملةَ إفسادًا في الأرض لأنَّه تبديلُ حكمِ الدِّين، واللهُ تعالى أصلحَ الأرضَ بالأمرِ بالمعاملات الَّتي إذا عملوا بها اعتدلَتْ أحوالُهُم، وزالَ التَّظالم عنهم، فمَن غيَّر هذا فقد أفسد.

* * *

(٨٦) ـ ﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِحَفِيظٖ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لَّكُمۡ ﴾: أي: ما يبقيْهِ اللهُ تعالى لكم بعدَ إيفائِكُم حقوقَ النَّاس بالقِسْط في الكيل والوزن أحمدُ عاقبةً، وأكثرُ بركةً ممَّا تبقونه لأنفسِكُم مِن فضلِ الخيانة.

وقوله تعالى: ﴿إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾: قيل: هو متَّصل بقوله تعالى: ﴿أَوۡفُواْ ... وَلَا تَبۡخَسُواْ... إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾.

فيحتمـلُ أنَّهـم كانـوا يقـرُّون بـأنَّ اللهَ تعالـى خالقُهـم ومالكُهم، كما قـالَ في حـقِّ مشـركي العـرب: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧]، والإقـرار بالألوهيَّـة لله يوجـب طاعتَـه فيما أمـرَ ونهى.

ويحتمل أنَّه متَّصل بقوله تعالى: ﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾؛ أي: هي خيرٌ لكم؛ إنْ صدَّقتموني فيه وعملْتُم به حصلَ لكم هذا الخيرُ.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: قيل: إنَّ ما[1] أبقى اللهُ لكم مِن الثَّواب في الآخرة خيرٌ لكم مِن الأموال في الدُّنيا.

وقيل: طاعةُ اللهِ الَّتي يبقَى ثوابُها خيرٌ لكم مِن هذا[2].

وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾: قال: إنِّي لسْتُ أشهدُ بياعاتكم حتَّى أعلمَ ببخسِكُم، وإنَّما أعرفُ ذلك بإخبارِ اللهِ تعالى، وفيه إثباتُ رسالِته.

وقيل: ﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾؛ أي: بمسلَّطٍ عليكم أجبركم على هذا، وإنَّما أنا مبلِّغٌ منذِرٌ.

وقيل: وما أنا بمأمورٍ بحفظِكُم فأُؤاخَذَ بفعلِكُم.

***

(٨٧) ـ ﴿قَالُوا۟ يَـٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَـٰٓؤُا۟ۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ يَـٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَـٰٓؤُا۟﴾: قيل: كان شعيبٌ صلوات الله عليه يصلِّي الصَّلوات،

(١) في جميع النسخ: «مما»، والمثبت من «تأويلات أهل السنة».

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٦/ ١٦٨).

وكانوا يقولون له: ما تستفيدُ بهذا؟ فكان يقول: إنَّها تأمر بالمحاسِنِ وتنهى عن المساوئ، كما عرَّف اللهُ تعالى عبادَه بقوله: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، فقالوا له على وجه الاستهزاء به: ﴿أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ﴾؛ أي: تأمرُنا بترْكِ عبادةِ ما كان يعبدُ آباؤنا، وأنْ نتركَ التَّبسُّط في أموالنا بما نشاءُ مِن إيفاءٍ ونَقْصٍ؟

وقيل: أدينُكَ[1] يأمرُكَ بهذا؟ وسُمِّي الدِّين بها[2] لأنَّها أعظمُ شرائعِ الدِّين، وما خلَتْ عنها شريعةُ أحدٍ مِن المرسَلِيْن.

وقيل: كانوا يكسرونَ الدَّراهم الصَّحيحة، فكان تبايعُهم بالمكسور عدداً، وبالصِّحاح وزنًا[3]، فيقعُ البَخْسُ بهذا.

وقيل: كانوا يقطعون أطرافَها، فيستفضلون القُرَاضات، ويتبايعون بالباقي على أنَّه درهمٌ تامٌّ.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ﴾؛ أي: السَّفيه الضَّالُّ، وهذه التَّسمية على القَلْبِ على وجْهِ الاستهزاء؛ كما يُقال للحبشيِّ: أبو البيضاء، وهو كقولِ خزنة جهنَّم لأبي جهلٍ لعنه الله: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ﴾ [الدخان: ٤٩]، وقال الشَّاعر:

فَقُلْــتُ لســيِّدنا يــا حليـــ ـــمُ إنَّكَ لم تأسُ أسوًا رَفِيْقَا[4]

---

(١) في (ر) و(ف): «أربك».

(٢) في (ر) و(ف): «بهذا».

(٣) في (ر): «بالمكسور عددًا والصحاح وزنا».

(٤) البيت لشييم بن خويلد. انظر: «الحيوان» (٣/ ٨٢)، و«البيان والتبيين» (ص: ١٠٧)، و«لسان العرب» (مادة: خفق). ودون نسبة في «تأويل مشكل القرآن» لابن قتيبة (ص: ١١٨)، و«الأضداد» لابن الأنباري (ص: ٢٥٨).

وقيل: معناه: إنَّك عندَنا حليمٌ رشيدٌ، ولسْتَ تفعلُ بنا ما يقتضيه حالُك، فتسفِّهُنا وتمنعُنا عمَّا كان عليه آباؤنا العقلاء، وهذا ليس بفعل الحليم الرَّشيد، وهو كقول قوم صالح: ﴿قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا﴾ [هود: ٦٢].

***

(٨٨) - ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي﴾: أي: على حجَّة وبيان في التَّوحيد والصَّلوات.

﴿وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾: أي: أعطاني ذلك مِن عنده عطاءً حسنًا.

﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ﴾: أي: أخالفكُم في تركِ ما أمرتُكُم به ميلًا إلى فعلِ ما أنهاكُمْ عنه، بل لا آمرُكُم بشيءٍ إلَّا عملْتُ به، ولا أنهاكم عن شيءٍ إلَّا انتهيْتُ عنه.

وقوله تعالى: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ﴾: أي: ما أُريدُ إلَّا الإصلاحَ في الأرض ما قدرْتُ عليه.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾: أثبتَ الإرادةَ والفعلَ مِن نفسِه، والتَّوفيق مِن ربِّه، وهو الجمعُ بينَ الطَّاعة والاستطاعة، وهو مذهبُ أهل السُّنَّة والجماعة، وهو خلافُ قولِ القدريَّة والجبريَّة.

وقوله تعالى: ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾: أي: عليه اعتمدْتُ لَمَّا كان[1] لا يَتمُّ شيءٌ إلَّا بتوفيقِه، وأُنيبُ إليه في المستقبلِ؛ أي: أرجعُ إليه في تمام ما أَنويه.

وجوابُ هذا الكلامِ محذوفٌ؛ أي: أتسفِّهونني على ذلك كلِّه وتشاقُّونني عليه؟ وهو استفهامٌ بمعنى التَّوبيخ.

وقيل: الجواب على هذا التَّقدير: ﴿إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾ أفأعدِلُ عن عبادتِه مع هذه الحالةِ الدَّاعيةِ إليها الموجبةِ لها.

وقيل: ﴿رِزْقًا حَسَنًا﴾؛ أي: نبوَّة.

وقيل: توفيقًا للأعمال الصالحة.

وقيل: أي: كفايةً في المعاش، وهو كما مرَّ.

﴿وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً﴾ ومعناه: إنْ كنْتُ على بيانٍ أهتدي به إلى أمور الدِّين، وكفافٍ أُصلحُ به أمور الدُّنيا؛ فأنا مستغنٍ عن أموالِكُم، فلا آمركُم بالإيفاءِ ولا أنهاكم عن البَخْسِ طمعًا في مالِكُم، بل إرشادًا لكم إلى إصلاحِكُم.

وقال الإمام القشيري رحمه الله: الرزق الحسن: ما كُفي صاحبُه كدَّ طلبِه، ولم يُصِبْه نَصَبٌ بسببِه.

ويقال: الرِّزق الحسن: ما وُجِدَ غيرَ مرتقَبٍ[2] ولا محتسَبٍ ولا مكتسَبٍ[3].

---

(١) «لما كان» من (أ).

(٢) في (ف): «ما وجد من غير تعب» وفي (ر): «ما وجد عن غير مرتقب».

(٣) «ولا مكتسب» ليس في (أ). وهذه الألفاظ لم ترد في «اللطائف».

ويقال: الرِّزق الحسن: ما يستوفيه شهودُ الأرزاق[١]، ويجبُ طلبُه عنِ المنعِم بوجودِ الإرفاقِ[٢].

وقال في التَّوكل: هو تركُ التَّدبير لشهود التَّقدير، والثِّقة بالموعود عندَ عدم الموجود، ويتبيَّنُ ذلك بانتفاء الاضطراب عند عدم الأسبابِ.

وقيل: هو السُّكون والثِّقة بالمضمون.

ويقال: سكونُ القلبِ بمضمونِ الرَّب[٣].

***

(٨٩) ـ ﴿وَيَٰقَوۡمِ لَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شِقَاقِيٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثۡلُ مَآ أَصَابَ قَوۡمَ نُوحٍ أَوۡ قَوۡمَ هُودٍ أَوۡ قَوۡمَ صَٰلِحٖۚ وَمَا قَوۡمُ لُوطٖ مِّنكُم بِبَعِيدٖ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَيَٰقَوۡمِ لَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شِقَاقِيٓ﴾: قال الحسنُ وقتادةُ: أي: لا يحملنَّكُم[٤].

وقال الزَّجَّاج: أي: لا يكسبنَّكم شقاقي؛ أي: معاداتي ومخالفتي[٥].

وقد شاقَّه مشاقَّة؛ أي: صار في شقٍّ، وخصمُهُ في شقٍّ.

---

(١) في (أ): «الرزاق».

(٢) العبارة في «اللطائف»: (ما يستوفيه بشهود الرزق ويحفظه عند التنعم بوجود الرّزّاق. ويقال: الرزق الحسن ما لا ينسى الرزّاق، ويحمل صاحبه على التوسعة والإنفاق).

(٣) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٢/ ١٥٢ ـ ١٥٣).

(٤) ذكره عنهما الماوردي في «تفسيره» (٢/ ٤٩٨)، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٥٥١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ٢٠٧٤)، عن قتادة.

(٥) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٧٤).

وقوله تعالى: ﴿أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ﴾: أي: لا يحملنَّكم ذلك أنْ تُصِرُّوا على الكفرِ، فيصيبَكُم مثلُ ما أصابهم.

﴿وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ﴾: أي: لم يبعدِ العهدُ بما جَرَى عليهم.

وقال الإمام أبو منصورٍ رحمَه الله: ذكَّرَهم حالَ هذهِ الأمم؛ لأنَّهم كانوا يقلِّدون آباءَهم، فيقول: فعلوا ذلك لكن أصابَهم ما أصابَهم، فاجتنِبوا ذلك.

ويقول أيضًا: إنْ قلَّدْتُم الَّذين عبدوا الأوثان فهلكوا، فهلَّا تقلِّدون الَّذين لم يعبدوها فنَجَوا[1].

* * *

(٩٠) ـ ﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾: قد فسَّرناه في هذه السُّورة مرارًا.

﴿إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ﴾ بمن استغفرَه وتابَ إليه ﴿وَدُودٌ﴾ مِن الوُدِّ؛ وهو الحُبُّ، ويجوزُ أن يكون بمعنى الوادِّ، ويجوز أن يكون بمعنى المودود، فإنَّ الفَعول[2] يصلح لهما.

---

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٦/ ١٧٣).

(٢) في (أ): «الفعل»، وفي (ر) و(ف): «المفعول». والصواب المثبت. قال الزجاجي في «تفسير أسماء الله الحسنى» (ص: ٥٢): (الوَدُود يجوز أن يكون فَعولًا بمعنى فاعل ويجوز أن يكون فَعولًا بِمَعْنى مفعول).

ومن العلماء من جمع المعنيين معاً، قال ابن القيم في «التبيان في أيمان القرآن» (ص: ١٤٦): (والتحقيقُ: أنَّ اللفظ يدلُّ على الأمرين؛ على كونه وادًّا لأوليائه، مودُودًا لهم، فأحدهما بالوَضْع، والآخر باللزوم. فهو الحبيبُ المُحِبُّ لأوليائه، يحبُّهم ويحبُّونه).

وقوله: (فأحدهما بالوَضْع، والآخر باللزوم)، شرحه في قول الزجاجي: (والله تعالى وصف نَفسه في مَوَاضِع بأنَّه يُحِبُّ، ولا يُحِبُّ إلا وهو أيضا مَحْبُوب مودود عند أوليائه).

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: أي: حُقَّ أن يُوَدَّ؛ إذْ منه كلُّ إحسانٍ، والنَّاس جُبِلُوا على حبِّ مَنْ أحسنَ إليهم.

ويجوز: ودودٌ لِمَنْ توسَّل إليه[٣].

* * *

(٩١) - ﴿قَالُواْ يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَ وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَالُواْ يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا﴾: أي: لا نفهمُ لأنَّك تُحِيْلُنا على أمورٍ غائبةٍ.

﴿وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا﴾ قال الحسنُ: أي: مَهينًا[٢].

وقال سفيانُ: أي: ضعيفَ البصر[٣].

وقال سعيدُ بنُ جبيرٍ وقتادةُ: أي: أعمى[٤].

وقيل: أي: ضعيف البدن.

وقيل: أي: لا مالَ لك ولا أعوان، فلا تقدِر أنْ تحملَنا[٥] على مرادِكَ، ولا تُمنع عنَّا إن قصدْناكَ.

---

(٣) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٦/ ١٧٤).

(٢) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١١/ ٢٠٠).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٥٥٣).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٥٥٢) عن سعيد بن جبير، وذكره الواحدي في «تفسيره» (١١/ ٥٣٤) عن قتادة.

(٥) في (ر): «تحيلنا».

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ﴾: أي: عشيرتُكَ، وهم على دينِنا.

﴿لَرَجَمْنَٰكَ﴾: قيل: لرمَيْناكَ بالحجارةِ، وقيل: لسبَبْناكَ، وقيل: لقتلْناكَ.

وقيل: لطردْناكَ؛ كقولهم: ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ﴾ [الأعراف: ٨٨]، وهو مِن قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾ [الملك: ٥]، وهو طردُهم وإبعادُهم عن الاستماعِ.

وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾: أي: في نفسِكَ، وإنَّما نُعِزُّ[1] رَهْطَكَ، ونكرَهُ إبخاسَهُمْ فيك.

* * *

(٩٢) - ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَهْطِىٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا إِنَّ رَبِّى بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَهْطِىٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: أكرمُ عندكم وأعزُّ مِنَ اللهِ الَّذي بعثني إليكم، وألزمَكُم إعزازي والانقيادَ لي؟ استفهامٌ بمعنى الإنكار.

وقوله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا﴾: أي: جعلْتُم أمرَ اللهِ ظهرًا[2]؛ أي: تستخفُّون به فلا تسمعون مواعظَه، وتكذِّبون بآياتِه، ولا تأتمرون بأمرِه، وتعبدونَ غيرَه.

تقول العربُ: جعلْتَ حاجتي وراءَ ظهرِكَ، وفي ضدِّه: جعلْتَ حاجتي نُصْبَ عَيْنِكَ، وأمامَ وجهِكَ. ومجازُه: جعلَه حيثُ لا يراه، فيسهو عنه وينساه.

والظِّهريُّ منسوبٌ إلى الظَّهر، كالدُّهريِّ - بالضَّم - منسوب إلى الدَّهر، والسُّهليِّ - بالضَّم - منسوب إلى السَّهل، وتغييرُ الحركاتِ في النِّسبة كثير.

---

(١) في (أ): «نعزز».

(٢) في (أ): «ظهريًا»، وفي (ر): «ظهيرًا».

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ يعني: عالم بالكليَّة، يجازيكم عليها.

***

(٩٣) - ﴿وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ ۖ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ ۖ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ﴾: أي: اثبُتوا على ما أنتم عليه، فإنِّي عاملٌ على مكانتي؛ أي: منكم العصيان، ومنِّي الإبلاغ، وهو صيغةُ أمرٍ معناه التَّهديد.

وقيل: أي: اعملوا فقد مُكِّنْتُم في الدُّنيا من العمل.

وقيل: أي: على تمكُّنٍ منكم مِن عملِكم وتثبُّت فيه؛ كما قالَ نوحٌ صلوات الله عليه: ﴿فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ﴾ [يونس: ٧١].

وقوله تعالى: ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ﴾: وفي قصَّة نوحٍ عليه السَّلام: ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [هود: ٣٩]؛ ليتَّصلَ بالفاء فيصيرَ كالجواب، وهاهنا بحذفها، وهو استئناف؛ أي: سوف تعلمون الَّذي يأتيه عذابٌ يفضحُه، والَّذي هو كاذب.

وقوله تعالى: ﴿وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾: أي: وانتظروا ما يكون مِن حكمِ اللهِ تعالى بيني وبينكم، ﴿إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾: منتظِرٌ مراقبٌ لكم.

***

(٩٤ - ٩٥) - ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ (٩٤) كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا ۗ أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾: مرَّ تفسيرُ هذه الكلمات مرَّات.

وقال هاهنا: ﴿وَأَخَذَتِ﴾ على تأنيث اللَّفظ، وقال في قصَّة صالح عليه السَّلام على تذكير المعنى، فإنَّه في معنى الصياح، ومرَّ سياق القصَّة في (سورة الأعراف).

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: سوفَ تعلمون في العاقبة مَن يأتيه منَّا عذابٌ يخزيه، نحن أو أنتم؟ وتعلمون أيضًا مَنِ الكاذب منَّا، نحن أو أنتم؟ لأنَّ كلَّ واحدٍ مِن الفريقَيْن يدَّعي على الفريق الآخر الكذبَ، فارتقبوا هلاكي، وأنا أرتقب هلاككم، وارتقبوا لِمَن العاقبةُ منَّا، لنا أو لكم.

وقوله تعالى: ﴿أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾: هلَكَ كلُّ واحدٍ مِن الفريقَيْنِ بالصَّيحةِ.

قال ابنُ عبَّاس رضي الله عنهما: لم يُعذَّب بعذابٍ واحدٍ إلَّا قومان؛ قومُ شعيب، وقومُ صالح، فأمَّا قومُ صالح فأخذتهم الصَّيحةُ مِن تحتِهم، وقومُ شعيبٍ مِن فوقِهم، فنشأَتْ لهم سحابةٌ فيها عذابُهم فلم يعلموا، كهيئة الظُّلَّة فيها ريحٌ، فلمَّا رأَوْها أَتَوْها يستظلُّون تحتَها مِن حرِّ الشَّمس، فسالَ عليهم العذابُ مِن فوقِهم، فذلك قوله تعالى: ﴿فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ﴾ [الشعراء: ١٨٩][1].

***

(٩٦) ـ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾: الآياتُ والسُّلطانُ

---

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٦/ ١٧٧).

واحدٌ عندَ بعضِهم، وهو المعجزات، لكن كُرِّرَ لاختلافِ الصِّفتَيْن؛ لأنَّها سمِّيَتْ آياتٍ مِن جهة العبرة العظيمة، وسمِّيت سلطانًا من جهةِ القوَّة العظيمة.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: يحتمل أن تكون الآيات هي الأوامرَ والنَّواهيَ، والسُّلطان: هو البراهين[1].

وقال الإمام القشيريُّ رحمَه الله: الآيات: هي المعجزات الباهرة، والسُّلطان المبين: استيلاؤه على قلبِ مَن رآه[2]، كما قال تعالى: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾ [طه: ٣٩]، لم يرَهُ أحد إلَّا أحبَّه، ولم يأخذْهُ في الله فشلٌ ولا ضعفٌ، لطمَ وجهَ فرعون وهو رضيعٌ، ووكزَ القِبطيَّ حتى أتى عليه، وأخذَ برأس أخيه يجرُّه إليه، وقال: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾ [الأعراف: ١٥٥]، ولم يعاتبْه اللهُ تعالى في شيءٍ من ذلك، بل تجاوز عنه لِمَا أعطاه مِن السُّلطان والقوَّة[3].

***

(٩٧) - ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيهِۦ فَٱتَّبَعُوٓاْ أَمْرَ فِرْعَوْنَ ۖ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾.

وقوله: ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيهِۦ﴾: أي: الأشراف مِن قومِه، والإرسال إليه يكون إرسالًا إلى العامَّة.

وقوله تعالى: ﴿فَٱتَّبَعُوٓاْ أَمْرَ فِرْعَوْنَ﴾؛ أي: في كلِّ ما أمرَ به ﴿وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾؛ أي: بمؤدٍّ إلى الحقِّ والصَّواب.

***

---

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٦/ ١٧٨).

(٢) في (ر): «أحبه»، وفي (ف): «خص به».

(٣) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٢/ ١٥٥).

(٩٨) - ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾؛ أي: يتقدَّمهم، فيكون قُدَّامهم وهم خلفَه؛ لأنَّهم رضُوا بأن يكون قائدَهم في الدُّنيا إلى خلافِ ما دعا إليه موسى.

﴿فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ﴾: أي: يوردُهم إيَّاها، وذُكِرَ بصيغة الماضي إلحاقًا بالكائن المتحقِّق؛ لأنَّه يكون لا محالةَ.

والإيرادُ: الإدخالُ.

قال ابنُ عبَّاس رضي الله عنهما: ما في القرآنِ مِن الورودِ في ذِكْرِ جهنَّم، فهو الدُّخول فيها؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: ٧١]، وقوله تعالى: ﴿أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٨]، وقوله تعالى: ﴿وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾ [مريم: ٨٦]، واللهِ لَيَردَنَّها كلُّ برٍّ وفاجرٍ، ﴿ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّـٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [مريم: ٧٢][(١)].

وقوله تعالى: ﴿وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ﴾: أي: المُدْخَل[(٢)] المَدْخُول.

***

(٩٩) - ﴿وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَـٰذِهِۦ لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَـٰذِهِۦ لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾: أي: وأتبعَهم اللهُ ما أنزلَ بهم[(٣)] مِن العذاب لعنًا لهم في الدُّنيا، ويوم القيامة يُلعَنون أيضًا في النَّار وقبل

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٢٥٢)، والطبري في «تفسيره» (١٢/ ٥٦٣).

(٢) في (أ): «الداخل».

(٣) في (ر): «ما يُرْدِيهم».

دخولها، وهو لعنُ الخلائقِ إيَّاهم في الدُّنيا وفي الآخرة، كما في قوله تعالى: ﴿وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ [العنكبوت: ٢٥].

وقيل: هو الطَّرد في الآخرة عن الرَّحمة، فلم يُرحَموا لا في عذاب الدُّنيا ولا في عذاب الآخرة.

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: هو الطَّرد في الدُّنيا عن الإيمان، وفي الآخرة عن الجِنان(١).

وقوله تعالى: ﴿بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ﴾ هو في اللُّغة لمعنيَيْن؛ الرِّفد: العَوْن، والرِّفد: العطاء، وجعلَه بمقابلةِ ما لأهل الجنَّة مِن المعونة والعطيَّة، كما ذكر البشارة بالنَّار في حقِّ الكفَّار بمقابلة بشارة المؤمنين بالمسارِّ والمبارِّ.

***

(١٠٠) - ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْقُرَىٰ نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْقُرَىٰ﴾: أي: ذلك النَّبأ، وهو الخبر العظيم ﴿نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ﴾؛ أي: نخبرُك بأمورِها نُتبعُ بعضَها بعضًا، وهي القُرى الَّتي سكنَها الأمم الخالية، منها ما هو الآن عامرٌ قد بادَ أهلُه وخلَفَهُم غيرُهم ككفار فرعون(٢)، ومنها ما هو حصيدٌ؛ أي: مستأصَلٌ خراب؛ كقُرَى قومِ لوطٍ ونحوها.

قال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: ﴿قَائِمٌ﴾: يُرى له أثرٌ، و﴿وَحَصِيدٌ﴾: لا يُرى له أثرٌ(٣).

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٢/ ١٥٦).

(٢) في (ف): «كفار» بدل من «ككفار فرعون».

(٣) رواه هكذا الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٥٦٧) عن قتادة، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٥٦٧)، =

وقال مجاهد: ﴿قَآئِمٌ﴾؛ أي: خاوية على عروشها، و﴿وَحَصِيدٌ﴾: مستأصَل[١].

وقال قتادة: ﴿قَآئِمٌ﴾: لم يذهب أصلًا، و﴿وَحَصِيدٌ﴾: قد ذهب أصلًا[٢].

وقال محمَّد بن كعب القرظي: ﴿مِنۡهَا قَآئِمٌ﴾: جدرانها وحيطانها، ومنها ﴿حصيد﴾: ساقط[٣].

* * *

(١٠١) - ﴿وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡۖ فَمَآ أَغۡنَتۡ عَنۡهُمۡ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِي يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ لَّمَّا جَآءَ أَمۡرُ رَبِّكَۖ وَمَا زَادُوهُمۡ غَيۡرَ تَتۡبِيبٖ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ﴾: أي: ما عذَّبناهم بغيرِ ذنبٍ، ولكن ظلموا أنفسَهم بالشِّرك وتكذيب الرُّسل.

﴿فَمَآ أَغۡنَتۡ عَنۡهُمۡ﴾: أي: فما نفعَتْهم، ولا دفعَتْ عنهم ﴿ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِي يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ﴾؛ أي: أصنامهم الَّتي اعتقدوها آلهةً معبودة.

﴿لَّمَّا جَآءَ أَمۡرُ رَبِّكَ﴾: أي: العذابُ الَّذي أمَر به.

﴿وَمَا زَادُوهُمۡ غَيۡرَ تَتۡبِيبٖ﴾: قال مجاهد وقتادة: أي: غيرَ تخسيرٍ[٤].

= وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ٢٠٨٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ: «القائم: قرى عامرة. والحصيد: قرى خامدة».

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ١٨٨).

(٢) المرجع السابق، الموضع نفسه.

(٣) روى أوله ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ٢٠٨٢).

(٤) رواه عنهما الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٥٧٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ٢٠٨٣).

وقيل: أي: غيرَ هلاك[1]؛ أي: ما زادَتْهم الأصنام إلَّا الخسار والهلاك؛ لأنَّ عبادتهم إيَّاها أفضَتْ بهم إلى ذلك.

* * *

(١٠٢) ـ ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾: أي: وكما أخذنا هذه القرى الَّتي سمَّيناها ـ أي: أهلَها ـ نأخذ أهلَ سائرِ القرى إذا ظلموا بالشِّرك.

* * *

(١٠٣) ـ ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْءَاخِرَةِ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْءَاخِرَةِ﴾: أي: فيما فعلْنا بهم وأخبرْنا عنهم عبرةٌ لِمَن اتَّقى وخشيَ عقوبةَ العُقبى.

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾: أي: يُجمَع فيه النَّاس، وَحَّدَ النَّعتَ للتَّقدُّم كما يُوحَّد الفعل، والمراد: جمعَ النَّاس وغيرهم فيه من الملائكة والجنِّ والشَّياطين والحيوانات، لكن خصَّ النَّاس بالذِّكر لأنَّهم المقصودون بالجمع.

﴿وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾: أي: يشهدُه أهلُ السَّماوات وأهل الأرضين.

* * *

---

(١) في (ف): «إهلاك».

(١٠٤ ـ ١٠٥) ـ ﴿وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ۝١٠٤ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ﴾: أي: وما نؤخِّر هذا اليومَ إلَّا لأجلٍ معلومِ العدد عندنا؛ لأنَّه لا يتقدَّم ولا يتأخَّر.

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِ﴾: قرأ عاصمٌ وابن عامر وحمزةُ بغيرِ ياءٍ في الوصل والوقف اتِّباعًا لخطِّ المصحف، وهو لغةُ هُذيل، يقولون: لا أدرِ، وقرأ الباقون بالياء في الوصل، والحذفِ في الوقف، إلَّا ابنَ كثير فإنه يقف بالياء أيضًا[١].

ونصبُهُ بإضمار: وذكِّرهم ﴿يَوْمَ﴾ وهو مضاف إلى ﴿يَأْتِ﴾ وهي إضافةٌ غير محضة؛ لأنَّه إلى فعلٍ لا إلى اسم[٢]، وإنَّما جازَ لأنَّ اليوم اسم زمان، والزَّمان مع الفعل يتناسبان مِن حيثُ إنَّ الفعلَ لا ينفكُّ عنه، ويتصرَّف[٣] بتصرُّفه، ولا يكون موجودًا إلَّا وقتًا واحدًا كالزَّمان لا يبقى.

وقوله تعالى: ﴿لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾: أي: لا تتكلَّم، حُذِفَتْ إحدى التَّاءين تخفيفًا؛ أي: لا يشفعُ أحدٌ لأحدٍ إلَّا بإذنِ اللهِ تعالى، قال تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

والهاء في قوله: ﴿بِإِذْنِهِۦ﴾ ترجعُ إلى اللهِ تعالى؛ كما في قوله: ﴿مَّجْمُوعٌ لَّهُ﴾ [هود: ١٠٣]، وقد ذكر قبلَه: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ﴾ [هود: ١٠٢].

وقيل: ﴿مَّجْمُوعٌ لَّهُ﴾ يرجعُ إلى اليوم؛ كما قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ٣٣٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٧).

(٢) في (ر) و(ف): «الفعل لا إلى الاسم».

(٣) في (ف): «ولا ينصرف».

﴿ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ [الأنبياء: ٤٧]، وقال تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَٰهُمْ لِيَوْمٍ﴾ [آل عمران: ٢٥]، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ﴾ [التغابن: ٩]، لكنَّ الجمعَ إلى اللهِ تعالى، فكان قوله: ﴿إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ راجعًا إلى ذلك المدلول.

وقوله تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾: أي: فممَّن يُشهَدُ ويُجمَعُ له شقيٌّ ومنهم سعيدٌ، وحُذِفَ تكرار (منهم) اختصارًا؛ كما في قولك: بينَ فلان وفلانٍ عداوةٌ.

* * *

(١٠٦) ـ ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟﴾: كلمةُ (أمَّا) لتمييزِ نوعٍ مِن نوعٍ، أو شخصٍ مِن شخصٍ.

﴿فَفِى ٱلنَّارِ﴾؛ أي: مأواهُم النَّار ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾: قال الكلبيُّ عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما: الشَّهيق: أوَّلُ صوتِ الحمار، والزَّفيرُ آخرُه[1].

وقال الضحَّاك: الزَّفير: حين ينهق، والشهيق: حين يفرغ من نهيقه[2].

وقال مقاتل: الزَّفيرُ: أوَّلُ نهيق الحمار، والشَّهيقُ: آخرُه[3].

وقال أبو العالية: الزَّفير: في الحلق، والشَّهيق: في الصَّدر[4].

---

(١) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ١٧١) لكن على العكس بين الزفير والشهيق، ولفظه قريب مما سيأتي عن الضحاك.

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ١٨٩) عن الضحاك ومقاتل بلفظ مطابق لما سيأتي عن مقاتل.

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٢٩٨).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٥٧٧).

وقال الخليل: الزَّفير: إخراج النَّفَس، والشَّهيق: ردُّ النَّفَس[١].

وقال ابن عبَّاس رضي الله عنهما في روايةٍ: الزفير: صوت شديد، والشهيق: صوت ضعيف[٢].

وقيل: الزَّفير: النَّفَسُ العالي للتَّحسُّر على الشَّيء الَّذي فات، والشَّهيقُ: كأنَّه أعلى في النَّفَس من الزَّفير.

وقيل: الزَّفيرُ: ترديدُ النَّفَس مع الصَّوتِ مِنَ الحزن حتَّى تنتفخ الضُّلوع، وزفرَتِ النَّار: إذا سُمِعَ لها صوتٌ في شدَّة توقُّدها، والشَّهيق: الصَّوتُ الفظيع يخرجُ مِن الجوف بمدِّ النَّفَس، وأصلُه الطُّولُ المفرِط، مِن قولهم: جبلٌ شاهق؛ أي: ممتدٌّ[٣] طولًا.

وقيل: ذلك إذا قيل لهم: ﴿اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون: ١٠٨]، فصاروا لا يتكلَّمون، ولم يبقَ لهم إلَّا أصواتٌ منكَرة لا حروفَ معها.

* * *

(١٠٧) - ﴿خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾: ﴿خَالِدِينَ﴾ نصبٌ على الحال مِن فعلِ الزَّفير.

قوله: ﴿مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾: كلمةٌ تُذْكَر[٤] للتَّأبيد؛ كقولك[٥]: لا أكلِّمك

---

(١) انظر: «العين» للخليل (باب الهاء والقاف والشين) (٣/ ٣٦١).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٥٧٧).

(٣) في (ف): «ممتنع».

(٤) في (ر) و(ف): «كله يذكر».

(٥) في (أ) و(ف): «كما يقال».

ما حنَّتِ النِّيْبُ[١]، وما أطَّتْ[٢] الإبل، وما أورق الشَّجر، وما أينع الثَّمرُ، وما جنَّ ليلٌ، وما سالَ سيلٌ، وما طرَقَ طارقٌ، وما نطَقَ ناطقٌ.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾: قيل: الاستثناءُ يرجعُ إلى الموحِّدين منهم، لأنَّ الأشقياءَ صنفان[٣]؛ كفَّار مخلَّدون فيها، وموحِّدون مذنبون مُخرَجون[٤] منها بعدَ مدَّة.

قال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾؛ أي: مَن كان منهم مِن أهل القِبلَةِ، فإذا أرادَ اللهُ تعالى أخرجَهم[٥].

وقال قتادة: إنَّ قومًا يصيبُهم سَفْعٌ مِن نارٍ بذنوبٍ اقترفوها، ثمَّ يخرجهم الله تعالى منها[٦].

وقال ابن كيسان: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ في الفريقَيْن مِن تعميرِهم في الدُّنيا قبلَ مصيرِهم إلى الجنَّة والنَّار[٧].

وقال الزَّجَّاجُ: في هذه الآية أربعةُ أقوال؛ قولان لأهل اللُّغة الكوفيِّين والبصريِّين، وقولان لأهل المعاني، فأمَّا أحد قولَي أهل اللُّغة:

فهو أنَّ ﴿إِلَّا﴾ هاهنا بمعنى: سوى؛ كما يُقال في الكلام: ما كان معنا رجلٌ إلَّا

---

(١) النيب: جمع ناب، وهي المسنَّة من النُّوق. انظر: «الصحاح» (مادة: نيب).

(٢) الأطيط: هو صوت الرحل والإبل من ثقل أحمالها. انظر: «الصحاح» (مادة: أطط).

(٣) في (ر) و(ف): «لأن الأشقياء صنفين»، وفي (أ): «كان الأشقياء صنفين».

(٤) في (أ) و(ف): «يخلدون... يخرجون».

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ١٨٩).

(٦) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ١٩٨)، والطبري في «تفسيره» (١٢/ ٥٧٩).

(٧) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ١٩٠)، والواحدي في «البسيط» (١١/ ٥٥٩).

زيدٌ، و: لي عليك ألفُ درهم إلَّا الألفان التي عليكَ لي[١]، فيكون معناه على هذا: ما دامَتِ السَّماوات والأرض سوى[٢] ما شاءَ ربُّك من الخلود فيها أبد الآبدين، حتى لا يخرجوا منها قط ما دامت عليها أضعاف مدة السماوات والأرض إلى ما لا تنقطع فيه الأوهام[٣].

والثَّاني: الاستثناءُ مِن الإخراج مع أنَّه لا يريدُ أنْ يخرجَهم: أنَّه لو شاء أنْ يخرجَهم لأخرجَهم، ولكنَّه حكم أنَّهم خالدون فيها، ولا تبديل لحكمه.

وأما القولان لأهل المعاني:

فأحدهما: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ مِن مقدارِ توقيفِهم على رؤوسِ قبورِهم للمحاسبة.

والثَّاني: وقع الاستثناء على الزِّيادة في النَّعيم والعذاب، وتقديرُه: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ مِن زيادة النَّعيم وزيادة العذاب[٤].

---

(١) قوله: «لي عليك ألفُ درهم إلاَّ الألفان التي عليكَ لي» كذا جاءت العبارة في النسخ، ولفظ الزجاج: (لك عندي ألف درهم سوى الألفين ـ وإلا الألفين ـ اللذين لك عِنْدِي)، والمعنى من حيث الاستدلال متقارب.

(٢) في (أ): «إلا».

(٣) قوله: «من الخلود فيها أبد الآبدين...» إلى هنا وقع بدلًا منه في (أ): «من مقدار توقيفهم على رؤوس قبورهم للمحاسبة»، ولعله سهو من الناسخ أو سبق نظر، فإن هذه العبارة ستأتي في مكانها. أما عبارة الزجاج فقد جاءت مختصرة مفيدة للمعنى دون كل هذه الإطالة حيث قال: (سوى ما شاء ربك من الخلود والزيادة). وكذا نقل عنه الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ١٩٠)، والواحدي في «البسيط» (١١/ ٥٦١) ولفظه: (سوى ما شاء ربك أن يزيدهم من الخلود على مدة العالم).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٧٩ ـ ٨٠). ولعل أحسن الأقوال هو الأول؛ أي: (سوى ما شاء ربك من الخلود والزيادة)، ليتوافق مع قسيمه الآتي في أهل الجنة، فإنه هناك لا شك أنه للزيادة، لا =

وقيل: الاستثناء واقعٌ من العذاب المذكور في الآية، وهو الزَّفير والشَّهيق؛ أي: لهم فيها زفيرٌ وشهيقٌ مدَّة[1] السماوات والأرض إلَّا ما شاءَ ربُّك مِن نقلِهم من هذا إلى نوعٍ آخر مِن العذاب.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾: أي: حكمه ماضٍ في الفريقَيْن على ما يريدُه، لا اعتراضَ لأحدٍ عليه في حكمِه.

* * *

(١٠٨) - ﴿ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ﴾: قرأ حمزةُ والكسائيُّ وعاصمٌ في رواية حفصٍ بضمِّ السين، والباقون بفتحها[2].

وسَعِدَ يَسْعَدُ سَعادَةً لازمٌ مِن حدِّ (علم)، وسَعَدَهُ يَسْعَدُهُ متعدٍّ مِن حدِّ (صنع).

وقوله تعالى: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾: هو على ما فسَّرناه في الآية الأولى.

وقوله تعالى: ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾: أي: غير مقطوعٍ[3]، وقد جَذَّ جَذًّا؛ أي: قطع، وقال تعالى: ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا﴾ [الأنبياء: ٥٨]؛ أي: قِطعًا؛ أي: أعطاهم الجنَّة عطاءً غيرَ مقطوعٍ، ودلَّ[4] أنَّ الاستثناء ليس للنُّقصان، فكان للزِّيادة.

= للنقصان عن مدة دوام السماوات والأرض، ولا لعدم الزيادة على تلك المدة.

(١) في (ف): «ما دامت».

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ٣٣٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٦).

(٣) في (ر) و(ف): «منقطع».

(٤) في (ر) و(ف): «وذلك».

(١٠٩) ـ ﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰؤُلَاءِ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُم مِّن قَبْلُ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰؤُلَاءِ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُم مِّن قَبْلُ﴾: أي: لا تكُ في شكٍّ فيما يعبدُ هؤلاء المشركون مِن دون الله أنَّه باطل، فإنَّهم ما يعبدون إلَّا كما يعبدُ آباؤُهم مِن قبلُ؛ تشبُّهًا بهم، وإبقاءً لعادتهم، لا بحجَّة.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ﴾: أي: أنصباءهم، ووحَّد لأنَّه جنسٌ فيصلُح للجمع[1]؛ أي: من العذاب ﴿غَيْرَ مَنقُوصٍ﴾ مِن قَدْرِ استحقاقِهم.

وقال ابنُ عبَّاس رضي الله عنهما: نصيبَهم مِن خيرٍ أو شرٍّ[2].

والخطابُ للنَّبيِّ ﷺ، والمرادُ به الأُمَّة.

* * *

(١١٠) ـ ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ﴾: أي: في الكتاب؛ وهو التَّوراة، واختلاف قومه فيه كان من ثلاثة أوجه:

أحدها: أنَّه آمن به بعضُهم، وكفرَ بعضٌ.

والثَّاني: أنهم زادوا فيه ونقصوا منه، وهو ما ذكر من التَّحريف.

والثَّالث: في تأويله على ما أحبُّوه، وتقريرُه على مقتضاه.

---

(١) في (ف): «للواحد والجمع».

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٢٠٠)، والطبري في «تفسيره» (١٢/ ٥٩١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ٢٠٨٩).

وهذا تسليةٌ للنَّبيِّ ﷺ، يقول: يا محمَّد؛ اختُلِفَ فيما أُنْزِلَ عليك[١]، فلا يشقَّنَّ عليك، فقد اختُلِفَ فيما أُنْزِلَ على مَن قبلَكَ.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾: أي: قولٌ سبقَ منه؛ لأنَّه لا يعاجلُهم بالعذاب، بل يمهلُهم إلى أنْ يبلغَ الكتابُ أجلَه.

وقوله تعالى: ﴿لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ﴾: أي: بالعذاب المستأصِل.

وقال الإمام أبو منصور رحمة الله عليه: ويحتمِل: ولولا أنَّه كان مِن حُكمِه أنَّهم إذا اختلفوا في الكتاب والدِّين، وصاروا بحيث لا يهتدون إلى شيء، أنْ يبعثَ رسولًا يبيِّنُ لهم الدِّين، ويدعوهم إلى الهدى ﴿لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ﴾ بالهلاك[٢].

ثمَّ قوله: ﴿بَيْنَهُمْ﴾ يجوز أن يكون في كفَّار عصر رسول الله ﷺ، ويحتمل أن يكون في قومِ موسى عليه السَّلام.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ﴾: أي: مِن العذاب.

وقيل: من الدِّين؛ لأنَّهم يقلِّدون آباءهم.

و﴿مُرِيبٍ﴾: نعت ﴿شَكٍّ﴾، وهو الموجبُ اتِّهام الرَّأي فيه[٣].

* * *

(١١١) - ﴿وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ فيه أربع قراءات:

قرأ ابنُ كثير ونافع بتخفيفهما.

---

(١) في (ف): «إليك».

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٦/ ١٩٠).

(٣) في (ف): «وهو المخيب اتهام الرأي فيهم».

وقرأ ابنُ عامر وحمزة وحفص عن عاصم بتشديدهما[١].

وقرأ أبو عمرو والكسائي بتشديد ﴿إِنَّ﴾ وتخفيف ﴿لَمَا﴾.

وقرأ عاصم في رواية أبي بكر بتخفيف ﴿إِنْ﴾، وتشديد ﴿لَمَّا﴾[٢].

أما تخفيفهما: فـ(إنْ) للتَّأكيد، وأصلُه التَّشديد، وخُفِّف للتَّفسير فبقي ناصبًا كما كان، و(لَمَا): الَّلامُ لامُ التَّأكيد، و(ما) صلةٌ زائدةٌ مؤكِّدة، و﴿لَيُوَفِّيَنَّهُمْ﴾ لام توكيد أيضًا، وهو جمعٌ بينَ تأكيدَيْنِ، وتقديرُه: وإنَّ كلًّا مِن الأممِ المتقدِّمة من المتَّفقين[٣] والمختلفين في كتاب موسى وكتابك يوفِّيهم ربُّك يا محمَّد جزاءَ أعمالهم، والجزاءُ مُضْمَر.

وكذلك تأويلُ تشديدِ الأوَّل وتخفيف الثَّاني.

ويجوز على هاتَيْن القراءَتين أنْ تكون ﴿لَمَا﴾ المخفَّفة لام ابتداء، و(ما) بمعنى الَّذي، ويكون نظير قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: ٧١]، ﴿لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ﴾ [النساء: ٧٢].

وأمَّا تشديدهما فـ﴿إِنَّ﴾ للتَّأكيد، و﴿لَمَّا﴾ بالتَّشديد له وجوهٌ:

منها: قول الفرَّاء: وهو أنَّ أصله: (لَمِنْ مَا)[٤]، فاجتمعَتْ ثلاث ميمات، حتَّى أُدغِمَتْ

---

(١) في (ف): «بتشديهم».

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ٣٣٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٦).

(٣) «من المتفقين» من (أ).

(٤) في (ر) و(ف): «صلة لمن ما»، وفي (أ): «أصله أن ما»، والصواب المثبت. و(مِن) على هذا القول هي الجارة، و(ما) هي الموصولة أو الموصوفة، وهي واقعة على مَن يعقل. هذا على قول الفراء، وذهب غيره منهم المهدوي إلى أن (مَن) هي الموصوفة أو الموصولة، و(ما) زائدة، ثم في كلا الوجهين صنع ما سيأتي من الحذف، قال هذا أبو حيان في «البحر» (١٢/ ٣٧٥) ثم تعقبه بقوله: =

ثمَّ خُفِّفَتْ، فصارَتْ (لَمَّا)، وتقديرُه: وإنَّ كلًّا مِن المتَّفقين والمختلفين لَمَّا ليوفينَّهم، وتكرار لام التَّوكيد في موضعَيْن[1] على طريق قولهم: إنِّي لبحمدِ اللهِ لصالحٌ[2].

ومنها: قول الزَّجَّاج: (وإنَّ [كلًّا] لَمًّا) بمعنى جمعًا، مِن قولِكَ: لممْتُ الشَّيءَ ألُمُّه لَمًّا؛ أي: جمعتُه[3]، و(لَمَّا) على وزن فَعْلَى، بمعنى جمعًا فلم ينصرف؛ كما تقول: تَتْرَى، وتقديره: وإنَّ كلًّا جَمْعًا ليوفينَّهم.

وعليه قراءة الزهريِّ: (لَمًّا) بالتَّنوين[4].

ومنها: قول المازنيِّ: إنَّها في معنى: لَمَا[5] المخففة، شُدِّدَتْ للتَّأكيد[6].

وأمَّا تخفيف ﴿إنْ﴾ وتشديد ﴿لَّمَّا﴾: فـ(إنْ) للنَّفي؛ كما في قولِه: ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ﴾ [الطارق: ٤]، و﴿لَّمَّا﴾ في معنى إلَّا؛ كقولك: سألتك لَمَّا فعلْتَ؛ بمعنى: إلَّا فعلْتَ، وعليه قوله تعالى: ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ [الطارق: ٤]؛ أي: ما كلُّ نفسٍ إلَّا عليها حافظ، وتقديرُه هاهنا: ما كلُّهم إلَّا ليوفينَّهم، وهو اختيار الزَّجَّاج[7].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾: أي: عالمٌ، وهو وعدٌ ووعيدٌ للفريقَيْن.

= (وهذان الوجهان ضعيفان جدًّا...)، وانظر باقي كلامه ثمة.

(١) في (أ): «موضعهم».

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢٩ ـ ٣٠).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٨٢).

(٤) ذكرها الفراء في «معاني القرآن» (٢/ ٣٠)، والطبري في «تفسيره» (١٢/ ٥٩٨)، والثعلبي في «تفسيره» (٥/ ١٩٢). وهي قراءة شاذة. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» لابن خالويه (ص: ٦٦).

(٥) في (أ): «لما». وهي سقط من (ف).

(٦) ذكر الزجاج هذه القول ورده. انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٨١)، وانظر: «البسيط» للواحدي (١١/ ٥٧٢).

(٧) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٨١).

(١١٢) - ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾: أي: استقمْ على طاعةِ اللهِ عزَّ وجلَّ كما أُمِرْتَ به مِن التَّبليغ والإنذار والوعظ والصَّبر على ما قلَّدْتَه، قال: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾ [الشورى: ١٥].

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: هو المذكور في قوله تعالى: ﴿قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾ [الأحقاف: ١٣]، فقوله: ﴿قَالُوا﴾ إقرارٌ، والاستقامةُ عليه أنْ يَجعلَ في نفسِه وجميع أمورِه الرُّبوبيَّةَ والألوهيَّة للهِ جلَّ جلاله، ويأتيَ ما يجبُ أنْ يُؤتى، وينتهيَ عمَّا يجبُ أنْ ينتهيَ عنه، ويتَّبع أمرَه ونهيَه[1].

وقوله تعالى: ﴿وَمَن تَابَ مَعَكَ﴾: أي: وليَستقمْ مَن تابَ معَكَ[2] مِن الشِّركِ ورجعَ إلى اللهِ تعالى بأعمالِه مخلصًا بها على إيمانِهم وإخلاصِهم.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَطْغَوْا﴾: أي: لا يحملنَّكم إمهالُ اللهِ تعالى على مجاوزةِ أمرِه.

وقيل: لا تطغَوا في الاستقامةِ، فتخرجوا عن حدِّها بالزِّيادة على ما أُمرْتُم به فرضًا أو نفلًا.

وقيل: أي: لا تطغينَّكُم النِّعمة فتخرجوا عن الاستقامة، والطُّغيانُ: تجاوزُ المقدارِ في الفساد.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾: يرى أعمالَكم، ويعلمُ أسرارَكُم، ويوفي جزاءَكُم.

قال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: ما نزلَتْ على رسول الله ﷺ في جميعِ القرآنِ

---

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٦/ ١٩١).

(٢) في (أ): «واستقم ومن تاب» وفي (ف): «واستقم مع من تاب» بدل: «وليستقم مَن تاب معك».

آيةٌ كانَتْ أشدَّ عليه ولا أشقَّ مِن هذه الآية. ولذلك قال لأصحابِه حين قالوا: قد أسرعَ الشَّيْبُ فيك يا رسولَ اللهِ، قال: «شيَّبتني هودٌ والواقعةُ وأخواتهما»[١].

وقالت عائشةُ رضي الله عنها: ﴿فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ﴾؛ أي: على القرآن[٢].

وقال السُّدِّيُّ: الخطابُ له والمرادُ أُمَّتُهُ[٣].

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: يحتمل أن تكون السِّين في (الاستقامة) سينَ الطَّلب؛ أي: سلْ مِن الله تعالى الإقامةَ لكَ على الحقِّ.

ويحتمل أنْ يكونَ معنى قوله: ﴿فَٱسۡتَقِمۡ﴾: فأَقِمْ، يقال: استقام وأقام؛ كما يقال: استجاب وأجاب.

قال: ويقال: المستقيمُ: مَن لا ينصرفُ عن طريق الله تعالى ما لم يصلْ إلى اللهِ تعالى، يَصِلُ سيرَهُ بِسُراه[٤]، وورعَهُ بتقواه، ويبالغُ في تركِ هواه.

قال: ويقال: استقامةُ النُّفوس في نفي الزَّلَّة، واستقامةُ القلوبِ بنفي الغفلة، واستقامةُ الأرواحِ بنفي العلاقة، واستقامةُ الأسرار بنفي الملاحظة.

واستقامةُ العابدين: ألَّا يدَّخروا نفوسَهم عن العبادة، ولا يخلُّوا[٥] بأدائِها، يقضون عسيرها[٦] ويسيرها.

---

(١) ذكره بتمامه الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ١٩٢)، وروى المرفوع منه الترمذي (٣٢٩٧) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وقال: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه من حديث ابن عباس إلا من هذا الوجه.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٥٩٩) عن سفيان.

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ١٩٢)، والواحدي في «تفسيره» (١١/ ٥٧٦).

(٤) في المطبوع من «لطائف الإشارات»: «بمسراه».

(٥) في النسخ: «يخلون»، والمثبت من «اللطائف».

(٦) في النسخ: «غيرها»، والمثبت من «اللطائف».

واستقامة الزَّاهدين: ألَّا يرجعوا إلى دنياهم، يتركون قليلَها وكثيرَها.

واستقامة التَّائبين: ألَّا يُلِمُّوا بعد التَّوبة بزلَّةٍ، فيدَعون صغيرَها وكبيرَها[1].

* * *

(١١٣) ـ ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾: الرُّكون ـ مِن حدِّ (علم) ـ في اللغة: السُّكون إلى الشَّيء بالمحبَّة له والميل إليه.

قال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: أي: لا تميلوا[2].

وقال أبو العالية: أي: لا ترضَوا بأعمالِهم[3].

وقال قتادة: أي: لا تلحقوا بالمشركين[4].

وقال ابن حيان: لا تسكنوا[5].

وقال السُّدِّيُّ: أي: لا تداهنوا[6].

وقال سفيان الثَّوريُّ[7]: مَنْ لاقَ[8] لهم دواةً، أو برى لهم قلمًا، أو ناولَهم

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٢/ ١٦٠).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٦٠١).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٦٠٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ٢٠٩٠).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٦٠١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ٢٠٩٠).

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ١٩٣) عن ابن كيسان.

(٦) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ١٩٣)، والواحدي في «البسيط» (١١/ ٥٧٧).

(٧) في (ف): «وقال السدي».

(٨) في النسخ «ألاق»، والصواب المثبت، لأن (لاق الدواة) أي: أصلح مدادها. انظر: «القاموس =

قرطاسًا يكتبون عليه، دخل في هذا؛ قال الله تعالى: ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ﴾ [الصافات: ٢٢]؛ أي: وأعوانهم[1].

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: لا تعملوا بأعمالهم، لا تمدحوهم على أعمالهم، ولا تتركوا الأمرَ بالمعروف عليهم، لا تأخذوا شيئًا مِن حرامِ أموالهم، لا تمكِّنوهم مِن قلوبِكم، لا تخالطوهم، لا تعاشروهم؛ كلُّ ذلك محتملٌ[2].

وقوله تعالى: ﴿فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾: جوابُ النَّهي بالفاء فنُصِبَ لذلك ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾ وفي النظم تقديمٌ وتأخيرٌ: ﴿فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ... ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾؛ أي: لا تُعانُون[3] بدفعِ العذابِ عنكم ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾: يتولَّونكم ويدفعون عنكم.

وقيل: هو مقرَّرٌ على نظمِه، ومعناه: ﴿فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾ ولا أولياء لكم حينئذٍ يتولَّون[4] دفعَه عنكم ﴿ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾.

* * *

(١١٤) ـ ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ﴾.

= المحيط» للفيروزأبادي (مادة: ليق)، أما (ألاق) فلا تستخدم لهذا المعنى. انظر: «معجم مقاييس اللغة» لابن فارس (مادة: ألق).

(١) ذكره الإمام أحمد في «الورع» (ص: ٩٣)، وأبو طالب المكي في «قوت القلوب» (٢/ ٤٣٤)، ويروى مرفوعًا: رواه الإمام أحمد في «الورع» (ص: ٩٣) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه. وذكره الديلمي في «الفردوس» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٢/ ١٦١).

(٣) في (ف): «تعاونوا».

(٤) في (أ) و(ف): «مولون».

وقوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ﴾: قال سعيدُ بن جُبيرٍ: الطَّرفان: الغَداة والعَشيُّ، فصلاةُ طَرفي الغَداة: صلاة الفجر، وطَرفي العشيِّ[١]: الظُّهر والعصر[٢].

وفي الخبر: سها رسولُ اللهِ ﷺ في إحدَى صلاتَي العشيِّ؛ إمَّا الظهر وإمَّا العصر[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ﴾: جمع زُلْفَةٍ؛ وهي المنزلة، وأراد بالزُّلفَةِ: ساعات اللَّيل؛ وهي كالمنازل والمراحل المزدلفة؛ أي: المقترنة[٤]، وأرادَ بذلك صلاة المغرب والعشاء؛ قاله الحسن وقتادة[٥].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ قال ابنُ عبَّاس والضحَّاك وقتادة والسُّدِّيُّ وعطاء والحسن: أي: الصَّلوات الخمس[٦].

وروى عثمانُ رضي الله عنه عن النَّبيِّ ﷺ: «الصَّلوات الخمسُ الحسناتُ يذهبْنَ السَّيِّئات»[٧].

---

(١) في (ر) و(ف): «وفي طرفي العشاء».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٦٠٢) عن مجاهد ومحمد بن كعب القرظي.

(٣) رواه مسلم (٥٧٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) في (ر) و(ف): «المقتربة».

(٥) رواه عنهما الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٦٠٩ ـ ٦١٠).

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٦١٢ ـ ٦١٣) عن ابن عباس وابن مسعود والحسن والضحاك ومحمد بن كعب القرظي ومسروق.

(٧) روى نحوه الإمام أحمد في «المسند» (٥١٣)، والبزار في «مسنده» (٤٠٥)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢٨١٧)، والضياء المقدسي في «الأحاديث المختارة» (٣٢٣)، وصحح إسناده السيوطي في «الدر المنثور» (٤/ ٤٨٥). ولفظ البيهقي والضياء أقرب إلى لفظ المصنف.

وروى أبو هريرة رضي الله عنه عن النَّبي ﷺ: «الصَّلواتُ كفَّارةُ الخطايا، فاقرؤوا إنْ شئتُم: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَـٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾»(١).

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: قيل: الصَّلواتُ نفسُها تكفِّر الخطايا، وقيل: يَذْكرُ ما ارتكبَ من الذُّنوب فيندمُ عليها، فذلك المكفِّر(٢).

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾؛ أي: عظةٌ للمتَّعظين.

وقيل: النَّـهي عـن الرُّكون إلى الَّذين ظلموا، والأمر بإقامة الصَّلاة، عظةٌ للذَّاكرين اللهَ بقلوبِهم وألسنتهم، فهم يذكرون فضلَه وعدلَه وثوابَه وعقابَه، فيرجعون ويخشعون فيتَّعظون ويستقيمون.

وقال ابنُ عبَّاس رضي الله عنهما: نزلَتِ الآيةُ في أبي اليَسَر عَمرو بن غَزِيَّة الأنصاريِّ(٣)؛ وكان رجلًا يبيعُ التَّمر، فأتَتْهُ امرأةٌ تبتاعُ تمرًا، فراودَها عن نفسِها، ثمَّ ندم، وأتى النَّبيَّ ﷺ فقال: يا رسول الله؛ إنِّي راودْتُ امرأةً عن نفسِها، ونلْتُ منها ما نالَ الرُّجلُ مِن امرأتِهِ إلَّا الجماع، فقال النَّبيُّ ﷺ: «انتظِرْ ما يأمرني فيه ربِّي»، فحضرَتْ صلاةُ العصر، فصلَّى النَّبيُّ ﷺ العصرَ، فلمَّا فرغ أتاه جبريلُ بهذه الآية،

---

(١) رواه ابن المبارك في «الزهد» (٩٠٧)، ومن طريقه المروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (٨١)، ورواه الأصبهاني في «الترغيب والترهيب» (١٨٩٨)، وابن عدي في «الكامل» (٢/ ١٠٤).

(٢) في (أ): «فذلك التكفير». وانظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٦/ ١٩٤)، وفيه: (فذلك يكفر).

(٣) قال ابن حجر في «الإصابة» (٤/ ٥٥٣): انفرد الكلبي بتسميته غزيّة بن عمرو. ووردت القصة لنبهان التمار، ولأبي اليسر كعب بن عمرو. وأغرب الثعلبي في تفسيره، فسمى أبا اليسر عمرو بن غزيّة، كأنه رأى القصة وردت لهما، فظنه واحدًا، فإن كان ضبطَه حُمل على أن عمرو بن غزية كان يكنى أبا اليسر أيضاً، فيستدرك على مصنّفي المشتبه، فإنّهم لم يذكروا من الصحابة إلا أبا اليسر كعب بن عمرو.

فقال النَّبيُّ ﷺ: «أينَ أبو اليسر؟» فقال: هذا يا رسول الله، فقال: «أشَهِدْتَ معنا هذه الصَّلاة»، قال: نعم، قال: «فإنَّها كفَّارةٌ لِمَا عملتَ»، فقام عمر رضي الله عنه فقال: يا رسول الله، أهذا له خاصَّة أم لنا عامَّة؟ قال: «بل لكم عامَّة»[1].

وقال مقاتل: نزلَتْ في أبي مقبل عَمرو بن قيس التَّمَّار[2]، أتتْهُ امرأةٌ في السُّوق تريد التَّمر، فقال لها: إنَّ هذا التَّمر ليس بجيِّد، وفي البيت تمرٌ أجود مِن هذا، هل لكِ فيه؟ قالَتْ: نعم، فذهبَ بها إلى بيتِه، فقبَّلها وجعل يدورُ حولَها، والمرأة تقول له: اتَّقِ الله، فتركها، وسُقط في يدِه، فأتى أبا بكر رضي الله عنه فسألَ عن ذنبِه، فقال له أبو بكر رضي الله عنه: استرْ على نفسكَ وتبْ إلى الله، فأتى عمرَ رضي الله عنه فسألَه، فقال له كذلك، فأتى النَّبيَّ ﷺ فسأله، فأنزل الله جلَّ جلاله هذه الآية[3].

---

(١) القصة بمجملها صحيحة، فقد روى نحوها البخاري (٥٢٦)، ومسلم (٢٧٦٣)، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

والبخاري (٦٨٢٣)، ومسلم (٢٧٦٤) من حديث أنس رضي الله عنه.

ومسلم (٢٧٦٥) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه. وليس في الصحيحين تعيين صاحب القصة.

وكذا رواه بنحوه دون تعيينٍ الإمامُ أحمد في «مسنده» (٢٢٠٦)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٢٩٣١)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما. وسياقه قريب مما سيأتي عن مقاتل.

ورواه الترمذي (٣١١٥) من حديث أبي اليسر قال: (أتتني امرأة تبتاع تمراً...) فذكره، قال الترمذي: حسن غريب، وقيس بن الربيع ضعفه وكيع وغيره.

وقد وقع في صاحب القصة اختلاف قدمنا بعضاً منه عن «الإصابة»، ومما قيل في اسمه: كعبُ بنُ عمرٍو أبو اليَسَرِ، وقيل: إنَّه عمرُو بنُ غَزِيَّةَ بنِ عمرٍو الأنصاريُّ أبو حَبَّةَ التَّمَّارُ، وقيل: ابنُ مُعَتِّبٍ رجلٌ من الأنصارِ، وقيل: أبو مُقْبِلٍ عامرُ بن قيس الأنصاريُّ، وقيل: نبهانُ التَّمَّارُ، وقيل: عبَّادٌ.

وقال الحافظ أيضاً في «الفتح» (٨/ ٣٥٧) بعد أن ذكر الاختلاف عليه: وأقوى الجميع أنه أبو اليسر.

(٢) في «تفسير مقاتل»: «عمر بن قيس».

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٣٠١ ـ ٣٠٢). وانظر ما تقدم عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا =

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: الحسناتُ: ما يجودُ به الحقُّ، والسَّيِّئات: ما يُذنِبُ به العبدُ.

وقيل: حسناتُ النَّدمِ يُذْهِبْنَ سيِّئات الجُرم.

وقيل: حسناتُ العِرفان يُذْهِبْنَ سيِّئات العصيان.

وقيل: حسناتُ العناية يُذْهِبْنَ سيِّئات الجناية[1].

* * *

(١١٥) ـ ﴿وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾: قيل: واصبرْ على أمرِ اللهِ والصَّلاة لـه؛ كما قال تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه: ١٣٢]، فإنَّه إحسانٌ، ﴿ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

وقيل: واصبرْ على أداءِ ثِقلِ الرِّسالة، وعلى ما ينالك مِن الأذى بتبليغِها ولا تُكافِهم، فإنَّه إحسانٌ.

وقيل: اصبر على ترك[2] المعاصي، وأحسنِ الأعمال ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

وقال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: ﴿أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾؛ أي: المصلِّين[3].

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: الصَّبر: تجرُّعُ كاساتِ التَّقدير مِنْ غير تعبيس.

= ﴿فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ الآية.

(١) في (ر): «الخيانة». وانظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٢/ ١٦١).

(٢) في (أ) و(ف): «عن» بدل: «على ترك».

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ١٩٤)، والواحدي في «البسيط» (١١/ ٥٨٤).

وقيل: الصَّبر: حبس النَّفس على معانقةِ الأمرِ ومفارقةِ الزَّجر.

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ أي: العالِمين أنَّ الأجرَ على الصَّبر والطَّاعةِ بفضلِ اللهِ، لا بفعلِ العبدِ(١).

***

(١١٦) - ﴿فَلَوۡلَا كَانَ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مِن قَبۡلِكُمۡ أُوْلُواْ بَقِيَّةٖ يَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡفَسَادِ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّنۡ أَنجَيۡنَا مِنۡهُمۡۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتۡرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجۡرِمِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَلَوۡلَا كَانَ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مِن قَبۡلِكُمۡ أُوْلُواْ بَقِيَّةٖ يَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡفَسَادِ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّنۡ أَنجَيۡنَا مِنۡهُمۡۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتۡرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجۡرِمِينَ﴾: بيَّن أنَّه لم تُهلَكِ القرونُ الَّتي ذَكَرَ قصصَها إلَّا بظلمِهم، فقال: فهلَّا كانَ مِن القرون الماضية ذو عقلٍ وتدبيرٍ وبقيَّةُ خير ينهون قومَهم عن الفسادِ في الأرض؛ وهو إظهارُ الكفرِ والمعاصي، والتَّظالمُ والفسادُ وسفكُ الدِّماء ونهبُ الأموال وانتهاكُ الحُرم؛ ليمتنِعوا عن ذلك كلِّه.

وتحقيقُ هذا التَّوبيخِ نفيُ وجودِ ذلك؛ أي: لم يكنْ(٢) فيهم أولو بقيَّة يفعلون هذا إلَّا قليلًا منهم، ولم يقبلِ الباقون قولَهم، وهذا القليلُ هم المؤمنون بالأنبياء الذين قال الله فيهم: (أَنْجَينا فلاناً والذين آمنوا معه)(٣).

﴿وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتۡرِفُواْ فِيهِ﴾ [هود: ١١٦]؛ أي: نُعِّموا. والمترَفُ: المنعَّم، والتُّرفة: النَّعمة.

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٢/ ١٦٢).

(٢) في (ر): «يوجد».

(٣) في (ف): «أنجيناه والذين آمنوا معه»، وفي (ر): «فأنجينا الذين أمنوا معه».

أي: إنَّ المتنَعِّمِيْنَ الذين نشؤوا في اللَّذات لم ينهوا عن الفسادِ، ولم ينتهوا بأنفسِهم، بل اتَّبعوا ما أُترِفوا فيه من الأموال والأحوال، وكانوا مجرمين مشركين مستكثِرين من المعاصي.

ودلَّت الآية أنَّ أكثر ما يميل إلى الكفر والباطل هم المترفون، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾ [سبأ: ٣٤].

* * *

(١١٧) - ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾: أي: ليس مِن صفةِ ربِّك أنْ يُهلِكَ القرى ظالمًا؛ أي: بغير ذنبٍ منهم؛ أي: لم يهلِكْ أهلَ القرى الذي[1] عُذِّب في هذه السُّورة وهو ظالم، قال تعالى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦].

وقيل: قوله: ﴿بِظُلْمٍ﴾؛ أي: بظلمٍ منهم؛ يعني: بشرك[2] الله.

﴿وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾: فيما بينهم، لا يتظالمون.

ودلَّ أنَّ هذه القرى لو تكافَتْ عن الظُّلم لم يُهلَكوا.

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: المصلِحُ: مَن قامَ بحقِّ ربِّه دونَ حظِّ نفسه.

وقيل: المصلحُ: مَن اهتمَّ لنفسِه، فآثَرَ نجاتَه على هلاكِه.

وقيل: هو المصلحُ قلبَه لمعرفةِ سيِّده، والمصلحُ سرَّه لمشاهدةِ سيِّده[3].

---

(١) في (ر) و(ف): «التي».

(٢) في (أ): «يعني شرك»، وفي (ر): «أي: بشرك».

(٣) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٢/ ١٦٣).

(١١٨ ـ ١١٩) ـ ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾: أي: متَّفقةً على الإيمان والطَّاعات؛ كما قال: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ [الأنعام: ٣٥].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾: أي: ولكن شاءَ أن يكونوا مختلِفينَ لَمَّا علِمَ منهم اختيارَ ذلك، فلا يزالونَ مختلفينَ هكذا كما شاءَ، إلَّا مَن رحمَ اللهُ فعصمَه عن الاختلاف لَمَّا علمَ منه اختيارَ الحقِّ، ووفَّقه للنَّظر والاستدلال فأدركَ الحقَّ.

﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾: أي: لِمَا هم عليه مِنَ الاختلاف.

وقوله تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾: أي: مضى[١] قولُ ربِّك فيهم بما علمَ منهم، وهو كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [السجدة: ١٣].

وقال عكرمة ومجاهد: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ يعني: أهلَ الأهواء ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾ يعني: أهلَ السُّنَّة والجماعة[٢].

وقال عطاءُ بنُ أبي رباح: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ يعني: اليهودَ والنصارى ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾ وهم الحنيفيَّة، للرَّحمة خلقَهم[٣].

---

(١) «مضى» من (أ).

(٢) رواه بنحوه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٦٣٣) عن مجاهد، وروى نحوه (١٢/ ٦٣٥) عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٦٣٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ٢٠٩٤).

وقال ابن عبَّاس والضَّحَّاك ومجاهد وقتادة: وللرَّحمة خلقَهم؛ يعني: الذين رحمَهم(١).

قال الحسن: وللاختلاف خلقَهم(٢)، وبه قال مقاتل بن حيَّان ويمان بن رئاب وعطاء(٣).

قال النَّبيُّ ﷺ: «اعْمَلوا فكلٌّ ميسَّرٌ لِمَا خُلِقَ له»(٤).

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: ولو شاءَ الحقُّ لجعلَهم أربابَ الوِفاق ثمَّ لم يوجبوا لمملكتِه زينًا، ولو شاءَ لجعلَهم أربابَ الخلاف ثمَّ لم يوجبوا لجلالِه شينًا.

﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ لأنَّه كذلكَ أرادَ بهم ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾ في سابقِ حكمِه، فعصمَه عن الخلافِ في حاصلِ عمرِه.

﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ كلًّا لِمَا أقامَهم به ونصبَهم له وأثبتَهم فيه؛ مِن وفاقٍ وشقاق، وجحودٍ وتوحيد.

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ﴾؛ أي: لا تبديلَ لقولِه، ولا تحويلَ لحكمِه(٥).

* * *

(١٢٠) ـ ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾.

---

(١) رواه عنهم الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٦٣٩ ـ ٦٤٠).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٦٣٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ٢٠٩٦).

(٣) ذكره عنهم الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ١٩٤)، والواحدي في «تفسيره» (١١/ ٥٨٩).

(٤) رواه البخاري (٧٥٥١)، ومسلم (٢٦٤٩) من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه.

(٥) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٢/ ١٦٣).

وقوله تعالى: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾: أي: وكلَّ القَصص.

وقيل: أي: وكلَّ الَّذي تحتاج إليه نخبرُكَ به مِن أخبار الرُّسل.

و﴿مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾: ﴿مَا﴾ بدلٌ عن ﴿وَكُلًّا﴾. قاله الزَّجَّاج[(١)].

وقيل: ﴿وَكُلًّا﴾؛ أي: ومن كلٍّ.

ومعنى الآية: ونقصُّ عليك الأقاصيص كلَّها مِن أخبار الرُّسل تثبيتًا لفؤادِكَ؛ أي: تسكينًا له، وتقويةً على الاستقامةِ، وتبليغِ الرِّسالة، وتقريرِ الحُجَجِ، والصَّبرِ على أذى الكفَّار، والاستقامةِ على الصَّبر بإقامة الصَّلوات.

وقال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: ﴿مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ يعني: نسدِّد[(٢)]. وقال الضَّحَّاك: نقوِّي. وقال ابن جريج: نصبِّر[(٣)].

وقال بعضهم: نُطيِّب.

وقوله تعالى: ﴿وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ الْحَقُّ﴾: أي: في هذه السُّورة ما يحقُّ تدبُّرُه والعملُ به.

وقال الحسن: أي: في هذه الدُّنيا الحججُ والبراهين[(٤)].

وقوله تعالى: ﴿وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾: أي: المؤمنون هم الذين ينتفعون[(٥)] به.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٨٤).

(٢) في (ف): «نشدد».

(٣) ذكر هذه الأقوال الثلاثة الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ١٩٥)، والواحدي في «البسيط» (١١/ ٥٩١).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٦٤٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ٢٠٩٦).

(٥) في (أ): «هم المنتفعون».

وقيل: لِمَن همُّه الإيمان بالله والعملُ بشرائعِه، لا لِمَن أُترِف فيها، واتَّبعَ ما أُترِف فيه.

وقال الإمامُ القشيريُّ رحمه الله: قصَّ على نبيِّنا قصصَ الجميع، ولم يذكر قصَّته لأحدٍ تشريفًا له وتخصيصًا.

وقال: ولم يكنْ ثباتُ قلبِه بما قُصَّ عليه، ولكنْ كان استقلالُ قلبِه بمَن كان يقصُّ[1] عليه، وفرقٌ بينَ مَن يستقلُّ بما يسمعُ، وبينَ مَن يستقلُّ بمن منه يسمعُ. وأنشدَ لبعضهم:

وحدَّثْتَنِي يا سعدُ عنها فزِدْتَني جنونًا فزِدْني مِن حديثِكَ يا سعدُ[2]

***

(١٢١ ـ ١٢٢) ـ ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَٰمِلُونَ ﴿١٢١﴾ وَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَٰمِلُونَ﴾: أي: قل يا محمَّد للمشركين: اعملوا على تمكُّنكم ما أحببتُم، إنَّا عاملون بما أُمِرنا، وهذا أشدُّ وعيدٍ وتهديد.

وقوله تعالى: ﴿وَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾: قال ابنُ جريجٍ: انتظروا ما يَعدُكُم

---

(١) في (ف): «قص» بدل: «كان يقصُّ».

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٢/ ١٦٣ ـ ١٦٤). والبيت مختلف في نسبته، فنسب للعباس بن أحنف كما في «زهر الآداب» للقيرواني (١/ ٢١٤)، و«تاريخ الإسلام» للذهبي (١٣/ ٢٤٦).
ونسب لابن أبي عيينة كما في «الحماسة المغربية» (٢/ ٩٦٤).
ونسب لعبد الله بن المعتز كما في «المنتحل» للثعالبي (ص: ٢١١).

الشَّيطان من الغرور، فإنَّا منتظِرون ما يعدُنا به الرَّحمنُ[١] منَ النَّصر والعلوِّ[٢].

وقال بعضهم: انتظروا ما أُوعدْتُم به على الكفر، فإنَّا منتظرون ما وُعِدْنا به على الإيمان.

***

(١٢٣) - ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: أي: هو العالمُ بعواقب الأمور وبغيب السَّماوات والأرض، وهو ما غاب عن حسِّ العباد، فليس يخفى عليه شيءٌ من أفعال المشركين وأقوالهم، فيحاسبُهم بها ويجازيهم عليها.

وقوله تعالى: ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ﴾: أي: الأمور كلُّها، فهو جنسٌ؛ أي: لا يَنفُذُ فيها إلَّا حكمُه، وهو المستحقُّ لذلك الإفرادِ بالعبادة.

﴿فَٱعْبُدْهُ﴾ يا محمَّد بإخلاص ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ غيرَ خائفٍ سواه، ولا راجٍ غيرَه.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾: فيثيبُ المؤمنين المطيعين، ويعاقب الكافرين والعاصين.

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: عمَّى على العباد العواقب، وأخفى عليهم السَّوابق[٣]، وألزمَهم القيامَ بما كلَّفهم في الحال، فقال: ﴿فَٱعْبُدْهُ﴾ فإنْ تقسَّمَ القلبُ

---

(١) في (أ) و(ف): «يعدنا الله».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٦٤٨).

(٣) في (أ): «عليهم السوائق»، وفي (ف): «رؤياهم السوابق». ولفظ «اللطائف»: (دونهم السوابق).

وترجَّمَ الظَّنُّ فتوكَّل عليه؛ أي: استدفِعِ البلاءَ عنكَ بحسنِ الظَّنِّ ودوامِ الرَّجاء.

﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾: بل أحاطَ بكلِّ شيءٍ علمًا، وأمضى في كلِّ أمرٍ حكمًا[1].

وقال كعبُ الأحبار: فاتحة التَّوراة فاتحةُ سورة الأنعام إلى قوله: ﴿يَعۡدِلُونَ﴾، وخاتمة التَّوراة خاتمة هود: ﴿وَلِلَّهِ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾... الآية[2].

وبالله العونِ.

أتممْتُ هذه السُّورةَ بتوفيق اللهِ المعبود، الرَّبِّ الذي يحقُّ له الرُّكوع والسُّجود، الملك[3] الذي يربِّي بفضلِه الوالد والمولود، ولا يَعزُبُ عن علمِه الموجود والمفقود.

فنسألُه الأمانَ عن[4] وساوسِ المطرود، وخاتمةَ السَّعادة ببركات سورة هود، والحمد لله ربِّ العالمين.

❊ ❊ ❊

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٢/ ١٦٤).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ١٤٧).

(٣) في (ر) و(ف): «الرب».

(٤) في (ف): «عند».

سُورَةُ يُوسُفَ

سُورَةُ يُوسُفَ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

بسم اللهِ الَّذي جعلَ أحسنَ القَصص قصَّةَ يوسف، الرَّحمنِ الَّذي جعل المُلْكَ بعدَ السِّجنِ حصَّةَ يوسف، الرَّحيمِ الَّذي كشفَ بالتَّقوى والصَّبر غَصَّةَ يوسف.

وروى أُبيُّ بن كعبٍ رضي الله عنه عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «علِّموا أرقاءَكم سورةَ يوسفَ، فإنَّه أيُّ امرئٍ مسلمٍ تعلَّم سورةَ يوسفَ وعلَّمَها مِلكَ يمينِه وأهلَه هوَّن الله عليه سكراتِ الموتِ، وأعطاه اللهُ تعالى القوَّةَ ألَّا يحسدَ مسلمًا»(1).

وسورة يوسف مكِّيَّةٌ، وهي مئةٌ وإحدى عشرة آية، وألفٌ وسبع مئةٍ وسبعٌ وسبعون كلمةً، وسبعة آلاف ومئة واثنان وستُّون حرفًا.

وانتظام أوَّل هذه السُّورة بآخر السُّورة الَّتي قبلَها: أنَّه افتتحَ هذه السُّورة بقوله: ﴿الٓر﴾ معناه: أنا الله أرى من العرش إلى الثَّرى، فلي غيب السَّماوات العُلى والأراضي السُّفلى، ولسْتُ بغافلٍ عمَّا يعمل الورى.

ووجهٌ آخر: أنَّه قال في أواخر تلك: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ﴾ [هود: ١٢٠]، وقال في أوائل هذه السُّورة: ﴿نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ﴾ [يوسف: ٣]، وهذه إحدى القَصص، وقد قُصَّتْ أحسن القصص.

---

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (١٤/ ٤٨٠)، والواحدي في «الوسيط» (٢/ ٥٩٩). قال ابن كثير في «تفسيره»: حديث منكر من سائر طرقه. وانظر: «الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة» للشوكاني (ص: ٢٩٦).

وانتظامُ كلِّ هذه السُّورة بتلك السُّورة: أنَّ السُّورتَيْن في تسليةِ النَّبيِّ ﷺ على ما أصابَه مِن الأذى والنَّوائب، وفي تلك السُّورة ذكرُ ما لقيَ الأنبياءُ مِن الأجانب، وفي هذه السُّورة ما لقي يوسف عليه السلام مِن الأقارب.

* * *

(١) ـ ﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿الٓر﴾ ذكرنا فيها أقاويل المفسِّرين في أوَّل (سورة يونس).

وقيل: معناه: أنا الله أرى مِن العرش إلى الثَّرى.

وقيل: أنا الله أرى ما نزل بيوسفَ مِن البلوى، من الجبِّ والسِّجن والشَّكوى، ثمَّ جعلتُه ملك الدُّنيا، وجمعتُه مع شيخِه المبتلَى.

وقوله تعالى: ﴿تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ﴾: أي: تلك الآياتُ أو السُّور[1] المنزَلة قبلَ هذه السُّورة، وهي آيات الكتاب.

وقيل: أي: تلك الآياتُ المكتوبةُ في اللَّوح المحفوظ الموعودة لك.

أو: تلك الآيات الَّتي أخبرَتِ الأنبياءُ بإنزالها عليك هي آيات الكتاب.

وقيل: ﴿تِلۡكَ﴾ بمعنى: هذه؛ كما مرَّ في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ﴾ [البقرة: ٢]، وأوردنا دليلَه؛ أي: هذه السُّورة، أو: هذه الآيات.

أو: ﴿الٓر﴾ هذه الحروف الَّتي هي اسمُ هذه السُّورة ﴿ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ﴾؛ أي: فيه بيانُ ما بالنَّاس من حاجةٍ إليه في دينِهم.

وقال ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: يعني: فيه بيانُ الحلالِ والحرامِ[2].

---

(١) في (ر): «والسورة».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٥) عن مجاهد.

وقال قتادةُ: فيه بيان الرُّشد والضَّلال[١].

وقال الإمامُ أبو منصورٍ رحمه الله: فيه بيانُ الحقِّ والباطلِ، والعدلِ والجَورِ[٢].

وقال الإمامُ القشيريُّ رحمه الله: في إنزالِ الكتاب عليه وإرسالِ الرَّسول إليه تحقيقٌ لأحكام المحبَّة، وتأكيدٌ لأسباب الوُصلةِ؛ فإنَّ مَن عُدمَ حقيقة الوصولِ استأنسَ بالرَّسول، ومَن بقي[٣] عن شُهودِ الأحبابِ تسلَّى بورود الكتاب[٤].

* * *

(٢) ـ ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ﴾: أي: الكتابَ ﴿قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾؛ أي: كلامًا مجموعًا بلسانِ العرب ﴿لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾؛ أي: لتعقلوا عن الله خطابَه، فتتدبَّروه وتعملوا بما فيه.

وقال الإمام أبو منصورٍ رحمه الله: لا تدري بأيِّ لسانٍ كانَ في اللَّوح المحفوظ، غير أنَّه أخبرَ أنَّه أنزله بلسان العرب، وهكذا كلُّ كتابٍ أُنزِل بلسان المنزَلِ عليهم.

﴿لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ ما لكم وما عليكم، وما تأتون وما تذرون.

أو ﴿لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ أنَّ هذه الأنباء التي يخبرُكم بها محمَّدٌ من الله تعالى؛ لأنَّها كانت في كتبِهم بغير لسانه، فأخبرَ على معنى ما كان في كتبِهم، فدلَّ أنَّه عرفَ ذلك باللهِ تعالى.

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٢٦٩)، والطبري في «تفسيره» (١٣/ ٦).

(٢) في (ر): «والعذاب والثواب». انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٦/ ٢٠٤).

(٣) في (ر) و(ف): «نفي».

(٤) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٢/ ١٦٦).

أو ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ أنَّ فيه شرفكم؛ لأنَّكم تصيرون متبوعين لـمَّا يحتاجُ النَّاس إلى معرفة ما فيه، والنَّاسُ أتباعٌ لكم؛ وهو كقوله: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ [الأنبياء: ١٠]؛ أي: شرفكم[١].

* * *

(٣) - ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾: أي: نخبرُك أحسنَ الإخبار.

و﴿ٱلْقَصَصِ﴾ مصدرٌ، وهو إتباعُ الخبرِ بعضِه بعضًا على سياقِه على وجهه.

يقال: فلانٌ حسن الاقتصاص للحديث؛ إذا كان جيِّدَ السِّياق للحديث، لا يقطعُ المعانيَ المرتبطة بعضَها ببعضٍ، فيَفسُدَ نظمُه، وتَستبهِمَ معانيهِ؛ قال الله تعالى: ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ﴾ [القصص: ١١]؛ أي: اتَّبعي[٢] أثره، وقال: ﴿فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ [الكهف: ٦٤]؛ أي: اتِّباعًا.

ويجوز أن تكون القصص اسمًا[٣] كالخبر[٤].

وقوله تعالى: ﴿بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ﴾: أي: بوحينا، و﴿مَا﴾ مع الفعل مصدرٌ؛ كقولك: أكرمُكَ بما أكرمْتَني؛ أي: بإكرامِكَ إيَّاي، وقال تعالى: ﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟﴾ [الإنسان: ١٢]؛ أي: بصبرهم.

---

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٦/ ٢٠٥).

(٢) في (ر): «ابتغي».

(٣) في (ر) و(ف): «سماعًا».

(٤) في (ف): «للخبر».

وقوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾: أي: وقد كنْتَ من قبل هذا الوحي من الغافلين عن هذه القصَّة ونحوها؛ أي: وما كنْتَ من قبلِه إلَّا من الغافلين، فإنَّ كلمة (إنْ) المخفَّفة مع اللَّام بعدها لها طريقان، على ما مرَّ مرارًا.

وقال الإمام الزَّاهد أبو منصور رحمه الله: وهذا يدلُّ على أنَّ الإيمان بجملة الأنبياء والرُّسل إيمانٌ وإن لم تُعرَف أنفسهم وأسماؤهم وقصصهم[1].

والغفلةُ ثلاثة أنواعٍ: مذمومةٌ، ومحمودةٌ، وغيرُ مذمومةٍ ولا محمودة.

فالمذمومة: الغفلةُ عن الله تعالى، وعن ذكرِه، وعن الآخرة؛ قال الله تعالى: ﴿عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ﴾ [يونس: ٧]، وقال تعالى: ﴿وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ﴾ [الروم: ٧].

والمحمودةُ: هي الغفلة عن الشَّرِّ[2]، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ﴾ [النور: ٢٣].

وغيرُ المحمودةِ والمذمومةِ في هذه الآية.

والغفلةُ عن الشَّيء هي ألَّا يخطر ذلك بباله.

وروي أنَّ الصَّحابة رضي الله عنهم قالوا: يا رسولَ الله، لو قصصْتَ علينا، فأنزل الله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾ فقالوا: يا رسول الله؛ لو وعظْتَنا وذكَّرتنا؛ فأنزل الله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الحديد: ١٦][3].

---

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٦/ ٢٠٦).

(٢) في (ف): «البشر».

(٣) رواه البزار في «مسنده» (١١٥٣)، وأبو يعلى في «مسنده» (٧٤٠)، وابن حبان في «صحيحه» (٦٢٠٩)، والضياء في «المختارة» (١٠٦٩)، من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه. وحسنه الحافظ ابن حجر في «المطالب العالية» (٣٦٣٤).

ثمَّ في تسميته أحسنَ القصص وجوهٌ:

قيل: لأنَّه ليست قصَّةٌ مِن قِصص القرآن[1] تتضمَّن من النُّكت والفوائد ما تتضمَّن هذه القصَّة.

وقيل: لامتداد الأوقات فيما بينَ أوَّلها وآخرها.

قال ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: كان بين رؤيا يوسف عليه السَّلام ومسيرِ أبيه إليه وإخوته أربعون سنة[2]. عليه أكثر المفسِّرين إلَّا الحسن فإنَّه يقول: كان بين رؤياه ومصيرِ أبيه إليه ثمانون سنة[3].

وقيل: ﴿أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ﴾؛ أي: أعجب القصص.

وقيل: لأنَّها مجموعةٌ في سورةٍ، وسائر القَصص متفرِّقةٌ في آياتٍ وسورٍ.

وقيل: لأنَّها في أبوَيْن وأولاد، ليس فيهم أجنبيٌّ وعدو.

وقال محمَّد بن يحيى البشاغري[4]: هي أحسنُ القصص لِمَا أنَّ فيها ثلاثة أحوال:

ـ مراعاة طاعة الله تعالى في الرَّخاء والشِّدَّة.

ـ وتحسين الأخلاق في المعاملة.

---

(١) في (ر): «القصص إلاَّ والقرآن».

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ١٩٧).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٣٥٩).

(٤) سيأتي في هذه السورة أن المؤلف ينقل عنه من كتابه «عصمة الأنبياء»، وقد جاء في «هدية العارفين» (٢/ ١٨٩): محمد بن يحيى أبو الحسن البشاغري صنف «كشف الغوامض في أحوال الأنبياء». لكن جاء فيه أنه ألفه سنة (٨٣٨) ثمان وثلاثين وثمان مئة. فإن صحَّ التَّاريخ فلا يُعقل أن يكون هو.

ـ وإقامة المروءة ببذل السَّعة عند القحط[١] والسَّنَة.

فمراعاة الطَّاعة عند الشِّدَّة بحدودِها وشروطِها وصفوتها[٢] وحلاوتها في صفة ضعف العبد من أعجوبات اللُّطف والتَّوفيق.

وتحسين الأخلاق عند الجفاء والأذيَّة ـ وخصوصًا بين القرابة ـ من أشرف مقامات[٣] الاختصاص بالكرامة.

وبذل الثَّروة والسَّعة وقتَ المحنة والحاجةِ مِن أعلى منازل العبوديَّة، وأصفى درجات السَّخاء.

وقيل: سمَّاها أحسنَ القَصصِ لحُسن مجاوزة يوسف إخوتَه، وصبره على أذاهم وإغضائه.

وقيل: إنَّما كانت[٤] أحسنَ القَصصِ لأنَّا نحن نقصُّ، وعليك نقصُّ.

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: إنَّما كانت أحسن القصص[٥] لخلوِّها عن الأمر والنَّهي الذي سماعه يوجب اشتغالَ القلبِ؛ لِمَا فيه من الخوف من التَّقصير الواقع فيه.

وقيل: أحسن القصص؛ لأنَّ فيه ذكر الأحباب.

وقيل: لِمَا فيه من ذِكرِ تركِ يوسف هواه بإعراضه عن زليخا عند مراودتها إيَّاه عن نفسه.

---

(١) في (ر): «العجز».

(٢) في (أ) و(ف): «وصورتها».

(٣) في (ف): «مقام».

(٤) «إنَّما كانت» ليس في (أ) و(ف).

(٥) في (ف) و(أ): «أيضًا» بدل من «إنَّما كانت أحسن القصص».

وقال: في قوله: ﴿بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ﴾: أي: لم تصلْ هذا بكدِّك وجهدك، ولا بطلبك وجدِّك، وبعطائنا وجدْتَه لا بعنائك، وبتفضُّلنا لا بتعلُّمك[1]، وبتلطُّفنا لا بتكلُّفك، وبنا لا بك[2].

* * *

(٤) - ﴿إِذۡ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيۡتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوۡكَبٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ رَأَيۡتُهُمۡ لِي سَٰجِدِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِذۡ قَالَ يُوسُفُ﴾: قال الزَّجَّاج: أي: نحن نقصُّ عليك إذ قالَ يوسف.

وقيل: أي: واذكر يا محمَّد إذ قال يوسف[3].

﴿لِأَبِيهِ﴾: أي: يعقوبَ بنِ إسحاق بن إبراهيم الخليل عليهم السلام.

﴿يَٰٓأَبَتِ﴾: قرأ ابن عامرٍ بفتح التَّاء على إرادة: يا أبتاه، على نداء النُّدبة، وقرأ بعضهم بالضمِّ؛ لأنَّه نداءٌ مفردٌ معرفةٌ[4]، وقرأ العامَّة بالجرِّ على الإضافة بالياء، وحذف الياء تخفيفًا[5]؛ كما في قولهم: يا نفسِ، يا قومِ، وقرأ ابنُ كثيرٍ: ﴿يا أبهْ﴾ بهاءٍ ساكنةٍ عند الوقف[6]، ....

---

(١) في (ف): «بعملك».

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٢/ ١٦٧).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٨٨).

(٤) أجازه الفراء وقال: لم يقرأ به أحد نعلمه. انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٢)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ١٩٠). وقرأ بها ابن أبي عبلة. انظر: «الكامل في القراءات» (ص: ٥٧٥).

(٥) «تخفيفًا» ليس في (أ).

(٦) وقف ابن كثير وابن عامر بالهاء، والباقون بالتاء. انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (١/ ٣٤٤)، و«التيسير» للداني (١/ ١٢٧).

وزيادةُ الهاء في الاسم على الأب للتَّرقيق(١) والعطف والتَّحنُّن.

وقيل: للتَّعويض من الواو الَّتي من أصل الكلمة.

وقيل: للتَّعويض من ياء الإضافة.

وقوله تعالى: ﴿إِنِّي رَأَيْتُ﴾: أي: في النَّوم، وقد رأى بالعين يرى رؤيةً، ورأى بقلبه يرى رأيًا، ويرى في المنام يرى رُؤيا.

وقوله تعالى: ﴿أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا﴾: اسمان جُعلا اسمًا واحدًا، فبُنِيا على الفتح.

وقوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾: كرَّر قوله: (رأيت) تأكيدًا لَمَّا طالَ الكلام.

وقيل: معناه: أنَّه رآهم في النُّوم، ورآهم يسجدون له، فالأوَّل لرؤية(٢) أعيانهم، والثَّاني لرؤية فعلهم.

وقال: ﴿رَأَيْتُهُمْ﴾ ولم يقل: (رأيتها) لأنَّه وصفَهم بالسُّجود الَّذي هو فعل العقلاء، فألحقَ كنايتهم بكناية العقلاء؛ كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ﴾ [النمل: ١٨].

وفي سجودِهم له وجهان:

أحدهما: أنَّه السُّجود المعهود على الحقيقة، وكان تكرمةً لا عبادةً.

والثاني: أنَّه بمعنى الخضوع(٣)؛ كما قال الشاعر:

---

(١) في (ر): «للترفيق».

(٢) في (ر) و(ف): «لرؤية العين؛ يعني».

(٣) في (ر): «الخشوع».

تـرى الأُكْـمَ فيهـا سُـجَّدًا للحَوافِـرِ[١]

وكانت الكواكبُ الأحدَ عشرَ مُثُلًا لإخوته الأحدَ عشرَ، والشَّمسُ والقمرُ مثالَيْن لأبيه وخالته، وكانت تحتَ أبيه، وكانت[٢] أمُّه ماتَت، واسمها راحيل، واسم خالته لايا، وهما بنتا لايان بن ناهر، وناهر أخو إبراهيم الخليل صلوات الله عليه، ولايان بن ناهر كان خالَ يعقوب عليه السَّلام.

وقال وهبُ بن منبِّه: كان يوسفُ صلوات الله عليه رأى قبل هذه الرُّؤيا ـ وهو ابن سبع سنين ـ في نومه أنَّ إحدى عشرة عصًا[٣] طوالًا كانت مركوزة في الأرض كهيئة الدَّائرة، وإذا عصًا صغيرةٌ وثبَتْ[٤] عليها حتَّى اقتلعَتْها وغلبَتْها، فوصفَ ذلك لأبيه، فقال له: إيَّاك أن تذكرَ هذا لإخوتِك، ثمَّ رأى وهو ابن اثنتي عشرة سنةً أنَّ أحدَ عشرَ كوكبًا والشَّمس والقمر سجدْنَ له، فقصَّها على أبيه، فقال له: ﴿لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ﴾ الآية[٥].

وذكر أبو القاسم بن حبيبٍ في «تفسيره» بإسناده عن جابرِ بن عبد الله: أنَّ يهوديًّا أتى النَّبيَّ ﷺ فقال: يا محمَّد؛ أخبرني عن أسماء الكواكب اللاتي سجدْنَ ليوسف، فقال له النَّبيُّ ﷺ: «إنْ أخبرْتُكَ أتؤمنُ[٦] بي؟» قال: نعم، فأتاه جبريلُ

---

(١) عجز بيت لزيد الخيل، انظر: «ديوانه» (ص: ٦٦)، و«تفسير الطبري» (٢/ ١٣٧). وصدره:

بِجيـشٍ تَضِـلُّ البُلْـقُ فـي حَجَراتِـه

(٢) «تحت أبيه وكانت» من (أ).

(٣) في (ف): «غصنًا».

(٤) في (أ): «تثب».

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ١٩٨).

(٦) في (ف) و(أ): «لتؤمنن».

صلوات الله عليه فعلَّمه أسماءها، وهي: الحَرَثان والطَّارق والقابِس والصَّرُوح[١] والفُلَيْق والمُصبح[٢] والوثَّاب والذَّيَّال والعَمُودان والفَرْع وذو الكنفات[٣]، رآهنَّ

---

(١) في (ف) و(أ): «الضروج».

(٢) المصْبِح: هو ما يطلع قبل الفجر كما قال الشهاب. حاشية الشهاب على البيضاوي (٥/ ١٥٥).

(٣) رواه سعيد بن منصور في «سننه ـ التفسير» (١١١١)، وابن حبان في «المجروحين» (١/ ٢٥٠ ـ ٢٥١)، والطبري في «تفسيره» (١٣/ ١٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢١٠١)، وابن الجوزي في «الموضوعات» (١/ ٩٧)، من طريق الحكم بن ظهير عن السدي عن عبد الرحمن بن سابط عن جابر به.

قال ابن حبان: هذا لا أَصْلَ له مِن حديثِ رسول الله ﷺ، والحكم بن ظهير الفزاريّ الكوفِي كان يشتم أصحاب محمد ﷺ، يَروِي عن الثِّقات الأشياء الموضوعات.

وقال ابن الجوزي: هذا حديث موضوع على رسول الله ﷺ، وكأن واضعه قصد شين الإسلام بمثل هذا، وفيه جماعة ليسوا بشيء، قال يحيى بن معين: الحكم بن ظهير ليس بشيء. وقال النسائي: متروك الحديث.

وقال الجوزجاني كما في «التهذيب»: ساقط؛ لميله وأعاجيب حديثه، وهو صاحب حديث نجوم يوسف.

وقال ابن كثير في «تفسيره»: تفرد به الحكم بن ظهير الفزاري وقد ضعفه الأئمة، وتركه الأكثرون.

وله طريق آخر ليس فيه الحكم بن ظهير، رواه الحاكم في «المستدرك» (٨١٩٦) من طريق أسباط بن نصر عن السدي به، وصححه على شرط مسلم، وسكت عنه الذهبي. وجعله السيوطي في «اللآلئ المصنوعة» (١/ ٨٣) متابعةً لرواية الحكم بن ظهير، وتابع السيوطي في ذلك الشوكاني في «الفوائد المجموعة» (ص: ٤٦٤)، لكن الشيخ عبد الرحمن المعلمي في تعليقه على «الفوائد» رد ذلك فقال: وقف الذهبي في «تلخيصه» فلم يتعقبه، ولا كتب علامة الصحة كعادته فيما يقر الحاكم على تصحيحه، وقد جزم الجوزجاني ثم العقيلي بأن الحكم بن ظهير تفرد به عن السدي، ومن طريق الحكم، ذكره المفسرون، مع أن تفسير أسباط عن السدي عندهم جميعًا، فكيف فاتهم منه هذا الخبر، ووقع للحاكم بذاك السند؟ هذا يشعر بأن بعض الرواة وهم، وقع له الخبر من طريق الحكم، ثم التبس عليه فظنه من طريق أسباط، كالجادة، والله أعلم.

يوسف والشَّمسَ والقمر، نزلَتْ من السَّماء فسجدْنَ له، فأخبر والدَه فقال: يا بنيَّ؛ هذا أمرٌ مشتَّت[١] وسيجمعُه الله تعالى بعدُ.

وقال ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: الشَّمسُ أمُّه، والقمرُ أبوه[٢].

وقال مقاتل: الشَّمسُ أبوه، والقمرُ أمُّه[٣].

وقال السُّدِّيُّ: الشَّمسُ أبوه والقمرُ خالته، واسمها راحيل، وكانت أمُّه ماتَتْ واسمُها لايا[٤].

وعن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: بلغَنَا أنَّ يوسف صلوات الله عليه كان نائمًا في حجر أبيه ذات ليلةٍ، فانتبه مرعوبًا، فقال له يعقوب عليه السلام: حبيبي؛ ما الَّذي ذَعَرَكَ؟ قال: يا أباه؛ رأيت رؤيا عجبًا، قال: ماذا رأيت؟ قال: رأيْتُ كأنِّي على رأس جبلٍ شامخٍ، وحوله أشجارٌ وأنهارٌ ورياضٌ، فبينا أنا كذلك إذ رأيْتُ كواكبَ نزلَتْ من السَّماء والشَّمس والقمر رأيتهم لي ساجدين[٥].

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: دلَّت هذه الآية أنَّ إخوة يوسف كانوا علماءَ؛ فإنَّه شبَّههم بالكواكب وبها يُهتدَى، فدلَّ أنَّهم كانوا علماء يُقتدَى بهم، وشبَّه الأبوَيْن بالشَّمس والقمر، وبهما جميع منافع الخلق؛ إذ بهما صلاحُ جميع الأغذية في الأرض، ونضجُ جميع الفواكه والأنزال[٦].

---

(١) في (أ): «متشتت».

(٢) في (أ): «أبوه والقمر أخوه». والخبر رواه ابن المنذر في «تفسيره» كما في «الدر المنثور» للسيوطي (٤/ ٤٩٩)، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ١٢) من قول ابن جريج.

(٣) ذكره الواحدي في «البسيط» (١٢/ ١٨).

(٤) المرجع السابق، الموضع نفسه.

(٥) لم أقف عليه.

(٦) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٦/ ٢٠٦).

ودلَّت الآية على أنَّ الرُّؤيا قد تَخرج على غير ما رأى، وقد تخرج على عين ما رأى، فقد رأى سجودَ الكواكب، وخرجت الكواكبُ على الإخوة والسُّجودُ على عينه، وهو كرؤية إبراهيم صلوات الله عليه في المنام ذبحَ الولد، فخرجَ الولد على الكبش، والذَّبحُ على عينه، فهذا أصلٌ لنا أنَّ الخطاب قد يخرج والمراد به عينه، وقد يخرج والمراد به غيره.

وفيه جواز الاجتهاد، وطلب المعنى في المخاطبات، وما ظهر للنَّاس من تعبير الرُّؤيا على الاجتهاد يدلُّ أيضًا على جواز العمل بالاجتهاد.

ودلَّتِ الآيةُ أيضًا على أنَّ إخوة يوسف كانوا علماء حكماء وعارفين بتعبير الرُّؤيا؛ فإنَّ يعقوبَ قالَ ليوسفَ عليهما السَّلام: ﴿لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا﴾ وذلك لعلمِهم بالتَّعبير.

* * *

(٥) ـ ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ﴾: يعني: فقالَ يعقوبُ: يا بنيَّ لا تخبرْ إخوتَكَ برؤياكَ، وهم رُوبيلُ ويهوذا وشمعونُ ولاوي، أمُّهم لايا امرأة يعقوب، ودان وآشر ويشجر[1]، أمُّهم دلفا جارية يعقوب، ونفثالي وجاد وزبالون، أمُّهم زلفا جارية يعقوب، وبنيامين أمُّه راحيل وهي أمُّ يوسف أيضًا مع أخوات، وكانت راحيل أختَ لايا، وهما بنتا لايان بن ناهر خال يعقوب، والجاريتان كانتا هدية لايان لختنه يعقوب.

---

(١) في (أ): «ودار وأشير وشحو» بدل: «ودان وآشر ويشجر».

وقوله تعالى: ﴿فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْدًا﴾: نصب بالفاء لأنَّه جواب النَّهي، وعلامة نصبه حذفُ النُّون.

يقول: إنَّ تأويل رؤياك ظاهرٌ لا يخفى عليهم، فلا يؤمَنُ أن يحملَهم ذلك على أن يبغوا لك الغوائل ويُخفوا لك الحيل، ويدعوهم إلى ذلك الشَّيطانُ، وذلك قوله تعالى:

﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾: أي: ظاهرُ العداوةِ ومُظهرُها، وهذا يدلُّ على أنَّ يعقوب كان قد علم من الإخوة حسدًا ليوسفَ، فقال له هذا.

وقال القتبيُّ: الكيدُ: هو الاحتيال للاغتيال[1].

وقيل: هو طلب اتِّصال الشَّرِّ به على غير علمٍ منه.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: قوله: ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾: بدءُ كلِّ شرٍّ يكون من الشَّيطان، يقذفه في القلوب، ويُخطره في الصُّدور، ثمَّ تكون العزيمة على ذلك والفعل من العبد، وهو ما قال عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ﴾ الآية [الأعراف: ٢٠٠][2].

وفي الآية أنَّ الرُّؤيا حقٌّ، وهي من المبشِّرات، وهي جزءٌ من ستَّةٍ وأربعين جزءًا من النُّبوَّة؛ كما رُوي عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «الرُّؤيا الصَّادقة جزءٌ من ستَّةٍ وأربعين جزءًا من النُّبوَّة»[3].

---

(١) انظر: «غريب القرآن» لابن قتيبة (ص: ٢١٢).

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٦/ ٢٠٨).

(٣) رواه البخاري (٦٩٨٨)، ومسلم (٢٢٦٣)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وذلك أنَّ أعوامَ الوحي اثنان وعشرون ونصف؛ ستَّة أشهر في ابتداء[١] الرُّؤيا الصَّادقة، فكانت جزءًا من ستَّةٍ وأربعين جزءًا من النُّبوَّة[٢].

وفيها: أنَّ شفقةَ الآباءِ وافرةٌ، وحسدَ الإخوةِ ظاهرٌ، ولهذا قال أصحابُنا رحمهم الله: تُقبَلُ شهادةُ الأخِ للأخِ؛ لأنَّه لا تُهمةَ فيه، ولا تُقبلُ شهادةُ الأبِ للابنِ، ولا شهادةُ الابن للأبِ؛ للتُّهمةِ.

وفيها: أنَّ عداوةَ إبليس ـ لعنه الله ـ لنا قديمةٌ، ولله تعالى في إبقائه لطفٌ عظيمٌ، فإنَّه يحيلُ لمعاصينا عليه، وذلك مذكورٌ في قصَّة كثيرٍ من الأنبياء: ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ [البقرة: ٣٦]، ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ [الأعراف: ٢٠]، ﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ [الكهف: ٦٣]، ﴿هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ [القصص: ١٥]، ﴿مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ [يوسف: ١٠٠]، ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ﴾ [الأعراف: ٢٠٠]، ﴿لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ [الأعراف: ٢٧]، ﴿إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ [آل عمران: ١٥٥].

* * *

(٦) ـ ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ﴾: أي: كما دلَّ رؤياك على إكرامِ الله تعالى إيَّاك بتفضيلِك على إخوتِك، كذلك يختارُكَ فيستخلِصُكَ بالنُّبوَّة.

---

(١) في (أ): «الابتداء».

(٢) كذا قال، ولا يستقيم كون الرؤيا جزءاً من ستة وأربعين على هذا، وقد جاء في «شرح السنة» للبغوي (١٢/ ٢٠٤): أنَّ جُملةَ أيَّامِ الوَحيِ ثلاثةٌ وعشرونَ سنةً، كان ستَّةُ أشهرٍ في المَنام، وبهذا فُسِّر قولُه ﷺ: «رؤيا المؤمن جزءٌ مِن ستَّةٍ وأربعينَ...».

﴿وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾؛ أي: ويلهمُكَ عمَّا تؤولُ إليه عاقبة ما يراه النَّاس في مناماتِهم.

وقيل: ﴿تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾: أنْ يلهمَكَ[1] العلمَ بعواقبِ الأمرِ بوحيٍ من الله تعالى.

﴿وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ﴾: أي: ويكملُ ما ابتدأَكَ به من الإنعام، والابتداءُ هو إخراجُه مِن أصلاب الأنبياء، والإتمامُ بالنُّبوَّة والإنجاء[2].

﴿وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾: أي: أولادِ يعقوب، ودلَّ على نبوَّة أولادِه.

﴿كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ﴾: بالرِّسالةِ والوحي.

وقيل: ﴿وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ﴾ بتخليصِك مِن غوائلِ إخوتِك وسائرِ النَّاس؛ كما جعلَ النَّار بردًا وسلامًا على إبراهيم، وفدى إسحاقَ بالذِّبح العظيم[3]، وهذا كلُّه كان ببشارةٍ مِن يعقوبَ ليوسفَ.

وقيل: كان دعاءً له بذلك كلِّه؛ كما قال في آخر هذه السُّورة: ﴿يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ [يوسف: ٩٢]، وتقولُ: يديمُ الله عزَّك ويطيلُ بقاءَك.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾: ﴿عَلِيمٌ﴾ بما يجري على يوسف من المفتَتح إلى المختَتم، ﴿حَكِيمٌ﴾ فيما حَكمَ له ولأبيه ولإخوته بما حَكم.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: قيل: ﴿تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾: تأويل صحف إبراهيم عليه السلام.

وقيل: ﴿تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾: العلم والكلام.

---

(١) «أن يلهمك» ليس في (أ).

(٢) في (ر): «والإيحاء»، وليست في (ف).

(٣) الصحيح أن إسماعيل هو الذبيح.

وقـال تعالـى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ﴾: بمـا صنـعَ بـه إخوتُـه، أو عليـمٌ بتمـامِ الإنعام ﴿حَكِيمٌ﴾: يضعُ كلَّ شيءٍ موضعَه(١).

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: قيل: الاجتباءُ: عصمتُه من ارتكاب ما راودَتْه امرأةُ العزيز عن نفسِه.

وقيل: من قضايا الاجتباءِ إسبالُه السِّترَ على فعل إخوته، حيثُ قال: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِيَ إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ﴾ [يوسف: ١٠٠]، ولم يذكرْ خلاصَه من البئر.

وقيل: من قضيَّة الاجتباء توفيقُه لسرعة العفوِ عن إخوته، حيث قال: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾ [يوسف: ٩٢].

و﴿تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾: هو معرفةُ قَدْرِ كلِّ أحدٍ، والوقوفُ على مقدار كلِّ قائلٍ بما يسمعُ من نطقِه وحديثِه بحدَّة الكياسة وصدق الفراسة.

وإتمامُ النِّعمةِ: توفيقُ الشُّكر على النِّعمة.

وقيل: مِن إتمامِ النِّعمة: الصَّونُ عن شهود النِّعمة برؤية(٢) المنْعِم، ومِنْ تمامِها صونُها عن الزَّوال والتَّغيير، ومِنْ تمامِها رفعُ الهمَّة عن مساكنة النِّعمة(٣).

* * *

(٧) ـ ﴿ ۞ لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلسَّائِلِينَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ﴾: أي: دلالاتٌ، وقرأ ابنُ كثيرٍ

---

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٦/ ٢٠٩).

(٢) في (ر): «برؤية توفيق الشكر على النعمة برؤية».

(٣) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٢/ ١٦٩).

وحده: ﴿آيةٌ﴾ على الوحدان[1]، وهو في معنى الجمع أيضًا؛ يقال: هذا الشَّيءُ علامةٌ لأمورٍ كثيرةٍ.

﴿لِلسَّآئِلِينَ﴾: أي: للَّذين سألوا رسولَ اللهِ ﷺ عن هذه القصَّة[2].

روي أنَّ اليهودَ ـ لعنهم الله ـ قالوا للمشركين: اسألوا محمَّدًا لِمَ انتقلَ يعقوبُ من مصرَ إلى الشَّام[3]، فنزلَتِ السُّورة، فكانت آيةً على صدق نبوَّته[4].

وقال ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: أتى قومٌ من اليهودِ رسولَ اللهِ ﷺ، فوافقَ إتيانُهم ذِكْرَ رسولِ الله ﷺ قصَّةَ يوسفَ عليه السلام، فتعجَّبوا منه وقالوا له: مِن أينَ لك هذا يا محمَّد؟ فقال: «علَّمنيه ربِّي»، وعادوا إلى اليهود فقالوا لهم: إنَّ محمَّدًا العربيَّ يذكرُ قصَّةَ يوسفَ كما أُنزلَتْ في التَّوراة، فنزلَتْ هذه الآية: ﴿ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ﴾؛ يعني: اليهود[5].

وقال مقاتلٌ: سألَتِ اليهودُ رسولَ الله ﷺ عن قصَّةِ يوسفَ عليه السلام فأخبرهم بها، فلم يؤمنْ به غيرُ جبرٍ عبدِ عامرٍ الحضرمي[6].

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ٣٣٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٧).

(٢) في (ف): «النعمة».

(٣) كذا في جميع النسخ، وفي مصادر التخريج: «من الشام إلى مصر».

(٤) ذكره الزجاج في «معاني القرآن» (٣/ ٨٧)، والسمرقندي في «تفسيره» (٢/ ١٧٨)، والواحدي في «البسيط» (١٢/ ٩)، والزمخشري في «الكشاف» (٢/ ٤٤٠).

(٥) رواه البيهقي في «دلائل النبوة» (٦/ ٢٧٦).

(٦) في (ر): «غير حبرٍ من اليهود عبد عامرٍ الحضرمي». وقوله: «عبد عامرٍ الحضرمي» ليس في (ف). وانظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٣١٩)، وفيه: «غير جبر غلام ابن الحضرمي». وفي «الإصابة» (١/ ٥٦٢): جبر مولى عامر بن الحضرمي، وفي رواية الواقدي: جبر مولى بني عبد الدار، ذكر الواقديّ أنه كان بمكة، وكان يهوديًا، فسمع النبيّ ﷺ يقرأ سورة يوسف فأسلم وكتم إسلامه، ثم =

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: يحتمل أنَّه آياتٌ للسَّائلين إلى آخر الدَّهر.

وقوله: ﴿ءَايَٰتٌ﴾ يحتملُ أنَّ المرادَ: قصَّتُه سورة تامَّة هي آيات الكتاب.

ويحتمل أنَّه آياتُ صدقِ نبوَّته؛ لأنَّ قصَّته في كتبهم كانت بغير لسانه، فجاءَ بها بلسانِه[1] من غير زيادةٍ ولا نقصان، فدلَّ أنَّه بالله علمَ ذلك[2].

وقال الإمامُ القشيريُّ رحمه الله: في قصَّته آياتٌ لكلِّ ذي محنةٍ حتَّى يعلمَ أنَّه كيف يصبر، ولكلِّ ذي نعمةٍ حتَّى يعلمَ أنَّه كيف يَشكر.

قالَ: ويُقال: في قصَّته دلالاتُ كيفيَّةِ العفو عن الزَّلَّة، وكيفيَّة الخَجْلَة عند اللِّقاء لأهل الجفوة.

وقيل: في قصَّته دلالاتُ لطفِ الحقِّ سبحانَه لأوليائه بالعصمة، وآيات أنَّ المحبَّةَ لا تخلو عن المحنة.

وقيل: فيه آياتٌ على أنَّ مَنْ صدَقَ في رجائِه[3] تخلَّص يومًا مِنْ بلائِه[4].

وقيل: ﴿ءَايَٰتٌ﴾؛ أي: عجائب، قال الشَّاعر:

آيـةٌ في الجمـالِ ليسَ لَــهُ فــي الــ ... ــخَلْقِ شِـبْهٌ وما له مِـن نظيرِ[5]

= أطلـع مواليـه علـى ذلك، فعذبوه، فلما فتح رسـول الله ﷺ مكة شـكا إليـه ما لقي فأعطاه ثمنه فاشـترى نفسـه وعتق واسـتغنى، وتزوّج امرأة ذات شـرف في بني عامر.

(١) في (ر): «فجاءت بلسانه».

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٦/ ٢١٠).

(٣) في (ر): «رخائه». وانظر التعليق الآتي.

(٤) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٢/ ١٦٩)، وفيه: (... من صدق في رجائه يختصّ يوما ببلائه).

(٥) بلا نسبة في «البرهان في علوم القرآن» للزركشي (١/ ٢٦٦).

وقيل: السُّؤال أنواعٌ، والفوائد للسَّائلين، فإذا جالسْتَ العلماءَ فسَلْ بلسانك، وإذا جالسْتَ الحكماء فسَلْ بعينك(١)، وإن جالسْتَ العارفينَ فسَلْ بقلبك، وإن جالسْتَ المحبِّين فسَلْ بسرِّك، فإذا لقيْتَ العالِمَ فقدِّم لسانَك، وإذا لقيت الحكيم فقدِّم عينَكَ، وإذا لقيْتَ العارفَ فقدِّم قلبَكَ، وإذا لقيْتَ المحبَّ فقدِّم سرَّكَ، وإن اطَّلعت على عيبٍ فقدِّمْ روحَكَ.

وقال بعضُ أهلِ العلم: يمكن تمشية الآية في كلِّ السَّائلين، فكأنَّه قال: إن سألَكَ العصاة: ما يفعلُ الله بهم؟ فاقرأ عليهم قصَّة يوسفَ، وقل: ﴿يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ [يوسف: ٩٢]، كما غفرَ اللهُ لإخوةِ يوسفَ.

وإن سألَكَ الَّذين يؤذون الآباءَ ويعقُّونهم: ما يفعلُ الله بهم إذا تابوا؟ فقل: يعفو عنهم، كما عُفِيَ عن أولاد يعقوب.

وإن سألَكَ الممتحَنُون: ما عاقبة أمرهم؟ فقل: الفرجُ، كما فرَّجَ اللهُ عن يعقوبَ.

وإن سألَكَ المحبُّون: كيفَ حالُهم؟ فقل: يصلونَ إلى الحبيب كما وصلَتْ زليخا إلى يوسفَ.

وإن سألَكَ المسجونون: ما عاقبةُ أمرهم؟ فقل: الفرجُ كما فرَّج اللهُ عن يوسفَ.

وإن سألك المهمومون، وإن سألَكَ الواقعون في القَحْطِ، وكذا..، فأجبهم بهذه القصَّة على التَّفصيل.

وقيل: ﴿ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ﴾: لأصحابِ رسولِ اللهِ ﷺ، حيث سألوا رسولَ اللهِ ﷺ: لِمَ سمَّى الله تعالى هذا أحسن القصص؟ قال: «لأنَّ المخبِر عنه هو أحسنُ القائلين قولًا، والمخبَرَ عنه أحسنُ النَّاس وجهًا، فإنَّ يوسف لم يكن بعدَه أحدٌ في

---

(١) في (أ): «بنفسك»، وفي (ر): «بعقلك».

الحسنِ مثلَه»، فقالَتْ عائشةُ رضي الله عنها: هو أحسنُ أم أنْتَ يا رسولَ اللهِ؟ قال: «هو أحسنُ خَلْقًا، وأنا أحسنُ خُلُقًا»، فقالَتْ عائشةُ رضي الله عنها: فلِمَ لا تخبرُ النَّاسَ به؟ قال: «إنْ لم أقلْ أنا فقد قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]»، فنزل جبريل عليه السلام وقال: أخبرِ النَّاسَ أنَّ نورَكَ ونورَ يوسفَ افترعا(١) في صلبِ آدمَ، وصارَ الحسنُ والجمالُ ليوسفَ، والذِّكرُ والشَّرف، والنُّورُ والحبور، والضِّياءُ والبهاء، والعَفافُ والكَفاف، والهيبةُ(٢) والرِّفعة، والعلمُ والحلم، والفضلُ والعدلُ والعزم، والسِّيادةُ والسَّعادة(٣)، والحوضُ والشَّفاعة، والدَّعوةُ والإجابة، والقضيبُ(٤) والنَّاقة، والتَّاجُ والعمامة، والسَّيفُ والهراوة، والصَّبرُ والقناعة، والنُّسكُ والإنابة، والرَّحمةُ والرَّأفة، والوقارُ والسَّكينة، والشَّريعةُ المرضيَّة، والأحكامُ الحنيفيَّة، والصَّلاةُ المكتوبة، والزَّكاةُ المفروضة، والسَّمعُ والطَّاعة، والصَّفُّ والجماعة، والتَّأذينُ والإقامة، والتَّكبيرُ والتَّهليل، والتَّسبيحُ والتَّقديس، والتَّحميدُ والتَّمجيد، والحجُّ والعمرة، والبلدُ المحرَّم، والمسجدُ المعظَّم، وزمزمُ والمقام، والمشعرُ الحرام، والقرآنُ الحكيم، والخُلُق العظيم، والآياتُ المفصَّلات، والكلماتُ المتلوَّات، والأزواجُ الطَّاهرات، والعلوُّ في الدَّرجات، والبراقُ والمعراج، والمقامُ المحمود، والحوضُ المورود، والمحضرُ المشهود، والأفقُ الأعلى، والمقامُ الأدنى، وسلامُ اللهِ الأعلى، هذه كلُّها لَكَ(٥).

---

(١) في (ف) و(أ): «اقترعا».

(٢) في (أ): «والهمة».

(٣) في (أ): «والحزم والبشارة» بدل من «والسيادة والسعادة».

(٤) في (أ): «والقصب».

(٥) لم أقف له على سند ولا ذكر في الكتب المتقدمة، ونقله الصفوري في «نزهة المجالس» (١/ ١٠٥) عن المصنف.

(٨) ـ ﴿ إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ ﴾: اللَّام بمعنى القسم؛ أي: قالوا: إنَّ يوسفَ حقًّا وأخاه لأمِّه وهو[١] بنيامين ﴿أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ ﴾؛ أي: جماعةٌ يتعصَّب بعضنا لبعضٍ، وكانوا عشرة، والعربُ تطلق هذا الاسم على العشرة إلى الأربعين؛ أي: نحن جماعةٌ لا نعجزُ بالاحتيال عليه ليخلوَ لنا وجه أبينا، فيعاملَنا[٢] بالمحبَّة والتعطُّف، فلماذا لا نحتال لذلك؟

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾: أي: خطأ بيِّنٍ بإيثارِ اثنين على عشرةٍ مع استوائهم في كونهم أولادًا له، ومع اقتدار العشرة على الاحتيال على واحدٍ[٣].

وأيضًا هو في غلطٍ في تدبير أمر الدُّنيا؛ إذ نحن أنفعُ له مِن يوسف وبنيامين، لأنَّا نقوم في أمواله ومواشيه.

وأيضًا لو أنعمَ النَّظر لم يأمنْ سوءَ عاقبة هذا الاختيار لتحاسد الأقارب، وهذا عدولٌ منه عن طريق الرَّأي في استصلاح الأولاد.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: فيه دلالةٌ أنَّه لا بأسَ للرَّجل أن يخصَّ [بعضَ] ولدِه بالعطف عليه والميل إذا كان فيه معنًى ليس ذلك في غيره، فلهذا قال أصحابنا رحمهم الله: لا بأسَ بالرَّجل أن يخصَّ بعض ولده بالهبة له إذا لم يقصدِ الجورَ على غيره من الأولاد، وخصَّه لمعنًى أوجبَ ذلك؛ كما فعلَه أبو بكرٍ بعائشةَ رضي الله عنهما، حيثُ نحلَها جذاذ عشرين وسقًا بالعالية[٤].

---

(١) «لأمِّه وهو» ليس في (ف).

(٢) في (أ): «فيعمنا».

(٣) من هنا سقط في (أ) ورقة كاملة.

(٤) رواه الإمام مالك في «الموطأ» (٤/ ٧٥٢)، وعبد الرزاق في «المصنف» (١٦٥٠٧)، وابن أبي =

ثمَّ يحتمِلُ تخصيصُ يعقوبَ يوسفَ وأخاه بالحبِّ وجوهًا:

أحدها: ما رأى فيهما من الضَّعفِ في أنفسِهما، والعجزِ في أبدانهما، فازدادَتْ شفقتُه عليهما لذلك، وهذا ممَّا يكون بينَ الخلق.

والثاني: أنَّه خصَّهما بذلك لفضل خصوصيَّةٍ كانت لهما؛ إمَّا مِن جهة الدِّين أو العلم أو غيره، أمرَهُ الله تعالى بذلك [لذلك].

أو لأنَّه لمَّا بُشِّرَ يعقوبُ بنبوَّةِ يوسفَ كان يفضِّله على سائر أولادِه، ويُؤْثرُه عليهم لذلك.

وإنَّما قالوا: ﴿لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا﴾ بآثارٍ تظهرُ عندَهم، وإلَّا فحقيقة المحبَّة لا تُعرَفُ[1].

وقال الإمامُ القُشيريُّ رحمه الله: لمَّا اعترضوا بقلوبِهم على أبيهم في تقديم يوسفَ عليهم في المحبَّة، عاقبهم الحقُّ سبحانَه بتركهم حتَّى بسطوا في أبيهم بلسان اللَّوم فوصفوه بالضَّلال، وهو مِن المحال، وإنْ كان المرادُ منه هو الذَّهابَ في أمر يوسفَ بكلِّ حالٍ.

قال: ويُقال: لمَّا حَسدوا في تقديمِ أبيهِم يوسفَ عليهم لم يرضَ الحقُّ سبحانه وتعالى حتَّى أقامَهم بينَ يدَي يوسفَ، فخرُّوا له سُجَّدًا؛ ليعلموا[2] أنَّ الحسودَ لا يسودُ.

قال: ويُقال: أطولُ النَّاسِ حزنًا وأدومُهم غُصَّةً مَنْ أرادَ تأخير مَن قدَّمَه الله

= شيبة في «مصنفه» (٢٠١٣٥)، عن عائشة رضي الله عنها. ولفظ «الموطأ»: «عن عائشة زوج النبي ﷺ، أنها قالت: إن أبا بكر الصديق كان نحلها جاد عشرين وسقا من ماله بالغابة...».

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٦/ ٢١٠ ـ ٢١١).

(٢) في (ر) و(ف): «لعلم»، والمثبت من «لطائف الإشارات».

تعالى، أو تقديَم مَن أخَّرَه الله تعالى؛ إنَّ إخوةَ يوسفَ أرادوا أن يجعلوه في أسفلِ الجُبِّ، فرفعَه اللهُ تعالى فوقَ السَّرير(١).

وقيل: إنَّما قالوا: ﴿لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا﴾ في حقِّ يوسف؛ فلأنَّ يعقوب عليه السلام أصحبَه يومَ عيدٍ ثلاثةَ أشياءَ: قميصَ إبراهيمَ الذي ألبسَه له جبريلُ، وقد جاء به مِن الجنَّةَ يوم أُلقِيَ في نار نمرود، وشدَّ وسطَهُ بمنطقةِ إسحاق، ووضع في يده خيزرانةً جاءَ بها جبريلُ عليه السَّلام يومَ وُلِدَ إسحاقُ، فحسدُوه لتخصيصِهِ بها، واستدلُّوا على محبَّتِه إيَّاه(٢).

***

(٩) ـ ﴿ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا﴾: فقالوا: ما الرَّأي؟ قال وهبٌ: قال ذلك شمعون. وقال كعبٌ: قاله دان. وقال مقاتلٌ: قاله روبيل؛ وهو أكبرهم سنًّا(٣).

وقال بعضُهم: لمَّا قالوا: ﴿لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا﴾ تراءى لهم الشَّيطان في صورة شيخٍ وقال: إنَّ يوسف يريدُ أن يستعبدَكم، فقالوا: ما الرَّأي؟ فقال: ﴿ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ﴾، فقالوا له: لو فعلْنَا ذلك كنَّا عاقِّين للأبِ، عاصينَ للهِ تعالى، فقال: ثمَّ تتوبون فتكونوا قومًا صالحين، ثمَّ غابَ عنهم، فثبَتوا على هذا الرَّأي بقولهم: ﴿ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ﴾؛ لتنحسمَ مادَّةُ هذا الأمر ﴿أَوِ ٱطْرَحُوهُ﴾؛ أي:

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٢/ ١٧٠).

(٢) لم أجده، وظاهر أنه من الإسرائيليات.

(٣) ذكر هذه الأقوال الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ١٩٩).

أَلقُوه في أرضٍ غُرْبَةٍ بعيدةٍ عن أرضِ يعقوبَ، بحيث يخفَى عليه موضعُ يوسفَ، وتُقصى[1] دونَه أخباره.

وقوله: ﴿أَرْضًا﴾؛ أي: إلى الأرض، نصب بنزع الخافض؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ﴾ [الأعراف: ١٥٥]؛ أي: مِن قومِه.

وقوله تعالى: ﴿يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ﴾: قال مقاتلٌ: أي: يَصْفُ لكم[2].

جُزِمَ لأنَّه جزاءُ الأمر، ولذلك حُذفَتْ واوُه، يقول: لا يزاحمكم يوسفُ في برِّه وعطفِه واستئثارِه.

وقوله تعالى: ﴿وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ﴾: عطف على ﴿يَخْلُ﴾ وهو جزم، ولذلك حُذفَتِ النُّون.

وقال مقاتل: أي: يصلح أمرُكم فيما بينكم وبين أبيكم[3]، يعني به: صلاحَ أمر الدُّنيا مِن جهة التَّمكُّن من الأب.

وقال ابنُ عبَّاسٍ والسُّديُّ: أي: وتتوبوا مِن صنيعِكم[4]؛ وهو القتلُ أو الطَّرحُ، وعقوقُ الأبِ، وإيذاءُ الأخ، وعصيانُ أمرِ الله تعالى، فيغفر لكم بتوبتِكم، فقد اعتقدوا التَّوبة قبلَ ارتكاب الذَّنب.

---

(١) في (ف): «وتقضى».

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ١٩٩).

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٣٢٠).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ١٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢١٠٥)، عن السدي. وذكره الواحدي في «البسيط» (١٢/ ٣٠)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ١٨٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وقال الإمام أبو منصور[1] رحمة الله عليه: قديما[2] قيل: مَن طلب الكلَّ فاته الكلُّ، أرادَ إخوةُ يوسفَ أنْ يكونَ إقبالُ يعقوبَ بالكلِّيَّة عليهم، واللهُ تعالى يقولُ: ﴿وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ﴾ [يوسف: ٨٤].

وقيل: كان قصدُهم أَلَّا يكونَ يومَئذٍ عندَ أبيه، فساوَى عندهم أقسام غيبتِه[3]، فقالوا: إمَّا القتل وإمَّا النَّفي، ولا بأسَ بما يكون بعدَ أَلَّا يكون يوسف.

وقوله تعالى: ﴿وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ﴾ لم تطبْ نفوسُهم بأن يذهبوا عن اللهِ بالكُلِّيَّةِ، فدبَّروا لحسنِ الرُّجعى قبلَ ارتكابِ ما دعتْهُم نفوسُهم إليه، وهذه صفةُ أهلِ العِرفانِ باللهِ جلَّ جلالُه[4].

***

(١٠) ـ ﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ﴾: قال قتادةُ وابنُ إسحاقَ: قال ذلك روبيل[5]. وقال الزَّجَّاجُ: قال ذلك يهوذا[6]، قال: إنَّ قتلَ يوسفَ أمرٌ عظيمٌ فلا تفعلوه.

وقوله تعالى: ﴿وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ﴾: قال الحسنُ: أي: في قعرِ البئرِ[7].

---

(١) كذا قال، وهو سهو منه رحمه الله، فإن الآتي هو كلام القشيري لا الماتريدي.

(٢) في (ر): «ربما»، والمثبت من (ف) و«اللطائف».

(٣) في (ر): «فساوى أقسام غيبته»، ولم ترد هذه الجملة في «اللطائف».

(٤) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ١٧٠ ـ ١٧١).

(٥) رواه عنهما الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٢٠).

(٦) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٩٣).

(٧) ذكره الواحدي في «البسيط» (١٢/ ٣٢)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ١٨٥).

والغيابةُ في أصلِ اللُّغة: القَعرُ؛ أي: الموضعُ الَّذي يغيبُ فيه صاحبُه، وكلُّ ما غيَّبَ[١] شيئًا عن الحسِّ يكون فيه فهو غَيابةٌ، والقبر يسمَّى بذلك، قال الشَّاعر:

وإنْ أنا يومًا غـيَّبـتْـنـي غـيـابَـتـي فسيروا بسَيْري في العَشيرَةِ والأهْلِ[٢]

والجُبُّ: البئرُ الَّتي لم تُطوَ[٣]، تُسمَّى بذلك لأنَّه غُيِّبَ عنها ترابُها؛ أي: قُطِعَ، وقال الأعشى:

لَئِـنْ كنْـتَ فـي جُـبٍّ ثمانيـنَ قامةً وَرُقِّيْـتَ أسبابَ السَّـماءِ بِسُـلَّمِ
لَيَسْـتدْرِجَنْكَ القـولُ حـتَّى تَـهِـرَّهُ وتعلَمَ أنِّـي عندَكُـمْ غيـرُ مُلْجَـمِ[٤]

وقولُه تعالى: ﴿يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ﴾: والالتقاطُ: تناولُ الشَّيءِ مِن الطَّريق، ومنه: اللُّقَطةُ واللَّقيط.

والسَّيَّارةُ: العيرُ، وقيل: مارَّةُ الطَّريقِ.

يقولُ: ألقُوهُ في أسفلِ بئرٍ عميقٍ قليلةِ الماءِ على ممرِّ السَّيَّارةِ والقوافلِ يلتقطْهُ بعضُهم، فيخلوا لكم مكانُه مِن غير ارتكابِ الأمرِ العظيمِ ـ وهو القتل ـ ويحصلْ لكم المقصودُ الآخرُ؛ وهو رميُكُمْ إيَّاهُ البلد الثَّاني[٥] مِن غيرِ أنْ تحتاجوا إلى تكلُّفِ سفرٍ فيه[٦] بأنفسِكم.

---

(١) في (ف): «يغيّب فيه».

(٢) البيت للمنخل بن سبيع العنبري كما في «مجاز القرآن» (١/ ٣٠٢)، و«الكشاف» (٢/ ٤٤٧). وهو في «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٩٤) رواية: (غيبتني منيتي).

(٣) طوى البئر: عرشها بالحجارة والآجر.

(٤) البيتان للأعشى، وهما في «ديوانه» (ص: ٨٢). وتَهِره: تكرهه.

(٥) في (ف): «البئر والثاني»، ولعل الصواب: البلد النائي.

(٦) «فيه» ليس في (ف).

فنصحَ هذا القائلُ إلى الإخوة بهذا التَّدبير، وكان مقصدُه نقضَ رأيهم في القتل، وجرَّهم[١] عنه إلى الرَّأي الثَّاني بتسهيل ذلك السَّبيل إليهم، والعاقلُ إذا دُفِعَ إلى شرَّين[٢] اختارَ أهونَهما.

﴿فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ﴾ بالتَّعريف دون التَّنكير، له معنيان: يحتملُ أنَّهم أشاروا إلى بئرٍ قد عرفُوها في أسفارِهم، ويحتملُ أن يكون ذلكَ كقولِكَ: ارمِ به في الماءِ، لا تريدُ به ماءً بعينِهِ، إنَّما تريدُ به الجنسَ.

وقوله تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ﴾؛ أي: إنْ كنتُمْ تريدونَ تمامَ تدبيرِكُمْ فافعلوا هذا، فليسَ لكم أوفقُ منه.

وقال الإمامُ أبو حسينٍ محمَّد بن يحيى البشاغري في «كتاب العصمة»: إنَّ الأخوَّةَ تستصحِبُ الشَّفقةَ، لكنَّ الميلَ إلى حظِّ النَّفسِ ربَّما يَغلبُ على الشَّفقة فلا يقدرُ على استعمالِها، فيعاملُ أخاه معاملةَ الأجانب والشَّفقةُ على حالِها غير متلاشيَة، لكنَّها غيرُ عاملة، دليلُه قولُ أحدِهم للآخرين: ﴿لَا تَقْتُلُوا۟ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ﴾، وهذا كلامٌ مِن هذا القائل على نظم الشَّفقة، وإجابتُهم له مبنيَّة على نظم[٣] الشَّفقة أيضًا، أنَّ مطالبتَهم حظوظَهم مِن أبيهم غلبَتْ عليهم، فلم يتركوه مِن غير أذًى ومكروهٍ، وألحقوهما به، ولم يخرجوا أيضًا بالإهلاك على الاستئصالِ؛ لأنَّ الإلقاءَ في الجبِّ مرجوٌّ منه الخلاص.

وقولهم أيضًا: ﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ عنَوا به: لفي خطأٍ بيِّنٍ؛ حيث لا يسوِّي

---

(١) في (ر): «زجرهم»، وفي (ف): «ومرهم»، ولعل الصواب المثبت.

(٢) في (ف): «شيئين».

(٣) «نظم» من (ف).

بينَنا في المحبَّة لنا، والإقبال علينا، والتَّنجُّح[١] بنا، فلم يعرفوا أنَّ إقبالَ يعقوب إلى يوسفَ لم يكن مِن جهة الولد، وإنَّما كان مِن معرفة صنعِ الله تعالى[٢]، وبما وضعَ اللهُ تعالى فيه مِن اللَّطائفِ.

وكانت محبَّتُه لِمَا كان يُكشَف له مِن زيادة الاطِّلاع على صنعِ اللهِ عزَّ وجلَّ فيه، وكان لا يلزمُه التَّسوية بينهم، ولهذا قالوا: إنَّ للأبِ أنْ يزيدَ في الإحسانِ والبرِّ لبعض الأولاد دونَ بعضٍ؛ لزيادةِ منقَبةٍ في الدِّينِ أكرمَه اللهُ تعالى بها، وإنْ كانَ الأولادُ سواءً في معاني الدِّين فعليه أنْ يسوِّي بينهم في الإكرام والبرِّ.

فلم يكن يعقوبُ في خطأٍ بيِّنٍ كما قالَ بنوه، إلَّا[٣] أنَّهم توهَّموا أنَّه يكرمُه لغير الولديَّة[٤]، فرأوا أنفسَهم أولادَه، فنسبُوه إلى الخطأ، ولو عرفوا أنَّه لمعنًى مِن لطائفِ اللهِ فيه يكرمُه لم ينسبوه إلى الخطأ.

وفي ذلك إبانةٌ أنَّهم يستعظمون إقبالَ أبيهم عليه، فأرادوا عطفَه عليهم[٥]، ويغتنمون إكرامَه إيَّاهم ماكَسوه، ولو كانوا متهاونين[٦] بَيْنَ الوالد غيرَ مغتنمين عطفَه عليهم لم يشتغلوا بتلك المماكسة مع أبيهم، إلَّا أنَّهم[٧] جهلوا وجهَ المعاملة في خلال كلامِهم بعضِهم مع بعضٍ ومع أبيهم ومع أخيهم، من نحو قولهم: ﴿لَيُوسُفُ

---

(١) في (ر): «والنجح».

(٢) بعدها في (ر): «منحه في التقويم».

(٣) في (ر): «لولا».

(٤) في (ر): «الولد».

(٥) «فأرادوا عطفه عليهم» من (ف).

(٦) في (ف): «متيقنين».

(٧) في (ف): «لأنهم» بدل: «إلاَّ أنَّهم».

وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾ [يوسف: ٨]، ومن نحو قولهم: ﴿ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ﴾ [يوسف: ٩]، وقولهم: ﴿وَتَكُونُوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ﴾ [يوسف: ٩]، وقولهم: ﴿مَا لَكَ لَا تَأْمَ۫نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ [يوسف: ١١].

ثمَّ تركُ المجاهرة بقتلِه مغافصةٌ في ذلك كلِّه، دليلٌ على صحَّة إيمانهم؛ إذ لو لم يكنْ لهم إيمانٌ لم يكن لهم مانعٌ عن قتله من غير تدسيسٍ أو احتيال، وذلك كلُّه دليلٌ على أنَّ بركةَ نبوَّةِ أبيهم وأجدادِهم كانت متعدِّيةً إلى بواطنِهم، حتَّى لم يصيروا معاندِيْنَ عنادَ المعْرِضينَ عن الحقِّ بفعلِهم[1]، إلَّا أنَّهم لم يكونوا في ذلك الوقتِ أنبياء، فلم يُعصَموا عن المحظورات كلِّها، فوقَعوا فيما وقَعوا لحكمةٍ بالغةٍ علمَها الله تعالى، وعلمَ نفعَها متَّصلًا بهم وبأبيهم وبأخيهم وبالمسلمين، فأجرى عليهم تلك المعصيةَ[2]، وعقَّبَ تلك اللَّطائف والنِّعم فيهم وفي غيرهم.

***

(١١) ـ ﴿قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَ۫نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَ۫نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ﴾: ولمَّا اتَّفقوا على التَّغييب صاروا إلى أبيهم يعقوب عليهم السلام فقالوا: ﴿يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَ۫نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ﴾.

وفي الكلمةِ ثلاثةُ أوجهٍ: (لا تأمنُنا) بنونَيْن على الإظهار[3]؛ لأنَّ النُّونَيْن من كلمتَيْن.

---

(١) في (ف): «بوجه».

(٢) في (ف): «العصبية».

(٣) نسبت لأبيٍّ رضي الله عنه والحسن والأعمش وطلحة بن مصرف. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٦٧)، و«المحرر الوجيز» (٣/ ٢٢٣)، و«البحر المحيط» (١٢/ ٤٢٠).

و: ﴿لا تأمَنَّا﴾ بنونٍ واحدة على الإدغام؛ لالتقاء المثلَيْن(١).

و: ﴿لَا تَأْمَنَّا﴾ بالإدغام وإشمام الضمَّة(٢)؛ طلبًا لِمَا كان فيها مِن الضمِّ.

وقد أمِنَه يأمنُه؛ أي: ائتمنَه، قال الله تعالى: ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ [البقرة: ٢٨٣].

قالوا: لِمَ تخافُ علينا أنْ ننالَه بسوء ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ﴾؛ أي: وهو أخونا وشقيقُنا، فنحنُ له ناصحون، مريدون به الخير ظاهرًا وباطنًا، لا موضعَ لاتِّهامِك إيَّانا فيه.

ونصحُهم له في السَّفر: أنْ يَحُوطوه(٣) ولا يدَعوه يأخذ وجهًا مَخوفًا، ولا يُفْردوه عن أنفسِهم، ولا يكلِّفوه ما يُخاف عليه منه، ونحو هذا.

قال مقاتلٌ: في الكلام تقديمٌ وتأخيرٌ، قالوا: ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا﴾، فقال: ﴿إِنِّي لَيَحْزُنُنِيٓ أَن تَذْهَبُواْ بِهِۦ﴾، فحينئذٍ قالوا: ﴿مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ﴾(٤).

وقال في «كتاب عصمة الأنبياء»: كأنَّهم كانوا طالبوه مرارًا حتَّى خاطبوه بهذا: ﴿مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ﴾، ولو كان هذا ابتداءَ كلامٍ ولم يظهر منه منعٌ لم يصحَّ هذا الخطابُ، وأرادوا بتأكيد هذا الكلام استرسالَ أبيهم واستسلامه بإرسالِ يوسفَ معهم، ثمَّ قالوا: ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ﴾ فظاهرُه كذبٌ منهم؛ لأنَّهم أضمروا غشَّهُ، إلَّا أنَّ فيه نوعَ نصحٍ مِن وجهَيْن:

أحدُهما: أنَّه بإضمارهم الإضرار بأخيهم كانوا معتقدين للنُّصح، لذلك لم

---

(١) هي قراءة أبي جعفر من العشرة. انظر: «النشر» (١/ ٣٠٣).

(٢) هي قراءة باقي العشرة. وهنا نهاية السقط في (أ) المشار إليه في (ص ٣١٨).

(٣) في (أ): «يحفظوه».

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٢٠٠).

يكفرُوا، وهذا هو المذهب السَّديد أنَّ مرتكبَ[1] الكبيرة إذا لم يستحلَّها فهو في عَقْد الإيمان صحيحٌ، فإخوةُ يوسف عرفوا النُّصح في باطنهم، غير أنَّ غلبةَ الشَّهوة في حظوظِهم حملتْهُم على ذلك الفعل، فلم يستعملوا النُّصح المتمكِّن.

والثَّاني: أنَّهم اعتقدوا تغييبَه عن أبيه، لا إهلاكَه، وفي ذلك طرفٌ من النُّصح، وهم كانوا مع هذا التَّأويل غيرَ ناصحين بمكان أبيهم وأخيهم؛ لأنَّ قليلَ الأذى لمكان الوالدَيْن كثيرٌ، وكذا قليلُ قطعِ الرَّحم، فكيف بما أفضوا إليه؟

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: كلامُ الحسود لا يُسمَع، ووعظُه لا يَنجَعُ، وإن كان في مَعرضِ النُّصحِ، فإنَّه يُطْمِعُ الشَّهدَ ويطعِمُ الصَّابَ[2]، ويُظهِرُ الشِّفا[3] ويُضمِرُ الأوصاب[4].

قال: ويُقال: العجبُ من قَبول يعقوبَ ما ضمِنوه له مِن حفظِ يوسفَ وقد تفرَّس فيما قال ليوسف: ﴿فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْدًا﴾ [يوسف: ٥]، ولكن إذا جاء القدرُ عميَ البصرُ.

قال: ويُقال: مَن قَبِلَ على محبوبِه حديثَ أعدائِه لقيَ ما لقيَ يعقوبُ في يوسفَ من بلائِه[5].

* * *

(١) في (أ): «من ارتكب».

(٢) في (ف) و(ر): «يطعم الشهد ويطعم الصاب»، وفي «لطائف الإشارات»: «يطعم الشهد ويسقي الصاب». والصاب: عصارة شجر مر. انظر: «الصحاح» للجوهري (مادة: صوب).

(٣) في (ر): «الصفا».

(٤) الأوصاب: جمع وَصَبٍ، وهو المرض الملازم الدائم. انظر: «معجم مقاييس اللغة» لابن فارس (مادة: وصب). وجملة: «ويُظهِر الشِّفا ويُضمِرُ الأوصاب» لم ترد في مطبوع «اللطائف».

(٥) في (ر): «من أولاده». انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٢/ ١٧١ ـ ١٧٢).

(١٢) ـ ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ﴾: قرأ ابنُ كثيرٍ: بفتح النُّون وكسر العين: ﴿نَرتعِ﴾ من ارْتَعَيْتُ[1]، وقرأ نافع بالياء فيهما وجزم العين، وأجمعوا على جزم: ﴿وَنَلْعَبْ﴾[2].

قالوا: ابعثْهُ معنا إلى الصَّحراء غدًا، نأكل جميعًا ما يكون فيها بكثرةٍ وسعةٍ، ونلعبُ فيها جميعًا، وذلك في اللَّعب المباح الَّذي قد يفعله الكبارُ مع الصِّغار، خصوصًا إذا كانوا إخوةً لا يحتشمُ بعضٌ مِن بعضٍ.

ويجوز أن يكون ذلك اللَّعب هو ما ذُكِرَ بعدَه من الاستباق، في قولهم: ﴿ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ﴾؛ أي: نرتمي بالقسيِّ والسِّهام.

وقيل: نستبقُ بالأقدام، وكلُّ ذلك مباحٌ في الشَّرع.

قال النَّبيُّ ﷺ: «ليس من اللَّهوِ مباحٌ إلَّا ثلاثةٌ: ملاعبةُ الرَّجلِ أهلَه، ورميُه عن قوسِه، وتأديبُه فرسَه»[3].

وقال عليه السلام: «ستكونُ لكم فتوحٌ، فلا يعجزنَّ أحدُكُمْ أنْ يلهوَ بقوسِهِ وأسهمِهِ»[4].

---

(١) وكسَر البزي عنه العين من غير ياء، واختلف عن قنبل في إثبات الياء وحذفها.

(٢) وملخص ما فيهما: الكوفيُّون ونافع ﴿يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ﴾ بالياءِ فيهما والباقون بالنُّون، وكسر نافع وابن كثير العين من ﴿يَرْتَعْ﴾ وجزمها الباقون. والخلاف عن ابن كثير على ما ذكرنا. انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ٣٤٥)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٨ و١٣١)، و«النشر» (٢/ ٢٩٣ و٢٩٧).

(٣) رواه أبو داود (٢٥١٣)، والترمذي (١٦٣٧)، والنسائي (٣٥٧٨)، وابن ماجه (٢٨١١)، من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه. وقال الترمذي: حديث حسن.

(٤) روى نحوه مسلم (١٩١٨) من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه.

وكان رسولُ اللهِ ﷺ يسابِقُ عائشةَ على الأقدامِ[١].

ومَن قرأ ﴿نرتعْ﴾ بتسكين العين؛ فهو مِن رتَعَ يرتَعُ رُتوعًا، ومَنْ قرأ بالكسرِ؛ فهو مِن ارْتَعَى يَرْتَعِي ارْتِعاءً، وهما في المعنى واحدٌ.

ومَن قرأ بياء المغايبة فيهما فقد جعل الفعلَ ليوسفَ يسرحُ[٢] ويتقلَّبُ في الصَّحراءِ ويلعبُ لعبَ الصِّبيان وحدَه.

﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾: في حين لعبِه مِن أنْ ينالَه سوءٌ، أو يتعثَّر، أو يطوفَ بحيث ينالُه ما[٣] يُخافُ عليه مِن الوحوشِ أو الهوامِّ.

وقال الإمامُ القشيريُّ رحمه الله: أطمَعوا يعقوبَ في تمكينهم يوسفَ ممَّا فيه فرحُه[٤] من اللَّعب وراحتُه، فطابَتْ نفسُهُ بإذهابِهِم إياه من عنده[٥]، وإنْ كانَ يشُقُّ عليه فراقُه[٦]، ولكنَّ المحبَّ يُؤْثِرُ راحةَ محبوبِه على مشقَّتِه[٧].

ولمَّا ركنَ يعقوبُ إلى قولِهم: ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ أُتيَ مِن قِبلِهم، حتَّى قالوا: ﴿وَتَرَكۡنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُ﴾، كذلكَ يكونُ مَنْ سلَّم حبيبَه إلى أعدائِه غصَّ بتحسِّي بلائِهِ[٨].

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢٤١١٨)، وأبو داود (٢٥٧٨)، وابن ماجه (١٩٧٩)، من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) في (ف): «يتفرج».

(٣) «يناله ما» من (ف).

(٤) في (أ): «بما فيه تفرح يوسف»، وفي (ف): «مما فيه يفرح يوسف». وعبارة «اللطائف»: «بما فيه راحة نفس في اللعب».

(٥) في (ر): «بإذهابه معهم». وفي «اللطائف»: «لإذهابهم إياه من بين يديه».

(٦) «فراقه» ليس في (أ). وجملة: «وإنْ كانَ يشُقُّ عليه فراقُه» ليست في «اللطائف».

(٧) في (أ): «على مشقة يوسف». وفي «اللطائف»: «على محبة نفسه».

(٨) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٢/ ١٧٢).

وقال في كتاب «عصمة الأنبياء»: ما معنى إجابة يعقوبَ لِبَنِيْهِ في إرسالِ يوسفَ معَهم، وقد سمعَ أنَّهم للرَّتْعِ واللَّعبِ يدعونَه ويحملونَه، وهو نبيٌّ مرسلٌ؟ هلَّا تحرَّزَ عن إجابتِهم؟

قلْنَا: إنَّه عليه السَّلام عاملَهم بالعِشْرةِ فيما لم يكن محرَّمًا على يوسفَ في حالِ صِباهُ، والرَّتْعُ واللَّعبُ اللَّذان كانوا يدعونَه إليهما لم يكونا معصيةً، وإنْ كانا مكروهَيْنِ أو لغوين، والنجباء الأجلَّة في معاملة الناس ومجاملتهم كانوا لا يختارون من الأعمال إلا أفضلها[1]، ومِن الأمورِ إلَّا أكملَها[2]، لكنَّهم إذا استقبلَهم ممَّن دونَه لغوٌ أو إصابَةٌ بمكروهٍ عامَلُوهم[3] على قدْرِ احتمالِهم، فلم يكنْ مِن النُّجباء الأصفياء مذمومًا لجميلِ مرادِهم في تحسينِ أخلاقِهم؛ استجلابًا منهم للَّذين عاملُوهم[4] إلى الحقِّ والهدى.

فإنْ قال قائلٌ: بأنَّ يحيى عليه السَّلام فيما يُروَى عنه عرفَ ذلك، حتَّى دفعَ الإجابةَ للصِّبيان إلى اللَّعب، حتَّى مدحَه الله تعالى فقالَ: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ [مريم: ١٢] وهو ابنُ أربعِ سِنينَ، حيثُ قال لهم: ما للَّعبِ خُلقْتُ[5]. فهلَّا عرفَ يوسفُ عليه السَّلام حتَّى كان يدفعُهم؟

---

(١) في (ر): «أو لغوًا من الأعمالِ وإن كان الأنبياءُ والأصفياءُ لا يختارون من الأحوال إلاَّ أفضلَها» وفي (ف): «أو لغوين إذ ليس المراد من الأعمال إلا أفضلها».

(٢) في (ر) و(ف): «أجملها».

(٣) في (ر): «عاملوه».

(٤) في (ر): «عاملوه».

(٥) رواه ابن المبارك في «الزهد» (٨٢٣)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (٣٩٦)، والطبري في «تفسيره» (١٥/ ٤٧٤)، والخرائطي في «مساوئ الأخلاق» (٧٠٥) عن معمر.

قلْنَا: إنَّه عرفَ أنَّه للَّعبِ لم يُخلَقْ، ولكن لم يدفعْ كلامَهم تعظيمًا للإخوةِ الَّذين كانوا أكبرَ سنًّا منه، ولم يُظهِرِ الإجابةَ بالكلامِ ولا بالعملِ رتعًا ولعبًا فيما به بأسٌ مِن حسنِ عِشرتِه.

وقال الإمامُ أبو منصورٍ رحمه الله: خافَ يعقوبُ على يوسفَ الضَّيْعةَ مِن جهة الجوعِ بتركِهم حفظَ أوقات[1] الأكلِ، فأمَّنوه أيضًا عن ذلك بقولهم: ﴿يَرْتَعْ﴾؛ أي: يأكل.

وخافَ عليه أنْ يكلِّفوه[2] أمرًا يشقُّ عليه ويشتدُّ، فأمَّنوه أيضًا عن ذلك بقولهم: ﴿وَيَلْعَبْ﴾؛ لأنَّه ليس في اللَّعب مشقَّةٌ ولا شدَّةٌ.

وخافَ عليه الضَّيعةَ بتركِهم حفظَه، فأمَّنوه عن ذلك بقولهم: ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَٰفِظُونَ﴾، حتَّى استنقَذُوه مِن يدَيْه[3].

وقيل: ﴿مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا﴾ هذا عتابٌ منهم لأبيهم، ومثله في القرآن: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [الحديد: ٨]، ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الحديد: ١٠]، ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [النساء: ٧٥]، وهذا عتابُ اللهِ عزَّ وجلَّ مع عبيدِه، وقالَ نوحٌ صلواتُ اللهِ عليه: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ [نوح: ١٣]، وهذا عتابُه مع أمَّته، وقال تعالى: ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ﴾ [إبراهيم: ١٢] وهذا عتابُ الصَّالحين مع أنفسِهم.

وقالوا: قولهم: ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَٰفِظُونَ﴾ تكلَّموا بثماني كلماتٍ، وفيها ثمانيةُ أنواعٍ مِن الخطأ:

---

(١) في (ر): «آفات».

(٢) في (ف): «يلقوه».

(٣) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٦/ ٢١٣).

قالوا: ﴿أَرْسِلْهُ﴾ وهذا أمرٌ، وأمرُ الابنِ لأبيه خطأٌ.

وقالوا: ﴿مَعَنَا﴾ وهذا منهم رؤيةُ أنفسِهم، وهي خطأٌ.

وقالوا: ﴿غَدًا﴾ وهذا طولُ أملٍ منهم، وهو خطأٌ.

وقالوا: ﴿يَرْتَعْ﴾ وهذا حديثُ الأكلِ وحظِّ النَّفس، وهذا مِن المتورِّعين خطأٌ.

وقالوا: ﴿وَيَلْعَبْ﴾ وهو مِن الأنبياء خطأٌ.

وقالوا: ﴿وَإِنَّا﴾ فأعظمُوا أنفسَهم، وهذا مِن الكبراءِ خطأٌ.

وقالوا: ﴿لَحَٰفِظُونَ﴾ رأَوا الحفظَ مِن أنفسِهم، وهو مِن اللهِ جلَّ جلالُه، فإضافتُه إلى العبد خطأٌ.

وأطلقُوا هذا الوعد ولم يقولوا: إن شاء الله؛ وهو خطأٌ، لكنْ سترَ عليهم أبوهم مع علمِه بخطئِهم شفقةً عليهم.

* * *

(١٣) ـ ﴿قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِيٓ أَن تَذْهَبُواْ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِيٓ أَن تَذْهَبُواْ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ﴾: الحزنُ: ألمُ القلبِ بفواتِ المحبوبِ، والخوفُ: انزعاجُ النَّفسِ لنزولِ المكروه.

وقالوا: لعلَّ تلك المواضع كانت مَسْبَعَةً، فخافَ أن يشتغلوا عنه بما يشتغلُ مثلُهم، فيغفلوا عنه، فيعدو عليه ذئبٌ فيأكله.

وقال مقاتلٌ: وإنَّما قال يعقوبُ ذلك لأنَّه رأى في المنام أنَّ ذئبًا انتزعَ يوسفَ مِن يده[1].

وقال الإمام أبو منصورٍ رحمه الله: وهذا لا يُحتمل؛ لأنَّ رؤيا الأنبياء حقٌّ وصدقٌ، فلا يحتمل أن يرى ذلك ثمَّ يقولَ: ﴿وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ﴾، أو يدعَه يذهبُ معهم، لكنَّه خاف عليه أكلَ الذِّئب على ما يُخاف على الصِّبيان في المفاوز؛ إذ الخوفُ على الصِّبيان منها والضَّياع عليهم يكون بالذِّئب أكثرَ مِن [أيِّ] وجهٍ آخر؛ لأنَّه جائزٌ أن يفترسَه سبعٌ عند اشتغالِهم بعملٍ[2].

وقال الإمام القُشيريُّ رحمه الله: يقول: ﴿إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَن تَذْهَبُوا بِهِ﴾؛ لأنِّي لا أصبرُ عن رؤيتِه، ولا طاقةَ لي بفرقتِه، هذا إذا كانت الحالةُ حالةَ السَّلامة، فكيفَ ومع هذا أخافُ أن يأكلَه الذِّئبُ؟!

وفي الخبر: «إنَّما يُسلَّطُ على ابنِ آدمَ ما يخافُه»[3]، ولمَّا خافَ يعقوبُ على ولدِه الذِّئبَ امتُحِنَ بحديثِ الذِّئبِ[4].

❊ ❊ ❊

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٢٠١) بلا نسبة، وعزاه الواحدي في «البسيط» (٢/ ٦٠٢) إلى المفسرين.

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٦/ ٢١٥)، وما بين معكوفتين منه.

(٣) رواه الختلي في «الديباج» (٦٩) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، وذكره الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» (١/ ١٧٦)، والديلمي في «مسند الفردوس» (٩٠٤٠). وفيه بكر بن حذلم قال ابن حجر في «لسان الميزان» (٢/ ٣٤٠): متروك. ووهب بن أبان، قال ابن حجر في «لسان الميزان» (٦/ ٢٢٩): لا يُدرى من هو وأتى بخبر موضوع، ذكره الأزدي فقال: متروك الحديث غير مرضي، ثم أسند له من طريقه هذا الحديث.

(٤) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٢/ ١٧٢).

(١٤) ـ ﴿ قَالُواْ لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّآ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴾.

قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّآ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴾: أي: لئن قدر على أكله الذِّئب ونحن فرقةٌ نحيطُ به ونحوطُه، فلا يعجز مثلُنا عن ذبِّ السِّباع عنه ﴿إِنَّآ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴾؛ أي: مضيِّعون، نخسرُ أخانا فيذهب هَدَرًا، وكأنَّا[1] سلَّمْناه إلى الذِّئب وعرَّضناه للضَّياع.

والخاسر في اللُّغة: لقبٌ مذمومٌ، يقاربُ معناه معنى الهلاك، ومعنى الضَّلال[2]؛ كما قال تعالى: ﴿فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴾ [هود: ٦٣] قالوا: غير تضليل، وكأنَّه ضدُّ المفلح، والمفلح: مَن نالَ المطلوب وفاز بالخير، والخاسر: مَنْ لا خيرَ فيه ولا فلاح له، وحقيقتُه النُّقصانُ، ومنه الخسران الَّذي هو ضدُّ الرِّبح، فالخاسرُ: هو النَّاقصُ العقلِ والتَّدبير.

وقال الإمامُ القشيريُّ رحمه الله: حقَّ في إخوةِ يوسفَ ما وصفوا به أنفسَهم مِن الخسرانِ، وإنَّ مَن باعَ أخًا له مثلَ يوسف بمثل ذلك الثَّمن البَخس فحقيقٌ أن يُقال: خسِرَتْ صفقتُك[3].

وفي «كتاب عصمة الأنبياء»: فإنْ قالوا: كيفَ كان يجوزُ مِن النَّبيِّ المرسَلِ الاشتغالُ بعادات النَّاس في كلامِهم، مِن نحو قوله: ﴿إِنِّي لَيَحْزُنُنِيٓ أَن تَذْهَبُواْ بِهِۦ﴾ إلى آخره، وأسرارُ الأنبياء كانت للهِ عزَّ وجلَّ، غيرُ مُبْقًى[4] فيها غيرُ ذكرِه، فكيف كان يحزنُه أمرُ يوسفَ؟

---

(١) في (أ): «وكنا».

(٢) في (أ): «الضال»، وفي (ر): «الضياع».

(٣) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٢/ ١٧٣).

(٤) في (ف): «أن يبقى»، وسقطت كلمة غير من (أ).

قلنا: هذا إظهارٌ منه الشَّفقة على الولد، والوالدان مأموران[١] بالشَّفقة على الأولاد، والشَّفقة عليهم لا تزيلُ حقَّ الحقِّ عن أسرارِهم؛ لأنَّ الشَّفقة قائمةٌ برحمة الله تعالى، ورحمتُهُ صفتُه لا تبعدُه عن الحقِّ سرًّا وعلنًا؛ قال الله تعالى لنبيِّه: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وإلَّا كان باطنُه مصفًّى عن شوائب الشَّكِّ، ورواتب[٢] الميلِ إلى الأسباب، دليلُه قولُه تعالى: ﴿وَمَآ أُغْنِى عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ [يوسف: ٦٧] إخبارًا بأنَّ ما يخاطبُهم على قدرِ احتمالِ عقولِهم، على ما جرَتْ به العاداتُ فيما بينَ النَّاسِ استعمال الأسباب لإبلاءِ[٣] العُذْرِ وتسكينِ الخواطر[٤] مِن: لعلَّ وعسى.

وقال بعضُ الحكماء: قيل: البلاءُ موكَّلٌ بالمنطق، فكانَ بلاءُ يعقوبَ مِن ذلك، قال: ﴿إِنِّى لَيَحْزُنُنِىٓ﴾ فحزِنَ، وقال: ﴿وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ﴾ فقالوا: ﴿فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ﴾، وقال: ﴿وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ﴾ فجعلوا ذلك عذرًا لأنفسهم فقالوا: ﴿وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا﴾، وكان يجتهدُ بذكر هذه الكلمات في حفظ الولدِ وحثِّ الإخوة على ذلك، فتكلَّم بما صار تلقينًا لهم ماذا يفعلون، فقد كانوا لا يدرون ماذا يصنعون به، وماذا يقولون له، فتلقَّنوا مِن كلماتِه عذرَهم، وتعلَّموا بإشارته عذرَهم[٥].

وعن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما أنَّه قال: لمَّا قال يعقوب: ﴿وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ﴾ قالوا: ما سمِعْنا بذئبٍ أكلَ إنسانًا، فمِن أينَ تقولُ هذا؟ قال: رأيْتُ منذُ ليالٍ

---

(١) في (ف): «والوالد مأمور».

(٢) في (ف): «وروائب».

(٣) في (ر): «لإيلاء».

(٤) في (أ): «الجواهر».

(٥) «وتعلموا بإشارته عذرهم» من (أ).

على قُلَّة جبل ويوسف في بطنِ الوادي، وقد أحاطَتْ به عشرةُ ذئابٍ يريدون قتلَه، فأردْتُ النُّزولَ لأنقذَه فلم أجدْ إلى ذلك سبيلًا، فبينا أنا كذلك انشقَّتِ الأرضُ فسقطَ يوسفُ فيها، فهالني ذلك، فاستيقظْتُ فإذا يوسفُ في حجري، فقلْتُ: الحمدُ للهِ.

قال ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: فالجبلُ حالُ يعقوبَ، والذِّئابُ إخوةُ يوسفَ، وانشقاقُ الأرضِ وقوعُه في غيابةِ الجُبِّ.

فقيل لابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: وهل كان يعلمُ يعقوبُ تأويلَ الرُّؤيا؟ قال: نعم.

قالوا: فلِمَ أرسلَه معهم؟ قال: أما سمعْتُم: إذا جاء القدرُ[1] عميَ البصرُ[2]؟!

* * *

(١٥) ـ ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓا۟ أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا۟ بِهِۦ﴾: وهاهنا محذوفٌ؛ أي: فأرسلَ يعقوبُ يوسفَ عليهما السلام، فلمَّا ذهبوا به.

روي أنَّ إبليسَ ـ لعنَه اللهُ ـ أتاهم، فقال وهو في صورة شيخ، وكانوا يدبِّرون ذلك في الشِّتاء: ليسَ هذا وقتَ الخروجِ به إلى الصَّحراء، فامكثُوا حتَّى يجيءَ الرَّبيع، فقولوا للأبِ: طابَ الزَّمانُ وتزيَّنَتِ الصَّحراءُ، ويوسفُ في البيت لا يَرى ما نَرى،

---

(١) في (ف) و(أ): «القضاء».

(٢) لم أجده عن ابن عباس، وروى نحوه أبو سعيد الواعظ في مقدمة كتاب «منتخب الكلام في تفسير الأحلام» (ص: ٢٩٤) من طريق عبد المنعم بن إدريس عن أبيه عن وهب بن منبه. وعبد المنعم بن إدريس قال عنه أحمد بن حنبل كما في «الميزان»: كان يكذب على وهب بن منبه، وقال البخاري: ذاهب الحديث. وقال ابن حبان: يضع الحديث على أبيه وعلى غيره.

فأذَنْ له في الخروجِ معنا فيتفرَّجَ، فلمَّا جاءَ الرَّبيعُ جاؤوا إلى يوسفَ فكلَّمُوه حتَّى رغَّبوه في ذلك، فقالوا: إذا[١] سألْنا أبانا أنْ يأذنَ لكَ فاجهدْ أنتَ معنا في الاستئذان، ففعلوا، فتضرَّع يوسفُ إلى أبيهِ في ذلك، فاضطرَّ فأذِنَ له ليلًا أن[٢] يخرجَ معهم غدًا، وكان طولَ اللَّيل يبكي خوفًا[٣] على فِراقِه، فلمَّا أصبحَ رجَّله وطيَّبه، وبنفيسِ الثِّيابِ جمَّلَه، ولبسَ هو ثيابه، فخرجَ معهم يشيِّعُ يوسفَ، فلمَّا خرجَ مِن درب كنعان إلى شجرةٍ كانَ عندها وداعُ المسافرين عانقَ يوسفَ وودَّعه وبكى، وقال لإخوتِه: لا تلوموني، فإنِّي أتوسَّم فيه آثار أبي وجدِّي، وأوصَى يوسفَ وصايا وقال: لا تنسَ اللهَ تعالى بكلِّ حالٍ، وإذا وقعْتَ في بليَّةٍ فاستعنْ باللهِ، وأكثِرْ مِنْ قولِ: حسبيَ اللهُ ونِعْمَ الوكيل، فإنَّ جدَّكَ إبراهيمَ حين أُلقِي في النَّار قال ذلك، ولا تنسني فإنِّي لا أنساك، ولا تضحكْ حتَّى تراني، فإنِّي لا أضحكُ حتَّى أراك.

وعاهدَ إخوةَ يوسفَ أنْ يطعِموهُ ويسقوهُ عند الحاجةِ، ويحمِّلوه ولا يتعبُوه، فقَبِلوا منه ذلكَ، واحتملَه روبيل على عاتقِه[٤]، ورجعَ يعقوبُ، فغابوا عنه[٥]، فلمَّا بعدوا عنه ألقاه روبيل عن عاتقِه، وقال له: امشِ كما نمشي[٦]، فمشى وأعيى فقعدَ وقال: عطشْتُ فاسقوني، فلم يسقُوه، وعجزَ عن المشي فأكرهُوه، ولمَّا امتنعَ لطمَه بعضُهم وعنَّفوا عليه، وقالوا: أينَ رُؤياكَ النُّجومَ والشَّمس ساجدةً لك؟ استعنْ بهم واستسْقِهم واستحمِلْهم.

---

(١) في (أ) و(ر): «إنا».

(٢) في (أ): «لأن» بدل: «ليلاً أن».

(٣) «خوفًا» ليس في (ف).

(٤) في (ف): «وعانقه يعقوب» بدل من «على عاتقه».

(٥) «فغابوا عنه» من (أ) و(ف).

(٦) «كما نمشي» ليس في (ف).

وقوله تعالى: ﴿وَأَجْمَعُوٓاْ﴾: قيل: أي: عزموا، وقيل: اتَّفقوا[١] ﴿أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ﴾: قد فسَّرناه.

﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ﴾: قيل: بشَّرناه على لسانِ مَلَكٍ.

وقيل: ﴿وَأَوْحَيْنَآ﴾: أرسلنا إليه بالنُّبوَّة.

قال الحسنُ: أعطاه الله تعالى النُّبوَّة وهو في الجبِّ[٢].

﴿لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ﴾: هذه بشارةٌ مؤكَّدةٌ[٣] تأكيدَ اليمين؛ أي: لتخبرنَّهم بما فعلوا بك، وهو قوله: ﴿هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ﴾ [يوسف: ٨٩]، وهذا نبأ توبيخٍ، وهو بشارةٌ له بمصير أمره إلى ذلك.

﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾: حالةَ إلقائه في الجبِّ أنَّ اللهَ تعالى أوحى إليه وبشَّره به.

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: حين انقطعَ عنه ملاطفةُ أبيه جاءَه الوحيُ مِن بارئِه، وهكذا سُنَّته جلَّ جلالُه لا يفتحُ على نفوسِ أوليائِه بابًا مِن البلاءِ إلَّا فتحَ على قلوبِهم أبوابَ الصَّفاءِ وفُنونَ لطائفِ الولاءِ[٤].

وقال الإمامُ أبو منصورٍ رحمه الله: ويشبه أن يكون قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ﴾؛ أي: إلى يعقوب، ﴿لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا﴾، وذلك قوله تعالى: ﴿ٱذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ [يوسف: ٨٧]، عَلِمَ أنَّه حيٌّ بذلك الوحي، وعلى ذلك قوله تعالى:

---

(١) بعدها في (ف): «أن يجعلوه في غيابة الجب وهو ما أخبر الله تعالى بقوله».

(٢) ذكره الجصاص في «أحكام القرآن» (٣/ ٢١٧)، والواحدي في «البسيط» (١٢/ ٤٢)، وابن عطية في «المحرر الوجيز» (٣/ ٢٢٥)، والرازي في «مفاتح الغيب» (١٨/ ٤٣٦)، وأبو حيان في «البحر المحيط» (١٢/ ٤٢٦).

(٣) في (ف): «تؤكد».

(٤) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٢/ ١٧٣).

﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ﴾ [يوسف: ٩٤]، وقوله تعالى: ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٩٦][١].

واختلفوا في جواب (لمَّا):

قال أهلُ البصرة: هو محذوفٌ تقديرُه: عظمَتْ فتنتُهم، أو: كبر ما قصدوا إليه.

وقال أهلُ الكوفة: الواو مِن: ﴿وَأَجْمَعُوا﴾، أو مِن قوله: ﴿وَأَوْحَيْنَا﴾، أو مِن قوله: ﴿وَجَاءُو أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ﴾ مقحمةٌ زائدةٌ[٢]، ونظيرُ هذا الإقحام قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ۝١٠٣ وَنَادَيْنَاهُ﴾ [الصافات: ١٠٣ ـ ١٠٤]، وقال امرؤ القيس:

فلمَّا أجزْنا ساحةَ الحيِّ وانْتَحى ... بنا بطنُ خَبْتٍ ذِي حِقافٍ عقَنْقَلِ[٣]

---

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٦/ ٢١٦).

(٢) انظر: «التفسير البسيط» للواحدي (١٢/ ٤١)، و«تفسير ابن عطية» (٣/ ٢٢٥).

(٣) البيت من معلقة امرئ القيس. انظر: «ديوانه» (ص: ٣٩). قوله: (أجزنا) يقال: أجزت المكان وجزته: إذا قطعته. الحي: القبيلة. الانتحاء: الاعتماد على الشيء. البطن: مكان مطمئن حوله أماكن مرتفعة. الخبت: أرض مطمئنة. الحقف: رمل مشرف معوج، ويروى: (ذي قفاف)، وهي جمع قف: وهو ما غلظ وارتفع من الأرض ولم يبلغ أن يكون جبلًا. العقنقل: الرمل المنعقد المتلبد. وأصله من العقل وهو الشد، وزعم أبو عبيدة وأكثر الكوفيين أن الواو في (وانتحى) مقحمة زائدة، وهو عندهم جواب (لَمّا)، والواو لا تقحم زائدة في جواب لَمّا عند البصريين، وهو في مثل هذا الموضع محذوف، وتقديره في هذا البيت: فلما كان كذا وكذا تنعمت وتمتعت بها، وحذفُ جواب (لَمّا) كثير في التنزيل وكلام العرب. يقول: فلما جاوزنا ساحة الحي وخرجنا من بين البيوت وصرنا إلى أرض مطمئنة بين حقاف، يريد مكانًا مطمئنًا أحاطت به حقاف أو قفاف منعقدة؛ والعقنقل من صفة الخبت لذلك لم يؤنثه، ومنهم من جعله من صفة الحقاف وأحلّه محل الأسماء وعطله من علامة التأنيث لذلك. وقوله: (انتحى بنا بطن خبت) أسند الفعل إلى (بطن خبت) والفعل عند التحقيق له وللحبيبة، ولكنه ضرب من الاتساع في الكلام، والمعنى: صرنا إلى مثل هذا المكان؛ =

(١٧) - ﴿ قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴾.

وقيل: جوابُه: ﴿ قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ ﴾ مِن غيرِ إقحامٍ.

وقال وهبٌ: فجاؤوا به إلى رأسِ جبٍّ، وأرادوا أنْ يلقُوه فيه، فعلِق بهم وتعلَّق[1] برأس الجبِّ، وتعلَّق[2] قميصه بصخرةٍ، فخلعوا قميصَه وتركوه عريانًا، وأوثقوا يديه لكيلا يتعلَّق بشيءٍ، ثمَّ ألقوه فيها، فقال لهم: ردُّوا عليَّ قميصي أستترُ به في الجبِّ، فقالوا له: ادعُ الأحدَ عشر كوكبًا والشَّمس والقمر حتَّى يستروك في الجبِّ.

وكان ذلك الجبُّ بالأردن، في وادٍ مِن أوديتِها، على رأس ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب، وكان ماؤها غليظًا كدرًا، فلمَّا أُلقي فيها يوسف عذبَ ماؤها وصَفا، ووكَّل الله تعالى ملكًا فوضعَ يوسف على صخرةٍ ثابتةٍ في الجبِّ، وقعدَ يؤنسُه، وبكى يوسفُ واشتدَّ بكاؤه، وبكى الجبُّ لبكائه، وكلُّ شيء سَمِعَ صوته مِن شجرٍ أو حجرٍ أو مدرٍ[3].

وقيل: أوثقوا[4] وسطَه بحبلٍ وأرسلوه به فيه، فلمَّا توسَّط الجبَّ قطعُوا الحبلَ، فكادَ يسقُطُ، فأمر اللهُ جلَّ جلالُه جبريلَ أن يدركَه، فأدركَه وأخذَه، وجرَّ حجرًا منه، فجعله كسريرٍ وأجلسَه عليه، وقالت هوامُّ البئر بعضُها لبعض: لا تخرجْنَ مِنْ

= وتلخيص المعنى: فلمّا خرجنا من مجمع بيوت القبيلة وصرنا إلى مثل هذا الموضع طاب حالنا وراق عيشنا. انظر: «شرح المعلقات» للزوزني (ص: ٥٠).

(١) «بهم وتعلّق» ليس في (ف).

(٢) «وتعلّق» ليس في (ف).

(٣) روى نحوه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٢٩) عن السدي. وهو من الإسرائيليات.

(٤) في (ر): «شدوا».

مساكنكُنَّ، فإنَّ نبيًّا مِن الأنبياء نزلَ بساحتكُنَّ، فانحجزْنَ إلَّا الأفعى، فإنَّها قصدَتْ يوسفَ، فصاحَ بها جبريلُ فصُمَّتْ، وبقيَ الصَّممُ في نسلِها.

وعلَّم جبريلُ يوسفَ عليهما السلام هذا الدُّعاء: اللَّهمَّ يا كاشفَ كلِّ كربةٍ، ويا مجيْبَ كلِّ دعوةٍ، ويا جابرَ كلِّ كسيرٍ، ويا ميسِّرَ كلِّ عسيرٍ؛ ويا صاحبَ كلِّ غريبٍ، ويا مؤنسَ كلِّ وحيدٍ؛ لا إلهَ إلَّا أنْتَ، سبْحانَك، أسأَلُكَ أنْ تجعلَ لي فرجًا ومخرجًا، وأن تقذفَ حبَّك في قلبي حتَّى لا يكون لي همٌّ ولا ذِكْرٌ غيرُك، وأن تحفظَني وترحَمني يا أرحَم الرَّاحمين.

ثمَّ رجعَ جبريلُ، ولمَّا غربَتِ الشَّمسُ جاءَ يهوذا إلى رأسِ الجبِّ ونادى: يا يوسفُ، يا يوسفُ؛ أحيٌّ أنْتَ أم ميِّت؟ فقال يوسفُ: مَن أنتَ؟ فقال: يهوذا، وكيفَ حالُكَ؟ قال: كيفَ حالُ مَن ثكلَ أمَّه، وفقدَ أباه، وجفاه إخوتُه، واغتربَ عن وطنِه، وهو جائعٌ عطشانُ مهمومٌ عريان؟! ليس مِن الأحياءِ فوقَ الأرضِ، ولا مِن الأمواتِ تحتَ الأرضِ، فبكى يهوذا وارتفعَ بكاؤه، وقال له يوسفُ: إنَّ لكلِّ ميِّتٍ وصيَّةً، ووصيَّتي إليك ألَّا تنظر إلى شابٍّ إلَّا ذكرْتَ شبابي، ولا إلى يتيمٍ إلَّا ذكرْتَ يتمي، ولا إلى غريبٍ إلَّا ذكرْتَ غربَتي.

فبكى يهوذا بكاءً شديدًا، فسمعَ الإخوةُ بكاءَه، فأتوه فقالوا له: أتبكي عليه؟ وسدُّوا رأسَ الجبِّ بصخرةٍ عظيمةٍ، فبكى يوسفُ حينئذٍ، وصاح صيحةً بكى لها ملائكةُ السَّماء، وقالوا: يا ربَّنا، ارحمْهُ، فبعثَ اللهُ تعالى جبريلَ ومعَه أطعمةٌ وأشربةٌ مِنَ الجنَّة، ونوَّرَ الجُبَّ، وكان القميصُ الَّذي ألبسَه جبريلُ إبراهيمَ عليه السَّلام في الهواء يومَ أُلقي في النَّارِ وصلَ إلى يعقوبَ عليه السلام، وكان جعلَه في تعويذٍ

وربطَه على عضدِ يوسفَ، فحلَّه[1] جبريلُ وأخرجَه وكساهُ، وطيَّب قلبَه بالبشاراتِ، وقال له بأمر الله: ﴿لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾.

قال قائلُهم:

الدَّهـرُ لا يبقـى علـى حالَـةٍ ... كـذاك حـالُ العبـدِ في العُسْرِ

أمَـا تـرى يوسـفَ في جُبِّـهِ ... في ضِيـقِ أمْـرٍ ثـمَّ في اليُسْرِ

* * *

(١٦) ـ ﴿وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ﴾: العشاء: في آخر النَّهارِ إلى نصف[2] اللَّيلِ.

و﴿يَبْكُونَ﴾ في معنى الحال؛ أي: يُظهِرون الحزنَ على يوسفَ، ويحتمِل أنَّهم ندموا على ما فعلُوا.

* * *

(١٧) ـ ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ﴾: قال الزَّجَّاج: أي: نترامَى أيُّنا أصوبُ سهمًا[3]. وقيل: أي: نتعادى بالأقدام أيُّنا أسرع عدوًا.

﴿وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَاعِنَا﴾: أي: رَحْلِنا ﴿فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾؛

---

(١) في (ر): «فخلعه».

(٢) «نصف» من (أ).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٩٥).

أي: بمصدِّقٍ لنا فيما نقولُه ﴿وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾؛ أي: عند النَّاس لا نُتَّهمُ بتضييع أخينا، وذلك لسوء ظنِّك بنا، واتِّهامِك لنا فيه.

* * *

(١٨) - ﴿وَجَاءُو عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَجَاءُو عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾: أي: مكذوبٍ فيه؛ مصدرٌ أُرِيْدَ به المفعول به؛ كـ(الثِّقة) يُراد به الموثوقُ به؛ أي: أخرجوا له قميصَ يوسفَ ملطوخًا بدمٍ كذبوا فيه.

قال ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما ومجاهدٌ: كان دمَ سَخْلَةٍ، أوهموه أنَّه دمُ ابنه[1].

﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا﴾: أي: لم يصدِّقْهم فيما جاؤوا به من الدَّم، وما أخبروه به مِن أكل الذِّئبِ، وقال لهم: ليس الأمرُ على ما تذكرون، بل زيَّنَتْ لكم أنفسُكُم أمرًا ففعلتُموه.

و﴿أَمْرًا﴾ كنايةٌ عن تضييعهم يوسفَ أو إهلاكِهم إيَّاه، ولمَّا يكن ذلك بيِّنًا عند يعقوبَ كنَّى فقال: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا﴾: أردْتُم أن يخلوَ وجهي لكم، فغيَّبْتم يوسف عنِّي.

وقوله تعالى: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾: أي: فلي صبرٌ جميلٌ، أو: فمني[2]؛ كقوله تعالى:

---

(١) رواه عن ابن عباس رضي الله عنهما عبد الرزاق في «تفسيره» (١٢٧٨)، والطبري في «تفسيره» (١٣/ ٣٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢١١١). رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٣٥) عن مجاهد. السَّخْلَةُ: تطلق على الذكر والأنثى من أولاد الضأن والمعز ساعة تولد، والجمع سخال وسَخْل. انظر: «المصباح المنير» للفيومي (مادة: سخل).

(٢) في (ف): «أو هي مني».

﴿فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة: ١٨٤]، ﴿فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ﴾ [النساء: ٩٢]؛ أي: فعليه ذلك.

قال النَّبيُّ ﷺ: «﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾: صبرٌ لا شكوى فيه»(١).

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾: أي: أستعين الله على كشف ما الْتَبس عليَّ من أمرِكم.

وعن الشَّعبيِّ قال: كانت قصَّةُ يوسفَ كلُّها في قميصِه، لمَّا ألقاه إخوتُه في الجبِّ نزعوا عنه قميصَه، وعمدوا إلى سَخْلَةٍ فذبحوها ولطَّخوا قميصَه بدمِها، ثمَّ جاؤوا به إلى أبيهم، فنظرَ يعقوبُ إلى القميص وهو صحيحٌ فقال لبنيه: إنْ كانَ هذا الذِّئبُ لحليمًا حينَ أكلَ ابني ولم يخرقْ قميصَه، ولمَّا شهد شاهدٌ قال: ﴿وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ﴾ [يوسف: ٢٧] الآيات، ولمَّا أُتِيَ يعقوبُ بقميصِه فأُلقِي على وجهِهِ فارتدَّ بصيرًا(٢).

وفي القصَّة: أنَّهم لمَّا أبطؤوا على يعقوبَ كانت له جاريةٌ يقال لها: صفراء، فقال لها: خذي بيدي فانطلقي بي أستقبل يوسف، فخرجَا من كنعان، وصعدا تلًّا ينظران، فلمَّا أظلمَ اللَّيل قال لها: صيحي بأولادي، فقالَتْ: يا أولادَ يعقوبَ؛ هذا أبوكم ينتظركم، فسمعوا بذلك وهم في وادٍ، فمزَّقوا ثيابَهم وجعلوا يقولون: يا يوسفاه، يا حبيباه، فقال يعقوبُ: ما هذا الصِّياح؟ فأخبرتْهُ بما يقولون، فخرَّ مغشيًّا عليه، ثمَّ أفاقَ فقال: أيُّ ذئبٍ أكلَه؟

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «الصبر» (١١٠)، والطبري في «تفسيره» (١٣/ ٤١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢١١٢) عن حبان بن أبي جبلة مرسلًا.

(٢) روى نحوه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٢٨٢)، والطبري في «تفسيره» (١٣/ ٣٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢١١١).

وفي هذه الرِّواية: أنَّهم كانوا أخذوا ذئبًا فأحضروه، فقالوا: هذا الذِّئب، فقال للذِّئب: لِمَ أكلْتَ ولدي؟ فتكلَّم الذِّئبُ وقال: إنَّا لا ندورُ حولَ غنمِك، فكيفُ نأكلُ ولدَك؟! قال: فهل هو في الأحياء؟ قال: نعم، قال: أين هو؟ قال: سَلْ جبريلَ، قال: إنَّه لا يخبرني، قال: وإذا لم يخبرْكَ هو فكيفَ أخبرُكَ؟ وقال لأولاده: أسمعْتُم؟ قالوا: تصدِّق ذئبًا وتكذِّبنا ونحن عشرةٌ! فقال: جيئوا[1] بشيءٍ يدلُّ على ذلك ويكون لي تذكرةً عنه، فذهبوا وعادوا عشاءً وقد حملوا قميصَه ملطَّخًا بدم شاةٍ، فأخذَه ونظرَ فيه، فإذا هو صحيحٌ لم يُخرَقْ، فقال: هل كان يوسفُ في هذا القميصِ؟ قالوا: نعم، قال: كيف وصلَ إليه ولم يُخْرَقْ هذا؟ فخجلوا، فقال لهم: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا﴾، ثمَّ توجَّه إلى الوادي وهو يقول: يا ولدي وقرَّةَ عيني وثمرةَ فؤادي؛ في أيِّ جُبٍّ طرحوك؟ في أيِّ بحرٍ غرَّقوك؟ بأيِّ سيفٍ قتلوك؟ بأيِّ أرضٍ دفنوك؟ فبكى لبكائِه الملائكةُ، فأتاه جبريل وقال: قد أبكيْتَ[2] بكائِكَ الملائكةَ، فقال: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾.

وفي «كتاب عصمة الأنبياء» قال: أضافَ[3] فعلَهم إلى تسويلِ أنفسِهم، ولم يصرِّحْ بالفعلِ عنهم، فلم يقلْ: فعلْتُم ما فعلْتُم وأنتم ظالمون، بل قال: ﴿سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ﴾ وعقودُكُم للإيمان خاليةٌ عن قَبول تسويل أنفسكم ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾؛ أي: يسهُلُ لي الصَّبرُ إذا تأمَّلْتُ فعلَكم أنَّكم لم تكابروني[4] معتقدين إيذائي، فيخفُّ عليَّ تحمُّلُ أذاكم، فأصبرُ صبرًا جميلًا، وهو الَّذي لا جزعَ فيه.

---

(١) في (أ): «أجيبوا».

(٢) في (أ): «بكت».

(٣) في (أ) و(ف): «أصاب».

(٤) في (أ): «تكابروني في».

وقد فعل ذلك عند الصَّدمةِ الأولى، ووفَّى حقَّ الصَّبر؛ إذ لوعةُ المصيبةِ عند حدوثِها أشدُّ، فإذنْ لم يخالفْ وعدَه بالصَّبر الجميل؛ إذ لم يجزعْ للحالِ، وجزعُه مِن بعدِ ذلك.

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ [يوسف: ٨٤] لا ندري لماذا كان، فلا يزولُ به الصَّبرُ، على أنَّ الجزعَ لا يزيلُ الصَّبرَ[١]؛ قال النَّبيُّ ﷺ في وفاة إبراهيمَ ولدِه: «إنَّ القلبَ يجزَعُ، والعينَ تدمعُ، ولا نقول ما يسخِطُ الرَّبَّ»[٢]؛ أبانَ أنَّ صفةَ الإنسانِ هي الضَّعفُ والعجزُ[٣]، قال تعالى: ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٨].

ولأنَّ جزعَه كان لفواتِ تلك اللَّطائفِ الَّتي كان اختُصَّ بها يوسفُ، فكانَت تؤثِّر في سرِّ يعقوبَ عليه السلام[٤]، وهي كانت ربَّانية، والعبدُ فيما يفوتُه مِن نحو هذا إذا جزعَ بما يُعمِي بصرَه ويذوِّب جسمَه كان ممدوحًا معلًّى[٥] قدرُه.

على أنَّ جزعَه إنْ جُعِلَ على فراقِ يوسفَ على ما قال: ﴿يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ وحُمِلَ على ظاهرِه لم يبعدْ مِنَ الحكمةِ، والأشباحُ لها حرمةٌ في ذاتِ الله تعالى ردًّا على المعتزلة، فإذا جزعَ لفقدِ جسدٍ أَجَلَّ اللهُ قدرَهُ؛ فقد أَجَلَّ ما أجلَّهُ اللهُ عزَّ وجلَّ، فلم يكن جزعُه كجزعِ الغافلينَ لفقدِ الولدِ بحقِّ الميلِ إليهم نهمةً ورغبةً في حظوظهم منهم.

وقال الإمامُ أبو منصورٍ رحمه الله: وفي الآية دلائل:

---

(١) في (ف): «لا يزول مع الصبر»، وفي (ر): «لا يزيد مع الصبر».

(٢) رواه البخاري (١٣٠٣)، ومسلم (٢٣١٥)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٣) في (ف): «والجزع».

(٤) بعدها في (أ): «فيتحلى بتلك اللطائف»، وفي (ر): «فتحلى بتلك اللطائف».

(٥) في (ر): «على».

أحدهـا: أنَّ مَـن ارتكبَ صغيرةً فإنَّـه يُخافُ عليه التَّعذيبُ ولا يصيـرُ كافرًا، ومَن ارتكـبَ كبيـرةً لـم يخرجْ مـن الإيمان؛ لأنَّ إخوةَ يوسـفَ همُّـوا بقتلِـه(١) أو طرحِه في الجُـبِّ، والتَّغييـبِ عن وجه أبيـه وإخلائه(٢) عنـه، وذلك لا يخلو منهـم: إمَّا أن تكون صغيـرةً أو كبيـرةً؛ فـإنْ كانت صغيرةً فقد اسـتغفروا عليها بقولهـم: ﴿يَـٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ﴾ [يوسـف: ٩٧]، دلَّ أنَّهـم إنَّمـا اسـتغفروا لِمَـا خافـوا مـن(٣) العـذابِ عليها وإنْ كانـت كبيـرةً، فلـم يخرجـوا عـن الإيمـان حيـث صـاروا(٤) أنبياءَ مِـن بعـدُ، وصاروا قومًـا صالحين.

دلَّ ما ذكرنا على نقض قولِ المعتزلة في صاحب الصَّغيرة: إنَّه لا يعذَّبُ عليها، وصاحبِ الكبيرة: إنَّه يخرجُ من الإيمان، ونقضِ الخوارج في قولهم: إنَّه إذا ارتكب كبيرةً أو صغيرةً صار به كافرًا مشركًا بالله(٥)، ونقضِ قولِ مَن يقول: إنَّ مَن كذَبَ متعمِّدًا أو وعَدَ فأَخلفَ أو اؤتمنَ فخانَ يصير منافقًا؛ لأنَّ إخوةَ يوسفَ ائتُمِنوا فخانوا، ووَعدوا فأَخلفوا، وحدَّثوا فكذَبوا، فلم يصيروا منافقين لأنَّهم قالوا: أكلَه الذِّئبُ، وما أكلَه، وهو(٦) كذبٌ، واؤتمنوا فخانوا حين ألقوه في الجبِّ، ووَعدوا أنَّهم يحفظونَه فلم يحفظوه.

فإن قيل: رُويَ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «ثلاثٌ مِن علاماتِ النِّفاقِ: إذا حدَّثَ

---

(١) في (ف): «بقتل يوسف».

(٢) في (ف): «وإجلائه».

(٣) «من» من (ف).

(٤) في (أ) و(ر): «صاروا به».

(٥) «بالله» من (أ).

(٦) في (ر) و(ف): «لأنه».

كذبَ، وإذا اؤتمِنَ خانَ، وإذا وعدَ أخلفَ»[١]، فكيف توفِّق بينَ الآية والخبر، إذ هو لا يحتملُ النَّسخَ لأنَّه خبرٌ، والخبرُ لا يحتملُ النَّسخَ؟

قيل: يشبه أن يكون هذا في قومٍ خاصٍّ، اؤتمنوا ما أُودِعَ في التَّوراة مِن نعتِ[٢] محمَّدٍ ﷺ فغيَّروا، ووعدوا أن يبيِّنوه فأخلَفوا وكتموه، وحدَّثوا أنَّهم بيَّنوه فكذَبوا.

أو يصير منافقًا ممَّا ذُكرَ[٣] إذا كان ذلك في أمر الدِّين، فأمَّا في غيره فإنَّه لا يصير به منافقًا، ولا يكون ذلك مِن أعلام المنافق، والله تعالى أعلم[٤].

وقال في قوله تعالى: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾: ﴿فَصَبْرٌ﴾؛ أي: كفُّ النَّفسِ عن الجزعِ، ﴿جَمِيلٌ﴾ لا مكافأة فيه، فإنَّهم بما فعلوا كانوا مستوجِبين ذلك[٥].

***

(١٩) ـ ﴿وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُواْ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ قَالَ يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُواْ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ قَالَ يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾: قرأ ابن كثيرٍ ونافع وأبو عمرو[٦]: ﴿يا بشراي﴾؛ أي: بالألف مضافةً بالياء، وقرأ الباقون: ﴿يَٰبُشْرَىٰ﴾ غير مضافٍ[٧].

---

(١) رواه البخاري (٣٣)، ومسلم (٥٩)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) في (ف): «بعث».

(٣) في (أ): «منافقاً بما وعد».

(٤) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٦/ ٢١٦ ـ ٢١٧).

(٥) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٦/ ٢١٩).

(٦) وكذا ابن عامر الشامي.

(٧) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٣٤٧)، و«التيسير» (ض: ١٢٨). وقرأ ابن عامر مثل ابن كثير ومن معه.

والواردُ[1]: الصَّائر إلى الماء للاسْتِقاءِ منه.

وأدلى دلوَه: أرسلَها ليملأَها، ودلَّاها يَدْلوها: أخرجها ملأى ماءً.

والإسرارُ: الإخفاء.

والبضاعةُ: قطعةٌ من المال تُحمَلُ لطلبِ ربحها.

يقول: وجاءَتْ عِيرٌ يسيرونَ إلى موضعٍ ـ قيل: كانوا يسيرون إلى مصرَ جائين من الشَّام ـ فانتهوا إلى ناحية بيتِ المقدسِ، والجبُّ هناك، فأرسلوا مَنْ يَرِدُ البئرَ فيَستقي لهم الماءَ على رَسْمِ القوافلِ، فأرسلَ دلوَه في البئرِ، فتعلَّقَ بها يوسفُ، فرآه الوارِدُ فنادى أصحابَه ـ وهم بالقُرْبِ منه ـ بالبشارة، فقال: يا بُشْرَى لكم، هذا غلامٌ عبدٌ قد وجدْتُهُ.

ومَن قرأ: ﴿يا بشراي﴾ فمعناه: يا بشارة لي.

ولمَّا نادى أصحابَه ـ وهم رفقته[2] ـ بالبشارةِ، فنظروا إليه ﴿وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً﴾؛ أي: قالوا في أنفسهم: نبيعُ هذا الغلامَ مِن مَلِكِ مصرَ، فنكون قد انتفعنا[3] بثمنِه، فتقدير هذا: أسرُّوا هذا في أنفسِهم جاعلين له[4] بضاعةً.

وقيل: معناه: أنَّ هذا الواردَ ورفقتَه خافوا أنَّ سائرَ أهل العير إنْ علموا بالحال استشركوهم فيه، فأسرُّوا فيما بينهم أنْ يقولوا إذا سألَهم أهلُ العير عنه قالوا: إنَّه بضاعة استبضَعَناه بعضُ أهل الشَّام إلى مصر؛ ليسلَمَ الغلامُ لهم من غيرِ مزاحمةٍ.

---

(١) في (أ): «والوارد أيضًا».

(٢) في (ر) و(ف): «رفقة».

(٣) في (ف) و(أ): «ارتفقنا».

(٤) أي: جاعلين إياه، واللام تدخل على المفعول مع اسم الفاعل للتقوية.

وقيل: ﴿وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً﴾: هو فعلُ إخوةِ يوسفَ، وكانوا بالقرب منهم، جاؤوا وكتموا أنَّه أخوهم، وجعلوه عبدًا حملوه بضاعةً لأنفسِهم يبيعونه، ولم يُظهرْ يوسفُ؛ خوفًا على نفسِه من القتل الَّذي أَوعدوه به[1].

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ﴾ بما كانَ الإخوة يعملونَه، أو الملتقطون، مِن إسرارِه بضاعةً، ولو شاءَ اللهُ لغيرهم، ولعجَّل ليوسفَ عليه السلام خلاصَه، لكنَّه أمضى فيه سابقَ حكمِه على وَفق علمِه وإرادتِه، حيث جعل لكلِّ أجلٍ كتابًا، فأمهلَهم حتَّى يبلغَ الكتابُ أجلَه، فيخلِّصَه حينئذٍ.

قال كعبٌ: كان بينَ مَدينَ ومصرَ[2]، فأخطأَتِ الرُّفقةُ الطَّريقَ، فعثروا على بئرٍ في وسط مَفازةٍ، ولم يكنِ البئرُ على الطَّريق، وإنَّما كانت بئرًا للرُّعاة يسقون أغنامَهم منها.

وقال الإمامُ القشيريُّ رحمه الله: لمَّا أراد الله جلَّ جلاله خلاصَ يوسفَ من الجبِّ أزعجَ خواطرَ السَّيَّارة في قصدِ السَّفر، وأعدمَهم الماءَ حتَّى احتاجوا إلى الاستقاءِ، ليصلَ يوسفُ إلى خلاصِه، وقد قيل: رُبَّ تشويشٍ يقعُ في العالَم والمقصودُ منه سكونُ واحدٍ، وقد قيل: ربَّ ساعٍ لقاعدٍ[3].

وقال وهبٌ: كان يوسفُ صلوات الله عليه في الجُبِّ ثلاثةَ أيَّامٍ، وإخوتُه بالقربِ منه يحرسونَه حتَّى جاءَتِ السَّيَّارةُ؛ وهي رفقةٌ مِن أهل مدينَ، وهم ثلاثُ مئةٍ وثلاثة عشرَ نفسًا، فنزلوا قريبًا من الماء، فأرسلوا واردهم ـ وهو مجلث بن رَعْويل ـ فأدلى دلوَه.

---

(١) ذكره ابن كمال باشا في «تفسيره» عند هذه الآية عن ابن عباس، ثم تعقبه بقوله: ولا يخفى ما فيه من الاختلال لحُسن نظم المقال، والإشكالِ من جهة أن التعبير المذكورَ لا يناسب الحال.

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٢٠٠).

(٣) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٢/ ١٧٤).

وقال عثمان بن عبد العزيز الحيريُّ: وكان سيِّدُ القوم مالكَ بن دُعْر الخزاعيَّ من العرب.

وقيل: هو مالك بن دُعْر بن ثويب بن عباد بن مدين بن إبراهيم من أهل مدين؛ ابن أخي شعيب(١).

﴿وَارِدَهُمْ﴾ بُشَير، وكان لمالكٍ غلامان: بُشير، وبُشرى، فأدلى بُشيرٌ دلوه، فتعلَّق بها يوسفُ، فقعدَ فيها فأمسكَ الحبلَ بيدِه، فطلعَ الغلامُ مِن الدَّلو يتكلَّمُ بغير كلام السَّيَّارة، ولم يروا مثلَه حُسنًا وجمالًا ونضرة وتمامًا، فلمَّا نظر إلى الغلام قال لأصحابِه: يا بُشرى، أو قال لصاحبِه: يا بُشرى؛ وهو اسمُه.

﴿وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً﴾: كتموه عن القوم، وقالوا لأهل القافلة: بضاعةٌ استبْضَعَناه أهلُ الماء نبيعُه لهم بمصر، وكان ذلك بأعينِ إخوة يوسف، فجاؤوهم(٢) وقالوا لهم: هل لكم أن تشتروا منَّا هذا الغلام؟ قالوا: أَوَ مملوكٌ هو لكم؟ قالوا: نعم، قالوا: حاشا لله، ما هذا بمملوكٍ، ولا موسومٍ بالعبوديَّة، ولكنَّه موسومٌ بسيما الأحرارِ والكرام، فما قصَّة هذا الغلام؟

قالوا: وُلد في حجورنا، ونشأ بيننَا، وربَّيناه بأيدينا، فأحبَّه أبونا، فأكرمَه وآثرَه ونعَّمَه ووَمَقَهُ(٣)، فصرفَ وجهَه وغلبَ عليه، فأدرَكَنا ما يدركُ النَّاسَ مِن الغيرة والحسد، وغاظنَا أن يكونَ عبدُنا أحبَّ إلى أبينا منَّا، وليس بمملوكٍ لأبينا، ولكنَّه ابن أَمَةٍ لأمِّنا، وقد وَهَبَتْهُ لنا، وأذنَتْ لنا في بيعِه، وكرهَتْ قربَه مِن أجلِنَا، فلمَّا سمعَتِ السيَّارة مقالَتهم، ورأوا حالَتهم وحسنَ هيأتِهم، صدَّقوهم فاشتروه منهم.

---

(١) رواه الطبري في «تاريخه» (١/ ٣٣٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما، ورواه في «التفسير» (١٣/ ٦١) عن ابن إسحاق.

(٢) في (ف): «فجاؤوا».

(٣) ومقه: أحبَّه. انظر: «الصحاح» للجوهري (مادة: ومق).

(٢٠) ـ ﴿ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴾.

فذلك قوله: ﴿ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ ﴾: أي: باعوه، يعني: إخوته، قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ﴾ [البقرة: ٢٠٧].

وقوله: ﴿بِثَمَنٍ بَخْسٍ﴾ قال ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: أي: قليل[١]، والبَخسُ في اللُّغةِ: النَّقصُ.

وقال ابن حَيَّان: أي: زيفٍ رديءٍ[٢].

وقيل: أي: حرامٌ؛ لأنَّ ثمنَ الحرِّ حرامٌ[٣].

وقوله تعالى: ﴿دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ﴾: بدلٌ من (ثمن بخس).

قال أبو بكر بن عبدش[٤]: هذا يدلُّ على أنَّه كان من ثلاثةٍ إلى عشرةٍ؛ لأنَّ ما فوقَه مِن العددِ لا يُسمَّى دراهم[٥].

وقيل: إنَّها لقلَّتها عُدَّتْ ولم توزَنْ.

وقيل: كانَتْ أربعيْنَ أو دونَها، وكانوا يَعدُّون ما دون الأوقيَّة، ويَزِنون ما فوقَها، والأوقيَّة: أربعون درهمًا.

وأكثرُهم على أنَّها كانت عشرين، وهو قول ابن عبَّاس وقتادة وعكرمة

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٥٥) عن الشعبي وعكرمة.

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٢٠٥)، والواحدي في «البسيط» (١٢/ ٥٦). وابن حيان هو مقاتل.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٥٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) أبو بكر بن عبدش مفسر نقل عنه الثعلبي في مواضع من «تفسيره»، وسماه في «معجم الأدباء» (٦/ ١٨٣٠): أبو بكر بن عبدوس.

(٥) القول بلا نسبة في «تفسير السمرقندي» (٢/ ١٨٥).

وعطيَّـة(١)، وكانـوا عشـرةً، وأصـابَ كلَّ واحـدٍ منهـم درهمان.

وقولـه تعالـى: ﴿وَكَانُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ﴾: أي: كانـت الإخـوة غير راغبين فـي ثمنِه.

وقيل: في بيعِه(٢).

وقيل: وكان المشترون في شرائِه غيرَ راغبين؛ لأنَّ الإخوة وصفوه بالإباق.

وقيل: أي: ما خطرَ ببال المشترِيْنَ معه الفسقُ مع صباحته وملاحته.

وفي القصَّة: أنَّهم لمَّا عرضوه على البيع قال مالكٌ: ليس معي نقدٌ كثيرٌ، قالوا: نساهلك بما معَكَ، فكان معه عشرون درهمًا للنَّفقة، فاشتراه منهم بها، فطلبَ مالكٌ منهم كتابَ المشتري، فكتبَ روبيل: باسم إلهِ إبراهيم، هذا ما اشترى أبو دلامة مالكُ بن دُعْر الخزاعيُّ مملوكًا من آلِ يعقوبَ بعشرين درهمًا، نصفها عشرة دراهم، وأعطاهم عهدَه وميثاقه الَّذي اتَّخذ على أنبيائِه ورسلِه أمانةً في ذمَّتِه بأن لا يُلبسه إلَّا الـمِسْحَ(٣)، ولا يطعمه إلَّا قُوْته، ولا يحمله إلَّا على بعيرٍ بغير وكاءٍ، ولا يطلقَه حتَّى يدخلَه مصرَ. وقبض آلُ يعقوبَ الثَّمن، وأخذَ مالكٌ العبدَ، وأشهدوا بذلك على أنفسِهم أصحابَ العير من التجَّار(٤).

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: قيل: ﴿بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ﴾؛ أي: باعوه بثمنٍ لا يُباعُ مثلُه بمثله.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٥٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما وعطية وقتادة، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢١١٥) عن عكرمة.

(٢) في (أ): «عينه».

(٣) المِسح: ثوب من الشعر غليظ. انظر: «تهذيب الأسماء واللغات» للنووي (٣/ ٣١٥).

(٤) خبر غريب مخترع لا أصل له.

﴿وَكَانُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ﴾ قيل: أي: المشترون لمَّا خافوا ذهابَ الثَّمن إن كان مسروقًا[١].

وقال الإمامُ القُشيريُّ رحمه الله: ليس العجبُ ممَّن يبيعُ يوسفَ بثمنٍ بخسٍ، إنَّما العجبُ ممَّن يجدُ مثلَ يوسفَ بثمنٍ بخسٍ، والحرمانُ لا غايةَ له، والبَختُ لا نهايةَ له.

قال: ويقالُ: ليسَ العجبُ ممَّن يبيعُ يوسفَ بثمنٍ بخسٍ، العجبُ ممَّن يبيعُ وقتَه ـ الَّذي هو أعزُّ من الكبريتِ الأحمرِ ـ بعَرَضٍ حقيرٍ من الدُّنيا.

قال: ويقال: إنَّ السَّيَّارة لم يعرفوا قيمَته وزهدوا في شرائِه بثمنٍ بخسٍ، والَّذين وقفوا على جماله وشيءٍ من حاله غالَوا بمصرَ في ثمنِه حتَّى اشتَروه[٢] بزنتِه دراهمَ ودنانيرَ مرَّات، وفي معناه أنشدوا:

إنْ كنْتُ عندَكَ يا مولايَ مطَّرَحًا فعندَ غيرِكَ محمولٌ على الحَدَقِ[٣]

* * *

(٢١) ـ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ

---

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٦/ ٢٢١).

(٢) في (ر): «شروه».

(٣) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٢/ ١٧٥)، والبيت لأبي طالب محمد بن علي بن عبد الله المعروف بالبغدادي المستوفي. كما في «يتيمة الدهر» للثعالبي (٥/ ٢٨٨).

﴿أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا﴾: قال وهبٌ: فانطلقَتِ السَّيَّارة حتَّى وردوا به مصرَ، فرفعوه إلى سوقِها، فعرضوه للبيع، فترافعَ النَّاسُ في ثمنِه وتزايدوا وتنافسوا فيه، حتَّى بلغَ ثمنُه وزنَه مسكًا، ووزنَه وَرِقًا، ووزنَه حريرًا، فوُزِنَ فبلغَ أربعَ مئةِ رِطلٍ، وهو يومئذٍ غلامٌ ابن ثلاث عشرة سنة، وقيل: ابن ثماني عشرة سنة، وقيل: ابن تسع عشرة سنة.

اشتراه بذلك رجلٌ من القِبطِ يُقال له: قطفير، وهو عزيزُ مصر[١]، وهو أمينُ أهل مصر في أنفسِهم، وأمينُ فرعونَ وخازنه على كلِّ شيء يملكه ويَحوزه وكاتبه[٢]، وكان قطفير مؤمنًا معلنًا بإيمانه، وكان شرَطَ على الملكِ ألَّا يصدَّه عن دينِه، ولا يَدْعوه إلى غيرِه ليعملَ له؛ وكان رجلًا صالحًا.

قيل: والملكُ فرعونُ موسى، ويدلُّ عليه قولَه تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ [غافر: ٣٤]، وهو غيرُ بعيدٍ؛ لأنَّ فرعونَ عاشَ أربعَ مئة سنة.

وقيل: بل فرعونُ موسى من أولادِ فرعونِ يوسفَ؛ وهو الوليدُ بن الريَّان رجلٌ من العماليق.

وقيل: لمَّا نقدَ العزيزُ لمالك بن دُعْر هذه الأشياء؛ قال يوسفُ لمالك: لا تأخذ هذه الأشياء ثمنًا عنِّي فإنِّي حرٌّ، وبيَّن نسبَه، فقال مالكٌ: لِمَ لا تخبرني بذلك؟ فقال: لا يمكن، فأتى العزيزَ وقال: لا يصلح لمثلي ـ وأنا تاجرٌ من تجَّار ولايتكَ، والمستظِلِّ بظلِّ دولتك ـ أن أربحَ عليك، وإنِّي اشتريتُه بعشرينَ درهمًا، فلا آخذُ منك إلَّا هذا القَدْرَ، ولولا أنَّك لا ترضى بامتناني عليك لم آخذْ منك شيئًا، فأحسنْ إلى هذا فإنَّه أهلٌ للإحسانِ.

---

(١) بعدها في (أ): «وهو أمين مصر».

(٢) «ويحوزه، وكاتبه» ليس في (ف).

ثـمَّ أتـى إلـى يوسـف وقـال: إنِّـي قـد علمْـتُ[١] بقولِـك، وبيننـا ممالحـةٌ[٢]، فاقـضِ حاجتـي، قـال: ومـا حاجتُـكَ؟ قال: أنـا رجـلٌ لا ولدَ لـي، فـادعُ اللهَ تعالى أن يرزقنـي ولـدًا، فنظـر يوسـف عليه السـلام إلى جبريـلَ مقبلًا يقـولُ لـه: ادعُ اللهَ للتَّاجـر فإنَّـه قريـبٌ مجيـبٌ، فقـال: ما أقـول؟ فقال: قلْ: يـا مَنْ يُعـزُّ ويـذلُّ، يا مَنْ يضـعُ ويرفَـعُ، ويـا مَنْ يُعطـي ويمنعُ، يا مَـنْ هو على كلِّ شـيءٍ قديرٍ، ارزق الشَّـيخَ أولادًا ذكورًا.

قال ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: فاستُجيبَتْ له دعوتُه، وكان لمالك بن دُعْر اثنتا عشـرةَ جاريةً، فرجع إليهنَّ وباشـرهنَّ، فحملَتْ كلُّ جاريةٍ وولدَتْ ذكرَيْنِ، فاجتمعَ له أربعةٌ وعشـرون ابنًا: الشَّرعبي[٣]، والسَّبندي، والسَّندري[٤]، والأخيل، والبلندَى، والمهـذَّب، والمصفَّـى[٥]، والأصفـح، والصَّمحمـح[٦]، والخضـم، والمشـرفي، ومِصـدع، والسَّـميدع، والرحَّـال، والذَّيَّـال، والصَّيفـي، وقيظـي[٧]، وبَيْهـس[٨]،

---

(١) في (ف): «أعلمت».

(٢) أي: مؤاكلة، يقال: مالحت فلاناً ممالحة، وهو يحفظ حرمة الملح والممالحة. انظر: «أساس البلاغة» للزمخشري (مادة: ملح).

(٣) في (أ): «الشرعي»، وفي (ر): «الشرعني»، والمثبت من «أنساب اليمن» للكلبي (١/ ٢١٤)، و«الاشتقاق» لابن دريد (ص: ٣٧٨).

(٤) في (ر): «والسدري».

(٥) في (أ): «والمهندب والمصطفى».

(٦) في (أ): «والضحضح» وفي (ف): «والصحيح»، وفي (ر): «والفخضم». والمثبت من «أنساب اليمن»، و«الاشتقاق».

(٧) في (ف) و(ر): «قبطي».

(٨) في (ف): «وينهس».

وعَسْعس، والعملَّس[١]، والعدبَّس، والملادس، والعلاس[٢]، والعرندس[٣].

ولمَّا اشتراه العزيزُ وحملَه إلى بيتِه قال لامرأتِه زليخا: ﴿أَكۡرِمِي مَثۡوَىٰهُ﴾؛ أي: أحسِني مقامَه[٤]، وأنزليه منزلة مَن يُكرَم.

﴿عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ﴾: بالإعانة لنا على أمورنا الَّتي نليها، يكفينا بعض أشغالنا، فنرتفِق ارتفاق العبيد ﴿أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗا﴾؛ أي: نتبنَّاه، وهذا يدلُّ على أنَّهما لم يكن لهما ولدٌ، ويحتمل أنَّه كان، والتمسَا الزِّيادة، أو توسَّما في يوسف ما كان معدومًا في أولادهما، وكان الله تعالى ألبسَ يوسف في تلك الحالة لباسَ مثله ممَّن قد أعدَّه لاصطفائه.

وقيل: أصدقُ النَّاسِ فراسةً ثلاثةٌ: العزيزُ حين قال: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗا﴾، وابنة شعيب حين قالت: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ

---

(١) في (ف): «قلمس»، وفي (أ): «القلمس».

(٢) كذا في جميع النسخ، وفي «أنساب اليمن»: «السندرس».

(٣) قال ابن دريد في «الاشتقاق» (ص: ٣٧٨ ـ ٣٧٩): الشَّرعبيُّ: منسوبٌ إلى شَرعَب، جنسٍ من الثِّياب. والسَّبَنْدَى: الجريء المُقْدم، وهو من أسماء النَّمر. والسَّنْدِريُّ: ضربٌ من الطير. والسَّرَنْدَى من قولهم: اسرَنْديتُه: إذا علوتَه. والأخيل: ضربٌ من الطير معروف. والبَلَنْدَى من قولهم: ابْلَنْدَى الموضعُ: إذا صلُب وغلُظ. والأصفح: رأسٌ مُصْفَح: إذا كان فيه طُول. والصَّمَحْمَحُ: الصُّلب الشَّديد. والخِضَمُّ: البحر الكثير الخير. والخضمُّ: الجمع الكثير. ومِصْدَع: مِفعلٌ من قولهم: صدَعْتُ الشيء. والسَّمَيدع: السَّيِّد الكريم. وبَيْهَس: اسمٌ من أسماء الأسد. وعَسْعَس: اسمٌ من أسماء الذِّئب. وأصل العسعسة: الخِفَّة، من قولهم: عسعسَ اللَّيلُ: إذا خفَّت ظُلمتُه. والعَمَلَّس: اسمٌ من أسماء الذِّئب. والعَدَبَّس: البعير الصَّعب. ومُلادِس: مُفاعِلٌ من اللَّدْس، واللدس: الرمي، وناقةٌ لديس؛ أي: سمينة. والعَرَنْدَس قالوا: هو اسمٌ من أسماء الأسد، وقالوا: هو الصُّلب الشَّديد.

(٤) في (أ): «مثوى له».

﴿ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ﴾ [القصص: ٢٦]، وأبو بكر رضي الله عنه حين استخلف عمر؛ قاله عبد الله بن مسعود رضي الله عنه(١).

قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾: أي: وكما خلَّصناه مِن كيدِ إخوتِه ومِن الجُبِّ ملَّكناه أرضَ مصر.

﴿وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾: هو عبارة الرُّؤيا وغيرُ ذلك ممَّا فسَّرناه في(٢) أوَّل السُّورة، فيصير الملِكَ بها، والنَّبيَّ المبعوثَ إليها.

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ﴾: أي: أَمْرِ نفسِه، لا يغلبُه على ما يريدُ إمضاءَه أحدٌ.

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾: لإعراضِهم عن التَّفكير في آياتِه، والاستدلالِ بها على كمالِ قدرتِه ونفاذِ مشيئته.

وقيل: والله غالبٌ على أمرِ يوسفَ، يدبِّره بما لا يعارضُه فيه أحدٌ، ويبلِّغُه المنزلةَ الَّتي بلَّغها إيَّاه، ويُحقِّق فيه رجاءَ أبيه إذ قال له: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ﴾ الآية [يوسف: ٦].

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ تدبيرَ اللهِ عزَّ وجلَّ فيه، ويجهلون قدرَه عندَه.

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: لمَّا نُودي على يوسفَ بمصرَ ببيعِه، لم يرضَ اللهُ عزَّ وجلَّ حتَّى أصابَتْهم الضرورة حتَّى باعوا من يوسفَ جميعَ أملاكِهم،

---

(١) رواه سعيد بن منصور في «سننه» (١١١٣)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٨٨٢٩)، والحاكم في «المستدرك» (٣٣٢٠).

(٢) «في» من (ف).

ثـمَّ باعوا أنفسَـهم منه فـي آخر أمرهم طلبًـا للطَّعام، فصـاروا بأجمعِهم عبيـدًا له، ثـمَّ إنَّهـم لمَّـا مَلَكَهـم مَنَّ عليهـم فأعتقَهم، فلئِـنْ مرَّ عليه يـومٌ بمصرَ نُوديَ عليـه بالبيع، أصبـحَ بمصـرَ يومًـا آخـر وقد ملـكَ جميـعَ أملاكِهـم وملكَ رقـابَ جميعِهـم، فيومٌ بيـومٍ، قـال الله تعالـى: ﴿إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: ٦]، يومـانِ شـتَّانَ مـا بينهمـا. ثـمَّ إنَّه أعتـقَ جميعَهم، وكـذا الكريم إذا قـدرَ غفرَ.

﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾: أنَّ مَن حسدَه أرادَ ألَّا يكون له فضلٌ عليهم في ذاتِ نفسِه على إخوتِه وذويه، وأرادَ الله تعالى أن يكون له ملكُ الأرض، فكان ما أرادَ اللهُ تعالى لا ما أرادَ حسَّادُهُ، قال الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ﴾.

وأرادوا أن يكونَ يوسفُ عبدًا لمنْ باعوه منه مِن السَّيَّارة، واللهُ أرادَ أن يكون عزيزًا بمصرَ، فكان ما أرادَ اللهُ تعالى دونَ ما أرادوا[1]، فالله غالبٌ على أمرِه[2].

***

(٢٢) ـ ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ﴾: قالَ ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: عشرين سنةً[3].

وقيل: ثماني عشرةَ سنةً.

يقول: ولمَّا بلغَ يوسفُ شبابَه وكمالَ قوَّتِه ووفورَ عقلِه واهتدائِه للأمور ﴿ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾: أي: حكمًا بينَ العبادِ بالنُّبوَّة، وعلمًا بالدِّين وبتأويل الأحاديث.

---

(١) «دون ما أرادوا» ليس في (أ) و(ف) و«اللطائف».

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٢/ ١٧٦).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٦٨) عن الضحاك. وروى (١٣/ ٦٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله: بضعًا وثلاثين.

﴿وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾: وهكذا نجزي مَنْ أحسنَ عملَه فلم يخلطْهُ بشركٍ ولا معصيةٍ.

قيل: المرادُ به رسولُ الله ﷺ؛ أعلمَه اللهُ تعالى أنَّه صائرٌ إلى العلوِّ على قومِه، ونفاذِ الحكم والسُّلطان عليهم، كما فعلَه بيوسفَ عليه السَّلام.

وقال ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾؛ أي: المؤمنين[1].

وقال الضَّحَّاك: أي الصَّابرين على النَّوائب[2].

وقيل: قالَ في قصَّة موسى صلوات الله عليه: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسۡتَوَىٰٓ﴾ [القصص: ١٤] ولم يقل هاهنا: (استوى)؛ لأنَّ موسى أُوحِيَ إليه عند منتهى الأشُدِّ والاستواء؛ وهو أربعون سنة، وأوحى اللهُ تعالى[3] إلى يوسفَ عند أوَّلِه؛ وهو ثماني عشرةَ سنةً.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ يحتمل إحسانَ الأعمال، ويحتمل الإحسانَ إلى النَّاس، ويحتمل الإحسانَ إلى نفسه، ويحتمل إحسانَ صحبةِ نِعم الله والقيام بشكرِه[4].

وقال الإمامُ القشيريُّ رحمَه اللهُ: مِن جملة الحُكْمِ الَّذي آتاهُ اللهُ تعالى نفوذُ حُكمِه على نفسِه حتَّى غلبَ شهوتَه، فامتنعَ عمَّا راودَتْه زليخا عن نفسِه، ومَن لا حُكْمَ له على نفسِه لم ينفذْ حكمُه على غيرِه.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٦٩) بلفظ: «المهتدين»، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٢٠٧) باللفظين.

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٢٠٧).

(٣) «الله تعالى» من (ف).

(٤) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٦/ ٢٢٣).

قال: وقيل: لمَّا استوى شبابه ـ وكان وقتَ استيلاء دواعي مطالبات البشريَّة ـ آتاه الله الحُكْمَ الَّذي أثبتَه[1] على الحقِّ وصرفَه عن الباطل[2].

* * *

(٣٢) ـ ﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾ قال الإمامُ أبو منصورٍ رحمه الله: دلَّت الآية أنَّ البيتَ قد يُضافُ إلى المرأة وإن كان في الحقيقةِ لزوجِها[3].

وهو دليلُ أصحابِنا ـ رحمَهم الله ـ فيمَنْ حلفَ: لا يدخلُ دارَ فلانٍ، فدخلَ دارًا هو ساكنُها؛ يحنثُ لإضافتِها إليه.

والمراودة: فعلٌ بينَ اثنينِ، يراودُ أحدُهما الآخرَ على شيءٍ، فيجري في ذلك مدافعةٌ وممانعةٌ، مأخوذةٌ من الإرادة وهي المشيئة، ومنَ الرَّوْدِ وهو الطَّلب.

يقول: طالبَتْ زليخا يوسفَ بمساعدتِها على ارتكابِ الفحشاء منها.

ويجوزُ أن يكون مشتقًّا من الرُّوَيْد؛ وهو التَّمهُّل والتَّرفُّق، والمراودةُ: هي المطالبةُ على التَّرفُّق والتَّمهُّل.

ومعنى: ﴿عَن نَّفْسِهِۦ﴾؛ أي: مِن أجلِ نفسِه، يُقالُ: فلانٌ يخاصمُ عن فلانٍ،

---

(١) في (ف): «آتيناه». وفي «اللطائف»: (حبسه).

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٢/ ١٧٧).

(٣) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٦/ ٢٢٣).

ويجادلُ عن فلانٍ، ويتكلَّمُ عن فلانٍ[١]؛ أي: من أجلِه.

﴿وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ﴾: التَّشديد لتكثيرِ المحالِّ؛ وهي الأبوابُ، وإنَّما غلَّقتها لئلَّا يفجأها أحدٌ، ولئلَّا يتخلَّصَ يوسفُ عنها، ولرجاءِ أن يجيبَها، وتكونَ أسبابُ الخلوةِ حاصلةً.

﴿وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ﴾؛ أي: تعالَ وهلمَّ إلى ما هو لكَ، وقد توصَلُ به[٢] وقد لا تُوصَلُ به، وقد أنشدَ أبو عَمرو بنُ العلاءِ رحمه الله:

أبلـغْ أميـرَ المؤمنيـ ـنَ أخا العِراقِ إذا أتيْتَا

أنَّ العِـراقَ وأهـلَـهُ عُنُقٌ إليكَ فهَيْتَ هَيْتَا[٣]

وهي للذَّكرِ والأنثى والواحدِ والجمعِ سواءٌ.

وقيل: هي كلمةُ حثٍّ وإقبالٍ على الشَّيء، وأصلُه: الجَلَبَةُ والصِّياحُ، وقد هيَّت فلانٌ بفلانٍ، وقال الشَّاعرُ:

قـدْ رابَنـي أنَّ الكَـرِيَّ أسْـكَتا لو كانَ مَعْنِيًّا بِها[٤] لهيَّتا[٥]

---

(١) «ويجادل عن فلان» ليس في (أ)، «ويتكلَّم عن فلان» ليس في (ف).

(٢) في (أ) و(ر): «بك». والمثبت من (ف)، ولعل المراد وصلها بكلمة (لك)، وقد جاء بالشاهد الآتي على عدم الوصل.

(٣) البيت لرجل قاله لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه. انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١/ ٢٧٩)، و«تفسير الطبري» (١٣/ ٧٠)، و«معاني القرآن» للزجاج (٣/ ١٠٠)، و«أصول النحو» لابن السراج (٣/ ٤٧٩). وقوله: عُنُقٌ إليك؛ أي: مائلون إليك ومنتظروك.

(٤) في (ف): «بنا»، وكلا اللفظين في المصادر.

(٥) الرجز بلا نسبة في: «الغريب المصنف» لأبي عبيد (١/ ٣٤٣)، و«الجراثيم» لابن قتيبة (١/ ٢٣٨)، و«معجم ديوان الأدب» لإسحاق الفريابي (٢/ ٢٨٥)، و«تهذيب اللغة» (٦/ ٢٠٩).

وفيه ستُّ قراءات:

قرأ أهلُ العراق: ﴿هَيْتَ لَكَ﴾ بفتح الهاء والتَّاء(١).

وقرأ يحيى بن وثَّاب: (هِيْتُ لك) بكسر الهاء وضم التَّاء(٢).

وقرأ نصرُ بن عاصم ويحيى بن يعمر: (هَيتِ) بفتح الهاء وكسر التَّاء(٣).

وقرأ أهلُ المدينة وابن عامرٍ: بكسر الهاء وفتح التَّاء: ﴿هِيتَ لك﴾.

وقرأ ابنُ كثيرٍ: ﴿هَيتُ لك﴾؛ بفتح الهاء وضمِّ التَّاء(٤).

وقرأ عكرمة: ﴿هِئتُ لك﴾؛ بكسر الهاء وضمِّ التاء، وهمزِ الحشو من الهيئة(٥)؛ أي: تهيَّأْتُ لك.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ﴾: أي: أعوذُ باللهِ إنْ أجبْتُ إلى هذا.

﴿إِنَّهُۥ رَبِّيٓ﴾: أي: زوجَها سيدي بحكم الشِّراء ظاهرًا.

﴿أَحۡسَنَ مَثۡوَايَ﴾: أي: أكرمَ مقامي، وقال لامرأتِه: ﴿أَكۡرِمِي مَثۡوَىٰهُ﴾.

وقال مجاهدٌ وابن إسحاق والسُّديُّ: أي: زوجها بسطَ يدي ورفعَ منزلَتي(٦)؛ وكذا قال الحسن(٧).

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ٣٤٧)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٨).

(٢) وانظر: «إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ١٩٨)، و«تفسير الثعلبي» (٥/ ٢٠٨).

(٣) انظر: «تفسير الثعلبي» (٥/ ٢٠٨).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٤٠). وملخص قراءات السبعة كما في «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ٣٤٧)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٨): نافع وابن ذكوان: ﴿هِيتَ﴾ بكسر الهاء من غير همز وفتح التَّاء، وهشام كذلك إلا أنه يهمز: ﴿هِئْتَ﴾، وقد رُوِيَ عنه ضم التَّاء: ﴿هِئْتُ﴾، وابن كثير بفتح الهاء وضم التَّاء: ﴿هَيْتُ﴾، والباقون بفتحهما.

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٧٥)، وانظر: «تفسير الثعلبي» (٥/ ٢٠٨).

(٦) في (أ): «مثواي».

(٧) روى نحوه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٧٩) عن مجاهد وابن إسحاق والسدي.

وقال الزجَّاج: يجوز أن يكون معناه: اللهُ ربِّي أحسنَ مثواي؛ أي: عوَّدني الإحسانَ إلى حيث ثويْتُ منذُ فارقْتُ أبي، فلنْ أظلمَ نفسي بالمعصية له[١].

﴿إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾: وعلى القول الأوَّل: فلا أخونُ العزيزَ وقد أحسنَ إليَّ فأكونَ ظالمًا له ولنفسي ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ ولا يفوزونَ بخيرٍ ولا حَمْدٍ من النَّاس.

وقيل: ﴿لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾؛ أي: لا يأمنُ من عذابِ الله الزُّناة.

وقال الإمامُ أبو منصورٍ رحمَه الله: ﴿لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ ما داموا في ظلمِهم، فإذا تركوه وتابوا عنه أفلحوا[٢].

وقال: في قوله تعالى: ﴿هَيۡتَ لَكَ﴾: يحتمل أن يكون معناه: ها أنا لك.

قال: وقيل: ليسَتْ بعربيَّة[٣].

ذكروا أنَّ زليخا هويَتْ يوسفَ وهامَتْ بحبِّه، فنحلَ بدنُها، وتغيَّر لونُها، وذهبَ قواها[٤] ونومُها، وارتابَ أهلُ بيتِها في أمرِها، فسألَتْها الظِّئْرُ عن ذلكَ، فبثَّتْ[٥] لها حالَها، واستعانَتْ بها على بلوغ مرادِها من يوسفَ، فقالَتْ لها: أخبريْهِ بما في قلبكِ واعرضي عليه جمالَكِ، قالَتْ: إنَّه لا يدنو منِّي، ولا ينظرُ إليَّ، ولا يفتح عينيه إذا دخلَ الدَّار، قالَتْ: فأنا أحتالُ لذلك، لكن لا بدَّ من مالٍ كثيرٍ، فبذلَتْ لها ما سألَتْ،

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ١٠١)، وانظر: «النكت والعيون» (٣/ ٢٣)، و«زاد المسير» (٢/ ٤٢٦).

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٦/ ٢٢٥).

(٣) المرجع السابق (٦/ ٢٢٣ ـ ٢٢٤).

(٤) في (أ): «قرارها».

(٥) في (ف): «فبينت».

فاتَّخذت بيتًا من رخامٍ مملَّس على سقفه وحوائطه صورة يوسفَ وزليخا.

فلمَّا تمَّ ذلك هيَّأَتْ البيتَ بأنواعِ[١] الفُرُشِ، وزيَّنَتْه بالأواني والحليِّ، ولبسَتِ الحُلَل وتُوِّجَتْ بتاجٍ مرصَّعٍ، وجلسَتْ على سريرِ ذهبٍ مرصَّعٍ باليواقيتِ، وعليها أنواعُ الحُليِّ، ودَعَتْهُ، فجاءَ وهو لا يعلمُ.

فلمَّا دخلَ البيتَ[٢] أغلقَتْ عليه الأبوابَ؛ وهي سبعةُ أبوابٍ بعضُها في بعضٍ، وقالَتْ له: يا يوسفُ، ما أحسنَ وجهَكَ! قال: في الرَّحمِ صوَّرني ربِّي.

قالت: يا يوسفُ، ما أحسنَ شعرَكَ! قال: هو أوَّل شيءٍ يسقطُ منِّي في قبري.

قالت: ما أحسنَ عينيْكَ! قال: بهما أنظرُ إلى ربِّي.

قالت: يا يوسفُ، ارفعْ بصرَكَ فانظرْ إليَّ. قال: أخشى العمى في آخرِ عمري.

قالت: يا يوسفُ، لِمَ تتباعدُ عنِّي؟ قال: أريدُ الاقترابَ مِن ربِّي.

قالت: يا يوسفُ، القيطونَ[٣] فادخلْ معي. قال: ليس شيءٌ يسترني مِن ربِّي.

قالت: يا يوسفُ، فراشُ الحريرِ ممهَّدٌ لك، قمْ فاقضِ حاجتي. قال: إذًا يذهب مِنَ الجنَّةِ نصيبي.

قالت: يا يوسفُ، جعلْتَ تجترئُ على سخطي؟! قال: أرجو[٤] بذلك مرضاةَ ربِّي.

قالت: يا يوسفُ، عبدٌ اشتريتُكَ، فأنت تتعظَّم عليَّ؟! قال: بجُرمي وخطيئتي اشتريتني.

---

(١) في (أ) و(ر): «بألوان».

(٢) «البيت» ليس في (ف).

(٣) القيطون: المُخدع بلغة أهل مصر. انظر: «الصحاح» للجوهري (مادة: قطن).

(٤) في (ف): «أطلب».

قالت: يا يوسفُ، ليتني لم أعرفْكَ. قال: ذلك فعلُ إخوتي بي(١).

قالت: يا يوسفُ، ضعْ يدَكَ على صدري. قال: لا صبرَ لي على احتراق جسدي.

قالت: يا يوسفُ، الجنينة قد عطشَتْ، قمْ فاسقِها. قال: الَّذي بيدِه مفاتيحُها أحقُّ بسقيها منِّي.

قالت: يا يوسف، لأسلمنَّكَ على أيدي المعذِّبين، فيَسُلُّون جسمَكَ كما سللْتَ جسمي، قال: لا بأسَ إذا كان ربِّي راضيًا عنِّي.

قالت: يا يوسفُ، بأيِّ علَّةٍ امتنعْتَ عنِّي؟ قال: بحقِّ اثنين؛ بحقِّ إلهي الَّذي في السَّماءِ ملكُه، وبحقِّ سيِّدي الَّذي في الأرض سلطانُه عليَّ وعليك.

قالت: يا يوسف، أمَّا سيِّدكَ الَّذي في الأرض سلطانُه فإنِّي آخذُ كأسَ الزَّبرجد بيميني وإبريقَ الدُّرِّ بشمالي، فأسقيه الكأسَ الأوَّل فيسقطُ لحمُه بين يديه، فأجعلُه في قِبْطيَّة(٢) فأدفنُه تحتَ أساسِ بيتي، وأمَّا إلهكَ الَّذي في السَّماء ملكُه؛ فإنَّ لي من الجواهر ما لا تطيقُ حملَه دوابِّي، فأتصدَّقُ بها عنكَ، فيغفرُ لكَ إلهكَ الَّذي به تخوِّفني.

فغلبَتْهُ بالكلام فلم يردَّ جوابًا، فقال: معاذَ الله، ولكن مَن ارتكبَ حرامًا سوَّدَ اللهُ في القيامة وجهَه، وهتكَ على رؤوس الأشهادِ سترَه، وأحرقَ بالنَّارِ جسمَه، فلا تظلميني، ولا تسوِّدي في القيامةِ وجهي، ولا تخجليني يومئذٍ عند أبي وأمِّي، ولا تُسخطي عليَّ ربِّي، ولا تسلِّطي نار جهنَّم على جسمي. فعند ذلك غلَّقَتِ الأبوابَ وأرخَتِ الحُجُبَ.

---

(١) «بي» ليس في (ف).

(٢) قبطية: ثوب أبيض، وجمعه قباطي. انظر: «غريب الحديث» لابن قتيبة (٢/ ٢١٨).

وقال القُشيريُّ رحمه الله: لمَّا غلَّقت عليه أبوابَ الحجرةِ فتحَ اللهُ عليه أبوابَ العِصمةِ، فلم يضرَّهُ ما أغلقَتْ بعدما أكرمَه بما فتحَ.

وقيل: إنَّ يوسف قال: إنَّ العزيز رجا[1] منِّي أنْ أنفعَه حيثُ قال: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ﴾، فلا أخونُه[2] في حرمِه بظهرِ الغيبِ منه.

وقيل: لمَّا حفظَ حرمةَ المخلوقِ بظهرِ الغيب منه أكرمَهُ اللهُ سبحانَه بإمدادِه بالعصمةِ في الحال، ومكَّنه مِن مواصلتها في المآل على وجهِ الحلال[3].

***

(٢٤) ـ ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾: قرأ عاصم وحمزة والكسائيُّ: ﴿ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ بفتح اللَّام، والباقون بكسرها[4]؛ أي: ولقد عزمَتْ زليخا على ذلك وعقدَتْ قلبَها عليه، فأمَّا يوسف فلولا أن رأى برهان ربِّه لهمَّ بها.

فقوله: ﴿وَهَمَّ بِهَا﴾ معلَّقٌ بالشَّرط المذكور بعدَه، ولمَّا أراه البرهانَ لم يكن له منه همٌّ بها، وصرفَ اللهُ تعالى السُّوءَ والفحشاءَ عنه، كما ذكرَه في آخر الآية.

وقال الإمامُ أبو منصور رحمه الله: أمَّا ما قالَه بعضُ أهل التَّفسير إنَّها استلقَتْ

---

(١) في (أ): «أمل».

(٢) في (ر) و(ف): «أخزيه».

(٣) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٢/ ١٧٧).

(٤) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٣٤٨)، و«التيسير» (ص: ١٢٨). وقرأ نافع أيضاً بفتح اللام.

له، وهمَّ بها، وحلَّ إزارَه، وأمثالَ هذا من الخرافات؛ فهذا كلُّه(١) ممَّا لا يحلُّ أنْ يُقال، والدلالةُ على فسادِ ذلك وجوهٌ:

أحدُها: قوله تعالى: ﴿هِيَ رَٰوَدَتۡنِي عَن نَّفۡسِي﴾.

والثَّاني: قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَ﴾.

والثَّالث: قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ لِيَعۡلَمَ أَنِّي لَمۡ أَخُنۡهُ بِٱلۡغَيۡبِ﴾.

والرَّابع: قولهنَّ: ﴿مَا عَلِمۡنَا عَلَيۡهِ مِن سُوٓءٖ﴾.

والخامس: قولها: ﴿ٱلۡـَٰٔنَ حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ﴾.

فهذا كلُّه دليلٌ على أنَّه لم يكنْ منهُ شيءٌ من ذلك، وليس في ظاهرِ الآية ممَّا قالوا من قليلٍ ولا كثيرٍ؛ إذ ليس فيه شيءٌ سوى أن ﴿هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا﴾.

ثمَّ تحتمِلُ الآيةُ وجوهًا عندنا:

أحدها: ﴿هَمَّتۡ بِهِۦ﴾ همَّ عزمٍ، و﴿وَهَمَّ بِهَا﴾ همَّ خَطْرةٍ، ولا منعَ فيما خطرَ في القلب؛ وهو قول الحسن(٢).

والثَّاني: ﴿هَمَّتۡ بِهِۦ﴾: همَّ الإرادةِ والتَّمكين، ﴿وَهَمَّ بِهَا﴾: همَّ دفعٍ.

لكن يدخل عليه: ﴿لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦ﴾ فلو كان همُّه همَّ دفعٍ لم يكن لقوله: ﴿لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦ﴾ معنًى، لكن يُشْبه: همَّ بها قتلًا أو ضربًا يُتوهَّم أنَّه يفضي إلى القتل، فرأى برهان ربِّه، فتركَ ذلك لِمَا لا يحلُّ له قتلُها.

---

(١) في (ف): «وأمثال هذا فهذا كلُّه من الخرافات وهذا كله».

(٢) وذكره أيضا الجصاص في «أحكام القرآن» (٣/ ٢٢٠)، والماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٢٤).

والثَّالث: أنَّه معلَّقٌ بالشَّرط: ﴿لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ﴾، وهو كقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٤]، وعلى ذلك يخرج قوله تعالى: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٦٣]؛ أي: لو كان ينطقُ لفعلَ هو(١).

واختلفَ في قوله تعالى: ﴿لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ﴾ ماذا كان؟

عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما أنَّه ناداه جبريلُ: يا يوسفُ بنَ يعقوب، اسمُكَ في الأنبياء مكتوب، فلا يكنْ عملُكَ عملَ الفجَّار(٢).

وقيل: كانَ فيما ناداه: إنَّ الطَّير في جوِّ السَّماء لا يُقدَر عليه، فإذا مات لعبَ به الصِّبيان في الأرض، وإنَّ الثَّور الصَّغير لا يُقدَر عليه، فإذا مات دخل النَّمل في(٣) قرنيه، فذلك مثلك إنْ واقعْتَ الخطيئةَ.

وقيل: تمثَّل له جبريلُ في صورة أبيه يعقوب عاضًّا شفته أو إصبعه، فهابَ وبادرَ البابَ(٤).

وقال مقاتل ومحمَّد بن كعب القرظيُّ: رأى في سقف البيت مكتوبًا: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٢](٥).

---

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٦/ ٢٢٦ ـ ٢٢٧).

(٢) روى نحوه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٢٩٥)، والطبري في «تفسيره» (١٣/ ٨٩، ٩٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢١٢٤) عن قتادة.

(٣) «في» ليس في (ف).

(٤) روى الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٨٧ ـ ٩١) نحوه عدة روايات عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٩٨) عن محمد بن كعب القرظي.

وقال مقاتل بن حيَّان: سمع صوتًا: إيَّاك وموافقتَها(١)، فإنَّك إنْ وافقْتَها(٢) صرْتَ كالطَّير الواحد(٣) في الأرض القفار بلا ريشٍ(٤).

وقال جعفرُ الصَّادق: البرهانُ: النُّبوَّة الَّتي أودعَ اللهُ صدرَه، هي الَّتي حالَتْ بينه وبينَ ما يسخِطُ الله(٥).

وقيل: نظرَ إلى حائطٍ فرأى قلمًا يكتبُ على الحائط: بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٢]، فحوَّل وجهَه إلى حائطٍ آخر فرأى القلم يكتب بعد البسملة: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ [المدثر: ٣٨]، فحوَّل وجهه إلى الثالث فرأى ذلك القلم يكتب بعد البسملة: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ﴾ [الانفطار: ١٠]، فحوَّل وجهَه إلى الرَّابع فرآه يكتبُ بعد البسملةِ: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ [غافر: ١٩]، فنكس رأسَه، فرآه يكتب على الأرض: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦]، فنظر إلى السَّقف فرأى صورة أبيه ينظر إليه عاضًّا مسبِّحته، مشيرًا إليه بالهرب، فبادر البابَ.

وقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ﴾: أي: كذلك فعلنا لنصرفَ عنه الزِّنى(٦).

والسُّوء في القرآن على وجوهٍ:

---

(١) في (ر) و(ف): «ومواقعتها».

(٢) في (ر): «فإنَّك إن واقعتها» وليست الجملة في (ف).

(٣) في (ر) و(ف): «الواحدان».

(٤) روى نحوه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٨٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٢١٣).

(٦) «الزنى» ليس في (أ)، وفي (ر): «الرياء والسمعة».

أحدُها: الشِّدَّة؛ قال تعالى: ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ [البقرة: ٤٩].

والثَّاني: الغارة[١] والهزيمة والجرح؛ قال تعالى: (يمسكم سوء العذاب)[٢].

والثَّالث: الشَّتم؛ قال تعالى: ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ﴾ [النساء: ١٤٨].

والرَّابع: الذَّنب؛ قال تعالى: ﴿أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ﴾ [الأنعام: ٥٤].

والخامس: القتل؛ قال تعالى: ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ﴾ [الأعراف: ٧٣].

والسَّادس: العذاب؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْخِزْىَ ٱلْيَوْمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [النحل: ٢٧].

والسَّابع: الشِّرك؛ قال تعالى: ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍۭ﴾ [النحل: ٢٨].

والثَّامن: البرص؛ قال تعالى: ﴿تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾ [طه: ٢٢].

والتَّاسع: الضُّرُّ؛ قال تعالى: ﴿وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ [النمل: ٦٢].

والعاشر: بمعنى: بئس؛ قال تعالى: ﴿وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٥].

والحادي عشر: الزِّنى؛ قال تعالى: ﴿لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلْفَحْشَآءَ﴾؛ أي: الفِعلة القبيحة، وهي الزِّنى، وكرَّر لاختلاف اللَّفظين؛ كما في قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ﴾ [التوبة: ٧٨].

ويجوز أن يكون السُّوء دواعيَ الزِّنى، والفحشاءُ عينَه، والدَّواعي: المسُّ والقُبلةُ والعِناقُ وغير ذلك ونحوه[٣].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾: بكسر اللام: هم الذين أخلصوا

---

(١) في (ر) و(ف): «العار».

(٢) في (ر) و(ف): «يمسسكم سوء العذاب»، وكلاهما ليسا في القرآن.

(٣) في (أ): «الفاحشة» بدل «والفحشاء عينه، والدواعي المسُّ والقبلة والعناق وغير ذلك ونحوه».

أنفسَهم وقلوبَهم وأعمالهم لله، أو الَّذين صفَّوا أعمالهم[1] وأقوالهم وأحوالهم عن الشَّوائب، وبفتح اللام: الذين صفَّاهم الله تعالى عن الكُدورات واصطفاهم بالكرامات.

***

(٢٥) ـ ﴿وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَاسْتَبَقَا الْبَابَ﴾: أي: تعادَيَا إلى الباب ليطلبَ كلُّ واحدٍ منهما السَّبق على صاحبِه، هي تريدُ أن تسبقَ فتظفرَ به، وهو يريد أن يسبقَ فيتخلَّصَ منها.

وقوله تعالى: ﴿وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ﴾: أي: تعلَّقَتْ بذيل قميصِه تجذبُه، فشقَّتْهُ طولًا، ورجل مَقدودٌ: ذاهبٌ في جهة الطُّول على استواءٍ، ووقع ذلك منها في قميصه من ورائه[2].

وقولـه تعالـى: ﴿وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ﴾: أي: وجـدا زوجَ زليخـا عنـد بـابِ الدَّار[3].

والسَّيِّدُ: الزَّوجُ بلفظ القِبْط، وفي الحديث: «تفقَّهوا قبل أن تسوَّدُوا»[4]؛ أي: تتزوَّجوا فتشتغلوا[5].

---

(١) «لله أو الذين صفوا أعمالهم» من (أ) و(ف).

(٢) «ووقع ذلك منها في قميصه من ورائه» ليس في (ف).

(٣) في (ف): «عند الباب».

(٤) رواه وكيع في «الزهد» (١٠٢)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٢٦١١٦)، والدارمي في «سننه» (٢٥٦)، عن عمر رضي الله عنه موقوفاً.

(٥) كذا قال المؤلف في تأويل الخبر، وذكر نحوه عبد الغافر الفارسي في «مجمع الغرائب» (مادة: =

وقوله تعالى: ﴿قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا﴾: قالت زليخا دفعًا للتُّهمة عن نفسها: ﴿مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا﴾؟ يُفهَم مِن هذا أنَّه أرادَ بها فجورًا، ولم يكنْ كذلك، ولم تتعمَّد صريحَ الكذب، لكن تكلَّمَتْ بالتَّعريض، وهو في الحقيقة استفهامٌ عن جزاءِ مَن يريد بأهله ذلك، لا تحقيقُ أنَّه فعل بها ذلك.

قالوا: ثمَّ خافت عليه القتل إذ علمَتْ في زوجِها الغيرة فقالت: ﴿إِلَّآ أَن يُسْجَنَ﴾؛ أي: يحبس، ثمَّ علمَتْ أنَّه لا يرضى بهذا القَدْر من العقوبة إذا وقع عنده أنَّها صادقةٌ، فضمَّت إلى ذلك أمرًا آخر قد يَصغر وقد يَكبر احتيالًا للتَّسكين، فقالت: ﴿أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

ولمَّا سمعَ يوسفُ ذلك وعلِم أنَّ السُّكوت يفضي إلى وقوع الفَهم أنَّه وُجِدَ منه ذلك الفُجور، وما ينبغي للمسلمِ أنْ يرضى بلحوقِ هذه التُّهمة[1] إيَّاه، فكيفَ بالصِّدِّيق ابنِ الصِّدِّيق، وبالنَّبيِّ ابنِ النَّبيِّ، فصدَق لإظهار براءةِ نفسِه، وتأسيسِ قواعد دعوتِه إيَّاهم إلى التَّوحيد والشَّرائع، فقال: بل هي فعلَتْ ذلك.

* * *

(٢٦) - ﴿قَالَ هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى ۚ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾.

= سود)، ولفظه: (ويَحْتَمِلُ أنْ يكونَ معناهُ: قبلَ أنْ تَزَوَّجوا فتَصِيرُوا سادةً بالتَّحَكُّم على الأزواجِ والاشتغالِ بهنَّ لَـهْواً، ثمَّ تمحُّلاً للنَّفقةِ، ومنه: الاسْتِيَادُ، وهو طَلَبُ السَّيِّدةِ من القومِ)، ثم قال: (وهذا متَّجِهٌ) قلت: وهذه التأويلات لعلها بعيدة عن ظاهر اللفظ، فقد جاء في رواية وكيع تفسيره بعبارة: (يعني: قبل أن تجلسوا للناس فتُسألوا). وقال ابن الجوزي في «غريب الحديث» (١/ ٥٠٧): (الظاهر أن المعنى: أن تصيروا سادة).

(١) في (ف) و(أ): «السمة».

وقوله تعالى: ﴿قَالَ هِيَ رَٰوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي﴾: قال وهبٌ: فلمَّا هرب منها اتَّبعَتْهُ فتدارَكَتْهُ عند الباب[١].

ورُوِيَ أنَّ الأبوابَ المغلَّقة والمقفَّلة كانت تَسقط أقفالُها ومغاليقها حتَّى خرج، وأدركتْهُ زليخا عند الباب، فأخذَتْ بذيلِه وهو يجاذبُها ليخرجَ، وهي تجرُّه من خلفِه ليرجعَ، فانشقَّ قميصُه من دُبرٍ ﴿وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا﴾؛ أي: زوجَها عند الباب، فقال: ما شأنُكُما؟ قالَتْ: أدخلْتَ بيتَكَ لصًّا عَادِيًا، وائتمنْتَهُ على أهلِكَ، فأغلقَ عليَّ البابَ وأنا نائمةٌ، فلم أشعرْ إلَّا وهو يريدُ أنْ يدخلَ فراشي، فثرْتُ[٢] إليه مِن نومتي لآخذَه، فبَدَرني إلى البابِ، فأرادَ أنْ يأبقَ منك مِن أجل ما فعل فلا تراه أبدًا.

قال العزيزُ: أخُنْتَني يا يوسفُ في أهلي، وغدَرْتَني وغرَرْتَني بما كنْتُ أرى من صلاحِكَ، وما كنْتَ تُظهِرُ لي من أمانتِك وعفافِك؟

قال يوسف: هي راودتني عن نفسي وغلبتني وغرَّتني، وهذا قميصي مشقوقٌ من خَلفي حين ولَّيْتُ منها هاربًا.

وفي «كتاب عصمة الأنبياء»: إنَّها لو كتمَتْ ذلك لكان لا يُفشي سرَّها، فلمَّا أحالَتْ بالذَّنب عليه لم يحبَّ أن يعرفَه خائنًا فيسوءَ ظنُّه به، حتَّى إذا عرفَ براءته عَلِمَ أنَّ امرأته لم تباشر الفعلَ فينفرَ طبعُه عنها، بل كانت منها المراودةُ لا المباشرة.

ووجهٌ آخر: أنَّها لو كتمَتْ لكان يوسفُ[٣] يظهرُهُ تأديبًا لها، والتماسًا من زوجِها التَّغيير[٤] عليها؛ لتدوم صيانتُها في بيته.

---

(١) روى نحوه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ١٠٢) عن قتادة وابن إسحاق.

(٢) في (ف): «فقمت».

(٣) في (ف): «يوسف لم».

(٤) في (ف): «التعيير».

وقوله تعالى: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا﴾: وهو أخوها وكاتبُ زوجِها وأمينُه، وكان عدلًا أمينًا، فقال: ﴿إِن كَانَ قَمِيصُهُ﴾ الآية.

وقال مقاتل: كان الشَّاهد رجلًا ذا لحية، وكان ابن عمِّ المرأة[1].

وقيل[2]: كان صبيًّا في المهد[3]، وكان ابنَ خالِ المرأة.

وقال النَّبيُّ ﷺ: «ثلاثةٌ من الصِّبيان تكلَّموا في المهد: شاهد يوسف، وعيسى بن مريم، وصاحب جريج الرَّاهب»[4]، والقصَّة معروفةٌ.

وقوله تعالى: ﴿إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾: لأنَّه يدلُّ على أنَّه كان مقبلًا عليها وهو يردُّها.

***

(٢٧) ـ ﴿وَإِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾.

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٣٣٠). ورواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ١٠٧ ـ ١١٠) عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة وقتادة وسعيد بن جبير وابن إسحاق.

(٢) في (ف) و(أ): «وقال مجاهد»، وقد ذكرنا في التعليق السابق قول مجاهد أنه كان رجلاً.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ١٠٥ ـ ١٠٧) عن ابن عباس وأبي هريرة وسعيد بن جبير وهلال بن يساف والضحاك.

(٤) رواه البزار في «مسنده» (٥٠٦٧)، والحاكم في «المستدرك» (٣٨٣٥) وصححه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً.

ورواه الإمام أحمد في «المسند» (٢٨٢١)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٢٢٧٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما موقوفاً. وكذا رواه ابن حبان في «صحيحه» (٢٩٠٤) موقوفًا إلا أنه قال بدل «شاهد يوسف»: «والرابع لا أحفظه».

ورواه الحاكم في «المستدرك» (٤١٦١) وصححه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وقولـه تعالـى: ﴿وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾: لأنّـه يدلُّ على أنّـه كان هاربًـا منها.

وهذا دليلٌ على أنَّ بناءَ الحكم على ظاهر الحالِ جائزٌ عندَ عدم الوصول إلى دليل الحقيقة، وعليه كثيرٌ من مسائل أصحابنا ـ رحمهم الله ـ في التَّحري وقَبول قول النَّاس وقول مَن يشهدُ له الظَّاهر إذا اختلفا في متاع البيت ونحو ذلك.

* * *

(٢٨) ـ ﴿فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ﴾: أي: احتيالكنَّ معاشرَ النِّساء على الرِّجال إذا عملوا بخلاف مرادكنَّ.

قيل: هو قول الزَّوج لها.

وقيل: هو قول الشَّاهد، على قول من زعم أنَّه رجلٌ بالغٌ.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾: أي: عظيم الضَّرر. وقيل: أي: نافذٌ غالبًا؛ للتَّمويه.

وسمَّى كيد الشَّيطان ضعيفًا وكيدَ النِّساء عظيمًا؛ لأنَّ ذلك سرٌّ وهذا جهرٌ، وذاك وحدَه وهذا مع كيد الشَّيطان، وذاك يفرُّ بالاستعاذة وهذه لا تَفِرُّ، وذاك مع اللهِ وهذا معَك.

* * *

(٢٩) ـ ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَـٰذَا ۚ وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَـٰذَا﴾: أي: قالَ زوجُ زليخا.

وقيل: قال ذلك الرَّجلُ الشَّاهد: يا يوسفُ، أعرِضْ عن هذا الحديثِ فلا تذكرْهُ

لأحدٍ، وهو سترٌ لحالها، وهو المستحبُّ المندوبُ إليه ألَّا يفشى سرُّ أهل بيتٍ، خصوصًا حرمه ومماليكه.

وقيل: لا تبالِ له، وطِب نفسًا، فقد ظهرَ لي براءتك.

وقوله تعالى: ﴿وَٱسۡتَغۡفِرِي لِذَنۢبِكِ﴾: أي: قال لزليخا: استغفري اللهَ، وهي وإنْ كانَتْ مشركةً فهم يقرُّون بأنَّ اللهَ خالقهم، وأنَّهم يعبدون الأصنام لتقرِّبهم إلى الله زُلفى، فيعتقدون استغفارَ اللهِ من الذُّنوب.

وقيل: بل قال لها الشَّاهدُ: ﴿وَٱسۡتَغۡفِرِي لِذَنۢبِكِ﴾؛ أي: اعتذري من زوجِك وسَلِيه[1] أن يسترَ عليك.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلۡخَاطِـِٔينَ﴾: أي: الخائنين في حقِّ الزَّوج.

وقال الإمامُ القشيريُّ رحمه الله: ليس كلُّ أحدٍ أهلًا للبلاء، إنَّ البلاءَ لأربابِ الولاء، فأمَّا الأجانبُ فيُتجاوَزُ عنهم ويُخلَّى سبيلُهم، لا لكرامةِ محلِّهم، ولكن لحقارة قَدْرِهم، هذا يوسفُ عليه السَّلام كان بريءَ السَّاحة، وظهرَ للكلِّ طهارةُ جانبِه، فابتُلِيَ مع هذا بالسِّجن، وأمَّا امرأةُ العزيز فقد ظهر للعزيز سوءُ فعلِها، حيثُ قال: ﴿إِنَّهُۥ مِن كَيۡدِكُنَّ﴾، واقتصرَ في حقِّها أنْ تستغفرَ من ذنبِها، ولم ينزل بها شيءٌ من البلاء، ويفعلُ اللهُ ما يشاء[2].

* * *

(٣٠) ـ ﴿۞ وَقَالَ نِسۡوَةٞ فِي ٱلۡمَدِينَةِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفۡسِهِۦۖ قَدۡ شَغَفَهَا حُبًّاۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾.

---

(١) في (أ): «وسيلة».

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٢/ ١٨١).

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ﴾: أي: انتشرَ خبرُ امرأةِ العزيزِ وميلُها إلى يوسفَ، وقال جماعةٌ من النِّساء في مصرَ: ﴿امْرَأَتُ الْعَزِيزِ﴾؛ أي: زوجة خازن الملك، وكان يُسمَّى عزيزًا لتلقيبِ الملك إيَّاه به، أو على معنى أنَّه عزيزٌ عند ملكِه مكرَّمٌ لديه، أو على معنى مَنَعَته بكثرة خدمه وأعوانه.

﴿تُرَاوِدُ فَتَاهَا﴾؛ أي: عبدَ زوجِها، والعبدُ يسمَّى فتًى، والأَمَةُ تُسمَّى[1] فتاةٌ، قال النَّبيُّ ﷺ: «لا يقولنَّ أحدُكم: عبدي وأَمَتي، ولكنْ ليقلْ: فتايَ وفتاتي»[2].

وأضفْنَ مَن اعتقدْنَه عبدَ زوجها إليها[3] لطاعتِه لها، وتصرُّفِه فيما يَصلحُ لها مِن أسبابِ المنزِلِ، وعلى هذا عُرْفُ النَّاسِ في إضافةِ مماليك أحدِ الزَّوجَيْن إلى الآخر.

وقد يضافُ إلى جميع أهل البيت فيُقال: عبدهم، قال عمرُ في عبدٍ سرقَ مرآة زوجةِ مولاه ولم يقطعْه: عبدُكم سرقَ متاعَكُم[4].

وقوله تعالى: ﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾: أي: أصابَ شَغافَها؛ كما يُقال: كَبَدَه ورَأَسَه وبَطَنه وظَهَرَه؛ أي: أصابَ هذه الأعضاء.

وقال الإمامُ القشيريُّ رحمه الله وأبو عبيدةَ: شَغافُ القلبِ: غلافُه[5]، وهو جلدةٌ عليه؛ أي: دخلَها الحبُّ وأصابَ القلبَ.

---

(١) «تسمى» من (ف).

(٢) رواه البخاري (٢٥٥٢)، ومسلم (٢٢٤٩)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) في (ر): «وأضيف إليها» بدل «وأضفن من اعتقدنه عبد زوجها إليها».

(٤) رواه الإمام مالك في «الموطأ» (٢/ ٨٣٩)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٨٥٦٨).

(٥) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١/ ٣٠٨).

وقال الحسنُ: هو باطنُ القلبِ[1].

وقيل: وسطُ القلبِ.

وقرأ الشَّعبيُّ وأبو رجاء العطاردي: (قد شعفها)؛ بالعين المعجمة من تحتها[2]، ومعناه: أذهبَ قلبَها.

﴿حُبًّا﴾؛ أي: بالحبِّ، نصبٌ على التَّفسير.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾: أي: نراها في مراودةِ عبدِها في ضلالٍ من الرَّأي، وعدولٍ عن العقل، إذ صارَتْ في جلالتِها وعلوِّ حالتِها تراودُ عبدَ زوجِها بارتكابِ الفاحشة.

وقيل: أردْنَ بهذا الكلامِ التَّوصُّلَ إلى النَّظر إلى يوسفَ.

قال وهبٌ: كنَّ أربعًا؛ امرأة السَّاقي وامرأة الخبَّاز وامرأة صاحب الدَّوابِّ[3] وامرأة صاحب السِّجن[4].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ١١٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢١٣١).

(٢) أي: المهملة، وقوله: «من تحتها» ليس في (ف). والقراءة رواها الطبري في «تفسيره» (١٣/ ١١٩) عن أبي رجاء، وذكرها عنهما ابن خالويه في «إعراب ثلاثين سورة» (ص: ١٨٦)، والثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٢١٦). وعزاها ابن جني في «المحتسب» (١/ ٣٣٩): لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، والحسن بخلاف، وأبي رجاء، ويحيى بن يعمر، وقتادة بخلاف، وثابت البناني، وعوف الأعرابي، وابن أبي مريم، والأعرج بخلاف، ومجاهد بخلاف، وحميد بخلاف، والزهري بخلاف، وابن محيصن ومحمد بن السميفع وعلي بن حسين بن علي وجعفر بن محمد.

(٣) في (أ): «الدواة».

(٤) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ١٩٠)، والواحدي في «البسيط» (١٢/ ٨٦) عن الكلبي، وذكره الماوردي في «تفسيره» (٣/ ٣٠) عن جويبر.

قال مقاتل: كنَّ خمسًا. فزادَ امرأةَ الحاجبِ(١).

* * *

(٣١) ـ ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ﴾: أي: بحيلتهنَّ، ﴿أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ﴾ لتريَهنَّ يوسف.

وقيل: إنَّها كانَتْ أفشَتْ إليهِنَّ أمرَ يوسفَ واستكتَمَتْهُنَّ، فلمَّا تحدَّثْنَ به أرادَتْ إيقاعهُنَّ فيما كانت وقعَتْ فيه، فدعتهُنَّ وفعلَتْ ما فعلَتْ.

وقوله تعالى: ﴿أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ﴾: أي: تدعوهُنَّ إلى دارِها للطَّعام؛ كامرأةٍ تُضيف صواحبَها.

وقوله تعالى: ﴿وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا﴾: أي: هيَّأَتْ لهنَّ مجلسًا للطَّعام يتَّكئْنَ فيه على الوسائد ونحوها، فعلَ المتنعِّمِيْنَ مِن الاتِّكاء قبلَ الطَّعام وبعدَه، وقال النَّبيُّ ﷺ: «أمَّا أنا فلا آكل متَّكئاً»(٢).

وقال مجاهدٌ: (مُتْكًا) بسكون التَّاء بغير الهمز. والمُتْكُ: الأُتْرُجُّ(٣).

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٣٣١).

(٢) رواه البخاري (٥٣٩٨)، والترمذي (١٨٣٠)، من حديث أبي جحيفة رضي الله عنه. وليس في رواية البخاري: «أما أنا».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ١٢٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢١٣٣).

وقيل: البَزْمَاوَرْد[١]. وهو قولُ الضَّحَّاك[٢].

وقال وهبٌ: أعتدَتْ لهنَّ أُتْرُجًّا وبطيخًا وموزًا[٣].

وقال القتبيُّ: كلُّ ما قُطع بالسِّكين؛ فهو عند العرب مُتْكٌ، وقد بَتَكَ ومَتَكَ؛ أي: قَطَعَ، والباء والميم يتعاقبان، يقال: أغبطَتْ عليه الحمَّى وأغمطَتْ؛ أي: لزمَتْه، وسبَّدَ رأسَه وسمَّدَ؛ أي: استأصَلَهُ بالحلْقِ، وضربةَ لازِبٍ ولازِمٍ[٤].

---

(١) في (ر) و(ف): «الرمان». والبَزْماورد قول العامة، وهو الزُّمَاورد والزَّمَاورد: وهو طعام من البيض واللحم والسمن، معرب كما في «القاموس»، أو هو الرقاق الملوف باللحم، كما في حواشي «الكشاف»، وفي كتب الأدب: طعام يقال له: لقمة القاضي، أو: لقمة الخليفة، وقيل: البزماورد ضرب من الحلوى يصنع من العجين بالسكر، وقيل: كل ما عمل من السكر حلوى فهو زماورد. انظر: «معجم متن اللغة» لأحمد رضا (٣/ ٦١).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ١٢٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢١٣٣).

(٣) ذكره الزمخشري في «الكشاف» (٢/ ٤٦٤).

قلت: وكما يظهر من سياق الزمخشري أن هذا من وهب رحمه الله في تفسير (المتك) على القراءة الأخرى، لا (المتكأ) على قراءة العامة، وقد فسر أبو عبيدة في «مجاز القرآن» (١/ ٣٠٩) المتكأ بالنمرق يتكئن عليه، ثم قال: (وزعم قوم أنه الأترج، وهذا أبطل باطل في الأرض، ولكن عسى أن يكون مع المتكأ أترج يأكلونه).

وعلى هذا فقد يكون وهب أراد بكلامه ما أعطت أولئك النسوة حين المتكأ لا تفسير المتكأ نفسه، وهكذا وجه الطبري ما روي من طريق مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما من قوله: أعطتهن أترجًّا، وأعطت كل واحدة منهن سكّينًا. قال الطبري: (فبيّن ابن عباس في رواية مجاهد هذه ما أعطت النسوةَ، وأعرض عن ذكر بيان معنى المتكأ، إذ كان معلومًا معناه). وكان الطبري قد روى قبل ذلك من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله: ﴿وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا﴾ قال: مجلساً. ثم ذكر كلام أبي عبيدة ووافقه فيه. انظر: «تفسير الطبري» (١٣/ ١٢٣ ـ ١٢٥).

(٤) انظر: «غريب القرآن» (ص: ٢١٦ ـ ٢١٧)، و«تأويل مشكل القرآن» (ص: ١١٥) كلاهما لابن قتيبة.

وقوله تعالى: ﴿وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا﴾: أي: وأعطَتْ سكِّينًا تعالجُ به ما تحتاجُ إلى قطعِه ممَّا قدَّم إليهنَّ مِن الطَّعام والفواكه، وهكذا فِعلُ الأعاجمِ، يوضَعُ عندَهم لكلِّ مَن على المائدة سكِّينٌ يقطعُ به اللَّحم وغيرَه.

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ﴾: وذلك في حالِ ما كُنَّ يعالجْنَ بالسِّكين، فلمَّا خرج عليهنَّ بُهِتْنَ واعتراهُنَّ مِن رَوعةِ جمالِه[1] وهيبةِ جلالِه ما قطَّعْنَ بالسِّكيْنِ أيديهُنَّ.

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ﴾: أي: فخرجَ، فلمَّا رأينه أعظمْنَهُ، وليس قولُ مَنْ قالَ: أكبرْنَ؛ أي: حضْنَ، بشيءٍ؛ لأنَّه غيرُ معروفٍ، ولأنَّه قال: ﴿أَكْبَرْنَهُۥ﴾ فعدَّاه بالهاء، والحيضُ لازمٌ.

وقوله تعالى: ﴿وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾: قال قتادة: أي: أبنَّ أناملَهُنَّ[2].

وقيل: ألقَيْنَ مفاصلَهُنَّ.

وقال مجاهد: فما أحسسْنَ إلَّا بالدَّم، ولم يجدْنَ من حزِّ اليد ألمًا لشغلِ خاطرهنَّ بيوسفَ[3].

وقال وهب: كنَّ أربعيْنَ امرأة، وبلغني أنَّ سبعًا من الأربعينَ مُتْنَ في ذلك المجلس وجدًا بيوسفَ وحبًّا له[4].

وقوله تعالى: ﴿وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ﴾: أي: معاذَ اللهِ أنْ نقولَ: هذا بشرٌ.

---

(١) في (أ): «جماله بكماله».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ١٣٥).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٢١٨)، والواحدي في «البسيط» (١٢/ ١٠٠). ولا شك أن هذا الذي بلغه هو من تخاريف الإسرائيليات.

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٢١٨).

وقوله تعالى: ﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا﴾: أي: ليس هذا آدميًّا.

وقوله تعالى: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾: أي: ما هذا إلَّا ملَكٌ مكرَّمٌ على اللهِ تعالى، والنَّاسُ إذا رأوا امرَأً له[1] رَوعةٌ وجمال قالوا: كأنَّه مَلَكٌ، كما يقولون في ضدِّه: إنَّه شيطانٌ، قال الشَّاعر:

فَلَسْتَ لإنْسِيٍّ ولكنْ لِمَلأَكٍ ... تنزَّلَ مِنْ جَوِّ السَّماءِ يَصُوبُ[2]

وفي قراءة بعضهم: (ما هذا بِشِرَى) بكسر الباء والشِّين[3]، وبِشِرى مصدرٌ ومعناه المفعول؛ أي: ليس هذا بمشترًى، (إنْ هذا إلَّا مَلِكٌ) بكسر اللَّام[4]؛ أي: ليس بمملوك، وقال قائلٌ:

غابَتْ صِفاتُ القاطعاتِ أكفَّها ... في شاهدٍ هو في البريَّة أبدَعُ

---

(١) في (أ): «رأوا من له».

(٢) نسب البيت لعدد من الشعراء؛ فنسب لعلقمة بن عبدة يمدح الحارث بن جبلة كما في «ذيل ديوانه» (ص: ١١٨)، و«المفضليات» (ص: ٣٩٤)، و«الزاهر» لأبي بكر الأنباري (٢/ ٢٥٥). ونسب لمتمم بن نويرة كما في «ديوان متمم» (ص: ٨٧)، ونسب لأبي وجزة يمدح عبد الله بن الزبير كما في «شرح ديوان المتنبي» للعكبري (٢/ ٣٧٤)، أو لرجل من عبد القيس يمدح النعمان كما في «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١/ ٣٣)، و«شرح القصائد السبع» لابن الأنباري (ص: ٥٢٢)، و«الصحاح» للجوهري (مادة: ملك). ودون نسبة في «الكتاب» (٤/ ٣٨٠)، و«إصلاح المنطق» (ص: ٧١)، و«معاني القرآن» للزجاج (١/ ١١٢). وقال السيرافي في «شرح أبيات إصلاح المنطق» (ص: ٢٠٧): يروى لأبي وجزة يمدح عبد الله بن الزبير، ويروى لرجل من عبد القيس يمدح النعمان.

(٣) نسبت للحسن وأبي الحويرث الحنفي. انظر: «المحتسب» (١/ ٣٤٢)، و«الكشاف» (٢/ ٤٦٦)، و«المحرر الوجيز» (٣/ ٢٤٠)، و«البحر» (١٢/ ٤٦٨).

(٤) قرأ بها عبد الوارث رواية المنقري، وابن عبد الكبير عن أبي عمرو. انظر: «الكامل في القراءات» لليشكري (ص: ٥٥١). ونسب ابن عطية لمن قرأ (بشرًى) أنه قرأ أيضا: (إن هذا إلا مَلِكٌ كريم) بكسر اللام.

ففَنِيـن[١] مِـنْ أوصافهـنَّ فلَـمْ يَكُنْ مِـنْ نَـعْـتِـهِـنَّ تَـلـذُّذٌ وتوجُّـعٌ[٢]

***

(٣٢) ـ ﴿قَالَتۡ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِي لُمۡتُنَّنِي فِيهِۖ وَلَقَدۡ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ فَٱسۡتَعۡصَمَۖ وَلَئِن لَّمۡ يَفۡعَلۡ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسۡجَنَنَّ وَلَيَكُونٗا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿قَالَتۡ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِي لُمۡتُنَّنِي فِيهِ﴾: لمَّا رأَت امرأةُ العزيز أَنَّهنَّ افتُتِنَّ بيوسفَ وجدَتْ موضعًا للعذر فقالَتْ: ﴿فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِي لُمۡتُنَّنِي فِيهِ﴾.

ويحتملُ: فهذا ذلكنَّ الَّذي لمتنني فيه، وقلْتُنَّ ما قلْتُنَّ، ثمَّ اعترفَتْ بأَنَّها راودَتْه عن نفسِه، فقالَتْ:

﴿وَلَقَدۡ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ فَٱسۡتَعۡصَمَ﴾: أي: امتنـعَ وتحفَّـظَ عـن إجابتـي، فهذا يبطلُ قولَ مَـنْ قال: قصـدَ إجابتَها وحـلَّ إزارَه[٣].

ثمَّ اعتراها مِن افتتانِ النِّسوة به زيادةُ شغَفٍ به، فهتكَتْ جلبابَ الحياءِ، وعادَتْ بحضرتهن إلى مراودته، أو إلى ما يشبهُ المراودَة، فقالَتْ:

﴿وَلَئِن لَّمۡ يَفۡعَلۡ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسۡجَنَنَّ﴾: أي: ليحبسَنَّ في السِّجنِ، وهو قولُه تعالى:

﴿وَلَيَكُونٗا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾: أي: الأذلَّاء، جمعَ بينَ النُّون المشدَّدة وبين النُّون المخفَّفة؛ لأَنَّهما[٤] في معنًى واحدٍ، وكُتبَتِ الثَّانية ألفًا لخفائها وسكونها، والوقفُ عليه بالألفِ، قال الأعشى:

---

(١) في (أ): «فتبين»، وفي (ر) و(ف): «ففتن»، والمثبت من المصدر.

(٢) ذكره الكلاباذي عن بعض أهل عصره في «التعرف لمذهب أهل التصوف» (ص: ١٢٧).

(٣) في (ف): «أزراره».

(٤) في (ف): «إلا أنها».

وسبِّحْ على حين العشيَّات والضُّحى ولا تعبدِ الشَّيطانَ واللهَ فاعبُدا[١]

أي: فاعبدَنْ[٢].

وقيل: لمَّا بغَتْ عليه واتَّهمَتْه بما فيها ابتلاها الله تعالى بأنْ هتكَتْ بلسانها سترَها، وكشفَتْ أمرَها.

وقال الإمامُ القشيريُّ رحمه الله: كانَتْ زليخا أتمَّ حالًا في أمر يوسفَ وفي الافتتانِ به من النِّسوة، فأثَّرَتْ رؤيتُه فيهنَّ، ولم تؤثِّر فيها كما أثرَتْ فيهنَّ، حيثُ قطَّعْنَ أيديهُنَّ، وذلك لأنَّه قويَ حالُها بطول الصُّحبة، وصارَتْ رؤيةُ يوسفَ غذاءً لها، فلم يؤثِّر فيها، والتَّغيُّرُ صفةُ أهل البداية، فإذا دام المعنى زالَ التَّغيُّرُ.

قال أبو بكرٍ الصدِّيق رضي الله عنه وقد رأى رجلًا يبكي وهو قريب العهد بالإسلام: هكذا كنَّا حتَّى قسَتْ القلوبُ[٣]؛ أي: قَوِيَتْ وصَلُبَتْ، وكذا الخزفُ أوَّلَ ما يُجعَل فيه الماء يُسمَع له نشيشٌ، وإذا تعوَّدَ شربَ الماء سكنَ، فلا يُسمَع له بعد ذلك صوتٌ[٤].

قال وهبٌ: ولمَّا ظهر هذا قَبُحَت المقالةُ فيها، وعيَّرها نساءُ الملوك، وقلْنَ: إنَّها تراودُ عبدَها عن نفسِه؛ قد فضحها[٥]، وشغفها حبًّا، وأزرى بها، وهو كارهٌ لها،

---

(١) انظر: «ديوان الأعشى» (ص: ١٨٧). وصدره فيه برواية:

وذا النُّصُبَ المنصوبَ لا تَنْسكَنَّه

(٢) «أي: فاعبدن» ليس في (ف).

(٣) رواه أبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص: ١٣٥)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٥٥٢٤)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ٣٣).

(٤) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٢/ ١٨٣).

(٥) «قد فضحها» ليس في (ف).

يُبغضها ويَمقتها، ويهرب منها، ولو رأى فيها خيرًا لطاوعَها[١]، ولو كان لأحدٍ منَّا لأذلَّتْه[٢].

فلمَّا سمعَتْ بسوءِ قولهنَّ لها وإزرائهِنَّ عليها احتالَتْ لفضيحتِهِنَّ، وأرادَتْ أن تصغِّر إليهنَّ أنفسَهُنَّ، فبعثَتْ إلى أربعينَ امرأةً مِن عظمائِهِنَّ لَمْ تَدَعْ فيهنَّ أشرفَ ولا أعظمَ منهنَّ، فصنعَتْ لهنَّ مأدبةً عظيمةً، فلمَّا فرغَتْ من ذلك فرشَتْ لهنَّ واتكأْنَ، ووُضِعَ بينَ أيديهِنَّ الأُتْرجُّ والبطيخُ والموزُ، وأعطَتْ كلَّ واحدةٍ منهنَّ سكينًا لتقطعَ به ما وضعَتْ قدامها، فلمَّا أنشأْنَ في قطع ذلك قالَتْ: ألا أريكُنَّ عبدي الَّذي عيَّرتُنَّني به؟ قلْنَ لها: بلى، فإنْ كانَ لك فيه عذرٌ عذرناك وساعدناك[٣]، وإنْ أخطأْتِ أو قصرَ رأيُك[٤] وعظناك وعرَّفْناك، ودلَلْناك على الرُّشْد والسَّداد.

فاغتنمَتْ ذلك مِن قولهنَّ وقالَتْ: اخرجْ عليهِنَّ يا يوسفُ، فلمَّا وقفَ عليهِنَّ أعظمْنَهُ وبُهِتْنَ، وفي أيديهِنَّ السَّكاكيْنُ، فألهى[٥] أيديَهُنَّ وعيونَهُنَّ وقلوبَهُنَّ وعقولَهُنَّ، فقطَّعْنَ أيديَهُنَّ وأبَنَّ الأناملَ، وأقسمْنَ باللهِ جَهْدَ أيمانهِنَّ: ما هذا بشرًا، ولا ولدَهُ بشرٌ، وإنَّه لَمَلَكٌ كريم من رؤوسِ الملائكة.

قال وهبٌ: بلغني أنَّ يوسفَ صلوات الله عليه أُعطِيَ ثُلُثَ حُسْنِ الدُّنيا، وسارةَ السُّدُسَ، والخَلْقَ النِّصف[٦].

---

(١) في (أ): «لخادعها».

(٢) «ولو كان لأحدٍ منَّا لأذلَّته» ليس في (ف).

(٣) في (أ): «وشايعناك»، وفي (ف): «وسامحناك».

(٤) في (ف): «قصرت» بدل: «قصر رأيك».

(٥) في (أ): «فأشهى»، وفي (ف): «فانتهى».

(٦) روى الطبري في «تفسيره» (١٣/ ١٣٦)، والحاكم في «المستدرك» (٤٠٨٦) عن ربيعة الجرشي: =

وأعطى اللهُ تعالى يوسفَ مِن الحُسْنِ وصفاءِ اللَّون ونقاءِ البشرة ما لم يعطه أحدًا؛ إنْ كان ليأكُلُ البقلَ والشَّيءِ الأخضر من الفاكهة فيُرَى حيث يزدرده[1] في حلقِه وصدرِه حتَّى إلى بطنِه[2].

فقالَتْ زليخا لهنَّ: وهل عليَّ بعدَ هذا مِن لومٍ؟! قلْنَ: معاذَ اللهِ، بل أنتِ معذورةٌ مرحومةٌ مظلومةٌ. وقلْنَ ليوسفَ: اتَّقِ اللهَ في ربَّتكِ[3]، واقبل كرامتَها، وأطعْها وأجبْها إلى ما دعتْكَ إليه، ولئن لم تفعل ذلك إنَّك إذًا لمن الظَّالمين.

وقالَت[4] امرأةُ العزيز: قد ﴿رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ فَٱسۡتَعۡصَمَۖ وَلَئِن لَّمۡ يَفۡعَلۡ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسۡجَنَنَّ وَلَيَكُونٗا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾ قالَتِ النِّسوةُ: قد استحقَّ ذلك، إنَّ عبدًا عصى سيِّدته لأهْلٌ أنْ يُسجَنَ ويُقتَلَ ويُعذَّبَ.

وتمالأْنَ عليه، وأحببْنَهُ وشغفَهُنَّ كما شغَفها، وأشرْنَ عليها بحبسِهِ رجاءَ أنْ يستهوِيْنَهُ حتَّى يحنَّ[5] لهنَّ في السِّجن.

وقلْنَ لسيِّدتِه: إنَّكِ متى سجنتيه قطعْتِ عنك مقالةَ السُّوءِ الَّتي قد شاعَتْ[6] عليك، ورأى النَّاسُ أنَّك تبغضينه وتكرهيْنَ قربَه، ويُعطِّفُهُ عليك السِّجنُ ويلينُه لك.

= قال: «قُسِم الحسن نصفين، فأعطي يوسف وأمه سارة نصف الحسن، والنصف الآخر بين سائر الخلق». وكله من مبالغات الإسرائيليات وخرافاتها.

(١) في (ر) و(ف): «يزدرده».

(٢) وهذا في المبالغة والبطلان كسابقه.

(٣) في (أ): «زلتك».

(٤) في (ر) و(ف): «وكانت».

(٥) في (أ): «عاد». وسقطت جملة: «حتَّى يحنَّ لهنَّ في السجن» من (ف).

(٦) في (ر): «مقالة النسوان التي قد أشاعت»، وفي (ف): «مقالة النسوان التي قد شاعت».

ثمَّ انصرفَتِ النِّسوةُ عنها على ذلك وتركْنَها، وراودَتْهُ عن نفسِهِ وجهدَتْ عليه، ولم يزددْ منها إلَّا بُعدًا، فلمَّا يئسَتْ منه قالَتْ لسيِّدِها: قد شاعَ عليَّ في أمر هذا العبد مقالةٌ قبيحةٌ، وقد فضحني ذلك، وقد كرهْتُ قربَه، وأبغضْتُ رؤيتَه، فائذَنْ لي في سَجنِهِ حتَّى يكونَ سَجنُه مِن تحتِ يديَّ، فإنَّه أقطعُ للمقالةِ، وأبينُ للعذرِ، فقال لها سيِّدُها: قد أذنْتُ لكِ في سَجنِه.

* * *

(٣٣) ـ ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ﴾: أي: يا ربِّ ﴿ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ﴾ أضافَ الفعلَ إلى جميع هؤلاء النِّسوة؛ لِمَا مرَّ أنَّهنَّ شُغفْنَ به، ودعتْهُ كلُّ امرأةٍ منهنَّ إلى نفسِها.

وقيل: إنَّهنَّ حرَّضْنَه على إجابةِ زليخا، ودعوْنَه إلى ذلك.

وقوله تعالى: ﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ﴾: أي: أمِلْ إليهنَّ، وقد صَبا يَصْبُو صَبْوةً، وحذفت الواو من ﴿أَصْبُ﴾ للجزْم؛ لأنَّه جواب الشَّرط.

﴿وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ باتِّباع الهوى، وهذا سؤالٌ منه العِصمةَ مِن ذلك بألطفِ وجهٍ.

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: الاختبارُ مقرونٌ بالاختيار، ولو تمنَّى العافية وسألَها[1] وجدَ العافيةَ، ولكنْ آثرَ السِّجنَ على ذلك فسُجِنَ.

وقالوا: هذا عينُ التَّوحيد، حيثُ رأى أنَّ المعصومَ مَن عصمَه اللهُ تعالى، فإنَّ نجاتَه بصرفِ اللهِ تعالى ذلك لا بتكلُّفِه، ولمَّا آثر تحمُّلَ المشقَّة في اللهِ تعالى على

(١) في (ر): «فينالها»، وفي (ف): «ومثالها».

لذَّةِ نفسِه آثرَهُ الله تعالى على إخوتِه وأهلِ عصرِه، حتَّى قالوا: ﴿لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا﴾ [يوسف: ٩١][١].

وقال الإمامُ أبو منصورٍ رحمه الله: قولُه: ﴿أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ﴾: هي محبَّة الاختيار والإيثار في الدِّين، لا محبَّة النَّفس واختيارُها، بل النَّفس تهوى ما يدعونَ إليه، دليله قوله: ﴿أَصْبُ إِلَيْهِنَّ﴾[٢].

ودلَّ أنَّ النِّسوةَ راودْنَه عن نفسِه، ولذلك قال: ﴿إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ﴾ [يوسف: ٥١][٣].

* * *

(٣٤) ـ ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ﴾: ودعاؤُه قولُه: ﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾: أي: السَّميعُ للدَّعوة، العليمُ بالنِّيَّة.

* * *

(٣٥) ـ ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْـَٔايَٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْـَٔايَٰتِ﴾: أي: ظهرَ لهم رأيٌ بخلافِ الرَّأيِ الأوَّلِ، ومصدرُه البَداءُ.

أي: لزليخا والعزيز وأهلِ المشورة فيه.

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٢/ ١٨٣).

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٦/ ٢٥٤).

(٣) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٦/ ٢٣٧).

﴿مِّنۢ بَعۡدِ مَا رَأَوُاْ ٱلۡأٓيَٰتِ﴾؛ أي: العلاماتِ الدَّالَّات على براءةِ يوسفَ وصدقِ مقالتِه؛ مِن قدِّ القميص مِن دُبُرٍ، ومِن كلامِ الطِّفل وشهادتِه ببراءته، وممَّا بيَّنَ مِن الاستدلال، ونحوِ ذلك.

﴿لَيَسۡجُنُنَّهُۥ﴾: أي: حلفوا ليسجُنُنَّه ﴿حَتَّىٰ حِينٖ﴾؛ أي: زمانٍ يتقادمُ العهدُ فيُنسَى هذا الحديث فينقطعُ.

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: لمَّا سجنَ العزيزُ يوسفَ مع ظهور براءَتِه اتِّقاءً على امرأته أنْ يُنتهكَ سترُها؛ حوَّلَ اللهُ تعالى ملكَهُ(١) إليه، ثمَّ في آخر الأمرِ جعلَها امرأتَه، وذلك جزاءُ الصَّابرين(٢).

* * *

(٣٦) ـ ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجۡنَ فَتَيَانِۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعۡصِرُ خَمۡرٗاۖ وَقَالَ ٱلۡأٓخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحۡمِلُ فَوۡقَ رَأۡسِي خُبۡزٗا تَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِنۡهُۖ نَبِّئۡنَا بِتَأۡوِيلِهِۦٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجۡنَ فَتَيَانِ﴾: أي: عَبْدانِ للمَلِكِ.

وقال الزَّجَّاجُ: كانوا يسمُّون المملوكَ في ذلك الزَّمان ـ شيخًا كان أو شابًّا ـ: فتىً(٣).

أي: أمضَوا رأيَهم في سَجنِه فسجنوه ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ﴾؛ أي: بعدَه بزمانٍ، و(مع) كلمةُ قِرانٍ، وأرادَ به اجتماعَهم في السِّجنِ، لا اقترانهم في الدُّخول.

وكان الفَتَيان أحدُهما طبَّاخُ الملكِ واسمه مجلث، والآخر ساقٍ واسمه بونا.

---

(١) بعدها في (أ): «وملكه»، وليست في «اللطائف» لكن لها وجه.

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٢/ ١٨٤).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ١٠٩).

وقيل -وهو قول ابن عبَّاسٍ-: اسم الطَّبَّاخ شرهابقم، واسم السَّاقي شرهاسكم[١].

ولمَّا دخل[٢] يوسفُ السِّجنَ فتح الله عليه عبارةَ الرُّؤيا، فكان يَعْبُرُ لأهل السِّجنِ رؤياهم، ودخل هذان السِّجنَ بعدَه، و﴿مَعَهُ﴾ بمعنى: بعده، كما قال تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: ٥].

﴿قَالَ أَحَدُهُمَآ﴾؛ أي: السَّاقي: ﴿إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ﴾ في النَّوم ﴿أَعْصِرُ خَمْرًا﴾؛ أي: عنبًا؛ قالَه الضَّحَّاك[٣].

وقال الزَّجَّاج: أي: عنبَ الخمرِ، والعنبُ يُسمَّى خمرًا في لغة عُمَان[٤].

وحكى الأصمعيُّ عن معتمر بن سليمان أنَّه رأى أعرابيًّا معه عنبٌ فقال: ما معك؟ فقال: خمرٌ[٥].

وقيل: هو على ظاهره مستقيمٌ، معناه: أعصر العنبَ خمرًا؛ كما تقولون: عصرْتُ الزَّيتون زيتًا، وبسطُه: أعصرُ عنبًا ليكونَ عصيرُه خمرًا.

قال عكرمةُ: قال ذلك الفتى: إنِّي رأيْتُ فيما يرى النَّائم أنِّي غرسْتُ حبَّةً من عنبٍ فنبتَتْ[٦]، فخرجَ منها ثلاثةُ عناقيد، فعصرتُهنَّ، ثمَّ سقيتُهنَّ الملكَ، قال: تمكُثُ في السِّجنِ ثلاثةَ أيَّامٍ، ثمَّ تخرجُ فتسقِيْهِ خمرًا[٧].

---

(١) في (أ): «شرهاسلم». وانظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٣٣٣)، وجاء في مطبوعه الاسمان: «شرهم أقم، وشرهم أشم».

(٢) في (ف): «وصل».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ١٥٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢١٤٢).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ١٠٩).

(٥) رواه ابن قتيبة في «غريب الحديث» (١/ ٥٤٠)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٢٢٢)، والواحدي في «البسيط» (١٢/ ١١٤).

(٦) في (ف): «فيبست».

(٧) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ١٥٥).

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلْآخَرُ﴾: أي: الطَّبَّاخ: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ﴾؛ أي: رأيتُ كأنِّي أخرجُ من مطبخٍ وعلى رأسي ثلاث سلالٍ[1] من خبزٍ، وأرى سباع الطَّير تأكل مِن السَّلَّةِ العُليا.

وقوله تعالى: ﴿نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ﴾: أي: بما يَؤُولُ إليه عاقبة المراد بهذه الرُّؤيا.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾: أي: تُحسِنُ إلى أهلِ السِّجنِ؛ لقيامِك بأمورِهم، وعنايتِكَ بأسبابِهم، فأحسِنْ إلينا بعبارة الرُّؤيا، ليزول[2] عنَّا شغلُ القلب بتأويلِها، وتُجزَى بذلك على إحسانِك إلى أهل السِّجن.

قيل: كان يداوي مريضَهم، ويعزِّي حزينَهم، ويجتهدُ في عبادةِ ربِّه. وهذا عن قتادة[3].

وقيل: كان يعينُ المظلومَ، وينصرُ الضَّعيفَ، ويعودُ المريض. وهذا عن الزَّجَّاج[4].

وقيل: أي: من الـمُعْتَنِين[5] في عبارة الرُّؤيا. وهو قول الفرَّاء[6].

وقال وهبُ بن منبِّه: كان سببُ وقوعِهما في السِّجن أنَّ جماعةً مِن أهل مصرَ خرجوا على الملك، وأرادوا المكرَ به واغتيالَه، فدسُّوا إلى هذَيْن، وضمنوا لهما مالًا لِيَسُمَّا طعامَ الملكِ وشرابَه، فأجاباهم إلى ذلك، ثمَّ إنَّ السَّاقي نكلَ عنه، وقبلَ الخبَّازُ الرَّشوةَ فسمَّ الطَّعامَ، فلمَّا حضرَ وقتُه وأُحضِرَ الطَّعام، قال السَّاقي:

---

(١) في (أ): «سلات». ولم يبين المؤلف كيف عرف أنها ثلاث وهي لم تذكر في الآية.

(٢) في (ر): «واصرف»، وهي ليست في (ف).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ١٥٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢١٤٣).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ١١٠).

(٥) في (أ): «المحسنين».

(٦) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٤٥)، وفيه: «من العالمين قد أحسنت العلم».

أيُّها الملك، لا تأكلْ فإنَّ الطَّعامَ مسمومٌ، قال الخبَّاز: أيُّها الملك، لا تشربْ، فإنَّ الشَّرابَ مسمومٌ، فقال الملكُ للسَّاقي: اشربْ، فشربَه فلم يضرَّه، وقال للخبَّاز: كلْ مِن طعامِك، فأبى، فجُرِّب ذلك الطَّعام في[1] دابَّةٍ من الدَّواب، فأكلَتْه فهلَكَتْ، فأمرَ الملكُ بهما إلى السِّجنِ، فكانا في السِّجنِ سنةً، وألِفَا يوسفَ وألِفَهما، إلى أنْ رَأَيا رؤياهما، كما قصَّ الله تعالى عنهما[2].

وقيل: لمَّا عبرَ رؤيا الخبَّاز؛ قال: إنِّي لمْ أرَ شيئًا وكنْتُ ألعبُ، فقال يوسفُ: رأيتُما رؤياكما أو لم ترياها، فإنَّ ما قلْتُ نازلٌ بكما. فذلك قوله تعالى: ﴿قُضِيَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾.

وقال الشَّعبيُّ: إنَّهما تحالما ليجرِّبا يوسف[3].

وقال محمَّد بن إسحاق: كان أحدُهما صادقًا والآخرُ كاذبًا[4].

* * *

(٣٧) - ﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَاۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓۚ إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا﴾: قيل: أراد أن يقرِّرَ عندهما علمَه بعبارة الرُّؤيا.

وقيل: أسَّس لدعوتِهما إلى التَّوحيد، وكذا ينبغي للعالم إذا سُئِلَ عن شيءٍ أن يؤسِّس[5] لِمَا هو أهمُّ منه فيكشفَه، ثمَّ يجيبهم عمَّا سُئِلَ عنه.

---

(١) في (ف) و(أ): «على».

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٢٢١)، والبغوي في «تفسيره» (٤/ ٢٤٠) دون نسبة.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ١٥٣) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه والسدي.

(٤) ذكره الماوردي في «تفسيره» (٣/ ٣٦) عن أبي مجلز.

(٥) في (ف): «أسس» بدل: «أن يؤسِّس».

فقال: لا يأتيكما من عند الملك أو من عند أهلكما أو أصدقائكما ما تحتاجان إليه من الطَّعام في السِّجن إلَّا أخبرتكما به قبلَ مجيئِه، وهو قوله: ﴿إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ﴾ وهو خبرٌ عن الغائب، وذلك كقول عيسى عليه السلام: ﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾ [آل عمران: ٤٩].

فكأنَّهما قالا له: فكيفَ تعلمُ ذلك وهو غيبٌ؟ فقال: ﴿ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓ﴾.

فكأنَّهما قالا: ولِم خصَّك ربُّك بالتَّعليم دوننا؟ فقال: ﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ كَـٰفِرُونَ﴾ وليس هو تَرْكًا بعد الكونِ فيها، بل هو الامتناع عنها أصلًا، وإخبارٌ أنَّه لم يكن فيها قطُّ، ولا يخصُّ الله تعالى بهذا العلم ـ الَّذي هو كرامةٌ ـ مَنْ كفرَ به وجحدَه، بل يكرمُ به مَن آمنَ به وصدَّقه ووحَّده وعبدَه.

❊ ❊ ❊

(٣٨) ـ ﴿وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾.

فكأنَّهما قالا له: إذا لم تكن أنت في هذه الملَّة؛ فعلى أيِّ ملَّةٍ أنت؟ فقال: ﴿وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ وهو الجدُّ، جدُّ الأب يسمَّى أبًا؛ لأنَّه أبو أبِ الأب، ﴿وَإِسْحَـٰقَ﴾ هو أبُ الأب، ﴿وَيَعْقُوبَ﴾ هو أبوه حقيقة.

فكأنَّهما قالا: وكيف كانت ملَّتهم؟ فقال: ﴿مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ﴾.

فكأنَّهما قالا: وكيف اهتديتم إليها؟ فقال: ﴿ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾؛ أي: لا يشكرون الخالق على نعمِه بالطَّاعة له في أمرِه ونهيِه.

وقيل: لا يعلمون النِّعمَ مِن الله فيشكروا له عليها.

وقوله تعالى: ﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْآخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ﴾: يدلُّ على بطلانِ قول المعتزلة في أنَّ الفاسقَ يخرجُ من ملَّة الإسلام، ولا يدخل في ملَّة الكفر، فإنَّه ليس بينَ الملَّتَيْنِ ملَّةٌ أخرى.

ودلَّتِ الآية أيضًا أنَّ الكفرَ كلَّه ملَّةٌ واحدةٌ.

ثمَّ إنَّما ذكرَ يوسفُ آباءه في هذه الآية؛ لأنَّ النَّاس كانوا عرفوهم واعتقدوا تعظيمَهم، وكانوا لا يعرفون يوسفَ، فبيَّن أنَّه مِن صلبِهم؛ ليعتقدوا كلامَه[1] ويقبلوا دعوتَه إلى الدِّين الحقِّ.

* * *

(٣٩) ـ ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ﴾: أي: يا ساكنَيه وملازمَيه، وهو كقوله: ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ﴾ و﴿أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾.

﴿ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾: استفهامٌ بمعنى النَّفي.

ثمَّ لا خيريَّة في الأرباب المتفرِّقين، لكن قالَه بناءً على زعم الكفرة؛ أي: أنتم تعتقدونه خيرًا، ثمَّ ألزمهم على هذا الوجه: أهذا خيرٌ أم التَّوحيد، على وجهٍ ظهرَ بطلان ما يعتقدون، وهو كقوله تعالى: ﴿ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النمل: ٥٩] ونحوِ ذلك، وقد كشفناه عند قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ﴾ الآية [المائدة: ٦٠].

ثمَّ إنَّه دلَّهم بهذا على أنَّ الخالق واحدٌ، وأنَّ الإلهَ[2] واحدٌ، وأنَّ الآلهة لا بدَّ أن

---

(١) في (ف): «ليعتقدوه» بدل من «ليعتقدوا كلامه».

(٢) في (أ): «المعبود».

يكون بينهم تفرُّقٌ في الإرادات؛ فإمَّا أنْ يلزمَ العجزُ كلَّهم أو بعضَهم، والعاجزُ لا يجوز أن يكون إلهًا، وهو معنى قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [المؤمنون: ٩١]، وقولِهِ تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢] ولأنَّ الآلهة إذا تفرَّقَتْ لم يمكن إرضاءُ جميعِهم بالعبادة، وإرضاءُ الواحدِ أمكنُ(١) بالمداومةِ على عبادته والعملِ بطاعته.

* * *

(٤٠) - ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ ۚ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم﴾: لمَّا كانت الأسماء الَّتي سمَّوها لا تصحُّ معانيها؛ صارَتْ كأنَّها أسماءٌ فارغةٌ يرجعون في عبادتهم إليها، فكأنَّهم يعبدون الأسماء، إذ لا معاني لها من إلهٍ وربٍّ.

وقوله تعالى: ﴿مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ﴾: أي: لم يجعلِ اللهُ عزَّ وجلَّ دليلًا على جواز عبادتها، ولا أقامَ حجَّةً على تعظيمها.

وقوله تعالى: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾: أي: ما الحكمُ في الإلهيَّة والرُّبوبيَّة إلَّا لله الواحد القهَّار.

قوله تعالى: ﴿أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾: المستقيم. وقيل: أي: الَّذي قامَتِ الدلالةُ على صحَّتِه.

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾: قال الإمام أبو منصور رحمه الله: أي: لا

---

(١) في (أ): «ممكن».

يتفكَّرون فيه ولا ينظرون فلا يعلمون، ولو تفكَّروا فيه ونظروا لعلِموا، وهذا يدلُّ على أنَّ العقوبة تلزمُ وإنْ جهلَ إذا أَمكن له إنعام نظر فيه[١]، ولا يُعذَر به، أو معناه: لا ينتفعون بعلمِهم مع أنَّهم يعلمون به[٢].

* * *

(٤١) ـ ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسۡقِي رَبَّهُۥ خَمۡرٗاۖ وَأَمَّا ٱلۡأٓخَرُ فَيُصۡلَبُ فَتَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِن رَّأۡسِهِۦۚ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسۡتَفۡتِيَانِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسۡقِي رَبَّهُۥ خَمۡرٗا﴾: أي: سيِّدَه، وهو الملكُ، يعني به: السَّاقي.

﴿وَأَمَّا ٱلۡأٓخَرُ﴾: أي: الطَّبَّاخ ﴿فَيُصۡلَبُ فَتَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ﴾؛ أي: الطُّيور ﴿مِن رَّأۡسِهِۦ﴾.

﴿قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ﴾: أي: فُرِغ منه وأُتِمَّ الأمر[٣] ﴿ٱلَّذِي فِيهِ تَسۡتَفۡتِيَانِ﴾؛ أي: تسألان تأويلَه.

قال وهبٌ: قال السَّاقي: إنِّي رأيْتُ حَبَلَةً، فيها ثلاثةُ قضبانٍ جردٍ، فبينا أنا أنظرُ إليها إذا هي قد أورقَتْ[٤] وأخرجَتْ ثمرتَها، ونضجَتْ عناقيدُها، وإذا كأسُ فرعونَ في يدي، فأخذْتُ العناقيدَ فعصرتهنَّ في الكأس، فناولتُها الملكَ فشربَه.

قال يوسفُ: ما أحسنَ ما رأيْتَ! تمكثُ في السِّجنِ ثلاثةَ أيَّامٍ، ثمَّ يذكرُكَ الملكُ فيدعوكَ ليعفوَ عنك، ويردُّكَ إلى عملِكَ فتكونَ كما كنْتَ، فاذكرْني عند ربِّك ـ يعني: عند الملكِ ـ فإنِّي سُجِنْتُ مظلومًا، لعلَّه أنْ ينظرَ في أمري ويخرجني مِن السِّجن.

---

(١) في (ر) و(ف): «أمكن له العلم بطريقة».

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٦/ ٢٤٢).

(٣) «الأمر» من (ر).

(٤) في (أ) و(ر): «افترقَتْ».

قال الخبَّاز: ما أحسنَ ما عبَرْتَ! فإنِّي رأيْتُ كأنَّ على رأسي ثلاثَ سِلالٍ مِن خبزٍ، في السَّلَّةِ العُليا مِن ألوانِ الأطعمةِ، وإذا سِباعُ الطَّير تأكلُ مِن السَّلَّة العُليا.

قال يوسفُ: أمَّا السِّلال؛ فالأيَّام الثَّلاثة الَّتي تكون في السِّجن، ثمَّ يدعوك الملكُ في اليوم الرَّابع فيصلبُك، فتأكل الطَّير من لحمِكَ.

قال الطَّبَّاخ: فإنِّي لم أرَ شيئًا، إنَّما كنْتُ ألعبُ.

قال يوسفُ: ﴿قُضِيَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾؛ أي: الَّذي سألتُماني[1] عنه؛ يعني: الأمرُ كما حدَّثْتُكُما، رأيتُما شيئًا أو لم ترَياه.

***

(٤٢) ـ ﴿وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا﴾: قولُهُ: ﴿ظَنَّ﴾ يجوزُ أنْ يكون فعلًا ﴿لِلَّذِى﴾ ويكونَ على حقيقةِ الظنِّ أنَّه رجا بهذا التَّأويل أن يكون كذلك، ويجوزُ أن يكونَ فعلًا ليوسفَ؛ أي: للَّذي ظنَّ يوسفُ أنَّه ناجٍ، ويكون في معنى العلم واليقين؛ كما في قوله تعالى: ﴿يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٤٩]؛ لأنَّه علم ذلك بتعليم اللهِ إيَّاه، فكانَ لا يشكُّ فيه.

وقوله تعالى: ﴿ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ﴾: أي: مَلِكك.

وقوله تعالى: ﴿فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ﴾: قيل: فأنسى الشَّيطانُ يوسفَ أنْ يذكرَ اللهَ ربَّه جلَّ جلالُه في سؤال هذا الخلاص، ورجاه مِن[2] عند الملكِ. وهو بعيدٌ مِن حال الأنبياء.

---

(١) في (أ): «لا تسألاني» بدل: «الذي سألتماني».

(٢) «مِن» ليست في (ف).

والصَّحيحُ قَولُ الجمهورِ: فأنسى الشَّيطانُ السَّاقيَ ذِكْرَ حالِه لملِكِهِ[١]، والدَّليل عليه أنَّه قالَ ـ يعني هذا ـ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ [يوسف: ٤٥]، فأَخبرَ أنَّه ذكرَ بعدَ نسيانِهِ.

وقوله تعالى: ﴿فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾: البِضْعُ: قطعةٌ مِن العَقْدِ، مِن البَضْعِ؛ وهو القَطْعُ.

قال أبو عبيدة: هو ما بينَ الواحدِ إلى أربعةٍ[٢].

وقال قطرب: ما بينَ الثَّلاث إلى السَّبع[٣].

وقال الزَّجَّاج والقتبيُّ: مِن الثَّلاث إلى التِّسع[٤]. وهو قول قتادة ومجاهد[٥].

وعن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: من الثَّلاث إلى العشرة[٦].

قال وهب: لبثَ في السِّجن بعد ذلك ثلاثَ سنين، وكان لبثَ قبلَ ذلك سبعَ سنين[٧].

وقال قتادة: لبثَ بعد ذلك سبعَ سنين[٨].

---

(١) في (ف): «للملك».

(٢) كذا في «أدب الكاتب» لابن قتيبة (ص: ٤٩)، و«معاني القرآن» للنحاس (٣/ ٤٣٠)، و«غريب الحديث» لابن قتيبة (ص: ٢١٧)، و«تفسير السمرقندي» (٢/ ١٩٤).
لكن في «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (٢/ ١١٩): العقد: ما بين ثلاث إلى خمس.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للنحاس (٣/ ٤٣٠)، و«تفسير السمرقندي» (٢/ ١٩٤).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ١١٢)، و«غريب القرآن» لابن قتيبة (ص: ٢١٧).

(٥) رواه عنهما الطبري في «تفسيره» (١٣/ ١٧٦).

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ١٧٦).

(٧) ذكر نحوه الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٢٢٥).

(٨) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٣١١)، والطبري في «تفسيره» (١٣/ ١٧٥).

وروي أنَّ جبريلَ أتاه في السِّجنِ فلمَّا رآه يوسفُ عرفه[1] فقالَ: يا أخا المنذرِيْن؛ ما لي أراكَ في منزلِ الخطَّائِيْنَ؟ فقالَ له جبريلُ: يا طاهرُ يا بنَ الطَّاهرين، يقرأ السَّلامَ عليك ربُّ العالمين، ويقول لك[2]: أما استحيَيْتَ منِّي أنِ استشفعْتَ بالآدميِّيْنَ، فوعزَّتي لأُلْبثَنَّكَ في السِّجنِ بضعَ سِنينَ، قال يوسفُ: وهو بعد ذلك راضٍ عنِّي؟ قال: نعم، قال: إذًا لا أبالي[3].

قال كعبُ الأحبار: قال جبريلُ ليوسفَ: إنَّ الله تعالى يقول لك[4]: مَنْ خلقَكَ؟ قال: الله، قال: فمَن حبَّبك إلى أبيك؟ قال: الله، قال: فمَن ألبسَكَ في البئر؟ قال: الله، قال: فمَن نجَّاك من كَرْبِ البئر؟ قال: الله، قال: فمَن علَّمكَ تأويلَ الرُّؤيا؟ قال: الله، قال: كيفَ استشفعْتَ بآدميٍّ مثلِك[5]؟

وقال الشَّيخ أبو الحسين محمَّد بن يحيى البشاغري في «كتاب عصمة الأنبياء»: قال بعض النَّاس: إنَّه استعانَ بغيرِ اللهِ فعُوْقِبَ بمقامِهِ في الحبْسِ. وهذا وحشٌ من الكلامِ.

وقال الشَّيخ الإمام أبو منصور رحمه الله: إنَّه ـ صلوات الله عليه ـ لم يستعِنْ بغيرِ اللهِ، وإنَّما استعملَ الأسبابَ، كاستعمالِ العبدِ في معاشِه الأسبابَ الَّتي هو بها متعبَّدٌ؛ مِن نحو المكاسب، وأخذِ الأسلحةِ، وسائر ما يَعْتَدُّ المرءُ بإمساكِ تلكَ

---

(١) «عرفه» ليست في (ر).

(٢) «لك» من (ف).

(٣) رواه الكلاباذي في «بحر الفوائد» (ص: ١١٨) عن زهير بن عباد وعبد العزيز بن عمير. وذكره السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ١٩٤)، والثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٢٢٦).

(٤) «لك» من (ف).

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٢٢٦).

الأسبابِ، فهو وإنْ أمرَه بالذِّكْرِ عندَ ربِّهِ ـ يعني: سيِّدَه ـ وإنَّما رآه سببًا لخروجِه مِنَ السِّجنِ، فهو معتقدٌ بأنَّ اللهَ هو المخرِجُ، لكن ربَّما يجري على يدي مَلِكِهِ، فلذلك قال له: ﴿ٱذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ﴾، ولا بأس[١] بهذا.

[وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿ٱذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ﴾ يحتمل وجهَيْن:

أحدُهما]: ربَّما وقع عند يوسف أنَّ سَجنَه مِن غير علمِ الملكِ، فإذا أُخبِر بحالِه أخرجَهُ، وليس هذا منه استعانةً بغير الله تعالى، ولكنَّه اجتهادٌ لمصالحِ النَّاس[٢] كسائرِ المكاسبِ[٣].

والثَّاني: أنَّه كانَ أظهَرَ رسالتَهُ في السِّجنِ، فأحبَّ رفعَ أمرِه إلى سيِّده؛ ليتدبَّر أنَّه حابسٌ نبيًّا رسولًا، فيخرجَه حتَّى يبلِّغَ رسالَته إليه رجاءَ إجابةٍ منه، حتَّى إذا أجابَ هو أجابَ أتباعُه، ولا تكون رسالتُه مقصورةً على أصحاب السِّجن، بل تكون نافذةً في القوم كلِّهم[٤].

وقال البشاغريُّ: ويحتمل قولُه: ﴿ٱذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ﴾؛ أي: اذكرْ علْمِي الَّذي علَّمَنيه اللهُ مِن تأويلِ الأحاديثِ وحُكْم الرِّسالة[٥]؛ لعلَّه يرغبُ فيخرجَه من السِّجن حتَّى يتخلَّص وينجو لشفقةٍ منه عليه؛ إذ هو كانَ عالمًا بالفراعنةِ المتقدِّمين

---

(١) في (أ): «وما بأسٌ»، وفي (ف): «وما كان بأس».

(٢) في (أ): «لصلح العيش».

(٣) من قوله: «ربَّما وقع عند...» إلى هنا جاء متأخرًا في النسخ الخطية بعد قوله: «بل تكون نافذةً في القوم كلِّهم»، فقدمناه، وزدنا ما بين معكوفتين ليكون أقرب لكلام الماتريدي، وهو الأنسب بالسياق.

(٤) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٦/ ٢٤٣ ـ ٢٤٤)، والكلام فيه بنحوه.

(٥) في (ر): «الرؤيا».

كيف هلكوا بصنيعِهم[١] على الأنبياءِ عليهم السلام، فأحبَّ أن يقفَ على حالِه فيخرجَه، فتزولَ محنتُه قبلَ أنْ[٢] يهلكَ كما هلكَ مَنْ تقدَّمه مِن معذِّبي[٣] الأنبياء.

ودليلُ أنَّه لا يجوز صرف الآية إلى استعانةِ يوسفَ بغير اللهِ: أنَّه لو كان هكذا لم يتكلَّف الشَّيطانُ إنساءَه؛ إذِ الاستعانةُ بغير الله مِن غير رؤيةِ سببِ اللهِ شركٌ، والشَّيطانُ يعينُ على إقامة الشِّرك، فلمَّا أنساه عُلمَ أنَّه يذكِّرُه التَّوحيد، ويجعله رسولًا إلى الملِك بإخباره عن دينِه الخالص لله، فأحبَّ الشَّيطان ألَّا يَعلَمَ الملكُ مِن حالِه ودينِه، فيجيبَه، فأنساه.

وحقيقةُ الإنساء مِن الله تعالى؛ إذ هو المقدِّر، لكنَّه أُضِيْفَ إلى الشَّيطان على ما قلْنَا مِن إضافة القبائحِ إلى الشَّيطان؛ لتكلُّفه[٤] في تحصيلِها، وقد يُضافُ إلى المتكلِّف للشَّيء ذلك الشَّيءُ، وإنْ لم يكن هو المحصِّلَ في الحقيقة.

وما رُوِيَ في الخبر: أنَّ جبريلَ عليه السلام قال له في السِّجن: يقولُ الله تعالى: أَمَا استحيَيْتَ حينَ استعَنْتَ بغيري، فقد حكمْتُ عليك بالسِّجن بضعَ سنيْنَ؟ قال يوسفُ: يا جبريلُ، أهو عنِّي راضٍ؟ فقال: نعم، قال: ما أبالي بالسِّجن بعدَ أن يكونَ اللهُ عنِّي راضيًا.

وما رُوِي عن النَّبيِّ عليه السلام: «رَحِمَ اللهُ أخي يوسفَ، لو لم يستعِنْ بصاحِبِ السِّجنِ ما أُغْلِقَ عليه بابُ السِّجنِ ساعةً»[٥] = إنْ صحَّتْ هذه الأخبار ـ فإنَّا لا نشهدُ

---

(١) في (ر): «بإبائهم».

(٢) في (أ): «فلا» بدل من «قبل أن».

(٣) في (ر): «مكذبي».

(٤) في (أ): «لتمكنه» وفي (ف): «لتكليفه».

(٥) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٣١٠)، والطبري في «تفسيره» (١٣/ ١٧٣)، عن قتادة قال: بلغني =

على صحَّتها؛ إذ ليس في القرآنِ شاهدٌ لهذه الأخبار، فإنْ صحَّتْ ـ فمعناها أنَّه عُوتِبَ بالتَّقصير في الدَّعوة، كان الكلام في دعوته قصيرًا لم يقفْ عليه الَّذي نجا من السِّجن وتوهَّم أنَّه يستعين بسيِّده، وإنْ كانَ هو محمِّلًا إيَّاه رسالتَه إليه في التَّوحيد، فعوتِبَ: إنَّك لم تشرحْ عليه الكلام، فقصَّرتَ الدَّعوةَ؛ لا أنَّها أخطأَتْ موقعَها، دليلُه قولُ جبريل عليه السلام بأنَّ الله عنكَ راضٍ؛ لو كان في باطنِه وظاهرِه مستعينًا بغير اللهِ لم يكنِ اللهُ عنه راضيًا.

وأخبرَ النَّبيُّ ﷺ أنَّ يوسفَ حمَّلَ النَّاجي من السِّجن دعوتَه، حملَها غيرَ مكشوفةٍ، حتَّى فهم النَّاجي الاستعانةَ بسيِّدِه لتخليصِه وإخراجِه، فعُوْتِبَ لقصور الدَّعوةِ، لا للخطأ مِن جهةِ الاستعانة.

ومعنى قوله عليه السَّلام: «لو لم يستعِنْ»؛ يعني: لو لم يكلِّمه بكلمةِ الاستعانةِ،

= أن النبي ﷺ قال: «لو لم يستعن يوسف على ربّه، ما لبث في السجن طول ما لبث».

وروى نحوه ابن حبان في «صحيحه» (٦٢٠٦) من طريق محمد بن عمرو عن أبي سلمة، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «رَحِمَ اللهُ يوسفَ لولا الكلمةُ التي قالها: ﴿اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ﴾ ما لَبِثَ في السجنِ ما لَبِثَ...» الحديث، وتعقبه ابن كثير في «البداية والنهاية» (١/ ٤٧٨) بسبب إدراج هذا الحديث في صحيحه، وقال: إنه حديث منكر من هذا الوجه، ومحمد بن عمرو بن علقمة له أشياء ينفرد بها وفيها نكارة، وهذه اللفظة من أنكرها وأشدها.

وبنحو لفظ ابن حبان رواه ابن أبي الدنيا في «العقوبات» (١٦٠)، والطبري في «تفسيره» (١٣/ ١٧٣)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١١٦٤٠) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما. وإسناده ضعيف جدًّا كما قال ابن كثير في «تفسيره» عند تفسير هذه الآية؛ قال: لأنَّ سفيان بن وكيع ضعيف، وإبراهيم بن يزيد ـ هو الخوزي ـ أضعف منه أيضًا. وقد روي عن الحسن وقتادة مرسلًا عن كلٍّ منهما، وهذه المرسلات هاهنا لا تقبل لو قبل المرسل من حيث هو في غير هذا الموطن، والله أعلم.

وإنْ لم يكنْ مستعينًا في الحقيقة؛ إذ الأنبياءُ كانوا مطالَبين بأفضلِ الأعمالِ وأشرفِها، وأطيبِ الكلمات وأحلاها. والله الموفِّق.

* * *

(٤٣) ـ ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّىٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَٰىَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّىٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ﴾: أي: قال ملكُ مصرَ وهو الريَّان: ﴿إِنِّىٓ أَرَىٰ﴾ في المنام ﴿سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ﴾ السِّمَنُ: زيادةُ البدنِ من الشَّحم واللَّحم.

﴿يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ﴾؛ أي: سبعُ بقراتٍ مهازيلُ، جمع أعجفَ وعجفاءَ على غير قياسٍ، والعجَف: تبيُّن الهزال، وصرفُه من حدِّ: علم.

وقوله تعالى: ﴿وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ﴾؛ أي: وأرى سبع سنبلاتٍ ﴿خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ﴾؛ أي: سبع سُنبلات أُخَر يابسات.

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ﴾: أي: الأشراف الَّذين يُرْجَع إليهم في الأمور ﴿أَفْتُونِى فِى رُءْيَٰىَ﴾: أخبروني بحكمِ رُؤيايَ هذِه ﴿إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾؛ أي: إنْ كنْتُم أو كان فيكم مَن يحسِنُ تعبيرَ الرُّؤيا.

وإدخالُ اللَّام في الرُّؤيا مع أنَّ فعلَ العبارة متعدٍّ؛ لِمَا أنَّ الفعلَ إذا تقدَّم عليه المفعول ضعفَ عملُه، فجازَ إدخالُ حرف الإضافة لذلك، فلا يجوزُ: (تعبرون للرُّؤيا)؛ لأنَّه في قوَّة عملِه.

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: كانَ ابتداءُ بلاءِ يوسفَ في رؤيا[1] رآها

---

(١) في (ف): «في الرؤيا التي».

وأظهرَها، فجعلَ اللهُ سببَ نجاتِه أيضًا مِن رؤيا رآها الملكُ فأظهرَها؛ ليعلمَ الجميعُ أنَّ اللهَ تعالى يفعلُ ما يريدُ[١].

رُوِي أنَّه لمَّا انتهَتْ مدَّة اللَّبْثِ في السِّجن ضاقَ عليه وقتُه ليلةً فبكى، ورفعَ رأسَه إلى السَّماء وقال: إلهي، أنتَ الرَّبُّ وأنا العبد، وأنتَ الخالقُ وأنا المخلوق، وأنتَ العزيزُ وأنا الذَّليل، أسألُكَ بحقِّ إبراهيمَ خليلِك، وبحقِّ إسحاقَ ذبيحِك، وبحقِّ يعقوب إسرائيلِك، أنْ تغيثَني وترحمَني يا أرحمَ الرَّاحمين. فإذا هو بشابٍّ جميلٍ نقيِّ الثِّياب بينَ يديه يقول له: السَّلام عليك يا يوسفُ، فقال: ومَن أنت؟ ومَن أدخلَك السِّجن؟! فوالله إنَّ جدارَه لحصين، وإنَّ بابَه لوثِيْق[٢]، وليس ينبغي لمثلِكَ أنْ يُحبَسَ.

قال: أنا الرُّوح الأمين، ورسولُ ربِّ العالمين.

قال: يا أطيبَ الطَّيبينَ، ورأسَ المقرَّبين، ورسولَ ربِّ العالمين، ما أدخلَكَ مدخَلَ المذنبين، ومنزلَ الخاطئين؟

قال: كيف يكونُ منزلَ الخاطئين، وأنت فيه يا أطهر الطَّاهرين، وقرَّة عينِ الصِّديقين؟

قال يوسف: كيف تشبِّهني بالصَّالحين، وتَعُدُّني مِن الصِّديقين، وقد أُدْخلْتُ مُدْخَلَ المذنبين، وشبِّهت بالظَّالمين، وحُبِسْتُ في سجن المجرمين؟

قال جبريل: بحبِّكَ ربَّ العالمين، وصبرِكَ على كيد المفترين[٣]، سمَّاك اللهُ من الصِّدِّيقين، وألحقَكَ بآبائِكَ الصَّالحين، وأوجبَ لك ثوابَ الصَّابرين.

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٢/ ١٨٧).

(٢) في (ر): «لموثق».

(٣) في (أ): «المضرين».

قال: تعرفُ حالَ أبي وإخوتي؟

قال: أمَّا أبوكَ فباكٍ محزون، وأمَّا إخوتُك فخجلون نادمون.

قال: وما بلغَ مِن حزن أبي؟

قال: حزن مئة ثَكْلى، وبلغَ مِن صبره على ذلك ما استحقَّ به أجرَ مئة شهيدٍ، وهذا وقتُ فكِّ عنقك، وزوالِ رقِّكَ، ونشرِ حكمتك(١)، وتصديقِ رؤياك، ويهبُ اللهُ لكَ مصرَ وعزَّها، ويلقي اللهُ تعالى لك المودَّة في قلوبِهم، ويزكِّيْكَ ربُّك حتَّى يبلِّغَكَ برحمتِه ما بلغَ آباؤك الصَّالحون، ويرى الملكُ رؤيا يَفزعُ منها، ويعبُرُ رؤياه عليه أنت، وأبشِّرك(٢) أيُّها الصِّدِّيق بأنَّك صفيُّ الله، وابنُ صفيِّه، وابن ذبيحِه، وابن خليلِه(٣).

وبيَّن له تمامَ الرُّؤيا وتأويلَها، وانصرفَ عنه، فلم يلبَثْ يوسفُ عليه السلام في السِّجن إلَّا ذلك اليوم، فلمَّا جنَّ اللَّيل نامَ الملكُ، فرأى في تلك اللَّيلةِ الرُّؤيا، فلمَّا أصبح جمعَ ملأً عظيمًا من قومِه فقصَّها عليهم.

فقال: إنِّي أرى سبعَ بَقراتٍ سِمانٍ وسبعَ بقراتٍ عِجافٍ، فابتلعَتِ العِجافُ السِّمانَ وأكلَتْها، فلم يسمن(٤) في بطونها شيءٌ، ورأيْتُ سبعَ سُنبلاتٍ خضرٍ وسبعَ سُنبلاتٍ يابسات، على ما نبيِّنُ كيفيَّة حالِهما في بيان تفسيرِ هذه الرُّؤيا إن شاء الله تعالى.

---

(١) في (ر) و(ف): «حكمك».

(٢) في (ف): «وأبشر».

(٣) روى نحوه الدارقطني في «غرائب مالك» من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، كما في «تخريج أحاديث الكشاف» للزيلعي (٣/ ١٧٩)، وقال الدارقطني: هذا حديث موضوع باطل، وإسحاق بن وهب الطهرمسي يضع الحديث على ابن وهب وغيره، حدث عنه بهذا الإسناد أحاديث لا أصل لها.

(٤) في (ر) و(ف): «يستمر».

(٤٤) ـ ﴿قَالُوٓا۟ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ ۖ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَالُوٓا۟ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ﴾: الضِّغْثُ: الحزمةُ مِن الحشيش المختلِف، وجمعُه: الأضغاث، أرادَ بها: أخلاطَ رُؤيا كاذبة لا حقيقةَ لها.

قال قتادة: أخلاط أحلام[1].

وقال مجاهد: هذا أهاويلُ أحلام[2].

وقال أبو العالية: أحلامٌ ملتبسة[3].

﴿وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ﴾: لأنَّ الحُلُم[4] ما خرجَ عن الرؤيا، وهو ما لا يصدق ممَّا يرى[5] في الخبر[6]، وفي الخبر: «الرُّؤيا من اللهِ تعالى والحلمُ مِنَ الشَّيطانِ»[7].

* * *

(٤٥) ـ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا﴾: أي: السَّاقي الَّذي كان في السِّجن ﴿وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾؛ أي: مدَّةٍ.

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٣١٤)، والطبري في «تفسيره» (١٣/ ١٨٠).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٢٢٦).

(٣) لم أقف عليه.

(٤) في (أ): «الحكم».

(٥) في (ف): «لا يرى».

(٦) في (أ): «الخير»، والعبارة قلقة غير واضحة، ولعله أراد ما ذكره ابن عطية في «تفسيره» (٣/ ٢٤٨): (والمعنى: أن هذا الذي رأيتَ أيها الملك اختلاط من الأحلام بسبب النوم، ولسنا من أهل العلم بذلك؛ أي: بما هو مختلط ورديء، فإنما نفوا عن أنفسهم عبر الأحلام لا عبر الرؤيا على الإطلاق).

(٧) رواه البخاري (٥٧٤٧)، ومسلم (٢٢٦١)، من حديث أبي قتادة رضي الله عنه.

وقال ابن عبَّاسٍ والحسن ومجاهد وقتادة: أي: بعد حين[1]؛ كما قال تعالى: ﴿ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ ﴾ [هود: ٨].

وقال الحسن: أي: بعد انقراض أمَّةٍ من النَّاس[2]؛ أي: قرن.

وروى نوفل بن أبي عقرب عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما أنَّه قرأ: (بعد أَمْهٍ) بفتح الألف وتسكين الميم وخلوصِ الهاء؛ أي: بعد نسيان[3]، والفعل من حدِّ علم.

وقال أبو الهيثم: فتح الميم خطأٌ، ذكره في شرح «الغريبين»[4].

وقوله تعالى: ﴿أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ﴾؛ أي: أخبركم بتعبيره بأخذي إيَّاه مِن عندِ مَنْ يعلمُه.

﴿فَأَرْسِلُونِ﴾؛ أي: فأْذَنوا لي بالخروج وخلُّوني لآتيَ مَن يعلمُ تأويلَه، وأضمر هاهنا: فأرسلوه، فجاءَ إلى يوسفَ وهو في السِّجن فسأله معظِّمًا، وذلك قوله تعالى:

* * *

---

(١) رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (١٣١٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما، و(١٣١٦) عن الحسن وقتادة. ورواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ١٨١ ـ ١٨٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما، والحسن وقتادة ومجاهد.

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢١٥٢).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ١٨٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢١٥٢) من طريق عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما، ورواه أيضا عن عكرمة والضحاك ومجاهد، وفي جميعها: (أَمَه) بفتح الميم. وبسكون الميم رواها الطبري (١٣/ ١٨٦) عن مجاهد، وعزاها في «البحر» (١٢/ ٤٩٠) لمجاهد وعكرمة وشبيل بن عزرة.

(٤) انظر: «الغريبين» لأبي عبيد الهروي (١/ ١١١).

(٤٦) - ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ لَّعَلِّيٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾.

﴿يُوسُفُ﴾: أي: يا يوسف ﴿أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ﴾ وهو الكثير الصِّدق والدَّائم عليه، سمَّاه به لأنَّه لم يجرِّب عليه كذبًا.

وقوله تعالى: ﴿أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ﴾: أي: أجبْنا فأخبرْنا بحكم رُؤيا رآها الملكُ؛ وهي أنَّه رأى سبعَ بقراتٍ سمانٍ يأكلهنَّ سبعٌ عجافٌ، ورأى سبعَ سنبلاتٍ خضرٍ وسبعَ سنبلاتٍ أُخر يابسات.

وقوله تعالى: ﴿لَّعَلِّيٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾: يعني: أفتنا فيهنَّ لأرجع إلى النَّاس بفتواك فيهنَّ، فيعلموا تأويل رؤيا الملِك، فإنَّهم غير عالمين به.

وقال وهبٌ: فلمَّا لم يدرِ الملأُ تأويلَها وعجزوا عنها وأعيَتْهم؛ قالوا: يا أيُّها الملك، إنَّ الأحلامَ ليست تصدُق كلُّها، وكذبُها أكثرُ مِن صدقِها، ونحن نرجو أن يكون حلمُكَ هذا أضغاثًا، ومَن ذا الَّذي تخافُ أن يدخلَ عليك في ملكِكَ، وسلطانُكَ أعزُّ من ذلك، وحولُك أكثرُ، ورجالُك أقوى وأحفظُ[1] له عليك.

وذكرَ غلامُ الملكِ الَّذي كان مسجونًا مع يوسف عليه السلام عندما كان من قولهم بذلك في أمرِ يوسف، فقال له: ائذنْ لي أيُّها الملك أدخلْ سجنَك وآتِكَ منه بتأويل رؤياكَ؛ فإنَّ فيه رجلًا[2] حكيمًا من آل يعقوب، فإنْ يكُ عند أحدٍ من أهل الأرض علمُ رؤياك فهو عندَه، فإنَّ النَّاس اليوم[3] يقولون: إنَّهم لم يرَوا مثلَه علمًا

---

(١) في (ر) و(ف): «أحوط».

(٢) في (ف): «عليمًا».

(٣) «اليوم» من (أ).

وحلمًا وحكمًا، وقد كنْتُ أنا وصاحبي الَّذي قتلتَه يومَ غضبْتَ علينا وسجنْتَنا حَلمْنا في السِّجنِ حُلْمًا، فعبَّره لنا، فكانَ كما قالَ، أمَّا أنا فنجوْتُ، وأمَّا صاحبي فقُتِلَ، وكذلك أخبرَنا، فأرسلْني إليه آتِكَ بتأويل رؤياكَ، فأفرِّجَ عنك هذا الغَمَّ.

فقال الملك: لئِنْ فعلْتَ ما تقول لأكرمنَّكَ ولأعظمَنَّ حالَك وشرفَك[1]، فانطلِقْ فقدْ أذنْتُ لك.

فانطلقَ العبدُ حتَّى دخلَ على يوسفَ في السِّجن، فأخبرَهُ خبرَ الملك، وقصَّ عليه رؤياه، فَعَبَرَها له يوسفُ عليه السلام.

وقال الإمامُ القشيريُّ رحمه الله: إنَّ الله تعالى أفردَ يوسفَ عليه السلام مِن بينِ أشكالِه بشيئَيْنِ: بحُسْنِ الخَلْقِ وبزيادةِ العلْمِ، فصارَ جمالُه سببَ بلائِهِ، وصارَ علمُه سببَ نجاتِه؛ لتُعلَمَ مزيَّةُ العلمِ على غيرِه، ولهذا قيل: العلمُ يُعطي وإن كان يُبطي[2].

وقال الإمامُ أبو منصورٍ رحمه الله في قوله: ﴿أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾: يحتمل وجوهًا:

ـ يعلمونَ أنَّ هذه الرُّؤيا حقٌّ، وأنَّ لها حقيقةً، وليسَتْ كما قالوا: إنَّها أضغاث أحلام.

ـ ويحتمل: يعلمون فضلَكَ على غيرِك مِن النَّاس.

ـ ويحتمل: يعلمون أنَّك تصلُحُ لحاجاتهم فيرفعونها إليك، كما صلحْتَ لتعبير رؤياهم[3].

---

(١) في (ف): «وأشرفك».

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٢/ ١٨٧).

(٣) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٦/ ٢٤٩).

(٤٧) ـ ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا﴾: عبَرَ الرُّؤيا للسَّاقي، فقال: تحرثون سبعَ سنينَ زراعةً متواليةً في هذه السِّنين بجدٍّ واجتهادٍ على عادتِكم في الزَّراعة.

والدَّأْبُ: العادةُ، والدَّأَبُ: الجِدُّ والتَّعبُ.

وقوله تعالى: ﴿فَمَا حَصَدتُّمْ﴾: أي: قطعْتُم مِنَ الزَّرع ﴿فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِۦٓ﴾؛ أي: فاتركوه كذلك، ولا تَدْرُسوه ولا تُذَرُّوه لأنَّه أبقى له وأبعد من فساده.

﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ﴾: في العام، فلا بدَّ من دياسَتِهِ وتذريَتِهِ وتنقيَتِهِ.

* * *

(٤٨) ـ ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ﴾.

﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾: أي: بعد مضيِّ سبع سنين في الخصْبِ، وهو قوله تعالى: ﴿سَبْعٌ شِدَادٌ﴾: أي: سبعُ سنين مجدبةٌ، فيها الضِّيق والشِّدَّة.

﴿شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ﴾؛ أي: يأكلْنَ هذه السِّنون السَّبعُ المجدِبَةُ ما كان حصل في أيديْكُم مِن فضلِ ما زرعْتُموه في السَّبع المواضي.

﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ﴾: أي: تحرزونَ في الحصنِ؛ أي: الحرز.

وأضافَ الأكل إلى السِّنين؛ لأنَّ أكلَ النَّاس يكون فيها؛ وهو كما قال الشَّاعرُ:

نهارُكَ يا مغرورُ سهوٌ وغفلةٌ ... وليلُكَ نومٌ والرَّدَى لَكَ لَازِمُ[1]

---

(١) ينسب لعبد الأعلى القرشي. كما في «الحماسة البصرية» (٢/ ٤٢٧)، ولأبي إسحاق الكادوشي، كما في «الدر الفريد» للمستعصمي (٩/ ٤٨٤)، ولمسعر بن كدام كما في «أمالي ابن سمعون» (١/ ١٥٤)، و«حلية الأولياء» لأبي نعيم (٧/ ٢٢٠)، و«حياة الحيوان الكبرى» للدميري (١/ ٢٣١). =

لأنَّ النَّوم يكون فيه.

ووجهٌ آخر: أنَّ معناه: يُفْنِينَ؛ كقولك: أكلَهم الدَّهرُ؛ أي: أفناهم.

ووجهٌ آخر: أنَّه لمَّا كان في الرُّؤيا سبع بقراتٍ عجافٍ أكلْنَ سبعَ بقراتٍ سمانٍ، وكانت البقرات مَثلًا للسِّنين؛ أخرج الجواب في العبارة مطابقًا للَفظِ السُّؤال مراعاةً للبلاغة.

***

(٤٩) ـ ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ﴾: أي: يُعطَوْنَ الغيثَ، وقيل: يُعطَوْنَ الغوْثَ، وقد غِيْثَ النَّاسُ وغاثَهم اللهُ عزَّ وجلَّ؛ أي: أعطاهم الغيثَ، وهو المطر، وأُغِيْثَ النَّاسُ وأغاثَهم اللهُ؛ أي: نجَّاهُم وخلَّصهم.

﴿وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾: قيل[1]: أي: يَعْصِرون الأعنابَ والثِّمارَ والسِّمْسِمَ والزَّيتون، وهو بيانُ كثرةِ النِّعم، وانتفاع النَّاس بها، ومنه: العصير والعُصارة والمُعْصِر.

وقيل: أي: يَنْجُونَ، والعُصْرةُ: الملجأ، والاعتصار: الالتجاء[2]، وقال الشَّاعرُ:

صاديًا يستغِيْثُ غيرَ مُغاثٍ ولقدْ كانَ عُصْرَةَ المَنْجُوْدِ[3]

= وكان عمر بن عبد العزيز يتمثل به كما روى ابن أبي الدنيا في «الزهد» (٤٥٧)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٥/ ٣١٩)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٧/ ٤٠٩).

وانظر: «غريب الحديث» لأبي عبيد (٤/ ١١٢)، و«عيون الأخبار» لابن قتيبة (٢/ ٣٣٣).

(١) «قيل» من (ف).

(٢) في (ف): «المنجا أيضًا».

(٣) لأبي زبيد الطائي. انظر: «ديوانه» (ص: ٤٤)، و«جمهرة أشعار العرب» للقرشي (ص: ٥٨٣)، و«تفسير الطبري» (١٣/ ١٩٧)، و«تفسير الثعلبي» (٥/ ٢٢٨)،

وقال أبو زبيد الطَّائي:

لـو بِغَيْـرِ الـمـاءِ حَـلْـقِـي شَـرِقٌ   كُنْتُ كالغَصَّـانِ بالمـاءِ اعْتِصَـارِي[١]

هذا عن أبي عبيدةَ والزَّجَّاج[٢]، والأوَّل عن ابن عبَّاس ومجاهد وقتادة[٣].

وقرأ حمزةُ والكسائيُّ: ﴿تَعْصِرُونَ﴾ بالتَّاء على الخطاب[٤]، ردًّا إلى قوله تعالى: ﴿يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ﴾، وقرأ الباقون بياء المغايبة، ردًّا على قوله تعالى: ﴿يُغَاثُ ٱلنَّاسُ﴾، وهم أهل مصر.

قالوا: إنَّ اللهَ تعالى ذكرَ مِن هذا السَّاقي أدبًا، ومِن يوسفَ عليه السلام كرمًا؛ أمَّا أدبُ السَّاقي فإنَّه لم يذهب إلى السِّجن للسُّؤال إلَّا بإذن، وأمَّا كرم يوسف صلوات الله عليه فإنَّه عجَّل جوَاب سؤالِه ولم يعاتِبْه على ما كان منه من نسيانه، لم يقلْ له: لم تذكرْني بعدما قلْتُ لك: ﴿ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ﴾، حتَّى وقعَتْ لكم هذه المهمَّة.

ولمَّا سمع السَّاقي منه تعبيرَه للرُّؤيا[٥]، ورجعَ إلى الملكِ وأخبرَه به، أعجبَه وانكشفَ عنه كربُهُ وحزنُهُ[٦]، وقال: ائتوني بهذا الرَّجل الحكيم العليم أُكرمْه وأشرِّفه وأرفع منزلَتَه وأقرِّبه منِّي، فإنَّه ليس مثلُه يُضيَّعُ ولا يُهان ولا يُعذَّب[٧].

---

(١) البيت لعدي بن زيد التميمي، كما في «ديوانه» (ص: ٩٣)، و«البيان والتبيين» للجاحظ (٢/ ٢٤٢)، و«الشعر والشعراء» لابن قتيبة (١/ ٢٢٩)، و«جمهرة اللغة» لابن دريد (٢/ ٧٣١).

(٢) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١/ ٣١٣)، و«معاني القرآن» للزجاج (٣/ ١١٤).

(٣) رواه عنهم الطبري في «تفسيره» (١٣/ ١٩٤ ـ ١٩٥).

(٤) انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ٣٤٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٩).

(٥) في (ف) و(أ): «هذه الرؤيا».

(٦) في (ف): «وحزنه قوله تعالى وقال الملك ائتوني به».

(٧) في (ف): «يعذب فلما جاءه الرسول أي».

فعادَ السَّاقي إلى يوسفَ وأخبرَه بذلك، وأدَّى رسالةَ الملكِ، قال: كيف أرجو كرامَتَه، ولقد لبثْتُ في سجنِه عشرَ سنين، وهو يعرفُ عذري وبراءَتي، ولم يرحمْنِي ولم ينصرْنِي ولم ينصفْنِي ممَّنْ ظلمَني؟ لا آتيه أبدًا حتَّى يجمعَ النِّسوةَ اللَّاتي كذبْنَني وافترينَ عليَّ وظلمْنني، فيوبِّخَهُنَّ لكيدِهِنَّ ومكرِهِنَّ، ويُقْرِرْنَ له بذلك على أنفسهنَّ، ويُبْرِئْنَنِي لبراءَتي وعذري.

قال وهبٌ: قال النَّبيُّ ﷺ: «رحمَ الله أخي يوسفَ؛ إذ دُعِيَ إلى الخروج مِن السِّجنِ فلم يفعل، إن كان لحليمًا ذا أناةٍ، ولو كنْتُ أنا المحبوسَ لبادرْتُ البابَ»[1].

***

(٥٠) ـ ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِۦ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾.

يعني قوله: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِۦ﴾: أي: أحضِروه.

﴿فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ﴾: أي: السَّاقي ﴿قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾؛ أي: عُدْ إلى ملكك ﴿فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ فكذَّبْنَني.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾: أي: خالقي، وقيل: أراد به: سيِّدي، وهو العزيز؛ أي: هو طاهرٌ عند العزيز، فأحبَّ وضوحَ عذرِه عند الملكِ الأعظم أيضًا.

وكيدهنَّ: مراودتُهُنَّ إيَّاه عن نفسِه.

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١١٦٤٠) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٤٠): رواه الطبراني وفيه إبراهيم بن يزيد القرشي المكي وهو متروك.
وهذا معنى حديث رواه البخاري (٣٣٧٢)، ومسلم (١٥١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ: «لو لبثت في السجن طول ما لبث يوسف لأجبت الداعي».

(٥١) ـ ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦۚ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍۚ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾.

﴿قَالَ﴾: فجمعَهُنَّ الملكُ، وقال لهنَّ ما ذكرَ الله تعالى، وهو قوله تعالى: ﴿مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ﴾.

الخَطْبُ: الأمرُ العظيم؛ أي: ما شأنكُنَّ إذ راودْتُنَّ يوسفَ عن نفسِه؟

قال وهبٌ: قال لهنَّ: ما حملكُنَّ على ما فعلْتُنَّ بيوسفَ إذ مَالأْتُنَّ عليه سيِّدَتَهُ، وأَمَرْتُنَّها أن تسجنَهُ وتُهينَهُ وتعذِّبَهُ، ودعوتُنَّهُ إلى أنفسِكُنَّ، فلمَّا أبى واستعصم قلْتُنَّ فيه الكذبَ والزُّور؟

﴿قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ﴾: معاذَ الله ﴿مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ﴾ ولقد قلْنَا فيه الكذب والزُّور، وإنَّه لهو البريءُ التَّقيُّ[1] النَّقيُّ المكذوبُ عليه المظلومُ.

و﴿قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ﴾؛ أي: ظهرَ الحقُّ وخلصَ، وأزيلَتِ الشُّكوكُ عنه وانقطعَتْ، مِن قولِكَ: حَصَّ شعرَه؛ أي: قصَّه وقطعَه واستأصلَه، ومنه: الحِصَّة؛ وهي القطعةُ مِن الشَّيء.

﴿أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾: في قوله: ﴿هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى﴾ [يوسف: ٢٦].

وقال القشيريُّ رحمه الله: إنَّ زليخا لم تكن متناهيةً في محبَّةِ يوسفَ في الابتداء، فجعلَتْ ذنبَها عليه فقالَتْ: ﴿مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ ...﴾، فلمَّا تناهَتْ في محبَّته أقرَّتْ بالذَّنبِ على نفسِها، فقالَتْ: ﴿ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ﴾، والمتناهي في الحبِّ لا يبالي بانهتاك السِّتر وظهورِ السِّرِّ[2].

---

(١) «التقي» من (أ).

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٢/ ١٨٩).

(٥٢) ـ ﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾: قيل: هو متَّصلٌ بقول يوسفَ عليه السلام: ﴿إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾ ﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ﴾؛ أي: ليعلمَ العزيزُ ﴿أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾ بغيبتِه، فإذا ظهرَتْ براءتي عندَ العزيزِ ظهرَتْ عندَ غيرِه وعندَ الملكِ.

وقيل: أي: ليعلمَ الملكُ أنِّي لم أخنِ الملكَ؛ لأنَّ خيانتي لخازنِه وخادِمه خيانةٌ له.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾: أي: لا يُفضي بكيدِهم إلى هدًى وإصابةٍ، مثلَما لم يهدِ كيدَ امرأةِ العزيزِ والنِّسوة.

وقال الحسينُ بنُ الفضلِ البَجَليُّ رحمه الله: ﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ﴾ من قول زليخا، وهو متَّصلٌ بكلامها؛ أي: ليعلمَ يوسفُ(١) أنِّي لم أخنْهُ بالغيب، لم أكذبْ عليه بغيبَتِهِ، ولم أنسبْهُ إلى ما لا يحلُّ، بل أقررْتُ بالذَّنب على نفسي.

***

(٥٣) ـ ﴿۞ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي ۚ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي ۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي﴾: أي: لا أزكِّي نفسي مع براءتي مِن هذه الجنايةِ(٢).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ النَّفْسَ﴾: هي للجنس؛ أي: النُّفوسَ البشريَّةَ ﴿لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾؛ أي: كثيرةُ الدَّعوةِ إلى المعاصي بشهوتها ونهمَتِها ﴿إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾: لكنْ

---

(١) «يوسف» ليس في (ف).

(٢) في (أ): «الخيانة».

مَن رحمَ ربي يَسلمُ عن طاعتِها ﴿إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ﴾: ستَّارٌ للعيوب ﴿رَّحِيمٌ﴾ بمواصلة البراهين والبيِّنات.

أو يكون لحقيقة الاستثناء[1]؛ أي: إلَّا مَن رحمَ ربِّي، فرحمَه وعصمَه مِن أنْ تأمرَه نفسُه بسوء، أو تكون أَمَرَتْه به في بعض الأحوال، لا أمَّارةً إذا راضَها الإنسان رياضةً بليغةً، فتبقى الخَطْرةُ دون العَزْمة.

وفي بعض الرِّوايات: أنَّه لمَّا قال: ﴿لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾ قال له جبريل: ولا حين همَمْتَ؟ قال: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي﴾[2].

وفي «كتاب عصمة الأنبياء» في قولِه: ﴿ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ﴾: أنَّ يوسفَ عليه السلام أظهرَ السَّكينةَ والوَقار في الخروج من السِّجن، لا كالضَّجِر القَلِق إذا وجدَ الخلاصَ بادرَ إلى الخروجِ:

ليتميَّزَ الرَّاضي بالقضاء، والمسلِّمُ للحكم، والمفوِّض للقدر، مِن السَّاخط بالمقسوم في المكاره.

والثَّاني: جريٌ على انتظار الوحي؛ لئلَّا يكون مستبدًّا برأيه.

والثَّالث: أنَّه علم استخلاصَ الملكِ إيَّاه، فأحبَّ ألَّا يبقى أثر تهمةٍ من تلك الحادثة الَّتي كانَتْ جرَتْ، حتَّى يَنظُرَ إليه بعين الأمانة، ويَعدَّهُ مِن أهل الصِّيانة، فيصفو له استخلاصه.

---

(١) أي: استثناء متصلاً، والوجه الأول على اعتبار كونه منفصلاً.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٢١٤) عن ابن عباس وسعيد بن جبير. ولم يرتضه الزمخشري فقال: ولقد لفقت المبطلة روايات مصنوعة، فزعموا أن يوسف حين قال: ﴿أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾ قال له جبريل: ولا حين هممت...وذلك لتهالكهم على بهت الله ورسله. انظر: «الكشاف» (٢/ ٤٨١).

وقول النَّبيِّ ﷺ: «رحمَ اللهُ أخي يوسف، لو كنْتُ أنا مكانَه لبادرْتُ البابَ»[١]؛ أي: ما كنْتُ منتظرًا للعُذْرِ، بل كنْتُ أرى الإدخال والإخراج مِن اللهِ جلَّ جلالُه، فتكلَّم عن مقامِه مِن الفراغِ عن الأفكار[٢] في المخلوقين مدحًا منهم وذمًّا، وإنْ كان ليوسف بهذا المقام، لكنَّ مقامَ رسول الله ﷺ كان أعلى وأكمل، فليس هذا منه عيبًا على يوسف، وإنَّما هو إبانةٌ لمقدار وسعِه[٣] عليه السلام في التَّسليم للحكم.

والثَّاني: أنَّ يوسف صلوات الله عليه أحبَّ ظهورَ براءتِه ونظافتِه؛ ليكونَ زوجُ المرأة ملاحظًا له بعين الإجلال، لا بعين الاستقلال، كالمسجون من جهة إنسانٍ يخرجُه السُّلطان لحاجته إليه وخصمُه كارهٌ لخروجه، فالخارج من السِّجن يكون قلبُه منقسمًا وخاطره متوزِّعًا ممَّا يتفكَّرُ مِن استثقال خصمِه وكراهته لخروجِه، واحتيالِه ثانيًا لإعادته إلى السِّجن إذ أُخْرِجَ بغير رضاه، فأرادَ أن يكون خاطرُه لإقامة ما يُفوَّض إليه من الأمانة مِن غير تشويشٍ يقعُ في فكرتِه.

ولأنَّه كان كريمًا ابنَ الكرام فكان لا ينكِرُ[٤] صنائعَ زوجِ المرأة، فأحبَّ أنْ يصفوَ قلبُه إذا خامَرَهُ شيءٌ من مقالات امرأتِه بظهور صفوتِه مشاهدةً، وهذا في المروءة والأمانة[٥] مندوبٌ إليه.

وما قالَهُ الرَّسول عليه السلام فهو مِن أعلى درجات العبوديَّة، وأشرفِ مقامات الاكتفاء بالله تعالى بإرضاء عباده عنه من غير تكلُّفٍ، وكلٌّ جرى على ما كُشِفَ له.

---

(١) سبق تخريجه قريبًا.

(٢) في (ف) و(ر): «من فراغ الأفكار».

(٣) في (ف): «وسع يوسف».

(٤) في (ر) و(ف): «لا يكفر»، والمثبت من (أ)، والمعنى متقارب، فمعنى «لا يكفر»؛ أي: لا يجحد ولا يستر.

(٥) في (ف) و(أ): «والإنسانية».

(٥٢) ـ ﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾: وفيه دليلٌ على أنَّ الخصم يجبُ إرضاؤه وإنْ كانَ اللهُ تعالى عنه غير راضٍ[١]، وأنَّ رضاه[٢] بإظهار ما جرى بينَه وبينَ الخصم، فأحبَّ أن يرضيَ الرَّجلَ فلا يداخلَه شيءٌ من حديثها؛ تكرُّمًا من يوسف عليه السلام واستعظامًا لحقِّه.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي﴾ إقرارٌ منه[٣] أنَّ امتناعَه عن إجابتِها لم يكن مِن قوَّةِ نفسِه، وإنَّما الحولُ والقوَّةُ للهِ سبحانه وتعالى.

وقوله: ﴿إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾؛ أي: لو تُرِكْتُ أنا وطبعُ البشريَّة لكنْتُ عاملًا بطبعي كما عملَتْ هي، لكن لَمَّا أُقِيْمَ مقامَ العِصمةِ عاملَهُ الله تعالى بالرَّحمةِ، فزالَتْ طباعُ النَّفسِ الأمَّارة بالسُّوء.

وهو ذِكْرُ مِنَّةِ الله تعالى عليه في التَّوفيقِ والعِصمةِ، وإقامتِه مقامَ[٤] العزِّ الَّذي يتراءَى للنَّاس أنَّه عزٌّ دنيويٌّ، ففيه دليلٌ على أنَّ معاملةَ النَّاس على الاستقامة تستتبعُ الرِّفعةَ والعزَّ والثَّناءَ الجميل، وذاك نعمةٌ مِن الله تعالى، وليس بنقصٍ في مَقام النَّزاهة والصَّفوة، وأنَّ الاستقامة في المعاملة أفضل منها في الخلوة.

***

(٥٤) ـ ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾.

---

(١) في (ر): «عنه راضياً».

(٢) في (ر): «وإن أرضاه».

(٣) في (أ): «لأنه إبانة منه»، وفي (ف): «الآية إبانة» بدل: «إقرارٌ منه».

(٤) في (ر) و(ف): «وإقامة» بدل: «وإقامته مقام».

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي﴾: قال ابنُ إسحاق: قال مالك مصر ـ وهو الوليد بن الريَّان لمَّا أخبرَ النِّساءُ بما أخبرْنَ ـ: جيئوني به أجعلْهُ خالصًا لنفسي، أفوِّض إليه أمورَ مملكتي؛ لِمَا ظهرَ مِن علمِه وصلاحِه.

وهاهنا مضمرٌ: فأُتي به ﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾: قريبُ المكانة ظاهرُ الأمانة.

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: لمَّا اتَّضحَ للملِكِ طهارةُ حسِّه ونزاهةُ عينه، استحضرَهُ لاستصفائِهِ لنفسِهِ، واختصاصِهِ لأُنسْهِ، فلمَّا كلَّمَه وسمع بيانَه رفعَ محلَّه ومكانَه، وضمن براءَتَه وإحسانه، فقال: إنَّكَ اليوم مكينٌ(١) أمينٌ على خزائن الأموال(٢).

وفي القصَّة: أنَّه بعثَ سبعين حاجبًا وسبعين مركبًا لاستحضاره، وبعث إليه لباسَ الملوك وتاجَ الملوك، فلبس الثِّياب وتوِّج التَّاج، وخرجَ ليركب، وقام إليه أهل السِّجن يبكون لفقدِه، وكانوا أَنِسُوا به، وأَلِفُوا برَّه وإحسانَه، فدعا لهم فقال: أعطاكُمُ اللهُ الصَّبرَ واليقينَ وثوابَ الشَّاكرين، وطهَّرَكم من الذُّنوب، وآمَنكم من الهوامِّ والعقارب والحيَّات.

وقالَ حينَ خرج: اللَّهمَّ عطِّفْ عليهم قلوبَ الأخيار، وقصِّر عليهم النَّهار، ولا تقطع عنهم الأخبار.

ولمَّا خرجَ كتب على باب السِّجن: هذه منازل البلوى، وجهنَّم الدُّنيا، وقبور الأحياء، وشماتة الأعداء(٣).

---

(١) في (أ) و(ر): «عندنا ذو جاهٍ وحال» بدل «مكين».

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ١٩٠).

(٣) روى نحوه ابن قتيبة في «عيون الأخبار» (١/ ١٤٨ ـ ١٤٩) عن وهب.

ولمَّا دخلَ على الملك قال: اللَّهمَّ إنِّي أسألك بخيرِكَ عن خيرِه، وأعوذُ بعزَّتِكَ وقدرتِكَ عن شرِّه.

فلمَّا كلَّمه، وكان الملك يتكلَّم بسبعين لسانًا، فكلَّم يوسفَ بكلِّ لسانٍ، فأجابَه يوسفُ بكلِّ ذلك، حتَّى إذا فرغ دعا له بالعبرانيَّة، ولم يكن الملكُ يحسنُها، فقال: ما هذا اللِّسان يا يوسفُ؟ قال: لسان آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب. فلمَّا خرجَ من عنده؛ سلَّم عليه بالعربيَّة، ولم يكن الملكُ يحسنها، فقال: ما هذا اللِّسان يا يوسف[١]؟ قال: هذا لسان عمِّي إسماعيل. فازداد الملكُ عجبًا ممَّا سمعَ من يوسف، وأعجبَه علمُه وحلمُه وحكمُه[٢].

وقال له: اقصصْ رؤيايَ[٣] فإنِّي أحبُّ أن أسمعَها منك، قال يوسفُ: رأيْتَ سبعَ بقراتٍ سِمانٍ عِظامٍ شُهبٍ غرٍّ[٤]، كَشفَ لكَ عنهنَّ النِّيلُ، فطلعْنَ عليكَ مِن شاطِئِهِ تَشخبُ أخلافهنَّ لبنًا، فبينا أنت تنظرُ إليهنَّ يعجبُكَ حسنهُنَّ إذ نضبَ النِّيلُ وغارَ ماؤه، وبدا يبسُه، فخرجَ مِن حمأتِه ووحلِه سبعُ بقراتٍ عجافٍ شعثٍ غُبْرٍ مقلَّصات البطون، ليس لهنَّ ضروعٌ ولا أخلاف، ولهنَّ أنيابٌ وأضراس، وأكفٌّ كأكفِّ الكلاب، وخراطيمُ كخراطيمِ السِّباع، فاختلطْنَ بالسِّمان، فافترسنَهُنَّ افتراسَ السِّباع، فأكلْنَ لحومَهُنَّ، ومزَّقْنَ جلودَهُنَّ، وحطَّمْنَ عظامَهُنَّ، وتمشْشْنَ[٥] مخهنَّ، فبينا أنت تنظرُ وتتعجَّبُ إذا سبعُ سُنبلاتٍ خضرٍ، وسبعٌ أُخَرُ سودٌ في منبتٍ واحدٍ،

(١) من قوله: «لسان آبائي» ليس في (ف).

(٢) «وحكمه» ليس في (ف). والخبر ذكر نحوه الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٢٣٠) عن وهب.

(٣) في (أ) و(ف): «رؤياك».

(٤) في (أ) و(ر): «سمانًا عظاماً شهباً غرًّا».

(٥) في (ف): «وتمشمشن». والتمشش: مص أطراف العظام. انظر: «القاموس المحيط» (مادة: مشش).

عروقُهنَّ في الثَّرى والماء، فبينا أنت تقول في نفسك: أنَّى هذا؟! وهؤلاء خضرٌ مثمرات، وهؤلاء سودٌ يابسات، والمنبت واحدٌ، وأصولُهنَّ في الماء؛ إذ هبَّت ريحٌ فذرَّت من اليابسات السُّود على الخضر المثمرات، فاشتعلَتْ فيهنَّ النَّارُ فأحرقتهُنَّ، وصرْنَ سودًا متغيِّراتٍ.

فهذا آخر ما رأيْتَ من الرُّؤيا، ثمَّ انتبهْتَ مِن نومك مذعورًا مرتاعًا.

فقال الملك: واللهِ ما شأن هذه الرُّؤيا وإنْ كان عجبًا بأعجبَ ممَّا سمعْتُ منك، فما ترى في رؤيايَ أيُّها الصدِّيق؟

قال يوسف عليه السلام: أرى أن تجمع الطَّعام في سِنيْ الخصب، وتبنيَ الأهراء[1] والخزائن، فتكبِسَه[2] فيها بقَصَبه وسُنْبله، فيكون قصبُه وسنبله علفًا للدَّواب، ويكفيك ويكفي أهل مصر ومن حولها الطَّعام في سِنِيْ الجدب، فتأتيك الخَلْق من النَّواحي، فيمتارون منك بحكمك، ويجتمع عندك من الكنوز ما لم يجتمع لأحدٍ قبلَك.

قال الملكُ: مَن لي بهذا؟ ومَن يجمعُه؟ ومن يبيعُه ويكفي الشُّغلَ فيه؟

قال يوسفُ: إنَّ الله تعالى أوحى إليَّ أنِّي أقوم به، وأكفي الشُّغل فيه.

قال الملك: ومَن أحقُّ به منك؟ فدونَك ذلك[3].

* * *

---

(١) الأهراء: جمع هُرِيٍّ، وهو بيت كبير يجمع فيه طعام السلطان. انظر: «القاموس المحيط» (مادة: هري).

(٢) في (أ): «فتسكبه».

(٣) انظر: «تفسير الثعلبي» (٥/ ٢٣١).

(٥٥) ـ ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾: أي: ولِّني على خزائنِ الأطعمةِ والأقوات والعلوفة الَّتي في أرض مملكتِكَ، وهي مصر، وكانت أربعين فرسخًا في أربعين فرسخًا، وفوِّض إليَّ إحرازها وتفريقها وتقدير ذلك منها، فإنِّي حفيظٌ؛ أي: حافظٌ(١) لِمَا سبيلُه أن يحفظَ؛ أي: يجري فيه خيانة أو نسيان، عليمٌ بما سبيلُه أن يُعلَمَ وجهُ التَّدبير فيه حتَّى لا يضيعَ شيءٌ، ولا يوضعَ في غير أهلِه.

وقال قتادة وابن إسحاق: حفيظٌ لها ممَّن لا يستحقُّها، عليمٌ بوجوه التَّدبير فيها(٢).

وقال الزجَّاج: عليمٌ بوجوه متصرَّفاتها(٣).

وقيل: حفيظٌ لِمَا استودَعْتَني، عليمٌ بما ولَّيتني.

وقيل: حفيظٌ لِمَا استودعتني، عليمٌ بسني المجاعة.

وقيل: حفيظٌ للحساب، عليمٌ بالألسنة.

وقيل: كاتبٌ وحاسبٌ.

قال وهبٌ: فقال الملك ليوسف صلوات الله عليه: فدونَك هذا السَّريرَ والخاتمَ والتَّاج، فقد تخلَّيْتُ لك عنهنَّ، وأنت أحقُّ بهنَّ منِّي.

قال يوسف: أمَّا السَّرير فأشُدُّ به ملكَكَ، وأمَّا الخاتم فأدبِّرُ به أمرَك، وأمَّا التَّاج فليس من لباس آبائي ولا مِن لباسي.

---

(١) في (ر) و(ف): «فإني حفيظ عليم أي حافظ عالم».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٢١٩).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ١١٦).

قال الملكُ: فقد وضعْتُه عن رأسي إجلالًا لك وإقرارًا بفضلِك.

قال: فاتَّخذ الملكُ الخزائنَ والأَهْراء، وأمر بجمع الطَّعام انتظارًا لسِني الخصْبِ، فلمَّا أَتَتْ جاءَتْ بشيءٍ لا يُقَدَّرُ قَدْرُهُ كثرةً وسَعةً، وذلك قوله تعالى:

* * *

(٥٦) ـ ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾.

﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ﴾: أي: كالَّذي التمسَ يوسفُ من الملكِ مكَّنَّا له في الأرض؛ أي: أرض مصر، والتَّمكينُ: الإقرارُ وإعطاءُ الـمَكِنَةِ والمكانة.

وقوله تعالى: ﴿يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ﴾: إذ كانَتْ خزائنها في كلِّ بلادِها بيدِه وتحتَ حكمِهِ بعد ما كان ضُيِّقَ عليه بالرِّقِّ والحبس.

وقوله تعالى: ﴿نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَاءُ﴾: أي: بنعمتِنا كما أصبناها يوسف.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾: قال ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: يعني: الصَّابرين. قال وهبٌ: وذلك بصبره في البئر وفي السِّجن وفي الرِّقِّ وعمَّا دعته إليه زليخا(١)، فهذا في الدُّنيا.

* * *

(٥٧) ـ ﴿وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾: أي: الجنَّة وثوابها خيرٌ للَّذين آمنوا واتَّقوا معاصي الله تعالى.

---

(١) ذكر نحوه الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٢٣٣)، والواحدي في «البسيط» (١٢/ ١٥٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما ووهب.

وقيل في قوله: ﴿وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾: كما لم نُضِعْ أجرَ يوسفَ، وكان يحسِنُ إلى أهل السِّجن، فينظر للضعفاء ويقوم بمصالح المرضى وغير ذلك، وكان يحسِنُ الصَّبرَ عن المحارم، وإيثارَ طاعة الله تعالى، والقيامَ بإحياءِ دينِه والنُّصحِ لعباده في كلِّ حالٍ.

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: لمَّا لم يمكِّن يوسفُ دواعيَ الشَّهوات من نفسِه مكَّنَهُ اللهُ تعالى من ملكِهِ، وهو كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا﴾ [الشورى: ٢٣]، وقال تعالى: ﴿وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾، ثمَّ أخبرَ عن حقيقةِ التَّوحيد، وبيَّنَ أنَّ ما يولي[١] عبادَه مِن ألطافِه فبفضلِه لا بفعلِهم، وبرحمتِه لا بجِدٍّ منهم، فقال: ﴿نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ﴾، ثمَّ رقَّى هممَهُم[٢] عمَّا أولاهم من النِّعم، فقال: ﴿وَلَأَجْرُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ﴾[٣].

وفيه جوازُ وَصْفِ الإنسانِ نفسَه بما هو موصوفٌ به ـ فإنَّه قال: ﴿إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ ـ إذا لم يكن فيه ثناءٌ على نفسِه، بل بيانُ ما يتعلَّق به مِن مصالح النَّاس.

وفيه: أنَّه لا بأسَ بالعملِ للكافرِ والفاسق إذا أُمْكِنَ العاملُ مِن وضعِ الشَّيءِ موضعَه، وإعطاءِ كلِّ شيءٍ من العدلِ قسطَه، وكان فيه صلاحُ العامَّة والخاصَّة.

وقيل في قوله: ﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾: قال للملِكِ: ما بالُ الملكِ يتقلَّد بسيفٍ لا يَقطع، وما بالُه ممسِكاً على بابه حراسًا عُمْيًا بُكمًا صُمًّا، وما بالُه يزرعُ في أرضٍ سَبخَةٍ، أَمَا يعلَمُ أنَّ مَنْ زَرَعَ بأرضٍ سَبخَةٍ فقد ضيَّعَ بذرَهُ، وعذَّبَ بقرَهُ، وأبطلَ أيَّامَه؟!

---

(١) في (ر): «يؤتي»، وفي «اللطائف»: (يوفي).

(٢) في (ر) و(ف): «ثم فهمهم» وفي «اللطائف»: (ثم يرقي هممهم).

(٣) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٢/ ١٩١).

فقال الملكُ: ما أدري ما تقول.

قال: أمَّا التَّقلُّد بسيفٍ لا يَقطع، فهو الاعتماد في الأعمال على عُمَّالٍ لم تجرِّبْهم، وأمَّا إمساكُ العمي والبُكم والصُّمِّ على الباب فهو استعمالُ قومٍ لا يروْنَ عيوبَكَ ولا يذكرونَها لكَ، وأمَّا الزَّرْعُ في السَّبخَةِ، فالبَذْرُ: العمر، والسَّبخَةِ: الدُّنيا، والثَّوران: اللَّيلُ والنَّهارُ. فأعجبَهُ كلامُهُ، وقال: ﴿إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾[1].

وقال وهب: ولمَّا وُلِّي يوسفُ مصرَ ماتَ العزيزُ، فزوَّجَهُ الملكُ امرأةَ العزيز، فلمَّا دخلَ عليها[2] وجدَها عذراء، فقال: أليس هذا خيرًا ممَّا كنْتِ تريدين؟ فقالَتْ له: لا تلُمْنِي يا نبيَّ الله، فإنَّ اللهَ كساكَ مِن الحُسْنِ والجَمالِ ما لا يصبرُ عليه أحدٌ، وكان صاحبي لا يمسُّ النِّساء، وكنْتُ ناعمةً في ملكِ الدُّنيا، وغلبتني شهوتي، يا يوسفُ، إنَّ الحرصَ والشَّهوة صيَّرا الملوكَ عبيدًا، وإنَّ الصَّبرَ والتَّقوى صيَّرا العبيدَ ملوكًا.

وتزوَّجها وهو ابنُ ثلاثينَ سنةً، فولدَتْ له أفراييم وميشا ابني يوسف في أربع سنين من سِني الخصب. هذا القَدْرُ مذكور من حديث تزوُّجِها في «كتاب وهب».

ويُذكَرُ في القصص زوائدُ: أنَّها افتقرَتْ وضعفَتْ وعميَتْ، وأتتْهُ وهي بتلك الحالة، فرحمَها وقال: ما تشتهين؟ قالَتْ: أن أفتح عيني مرَّةً فأراك. وبكَتْ فبكى يوسف، وأتاه جبريلُ فقال: إنَّ اللهَ تعالى يردُّ إليها بصرَها وشبابَها فتزوَّجْها. ففعلَ، فأعادَ اللهُ تعالى إليها جمالَها وشبابَها.

ويذكر هنا أشياء، ولا ضرورة إلى ذكرها.

ولمَّا مضى تمام سِني الخصب أمرَ اللهُ جلَّ جلالُه جبريلَ عليه السلام سَحَرًا

---

(١) «وقال إنك اليوم لدينا مكين أمين» من (ف).

(٢) في (أ): «دخلت» وفي (ف): «دخلت عليه» بدل: «دخل عليها».

فقال: يا جبريل، ألا تنظرُ إلى عبادي وإمائي من أهل مصرَ وغيرهم كيف يأكلون رزقي ويعبدون غيري، اهبط فقد سلَّطْتُ عليهم الجوعَ والقَحْطَ سبعَ سنين، فهبط جبريل وصاح في الهواء: يا أهلَ مصر، جوعوا سبعَ سنين، فانتبه الرِّجالُ والنِّساءُ والصِّبيانُ ينادون: الجوع، الجوع(١).

قال ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: لم يكن في تلك السِّنينَ اليابسةِ(٢) مطرٌ ولا نباتٌ، ولا ريحٌ تهبُّ، ولا حمارٌ ينهقُ، ولا ثورٌ يصيحُ، ولا دابَّةٌ تحمل، ولا طير يتَّخذ عشًّا ولا فرخ، وجاءت سِنُوْ الجدْبِ بأمر مَهولٍ لم يعهدِ النَّاسُ مثلَه، وقصدَ النَّاسُ مصرَ مِن كلِّ أوبٍ وناحيةٍ يمتارون، فجعل يوسفُ صلوات الله عليه لا يمكِّنُ أحدًا منهم وإن كان عظيمًا أكثر مِن حِملِ بعير.

وتزاحم عليه أهلُ مصرَ، فباعَهم أوَّل سنةٍ بالدَّراهم والدَّنانير، حتَّى لم يبقَ بمصر دينارٌ ولا درهمٌ إلَّا قبض عليه، وباعهم السَّنةَ الثَّانية بالحليِّ والجواهر حتَّى لم يبقَ بمصر في أيدي النَّاس منها شيءٌ، وباعهم السَّنة الثَّالثة بالمواشي والدَّوابِّ والأنعام حتَّى احتوى عليها أجمع، وباعهم السَّنة الرَّابعة بالعبيد والإماء حتَّى لم يبقَ عبدٌ ولا أمةٌ في يدِ أحد، وباعهم في السَّنة الخامسة بالضِّياع والعَقار والدُّور حتَّى احتوى عليها، وباعهم السَّنة السَّادسة بأولادهم حتَّى استرقَّهم(٣)، وباعهم السَّنة السَّابعة برقابهم حتَّى لم يبقَ بمصر حرٌّ ولا حرَّة إلَّا صار عبدًا له.

فقال النَّاسُ: باللهِ ما رأينا كاليوم ملكًا أجلَّ ولا أعظمَ من هذا!

---

(١) ولعل هذا يكون منظوراً فيه بأن القحط كان عاماً لأهل مصر وغيرهم، وللبلاد المؤمنة والكافرة، بدليل قول إخوة يوسف: ﴿مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ﴾ [يوسف: ٨٨].

(٢) في (أ): «اليابسة ولا نهر يجري».

(٣) في (ف): «اشتراهم».

فقال يوسفُ صلوات الله عليه للملك: كيفَ رأيْتَ صُنْعَ اللهِ عزَّ وجلَّ بي، وما خوَّلني من الملك؟ فما ترى لي؟

قال الملكُ: الرَّأيُ رأيُكَ، ونحن لك[1] تَبعٌ، وأنا خولُكَ.

فقال يوسفُ: إنِّي لم أملكْ مصر بأهلها لأخربها وأهلكهم، ولم أوسع عليهم الطَّعام لأضيِّقه، ولم آمُرْهم لأجفوَهم، أوَتُقِرُّ لي بأنَّ[2] لي عبيدًا وخولًا[3]؟ قال: نعم. قال: فإنِّي أشهِدُ اللهَ وأشهِدُكَ أنِّي أعتقْتُ أهلَ مصر عن آخرهم، ورددْتُ إليهم أموالَهم وأملاكهم، ورددْتُ عليك ملكَكَ على شريطة ألَّا تخالِفَني وتستنَّ بسُنَّتي. قال الملكُ: فآذنُ لكَ.

***

(٥٨) ـ ﴿وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُواْ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُواْ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾: قال وهبٌ: وكان اشتدَّ على يعقوبَ وولدِه وأهلِ الشَّام القَحطُ، فقال يعقوبُ لأولاده: إنَّ بمصرَ طعامًا يباعُ، وإنَّ هذا الرَّجلَ الصَّالح الَّذي هو ملكُهم بلغَني عنه خيرٌ وصلاحٌ وحسنُ سيرةٍ، فامتاروا؛ فإنَّ له سيرةً تشبه سيرةَ آل يعقوب، وسيحسِنُ إليكم إن شاء اللهُ عزَّ وجلَّ، فانطلِقوا فامتاروا منه، فانطلَقوا، فلمَّا دخلوا على يوسفَ مع النَّاس، وكان يوسفُ صلوات الله عليه يحسِنُ إلى مَن أتاه، ويعطيه قَدْرَ ما يكفي عيالَه على عددِهم، فلمَّا دخلوا عليه عرفَهم وهم له منكرون.

---

(١) في (أ): «له».

(٢) في (ف): «بأنك».

(٣) في (أ) و(ف): «بأنك لي عبد ولي خول» بدل: «بأن لي عبيدًا وخولاً».

وكان الله تعالى عمَّى عليهم خبرَ يوسف وما صار إليه مِن الملك، ولتغيُّرِ لونِه وكلامِه وهيئتِه، ولتقادمِ العهد وتطاول المدَّة.

وقيل: إنَّما لم يَعرفوه لأنَّه كان متنقِّبًا.

وقيل: لم يعرفوه لأنَّهم كانوا جياعًا، وعينُ الجائع تحارُ فلا تعرف ما تبصرُ(١).

وقيل: لأنَّهم جاؤوا طامعين، والطَّمعُ يغطي العين.

وقيل: لأنَّهم كانوا جَفَوه، والجفاءُ يزيلُ المعرفة.

وقيل: لأنَّ الله تعالى أخفى عليهم ذلك بلطفِه، وكان له فيه سرٌّ.

وقيل: لأنَّهم نكسوا رؤوسَهم محترِمين فلم ينظروا إليه؛ فلذلك لم يعرفوه.

قال وهبٌ: ولمَّا عرفَهم أمرَ فتيانَه بإنزالهم في منزلٍ، أكرمَهم، ومكثَ ثلاثًا لا يكلِّمُهم، ثمَّ قال لهم بعدَ ثلاثة أيَّامٍ: مَن أنتم؟ قالوا: نحنُ أولادُ يعقوبَ بن إسحاق بن إبراهيم من أهل كنعان. فنظرَ إليهم فأكثرَ، وأدامَ فيهم النَّظر، وصعَّدَ وصوَّب فيهم البصر، ونظر إليهم جميعًا وأشتاتاً(٢) كلَّما فرغ من واحدٍ نظر إلى الَّذي يليه، ثمَّ قال: اعتزلوني حتَّى أفرغَ لكم.

وكان لا يصنعُ ذلك بأحدٍ(٣)، وكان يعجِّل سراح الممتارين، فلمَّا اعتزلوا عنه استرابوا مِن نظرِه إليهم، وقال بعضهم لبعضٍ: لقد نظر إلينا هذا الملِك نظرًا ما نظرَه إلى غيرنا، لذلك فإمَّا أن يكون نظرُه إلينا على وجه الغِبطة لنا؛ لنبوَّة آبائِنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب، أو الغِبطةِ لأبينا بما رأى من عددِنا وجَلَدِنا وقوَّتنا وجماعتِنا،

---

(١) في (ف): «تنظر».

(٢) في (ر) و(ف): «وأنشأ».

(٣) في (ر): «بأحد من الممتارين».

وإمَّا أن يكون تفرَّس فينا النُّبوَّة مِن بعد آبائنا، والوراثةَ لهم مِن بعدهم، وإمَّا أن يكون بلغَهُ فِعلتُنا بأخينا، وتلك قاصمةُ ظهورِنا وسببُ خِزيتنا(١).

وتشاغل عنهم يوسفُ يومَه ذلك، فأمرَ لهم فأُنزِلوا في ضيافتِه، وأوصى بهم خدمَهُ، وهم يغدون عليه ويروحون(٢)، وهو كالمعرِضِ عنهم والمتجهِّم لهم، فإذا صاروا إلى ضيافته أُكرِموا، وإذا دخلوا إليه أعرضَ عنهم، فيقولون: ومِنَ العجبِ شأنُ هذا الملك وعملُه بنا، إذا حضَرناه تجهَّم لنا وأعرض عنَّا، وإذا صِرْنَا إلى منزلِه أوصى بنا في الغيب، فلبثوا بذلك حينًا، ثمَّ إنَّهم دخلوا على يوسف يومًا فقال لهم: ممَّنْ أنتم؟ قالوا: قد أخبرناك أوَّلَ يومٍ سألتنا، إنَّا ولد يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم.

فقال يوسفُ: وَلَدَكم ثلاثةُ أنبياء؛ الخليلُ والذَّبيح والصِّدِّيق؟ قالوا: نعم.

قال: ما أنتم لذلك أشباهٌ، ولا لذلك بخلفاء، وما أنتم موسومون بسيماهم، ولا أرى من أحلامٍ ولا وَقارٍ ولا سكينةٍ ظاهرةٍ ولا خشوعٍ، ولَأَنتم بأن تكونوا لصوصًا أشبهُ، أو تكونوا جواسيس دسَّكم بعضُ الملوك، فجئْتُم مرتادين(٣) تنظرون لهم في العُدَّة والقوَّة، ثمَّ تأتونهم بخبر ذلك، فيسيرون إلينا ليقاتلونا حسدًا لِمَا أنعمَ اللهُ تعالى علينا وأحيانا وأحيا بنا، ولأنتم بهذا أشبَه، ولَايمُ(٤) اللهِ لا تنفكُّون مِن حبسي أبدًا حتَّى أعلم عليكم.

فأشفقوا(٥) أن يبحثَ عنهم حتَّى يبلغَ به البحثُ فعلَتَهُم الَّتي فعلوا بأبيهم،

---

(١) في (ف): «حزننا».

(٢) في (ف): «ويرجعون».

(٣) في (ر): «ممتارين».

(٤) في (ر) و(ف): «وايم».

(٥) في (ر) و(ف): «فانتقعوا».

فقالوا: إنَّا نسألُكَ أيُّها الملكُ بالَّذي بلَّغَكَ هذه المنزلةَ، وفضَّلَكَ هذه الفضيلةَ، وأكرمَكَ هذه الكرامةَ، وأنعمَ عليك هذه النِّعمةَ، لَمَا عجَّلْتَ سراحَنا إلى أبينا، فإنَّه اليومَ أعظمُ أهلِ الأرض حقًّا، وأعلى جميع أهلِ الأرض؛ لأنَّه نبيُّ الله، وابنُ ذبيحِه[1]، وابنُ خليلِه، فلا تستخفَّ بحقِّه، ولا تقصِّر في شيءٍ مِن أمرِه، فإنَّك لو تعلمُ عِلْمَه وعلْمَ كبرِه وضعفِه وحزنٍ له على ابنٍ له هلَكَ منذ حين، وكان أحبَّ النَّاسِ إليه وأقرَّهم لعينِه، وعِلْمَ ما يمونُ ويعولُ ويتصدَّقُ ويضيفُ = إذًا لاشتدَّتْ له رحمتُك، ولدمعَتْ له عينُك، وحزنَ له قلبُك.

قال يوسف عليه السلام: ما أحدٌ اليومَ[2] أعظمَ حقًّا عليَّ وعلى جميع أهل الأرض من يعقوب، ولو مِرْتُهُ على[3] ظهري مقبلًا ومدبرًا حتَّى أُعِينه[4] وعيالَه ما بلغْتُ بذلك حقَّه، ولا حقَّ آبائه عليَّ، فحدِّثوني ما الَّذي أحزنَه وهو في منزلِ الفرحِ والغِبطة؟ أليس نبيَّ اللهِ وابنَ أنبيائه؟ أوليسَ يَنظرُ إليكم في مثل عددكم وجمالكم وجَلَدكم؟ أليس الجنَّة مع ذلك بُشراه، ونصبُ عينه يأملُها؟ فما الَّذي يحزنه بعد هذا؟ ولعلَّ حزنَه إنَّما كان من قِبَل سفهكم وجفائكم وكذبكم؟

قالوا: حاشَ لله، ما نحن كذلك، ولكن كان له ابنٌ وكان أصغرَنا وأحبَّنا إليه فهلَكَ، فلم يزلْ بعدَه واهنَ العظمِ باكيًا محزونًا.

قال يوسف عليه السلام: أوكلُّكم لأمٍّ واحدةٍ؟ قالوا: لا.

قال: فما الَّذي حملَ أباكم على أن أرسلَ كلَّكم؟ هلَّا احتبسَ رجلًا منكم

---

(١) الذبيح هو إسماعيل عليه السلام، على الصحيح.

(٢) في (ف): «ما أجد القوم».

(٣) بعدها في (ف): «مر السنين».

(٤) في (ر): «أغنيه».

يسكنُ إليه ويأنسُ به؟ قالوا: قد فعل، قد احتبسَ منَّا ولدًا هو أصغرُ ولدِه، وأحبُّهم إليه بعد الأوَّل.

قال يوسفُ: لولا مخافةُ أن تكونوا صادقين لحبستكم حبسًا أطول مِن هذا، ولعذَّبتكم عذابًا شديدًا، فإنْ كنتم صادقين فارجعوا إلى أبيكم، فبلِّغوه منِّي السَّلام، وقولوا له: فلْيخبرني ما الَّذي أحزنَه وأبكاه وأوهنَ عظمَه؟ وما الَّذي شيَّبه قبلَ أوانِ شَيبِه؟ وليبعَثْ إليَّ بجواب هذه الرِّسالة مع ابنه الأصغر الَّذي احتبسَه.

* * *

(٥٩) ـ ﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ٱئْتُونِى بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ ۚ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّىٓ أُوفِى ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ﴾: أي: هيَّأ أسبابَهم فأعطى كلَّ واحدٍ وِقْرَ بعيرٍ، وكذلكَ يبيعُ ولا يزيدُ لكلِّ قادمٍ على وِقْرٍ؛ لئلَّا يضرَّ بالآخرين.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ ٱئْتُونِى بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ﴾: عنى: بنيامين الَّذي ذكروه له.

وقوله تعالى: ﴿أَلَا تَرَوْنَ أَنِّىٓ أُوفِى ٱلْكَيْلَ﴾: أتمُّه، ولا أنقصُ منه شيئًا ﴿وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ﴾؛ أي: المضيفين.

* * *

(٦٠) ـ ﴿فَإِن لَّمْ تَأْتُونِى بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِى وَلَا تَقْرَبُونِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ تَأْتُونِى بِهِۦ﴾: أي: بالأخ الَّذي قُلْتُم[1] ﴿فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِى﴾؛ أي: فلا طعامَ لكم عندي يُكال ﴿وَلَا تَقْرَبُونِ﴾؛ أي: لا تقربوا بلادي.

---

(١) «الذي قلتم» من (ف).

تلطَّفَ يوسفُ عليه السلام في استحضار بنيامين بالتَّرهيب والتَّرغيب، أمَّا التَّرغيب ففي الَّذي فصَّلَ[1] لهم قال: ﴿أَلَا تَرَوْنَ أَنِّيٓ أُوفِي ٱلْكَيْلَ﴾، وفي إنزالهم بحسن الضِّيافة، قال: ﴿وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ﴾، وأمَّا التَّرهيب؛ فقوله: ﴿فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِى وَلَا تَقْرَبُونِ﴾.

* * *

(٦١) ـ ﴿قَالُوا۟ سَنُرَٰوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿سَنُرَٰوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ﴾: أي: سنتلطَّفُ لأبيه في طلبِه منه وإخراجِه معنا كما أمرْتَ ﴿وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ﴾ بما أَمرْتَ به غيرُ مخالفين لك، ولم يريدوا أنَّهم يفعلون ذلك بغيرِ إذنِ أبيهم، ولكنْ أرادوا ما قلْنَا.

* * *

(٦٢) ـ ﴿وَقَالَ لِفِتْيَٰنِهِ ٱجْعَلُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ فِى رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ لِفِتْيَٰنِهِ ٱجْعَلُوا۟﴾: قرأ حمزة والكسائيُّ وعاصم في رواية حفص: ﴿لِفِتْيَٰنِهِ﴾، والباقون: ﴿لِفِتْيَتِهِ﴾[2]، وهما لغتان في جمع الفتى؛ كالغِلْمَانِ والغِلْمَةِ.

والفتى: اسمٌ للملوك شابًّا كان أو شيخًا.

وقوله تعالى: ﴿ٱجْعَلُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ فِى رِحَالِهِمْ﴾: وهي دراهمُهم الَّتي هي أثمان ما امتاروه مِن عندِه ﴿لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ﴾: وأدخلَ كلمةَ (لعلَّ) في

---

(١) في (ف): «فضل»، وفي (أ): «أفصل».

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ٣٤٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٩).

معرفتِهم ذلك، بمعنى أنَّهم عسى أن ينظروا في رحالهم لشيءٍ فيجدونها، ويجوز ألَّا يحتاجوا إلى النَّظر فيها، فيخفى عليهم ذلك، على معنى أنَّهم عسى أن ينظروا في رحالهم ووقوفهم على ذلك.

﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ هذا يصلح للَّازم والمتعدِّي؛ أي: يعودون إلينا ويردُّونَ البضاعةَ علينا، وقد رجَعْتُهُ رَجْعًا، فرجَعَ رجوعًا، فتكلَّموا في معنى رجاء الرُّجوع بذلك:

قيل: معناه: إنَّهم إذا عرفوا أنَّها بضاعتهم؛ تحرَّجوا عن إمساكِها، وتوهَّموا أنَّ فتيانَ يوسف وضعوها في رحالِهم غلطًا، فعادوا لردِّها.

وقيل: إنَّما فعلَ ذلك ليستعينوا بها على الرُّجوع لابتياع الميرة مرَّةً أخرى، لرجائِه أنْ لا يكونَ عند أبيهم غيرُ ذلك.

وقيل ـ وهو أحسن الوجوه في ردِّ بضاعتهم إليهم ـ: لأنَّ يوسف عليه السلام لم يَستجزْ أنْ يأخذَ مِن إخوتِه ثمنَ طعامٍ تجشَّموا في طلبِه السَّفر، وإنما يصل قُوتُه[١] إلى أبيه وإخوته ومَن يلزمُه في الحرية تحمل مؤنة[٢] في تلك الحالة، فأمرَ بجعلها في رحالِهم، ولم يحب أن يصرِّح لهم بسببِ الردِّ.

وقيل: ليرجعوا إليه بما يظهرُ لهم مِن كرمِه في ردِّها عليهم في زمان الجدْبِ، فيكون ذلك أدعى لهم في الرُّجوع.

وفي «كتاب عصمة الأنبياء» قال: هلَّا أخبرَهُم بحالِه وعرَّفهم عن نفسه؛ ليعظُمَ

---

(١) في (أ): «وإنما يعرفونه».

(٢) في (ف): ومن يلزمه عن طعام»، ومن قوله: «تجشموا» إلى هنا ليس في (ر).

سرورُهم بوجودِه، وقد علمَ أنَّ إدخالَ السُّرورِ في قلبِ المؤمن ما محلُّه[١] من الثَّواب عندَ اللهِ خصوصًا في قلب إخوتِه، وفي ذلك صلَةُ الرَّحم، وإيصالُ الخبر لأبيه ليتفرَّغَ مِن حزنِه؟

فالجواب عنه: أنَّه لم يقدرْ أنْ يفعلَ مِن غير وحيٍ.

ولأنَّه عَلِمَ أنَّ انقضاء المحنةِ بعدُ لم يأتِ وقتُه، فلذلك تربَّص وتأخَّر إلى وقته، وقال في وقته: ﴿هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ [يوسف: ٨٩].

والثَّالث: أنَّه لو أخبرَهم ساعةَ دخولهم عليه وهو كان يلاطفُهم في المعاملةِ ويسامحُهم في تلك المِيْرَةِ، ويردُّ عليهم بضائعَهم؛ ربَّما لم يستظرفوا صنيعَه بمكانهم، متعلِّلين[٢] بالأخوَّة أنَّها موجبةٌ لخصائص المعاملة، أحبَّ أن ينصرفوا وألسنتُهم رطبةٌ بالثَّناء عليه، متعجِّبين من حسنِ معاملتِه في عام السَّنةِ خصوصًا؛ ليعلموا منه السَّخاوة بما يحملونَه من الطَّعام بالبدل لغيرهم، ويستعطفوا غيرَهم بالرَّغبة إليه للامتيار.

والرَّابع: أنَّ عام السَّنة لم يكن منقضيًا بعدُ، وحوائجُ النَّاس إلى الطَّعام قائمةٌ، فلو أحسُّوا بمكانه ورجعوا ببشرى[٣] الخبر إلى أبيهم، فكانَتْ تنقطعُ المعاملة، فلغلبَةِ الإشفاقِ على النَّاس أحبَّ ألَّا يُحَسَّ بمكانِه حتَّى تنقضيَ السَّنةُ ويتفرَّغ قلبُه عن هموم الجائعينَ، ثمَّ يستوفي حظَّه من السُّرور في الاجتماع مع أبيه وإخوته.

وقالوا في قوله: ﴿ائْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ﴾: كيف استجازَ زيادةَ الحزنِ لأبيه وشَغْلَ قلبِه بسببِه، وهو عالمٌ أنَّه ممتَحَنٌ بفراقِه مهتمٌّ لفقدِه؟

---

(١) في (ف): «مما يجله».

(٢) في (أ): «معتلين».

(٣) في (أ): «وجعلوا تبشير».

قيل: بأنَّه قال ذلك عن وحيٍ مِن الله تعالى، لم يفعلْهُ جزافًا، وعلمَ أنَّ اللهَ جلَّ جلالُه أرادَ استكمالَ صفاء يعقوب عن ميل الطَّبع إلى أخيه[1]، فعاملَه على ما علمَ مِن الله تعالى.

***

(٦٣) ـ ﴿فَلَمَّا رَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيهِمْ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَآ أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيهِمْ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَآ أَخَانَا نَكْتَلْ﴾: قرأ حمزة والكسائيُّ: ﴿يكتل﴾ بالياء؛ أي: يكتلْ بنيامين لنفسِه، وقرأ الباقون بالنُّون[2]؛ أي: نكتلْ[3] نحنُ له وقرَ بعيرٍ؛ أي: لأجله.

وقيل: معناه: إنَّ الإخوة لمَّا رجعوا إلى يعقوب عليه السلام قالوا: ﴿مُنِعَ مِنَّا ٱلْكَيْلُ﴾، لم يريدوا أنه منع ما جاؤوا يشترونه، فقد قال: ﴿أَلَا تَرَوْنَ أَنِّيٓ أُوفِي ٱلْكَيْلَ﴾، بل أرادوا أنَّه قال لنا: ﴿فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلَا تَقْرَبُونِ﴾، فتقديرُ قوله: ﴿مُنِعَ مِنَّا ٱلْكَيْلُ﴾: ذكَرَ لنا مَنْعَ الكيل[4] إن أتيناه نحنُ بلا أخٍ.

ولمَّا شقَّ عليه ذلكَ وخافَ ضياعَه؛ قالوا: ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾.

***

(٦٤) ـ ﴿قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾.

---

(١) في (ر): «إلى حبه».

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ٣٥٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٩).

(٣) في (أ): «نكيل».

(٤) «ذكر لنا منعَ الكيل» ليس في (ف).

وقوله تعالى: ﴿قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ﴾: استفهامٌ بمعنى النَّفي؛ أي: لا أتَّكلُ على ضمانكم حفظَه، وإنْ قلْتُم: ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾، فقد كنتم قلْتُم في أخيه يوسف: ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾، ولكنِّي أتَّكل على اللهِ جلَّ جلاله.

وقوله تعالى: ﴿فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا﴾: قرأ حمزة والكسائيُّ وعاصم في رواية حفص: ﴿حَٰفِظًا﴾ على الحال، وقرأ الباقون: ﴿حِفْظًا﴾ على التَّفسير والتَّمييز[1].

﴿وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾: يرحمُني فيردُّ عليَّ ولدي؛ لعلمِه بوَجْدي به بعدَ فقدي يوسف.

قال وهبٌ: فلمَّا رجعوا إلى أبيهم قالوا: يا أبانا جئْناك مِن عندِ أعظم ملِكٍ على وجهِ الأرض رأيناه أو سمعنا به، لا يُرَى أنَّه كان في الأرض أعظمُ منه حلمًا وعلمًا، وأشدُّ هيبةً، وأرهبُ درعًا، وأعظمُ سلطانًا، وأرقُّ قلبًا، وأكرمُ أخلاقًا، وأكثرُ رِفقًا، وأجملُ نائلًا.

لقد نظرْنا في حكمِه فما شبَّهناه إلَّا بحكمِك، وفي وقارِه فما شبَّهناه إلَّا بوقارِك، وفي حلمِه فما شبَّهناه إلَّا بحلمِك، ولكنَّا أهلُ بيتٍ خُلقنا للبلاء فابتُلينا، فاتُّهِمنا وكُذِّبنا، ومُنِعَ منَّا الكيل، وزعم أنَّه لا يصدِّقنا حتَّى ترسلَ معنا أخانا برسالةٍ منك تخبرُه فيها عن حزنِك ووهنِ عظمِك، وعن سرعة الكبرِ إليك قبلَ أوانه، وما الَّذي أورثَكَ ذلك؟

فحزِنَ يعقوبُ عليه السلام حين سمعَ[2] هذا منهم، واتَّهمَهم وكذَّبهم، وظنَّ أنَّه مكرٌ منهم ليفعلوا به مثل ما فعلوا بأخيه، فقال: ﴿هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ﴾ الآية.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ٣٥٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٩).

(٢) في (ر): «علم».

(٦٥) ـ ﴿وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ﴾: أي: وُضِعَتْ في رحالهم.

﴿قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي﴾: قال قتادة: أي: أيَّ شيءٍ نطلب؟ على الاستفهام؛ أي: أيُّ عذرٍ لنا في ترك الرُّجوع إليه مع أنَّه ردَّ بضاعتنا وفعلَ ما ينبغي[1]؟

أو[2]: لا نظلِمُ فيما نقولُ ولا نكذب.

وأجاز الفرَّاء والزَّجَّاج الوجهَيْن[3].

﴿هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا﴾: فحصل الطَّعام لنا مجَّانًا ﴿وَنَمِيرُ أَهْلَنَا﴾: نجلبُ لهم الطَّعام في هذه الكرَّة بهذه البضاعة ﴿وَنَحْفَظُ أَخَانَا﴾: مِن أن ينالَه سوءٌ في سفرِه.

وقوله تعالى: ﴿وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ﴾: لأجل بنيامين، وعَدَه لنا الملك.

وقيل: كان وعَد ذلك بغير ثمنٍ.

﴿ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ﴾: أي: سهلٌ؛ لأنَّه مجَّانٌ، أو لأنَّ ثمنَه ممكنٌ مِن هذه البضاعة، أو لأنَّه وعدَ لنا تعجيلَ التَّسريح بسبب أخينا، وفي حقِّ سائر النَّاس حبسُ المدَّةِ وتأخيرُ تسريح[4].

* * *

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٢٣٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢١٦٦).

(٢) في النسخ: «أي»، والصواب المثبت.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ١١٨)، و«التفسير البسيط» للواحدي (١٢/ ١٦٨).

(٤) في (ر) و(ف): «ترويح».

(٦٦) ـ ﴿قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾: قال يعقوبُ صلوات الله عليه: لن أبعثه معكم حتَّى تؤتوني عهدًا تجعلونَه لله على أنفسِكم لترجعُنَّ به إليَّ، إلَّا أن يَرِدَ عليكم أمرٌ يُحال بينكم وبينه، وتُشرفوا على الهلكة إن حاولْتُم ردَّه.

فلمَّا أعطوه هذا العهد قال: الله مطالِبٌ لكم بالخروج عن هذا الضَّمان، شاهدٌ على هذه الموائَقة.

قال كعبٌ ووهبٌ: ردَّهم في الكرَّة الأولى بغير مِيرة، ولذلك قالوا: ﴿مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ﴾، ولذلك ردَّ البضاعة لِتوهُّم أن لا[1] يرجعوا لطلب الميرة، فيبقى عنده الثَّمن بغير تسليم المبيع.

وقال الجمهورُ: أعطاهم الميرة[2]، وتأويلُ كلمة المنع وردِّ البضاعة ما مرَّ.

قال وهب: ولمَّا وجدوا بضاعتهم؛ قالوا لأبيهم: ألا يدلُّك على عدلِ هذا الملك وورعِه أنَّه دسَّ بضاعتنا في رحالنا مخافةَ ألَّا نرجع إليه لِمَا رأى مِن خوفنا، فتبقى البضاعة في يده بغير حِلِّها.

فاطمأنَّ قلبُ يعقوب بهذه الدلالة، وقال: إنْ كان لا بدَّ لكم مِن أنْ تذهبوا بأخيكم، فإنِّي لن أرسلَه معكم حتَّى تعاهدوني لتأتنَّني به إلَّا أن يُحَاطَ بكم، فضَمِن ذلك يهوذا، وكان أرجاهم عنده، وهو الذي قال تعالى: ﴿قَالَ كَبِيرُهُمْ﴾، ولم يكن أسنَّهم، لكنَّه أعقلُهم وأوثقُهم، فدفعَه إليه، فخرجوا.

---

(١) «لا» ليست في (ر) و(ف).

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (١٣/ ٢٢٩).

(٦٧) ـ ﴿وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ وَمَآ أُغۡنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍۖ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَعَلَيۡهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖ﴾: وكان بمصر أربعة أبوابٍ.

قال ابن عبَّاسٍ والضَّحَّاك والسُّدِّيُّ وقتادةُ: خافَ عليهم لِمَا كان لهم مِن حُسْنِ الصُّورة وجمال الهيئة وتمام القوَّة[1].

وقيل: كان عامَ الجدب، فلو دخلوا من بابٍ واحدٍ مع الرَّواحل ممتارين شقَّ على أهل البلد إذا رأوهم مجتمعين، فأمرَهم بذلك شفقةً عليهم لئلَّا تدخل وحشةٌ في قلوب النَّاس بسببِهم.

وقيل: أحبَّ ألَّا يَفطنَ بهم أعداؤهم، فلا يحتالون لإهلاكهم.

وهو دليلُ عطفِه على كلِّ أولادِه، وأنَّه لم يكن له حقدٌ عليهم بما سبقَ منهم في حقِّه.

وهو مع هذا كلِّه كان ناظرًا إلى حُكم الله **تعالى** فيه، ويدلُّ عليه قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُغۡنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍ﴾: أي: لا أمنع ولا أدفع إنْ كان اللهُ أرادَ بكم شيئًا من ذلك.

وقوله تعالى: ﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾؛ أي: ما الحكم إلَّا له ﴿عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَعَلَيۡهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ﴾.

ومن الجائز أن يكونَ أمرَ بذلك لئلَّا تظهرَ حاجتُهم في أهل تلك البلدة، وتنتشرَ حالةُ اضطرارهم، وهو أمرٌ بالصِّيانة وكتمان الفاقة.

---

(١) رواه عنهم الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٢٣٧ ـ ٢٣٨).

ويحتمِل أنَّه أَمر بذلك لئلَّا يقع في أوهام أهل تلك البلدة أنَّهم حضروا المقاتلة[1] الملك؛ لأنَّهم كانوا أصحاب مناظرَ وعددٍ، وكان بلغَتْهُم دعوةُ يعقوب.

ويحتمِل غيرَ ما قلناه، وإليه إشارةٌ في قوله تعالى: ﴿إِلَّا حَاجَةً فِى نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا﴾.

وللآباء وصايا في حقِّ الأولاد ممَّا يرجع إلى الاحتياط، ويعقوب في كلِّ ذلك منزَّهٌ سرَّه عن الاعتماد على غير الله تعالى، مفكِّرٌ فيما يكون.

وقيل: لم يخفْ عليهم الهلكةَ، لكن خافَ عليهم النَّكبةَ.

* * *

(٦٨) - ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِى عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِى نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا ۚ وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم﴾؛ أي: من أبوابٍ شتَّى ﴿مَّا كَانَ يُغْنِى عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ﴾؛ أي: ما كان دخولهم متفرِّقين مغنيًا عنهم مِن الله شيئًا؛ أي: دافعًا لقضائه.

﴿إِلَّا حَاجَةً فِى نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا﴾: أي: لكنْ كان ذلك اضطرابًا في قلبه، أزالَ ذلك عن نفسِه بوصيَّته؛ لئلَّا يقول: قصَّرْتُ فلمْ أنصحْ.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ﴾: أي: وإنَّ يعقوب لعالمٌ باللهِ وأقضيَتِه؛ لتعليم الله تعالى إيَّاه ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾؛ أي: ما يعلم يعقوب.

* * *

---

(١) في (ف): «المقابلة».

(٦٩) - ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّىٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَخَاهُ﴾: قال الحسن وقتادة: أي: ضمَّ إلى نفسه أخاه بنيامين، وأنزله معه[(١)].

وقيل: أجلسَه معه على سريره.

وقوله تعالى: ﴿إِنِّىٓ أَنَا۠ أَخُوكَ﴾: قال ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: تعرَّفَ إليه وأخبره أنَّه يوسف أخوه[(٢)].

قال وهبٌ والسُّدِّيُّ: لم يقل له: أنا يوسف، ولكن طيَّب نفسَه وقال: أنا أخوك؛ أي: بدل أخيك المفقود[(٣)].

وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَبْتَئِسْ﴾: قال ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: فلا تحزن[(٤)].

وقال الضحَّاك: فلا تبالِ.

وقال قتادة: لا تكترث[(٥)].

وحقيقته: لا تُظْهِر من نفسك البؤس بما نالك.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٢٤٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢١٧٠) عن قتادة، وذكره الواحدي في «البسيط» (١٢/ ١٧٦) عن الحسن وقتادة.

(٢) ذكره الواحدي في «البسيط» (١٢/ ١٧٧).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٢٤٢) عن وهب.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٣٩١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ٢٠٢٥).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٣٩١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢١٧٠)، ولفظ الطبري: «لا تأس ولا تحزن».

وقوله تعالى: ﴿بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾: من الجفاء، وذكري بغير الجميل عندَك مغايظةً لك.

وقال وهبٌ: قال لهم يوسف صلوات الله عليه: هل بلَّغْتُم أباكم ما قلْتُ لكم؟ قالوا: نعم، وقد ردَّ إليك الجواب مع ابنه هذا.

قال يوسفُ: بماذا أرسلَك أبوك؟ قال: إنَّه يقرأ عليك السَّلام، ويقول لك: إنَّك سألتَني عن خوفي وحزني وكِبَري وشيبي ووهنِ عظمي، وإنِّي أطولُ النَّاس حزنًا، وأحقُّهم بذلك، وأخوفُهم لديهم، وأذكرُهم لمعادِه، وأكبَرَني قبلَ أوان الكِبَر تذكُّرُ يوم القيامة، وشيَّبني قبلَ أوان الشَّيب تذكُّرُ النَّار، وأوهن عظمي قبل أوان الضَّعف الحزنُ على يوسف، وأعمى بصري البكاءُ[1].

وإنَّا أهل بيتٍ أكرمَنا اللهُ تعالى بالبلاء، وشرَّفنا ورفعَنا به، فنحنُ مخصوصون بعظيمه[2]، فلا تصفو لنا الدُّنيا، ولا نزالُ فيها مفجَّعين مروَّعين، وقد بلغني تحزُّنُك بي واهتمامُك بأمري، وعرفْتُ حقيقة ذلك حين سألتني عن حالي، وسألْتَ عنِّي، وكفى بالله مجازيًا ومثيبًا، واعلم أنَّك لن تكرمني بكرامةٍ أعظم في صدري وأبلغ في سروري من أن تعجِّل لي ما يَشبعُ عيالي به، ثمَّ عجِّل إلى سراح ولدي، فتَصِلَ بهم وحدتي، وتؤنسَ بهم وحشتي.

فلمَّا سمِعَ يوسف عليه السلام قول أبيه ورسالته بكى سرًّا فاشتدَّ بكاؤه، وحزِنَ فاشتدَّ حزنُه.

وعن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: أنَّ بنيامين كتبَ على ثوبه في مواضع: يوسف

---

(١) في (أ): «بكائي».

(٢) في (أ) و(ف): «بعظمه» والمعنى متقارب.

يوسف يوسف، شوقًا إليه وتسلِّيًا بالنَّظر إلى اسمه مكتوبًا في ثوبه، فقال له يوسف: ما هذا؟ فقال: هو اسم أخٍ لي أكلَه الذِّئب وفُجعْتُ به، فجعلْتُ اسمَه تذكرةً لي وتسكينًا لقلبي.

فقال: هل كنْتَ هناك إذْ أكلَه الذِّئب؟ قال: لا، ولكن هؤلاء الإخوة ذكروا لي ذلك.

فقال لهم: أهو كذلك؟ قالوا: نعم.

قال: سمعْتُ أنَّ فيكم مَن يقلعُ الشَّجرة بأصلِها، ثمَّ يضربُها برجلِه فيجعلها قِطَعًا قِطَعًا، أهو كما سمعْتُ؟ قالوا: نعم، هو هذا. وأشاروا إلى روبيل، فقال يوسف: أكله الذئب وأنت فيهم؟ هذا محالٌ.

ثمَّ قال: سمعْتُ أنَّ فيكم مَن يدركُ الأسد بعدوِه، فيشقُّ لحيته، أهو كما سمعْتُ؟ قالوا: نعم، هو هذا. وأشاروا إلى شمعون، قال: أكله الذِّئب وأنت فيهم؟ هذا محالٌ.

ثمَّ قال: سمعْتُ أنَّ فيكم مَن لو صاح على باب مدينةٍ وضعَتْ كلُّ ذات حملٍ حملَها، ولو صاح أخرى وضعَتْ كلُّ بهيمةٍ حملَها، أهو كما سمعْتُ؟ قالوا: نعم، هو هذا. وأشاروا إلى يهوذا، قال: أكله الذِّئب وأنت فيهم؟ هذا محالٌ.

فسكتوا وخجِلوا، وكذلك العاصي في القيامة إذا لزمته الحجَّةُ.

وفي القصَّة: أنَّه دعا لهم بموائد وقِصَاعٍ، فجلس كلُّ اثنين منهم على مائدةٍ صغيرةٍ، وبقي بنيامين وحدَه، فجعل يبكي، فقال له يوسف: لِمَ تبكي؟ قال: لو كان معي أخي يوسف لم أبقَ منفردًا، قال: أترضى أن أكون لك أخًا؟ قال: لا يقومُ لي أحدٌ مقامَ أخي. فقال: أترضى أن أكونَ لك في الأكل صاحبًا؟ فقال: ومَن يجدُ ذلك؟ فضمَّه إلى نفسِه، وجلسَ يأكل معه.

فلمَّا أخرج يده ليأكل بكى بنيامين؛ فقال له يوسف: لِمَ تبكي؟ قال: ما أشبَهَ هذه اليد بيد يوسف! فقال: هذه يدُ يوسف، وأنا يوسف. فذلك قوله: ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ أَخُوكَ﴾، فقال بنيامين: وإذ وجدْتُكَ فلا أفارقُك، ولا أرجعُ مع أصحابي.

فقال: لقد علمْتَ اغتمامَ الوالدِ بك، وإنْ حبسْتُكَ ازدادَ غمُّه، ولا يتهيَّأ لي وجهٌ صالحٌ إلَّا بعد أنْ أتَّهمَكَ[1] بأمرٍ فظيعٍ، وأنسبَكَ إلى ما لا يَجملُ بك بحالٍ[2]. قال: لا أبالي، فافعلْ ما بدا لك، فإنِّي لا أفارقُكَ.

قال: فإنِّي أدسُّ صاعي هذا في رحلِكَ، ثمَّ أنادي عليك بالسَّرقة ليتهيَّأ لي ردُّك بعدَ تسريحك. قال: فافعل.

***

(٧٠) - ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِى رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ﴾: فسَّرناه مرَّةً.

وقوله تعالى: ﴿جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِى رَحْلِ أَخِيهِ﴾: السِّقايةُ: هي الإناءُ الَّذي يُسقى فيه، وهي هاهنا صاع الملك، فكان يشربُ منه.

وقيل: كان مِن فضَّةٍ.

وقال ابن زيدٍ: كان مِن ذهب[3].

وقال ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: كان مِن نحاسٍ[4].

---

(١) في (ف) و(أ): «أشهرك».

(٢) «بحالٍ» ليس في (ف).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٢٤٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢١٧١).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٢٥١).

وقوله تعالى: ﴿جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ﴾ يحتمِل أنَّ يوسف وضعَها بنفسِه وأخفاها عن الكلِّ، فلمَّا افتقدوا طَلبوا، وبما ظَنُّوا اتَّهموا، ويحتمِل أنَّه أمرَ بعضَ خواصِّه بذلك.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ﴾: أي: نادى منادٍ مُعلِمًا مُسمِعًا: ﴿أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ﴾ قال الفرَّاء: هم ركابُ الإبل(١).

﴿إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ﴾: أي: فيكم سارقٌ، أو جماعةٌ اشتركوا في السَّرقة.

وقال الإمام القشيريُّ رحمَه الله: هانَ على بنيامين ما قيل فيه من السَّرقة بعدما بقي مع يوسف.

وقيل: لَئِنْ نسبَ يوسفُ أخاه إلى السَّرقة جهرًا فقد تعرَّف إليه بقوله: ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ أَخُوكَ﴾ سرًّا، فكان متحمِّلًا لأعباء الملامَةِ ظاهرًا، محمولًا بوجدان الكرامة باطنًا، وأنشد:

أجِدُ الملامَةَ في هواكَ لذيذةً ... حبًّا لذِكرِكَ فلْيَلُمْنِي اللُّوَّمُ(٢)

قال وهبٌ: وأمرَ يوسفُ بالصُّواع فدُسَّ في رحلِ بنيامين، وكان إناءَه الَّذي يشربُ فيه، وكان من نحاسٍ، فلمَّا فصَلَتِ العير وأمعنوا أرسل الطَّلبَ في أثرهم، فلم يشعروا حتَّى أُخِذَ(٣) بخُطُمِ رواحلهم، فقالوا: ما خطبُكم؟ فأذَّن مؤذِّن الملكِ: ﴿أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ﴾.

* * *

(١) انظر: «تفسير الثعلبي» (٥/ ٢٣٩)، و«زاد المسير» (٤/ ٢٥٧).

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٢/ ١٩٥). والبيت لأبي شيص محمد بن عبد الله بن رزين. كما في «الشعر والشعراء» لابن قتيبة (٢/ ٨٣٢)، و«العقد» لابن عبد ربه (٦/ ٢٢٠).

(٣) في (ف): «أخذوا».

(٧١) ـ ﴿قَالُوا۟ وَأَقْبَلُوا۟ عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَالُوا۟﴾: أي: إخوة يوسف ﴿وَأَقْبَلُوا۟ عَلَيْهِم﴾؛ أي: توجَّهوا إلى مَن أرسلَهم يوسف: ﴿مَّاذَا تَفْقِدُونَ﴾؛ أي: أيَّ شيءٍ فقدْتُم فجئتُم تطلبونَهُ؟

***

(٧٢) ـ ﴿قَالُوا۟ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ﴾: هو اسمُ تلك السِّقاية، وكان صاعًا يُكالُ به الطَّعام ﴿وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ﴾؛ أي: ولِمَن ردَّه علينا حِمْلُ بعيرٍ طعامًا ﴿وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ﴾؛ أي: كفيلٌ بتسليمِه إليه، والزَّعامةُ: الكفالةُ، مِن حدِّ دخل.

وقال في «كتاب عصمة الأنبياء» في قوله: ﴿جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِى رَحْلِ أَخِيهِ﴾: فإنْ قالوا: لِمَ استجازَ يوسفُ هذا، وهذا يُعَدُّ فيما بينَ النَّاس مِن أسبابِ الخيانة والخديعة؟

قلنا: إنَّه فعل ذلك بالوحي؛ قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ﴾ والله تعالى أجرى في أحوال يوسف وإخوته وأبيه من الأعجوبات ما تنقطعُ عنه علومُ العباد، ولا تقفُ على كُنْهِ معانيه، حتَّى يرجعوا إلى تسليم القدرة.

وكان قصدُه بوضعِه ذلك في رحلِ أخيه[١] ابتداءً إمساكُه، وله ذلك لأنَّه أخوه، ولو حبسَه مِن غير علَّةٍ ربَّما كانت تقع المماكسة[٢] بين الإخوة، ولم يكنْ وقتَ إظهار حقيقة الحال، ففعل ما لا يجدون السَّبيل إلى منعِه إلى أن ينقضيَ الأمرُ في حكم الله تعالى.

---

(١) في (ف) و(أ): «رحله».

(٢) في (ف): «المماسكة».

وقول المنادي: ﴿إِنَّكُمْ لَسَـٰرِقُونَ﴾ له وجوهٌ:

أحدها: ما قال الإمام أبو منصور رحمه الله: إنَّ المنادي به لمْ يكن يوسفَ، وإنَّما كان مِن خدمِه، أو مِن القوَّم[1] على أسبابِ مملكتِه، وهم قلَّما يراعون حدودَ الكلامِ حتَّى يُتكلَّفَ لتحسين كلامِهم[2].

وقال الإمام البشاغري: إنَّ وضعَه في رحلِه كان في منزلِ يوسف، بحيث حملوا وصاروا هم مخرِجين ذلك الوعاء فعلًا، وإنْ لم يشعروا به، فمِن جهةِ عينِ الفعل بحملِ ذلك الوعاء سُمُّوا سارقين؛ لاجتماعهم على إخراجِ الرِّحال مِن دارِه، ألا ترى في الأحكام: مَن حَلَفَ لا يحملُ مِن منزلِه ثوبًا، وقد كان الثَّوب في ظرفٍ وحملَه به = أنَّه يحنث في يمينِه وإن لم يشعرْ به، وهو موجبٌ للضَّمان إذا حملَه إنسانٌ.

ويوسفُ عليه السلام وإنْ[3] جعلَه في وعاءِ أخيه لم يأمرْ بإخراجِه من الدَّار، ولا برفعِ الرَّحل، فما فعلوا فعلوا بغير أمرِه، ومَن أخرجَ متاعًا مِن دار إنسانٍ فهو في ضمان المخرِجِ إذا كان بغير أمرِه؛ فلذلك سمُّوا سارقين على هذا التَّأويل.

وقيل: هو على الاستفهام؛ أي: أئنَّكم لسارقون؟ لأنَّ مِنَ الجائز أن يكون ظهرَ منهم عند يوسف مِن بدء أمرهم إلى اليوم ما يُطلق لهم تسميتُهم به، وإنْ لم يكونوا سارقين هذا الوعاء.

وقيل: كان تعريضًا بإخراجِهم[4] يوسفَ مِن عندِ أبيه، كاتمينَ ما قصدوا أن يفعلوا به من تغييبِه عنه.

---

(١) في (أ): «القوام».

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٦/ ٢٦٦).

(٣) في (أ): «فيما» وفي (ف): «فلما».

(٤) في (ر): «بإخراج».

(٧٣) ـ ﴿قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَـٰرِقِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَـٰرِقِينَ﴾: أرادوا به ما انتشرَ به الخبرُ عنهم في طريقِهم مِن جهة مَن صحبَهم بصلاحِهم وظهورِ أعمالِ الخير منهم ومعاملتهم النَّاس بالإنصاف والإحسان.

وروي أنَّهم كانوا في طريقِهم لا ينزلون أرضًا هي ملكُ الغير، ولا يرعون لأحدٍ زرعًا، وكانوا جعلوا على أفواه دوابهم الألجمة[١] لئلَّا تتناولَ الزَّرع، ولأنَّهم ردُّوا البضاعة الَّتي جُعلَتْ في رحالهم.

قال وهبٌ: قالوا لأولاد يعقوب: ما هكذا كان جزاؤنا منكم، ألم نكرِمْ ضيافتكم، ونوفِّ كيلَكم، ونحسن نُزُلكم، ونفعلْ بكم ما لم نفعَلْه[٢] بغيركم؟ ألم ندخلْكُم في منازلِنا وبيوتِنا؟

فقالوا: ما نُعرَفُ بهذا، ولا نُوصَفُ به، ﴿تَٱللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَـٰرِقِينَ﴾.

* * *

(٧٤ ـ ٧٥) ـ ﴿قَالُوا۟ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمْ كَـٰذِبِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُوا۟ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِى رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾.

﴿قَالُوا۟ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمْ كَـٰذِبِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُوا۟ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِى رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾: قالَ: فأنيخوا نفتِّش رحالَكم، فأناخوا واثقِينَ[٣] بما يقولون

---

(١) في (أ): «الأكمة». الأكمة: جمع الكِمامة بالكسر، وهو ما يوضع على فم البعير لئلا يعض.

(٢) في (ف): «نفعل».

(٣) في (ر): «وأيقنوا».

مِن براءَتهم، شديدةً ألسنتُهم وقلوبُهم، فبدأَ برحلِ أخيهم الأكبر، ثم بالَّذي يليه، حتَّى بلغَ رحل بنيامين، فوجد الصُّواع مدسوسًا، فلمَّا استخرجَه منه نَكَسُوا رؤوسَهم، وانكسرَتْ قلوبُهم، وانقطعَتْ ألسنتُهم، وخَلَوا بأخيهم، وقالوا: يا ابنَ المشؤومةِ، وأخا المشؤوم، ما هذا إلَّا مِن شُؤمِ أمِّكَ، وشؤمِ ولدِها(١)، ولولا ائتمرنا في أخيك أمراً جازماً لجرَّ علينا(٢) أعظم من جريرتِك، فما الَّذي حملَكَ على أن تسرقَ صُواعَ الملكِ فتفضَحَنا وتفضحَ نفسَك، وتُزْرِيَ بأبيك الصِّدِّيق؟ وليس هذا بأوَّل ما ساءَتْنا أمُّكَ بولدِها، حتَّى في يوسف حين صرفَ وجهَ أبينا عنَّا، فحمَلَنا شؤمُكُم على أنْ أحزَنَّا أبانا، وبِعْنا أخانا، ولو كنَّا فعلنا ذلك بك لاسترَحْنا(٣)، ولخلا لنا وجهُ أبينا.

فقال لهم بنيامين: اسمعوا منِّي(٤) يا إخوتاه، لا تعجَلوا عليَّ ولا تشتموني، فإنِّي سآتيكم بوجهٍ من الحقِّ تعرفونَه وتعرفون به براءَتي وعذري، ألستم تعلمون أنَّ بضائِعَكُم قد دُسَّتْ في رحالِكم يوم صدرْتُم مِن عند هذا الملك مِن غير علمٍ منكم؟ فإنْ كنتم أنتم سرقتموها ودسَّيتموها في رحالكم كنْتُ أنا سرقْتُ الصُّواع ودسسْتُه في رَحْلي، وإن كنْتُم لا تدرون مَن دسَّ البضائع في رحالِكم فكذلك لسْتُ أدري مَنْ دسَّ الصُّواع في رحلي، وإلَّا فاعلموا أنَّ هذا الملك يريد بكم أمرًا، فهو يمكرُ بكم من أجلِه.

فلمَّا قال لهم هذا نظروا فيما قالَ، فأخذَ بأنفسِهم وتعلَّق بقلوبِهم وصدَّقوه،

---

(١) بعدها في (أ): «يندفع»، وفي : «تترفع».

(٢) في (أ) و(ر): «ولولا أنتم ما في أخيك أمرًا حارمًا لجر علينا» وفي (ر): «ولولا أنتم ما في أخيك أمرًا جازمًا تجرأ علينا»، وفي (ف): «ولولا أنتم ما جرى علينا». وكلها كما ترى.

(٣) «ولو كنا ما فعلنا ذلك لاسترحنا».

(٤) «اسمعوا منِّي» ليس في (ف).

فلمَّا رجعوا إلى يوسف ودخلوا عليه قالَ لهم: كيفَ رأيْتُم فراسَتي فيكم، وعلْمِي بأمرِكُم، أليسَ قد أخبرتُكم أوَّل يومٍ رأيتُكم أنَّكم سرَّاق فأنكرْتُم وحلفْتُم؟ وايم اللهِ، لا تبرحون حتَّى أسألَ الصُّواع عنكم، فيخبرَني بخبرِكُم، فإنَّه غضبان عليكم مِن أجلِ أنَّكم سرقْتُموه، فهو خليقٌ أنْ يفضحَكُم، وألَّا يسترَ شيئًا مِن مساوِئِكُم.

﴿ قَالُوٓاْ إِن يَسۡرِقۡ فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفۡسِهِۦ وَلَمۡ يُبۡدِهَا لَهُمۡۚ قَالَ أَنتُمۡ شَرّٞ مَّكَانٗا ﴾: يعني: أسوأُ صنيعًا بما صنعْتُم بيوسفَ ﴿ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴾: بما تقولون مِن الكذبِ بأنَّ أخاه يوسف سرقَ.

وإنَّما عيَّروا بوسف[1] بالسَّرقة؛ لأنَّه كان لجدِّ يوسف أبي أمِّه صنمٌ يعبدُه، فقالَتْ أمُّ يوسف ليوسف: خذْ هذا الصَّنم الَّذي يعبدُه جدُّك فغيِّبْهُ؛ لعلَّه يتركُ عبادةَ الأصنام، وكان صنمًا مِن ذهبٍ، فغيَّبه يوسف، فلم يقدروا عليه، فمِن أجل الصَّنم قالوا: ﴿إِن يَسۡرِقۡ فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُ ﴾.

ثمَّ قال يوسف لأمينِه: سَلْ هذا الصُّواع عن خبر هؤلاء القوم، وحذِّره أن يكتمَ شيئًا من أمرِهِمْ.

فنقرَهُ الأمينُ[2]، ثمَّ قال: أخبرِ الملكَ بالَّذي سألَكَ عنه، فطنَّ الصُّواع ساعةً، والأمينُ مصغٍ إليه بأذنِه، فلمَّا سكتَ الصُّواع قال الأمينُ: إنَّه يقول لك: أيُّها الملك، إنَّ هؤلاء القومَ ليس هذا بأوَّلِ ما سرقوا، إنَّهم سرقوا قبلَ صُواعِك هذا غلامًا حرًّا فباعوه.

قال: زدْ فسَلْه عنهم، وقلْ له: يخبرني مِن أخبارهم، فنقر الصُّواع، فطنَّ وهو مصغٍ إليه بأذنِه، فلمَّا سكتَ الصُّواع قال الأمينُ: إنَّه يقول: إنَّ أخاهم الَّذي أخبروك

---

(١) في (ر) و(ف): «عيروه».

(٢) في (ف): «فنقر الأمين الصواع».

أنَّه قد ماتَ حيٌّ، ولكنَّه مغتربٌ بأرضٍ بعيدةٍ، وهو بها حيٌّ سليمٌ، وزعم الصُّواعُ أنَّهم لم يَصْدُقوك.

قال: زدْ فسَلْه عنهم، وقل له: أخبرنا مِن أخبارِهم، فنقرَ الأمينُ فطنَّ وهو مصغٍ إليه بأذنِه، فلمَّا سكتَ الصُّواع قال الأمين: أيُّها الملك، إنَّ هؤلاء القوم أخبروك أنَّهم لأمٍّ واحدةٍ، وقد كذبوا، ولكنَّهم لعَلَّاتٍ، وإنَّما جمعَ إلفَتَهُم غدرةٌ غدرُوها بأبيهم، ولولا ذلك لكان بينهم ما يكون بينَ أولاد عَلَّات.

قال: فزدْهُ فسلْهُ عنهم، وقلْ له يخبرنا مِن أخبارهم، فنقرَه فطنَّ وهو مصغٍ إليه بأذنِه، فلمَّا سكتَ قال الأمينُ: أيُّها الملك، إنَّ الصُّواع يقول لك: ما على ظهر الأرضِ مِن عصابةٍ هي أكذبُ مِن هؤلاءِ القوم، لقد كذبوا أباهم كذبةً ما استقالوها بعدُ، ولا غُفِرَتْ لهم.

قال: فزِدْ فسَلْهُ عنهم، وقلْ له يخبرنا مِن أخبارهم، فنقرَهُ فطَنَّ وهو مصغٍ إليه بأذنِه، فلمَّا سكتَ قال الأمين: أيُّها الملك، إنَّ الصُّواع يقول: ما دخل على أبي هؤلاء القوم مذ عقلوا همٌّ ولا حزنٌ ولا بلاءٌ ولا بكاءٌ إلَّا مِن جهتِهم وسببِهم وعلى أيديهم وبجرائرِهم.

فلمَّا خافوا أن يبلغَ بهم الخبرُ والمسائل شأنَ يوسف وفعلَهم الَّذي فعلوه به وبأبيهم[1] أكبُّوا على يوسف فالتزموه يقبِّلون رأسَه وقدمَيْه، ويسألونَه باللهِ، ويذكِّرونَه ويقولون له: نسألُكَ بالَّذي فضَّلَكَ على العالمين، وشبَّهَكَ بالنبيِّين لَمَا سترْتَ العورةَ، وأقلْتَ العَثْرةَ، وكنْتَ عندَ حسنِ الظَّنِّ بك، والرَّجاءِ فيك، وإلَّا ما حفظْتَ[2] رسالةَ أبينا يعقوب إليك، ووصيَّتَه فينا، ورحِمْتَ ضعفَه وكبرَه ووحدَتَه بعدَنا، ووحشَتَه بغيبتنا.

---

(١) «وبأبيهم» ليس في (ف).

(٢) في (أ) و(ر): «وحفظت» بدل «وإلا ما حفظت».

فرقَّ حين ذكروا أباه، وأدركَتْه الرَّحمةُ لهم فقال: أَمَا واللهِ لولا حرمةُ يعقوبَ وحقُّه ووصيَّتُه ورسالَتُه لنكَّلْتُ بكم مِن خلفِكُم، ولشركْتُ[1] بكم السُّرَّاق واللُّصوص، فانطلِقوا فقد عفوْتُ عنكم، فاغربوا[2] فلا حاجةَ لي فيكم، وعجِّلوا بميرَتِكم إلى أبيكم، فإنَّه قد أوعز إليَّ أن أعجِّلَكم.

قالوا: فارحمْ كبرَه بابنِه هذا الَّذي تريدُ أنْ تحبسَه، فإنَّك لن تصلَهُ بصلةٍ أبلغَ منها، وإنَّك إنْ حبسْتَه ضاعفْتَ عليه البلاء.

وقوله تعالى: ﴿قَالُواْ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ﴾: أي: قال طالبو الصُّواع: فما مكافأة السَّارق؟

وقيل: فما عوضُ الصُّواع إنْ ظهرَ كذبُكُم بوجودِ الصُّواع معَكم؟

وقوله تعالى: ﴿قَالُواْ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِى رَحۡلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ﴾: أي: قال إخوةُ يوسف: ﴿جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِى رَحۡلِهِۦ ...﴾.

قيل: ﴿جَزَٰٓؤُهُۥ﴾ مبتدأٌ، وقوله: ﴿مَن وُجِدَ فِى رَحۡلِهِۦ﴾ خبرُه، ومعناه: عوضُ المسروقِ سارقُه؛ أي: فيُؤخَذ فيُملَكُ ويُستَعْبَدُ، وقوله: ﴿فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ﴾ تأكيدٌ للتَّكرير، ومعناه: إنَّه الجزاءُ لا غير.

وقيل: ﴿مَن وُجِدَ فِى رَحۡلِهِۦ﴾ شرطٌ، وقوله: ﴿فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ﴾ خبرُه، وهذه الجملة خبرُ قوله: ﴿جَزَٰٓؤُهُۥ﴾ في الابتداء.

وقيل: كان هذا حكمَ يعقوبَ في السُّرَّاق، فأَخبَروا بما هو حكم بلادِهم، ولذلك قال:

﴿كَذَٰلِكَ نَجۡزِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: أي: السُّرَّاقَ؛ أي: هو حكمُ شريعتِنا.

---

(١) في (أ): «ولشددت»، وفي (ر): «ولشردت».

(٢) في (ف): «فاعزموا».

وقيل: لم يكن ذلك حكمَ يعقوب، بل كان ذلك[1] حكمَ أهلِ مصر، فبادروا بالتزام هذا الحكمِ قبلَ أن يُجبَروا عليه.

وقيل: لم يكن ذلك حكمَ أحدِ الفريقَيْن، وإنَّما هو شيءٌ اتَّفقَ لهم القولُ به ثقةً منهم بأنَّهم لم يسرقوا، فنفَوا التُّهمة عن أنفسِهم بالتزامِهم أغلظَ ما يكون رسمًا[2] وحكمًا في السُّرَّاق، فكان ذلك أمرًا أرادَه الله تعالى إتمامًا لمرادِ يوسفَ مِن احتباس أخيه عندَه، فأجرى هذا القول على ألسنتِهم.

وقيل: معنى قوله: ﴿فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ﴾؛ أي: هو الَّذي يُجزَى جزاءَ السُّرَّاقِ دون غيره.

* * *

(٧٦) ـ ﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِى دِينِ ٱلْمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ﴾: أي: بدأ المؤذِّن برحال الإخوة قبل رحلِ أخي يوسف وهو بنيامين، والوعاءُ: الظَّرفُ الَّذي يُوعَى فيه الشَّيء؛ أي: يُحفَظُ.

﴿ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِ﴾؛ أي: أخرجَ السِّقاية، وقال الزَّجَّاج: أي: الصُّواع، ويذكَّر ويؤنَّث، فلذلك قال: ﴿وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ﴾، ثمَّ قال: ﴿ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا﴾[3].

وقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ﴾: أي: كدنا إخوةَ يوسف ليوسف[4]،

---

(١) في (أ) و(ر): «هو».

(٢) في (أ): «وسمًا».

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ١٢٢).

(٤) «ليوسف» ليس في (أ).

والكيدُ: التَّعريضُ للضَّرر في خفاء؛ أي: أوقعنا هذا النَّوع من الحال على إخوة يوسف لأَجْل يوسف[١]؛ ليتهيَّأ له حبسُ أخيه بهذا النَّوع من السَّبب.

وقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾: أي: لم يكن يوسف ليأْخُذَ أخاه في حكم ملكِ مصر، وعادةِ ملك مصر - فالدِّين اسمٌ لهما - بتهمةِ السَّرقة، وبحبسِه، إلَّا أن يسبِّب[٢] اللهُ له التزامَ الإخوة في ذلك حكمَ شريعة أبيهم، وهذا على قول مَن جعل استرقاقَ السَّارق[٣] حكمَ يعقوبَ دونَ أهل مصر.

وأمَّا على قولِ مَن عكسَ هذا القولَ فتأويلُه: كذلك كِدْنا ليوسف في إظهار السَّرقة على أخيه، وما كان له أخذُه في حكم مَلِك مصرَ إلَّا بالسَّرقة.

فالمشيئة على هذا واقعةٌ على وقوع السَّرقة منه.

ودلَّت الآية على أنَّ أفعالَ العباد حسَنَها وقبيحَها بمشيئة الله تعالى.

وقال ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: ﴿كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ﴾؛ أي: صنعْنا[٤].

وقال الرَّبيع بن أنس: أي: ألهمنا[٥].

وقيل: قوله: ﴿كِدْنَا﴾؛ أي: كما فعلوا في الابتداءِ بيوسفَ فعلْنا بهم، قال تعالى خبرًا عن يعقوب عليه السلام أنَّه قال: ﴿فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾، وكان هذا جزاءَ كيدِهم ذلك.

وقوله: ﴿فِي دِينِ الْمَلِكِ﴾ قال ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: أي: في سلطان الملك[٦].

---

(١) في (ر): «ليوسف؛ لأجل يوسف»، وكلها ليست في (أ).

(٢) في (أ): «يشاء».

(٣) في (ر) و(ف): «جعل الاسترقاق».

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٢٤٢).

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٢٤٢)، والواحدي في «البسيط» (١٢/ ١٨٨).

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٢٦٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢١٧٦).

وقال قتادة: في قضاء الملك[١].

وقال مجاهد: في سُنَّة الملك[٢].

وقوله تعالى: ﴿نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ﴾: أي: بتعليم العلمِ في كلِّ باب، والإيصالِ به إلى المحابّ ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ حتَّى ينتهي العلمُ إلى الله تعالى، فلا يكون فوقَه عليمٌ.

❊❊❊

(٧٧) - ﴿۞ قَالُوٓاْ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ ۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِى نَفْسِهِۦ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ ۚ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا ۖ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ﴾: أي: قال الإخوة: إنْ سَرَقَ هذا الأخُ فقد سرق أخٌ له مِن قبلُ، وهو يوسف[٣]، وهذا اقتداءٌ بأخيه.

وقوله تعالى: ﴿فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِى نَفْسِهِۦ﴾: أي: فأخفى هذه المقالةَ يوسفُ في قلبه ﴿وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ﴾؛ أي: لم يُظهرْها لهم؛ أي: لم يقلْ: أنا يوسفُ وما سرقْتُ قطُّ، فلِمَ كذبْتُم عليَّ؟

وقوله تعالى: ﴿قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا﴾: أي: قال في نفسه: أنتم أسوءُ حالًا منه إنْ ثبتَ منه ما تقولون عليه، فأنتم جفوْتُم أباكم، وبعْتُم أخاكم، وقصدْتُم قتلَه أيضًا.

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾: أي: بما تصفونَه به مِن السَّرقةِ.

واختلفَ في وجهِ إضافتهم السَّرقة إليه:

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٢٦٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢١٧٦).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٢٦٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢١٧٦) بلفظ: ﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِى دِينِ ٱلْمَلِكِ﴾ إلا فعلة كادها الله له، فاعتل بها يوسف.

(٣) «وهو يوسف» ليس في (ف).

قال ابن عبَّاسٍ ومجاهد: كان لإبراهيم منطقةٌ كانوا يتوارثونها الكُبْرَ مِن أولاده، فورثَها ابنه إسحاق، ثمَّ وقعَتْ إلى رحمةَ بنت إسحاق أخت يعقوب، وكانت أكبر أولاد إسحاق، وماتَتْ أمُّ يوسف راحيل، فحضنَتْ رحمةُ يوسفَ، وكانت تربِّيه إلى أن شبَّ، وكانت لا تصبرُ عنه ساعةً، فلمَّا شبَّ أراد يعقوب أن ينزعَه منها ويردَّه إلى منزلِه، فعلمَتْ بذلك أختُه، فشدَّتِ المنطقة على وسط يوسف، وبعثَتْ به إلى يعقوب، ثمَّ أتَتْ على إثره فقالَتْ: فقدْتُ المنطقةَ، ولم أجدْها في بيتي، ففتَّشوا ثياب يوسف، فإذا المنطقة على وسطه، وكانت سُنَّةُ آلِ يعقوب استرقاقَ اللُّصوص والسُّرَّاق ثلاثة أشهرٍ، فردَّتْ يوسفَ إلى منزلها ثلاثةَ أشهرٍ، فذلك قولهم: ﴿فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ﴾ يعنون: أنَّ يوسفَ سرقَ المنطقة[1].

وقال وهبٌ: كان يخبِّئُ الطَّعام مِن المائدةِ للفقراء[2].

وقال كعب: كان يوسفُ في المنزل وحده، فأتى يوسفَ سائِلٌ، وكان في المنزل عَناقٌ ـ وهو الأنثى من الجَدْي ـ فدفعَها إلى السَّائل مِن غير أمر أبيه[3].

وقال ابن إسحاق: كان في منزل يعقوب جوبة[4] فيها صنمٌ لجدِّ أمِّ يوسف، فحمله يوسف فألقاه فيما نتنَ من الجيف، وغطَّاه بالتَّراب[5].

وقد حكيناه عن وهب في سياق القصَّة أتمَّ مِن هذا.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٢٧٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢١٧٨) عن مجاهد.

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٢٤٣). وذكره الواحدي في «البسيط» (١٢/ ١٩٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما ووهب.

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٢٤٣).

(٤) في (ف): «جونة». والجوبة: الحفرة، وفجوة ما بين البيوت، أو فضاء أملس بين أرضين. انظر: «القاموس» (مادة جوب).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٢٧٢ ـ ٢٧٣) عن سعيد بن جبير وقتادة وابن جريج.

وقال سفيان بن عيينة: سرقَ يوسفُ دجاجةً كانت في بيت يعقوب، وأعطاها سائلًا(١).

* * *

(٧٨) ـ ﴿ قَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ قَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾: العزيزُ: المنيعُ.

وقوله: ﴿كَبِيرًا﴾؛ أي: في السِّنِّ، والكبير في القرآن لمعانٍ:

أحدُها: هذا.

والثَّاني: الكثير: ﴿وَلَا تَسْـَٔمُوٓا۟ أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٢]؛ يعني: قليلًا أو كثيرًا.

والثَّالث: العظيم؛ قال تعالى: ﴿ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ﴾ [الرعد: ٩].

والرَّابع: الطَّويل؛ قال تعالى: ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ﴾ [الملك: ٩]؛ أي: شقاءٍ طويلٍ.

والخامس: الشَّديد؛ قال تعالى: ﴿نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: ١٩].

والسَّادس: الأعلم؛ قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ﴾ [طه: ٧١].

والسَّابع: الأعقل؛ قال تعالى: ﴿قَالَ كَبِيرُهُمْ﴾ وهو يهوذا، وكان روبيل أكبرهم سنًّا.

وإنَّما استشفعوا بكون أبيهم شيخًا كبيرًا، ولم يقولوا: رسولًا نبيًّا؛ لأنَّ الشُّيوخ

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٢٤٣).

لهم حرمةٌ، والكبر في السِّنِّ داعٍ إلى المرحمة، فقالوا ذلك استعطافًا؛ كما قال في قصَّة شعيب: ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ [القصص: ٢٣]، وفي قصَّة زكريَّا: ﴿وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا﴾ [مريم: ٨].

وقوله تعالى: ﴿فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ﴾: أي: خذ واحدًا منَّا عبدًا بدلَه ﴿إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾؛ أي: أحسنْتَ إلينا في الإنزال والكيل وفي ردِّ البضاعة، وتحسنُ في معاملات النَّاس، فأحسِن إلى[1] أبينا بردِّ هذا الولد إليه، وأحسِن إلينا بصرفِه معنا، فتزول وحدة أبينا عنَّا.

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: ظنُّوا أنَّ واحدًا منهم يقوم مقامَه فيما هو مقصودُه، ولا بدلَ عن المحبوب، قال قائلهم:

أبى القلبُ إلَّا حبَّ ليلى وبغِّضَتْ إليَّ نساءٌ ما لهنَّ ذنوبٌ[2]

***

(٧٩) ـ ﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ إِنَّا إِذًا لَظَالِمُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ﴾: أي: نعوذُ باللهِ أن نأخذَ غيرَ الجاني في حقِّنا، ولم يكن العَوذُ مِن ترك أخذ بنيامين، بل مِن أخذ غيره.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّا إِذًا لَظَالِمُونَ﴾: لو فعلنا ذلك.

---

(١) في (ف): «فأحسن إلينا وإلى أبينا».

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٢/ ١٩٨). ونسب البيت للأقرع بن معاذ القشيري كما في «الأمالي» للقالي (٢/ ٤٣)، ولكثير عزة كما في «خزانة الأدب» للبغدادي (٣/ ٢٠٧)، وفيه عندهما بعض اختلاف.

قال وهبٌ: قال لهم يوسف: تزعمون أنَّكم أولاد الأنبياء، أفتجدون في حكم النُّبوَّة أن يُؤخَذ البريء ويُترَك المذنب؟ أهكذا حكم يعقوب؟

فغضبَ يهوذا حتَّى قامَت شعرةٌ في ظهرِه كانت تقومُ إذا غضبَ[1]، فلا تسكنُ تلك الشَّعرةُ حتَّى يمسَّه بعضُ ولدِ يعقوب، فقال: والله لترسلنَّه أو لأصيحَنَّ صيحةً لا تبقى حُبلى في ملكِك إلَّا وضعَتْ ما في بطنها، فلمَّا همَّ أن يصيحَ قال يوسف لابنه: اذهب فخذْ بيدِه فائتني به، فأخذ بيدِه فجاءَ به إلى أبيه، فسكتَ غضبُ يهوذا، قال: والله لقد أصابتني كفٌّ إنَّها مِن ولد يعقوب، فكفُّ مَن هي؟ قال: كفُّ ابنِ الملك، قال: فوالله إنَّه لينبغي أن يكون من ولدِ يعقوب.

* * *

(٨٠) - ﴿فَلَمَّا اسْتَيْئَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا اسْتَيْئَسُوا مِنْهُ﴾: أي: يئسوا مِن ردِّ أخيهم ﴿خَلَصُوا نَجِيًّا﴾؛ أي: خرجوا مِن بين النَّاس، فخلصوا منهم نجِيًّا؛ أي: متناجين، وهو مصدرٌ في الأصل؛ يصلح للواحد كما في قوله تعالى: ﴿وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾ [مريم: ٥٢]، وللجمع كما في هذه الآية؛ وهو كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ هُمْ نَجْوَى﴾ [الإسراء: ٤٧].

وقيل: النَّجيُّ: جمع النَّاجي، كالنَّدِيِّ جمع النَّادي[2]، والغزِيِّ جمع الغازي، والحَجيج جمع الحاج.

---

(١) «كانت تقوم إذا غضب» ليس في (ف).

(٢) «جمع النادي» من (أ).

و﴿خَلَصُواْ نَجِيًّا﴾ مِن فصيحات القرآن، و﴿خَلَصُواْ﴾ انفردوا، وأصله: الصَّفاء عن الشَّوب؛ أي: لم يبقَ معهم غيرهم.

والنَّجيُّ يجمع على الأنجية، قال الشاعر:

إنِّي إذا ما القومُ كانوا أنْجِيَةْ واختلفَ القومُ اختلافَ الأرْشِيَةْ

هناكَ أوصِيني ولا تُوصِي بِيَهْ[1]

يقول: لمَّا قنطوا من ردِّه إليهم انفردوا خالصين لا يختلط غيرهم بهم يتناجَون؛ أي: يتسارُّون[2] في الأمر الَّذي عرض لهم ماذا يصنعون؛ أيرجعون إلى أبيهم، أم يقيمون بمصر إلى أن يُعلموه خبرَ أخيهم، أو يقاتلوا يوسفَ في استنقاذ أخيهم؟

وقوله تعالى: ﴿قَالَ كَبِيرُهُمْ﴾: قيل: أكبرهم سنًّا، وهو روبيل.

وقال مجاهد: هو شمعون، ولم يكن أكبرهم في السنِّ، بل كان أكبرهم في العقل[3].

وقال الكلبيُّ ووهبٌ: هو يهوذا[4].

وقال محمَّد بن إسحاق: هو لاوي[5].

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ﴾: هو قوله: ﴿لَتَأْتُنَّنِي بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ﴾.

---

(١) الرجز لسحيم بن وثيل اليربوعي كما في «لسان العرب» لابن منظور (مادة: نجا)، ودون نسبة في «العين» (٦/ ٢٨١)، و«غريب القرآن» لابن قتيبة (ص: ٢٢٠)، و«جمهرة اللغة» (١/ ٢٣٥)، وغيرها.

(٢) في (ف): «يتشاورون».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٢٨٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢١٨١).

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٢٤٥)، والواحدي في «البسيط» (١٢/ ٢٠٣).

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٢٤٥).

وقوله تعالى: ﴿وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِي يُوسُفَ﴾: ﴿وَمِن قَبْلُ﴾ رفعٌ على الغاية.

و﴿مَا فَرَّطتُمْ﴾ له ثلاثة أوجهٍ:

أحدها: ﴿مَا﴾ مع الفعل مصدرٌ، وإعرابُه الرَّفع، وهو خبر ﴿وَمِن قَبْلُ﴾؛ أي: ومِن قبلِ هذا تفريطُكُم.

وقيل: نصبٌ بوقوع ﴿أَلَمْ تَعْلَمُوٓاْ﴾ عليه؛ أي: ألم تعلموا تفريطَكُم في أمر يوسف.

وقيل: ﴿مَا﴾ صلةٌ زائدة، وتقديرُه: ومِن قَبْلِ هذا فرَّطْتُم[1] في يوسفَ؛ أي: قصَّرتم في أمره وضيَّعتموه.

وقوله: ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ﴾: وقوله: ﴿لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾ [الكهف: ٦٠] هما متقابلان في التَّفسير؛ فلن أبرحَ الإقامةَ مِن غير ذهابٍ، ولا أبرحُ للمسير بدون المقام، وإنَّما صحَّ ذلك مع أنَّهما متضادَّان؛ لأنَّ المعنى فيها: لا أزول، فمعنى ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ﴾: فلن أزايلَ المقامَ، ومعنى (لا أبرحُ): لا أزايل[2] المسير.

وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِيٓ أَبِيٓ﴾: أي: في الرُّجوع إليه، وقيل: في القتال.

﴿أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِي﴾: بالرُّجوع بأنْ يَظهرَ عذري عند أبي، فحينئذ أرجع، أو يصلَ إلينا أخونا، أو يحكمَ الله لي بالسَّيف أن أحاربَهم وآخذَ الأخ منهم.

﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾: لا خطأَ في حكمِه، ولا زلَلَ، ولا رشوة[3].

---

(١) في النسخ: «ومن قبل ما فرطتم»، والصواب المثبت. انظر: «البحر المحيط» (١٢/ ٥٣٦).

(٢) في (أ): «أزيل» في الموضعين.

(٣) بعدها في (أ) و(ر): «ولا حشمة»، ولعل المراد بها هنا: الانقباض. انظر: «مقاييس اللغة» (٢/ ٦٣). وفي «العين» (٣/ ٩٩): الحِشمةُ: الانقباض عن أخيك في المَطْعَم وطَلَب الحاجة.

(٨١) - ﴿ارْجِعُوا إِلَى أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ارْجِعُوا إِلَى أَبِيكُمْ﴾: قال هذا الكبير لإخوته: ارجعوا إلى أبيكم، فأنا مقيمٌ بمصرَ، وأوضحوا له عذركم ﴿فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ﴾؛ أي: حُكِمَ عليه بالسَّرقة ﴿وَمَا شَهِدْنَا﴾؛ أي: عليه بالسَّرقة عندك ﴿إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا﴾ مِن الأمرِ الظَّاهر بوجود المسروق في رحلِه.

﴿وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ﴾: أي: ولم نكن نحفظُ الغيب، فندفعَ عنه، فنقولَ: إنَّه لم يسرق؛ أو[1] لم نعلمْ أنَّ الأمر في الباطنِ بخلافِ الظَّاهر[2]، فسلَّمنا لَمَّا حُكِمَ عليه بالسَّرقة على الظَّاهر.

وقيل: وما كنَّا نحفظُ الغيبَ فنعلمَ أنَّه سيسرقُ، ولو علمنا ذلك لكنَّا لا[3] نخرجُ به، وكنَّا ضمنَّا لك حفظَه ممَّا يمكننا أن نحفظَه عنه مِن الآفات في الطَّريق، فأمَّا السَّرقة فممَّا لا يكون لنا إلى حفظِه منها سبيل.

وقال عبدُ الرَّحمنِ بن زيد بن أسلم: ﴿وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا﴾؛ أي: ما شهدنا عند الملك[4] أنَّ السَّارق يُسترَقُّ إلَّا بما علمنا من أن ذلك هو الواجبُ في الحكم، ولم نعلم في الحقيقة هل سرق ابنك أم لا؟ إلَّا أنَّه وُجِدَ الصُّواع في متاعه[5].

---

(١) في (ر) و(ف): «إذ».

(٢) في (ف): «الظاهر ذلك».

(٣) في (ف): «ما كنا» بدل: «لكنا لا».

(٤) في (ر): «يوسف».

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٢٨٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢١٨٢).

وقرأ الضَّحَّاك: (إنَّ ابنَكَ سُرِّقَ) بضم السِّين وتشديد الرَّاء على ما لم يسمَّ فاعله[1]؛ أي: نُسِبَ إلى السَّرقة، كقولك: صُدِّقَ وكُذِّبَ.

وقال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: ﴿وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ﴾؛ أي: لم نعلم ما كان يصنعُ في ليلِه ونهارِه، ومجيئِه وذهابِه.

وقال ابن كيسان: ﴿وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ﴾؛ أي: لم نعلمْ أنَّك تُصابُ به كما أُصبْتَ بيوسف، ولو علمنا ذلك لم نحرقْ قلبَك، ولم نذهب به.

وقال عكرمة: ﴿وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ﴾: فلعلَّها دُسَّتْ باللَّيل في رحله، ولا علم لنا به.

وقال محمد بن إسحاق: أي: لم نطَّلع على أنَّه سرق، ولكنَّهم سرَّقوه[2].

* * *

(٨٢) - ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا﴾: أي: وسَلْ أهلَ القريةِ، أضمرَ الأهلَ لدلالة الحال ﴿وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا﴾ ومعناه: وسَلْ أهلَها؛ فإنَّ العيرَ اسمٌ للإبلِ والحمير الَّتي تحمل الأحمال في المسير.

﴿وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾: فيما نخبرُكَ به أنَّه سرق.

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٢٤٦)، ونسبت هذه القراءة لابن عباس رضي الله عنه. انظر: «تفسير الطبري» (١٣/ ٢٨٧)، و«تفسير الثعلبي» (٥/ ٢٤٦)، و«المحرر الوجيز» (٣/ ٢٧٠).
وذكرت بعض كتب التفسير عن الضحاك أنه قرأ: (سارق) اسم فاعل. انظر: «المحرر الوجيز» (٣/ ٢٧٠)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (١٢/ ٥٣٩)، و«الدر المصون» للسمين الحلبي (٦/ ٥٤٣).

(٢) ذكر هذه الأقوال الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٢٤٦)، والواحدي في «البسيط» (١٢/ ٢٠٧).

وقـال ابن عبَّـاس رضي الله عنهمـا: ﴿ٱلْقَرْيَةَ﴾: هي مصـرُ، ﴿وَٱلْعِيرَ﴾: القافلة الخارجة[١].

وعن ابن عبَّاس رضي الله عنهما في رواية: أنَّها قرية من قرى مصر[٢]، كانوا خرجوا مع الميرة إليها، فلحقهم المنادي بها.

ثمَّ بعدَ هذه الآية مُضمَرٌ إلى قوله تعالى: ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا﴾؛ أي: فرجعوا وقالوا له ذلك، فقال هو ذلك.

قال وهبٌ: فلمَّا رجعوا إلى أبيهم فأخبروه الخبر كذَّبهم واتَّهمهم، وساء ظنُّه بهم، وقال لهم ذلك: كلَّما توجَّهتم وجهًا نقصَ منكم واحدٌ، توشكون أن لا يبقى منكم أحدٌ. وظنَّ أنَّ يهوذا إنَّما تخلَّف عنه مكرًا وحيلة ليصدِّقهم، فقال ـ وهو قوله تعالى ـ:

* * *

(٨٣) ـ ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾.

﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا﴾، قال قتادة: أي: زيَّنَتْ[٣].

وقيل: سهَّلَتْ؛ أي: ما هو عندي كما تقولون، وإنَّما زيَّن لكم هوى أنفسِكم أمرًا همَمْتُم به في هذا الأمر، كما فعلتُموه بيوسف.

وقوله تعالى: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾: أي: فلا أرجع إلَّا إلى الصَّبر الجميل الذي أكظم عليه ولا أبثُّه إلى مخلوق.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٢٩١).

(٢) رواه الكلبي عن ابن عباس. انظر: «البسيط» (١٢/ ٢٠٨).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٢٩٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢١١١).

قوله تعالى: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَنِي بِهِمۡ جَمِيعًا﴾: يوسف وأخويه بنيامين ويهوذا.

﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ﴾: بحالي وبوجدي وبصبري، وبصدقكم وكذبكم، وهو ﴿ٱلۡحَكِيمُ﴾ فيما يدبِّرُه في أمور عبادِه، فليس يدبِّرُ أمري إلَّا بما هو صلاحٌ لي، ونفعٌ في دنياي وديني، فأنا مسلِّمٌ لتدبيرِه.

وقيل: المؤمنُ المحقِّقُ كلَّما ازدادَ بلاءً ازدادَ رجاءً.

وقال الإمامُ القشيريُّ رحمه الله: لَمَّا وعدَ مِن نفسِه الصَّبرَ الجميلَ لم يمضِ عليه يومُه حتَّى قال: ﴿يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾؛ ليعلم أنَّ عزمَ الأحبابِ على الصَّبرِ منقوضٌ غيرُ محفوظٍ[1].

* * *

(٨٤) ـ ﴿وَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ مِنَ ٱلۡحُزۡنِ فَهُوَ كَظِيمٞ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ﴾: قالوا: كان يعقوبُ صلوات الله عليه في حال توجُّهِه إلى الأولادِ يفقدُ في كلِّ سفرٍ منهم ولدًا، فلمَّا تولى عنهم وجدَ المفقودين كلَّهم؛ ليعلمَ العبدُ أنَّ في توجُّهِه إلى الخلقِ قطعَ نفعِ الخلق، وفي التَّوجُّه إلى الله تعالى الوصولُ إلى كلِّ شيءٍ.

يقول: أعرضَ عن بنيه وأقبلَ على بثِّ نفسِهِ ﴿وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾: قال الحسن وقتادة والضَّحاك: يا حُزْناه[2].

وقال مجاهد: يا جَزَعاه[3].

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٢/ ١٩٩).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٢٩٤ ـ ٢٩٥) عن قتادة والضحاك.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٢٩٤)،

قال الشَّاعر:

فيـا أسَـفَا علـى سَـلْمِ بـن عَـمْرٍو ويـا حَزنـا عليـه ولَهْـفَ نَفْسِـي[١]

والأسفُ: أشدُّ الحزنِ على الغائبِ، وهو أشدُّ الغضبِ أيضًا، ويجوز أن يكون اجتمعَ له المعنيان؛ الحزنُ على فقدِ يوسف، والغضبُ على إخوة يوسف، أو على نفسِه ببعْثِ بنيامين معهم.

والصِّيغةُ صيغةُ نداءٍ[٢]، ومعناها: يا حزنُ هذا وقتُكَ فاحضر. والألفُ في آخره للنُّدبةِ، وأصلُه: وا أسفاه، مع هاء الاستراحة، ثمَّ حُذفَتِ الهاء للتَّخفيف[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ﴾: قيل: هو ذهابُ بصرِه؛ قال مقاتل: لم يبصرْ ستَّ سنينَ[٤].

وقال الأستاذُ أبو عليٍّ الدَّقاق: لم يقل: عَمِي؛ لأنَّه لم يذهبْ بصرُه ذهابَ فواتٍ، لكن كان حِجابًا عن رؤيةِ غيرِ يوسف.

وكان إخوتُه غيَّبوه ليخْلُوَ لهم وجهُ أبيهم، فيخلصَ لهم نظرُه، فلم يرضَوا بنظرِه إليهم مع يوسف، ففاتهم أصلًا، وكذلك مَن طلبَ الكلَّ فاتَه الكلُّ[٥].

---

(١) البيت لعمرو بن معدي كرب قاله في ابنه خُزَز، وكان قتله في بعض حروبه وهو لا يشعر أنه ابنه، فلما عرفه قال فيه أبياتاً هذا منها. انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٤٦/ ٣٩٦)، و«توضيح المشتبه» (٣/ ١٧٥)، وروايته فيهما:

يـا أسـفا علـى خُـزَزَ بـن عمرو فيـا ندمـي عليـه ولهـف نفسـي

(٢) في (ف): «نداء ونعت».

(٣) «للتخفيف» ليس في (ف).

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٢٤٧)، والواحدي في «البسيط» (١٢/ ٢١٤).

(٥) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٢/ ١٩٩ ـ ٢٠٠).

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: كان ذهابُ بصر يعقوب في غيبة يوسف لطفًا من الله تعالى بيعقوب، حتَّى لا يحتاجَ إلى رؤية غيره؛ إذ لا شيءَ على الأحباب أشدُّ من رؤية الأغيار، قال قائلُهم:

لَمَّا تيقَّنْتُ أنِّي لسْتُ مُبصِرَكُمْ غمضْتُ عيني فلم أنظرْ إلى أحدٍ[1]

وقوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلْحُزْنِ﴾: أي: الهمّ الغليظ على النَّفس، من الأرض الحَزْن ـ بفتح الحاء: الغليظة.

﴿فَهُوَ كَظِيمٌ﴾: أي: مملوءٌ كربًا، كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ [القلم: ٤٨] الكِظامُ: القناةُ والسِّقايةُ المملوءةُ ماءً.

وقيل: ﴿كَظِيمٌ﴾؛ أي: ممسكٌ على غيظٍ على أولاده بما فعلوا به، أو على نفسِه بما فعلَ مِن إرسال بنيامين معهم، هذا فعيل بمعنى فاعل؛ كقوله تعالى: ﴿وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ﴾ [آل عمران: ١٣٤]، والأوَّل فعيل بمعنى مفعول.

قال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: ﴿كَظِيمٌ﴾: مهموم[2].

وقال مقاتل: مكروب يتردَّد الحزن في جوفِه[3].

وقال مجاهد: ساكت[4].

وقال قتادة: كظيم على الحزن؛ أي: لم يتكلَّم بسوء[5].

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٢/ ٢٠٠)، والبيت ينسب لأبي بكر الشبلي. انظر: «الأمالي» للجرجاني (٢/ ٩٣)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٣٢/ ٣٩٢).

(٢) روى نحوه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٢٥٦).

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٣٤٨).

(٤) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٣٣٤)، والطبري في «تفسيره» (١٣/ ٢٩٦).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٢٩٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢١٨٧).

وقال عكرمة: ممتلئ حزنًا[١].

* * *

(٨٥) ـ ﴿قَالُواْ تَاللَّهِ تَفْتَؤُاْ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَالُواْ تَاللَّهِ تَفْتَؤُاْ تَذْكُرُ يُوسُفَ﴾: أي: لا تفتأ، ومعناه: لا تزال. قاله ابن عبَّاس رضي الله عنهما والحسن ومجاهد وقتادة والسُّديُّ[٢].

وصرفُه مِن حدِّ (علم)، ومصدرُه: الفَتْأُ والفُتُوءُ على الفَعْلِ والفُعُولِ، قال أوسُ بنُ حُجر:

فما فَتِئَتْ خيلٌ تثوبُ وتدَّعي ... ويلحَقُ منها لاحِقٌ وتَقَطَّعُ[٣]

أي: فما زالَتْ.

وحُذفَتْ (لا) من (تفتأ) لأنَّه جوابُ القسم المنفيِّ، ولو كان إثباتًا لكان باللَّام والنُّون[٤]؛ قال امرؤُ القيس:

فقلْتُ يمينُ اللهِ أبرَحُ قاعدًا ... ولو قطَّعوا[٥] رأسِي لدَيْكِ وأوصالي[٦]

(١) ذكر نحوه الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٢١٩). وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٤/ ٥٦٩) إلى ابن أبي حاتم بلفظ: ﴿كَظِيمٌ﴾: مكروب.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٢٩٨ ـ ٢٩٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وقتادة. وروواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢١٨٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد والسدي.

(٣) انظر: «ديوان أوس» (ص: ٥٨)، و«مجاز القرآن» (١/ ٣١٦)، و«غريب القرآن» لابن قتيبة (ص: ٢٢١).

(٤) يعني: جاز حذفها هنا لأنها لا تَلتبِس بالإثبات؛ إذ لو كان إثباتاً بعد القسم لقيل: لتَفْتأنَّ؛ إذ لا بد في الإثبات من اللام والنون، فقرينةُ النفي خلوُّه عن علامة الإثبات.

(٥) في (ر) و(ف): «قلصوا».

(٦) انظر: «ديوان امرئ القيس» (ص: ١٠٨).

وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا﴾: قال ابن عبَّاس ومجاهد: أي: باليًا من المرض ﴿أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ﴾: أي: الميِّتين(١).

وقال الحسنُ وقتادةُ: حتى تكون هرمًا(٢).

وأصلُ الحَرَضِ: فسادُ العقل والجسم مِن الحزن والحبِّ، وقال العَرْجيُّ:

إنِّي امرؤٌ لجَّ بي حبٌّ فأَحْرَضَني حتَّى بَلِيْتُ وحتَّى شَفَّنِي السَّقَمُ(٣)

و﴿حَرَضًا﴾: مصدرٌ أريد به النَّعت، ولا يثنَّى ولا يجمع.

وقال الرَّبيع بن أنس: ﴿حَرَضًا﴾ يابسَ الجلد على العظم.

وقال الكسائيُّ: فاسدًا لا خير فيه.

وقال الحسنُ: أي: كالشَّيءِ المدقوق المكسور(٤).

وقال الإمام القشيريُّ رحمَه الله: هدَّدوه بأن يصيرَ حرضًا، وقد كان حرضًا، وخوَّفوه بما كان لا يبالي أن يصيبَه في حكم الهوى، حيث قالوا: ﴿أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ﴾، وقيل: ألذُّ الأشياء في حكم الهوى التَّهالكُ في حبِّ مَن تهوَى(٥).

* * *

(٨٦) - ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

---

(١) رواه عنهما الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٣٠١ و٣٠٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢١٨٧ و٢١٨٨).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٣٠٣).

(٣) انظر: «ديوان العرجي» (ص: ٥).

(٤) ذكر الأقوال الثلاثة السابقة الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٢٤٨).

(٥) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٢/ ٢٠٠).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾: قال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: أي: همِّي[1]. وهو الَّذي يُبَثُّ وإنْ كُتِمَ؛ أي: ينتشرُ بإثارة.

والحزنُ: ما يغلظُ على النَّفس احتمالُه.

وقيل: البثُّ: الهمُّ الَّذي يظهرُه صاحبُه، والحزنُ: الَّذي يضمرُه.

وقيل: البثُّ ابتداؤه، والحزن انتهاؤه.

يقول: أشكو ذلك كلَّه إلى اللهِ، لا إلى خلقِه.

وقوله تعالى: ﴿وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ﴾: أي: مِن سَعةِ رحمتِه ولطفِ تدبيره بعباده ﴿مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ أنتم، يشيرُ إلى حسنِ ظنِّه وقوَّةِ رجائه بربِّه جلَّ جلاله أنْ يُعيدَ إليه يوسفَ عليه السلام.

قيل: إنَّما رجا ذلك لِمَا قصَّ عليه يوسف مِن رؤياه وعلم تأويلَه.

وقيل: أخبرَه بذلك ملكُ الموتِ عليه السلام.

وقيل: أخبرَه جبريلُ صلوات الله عليه.

وقيل: رآه في المنام.

قال وهبٌ: ولَمَّا أرادَ اللهُ تعالى أنْ يُرَفِّه[2] عنه ويرحمَه ويبلِّغَه إلى بنيْهِ أرسلَ إليه ملكَ الموتِ قال: إنِّي كنْتُ أتمنى أنْ ألقاكَ منذُ حينٍ، قال له: لِمَ ذلك؟ قال: لأسأَلَكَ عن شأنِ يوسف، قال: وعن أيِّ شأنِه تسألني؟

قال: أنشدُكَ وأسألُكَ بالَّذي ملَّكَكَ الأنفسَ، وسلَّطَكَ على الأرواح، وأعطاكَ القوَّة في الأجساد، هل قبضْتَ روحَ يوسف؟

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٣٠٦).

(٢) في (ف): «يخفف».

قال: لا، والَّذي نَشَدْتَني به ما قبضْتُ روحَه، فاطلُبْ ابنك فإنَّه حيٌّ سالمٌ.

فانتبَه وأصبحَ وقالَ لبنيه: ﴿ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾.

وروى أنس عن النَّبيِّ ﷺ قال: «كان ليعقوبَ أخٌ مؤاخٍ له، فقال له ذاتَ يومٍ: يا يعقوبُ، ما الَّذي أذهبَ بصرَكَ؟ وما الَّذي قوَّسَ ظهرَكَ؟ قال: أمَّا الَّذي أذهبَ بصري فالبكاء على يوسفَ، وأمَّا الَّذي قوَّس ظهري فالحزنُ على بنيامين، فأتاه جبريلُ فقالَ: يا يعقوبُ، إنَّ اللهَ يُقرِئُكَ السَّلام، ويقولُ لك: أَمَا تستحي أن تشكوَني إلى غيري، فقال يعقوبُ: إنَّما أشكو بثِّي وحزني إلى الله، فقال جبريل: أعلم بما تشكو يا يعقوب، ثمَّ قالَ يعقوبُ: يا ربِّ، أَمَا ترحَمُ الشَّيخَ الكبير؟ أذهبْتَ بصري، وقوَّسْتَ ظهري، فارددْ عليَّ ريحانَتِي أشمُّه شَمَّةً قبلَ الموتِ، ثمَّ اصنَعْ بي يا ربِّ ما شئْتَ. فأتاه جبريلُ وقال له: يا يعقوبُ، إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ يقرئُكَ السَّلام، ويقول لك: أبشِرْ، ولْيَفرَحْ قلبُكَ، فوعزَّتي لو كانا ميِّتَيْن لنشرتُهُما[١] لك، فاصنَعْ طعامًا للمساكين، فإنَّ أحبَّ عبادي إليَّ المساكين، وتدري لم أذهبْتُ بصرَكَ، وقوَّسْتُ ظهرَكَ، وصنعَ إخوةُ يوسفَ بيوسفَ ما صنعوا؟ لأنَّكم ذبحْتُم شاةً، فأتاكم فلانٌ المسكينُ وهو صائم، فلم تطعموه منها، فكان يعقوبُ بعدَ ذلك إذا أرادَ الغداء[٢] أمرَ مناديًا فنادى: ألَا مَن أرادَ الغداءَ مِن المساكين فليتغدَّ[٣] مع يعقوب، وإذا كان صائمًا أمرَ مناديًا فنادى: ألا مَن كان صائمًا من المساكين فليفطرْ مع يعقوب»[٤].

(١) في (ف): «لأنشرتهما».

(٢) في (ر) و(ف): «القرا».

(٣) في (أ): «فليحضر».

(٤) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٦١٠٥)، و«المعجم الصغير» (٨٥٧)، والحاكم في «المستدرك» (٣٣٢٨). قال ابن كثير في «تفسيره»: حديث غريب فيه نكارة. =

وقيل: كان فَصَلَ عِجَّوْلًا عن أمِّه أيَّامًا.

وقيل غيرُ ذلك من الأسباب، والصَّحيح أنَّه غيرُ مبنيٍّ على سببٍ، ولله أن يمتحنَ عبادَه وخواصَّه بما شاءَ؛ ليرفعَ لهم بذلك درجاتِهم، ويُظهرَ صدقَهم وإخلاصَهم.

* * *

(٨٧) ـ ﴿يَـٰبَنِيَّ ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَـٰبَنِيَّ ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ﴾: أي: اطلبوا خبرَه، مِن الحسِّ، وهو العلم بالحاسَّة، والتَّجسُّس ـ بالجيم ـ قريبٌ منه.

وقيل: هما واحد.

وقيل: بالحاء في الخير، وبالجيم في الشَّر.

وقيل: التَّحسُّس بالحاء: الطَّلب لنفسِه، وبالجيم: الطَّلب لغيره، ومنه: الجاسوس.

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: أمرَهم بطلبِ يوسف بجميعِ حواسِّهم، يطلبونه بالبصر لعلَّهم يرونَه، وبالأُذن لعلَّهم يسمعون ذِكْرَه، وبالشَّمِّ لعلَّهم يجدون ريحَه، توهَّم أنَّهم مِثْلُه في الإرادة[1].

قال **تعالى** خبرًا عنه: ﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ﴾ [يوسف: ٩٤].

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: قال أهل التَّأويل: استخبِروا عنه واطلبوا، والأقرب أن يكون معناه: اذهبوا مِن هذا الجانب الَّذي كنتم فيه، فانظروا إليه وإلى

= وقوله: «وإذا كان صائمًا أمر مناديًا فنادى ألا من كان صائمًا من المساكين فليفطر مع يعقوب» ليس في (أ).

(١) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٢/ ٢٠١).

أخيه، فإنْ حُمِلَ على الاستخبار في حقِّ يوسف، لا يستقيم في قوله: ﴿وَأَخِيهِ﴾، وهم يعلمون أين هو، فمعناه: إيقاعُ حاسَّة البصر على الَّذي رأوه[١]، وهو لوقوع الرَّجاء له أنَّ يوسفَ بمصرَ، لكن لم يخبرْ بنيه بذلك أنَّه هناك؛ لِمَا علمَ أنَّهم يتكاسلون ويتثاقلون عن الذَّهاب إليه، فقال ذلك تعريضًا لا تصريحًا[٢].

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: قال يعقوب في حقِّ يوسف: ﴿إِنِّي لَيَحْزُنُنِيٓ أَن تَذْهَبُواْ بِهِۦ﴾، وقال في حقِّ سائر أولادِه: ﴿ٱذْهَبُواْ﴾؛ ليعلمَ بنوه ما بينَهم في المحلِّ عندَه[٣].

وقال وهبٌ: لَمَّا قال لبنيه ذلك، قالوا: كيف تكلِّفنا أنْ نتحسَّسَ مِن أهل القبور، أمَّا يوسف فقد أخبرناك خبرَه أوَّل يوم أنَّه أكلَه الذِّئب، ولا نحسبُه اليوم إلَّا رميمًا تحت التُّراب، وأمَّا ابناك اللَّذان ذهبا معنا فقد أخبرناك أنَّ أحدَهما سرقَ فارتُهنَ بسرقتِه، وأمَّا الآخر فمقيم لطلبِ فكاكِه، قد أقسم باللهِ جهدَ يمينه وآلى على نفسِه ألَّا يبرح الأرضَ حتَّى تأذنَ له، أو يفيَ ذلك بموثقك، أو يحكم الله بما شاءَ وهو خير الحاكمين، ونحن راجعون ومتحسِّسون عن أخوَيْنا[٤]، ومتعرِّضون للملك، إنَّا قد عهدناه بك رحيمًا، ولعلَّ الله أن يكون قد أحدثَ له رأيًا، وزادَه لك رحمة.

قال يعقوب: فبلِّغوه عنِّي السَّلام، وقولوا له: إنَّ أبانا يعقوب يقول لك: بينا أنَّك مهتمٌّ بمصيبته محزونٌ عليه مُعنًّى بأمرِه، تبكي معه، وتدعو له = إذْ فجعْتَه بابنِه، ما هذا منك بمشبهٍ أوَّل فعلِك، فارحَمْ تُرْحَم.

---

(١) قوله: «إيقاعُ حاسَّة البصر على الَّذي رأوه»، كذا قال المؤلف، وعبارة «التأويلات»: (وقوع الحس والبصر عليهما).

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٦/ ٢٧٨).

(٣) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٢/ ٢٠١).

(٤) في (أ): «إخوتنا».

وقيل: إنَّهم قالوا له: اكتب إليه بشيءٍ، فأمر فكتبَ إليه:

بسم الله، هذا كتابٌ من يعقوبَ إسرائيل الله بن إسحاق ذبيح الله بن إبراهيم خليل الله إلى ملك مصر عبد الله.

أمَّا بعد: فإنَّا أهلُ بيتٍ مُوكَّلٌ بنا أسباب البلاء، أمَّا جدِّي إبراهيم فأُلقي في النَّار فصبرَ لأمر الله، وأمَّا عمِّي إسماعيل فابتُلِيَ بالغربة في صغرِه فصبرَ لأمر الله، وأمَّا أبي إسحاق فابتُلِيَ بالذَّبح فصبر لأمر الله[1]، وأمَّا أنا فأضعفُهم ركنًا وأقلُّهم حيلةً وأعظمُهم مصيبةً، بكيْتُ على فراق ولدي يوسف حتَّى عميَ بصري، والَّذي أخذْتَهُ سارقًا فليس بسارقٍ، واللهِ ما ولدْتُ سارقًا، فامنُنْ عليَّ بردِّه، وخلِّ سبيلَه، واحذرْ دعوةَ المظلوم، والسَّلام.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ﴾: أي: رحمةِ الله، وقيل: أي: مِن ترويح الله؛ أي: تفريح الله[2] من الحزن.

﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ﴾: أي: من تفريح الله عن المكروبين ﴿إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾: الَّذين لا يعرفون قدرةَ الله على ما يشاء.

ثمَّ إنَّهم توجَّهوا إلى مصر، فلمَّا انتهوا إليها دخلوا عليه، وذلك قوله تعالى:

***

(٨٨) ـ ﴿فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيۡهِ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهۡلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئۡنَا بِبِضَٰعَةٖ مُّزۡجَىٰةٖ فَأَوۡفِ لَنَا ٱلۡكَيۡلَ وَتَصَدَّقۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجۡزِي ٱلۡمُتَصَدِّقِينَ﴾.

﴿فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيۡهِ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهۡلَنَا ٱلضُّرُّ﴾: أي: أصابَنا ونساءَنا وأولادَنا الضِّيقُ والقَحطُ.

---

(١) الصحيح المقطوع به عند العلماء أن الذبيح هو إسماعيل عليه السلام.

(٢) «أي تفريح الله» من (أ).

وقوله تعالى: ﴿وَجِئْنَا﴾: أي: وقد جئناك ﴿بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ﴾ قال ابن عبَّاس وسعيد بن جبير؛ أي: رديئةٍ لا تؤخَذُ إلَّا بوَكْس.

وقال الحسن ومجاهد وإبراهيم وقتادة وابن زيد: أي: قليلةٍ.

وقال الضَّحَّاك: أي: كاسدةٍ غيرِ نافقةٍ في ثمن الطَّعام[1].

وقال وهب: كانت دراهم نُفاية[2].

وقيل: كانت صوفًا وسمنًا وأقطًا. قاله الحسنُ[3].

وأصلُ الإزجاء: السَّوق والدَّفع؛ قال تعالى: ﴿يُزْجِي لَكُمُ ٱلْفُلْكَ﴾[الإسراء:٦٦]، ومنه تزجيةُ العمر، كأنَّها بضاعةٌ تُدفع ولا تُقبل.

وقوله تعالى: ﴿فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ﴾: أي: لا تنظرْ إلى نقصان بضاعتنا وأتممْ بإحسانِك كَيْلَنا.

وقوله تعالى: ﴿وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ﴾: أي: أسقطْ ما بين الجياد والرديَّة مِن التَّفاوت؛ قال وهب: كأنَّ دراهمنا جيادٌ؛ تفضُّلًا منك ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ﴾.

وقيل: كانت بضاعتُهم حبَّة الخضراء.

وقيل: كانت خَلَقَ الغِرارةِ[4] والحَبل.

---

(١) روى هذه الأقوال الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٣٢٢ـ٣٢٧).

(٢) وكذا فسره مقاتل في «تفسيره» (٢/ ٣٤٩). والنفاية: القليل أو الرديء. انظر: «لسان العرب» لابن منظور (مادة: نفي).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٣١٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢١٩١)، كلاهما عن عبد الله بن الحارث.

(٤) في (ف) و(أ): «حلق الغرارة». والغرارة: وعاء من صوف أو شعر لنقل التبن وما أشبهه. انظر: «معجم ديوان الأدب» للفارابي (٣/ ٩٦).

وقيل: تصدَّق علينا بردِّ أخينا علينا.

وقال الإمام القشيريُّ رحمَه اللهِ: لمَّا طالعوا فقرَهم نطقوا بقَدْرهم[١]، فقالوا: ﴿وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُّزْجَاةٍ﴾، ولمَّا شاهدوا[٢] قَدْرَ يوسف سألوا على قَدْرِه، فقالوا: ﴿فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ﴾، كأنَّهم قالوا: جئْنا ببضاعةٍ لا تَنفُق إلا بهذه الحضرة، فأوفِ لنا[٣] كيلًا يليقُ بفضلِكَ لا بفقرِنا، وبكرمِك لا بعَدَمِنا، ثم تركوا هذا اللِّسان فقالوا: ﴿وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ﴾، نزلوا أوضعَ منزلٍ، كأنَّهم قالوا: إن لم نستوجِبْ معاملةَ البيعِ والشِّراء فقد استوجبنا بذلَ العطاءِ، وعلى الله المكافأة والجزاء[٤].

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: ﴿قَالُواْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ﴾ سمَّوه عزيزًا لأنه كان أمين الملِك، وهو اسم لأمين ملِك مصر، كما قال: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِى ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا﴾، ولأنَّهم كانوا محتاجين إليه، وكان هو غنيًّا عمَّا في أيديهم.

وقوله تعالى: ﴿وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ﴾؛ أي: بفضل ما بين الثَّمنَيْن[٥]، وقيل: ما بين الكيلَيْن.

والصَّحيحُ: أنَّهم طلبوا حطَّ الثَّمن؛ لأنَّ الصَّدقةَ لا تحلُّ للأنبياء، ويجوزُ الحطُّ لهم، ويجوز حطُّ مَن لا تجوز صدقته، كالعبد المأذون له في التِّجارة، وكان نبيُّنا عليه الصلاة والسلام يجوز له الشِّراء بدون ثمنه، ولا تحلُّ له الصَّدقة.

ويجوز أن يكون معناه: ردَّ علينا أخانا[٦].

---

(١) في (أ): «بعذرهم».

(٢) في (أ): «شهدوا».

(٣) في (ف): «لنا الكيل أي».

(٤) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٢/ ٢٠٢).

(٥) في (أ): «المثمنين».

(٦) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٦/ ٢٨٢).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ﴾: ولم يقولوا: إن اللهَ يجزيْكَ؛ لأنَّهم لم يعلموا بحال الملك ودينه، فتجرَّدوا وأطلقوا فقالوا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ﴾، وهم المؤمنون(١).

وقال وهب رحمه الله: وخافوا أن يذكروا في أوَّل ما لقُوه حديثَ أخيهم؛ مخافةَ أن يعيدَ لهم التَّوبيخ والتَّقريع، وقالوا: إنْ كانَ في نفسِه لأبينا رِقَّةٌ فقد أخبرْنَاه أنَّا مضرورون محزونون مجهودون، وعَرَّضْنا له إنْ كان يريدُ أنْ يخليَ سبيلَ الغلام.

وكان يوسفُ عليه السَّلام سألَ أخاه بنيامين عن عددِ ولدِه، فقال: هم ثلاثة، اسم الأكبر يوسف، فقال: ولِمَ سمَّيته يوسف؟ قال: أردْتُ أن لا يذهب ذِكْرُكَ مِن قلبي كلَّما دُعِيَ تحرَّكَ لذلك قلبي.

قال: وسمَّيْتُ الآخرَ ذئبًا، قال: ولِمَ سمَّيته ذئبًا؟ قال: أردْتُ أنْ لا يذهبَ ذِكْرُكَ مِن قلبي، فقد زعمَ إخوتي أنَّ الذِّئب أكلَك.

قال(٢): وسمَّيْتُ الآخر دمًا، قال: ولِمَ سمَّيته دمًا؟ فقال: أردْتُ أن لا يذهبَ ذِكْرُكَ مِن قلبي لَمَّا جاؤوا بالدَّم في قميصِك(٣)، فكلَّما دُعِيَ ذكرْتُكَ.

فبكى يوسفُ عند ذلك حتَّى كادَ يتصدَّعُ قلبُه مِن البكاء، ثم رفعَ يديه ودعا ربَّه أن يجمعَ إليه أباه وخالته وإخوته، فاستجابَ الله له.

وقال لإخوته ـ بعدَ ما قالوا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ﴾ إلى آخره ـ: كيف تركْتُم يعقوب؟

قالوا: تركناه باكيًا محزونًا كظيمًا.

---

(١) «وهم المؤمنون» ليس في (ف).

(٢) في (ف): «وقد».

(٣) «لما جاؤوا بالدم في قميصك» من (ف).

فقال يوسف: على أيِّ ابنَيْه حزنُه وبكاؤُه أشدُّ؛ أعلى هذا السَّارق المرتهَن بسرقتِه أم على الأوَّل الَّذي أخبرَنا الصُّواع خبرَه.

فقالوا: أمَّا الأوَّل فقد يئسَ منه ونسيَه وذهبَ عنه حزنُه، ولكنَّما بكاؤه على هذا المحبوس عندك، وقد أرسَلنا فيه إليك رسالة، لولا مهابتك ومخافةُ ألَّا تصدِّقنا لبلَّغناك قولَه.

قال: فأخبروني، فإنَّكم آمنون إن صدَقتموني.

فلمَّا بلَّغوه رسالةَ أبيه لم يملك[1] نفسه بكاء وحزنًا، وبكى بأعلى صوتِه، وعندها باحَ لهم بحاله، وذلك قوله تعالى:

***

(٨٩) ـ ﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ﴾.

﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ﴾: قال صاحب «كتاب عصمة الأنبياء»: هذا مِن يوسف تذكيرٌ لهم بما سبقَ مِن فعلِهم بمكانِه؛ ليجدِّدوا الانتباه والاهتمام، وذكرَ أخاه وما فعلوا بمكانِه، كأنَّ أخاه شكا إليه من سوء معاملتهم معه كمعاداة[2] الإخوة، وقلَّة شفقتهم بمكان أخيهم.

أو لَمَّا رأى منهم تقريعًا لأخيهم عندَ استخراج الصُّواع من وعائِه حسبانًا منهم أنَّ أخاه كان قد سرقَ المتاع، فاستقبلَهم المكروهُ مِن سببِه، فعنَّفوا عليه، دليله قوله: ﴿إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ﴾؛ أي: لم تعلموا بحاله[3]،..............................

(١) «يملك» من (أ) و(ف).

(٢) في (ر): «لعادات»، وفي (ف): «كعادات».

(٣) في (أ) و(ف): «الحالة».

فبنيتم المعاملةَ على ظاهر[1] ما بدا لكم من حالِه.

قال الإمام أبو منصور رحمه الله: ﴿إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ﴾ قالَ بعضُ أهل التَّأويل: مذنبون، ويجوز: أي: أنتم جاهلون قَدْرَ يوسفَ ومنزلته؛ إذ لو علموا ذلك لما قالوا: ﴿لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا﴾[2].

وقيل: هو تلقينُ العُذْرِ، وهو غايةُ الكرمِ والفَضْلِ، وعلى هذا قولُ الله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ﴾ [النساء: ١٧].

وقالوا: الكريمُ لا يعاتِبُ، ولو عاتبَ لا يستقصي[3]، وكذلك فعلَ يوسفُ، لم يعاتِبْهم في المرَّة الأولى والثَّانية، وعاتبَهم في الثَّالثة على خفاءٍ ولم يستقصِ.

وقيل: الكرمُ تركُ العتاب، وتركُ الاستقصاء في العتاب، وتلقين العُذْرِ في العتاب، والعفوُ بعد العتابِ، وقد فعل ذلك كلَّه يوسفُ في هذه المرَّة.

وبيانه في الآية وفي بعضِ القصص: أنَّ يوسف صلوات الله عليه أخرجَ لهم كتابًا، وقال: هذا كتابٌ بالعبرانيَّة، فهل أحدٌ منكم يحسن قراءتها؟ قالوا: نعم.

فأخرج كتابَ بيعِه مِن مالك بن دُعْر، فنظروا فيه فبُهتوا، فقالوا في أنفسِهم: كنَّا بذلناه عند بيعِه لمشتريه، وهو مِن أهل مصر، فلعلَّه وقعَ عندَ الملك، فقالوا: هذا كتابٌ كتبناه في بيعِ عبدٍ لنا بعناه، فقال: اقرؤوا.

فقرؤوا: بسمِ إلهِ إبراهيم، هذا ما اشترى مالك بن دُعر الخزاعيُّ من آل يعقوب غلامًا، يُقالُ له: يوسف، بعشرين درهمًا، ونقدَ لهم الثَّمنَ، وضمنوا الدَّرك، وأشهدوا الله تعالى بذلك على أنفسِهم، وكفى بالله شهيدًا.

---

(١) في (ر) و(ف): «ظاهرها».

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٦/ ٢٨٢).

(٣) في (ر) و(ف): «لا يعاتِبُ ولا يستقصي، ولو عاتبَ لاستقصَى»، ولا يستقيم هذا مع ما سيأتي بعده.

فقال لهم يوسف: كنتم تقولون: إنَّ يوسفَ أخونا وقد أكلَه الذِّئبُ، وقد كتبتم في هذا: إنَّه غلامُنا وقد بعناه، فقد ظهر لي أنَّكم استرقَقْتُم أخاكم، وعقَقْتُم أباكم، واستوجَبْتُم عقوبةً شديدةً، وأنا معاقبُكم على ذلك، ومنتقمٌ منكم لأبيكم.

ودعا بالسَّيَّافِ، فصاحوا بأجمعهم يتضرَّعون ويبكون، ويقولون له: إنْ كنْتَ قاتِلَنا لا محالةَ فلطِّخْ ثيابَنا بدمائِنا، وابعَثْها إلى أبينا، فلا حظَّ له من الأولادِ إلَّا الثَّوبُ الملطَّخُ بالدَّم.

ورقَّ لذلك يوسفُ، واضطربَ النَّاسُ، وجاء جبريلُ وقال: يا يوسفُ، قد بلغ التَّخويفُ النِّهايةَ في حقِّ هؤلاء، فحسبُكَ، فقد انقضَتْ مدَّةُ المحنةِ، فأظهِرْ لهم نفسَكَ، فقال: ﴿هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ﴾، فنظروا فيه لِمَا كان قال لهم أبوهم: ﴿فَتَحَسَّسُوا مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ فعرفوه.

* * *

(٩٠) ـ ﴿قَالُوٓا۟ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِى قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

﴿قَالُوٓا۟ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِى﴾ بنيامين، لا عبدي، تظنُّونني قد[1] اتخذْتُه عبدًا، وليس كذلك، بل هو أخي وعزيزي.

﴿قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ﴾: قيل: أي: جمعَ ما فرَّقْتُم، ووصلَ[2] ما قطعْتُم.

وقيل: أي: مَنَّ اللهُ عليَّ بإنجائي من البئرِ، والعصمةِ مِن الهمِّ، والتَّخليصِ مِن السِّجن، وتمليكِ مصرَ، ذلك فضل الله[3].

---

(١) في (أ): «أني».

(٢) في (ف): «بجمع ما فرقتم وصلة».

(٣) «ذلك فضل الله» من (ف).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ﴾: فالتَّقوى: العملُ بالطَّاعات وتركُ السَّيئات، والصَّبرُ: تحمُّلُ المكروهات. وكان ذلك كلُّه ليوسف.

وقال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: مَن يتَّقِ الزِّنى، ويصبرْ على العزوبة[١].

وتقديرُه: فهو محسنٌ ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾.

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: قالوا في خطابِه قبلَ أن يعرفوه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ﴾، فلمَّا عرفوه قالوا: ﴿أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ﴾؛ لأنَّ الأجنبيَّة إذا ارتفعَتْ سقطَ تكلُّفُ المخاطبة.

وأنشدوا فيه:

إذا صفَتِ المودَّةُ بينَ قومٍ ... ودامَ ولاؤُهم سَمِجَ الثَّناءُ[٢]

وقال الشَّيخ أبو عليٍّ الدَّقاق: لَمَّا قال يوسف: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾، وأحالَ استحقاقَ الأجر على عملٍ من التَّقوى والصَّبر، أنطقَهم اللهُ تعالى حتَّى أجابوه بلسان التَّوحيد فقالوا: ﴿تَٱللَّهِ لَقَدۡ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا﴾؛ يعني: أنَّ هذا ليس بتقواكَ وصبرِكَ، إنَّما بإيثار الله إيَّاكَ علينا، فبهِ تقدَّمْتَ علينا لا بجهدِكَ، فقال يوسف صلوات الله عليه على جهة الانقياد للحقِّ: ﴿لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَ﴾، فأسقط عنهم اللَّوم؛ لأنَّه كما لم يرَ تقواه وصبرَه من نفسِه حيث نبَّهوه عليه، لم يرَ جفاءَهم منهم[٣]، فنطقَ عن عين التَّوحيد، وأخبر عن شهود التَّقدير[٤].

* * *

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢١٩٤) عن إبراهيم.

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٢/ ٢٠٣).

(٣) «منهم» ليس في (أ) وفي (ف): «منه».

(٤) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٢/ ٢٠٤).

(٩١) ـ ﴿ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا ﴾: أي: اختارَكَ وقدَّمَكَ علينا ﴿وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴾؛ أي: ما كنَّا إلَّا خاطئين؛ أي: مذنبين بما صنعْنَا في حقِّك.

يُقالُ(١): خطِئَ يَخطأُ خَطَأً، من حدِّ علم؛ أي: تعمَّدَ ما يخالفُ الصَّواب، وأخطأَ يخطِئُ إخْطاءً: إذا تعمَّدَ شيئًا فأصاب غيره.

وفيه سؤالُ الصَّفحِ والعفو عنه.

***

(٩٢) ـ ﴿ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ﴾: قال ابن عبَّاس رضي الله عنهما وسفيان: لا تعييرَ عليكم(٢).

وقال الأخفشُ: لا ملامةَ عليكم.

وقال أبو عَمرو بن العلاء: لا تقريعَ عليكم.

وقال الكسائيُّ: لا تقريرَ عليكم اليوم؛ أي: لا أقرِّركم بذنبكم.

وقال السُّديُّ: لا أذكر لكم ذنبَكم(٣).

---

(١) «يقال» ليس في (أ) و(ف).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٣٣٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢١٩٥) عن سفيان. وذكر نحوه الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (٦/ ٢٨٤)، والواحدي في «البسيط» (١٢/ ٢٣٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٣٣١).

وقيل: لا إفساد عليكم(١).

وقال ابن كيسان: لا أعيدُ عليكم ما فعلتم.

وقال النَّضر بن شُمَيل: لا تخليطَ عليكم(٢).

وقيل: لا توبيخَ عليكم.

وقوله: ﴿ٱلْيَوْمَ﴾: ليس هذا للقصرِ عليه، لكن إذا لم يوبِّخهم في أوَّل الصَّدمة فما بعدَ ذلك أولى ألَّا يوبِّخهم فيه.

وقوله تعالى: ﴿يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾: هذا منه دعاء لهم بالمغفرة، عفا بنفسه، وطلب لهم عفوَ ربِّه، وهو كمال المروءةِ والدِّيانة؛ قال تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ﴾ [الشورى: ٤٠]؛ أي: ﴿عَفَا﴾ عن حقِّ نفسِه، ﴿وَأَصْلَحَ﴾: سألَ اللهَ العفوَ عن ظالمِه.

وقيل: إنَّه قطعٌ منه بأنَّ اللهَ غفرَ لهم بصدقِ توبتِهم، وهو إنْ كانَ حُكمًا فهو عن وحيٍ إليه به.

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾: إذْ كلُّ راحمٍ يَرحمُ برحمته.

* * *

(٩٣) ـ ﴿ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِى هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِى هَٰذَا﴾: أمرَ إخوتَه أنْ يرجعوا إلى أبيهم ليحملوه إليه مع أهاليهم، وأصحبَهم قميصَه، وهو الَّذي جاء به جبريل عليه السلام

---

(١) قاله الزجاج في «معاني القرآن» (٣/ ١٢٨).

(٢) لم أقف على هذه الأقوال منسوبة لأصحابها. وقال أبو عبيدة في «مجاز القرآن» (١/ ٣١٨): «﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ﴾؛ أي: لا تخليط ولا شغب ولا إفساد ولا معاقبة».

إلى إبراهيم يومَ أُلقي في نار نمرود وألبسَه، ثمَّ كان بعدَه لإسحاق، ثم كساه إسحاقُ يعقوبَ في قصبةٍ فعلَّقها في عُنُقِ يوسف، فلمَّا أُلقي في الجبِّ جاءَ جبريلُ عليه السلام وأخرجَه منها فألبسه، فكان معه إلى أن قال: ﴿ٱذۡهَبُواْ بِقَمِيصِي هَٰذَا﴾.

﴿فَأَلۡقُوهُ عَلَىٰ وَجۡهِ أَبِي﴾: وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: قيل: عَلِمَ يوسفُ أنَّ يعقوبَ لِمَا يلحقُه مِن فرط السُّرور لا تطاوعُه يدُهُ في أخذ القميص، فقال: ألقوه على وجه أبي[1].

﴿يَأۡتِ بَصِيرٗا﴾: قيل: يَعُدْ بصيرًا، وقيل: يأتني بصيرًا.

وقوله تعالى: ﴿وَأۡتُونِي بِأَهۡلِكُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾: مِن النِّساء والأولاد.

وإنَّما دعا يعقوبَ وإخوتَه وأهاليهم إلى نفسِه، ولم يأتِ أباه، لا إخلالًا بإجلاله، بل إبقاءً على حالِه؛ لأنَّه علمَ أنَّ يعقوبَ لا يقومُ بكفاية أمر يوسف، وتقصرُ ذاتُ يده عنه، فحملهم تخفيفًا عليهم وإحسانًا إليهم.

وإنَّما قال: ﴿يَأۡتِ بَصِيرٗا﴾ بالوحي، وكان كذلك، وكان معجزةً له.

وقال وهبٌ: ثمَّ كسا يوسفُ إخوتَه وأجازهم وحملهم، وبعثَ إلى أبيه بجائزةٍ وكسوةٍ، ومئتي راحلة وجهازها، وجهاز أهليهم، لنقلهم إليه، وقال لإخوته: ﴿ٱذۡهَبُواْ بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلۡقُوهُ عَلَىٰ وَجۡهِ أَبِي يَأۡتِ بَصِيرٗا وَأۡتُونِي بِأَهۡلِكُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾، وكانوا سبعين إنسانًا، وعجَّلَ سراحَهم وحملَهم.

وخرج يهوذا مبشِّرًا مسرِعًا بالقميص حافيًا راجلًا شاكرًا لله تعالى بالمشي والحفي، والرِّحلة ما بين مصر والشَّام وبينهما مسيرةُ ثمانية أيام، ومع يهوذا القميصُ

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٢/ ٢٠٥).

وسبعةُ أرغفة تزوَّدها، فلم يأكلْها حتَّى وردَ على أبيه، ولَمَّا فصلَ من مصرَ استروحَ يعقوبُ ريحَ القميص، وذلك قوله تعالى:

***

(٩٤) ـ ﴿ وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴾.

﴿ وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ ﴾: أي: خرجَتْ مِن مصرَ، ومصدرُه: الفُصول، والفِصالُ: الفِطامُ، والفَصلُ: التَّمييزُ، والفَصلُ: الحكمُ، وصَرْفُ كلِّه من بابِ (ضرب).

وقوله تعالى: ﴿قَالَ أَبُوهُمْ ﴾: أي: يعقوب: ﴿إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ﴾ قال الحسنُ: وجدَها من مسيرةِ شهرٍ(١).

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: من ثماني ليالٍ(٢).

وقوله تعالى: ﴿لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ﴾: التَّفنيدُ: تضعيف الرَّأي، والفَنَدُ: ضعفُ الرَّأي؛ قال الشَّاعر:

يا صاحِبيَّ دعا لَوْمِي وتَفْنِيْدِي فليسَ ما فاتَ مِن أمري بِمَرْدُوْدِ(٣)

وقال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: لو لا أن تسفِّهون(٤).

وقال الحسن ومجاهد: تهرِّمون.

وقال ابن إسحاق: تضعِّفون.

---

(١) رواه ابن المنذر كما في «الدر المنثور» للسيوطي (٤/ ٥٨١).

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٣٤٣)، والطبري في «تفسيره» (١٣/ ٣٣٣).

(٣) البيت لهانئ بن شكيم العدوي، كما في «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١/ ٣١٨).

(٤) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٣٤٣)، والطبري في «تفسيره» (١٣/ ٣٣٦).

وقال الضَّحاك: تكذِّبون[١].

وقيل: تنسبوني إلى الخرف، وقد أفنده الشَّيبُ؛ أي: جعلَه كثيرَ الكلام من الخرَفِ.

قال يعقوبُ عليه السلام هذا الكلامَ لمن حضرَه مِن أهلِه وقرابتِه دونَ ولدِه؛ لأنَّهم كانوا غُيَّبًا عنه بمصر، تفرَّس فيهم أنَّهم يلومونَه فقال ذلك، وهو مختصر، وتقديرُه: إني لأجد ريحًا يشبهُ ريحَ يوسف، وأريدُ أنْ أقولَ: هي ريحُ يوسف، لولا كراهيَةُ أنْ تفنِّدون.

وهو كمَن وجدَ شيئًا يَبعُدُ في العرفِ وجودُه، فيقولُ: إنِّي وجدْتُ شيئًا أريدُ أنْ أخبرَكُم به لولا أنَّكم تكذِّبوني.

قال الإمام القشيريُّ رحمه الله: العجبُ أنَّه كان عندَ إقبالِ المحنةِ ويوسفُ منه على أقلَّ مِن مرحلةٍ حيثُ ألقَوه في الجبِّ لا يجدُ ريحَهُ، واستتر عليه حالُه وخبرُه، ولَمَّا أدبرَتْ أيَّامُ المحنة وجدَ ريحَه وبينهما مسيرةُ شهرٍ، أو مسيرةُ ثمانين فرسخًا.

وقيل: انفردَ يعقوبُ بريح يوسف ووجدانها؛ لانفرادِه بمقاساةِ المِحَنِ على فقدِ يوسف، وإنَّما يجدُ ريحَ يوسف مَن وَجَدَ على فراقَ[٢] يوسف، ويُقال: لا يعرفُ ريحَ الأحبابِ إلَّا الأحباب[٣].

* * *

(٩٥) ـ ﴿قَالُواْ تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ﴾.

---

(١) روى هذه الأقوال الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٣٣٩ ـ ٣٤١).

(٢) في (ف): «فوات».

(٣) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٢/ ٢٠٦).

وقوله تعالى: ﴿قَالُواْ تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ﴾: أي: قالَ مَن حضرَه: ﴿إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ﴾؛ أي: في خطئِكَ القديم، قاله ابن عبَّاس(١) رضي الله عنهما، وهو يرجعُ إلى قولِ بنيه في الابتداء: ﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [يوسف: ٨].

وقال مجاهدٌ: ﴿إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ﴾؛ أي: حبِّكَ القديم(٢). وكذلك الأوَّل، وعلى هذا قولُ الله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ﴾ [الضحى: ٧]؛ أي: محبًّا فهداك إلى شرائطه وطرائقه.

وقال الحسنُ: إنك لذاهب عن الصَّواب في أمرِه، ترجو لقاءَه وقد مات من زمن طويل(٣)!

وفي «كتاب عصمة الأنبياء»: ليس هذا من حفَدتِه قصدَ إيذائه، وإنَّما هو التَّسليةُ لهمِّه، لم يُحسنوا نظمَ الكلامِ على ما كان يجبُ مقابلتُه به.

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: إنَّ البلاء إذا هجمَ هجمَ بمَرَّة، وإذا زالَ زالَ بتدريجٍ، حلَّ البلاءُ بيعقوبَ بمرَّة حيثُ قالوا: أكلَه الذِّئب، ولَمَّا زالَ البلاءُ وجدَ ريحَ يوسف أوَّلًا، ثمَّ قميصَ يوسف، ثمَّ يومَ الوصول رأى سبعين حاجبًا بينَ يدَي يوسف قبلَ أن رأى يوسف.

ولَمَّا كان سببُ حزنِ يعقوبَ قميصَه كان فرحُه أيضًا بقميصِه.

---

(١) في جميع النسخ: قال ابن عباس، والصواب المثبت، فقد روى الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٣٤٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢١٩٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما: قوله: ﴿إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ﴾ يقول: «خطئك القديم». وكذا ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٧٨)

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٣٤٣) عن ابن جريج. وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٤/ ٥٨٣) إلى الطبري عن مجاهد.

(٣) ذكره الواحدي في «البسيط» (١٢/ ٢٤٥).

قال: وقيل: إنَّ وجودَ الرِّيح مجازٌ عن وجود دلائل الوصال وأمَارته، وهو كما يُقال: إنِّي لأجدُ ريحَ الفتنةِ، وقد هبَّتْ لفلانٍ ريحٌ(١).

وقال الشَّاعرُ:

ولقــد تنسَّــمْتُ الرِّيــاحَ لحـاجـتـي ... فــإذا لهــا مِــنْ راحَتَيْـكَ نسـيـمُ(٢)

وكأنَّه علمَ بمكان يوسف بوحيٍ مِن الله بقصد حامل القميص.

وروي أنَّه لَمَّا أخرجَ قميصَه قال: مَنْ يحملُه؟ قال يهوذا: أنا أولى بحملِه؛ لأنِّي حملْتُ إليه قميصَه الملطَّخَ بالدَّم، وأخبرتُه بأنَّ الذِّئبَ أكلَه، فكنْتُ سببَ حزنِهِ، فأحمل إليه هذا القميصَ فأكونُ سببَ سرورِهِ.

وقيل: إنَّ يعقوبَ كان يتعرَّفُ خبرَ يوسف من الرِّياح كثيرًا، حتَّى جاءَ الإذنُ للرِّياح بحملِ ريحِهِ إليه، وسُنَّةُ الأحبابِ مسائلةُ الدِّيار ومخاطبةُ الأطلال ومراسلةُ الرِّياح. قالَ قائلُهم:

وإنِّــي لأسـتَهْدِي الرِّيــاحَ نسـيمَكُمْ ... إذا أقبـلَــتْ مِــنْ نحوِكُــم بهبــوبِ

وأســألُها حمــلَ السَّــلام إلــيكمُ ... فإنْ هــيَ يومًــا بلَّغَــتْ فأجيبــوا(٣)

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٢/ ٢٠٥ _ ٢٠٦).

(٢) البيت لأبي العتاهية. انظر: «ديوانه» (ص: ٣٢٢)، و«زهر الآداب» للقيرواني (٢/ ٣٨١)، و«الحماسة البصرية» (١/ ١٧٢)، و«نهاية الأرب» للنويري (٤/ ٣٢٥).

(٣) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٢٠٦ _ ٢٠٧). ونسب لمحمد بن رزق القرطبي في «جذوة المقتبس» لابن أبي نصر (ص: ٥٦)، و«المحمدون من الشعراء» للقفطي (ص: ٣٥٢)، بيتان قريبان من هذين البيتين، وهما:

وإني لأستهدي الرياحَ سلامَكُم ... إذا مــا نـسيــمٌ من بلادِكُم هَبَّا

وأســألُها حَمْلَ السلامِ إليكم ... لتعلَـمَ أنـي لا أزالُ بكـم صَبَّـا

وقالوا: مِن العجبِ أنَّ يعقوبَ وجدَ ريحَ يوسفَ، والَّذين حضروه لم يجدوا، وأعجبُ منه أن يهوذا الَّذي كان يحملُه وهو في رحلِه كان لا يجدُ ريحَه، وكذا المؤمنُ يومَ القيامةِ يجدُ ريحَ الجنَّة من مسيرة خمسِ مئة عامٍ، والكافرُ لا يجدُ ريحَها.

* * *

(٩٦) ـ ﴿فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا ۖ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا﴾: أي: جاءَ يهوذا بالقميصِ فألقاه على وجهِ أبيه يعقوب فرُدَّ بصيرًا؛ أي: صار بصيرًا كما كان.

﴿قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾: أي: قال للَّذين حضروه ممَّنْ كانوا يفنِّدونه، ويقولون: ﴿إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ﴾: ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ﴾، وهو ما مرَّ في قولِه: ﴿إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾، وهو علمُه بما يبتلي اللهُ به عبادَه الأنبياءَ مِنَ المحنِ الَّتي تنكشفُ عن حميدِ العاقبةِ.

قال كعب ووهبٌ: فألقى يهوذا القميصَ على وجهِ أبيه فعادَ بصيرًا للحال.

وقال يهوذا: البشارةَ يا أبتاه، إنَّ الملكَ العزيزَ الَّذي ملَكَ مصرَ وأهلَها هو ابنُك يوسفُ، وقد بعثَ إليكَ جهازًا ومئتي راحلة، ويسألُكَ أن تخرجَ أنتَ ومَن معك إليه، وهو قوله تعالى: ﴿وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

فتهيَّأَ يعقوبُ للخروجِ، وخرجَ معه اثنان وسبعون من آلِه[1]، فبلغَ يوسفَ انزعاجُه وقربُه مِن مصرَ، فتلقَّاه في مواكبه، وتلقَّاه فرعونُ في جنودِه، ووصلَ يعقوبَ بصلاتٍ فاخرةٍ وجوائزَ سَنيَّةٍ.

---

(١) في (أ): «اثنان وسبعون من ذكر»، وفي (ر): «اثنان وتسعون من ذلك»، وفي (ف): «اثنان وتسعون من آله». والصواب المثبت: انظر: «الكشاف» (٢/ ٥٠٥).

(٩٧) - ﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ﴾: قال إخوةُ يوسف لأبيهم: اشفعْ لنا إلى يوسفَ ليعفوَ عنَّا، وقيل: استغفرِ اللهَ لنا ذنوبَنا.

﴿إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ﴾: مذنبين مسيئين إليك وإلى يوسف، وعاصين للهِ بذلك.

* * *

(٩٨) - ﴿قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾: قيل: أخَّرَ يعقوبُ ذلك إلى أن ينظرَ ما يقضي اللهُ في أمرِهم، وماذا يقولُ يوسفُ، والحقُّ لم يكن ليعقوبَ خاصَّة، فأخَّر إلى أن يترضَّاه، ثمَّ يستغفر لهم.

وقيل: أخَّرَ ذلك إلى أن يقومَ للصَّلاة، فيستغفرَ فيها أو بعدها.

وقيل: إلى وقت السَّحرِ.

وقيل: إلى ليلة الجمعة.

وقال وهبٌ: كان يستغفرُ لهم كلَّ ليلةِ جمعة في نيفٍ وعشرين سنة.

وفي بعض القصص: أنَّ يعقوبَ وأولادَه وأهاليَهم توجَّهوا إلى مصر على رواحلهم، فلمَّا قربوا من مصر، وأُخبرَ بذلك يوسف، تلقَّاه ومعه ثلاثُ مئة ألفِ فارس، كلُّ واحدٍ منهم معه حربةٌ مِن فضَّةٍ ورايةٌ مِن ذهبٍ، الأفراسُ مراكبُه، والفرسانُ غِلمانُه، فتزيَّنَتِ الصَّحراءُ بهم واصطفُّوا صفوفًا.

ولَمَّا صعدَ يعقوبُ تلًّا ومعه أولادُه وحفدتُه، ونظرَ إلى الصَّحراء مملوءةً من الفرسان مزيَّنةً بالألوان، نظر إليهم متعجِّبًا، فقال له جبريلُ: انظرْ إلى الهواء، فإنَّ الملائكةَ قد حضرَتْ سرورًا لحالك، كما كانوا باكين محزونين مدَّةً لأجلِكَ.

ثم نظرَ يعقوبُ إلى الفرسان فقال: أَيُّهم ولدي يوسف؟ فقال له جبريل: هو ذلكَ الَّذي فوقَ رأسِه ظُلَّةٌ. فلم يتمالَكْ أنْ أوقعَ نفسَه من البعير.

فقال جبريلُ: يا يوسفُ، إنَّ أباك يعقوب قد نزل إليك[1] فانزلْ له، فنزلَ عن فرسِه، وجعلَ كلٌّ واحدٍ منهما يعدو إلى الآخر حتَّى التَقَيَا، فاعتَنَقَا، وبَكَيَا سرورًا، وماج الفرسانُ بعضُهم في بعضٍ، وصهلَتِ الخيولُ، وسبَّحَتِ الملائكةُ، وضُرِبَ بالطُّبول والبوقات، فصارَ كأنَّه يوم القيامة.

وفي «كتاب عصمة الأنبياء»: وما رُوي أنَّه لم ينزل من السَّرير لأبويه أو عن الدَّابة كلامٌ لا معنى له؛ لأنَّه قد تلقَّاهم، بدليل قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ﴾، ولذلك نزل عن الدَّابة على ما حكينا[2].

وما رُوي أنَّ جبريل قال ليوسف: إنَّك لم تنزلْ[3] لأبيك، فقُطِعَ نسلُ النُّبوَّة منك = فإنَّه كلامٌ باطلٌ لا يجوز أنْ يُذكَرَ ويُعْتَقَدَ؛ فإنَّ الأنبياءَ لم يكن مِن صفتِهم التَّعظُّم على أحدٍ، فضلًا على الأبِ.

وعلى أنَّ الأنبياءَ مِن بعدِه كانوا مِن نسلِه، كموسى وداود وسليمان.

ثمَّ لَمَّا انتهوا إلى السَّرير رفعَ أبوَيْهِ مُكرمًا لهما، آخذًا بأيديهما، مُعليًا لهما على السَّرير، ثمَّ إنه جلسَ هو معهما، وهو على الجلوس كما يجلسُ[4] الولد بينَ يدَي والدِه، ولا يُعدُّ ذلك تركًا للحُرْمةِ، خصوصًا إذا كان ولدُه نبيًّا مرسلًا.

---

(١) في (ف): «لك».

(٢) في (أ): «بينا».

(٣) في (ف) و(أ): «تحترم».

(٤) في (أ): «ثمَّ إن جلسَ هو معهما فهو على الجلوس كما يجلسُ»، وفي (ف): «ثم إنه جلس هو معهما وهو كما يجلس».

فإنْ قالوا: هلَّا سارَ[1] إلى أبوَيْه لقضاءِ حقوقِهما، وما يحملُ أبوه مِن الهمِّ والحزنِ في أمرِه، حتَّى استدعاهم إلى حضرتِه.

قلنا: إنَّه لم يفعلْ ذلك مِن غيرِ وحيٍ.

والثَّاني: إنَّه أرادَ أنْ يأتوه جميعًا، فيعرفَ أهلُ مصرَ وجاهَتَه وأبوَيْه ومنزلَتَه، ويعلموا أنَّه لم يصرْ ملكًا مِن غير أصلٍ، بل له أصلٌ صميمٌ[2]، وليُعَايِنَ أهلُه نعمةَ اللهِ تعالى عليه بعدَ انقضاءِ المحنةِ مِن إعطاءِ المُلْكِ، ولو كانَ تركَ المُلْكَ وسارَ[3] إليهم لم يقعْ موقعَ الإعظامِ في الإخبار؛ إذْ ليسَ الخبرُ كالمعاينةِ.

* * *

(٩٩) ـ ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾: أي: يومَ عاشوراء ﴿ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ﴾؛ أي: ضمَّ إلى نفسِه أباه وخالتَه راحيلَ[4]؛ لأنَّ أمَّه كانَتْ ماتَتْ، وتزوَّجَها يعقوب، والخالةُ أمٌّ.

والأبوان: اسمٌ للأبِ والأمِّ، تغليبًا للذَّكر على الأنثى، قاله السُّديُّ[5].

وقال الحسنُ ومحمَّدُ بنُ إسحاقَ: كانَتْ أمُّه في الأحياء[6].

---

(١) في (ف): «صار».

(٢) في (ر): «بل له منهم»، وهي ليست في (ف).

(٣) في (ف) و(أ): «وصار».

(٤) ذكر المصنف أول السورة أنَّ اسم أم يوسف: راحيل، وأن اسم خالته: لايا.

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٣٥٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٢٠١).

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٣٥٢) عن ابن إسحاق، وذكره الماوردي في «تفسيره» (٣/ ٨٢) =

وقد آواهما جميعًا؛ أي: ضمَّهما إلى نفسِه وأنزلَهما عندَه ومعه في موضعٍ أعدَّه لنزولِ ساعة خارجَ المصر.

﴿وَقَالَ ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾: والاستثناءُ داخلٌ في الأمن لا في الدُّخول؛ لأنَّه أَمرَ بالدُّخول، ووَعدَ بالأمنِ، والاستثناءُ يدخلُ في الوعدِ لا في الأمرِ.

وكذا كانت مواعيدُ الأنبياءِ عليهم السلام، قال الله تعالى لنبيِّنا عليه الصلاة والسلام: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْيۡءٍ إِنِّي فَاعِلٞ ذَٰلِكَ غَدًا ۝٢٣ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الكهف: ٢٣ـ٢٤].

وإنَّما وعدَ الأمنَ لأنَّه كان بلدًا فيه كفَّار، وملكُهم الَّذي أقامَ يوسفَ مقامَ نفسِه كان كافرًا أيضًا، فوعدَ لهم الأمنَ معلَّقًا بالمشيئة رجاءً لذلك مِن فضلِ اللهِ.

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا دَخَلُواْ﴾: كان دخولُهم عليه مصرَ أربعَ مرَّات:

الأوَّل: ﴿فَدَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَعَرَفَهُمۡ﴾ [يوسف: ٥٨].

والثَّاني: ﴿وَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَخَاهُۖ﴾ [يوسف: ٦٩].

والثَّالث: ﴿فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيۡهِ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ﴾ [يوسف: ٨٨].

والرَّابع: ﴿فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَبَوَيۡهِ﴾.

﴿وَقَالَ ٱدۡخُلُواْ﴾؛ أي: قالَ لأبوَيه ولمن معهما.

قال الإمام القشيريُّ رحمه الله: اشتركَ القومُ في الدُّخول، ولكن تباينوا في الإيواء، فانفرد الأبوان به لبُعدِهما عن الجفاء، كذا غدًا إذا وصلوا إلى الغفران يشتركون فيه وفي دخول الجنَّة، ولكنَّهم يتباينون في بساط القُربة، فيختصُّ به أهل الصَّفاءِ دونَ مَن اتَّصفَ اليومَ بالجفاء(١).

= عن الحسن وابن إسحاق.

(١) في (ف) و(أ): «بالالتواء». انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٢/ ٢٠٨).

(١٠٠) - ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ ﴾: أي: لَمَّا دخلوا مصرَ ودخلوا دارَه رفعَ والدَه وخالَته راحيل إلى سرير الملك.

﴿وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا﴾: وقال وهبٌ: انحنوا له كما تفعلُ الأعاجم، ولم يضعوا جباهَهم، وإنَّما تُوضَعُ الجباهُ بالسُّجود لله، وهذا كان تحيَّةً منهم له، وكذلك فعلَتِ الملائكةُ حينَ أُمِروا بالسُّجودِ لآدمَ، ولم تزلْ تحيَّةَ النَّاس السُّجود حتَّى جاءَ اللهُ بالإسلامِ، فذهبَ بالسُّجود وجاء بالمصافحة.

وأكثرهُم على أنَّه وضعُ الجبهةِ على الأرضِ، وهو المتعارفُ المتفاهمُ عندَ إطلاقِه.

وقال ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: سجدوا للهِ شكرًا له على ما أنعمَ عليهم بالاجتماع(١).

والأظهرُ والأشهرُ أنَّه كان ليوسفَ؛ لأنَّ الرُّؤيا كانت على ذلك؛ قال: ﴿رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ [يوسف: ٤]، وكان ذلك تحيَّةَ الملوكِ، إلى أنْ نُسِخَ في زمنِ نبيِّنا عليه الصلاة والسلام.

وفي الآيةِ دليلٌ على أنَّه لا بأسَ بإمساك السَّرير والجلوس عليه إذا لم يكن للتَّعظُّم والمباهاة، وإنَّما كان للانتفاع والارتفاع(٢) والارتفاق، ولإمساكِ النَّاس على

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٢٥٩).

(٢) «والارتفاع» من (أ).

حدود الآداب إذا نظروا إليه بعينِ المكانةِ والمنزلةِ والجاه، فيسهل على الوجيه تنفيذُ أسبابِ المعاملة.

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ﴾: قال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: أي: عبارةُ رؤياي.

وقال عكرمةُ: تفسير رؤياي.

وقال مقاتل بن حيَّان: تحقيق رؤياي(١).

وقال طاوس: تصديق رؤياي.

أي: الَّتي قصصْتُها عليك.

﴿قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗا﴾: بأنْ أَسْجَدَكُم لي(٢) في اليقظةِ كما رأيتُه(٣) في المنام.

ومنهم مَن قالَ: سجدَ له إخوتُه دون أبوَيْه، وهذا لا يستقيم؛ لأنَّ الرُّؤيا كانت على سجود الكلِّ؛ قال تعالى خبرًا عن يوسف: ﴿وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ رَأَيۡتُهُمۡ لِي سَٰجِدِينَ﴾ [يوسف: ٤] فعلى ذلك تأويلُها.

وقوله تعالى: ﴿وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ﴾: وقال كثيرٌ:

أَسِيْئِي بنا أو أَحْسِني لا مَلُومةً ... لَدَيْنا ولا مَقْلِيَّةً إنْ تَقَلَّتِ(٤)

وحروفُ الأدواتِ تتناوَبُ.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٢٤٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤٩٤) عن ابن زيد.

(٢) «لي» ليس في (ف).

(٣) في (أ): «أرانيه».

(٤) انظر «ديوانه» (ص: ٨٠)، و«معاني القرآن» للفراء (١/ ٤٤١)، و«الشعر والشعراء» (١/ ٥٠٦).

وقيل: هو على حقيقته؛ أي: أحسنَ إلى أهل الزَّمان بي، حيثُ ملَّكني، ونفعَ النَّاسَ بحسْنِ تدبيري.

وقوله: ﴿إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ﴾: فقالَ يعقوبُ: أَوَ كُنْتَ في السِّجن؟ قالَ: لا أشكو السِّجنَ، ولكنِّي أشكرُ الخلاصَ مِنَ السِّجنِ.

وقالوا: لم يذكرِ الخلاصَ مِن البئرِ؛ قيل: لأنَّ مدَّة ذلك كانت قصيرةً، ومدَّة تلك كانت طويلةً، ولأنَّ البئرَ كان بفعلِ إخوتِه فلم يرضَ بذِكْرِ ذلك بحضرتِهم لئلَّا يخجلوا، وكان السِّجنُ مِن أهل مصر فلم يبالِ بذكْرِ فعلِهم.

وقيل: كان إيقاعُهم إيَّاه في البئر لحسدٍ منهم[1]، فلم يخَفْ أنْ يكونَ عقوبةً له، والسِّجنُ كان بعدَ قولِه: ﴿ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ﴾ [يوسف: ٣٣]، فخافَ أنْ يكونَ معاقبةً له أو معاتبةً، فعدَّ الخلاصَ منه غنيمةً عظيمةً.

قوله تعالى ﴿وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ﴾: أي: من الباديةِ الَّتي يبدو فيها مَن كان دخلَها.

وإنَّما قال: ﴿وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ﴾؛ لأنَّهم كانوا بادينَ بأرضِ كنعان، وهي باديةُ بلادِ فلسطين.

وقيل: قال ذلك لأنَّهم كانوا أهلَ مواشٍ.

وقوله تعالى: ﴿مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓۚ﴾: قال ابنُ عبَّاس رضي الله عنهما: ألقى الحسدَ في قلوبِ أخوتِه[2].

وقال مقاتل بن حيَّان: أغرى الشَّيطانُ[3].

---

(١) في (ف): «الحسد منهم فلم يذكره وذكره للسجن».

(٢) ذكره الماوردي في «تفسيره» (٣/ ٨٤)، والواحدي في «البسيط» (١٢/ ٢٥٣).

(٣) لم أقف عليه عن مقاتل. وقال أبو عبيدة في «غريب القرآن» (١/ ٣١٩): نزغ: أفسد وحمل بعضنا على بعض.

وقال عطاء: حرَّشَ الشَّيطانُ[١]. والتَّحريشُ[٢]: التَّهييجُ.

وقال عكرمةُ: أفسدَ[٣].

وهو حقيقةٌ لغةً، أضافَ إليه تمهيدًا لعذْرِ الأخوة.

وأصلُ الفسادِ يكون مِن وسوسةِ الشَّيطان[٤]، ثمَّ يقبلُه الإنسانُ؛ فيقعُ فيه، أو يمتنعُ منه بالاجتهاد والاستعاذة بالله فيسلَمُ منه.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ﴾: أي: لطَفَ اللهُ لي بهذه النِّعم، إنَّه لطيفٌ لِمَا يشاء؛ أي: يُوصِلُ إلى الشَّيءِ في سهولةٍ وحسنِ مَوقعٍ.

وقيل: أي: عالم بدقائقِ الأمورِ وحقائِقِها وسرِّها وعلنِها.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ﴾: بنا وبأحوالنا ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾: فيما أجرى بينَنا.

وقيل: أي: ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بسرائرِ عبادِهِ. وقيل: بمصالح عبادِه ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾: يضعُ كلَّ شيءٍ موضِعَهُ، ويفعلُه لوقتِهِ.

وقيل: أي: ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بما فعلوا ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ بما فُعِلَ بنا.

وفي بعضِ التَّفاسير المقبولةِ: أنَّ يوسفَ لَمَّا جمعَ اللهُ بينَه وبينَ أبويه وإخوته أخذَ بيدِ أبيه، وجعلَ يعرضُ عليه الخزائنَ، فعرضَ عليه بخزائن[٥] الذَّهب والفضَّة

---

(١) ذكره الماوردي في «تفسيره» (٣/ ٨٤) عن ابن قتيبة.

(٢) في النسخ: «والتحرش»، والصواب المثبت.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٦٤٦) عن قتادة في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ﴾ [الأعراف: ٢٠٠]

(٤) في (أ): «وسوسته» بدل من «وسوسة الشيطان».

(٥) في (ر) و(ف): «خزانة».

والحليِّ والحُلَل والأسلحة، حتَّى أدخلَه خزانة القراطيس، فرأى يعقوبُ فيها شيئًا كثيرًا، فقال: يا بُنيَّ، ما أعقَّكَ لأبيك، كان عندَكَ كلُّ هذا مِن القراطيس، وكنْتَ منِّي على ثمانية مراحلَ أربعين سنةً، فما الذي منعَكَ مِن مكاتبتي؟ قالَ: أمرني جبريلُ بهذا، قال: أفلا تسألُهُ؟ قال: يا أبتِ، أنتَ أشدُّ[1] انبساطًا إليه منِّي.

فجاءَه جبريلُ، فسألَه يعقوبُ: أأنْتَ نهيْتَ ابني عن مكاتبتي؟ قال: نعم. قال: وَلِمَ؟ قال: لأنَّ اللهَ أمرني بذلك. قال: أفلا تسألُهُ؟ قال: نعم.

فمضى، وسألَ اللهَ تعالى، فقال: قل لعبدي يعقوب: أنسيْتَ يومَ قلْتَ: ﴿إِنِّي لَيَحْزُنُنِيٓ أَن تَذْهَبُواْ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ﴾ [يوسف: ١٣]، فهلَّا خفْتَني يا يعقوبُ.

قال وهبٌ: فلبثَ يوسفُ معه إخوتُه مِن يوم وردوا عليه مصرَ إلى يوم مات أبوه أربعًا وعشرين سنة، في أغبط الغِبطة، وأسرِّ السُّرور، ولا يأتي عليه يومٌ وليلة إلَّا واللهُ تعالى يحدِثُ له فيه غِبطةً هي أفضلُ ممَّا قبلَها، ورجاءً هو أفضلُ ممَّا قبلَه، وعافيةً هي أوسعُ ممَّا قبلَها، قد جمعَ اللهُ إلفتَهم، وأقرَّ عيونَهم، ودحرَ الشَّيطانَ عنهم، فلبثوا بذلك، لا يُقدَرُ قَدْرُ إحسانِ الله إليهم ونعمتِه الَّتي أتمَّها عليهم.

فلمَّا حضرَ يعقوبَ الوفاةُ جمعَ ولدَه وولدَ ولدِه، فأوصاهم، وعهدَ إليهم، وقال: ﴿يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٢]، و: ﴿قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ﴾ الآية [البقرة: ١٣٣].

وقال: يا بَنيَّ، احفظوا عنِّي خصلتَيْن: ما انتصرْتُ مِن مَظلمةٍ[2] بقولٍ ولا فعلٍ، ولا رأيْتُ مِن أحدٍ حسنةً إلَّا أفشيتُها، ولا رأيْتُ مِن أحدٍ سيئةً إلَّا كتمتُها.

---

(١) في (ر): «أكثر».

(٢) في (أ): «ظالم».

وقال له بنوه: يا أبانا، إنَّا نخافُ أنْ يحقِدَ علينا يوسفُ بما صنَعْنا به بعدَكَ، فاستوهِبْ لنا ذلكَ منه، وأوصِهِ بنا.

قال يعقوبُ: يوسفُ يا بنيَّ، هبْ لي فعلةَ إخوتِكَ بك، ولا تحقدها عليهم، فقال يوسفُ: يا أبتاه، قد عفوْتُ عنهم، ووهبتُهم لك.

وأوصى يعقوبُ يوسفَ إذا هو ماتَ أن يحملَ جسدَه حتَّى يُقبَرَ معَ أبوَيْهِ إبراهيمَ وإسحاقَ في الأرض المقدَّسة، فحملَه يوسفُ على عجلةٍ، وفعلَ الَّذي أمرَهُ به، ورجعَ إلى مصرَ.

قال وهبٌ: ويُقال: إنَّه ماتَ هو وأخوه عيص في يومٍ واحدٍ، وقُبِرا في موضعٍ واحدٍ، وكان عُمرُهما مئة سنةٍ وأربعًا[1] وأربعين سنة.

* * *

(١٠١) ـ ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

فلمَّا جمعَ اللهُ سبحانَه ليوسفَ شملَه، وأقرَّ عينَه، وأتمَّ له أمورَ رُؤياه، تمنَّى الموتَ، ودعا ربَّه، وذلك قوله تعالى: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ﴾: الأظهرُ أنَّه مُلْكَ مِصرَ.

وقيل: هو مُلْكُ الجَمالِ[2].

وقيل: هو مُلْكُ النَّسَبِ، فهو الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم؛ يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم.

---

(١) «وأربعًا» ليس في (أ).

(٢) في (أ): «الكمال».

وقيل: هو مُلْكُ القلوبِ، فكانَ يحبُّه الحاضرُ بالنَّظر، والغائبُ بالخبر.

وقيل: هو مُلْكُ الاحترام، فقدْ نفرَتِ الهوامُّ كلُّها حينَ أُلْقِيَ في البئرِ احترامًا له.

وقيل: هو مُلْكُ القِيمةِ، حين بلغَتْ قيمتُه يومَ دخولِه مصرَ وعرضِه في السُّوق للشِّراء أضعافَ أضعافِ زِنَةِ نفسِه مِن كلِّ مالٍ خطيرٍ.

وقيل: هو مُلْكُ النَّفْسِ حين[1] استعصمَ فلم يُجِبْ امرأةَ العزيز.

وقيل: هو مُلْكُ الهمَّةِ حين[2] اختارَ السِّجنَ على العِصيانِ.

وقيل: هو مُلْكُ النُّبوَّةِ في ثماني عشرةَ سنةً مِن عمرِه.

وقيل: هو مُلْكُ الهَيْبةِ حتَّى هابَتْهُ زليخا وذلَّتْ له وانقادَتْ، مع أنَّها ظاهرُ حالِها أنَّها ملكة.

وقيل: هو مُلْكُ الإخوة، ملكَهُم وذلُّوا له، ثمَّ مَنَّ عليهم.

وقيل: هو مُلْكُ الجُودِ، فما كان في الدُّنيا أجودُ مِن يوسفَ[3] في سنةِ القَحْطِ.

وقيل: هو مُلْكُ الشَّفقةِ، قد كان يجوعُ[4] حتَّى لا ينسى الجائعَ.

وقيل: هو مُلْكُ العَدْلِ، فقدْ سوَّى بينَ أهلِ ولايتِه والغرباءِ كلِّهم في سنةِ الجَدْبِ.

وقيل: هو مُلْكُ القميص، أعادَ بِه بصرَ أبيه، وكانَ كلُّ جميع قصته في ثلاثةٍ من القُمُصِ: ﴿وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾ [يوسف: ١٨]، ﴿وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ﴾ [يوسف: ٢٧]، ﴿ٱذْهَبُواْ بِقَمِيصِى هَٰذَا﴾ [يوسف: ٩٣].

---

(١) في (أ): «حتى».

(٢) في (أ): «حتى».

(٣) في (أ): «منه».

(٤) في (أ): «يجوع أكلهم».

وقيل: هو مُلْكُ الوِصالِ، فقدْ وجدَ وِصالَ أبوَيْه وإخوَتِه وكلِّ قراباته بعد ثمانين سنة من غير أنْ نقصَ منهم واحدٌ.

وقيل: هو مُلْكُ العِبْرة، فقد قال: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [يوسف: ١١١].

وقيل: هو مُلْكُ السُّؤالِ، وهو سؤالُ الوفاةِ على الإسلامِ، ولم يكنْ مثلُه مِن غيره في مثلِ حالِه.

ثم قولُه: ﴿مِنَ ٱلْمُلْكِ﴾: (مِن) للتَّبعيض؛ لأنَّه لم يكن مَلَكَ كلَّ الدُّنيا.

وقوله تعالى: ﴿وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾؛ أي: تعبير الرُّؤيا، وقيل فيه أقاويلُ أُخَرُ قدَّمناها في أوَّل السُّورة.

وقوله تعالى: ﴿فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: أي: يا خالقَ السَّماوات والأرض مِن غير شيء، مُبتدئاً[1] خَلْقَهما.

وقوله تعالى: ﴿أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ﴾: أي: متولِّي أموري، وكافي مَعاشي ومَعادي.

والوليُّ في القرآن لعشرةِ معانٍ:

ـ للرَّبِّ؛ قال تعالى: ﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا ﴾ [الأنعام: ١٤].

ـ وللإلهِ؛ قال الله تعالى ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ ﴾ [العنكبوت: ٤١]؛ أي: آلهة.

ـ وللولدِ؛ قال تعالى: ﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا﴾ [مريم: ٥].

---

(١) في (أ): «مبتدئ»، وفي (ر) و(ف): «مبتدأ». والصواب المثبت.

ـ وللقريبِ؛ قال الله تعالى: ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ﴾ [البقرة: ١٠٧].

ـ وللصاحب[١] قال تعالى: ﴿وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ [الكهف: ١٧].

ـ وللقيِّم؛ قال تعالى: ﴿فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ بِٱلْعَدْلِ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

ـ ولمتولِّي المصالح؛ قال تعالى: ﴿أَنتَ وَلِيِّۦ﴾ [يوسف: ١٠١].

ـ وللمُوالي في الكفر؛ قال تعالى: ﴿لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ﴾ [المائدة: ٥١].

ـ وللمُوالي في الإسلام؛ قال تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٧١].

ـ وللنَّصيح؛ قال تعالى: ﴿لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ﴾ [النساء: ١٤٤].

وقال القشيريُّ رحمه الله: أنتَ الَّذي تتولَّاني[٢] في دنيايَ بعرفانِكَ، وفي عقبايَ[٣] بغفرانِكَ، فليس لي في الدَّارَيْنِ غيرُك[٤].

وقوله تعالى: ﴿تَوَفَّنِى مُسْلِمًا﴾: أي: أَمِتْني على الإسلام.

قيل: لَمَّا انتظمَتْ أسبابُه واطَّردَتْ أحوالُه اشتاقَ إلى ربِّه.

وقيل: لَمَّا رأى أمرَه على الكمال، علمَ أنَّه أشرفَ على الزَّوال، سأَلَ سعادةَ الانتقالِ، قال قائلُهم:

---

(١) «ومالكم من دون الله من ولي، وللصاحب» ليس في (ف).

(٢) في (أ): «مولاي»، وليست في (ر) و(ف).

(٣) في (أ): «تحصيلي».

(٤) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٢١٠)، ولفظه: الذي يتولّى في الدنيا والآخرة بعرفانه أنت فليس لي غيرك في الدارين.

إذا تـــمَّ أمــرٌ دنــا[١] نـقـصُـهُ تـــوقَّعْ زوالًا إذا قِيْــلَ تَـــمْ[٢]

وقيل: هذا سؤالُ التَّوفِّي على الإسلام للحالِ.

وقيل: هو سؤالُ الخَتْمِ على الإسلام مَتى كانَ.

وحكي عن الأستاذ أبي على الدَّقاق أنَّه قالَ: قال يوسف ليعقوب: علمْتَ أنَّا نلتقي في الآخرة بعدَ الموتِ، فلمَ بكيْتَ كلَّ ذلكَ البكاء؟ فقال: يا بُنيَّ، إنَّ هناك طريقَيْنِ خفْتُ أنْ تَسْلُكَ طريقًا وأسلُكَ طريقًا، فقالَ يوسفُ عند ذلكَ: ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا﴾[٣].

وقيل: لَمَّا جاءَ البشيرُ وبشَّرَ يعقوبَ بيوسفَ قال: على أيِّ دينٍ تركتَهُ؟ قال: على الإسلام، قال: الآن طابَ قلبي.

وقال الشيخ أبو الحسن محمد بن يحيى البشاغري في «كتاب عصمة الأنبياء»: إنَّ مَن كملَتْ له حالتُه، وصفَتْ له سريرتُه، لاحَتْ له معرفةُ إقرار الأشياء على هيئتها، وكُشِفَ له مِن النَّظر إلى عظمة الله وسلطانه، ثمَّ إلى نفسِه في جوهرِها وبِنْيَتِها[٤]، فلا يترك شرط[٥] العبودية في مقامِه وإنْ عظمَتْ نعمةُ الله عليه، بل يقومُ بوفاءِ الشُّكرِ للمنعِم، لا للإعجابِ بالنَّفس والأمرِ على حالِها.

والثَّاني: أنَّ يوسفَ دَعا به ليَقتديَ قومُه به، ومن بعده مَن ليس يأمنُ على ختمِه،

---

(١) في (أ): «بدا».

(٢) البيت نسب لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، كما في «الكشكول» للعاملي (٢/ ٨٩)، ولأبي العتاهية. كما في «الدر الفريد» للمستعصمي (٢/ ٣٩٥)، وذكر في كثير من المصادر بلا نسبة.

(٣) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٢/ ٢١١).

(٤) في (أ) و(ر): «ونيتها».

(٥) في (ف): «فلا يزل بشرط».

فلا يتركُ الدُّعاءَ امتثالًا به؛ لأنَّ ظواهرَ الأنبياءِ كانَتْ لنظرِ الأممِ إليهم؛ ليعلموا موضعَ الشُّكرِ مِن موضعِ الاستغفارِ.

والثَّالث: معنى الإسلام مِن مثلِه يحتمِلُ الاسترسال، فأحبَّ إدامةَ العصمةِ عليه باستعمال الخُلُق الحسنِ إلى آخر عمرِه حسَبَ ما جرى في مختلف الأحوال الَّتي جرَتْ عليه مِن المحنِ والنِّعمِ؛ إذِ الإسلامُ قد يكون عبارةً عن العقد فهو الدِّين، وعن[1] التَّسليم وهو صفوُ الحال.

وقوله تعالى: ﴿وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾: هذه الكلمة في القرآن لمعانٍ:

- منها المؤمنُ؛ قال الله تعالى: ﴿وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنۡ عِبَادِكُمۡ وَإِمَآئِكُمۡ﴾ [النور: ٣٢].

- ومنها العملُ المرضيُّ؛ قال تعالى: ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحٗا﴾ [البقرة: ٦٢].

- ومنها المطيعُ؛ قال تعالى: ﴿وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النمل: ١٩].

- ومنها التَّائبُ؛ قال تعالى: ﴿وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعۡدِهِۦ قَوۡمٗا صَٰلِحِينَ﴾ [يوسف: ٩].

- ومنها الأمين؛ قال تعالى: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحٗا﴾ [الكهف: ٨٢]؛ أي: يؤدِّي الأمانةَ.

- ومنها الولدُ السَّويُّ الأعضاء؛ قال تعالى: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحٗا﴾ [الأعراف: ١٩٠].

- ومنها الرَّفيقُ المنصف؛ قال تعالى: ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [القصص: ٢٧].

- ومنها الرَّفيعُ المنزلة؛ قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [البقرة: ١٣٠].

---

(١) في (أ): «العقد وهو الدين وهو».

ـ ومنها أنَّه اسم للأنبياء لكمالِ حالِهم واستجماعِ خِلال الخير فيهم؛ قال تعالى: ﴿وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُم مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٦].

قيل: وأرادَ به هنا: وألحِقْني بآبائي الأنبياءِ في الجنَّة؛ إبراهيم وإسحاق ويعقوب.

وقيل: أرادَ به: ألحِقْني في الدُّنيا بدرجاتِ الصَّالحين، المستكملِين للصَّلاح، المنزَّهين عن الفساد.

وفي ذلك سُنَّةٌ[(١)] لكلِّ مسلمٍ أن يدعوَ بهذا الدُّعاء، وهو الختمُ على الإسلامِ والإلحاقُ بالصَّالحين؛ لأنَّ معَ الصَّالحين الأمنَ والسُّكونَ والغِبطةَ والحُبور.

قال وهبٌ: فلمَّا حضرَتْ يوسفَ الوفاةُ أوصى إخوتَه بمثلِ ما أوصى به أبوه يعقوبُ[(٢)]؛ أنْ يحملوه إلى الأرض المقدَّسة فيدفنوه مع آبائِه، فحُمِلَ ودُفِنَ مع آبائِه.

وقال ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: ماتَ يوسفُ في أهلِ مصرَ ودُفِنَ بها، فلمَّا بَعَثَ اللهُ موسى بن عمران عليه السَّلام تولَّى إخراجَ شخصِه مِن مصرَ، فانطلقَ به حتَّى دفنَه عندَ قبرِ أبيهِ[(٣)].

---

(١) في (أ): «تنبيه».

(٢) «يعقوب» ليس في (ف).

(٣) في (أ): «قرائبه» بدل: «قبر أبيه». والخبر ذكره الماوردي في «تفسيره» (٣/ ٨٦)، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٣٠٣) إلى ابن عبد الحكم.

ورواه ابن حبان في «صحيحه» (٧٢٣)، والحاكم في «المستدرك» (٣٥٢٣) مرفوعًا من حديث أبي موسى رضي الله عنه، قال: أتى النبي ﷺ أعرابيًّا فأكرمه، فقال له: «ائتنا»، فأتاه، فقال له رسول الله ﷺ: «سل حاجتك»، قال: ناقة نركبها، وأعنز يحلبها أهلي، فقال رسول الله ﷺ: «أعجزتم أن تكونوا مثل عجوز بني إسرائيل»؟ قالوا: يا رسول الله، وما عجوز بني إسرائيل، قال: «إن موسى عليه السلام لما سار ببني إسرائيل من مصر، ضلوا الطريق، فقال: ما هذا؟، فقال علماؤهم: إن يوسف عليه السلام، لما حضره الموت أخذ علينا موثقاً من الله أن لا نخرج من مصر حتى ننقل عظامه معنا، =

قال وهبٌ: ودخلَ يعقوبُ وأولادُه مصرَ، وهم اثنان وسبعون إنسانًا ما بين رجل وامرأة، وخرجَ منهم الَّذين خرجوا مع موسى من مقاتلتِهم ستُّ مئة ألف وخمس مئة وبضعةٌ وسبعون رجلًا سوى الذرِّية، وكانت الذرِّية ألفَ ألفٍ ومئتي ألف سوى المقاتل.

وعاشَ يوسفُ بعد موتِ أبيه نيفًا[1] وعشرين سنة، ومات وهو ابن عشرين ومئة سنة، وكان أوَّلَ نبيٍّ من بني إسرائيل.

قال وهبٌ: ثم استخلفَ مِن بعدِه يهوذا، ثم روبيل، ثم لاوي، ثم شمعون، ثم بحر، ثم زبالون، ثم يشجر، ثم دان، ثم نفتالي، ثم حاذ، ثم أشير.

ووُلِدَ ليوسفَ ابنان: إفراييم بن يوسف، ومنشا بن يوسف، فولد لإفراييم[2] نون بن إفراييم، وولد لنون يوشع بن نون، وهو فتى موسى، وولد لمنشا بن يوسف: موسى بن منشا، وأهل التَّوراة يقولون: هو الَّذي طلب [العالِمَ ليتعلَّم منه حتى أدركه، والعالمُ هو الذي] خرقَ[3] السَّفينة، وقتل الغلام.

وقال ابن عبَّاس: هو موسى بن عمران بن فاهت بن لاوي بن يعقوب[4].

= قال: فمن يعلم موضع قبره؟، قال: عجوز من بني إسرائيل، فبعث إليها فأتته، فقال: دليني على قبر يوسف، قالت: حتى تعطيني حكمي، قال: وما حكمك؟، قالت: أكون معك في الجنة، فكره أن يعطيها ذلك، فأوحى الله إليه: أن أعطها حكمها، فانطلقت بهم إلى بحيرة موضع مستنقع ماء، فقالت: أنضبوا هذا الماء، فأنضبوه، فقالت: احتفِروا، فاحتفَروا، فاستخرجوا عظام يوسف، فلما أقلوها إلى الأرض، وإذا الطريق مثل ضوء النهار».

(١) في (أ): «ثلاثًا».

(٢) في (ف) و(أ): «لأفرايم».

(٣) في جميع النسخ: «هو الذي طلب الخضر وخرق»، والمثبت من «تفسير القرطبي» (١١/ ٤٦٥).

(٤) رواه البخاري في «صحيحه» (٣٤٠١)، ومسلم (٢٣٨٠)، عن سعيد بن جبير، قال: قلت لابن =

وكان بينَ دخولِ يوسفَ مصرَ إلى يوم خروجِ موسى أربعُ مئة عامٍ، وأوصى موسى أن يحملَ شخصه ويُدفن ببيت المقدس، وأوصى يوسفُ كذلك.

وقال وهبٌ: يُقال: إنَّ الله لم ينزل كتابًا إلَّا ذكر فيه قصَّة يوسف تامَّة كما هي في القرآن، لا تزيد ولا تنقص.

* * *

(١٠٢) ـ ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓا۟ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾: أي: هذا من الأخبار الَّتي يغيبُ علمُها عن العباد، فلا يقفُ عليها إلَّا مَن علَّمَه اللهُ تعالى، فنحنُ نعلِّمُكَ ونُوحِي[1] إليكَ.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ﴾: أي: لدى إخوة يوسف ﴿إِذْ أَجْمَعُوٓا۟ أَمْرَهُمْ﴾؛ أي: أحكموا الرَّأي والتَّدبير على طرحه في البئر ﴿وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾ بيوسف؛ أي: يحتالون على أن يفرِّقوا بينَه وبين أبيه يعقوب، ليخلوَ لهم وجهُ أبيهم، فتعلمَ قصَّتهم بمشاهدَتِكَ إيَّاهم وحضورِكَ أمرَهم، ولكنَّ اللهَ مَنَّ عليكَ بتعريف قصَّتهم، ولم يكن يفعلُ ذلك بك وهو يريد أن يخذلَكَ وينصرَ أعداءَك عليكَ، بل ينصُرُكَ ويُعلِي شأنَك كما فعلَ بيوسفَ وإخوتِه، فاسكُنْ إلى هذا، ولْيَهُنْ عليك إعراضُ قومِك عنك، فإنَّ[2] أكثرَهم لا يؤمنون.

= عباس: إن نوفًا البكالي يزعم: أن موسى صاحب الخضر ليس هو موسى بني إسرائيل، إنما هو موسى آخر، فقال: كذب عدو الله» وذكر حديث موسى عليه السلام والخضر.

(١) في (أ): «ونوحيه».

(٢) في (أ): «بل».

(١٠٣) ـ ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾.

وهو قولُه: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾: أي: لا يؤمنون وإن اشتدَّ حرصُكَ على إيمانهم؛ لأنَّ هذا مِن أفعالي لا يقدر عليه آخرُ غيري[١]، نظيرُه قوله: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عمران: ١٢٨].

والحرصُ: طلبُ أمرٍ باجتهادٍ في إصابَتِه.

وقيل: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ﴾ مِن أهل مكَّة.

وقال الإمام أبو منصور: هي فيهم وفي غيرهم أيضًا[٢].

* * *

(١٠٤) ـ ﴿وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾: يقولُ: لسْتَ تطمعُ في أموالهم، ولا ﴿تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ﴾؛ أي: على تبليغ القرآن ـ فقد سبق[٣] ذكرُه في قوله: ﴿نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾ ـ شيئاً فينسبونَك إلى الاستيكالِ فعلَ الطَّالِبين العلوَّ في الأرض والمالَ، ولا أنت أيضًا رسولٌ بهذا القرآن إليهم وحدَهم، بل القرآنُ ﴿ذِكْرٌ﴾؛ أي: القرآنُ تذكيرٌ[٤] وموعظةٌ لجميع العالمين إلى قيام السَّاعة، ويتضمَّنُ ما بهم الحاجةُ إلى معرفتِه مِن أمرِ دينِهم يتذكَّرون به ما ينسَونه.

وقيل: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾؛ أي: شرفٌ لِمَنِ اتَّبعه مِن العالمين.

---

(١) في (ر) و(ف): «لأن هذا من الله فلا يقدر عليه أحد غيره».

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٦/ ٢٩٤).

(٣) في (ر) و(ف): «تبين».

(٤) في (أ) و(ف): «تذكر».

(١٠٥) ـ ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾: أي: وكم مِن دلالةٍ على وحدانيَّة اللهِ تعالى في السَّماواتِ والأرضِ.

قال الضَّحاكُ: آياتُ السَّماواتِ: الشَّمس والقمر والنُّجوم[١]، وآياتُ الأرضِ: ديارُ الأممِ الهالكةِ وخرابُها؛ قال تعالى: ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِٱلَّيْلِ﴾ [الصافات: ١٣٨].

وقيل: آياتُ الأرضِ: الجبالُ والبحارُ والأنهارُ والأشجارُ.

ووجهُ الاعتبارِ بالآيات: التَّفكُّرُ فيما يقتضي مِن أنَّ مدبِّرًا دبَّرها قادرًا عليها عالمًا بها لا يشبِهُها.

وقوله تعالى: ﴿يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾؛ أي: غافلونَ لا يعتبرون بها، ولا يتفكَّرون فيها، ولا يتَّعظون بما قال الأوَّلون.

وقال القشيريُّ رحمه الله: الآياتُ ظاهرة، والبراهينُ باهرة، وكلُّ جزءٍ مِن المخلوقاتِ شاهدٌ على أنَّه إلهٌ واحدٌ، ولكنْ مَن غمضَ عينَه لم يستمتع بضوءِ نهارِه، وكذلِكَ مَنْ قصَّرَ في نظرِه واعتبارِه لم يحظَ بعرفانِه واستبصارِه[٢].

❊ ❊ ❊

(١٠٦) ـ ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٣٥١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦٢٤)، لكن في تفسير قوله تعالى: ﴿مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ [الأنعام: ٧٥].

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٢١٢).

وقولُه تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾: هذا تعديدٌ لقبائح أولئك المشركين، وتبعيدُ إيمانهم بالقرآن.

قال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: أراد أنَّهم حين سُئِلُوا: مَنْ خلقكُم؟ ومَن يُنزِّل من السَّماء ماء؟ ليقولنَّ الله، فهذا إيمانُهم، ثمَّ هم يعبدون الأوثان، ويقولون: ﴿هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٨]، و: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾ [الزمر: ٣]، فهذا شركُهم(١).

وقال مجاهدٌ: في التَّلبيةِ: يقولون: لبيكَ لا شريكَ لك، إلَّا شريكٌ هو لك، تملكُه وما ملكَ(٢).

وقال عطاءٌ: هذا في الدُّعاء، وذلك أن الكفَّار نسُوا ربَّهم في الرَّخاء، فإذا أصابَهم البلاء أخلصوا في الدُّعاء؛ قال تعالى: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [لقمان: ٣٢]، وقال: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ﴾ الآية [يونس: ١٢](٣).

وقال الحسنُ: هم أهل الكتاب، معهم شركٌ وإيمانٌ(٤).

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: ويحتمل: وما يؤمن أكثرهم بالله بألسنتهم إلَّا وهم مشركون بقلوبهم.

---

(١) روى نحوه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٣٧٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٢٠٧).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٣٧٦) عن الضحاك، وروى مسلم (١١٨٥) تلبيتهم هذه عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٢٦٣).

(٤) ذكره الجصاص في «أحكام القرآن» (٣/ ٢٣١)، وروى ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٢٠٧) عن الحسن أنه قال في هذه الآية: «ذاك المنافق يعمل إذا عمل رياء للناس، وهو مشرك بعمله ذاك».

ويحتمل: وما يؤمن أكثرهم بالله في النِّعمة أنَّها من الله إلا وهم مشركون في الشُّكر له(١).

وقال القشيريُّ: الشِّرك نوعان: جليٌّ وخفيٌّ، فالجليُّ أنْ يَتَّخذَ مِن دون الله تعالى معبودًا، والخفيُّ أنْ يَتَّخذَ بقلبِه عند حوائجِه مِن دونِه مقصودًا.

وقيل: شركُ العارفين أنَّ يتَّخذوا مِن دونِه مشهودًا أو يطالعوا سواه موجودًا(٢).

***

(١٠٧) ـ ﴿أَفَأَمِنُوٓاْ أَن تَأۡتِيَهُمۡ غَٰشِيَةٞ مِّنۡ عَذَابِ ٱللَّهِ أَوۡ تَأۡتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةٗ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَفَأَمِنُوٓاْ أَن تَأۡتِيَهُمۡ غَٰشِيَةٞ مِّنۡ عَذَابِ ٱللَّهِ أَوۡ تَأۡتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةٗ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾: هذا وعيدٌ لهم أُخرِجَ مخرَجَ التَّعجُّبِ؛ أي: عجبًا مِن غفلتهم(٣)، أَمَا يخافون أن تفجأَهُم عقوبةٌ مِن اللهِ تغشاهم، وتفسيره: تجلِّلُهم، ومعناه: تعمُّهم، كما جاءَتْ مَن قبلَهم مِن الأمم العاصية، أو تأتيهم القيامةُ فجأةً لا علم لهم بإتيانها.

***

(١٠٨) ـ ﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ﴾: أي: طريقتي الَّتي أسلكُها، أبتغي بها الجنَّة في الآخرة.

---

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٦/ ٢٩٦).

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٢/ ٢١٢).

(٣) في (أ): «عقلهم».

وقوله تعالى: ﴿أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾: هو بيانُ السَّبيلِ؛ أي: أدعو إلى الله وحده، دونَ الشُّركاء والأنداد الَّتي يجعلها المشركون.

وقوله تعالى: ﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي﴾: أي: على بيانٍ وحجَّةٍ، أنا وكلُّ مَن آمنَ بي، لا على تقليدٍ وإلْفِ عادةٍ.

﴿وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾: واعترض في خلال هذا: ﴿وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ﴾ على معنى: أدعو إلى اللهِ وحدَه، وسبحانَه؛ أي: تنزيهًا له عن أن يكونَ معَه إلهٌ غيرُه، نصبٌ على المصدر.

وقال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: ﴿هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ﴾؛ أي: دعوتي(١).

وقال الضَّحاك: أي: دعوايَ(٢).

وقال مقاتل: يعني: ديني(٣).

* * *

(١٠٩) ـ ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ ۗ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۗ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ﴾: أعلمَ اللهُ نبيَّه محاجَّة المشركين فيما قالوا: ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ﴾ [الأنعام: ٨] ونحو ذلك، فقال: وما بعثْنَا بالنُّبوَّة مِن قبلِكَ إلَّا رجالًا لا ملائكةً، وكانوا مِن أهل القرى لا مِن سكَّان

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٢٠٩).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٢٦٣).

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٢٥٣)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٢٦٣).

السَّماء، فكذا أنت، فلا يهولنَّك قولُهم: ﴿لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ مَلَكٌ﴾ [الأنعام: ٨] ونحوَ ذلك؛ فإنَّهم يجهلون سبيلَ النُّبوَّات.

ولا عذرَ لهم في تكذيبك وإنْ كنْتَ بشرًا، كما لم يكن للَّذين كانوا من قبلِك في تكذيب رسلِهم، بل كان عاقبتُهم البوارَ والدَّمار.

وقوله تعالى: ﴿أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۗ وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ﴾: أي: ولدارُ الحياةِ الآخرةِ، أو لدارُ النَّشأةِ الآخرةِ خيرٌ ﴿لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ﴾ الشِّركَ والمعاصي.

﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾: أي: أفما لهؤلاء المشركين عقولٌ يتدَّبرون بها هذه الحُجَج والمواعظ، فينجوا من الهلاك.

وقيل: معنى ﴿أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰٓ﴾: أهل الأمصار دون البوادي؛ لأنَّهم أعلمُ وأحلمُ[1].

وقال الحسنُ: لم يبعثِ اللهُ نبيًّا من أهل البادية قطُّ، ولا مِن الجنِّ، ولا مِن النِّساء[2].

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: إنَّما بُعِثَ الرُّسلُ مِن الأمصارِ لا مِن البوادي؛ لأنَّ أهلَ الأمصار لهم اختلاطٌ بأصناف النَّاس وتجاربٌ، فهم أعقلُ وأعلمُ، وأهلُ البوادي لهم اختلاطٌ بالبهائم فهم عن العلم أبعدُ.

ولأنَّ الرُّسل لهم أعلام تتقدَّم على وقت الرِّسالة، تحتاج إلى أن يَظهرَ[3] ذلك

---

(١) في (ف): «وأحكم».

(٢) ذكره الجصاص في «أحكام القرآن» (٣/ ٢٣٢)، والماوردي في «تفسيره» (٣/ ٨٨)، والواحدي في «البسيط» (١٢/ ٢٦٤)، والبغوي في «تفسيره» (٤/ ٢٨٥).

(٣) في (ر) و(ف): «إلى تظهير».

للخلقِ؛ ليكون ذلك أسرعَ إلى الإجابة لهم، فإذا كانوا من أهل البوادي لا يظهرُ ذلك للخلقِ.

والثَّالثُ: أنَّه يرادُ من الرِّسالةِ إظهارُها للخلْقِ في الآفاق من الأمصار، وهي الأمكنة الَّتي ينتابُها النَّاسُ في التِّجارات وأنواعِ الحاجات من الأطراف، وأمَّا البوادي فالبوادي ليس يدخلُها ولا ينتابُها إلَّا الشَّاذُّ مِن النَّاس، ولا تُقضَى فيها الحوائجُ، فلا تظهرُ في الخلق الرِّسالةُ وما يُراد بها[1].

***

(١١٠) - ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُۖ وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُنَا عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ﴾: أي: وما أرسلنا قبلَك إلَّا رجالًا مثلَك يبلِّغون الرِّسالة ويوضِّحون الدلالة، حتَّى إذا استيأس هؤلاء الرُّسلُ مِن إيمان قومِهم. كذا فسَّرته عائشةُ رضي الله عنها[2] وقتادة وجماعة[3]، وذلك يكون بظهورِ العِناد[4] أو بإخبار الله تعالى.

---

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٦/ ٢٩٨).

(٢) رواه البخاري (٣٣٨٩). ولفظه: عن عروة أنَّه سأل عائشة رضي الله عنها، زوج النبي ﷺ: أرأيت قوله: ﴿حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كُذِّبوا﴾ أو كُذِبوا؟ قالت: «بل كذَّبهم قومهم»، فقلت: والله لقد استيقنوا أن قومهم كذبوهم، وما هو بالظن، فقالت: «يا عرية لقد استيقنوا بذلك»، قلت: فلعلها: أو كُذِبوا، قالت: «معاذ الله، لم تكن الرسل تظن ذلك بربها، وأما هذه الآية، قالت: هم أتباع الرسل، الذين آمنوا بربهم وصدقوهم، وطال عليهم البلاء، واستأخر عنهم النصر، حتى إذا استيأست ممن كذبهم من قومهم، وظنوا أن أتباعهم كذَّبوهم، جاءهم نصر الله».

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٣٤٥)، والطبري في «تفسيره» (١٣/ ٣٩٧).

(٤) في (أ): «الفساد»، وفي (ف): «العباد».

وقوله تعالى: ﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ﴾: قرأ عاصم وحمزة والكسائيُّ بالتَّخفيف، والباقون بالتَّشديد[١].

وللتَّشديد وجهان:

أحدُهما: وظنَّ الرُّسلُ ـ أي: أيقنوا ـ أنَّ الأممَ كذَّبوهم تكذيبًا لا يؤمنون بعدَه، وهو قول الحسن وجماعة[٢]، والظَّنُّ يكون بمعنى اليقين، كما قال الشَّاعر:

فقلْتُ لهم ظُنُّوا بألفَيْ مُدَجَّجٍ   سَرَاتُهُمُ في الفارِسِيِّ المُسَرَّدِ[٣]

والثَّاني: وظنَّ الرُّسلُ حقيقةَ الظَّنِّ دونَ اليقين أنَّ مَن آمنَ بهم كذَّبوهم أيضًا حين تأخَّر النَّصرُ عنهم. وهو قولُ عائشةَ[٤] وقتادة.

وتقديرُ الآية: حتَّى إذا قنط المرسلون عن إيمان مَن كذَّبهم إلى الآن، وظنُّوا[٥] أيضًا أنَّ الَّذين صدَّقوهم وآمنوا بهم ثمَّ امتدَّ بهم البلاء وتأخَّر الفرج والرَّجاء كذَّبوهم أيضًا = أتاهم[٦] نصرنا.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ٣٥١)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٠).

(٢) رواه عن الحسن الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٣٩٧).

(٣) البيت لدريد بن الصمة. انظر: «ديوانه» (ص: ٤٧)، و«الأصمعيات» (ص: ١٠٧)، و«جمهرة أشعار العرب» (ص: ١٨٠)، و«خزانة الأدب» للبغدادي (١١/ ٣٠١). قال البغدادي: المدجج بفتح الجيم وكسرها: الكامل السلاح، وقيل: بالكسر للفارس وبالفتح: الفرس، وإنهم كانوا يدرعون الخيل. و(سراتُهم) بالفتح: أشرافهم، مبتدأ و(بالفارسي) خبره، والباء بمعنى في. والدرع الفارسي يصنع بفارس. والمسرد: المُحكم النسج، وقيل: هو الدَّقيق الثقب.

(٤) رواه البخاري، وقد تقدم قريبا.

(٥) في (أ): «أن قنطوا» بدل: «الآن وظنوا».

(٦) في (ف): «جاءهم».

وقراءة التَّخفيف لها وجهان أيضًا:

وظنَّ القومُ أنَّهم ـ أي: القوم ـ كُذِبوا؛ أي: كَذَبَهُمُ الرُّسلُ فيما أخبروهم به مِن نصرِ الله لهم وإهلاكِ أعدائِهم، وهو قولُ ابن عبَّاس وابن مسعود وسعيد بن جبير ومجاهد وابن زيد والضَّحاك(١).

وقريبٌ مِن هذا الوجه قولُ بعضهم: وظنَّ القومُ ﴿أَنَّهُمْ﴾؛ أي: الرُّسل ﴿كُذِبُواْ﴾ بالتَّخفيف؛ أي: كذَبهم مَن أخبرَهم مِن الملائكةِ ونحوهم عن الله في وعد النَّصر على الكفَّار ونحو ذلك.

ووجهٌ آخر: وظنَّ الرُّسل ـ أي: أيقنوا ـ ﴿أَنَّهُمْ﴾؛ أي: الرُّسل ﴿كُذِبُواْ﴾: كَذَبَهم مَن وَعَدَهم مِن قومِهم أنْ يؤمِنَ بهم، ويكونُ الكذبُ في معنى إخلاف الوعد، كما يُسمَّى إنجازُ الوعدِ صدقًا؛ قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ﴾ [آل عمران: ١٥٢]، وقال: ﴿رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٢٣].

وقوله تعالى: ﴿جَآءَهُمْ نَصْرُنَا﴾: يقولُ: لم نكنْ نعاجِلُ أممَ الرُّسلِ بالانتقام منهم على تكذيبِهم، بل كنَّا نمهلُهم حتَّى إذا وقعَ اليأسُ وضاقَتِ الأحوالُ أتاهم نصرُنا.

وقوله تعالى: ﴿فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُ﴾: قرأ عاصم وابن عامر: ﴿فَنُجِّيَ﴾ بنونٍ واحدةٍ وتشديدِ الجيم وفتح الياء على ما لم يُسَمَّ فاعلُه، مِن نَجاه ينجِّيه تنجيةً؛ أي: خلَّصه.

وقرأ أبو عمرو في روايةٍ: ﴿فَنجى﴾ بنون واحدة وتسكين الجيم على

---

(١) رواه عنهم الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٣٨٣ـ ٣٩٠).

حذف إحـدى النُّونيـن(١)، كحذف إحـدى التَّائين كقولـه: ﴿إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا﴾(٢) [البقـرة: ٧٠].

وقـرأ الباقـون: ﴿فَنُنْجِـيْ﴾ بنونيـن علـى الاسـتقبال(٣)؛ أي: فننجـي الأنبيـاءَ وأتباعهـم.

﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا﴾: أي: عذابنا ﴿عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾؛ أي: الكافرين.

* * *

(١١١) ـ ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

وقولـه تعالـى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾: أي: فـي قصـص يوسـف وإخوتـه وأبيه.

---

(١) لعله أراد ما ذكره ابن مجاهد في «السبعة في القراءات» (ص: ٣٥٢) بقوله: (وروى نصر بن علي عن أبيه عن أبي عمرو: ﴿فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُ﴾ يدغم)، قال ابن مجاهد: (وهذا غلط في قوله: «يدغم» ليس هذا موضعًا يدغم فيه، إنما أراد أنها محذوفة النون الثانية في الكتاب وهي في اللفظ بنونين؛ الأولى متحركة والثانية ساكنة، ولا يجوز إدغام المتحرك في الساكن؛ لأن النون الثانية ساكنة، والساكن لا يدغم فيه متحرك، وكذلك النون لا تدغم في الجيم، فمن قال: يدغم، فهو غلط، ولكنها حذفت من الكتاب؛ أعنى النون الثانية لأنها ساكنة تخرج من الأنف فحذفت من الكتاب، وهي في اللفظ مثبتة). وهي خلاف المشهور عن أبي عمرو.

(٢) يعني: بضم الهاء، نسبت للحسن. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٤)، و«البحر» (٢/ ١٨٥).

(٣) هي قراءة الكسائي وحمزة وابن كثير وأبي عمرو ونافع. انظر: «السبعة» (ص: ٣٥٢)، و«التيسير» (ص: ١٣٠).

وقيل: في قصص الأنبياء كلِّهم عبرةٌ؛ أي: دلالة يُعْبَر[١] بها إلى البُغية لأولي العقول الخالصة، إذا كان ذلك حقًّا مِن الله، فيحقُّ على العقلاء الاعتبارُ به.

وقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ﴾: أي: لم يكن خبرًا يُختلق حتَّى ينبغي للعقلاء أن يرفضوه ويعرضوا عنه ﴿وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾؛ أي: بل كان تصديقًا للتَّوراة والإنجيل والكُتب المنزَّلة قبلَه. قاله الحسن ومجاهد[٢].

وإنَّما قال: ﴿بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ لأنَّه قد وُجِدَ، فصارَ[٣] كأنَّه حاضر له.

وقيل: لأنَّه قريبٌ منه كقُرْبِ ما كان بينَ يدَي الإنسان.

وقوله تعالى: ﴿وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ﴾: أي: وتبيينًا لكلِّ شيءٍ ممَّا بالنَّاس حاجةٌ إليه في دينِهم.

﴿وَهُدًى﴾ إلى الحقِّ والصِّراط المستقيم ﴿وَرَحْمَةً﴾ مِن اللهِ ﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾: رحمَ بها المؤمنين.

وقال الإمامُ أبو منصور رحمه الله: وفي هذه القصَّة تصبيرُ رسولِ الله ﷺ على أذى قريشٍ، يقولُ: إنَّ إخوة يوسف مع موافقتهم إيَّاه في الدِّين والنَّسب عملوا بيوسفَ ما عملوا من الكيدِ والمكرِ، فصبرَ على ذلك، فأنْتَ معَ قومِكَ وهم مخالفون لك في الدِّين أحرى أنْ تصبرَ على أذاهم[٤].

وقال الإمام البشاغريُّ: ففيه دليلٌ على صدقِ محمَّدٍ عليه الصلاة والسلام؛

---

(١) في (ف): «يعتبر».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٤٠٣) عن قتادة. وذكره الواحدي في «البسيط» (١٢/ ٢٨٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما والحسن وقتادة.

(٣) في (ر) و(ف): «نصًا».

(٤) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٦/ ٣٠٠).

حيث قصَّ قصَّةَ يوسف وغيرها على حسب ما يجدُها أهلُ الكتب في كتبِهم مِن غير زيادة ولا نقصان، مع معرفتِهم أنَّه لم يَختلفْ إلى أحدٍ يتعلَّمُ منه، ولا نظرَ في الكتب فتلقَّاه، فما هو إلَّا عن الوحي، ولا وحيَ إلَّا إلى الرُّسل.

وقال بعضُ المحقِّقين: ثمَّ العبرُ في هذه القصَّة ما حُمِّلَ يوسف على صغره من المحنِ مِن جهة إخوتِه: مِن الطَّرْحِ في البئر، والبيعِ بالثَّمن البَخْس، وما ابْتُلِيَ به مِن الاسترقاق والحبس الطَّويل مِن غير جُرْمٍ ولا استحقاق، فالعبرةُ به أنَّ اللهَ يفعلُ ما يشاءُ، لا اعتراضَ لأحدٍ عليه.

ثمَّ صبرُ يوسفَ على هذه المحنِ كلِّها إلى أنْ خُتِمَ له بالملك والعلوِّ دليلٌ على أنَّه لا يخسر أحدٌ على الصَّبر عند جريان المقادير عليه.

ثمَّ ما فيه من التَّنبيه على أنَّ مَن قدرَ على إعزاز يوسف بعد إلقائه في الجبِّ، وإعلائه بعد حبسه في السِّجن، وتمليكه مصر بعد أن كان لبعض أهلِها في حُكْمِ العبدِ، ثم جمعَ بينَه وبينَ أبوَيْه وإخوته على ما أحبَّ بعد المدَّة الطويلةِ = لقادرٌ أنْ يُعِزَّ محمَّدًا ﷺ ويُعلِي كلمتَه وينصرَه على مَن عاداه مِن قومه.

ثمَّ ما امتُحِنَ به أبوه من الوَجْد بفقدِه إلى أنْ ابيضَّتْ عيناه من البكاء عليه، إلى أنْ جمعَ اللهُ شملَه وردَّ عليه ابنَه سلوةٌ للمُمْتَحنين، وإطماعٌ لهم في تبديل الحالِ، وتعريض المحنةِ للزَّوال.

ثمَّ فيما جرى على يوسف من جهة إخوته الَّذين هم أولى النَّاس بالشَّفقة عليه والذَّب عنه ما ابْتُلي[1] رسولُ الله ﷺ في عداوة قومِه وأقاربه له.

ثمَّ فيما فعلَه يوسفُ في السِّجنِ مِن دعاءِ الفتيَيْنِ إلى الله تعالى، وإقامةِ الحجَّة

(١) في (أ): «ما يبلي».

عليهما للتَّوحيد، وعلى بُطلانِ الشِّركِ = ما يُوجِبُ على رسول الله ﷺ سلوكَ طريقتِه في الصَّبر على الدُّعاء إلى الله، والقيامِ به في كلِّ وقتٍ ممكنٍ، وقد فعلَ ذلك رسولُ اللهِ ﷺ وأكثر منه.

ثمَّ ما كان مِن يوسف مِن بَسْطِ العَدْلِ في مُلْكِهِ عبرةٌ للملوكِ، وفي المنِّ والإحسانِ إلى الرَّعيَّة؛ لأنَّ يوسف لَمَّا ملكَهم أعتقَهم كلَّهم.

ثم ما فيه من العِبرة لأرباب التَّقوى؛ فإنَّ يوسفَ لَمَّا تركَ هواه، رقَّاه الله إلى ما رقَّاه.

ومنها: العِبرةُ لأهل الهوى في اتِّباع الهوى مِن شدَّة البلاءِ، كامرأةِ العزيزِ لَمَّا تبعَتْ هواها لقيَتْ ما لقيَتْ مِن الضُّرِّ.

ومنها: العبرةُ للمماليك في حفظِ حُرْمةِ السَّادة[١]، كيوسف لَمَّا حفظَ حرمةَ العزيز في زليخا ملَكَ مُلْكَ العزيز، وصارَتْ زليخا امرأته حلالًا.

ومنها: العفوُ عند القدرة، كيوسف حين تجاوز عن إخوته.

وغير ذلك من الإشاراتِ الَّتي سبقَتْ[٢] في هذه النُّسخة وفي غيرها لأهل العلم والحكمة.

وقال بعضُ الواعظين: كان للهِ تعالى خليلٌ يُسمَّى إبراهيم، فأعطاهُ ولدًا يُسمَّى إسحاق، ونافلةً يُسمَّى يعقوب، فوُلِدَ ليعقوبَ أولادٌ، وخَصَّ اللهُ بعضَ أولادِه بكمالٍ وجمالٍ ولطفٍ وهو يوسف، فآثره أبوه بحبِّه على إخوتِه، فاحتالوا حتَّى غيَّبوه عنه وطرحوه في البئر، ثم باعوه بالثَّمن البَخْسِ اليسير، فقاسى يوسفُ شدائدَ الرِّقِّ،

(١) في (أ): «السيادة».

(٢) في (أ) و(ر): «من إشارات سبقت».

وابْتُلِيَتْ به امرأةُ العزيز بليَّة العشق، فراوَدَتْهُ عن نفسِه فاستعصم بعصمةِ الحقّ، وبدا لهم حبسُه في السِّجن فطال ذلك، ثمَّ بعد بضع سنين زال ذلك، ثمَّ أفضى به علم التَّعبير إلى مُلكِ مصرَ والجلوسِ على السَّرير، ثم جاء إخوتُه مرَّات وامتاروا منه كرَّات، ثمَّ جمعَ اللهُ بينَ يعقوبَ ويوسف، وزال التَّأسِّي والتَّأسُّف، وجُمِعَ الشَّمل، وبسطَ يوسفُ على إخوتِه الفضل، فتنعَّموا أيَّامًا وشهورًا وأعوامًا، ثمَّ ماتوا وبانوا، وكأنَّهم ما كانوا، ولا بلاءُ يعقوبَ ولا بكاؤه، ولا إخوةٌ ولا جفاءٌ، ولا سجنٌ ولا سجَّانٌ، ولا عزيزٌ ولا ريَّانُ، ولا يوسفُ ولا أصحابٌ، ولا خَوَلٌ(١) ولا أحبابٌ، ولا مملكةٌ ولا أسبابٌ، ولا أمراءُ ولا حُجَّابٌ، وهذه عبرةٌ لأولي الألباب.

وقيل: هذه القصَّةُ مرآة كلِّ مؤمنٍ؛ كان ليوسفَ جمالُ الظَّاهر فنظرَتْ إليه زليخا، وللمؤمنِ جمالُ الباطنِ ينظرُ إليه المولى.

وكان ليوسفَ حُسْنُ الصُّورةِ فاشتراه العزيز؛ قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ﴾ [يوسف: ٢١]، وللمؤمنِ حُسْنُ السِّيرة فاشتراه القويُّ العزيزُ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم﴾ [التوبة: ١١١].

ولَمَّا اشتراهُ العزيزُ أدخلَه دارَ زليخا، ولَمَّا اشترى اللهُ المؤمِنَ أدخلَهُ الدُّنيا.

فأوقعَتْ زليخا يوسفَ في التُّهمةِ، وأوقعَ الشَّيطانُ المؤمنَ في المعصيةِ.

فنُقِلَ يوسفُ إلى السِّجنِ، والمؤمنُ إلى القبرِ، فسُئِلَ يوسفُ في السِّجنِ عن تأويل الرُّؤيا، وسُئِلَ المؤمنُ في القبر عن اللهِ وعن الرَّسولِ والهُدى.

فأجابَ يوسفُ على الصَّواب فأكرمَه الرَّيَّان، ويجيبُ المؤمنُ على الصَّواب فيكرمُه الدَّيَّانُ.

---

(١) في (أ): «حول».

ووصلَ يوسفُ إلى ملكِ مصرَ، والمؤمنُ يصلُ إلى ملكِ الجنَّةِ.

وقيل ليوسفَ: ﴿إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ [يوسف: ٥٤]، ويقال للمؤمن: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ﴾ [الدخان: ٥١].

وختمَ قصَّةَ يوسفَ بقولِه: ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾، ويُقالُ للمؤمنِ: ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ﴾ [الصافات: ٦١].

* * *

التيسير في التفسير

تأليف الإمام

أبي حفص النسفي

نجم الدين عمر بن محمد بن أحمد النسفي الحنفي

٤٦١ - ٥٣٧هـ

يطبع أول مرة محققاً على ثلاث نسخ خطية

تحقيق وتعليق

ماهر أديب حبوش   جمال عبد الرحيم الفارس

المجلد التاسع

دار اللباب

بسم الله الرحمن الرحيم

التيسير
في
التفسير

(٩)

حُقوق الطّبع محفُوظَة

الطبعَة الأولىٰ
١٤٤٠هـ-٢٠١٩م

يُمنع طباعةُ هذا الكتاب أو ترجمته أو تصويرُه ورقياً أو إلكترونياً
إلا بإذن خطي من الدار الناشرة
تحت المُساءلة الدُّنيوية والأُخروية

9 786052 279311

دار اللُّباب
للدِّراسات وتحقيق التُّراث
DAR-ALLOBAB
Lubab Yazma Eserleri İhya ve İlmi Araştırma Yayınları

بيروت - لبنان
009615813966
0096170112990
Www.allobab.com

اسطنبول - تركيا
00905454729850
00902125255551
info@allobab.com

İskenderpaşa mh. Kıztaşı cd. No:7 D:5 Fatih (Özel Fatih Hastanesi Karşısı)

سُورَةُ الرَّعۡدِ

سُورَةُ الرَّعْدِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

بسم الله الذي يعلمُ مَن أسرَّ القولَ ومَن جهرَ به، ومَن هو مستخفٍ باللَّيل وساربٌ بالنَّهار، الرحمنِ الذي بسطَ الرِّزق لمن شاء ويقدر، فهو الخالق الرَّازق الواحد القهَّار، الرحيمِ الذي وعدَ المتَّقين جنَّاتٍ تجري من تحتها الأنهار.

وروى أبيُّ بن كعبٍ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «مَنْ قرأ سورة الرَّعد كان له من الأجر وزنَ كلِّ سحابٍ مضى وكلِّ سحابٍ يكون عشرَ حسناتٍ، وبُعِثَ يومَ القيامة وهو من الموفِينَ بعهدِ اللهِ ورسولِه»(١).

و(سورة الرَّعد) مدنيَّة في قول عكرمة والحسن وقتادة(٢)، ومكيَّة في قول ابن عباس رضي الله عنهما وعطاء ومقاتل وسعيد بن جبير(٣).

---

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٢٦٧)، والواحدي في «الوسيط» (٣/ ٣). قال ابن الجوزي في «الموضوعات» (٤/ ٣٤٤): مصنوع بلا شك. وقال ابن كثير في «تفسيره»: حديث منكر من سائر طرقه. وانظر: «الفتح السماوي» (٢/ ٧٤٢)، و«الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة» للشوكاني (ص: ٢٩٦).

(٢) رواه النحاس في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٥٣٥) عن قتادة.

(٣) رواه عن ابن عباس النحاس في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٥٣٥)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٢٦٧).

ورواه عن سعيد بن جبيرٍ سعيدُ بن منصور في «سننه ـ التفسير» (١١٧٧).

وانظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٣٦٥)، و«زاد المسير» لابن الجوزي (٤/ ٢٩٩).

وهذه السُّورة ثلاث وأربعون آية، وقيل: أربع وأربعون آية، وقيل: خمس وأربعون آية، وقيل: سبع وأربعون آية، والاختلافُ في خمس آياتٍ: ﴿لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [الرعد: ٥]، ﴿تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ﴾ [الرعد: ١٦]، ﴿يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ﴾ [الرعد: ١٦]، ﴿سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ﴾ [الرعد: ١٨]، ﴿مِّن كُلِّ بَابٍ﴾ [الرعد: ٢٣].

وكلماتُها ثماني مئةٍ وثلاثٌ وخمسون، وحروفُها ثلاثةُ آلافٍ وأربعُ مئةٍ وثلاثةٌ وخمسون.

وانتظام أوَّل هذه السُّورة بآخر السُّورة الَّتي قبلَها: أنَّ كلَّ واحدةٍ منهما في ذِكْرِ القرآنِ وصفتِهِ.

وانتظام السُّورتَيْن: أنَّ (سورة يوسف) في تسلية النَّبيِّ ﷺ بما قصَّ عليه ما نال يوسفَ من الأذى من الأقارب؛ ليصبرَ هو على ما ينالُه من أذى الأجانب.

وختم السُّورة بتكذيبِ الكفَّارِ رسولَ اللهِ ﷺ، وجحودِهم كتابَ اللهِ، وإعراضِهم عن التَّفكُّر في آيات الله، وحذَّرهم العقوبةَ في الدُّنيا والآخرة.

وذَكَرَ في هذه السُّورة أيضًا تكذيبَهم في آياتٍ، وصفةَ القرآن في آياتٍ، ونبَّههم على آياتِ وحدانيته في آياتِهِ، وحذَّرهم عقابَه، وأطمعَهم في ثوابِهِ في آياتٍ.

* * *

(١) ـ ﴿الٓمٓرۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِۗ وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿الٓمٓر﴾ مرَّت في تفسيرها أقاويلُ.

وقيل: معناه: أنا الله أعلم وأرى.

وقيل: هي اسم هذه السُّورة.

وقوله تعالى: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ﴾: أي: هذه آيات القرآن، وهو كلامٌ تامٌّ.

﴿وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ﴾: كلامٌ آخر تامٌّ أيضًا، مبتدأ وخبر، ومعناه: وكلُّ ما أنزلَ الله على لسانِ جبريلَ إليك فهو الحقُّ والصِّدقُ، لا كذبَ فيه ولا خُلْفَ.

ووجهٌ آخر: أنَّ قولَه: ﴿وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ﴾ في محلِّ خفضٍ عطفًا على قولِه: ﴿ٱلْكِتَٰبِ﴾، وتقديرُه: تلكَ آياتُ الكتابِ وآياتُ ما أنزلَ إليك، وهو كقولِه: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ﴾ [الحجر: ١]، ثم قولُه تعالى: ﴿ٱلْحَقُّ﴾؛ أي: بيِّنُ الحقِّ، أو ذلك الحقُّ، كقولِه: ﴿لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ [البقرة: ١٤٦]؛ أي: من الحقِّ أو ذاك[(١)] الحقُّ، وعلى هذا يكون ﴿ٱلْكِتَٰبِ﴾ اسمًا للكتب المتقدِّمة، و﴿تِلْكَ﴾ إشارة إلى الغائب، ويكون وصفًا لآيات الكتب[(٢)] أنَّها الحقُّ.

وقيل: ﴿ٱلْكِتَٰبِ﴾ ﴿وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ﴾ شيءٌ واحدٌ، وهو القرآن، وإنَّما عطف بالواو لأنَّ الموصوف واحد، ولكن له صفتان: كتابة، وإنزال.

وقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾: أي: لا يصدِّقون بأنَّه منزَل مِنَ اللهِ؛ لإعراضِهم عن التَّدبُّر فيه.

قال مقاتل: هم مشركو مكَّة، قالوا: إنَّ محمَّدًا تقوَّلَ القرآنَ مِن تِلقاءِ نفسِهِ[(٣)].

وقيل: هم أصناف الكفَّار، فهم الأكثرون عددًا، والأقلُّون خطرًا[(٤)].

❋ ❋ ❋

---

(١) في (ر): «أي من الحق إدراك»، وفي (ف): «أي أرادك».

(٢) في (ر): «الكتاب».

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٣٥٨).

(٤) في (أ): «مطرًا».

(٢) ـ ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: أي: خلقَها مرفوعةً، لا أنْ تكونَ موضوعةً فرفعَها، وقد مرَّتْ نظائرُه: ﴿يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧]، ﴿إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف: ٣٧] ﴿مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ﴾[١] [الأنعام: ٧٥].

وقوله تعالى: ﴿بِغَيْرِ عَمَدٍ﴾: وهي جمع عِمادٍ، ونظيرُه: الإهابُ والأَهَبُ.

وقوله تعالى: ﴿تَرَوْنَهَا﴾: أي: ترونَ السَّماءَ لا عَمَدَ لها، فهو أمرٌ مُعايَنٌ مُشاهَدٌ. وهو طريق الكلبيِّ ومجاهد[٢].

وقيل: ﴿تَرَوْنَهَا﴾ صفةُ العَمَد؛ أي: بغير عَمَدٍ مرئيَّة، ولها عِمادٌ غيرُ مرئيٍّ[٣]، وهو القدرة، والله تعالى يمسكُها كذلك بقدرتِه، وكأنَّها عماد لها.

وظاهرُ الآيةِ: بغير عَمَدٍ مرئيَّةٍ، وتحقيقُه: بعَمَدٍ غيرِ مرئيَّةٍ[٤]، فكلمةُ النَّفيِ مُقدَّمةٌ في الذِّكرِ، مُؤخَّرةٌ في المعنى، قال الشَّاعر:

---

(١) في (أ): «المؤمنين».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٤١١) عن إياس بن معاوية وقتادة، أما مجاهد فالمروي عنه القول الآتي.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٤٠٩ ـ ٤١٠) عن ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد، ورواه عن مجاهد أيضاً ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٢١٦)، وهو في «تفسير مجاهد» (ص: ٤٠٣)، ولفظه عندهم: ﴿بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾: بعمد لا ترونها.

(٤) في النسخ: «بغير عمد مرئية»، وهو خطأ ظاهر وتكرار لا معنى له، والصواب المثبت، انظر قول مجاهد السابق والبيت الشاهد الآتي.

ولا أُرَاهَا تَزَالُ ظَالِمَةً تُحْدِثُ لي قرحةً وتَنْكَؤُهَا(١)

أي: أُراها لا تزالُ ظالمةً.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾: مرَّ تفسيرُه مرَّتَيْن، وهو هنا إخبارٌ عن جريِ(٢) الأمورِ كلِّها على ما قَدَّرَ وقضى.

وقوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾: أي: ذلَّلهما وجعلَهما طائعَيْن له، غيرَ ممتنعَيْن عليه، وقصَرَهما على سَنَنٍ واحدٍ لمنافعِ عبادِه ومصالحِ بلادِه؛ لِمَا يُوجَد بهما مِن الآثار في الحبوب والثِّمار.

وقوله تعالى: ﴿كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾؛ أي: كلٌّ منهما يجري إلى وقتٍ مقدَّرٍ، فالقمرُ يقطعُ الفَلَكَ في شهرٍ، والشَّمس في سنةٍ، لا يختلفُ جريُهما، كما قال: ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا﴾ [يس: ٣٨]، وقال: ﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ [الرحمن: ٥]؛ أي: بحسبانٍ معلومٍ لا(٣) يختلف.

وقيل: كلٌّ يجري على ما سخَّرَهُ اللهُ إلى يوم القيامة، ثم ينتقِض، فتُكوَّرُ(٤) الشَّمس، ويُخسَفُ القمر، وتنكدرُ النُّجوم.

وقوله تعالى: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾: أي: يجري الأمورَ كلَّها على علمِ عواقبِها.

﴿يُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ﴾: أي: يأتي بالآياتِ الدَّالة على وحدانيته وصدقِ رُسلِهِ فصلًا فصلًا؛ ليتمكَّن العبادُ مِن تدبُّر كلِّ آيةٍ على حِدة.

---

(١) البيت لابن هرمة، انظر: «ديوانه» (ص: ٥٦).

(٢) في (أ): «ذي».

(٣) في (أ): «بحساب معلوم ما».

(٤) في (ف): «فتكسف».

﴿لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾: أي: لتوقنوا بالبعثِ بعدَ الموتِ، والمصيرِ إلى ثوابِه وعقابِه.

ويقال لمن مات: لقي الله.

وقيل: هذه الآيةُ مِن جملةِ مئة وثمانين آية هي أجوبةٌ لسؤال المشركين رسولَ الله ﷺ أنَّ الرَّبَّ الَّذي تعبدُه ما فِعْلُه؟ وما صنيعُه[1]؟ فأنزلَ اللهُ تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [الأعراف: ٥٤]، ﴿ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ [يونس: ٣٤]، ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ﴾ الآية [الروم: ٤٠]، ونظائرَها.

وقال مقاتل وعطاء: الأجلُ المسمَّى: يومُ القيامة[2].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: هو الشَّهر للقمر، والسَّنة للشَّمس[3]، وفسرَّناهما.

* * *

(٣) ـ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ﴾: ذَكَرَ السَّماءَ وعجائبَها، ثمَّ الأرضَ كذلِكَ؛ دلالةً على ربوبيَّته ووحدانيَّته.

---

(١) في (أ): «وصنعه»، وفي (ف): «وصنعته»، بدل: «وما صنيعه».

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٣٦٦)، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٩٩٧) عن سعيد بن جبير، وقال: وروي عن عكرمة وعطية وعطاء الخراساني والسدي والربيع بن أنس نحو ذلك.

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٢٦٩)، بلفظ: (أراد بالأجل المسمّى درجاتهما ومنازلهما التي ينتهين إليها لا يجاوزانها)، وبنحو هذا اللفظ ذكره الواحدي في «البسيط» (١٢/ ٢٨٥).

و﴿مَدَّ ٱلۡأَرۡضَ﴾؛ أي: بسطَها طولًا وعرضًا.

وقوله: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ﴾: أي: جبالًا ثوابت، رَسا يَرْسُو رَسْوًا؛ أي: ثبتَ.

﴿وَأَنۡهَٰرٗا﴾: أي: جعل فيها أنهارًا جارية، فيها المياه العذبة وغير العذبة.

﴿وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾: أي: وجعلَ فيها من كلِّ الثَّمرات.

﴿جَعَلَ فِيهَا زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ﴾: أي: لونَيْن؛ أسودَ وأبيض، وحلوًا وحامضًا، وصغيرًا وكبيرًا، ورطبًا ويابسًا، ونحو ذلك. وإنَّما أتبع ﴿زَوۡجَيۡنِ﴾ بقوله: ﴿ٱثۡنَيۡنِ﴾ لمعنيَيْنِ:

أحدُهما: أنَّ الزَّوْجَ قد يكون اسمًا للشَّفْعِ، وقد يكون اسمًا للفَرْدِ، فأتبعه ﴿ٱثۡنَيۡنِ﴾ لِيُعْلَمَ أنَّه لم يُرِدْ به الشَّفع، ولكن أراد به اللون الفَرْد.

والثَّاني: أنَّه للتَّأكيد؛ لتمكين المعنى في النَّفس.

وقوله تعالى: ﴿يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ﴾؛ أي: يغطي، فيغشي النَّهارَ اللَّيلَ[1] فيُذْهِبُ ظلمَتَهُ، ويغشي اللَّيلَ النَّهارَ[2] فيُذْهِبُ ضوءَهُ، وهو مختصرٌ في الذِّكْرِ مُرادٌ في المعنى، بدلالةِ نظائرِهِ: ﴿يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ﴾ [الحج: ٦١]، ﴿يُكَوِّرُ ٱلَّيۡلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ﴾ [الزمر: ٥].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ﴾ فيه، فيعلمون بتعاقُبه وتصرُّفِه على نظامٍ واحدٍ أنَّ له صانعًا عليمًا حكيمًا قادرًا، ليس كمثلِه شيءٌ، وأنَّ ذلكَ كلَّه إذا كان مخلوقًا لقِوام العباد اقتضى شكرَهم له على هذه النِّعم بإخلاصِ العبادةِ له.

---

(١) «فيغشي النهار الليل» من (ف).

(٢) في (أ) و(ر): «ويغشي النهار الليل»، والمثبت من (ف) وهو الصواب.

وقال ابنُ عبَّاس رضي الله عنهما: خلقَ اللهُ الأرضَ على الماءِ، فكانَتْ تكَفَّأُ كما تَكَفَّأُ السَّفينة بأهلها، فأرساها اللهُ بالجبالِ حتَّى استقرَّتْ(١).

وقال وهبُ: هذه الجبالُ الشَّامخة على وجهِ الأرضِ، طولُها في الأرضِ مثلُ طولها في الهواء، فلذلك سمَّاها أوتادًا.

* * *

(٤) ـ ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ﴾: أي: متلاصقاتٌ متقرِّبات، تربتُها واحدةٌ وماؤها واحد.

﴿وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ﴾: عطف على قوله: ﴿قِطَعٌ﴾؛ أي: وفي الأرض بساتين مِن أعناب، وهي الكرومُ.

﴿وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ﴾: قرأ ابنُ كثير وأبو عَمرو وعاصمٌ في رواية حفص كلَّها بالرَّفع عطفًا على قوله: ﴿قِطَعٌ ... وَجَنَّٰتٌ﴾.

وقرأ الباقون كلَّها بالخفضِ عطفًا على قوله: ﴿مِّنْ أَعْنَٰبٍ﴾(٢).

والصِّنوانُ: هي النَّخلات الَّتي أصلُها واحد، وهو قول ابنِ عبَّاس والبراء بن عازب ومجاهد وقتادة والحسن(٣).

---

(١) أورده ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٣/ ٣٥٥) على أنه حديث، لكنه لم يذكر له راوياً ولا سنداً.

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ٢٥٦)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣١).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٤٢٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٢٢٠) عن ابن عباس =

وهو كذلك في اللُّغة، والواحدة منها: صِنْوٌ، وكلُّ شجرةٍ صِنْوٌ لصاحبتِها إذا كان أصلُهما واحدًا.

وقال النَّبيُّ ﷺ: «العبَّاسُ صِنْوُ أبي»[1]؛ أي: أصلُه وأصلُ أبي واحدٌ.

وقوله تعالى: ﴿يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ﴾: قرأ ابنُ كثير ونافع وأبو عَمرو: ﴿تُسْقَى بماءٍ واحدٍ﴾ بالتَّاء الَّتي هي للتَّأنيث على ما لم يُسَمَّ فاعلُه، ﴿وَنُفَضِّلُ﴾ بالنُّون، ومعنى التَّأنيث: أنَّ المذكورات[2] قبلَه جماعة، والنُّونُ إخبارُ اللهِ تعالى عن نفسِه بخطاب الملوك.

قرأ حمزة والكسائيُّ: ﴿تُسْقَى﴾ بتاء التَّأنيث بإمالة، ﴿ويفضِّلُ﴾ بياء المغايبة وبكسر الضَّاد؛ إثباتًا للفعل الظَّاهر صفةً لـ﴿ٱللَّهُ﴾ المذكورِ[3] في قوله: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ إلى قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ﴾.

= رضي الله عنهما.

ورواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٤٢١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٢٢٠ ـ ٢٢٢١) عن البراء بن عازب رضي الله عنه.

ورواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٤٢٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٢٢٠) عن مجاهد.

ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٣٥٠)، والطبري في «تفسيره» (١٣/ ٤٢٤) عن قتادة.

(١) بهذا اللفظ رواه عبد الله بن الإمام أحمد في زوائده على «فضائل الصحابة» (١٧٥٢) عن أبي عثمان النهدي، ورواه أيضاً (١٨٠٦) من حديث أم حبيبة زوج النبي ﷺ. ورواه ابن سعد في «الطبقات» (٤/ ٢٧)، والخلال في «السنة» (٢٦) عن أبي مجلز مرسلاً.

ورواه مسلم (٩٨٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ: «عم الرجل صنو أبيه».

(٢) في (ر) و(ف): «المذكوران».

(٣) في (ر) و(ف): «صفة الله تعالى المذكورة».

وقرأ عاصمٌ وابنُ عامر: ﴿يُسْقَىٰ﴾ بياء التَّذكير على معنى: يُسْقَى ما ذُكِرَ، أو كلُّ واحدٍ ممَّا ذُكِرَ، ﴿وَنُفَضِّلُ﴾ بالنُّون[١]؛ أي: إنَّ الله تعالى يقول: ونحنُ نفضِّلُ بعضَها على بعضٍ في الأكل؛ أي: بالثَّمر.

ويُقرأ: (ويُفَضَّلُ) بالياء وفتح الضَّاد على ما لم يُسمَّ فاعلُه، (بعضُها) بالرَّفع؛ لأنَّه اسمُ ما لم يُسَمَّ فاعلُه[٢].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾: أي: مَن استعملَ عقلَهُ وتدبَّرَ ـ معَ سلامةِ العقلِ مِن الآفات المانعاتِ عن كمالِ النَّظر[٣] ـ علمَ أنَّ لذلكَ صانعًا هو فرَّقَ بينَهما وبينَ الجنس الواحد منهما مع اجتماعِها في المغرسِ[٤] والماءِ، فدلَّ على أنَّ ظهورها ليس بالتُّربة والماء؛ إذ لو كانَ كذلك لم تختلف الطُّعوم والمناظر، وذلك ظهورها بإنشاءِ اللهِ تعالى القادرِ على ما يشاء.

وفي الآيةِ وجهٌ آخرُ عن الحسن ومجاهد: وذلك أنَّه مثالُ قلبِ المخاطَبِ، وذاك أنَّ اللهَ أنزلَ القرآنَ الذي هو حياة النَّاس في أديانهم، فيتفاضَلُ العبادُ فيه والقرآنُ واحدٌ كتفاوتِ الثِّمارِ والماءُ واحدٌ، ثمَّ ترى هذا[٥] أنه كما لو شاءَ سوَّى بينَ جميعِ الثِّمار، فكذلِكَ لو شاء لسوَّى بينَ قلوبِ العِبادِ، ولكنَّه بحكمِ

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ٢٥٦ ـ ٢٥٧)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣١).

(٢) تنسب ليحيى بن يعمر. انظر: «المختصر في شواء القراءات» لابن خالويه (ص: ٧٠).

(٣) في (أ): «النظم».

(٤) في (أ): «الغرس».

(٥) في (ر) و(ف): «ثم قرأ هذا»، وفي (أ): «ثم ترا» وبعدها كلمة غير واضحة، ولعل المثبت هو الأنسب بالسياق.

رُبوبيَّتِـهِ فـاوتَ بينهـا، فَمِـنْ متكبِّرٍ معـرضٍ عنه، ومِـنْ متدبِّرٍ مسـتنبطٍ منه[١].

وانتظامُها بالأولى على هذا التَّأويل: أنَّه جعلَ الأرضَ وما فيها آياتٍ لقومٍ يتفكَّرون، وأخبر في هذه الآية أنَّ النَّاس يتفكَّرون، وفي التَّفكُّر يتفاوتون؛ فمنهم مَنْ لا يتفكَّرُ، ومنهم مَنْ يتفكَّرُ ولا يستقصي فلا يجني ثمارَه، ومنهم يستقصي فيه فيُرْزَق استكثاره.

وهـو كـقـوله: ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا﴾ [الأعراف: ٥٨].

ثمَّ ذَكَرَ في كلِّ آيةٍ: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ﴾ على الجمع؛ لأنَّ في الشَّيء الواحد آياتٍ ودلائلَ وبيِّناتٍ، فالسَّماء تدلُّ على أنَّ لها صانعًا، وعلى أنَّ صانعَها قديم، وأنَّه قديرٌ مدبِّرٌ مختارٌ مريدٌ واحدٌ، لا شريكَ له، حتَّى يفضي ذلك إلى إثباتِ جميع الصِّفات، وإلى إثبات النُّبوَّات، والبعثِ بعدَ الممات، والثَّواب والعقاب.

وقال القشيريُّ رحمه الله: ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ﴾: فمِن سبخٍ وسهل وحجر ورمل أنواعٌ مختلفةٌ وأزواج متَّفقة، وزروع ونبات، وأشجار أشتات[٢]، أصلُ كلِّ واحدٍ مِن أشجارِها حبَّة متماثلة الأجزاء، متشاكلة الأبعاض، فإذا أنبتَها جعلَ بعضَها عِرقًا[٣]، وبعضها جِذْعًا، وبعضها غصنًا، وبعضها أوراقًا، وبعضها أزهارًا[٤]،

---

(١) روى عنهما بنحوه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٤٢٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٢٢١) عن مجاهد مختصرًا.

(٢) في (أ): «أستار»، وفي (ر) و(ف): «باسقات». والمثبت من «اللطائف».

(٣) في (أ): «عدقاً»، وفي (ف): «عرفاً»، والعبارة في مطبوع «لطائف الإشارات»: «غدقاً».

(٤) في (أ): «أوتارًا».

وبعضها قشرًا، وبعضها لُبًّا، ثمَّ لكلِّ واحدٍ طعمٌ مخصوصٌ، ولونٌ مخصوصٌ، وطبعٌ مخصوصٌ[(١)].

وقال الإمامُ أبو منصورٍ رحمَه الله: وقولُه: ﴿قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَٰتٌ﴾ يبطلُ قولَ مَن تأوَّل قوله عليه الصلاة والسلام: «الجارُ أحقُّ بِشُفْعَتِهِ»[(٢)]: أنَّ المرادَ به: الشَّريك؛ لأنَّه ذكَرَ التَّجاوُرَ صفةً للقِطَعِ، فإذا كانَتِ الأرضُ واحدةً فلا تكون متجاورةً، بل التَّجاورُ للقِطَعِ المفرَزة المتلازقة، فدلَّ أنَّ المرادَ بالحديثِ هو الجار المتلازق دون الشَّريك[(٣)].

* * *

(٥) - ﴿۞ وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ﴾: أي: وإنْ عجبْتَ يا محمَّدُ مِن إنكارِ هؤلاءِ للإعادةِ مع إقرارِهم أنِّي أنا الخالقُ لِمَا قدَّمْتُ ذِكْرَه مِن السَّماء والأرضِ وعجائبِ ما فيهما، وأنِّي أنا المخترع[(٤)] للثِّمار المختلفة مِن الأرضِ الواحدةِ، بل مِن الحبَّةِ الواحدةِ ﴿فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ﴾؛ أي: فقد وضعتَ[(٥)] بالتَّعجُّب في موضعِه؛ لأنَّهم أقرُّوا بقدرتي على ابتداء هذه الأشياء، ثمَّ أنكروا إعادتها، والَّذي أنكروا قدرتي عليه أولى أن يكون مقدورًا عليه مما أَقَرُّوا بقدرتي عليه.

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٢/ ٢١٧).

(٢) رواه البخاري (٢٢٥٨) من حديث أبي رافع مولى النبي ﷺ، بلفظ: «الجار أحق بسقبه».

(٣) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٦/ ٣٠٦).

(٤) في (ف): «المخرج».

(٥) في (ر): «بعد وصفت»، وفي (ف): «بعد وضعت».

ووجهٌ آخرُ: أنَّ الكفَّار كانوا صنفَيْنِ: قوم منهم ينكرون الصَّانع، ومنهم مَن كان يُثْبِتُ الصَّانع وينكر البعث، فاحتجَّ على منكرِي الصَّانع بهذه الآيات الدَّالة على قدرتِه ووحدانيتِه، ثمَّ قال لنبيِّه: وإنْ تعجبْ مِن إقامة هؤلاء على الإنكارِ مع قيام الدَّلائل على إثباته ووحدانيته وقدرتِه، فاعجَبْ مِن الذين يقرُّون بالابتداءِ، ثمَّ يُنكرون الإعادة ويقولون:

﴿أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾: قرأ ابنُ كثيرٍ وأبو عَمرو وعاصم وحمزة بالاستفهام فيهما جميعًا، إلَّا أنْ عاصمًا وحمزة يهمزان همزتين، وقرأ نافعٌ والكِسائيُّ بالاستفهام في الأوَّل والخبر في الثَّاني، إلَّا أنَّ الكسائيَّ يهمز همزتين، وقرأ ابنُ عامر على الخبرِ في الأوَّل والاستفهام في الثَّاني رواية[1].

وقال الزَّجَّاج: تقديرُه: ﴿أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا﴾ نُبعث، ﴿أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾؛ أي: بعدَ أنْ صرنا ترابًا نُحيَى ونُعاد خلقًا جديدًا كما كنَّا أوَّل مرَّة[2].

وقال الإمامُ أبو منصورٍ رحمَه اللهُ: قيل: وإنْ تعجَبْ مِن قولِهم: ﴿هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ﴾ [ق: ٢] يعنونَ بعثَكَ رسولًا، فاعجَبْ أيضًا مِنْ قولِهم: ﴿أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا﴾[3].

ثمَّ العَجَبُ منَّا[4] يكونُ بظهورِ ما لم يكن في الوَهْم، ولا يجوز ذلك على اللهِ تعالى، فإنْ حُمِلَ على الحقيقةِ فهو على تعجُّبِ النَّبيِّ ﷺ؛ أي: وإنْ تعجَبْ مِن إنكارِهم رسالتَك فتعجَّبْ مِن إنكارِهم البعثَ أيضًا، وإنْ تعجَبْ مِنْ إنكارِ بعضِهم الصَّانعَ فتعجَّبْ مِنْ إنكارِ المقرِّيْنَ به البعثَ.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ٣٥٧)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٢).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ١٣٨).

(٣) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٦/ ٣٠٩).

(٤) في (أ): «ثم التعجب منها».

وإنْ جعلْتَ معنى قوله: ﴿فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ﴾ مِن الله تعالى فمعناه الإنكار؛ أي: أنكرْتَ أنتَ مِن هؤلاء كذا، فقد أنكرَ اللهُ منهم قولهم: ﴿أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا﴾.

وكشفُ هذا الكلام: أنَّ العجبَ منَّا يكون في موضعَيْن:

في الإساءة ممَّنْ يلزمُه الإحسان، فتقول: عجبْتُ مِن فلانٍ؛ أحسنْتُ إليه طولَ الزمان[١] فأساءَ إليَّ! وهو غايةُ الكراهةِ والإنكار[٢].

وفي الإحسان ممن كان لا يُتوقَّع منه ذلك، فتقول: عجبْتُ مِنْ فلانٍ قامَ بأموري وأحسنَ إليَّ، وما كان منِّي إليه شيْءٌ يقتضي ذلك! ويكون ذلكَ غايةَ الرِّضا والحمد.

فوردَتْ هذه اللَّفظة في هذَيْن الموضعَيْن في صفةِ الله تعالى على إرادة هذَيْن المعنيَيْن؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «إنَّ اللهَ تعالى ليعجَبُ مِنَ الشَّابِ ليسَتْ له صَبْوة»[٣]؛ أي: يرضى عنه غايةَ الرِّضا.

وقال في هذه الآية: ﴿فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ﴾، وقال في (سورة الصَّافات): ﴿بَلْ عَجِبْتُ

---

(١) في (ر) و(ف): «الدنيا».

(٢) «والإنكار» ليس في (أ).

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١٧٣٧١)، وأبو يعلى في «مسنده» (١٧٤٩)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٧/ ٣٠٩)، من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه. وحسن إسناده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢٧٠)، وقال البوصيري في «إتحاف الخيرة» (٧/ ٤٥١): رواه الحارث وأبو يعلى وأحمد بن حنبل ومدار أسانيدهم على ابن لهيعة، وهو ضعيف.

قلت: عبد الله بن لهيعة وإن كان سيئ الحفظ، لكن الراوي عنه هنا هو قتيبة بن سعيد، وقد مشَّى بعض أهل العلم حديثه عن ابن لهيعة، وذلك لأنه كتب أحاديثه من كتاب ابن وهب ثم سمعها من ابن لهيعة، وكان ابن وهب ممن سمع منه قديماً قبل اختلاطه واحتراق كتبه، كما أن للحديث شاهداً من حديث أبي هريرة عند أبي نعيم في «أخبار أصبهان» (٢/ ٦٩). فهو حسن كما قال الهيثمي، والله أعلم.

ويَسْخَرُوْنَ﴾ على قراءة الضَّم[١]، وهو غاية الإنكار[٢] والكراهة، وهو مجازٌ على إرادةِ منتهى الأمر دون مَبدئِهِ.

وقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ﴾؛ أي: كفروا بإنكار البعث بربِّهم الذي هم يُقرُّون أنَّه[٣] خالقُهم.

وقوله تعالى: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ﴾: أي: يومَ القيامة، فإنَّه مِن عقوبةِ أهل النَّار، قال تعالى: ﴿إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ﴾ [غافر: ٧١]، ولم يذكر الأيدي مع الأعناق، وإنْ كان الاستعمال على هذا الوجه أنْ تكونَ الأيدي مجموعة إلى الأعناق؛ لأنَّه معقولُ[٤] المعنى، فوقعَ الاكتفاء بذِكْرِ أحدِهما عن الآخر.

وقيل: إنَّهم ممنوعون[٥] عن الإضرار بكَ، وإيصال المكروه إليك، وأنتَ معصومٌ عنهم، لا سبيلَ لهم إلى مَسِّكَ بسوءٍ، كالمغلول يداه إلى عنقه.

وقوله تعالى: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾: ذكرَ (أولئك) ثلاثَ مرَّاتٍ، والمراد به: هؤلاء، وجازَ ذلك لأنَّه مَضى[٦] الخبر عنهم، فجازَتْ الإشارةُ بـ(أولئك).

* * *

---

(١) وهي قراءة حمزة والكسائي. انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ٥٤٧)، و«التيسير» للداني (ص: ١٨٦).

(٢) «الإنكار» ليس في (أ).

(٣) في (أ): «الذي مقرون أنه»، وفي (ر): «الذين هم مقرون بأنه».

(٤) في (أ) و(ف): «مفعول».

(٥) في (أ) و(ف): «مخترعون».

(٦) في (أ) و(ف): «قصَّ».

(٦) ـ ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثُلَاتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾: أي: ومِن عِظَمِ جهالتِهم أنَّهم ـ مع إصرارِهم على الشِّرك ومعاندتهم النَّبيَّ ﷺ ـ يَدْعون اللهَ تعالى بإنزالِ العذابِ عليهم.

نزلَتْ في النَّضر بن الحارث بن علقمة بن كَلَدة بن قصي قال: ﴿إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال: ٣٢][١].

وقوله تعالى: ﴿بِالسَّيِّئَةِ﴾؛ أي: بالعذاب.

وقوله: ﴿قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾؛ أي: الإيمانِ والطَّاعة الذي يُدْفَع به العذاب، قال تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ﴾ الآية [القصص: ٨٤].

وقيل: ﴿قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾؛ أي: العفو والإهمال.

وقال الإمامُ أبو منصورٍ رحمه الله: ويحتمِل أن يكون معناه: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ﴾ منهم إليك؛ أي: الإيذاء ﴿قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾ منهم إليك، وهي القَبول والتَّصديق[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثُلَاتُ﴾: قال ابنُ عبَّاس رضي الله عنهما: العقوبات[٣].

وقال قتادة: وقائع الله في الأمم الخالية[٤].

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٣٦٧)، و«تفسير الثعلبي» (٧/ ٢٨٦).

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٦/ ٣١٠).

(٣) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٢٢٣).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٤٣٥).

وقال الكسائيُّ: الأمثال[١].

وقال الأخفشُ: النَّظائر والأشباه؛ يعني: في العذاب.

والـمَثُلات في اللُّغة: العقوبات الَّتي تَزجرُ عن مثل ما وقعَتْ لأجله؛ أي: قد مضَتْ قبلَ هؤلاء وقائعُ اللهِ في الأمم الخالية.

أو قالـوا لأنبيائهم: ائتونا بعذابِ اللهِ، إذا أصرُّوا على كفرهم واقترحوا الآيات، فعُـذِّبَ بعضُهـم بالمسـخ، وبعضُهـم بالخسـف، وبعضهـم بالقـذف[٢]، وبعضُهـم بالظُّلَّـة، وهـؤلاء قـد تقـرَّر علمُهـم بذلـك، فكيـف يسـتعجلونك بـه وليـس معهم إيمانٌ يعتصمون به؟

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ﴾: قـال السُّـدِّيُّ: يعني: المؤمنين ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ يعني: على الكافرين[٣].

قال بعضُ أهل العلم: هي أرجى آيةٍ في كتاب الله تعالى، حيثُ ذَكَرَ المغفرةَ مع الظُّلم، وهو بدون التَّوبة، فإنَّ التَّوبة تزيلُ العقوبة[٤] وترفعُها.

وقيـل: همـا جميعًا فـي حـقِّ المؤمن، وهـو معلَّـق بالمشـيئة فيهمـا، ومعناه: يغفـرُ لمـن يشـاءُ، ويعـذِّب مَن يشـاء، وهـو ترغيـبٌ وترهيـبٌ، وإطلاقُـه كإطلاقِ قولِـه تعالـى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾ [الحجر: ٤٩ ـ ٥٠].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٤٣٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٢٢٣) عن مجاهد. وقاله أبو عبيدة في «مجاز القرآن» (١/ ٣٢٣)،

(٢) في (أ): «بالعذاب».

(٣) ذكره الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (٦/ ٣١١) دون نسبة، وانظر: «تفسير الرازي» (١٩/ ١٢).

(٤) في (أ) و(ف): «تزيلها».

(٧) ـ ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦٓ ۗ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ ۖ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦٓ﴾: هي الآية المقترحة.

﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ﴾: أي: مبعوثٌ لتحذِّرهم العذابَ، لا مريدٌ لهلاكِهم، ولا مستعجِلٌ بعذابِهم، ولا مالكٌ لعقابِهم.

﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾: أي: أنت نذيرٌ لهم، داعي الخلقِ إلى الحقِّ، وكذلك كان الأنبياء قبلك أوَّلًا[1].

وقال ابنُ عبَّاس رضي الله عنهما: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾؛ أي: داعٍ إلى الحقِّ[2].

وقال الزَّجَّاجُ: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾؛ أي: هو يدعوهم بما يُعطَى مِنَ الآيات، لا بما يتحكَّمون به[3].

وقال مجاهد وقتادة: وهو نبيُّ كلِّ أمَّة[4].

وقال الحسن وقتادة في روايةٍ وأبو الضُّحى وعكرمة: الهادي محمَّد رسول الله[5].

---

(١) في (أ): «والأمم».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٤٤٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٢٢٥).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ١٤٠).

(٤) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٣٥٤) عن قتادة، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٤٤٠ ـ ٤٤١) عن مجاهد وقتادة.

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٤٣٨) عن عكرمة وأبي الضحى، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٢٢٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وقال: وروي عن علي بن أبي طالب، وسعيد بن جبير، ومجاهد، وأبي صالح، وعكرمة، وأبي الضحى، والسدي، والضحاك، وأبي جعفر محمد بن علي، وعبد الرحمن بن زيد أن المنذر النبي ﷺ.

وذكره الواحدي في «البسيط» (١٢/ ٢٩٩) عن الحسن وعكرمة وأبي الضحى.

وقال ابن عبَّاس رضي الله عنهما في رواية وسعيد بن جبير ومجاهد والضَّحَّاك: الهادي هو الله تعالى، وقال: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌۖ وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٍ﴾ وأنا الهادي دونَك(١).

نظيرُه قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ﴾ [القصص: ٥٦].

وقال الحسين بن الفضل: فيه تقديمٌ وتأخيرٌ، والمرادُ: إنَّما أنت منذرٌ وهادٍ لكلِّ قوم(٢).

* * *

(٨) ـ ﴿ٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَحۡمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلۡأَرۡحَامُ وَمَا تَزۡدَادُۖ وَكُلُّ شَيۡءٍ عِندَهُۥ بِمِقۡدَارٍ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَحۡمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ﴾: يَنتظِمُ بقولِه: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ [الرعد: ٢]، وبقوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي مَدَّ ٱلۡأَرۡضَ﴾ [الرعد: ٣].

ووجهٌ آخرُ: أنَّه خطاب للمتعجِّلين، وتعريفٌ لهم أنَّ اللهَ لا يدعُ حكمتَه باستعجالِهم، ولا يخفى عليه وجهُ الصَّلاح، فإنَّه الَّذي يعلمُ ما تحملُ كلُّ أنثى: أذكرٌ هو أم أنثى؟ أبيضُ أم أسودُ؟ واحدٌ أو أكثرُ؟ ناقصٌ أم تامٌّ؟

﴿وَمَا تَغِيضُ ٱلۡأَرۡحَامُ﴾: أي: ما تنقصُ، غاضَ يغيضُ، لازمٌ ومتعدٍّ، وكذلك غاضَ الماءُ وغاضَه الله؛ أي: غار، وأغاره(٣) الله، قال تعالى: ﴿وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ﴾ [هود: ٤٤].

---

(١) رواه عنهم الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٤٣٩ ـ ٤٤٠).

(٢) ذكره الواحدي في «البسيط» (١٢/ ٢٩٩).

(٣) في النسخ: «وأغار»، والصواب المثبت.

وقال الحسن: ﴿وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ﴾؛ أي: تنقص عن تسعة أشهر، فتضع الولدَ لستَّة أو لسبعة أو لثمانية ﴿وَمَا تَزْدَادُ﴾ على تسعة[1].

وقال الرَّبيع بن أنس: أي: تزداد على الولد الواحد إلى أربعة، و﴿وَمَا تَغِيضُ﴾ هو السَّقط[2].

وقال ابن كيسان: ﴿وَمَا تَغِيضُ﴾؛ أي: تنقص من أعضاء الولد كالـمُخدَج وما أشبهه من نقصان يد أو أصبع، ﴿وَمَا تَزْدَادُ﴾ على الأعضاء كزيادة أصبع أو نحوها.

وقيل: ﴿وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ﴾؛ أي: تذهِبُ الماءَ فلا تحمل، وتكون عقيمًا، ﴿وَمَا تَزْدَادُ﴾: فتحملُ وتلدُ الأولاد.

وقوله تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ﴾: أي: جعلَ لكلِّ شيءٍ مقدارًا معلومًا مِن الخَلْقِ والرِّزقِ والأجلِ والعمل، فلا معنى لاستعجالهم بالعذاب.

* * *

(٩) ـ ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ﴾: نعت قولِه تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَعْلَمُ﴾.

وقيل: أي: هو عالمُ الغيب والشَّهادة.

وقال الحسن: أي: عالم السِّرِّ والعلانية[3].

وقيل: أي: هو عالمٌ بما غابَ عن الخلق وما شاهدوه، لا يخفى عليه شيءٌ منه.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٤٥٠).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٢٧٣).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٢٨٦).

﴿ٱلْكَبِيرُ﴾ في شأنِه وقدرتِه وسلطانِه وكلِّ صفاتِه ﴿ٱلْمُتَعَالِ﴾: عمَّا لا يليقُ به.

وقال الحسنُ: المتعالي عمَّا يقول المشركون(١).

وقال القشيريُّ رحمَه اللهُ: أحاطَ الحقُّ سبحانَه بالمعلوماتِ عِلمًا، وأمضى في الكائنات حكمًا، فلا معلومَ يَعْزُبُ عن علمِه، ولا مخلوقَ يخرجُ مِن حكمِه، تعالى عن سمات النَّقص، وتقدَّس عن صفات العيب(٢).

* * *

(١٠) - ﴿سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ﴾: أي: أخفاه ﴿وَمَن جَهَرَ بِهِۦ﴾؛ أي: رفعَ به صوته ﴿وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ﴾؛ أي: متوارٍ.

﴿وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ﴾: قال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: ذاهب(٣).

وقال الضَّحَّاكُ: ظاهرٌ(٤).

وقال مقاتل بن حيَّان: خارجٌ(٥).

وقال مقاتل بن سليمان: منتشر(٦).

---

(١) ذكره الواحدي في «البسيط» (١٢/ ٣٠٢).

(٢) لم أجده في مطبوع «لطائف الإشارات».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٤٥٤) عن أبي رجاء بلفظ: (ذاهب على وجهه). ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٣٥٧) عن الحسن وقتادة بلفظ: (ظاهر ذاهب).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٤٥٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما. وانظر التعليق السابق.

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٤٥٤) عن مجاهد.

(٦) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٣٦٩).

وقال الكسائيُّ: أي: راكب رأسَه[١].

وقيل: سالكٌ في سَرَبِهِ يتسرَّب في مذاهبه[٢]؛ أي: يضطرب في طرقه.

وهذه الأقاويل متقاربة[٣]، وهي في اللُّغة: جريانٌ في خروجٍ بسرعة، وقيل: ذهاب على الوجه.

وقد سَرَبَ سُرُوبًا، وانْسَرَبَ انْسِرابًا.

قال الحطيئة[٤]:

وكلُّ أنـاسٍ قاربـوا قيـدَ فَحْلِهـمْ ... ونحـنُ حللْنَـا قيـدَهُ فهـوَ سـارِبُ[٥]

وقال الحسن: ﴿وَسَارِبُۢ بِٱلنَّهَارِ﴾: أي: مستترٌ بالنَّهار[٦]. وقال الزَّجَّاج: هو جائز في اللُّغة، يقال منه: سَرَبَ الوحشُ وانسَرَبَ: إذا دخلَ كناسَه[٧].

تمدَّح سبحانَه في هذه الآية بسمعِه وبصرِه كما تمدَّح في الآية الأولى بعلمِه

---

(١) في (أ): «دابته». وروى الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٤٥٥) عن خصيف في قوله: ﴿مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ﴾ قال: راكب رأسه في المعاصي ﴿وَسَارِبُۢ بِٱلنَّهَارِ﴾ قال: ظاهر بالنهار.

(٢) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١/ ٣٢٣).

(٣) في (ف): «متفاوتة»، ولعله تحريف.

(٤) تحرفت في (أ) إلى: «الحطيب»، ولم أجد من نسبه للحطيئة.

(٥) البيت للأخنس بن شهاب التغلبي، كما في «المفضليات» (ص: ٢٠٨)، و«المعاني الكبير» لابن قتيبة (١/ ٥٥١)، و«أمالي القالي» (٢/ ٢٤٣)، و«الصحاح» للجوهري (مادة: سرب)، ولم أجد من نسبه لغيره.

(٦) ذكره الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٤٧٢) عن بعض نحويي أهل البصرة بلفظ: السارب هو المتواري. وروى عبد الرزاق في «تفسيره» (١٣٥٧) عن الحسن غير هذا القول وقد ذكرناه قريباً.

(٧) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ١٤٢).

فقال: ﴿سَوَآءٞ مِّنكُم مَّنۡ أَسَرَّ ٱلۡقَوۡلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ﴾ فليسَ قولٌ عندَه أخفى مِن قولٍ، وليسَ سمعُه كسمع المخلوق الَّذي يَخفى عليه ما بَعُدَ مِن سمعِه، ويَفهمُ ما قَرُبَ منه، وسواءٌ عندَه في الرُّؤية مَن هو مستَخْفٍ باللَّيل ومَن هو ظاهرٌ بالنَّهار.

وقيل: تقديرُه: ومَن هو مستخفٍ باللَّيل ومَن هو ساربٌ بالنَّهار، فترك (مَن) في[1] الثَّاني اختصارًا[2] لدلالة الماضي عليه.

وقيل: بل معناه ـ أي: الاستخفاء والسُّروب ـ صفةُ الواحد لا الاثنين[3]، والمرادُ به أنَّه[4] تستوي حالتا هذا الرَّجل في علم الله، بخلافِ قوله: ﴿سَوَآءٞ مِّنكُم مَّنۡ أَسَرَّ ٱلۡقَوۡلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ﴾؛ لأنَّهما صفتا رجلَيْن.

وقال القشيريُّ: سِيَّان منكم مَن خاطَبَنا بلسانِه بوصف الدُّعاء جهرًا، ومَن خاطبَنا بقلبِه ببيانِ النَّجوى سِرًّا، لكلِّ واحدٍ منهما إجابةٌ منَّا إذا ساعدَتْهُ المشيئةُ ووافقتْهُ القضيَّة.

وقيل: سواءٌ في علمِ الله ورؤيتِهِ وسمعِهِ الـمُسِرُّ والذي يجهرُ، والذي يَكمن[5] والذي يَظْهَر، فالبصرُ متناولٌ للكلِّ، والعلمُ شاملٌ للجميع، والحكمُ جارٍ على الكافَّة.

وقيل: نزولها في عمير بن وهب[6] الجُمحيِّ، كان جُرِحَ يومَ بدرٍ وهو مع الكفَّار جرحًا مخوفًا، وعالج وبرأ، وقال يومًا وهو مع صفوان بن أميَّة وهو في حِجْر

---

(١) في (ف): «فترك ما في».

(٢) في (أ): «اقتصارا».

(٣) في (أ): «صفة للواحد لا للاثنين».

(٤) في (ف): «أنه لا»، وهو خطأ.

(٥) في (ر) و(ف): «يكتم».

(٦) في جميع النسخ: «وهب بن عمرو بن وهب»، والمثبت الموافق لمصادر التخريج.

الكعبةِ: لولا عيالي ودينٌ عليَّ لتولَّيْتُ قتلَ محمَّدٍ، قال صفوانُ: وكيف تصنع؟ قال: أراعي وحدته فأقتله بسيفي غِيلةً وأهرب، فقال صفوان: دَينُكَ عليَّ، وعيالُك مع عيالي، فافعل هذا.

فاتَّخذَ وهبٌ سيفًا وسمَّه، ودخل مع صفوان بينَ[1] باب الكعبة والسِّتر، وعاهدَه على ذلك.

فقال صفوان: كيف تسير إليه والله يخبرُه بمسيرك؟

فقال: أستخفي باللَّيل؛ أي: أسيرُ في ظلمته، وأسربُ بالنَّهار؛ أي: أدخل السرب.

وكان ذلك عقيدةُ بعضِ الكفَّار في أنَّ العبد قد يتستَّر عن الله بمثل هذا.

ولَمَّا وصل إلى المدينة ودخلَها رآه عمرُ رضي الله عنه، فقال للصَّحابة: إنِّي رأيْتُ وهبًا قد قدم، فرابني قدومُه، وهو رجل غادر، فاحرسوا[2] رسولَ اللهِ ﷺ عنه.

ولَمَّا رآه النَّبيُّ ﷺ قال له: «ما أقدمَكَ؟»، قال: جئْتُ أفادي الأسارى، فقال النَّبيُّ ﷺ: «فلمَ تقلدْتَ السَّيفَ؟»، فقال: يا محمَّد، أَمَا إنَّا حملنا السُّيوف يومَ بدرٍ فلَمْ نُفلح، فقال ﷺ: «وما الَّذي قلْتَ لصفوان في الحِجْر: لولا عيالي ودَيني لتولَّيْتُ قتلَ محمَّدٍ بيدي؟» فقال وهبٌ: ما قلْتَ يا محمَّد؟ أعدْهُ عليَّ. فأعادَ، فقال: كنَّا نكذِّبُكَ في أخبار الأرض، فالآن أخبَرْتَنا بخبر السَّماء، هذا أمرٌ لم يطَّلِعْ عليه أحدٌ مِن النَّاس، وما أطلَعَكَ عليه إلَّا اللهُ بوحيٍ مِن السَّماء، ثمَّ قال: أشهدُ أنْ لا إلهَ إلَّا الله، وأشهدُ أنَّك عبدُه ورسولُه[3].

---

(١) في (أ): «من».

(٢) في (ر): «فأخبروا».

(٣) روى نحوه الواقدي في «مغازيه» (١/ ١٢٥) عن عاصم بن عمر بن قتادة مرسلاً، ورواه الطبراني =

قال الضَّحَّاك: وفيه نزلَتْ: ﴿سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ﴾ الآية[١].

* * *

(١١) ـ ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ﴾.

وقوله تعالى: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ﴾: قال الحسن وقتادة ومجاهد وسعيد بن جبير والضَّحَّاك وأبو صالح وإبراهيم: أي: لله ملائكة يتعاقبون[٢] باللَّيل والنَّهار[٣].

﴿مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ﴾: أي: مِن بينِ يدَي[٤] هذا الذي هو مستَخْفٍ باللَّيل وساربٌ بالنَّهار.

﴿وَمِنْ خَلْفِهِۦ﴾: أي: مِن وراء ظهرِه؛ أي: عليه حفظةٌ مِن الملائكةِ حولَه.

= في «المعجم الكبير» (١٧/ ٥٦) عن عروة، و(١٧/ ٥٨) عن محمد بن جعفر بن الزبير مرسلًا، و(١٧/ ٥٩) عن ابن شهاب مرسلًا، و(١٧/ ٦٠) عن أبي عمران الجوني، وقال: لا أعلمه إلا عن أنس، وأبو نعيم في «دلائل النبوة» (٤١٣) عن عروة بن الزبير. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ٢٨٦) عن حديث محمد بن جعفر بن الزبير: رواه الطبراني مرسلًا وإسناده جيد. وقال عن حديث عروة (٨/ ٢٨٦): إسناده حسن. وقال عن حديث أبي عمران الجوني (٨/ ٢٨٧): رجاله رجال الصحيح.

وليس في شيء من هذه الأخبار كون القصة سبباً لنزول الآية.

(١) لم أجده.

(٢) في (أ): «معاقب».

(٣) رواه عنهم عدا الضحاك الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٤٥٦ ـ ٤٦٠ و٤٦٣ ـ ٤٦٤)، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٢٣٠) عن الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) في (ف): «شر» بدل من «بين يدي».

﴿يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾: قال الحسنُ وقتادة: أي: بأمر الله[١]. كما يُقال: أجابك مِن دعائِكَ؛ أي: بدعائك.

وقال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: أي: الملائكة هم مِن أمرِ الله[٢].

وقال مجاهد وإبراهيم: ﴿مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾؛ أي: من الجنِّ والهوامِّ[٣]. وسمى الجنَّ مِن أمرِ اللهِ لأنَّها لا تُرى؛ كما قال: ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ [الإسراء: ٨٥].

وقيل: أي: مِن عذابِ اللهِ، كما قال: ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ [هود: ٥٨].

وقيل: ﴿مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾؛ أي: لأمرِ اللهِ، كما قال: ﴿أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾ [قريش: ٤]؛ يعني: أنَّ هذا المستخفيَ والسَّارب إنَّما يمتنعُ مِن نزولِ العقوبةِ به مع قبيحِ فعله لِمَا وكَّلَ اللهُ تعالى به من[٤] الحفظة، لا أنَّه يمتنع بقوَّة نفسه[٥]، أو لمكانةٍ له عند ربِّه، أو لخفاءِ أحوالِه وأفعالِه على الله تعالى، ولكن يؤخِّر إزالةَ نعمتِه وعافيتِه عنه وإنزالَ عقوبتِه وسطوتِه به إلى أنْ يغيِّروا هم ما بأنفسهم بالإصرار على الفساد، والإقامة على الكفر، فتزول المعقِّبات، وتنزل العقوبات.

وقال كعب: لولا أنَّ الله وكَّل بكم ملائكة يذبُّون عنكم في مطعمكم ومشربكم وعوراتكم إذًا لتُخطِّفتم[٦].

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٣٥٨)، والطبري في «تفسيره» (١٣/ ٤٦٤) عن قتادة.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٤٥٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٢٣٢).

(٣) رواه عنهما الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٤٦٥).

(٤) «من» ليس في (أ) و(ف).

(٥) في (أ): «فيه» وفي (ف): «الله».

(٦) في (أ): «لتخطفكم» وفي (ر): «لتخطفتكم»، وفي (ف): «لتحفظنكم»، والمثبت من «تفسير الطبري»، فقد رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٤٦٦).

وقيل: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ﴾؛ أي: للَّذي أسرَّ القول. . . إلى آخره.

وقيل: أي: لله معقِّبات بينَ يدَي الرَّسول المصطفى محمَّد ﷺ ومِن خلفِه؛ أي: وللرَّسول معقِّبات، فقد سبقَ ذكرُه في قوله: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ﴾؛ أي: حفظةٌ يحفظونه بأمرِ اللهِ ممَّنْ يريدُ به سوءاً، أو يهمُّ فيه بمكروهٍ مِن قتلٍ أو غيرِه.

أو يرجع إلى جميع الرُّسل، فقد قال: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾؛ أي: ولكلِّ قومٍ هادٍ وكَّل اللهُ به مَن يحفظُه.

والمعقِّبات: إنَّما جُمِعَ بالألفِ والتَّاء مع أنَّ الملائكةَ ذكران لأنَّه جمع الجمع، مَلَكٌ معقِّبٌ، وطائفةٌ منهم معقِّبةٌ، وطوائِفُ منهم معقِّبات، وهو كالرَّجل والرِّجال والرِّجالات.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ﴾: أي: من نعمة ﴿حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾؛ أي: بالكفران.

قال ابنُ عبَّاس: إذا أنعمَ اللهُ على قومٍ بنعمةٍ فشكروها ولم يَكْفرُوها زادَ لهم تلك النِّعمة وأدامَها عليهم، وإذا لم يشكروها وتلقَّوها بالكُفْران سلبَها عنهم وابتلاهم بضدِّها[1].

وفيه يقول الشَّاعر:

لـم يشـكروا نعمـةَ مـا خُوِّلـوا ... فبدَّلـوا المالـحَ بالعـذْبِ
صـاحَ بهـمْ مِـنْ بينِهـم صائـحٌ ... شـتَّتَهُم فـي الشَّـرْقِ والغَـرْبِ[2]

---

(١) ذكر نحوه الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (٥/ ٢٤١).

(٢) ذكر البيت الأول القاضي عياض في «ترتيب المدارك» (٢/ ٣٤٦) وعزاه لابن الكوني، أبو الحسن ابن عبد الجبار من فقهاء صقلية.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا﴾: أي: وإذا حقَّتْ كلمةُ العذابِ على هؤلاءِ الَّذين غيَّروا ما بأنفسِهم، وحانَ وقتُ حلولِ النِّقمة بهم، وكانوا أهلًا لذلك ﴿فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ﴾؛ أي: فلا يقدرُ أحدٌ على ردِّهِ عنهم، فزالَ عنهم المعقِّبات.

﴿وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ﴾: أي: ما لهؤلاء القومِ أحدٌ دونَ اللهِ يليهم ويلي أمرهم؛ أي: لا يعافيهم[1] إلَّا الله، ولا أحد يملكُ أمرهم إلَّا الله، فلا مانعَ ولا دافعَ ولا رافعَ ولا شافعَ.

* * *

(١٢) ـ ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُرِيكُمُ ٱلۡبَرۡقَ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُرِيكُمُ ٱلۡبَرۡقَ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا﴾: تنتظِمُ بما قبلَها في بيان قدرةِ اللهِ تعالى على ما يشاء.

وقيل: نزلَتْ: ﴿سَوَآءٞ مِّنكُم مَّنۡ أَسَرَّ ٱلۡقَوۡلَ﴾ هذه الآية وما بعدها في أربد بن قيس، أخي لبيد بن ربيعة الشَّاعر لأمِّه[2]؛ جاءَ إلى النَّبيِّ ﷺ مريدًا له سوءًا، فعلمَ بذلكَ رسولُ الله ﷺ، فخرجَ أربدُ فأرسلَ اللهُ عليه في طريقِهِ صاعقةً فقتلَتْهُ[3].

---

(١) في (أ): «يعاقب لهم» وفي (ف): «يعاقبهم».

(٢) في (ر) و(ف): «لأنه».

(٣) رواه مطولًا الطبراني في «المعجم الكبير» (١٠٧٦٠)، و«المعجم الأوسط» (٩١٢٧) من طريق عبد العزيز بن عمران، عن عبد الرحمن وعبد الله ابنَي زيدِ بنِ أسلَمَ، عن أبيهما، عن عطاء بنِ يسارٍ، عن عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٤٢): وفي إسنادهما عبد العزيز بن عمران وهو ضعيف.

ورواه مطولاً أيضاً الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٤٦٧ ـ ٤٧٠) عن عبد الرحمن بن زيد أسلم، و(١٣/ ٤٨١ ـ ٤٨٢) عن ابن جريج. وكلاهما مرسل. =

فتوعَّدهم اللهُ تعالى بهذا، ودلَّهم به على قدرتِهِ وعَجْزِ آلهتِهم عن مثلِه، فقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ﴾؛ أي: اللهُ هو الذي يريكم ـ معاشرَ عبادِه ـ البرقَ في السَّماء ﴿خَوْفًا﴾ للمسافر، يخافُ أذاهُ لِمَا ينالُه مِن مطرٍ إنْ كانَ عقيبه ﴿وَطَمَعًا﴾ للحاضر، المعنى: أنْ يكونَ عقيبه مطرٌ فينتفعُ به.

وقال الضَّحَّاكُ: ﴿خَوْفًا﴾ من العذاب، ﴿وَطَمَعًا﴾ في الغيث(١).

وقال ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: ﴿خَوْفًا﴾ للمسافر، ﴿وَطَمَعًا﴾ للمقيم(٢).

وقال قتادة: ﴿خَوْفًا﴾ للمسافر يخافُ أذاه ومعرَّته، ﴿وَطَمَعًا﴾ للمقيم يرجو بركته ومنفعته(٣).

وقيل: ﴿خَوْفًا﴾ مِن هولِه وصواعقِه، ﴿وَطَمَعًا﴾ في مطرِه.

والرَّعدُ والبرقُ فيهما أقاويلُ كثيرة ذكرناها في (سورة البقرة).

وقوله تعالى: ﴿وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ﴾: أي: ينشئ ويبدئ، والسَّحابُ هنا جمعُ سحابةٍ، ولذلك قال: ﴿ٱلثِّقَالَ﴾ على الجمع؛ أي: الثِّقال بالمطر، وهو واحدٌ في قوله: ﴿فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ﴾ [الروم: ٤٨].

* * *

= ورواه الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٢٧٦) من طريق محمد بن مروان عن الكلبي عن أبي صالح (وتسمى سلسلة الكذب) عن ابن عباس. وسيأتي الخبر بتمامه قريباً.

(١) رواه أبو الشيخ كما في «الدر المنثور» للسيوطي (٤/ ٦١٨)، وذكره الماوردي في «تفسيره» (٤/ ٣٠٧).

(٢) ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ٣١٣).

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٣٦١)، والطبري في «تفسيره» (١٣/ ٤٧٥).

(١٣) - ﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ﴾: قال شَهْرُ بنُ حَوْشَبُ: الرَّعدُ مَلَكٌ، وصوتُه: سبحانَ ربِّيَ العظيم[١].

وقال الضَّحَّاكُ: الرَّعدُ: مَلَكٌ، والبرقُ: سوطٌ[٢] مِن نورٍ، يزجرُ به السَّحاب[٣].

وقال النَّبيُّ ﷺ: «ينشئ اللهُ السَّحاب، فينطق أحسنَ النُّطْقِ، ويضحكُ أحسنَ الضِّحك، فمنطقُه الرَّعْدُ، وضحكُهُ البرقُ»[٤].

وقال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: الرَّعدُ ملَكٌ يسوقُ السَّحاب، والصَّوتُ الَّذي تسمعون هو زجرُه السَّحاب[٥].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٣٥٧)،

(٢) في النسخ الثلاث: «صوت»، والمثبت من مصدر التخريج.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٣٦٣) وابن الأنباري في «الزاهر» (٢/ ٣١٦) عن الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) رواه أبو الشيخ في «العظمة» (٤/ ١٢٤٨) عن عمرو بن أبي عمرو عن الثقة عن النبي ﷺ.
ورواه العقيلي في «الضعفاء» (١/ ٣٥)، والرامهرمزي في «الأمثال» (ص: ١٥٥)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
ورواه الإمام أحمد في «المسند» (٢٣٦٨٦)، والعقيلي (١/ ٣٥)، وابن الأنباري في «الزاهر» (٢/ ٣١٧)، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٥٢٢٠)، من حديث شيخ من الصحابة. ورجال أحمد رجال الصحيح كما قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢/ ٢١٦)، ولفظه: «إنَّ الله يُنْشِئُ السَّحابَ، فيَنْطِقُ أَحسَنَ المَنْطِقِ، ويَضحكُ أَحسَنَ الضَّحِكِ».

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٣٥٨).

وقـال علـيٌّ بنُ أبي طالب رضـي الله عنه: الرَّعـد: الرِّيح، والبـرقُ: النَّار، وهي مخاريق الملائكة[١].

وقال أبو الجَلْدِ: الرَّعدُ: الرِّيح، والبرقُ: الماءُ[٢].

وقال بعضُ أهل اللُّغة: الرَّعدُ: الصَّوت، والبرقُ: نارٌ، يكونان مع السَّحاب.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ﴾: وقال مقاتل بن سليمان: ميَّزَ الله بينَ الرَّعدِ وبينَ الملائكةِ، كما ميَّزَ بينَ جبريل وميكائيل وبين الملائكة، وكما ميَّزَ بينَ الفاكهة وبين النَّخل والرُّمَّان[٣].

وقيل: الرَّعدُ: اصطكاكُ أجرامِ السَّحاب، وتسبيحُهُ: دلالتُه على وحدانيَّة اللهِ تعالى وتنزيهِه عن كلِّ سوءٍ، وهو كقولِه: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾ [الإسراء: ٤٤].

وقال الإمامُ أبو منصورٍ رحمه الله في الآية: ﴿خَوْفًا وَطَمَعًا﴾:

يحتملُ: خوفًا لأهل البنيان، ﴿وَطَمَعًا﴾ لأهل الأنزال.

ويحتمل: طمعًا في وقت المنفعة، وخوفًا في غير وقت المنفعة، ﴿خَوْفًا﴾ من نزوله، ﴿وَطَمَعًا﴾ في مضيِّه.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٣٦٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٥٥). والمخاريق: جمع مخراق، وهو المنديل يلف لِيُضربَ به، أو السيف.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٣٦١ و ٣٦٣ ـ ٣٦٤) و(١٣/ ٤٧٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٥٥).

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٣٧٠). وقوله هذا مبني على أن الرعد ملك، حيث قال قبله: (والرعد ملك من الملائكة اسمه الرعد، وهو موكل بالسحاب صوته تسبيحه، يزجر السحاب ويؤلف بعضه إلى بعض ويسوقه بتسبيحه إلى الأرض التي أمر الله تعالى أن تمطر فيها).

ويحتمل: ﴿خَوْفًا﴾ موعودًا، ﴿وَطَمَعًا﴾ موعودًا؛ لأنَّ البرقَ نورٌ ونارٌ، فالنُّور يُطمِعُ في النُّور الموعود في الجنَّة، والنَّارُ يخوِّفُ مِنَ النَّار الموعودة في جهنَّم.

وقال في قوله: ﴿وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ﴾: قال أبو عوسجة: أي: يرفع.

وقال في قوله: ﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ﴾: روي عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: أقبلَتِ يهودُ إلى النَّبيِّ ﷺ فقالوا: يا أبا القاسم، أخبرنا عن الرَّعد ما هو؟ قال: «ملَكٌ مِن الملائكة موكَّلٌ بالسَّحاب معه مخاريق مِن نار، يسوق بِهِ السَّحاب حيثُ شاءَ اللهُ»، فقالوا: ما هذا الصَّوت الَّذي نسمع؟ قال: «زجرُه السَّحاب إذا زجرَه انتهى[1] إلى حيث أُمِرَ»، قالوا: صدَقْتَ[2]. فإنْ ثبتَ هذا فهو هو.

قال: وقيل: الرَّعدُ: ملَكٌ يسوقُ السَّحاب، وإذا شذَّتْ[3] سحابةٌ ضمَّها، فإذا اشتدَّ غضبُه طار[4] مِن فيه النَّار، فهي الصَّواعق.

قال: وقال بعض الفلاسفة: هو ريحٌ مختنقٌ تحتَ السَّحاب.

قال: وأيَّ شيءٍ كانَ فالتَّسبيح مُحْتَمَلٌ مِن كلِّ شيءٍ، فيَحْتَمِلُ تسبيحَ الخلقة، وجعلَ في كلِّ شيء حمدَ صانعِه وبراءةَ مُنشِئِه مِن كلِّ ما وصفَتْه الملاحدة.

فالأقاويل فيه كثيرة، وليس لنا إلى معرفة ذلك حاجةٌ سوى أنَّه هولٌ هائلٌ يهولُ الخلقَ ويذكِّرُهم سلطانَه وعظمتَه، ولولا أنَّهم اعتادوا ذلك وإلَّا لم تقمْ[5] أنفسُهم لسماع ذلك.

---

(١) في (أ): «زجر حتى ينتهي» بدل من «زجره انتهى».

(٢) جزء من حديث رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢٤٨٣)، والترمذي (٣١٧٧)، وقال: حسن غريب.

(٣) في (ر) و(ف): «شردت».

(٤) في (ف): «صار».

(٥) في (أ): «تستقم».

وقال في قوله: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ﴾: له وجهان:

أحدهما: أنَّه خوفُ عقوبتِه؛ لأنَّه قد جاء فيهم(١) الوعيد؛ قال: ﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء: ٢٩].

والثَّاني: خوفُ هيبتِه؛ لأنَّه وصفَهم بالطَّاعة والاستسلام، والعملِ على الدَّوام، وخوفُ الهيبة لا يزولُ في الآخرة، وخوفُ العقوبة يزولُ(٢).

وقال القشيريُّ رحمه الله: إذا أُنشِئَتِ السَّحابةُ في السَّماء أظلمَ الجوُّ في الوقتِ، ولكنَّه يَعقبه بعدَ ذلك ضحكُ الرَّياحين، وما لم تبكِ السَّماء لا تضحكُ الرِّياض.

فكذا يُنْشِئُ في القلبِ سحابةً للطَّلب، فيحصل للقلب تردُّدُ الخاطر، ثمَّ يلوح وجهُ التَّحقيقِ فتضحكُ الرُّوح بفنون راحات الأُنْس، وصنوف أزهار القُرْب(٣).

وقوله تعالى: ﴿وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ﴾: جمعَ صاعقةٍ، وهي نارٌ تسقطُ مِن السَّماءِ هائلةٌ، لها صوتٌ يقتلُ، فتقتلُ مَن تُصيبُه أو تُدْهِشُه.

وقوله تعالى: ﴿فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ﴾: أي: وهؤلاء المشركون ـ مع علمِهم بأنَّ اللهَ خالقُ هذا الرَّعدِ وما فيه مِن الخوفِ والطَّمع ـ لا يُخلصون العبادةَ للهِ، بل ﴿يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ﴾؛ أي: يخاصمونَ النَّبيَّ ﷺ والمؤمنين فيه، فمرَّةً يقولون: أآلهتنا خيرٌ أم هو؟ ومرَّة يقولون: صِفْ لنا ربَّك، على ما رُوِيَ أنَّ عامر بن الطُّفيل قال للنَّبيِّ ﷺ: أخبرني عن إلهك، مِن أيِّ جنسٍ هو؟ مِن جميع

(١) في النسخ الثلاث: «قد خافهم»، والمثبت من «تأويلات أهل السنة».

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٦/ ٣١٨ ـ ٣٢٠).

(٣) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٢٢٠).

أجناس الآلهة، أم مِن خشبٍ، أم حديدٍ، أم رصاص، أم شَبَهٍ، أم صُفرٍ، أم ذهب، أم فضَّة؟ فأرسلَ اللهُ عليه صاعقةً نفخته فذهب[1].

وقيل: نزلَتْ في أربد بن قيس أخي لبيد بن ربيعة لأمِّه، وذلك أن عامر بن الطُّفيل أتى النَّبيَّ ﷺ، فقال له: ما تجعل لي مِن أمرِكَ إنْ أسلمْتُ؟ فقال: «أجعلُ لكَ الوبر»، فقال: أليس ذلك لي؟ فقال له رسول الله ﷺ: «فما تريد أنْ أجعلَ لكَ[2]؟» قال: اجعل لي الأمر بعدَك، فقال: «ذلك إلى الله تعالى»، فقال: فاجعلني على أعنَّة الخيل، فقال: «ليس ذلك إليَّ»، فغاظه ذلك فقال لأربد بن قيس: اكفني أمرَ محمَّد أو أكفيك أمره، قال: ما تريد[3]؟ قال: اشغلْهُ بالحديثِ حتَّى أقتلَه، فأجابه إلى ذلك، فجاء عامرٌ فشغلَ رسولَ اللهِ ﷺ، فجاء أربدُ مشتملًا على سيفِه ليضربَه، واختلفوا فيما بعد هذا:

فمنهم مَن قال: شُلَّتْ يدُه.

ومنهم مَن قال: استمسكَ السَّيف في القراب فلم يقدر على سلِّه.

---

(١) في (أ) و(ف): «فذهبت تفجعه» بدل من «نفخته فذهب». وهذا الخبر الواحدي في «البسيط» (٢٤/ ٤٢٧)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٩/ ٢٦٦)، عن ابن عباس رضي الله عنهما في سبب نزول سورة الإخلاص.
وذكره بنحوه دون عزو في هذه الآية الواحدي في «البسيط» (١٢/ ٣١٦)، والزمخشري في «الكشاف» (٢/ ٥١٩)، وفيهما أن القائل لذلك هو أربد لا عامر.
وروى نحوه النسائي في «السنن الكبرى» (١١١٩٥)، والبزار (٢٢٢١ ـ كشف الأستار)، وأبو يعلى في «مسنده» (٣٤٦٨)، والطبري في «تفسيره» (١٣/ ٤٨٠)، والعقيلي في «الضعفاء» (٣/ ٢٣٢)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢٧١)، من حديث أنس رضي الله عنه، دون تسمية الرجل.

(٢) «أن أجعل لك» ليس في (أ) و(ف).

(٣) في (أ): «اكفني أمر محمد أو أكفيك ومن قال ما تريد» وفي (ر): «اكفني أمر محمد وأكفيك أمره».

ومنهم مَن قال: كُفَّ عن رسولِ الله ﷺ.

فقال عليه السَّلام: «اللَّهمَّ اكفني عامرًا ـ أو: قني عامرًا ـ »، فانصرف أربد، فقال له عامر: ما منعَكَ مِن قتله؟ قال: كلَّما همَمْتُ بقتلِه رأيتُكَ بيني وبينَه. ثمَّ جاءَتْ صاعقةٌ فأحرقَتْهُ، وجعلَتْهُ فحمًا[1].

وأمَّا عامرٌ فقد قيل: إنَّه دخلَ بيتَ امرأةٍ مِن بني سلول، وظهرت على ركبته غُدَّة، وهو يقول: غدَّةٌ كغدَّة البعير، وموتٌ في بيت سلوليَّة، فواللهِ ما قتلني إلَّا ربُّ محمَّد، وركبَ الفرسَ وبيده الرُّمح، وهو يقول: يا ملكَ الموتِ، تحاربني عن خفية، فاظهرْ لي وجاهرني بالمحاربة ترَ بأسي، فما زالَ يطارد حتَّى يسقط عن فرسِه، ومات وصار إلى النَّار، ونزلَتِ فيه الآية[2].

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ﴾: أي: اللهُ شديدُ العقوبةِ[3]، وقيل: قويُّ الكيدِ.

ولا يجوز في الابتداء وصفُ اللهِ به، ويجوز على وجهِ المجازاة كما مرَّ في المكر والخداع والاستهزاء، وهو مِن قولِكَ: مَحَلَ[4] به إلى السُّلطان؛ أي: سعى به، وذكرَ عيوبَه حتَّى أوقَع به، ومنه في صفة القرآن: «هو شافعٌ مشفَّع وماحِلٌ مصدَّق»[5].

---

(١) في (أ) و(ف): «حممًا».

(٢) تقدم تخريجه مستوفًى في هذه السورة عند قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾، وأكثر الروايات على أن أربد يبست يده فلم ينفذ كيده برسول الله ﷺ، ولم أقف على الرواية التي فيها أن يده شلت.

(٣) في (ف): «العقاب».

(٤) في (ر): «ماحل» وفي (ف): «حل».

(٥) رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (٦٠١٠)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٠٠٥٤) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه موقوفًا عليه. =

وقيل: هو من الإهلاك، وسَنَةُ الـمَحْلِ: سَنَةُ القَحْطِ الـمُهْلِك.

وقيل: هو صفةُ عامرٍ، ﴿وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾؛ أي: شديد المخاصمة والمنازعة، والمماحلة كذلك.

***

(١٤) - ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾.

وقوله تعالى: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ﴾: قال ابنُ عبَّاس رضي الله عنهما: هي شهادة أنْ لا إلهَ إلَّا الله على إخلاص التَّوحيد[1]. وهو قول قتادة وابن زيد[2].

وقال الحسنُ: اللهُ الحقُّ، فمَنْ دَعاه دعا الحقَّ[3].

وقال الإمام أبو منصورٍ رحمَه الله: ويحتملُ: له عبادةُ الحقِّ؛ لأنَّه المستحِقُّ للعبادةِ.

وقيل: أي: للهِ دعوةُ الحقِّ، وهي الاستعانةُ بهِ والدُّعاءُ بكشفِ الضُّرِّ وإعطاءِ

= ورواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٠٤٥٠) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٦٤): رواه الطبراني، وفيه الربيع بن بدر وهو متروك. وصحَّح وقفه الدارقطني في «العلل» (٢/ ٢٣٢).

ورواه ابن حبان في «صحيحه» (١٢٤)، والبيهقي في «الشعب» (٢٠١٠)، من حديث جابر رضي الله عنه مرفوعاً.

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٣٦٧)، والطبري في «تفسيره» (١٣/ ٤٨٥ ـ ٤٨٦).

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٣٦٦)، والطبري في «تفسيره» (١٣/ ٤٨٦) عن قتادة، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٤٨٦) عن ابن زيد.

(٣) ذكره الواحدي في «تفسيره» (١٢/ ٣٢٢)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (١٩/ ٢٣).

السُّؤْلِ، وهي الحقُّ، ومَن دعا اللهَ وسأَلَه فهو على حقيقةٍ مِن دعوَتِه؛ لأنَّه يدعو مَن لا يعجزُه شيءٌ، ولا يلحقُه بخلٌ، ولا تنقضه عطيَّةٌ.

وقيل: للهِ دعوةُ الخَلْقِ إلى الحقِّ، ولمن دعا إليه بأمرِه، وليس ذلك لغيره مِن الأصنام؛ قال تعالى: ﴿لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَلَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ [غافر: ٤٣][1].

وقيل: للهِ دعوة[2] الرُّبوبيَّة، فله عليه البراهين الباهرة.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ﴾: يعني: الأصنام، وجمع بالواو والنُّون وهي جماد لأنَّ المشركين وضعوها موضعَ الأحياء العقلاء الذين يضرُّون وينفعون، ويستجيبون للَّذين يدعون، فأُضِيْفَ الخبر عنهم إليها كما يُضاف إلى العقلاء، كما في قوله: ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَـٰجِدِينَ﴾ [يوسف: ٤]، وقوله: ﴿ٱدْخُلُوا۟ مَسَـٰكِنَكُمْ﴾ [النمل: ١٨].

ويحتمل: أنَّه أراد به الملائكة وعُزيراً والمسيح والجنَّ؛ لأنَّهم لا يستجيبون لعابدِيهم بشيءٍ، ولا ينفعونهم إلَّا بأمرِ اللهِ، فأمَّا أنْ ينفعوهم مِن عندهم فلا.

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا كَبَـٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ﴾: قيل: ﴿إِلَّا﴾ بمعنى: لكن؛ أي: لا يستجيبون لهم أصلًا، لكنَّهم كمادٍّ يدَيْهِ إلى الماء ليبلُغَ الماءُ فمَه ﴿وَمَا هُوَ بِبَـٰلِغِهِۦ﴾؛ أي: ليس يبلغُ الماءُ فمَهُ.

وقيل: هو على حقيقةِ الاستثناءِ، والمعنى[3]: لا يستجيبون لهم بشيءٍ إلَّا كما يُستَجابُ لِمَن بسطَ كفَّيْهِ إلى الماء؛ أي: فإذا كان لا يُستجابُ لهذا الباسطِ بشيءٍ،

---

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٦/ ٣٢١).

(٢) في (أ): «دعوى».

(٣) في النسخ الثلاث: «ومعنى»، ولعل الصواب المثبت.

فكذلك لا يُستجابُ لهم، وهو كقولك للرَّجل يرجو بخيلًا: ربما[١] يعطيْكَ فلانٌ كما أعطى فلانًا، يريد: أنَّه لم يعطِه شيئًا فكذلك لا يعطيْكَ.

وقال مجاهدٌ: ﴿إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيۡهِ إِلَى ٱلۡمَآءِ﴾؛ يعني: يدعو بلسانِه، ويشيرُ بيدِه، فلا ينالُه أبدًا[٢].

وقال عطاءٌ: هو إنسانٌ ينظرُ في قعرِ بئرٍ، فكما لا تبلغُ يدُه قعرَ الماء، ولا يعلو الماءُ إليه، فكذلك الأصنامُ لا تنفعُ العبدَ شيئًا[٣].

وقال ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: هذا مَثَلُ المشركِ الَّذي عبَدَ غيرَ اللهِ، فمثلُهُ كمَثَلِ العطشانِ الَّذي ينظرُ إلى خَيالِهِ في الماءِ ليتناوَلَهُ، فلا يقدرُ عليه[٤].

وقال الفرَّاءُ: لا تجيبُ الأصنامُ داعيَها إلَّا كما ينالُ الظَّمآن المشرِفُ على الماء، وليسَ معه آلاتُ الاستقاء[٥].

والعربُ تضربُ المثلَ لِمَنْ سعى[٦] فيما لا يدركُهُ بالقابضِ على الماء، قال الشاعر:

فأصبحْتُ ممَّا كان بينِيْ وبينَها ... مِنَ الوُدِّ مِثْلَ القابِضِ الماءَ باليَدِ[٧]

---

(١) في (ف): «إنما».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٤٨٨).

(٣) رواه أبو عبيد وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ، كما في في «الدر المنثور» (٤/ ٦٢٩).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٤٨٩).

(٥) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٦١).

(٦) في (أ): «يسعى».

(٧) البيت لأبي الهذيل، كما في «النكت والعيون» (٣/ ١٠٣)، ولأبي دهبل الجمحي كما في «الأغاني» (٧/ ١٥٥). ودون نسبة في «مجاز القرآن» (١/ ٣٢٧)، و«الحيوان» (٥/ ٤١ و٧٧)، و«تفسير =

وقيل: أي: مَن بسطَ كفَّيْهِ إلى الماء مِن غير أنْ يرفعَه إلى فِيْه بكفَّيْهِ أو في إناءٍ لم يبلغْ فاه، يجعلُ الماءَ مثلًا للمعبود مِن دونِ اللهِ، وقد جعلَ بَسْطَ اليدَيْن إلى الماء كتوجيه الرَّغبة إلى المواتِ المعبودِ الَّذي لا يعقل، كالماء الَّذي لا يعقل رغبةَ باسطِ الكفِّ إليه فيه.

وأخبرَ أنَّهم فيما يرجون مِن ذلكَ في ضَلالٍ، وهو قولُه تعالى:

﴿وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾: أي: في غيرِ استقامةٍ وهدًى، فإنَّه غيرُ حاصلٍ لهم ما رَجَوه، ولا إجابةَ لهم ممَّن دَعَوه.

وقيل: هو مبتدأ؛ أي: وما دعاءُ الكفَّارِ الأصنامَ إلَّا ضلالًا عن الهدى.

وقيل: أي: تَضِلُّ الأصنامُ عنهم، فلا يجدونها ولا ينتفعون بها، قال تعالى: ﴿أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا﴾ [الأعراف: ٣٧].

وقال القشيريُّ رحمَه اللهُ: دواعي الحقِّ صارخةٌ في القلوبِ مِن حيث البرهان، فيدعو العبدُ بلسانِ الخواطرِ، فمَنِ استمعَ إليها بسَمْعِ الفهم استجابَ ببيان العلم، وفي مقابلتِها دواعي الشَّيطان، وهي هاتفةٌ بالعبدِ تزيينَ المعاصي، فمَنْ أصغى إليها بسمْعِ الغَفْلةِ استجابَ لصوتِ[1] الغيِّ[2].

* * *

(١٥) ـ ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ ۩﴾.

= الطبري» (١٣/ ٤٨٨)، و«المستقصى في أمثال العرب» (٢/ ٢٠٩).

(١) في النسخ الثلاثة: «بصوت»، والمثبت من «لطائف الإشارات».

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٢/ ٢٢١). ووقع في النسخ الثلاث: «بصوت الغي»، والمثبت من المصدر.

وقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾: أي: إنَّ الكفَّارَ وإنْ دعوا مِن دونِ اللهِ دعوةَ الباطلِ، وامتنعوا مِن دعوةِ الحقِّ، فكلُّ مَن في السَّماواتِ والأرضِ مِن الملائكةِ وبني آدمَ والجنِّ والشَّياطين يسجدون للهِ؛ إمَّا طائعِيْن، وإمَّا كارهِين، وظلالهم تسجدُ له بالغَدواتِ والعشايا.

والآصال: جمعُ أُصُلٍ، والأُصُل: جمع أصيل، وهو العشيُّ، وهو ما بينَ العصرِ إلى غروبِ الشَّمس، ويُجمَعُ على أصائلَ أيضًا، قال أبو ذؤيب:

لَعَمْـرِي أنـتَ البيـتُ أُكْـرِمُ أهلَـهُ وأقعـدُ في أفيائِـهِ بالأصائـلِ[1]

والسُّجودُ طوعًا ظاهرٌ، والسُّجودُ كَرْهًا ممَّنْ أُكْرِه على الإسلام موجودٌ أيضًا، أمَّا ما عداهما: فتركُّبُ[2] صور الأعيان، واختلافُ الأحوال عليها، وتعاقبُ المتضادات مِن الحركة والسُّكون والاجتماع والافتراق عليها، وحاجةُ بعضها إلى بعض في تمامِ قوامِها = شاهدٌ على أنَّها مصنوعاتٌ محتاجةٌ إلى مَن يقيمها، وأنَّ لها صانعًا صنعَها[3] لا يشبهُها، فهذا مِن الكافرِ شاهدٌ للهِ بالرُّبوبيَّةِ، وأنَّه مستحِقٌّ لدعوة الحقِّ، وإنْ كانَ الكافرُ كارهًا لذلك غيرَ مريدٍ له ولا معترفٍ، وذلك سجودٌ مِن الكافرِ للهِ وخضوعٌ له كرهًا.

وأمَّا الظِّلال فساجدةٌ للهِ تعالى بالغدوِّ والآصالِ؛ لأنَّها تميلُ مِن ناحيةٍ إلى ناحية، وليس ذلك باختيارِها، بل هو بفعلِ اللهِ ذلك بها، وتصريفُه إيَّاها على ما يشاء مِن ذلك، ودلَّ ذلك على أنَّها مخلوقةٌ مصرَّفةٌ على ما يصرِّفُها عليه صانعُها

---

(١) انظر: «الكامل» للمبرد (٣/ ٥٤)، و«شرح أشعار الهذليين» (١/ ١٤٢).

(٢) في (أ): «فتركت»، وفي (ر): «فتركيب»، وفي (ف): «فتركبت».

(٣) في (أ): «يصنعها».

ومدبِّرُها، وذلك شهادةٌ منها للهِ تعالى بالقدرةِ والسُّلطان والوحدانيَّة، وخضوعٌ منها له، وهو السُّجود.

ومِنَ السُّجود كَرهًا معنى سجود الكافرِ للهِ إذا نزلَ به ضرٌّ ألجأتْهُ الحاجة إلى أنْ يتواضعَ للهِ ويسجدَ له، يدعوه بها لحاجتِه بها.

***

(١٦) ـ ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾: أي: قلْ للمشركِيْنَ السَّاجدِيْنَ للهِ كَرْهًا دلالةَ الخلقَةِ: ﴿مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: مالكهما ومدبِّرُهما، وكانوا مقرِّين[1] بأنَّ ربَّ السَّماوات والأرض هو الله؛ أي: سَلْهُم عن هذا، فيقولون: الله، فحذفَ جوابَهم لدلالةِ الكلامِ عليه؛ لأنَّهم كانوا مقرِّيْنَ بذلك، قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾ [لقمان: ٢٥].

وقولـه تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾: أي: وإذا قالوا: الله، فقـل أنت أيضًا: الله، تقريرًا لهـم، وتأكيدًا للاحتجاجِ عليهم.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ﴾: استفهامٌ بمعنى التَّوبيخ والتَّقريع؛ أي: قلْ لهم بعدَ هذا التَّقرير: فلِمَ اتَّخذْتُم مِن دونِه أولياء تتولَّونهم وتعبدونهم وتوجِّهون الرَّغبة إليهم، وهم لا يملكون لأنفسِهم نفعًا يجلبونَه إليها، ولا ضرًّا يدفعونَه عنها، وإذا كان كذلك فهم مِن ملكَةٍ لكم أبعدُ.

---

(١) في (ف): «مقهورين مقرين».

وقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ﴾: وهو تقريعٌ آخر؛ أي: هل يستوي الجماد الذي لا يُبصِرُ ولا يسمَعُ، واللهُ الحيُّ الذي يبصرُ ويسمعُ.

وقيل: هو مَثَلُ الكافر والمؤمِن.

ولَمَّا قرَّرَ أنَّ اللهَ ربُّ كلِّ شيءٍ، وبَّخهم بعبادةِ غيرِ اللهِ، وبيَّنَ أنَّ مَنْ فعلَ ذلك فهو أعمى عن الرُّشد، والمؤمن بصيرٌ[1] به، ولا يستويان.

وقوله تعالى: ﴿أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ﴾؛ أي: الكفر والإيمان، فالكفرُ ظلمةٌ لا يُهتَدى فيها، والإيمانُ نورٌ يُهتَدى فيه، ولا يستويان.

وقال القشيريُّ رحمَه اللهُ: إنَّ الأنوارَ إذا تلألأَتْ في القلوبِ نفَتْ آثارَ الظُّلمةِ، فنورُ اليقين ينفي ظلمةَ الشَّكِّ، ونورُ العلمِ ينفي تهمةَ الجهلِ، ونورُ المعرفةِ يمحو أثرَ النَّكرة، ونورُ المشاهدة ينفي آثار البشريَّة، وأنوار الجمع تنفي آثار التَّفرقة، وأنوارُ الحقائق تمحو[2] آثارَ الحظوظِ[3].

وقوله تعالى: ﴿أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ﴾: وهذا تقريعٌ آخر، يقول: أوَقعَ عندَهم أنَّ الأصنامَ تخلقُ الأشياءَ كما أنَّ اللهَ تعالى يخلقُ الأشياءَ فاستجازوا[4] عبادةَ الأصنامِ لوجودِ التَّخليقِ منها، كما استجازوا[5] عبادةَ اللهِ لذلك لاشتراكِهم في استحقاق العبادةِ لذلك، وإنْ[6] لم يكنْ هذا هكذا، بل اللهُ

---

(١) في (ف): «بصير».

(٢) في (ر) و(ف): «تنفي».

(٣) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٢/ ٢٢٤ ـ ٢٢٥).

(٤) في (ر): «فاختاروا»، وفي (ف): «فاستخاروا».

(٥) في (ر): «اختاروا»، وفي (ف): «استخاروا».

(٦) في (ر): «وإذا».

هـو المنفـرِد بالتَّخليـق، فهو المتفـرِّد[1] باسـتحقاق العبادة له.

وقوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾: وقد أقررْتُم أنَّه لا خالقَ غيرُه، فلا يستحقُّ العبادةَ غيرُه.

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ﴾؛ أي: الواحدُ الَّذي لا ثانيَ له، ولا شريكَ له، وهو القهَّارُ الَّذي يقهرُ بقدرتِه كلَّ شيءٍ، ولم يقهرْهُ شيءٌ، وهو المستحِقُّ لتوجيه الرَّغبات إليه، والاستغناءِ به عن غيرِه.

***

(١٧) ـ ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًاۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءًۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا﴾ الآية: قال قتادةُ: هذه ثلاثةُ أمثالٍ في مثلٍ واحدٍ:

قوله: ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا﴾ الصَّغير والكبيرُ، فشبَّه نزولَ القرآنِ بالماءِ ينزلُ مِن السَّماء، وشبَّه القلوبَ بالأوديةِ والأنهار، فذو العلم على قَدْر علمِه، وذو الجهل على قَدْر جهلِه، فهذا مَثَلٌ.

ثمَّ شبَّه وساوسَ الشَّيطان ومخايل النَّفس والخطَرات الفاسدةَ بالزَّبَد يعلو الماء، وهو قوله تعالى: ﴿فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا﴾[2]، والرَّابي: العالي، فما يقعُ في النَّفس مِن الوهم والفضول فمِن ذاتِها لا من الحقِّ، يقولُ: فكما يذهبُ الزَّبدُ باطلًا

---

(١) «بالتخليق فهو المتفرد» ليس في (أ).

(٢) «وهو قوله تعالى فاحتمل السيل زبدًا رابيًا» من (ف).

ويبقى صفوُ الماءِ، كذلك تذهبُ مخايلُ النَّفس ووساوسُ الشَّيطان ويبقى الحقُّ كما هو، فهذا مثلٌ ثانٍ.

والمثل الثَّالثُ قولُه: ﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ﴾: أي: له خبثٌ مِثْلُ زَبَدِ الماءِ، فكما[1] يذهبُ خَبَثُ الجواهرِ ويبقى خلاصُها وصفوها كَذَلِكَ يذهبُ الجهلُ والوهمُ، ويبقى العلمُ والفهمُ، فهذا المثل الثَّالث[2].

وقال الإمامُ القشيريُّ: الآيةُ تشتملُ على أمثالٍ:

شبَّه القرآنَ المنزَلَ بالماءِ المنزَل من السَّماء.

وشبَّه القلوبَ بالأودية.

وشبَّه وساوسَ الشَّيطان وهواجس النَّفس بالزَّبَد الَّذي يعلو الماء.

وشبَّه الحقَّ بالجواهر الصَّافية مِن الخَبَثِ؛ مِنَ الذَّهب والفضَّة والصُّفر والنَّحاس وغيره.

وشبَّه الباطلَ بخبَثِ هذه الجواهر.

ثمَّ إنَّ الأودية مختلفةٌ في صغرِها وكبرِها، فبقَدْرها تحتمِلُ الماءَ في القلَّة والكثرة، كذلك القلوبُ مختلفةٌ في الاحتمالِ على حسب الضَّعف والقوَّة، وكما أنَّ السَّيل إذا حصل في الوادي يطهِّر الوادي، كذلك القرآن يطهِّرُ القلوب.

وكما أنَّ السَّيل يحتمل الزَّبد فيلفِظُهُ كذلك القرآن إذا حصل حفظُه في القلوبِ ينفي الوساوسَ والهواجسَ عنها.

---

(١) في النسخ: «فكذا»، والصواب المثبت.

(٢) روى نحوه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٥٠١).

وكما أنَّ الماء قد يصحبُه ما يكدِّره، ويخلِّص بعضه عمَّا يشوبُه، فكذلك الإيمانُ وفهمُ القرآنِ في قلوب المؤمنين قد تختلطُ به نزغات[1] الشَّيطان والخواطر الرديَّة، فمِن بين صافٍ وكدرٍ.

وكما أنَّ الجواهر التي يُتَّخَذ منها الأواني إذا أذيبَتْ[2] خلصَتْ عن الخبث، كذلكَ الحقُّ يتميَّز مِن الباطل ويبقى الحقُّ ويضمحلُّ الباطلُ.

ثمَّ الجواهرُ الَّتي تُتَّخَذُ منها الأواني مختلفةٌ؛ فمِن إناءٍ يُتَّخَذُ مِنَ الذَّهبِ، وآخر مِن الرَّصاصِ إلى غيرِه، فكذلِكَ القلوبُ تختلفُ.

وفي الخبر: «إنَّ للهِ أواني، وهي القلوبُ»[3]، فمريدٌ قاصدٌ، ومحبٌّ واجدٌ، وعابدٌ خائفٌ، وموحِّدٌ عارفٌ، ومتعبِّدٌ متقشِّفٌ، ومتهجِّد[4] متصوِّف. وأنشدوا:

ألوانُها شتَّى الفنونِ وإنَّما ... تُسْقَى بماءٍ واحدٍ مِن مَنْهَلِ[5]

وقوله تعالى: ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾؛ أي: الواحدُ القهَّار أنزلَ مِن السَّماء مطرًا.

---

(١) في (ف): «قد يختلط بنزعات».

(٢) في (ف): «صفت».

(٣) رواه الطبراني في «مسند الشاميين» (٨٤٠) عن أبي عنبة الخولاني مرفوعاً، قال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (ص: ٦٣١): إسناده جيد.

ورواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ٩٧) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه.

ورواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٥٦٨٧) من قول عبد الله بن مالك، والخرائطي في «اعتلال القلوب» (١/ ١١) من قول ثور بن يزيد.

(٤) في (ف): «ومجتهد».

(٥) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٢/ ٢٢٤ ـ ٢٢٥)، والبيت للوأواء الدمشقي واسمه محمد بن أحمد العناني أبو الفرج.

﴿فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ﴾: جمعُ وادٍ ﴿بِقَدَرِهَا﴾: على أقدارها[1] مِن السَّعةِ والضِّيق، والكِبَر والصِّغَر.

﴿فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا﴾؛ أي: الوادي إذا سالَ حملَ السَّيل زبدًا مرتفعًا على ظهرِه؛ وهو زَبَدُ الماءِ والغثاء؛ أي: الحق الَّذي أنزلَه اللهُ تلقَّتْهُ القلوبُ على قَدْرِ عقولِها وإذعانِها، والباطلُ يظهرُ أحيانًا ويكادُ يعلو الحقَّ، ثمَّ يتلاشى ويضمحِلُّ، ولا تكون العاقبةُ إلَّا للحقِّ.

وقوله تعالى: ﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ﴾؛ أي: من الجواهر الَّتي يستخرجونها مِن المعادن فيوقدون عليها ﴿ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ﴾؛ أي: طلبَ الحلية ﴿أَوْ مَتَٰعٍ﴾؛ أي: آنية من الأواني فله ﴿زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ﴾؛ أي: خبثٌ كزبدِ الماء، ثمَّ إنَّه[2] ينمحقُ عندَ أوَّل ما لمستْهُ النَّار، ولا ينتفِعُ به أهلُه، فكذلك الباطل يضمحِلُّ عندَ أوَّلِ حجَّةٍ تقومُ بهِ مِن حججِ الحقِّ، والجواهرُ تبقى في الأرض، وهي مِثْلُ الحُجَجِ[3] تثبُتُ وتقوى.

وقوله: ﴿كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ﴾: أي: يبيِّن ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً﴾؛ أي: يذهبُ بعدَ علوِّهِ السَّيل برفعِ الرِّياح إيَّاه، وقذفِ الماءِ به، وتعلُّقِه بالأشجار، وجنبات الأودية.

وقد جَفَأَتِ القدرُ وأجْفَأَتْ، وجَفَأَ الوادي وأَجْفَأَ؛ أي: رمى بما علاه، فيرمِي الوادي بالجفأ أوَّلًا إلى جانبٍ، ثمَّ تعمل فيه الرِّيحُ والشَّمسُ ويتلاشى، وكذا الباطل.

وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: أي: المطرُ وجواهرُ المعادن

---

(١) في (أ): «مقدارها».

(٢) «إنه» من (ف).

(٣) في (ر) و(ف): «مثلٌ لحجج».

تستقرُّ في الأرض، فيَنتفعُ بها النَّاسُ عندَ الحاجةِ إليها، والزَّبَدُ يعلو صورةً ثمَّ يتلاشى، وكذلك الباطلُ وأهلُه، والماءُ والجواهرُ يسفُلُ صورةً ويثبُتُ ويبقى، فكذلك الحقُّ وأهلُه، والجواهر تستفيدُ بالنَّار صفاءً، وكذلك المحقُّ يزدادُ بأذى المبطلِيْنَ خُلوصًا وبقاءً.

وقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ﴾: أي: يبيِّنُ الأشياءَ لإيضاحِ الحقِّ وإدحاضِ الباطلِ.

* * *

(١٨) ـ ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُۥ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾.

وقوله: ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ﴾؛ أي: أجابوا دعوةَ الحقِّ ﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾؛ أي: المثوبةُ الَّتي لا أحسنَ منها، وهي الظَّفَرُ والتَّمكين في الدُّنيا، والنَّعيم المقيم في الجنَّة؛ قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ﴾ [التوبة: ٥٢]؛ أي: الظَّفَرَ والشَّهادة، وقال: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ﴾؛ أي: الجنَّة.

وقال الإمام القشيريُّ: هي قَبولُ استجابَتِهم له، وذلك مِن أجلِّ الأشياءِ عندَهم؛ إذْ لا شيءَ أعزُّ على المحبِّ مِن قَبول محبوبِه منه شيئًا(١).

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُۥ﴾: لم يجيبوا لربِّهم في دعوةِ الحقِّ، فلا مخلَصَ لهم بوجهٍ مِن الوجوه.

وقوله تعالى: ﴿لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾: مِن صنوفِ الأموالِ ﴿وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ﴾؛ أي: وضعفَ ذلك.

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٢/ ٢٢٥).

﴿لَافْتَدَوْا بِهِۦٓ﴾: لأعطَوه بدلًا عن أنفسِهم ليخلِّصوها من العذاب، ولا يُقبَل منهم، قال ذلك في آيةٍ أخرى، وهذا ممَّا عَلِمَ اللهُ في الَّذي لا يكونُ أنَّه لو كانَ كيفَ كانَ يكونُ.

وقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ﴾: أي: يحاسبُهم اللهُ بكلِّ معاصيهم، فيجازيهم عليها ولا يتجاوزُ عنها.

وقوله تعالى: ﴿وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ﴾؛ أي: مرجعُهم بعدَ المحاسبة النَّارُ ﴿وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾؛ أي: بئسَ الفِراشُ جهنَّمُ.

* * *

(١٩) - ﴿۞ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ﴾: استفهامٌ بمعنى النَّفي؛ أي: ليسَ الَّذي استجابَ للهِ في دعوة الحقِّ وعلم أنَّ ما أوحى اللهُ إليك أنَّه حقٌّ صِدقٌ كالذي لم يستجبْ له فيها وعميَ عنها.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾: أي: إنَّما يتَّعظُ بآياتِ اللهِ أولو العقول، فيعلمون أنَّ وحيَه الحقُّ.

وقال أبو القاسم ابنُ حبيبٍ رحمَه الله: رأيتُ في بعض التَّفاسير أنَّها نزلَتْ في أبي بكرٍ الصِّدِّيق رضي الله عنه، وفي أبي جهلٍ لعنَه الله[1].

وقيل نزلَتْ: في عمَّار بنِ ياسرٍ وأبي حذيفة بن المغيرة[2].

---

(١) الذي ذكره الواحدي في «البسيط» (١٢/ ٣٣٨)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٢/ ٤٩٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما أنها نزلت في حمزة رضي الله عنه وأبي جهل.

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٣٧٥).

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: لا يستوي البصيرُ والضَّريرُ، والمقبولُ والمردودُ، والمؤهَّلُ للتَّقريبِ والمعرَّضُ للتَّعذيب، والَّذي أقصيناه عن شهودِنا والَّذي هديناه لوجودِنا(١).

* * *

(٢٠) ـ ﴿ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ﴾: له وجهان على الانتظام:

أحدهما: أنَّه نعتُ قوله: ﴿أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾.

والثَّاني: أنَّ تقريره: هم الَّذين.

وقال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: الَّذين يقيمون على الشَّهادة ولا ينقضون ذلك(٢)؛ أي: لا يشركون بالله تعالى.

وقال مقاتلُ بنُ حيَّان: هو ميثاق ذريَّة آدم: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، ﴿وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ﴾ إذا بلغوا الحنثَ(٣).

وقيل: هو ميثاقُ أهلِ الإيمان وقَبول الأوامرِ والنَّواهي.

وقيل: هو ميثاقُ الخِلْقة، وقد مرَّ ذكرُها وذكرُ أقاويل أُخَر في أوَّل (سورة البقرة).

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: هو باستدامةِ العِرفان، وإيفاءِ شرائطِ الإحسان،

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٢/ ٢٢٥).

(٢) ذكره الواحدي في «البسيط» (١٢/ ٣٣٨) بلفظ: (يريد: الذي عاهدهم عليه في صُلب آدم).

(٣) روى نحوه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٧١) في تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٧]، وهو مثل ما ذكره الواحدي عن ابن عباس رضي الله عنهما كما في التعليق السابق.

والتوقِّي عن[١] ارتكاب العصيان، بذلك[٢] انبرم العقدُ يومَ الميثاق والضَّمان، وميثاقُ قومٍ ألَّا يعبدوا سواه، وميثاقُ قومٍ ألَّا يحبُّوا سواه، وميثاقُ قومٍ ألَّا يشاهدوا سواه، وميثاق قومٍ ألَّا يسألوا سواه[٣].

***

(٢١) ـ ﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلۡحِسَابِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾: قال ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: يعني مَن آمنَ مِن أهلِ الكتابِ وصلُوا الإقرارَ بكلِّ الأنبياءِ والكتبِ، ولم يقولوا: نؤمن ببعض ونكفر ببعض[٤].

وقيل: هو صلةُ أرحامهم.

وقيل: هو صلةُ رَحِم النَّبيِّ ﷺ؛ قال الله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾؛ أي: إلا أن تودُّوني لقرابتي منكم[٥].

وهو خطابٌ للعربِ، ويجوز أن يكون لأهل الكتاب أيضًا، فهم بنو إسرائيل، وهم أولاد إسحاق، والعربُ ـ وهم النَّبيُّ عليه السلام وأصحابه ـ من أولاد إسماعيل، فهم بنو عمٍّ بعضُهم لبعض.

---

(١) في (أ): «والتنفي عن» وفي (ف): «والنفي عن»، وفي (ر): «والسعي عن»، والمثبت من «لطائف الإشارات».

(٢) «بذلك» ليس في (أ).

(٣) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٢/ ٢٢٦).

(٤) ذكره الواحدي في «البسيط» (١٢/ ٣٣٩).

(٥) في (ف): «أي إلا أن تودوني منكم» وفي (ر): «أي لا تؤذوني لقرابتي منكم».

وقيل: هو التَّواصل في(١) الدِّين والتَّوالي عليه، ولا طاعةَ بعدَ الإيمانِ باللهِ تعالى أعظمُ ثوابًا مِن الحبِّ في الله تعالى والبغضِ فيهِ.

وقوله تعالى: ﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾: أي: في نقضِ الميثاقِ وقطيعةِ الرَّحم وكلِّ شيء.

﴿وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ﴾: أي: مناقشتَه، والمجازاةَ على كلِّ المعاصي بغيرِ عفوٍ.

وقال القشيريُّ رحمَه الله: يصلونَ أنفاسَهم بعضَها ببعضٍ، فلا يتخلَّلُها نَفَسٌ لغيرِ اللهِ تعالى، ولا في شهودِ غيرِ الله، ويصلونَ سيرَهم بسُراهم(٢) في إقامة العبوديَّة، والتَّبرِّي مِنَ الحولِ والقوَّة.

﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾: والخشيةُ لجامٌ يوقفُ المؤمنَ عن الرَّكض في ميادين الهوى، وزمامٌ يجرُّه إلى(٣) استدامة حكم التَّقوى.

﴿وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ﴾؛ أي: يبدو لهم مِن اللهِ ما لم يكونوا يحتسبون(٤).

* * *

(٢٢) ـ ﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾.

وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾: أي: حبسوا أنفسَهم عمَّا لا يجوز.

وقيل: أي: تجرَّعوا مرارةَ منعِ النَّفس فيما تهواه.

---

(١) في (ف): «على».

(٢) في (ر) و(ف): «سرهم بسرائرهم».

(٣) في (أ): «مجرد أي» بدل من «يجره إلى».

(٤) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٢/ ٢٢٦).

وقيل: صبروا على أداءِ الطَّاعات.

وقيل: صبروا على ترك السَّيِّئات.

ويجوز أن يكون هذا عطفًا، ويجوز أن يكون ابتداء، وجوابُه: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عُقۡبَى ٱلدَّارِ﴾، وكذلك قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ﴾ يحتمل الوجهَيْن.

وقوله: ﴿وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: أي: الصَّلوات بأركانها وشروطها وآدابها.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ﴾: أي: في الزَّكوات، ونوافل الصَّدقات، والمندوبِ من النَّفقات، سرًّا وعلانية، لا علانية لا غير، فيكونَ رياءً.

وقوله تعالى: ﴿وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ﴾: أي: يدفعون إساءةَ مَن أساءَ إليهم مِن النَّاس بالإحسان إليهم، عملًا بقولِه: ﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ﴾ [المؤمنون: ٩٦].

وقيل: أي: يدفعون بالإيمانِ الشِّرك.

وقال الحسنُ: إذا حُرِموا أَعطوا، وإذا ظُلِموا عفَوا، وإذا قُطِعوا وَصَلوا[١].

وقال ابنُ كيسان: إذا أذنبوا تابوا، وإذا هربوا أنابوا، فيدفعون بالتَّوبة عن أنفسِهم معرَّة الذُّنوب[٢].

ونظيرُه قولُه عليه الصَّلاة والسَّلام لمعاذٍ رضي الله عنه: «إذا عملْتَ سيِّئةً فأتْبِعْها بحسنةٍ، السِّرُ بالسِّرِّ، والعلانيةُ بالعلانيةِ»[٣].

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٢٨٦).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٢٨٦)، والواحدي في «البسيط» (١٢/ ٣٤٠).

(٣) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٤٣٢٥) من طريق أبي معاوية عن معاذ رضي الله عنه قال أوصني يا رسول الله... الحديث.

ورواه الإمام أحمد في «الزهد» (١٤١)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٠/ ١٥٩) عن عطاء بن يسار عن معاذ.

=

وقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عُقۡبَى ٱلدَّارِ﴾: أي: هؤلاء الَّذين وصفناهم هم الَّذين أعقبَهم اللهُ الجِنان مِن دار الدُّنيا؛ أي: جزاءً بما فعلوا فيها.

وعن ابن المبارك أنَّه قرأ هذه الآيات فقال: ثماني خِلالٍ مسيِّرةٌ إلى ثمانيةِ أبوابٍ مِن أبوابِ الجنَّة(١).

وقال القشيريُّ رحمَه الله: وممَّا يجبُ الصَّبر عليه لأهل الإرادة هو الوقوف على حكم تعزُّز الحقِّ جلَّ جلالُه، فإنَّه يتفضَّلُ على الكافَّة مِن المجتهدين، ويتعزَّز خصوصًا على المريدين، فيمتحنُهم بالصَّبر في أوانِ إرادتِهم، فإذا صدقوا في صبرِهم جادَ عليهم بتحقيقِ ما طلبوا(٢).

***

(٢٣) ـ ﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ﴾.

وقوله تعالى: ﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا﴾: رفعُها مِن وجهَيْنِ:

أحدُهما: أنَّه بدلٌ عن قولِه: ﴿عُقۡبَى ٱلدَّارِ﴾.

والثَّاني: أنَّه مبتدأ، وخبرُه ﴿يَدۡخُلُونَهَا﴾؛ أي: بساتينُ إقامةٍ يدخلونها.

= ورواه هناد في «الزهد» (١٠٧٢) و(١٠٩٢)، والطبراني (٢٠/ ١٧٥)، عن أبي سلمة قال: قال معاذ... وكلها مرسلات، ويشهد له حديث أبي ذر رضي الله عنه: «وأتبع السيئة الحسنة تمحها»، رواه الترمذي (٤/ ٣٥٥) وقال: حديث حسن صحيح.

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٢٨٦).

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٢/ ٢٢٧).

﴿وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ﴾: أي: مَن آمنَ بالله مِن والدِيهم وزوجاتِهم وأولادِهم فيجتمعون، وفيه أعظمُ اللذَّات وأجلُّ النِّعمة والكرامات.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ﴾: قال مقاتلٌ: يدخلون عليهم في مقدارِ يومٍ وليلةٍ مِن أيَّام الدُّنيا ثلاثَ كرَّات[1]، معهم الهدايا والتُّحف[2].

* * *

(٢٤) ـ ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُم﴾: أي: يقولون: سلامٌ عليكم، وهو تحيَّة وكرامة.

وقيل: إخبارٌ منهم أنَّهم وصلوا إلى السَّلامة التَّامَّة مِن كلِّ آفةٍ.

وقيل: هو دعاءٌ منهم لهم بها.

وقوله تعالى: ﴿بِمَا صَبَرْتُمْ﴾[3]: في الدُّنيا عن المعاصي[4] وعلى الطَّاعة وعلى المحنة.

وقوله تعالى: ﴿فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾: أي: فهي نِعْمَ عُقبى الدَّار، وقد فسَّرناها.

* * *

(٢٥) ـ ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾.

---

(١) في (ر) و(ف): «كرامات»، وفي «تفسير مقاتل»: «ثلاث عشرة مرة»، والمثبت الموافق لـ (أ)، و«تفسير الثعلبي».

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٣٧٦)، و«تفسير الثعلبي» (٥/ ٢٨٦).

(٣) بعدها في (ر): «أي: بما صبروا».

(٤) في (أ): «المعصية».

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ﴾: أي: إيثاقه ﴿وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ اللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾ هو بمقابلة ما ذكر في الآيات المتقدِّمة مِن الوفاء بالعهد وصلة الرَّحم.

قوله تعالى: ﴿وَيُفْسِدُونَ﴾: قيل: بالعمل بالمعاصي.

وقيل: بالتَّنفير عن النَّبيِّ ﷺ والنَّميمة على المؤمنين.

وقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ﴾: أي: الطَّرد والإبعاد عن رحمة الله ﴿وَلَهُمْ سُوٓءُ الدَّارِ﴾؛ أي: يرَوْن فيها ما يسوؤهم.

وقال القشيريُّ رحمَه الله: نقضُ العهدِ: الرُّجوع إلى الاختيار والتَّدبير[1] بعدَ شهودِ الأقدارِ وملاحظة التَّقدير[2].

***

(٢٦) - ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ وَفَرِحُوا بِالْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا فِى الْءَاخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾: أي: يوسِّع الرِّزق لمن يشاءُ ويضيِّق على مَن يشاء، وليس التَّوسيع على الكفَّار لكرامتهم، ولا التَّضييق على المسلمين لإهانتِهم، بل للمسلمين في الآخرة الجنَّة ونعيمها، ونِعْمَ عُقبى الدَّار، وللكافرين في الآخرة اللَّعنة ولهم سوء الدَّار.

وقوله تعالى: ﴿وَفَرِحُوا بِالْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا﴾: أي: سُرُّوا بها وبطروا؛ أي: المشركون، ولم يعلموا ما عندَ اللهِ للَّذين يؤمنون.

---

(١) في (ف): «والإدبار».

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٢/ ٢٢٨).

﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا مَتَـٰعٌ﴾: قال مجاهدٌ: أي: نفعٌ قليلٌ ذاهبٌ[1].

وقال القشيريُّ رحمَه الله: بسَطَ الرِّزقَ للأغنياء وطالبَهم بالشُّكر، وقبضَ عن الفقراءِ وطالبَهم بالصَّبر، ثمَّ وعدَ الزِّيادةَ للشَّاكرين، ووعدَ معيَّته للصَّابرين، فللأغنياء الأموال بمزيدِها، وللفقراءِ التَّجرُّد في الدَّارين عن طريفِها وتليدِها.

﴿وَفَرِحُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ فرحَ الأغنياءِ بزكاءِ أموالِهم، وفرحَ الفقراءِ بصفاءِ أحوالِهم.

﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا مَتَـٰعٌ﴾؛ أي: قليلٌ بالإضافةِ إلى متاعِ الآخرةِ، فأموال الأغنياء وإنْ كَثُرتْ قليلةٌ بالإضافةِ إلى ما وعدَ لهم مِن شهودِ جماله وجلالِه[2].

* * *

(٢٧) - ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾: أي: يقول عبدُ اللهِ بنُ أبيٍّ وأميَّةُ وأصحابُه: لولا أُنزِلَ عليه آيةٌ مِن ربِّه، وهي آيةٌ كانوا يقترحونَها.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ﴾ مع ظهور الآيات ﴿وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ﴾ مَن يشاءُ[3] مع غموضِ الآيات، فهو الهادي والمضلُّ، فيهدي ﴿مَنْ أَنَابَ﴾ إليه؛ أي: رجعَ إليه[4]، وانقطعَ بعملِه إليه؛ أي: يهدي مَن علمَ منه اختيارَ الهدى والرُّجوع إليه تعالى.

* * *

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٥١٦).

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٢/ ٢٢٩).

(٣) في (ف): «أناب».

(٤) في (أ) و(ف): «إلى الله».

(٢٨) ـ ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾: هذا نعتُ ﴿مَنْ أَنَابَ﴾، وذلك بمعنى الجمع؛ لأنَّه جنسٌ.

﴿وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم﴾؛ أي: تسكنُ ولا تضطرب، وتزول عنها الشُّبَه.

قال مجاهدٌ: الآيةُ في أصحابِ رسولِ الله ﷺ[١].

وقال مقاتلٌ: وتطمئنُّ قلوبهم بالقرآن[٢].

﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾؛ يعني: تسكنُ القلوبُ بالقرآنِ.

وقال قتادةُ: أي: تَهَشُّ إلى ذكرِ اللهِ وتستأنسُ به[٣].

وقال القشيريُّ: قومٌ قد اطمأنَّتْ قلوبُهم بذكرِ اللهِ، وفي الذِّكْرِ وجدوا سلوتهم[٤]، وبالذِّكرِ وصلوا إلى صفوتِهم، وقومٌ قد اطمأنَّتْ قلوبُهم بذكرِ اللهِ، فإذا ذكرَهُم اللهُ بلطفِه أثبتَ الطَّمأنينة في قلوبِهم على وجهِ التَّخصيص لهم.

وقيل: إذا ذكروا أنَّ اللهَ ذكرَهُم استروحَتْ قلوبُهم، واستبشرَتْ أرواحُهم، واستأنسَتْ أسرارُهم[٥].

* * *

(٢٩) ـ ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ﴾.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٥١٩)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٢٨٨).

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٣٧٧).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٥١٨)،

(٤) في (ر) و(ف): «سكونهم».

(٥) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٢/ ٢٢٩).

وقولـه تعالـى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾: هـذا مبتـدأ، وخبـرُه قولُه تعالـى: ﴿طُوبَىٰ لَهُمْ﴾.

وقيل: لَمَّا قال في الآية الأولى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ وقَبْل جوابه أتى بكلامٍ معترضٍ تامٍّ، وهو قولُه: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾؛ أي: هكذا يجبُ أنْ يكون، انقطع الأوَّل، فأعاد ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾، وهو يرجع إلى ما تقدَّمَ، وبني عليه جوابُه.

﴿طُوبَىٰ لَهُمْ﴾؛ أي: لهم طِيْبُ العيش.

﴿وَحُسْنُ مَـَٔابٍ﴾؛ أي: حسنُ مرجعٍ ومنقلَبٍ إلى كرامةِ اللهِ تعالى.

و﴿طُوبَىٰ﴾: فُعلـى مِـن الطِّيب، والـواو أصلها اليـاء، وصـارت واوًا لضمَّةِ ما قبلها.

وقال ابنُ عبَّاس رضي الله عنهما: فرحٌ لهم، تقرُّ به أعينُهم.

وقال قتادة: حُسنى لهم.

وقال عكرمة: نِعْمَ ما لهم.

وقال الضَّحَّاك: غبطةٌ لهم.

وقال إبراهيم: أي: كرامة لهم من الله.

وقال مجاهد: أي: الجنَّة لهم[1].

قال أبو هريرة: هي شجرةٌ في الجنَّة[2].

---

(١) روى هذه الأقوال الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٥٢٠ ـ ٥٢٣).

(٢) سيأتي تخريجه قريباً.

وقيل: هي تأنيثُ الأطيبِ، وهي صفة الجنَّة؛ أي: أطيب الأشياء لهم، وهي الجنَّة.

وقال الزَّجَّاج: أي: العيش الطَّيِّب لهم[1].

وقال الرَّبيعُ بنُ أنس: ﴿طُوبَىٰ لَهُمْ﴾: هو البستانُ بلغة الهند[2].

وقال مجاهد: ﴿طُوبَىٰ لَهُمْ﴾: هو الجنَّة بلسانِ الحبشة[3].

وقال شميط بن عجلان[4]: ﴿طُوبَىٰ لَهُمْ﴾؛ يعني: دوام الخير[5].

وقال أبو هريرة: طوبى: شجرةٌ في الجنَّة، يقول الله تعالى لها: تفتَّقي لعبادي عما شاؤوا، فتتفتَّقُ لقومٍ عن الخيلِ بِسُرُجِها ولُجُمِها، ولقومٍ مِن الإبلِ برحالِها وأَزِمَّتِها، ولقومٍ عن الحليِّ والحُلَلِ، ولقومٍ عن الفواكِه[6].

وقال مقاتلٌ: طوبى: شجرةٌ في الجنَّة، لو ركبَ رجلٌ فرسًا أو نجيبةً عُمُرَهُ لم يبلغ الموضِعَ الَّذي ركبَ منه حتَّى يدركَهُ الهرمُ، ولو طارَ طائرٌ مِن ساقِها لَمَا أدركَ فرعَها حتَّى يدركَهُ الهرمُ، لها أوراقٌ كلُّ ورقةٍ منها تُظِلُّ أمَّةً، على كلِّ

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ١٤٨).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٢٨٨)، وروراه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٥٢٢) عن سعيد بن مسجوح.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٥٢٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) شميط بن عجلان البصري العابد، أحد زهاد البصرة، أسند شيئًا يسيرًا عن التابعين، وله مواعظ نافعة وقصص، سئل أبو حاتم عنه فقال: لا بأس به، يكتب حديثه، توفي (١٥٠ هـ). انظر: «تاريخ الإسلام» للذهبي (٣/ ٨٩٢).

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٢٨٨).

(٦) رواه نعيم بن حماد في زوائده على «الزهد» لابن المبارك (٢٦٥)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (١٣٧٦)، والطبري في «تفسيره» (١٣/ ٥٢٤)، والواحدي في «الوسيط» (٣/ ١٦).

ورقـةٍ ملَكٌ يسـبِّحُ اللهَ تعالى بأنـواع التَّسـبيحِ، ثمارُها الحلـيُّ والحُلَلُ(١).

وقال عبيدُ بنُ عميرٍ: طوبى: شجرةٌ في الجنَّة(٢)، أصلُها في دارِ النَّبيِّ ﷺ، ففي كلِّ دارٍ وغرفةٍ غصنٌ منها، لم يخلق الله لونًا ولا زهرةً إلَّا وفيها، ينبعُ مِن أصلِها عينان: الكافور والسَّلسبيل(٣).

وروى أبو سعيدٍ الخُدْرِيُّ عن النَّبيِّ ﷺ: «طوبى شجرةٌ في الجنَّةِ مسيرةُ مئةِ سنةٍ، ثيابُ أهلِ الجنَّةِ تخرجُ مِنْ أكمامِها»(٤).

وقال أبو أمامة: طوبى شجرة في الجنَّة، ليس فيها دارٌ إلَّا وفيها غصنٌ منها، ولا طيرٌ إلَّا وهو فيها، ولا ثمرةٌ إلَّا وهي فيها(٥).

وقال يزيد بن شجرة: طوبى شجرةٌ في الجنَّةِ عليها طيرٌ أمثالُ البخت، يقعدُ الوليُّ على الخوان فيدعو واحدًا منها فيقع على الخوان، فيأكل نصفَه شواءً، ونصفَه قديدًا، فإذا فرغَ مِن الأكلِ قامَ الطَّيرُ فطارَ وذهبَ(٦).

* * *

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٣٧٧).

(٢) في (أ): «جنة عدن».

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٢٨٩)، والبغوي في «تفسيره» (٤/ ٣١٦).

(٤) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١١٦٧٣)، وأبو يعلى في «مسنده» (١٣٧٤)، وابن حبان في «صحيحه» (٧٤١٣).

(٥) رواه ابن وهب في «جامعه ـ تفسير القرآن» (٣٢٨).

(٦) رواه هناد في «الزهد» (١٢٠)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٣٩٦٦)، وسعيد بن منصور في «سننه» (١١٧٠ ـ تفسير)، وأبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٦٨)، جميعهم من قول مغيث بن سمي.

(٣٠) ـ ﴿كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ لِّتَتْلُوَا۟ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ﴾: أي: قد خلَتْ مِن قبلِكَ أممٌ أرسلنا إليهم كما أرسلنا إلى هذه الأمَّة.

قوله تعالى: ﴿لِّتَتْلُوَا۟ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾: أي: لتقرأَ عليهم القرآنَ فيتدبَّروه، ويقفوا على إعجازِه، فيكونَ آيةً على صدقِكَ، إذْ هم في غايةِ الفصاحةِ والعلمِ بأصنافِ الكلامِ، فيستدلُّوا بعجزِهم عن الإتيان بسورةٍ مثلِه أنَّه مِن عندِ اللهِ، فيقفوا أيضًا على أقاصيصِ الماضِيْن ليتيقَّنوا[1] أنَّه مِن عندِ اللهِ تعالى.

وقوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾؛ يعني: ممَّا تتلو عليهم مِن القرآنِ المعجزةِ[2].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾: لا أكفرُ بهِ كما تكفرون ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾؛ أي: اعتمدْتُ ﴿وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾؛ أي: مرجعي في الأمورِ كلِّها.

وقال مقاتلُ بنُ سليمانَ: نزلَتْ في صلح الحديبيةِ حينَ صالحَ رسولُ اللهِ ﷺ أهلَ مكَّة؛ منهم سُهَيلُ بنُ عَمرو، وذلك أنَّهم أرادوا أنْ يكتُبَ لهم رسولُ اللهِ ﷺ كتابَ الصُّلح، فقالَ للكاتبِ: «اكتب: بسمِ اللهِ الرَّحمن الرَّحيم»، فقال سهيلٌ: ما نعرفُ الرَّحمن إلَّا صاحبَ اليمامةِ ـ يعني مسيلمة الكذَّاب ـ اكتبْ: باسمِكَ اللَّهمَّ، فكتبَ: باسمِكَ اللَّهمَّ[3]، فأُنْزِلَتْ هذه الآيةُ[4].

---

(١) في (أ): «فيعرفوا»، وفي (ف): «فيقروا».

(٢) في (أ): «من الطرف المعجز» بدل من «القرآن المعجزة».

(٣) «فكتب باسمك اللهم» ليس في (ف).

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٣٧٧ ـ ٣٧٨)، وعزاه الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٢٩١) لقتادة وابن جريج، =

وقال ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: نزلَتْ في أبي جهلٍ، وذلك أنَّه دعا جماعةً مِن المشركين، وأتوا النَّبيَّ ﷺ، فقالوا[1]: إنْ يسرُّكَ أنْ نؤمِنَ بكَ ونتَّبِعَكَ فسيِّرْ لنا هذهِ الجبالَ مِن مكَّةَ، فنحنُ في ضِيْقٍ حتَّى نتَّخذ كظائِمَ - يعني: آباراً[2] - ونغرس ونزرع، فلسْتَ أهونَ عندَ اللهِ مِن داود، فقال النَّبيُّ ﷺ: «لا أطيقُ ذلك»، قالوا: فسخِّرْ لنا الرِّيحَ لنركبَها، ونمتارَ في يومٍ إلى الشَّامِ مسيرةَ شهرٍ، ونرجعَ مِن يومِنا، فلسْتَ أهونَ عندَ اللهِ مِن سليمانَ، قال: «لا أطيقُ ذلك»، قال: فإنْ كنْتَ لا تطيقُهُ فأحيِ لنا جدَّكَ قُصيًّا حتَّى يخبرَنا عن كونِ البعْثِ، وعن صحَّةِ أمرِكَ، فلسْتَ بأهونَ عندَ اللهِ تعالى مِن عيسى، قال: «لا أطيقُ ذلك»، قال: فإنْ كنْتَ لا تطيقُه فلا أُلفينَّكَ تذكرُ آلهتَنا بسوءٍ، فأنزلَ اللهُ تعالى: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ﴾ الآية[3].

***

(٣١) - ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ۗ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا ۗ أَفَلَمْ يَا۟يْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۗ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا۟ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ وَعْدُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾.

= وأصل الحديث رواه البخاري (٢٧٣١) من حديث المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم، ومسلم (١٧٨٤) من حديث أنس رضي الله عنه.

(١) في (أ): «فقال لرسول الله ﷺ» وفي (ف): «النبي ﷺ فقال» بدل من «وأتوا النبي ﷺ فقالوا».

(٢) في (أ): «يعني: آثاراً» وفي (ر): «ثم نبني لها دارًا». والكظائم: هي آبارٌ تُحْفَرُ ويُبَاعَدُ ما بَيْنَها، ثمَّ يُخْرَقُ ما بَيْن كلِّ بئرين بقناةٍ تُؤدِّي الماءَ مِن الأُولى إلى التي تَلِيْها، حتَّى يَجْتَمِعَ الماءُ إلى آخِرِهِنَّ؛ ليَبْقَى في كلِّ بئرٍ ما يَحْتاجُ إليه أهلُها للشُّربِ وسَقْيِ الأرض، ثمَّ يُخْرَجُ فَضْلُها إلى التي تَلِيْها. انظر: «مجمع الغرائب» للفارسي (مادة: كظم).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٢٩٢).

وروى نحوه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٥٣٤ - ٥٣٥) عن قتادة والضحاك وابن زيد.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا﴾: جوابُه محذوفٌ، وهو: لكان هذا القرآن، وهو كقولِ القائل:

وأقْسِمُ لو شَيءٌ أَتَانَا رَسُولُهُ سِواكَ ولَكِنْ لم يَجِدْ لَكَ مَدْفَعَا[١]

وجوابُه محذوفٌ، وهو: لدفعْنَاه.

وقال الفرَّاءُ: يجوزُ أنْ يكونَ جوابُه: لكفروا بالرَّحمن؛ لتقدُّم ما يقتضيه[٢].

يعني: إنَّهم لتعنُّتِهم لا يؤمنون مع رؤيةِ كلِّ آيةٍ، كما قال: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾ الآية [الأنعام: ١١١]، وهي منتظِمةٌ بما مَرَّ: ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾؛ يعنون: مثلَ تسيير الجبالِ وتفجُّرِ الأنهار، فلمَّا أُشِيرَ بهم إلى القرآن أنَّه آية معجزة قالوا: فافعل هذا بقرآنِكَ، فنزلَتْ: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ﴾ فكذا وكذا، وجوابُه: لكان هذا القرآن، لكنْ ما أُنْزِلَ هذا القرآنُ لهذه الأشياء، فليسَتْ هذه[٣] مِن القرآنِ ولا مِن محمَّد، بل هي مِن الله[٤] تعالى، ولو فُعِلَ بالقرآنِ لكانَ

---

(١) البيت لامرئ القيس، انظر: «ديوانه» (ص: ١٢٦)، وصدره في الديوان:

وجَـدِّكَ لـو شـيءٌ أتانـا رسـوله

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٦٣)، وفيه: (وقوله: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ﴾ لم يأتِ بعدَه جوابٌ لـ(لو)، فإنْ شئْتَ جعلْتَ جوابها متقدِّمًا: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ﴾ ولو أنزلنا عليهم الذي سألوا، وإنْ شئْتَ كان جوابه متروكًا لأنَّ أمرَه معلومٌ، والعرب تحذفُ جوابَ الشَّيء إذا كان معلومًا إرادةَ الإيجاز).

فقوله: (فإنْ شئْتَ جعلْتَ جوابها متقدِّمًا: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ﴾. . .)، هو ما أراده المؤلف بما عزاه للفراء كما يتبين من كلام مكي بن أبي طالب في «الهداية» (٥/ ٣٧٤١) حيث قال: قال الفراء: الجواب: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾، والتقدير: ولو أن قرآناً سيرت به الجبال لكفروا بالرحمن.

(٣) «فليست هذه» ليس في (أ) و(ف).

(٤) في (أ) و(ف): «بل هو لله».

ذلِكَ مِن فِعْلِ اللهِ تعالى، والأمرُ كلُّه للهِ تعالى، يفعلُ ما يشاءُ، لا يمتنعُ عليه شيءٌ أرادَه، ولكن لا يفعلُ[1] على شهواتِ المقترحين.

وقوله: ﴿أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾: استفهامٌ بمعنى الأمرِ.

قال ابنُ عبَّاسٍ ومجاهدٌ والحسنُ وقتادةُ وابن زيدٍ وأبو عبيدةَ: يعني: أفلمْ يعلمْ، ومعناه: فلْيعلَمْ[2].

قالَ سُحَيْمٌ:

أقولُ لهمْ بالشِّعْبِ إذْ ييسرونَني ... ألمْ تَيْأَسُوا أنِّي ابنُ فارسِ زَهْدَمِ[3]

وقيل: أفلمْ ينقطعْ طمعُهم مِن خلافِ هذا علمًا لصحَّتِه، والعلمُ بالشَّيءِ يوجِبُ اليأسَ مِن خلافِه.

وقيل: إنَّ طائفةً مِن المسلمين قالوا: يا رسولَ اللهِ، أجبْ هؤلاءِ الكفَّارَ إلى ما سألوا، فعسى يؤمنون، فقال الله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى

---

(١) في (أ): «يعمل».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٥٣٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما وابن جريج ومجاهد وقتادة وابن زيد. وذكره السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٢٢٨) عن الحسن.
وذكره أبو عبيدة في «مجاز القرآن» (٣/ ١٤٩)، ثم قال: «والقول عندي ـ والله أعلم ـ أن معناه: أفلم ييأس الذين آمنوا من إيمان هؤلاء الذين وصفهم الله بأنهم لا يؤمنون لأنه قال: ﴿لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾».

(٣) البيت لسحيم بن وثيل الرياحي. انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١/ ٣٣٢)، و«المعاني الكبير» لابن قتيبة (٣/ ١١٤٨)، و«تفسير الطبري» (١٣/ ٥٣٥)، و«تفسير الثعلبي» (٥/ ٢٩٣)،

﴿ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾؛ أي: إن الله قادرٌ على أنْ يهديَ كلَّ النَّاسِ، ولكنْ لا تطمعوا أنتم في إيمانِهم، فإنِّي لا أهديهم لعلمي باختيارهم الضَّلال.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا۟ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ وَعْدُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾: قال ابنُ عبَّاس: ﴿قَارِعَةٌ﴾: عقوبة(١).

وقال قتادة: بليَّة(٢).

وقال مجاهدٌ: وقعة هَلَكة؛ أي: مِن سراياه(٣).

وقال المبرِّد: داهيةٌ(٤). وأنشدَ لحسَّانَ رضي الله عنه:

وأَمَّ النَّبـيُّ بنـي مالـكٍ لقارعـةٍ وَسْـطَهُمْ تَنْـزِلُ(٥)

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٥٤١) بلفظ: «عذاب من السماء ينزل عليهم».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٥٤٢)، ولفظه: «وقيعة».

(٣) وقع لفظ الكلام في (أ) هكذا: «وقال مجاهد دفعة وقيل هلكة أي من سراياه». وقد روي خبر مجاهد في المصادر بألفاظ مختلفة لكنها متقاربة، ففي «تفسير مجاهد» (ص: ٤٠٧)، و«تفسير الطبري» (١٣/ ٥٤١)، من طريق ابن أبي نجيح عنه قوله: (تُصَابُ مِنْهُمْ سَرِيَّةٌ أَوْ تُصابُ فيهم مُصِيبةٌ). ورواه سفيان الثوري في «تفسيره» (٤٥٦) عن ليث عن مجاهد بلفظ: (﴿تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا۟ قَارِعَةٌ﴾ قال: السرايا)، وكذا رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٥٤٢) من طريق عكرمة عنه. وكذا رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٥٤٣) من طريق ليث أيضاً وزاد: (كان يبعثهم النبي ﷺ) وهذا يدل على أن الضمير في «سراياه» عائد على النبي ﷺ، وقد جاء في رواية أخرى عند الطبري: (﴿قَارِعَةٌ﴾: سَرِيَّةٌ)، وفي أخرى: (كتيبةٌ)، وفي أخرى: (﴿قَارِعَةٌ﴾: مصيبة من محمد ﴿أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ﴾ قال: أنتَ يا محمدُ ﴿حَتَّىٰ يَأْتِىَ وَعْدُ ٱللَّهِ﴾ قال: الفتحُ).

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٢٩٤) بلا نسبة.

(٥) لم أقف عليه.

فعلى قولِ مَن قالَ: هذا السُّورة مكيَّةٌ، فتأويلُه: ولا يزالُ هؤلاء المشركون يصيبهم بكفرِهم واقتراحِهم داهيةٌ مهلكةٌ مِن صاعقةٍ، كما أصابَتْ أربدَ ونحوَ ذلك، وكما أصابَتِ المشركين[1] بمكَّة على ما تأتي قصَّتُه إن شاء الله تعالى، أو تحلُّ أنت يا محمَّد قريبًا مِن دارِهم، تخرجُ مِن المدينةِ وتنزل قريبًا من دارِهم، فيخافون، حتَّى يأتيَ أمرُ اللهِ بالقتالِ.

وعلى قولِ مَن قال: هي مدنيَّة، فالقارعةُ: السَّريَّةُ مِن سرايا رسولِ الله ﷺ تأتي مكَّة، أو تحلُّ القارعةُ قريبًا مِن دارِهم حول مكَّة، والتَّاء[2] في هذا للتَّأنيث، وفي الأوَّل للخطاب ﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ﴾: فتحُ مكَّة، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾.

وقيل: ﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ﴾: إظهار دينِه على الأديانِ كلِّها.

وقيل: حتَّى يأتي يومُ القيامةِ.

والقارعةُ: مِن القَرْعِ، وأصلُه: الضَّربُ بشدَّةٍ كقَرْعِ البابِ، والضَّرْبُ بالمِقْرَعَةِ، والقارعةُ اسمٌ للقيامةِ لقرعِها القلوب.

* * *

(٣٢) ـ ﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾: وهذه تسليةٌ للنَّبيِّ ﷺ.

---

(١) في (أ): «المستهزئين».

(٢) أي: التاء في ﴿تَحُلُّ﴾.

يقول: ولقد فُعِلَ بالرُّسلِ مِنْ قبلِكَ ما يَفعلُ هؤلاء المستهزئون[1] بك، مِن الاستهزاءِ، واقتراحِ الآيات، فأمهلْتُ المستهزئينَ مدَّةً ليؤمِنَ مَن كان في علمي أنَّه يؤمِنُ، أو يزدادَ إثمًا ويكفرَ مَن علمْتُ أنَّه لا يؤمنُ.

﴿ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ﴾: بالعقابِ، فانظر كيف كان ذلك.

وقوله: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ كلمةٌ تُستعمَلُ عندَ الإعلام بالقدرة، وهو توعُّدٌ لهؤلاءِ بمثلِه.

* * *

(٣٣) - ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ أَم بِظَـٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ مَكْرُهُمْ وَصُدُّواْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾: هو تعجُّبٌ مِن المشركين في إشراكِهم باللهِ غيرَه، وهو استفهامٌ بمعنى النَّفي؛ أي: ليس مَن هو قائمٌ على كلِّ نفسٍ بما كسبَتْ؛ أي: قائمٌ بالتَّدبير في جزائها[2]، وقيل: بحفظِها وإدرارِ رزقِها.

وقيل: أفمَن هو محاسِبٌ مطالِبٌ، كما قال: ﴿إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا﴾ [آل عمران: ٧٥].

وحذفَ هنا: (كمَنْ ليس كذلك) لدلالةِ الكلامِ عليه، ومثلُهُ في القرآن كثيرٌ: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَـٰمِ﴾ [الزمر: ٢٢]، ﴿أَمَّنْ هُوَ قَـٰنِتٌ﴾ [الزمر: ٩]، ودلَّ على هذا الحذف ما بعدَه، وهو قوله تعالى:

﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ﴾؛ أي: شركاءَ ليسوا بقائِمينَ على الأنفس.

---

(١) «المستهزئون» ليس في (أ).

(٢) في (ف): «حراستها».

وقيل: المحذوفُ شيءٌ آخرُ، وتقديرُه: أفمَن هو قائمٌ على كلِّ نفسٍ بما كسبَتْ يحفظُها ويرزقُها في دار المحنةِ إلى مدَّةٍ يمتحنُهم ثمَّ لا يجعلُ لهم دارَ جزاءٍ؛ أي: هذا لا يكون.

وكلمةُ: (أفَمَنْ) و(أومَنْ) و(أمَّنْ) ذُكِرَتْ في القرآنِ في ستَّ عشرةَ آية:

ثلاثٌ في صفةِ اللهِ تعالى: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ﴾ [النحل: ١٧]، ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الرعد: ٣٣]، ﴿أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ﴾ [يونس: ٣٥].

وثلاثٌ في حقِّ الرَّسولِ ﷺ: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ﴾ [محمد: ١٤]، ﴿أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٦٢]، ﴿أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الملك: ٢٢].

وواحدةٌ في حقِّ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه: ﴿أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَٰقِيهِ﴾ الآية [القصص: ٦١].

وواحدةٌ في حقِّ الفاروقِ رضي الله عنه: ﴿أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا﴾ [فصلت: ٤٠].

وواحدةٌ في حقِّ عثمانَ رضي الله عنه: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ﴾ [الزمر: ٩].

وواحدةٌ في حقِّ عليٍّ رضي الله عنه: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا﴾ [السجدة: ١٨].

وثلاثٌ في حقِّ المؤمنين: ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ﴾ [الرعد: ١٩]، ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾ [الزمر: ٢٢]، ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾ [الأنعام: ١٢٢].

وثلاثٌ في حقِّ الكفَّارِ: ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ﴾ [الزمر: ١٩]، ﴿أَفَمَن يَتَّقِى بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ [الزمر: ٢٤]، ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا﴾ [فاطر: ٨].

وقـوله تعالى: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ﴾؛ أي: أشركوا أيضًا مع إنكارِهُمُ البعثَ، فازدادوا كفرًا إلى كفرٍ.

وقوله تعالى: ﴿قُلۡ سَمُّوهُمۡ﴾: قيل: سمُّوا هؤلاء الَّذين جعلتُموهم شركاء بأسماء حقيقةٍ لها معانٍ تستحقُّ بها أنْ تكونَ معبودةً، ولم تقدروا على ذلك، فبطلَ قولُكم.

وقيل: إذا سمَّيتموها آلهةً فسمُّوها بأسماء الله، وهي الخالق والرَّازق وسائر الأسماء، ولا يفعلون ذلك لعلمِهم أنَّه باطلٌ، فكذلك تسميتُهم بالآلهةِ.

وقيل: إذا جعلتُم لي شركاء فسمُّوها مَن هم، ولا شكَّ أنَّهم يسمُّون أصنامَهم المعروفةَ باللَّات والعُزَّى ومناةَ ونحوها، فيَعلمُ كلُّ عاقلٍ أنَّها جماداتٌ لا تملكُ شيئًا، ولا يكون منها شيءٌ إلهًا معبودًا، وهو كمَنْ يقولُ: إنِّي لأعلمُ لفلانٍ شبيهًا، فيُقالُ له: سَمِّهِ، فإذا سَمَّى مَن يُعْلَمُ يقينًا أنَّه ليس بشبيه لِمَنْ[١] يقولُ، رُدَّ عليه قولُه، وبطلَ كلامُه، فكذا هذا.

وقولُه تعالى: ﴿أَمۡ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾: أي: أتخبِّرون اللهَ بالشُّركاءِ في الأرض وهو لا يعلمُ ذلك؛ أي: لو كان لَعَلِمَ، فهو في الحقيقةِ نفيُ الكونِ، لا نفيُ العِلْم، وأنَّه[٢] عطفٌ على الألفِ في قوله: ﴿أَفَمَنۡ هُوَ قَآئِمٌ﴾.

وقيل: هاهنا مُضمَر بالألف، ثمَّ هذا عُطِفَ عليه: ﴿قُلۡ سَمُّوهُمۡ﴾[٣] أتسمُّونهم أم تنبِّئون اللهَ بما لا يعلمُ في الأرض.

---

(١) في (أ): «لشبيه أن» بدل من «بشبيه لمن».

(٢) في (ف): «ولأنه».

(٣) في (ر) و(ف): «بل سموهم».

وقوله تعالى: ﴿أَم بِظَـٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ﴾: قالَ مجاهدٌ وقتادةُ: أي: بظاهرٍ مِن قَوْلِ سلفِكُم على الجهالةِ أنَّها شركاء مِن غير حقيقةٍ[١].

وقيل: ﴿أَم بِظَـٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ﴾ الَّذي أنزلَ اللهُ على عبادِه، فإنِ ادَّعوا ذلكَ فقل: هاتوا برهانَكم.

وقيل: أي: بظنٍّ[٢] مِنَ القولِ، كالرَّجلِ يرى ظاهرَ الشَّيءِ وهو لا يعلمُ باطنَه، ولو تأمَّلَه لَبَانَ له خلافُه، وهو كقوله: ﴿وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ﴾ [هود: ٢٧]؛ أي: بما ظهرَ لهم من الرَّأي مِنْ غيرِ تأمُّلٍ.

وقيل: أي: بباطلٍ مِن القولِ زائلٍ، ويقال: ظهرَ عنِّي العيبُ؛ أي: زالَ، قال الشَّاعرُ:

وتِلْكَ شَكاةٌ ظاهرٌ عنكَ عارُها[٣]

أي: زائلٌ.

وقوله تعالى: ﴿بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَكْرُهُمْ﴾: أي: ما أُتُوا مِن هذا، ولكن زَيَّنَ الشَّيطانُ لهم اختداعَهم[٤] للضَّعفة.

وقوله تعالى: ﴿وَصُدُّوا۟ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾: قرأ عاصمٌ وحمزةُ والكسائيُّ بضمِّ الصَّاد؛ أي: وصرفَهُم الشَّيطان عن سبيلِ اللهِ، وقرأ الباقونَ بفتحِها[٥]؛ أي: هم أعرضوا عنه.

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾: هذا ظاهرٌ.

---

(١) رواه عنهما الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٥٤٩)، ولفظ مجاهد: «بظن»، ولفظ قتادة: «الظاهر من القول: هو الباطل».

(٢) في (ر) و(ف): «نطق».

(٣) عجز بيت لأبي ذؤيب الهذلي، انظر: «ديوان الهذليين» (١/ ٢١)، وصدره:

وعيَّرها الواشون أنِّي أحبُّها

(٤) في (أ): «اختلاعهم»، وفي (ر) و(ف): «اخداعهم»، والمثبت من «تفسير ابن كمال باشا» عند هذه الآية.

(٥) انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ٣٥٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٣).

(٣٤) ـ ﴿لَّهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ﴾.

وقوله: ﴿لَّهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: يحلُّ بهم كما حلَّ بالمستهزئين وبرؤوس المشركين يومَ بدرٍ ونحو ذلك.

﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ﴾: أي: أغلظُ وأبلغُ ﴿وَمَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ﴾؛ أي: إذا عذَّبهم لم يمنعْهُ مانعٌ عنه.

* * *

(٣٥) ـ ﴿۞ مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوا وَّعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ﴾.

وقوله: ﴿مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ﴾: قيل: جوابُه محذوفٌ في آخرِه، وهو: أَجَلُّ مَثَلٍ.

وقيل: ﴿مَّثَلُ الْجَنَّةِ﴾؛ أي: صفةُ الجنَّة، كقوله: ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ﴾ [الروم: ٢٧]، وعلى هذا فيه مُضْمَرٌ أيضًا، تقديرُه: صفةُ الجنَّة التي وُعِدَ المتَّقون [أنها][(١)] تجري مِن تحتِها الأنهارُ.

وقيل: الإضمار في أوَّلِه: وفيما يُتْلَى عليك مثلُ الجنَّةِ.

وقيل: إضماره: هذا مثل الجنَّة، ذكر وعدَ الأولياءِ بعدَ ذكرِ وعيدِ الأعداءِ.

﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾: أي: في غاية النُّزهة، والعربُ كانوا في عِوَزٍ مِن الماءِ، فكانوا يَعُدُّون هذا أعظمَ نزهةٍ.

وقوله تعالى: ﴿أُكُلُهَا دَائِمٌ﴾: أي: ثمرُها غيرُ منقطعٍ ﴿وَظِلُّهَا﴾ كذلِكَ لا تنسخُهُ الشَّمسُ.

---

(١) ما بين معكوفتين زيادة يقتضيها السياق، وبدونه لا يكون هناك مضمر، وهذا الوجه أجازه الفراء في «معاني القرآن» (٢/ ٦٥)، ونقله عنه ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٣/ ٣١٥).

﴿تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾: أي: هذه عاقبة المتَّقين ﴿وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ﴾: هذا ظاهر.

* * *

(٣٦) - ﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾؛ أي: وأهل الكتاب الَّذين أسلموا ﴿يَفْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾؛ أي: بالقرآنِ؛ لموافقةِ كتابِهم في ذِكْرِ الرَّحمنِ.

﴿وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ﴾: قال مقاتلٌ: يعني: بني المغيرة وبني أميَّة وآلَ أبي طلحة بن عبد العُزَّى، قالوا: ما نعرفُ الرَّحمن إلَّا مسيلمة[1].

وقال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: إنَّ مؤمِني اليهود أتَوا النَّبيَّ ﷺ، فقالوا: يا رسول الله، ذِكرُ الرَّحمنِ في التَّوراةِ كثيرٌ، ولسْنَا نرى ذلك في القرآنِ، فأنزل الله تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ﴾ [الإسراء: ١١٠] الآية، فقال مشركو مكَّة: كان محمَّدٌ يدعونا إلى إلهٍ واحدٍ، والآن يدعونا إلى إلهَيْنِ اثنَيْنِ، فأنكروا اسم الرَّحمن، فأنزلَ اللهُ تعالى: ﴿وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ﴾[2].

وقيل: فرحَ أهلُ الكتابِ به لموافقتِه كتابَهم في كلِّ شيءٍ، والأحزابُ ينكرونَ بعضَه لأنَّهم يقولون: الخالقُ هو اللهُ، ثمَّ يشركون بِهِ غيرَه.

وقال ابنُ عبَّاسٍ في روايةٍ: إنَّ اليهودَ آمنوا بسورةِ يوسف لوفاقِها ما في التَّوراة مِن قصَّةِ يوسفَ، ثمَّ أنكروا جميعَ القرآنِ سوى قصَّةِ يوسفَ[3].

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٣٨٢)، وفيه: «أنكروا الرحمن، والبعث، ومحمدًا عليه الصلاة والسلام» بدل «قالوا: ما نعرف الرحمن إلا مسيلمة».

(٢) ذكره الواحدي في «البسيط» (١٢/ ٣٧٤)، وروى نحوه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ١٢٣).

(٣) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ١٨٠)، وروى نحوه البيهقي في «دلائل النبوة» (٦/ ٢٧٦).

والأحزابُ: جمعُ حِزْبٍ، وهم الأخلاط من اليهود والنّصارى والمشركين، تحزَّبوا على رسولِ اللهِ ﷺ يوم الخندق؛ أي: تعاونوا.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ ۚ إِلَيْهِ أَدْعُوا۟ وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ﴾: أي: مرجعِي في أمورِي كلِّها، وهو حَسْمٌ لإطماعِهم في مطابقتِهم على شيءٍ مِن دينِهم.

* * *

(٣٧) ـ ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا وَاقٍ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾: أي: وكما آتيناهم الكتاب قد أنزلنا عليكم حكمًا عربيًا؛ أي: كتابًا بلسانِ العربِ.

والحُكْمُ: اسمُ القرآنِ، سُمِّيَ به لأنَّه للحُكْمِ نَزَل.

وقيل: أي: أنزلنا حُكْمًا دانَتْ به العرب قديمًا، وهو دينُ الحنيفيَّة، دينُ إبراهيمَ وإسماعيلَ، إلى أنْ غيَّروه.

وقوله تعالى: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم﴾: في اتِّباع مِلَّةِ آبائِهم المشركين.

وقد قيل: في القِبْلَةِ، فقد قيل في ذلك: نزلَتْ حين دعاه اليهود إلى الصَّلاة إلى قبلتِهم بعدما حُوِّلَ عنها.

﴿مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ﴾: يتولَّى دفعَه عنك ﴿وَلَا وَاقٍ﴾: يقيْكَ عذابَه.

* * *

(٣٨) ـ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً ۚ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ ﴾: ثمَّ عاد الكلامُ إلى ذِكْرِ ما التَمسوا مِن الآياتِ قال: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ ﴾[1].

﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً ﴾؛ أي: زوجاتٍ وأولاداً؛ أي: كان سبيلُهم كسبيلِ غيرِهم مِن البشرِ، ينكحونَ ويُوْلَدُ لهم، ويقضونَ ما أحلَّ اللهُ لهم مِن الشَّهوات، لم يفارقوا غيرهم إلَّا في الرِّسالة.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾: أي: لم يكنْ في وُسْعِهم الإتيان بآيةٍ إلَّا بإيتاءِ اللهِ تعالى.

وقوله تعالى: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴾: أي: لكلِّ شيءٍ وقتٌ وقد قدَّره اللهُ فيه، فالآياتُ الَّتي التمسوها إنَّما تكون في الوقتِ الذي أجَّله الله لها، لا على اقتراحِهم.

وقيل: إنَّ الآيةَ نزلَتْ في اليهودِ حينَ عيَّرتْ[2] رسولَ اللهِ ﷺ، وقالوا: لا نرى له همَّة إلَّا النِّساء والنِّكاح، فأنزلَ اللهُ هذه الآية[3].

وقد كانَ لداودَ عليه السَّلام مئةُ امرأةٍ مهريَّة، وثلاثُ مئة سُرِّيَّة، وكان لسليمان عليه السلام ثلاثُ مئةِ مهريَّة، وسبعُ مئة سُرِّيَّة، ولك يا محمَّد تسع نسوةٍ، فما لهم لا يعيبونهما ويعيبونك.

* * *

(٣٩) ـ ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾.

---

(١) في (ف): «ثم عاد الكلام إذا ما ذكروا قال ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك»، وليست في (ر).

(٢) في (ر): «عابت».

(٣) ذكره الواحدي في «البسيط» (١٢/ ٣٧٥) عن الكلبي، وروى نحوه الطبري في «تفسيره» (٧/ ١٥٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٩٧٨)، في سبب نزول قوله تعالى: ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ ﴾ [النساء: ٥٤].

وقوله تعالى: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ﴾: قرأ ابن كثير وأبو عَمرو وعاصم: ﴿وَيُثْبِتُ﴾ مخففًا، مِن الإثباتِ، والباقون: ﴿يُثَبِّتُ﴾ مشددًا مِن التَّثبيت(١).

وقال ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ مِن ديوان الحفظَةِ، ما ليسَ فيه ثوابٌ ولا عقابٌ، ﴿وَيُثْبِتُ﴾ ما فيه ثوابٌ وعقابٌ، وذلك لأنَّ الحفظَةَ تكتبُ على الإنسانِ جميعَ ما يقول ويعمل، فإذا كان يومُ الخميس والإثنين عُوْرِضَ ذلك باللَّوح المحفوظ، فيُلْقَى مِن كتاب الحفظة ما لا جزاءَ له مِن خيرٍ وشرٍّ، ويُثبتُ ما يوافق الكتابَ مِن ذلك الخير والشَّرِّ، والثَّواب والعقاب(٢).

وقال الضَّحَّاكُ: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ﴾ ما ليس للعبد ولا عليه، ﴿وَيُثْبِتُ﴾ ما له وعليه(٣).

وقال عليٌّ: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ مِن القرون، ﴿وَيُثْبِتُ﴾ ما يشاء من القرون؛ قال تعالى: ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ﴾ [طه: ١٢٨]، وقال: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ﴾ [المؤمنون: ٣١](٤).

وقال سعيدُ بنُ جبيرٍ: هذا في الفرائض والشَّرائع، يَنسخُ فرضٌ فرضًا، وشريعةٌ شريعةً(٥).

وقال قتادة: هو قوله: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ﴾ [البقرة: ١٠٦] الآية(٦)، يشيرُ إلى أنَّ النَّاسخ هو المثبَت، والمنسوخ هو الممحوُّ.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ٣٥٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٤).

(٢) ذكره بنحوه عن ابن عباس الواحدي في «البسيط» (١٢/ ٣٧٩)، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٥٦٦) عن الكلبي.

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٢٩٧)، والواحدي في «البسيط» (١٢/ ٣٧٩)، و«الوسيط» (٣/ ٢٠)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ٣٣٨).

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٢٩٨).

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٢٩٨)، والواحدي في «البسيط» (١٢/ ٣٨٠).

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٥٦٧).

وقال عكرمةُ: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ يعني: يمحو بالتَّوبة جميعَ الذُّنوب، ﴿وَيُثْبِتُ﴾ بدلَ الذُّنوب حسناتٍ، قال الله تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ﴾ [الفرقان: ٧٠][(١)].

وقال الحسنُ: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ﴾ الآباءَ، ﴿وَيُثْبِتُ﴾ الأبناء[(٢)].

وقال السُّدِّيُّ: يعني: في الشَّمس والقمر، ومعناه: يمحو القمرَ، ويثبت الشَّمس؛ قال تعالى: ﴿فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ [الإسراء: ١٢][(٣)].

ومحو اللَّيل على وجهَيْن:

أحدهما: نقصانُ نورِه عن نورِ الشَّمس.

والثَّاني: ما نرى مِن السَّوادِ في وجهِ القمر.

وقال محمَّدُ بنُ كعبٍ القرظيُّ: إذا وُلِدَ الإنسانُ أُثْبِتَ أجلُه ورزقُه، فإذا ماتَ مُحِيَ أجلُه ورزقُه[(٤)].

وقال الإمامُ أبو منصورٍ رحمَه اللهُ: ويحتمل محوَ الأحوال[(٥)] وإثبات أضدادها، مِن نحوِ تحويلِ النُّطفةِ علقةً، ثمَّ مضغةً. . . إلى آخرها.

ويحتمل: محوَ الأعمالِ؛ إذا كان كافرًا ثمَّ أسلمَ في آخر عمرِه مُحيَتِ الأعمالُ

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٢٩٨)، والبغوي في «تفسيره» (٤/ ٣٢٥).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٢٩٨)، والقرطبي في «تفسيره» (١٢/ ٨٩).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٢٩٨).

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٢٩٨)، والواحدي في «البسيط» (١٢/ ٣٧٩ـ ٣٨٠)، والبغوي في «تفسيره» (٤/ ٣٢٥).

(٥) في (ر) و(ف): «ويحتمل محو أجله وأحواله».

الَّتي كانت في حالِ كفرِه فأُبْدِلَتْ حسناتٍ، وإذا كان مسلمًا ثمَّ كفرَ في آخر عمرِه مُحِيَتْ أعمالُه الَّتي كانت صالحةً فلم ينتفِع بها(١).

وقيل: هو محو السعادة وإثبات الشقاوة وعكسهما(٢).

وعن عمرَ رضي الله عنه: أنَّه كان يدعو بهذا الدُّعاء: اللَّهمَّ إنْ كُنْتَ كتبْتَ اسمي في ديوان الأشقياءِ، فامحُهُ مِن ديوان الأشقياءِ، وأثبتْهُ في ديوان السُّعداءِ، فإنَّكَ قلْتَ وقولُك الحقُّ: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾(٣).

وقيل ـ وهو الأوفقُ(٤) للنَّظم ـ: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾؛ أي: لكلِّ وقتٍ قضاءٌ مكتوبٌ في اللَّوحِ المحفوظِ، فكانَ في أيَّامِ الماضيْنَ إذا سألوا آيةً مقترحةً أتاهم ذلك، فإذا لم يقبلوها استأصلَهم، كالنَّاقة لصالح، والمائدة لعيسى.

وكان في زمنِ النَّبيِّ ﷺ الإتيانُ بالآيات الدَّالة على حقيقته مِن غير اقتراحٍ منهم، ولم يؤْتِهم ما اقترحوه؛ لأنَّ تركَ الإيمانِ يوجبُ الاستئصال، والنَّبيُّ ﷺ بُعِثَ رحمةً للعالمين.

﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ﴾: يمحو إيتاءَ الآياتِ المقترحة، ويثبِتُ إيتاءَ الآياتِ المبتدأة لهذه الحكمة.

---

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٦/ ٣٥٢).

(٢) في (ف): «وعكسها».

(٣) رواه البخاري في «التاريخ الكبير» (٧/ ٦٣)، والفاكهي في «أخبار مكة» (٤١٨)، والدولابي في «الكنى» (١/ ١٥٥)، والطبري في «تفسيره» (١٣/ ٥٦٣)، واللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (١٢٠٧).

وروى نحوه ابن فضيل في «الدعاء» (٥٢)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٢٩٥٣٠)، والبيهقي في «القضاء والقدر» (٢٥٧)، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٤) في (ر) و(ف): «الأزين».

وقال الإمام القشيريُّ رحمَه الله: يمحو مِن قلوبِ الزُّهَّاد حبَّ الدُّنيا، ويثبِتُ بدلَه الزُّهدَ فيها.

ويمحو مِن قلوب العارفين الحظوظ، ويثبِتُ بدلها إيثارَ حقِّ اللهِ.

ويمحو عن قلوب الموحِّدين شهود الخلق، ويثبِتُ بدلها شهود الحقِّ.

وقيل: يمحو العارفين عن شواهدِهم، ويثبِتُهم بشاهد الحقِّ.

وقيل: يمحو العبدَ عن أوصافِه، ويثبِتُه بالحقِّ.

وقيل: يمحو عن قلوبِ الأجانبِ ذِكْرَ الحقِّ، ويبدلُ بدلَه غَلَبَاتِ الغَفْلَةِ وهواجم النِّسيان.

وقيل: يمحو أوضارَ الزَّلَّةِ عن نفوس العاصين، وآثارَ العصيانِ عن ديوانِ المذنبين، ويثبِتُ بدلَه لوعةَ النَّدمِ، وانكسارَ الحسرةِ، والخمودَ عن متابعةِ الشَّهوة.

وقيل: يمحو نضارةَ الشَّبابِ، ويثبِتُ صفةَ الشَّيبِ.

وللمقال مجالٌ في هذا الباب.

وقوله تعالى: ﴿وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ قيل: اللَّوحُ المحفوظُ الَّذي أُثْبِتَ فيه ما سبقَ علمُه وحُكمه بما لا تبديلَ له ولا تغيير.

وقيل: هو إشارة إلى علمِه الشَّامل لكلِّ معلومٍ[1].

* * *

(٤٠) ـ ﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعۡضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمۡ أَوۡ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُ وَعَلَيۡنَا ٱلۡحِسَابُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ﴾: ﴿إِمَّا﴾ كلمتان؛ (إنْ) للشَّرط، و(ما) للتَّأكيد، والنُّون في ﴿نُرِيَنَّكَ﴾ كذلك.

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٢/ ٢٣٤ ـ ٢٣٥).

﴿بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ﴾: هو قولُه: ﴿لَّهُمْ عَذَابٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾، وقوله: ﴿تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا۟ قَارِعَةٌ﴾، وقوله: ﴿فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ﴾.

يقول: ﴿فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ﴾ ما نعدهم من الانتقام[1]؛ أي: مِن هؤلاءِ المستهزئين بك المكذِّبين لك في حياتِك ﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾؛ أي: أو أُمِتْكَ قبلَ ذلكَ وفعلْتُ بهم ذلكَ بعدَ موتِكَ، أو أخَّرْتُ عقوبَتهم إلى يومِ القيامةِ = فليس عليكَ في ذلكَ نقصٌ في نبوَّتِكَ.

وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ﴾؛ أي: بتبليغ الرِّسالة، والوعيدِ بالعقوبةِ، لا تعجيلها لهم ﴿وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ﴾؛ أي: وإلينا مراعاةُ أجلِها المعلوم، والإيقاعُ بهم عندَ الوقتِ المحتوم.

(٤١) ـ ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾: أي: تأخيرُ العذاب عنهم ليس للعجزِ؛ لأنَّا قد أريناهم النُّقصان في أطراف بلادِهم، بخرابِ ما حولَهم مِن القُرى، وخلوِّها عن أهلِها بالقتل والسَّبي، وزوالِ سلطانِهم عنها، وضربِ الجزيةِ عليهم.

وتفسيرُ قولِه تعالى: ﴿نَأْتِى ٱلْأَرْضَ﴾؛ أي: يأتيها أمرُنا بالعذابِ، كما قال: ﴿فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ﴾ [النحل: ٢٦]، وقال: ﴿أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا﴾ [يونس: ٢٤]، ونظيرُ هذه الآيةِ قولُه: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْقُرَىٰ﴾ [الأحقاف: ٢٧]، وقولُه تعالى: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ ۚ أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [الأنبياء: ٤٤]،

---

(١) في (ر) و(ف): «الأسقام».

وهذا التَّأويل عن ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما والحسن والضَّحاك[١].

وقال مجاهد: هو بموت أهلها[٢].

وقال ابن عبَّاس في روايةٍ ومجاهد: بموت العلماءِ وخيارِ أهلِها[٣].

والأطرافُ: الأشرافُ ـ لغةً ـ على هذا القول، وعلى القول الأوَّل: النَّواحي.

وقال ابن عبَّاس في رواية: بخرابها[٤].

وروى أبو هريرةَ عنِ النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «هو موتُ العلماءِ»[٥].

وقيل: معنى الآية: أَوَلَا يتأمَّلون أنَّا نفتحُ على رسولِ اللهِ ﷺ ما حولَ مكَّةَ مِن بلاد المشركين فأَنْقصُ بذلك مِن قراهم وأزيدُ في بلادِ الإسلامِ، فيعلموا أنَّه لا يكون لهم حُسن[٦] العاقبة بعدَ أنْ نَقَصْتُ مِن أطرافِ أرضِهم.

وقال الإمامُ أبو منصورٍ رحمَه الله: ما رُوِيَ أنَّه موتُ علمائِها، وذلك لأنَّ العلماءَ هم عُمَّار الأرض وأهلها، وبهم صلاحُ الأرضِ، فوصفَ الأرضَ بالنُّقصانِ بذهابِ أهلِها، وهو كما قال: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ [الروم: ٤١]، وقال: ﴿لَفَسَدَتِ

---

(١) رواه عنهم الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٥٧٤ ـ ٥٧٥)، ولفظ ابن عباس: أولم يروا أنا نفتح لمحمد الأرض بعد الأرض؟ ولفظ الحسن والضحاك قريب منه، فقول المؤلف: «يأتيها أمرنا بالعذاب» المراد به هزيمتهم وقهرهم بتغلب النبي ﷺ عليهم، وذهاب أرضهم وملكهم بما يفتح الله على نبيه منها.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٥٧٧).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٥٧٨ ـ ٥٧٩)، والحاكم في «المستدرك» (٣٣٣٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما، ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٣٩٤)، والطبري في «تفسيره» (١٣/ ٥٧٩) عن مجاهد.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٥٧٦).

(٥) عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٤/ ٦٦٥) إلى ابن مردويه.

(٦) في (ر) و(ف): «حسن مآب أي» بدل «حسن».

ﵟٱلۡأَرۡضُﵞ [البقرة: ٢٥١]، والأرضُ لا تفسدُ بنفسِها، بل وُصِفَتْ به لفسادِ أهلِها، فلذلك لا تَنْقصُ، ولكنْ وُصِفَتْ بهِ لذهابِ عُمَّارِها.

ثمَّ يحتمِلُ ذلكَ علماءَ أهلِ الكتاب المتقدِّمين، والمرادُ بذِكْرِ ذلك أنَّهم إذا ذهبوا فلا بُدَّ مِن رسولٍ يعلِّمُهم الشَّرائع والآداب، ويجدِّد ما درسَ مِن الآياتِ، وإنْ أرادَ به علماءَ هذه الأمَّة ففيه تسليةٌ للنَّبيِّ ﷺ وتعزيةٌ له بما يصيبُ أمَّته[1].

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَحۡكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكۡمِهِۦ﴾؛ أي: لا ناقضَ له، ولا رادَّ، والتَّعقيبُ: إعقاب الشَّيء بما يبطلُه.

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ﴾: أي: إنَّ أجلَ العذابِ إذا جاءَ لم يتأخَّر عن مستحقِّه، بل هو سريعٌ عاجلٌ.

وقال القشيريُّ: النَّقص مِن أطرافِها هو موتُ الأولياء الذين إليهم يفزَعُ الخَلْقُ.

وقيل: هو ذهابُ أهلِ المعرفةِ حتَّى إذا جاء مسترشدٌ في طريقِ اللهِ لم يجدْ مَن يهديهِ إلى اللهِ تعالى[2].

* * *

(٤٢) ـ ﴿وَقَدۡ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَلِلَّهِ ٱلۡمَكۡرُ جَمِيعٗاۖ يَعۡلَمُ مَا تَكۡسِبُ كُلُّ نَفۡسٖۗ وَسَيَعۡلَمُ ٱلۡكُفَّٰرُ لِمَنۡ عُقۡبَى ٱلدَّارِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَقَدۡ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾: أي: بأنبيائِهم[3]؛ بالاستهزاءِ، والتماسِ آياتِ الاقتراحِ، كما مكرَ بك هؤلاء وصوَّروا عندَ الضَّعفة أنَّ دعوتَكَ لو كانت حقًّا لجئْتَهم بما يلتمسونَه مِن الآياتِ المقترحة.

---

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٦/ ٣٥٥).

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٢/ ٢٣٦).

(٣) في (ر) و(ف): «باستهزائهم».

وقوله تعالى: ﴿فَلِلَّهِ ٱلۡمَكۡرُ جَمِيعٗا﴾: أي: إنَّ اللهَ تعالى يردُّ ضررَ المكرِ على الكفَّارِ، فلا يحصلون[1] مِن مكرِهم على شيءٍ، ويوضِّحُ اللهُ حُجَجَهُ لعبادِه، فيعودُ أثرُ مكرِهم عليهم؛ قال الله تعالى: ﴿وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا وَمَكَرۡنَا مَكۡرٗا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ۝٥٠ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكۡرِهِمۡ أَنَّا دَمَّرۡنَٰهُمۡ وَقَوۡمَهُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾ [النمل: ٥٠ ـ ٥١].

وقيل: تحصيلُ هذا الكلام: أنَّ اللهَ مالكُ مكرِ العبادِ، لا يضرُّ الماكرون أحدًا إلَّا بإذنِ اللهِ، وقد ضَمِنَ اللهُ تعالى نصرةَ أوليائِه، فلا يعودُ ضررُ مكرِ المشركين إلَّا عليهم.

وقوله تعالى: ﴿يَعۡلَمُ مَا تَكۡسِبُ كُلُّ نَفۡسٖ﴾: أي: مِن خيرٍ أو شرٍّ، فهو مجازِيْها بهِ.

وقوله تعالى: ﴿وَسَيَعۡلَمُ ٱلۡكُفَّٰرُ﴾: أي: عن قريبٍ يعلمون، وقرأ أبو عَمرو: ﴿وَسَيَعْلَمُ الكافِرُ﴾[2]، وهو معرفةٌ، فكان للجنس، فتضَمَّنَ معنى الجمعِ.

وقوله تعالى: ﴿لِمَنۡ عُقۡبَى ٱلدَّارِ﴾: أي: يعلمون لِمَنْ تكونُ عاقبةُ الدَّار، وهذا وعيدٌ.

وقال القشيريُّ رحمَه الله: مكرُ الكفَّارِ: إظهارُ الموافقةِ مع إبطانِ المخالفةِ، ومكرُ اللهِ بهم: إيهامُهم أنَّهم محسنونُ في أعمالِهم، وأنَّ لهم شيئًا مِن أحوالهم[3].

* * *

(٤٣) ـ ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسۡتَ مُرۡسَلٗاۚ قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدَۢا بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ وَمَنۡ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسۡتَ مُرۡسَلٗا﴾: قال ابن عبَّاس رضي الله

---

(١) في (ر) و(ف): «يحيطون».

(٢) وهي قراءة ابن كثير ونافع أيضاً. انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ٣٥٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٤).

(٣) في (أ): «وأن بهم شيئًا من أحوالهم»، وفي (ر) و(ف): «وأن لهم شيئًا من أقوالهم»، وانظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٢/ ٢٣٧)، وفيه: «وحسبانهم أنهم ستأمن أحوالهم».

عنهما: هو كعبُ بنُ الأشرفِ، ومالكُ بنُ الصَّيفِ، وكنانةُ بن أبي الحقيق، وربيعة بن عَمرو[١].

ويجوز أنْ يكون جميعَ كفَّارِ عصرِه.

وقال مقاتلٌ: يعني: مشركي العرب[٢].

وقوله تعالى: ﴿لَسۡتَ مُرۡسَلٗاۚ﴾ قيل: جوابُ هذا وردَ منصوصًا عنه في آياتٍ، منها قوله تعالى: ﴿يسٓ ١ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ ٢ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ [يس: ١ ـ ٣]، ومنها قوله: ﴿وَرَبُّكَ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخۡتَارُۗ﴾ [القصص: ٦٨]، ومنها قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۖ﴾ [البقرة: ١١٩].

ثمَّ معنى قولهم: ﴿لَسۡتَ مُرۡسَلٗاۚ﴾: ما أنتَ برسولٍ مِن اللهِ إلينا؛ لأنَّكَ عاجزٌ عن إنزالِ ما التمسناهُ منكَ مِن الآيات.

وقوله تعالى: ﴿قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدَۢا بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ﴾: أي: كفى بالله شهيدًا لي عليكم بما أقامه مِن الدَّلائل على صحَّةِ[٣] دعوى النُّبوَّة والرِّسالة، بالمعجزات الَّتي أظهرَها على يدي، وبما أيَّدني به مِن الإخبار عن الغيوب، وغير ذلك، وكفى بذلك شهادةً؛ لأنَّه ممَّا لا يتهيأُ لأحدٍ مِن البشرِ أنْ يعارضَها بمثلِها، أو ينقضَها بضدِّها.

وقوله تعالى: ﴿وَمَنۡ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾: عطفٌ على قوله: ﴿بِٱللَّهِ﴾.

وقيل: أُريدَ به عبد الله بن سلام، كما قال: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثۡلِهِۦ﴾ [الأحقاف: ١٠].

---

(١) في (ف): «وشعبة بن عامر» بدل: «وربيعة بن عمرو». وقد ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٢٣٢) دون نسبة بلفظ:

(٢) يعني: كعب بن الأشرف وحيي بن أخطب وسائر اليهود. ذكره الواحدي في «البسيط» (١٨/ ٤٥٠) عن ابن عباس رضي الله عنهما ومقاتل، وانظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٣٨٤).

(٣) في (أ): «حجة».

وقيل: ﴿مَنْ﴾ للجنسِ، والمراد بِهِ جمعٌ، وهم: عبد الله بن سلام، وتميمٌ الدَّاري، وسلمانُ الفارسي، والنَّجاشي، وعلماء أهل الكتاب الذين أسلموا.

وقرأ بعض المتقدِّمين: (ومِن عِنْدِهِ عِلْمُ الكتابِ) بكسر الميم والدَّال[1]، ومعناه: ومِنْ عندِ اللهِ علمُ الكتابِ.

وكان يقول: حملُه على هذا أولى؛ لأنَّ حملَهُ على علماءِ أهلِ الكتابِ لا وجهَ له هنا، والسُّورة مكيَّة، وإسلامهم كان بعدَ ذلك.

لكنْ لا وجهَ لتَرْكِ القراءةِ المشهورةِ، والأكثرُ على أنَّ السُّورةَ مدنيَّة[2]، والله أعلم.

* * *

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٥٨٤ ـ ٥٨٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد والحسن وسعيد بن جبير والضحاك بن مزاحم، وهي قراءة شاذة. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» لابن خالويه (ص: ٧٢)، و«المحتسب» لابن جني (١/ ٣٥٨).

(٢) قال الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٥٨٦) بعد أن ذكر خبرًا مرفوعًا عن النبيِّ ﷺ يؤيد هذه القراءة: وهذا خبر ليس له أصلٌ عند الثِّقات من أصحاب الزُّهري، فإذا كان ذلك كذلك، وكانت قراء الأمصار من أهل الحجاز والشَّام والعراق على القراءة الأخرى، وهي: ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الرعد: ٤٣] كان التَّأويل الَّذي على المعنى الَّذي عليه قرَّاء الأمصار أولى بالصَّواب ممَّن خالفه، إذ كانت القراءة بما هم عليه مجمعون أحق بالصَّواب.

سُورَةُ إِبْرَاهِيمَ

سُورَةُ إِبْرَاهِيمَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

بسم الله الذي يضلُّ مَن يشاءُ ويهدي مَن يشاءُ وهو العزيز الحكيم، الرحمنِ الَّذي يُدخِلُ الذين آمنوا وعملوا الصَّالحات في جنَّاتِ النَّعيم، الرحيمِ الذي يغفرُ للمؤمنينَ يومَ يقومُ[1] الحسابُ وهو الغفور الرَّحيم.

وروى أبيُّ بنُ كعبٍ رضي الله عنه عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «مَن قرأَ سُورةَ إبراهيمَ أُعْطِيَ مِنَ الأجرِ عَشرَ حسناتٍ بعددِ مَن عبدَ الأصنامَ ومَن لم يعبدْها»[2].

وهذه السُّورةُ مكيَّةٌ، إلَّا آيتينِ نزلَتا بالمدينة في قتلى بدرٍ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا﴾ [إبراهيم: ٢٨] الآيتَيْن.

وهي إحدى وخمسون آيةً، وقيل: اثنتان، وقيل: أربع، وقيل: خمس، وقيل: سبع؛ لأنَّهم اختلفوا في هذه المواضع: ﴿[لِتُخْرِجَ النَّاسَ] مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [إبراهيم: ١]، ﴿[أَنْ أَخْرِجْ] قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [إبراهيم: ٥]، ﴿وَعَادٍ وَثَمُودَ﴾ [إبراهيم: ٩]، ﴿وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [إبراهيم: ١٩]، ﴿وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾

---

(١) «يقوم» ليس في (أ) و(ف).

(٢) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٣٠٤)، والواحدي في «الوسيط» (٣/ ٢٢). قال ابن الجوزي في «الموضوعات» (٤/ ٣٤٤): مصنوع بلا شك. وقال ابن كثير في «تفسيره»: حديث منكر من سائر طرقه. وانظر: «الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة» للشوكاني (ص: ٢٩٦).

[إبراهيم: ٢٤]، ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ﴾ [إبراهيم: ٣٣]، ﴿عَمَّا يَعۡمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [إبراهيم: ٤٢][1].

وكلماتُها ثماني مئةٍ وثلاثون، وحروفها ثلاثةُ آلاف وأربع مئة وثلاثة وستُّون.

وانتظامُ أوَّل هذه السُّورة بخَتْمِ تلكَ السُّورة بذكْرِ[2] الكتاب: ﴿وَمَنۡ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾، ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ﴾.

وانتظامُ هذه السُّورة بتلك السُّورة: أنَّ تلك السُّورة في بيانِ وحدانيَّةِ اللهِ تعالى وصفاتِه، وبيانِ القرآنِ، وبيانِ عقلاءِ المؤمنين، وبيانِ المعانِدِيْن مِن المشركِيْن، وبيانِ اقتراحِهم وتكذيبِهم، وقوله في آخرِها: ﴿لَسۡتَ مُرۡسَلٗاۚ﴾ [الرعد: ٤٣].

وهذه السُّورة تسليةٌ له على ذلك: في أوَّلها بيانُ إنزالِ الكتاب عليه، وبيانُ مدحِه، وبيانُ إرسالِ الرُّسل مِن قَبْلِه وصبرِهم على إيذاءِ قومِهم، وبيانُ عاقبةِ الفريقَيْنِ، ووَعْدُ الموافِقِيْنَ بالجنَّة، ووعيدُ المخالِفِيْنَ بالنَّار، وبيانُ مَثلِ الإيمان[3] ومَثلِ الكُفْرِ كما كان في (سورة الرعد)، والأمرُ بالصَّلاة والزَّكاة كما وعدَ في (سورة الرعد) على الصَّلاة والزَّكاة، وعِظَمُ قَدْرِ الصَّلاة بذِكْرِها في قصَّةِ إبراهيم، وذِكْرُ القيامةِ فيها كما ذُكِرَ في تلكَ السُّورة، وختمُها بقوله: ﴿هَٰذَا بَلَٰغٞ لِّلنَّاسِ﴾ [إبراهيم: ٥٢]، كما قال في تلك السُّورة: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُ﴾ [الرعد: ٤٠].

***

(١) انظر: «البيان في عد آي القرآن» للداني (ص: ١٧١)، وما بين معكوفتين منه.

(٢) في (أ): «بذلك».

(٣) في (أ): «النار».

(١) ـ ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ﴾.

قوله تعالى: ﴿الٓر﴾ مرَّتْ الأقاويلُ فيها مرَّات.

﴿كِتَٰبٌ﴾: أي: هذا كتابٌ أو سورةٌ ﴿أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ﴾[1] نحن[2]، ما ألقاهُ إليكَ شيطانٌ، ولا افتريْتَهُ أنت.

وقوله: ﴿لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ﴾: أي: ظلمات الكُفْر ﴿إِلَى ٱلنُّورِ﴾؛ أي: نور الإيمان ﴿بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ﴾؛ أي: تفعلُ هذا بهم[3] بأمرِ ربِّهم إيَّاك به.

وقوله تعالى: ﴿إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ﴾: هو ترجمةُ قولِه: ﴿إِلَى ٱلنُّورِ﴾؛ أي: إلى طريقٍ دعا إليه اللهُ العزيزُ في ملكِه، الحميدُ عندَ جميعِ خلقِه بجلالِه وإفضالِه وحميدِ فِعالِه.

وقال القشيريُّ رحمَه الله: لِتُخرِجَ النَّاسَ مِن ظلماتِ الجهلِ إلى نورِ العلمِ، ومِن ظلماتِ الشَّكِّ إلى نورِ اليقينِ، ومِن ظلماتِ التَّدبيرِ إلى نورِ شهودِ قضاءِ التَّقديرِ، ومِن ظلماتِ دَعاوي النَّفسِ إلى نورِ معارفِ القلبِ، ومِن ظلماتِ التَّفرقةِ إلى أنوارِ الجمعِ، ومِن ظلماتِ الابتداعِ إلى أنوارِ الاتِّباع.

﴿بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ﴾: بإرادتِه ومشيئتِه وسابقِ حكمِهِ وقضائِه، إلى صراطِ اللهِ، وهو نهجُ التَّوحيدِ بشواهدِ التَّفريد[4].

---

(١) في (أ) و(ر): «﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ﴾: أي: هذا كتاب أو سورة ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ﴾».

(٢) في (ر): «بحق»، وفي (ف): «﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ﴾»، وسقط التفسير منها.

(٣) في (ر) و(ف): «أي بفعل هداهم».

(٤) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٢/ ٢٣٨).

(٢) ـ ﴿اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾.

وقوله: ﴿اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾: قرأ نافعٌ وابنُ عامرٍ: ﴿اللهُ﴾ رفعًا بالابتداء، وخبرُه ﴿الَّذِي﴾، وقرأ الباقون بالخفض[1] نعتًا لـ ﴿الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾: أي: وإذا كانَ للهِ ما في السَّماواتِ والأرض، وهو خالقُهما ومدبِّرُهما، وهو المستحِقُّ للعبادةِ، فمَنْ أشركَ به غيرَه فلَهُ الوعيدُ الغليظُ بالعذابِ الشَّديدِ في الآخرة.

***

(٣) ـ ﴿الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾.

وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ﴾: أي: يُؤْثِرون الحياةَ القريبةَ المدَّةِ وشهواتِها والتَّعزُّزَ فيها بالرِّئاسةِ[2] على الحياة الآخرة الباقية التي لا ينقطعُ نعيمُها، وهو صفة الكافرين الذين لهم العذاب الشَّديد.

وقوله تعالى: ﴿وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾: أي: يمنعون النَّاسَ عن سلوكِ طاعةِ اللهِ، الذي يهدي إلى رضوانِه وجنانِه.

﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾: أي: يطلبون لها تعويجًا وتحريفًا عن وجهِها، ويقبِّحونها عندَ الرَّاغب فيها بإدخالِ الشُّبَهِ. والتَّأنيثُ لأنَّ السَّبيلَ مؤنَّثةٌ سماعًا.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ٣٦٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٤).

(٢) في (ف): «والتعزز فيها بالرفاهة»، وفي (ر): «والتقرر فيها بالرفاهية».

و﴿يبغونها﴾ بمعنى: يبغون لها، قال تعالى: ﴿يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ﴾ [التوبة: ٤٧]؛ أي: يبغونَ لكم.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدٖ﴾: عن الحقِّ، وهو قوله[1]:

* * *

(٤) ـ ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾.

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ﴾: أعلمَ رسولَه في الآيةِ الأولى أنَّه أرسلَه وأنزلَ عليه كتابًا بيانًا للنَّاس، ثمَّ قالَ: وكذلكَ كانتِ الرُّسلُ قبلَك أرسلوا بلسانِ قومِهم.

﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمۡ﴾: أي: يبيِّنوا لهم[2]، ثمَّ إنْ كانَ كذلِكَ لم يتَّفقوا على قَبولهم بل اختلفوا؛ فضَلَّ قومٌ واهتدى قومٌ.

﴿فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾: ﴿ٱلۡعَزِيزُ﴾ فيما يريدُ ﴿ٱلۡحَكِيمُ﴾ فيما يفعلُ.

* * *

(٥) ـ ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنۡ أَخۡرِجۡ قَوۡمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرۡهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٖ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾: أي: كما أرسلناكَ ﴿أَنۡ أَخۡرِجۡ قَوۡمَكَ﴾؛ أي: بأنْ أخرجْ.

---

(١) «وهو قوله» ليس في (ف).

(٢) في (أ) و(ر): «أرسلوا بلسان قومهم ليبينوا لهم».

وقيل: ﴿أَرْسَلْنَا﴾ بمعنى: أعلَمْنا وعرَّفْنا ﴿أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ﴾.

﴿مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾: هو في مقابَلةِ ما قالَ لرسولِنا ﷺ: ﴿لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ﴾: قال الحسنُ ومجاهدٌ وقتادةُ وسعيدُ بنُ جبيرٍ: أي: بنِعَمِ اللهِ[1].

وقيل: أي: بنِقَمِ الله بعادٍ وثمودَ وغيرِهم مِن الأممِ الضَّالة.

قال عَمرُو بنُ كلثومٍ:

وأيَّامٍ لَنَا غُرٍّ طِوَالٌ   عَصَيْنَا المَلْكَ فيها أنْ نَدِيْنا[2]

قيل فيه قولان: النِّعم، والنِّقم مِن أعدائنا.

وقال الله تعالى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ﴾ [الجاثية: ١٤]، قيل: لا يخافون وقائعَ اللهِ الَّتي أوقعَها بأعدائِه.

وقيل: ﴿وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ﴾ في الأممِ الخاليةِ، فيها آياتٌ مِن حيثُ إنَّه عاقب قومًا وأنجى آخرين، على الطَّاعات منهم والمعاصي، والتَّصديق والتَّكذيب، ليعملوا بما يدخلون به في زمرة التَّائبين النَّاجين، ويخرجوا عن طبقة المعاقَبين الهالكين.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾: أي: لكلِّ مَن

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٥٩٦ ـ ٥٩٧) عن مجاهد وقتادة وابن زيد وسعيد بن جبير، وذكره الواحدي في «تفسيره» (١٢/ ٤٠٤) عن الحسن.

(٢) البيت من معلقته. انظر: «شرح القصائد السبع» لابن الأنباري (ص: ٣٨٨)، و«شرح المعلقات السبع» للزوزني (ص: ٢٢١)، و«شرح القصائد العشر» للتبريزي (ص: ٢٢٥).

استكملَ خِصالَ الإسلام، فقد رُوِيَ: «الإيمانُ نصفانِ: صبرٌ، وشكرٌ»[١]، فتَرْكُ كلِّ المعاصي صَبْرٌ، وفِعْلُ كلِّ الطَّاعاتِ شُكْرٌ.

وكأنَّه قال: لآياتٍ لكلِّ كاملٍ في إيمانِه، فهو الذي ينتفعُ بها، نحو[٢] قولِه: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢].

وقال ابنُ عبَّاس رضي الله عنهما: أيَّامُ اللهِ: نَعْماؤُه، بأنْ ظلَّلَ عليهم الغَمامَ، وأنزلَ عليهم المنَّ والسَّلوى، وفلقَ البحرَ، ونحوها[٣].

وقيل: هو إهلاكُ قومِ نوحٍ وعادٍ وثمودَ ولوطٍ وشعيبٍ.

وقوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠] هذا في النِّعم.

وقولهم: مَنْ يَرَ يومًا يُرَ بِهِ[٤]، هذا في الشِّدةِ.

وقول الشَّاعر:

فيومًا علينا ويومًا لنا ويومًا نُساءُ ويومًا نُسَر[٥]

---

(١) رواه الخرائطي في «فضيلة الشكر» (١٨)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (١٥٩)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٩٢٦٤) من رواية يزيد الرقاشي عن أنس رضي الله عنه. ويزيد ضعيف. انظر: «تخريج أحاديث الإحياء» للعراقي (ص: ١٣٩٩).

(٢) في (أ) و(ف): «وهو».

(٣) ذكره عن ابن عباس الزمخشري في «الكشاف» (٢/ ٥٠٨) (ط: دار إحياء التراث العربي). ورواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٥٩٧) عن مجاهد.

وروى عبد الله بن الإمام أحمد في زوائده على «المسند» (٢١١٢٨) عن ابن عباسٍ، عن أُبيِّ بنِ كعبٍ، عن النَّبيِّ ﷺ في قوله تبارك وتعالى: ﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ﴾ قال: «بِنِعَمِ اللهِ».

(٤) معناه: مَن رأى يومًا على عدوِّه رأى مثله على نفسه، وقيل معناه: مَن أحلَّ بغيره مكروهاً حلَّ به مثله. انظر: «جمهرة الأمثال» للعسكري (٢/ ٢٧٢).

(٥) البيت للنمر بن تولب، كما في «ديوانه» (ص: ٣٤٧)، ويروى البيت بضم (يوم)، واستشهدوا =

جمعَ(1) المعنيَين.

وقال القشيريُّ رحمَه الله: أيَّام الله: هي ما سبقَ لأرواحِهم مِن الصَّفوة وتعريف التَّوحيد قبل حلولها بالأشباح، قال قائلهم:

سَقْياً لها ولطِيبها ... ولحُسنها وبهائها

أيامَ لم يَلِجِ النَّوى ... بينَ العصا ولحائها(2)

وقيل: هي ما كانَ وقتَ الميثاقِ وبعدَه.

* * *

(٦ ـ ٧) ـ ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ (٦) وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾.

وقوله: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾: فسَّرناها في (سورة البقرة)، وهذه مِن أيَّام الله.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ﴾: أي: أعلمَ، وتأذَّن وآذَنَ واحدٌ، كقولِكَ: تَوَعَّد وأَوْعدَ، وهو قول الحسن والفرَّاء(3).

= به على جواز الابتداء بالنكرة وعلى حذف الضمير من الخبر. وهو من شواهد «الكتاب»، انظر: «الكتاب» لسيبويه (١/ ٨٦)، و«الشواهد الكبرى» للعيني (١/ ٥٦٥).

(١) في (ر): «لجميع»، وفي (أ): «بجمع».

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٢/ ٢٤٠).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٦٩)، وذكره عن الحسن الماوردي في «تفسيره» (٢/ ٢٧٣).

﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾: وهو وعدٌ بإبقاءِ النِّعمةِ، فالزِّيادة عليها[1] تكونُ بعدَ بقاءِ أصلِها.

﴿وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾: إنْ جُعِلَ هذا مِن الكُفْرانِ فمعناه: إنَّ عذابي بإزالةِ النِّعمةِ عنكم لشديدٌ عليكم، وإنْ جُعِلَ مِنَ الكُفْرِ فمعناهُ: إنْ جَحدْتُم النِّعم مِن عندي فعذابي للكفَّار شديدٌ، لأنَّه بالنَّار، وهو دائمٌ.

وقال الإمامُ أبو منصورٍ رحمَه الله: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ﴾؛ أي: وعدَ ربُّكم وكفلَ ربُّكم، لم يبيِّنْ ما الشُّكر، وما النِّعمة، وما الزِّيادة، وما الكفر، وما العذاب؟

ويُشبِهُ أنْ يكونَ معناه: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ﴾ لي بالتَّوحيدِ بما خلقْتُكم، وركَّبْتُ فيكم ما تتلذَّذون به وتتنعَّمون في الدُّنيا، وبما قوَّمتكم في أحسن التَّقويم ﴿لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ النِّعَمَ الدَّائمة في الآخرة، وهذا قول ابن عبَّاس[2]، أو هو قريب منه، ألا ترى أنه قال: ﴿وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾؛ أي: ولَئِنْ صرفْتُم شكرَ نعمتي إلى غيري.

ويحتمِلُ أنْ يكونَ: كلُّ نعمةٍ يشكرُها يزيدُ له مِن نوعِها في الدُّنيا ويُديمُ له ذلك[3].

وقال القشيريُّ: لَئِنْ شكرْتُمْ إنعامِي زِدْتُكُم مِن إكرامي، ولَئِنْ كفرْتُم إحساني عذَّبْتُكُم اليومَ بامتحاني، وغدًا بفراقي[4] وهجراني.

---

(١) «عليها» من (أ).

(٢) ذكره الواحدي في «البسيط» (١٢/ ٤٠٧).

(٣) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٦/ ٣٦٥-٣٦٦).

(٤) في (ر) و(ف): «بعذابي».

لَئِنْ عرفْتُم قدرَ أفضالي لأرقينَّكُم مِن وجودِ نوالي إلى شهودِ جمالي وجلالي.

لَئِنْ شكرْتُم توفيقَ العبادةِ لأزيدنَّكُم تحقيقَ الإرادةِ.

لَئِنْ شكرْتُم وجودَ ألطافي لأزيدنَّكُم شهودَ أوصافي.

لَئِنْ شكرْتُم صنوفَ نعمتي لأزيدنَّكُم كشوفَ كرمي، ولأرقينَّكم إلى شهودِ قدمي[١].

لَئِنْ شكرْتُم مختصَّ نعمائي لأزيدنَّكُم منتظرَ آلائي.

لَئِنْ شكرْتُم ما خوَّلْتُكُم مِن عطائِي لأزيدنَّكُم ما وعدْتُكُم مِن لقائي.

ولَئِنْ كفرْتُم نعمتي بأنْ توهَّمْتُم استحقاقَها لجرَّعناكُمْ ما تستمرُّون مذاقَها[٢].

***

(٨ ـ ٩) ـ ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓاْ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ ۝٨ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ۛ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۛ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓاْ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓاْ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴾: قال القشيريُّ رحمَه الله: أي: قالَ موسى لقومِه: لَئِنْ اجتمعْتُم أنتم ومَن عاصركم ومَن غابَ عنكم ومن حضرَكُم، والَّذين يقتفون أثَرَكُم = على أنْ تكفروا باللهِ جميعًا، وأخذْتُم كلَّ يومٍ في الشِّرْكِ أمرًا قطيعًا[٣]،...........................

(١) كذا في النسخ، وفي «لطائف الإشارات»: «إقدامي».

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٢/ ٢٤١).

(٣) في (ف) و(أ): «فظيعًا». وفي «اللطائف»: (وأخذتم كل يوم شركاء قطيعاً).

لَمَا أوجبْتُم لعزِّنا شَينًا[1]، كما لو شكرْتُم وآمنْتُم ما حصَّلْتُم لِمُلْكِنا زَينًا[2]، فالحقُّ بنعوتِه ووصفِ جبروتِه عَلِيٌّ، وعَنِ العالَم بأسرِهِ غنيٌّ[3].

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾: قيل: هو كلامُ موسى لقومِه.

وقيل: هو ابتداءُ خطابٍ مِن اللهِ تعالى لأهلِ عصرِ محمَّدٍ، يقول: ألم يأتِكُمْ يا معشرَ الكفَّار خبرُ الأممِ الَّذين سمعْتُم بتكذيبِهم لرسلِهم، وما أحلَّ اللهُ بهم مِن نقمَتِه، وهم في الكثرةِ على ما لا يَعلمُ عددَهم وأسماءَهم إلَّا اللهُ تعالى.

وكان ابنُ مسعودٍ إذا قرأَ هذهِ الآيةَ قال: كذبَ النَّسَّابون، يدَّعونَ علمَ الأنساب في الأسلاف، والله تعالى يقول: ﴿لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ﴾[4].

﴿جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم﴾؛ أي: رسُلنا، وأضاف إليهم لأنَّهم أُرسلوا إليهم بالبيِّناتِ؛ أي: الحُجَج والمعجزات.

وقيل: أي: الشَّرائع الواضحات، لا يخفى حسنُها على المتدبِّر.

وقوله تعالى: ﴿فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ﴾: أي: جعلوا أصابعَ أنفسِهم في أفواهِ أنفسِهم يعضُّونها غيظًا، إذ كان فيه تسفيهُ أحلامِهم وشتمُ أصنامِهم، وهو

---

(١) في (ف): «بأسًا».

(٢) في (ف): «فلا تنقص مواهبكم من ملكنا شيئًا» بدل من «ما حصلتم لملكنا زينًا».

(٣) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٢/ ٢٤٢).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٦٠٤).

كقوله: ﴿عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ﴾ [آل عمران: ١١٩]، وهو قولُ عبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ رضي الله عنه وابنِ زيد(١).

وقال ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما في رواية الكلبيِّ: فردُّوا أيديَ أنفسِهم في أفواهِ أنفسهم؛ أي: وضعوا الأيدي على الأفواه؛ إشارةً إلى الرُّسل أنِ اسكتوا(٢).

وقال مقاتلٌ والحسنُ: في أفواه الرُّسُلِ يسكتونَهم بذلك(٣).

وهو كما فعلَ عتبةُ بنُ ربيعةَ حين قرأ رسولُ اللهِ ﷺ: (حم السجدة) حتَّى بلغَ قولَه: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُواْ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ [فصلت: ١٣]، فوثبَ فوضعَ يدَه على فمِ رسولِ اللهِ ﷺ لئلَّا يقرأَ الباقي، وقال: خشيْتُ إنْ أتمَّ الآيَةَ أنْ تأتيني صاعقةٌ مِنَ السَّماءِ فتحرقَني(٤).

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٤٠٠)، والطبري في «تفسيره» (١٣/ ٦٠٥) عن عبد الله، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٦٠٦) عن ابن زيد.

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٣٠٨)، والواحدي في «البسيط» (١٢/ ٤١١) عن الكلبي.
أما ابن عباس رضي الله عنهما فروى عنه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٦٠٧) قوله: لمَّا سمعوا كتاب الله عجبوا، ورجعوا بأيديهم إلى أفواههم.

(٣) ذكره الماوردي في «تفسيره» (٣/ ١٢٥) عن الحسن، وانظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٣٩٩)، وفيه: «وضع الكفار أيديهم في أفواههم، ثم قالوا للرسل: اسكتوا فإنكم كذبة ـ يعنون الرسل ـ وإن العذاب ليس بنازل بنا في الدنيا».

(٤) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٦٥٦٠)، وعبد بن حميد في «مسنده» (١١٢٣)، وأبو يعلى في «مسنده» (١٨١٨)، والحاكم في «المستدرك» (٣٠٠٢) وصححه، من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦/ ٢٠): (رواه أبو يعلى، وفيه الأجلح الكندي، وثقه ابن معين، وغيره، وضعفه النسائي، وغيره، وبقية رجاله ثقات). وقال ابن كثير في «تفسيره»: (الأجلح وهو ابن عبد الله الكندي الكوفي وقد ضعف بعض الشيء).

وقال مجاهدٌ: ردُّوا نعمَهم بأفواهِهم[١].

وحُكِيَ عن أبي عبيدةَ أنَّ هذا مَثَلٌ، ومعناهُ: أنَّهم كَفُّوا عمَّا أُمِروا بقولِه مِن الحقِّ ولم يؤمنوا به، ويُقالُ للرَّجل إذا أمسكَ عن الجواب فلم يُجبْ: ردَّ يدَه في فيه[٢].

وكأنَّ مجازَ هذا[٣]: أنَّه سترَ فاه بيدِه؛ أي: هذا لم يدخل قلبي، وليس له عندي جوابٌ.

وحُكِيَ عن غيرِ أبي عبيدة أنَّ العربَ تقولُ: كلَّمْتُ فلانًا في حاجةٍ فردَّ يدَه في فيه: إذا سكتَ عنه ولم يُجبْ[٤].

وقال الإمامُ أبو منصورٍ رحمَه اللهُ: ويحتملُ هذا المكاءَ بأفواهِهم استهزاءً بهم[٥].

وقولُه عزَّ وجلَّ: ﴿وَقَالُوٓاْ إِنَّا كَفَرۡنَا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ﴾: أي: مِن التَّوحيد وترك الشِّرك.

﴿وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ﴾: أي: مِن صحَّة[٦] ﴿مِّمَّا تَدۡعُونَنَآ إِلَيۡهِ مُرِيبٖ﴾؛ أي: مُوقِعٍ للرِّيبةِ والتُّهمةِ لكم بالكذب فيه.

---

(١) ذكره الزجاج في «معاني القرآن» (٣/ ١٥٦) دون عزو.

(٢) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١/ ٣٣٦).

(٣) في (أ): «وكان هذا مجازاً»، وفي (ف): «وكأن مجازة هذا».

(٤) ذكره الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٦٠٨)، وردَّه بقوله: وهذا أيضًا قول لا وجه له؛ لأن الله عزَّ ذكره قد أخبر عنهم أنهم قالوا: ﴿إِنَّا كَفَرۡنَا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ﴾، فقد أجابوا بالتكذيب.

(٥) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٦/ ٣٦٨)، وفيه: ويحتمِل ردَّ الأيدي في أفواه أنفسهم يصوِّتون ويستهزئون بهم وبأتباعهم؛ كقوله: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمۡ عِندَ ٱلۡبَيۡتِ إِلَّا مُكَآءٗ وَتَصۡدِيَةٗ﴾ الآية [الأنفال: ٣٥].

(٦) في (أ): «صحيح».

(١٠) - ﴿۞ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوٓاْ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ﴾: أي: في أنَّ العبادةَ لا تجوزُ إلَّا له.

﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: نعتُ قولِه: ﴿أَفِي ٱللَّهِ﴾؛ أي: لا يقدرُ على إنشائِهما غيرُه، فلا شريكَ له فيهما، فكيفَ يجوزُ الإشراكُ به؟

وقوله تعالى: ﴿يَدْعُوكُمْ﴾: أي: على ألسنتِنا إلى عبادتِه.

﴿لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ قال أبو عبيدة: (مِن) زائدةٌ[١].

وقال سيبويه: لا يجوز ذلك في الإثبات، وإنَّما ذلك في النَّفي[٢]، ولكن (مِن) للبدل؛ أي: بدلَ ذنوبِكُم الَّتي كانت في الشِّركِ.

وقيل: هو للتَّبعيض، وهي ذنوبُ حالةِ الشِّرك، فإنَّ ما يفعلُه بعدَ الإسلامِ فهو بحالِه، لا يُغفَر إلَّا بتوبة، أو بفضلِ الله تعالى لأهل الإسلام.

قوله تعالى: ﴿وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: أي: إلى منتهَى أعمارِكُم، فلا يعاجلكم بالعقوبة والهلاك، وهو جواب قوله: ﴿إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ﴾ [القصص: ٥٧]، يقول: إذا أسلمتُم لم[٣] تُتَخطَّفوا، وبلغتُم إلى آجالكم المسمَّاة. قالَه الإمام أبو منصور رحمه الله[٤].

---

(١) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١/ ٣٣٦).

(٢) انظر: «الكتاب» لسيبويه (١/ ٣٨) و(٢/ ٣١٦)، و«شرح كتاب سيبويه» للسيرافي (١/ ٢٧٨)، وانظر: «المفصل في صنعة الإعراب» للزمخشري (ص: ٣٨٠).

(٣) في (أ): «أن».

(٤) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٦/ ٣٧٠).

وقوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا﴾: أي: ما أنتم.

﴿تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأۡتُونَا بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ﴾: أي: حجَّةٍ ظاهرة.

قال الإمام أبو منصور رحمه الله: في قولهم تناقضٌ مِن وجهَيْن:

أحدهما: أنَّهم تركوا طاعةَ رسلِهم، واتِّباعَ رسلِهم[1]؛ لأنَّهم بشرٌ مثلهم، ثمَّ أطاعوا آباءَهم واتَّبعوهم في عبادةِ الأصنامِ، وهم بشرٌ مثلُهم.

والثَّاني: أنَّهم لم يروا الرُّسُل مَتبوعِين لأنَّهم بشرٌ، ثمَّ لا يخلو هم بأنفسِهم مِن أنْ يكونوا مَتْبوعين، استتبَعوا غيرَهُم ممَّن هو دونَهم، أو كانوا أتباعًا لغيرِهم، حيث قالوا: ﴿إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٣]، وذلكَ تناقضٌ.

وقوله تعالى: ﴿فَأۡتُونَا بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ﴾: سألوا الحُجَّة على ما دَعوا إليه مِن ألوهيَّةِ اللهِ تعالى ووحدانيَّته، أو على ما ادَّعوا من الرِّسالة مِنَ اللهِ، وفي كلِّ شيءٍ وقعَ عليه بصرُهم دلالةُ وحدانيَّةِ اللهِ تعالى وألوهيَّته، وكذلك الرُّسلُ أقاموا الحُجَجَ[2] على دَعوى الرِّسالةِ، وكانوا معاندِين في قولِهم: ﴿فَأۡتُونَا بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ﴾[3].

***

(١١) - ﴿قَالَتۡ لَهُمۡ رُسُلُهُمۡ إِن نَّحۡنُ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأۡتِيَكُم بِسُلۡطَٰنٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾.

---

(١) «واتباع رسلهم» ليس في (ف). وفي «التأويلات»: (واتباعهم).

(٢) في (ر) و(ف): «أتتهم بالحجج».

(٣) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٦/ ٣٧١).

وقوله تعالى: ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۖ وَمَا كَانَ لَنَا أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾: أي: إنَّ اجتماعَ الكلِّ في صفةِ البشريَّةِ لا يُبطل التَّفاضل؛ لأنَّه يوجِبُ ألَّا يكون في الدُّنيا مَن يفضُلُ غيرَه في رياسةٍ ومُلْكٍ ونفاذِ قَولٍ، وحُسْنِ خلقٍ[1]، وحُسْنِ وَجْهٍ، وفَضْلِ مَالٍ[2]، وسلامةِ بدنٍ، وصِحَّةِ عَقْلٍ، وجودةِ تمييزٍ، وهذا ممَّا لا تَخفى استحالتُه، بل للهِ أنْ يخلقَ البشرَ، ويفضِّلَ بعضَهم على بعضٍ في الأحوالِ والأموالِ وغيرِها، فَيَمُنَّ عليه بذلك.

والحكمةُ في دارِ المحنةِ ألَّا يكونَ النَّاسُ سواءً لا يفضلُ بعضُهم على بعضٍ، فيبطلُ حينئذٍ موضعُ[3] الشُّكر والصَّبر اللَّذين هما جملةُ الإيمانِ.

فأمَّا السُّلطانُ المبينُ مِن جهةِ الإعجازِ، فذاكَ إنَّما يُحتاجُ إليه في إثباتِ صِدْقِ النَّبيِّ ﷺ في دعوى الرِّسالة، لا في إثباتِ حقِّ ما يدعو إليه النَّبيُّ عليه السَّلام، بلْ إذا ثبتَتْ نبوَّتُه بالإعجازِ كانَ جميعُ ما يدعو إليه حقًّا، وما يحكمُ به صوابًا، ولا قدرةَ للرَّسولِ على إيرادِ معجزةٍ إلَّا بإذنِ اللهِ؛ أي: بإعطاءِ اللهِ إيَّاه ذلكَ.

وقوله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾: أي: قال الأنبياءُ: وعلى اللهِ فليعتَمِدِ الَّذين آمنوا به في كفِّ شرِّ مَن خالفَهم، وفي إيضاحِ دعوتِهم، وإقامةِ حقِّهم.

* * *

(١٢) ـ ﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾.

---

(١) في (ر) و(ف): «ونفاذ وحسن قول».

(٢) «مال» ليس في (أ).

(٣) «موضع» ليس في (أ).

وقوله تعالى: ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ﴾: أي: وأيُّ عذرٍ لنا في تركِ التَّوكُّلِ على الله في كفِّ أذاكُم[١] وكيدِكُم عنَّا.

﴿وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا﴾: أي: وقد وفَّقنا لسلوكِ سبيلِ الحقِّ، فينصرُنا عليكم أيضًا.

﴿وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا﴾: أي: على إيذائِكم، وكان هذا قبلَ الأمرِ بالانتصارِ منهم، وحالَ قلَّةِ المؤمنين وكثرةِ الكافرين

قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾: أي: فعليهِ فليعتَمِدِ المعتمدون دونَ غيرِه.

وقال القشيريُّ رحمه الله: ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ﴾ وقد حقَّق لنا ما سبقَ به الضَّمانُ مِن وجوه الإحسان، وكفايةِ ما أظلَّنا[٢] مِن الامتحان[٣].

﴿وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا﴾: والصَّبرُ على البلاءِ يهونُ إذا كان على رؤيةِ المُبْتلِي[٤].

وأنشدونا في معناه:

مُرُّ[٥] ما مَرَّ بي لأجلِكَ حُلْوٌ وعَذابي لأجْلِ حُبِّكَ عَذْبٌ[٦]

---

(١) في (ف): «أيديكم».

(٢) في (ر): «كلَّفنا» وفي (ف): «ظننا».

(٣) في مطبوع «اللطائف»: «الامتنان».

(٤) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٢/ ٢٤٣).

(٥) في (ر) و(ف): «كل».

(٦) البيت لأبي إسحاق الصابئ. انظر: «أحسن ما سمعت» (ص: ٧٧)، و«المنتحل» (ص: ٢٤٩) كلاهما للثعالبي، و«الدر الفريد» للمستعصمي (٩/ ٢٧٠)، وفيها: «وعذابي في مثل» بدل «وعذابي لأجل».

(١٣ ـ ١٤) ـ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا﴾: أي: ولتصيرُنَّ إليها[1]، ولم يريدوا حقيقةَ الرُّجوع، فإنَّهم ما كانوا قَطُّ فيها، وقد مرَّ شرحُه في (سورة الأعراف).

ولعلَّهم اشتغلَتْ قلوبُهم بهذا القولِ كما تقتضيه طباعُ البشرِ، فسكَّنَها اللهُ تعالى، وذلك قوله تعالى: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾؛ أي: الَّذين يظلمونَ أنفسَهم وإيَّاكم ﴿وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾؛ أي: ولنجعلنَّكم سكَّانَ أرضِهم بعدَ هلاكِهم.

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ﴾: أي: هذا مِن مِنَّني على الأنبياءِ وأتباعِهم؛ بخوفِهم مقامِي، وخوفِهم وعيدي.

ومعناه: أنَّهم إذا تذكَّروا الحسابَ وقيامَهم للعرضِ على الله تعالى، وقيل: قيامَهم على رؤوسِ القبور إذا بُعثوا ثلاث مئة سنة، وقد تذكَّروا ما توعَّد اللهُ به النَّاسَ مِن غليظِ العِقاب على معاصيهم = ثبتوا على طاعتي، وتجنَّبوا سخطي، فإضافةُ المَقام إلى اللهِ تعالى إنَّما هو على معنى كونِه بينَ يدَي اللهِ.

وقيل: ذلك لِمَنْ خافَ قيامي عليه وحِفظي أسبابَه، مِن قولِه: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الرعد: ٣٣].

* * *

(١) في (أ): «عليها» وفي (ر): «إلينا».

(١٥) ـ ﴿وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾: قال عبدُ الرَّحمن بن زيد: أي: استفتحَ الكفَّارُ بالبلاء[1].

وقال الحسنُ ومجاهدٌ وقتادةُ: أي: استفتحَ الرُّسلُ بالنَّصرِ[2]؛ أي: أذِنَ للرُّسلِ بالاستنصارِ، فسألوا اللهَ تعالى ذلك.

وقيل: أي: سألوا الله على الحُكْمِ[3] بنصرِهم وإهلاكِ أعدائِهم.

والفَتْحُ: الحُكْمُ، والفتَّاحُ: الحاكِمُ، ودليلُه قوله تعالى خبرًا[4]: ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا﴾ [الشعراء: ١١٧ ـ ١١٨]، وذلك عندَ اليأسِ مِن إيمانِهم.

وقوله تعالى: ﴿وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾: أي: أُجيبَتْ دعوةُ الرُّسلِ، فيئسَ الجبَّارون المعاندون فلم يفوزوا بخيرٍ، ولا نالوا أملًا ببقاءِ الرِّياسةِ[5] ودوامِ الحُرْمَةِ.

وقيل ـ على قولِ مَن جعلَ الدُّعاء والاستفتاح مِنَ الكفَّار ـ: إنَّهم قالوا: اللَّهمَّ إنْ كانَ رسلُنا صادقِيْن فعذِّبْنا، فخابوا بهذا الدُّعاء؛ أي: انقلبَ ذلك عليهم.

والجبَّارُ: هو طالبُ علوٍّ ليسَ فوقَه منزلةٌ.

وقيل: هو مَن لا يَرى لأحدٍ عليه حقًّا.

وقيل: هو المتكبِّرُ بغيرِ حقٍّ.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٦١٧).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٦١٥ ـ ٦١٦) عن مجاهد وقتادة.

(٣) في (ر) و(ف): «سألوا الحكم».

(٤) «خبرًا» من (أ).

(٥) في (أ): «الرسالة».

والعنيدُ: الجائرُ عنِ الحقِّ إلى الباطلِ.

وقال ابن كيسان: هو الشَّامخُ بأنفِهِ(١).

وقال ابنُ عبَّاسٍ ومجاهدٌ: هو المعرِضُ والمجانِبُ(٢).

وقيل: هو المعارِضُ لكَ بالخلافِ.

***

(١٦) - ﴿مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ﴾.

وقوله تعالى: ﴿مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ﴾؛ أي: وراءَ هذا الجبَّارِ العنيدِ جهنَّمُ؛ أي: أمامَه، كما قال: ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ﴾ [الكهف: ٧٩]، وقال الشَّاعر:

أَيَرْجُو بَنُو مَرْوانَ سَمْعِي وطاعَتِي ... وقَوْمِي تميمٌ والفَلاةُ وَرائِيَا(٣)

وقال مقاتلٌ: ﴿مِّن وَرَآئِهِۦ﴾؛ أي: مِن بعدِه(٤).

والوراءُ تُستعمَلُ للخلفِ والقُدَّام، وأصلُه: أنَّ كلَّ ما وارى عنك شيئًا مِن خلفٍ أو قُدَّامٍ فهو وراءٌ.

وقيل: إنَّه يجوز في الزَّمان على تقدير: إنَّه كان خلفَهم لأنَّه يأتي ليلحقَهم(٥).

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٣٠٩).

(٢) ذكره عنهما الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٣٠٩).

(٣) البيت لسوَّار بن المضرِّب السعدي. انظر: «الأضداد» للأصمعي (ص: ٢٠)، و«الكامل» للمبرد (٢/ ٧٧)، و«ربيع الأبرار» للزمخشري (٣/ ٢٩٦)، وعزي للفرزدق في «جمهرة اللغة» لابن دريد (٣/ ١٣١٧)، ولمساور بن حمئان من بني ربيعة في «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (٢/ ٢٨٠).

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٤٠١).

(٥) في (أ): «ليخلفهم».

قال الأخفش: ويُقال: هذا الأمرُ مِن ورائِكَ، يعني: أنَّه[١] سيأتيك[٢].

وقال الشَّاعر:

عسى الكربُ الَّذي أمسيْتَ فِيْهِ ... يكونُ وراءَهُ فَرَجٌ قَرِيْبُ[٣]

أي: لهم الهلاكُ في الدُّنيا، والعِقاب في العُقْبى.

وقوله تعالى: ﴿وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٖ صَدِيدٖ﴾: قال قتادة: هو ماءٌ يخرجُ مِن بينِ جلدِ الكافرِ ولحمِهِ[٤].

وقال الرَّبيعُ بنُ أنسٍ ومحمَّدُ بنُ كعبٍ: هو ما يسيلُ مِن فروجِ الزُّناة، يُسقاه الكافرُ[٥].

وقيل: هو الحميمُ أُغْلِيَ حتَّى خَثَر.

وقال أهلُ اللُّغة: هو القيحُ الَّذي يسيلُ مِن الفرجِ.

وقيل في التَّفسير: هو ما يسيل مِن جوفِ الكفَّارِ مِنَ القيحِ والدَّمِ.

ثمَّ قوله: ﴿مِن مَّآءٖ صَدِيدٖ﴾؛ أي: مِن ماءٍ هو صديد[٦]؛ أي: لونُه لونُ الماءِ، وطعمُه طعمُ الصَّديد، وهو كقوله: ﴿قَوَارِيرَاْ مِن فِضَّةٖ﴾ [الإنسان: ١٦]؛ أي: لها صفاءُ الزُّجاجِ وبياضُ الفضَّة.

---

(١) في (أ): «أنه كان».

(٢) انظر: «معاني القرآن» للأخفش (٢/ ٤٠٦).

(٣) البيت لهدبة بن خشرم. انظر: «الكتاب» لسيبويه (٣/ ١٥٩)، و«الكامل» للمبرد (١/ ١٥٨)، و«العقد الفريد» لابن عبد ربه (٦/ ٢٥٧)، و«أمالي القالي» (١/ ٧٢).

(٤) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٤٠٢)، والطبري في «تفسيره» (١٣/ ٦٠٩).

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٣١٠).

(٦) «أي: من ماء هو صديد» ليس في (أ).

(١٧) ـ ﴿يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأۡتِيهِ ٱلۡمَوۡتُ مِن كُلِّ مَكَانٖ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٖۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٞ﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَتَجَرَّعُهُۥ﴾؛ أي: يَزْدَرِدُهُ باستكراهٍ واستثقالٍ لعطشِهِ وحاجتِهِ إلى الماءِ.

﴿وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ﴾: أي: لا يُمْرِئُهُ[١]، ولا يقاربُ إدخالَه حلقَه، يُقال: ساغَ لي الشَّراب، وأسغتُهُ؛ أي: أدخلْتُه جوفي بسهولةٍ.

قال النَّبيُّ ﷺ في تفسيرِها: «يُقَرَّبُ[٢] إليه فيتكرَّهُه، فإذا أُدْنِيَ منه شَوَى وجهَهُ ووقعَتْ فروةُ[٣] رأسِهِ، فإذا شربَهُ قطَّعَ أمعاءَهُ حتَّى يخرجَ مِن دُبُرِهِ، قال تعالى: ﴿وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمٗا فَقَطَّعَ أَمۡعَآءَهُمۡ﴾ [محمد: ١٥]، وقال تعالى: ﴿وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَۚ بِئۡسَ ٱلشَّرَابُ﴾ [الكهف: ٢٩]»[٤].

وقولُه تعالى: ﴿وَيَأۡتِيهِ ٱلۡمَوۡتُ مِن كُلِّ مَكَانٖ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٖ﴾: قال ابنُ عبَّاسٍ: يعني في النَّارِ مِن كلِّ ناحيةٍ[٥]؛ أي: ليسَ في جسدِهِ موضعُ شعرةٍ إلَّا والموتُ يأتيه منها مِن شدَّةِ العذابِ حتَّى يجدَ طعمَ الموتِ وكُرَبَهُ.

---

(١) في (ف): «يمريه».

(٢) في (أ): «تفسير هذا ليقرب» وفي (ف): «تفسير هذا يقرب» بدل من «تفسيرها يقرب».

(٣) في (أ): «ووقع لحم».

(٤) رواه ابن المبارك في «الزهد» (٣١٤ ـ زوائد نعيم بن حماد)، ومن طريقه الترمذي (٢٥٨٣)، والنسائي في «الكبرى» (١١١٩٩)، والحاكم في «المستدرك» (٣٣٩٣) و(٣٧٠٤) وصححه من حديث أبي أمامة رضي الله عنه، وقال الترمذي: حديث غريب.

(٥) رواه ابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» (٥/ ١٦)، وذكره السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٢٣٨)، والماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ١٢٨).

وقيل: يأتِيْه غمُّ الموتِ مِنْ كُلِّ عُضْوٍ ومَفْصِلٍ.

قوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾: لا يموتُ حقيقةً فيستريحَ، قال تعالى: ﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ [طه: ٧٤].

وقيل: مِنْ كُلِّ مكانٍ مِنْ جهاتِ بَدَنِهِ السِّتَّةِ: مِنْ فوقِه، ومِنْ تحتِهِ، وورائِهِ، وأمامِهِ، وعن يمينِهِ، وعن شمالِهِ، كما قال: ﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾ [الزمر: ١٦].

﴿وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾: أي: أمامَه؛ أي: متجدِّدٌ له كلَّ ساعةٍ بعدما كانَ يصيبُه عذابٌ[1] أغلظُ مِنَ الأوَّلِ.

***

(١٨) ـ ﴿مَّثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿مَّثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾: يتَّصِلُ بقولِهِ: ﴿وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ [إبراهيم: ١٥]؛ أي: لم ينتفعوا بما عملوا، فقد صارَ عملُهُم كذا.

قال الفرَّاءُ: أضافَ المَثَلَ إلى الكفَّارِ، والمَثَلُ لأعمالِهم، وتقديرُهُ: مَثَلُ أعمالِ الَّذين كفروا، ونظيره: ﴿الذي أحسنَ كلَّ شيءٍ خَلْقَه﴾ [السجدة: ٧]؛ أي: أحسنَ خلقَ كلِّ شيءٍ، وقوله: ﴿تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾ [الزمر: ٦٠]؛ أي: ترى وجوهَ الَّذين كَذبوا على الله مسودَّةً[2].

---

(١) بعدها في (ر) و(ف): «غليظ؛ أي».

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٧٢).

قال: وإنْ شئتَ جعلتَ المَثلَ صلةً، فقلتَ: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْۖ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَرَمَادٍ﴾.

وقال بعضُهم: ﴿مَّثَلُ﴾ بمعنى: صفة؛ أي: صفةُ الكفَّار هذا أعمالُهم كرمادٍ.

قال سيبويه: في الكلام إضمارٌ، ومعناه: وممَّا نقصُّ عليكَ ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْۖ﴾، ثمَّ ابتدأ فقال: ﴿أَعۡمَٰلُهُمۡ كَرَمَادٍ﴾[1].

ومعنى الآية: صفةُ الكافرين بربِّهم ﴿أَعۡمَٰلُهُمۡ كَرَمَادٍ﴾؛ أي: تحبطُ أعمالُهم وتتلاشَى، فلا ينتفعُ بها أحدٌ منهم، بل تطيرُ أَعمالُهم كرمادٍ[2]؛ أي: تذهبُ.

وقد سئلَ الإنسانُ عَن الشَّيءِ[3]، فيُقال له: أين هو؟ فيقول: طارَ وكانَ ريحًا[4]، فكذا قولُه: ﴿كَرَمَادٍ ٱشۡتَدَّتۡ بِهِ ٱلرِّيحُ﴾؛ أي: كرمادٍ هاجَتْ به ريحٌ شَّديدةٌ[5] في يوم كثيرِ الرِّياح قويِّها، فلا شكَّ أنَّه لا يبقى مِن ذلك الرَّمادِ شيءٌ يمكِنُ أنْ يؤخذَ[6] ويُتعلَّق به، فكذلك هؤلاء بما كسبوه في حالِ شركِهم مِن قِرى ضيفٍ، وصلةِ رحمٍ، وصدقةٍ على محتاجٍ، أو شيءٍ يُعَدُّ مثلُهُ تقرُّبًا، أو سَعوا في جمعِ مالٍ، أو إعداد عتادٍ[7] يُنتفعُ به في دينٍ أو دنيا، فإنَّ ذلكَ يبطلُ عنهم[8]، فلا يقدرون منه على شيءٍ؛ أي: لا يجدون له نفعًا.

---

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ٢٣٠)، و«مشكل إعراب القرآن» لمكي بن أبي طالب (١/ ٤٠١)، و«البسيط» للواحدي (١٢/ ٤٣٩).

(٢) «كرماد» من (أ).

(٣) في (ف): «وقد سأل إنسان عنه النبي ﷺ قال».

(٤) في (ر) و(ف): «ريحاً فمر».

(٥) في (ر) و(ف): «الريح الشديدة».

(٦) في (ر) و(ف): «يوجد».

(٧) «عتاد» ليس في (ف).

(٨) في (ف): «بطل عنهم» وفي (ر): «بطل منهم».

﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ﴾؛ أي: سوءُ تدبيرٍ، وضعفُ رأيٍ، وذهابٌ عن الصَّواب إلى ما يتباعد عنه، حتَّى لا يكون فيه موضعٌ في استصوابٍ، ولا قُرْبٌ مِن الهدى.

وقال الفرَّاء: ﴿فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾: إنْ شئتَ قلْتَ: في يومٍ ذي عُصُوفٍ، وإنْ شئتَ قلْتَ: في يومٍ عاصفِ الرِّيح[1].

وقال أبو حاتمٍ سهلُ بنُ محمَّدٍ[2]: هذا مِن كلام العرب، ونظيرُه في القرآنِ: ﴿بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ [سبأ: ٣٣]، وهما لا يمكران، ﴿وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ [يونس: ٦٧]، وإنَّما يُبْصَرُ فيه، ويُمْكَرُ في اللَّيل والنَّهار، ويُقال: يومٌ ماطرٌ ومُغِيْمٌ[3]، وليلُ فلانٍ قائمٌ، ونهارُه صائمٌ، على معنى أنَّ هذه الأفعال تكون فيها، فأضيفت إليها.

وقيل: هو كقولهم: يومٌ حارٌّ، ويومٌ باردٌ، واليومُ ليسَ ممَّا يُلْمَسُ فيُحَسَّ منه الحرُّ والبرد، لكن يكون فيه حرُّ الأشياء وبردُها.

والعُصُوفُ: شدَّةُ هبوبِ الرِّيحِ.

* * *

(١٩) - ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٧٣).

(٢) سهل بن محمد، أبو حاتم السجستاني المقرئ اللغوي الإمام، إمام جامع البصرة. صاحب المصنفات. أخذ عن: أبي عبيدة، وأبي زيد الأنصاري، والأصمعي، وقرأ القرآن على يعقوب الحضرمي، وحمل الناس عنه القرآن والحديث والعربية. روى عنه أبو داود، والنسائي، والبزار، توفي سنة (٢٥٠هـ)، وقيل: (٢٥٥هـ). انظر: «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٦/ ٩٥).

(٣) في (أ): «ذو مغيم».

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾: قرأ حمزة والكسائيُّ: ﴿خالقُ السَّمواتِ والأرضِ﴾، وهو نعت، وقرأ الباقون: ﴿بِٱلْحَقِّ﴾[(١)]، وهو فعلٌ.

وهو مِن حُجَجِ وحدانيَّة الله تعالى، و﴿أَلَمْ تَرَ﴾ بمعنى: ألَمْ تعلمْ يا محمَّد، ومعناه الإثبات؛ أي: قد علمْتَ، أو الأمر؛ أي: اعلمْ، وهو لتعليمِ غيرِه أنَّ اللهَ خَلَقَ السَّماواتِ والأرضَ بالحقِّ.

قال مقاتلٌ: أي: لم يخلقْهُما باطلًا عبثًا، بل لحقٍّ؛ أي: أمرٍ كائنٍ[(٢)]، وهو البعث والجزاء.

وقال القشيريُّ رحمَه الله: ﴿بِٱلْحَقِّ﴾؛ أي: لَهُ ذلِكَ بحقِّ ملكِهِ[(٣)]، وخلقَهُما بقوله الحق، فجعلَ كلَّ جزءٍ منها على وحدانيَّته دليلًا، ولِمَن أرادَ الوصولَ إلى ربِّه سبيلًا[(٤)].

وقال الإمامُ أبو منصورٍ رحمَه الله: قال عامَّة أهلِ التَّأويل: ﴿بِٱلْحَقِّ﴾؛ أي: للحقِّ؛ أي: للكائنِ لا محالةَ، وهي الآخرةُ؛ لأنَّ المقصودَ مِن خَلْقِ العالَم الأوَّل هو العالَم[(٥)] الثَّاني.

وقال: وقيل: أي: للحقِّ الَّذي وجبَ عليهم له بالامتحان.

وقيل: ﴿بِٱلْحَقِّ﴾؛ أي: بالحكمةِ[(٦)].

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ٣٦٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٤).

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٤٠٢).

(٣) في (أ): «ملكهما».

(٤) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٢/ ٢٤٦).

(٥) في (ر) و(ف): «الخلق».

(٦) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٦/ ٣٨٠ ـ ٣٨١).

وقوله تعالى: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾: أي: يُهلِكْكُم ويفنيْكُم ﴿وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ أطوعَ له منكم.

* * *

(٢٠) ـ ﴿وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾.

﴿وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾: أي: غير[1] ممتنعٍ ذلك عليه، وهو إذهابُكُم والإتيانُ بغيرِكُم.

وقيل: ﴿وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾؛ أي: شديدٍ، كما يشتدُّ على ملوكِ الدُّنيا إذا ذهبَ أهلُ المملكةِ؛ إذْ لا زيادةَ في ملكِهِ، ولا نُقصانَ مِن خلقِهِ.

* * *

(٢١) ـ ﴿وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ قَالُوا۟ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ ۖ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾: ماضٍ بمعنى المستقبلِ؛ لأنَّه مِن أمورِ الآخرةِ، وهي كائنةٌ لا محالةَ، فأخبرَ عنها كما يخبرُ عن الكائنِ الموجودِ المتحقِّق.

والبروزُ: الخروجُ والظُّهور؛ قال تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً﴾ [الكهف: ٤٧].

يقول: ويُحْشَرُ هؤلاء يومَ القيامةِ فيظهرون بحيثُ لا يسترهم ساترٌ، ولم يبقَ أحدٌ منهم لم يُحْشَرْ ولم يَظْهَرْ[2].

---

(١) في (أ): «عزيز».

(٢) «يقول ويحشر هؤلاء يوم القيامة فيظهرون بحيث لا يسترهم ساتر ولم يبق أحد منهم لم يحسر ولم يظهر» من (أ)، وفي (ف): «يقول لم يخرج ولم يظهر»، وفي (ر): «أي: ظاهرة».

وقال الإمامُ أبو منصورٍ رحمَه الله: الخلقُ اليومَ كلُّهم بارزون لله تعالى، وإنَّما ذَكَرَ ذلك يومَ القيامةِ لأنَّ الكفَّارَ لا يعتقدون ذلك، ولا يُقرُّون به(١)، ويومَ القيامةِ يقرُّون بذلك ويعلمونه(٢)، وهو كقوله: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾ [غافر: ١٦]، وقوله تعالى: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾(٣).

وقوله تعالى: ﴿فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ﴾: أي: فيقولُ الأتباعُ للرُّؤساءِ ـ وهم كلُّ جبَّارٍ عنيدٍ ـ: ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾؛ أي: أتباعًا، والتَّبَعُ: جمعُ تابعٍ، كالغَيَبِ جمعُ غائبٍ، والخَدَمُ جمعُ خادمٍ، والسَّلَفِ جمعُ سالفٍ، والخَلَف جمعُ خالفٍ.

وقال الزَّجَّاجُ: ويجوز أن يكون مصدرًا وُصِفَ به، فيستوي الواحدُ والجمعُ فيه(٤).

وقوله تعالى: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ﴾: قال الإمامُ أبو منصورٍ رحمَه الله: قال قائلون: أي: دافعون عنَّا عذابَ الله، نافعون لنا.

ولكن هذا بعيدٌ أنْ يطلبوا منهم دفعَ العذابِ عنهم، فقدْ رأَوْهم في العذابِ، ولو قدروا على دفعِ العذابِ عنهم لدفعوا أوَّلًا عن أنفسِهم، إلَّا أن يكون فيهم حيرةٌ وعمًى كما كان في الدُّنيا، قال تعالى: ﴿وَمَن كَانَ فِى هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ أَعْمَىٰ﴾.

والأشبهُ أنَّهم يطلبون رفعَ بعضِ العذابِ عنهم، وتحمُّلَه منهم، وكان ذلك

---

(١) في (ف) و(أ): «بذلك».

(٢) في (ف) و(أ): «ويعلمون ذلك».

(٣) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٦/ ٣٨٢).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ١٥٨).

متعارفًا في الدُّنيا، ويدل عليه قوله تعالى خبرًا: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ﴾ [غافر: ٤٧](١).

وقوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ﴾: قال الإمامُ أبو منصورٍ رحمة الله عليه: قال بعضُ أهلِ العلم: إنَّ الأتباع والمتبوعين مِن الكفَّار أعلمُ باللهِ مِنَ المعتزلة، يقولون: لو هدانا الله لهديناكم، والمعتزلةُ يقولون: هداهم الله جميعًا فلم يهتدوا، ولو أرادَ أنْ يهديَ واحدًا لم يملِكْ، وكذا إبليسُ أعلم باللهِ منهم يقول: ﴿رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى﴾ [الحجر: ٣٩]، وهم يقولون: لا يغوي اللهُ أحدًا(٢).

ومعنى هذه الآية: لو وفَّقَنا اللهُ للإيمانِ واهتدينا في دارِ الدُّنيا لهديناكم؛ أي: بيَّنَّا لكم طريقَ الهُدى.

وقيل: أي: لو هدانا الله إلى طريقِ التَّخليص مِن العذاب(٣) لهديناكم إليه.

وقوله تعالى: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ﴾: الجَزَعُ: انزعاجُ النَّفسِ لورودِ ما يغمُّ، وهو نقيضُ الصَّبر، وقال الشَّاعر:

فإنْ تَصْبِرا فالصَّبْرُ خَيْرُ مَغَبَّةٍ(٤) وإنْ تَجْزَعا فالأمرُ ما تَرَيانِ(٥)

أي: يقولون: لا حيلةَ لنا فيما قدْ وقعْنا فيه، وسواءٌ علينا أجزِعْنا أم صَبَرْنا لا يخفُّ عنَّا العذابُ بالصَّبر ولا يرقُّ لنا بالجَزَع.

---

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٦/ ٣٨٣).

(٢) المرجع السابق الموضع نفسه.

(٣) في (أ): «العقاب».

(٤) في (ف): «مطية».

(٥) البيت بلا نسبة في «المقابسات» لأبي حيان التوحيدي (ص: ٢٤٢)، و«محاضرات الأدباء» للأصفهاني (٢/ ٥٢٥)، و«الدر الفريد» للمستعصمي (٧/ ٣٧٧).

وقال مقاتلٌ: يقولون ذلك في النَّار، فيقولون أوَّلًا: تعالوا نجزَع لعلَّنا نُرْحَم، فيجزعون خمس مئة سنة فلا ينفعُهم الجَزَعُ، فيقولون: تعالوا نصبر، فيصبرون خمس مئة سنة، فلا ينفعُهم الصَّبر، فيقولون: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ﴾ [إبراهيم: ٢١][1].

وقال الإمامُ أبو منصورٍ رحمَه الله: ويحتملُ أنَّهم يقولون ذلك حين يُقال لهم: ﴿فَاصْبِرُوٓاْ أَوْ لَا تَصْبِرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ﴾ [الطور: ١٦][2].

وقوله تعالى: ﴿مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ﴾؛ أي: مَنْجًى. وقيل: مَخْلَصٍ. وقيل: مِنْ نجاةٍ. وقيل: مِن فرارٍ. وقيل: مِن رَواغٍ[3].

والمحيصُ في اللُّغة: المحيدُ، يُقال: حاصَ يحيْصُ حَيْصًا ومَحِيْصًا وحُيُوصًا وحَيَصانًا؛ أي حادَ، كما قالوا في الدُّنيا: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ ٱلْوَٰعِظِينَ﴾ [الشعراء: ١٣٦]، قيل لهم في النَّارِ: ﴿فَاصْبِرُوٓاْ أَوْ لَا تَصْبِرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الطور: ١٦]، وهم قومٌ صفتُهم: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ٦]، و﴿سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٣].

* * *

(٢٢) - ﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِي ۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ ۖ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٤٠٣)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٣١٣).

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٦/ ٣٨٤).

(٣) في (ف) و(أ): «رواغ».

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلْأَمْرُ﴾؛ أي: ولَمَّا قال الضُّعفاء للَّذين استكبروا ما ذكرْنا، وأجابهم أولئك بما حكيْنا[1]، اجتمعوا كلُّهم على ملامَةِ إبليس، فهو الَّذي زيَّن[2] لهم الكفر، فيقول لهم إبليس هذا.

وقوله تعالى: ﴿لَمَّا قُضِيَ ٱلْأَمْرُ﴾؛ أي: فُرِغَ مِن سَوْقِ أهلِ النَّار إلى النَّار، وسوقِ أهلِ الجنَّةِ إلى الجنَّةِ، واستقرَّ كلُّ فريقٍ في منزلِه، والشَّيطانُ مشرفٌ عليهم في النَّار- بحيث يرونَه ويسمعون كلامَه.

وقال مقاتلٌ: يوضَعُ له منبرٌ في النَّارِ فيرتَقِيْه، وتجتمعُ عليه الكفَّارُ باللَّائمةِ، فيقولُ لهم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ﴾؛ يعني: كونَ هذا اليومِ كما ترَوْنَ، فصدَقَكُمْ وعدَهُ، ﴿وَوَعَدتُّكُمْ﴾ أنَّه غير كائنٍ[3] ﴿فَأَخْلَفْتُكُمْ﴾ وَعْدِي[4].

وقيل: ﴿وَعْد الحق﴾؛ أي: الصِّدق، وتقديرُهُ: وعدًا صِدْقًا، والإضافة إليه بمعنى نعتِه به، كقولِكَ: حقُّ اليقين، وهو وَعْدُ الثَّوابِ على الإيمان والطَّاعة.

﴿وَوَعَدتُّكُمْ﴾ على الشِّركِ والكُفرِ النَّصرَ والمعونةَ ﴿فَأَخْلَفْتُكُمْ﴾ وهو قولُه تعالى: ﴿لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٨]، وكلُّ مواعيدِه أمانيُّ وغرورٌ؛ قال تعالى: ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [النساء: ١٢٠].

﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ﴾: أي: مُلْكٍ أقهرُكُم به على ما دعوتُكم إليه.

(١) في (أ): «وأجابهم بما حكينا أولئك»، وفي (ر): «وأجابوهم أولئك بما حكينا».

(٢) في (أ): «سن» وفي (ف): «سيق».

(٣) في (أ): «جائز».

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٤٠٣).

وقيل: أي: حُجَّة، بلِ الحُجَجُ[١] كانَت للأنبياءِ.

﴿إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِي﴾: استثناءٌ منقطعٌ؛ أي: لكنِّي دعوتُكم بما أوردْتُ على قلوبِكُم مِن الوساوس، ﴿فَٱسْتَجَبْتُمْ لِي﴾[٢]: فقبلْتُم ذلكَ مِنِّي واعتقدْتُموه.

﴿فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُم﴾: على استجابتِكُم لي.

ولومُ النَّفْسِ على الإساءةِ أمرٌ صحيحٌ، كما يصحُّ حمدُها على الإحسانِ، قال الشَّاعر:

تبعْتُكَ إذْ عَيْنِي عليها غِشَاوةٌ … فلمَّا انجلَتْ قَطَّعْتُ نَفْسِي أَلُومُها[٣]

وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُم﴾ ليسَ لأنَّه لا يستحقُّ الملامة، لكنْ يقول: لومُوا[٤] أنفسَكُم أولى بكم؛ إذْ أنتم الَّذين أهلكْتُم أنفسَكُم بإجابتِكُم لي طوعًا.

قوله تعالى: ﴿مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ﴾: أي: بمغيْثِكُم[٥]؛ يعني: بمالكِ إغاثتكم[٦].

﴿وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ﴾: قرأ حمزةُ بكسر الياء، والباقون بالفتح[٧].

---

(١) في (أ): «الحجة».

(٢) «فاستجبتم لي» من (أ).

(٣) البيت للحارث بن خالد بن العاص المخزومي. انظر: «مكارم الأخلاق» لابن أبي الدنيا (٤٤٩)، و«تفسير الطبري» (١/ ٢٧١)، و«العقد الفريد» لابن عبد ربه (١/ ٢٣٨)، و«البصائر والذخائر» لأبي حيان التوحيدي (٤/ ٢٢٥).

(٤) في (ر) و(ف): «ليس لأنه لا يستحق اللوم لكن لومكم».

(٥) في (ف): «بمعينكم».

(٦) في (ف): «إعانتكم».

(٧) انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ٣٦٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٤).

والمصرِخُ: المغيثُ، والصَّارخُ: المستغيثُ، وقولُه تعالى: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا﴾ [فاطر: ٣٧]؛ أي: يستغيثون بالصِّياح والصُّراخ.

والصَّريْخُ[(١)]: اسمٌ للمُصْرِخِ والمستصرِخِ جميعًا، وقال تعالى: ﴿فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ﴾ أي: لا مُغيْثَ، والصَّارخُ: الدِّيكُ لصياحِهِ.

وقوله تعالى: ﴿إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ﴾: أي: بإشراكِكُم إيَّايَ في العبادة معَ اللهِ في الدُّنيا، وهو التَّبرُّؤُ مِن ذلكَ، قال تعالى: ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ﴾ [العنكبوت: ٢٥] أي: يتبرَّأُ.

ثمَّ هذا يحتملُ وجهَيْن:

الإخبار عندَ ذلك أنَّه كان يتبرأُ مِن ذلك في الدُّنيا.

والثَّاني: أنَّه يتبرأُ مِن ذلك يومَ القيامةِ.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: مرَّ تفسيرُه مرَّات[(٢)].

***

(٢٣) ـ ﴿وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾: ذَكَرَ حالَ المؤمنيْن في نيلِهم[(٣)] الجنَّة بعدَ ذِكْرِ الكافِريْن ووقوعِهم في النَّار.

---

(١) في (أ): «والصياح والصريخ» وفي (ف): «والصياح والصراخ والصريخ».

(٢) «مر تفسيره مرات» من (ف).

(٣) في (أ): «وتسلمهم»، وفي (ف): «وإدخالهم»، بدل: «في نيلهم».

قوله تعالى: ﴿تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ﴾: قيل: أي: يحيِّي بعضُكُم بعضًا بدوامِ السَّلامةِ مِن كلِّ خوفٍ وحزنٍ.

وقالَ الضَّحَّاكُ: هو سلامُ الملائكةِ عليهم[1].

ويُقال: هو سلام الله تعالى؛ قال تعالى: ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ [يس: ٥٨]، وقال تعالى: ﴿تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ﴾ [إبراهيم: ٢٣].

وقيل: قومٌ يحيِّيهم الملِكُ، وقومٌ تحيِّيهم الملائكة[2].

* * *

(٢٤) ـ ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا﴾: أي: ألم تعلمْ كيفَ بيَّنَ اللهُ مثلًا ﴿كَلِمَةً﴾ بدل عنه، وترجمة له ﴿طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾: هذا مَثَلُ كلمةِ التَّوحيد ﴿كشجرة طيبة﴾؛ أي: زاكية مستطابة الثَّمر.

﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ﴾: أي: لها أصلٌ ثابتٌ في الأرض؛ أي: يشربُ مِنَ الأرضِ بعروقِه.

﴿وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾: أي: تسقيها السَّماء مِن فوقِها بمطرها، فهي تنمو بذلك، وتطول فروعُها حتَّى تكون في نهايةِ طولِ الأشجار[3].

* * *

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٦٣٤) عن ابن جريج.

(٢) في (أ): «الملك».

(٣) في (أ): «حتى تطول الإبحار».

(٢٥) - ﴿تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾: أي: تثمرُ في كلِّ حينٍ بإذنِ اللهِ؛ أي: بإيجادِ اللهِ ذلك.

و﴿أُكُلَهَا﴾: ما يُؤكَلُ منها.

فهذا مَثَلُ كلمةِ الإيمانِ، وهي طيِّبة في لفظِ صاحبِها المتكلِّمِ بها؛ لأنَّها حمدٌ وتنزيهٌ للخالقِ البارئِ المصوِّر الواحِدِ، الموصوفِ بالصِّفاتِ الحسنى، وشهادةٌ له بالحقِّ.

وهي طيبةٌ فيما تثمرُه؛ لأنَّها تثمِرُ في الدُّنيا الثَّناءَ الحسنَ[1]، والمودَّةَ في صدور الأخيار، والأسماء الجميلة، وتثمر أيضًا في الدُّنيا التَّوفيقَ مِن اللهِ للطَّاعات، وانشراحَ الصَّدر للحقِّ والعملِ بهِ، وتثمرُ في الآخرةِ رضوانَ اللهِ عليهم، والنَّعيمَ المقيمَ في جوار الأنبياء والصِّدِّيْقِين والشُّهداءِ والصَّالحين.

وهي ثابتةُ الأصلِ في الأرضِ، ليس معتقدُها بمذبذبٍ، ولا هو مِن دينِه في لَبْسٍ، ولا هي مأخوذةٌ تقليدًا مِن غيرِ دليلٍ وبرهان، فصاحبُها مِن الانتفاعِ بها وإصابةِ الحقِّ منها على بصيرةٍ وبيِّنة.

ثمَّ فرعُها في السَّماء؛ لأنَّ عملَ صاحبِها مُتَقَبَّلٌ، مرفوعٌ إلى اللهِ، تثني به عليه الملائكةُ، ويذكُرُهُ اللهُ تعالى بها في الملأِ الأعلى.

وهي تؤتي أكُلَها كلَّ حينٍ؛ لأنَّ شهادةَ المؤمنِ للهِ تعالى بالوحدانيَّةِ، وثناءه

---

(١) «الحسن» ليس في (أ).

عليه، وتمجيدَه له، وشكرَه له على النِّعم السَّالفةِ والآنفةِ[1]، لا ينقطعُ في الأوقاتِ، بل هي منهُ على ذُكرٍ؛ إمَّا بلسانِه، وإمَّا بقلبِه، وكذلك أعمالُه الصَّالحةُ تتَّصلُ وتَتابَعُ في الأحايين كلِّها، وهذا تمثيلٌ في غايةِ الحُسْنِ والصِّدقِ[2].

وقولُه تعالى: ﴿وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾: أي: وإنَّما يضربُ اللهُ الأمثالَ للنَّاسِ ليتذكَّرَ بها النَّاسُ أشباهَ الأشياء الغائبةِ بالأشياءِ الحاضرة، فإذا كانَتِ الأشياءُ الحاضرةُ المضروبُ بها الأمثال حسنةً محمودةً مالوا إليها، وإذا كانَتِ الأشياءُ الحاضرةُ المضروبُ بها الأمثال قبيحةً مذمومةً انحرفوا عنها.

كالهدى[3] الَّذي هو في معنى الشَّيء الغائب لأنَّه يُدرَكُ بالدَّليل، والضَّلالُ الَّذي هو كذلك، إذا ضُرِبَ الـمَثلُ للهُدَى بالنُّورِ قَرُبَ مِن القَلْبِ كَقُرْبِ النُّور منه، وإذا ضُرِبَ مَثَلُ الضَّلالِ بالظُّلْمَةِ أُبْعِدَ مِنَ[4] القلبِ كبُعْدِ الظُّلمة منه.

ثمَّ الشَّجرةُ الطَّيبةُ قيل: هي النَّخلة.

ورُويَ أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال لأصحابه يومًا: «أخبروني عَن شجرةٍ مَثَلُها مَثَلُ المؤمنِ؟»، قالَ ابنُ عمرَ: فوقعَ النَّاسُ في شجرِ البوادي، فوقع عندي أنَّها النَّخلةُ، فأردْتُ أنْ أقولَ: هي النَّخلة، فنظرْتُ فإذا في القومِ أبو بكرٍ وعمرُ، فسكتُّ، فقال رسولُ اللهِ ﷺ: «هي النَّخلةُ»، فذكرْتُ ما وقعَ في قلبي لِعُمَرَ، فقالَ: لو كنْتَ قُلْتَهُ كانَ أحبَّ إليَّ مِنَ الدُّنيا وما فيها، أو كلامًا هذا معناه[5].

---

(١) في (ف): «والآتية».

(٢) «والصدق» ليس في (أ).

(٣) في (ر) و(ف): «كالمهدي».

(٤) في (أ): «بعد عن».

(٥) رواه البخاري (١٣١)، ومسلم (٢٨١١) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

وقال ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: هي شجرةٌ في الجنَّة(١).

وقوله تعالى: ﴿كُلَّ حِينٍ﴾ قال مجاهد وابن زيد: هي السَّنَةُ(٢).

وقال ابنُ عبَّاس رضي الله عنهما ـ في رواية ـ وسعيدُ بن جُبيرٍ والحسنُ: ستَّة أشهرٍ مِن وقتِ الطُّلوع إلى وقت الصِّرام(٣).

وقال ابنُ عبَّاسٍ في روايةٍ: غدوةً وعشيَّةً(٤).

وقيل: أُكُلُ النَّخلِ: الطَّلعُ والبُسْرُ والرُّطَبُ والتَّمرُ، وهو دائمٌ لا ينقطعُ على هذه الصِّفة، وهذه حالةُ المؤمنِ، لا يخلو وقتًا مِن الأوقات مِن خيرٍ؛ قال رسولُ اللهِ ﷺ: «عَجبًا لِأَمْرِ الـمُؤْمِنِ، إنَّ أمرَهُ كلَّهُ خيرٌ؛ إنْ أصابَهُ خيرٌ حَمِدَ اللهَ، وإنْ أصابَهُ ما يَكرَهُ(٥) صَبرَ، وكانَ أمرُه كلُّه إلى خيرٍ»(٦).

وقال الإمامُ أبو منصورٍ: قال الإمامُ أبو بكرٍ الكيسانيُّ(٧):.....................

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٦٤١).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٦٤٩). ومن قوله: «وقال ابن عباس» إلى هنا ليس من (أ).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٦٤٦ ـ ٦٤٧). وفي (ر) و(ف): «الظلام» بدل «الصرام».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٦٤٤).

(٥) في (أ): «مكروه» بدل من «ما يكره».

(٦) رواه مسلم (٢٩٩٩) من حديث صهيب رضي الله عنه.

(٧) في جميع النسخ: «الكسائي»، والمثبت من «التأويلات»، وهو ممن أكثر الماتريدي في كتابه المذكور النقل عنه في عشرات المواضع. وهو خيران بن العلاء أبو بكر الكلبي الكيساني الأصم من أهل دمشق، روى عن الأوزاعي وزهير بن محمد وحماد بن سلمة، روى عنه ابنه عمرو بن خيران وأبو عمرو الأوزاعي ـ وهو شيخه ـ وغيرهما، قيل: وكان من خيار أصحاب الأوزاعي. انظر: «تاريخ دمشق» (١٧/ ٧٣). وقد تقدم ذكره عند تفسير قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ =

كلمةٌ طيِّبةٌ: هي هذا القرآنُ، وكلمةٌ خبيثةٌ: هي الكُتُبُ الَّتي أحدثَها النَّاس.

شَبَّهَ القرآنَ بالشَّجرةِ الطَّيِّبةِ الَّتي تثمرُ، والشَّجرةُ الطَّيِّبةُ هي باقيةٌ إلى آخرِ الدَّهرِ، ينتفعُ بها النَّاس بجميعِ أنواعِ المنافعِ، لا يقطعونَها، فهي تدومُ[1] وتبقى، فعلى ذلك القرآنُ ينتفعُ بهِ النَّاسُ، وهو دائمٌ أبدًا.

﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ﴾: لها قرارٌ، وهو ثابتٌ بالحُجَجِ والبراهين، والكتبُ المحدَثةُ باطلةٌ فاسدةٌ، لا حجَّةَ معها ولا برهان، كالشَّجرةِ الخبيثةِ الَّتي هي غيرُ مثمرةٍ، لا بقاءَ لها ولا قرارَ ولا ثبات[2].

قال القشيريُّ: شبَّهَ اللهُ تعالى معرفةَ المؤمنِ بشجرةٍ طيِّبةٍ، أصلُ تلكَ الشَّجرةِ ثابتٌ في أرضٍ زاكيةٍ، وفروعُها باسقةٌ عاليةٌ، وثمراتُ تلكَ الشَّجرةِ وافيةٌ، تؤتي أُكُلَها كلَّ حينٍ، وينتفعُ بها أهلَها في كلِّ وقتٍ، فالإيمانُ كذلكَ، أصلُهُ المعرفةُ المصحَّحةُ بالأدلَّةِ والبراهين، وفروعُها الأعمالُ الصَّالحةُ الَّتي هي الفرائضُ[3].

ومجانبةُ المعاصي في الإيمانِ كصيانةِ الشَّجرةِ ممَّا يضرُّها مِن قشطِ قشرٍ، وقطعِ عِرْقٍ، وإتلافِ غصنٍ، وما يجري مجراه.

وأوراقُ تلكَ الشَّجرةِ: قيامُه بآدابِ العبوديَّة.

وأزهارُ تلكَ الشَّجرةِ: أخلاقُه الجميلةُ.

= [الأعراف: ٣٢] نقلاً عن الماتريدي، فوقع هناك: (ابن كيسان)، وكان في «التأويلات»: (أبو بكر الأصم)، ونبهنا على الاختلاف ثمة لكن لم نذكر ترجمته فلتستدرك من هنا.

(١) في (أ): «ملزوم».

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٦/ ٣٨٧).

(٣) في (ر): «أداء الفرائض».

وثمارُ تلكَ الشَّجرةِ حلاوةُ الطَّاعةِ، ولَذَاذاتُ[1] الخِدْمةِ.

ثمَّ الثِّمارُ تختلفُ في الطَّعمِ والطَّبعِ والرَّائحةِ والصُّورة، كذلكَ ثمراتُ الطَّاعاتِ، وهي المعاني الَّتي يجدُها العبدُ في قلبِهِ، وهي مختلفةٌ مِن حلاوةٍ يجدُها في الطَّاعةِ وهي صفةُ العابدِيْن، وبسطٍ يجدُهُ في وقتِهِ وهو صفة العارفِيْن، ولوعةٍ في ضميرِهِ وهي صفةُ المريدِيْن، وأُنْسٍ ينالُهُ في سِرِّهِ وهو صفة المحبِّيْن، وقلقٍ واهتياجٍ يجدُهُ ولا يعرفُ سببَهُ، ولا يجدُ سبيلًا إلى سكونِهِ، وهو صفةُ المشتاقِيْن، إلى ما لا يفي بشرحِهِ نُطْقٌ، ولا يستوفِيْهِ بيانٌ وذكرٌ؛ مِنْ لوائِحَ وبوائح، ولوامِعَ وطوالِعَ، وشوارِقَ وطوارِق.

ثمَّ هذه الشَّجرةُ تربو بالعناية، وتورقُ بالكفاية، وتتورَّد بالكلاءة، وتثمرُ بالرِّعاية.

ولا بُدَّ للشَّجرِ[2] مِن ماءٍ، وماءُ هذه الشَّجرةِ ماءُ النَّدمِ والحياءِ، والتَّلهُّفِ والحسرةِ، والإنابةِ والخشوع، وإرسالِ الدُّموع.

ثمَّ ثمراتُ الأشجارِ في السَّنةِ مرَّةً، وثمراتُ هذه الشَّجرةِ في كلِّ لحظةٍ كذا وكذا مرَّةً، فهي كثمراتِ الجنَّةِ، لا مقطوعةٌ ولا ممنوعة، وكذا هذه اللَّطائفُ لا مقطوعةٌ ولا ممنوعة، وقلوبُ أهلِ الحقائقِ عنها لا مصروفةٌ ولا محجوبة[3].

وقال أبو بكرٍ الورَّاق: المعرفةُ شجرةٌ في قلبِ المؤمنِ، لها سبعةُ غصونٍ:

غصنٌ ينتهي إلى قلبِه وثمرتُه: صحَّةُ الإرادات.

وغصنٌ ينتهي إلى لسانِه وثمرتُه: صِدْقُ المقالات.

---

(١) في (أ): «ولذات».

(٢) في (ر) و(ف): «ولا بد لهذه الشجرة». وفي «اللطائف»: (ثم لا بد للشجرة).

(٣) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٢/ ٢٤٨ ـ ٢٤٩).

وغصـنٌ ينتهي إلـى عينِه وثمرتُـه: الغضُّ عنِ المحرَّمـات، والنَّظـرُ بالعِبرةِ في الكائنات.

وغصنٌ ينتهي إلى رجلِه وثمرتُه: المشي إلى الجماعات.

وغصنٌ ينتهي إلى يدِه وثمرتُه: إعطاءُ الصَّدقات.

وغصنٌ ينتهي إلى الحلْقِ والبطنِ وثمرتُه: أكلُ الحلال، وتركُ الحرامِ والشُّبهات[1].

وغصنٌ ينتهي إلى النَّفس وثمرتُه: تركُ الشَّهوات.

وقال سهلُ بنُ عبدِ الله: لها أربعةُ أغصان:

أحدُها: ينتهي إلى قصرِ الأمل.

والثَّاني: إلى إخلاصِ العمل.

والثَّالثُ: إلى ارتقابِ الأجل.

والرَّابع: إلى تدارُكِ الخَلَل.

* * *

(٢٦) ـ ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ﴾: هي كلمةُ الكُفْرِ ﴿كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ﴾: غيرِ زاكيةٍ، كما قال: ﴿وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا﴾ [الأعراف: ٥٨]، وخبيثةٌ أيضًا مِن جهةِ أنَّ ثمرتَها[2] غيرُ مستطابةٍ.

---

(١) في (أ): «الحلالات»، وفي (ف): «الحلال والمباحات»، بدل: «الحلال وترك الحرام والشبهات».

(٢) في (ر): «شجرتها».

﴿ٱجۡتُثَّتۡ مِن فَوۡقِ ٱلۡأَرۡضِ﴾: اقتُلعَتْ، وقد جثَّ جثًّا مِن حدِّ دخَلَ يدخُلُ[1]؛ أي: قَلَعَ، واجتَثَّ اجتثاثًا كذلك.

﴿مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾ في الأرض، ولا فروعَ لها في السَّماء[2]؛ لأنَّها مستأصَلةٌ مِن فوقِ الأرضِ، ولا عروقَ لها في الأرضِ فتزكوَ؛ لأنَّها قد اجتُثَّتْ مِن أصلِها، أو أنَّها لا عروقَ لها في باطنِ الأرضِ، فإذا اجتُثَّتْ ـ أي: أُخِذَتْ جُثَّتُها الَّتي هي بارزةٌ على وجهِ الأرض ـ مِن أصلِها انقطعَ ثمرُها، وهي شجرةٌ ليسَ لها أصلٌ ثابتٌ يتفرَّع، وإنَّما هي قطعةُ عودٍ أو نباتٍ على الأرضِ، لا ثمرةَ لها[3]، ولا نماءَ، ولا نفعَ.

فكذلك كلمةُ الشِّركِ[4] هي خبيثةٌ في لفظِ المتكلِّم بها؛ إذ هي ثناءٌ على جمادٍ لا يَعقِل، وتسميةٌ بالإلهيَّة لحجرٍ لا يضرُّ ولا ينفع.

وهي تثمرُ في الدُّنيا الذِّكْرَ القبيحَ، وتسفيهَ العقلِ، وتضليلَ الرَّأي، والتَّسميةَ بالأسماءِ المكروهةِ مِن الصُّمِّ والبُكْمِ والعُمْي، والتَّشبيهَ بالحُمُرِ والبهائمِ والأموات.

وتثمرُ في الآخرةِ العقابَ[5] الأليم، وصاحبُها في لَبْسٍ مِن دينِه، واختلاطٍ مِن اعتقادِه، وعلى غيرِ بصيرةٍ مِن دَرْكِ الصَّوابِ فيه، وليسَ له عملٌ يصعدُ إلى اللهِ تعالى.

---

(١) في (أ): «من حد نكل». والمؤدى واحد، فإن نكل من باب دخل أيضاً. انظر: «مختار الصحاح» (مادة: جثث ونكل).

(٢) قوله: «في الأرض» «في السماء» من (ف).

(٣) «لها» ليس في (أ).

(٤) في (أ): «و» بدل: «فكذلك كلمة الشرك».

(٥) في (أ): «العذاب».

وقال أنسٌ(١): الشَّجرةُ الخبيثةُ: الشَّريان وهو الحنظلُ(٢).

وقال ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: هي شجرةٌ لم تُخْلَقْ، وهي مَثَلٌ(٣).

وقال القشيريُّ رحمه الله: خَبُثَتْ كلمةُ الشِّركِ لصدورِها عن قلبٍ هو مستقرُّ الشِّركِ ومنبعُهُ(٤).

﴿ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾: لأنَّ الكفرَ متضادٌّ متناقضٌ، ليسَ له أصلٌ صحيحٌ، ولا برهانٌ موجِبٌ، ولا دليلٌ كاشِفٌ، ولا علَّةٌ مقتضيةٌ، إنَّما ذلك شُبَهٌ وأباطيل، وضلالٌ وتضليل، اقتضاها وساوسُ وتسويل.

﴿مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾ لأنَّها حاصلةٌ مِن شُبَهٍ واهية، وأصولٍ فاسدة.

* * *

---

(١) في (ر): «وقيل» وفي (ف): «وقال أليس».

(٢) في (أ): «الخبيثة هي السريانة وهي الحنظل» وفي (ف): «الخبيثة هي بالسريانة وهي الحنظل»، وفي (ر): «الخبيثة بالسريانية هي الحنظل»، والمثبت من المصادر. والخبر رواه ابن الجعد في «مسنده» (١١٠٧)، والبخاري في «التاريخ الكبير» (٤/ ٢١٦)، والطبري في «التفسير» (١٣/ ٦٥٢ ـ ٦٥٣)، والخطابي في «غريب الحديث» (٢/ ٥١٢).

قال الخطابيُّ: أُراه غلطاً، وإنَّما هو: (الشَّرْيُ)، وهو الحنظلُ، وأمَّا الشَّرْيانُ: فهو شجرٌ يُعْمَلُ منه القِسِيُّ، يَنْبُتُ في بطون الأَودية ومجاري الماء.

لكن ذكر الزمخشري فيه تفصيلاً آخر، حيث قال: الشَّرْيان والشَّرْي: الحنظل، وقيل: هو ورقه، الواحدة: شَرْيةٌ، وأمَّا الشِّرْيان بالكسر ـ وقد يفتح ـ فشجرٌ يُعمل منه القِسِيُّ، الواحدة: شِرْيَانة. انظر: «الفائق» (٢/ ٢٣٩)، و«النهاية» (مادة: شرى).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٦٥٤).

(٤) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٢/ ٢٤٩).

(٢٧) ـ ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾: ﴿ يُثَبِّتُ ﴾؛ أي: يوفِّقُ للثَّبات، ويحفظُ عن الزَّوال والزَّلل.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾؛ أي: الذين آمنوا واتَّقوا، فالوعدُ للمؤمنِ المستقيمِ المستكمِلِ خصالَ الإيمانِ، وذلك بالتَّقوى، فأمَّا العصاةُ[1] فهم في خطرٍ.

وقوله تعالى: ﴿بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ﴾ قيل: هو صلة ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾؛ أي: هذا الوعدُ للَّذين آمنوا بالقولِ الثَّابتِ؛ أي: بالتَّوحيد الخالص، فوحَّدوا اللهَ، ونزَّهوه عمَّا لا يليقُ به.

وقيل: هو صلةُ ﴿ يُثَبِّتُ ﴾؛ أي: يثبِّتُهم بالبقاءِ على هذا القولِ الثَّابت.

أو يكون بمعنى الجزاءِ؛ أي: يثبِّتُهم بسببِ قولِهم الثَّابت، يُقال: جزيتُه بكذا أو على كذا أو في كذا[2].

و﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾: ما داموا أحياءً، وعندَ الموتِ، حتَّى يُختَم لهم به.

﴿وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾؛ أي: في القبرِ عندَ مسائلةِ مُنكر ونكير.

قال ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: مَن دامَ على الشَّهادةِ في الحياة الدُّنيا ثبَّتَهُ اللهُ عليها في قبرِه ولقَّنه إيَّاها[3].

---

(١) في (ف): «﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ أي: الذين آمنوا واتقوا فالوعد للمؤمن التثبت على الإيمان وخصال الإيمان بالتقوى وأما العصاة...»، وفي (ر): «﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ واتقوا ما يحبط إيمانهم وأعمالهم أهل الثبات في الدنيا والآخرة فأما الكفار والعصاة...».

(٢) في (ر) و(ف): «جزيته بكذا وعلى كذا».

(٣) ذكره النيسابوري في «تفسيره» (٤/ ١٩٢)، والرازي في «تفسيره» (١٩/ ٩٧).

وكذلك قالَ مقاتلٌ[1]، وعليه كثيرٌ مِن الأخبار[2].

وقيل: القبرُ مِن الحياةِ الدُّنيا؛ لأَنَّه في الدُّنيا صورة، ﴿وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ عندَ مسائلةِ اللهِ إيَّاهم عندَ الحساب.

والقولُ الثَّابتُ: هو الشَّهادةُ للهِ بالوحدانيَّة، والصِّفاتِ التي وصفَ بها نفسَه، وهو قولٌ ثابتٌ في نفسِهِ بدلائلِ العُقول وشهاداتِ المعارف.

وقيل: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾؛ أي: يمكِّنُهم اللهُ في الأرضِ، ويستخلِفُهم فيها، وفي الآخرةِ في الجنَّةِ بقولهم الثَّابت؛ أي: بسببِ كلمةِ التَّوحيد منهم.

وقوله تعالى: ﴿وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: أي: يخذِلُ الَّذين ارتكبوا الكبائرَ، فوضعوا الأمرَ غير موضعِه، وظلموا بذلك أنفسَهم.

وهذا الوعيد لهم ما داموا مختارِيْن لذلك، فإذا تركوا الظُّلم ورجعوا إلى[3] الحقِّ يوفِّقُهم اللهُ ويعصمُهم.

قوله تعالى: ﴿وَيَفۡعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾: يتوبُ على الظَّالم إنْ شاءَ، فيغفرُ له ويهديه، ويغفرُ له إنْ شاءَ مِن غيرِ توبةٍ، ويعاقبُه إنْ شاءَ ويتركُه في ظلمةٍ.

والآيةُ ردٌّ على المعتزلةِ، فإنَّهم يقولون: لا يقدِرُ أنْ يفعلَ ما يشاءُ؛ لأَنَّهم يقولون: إنَّه شاءَ إيمانَ الجميع، ولم يؤمنوا، فلم يقدرْ أنْ يفعلَ ذلكَ بهم.

***

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٤٠٥).

(٢) في (أ): «وعليه كثرت الأخبار» وفي (ر): «وعليه كثير من الأخيار».

(٣) في (ف): «فتراجعوا» بدل: «ورجعوا إلى».

(٢٨ ـ ٢٩) ـ ﴿ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا﴾: قال الحسنُ: يعني: أبا جهلٍ وأصحابَه(١)، الَّذين(٢) بدَّلوا نعمةَ اللهِ عليهم بمحمَّد وبالإيمانِ، فكفروا به وكذَّبوه.

﴿وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ﴾: أي: دار الهلاك ﴿ جَهَنَّمَ ﴾: هو بدلٌ عنها، وترجمةٌ لها، فأخرجوهم إلى قتالِ محمَّدٍ ببدرٍ، فقتلَهُم اللهُ فدخلوا النَّارَ.

فالنِّعمةُ هي محمَّدٌ ﷺ في هذه الآيةِ، وكذلك في قوله: ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا ﴾ [النحل: ٨٣].

وقيل: ﴿دَارَ ٱلْبَوَارِ﴾: هي بدرٌ هلكوا بها.

وقوله تعالى: ﴿ جَهَنَّمَ ﴾ يكون منصوبًا لقوله: ﴿يَصْلَوْنَهَا﴾، وهو كلامٌ غيرُ الأوَّل(٣).

وقيل: النِّعمة: هي جميعُ ما أنعمَ اللهُ تعالى عليهم بها، فكفروا بها، فاستحقُّوا بها العقاب.

وقوله تعالى: ﴿يَصْلَوْنَهَا﴾: أي: يدخلون جهنَّم ﴿وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴾؛ أي: بئسَ الاستقرار؛ أي: بئسَ المستقَرُّ جهنَّم.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٦٧٦) عن قتادة.

(٢) «الذين» ليس في (أ).

(٣) وتبسيط كلام المؤلف في إعراب ﴿ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا﴾: أن لها وجهين: إما أن يكون ﴿ جَهَنَّمَ ﴾ بدلاً من ﴿دَارَ ٱلْبَوَارِ﴾ فـ﴿يَصْلَوْنَهَا﴾ حالٌ منها أو من الدار أو من القوم، أو يكون قوله: ﴿ جَهَنَّمَ ﴾ منصوباً بفعلٍ مقدَّر يفسره قوله: ﴿يَصْلَوْنَهَا﴾ وهو ما يسمى بالنصب على الاشتغال.

وقال ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: النَّاسُ بَراءٌ مِن هذه غير ظَلَمةِ قريشٍ[١].

وقال عليٌّ رضي الله عنه: هم بنو المغيرة وبنو أميَّة؛ أمَّا بنو المغيرة فاسْتُؤصِلوا ببدرٍ، وأمَّا بنو أميَّة فمُتِّعوا إلى حين[٢].

***

(٣٠) ـ ﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِهِۦۗ قُلْ تَمَتَّعُواْ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا ﴾؛ أي: أشكالًا وأشباهًا مِن الأصنامِ سمَّوها اللَّات والعزَّى، كما أنَّ مِن أسماء الرَّبِّ جلَّ جلالُه: الله والعزيز.

﴿لِّيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾: أي: ليضلُّوا بذلك عن سبيلِ طاعةِ اللهِ غيرَهم، كما ضلُّوا بأنفسِهم.

قوله تعالى: ﴿قُلْ تَمَتَّعُواْ﴾: أي: قل لهم يا محمَّد: تمتَّعوا في الدُّنيا ما شِئْتُم **﴿فإن مصيركم إلى النار﴾**؛ أي: مرجعَكم في عاقبةِ أمرِكُم إلى جهنَّم.

ويجوزُ أنْ يكون: ﴿تَمَتَّعُواْ﴾ دليلًا على قلَّةِ مُكْثِهم في الدُّنيا، فإنَّ المتاع اسمٌ لذلك؛ قال تعالى: ﴿قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا﴾ [الزمر: ٨]، وإنْ أُجْرِيَ على إطلاقِهِ وطولِ زمانِهِ فقد قال: ﴿ أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يُمَتَّعُونَ ﴾ [الشعراء: ٢٠٥ ـ ٢٠٧].

***

(٣١) ـ ﴿ قُل لِّعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ﴾.

---

(١) روى نحوه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٤١١)، والطبري في «تفسيره» (١٣/ ٦٧٤).

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٤١٠)، والطبري في «تفسيره» (١٣/ ٦٧٠).

وقوله تعالى: ﴿قُل لِّعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾: أي: قل لهم: أقيموا الصَّلاة، فيقيموا الصَّلاة، فهذا الظَّاهر جُزِمَ بالجوابِ للأمرِ المحذوفِ الَّذي دلَّ عليه: ﴿قُل﴾.

وقيل: هو بنفسِهِ أمرٌ بإضمارِ اللَّامِ فيه؛ أي: ليقيموا الصَّلاة، وجاز ذلك لدلالةِ ظاهرِ الكلامِ عليه، ويجوز مثلُه في الكلام: قلْ له: يضربْ زيدًا.

وهذا أمرٌ للمؤمنين بأن يخالفوا الذين بدَّلوا نعمةَ الله كفرًا؛ أي: قل يا محمَّدُ للذين حقَّقوا عبوديَّتهم لي بالإيمان بي ومخالفةِ الَّذين أشركوا بي غيري: أقيموا لي[1] الصَّلاةَ بأبدانِكُم، وأنفقوا في إقامةِ ديني ومواساة عبيدي أموالَكم.

وقوله تعالى: ﴿وَيُنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾: فِعْلَ المخلصِيْنَ دونَ المرائِيْنَ الذين ينفقون في العلانيةِ بمرآةٍ للنَّاس لا غيرَ.

وقوله تعالى: ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ﴾: وهو يومُ القيامةِ، لا يجزي فيه تبايعٌ بينَ[2] النَّاسِ فيشتريَ نفسَه مِن العذابِ بمالٍ يعطيه، ولا مصافاةٌ فيشفعَ خليلٌ لخليلِه فينجِيه؛ قال تعالى: ﴿لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَاعَةٌ﴾ [البقرة: ١٢٣].

وقال الإمامُ القشيريُّ رحمة الله عليه: أمرنا بالصَّلاةِ التي فيها المناجاةُ، وبإنفاقِ ما رزقَه الله، وهو إنفاقُ اللِّسان على ذكرِه، والبدنِ على طاعتِه، والوقتِ على شكرِه، والقلبِ على عرفانِه، والرُّوحِ على حُبِّه، والسِّرِّ على مشاهدَتِه، ولا يكلِّفُ اللهُ نفسًا إلَّا وسعَها.

---

(١) «لي» من (ر).

(٢) «بين» من (أ).

إنَّما يطالبُكَ بأنْ تحضرَ البابَ، وتقفَ على البساطِ، فيقولُ العبدُ المسكينُ: لو كانَ لي نفسٌ أطوعُ مِن هذهِ لأتيْتُ بها، ولو كان لي قلبٌ أوفى مِن هذا لأحضرْتُه، وكذلك الرُّوح والسِّرُّ، قال قائلُهم:

يفديْكَ بالرُّوحِ صَبٌّ لو يكونُ لَهُ … أعزَّ مِنْ رُوْحِهِ شَيءٌ فَداكَ بِهِ[1]

* * *

(٣٢) ـ ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾: وفي هذهِ الآيةِ تعدادُ النِّعمِ، وتتَّصل بقولِه: ﴿بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾: هو المطر ﴿فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾: هي فواكهُ الأشجارِ، وزروعُ الأرضِ ﴿رِزْقًا لَّكُمْ﴾؛ أي: قوتًا لكم.

وقوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ﴾: أي: وذلَّلَ لكم السُّفنَ، والفُلْكُ: اسمٌ للواحدِ والجمعِ، ويذكَّر ويؤنَّث.

﴿لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ﴾: أي: بتسخيرِه وتكوينِه، كقولِه: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ﴾؛ أي: تكوينُنا.

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ﴾: جمع نَهَر.

* * *

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٢/ ٢٥٢)، والبيت لأبي العتاهية، كما في «محاضرات الأدباء» للأصفهاني (٢/ ٥٨).

(٣٣) ـ ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ﴾: أي: مُتَّصلَي السَّير، كأنَّهما يدأبان ـ أي: يجتهدان ـ في ذلكَ لئلَّا يَخرجُا عن أمرِ اللهِ.

قال ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: دأبُهما في طاعةِ اللهِ تعالى: أنَّهما سُخِّرا على صورةِ مَن أُمِرَ بشيءٍ فأدأبَ نفسَه في طاعةِ آمرِه(١).

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴾: يتعاقبان لمصالحِكُم.

***

(٣٤) ـ ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾.

﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ﴾: قراءةُ العامَّةِ بغير تنوينٍ على الإضافةِ، وقرأ المنذرُ بن سلام مِن قرَّاء البصرةِ والحسنُ والضَّحَّاكُ: (مِنْ كُلٍّ) بالتَّنوين(٢).

معنى القراءة الأولى: أعطاكم مِن كلِّ شيءٍ سألتُموه، وهو للتَّكثير لا لاستغراقِ الجنس، كما يُقال: اشتريْتُ في السُّوق كلَّ شيءٍ، وقولِه تعالى: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍۭ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾ [الأحقاف: ٢٥]، ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ﴾ [النمل: ٢٣]، ﴿فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ٤٤].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٦٨٢).

(٢) وهي قراءة شاذة، ذكرها ابن خالويه في «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٧٣) عن ابن عباس والحسن وجعفر بن محمد وسلام بن منذر، وذكرها ابن جني في «المحتسب» (١/ ٣٦٣) عن ابن عباس والحسن والضحاك ومحمد بن علي وجعفر بن محمد وعمرو بن فائد ويعقوب.

وهو جوابُ مَن سأَلَ: إنَّ كلَّ إنسانٍ لم يعطَ كلَّ شيءٍ، ولأنَّه قال: ﴿مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾، وهو للتَّبعيض.

ومعنى قراءة التَّنوين: مِن كلِّ شيءٍ ما سألتموه، ثمَّ (ما) إنْ جُعِلَ بمعنى الذي فهو كالأوَّل، وإنْ جُعِلَ للنَّفي فمعناه: مِن كلِّ شيءٍ لم تسألوه؛ أي: أعطاكم ما سألتُموه وما لم تسألوه، كالشَّمس والقمر واللَّيل والنَّهار وما عُدَّ في هذه الآية، وكذلكَ مِن المصالح ما يَخفَى على العبدِ سؤالُه، واللهُ يعطيهِ مِن غيرِ سؤالٍ.

وقوله تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾: أي: لن[1] تطيقوا شكرَها، كما قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «استقيموا ولن تُحصوا»[2]؛ أي: لن تُطيقوا.

وقيل: أي: لا تستوفوا عدَّها[3]، كما قال: «مَن أحصاها دخلَ الجنَّةَ»[4].

وأقلُّ النَّاسِ نعمةً لو تكلَّفَ عَدَّ ما أنعمَ اللهُ عليه نفعًا ودفعًا لم يمكنْهُ إيفاءُ عدِّهِ، وبلوغُ حدِّه.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾: ﴿لَظَلُومٌ﴾ لنفسهِ في معصيتِه، ﴿كَفَّارٌ﴾ لربِّه في نعمتِه.

وقيل: ظلومٌ: في الشِّدَّة يضجَر ويجزَع، كفَّارٌ: في النِّعمة يجمَعُ ويمنَعُ.

***

(١) في (ر) و(ف): «قيل أي لا» بدل «أي لن»

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢٢٣٧٨)، والدارمي في «سننه» (٦٨١)، وابن ماجه (٢٧٧) وابن حبان في «صحيحه» (١٠٣٧)، والحاكم في «المستدرك» (٤٤٧)، من حديث ثوبان رضي الله عنه.

(٣) في (ر): «لا يستوعبوها»، وفي (ف): «لاستواء عدها».

(٤) جزء من حديث رواه البخاري (٢٧٣٦)، ومسلم (٢٦٧٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه، ولفظ البخاري: «إن لله تسعة وتسعين اسمًا، مئة إلا واحدًا، من أحصاها دخل الجنة».

(٣٥) ـ ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ ءَامِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ﴾: أي: اذكرْ يا محمَّدُ إبراهيمَ إذْ لم يستعجلِ العذابَ لِمَنْ[1] كذَّبه وآذاه، فكذلكَ فافعلْ بأهلِ عصرِكَ، واتَّبعْ في ذلك أباك، وذلك في قولِه تعالى: ﴿وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [إبراهيم: ٣٦]، وقدَّم على ذلك وأخَّرَ عنه دعوات، فممَّا قدَّم قولُه تعالى:

﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ ءَامِنًا﴾: أي: اشرعْ للنَّاس أنْ يكونَ ﴿هَذَا الْبَلَدَ﴾ وهو مكَّة ﴿ءَامِنًا﴾؛ أي: مأمنًا[2]، وقيل: مأمونًا فيه، وقيل: ذا أمنٍ، وهو كقولهم: ليلٌ نائمٌ، ونهارٌ صائمٌ، وكقول الله تعالى: ﴿وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ [يونس: ٦٧].

وقوله تعالى: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ﴾؛ أي: بَعِّدْني[3] وأولادي، وقد جَنَبه مِن حدِّ (دخل)، وجنَّبَهُ تجنيبًا للمبالغة، واجتنبَ وتجنَّب لازمٌ، وحقيقة الكلمة: اجعلني في جانبٍ، كما يُقال: نحِّني؛ أي: اجعلني في ناحيةٍ.

﴿أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾: (أن) مع الفعل مصدر؛ أي: عبادةَ الأصنام، وهذا لتعليمِ الأُمَّةِ، ولأنَّ العِصمةَ لا تزيلُ المحنةَ، فيجوز فيه الدَّعوة كما مرَّ في قوله تعالى: ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١].

* * *

(١) في (أ): «العذاب والعقوبة أن».

(٢) في (ر) و(ف): «ضامناً».

(٣) في (ر) و(ف): «تعذني».

(٣٦) - ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾: أي: ضَلَّ بهنَّ كثيرٌ مِنَ النَّاسِ، أضافَ الإضلالَ إليهنَّ بطريقِ التَّسبُّبِ؛ أي: إلى الأصنام، كما في قولِه تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى﴾ [المؤمنون: ١١٠].

وقال القشيريُّ رحمَه الله: كانَ إبراهيمُ عليه السَّلام بينَ شهودِ فضلِ ربِّه، وشهودِ فَقْرِ نفسِهِ، فلِنَظَرِه إلى فضلِ ربِّهِ قال: ﴿وَٱغْفِرْ لِأَبِىٓ﴾ [الشعراء: ٨٦]، ولِنَظَرِه إلى فَقْرِ نفسِهِ قال: ﴿وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾.

وقال: وقيل: شاهدَ عزَّ اللهِ واستغناءَه فقال[1]: ﴿وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾، وشاهدَ فضلَه ورحمتَه ولطفَه فقال: ﴿وَٱغْفِرْ لِأَبِىٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الشعراء: ٨٦][2].

وقوله تعالى: ﴿فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي﴾: أي: فمَنْ كانَ على ديني في توحيدِكَ فإنَّه ممَّنْ أُماليْهِ[3] وأَعُدُّه مِن جُملةِ أصحابي، كما قال في قصَّة طالوت: ﴿وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّىٓ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: ﴿غَفُورٌ﴾: تسترُ عليه ذنبَه، ﴿رَّحِيمٌ﴾: ترحمُه فتتوبُ عليه.

وقيل: أي: تُمْهلُه ولا تعاجِلُه بالعذاب، فهو كقوله: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ

(١) في (أ): «شاهد عن الله استغناءه فقال». وفي «اللطائف»: (شاهد غيره فقال).

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٢/ ٢٥٥).

(٣) في (ر) و(ف): «أوى إليه».

ٱلْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ ٱلْمَثُلَٰتُ ۗ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ﴾ [الرعد: ٦]، فالمغفرةُ في هذه الآيةِ على ستر ذنوبِهم وإمهالِهم.

وقال: ﴿وَمَنْ عَصَانِي﴾ ولم يقل: (عصاكَ)، وإنْ كانَ مَن عصاهُ فقد عصى الله؛ مراعاةً للأدبِ في الخِطابِ.

* * *

(٣٧) ـ ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي﴾: أي: بعضَ أولادي، وهو إسماعيلُ مع أمِّه هاجر، وأسكنتُه؛ أي: جعلتُه ساكنًا.

﴿بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ﴾: هو وادي مكَّةَ، وهو الأبطحُ، والوادي: سفحُ الجبلِ.

و﴿غَيْرِ ذِي زَرْعٍ﴾؛ أي: لا ماءَ فيه فنزرعَ الأرضَ عليه.

﴿عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ﴾: وهو الكعبة، والإضافةُ إلى اللهِ تعالى للتَّشريف.

والتَّحريمُ: إثباتُ حرمتِه وحرمةِ ما يَحلُّ مِن غيرِه فيه.

وقال القشيريُّ رحمَه اللهُ في[1] قولِه تعالى: ﴿بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ﴾: هو إخبارٌ عن صدقِ توكُّلِه وصِدْقِ تفويضِه.

وقوله تعالى: ﴿عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ﴾ هو بيانُ أنَّه رأى الرِّفق لهم في الجوار، لا في المَبارّ[2].

---

(١) «في» ليس في (أ).

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٢/ ٢٥٦ ـ ٢٥٧).

ثمَّ قيل: هذا كان بعدَ بنائِهِ البيت.

وقيل: كان قبلَ بنائِه، لكنْ كانَ اللهُ أبانَ له موضعَ البيتِ، فصحَّتْ إشارتُه إليه.

وقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: أي: أسكنْتُهم به ليعبُدُوكَ به، ويقيموا الصَّلاةَ لكَ، مخلصِيْن غيرَ مشركِيْن.

﴿فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ﴾: قال ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: تَنْزِعُ إليهم[1].

وقال الضَّحَّاكُ: تشتاقُ إليهم[2].

والهوى لغةً: هو الانحطاطُ بسرعةٍ.

يقول: حَبِّبْ هذا البيتَ إلى عبادِكَ ليأتوه فيحجُّوه.

وقال مجاهدٌ: قال: ﴿أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾، ولو قال: (أفئدة النَّاس) لازدحمَتْ عليه الرُّوم والتُّرك والهند[3].

وقوله تعالى: ﴿وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾: أي: التي تكون في بلاد النَّاس، فتُجنَى إليه الثَّمرات مِن النَّواحي، فيُوجَد به ما يوجَدُ بها.

﴿لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾: أي: ليشكروا لك.

وقيل: (لعلَّ) هاهنا للتَّرجِّي؛ أي: أرجو أنَّهم إذا استغنَوا بهذه النِّعم فيه سكنوه

(١) انظر: «تنوير المقباس» للفيروزآبادي (١/ ٢١٤).
ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٤١٦)، والطبري في «تفسيره» (١٣/ ٧٠٠) عن قتادة.

(٢) في (ر) و(ف): «تساق». والمثبت من المصادر. انظر: «تفسير أبي الليث السمرقندي» (٢/ ٢٤٦)، و«تفسير الثعلبي» (٥/ ٣٢٣)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٣٥٧).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٦٩٨).

واستوطنوه، وأقاموا مناسكَكَ فيه؛ شكرًا لك على نِعَمِكَ، فاستجابَ اللهُ دعاءَه بثمراتِ الطَّائف.

وقال القشيريُّ رحمَه اللهُ: يقول: أسكنْتُهم بهذا الوادي، ولا متعلَّق مِن الأغيارِ لقلوبِهم، ولا مُتناوَل لأفكارِهم وأسرارِهم[1]، فهم مطروحون ببابِك، مقيمون بحضرتِك، جارٍ فيهم حكمُك، إنْ راعيتَهم كفيتَهم وكانوا أعزَّ خلقِكَ، وإنْ أقصيْتَهم ونفيْتَهم كانوا أذلَّ خلقِكَ[2].

* * *

(٣٨) - ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعۡلَمُ مَا نُخۡفِي وَمَا نُعۡلِنُۗ وَمَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعۡلَمُ مَا نُخۡفِي وَمَا نُعۡلِنُ﴾: أي: لا يخفَى عليكَ قولي وإرادتي في إرادةِ الخيرِ بعبادِكَ عمومًا، وبذرِّيَّتي خصوصًا؛ لعلمِي بسَعَةِ رحمتِكَ، وإرادتِكَ الخيرَ بمَن آمنَ بك.

وقال ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما ومقاتلٌ: ﴿مَا نُخۡفِي وَمَا نُعۡلِنُ﴾ مِن الوجدِ[3] بإسماعيلَ وأمِّه، وغربتِهما وكونِهما بوادٍ غير ذي زرعٍ[4].

---

(١) عبارة «اللطائف»: (أسكنتهم بهذا الوادي حتى لا تتعلق بالأغيار قلوبهم، ولا تشتغل بشيء أفكارهم وأسرارهم).

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٢/ ٢٥٧).

(٣) في (ر) و(ف): «الرحيل».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٦٩٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٣٢٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما ومقاتل. وانظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٤٠٩).

وقوله: ﴿وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾: يجوُز أنْ يكون هذا مِن كلامِ إبراهيمَ، ويكونُ انتقالًا مِن المخاطبة إلى المغايبة، وهو أحدُ أقسامِ البلاغة.

ويجوزُ أنْ يكونَ هذا كلامًا معترِضًا في كلام إبراهيم، وهو كلام الله تعالى؛ أي: صَدَق إبراهيم فيما قال: لا يخفى على الله مِن شيءٍ في الأرضِ ولا في السَّماء؛ أي: علمَ اللهُ قصدَه بهذا الدُّعاء، فاستجابَ له في البيت وذريَّته.

* * *

(٣٩) - ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ﴾: أي: الشُّكرُ للهِ على أنْ وهبَ لي هذَيْن الولدَيْن على كِبَرِ سنِّي وكِبَرِ سِنِّ امرأتي، كما قالت سارة: ﴿ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا﴾ [هود: ٧٢].

قال ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: وُلِدَ إسماعيلُ لإبراهيم وهو ابنُ تسعٍ وتسعيْنَ سنةً، ووُلِدَ له إسحاقُ وهو ابنُ مئةٍ واثنتي عشرة سنة(١).

وقال سعيدُ بنُ جُبير: وهو ابنُ سبعَ عشرةَ ومئةِ سنةٍ(٢).

وقال مقاتلٌ: وُلِدَ إسماعيلُ لإبراهيمَ وهو ابنُ أربعٍ وستِّين سنة، ووُلِدَ له إسحاقُ وهو ابنُ سبعينَ سنةً(٣).

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٣٢٣).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٧٠٢).

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٤٠٩).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾: أي: قد سمعَ دعائي: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الصافات: ١٠٠]، وقيل: إنَّه أراد به: اسمعْ[1] دعائي في حقِّ البيت وفي حقِّ ذرِّيَّتي.

* * *

(٤٠) ـ ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾: أي: وفِّقْني وأولادي لإدامةِ الصَّلاةِ وإقامَتِها على شرائِطِها في أوقاتِها.

﴿رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ﴾: أي: عبادتي، قال الله تعالى: ﴿فَٱدْعُوا ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [غافر: ١٤]؛ أي: فاعبدوه.

ويحتمِل: أنَّه عَدَّ دعاءَه لذرِّيَّته وللمؤمنين عملًا صالحًا يُثابُ عليه، فسأَلَ قَبولَه.

* * *

(٤١) ـ ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ﴾: قال الإمامُ أبو منصورٍ رحمَه الله: قال الحسن: كانَتْ أمُّه مسلمةً، بدليلِ قولِه: ﴿وَٱغْفِرْ لِأَبِيٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الشعراء: ٨٦]، ولم يصف الأمَّ بالضَّلال.

قال الإمام أبو منصور: ولسنا نعلمُ ذلكَ، وسؤالُ المغفرةِ للأبِ الضَّالِّ وللأمِّ إنْ كانَتْ ضالَّةً، هو سؤالُ ما يُنالُ به المغفرة، وهو الإسلام[2]. وقد شرحناه بأتمَّ مِن هذا في آخر (سورة براءة).

---

(١) في (أ): «يسمع» بدل: «قد سمع دعائي ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾. وقيل إنه أراد به اسمع».

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٦/ ٤٠٦).

وقيل: أرادَ به آدمَ وحوَّاء.

وقوله تعالى: ﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾: دعاءٌ بالمغفرةِ لجميعِ المؤمنين أيضًا، ويدخلُ فيه هذه الأمَّة، فهو قد دعا لنا، ونحنُ ندعو له بالصَّلاة بأمرِ اللهِ بهِ إجابةً لدعائِه: ﴿وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْآخِرِينَ﴾ [الشعراء: ٨٤].

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ﴾: أي: حين يجيءُ وقتُ الحسابِ، كما يُقالُ: قامَت الصَّلاة، وقامَت الحربُ.

وقيل: هو عبارةٌ عن العدلِ في الحسابِ، يُقال: أقِمْ هذا الحساب؛ أي: اعدلْ فيه.

* * *

(٤٢) ـ ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾: يخاطبُ نبيَّه به(١) تسليةً له وإخبارًا أنَّ إبراهيمَ لم يستعجلْ؛ ليصبر هو كما صبرَ إبراهيمُ، وبيانًا للمشركين أنَّ إبراهيمَ لم يكن راضيًا بفعلِهم بهذا القول، وإنَّ تأخُّرَ العذابِ عن الكفَّار في الدُّنيا لتشديدِهِ عليهم في العُقْبى.

وقال القشيريُّ رحمَه اللهُ: الظُّلم على وجوهٍ:

ظلمٌ على النَّفسِ: بوضعِ المعصيةِ مكانَ الطَّاعة.

وظلمٌ على القلبِ: بتمكُّنِ الخواطرِ الرَّديئة منه، وإخطارِ الغيرِ بالبالِ.

---

(١) «به» ليس في (أ).

وظلمٌ على الرُّوحِ: بمحبَّةِ المخلوقِيْنَ[١].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾: أي: تأخيرُ عذابِهم ليسَ لخفاءِ حالِهم على اللهِ تعالى، بل يؤخِّرُهم ليومِ القيامةِ الذي ترتفعُ فيه أبصارُهم ارتفاعًا لنزولِ[٢] ما توعِّدوا به، ولانفتاحِ أبوابِ السَّماءِ ونزولِ الملائكةِ.

* * *

(٤٣) - ﴿مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ﴾.

﴿مُهْطِعِينَ﴾: أي: مسرِعِيْنَ على خوفٍ لِمَا أنَّهم[٣] مساقون إلى النَّار.

﴿مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ﴾: أي: رافعِيْها حتَّى لا يبصروا مواضعَ أقدامِهم.

﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ﴾: أي: لا تَغتمِضُ عيونُهم.

ووحَّدَ الطَّرْفَ لأنَّه في الأصلِ مصدرٌ؛ طَرَفَ[٤] ببصرِهِ يطرُفُ طَرْفًا.

والجمعُ بينَ الإهطاعِ والإقناعِ على معنى: أنَّهم يكونونَ مُسْرِعِيْنَ إلى الدَّاعي إذا دعاهُم، وإلى أنْ يدعوهم يكونونَ مُقْنِعي رؤوسِهم.

وقوله تعالى: ﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ﴾: قيل: هي خاليةٌ لا تعي شيئًا ولا تعقلُ مِن الخَوف.

وقيل: جُوف لا عقولَ لها.

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٢/ ٢٥٩).

(٢) في (أ): «ارتقاء بالنزول».

(٣) في (ف): «لأنهم» بدل: «لما أنهم».

(٤) في (أ): «طرفه».

وقيل: نُزِعَتْ أفئدتُهم مِنَ أجوافِهم(١)، وارتفعَتْ إلى حلوقِهم. قالَه مقاتلٌ ومجاهدٌ والضَّحاك(٢).

وقال الحسنُ: أي: خاليةٌ كهواءِ ما بينَ السَّماءِ والأرضِ(٣).

وقيل: أفئدتُهم خاليةٌ عن كلِّ سرورٍ وكلِّ خيرٍ لِمَا يعانونَهُ مِن الأهوالِ، ويتوقَّعونه مِن الأحوالِ، كقوله: ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا ﴾ [القصص: ١٠].

* * *

(٤٤) - ﴿ وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ ۗ أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ ﴾: المُعَدُّ للظَّالمين، فيسألونَ الرَّجعة ﴿فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ ﴾؛ أي: ردَّنا إلى الدُّنيا، وأمهلْنا مدَّةَ عمرِنا الَّذي كانَ لنا في الدُّنيا.

﴿نُّجِبْ دَعْوَتَكَ ﴾: جوابُ قولِهم: ﴿أَخِّرْنَآ ﴾، وجُزِمَ لذلك ﴿وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ ﴾؛ أي: رُسُلَكَ.

وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴾: أضمرَ هاهنا: فيُقالُ لهم ـ وجاز ذلكَ لدلالةِ الحالِ عليه ـ: أليس قد كنتم في الدُّنيا تحلفون

---

(١) في (أ): «أفواههم».

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٤١٠)، ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٢٤٧) عن قتادة، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٧١٢ ـ ٧١٣) عن أبي الضحى وقتادة.

(٣) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٢٤٧) دون نسبة.

أنَّه ما لكم مِن انتقالٍ عنها إلى دارٍ أخرى، إنَّما هو أنْ تموتوا فتصيروا ترابًا، لا بعثَ لكم، ولا حِسابَ عليكم.

وقيل: ﴿مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ﴾: ابتداءُ خطابٍ لهم؛ أي: ما لَكم مِنْ زوالٍ عن هذهِ الحالةِ، ورجوعٍ إلى الدُّنيا.

وقد تمَّ الكلامُ الأوَّل بقولِه: ﴿أَوَلَمْ تَكُونُوٓاْ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ﴾، وهو ما ذَكَرَ مِن قولِهم: ﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ﴾ [النحل: ٣٨].

***

(٤٥) ـ ﴿وَسَكَنتُمْ فِى مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَسَكَنتُمْ فِى مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾: قيل: هو متَّصلٌ بهذا الخطابِ في القيامةِ؛ أي: وسكنْتُم بلادَ مَن كانَ قبلَكُم مِن الأممِ المكذِّبةِ لأنبيائِها.

﴿وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ﴾: أي: صحَّ عندَكُم بظهورِ الآثارِ وتواتُرِ الأخبارِ كيفَ أهلكناهُم، فلم تعتبِروا بهم.

﴿وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ﴾: أي: وصفْنَا لكم العِبرَ فلم تعتبِروا بهم.

***

(٤٦) ـ ﴿وَقَدْ مَكَرُواْ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ﴾.

﴿وَقَدْ مَكَرُواْ مَكْرَهُمْ﴾: أي: احتالوا حِيْلَتَهُم.

وقيل: ﴿ وَسَكَنتُمْ ﴾ خطابُ مشركِي مكَّةَ، وانفصل عن الأوَّل.

وقوله تعالى: ﴿ وَقَدْ مَكَرُوا ﴾؛ أي: وقد مكرَ بِكَ يا محمَّد أهلُ مكَّة ﴿مَكْرَهُمْ ﴾؛ أي: مكرَ أولئِكَ الأمم قبلَهم بأنبيائِهم.

قوله تعالى: ﴿وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ ﴾: أي: علمُ ذلكَ عندَ اللهِ، وهو محفوظٌ عليهم.

وقيل: وعندَ اللهِ جزاءُ مكرِهم.

قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ﴾: قرأ الكسائيُّ بفتحِ اللَّام الأُولى، ورفعِ اللَّام الثَّانية[1]، وله وجهان:

وقدْ كانَ مكرُهُم لَتزولُ منهُ الجبالُ.

وما كانَ مكرُهُم إلَّا تزولُ منه الجبالُ.

وقد مرَّ شرحُه في قولِه تعالى: ﴿وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴾ [البقرة: ١٩٨]، على الطَّرِيقَيْنِ[2]، وهو تعظيمٌ لمكرِهم؛ أي: كادَ مِن قوتِه[3] وعظمتِه يكون كذلك، وهو كقولِه: ﴿ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴾ [مريم: ٩٠].

ولكنَّه لم ينفذ ولم يضرَّ بالإسلامِ وأهلِه بدفعِ اللهِ تعالى، فيكونُ معنى الكلام: وإنْ كانَ مكرُهُم يكونُ بحيثُ تزولُ منه الجبالُ، كما قال: ﴿ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ ﴾ [الأحزاب: ١٠]؛ أي: كادَتْ، وهكذا عامَّة ما يُطلَقُ مِنَ الألفاظِ في تكثيرِ

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ٣٦٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٥).

(٢) في (ر) و(ف): «الطرفين».

(٣) في (ر) و(ف): «قدرته».

الشَّيءِ وتفخيمِه ممَّا يحيطُ[1] العلمُ بأنَّ مثلَه لا يكونُ، وإنَّما هو على معنى: كادَ يكونُ لو جازَ كونُه.

وقد قرأ عمرُ وعليٌّ وابنُ مسعودٍ وأبيُّ بنُ كعبٍ رضي الله عنهم: (وإنْ كاد مكرُهم لِتزولَ منه الجبال) بالدَّال[2].

وقرأ عامَّةُ القرَّاءِ: ﴿لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ﴾ بكسْرِ اللَّام الأولى ونصبِ الثَّانية[3]، وهو للنَّفي؛ أي: وما كان مكرُهم مكرًا عظيمًا ينفذُ وتزولُ منه الجبال، وكانوا إذا عظَّموا الشَّيء وصفُوه بمثلِه، قال الشَّاعر:

لَمَّـا أتـى خبـرُ الزُّبيـرِ تضعْضَعَـتْ سُـوْرُ المدينـةِ والجِبـالُ الخُشَّـعُ[4]

وقيل: الجبالُ مَثَلُ الإسلامِ وآياتِ القرآنِ في وَثاقِها وثبوتِها، يقول: لم يؤثِّرْ مكرُهم في توهينِ شيءٍ مِن ذلكَ.

وقال ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما ومقاتلٌ في نزولها: إنَّ نمرود بنَ كنعان كانَ أوَّلَ مَن ملَكَ الأرضَ، فحملته نخوته على أنْ قال: إنْ كان ما يقولُه إبراهيمُ حقًّا أنَّ في السَّماوات إلهًا، فلا أستقرُّ حتَّى أعلمَ صِدْقَ ما يقولُه، فاتَّخذَ تابوتًا، وعمدَ إلى أربعةٍ مِنَ النُّسورِ، فعلَّقَ على كلِّ جانبٍ مِنَ التَّابوتِ بنسرٍ منها، وأقعدَ في التَّابوتِ رجلَيْنِ، وجعلَ له بابَيْنِ مِن أعلى ومِن أسفل، وجعلَ على جوانبِ التَّابوتِ مِن فوقِ

---

(١) في (ر) و(ف): «بما نحيط»، وفي (أ): «مما يحيطه».

(٢) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٧٣)، و«المحتسب» (١/ ٣٦٥).
ورواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٧٢٠ ـ ٧٢٣) عن عمر وأنس وابن مسعود.

(٣) انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ٣٦٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٥).

(٤) البيت لجرير. انظر: «ديوانه» (٢/ ٩١٣).

لحمًا شديدَ الحمرة حِيال النُّسور، ثمَّ خلَّى عنِ النُّسور، فارتفعْنَ طمعًا في اللَّحم، حتَّى أبعدَتْ في الهواء، فقالَ أحدُ الرَّجلَيْن للآخر: افتحِ البابَ الأعلى، فانظرْ هل ازددْنا مِن السَّماءِ قُرْبًا، ففتحَ ونظرَ، وقال: إنَّها كهيئتِها، ثمَّ قالَ افتحِ البابَ الأسفلَ، ففتح فقالَ: انظرْ إلى الأرضِ، كيفَ تراها؟ قال: أراها كاللُّجَّةِ البيضاء، ثمَّ أغلقَ البابَ، وارتفعَتِ النُّسورُ حتَّى حالَتِ الرِّيحُ بينَها وبينَ الطَّيران، فقال لصاحبِه: افتحِ البابَ الأعلى وانظر، ففتحَ وقال: إنَّ السَّماءَ كهيئتِها، ثمَّ فتحَ البابَ الأسفلَ وقالَ: إنَّ الأرضَ سوداءُ مظلمةٌ، فقالَ لصاحبِهِ نكِّسِ اللَّحمَ فنكَّسَهُ على قوائم التَّابوت متدلِّيًا، فتصوَّبَتِ النُّسورُ طمعًا في اللَّحم حتَّى قربَتْ مِنَ الجبالِ، فسمعَتِ الجبالُ[1] هفيفَ التَّابوتِ والنُّسور، فظنَّتْ أنْ قدْ حدثَ بها حدثٌ مِنَ السَّماءِ، فذلك قوله: ﴿وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ﴾[2].

***

---

(١) «فسمعت الجبال» ليس في (أ).

(٢) انظر: «تنوير المقباس» للفيروزآبادي (ص: ١٢٥)، وانظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٤١٢)، وقد رواه عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه. وكذا رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٧١٨) عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ورواه أيضاً عن سعيد ابن جبير ومجاهد، ورواه الطبري أيضاً (١٤/ ٢٠٣) عن السدي. وفي خبر مجاهد أنه بختنصر، وكيف كان فقد رد العلماء هذه القصة، قال ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٣/ ٣٤٦): وذلك عندي لا يصح عن علي رضي الله، وفي هذه القصة كلها ضعف من طريق المعنى، وذلك أنه غير ممكن أن تصعد الأنسر كما وصف، وبعيد أن يغرر أحد بنفسه في مثل هذا.

وقال الخازن في «تفسيره» (٣/ ٤٥): واستبعد العلماء هذه الحكاية وقالوا: إن الخطر فيه عظيم، ولا يكاد عاقل أن يقدم على مثل هذا الأمر العظيم، وليس فيه خير صحيح يعتمد عليه، ولا مناسبة لهذه الحكاية بتأويل الآية البتة.

(٤٧) ـ ﴿ فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ ﴾: يتَّصل بقولِه: ﴿وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ ﴾.

وهو وعيد للكافرين، ووعدٌ للرُّسل.

يقول: فلا تظنَنَّ يا محمَّد أنَّ اللهَ مُخْلِفَ رسلِهِ ما وعدَهُم مِنَ النَّصرِ والعُلُوِّ في الدُّنيا، والانتقامِ لهم مِن أعدائِهم في العُقبى(١).

والإخلافُ: مصدرٌ يطلُبُ فعلُه اسمَيْن، والمتكلِّم في مثله يُضِيفهُ إلى أيِّهما أحبَّ وينصبُ الآخرَ، يقولُ الرَّجلُ: أنا أعطي المالَ زيدًا، ومُعطٍ زيدًا المالَ، لأنَّه يقول: أعطيْتُ زيدًا المالَ، وأعطيْتُ المالَ زيدًا.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾: أي: منيعٌ لا يُغالَبُ ﴿ذُو ٱنتِقَامٍ﴾ مِن أعدائِه لأوليائِه.

***

(٤٨) ـ ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ ﴾: أي: ينتقمُ يومَ تُبدَّلُ الأرضُ.

وقيل: لا يخلِفُ وعدَه رسلَه يومَ تُبدَّلُ الأرضُ.

وقيل: احذروا يومَ تُبدَّلُ الأرضُ.

﴿غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ﴾ قال الحسنُ: هي هذه الأرضُ وهذه السَّماواتُ(٢).

---

(١) في (أ) و(ف): «في الدنيا والعقبى».

(٢) ذكره الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (٦/ ٤١٤)، والماوردي في «تفسيره» (٣/ ١٤٣).

وتبديلُ الأرضِ: تسويةُ جبالِها وأنهارها وآكامِها وأشجارِها، وتُمَدُّ مَدَّ الأديم.

وتبديلُ السَّماءِ: تكويرُ شمسِها، وتناثر نجومِها.

قال[١]: وهذا مِن كلام العرب لشيء تراهُ تغيَّرَ عن حالِهِ: لقدْ بُدِّلَتْ بَعْدِي، وهو هو[٢] بعينِهِ.

قال ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: هي تلك الأرضُ، وإنَّما تُبدَّلُ أوصافُها، ثمَّ أنشدَ:

فَمَا النَّاسُ بالنَّاسِ الَّذيْنَ عَهِدْتُهُمْ ولا الدَّارُ بالدَّارِ الَّتي كنْتُ أعرِفُ[٣]

وقال عليٌّ رضي الله عنه: تُجْعَلُ الأرضُ مِن فضَّة، والسَّماواتُ مِن ذهبٍ[٤]. وكذا قال الضَّحَّاك.

وقال عكرمة ومحمَّد بن كعب: هي كقرصة النَّقي[٥].

---

(١) كذا في النسخ، ولم يذكر القائل، ولا وقفنا عليه.

(٢) «هو» ليس في (أ).

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في «الأهوال» (٢١٧)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٢٣٨). وانظر البيت أيضًا في: «ديوان المعاني» (ص: ٧٨)، و«جمهرة الأمثال» (١/ ٩٦).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٧٣٣ ـ ٧٣٤).

(٥) روى مسلم في «صحيحه» (٢٧٩٠) عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء، كقرصة النقي، ليس فيها علم لأحد». وقرصة النقي: الحُوَّارَى التي نُقِّيَتْ من القِشْرِ والنُّخَالة.

وروى الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٧٣٥) عن عكرمة: عن محمد بن كعب القرظي، أو عن محمد ابن قيس: ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ﴾ قال: خبزة يأكل منها المؤمنون من تحت أقدامهم.

وقيل: أرضٌ بيضاءُ نقيَّةٌ، لم يُسفَكْ عليها دمٌ، ولم يُعمَلْ عليها بالمعاصي(١).

وقال الإمامُ أبو منصورٍ رحمَه اللهُ: يحتملُ هذا وجهَيْن: تبديلُ أهلِها، وتبديلُ عينِها.

وإضمارُ الأهلِ جائزٌ كما في قوله: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢]، وتبديلُ أهلِها أنْ يكونوا كلُّهم مستسلمينَ خاضعينَ في ذلك اليوم، ولم يكونوا كذلك.

والثَّاني: أنَّ الأولياءَ يكونون في النَّعيم المقيم، والأعداءَ في العذاب الأليم.

وتبديلُ عينِها بما قلْنا مِنَ الأرضِ البيضاءِ.

والثَّاني: تغييرُ أوصافِها، وهي على الأحوال، ولأنَّ أرضَ الجنَّةِ مسكٌ وزعفران، وأرضَ جهنَّمَ نارٌ وجمر(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾: أي: خرجُوا مِن قبورِهم لمحاسبةِ اللهِ الواحدِ الذي لا إلهَ غيرُه، القهَّارِ الذي لا يُعترضُ عليه فيما يريدُه.

***

(٤٩) - ﴿وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ﴾: أي: هؤلاء الظالمين المشركين ﴿يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ﴾: قُرِنَتْ أيدِيْهم بالغُلِّ إلى أعناقِهم.

وقال ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: قُرِنوا بالشَّياطين في الأغلال والسَّلاسل(٣).

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٤٢٤) عن عمرو بن ميمون، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٧٣٠ - ٧٣١) عن ابن مسعود رضي الله عنه، وعن عمرو بن ميمون.

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٦/ ٤١٥). والكلام فيه بنحوه.

(٣) انظر: «تنوير المقباس» للفيروزآبادي (ص: ٢١٥). وروى الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٧٤١) عنه قوله: ﴿مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ﴾ يقول: في وثاق.

قال عطاءٌ في قوله: ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ [التكوير: ٧]: قال: قُرِنَتْ نفوسُ المؤمنين بالحورِ العينِ، ونفوسُ الكافرين بالشَّياطين(١).

وقوله تعالى: ﴿فِى ٱلْأَصْفَادِ﴾: أي: في القيود، والواحدُ صَفَدٌ، وقيل: هو الغُلُّ، وقيل: هو السِّلسلة.

* * *

(٥٠) ـ ﴿سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿سَرَابِيلُهُم﴾: أي: قُمُصُهم، جمع سِرْبال ﴿مِّن قَطِرَانٍ﴾ هو ما تُهْنأُ به الإبلُ الجَرْبى؛ أي: يُطْلَوْنَ به، فيصيرُ كاللِّباسِ لهم.

وقرأ عكرمةُ: (مِن قِطرٍ آنٍ) بكسر القاف وتنوين الرَّاء ومدِّ الألف(٢)، وهما كلمتان؛ أي: مِن نحاسٍ أو صُفرٍ مذابٍ، و(آنٍ)؛ أي: انتهى حرُّه، كما قال: ﴿وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ﴾ [الرحمن: ٤٤].

قوله تعالى: ﴿وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾ أي: تُغطِّيها، لا قطرانَ عليها(٣)، فتلتهبُ النَّارُ في كلِّ أبدانِهم، والقَطرانُ أقبلُ الأشياءِ للنَّارِ.

* * *

(٥١) ـ ﴿لِيَجْزِىَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾.

قوله تعالى: ﴿لِيَجْزِىَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾: أي: يفعلُ اللهُ ذلك بهم لجزائِهم على فعلِهم، لا ظُلْمًا عليهم.

---

(١) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٤/ ٤٢٩).

(٢) عزاها ابن خالويه في «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٧٤) إلى ابن عباس وأبي هريرة رضي الله عنهم وعكرمة. ورواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٧٤٣ ـ ٧٤٥) عن عكرمة.

(٣) «لا قطران عليها» ليس في (ف).

﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾: لا يشغلُه فيه تأمُّلٌ وتتبُّع.

* * *

(٥٢) ـ ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾.

﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ ﴾: أي: هذا القرآنُ كفاية لِلنَّاسِ في كلِّ ما يحتاجونَ إليه، في أمرِ دينِهم ودنياهم ﴿وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ﴾: جعلناه بلاغًا ﴿وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ لا شريكَ له.

﴿وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾: أي: وليتَّعظَ به أولو العقولِ الخالصة.

وقال القشيريُّ رحمَه اللهُ: الحُججُ ظاهرة، والإشاراتُ لائحة، والدَّاعي مسمِعٌ، والمهلَةُ متَّسِعة، والرَّسولُ مبلِّغٌ، والتَّمكُّنُ مِن القيامِ بحقِّ التَّكليف مساعِدٌ، ولكنَّ القِسْمةَ سابقةٌ، والتَّوفيقَ عزيزٌ، والرَّبُّ سبحانَه وتعالى فعَّالٌ لِمَا يريدُ، فمَنِ اعتبرَ نجا، ومَنْ غفلَ تردَّى، ولله الأمرُ مِنْ قبلُ ومِنْ بَعدُ[1].

والحمدُ للهِ ربِّ العالمين

* * *

(١) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٢/ ٢٦١).

سُورَةُ الحِجرِ

سورة الحجر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

بسم الله الذي جعلَ في السَّماء بروجًا وزيَّنَها للنَّاظِرِيْنَ، الرحمنِ الذي جعلَ الجنَّة للمتَّقين يدخلونها بسلام آمنين، الرحيمِ الذي أمرَ رسولَه بخفضِ جناحِه للمؤمنين.

روى أبيُّ بنُ كعبٍ رضي الله عنه عنِ النَّبيِّ ﷺ أنَّه قالَ: «مَن قرأَ سورةَ الحِجْرِ كانَ له مِنَ الأجرِ عشرُ حسناتٍ بعددِ المهاجرينَ والأنصارِ، والمستهزِئينَ بمحمَّدٍ ﷺ»(١).

وهذه السُّورة مكيَّة.

وهي تسعٌ وتسعون آيةً، وستُّ مئةٍ وأربعٌ وخمسون كلمةً، وألفان وثماني مئة وستَّة عشر حرفًا.

وانتظامُ أوَّلِ هذه السُّورةِ بآخر (سورة إبراهيم): أنَّهما جميعًا في صفةِ القرآنِ.

وانتظامُ السُّورتَيْنِ جملةً: أنَّ (سورة إبراهيم) في بيانِ وحدانيَّة اللهِ تعالى، ودعوةِ

---

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٣٣٠)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ١٤٩). قال ابن الجوزي في «الموضوعات» (٤/ ٣٤٤): مصنوع بلا شك. وقال ابن كثير في «تفسيره»: حديث منكر من سائر طرقه. وقال المناوي في «الفتح السماوي» (٢/ ٧٤٥): رواه ابن مردويه والثعلبي والواحدي عن أبيٍّ، وهو موضوع. وانظر: «الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة» للشوكاني (ص: ٢٩٦).

الأنبياء إليها، وتكذيبِ الكفَّار إيَّاهم، وتوكُّلِ الأنبياء على الله تعالى، ونجاتِهم، وهلاكِ مكذِّبيهم، وبيانِ مَثَلِ أعمالِهم، وبيانِ مَثَلِ توحيدِ المؤمنين، ومَثَلِ كُفْرِ الكافرين، ثمَّ تقسيمِ مَن كفرَ فقيلَ لهم: ﴿تَمَتَّعُواْ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ [إبراهيم: ٣٠]، ومَن آمنَ قيلَ لهم: ﴿قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [إبراهيم: ٣١]، وختمَ السُّورةَ بأنَّ القرآنَ بلاغٌ وتبصيرٌ، وإنذارٌ وتذكيرٌ.

وافتتاحُ هذه السُّورة بأنَّ مَن لم يتذكَّرْ ففي الآخرة يتحسَّر، ويودُّ أنْ لو كانَ آمنَ وما كفر، ثمَّ بيانِ تكذيبِ الأوَّلِيْن واستهزائِهم، ثمَّ بيانِ خَلْقِ آدمَ، وانقسامِ أولادِه إلى مَن يَتَّبعُ الشَّياطين ومَن يتَّبعِ الرَّحمن، وبيانِ جزاءِ هؤلاءِ وجزاءِ هؤلاءِ، وتحقيقِ هذَيْنِ المعنيَيْنِ إلى ختم السُّورة.

***

(١) ـ ﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ﴾.

وقوله تعالى: ﴿الٓر﴾ مرَّتْ الأقاويلُ فيه.

﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ﴾: أي: تلك الآياتُ المنزَلة قَبْلَ هذه السُّورة إنْ جُعِلَ ﴿تِلْكَ﴾ إشارةً إلى الغائبِ، وهذه الآياتُ الَّتي في هذه السُّورة، إنْ كانَ ﴿تِلْكَ﴾ إشارةً إلى الحاضرِ.

فاللَّفظُ يصلحُ لهما آيات القرآن.

وقوله تعالى: ﴿ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ﴾ هما واحدٌ، وسُمِّيَ باسمَيْنِ لاختلافِ المعنيَيْنِ، فهو كتابٌ لأنَّه يُكْتَبُ ليكونَ مُدوَّنًا مخلَّدًا، وقرآنٌ لأنَّه جُمِعَ فيه ما بنا إليه حاجةٌ اليوم وغدًا.

وقوله تعالى: ﴿ٱلْمُبِينُ﴾ قال القشيريُّ رحمَه الله: يبيِّنُ للمؤمنينَ ما يسكِّنُ

قلوبَهم، وللمريدِيْن ما يقوِّي رجاءَهم، وللمحبِّين ما يَهِيجُ اشتياقَهم، وللمشتاقين ما يثيرُ لواعِجَ أسرارِهم[(١)].

* * *

(٢) - ﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ ﴾: أي: كثيرًا ما يتمنَّى هؤلاء الكُفّار أنْ لو كانوا مسلمين منقادين لِحُكْمِ هذا الكتاب.

وكلمة (رُب) موضوعةٌ لتكثيرِ ما يُخْبَرُ عنه، وهي تدخلُ اسمَ النَّكرة، وإذا ولِيَتِ الفعلَ[(٢)] دخلَها (ما) ليصيرَ مصدرًا، فتصيرُ داخلةً في الاسم معنًى.

وتقدير هذا: رُبَّ ودادِ[(٣)] الَّذين كفروا.

وفي ﴿ رُّبَمَا ﴾ قراءتان؛ قرأ عاصم ونافع بالتَّخفيف، والباقون بالتَّشديد[(٤)]، وهما لغتان، قال الشَّاعر:

أَزُهَيْـرُ إنْ يَشِـبِ القَـذالُ فإنَّنـي ... رُبَ هَيْضَـلٍ مَرِسٍ لَفَفْـتُ بِهَيْضَلِ[(٥)]

وقيل: هذا التَّمنِّي يكونُ عندَ الموتِ، عندَ نزولِ ملائكةِ العذاب.

وقيل: يكون عندَ البعث.

وقيل: يكون عندَ الحساب.

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٢/ ٢٦٢).

(٢) قوله: «وليت الفعل» كذا في النسخ، والمراد: وليها الفعل. ولو كان: أوليت، لزال الإشكال.

(٣) في (أ): «واد».

(٤) انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ٣٦٦)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٥).

(٥) البيت لأبي كبير الهذلي، واسمه عامر بن حلس. انظر: «شرح أشعار الهذليين» (٣/ ١٠٧٠).

وقيل: يكون عندَ دخولِ النَّار. وقيل: يكون فيها.

وقيل: يكون في كلِّ الأحوالِ الَّتي تُخْطِرُ بالبالِ ظهورَ بطلانِ ما كانوا فيه مِن خلافِ الإسلام.

قال ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: يعذب الله قومًا ممن كان يعبده وقومًا ممن كان يعبد غيره فيجمعهم في النار، فيعيِّر الكفار المؤمنين فيقولون لهم: ما أغنى عنكم توحيدُكم وأنتم معنا في النار؟ فيأمر الله بإخراجهم، فحينئذ يودُّ الذين كفروا لو كانوا مسلمين[١].

وقال مقاتلُ بن حيَّان: يُجْمَعُ طائفةٌ مِن أهلِ التَّوحيدِ وطائفةٌ مِن الكفَّارِ في بعضِ دَرَكَاتِ النَّارِ، فيقول الكفَّارُ للمؤمنين: أمَّا نحنُ فمعلومٌ كُفْرُنا وشِرْكُنا وتَكْذِيْبُنا، ولذلِكَ وقَعْنا في النَّارِ، وأمَّا أنتم فكنْتُم مؤمنينَ مصدِّقين، فما أحلَّكُمُ النَّارَ؟ قال: فيَغارُ اللهُ تعالى للمؤمنين، فيقول: وعِزَّتي لأنجينَّكُم منها، ثمَّ يأمرُ الشُّفعاءَ حتَّى يشفعوا لهم[٢].

وقال القشيريُّ: إذا عرفوا عمَّنْ بقُوا علموا كيف شقُوا، وأيَّ كأسٍ سُقُوا.

ويقال: لو علموا عمَّن بقُوا لرأَوا أنفسَهم أهلًا لِمَا مِن العقوبةِ لقُوا.

ويقال: إذا صارَتِ المعارفُ ضرورةً احترقَتْ نفوسُ أقوامٍ عقوبةً، وتقطَّعَتْ قلوبُ آخرِيْنَ حسرةً[٣].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ١٠).

(٢) روى نحوه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٤٢٨) عن إبراهيم، و(١٤٢٩) عن مجاهد. وروى نحوه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٨ ـ ١٢) عن أبي موسى وابن عباس وأنس رضي الله عنهم وإبراهيم والضحاك.

(٣) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٢/ ٢٦٣).

وقال الفرَّاءُ والكِسائيُّ: (رب) أصلُهُ[1] لِمَا مَضى: رُبَّ مالٍ أنفقْتَه، وقد تُستَعْمَلُ في المستقبل على معنى التَّقريبِ له، كما أنَّ (إذ) موضوعةٌ للماضي، ثمَّ قد تُستعمَلُ في المنتظَرِ[2] تقريبًا له، كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ الآية [السجدة: ١٢]، ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ﴾ [الأنفال: ٥٠]، ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ﴾ [الأنعام: ٢٧]، وذلكَ لأنَّ ما أَوعدَ اللهُ تعالى به فهو قريبٌ آتٍ لا محالةَ، فجُعِلَ في معنًى ما وُجِدَ[3].

***

(٣) ـ ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ﴾: يتمتَّعوا: يتلذَّذوا، ويلهِهِمُ: يَشغَلْهم، وقد لَهِيَ يَلْهَى مِن حدِّ (علم)؛ أي: ذهلَ عن الشَّيءِ وشُغِلَ عنه، وألهاهُ غيرُه.

وهذا تهديدٌ للكفَّارِ، وتسليةٌ للنَّبيِّ عليه الصلاة والسلام؛ يقول: دعْهُم يا محمَّد يتقلَّبوا في الدُّنيا ويتمتَّعوا بها، ويشغلهم طولُ الأملِ عن التَّفكُّرِ في القرآن.

﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ إذا نزل بهم عذابُ الآخرة والسَّيفُ[4] في الدُّنيا أنَّ ما كانوا فيه مِنَ الاشتغال في الدُّنيا بالاستمتاعِ بها لم يكنْ شيئًا، وأنَّه لا ينفعُ عندَ اللهِ إلَّا الإيمانُ والعملُ الصَّالح.

وقوله تعالى: ﴿يَأْكُلُواْ﴾ جُزِمَ لأنَّه جوابُ الأمرِ، وكذا ما بعدَه.

---

(١) في (ف): «إن رب صلة» بدل: «رب أصله».

(٢) في (أ): «التنظر» وفي (ف): «الماضي».

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٨٢)، وذكره الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٧) عنهما.

(٤) في (ر): «والتعب».

وفي قولِه: ﴿ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنعام: ٩١] لم يُجزَمْ لأنَّه حالٌ، لا خبرٌ، وتقول العربُ: (دَعْ زيدًا يَنَمْ)، و: (دَعْ زيدًا ينامُ)، فإذا كانَ غيرَ نائمٍ تقولُ: (دَعْ زيدًا يَنَمْ) جوابًا للأمر، وإذا كان نائمًا تقولُ: (دَعْ زيدًا ينامُ)؛ أي: قَرِّرْهُ على حالةِ النَّوم.

* * *

(٤) ـ ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ﴾: يتَّصِلُ بما قبلَه: ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾؛ أي: العذابُ نازلٌ بهم، لكنْ في وقتِه الَّذي جعلناه أجَلًا له، وما أهلكْنَا أهلَ قريةٍ ﴿إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ﴾؛ أي: أجلٌ مكتوبٌ[1] معلومٌ، أخَّرناها إلى أجلِها إذا كان في عِلْمِنا إيمانُ مَن يؤمنُ منهم، أو حدوثُ[2] أولادٍ يخرجون مِن أصلابِهم يؤمنون، فإذا بلغَ الكتابُ أجلَه وجبَتْ كلمةُ العذابِ على الكافرين، ولم يتأخَّرِ العذابُ عنهم.

* * *

(٥) ـ ﴿مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَئْخِرُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا﴾: أي: لا تتقدَّمُ أمَّةٌ، و(مِنْ) مؤكِّدةٌ.

﴿وَمَا يَسْتَئْخِرُونَ﴾: أي: لا يتأخَّرون عن وقتِها.

ووحَّد (تسبق) بالتَّاء لظاهرِ كلمةِ (أمَّة)، وجمع قوله: ﴿وَمَا يَسْتَئْخِرُونَ﴾ بالواو والنُّون للمعنى.

---

(١) «مكتوب» من (ف).

(٢) في (ف): «يوجدون» بدل من «أو حدوث».

وقال القشيريُّ: الآجالُ معلومة، والأحوالُ مقسومة، والمشيئةُ في الكائنات ماضية، ولا يَخفى على الله خافية[1].

* * *

(٦) ـ ﴿ وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ إِنَّكَ لَمَجۡنُونٌ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ ﴾: أي: قال هؤلاء المشركون: يأيُّها الَّذي نُزِّلَ عليه القرآنُ على زعمِهِ، قالوه على وجهِ الاستهزاء به.

﴿إِنَّكَ لَمَجۡنُونٌ ﴾: يُخَيِّلُ إليكَ الشَّيطانُ فتظنُّه مَلِكًا.

* * *

(٧) ـ ﴿ لَّوۡ مَا تَأۡتِينَا بِٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾.

قوله تعالى: ﴿ لَّوۡ مَا تَأۡتِينَا بِٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ ﴾: أي: هَلَّا تأتينا بالملائكة رُسُلًا مِنَ اللهِ يخبرونَنا بصدقِ رسالتِكَ، ونزولِ الذِّكْرِ عليك ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ في الدَّعوى.

وقيل: تزعمُ أنَّ الملائكةَ يأتونَكَ بالوحيِ، فهَلَّا أظهرْتَ لنا إذْ أتَوْكَ لننْظُرَ إليهم، فنعرفَ صِدْقَكَ.

و(لوما) و(لولا) واحدٌ قال ابنُ مقبل:

لومـا[2] الحيـاءُ ولوما الدِّيـنُ عِبْتُكُما ... ببعـضِ ما فِيْكُمـا إذْ عِبْتُمـا عَوَرِي[3]

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٢/ ٢٦٣).

(٢) في (ر) و(ف): «لولا».

(٣) البيت في «ديوان» تميم بن أبيٍّ بن مقبل (ص: ٧٦). و«مجاز القرآن» (١/ ٣٤٦)، و«تفسير الطبري» (١٤/ ١٥)، و«المقصور والممدود» للقالي (ص: ٣٢٥) و«تفسير الثعلبي» (٥/ ٣٣١)، و«البسيط» للواحدي (١٢/ ٥٤٥)، ورواية «الديوان» و«المقصور والممدود»: «لولا» بدل «لوما» =

أي: (لولا) و(لوما) بمعنى: هلَّا، قال تعالى: ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ﴾ [الأنعام: ٨].

* * *

(٨) - ﴿مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَا كَانُوٓاْ إِذًا مُّنظَرِينَ﴾.

قوله تعالى: ﴿مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾: قرأ أبو عَمرو وأهلُ المدينة: ﴿ما تَنَزَّلُ﴾ بنصب التَّاء ورفع اللَّام، بمعنى: تتنزَّل، وحُذِفَتْ إحدى التَّاءين تخفيفًا.

وقرأ عاصمٌ وأهل الكوفة: ﴿نُنَزِّلُ﴾ برفع النُّون ورفع اللَّام إخبارًا مِنَ اللهِ تعالى عن نفسِهِ بخطابِ الملوكِ جمعًا، و﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾ نصبًا لأنَّه مفعولٌ، وفي القراءة الأولى رفع لأنَّه فاعل(١).

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾: أي: العذابِ الذي حَقَّ على الجُناةِ.

﴿وَمَا كَانُوٓاْ إِذًا مُّنظَرِينَ﴾: أي: إذا جاءَهم العذابُ لم يُمْهَلُوا.

وقيل: أي: لا تنزِلُ الملائكةُ إلى الأرضِ بشهواتِ العبادِ وسؤالِ الاقتراحِ، إنَّما تنزلُ بالحقِّ؛ أي: وحي إلى الأنبياء، أو لقبض الأرواح، أو لأمرٍ مِن أمرِنا.

وقيل: ﴿إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾؛ أي: بالموتِ الَّذي هو كائنٌ حقٌّ؛ لأنَّهم لو رأوا الملائكة

= في الموضعين. وجاء صدره في بعض المصادر:

لـولا الحيـاء وباقـي الديـن عبتكمـا

انظر: «الشعر والشعراء» (١/ ٤٤٧)، و«تهذيب اللغة» (١/ ٣١٠)، و«التكملة والصلة» للصغاني (٤/ ٥٨).

(١) وقرأ ابن عامر وابن كثير مثل قراءة أبي عمرو وأهل المدينة، ورواية أبي بكر عن عاصم: ﴿تُنَزَّلُ﴾ بالتَّاء مضمومة وفتح النون والزاي ﴿الملائكةُ﴾ بالرفع. انظر: «السبعة» (ص: ٣٦٦)، و«التيسير» (ص: ١٣٥)، و«النشر» (٢/ ٣٠١).

لَمَاتوا لِمَا ليس[١] في وُسْعِهم رؤيةُ الملائكة، وهو قوله: ﴿وَمَا كَانُوٓاْ إِذٗا مُّنظَرِينَ﴾، وعلى هذا قولُه: ﴿وَلَوۡ أَنزَلۡنَا مَلَكٗا لَّقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ﴾ [الأنعام: ٨].

وقيل: ﴿إِلَّا بِٱلۡحَقِّ﴾؛ أي: بالحُججِ على الرُّسل، وهؤلاء ليسوا برسلٍ، ولا أهلٍ لذلك.

وقيل: أي: لا تنزلُ الملائكةُ إلَّا بالوحي إلى الأنبياء، أو تعذيب الكفَّار، وهؤلاء ليسوا كذلك، فليس وراءَه إلَّا النُّزول للعذاب، وذلك إذا حقَّ القول به، وليس بعدَه نَظِرةٌ[٢].

* * *

(٩) ـ ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ﴾: أي: القرآن ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ نتولَّى[٣] حفظَه، فلم يُغيَّرْ ولم يبدَّلْ[٤]، ولا يأتيه الباطلُ مِن بينِ يدَيْه ولا مِن خلفِه، واستُحْفِظَ أهلُ الكتابِ التَّوراةَ والإنجيل فحرَّفوا وبدَّلوا.

وقيل: ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ بإعجازِ نظمِه ومعانيه مِن أنْ يعارِضَه معارِضٌ بمثلِه.

وقيل: نزَّلْنا الذِّكْرَ على محمَّد، وإنَّا لمحمَّدٍ لحافظون مِن التَّقوُّلِ علينا، وممَّا وصفتُموه به مِن الجنون.

وقيل: حافظونَ مِن أنْ يُكادَ وينفذَ فيه لمحتالٍ[٥] مرادُه.

---

(١) في (ر): «لو رأوا الملائكة لما كان» وفي (ف): «لو رأوا الملائكة لما».

(٢) في (أ): «نظيره».

(٣) في النسخ: «نولى»، والصواب المثبت.

(٤) في (ف): «فلم يتغير ولم يتبدل».

(٥) في (ر) و(ف): «المحال».

(١٠ ـ ١١) ـ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي شِيَعِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٠﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي شِيَعِ الْأَوَّلِينَ﴾: وهنا مُضمَرٌ؛ أي: ولقد أرسلنا مِن قبلك رسلًا مِن قرنِ الأوَّلين[١].

والشِّيعةُ: الفِرقة[٢] المتشايعة، وهي الَّتي يعينُ بعضُها بعضًا[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾: كما يستهزئ بك هؤلاء.

* * *

(١٢ ـ ١٣) ـ ﴿كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٢﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ﴾.

وقوله: ﴿كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ﴾: أي: نُدْخِلُ الاستهزاءَ والتَّكذيبَ ﴿فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾.

﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾: أي: بالرَّسول، أو: الكتاب، وسَلَكَ لازمٌ ومتعدٍّ، ونظيره: ﴿اسْلُكْ يَدَكَ﴾ [القصص: ٣٢].

وقال الإمام أبو منصورٍ: أي: مثلَ الذي سلكْنا في قلوبِ المؤمنين مِن قَبولِ الآياتِ والحُجَج والتَّصديق بها لِمَا علمْنَا أنَّهم يختارون ذلك، كذلك نسلُكُ في قلوبِ المجرمينَ مِن تكذيبِ الآياتِ والحُجَج وردِّها لِمَا علمْنَا منهم ذلك[٤].

---

(١) «وهنا مضمر أي: ولقد أرسلنا من قبلك رسلاً من قرن الأولين» ليس في (أ).

(٢) في (ر) و(ف): «القرية».

(٣) في (ر): «يعين بعضها بعضًا ويشيعه»، في (ف): «تعين بعضها بعضًا وتشعه».

(٤) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٦/ ٤٢٥).

وقوله تعالى: ﴿وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾: أي: مضَتْ طريقةُ الأوَّلين بالتَّكذيبِ والمعاندةِ والاستهزاءِ.

ويحتمِلُ: وقد خَلَتْ سُنَّتُنا في الأوَّلِيْنَ؛ بتخليصِ الأنبياءِ والمؤمنين وإهلاكِ المكذِّبِيْن والمعانِدين.

* * *

(١٤) ـ ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعْرُجُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾: أي: لو أجبْتُ المشركين[1] إلى مسألَتِهم لأصرُّوا على كفْرِهم ولم يؤمنوا ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾.

﴿فَظَلُّواْ فِيهِ يَعْرُجُونَ﴾: أي: فظلَّ الملائكةُ ينزلون ويعرجون؛ أي: ويصعَدون، ذكرَ[2] العروجَ ولا يكون ذلك بدون النُّزول، فكان ذكرُه ذكرَه[3]، وكانَ حذفُه اختصارًا، واقتضى ظاهرُه إضمارًا.

وقيل: معناه: ولو فتحنا عليهم بابًا من السَّماء فعرجوا فيه بأنفسِهم لم يؤمنوا، بل تعلَّقوا بضَرْبٍ آخرَ[4] مِن الباطلِ.

* * *

(١٥) ـ ﴿لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ﴾.

---

(١) في (أ): «أجيب المشركون»، وفي (ف): «أجبت الكفار».

(٢) «ذكر» من (أ).

(٣) في (ف): «تكرارا»، وغير واضحة في (ر).

(٤) في (ف): «بضروب أُخر».

قوله تعالى: ﴿لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتۡ أَبۡصَٰرُنَا﴾؛ أي: سُحِّرَتْ ومُنِعَتْ عن النَّظر وسُدَّتْ.

والسِّكْرُ: السَّدُّ، والتَّسكيرُ للتَّكثير والتَّكرير، وقرأ ابنُ كثيرٍ بالتَّخفيف على الأصل[١].

قال ابنُ عبَّاس ومقاتلٌ: ﴿سُكِّرَتۡ أَبۡصَٰرُنَا﴾؛ أي: سُدَّتْ[٢].

وقال الحسنُ: سُحِرَتْ[٣].

وقال قتادة: أُخِذَتْ[٤].

وقال الكلبيُّ: أُغْشِيَتْ[٥].

وقال أبو عَمرو بن العلاء: غُطِّيَتْ[٦].

وقوله تعالى: ﴿بَلۡ نَحۡنُ قَوۡمٞ مَّسۡحُورُونَ﴾: أي: سحرَنا محمَّدٌ، وخَيَّلَ إلينا أنَّ هؤلاء ملائكة، وسَحَرَنا بفتحِ بابِ السَّماء، يَصِفُ عنادَهم.

* * *

(١٦) ـ ﴿وَلَقَدۡ جَعَلۡنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجٗا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ﴾.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ٣٦٦)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٦).

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٤٢٥)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٣٣٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

ورواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٢٦ ـ ٢٧) عن مجاهد والضحاك وقتادة.

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٣٣٢).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٢٧).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٢٩) بلفظ: «عميت».

(٦) ذكره الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٢٥)، والثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٣٣٢).

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا﴾: ثمَّ ذَكَرَ بعدَ عنادِ المشركين دلائلَ قدرَتِه وعَجْزِ أصنامِهم، فقال: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا﴾؛ أي: كواكبَ عظامًا ظاهرةً، ومثلُه قولُه: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ﴾ [البروج: ١]، وقولُه: ﴿وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ [النساء: ٧٨]؛ أي: أبنية عالية.

وأصلُه: الظُّهور، ومنه قوله تعالى: ﴿غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ﴾ [النور: ٦٠]؛ أي: ظاهرات.

وقال قتادةُ: البروجُ: الكواكبُ(١).

وقال مجاهدٌ: هي دراريُّ النُّجوم(٢)، يعني: عِظامَها وبيضها.

وقال الضَّحَّاك: هي كبار النُّجوم(٣).

وقال الكلبيُّ عن ابن عبَّاس: هي الحصونُ، وهي منازلُ الشَّمس والقمر، وأسماؤُها: الحمل والثَّور والجوزاء والسَّرطان والأسد والسُّنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدَّلو والحوت(٤).

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٢٥٣)، والطبري في «تفسيره» (١٤/ ٣١).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٢٦١) في تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ﴾. وذكره السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٢٥٢)، والثعلبي في «تفسيره» (٧/ ١٤٤)، جميعهم بلفظ: (هي النجوم).

(٣) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٢٥٢)، والواحدي في «الوسيط» (٣/ ٣٤٤). ورواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٤٨٣) عن أبي صالح.

(٤) ذكره الواحدي في «البسيط» (١٦/ ٥٦٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما في رواية عطاء، وعزاه السيوطي في «تفسيره» (٦/ ٢٦٩) إلى الخطيب في «كتاب النجوم». وجاء في «القول في علم النجوم» للخطيب (ص: ١٤٠) دون سند عن ابن عباس في قوله تبارك وتعالى: ﴿ٱلَّذِي جَعَلَ فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا﴾ [الفرقان: ٦١]، قال: (هي هذا الاثنا عشرَ بُرْجًا: أَوَّلُها الحَمَلُ، ثم الثَّورُ...).

وقوله تعالى: ﴿وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ﴾: أي: جعلنا السَّماء مزيَّنةً بالكواكبِ للنَّاظرين إليها، كما قال: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ﴾ [الصافات: ٦].

***

(١٧ ـ ١٨) ـ ﴿وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ﴾: أي: حرسْنا السَّماءَ مِن كلِّ شيطانٍ مرجومٍ بالنُّجوم؛ أي: مرميٍّ بها.

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ﴾: قيل: هو استثناءٌ منقطعٌ، ومعناه: لكنْ مَن استرقَ السَّمع؛ أي: صعد من الشَّياطين إلى السَّماء ليسمعَ كلامَ الملائكةِ فيما يتحاورون بينهم ممَّا يريدُ اللهُ إحداثَه في الأرض، فإنَّه يعرِّفُهم بما يشاءُ مِن ذلك، ثمَّ يوحي منه إلى أنبيائِه ما يشاءُ، فتصعدُ الشَّياطينُ لتستمعَ ذلك فتُرْجَم بالنُّجومِ، فيلحقُها مِن ذلكَ شِهابٌ مبينٌ؛ أي: واضحٌ.

وأتبعَه؛ أي: لحقَه، كما قال تعالى: ﴿فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ﴾ [الشعراء: ٦٠]، وهو كقوله: ﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ [الصافات: ١٠].

وقيل: هو حقيقةُ الاستثناءِ، ومعناه: حفظنا السَّماء من الشَّياطين أنْ تسمعَ الوحيَ، وهو كقوله: ﴿إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ﴾ [الشعراء: ٢١٢]؛ أي: سماعِ الوحي، ﴿إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ﴾؛ أي: سماعَ خبرِ أهلِ السَّماء دون الوحي، فإنَّا لا نحفظها من ذلك، فيسترِقُون ما ليس بوحي، فيقذفونَه إلى آلهتِهم[1]، ثمَّ تتبعهم الشُّهُب فتقتلُهم[2] أو تخبلُهم.

---

(١) في (ر) و(ف): «كيفيته».

(٢) في (ر) و(ف): «فتصليهم».

قال ابنُ عبَّاس رضي الله عنهما: كانتِ الشَّياطينُ لا يُحجبونَ عن السَّماواتِ، وكانوا يدخلونها ويأتون بأخبارها فيلقونها على الكهنة، فلَمَّا وُلِدَ عيسى عليه السَّلام مُنِعُوا مِن ثلاثِ سماواتٍ، فلمَّا وُلِدَ رسولُ اللهِ ﷺ مُنِعُوا مِنَ السَّماواتِ أجمع، فما منهم مِنْ أحدٍ يريدُ استراقَ السَّمع إلَّا رُمِيَ بشهابٍ مبينٍ[1]، فإنْ أصابَه أحرقَه، وإنْ أخطأَهُ خَبَلَه، فصارَ غولًا يضلُّ النَّاس في البراري[2].

ودليله قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَـٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا﴾ [الجن: ٨ ـ ٩] الآية، وقوله تعالى ﴿وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ دُحُورًا﴾ [الصافات: ٨ ـ ٩] الآية.

***

(١٩) ـ ﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَـٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْزُونٍ﴾.

وقوله: ﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَـٰهَا﴾: أي: بسطناها على وجه[3] الماء ﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا﴾؛ أي: في الأرض ﴿رَوَٰسِىَ﴾؛ أي: جبالًا ثوابتَ ـ وقد رَسَا يَرْسُو رُسُوًّا؛ أي: ثبتَ ـ لئلَّا تنكفِئ الأرضُ بأهلِها.

﴿وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا﴾: أي: في الأرضِ ﴿مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْزُونٍ﴾؛ أي: مقدَّرٍ بقدَرٍ معلومٍ

---

(١) في (أ): «قبس».

(٢) ذكر نحوه السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٢٥٣)، والثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٣٣٣)، والواحدي في «البسيط» (١٢/ ٥٦٦)، والبغوي في «تفسيره» (٤/ ٣٧٢)، والرازي في «تفسيره» (١٩/ ١٣٠). ولعله من طريق الكلبي عن ابن عباس، فقد ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ١٥٢) عن الكلبي، والكلبي متروك.

(٣) «وجه» من (أ).

علـى حسـبِ الحاجةِ إليـهِ والصَّلاحِ بـه في معايشِـهم[1].

وقيل: ﴿وَأَنبَتْنَا فِيهَا﴾؛ أي: في الجبال[2] ﴿مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ﴾؛ أي: مِنَ الأشـياءِ الموزونـةِ مِـنَ الذَّهبِ والفضَّـةِ والنُّحاسِ والرَّصاصِ وسـائرِ جواهـرِ المعادنِ كلِّها وزينةً[3].

* * *

(٢٠) ـ ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا﴾: أي: في الأرضِ ﴿مَعَايِشَ﴾: جمع معيشةٍ، وهي وجهٌ يُقامُ به العيشُ مِنْ حرفةٍ أو تجارةٍ أو زراعةٍ.

---

(١) روى هذا القول الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٣٤ ـ ٣٦) عن ابن عباس وسعيد بن جبير وأبي مالك والحكم بن عتيبة وعكرمة ومجاهد وقتادة والضحاك وأبي صالح.

(٢) في (ر) و(ف): «الأرض»، والمثبت من (أ) وهو الصواب. انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٨٦)، و«تفسير الطبري» (١٤/ ٣٦) ورواه عن ابن زيد، و«تأويلات أهل السنة» (٦/ ٤٢٩)، و«تفسير الثعلبي» (٥/ ٣٣٥)، و«البسيط» (١٢/ ٥٧٠) ونقله عن الكلبي، ثم قال: (وهذا قول ابن زيد والحسن واختيار الفراء).

قلت: واستبعده الطبري بقوله: وأولى القولين عندنا بالصواب القول الأوّل؛ لإجماع الحجة من أهل التأويل عليه.

وتعقب هذا القول أيضاً الماتريدي بقوله: وهذا كأنه ليس بصحيح؛ لأنه لا يقال في الذهب، والفضة والحديد: إنه أنبت في الأرض؛ كما يقال ذلك للنبات وما ينبت فيها، وإنما يقال للذهب، والفضة، والحديد: جعلنا فيها، أو خلقنا فيها.

(٣) قوله: «وزينة» كذا في النسخ، والذي في المصادر: (من الأشياء التي توزن) أو نحو هذه العبارة، انظر التعليق السابق.

وقوله تعالى: ﴿وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ﴾: عطفٌ على ﴿مَعَٰيِشَ﴾؛ أي: وجعلْنا لكم عبيدًا وإماءً[١] ودوابَّ، لكم رِفقُها، ومنَّا رِزْقُها.

و(مَنْ) تُستعْمَل في العقلاء، وهنا لبني آدم وهم عقلاء، وللدَّوابِّ على التَّبعيَّةِ عند الاجتماع، كما في قوله: ﴿فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ﴾ [النور: ٤٥] الآية، لَمَّا بدأ الآيةَ بقولِهِ[٢]: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ﴾ [النور: ٤٥]، وهو يتناولُ كلَّ حيوانٍ ـ ومنهم البشرُ وغيرُهم ـ أطلق لفظة[٣] (مَن) للمشاركةِ.

وقيل: فيه دليلٌ على أنَّ الإنسانَ يُزادُ في رزقِهِ بالخَدَم والنَّعَم.

وقيل: ﴿وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ﴾ عطفٌ على قوله: ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا﴾؛ أي: جعلْنا للخدمِ والدَّوابِّ أيضًا معايش، فإنَّ للدَّواب والأنعام والوحوش والطيور نصيبًا فيما يرتفعُ مِن الأرضِ مِن الزُّروع والأشجار وغير ذلك، فهو من المعايش لها أيضًا.

وقال القشيريُّ: ومِن الرَّواسي الَّتي تثبتُ بها الأرضُ الأولياءُ الذينَ هم أوتادُ الأرضِ، بهم المدفَع وإليهم المفزَع.

ومنَ الرَّواسي العلماء، فبعلماء الأصولِ قِوامُ أصلِ الدِّين، وبالفقهاء نظامُ أمور المسلمين.

وقال في قوله: ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ﴾: المعايشُ مختلفةٌ، فعيشُ المريدين بيُمْنِ إقبالِه، وعيشُ العارفين بلُطْفِ جمالِه، وعيشُ الموحِّدين بكشْفِ جلالِه، وكلٌّ مربوطٌ بحالِه، ولكلٍّ نصيبٌ مِن أفضالِه، والحقُّ غنيٌّ بذاتِه وصفاتِه وأفعالِه[٤].

---

(١) في (أ): «وماء» وليست في (ر).

(٢) في (ف): «لأنه يقول» بدل: «لما بدأ الآية بقوله».

(٣) في (ر) و(ف): «من الخلق ولفظة» بدل: «أطلق لفظة».

(٤) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٢/ ٢٦٦).

(٢١) - ﴿ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ وَإِن مِّن شَىْءٍ ﴾: أي: ليس مِن شيءٍ يخزِّنُهُ الخلْقُ ممَّا يحتاجون إليه.

﴿إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ ﴾: أي: إلَّا نحنُ مالكونَ له، قادرون عليه.

والخزائنُ: جمعُ خزانةٍ، وهي المواضعُ الَّتي[1] يخزِّن فيها الملوك أملاكَهم ليأخذوا منها ما يحتاجون إليه بقَدْرِ الحاجة، ويكونُ الباقي معدًّا لوقت الحاجة، فاستُعِيرَ هنا لِمَا يخرِجُهُ اللهُ تعالى لعبادِهِ عندما يحتاجون إليه.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾: وما يخرجُ مِن ذلك للخَلْقِ إلَّا بقَدَرٍ معلومٍ للكفايةِ.

وقال القشيريُّ: مَن عرفَ القِسْمةَ وأنَّ خزائنَ الأشياءِ عندَ اللهِ، تقاصرَتْ خُطاه عن التَّرداد إلى منازلِ الأغيار في طلَبِ الإرفاق، وعن التَّطوافِ في الآفاق في طلبِ الأرزاق، وتنقطعُ آمالُه عنِ الخَلْقِ، فينفردُ قلبُه للهِ، ويتجرَّدُ عنِ التَّعلُّقِ بغيرِ اللهِ.

وقال في قوله: ﴿وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾: مَن عرفَ القسمةَ استراحَ عن كدِّ الطَّلَبِ، فإنَّ المعلومَ لا يتغيَّر، والمقسومَ لا يتقلَّل ولا يتكثَّر[2].

* * *

(٢٢) - ﴿ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ ﴾؛ أي: لاقحاتٍ بالماء؛ أي: حاملاتٍ،

---

(١) في (ف): «وهو الموضع».

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٢/ ٢٦٧).

وقد لَقِحَتِ النَّاقة: إذا حملَتْ، مِن حدِّ (علم)، وهو قولُ عبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ(١).

فالرِّياحُ حواملُ بالماءِ وبما يكون فيها مِن خيرٍ، وضِدُّ هذه الرِّيحُ العقيم، وهي الَّتي لا تحملُ الماءَ، وبالنَّظرِ إلى هذه الضِّد عُلِمَ أنَّه يُمْكِنُ إجراؤها على ظاهرها أنَّها لواقِحُ بأنفسِها لا مُلْقِحاتٌ غيرَها، وكذا قولُه: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتۡ سَحَابًا ثِقَالًا﴾ ـ أي: حملتْها ـ دليلٌ(٢) على أنَّ صفَتها أنَّها حواملُ مستقيمة.

وقال قتادةُ وإبراهيمُ والضَّحَّاكُ: هي بمعنى ملاقِح، جمعُ مُلْقِحَة، وهي مُلْقِحةٌ للشَّجر أو للسَّحاب(٣)، بجعلِها الماءَ فيها، كالفحلِ يكون مُلْقِحًا للنَّاقةِ بجعلهِ ماءَه فيها.

ثمَّ جَعْلُ اللَّاقِح بمعنى الـمُلْقِحِ بطريقَيْن:

أحدهما: أنَّ المنشعبَ يُرَدُّ إلى الثُّلاثيِّ؛ لأنَّه هو الأصل.

والثَّاني: أنَّ اللَّاقحةَ بمعنى: ذات اللِّقاح.

وبهذَيْنِ الطَّريقَيْن كان النَّاصبُ بمعنى الـمُنْصِب في بيتِ النَّابغةِ:

كِلِيْنِي لِهَمٍّ يا أُمَيْمَةُ نَاصِبِ ... وليلٍ أُقَاسِيْهِ بَطِيءِ الكَواكِبِ(٤)

أنَّه بمعنى: ذي نَصَبٍ، أو ردَّ أَنْصَب إلى نصَبَ، ومُنْصِبًا إلى ناصبِ.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٤٣).

(٢) في (ر): «دال».

(٣) رواه عنهم الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٤٤ ـ ٤٦).

(٤) انظر: «ديوان النابغة الذبياني» (ص: ٤٥)، و«تفسير الطبري» (١٤/ ٤٤)، و«تفسير الثعلبي» (٥/ ٣٣٧).

وقوله تعالى: ﴿فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ﴾: قيل: سقى وأسقى بمعنًى، وقيل: سقاه بمعنى: أشربَه، وأسقاه بمعنى: جعلَ له شربًا، فتفسيرُهُ على هذا: فجعلْنَا لكم ذلكَ المطرَ سَقيًا لأراضِيْكُم ومواشِيْكُم.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾: أي: ليس في وُسْعِكم أنْ تَخْزُنُوا الماءَ[1] بقَدْرِ حاجتكم إليه.

وقال أبو بكر بن عيَّاش: لا تقطرُ قَطرةٌ مِنَ السَّحابِ إلَّا بعدَ أنْ تعملَ فيه هذه الرِّياحُ، فالصَّبا تَهيجُه، والدَّبور تُلقِحُه، والجَنوب تَدرُّه، والشَّمال تفرِّقُه[2].

* * *

(٢٣) - ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي﴾: أي: نحيي النُّطفَ ﴿وَنُمِيتُ﴾؛ أي: الأحياء عندَ انقطاعِ آجالِهم ﴿وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ﴾؛ أي: الباقون بعدَ فناءِ الخَلْقِ، والمالكون ما في العالَم.

وكانَ للهِ تعالى كلُّ شيءٍ ولكنْ كانَ للخلْقِ تصرُّفٌ، فينقطع تصرُّفُهم بالموت ويخلُصُ للهِ كلُّ شيءٍ بلا وجودِ تصرُّفِ غيرِه، وهو كقوله: ﴿لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦].

* * *

(٢٤) - ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ﴾: استقدمَ بمعنى:

---

(١) في (أ): «إلا».

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٣٣٧)، والبغوي في «تفسيره» (٤/ ٣٧٥).

تقدَّمَ، واستأخَرَ بمعنى: تأخَّرَ، وهو كقولهم: استيقَن وتيقَّن، واستعجلَ وتعجَّل، واستكبرَ وتكبَّر.

ومعناه: ولقد علمْنا مَن تقدَّمَ في الموتِ فماتَ قبلَ هذا اليوم، وعلمْنا مَنْ تأخَّرَ موتُهُ فيموتُ بعدَ هذا، فلا يفوتُنا إحضارُهم، فنحنُ نُحْيِيهم جميعًا ونميتُهم جميعًا، ونحشرُهم جميعًا.

***

(٢٥) ـ ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾.

قوله: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾: ﴿حَكِيمٌ﴾ في تدبيرِه؛ مِن الإحياءِ والإماتةِ والحشْرِ وغيرِ ذلك، ﴿عَلِيمٌ﴾ بخلقِهِ وأعمالِهم وجزائِهم.

وقال عكرمة: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا﴾ الآية: قدَّم خَلْقًا وأَخَّر خَلْقًا، فعَلِمَ مَن قَدَّمَ، وعَلِمَ مَنْ أَخَّرَ[١].

وقال مقاتلٌ: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ﴾: مَن ماتَ مِن لَدُن آدمَ، ﴿ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ﴾: مَن بقيَ إلى يوم القيامة[٢].

وقال قتادة: ﴿ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ﴾: هو آدمُ ومَن مَضَى مِن ذرِّيَّتِه، ﴿ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ﴾: مَن بقيَ في أصلابِ الرِّجال[٣].

وقال مجاهدٌ: ﴿ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ﴾: القرون الأولى، ﴿ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ﴾: أمَّة محمَّد[٤].

---

(١) روى نحوه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٤٤٦)، والطبري في «تفسيره» (١٤/ ٤٨).

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٤٢٧).

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٤٤٤)، والطبري في «تفسيره» (١٤/ ٤٩).

(٤) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٤٤٧)، والطبري في «تفسيره» (١٤/ ٥١).

وقال الحسنُ: ﴿ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ﴾: السَّابقون إلى الطَّاعات، ﴿ٱلْمُسْتَـْخِرِينَ﴾: المُبَطِّؤون عنها[١].

وقال عليُّ بنُ أبي طلحةَ: هذا في الصُّفوف، وذلك أنَّ النِّساءَ كُنَّ يخرجْنَ إلى الجماعات، فتقوم النِّساء صفوفًا خلفَ صفوفِ الرِّجال، فكانَ يتأخَّرُ بعضُ[٢] مَن في قلبِهِ رِيبةٌ إلى الصَّفِّ الآخير، وتتقدَّم بعضُ النِّساء في الصَّفِّ لذلك، لتقرُبَ مِنَ الرِّجال، وكانت امرأةٌ مِنْ أحسنِ النِّساءِ وجهًا تصلِّي مع النَّبيِّ ﷺ، فربَّما ينظرُ الرَّجلُ مِن تحتِ إبطِهِ إليها، فنزلَتِ الآية[٣].

وذكرَ ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما في هذه القصَّة: كان بعضُ المسلمين يتقدَّمُ في الصَّفِّ الأوَّلِ لئلَّا تفتنَه هذه المرأة، وبعضُهم يتأخَّر، فإذا سجدوا نظروا إليها مِن تحتِ أقدامِهم، فنزلَتْ[٤].

وقال مقاتل بن حيَّان: نزلَتْ في صفِّ[٥] القتال[٦].

وقال سفيان بن عيينة: يعني: مَن يسلِمُ، ومَن لا يسلِمُ[٧].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٥٢ ـ ٥٣).

(٢) «بعض» من (ف).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٣٣٨) عن أبي الجوزاء وابن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما. ورواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٥٣ ـ ٥٤) عن أبي الجوزاء عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٥٤)، والحاكم في «المستدرك» (٣٣٤٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما من طريق أبي الجوزاء.

(٥) «صف» من (أ).

(٦) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٣٣٨)، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٢٦١) عن مقاتل بن سليمان، وزاد فيه: قال معتمر: فحدثت أبي فقال: لقد نزلت هذه الآية قبل أن يفرض القتال.

(٧) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٣٣٨)، والبغوي في «تفسيره» (٤/ ٣٧٧).

وقال الرَّبيع بن أنسٍ: حضَّ[1] النَّبيُّ ﷺ على الصَّفِّ الأوَّلِ في الصَّلاةِ، فازدحمَ النَّاسُ عليه، وكانت بنو عذرة دُورُهم قاصيةٌ عن المسجدِ، فقالوا: نبيعُ دورَنا ونشتري دورًا قريبة مِن المسجدِ، فنزلَتْ هذه الآية. وفيهم نزلَتْ أيضًا: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ﴾ [يس: ١٢]؛ أي: خُطاهم إلى المساجد[2].

وقال القشيريُّ: إنَّا لنحنُ نحيي القلوبَ بالمشاهدةِ، ونميتُ النُّفوسَ بالمجاهدة، نحيي المريدِيْن بالذِّكْرِ، ونميْتُ الغافلِيْنَ بالهجر[3].

وقال في قوله: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ﴾: هم العارفون يستقدمون بالهِمَم، والعابدون بالقَدَم، والتَّائبون بالنَّدَم، وقومٌ يستأخرون بالقَدَم وهم العُصاة، وقومٌ بالهِمَم وهم الرَّاضون بخسائس الحالات.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ﴾؛ أي: يبعثُ كلًّا على الوصفِ الَّذي خرجوا عليه مِن الدُّنيا؛ فمِن منفردِ القلبِ بربِّهِ، ومِنْ منطرحٍ في أوديةِ التَّفرقة، ثمَّ يحاسبهم على ما يستوجبونَه[4].

***

(٢٦) ـ ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾: ثمَّ ذكرَ ابتداءَ خلقِ

---

(١) في (أ): «حرض».

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٣٣٨). وروى البخاري (٦٥٦) عن أنسٍ: أنَّ بني سلمة أرادوا أن يتحولوا عن منازلهم فينزلوا قريبًا من النبيِّ ﷺ، قال: فكره رسول الله ﷺ أن يعروا المدينة، فقال: «ألا تحتسبون آثاركم». وانظر ما سيأتي في تفسير (سورة يس).

(٣) في (ر): «بالغفلة»، وفي (ف): «بالنحر».

(٤) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٢٦٨ ـ ٢٦٩).

الإنسِ[1] والجنِّ لإثباتِ آيةِ الوحدانيَّة، ومطالبةً بشكرِ النِّعمة، وتنبيهًا على أصلِ الخِلْقة.

وقال ابنُ عبَّاسٍ: سُمِّي إنسانًا لأنَّه عُهِدَ إليه فنَسِي[2].

وقال القتبي: ذهبَ قومٌ إلى أن اشتقاقَه هذا، وإنسانٌ أصله: إِنْسِيان، ولذلك يقال في التَّصغير: أُنَيْسيان.

وقال البصريُّون: هو مِنْ قولهم: آنسَ؛ أي: أبصر، قال تعالى: ﴿إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا﴾ [القصص: ٢٩]، سُمِّيَ به لظهورِه وإدراكِ البصر إيَّاه، وزِيْدَتِ الياءُ في تصغيرِه، كما زِيْدَتْ في تصغير رَجُلٍ، فقِيل[3]: رُوَيْجِل، وفي تصغير لَيْلَة: لُيَيْلَة[4].

والصَّلْصالُ: الطِّين اليابس الَّذي يُصَلْصِلُ؛ أي: يُصَوِّتُ إذا نُقِرَ لشدَّة يُبْسِه، وهو كقولِه: ﴿مِن صَلۡصَٰلٖ كَٱلۡفَخَّارِ﴾ [الرحمن: ١٤]، وهو الخزَفُ، شُبِّهَ به لِيُبْسِه وصوتِه عندَ نقرِه؛ أي: خلقْنا آدمَ مِن طينٍ يابسٍ.

قوله: ﴿مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ﴾ الحمأ: الطِّينُ الأسودُ المتغيِّر، والمَسْنون: قيل: هو المصبوب، وهو إشارةٌ إلى رطوبتِه قبلَ أنْ يجفَّ فيصيرَ صلصالًا.

وقيل: معناه: إنَّه كان طينًا[5] سيَّالًا، فصارَ حمأً متجاسدًا. وقد سَنَّ الماءَ على وجهِهِ؛ أي: صبَّهُ.

---

(١) في (ف): «الإنسان».

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٨٣٥)، والطبري في «تفسيره» (١٤/ ٥٧).

(٣) «فقيل» ليس في (أ).

(٤) انظر: «غريب القرآن» لابن قتيبة (ص: ٢٢).

(٥) في (ر): «رطبًا».

وقيل: المسنونُ: المتغيِّر الرِّيح؛ قال تعالى: ﴿فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ [البقرة: ٢٥٩].

وقيل: هو مِن قولِكَ: سننْتُ الحديدةَ على الـمِسَنِّ: إذا غيَّرتها بالتَّحديد.

وقال ابنُ عبَّاس والحسنُ وقتادةُ: الصَّلصالُ: الطِّينُ اليابسُ الَّذي يُسمع له عندَ النَّقْرِ صَلْصَلةٌ[1]؛ أي: صوت.

وقال مجاهدٌ: الصَّلصالُ: المنتِن[2]. مِن قولِهم: صَلَّ اللَّحمُ وأَصَلَّ: إذا أَنْتَنَ.

والصَّلصال بِناءُ النَّعتِ بالفتح، وبالكسر بِناءُ المصدر؛ قال تعالى ﴿وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾ [الأحزاب: ١١].

وقال ابنُ عبَّاس رضي الله عنهما: ﴿مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾؛ أي: رَطْب[3].

* * *

(٢٧) ـ ﴿وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ﴾: قيل: هو إبليس، وقيل: هو أَبُو الجنِّ، وإبليس أبُ الشَّياطين.

﴿مِن قَبْلُ﴾: أي: مِن قبلِ الإنسانِ، وهو آدم.

﴿مِن نَّارِ السَّمُومِ﴾: أي: نارٍ لها التهابٌ.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٥٧) عن قتادة، ورواه أيضاً عن مجاهد، وروى نحوه عن ابن عباس رضي الله عنهما. وذكره الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (٦/ ٤٣٨)، والواحدي في «البسيط» (١٢/ ٥٩٢) عن الحسن.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٥٩).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٦٢).

وقال ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: نارٌ لا دخانَ لها، والصَّواعق تكون منها، وهي نارٌ بينَ السَّماءِ والحجابِ، فإذا أحدثَ اللهُ أمرًا خرقَتِ الحِجابَ فهوَتْ، فالهَدَّةُ الَّتي تسمعونَ خَرْقُ ذلك الحجابِ[1].

والسَّمومُ في أصل اللُّغة: الرِّيحُ الحارَّة؛ كالحَرُوْر، إلَّا أنَّ الحَرُوْر تكونُ باللَّيل والنَّهار جميعًا، والسَّموم لا تكون إلَّا بالنَّهار، فيحتمِلُ أنَّ نارَ السَّموم نارٌ تلتهبُ التهابَ السَّموم، ومنه قوله: ﴿وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ﴾ [الطور: ٢٧]؛ أي: عذاب اللَّهب.

***

(٢٨) - ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾: ﴿بَشَرًا﴾؛ أي: حيوانًا ظاهرَ البَشَرة، لا شعرَ عليه، ولا وَبرَ، ولا صوف.

وقيل: أي: حيوانًا يباشر؛ أي: يلمس، فإنَّ الرُّوحاني لا يلمس[2].

***

(٢٩) - ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾.

﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ﴾: أي: صوَّرتُه بشرًا سويًّا ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾؛ أي: روحًا مِن الأرواح مفضَّلة على سائرها، وإضافته إلى نفسِه للتَّفضيل والتَّشريف.

والنَّفخُ: الإدخال.

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٣٤٠)، والبغوي في «تفسيره» (٤/ ٣٧٩) عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما. وهو خبر ساقط، فالكلبي متروك، وابو صالح لم يسمع من ابن عباس.

(٢) في (أ): «أي يمس فإن الروحاني لا يمس».

﴿فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾: أي: خِرُّوا له ساجِدِيْن سُجودَ تحيَّةٍ. وهذا يدلُّ على أنَّه كانَ وضعَ الجبهة[1] على الأرض دونَ الانحناءِ وحدَه.

***

(٣٠ ـ ٣١) ـ ﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾: أضمرَ هنا: فخلقْتُ آدمَ فسجد له الملائكة.

﴿كُلُّهُمْ﴾ للاستيعاب، فدلَّ أنَّه كلُّ الملائكة، لا ملأٌ دونَ ملأٍ، و﴿أَجْمَعُونَ﴾ ليس بتكرارٍ، بل يدلُّ على الاجتماعِ في السُّجود؛ أي: سجدوا في حالةٍ واحدةٍ مجتمعين، لا متعاقبين مترادفين. هذا قولُ المبرِّد.

وقال سيبويه: هو تأكيدٌ بعد تأكيدٍ[2].

***

(٣٢ ـ ٣٥) ـ ﴿قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾: أي: أيُّ سببٍ لكَ في هذا؟ وهذا استفهامٌ بمعنى الإنكار.

---

(١) في (ر) و(ف): «الوجه».

(٢) انظر: «الكتاب» لسيبويه (٢/ ٣٧٩) و(٢/ ٣٨٧)، و«الانتصار لسيبويه على المبرد» لابن ولَّاد (ص: ١٠٧ ـ ١٠٨)، و«معاني القرآن» للزجاج (٣/ ١٧٩).

﴿ قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾: أي: هـو دونـي، فأنا مِـن نارٍ.

﴿ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا ﴾: أي: مِنَ السَّماء، وقيل: مِنَ الملائكة؛ أي: تميَّزْ عنهم.

وقيل: مِنَ الجنَّةِ.

وقيل: مِن هذه الصُّورة الحسنة.

قوله تعالى: ﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴾ قيل: مشتومٌ، وقيل: ملعونٌ، وقيل: مرميٌّ، وقيل: مُهلكٌ، وقد مَرَّ ذلك في شرح (سورة البقرة)، وكذا تفسير الآيات ومعانيها والقصَّة.

قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾: إلى يوم القيامة، وإذا دامَتْ إليه لم تنقطِعْ.

وهي لعنة الله، فقد قال في آية أخرى: ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِىٓ ﴾ [ص: ٧٨].

وقيل: هي لعنة المؤمنين إيَّاه، كلما ذُكر[(١)] لعنوه.

* * *

(٣٦ ـ ٣٨) ـ ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴾.

﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾: وهو يوم القيامة.

﴿ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴾: قيل: هو وقت فناء الدُّنيا وموتِ أهلها، وهو[(٢)] تأخير العذاب عنه إلى تلك الحالة.

---

(١) في (أ): «كما ذكر أنهم»، بدل: «كلما ذكر».

(٢) «هو» ليس في (ف).

وقيل: سأل الأمانَ من الموتِ، فلم يُعْطَ ذلك.

والإنظارُ إلى تلك الحالة لم يكن كرامةً له، بل إِمْلاءٌ له[1] ليزدادَ إثمًا.

* * *

(٣٩) ـ ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي﴾: مَرَّ تفسيره في الأعراف ﴿لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: لَأُحسِّنَنَّ إليهم معاصيك، ولَأُحبِّبَنَّها إليهم ﴿وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾؛ أي: ولَأُضِلَّنَّهُمْ.

فقوله: (معاصيك) مُضمَرة فيه، أو أضمر فيه: (ما)، يعني[2]: لأزيِّنَنَّ لهم ما في الأرض.

وقيل: ﴿فِي﴾ زائدة؛ أي: لَأزيِّنَنَّ لهم الأرضَ، وهي الدُّنيا، وهو كقوله: ﴿وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓ﴾؛ أي: ذريتي.

* * *

(٤٠ ـ ٤١) ـ ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ۝٤٠ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ﴾.

﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾: مَن قرأ بفتح اللَّام فمعناه: إلَّا عبادَك الَّذين أخلَصْتَهم بتوفيقِكَ وعصمْتَهم مِن فتنتي، مِن قولِه: ﴿إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ﴾ [ص: ٤٦].

---

(١) «له» من (أ).

(٢) في (ر) و(ف): «أرى»، ولعلها محرفة عن: (أي).

ومَنْ قرأ بكسرها[١] فمعناه: إلَّا عبادَك الذين أخلَصُوا أعمالَهم لكَ، مِن قولِه: ﴿وَأَخْلَصُواْ دِينَهُمْ لِلَّهِ﴾ [النساء: ١٤٦].

وقوله تعالى: ﴿قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ﴾: قيل: هذا الَّذي قلْتَ يا إبليس: (لأزيِّنَنَّ لهم ولأغوينَّهم) طريقٌ مَمَرٌّ مَن سلَكَه عليَّ ومصيرُه إليَّ، فأُجَازِي كُلًّا منهم على عملِه.

و﴿مُسْتَقِيمٌ﴾: نعتٌ للصِّراطِ، وليس المرادُ منه استقامتَه في نفسِه، بل المرادُ به أنَّه لا يمكن العُدول عنه، بل يستقيم لسالِكِه إليَّ وعليَّ.

وقيل: بل هو إشارةٌ إلى الطَّريقِ الحقِّ، وقد سبق ذِكْرُه: ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾؛ فالإخلاصُ طريقٌ مستقيمٌ، وقوله: ﴿عَلَيَّ﴾؛ أي: عليَّ وإليَّ الهداية إليه، ودفعُ الشُّبهِ عنه.

* * *

(٤٢ ـ ٤٣) ـ ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾؛ أي: إنَّ عبادي الَّذين قاموا إليَّ[٢] بحقِّ العبوديَّة ليسَ لَكَ عليهم سُلْطانٌ.

﴿إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ﴾: وقَبِل تَزْيينَكَ وإغواءَكَ ﴿مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾: مِنَ الضَّالِّين.

---

(١) قرأ الكوفيون ونافع: ﴿ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ إذا كان في أوله ألف ولام بفتح اللام حيث وقع، والباقون بكسرها. انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٢٨).

(٢) «إلي» من (أ).

وسُئِلَ سفيانُ بنُ عُيينةَ عن هذه الآيةِ فقال: معناها: ﴿لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ [أن] تلقيَهم في ذنبٍ يضيقُ عنه عفوي(١).

يعني: أنّي أَحُولُ بينَهم وبينَ الشِّركِ، وما دونَ الشِّركِ لا يضيقُ عنه عَفوي.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾: أي: موعد متَّبِعيك.

***

(٤٤) ـ ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾.

﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ﴾: قيل: سبعة أَطْباقٍ بعضُها في بعضٍ.

﴿لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾: أي: نصيبٌ مِن الـمُتَّبِعِيْن، فقد جعل لهم على حسب مراتبِهم في كفرِهم.

قال عليُّ بنُ أبي طالبٍ رضي الله عنه: إنَّ اللهَ وضعَ الجِنانَ على العرض، ووضعَ دركاتِ النِّيران بعضَها فوقَ بعض، فأسفلُها جهنَّم، وفوقَها لَظًى، وفوقَها الحُطَمة، وفوقَها سَقَر، وفوقَها الجحيم، وفوقَها السَّعير، وفوقَها الهاوية(٢).

وقال ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: ﴿لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾؛ أي: حظٌّ معلومٌ، فجهنَّمُ لِمَنِ ادَّعَى الرُّبوبيَّةَ مِنَ الخَلْقِ، ولَظَى لِعبدَةِ النِّيران، والحُطَمةُ لِعبدَةِ الأصنام، وسَقَر لليهود، والسَّعير للنَّصارى، والجحيم للصَّابئين، والهاوية للموحِّدين(٣).

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٣٤٢)، والماوردي في «تفيسره» (٣/ ٢١٣)، والبغوي في «تفسيره» (٤/ ٣٨٢). وسيأتي عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ [الإسراء: ٦٥]، وما بين معكوفتين منه.

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٣٤٢).

(٣) روى نحوه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٢٦٥) عن الضحاك دون تسمية الأبواب.

وقيل: جهنَّم مِن قولِ العربِ: بِئْرٌ جِهِنَّامٌ؛ أي: بعيدة القَعر.

ولَظَى مِن التَّلظِّي، وهو التَّوقُّد.

والحُطَمة لأنَّها تَحطِمُ عظامَ الكفَّار؛ أي: تكسرُها.

وسَقَر لأنَّها تُذِيْبُ عظامَهم ولحومَهم، وقد سَقَرَتْهُ الشَّمسُ وصَقَرَتْهُ: إذا أذابَتْه.

والسَّعير لأنَّها سُعِّرَتْ؛ أي: أُلْهِبَتْ.

والجحيم لأنَّها نارٌ عظيمةٌ.

وهاوية لأنَّها تَهْوِي بهم؛ أي: تسقِطُهم.

وقال القشيريُّ: إذا سمَّى اللهُ واحدًا بالعبوديَّة كان مِن جُملةِ الخواصّ، فإذا أضافه إلى نفسِه فهو خاصُّ الخواصّ، فهؤلاء خواصُّ عبادِه الَّذين محاهم عن شواهدِهم، واختطفَهم عنهم، وصانَهم عن أودية التَّفرقة، وجرَّدَهم عن حولِهم وقوَّتِهم، يحفظُ عليهم آدابَ الشَّرع، ويُلبسُهم لباسَ الاختيار في حالةِ الائتمار، ثمَّ يأخذُهم عنهم باستهلاكِهم في شهودِه، واستغراقِهم في وجودِه، فأيُّ سبيلٍ للشَّيطان عليهم؟ وأيُّ يدٍ للعدوِّ عليهم؟

ومَن أشهدَهُ الحَقُّ حقائقَ التَّوحيد، ورأى العالَمَ مصرَّفًا في قبضةِ التَّقدير، فحاشا أن يكونَ نهبًا للأغيارِ، أو محلًّا للأكدار[1].

* * *

(٤٥ ـ ٤٦) ـ ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴾.

---

(١) قوله: «أو محلاً للأكدار» ليس في (أ) و(ف)، ولم يرد في «اللطائف». انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٢٧١ ـ ٢٧٢).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾: ولَمَّا ذَكَرَ مَصيرَ الغاوينَ[١] أتبعَهُ ذِكْرَ ما أعدَّه للمخلصِيْنَ، وهم الَّذين اتَّقوا الشِّرك والمعاصيَ، فأخبرَ أنَّهم في بساتينَ فيها عيون، وقد سُمِّيَتْ في القرآن.

وقوله تعالى: ﴿ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ﴾: أي: يُقال لهم: ادخلوا الجنَّات آمنِيْنَ؛ أي: سالمين غانمين[٢].

قال القشيريُّ رحمَه الله: لم يذكرْ مَنْ يقولُ لهم ذلك، و[قال] قومٌ: يقولُ لهم ذلك الملَكُ.

وقيل: إذا وافَوا بأبواب الجنَّة بعدَ مقاساةِ الشَّدائد والأهوال، ومختلِفِ الأحوال، فمِن حقِّهم أن يَبتدِروا دخولَها، فقد أُبِيْحَتْ لهم، لكنَّهم يقفون احترامًا وانتظارًا للإذْنِ.

ولعلَّ قومًا إذا قالَت لهم الملائكةُ: ﴿ٱدْخُلُوهَا﴾ لم يدخلوا حتَّى يقولَ لهم الحقُّ: ادخلوا، وفي مثله قالوا:

ولا ألبَسُ النُّعْمَى وغيرُكَ مُلْبِسِي ... ولا أقبلُ الدُّنيا وغيرُكَ واهِبُ[٣]

وقال: إنَّ الجنَّةَ دَرَجَاتٌ بعضُها أرفعُ مِن بعضٍ، ولهم اليومَ كذلك، فدرجةُ قومٍ حلاوةُ الخِدْمة ولذاذة الطَّاعة، ولقومٍ البَسْطُ والرَّاحة، ولآخرين الرَّجاءُ والرَّغبة، ولآخرين الأُنْسُ والقربة، قد علمَ كلُّ أناسٍ مشربَهم، ولزِمَ كلُّ فريقٍ اليومَ مذهبَهم[٤].

---

(١) في (ر) و(ف): «العادين».

(٢) في (أ): «ادخلوا الجنان سالمين آمنين».

(٣) البيت لأبي فراس الحمداني. انظر: «الدر الفريد» للمستعصمي (٢/ ٢١٧ ـ ٢١٨).

(٤) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٢/ ٢٧٢ ـ ٢٧٣).

(٤٧) ـ ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾: أي: أخرجْنا ما في قلوبِ أهلِ الجنَّةِ مِن غِشٍّ وخيانةٍ وحِقْدٍ وضَغينةٍ مِن بعضِهم على بعضٍ، لا يعادي بعضُهم بعضًا، ولا يُحزِنُ[1] أحدٌ منهم أحدًا، ولا يحسدُه بنعمةٍ صارَتْ إليه.

وقوله تعالى: ﴿إِخْوَانًا﴾: نصب على الحال ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾: يقابِلُ بعضُهم بعضًا، لا يستدبِرُه فينظرَ في قَفاه، حيثُ ما التفَتَ رأى وجهًا يحبُّه.

قال عليُّ بنُ أبي طالبٍ رضي الله عنه: فينا نزلَتْ أهلَ بدرٍ[2].

وروي عنه أنَّه قال: إنِّي لأرجو أنْ أكونَ أنا وطلحة والزُّبير مِن أهلِ هذه الآية[3].

وقال عبدُ الرَّحمنُ بن أبي ليلى: قلْتُ لعليٍّ: كنَّا نظُنُّ أنَّ هذه الآيَةَ نزلَتْ فيكَ وفي طلحةَ والزُّبير، فقال: اعلمْ أنَّ تيمًا وعديًّا كان بينهما في الجاهليَّة دماءٌ وجِراحاتٌ وتقاتُلٌ وتجادُلٌ، فلمَّا جاءَ اللهُ بالإسلامِ، وأسلمَ مَنْ أسلمَ مِنْ تيمٍ وعَدِيٍّ طفقَتْ[4] قريشٌ تقولُ: أتظُنُّ تيمٌ وعَدِيٌّ أنَّ الشَّحناء الَّتي كانت بينهم تزولُ عنهم، فأنزلَ اللهُ تعالى هذه الآية، فدعا رسولُ اللهِ ﷺ أبا بكر وعمر في تكملة أربعةَ عشرَ نفسًا، وقرأ عليهم هذه الآية، فزالَ عن قلوبِهم ما خامرها مِن الشَّحناء والبغضاء[5].

---

(١) في (أ): «يخون».

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٩٠٢)، والطبري في «تفسيره» (١٤/ ٧٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤٧٨).

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٩٠١)، والإمام أحمد في «فضائل الصحابة» (١٠٥٧)، والطبري في «تفسيره» (١٤/ ٧٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٤٧٨).

(٤) في (أ): «طعنت».

(٥) لم أجده.

وروى أبو أمامةَ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «إنَّ أهلَ الجنَّةِ يدخلونَ الجنَّةَ بما في صدورِهِم مِنَ الشَّحناءِ[١] والغِلِّ، فإذا ترافَقوا وتقابَلوا نزعَ اللهُ ذلك عن صدورِهم، فذلِكَ قولُه تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾ الآية[٢].

وقال مجاهدٌ: لا يرى الرَّجلُ مِن أهل الجنَّة قَفا زوجتِهِ، ولا زوجتُهُ ترَى[٣] قَفاه؛ لأنَّ الأَسِرَّةَ تَدُورُ بهم حيث ما شاؤوا، حتى يكونوا في جميع أحوالِهم مُتقابِلِيْن[٤].

* * *

(٤٨ ـ ٥٠) ـ ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾ ۞ نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ﴾: أي: تعبٌ ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا﴾؛ أي: مِنَ الجنانِ ونعيمِها ﴿بِمُخْرَجِينَ﴾ بل هم فيها مخلَّدون.

وقوله تعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِي﴾: أخبرهم يا محمَّد ﴿أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾:

قال ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: ﴿أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ لمن تابَ، ﴿وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾ لِمَنْ لم يَتُبْ[٥].

---

(١) بعدها في (ف): «والبغضاء».

(٢) روى نحوه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٧٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٢٤٠٠) موقوفًا على أبي أمامة رضي الله عنه من طريق القاسم بن عبد الرحمن. قال ابن كثير عند تفسير هذه الآية: والقاسم بن عبد الرحمن في روايته عن أبي أمامة ضعيف.

(٣) «ترى» ليس في (ف).

(٤) رواه مختصرًا ابن المبارك في «الزهد» (٤٣٤)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٤٠٧٧)، والطبري في «تفسيره» (١٤/ ٨٠).

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٣٤٣)، وذكر نحوه الواحدي في «البسيط» (١٢/ ٦١٤).

وقيل: لَمَّا ذكرَ ثوابَ المتَّقين وعقاب الغاوين ذكرَ أنَّه غفورٌ رحيمٌ لهؤلاء، وعذابُه أليمٌ لهؤلاء.

وروي أنَّ النَّبيَّ ﷺ خرجَ يومًا فرأى أصحابَه يضحكونَ، فقال لهم: «لو تعلمون ما أعلم لضحكْتُم قليلًا ولبكيْتُم كثيرًا»، فأخذوا يبكون، فنزلَ جبريلُ بهذه الآية[1].

وقال القشيريُّ: لَمَّا ذكرَ حديثَ المتَّقين وما لهم مِن رفيعِ المنزلةِ علِمَ انكسارَ قلوبِ العاصين، فتدارَكَ قلوبَهم وقال لنبيِّه: أخبرْ عبادي العاصِيْنَ: ﴿أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾؛ أي: إنْ كنْتُ الشَّكُورَ الكريمَ بالمطيعين، فإنِّي أنا الغفورُ الرَّحيمُ للعاصين[2].

وفي الأخبار: لَمَّا نزلَ قولُه: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر: ٤٣] ووصفَ جبريلُ عليه السلام لرسولِ اللهِ ﷺ ما في جهنَّم، احتجبَ عن النَّاسِ أيَّامًا يبكي، وجاءَ سلمانُ فاطمةَ وأخبرَها به، فجاءَتْ إلى النَّبيِّ ﷺ فقالَتْ: يا أبتاه، ما الَّذي أصابَكَ؟ فذكَرَ لها نزولَ هذه الآيةِ، وبعضَ ما وصفَ له جبريلُ مِن ذلكَ، وقالَ: «إنَّ حرَّها شديد، وقَعرَها بعيد، وحليَّها حديد، وشرابَها الحميمُ والصَّديد، وثيابَها

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٨٢)، والسمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٢٥٨)، والثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٣٤٣) من حديث رجل من أصحاب النبي ﷺ.

ورواه البزار في «مسنده» (٢٢١٦)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٣/ ١٠٤) من طريق مصعب بن ثابت عن عبد الله بن الزبير، وقال البزار: وهذا الحديث لا نعلم أحدًا يرويه بهذا اللفظ، عن النبي ﷺ إلا ابن الزبير، ولا نعلم له طريقاً إلا هذا الطريق، ولا نعلم أن مصعب بن ثابت سمع من ابن الزبير.

وبعض هذا الحديث متفق عليه، وهو قوله ﷺ: «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلًا، ولبكيتم كثيرًا»، رواه البخاري (٤٦٢١)، ومسلم (٢٣٥٩)، من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٢/ ٢٧٤).

مقطَّعاتُ النِّيران، لو أنَّ مثلَ خرقِ إبرةٍ فُتِحَ منها لأحرقَ أهلَ الدُّنيا، ولو أنَّ ثوبًا من ثيابِ أهلِها علقَ بين السَّماء والأرض لماتوا مِن حرِّها ونتنِها، ولو أنَّ ذراعًا من السِّلسلةِ الَّتي ذكرَها اللهُ تعالى في القرآن وُضِعَ على جبلٍ لذابَ إلى الأرض السَّابعة، ولو أنَّ رجلًا بالمغرب يُعَذَّبُ لاحترقَ الَّذي بالمشرق، لها سبعةُ أبوابٍ، بعضُها أسفلُ مِن بعضٍ، مِنْ بابٍ إلى بابٍ مسيرةُ سبعينَ سنةٍ، وكلُّ بابٍ منها أشدُّ حرًّا مِنَ الَّذي يليه بسبعين ضعفًا، تُساقُ أعداءُ اللهِ إليها، فإذا انتهوا إلى أبوابها استقبلَتْهُم الزَّبانيَة بالأغلال والسَّلاسل، فتُسلكُ السِّلسلةُ مِن فِيْهِ، وتخرجُ مِن دُبُرِهِ، وتُغَلُّ يدُه اليُسرَى إلى عنقِه، وتدخلُ يدُه اليمنى في فؤادِه، وتُنْزَع مِن بينِ كتفَيْهِ، ويُسْحَبُ على وجهِهِ، ويُضْرَبُ بمقامعَ مِن حديدٍ».

فلم يحتملْ قلبُ فاطمةَ سماعَ ذلك، فخرَّتْ مغشيًّا عليها، ولَمَّا أفاقَتْ بكَتْ وصاحَتْ، وقالَتْ: يا ليتني لم أُوْلَدْ.

وسمعَ أبو بكرٍ الصِّدِّيقُ رضي الله عنه ذلك خارجَ البابِ، فقال وهو يبكي: ليتني كنْتُ شاةً تُذْبَحُ.

وقال عمرُ رضي الله عنه: ليتني كنْتُ شجرةً تُعْضَدُ.

وقال عثمانُ رضي الله عنه: ليتني لم أُخْلَقْ.

وقال عليٌّ رضي الله عنه: ليتني لم أُوْلَد.

وهربَ مالكُ بنُ سلمة(١) إلى الفيافي، وهو يصيحُ: النَّارَ النَّار.

---

(١) في (أ): «مالك بن أبي سلمة». وفي «نزهة الألباب في الألقاب» لابن حجر (ص: ٢٩٠): ذو الرقيبة مالك بن سلمة القشيري، له صحبة.

وبكى النَّاسُ لبكائِهِ، وخرجَتِ الصَّحابة يطلبونَهُ، فوجدوه في جبلٍ يصيحُ، فردُّوه إلى النَّبيِّ ﷺ، فناشدَه أنْ يقرأها عليه مرَّة أخرى، ففعلَ، وصاحَ وخرَّ ميتًا.

وكانت له بنتٌ صغيرةٌ، فأُخْبِرَتْ بموتِ أبيها، فخرجَتْ إلى النَّبيِّ ﷺ، فوجدَتْ أباها ميتًا، فقالَتْ: ما أصابَهُ، فذكروا لها أنَّه سمع آيةً فاشتدَّ خوفُه وخرجَتْ روحُه، فقالَتْ: اقرؤوا عليَّ تلك الآية، فقرؤوها عليها، فصاحَتْ فخرَّتْ ميتة[1].

فهذا رسولُ اللهِ ﷺ وولدُه وكبراءُ أصحابِه والطَّاهرون مِن أهل عصرِه يخافون جهنَّم هذا الخوفَ، فكيفَ ينبغي لنا أن نغفلَ بعدَه؟

***

(٥١) ـ ﴿ وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ ﴾: انتظامُ بقيَّة السُّورة بهذه الآيةِ الَّتي قبلَها: أنَّه قالَ: ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ فذكرَ رحمتَه، وقال: ﴿ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴾، فذكرَ عقوبتَه، ثمَّ ذكرَ إلى بقيَّة السُّورة تأثيرَ رحمتِه في حقِّ إبراهيمَ ببشارة الولد بإسحاق[2]، وفي حقِّ لوطٍ وأتباعِه بالنَّجاة، وفي حقِّ النَّبيِّ عليه الصلاة والسلام ومَن آمَنَ به وأصحابِه بإعطاءِ السَّبع المثاني والقرآن العظيم.

وتأثيرَ عذابِه في حقِّ قومِ لوطٍ وأصحابِ الحجرِ والمقتسمين والمستهزئين.

---

(١) ذكر السمرقندي بعض هذا الخبر في «تنبيه الغافلين» (ص: ٧٠ ـ ٧١) عن يزيد الرقاشي عن أنس رضي الله عنه.
ولم أقف له على أصل، وعلامات الوضع ظاهرة فيه.

(٢) «إسحاق» ليس في (أ).

وقوله تعالى: ﴿عَن ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ﴾؛ أي: أضيافه، فقد قال: ﴿إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ﴾، وصيغتُه صيغةُ المصدرِ، فصلح للجمع.

والضَّيفُ: هو النَّازلُ على غيرِه، طَعِمَ عندَه أو لم يطعَم، نزلَ للطُّعم أو لغيره.

❊ ❊ ❊

(٥٢) ـ ﴿إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ فَقَالُواْ سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ﴾.

يقولُ: خبِّرهم عن ضيفِ إبراهيم، وهم الملائكة الَّذين أُرسِلُوا لإهلاكِ قوم لوط ﴿إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ فَقَالُواْ سَلَامًا﴾: أي: سلَّموا عليه سلامًا.

قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ﴾؛ أي: قال إبراهيم: إنَّا منكم خائفون.

قال هذا بعدَما ردَّ عليهم السَّلام وقدَّمَ العجل إليهم فلم يتناولوه، فخافَهم على نفسِه حيثُ لم يتحرَّموا بطعامِه.

ودليلُ هذا الإضمار قوله تعالى في سورة أخرى: ﴿فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ [هود: ٧٠].

ولا يُقال: ذكرَ في (سورة الذاريات): ﴿فَقَالُواْ سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾ [الذاريات: ٢٥]، ثمَّ ذكر تقديم العجلِ بعد الإنكار: ﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾ [الذاريات: ٢٦].

لأنَّا نقول: ذاك إنكارُ المعرفة؛ أي: لا أعرِفُكم، لا إنكارُ الخيفةِ.

❊ ❊ ❊

(٥٣ ـ ٥٤) ـ ﴿قَالُواْ لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ۝٥٣ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِيَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ لَا تَوْجَلْ﴾: أي: لا تخفْ ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ﴾؛ أي: إذا كبر[١].

وصارَتِ البشارةُ بشاراتٍ: بوجودِه، وبلقائِه إلى أنْ يُعلَّمَ، وبعلمِه، وأيُّ فرحٍ فوقَ هذا الولدِ وعيشِه وعلمِه؟

قوله تعالى: ﴿قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِى عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِىَ ٱلْكِبَرُ﴾: أي: بعدَما أصابني كبرُ[٢] السِّنِّ.

﴿فَبِمَ تُبَشِّرُونَ﴾: قرأ ابنُ كثيرٍ بتشديد النُّون وكسرها، وأصله: (تبشرونني) أدغمَ إحدى النُّونَيْن في الأخرى.

وقرأ نافعٌ بكسر النُّون وتخفيفها، على إسقاط النُّون الأولى تخفيفًا.

وقرأ الباقون بفتح النُّون وتخفيفها[٣]، على إثبات الفعل بدون الإيقاع على نفسِه؛ يعني: أيُّ بشارة تكونُ على رأسِ الكِبَرِ؟ أي: فليس حينَ[٤] بشارة، وهذا تعجيبٌ واستبعادٌ منه لذلك.

* * *

(٥٥ ـ ٥٦) ـ ﴿قَالُوا۟ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ﴾: أي: بما لا كذبَ فيه ولا خُلْفَ، بل هو جِدٌّ وحَقٌّ ويقين.

---

(١) في (أ): «لا أعرفكم» بدل: «إذا كبر».

(٢) في (ف): «الكبر في».

(٣) انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ٣٦٧)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٦).

(٤) في (أ): «خبر».

﴿فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ﴾: أي: لا تيأسَنَّ[1] مِن رحمتِه بإعطاء الولد على الكِبَر.

﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ﴾: قرأ أبو عمرو والكسائيُّ بكسر النُّون مِن باب (ضرب)، والباقون بفتحها من حد (علم)، وهما لغتان، وأجمعوا في قوله: ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟﴾ [الشورى: ٢٨] على فتح النُّون[2].

﴿إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾: أي: المخطئون سبيلَ الصَّواب، وهو استفهامٌ بمعنى النَّفي، وتقديره: ولا يقنط مِن رحمة ربِّه ﴿إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾، أخبرَ أنَّه غيرُ قانطٍ مِنْ رحمتِه، ولا مُنْكِرٍ لقدرَتِهِ.

* * *

(٥٧ـ٥٨)ـ ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ۝٥٧ قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ﴾.

قوله تعالى: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ﴾: أي: أمرُكم ﴿أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ لَمَّا بشَّروه بخلاف العادةِ علمَ أنَّهم ملائكةٌ، فخاطبَهم بهذا.

قوله تعالى: ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ﴾: وهم قوم لوط، أجرموا[3]؛ أي: كسبوا لأنفسِهم بشركِهم وفواحشِهم العقوبةَ.

* * *

(٥٩ ـ ٦٠) ـ ﴿إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٥٩ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَآ ۙ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾.

---

(١) في (ف): «الآيسين» بدل: «لا تيأسن».

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ٣٦٧)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٦).

(٣) «أجرموا» ليس في (أ).

﴿ إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾: أي: أُرْسِلنا لإهلاكِ قومٍ مجرمين، إلَّا أتباعَ لوطٍ فإنَّا ما بُعِثْنا لإهلاكِهم، بل لإنجائِهم.

﴿ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ ﴾: استثنوها مِن غيرِ الـمُهْلَكين، وهم آلُ لوطٍ؛ أي: أتباعُه، فصارت من المهلَكين.

وقوله تعالى: ﴿قَدَّرْنَآ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴾: أي: قالت الملائكةُ: أُعْلِمْنا بتقديرِ اللهِ تعالى كونَها مِن الغابِرِيْنَ؛ أي: الباقِيْنَ في العقوبةِ.

وقد غَبَرَ مِن باب دخل؛ أي: بقي، و﴿إِنَّهَا﴾ كُسِرَتْ لوقوع اللَّام في الجواب.

و﴿قَدَّرْنَآ﴾؛ أي: أَعلمنا بالتَّقدير، كقوله: ﴿لِأَهَبَ لَكِ﴾ [مريم: ١٩]؛ أي: لأُعلِمَكِ بأنَّه وُهِبَ لَكِ.

* * *

(٦١ ـ ٦٤) ـ ﴿ فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلُونَ (٦١) قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ (٦٢) قَالُوا۟ بَلْ جِئْنَٰكَ بِمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَمْتَرُونَ (٦٣) وَأَتَيْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلُونَ (٦١) قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾: أي: لا أعرفُكُم، وهذا سؤالُ أنْ يُعرِّفُوه أنفسَهم ليطمئنَّ إليهم.

﴿ قَالُوا۟ بَلْ جِئْنَٰكَ بِمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴾: أي: بل نحنُ رُسُلُ اللهِ جِئْناكَ بما كان يشكُّ قومُكَ في نزولِه بهم مِن العذابِ الذي حذَّرتَهم إيَّاه.

﴿ وَأَتَيْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ ﴾: أي: بالعذابِ المتيقَّنِ، كما قال: ﴿ مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾ [الحجر: ٨].

﴿وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴾: أي: في إخبارِنا بهلاكِ قومِكَ.

* * *

(٦٥) ـ ﴿ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَٱتَّبِعْ أَدْبَٰرَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَٱمْضُوا۟ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴾.

قوله تعالى: ﴿ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ ﴾: سَرَى وأَسْرَى: سارَ باللَّيل، لازمٌ، وبالباء عدَّاه.

﴿بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ﴾: أي: ببقيَّةٍ، وهو كقولِه: ﴿نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ﴾ [القمر: ٣٤].

﴿وَٱتَّبِعْ أَدْبَٰرَهُمْ﴾: أي: كُنْ وراءَ أهلِكَ؛ أي: قَدِّمْهُم، وسِرْ خلفَهُم.

وقال الإمامُ أبو منصورٍ رحمَه اللهُ: وهذا الواجِبُ على كُلِّ والٍ أَمِرَ الجيشَ أنْ يتبعَ أثرَهم، أو يأمرَ مَن يتبعُ أثرَهم ليلحقَ به مَن تخلَّفَ منهم، ويحمِلَ المنقطعَ منهم، وليكونَ ذلك أحفظَ لهم[١].

﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ﴾: أي: لا تلتفِتَنَّ أنتَ وراءَكَ، ولا أحدٌ[٢] ممَّن معَكَ.

أُمِروا بالمبادرةِ في السَّيرِ، وألَّا يعرِّجوا على شيءٍ حتَّى يتباعدوا عن القريةِ قبلَ أنْ يَفْجَأَهم الصُّبح، وينزلَ بالمجرمين العذاب.

﴿وَٱمْضُوا۟ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾: أي: سيروا إلى حيثُ يأمرُكُم اللهُ.

قيل: هي صُغَر؛ إحدى قريَّات قوم لوط[٣].

* * *

(٦٦) ـ ﴿ وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴾.

---

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٦/ ٤٥٢).

(٢) بعدها في (أ): «منكم».

(٣) قال المقدسي في «أحسن التقاسيم» (ص: ١٧٨): صغر: وتسمى: صقر، وهي على البحيرة المقلوبة وبقيّة مدائن لوط، وإنّما نجت لأن أهلها لم يكونوا يعملون الفاحشة.

وهي على وزن زفر وصرد، ويقال لها أيضاً: زُغَر. انظر: «معجم البلدان» (٣/ ١٤٢ و٤١١).

قوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ﴾: أي: أوحينا إلى لوطٍ وأعلمْناهُ، كما في قولِه: وقضينا إلى بني إسرائيل، و﴿ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ﴾: هو العذابُ الَّذي قالوا: ﴿وَأَتَيْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ﴾ [الحجر: ٦٤].

﴿أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ﴾: ﴿أَنَّ﴾ ترجمةٌ عِن قولِه: ﴿ٱلْأَمْرَ﴾، ودابرُ القومِ: مَن يجيءُ بعدَهم، وإذا قُطِعَ ذلك فقد هَلَكَ الكلُّ.

وقوله تعالى: ﴿مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ﴾: أي: يُقْطَعُ مصبِحِيْن؛ أي: في حال إصباحِهم.

***

(٦٧ ـ ٦٨) ـ ﴿وَجَآءَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِى فَلَا تَفْضَحُونِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَجَآءَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ﴾: أي: قومُ لوط وهم أهل مدينة سَدُوم ﴿يَسْتَبْشِرُونَ﴾؛ أي: يُظهِرونُ آثارَ السُّرور في بَشَرَاتِ وجوهِهم؛ إذْ سمعِوا أنَّ غلمانًا صباحًا ضافوا لوطًا؛ طمعًا منهم في ركوبِ الفاحشة.

﴿قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِى﴾: أي: أضيافي ﴿فَلَا تَفْضَحُونِ﴾؛ أي: لا تَهتكوا حُرْمَتي فيهم.

وقال الإمامُ أبو منصورٍ رحمَه الله: ﴿فَلَا تَفْضَحُونِ﴾ يحتمل: فلا تفضحوني في ضيفي، فإنَّهم إنَّما نزلوا بنا على أمنٍ منَّا.

ويحتمل: فلا تفضحوني في الخُلُقِ، فإنَّهم يقولون: في بيت لوط يُفعَلُ بالأضياف كذا[١].

***

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٦/ ٤٥٣).

(٦٩ ـ ٧١) ـ ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ۝٦٩ قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ ۝٧٠ قَالَ هَٰؤُلَاءِ بَنَاتِي إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ﴾.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ﴾: أي: لا تُخجلوني، ولا تلحقوا بي العارَ فيهم.

﴿قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾: أي: قالَ له قومُه: أولم ننْهَكَ أنْ تُضيْفَ أحدًا مِنَ النَّاسِ كلِّهم؟

﴿قَالَ هَٰؤُلَاءِ بَنَاتِي﴾: أي: بناتُ قومي؛ لأنَّ كلَّ نبيٍّ هو أبو أمَّتِه، أُزَوِّجُكُموهنَّ.

﴿إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ﴾: أي: قابلين ما آمرُكُم به.

وقيل: أي: طالبين الاستمتاع.

وقيل: أرادَ به بناتَ نفسِه، وكان يزوِّجُهنَّ منهم إذا أسلموا، وقد شرحناه بأتمَّ مِن هذا في قوله: ﴿هَٰؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾ [هود: ٧٨].

وقال الإمامُ أبو منصورٍ رحمه الله: هذه القصَّة وما قبلَها مِن القصص في هذه السُّورة وغيرها، وورودُها بألفاظٍ مختلفةٍ في آياتٍ دليلٌ على أنَّ العبرة لاتِّفاق المعاني، فإنَّ هذه المخاطَبَاتِ لم تكن مرارًا، بل مرَّة، ومع ذلك وردَتْ على وجوهٍ، فدلَّ أنَّ اختلافَ الألفاظ وتغيُّرَها لا يوجبُ اختلافَ الحُكْمِ بعدَ أنْ[1] لا يغيِّرَ المعنى، وذلك أنَّ الخبرَ إذا أُدِّيَ معناه على اختلافِ لفظِهِ فإنَّه يجوز، وكذا إذا قرئ بعدَ أنْ لا يُغيِّرَ المعنى[2] بغيرِ اللِّسان الذي أُنزِلَ جازَ[3].

---

(١) بعدها في (أ): «كان». وليست في المصدر. انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٦/ ٤٣٨).

(٢) «إذا قرئ بعد أن لا يغير المعنى» من (أ).

(٣) كرر الماتريدي هذا المعنى في أكثر من موضع. انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٦/ ٤٣٨) (٧/ ٧٥) (٨/ ٥٧٢).

(٧٢) ـ ﴿لَعَمۡرُكَ إِنَّهُمۡ لَفِي سَكۡرَتِهِمۡ يَعۡمَهُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿لَعَمۡرُكَ﴾: وهذا كلامٌ اعتَرض في خلالِ القصَّة، يخاطِبُ اللهُ به[1] نبيَّه محمَّدًا عليه الصَّلاة والسَّلام، فيقول: ﴿لَعَمۡرُكَ﴾: هو قسمٌ بحياةِ رسولِه، والعُمْرُ والعَمْرُ[2]: البقاءُ والحياةُ.

واللَّام للتَّأكيد، و(عَمْرُ) رفعٌ بالابتداءِ، وخبرُه مُضمَرٌ، وهو: قسمي؛ أي: وعيشُكَ يا محمَّدُ.

وقال الضَّحَّاكُ: هذا قَسَمٌ بدينِهِ[3].

﴿إِنَّهُمۡ﴾: قومَك مِن قريشٍ ﴿لَفِي سَكۡرَتِهِمۡ﴾؛ أي: حيرَتِهم وضلالِهم التي هي كحالِ سُكْرِ السَّكران ﴿يَعۡمَهُونَ﴾؛ أي: يتردَّدونَ في الباطلِ، غافلِيْن عمَّا أَعَدَّ الله تعالى لأهل معصيتِهِ[4] نظيرًا لِمَا أنزلَه بقومِ لوطٍ.

وهذا كرجلٍ يذكرُ قصَّةَ قومٍ خرجوا على السُّلطانِ فأُخِذوا وقُتلوا، فإذا ذكَرَ بعضَ القصَّةِ وهو يريدُ أنْ يَسْمَعَه قومٌ مثلُهم فعلوا كذلك ولم يعاقبوا بعدُ، فقالَ قبلَ تمامِ القصَّة: اسمعْ فإنَّ هؤلاءِ في غفلةٍ لا يدرونَ ماذا يحلُّ بهم، ثمَّ يعودُ إلى تمامِ القصَّة.

وقيل: هذا قولُ الملائكةِ لِلُوطٍ أنَّه لَمَّا دعاهم إلى نكاح البنات فلم تنجع فيهم

---

(١) «به» من (أ).

(٢) «والعمر» من (ف).

(٣) ذكره الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (٦/ ٤٥٥). وانظر: «تنوير المقباس» للفيروزابادي (ص: ٢١٩).

(٤) في (ر) و(ف): «المعصية».

الموعظة قالت له الملائكةُ: لَعَمْرُكَ إنَّهم لا يعلمونَ ماذا يُنتظر بهم صباحَ ليلتِهم، فلا تخفْ[١]؛ فإنَّهم لا يصلون إليك ولا إلينا.

والقولُ الأوَّلُ أصحُّ؛ قال ابنُ عبَّاس رضي الله عنهما: واللهِ ما خلقَ اللهُ شخصًا أكرمَ عليه مِن محمَّدٍ عليه الصَّلاة والسَّلام، وما سمعْتُ اللهَ أقسمَ بحياةِ أحدٍ إلَّا بحياتِه[٢].

* * *

(٧٣ ـ ٧٤) ـ ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ﴾: أي: الهَلَكَةُ؛ صاحَ الزَّمانُ به؛ أي: هلَكَ.

﴿مُشْرِقِينَ﴾: داخلِيْنَ في وقتِ شُروقِ الشَّمس؛ أي: طلوعِها؛ أي: في هذه الحالةِ، وكذلك قوله: ﴿مُّصْبِحِينَ﴾؛ أي: داخلِيْن في الصَّباح، وهو هذه الحالة.

﴿فَجَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا﴾: أي: قلبَها جبريلُ بأمرِنا عُلْوًا لسفلٍ.

﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾: أي: وأرسلْنا عليهم ﴿حِجَارَةً﴾ مِن فوقُ، كالمطر يأتي مِن السَّماء.

﴿مِّن سِجِّيلٍ﴾ ذكرنا الأقاويل فيه في (سورة هود).

ثمَّ الإمطارُ مع التَّقليْبِ: قيل: قُذِفوا بالحجارةِ أوَّلًا، ثمَّ قُلِبُوا.

وقيل: التَّقليْبُ كان للحاضرِيْن، والإمطارُ لِمَن شَذَّ منهم.

* * *

---

(١) في (أ): «تحزن»، وفي (ف): «تجدن».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٩١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٢٦٩).

(٧٥) ـ ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾: قال مجاهدٌ: أي: للمُتفرِّسين[١].

وقال قتادة: أي: للمُعتبِرِيْن[٢].

وقال ابنُ زيدٍ: للمُتفكِّرِيْن[٣].

وقال الضَّحَّاك: أي: للنَّاظرين[٤].

وقال أبو عبيدة: أي: للمتبصِّريْن[٥].

وقيل: النَّاظرين في السِّمة الدَّالة على المراد.

يقول: [إنَّ][٦] في هذه القصَّة لدلائلَ للمعتبِرين المستدلِّين على أنَّ عواقب مَن عصى اللهَ مثلُ ذلك، والأصلُ المعقولُ الموافقُ للأصول: أنَّ كُلَّ مشتبِهَيْنِ فحُكْمُهُما مِن حيثُ اشتباهُهما واحدٌ.

* * *

(٧٦) ـ ﴿وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ﴾: أي: إنَّ هذه المدينة الَّتي جعلْنَا عالِيَها

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٩٥).

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٤٥٣)، والطبري في «تفسيره» (١٤/ ٩٥).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٩٧).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٩٥) عن الضحاك وابن عباس رضي الله عنهما.

(٥) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١/ ٣٥٤).

(٦) زيادة تقتضيها اللام الآتية في قوله: «لدلائل».

سافِلَها بطريقٍ واحدٍ ثابتٍ، يراها المارُّ بها منكم ـ معاشرَ العربِ ـ في الأسفارِ[١]، لا تزولُ عن مكانها، ولا يخفَى أمرُها، فاعتبروا بها.

* * *

(٧٧ ـ ٧٨) ـ ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ وَإِن كَانَ أَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ لَظَٰلِمِينَ ﴾.

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾: أي: هم المنتفِعون بها.

﴿ وَإِن كَانَ أَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ لَظَٰلِمِينَ ﴾: الأيكةُ: الشَّجرُ الملتفُّ. وقيل: الغَيْضَةُ.

ذكرَ هلاكَ قومٍ آخرينَ، وهم قومُ شعيبٍ، وقد مرَّتْ قصَّتُه في (الأعراف) وفي (هود).

ومعنى الآية: وما كان أصحابُ الأيكةِ إلَّا ظالمين أنفسَهم، واضعِيْن الشَّيء في غيرِ موضعِه.

* * *

(٧٩) ـ ﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ﴾.

﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾: أي: عاقبناهم ﴿وَإِنَّهُمَا﴾؛ أي: المدينتان؛ مدينةُ قوم لوط، ومدينةُ قوم شعيب ﴿لَبِإِمَامٍ﴾؛ أي: لبِطَريقٍ يُؤْتَمُّ ويُتَّبعُ ويُهْتَدَى به. وهو قولُ ابنِ عبَّاسٍ ومجاهدٍ والضَّحَّاكِ والحسن[٢].

﴿مُّبِينٍ﴾: أي: بيِّن واضح، يمرُّ بها المشركون في أسفارِهم، ويطَّلِعون على آثارِهم.

---

(١) في (أ): «الأعراب» بدل: «العرب في الأسفار».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ١٠٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٢٧١) عن ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد والضحاك وقتادة.

(٨٠) ـ ﴿ وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ ٱلْحِجْرِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ ٱلْحِجْرِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾: هو مدينةُ ثمودَ قومِ صالحٍ، وبينها وبين وادي القرى ثمانيةَ عشرَ ميلًا، فيما بينَ[1] الحجاز والشَّام.

ذكرَ قصَّةً أُخرى، وكانَتْ منازلُهم وما نزلَ بهم معروفًا عند العربِ، فذكرَهم اللهُ تعالى ليعتبِروا بهم[2].

قال ابنُ عمرَ رضي الله عنه: مررْنا مع النَّبيِّ ﷺ على الحِجْرِ، فقال: «لا تدخلُوا منازلَ الذين ظَلَمُوا أنفسَهم إلَّا أنْ تكونوا باكِيْنَ، حذرًا أنْ يصيبَكُم ما أصابَهم»، ثمَّ تَزَحْزَحَ حتَّى خلَّفَها[3].

وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ ٱلْحِجْرِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾؛ أي: رسولَهم صالحًا، وفي تكذيبِهِ تكذيبُ كلِّ الرُّسل.

* * *

(٨١) ـ ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُمْ ءَايَٰتِنَا فَكَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴾.

﴿ وَءَاتَيْنَٰهُمْ ءَايَٰتِنَا ﴾: أي: جئناهم بأدلَّتِنا وحُجَّتِنا، ﴿فَكَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾؛ أي: لم يتفكَّروا فيها، ولم يعتبِروا بها.

ثمَّ جمعُ الآياتِ: يحتملُ أنْ يكونَ أعطاهم آياتٍ سِوى النَّاقة، ولم تُذْكَرْ في القرآنِ.

ويحتملُ أنْ تكونَ النَّاقةُ وحدَها آياتٍ، وهي أنَّها كانت مِن الصَّخرة، وتحرَّكَتِ

---

(١) في (أ): «وراء».

(٢) «بهم» ليس في (أ) و(ف).

(٣) رواه البخاري (٤٧٠٢)، ومسلم (٢٩٨٠).

الصَّخرةُ لخروجِها، ووِرْدُها يومًا وتركُها يومًا، والانتصابُ لهم حتَّى غلبوها، وصدورُها في طريقٍ غير الطَّريق التي وردَتْ لأنَّه كان يضيقُ عنها[1]، وغيرُ ذلك مِن أمورِها، كلُّ ذلك آياتٌ، وكلُّ واحدٍ مِن ذلك آيةٌ.

***

(٨٢) ـ ﴿وَكَانُوا۟ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَكَانُوا۟ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا﴾: أي: لأنفسِهم لشدَّة قوَّتِهم ﴿ءَامِنِينَ﴾ مِن الموتِ عندَ أنفسِهم.

وقيل: مِن نزول العذاب بهم في ظنِّهم، كقوله تعالى: ﴿وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم﴾ [الحشر: ٢].

وقيل: ﴿ءَامِنِينَ﴾: أنْ تَخِرَّ عليهم، أو تخربَ لإحكامِ صُنْعِها.

***

(٨٣ ـ ٨٤) ـ ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ (٨٣) فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾.

﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ﴾: أي: الهلَكة ﴿مُصْبِحِينَ﴾؛ أي: داخلين في صباح اليوم الرَّابع الذي أُوْعِدوا فيه العذابَ، وهو كقوله: ﴿تَمَتَّعُوا۟ فِى دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ﴾ [هود: ٦٥].

وقوله تعالى: ﴿فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾: أي: ما نفعَهم وما دفعَ عنهم ما كانوا يكسبون مِن الأموال، وغيرِها من البيوتِ في الجبال.

وقوله تعالى: ﴿فَمَآ أَغْنَىٰ﴾ يحتمِلُ الاستفهامَ، ويحتمِلُ النَّفي، وهو تنبيهٌ

---

(١) في (ف): «عليها».

لأهـل مكّـةَ، يقول: كانوا أشـدَّ منكم قـوَّة وأكثرَ أموالًا، فلـم يُغْنِ ذلك عنهم شـيئًا، فكيف حالكم؟

* * *

(٨٥) ـ ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ ۖ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ﴾.

وقوله: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾: أي: إنَّ الأممَ الَّذين عرفتُموهم يا معاشر العرب ـ ومساكنُهم على ممرِّكُم ـ لَمَّا خالفوا الحقَّ أُهْلِكوا؛ لأنَّ اللهَ تعالى ما خلقَ السَّماواتِ والأرضَ وما بينهما إلَّا بالحقِّ، والسَّاعةُ آتيةٌ للجزاءِ، وجميعُ ما خلَقَ يرجِعُ إلى عالِمٍ به وبتدبيرِه[1] ونظمِ أجزائِه.

بيَّنَ في أوَّلِ السُّورةِ خَلْقَ السَّماواتِ والأرضِ، وذَكَرَ[2] هاهنا الحكمةَ في خلقِهما فقال: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾؛ أي: بالحقِّ الذي جعلَ لنفسِهِ على أهلِها، وللحقِّ الَّذي لبعضِهم على بعضٍ.

وقيل: أي: إلَّا شهوداً للهِ بالحقِّ على أهلِها.

وقيل: إلَّا ليمتحنهم بالعبادةِ فيها.

وقيل: ﴿بِٱلْحَقِّ﴾؛ أي: لحقٍّ كائنٍ، وهو البعْثُ بعدَ الموتِ للجزاء.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ﴾: أي: إنَّ القيامةَ لَكائنةٌ، فيُجْزَى كلُّ عاملٍ على وَفقِ عملِه.

وقوله تعالى: ﴿فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ﴾: أي: فأعرِضْ يا محمَّدُ عن هؤلاء

---

(١) في (أ): «وتقديره».

(٢) في (أ): «وبين».

المشركين إعراضًا جميلًا، كما قال: ﴿وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ [المزمل: ١٠]؛ أي: لا تكافيهم بما آذَوك بألسنَتِهم وفعلِهم؛ فإنَّ السَّاعة آتيةٌ، وأنا أكافيهم عنك.

ووصفَه بـ﴿ٱلْجَمِيلَ﴾ على معنى: لا تتركْ نصيحَتَهم ودعاءَهم إلى الحقِّ مع ذلك.

وقيل: كان هذا أمرًا بالإعراض عن قتالِهم، ثمَّ نُسِخَ بآيةِ القتال. وهو قول مجاهد وعكرمة وقتادة والضَّحَّاك(١).

وقيل: ليس هذا بمنسوخٍ، بل هو كان مأمورًا بالصَّفحِ في موضعِهِ، وبالقتالِ في موضعِهِ، كما قال: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ﴾ [النساء: ٦٣]، فهو أمرٌ بالإعراضِ في موضعِه، وبالوعظِ في موضعِه.

***

(٨٦) ـ ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ﴾: أي: بخلقِهِ، لا تخفَى عليه أفعالُهم وأقوالُهم وضمائرُهم، ونجزيهم يومَ القيامةِ على استحقاقِهم.

***

(٨٧) ـ ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى﴾: ذكَّرَهُ منَّتهُ فيما أعطاه؛ ليَسْهلَ عليه تحمُّلُ إيذاءِ المشركين إيَّاه، فقال: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى﴾؛ أي: أعطيناك سبعًا من المثاني.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ١٠٧) عن قتادة والضحاك ومجاهد وسفيان بن عيينة. وذكره الماوردي في «تفسيره» (٣/ ١٧٠) عن عكرمة.

روى أبيُّ بنُ كعبٍ وأبو هريرة وأبو سعيدٍ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «هي فاتحةُ الكتاب»[١].

وكذا فسَّره عليُّ بنُ أبي طالب رضي الله عنه[٢].

وعلى هذا قولُه: ﴿سَبْعًا﴾؛ أي: سبعَ آياتٍ مِن المثاني، و(من) ليسَ للتَّبعيض بل هي للتَّجنيس هنا، كقوله: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ﴾ [الحج: ٣٠].

﴿مِنَ الْمَثَانِي﴾: وهي المثاني؛ أي: الفاتحة، لأنَّها تُثَنَّى في كُلِّ صلاة[٣]، ولأنَّ معانيَها من أوَّلها إلى آخرها على المثاني، على ما مرَّ شرحُه في (سورة الفاتحة)، ولأنَّها أُثْنيَةٌ على اللهِ تعالى، ولأنَّها قسمان اثنان.

وقيل: ﴿الْمَثَانِي﴾: اسمُ القرآن، ومعنى ﴿سَبْعًا﴾؛ أي: سبعَ آياتِ الفاتحة، وهي مِن المثاني؛ أي: مِن القرآن الَّذي هو مثاني، قال تعالى: ﴿كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ﴾ [الزمر: ٢٣]، وسُمِّيَ به لأنَّه ثنَّى فيه الأقاصيص والأمثال والتَّرهيب والتَّرغيب، تأكيدًا للحُجَّة، وإبلاغًا في الإفهام.

وقيل: هو مِن قولهم: ثنَى عِنانَه، وثنَاه عن كذا: إذا صرَفَه، وهي مصارفُ عن المعاصي لِمَن عملَ بها.

---

(١) حديث أبي بن كعب رضي الله عنه رواه الترمذي (٣١٢٥)، والنسائي (٩٨٨).
وحديث أبي هريرة رضي الله عنه رواه البخاري (٤٧٠٤).
وحديث أبي سعيد بن المعلى رواه البخاري (٤٧٠٣).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ١١٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٢٧٢)، والثعلبي في «تفسيره» (١/ ١٠٣)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢١٤١).

(٣) في (ف): «في كل سورة وصلاة».

وقيل: ﴿سَبْعًا﴾؛ أي: سبعَ(١) سورٍ ﴿مِّنَ ٱلْمَثَانِي﴾؛ أي: مِن القرآن.

قال ابنُ مسعودٍ وابنُ عمرَ وابنُ عبَّاسٍ وجماعةٌ مِن التَّابعين: هي السَّبعُ الطِّوال(٢).

والأوَّل أصحُّ.

قال الرَّبيع بن أنسٍ رضي الله عنه: نزلَتْ هذه السُّورة بمكَّة قبلَ أنْ ينزلَ مِن الطُّوَلِ شيءٌ(٣).

قوله تعالى: ﴿وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾: قيل: هو جميعُ القرآنِ، والسَّبع المثاني منه، لكنه أفردَها بالذِّكر تخصيصًا وتشريفًا له، كما في قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ﴾ [الأحزاب: ٧]، وقولِهِ تعالى: ﴿حَـٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ [البقرة: ٢٣٨].

وقيل: ﴿وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾ هو الفاتحة، ويدلُّ عليه قولُ النَّبيِّ ﷺ في حديث أبيِّ بنِ كعبٍ: «هي السَّبعُ المثاني والقرآنُ العظيمُ»(٤). وهو بعضُ القرآن، ولكنَّ بعضَ القرآن يُسمَّى قرآنًا؛ قال تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ﴾ [الأعراف: ٢٠٤].

---

(١) «سبع» من (أ).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ١٠٧) عن ابن مسعود وابن عمر رضي الله عنهم.

ورواه أبو داود (١٤٥٩)، والنسائي (٩١٥)، والطبري في «تفسيره» (١٤/ ١٠٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ١١٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٢٧٢)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢١٩٧).

(٤) ورد في حديث أبي بن كعب وحديث أبي سعيد بن المعلى وحديث أبي هريرة رضي الله عنه التي تقدم تخريجها قريباً.

وقال الضَّحَّاكُ: ﴿سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي﴾: هي سبعةُ الأسباع، وهي كلُّ القرآن(١).

***

(٨٨) ـ ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ﴾: قيل: قَدِمَتْ لأبي جهلٍ ـ لعنه الله ـ في يومٍ واحدٍ سبعُ قوافل للتِّجارة، معها مالٌ كثيرٌ وطعام(٢) ومطاعم وثياب، وكان بأصحاب رسول الله ﷺ يومَئذٍ عُرْيٌ وجوعٌ، فخطرَ بقلب رسول الله ﷺ أنَّ أصحابَه ليس لهم قَدْرُ الحاجة، وللمشركين هذه الأموال بهذه الكثرة، فنزلَتْ: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي﴾ بدل ما أعطيناهم سبعًا من القوافل، وهم لا يمدُّون أعينَهم إلى هذه السَّبع مع عظمتِها، فلا تمدنَّ عينَيْكَ إلى دنياهم مع خساستِها(٣).

وقوله: ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ﴾: أي: لا تتمنَّينَّ يا محمَّدُ ما جعلناه من زينةِ الحياة الدُّنيا متاعًا للأغنياء مِن هؤلاء المشركين ممَّا قد جعلْنا مثلَه لأشباهِهم، وهو معنى قوله: ﴿أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ﴾؛ أي: أشباهًا.

---

(١) روى الطبري نحوه في «تفسيره» (١٤/ ١٢١) عن الضحاك، ولفظه: «المثاني: القرآن، يذكر الله القصة الواحدة مرارًا». وشرحه ما قال الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٣٥١ ـ ٣٥٢)، والبغوي في «تفسيره» (٤/ ٣٩٢): سمِّي القرآن مثاني لأن القصص ثنيت فيه، وعلى هذا القول المراد بالسبع سبعة أسباع القرآن، ويكون فيه إضمار تقديره: وهي القرآن العظيم.

(٢) «كثير وطعام» ليس في (أ).

(٣) نقله عن المصنفِ الصفوريُّ في «نزهة المجالس» (١/ ٣٦)، وانظر: «السيرة الحلبية» (١/ ٣٩٧).

وقيـل: أي: أفـرادًا، فـإنَّ الزَّوجَيْن فـردان؛ أي: أعطينا ذلك واحـدًا بعدَ واحدٍ؛ لأنَّ الغِنـى خـاصٌّ في النَّـاس، وإذا كان مَتاعًـا[1] كان زائلًا عن قريب.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾: قيل: كان تمنِّيه ذلك لفقر[2] أصحابِه، فقيل له: لا تحزنْ لأجلِهم.

وقوله تعالى: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾: أي: تواضعْ لهم، فتواضعُكَ لهم خيرٌ مِن مَرافق الدُّنيا[3]، وتَطيبُ بذلك قلوبُهم، وتزول كروبُهم.

وقيل: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾؛ أي: على الكفَّار بما أصابوا مِن نعيم الدُّنيا.

وقيل: ﴿وَلَا تَحْزَنْ﴾ بفقد إيمانهم بالله وطاعتهم له ومتابعتهم لك.

وقال ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾؛ أي: على هلاك الكفَّار، فللهلاكِ خلقَهم[4].

﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾: قيل: أصلُ هذه الكلمة أنَّ الطَّائر إذا ضمَّ فرخَه إلى نفسِه بسطَ جناحَه له، ثمَّ خفضَه على الفرخ، فجعل ذلك وصفًا لتقريب الإنسانِ أتباعَه وتعطُّفِه عليهم.

وقـال القشيريُّ: ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾: غارَ الحقُّ سبحانَه على عينِ حبيبِهِ أنْ

---

(١) في (ف): «وإن» بدل من «وإذا كان متاعًا».

(٢) في (أ) و(ف): «لفقراء».

(٣) في (أ): «الحياة».

(٤) انظر: «تنوير المقباس» للفيروزآبادي (ص: ٢٢٠).

وذكره السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٢٦٢) دون نسبة، وذكره الواحدي في «الوسيط» (٣/ ٥٢) عن الكلبي.

يستعمِلَها في النَّظرِ إلى المخلوقاتِ، ولَمَّا لم يكن في الدُّنيا إلى رؤيةِ الحبيبِ سبيلٌ أمرَهُ بغضِّ بصرِه عن غيرِ الحبيبِ(١). وأنشد(٢):

لَمَّا تيقَّنْتُ أنِّي لسْتُ مبصرَكُم غَمَّضْتُ عيني فلم أنظرْ إلى أحد(٣)

وتأدَّبَ بهذا الأدبِ، فلم ينظرْ في ليلة المسرى إلى ما أُري(٤) في الحضرة الكبرى، فأثنى عليه في قوله: ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾ [النجم: ١٧](٥).

* * *

(٨٩ - ٩٠) - ﴿وَقُلْ إِنِّىٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٩﴾ كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَقُلْ إِنِّىٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ﴾: أي: وقلْ يا محمَّدُ للمشركين بعدَ خفضِ الجناحِ للمؤمنين: إنِّي أنا المخوِّفُ بالعذاب المصرَّح(٦) به ﴿كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ﴾؛ أي: بمثل عذابٍ نزلَ بهؤلاء، وصحَّ قوله: ﴿أَنزَلْنَا﴾ بعدَ قولِه: ﴿إِنِّىٓ﴾ لأنَّ معنى قوله: ﴿وَقُلْ إِنِّىٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ﴾؛ أي: وأنذِر، ويستقيمُ أنْ يُقال: وأنذرهم عذابًا كما أنزلنا.

---

(١) في (ف): «عن الغير».

(٢) «وأنشد» من (أ).

(٣) نسب لأبي بكر الشبلي. انظر: «الأمالي» للجرجاني (٢/ ٩٣)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٣٢/ ٣٩٢).

(٤) في (ف): «فلم ينظر إلى ما نهي عنه بمد البصر ففي ليلة الإسراء».

(٥) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٢/ ٢٨٠).

(٦) «المصرَّح» كذا ضبطت في (أ) بفتح الراء، فتكون الحاء مكسورة، والكلمة صفة العذاب، ويجوز كسر الراء ورفع الحاء على أنها خبر آخر لـ(إنِّي).

وقال الحسن: هو عطفٌ على قوله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ... كَمَآ أَنزَلْنَا﴾؛ أي: تفضَّلْنا عليك بهذا كما تفضَّلْنا بهذا[١].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿ٱلْمُقْتَسِمِينَ﴾: مِن مشركي العرب، وكانوا اثني عشر رجلًا[٢].

وقال مقاتل: كانوا ستَّة عشرَ رجلًا، بعثهم الوليد بن المغيرة في أيَّام الموسم حتَّى قعدوا على أنقابِ مكَّة ودروبها وأبوابها، فإذا جاء الحُجَّاج قال فريق منهم: لا تغترُّوا بالخارج منا المدَّعي للنُّبوَّة فإنَّه مجنون. وقالت طائفةٌ أخرى: إنَّه كاهن. وقالت طائفة ثالثة على طريق ثالث[٣]: إنَّه[٤] عرَّاف. وقالت طائفةٌ أخرى: شاعر. والوليدُ قاعدٌ على باب المسجد، نصَّبوه حكَمًا، فإذا سُئِلَ عن رسولِ اللهِ ﷺ قال: صدق هؤلاء[٥]؛ يعني: المقتسمين[٦].

وسُمُّوا مقتسمين لأنَّهم اقتسموا أنقاب مكة.

---

(١) ذكره مقاتل. انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٤٣٦)، وذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ٤١٧) عن مقاتل.

(٢) ذكره الواحدي في «البسيط» (١٢/ ٦٥٨) من رواية عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما، إلا أنه ذكر أنهم ما بين ثمانية وثلاثين إلى الأربعين. وقد صح عن ابن عباس رضي الله عنهما أنهم أهل الكتاب، رواه البخاري (٤٧٠٥)، والطبري في «تفسيره» (١٤/ ١٢٩ ـ ١٣٠). وسنذكر لفظه قريباً.

(٣) «على طريق ثالث» ليس في (ف).

(٤) في (أ): «هو».

(٥) في (أ): «أولئك».

(٦) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٤٣٨)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٣٥٢ ـ ٣٥٣)، والواحدي في «البسيط» (١٢/ ٦٥٨).

وقال مقاتل بن حيَّان: ﴿ٱلْمُقْتَسِمِينَ﴾: الَّذين اقتسموا القرآن، فقال بعضُهم: هو سحرٌ، وقال بعضُهم: سَمَرٌ، وقال بعضُهم: كذبٌ، وقال بعضُهم: أساطيرُ الأوَّلين[1].

وقيل: هم أهل الكتاب، اقتسموا القرآن وعَضَوْه[2]، وآمنوا ببعضِه، وهو ما كان فيه ذِكْر موسى عليه السلام وعيسى عليه السلام وفضائل بني إسرائيل، وكفروا ببعضِه ممَّا قد حرَّفوه مِن كتبِهم، وهو ما قال خبرًا عنهم: ﴿ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓا۟ ءَاخِرَهُۥ﴾ [آل عمران: ٧٢].

* * *

(٩١) - ﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ﴾.

وعليه قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ﴾: جمع عِضَةٍ، وهو مِن التَّعضيةِ، وهي التَّفريق، ومِن ذلك العضوُ والأعضاءُ، والعِضَةُ حذفت الواو مِن آخرها، كالبُرَة والثُّبَة والكُرَة والعِزَة[3].

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٣٥٣)، والواحدي في «البسيط» (١٢/ ٦٦١).

(٢) «وعضوه» من (أ) و(ر)، وهو يشير إلى ما رواه البخاري (٣٩٤٥) عن ابنِ عباسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قال: هم أهلُ الكتابِ، جَزَّءُوه أجزاءً فآمَنوا ببعضِه وكفروا ببعضِه، يعني قولَ اللهِ تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ﴾. ورواه (٤٧٠٥) بلفظ: ﴿كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ﴾ قال: آمَنوا ببعضٍ وكفروا ببعضٍ، اليهودُ والنصارى.

(٣) البُرَةُ محذوفة اللام: حلقة تُجعل في أنف البعير، وجمعها: بُرُون. انظر: «المصباح المنير» للفيومي (مادة: بري).

والثُّبَة: العصبة من الفرسان، وجمعها: ثُبات وثُبون. انظر: «معجم مقاييس اللغة» لابن فارس (مادة: ثبى).

والكرة: ما أدرت من شيء، وجمعها: كُرين، وكِرين، وكرًى وكرات. انظر: «القاموس المحيط» للفيروزابادي (مادة: كرى). =

وقيل: العِضة أصلُها: العِضْهَة، حُذفَتْ هاؤها تخفيفًا، كالسَّنة أصلها: السَّنْهَة، حذفت هاؤها تخفيفًا، وكذلك الماء والشَّاة، أصلها الماه والشَّاهة، ودليل ذلك التَّصغيرُ والفِعل: مُوَيْهٌ وشُوَيْهةٌ وسُنَيْهَةٌ[1]، وسانهْتُ فلانًا، وموَّهْتُ السِّكين[2].

وهاهنا أيضًا يقال: يا للعَضِيهة[3]، والعاضهُ: الباهت، وعضهْتَ الرَّجل: رميتَه بالباطل، والعِضْهة: البُهْتُ والقول الباطل.

ومعناه: أنَّهم عابوا كتابَ اللهِ باهتين، قائلين بالباطل: إنَّه سحرٌ، وإنَّه كهانةٌ، وإنَّه كذبٌ، وإنَّه مفترًى، وإنَّه أساطير الأوَّلين.

وقال الفرَّاء: العِضةُ: السِّحرُ[4]، وأنشد:

للمـــاءِ مِـــن عِضاتِهـــنَّ زمزمَـــه[5]

أي: من سحرهنَّ.

* * *

(٩٢ ـ ٩٣) ـ ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٩٢) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

= والعِزة: الطائفة من الناس، والهاء عوض عن اللام المحذوفة وهي واو، والجمع: عِزُون. انظر: «المصباح المنير» (مادة: عزز).

(١) «وسنيهة» من (أ).

(٢) أي: سقاها الماء، وذلك حين يَسنُّها به، ذكره في «التاج» في معنى: أماهَ السكِّين.

(٣) العَضيهَةُ: البهيتةُ، وهي الإفك والبهتان، وقولهم: يا لِلعَضيهةِ بكسر اللام على معنى: اعْجَبوا لهذه العَضِيهَة، يقال ذلك عند التعَجُّب من الإفك العَظيم، فإذا نَصَبْتَ اللامَ فمعناه الاستغاثة. انظر: «التاج» (مادة: عضه).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٩٢).

(٥) ذكره الطبري في «تفسيره» (١٤/ ١٣٧) دون نسبة.

وقوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾: أي: في الآخرة ﴿عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ من الاقتسامِ، وتعضيةِ القرآنِ، والشِّركِ والمعاصي، وهو سؤالُ تقريعٍ وتوبيخٍ لا سؤالُ استفهامٍ واستعلام.

وقال القشيريُّ: يسألُ قومًا عن تصحيحِ أعمالِهم، وقومًا عن تصحيح أحوالهم.

يسألُ قومًا عن حركات ظواهرِهم، وآخرين عن خَطَراتِ سرائرِهم.

يسألُ الصِّدِّيقين[1] عن تصحيحِ المعاني تشريفًا لهم، ويسألُ المدَّعين عن تصحيح الدَّعاوي تعنيفًا لهم[2].

***

(٩٤) ـ ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾: قيل: أي: أَظْهِرْ ما تُؤْمَرُ به.

والصَّدْعُ في اللُّغةِ: هو الشَّقُّ والفَرْقُ والفَتْحُ، وتصدَّعَ القومُ؛ أي: تفرَّقوا، ويقع به الإظهار.

وقيل: أي: فرِّقِ الباطلَ بالحقِّ؛ أي: الَّذي أنزلناه[3] عليك، والشَّقُّ يقعُ به ذلك.

وقيل: أي: امضِ بما تُؤْمَر؛ أي: بأمرِ اللهِ، وأرادَ به تبليغَ[4] الرِّسالة إلى جميعِ الخَلْقِ، ومتى شُقَّ الحائل تهيَّأ المضيُّ.

---

(١) في (ف): «المتقين».

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٢/ ٢٨٢).

(٣) في (أ): «أنزلته».

(٤) في (أ): «أي امض بأمر الله وإرادته بتبليغ».

و﴿بِمَا تُؤْمَرُ﴾ بمعنى المصدر على هذا القول، كما في قوله: ﴿بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي﴾ [يس: ٢٧].

وقال القشيريُّ: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾: كُنْ بنا، وقُلْ بنا، وإذا كنْتَ لنا بنا فلا تحتفلْ بغيرِنا، وصَرِّحْ بما خصصناكَ به، وأعلِنْ محبَّتنا[١] لك:

فَبُحْ باسْمِ مَن تهوَى ودَعْنِي مِنَ الكُنَى   فلا خيرَ في اللَّذَّاتِ مِن دونِها سِتْرُ[٢]

وقوله تعالى: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾: أي: عن مكافأتهم.

وقيل: عن قتالهم، ونُسخ هذا بآيةِ السَّيف.

***

(٩٥) ـ ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾: أي: نكفيكَ، فذكره بصيغة الماضي لِقُرْبِهِ وتحقُّقِ كونه، كأمور القيامة ذُكِرَتْ أكثرُها بصيغة[٣] الماضي لهذا.

قال محمَّدُ بنُ إسحاق: حدَّثني يزيد بن رومان، عن عروة بن الزُّبير: أنَّهم كانوا خمسةَ نفرٍ ذوي أنسابٍ وشرفٍ في قومِهم.

من بني أسدِ بنِ عبد العُزَّى بن قصيٍّ: الأسود بن المطَّلب[٤] بن أسد أبو زَمعَة،

---

(١) في (ر): «بمحبتنا».

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٢/ ٢٨٢)، والبيت لأبي نواس. انظر: «ديوانه» (ص: ٢١٢)، المكتبة التجارية، مصر.

(٣) في (أ) و(ف): «على صيغة» في الموضعين.

(٤) في النسخ: «قصي بن الأسود بن عبد المطلب»، والمثبت من «سيرة ابن هشام».

وكان رسولُ اللهِ ﷺ دعا عليه لِمَا كان يبلغُه مِن أذاه واستهزائِه به، فقال: «اللَّهمَّ أعمِ بصرَه، وأثكلْهُ ولدَه».

ومن بني زُهْرة: الأسودُ بن عبد يَغُوث بن وهب بن عبد مناف بن زهرة.

ومن بني مخزوم: الوليدُ بن المغيرة بن عبد الله بن عَمرو بن مخزوم.

ومن بني سهمِ بن عَمرو بن هُصيص بن كعب بن لؤي: العاصُ بنُ وائلِ بن هاشمِ بن سعيد بن سهم.

ومن بني خزاعة: الحارث بنُ طُلاطِلَة بن عَمرو بن الحارث بن عبد عَمرو بن مَلَكان.

فلمَّا تمادَوا في الشَّرِّ وأكثروا الاستهزاء، أنزلَ اللهُ تعالى عليه: ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ﴾ إلى قوله: ﴿فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ﴾.

وكان مِن أمرهم أنَّ جبريل عليه السَّلام أتى رسول الله ﷺ وهو يطوف في البيت، فقامَ وقامَ رسولُ اللهِ ﷺ إلى جنبِهِ، فمرَّ به الأسودُ بنُ المطَّلب[1]، فرماه في وجهِه بورقةٍ خضراء، فعَمِي.

ومرَّ به الأسودُ بن عبدِ يغوث، فأشارَ إلى بطنه، فاستسقى بطنه، فماتَ منه حَبَنًا[2].

ومرَّ به الوليدُ بن المغيرة، فأشارَ إلى أثرِ جرحٍ بأسفل كعبِ رجلِه كانَ أصابَه قبلَ ذلك بسنين، فانتقض به فقتلَه.

---

(١) في النسخ: «الأسود بن عبد المطلب»، والمثبت من «سيرة ابن هشام».

(٢) الحبن: داء في البطن يعظم منه ويرم. انظر: «القاموس المحيط» للفيروزابادي (مادة: حبن).

ومرَّ به العاصُ بنُ وائلٍ، فأشارَ إلى أخمصِ رجلِه، فخرج على حمارٍ له يريد الطَّائفَ، فَوُقِصَ على شِبْرِقَةٍ[1]، فدخلَتْ في أخمصِ رجلِه منها شوكةٌ فقتلَتْهُ.

ومرَّ به الحارثُ بنُ الطُّلاطِلَة، فأشار إلى رأسِه، فامتَخَضَ قيحًا فقتلَه[2].

وكان رأسُهم الوليدَ بن المغيرة، هو الَّذي جمعَهم[3].

وقال ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: كانوا خمسةً؛ الوليد بن المغيرة، والعاص بن وائل، والحارث بن قيس، والأسود بن عبد يغوث، والأسود بن المطَّلب[4].

وقال مقاتل: كانوا سبعةً، وزاد على هؤلاء: بَعْككاً وأصرمَ[5].

وقال ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: وكان جبريل عندَ النَّبيِّ ﷺ، فمرَّ الوليدُ بن المغيرة، فقال جبريل: ما تقولُ فيه يا محمَّد؟ قال: «أقول فيه: إنَّه عبدُ سوءٍ»، فأشار جبريلُ إلى أخمصِ رجلِه، وقال: لقد كُفِيْتَ أمرَه، قال: فندرَتْ[6] شظيَّة، فتعلَّقَتْ

---

(١) الشبرق: نبت حجازي يؤكل وله شوك، وإذا يبس سمي الضريع. انظر: «النهاية» لابن الأثير (٢/ ٤٤٠) (مادة: شبرق).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ١٤٦)، وانظر: «السيرة النبوية» لابن هشام (١/ ٤٠٩ ـ ٤١٠).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ١٧٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) رواه مطولًا الطبراني في «الأوسط» (٤٩٨٦)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٩/ ٨)، والضياء في «المختارة» (١٠/ ٩٦)، ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٤٦٥) عن مقسم مولى ابن عباس، وهو شبيه بما تقدم عن ابن إسحاق من ذكر قصة هلاكهم واحداً واحداً، وسيأتي بتمامه قريباً. ووقع في النسخ: «الأسود بن عبد المطلب»، والمثبت من المصادر.

(٥) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٤٤٠). ووقع في النسخ: (بعكك) بالرفع والصواب المثبت.

(٦) في (أ): «فمر بنبال»، وفي (ر): «قال فبدرت». وقد جاء في بعض رواياته أنه مر برجل يريش نبلاً فأصاب أبجله فقطعها، وفي أخرى أنه تعلق سهم بردائه فقطع أكحله.

ببردِه، وكان عليه بردةٌ يتبخترُ فيها، فمنعَه الكبرُ أنْ ينزعَها منه، فهبَّتْ ريحٌ، فأسقطَتْه على يدِه، فأصابَتْ أكحلَه، فمات منه.

ومرَّ به العاصُ، فقال جبريل عليه السلام: ما تقول فيه؟ فقال: «عبدُ سُوءٍ»، فأشار إلى ظهرِه، وقال: قد كُفِيْتَ أمرَه. فَخَرَجَ متنزِّهًا مع بَنِيْهِ في شِعْبٍ مِن شِعابِ مكَّة، فصاح وقال: قد لُدِغْتُ، ففتَّشوا، فلم يجدوا شيئًا، ومات منه.

ومرَّ الحارث بن قيس، فقال جبريل عليه السلام: ما تقول فيه؟ فقال: «عبدُ سُوءٍ»، فأشار إلى بطنِه وقال: قد كُفِيْتَ أمرَه. فأكلَ سمكةً مالحةً، فعطشَ، فجعل يشربُ ولا يَروَى، حتى انفطرَ بطنه، ومات(١).

ومرَّ به الأسودُ بنُ المطَّلب، فقال جبريل عليه السلام: ما تقول فيه؟ فقال: «عبدُ سُوءٍ» فأشار إلى عينِه فعمِيَ، فتوجَّعَتْ عينُه، فجعل يضربُ رأسَه في الجَدْر(٢) حتى هلك، وكان رسول الله ﷺ قال: «اللَّهمَّ أعمِ بصرَه».

ومرَّ به الأسودُ بن عبد يغوث، فقال جبريل عليه السلام: ما تقول فيه؟ فقال: «عبدُ سُوءٍ»، فأشار إلى جسدِه، فخرج إلى البادية، ورجع وقد اسودَّ وجهُه وجلدُه كلُّه، فقرعَ الباب، فأنكرَه أهلُه، فلم يفتحوا له حتَّى مات(٣).

---

(١) «ومات» من (أ).

(٢) في (أ): «بالجدار».

(٣) رواه بنحوه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٤٦٥) عن مقسم مولى ابن عباس، ورواه الطبراني في «الأوسط» (٤٩٨٦)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٩/ ٨)، والضياء في «المختارة» (١٠/ ٩٦)، من طريق جعفر بن إياس عن سعيد بن جبير عن ابن عباس، ورواه ابن حبيب النيسابوري في «عقلاء المجانين» (ص: ٩ ـ ١٠) من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما، وذكر نحوه الواحدي في «الوسيط» (٣/ ٥٣)، والبغوي في «تفسيره» (٤/ ٣٩٥)، دون نسبة.

قال مقاتل: وأمَّا بَعككُ فأخذَتْه الدُّبَيْلَةُ[١] فمات، وأمَّا أصرمُ فأخذَتْه ذات الجَنْب[٢] فمات.

فماتوا في يومٍ وليلةٍ، فذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴾[٣].

* * *

(٩٦) ـ ﴿ ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ﴾: هي صفة ﴿ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴾.

﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾: ما ينزل بهم عاجلًا وآجلًا، ودلَّ قوله: ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ أنَّ قولَه: ﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴾؛ أي: نكفيكَ.

* * *

(٩٧ ـ ٩٨) ـ ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾.

وقوله: ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴾: أي: نحن عالمون أنَّ صدرَكَ يضيقُ بما يقولُ هؤلاء المشركون فيك وفي القرآن مِن الفِريةِ والباطل، ويحزنُكَ ذلك، فلا يضيقَنَّ صدرُكَ، ولينكشِفْ عنك حزنُكَ، وليكُنْ مفزعُكَ إلى ذِكْرِنا وعبادَتِنا، وذلك قوله:

﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ ﴾ وهذا قولٌ ﴿وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾؛ أي: من المصلِّين، وهذا فعلٌ.

---

(١) الدبيلة: هي خراج ودمل كبير تظهر في الجوف فتقتل صاحبها غالباً، وهي تصغير دبلة. وكل شيء جمع فقد دبل. انظر: «النهاية في غريب الحديث» (مادة: دبل).

(٢) ذات الجنب: هي الدبيلة والدمل الكبيرة التي تظهر في باطن الجنب وتنفجر إلى داخل، وقلما يسلم صاحبها. انظر: «النهاية» (مادة: جنب).

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٤٤٠).

(٩٩) ـ ﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴾: أي: وأقم العبادة والعبوديَّة لربِّكَ إلى أن يأتِيَكَ المتيقَّنُ مِن وعدِ اللهِ بما يُنزِلُ اللهُ بهؤلاءِ، وسَمَّى العذابَ يقينًا كما سماه[١] حقًّا في آياتٍ.

وقيل: ﴿ٱلۡيَقِينُ ﴾: الموتُ. وهو قولُ الضَّحَّاكِ وغيرِه[٢].

ورُوي أنَّ عثمانَ بنَ مظعونٍ لَمَّا توفِّي جاءَه النَّبيُّ ﷺ وقال: «أمَّا هذا فقد جاءَه اليقين»[٣].

وقال الحسنُ: المداومةَ؛ فإنَّ اللهَ تعالى لم يجعل لعمَلِ ابنِ آدمَ أجلاً[٤] إلَّا الموت، قال تعالى: ﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴾[٥].

وسُمِّيَ الموتُ يقينًا لوجهَيْن:

أحدهما: أنَّه بمعنى المتيقَّن، مصدرٌ بمعنى المفعول.

والثَّاني: أنَّه يزول به كلُّ شكٍّ.

ولَمَّا نزلَتْ هذه الآيةُ قال النَّبيُّ عليه الصلاة والسلام: «ما أوحى اللهُ إليَّ أنْ أجمعَ المالَ وأكونَ مِن التَّاجرين، ولكنْ أوحى إليَّ أنْ سبِّح بحمدِ ربِّك وكُنْ من السَّاجدين، واعبُد ربَّك حتَّى يأتِيَكَ اليقين»[٦].

---

(١) في (ر) و(ف): «وسمِّي العذاب يقينا كما سمي».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ١٥٤ ـ ١٥٥) عن سالم بن عبد الله ومجاهد وقتادة والحسن وابن زيد.

(٣) رواه البخاري (٢٦٨٧) من حديث خارجة بن زيد رضي الله عنه.

(٤) في (ر): «حدًّا».

(٥) رواه ابن المبارك في «الزهد» (١٨)، والإمام أحمد في «الزهد» (١٥٤٨).

(٦) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (٢٣١٦)، والسمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٢٦٤)، وأبو نعيم في =

وقال القشيريُّ رحمَه الله: يقولُ: إنْ ضاقَ قلبُكَ بسماعٍ ما يقولون في ذمِّك، فارتعْ بلسانِكَ في رياضِ تسبيحِنا والثَّناء علينا، يكنْ ذلك سببًا لزوالِ ضِيقِ صدرِكَ وسلوةً لقلبِكَ.

﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ ﴾: قفْ على بساطِ العبوديَّة معتنقًا للخدمة إلى أنْ تجلسَ على بساطِ القُربةِ، وتُطالَب بآداب الوصلة.

ويُقال: التزِمْ شرائطَ العبوديَّة إلى أن تُلَقَّى بصفات الحرية، وأَشرفُ خصالِكَ العليَّةِ قيامُك بحقِّ العبوديَّة[١].

وأُنشِدَ في معناه:

لا تَدْعُنِـي إلا بيـا عبدَهـا ... فإنَّـه أصـدقُ أسـمائي[٢]

والحمد لله رب العالمين

* * *

= «حلية الأولياء» (٢/ ١٣١)، والبغوي في «تفسيره» (٤/ ٣٩٧)، من حديث أبي مسلم الخولاني مرسلاً.

ورواه الجرجاني في «تاريخ جرجان» (ص: ٣٤٢) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

وقال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (ص: ٥٠٥): رواه ابن مردويه في التفسير من حديث ابن مسعود بسند فيه لين.

(١) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٢/ ٢٨٣).

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (١/ ٤٦ و٢٩٦). وعزاه المستعصمي لأبي عبد الله المعري. انظر: «الدر الفريد» (١١/ ١٤٣).

سُورَةُ النَّحلِ

سُورَةُ النَّحْلِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

بسم الله الذي تَعالَى عمَّا يشركون، الرحمنِ الَّذي جعلَ لعبادِه السَّمع والأبصار والأفئدةَ لعلَّهم يشكرون، الرحيمِ الذي هو مع الذين اتَّقَوا والذين هم محسنون.

وسورة النَّحل مكيَّة إلَّا ثلاثَ آياتٍ نزلَتْ بالمدينة بعدَ قتل حمزة بن عبد المطَّلب عمِّ رسول الله ﷺ، وهي قوله: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا﴾ إلى آخر السُّورة.

وهي مئةٌ وثمانٍ وعشرون آية، وألفٌ وثماني مئةٍ وأربعون كلمة، وسبعة آلاف وستُّ مئة وتسعة وثلاثون حرفًا.

وروى أبيُّ بنُ كعبٍ رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: «مَن قرأَ سورةَ النَّحل لم يحاسبْهُ اللهُ يومَ القيامةِ بما أنعمَ عليه في دار الدُّنيا، وإنْ ماتَ مِن يومِ تَلاها أو ليلةِ تلاها كانَ له مِن الأجرِ كالَّذي ماتَ فأحسنَ الوصيَّة»(1).

وانتظامُ أوَّل هذه السُّورة بآخرِ سورة الحجر: أنَّه ختمَ تلكَ السُّورة بقوله تعالى: ﴿حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾، ثمَّ قرَّب ذلك الآتي فقال: ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ﴾.

وانتظامُ السُّورتَيْن: أنَّه ذكَرَ في تلك السُّورة دلائلَ التَّوحيد، ووعيدَ الكافرين، ووَعْدَ المؤمنين، وذلك كلُّه دعاءٌ إلى التَّوحيد، وذكرَ في هذه السُّورة نِعمَه على

---

(1) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٦/ ٥)، والواحدي في «الوسيط» (٣/ ٥٥). قال ابن الجوزي في «الموضوعات» (٤/ ٣٤٤): مصنوع بلا شك. وقال ابن كثير في «تفسيره»: حديث منكر من سائر طرقه. وانظر: «الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة» للشوكاني (ص: ٢٩٦).

عبادِه، وهو استدعاءٌ للشُّكر(١) مِن العبيد، وهو الإيمان والطَّاعة(٢) على التَّأبيد، استبقاءً للنِّعمة(٣) واستجلابًا للمزيدِ.

***

(١) ـ ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُ﴾: أي: أتى عذاب الله وعيدًا فلا تستعجلوه وقوعًا.

قال النَّضرُ بن الحارث بن علقمة: اللَّهمَّ إنْ كانَ ما يقولُه محمَّدٌ حقًّا فأمطرْ علينا حجارةً مِن السَّماء. فنزلَتْ هذه الآيةُ جوابًا له(٤).

وهذا مِن الجواب المفصول، وكذا قوله: ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ﴾ [المعارج: ١].

وقيل(٥): ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾؛ أي: دنا مجيءُ عذاب الله، كقوله: ﴿أَتَىٰهَآ أَمۡرُنَا لَيۡلًا أَوۡ نَهَارٗا﴾ [يونس: ٢٤]؛ أي: عذابنا.

وقيل: أي: أمرنا بالعذاب.

وقيل أي: عذابنا المأمور به.

وقيل: هو عذاب السَّاعة.

قال ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: لَمَّا نزلَتْ: ﴿ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ﴾ الآية،

---

(١) في (أ): «استبداء للشكر»، وفي (ف): «استبداد الشكر».

(٢) في (أ): «بالإيمان والطاعات».

(٣) في (أ): «للنعيم».

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٦/ ٦)، والواحدي في «البسيط» (١٣/ ٧).

(٥) في (ر) و(ف): «وقوله تعالى».

أشفقَ المشركون، فانتظروا قربَ السَّاعة، فلمَّا امتدَّت الأيَّامُ قالوا: يا محمَّد، ما نرى شيئًا ممَّا تخوِّفنا به، فنزلَتْ: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾ [القمر: ١]، فقالوا: يا محمَّد، أينَ ما تعدُنا به مِن نزول[1] العذاب؟ فنزلَتْ: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾، فوثَبَ النَّبيُّ ﷺ حذرًا مِن وقوعِ السَّاعة، فنزلَ: ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ فاطمأنَّ رسولُ الله ﷺ[2].

وقال مقاتل بن حيَّان: لَمَّا أخبرَ النَّبيُّ ﷺ المشركين بالسَّاعة كذَّبوا بها، فأنزل الله تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾، فقال النَّبيُّ ﷺ عندَ ذلك: «بُعِثْتُ أنا والسَّاعة كهاتَيْن، إنْ[3] كادَتْ لتسبقني»، وأشار بأصبعيه[4].

وقال ابنُ جريجٍ: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾؛ أي: السَّيف والأمر بالقتال[5].

وقال الضَّحَّاك: يعني ما كانوا يستعجلون به من الفرائض والشَّرائع[6].

---

(١) «نزول» ليس في (أ) و(ف).

(٢) ذكر نحوه السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٢٦٥)، والثعلبي في «تفسيره» (٦/ ٥)، وانظر: «تنوير المقباس» للفيروزآبادي (ص: ٢٢١).

(٣) في (ف): «أو».

(٤) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٤٤٧)، والثعلبي في «تفسيره» (٦/ ٦) تتمة لحديث ابن عباس رضي الله عنهما السابق.

وقوله ﷺ: «بعثت أنا والساعة كهاتين» رواه البخاري (٦٥٠٣)، ومسلم (٢٩٥٠) من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه.

(٥) ذكره الماوردي في «تفسيره» (٣/ ١٧٨).

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ١٥٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٢٧٦). قال ابن كثير عند هذه الآية: وقد ذهب الضحاك في تفسير هذه الآية إلى قول عجيب، فقال في قوله: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾؛ أي: فرائضه وحدوده، وقد ردَّه ابن جرير فقال: لا نعلم أحدًا استعجل الفرائض والشرائع قبل وجودها، بخلاف العذاب فإنهم استعجلوه قبل كونه استبعادًا وتكذيبًا.

وقوله تعالى: ﴿سُبْحَانَهُ﴾؛ أي: تنزيهًا لله عمَّا يقول المشركون.

وقيل: أي: هو مُسبَّح مُقدَّس على ألسنة الملائكة والمؤمنين من الجنِّ والإنس، وفي شهادات الخليقة له بالفطرة مِن أهل السَّماوات والأرضين، كما قال: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [الحشر: ١]، وقال: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ [الإسراء: ٤٤].

وقوله تعالى: ﴿وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾: قرأ الكسائيُّ بتاء الخطاب بناءً على قوله: ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾، وقرأ الباقون بياء المغايبة[1].

ومعناه: تباعدَ عن شِرْكِ المشركين، فلا يجوز وصفُه بالشُّركاء والأنداد.

* * *

(٢) ـ ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ﴾: قرأ ابنُ كثير وأبو عَمرو بياء المغايبة والتَّخفيف ونصب ﴿الْمَلَائِكَةَ﴾؛ أي: يُنْزِلُ اللهُ الملائكةَ، وقرأ الباقون بالتَّشديد مِن التَّنزيل[2]، وهو كالإنزال.

وروى أبو بكر عن عاصم: ﴿يُنَزَّلُ﴾ على ما لم يُسمَّ فاعلُه بالياء والتَّشديد ورفع ﴿الملائكةُ﴾[3].

﴿بِالرُّوحِ﴾؛ أي: بالكتاب الَّذي فيه حياةُ القلوب مِن موتِ الضَّلالة.

---

(١) وقرأ بالتاء أيضاً حمزة. انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٢١).

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ٣٧٠)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٥).

(٣) ذكرها ابن مجاهد في «السبعة في القراءات» (ص: ٣٧٠). والفارسي في «الحجة» (٥/ ٥٣)، وهي خلاف المشهور عنه.

وقال ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: الرُّوحُ: الوحيُ[١].

وقال عطاء: النُّبوَّة[٢].

وقال قتادة: الرَّحمة[٣].

وقيل: جبريلُ عليه السَّلام.

قال أبو عبيدة: ﴿بِالرُّوحِ﴾؛ أي: مع جبريل، قال الله تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ [الشعراء: ١٩٣][٤].

﴿مِنْ أَمْرِهِ﴾: شرائعه وأحكامه.

﴿عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾: يختاره للرِّسالة.

﴿أَنْ أَنْذِرُوا﴾ قيل: بأنْ أنذروا؛ أي: يُنزِّل بهذا، أو يأمره بهذا.

﴿أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾: الهاء في ﴿أَنَّهُ﴾ عماد؛ أي: إنَّ اللهَ ينزِّل على أنبيائه[٥] ويوحي إليهم ويأمرُهم أنْ خوِّفوا عبادي عذابي وغضبي على شركِهم بي، فإنِّي لا إلهَ إلَّا أنا فاخشوني ولا تخالفوني، ولا تجعلوا معي إلهًا آخر[٦] غيري.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ١٦٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٢٧٦).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٦/ ٦).

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٢٦٤)، والطبري في «تفسيره» (١٤/ ١٦٣).

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٦/ ٦)، والواحدي في «البسيط» (١٣/ ١٠).

(٥) في (ر) و(ف): «على عباده الأنبياء».

(٦) «آخر» من (أ).

وقيل: ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾؛ أي: نزلَ كتابُ اللهِ، ﴿فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ﴾: لا تقولوا لمحمَّد: لولا[1] اجتبيتَها، ثمَّ قال على مشاكلته: ﴿يُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ﴾.

* * *

(٣) ـ ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۚ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّ﴾: فسَّرنا (الحق) في قولِه: ﴿وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ﴾ [الحجر: ٨٥] قبلَ هذا بأوراق.

﴿تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾: فسَّرناه الآن، وهو إقامةُ دلالة التَّوحيد، وتقبيحُ الشِّرك والضَّلالِ البعيد.

وقال القشيريُّ: خلقَ السَّماوات والأرض بقولِه الحقِّ، وبحُكْمِهِ الحقِّ، وله الحقُّ، وخلَقَهما للأمرِ بالحقِّ[2]، مِن تكليف الخلق، وما يَعقب التَّكليف مِن الحشرِ والنَّشْرِ، والثَّواب والعقاب، تقديسًا وتنزيهًا له عن أن يكون له شريكٌ، أو معه مليكٌ[3].

* * *

(٤) ـ ﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٖ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٞ مُّبِينٞ﴾.

وقوله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٖ﴾؛ أي: مما يخرجُ مِن صُلْبِ الرَّجل وترائبِ المرأة.

---

(١) في (أ): «لو».

(٢) في (ف): «الحق».

(٣) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٢/ ٢٨٥).

﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾: أي: فنقلَه أطوارًا إلى أنْ وُلِدَ ونشأ، فصار بحيث يَدفعُ عن نفسه ويخاصم عنها، وبيَّن ذلك بالنسق الذي أقدره الله[1].

وقيل: أرادَ به مخاصمته في أمر السَّاعة ومحاجَّته بقوله: ﴿مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ﴾ [يس: ٧٨].

نزلَتْ في أميَّة بن خلفٍ الجمحيِّ، حيث[2] جاءَ بالعظمِ الرَّميم إلى النَّبيِّ ﷺ، فقال: يا محمَّدُ، أترى أنَّ الله تعالى يحيي هذا بعدَما رَمَّ، ويعيدُه خلقًا جديدًا بعدَ البِلَى؟ فأنزل الله تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ﴾ [يس: ٧٨] الآيات[3].

وقال أبو حاتم: الخَصْمُ: مَن يخاصِمُ بالحقِّ، والخصيم بالباطل؛ قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا﴾ [النساء: ١٠٥].

وقيل: الخصمُ الاسم، والخصيم النَّعت.

* * *

(٥) ـ ﴿وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا﴾: الأنعامُ: الإبلُ والبقرُ والغنم.

وقال الحسنُ: سُمِّيَتْ نَعَمًا للِيْنِ مشيِها. وخرج من ذلك الحافر لصلابة وقعها.

---

(١) في (ر): «ويبيِّن ذلك بالنَّصِّ الذي أقدره الله عليه»، وسقطت من (ف).

(٢) «حيث» من (أ).

(٣) روى نحوه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٠٠١)، والطبري في «تفسيره» (١١/ ٨٧) عن الزهري، ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٤٩٨)، والطبري في «تفسيره» (١٩/ ٤٨٧) عن قتادة، وانظر: «السيرة النبوية» لابن هشام (١/ ٣٦١ ـ ٣٦٢).

﴿لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ﴾: قال ابن عبَّاس: اللِّباس(١).

وقال أيضًا: هو القُطُفُ والأَكْسيَة وبيوت الشَّعر والوبر(٢).

وقال الكلبيُّ: الدِّفء: حواشي الإبل؛ يعني: صغارها(٣).

وقيل: هو ما يُستدفأ به مِن أوبارها وأصوافها وأشعارها.

وعن الحسن: الدِّفء مِن السُّخونة(٤). وقد دَفُوَتْ ليلتُنا مِن باب شرُف؛ أي: سخُنَتْ، ودَفِئ الرَّجلُ بالثَّوب من حد علم، واستدفأ بالثَّوب، وأدفأه الثَّوب.

وقوله تعالى: ﴿وَمَنَافِعُ﴾؛ أي: من الألبان والسَّمن والرُّكوب والولد.

وقيل: هو ما ذُكِر في قوله: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا﴾ الآية [النحل: ٨٠]، وقوله: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ﴾ [المؤمنون: ٢١].

﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾: أي: من لحومها وشحومها.

وخصَّ الأكلَ بالذِّكْرِ لأنَّه معظم المقصود.

* * *

(٦) ـ ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾.

قوله: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ﴾: أي: تَردُّونها(٥) إلى منازلها باللَّيل،

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ١٦٦).

(٢) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٢٦٦) دون نسبة. وكذا ذكر نحوه الفراء في «معاني القرآن» (٢/ ٩٦).

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ١٧٩).

(٤) المرجع السابق، الموضع نفسه.

(٥) في (أ): «تردون».

وقد راحَتْ هي رَواحًا، وأراحَها صاحبُها إراحة، مِن الرَّواح، وهو العشيُّ، وهو نقيضُ الصَّباح.

﴿وَحِينَ تَسۡرَحُونَ﴾: أي: ترسلونها إلى[1] المرعى، وقد سرحَتْ سُرُوحًا لازم، وأسرَحَها صاحبُها سَرْحًا متعدٍّ، وهو كالرُّجوع والرَّجْع.

يعني[2]: أنَّها إذا راحَتْ إلى المنازل راجعةً من مسارحِها بالعشيِّ، ممتلئةً ضروعُها، منتصبةً أسنمتُها، رافعةً رؤوسَها، ففيها جَمالٌ؛ لأنَّ الإنسانَ يتجمَّل بمالِه؛ قال تعالى: ﴿ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ [الكهف: ٤٦]، وفي الخروج إلى المرعى كذلك.

ووقع الابتداء بالإراحة لزيادة الجَمال في حينها[3] على حين السَّرح[4].

وقيل: هو جمالٌ يظهرُ في الوجهِ مِن السُّرور بها.

وقيل: هو جمالُ قِرى الأضياف.

وقيل: هو جمال غناهم عن النَّاس وحاجتِهم إليهم.

* * *

(٧) ـ ﴿وَتَحۡمِلُ أَثۡقَالَكُمۡ إِلَىٰ بَلَدٖ لَّمۡ تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلۡأَنفُسِۚ إِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَتَحۡمِلُ أَثۡقَالَكُمۡ إِلَىٰ بَلَدٖ لَّمۡ تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلۡأَنفُسِ﴾:

---

(١) في (أ): «في».

(٢) في (أ): «بمعنى».

(٣) في (ر) و(ف): «حسنها».

(٤) في (أ): «التسريح».

أي: تحمل أحمالكم وما يَثقلُ عليكم حملُه مِن المتاع إلى البلدان البعيدة التي لا تبلغونها إلَّا ﴿بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ﴾؛ أي: الأبدان[1]. والشِّقُّ: المشقَّةُ.

وقيل: هو النُّكرة الَّتي[2] تكاد تنشقُّ منه النَّفس.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾: خلقَ لكم هذه الأشياء وسخَّرها لكم.

وقيل: ذكرَ هذا لتَرحموا هذه الأنعامَ بالإنفاق عليها والإحسانِ إليها.

* * *

(٨) ـ ﴿وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ﴾: عطفٌ على قوله: ﴿وَٱلْأَنْعَٰمَ﴾.

﴿لِتَرْكَبُوهَا﴾ هو حُجَّةُ أبي حنيفة رحمه الله في حرمةِ أكلِ لحم الخيلِ.

وبه استدلَّ عبدُ الله بنُ عبَّاس رضي الله عنهما أنَّ اللهَ تعالى ذكرَ هذه الأشياء بطريق عدِّ النِّعم والامتنان بها، ولو كانَ يحلُّ أكلُها لم يكن مِن الحكمةِ تركُ ذِكْرِه وذكرُ ما دونَه في كونِه نعمةً وغرضًا مقصودًا[3].

---

(١) في (أ): «لا تبلغونها إلا بمشقة الأبدان».

(٢) في (ف): «الذي» بدل من «النكرة التي». والنكرة لعلها: الأمر الشديد، كذا في المعاجم لكن فيها: النُّكر، بدون هاء.

(٣) انظر: «شرح مختصر الطحاوي» للجصاص (٧/ ٢٨٩)، و«المبسوط» للسرخسي (١١/ ٢٣٤).
وأثر ابن عباس رضي الله عنهما رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ١٧٣ ـ ١٧٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٢٧٧).
وقوله: «لم يكن مِن الحكمةِ تركُ ذِكْرِه وذكرُ ما دونَه» معناه والله أعلم: لم من الحكمة ترك ذكر الأكل وذكر ما دونه من الركوب، ولعل شرح هذا الكلام هو ما قاله الماتريدي في «تأويلات أهل =

ودلَّتِ الآيةُ على حِلِّ اتِّخاذِ البِغال؛ إذ لو حرمَ ذلك لم تكن مِن النِّعم الَّتي يُمْتَنُّ[1] بها.

وقوله تعالى: ﴿وَزِينَةً﴾: يحتملُ أن يكون تقديره: ولِزينةٍ؛ أي: لركوبٍ وزينةٍ، أو يكون تقديره: لتركبوها ولتكون زينةً لكم، كما ذكر في الأنعام أنَّها[2] جَمال لكم، وتُحْمَل إحدى الكلمَتَين على موافقةِ الأخرى.

وقوله تعالى: ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾: أي: يخلقُ سوى هذه البهائم أشياءَ لا تعلمونها، مِن أنواع الحشراتِ في المفاوز، والهوامِّ تحتَ الأرض، وفي البرِّ والبحر ما لم يرَهُ البشر ولم يسمعوا به.

وقيل: هو ما يخلُقُ في الجنَّةِ مِن ذلك لأهلِها، وفي النَّارِ لأهلِها، ما لم ترَوْه ولم تسمعوا به.

وقال قتادةُ: هو السُّوس في الثِّياب، والدُّود في الفواكه[3].

= السنة» (٦/ ٤٧٨)، حيث قال: وسئل ابن عَبَّاسٍ عن لحوم الخيل؟ فقرأ: ﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا﴾ ولم يقل: لتأكلوها؛ فكره أكلها لذلك. وتمام هذا: أن الله ذكر الأنعام وما ذُكر من النَّعم والانتفاعِ بها، وبالغ في ذكرها؛ لأنه قال: ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ وقال: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ الآية، وقال: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ﴾...فذكَر جميع ما يُنتفع به من أنواع المنافع ذكرًا شافيًا مبالغاً غير مَكْفي، فدل ما ذَكَر في الخيل من الركوب، وكذلك في البغال والحمير؛ على أنه ليس فيها منفعة أخرى سوى ما ذكر وهو الركوب؛ إذ خرج الذكر لها على المبالغة والاستقصاء؛ ليس على الاكتفاء، ولو كان هنالك منفعة أخرى لذكَر على ما ذكَر في غيره. والله أعلم.

(١) في (أ): «يمن».

(٢) في (أ): «أيضًا».

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٦/ ٩).

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: ليسَ لنا أنْ نتكلَّفَ علمَ ذلك[١].

* * *

(٩) ـ ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ ۚ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ﴾: أي: في خَلْقِ ما ذكرنا عبرةٌ ودلالةٌ على الهدى، وعلى اللهِ بيانُ قصدِ السَّبيل؛ أي: الطَّريقِ القاصد، وهو المستقيمُ، وهو طريقُ الحقِّ، وهو كما قال: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ [القيامة: ١٩].

وليس ذلك للوجوب؛ فإنَّه لا يجبُ على اللهِ شيءٌ، ولكن يقول: مِن الحكمةِ البيانُ منَّا للصَّواب من الخطأ، والرَّشادِ مِن الضَّلال؛ لتتَّبعوا الرَّشاد، وتجتنبوا الضَّلال، وقد فعلْنا ذلك.

﴿وَمِنْهَا جَآئِرٌ﴾: أي: ومِن الطُّرقِ طريقٌ مائلٌ عن السَّداد، وقد بيَّناه كما بيَّنا الطَّريق المستقيم.

﴿وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾: أي: أعطاكم الاهتداءَ لو علِمَ منكم اختيار ذلك.

وقيل: معنى ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ﴾؛ أي: ولله، كما قال: ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ﴾؛ أي: للنُّصُب.

وقيل: أي: إلى رضوانِ اللهِ وصولُ قاصدي هذا السَّبيل، ﴿وَمِنْهَا جَآئِرٌ﴾؛ أي: مِن هذا السَّبيل جائرون مائلون، لا يقصدون رضا اللهِ، ولا يتوجَّهون إلى الله، فممرُّهم على الشَّيطان.

وقيل: أي: ممرُّ القاصدِ والجائرِ على اللهِ، كقولِه: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾ [الفجر: ١٤]؛ أي: لا يخرج أحدٌ عن قبضتِه أيَّ طريقٍ سَلَكَ.

---

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٦/ ٤٨٠).

وقال قتادة: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ﴾؛ أي: بيان الحلال والحرام[1].

وقال السُّدِّيُّ: بيان الهدى، ﴿وَمِنْهَا جَآئِرٌ﴾؛ أي: طريق الشيطان[2].

وقال مجاهد: ﴿قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ﴾: طريق الحقِّ، ﴿وَمِنْهَا جَآئِرٌ﴾؛ أي: زائغ[3].

وقال ابنُ المبارك رحمه الله: ﴿قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ﴾: السُّنَّة، ﴿وَمِنْهَا جَآئِرٌ﴾: البدعة[4].

وقال سهل بن عبد الله: هو كقوله: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ﴾ [الأنعام: ١٥٣][5].

وقال القشيريُّ: قومٌ هداهُم اللهُ السَّبيل، وعرَّفهم الدَّليل، وصرفَ عن قلوبِهم خواطَر الشَّك، وعصمَهم عن الجَحْد والشِّرك، وأطلعَ على قلوبِهم شموسَ العرفان، وأفردهم بنور البيان، وآخرون أضلَّهم وأغواهم، وعن شهود الحقِّ أعماهم، وفي سابق حكمه أذلَّهم وأخزاهم، ولو شاء لعرَّفَهم وهداهم[6].

* * *

(١٠) - ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴾.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ١٧٨).

(٢) ذكره شطره الأول مقاتل في «تفسيره» (٢/ ٤٦٠)، وروى شطره الثاني الطبري في «تفسيره» (١٤/ ١٧٩) عن قتادة.

(٣) روى شطره الأول الطبري في «تفسيره» (١٤/ ١٧٨).

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٦/ ٩)، والواحدي في «البسيط» (١٣/ ٢٤).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ١٨٠) عن ابن زيد.

(٦) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٢/ ٢٨٧).

وقوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ ﴾: وهذا أيضًا مِن آثارِ قدرتِه، وأنواعِ نعمته.

﴿مَآءً﴾؛ أي: مطرًا منه تشربون، ومنه يَنْبُتُ الشَّجرُ والنَّباتُ والغَرْس.

﴿ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴾: أي: ترعَون مواشيَكم، وقد سامَتْ هي تسومُ سومًا؛ أي: رعَتْ، وأَسَمْتُها أنا إسامةً.

***

(١١) ـ ﴿ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾.

﴿ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ ﴾: أي: ينبتُ اللهُ بالمطر الزُّروعَ المختلفة من الحبوب التي تقتاتونها.

﴿وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ﴾: أي: إنَّ فيما خلقَ اللهُ لعلامَةً على ألوهيَّته وقدرتِه وإنعامِه ﴿لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ في الدَّلائل.

***

(١٢) ـ ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ﴾: قال الإمامُ أبو منصور رحمه الله: ووجهُ تسخيرِها: أنَّ اللهَ تعالى خلقَها، وجعلَ فيها منافع للخلْقِ يصلُ إليهم شِئْنَ أو أبيْنَ، أحببْنَ أو كرهْنَ[١].

---

(١) في (ر): «شاءوا أو أبوا، أحبوا أو كرهوا». والمثبت موافق لما في «التأويلات». انظر: «تأويلات أهل السنة» (٦/ ٤٨٣).

وقوله تعالى ﴿بِأَمْرِهِۦٓ﴾ ليس هو أمرَ تكليفٍ، بل هو أمرُ تكوينٍ.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ﴾؛ أي: دلائل واضحة على قدرتِه.

﴿لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾: يستعملون عقولهم في التَّأمُّل فيها.

* * *

(١٣) - ﴿ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ﴾: أي: سخَّرَ لكم ما ذرأ لكم[1].

﴿فِى ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ﴾: مِن الملابسِ والمطاعمِ والمشاربِ والمراكبِ والمناكحِ والخدمِ وآلاتِ الارتفاقِ وغيره[2].

﴿مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ﴾: نصب على الحال، ووحَّدَ ذلك لتقدُّمه على المنعوت، فصار كتقديم الفعل على الفاعل، وهو في تقدير الفعل أيضًا، ولذلك رفع ﴿أَلْوَٰنُهُۥٓ﴾، وتقديره: تختلف ألوانه، واختلاف ألوانها: أنَّه لا يشبِهُ بعضُها بعضًا.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴾: أصلُه: يتذكَّرون؛ أي: يتَّعظون بمواعظ الله. والآياتُ للكلِّ، لكنَّ الانتفاعَ لهؤلاء، فخُصُّوا بالذِّكْرِ.

وبدأ بقوله: ﴿يَتَفَكَّرُونَ ﴾ ثم بقوله: ﴿يَعْقِلُونَ﴾ ثم بقوله: ﴿يَذَّكَّرُونَ ﴾ ثم بقوله: ﴿تَشْكُرُونَ ﴾، وكذا التَّرتيب في الوجود، فإنَّه يتفكَّر أوَّلًا فيها، فيعقِلُ ويتذكَّر، فيشكر اللهَ على نعمِه.

* * *

---

(١) بعدها في (ر) و(ف): «أي: خلق لكم».

(٢) في (ر) و(ف): «والخدم والآلات والأرزاق والارتفاق وغيرها».

(١٤) ـ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ﴾: هو للجنس، فيقع على كلِّ البحار.

﴿لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا﴾: أي: السَّمكَ بالاصطياد ﴿وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ﴾؛ أي: ولتستخرجوا منه بالغَوص ﴿حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾؛ أي: اللَّآلئَ والمرجان، تجعلونها في حليِّ الذَّهب والفضَّة، فتتزيَّنون بها.

﴿وَتَرَى ٱلْفُلْكَ﴾: أي: السُّفن ﴿مَوَاخِرَ فِيهِ﴾: جمع ماخرة، يقال: مَخَرَ مخرًا، مِن حدِّ دخل وصنع؛ أي: جرى بشقِّ الماء مع صوت.

﴿وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ﴾: تركبونها في الأسفار للتِّجارات.

﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾: أي: ولتشكروا اللهَ على هذه النِّعم.

وتسخيرُ البحر: تذليلُه على ما هو عليه مِن كثرة الماء المحتمِل للسُّفن الثِّقال التي كأنَّها الجبال، تُشحَن بأنواعِ الأحمال، فتجري فيه بالرِّياح وبالآلات التي ألهمنا اللهُ اتخاذَها، وعلمنا وجوه إجرائِها، وفيه قطعُ المسافات البعيدة في المدَّة اليسيرة، فتقطع المسافات، وتحمل الحمولات في الماء بالسُّفن، وفي البرِّ بالدَّواب، ومنَّ بهذه كما منَّ[١] بتلك فيما تقدَّم: ﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ﴾.

وفي الآيةِ دلالةُ إباحةِ التِّجارة، وطلبِ الفضل بركوب الأخطار واحتمالِ الشَّدائد.

* * *

(١) في (أ): «ومن بهذا كما مر».

(١٥) ـ ﴿وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ﴾؛ أي: جبالًا ثوابتَ ﴿أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ كما قال: ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا﴾؛ أي: لئلَّا تضلُّوا.

والمَيدُ: الانقلاب، وقيل: الاضطراب، وقيل: الدَّوران، وقيل: التَّحرُّك يمينًا وشمالًا.

وقال كعب الأحبار: لمَّا خلق اللهُ الأرضَ جعلَتْ تَكَفَّأ، فخلق اللهُ ملكًا يقال له: صاعديائيل، فوضع رجله عليها فاستقرَّت، ثم أرساها الله تعالى بالجبال[1].

وقال وهبٌ: لمَّا خلق اللهُ الأرض جعلَتْ تمور وتضطرب، فقالت الملائكة: إنَّ هذه غير مُقِرَّةٍ أحدًا على ظهرها، فأصبحَتْ وقد أُرسيَتْ بالجبال، لا تدري كيف أُرْسيَتْ[2].

وقوله تعالى: ﴿وَأَنْهَارًا﴾: عطفٌ على الأوَّل؛ أي: وألقى أنهارًا؛ أو يُضمَرُ فعلٌ آخر: وجعل فيها أنهارًا، كما يقال: تقلَّد سيفًا ورمحًا؛ أي: واعتقل رمحًا.

وقوله تعالى: ﴿وَسُبُلًا﴾: أي: وجعل فيها طُرُقًا تَصِلون بها إلى مقاصدكم، فلكلِّ[3] مقصدٍ طريقٌ به توصِلُ إليه في الحجِّ والغزو والتِّجارات وسائر الحاجات.

وقوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾: أي: لتهتدوا إلى المقاصد.

وقيل: أي: لتهتدوا إلى المراشد بالنَّظر في الأدلَّة والشَّواهد.

وقيل: إنَّما قال: ﴿لَعَلَّكُمْ﴾ لأنَّه لا بدَّ من الاستدلال في بعض المواضع للاهتداء إلى المقاصد.

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٦/ ١١).

(٣) في (ر): «كل»، وفي (ف): «قد جعل لكل».

(١٦) ـ ﴿وَعَلَٰمَٰتٍۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَعَلَٰمَٰتٍ﴾: أي: وجعل للطُّرقِ علامات، وهي معالم وُضعَتْ لها.

وقيل: هي الجبال والرِّياح ونحوُها.

وقوله تعالى: ﴿وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ﴾: أي: وبالنُّجوم، وهو اسم جنسٍ فصلح[1] للجمع، كما[2] يقال: فلانٌ كثيرُ الدِّرهم والدِّينار[3].

و﴿هُمۡ يَهۡتَدُونَ﴾: رجوعٌ إلى المغايبة بعدَ الابتداءِ بالمخاطبة، وهو أحدُ أنواع البلاغة والتَّوسُّع في الكلام.

وقال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: ﴿وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ﴾: إلى الطُّرق[4].

وقال السُّديُّ: أي بالثُّريا والفرقدَيْن وبنات النَّعش والجدي يهتدون إلى الطُّرق[5].

وقال محمَّد بن كعب: ﴿وَعَلَٰمَٰتٍ﴾؛ أي: الجبال بالنَّهار، ﴿وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ﴾ باللَّيل[6].

---

(١) في (أ): «فصح».

(٢) «كما» ليس في (أ).

(٣) في (ر) و(ف): «الدراهم والدنانير»، وهو تحريف ظاهر.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ١٩٢)، ولفظه: «﴿وَعَلَٰمَٰتٍۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ﴾ يعني بالعلامات: معالم الطرق بالنهار، وبالنجم هم يهتدون بالليل».

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٦/ ١٢).

(٦) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٦/ ١٢).

وقال قتادة: إنَّما جعل اللهُ النُّجوم لثلاثةٍ: لتكون زينةً للسماء، ومعالمَ للطُّرق، ورجومًا للشياطين، فمَن قال غير هذا فقد أخطأ رأيه[1].

* * *

(١٧) ـ ﴿ أَفَمَن يَخۡلُقُ كَمَن لَّا يَخۡلُقُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ أَفَمَن يَخۡلُقُ كَمَن لَّا يَخۡلُقُ ﴾: استفهامٌ بمعنى الإنكار.

ومعناه: أيستوي مَن يَخلق ومَن لا يَخلق؟

وأرادَ به الأصنام، وإنَّما قال: ﴿كَمَن﴾، ولم يقلْ: (كما) وهي جماد؛ لأنَّه ذكرَ فعْلَ الخلْقِ، وهو ممَّن يَعلَم، ولأنَّ (مَن) بمعنى (ما) موجودٌ في القرآن: ﴿فَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰ بَطۡنِهِۦ﴾ [النور: ٤٥].

وقوله تعالى: ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ بعقولِكم أنَّه لا يجوز أنْ يُسَوَّى بين القادر والعاجز والخالقِ والمخلوق في العبادة.

* * *

(١٨) ـ ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ ﴾: أي: لا تُطيقوا عدَّها، وأداءَ حقِّها.

ذكر ما مضى من الآيات في بيان قدرته ونعمته، ثم أنكر على الكفَّار إشراكَهم باللهِ العاجزَ، وبيَّنَ بهذه الآية عجزَهم عن شكرِ نعمتِه، بل عن عدِّ نعمه.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ﴾: ساترٌ للذُّنوب، يمهلُكم ولا يعاجلكم ﴿رَّحِيمٞ﴾ يكتفي منكم من الشُّكر بقَدْر وُسعكم، ويرضى بيسير الشُّكر على كثير النِّعم.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ١٩٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٩١٣).

(١٩ ـ ٢٠) ـ ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ ١٩ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ﴾: قرأ عاصم في رواية حفص: ﴿يسرون﴾ و﴿يعلنون﴾ ﴿والذين يدعون﴾ كلهنَّ بياء المغايبة، وكذلك الكسائيُّ[1]، وروي عن عاصم: ﴿يَدۡعُونَ﴾ خاصَّة بياء المغايبة، والباقون كلُّهم بتاء المخاطبة[2].

أي: لا يخفى على الله شيء من عبادِه، أسرُّوا أو أعلنوا.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾: أي: من الأصنام ﴿لَا يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا﴾؛ أي: لا يقدرون على خلق شيء ﴿وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ﴾؛ أي: وهم مخلوقون لله.

* * *

(٢١) ـ ﴿أَمۡوَٰتٌ غَيۡرُ أَحۡيَآءٖۖ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ﴾.

﴿أَمۡوَٰتٌ﴾: أي: هم أموات ﴿غَيۡرُ أَحۡيَآءٖ﴾؛ أي: هي جمادٌ لا حياةَ لها، جاهلةٌ لا علمَ لها.

وهو قوله: ﴿وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ﴾: أي: وما تدري هذه الأصنام متى يُحشرون.

---

(١) ما ذكره المصنف عن حفص هي رواية هبيرة عن حفص عن عاصم، والرواية المشهورة عن حفص عن عاصم: ﴿تُسِرُّونَ﴾ و﴿تَدۡعُونَ﴾ بالتاء، ﴿يَدۡعُونَ﴾ بالياء، وكذا قرأ أبو بكر عن عاصم أيضاً. انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٣٧١).

أما الرواية المشهورة عن الكسائي فهي أنه قرأ الثلاثة بالتاء، فالقراء السبعة إذاً اتفقوا على قراءة: ﴿تُسِرُّونَ﴾ و﴿تَدۡعُونَ﴾ بالتاء، أما ﴿يَدۡعُونَ﴾ فالجمهور قرأها بالتاء، وقرأها عاصم بياء المغايبة. انظر: «السبعة» (ص: ٣٧١) و«التيسير» (ص: ١٣٧).

(٢) انظر التعليق السابق.

ومعناه: أنَّ هذه الآلهة تحضر يوم القيامة، فتُجْعَلُ مع عُبَّادها في نار جهنَّم، كما قال: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٨][١].

وقيل: ﴿أَمْوَٰتٌ﴾: صفة المشركين؛ أي: أمواتٌ بالكُفْر، ﴿غَيْرُ أَحْيَآءٍ﴾ بالإسلام، ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾، وهو كقوله: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ۝٦ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا﴾ [المعارج: ٦ ـ ٧]، وقوله: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ [الأحزاب: ٦٣]؛ أي: لا يؤمنون بالبعث، ولا يتعرَّفون وقته، ولا يعتقدون قربَه، ولا يستعدُّون له.

* * *

(٢٢) ـ ﴿إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ فَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾: أي: المستَحِقُّ لعبادتِكم وتعظيمِكم إلهٌ واحدٌ.

﴿فَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ﴾: أي: لا يصدِّقون[٢] ﴿قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ﴾؛ أي: للتَّوحيد ﴿وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾؛ أي: متعظِّمون[٣] عن الإيمانِ.

* * *

(٢٣) ـ ﴿لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ﴾.

﴿لَا جَرَمَ﴾: قال الخليل[٤]: هي كلمةُ تحقيقٍ، ولا تكون إلَّا جوابًا، يقال: فعلوا

---

(١) «كما قال: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ﴾» ليس في (أ).

(٢) في (ر) و(ف): «أي لا يؤمنون بالبعث».

(٣) في (أ): «متعظون»، وفي (ر) و(ف): «معظمون»، والصواب المثبت.

(٤) «الخليل» ليس في (أ).

كذا، فيقال: لا جرمَ أنَّهم سيندمون، فالمعنى على هذا: حقًّا إنَّ لهم النَّار[1].

وقيل: ﴿لَا﴾ ردٌّ لكلامِهم، و﴿جَرَمَ﴾ بمعنى: حقَّ ووجبَ.

وقيل: ﴿جَرَمَ﴾؛ أي: كَسَبَ، كقولِه: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾ [المائدة: ٢]؛ أي: كَسَبَ فعلُهم لهم ﴿أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾: أي: علِمَها منهم، فأعدَّ لهم جزاءَها.

﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾: أي: المتعظِّمين عن الانقياد للرُّسل.

* * *

(٢٤) - ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ﴾: أي: من الوعيد؛ أي: إذا ذكِرَ لهم أنَّ ربَّكم أنزل فيكم الوعيد، فكيف تصنعون إذا حلَّ ذلك[2] بكم؟

﴿قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾: أي: هي أساطير الأوَّلين، هم سطروها، لا أنَّ اللهَ أنزلها، ولهذا رفع قولَه: ﴿أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾؛ لأنهم لم يقرُّوا بإنزالها، فلم يكن فعلُ الإنزال واقعًا عليها على زعمِهم، بل ابتدؤوا بذلك وصفَه.

* * *

(٢٥) - ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾.

---

(١) ذكره الماوردي في «تفسيره» (٥/ ١٥٨)، وابن سيده في «المحكم» (٧/ ٤١٣) (مادة: جرم). وفي «العين» المنسوب للخليل (٦/ ١١٩) الكلام فيه مختصر، ولفظه: لا جَرَمَ يَجري مَجرَى لا بدَّ، ويُفسَّر: حقًّا.

(٢) «ذلك» ليس في (أ).

وقوله تعالى: ﴿لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ هي لام العاقبة؛ أي: فعلوا ذلك ويصيرُ جزاؤهم في العاقبة أنَّهم يعاقبون على ما حملوه من آثامهم كلِّها.

﴿وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم﴾: أي: وآثام الذين اتَّبعوهم وضلُّوا بإضلالهم، وإنَّما قال: (مِن) لأنَّه للتَّبعيض، وفي حقِّ أنفسِهم يُعاقَبون بكلِّ ذنوبِهم، وفي حقِّ الذين ضلُّوا بإضلالهم يُعاقَبون بالذُّنوب التي أذنبوها بإضلالهم دونَ سائر الذُّنوب.

وقوله تعالى: ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ ليس بعذرٍ، بل هو عيبٌ لهم بالجهل والسَّفاهة، ومعنى نفيِ العلمِ؛ أي: لم يعلموا أنَّهم يَضلُّون بإضلالهم، أو[1] لم يعلموا ماذا يلحقُهم بهذا الإضلال، أو لم يعلموا أنَّ آثامَ الذين ضلُّوا عليهم.

﴿أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ﴾: أي: بئسَ ما يحملون من الأوزار.

وقيل: الآية نزلَتْ في المقتسمين الذين قعدوا على الطُّرق يمنعون النَّاس عن اتِّباع رسول الله ﷺ، ويقرُّونهم على الشِّرك والضَّلال.

وهو عامٌّ في حقِّ كلِّ مُضلٍّ، وقد قال النَّبيُّ ﷺ: «مَنْ سَنَّ سُنَّةً حسنةً فله أجرُها وأجرُ مَنْ عملَ بها إلى يوم القيامةِ، ومَنْ سَنَّ سُنَّةً سيِّئةً فعليه وِزرُها ووِزْرُ مَنْ عَمِلَ بها إلى يومِ القيامةِ»[2].

* * *

(٢٦) ـ ﴿قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾.

---

(١) في (أ): «أي».

(٢) رواه مسلم (١٠١٧) من حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه.

وقوله تعالى: ﴿قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾؛ أي: مكرَ الكفَّارُ الذين كانوا قبل هؤلاء المشركين بأنبيائهم كما مكرَ بك هؤلاء، فلم يضرَّ ذلك بالأنبياء.

﴿فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَـٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ﴾: أي: أبطلَ اللهُ مكرَهم، ونقضَ حجَّتَهم، وهو مجازٌ، كقولك لرجل إذا انكسَرَتْ حجَّتُه: قد بطلَ ما بنيْتَ، وانهدمَ ما أسَّسْتَ.

﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ﴾: أي: انقلبَ عليهم مكرُهم.

﴿وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾: أي: مِن الوجه الذين لا يشعرون أنَّه يأتيهم من جهته، وفي الوقت الذي لا يعلمون أنَّه يأتيهم فيه.

وقيل: هو على حقيقة البناء، ومعنى قوله: ﴿فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَـٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ﴾؛ أي: الأساس ﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ﴾؛ أي: سقط عليهم ﴿ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ﴾، فالخرور لا يكون إلَّا من فوق، وذكرَه للتَّأكيد، كما في قوله: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم﴾ [آل عمران: ١٦٧]، وقوله: ﴿يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ [الأنعام: ٣٨]، وقوله: ﴿وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦].

ومعنى التَّأكيد: أنَّه للتَّحقيق، لا للمجاز، فقد يقولُ الرَّجلُ: خَرَّ عليَّ منزلي، ولا يريدُ سقوطَه عليه، فأما إذا[1] أراد ذلك قال: خَرَّ عليَّ مِن فوقي.

فهاهنا أراد: أنَّه[2] سقطَ عليهم وهم تحتَه، فأهلكَهم اللهُ.

وفي التَّفسير: أنَّ هذا البناء كان لبختنصَّر.

وقال ابن عبَّاس رضي الله عنهما وزيد بن أسلم: وهو صرح نمرود[3].

---

(١) في (ر): «فإذا»، وليست في (ف).

(٢) في (أ): «أنه أراد به أنه» بدل من «أراد أنه».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٢٠٤).

وقال ابن عباس: كان طول البناء في السَّماء خمسةَ آلاف ذراع[1].

وقال كعب: كان طولُه في السَّماء فرسخين. وبه قال مقاتل؛ قال: فهبَّتْ ريحٌ فألقَتْ رأسَه في البحر، وخرَّ عليهم الباقي من فوقِهم[2].

وهذا الإتيان بإجماع أهل القبلةليس بإتيان انتقال، وكذا في قوله: ﴿فَأَتَنهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا﴾ [الحشر: ٢] في حقِّ بني قريظة والنَّضير، وهو حجَّتنا على المجسِّمة في تأويل قوله: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر: ٢٢]، و﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢١٠].

* * *

(٢٧) - ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَاءِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ﴾: أي: يفضحهم ويُذِلُّهم، بعد[3] ما أهلكهم في الدُّنيا، وأبطل مكرَهم بالأنبياء، وهو تلبيسُهم في تصوير حقِّهم بالباطل عند الضَّعفة، وسعيُهم في هلاك الأنبياء.

وقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَاءِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ﴾: أي: يوبِّخهم فيقول: أين الآلهة التي كنْتُم تجعلونها شركاء لي[4]، وتعادُون الأنبياءَ بسببها؟ أين هم فيدفعوا عنكم ما نزل بكم؟

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٦/ ١٣).

(٢) ذكره عن كعب ومقاتل الثعلبي في «تفسيره» (٦/ ١٤). وانظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٤٦٥).

(٣) في (ر) و(ف): «مع».

(٤) في (ر): «التي كنتم تجعلونها آلهة»، و(ف): «التي كنتم تعبدونها».

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ﴾: أي: المؤمنون الذي أُعطوا العلمَ باللهِ وبدينِه في الدُّنيا:

﴿إِنَّ ٱلْخِزْىَ ٱلْيَوْمَ﴾: أي: الفضيحة والمذلَّة ﴿وَٱلسُّوٓءَ﴾؛ أي: المكاره التي تسوؤهم ﴿عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾؛ أي: المشركين بالله.

وهم يومئذ أنزلهم الله منازل الأنبياء والأولياء، فنعَّمهم وسرَّهم، فشكروا ذلك، وذكروا حال الكفَّار.

***

(٢٨) - ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ فَأَلْقَوُاْ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍۭ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾: نعتٌ للكافرين ﴿ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾: نصبٌ على الحال.

﴿فَأَلْقَوُاْ ٱلسَّلَمَ﴾: أي: الاستسلام؛ أي: انقادوا، وهو ماضٍ بمعنى المستقبل، وأُلحقَ بالماضي لأنَّه كائنٌ لا محالة.

قوله: ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍۭ﴾: أي: يقولون، وهذا مُضمَرٌ لدلالة الحال عليه، وقوله تعالى: ﴿مِن سُوٓءٍۭ﴾؛ أي: كفرٍ، يتبرَّؤون منه.

وقيل: معناه: ما كان ذلك عندنا سوءًا.

فيُقال لهم: ﴿بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: كنتم لا تعملون إلا سوءًا، والله عليم بما كنتم تعملون، فلم ينفعْكم إنكارُكم، ولا جهلُكم بالسُّوء؛ إذ كانت الأدلَّةُ واضحة، والبراهينُ لائحة.

***

(٢٩) ـ ﴿ فَادْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾.

﴿ فَادْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ﴾: لا خروجَ لكم عنها، ولا خلاصَ منها.

﴿فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾: على أنبياء الله وعلى أوليائه.

وقد سبقَ ذكرُ تكبُّرِهم بقوله: ﴿قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾ فإنْ كان هذا القولُ لهم عند الموت فمعناه: فادخلوا أبواب جهنَّم إذا بُعِثْتُم.

وأبوابُها: طبقاتُها ودَركاتُها، وهي بعضُها فوقَ بعضٍ، ولعلَّ هؤلاء يستحقُّون العذاب في الدَّرك الأسفل، أو في الدَّرك الرَّابع، فلا يصلون إليه إلَّا بمجاوزةِ الأبواب أجمع.

ويجوز أن يكون لكلِّ طبقةٍ بيوتٌ، ولكلِّ بيتٍ بابٌ.

ويجوز أن يكون هذا إخبارًا لهم عندَ الموتِ بعذاب القبر؛ لأنَّه بابٌ من أبواب جهنَّم للكافر.

* * *

(٣٠) ـ ﴿ ۞ وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۚ قَالُوا۟ خَيْرًا ۗ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۚ وَلَدَارُ ٱلْـَٔاخِرَةِ خَيْرٌ ۚ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۚ قَالُوا۟ خَيْرًا ۗ﴾: ثم أخبر ـ بعد[1] الإخبار عن الكافرين ـ عن المؤمنين الذين اتَّقوا الشِّرك؛ أنَّهم إذا سُئلوا عن كتاب الله: ماذا أنزل الله فيه؟ ﴿قَالُوا۟ خَيْرًا ﴾؛ أي: أنزل خيرًا؛ لأنَّ القرآن خيرٌ وهدًى ونفعٌ وشفاءٌ لِمَا في الصُّدور، يُستَدلُّ به على الله وعلى أنبيائه وشرائعِ دينه، فخيراتُه لا تُحصى.

(١) في (ف): «بعد هذا».

وقيل: أي: أنزل(١) الشَّرائع ومكارم الأخلاق.

ونُصب ﴿خَيْرًا﴾ لوقوع فعل الإنزال عليه، وفي الأوَّل ﴿قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ بالرَّفع؛ لأنهم لم يقرُّوا بالإنزال، بل قالوا: هي أساطيرُ الأوَّلين.

وقوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾: اختلفوا: أنَّه قول هؤلاء، أو ابتداءُ كلامٍ مِن الله؟ فأجاز الحسنُ فيه الوجهين، وكذلك الزَّجاج(٢).

والأظهرُ أنَّه كلامُ الله تعالى؛ لأنَّه أبلغُ في الدُّعاء إلى الإحسان، ولأنَّه إذا لم يقم الدَّليل القاطع أنَّه حكايةٌ عنهم فهو من كلام الله تعالى.

ثم معناه: للمحسنين حسنةٌ في الدُّنيا، وهي التَّوفيق والعصمة، والنَّجاة من العذاب المعجَّل النَّازل بالمشركين.

قوله تعالى: ﴿وَلَدَارُ ٱلْأٓخِرَةِ خَيْرٌ﴾: أي: ولدار الحياة الآخرة أو النَّشأة الآخرة خيرٌ لهم ممَّا أصابوه في الدُّنيا.

﴿وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ﴾: اللَّام للقسم، و(نِعْمَ) كلمة مدح، فنِعْمَ الدَّارُ الجنَّةُ؛ إذ لا خوفَ فيها ولا حزن، ونعيمُها مقيمٌ، ومُلكها دائمٌ، وصاحبُها فيها خالدٌ.

* * *

(٣١ ـ ٣٢) ـ ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ كَذَٰلِكَ يَجْزِي ٱللَّهُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

---

(١) في (ر) و(ف): «إنزال».

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ١٩٦).

قوله تعالى: ﴿ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ لَهُمۡ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ ﴾: هي صفة تلك الدَّار ﴿كَذَٰلِكَ يَجۡزِي ٱللَّهُ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾ ثم وصف المتقين فقال:

﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ﴾: أي: طيبي الأعمالِ والقلوب مِن دنَس الشِّرك.

﴿طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمُ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾: أي: إذا بُعِثْتم.

* * *

(٣٣) ـ ﴿ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ يَأۡتِيَ أَمۡرُ رَبِّكَۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ هَلۡ يَنظُرُونَ ﴾: أي: ما ينتظر مشركو قريش ﴿إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ لقبض أرواحِهم، وهم ظالمون لأنفسِهم ﴿أَوۡ يَأۡتِيَ أَمۡرُ رَبِّكَ ﴾ بعذاب ينزلُ بهم في الدُّنيا مثلَ ما نزل بمَنْ قبلَهم مِن الخسْفِ والقذْفِ ونحو ذلك، أو في الآخرة بما أُوْعدوا به.

قال مجاهد وقتادة: ﴿أَمۡرُ رَبِّكَ ﴾؛ أي: القيامة[1].

قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ ﴾: استعجلوا العذاب ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ ﴾؛ أي: ما عذَّبهم بغير ذنب ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴾: يوردون أنفسَهم موارد الهلكة بالشِّرك، وينقصون حظوظها من الجنَّة.

* * *

(٣٤) ـ ﴿ فَأَصَابَهُمۡ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴾.

﴿ فَأَصَابَهُمۡ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُواْ ﴾: أي: الأجزيَةُ السَّيئة بأعمالهم السَّيئة.

---

(١) رواه عنهما الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٢١٥).

﴿وَحَاقَ بِهِم﴾: نـزلَ بهـم ﴿مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾: العـذابُ الـذي كانـوا لا يصدِّقـون بـه ويجحدونه هـزوًا.

***

(٣٥) - ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾:

إنَّما أنكر اللهُ هذا القول على المشركين وهو حقٌّ في نفسه إذ الكائنات كلُّها بمشيئة الله تعالى؛ لأنَّ بعض المشركين من العربِ كانوا يقولون هذا القول وقصدُهم أن ينفوا عن أنفسِهم الملامةَ والمذمَّة بارتكابهم الشِّرك والمعاصي، وكانوا يقولون: لا لومَ على عاصٍ ما لهذا المعنى[1]، فأكذَبهم اللهُ تعالى، وبيَّنَ لهم أنْ لا عذرَ لهم، ولا يَسقطُ اللَّوم عنهم، لأنَّ مشيئةَ المعاصي من اللهِ معناها: أنَّه أرادَ أن تكون معصيةً قبيحة منهيًّا عنها، ملومًا عليها مرتكبُها، معاقَبًا بها، ولا إكراه منه لهم على ذلك[2]، فلم يسقط عنهم اللَّوم. وقد شرحنا ذلك في (سورة الأنعام) بأتمَّ من هذا.

وقوله تعالى: ﴿فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾؛ أي: ما على الرُّسل إلَّا التَّبليغ الظَّاهر، وقد بلَّغوا أنَّ مشيئةَ اللهِ عزَّ وجلَّ ليسَتْ بعذرٍ لهم.

***

(١) قوله: «ما لهذا المعنى» ليس في (ر).

(٢) في (أ): «عليها» بدل: «على ذلك».

(٣٦) - ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾: أي: وحِّدُوه وأطيعوه ﴿وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾؛ أي: الشَّيطان والصَّنم وكلَّ ما يدعوا إلى الشِّرك والضَّلالة.

﴿فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾: أي: اختلفَتِ الأمم: فمنهم مَن[1] اختاروا تصديقَهم واتِّباعهم فأرشدهم الله لذلك، ومنهم مَن اختاروا تكذيبَهم ومخالفتَهم، فخذلهم اللهُ بسبَب كفرهم، وتحقَّقَتْ لهم الضَّلالة.

قوله تعالى: ﴿فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ معاشر المؤمنين ﴿فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ﴾ الذين[2] أهلكَهم الله، وأخلى ديارَهم عنهم، وجعلها معتبَرًا لمن بعدهم، وكذلك يفعلُ بمن فعل[3] فعلَهم.

***

(٣٧) - ﴿إِن تَحۡرِصۡ عَلَىٰ هُدَىٰهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَن يُضِلُّۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِن تَحۡرِصۡ عَلَىٰ هُدَىٰهُمۡ﴾: أي: يا محمَّد، إنْ جهدْتَ على هدايتِهم فليسَ الأمرُ إليك.

---

(١) في (ر): «من هدى الله».

(٢) «الذين» من (أ).

(٣) في (أ): «فعل مثل».

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَن يُضِلُّ﴾: قرأ عاصم وحمزة والكسائيُّ بفتح الياء؛ أي: إنَّ الله لا يهدي مَن أضلَّه، لعلمه اختيار الضَّلالة منه.

وقرأ الباقون: ﴿لا يُهْدَى﴾ بضمِّ الياء على ما لم يُسمَّ فاعلُه[1]، والهاء العائدة مقدَّرةٌ في آخره؛ أي: مَن يضله؛ أي: مَن أضلَّه الله لا يُهدَى أبدًا؛ أي: لا يهديه أحد.

قوله تعالى: ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾: جُمع لأنَّ (مَن) تصلح للجمع؛ لأنَّه جنس، يعني[2]: وما للضَّالين ناصرون يمنعونهم من جريان حكم الله عليهم، ويدفعون العذاب عنهم، الذي أعدَّه[3] لهم وينزلُه بهم.

***

(٣٨) ـ ﴿وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَا يَبۡعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُۚ بَلَىٰ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ﴾: أي: وحلفوا بالله مجتهِدين في أيمانِهم مظهرين من أنفسِهم أنَّهم بارُّون فيها:

﴿لَا يَبۡعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ﴾ وهو وصفٌ منهم لله بالعجزِ عن بعث الموتى.

﴿بَلَىٰ﴾: وهو ردٌّ عليهم قولَهم ﴿وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا﴾ هو قادرٌ عليه، وقد أخبر به، وهو يحقِّق هذا الوعد ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ كمالَ قدرته، وبالغَ[4] حكمتِه، في بعثِه بعدَ إماتتِه.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ٣٧٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٧).

(٢) «يعني» ليس في (أ).

(٣) في (أ): «العذاب عنهم الذي أعده»، وفي (ف): «ويدفعون عنهم هذا الذي أعد»، وفي (ر): «ويدفعون عنهم عذابه الذي أعد».

(٤) في (ر) و(ف): «وبلاغ».

(٣٩) ـ ﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي يَخۡتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰذِبِينَ﴾.

قوله: ﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي يَخۡتَلِفُونَ فِيهِ﴾: أي: يبعثُهم ليبيِّن لمنكريه ما يختلفون فيه؛ فمنهم مَن كان يقطع القولَ بكونه، ومنهم مَن كان يشكُّ فيه، ومنهم مَن كان يقطع القول بنفيه.

ويحتمل الاختلاف في أمورٍ أُخَر[1] من أمور الدِّين، فيُبيِّن لهم ليظهرَ الحقُّ من الباطل.

قوله: ﴿وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰذِبِينَ﴾ في تكذيب الرُّسل، وجحود البعث، وهذا إثبات الجهل للكلِّ، وليس هذا عذرًا بالجهل؛ لأنَّهم كانوا متمكِّنين من النَّظر في الدَّلائل ليعلموا.

وقيل: معنى الآية: ﴿وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾؛ أي: الأتباع ﴿أَنَّهُمۡ﴾؛ أي: الرُّؤساءَ المعاندين[2] بعد العلم ﴿كَانُواْ كَٰذِبِينَ﴾ فيما ادَّعوا، والأتباعَ إلى ذلك دعَوا، وفي تنفيذه وإقامته سعَوا.

وقيل: بعد بيان الاختلاف معنًى مضمَر، وهو[3]: ثم يجزي المحقَّ والمبطِلَ في الاختلاف كلًّا على وَفق عملِه وقولِه وعَقْده.

***

(٤٠) ـ ﴿إِنَّمَا قَوۡلُنَا لِشَيۡءٍ إِذَآ أَرَدۡنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوۡلُنَا لِشَيۡءٍ إِذَآ أَرَدۡنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾: أي: بعثُ الموتى

---

(١) في (أ) و(ر): «في أمر آخر».

(٢) في النسخ: «المعاندون»، والمثبت هو الصواب.

(٣) بعدها في (أ) و(ر): «قوله». ولا وجه لها.

علينا يسير، لا يَلحقُنا فيه نصبٌ، إنما هو أن نقول له: كن؛ فإذا هو كائنٌ، وهو عبارةٌ عن سرعة الإيجاد.

ثم معنى قوله: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ﴾ وتسميتِه شيئًا: أنَّه شيء[1] بعد وجوده، وسُمِّي به لقربِه من حالة الوجود.

* * *

(٤١) ـ ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا﴾: وهذا مدح للمؤمنين بعدَ ذمِّ الكافرين؛ أي: والذين هجروا أهاليَهم وأوطانهم في إحياء دين الله ونصرةِ رسول الله من بعدما ظلمَهم هؤلاء المشركون وعذَّبوهم وراودوهم بالعود إلى الكفر:

﴿لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾: أي: لنمكنَنَّ لهم في الدُّنيا منازل حسنةً يرضونها بدلًا عن دورهم التي هجروها، وقد فعل ذلك حيث آواهم بالمدينة، وجعل لهم أنصارًا وأعوانًا على أعدائهم، وآنسوهم بالنُّفوس والأموال، وآثروهم على أنفسِهم بكلِّ شيء.

قوله تعالى: ﴿وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ﴾؛ أي: ولأجر الدَّار الآخرة ـ وهو الثَّواب الذي يؤتيهم[2] فيها ـ أكبرُ وأعظم قَدْرًا من الذي عُجِّل لهم في الدُّنيا من حِسَان الأوطان والأمنِ على الدِّين والأبدان.

﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾: أي: لو كان هؤلاء الظَّالمون يعلمون ما أعدَّ اللهُ للمهاجرين

---

(١) في (ف): «ينجز».

(٢) «الذي يؤتيهم» ليس في (أ).

في الآخرة من النَّعيم، لكنْ بجهلهم يظلمونهم، فلو علموا لم يفعلوا، بل وافقوهم لينالوا في الآخرة ما يناله هؤلاء.

وقول القائل: هو خيرٌ لك لو علمْتَ، ليس على معنى أنَّه لو لم يَعلم لم يكن خيرًا له، لكنَّه ترغيبٌ؛ أي: لو علمْتَ لاشتدَّتْ رغبتُكَ فيه.

* * *

(٤٢) ـ ﴿ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ﴾: هو نعت المهاجرين؛ أي: صبروا على دينهم، وعلى إيذاء عدوِّهم في الله ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ﴾؛ أي: في أمورِهم، ويرجون الظَّفر بعدوِّهم.

وقيل: نزلَتْ الآيةُ في أبي جندلِ بن سهيلِ بن عمرو.

وقيل: نزلَتْ في ستَّة نفرٍ: بلالِ بن رباح، وصهيبِ بن سنانٍ مولى عبد الله بن جدعان، وخبَّابِ بن الأرتِّ مولى [أمِّ] أنمارٍ، وعمَّارِ بن ياسر مولى أبي حذيفة، وعابسٍ، وجبيرٍ، أخذهم المشركون فعذَّبوهم، ثم تخلَّصوا فهاجروا، فنزلَتْ هذه الآية في شأنهم[1].

* * *

(٤٣) ـ ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۚ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡ﴾: قيل: نزلَتْ في أبي

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٦/ ١٧). وما بين معكوفتين من المصادر. انظر: «تهذيب الكمال» (٨/ ٢٢٠)، و«الإصابة» (٢/ ٢٥٨).

جهل والوليد بن المغيرة وعبد الله بن أبي أميَّة المخزوميِّ، قالوا للنَّبيِّ ﷺ: هلَّا بعثَ الله إلينا ملكًا يصدِّقك[1] بما تقول، فنزلَتْ.

ومعناه: ما أرسلنا قبلَك ملائكة، إنَّما أرسلنا رجالًا آدميِّين يُوحَى إليهم على لسان ملَك.

﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ﴾: أي: أهل الكتب المتقدِّمة؛ لأنَّهم أهلُ المعرفة بما ذكَرَ الله لهم من فرائضه وشرائعه وأقاصيص أنبيائه.

﴿إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ أنتم.

* * *

(٤٤) ـ ﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ ۗ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ﴾: قيل: متَّصل بقوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ﴾ ﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ﴾ ﴿إِلَّا رِجَالًا﴾.

وقيل: تقديره: إلَّا رجالًا أرسلناهم بالبيِّنات والزُّبر.

والبيِّناتُ: المعجزات، وقيل: الشَّرائعُ الواضحات.

والزُّبرُ: الكُتبُ، جمع زَبور بمعنى مزبور؛ أي: مكتوب.

وإنَّما أمرَ المشركين بسؤال أهل الكتاب لأنَّهم كانوا يرجعون إليهم ويقبلون قولهم، فأثبتَ الحجَّة عليهم بجنسِ ما يركَنون إليه.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ﴾: أي: الكتاب الذي فيه ذكرُ ما يُحتاج إليه،

(١) في (أ) و(ف): «فنصدقك».

كما أنزلنا على مَن قبلَك ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾؛ أي: لتوضِّح لهم معاني ما شرح لهم.

﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾: أي: وليتفكَّروا فيك وفيما أُنزِل عليك، فيستدلُّوا بذلك على صدقِك، وهو معنى كلمة (لعلَّ) لأنَّها في الأصل للتَّرجي، وهو ممَّا يكون ولا يكون، وكذا ما يقع بالاستدلال.

***

(٤٥) - ﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ﴾: استفهامٌ بمعنى إثبات الذَّمِّ لهم بذلك، ويجوز أن يكون استفهامًا بمعنى النَّهي؛ أي: لا تأمَنوا ذلك، فإنَّهم قد استحقُّوه.

و﴿مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ﴾ له معنيان:

أحدهما: أنهم أخفَوا الأعمال السَّيئة عن العباد، والله تعالى مُطَّلِع منهم عليها.

والآخر: مكروا بالنَّبيِّ عليه الصلاة والسلام بأشياءَ سيِّئة، وبما يسوء النَّبيَّ ﷺ ذلك.

وقوله تعالى: ﴿أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ﴾: كما خسفَ بقارون.

﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾: من السَّماء بغتةً كما كان لقوم لوطٍ ونحوهم.

***

(٤٦) ـ ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ﴾.

﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ﴾: أي: في أسفارِهم وتصرُّفاتهم في أمورهم.

﴿فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ﴾: بفائتين، وقد أعجزني الشَّيء؛ أي: فاتني فعجزْتُ عن أخذه.

والتَّقلُّب يحتمِل هنا ثلاثةَ معانٍ:

السَّيرَ في البلاد، كما قال: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ﴾ [آل عمران: ١٩٦].

والتَّصرُّفَ باللَّيل والنَّهار بالإقبال والإدبار والذَّهاب والمجيء، في الأمور المعهودة، كما قال: ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٩].

والتَّدبيرَ في وجوه المكر والكيد، كما قال: ﴿وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ﴾ [التوبة: ٤٨].

يخوِّفُهم الأخذ في بعض هذه الأحوال.

* * *

(٤٧) ـ ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾: قال سعيد بن المسيِّب: بينما عمرُ بن الخطَّاب رضي الله عنه على منبر قال: يا أيُّها النَّاس، ما تقولون في قول الله تعالى: ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ﴾، فسكتَ النَّاسُ، فقام شيخٌ فقال: يا أمير المؤمنين، هذه لغتُنا بني هذيل، التَّخوُّفُ التَّنقُّصُ، فقال عمرُ: فهل تعرف العرب[١] ذلك في أشعارِها، قال: نعم، قال شاعرنا أبو كبير[٢] الهذليُّ:

---

(١) «العرب» من (أ).

(٢) في النسخ: «أبو بكر» وهو خطأ، والمثبت من المصادر، وأبو كبير اسمه: عامر بن الحُلَيس، وهو أحد بني سعد بن هُذَيل ثم أحد بني جُرَيْب، وهو شاعر هذلي معروف. انظر: «ديوان الهذليين» (٢/ ٨٨).

تخـوَّفَ الرَّحـلُ منها تامِـكًا قَـرِدًا[(١)] كمـا تخـوَّفَ عـودَ النَّبعـةِ السَّـفَنُ[(٢)]

أي: تنقَّص[(٣)].

---

(١) في النسخ: «صلبًا» وهو خطأ، والمثبت من المصادر.

(٢) نسبه لأبي كبير الثعلبي في «تفسيره» (٦/ ١٩)، والواحدي في «البسيط» (١/ ٤٠١)، وأبو القاسم النيسابوري في «إيجاز البيان عن معاني القرآن» (٢/ ٤٨٢)، والقرطبي في «تفسيره» (١٢/ ٢٣٢)، والبيضاوي في «تفسيره» (٣/ ٢٢٨). ولم أجده في «ديوان الهذليين»، لكن قال الشهاب الخفاجي في «حاشيته على البيضاوي» (٥/ ٣٣٤): والبيت من قصيدة له مذكورة في شعر هذيل.
ونسب لابن مقبل في «القلب والإبدال» لابن السكيت (ص: ٩)، و«تهذيب اللغة» للأزهري (٧/ ٢٤٢). وهو في «ديوانه» (ص: ٤٠٥).
ونسب لزهير في «أساس البلاغة» للزمخشري (١/ ٢٧٠)، و«الكشاف» له (٢/ ٦٠٨)، وفيه نظر؛ فقد قال الشهاب في «حاشيته على البيضاوي» (٥/ ٣٣٤): وفي كلام المصنف رحمه الله تعالى (يعني: البيضاوي، حيث نسبه لأبي كبير) إصلاح لما في «الكشاف» من نسبة البيت لزهير مع أنه ليس له، وهو مناقض لما نقله من قول الهذلي: شاعرنا، فإن زهيراً ليس بهذلي.
ونسب لذي الرُّمة في «الصحاح» للجوهري (مادة: خوف وسفن)، وهو في ملحق «ديوانه» (٣/ ١٩١٧).
قال الزبيدي في «تاج العروس» (مادة: سفن): هكذا في نسخ «الصحاح» لذي الرمة، وقيل: لابن مقبل، وأورده أبو عدنان في كتاب «النبل» لابن المزاحم الثمالي، وقال: لم أجده في شعر ذي الرمة، وقال غيره: هو لعبد الله بن عجلان النهدي جاهلي.
يصف ناقة تنقص السير سنامها بعد تمكه واكتنازه، والتامك: السنام المرتفع المشرف، والقَرِد بفتح القاف، وكسر الراء، يقال: صوف قرد؛ أي: متلبد، وسحاب قرد؛ أي: ركب بعضه بعضاً، والنبع شجر يتخذ منه القسيُّ، والسَّفَن بفتح السين والفاء، هو المِبرد، يصف ناقة أثر الرحل في سنامها بعد تمكه واكتنازه، فأكله وانتقصه كما ينتقص المبرد العود. قاله الشهاب الخفاجي في «حاشيته على البيضاوي» (٥/ ٣٣٤).

(٣) «أي تنقص» من (أ).

فقال عمرُ رضي الله عنه: يا أيُّها النَّاس، عليكم بديوانكم لا تضلُّوا، قالوا: وما ديوانُنا؟ قال: شعر الجاهليَّة، فإنَّ فيه تفسيرَ كتابِكم ومعاني كلامِكم[1].

وذكر أبان بن تغلب عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما قال: كنْتُ أقرؤها ولا أعرفها، حتَّى شكا أعرابيٌّ أخًا له فقال: إنَّ أباه هلكَ وترك إبلًا، فما زال يتخوَّفها بعيرًا بعيرًا حتَّى أذهبها. فعلمْتُ أنَّه التَّنقُّص[2].

وهو قولُ مجاهد وقتادة والضَّحاك وابن زيد، أنَّ معناه: على تنقُّصٍ، ومعناه: أنَّه يأخذ الأوَّل فالأوَّل حتَّى لا يبقى منهم أحد، ولأنَّه حالةٌ يُخاف منها الهلاك والفناء[3].

وقال الحسنُ: يُهلكُ القريةَ، فتخافُ قريةٌ أخرى[4].

وقيل: هو كقوله: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ [الأنبياء: ٤٤]، فمعنى قوله: ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ﴾؛ أي: تنقُّصٍ من نواحيهم وأطرافهم حتَّى يعمَّ الهلاكُ جميعَهم بعضَهم بعضَهم على إثرِ بعض، ومعناه: أنَّه لا يعاجلهم، بل يأخذ القُرى التي حولَهم، حتَّى يَخْلصَ الأمرُ إليهم فيهلكَهم.

وقيل: معناه: يأخذهم بتنقُّص[5] أموالهم وأنفسهم، دونَ العذاب المستأصل.

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٦/ ١٩)، والواحدي في «البسيط» (١/ ٤٠١)، والزمخشري في «الكشاف» (٢/ ٦٠٨)، وذكره القسطلاني في «إرشاد الساري» (٧/ ١٩٦) وقال: (إسناد فيه مجهول). وقد رواه الطبري بنحوه دون الشعر في «تفسيره» (١٤/ ٢٣٦) من طريق رجل عن عمر.

(٢) لم أقف عليه. لكن روى الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٢٣٧) عن ابن عباس قوله: ﴿عَلَىٰ تَخَوُّفٍ﴾: التنقص والتقريع.

(٣) رواه عنهم الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٢٣٧ ـ ٢٣٨).

(٤) ذكره الماوردي في «تفسيره» (٣/ ١٩٠).

(٥) في (أ): «بنقص»، وفي (ف): «بتنقيص».

وقيل: معناه: يهلك بعضَ ما يجاورهم من البلاد، ويدَعهم على خوفٍ أن يأخذهم، ثمَّ يأخذهم، فيكون أخذًا بعد تنغيصِ العيش عليهم زمانًا بتخوُّفهم كلَّ وقتٍ أن ينزلَ عليهم.

* * *

(٤٨) ـ ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّؤُا ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّؤُا ظِلَالُهُ﴾: قال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: تتميَّل[1].

والفيءُ: الظِّلُّ الذي بعدَ الزَّوال؛ لأنَّه يفيء؛ أي: يميل عن الجانب الذي كان إلى الجانب الآخر.

ووصَلَ الرُّؤية بكلمة (إلى) لأنَّها بالنَّظر تحصلُ، فصار كذِكْرِ النَّظر، كأنَّه قال: أو لم ينظروا إلى كلِّ ما خلقَه اللهُ مِن شيء صغيرٍ أو كبير[2] تتفيأُ ظلاله؛ أي: يرجع ظلُّ كلِّ شيء من موضعٍ إلى موضعٍ يمينًا وشمالًا على حسب تحوُّل الشَّمس، مشرِّقةً ومُغرِّبة، يختلف ذلك بأوَّل النَّهار وآخره وبالبلدان؛ بتصريف الله إيَّاه.

وقال: ﴿عَنِ الْيَمِينِ﴾ على الواحدِ ﴿وَالشَّمَائِلِ﴾ لوجوهٍ:

أحدها: أنَّه بدأ بقوله: ﴿مَا خَلَقَ اللَّهُ﴾، ولفظُه لفظ واحد فوحَّد (اليمين)، ومعناه جمعٌ فجمَع (الشَّمائل)، كما قال: ﴿فَمَنِ اتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ﴾ على الواحد ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الأعراف: ٣٥] على الجمع.

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) في (أ): «صغر أو كبر» بدل من «صغير أو كبير».

وقيل[١]: تقديره: عن يمين كلِّ واحدٍ من ذلك، وعن شمائل الجميع.

وقيل: اكتفى في الأوَّل بالواحد لأنَّه جنس يصلح[٢] لإرادة الجمع به، كما قال تعالى: ﴿وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾ [القمر: ٤٥]، ﴿ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ [غافر: ٦٧]، وجمع في (الشمَّائل) لتحقيق الجمع المراد بالآية.

﴿سُجَّدًا لِّلَّهِ﴾: حالُ قوله[٣]: ﴿ظِلَٰلُهُۥ﴾.

والسُّجودُ: الخضوعُ للهِ بالخلقة، والدَّلالة على وحدانيَّة الله تعالى بالصَّنعة، وأنشد أهل اللُّغة:

تـرى الأُكْـمَ فيهـا سُـجَّدًا للحوافِـرِ[٤]

جعل الأُكم إذا لم يتهيَّأ لها الامتناعُ من وطئ الحوافر إيَّاها سُجَّدًا لها، فكذلك ظلال الأشياء لَمَّا لم يكن فيها الامتناع[٥] من التَّصرُّف على ما يصرِّفُه الله تعالى إليه جُعلَتْ ساجدةً لله تعالى.

﴿وَهُمْ دَٰخِرُونَ﴾: أي: صاغرون.

* * *

---

(١) «قيل» من (أ).

(٢) في (أ): «فصلح».

(٣) في (ر) و(ف): «متعلق بقوله».

(٤) عجز بيت لزيد الخيل، وهو في «ديوانه» (ص: ١١٠)، و«تفسير الطبري» (٢/ ١٣٧)، و«المعاني الكبير» لابن قتيبة (٢/ ٨٩٠)، و«الكامل» للمبرد (٢/ ١٤٩)، وصدره:

بِجَمْـعٍ تَضِـلُّ البُلْـقُ فـي حَجَرَاتـه

(٥) في (أ): «امتناع».

(٤٩) - ﴿ وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن دَآبَّةٖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن دَآبَّةٖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ﴾: أمَّا مَن كان منهم عاقلًا مؤمنًا فطاعتُه بالأمر، وما كان لا يعقل فبالتَّسخير بدلالة الخلقة، وأمَّا الكافر العاقل[1]: فما كان فيه مِن آثار الصَّنعة ودلائل الحدوث[2] يشهدُ لله باستحقاق العبادةِ له، فكلُّهم يسجدُ لله من هذا الوجه، وهو معنى قوله: ﴿وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا وَظِلَٰلُهُم بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ﴾ [الرعد: ١٥].

وقولُه تعالى: ﴿وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ﴾؛ أي: الملائكة.

* * *

(٥٠) - ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ۩ ﴾.

﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴾: أي: الذي هو قاهرٌ لهم على السُّلطان[3] عليهم إنْ خالفوه.

﴿وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾: خوفًا[4] له، وعلمًا بعظمته، ونفاذِ سلطانه وقدرته.

وقيل: يخافون عقاب ربِّهم من فوقهم؛ لأنَّه يأتي من فوق.

* * *

---

(١) في (ر) و(ف): «الغافل».

(٢) في (ف): «الربوبية».

(٣) «على السلطان» من (أ).

(٤) في (ف): «طاعة».

(٥١) ـ ﴿ ۞ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ﴾: أي: بهذا أمرَ اللهُ تعالى؛ لا تتَّخذوا اثنين إلهين.

وقيل: هو على نظمِه[1]، وهو توكيدٌ، لا تتخذوا إلهين اثنين[2]؛ أي: لا تجعلوا لله ثانيًا وهو واحد، وذلك قوله:

﴿إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ﴾: أي: خافوني ولا تخافوا غيري، وهو رجوعٌ عن المغايبة إلى الإخبار عن نفسِه، وهو من التَّوسُّع في الكلام.

* * *

(٥٢) ـ ﴿ وَلَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًاۚ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ وَلَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾: أي: خَلْقًا ومُلْكًا.

﴿وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًا﴾: قال ابن عبَّاس والحسنُ ومجاهد والضَّحاك وقتادة وابن زيد: أي: دائمًا[3].

وقد وَصَبَ يَصِبُ وُصوبًا من باب ضرب، قال الدُّؤلي:

لا أبتغي الحمدَ القليلَ بقاؤُه ... يومًا بذمِّ الدَّهرِ أجمعَ وَاصِبا[4]

---

(١) في (أ): «تكلمه».

(٢) «اثنين» من (أ).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٢٤٧ ـ ٢٤٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما وعكرمة والحسن ومجاهد والضحاك وقتادة وابن زيد.

(٤) انظر: «مجاز القرآن» (١/ ٣٦١)، و«تفسير الطبري» (١٩/ ٥٠٧)، و«الأغاني» (١٢/ ٣٦٠)، و«تفسير الثعلبي» (٦/ ٢٢).

والوَصَبُ: الألمُ عن الإعياء بدوام العمل، وقد وَصِبَ يَوْصَبُ وَصَبًا[(١)]، فهو وَصِبٌ، من باب علم.

﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ﴾: استفهامٌ بمعنى الإنكار؛ أي: ما ينبغي لكم أن تتَّقوا غيرَه وتعبدوا غيرَه وتطيعوا غيرَه وله الدِّين واصبًا، فهو الباقي الدَّائم الذي لا يزول ولا يحول، فلا تنقطعُ الطَّاعة له، فأديموها له.

* * *

(٥٣) ـ ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾: أي: والذي بكم من نعمتِه مِن سعةٍ ورزقٍ[(٢)]، وصحَّةِ جسمٍ، وانبساطِ حياةٍ[(٣)]، وكثرةِ مالٍ، ووفورِ أنصارٍ وأعوانٍ، وسائرِ حسناتِ الدُّنيا، فذلك كلُّه من الله تعالى.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ﴾: أي: السَّقم والضِّيق والبلاء ﴿فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ﴾: تَضِجُّون بالدُّعاء والمسألة.

والجؤارُ: رفعُ الصَّوت بالتَّضرُّع، فالنِّعمُ كلُّها منه، والفرحُ كلُّه به، والقدرةُ بكمالها له، فما ينبغي أن يُتَّقى غيره ويُعبدَ غيره.

* * *

(٥٤ ـ ٥٥) ـ ﴿ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ۝٥٤ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ ۚ فَتَمَتَّعُوا۟ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾.

---

(١) في (ر) و(ف): «وصوبًا»، والمثبت من (أ)، وهو الصواب. انظر: «التاج» (مادة: وصب).

(٢) في (ف): «سعة رزق».

(٣) في (أ) و(ف): «جاه».

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾: أي: الأصنامَ التي لا تنفع ولا تَدفع، فلا ترجون إدرار النِّعمة ولا كشف الضُّرِّ إلَّا منه، ثم تشركون به غيره ممَّا لا يكون منه شيء من ذلك! وهذا كفرانٌ لنعمةِ الله تعالى منهم، وذلك قوله:

﴿لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ﴾؛ أي: من النِّعَم، وقيل: أي: ليجحدوا ما آتيناهم من الآيات.

﴿فَتَمَتَّعُوا۟﴾: أي: عيشوا في دنياكم وتلذَّذوا بها قليلًا، ثم تنقضي.

﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾: أي: خطأَ فعلِكم في الكفر والكفران.

وقيل: ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ما ينزلُ بكم من الخزي والهوان.

* * *

(٥٦) ـ ﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَٰهُمْ ۗ تَٱللَّهِ لَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَٰهُمْ﴾: ومن جهالاتهم أنَّهم يُسمُّون لأصنامهم أشياءَ من أنعامهم وزروعهم التي جعلناها رزقًا لهم، وهم لا يعلمون لها هذا النَّصيب، وهو ما ذكر في قوله: ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا﴾ الآية [الأنعام: ١٣٦].

ويحتمل: ﴿لِمَا لَا يَعْلَمُونَ﴾؛ أي: الأصنام لا تعلم أنَّه جُعِلَ لها نصيب، وجمَعَ فعلَها بالواو والنُّون وهي جماد لأنَّ الكفَّار أحلُّوها محلَّ مَن يعقل.

وقوله تعالى: ﴿تَٱللَّهِ لَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ﴾: وصرفَ الكلام عن المغايبة إلى المخاطبة، وهو من وجوهِ الكلام.

وإذا سُئلوا عن ذلك لم يكن لهم حجَّة على ذلك، فعُوقبوا به.

(٥٧) ـ ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ ﴾؛ أي: ويضيفون له ذلك، فيقولون: الملائكة بناتُ الله ﴿سُبْحَانَهُ﴾ تنزيهًا لله عن ذلك؛ أي: هو مُنزَّه عنه.

﴿وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ﴾ من البنين، يجوز أن تكون ﴿مَّا﴾ رفعًا على أنَّه خبرُ اللَّام، ويجوز أن تكون نصبًا عطفًا على ﴿الْبَنَاتِ﴾ بوقوع ﴿وَيَجْعَلُونَ﴾ عليها؛ أي: إذا حملَتْ امرأةُ أحدهم تمنَّى واشتهى أن يكون ولدُها ذكرًا، وهو كقوله: ﴿ أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ ﴾ [الطور: ٣٩].

***

(٥٨) ـ ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾.

﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا ﴾: الظُّلول بالنَّهار كالبيتوتة باللَّيل.

وقوله: ﴿مُسْوَدًّا﴾؛ أي: متغيِّرًا مِن الغمِّ.

﴿وَهُوَ كَظِيمٌ﴾: قال ابن عبَّاسٍ: أي: حزين[1].

وقيل: هو المغموم الَّذي يُطْبِقُ فمَه لا يتكلَّم؛ للغمِّ[2] الذي به، مأخوذٌ من الكِظامَة.

يقول: إذا أُخبِر أحدُهم بولادةِ بنتٍ له اسودَّ وجهُه وتغيَّر واغبرَّ من الأنَفة والذُّلِّ، وبقي ممتلئ القلب عن الغيظ، ساكت اللِّسان عن الغمِّ، لا فرجَ له ممَّا أصابَه.

***

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٢٥٦).

(٢) في (ر) و(ف): «للهم».

(٥٩) ـ ﴿يَتَوَارَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَتَوَارَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ﴾: أي: يستخفي حياءً منهم وكراهةَ أنْ يُهنَّأ بها، ويفكِّرُ في نفسِه:

﴿أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ﴾: أي: يمسكُ ما بُشِّرَ به على هوان؛ لسقوطِ قَدْرِه عندَه.

﴿أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ﴾: أي: يخفيه، وهو الوأدُ، وهو دفنُها حيَّة.

﴿أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾: أي: ما أسوأ حكمَهم، يختارون لأنفسهم البنين، ويصفون لله البنات، ويرضَون له بما لا يرضَون به لأنفسهم.

***

(٦٠) ـ ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ﴾: أي: صفةُ السَّوء، وهو ما ذَكرَ عنهم ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾؛ أي: الصِّفةُ العليا في الملك والسُّلطان، والعزَّة والقدرة، والتَّنزُّهِ عن الشُّركاء والأنداد.

وهذا لا يخالف قوله: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ﴾ [النحل: ٧٤] ـ فنهى عن ذلك مطلقًا، وذكر له المثل الأعلى هاهنا ـ لأنَّ(١) ذلك نهيٌ عن الوصف بالأشباه، وهذا إثباتٌ للصِّفة العليا.

﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾: أي: الممتنِعُ على مَن رام مغالبَته في تعذيبِ مَن أراد تعذيبَه.

﴿ٱلْحَكِيمُ﴾: في إمهال العباد إلى أن يحقَّ بهم القول.

***

(١) في (أ): «إلا أن».

(٦١) ـ ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم﴾: أي: ولو يعاقبُ اللهُ الكفَّار بظلمِهم أنفسَهم وعقولَهم، وعبادَ الله بصدِّهم عن الحقِّ.

﴿مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا﴾: أي: على الأرض، كنايةٌ عن مَكنيٍّ لم يَسبقْ ذِكرُه، لكنَّه معلومٌ فصحَّ، كما في قوله: ﴿حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ﴾ [ص: ٣٢]، وهو كقول لَبيدٍ:

حتَّى إذا ألقَتْ يَدًا في كافرٍ ... وأَجَنَّ عوراتِ الثُّغورِ ظلامُها[١]

يعني: الشَّمس.

وقوله تعالى: ﴿مِن دَآبَّةٍ﴾: أي: لأدَّى ذلك إلى أن لا يبقَى على الأرض مَن يدبُّ؛ أي: لخلَت الأرضُ عن سكَّانها.

وهذا يدلُّ على أنَّ لله تعالى أن[٢] يعاجلَهم بالعقوبة، وإنْ كان في المعلوم أنَّه لو أخَّرهم لتابوا عن المعاصي، خلافًا للمعتزلة القائلين بالأصلح.

﴿وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ﴾: أي: برحمتِه، لا يعاجلهم بها، ولكن يمهلُهم ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ عندَه، إمَّا في الدُّنيا إذا شاءَ أن يهلكَهم أهلكَهم، وإمَّا في الآخرة، وهو وقت الحساب، وهو الأجل المسمَّى لحساب الخلائق أجمعين، وأيُّ هذين الأجلَيْن حلَّ لم يتأخَّر العذابُ عنهم، وهو قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾.

***

(١) انظر: «ديوان لبيد» (ص: ١١٤).

(٢) في (ر): «أن الله تعالى لن».

(٦٢) - ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَى لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ﴾ لأنفسِهم من البنات.

﴿وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَى﴾: ﴿أَنَّ﴾ ترجمةٌ عن ﴿الْكَذِبَ﴾، و﴿الْحُسْنَى﴾ نصب بـ ﴿أَنَّ﴾.

قال الزَّجَّاجُ: وتصف ألسنتهم أن لهم الحسنى من الله تعالى؛ أي: القضيَّةَ الحسنى[1]، وهي بالبنين[2]؛ أي: قضى لهم بالبنين، وجعل لنفسه البنات.

وقيل: أراد بـ﴿الْحُسْنَى﴾: الأحوالَ الحسنة في الآخرة، وهو كقوله خبرًا: ﴿وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِندَهُ لَلْحُسْنَىٰ﴾ [فصلت: ٥٠]، ﴿وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا﴾ [الكهف: ٣٦].

وقرأ ابنُ عبَّاس: (ألسنتُهم الكُذُبُ) بضم الكاف والذَّال والباء[3]، نعتًا للألسنة، وهي جمع كذوب، كالرُّسُل جمع رسول.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٢٠٧)، وفيه: (الجزاء الحسن) بدل القضية الحسنى.

(٢) قوله: «وهي بالبنين» يوهم أن هذا من قول الزجاج أو شرح له، في حين أن غيره من العلماء قد فرقوا بين القولين، قال الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ١٩٦): (﴿وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَى﴾ فيه وجهان: أحدهما: أن لهم البنين مع جعلهم لله ما يكرهون من البنات. قاله مجاهد. الثاني: معناه أن لهم من الله الجزاء الحسن. قاله الزجاج). ومثله قول ابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ٤٦٠). وكذا قول الواحدي في «البسيط» (١٣/ ١٠١ ـ ١٠٢)، وزاد تفسير (الجزاء الحسن) في قول الزجاج بالجنة.

(٣) نسبت لمسلمة بن محارب في «المختصر في شواذ القراءات» لابن خالويه (ص: ٧٧)، وله ولمعاذ في «المحتسب» لابن جني (٢/ ١١ ـ ١٢).

وقوله تعالى: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ﴾: ﴿لَا﴾ هي ردٌّ لكلامهم، و﴿جَرَمَ﴾؛ أي: كسب قولهم هذا أنَّ لهم النَّار، فإنَّهم كفروا وكذَّبوا.

﴿وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ﴾ قال سعيدُ بن جبير وقتادة ومجاهد والضَّحَّاك: متروكون في النَّار، منسيُّون فيها[1]. من قول العرب: ما أفرطْتُ ورائي أحدًا؛ أي: ما خلَّفْتُ وما تركْتُ.

وقال الحسنُ وقتادةُ في رواية: مقدَّمون إلى النَّار معجَّلون إليها[2].

وهو من قول العرب: أفرطْنا فلانًا في طلبِ الماء، فهو مُفْرِطٌ؛ أي: قدَّمناه لطلبِه، وفَرَطَ هو فهو فارِطٌ، من حد دخل؛ أي: تقدَّم، وجمعه الفُرَّاط، وقال القَطامِيُّ:

واستعجَلُونا وكانوا مِن صحابَتِنا ... كما تعجَّلَ فُرَّاطٌ لِوُرَّادِ[3]

ومنه قولُ النَّبيِّ ﷺ: «أنا فَرَطُكُم على الحوضِ»[4].

وقرأ أبو جعفر: ﴿وأنَّهم مُفَرِّطُوْنَ﴾ بكسر الرَّاء وتشديدها[5]؛ أي: مقصِّرون في الواجب.

وقرأ نافع في رواية ورش: ﴿مُفْرِطُونَ﴾ بإسكان الفاء وكسر الرَّاء[6]؛ أي: المجاوزون حدودَ الشَّرع، المسرفون في الذُّنوب.

---

(١) رواه عنهم الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٢٦٣ _ ٢٦٥).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٢٦٦) عن قتادة، وذكره عن الحسن يحيى بن آدم في «تفسيره» (١/ ٧١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٢٨٨).

(٣) انظر: «ديوان القطامي» (ص: ٩٠)، و«تفسير الطبري» (١٤/ ٢٦٥)، و«النكت والعيون» (٣/ ١٩٦).

(٤) رواه البخاري (٦٥٧٦)، ومسلم (٢٢٩٧)، من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٥) انظر: «النشر» لابن الجزري (٢/ ٣٠٤).

(٦) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٣٧٤)، و«التيسير» (ص: ١٣٨). ذكراها عن نافع، ولم يفرقا بين ورش وقالون.

(٦٣) ـ ﴿ تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾.

قوله تعالى: ﴿ تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا ﴾؛ أي: الرُّسل ﴿إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ يا محمَّد، وهو تسليةٌ له في تكذيب قومِه إيَّاه.

قوله تعالى: ﴿فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾: أي: الشِّرك والمعاصيَ ﴿فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ﴾: فالشَّيطانُ وليُّ المشركين اليومَ، كما كان وليَّ المشركين المتقدِّمين.

وقيل: أي: فهو وليُّ أولئك اليومَ.

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: أي: ولهؤلاء ـ وقيل: لأولئك ـ عذابٌ أليمٌ في الآخرة لا يدفعُه عنهم هو بولايته، وكيف وهو لا يمكنه الدَّفع عن نفسِه، فكيف عن غيره؟!

***

(٦٤) ـ ﴿ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ ﴾: أي: من أمر الآخرة والبعث، ومن أمور الدِّين.

﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً﴾: نصب بالنَّسق على موضع اللَّام من قوله: ﴿لِتُبَيِّنَ﴾؛ لأنَّ معناه: لإرادةِ تبيينِه.

﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾: هم الذين ينتفعون به، وينالون الهدى والرَّحمة.

***

(٦٥) ـ ﴿وَاللَّهُ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآ﴾: وهو من النِّعم التي عدَّها عليهم.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً لِّقَوۡمٍ يَسۡمَعُونَ﴾ القولَ فيتدَّبرونه بقلوبهم، وهو كما قال: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ أَوۡ أَلۡقَى ٱلسَّمۡعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧].

* * *

(٦٦) ـ ﴿وَإِنَّ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَنۡعَٰمِ لَعِبۡرَةً نُّسۡقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيۡنِ فَرۡثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَنۡعَٰمِ لَعِبۡرَةً﴾: تعتبِرون بها في قدرة الله تعالى على إحياء الموتى.

والعِبرةُ: تمثيلُ الشَّيء بالشَّيء لتُعرفَ حقيقته من طريق المشاكلة، ثم بيَّن هذه العبرة بقوله:

﴿نُّسۡقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيۡنِ فَرۡثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ﴾: أي: نعطيكم شرابًا من بطونِ ذوات الألبان من الأنعام، وهي الإبل والبقر والغنم.

﴿لَّبَنًا خَالِصًا﴾: يخرجُ مِن بين فرثٍ ودمٍ، فلا يتعلَّق به منها شيءٌ يؤثِّرُ في لونه وطعمِه، بل يكون سائغًا هنيئًا، سهلَ الجري لمن شربَه، لا يغصُّ به، فكذلك يقدر على إخراجِ ما تبدَّد من أبدان الموتى مِن حيثُ تبدَّد وممَّا اختلط به، حتَّى يخلِّصه من جميع ذلك بدنًا كما كان في الدُّنيا، لا يختلط به من غيره شيء.

وقرأ نافع وابن عامر وعاصم في رواية أبي بكر: ﴿نَسْقِيكُمْ﴾ بفتح النُّون، وقرأ الباقون بضمِّها[1].

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ٣٧٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٨).

وبالفتح من سَقَى، وبالضَّم من أَسْقَى، وهما لغتان في معنًى واحد، قال لَبِيْدٌ:

سَقَى قومي بني مجدٍ وأَسْقَى نُمَيْرًا والقبائِلَ مِنْ هِلالِ[1]

وقيل: سقاه؛ أي: أشربَه، وأسقاه؛ أي: جعل له سِقْيًا؛ أي: شرابًا دائمًا مِن نهرٍ أو لبنٍ أو غيرهما.

وقوله تعالى: ﴿مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ﴾ ولم يقل: (من بطونها)، وهي جمعٌ، لأنَّ الأنعام والنَّعم في المعنى واحد، فصار ذكرُها ذكرَه، فجاز توحيده، وهو كقول الشَّاعر:

وطابَ ألبانُ اللِّقاحِ وبَرَدْ[2]

ردًّا إلى اللَّبن؛ لأنَّه بمعناه.

أو يجعل كنايةً عن (ما)؛ يعني: بطونِ ما ذكرنا، أو عن (أيّ)، تقديرُه: من بطون أيِّها كان فيه اللَّبن.

والفَرْثُ: الثُّفْلُ الذي ينزل إلى الكرش.

***

(٦٧) ـ ﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ﴾: عطف على قوله: (ما في بطونه)؛ أي: ونسقيكم من ثمرات النَّخيل والأعناب سكرًا ونحوَ ذلك.

---

(١) انظر: «ديوان لبيد» (ص: ٧١).

(٢) الرجز بلا نسبة في «معاني القرآن» للفراء (١/ ١٢٩)، و«غريب الحديث» لابن قتيبة (٢/ ٦٤٢)، و«تفسير الطبري» (١٤/ ٢٧٢)، وقبله:

بَال سُهَيْل فِي الفضيح ففسد

وقيل: تتَّصل (مِن) بـ﴿تَتَّخِذُونَ﴾، ثمَّ أعاد (مِن) مع الهاء حين قُدِّمَتِ الأولى؛ إشعارًا بأنَّها اتَّصلَتْ بهذا الفعل.

وقيل: ﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ﴾ عبرة.

وقوله: ﴿تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا﴾: ﴿مِنْهُ﴾ توحيده كتوحيد ﴿بُطُونِهِۦ﴾ بوجوهِه.

والسَّكَرُ: هو خمرُ التَّمر.

وقال ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما وسعيد بن جبير وإبراهيم والشَّعبي وأبو رزين والحسن ومجاهد وقتادة: السَّكَرُ: ما حُرِّمَ من الشَّراب، والرِّزق الحسنُ: ما أُحِلَّ منه[1].

وقيل: السَّكَر: الطُّعم؛ قال الشَّاعر:

جعلْتُ عيْبَ الأكرمِيْنَ سَكَرَا[2]

أي: طُعمًا.

وقيل: هو العصير الذي لو تُرِكَ أيَّامًا يُسْكِرُ، فأُبيْحَ شربُه قبل أنْ يبلغَ حدَّ السُّكْر، ومَنَّ اللهُ تعالى به، والرِّزقُ الحسنُ هو الزَّبيبُ والرُّبُّ[3] والخلُّ، وما يُتَّخذُ من العنب والتَّمر وراء هذا.

---

(١) رواه عنهم الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٢٧٥ ـ ٢٨١). وعن ابن عباس وقتادة رواه أيضاً عبد الرزاق في «تفسيره» (١٤٩٥) و(١٤٩٦).

(٢) بلا نسبة في «تفسير الطبري» (١٤/ ٢٨٤)، و«تفسير الثعلبي» (٦/ ٢٨). ونسب في «مجاز القرآن» (١/ ٣٦٣) لجندل، ولعله جندل بن المثنى الطهوي الذي له ترجمة في «سمط اللآلي» (ص: ٦٤٤).

(٣) في هامش (أ): «الرب: الخالص من كل شيء». وفي «المصباح المنير» (مادة: ربب): الرُّبُّ بالضَّم: دبسُ الرُّطَب إذا طبخ.

وقيل: هو خلُّ التَّمر[١]، كما قلنا، وكان هذا قبل قرار تحريم الخمر، وهو أوَّل الآيات نزولًا فيها.

ولَمَّا ميَّزَ السَّكَرَ مِن الرِّزقِ الحسَنِ قال كبراء الصَّحابة: لو كان فيها خيرٌ لم تُميَّز عن الرِّزق الحسن. فامتنعوا عن شربِها.

ثم نزلَ سائر الآيات فيها على التَّرتيب الذي ذكرناه في (سورة البقرة).

ثم اتِّصال هذا بالأوَّل[٢] أنَّه قال: ومن ثمرات النخيل والأعناب تستخرجون منه عصيرًا يخرجُ مِن قشرٍ قد اختلط به، وكذلك استخلاصُ ما يتبدَّد من الميت ممَّا هو مختلطٌ به، فإنَّكم إذا استخلصتُم العصير من العنب والرُّطبِ بتعليم الله إيَّاكم لم ينبغِ أنْ تُنكروا مثلَه من الله تعالى.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾: أي: يستعملون عقولهم في التَّدبُّر فيها.

***

(٦٨) - ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾: أي: ألهمَها ﴿أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾: قيل: يبنون.

وقيل: يتَّخذون عرائش الكروم، ألهمَها اللهُ أنْ تتَّخذ بيوتًا في هذه المواضع.

***

(١) في (أ): «التين».

(٢) في (ر) و(ف): «بأول الآية».

(٦٩) ـ ﴿ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾.

﴿ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴾: قيل: هي للتَّكثير، كما في قوله: ﴿ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا ﴾ [الأحقاف: ٢٥].

﴿فَٱسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ﴾: أي: السُّبلَ[١] التي ذلَّلها اللهُ لك، والطَّريق الذَّلولُ: التي لا تتوعَّر على سالِكها، وهذا عن مجاهد[٢]. والذُّلُل على هذا صفةُ السُّبل.

وقال قتادة: ﴿ذُلُلًا ﴾؛ أي: مُطيعة[٣]. جمع ذَلُول، وهي على هذا صفة النَّحل.

وقوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا﴾: هو رجوع من[٤] المخاطبة إلى المغايبة توسُّعًا في الكلام؛ أي: من بطون النَّحل، وهي جمع نحلة.

﴿شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ﴾: أي: عسل يُشرَبُ وتختلفُ ألوانُه، فمنها أبيض وأصفر وأحمر.

﴿فِيهِ﴾: أي: في الشَّراب، وهو العسل ﴿شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ﴾؛ أي: مِن أدوائِهم.

وعامَّة الأدوية المعجونةِ لا تخلو منه، وإنْ زعم زاعمٌ أنَّه قد[٥] يَهيج الصَّفراء، فليس مِن شيء إلَّا وقد يضرُّ وينفعُ، وإنَّما المقصد ما فيه من غالب الشِّفاء.

وروي أنَّ رجلًا جاء إلى النَّبيِّ ﷺ فقال: إنَّ أخي قد اشتكى بطنَه، فقال: «اسقِهِ

---

(١) في (أ): «الذلل».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٢٨٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٢٩٠).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٢٨٨).

(٤) في (أ): «عن».

(٥) «قد» ليس في (أ).

عسلًا»، فسقاه عسلًا، فما زاده إلَّا استطلاقًا، فعاد إلى النَّبيِّ ﷺ، فذكر له ذلك، فقال: «اسقِه عسلًا»، فسقاه ثانيًا، فما زادَه إلَّا استطلاقًا، إلى أن سقاه ثالثًا فاستمسَك، فذكر ذلك للنَّبيِّ ﷺ، فقال: «صدقَ اللهُ وكذَبَ بطنُ أخيْكَ»(١).

وقال الحارثُ بن [عبد الله](٢) الأعور: جاء رجلٌ إلى عليٍّ بن أبي طالب رضي الله عنه، فشكا إليه سوءَ الحفظ، فقال: أترجع إلى أهلٍ؟ قال: نعم، فقال: قل لها تعطيك من مهرِها درهمين عن طيب نفسٍ، فاشترِ بهما لبنًا وعسلًا، واشربهما مع شربةٍ من ماء المطر على الرِّيق = تُرْزَقْ حفظًا(٣).

فسُئِلَ الحسين بن الفضل عن هذا، فقال: أخذه من قول الله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا﴾ [ق: ٩]، وفي اللَّبن: ﴿خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ﴾ [النحل: ٦٦]، وفي العسل: ﴿فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ﴾ [النحل: ٦٩]، وفي المهر: ﴿فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا﴾ [النساء: ٤]،

---

(١) رواه البخاري (٥٦٨٤)، ومسلم (٢٢١٧)، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، إلا أن قول النبي ﷺ فيهما: «صدق الله وكذب بطن أخيك» كان قبل الثالثة.

(٢) ما بين معكوفتين من «التقريب»، وفيه: الحارث بن عبد الله الأعور الهمداني الكوفي أبو زهير صاحب علي، كذبه الشعبي في رأيه، وفي حديثه ضعف.

(٣) ذكره الألوسي في «روح المعاني» (٥/ ٣٠٢) نقلًا عن كتاب العياشي من الإمامية. والعياشي هو محمد بن مسعود، من أهل سمرقند، له ما يزيد على مئتي كتاب، توفي نحو سنة (٣٢٠هـ). انظر: «الفهرست» لابن النديم (ص: ٢٤٤).

وروى نحوه ابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٥٦٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٨٦٢)، عن علي قال: إذا اشتكى أحدكم، فليسأل امرأته ثلاثة دراهم أو نحوها، فليشترِ بها عسلًا، وليأخذ من ماء السماء، فيجمع هنيئًا مريئًا، وشفاءً مباركًا. قال ابن حجر في «فتح الباري» (١٠/ ١٧٠): رواه ابن أبي حاتم بسند حسن.

فـإذا اجتمعَـتِ البركة والشِّـفاء والهنـيء والمـريء والخالص والسَّـائغ فلا عجبَ أنْ ينفعَ(١).

وقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾: أي: للذين تفكَّروا، فعلموا أنَّ النَّحلة على صغر جسمها وضعف خِلْقتِها لا تهتدي لصنعة العسل بنفسها، وأنَّ ذلك بصانعٍ(٢) صنعَها، وخالف بينها وبين غيرها من الحشرات الطَّائرة، فاستُدِلَّ بذلك على خالق واحد قادر لا شريك له ولا شبيه.

وقال القشيريُّ: إنَّ الله تعالى عرَّفَ عبادَه في هذه الآية أنَّ التَّفضيل ليس من جهة القياس؛ فإنَّ النَّحل مع خساستِه وقلَّة قيمته وصِغَر جثَّته جعل ما وراءَه عسلًا هو شفاءٌ للنَّاس، والإنسان في كمال صورته وتمام عقله وفطنته وعلوِّ رتبته وأنَّ منهم الأنبياء والأولياء في خصائص كثيرة سواها، ثم جعل فيما وراءهم من الوحشة ما لا يخفى، فأيُّ علَّةٍ أوجبَتْ للنَّحل هذه الفضيلة؟ وأيُّ ذنبٍ للإنسان أوجبَ هذه الوحشة؟ ليس ذلك إلَّا مَحْضَ الاختيار.

وقال: إنَّ الله تعالى أجرى سنَّته أنْ يُخفي كلَّ شيءٍ عزيزٍ في شيءٍ حقيرٍ، جعل الإبريسم في الدُّود وهو أصغر الحيوانات وأضعفها، والعسلَ في النَّحل وهو أضعف الطُّيور، وجعل الدُّرَّ في الصَّدفِ وهو أوحش حيوانٍ من حيوانات البحر، وأودع الذَّهب والفضَّة والفيروزج في الحجر، كذلك أودع المعرفة والمحبَّة له في قلوب المؤمنين، وفيهم مَن يخطئ، وفيهم مَن يَعصي(٣).

* * *

---

(١) ورد هذا عند الألوسي من ضمن كلام علي بن أبي طالب رضي الله عنه عند العياشي.

(٢) في (أ): «لصانع».

(٣) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٢/ ٣٠٦ـ٣٠٧).

(٧٠) ـ ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ ۚ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَىْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾.

قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ ۚ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ ﴾: أي: أردئه، وقد رَذُلَ رَذَالَةً، من حدِّ (شرُف).

وقال عليٌّ رضي الله عنه: هو إذا بلغ خمسًا وسبعين سنة[1].

وقال قتادة: إذا بلغ تسعين سنة[2].

فيتعطَّل عن العمل والتَّصرف والاكتساب والحجِّ والغزو ونحوها، فيخرف، فينكر عقله، وذلك قوله: ﴿لِكَىْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا﴾ ممَّا كان يعلمه.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ﴾ بالعباد ﴿قَدِيرٌ﴾ على إبقائهم وإفنائهم ونقلهم[3] من حالٍ إلى حالٍ، من الصِّبا إلى الشَّباب، ثم إلى الكهولة، ثم إلى الشَّيب، ثم إلى الخرف.

***

(٧١) ـ ﴿ وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلرِّزْقِ ۚ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُوا۟ بِرَآدِّى رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَآءٌ ۚ أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلرِّزْقِ ۚ ﴾: فجعل منهم الغنيَّ والفقير، والمستكثِر والمقِلَّ.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٢٩٢).

(٢) في (ر) و(ف): «سبعين سنة»، والمثبت من المصادر. انظر: «تفسير الثعلبي» (١٦/ ٧٨) ط: دار التفسير، و«البسيط» (١٣/ ١٢٨)، و«تفسير البغوي» (٥/ ٣٠).

(٣) في (ر) و(ف): «ويقلبهم».

وقوله تعالى: ﴿فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُواْ بِرَآدِّي رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَآءٌ﴾: أي: فليس الأغنياء الـمُفضَّلون في المال على غيرهم رادِّين ما رزقَهم اللهُ على مماليكهم؛ أي: جاعلين لهم في أموالهم شركاء حتى يكون المالكون والمملوكون سواءً في التَّبسُّط فيه والإنفاق منه، وحتى يشركوهم في نسائهم وإمائهم[1]؛ أي: وإذا كنتُم لا ترضون بهذا من أنفسكم في أملاككم فكيف تحكمون به في أملاكي وهم خلقي وعبيدي فتجعلوهم لي شركاء؟!

وقوله تعالى: ﴿أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾: أي: إذا أشركْتُم معي غيري فقد جحدْتُم نعمتي؛ لأنَّ النِّعمَ كلَّها منِّي، والعبادة والشُّكر والطَّاعة لا تحقُّ إلَّا لي.

وقرأ عاصم في رواية أبي بكر: ﴿تجحدون﴾ بتاء المخاطبة، كما قال في أوَّله: ﴿فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلرِّزْقِ﴾، والباقون بياء المغايبة كما قال: ﴿بِرَآدِّي رِزْقِهِمْ﴾[2].

قال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: نزلَتْ في نصارى بني نجران حين قالوا: إنَّ عيسى ابنُ الله، فقال: هل أنتم تشركون عبيدكم معكم في أملاككم[3]، فإذا لم ترضوه لأنفسكم فكيف رضيْتُم به لي[4]؟!

وقيل: نزلَتْ في قول المشركين في التَّلبية، فإنَّهم كانوا يقولون: لبَّيك لا شريك لك إلَّا شريكاً هو لك، تملكُه وما ملك.

* * *

(١) في (ر) و(ف): «بساتينهم وأماكنهم».

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ٣٧٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٨).

(٣) في (ف): «أموالكم».

(٤) ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ٤٦٨).

(٧٢) - ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ۚ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾: وهذا ذِكْرُ نعمةٍ أخرى؛ أي: أمُّهُنَّ حوَّاء خُلقَتْ مِن آدم.

وقيل: ﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾؛ أي: بشرًا مثلَكم، كما قال: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [التوبة: ١٢٨]؛ ليتمَّ لكم من أنفسكم التآلفُ والسُّكون[١].

وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾: قال عبد الله وأبو الضُّحى[٢] وإبراهيم وسعيد بن جبير: أي: أختانًا[٣].

وقال ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة وطاوس: أي: خدمًا[٤]. وعلى هذا قوله: ﴿بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾ هم[٥] واحدٌ، والخدم[٦] من البنين.

وقيل: هم ولد الولد، وهم[٧] النَّوافل.

وقيل: هم الأعوان، وقال جميل:

---

(١) في (أ): «ليتم لكم التآلف والسكون»، وفي (ف): «ليتم لكم البينات ويزيل عنكم الشكوك».

(٢) في (ف): «قال عبيدة»، وفي (أ) و(ر): «قال أبو عبد الله وأبو الضحى»، والصواب المثبت. انظر التعليق الآتي.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٢٩٥ - ٢٩٧) عن عبد الله بن مسعود وابن عباس رضي الله عنهم وأبي الضحى وإبراهيم وسعيد بن جبير.

(٤) رواه عنهم الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٢٩٨).

(٥) «هم» ليس في (أ).

(٦) في (أ): «الخدمة».

(٧) في (ر) و(ف): «وقيل هم».

حَفَدَ الولائِدُ حولَها واستسلَمَتْ بِأَكُفِّهِنَّ أَزِمَّةُ الأجمالِ[(١)]

وأصلُ الحَفْدِ: الإسراعُ في العمل، ومرَّ البعيرُ يَحفِدُ حَفَدانًا، ومنه قول الدَّاعي في القُنوت: «وإليك نسعى ونحفِدُ»[(٢)].

---

(١) نسب لجميل في «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١/ ٣٦٤)، و«الغريبين» للهروي (٢/ ٤٦٣)، و«النكت والعيون» (٣/ ٢٠٢). وجميل: هو ابن عبد الله بن معمر العذري، من شعراء الدولة الأموية.

ونسب للأخطل في «غريب الحديث» لأبي عبيد (٤/ ٢٦٥).

ونسب لحميد في «تفسير الطبري» (١٤/ ٣٠٢).

ونسب لأمية بن أبي الصلت كما ورد في حديث ابن عباس رضي الله عنهما في «المعجم الكبير» للطبراني (١٠٥٩٧).

ونسب لكثير عزة كما في «عمدة الحفاظ» للسمين الحلبي (١/ ٤٣٠).

وقوله: «حولها واستسلمت» كذا وقع في النسخ الثلاث، وفي المصادر: «حولهن وأُسلمت».

(٢) قطعة من دعاء القنوت روي عن عدد من الصحابة منهم:

علي رضي الله عنه؛ رواه عنه عبد الرزاق في «مصنفه» (٤٩٧٨)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٧٠٢٩).

وعبد الله بن مسعود رضي الله عنه. رواه عنه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٦٨٩٣).

ورواه أبو داود في «المراسيل» (٨٩)، والبيهقي في «الدعوات الكبير» (٣٨٢)، من طريق خالد بن أبي عمران عن النبي ﷺ مرسلاً.

ورواه عبد الرزاق في «مصنفه» (٤٩٦٩)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٧٠٢٧) والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (١/ ٢٤٩)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٢/ ٢٩٨)، من طريق ابن جريج، عن عطاء، عن عبيد بن عمير: (أن عمر بن الخطاب قنت..)، فذكره مطولاً. وللحديث طرق كثيرة، بعضها مرفوع وبعضها مرسل، واختار هذه الطريق البيهقي ورجحها. وانظر: «البدر المنير» (٤/ ٣٧٠ـ ٣٧٢)، و«نصب الراية» (٢/ ١٣٦).

وقوله تعالى: ﴿وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾: أي: الأطعمة الشَّهية، وقيل: الحلال[١].

﴿أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ﴾: أي: فيما جعل لكم الشَّيطان من تحريم بعض الطَّيِّبات في الزُّروع والأنعام تؤمنون، فتجعلونه دينًا وهو باطل.

﴿وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ﴾: التي أنعم الله عليهم في إحلالها ﴿هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ فهذا منكر عجيب.

***

(٧٣) - ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾.

وقوله: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ﴾؛ أي: جمادًا لا يملك ﴿لَهُمْ رِزْقًا﴾؛ أي: ترزيقًا ﴿مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ شَيْـًٔا﴾ مفعول بوقوع فعل الرِّزق عليه؛ أي: لا يقدرون أن يرزقوهم[٢] من السَّماء مطرًا، ولا من الأرض نباتًا.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾: أي: بأنفسِهم، والأوَّل: ﴿لَا يَمْلِكُ﴾؛ أي: لا يملكون الأمر به[٣]، نفى السُّلطان والقدرة عنهم جميعًا، وقد يملك الإنسان مالًا فلا يعطي، لكنه يستطيع أن يعطي إذا أراد، فيقول: الأصنام لا ملك ولا قدرة لها.

ثم وحَّد ﴿يَمْلِكُ﴾ للفظ ﴿مَا﴾، وجمع ﴿يَسْتَطِيعُونَ﴾ لمعنى ﴿مَا﴾؛ لأنه أُريد به الجمع.

***

---

(١) في (أ) و(ف): «الحلالات».

(٢) في (أ): «لا يقدر أن يرزقهم».

(٣) «به» ليس في (أ).

(٧٤) ـ ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾: أي: لا تصفوا لله الأشباه[1] ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ﴾ صوابَ الأمثال من خطئِها ﴿وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ذلك.

وقيل: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾ من الشَّياطين تقبلون[2] تحريمهم وتحليلهم، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ﴾ المصالحَ والحِكَمَ فيما يُحِلُّ ويُحرِّم، ﴿وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ذلك فتُحلُّوا وتحرِّموا.

وقيل: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ﴾ وعيدٌ؛ أي: يعلم ما تصنعون قولًا وفعلًا وعَقْدًا، فيجازيكم على ذلك كلِّه.

قال القشيريُّ: تعليق القلبِ بشخصٍ أو سببٍ مُضاهٍ لعبادة الأصنام، من حيثُ إنَّه يضيِّع الوقت فيما لا يعنيه، ويمحقُ الزَّمانَ فيما لا يُجدي على صاحبه بشيء ولا يُغنيه، ومَن ضيَّع فيما لا يعنيه وقته، استجلب من الله في التَّحقيق مقته[3].

***

(٧٥) ـ ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا﴾: روى ابن جريج عن عطاء: ﴿عَبْدًا مَّمْلُوكًا﴾: هو أبو جهل بن هشام ﴿لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ لا يملك لنفسه في

---

(١) في (ف): «لا تصف الله بالأشباه».

(٢) في (ر): «من الشياطين ما يفعلون من».

(٣) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٢/ ٣٠٩)، وسقط أكثر الكلام من مطبوعه.

الكون تصرفًا[1]، ﴿وَمَن رَّزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا﴾: هو أبو بكر الصِّديق رضي الله عنه ﴿فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا﴾[2].

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ﴾؛ يعني: أبيَّ بن خلف الجمحيَّ، ﴿هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾؛ يعني: حمزة وعثمان بن مظعون[3].

وقيل: عثمان بن عفان[4].

وقال مقاتل: ﴿عَبْدًا مَّمْلُوكًا﴾ هو هشام بن عَمرو بن الحارث بن ربيعة القرشيُّ، كان رجلًا قليل الخير، يعادي رسول الله ﷺ، ﴿وَمَن رَّزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا﴾؛ يعني:

---

(١) قوله: «﴿لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ لا يملك لنفسه في الكون تصرفًا» من (ف)، ولم يرد في باقي النسخ والمصادر.

(٢) قوله: «﴿فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا﴾» من (ف)، ولم يرد في باقي النسخ والمصادر. والخبر ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٦/ ٣٢)، والواحدي في «البسيط» (١٣/ ١٤٣)، والبغوي في «تفسيره» (٥/ ٣٣)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ٤٧٢).

(٣) ذكره الواحدي في «البسيط» (١٣/ ١٤٣) من رواية عطاء عن ابن عباس، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٦/ ٣٣)، والبغوي في «تفسيره» (٥/ ٣٤)، من قول عطاء، وفيهما: (حمزة وعثمان بن عفان وعثمان بن مظعون).

(٤) رواه ابن سعد في «الطبقات» (٣/ ٦٠)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٢٠٣٩)، والبخاريّ في «تاريخه» (١/ ٣٠٦)، والطبري في «تفسيره» (١٤/ ٣١٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٢٩٣)، والثعلبي في «تفسيره» (٦/ ٣٢)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢٧٩ـ ٢٨٠)، والضياء في «المختارة» (٩/ ٤٨٥)، عن ابن عباس رضي الله عنهما. وزاد بعضهم: (والأبكم الذي أينما يُوَجِّهُ لا يأت بخير، ذاك مولى عثمان بن عفَّان، كان عثمان ينفق عليه ويكفله ويكفيه المؤونة، وكان الآخر يكره الإسلام ويأباه وينهاه عن الصدقة والمعروف، فنزلت فيهما).لفظ الطبري، وجاء في رواية الواحدي أن المولى المذكور هو أسيد بن أبي العيص.

المؤمن، وقوله: ﴿أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ هو أبو العاص بن أميَّة بن عبد شمس(١).

قوله: ﴿وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ﴾؛ أي: ثقيل على وليِّه وعيال عليه(٢).

وقوله تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ وهذا مثلٌ ضربه اللهُ لنفسِه سبحانَه وللأصنام.

ويقال: هو مثلٌ للمؤمن والكافر:

أمَّا الأوَّل: فقوله: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ۖ هَلْ يَسْتَوُۥنَ﴾ يقول: إنَّ مَن يعبدُ الوثن(٣) أو شيئًا مِن دون الله فإنَّما يعبد عبدًا من عباد اللهِ وخَلقًا من خلقِه، لا يقدر لعابده(٤) على جزاءٍ ولا ثواب، ومَن يعبد الله فإنَّما يعبدُ مَن يقدر على كلِّ شيءٍ، ومَن بيده كلُّ رزقٍ حسنٍ، فهو يجازي به العابد له. هذا معنى قول الحسن(٥).

والتَّمثيل مطَّردٌ في كلِّ معبود من دون الله من جمادٍ وذي روحٍ؛ لأنَّ الجميعَ خلقُ الله تعالى، كالعبد للآدميين، ولا يملك شيء منه ما يملكه الله تعالى، ولا يقوم بتدبير العالم في أرزاقهم.

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٤٧٨ ـ ٤٧٩).

(٢) في (ر) و(ف): «مقل وله عيال عليه».

(٣) في (أ): «الصنم».

(٤) في (أ): «العباده».

(٥) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٢٩٣) عنه في قوله: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ قال: الصنم.

يقول: إن كنتم معاشرَ عبادي لا تسوُّون بين المملوكِ منكم الفقير المعدَم وبين الحرِّ الغنيِّ الموسِر، فكيف تسوُّون بيني وبين غيري في العبادة، وأنا الغنيُّ القادرُ ومَن دوني فقير عاجز؟!

وأمَّا الثَّاني: فهو أنَّ المَثل للكافر الذي قد حَرَمَه اللهُ التَّوفيق، فهو لا يحصل منه عملٌ صالحٌ، ولا يوفَّقُ لبابٍ من أبواب الطَّاعة، فهو كالعبد المملوك الذي لا يقدر على شيءٍ ينفِقُ[1] منه في باب تكرمةٍ أو قضاءِ حقٍّ، ومَثل المؤمنِ الموفَّق للطَّاعات التي[2] تحصل منه من الخيرات والأعمال الصَّالحة مِن حيثُ يعلم النَّاس ومن حيث لا يعلمون.

والإنفاقُ[3] يُعبَّر به عن العمل، وقد ذهب بعضُ المفسِّرين في قوله: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢]؛ أي: حتى تعملوا الطَّاعات، ويقال لمن أكثر الكلام: أمسكْ عليك نفقتَك.

والسِّرُّ والجهرُ مثلان للأعمال التي يُجهَر بها ،كالصَّلوات المفروضة، والإعلانِ بالشَّهادة لله في التَّوحيد[4]، والأذكارِ التي أُمِرَ النَّاس بالجهر بها، ومنها الحجُّ والجهادُ والأعمالُ التي تظهر للنَّاس.

والسِّرُّ: النَّوافل التي يخلو بها المرءُ في بيتِه وحيثُ لا يُعلَم به كدعاءِ السِّرِّ.

وقوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾: أي: المستَحِقُّ للشُّكر والثَّناء والمدح كلِّه هو الله؛ لأنَّ النِّعم في الدِّين والدُّنيا كلِّها منه.

---

(١) في (ر): «يؤت».

(٢) في (ر) و(ف): «الذي».

(٣) في (ر) و(ف): «وفي الإنفاق قد».

(٤) في (أ): «وبالتوحيد» بدل: «في التوحيد».

وقوله: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾: ﴿بَلْ﴾: ردٌّ لِمَا قالوا من استحقاق الأصنامِ العبادةَ والشُّكرَ أنَّها ليس منها إنعام عليهم فتستحقَّ ذلك منهم، وأكثرُهم لا علمَ عندهم إنَّما هم مقلِّدون جُهَّال، استحسنوا عبادةَ غيرِ الله على غير بصيرةٍ اتِّباعًا للآباء.

***

(٧٦) ـ ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾:

الأبكمُ: الأخرس، والكَلُّ: العيال، ومولاه: ابنُ عمِّه وقريبُه.

وهذا المثل الثَّاني ضربَه اللهُ لنفسِه وللأوثان، فالذي كالأبكم الذي لا يقدر على شيء؛ أي: لا يقوم بإمساكِ نفسِه وتدبير أمرِه، فهو كَلٌّ؛ أي: عيالٌ على مولاه؛ أي: على قريبِه وابن عمِّه الذي يدبِّر أمرَه، أو على مَن يتولَّى من الأجانب أمرَه ويقومُ بأسبابه، أينما يوجِّهه مولاه في أمرٍ يَعْرِضُ أو حاجةٍ تقعُ أو رسالةٍ تؤدَّى فإنَّه لا يأتيه بخير؛ لأنَّه لا يُعربُ[1] عن نفسِه، ولا ينطق فيترجِمَ نطقُه عمَّا في ضميره، فالمستعين به خائبٌ من نفعه؛ لأنَّه لا يأمر ولا ينهى، ولا يُفصح عن حقٍّ ولا باطل، فكذا الوثن إنَّما يقوم بأمرِه غيرُه، فيُحمَل ويُنقَل مِن موضعٍ إلى موضعٍ، ويُصلَح ما يتشعَّث[2]

---

(١) في (ر) و(ف): «يعبر».

(٢) في (ر): «يتشعب».

منه، ويُماطُ عنه ما يَعلقُ به مِن قذًى أو أذًى، وكلُّ ما يسألُه عابدُه ويدعوه له ويرجوه من عبادته فإنه لا يجدُه عندَه؛ لأنَّه لا يعقِلُ ولا يتكلَّمُ، فهو كَلٌّ على عابدِه، يتكلَّفُ مُؤْنَتَهُ، ولا يرجو معونتَه.

وقال الكلبيُّ: ﴿أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾: مثَلُ الوثنِ، ﴿وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ﴾: هو الله تعالى، يأمر بشهادةِ أنْ لا إله إلَّا الله، ﴿وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾؛ يعني: يدلُّكم[1] على طريق مستقيم[2].

وفي قوله: ﴿وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ﴾ فيه إثباتُ جميعِ ما نفاه عن الأوَّل:

فإنَّ قولَه تعالى: ﴿أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ﴾ فيه نفي الكلام، وفي الأمر بالعدل إثبات الكلام.

وقوله: ﴿لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾، والآمر بالعدل قادرٌ على كلِّ شيء.

وقوله: ﴿وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ﴾، ومَن يأمرُ بالعدل فغيرُه يكون كَلًّا عليه، وهو يَمُونهم ويقضي حوائجهم.

وقوله: ﴿أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ﴾، والآمرُ بالعدل يأتي بكلِّ خيرٍ.

* * *

(٧٧) ـ ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

---

(١) في (ر) و(ف): «بذلك».

(٢) ذكر الثعلبي في «تفسيره» (٦/ ٣٢) عن الكلبي قوله: «يعني وهو يدلكم على صراط مستقيم».

وقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾: يجوز أن[١] يتصل بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾.

وقيل: إنَّ المشركين كانوا ينكرون البعث، ويقولون: متى السَّاعة؟ فإذا قيل لهم: هو مكتوم، قالوا: لو كان لكان له وقتٌ معلومٌ، فقال: ﴿وَلِلَّهِ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾؛ أي: الله مالك ما غابَ عن العباد في السَّماوات والأرض، ويملك إظهار ما غابَ من ذلك كلِّه، فيملك إظهار السَّاعة، كما قال: ﴿لَا يُجَلِّيهَا لِوَقۡتِهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [الأعراف: ١٨٧].

وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَمۡرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمۡحِ ٱلۡبَصَرِ﴾: أي: كنظرِ البصر؛ أي: إنَّها تأتي بغتة في أسرع وقتٍ، كما قال: ﴿لَا تَأۡتِيكُمۡ إِلَّا بَغۡتَةً﴾ [الأعراف: ١٨٧].

وقوله تعالى: ﴿أَوۡ هُوَ أَقۡرَبُ﴾ ليس هذا للشَّكِّ، بل معناه: مَثِّلوها بأيِّهما شئْتُم فهو صوابٌ، كما يُقال: جالسِ الحسنَ أو ابنَ سيرين.

وقيل: هو لشكِّ المخاطَب؛ أي: كونوا[٢] في كونها على هذين الوسمين[٣].

وقال ابن عبَّاس: ﴿أَوۡ هُوَ أَقۡرَبُ﴾؛ أي: بل هو أقربُ[٤].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾: هذا ظاهر.

* * *

(٧٨) - ﴿وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾.

---

(١) «يجوز أن» ليس في (أ).

(٢) في (ف): «كونه شاك» بدل: «أي كونوا».

(٣) في (أ): «الوجهين».

(٤) لم أقف عليه عن ابن عباس رضي الله عنهما، وذكره مقاتل في «تفسيره» (٢/ ٤٧٩).

وقوله: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ﴾: ومِن النِّعمِ التي عدَّها هذا، وقوله: ﴿أَخْرَجَكُم﴾ إثبات عجزنا في الابتداء؛ يعني: لم تكونوا قادرين بأنفسكم على الخروج فأنا أخرجتُكم.

﴿لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾: فأنا علَّمتكم، وقولُه: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ [البلد: ١٠]، قيل: هو الهداية إلى رضاع الثَّديين.

وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾: راجعٌ إلى هذا؛ أي: جعل لكم آلات العلم والفهم.

وفي إثباتِ السَّمع إثباتُ النُّطق؛ لأنَّ مَن لم يسمَع لا يقدر على أن يتكلَّم.

يقول: خلقَكم وأعطاكم هذه الأعضاء السَّليمة، وأودعَها هذه المعانيَ؛ ليكلِّفَكم شكرَه بما أعطاكم، ويتعبَّدكم بشرائِعه لتشكروا له على صنائعه.

وقال القشيريُّ رحمه الله: جعلْتُ لكم السَّمع لتسمعوا خطابي، والأبصار لتعتبروا بأفعالي، والأفئدة لتعرفوا حقِّي، ثم تشكروا عظيم إنعامي بما أُنعمُ عليكم مِن هذه الحواسِّ(١).

* * *

(٧٩) - ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ﴾: وهذا تنبيهٌ على الاعتبارِ بما يرونَه من الطَّير، وهو جمع طائرٍ.

---

(١) في (أ): «الخواص». انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٢/ ٣١٠).

﴿مُسَخَّرَٰتٍ﴾؛ أي: مذلَّلاتٍ في الهواء المرتفعِ من الأرض، وأضاف الجوَّ إلى السَّماء لأنَّ المراد: ما ارتفعَ من الهواء إلى جهة السَّماء.

﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ﴾: أي: ما يمسِكُ هذه الطُّيور في الهواء إلَّا الله بما أنبتَ لها من الأجنحة، وسخَّرها للطَّيران.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾: أي: في تسخير الطَّير للطَّيران ﴿لَأٓيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ لأنَّها تدلُّ على خالقٍ خلقَها لا يشبِهُ خلقَه، وسخَّرها بقدرتِه، فإنَّها ما صارَتْ كذلك بأنفسِها، بل بمسخِّرٍ سخَّرها، وخصَّ المؤمنين بها لأنهم هم المنتفِعون بالتَّفكُّر فيها.

* * *

(٨٠) ـ ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ۙ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا﴾: أي: من بيوت الحجر والمدَر والخشب موضعَ سُكْنى في الحضر.

﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ﴾: وهي الفساطيطُ والأخبيةُ وقِبابُ الأَدَمِ والأنطاع، يخفُّ عليكم حملُها ونقلُها(١) في الأسفارِ وما دونها خارجَ القُرى والأمصار يومَ ارتحالِكم.

والظَّعنُ بفتح العين وتسكينها: الارتحالُ.

قوله: ﴿وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ﴾: قرارِكم في منازلكم.

---

(١) في (أ) و(ر): «وثقلها».

﴿وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا﴾: أي: وجعل لكم من أصواف الأنعام وأوبارها وأشعارها ﴿أَثَاثًا﴾؛ أي: أمتعة وثيابًا تصلح للحضر والسَّفر، منها ثيابٌ تُلْبَس، ومنها ما يُفرَش[١]، ومنها ما يُنْصبُ[٢] كأخبية الشَّعر واللُّبُود، والأصواف للضَّأن، والأوبار للإبل، والأشعار للمعز.

﴿وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ﴾: أي: يجعلون منها أثاثًا ينتفعون[٣] به أيَّام الحياة.

والأثاثُ: متاعُ البيتِ الكبير، من قولهم: شَعْرٌ أثيثٌ؛ أي: كثير، وأثَّ النَّبْتُ يأَثُّ[٤] أثاثًا: إذا كَثُر والتفَّ، وكذلك الشَّعر، ولا واحدَ للأثاث.

***

(٨١) - ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَالًا﴾: كالشَّجر وما يُستَظلُّ به.

﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا﴾: جمع كِنٍّ، وهو السَّتر؛ أي: ستورًا من الأنداء[٥] ونحوها، وهي الكهوف يُتوقَّى بها من المطر والحرِّ والبرد.

﴿وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ﴾: قال قتادة: السِّربالُ: القميصُ من القطنِ والكتَّان والصُّوف[٦].

---

(١) في (ر): «ومنها ثياب تفرش»، وفي (ف): «ومنها تفرش».

(٢) في (ف): «ومنها تنصب».

(٣) في (أ) و(ف): «يتمتعون».

(٤) «يأث» مثلثة العين. انظر: «القاموس» (مادة: أثث).

(٥) الأنداء: جمع الندى، وهو المطر والبلل. انظر: «الصحاح» (مادة: ندا).

(٦) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٥٠٨)، والطبري في «تفسيره» (١٤/ ٣٢١).

وقال الزَّجَّاجُ: كل ما لبسْتَه فهو سِربال[1].

وإنَّما قال: ﴿تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾ ولم يذكر البرد، وإن كان ما يقي البرد أعظمَ في المنَّة؛ لأنَّ الذين خُوطبوا بهذا أهل حَرٍّ[2] في بلادهم، فحاجتُهم إلى ما يقي الحرَّ أشدُّ. قاله عطاء[3].

ولأنَّ ذِكْرَ أحدهما ذِكْر الآخر بتفاهم النَّاس[4]، وهو كقول الشَّاعر:

وما أدري إذا يَمَّمْتُ أرضًا ... أريدُ الخيرَ أيُّهما يليني[5]

ذكر الخير[6] وكنَى عن اثنين، وهما الخيرُ والشَّر.

وقوله تعالى: ﴿وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ﴾: أي: ودروعًا من الحديد تردُّ عنكم سلاحَ عدوِّكم في قتالِكم. والبأسُ: شدَّةُ الحرب.

﴿كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ﴾: فلا يدعُ شيئًا ممَّا بكم الحاجةُ إليه في دينِكم ودنياكم إلَّا أعطاكموه تامًّا، تقع به الكفاية.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٢١٥).

(٢) في (أ): «الحر».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٣٢٣).

(٤) في (ر): «تبعا للناس».

(٥) البيت للمثقب العبدي من قصيدة له في «المفضليات» للضبي (ص: ٢٩٢)، وانظر: «ديوانه» (ص: ٢١٢)، و«معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٢٧٩). ودون نسبة في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ١١٢). وبعده:

أألخيرُ الذي أنا أبتغيه ... أمِ الشَّرُّ الذي هو يبتغيني

(٦) في (أ): «ذكر اثنين».

﴿لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾: أي: لتُسْلموا وتُخْلِصوا لله، وتجعلوا أنفسكم سالمةً له مُسْلمةً إليه.

***

(٨٢) - ﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾.

وقوله: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾: أي: فإنْ أعرضوا عن تدبُّر ما عدَّدْتُ من النِّعم والآيات، وختمْتُ ذلك بالدُّعاء إلى الإسلام بقولي: تُسلمون[١]، وعن قَبولِه والإيمان بك فيما أتيتَهم به[٢]، فلا تبعةَ عليك في ذلك ولا لوم[٣]؛ ولأنَّ الذي عليك هو التَّبليغ الظَّاهر، وقد فعلْتَ.

***

(٨٣) - ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾: أي: يعرفون بقلوبِهم نعمةَ اللهِ عليهم بك يا محمَّد، ثم ينكرونها بألسنتهم فيجحدون نبوَّتك، وأكثرُ هؤلاء المشركين هم الكافرون النِّعمةَ التي نالوها[٤] بك.

وهو وصفٌ للمعاندين[٥] منهم، كما قال: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا﴾ [النمل: ١٤]، وقال: ﴿يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾ [البقرة: ١٤٦].

---

(١) في (أ): «تقول لكم يسلمون»، وفي (ف): «بقول مسلمون» بدل من «لقولي مسلمون».

(٢) في (ر) و(ف): «به منه».

(٣) في (ر) و(ف): «لزوم».

(٤) في (ر): «أوتوها»، وفي (ف): «ولوها».

(٥) في (ف): «وهو صفة للكافرين المعاندين».

وقال الحسن: ﴿وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾؛ أي: وجميعُهم[١]، وهو كقوله: ﴿فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ٤٦]؛ أي: فلا يؤمنون شيئًا.

وهو كقول العرب: هذه الأرض قلَّما تنبت الكلأ؛ أي: لا تُنبت شيئًا.

وقيل: بل هو على حقيقته؛ لأنَّه كان فيهم مَن لم تَقُم عليه الحجَّة به ممَّن لم يبلغ حدَّ التَّكليف، أو هو مَؤُوفٌ[٢].

وقال بعض المفسِّرين: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ﴾: هي محمَّدٌ ﷺ.

وقيل: هو جميع ما سبق تقريرُه في هذه السُّورة.

وإنكارُهم هذه النِّعمة مثلُ ما حُكِي أنَّ بعضَهم ذكرَ هذه النِّعم فقال: ورَّثنيها آبائي؛ أي: الأنعامَ والأثاثَ والبيوت[٣]، وكان بعضهم يقول: نلناها بشفاعةِ آلهتنا.

وقال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ﴾: هو قولهم حين سألهم: ﴿مَّنْ خَلَقَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٧٠]، و﴿مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ [العنكبوت: ٦٣]، قالوا: الله، ﴿ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾ بقولهم للأصنام: هؤلاء شفعاؤنا عند الله[٤].

وقال عون بن عبد الله: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾ هو قول الرَّجل: لولا فلانٌ ما أَصبْتُ كذا[٥].

* * *

---

(١) ذكره الماوردي في «تفسيره» (٣/ ٢٠٧)، والواحدي في «البسيط» (١٣/ ١٦٤).

(٢) مؤوف من الآفة وهي: العاهة، أو عرض مفسد لما أصابه. انظر: «القاموس» (مادة: أوف). ولعل المراد هنا فساد العقل الذي يرتفع معه التكليف.

(٣) «والبيوت» من (أ).

(٤) بمعناه في «تنوير المقباس» للفيروزابادي (ص: ٢٢٨).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٣٢٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٢٩٦).

(٨٤) - ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾: أي: واذكرْ يا محمَّد يومَ نبعثُ من كلِّ أمَّة شهيدًا، وهو النَّبي يشهد على أمَّته بما كان[1] مِن إجابةِ مَن أجابَ وردِّ مَن ردَّ.

ومعنى الشَّهادة مع أنَّ الله تعالى عالمٌ بجميعِ ذلك: أنَّ هذا أهولُ[2] في النُّفوس، وأشدُّ في الفضيحة، وأردعُ إذا تأمَّلها المخوَّف بها.

وقيل: اتِّصالها بما قبلها: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾ اليومَ ويوم نبعثهم ينكرون ذلك أيضًا.

وقيل: هو موصولٌ بقولِه: ﴿يَعْرِفُونَ﴾؛ أي: يعترفون بذلك[3] يوم القيامة.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾؛ أي: في الاعتذار عمَّا كان منهم في الدُّنيا من الإنكار، كما قال: ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾ [المرسلات: ٣٦]، ومعنى: ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ﴾؛ أي: لا يُسمَع عذرُهم ولا يُقبَل.

وقيل: ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ﴾؛ أي: يُحجبون عن ربِّهم، كما قال: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥]، ومجازه قولهم: أذنَ السُّلطانُ لفلانٍ، وخرج له الإذن؛ أي: بالدُّخول عليه ولقائه.

---

(١) في (أ): «يشهد على الأمة مما كان»، وفي (ر): «يشهد على أن الأمَّة ممن كان».

(٢) في (ف): «القول فحش».

(٣) في (أ): «ذلك» بدل من «أي: يعترفون بذلك».

وقوله تعالى: ﴿وَلَا هُمۡ يُسۡتَعۡتَبُونَ﴾؛ أي: ولا يؤمرون بالكفِّ في معصيةٍ[١] كانوا يرتكبونها؛ لأنَّه ليس بيومِ تكليفٍ.

والاستعتابُ في الدُّنيا كذلك، فإنَّه يُقال: أساء إليَّ فلانٌ فعتبتُ عليه[٢]؛ أي: أظهرْتُ الموجدة فعاتبْتُه بذلك؛ أي: ذاكرْتُه به[٣]، واستعتبْتُه؛ أي: سألتُه وطلبْتُ منه أنْ يمتنِعَ عن ذلك ليرضيَني، فأعتبني؛ أي: أرضاني بترك ذلك، والعودِ إلى ما أحبُّه.

***

(٨٥) ـ ﴿وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلۡعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمۡ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلۡعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمۡ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ﴾: ﴿ظَلَمُواْ﴾؛ أي: أشركوا، فوضعوا العبادةَ في غير موضعها، وضرُّوا بذلك أنفسَهم، ونقَصوها حظَّها، ورأوا العذابَ الذي أُعِدَّ لهم في الآخرة، وذلك إذا دخلوا إلى جهنَّم، فلا يهوَّن عليهم، ﴿وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ﴾: يُمهَلون للإيمان.

وقيل: ﴿فَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمۡ﴾ ساعةً فيستريحوا، ولا يمهَلون للدُّخول إذا انتهوا إليها.

***

(٨٦) ـ ﴿وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ شُرَكَآءَهُمۡ قَالُواْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدۡعُواْ مِن دُونِكَۖ فَأَلۡقَوۡاْ إِلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلَ إِنَّكُمۡ لَكَٰذِبُونَ﴾.

---

(١) في (ر) و(ف): «بالكف عن معصيته التي».

(٢) في (ر) و(ف): «فإنه يقال أتينا إلى فلان نعتب عليه».

(٣) في (ف): «أي ذاكرته» بدل من «إذا ذاكرته به».

قوله: ﴿وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ شُرَكَآءَهُمْ﴾: أي: إذا رأوا أصنامَهم التي أشركوها في عبادتهم إيَّاها مع اللهِ وقد حُشِرَتْ معهم ليوبَّخوا بها.

﴿قَالُواْ رَبَّنَا﴾؛ أي: يا ربَّنا ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدْعُواْ مِن دُونِكَ﴾؛ أي: هم أضلُّونا، فافعل بهم كذا.

﴿فَأَلْقَوْاْ إِلَيْهِمُ ٱلْقَوْلَ﴾: أي: فقال الشُّركاء في جوابهم:

﴿إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ في قولكم: إنَّا آلهةٌ، وفي إضافتكم الإضلالَ إلينا.

* * *

(٨٧) ـ ﴿وَأَلْقَوْاْ إِلَى ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ ٱلسَّلَمَ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾.

﴿وَأَلْقَوْاْ إِلَى ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ ٱلسَّلَمَ﴾: أي: واستسلمَ هؤلاء المشركون لحكم الله، وذلُّوا، وسقط تكبُّرهم ﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾ من قولهم: هم شفعاؤنا، بطلَ ذلك القولُ، فلا شفاعةَ ولا نصرةَ.

* * *

(٨٨) ـ ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفْسِدُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: هم كبراء المشركين، كفروا نعمةَ اللهِ، وصدُّوا النَّاس بالتَّمويه عن دين الله.

﴿زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ﴾: أي: ضاعفنا لهم العذاب ﴿بِمَا كَانُواْ يُفْسِدُونَ﴾ النَّاس بالصَّدِّ عن سبيل الله، فلهم عذابُ ضلالهم[1] وعذابُ إضلالهم النَّاسَ.

---

(١) في (ر) و(ف): «أليم».

وقال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: ﴿زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ﴾؛ يعني: خمسة أنهار من صُفْرٍ مُذابٍ، تسيل من تحت العرش[١]، يُعذَّبون بثلاثةٍ منها على مقدار اللَّيل في الدُّنيا، وباثنين منها على مقدار النَّهار[٢].

وقال سعيد بن جبير: يزادون حيَّاتٍ أمثالَ البُخْتِ، وعقاربَ أمثالَ البِغال، تلسَعُ أحدَهم اللَّسْعَةَ، فيجدُ صاحبُها حمَّتَها أربعين خريفًا[٣].

وقيل: هو الجرب.

* * *

(٨٩) ـ ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾: أي: نبيَّهم.

﴿وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾: وهو تخصيصٌ بعد التَّعميم، كما قال: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ﴾ [الأحزاب: ٧].

وقوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾: أي: ممَّا هم فيه الآن، أو ما[٤] يؤُول إليه أمرهم في الآخرة، وكشفْنا ذلك كلَّه، وأودعْنا كلَّ ما يحتاجون إليه من أمور الدِّين والدُّنيا.

---

(١) في (ف): «من تحتهم»، والمثبت من باقي النسخ والمصدر.

(٢) ذكره بهذا اللفظ الثعلبي في «تفسيره» (٦/ ٣٦)، ورواه بنحوه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٢٩٧).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٦/ ٣٦).

(٤) في (ف): «ومما»، وفي (أ): «وما» بدل من «أو ما».

﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾: أي: دلالة إلى الحقِّ، ورحمة لهم حتى لا يهلكوا، وبشارة بالجنَّة لمن أسلم(١).

***

(٩٠) ـ ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.

وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ **الآية:** هو متَّصلٌ بقولِه: ﴿تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾، وقد بيَّن ذلك كلَّه في هذه الآية، فإنَّه أمرَ بثلاثةِ أشياءَ هي جامعةٌ جميعَ ما أمر الله به في القرآن، ونهى عن ثلاثة أشياء هي جامعة جميعَ ما نهى الله عنه في القرآن، ولذلك يقرأ كلُّ خطيبٍ على المنبر في آخر كلِّ خطبةٍ هذه الآية لإتيانها على كلِّ مأمور ومنهيٍّ؛ لتكونَ عِظةً جامعةً للنَّاس كلِّهم.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنَّه قال: أجمع آية في القرآن هذه الآية(٢).

وعن عليٍّ رضي الله عنه قال: جِماع التَّقوى في قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ الآية(٣).

وقال عثمان بن مظعون: كنْتُ أسلمْتُ استحياءً من رسول الله ﷺ لكثرة ما كان يَعْرض عليَّ الإسلام، ولم يَقرَّ الإسلام في قلبي، فكنْتُ ذاتَ يومٍ عندَ رسولِ الله ﷺ جالسًا أتأمَّله، فشَخَصَ بصرَه نحو السَّماء، ورأيته(٤) كأنَّه يستفهم شيئًا، فلمَّا سُرِّيَ

---

(١) في (أ): «يسلم».

(٢) رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (٦٠٠٢)، والطبري في «تفسيره» (١٤/ ٣٣٧)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٨٦٥٨)، والحاكم في «المستدرك» (٣٣٥٨).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١/ ١٤٢)، والبغوي في «تفسيره» (١/ ٦٠) مرفوعًا دون راوٍ أو سند.

(٤) في (ف): «والله»، وليست في (ر).

عنه سألْتُه عن حالِه، فقال: «نعم، بينا أنا أحدِّثكم رأيْتُ في الهواء جبريل، فأتاني بهذه الآية»، وقرأها عليَّ، فقرَّ الإسلامُ في قلبي، فأتيْتُ عمَّه أبا طالبٍ فأخبرْتُه، فقال: يا آلَ قريشٍ، اتَّبعوا محمَّدًا تَرشُدوا، فإنَّه لا يأمركم إلَّا بمكارم الأخلاق، فإنْ كان ابنُ أخي صادقًا أو كاذبًا فإنَّ إلهَه لا يأمرُه إلَّا بخير، فأتيْتُ رسولَ الله ﷺ، فأخبرْتُه بقولِه، ففرح بذلك، فقال له: «يا عم، تأمر النَّاسَ باتِّباعي ولا تتَّبعُني»، فأبى، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ﴾ [القصص: ٥٦]، فأتيْتُ الوليدَ بنَ المغيرة، وقرأْتُ عليه الآية، فقال: إنْ كان محمَّدٌ قاله فنِعْمَ ما قال[1]، وإنْ كان قالَه ربُّه فنِعْمَ ما قال، فأنزل الله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِي تَوَلَّىٰ﴾ الآيات [النجم: ٣٣][2].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾؛ أي: بالتَّسوية في الحقوق فيما بينكم، وتركِ التَّظالم، وإيصالِ كلِّ ذي حقٍّ إلى[3] حقِّه، والإحسانِ إلى مَن أساءَ إليكم.

وقيل: هو التَّفضُّل الزَّائد على العدل.

﴿وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلْقُرْبَىٰ﴾؛ أي: إعطاءِ ذي القربى[4]، وهو صلةُ الرَّحم وبرُّ الأقارب.

---

(١) في (ف): «فنعما» بدل: «فنعم ما قال».

(٢) رواه دون قصة أبي طالب وما بعدها الإمام أحمد في «المسند» (٢٩١٩)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٨٩٣)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٨٣٢٢)، من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.
وذكره كما عند المصنف لكن دون قصة الوليد بن المغيرة: السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٢٨٧ـ٢٨٨).

(٣) في (أ): «كل حق إلى ذي حقه».

(٤) في (أ): «القراب به».

﴿وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ﴾: أي: عن الذُّنوب المفرِطة في القُبح.

﴿وَٱلْمُنكَرِ﴾: وهو كلُّ ما تنكرهُ العُقول السَّليمة، ولا يُعرَف في سُنَّةٍ ولا عقلٍ.

وقيل: الفاحشةُ: كلُّ ما يعظُمُ قبحُه فيما يفعلُه الإنسان في نفسِه ولا يظهرُه، والمنكرُ: ما يظهَرُ للنَّاسِ ممَّا يجبُ[1] عليهم إنكارُه.

﴿وَٱلْبَغْيِ﴾: أي: وينهى عن الاستطالة على النَّاس بفضل القوَّة.

وحقيقتُه: طلبُ ما ليسَ له طلبُه، ولا يكون البغيُ إلَّا من الفاعلِ في غيره، فأمَّا الظُّلم فقد يكون في نفسه.

قوله تعالى: ﴿يَعِظُكُمْ﴾: أي: يحذِّركم مكروهَ العواقب في مخالفةِ أمرِه ونهيه ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾؛ أي: لتتذكَّروا بعقولِكم فتتَّعظوا بمواعظ الله.

وقيل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ﴾ فيما بينكم وبينَ ربِّكم أوَّلًا، وليس من العدل أنْ يُعدَل بالشُّكر عن المنعِم إلى غير المنعِم، ولا أنْ يُشركَ في الشُّكر غيرُ المنعِم، وهذا يوجب تركَ عبادة الأوثان، فالتَّوحيد عدلٌ لأنَّ الشِّركَ ظلمٌ، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣].

وقيل: إنَّ الإحسانَ أن يأتيَ بما أُمِرَ به من الأعمال حسنًا على التَّمام.

وقيل: الإحسانُ إشارةٌ إلى الإخلاص فيه[2].

فأمَّا ما رُوي في تفسيرها عن السَّلف:

---

(١) في (ر): «ويجب»، وفي (ف): «ما يجب».

(٢) «فيه» ليس في (أ) و(ف).

فقد قال ابنُ عبَّاس رضي الله عنهما: العدلُ: شهادةُ أن لا إله إلَّا الله، والإحسانُ: الإخلاصُ فيه(١).

وعنه في رواية: العدلُ: التَّوحيدُ، والإحسانُ: أداءُ الفرائض(٢).

وقال عليٌّ رضي الله عنه: العدلُ: الإنصاف، والإحسانُ: التَّفضُّل(٣). يعني: المروءة.

وقال مقاتل: العدلُ: التَّوحيدُ، والإحسانُ: العفو عن النَّاس(٤).

وقال عطاء عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما: العدلُ: خلعُ الأنداد، والإحسانُ: أن تعبدَ الله كأنَّك تراه(٥).

وقيل: العدلُ: في الأفعال، والإحسانُ: في الأقوال؛ قال الله تعالى: ﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣].

وقيل: العدلُ: في الأفعال والأقوال(٦)، والإحسانُ: أن تحبَّ للنَّاس ما تحبُّ لنفسك.

وقال أبو بكر الورَّاق: العدلُ: أن ينصِفَ وينتصِفَ، والإحسانُ: أن ينصِفَ ولا ينتصِفَ.

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٦/ ٣٧)، وروى الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٣٣٥) الشطر الأول منه.

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٢٩٩)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٦/ ٣٧).

(٣) رواه ابن النجار في «تاريخه» كما في «الدر المنثور» (٥/ ١٦٠).

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٤٨٣).

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٦/ ٣٧).

(٦) «والأقوال» ليس في (أ).

وقال سفيانُ بن عيينة: الفحشاءُ: مخالفةُ القولِ الفعلَ، والمنكرُ: الشِّركُ، والبغيُ: التَّكبُّر.

وعنه في رواية: العدلُ: استواءُ السَّريرة والعلانية، والإحسانُ: أن تكون السَّريرة أحسن من العلانية، والفحشاء والمنكر: أن تكون العلانية أحسن من السَّريرة[1].

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: أُمِرَ العبدُ بالعدلِ فيما بينَه وبينَ الله، وفيما بينه وبين نفسه، وفيما بينه وبين الخلق.

فالذي بينَه وبين نفسِه: منعُها ممَّا فيه هلاكها، قال الله تعالى: ﴿وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠].

والعدلُ بينَه وبين ربِّه: إيثارُ حقِّ اللهِ على حظِّ نفسِه، وتقديمُ رضاه على هواها، والتَّجرُّد عن جميع الزَّواجر، والتَّفرُّد بملازمة جميع الأوامر.

والعدلُ الذي[2] بينه وبين الخلق: بذلُ النَّصيحة، وتركُ الخيانة فيما قلَّ وكثر، والإنصاف لهم بكل وجهٍ، وأن لا يسيء إلى أحد لا بالقول ولا بالفعل ولا بالعزم.

وصفةُ العوام منه: بذلُ الإنصاف، وكفُّ الأذى.

وصفةُ الخواصِّ: بذلُ الإنصاف، وترك الانتصاف، وإسداء الإنعام، وترك الانتقام، وكفُّ الأذى عن النَّاس، والصَّبر على ما يصيبك منهم من البلوى.

فأمَّا الإحسان فيكون بمعنى العلم، قال عليُّ بنُ أبي طالبٍ رضي الله عنه: قيمةُ كلِّ امرئٍ ما يحسنُه[3].

---

(١) ذكره الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٣٣٦)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٦/ ٣٧).

(٢) «الذي» ليس في (أ).

(٣) رواه الشجري، كما في «ترتيب الأمالي الخميسية» (٦٦١).

والعلمُ مأمورٌ به في كلِّ الـمَواطن(١)، وهو علمُ الإنسانِ بحدوث نفسِه، وقِدَمِ محدِثِه، بصفات جلاله، ثم العلومُ الدينيَّة على حسب مراتبها.

وأما الإحسان في الفعل، فالحسنُ من أفعالنا ما أمرَ اللهُ به، وأذنَ لنا فيه، وحكم بمدح فاعله، وجعل في كلِّ عقلٍ حُسنَه.

والإحسانُ أيضًا: أن تقومَ بكلِّ حقٍّ وجبَ عليك، حتى لو كان طيرٌ في ملكك لا تقصِّر في تعهُّده(٢).

***

(٩١) ـ ﴿ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ ﴾: أي: اثْبُتوا على ما عاهدْتُم اللهَ عليه وبايعْتُم به رسولَه بالأيمان التي تحلفون بها.

﴿وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ﴾: أي: لا(٣) تنكثوها بالحِنْثِ ﴿بَعْدَ تَوْكِيدِهَا ﴾؛ أي: بعد إحكامِ عقدِها على أنفسكم.

﴿وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ﴾: فإنَّ مَن حلفَ بالله ليفعلَنَّ كذا، أو لا يفعلُ كذا؛ فقد منعَ نفسَه عن الخلافِ بذكرِ اسمِ الله تعالى؛ مهابةَ أن يهتكَه، فكأنَّه جعلَ تعليقه ذلك بحقِّه كفيلًا إقامةً على نفسه بإلزامِه البِرَّ فيه(٤)، كالذي أقامَ على نفسِه

---

(١) «في كل المواطن» ليس في (أ).

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٢/ ٣١٤ ـ ٣١٥)، وليس فيه قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(٣) «لا» من (ف).

(٤) في (ر) و(ف): «بإلزامه التوفية».

كفيلًا يطالبُه بأداء ما عليه، فإذا لم يؤدِّ ما عليه فقد استخفَّ بكفيله، فكذا مَن ترك البرَّ وحنثَ في يمينه فقد استهان باسم الله تعالى.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ﴾: من البرِّ والحنْثِ، فيجازيكم به.

***

(٩٢) ـ ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِي نَقَضَتۡ غَزۡلَهَا مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثٗا تَتَّخِذُونَ أَيۡمَٰنَكُمۡ دَخَلَۢا بَيۡنَكُمۡ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرۡبَىٰ مِنۡ أُمَّةٍۚ إِنَّمَا يَبۡلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِي نَقَضَتۡ غَزۡلَهَا مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثٗا﴾: جمع نِكْثٍ بالكسر، وهو ما نُقِضَ من الغزلِ، والنَّكْثُ بالفتح مصدر، وهما كالنَّقض والنِّقض، والقَطف والقِطف، والذَّبح والذِّبح؛ أي: ولا تنقضوا ما عاهدْتُم اللهَ عليه، فيكونَ مَثَلُكم كمثلِ امرأةٍ تُبْرِمُ غزلَها، حتى إذا قَوِيَ[1] عادَتْ عليه فنقضته[2]، وهذا قبيحٌ لا يخفى عليكم قبحُه.

قال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: نزلَتْ في امرأة حمقاء من قريش، يقال لها: رائطة[3].

وقال مقاتلٌ: ريطة بنت عمرو بن سعد بن كعب بن زيد بن مناة بن تيم، وكانت تُلقَّب بجعدة[4].

---

(١) في (ر) و(ف): «فرغ».

(٢) في (ر) و(ف): «عادت إليه فتنقضه فيكون مثلكم».

(٣) ذكره الواحدي في «البسيط» (١٣/ ١٧٨) عن الكلبي. وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٦/ ٣٨)، والبغوي في «تفسيره» (٥/ ٣٩ ـ ٤٠)، عن الكلبي ومقاتل لكن اسمها فيهما: (ريطة).

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٤٨٤). وفيه: (ريطة بنت عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة)، وما ذكره =

وكانت اتَّخذَتْ مغزلًا بمقدار ذراع، وفلكةً على قَدْرها، وكانت لها جوارٍ تأمرهُنَّ من الغداة إلى نصف النَّهار بغزل الصُّوف، فإذا انتصفَ النَّهار أمرتهنَّ بنقض ما غزلْنَ، فهذا كان دأبَها، فضربَ اللهُ تعالى بها مَثَل ناقض العهد(١).

وقوله تعالى: ﴿تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ﴾: الدَّخَلُ: ما أُدخِلَ على الشَّيء للفساد.

والمعنى والله أعلم: تَدخلون في الأيمان للغرور، وهو إفساد، ومن نيَّتكُم الغدرُ بمن حلفتُم لهم.

وقيل: الدَّخَل: الدَّغَلُ والخديعة.

وقيل: الغِلُّ والغِشُّ.

وقيل: هو أن يكون داخلُ القلب على الجفاء، والظَّاهرُ على الوفاء.

وقيل: معناه: أن تحلفوا غيرَ معتقدين للوفاء بما حلفْتُم.

وقوله تعالى: ﴿أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ﴾: أخبر بالسَّببِ الذي يفعلون هذا لأجلِه، فقال: ﴿أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ﴾؛ أي: من أجلِ أنَّ طائفةً من النَّاس يكونون أكثرَ عددًا من طائفةٍ أخرى، ويكونون أكثرَ أموالًا، وأزيدَ أسبابًا في القوَّة والمال، فتنقضون أيمانكم إذا رأيتم الكثرة والسَّعة في الدُّنيا في أعدائكم من المشركين. وهذا لمن دخل في الإسلام ونافقَ أهلَه ليستعين بهم ويتَّسع(٢) في

= المؤلف من زيادة (زيد مناة) هو رواية الثعلبي والبغوي عن الكلبي ومقاتل. انظر التعليق السابق.

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٦/ ٣٨)، والبغوي في «تفسيره» (٥/ ٣٩ ـ ٤٠)، عن الكلبي ومقاتل. وفيهما: (...وكانت اتخذت مغزلاً بقدر ذراع وصنارةً مثلَ الإصبع وفلكةً عظيمة على قدرها...)، وكذا ذكره الزمخشري في «الكشاف» (٢/ ٦٣١). والصنارة: رأس المغزل.

(٢) في (أ): «ونافع أهله لسيتغني بهم ويتسع بهم» بدل: «ونافق أهله ليستعين بهم ويتسع».

أسباب الدُّنيا، ويظفر على أعدائه، وإذا لم يحصل ذلك عاجلًا نقضَ العهدَ وارتدَّ إلى الكفَّار؛ لِمَا يرى من كثرة عددِهم وأموالِهم، فنهاهم أن يكون دخولهم في الإسلام على هذا القصد، فيكونوا قد اتَّخذوا إسلامهم دَخلًا خديعةً للمسلمين، لا إخلاصًا في الدِّين.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ﴾: أي: يُجري أحوالَ المؤمنين في بعض الأوقات على الضَّعف والقِلَّة والنُّقصان ليختبرهم؛ أي: يعاملَهم معاملةَ المختبِر ليظهَرَ صبرُهم فيجازيَهم عليه أحسنَ الجزاء، وهو لا محالة ينصرهم ويُظفِرهم بعدوِّهم ويُطيِّب لهم عيشهم، وله ذلك في عباده[١].

وقوله تعالى: ﴿وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾: أي: ليميزَنَّ المحِقَّ من المبطِل يوم القيامة، فيثيبَ المحقَّ ويعاقب المبطل، وهذا وعدٌ لهم على حفظ العهد واليمين، وعلى الصَّبر على الشِّدة، وعلى الثَّبات على الدِّين.

وقال القشيري رحمه الله: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ﴾ لكلِّ قومٍ عهدٌ مخصوصٌ عاهدوا الله عليه، وهم مطالبون بالوفاء بعهدِه؛ فالزَّاهدُ عاهدَه ألَّا يرجعَ إلى الدُّنيا، فإذا رجع إلى ما تركَه منها فقد نقضَ عهدَه ولم يفِ به، والعابدُ عاهدَه في ترك الهوى، والمريدُ عاهدَه في ترك العادة، والعارفُ عاهدَه في التَّجرُّدِ له وإنكارِ ما سواه، والمحبُّ عاهدَه في القول بتركِ نفسِه معه بكلِّ وجهٍ.

فكلٌّ منهم مأمورٌ بالوفاء بعهدِه، منهيٌّ عن نقضِه، ومَن نقضَ عهدَه فقد هدمَ بفعلِه ما أسَّسَه لنفسه[٢]، وقلعَ بيده ما غرسَه، وكان كما قال أوَّلًا: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا﴾ الآية.

---

(١) في (أ): «عادة».

(٢) «لنفسه» ليس في (أ).

وإنَّ السالكَ إذا وقعَتْ له فترةٌ، والمريدَ إذا حصلَتْ له في الطَّريق وقفةٌ، والعارفَ إذا حصلَتْ له حجبةٌ، والمحبَّ إذا استقبلَتْه فُرقةٌ = فهي محنٌ عظيمة، ومصائبُ فجيعة(١).

***

(٩٣) ـ ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾: أي: على ملَّة واحدة، وهي الإسلام.

﴿وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾: مَن علمَ منه اختيارَ الضَّلال أضلَّه، ومَن علمَ منه اختيارَ الهداية هداه.

وقوله تعالى: ﴿وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: يوم القيامة، فتُجزَون به.

وقال القشيريُّ رحمه الله: لو شاء الله سعادتهم لرحمهم، وعن المعاصي عصمهم، ودوامَ ذكرِه ألهمهم، ولكن سبقَتِ القسمةُ فجاءت القسوة والغيبة(٢).

وما أحسنَ ما قالوا:

شكا إليكَ ما وَجدْ مَنْ خانَهُ فيك الجَلَدْ
حيرانُ لو شِئْتَ اهتَدَى ظمآنُ لو شِئْتَ وَرَدْ(٣)

---

(١) في (ر): «لحقته شديدة»، وفي (ف): «لحقته». انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٢/ ٣١٥ ـ ٣١٦).

(٢) في (ر): «فجاءت العسرة»، وفي (ف): «فجاءت العسرة والغيبة». وليست العبارة في مطبوع «اللطائف».

(٣) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٢/ ٣١٧). والبيتان نسبا لهبة الله بن المنجم، كما في «يتيمة الدهر» (٣/ ٤٥٤)، و«الإعجاز والإيجاز» (ص: ٢٠٣)، و«خاص الخاص» (ص: ١٧٨) ثلاثتها للثعلبي. =

(٩٤) ـ ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ دَخَلَۢا بَيۡنَكُمۡ فَتَزِلَّ قَدَمُۢ بَعۡدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمۡ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلَكُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ دَخَلَۢا بَيۡنَكُمۡ﴾: أي: لا تَعقِدوا الإيمان بالانطواء على الخديعة والفساد فتزل قدم، كما قال[1]:

﴿فَتَزِلَّ قَدَمُۢ بَعۡدَ ثُبُوتِهَا﴾: مجازٌ عن الصيرورة من الأمن إلى الخوف، ومن الرُّشد إلى[2] الغيِّ، ومن الصَّواب إلى الخطأ، ومن الحقِّ إلى الباطل.

﴿وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ﴾: بما ينالكم في الدُّنيا من السُّوء على أيدي المؤمنين.

﴿بِمَا صَدَدتُّمۡ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: أي: أعرضْتُم عنه، من الصُّدود، ومنعْتُم عنه غيركم، من الصَّدِّ.

﴿وَلَكُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾: في الآخرة، مع ما ينالكم من السُّوء في الدنيا.

* * *

(٩٥) ـ ﴿ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلًاۚ إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلًا ﴾: أي: ولا تستبدلوا بنقض العهد واليمين عوضًا يسيرًا، وهو عرَض الدُّنيا، فإنَّه يسيرٌ خسيسٌ فانٍ، والثَّوابُ بحفظ العهود واليمين باقٍ، وهو قوله تعالى:

﴿إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾: أي: تنتفعون بالعلم.

= ونسبا لأبي بكر محمد بن يحيى الصولي كما في «تاريخ بغداد» للخطيب البغدادي (٣/ ٤٣٠)، «المنتظم» لابن الجوزي (١٤/ ٦٩).

(١) «فتزل قدم كما قال» من (ف).

(٢) في (ر) و(ف): «إلى اعتقاد».

(٩٦) ـ ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓا۟ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ﴾: أي: يفنى ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ﴾: لا يفنى، فلا تنقضوا العهد واليمين طمعًا في المال الذي عندكم وهو ممَّا يفنى، فيفوتكم الثَّوابُ الذي عند الله تعالى وهو باقٍ.

﴿وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓا۟ ﴾: على حفظ العهد واليمين، وتَحَمُّلِ المشقَّة والفاقة.

﴿أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾: أي: بأحسنِ أعمالِهم التي كانوا يعملونها في الدُّنيا، وهي ما عملوه في حال إسلامِهم، فإذا جزاهم بها[1] الجنَّة، فلا شكَّ أنَّه قد غفر لهم ما كان منهم من الشِّرك، ومن الذُّنوب في الإسلام.

وقيل: نزلَتْ الآيةُ في عَيدان بن الأشوع[2] الحضرمي، وامرئ القيس الكندي[3]، وقد ذكرنا ذلك في (سورة آل عمران)[4].

وقال القشيريُّ: ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ﴾: ما كان عندكم أو منكم أو بكم فأفعالٌ معلولة، وأحوالٌ مدخولة، ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ فثوابٌ مقيم، ونعيمٌ عظيم، ما منكم من

---

(١) في (ف): «فإذا جازاهم به» وفي (ر): «فإذا جازاهم به في».

(٢) في (ر) و(ف): «عبدان بن الأسود»، والصواب المثبت، وقد تقدمت قصته وتحقيق اسمه عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَـٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ الآية [آل عمران: ٧٧].

(٣) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٢٨٩) عن الكلبي، وذكره الجرجاني في «درج الدرر» (٢/ ١٩٣ ـ ١٩٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ٤٨٧) من طريق أبي صالح عن ابن عباس، فهو مما روي من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، وهذا إسناد ضعيف جدًّا لا يحتج بمثله.

(٤) انظر ما تقدم عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَـٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ الآية [آل عمران: ٧٧].

معارفكم ومحابِّكم آثار متعاقبة، وصفات متناوبة، أعيانُها غير باقية، وإن كانت أحكامها غير باطلة، والذي هو وصف الحقِّ من رحمته بكم ومحبَّته لكم وثنائه عليكم فصفات أزليَّة، ونعوت سرمديَّة[1].

وقال في قوله: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾: جزاء الصَّبر الفوزُ بالطلبة[2] والظَّفر بالبُغية، والطَّلبات مختلفة[3].

* * *

(٩٧) ـ ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾: يتَّصلُ بقوله: ﴿أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ﴾.

نبَّههم على أنَّ التَّوسُّع في الدُّنيا ليس يحصل به في الحقيقة طيبُ عيشٍ إلَّا للمؤمنين؛ لئلا يدعوهم الطَّمعُ في المال إلى نقض العهد، ثم العملُ الصَّالح لا يكون من غير المؤمن، وإنَّما أراد بقوله: ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾: بيانًا أنَّ معناه: مَن عمل صالحًا في الحال وهو مؤمن في المآل؛ لأنَّ اعتبار[4] صفاء الحال بوفاء المآل، والأمور بخواتيمها.

قال القشيريُّ: ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾؛ أي: مصدِّق بأنَّ عملَه الصَّالح بتوفيق الله تعالى[5].

---

(١) في (ف): «فصفات أزليته ونعوت سرمديته».

(٢) في (أ): «بالطيبة».

(٣) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٢/ ٣١٨ ـ ٣١٩).

(٤) في (ف): «الاعتبار».

(٥) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٢/ ٣١٩).

وقيل: أي: مصدِّقٌ بأنَّ نجاته بفضل الله لا بفعله.

وقوله تعالى: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾؛ أي: فلنُطيِّبنَّ عيشَه، وذلك بوجوهٍ:

قد يكون بالقناعة. وهو معنى قول الحسن[1].

وقد يكون بفتح بلاد الكفر وتوسُّعهم بالغنائم.

وقد يكون بتعريفه وجوه طيب الكسب واكتسابه من ذلك الوجه، خلاف كسب المشركين الحرام. وهذا معنى قول ابن عبَّاس رضي الله عنهما[2].

وقيل: هو أن يَعملَ بطاعةِ الله، فتكون حياتُه طيِّبةً في الحقيقة؛ لأنَّها تُؤَدِّيه إلى رضوان الله، بخلاف عيش الكافر.

وقال القشيريُّ: الطَّيِّبُ لا يُعرَف بالنُّطق بل بالذَّوق، فقومٌ قالوا: هو حلاوة الطَّاعة، وقوم قالوا: هو صدق القناعة، وقال قوم: هو الرِّضى، وقال آخرون: هو لَذاذةُ النَّجوى، وقيل: هو نسيم القُرب، والكلُّ صحيحٌ، ولكلِّ واحدٍ أهلٌ.

وقيل: الحياة الطَّيِّبةُ ما يكون مع المحبوب، وفي معناه أنشدوا:

نحن في أكمل السُّرور ولكن ... ليس إلَّا بكم يتمُّ السُّرور
عيبُ ما نحنُ فيه يا أهلَ ودِّي ... أنكم غُيَّبٌ ونحنُ حضورُ

وقيل: الحياة الطَّيِّبة للأولياء ألَّا يتركَ لهم سؤالًا إلَّا حقَّقه، ولا مأمولًا إلَّا صدَّقه، وأمَّا الخواصُّ فالحياة الطَّيِّبة لهم ألَّا يكون لهم سؤال ولا حاجة ولا إرب

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٦/ ٤٠).

(٢) روى نحوه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٢٧٧)، والطبري في «تفسيره» (١٤/ ٣٥٠ ـ ٣٥١).

ولا مطالبة، وكم بينَ مَن له مرادٌ فيرتفعُ، وبين مَن لا إرادة له، الأوَّلون قائمون بشرط العبوديَّة، والآخرون معتَقون بشرط الحريَّة[١].

وقوله تعالى: ﴿وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ﴾: جَمَع بعد التَّوحيد صرفًا إلى المعنى؛ لأنه جنس.

﴿أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾: قد فسَّرناه الآن، وليس بتكرارٍ؛ لأنَّ الأوَّل في حقِّ الذين عاهدوا رسولَ الله فحفظوا عهودهم، وهذا في كلِّ مؤمنٍ عمل صالحًا.

* * *

(٩٨) ـ ﴿فَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾: وانتظامها بالأولى أنَّه قال: ﴿أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾، وهو العملُ بما في أحسنِ الحديث، وهو القرآن.

وقيل: هو متَّصل بقوله: ﴿وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنًا لِّكُلِّ شَيۡءٍ﴾.

ومعنى قوله: ﴿فَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ﴾؛ أي: فإذا أردْتَ قراءة القرآن؛ كما في قوله: ﴿إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ [المائدة: ٦]؛ أي: إذا أردتم القيام إليها، وقال: ﴿إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ [الطلاق: ١]؛ أي: إذا أردتم تطليق النِّساء.

﴿فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ﴾: أي: فامتنِعْ به واعتصِمْ، وقد فسَّرنا العياذ ﴿مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ في أوَّل الكتاب.

* * *

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٢/ ٣٢٠).

(٩٩) ـ ﴿ إِنَّهُۥ لَيۡسَ لَهُۥ سُلۡطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴾.

﴿ إِنَّهُۥ لَيۡسَ لَهُۥ سُلۡطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾: صدقوا اللهَ في وعدِه ووعيدِه.

﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴾: في دفعِ وساوسِ الشَّيطان، وتفويض الأمور كلِّها إلى الله، والتَّبرُّؤ عن الشِّرك.

* * *

(١٠٠) ـ ﴿ إِنَّمَا سُلۡطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوۡنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشۡرِكُونَ ﴾.

﴿ إِنَّمَا سُلۡطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوۡنَهُۥ ﴾: إنَّما تعملُ وسوستُه وتنفذُ دعوتُه إلى الضَّلال على الذين يتولَّون الشَّيطان، فيجعلونه عمدةً لهم، ويرجون نصره وعونه، ويتوقَّعون كفايته، وينقطعون إليه.

﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشۡرِكُونَ ﴾: أي: بسبب الشَّيطان مشركون بالله، والهاء على هذا راجعٌ إلى الشَّيطان. وهو قول الرَّبيع بن أنس(١).

وقال الضَّحَّاك: ﴿بِهِۦ مُشۡرِكُونَ ﴾؛ أي: بالله مشركون(٢).

قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيۡهِم مِّن سُلۡطَٰنٍ﴾ [سبأ: ٢١]، ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ ﴾ [الحجر: ٤٢]، ﴿ وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ ... وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ ﴾ [إبراهيم: ٢٢].

وفي جملتها: أنَّه يتسلَّطَ على كلِّ مَن أقبل إليه، لا على مَن أدبرَ عنه.

وقال القشيريُّ: شيطانُ كلِّ أحدٍ ما شغلَه عن ربِّه، فمَن تسلَّط عليه نفسه حتى

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٣٥٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٠٢).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٣٦١).

شغلَتْه عن ربِّه، ولو بشهود طاعته، أو استحلاء طاعته، أو ملاحظةِ حاله، فذلك شيطانه، والواجب عليه أن يستعيذَ باللهِ من شرِّ نفسِه، وشرِّ كلِّ ذي شرٍّ(١).

* * *

(١٠١) ـ ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ﴾: ناسخةً بآيةٍ منسوخة.

﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ﴾: هو اعتراض الكلامِ قبلَ التَّمام، وهو من محاسن الكلام؛ أي: والله أعلم بمصالح العباد، وبما ينزلُ من النَّاسخ والمنسوخ.

﴿قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ﴾: أي: متقوِّلٌ من نفسك، تكذبُ على الله.

﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾: أنَّ النَّاسخ والمنسوخَ كلاهما من الله.

وقيل: لا يعلمون حسنَ النَّسخ وجوازَه، بما فيه من الحكمة والمصلحة.

* * *

(١٠٢) ـ ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾: أي: قلْ لهم يا محمَّد: إنَّما أنزلَ القرآنَ كلَّه ناسخه ومنسوخه ﴿رُوحُ ٱلْقُدُسِ﴾، وهو جبريل ﴿مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ﴾؛ أي: من عند الله ﴿بِٱلْحَقِّ﴾؛ أي: بالصَّواب ﴿لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾؛ أي: ليتدبَّره الذين آمنوا بالله،

(١) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٢/ ٣٢٠).

فيصدِّقوا بالنَّاسخ كتصديقهم بالمنسوخ، ويعتقدوا أنَّ الكلَّ حقٌّ في وقته، فيوفِّقَهم اللهُ للثَّبات على الإيمان، وليكونَ ما ينزِّله هدًى للمؤمنين إلى طريق الحقِّ، وبشارةً بالجنَّة إذ عملوا بالطَّاعة في الحالين.

* * *

(١٠٣) ـ ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ﴾: يقول الله **تعالى**: لا يخفى علينا قولهم: إنَّما يعلِّم محمَّدًا هذا المتلوَّ بشرٌ.

قيل: أرادوا به جَبْرًا، وقيل: يسارًا[١]، وكانا غلامين لابن الحضرميِّ يهوديَّين.

قال أبو رَوْق عن الضَّحاك: نزلَتْ في عبيدٍ لأهل مكَّة، منهم يعيش وسلمان وجبر ويسار[٢].

وقال السُّدِّيُّ: كان بمكَّة رجلٌ نصرانيٌّ يقال له: أبو ميسرة، يتكلَّم بالروميَّة، فربَّما يقعد إليه رسولُ الله ﷺ[٣].

وقيل: هو نصرانيٌّ حدَّاد بمكَّة يُسمَّى: بلعام؛ روى مجاهدٌ عن ابن عبَّاس

---

(١) عبدان نصرانيان كانا يصنعان السيوف بمكة، وكانا يقرأان الإنجيل. روى القصة بذلك الطبري في «التفسير» (١٤/ ٣٦٧ ـ ٣٦٨)، والبيهقي في «الشعب» (١٣٨)، عن عبد الله بن مسلم الحضرمي: (أنه كان لهم عبدان من أهل عين التمر، وكانا صيقلين، وكان يُقال لأحدهما يسار، والآخر جبر...).

(٢) لم أقف عليه هكذا، لكن روى الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٣٦٨) عن الضحاك في قوله: ﴿لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ﴾: كانوا يقولون: إنما يعلمه سلمان الفارسي.

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٦/ ٤٤).

قال: كان رسول الله ﷺ يعلِّم قينًا بمكَّة يُسمَّى بلعام، وكان أعجمي اللِّسان، فكان المشركون يرون رسول الله ﷺ حين يدخل عليه وحين يخرج من عنده، فقالوا: ﴿إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ﴾؛ أي[1]: بلعام، فأنزل الله هذه الآية[2].

وقوله تعالى: ﴿لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ﴾: أي: يُميلون إليه القرآنَ ليس بعربيٍّ.

﴿وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾: أي: وهذا القرآن منظومٌ بالعربيَّة.

* * *

(١٠٤) - ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾: أي: بالقرآن ﴿لَا يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ﴾ ما داموا مختارين للكفر ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ على شركهم في الآخرة.

* * *

(١٠٥) - ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ﴾: أي: على الله ﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: الكافرين؛ يعني[3]: أنَّ المستحقَّ لاسم المفتري هم لا أنت.

﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾ كذلك.

* * *

---

(١) «بشر أي» من (أ)، ولم يرد في باقي النسخ والمصدر.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٣٦٥).

(٣) «الكافرين يعني» ليس في (أ)، وصوابه: (الكافرون) بالرفع.

(١٠٦) ـ ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ ﴾: قيل: هو متَّصل بقوله: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ ﴾، والصَّحيح أنَّه مبتدأ، ومعناه: الذين كفروا بالله بعد إيمانهم.

و﴿ مَن﴾ هاهنا للجمع؛ لأنَّه جنسٌ، فيصلح للجمع.

﴿إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ﴾: هو استثناء منهم؛ يعني: إلَّا مَن أُجبِرَ على الكفر ﴿وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ ﴾؛ أي: ساكن به، معتقِد له، فإنَّه ليس في حكمِهم.

﴿وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴾: وتقدير الآية على التَّقديم والتَّأخير: الكافرون بالله بعد إيمانهم به الشَّارحون لقَبول الكفر واعتقاده صدورًا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم إلَّا مَن أُكرِه على الكفر؛ فإنَّه لا يستحقُّ غضبَ الله والعذابَ العظيم.

وقيل: هذان ابتداءان ولهما جواب واحد:

أحدهما: ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ ﴾.

والثَّاني: ﴿وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا﴾.

وجوابُهما: ﴿فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ﴾، وهو كقوله: ﴿وَلَوۡلَا رِجَالٞ مُّؤۡمِنُونَ... لَوۡ تَزَيَّلُواْ لَعَذَّبۡنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [الفتح: ٢٥]، وقوله تعالى: ﴿لَعَذَّبۡنَا﴾ [الفتح: ٢٥] جوابهما[١].

وقيل: نزلت الآية في عمَّار بن ياسر، خرج مهاجرًا إلى رسول الله ﷺ مع جماعة، فأخذهم كفَّار مكَّة، وقالوا: إنكم تريدون محمَّدًا، وعذَّبوهم، وأكرهوهم

---

(١) «وقوله تعالى ﴿مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ﴾ جوابهما» ليس في (أ).

على الكفر، فصبر بعضهم حتى قُتِلَ، وتكلَّم عمَّار بما أكرهوه عليه وقلبُه مطمئن بالإيمان، فخلَّوا عنه، فلمَّا قدم على رسول الله ﷺ أخبره بذلك، فنزلت الآية، وقال له النَّبيُّ ﷺ: «إن عادوا فعد»[1].

وقيل: في قوله: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ﴾ [المؤمنون: ١١٧]: هو أن يُكرَه عليه، فهو عذرُه وبرهانُه.

وقيل: نزلَتْ في عيَّاش بن أبي ربيعة أخي أبي جهل من الرَّضاعة، وأبي جندل بن سهيل بن عَمرو، والوليد بن الوليد بن المغيرة، وسلمة بن هشام، وعبد الله بن أسيد الثَّقفي، وهم المستضعَفون بمكَّة، وهم الذين كان النَّبيُّ ﷺ يقنُتُ لأجلهم في الفجر: «اللَّهم اشددْ وطأتَك على مضر، واجعلها عليهم سنينَ كَسِنِي يوسفَ»[2]، وفيهم نزل بعد هذا: ﴿ثُمَّ جَٰهَدُواْ وَصَبَرُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النحل: ١١٠]، فتَنهم[3] الكفَّار عن دينهم، فأبوا وصبروا، فأثنى الله عليهم[4].

* * *

(١) رواه يحيى بن سلام في «تفسيره» (١/ ٩٢)، والطبري في «تفسيره» (١٤/ ٣٧٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٠٤) عن أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر. قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (١٢/ ٣١٢): وهو مرسل ورجاله ثقات.
ورواه الحاكم في «المستدرك» (٣٣٦٢) عن أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر عن أبيه، وصححه، وقال الحافظ: (وهو مرسل أيضاً، وأخرج الطبري من طريق عطية العوفي عن بن عباس نحوه مطولاً وفي سنده ضعف).
قلت: وليس في شيء من رواياته أن أخذ المشركين له كان عند الهجرة، ولعله وهم من المؤلف رحمه الله.

(٢) هذا الدعاء رواه البخاري (٢٩٣٢)، ومسلم (٦٧٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) في (ر) و(ف): «فنهاهم».

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٦/ ٤٧) دون نسبة.

(١٠٧) ـ ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ﴾: أي: ذلك الغضب والعذاب بأنَّهم ﴿ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا﴾؛ أي: آثروا الحياة الدنيا ﴿عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ ما داموا مختارين للكفر.

* * *

(١٠٨) ـ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَسَمۡعِهِمۡ وَأَبۡصَٰرِهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ﴾.

قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ﴾: فلا يتدبَّرون ولا يتفكَّرون، وهذا عقوبةٌ لهم على إصرارهم، وخذلانٌ لهم لميلِهم إلى الكفر واختيارهم.

﴿وَسَمۡعِهِمۡ﴾: فلا تصغي إلى المواعظ.

﴿وَأَبۡصَٰرِهِمۡ﴾: فلا تبصر طريق الرَّشاد، ولا تَعتبر بما تشاهد من عجائب الخليقة.

﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ﴾: أي: المتغافلون عن آيات الله، كأنَّهم لم يأتهم شيءٌ من هذا.

* * *

(١٠٩) ـ ﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾.

﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾: أي: حقًّا، أو كلمةُ ﴿لَا﴾ نفيٌ لقولهم، و﴿جَرَمَ﴾ بمعنى كسَبَ فعلُهم لهم خسرانَ الآخرة، ﴿خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ﴾ [الأنعام: ١٢]؛ أي: أهلكوها وباعوها بعرض الدُّنيا فغبَنوها.

* * *

(١١٠) ـ ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا﴾: من مكَّة إلى المدينة ﴿مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا﴾؛ أي: عُذِّبوا بمكَّة وأُكرِهوا على الكفر ﴿ثُمَّ جَاهَدُوا﴾ المشركين بعد الهجرة ﴿وَصَبَرُوا﴾ على الجهاد.

﴿إِنَّ رَبَّكَ﴾: أعاد كلمة ﴿إِنَّ﴾ بعد ما ذكرها مرَّة لطول الكلام.

﴿مِنْ بَعْدِهَا﴾: أي: من بعد هذه الفعلة، أو بعدِ هذه الأفعال.

﴿لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾: غفرَ لهم ما كان منهم في حالة الفتنة[1] من التَّكلُّم بكلمة الكفر، ﴿رَحِيمٌ﴾ لا يعذِّبُهم على ما قالوه حالةَ الإكراه.

* * *

(١١١) ـ ﴿۞ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا﴾: قيل: معناه: اذكروا[2] يوم تأتي.

وقيل: ﴿لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ لهم ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ﴾.

﴿عَنْ نَفْسِهَا﴾: أي: تحتجُّ وتخاصِمُ عن نفسِها فيما كانت تعتقده من دين، كما قال: ﴿رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا﴾ الآية [الأحزاب: ٦٧]، وقال: ﴿وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣] يقول: تجادل، ولا ينفع الكافرَ جدالُه.

---

(١) في (أ): «التقية».

(٢) في (ف): «اذكر».

وقوله تعالى: ﴿وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾: أي: بل يتمُّ[1] لها جزاء ما كسبَتْ، وهم لا يُعاقَبون بغير ذنبٍ.

وقيل: معنى قوله: ﴿تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا﴾؛ أي: لا تتفرَّغ للجدال عن غيرها، ولا للشَّفاعة له، ﴿تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾ [البقرة: ٢٨١] من خيرٍ وشرٍّ، وهم لا ينقصون من جزائِهم شيئًا.

وفي «تفسير أبي القاسم بن حبيب»: أنَّ إحدى النَّفسَين في هذه الآية الرُّوح، قال: إنَّ النَّفس والرُّوح يجيئان يوم القيامة بين يدي الله تعالى فيختصمان، فتقول النَّفسُ للرُّوح: كنْتُ كالثَّوب الـمُلْقَى ما لم تدخل فيَّ، لم اقترف ذنبًا. وتقول الرُّوح للنَّفس: كنْتُ مخلوقةً قبلَكِ بدهورٍ، لم أدرِ ما الذَّنب إلى أن دخلْتُ فيك.

فتورَّكُ كلُّ واحدةٍ منهما على صاحبتها[2]، فيمثِّلُ اللهُ لهما أعمى ومقعدًا، وكَرْمًا على جداره عنب، والنَّاس ينظرون، فيقولون لهما: مُرَّا فاقتطفا من هذا العنب، فيقول الأعمى: أنا لا أبصره، ويقول المقعد: لا رِجلَ لي فأمشيَ إليه، فيقال للمقعد: اركبْ على عاتق الأعمى، فيحملُه الأعمى حتى يقتطفَ المقعدُ العنبَ.

فيقول الله لهما: هذا مَثَلكما جميعًا[3]، فكما صار العنب مقطوفًا بهما جميعًا، فكذلك الذَّنب صار موجودًا منكما جميعًا. وقد روي معنى هذا الخبر[4].

* * *

---

(١) في (ر): «يتمم».

(٢) في (ر) و(ف): «فيرد كلُّ واحدٍ منهما على صاحبه».

(٣) «جميعًا» ليس في (أ).

(٤) رواه ابن أبي عمر العدني في «الإيمان» (٧١) عن ابن عباس رضي الله عنهما بنحوه موقوفاً.

(١١٢) - ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَاقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً﴾: لَمَّا عذَّبَ أهلُ مكَّة المسلمين، وأكرهوهم على الكفر على ما ذكرنا، دعا النَّبيُّ ﷺ في قنوت الفجر عليهم فقال: «اللَّهمَّ اشدُدْ وطأتك على مضر، وخذهم بسنين كسني يوسف»[١].

فابتلاهم الله بالسِّنين حتى أكلوا العِلْهِز، وهو الوبرُ يُخلَط بالدَّم والقُرَاد ثمَّ يُؤكَل، فذكر الله تعالى ذلك فقال: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا﴾؛ أي: بيَّنَ اللهُ شبهًا لمكَّةَ وأهلِها ﴿قَرْيَةً﴾ بدلًا عن ﴿مَثَلًا﴾؛ أي: وصفَ وبيَّن قريةً، وهي مكَّة.

﴿كَانَتْ ءَامِنَةً﴾: لا يخافُ أهلُها ﴿مُّطْمَئِنَّةً﴾: ساكنة، لا يحتاجون إلى الانتقال عنها.

﴿يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ﴾: أي: تُحمَل إليها الأطعمةُ والثِّمار من كلِّ مكان بالبلاد[٢].

﴿فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ﴾: أي: كفرَ أهلُها نعمَ الله.

قيل: الأنْعُمُ: جمع نُعْمى بالضَّم، كالبُؤْسى والأبؤس.

وقيل: جمع نِعمة، كالأَشُدِّ جمع الشِّدة.

وقيل: جمع النَّعماء، كالأَبْؤُس جمع البأساء.

---

(١) تقدم تخريجه قريبًا.

(٢) في (أ) و(ف): «من البلاد».

فأزال اللهُ عنهم النِّعم بالكفر[١].

قوله تعالى: ﴿فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾: أي: ابتلاهم اللهُ بالجوع والخوف بصنيعهم.

والذَّوقُ: مجازٌ عن الإصابة كالنَّيل، قال الله تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ﴾ [الدخان: ٤٩]، وقال: ﴿فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا﴾ [الطلاق: ٩]، وقال: ﴿لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦ﴾ [المائدة: ٩٥][٢]، وقال: ﴿إِنَّكُمْ لَذَآئِقُوا۟ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ﴾ [الصافات: ٣٨].

وقال الشَّاعر:

وإنَّ اللهَ ذاقَ حُلُـومَ قيـسٍ   فلمَّـا راءَ خفَّتهـا قلاهـا[٣]

وهو في معنى: وَجَدَ.

ويقال: قد ذُقْتُ حُلوًا، وذُقْتُ مُرًّا.

وكان الحسنُ يذهب بالإذاقة إلى تقديم بعض العذاب قبل الاستئصال، كما قال: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ﴾ [السجدة: ٢١].

وكذلك ذوق المطاعم[٤]، وأمَّا اللِّباس فعلى مجازِ قولهم: ألبسَكَ اللهُ العافية، وقد تُستعمَل في الاختلاط، كما قال النَّابغةُ الجَعْديُّ:

---

(١) في (أ): «بالكفران».

(٢) «وقال ﴿لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦ﴾» ليس في (أ).

(٣) البيت ليزيد بن الصعق. كما في «الحيوان» للجاحظ (٥/ ٣٠)، و«الإبانة» للعوتبي (١/ ١٩٣)، ودون نسبة في «تأويل مشكل القرآن» (ص: ١٠٥)، و«جمهرة الأمثال» للعسكري (١/ ٢٤). قال العسكري: راء بمعنى رأى.

(٤) في (أ): «ذق الطاعم».

لبسْـــتُ أناسًـــا فأفنيْتُهُـــمْ وأفنيْـــتُ بعـــدَ أنـــاسٍ أناسًـــا[١]

وعلى هذا قوله: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ [البقرة: ١٨٧].

وقيل: معنى اللِّباس في الجوع: أنَّه ظهر عليهم من الهزال وتغيُّر اللَّون وسوء الحال ما هو كاللِّباس، وفي حقِّ الخوف كذلك.

ويحتمل أن يكون اللِّباس هاهنا مصدرًا في معنى الملابسة؛ أي: أذاقَها الله ملابسةَ الجوع والخوف.

* * *

(١١٣) ـ ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ﴾ وهو مِن أجلِّ النِّعم؛ لأنَّهم قد عرفوا مَولِدَهُ ومنشأَه وهديَه وأمانتَه، فيكون أقربَ لهم إلى تصديقِه والاهتداءِ به، فلم يعرفوا حقَّ هذه النعمة ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ﴾ في الدُّنيا ﴿وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ أنفسَهم، جائرون عليها.

وقيل: في ضرب المثل بمكَّة عبرةٌ لغيرها من البلاد التي يسلكُ أهلُها طريقَهم في الكفر وتكذيب النَّبيِّ ﷺ.

يقول: لَمَّا تلقَّى أهلُ مكَّةَ نعمَ الله تعالى بالكفر امتُحِنوا بالجوع والخوف، مع محلِّهم من المجاورة ببيت الله وعمارة مسجده وغير ذلك، فغيرُهم ممَّن لا حرمةَ لهم كحرمة أهلِ مكَّة أولى بذلك.

* * *

---

(١) انظر: «ديوان النابغة» (ص: ٧٧)، و«الشعر والشعراء» لابن قتيبة (١/ ٧٥)، و«الأغاني» للأصفهاني (٥/ ١٠).

(١١٤) ـ ﴿ فَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَـٰلًا طَيِّبًا وَٱشْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ فَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَـٰلًا طَيِّبًا ﴾: قيل: ﴿ فَكُلُوا۟ ﴾ معاشر المشركين من غير أهل مكَّة ممَّا رزقكم الله حلالًا طيبًا ﴿وَٱشْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾.

وذلك أنَّهم مع عبادة الأصنام كانوا يدَّعون أنَّهم يعبدون الله تعالى، فقيل: إن كان هذا[1] كما تدَّعون فلا تحرِّموا طيِّبات ما أحلَّ اللهُ لكم؛ أي: بجعلِ بعضِ زروعِكم وأنعامِكم لأصنامكم؛ لأنَّه ممَّا[2] لم يَشْرعْه الله تعالى، والتزِموا ما شرعَه الله تعالى دون ما شرعَه الشَّيطان.

وقيل: أي: ﴿ فَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَـٰلًا طَيِّبًا ﴾ على ما يؤديه محمَّدٌ ﷺ إليكم عن الله ﴿وَٱشْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ فلا تكذِّبوه.

وقيل: كان رسولُ الله ﷺ وجَّهَ إلى أهل مكَّةَ في سِنِي القَحطِ بطعامٍ، ففُرِّقَ فيهم، فقال اللهُ لهم بعدَ أن وصفَ أنَّه أذاقَهم الجوع: ﴿ فَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ ﴾ على يدي محمَّد ﷺ، ﴿حَلَـٰلًا طَيِّبًا ﴾ بدلًا عمَّا كنتُم تأكلونه محرَّمًا خبيثًا من الأموال الخبيثة[3] المأخوذة بالغارات والغصوب[4] وخبائث الكسوب.

***

(١) «هذا» ليس في (أ) و(ف).

(٢) «مما» ليس في (أ).

(٣) «الخبيثة» ليس في (أ) و(ف).

(٤) في (ر) و(ف): «من الغارات والمغصوب».

(١١٥ ـ ١١٧) ـ ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١١٥) وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ (١١٦) مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾: فسَّرناها في (سورة البقرة) و(سورة المائدة)، أخبرَ أن المحرَّم هذه الأشياء دون ما حرَّموه.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ (١١٦) مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: قرأ ابن عبَّاس: (تصفُ ألسنتُكُمُ الكُذُبُ) بضم الكاف والذَّال ورفع الباء: جمع كذوب، نعتًا للألسنة[١].

وقراءة العامَّة بالنَّصب لوقوع الوصف عليه.

وقرئ: (الكذبِ) بخفض الباء[٢]، بدلًا عن قوله: ﴿لِمَا تَصِفُ﴾.

يقول: لا تصفوا بعضَ الأنعام بأنَّه حلالٌ وبعضَها بأنَّه حرام كذبًا على الله؛ فإنَّ الكاذِبَ على الله لا يفوزُ أبدًا، وما أنتم فيه من النِّعم قليلٌ متاعُه في الدُّنيا، ويَعقبُه في الآخرة عذابٌ وجيعٌ.

* * *

(١) انظر: «تفسير الثعلبي» (٦/ ٤٩)، ونسبها ابن خالويه في «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٧٧) إلى مسلمة بن محارب.

(٢) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» لابن خالويه (ص: ٧٧) عن الحسن.

(١١٨) ـ ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا مَا قَصَصۡنَا عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُۖ وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا مَا قَصَصۡنَا عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُ ﴾: هو ما قال في سورة الأنعام: ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ ﴾ الآية [الأنعام: ١٤٦]، وقد فسَّرناها هنالك.

وكان ذلك التَّحريمُ تغليظًا عليهم لظلمِهم وبغيهم، كما قال: ﴿ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِبَغۡيِهِمۡ﴾ [الأنعام: ١٤٦]، وقال: ﴿ فَبِظُلۡمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا عَلَيۡهِمۡ طَيِّبَٰتٍ ﴾ [النساء: ١٦٠]، وقال هاهنا:

﴿وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴾: بكفران النِّعم.

* * *

(١١٩) ـ ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾: أي: أعرِّفك يا محمَّد بعدَ بيان حكم المشركين أنِّي لكلِّ مَن عمل ذنبًا بكونه جاهلًا، ثمَّ تاب عنه، وندمَ عليه، وعزم على[1] ألَّا يعود إليه، وأصلح العمل في المستأنف، وقوله: ﴿مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ ﴾؛ أي: من بعد العمل ـ وما قال في الآية المتقدمة[2]: ﴿مِنۢ بَعۡدِهَا ﴾؛ أي: بعد الجهالة، وقيل: بعد

(١) «على» من (أ).

(٢) بعدها في (ر) و(ف): «وفي هذه الآية أيضًا».

الغفلة ـ فإنِّي غفورٌ له أسترُ ما مضى من معاصيه، ورحيمٌ أرحمُه[١] فلا أعذِّبه؛ أي: فتوبوا أيُّها المشركون؛ أي: المفترون، فتُقبَلَ توبتُكُم ويُغفَرَ لكم.

و﴿إِنَّ رَبَّكَ﴾ أُعِيدَ لطولِ الكلام ووقع الفصل.

وقال مقاتل بن سليمان: نزلَتْ الآية في جبر مولى عامر بن الحضرميِّ، أكرهَه سيِّدُه على الكفر بعد الإسلام[٢]، ثمَّ ندم وتاب[٣].

وقال مجاهدٌ: نزلَتْ في أناسٍ ارتدُّوا عن الإسلام، ثمَّ تابوا وآمنوا، فقبلَ اللهُ توبتَهم وإيمانَهم[٤].

* * *

(١٢٠) ـ ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ﴾: أمرَ بالشُّكر في الآية الأولى، ومدح إبراهيم بالشُّكر في هذه الآية.

ونظـمٌ آخر: أنَّ الله رغَّب المشـركين في اتِّباع أبيهم إبراهيـم، الذي به فخرُهم، وببيـت[٥] الله الـذي بنـاه عندهـم، فقـال: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا﴾؛ أي: إمامًا يُقتدَى به.

وقيل: أي: كان بنفسه وحده يأتي بالخيرات التي تكون من أمَّة تامَّة.

---

(١) في (ر) و(ف): «وأرحمه».

(٢) «بعد الإسلام» من (ف).

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٤٩٢).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٣٧٨).

(٥) قوله: «وببيت» معطوف على الهاء في «به»؛ أي: فخرهم واقع بإبراهيم وببيت الله. ووقع في (أ): «وبيت».

﴿قَانِتًا لِّلَّهِ﴾؛ أي: مطيعًا مواظبًا على طاعته.

﴿حَنِيفًا﴾: عادلًا عن الباطل، مستقيمًا على منهاج الحقِّ.

﴿وَلَمۡ يَكُ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾: لم يكن دينه ما تَدينون به أيُّها المشركون.

* * *

(١٢١) ـ ﴿شَاكِرًا لِّأَنۡعُمِهِۚ ٱجۡتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسۡتَقِيمٍ﴾.

﴿شَاكِرًا لِّأَنۡعُمِهِ﴾: بإخلاصِ العبادة له.

﴿ٱجۡتَبَىٰهُ﴾: أي: اختارَه واختصَّه لنفسه واصطفاه.

﴿وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسۡتَقِيمٍ﴾: أرشدَه إلى طريق الحقِّ المفضي إلى الجنَّة.

* * *

(١٢٢) ـ ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ﴾: قال الحسنُ: أي: النُّبوَّة(١).

وقال مقاتلُ بن حيَّان: أي: الصَّلاة عليه على لسان هذه الأمَّة في صلواتهم(٢).

وقيل: الخُلَّة.

وقيل: هو أنْ جعلَ محمَّدًا ﷺ من ذرِّيَّته وعلى ملَّته.

وقال قتادة: ليس من أهل دين إلَّا وهو يتولَّاه ويرضاه مقتديًا به(٣).

وقيل: هي اسمٌ جامعٌ لكلِّ حالة جميلة، فيتناول كلَّ خصائصه المذكورة في النُّصوص.

---

(١) ذكره الماوردي في «تفسيره» (٣/ ٢١٩).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٦/ ٥٠).

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٢٤٤)، والطبري في «تفسيره» (١٤/ ٣٩٨).

وقال القشيريُّ رحمه الله: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ حتى كان لنا بالكليَّة، ولم يكن فيه لغيرنا بقيَّة[1].

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ فِي ٱلْآخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾: أي: في عداد مَن يأتي وقد انتفى عنه وعن أعماله الفساد، فاستحقَّ كلَّ منزلة رفيعة ودرجة عالية، وقد فسَّرناه في (سورة البقرة) بأتمَّ من هذا.

وقيل: سمَّاه أمَّةً تسليةً للنَّبيِّ ﷺ في كثرة المكذِّبين به من قومِه؛ إذ كان إبراهيمُ أمَّة وحده[2] في الإيمان، لم يكن معه غيره، ثم كثَّرَ اللهُ ذرِّيَّتَه، وكان منهم الأنبياء إلى قيام السَّاعة، فكذا يفعل اللهُ بك في تكثير أمَّتك ونشر دعوتك.

* * *

(١٢٣) ـ ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾: مدحَه الله بخمسةِ أشياء: سمَّاه أمَّة، قانتًا لله، حنيفًا، غيرَ مشركٍ، شاكرًا.

وأكرمه بخمس كرامات: اجتباه، وهداه، وآتاه حسنة الدُّنيا، وكرامة الآخرة، وأمر محمَّدًا ﷺ باتِّباع ملَّته.

ثم الأمرُ بالاتِّباع لا يدلُّ على أنَّه دون إبراهيم في الفضيلة، بل هو ﷺ أفضلُ الأنبياء، وإنَّما أُمر باتِّباع إبراهيم في هذه الآية، وباتِّباع كلِّ الأنبياء المتقدِّمين في قوله: ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠]؛ لأنَّهم سبقوه، والاتِّباع هو سلوكُ سبيل المتبوع، فكان اتِّباعُه لهم لمجيئِه بعدَهم، لا لكونه دونهم.

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٢/ ٣٢٨).

(٢) في (ر) و(ف): «واحدة».

(١٢٤) - ﴿إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبۡتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِۚ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبۡتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ﴾: ونظمُها بالأولى: أنَّ الله تعالى أمر محمَّدًا ﷺ باتِّباع إبراهيم، وأمر أمَّته بذلك أيضًا بقوله: ﴿فَٱتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗا﴾ [آل عمران: ٩٥]، وفي متابعة الأنبياء رحمةٌ وراحة، وفي مخالفتهم والاختلافِ عليهم محنةٌ وفتنة، كما كان لأصحاب السَّبت.

وفي الآية وجوهٌ أصحُّها[١] وأوضحها ما حكاه الإمام أبو منصور رحمه الله فقال: قال بعضُهم: إنَّ موسى أمرَ بني إسرائيل أن يتفرَّغوا في كلِّ سبعة أيَّام يومًا للعبادة، وهو يوم الجمعة، ويتركوا فيه عمل دنياهم، فقالوا: نتفرَّغ يوم السَّبت؛ فإنَّ الله تعالى لم يخلق يوم السَّبت شيئًا، فقال فريق منهم: انظروا إلى ما يأمركم به نبيُّكم فخذوا به، فذلك اختلافهم فيه، فجُعل لهم يوم السَّبت على ما سألوا، فاستحلُّوا فيه المعاصي[٢].

فذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبۡتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ﴾ فتنة ومحنة[٣]، ولو اتَّبعوا نبيَّهم ولم يختلفوا عليه لم يُشدَّد عليهم هذا التَّشديد، ولم يقعوا فيما وقعوا فيه.

وقال الحسن وقتادة: ﴿إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبۡتُ﴾ أي: إنما لُعِنوا في السَّبت

---

(١) «أصحها» ليس في (أ).

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٦/ ٥٩٣).

(٣) في (أ): «فذلك اختلافهم فيه أي فتنة ومحنة على الذين اختلفوا فيه» بدل: «فذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبۡتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ﴾ فتنة ومحنة».

ومُسِخوا قردة وخنازير ﴿الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ وكان اختلافُهم أنَّه حرَّمه بعضُهم واستحلَّه بعضُهم[1].

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾: أي: يميِّزُ المحقَّ من المبطِل بالثَّواب والعقاب.

* * *

(١٢٥) - ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ أي: ادع يا محمَّد النَّاس إلى سلوك الطَّريق الذي هو يؤدِّي إلى طاعة ربِّك، وكلُّ ما أضافه الله إلى نفسه فذلك دليلُ تشريفه وتفضيله، كبيت الله، وشهر الله، فكذلك سبيل الله، ومعناه: تفضيلُه والحثُّ على سلوكه.

وقوله: ﴿بِالْحِكْمَةِ﴾؛ أي: باستعمال الصِّدق والصَّواب، وبوضع كلِّ شيءٍ موضعَه، ودعاءِ كلِّ أحدٍ بما يحتملُه حالُه، ويقبلُه عقلُه، وتُرجَى به إجابتُه.

قوله تعالى: ﴿وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾؛ أي: وأحسِنْ وعظَ مَن تدعُوه بالتَّرغيب الجميل والتَّنبيهِ البليغ.

وقوله تعالى: ﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾: أي: بالخصلة التي هي أجمل؛ أي: بالمحاجَّة التي ليس فيها مماراةٌ أو لجاجٌ ومكافأةٌ على قبيحٍ يقولُه الخصم.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ في

---

(١) ذكره الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (٦/ ٥٩٣).

المجادلة لا يخفى عليه مقاصدهما فيها، فإذا أَلْزَمْتَ[1] فاكتفِ به، واضبط نفسك عن المقابلة بالمخاشنة.

وقيل: نزلَتْ هذه الآية قبل نزول الأمر بالقتال، ونُسخَتْ بآية السَّيف.

***

(١٢٦) ـ ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ﴾: قيل: الأوَّل خطابٌ للنَّبيِّ ﷺ على الخصوص، وهذا خطاب لأمَّته، وإباحةٌ لهم بالمكافأة على المساواة، والأول أمرٌ بالتَّفضُّل المحضِ.

ومعناه: إذا قال لكم الخصم: دينُكُم باطلٌ، فقولوا: بل دينكُم باطل.

﴿وَلَئِن صَبَرْتُمْ﴾ فلم تجيبوا ﴿لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ﴾ من المكافأة بالمثل.

***

(١٢٧) ـ ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾.

﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾: هذا خطاب للنَّبيِّ ﷺ على الإفراد، وهو تأكيدُ الأمر الأوَّل بالمجادلة بالتي هي أحسن.

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا بِاللَّهِ﴾؛ أي: بتوفيق الله، ويحتمِل أن يكون قوله: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ﴾ خطاباً له ولهم جميعًا، والإفراد في قوله: ﴿ادْعُ﴾ ﴿وَجَٰدِلْهُم﴾ لِمَا أنَّه هو المخصوصُ بالأمر بالدَّعوة إلى الدِّين والجدال عليه.

---

(١) أي: حججت الخصم وألزمته الحق. ووقع في (أ): «أكرمت».

ثم قد يجري بين المؤمنين والمشركين كلامٌ يؤذيهم في غير الدَّعوة إلى الدِّين، فأطلق لهم المعاقبة بالمثل، وقال: ﴿وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ﴾.

ثم خصَّ النَّبيَّ ﷺ فقال: ﴿وَٱصْبِرْ﴾؛ أي: على الدُّعاء إلى الله ﴿وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾؛ أي: بتوفيقِه، فاسأل التَّوفيق منه، ولا يكون هذا[1] نهيًا للنَّبي ﷺ عن المعاقبة بالمثل، بل يكون قوله: ﴿وَٱصْبِرْ﴾ إرشادًا إلى الأفضل.

وقيل: إنها نزلَتْ في قصَّة حمزة رضي الله عنه حين مُثِّل به، فقال النَّبيُّ ﷺ: «لأمثِّلنَّ بثلاثينَ منهم»، فأُمر بالاقتصار على الـمُثْلَة بواحد منهم[2][3]، ثم نُسخَت الـمُثْلَة[4].

وقوله تعالى: ﴿وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ﴾: أي: الصَّبر، ودلَّ عليه قوله: ﴿وَلَئِن صَبَرْتُمْ﴾.

---

(١) في (أ): «عنه وهذا لا يكون» بدل: «منه ولا يكون هذا».

(٢) «منهم» ليس في (أ).

(٣) رواه بنحوه البزار في «مسنده» (٩٥٣٠)، وابن المنذر في «تفسيره» (٢/ ٤٤٧)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٩٣٧)، والحاكم في «المستدرك» (٤٨٩٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وصححه الحاكم وتعقبه الذهبي بقوله: صالح المري واه.

ورواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١١٠٥١)، والدارقطني في «سننه» (٤٢٠٢) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما. وقال الدارقطني: فيه عبد العزيز بن عمران ضعيف. وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦/ ١٢٠): رواه الطبراني، وفيه أحمد بن أيوب بن راشد وهو ضعيف.

ورواه الدارقطني (٤٢٠٩) من طريق آخر من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وقال: لم يروه غير إسماعيل بن عياش وهو مضطرب الحديث عن غير الشاميين.

(٤) رواه البخاري (٢٤٧٤) من حديث عبد الله بن يزيد الأنصاري رضي الله عنه. وأبو داود (٤٣٦٨) من حديث أنس رضي الله عنه.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ﴾: أي: على المشركين بتركهم الإيمان واستحقاقهم سخط الله وعقوبته بذلك، وكان كذلك لكمال شفقته، وهو كقوله: ﴿فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍ﴾ [فاطر: ٨]، وقوله: ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ﴾ [الشعراء: ٣].

وقيل: ﴿وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ﴾: على قتلى أحد، فإنَّهم وصلوا إلى رضوان الله تعالى وجنَّته.

﴿وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ﴾؛ أي: ضيق صدر، وهو في معنى الضِّيق، كالشَّفِّ والشِّف، والرَّطل والرِّطل، بالفتح والكسر لغتان، وقرأ ابن كثير بالكسر[1].

وقيل: الضِّيق بالكسر مصدر، والضَّيق[2] بالفتح نعت، كالهَيْنِ واللَّيْنِ، ومعناه: في أمر ضيقٍ من مكرهم؛ أي: لا يضيقنَّ بك الأمرُ لمكرهم.

وعلى الأوَّل: لا يضيقنَّ صدرُك لمكرهم، فإنَّه لا ينفذ عليك.

* * *

(١٢٨) - ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ﴾: أي: حافظُهم وناصرُهم، وأنت متَّقٍ محسنٌ فيحفظُك وينصرُك.

وقيل: هو على العموم، و﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ﴾[3]؛ أي: توقَّوا عن السَّيِّئات، ﴿وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ﴾؛ أي: عاملون بالطَّاعات.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ٣٧٦)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٩).

(٢) «الضيق» ليس في (أ).

(٣) في (أ): «وهم الذين اتقوا».

وقال القشيريُّ رحمه الله: اتَّقوا رؤية النُّصرة من غيره، وأحسِنوا العبادة كأنَّكم ترونَه[١].

والحمد لله ربِّ العالمين

ربِّ أعنْ على التَّمام يا كريم، وصلَّى الله على سيدنا محمَّد وآله وصحبه أجمعين[٢].

* * *

(١) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٢/ ٣٣٠).

(٢) «ربِّ أعنْ على التَّمام يا كريم. وصلَّى الله على سيدنا محمَّد وآله وصحبه أجمعين» من (ف).

سُورَةُ الإِسْرَاءِ

سورة الإسراء[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، الرحمنِ الذي له الأسماءُ الحسنى، الرحيمِ الذي نزَّل الفرقان شفاءً وهدًى لمن اهتدَى.

روى أبيٌّ بن كعب عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «مَن قرأ سورةَ بني إسرائيل فرقَّ قلبُه عند ذكر الوالدَين كان له قنطارٌ في الجنة، والقنطار ألفُ أوقيَّةٍ ومئتا أوقية[2]، الأوقيةُ خيرٌ من الدنيا وما فيها»[3].

وسورةُ بني إسرائيل مكيةٌ، وهي مئةٌ وإحدى عشرةَ آيةً، وقيل: عشرُ آيات، الاختلاف في قوله: ﴿لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾ [الإسراء: ١٠٧][4].

وهي ألفٌ وخمسُ مئةٍ وستٌّ وخمسون كلمةً، وستةُ آلافٍ وأربعُ مئة وتسعةٌ وعشرون حرفاً[5].

---

(١) في (ر) و(ف): «سورة بني إسرائيل».

(٢) «ومئتا أوقية»: ليست في (أ)، وقد اختلفت الروايات في إثباتها وعدمه. انظر: «تخريج أحاديث الكشاف» للزيلعي (٢/ ٢٩٦).

(٣) رواه الثعلبي في «تفسيره» (١٦/ ١٧٣ ـ ١٧٤)، وهو قطعة من الحديث الموضوع في فضائل السور، وقد تقدم الكلام عليه مراراً. وانظر: «الفوائد المجموعة» للشوكاني (ص: ٢٩٦).

(٤) آية ﴿لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾ عدَّها الكوفي ولم يعدَّها الباقون. انظر: «البيان في عد آي القرآن» للداني (ص: ١٧٧).

(٥) وقال الداني في المصدر السابق: (كلمها ألف وخمس مئة وثلاث وثلاثون كلمة، وحروفها ستَّة =

وانتظامُ أول هذه السورة بآخر[١] تلك السورة: أنَّ في آخر تلك السورة الأمرَ بالصبر، وفي أول هذه ثمرةَ الصبر، صَبَر في الله صبراً جميلاً فأُعطي ليلةَ المعراج عطاءً جزيلاً.

وانتظام تلك السورة بهذه السورة: أن تلك السورة في بيان آيات[٢] وحدانية الله تعالى، وبيانِ نعمه، وفي أكثر[٣] آياتها محاجَّةُ المشركين، وفي قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾ [النحل: ٩٠] تضمينُ جميع الأوامر والنواهي، وفي هذه السورة ذُكر في الآية الأولى إراءةُ الآيات، وفيها بيانُ كمال القدرة وتمامِ النعمة، وبعدها آياتٌ جامعةٌ لجميع[٤] الأوامر والنواهي، وفي بقيَّتها[٥] محاجَّةُ المشركين ووعيدُهم ووعدُ المؤمنين.

ذكر سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: إن التوراة كلَّها في خمسَ عشرةَ آيةً من (بني إسرائيل)، ثم قرأ: ﴿لَّا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ الآيات[٦].

* * *

(١) ـ ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾.

= آلاف وأربع مئة وستُّون حرفاً). فأنقص من عدد الكلمات ثلاثاً وعشرين، وزاد في عدد الحروف واحداً وثلاثين.

(١) في (أ): «بختم».

(٢) «آيات»: ليست في (أ).

(٣) في (ر) و(ف): «وبيان نعمته وأكثر».

(٤) في (أ): «جميع»، وفي (ر): «بجميع».

(٥) في (ف): «نفسها».

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ١٣٨).

وقوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا﴾: روى طلحةُ بن عبيد الله قال: سألتُ رسول الله ﷺ عن تفسير ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا﴾[1] قال: «تنزيهُ الله عن كلِّ سوءٍ»[2].

قال الفرَّاء: هو نصبٌ على المصدر[3]، وهو على معنى الأمر؛ أي: نزِّهوا الله وبرِّئوه من قول المشركين.

و﴿أَسْرَى﴾؛ أي: سار بالليل، وفيه لغتان: سرى[4] وأسرى، وهو لازمٌ، وهاهنا متعدٍّ بالباء التي في قوله تعالى: ﴿بِعَبْدِهِ﴾، وهو محمدٌ المصطفى ﷺ.

﴿لَيْلًا﴾: ظرف؛ أي: بالليل.

﴿مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾: هو الذي يحيط بالكعبة، وأراد به هاهنا جميعَ الحرم، فقد رُوي أنه أُسري به من بيتِ أمِّ هانئ[5]، وهو في مكةَ خارجَ المسجد الحرام عينِه،

---

(١) في (أ): «الله» بدل: «﴿الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا﴾».

(٢) رواه مرفوعاً متصلًا البزار في «مسنده» (٣٠٨٢ ـ كشف الأستار)، والطبري في «تفسيره» (١٢/ ١٢٨). ورواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ١٢٨) من طريق موسى بن طلحة عن النبي ﷺ مرسلاً، والمرفوع ضعيف الإسناد، وقد أورده الدارقطني في «العلل» (٤/ ٢٠٨) موصولاً ومرسلاً، وقال: المرسل أصح.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ١٠٥)، قاله في تفسير قوله تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ﴾ [النحل: ٥٧].

(٤) في (ر) و(ف): «سار».

(٥) رواه الطبراني في «الكبير» (٢٤/ ٤٣٢) من حديث أم هانئ رضي الله عنها. لكن ليس الإسراء بالنبي ﷺ من بيت أم هانئ مما اتفقت عليه الروايات، فقد وقع فيها اختلاف في ذلك، وجاء في «صحيح البخاري» (٣٨٨٧) من حديث مالك بن صعصعة: «بينما أنا نائم في الحطيم ـ وربما قال: في الحِجْرِ ـ مضطَجِعًا إذ أتاني آتٍ...»، وعند البخاري أيضاً (٣٢٠٧) من حديثه أيضاً: «بَيْنَا أَنَا عند =

وعلى هذا قوله: ﴿فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ﴾ [التوبة: ٢٨] هو على جميع الحرم، وكذا قوله: ﴿وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [الفتح: ٢٥].

وقوله تعالى: ﴿إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا﴾: وهو مسجد بيت المقدس؛ لأنه أبعدُ مسجد في الأرض يعظَّم بالزيارة له وشدِّ[١] الرحال إليه، وليس وراءه في تلك الجهة متعبَّدٌ مثلُه، قال ﷺ: «لا تشدُّ الرِّحال إلا إلى ثلاثةِ مساجدَ: مسجدي هذا، والمسجد الأقصى، والمسجد الحرام»[٢].

وقوله تعالى: ﴿الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾: أخبر عن نفسه بعد ما ذكر الفعلَ على وجه المغايَبة بقوله: ﴿أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾، وهو أحدُ أقسام التوسُّع[٣] في الكلام.

والبركة: دُرور الخير وثبوتُه؛ لأن ما بَرَكَ[٤] ثبت، وهو يكون دينيًّا ودنيويًّا، قال تعالى في صفة عيسى عليه السلام: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا﴾ [مريم: ٣١] وهذا دينيٌّ، وقال

= البيت بينَ النَّائم واليقظان...»، وكذا رواه مسلم (١٦٤). وفيهما من حديث أبي ذر رضي الله عنه: «فرج سقف بيتي وأنا بمكة فنزل جبريل»، وفي غير الصحيحين روايات أُخر، وقد أورد الروايات بذلك الحافظ في «الفتح» (٧/ ٢٠٤) محاولاً الجمع بينها لأنها كما قال: لم تتعدد لأن القصة متحدة لاتحاد مخرجها، قال: وقد تقدم في أول بدء الخلق بلفظ: «بينا أنا عند البيت» وهو أعم، ووقع في رواية الزهري عن أنس عن أبي ذر: «فرج سقف بيتي وأنا بمكة»، وفي رواية الواقدي بأسانيده أنه أسري به من شعب أبي طالب، وفي حديث أم هانئ عند الطبراني أنه بات في بيتها قال: ففقدتُه من الليل فقال: «إن جبريل أتاني...»، والجمع بين هذه الأقوال أنه نام في بيت أم هانئ، وبيتها عند شعب أبي طالب، ففرج سقف بيته، وأضاف البيت إليه لكونه كان يسكنه.

(١) في (أ): «ويشد».

(٢) رواه البخاري (١١٨٩)، ومسلم (١٣٩٧)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) في (ر) و(ف): «التوسعة».

(٤) في (أ): «بورك».

تعالى: ﴿لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦] وهذا دنيويٌّ، والبركةُ حول المسجد الأقصى بهما جميعاً، فإنه مستقرُّ الأنبياء والأولياء، وفيه قبورُ إبراهيم وإسماعيل وإسحاق، وفيه كثرةُ الماء والأشجار والأطعمة والثمار.

وقوله: ﴿لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ﴾: أي: أَسْرينا به لإراءةِ الآيات، وهي: البُراقُ، وقطعُ المسافة البعيدة في المدة اليسيرة، وسيرُ الأنبياء، وعجائبُ الملَكوت.

﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾: لمقالات المصدِّقين والمكذِّبين بحديث المعراج ﴿ٱلْبَصِيرُ﴾ بجزاء كلٍّ على وَفْق عمله.

وحديثُ الإسراء برسول الله ﷺ إلى المسجد الأقصى في ليلةٍ ثابتٌ بنصِّ الكتاب، والعروجُ به إلى السماء في تلك الليلة إلى حيث شاء الله كذلك، وفيه أحاديثُ كثيرة صحيحة، وقد قبلها أهل السنَّة والجماعة، وردَّها المعتزلةُ خذَلهم الله، وممن رواه(١): أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وعمر الفاروق رضي الله عنه، وعثمان ذو النورين، وعليٌّ المرتضَى، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن مسعود، وأنس بن مالك، وأبو هريرة، وأبو سعيد الخدريُّ، ومالك بن صَعْصَعة، وعِمران بن الحُصين، وعبد الله بن عمر، وأبو سلمة، وحذيفة بن اليمان، وعبد الله بن الزبير، وأبو أيوب الأنصاري، وجابر بن عبد الله الأنصاري، والعباس بن عبد المطلب، وعبد الله بن أبي أوفى، وأبو سلمى راعي رسولِ الله ﷺ، وأمُّ كلثوم بنتُ رسول الله ﷺ، وبلالٌ الحبشي، وأبو أمامة الباهليُّ، وأسامة بن زيد، وعياض، وعبد الرحمن بن عائش(٢)، وأبو الدرداء، وعائشة، وأم هانئ بنت أبي طالب، وأبو ذر الغفاري،

---

(١) في (ر) و(ف): «وممن روى ذلك ورواه».

(٢) في (ر): «وعياض بن عبد الرحمن بن عابس»، وفي (ف): «وعياض وعبد الرحمن بن عابس»، والمثبت من (أ)، وعبد الرحمن بن عائش مختلف في صحبته كما في «الكاشف» للذهبي (١/ ٦٣٢) =

وبلال بن سعد، وأبو حَيَّةَ الأنصاري، وأبيُّ بن كعب، وغيرهم، منهم مَن ساق الحديثَ كلَّه، ومنهم مَن روى شيئاً منه[(١)]، وقد جمعنا أحاديثَهم في كتابٍ أفردناه له وأَمْلَيناه على أهل العلم، ومَن أنكر هذا فهو منكِرٌ إمَّا[(٢)] قدرةَ الله تعالى، أو فضلَ النبيِّ ﷺ، وكلُّ ذلك باطل.

وقال مقاتل: كانت ليلةُ الإسراء قبل الهجرة بسنةٍ، وكان رسول الله ﷺ تلك الليلةَ نائماً في دارِ أمِّ هانئ بنت أبي طالبٍ وزوجِها هبيرةَ بن أبي المغيرةِ[(٣)] المخزوميِّ، فلما أصبح قال لها: «ألَا أُخبركِ بالعجَب؟» قالت: بلى! قال: «صلَّيتُ هاهنا صلاةَ العشاء والفجر وذهبتُ فيما بينهما إلى بيت المقدس، ومَثَل لي النبيون فصلَّيتُ بهم»[(٤)]، فلما أراد أن يخرج تشبَّثت أمُّ هانئ بثوبه فقالت له: ما وراءك؟ فإني أخشى أن يكذِّبك قومُك، قال: «وإنْ كذَّبوني»، فسألتْه أمُّ هانئ عن كيفية خروجه، فقال: «أتاني جبريل ومعه ميكائيلُ بالبراق، وهي دابةٌ دون البغل وفوق

= وغيره، ولم أجد له حديثاً في الإسراء. أما عبد الرحمن بن عابس فهو ليس من الصحابة، وإنما يروي عن أبيه عابس بن ربيعة، وهو - أي: عابس - تابعي كبير كما قال الحافظ في «الفتح» (٩/ ٥٥٣)، ولم أقف على حديث له في الإسراء أيضاً.

(١) وقد جمع الحافظ ابن كثير في أول الإسراء ما روي فيه من أحاديث، وساقها أحسن سياقة فلتراجع فيه.

(٢) «إمَّا» ليس من (ف).

(٣) في (أ): «وهب».

(٤) إلى هنا رواه بنحوه ابن إسحاق كما في «السيرة النبوية» لابن هشام (١/ ٤٠٢)، ومن طريقه الطبري في «التفسير» (١٤/ ٤١٤)، عن الكلبي عن أبي صالح عن أم هانئ، والكلبي ومقاتل متروكان، وقد وقع في متن هذا الخبر نكارة نبه عليها الحافظ ابن حجر في «الإصابة» (٨/ ١٣٧)، وهي أنه صلى العشاء الآخرة والصبح معهم وإنما فرضت الصلاة ليلة المعراج.

الحمار، ووجهُها كوجه الإنسان، وذنَبها كذنب البقرة، وحافرُها كظلفِ البقر، خَطْوُها مدُّ البصر، فركِبْتُها فإنْ هممتُ بها سارت، وإن هممتُ بها طارت، فدخلتُ مسجدَ بيت المقدس فإذا النبيون بها» ثم أتى المسجدَ الحرام وفيه صناديد قريش فقال: «أَلَا أخبرُكم بالعجَب؟» قالوا: بلى! قال: «صلَّيتُ صلاة العشاء والفجرِ هاهنا، وذهبت فيما بينهما إلى بيت المقدس»، وقصَّ عليهم القصةَ، فقال مُطْعِم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف: واحرباه[1] من هذا الكذَّاب، إنَّ عِيرَنا لتخرجُ من مكة إلى بيت المقدس في أربعين يوماً بشقِّ النَّفْس، وقد خرجْتَ إليها في ساعةٍ؟! أشهد أنك كذاب، ثم أَخبر بذلك أبا بكر الصديق رضي الله عنه، فأتاه فسأله وقال له: ماذا لقيتَ على يمينك حين دخلتَ بيتَ المقدس وعلى يسارك؟ وسأله عن الصخرة، فأجابه فصدَّقه فسمِّي الصدِّيق[2].

وفيما كتبناه في الأمالي مسنداً عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: «قلتُ: يا جبريل، يكذِّبني[3] قريش، فقال لي جبريل: فإن أبا بكر الصدِّيقَ هو يصدِّقُك»، فذهبتْ إليه قريش فقالت له: يا أبا بكر! قال صديقُك: إنه أُسري به إلى السماء في ليلةٍ واحدة! قال: صَدَق صَدِيقي، أُصَدِّقه بوحي السماء في[4] مسيرةِ خمسِ مئة عام يأتيه في ساعة، أفلا أصدِّقه بأنه أُسري به؟! فبلغ ذلك رسولَ الله ﷺ

---

(١) في (أ): «وا حربي».

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٥١٦ ـ ٥١٨) وقد وقع عند المؤلف تقديم وتأخير في بعض المواضع، ومن ذلك أن الصدِّيق صدَّق النبي ﷺ بمجرد سماعه بالقصة وقبل أن يستفسر أو يسأل، وهذا هو المعروف عن الصدِّيق، ولذلك سمي بذلك.

(٣) في (ر): «كذبني».

(٤) في (ر) و(ف): «على».

ومعه جبريل عليه السلام فقال: صَدَق أبو بكر، فقال رسول الله ﷺ: «سرَّني والله قولُه»، فقال له جبريل عليه السلام: سمِّه الصدِّيقَ، فلذلك سُمي الصديق[1].

قال نجم الدين[2]: وأنا أقول في ذلك:

لا يَجْحَدُ المعراجَ بعد نُصوصه ... إلَّا عنيدٌ[3] كافرٌ زنديقُ
ومُصدِّقٌ أهلُ الهدى وإمامُهم ... بالحقِّ في تصديقه الصِّدِّيق

وتمام القصة نقلناه[4] بطرقه في كتاب وسميناه بـ: «كتاب ما ورد من الأخبار في ذكر معراج النبي المختار وفوائدِه ولطائفه» في مجالسَ جمعناها وتكلَّمنا بها في مجالس الوعظ في تمام شهر.

وقال القشيري: لمَّا أراد الحقُّ سبحانه أن يعرِّف العبادَ ما خَصَّ به رسولَه[5] ليلةَ المعراج من علوِّ ما رقَّاه إليه ولقَّاه إياه، أزال الأعجوبة بقوله: (أسرى به) ونفَى عن نبيِّه خطر الإعجاب بقوله: ﴿بِعَبْدِهِۦ﴾؛ لأن مَن عرف الإلهية ـ وهي استحقاقُ كمالِ العز ـ لا يَتعجَّب منه أن يفعلَ ما يفعلُ، ومَن عرف عبوديةَ نفسه وأنه لا يملك شيئاً من أمره لا يُعجب بحاله، فأَوجبت الآية شيئين: نفيَ الإعجاب مِن وصفِ رسول الله ﷺ، ونفي التعجُّب من فعلِ الله.

وقال: جعل المعراجَ بالليل على غفلةٍ من الراقب وغيبةٍ من الأجانب، ومن غير

---

(١) رواه بنحوه ابن سعد في «الطبقات» (١/ ٢١٣ ـ ٢١٥) من حديث ابن عباس وعائشة وأم سلمة وأم هانئ وغيرهم دخل حديث بعضهم في حديث بعض.

(٢) «نجم الدين»: من (أ).

(٣) في (ر): «عتيد».

(٤) في (أ): «نقله»، وفي (ر) و(ف): «نقلًا»، والصواب المثبت.

(٥) في (أ): «رسول الله».

ميعادٍ سبَق ولا استعدادٍ تَقدَّم؛ لكونه مرضيًّا بغير تصنُّعٍ، وهذه غايةُ حال المحبوب، وكان مجيءُ موسى للميقات بعد أربعين ليلة ليتصنَّع لذلك(١).

وقال: ولمَّا خُص بقيام الليل بقوله: ﴿فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ﴾ [الإسراء: ٧٩] أُكرم بالمعراج خصوصاً بالليل.

وقال: أرسله بالحق إلى أهل الأرض ليَتعلَّموا منه العبادة، ثم رقَّاه إلى(٢) السماء ليتعلَّم الملائكة منه آداب العبادة، قال تعالى: ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾ [النجم: ١٧] ما طمعَ في مقام، ولا نظرَ إلى إكرام، بل تجرَّد(٣) عن كلِّ طلبٍ وأَرَب.

وقال: ﴿لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ﴾ [الإسراء: ١] أراه في تلك الليلة ما عرَف به [صلوات الله عليه] أنه ليس [أحدٌ] من الخلائق مثلَه ﷺ في علوِّ حالته وجلالِ رتبته(٤).

* * *

(٢) ـ ﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾: أي: التوراةَ ﴿وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾؛ أي: وجعلنا موسى، ويحتمِل الكتابَ هادياً؛ أي: دليلاً وداعياً إلى الحق والصواب؛ أي: أعطينا موسى الكتاب حين جاء لميقاتنا وأسرينا بمحمد وأريناه آياتنا.

---

(١) في (ر): «ليصطنع كذلك»، وفي (ف): «ليتصنع كذلك»، وليست العبارة في «اللطائف».

(٢) بعدها في (ف): «أهل».

(٣) في (ر) و(ف): «تحرز».

(٤) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٣٣٣ ـ ٣٣٤)، وما بين معكوفتين منه.

وقوله تعالى: ﴿أَلَّا تَتَّخِذُواْ مِن دُونِي وَكِيلًا﴾: قرأ أبو عمرٍو بياء المغايبة، ويرجع إلى بني إسرائيل، وقرأ الباقون بتاء المخاطبة[1]؛ أي: قلنا لهم في التوراة ذلك؛ أي: لا[2] تتَّخذوا من دوني أحداً وليًّا تتَّكلون عليه في أنْ يخلِّصكم من العذاب ويقومَ بأموركم ويراعيَ مصالحكم، وهذه صفاتُ الوكيل في معاملات الناس، وهو إبطالٌ لقولهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣] وليشفعوا لنا.

* * *

(٣) - ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾: أي: يا ذريةَ مَن حملنا وهم الأولاد، و﴿حَمَلْنَا﴾؛ أي: في السفينة وهم مؤمنو قومه، وبنو إسرائيل من نسلِ سام بن نوح.

﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾: أي: كثيرَ الشكر على نَعمائي مطيعاً لي، يقول: لا تتَّخذوا من دوني وليًّا يا ذرية مؤمني قومِ نوح ﴿إِنَّهُۥ كَانَ﴾ لي ﴿عَبْدًا شَكُورًا﴾؛ أي[3]: فكونوا لي كذلك ولا تخالفوه.

رُوي: أنه كان لا يأكلُ ولا يشربُ ولا يلبسُ إلا قال: الحمد لله.

والشكر: مقابَلةُ النعمة بالثناء على المنعِم والطاعةِ له في أمره ونهيه، وهو عامٌّ للنِّعَم كلِّها صغيرِها وكبيرِها، قولاً وعملاً وعَقْداً.

وقال مجاهد: ﴿كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾: كان يحمدُ ربَّه قائماً وقاعداً، ومتَّكئاً ومستلقياً، وراكباً وماشياً[4].

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٣٧٨)، و«التيسير» (ص: ١٣٩).

(٢) في (ر) و(ف): «ألا» بدل: «أي لا».

(٣) بعدها في (ر) و(ف): «كثير الشكر لي على نعمائي مطيعاً لي أي»، وفيه تكرار لا لزوم له.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٤٥٣).

(٤) ـ ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾: أي: أعلمناهم في التوراة، كما قال: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ﴾ [الحجر: ٦٦]، وأصله: الإحكام والإتمام؛ أي: أعلمناهم إعلاماً محكَماً متمَّماً.

﴿لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: أي: لتُفسدَنَّ أخلافُكم، وفي قوله: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا﴾ [البقرة: ٧٢]؛ أي: وإذ قتل أسلافُكم.

﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: في البلاد التي تسكنونها من بيت المقدس وما يُضاف إليها من الشام، وفي قوله: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [القصص: ٤]؛ أي: في البلاد التي يجري سلطانُه عليها وعلى أهلها[1]، وفي قوله: ﴿أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ [الرعد: ٤١]؛ أي: البلادَ التي يسكنها المشركون.

وهذا الإفساد هو العصيان، وارتكابُ[2] المحظورِ من الدماء والأموال.

﴿مَرَّتَيْنِ﴾: أي: دفعتين في زمانين مختلفين.

﴿وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾: هو غلبةُ المفسدين على المصلِحين إفراطاً مجاوِزاً للقَدْر، عظيماً في الذِّكر، والعلوُّ لغةً: هو الغلبةُ بحقٍّ كان أو باطلٍ.

* * *

(٥) ـ ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا﴾.

---

(١) في (أ): «سلطانه على أهلها».

(٢) في (ف): «وهو ارتكاب».

﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا ﴾: أي: الوقتُ المعلوم(١) الموعود لأُولَى المرتين من الإفساد والعلوِّ وما أَوْعَدْنا عليه من العذاب.

﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ﴾: أي: سلَّطْنا عليكم ﴿عِبَادًا لَّنَآ﴾: خلقاً(٢) يجري لنا عليهم سلطان(٣) العبودية، ولا يتمكَّنون إلا بتمكيننا.

وقوله تعالى: ﴿أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾: أي: علماءَ بالقتال صابرين عليه، والبأس: هو الحرب والقتال، قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الأحزاب: ١٨].

قوله تعالى: ﴿فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ﴾: أي: أَفسدوا، وقيل: وَطِئوا، وقيل: تخلَّلوا، وقيل: طافوا، وقيل: هو الاستقصاء في الطلب، وقيل: هو التردُّد بالذهاب والمجيء للاستقصاء في طلب الشيء.

ومعناه: يستولون عليكم، وإذا انهزمْتُم اتَّبعوكم ودخلوا بلادكم بالسيوف، ويدخلون البيوت فيقتلون مَن يجدون، ويأخذون ما يجدون، وهو أشدُّ ما يكون من استيلاء الأعداء.

وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا﴾: أي: كان ذلك موعوداً من الله كائناً لوقتٍ معلوم عند الله يفعله فيه، وهو(٤) مصدر بمعنى المفعول.

***

(٦) ـ ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴾.

---

(١) «المعلوم»: ليست في (أ).

(٢) «خلقاً»: ليست في (أ).

(٣) في (أ) و(ف): «بسلطان».

(٤) في (ر): «فهو».

﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ﴾: أي: ثم جعلنا لمن بقي منكم لم يُقتل الدولةَ عليهم.

﴿وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ﴾: أي: زدناكم أموالاً وأعطيناكم أولاداً.

﴿وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾: أي: أعواناً وأنصاراً من أهل زمانكم تَنفرون في قتال عدوِّكم، والنفير: جمع نافرٍ، كالغَزِيِّ جمع غازٍ، والحَجيج جمع حاجٍّ(١).

وقيل: جمعُ النافر: النَّفْر بالسكون، ثم النَّفيرُ جمع الجمع، كما يُجمع الراكب: ركباً، وكما يجمع العبدُ عبيداً.

وقيل: النَّفير واحدٌ، ولكنه ذُكر في موضع التفسير فصلَحَ الواحدُ عبارةً عن الجمع(٢)، كما يقال: عشرون درهماً، و: هو أكثرُ الناس مالاً ودرهماً وديناراً.

***

(٧) ـ ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُـۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ﴾: أي: أن أخلَصْتُم الشكر لله على نعمه بالطاعة له في أوامره ونواهيه كان نفعُ ذلك راجعاً إليكم بنَيلكم المزيد.

﴿وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾: أي: إن أسأتُم بكفران النعمة كان ضررُ ذلك راجعاً إليكم بزوال النعمة ونزولِ العقوبة، وبوقوع الذِّلة والمسكنة، واللامُ للاستحقاق كما قال: ﴿لَّهُمْ عَذَابٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الرعد: ٣٤].

---

(١) في (أ): «كالغزي والحجيج جمع غاز وحاج».

(٢) في (ر) و(ف): «يصلح عبارة الواحد عن الجميع».

وقيل: معناه: فإليها؛ أي: فقد أسأتُم إليها، وهو كقوله: ﴿أَوْحَىٰ لَهَا﴾ [الزلزلة: ٥]؛ أي: إليها.

وقيل: هو بمعنى (على)، والحروف تتناوب.

ثم قيل: إن قوله: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ﴾ يحتمِل أنه في التوراة خطاباً لهم، ويحتمِل أنه خطابٌ مبتدأ في عصر النبيِّ ﷺ لمن كان من[1] أخلافهم في عصره، ويحتمِل أنه خطاب للمشركين أنهم لو أَحسنوا فلأنفسهم أَحسنوا، وإن أساؤوا فعلى أنفسهم فعلوا.

وقوله[2] تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ﴾: أي: وقتُ المرة الآخرة بالعَود إلى الإفساد بعد زمان، وأضمر هاهنا: بعثنا[3] عليكم.

ثم قوله تعالى: ﴿لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ﴾: قرأ ابن عامر وحمزةُ وعاصم في رواية أبي بكر: ﴿ليسوء﴾ بياءِ المغايَبة على الواحد؛ أي: ليسوء لقاؤهم وجوهَكم، أو[4]: ليسوء بعثُنا وجوهكم.

وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وعاصم في رواية حفص: ﴿لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ﴾ على الجمع؛ أي: ليسوء هؤلاء وجوهَكم.

وقرأ الكسائي: ﴿لنسوء﴾ بالنون إخباراً من الله تعالى عن نفسه[5]؛ أي: نحن نفعلُ ذلك.

---

(١) في (أ) و(ر): «في».

(٢) في (أ): «وهو قوله».

(٣) في (أ) و(ف): «بعثناهم».

(٤) في (أ): «أي»، وفي (ر) و(ف): «و»، والصواب المثبت.

(٥) انظر: «السبعة» (ص: ٣٧٨)، و«التيسير» (ص: ١٣٩).

ويَسـوء بمعنـى: يَحْـزُن، ومعنـاه: أن لقاءهـم لا يسـرُّهم بل يَحزُنهـم، وخَصَّ الوجـوه لأن أثـره يظهر فـي الوجوه.

وقيل: أي: ليقتلوكم، فتسوءَ الوجوه وتقبُحَ بعد زوال الحياة عن الأجسام.

وقوله تعالى: ﴿وَلِيَدْخُلُوا۟ الْمَسْجِدَ﴾: أي: المسجد الأقصى، ولا يدخلونه إلا بعد دخول البلد، فمعناه: أنهم يستولون على بلدكم.

﴿كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟﴾: أي: وليُهلِكوا[1] ﴿مَا عَلَوْا۟﴾ مفعولٌ[2]؛ أي: ما عَلَوه وظفروا به.

وقيل: ﴿مَا﴾ غايةٌ؛ ومعناه[3]: ما داموا عالين مستولين، ومعنى ﴿وَلِيُتَبِّرُوا۟﴾؛ أي: وليُهْلكوكم.

﴿تَتْبِيرًا﴾: أي: إهلاكاً، والتَّبار: الهلاك، وذُكر المصدر للتأكيد.

* * *

(٨) ـ ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَـٰفِرِينَ حَصِيرًا﴾.

قوله تعالى: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ﴾: بإرسال محمد إليكم ﴿وَإِنْ عُدتُّمْ﴾ إلى الإفساد بتكذيب محمد عليه الصلاة والسلام ﴿عُدْنَا﴾ إلى تعذيبكم في الدنيا، وهو بأيدي العرب بنحو ما أريناكم في المرتين.

﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَـٰفِرِينَ﴾: أي: لكم ولأمثالكم ﴿حَصِيرًا﴾؛ أي: مَحْبساً لمن مات منكم مصرًّا على كفره.

---

(١) «أي: وليهلكوا»: ليست في (أ).

(٢) «مفعول» ليست في (ف).

(٣) في (ر): «أي».

قال ابن عباس ومجاهد وقتادة وابن زيد: الحصير: المَحْبس[١]، والحَصْر: الحبس، ويقال للمَلِك: حصير؛ لأنه محجوب فكأنه محبوس بالحجاب.

وقال الحسن: ﴿حَصِيرًا﴾؛ أي: مهاداً[٢]، كما قال تعالى: ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ﴾ [الأعراف: ٤١] يَذهب به إلى[٣] الحصيرِ المرمول.

واللامات في قوله: ﴿لِيَسُـُٔوا ... وَلِيَدْخُلُوا ... وَلِيُتَبِّرُوا﴾ لاماتُ العاقبة؛ لأن تخريب المسجد ما لا يجوز إباحتُه.

ثم الخطابات في هذه الآية يرجع بعضها إلى الأسلاف وبعضها إلى الأخلاف؛ لأنه قصصُ قرونٍ بعد قرون.

وقال ابن عباس وقتادة: سلَّط الله عليهم في الكرَّة الأولى جالوتَ، ثم أرسل الله إليهم حين أحسنوا داودَ عليه السلام فقتَل جالوت، وكان ملكُهم طالوت[٤].

وقال سعيد بن المسيب: هو بختنصَّر[٥].

وقال سعيد بن جبير: هو سنحاريب[٦].

وقال الحسن: هم العمالقة، وكانوا كفاراً[٧].

---

(١) رواه عنهم الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٥٠٧ _ ٥٠٨).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٥٠٨).

(٣) في (ر) و(ف): «إلى أن».

(٤) ذكره عنهما الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٢٢٩).

(٥) ذكره عنه الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٢٢٩). ورواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٤٨٩ _ ٤٩٠) عن ابن عباس وقتادة.

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٤٨٥)، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٢٢٩).

(٧) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٢٢٩).

فأما حديثُ بختنصر: فقتل علماءهم، وأحرق التوراة، وخرَّب المسجد، وألقى فيه الجيَف، وسبى سبعين ألفاً، وذهب بهم إلى بابل فكانوا بها سبعين سنةً، ثم أنقذهم(١) الله على يدي أنطيانوس(٢) الرومي، ثم عادوا إلى الفساد وقتلوا زكريا ويحيى عليهما السلام، فانتقم الله منهم بألمقياس(٣) أتاهم فقتل منهم مئة وثمانين ألفاً على دم يحيى بن زكريا، وخرَّب بيت المقدس، وقتل العلماء، وأحرق التوراة، وألقى في المسجد الجيَف، وكانت خراباً إلى أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه فعمَّرها المسلمون.

وقيل: الله بعث عليهم في الكرَّة الأولى جالوتَ وفي الثانية بختنصَّرَ.

وقيل: كان في المرة الأولى بختنصَّرُ وجنودُه، وفي الثانية كردوسُ المجوسيُّ وجنوده، وهي كانت أعظمَ الوقعتين، وهو قول محمد بن إسحاق(٤).

وفي إنجيل النصارى: أن الملك الذي كان عليهم في بيت المقدس حين بعث عيسى عليه السلام كردوس المجوسي.

وقيل في قوله: ﴿وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾؛ أي: فلها العقوبةُ، وقيل: فلها الوعيد، وقيل: فلها الجزاء، وقيل: فلها التوبة، وقيل: فلها الرجاء، وقيل: فلها المهلة إلى أن تتوبَ.

---

(١) في (ر) و(ف): «استنقذهم».

(٢) في (ر): «أيطانوس»، وفي (ف): (أنطايوس).

(٣) قوله: «بألمقياس» كذا في النسخ، ووقع اللفظ عينه في «تفسير مقاتل» (٢/ ٥٢٢)، لكن فيه أن المذكور هو الذي أنقذهم، وهذا لفظه: (ثم إن الله عز وجل استنقذهم على يدي ألمقياس فردهم إلى بيت المقدس فعمروه، ورد الله عز وجل إليهم ألفتهم... فعادوا إلى الكفر وقتلوا يحيى بن زكريا فسلط الله عليهم ططس بن أستاتوس الرومي، ويقال: اصطفانوس فقتل على دم يحيى بن زكريا مئة ألف وثمانين ألفاً...).

(٤) رواه مطولًا الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٤٩٩).

وقال الحسين بن الفضل: أي: فلها ربٌّ يغفر لها، قال النبيُّ ﷺ: «إن العبد إذا أذنبَ فقال: ربِّ اغفر لي، قال الله تعالى: عَلِم عبدي أن له ربًّا يغفر الذنب ويأخذ به، قد غفرتُ له»[1].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا﴾ قال: وإنْ عدتُّم إلى المعصية عُدنا إلى المغفرة[2].

وقيل على هذا: إن عُدتُّم إلى الدعوى عُدنا إلى الإجابة، وإن عُدتُّم إلى السؤال عُدنا إلى النَّوال، وإن عُدتُّم إلى المعذرة عدنا إلى المغفرة، وإن عُدتُّم إلى التنصُّل عُدنا إلى التفضُّل، وإن عُدتُّم إلى الاعتراف عدنا إلى غفران الاقتراف.

وقال القشيري: إن عدتُّم إلى ما يليق بكم عُدْنا إلى ما يليق بكرَمنا[3]: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾ [الإسراء: ٨٤].

وكأنه خطر على قلب العاصي أنه إذا غُفر للعصاة فمَن يكون في جهنم؟ فقال: ﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا﴾ والجنةَ للمؤمنين مصيراً.

* * *

---

(١) رواه البخاري (٧٥٠٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وفيه: «... أَعَلِمَ عبدي...».

(٢) لم أقف عليه، ولعل الصواب: (إلى العقوبة)، كما هو لفظه في «تفسير الثعلبي» (٦/ ٨٦)، وكذا يفهم مما رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٥٠٥ ـ ٥٠٦) عنه، ولفظه: ﴿وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا﴾ قال: (عادوا فعاد، ثم عادوا فعاد. قال: فسلَّط الله عليهم ثلاثة ملوك من ملوك فارس: سندباذان وشهرباذان وآخر)، وفي رواية ثانية: (فعادوا فسلَّط الله عليهم المؤمنين). ونحوه في «النكت والعيون» (٣/ ٢٣١): (إن عدتم إلى الإساءة عدنا إلى الانتقام، فعادوا، قال ابن عباس وقتادة: فبعث الله عليهم المؤمنين يذلونهم بالجزية والمحاربة إلى يوم القيامة).

(٣) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٣٣٧).

(٩) ـ ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾: أي: يُرشد إلى الملة التي هي أقومُ المللِ، وهي[1] القيِّم، وهي[2] المستقيم، وهي ملةُ الإسلام.

﴿وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾: أي: تقع به لهم البشارة بالثواب العظيم.

***

(١٠) ـ ﴿وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾.

﴿وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾: أي: وينذرَ أن الكفار لهم العذاب الأليم، وقد يُذكر فعلٌ واحد وبعده مفعولان، والثاني يُضمر له فعلٌ آخر، كما قال: ﴿فَأَجْمِعُوٓا۟ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ﴾ [يونس: ٧١]؛ أي: وادعوا شركاءكم، وكما أنشدوا:

علَفْتُها تبناً وماء بارداً[3]

أي: وسقيتُها ماءً بارداً.

وقد[4] تقع البشارةُ عليها، فقد ذُكرت البشارة في حق العذاب في قوله:

---

(١) في (ر): «وهو» وكلمة: «الملل» ليست في (ف).

(٢) في (ر): «وهو».

(٣) صدر بيت أنشده الفراء لبعض بني دُبَير ـ قبيلة من أسد ـ يصف فرسه. انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ١٤)، و«تفسير الطبري» (١/ ٢٦٤)، و«الكشاف» (٢/ ١٠٨)، و«خزانة الأدب» للبغدادي (١/ ٤٩٩). وعجزه:

حَتَّى شَتَتْ هَمّالَةً عَيْناهَا

(٤) في (أ): «وقيل».

﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آل عمران: ٢١] على معنى أنه يؤثِّر في البشرة أيضاً بالحزن والخوف كما يؤثِّر الخبرُ السارُّ بالسرور في البشرة، أو لأنه(١) قائمٌ في حقِّ الكفار مقامَ البشارة في حقِّ المؤمنين.

وقيل: معناه: وبشر المؤمنين أيضاً بأن أعداءهم الكفار أعَدَّ الله لهم عذاباً أليماً.

* * *

(١١) ـ ﴿وَيَدْعُ الْإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنسَانُ عَجُولًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَيَدْعُ الْإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ﴾: أي: الكفارُ يُعرضون عن قبول هذا القرآن الذي مرَّ ذكرُه ولا يصدِّقون بالعذاب الأليم الذي ينذر به، ويستعجلون هذا العذاب فيقولون: ﴿ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [العنكبوت: ٢٩]، و: ﴿مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾(٢).

و﴿الْإِنسَانُ﴾ جنسٌ، والمراد به الناس، وهم المشركون هاهنا، يَدْعون بالعذاب وهو الشرُّ.

﴿دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ﴾؛ أي: كما يدعو بالسلامة والعافية والنعمة.

وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ الْإِنسَانُ عَجُولًا﴾: أي: عادتُه في أصل تركيبه العجلةُ وتركُ التثبُّتِ والإعراضُ عن التدبُّر.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة ومجاهد: هو دعاء الإنسان على نفسه وولده عند غضبه: اللهم الْعَنْه واغْضَبْ عليه، اللهم أَهْلكني وأَرِحني(٣).

---

(١) في (ف): «والبشر» بدل: «في البشرة أو لأنه».

(٢) وردت هذه الآية في سبع سور: يونس (٤٨)، الأنبياء (٣٨)، النمل (٧١)، السجدة (٢٨)، سبأ (٢٩)، يس (٤٨)، الملك (٢٥).

(٣) رواه عنهم الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٥١٢ ـ ٥١٣).

وقال ابن عباس رضي الله عنه: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا﴾: هو آدم عليه السلام لمَّا نُفخ فيه الروحُ وبلغت إلى رجليه وقبل أن تجري فيهما رام النهوض فسقط[1].

* * *

(١٢) - ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾: ذَكر بعد ذمِّ المشركين آيةً من آيات وحدانيته حجةً على المشركين، فقال: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ﴾؛ أي: خلقنا[2] الليل والنهار علامتين؛ للتعيُّش والاضطراب لتحصيل الأقوات التي بها قِوامُ الأبدان، والاستراحةِ من التعب الذي يقع بهذا الاضطراب؛ إذ لا قوام للأبدان إلا بلجام[3]، فخالَفْنا بين الآيتين فجعلنا الآيةَ التي هي الليلُ ممحوَّةً؛ أي: عديمةَ النُّور، فإن القمر لا نور له في نفسه وإنما يأخذه من الشمس، والآيةَ التي هي النهارُ مبصرةً؛ أي: مضيئة.

وقيل: أي: أهلَه بُصَراءَ فيه، كما يقال: رجلٌ مُخْبِثٌ[4]؛ أي: أهلُه[5] خبثاء، و: رجلٌ مُضْعِفٌ؛ أي: دوابُّه ضعفاءُ، وكذا قوله: ﴿وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾؛ أي: أصحابَه بصراءَ.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٥١٤).

(٢) في (أ): «جعلنا».

(٣) في (ف): «بخلافهما».

(٤) في (ف): «خبيث».

(٥) في (ر): «أصحابه». وانظر: «تفسير الطبري» (١٤/ ٥١٧)، والتمثيل فيه بلفظ: (رجلٌ مُجْبِنٌ: إذا كان أهلُه وأصحابُه جُبناء).

وقوله تعالى: ﴿لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾: بالنهار، ولتستريحوا بالليل، ولم يذكره هاهنا وذكره في آية أخرى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ۝١٠ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا﴾ [النبأ: ١٠ ـ ١١] ﴿لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ﴾ [القصص: ٧٣]؛ أي: رِزْقِه، وسمَّاه فضلاً لأن ما يُعطيه الله العبدَ فضلٌ، ولا يجب للعبد على الله شيء، وهو حجَّتنا على المعتزلة في مسألة وجوب الأصلح.

وقوله تعالى: ﴿وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ﴾: بانفصالِ الليل من النهار، فيُعرف به حساب الساعات والأيام والشهور، وباجتماعها تصير سنةٌ، ثم يجتمع عددُ السنين في التواريخ فيعرف بها أزمنةُ الحوادث، والحسابُ لِمَا دون السنة والعددُ للسنين المجتمعة.

وقوله تعالى: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ﴾: أي: مما بهم الحاجة إليه.

وقوله تعالى: ﴿فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا﴾: أي: بينَّاه تبييناً، والمصدر للتأكيد؛ أي: هو حقٌّ يَلزم العمل به.

ثم[1] قوله: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ﴾ يدلُّ على أن أنفسهما آيةٌ، ثم قال: ﴿فَمَحَوْنَا ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَا ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ أضاف الآيةَ[2] إلى الليل وإلى النهار، وهي إضافة الشيء إلى نفسه، كقولك: نفسُ الشيء، وعينُ الشيء.

ومحوُ الليل: إخلاؤه عن النور، وإبصار النهار: ضياؤه.

وقيل: بل آيةُ الليل غيرُ الليل، وهي القمرُ[3]، ومحوُه: أنه لا نورَ له في نفسه،

---

(١) «ثم»: سقط من (أ).

(٢) في (أ): «الآية» بدل من «الإضافة».

(٣) في (أ): «بل آية الليل هي القمر».

ونورُه من الشمس، وآيةُ النهار غيرُ النهار، وهي الشمس، وإبصارها: نورها الذي[1] يقع به الإبصار، و﴿مُبْصِرَةً﴾ بمعنى: ذاتَ بصرٍ؛ كقوله: ﴿فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ أي: ذاتِ رضًى.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿مُبْصِرَةً﴾؛ أي: مضيئةً[2].

وقال الضحاك: ﴿فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ﴾ يعني: السوادَ الذي في وجه القمر[3].

ثم ذكر في الليل والنهار أنهما آيتان، وقال: ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً﴾ [المؤمنون: ٥٠] فجعَلهما آيةً واحدة[4]، فإن الآية كونُ الولد منها بغير أبٍ، وهو معنًى واحدٌ قام بهما[5]، وهاهنا الليلُ آيةٌ والنهار آية.

وقيل: إنهما كان يمكنُ رؤيتُهما معاً والاعتبارُ بهما في وقتٍ واحد فكانا آية، والليل والنهار بخلافِ ذلك.

وقيل: معناه: وجعلنا ابن مريم وأمَّه كلَّ واحدٍ منهما آيةً؛ كما قال: ﴿كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا﴾ [الكهف: ٣٣] أي: كلُّ واحدة منهما.

* * *

(١٣) ـ ﴿وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا﴾.

---

(١) في (ف): «أي».

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» (٦/ ٨٧).

(٣) لم أجده عن الضحاك، لكن رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٩٧٠)، والطبري في «تفسيره» (١٤/ ٥١٥)، عن علي رضي الله عنه. ورواه الطبري أيضاً (١٤/ ٥١٦)، عن ابن عباس.

(٤) بعدها في (أ): «وقيل هما بجملتهما آية واحدة».

(٥) في (أ): «في وقت واحد فكانا آية».

وقوله تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ﴾: واتصالُها بالآية الأولى[1]: أنه فصَّل الأعمال تفصيلاً في اللوح المحفوظ، وألزم كلَّ إنسان عملَه في عنقه؛ أي: قلَّدهم أعمالهم، فذلك قوله: ﴿أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ﴾؛ أي: عمله في عنقه، وهو عملُه[2] في الخير والشر.

وقال مقاتل بن حيَّان: ﴿طَٰٓئِرَهُۥ﴾ يعني: ما كان من خير وشرٍّ لا يفارقه حتى يحاسَب به[3].

وقال الحسن: يعني: يُـمْنَه وشُؤمَه، وسعادتَه وشقاوته[4].

وأصله: ما يُتطيَّر منه ويُتفاءل به، من الطائر السانح[5] البارح، فالذي يجيءُ من ذات اليمين يُتيمن به، والذي يجيء به من ذات الشمال يُتشاءم به.

ثم هو يتوجَّه وجهين: إلزام العمل، وإلزام جزاء العمل.

وقيل: ﴿طَٰٓئِرَهُۥ﴾؛ أي: قَسْمُه؛ يقال: طيَّرتُ المالَ بين القوم فطار لفلانٍ كذا ولفلانٍ كذا، وهو ظهور قَسْمِه.

وقوله تعالى: ﴿وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا﴾: أي: ونخرج له الطائرَ،

---

(١) في (ف): «واتصالها بالأولى».

(٢) «في عنقه وهو عمله»: ليس في (أ) و(ف).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٦/ ٨٨)، والبغوي في «تفسيره» (٥/ ٨٢)، عن الكلبي ومقاتل.

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٦/ ٢٩٧) (ط: دار التفسير)، والبغوي في «تفسيره» (٥/ ٨٢)، دون قوله: «وسعادته وشقاوته».

(٥) في (ر) و(ف): «السارح»، والمثبت من (أ)، وهو الصواب؛ يقال: من لي بالسانح بعد البارح؛ أي: بالمبارك بعد الشؤم. انظر: «القاموس» (مادة: سنح).

وهو عمَلُه الذي عمِلَه، ويحتمل: بالطائر الذي عمِله كتاباً مكتوباً[١]؛ أي: في كتاب ﴿يَلْقَىٰهُ﴾؛ أي: يراه[٢].

وقرأ ابن عامر وأبو جعفر[٣]: ﴿يُلَقَّاه﴾ بضم الياء وتشديد القاف؛ أي: يُلقِّيه الملَك ذلك منشوراً بعدما كان مطويًّا مختوماً ليقرأه.

* * *

(١٤) ـ ﴿ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ ﴾: أي: يقال له: اقرأ كتابك ﴿كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾؛ أي: مُحاسِباً.

وقال الحسن: لقد أنصفكَ مَن جعَلَك حسيبَ نفسِك[٤].

وقال الإمام القشيري رحمه الله: أَلْزمَ كلَّ أحد[٥] ما ليس يجدُ له[٦] من عُهدته خلاصاً، ولا يَنال من لزومه مناصاً، وهو حكمُ السعادة لقومٍ وحكمُ الشقاوة لقومٍ، فالذين هم أهلُ السعادة أسرجَ لهم مراكبَ التوفيق، فتسير بهم إلى ساحات النجاة،

---

(١) في (ف): «متلواً».

(٢) في (ف): «منشوراً» بدل: «أي يراه».

(٣) في (ر) و(ف): «وقرأ أبو جعفر»، وفي (أ): «وقرأ ابن عامر»، والصواب المثبت. انظر: «التيسير» (ص: ١٣٩)، و«النشر» (٢/ ٣٠٦).

(٤) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٩٥٣)، والطبري في «تفسيره» (١٤/ ٥٢٣).

(٥) في (ف): «واحد».

(٦) «له»: ليست في (أ)، وعبارة مطبوع «اللطائف»: (ما لبس بجيده)، وليس فيه ما بعده من قوله: «من عهدته خلاصاً».

والذين هم أهل الشقاوة ربطتهم مثقلةُ الخذلان(١) فأقعدتهم عن النهوض إلى نهج الخلاص، وأوقعَتْهم في وَهدة الهلاك.

وقيل: مَن حاسبه بكتابه وجد(٢) كلَّ زلَّةٍ ومَهلكةٍ، ومَن حاسبه بكتاب نفسه ففي كتابه(٣) سبحانه: ﴿ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ﴾ [الكهف: ٥٨]، فالواجبُ على العبد أن يبتهِل في دعائه فيقول: اللهمَّ حاسبني بكتابك على ما قلتَ: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ لا بكتابي فإنه مشتمِل على القبائح والفضائح(٤).

***

(١٥) - ﴿مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾:

قال الإمام أبو منصور رحمه الله: هو كلُّه تفسير قوله: ﴿أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ﴾ فعمَلُ كلِّ إنسان يكون(٥) في عنقه، ويكون هو المؤاخَذ به لا غيرُه، ويؤاخَذُ بعمل نفسه لا بعمل غيره، والوِزر: الحِمْل، ومعناه: لا تحمِلُ كلُّ(٦) نفسٍ حاملةٍ حِمْلَ نفسٍ أخرى، والآثام: أحمال وأثقال، قال تعالى: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ﴾ الآية [العنكبوت: ١٣](٧).

---

(١) في مطبوع «اللطائف»: «أركبهم مطية الخذلان»، بدل: «ربطتهم مثقلة الخذلان».

(٢) في (أ) و(ر): «وحده».

(٣) في (ف): «ففي كتاب نفسه».

(٤) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٣٤٠)، والكلام فيه بنحوه.

(٥) «يكون»: من (أ).

(٦) «كل»: من (أ).

(٧) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٧/ ١٧ - ١٩)، والكلام فيه بنحوه.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾: قال الإمام أبو منصور رحمه الله: يحتمِل: وما كنَّا معذِّبين تعذيبَ استئصالٍ في الدنيا إلا بعدَ دفع الشُّبهِ ورفعِها عن الحجج مِن كلِّ وجهٍ وبعد تمامها ـ وإن كانت الحجةُ لزمتْهم بالعقول بدون بعثِ الرسل ـ ليدفعَ عنهم عذرَهم من كلِّ وجهٍ.

أو يكونُ قوله: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ﴾ في الآخرة ﴿حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ في الدنيا فضلاً منَّا ورحمةً، وإن كان العذاب قد لزمهم والحجةُ قد قامت عليهم.

والأشبهُ هو الأول، وعذابُ الاستئصال في الدنيا ليس هو بجزاءٍ على الكفر، بل جزاءُ الكفر عذابُ الآخرة الذي لا ينقطع، وإنما هو جزاء المعانَدة والمكابَرة عقوبةً لهم وعبرةً لغيرهم، وذلك يكون في المعاندة بعد لزوم الحجة من كلِّ وجه[١].

* * *

(١٦) ـ ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً﴾: أي: أهل قرية[٢] ﴿أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾؛ أي: أمرنا منعَّميها وجبابرتها بالطاعة.

وقوله تعالى: ﴿فَفَسَقُوا۟ فِيهَا﴾: أي: خرجوا عن[٣] الأمر وعصَوا، وقرئ

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٧/ ١٩)، والكلام فيه بنحوه.

(٢) «أي: أهل قرية»: ليس في (أ) و(ف).

(٣) في (أ): «على».

بالتشديد: (أَمَّرْنا)[١]؛ أي: ولَّينا وسلَّطنا[٢]، من الإمارة.

وقرئ: (آمَرْنا) بالمد[٣]؛ أي: أكثرنا، وقد أَمِرَ يَأْمَرُ أَمَراً من باب عَلِمَ[٤]: إذا كثُر، وآمَرَ غيرَه؛ أي: أَمَره[٥]؛ إذا: أَكْثَره، يُؤْمِرُه إيماراً، قال الشاعر:

إنْ يُغْبَطوا يهبطوا وإنْ أَمِروا ... يوماً يصيروا للقُلِّ والنَّفَدِ[٦]

وقوله تعالى: ﴿فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ﴾: أي: وجب عليها الوعيد ﴿فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا﴾؛ أي: أهلكناها واستأصلناها.

أَخبر أنه لا يعاجل بالعقوبة أمةً ظالمة حتى يُعذِر إليهم غايةَ الإعذار.

---

(١) نسبت لأبي عثمان النهدي، ورويت عن أبي عمرو وعاصم في غير المشهور عنهما. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٧٩).

(٢) «وسلطنا» ليست في (أ).

(٣) نسبت لخارجة عن نافع. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٧٩).

(٤) لو قال: «من باب فرح» كما في «القاموس» لكان أصوب، لأن (فرح) يوافقه في الماضي والحاضر والمصدر.

(٥) «أي: أَمرَه» ليست في (أ). وقوله: «أَمرَه»، جعله بعضهم بفتح الميم على أنه مما يصير به الفعل متعدِّيًا بعد أن كان بالكسر لازماً، كما في شَتِرَتْ عينُ الرَّجل بكسر التَّاء، وشَتَرَها الله بفتحها، وآخرون لم يقصروا التعدية على الفتح واللزومَ على الكسر، فذكروا أن كسر الميم لغةٌ كفتحها، ومعناها: كثرنا، حكى أبو حاتم عن أبي زيد: أَمَر الله مالَه وأَمِره ـ بفتح الميم وكسرها ـ ؛ أي: كثَّره. انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ١١٩)، و«معاني القرآن» للنحاس (٤/ ١٣٣)، و«البحر» (١٤/ ٤١) وفيه تفصيل المسألة.

(٦) في (ف): «للقل والنقل»، وفي (ر): «للقلة والثقل». والبيت للبيد، وهو في ديوانه (ص: ٣٤) برواية: (للهُلْك والنَّكَدِ)، و«مجاز القرآن» (١/ ٣٧٣) برواية: (للهلك والنفد)، و«غريب الحديث» للحربي (١/ ٨٨) كرواية المؤلف.

(١٧) ـ ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرًا ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ ﴾: أي: وما أكثرَ ما أهلكنا من القرون، وهو جمع قرنٍ.

وقال محمد بن القاسم المازني: هو مئة سنةٍ[١].

وقال عبد الله بنُ أبي أوفى: هو مئةٌ وعشرون سنةً[٢].

وقيل: هو أربعون سنة.

وقوله تعالى: ﴿مِنۢ بَعْدِ نُوحٍ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرًا ﴾:

قال القشيري رحمه الله: هذه تسليةٌ للمظلومين إذا استبطَؤوا هلاك الظَّلَمة، وتمنَّوا قَصْرَ أيديهم عنهم، فاستعجلوا[٣] انقضاءَ دُولهم وأيامهم، فإذا فكَّر[٤] فيمَن مضى منهم كيف بنَوا مَشيداً، وأمَّلوا بعيداً، فبادوا جميعاً، يَعلم أن الآخرين سيُخرطون[٥] عن قريب في سِلكهم، ويُمتحَنون بمثل شأنهم، فإذا تغيَّمت سماء أُنسهم بسحابِ الوحشة، فأَوَوا إلى ظلِّ شهودِ التقدير، فتزول عنهم الوحشةُ، وتَطيب لهم الحياةُ، وتتوفَّر أسباب البهجة[٦].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٥٣٤) من طريق سلامة بن حواس، عن محمد بن القاسم، عن عبد الله ابن بسر المازني، قال: وضع النبيّ ﷺ يده على رأسه وقال: «سَيَعِيشُ هذَا الغُلام قَرْناً» قلت: كم القرن؟ قال: مِئَةُ سَنَةٍ. ثم روى عقبه عن محمد بن القاسم، قال: ما زلنا نعدّ له حتى تمَّت مئة سنة ثم مات.

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٢٣٦)، والبغوي في «تفسيره» (٥/ ٨٤).

(٣) في (أ): «أو استعجلوا».

(٤) في (أ): «أفكر». وفي «اللطائف»: (فكروا)، وهو الأنسب بالسياق.

(٥) في (ف): «سيدخلون»، وفي «اللطائف»: (سينخرطون).

(٦) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ١٣٤).

(١٨) ـ ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴾.

وقوله تعالى: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ﴾: أي: مَن كان يريد بعمله الدنيا ﴿عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا﴾: في العاجلة ﴿مَا نَشَآءُ﴾ تعجيلَه ﴿لِمَن نُّرِيدُ﴾ تعجيلَه له، لا ما يشاؤه العامل وما يريده العامل[1].

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا﴾: يدخلُها ﴿مَذْمُومًا مَّدْحُورًا﴾: مطروداً.

* * *

(١٩) ـ ﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ﴾: أي: ثواب الآخرة بعمله ﴿وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا﴾: عَمِلَ عَمَل الآخرة من أداء الفرائض واجتنابِ المحارم ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾؛ أي: مصدِّقٌ للهِ في وعده ووعيده ﴿كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾؛ أي: مقبولاً عند الله، مَرْضيًّا محموداً، مُثاباً عليه الكثيرَ الخطيرَ على اليسير الحقير من العمل.

* * *

(٢٠) ـ ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿كُلًّا﴾: من هذين الفريقين ﴿نُّمِدُّ﴾: نعطي ونوسِّع ﴿هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ﴾: ترجمةٌ عن قوله: ﴿كُلًّا﴾.

وقوله تعالى: ﴿مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ﴾: رجوعٌ عن الإخبار عن نفسه إلى الخطاب، وهو من وجوه الكلام.

---

(١) في (ر): «العاجل» في الموضعين.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحۡظُورًا﴾: ممنوعاً عن عباده.

* * *

(٢١) ـ ﴿ٱنظُرۡ كَيۡفَ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ وَلَلۡأٓخِرَةُ أَكۡبَرُ دَرَجَٰتٖ وَأَكۡبَرُ تَفۡضِيلٗا﴾.

وقوله تعالى: ﴿ٱنظُرۡ كَيۡفَ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ﴾: في السعة[1] في الدنيا ﴿وَلَلۡأٓخِرَةُ أَكۡبَرُ دَرَجَٰتٖ وَأَكۡبَرُ تَفۡضِيلٗا﴾: أشد تفاوتاً، وتفضيلُها أكبرُ قَدْراً[2] من التفضيل الواقع في الدنيا.

وقوله تعالى: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعَاجِلَةَ﴾ نزلت في ثلاثة نفرٍ من ثقيف: مَرْثِدِ[3] بن ثُمامة، وأبي فاطمةَ بنِ البَخْتَرِيِّ، وجَدْعان، كانوا حراصاً على الدنيا[4].

وقوله تعالى: ﴿وَمَنۡ أَرَادَ ٱلۡأٓخِرَةَ﴾ نزلت في بلال بن رباح مولى أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ومِهْجَع بن عبد الله مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه[5].

وقال القشيري رحمه الله: ﴿وَهُوَ مُؤۡمِنٞ﴾؛ أي: مصدِّقٌ بأن نجاته بفضلِ الله لا بسعي نفسِه.

---

(١) في (أ): «الرزق».

(٢) في (ف): «وتفضلها أكثر فضلًا».

(٣) في (أ) (ف): «فرقد» وانظر التعليق الآتي.

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٥٢٦) وفيه: (نزلت في ثلاثة نفر من ثقيف؛ في فرقد بن يمامة، وأبي فاطمة بن البختري، وصفوان، وفلان، وفلان). وانظر: «تنوير المقباس» (ص: ٢٣٥)، واقتصر على قوله: (نزلت هذه الآية في مرْثَد بن ثُمامة).

(٥) قوله: «ومهجع بن عبد الله مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه» ليس في (ف)، ولم يرد في «تفسير مقاتل» (٢/ ٥٢٦). لكنه ذكره في أول العنكبوت على أنه أول شهيد للمسلمين يوم بدر، وفيه نزل قوله تعالى: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا﴾ الآية.

وقال في قوله: ﴿وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ﴾: قومٌ تفاضلوا بصدق القدم، وقومٌ تفاضلوا بعلوِّ الهِمم، ومنهم مَن يتفاضل بما لا بيانَ يصفه ولا عبارة، ولا رمز يدركه ولا إشارة، ومنهم مَن يراه في الأسبوع مرةً، ومنهم مَن لا يغيب عنه لحظة، وقد يجتمعون عند الرؤية ثم يتفاوتون في النصيب، فليس كلُّ مَن يراه يراه بالعين التي يَرى بها صاحبُه، وأنشدوا:

لو يَسمعون كما سمعتُ كلامَها خرُّوا لعزَّةَ رُكَّعاً وسجوداً[١]

* * *

(٢٢) ـ ﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَخْذُولًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ﴾: أي: جرِّد التوحيد فلا تعتقِدْ مَن يَستحق العبادةَ غيرَه.

وقوله تعالى: ﴿فَتَقْعُدَ﴾: أي: فتبقى وتمكُثَ ﴿مَذْمُومًا﴾ بكلِّ لسان ﴿مَخْذُولًا﴾: موكولاً إلى مَن اتَّخذْتَه من دون[٢] الله معبوداً لا نصيرَ عنده ولا عون.

والخطاب للنبي ﷺ والمراد به[٣] غيره.

وهذه الآيات متصلةٌ بعضُها ببعضٍ، وأولها: ﴿وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ﴾؛ أي: عملَه من الخير والشر، ثم ذكر تفاصيلَ ذلك وتفاوتَ الفرق فيها، وذكر تفاوتَ الناس في الدنيا في الأعمال وتفاوتَهم في الآخرة في المحالّ، وذلك على حسب الأفعال، ثم فصَّل تلك الأعمال وبدأ بالتوحيد وهو في هذه الآية، ثم أتبعها خصال الإسلام الحسنةَ وما يضادُّها من الأعمال السيئة.

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٣٤٢ ـ ٣٤٣).

(٢) في (ر): «غير»، وفي (ف): «من غير» بدل: «من دون».

(٣) «به» من (ف).

(٢٣) ـ ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ إِمَّا يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوۡ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾: قال ابن عباس وقتادةُ وابن زيد: وأمر ربُّك[١]. وأصل القضاء: فصلُ المعنيِّ بالأمرِ على أحكام[٢].

وفي مصحف عبد الله: (ووصَّى ربُّك)[٣].

و﴿أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ﴾ نصبٌ لوقوع (قضى) عليه، و(لا تعبدوا) نهيٌ.

ولمَّا أمر الله تعالى بالتوحيد وقدَّمه لأن به تُقبل الأعمال، أَتْبعه بالإحسان إلى الوالدين وهو أعظمُ حقوق البشر، ثم أمر بعد ذلك بصلةِ الرَّحِم ومواساةِ المحاويج بالمقدار المعقول في الإنفاق المحمود، ثم نهى عن قتل الأولاد وهو من صلة الرَّحِم، ثم أَتْبعه النهيَ عن الزنا وفيه حفظُ الأنساب ليتوصل بذلك إلى صلة الأرحام؛ إذ في الزنا اختلاطُ الأرحام[٤] والجهلُ بوجوه القَرابات، ثم النهيَ عن قتل النفس المحرَّمة بغير حقٍّ إذ لا ذنب بعد ذلك إلا الشركُ أعظمُ منه، ثم النهيَ عن تضييع مال اليتيم وإفسادِه، ثم الوفاء بالعهود، ثم إيفاء الكيل والوزن[٥] بالقسط، ثم حفظ السمع والبصر والفؤاد عن خلاف الحق، ثم الأمر بالتواضع وتركِ التكبُّر والتعظُّم والمرحِ على الناس، كلُّ ذلك مَسُوقٌ على قوله: ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلۡزَمۡنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِي عُنُقِهِۦ﴾، ولا

---

(١) رواه عنهم الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٥٤٢ ـ ٥٤٣). وعن قتادة عبد الرزاق في «تفسيره» (١٥٥٣).

(٢) في (ف): «الإحكام».

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ١٢٠)، و«المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٧٩)، و«تفسير ابن أبي حاتم» (٧/ ٢٣٢٣)، و«المحرر الوجيز» (٣/ ٤٤٧).

(٤) في (أ): «الأنساب».

(٥) في (ف): «والميزان».

شك أن مَن استوفى هذه الخلالَ[(١)] فقد يَـمُنَ طائره وسُعِد جدُّه، وقوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ﴾؛ أي: أَحْكَم ربُّك الأمرَ[(٢)] لعباده وبتَّ[(٣)] القولَ عليهم فيما تعبَّدهم به أن يُفْردوه بالعبادة فلا يشركوا به أحداً غيرَه.

قوله تعالى: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا﴾: أي: وأن تُحْسِنوا بالوالدين؛ أي: إلى الوالدين، كما قال: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ﴾ [يوسف: ١٠٠].

وقوله تعالى: ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ﴾: (إمَّا) كلمتان: (إنْ) للشرط[(٤)] و(ما) للصلة، والنون للتأكيد، وقرأ حمزة والكسائي وخلف: ﴿يَبْلغانِّ﴾ على التثنية؛ لسبقِ ذكر الوالدين في صدر الآية، وعلى هذا قولُه: ﴿أَحَدُهُمَآ﴾ بدلُ البعض؛ كقولك: جاءني القوم بعضُهم، أو هو تفصيل، فقد قال: ﴿أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا﴾.

وقرأ الباقون على الوحدان لأنه فعلُ قولِهِ: ﴿أَحَدُهُمَآ﴾ في ظاهر النظم، وعُطف عليه ﴿أَوْ كِلَاهُمَا﴾[(٥)].

يقول: إنْ بلغ عندك الكبرَ الذي هو أرذلُ العمر وهما حينئذٍ في الحاجة إلى مَن يكفيهما ويقومُ بمصالحهما كالولد في صِغَره حين حاجتِه إليهما، فلا تَستثقِلْ أن تليَ منهما ما كانا يليانه منك، ولا تُظهر لهما شيئاً من التكرُّه والتضجُّر قولاً ولا فعلاً، وهو قوله تعالى:

﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾: وفيها ستُّ لغاتٍ: الحركاتُ الثلاث بتنوينٍ وغيرِ تنوينٍ:

---

(١) في (أ): «الخصال».

(٢) في (ف): «حكم ربك الأمر» وفي (ر): «حكم ربك بالأمر».

(٣) في (أ): «وثبت».

(٤) في (ف): «الشرطية».

(٥) انظر: «السبعة» (ص: ٣٧٩)، و«التيسير» (ص: ١٣٩)، وقراءة يعقوب في «النشر» (٢/ ٣٠٦).

أمَّا الكسرُ فعلى أصل الحركة لالتقاء الساكنين، والفتح طلباً للخفَّة في المضاعَف، والضمُّ تشبيهاً بـ(حيث) لأنه يوقف عليه من غير وصل بغيره[(١)]، وهو كقولك: قبلُ وبعدُ.

والتنوين للتنكير، وتركُه للتعريف.

وفيه ثلاث قراءات:

﴿أفِّ﴾ بكسر الفاء من غير تنوينٍ، وهي قراءةُ أبي عمرو والكسائيِّ، وعاصم في رواية أبي بكر وحمَّادٍ.

والثانية: ﴿أفَّ﴾ بفتح الفاء من غير تنوين، وهي قراءة ابن كثير، وابن عامر، وسهلٍ، ويعقوبَ، وعاصمٍ في رواية المفضَّل[(٢)].

والثالثة: ﴿أُفٍّ﴾ بالكسر والتنوين، وهي قراءةُ نافعٍ وعاصمٍ في روايةِ حفصٍ[(٣)].

وهي كلمةٌ تدلُّ على التضجُّر، والعرب تقول: أُفًّا وتُفًّا.

وقيل: الأفُّ: وسخُ الأظفار، والتُّفُّ: ما رفعتَ بيدكَ من حَقيرِ الأرض.

وقيل: معنى (أفّ): النَّتْن. وقيل: التَّبرُّم.

وقيل: الأفُّ ما يكون في المغابن من العَرَق، والتُّفُّ: ما يكون في الأصابع من الوسخ.

---

(١) في (ف): «أنه لا يوقف عليه من غير فصل بغيره» بدل: «لأنه يوقف...».

(٢) «وسهل ويعقوب وعاصم في رواية المفضل»: سقط من (أ).

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٣٧٩)، و«التيسير» (ص: ١٣٩)، وقراءة يعقوب في «النشر» (٢/ ٣٠٦ـ٣٠٧). وقراءة سهل، وكذا رواية حماد عن عاصم، ورواية المفضل عنه، ليست من المتواتر ولم تَرِد في هذه المصادر.

وقال سعدونٌ المجنون[١]:

أُفٍّ لــلـدنـيــا وتُــفّ   كلُّ مَــن فيهــا يَلــفّ[٢]

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾: النَّهْر والانْتِهار: الزَّجرُ بإغلاظٍ وصياح.

وقوله تعالى: ﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾: شريفاً في نفسه، أَعْرِض فيه عن القُبح واللَّغو، قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ [الفرقان: ٧٢]؛ أي: معرِضين عنه مكرِمين أنفُسَهم عن الإصغاء إليه.

وأصل الكَرَم: الصَّفْح.

وقوله: ﴿كِتَابٌ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٢٩] قيل: شريف.

وقيل: الكريم: الذي يُظهر محاسنَ حبيبه ويُخفي القبائح[٣]، قال الشاعر:

إنَّ الكريـم إذا حبَـاكَ مـودَّةً   سَتَر القبيـحَ وأَظهـر الإحسـانا

وقال الضحاك: هو ألا يُسمِّيَهما بالاسم[٤]، لكن يقول: يا أبتاه ويا أُمَّاه.

وقال الزهريُّ لسعيد بن المسيِّب: قد عرفتُ ما في القرآن إلا قولَه: ﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ فما هو؟ قال: هو قول العبد المذنبِ للسيد الفظِّ[٥].

---

(١) سعدون الْمَجْنُون، يُقَال: إنّ اسمه سعيد وكنيتَه أبو عَطاء ولقبَه سعدون، من أهل البَصْرة، كان من عقلاء المجانين وحكمائهم، له أخبار مِلاح وكلام سديد ونَظْم ونَثْر يُسْتَحْسَنُ، وطوَّف البلاد ودُوِّنت أخبارُه، استقدمه المتوكِّل وسمع كلامه. انظر: «الوافي بالوفيات» (١٥/ ١١٩).

(٢) انظر: «الوافي بالوفيات» (١٨/ ١٥٠)، وعزاهما لابن المنجم الواعظ.

(٣) في (ف): «المقابح».

(٤) في (ر): «باسمهما».

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٥٤٩ و٥٥١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٢٤)، والواحدي في «البسيط» (١٣/ ٢٠٦)، وعندهم جميعاً: أبو الهداج التُّجيبي، مكان: الزهري.

(٢٤) ـ ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ﴾: حاصلُه: التواضعُ والعطفُ والرعاية.

وقال عطاءٌ في تفسيره: لا تَرفع إليهما بصرَك، ولا تشدَّ[(١)] نظرك[(٢)].

ومجازُه: أن الطائر إذا أراد ضمَّ فرخِه إليه خفَض له جناحيه، فكذا قيل للولد: اكفُل والديك وضمَّهما إلى نفسك كما كانا هما[(٣)] يفعلان بك في صغرك.

وقيل: إذا نزل الطائرُ إلى ولده المتروك في وكره عن طيرانه خفَض جناحيه ولم يُرفرف بهما لئلا يؤذيَ الولدَ ذلك، فكذا الولدُ أُمر أن يتقدَّم إلى والديه على لِينٍ وتواضُعٍ، لا يأخذهما ولا يرفعهما إذا احتاجا إلى رفعه على قلةِ مراعاةٍ وعلى حَملهما كما يحمل الأحمال، كيلا يَشُقَّ عليهما ولا يؤذيَهما.

وقيل: خفضُ الجناح: ترك الطيران، وبسطُهما: للطيران والتباعُد، فهذا أمرٌ للولد ألا يَبرحَ عن خدمتهما، ولا يَنفِرَ عنهما ولا يتباعَدَ.

وقوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾: والرحمة تجمعُ كلَّ الخيرات في الدِّين والدنيا إلى أن يُدخل الله المرحومَ الجنة ويَغفر له خطاياه، يقول: يا ربِّ

---

(١) في (ر): «وتمد إليهما»، بدل: «ولا تشد»، وسقطت من (ف) مع كلمة «بصرك».

(٢) لم أجده بهذا اللفظ، وروى ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٢٤)، والواحدي في «البسيط» (١٣/ ٣٠٧)، عن عطاء بن أبي رباح قال: (لا ترفع يدك عليهما)، زاد ابن أبي حاتم: (إذا كلمتَهما). وفي «البسيط» أيضاً: وقال عطاء عن ابن عباس: (لا يريدان منك أمرًا إلا أجبتهما إليه). ولعل هذا الثاني هو الخراساني.

(٣) في (ف): «كما أنهما كانا».

افعَلْ بهما هذا النوع من الإحسان كما أحسَنَا إليَّ في تربيتهما إياي، والتربيةُ هي التنمية، وهذا من حقوقهما بعد موتهما وهو الدعاءُ لهما[١].

وقيل: نزلت الآية في سعد بن أبي وقَّاص حين أسلم، وعلمت بذلك أمُّه فتجرَّدت وألقت نفسها في الرمضاء، فأُخبر سعدٌ بذلك، فقال: فلتَمُت، فلم يرضَ الله بذلك وأنزل: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا﴾ [العنكبوت: ٨] وما ضاهاها من الآيات[٢]، وعلى هذا قوله: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا﴾ نسخَها قولُه: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ١١٣].

***

(٢٥) ـ ﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُوا۟ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُوا۟ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا﴾: قيل: لمَّا نزلت الآيةُ خاف بعضُ الناس ما وقع منهم في حقِّ الأبوين من التقصير على غير قصدٍ، فنزلت.

أي: اللهُ عالمٌ بقصدِ قلوبكم، فإن تكونوا صالحين غيرَ قاصدين للعقوق، بل نادمين على ما يقع من غير قصدٍ، راجعين إلى الله، غفر الله تعالى لكم ما قد سلف.

---

(١) «وهو الدعاء لهما.» ليس من (ف).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٣٦٣)، عن قتادة في نزول قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا﴾ [العنكبوت: ٨]. ورواه مسلم (١٧٤٨)، والطبري (١٨/ ٥٥٢)، من حديث سعد رضي الله عنه في نزول قوله: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمان: ١٤ ـ ١٥].

وقيل: هو في حق العاقِّين[١] إذا تابوا وتداركوا ذلك بالعذر والبِرّ.

وقيل: هو على العموم في حقِّ جميع ما سبق ذكرُه في السورة من الأمر والنهي.

وقال سعيد بن المسيب: الأوَّاب: التوَّاب؛ كلما أذنبَ بادر بالتوبة منه[٢].

وقال سعيد بن جبير ومجاهد: الأواب: الراجع عن ذنبه بالتوبة[٣].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: الأوَّاب: الرجَّاع إلى الله فيما يَنوبه[٤].

وقالت عائشة رضي الله عنها: الأوَّاب: الذي يُذنبُ ثم يتوبُ، ثم يذنبُ ثم يتوبُ، ثم يذنبُ ثم يتولى[٥].

وقال سعيد بن جبير: الأوَّاب: المسبِّح[٦]، قال تعالى: ﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ﴾ [سبأ: ١٠]؛ أي: سبِّحي.

وقال قتادة: الأوَّاب: المطيع[٧].

---

(١) في (ر): «العارفين»، ولعله تحريف.

(٢) في (ف): «بادر إلى التوبة». والخبر ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٢٣٩)، ورواه بنحوه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٥٥٦)، والطبري في «تفسيره» (١٤/ ٥٥٨ ـ ٥٥٩).

(٣) ذكره عنهما الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٢٣٩)، ورواه عنهما بنحوه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٥٦٠ ـ ٥٦١).

(٤) ذكره عنه الواحدي في «البسيط» (١٣/ ٣١٠) بلفظ: (الراجعين عن معاصي الله، التاركين لسخط الله، النادمين على الزلَّات).

(٥) «ثم يذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم يتولى»: من (أ).

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٥٥٧) من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس.

(٧) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٥٥٦)، والطبري في «تفسيره» (١٤/ ٥٥٧)، بلفظ: ﴿لِلْأَوَّٰبِينَ﴾: للمطيعين المصلين.

(٢٦) ـ ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ ﴾: أي: أعطِ ذا القرابة منك ـ وهو المتَّصل بك بأبيك أو أمِّك ـ حقَّه الواجب عليك من الصلة[1] والمواساة.

﴿و﴾ أعطِ ﴿ٱلْمِسْكِينَ﴾[2] أيضاً وهو الفقير ﴿وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ﴾ أيضاً وهو الغريب.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴾: أي: ولا تُسرف إسرافاً، وأصله: التفريق، من إلقاء البذر في الأرض وهو تفريق حبَّاته.

وقال ابن عباس وابن مسعود وقتادة رضي الله عنهم: هو إنفاق المال في غير حقِّه[3].

وقال مجاهد: لو أنفق مدًّا في باطل كان تبذيراً[4].

وذكرُ المصدرِ لتأكيدِ النهي.

* * *

(٢٧) ـ ﴿ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴾.

﴿ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴾: أي: لم يزل فعلُهم قبيحاً في العقل والشرع، فهم لقبح أعمالهم إخوان الشياطين؛ أي: جارُون على مذهبهم لازمون لأفعالهم، والعرب تسمي الملازِمَ أخاً له، فتقول: أخو المكارم، وأخو الجود، وأخو السفر، إذا كان مواظِباً عليه ملازماً له.

---

(١) في (أ): «الصدقة».

(٢) في (ف): «والمسكين وإعطاء المسكين» بدل: «وأعط المسكين».

(٣) رواه عن ابن مسعود وابن عباس البخاري في «الأدب المفرد» (٤٤٤) و(٤٤٥)، والطبري في «تفسيره» (١٤/ ٥٦٥ ـ ٥٦٧). وعن قتادة الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٥٦٨).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٥٦٧ ـ ٥٦٨).

قوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا﴾: أي: كثيـرَ الكُفران لنعمه جَحوداً لحقوقه، ودخول (كان) فيه إخبارٌ عن عادته ومذهبه في القِدَم[1].

وقيل: إخوانُ الشياطين: قرناؤهم في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾ [الزخرف: ٣٦]، وقال: ﴿ٱحْشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزْوَٰجَهُمْ﴾ [الصافات: ٢٢] قيل: أي: وقرناءهم[2] من الشياطين.

***

(٢٨) - ﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا﴾: أي: وإن عَرَضتْ[3] لك حاجةٌ أحوجَتْك إلى الإعراض عن هؤلاء المحتاجين لضِيقِ يدٍ انتظارَ الرزقِ ترجُوه من الله فلا تَدَعْ تعهُّدهم بالقول الجميل، وهو قوله[4]: ﴿فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا﴾.

وكان النبي ﷺ قبل نزول هذه الآية إذا سُئل ولم يكن عنده ما يعطي سكت انتظاراً للرزق يأتي من الله كراهةَ الردِّ، فنزلت هذه الآية، فكان بعد ذلك إذا سئل ولم يكن عنده ما يعطي قال: «يرزقُنا الله وإياكم من فضله»[5]، وذلك قوله: ﴿فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا﴾؛ أي: لا تسكت فيكونَ ذلك إيحاشاً لهم، ولا تُؤْيسهم فيكونَ ذلك إيلاماً لهم.

---

(١) في (ف): «القديم».

(٢) في النسخ: «وقرناؤهم»، والصواب المثبت.

(٣) في (أ): «عزمت».

(٤) «وهو قوله»: سقط من (أ) و(ف).

(٥) ذكرته كتب التفسير دون سند. انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٢٣٦)، و«التفسير الوسيط» للواحدي (٣/ ١٠٥)، و«المحرر الوجيز» (٣/ ٤٥٠).

(٢٩) ـ ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ ﴾: أي: ولا تمنع العطية بمرةٍ منعَ البخيل[١]، والغَلُّ كنايةٌ عن المنع.

﴿وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ ﴾: أي: ولا تجاوزِ الحدَّ في الإعطاء ﴿فَتَقْعُدَ مَلُومًا ﴾؛ أي: فتبقى تلومُك الناس على ذلك.

وقوله تعالى: ﴿مَّحْسُورًا ﴾: أي: منقطِعاً عن الطاعة.

* * *

(٣٠) ـ ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ ﴾: أي: الله هو الذي يوسِّع الرزق على مَن يشاء من عباده ﴿وَيَقْدِرُ ﴾؛ أي: يضيِّق على ما يعلم من صلاح العبد، لا لعجزٍ ولا لبخل[٢]، بل قد يعطي ليَمتحِنَ بالشكر وقد يَمنع ليَمتحِن بالصبر.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴾: عالماً بعباده ومصالحهم، بصيراً بأحوالهم وأعمالهم.

وقيل: نزل قوله: ﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ﴾ الآيةَ في مهجعٍ وبلالٍ وسالمٍ مولى أبي حذيفةَ وخبَّابِ بن الأرتِّ وصُهيب بن سنان، كانوا يَسألون رسول الله ﷺ في الأحايين ما يحتاجون إليه، ولا يجد له متَّسعاً فيُعرِض[٣] عنهم حياءً منهم، فأنزل الله هذه الآية[٤].

---

(١) في (أ): «عن منع البخيل»، وفي (ر): «بمرة منع البخل»، وفي (ف): «منع البخل»، والصواب المثبت.

(٢) في (ف): «لا كالعجز والبخل»، وفي (ر): «لا للعجز والبخل».

(٣) في (ر) و(ف): «فإن كان لا يجد لها متسعاً أعرض»، بدل: «ولا يجد له متسعاً فيُعرض».

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٦/ ٩٦)، والبغوي في «تفسيره» (٥/ ٨٩).

وروى جابر: أن النبيَّ ﷺ كان قاعداً بين أصحابه، إذ أتاه صبيٌّ فقال: يا رسول الله! إنَّ أمي تَستكسيك قميصاً، ولم يكن عند رسول الله ﷺ إلا قميصُه، فقال للصبي: «من ساعةٍ إلى ساعةٍ يَظهر»، فعاد الصبي إلى أمه فقالت: قل له: إن أمي تستكسيك القميصَ الذي عليك تتبرَّك به، فدخل النبيُّ ﷺ داره ونزع قميصه وقعد عارياً، فأذَّن بلال للصلاة وانتظره فلم يخرج، فشُغل قلب الصحابة، فدخل عليه بعضهم فرآه عارياً فلامه، فنزلت الآية[1].

***

(٣١) ـ ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَـٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَـٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَـٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَـٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا﴾: يجوز أن يكون هذا مجزوماً على النهي عطفاً على قوله: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ﴾، ويحتمِل أن يكون منصوباً عطفاً على قوله: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾، وقتلُ الأولاد[2] من أشدِّ العقوق، وقد أمر الله تعالى ببِرِّ الأولاد كما أمر ببرِّ الوالدين، وفي التفسير: الأبرار هم الذين يَبَرُّون الآباء والأبناء.

---

(١) ذكره أبو الليث السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٣٠٩)، والثعلبي في «تفسيره» (٦/ ٩٦)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢٨٧)، والبغوي في «تفسيره» (٥/ ٩٠)، والزمخشري في «الكشاف» (٢/ ٦٦٢). قال الحافظ في «تخريج أحاديث الكشاف» (ص: ٩٩): (لم أجده). وقال الآلوسي في «روح المعاني» (٢٩/ ١٤): وأنت تعلم أنه يأبى هذا كونُ السورة مكية والآية ليست من المستثنيات، ولعل الخبر لم يثبت فعن ولي الدين العراقي: أنه لم يجده في شيء من كتب الحديث؛ أي: بهذا اللفظ، وإلا فقد أخرج ابن مردويه عن ابن مسعود قال: جاء غلام إلى النبي ﷺ فقال: إن أمي تسألك كذا وكذا فقال: «ما عندنا اليوم شيء»، قال: فتقول لك: اكسني قميصك، فخلع عليه الصلاة والسلام قميصه فدفعه إليه وجلس في البيت حاسراً فنزلت، وأخرج ابن أبي حاتم عن المنهال ابن عمرو نحوه، وليس في شيء منهما حديث أذان بلال وما بعده.

(٢) في (أ): «الوالدين».

وإذا[1] كان ذلك خوفاً من الفقر فهو أشدُّ؛ لِمَا فيه من سوء الظن بالله تعالى.

وكان ذلك نهياً عن وأد[2] البنات، وكانوا يفعلونه، قال النبيُّ عليه السلام: «إن الله كَرِه لكم وَأْدَ البنات وعقوقَ الآباء والأمهات»[3].

وذكَر الأولادَ على العموم ـ مع أن عادتهم كانت في البنات على الخصوص ـ تعريفاً أن البنات أولادٌ[4] كالبنين، وكان وأدُهم البناتِ لخوف الفقر، فإن البنات عاجزاتٌ عن التكسُّب[5]، وكانوا يتعيَّشون بالغارات، ويأخذون أموال الناس في المحارَبات، والبناتُ عن ذلك عاجزات، وربما لا يَرْغبُ كفءٌ في البنت فيُضطر إلى تزويجها من غير كفءٍ، فيلحقها العار بذلك، فكانوا يئدون البنات تحرُّزاً عن ذلك، فقال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ﴾؛ أي: فقر ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾؛ أي: علينا أرزاق الكلِّ فلا تهتمُّوا لذلك.

وقوله: ﴿إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا﴾ قرأ ابن كثير: ﴿خِطاءً﴾ بكسر الخاء ممدودةً مهموزة، وقرأ ابن عامر في رواية ابن مجاهدٍ عن ابن ذكوان: ﴿خَطَأً﴾ بفتح الخاء والطاء والهمزة من غير مدٍّ، وقرأ الباقون بكسر الخاء وتسكينِ الطاء[6].

---

(١) في (ف): «وإن».

(٢) في (ف): «قتل».

(٣) رواه البخاري (٢٤٠٨)، ومسلم (٥٩٣)، من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه بلفظ: «إنَّ اللهَ حَرَّمَ عليكم عُقُوقَ الأُمَّهاتِ، ومَنْعًا وهاتِ، ووَأْدَ البنات، وكَرِه لكم: قِيلَ وقالَ، وكثرةَ السُّؤال، وإضاعةَ المال».

(٤) في (ر): «والأولاد».

(٥) في (أ): «الاكتساب»، وفي (ر): «الكسب».

(٦) انظر: «السبعة» (ص: ٣٧٩ ـ ٣٨٠)، و«التيسير» (ص: ١٣٩ ـ ١٤٠).

والخِطْءُ والخَطَأُ مصدر خَطِئَ يَخْطأُ، كالحِذْر والحَذَر، والعِشْق والعَشَق، وقد خَطِئ: أَثِم، وأخطأ: ضدُّ تعمَّد، والخِطْءُ ـ بالكسر ـ لا يكون إلا تعمُّداً، والخطَأُ بالفتح قد يكون عمداً وقد يكون خطأً.

***

(٣٢) ـ ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً ﴾: والفاحشة: الفعلةُ المتناهيةُ في القبح ﴿وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾: أي: وما أسوأه وأفسده[1]، والنهي عن القُربان مبالغةٌ في المنع عنه.

***

(٣٣) ـ ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾: أي: كلُّ نفس عصَمها وحقَن دمَها بالإسلام أو بالعهد فلا تقتلوها ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾؛ أي: إلا بحقٍّ يُوجب قتلها؛ كالقصاص، والرجم بعد الإحصان[2]، ونحوِ ذلك، وبيَّن النبيُّ ﷺ ذلك فقال: «لا يحلُّ دمُ امرئ مسلمٍ إلا بإحدى معانٍ[3] ثلاثة: زناً بعد إحصان، وكفرٍ بعد إيمان، وقتلِ نفس بغير حق»[4].

---

(١) في (أ): «وما أسوأه وما أفسده».

(٢) «بعد الإحصان»: ليست في (أ) و(ف).

(٣) كلمة: «معاني»: ليست في المصادر.

(٤) حديث صحيح: رواه أبو داود (٤٥٠٢) والترمذي (٢١٥٨) والنسائي (٤٠٥٧)، وابن ماجه (٢٥٣٣)، من حديث عثمان رضي الله عنه.

وقوله تعالى: ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا﴾: أي: ولايةَ القصاص، ووليُّه: وارثُه، فإن القصاص موروثٌ بين وارثِيهِ[١] على السهام.

وقوله تعالى: ﴿فَلَا يُسْرِف فِّي ٱلْقَتْلِ﴾: قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وخلف، وابن مجاهد والنقَّاش عن ابن ذكوان[٢] بتاء المخاطبة جزماً[٣]، وهو نهي للولي خطاباً، وقرأ الباقون بياء المغايبة جزماً، وهو نهيُ مغايبةٍ ويرجع إلى الولي.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا﴾: قال قتادة: أي: إن الوليَّ منصورٌ باستيفاء القصاص، وعلى الأئمة والمسلمين نصره بإيفاء حقِّه[٤].

وقال مجاهد: أي: إنَّ المقتول منصورٌ على قاتله، في الدنيا بالقصاص وفي الآخرة بما يجري على قاتله[٥] من العذاب الشديد[٦].

---

(١) في (أ): «ورثته».

(٢) «وابن مجاهد والنقاش عن ابن ذكوان»: ليست في (أ)، وكلمة: «ابن» ليست في (ف). ولم أقف على ما في هذه العبارة في المصادر. إلا ما جاء في «المحرر الوجيز» (٢/ ٤٥٣)، و«البحر المحيط» (١٤/ ٧٢)، من نسبة هذه القراءة لمجاهد بخلاف عنه.

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٣٨٠)، و«المحرر الوجيز» (٢/ ٤٥٣)، عن حمزة والكسائي وابن عامر، و«حجة القراءات» لابن زنجلة (ص: ٤٠٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١٤٠)، و«الإقناع في القراءات السبع» لابن الباذش، عن حمزة والكسائي ولم يذكروا ابن عامر، و«المبسوط في القراءات العشر» لأبي بكر النيسابوري (ص: ٢٦٩)، و«النشر» (٢/ ٣٠٧)، عن حمزة والكسائي وخلف. وقال في «البحر المحيط» (١٤/ ٧٢): في نسخة من «تفسير ابن عطية»: (وابن عامر، وهو وهم).

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٦/ ٩٨)، ورواه بنحوه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٥٨٨).

(٥) في (ر): «صاحبه».

(٦) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٦/ ٩٨)، ورواه بنحوه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٥٨٨).

ومعنى النهي عن الإسراف فيه: ألا يَقتل وليُّ المقتول غيرَ قاتلِ وليِّه، وكان مِن عادةِ العرب قتلُ غيرِ قاتله، والزيادةُ على ذلك بقتلِ النفوس بنفسٍ واحدة.

وقيل: هو مجاوزةُ الحدِّ الذي جُعل في القصاص؛ من الـمُثْلة، وقطعِ الأطراف، ونحوِ ذلك.

وقال النبيُّ ﷺ: «إذا قتلْتُم فأَحْسِنوا القِتلةَ، وإذا ذبحتُم فأَحْسِنوا الذِّبحة»[1]، وعلى هذا قوله: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا﴾؛ أي: القاتل، فإن الله تعالى ينهَى عن قتله بأكثرَ من فعله.

وقيل[2]: ﴿فَلَا يُسْرِف فِّي ٱلْقَتْلِ﴾ هو نهي القاصد عن القتل؛ أي: لا يَقتل، فإن نَفْس القتل إسرافٌ، قال تعالى: ﴿مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢]، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [الدخان: ٣١].

* * *

(٣٤) - ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾: أي: بالجهة التي هي أحسنُ؛ أي: أصلحُ وأنفع.

وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ﴾: أي: كمالَ عقله وقوَّته، وهو إذا احتلم أو بلغ بالسنِّ، على ما فسَّرناه في آخر سورة الأنعام.

---

(١) رواه مسلم (١٩٥٥) من حديث شداد بن أوس رضي الله عنه.

(٢) في (أ): «فقوله».

وقوله تعالى: ﴿وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِ﴾: أي: بعهد[١] الله، وهي أوامره ونواهيه، ونذورُ العبد وأيمانُه؛ كما قال: ﴿أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ﴾ [المائدة: ١]؛ أي: بعهد الله[٢]، وقال: ﴿وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمۡ﴾ [النحل: ٩١].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولٗا﴾: أي: مطلوباً؛ كما يقال: سألتُه حقِّي؛ أي: طلبته، ولذلك لم يقل: مسؤولاً عنه.

* * *

(٣٥) ـ ﴿وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ إِذَا كِلۡتُمۡ وَزِنُواْ بِٱلۡقِسۡطَاسِ ٱلۡمُسۡتَقِيمِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلٗا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ إِذَا كِلۡتُمۡ﴾: أي: سلِّموا ما استُحِقَّ عليكم كيلاً بكيلٍ تامٍّ.

وقوله تعالى: ﴿وَزِنُواْ بِٱلۡقِسۡطَاسِ ٱلۡمُسۡتَقِيمِ﴾: أي: سلِّموا[٣] ما استُحِقَّ عليكم وزناً على استقامةٍ، والقسطاس: الميزان صغُر أو كبُر؛ قاله الزجَّاج[٤].

وقيل: هو القبَّان، وهو قول الحسن[٥].

وقال مجاهد: هو العدل بالرُّومية[٦]، وكأنَّ القسط أصلٌ ـ وهو العدلُ ـ والباقي مزيدٌ عليه، والمستقيم: المعتدِل.

وقرأ حمزة والكسائي وخلف وعاصم في رواية حفصٍ بكسر القاف، والباقون بضمِّها[٧]، وهما لغتان.

---

(١) في (أ): «بعهود».

(٢) «أي: بعهد الله» ليست في (أ).

(٣) في (ف): «إذا سلمتم» بدل: «أي: سلموا».

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٢٣٨).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٥٩١).

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٥٩٢).

(٧) انظر: «السبعة» (ص: ٣٨٠)، و«التيسير» (ص: ١٤٠)، و«النشر» (٢/ ٣٠٧).

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلٗا﴾: قال قتادة: وأحسنُ ثواباً في العاقبة(١)، وهو مِن آلَ يؤولُ، وهو كقوله: ﴿وَخَيۡرٞ مَّرَدًّا﴾ [مريم: ٧٦]، ﴿وَخَيۡرٌ عُقۡبٗا﴾ [الكهف: ٤٤].

وقوله: ﴿ذَٰلِكَ خَيۡرٞ﴾؛ أي: في الدنيا، فإنه أمانة، وهو(٢) يوجب الثناءَ والمحمَدةَ ورغبةَ الناس في معاملته، وهو أنفع من كلِّ كسبٍ ﴿وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلٗا﴾ في الآخرة فقد جمع نفع الدارين.

***

(٣٦) - ﴿وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌ﴾: قال قتادة: أي(٣): ولا تقُل: سمعتُ، ولم تسمع، ولا: رأيتُ، ولم ترَ، ولا: علمتُ، ولم تَعلم(٤).

وأصلُ القَفْو: اتِّباع الأثر، وكأنه يتَّبع قفا المتقدِّم، والخطاب للنبيِّ ﷺ والمرادُ جميع أمته.

وقيل: هو النهيُ عما كان عليه المشركون على التقليد من غير علمٍ، كما قال تعالى: ﴿إِنۡ هِيَ إِلَّآ أَسۡمَآءٞ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهۡوَى ٱلۡأَنفُسُ﴾ [النجم: ٢٣] وقال: ﴿فَهُمۡ فِيٓ أَمۡرٖ مَّرِيجٍ﴾ [ق: ٥]، ﴿بَلۡ هُمۡ فِي لَبۡسٖ﴾ [ق: ١٥]، ﴿بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ مِّنۡهَاۖ بَلۡ هُم مِّنۡهَا عَمُونَ﴾ [النمل: ٦٦]، وقال: ﴿إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنّٗا وَمَا نَحۡنُ بِمُسۡتَيۡقِنِينَ﴾ [الجاثية: ٣٢]، وقال: ﴿وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيۡرِ هُدٗى مِّنَ ٱللَّهِ﴾

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٥٦٦)، والطبري في «تفسيره» (١٤/ ٥٩٣).

(٢) «وهو»: ليست في (أ).

(٣) في (أ): «يعني».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٥٩٤).

[القصص: ٥٠]، وقال: ﴿نَبِّـُٔونِي بِعِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٤٣]، ﴿هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٤٨]، فعلى هذا قوله: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾؛ أي: لا تتبع في الاعتقاد وتقليدِ مَن لا يَلزمُ تقليدُه.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾: قيل: ﴿كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ﴾؛ أي: كلُّ العباد ﴿كَانَ عَنْهُ﴾؛ أي: عن قَفْو ما ليس له به علم، وعن استعمال هذه الجوارح فيما استعملها فيه.

وقيل: ﴿كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ﴾؛ أي: كلُّ هذه الأشياء وهي السمع والبصر والفؤاد ﴿كَانَ﴾؛ أي: كان كلُّ واحد منها ﴿عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾؛ أي: عمَّا عمِل صاحبه؛ أي: يُسأل الشهادةَ على ذلك، كما قال: ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ﴾ الآية [يس: ٦٥]، وقال: ﴿شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ﴾ الآية [فصلت: ٢٠]، وقال: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ﴾ الآيات [النور: ٢٤].

وقيل: ﴿كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾: عن شكر هذه الأشياء[1].

وقيل: إن العبد مسؤولٌ عما يَكسبه بسمعه وبصره وقلبه من الأمور؛ إذ لله في جميع هذه الجوارح عبادات، حتى لا يجوزُ لهم استعمالها في غيرها، فيُسأل عنها؛ أي: يحاسَب عليها ويجازَى بها.

وقيل: اعتقاد الدِّين يقع بالقلب، والمرءُ مسؤولٌ عنه؛ كما لو أصغى إلى باطل، أو نطق بباطل، أو نظر إلى باطل.

وقيل: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ هو نهيٌ عن قذف المحصَنين والمحصَنات، وكانوا يتهاجَون في الأشعار بالقول في الآباء والأمهات، فنُهوا عن ذلك، وهذا يُروى عن مجاهد وعكرمة.

---

(١) بعدها في (أ): «وقيل عما امتحن به هذه الأشياء».

وفي الخبر: «مَن قَفَا مسلماً بما ليس فيه حبَسه الله تعالى في رَدْغة الخَبَال»(١).

ونفاةُ القياس يتعلَّقون بهذه الآية.

وقلنا: هو طلب العلم بدليله بالأسباب التي جعل الله بها الوصولَ إليه.

وقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ تجوز الإشارة بهذه الكلمة إلى جميع ما لا يَعقل، قال الشاعر:

ذُمَّ المنازلَ بعدَ منزلةِ اللِّوَى والعيشَ بعد أولئك الأيام(٢)

* * *

(٣٧) ـ ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا﴾: قيل: هو شدة الفرح.

وقيل: هو الخُيَلاء والكِبْر؛ قاله قتادة(٣).

وقيل: الـمَرَح البَطَر والأَشَر.

وقيل: هو تجاوزُ الإنسان قَدْرَه مستخِفًّا بالواجب عليه، وقال(٤) تعالى: ﴿وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ﴾ [لقمان: ١٩]، وقال بعده: ﴿وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [لقمان: ١٨]، فدلَّ على أنه مشيُ المختال المتكبر.

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥٥٤٤) من حديث ابن عمر.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٢٣٩)، و«تفسير الطبري» (١٤/ ٥٩٦)، و«البحر» (١٤/ ٧٧). والبيت لجرير، وهو في «ديوانه» (٢/ ٩٩٠)، وفيه: (أولئك الأقوام).

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٥٦٧)، والطبري في «تفسيره» (١٤/ ٥٩٨).

(٤) في (ر) و(ف): «قال» بلا واو.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَن تَخۡرِقَ ٱلۡأَرۡضَ﴾: أي: لن تشُقَّ الأرض بشدةِ مشيك؛ أي: لا تقدر على ذلك ولا يتهيَّأ لك ذلك.

وقوله تعالى: ﴿وَلَن تَبۡلُغَ ٱلۡجِبَالَ طُولٗا﴾: أي: برَفْع رأسك ونصبِ عنقك لن تنال الجبال؛ أي: فليس من أحد إلا وهو يقدر على هذا الضرب من المشي فلا معنى للتكبُّر به[1]، فالتواضع والقصد في المشي أولى، وقد مدح الله تعالى به عباده فقال: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا﴾ [الفرقان: ٦٣].

وقيل: ﴿إِنَّكَ لَن تَخۡرِقَ ٱلۡأَرۡضَ﴾؛ أي: لن تقطعها طولاً وعرضاً حتى تستوفيَ قطعَها، إنما تمشي بقَدْر قوتك الضعيفة، ولا ترتفع إلى الجبال بذلك، فلا تسرع إسراع المختال، ولا حاجة لك إلى ذلك كلِّه، بل سر على هِينتك بقَدْر حاجتك.

وقيل: لا تمشِ مرحاً تتوهَّم أنك تَطولُ كلَّ جبلٍ فتكونُ عالياً عليه، وتخرقُ كلَّ أرض فتكونُ خارجاً عنها، بل كيفما اختلْتَ فأنت محاطٌ بك[2] من فوقك وتحتك بشيئين من الجمادات هما خلق الله، وأنت أضعف منهما، والمحاط به مغلوب لأنه كالمحصور، فكأنه قال: تواضَعْ ولا تتكبَّرْ ولا تختَلْ فإنك خلقٌ من خلقِ الله ضعيفٌ محصورٌ بين حجارةٍ وتراب وهؤلاء[3] فلا تفعل فعل المقتدِر القوي.

* * *

(٣٨) ـ ﴿كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكۡرُوهٗا﴾.

وقوله تعالى: ﴿كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكۡرُوهٗا﴾: قرأ ابن كثير ونافعٌ وأبو جعفرٍ

---

(١) «به»: زيادة من (أ).

(٢) «بك»: من (أ).

(٣) «وهؤلاء»: من (أ).

وأبو عمرٍو ويعقوبُ: ﴿سيئةً﴾ منوَّناً غيرَ مضاف؛ أي: خصالاً سيئةً، ويرجع إلى المنهيَّات، وقال: ﴿كَانَ﴾ ذهاباً إلى قوله: ﴿كُلُّ﴾ لأنه فرد لفظاً، ولذلك قال: ﴿مَكْرُوهًا﴾ على التوحيد والتذكير.

وقرأ الباقون: ﴿سَيِّئُهُ﴾ بالرفع والإضافة إلى السيِّئ منه[1]؛ لأنه سبق ذكر المأمور به والمنهيِّ عنه، فكان القبيح بعضَه لا كلَّه، فكان قوله: ﴿سَيِّئُهُ﴾ اسماً لـ﴿كَانَ﴾، وقوله تعالى: ﴿مَكْرُوهًا﴾ خبراً له.

* * *

(٣٩) ـ ﴿ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ ۗ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ﴾: أي: جميع ما ذكر فيه من القصص والأمر والنهي وآداب الدين هو مما أوحاه الله تعالى إليك على يدِ جبريلَ لم يأتِ به شيطان؛ كما قال في سورة الشعراء بعد اقتصاصِ كلِّه: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾ [الشعراء: ٢١٠]، وبيَّن أنه من الحكمة؛ أي: من الأشياء الموضوعة في مواضعها، الموصوفِ معتقِدُها والعاملُ بها بصوابِ الاعتقاد والقول والعمل.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾: أعاد ما بدأ به ـ وهو قوله: ﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ [الإسراء: ٢٢] ـ إعلاماً بعظم محلِّه.

﴿فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾: والملوم: المعنَّفُ على الشيء يفعلُه، والمدحور: المطرود المهان.

وقال القشيري رحمه الله: ﴿وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا﴾: الخيلاءُ والتبختُر والمرح

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٣٨٠)، و«التيسير» (ص: ١٤٠)، و«النشر» (٢/ ٣٠٧).

والتكبُّر كلُّ ذلك نتائجُ الغَيبة عن الذكر، والحَجْبة عن شهود الحق، فإن الله تعالى إذا تجلَّى لشيء خشع له، بذلك ورد الخبر(([١])، فأما في حال حضور القلب واستيلاءِ الذكر وسلطانِ الشهود فالقلبُ مطرِقٌ، وحكمُ الهيبةِ غالبٌ، ونعتُ المدح وصفةُ الزَّهْو وأسبابُ التفرقة كلُّها ساقطة، والناس في الخلاص عن محنةِ[٢] التكبر أصنافٌ، وأصحاب الاعتبار إذا عرفوا أنهم مخلوقون من نطفةٍ أمشاجٍ وحاملون في بطونهم ما يحملون ويصيرون في اللحد إلى ما يصيرون، نزَع ذلك عنهم التجبُّر والتكبُّر[٣]، فأما أرباب الحضور فليس في طلوع الحق إلا انخناسُ النَّفْس[٤].

***

(٤٠) ـ ﴿ أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا ۚ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴾.

وقوله: ﴿ أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ ﴾: استفهام بمعنى التوبيخ؛ أي: أفخصَّكم أيها المشركون ربُّكم بالبنين من الأولاد ﴿وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا ﴾: اتخذ لنفسه البنات.

وقيل: أَصْفاه[٥] بكذا؛ أي: اختار له[٦]، واصطفاه: اختار لنفسه، قال تعالى: ﴿ أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ﴾ [الصافات: ١٥٣]، وقال تعالى: ﴿ أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ ﴾ [الطور: ٣٩] وقال تعالى: ﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴾

(١) () رواه الإمام أحمد في «المسند» (١٨٣٦٥)، والنسائي في «الكبرى» (١٨٨٣) و(١٨٨٥)، وابن ماجه (١٢٦٢)، من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما.

(٢) في (ر): «محبة» وفي «اللطائف»: (صفة).

(٣) في (ر): «التكبر والتبختر».

(٤) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٣٤٨).

(٥) في (ف): «اصطفاه».

(٦) في (أ): «أصفاه تلك أي اختاره».

[النجم: ٢١ ـ ٢٢]؛ أي: جائرة، وقال ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ ﴾ [النحل: ٦٢].

وقوله: ﴿إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴾: أي: كذباً عظيماً، وهذا كما قال: ﴿هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴾ [النور: ١٦] وعظمتُه ما قال: ﴿ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ﴾ الآية [مريم: ٩٠].

* * *

(٤١) ـ ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُوا۟ وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُوا۟﴾: أي: صرَّفنا في هذا القرآن القولَ في بطلانِ ما يقولونه ويعتقدونه؛ كما قال: ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ ﴾ [القصص: ٥١] صرَّح بالقول في تلك الآية وأضمره هاهنا.

وقوله: ﴿لِيَذَّكَّرُوا۟﴾؛ أي: ليتَّعظوا وليتذكَّروا بعقولهم قبحَ ذلك وبطلانه فينتهوا عنه.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴾: أي: ﴿وَمَا يَزِيدُهُمْ ﴾ القرآن أو تصريفُ هذا القول فيه ﴿إِلَّا نُفُورًا ﴾؛ أي: نفرةً وإعراضاً عنه، وإضافة النفور إليه بطريق التسبيب(١)؛ أي: ازدادوا نفوراً عنده كما قال: ﴿فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ ﴾ [التوبة: ١٢٥].

ودلت الآية على بطلان قول المعتزلة في الأصلح، فإن تصريف القول لمَّا كان زيادةً للنفور لم يكن صلاحاً لهم، ومع ذلك فعَله الله تعالى.

* * *

(٤٢) ـ ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴾.

---

(١) في (ر): «السبب»، وفي (ف): «التسبب».

وقوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا﴾: يتصل بقوله: ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ [الإسراء: ٣٩]؛ أي: قل للمشركين: لا تجعلوا مع الله آلهة، فإنه لو كان مع الله آلهةٌ أخرى في الأرض كما تقولون ـ والإلهيةُ تقتضي نفوذَ القدرة وسعةَ السلطان وانتفاءَ العجز ـ لما احتَملت آلهتكم وهي في الأرض أن تكون[1] الغلبةُ لملك السماء، ولكانت تُوجب أن تكون هذه الآلهة تُمانع إله السماء وتنازعُه في سلطانه، وأنتم تعترفون بأنها لا تقدر على منازعةٍ في ملك، ولا على دفعِ ما يَرِدُ عليها من قهرٍ، وهذا خارجٌ عن صفة الإله، وهذا معنى قوله: ﴿إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا﴾؛ أي: إذاً لطلبوا إلى الله ذي العرش العظيم في السماء سبيلاً لإزالة ملكه ولقهره، وإذا لم تكن آلهتهم هكذا ـ بل هي لا تسمع ولا تبصر ولا تعقل، ولا تضرُّ ولا تنفع، ولا قدرةَ معها على ردِّ مَن يَروم قهرَها ـ فقد وجب أنها مربوبة مخلوقة.

وقوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾: أي: هو منزَّهٌ عن ذلك وبعيدٌ عنه، أمرٌ للعباد[2] بتنزيهه عما يقول هؤلاء الظالمون.

* * *

(٤٤) ـ ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾: أي: تشهدُ له بالإلهية والوحدانية والتعالي عن الأضداد والأنداد السماواتُ السبع والأرضون وما فيهنَّ من حيوان وجماد؛ لِمَا في كلِّ شيءٍ منها من دلائل الحدوث وآثار صنعِ الصانع.

---

(١) في (ر): «إذ»، وفي (ف): «أن»، وسقطت منهما: «تكون».

(٢) في (ف): «وأمر العباد»، ووقع قبلها في (أ) و(ر) كلمة رسمها: «ومحبه».

وقوله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾: أي: وما من شيء إلا ينزِّه الله تعالى بما قلنا ويحمده على نعمه؛ أي: يُظهر وجوبَ الشكر[1] على خلقه بما أسبغ عليهم من نعمه، والثناء عليه بما يستحقُّه بذاته وصفاته وأفعاله.

وقوله: ﴿وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾: هذا خطابٌ للمشركين؛ أي: أنتم لإصراركم على الكفر وإعراضِكم عن التدبُّر في الآيات لا تفقهون هذه الشهادة، وأنتم تستحقُّون العذاب.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾: ولكنه لا يعاجلُكم بالعقوبة لحِلْمه، ويستر عليكم الذنوب فلا يَهتكُ أستاركم للحال.

وقيل: ﴿غَفُورًا﴾؛ أي: يغفر لكم إذا آمنتم فلا يعذِّبكم بما كان منكم.

ومنهم مَن حمل هذا التسبيح على النطق به، وهو عندنا جائز على أن يخلق الله تعالى فيها حياة ونطقاً، وقد سبَّح الحصا في يد رسول الله ﷺ معجزةً له[2]، وحنَّ الجذعُ حنين الناقة شوقاً إلى رسول الله عليه السلام[3]، وعلى ذلك تصدُّعُ الجبل من خشية الله تعالى، وهبوط الحجارة من خشية الله تعالى.

وقال أبو الحجاج[4]: حدثني رجل من ولد خبَّاب بن الأرتِّ أن محجنَ رسول الله ﷺ كان في يده فسبَّح، فسمع ذلك القوم فتعجبوا وفزعوا، وقالوا: يا

---

(١) في (أ): «شكره»، وسقطت الجملة من (ف).

(٢) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٩/ ١٢٠)، وابن الجوزي في «العلل» (٣٢٧)، وقال: هذا حديث لا يصح. وفيه أنهن سبحن في كف عمر وعثمان أيضاً. وروى ابن الجوزي نحوه في «العلل» (٣٢٦) من حديث أبي ذر رضي الله عنه، ونقل عن النسائي قوله: هذا حديث باطل منكر.

(٣) رواه البخاري (٩١٨) من حديث جابر رضي الله عنه.

(٤) في (ر): «الجحد»، وفي (ف): «الحجار».

رسول الله! كيف يسبح هذا العود اليابس؟ فأنزل الله تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ﴾ الآية(١).

وقال عطاء: الشجر والنبات تسبِّحن، فإذا قُطعن تركْنَ التسبيح؛ لأنهن أحياءٌ ما لم يُقطعن، فإذا قُطعن صرنَ في عداد الأموات.

وقال الحسن: التراب يسبِّح، فإذا لُبِّن ترك التسبيح(٢).

***

(٤٥) ـ ﴿وَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ جَعَلۡنَا بَيۡنَكَ وَبَيۡنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ حِجَابٗا مَّسۡتُورٗا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ جَعَلۡنَا بَيۡنَكَ وَبَيۡنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ حِجَابٗا مَّسۡتُورٗا﴾: قال الإمام أبو منصور رحمه الله: قال بعضهم: إن الكفرة كانوا يَمنعون رسولَ الله ﷺ عن تبليغ الرسالة إلى الناس، وقراءةِ ما أنزل الله عليه من القرآن عليهم، وقد أُمر بتبليغ الرسالة، فأنزل الله تعالى هذه الآية فأخبر أنه جعل بينه وبين أولئك حجاباً مستوراً، ومكَّنه من التبليغ إليهم بالحجاب الذي ذكر، ثم اختُلف في ذلك الحجاب:

قال بعضهم: شغلَهم في أنفسهم بأمورٍ وأشغال حتى بلَّغ إليهم.

وقيل: أَلقَى في قلوبهم الرعبَ حتى لم يقدروا على منع ذلك.

---

(١) لم أجده.

(٢) لم أقف على هذين القولين عن عطاء والحسن، لكن روى نحو ما جاء فيهما مع زيادة عليه الثعلبي في «تفسيره» (١٦/ ٣٤٧) (ط: دار التفسير) من كلام المقدام بن معدي كرب رضي الله عنه. وفيه: «فإذا ابتل» بدل: «فإذا لبن».

وقيل: صيَّرهم بحيث كانوا لا يرونه، ويستمعون[١] قراءته، ولم يقدروا على إيذائه والإضرار به، فبلَّغهم.

قال: ويجوز أن يكون ما ذُكر من الحجاب هو حجابُ الفَهْم، وذلك أنهم كانوا ينظرون إليه بالاستخفاف له والاستهزاء به فحُجبوا عن الفهم، وهو كقوله: ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾ [الأعراف: ١٤٦]، ويدلُّ عليه ما بعده، وهو قوله: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ﴾[٢].

وقوله تعالى: ﴿حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾ قيل: معناه: ساتراً؛ كقوله: ﴿كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا﴾ [مريم: ٦١]؛ أي: آتياً.

وقيل: أي: مستوراً به، كقوله: ﴿إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٤]؛ أي: مسئولاً عنه، فحذف الصلة عنه هاهنا وهو (عن)، وفي الأول حُذفت الصلة وهي الباء.

وقيل: معناه: مستوراً عن أعين الخلق لا يَرونه، وكذلك مأتيًّا هو على حقيقته؛ لأن ما أتاك فقد أتيته.

* * *

(٤٦) ـ ﴿ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً ﴾: أي: أغطيةً، جمع كِنَان؛ أي: غطاءٍ.

---

(١) في (أ) و(ر): «ولا يسمعون»، والمثبت من (ف) و«التأويلات».

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٧/ ٥٤).

﴿أَن يَفْقَهُوهُ﴾: أي: لئلا يفقهوه[١].

﴿وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا﴾: أي: ثقلاً، ودل ذلك أن أفعال العباد مخلوقةٌ لله تعالى، وأن الطاعات والمعاصيَ كلَّها بمشيئة الله، وإنما فعل الله ذلك في حقِّ مَن عَلِم منه اختيارَ الكفر كما مرَّ شرحُه مرات.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَـٰرِهِمْ نُفُورًا﴾: أي: وإذا قرأت عليهم[٢] ما فيه ذكرُ التوحيد وذمُّ الشرك أعرضوا نافِرين عنك مفارِقين مجلسَك، والنُّفور: جمع نافر، كالقُعود جمعُ قاعد.

وقيل: هو مصدر، وذُكِر تأكيداً لقوله: ﴿وَلَّوْا۟﴾، وتقديره: ولَّوا توليةً، وقد يؤكَّد الفعل بالمصدر من خلافِ لفظه، قال القَطَامي:

ألم يَحْزُنْكَ أن جبالَ قيسٍ ... وتغلبَ قد تبايَنَتِ انْقِطاعاً[٣]

وتقديره: تبايَنَتْ تبايُناً.

***

(٤٧) ـ ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ إِذْ يَقُولُ ٱلظَّـٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾.

---

(١) في (ر) و(ف): «أي لا يفهموه».

(٢) في (أ): «ذكرت» بدل من «قرأت عليهم».

(٣) البيت في «تفسير الطبري» (١٨/ ٤٣٤)، و«الأزمنة والأمكنة» للمرزوقي (ص: ٥٠٤). وهو من قصيدة في مدح زفر بن الحارث الكلابي، وكان بنو أَسد أسروا القطامي يوم الخابور وأرادوا قتله، فحال زفر بينه وبينهم وحماه ومنعه وحمله وكساه وأعطاه مئة ناقة. انظر: «خزانة الأدب» للبغدادي (٢/ ٣٦٨).

وقوله تعالى: ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ﴾: قيل: أي: يستمعون إليه، وحروف الأدوات تتناوب.

وقيل: الباء بيانُ السبب؛ أي: نحن أعلم بالسَّبب الداعي لهم إلى الاستماع.

﴿إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾: أي: حين يستمعون إليك ﴿وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ﴾؛ أي: وهم متناجون بالطعن في القرآن، مصدر يراد به نعتُ الجمع قد اشتغلوا بتناجيهم عن الإنصات والتدبُّر.

ثم بيَّن تناجيَهُم، وهو قوله: ﴿إِذْ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾: أي: المشركون الواضعون الشيءَ في[1] غير موضعه: ﴿إِن تَتَّبِعُونَ﴾: أي: ما تُظهرون الاستماع، فسمِّي إظهارهم الإصغاءَ إليه اتِّباعاً.

﴿إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾: مخدوعاً مغلوباً على عقله يأتيه الشيطان فيخدعه فيظنُّه ملَكاً.

قال قتادة: نجواهم: أنْ زعموا أنه مجنونٌ وأنه ساحرٌ وأنه آتٍ بأساطير الأولين[2]، وكان منهم الوليدُ بن المغيرة.

والمسحور قيل: هو المخدوع.

وقيل: هو الذي عُمل به السحرُ واختَلط عليه أمرُه.

وقيل: أرادوا أن له سَحْراً ـ بفتح السين؛ أي: الرئة ـ يعنون أنه لا يستغني عن الطعام والشراب، فهو بشرٌ مثلكم ليس بملك.

* * *

---

(١) «في»: ليست في (أ).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٦١٢).

(٤٨) ـ ﴿انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ﴾: أي: العجبُ منهم كيف وضعوا لك الأشباه والأوصاف يُسمُّونك بكلِّ اسم سوء.

﴿فَضَلُّوا﴾ سبيلَ الاحتيال عليك، وتحيَّروا في وجه[1] صدِّ الناس عنك.

وقوله تعالى: ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾: فما يجدون إلى شيءٍ من ذلك سبيلاً.

وقيل في نزوله: إن النبيَّ ﷺ أمر عليَّ بن أبي طالب رضي الله عنه أن يتخذ لأبي جهل، وأبي البَخْتري بن عمرو بن هشام، وزمعةَ بنِ الأسود، وحويطبِ بن عبد العزَّى ـ لعنهم الله تعالى ـ طعاماً فيدعوَهم إليه، ففعل، فدخل عليهم رسول الله ﷺ فقال: «قولوا: لا إله إلا الله لتطيعكم العرب وتَدينَ لكم العجم»، فخرجوا، فقال النضر بن الحارث: ما أرى محمداً يقول شيئاً إلا أنه يحرك شفتيه. فقال أبو جهل لعنه الله: هو مجنون، وقال حُويطبٌ: هو كاهن، وقال زمعةُ: هو شاعر، ثم أتوا الوليد بن المغيرة فشاوَروه في أمره، فقال: هو ساحر، فأنزل الله تعالى: ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾[2] حين تدعوهم إلى الشهادة، وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ هُمْ نَجْوَى﴾ أي: وإذ هم متناجون إليك.

وقيل: (إذ) للحين، وهما حينان لأمرين مختلفَين: الاستماع إذا حضروا، والتَّناجي إذا تفرَّقوا.

***

(٤٩) ـ ﴿وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾.

---

(١) في (أ): «وجوه».

(٢) ذكره أبو الليث في «تفسيره» (٢/ ٣١٤) عن الكلبي دون ذكر علي رضي الله عنه.

وقوله تعالى: ﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقٗا جَدِيدٗا﴾: قال مجاهد: (رفاتاً): تراباً[١]، وفي اللغة: هو الحطام، وهو ما يُحْطَم من الشيء؛ أي: يُكسر، وقد رَفَتَ يَرْفِتُ رَفْتاً من باب ضرب؛ أي: كَسَر، وأراد به: رميماً، وهذا مما تناجوا به، قالوا: أئذا متنا وكنا عظاماً ورفاتاً وتراباً[٢] تحت الأرض نبعث خلقاً جديداً كما نحن عليه الآن؟! وهذا استفهامٌ بمعنى الاستبعاد؛ أي: إنَّ هذا لا يكون.

***

(٥٠ ـ ٥١) ـ ﴿۞ قُلۡ كُونُواْ حِجَارَةً أَوۡ حَدِيدًا ۝٥٠ أَوۡ خَلۡقٗا مِّمَّا يَكۡبُرُ فِي صُدُورِكُمۡۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَاۖ قُلِ ٱلَّذِي فَطَرَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖۚ فَسَيُنۡغِضُونَ إِلَيۡكَ رُءُوسَهُمۡ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَۖ قُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبٗا﴾.

قوله تعالى: ﴿قُلۡ كُونُواْ حِجَارَةً أَوۡ حَدِيدًا ۝٥٠ أَوۡ خَلۡقٗا مِّمَّا يَكۡبُرُ فِي صُدُورِكُمۡ﴾: أي: عرِّفهم أنهم لا يُعْجزونني وإن صاروا عظاماً أو رفاتاً، أو لو كانوا حجارةً أو حديداً، أو خلقاً أشدَّ من خلق البشر وأصلبَ، وأبعدَ من أن يمكنَ تفرُّقُه على[٣] الأحوال المختلفة من الإعدام والإيجاد والإبقاء والإفناء مثل الحديدِ والحجارةِ[٤] أو غيرِهما مما يَكبر في صدوركم تغييرُه عن هيأته[٥]؛ أي: يَعْظم ويَسْتكبِر مثلَ السماوات والأرض والجبال ونحوها؛ أي: لو كنتُم في نهاية القوة والامتناع من نيل العباد لكم لم تعجزوني.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٦١٤).

(٢) في (ر): «وكنا تراباً»، وفي (ف): «وكنا عظاماً وتراباً».

(٣) في (أ): «تصريفه عن» بدل: «تفرقه على».

(٤) في (ر): «مثلًا كحديد أو كحجارة»، وفي (ف): «مثلا الحديد أو الحجارة».

(٥) «عن هيأته»: سقط من (أ).

وطريق هذا الكلام طريقُ قولِ الرجل إذا عزم على قهر إنسان فقيل له: كيف تقهره على قوته وصلابته؟ فيقول: قل له كن حديداً أو حجراً؛ أي: فإني لا أبالي به بل أقهرُه وأصل إلى غرضي فيه.

وقال مقاتل: ﴿كُونُواْ حِجَارَةً﴾ في القوة ﴿أَوْ حَدِيدًا﴾ في الشدة ﴿أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ﴾[١].

وقال مجاهد: الجبال[٢].

وقال ابن عباس ومقاتل والضحاك والحسن رضي الله عنهم: الموت[٣].

وقوله تعالى: ﴿فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا﴾: أي: مَن الذي يفعل بنا هذا؟ ﴿قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾؛ أي: خلقكم وأنشأكم، وهو كقوله تعالى: ﴿قَالَ مَن يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [يس: ٧٨ـ٧٩].

وقوله تعالى: ﴿فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ﴾: أي: فسيحرِّكون رؤوسهم[٤] فعلَ المستبعِد[٥] للشيء والمتعجِّب منه، والإنغاض: التحريك، والنَّغَضان: التحرُّك، من حدِّ ضرب، والنَّغْضُ: الظَّليم؛ لتحريكه رأسَه.

وقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ﴾: أي: البعث ﴿قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَرِيبًا﴾؛ أي: لن تطولَ مدةُ كونه ولا تبعد بلَ هو قريب؛ لأن كلَّ ما هو آتٍ قريبٌ.

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٥٣٤).

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٥٧٥)، والثعلبي في «تفسيره» (٦/ ١٠٥) بلفظ: (السماء والأرض والجبال).

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٥٧٤) عن سعيد بن جبير، والطبري في «تفسيره» (١٤/ ٦١٦ـ٦١٧) عن ابن عباس وابن عمر وأبي صالح والحسن وسعيد بن جبير والضحاك.

(٤) «فسيحركون رؤوسهم»: من (أ).

(٥) في (أ): «المستبدع».

(٥٢) ـ ﴿ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ ﴾: أي: يُعيدكم خلقاً جديداً يوم[1] يدعوكم.

قيل: يدعو إسرافيلُ بأمره، فيقول في نفخ الصور: أيتها اللحومُ المتفرِّقة[2]، وأيتها الأوصال البالية، وأيتها العظام النَّخِرة، وأيتها العروق المتمزِّقة، وأيتها الشعور المتبدِّدة، قوموا إلى محاسبةِ ربِّ العالمين؛ قاله قتادة[3].

وقوله تعالى: ﴿فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ﴾: أي: تُبعثون قائلين: سبحان الله وبحمده.

وقيل: يدعوكم للمحاسبة فتسعَون إليه قائلين ذلك.

وقيل: ﴿ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ ﴾؛ أي: يبعثكم ﴿فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ﴾؛ أي: لا تمتنِعون على الله بل تحيَوْن[4] بإحيائه معترِفين بما كنتُم عليه من الباطل، حامِدينَ لله بالثناء عليه بالقدرة على ما يشاء، وبإنعامه عليكم بخلقكم وتركيبِ العقول فيكم.

وقوله تعالى: ﴿وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴾: أي: ما لبثتُم، وهو كقولهم: ﴿لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ﴾[الكهف: ١٩]، وقال: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا﴾[النازعات: ٤٦]، وقال تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

وقال الحسن: كأنك بالدنيا لم تكن وبالآخرة لم تزَل[5].

---

(١) في (ف): «ثم».

(٢) في (ر) و(ف): «المتمزقة».

(٣) لم أجده.

(٤) في (ف): «تجيبون».

(٥) سيأتي بنحوه.

وقيل: لِمَا يرون من سرعة الرجوع يظنُّون قلة اللَّبْث في القبور.

وقال قتادة: هو احتقار أمر الدنيا حين عايَنوا يوم القيامة[١].

وقال الحسن: إن لبثتم إلا قليلاً في الدنيا لطول لبثكم في الآخرة[٢].

***

(٥٣) ـ ﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ كَانَ لِلْإِنسَـٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾: أي[٣]: قل يا محمد لعبادي ـ أي: المؤمنين ـ يقولوا للكفار إذا حاجوهم في إثبات التوحيد وإثبات البعثِ التي هي أحسنُ؛ أي: الكلمةَ التي هي أحسنُ، أو المقالةَ التي هي أحسن، وهو كقوله: ﴿وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]؛ أي: لا تخرجوا في المجادلة إلى السفاهة، بل قولوا كما قلتُ في ردهم: ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا﴾ وقلتُ: ﴿ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ﴾: أي: يُغري بين المؤمنين وبين المشركين، فيعارض المشركون المؤمنين بالكلام السيِّئ.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ كَانَ لِلْإِنسَـٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾: أي: مُعادياً قديمَ العداوة[٤] للناس مؤمنِهم وكافرِهم، فهو يُغري بعضَهم ببعضٍ ثم يتبرأ منهم؛ كما قال: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَـٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ﴾ [الحشر: ١٦].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٦٢٣).

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٢٤٩)، والواحدي في «البسيط» (١٣/ ٣٦٤).

(٣) قبلها في (ف): «قيل».

(٤) في (أ): «المعاداة».

(٥٤) ـ ﴿ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ ﴾: أي: لا يخفَى عليه شيءٌ من ظواهركم وبواطنكم ﴿إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ﴾: إن تبتُم رَحِمَكم ﴿أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ﴾: إنْ أصرَرْتُم على كفركم عذَّبكم في النار أبداً.

وقوله تعالى: ﴿أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴾: عاد الكلام إلى خطاب رسول الله ﷺ، فقد بدأ بقوله: ﴿ وَقُل ﴾ وهو خطابٌ له، يقول: عليك بتبليغ هذا، وليس عليك هداهم، ولا أنت قادرٌ على أن تحمِلهم على الإيمان والإجابة.

وقيل: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِى ﴾ هم عبادُ الخِلقة، وهم الكفار ﴿يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾: كلمةَ التوحيد ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ﴾ يحملُهم على الشرك ويُغري بينهم وبين المؤمنين بالعداوة ﴿ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ ﴾ فإنْ علم منكم توبةً باستماعكم مواعظَ الله وعملِكم بها(١) رَحِمَكم ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ ﴾ يا محمد ﴿عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴾ مسلَّطاً مكرِهاً على الإيمان، إنما عليك الإنذار.

وقيل: هو خطابُ المؤمنين، وقولُ الأحسن: هو الكلام الحسن إذا أُوذوا؛ كما قال: ﴿وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ﴾ [الرعد: ٢٢]، ورُوي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه شتمه رجل من العرب فنزلت هذه الآية، وأمره الله تعالى فيها بالعفو والصفح(٢).

* * *

---

(١) «بها»: زيادة من (أ).

(٢) ذكره مقاتل في «تفسيره» (٢/ ٥٣٥)، والثعلبي في «تفسيره» (٦/ ١٠٧)، والماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٢٤٩)، والواحدي في «أسباب النزول» (١/ ٢٨٨).

(٥٥) ـ ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾.

وقوله: ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾: يعني[1]: ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ من الملائكة والبشر، لا يختار منهم أحداً إلا على علمٍ به وأهليَّتِه لِمَا اختيرَ له، ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾؛ أي: إنْ أنكر هؤلاء المشركون اختصاصَ الله إياك بالنبوة فعرِّفهم أن الله فضَّل بعضَ الأنبياء على بعضٍ فيما آتاهم من الآيات، وأجرى على أيديهم من المعجزات، وعرَّفهم أنه فضَّلك على جميع الأنبياء بما آتاك من الآية الباقية إلى قيام الساعة وهي القرآنُ المعجزُ، وإن حاجَّك اليهود بأنْ لا كتاب بعد التوراة فعرِّفهم أن الله تعالى قد آتى داودَ زبوراً بعد موسى فبطَلت دعواهم.

* * *

(٥٦) ـ ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾: أي: ﴿قُلِ﴾ يا محمد لهؤلاء المشركين: ﴿ادْعُوا﴾؛ أي: دعاء المسألة والاستعانة ﴿الَّذِينَ زَعَمْتُم﴾؛ أي: الآلهةَ الذين قلتُم ظنًّا وكذباً إنهم آلهةٌ وهم الملائكة، وسَلُوهم كشفَ الضر عنكم، ﴿فـ﴾إنهم ﴿فَلَا يَمْلِكُونَ﴾ إجابةَ دعائكم ولا ﴿كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ﴾ وهو إزالتُه لا إلى أحد، ولا تحويله؛ أي: نقله عنكم إلى غيركم من مستحقِّيه، وكانوا لا يَدْعون لكشف الضرِّ عنهم غيرَ الله، قال تعالى: ﴿أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ﴾ الآية [الأنعام: ٤٠ ـ ٤١] فكان قوله: ﴿قُلِ ادْعُوا﴾ أمر تقريع وتوبيخ.

(١) في (أ): «أي».

(٥٧) ـ ﴿ أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ ﴾: أي: الملائكةُ[١] الذين يسمُّونهم هؤلاء آلهةً، وهذا دعاءُ تسمية.

وقوله تعالى: ﴿يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ ﴾: أي: هؤلاء الملائكةُ يتبادرون إلى طلب القُربة إلى الله تعالى، ويجتهدون في العبادة له طلباً لفضل الدرجة على غيرهم ينظرون ﴿أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ﴾ درجةً[٢] إلى الله ﴿وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ﴾؛ أي: طاعته ﴿وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾؛ أي: إنْ عَصَوه.

﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا ﴾: يعلمون[٣] أن عذاب الله مما ينبغي أن يحذَره كلُّ مكلَّف نبيًّا كان أو ملكاً أو غيرَ ذلك، وإذا كان الملائكة كذلك فكيف تكون[٤] آلهةً؟ وأنتم معاشرَ المشركين أحقُّ بأن تحذَروا عذابي بمخالفتي وتكذيبِ رسولي.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿ أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ ﴾ يعني: عيسى وأمَّه وعُزيراً[٥].

وقال الضحاك وعطاء: يعني: الملائكةَ[٦].

---

(١) في (أ): «أي هؤلاء الملائكة».

(٢) في (أ): «منزلة».

(٣) في (ف): «يعني».

(٤) في (أ): «يكونون».

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٦٣٠ ـ ٦٣١).

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٦٣٠) عن ابن مسعود وابن زيد.

وقيل: ﴿فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ﴾ يعني: ما أصابكم من القحط سبعَ سنين.

وقال القشيري رحمه الله: يعني: إذا كانوا هم يرجُون ويخافون فكيف يَدفعون عنكم؟

قال: ويقال في المثل: تعلُّقُ الخَلْق بالخَلْق كتعلُّقِ المسجون بالمسجون، والفقيرُ إذا انضم إلى الفقير ازدادت الفاقة، والضريرُ إذا قاد الضرير سقطا جميعاً في البئر، وفي معناه أنشدوا:

إذا الْتَقى في حَدَبٍ واحدٍ سبعون أعمى بمقاديرِ
وصيَّروا بعضَهم قائداً فكلُّهم يسقط في البيرِ[1]

* * *

(٥٨) - ﴿وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِن مِّن قَرْيَةٍ﴾: أي: من أهل بلدةٍ ﴿إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ بكفرها وإصرارها ﴿أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا﴾ بما دون الاستئصال ﴿كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾: أي: في اللوح المحفوظ.

يجوز أن يكون انتظامُها بقوله: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ فلْيَحذَرْه المشركون، فليست من قريةٍ إلا وأهلُها مستحقُّون ـ بكفرهم[2] ـ استئصالي أو تعذيبي بما دون ذلك من قِبَل أكابرهم، وتسليطِ المؤمنين عليهم يَسْبونهم ويغتنمون أموالهم، أو يعتصمُ

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٣٥٤).

(٢) في (ر) و(ف): «لكفرهم».

الكفار بالذمة فيؤدون الجزية. وقد(١) قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ [الأعراف: ١٦٧] قيل: هو القهر وأخذُ الجزية.

ويجوز أن يكون انتظامها بقوله: ﴿قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا﴾ ﴿وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿أَوْ مُعَذِّبُوهَا﴾؛ أي: بالسيف والزلازل(٢).

وقال مقاتل: ﴿وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ أمَّا الصالحةُ فبالموت، وأمَّا الطالحةُ فبالعذاب(٣).

وقال الحسن: ﴿أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا﴾: هو الموت الذريع(٤).

وعن مقاتل بن سليمان قال: قرأتُ في كتب الضحاك بن مزاحم بعد موته ـ وهي الكتب المخزونةُ عنده ـ في قوله: ﴿وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا﴾ الآية، قال: يقول: ما مِن قرية إلا يحلُّ بها العذاب قبل يوم القيامة، فأما أمُّ القرى فيخرِّبها الحَبَش فذلك عذابها، وأما المدينةُ فبالجوع، وأما البصرةُ فبالغرق، وأما الكوفة فبالتُّرك، وأما الجبال فبالصواعق والرواجف، وأما خراسان فتخرَّب بأصناف العذاب، وأما مدينةُ بَلْخَ فتصيبهم هدَّةٌ ثم يغلب عليها

---

(١) «قد»: من (أ).

(٢) ذكره أبو الليث السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٣١٧).

(٣) في (ر) و(ف): «إما صالحة فالموت وإما طالحة فبالعذاب». وانظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٥٣٧).

(٤) بعدها في (ر) و(ف): «السريع»: وليست في (أ) والمصادر. وهذا الخبر رواه الإمام أحمد في «الزهد» (١٥١٨) و(١٥٧٩)، والطبري في «تفسيره» (١٤/ ٦٣٩)، والثعلبي في «تفسيره» (١٦/ ٣٦٨)، وزاد السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٣٠٨) عزوه لسعيد بن منصور وابن أبي الدنيا وابن المنذر، جميعهم رووه في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْـَٔايَـٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾.

الماءُ فيُهلك أهلَها، وأما بَذَخْشان[١] فيُبعث عليها أقوام يخربونها ويتركونها كجوف الحمار الميت يتأذى الناس بالنَّتْن من موتهم، وأما مدينةُ خُلم[٢] فإنه يصير عاليها سافلَها، وأما تِرْمِذُ فإن أهلها يموتون بالطاعون، وأما الصَّغَانيان[٣] إلى واشَجْرْدَ[٤] فيُقتلون بقتلٍ ذريعٍ ويغلب عليها، وأما سمرقندُ فإنه يَغلب على مدينتهم بنو قنطوراء فيقتلون أهلها قتلاً ذريعاً، وكذلك فَرْغانةُ والشَّاش وأَسْبيجابُ وخَوَارزمُ، فيصير في هذه المدن من النَّتْن شيء كأنها جيفةُ حمار، وأما بخارى فهي أرض الجبابرة، فيصيبهم من الغرق نحوُ ما يصيب أرض خوارزم يموتون قحطاً وجوعاً، وأما مدينة

---

(١) في (ف): «بدخسان»، وفي (ر): «مدينة حسان». والصواب المثبت، وبذخشان بفتحتين والخاء معجمة ساكنة وشين معجمة محركة وألف ونون، والعامة يسمونها بلخشان باللام، وهو الموضع الذي فيه معدن البلخش المقاوم للياقوت، وهي بلدة في أعلى طخارستان متاخمة لبلاد الترك بينها وبين بلخ ثلاث عشرة مرحلة ومثلها بينها وبين ترمذ، وبها حصن عجيب من بنائها قلَّ ما رأى الناس مثله. انظر: «معجم البلدان» (١/ ٣٦٠).

(٢) في (ر): «حلم»، وفي (ف): «جلم». والصواب المثبت، وخُلم بضم أوله وتسكين ثانيه بلدة بنواحي بلخ على عشرة فراسخ منها، وهي بلاد للعرب نزلها الأسد وبنو تميم وقيس أيام الفتوح، وهي مدينة صغيرة ذات قرى وبساتين ورساتيق وشعاب وزروعها كثيرة. انظر: «معجم البلدان» (٢/ ٣٨٥).

(٣) صغانيان بالفتح وبعد الألف نون ثم ياء مثناة من تحت وآخره نون، والعجم يبدلون الصاد جيماً فيقولون: جغانيان، ولاية عظيمة بما وراء النهر متصلة الأعمال بترمذ. انظر: «معجم البلدان» (٣/ ٤٠٩).

(٤) في (ف): «وادي اشجرد»، وفي (ر): «وادي استجرد». والصواب المثبت، وواشجرد بالشين المفتوحة والجيم وراءٍ ساكنة ودال مهملة من قرى ما وراء النهر، وهي مدينة نحو الترمذ وشومان أصغر منها، ويرتفع من واشجرد وشومان إلى قرب الصغانيان زعفران كثير يحمل إلى سائر الآفاق. انظر: «معجم البلدان» (٥/ ٣٥٣).

مَرْوَ[١] فإنه يَغلب عليها الرملُ ويُهلِك بها العبَّادَ والعلماء، وأما مدينة هَرَاةَ فإنهم يُمطَرون بالحيات فتأكلهم أكلاً وتقتلهم قتلاً، وأما مدينة نَيْسابورَ فيصيب أهلها رعدٌ وبرق وظُلمةٌ فيَهلِكُ أكثرهم، وأما مدينة الرِّيِّ فيغلب عليها الطَّبريَّةُ والدَّيلمية[٢] مرةً هؤلاء ومرةً هؤلاء فيقتلونهم قتلاً، وأمَّا أرمينيةُ وأذربيجانُ فتهلكهما سنابكُ الخيول والجيوشِ والصواعقُ والرواجفُ، وأما مدينة هَمَذانَ فالدَّيلم يدخلها ويخربها فلا همدان بعد[٣]، وأما حلوانُ فتمرُّ بها ريحٌ ساكنةٌ وهم نيامٌ فيصبح أهلها قردةً وخنازير، وأما الكُوفان[٤] فإنه يقصدها رجل يقال له: عنبسة، من بني أبي سفيان[٥]، فيأخذ جاريةً شابةً من آل فلان[٦] وشابًّا فيقتلهما ويَنصبهما للناس، ويقول: هذا علي بن أبي طالب وهذه فاطمة بنت رسول الله ﷺ، ثم يَخرج رجل من جُهينةَ يقال له: ناجية، يدخل إلى مصر، فويلٌ لأهل مصر، وويلٌ لأهل دمشق، وويلٌ لأهل إفريقية، وويلٌ لأهل الرَّمْلة، ولا يدخل بيتَ المقدس يمنعه الله تعالى بحوله وقوَّته، وأما أهلُ سِجِسْتان فتُصيبهم ريحٌ عاصفٌ أياماً ثم هدَّةٌ تأتيهم تتصدَّع منها الجبال، ويموت فيها علماءُ كثيرٌ، وأما كَرمانُ وأصبهانُ وفارسُ فيأتيهم عدوٌّ إذا قربوا منهم

---

(١) في (ف): «تعز».

(٢) في (ر): «والديلمة».

(٣) «فلا همدان بعد» ليس من (ف).

(٤) في (أ): «أهل الكوفان»، وفي (ر) و(ف): «أهل الكوفة». والصواب المثبت. انظر: «البدء والتاريخ» لابن طاهر المقدسي (٤/ ١٠٣). وكوفان بضم الكاف ثم واو ساكنة: موضعان أحدهما: اسم للكوفة، والآخر قرية بهراة. انظر: «مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع» لصفي الدين القطيعي (٣/ ١١٨٧). قلت: والظاهر أن المراد هنا هو الذي بهراة؛ لأن الكوفة تقدم ذكرها في أول الخبر.

(٥) في «البدء والتاريخ»: وأمّا الكوفان فيخرّبها رجل من آل عنبسة بن أبي سفيان، يعني: السفياني.

(٦) في (ر) و(ف): «جارية حسناء».

صاحوا صيحةً تنخلعُ منها القلوب وتموت الأبدان، فذلك قوله: ﴿وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾[1].

***

(٥٩) - ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَن كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾.

قوله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَن كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾: المنع: وجودُ ما يَتعذَّر به وجودُ الفعل من القادر، ولا يجوز ذلك على التحقيق في صفةِ الله تعالى، ولكنْ إطلاقُه هاهنا للمبالغة في أنه لا يقع منه هذا الفعل كما لا يقع من الممنوع، ومعناه: إنَّا لم نرسلْ الآيات لئلا يكذِّبَ بها هؤلاء كما كذَّب مَن قبلَهم فيستحقُّوا عذاب الاستئصال.

وقيل: لمَّا قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ قالوا: إنه أَرسل الرسل وآتاهم الآيات، فآتى صالحاً الناقة، فآتنا أنت بمثْلِ تلك الآية، ومثلِ فَلْقِ البحر لموسى، فقال[2] الله تعالى: وما منعنا أن نرسل بهذه الآيات المقترَحة إلا أن الأوَّلين من الأمم لمَّا كذَّبوا بالآيات التي سألوها فأُعطُوها كان حُكمي فيهم الاستئصالَ؛ لأنهم صاروا مكابِرين معاندين، وما كانوا بالسؤال مسترشِدين، وهكذا حُكمي في هؤلاء أنّي أستأصلُهم لو كذَّبوا بها - إذا أتتهم - لعنادهم، وقد علمتُ أنهم

---

(١) انظر: «البدء والتاريخ» للمطهر بن طاهر المقدسي (٤/ ١٠٣)، و«الكشاف» للزمخشري (٢/ ٦٧٤)، و«مدارك التنزيل» لأبي البركات النسفي (٢/ ٢٦٣). والزمخشري اقتصر على أوله وأشار إلى تمامه بقوله: (ثم ذكرها بلداً بلداً في الكتاب في اللوح المحفوظ). وفي المصدرين الآخرين بعض اختلاف عما هنا أو زيادة ونقصان.

(٢) في (أ): «وأنزل».

يكذِّبون(١)، وقد وَعدتُ محمداً فضلاً ورحمةً ألا أعذِّب هؤلاء عذابَ هؤلاء؛ أي: عذابُ الاستئصال(٢) يكون لقومٍ أعلمُ أنه لا يؤمن منهم أحد كقوم نوح، وهؤلاء يكون مِن نسلهم مَن يؤمن فلن أستأصلهم، وحُكمي الاستئصال فيمَن يكذِّب بالآية المقترحة، فلم أُعطهم ذلك ولم أُخْلِهم عن الآيات الكبيرة التي لا تُوجب الاستئصال، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴾ [القمر: ٤].

وقوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً﴾؛ أي: والآيةُ التي التمَسوها مثلَ آية ثمود قد آتيناها ثمودَ واضحةً بيِّنة يشاهدونها(٣) معجزةً، ثم كفرت ثمودُ بها فاستحَقُّوا الاستئصال، فكيف يتمنَّاها هؤلاء على سبيل الاستقراح؟

وقوله تعالى: ﴿فَظَلَمُوا۟ بِهَا﴾؛ أي: جحدوا بها.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْـَٔايَٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾؛ أي: وكلُّ آيةٍ نُرسل بها نبيًّا ـ أيَّ آية كانت ـ فإنما هي منَّا(٤) تخويفٌ بالعذاب لمن يكذِّب بها.

وقيل: ﴿وما نُرْسِلُ بـ﴾هذه ﴿الآياتِ﴾ التي نُجريها على يديك يا محمد ﴿إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ لهم ليؤمنوا.

وقيل: وما نُظهر الآياتِ من كسوف الشمس والقمر ونحوِهما إلا تنبيهاً للناس، وتحذيراً عن العذاب، وتحريضاً على التوبة.

* * *

(١) في (ف): «منهم يكذبون» وفي (ر): «منهم مكذبون».

(٢) في (أ): «ألا أعذب هؤلاء عذاب الاستئصال وكذا عذاب الاستئصال»، وفي (ف): «ألا أعذب هؤلاء عذاب هؤلاء عذاب استئصال».

(٣) في (ر) و(ف): «شاهدوها».

(٤) في (ف): «قائمة هي هاهنا» وفي (ر): «قائمة هي عندنا»، بدل: «فإنما هي منا».

(٦٠) ـ ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِۚ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَٰنًا كَبِيرًا ﴾.

قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ ﴾: وهو ينتظِم بقوله: ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْءَايَٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾؛ أي: نرسل معك الآيات، ومنها: أنَّا ﴿قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ﴾؛ أي: وعدناك بالعصمة من الناس وهذا تخويفٌ لهم[1]، وكذا المعراجُ[2] وما ذكرنا في القرآن من كون شجرة الزقوم في النار كان ذلك فتنةً لهم، وفيها تخويفٌ، وكذلك قال في آخر[3] هذه الآية: ﴿وَنُخَوِّفُهُمْ﴾، فهذا وجه انتظام بعضها ببعض.

ومعنى قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ﴾ له تأويلان:

أحدهما: علِم بمكر الناس في حقِّك؛ كما قال: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطًا﴾ [النساء: ١٢٦]؛ أي: عالماً، وقال: ﴿وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ١٩].

والثاني: أنه غالب لهم قادرٌ عليهم؛ كما قال: ﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ﴾ [يونس: ٢٢]، فمعناه: أنه يَعصمك من كلِّ همٍّ، ويَقهرُهم ويجعلهم تحت يدك واستيلائك بقتلك بعضَهم ودخولِ بعضهم في الإسلام، لينشِّطه بذلك على تبليغ الوحي والصبرِ على أذاهم حتى يأتيَ وعد الله، فكان هو يُظهر لهم ذلك، وعلى مرور الزمان يتحقَّق لهم[4] ذلك، فكان تخويفاً لهم.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾: وهذه آيةٌ أخرى: وهي مما افتَتح بها هذه السورةَ، وهي قصة المعراج، وهذه رؤيةُ عينٍ وإن ذكرت

---

(١) في (ر) و(ف): «تخويف بها».

(٢) في (ر) و(ف): «المعجزات».

(٣) في (أ): «ولذلك قال في آخر» وفي (ف): «وكذلك قال في» وفي (ر): «وكذلك في».

(٤) «لهم»: من (أ).

بلفظةِ ﴿ٱلرُّءۡيَا﴾؛ لأنها كانت بالليل، فسمِّيت رؤيا وإن كانت بالعين؛ كما يقال: بات فلان يفعل بكذا، إذا فعَله ليلاً، فسمِّي ما يفعله ليلاً بيتوتةً وإن لم يكن ذلك نوماً، فكذلك سُمي ما رآه من الآيات بالعين ليلاً رؤيا.

ويدلُّ على أنه كذلك: أن ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن ومسروقاً وأنس بن مالك(١) وإبراهيم النخعي وقتادة ومجاهداً ورجالاً غيرَهم تأوَّلوا الآية على أنها كانت رؤيةَ عينٍ(٢)، وهم أرباب اللسان.

وقال قائلون: إن الرؤيا المذكورة في هذه الآية هي الرؤيا المذكورة في قوله: ﴿لَّقَدۡ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءۡيَا بِٱلۡحَقِّۖ لَتَدۡخُلُنَّ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الفتح: ٢٧]، وكان أَخبر رسولَه حين أَراه هذه أنها تكون فتنةً على قومه، وكان كذلك حين قصد مكة فصدَّه عنها المشركون، فصالحهم فافتُتن بذلك قوم حتى قالوا: ألسنا على حقٍّ وهم على باطل؟! حتى قال عمر رضي الله عنه: أليس قد أخبرنا رسول الله ﷺ أنَّا نأتي البيتَ فنطوفُ به؟ فقال له أبو بكر رضي الله عنه: بلى، ولكن هل وعدك في هذا العام(٣)؟ فقال: لا، فقال: إنك ستأتيه وستطوفُ به، وإنه رسول الله وإنه يفعل ما يُؤمر به(٤).

وقوله تعالى: ﴿وَٱلشَّجَرَةَ ٱلۡمَلۡعُونَةَ فِي ٱلۡقُرۡءَانِۚ﴾: أي: جعَل ذلك فتنةً أيضاً، فإنه لمَّا

---

(١) في (أ): «ومسروقا وأبا مالك».

(٢) رواه عنهم الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٦٤١ ـ ٦٤٥). وقول ابن عباس عند البخاري (٣٨٨٨) و(٤٧١٦).

(٣) في (أ): «المقام».

(٤) تفسير الآية بقصة الحديبية رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٦٤٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما دون كلام عمر وقصته عمر مع أبي بكر، وهذه قطعة من حديث صلح الحديبية الطويل الذي رواه البخاري (٢٧٣١) عن مروان بن الحكم ومسور بن مخرمة.

نزل قوله: ﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ (٦٢) إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِّلظَّالِمِينَ (٦٣) إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٦٢ ـ ٦٤] قالوا: كيف يكون في النار شجرةٌ والنارُ تأكل الشجر[١]؟

وسماها ملعونةً على تقدير: والشجرةَ الملعونةَ الأُكُلِ، فحُذف المضاف إليه لوضوح المراد، كما في قوله: ﴿فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾ [إبراهيم: ١٨]؛ أي: عاصفِ الريح؛ أي: ولأن عادة الناس أنهم إذا نادَوا بشيء سمَّوه ملعوناً على معنى الشتم والذمِّ له وطلبِ البعد منه، فيقولون: لعنك الله؛ أي: بعَّدك الله عنا وأراحنا منك.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: لمَّا نزل قوله: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ (٥١) لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ﴾ [الواقعة: ٥١ ـ ٥٢] جمع أبو جهل لعنه الله رجال قريش فقال لهم: ألا ترونَ إلى[٢] محمد يزعم أن النار تُنبت الشجر! وأنتم تعلمون أن النار تحرق الشجر، ويخوِّفنا بالزقوم فما تقولون في الزقوم؟ فقال عبد الله بن الزِّبَعرى: إنها الزُّبد والتمر بلغة بربر، فقال أبو جهل لعنه الله: يا جارية زقِّمينا، فأتت بالزُّبد والتمر فقال: تزقَّموا فإن محمداً يخوِّفكم بها، فنزل قوله في صفتها: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ (٤٣) طَعَامُ الْأَثِيمِ (٤٤) كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ (٤٥) كَغَلْيِ الْحَمِيمِ﴾ [الدخان: ٤٣ ـ ٤٦][٣].

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٥٨٥) عن قتادة، والطبري في «تفسيره» (١٤/ ٦٤٨ و٦٥١) عن الحسن وقتادة.

(٢) في (أ): «أن».

(٣) رواه بنحوه عن ابن عباس الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٦٤٨)، وإسناده ضعيف، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٦٥٠) عن قتادة. وذكره باللفظ أعلاه الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ١٤٦) دون عزو. وجاء عن ابن عباس عند الإمام أحمد في «المسند» (٣٥٤٦) بإسناد صحيح: (وقال أبو جهلٍ: يُخَوِّفُنا محمد بشجرة الزَّقُّوم، هاتوا تَمْرًا وزُبْدًا فتزقَّموا).

وقوله تعالى: ﴿وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾: أي: عتوًّا عظيماً ومجاوزةً للحد، وإضافةُ الزيادة في الطغيان إلى التخويف كإضافة النفور إلى القرآن كما مر.

وقوله تعالى: ﴿فِي الْقُرْآنِ﴾؛ أي: المذكورةَ في القرآن؛ كقوله: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا﴾ [الحديد: ٢٢]؛ أي: هي مذكورةٌ في كتاب.

* * *

(٦١) ـ ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ﴾: هو متصلٌ بقوله: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ [الإسراء: ٥٣]؛ أي: قد أُمر الملائكة بالسجود فسجدوا إلا هو:

﴿أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾: استفهام بمعنى الإنكار؛ أي: لا أسجد لمن خلقتَ طيناً؛ أي: قدَّرْتَه وهو طينٌ ليكون إنساناً إذا نفختَ فيه الروح فصيَّرْتَه لحماً ودماً وكذا وكذا.

* * *

(٦٢) ـ ﴿قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ﴾: أي: أخبرني لمَ فضَّلتَ هذا عليَّ؟ ولمَ جعلتَه أكرم عليك[1] مني؟

---

(١) «عليك» ليست في (أ).

و(أرأيتَ) لفظةُ استفهامٍ على معنى: أخبِرْني عنك، والكاف خطاب، وقد كشفنا عن حقيقته في سورة الأنعام.

وقيل هاهنا: فعلُ الإراءة واقع على شيئين: الكاف و﴿هَٰذَا﴾.

وقيل: ﴿أَرَءَيْتَكَ﴾ كلمة تامة منفصلةٌ عما بعدها لِمَا وُضعَتْ له، و﴿هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ﴾ مبتدأ، وما بعده خبرُه[1].

وقيل: طريق هذا طريقُ الرجل يقول لآخر: أترى هذا لأفعلن به كذا وكذا.

وقوله تعالى: ﴿لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا﴾: أي: لأستأصلنَّ؛ يقال: احتَنَكَ الجراد الزرعَ[2]: إذا أكله كلَّه واستأصله، واحتنكت السَّنةُ أموال الناس: إذا[3] أذهبتْها كلَّها؛ قال الشاعر:

نشكو إليك سنةً قد أَجْحَفَتْ ... جَهْداً إلى جهدٍ بنا فأَضْعَفَتْ[4]

واحتَنَكَتْ أموالَنا وجلَّفَتْ[5]

---

(١) في (أ): «خبر له».

(٢) في (ف): «احتنك الحرث والزرع» وفي (ر): «لا احتنك الجراد والزرع».

(٣) في (ر) و(ف): «أي».

(٤) في (ف): «جهدتنا وأصيفت» بدل: «جهد بنا فأضعفت».

(٥) الرجز في «مجاز القرآن» (١/ ٣٨٤)، و«تفسير الطبري» (١٤/ ٦٥٤)، و«معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٢٤٩). وقال الأستاذ محمود شاكر في تعليقه على «تفسير الطبري»: هذه أبيات ثلاثة من مشطور الرجز، من الأرجوزة السادسة في بقية «ديوان الزفيان السعدي» (عطاء بن أسيد الراجز)، وهي ملحقة بـ«ديوان العجاج» المطبوع في ليبزج سنة (١٩٠٣) (ص: ٦٥)، مع اختلاف في رواية بعضها. ومعنى أجحفت: أضرت بنا، وذهبت أموالنا، فلقينا من شدتها جهداً إلى جهد. ومعنى جلفت: قشرت، أو قشر الجلد مع شيء من اللحم. والأبيات شاهد على أن الاحتناك معناه الاستئصال.

وقيل: لأقودنهم إلى المعاصي كما تُقاد الدابة بما جُعل في حنكها من حَبْلٍ.

ومعنى الأول: لأُفسدنهم بالإغواء فلا يبقَى معهم من دينهم شيء، كالشيء الذي يُقلع من أصله.

* * *

(٦٣) - ﴿قَالَ اذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ اذْهَبْ﴾: أي: قال الله له[1] على لسان ملَك: اذهب.

﴿فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا﴾ نصبٌ على المصدر، والموفور: المكمَّل، ووَفَر وُفوراً لازم، ووَفَر وَفْراً متعدٍّ، وقال زهير:

ومَن يجعل المعروف من دون عِرضه ... يَفِرْهُ ومَن لا يَتَّقِ الشَّتْمَ يُشتَمِ[2]

و﴿اذْهَبْ﴾ دلالة الاستهانة به والوعيدِ له.

ومعنى الموفور: أنه لا نقصان فيه عن قَدْر الاستحقاق، وقيل: هو الذي لا يزول ولا ينقطع.

* * *

---

(١) «له»: من (أ).

(٢) البيت من معلقة زهير. انظر: «شرح القصائد السبع» لابن الأنباري (ص: ٢٨٧)، و«شرح المعلقات» للزوزني (ص: ١٩٤)، و«البسيط» للواحدي (١٣/ ٣٨٩). قال الزوزني: يريد أن من بذل معروفه صان عرضه، ومن بخل بمعروفه عرَّض عرضه للذم والشتم. وقال ابن الأنباري: معناه: مَن اصطنع المعروف إلى الناس وقى عرضه. والعرض: موضع المدح والذم من الرجل، يقال: إنه لطيب العرض، إذا كان طيب ريح الجسد. وقوله: (يفره): يجعله وافراً، ويقال: وفرت ماله وعرضه فأنا أَفِرُه، وقد وَفَر مالُ بني فلان يَفِرُ وفوراً، و(يفره) جواب الجزاء علامة الجزم فيه سكون الراء، وكان الأصل فيه: يَوْفِرْه، فحذفت الواو لوقوعها بين الكسرة والياء.

(٦٤) ـ ﴿وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ﴾: أي: واستَخْفِفْ وأزعِجْ إلى[1] المعاصي، وقد استفزَّه الغضب أو الفرح؛ أي: استخَفَّه.

﴿بِصَوْتِكَ﴾؛ أي: بدعائك، يقول: صوِّتْ بمن استطعتَ منهم حتى تزيلَهم عن رزانة العقلاء إلى خفَّة الجهلاء، وهو قوله: ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِي﴾ [إبراهيم: ٢٢].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: هو الصوت الذي يدعو به إلى المعصية.

وقال مجاهد: هو الغناء واللهو[2].

وقوله تعالى: ﴿وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم﴾: أي: اجمع عليهم ﴿**بِخَيْلِكَ وَرَجْلِكَ**﴾[3].

وقيل: الإجلاب هو السوق بجلَبة من السائق؛ أي: بصياح.

والرَّجْل: جمع راجل، كالرَّكْب جمع راكب.

ولإبليس لعنه الله جندٌ وأتباع من جنسه[4]، فمنهم فرسان ومنهم رجَّالةٌ.

---

(١) في (ر) و(ف): «في».

(٢) روى القولين الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٦٥٧).

(٣) قرأ حفص: ﴿وَرَجِلِكَ﴾ بكسر الجيم، والباقون بإسكانها. انظر: «التيسير» (ص: ١٤٠). وإنما أثبتنا القراءة بسكون الجيم لأنها هي المرادة عند المؤلف؛ بدليل ما سيأتي من قوله: «والرَّجْل: جمع راجل، كالرَّكْب جمع راكب».

(٤) في (ر) و(ف): «جيشه».

ويجوز أن يكون لهم من جوهرهم[١] مراكبُ يركبونها، فيجد ذلك بعضهم فيكون فارساً[٢]، ولا يجده بعضهم فيكون راجلاً.

ويجوز أن يكون ذلك على ضرب المثل للتكثير من الأتباع.

ويجوز أن يكون خيلُه ورَجِله من بني آدم؛ قال قتادة: كلُّ راكبٍ في معصيةِ الله فهو من خيلِ إبليس، وكل ماشٍ في معصيةٍ فهو من رجله[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَشَارِكْهُمْ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَـٰدِ﴾: قال ابن عباس رضي الله عنهما: أما الأموال: فالحرثُ والأنعام والبَحيرة والسائبة والوصيلة والحامي وما حلَّلوا وما حرَّموا، وأما الأولاد: فأولاد الزنا[٤].

وقال عطاء: ﴿وَشَارِكْهُمْ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ﴾؛ أي: على جمع الحرام ﴿وَٱلْأَوْلَـٰدِ﴾ بمعنى الأدعياء[٥].

وقال الحسن: ﴿وَشَارِكْهُمْ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ﴾ يعني: على جمع الحرام حتى يكسبوها من غير وجهها وينفقوها في غير حقِّها[٦] ﴿وَٱلْأَوْلَـٰدِ﴾؛ أي: أولاد الحرام.

---

(١) في (ر): «وجوههم»، وفي (ف): «وجوه».

(٢) في (أ): «ركباناً».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٦٥٩) عن ابن عباس، أما قتادة فروى عنه قولَه: إن له خيلاً ورجلاً من الجن والإنس، وهم الذين يطيعونه.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٦٦٢ و٦٦٣).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٦٦٠) بلفظ: الشرك في أموال الربا.

(٦) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٥٩٠)، والطبري في «تفسيره» (١٤/ ٦٦١) بلفظ: ﴿وَشَارِكْهُمْ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ﴾: مرهم أن يكسبوها من خبيث، وينفقوها في حرام. وكلمة: (مرهم) لم ترد في رواية عبد الرزاق.

وعن بعض السلف قال: ﴿وَشَارِكْهُمْ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ﴾؛ أي: كُل مِن أَطْعِمَتِهم ما لم يذكروا اسم الله عليه عند الأكل (وفي الأولاد) خالِطْ أهاليهم عند وطئهم إذا لم يذكروا اسم الله عند ذلك الفعل.

وقيل: يدخل في الأموال الربا وما ذبحوه لآلهتهم، وفي الأولاد ما نَشَؤوه على الكفر والمعاصي، كصنيع أهل الكفر من النصارى والمجوس وغيرهم بأولادهم، ويدخل فيه ما كانوا يسمُّون به[1] أولادهم من الأسماء المضافة إلى الشياطين والأصنام؛ كعبد ودٍّ وعبدِ العُزَّى وعبد اللاتِ وعبد مَناةَ.

وقوله تعالى: ﴿وَعِدْهُمْ﴾: هو ما يمنِّيهم من الأماني الكاذبة: من النصر على مخالِفيهم في الدنيا، وأنه لا بعثَ ولا نشورَ، وإن كان فهو للحُسنى لهم؛ كما قال: ﴿وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ﴾ [فصلت: ٥٠].

قوله: ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾: وهو كلامٌ معترِضٌ، ثم عاد إلى خطابه، وهو قوله تعالى:

* * *

(٦٥) ـ ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾.

﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾: قال سفيان بن عُيينةَ: ﴿لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾؛ أنْ تلقيَهم في ذنبٍ يَضيق عنه عفوي[2].

---

(١) في (ر): «يسمونه»، وفي (ف): «يسمون».

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٣٤٢)، والماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٢١٣)، والبغوي في «تفسيره» (٤/ ٣٨٢).

وقيل: إن خواصِّي ليس لك عليهم سلطانُ الوسوسة؛ لالتجائهم[١] إليَّ ودوامِ استعاذتهم بي؛ كما قال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَـٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ تَذَكَّرُواْ﴾ الآية [الأعراف: ٢٠١].

وقال القشيري رحمه الله: قوله: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ﴾ إنما يكون عبدُه مَن لا يكون في أسرِ غيره، فأما مَن استعبده هواه، واستَمْكَن من قلبه الأطماع، واسترقَّته كلُّ خسيسةٍ ونقيصة[٢]، فلا يكون من جملتِهم، قال النبي ﷺ: «تَعِسَ عبدُ الدِّينار، تَعِسَ عبدُ الدِّرهم» الخبرَ[٣]».

وقيل: عباده هم المتفيِّئون بظلِّ عنايته لتبرُّئهم عن الحول والقوة، وانفرادِهم بالله بحُسن التوكُّل ودوامِ التفويض[٤].

ثم قوله: ﴿ٱذْهَبْ... وَٱسْتَفْزِزْ... وَأَجْلِبْ﴾ هذه الألفاظُ الخارجة على صيغةِ الأمر على معنى تعجيز إبليس، وتعريفِه أن ذلك لا يضرُّ الله شيئاً ولا يَنقص من ملكه، وأن سلطان إبليس إنما يجري على الجهَّال الذين قد أخرجهم الله تعالى عن جملة مَن شرَّفهم بعبوديته.

وقوله تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾: أي: كافياً لك، ومعتمَداً لك[٥] في أمورك.

وفي الخبر: أن الله تعالى لمَّا لعن إبليس وطرده قال: ربِّ أسألك أن تُعينني

---

(١) في (ر): «لاستنادهم»، وسقطت هذه الجملة من (ف).

(٢) في (ر): «واسترقه كل خسيس ونفيس».

(٣) رواه البخاري (٢٨٨٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٣٥٧ ـ ٣٥٨).

(٥) في (أ): «ومعتمداً عليه».

على آدم، قال: يا إبليس، لا يُولد له ولدٌ إلا وُلد لك عشرةٌ، قال: يا ربِّ زِدْني، قال: تجري فيه وفي ذريته مجرى الدم، قال: يا ربِّ زِدْني، قال: أَجْلِبْ عليهم بخيلك ورَجِلك وشارِكْهم في الأموال والأولاد وعِدهم، فاستغاث آدم بالله عز وجل وقال: إنك جعلتَ بيني وبين إبليس عداوةً وقوَّيْتَه عليَّ فأعنِّي عليه يا ربِّ، فقال: إذا عملْتَ حسنةً فلك بها عشرةٌ، وإنْ عملتَ سيئةً فواحدةٌ، قال: يا رب زدني، قال: لا أغلق بابَ التوبة على أحدٍ من ذريَّتك حتى يُغرغر، قال: يا رب زدني، قال: أغفرُ ولا أبالي، فقال آدم: حسبي يا رب(١).

***

(٦٦) ـ ﴿رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزۡجِى لَكُمُ ٱلۡفُلۡكَ فِى ٱلۡبَحۡرِ لِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزۡجِى لَكُمُ ٱلۡفُلۡكَ فِى ٱلۡبَحۡرِ﴾: قال ابن عباس وقتادة وابن زيد: يُجري(٢).

والإزجاء في اللغة: السَّوق؛ قال تعالى: ﴿يُزۡجِى لَكُمۡ﴾ [النور: ٤٣].

وانتظامها بما قبلها: أن هذا في تفسير قوله: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾.

ووجهٌ آخر: أنه بيانُ وحدانية الله تعالى، وبيان إنعامه على خلقه، وفيه إظهارُ قبحِ شركهم وأكثر السورة فيه، يقول: هو ربُّكم المتفضِّل عليكم بما يَتِمُّ به معاشكم(٣)، الذي يَسوق لكم السفن في البحر سَوقاً ليِّناً رقيقاً بريحٍ طيبةٍ تقطَعُ بكم المسافة البعيدة في المدة القريبة.

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٢٥٣ ـ ٣٢٥٤) عن عبيد بن عمير قوله.

(٢) رواه عنهم الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٦٦٧).

(٣) في (أ): «معايشكم».

وقوله تعالى: ﴿لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ﴾: أي: من رزقه ﴿إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾؛ أي: لم يزل بارًّا بكم يوصل إليكم المنافعَ والمرافق الدِّينية والدنيوية.

* * *

(٦٧) ـ ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنسَانُ كَفُورًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ﴾: أي: إذا اشتدَّ بكم البلاء في البحر حتى تُشرفوا على الهلكة ﴿ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ﴾؛ أي: بطَل وتلاشى عنكم آلهتُكم التي تدعون من دون الله فلا تستعينون إلا بالله.

﴿فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ﴾: أي: خلَّصكم من هول البحر فأخرجكم إلى البر ﴿أَعْرَضْتُمْ﴾ عن إخلاص العبادة لله وأقبلتُم على عبادة غيره.

وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ الْإِنسَانُ كَفُورًا﴾: أي: عادةُ الإنسان كفرانُ النِّعم، والمراد به الناس لأنه اسم جنس ويصلح للجمع.

ثم أَخبر أن قدرته عليهم في البر كقدرته عليهم في البحر، وهو قولُه تعالى:

* * *

(٦٨) ـ ﴿أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا﴾.

﴿أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ﴾: استفهام بمعنى التوبيخ، يقول: عجباً منكم كيف أمنتُم أن يَغور بكم في الأرض في جانبٍ[1] من جوانبها.

---

(١) «في جانب»: من (أ).

﴿أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾: ريحاً ترميكم بالحصباء(١)، وهي صغار الحجارة ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا﴾؛ أي: مَن يكفيكم ما يَحِلُّ بكم.

* * *

(٦٩) ـ ﴿أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾: أي: يسبِّبَ لكم سبباً يَضْطَرُّكم إلى العَود وإلى ركوب البحر مرة أخرى.

﴿فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ﴾: عند ذلك ﴿قَاصِفًا مِّنَ الرِّيحِ﴾ يكسرُ السفن ﴿فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ﴾: فيهلكَكم عقوبةً لكم على كفران نعمةِ تخليصكم(٢) في المرة الأولى.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ﴾: أي: لأنفسكم ﴿عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا﴾؛ أي: مَن يَتبعُنا بدمائكم ويخاصمُنا عنكم بهلاككم.

والتبيع: المُطالِب، والتَّبِعة والتِّباع المطالبة بالجناية، والاتِّباع: الطلب؛ قال الله تعالى: ﴿فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ١٧٨].

* * *

(٧٠) ـ ﴿۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ

---

(١) في (ر) و(ف): «بالحصى».

(٢) في (ر): «نعمه بتخليصكم»، وفي (ف): «نعمه بتخليصه إياكم».

﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾: ذكَر في الآيات[1] المتقدِّمة كفرانَ النِّعم من الكفار، وبيَّن في هذه الآية إنعامَه على بني آدم، فحثَّهم بذلك على الشكر، فقال: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾؛ أي: فضَّلناهم على كثيرٍ من أصناف الحيوانات، وجعلناهم أحقَّ بالكرامات منها، ويدخل فيها خلقُه إياهم على هذه الهيئة التي يَصلحون بها للتكليف والتمييز بين الأشياء، والاهتداءِ إلى أسباب المعاش، وما جعَل لهم من القامات المنتصِبة، وحرَّم دماءهم ولحومهم، وسخَّر لهم ما في الأرض، وجعلهم المقصودين بالخلق والامتحان، واستعمالِ السماء والأرضِ، والشمس والقمر، والنجوم والبحار، والبراري[2] والجبال، وجميع الصعاب والشِّداد[3] في حوائجهم بما لا يَتهيَّأ لغيرهم ذلك، وأَسجَدَ لأبيهم الملائكة.

وقوله تعالى: ﴿وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ في البر على الدواب وفي البحر على الفُلك، في الرَّطْب على اليابس وفي اليابس على الرَّطْب.

وقوله تعالى: ﴿وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ﴾؛ أي: اللذائذِ من الحبوب والثمار، ولحومِ الحيوانات النافعة المقوِّية، والأشربة العذبة[4].

وقوله تعالى: ﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾؛ أي: فضَّلناهم بهذه الأشياء على سائر الحيوانات، وجعلنا سائر الحيوانات مسخَّرة لهم، وخلقنا لهم آلةَ المناولة والتناوُلِ.

و﴿كَرَّمْنَا﴾ أبلغ من: أكرمْنا؛ لأنه يقتضي التكرير والتكثير.

---

(١) في (أ): «الآية».

(٢) في (ر): «والقفار».

(٣) في (ر): «وجميع الصفات والسداد».

(٤) في (ف): «المغذية».

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: كرَّمناهم بالعقل.

وقال الضحَّاك: بالنُّطق والتمييز.

وقال عطاء: بامتداد القامة وتعديلها.

وقال يمان بن رئابٍ: بحسن الصورة.

وقال محمد بن كعب القرظي: بأن جعل محمداً ﷺ منهم[1].

وقال مقاتل: ﴿كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ بالأكل بالأيدي[2].

ورُوي هذا عن ابن عباس رضي الله عنهما أيضاً[3].

وقال الأصمعي: دخلت على الرشيد وبين يديه جامُ خبيصٍ وبيده ملعقةُ ذهبٍ يأكل بها، فقال: يا أصمعي، تعال فساعِدْ، فقلت: حدَّثني سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن طاوسٍ، عن جدِّك عبد الله بن عباس في قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ بالأكل بالأيدي، فرمى الملعقة.

وقال القشيري رحمه الله: هذا ظاهرٌ على العموم، والمراد به المؤمنون على الخصوص؛ لأنه قال في وصف الكفار: ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكۡرِمٍ﴾ [الحج: ١٨]، التكريم: التكثير من الإكرام[4]، فإذا حُرم الكافر أصلَ الإكرام فمتى[5] يكون له التكريم[6]؟

---

(١) ذكر هذه الأقوال الثعلبي في «تفسيره» (٦/ ١١٤)، والواحدي في «البسيط» (١٣/ ٤٠٢)، والبغوي في «تفسيره» (٥/ ١٠٨).

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٥٤٢).

(٣) رواه ابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه في تفاسيرهم كما في «الدر المنثور» (٥/ ٣١٦)، والبيهقي في «الشعب» (٥٨٤١).

(٤) في (أ): «التكثير من الإحرام»، وفي (ر) و(ف): «التكثر من الإكرام». والمثبت من «اللطائف».

(٥) في (ف): «فمن أين».

(٦) في (ر) و(ف): «تكريم»، والمثبت من (أ) و«اللطائف».

ثم إنما قال: ﴿بَنِيٓ ءَادَمَ﴾، ولم يقل: المؤمنين، ولا: العابدين، ولا: المجتهدين، تقديساً للتكريم من أن يكون مقابَلاً بفعلٍ، أو معلَّلاً بوفاق، أو مسبَّباً باستحقاق.

وذلك التكريم: أنهم متى شاؤوا وقفوا على بساط المناجاة.

ومن التكريم: أنك على أيِّ وصفٍ كنتَ من الطهارة وغيرها إذا أردتَ أن تخاطبه خاطَبْتَه، وإذا أردتَ أن تسأله سألتَه.

ومنه: أن العبد إذا تاب ثم نَقَض توبته ثم تاب قُبلت توبتُه، ولو تكرَّر منه جُرمه [ثم توبته] يضاعف له قبول التوبة وعفوه.

ومنه: إذا عثَر أخذ بيده، وإذا قال: لا أعود، قَبِله بقوله[1] وإنْ عَلِم أنه سيعود.

ومنه: أنه زيَّن ظاهرهم بالمجاهَدة، وحسَّن باطنهم بالمشاهدة.

ومنه: أنه أعطاهم قبلَ سؤالهم، وغفر لهم قبل استغفارهم، كذلك ورد في الخبر[2]: [«أعطيتكم قبل أن تسألونى، وغفرتُ لكم قبل أن تستغفروني»[3]].

ومنه: أنه قال لهم: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ﴾ [البقرة: ١٥٢]، ولم يقل ذلك للملائكة ولا للجن.

وكذا قال: ﴿يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤]، وقال: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ﴾ [المائدة: ١١٩].

---

(١) في «لطائف الإشارات»: «يقبل قوله».

(٢) في (ر): «ورد الخبر».

(٣) رواه ابن مردويه، وأبو نعيم في «الدلائل»، وأبو نصر السجزي في «الإبانة»، والديلمي من حديث عمرو بن عبسة رضي الله عنه مرفوعاً، كما في «الدر المنثور» (٦/ ٤١٨)، وهو في «الفردوس» (٧٢٠٦). ورواه النسائي في «الكبرى» (١١٣١٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه موقوفاً بلفظ: «أعطيْتُكم قَبْل أنْ تسألوني، وأجبْتُكم قَبْل أنْ تَدْعونِي».

ومنه: قوله في حقهم: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ١١٠].

وقوله تعالى: ﴿وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ قال: محمولُ الكرام لا يقع، ولو وقع أُخذ بيده(١).

ولما حمل بنو آدم الأمانة جازاهم بأن قال: ﴿وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ وشتَّان ما بينهما(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾: الرزقُ الطيِّب: ما كان على شهود الرازق، فمَن لم يكن غائباً بقلبه، ولا غافلاً عن ربِّه، استطاب كلَّ رزق، وأنشدوا:

إنِّـي لِمَـا قـد سُـمْتَ ركَّابُ ... ولـلَّـذي تـسقيـه شـرَّابُ

لا عائفاً شيئاً ولـو شِيـبَ لـي ... مـن كفِّك العلقـمُ والصَّابُ(٣)

وقوله تعالى: ﴿وَفَضَّلْنَٰهُمْ﴾ فضَّلهم جميعاً بالخَلْق الحسَن، ثم فضَّل بعضهم على بعضٍ بالخُلُق الحسَن.

وقيـل: فضَّلهـم بـأنْ لاحظـوا أنفسـهم بعيـن الاسـتحقاق، وأعمالَهـم بعيـن الاسـتصغار(٤).

* * *

(١) في «لطائف الإشارات»: (وإن وقع وجد من يأخذ بيده).

(٢) في (أ): «هما».

(٣) البيتان لأبي نواس، وهما في «ديوانه» (ص: ٦٩)، ولم يردا في «اللطائف»، وفيه بدلاً منهما:

يـا عاشـقي إنـي سُـعِدْتُ شراباً ... لـو كان حتـى علقمـاً أو صابـا

(٤) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٣٥٩ ـ ٣٦٢)، وما تقدم بين معكوفتين منه، والعبارة الأخيرة فيه: (فضَّلهم بألَّا ينظروا إلى نفوسهم بعين الاستقرار، وأن ينظروا إلى أعمالهم بعين الاستصغار).

(٧١) ـ ﴿ يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسِۭ بِإِمَٰمِهِمْۖ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسِۭ بِإِمَٰمِهِمْ ﴾: قيل: هو على الإغراء؛ أي: احذروا يومَ ندعو، أو هو على الابتداء؛ أي: اذكروا ﴿ يَوْمَ نَدْعُواْ ﴾ الآية.

وقال الزجَّاج: أي: ويعيدكم ﴿ يَوْمَ نَدْعُواْ ﴾(١).

وقيل: يتصل بقوله: ﴿ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ۝٥١ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ ﴾ الآية ﴿ يَوْمَ نَدْعُواْ ﴾.

وقيل: يتصل بقوله: ﴿ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴾ ﴿ يَوْمَ نَدْعُواْ ﴾.

وقيل: يتصل بقوله: ﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾ ﴿ يَوْمَ نَدْعُواْ ﴾.

وقيل: بقوله: ﴿ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴾ ﴿ يَوْمَ نَدْعُواْ ﴾.

وقيل: يتصل(٢) بقوله: ﴿ ثُمَّ لَا تَجِدُواْ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا ﴾ ﴿ يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسِۭ بِإِمَٰمِهِمْ ﴾.

روَى عليٌّ رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ أنه قال في تفسيره: «بكتاب ربِّهم وسنَّةِ نبيِّهم»(٣).

والإمام هو المقتدَى، وكتاب الله هو الذي يجب أن يُقتدَى به، فعلى هذا يُدْعى: يا أهل القرآن، يا أهل التوراة، يا أهل الإنجيل.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٢٥٢).

(٢) «يتصل» ليست في (ف).

(٣) رواه ابن مردويه، كما في «الدر المنثور» (٥/ ٣١٧)، والثعلبي في «تفسيره» (١٦/ ٣٩٧ ـ ٣٩٨). وهو حديث موضوع. انظر: «الميزان» ترجمة داود بن سليمان الجرجاني وترجمة عبد الله بن أحمد بن عامر.

وقيل: أي: بإمامهم المبعوثِ إليهم: يا أمة محمد[١]، يا أمة موسى، يا أمة عيسى.

وقيل: أي: تُدعى كلُّ أمةٍ مع نبيِّها ليَشهد عليها.

وقال علي بن أبي طلحة: بأئمَّتهم في الخير والشر؛ كما قال: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ [الأنبياء: ٧٣]، ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾ [القصص: ٤١][٢].

وقال محمد بن كعب: ﴿بِإِمَامِهِمْ﴾؛ أي: بأمَّهاتهم[٣].

وقال بعضهم: بمذاهبهم؛ لأنهم كانوا يَؤمُّونها[٤].

وقيل: بحِرَفهم.

وقيل: بأحوالهم وبمقاماتهم؛ قال النبيُّ ﷺ: «أولُ مَن يُدْعَى إلى الجنة الحامدون اللهَ على كلِّ حال»[٥].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما في حديث عَقْدِ الألوية: ثم يُعقد لواء آخر وينادي منادٍ: أين الساعون للمشكور[٦]؟ فيقومون، ثم يعقد لواء آخر وينادي منادٍ[٧]: أين الراضُون بالمقدور؟ فيقومون، ثم يعقد لواء آخر وينادي منادٍ

---

(١) في (أ): «أحمد».

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٦/ ١١٦).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٦/ ١١٦)، والبغوي في «تفسيره» (٥/ ١١٠).

(٤) في (أ): «يأتونها».

(٥) رواه البزار في «مسنده» (٣١١٤ ـ كشف)، والطبراني في «الكبير» (١٢٣٤٥) و«الأوسط» (٣٠٥٧)، و«الصغير» (٢٨٨). وقال المنذري في «الترغيب والترهيب» (٢/ ١٠٨): رواه البزار والطبراني في الثلاثة بأسانيد أحدها حسن.

(٦) في (ف): «للمسكين»، وفي (ر): «للسكون».

(٧) في (ف): «وينادون»، بدل: «وينادي مناد».

آخر[1]: أين الصابرون على المحذور؟ فيقومون، فهذه هي المقامات، إلى أن يَتمَّ أربعٌ وسبعون من الألوية[2].

وقيل ـ وهو الأظهرُ والأوفق للنظم ـ: ﴿بِإِمَـٰمِهِمْ﴾؛ أي: إلى كتابهم الذي كتب فيه أعمالهم، وسمِّي إماماً لأن المرجع إليه في تعرُّف أعمالهم، كما يسمَّى مصحفُ عثمان إماماً لأن المرجعَ إليه، ويدل عليه ما بعده، وهو قوله:

﴿فَمَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ﴾: وهو كتاب أهل السعادة ﴿فَأُوْلَـٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَـٰبَهُمْ﴾ مشتمِلاً على ما كان منهم.

﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾: أي: ولا يُنقصون شيئاً من ثواب أعمالهم وإن كان شيئاً حقيراً يسيراً بمقدارِ ما يفتله الرجلُ بين أصابعه من الوسخ، فهو الفتيل.

وقيل: الفتيل: الذي يكون في شقِّ النواة.

وقال القشيري رحمه الله: ﴿فَأُوْلَـٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَـٰبَهُمْ﴾ لكمالِ صَحْوِهم ووُفور عقلهم، والذين يُؤتَون كتابهم بشمالهم فهم لتحيُّرهم وتردُّدهم لا يقرؤون كتابهم، وأشار إليه في قوله: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَـٰبِيَهْ﴾ [الحاقة: ١٩] الآيات، ثم قال: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَـٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَـٰبِيَهْ﴾ [الحاقة: ٢٥] ولم يذكر القراءة[3].

* * *

(٧٢) ـ ﴿وَمَن كَانَ فِى هَـٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾.

---

(١) «آخر» ليس من (ف).

(٢) في (أ): «أربع وسبعون لواء».

(٣) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٣٦٢).

وقوله تعالى: ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلٗا﴾: قرأ أبو عمرو[١]: (أعمى) الأول بالإمالة والثاني بالتفخيم، وقال: هو للتفضيل بدليل قوله: ﴿وَأَضَلُّ سَبِيلٗا﴾، ومعناه: أشدُّ عمًى مِن عمَى القلب، فيكون أفعل للفعل لا للإفعال فيصح، قال تعالى: ﴿بَلۡ هُم مِّنۡهَا عَمُونَ﴾ [النمل: ٦٦].

وقرأ بالتفخيم فيهما ابن كثير ونافعٌ وابن عامر وعاصم في رواية حفص، وبالإمالة فيهما حمزة والكسائي وعاصم في رواية أبي بكر[٢].

ومعناه: ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ﴾؛ أي: في الدنيا والنظرِ إلى أعيانها[٣] والاستدلالِ بها على ما جُعلت الدلائلُ عليها ﴿أَعۡمَىٰ فَهُوَ﴾ في التفكُّر في أمور ﴿ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ﴾ لأنها غيبٌ ﴿وَأَضَلُّ سَبِيلٗا﴾؛ أي: أعدلُ عن الحق.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ذكر النعمةَ قبله فقال[٤]: ﴿رَّبُّكُمُ ٱلَّذِي يُزۡجِي لَكُمُ ٱلۡفُلۡكَ فِي ٱلۡبَحۡرِ﴾ وكذا وكذا، ثم قال: ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ﴾؛ أي: ومَن كان عن هذه النِّعم التي يعايِن ويشاهِد ﴿أَعۡمَىٰ﴾ فهو عمَّا لم يُعايِن ولم يشاهِد من أمور الآخرة أعمى[٥].

---

(١) بعدها في (ر) و(ف): «ونصير عن الكسائي وورش عن يعقوب والكرخي عن أبي بكر».

(٢) في (ر) و(ف): وقرأ بالتفخيم فيهما ابن كثير ونافعٌ وأبو جعفر وابن عامر وعاصمٌ غيرَ الكرخي ويحيى وحماد، وبالإمالة فيهما حمزة والكسائي غير نصير وخلف ويحيى وحماد. وانظر القراءات المذكورة أعلاه في «السبعة» (ص: ٣٨٣)، و«التيسير» (ص: ١٤٠).

(٣) في (ف): «أعيابها».

(٤) في (ر) و(ف): «أي ذكر النعم قبله»، بدل: «ذكر النعمةَ قبله فقال».

(٥) رواه الفريابي وابن أبي حاتم من طريق عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما، كما في «الدر المنثور» (٥/ ٣١٧).

ومَن عمي عن آيات الله في الدنيا[١] فعن الذي غُيِّب عنه من أمور الآخرة أشدُّ عمًى[٢].

ومَن كان في الدنيا عن سلوك سبيل النجاة بالتوبة أعمى فهو في الآخرة أشدُّ عمًى[٣] من طريق النجاة من عذاب الله.

وقال أبو العباس بن العطاء: مَن كان في هذه الدنيا أعمى عن معرفته، فهو في الآخرة أعمى عن رؤيته.

وقيل: مَن كان في الدنيا لا يُبصر[٤] رشدَه مع ما مُدَّ له في المهلة، فهو في الآخرة بهذه الحالة أيضاً لا سبيل له إلى التوبة.

وقيل: مَن كان في هذه الدنيا أعمى عن حجج الله بُعث يوم القيامة أعمى؛ كما قال: ﴿وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ [طه: ١٢٤] الآيات، وقال: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾ [الإسراء: ٩٧]، وهو على العمى[٥] الحقيقيِّ بالبصر عقوبةً لهم.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: مَن كان في هذه الدنيا أعمى عن شكر النعيم كان في الآخرة أعمى عن نيل الثواب العظيم.

---

(١) في (ف): «ومن كان عن آيات الله في الدنيا أعمى».

(٢) رواه بنحوه أبو الشيخ في «العظمة» (٦٩)، وابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» (٥/ ٣١٧)، من طريق الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) في (ف): «أعمى» بدل: «أشد عمى».

(٤) في (ر): «لا يتصور».

(٥) قوله: «أعمى كما قال: ﴿وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ الآيات، وقال: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾ وهو على العمى»، جاء بدلاً منه في (ر): «وهو على وجهه أعمى وهو على العمى».

وقال أبو بكر الورَّاقُ: مَن كان في هذه أعمى عن حجَّته فهو في الآخرة أعمى عن جَنَّته[١].

وقال الإمام القشيري رحمه الله: ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ﴾ عن مشاهدته ببصيرته فهو في الآخرة أعمى عن رؤيته ببصره[٢].

وقيل: لمَّا نزلت هذه الآيةُ جاء عبد الله بن أمِّ مكتومٍ ـ وكان ضريراً ـ إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله! أنا في الدنيا أعمى أفأكون في الآخرة أعمى؟ فأنزل الله تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦][٣].

* * *

(٧٣) ـ ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَفۡتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ لِتَفۡتَرِيَ عَلَيۡنَا غَيۡرَهُۥۖ وَإِذٗا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلٗا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَفۡتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ لِتَفۡتَرِيَ عَلَيۡنَا غَيۡرَهُۥۖ وَإِذٗا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلٗا﴾: وهذا من عماهم في الدنيا.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: جاء وفد ثَقيفٍ إلى رسول الله ﷺ فقالوا: نحن أخوالك[٤] وأصهارُك وجيرانك فأعطِنا ما نريد نُعْطِكَ ما تريد، فقال رسول الله ﷺ: «ما تريدون؟» فقالوا: نريد أن لا نُعشَرَ ولا نُحشَرَ ولا نجبِّيَ[٥]، وكلُّ رباً لنا

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٦/ ١١٧).

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٣٦٢).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ٢٧)، وأورده البيضاوي في تفسير سورة الحج مقدما له بـ(قيل)، وهي صيغة التمريض عنده، وقال الشهاب: لعل تمريضه لعدم ثبوته عنده لأنّ ابن أم مكتوم رضي الله عنه لا يخفى عليه مثله. انظر: «حاشية الشهاب على البيضاوي» (٦/ ٣٠٣).

(٤) في (أ): «إخوانك».

(٥) في (ر) و(ف): «نُحنى»، وهو موافق لبعض المصادر.

على الناس فهو عليهم، وكلُّ رباً للناس علينا فهو موضوعٌ عنا، ومَن قصَد وادِيَنا وجًّا فعضَد[١] شجرها واصطاد صيدها منَعْناه وضربناه، وأن تمتِّعنا باللات سنةً[٢] لتَظهر كرامتُنا وفضْلُنا، وألا نكسرها[٣] بأيدينا! فقال النبي ﷺ: «لا نَعْشر ولا نَحْشر، وكلُّ رباً فهو لكم، وأما قولكم: لا نجبِّي[٤]، فلا خير في دِين لا يكون فيه ركوعٌ ولا سجود، وأما قولكم: لا نكسر اللات بأيدينا، فلْنأمر بكسرها[٥]، وأما قولكم: متِّعنا بها سنةً[٦]، فأنا أنتظرُ أمر الله تعالى فيها»، فقالوا: إن لامك العرب فقل: أمرني الله بذلك، فقال لهم عمر: ما لكم أحرقتُم رسول الله ﷺ أحرقَ الله أكبادكم؟ لا ولا نَعِمَتْ عينٌ، لا يدعُ رسول الله ﷺ صنماً بأرض العرب يُعبد، فأنزل الله تعالى: ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَفۡتِنُونَكَ﴾[٧]؛ أي: ما كادوا إلا أنْ يصرفوك عن الذي أوحينا إليك

---

(١) في (أ): «وقطع»، وفي (ر): «يعضد».

(٢) في (ر) و(ف): «وأن تمتعنا بها ثلاثين سنة»، وهو مخالف لسائر المصادر.

(٣) في (أ): «تكسر».

(٤) في (ر) و(ف): «نُحنى».

(٥) قوله: «فلنأمر بكسرها» من (أ) وليس في باقي النسخ، وفي «تفسير مقاتل»: (فإنا سنأمر من يكسرها غيركم)، وفي غيره: (فذلك لكم).

(٦) في (ر) و(ف): «ثلاثين سنة»، وهو مخالف لسائر المصادر.

(٧) ذكره عن ابن عباس الثعلبي في «تفسيره» (٦/ ١١٨)، وعبد القاهر الجرجاني في «درج الدرر» (٢/ ٢٢٢)، وذكره مقاتل في «تفسيره» (٢/ ٥٤٣)، وأورده ابن الجوزي في «زاد المسير» (٥/ ٦٧) في نزول هذه الآية وقال: رواه عطاء عن ابن عباس. ثم ذكر نحوه عن عطية عن ابن عباس. وذكره أيضاً (٢/ ١٩٦) في نزول قوله تعالى: ﴿وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ وَرَحۡمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ أَن يُضِلُّوكَ﴾ [النساء: ١١٣] وقال: هذا قول ابن عباس في رواية الضحاك.

قال ابن حجر في «تخريج أحاديث الكشاف» (ص: ١٠٠): ذكره الثعلبي عن ابن عباس من غير سند. وقال العراقي كما في «روح المعاني» (١٥/ ٣٢): لم نجده في كتب الحديث. =

لتفتريَ علينا غيره، وهو قولهم: قل: أمرني الله به ﴿وَإِذًا لَّاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا﴾ يعني: لو فعلتَ ذلك لصادقوك وطاوعوك.

وقيل: وقالوا: يا رسول الله، امسح وجوهَ أصنامنا بيدك حتى نمكِّنكَ أن تستلم الحجر الأسود(١).

وقيل: هو في الْتِماس المشركين أن يُخْلِي لهم المجلس وأن يطرد الفقراء عنه.

* * *

(٧٤) - ﴿وَلَوْلَا أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا﴾: وفيه إثبات العصمة له حتى لم يهمَّ بذلك أصلاً، ولم يكَدْ يفعل ذلك؛ لأنه علَّق ذلك بالشرط وهو قوله: ﴿وَلَوْلَا أَن ثَبَّتْنَاكَ﴾؛ أي: على الحق والصواب لكان منك ذلك، وهو

= قلت: رواه ابن شبة في «أخبار المدينة» (٨٨٤) عن الكلبي ولا يفرح به، لكن روي بعضه بإسناد رواته ثقات، فقد روى الإمام أحمد في «المسند» (١٧٩١٣)، وأبو داود (٣٠٢٦)، من طريق الحسن عن عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه: أن وَفْدَ ثَقيفٍ لَمَّا قدِموا على رسولِ الله ﷺ أنزلَهم المسجدَ ليكون أرقَّ لقلوبهم، فاشترطوا عليه أن لا يُحْشَروا ولا يُعْشَرُوا ولا يُجَبُّوا، فقال رسولُ الله ﷺ: «لكم أن لا تُحشَروا ولا تُعشَروا، ولا خيرَ في دِين ليس فيه ركوعٌ». ورجاله ثقات، إلا أن في سماع الحسن ـ وهو البصري ـ من عثمان بن أبي العاص اختلافاً، ويُثبت سماعه منه ما أورده البخاري في «التاريخ الكبير» (٦/ ٢١٢) عن الحسن قوله: كنا ندخل على عثمان بن أبي العاص.

وجاء في هامش (ر): «لا نعشر: لا يؤخذ العشر منا، ولا نحشر: لا نبعث إلى الغزو، ولا نجبي: لا نركع».

(١) انظر: «تفسير الثعلبي» (٦/ ١١٧)، و«زاد المسير» (٥/ ٦٧)، قال ابن الجوزي: قاله سعيد بن جبير وهذا باطل.

كما قلنا في قوله: ﴿وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ﴾ [يوسف: ٢٤]: أنه لمَّا ذكره معلَّقاً بالشرط كان نفياً له أصلاً، وقوله: ﴿لَيَفْتِنُونَكَ﴾ بيانُ قصدهم لا فِعلُه.

وقال الإمام القشيري رحمه الله: معناه: لو تركناك ونفسَك ورفعنا عنك ظلَّ العصمة لألْمَمْتَ بشيءٍ مما لا يجوزُ من مخالفةِ أمرنا، ولكنَّا ضربنا عليك سُرادقاتِ العصمة، وآويناك في كَنَف الرعاية، وحفظناك عن الأخطار باتِّباع هواك، فالزلة منك مع هذا محال، والافتراء في نفسك غير موهوم(١).

وقال قتادة: لمَّا نزلت هذه الآية قال ﷺ: «اللهمَّ لا تَكِلْني إلى نفسي طَرفةَ عين»(٢).

* * *

(٧٥) ـ ﴿إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ﴾: أي: لو ركَنْتَ إليهم لأذقناك ضعفَ عذاب الحياة وضعف عذاب الممات، فمَن كانت درجتُه أرفعَ ونِعمُ الله عليه أسبغَ كان وعيدُ الله في حقه أبلغَ، ولذلك قال في حق نساء رسول الله ﷺ: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾ [الأحزاب: ٣٠].

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾: أي: مانعاً عذابَنا عنك معيناً لك.

وإنما جاز إضمار العذاب في الضِّعف في هذه الآية لأن الله تعالى وصف العذاب بالضعف في آية أخرى، فعُرف هاهنا أنه هو المراد به، قال تعالى: ﴿فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِى ٱلنَّارِ﴾ [ص: ٦١] وقال تعالى: ﴿لِكُلٍّ ضِعْفٌ﴾ [الأعراف: ٣٨].

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٣٦٢).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ١٦). والمرفوع منه رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢٠٤٣٠)، وأبو داود (٥٠٩٠)، من حديث أبي بكرة رضي الله عنه.

(٧٦) ـ ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَاۖ وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا﴾: أي: ليستخِفُّونك ويستعجلونك.

قيل: نزلت في حييِّ بن أخطبَ وجديِّ بن أخطب[١] ورؤساءِ اليهود، قالوا للنبي ﷺ: إنك لَتعلمُ أن الحجاز ليست بأرض الأنبياء، وإنما مُقام الأنبياء أرضُ المحشر بالشام، فإن كنتَ نبيًّا فاخرج إلى الشام، وإنما يمنعك من الخروج إليها مخافتُك قتلَ الروم إياك، فتوجَّه رسول الله ﷺ نحو الشام إلى ذي الحُليفةِ، فأتى جبريل بهذه الآية، فانصرف رسول الله ﷺ[٢].

وقيل: المراد منه الإخراج المذكور في قوله: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾ [الأنفال: ٣٠] وهو ما ائتَمروا به في دار الندوة.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا﴾: قرأ ابن كثيرٍ ونافع وأبو جعفرٍ وأبو عمرٍو وعاصم في رواية أبي بكر وحماد: ﴿خَلْفَكَ﴾ والباقون: ﴿خِلَٰفَكَ﴾[٣]،

---

(١) «وجدي بن أخطب» من (أ).

(٢) رواه بنحوه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٤١)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ٢٥٤)، عن عبد الرحمن بن غَنْم رضي الله عنه. ورواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ١٨) من طريق سليمان التيمي عن حضرمي، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٦/ ١١٨) عن الكلبي، وذكره مقاتل في «تفسيره» (٢/ ٥٤٥).

(٣) في (أ): «قرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي في رواية حفص: ﴿خِلَٰفَكَ﴾ بالألف والباقون: ﴿خَلْفَكَ﴾» بدل: «قرأ ابن كثير ونافع وأبو جعفر وأبو عمرو وعاصم في رواية أبي بكر وحماد: ﴿خَلْفَكَ﴾ والباقون: ﴿خِلَٰفَكَ﴾». والصواب المثبت، و﴿خِلَٰفَكَ﴾ قرأ بها ابن عامر، وحمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم، من السبعة، ويعقوب وخلف من العشرة. انظر: «التيسير» (ص: ١٤١)، و«النشر» (٢/ ٣٠٨).

ومعناهما واحد؛ أي: لو فعلوا ذلك لم يكن لهم بقاءٌ بعدك إلا قليلاً قَدْرَ ما ينزل بهم العذاب؛ لأنه ما فارق نبيٌّ قومَه إلا عذِّبوا ونزل بهم الاستئصال.

* * *

(٧٧) ـ ﴿ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا ﴾: أي: كسنَّتِنا[1] فيمَن قد أرسلنا قَبْلَك من رُسُلِنا: أنه ما فارق نبيٌّ قومَه إلا عذِّبوا ونزل بهم الاستئصال[2].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾: أي: لا يجد أحدٌ[3] سبيلاً إلى تبديل ما سنَّه الله وكتب[4] على عباده، وقال تعالى[5]: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الْأَرْضَ مِن بَعْدِهِمْ ﴾ [إبراهيم: ١٣ ـ ١٤]، وقال تعالى: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ ﴾ [محمد: ١٣]، وقد جرى على أهل مكة بعد خروج النبي ﷺ عنها إلى المدينة بسبب مكرهم قتلُ صناديدهم ببدرٍ بعد سنتين، ثم فتحُ مكة وإخراجُ مَن بها من المشركين.

* * *

(٧٨) ـ ﴿ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾.

---

(١) في (أ): «لسنتنا».

(٢) «ونزل بهم الاستئصال» ليس في (أ).

(٣) في (ر) و(ف): «تجد»، بدل: «يجد أحد».

(٤) في (ر): «تبديل سنة الله التي كتب»، وفي (ف): «تبديل سنة الله وما كتب».

(٥) في (ف): «قوله».

وقوله تعالى: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: أي: فإنْ ثقُل عليك أذاهم فافْزَعْ إلى الصلاة ففيها الفرجُ والمخرج، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ [الحجر: ٩٧].

وقوله تعالى: ﴿لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ﴾: قال ابن مسعود، وابن عباس رضي الله عنهما في روايةٍ، وابنُ زيد: لغروبها؛ أي: بعد غروبها وهي صلاةُ المغرب.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما في روايةٍ والحسنُ ومجاهد وقتادة: هو زوالها[1].

وأصله[2]: الميل، وهو يَنتظِم الأمرين.

وقوله تعالى: ﴿إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ﴾: هو أولُ ظلمة الليل، وقيل: هو ظهور ظَلامه. وقد غَسَقَت القَرحة: إذا انفجرت وظهر ما فيها.

يقول: أقِمِ الصلاة لزوال الشمس إلى ظلام الليل، وهو يَنتظِم صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء.

وقوله تعالى: ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ﴾: أي: صلاةَ الفجر، سماها قرآناً لأن القراءة من أركانها، كما سميت الصلاة ركوعاً وسجوداً، وكذلك قال عليه السلام: «إذا دخل أحدكم المسجد فلا يجلس حتى يركع ركعتين»[3]، وفي بعض الروايات:

---

(١) روى الأول عن ابن مسعود عبد الرزاق في «المصنف» (٢٠٩٦)، والطبراني في «الكبير» (٩١٢٧ ـ ٩١٣٨)، والحاكم في «المستدرك» (٣٣٨٢). وعن ابن عباس ابنُ أبي شيبة في «المصنف» (٦٢٧٤). وروى القولين عن الأئمة المذكورين الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٢٢ ـ ٢٧).

(٢) في (أ): «وأصلها».

(٣) رواه بنحوه البخاري (٤٤٤)، ومسلم (٧١٤)، من حديث أبي قتادة رضي الله عنه.

«حتى يسجدَ سجدتين»[١]، وقد سمى الله تعالى المصلِّين ركَّعاً وسجَّداً.

وقيل: ﴿قرآن الفجر﴾؛ أي: قراءةَ الفجر؛ أي: أقِمْ قراءةَ الفجر؛ أي: القراءةَ المفروضة فيها، فعلى هذا تكون الآية جامعةً للصلوات الخمس.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾: أي: صلاةَ الفجر وما يُقرأ فيها، يشهدها ملائكةُ الليل والنهار؛ لفضيلة هذه الصلاة في نفسها.

* * *

(٧٩) - ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ﴾: أي: اسهَرْ بالقرآن تقرؤه في صلاة الليل ﴿نَافِلَةً لَّكَ﴾ زائدةً على تلك الفرائض المذكورة في الآية الأولى، فتلك فرائضُ وهذه نوافل.

وقيل: غنيمةً لك.

وقال الحسن: ﴿نَافِلَةً لَّكَ﴾؛ أي: خالصةً لك، وخلوصُه له: أنه لا يَغفل عن شيء منه في حالٍ، وغيرُه من الناس قد يغفلون فيه عن أشياء[٢].

وقيل: إنما قال: ﴿نَافِلَةً لَّكَ﴾؛ لأنه كان مغفوراً له فيما يعمل فيكون نافلة له، وأما غيره من الناس فإن ما[٣] يعمل من الخيرات يكون كفارةً لذنوبه فلا يكون نافلةً له، وإذا ثبت أنه نفلٌ في حقه ثبت أنه نفلٌ في حق أمَّته؛ لأن المشروع في حقه مشروعٌ في حق أمته حتى يقوم دليلُ التخصيص، وكان قيام الليل فرضاً في الابتداء ثم نسخت فَرْضيَّته.

---

(١) رواه أبو داود (٤٦٧) من حديث أبي قتادة رضي الله عنه.

(٢) ذكره الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (٧/ ٩٨).

(٣) في (ف): «فإنه بما»، وفي (ر): «فإن بما».

وقيل: كان فرضاً على النبي ﷺ، ومعنى قوله: ﴿نَافِلَةً لَّكَ﴾؛ أي: زائدةً على عدد الخمس فرضاً عليك دون غيرك.

وقوله تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾: أي: يُقيمكَ مقام الشفاعة فيَحمدك عليه الخَلق، والمحمود: المرْضيُّ أيضاً، والمقام: هو الموضع الذي يقوم فيه الإنسان بجلائل الأمور؛ كالمقامات بين يدي الملوك، وفي مجالس العشائر لتسكين النائرة[1]، وقال لبيد:

ومقــامٍ ضيِّــقٍ فرَّجتُــه   بلســاني وبنانــي وجَــدَلْ[2]

وقال آخر[3]:

وإنِّــي لقَــوَّامٌ مَقَــاوِمَ لــم يكــنْ   جريــرٌ ولا مولَــى جريــرٍ يقومُهــا[4]

وفي هذه المقامات يتبيَّن بها فضلُ السادة، وتُكتسب بها أسبابُ السيادة، ويطير بها الذِّكر في الناس.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما والحسن ومجاهد وقتادة: المقام المحمود هو مقام الشفاعة[5].

وقيل: هو إعطاءُ لواءِ الحمد.

* * *

---

(١) في (أ): «النوار»، وفي (ف): «الثائرة». والنائرة: الحقد والعداوة.

(٢) «ديوان لبيد» (ص: ٩٦).

(٣) «آخر» من (أ).

(٤) البيت للفرزدق كما في «المقتضب» (١/ ١٢٢)، و«المخصص» لابن سيده (٤/ ٢٠٩). وللأخطل كما في «الخصائص» لابن جني (٣/ ١٤٧)، و«اللامع العزيزي» للمعري (ص: ٣٣٨).

(٥) رواه عنهم الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٤٤ ـ ٤٦).

(٨٠) ـ ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَـٰنًا نَّصِيرًا ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ ﴾:

المَدخل والـمَخرج بفتح الميم: موضع الدخول وموضع الخروج، وبالضم: موضع الإدخال وموضع الإخراج، ويكون مصدراً أيضاً وهو نفسُ الإدخال ونفس الإخراج.

والصدق أريد به: صدقُ الوعد؛ أي: تُصَدِّقُ[1] به ما وعدتَني، كما قال: ﴿وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴾ [الأحقاف: ١٦].

ويحتمِل أن يكون معناه: الحسَن الجميل، كما يقال: فلانٌ خليلُ صدقٍ ورجلُ صدق؛ أي: مرضيُّ الخلُق، ومنه قوله: ﴿أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ [يونس: ٢].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما والحسن وقتادة: هو إدخال المدينة بعد الإخراج من مكة[2].

وقيل: معناه: أدخلني فيما أمَرْتني به وأخرجني عما نـهَيْتني عنه.

وقال القفَّال: علَّمه ما يدعو به في صلاته من إخراجه من بين ظهراني المشركين على الحالة المحمودة من السلامة والكفاية والعز والعافية: وأخرجني من مكة إخراج صدق.

وقوله تعالى: ﴿وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَـٰنًا نَّصِيرًا ﴾: أي: وإذا أدخلْتَني مكة بالحرب

---

(١) في (ر) و(ف): «مصدقٌ».

(٢) رواه عنهم الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٥٤ ـ ٥٥). وخبر ابن عباس رواه الإمام أحمد في «المسند» (١٩٤٨)، والترمذي (٣١٣٩)، وقال: حسن صحيح.

فسلِّطني على المشركين وأعنِّي عليهم وانصُر سلطاني؛ أي: اجعل سلطاني عليهم منصوراً، والنصير بمعنى المنصور، ويقال[١]: راية منصورة، يراد بها أن صاحبها منصورٌ على أعدائه، والنصر: التمكين من الانتصار من العدو، وقد استجاب الله تعالى ذلك يوم الفتح.

* * *

(٨١) ـ ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ ﴾: أي: بشِّر أصحابك بدنوِّ دولتهم وبُطلان دولة[٢] أعدائهم.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾: أي: لم يزل[٣] مضمحلًّا؛ أي: لا بقاء له يتراءى[٤] ثم يتلاشى، وإنما الثباتُ والدوامُ للحق، وهذا مستقبلٌ بصيغة الماضي كقوله تعالى: ﴿أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ ﴾ [النحل: ١].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: (زَهَق الباطل): ذهب[٥]، وهو من زَهَقت نفسه: إذا خرجت وهلَكتْ.

وروي[٦] أن النبي ﷺ لمَّا دخل الكعبة يومَ فتح مكة وجد فيها ثلاثَ مئة وستين صنماً، فجعل يطعُنها [بعودٍ كان] بيده ويقول: ﴿جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾[٧].

---

(١) قبلها في (ر) و(ف): «قال».

(٢) قبلها في (ر) و(ف): «دعوة».

(٣) «لم يزل» ليست في (أ).

(٤) في (ف): «يتوالى»، وفي (ر): «سوى ظهوره».

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٦٢).

(٦) في (ر): «ويروى».

(٧) رواه البخاري (٢٤٧٨)، ومسلم (١٧٨١)، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

فيحتمِـل أن تكـون هـذه الآيةُ أمـراً له أن يقـول هـذا إذا دخل مكة، وفيـه تحقيقٌ للبشـارة بالفتـح، وهـذا التأويـل أقـربُ للنظـم والاتِّصـال بقولـه: ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا﴾.

وفيه أقاويلُ أُخَرُ:

قيل: معناه: أَمِتْني إماتةَ صدق وابعثْني يومَ القيامة مَبعثَ صدق، فيتصل بقوله: ﴿مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ ويكون الإدخالُ في القبر والإخراج منه.

وقيل: أي: أدخلني في الأمر الذي أكرمْتَني به من النبوة ما دمتُ حيًّا مدخل صدق، وأخرجني منه إذا أمتَّني مُخرج صدق، وهذا معنى قول مجاهد(١).

وقال القشيري رحمه الله: ﴿أَدْخِلْنِى﴾ في طاعتك ﴿مُدْخَلَ صِدْقٍ﴾ على رؤية المنَّة ﴿وَأَخْرِجْنِى﴾ منها ﴿مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾ على رؤية التبرِّي من الحول والقوة.

وقيل: إدخال الصدق أن يكون دخوله في الأشياء بالله لا لغيره، وإخراجُ الصدق أن يكون خروجه عن الأشياء بالله لا لغيره.

﴿وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا﴾ حتى لا ألاحظ دخولي ولا خروجي.

والحقُّ ما كان لله تعالى والباطلُ ما كان لغيره.

والحق من الخواطر ما دعا إلى الله والباطلُ ما دعا إلى غير الله(٢).

* * *

(٨٢) ـ ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٥٦).

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٣٦٥).

وقوله تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾: متَّصلٌ بقوله: ﴿فَتَهَجَّدْ بِهِۦ﴾؛ أي: بالقرآن، وبقوله: ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ﴾.

و﴿مِنَ ٱلْقُرْءَانِ﴾ ليس للتبعيض، بل هو كقوله: لي من هذا الرجل أخو صدق؛ أي: هذا الرجل أخو صدق. والقرآن كلُّه شفاءٌ من وجوه:

أحدها: ما فيه من البيان الذي يزيل عمَى الجهلِ وحيرةَ الشكِّ ومرضَ العلم.

ومنها: أنه برهان من جهة النَّظم والتأليف على أنه معجزٌ يدلُّ على صدقِ مَن أتى به.

ومنها: أنه يُتبرك به فيدفع الله به كثيراً من المكارِه والمضارِّ والأمراض، وقد روي أن اللَّديغ برئ حين قُرئ عليه فاتحة الكتاب[(١)].

ومنها: ما في تلاوته من التعبُّد.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾: أي: المشركين المعرِضين عن التدبُّر[(٢)] والتفكُّر فيه إلا هلاكاً وغبناً[(٣)] بفَوْت الثواب واستحقاقِ العقاب، وإضافةُ الزيادة إلى القرآن بطريق التسبُّب على ما مرَّ مراتٍ.

* * *

(٨٣) ـ ﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا﴾.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ أَعْرَضَ﴾: وسبب الخسران بتنزيل القرآن:

---

(١) رواه البخاري (٥٠٠٧)، ومسلم (٢٢٠١)، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه. ورواه البخاري (٥٧٣٧) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) في (ر) و(ف): «التذكر».

(٣) في (أ): «إلا هلاكاً وعنفاً»، وليست في (ر).

أنَّا(١) إذا أنعمنا على الإنسان ـ أي: المشرك ـ بإعطاء المال والصحة والأمان وكثرةِ الولد(٢) لنمتحنَه بشكر نعمتنا وأداءِ طاعتنا أعرض عن تدبُّر آياتنا.

وقوله تعالى: ﴿وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ﴾: أي: تباعَدَ بجانبه عن المؤمنين، فلم يَلِنْ لهم، وهو عبارةٌ عن التكبُّر(٣)، يقال: فلان ليِّنُ الجانب: إذا كان متواضعاً سَمْحَ الأخلاق، وصعبُ الجانب: إذا كان متكبِّراً عَسِرَ الأخلاق، ولا يوصَل إليه بسهولةٍ كالشيء البعيد.

ويحتمِل: ﴿وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ﴾؛ أي: تباعَدَ في إعراضه؛ كما قال: ﴿مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ﴾ [يونس: ١٢]، وهو كما يقال إذا نأى وخالف(٤): ركب فلان رأسه، وشمَخ بأنفه، وصعَّر خدَّه، ولوَى شِدْقه.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا﴾: أي: فإذا أصاب هذا الكافرَ سوءٌ يَئِس من رحمة الله فلم يصبر على المحنة، وفي الحالة الأولى لم يشكر على النعمة، وهو كقوله: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا (١٩) إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا (٢٠) وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا﴾ [المعارج: ١٩ ـ ٢١].

* * *

(٨٤) ـ ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾ أي: كلُّ إنسان يعمل في دِينه على ما يشاكِل عقله، فمَن تدبَّر القرآن واستشفَى به عمِل في دينه بالحجة، ومَن أعرض عنه عمِل على ما يُوجبه تقليد الآباء في الضلالة.

---

(١) في (ر) و(ف): «أي».

(٢) في (أ): «الولدان».

(٣) في (أ): «الكبر».

(٤) «نأى وخالف» من (ف).

وقوله تعالى: ﴿فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا﴾: من الفريقين، ويجازي كلَّ فريقٍ على عمله وعلى وَفْق اعتقاده.

والشاكلة: الخليقة، وقيل: الطريقة، وقيل: الطبيعة.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾؛ أي: على ناحيته[١].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: على طريقته[٢].

وقال مقاتل: على طبعه[٣].

وقال الحسن وقتادة: على نيَّته[٤].

وقال المبرِّد: على ضريبته[٥].

***

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٦٦).

(٢) «وقال ابن عباس رضي الله عنهما: على طريقته»، من (ر)، وهذا الوجه بمعنى الذي قبله، فإن الإمام ابن جرير رحمه الله في تقديمه لقول ابن عباس السابق قال: (﴿عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾: على ناحيته وطريقته... وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل...) ثم روى قول ابن عباس السابق. وقال الفراء في «معاني القرآن» (٢/ ١٣٠): ﴿عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾: ناحيته، وهي الطريقة والجديلة.

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٥٤٧)، وفيه: (على جديلته)، والمعنى واحد.

(٤) ذكره عنهما الثعلبي في «تفسيره» (٦/ ١٢٩).

(٥) في (أ): «ضربته». والضريبة: الطبيعة. انظر: «القاموس» (مادة: ضرب). وبلفظ الطبيعة رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٦٦) عن مجاهد، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٢٦٩) عن ابن عباس. وقال الآلوسي في «روح المعاني» (١٥/ ٧٨): وفسر مجاهد الشاكلة بالطبيعة على أنها من شكلت الدابة: إذا قيدتها؛ أي: على طبيعته التي قيَّدَتْه؛ لأن سلطان الطبيعة على الإنسان ظاهر، وهو ضابط له وقاهر، وروي ذلك عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، ومثل ذلك في المأخذ تفسير بعضهم بالعادة، ومن مشهور كلامهم: العادات قاهرات.

(٨٥) ـ ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ﴾: أي: هؤلاء المشركون المعرِضون عن التدبُّر في كتابك يتعنَّتونك في سؤالك وجوابك.

وقيل في نزول هذه الآية: إن النَّضْر بنَ كلَدةَ بنِ عبدِ مناف بنِ عبد الدار قال: يا معشر قريش، قد نزل بكم أمر ما تَقْدِرون قَدْرَه فانظروا في أمركم، فاجتمع رأيهم على أن يبعثوا النضرَ بن الحارث[١] وعُقبةَ بنَ أبي معيطٍ وأبيَّ بن خلف إلى أحبار يهود بيثربَ: فأْتُوهم وسَلُوهم عن محمد وأمره، فخرجوا حتى أتوا يهود بني قريظةَ والنضيرِ وقينقاع، ثم سألوهم عن النبي ﷺ فوجدوهم قوماً حُسَّداً، فقالوا: اسألوا الرجل عن ثلاثة أشياء، فإن أخبركم عنهنَّ فإن الرجل مرسَل، وأن لم يفعل فالرجلُ[٢] متقوِّل، وقد أظلَّ زمانُ نبيٍّ، فاسألوه عن طوَّافٍ قد بلغ المشرق والمغرب قد كان له خبرٌ ونبأ وقَصَص، واسألوه عن الروح، فإن أخبركم عنه فإنه كاذب، وإن لم يخبركم عن الروح فهو كما قال، واسألوه عن أصحاب الكهف، فإن عجز عنها فهو متقوِّل، فخرجوا حتى انتهَوا إلى فدك فقالوا لهم مثلَ هذا سواءً، إلا أنهم قالوا: هذه صفتُه، ونجدُ مخرجه من بلادكم، ونجدُ مُهاجَرَه بيثرب، فرجع النفر إلى مكة، فلما قدموا على قريش قالوا: جئناكم نَفْصِل ما بينكم وبين محمد، قد أمرَنا أهلُ الكتاب الأوَّل أن نسأله عن أمور، فإن أخبرنا عنها فهو كما قال، وإنْ عجز عنها[٣] فهو متقوِّل، فمشت قريشٌ مع هؤلاء الرسل حتى وقفوا على رسول الله ﷺ وهو جالسٌ

---

(١) هو نفسه النضر بن كلدة المذكور في أول الخبر، فهو النضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة بن عبد مناف بن عبد الدار. انظر: «الاستيعاب» لابن عبد البر (٤/ ١٩٠٤).

(٢) في (ر) و(ف): «فإن الرجل».

(٣) «عنها» ليس من (أ).

عند الكعبة قد فرغ من صلاته، فقالوا: إنَّا نريد أن نسألك عن أشياء، وتقدم النَّفر الذين كانوا قدِموا فسألوه عن تلك الخصال الثلاث، فقال: أخبرُكم غداً، ولم يقل: إن شاء الله؛ أي: لم يستثنِ، فمكث الوحيُ عن النبيِّ ﷺ خمسَ عشرةَ ليلةً لا يأتيه جبريل عليه السلام بشيء[1]، فكبُر ذلك على رسول الله ﷺ، وأرجَف أهل مكة، فقال[2] بعضُهم لبعض: الرجل متقوِّل، وبطَل ما كان يقوله، وعدَنا أن يخبرَنا عما سألناه عنه فقال: غداً أخبركم، واليوم خمس عشرة ليلة[3] ولم يأتنا بخبرِ ما سألناه عنه، ثم عادوا فسألوه عن حديث أصحاب الكهف، فقصَّ عليهم قصَّتهم، ثم جاءهم بحديث الطوَّاف وهو ذو القرنين، فأخبرهم بذلك كلِّه وقص عليهم، ثم سألوه عن الروح فقال: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ فانصرفوا[4]. وقد جاءت هذه الأمور كلُّها وهم لا يؤمنون.

وقوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ﴾؛ أي: عن الروح التي يَحْيَى بها الحيوان: ما هي؟ كما يَسأل عنها مَن يدَّعي الفلسفة ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾؛ أي: هو المتفرِّد بعلم كيفيتها، كمَن يُسأل عن شيء لا يقف على حقيقته، فيقول: هذا من أمر أستاذي؛ أي هو الواقف على حقيقته.

وقيل: ﴿مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾؛ أي: وجودُها بتكوين ربي؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ

---

(١) «بشيء» من (أ).

(٢) في (ف): «وقال أهل مكة» بدل: «وأرجف أهل مكة فقال»

(٣) في (ف): «يوماً».

(٤) رواه ابن إسحاق في «السير والمغازي» (ص: ١٩٧)، ومن طريقه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ١٤٣)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ٢٧٠)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما. وشيخ ابن إسحاق فيه مبهم لم يسمه.

﴿إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]، وهذا جوابٌ مُقنعٌ كافٍ لمن أنصف، وإنما بُعث رسول الله ﷺ لبيان ما يُحتاج إليه من أمر الدين.

قوله تعالى ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا﴾: أي: ولقلَّةِ علمكم بمواقع حُجج الله ومراتبِ دلائله تلتمسون دلائلَ صحةِ دعوَى النبوةِ من جهةِ العلم بالروح ونحوِ ذلك، وليس كذلك.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: الروح الذي سألوه عنه هو جبريل، قال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ﴾ [الشعراء: ١٩٣][(١)].

وقيل: هو ملك من الملائكة له سبعون ألفَ وجهٍ، لكلِّ وجهٍ سبعون ألفَ لسانٍ، يسبح الله تعالى بجميع ذلك، وهذا عن عليٍّ رضي الله عنه[(٢)]، وقال: وهو حافظٌ على الملائكة، كالملائكة حفَّاظٌ على بني آدم، وهو في قوله تعالى: ﴿يَوۡمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ صَفّٗا﴾ [النبأ: ٣٨][(٣)].

وقال الحسن: سألوه عن الروح الذي هو القرآن، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَا﴾ [الشورى: ٥٢][(٤)]، ﴿يُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنۡ أَمۡرِهِۦ﴾ [النحل: ٢]، ويدلُّ عليه

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٢٦٩).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٧١)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٤٠٨)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٧٨١)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) لم أجده، وقال مقاتل في «تفسيره» (٢/ ٥٤٧): ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي﴾ وهو ملك عظيم على صورة إنسان أعظم من كلِّ مخلوق غير العرش، فهو حافظ على الملائكة وجهه كوجه الإنسان. وليس فيه ما يحتج به.

(٤) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٢٦٩). وروى عبد الرزاق في «تفسيره» (١٦١٥) عن قتادةَ والحسَن، في قوله: ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ﴾ قال: هو جبريلُ، قال قتادةُ: وكان ابنُ عباس يَكتمه.

ما قبله وما بعده: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾، ﴿ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ﴾، ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ ﴾ الآية؛ أي: قالوا: ما هذا الروح؟ أي: القرآنُ الذي سمِّي[1] روحاً، ومَن آتاك هذا وأنزله عليك؟ فإنَّا نراه مبايِناً لضروب الكلام من الشعر والأساجيع والخطب، فقال: هو من أمر ربي أنزله إليَّ، ولو تدبَّرتُموه لحَيِيْتم به من موت الجهل، ولكنْ لقلةِ علمكم تركتُم ذلك وقلتُم مِن أين جاء؟ ومَن جاء به؟ وهو قوله: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾.

وقيل: لمَّا قال: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ﴾ ولم يفسِّر قالوا: إنه لم يعلم، فنزل: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾.

وقيل: سمع النبيُّ ﷺ اليهودَ يقولون: علمُ كلِّ شيء في التوراة، فقرأ عليهم هذه الآية: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ فقالت اليهود: نحن مخصوصون[2] بهذا الخطاب أو أنتم معنا فيه؟ فقال رسول الله ﷺ: «بل نحن وأنتم، ولم نُؤت من العلم إلا قليلاً»، قالوا: ما أعجَب شأنك! تارةً تقول: ﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ [البقرة: ٢٦٩] وتارةً تقول: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾، فأنزل الله تعالى قوله ردًّا عليهم: ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ﴾ [لقمان: ٢٧][3]، فبيَّن لهم أن علوم الخلائق تتلاشى في علم الله تعالى.

* * *

(١) في (أ): «يسمى».

(٢) في (ف): «مخصصون».

(٣) رواه بنحوه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٧٢) عن عطاء بن يسار مرسلًا.

(٨٦) ـ ﴿ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ﴾: عدَّد نعمَه عليه ﷺ بما آتاه من القرآن، ثم قال: ونحن قادرون على أن نَذهب به بأنْ نُنْسِيَكه والناسَ جميعاً ونرفعَه من صدوركم.

قوله تعالى ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴾: أي: لا تجد مَن يردُّنا عنه وكيلاً لك بذلك؛ أي: قائماً به معتمِداً عليه.

* * *

(٨٧) ـ ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَۚ إِنَّ فَضْلَهُۥ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴾.

وقوله: ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ﴾: وهذا استثناء منقطع، يعني: لكنْ ما أراده الله من الرحمة[١] بعباده على يديك وما في سعة فضله هو الذي يبقيه عليكم.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ فَضْلَهُۥ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴾: أي: ﴿إِنَّ فَضْلَهُۥ ﴾ في سابق علمه بما أراده من إرسالك إلى الناس نبياً[٢] ﴿كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴾[٣].

* * *

(٨٨) ـ ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ ﴾: لفظاً ومعنًى وإعجازاً ﴿لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ ﴾؛ أي: لم يقدروا على ذلك ﴿وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ

---

(١) في (ر) و(ف): «لكن من أراد الله به من الرحم».

(٢) في (أ): «تبياناً».

(٣) في (ف): «كان كبيراً» بدل: «نبياً ﴿كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴾».

ظَهِيرًا ﴾؛ أي: مُعيناً؛ أي: وإن تظاهروا وتعاونوا وتقوّى بعضُهم ببعض لم يقدروا على ذلك، هو جواب قول النضر بن الحارث الذي قال: لو نشاء لقُلنا[(١)] مثلَ هذا.

قال السدِّي: ﴿لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ﴾؛ لأنه غيرُ مخلوق، ولو كان مخلوقاً لأتَوا بمثله[(٢)].

وقوله: ﴿لَا يَأْتُونَ﴾ إنما رُفع ولم يُجزم بجزاء الشرط لأنه غلَب جوابُ القسم على جواب الشرط؛ لوقوعه في صدر الكلام، ويجوز أن يُجزم على الجواب للشرط، قال الأعشى:

لئنْ مُنِيْتَ بنا عن غِبِّ معركةٍ … لا تُلْفِنا[(٣)] عن دماء القوم نَنتقلُ[(٤)]

والأصحُّ الأفصحُ الرفعُ.

***

(٨٩) ـ ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ﴾: أي: صرَّفنا في هذا القرآن المعجِز القولَ بكلِّ نوعٍ من الترغيب والترهيب ليتدبَّروا وليتفكَّروا.

﴿فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ﴾: وهم قريشٌ والعرب ﴿إِلَّا كُفُورًا﴾: إصراراً على الكفر وتمادياً على الطغيان وكفرانِ النِّعم[(٥)].

***

---

(١) في (ر) و(ف): «لو شئنا لفعلنا».

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٦/ ١٣٢).

(٣) في (أ) و(ف): «تلقنا».

(٤) «ديوان الأعشى» (ص: ١١٣).

(٥) في (ر) و(ف): «وكفراناً للنعم».

(٩٠) ـ ﴿ وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ ﴾: أي: لن نصدِّقك وإنْ أتيتَنا بهذا القرآن المعجِز.

﴿حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴾: قرأ عاصم[1] وابن غالب وحمزة والكسائي وخلفٌ ويعقوب: ﴿تَفْجُرَ﴾ بالتخفيف[2]؛ لأن المحل واحدٌ وهو قوله: ﴿يَنۢبُوعًا ﴾ والثلاثي منه متعدٍّ، وقد فَجَر؛ أي: شقَّ العين وأسال الماء، وقرأ الباقون بالتشديد[3]؛ لأنه للتكثير والتكرير.

والينبوع: العين التي ينبع منه الماء؛ أي: يفور، وأرادوا باليَنبوع طلبَ عيون ببلدهم، قاله قتادة ومجاهد[4]، وما بعده وهو قوله: ﴿فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا﴾ هذا بالتشديد بالإجماع؛ لمكان الأنهار.

﴿مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: من أرض مكةَ ﴿يَنۢبُوعًا ﴾؛ أي: عيوناً فيتهيَّأ لنا بها الزراعة وغرسُ الأشجار.

* * *

(٩١) ـ ﴿ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴾.

﴿ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴾: أي: يكون

---

(١) بعدها في (ر): «عن المفضل»، وسقطت هذه الجملة من (أ).

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٣٨٤ ـ ٣٨٥)، و«التيسير» (ص: ١٤١)، عن عاصم وحمزة والكسائي، وقراءة خلف ويعقوب في «النشر» (٢/ ٣٠٨).

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٣٨٤ ـ ٣٨٥)، و«التيسير» (ص: ١٤١)، و«النشر» (٢/ ٣٠٨).

(٤) رواه عنهما الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٧٨).

لك في[1] خاصةِ نفسك إذ زعمتَ أنك رسول الله مكرمٌ عنده، فيَخصَّك بالجنان التي فيها النخيل والأعناب، فتفجِّرَ[2] فيها الأنهار المطَّردة.

* * *

(٩٢) ـ ﴿أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا﴾.

﴿أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا﴾: قال ابن عباس ومجاهد وقتادة: أي: قِطَعاً[3].

والكِسْف: القَطْع، وهو مصدر بالفتح، وبالكسر: القطعة، وتجوز جمعاً بحذف الهاء كالسِّدر جمع سِدْرة.

وقوله: ﴿كَمَا زَعَمْتَ﴾ يعنون قوله عن الله: ﴿إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [سبأ: ٩]، ﴿وَإِن يَرَوْا۟ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُوا۟ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ﴾ [الطور: ٤٤].

وقوله: ﴿أَوْ تَأْتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا﴾: أي: مُقابلاً، وهو كالأكيل بمعنى المؤاكل، والجليس بمعنى المجالس، واحدٌ بمعنى الجمع كقوله: ﴿ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ [غافر: ٦٧]؛ أي: أطفالاً.

وقيل: ﴿قَبِيلًا﴾ جمع قبيلة؛ أي: مجتمعين.

وقيل: القبيل: الكفيل؛ أي: تأتي بهم كفلاءَ عنك يضمنون عهدةَ ما تَدْعونا إليه

---

(١) «في» ليست في (أ)، وفي (ر): «ذلك في».

(٢) في (أ): «مفجرة»، وفي (ف): «تتفجر».

(٣) رواه عنهم الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٨١ ـ ٨٢)، وعن قتادة رواه أيضاً عبد الرزاق في «تفسيره» (١٦٢٤).

وتَعدُنا من نصر إلهكَ لمن آمَن بك على مَن عاداك، واحدٌ بمعنى الجمع، وطريق استعماله: أن يراد به أن يأتي بكلِّ واحدٍ منهم قبيلاً؛ أي: كفيلاً، وكذلك قوله: ﴿ثُمَّ يُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا﴾؛ أي: يخرج كلَّ واحد منكم طفلاً.

* * *

(٩٣) - ﴿أَوۡ يَكُونَ لَكَ بَيۡتٞ مِّن زُخۡرُفٍ أَوۡ تَرۡقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤۡمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيۡنَا كِتَٰبٗا نَّقۡرَؤُهُۥۗ قُلۡ سُبۡحَانَ رَبِّي هَلۡ كُنتُ إِلَّا بَشَرٗا رَّسُولٗا﴾.

وقوله: ﴿أَوۡ يَكُونَ لَكَ بَيۡتٞ مِّن زُخۡرُفٍ﴾: قال ابن عباس رضي الله عنهما: من ذهب(١)، والزخرفة: التزيين والتحسين، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلۡأَرۡضُ زُخۡرُفَهَا﴾ [يونس: ٢٤]؛ أي: زينتَها.

وقال الحسن: الزُّخرف؛ أي: النقوش(٢)؛ أي: أو يجعل الله لك بيتاً مزيَّناً(٣) بالذهب كما تكون بيوت ملوك الروم وفارس وغيرهما، فإن الناس لا ينقادون لك على ما بك من الفقر.

وقوله تعالى: ﴿أَوۡ تَرۡقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾: أي: تصعدَ ﴿وَلَن نُّؤۡمِنَ لِرُقِيِّكَ﴾؛ أي: لصعودك ﴿حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيۡنَا كِتَٰبٗا نَّقۡرَؤُهُۥ﴾ في قرطاس، كما قال: ﴿وَلَوۡ نَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ كِتَٰبٗا فِي قِرۡطَاسٍ﴾ [الأنعام: ٧](٤).

وقيل: أي: على كلِّ واحدٍ منا كتاباً، كما قال: ﴿بَلۡ يُرِيدُ كُلُّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ أَن يُؤۡتَىٰ صُحُفٗا مُّنَشَّرَةٗ﴾ [المدثر: ٥٢].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٨٤).

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٢٧٣).

(٣) في (ر) و(ف): «مبنيا».

(٤) «كما قال ﴿وَلَوۡ نَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ كِتَٰبٗا فِي قِرۡطَاسٍ﴾» زيادة من (ف).

وقوله تعالى: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي﴾: أي: تنزيهاً لربي أن يعجز عن شيء من هذا ﴿هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا﴾ والبشريةُ لا تقتضي القدرة على هذه الأشياء من غيرِ إقدارِ الله تعالى عليه، والرسالةُ لا تقتضي الإتيانَ بها لا محالة، فإنه أرسل الرسل وما أتى كلُّ رسولٍ بهذه الأشياء.

وقيل: أنا رسولٌ ولستُ بملَكٍ لأُزخرفَ[1] البيوت وأغرسَ الجنان، إنما أنا رسول إليكم أبلِّغكم رسالات ربي.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: طلبَ هذه الأمورَ من رسول الله ﷺ جماعة من قريش، وهم: عتبةُ بن ربيعةَ، وشيبةُ بن ربيعةَ، وأبو سفيان، والأسوَدُ بن المطلب بن أسد، وزمعة بن الأسود، والوليد بن المغيرة، وأبو جهل، وعبد الله بن [أبي] أمية، وأمية بن خلف، والعاص بن وائل، ونبيهٌ ومنبِّهٌ ابنا الحجَّاج السُّلَميان[2].

وقيل: أجابهم عن هذا في سورة الأنعام: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ﴾ الآية [الأنعام: ١١١]، وإنما لم يُعطهم ذلك لأن ما جاء به الرسول من الآيات كانت أدلةً لا شبهةَ فيها، فلم يكن لهم إنكارُها مع وضوحها، فكان طلبُ غيرها من الآيات تعنُّتاً، فلم يستحقُّوا أن يُجابوا عنها.

وقيل: قوله: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا﴾؛ أي: أمرُها إلى الذي أرسلني، وهو أعلم بالتدبير وبما ينصبه[3] من الدليل.

***

(٩٤) ـ ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَن قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا﴾.

---

(١) في (أ): «فأزخرف» وفي (ر): «فإني أحرق».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٨٧)، وما بين معكوفتين منه.

(٣) في (ف): «يمضيه».

وقوله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا﴾: لمَّا قال: ﴿هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا﴾ فقالوا[1]: وإذا كنتَ بشراً مثلَنا فكيف يلزمُنا الانقيادُ لك؟ ثم ردَّ عليهم هذه الشبهةَ فقال:

* * *

(٩٥) ـ ﴿قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا﴾.

﴿قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ﴾: أي: يسكنونها مستوطِنين ﴿لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا﴾ ليكون من جنسهم فيفهمون كلامه ويسكنون إليه، فأما أنتم فبشرٌ، فبعثني إليكم بشراً مثلَكم لتكون قلوبكم إليه أسكنَ، وأنتم لكلامه أفهمَ.

* * *

(٩٦) ـ ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا﴾: أي: قل يا محمد لهؤلاء المشركين[2] المكذِّبين لك: قد أوردتُ عليكم الآيات، وبلَّغتُ الرسالات، وأنا أُشهد الله على ذلك، و﴿كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا﴾ عالماً ﴿بَصِيرًا﴾ مشاهِداً أفعالكم وأفعالي، فهو يَشهد لي عليكم يوم القيامة بالتبليغ وعليكم بالإعراض والتكذيب، فيجازي كلًّا بعمله[3]، وهو وعيد شديد.

---

(١) في (ر) و(ف): «قالوا أبعث الله بشراً رسولًا»، بدل: «فقالوا».

(٢) «المشركين» ليست في (أ).

(٣) في (ر): «بفعله».

(٩٧) - ﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ﴾: أي: ومَن يَهده الله فهو المهتد[1]، دلت الآية على خلق أفعال العباد.

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يُضْلِلْ﴾: أي: ومَن يُضلِلْه الله ﴿فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ﴾؛ أي: مَن يتولَّى هدايتَهم، وهو بمعنى الجمع لأنه جنسٌ ولذلك جمع ما بعده، وهو قوله:

﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾: أي: مسحوبين عليها.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: لمَّا نزل هذا قال المشركون: كيف يمشون على وجوههم؟ فقال رسول الله ﷺ: «إنَّ الذي أمشاهم على أقدامهم قادرٌ على أن يُمشِيَهم على وجوههم»[2].

﴿عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾: حين يحشرون، ثم يزول ذلك بدليل قوله: ﴿وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ﴾ [الكهف: ٥٣]، وقال: ﴿دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾ [الفرقان: ١٣]، وقال: ﴿سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾ [الفرقان: ١٢].

وقيل: عُميٌ عمَّا يَسرُّهم[3]، بكمٌ عن التكلُّم بما ينفعُهم، صمٌّ عمَّا ينفعهم[4]، كذا قال ابن عباس والحسن[5]..

---

(١) «فهو المهتد» زيادة من (أ).

(٢) روى نحوه البخاري (٤٧٦٠)، ومسلم (٢٨٠٦)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٣) في (ر): «ينفعهم»، وفي (ف): «شهوده».

(٤) في (أ) و(ف): «يمنعهم»، وانظر التعليق الآتي.

(٥) ذكره عنهما الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٢٧٥)، وفيه: (صم عما يمتعهم). وذكره القرطبي

وهو جزاءٌ على ما(١) كانوا يتعامَون في الدنيا عن رؤيته من الحق، ويتباكَمُون عن التكلم به من الحق، ويتصامُّون عن سماعه من الحق، قال تعالى: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٧١].

وقال مقاتل: ذلك في جهنم حين يقال لهم: ﴿اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون: ١٠٨](٢).

وقوله تعالى: ﴿مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ﴾: أي: مَصيرهم ومَقرُّهم ﴿كُلَّمَا خَبَتْ﴾؛ أي: كلما سكن لهبُها، وقد خبا يَخبو خَبْواً، والتاء للتأنيث.

﴿زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾: أي: لهيباً، وقد سَعَر النارَ يَسْعَرُها من حدِّ صَنَع؛ أي: ألهبها(٣).

وقيل: ﴿كُلَّمَا خَبَتْ﴾؛ أي: أرادت أن تخبوَ؛ كما قال: ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا﴾ [الحج: ٢٢].

* * *

(٩٨) ـ ﴿ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾: فسَّرناه في هذه السورة، يقول: لم نعذِّبهم ظلماً، بل جزاءً على كفرهم وإنكارهم البعثَ وتعجُّبهم منه بعدَ إرمامهم وتفتُّت عظامهم.

في «تفسيره» (١٣/ ١٧٩)، وفيه: (... بكم عن التكلم بحجة، صم عما ينفعهم)

(١) في (ف): «جزاء ما»، وفي (أ): «جزاء عما».

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٥٥١).

(٣) في (ف): «وقد سعر من حد صنع».

(٩٩) ـ ﴿ ۞ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾: فإذا قدَر على خَلْق مِثْلِهم قدَر[١] على إعادتهم خلقاً جديداً ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ ذلك؛ أي: أولم يعلموا ذلك علماً يقوم[٢] مقام العِيان في حقِّ الإيقان.

وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا﴾: أي: مدةً طويلةً إنظاراً[٣] لأنفسهم ﴿لَّا رَيْبَ فِيهِ﴾: لا شك فيه؛ أي: في مُضيِّه.

وقوله تعالى: ﴿فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا﴾: أي: كفراناً لهذا الإنعام بعد[٤] الإمهال.

وقيل: جعَل لهم أجلاً هو البعثُ لمحاسبتهم على كفرهم، فأبوا في الدنيا إلا كفراً بهذا[٥] الوعيد في الآخرة.

وقيل: في الآية تقديمٌ وتأخير: خلق السماوات والأرض وجعل لهم أجلاً لا ريب فيه ـ وهو مدة العمر ـ قادر على أن يخلق مثلهم.

* * *

(١٠٠) ـ ﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ الْإِنسَانُ قَتُورًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي﴾: يخاطب المشركين، و﴿خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي﴾؛ أي: مفاتيح رزقه.

---

(١) في (ف): «قادر» بدل من «فإذا قدر على خلق مثلهم قدر».

(٢) في (ف): «يقاوم».

(٣) في (أ): «أي مدة نظراً».

(٤) في (ر) و(ف): «بهذا».

(٥) في (ر) و(ف): «كفوراً لهذا».

﴿إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ﴾ عن الإنفاق على أنفسكم ﴿خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ﴾[١]؛ أي: لخوف الفقر، قاله ابن عباس رضي الله عنهما[٢]، واللغة كذلك.

وقيل: ﴿خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ﴾؛ أي: أن يُذهِب إنفاقُكم أموالَكم.

﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا﴾ قال الحسن: أي: بخيلاً. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: أي: مُمسكاً[٣]. وقال الضحاك: ضيِّقاً[٤]، وأصله: يُضيِّق النفقة، وقد قَتَر يَقْتُرُ قَتْراً من حدِّ دخل وضرب جميعاً، وقتَّر تقتيراً بالتشديد؛ أي: ضيَّق النفقة.

فإن قيل: فلمَ قال: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا﴾ وفي الناس الجواد؟

قلنا: الأغلب ذلك؛ لأن المقتصِد والبخيل ليسا بجوادٍ، ولأن طبع الكلِّ الضَّنُّ على غيره بما فيه نفعُ نفسه.

وقال الحسن: إذا أراد به المشركَ وهو لا يرجو الثواب فلا يجود لذلك[٥].

* * *

(١٠١) ـ ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا﴾.

---

(١) في (ف): «﴿إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ﴾ على أنفسكم»، وفي (ر): «﴿إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ﴾ عن الإنفاق على أنفسكم خشية الإملاق».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٩٨).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٩٩) عن ابن عباس بلفظ: بخيلًا، وعن قتادة بلفظ: بخيلًا ممسكاً.

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٦/ ١٣٧) دون عزو جامعاً بين الأقوال كلها، حيث قال: ﴿قَتُورًا﴾: بخيلاً ممسكاً ضيقاً.

(٥) انظر السؤال والجواب وقول الحسن في «البسيط» للواحدي (١٣/ ٤٩٢ ـ ٤٩٣).

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍ بَيِّنَٰتٍ﴾: واصَلنا له الحججَ فلم يقبلوها ولم ينقادوا لها؛ كما فعل قومك بآياتنا التي واصلناها لك.

و﴿تِسْعَ ءَايَٰتٍ﴾ قال ابن عباس والضحاك: هي العصا، واليد البيضاء[(١)]، واللسان، والبحر، والطوفان، والجراد والقمَّل، والضفادع والدم[(٢)].

وقال محمد بن كعب القرظيُّ: هي الطُّوفان والجراد والقمَّل والضفادع والدم والبحر والعصا والطمسة والحجر[(٣)].

وقوله تعالى: ﴿فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ﴾: أي: سَلْ علماءَ بني إسرائيل عن الخبر حين جاءهم ـ أي: جاء أسلافهم ـ موسى.

﴿فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا﴾: أي: سُحرتَ فأثَّر في عقلك وحسِّك ذلك حتى أفضى بك ذلك إلى أنْ تدَّعيَ أن لك إلهاً فوقي أرسلك إليَّ لأدخل في طاعتك.

وقيل: ﴿مَسْحُورًا﴾؛ أي: مخدوعاً.

* * *

(١٠٢) ـ ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ﴾:

---

(١) «البيضاء» زيادة من (أ).

(٢) رواه عنهما الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٩٩ ـ ١٠٠).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ١٠٠)، وفيه أن قول ابن كعب هذا كان جواباً عن سؤال عمر بن عبد العزيز، وزاد: فقال (أي: عمر): وما الطمسة؟ فقلت: دعا موسى وأمَّن هارون، فقال: ﴿قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا﴾، وقال عمر: كيف يكون الفقه إلا هكذا.

قرأ الكسائي: ﴿عَلِمتُ﴾ بضم التاء؛ أي: قال موسى: علمتُ أنا، وقرأ الباقون بفتح التاء[1]؛ أي: علمتَ أنت يا فرعونُ؛ لأنه عانَدَ مع علمه، قال تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤]، يقول: إنك لصحة عقلك وسلامةِ حسِّك تعلم أنَّ ما جئتُ به من الآيات ليس بسِحر، ولا أنا فيها مخدوع، بل هي حجج الله جلَّ جلالُه التي مَن تأمَّلَها استبصَر فيها؛ أي: تيقَّن أنها من عند الله.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَافِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾: أي: أَعلمُك بالاستدلال مهلَكاً، وقيل: ممنوعاً عن كلِّ خير.

***

(١٠٣) ـ ﴿فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ جَمِيعًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ الْأَرْضِ﴾: أي: هَمَّ أن يستخِفَّهم ويزعجهم[2] عن أرض مصر.

﴿فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ جَمِيعًا﴾: مِن أعوانه وأهلِ دينه جميعاً لم يبق منهم أحد[3].

***

(١٠٤) ـ ﴿وَقُلْنَا مِن بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا مِن بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ﴾: أي: أسكنَّاهم، أمرٌ بمعنى الخبر؛ كما في قوله: ﴿سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ﴾ [سبأ: ١٨].

وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾: أي: أخبرناهم أنكم[4]

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٣٨٥ ـ ٣٨٦)، و«التيسير» (ص: ١٤١).

(٢) في (ف): «ويزحزحهم».

(٣) في (ف): «بقية».

(٤) في (ف): «أخبرناكم بأنكم».

ممتَّعون في الأرض إلى الموت فتُفارِقوا الدنيا وتُنقلوا إلى الآخرة للحساب والجزاء، فإذا جاء ما[١] وعدنا من البعث حشرناكم مختلِطين من قبائل شتَّى وبلدانٍ مختلفة.

وقيل: أراد به: جميعاً لا نغادر منهم أحداً.

وقيل: أراد به اختلاط الناس بعضِهم ببعض لفزعِ القيامة؛ العربِ بالعجم، والجنسِ بخلاف الجنس، بلا نظامٍ لاجتماعهم؛ كما قال تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾ [القمر: ٧].

وروى صفوانُ بن عسَّالٍ المراديُّ: أن يهوديَّين مرَّا بالنبي ﷺ فسألاه عن هذه الآية، فقال: «أوحَى الله تعالى إلى موسى أن قلْ لبني إسرائيل: لا تشركوا بي شيئاً، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق، ولا تَزْنوا، ولا تأكلوا الربا، ولا تشربوا الخمر، ولا تسحروا، ولا تسرقوا، ولا تَقذفوا، وعليكم خاصةً يا أيها اليهود ألا تَعْدُوا في السبت، فجاءا إلى النبي ﷺ فقبَّلا رِجلي النبي ﷺ[٢]، فقالا: نشهد أنك نبيٌّ مبعوث، قال: «فما يمنعُكما عن الإيمان بي؟»، قالا: نخاف أن يقتلنا اليهود[٣].

***

(١٠٥) ـ ﴿وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ﴾: أي: القرآن، وقد سبق ذكره في آيات أنزلناها بالحق لا بالباطل، وبياناً للحق.

وقوله: ﴿وَبِالْحَقِّ نَزَلَ﴾: أي: كما أنزلناه لم يبدِّله جبريل ولا حرَّف شيئاً منه.

---

(١) «ما» ليس من (أ).

(٢) في (ف): «فقبلا رجله».

(٣) رواه الترمذي (٢٧٣٣) و(٣١٤٤)، والنسائي (٤٠٧٨)، وقال الترمذي: حسن صحيح.

وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا﴾: أي: فامضِ لِمَا[1] أرسلناك له ولا تنظر إلى تكذيب المكذِّبين.

* * *

(١٠٦) ـ ﴿وَقُرۡءَانٗا فَرَقۡنَٰهُ لِتَقۡرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكۡثٖ وَنَزَّلۡنَٰهُ تَنزِيلٗا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَقُرۡءَانٗا فَرَقۡنَٰهُ﴾: قيل: أضمر فيه: وآتيناك قرآناً.

وقيل: وأنزلناه قرآناً فرقناه؛ أي: دلَلْنا فيه على أصوب[2] الطريقين، وميَّزنا به الحق من الباطل.

وقيل: بيَّنَّاه؛ كما قال: ﴿فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدخان: ٤].

وقيل: أحكمناه.

وقيل: هو بمعنى التفريق؛ أي: أنزلناه متفرِّقاً في سنين.

﴿لِتَقۡرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكۡثٖ﴾: أي: على تثبُّت وتوقُّف؛ لتجمعه في صدورهم.

وقيل: أي: من غير عجلٍ، كما قال: ﴿لَا تُحَرِّكۡ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعۡجَلَ بِهِۦٓ﴾ [القيامة: ١٦]، وقال: ﴿وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ﴾ [طه: ١١٤].

وقوله تعالى: ﴿وَنَزَّلۡنَٰهُ تَنزِيلٗا﴾: أي: شيئاً فشيئاً على حسب الحوادث.

وقيل: ﴿نَزَّلۡنَٰهُ﴾؛ أي: جعلناه منازلَ ومراتبَ درَّجْنا الناس عليها ولم نأخذهم بجميع الفرائض جملةً لئلا يَشُقَّ عليهم فينفِروا.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿عَلَىٰ مُكۡثٖ﴾ أي: على تُؤَدَةٍ[3].

---

(١) في (ف): «فيما».

(٢) في (ر) و(ف): «أمور».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ١١٧) بلفظ: (على تأييد).

وقال عطاء: على مَهَلٍ[١].

وقال مجاهدٌ ومقاتلٌ: على ترسُّلٍ[٢].

وقيل: على هِيْنةٍ.

***

(١٠٧) ـ ﴿قُلْ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓاْ﴾: أي: ﴿قُلْ﴾ يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يقولون لك: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا﴾ الآيات: ﴿ءَامِنُواْ بِهِۦٓ﴾؛ أي: بالقرآن ﴿أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓاْ﴾، وليس بتخييرٍ، ولا جمعٍ بين الأمر والنهي، لكنه وعيدٌ وإخبارٌ أنهم إن آمنوا فلا نفعَ لنا وإن لم يؤمنوا فلا ضررَ علينا، النفعُ لكم والضَّررُ عليكم، وليس في ترككم الإيمانَ ما يُبطل الحقَّ الذي نزل به، وقد آمَن به مَن هو أعلم بالدِّين[٣] منكم، وهو قولُه تعالى:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ﴾: أي: من قبلِ نزول القرآن وهم مؤمنو أهل الكتاب مثلَ عبد الله بن سلام وأصحابه ﴿إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ القرآنُ[٤] ﴿يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾: جمعَ الذقنَ وهو مجمع اللَّحْيين، وأراد بها الوجوه، وهذا عن ابن عباسٍ وقتادة.

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٦/ ١٤٠) دون عزو بلفظ: (على تؤدة ومهل).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ١١٧ و١١٨) عن مجاهد بلفظين: (على ترتيل)، و(على تؤدة). وبلفظ (على ترتيل) ورد في «تفسير مقاتل» (٢/ ٥٥٥). ولعل المعنى في جميع هذه الأقوال واحدٌ؛ فقد قدم الطبري لقولي ابن عباس ومجاهد بقوله: (وقوله: ﴿لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ﴾ يقولُ: لتقرأه على الناسِ على تُؤَدَةٍ، فتُرَتِّلَه وتُبَيِّنَه، ولا تَعْجَلَ في تلاوته فلا يُفهَمَ عنك).

(٣) في (أ): «بالذين»، وفي (ر): «بالذين آمنوا»، وسقطت الجملة من (ف)، والصواب المثبت.

(٤) «القرآن» ليس من (أ).

وقيل: إنما ذكر الأذقان لأن أول ما يقع في الأرض من الوجه ذلك.

* * *

(١٠٨) ـ ﴿وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴾.

﴿وَيَقُولُونَ﴾: أي: في سجودهم: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ﴾ تنزيهاً له عن المعايب ﴿إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا﴾: أي: ما كان وعدُ ربِّنا إلا كائناً.

* * *

(١٠٩) ـ ﴿ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩﴾.

وقوله تعالى: ﴿ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ﴾: أي: ثم يخرُّون سجَّداً لذلك ويبكون فيه خجلاً من تقصيرهم.

﴿وَيَزِيدُهُمْ﴾: أي: القرآن حين يتلى عليهم ﴿خُشُوعًا﴾؛ أي: خوفاً وتذلُّلاً.

* * *

(١١٠) ـ ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ﴾: قال الضحاك: قال أهل الكتاب ـ وهم الذين مر ذكرهم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ﴾ ـ: يا رسول الله! إنك لتُقِلُّ ذكرَ الرحمن، وقد أكثر الله هذا الاسم في التوراة، فأنزل الله تعالى هذه الآية، فسُرَّ به أهلُ الكتاب[1].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: سمعوا النبيَّ ﷺ يقول: «الله» مرة و: «الرحمن» مرة، فقالوا: ينهانا عن إلهين اثنين وهو يدعو إلهين؟! فأنزل الله هذه الآية[2].

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٦/ ١٤١)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢٩٥)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٥/ ٩٩)، وليس عندهم: «فسر به أهل الكتاب».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ١٢٣).

وقال مقاتل: دعا رجلٌ من الصحابة باسم الله، ودعاه ثانياً باسم الرحمن، فسمعه أبو جهل لعنه الله: نهيتُمونا عما تتعاطَونه[١].

وقوله تعالى: ﴿أَيًّا مَّا تَدْعُواْ﴾: هذا شرطٌ، ولذلك جُزم وحُذف النون.

وقوله تعالى: ﴿فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾: أي: التسميات الدالةُ على الصفات، بأيِّ اسم دُعي به فهو واحد، وليس اختلافُ الأسماء لاختلاف المسمَّى.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ﴾: أي: بدعائك، كما قال: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ١٠٣]؛ أي: ليكن دعاؤك[٢] الله بين الجهر الشديد والمخافتة الشديدة، وذلك بأن تُسمعَ نفسك ويَفهَمَ عنك مَن يَقرُب منك، فيؤمِّنَ على دعائك أو[٣] يقتديَ بك فيه، وهو تعليم أدب الدعاء[٤]، وهو أوفق للنظم.

وقيل: هو عين الصلاة المعهودة، ومعناه: لا تجهر بالقراءة في صلاتك كلَّ الجهر ﴿وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ كلَّ المخافتة، وهي خفضُ الصوت، وكان هذا بمكة؛ لأن المشركين لعنهم الله كانوا يُؤْذُونه إذا جهر، ولا يُسمعُ مَن خلفه إذا خافَتَ، وهذا عن ابن عباس وقتادة رضي الله عنهم[٥].

وقال الحسن: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ﴾ بإشاعتها عند مَن يؤذيك، ﴿وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ عند مَن يَلتمِسها منك[٦].

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٥٥٥).

(٢) في (ر): «دعاؤكم».

(٣) في (أ): «أي».

(٤) في (ر): «وهو تعليم للدعاء».

(٥) رواه البخاري (٤٧٢٢)، ومسلم (٤٤٦)، والطبري في «تفسيره» (١٥/ ١٢٩)، عن ابن عباس. ورواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ١٣٣) عن قتادة.

(٦) لم أجده عنه هكذا، وقد روي عنه قول آخر سيأتي قريباً.

وقيل: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ﴾ كلِّها ﴿وَلَا تُخَافِتْ﴾ بجميعِها ﴿وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾: بأنْ تجهر بصلاة الليل وتخافتَ بصلاة النهار، و﴿بَيْنَ ذَلِكَ﴾ في معنى: بين ذينِكَ؛ كما مر في قوله: ﴿عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ﴾ [البقرة: ٦٨].

وقال الضحاك: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ﴾ رياءَ الناس ﴿وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ مخافةَ الناس[١].

وقال الحسن: لا تُحسِن صلاتك في العلانية وتُسيئها في السر[٢].

وقال عليٌّ وعائشةُ رضي الله عنهما: هذا في الدعاء[٣]، يقول: لا تجهَرْ باستغفارك وتوبتك فيسمعَه غيرُك فيلومك بذنبك.

وقال مقاتلُ بن حيَّان: كان رسول الله ﷺ إذا جهَر في صلاته سبَّه المشركون ولغَوا[٤]، فنزلت الآية: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ﴾ فيسمعَ المشركون ﴿وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ حتى لا يسمعَ أصحابك[٥].

ومرَّ النبيُّ ﷺ بأبي بكر وهو يخافتُ بالقراءة، ومرَّ بعمر رضي الله عنه وهو يجهر بالقراءة، فلما أصبح ذكر لهما ذلك، فقال الصدِّيق رضي الله عنه: كنتُ أُسمع مَن أناجيه. وقال الفاروق رضي الله عنه: كنتُ أوقظُ الوسنانَ وأطردُ الشيطان، فأمر أبا بكر أن يجهر قليلاً وعمر أن يخفض قليلاً[٦].

---

(١) لم أجده هكذا، وروى الطبري في «تفسيره» (١٥/ ١٣٠) عنه كقول ابن عباس وقتادة المتقدم.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ١٣٤ـ١٣٥)، وفي رواية: قال: (لا تحسن علانيتها، وتسيء سريرتها).

(٣) رواه البخاري (٤٧٢٣)، ومسلم (٤٤٧)، والطبري في «تفسيره» (١٥/ ١٢٥)، عن عائشة رضي الله عنها.

(٤) «ولغوا» ليس من (ف).

(٥) هو مثل قول ابن عباس وقتادة المتقدم.

(٦) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» كما في «الدر المنثور» (٥/ ٣٥٠) عن الربيع، وبنحوه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ١٣٢) عن ابن سيرين، وكلاهما مرسل.

(١١١) ـ ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾: قال الحسين بن الفضل رحمه الله: أي: الحمد لله الذي عرَّفني أنه لم يتَّخذ ولداً.

وقيل: أي: المستحِقُّ للحمد والثناء على ذلك هو الله تعالى[1] الذي لم يتَّخذ ولداً.

﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ﴾: على الأول؛ أي: عرَّفني ذلك، وعلى الثاني؛ أي: المستحِق للحمد والثناء على ذلك، وعلى هذين قوله[2]:

﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ﴾: أي: مَن يتولَّى عليه أمرَه ويقومُ بنصرته فيعتزَّ به[3] من الذل.

وقيل: أي: لم يكن له حبيبٌ من أهل الذلِّ وهم اليهود والنصارى، بل أولياؤه المؤمنون.

وقوله تعالى: ﴿وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾: أي: عظِّمه تعظيماً حقًّا، والمصدر للتأكيد والتحقيق؛ أي: حتى لا يكون في قلبك شيءٌ أعظمَ منه ولا أهيبَ.

وقيل: أي: قلْ بلسانك: الله أكبر، وفي قلبك تحقيق ذلك.

وقيل: أي: كبِّره عن[4] كلِّ ما لا يجوز في وصفه.

---

(١) في (أ): «والثناء هو».

(٢) في (أ): «وعلى هذا القولين».

(٣) في (ر): «فيغشونه»، وفي (ف): «فيعتريه».

(٤) في (ر) و(ف): «على»، وهو تحريف ظاهر.

وقيل: أي: صِفْه بأنه أكبرُ من كلِّ شيء، القادرُ الذي لا يُعجزه شيء، العالمُ الذي لا يخفَى عليه شيء، الغنيُّ عن كلِّ شيء، معتقِداً له بقلبك، عاملاً عليه فيما يلزمك.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِيٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ﴾؛ أي: لم يتخذ الأولياءَ ليتعزَّزَ بهم من الذل، إنما اتخذ أولياءَ رحمةً منه وفضلاً ليتعزَّزوا هم[1] بذلك.

قوله: ﴿وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾؛ أي: صِفْه بما وَصَف به نفسَه، واعْرِفه بما ذَكَر، فإذا عرَفْتَه كذلك فقد عظَّمتَه وكبَّرتَه[2].

وقال القشيري رحمه الله: ﴿وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾؛ أي: بأنْ تَعلم أنك تصلُ إليه به لا بتكبيرك.

والحمد لله رب العالمين

* * *

(١) في (ف): «ليتعزهم»، والمثبت من باقي النسخ و«التأويلات».

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٧/ ١٣١).

التيسير في التفسير

تأليف الإمام

أبي حفص النسفي

نجم الدين عمر بن محمد بن أحمد النسفي الحنفي

٤٦١ - ٥٣٧هـ

يطبع أول مرة محققاً على ثلاث نسخ خطية

تحقيق وتعليق

ماهر أديب حبوش

المجلد العاشر

دار اللباب

بسم الله الرحمن الرحيم

التيسير

في

التفسير

(١٠)

حُقوق الطّبع محفُوظة

الطبعة الأولى
١٤٤٠هـ-٢٠١٩م

يُمنع طباعةُ هذا الكتاب أو ترجمته أو تصويرُه ورقياً أو إلكترونياً
إلا بإذن خطي من الدار الناشرة
تحت المُساءلة الدُّنيوية والأُخروية

9 786052 279311

دار اللُّباب
للدِّراسات وتحقيق التُّراث
DAR-ALLOBAB
Lubab Yazma Eserleri İhya ve İlmi Araştırma Yayınları

بيروت ـ لبنان
009615813966
0096170112990
Www.allobab.com

اسطنبول ـ تركيا
00905454729850
00902125255551
info@allobab.com

İskenderpaşa mh. Kıztaşı cd. No:7 D:5 Fatih (Özel Fatih Hastanesi Karşısı)

سُورَةُ الكَهفِ

سُورَةُ الكَهفِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

بسم الله الذي خلقَ الخلق ليبلوَهم أيُّهم أحسن عملاً، الرحمنِ الذي فطر الإنسان من ترابٍ ثم من نطفة ثم سوَّاه رجلاً، الرحيمِ الذي جعل للَّذين آمنوا وعملوا الصالحات جناتِ الفردوس نزلاً.

وروى أبيُّ بن كعب رضي الله عنه عن النبي عليه السلام أنه قال: «مَن قرأ سورةَ الكهف فهو معصومٌ ثمانيةَ أيام من كلِّ فتنةٍ تكون، فإن خرج في تلك الثمانية[1] الأيام الدجَّال عصمه الله تعالى من فتنة الدجال»[2].

وقال ﷺ: «مَن قرأ عند مضجعه آخرَ سورة الكهف: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ﴾ إلى آخر السورة كان له في مضجعه[3] نورٌ يتلألأ إلى مكة، حشوُ ذلك النورِ ملائكةٌ يصلُّون عليه حتى يقوم من مضجعه، فإن كان مضجعه مكةَ كان له نورٌ يتلألأ إلى البيت المعمور حشوُ ذلك النور ملائكة يصلُّون عليه حتى يصبحَ»[4].

---

(١) في (ر) و(ف): «فإن قرأ وخرج في تلك».

(٢) رواه الضياء في «المختارة» (٤٢٩) و(٤٣٠) من حديث علي رضي الله عنه،

(٣) «في مضجعه» ليس في (أ).

(٤) رواه إسحاق بن راهويه كما في «المطالب العالية» (٣٦٥٤)، والبزار في «مسنده» (٢٩٧)، والثعلبي في «تفسيره» (٦/ ٢٠٤)، والحاكم في «المستدرك» (٣٤٠٣)، جميعهم من طريق النضر بن شميل، حدثني أبو قرة الأسدي، قال: سمعت سعيد بن المسيب، يحدث عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه =

وسورة الكهف مكيةٌ، وهي مئةٌ وخمسُ آيات، وقيل: ستٌّ، وقيل: إحدى عشرةَ(١).

والاختلاف في اثنتي عشرةَ آيةً(٢): ﴿وَزِدۡنَٰهُمۡ هُدٗى﴾ [الكهف: ١٣]، ﴿إِلَّا قَلِيلٞ﴾ [الكهف: ٢٢]، ﴿إِنِّي فَاعِلٞ ذَٰلِكَ﴾ [الكهف: ٢٣]، ﴿بَيۡنَهُمَا زَرۡعٗا﴾ [الكهف: ٣٢]، ﴿أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدٗا﴾ [الكهف: ٣٥]، ﴿مِن كُلِّ شَيۡءٖ سَبَبٗا﴾ [الكهف: ٨٤]، ﴿فَأَتۡبَعَ سَبَبًا﴾ [الكهف: ٨٥]، ﴿ثُمَّ أَتۡبَعَ سَبَبًا﴾ [الكهف: ٨٩] ﴿عِندَهَا قَوۡمٗا﴾ [الكهف: ٨٦] ﴿بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا﴾ [الكهف: ١٠٣] ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَزۡنٗا﴾ [الكهف: ١٠٥].

وكلماتُها: ألفٌ وخمسُ مئة وستٌّ وسبعون(٣).

وحروفُها: ستةُ آلاف وأربعُ مئة وسبعةٌ وثلاثون(٤).

وانتظام أول هذه السورة بآخر تلك السورة: أنَّ خَتْم تلك السورة بالتكبير وافتتاحَ هذه بالتحميد، وهما من الثناء على الله تعالى، ولأنه قال هناك أيضاً: ﴿وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾ فكانا حمدَين.

= قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَن قرأ في ليلةٍ ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾ [الكهف: ١١٠] كان له نورٌ من عدن أبين إلى مكة حشوه الملائكة». قال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وتعقبه الذهبي بقوله: أبو قرة فيه جهالة ولم يضعف. وقال المنذري في «الترغيب والترهيب» (٢/ ٢٩٤): رواه البزار ورواته ثقات، إلا أن أبا قرة الأسدي لم يرو عنه فيما أعلم غير النضر بن شميل.

(١) هي مئة وخمس آيات في المَدَني والمكي، وست في الشَّامي وعشر في الكوفي وإحدى عشرة في البَصْري. انظر: «البيان في عد آي القرآن» للداني (ص: ١٧٩).

(٢) في المصدر السابق: إحدى عشرة آية، وأسقط الأخيرة: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَزۡنٗا﴾.

(٣) في المصدر السابق: وسبع وسبعون.

(٤) في المصدر السابق: ستَّة آلاف وثلاث مئة وستُّون حرفاً.

وأما انتظام السورتين: فإنه ذكر في تلك السورة سؤالَهم عن الروح وفي هذه السورة سؤالَهم عن أصحاب الكهف وعن ذي القرنين، وكانت هذه السؤالات في دفعةٍ واحدة.

* * *

(١) ـ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَـٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا﴾.

وقوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾: أي: جميعُ أنواع الشكر والأثنية والرضا لله ﴿ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ﴾؛ أي: محمدٍ المصطفى ﴿ٱلْكِتَـٰبَ﴾؛ أي: القرآن[1] المعجزَ المشتمِلَ على مصالح الخلق في دينهم ودنياهم.

وقوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا﴾: أي: لم يجعل[2] فيه تناقضاً واختلافاً.

* * *

(٢) ـ ﴿قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾.

﴿قَيِّمًا﴾؛ أي: أنزله قيِّماً، قال ابن عباس والضحاك: مستقيماً[3].

وقيل: قيِّماً على الكتب التي قبله نَسخَ منها ما نَسخ وأثبت منها ما أثبت.

وقيل: قيِّماً على سائر كتب الله تعالى يصدِّقها وينفي الباطل عنها.

وقيل: قائماً بحُجج الله تعالى إلى يوم القيامة.

وقوله تعالى: ﴿لِّيُنذِرَ﴾: أي: عبدهَ[4] الكفَّار ﴿بَأْسًا شَدِيدًا﴾ أي: ببأسٍ شديدٍ

---

(١) في (أ): «الفرقان».

(٢) «لم يجعل» ليست في (أ) و(ف).

(٣) ذكره عنهما الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٢٧٤).

(٤) «عبدة» من (أ) و(ف).

﴿مِّن لَّدُنْهُ﴾؛ أي: بعذابٍ شديدٍ من عنده ينزلُه بهم في الدنيا والآخرة إن أصرُّوا[١] على كفرهم بالكتاب والرسول.

وقوله تعالى: ﴿وَيُبَشِّرَ﴾: أي: وليبشِّر ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾: أي: ثواباً جميلاً في الجنة.

* * *

(٣) ـ ﴿مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا﴾: أي: خالدين لا ينتقلون عنه ولا ينقطعُ عنهم.

* * *

(٤) ـ ﴿وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا﴾: وخصَّ هؤلاء بالإنذار بعدما عم الجميع بقوله: ﴿لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا﴾ لغايةِ فحش هذا الصنيعِ، وهو قول المشركين: الملائكةُ بنات الله.

* * *

(٥) ـ ﴿مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِءَابَآئِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾.

﴿مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِءَابَآئِهِمْ﴾: أي: هو جهلٌ منهم وكذبٌ وباطل، جعَله خارجاً عن العلم لدخوله فيما تُحِيله[٢] العقول.

---

(١) في (ر): «ماتوا».

(٢) في (ف): «لا تحتمله».

وقوله تعالى: ﴿وَلَا لِآبَائِهِمْ﴾؛ أي: قلَّدوا آباءهم وآباؤهم مثلُهم في الجهل؛ إذ لا دليلَ يجوِّزه من حسٍّ أو عقل أو خبر.

وقيل: هو قول النصارى: ﴿الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠]، وقول اليهود: ﴿عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠].

وقوله تعالى: ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً﴾: أي: عظُمت هذه الكلمةُ كلمةً؛ لأنها فريةٌ على الله مستحيلةٌ في فِطَر العقول، وفيه معنى التعجُّب، كأنه قال: ما أكبر هذه الكلمة.

﴿تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾: أي: يقولونها بألسنتهم وهي في أفواههم.

وقوله تعالى: ﴿إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾: أي: ما يقولون ذلك إلا كذباً، يقولون على الله ما لم يفعل.

قال مقاتل: زعمت اليهود: إن كان ما يقول محمدٌ حقًّا أن الله تعالى أنزل عليه الكتاب فهلَّا كان كالتوراة مفصَّلاً كلُّ فصلٍ على حياله، فأنزل الله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ﴾ قيِّماً غيرَ مختلفٍ ﴿وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾ لم يُنزلْه ملتبِساً.

وقال رسول الله ﷺ لليهود: «أدعوكم إلى الله، فمَن تاب منكم عن اليهودية كفِّرت عنه سيئاته وأُعطي أجرَه مرتين»، فقالوا: قل: عزيرٌ ابنُ الله، نؤمِنْ بك، فقال: «أعوذ بالله من أن أقول: عزيرٌ ابن الله، إنما هو عبد الله داخراً صاغراً»، قالوا: إنَّا نجد ذلك في كتابنا وحدَّث به آباؤنا، وإنما قال هذا كعب بن الأشرف وحييُّ بن أخطب وأخوه جديٌّ بن أخطب، فاعتزل النبيُّ ﷺ وحزن[1]، فقال له أبو بكر وعمر وعثمان وعليٌّ وعثمان بن مظعون وزيد بن حارثة رضي الله عنهم: لا يَحْزُنك يا رسول الله

---

(١) في (أ): «حزيناً».

قولُهم[١] فإن الله معنا، فأنزل الله: ﴿وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ يعني: أبا بكر وعمر والذين سمَّيناهم ﴿أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا﴾ يعني: كعبَ بن الأشرف وأصحابَه، وقولُه تعالى: ﴿مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِءَابَآئِهِمْ﴾ جواب لقولهم: حدَّث بذلك آباؤنا[٢].

وقال القشيري رحمه الله: إن البأس الشديد هو البقاء[٣] عن الله، والابتلاءُ بغير الله، والصالحاتُ من العمل ما يصلُح للقبول، وهو [ما] يؤدَّى على الوجه المأمور.

وقيل: العمل الصالح: هو الذي لا يَستعجِل عليه صاحبه حظًّا في الدنيا: من أَخْذِ عِوَضٍ، وقبولِ قوم وانعقادِ[٤] رئاسة.

والأجرُ الحسن: ما لا يجري مع صاحبه استقصاءٌ في العمل.

وقيل: هو ما يزيد مقدار الأمل[٥].

وقيل: هو ما لا يُذكِّر صاحبُه تقصيرَه في العمل[٦]، بل يسترُ عليه عيوب عمله[٧].

* * *

---

(١) في (أ): «تقولهم».

(٢) لم أقف عليه.

(٣) في (ر): «التقاعد»، وفي (ف): «اكتفاء».

(٤) في (ر) و(ف): «ونفاذ». وعبارة «اللطائف»: (أو قبول جاه أو انعقاد...).

(٥) في «اللطائف»: (ما يزيد على مقدار العمل).

(٦) في (أ): «في عمله».

(٧) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٣٧٦).

(٦) ـ ﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ ﴾ قال قتادة: أي: قاتلٌ نفسَك[١]. قال ذو الرُّمَّة:

ألَا أيهذا الباخعُ الوجدُ نفسَه لشيءٍ نَحَتْه عن يديه المقادِرُ[٢]

هوَّن على النبي ﷺ ما يجد من الحزن بكفرِ المشركين فقال: ﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ ﴾: مُهلكٌ نفسك ﴿عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ ﴾؛ أي: آثارِ الكفار، وهو كنايةٌ عن إعراضهم، كأنهم إذا أعرضوا عن الإيمان نظر إليهم وهم مُعرضون[٣].

﴿إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ ﴾: قال قتادة: أي: القرآنِ[٤]؛ قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ ﴾ [الزمر: ٢٣]، وقال الله تعالى: ﴿وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا ﴾ [النساء: ٨٧].

وقيل: ﴿بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ ﴾: حديثِ أصحاب الكهف؛ أي: سألوك عنه فأخبرتَهم عنه[٥]، فلم يجعلوه دليلَ صدقك ولم يؤمنوا بك.

﴿أَسَفًا ﴾: قال قتادة والثوريُّ: غضباً[٦]، كما قال تعالى: ﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ﴾ [الزخرف: ٥٥].

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٦٥١)، والطبري في «تفسيره» (١٥/ ١٤٩).

(٢) «ديوان ذي الرمة» (٢/ ١٠٣٧).

(٣) في (ر) و(ف): «يعرضون».

(٤) ذكره الواحدي في «البسيط» (١٣/ ٥٢٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما، ورواه ابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» (٥/ ٣٦٠) عن السدي. وهو قول أكثر المفسرين، منهم: مقاتل والطبري وأبو الليث السمرقندي والماتريدي والثعلبي والماوردي. انظر ذلك في تفسير الآية عندهم.

(٥) في (أ): «وأخبرتهم عنهم».

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ١٥٠) عن قتادة. وذكره الواحدي في «البسيط» (١٣/ ٥٢٨) عن الثوري.

وقال الحسن: حزناً، وكذلك قال السدي والضحاك(١)؛ كما قال: ﴿يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ [يوسف: ٨٤].

وكلٌّ واحد منها صحيحٌ في اللغة مستقيم في المعنى:

فإن معنى الأول: فلعلك لشدة غضبك لله تعالى تقتل نفسَك؛ لقصورك عن الانتقام منهم.

ومعنى الثاني: فلعلك لوفور شفَقتك وحرصِك على إيمانهم تقتل نفسك اغتماماً بكفرهم، قال تعالى: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾ [التوبة: ١٢٨] يقول: لا تفعل ذلك وهوِّن الأمر عليك.

* * *

(٧) - ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ﴾: أي: الدنيا دارُ ابتلاءٍ، وبالابتلاء يَظهر الصلح وغيره، فلا تهتمَّنَّ لذلك، يقول: إنَّا زينَّا الدنيا بأصنافِ ما خلقنا(٢) فيها من المخلوقات؛ من اللباس والنبات وضروب الحيوانات وغيرها، فالأرض مزيَّنةٌ بجملةِ ذلك، وإن كان عند التفصيل قد يكون منه الشيءُ لو أُفرد عن الجملة لم يكن زينةً.

ووجه آخر: أن المعنى واقعٌ على ما هو زينةٌ في نفسه دون ما ليس بزينةٍ، والكلام

---

(١) ذكره عن الحسن الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٢٨٥)، وعن السديِّ الواحديُّ في «البسيط» (٥٢٨/١٣). ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٦٥٢)، والطبري في «تفسيره» (١٥/ ١٥٠)، عن قتادة.

(٢) في (أ): «جعلنا».

قد يُطلق عامًّا والمراد به الخصوص؛ كقول الرجل: ما أحسن نساء هذه البلدة! وإن كان لا يخلو من أن يكون فيهنَّ بخلاف ذلك. وتقديره: إنَّا خلقْنا[١] كثيراً مما في الأرض زينةً لها، وهو ما قال: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ﴾ الآية [آل عمران: ١٤]، وقال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ﴾ [النحل: ٦] إلى أن قال: ﴿وَزِينَةً﴾ [النحل: ٨] وقال تعالى: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الكهف: ٤٦]، وقال تعالى: ﴿أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ﴾ [الحديد: ٢٠]، وقال تعالى: ﴿وَٱزَّيَّنَتْ﴾ [يونس: ٢٤].

ووجهٌ آخر: أنَّا جعلنا ما جعلناه زينةً للابتلاء والامتحان، وجاز هذا الإطلاق إذ[٢] ليس المقصد الإخبارَ بتفصيل ما هو زينةٌ مما ليس بزينةٍ، بل المقصودُ الإخبارُ بأنَّ ما زيِّن منها إنما زيِّن للابتلاء، ولذلك قال أهل الأصول: الخطاب يُحمل في غير المقصود ويفصَّل في المقصود[٣].

ووجهٌ آخر: أن ﴿مَا عَلَيْهَا﴾ من الحيات والعقارب وغيرِها، فكلٌّ[٤] ذلك عند التأمُّل دليلٌ على صانعٍ قادر فردٍ عالمٍ لا يُشبه الأشياء، وفيها عِبرٌ وأعاجيبُ ومنافع، فكان حسَناً في نفسه وزينةً، ومزيَّناً لغيره؛ لدلالته على ما قلنا.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: ﴿زِينَةً لَّهَا﴾؛ أي: الرجال[٥].

---

(١) في (أ): «جعلنا».

(٢) في (أ): «أي».

(٣) انظر: «البحر المحيط في أصول الفقه» للزركشي (٥/ ٤٤)، وفيه: وقد فَتح الشَّافعيُّ البابَ في التَّأويل فقال: الكلام قد يُحْمَل في غيرِ مقصوده ويُفْصَلُ في مقصوده.

(٤) في (أ): «فعند».

(٥) رواه ابن المنذر وابن مردويه كما في «الدر المنثور» (٥/ ٣٦١) من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس.

وقال مجاهد: العلماء[1].

وقال الكلبي: النبات[2].

وقال مجاهد في روايةٍ وابنُ جريج: ما عليها من شيء[3].

ومَن حمله على النبات فإنه يقول: ثم يصير هشيماً فذلك تذكيرٌ وتنبيه.

وقوله تعالى: ﴿لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾: أي: نختبرَهم ونمتحنَهم بالعبادات، وتقديره: لنعاملَهم معاملةَ مَن يَختبر، وحقيقتُه: ليَظهر منهم ما عَلِمنا[4] أنه يكون منهم، وقد أشبعنا القول[5] فيه في مواضع.

وقوله تعالى: ﴿أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ قال الحسن: أي: أيهم أزهدُ في الدنيا وأتركُ لها[6].

وقال مقاتل بن حيَّان: أيهم أعفُّ وأصلحُ فيما أوتي من المال.

وقال الإمام القشيري رحمة الله عليه: أيهم أصدقُ نيةً وأخلصُ[7] طَوِيةً.

---

(١) روي من طريق مجاهد عن ابن عباس كما في «زاد المسير» (٥/ ١٠٥ ـ ١٠٦)، ورواه أبو نصر السجزي في «الإبانة» كما في «الدر المنثور» (٥/ ٣٦١) عن ابن عباس. وأبو نصر السجزي هو عبيد الله بن سعيد الوائلي البكري السجستاني شيخ الحرم، توفي سنة (٤٤٤هـ).

(٢) ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» (٥/ ١٠٦) عن مقاتل.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ١٥١ ـ ١٥٢) من طريق ابن جريج عن مجاهد، ومن طريق ابن أبي نجيح عنه.

(٤) في (أ): «علمت».

(٥) في (أ): «أسبقنا الكلام»، وفي (ف): «أشبعنا الكلام».

(٦) ذكره عنه الواحديُّ في «البسيط» (١٣/ ٥٢٩).

(٧) في (ف): «وأصلح».

قال: وقيل: ﴿أَحْسَنُ عَمَلًا﴾: أشدُّهم استقباحاً لفعله، وأكثرهم استحقاراً لطاعته، لنظره إلى تلاشي أفعاله في جنب ما يستوجبه الحقُّ بحقِّ أمره[١].

***

(٨) ـ ﴿وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا﴾: قال السُّدِّي رحمه الله: الصَّعيد الأملس، والجرُز: الميت.

وقال ابن زيد: الصعيد: المستوي، كما قال تعالى: ﴿لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا﴾ [طه: ١٠٧]، والجرُز: الذي ليس فيه زرعٌ.

وقال مجاهد: ﴿صَعِيدًا جُرُزًا﴾: بَلْقعاً لا شيء فيه.

وقال ابن جُريجٍ عن مجاهد: قاعاً بَلْقعاً[٢].

وقال أبو عبيدةَ: ﴿جُرُزًا﴾: غليظاً لا يُنبت شيئاً[٣].

وقيل: ﴿جُرُزًا﴾: يابساً لا نبت فيه ولا زرع، يقال: جُرِزت الأرضُ فهي مجروزةٌ، وجرَزها الجراد، وأرضون أجرازٌ: إذا كانت يابسةً لا شيء فيها، وسنَةٌ جرزٌ[٤]، وسِنونَ أجرازٌ ليُبسها وجَدْبها، قال الراجز:

قد جَرَفتْهنَّ السِّنونَ الأَجْرازْ[٥]

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٣٧٨).

(٢) روى هذه الأقوال ـ عدا قول السدي ـ الطبري في «تفسيره» (١٥/ ١٥٣ ـ ١٥٤).

(٣) انظر: «مجاز القرآن» (١/ ٣٩٣).

(٤) أرضٌ جُرُزٌ وجُرْزٌ وجَرْزٌ وجَرَزٌ. انظر: «القاموس» (مادة: جرز).

(٥) الرجز دون نسبة في «مجاز القرآن» (١/ ٣٩٤)، و«تفسير الطبري» (١٥/ ١٥٤)، و«الصحاح» (مادة: جرز).

وأَجْرَزَ القوم: إذا صارت أرضُهم جُرُزاً[١]، وجَرَزوا أرضَهم: إذا أكلوا نباتها كلَّها، ويقال: رجلٌ جَرُوز: إذا كان كثيرَ الأكل لا يُبقي شيئاً من الطعام، وسيفٌ جُرَاز: قَطوعٌ يأتي على كلِّ شيء، ومعناه: وإنَّا لـمُفْنون الدنيا بعد حصول الامتحان وتمييزِ المحسن من المسيء، وناقلون أهلَها إلى دار البقاء والجزاء، فنَجزي كلَّ واحد منهم بما يستحقُّه، فلا تهتمَّنَّ أنت لذلك، وليس ذلك عليك[٢]، ويشتفي صدرك بما ينالهم.

***

(٩) ـ ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴾: أي: أحَسِبْتَ أن أصحاب الغار الذي في الجبل واللوح المكتوب عليه أسماؤهم كانوا من بين[٣] آياتنا عجَباً، فليس كذلك، بل كلُّ آياتنا عَجَبٌ، وفي آياتنا ما هو أعجبُ من ذلك.

روَى العوفيُّ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: معناه: الذي آتيتُك من العلم والكتاب والسنَّة أفضلُ من شأن أصحاب الكهف والرقيم[٤].

وروَى الكلبيُّ عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما يقول[٥]: هم

(١) في (ف): «أرضهم جرازاً»، وفي (ر): «أراضيهم جرازاً». والمثبت من (أ) و«تفسير الطبري» (١٥/ ١٥٥).

(٢) في (ف): «فليس لك غليل»، وفي (ر): «فليس لك عليل».

(٣) «بين» من (أ).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ١٥٦).

(٥) «يقول» من (أ) و(ف).

عجَبٌ وغيرُهـم ممن خلقـتُ أعجَـبُ منهم: الشـمسُ والقمـرُ والجبالُ والسـماءُ والأرضُ والنهـارُ والليل[١].

وقال الحسن: لا تحسَبْ أنهم أعجبُ آياتنا، فقد خلقنا ما هو أعجبُ من هؤلاء.

وروَى كُريبٌ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: يقول: ما قصَصْنا عليك من غير أمرهم[٢] أعجبُ منهم.

وقيل: الحسبان بمعنى العلم، ومعناه: أعَلمتَ أن هؤلاء كانوا عجباً؛ أي: فاعلم أنهم عجبٌ، كقولك: أشعرتَ أن زيداً فعل كذا؛ أي: فاشعُر والحسبان في الأصل ظنٌّ، والظن في القرآن بمعنى العلم كثير.

وقال الإمام القشيري رحمه الله: يقول: لا تتعجَّبْ من قصتهم[٣]، فلَشَأْنُك أعجبُ من قصَّتهم[٤] في ذهابك إلى قاب قوسَين في بعض الليل.

وقال: أزال موضع الأعجوبة من أوصافهم حيث أضافه إلى نفسه بقوله: ﴿مِنْ ءَايَٰتِنَا﴾، وتقليبُ العادة من الله تعالى ليس بمستبدَعٍ[٥].

وقد روينا في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ﴾ [الإسراء: ٨٥] سبب النزول.

وطريق آخر هاهنا: ما روى الكلبيُّ عن أبي صالحٍ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بلغَنا أن قريشاً بعثوا ثمانيةَ رَهْطٍ إلى المدينة فقالوا: سلُوا اليهود عن

---

(١) ذكره دون عزو السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٣٣٦).

(٢) في (ر) و(ف): «من غيرهم».

(٣) في (ر) و(ف): «قصصهم».

(٤) في (ر): «قصصهم».

(٥) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٣٧٨ ـ ٣٧٩).

محمد واصْدُقوهم نعتَه وقولَه ثم ائتونا فأخبرونا[1]، فانطلقوا حتى إذا قدموا المدينة وجدوا فيها اليهود من كلِّ أرض اجتمعوا لعيدهم، ونعَتوا لهم نَعْته، فقال لهم حبرٌ من أحبار اليهود: إن هذا لنعتُ النبيِّ[2] الذي نحدَّث عنه أنه باعثه في هذه الأرض، قالت رسل قريش: إنه عائلٌ يتيم لم يتبعه من قومه إلا حُفالة[3]، ولم يتبعه من أهل الرأي أحدٌ ولا من ذوي الأسنان[4]، فضحك الحبر وقال: كذلك نجده، قالت له رسل قريش: إنه يقول قولاً عظيماً يدعو إلى[5] الرحمن الذي باليمامة، قالت لهم علماء اليهود: اذهبوا فاسألوا صاحبكم عن خلالٍ ثلاث، فإن الذي باليمامة قد عجز عنهنَّ، فأما الاثنان من الثلاث فإنه لا يعلمُهما إلا نبيٌّ، فإن أخبركم بها فقد صدَق، وأما الثالثة فلا يجترئُ عليها أحد، قالت رسل قريش: أخبِرونا بهن، قالوا: سلوه عن أصحاب الكهف ـ وقَصُّوا عليهم وصفَهم ـ، وسلوه عن ذي القرنين ـ وحَدَّثوهم بأمره ـ، وسلوه عن الروح، فإنْ أخبركم فيها بشيءٍ فهو كاذب، فرجعت رسل قريشٍ فأخبروهم بذلك، ففرحوا بذلك، وأرسلوا إلى نبي الله فلقيهم، فقالوا: يا محمد، إنَّا سائلوك عن خلالٍ ثلاثٍ، فإنْ أخبرتَنا بهن فأنت صادق وإلا فلا تذكُرْ آلهتنا بسوء، قال: «ما هنَّ؟» قالوا: أخبِرْنا عن أصحاب الكهف فإنَّا قد أُنبِئنا[6] فيهم بآية، وأخبرنا عن ذي القرنين فإنَّا قد أتينا فيه بأمرٍ بيِّن، وأخبرنا عن الروح، فقال رسول الله ﷺ: «أنظِروني حتى أنظرَ ما يُحدِث إليَّ فيه ربي»، قالوا: إنَّا ناظِروك ثلاثاً.

---

(١) «فأخبرونا» ليس من (أ).

(٢) في (ف): «إن هذا أوان بعث النبي»، وفي (ر): «إن هذا نعت النبي».

(٣) في (ف): «حقارته». والحفالة: الحثالة، وهي من الناس من لا خير فيه. انظر: «التاج» (مادة: حفل).

(٤) في (ر) و(ف): «الأنساب».

(٥) في (ر) و(ف): «يذكر».

(٦) في (ر): «أتينا».

فمكث رسول الله ﷺ ثلاثاً لا يأتيه جبريل، ثم أتاه فقال: يا جبريل، قد رأيتني وما سألني عنه قريشٌ ثم لم تأتني بعدُ، فقال جبريل عليه السلام: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا﴾ الآية [مريم: ٦٤]، ثم قال: إن الله يقول: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥] ثم قال: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ﴾ الآية، ثم قال: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ﴾ الآيات، فلقيَهم نبيُّ الله ﷺ بعد ثلاثٍ فقص عليهم ذلك، فعجِبوا وغلَب عليهم الشيطان أن يصدِّقوه[١].

وقوله تعالى: ﴿وَٱلرَّقِيمِ﴾، روي عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنه سأل كعباً عن هذا فقال: هو اسم القرية التي خرجوا منها[٢].

وعن عمر مولى غُفْرَةَ[٣] قال: الكهف: الذي كان فيه القوم، والرقيم: المدينة.

وقال قتادة والضحاك: هو الوادي الذي كان فيه الكهف[٤].

وقيل: هو الجبل الذي فيه الكهف[٥].

---

(١) ذكره يحيى بن آدم في «تفسيره» (١/ ١٥٩)، وابن أبي زمنين في «تفسيره» (٣/ ٣٧)، كلاهما عن تفسير الكلبي.

(٢) رواه سفيان الثوري في «تفسيره» (٥٣٦)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (١٦٥٤)، والطبري في «تفسيره» (١٥/ ١٥٧).

(٣) هو عمر بن عبد الله، من رجال «التهذيب»، قال الحافظ في «التقريب»: ضعيف كثير الإرسال. وتحرف (غفرة) في النسخ إلى: (عفرة) بالعين. وقوله لم أقف عليه.

(٤) رواه عنهما الطبري في «تفسيره» (١٥/ ١٥٨).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ١٥٩ ـ ١٦٠) من طريق ابن جريج عن ابن عباس، وابن جريج لم يسمع من ابن عباس.

وقال عطية: هو وادٍ بين أَيْلَةَ وعُسْفان[١].

وروى سعيد بن جبير رضي الله عنه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: هو لوحٌ من رصاصٍ[٢] فيه أسامي أصحاب الكهف[٣].

والتَّرقيم: الكتابة[٤]، والرَّقيم: المرقوم؛ أي: المكتوب.

وقال سعيد بن جبير: هو لوح من حجارة فيه أسامي الفتية[٥].

وقال السدِّي: كتبت أسماؤهم على صخرة على باب المدينة[٦].

وروي عن أنس بن مالك رضي الله عنه: الرقيم كلب أصحاب الكهف[٧].

وحكى مالك بن سليمان صاحبُ «التفسير»[٨] عن سعيد بن جبير أنه قال: أصحاب[٩] الرقيم قوم بالسَّراة مثل أصحاب الكهف.

---

(١) رواه بهذا اللفظ الطبري في «تفسيره» (١٥/ ١٥٧ ـ ١٥٨) من طريق عطية عن ابن عباس. ورواه عقبه من قول عطية مختصراً بلفظ: (الرقيم واد).

(٢) في (أ) و(ف): «هو اللوح من الرصاص الذي».

(٣) علقه البخاري جزماً قبل الحديث (٤٧٢٤). وقال الحافظ في «الفتح» (٨/ ٤٠٧): وصله عبد بن حميد من طريق يعلى بن مسلم عن سعيد بن جبير مطولاً، وقد لخصته في أحاديث الأنبياء، وإسناده صحيح على شرط البخاري.

(٤) في (ر) و(ف): «والرقيم الكتاب».

(٥) في (أ): «أسماء الفتية»، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ١٥٩) بلفظ: (لوح من حجارة كتبوا فيه قصص أصحاب الكهف، ثم وضعوه على باب الكهف).

(٦) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» كما في «الدر المنثور» (٥/ ٣٦٢).

(٧) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» كما في «الدر المنثور» (٥/ ٣٦٢).

(٨) مالك بن سليمان الهَرَويّ، أبو عبد الرحمن السَّعديّ المفسر، توفي سنة (٢١٤هـ). انظر: «تاريخ الإسلام» (٥/ ٤٥٧).

(٩) «أصحاب» من (ف).

وقال ابن زيد: حدَّث الله تعالى عن أصحاب الكهف وترَك أصحاب الرقيم لم يحدِّث عنهم شيئاً[١].

وقيل: هم أصحاب الغار الذي انطبق على ثلاثةِ نفر، فذكر كلُّ واحدٍ منهم أصلح عمله، وسأل الله تعالى أن يكشف بذلك عنهم، فأجابهم الله تعالى وكشف عنهم وفتح لهم الغار فخرجوا منه، وهو عن النبي ﷺ في حديث فيه طول[٢].

فأما قصة أصحاب الكهف[٣]:

فقد قال وهب بن منبِّهٍ رحمه الله: إنهم كانوا فتيةً من الروم آمنوا بربهم، وكان ذلك عبرةً وتفكُّراً منهم في عظمة الله ـ جلَّ جلالُه ـ وملكِه وقدرته، لم يأتهم بذلك وحيٌ، ولم يقرؤوا به كتاباً، ولم يدركوا زمان نبوَّةٍ، وكانوا في زمنِ فترةٍ قبل أن يَبعث الله عيسى عليه السلام، وكانوا شبَّاناً متقارِبين في الأسنان من قبيلةٍ واحدة، وكانوا في حسَبٍ عظيم من أولاد عظماء الروم، وكان للروم فيهم هوًى وميل، وكان مُلك الروم في أيامهم ينتقلُ في فصيلتهم أكثر من أربع مئة عام حتى انقرضت تلك الفصيلة، وكان الروم يتمنَّون ملك هؤلاء لما قد[٤] بلغهم في زمانِ مُلكِ سلفِهم من الخفض والدَّعَة، والعافية والأمن والسَّعة، وكان ملوك العصر قد ثقُل عليهم مكانهم فجفَوهم[٥] وحرَموهم وأضرُّوا بهم مخافةً على أنفسهم، فلم تزَل تلك حالهم حتى أراد الله تعالى بهم ما أراد مِن هُداهم، ونوَّر الله تعالى الإيمان في قلوبهم، فقال قائل

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ١٥٩).

(٢) رواه البخاري (٢٢٧٢)، ومسلم (٢٧٤٣)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٣) في (ف): «أهل الكهف».

(٤) «قد» من (أ).

(٥) في (أ): «فحصوهم».

منهم: إني قد رأيت رأياً[١] في قلبي فلستُ أُبصر غيره، فاسمعوا أَعْرِضْ عليكم: إني نظرتُ في خلق السماوات والأرض، واختلافِ الليل والنهار، والشمس والقمر، والنجوم[٢] والسحاب والمطر، والأحياء والأموات، والأشجارِ والنبات، والصغارِ والكبار، والعناءِ والشدة، والرخاءِ والنعمة، وتقلُّبِ الدنيا بأهلها، والأحوالِ المختلفة من الموت والحياة، والنقصِ والزيادة[٣]، والغنى والفقر، وموت[٤] الصغير وهرم الكبير، وأشباهٍ لهذه كثيرةٍ لا يُشبه بعضها بعضاً، فلما نظرت فيها أجمعَ رأيي على أن لها خالقاً بديعاً أبدعها، وربًّا يملكها ويدبِّرها، ويخلقها ويرزقها، ويغنِيها ويُفقرها، ويرفعها ويخفِضها، ويحييها ويميتها، تتقلَّب في قبضته وتعيش برزقه، فلما تمَّ لي الأمر نظرتُ في عظمته وقدرته[٥] فإذا ليس من هذا الخلق شيءٌ يفوته، وإذا قدرتُه محيطةٌ بكل شيء، فما[٦] تقولون؟

فقالوا: قد قلتَ قولاً عظيماً، ووصفتَ أمراً عجيباً، ولا نحسبك إلا وقد أَصبتَ فيه النظر، وقد صدَّقناك وتابعناك[٧]، ورأينا رأيك، وإنْ كنا لنَرى مثلما رأيتَ، ويَخطر على قلوبنا مثلما خطر على قلبك، لكنَّا لم نشرح منه[٨] ما شرحتَ؛ لِمَا أن الله هداك

---

(١) في (ر) و(ف): «رؤيا».

(٢) بعدها في (ر): «والجبال».

(٣) في (ف): «والكثرة».

(٤) في (ر) و(ف): «ومدة».

(٥) في (ف): «وقهره».

(٦) في (أ): «فماذا».

(٧) في (ف): «وبايعناك».

(٨) في (أ): «مثل».

وأكرمك وعلَّمك ذلك[١]، حدِّثنا عما نسألك عنه: هل ينبغي لهذا الربِّ أن يكون له شريكٌ في ملكه، أو حاجةٌ إلى شيء من خلقه؟ وهل[٢] يغلبه شيء يستعين عليه بغيره؟

فقال: لو كان له شريك في شيء لضبَط ما يَضبط، ولو كان به حاجة إلى أحد من خلقه لكان مثلَهم، ولو كان يستعين على شيء يغلبه بغيره ما بَلَغتْ قدرته حيث بَلَغتْ.

قالوا له: صدَقْتَ وعرفنا ما تقول[٣]، وثبت في قلوبنا ذلك، ولكن[٤] حدِّثنا ما بالُ خلقه يُشركون به وهم يعرفونه؟

قال: لأنه خلق فيهم الأهواء، وطبَع قلوبهم على الشهوات، وجبَلهم على الضعف، وثبَّت معهم الشيطان، فمِن قِبَل هذا عدَلوا به، وهم يعرفون أن الذين يدعون من دونه لا يُحيونهم ولا يميتونهم[٥]، ولا يخلقونهم ولا يرزقونهم، ولا يضرُّونهم[٦] ولا ينفعونهم.

فعند ذلك أَجمعَ رأيُهم على أن يَأْووا إلى الكهف[٧]، وأن يعتزلوا قومَهم وما يعبدون من دون الله، فعند ذلك قالوا: ﴿رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًاۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةًۖ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ﴾ يقولون: فما يمنعُ هذه الآلهةَ التي تُعبد من دون الله إن كانت كما

(١) في (أ): «ولكن».
(٢) في (ر) و(ف): «أو هل».
(٣) في (ر) و(ف): «وعزمنا على ما تقول».
(٤) «ولكن» من (أ)، وفي (ف) بدلا منها: «حيث بلغت».
(٥) في (ر) و(ف): «من دونه لا يجيبونهم».
(٦) في (ر) و(ف): «ينصرونهم».
(٧) في (ف): «يأتوا إلى كهف».

يزعم أصحابها لا يأتون بسلطان بيِّنٍ مِثْلَ الذي وصَفْنا به ربَّنا، ومثلَ الذي يقدر عليه ربُّنا، ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾.

فلما اعتزلوهم آوَوْا إلى الكهف رجاءَ أن يَنشر لهم ربُّهم من رحمته ويهيِّئ لهم من أمرهم مرفقاً، ثم إن الله تعالى ألقى عليهم السُّبات فنوَّمهم، وهم في مدينةٍ من مدائن الروم يقال لها: أفسوس، وملكهم يومئذ دقيانوس[١]، وهم سبعةُ نفر.

وكان ابن عباس يسميهم ويقول: لا يعلمهم إلا قليل وأنا من أولئك القليل: مرطالوس، ويوبوس، وداسوس، وسرافنون وأسطاطانوس، ومسطاييس، وتمليخا[٢] وهو الذي بعثوه بورِقهم ليأتيَهم بالطعام[٣].

وكانوا قوماً يطلبون الصيد ومعهم كلابهم[٤] لِمَا مسَّهم من الضر، ليس لهم معيشةٌ غيرها، وهم يومئذ في الجبل الذي فيه الكهف[٥] يطلبون الصيد ومعهم كلابُهم وبزَّاتهم وقسيُّهم ونَبْلُهم، قد[٦] أجمع رأيُهم على أن يَأووا إلى الكهف

---

(١) في (أ): «دقيوس».

(٢) في (ف): «فرطالوس وبونوس ودابنوس وسرافنوي واسطاطانوس ومطياميس ويحانوس»، وفي (ر): «فرطالوس ديونوس ودابنوس وسرافنوى واسطاطانوس ومطليلميس ويحانوس».

(٣) في (أ) و(ف): «بطعام». والحديث رواه الطبراني في «الأوسط» (٦١١٣)، والثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ٨٩ـ ٩٠). وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٥٣): فيه يحيى بن أبي روق، وهو ضعيف. وهذه الأسماء وقع في رسمها في المصادر اختلاف كما في النسخ. ولخص القرطبي في «تفسيره» (١٣/ ٢١٦) ما تقدم بقوله: وأما أسماء أهل الكهف فأعجمية، والسند في معرفتها واه.

(٤) «ومعهم كلابهم» من (أ).

(٥) في (أ): «كهفهم».

(٦) في (ر) و(ف): «فلما».

يأتمرون فيه: أيُقيمون[١] مع قومهم على شركهم أو يفارقونهم فيختارون[٢] ناحية من الأرض يَخْلون فيها ويوحِّدون الله ربهم فيها.

فبينما هم على ذلك ألقى الله تعالى عليهم السُّبات، وأخفى الله على جميع خلقه مكانهم، فليس يبصرهم[٣] أحد ولا يفطن بمكانهم، ولبثوا في كهفهم ثلاثَ مئةٍ سنين وازدادوا تسعاً، حتى انقرضت الأمَّة التي كانوا فيها والمِلكُ الذي كان عليهم[٤]، وخرج من بعدهم المسيحُ عيسى بن مريم عليه السلام، فآمَن به الناس واتَّبعوا ملَّته، ورفعه الله إليه، وذهب زمانُه وزمان أهل ملَّته وهم في كهفهم، وكان عيسى قبل أن يُرفع حدَّث عنهم وعن إيمانهم وزمانهم، وكيف ناموا في كهفهم، وكيف أخفى الله تعالى مكانهم، ولا ينبغي لأحد أن يهتديَ إليهم، وكان يُخبر أنه ستُردُّ إليهم أرواحُهم ويُدَلُّ على كهفهم ليكونوا عبرةً لمن خلْفَهم، فردَّ الله تعالى إليهم أرواحَهم بعدما رَفع عيسى بعد هذه السنين، ولزمهم كلبٌ من كلاب صيدهم فلبث سنينَهم كلَّها[٥] معهم باسطاً ذراعيه بفِناء الكهف، ولم يَطعم ذلك الكلب ولم يشرب ليكون آية.

فلما ردَّ الله تعالى إليهم أرواحهم ﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُواْ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ﴾ إلى قوله: ﴿إِذًا أَبَدًا﴾ وهم حينئذٍ يظنون أن

---

(١) في (ف): «يأووا إلى فئة أيقيمون» وفي (ر): «يأووا إلى قبة يقيمون».

(٢) في (أ): «فيحتاجون». وفي (ر): «فينحازون».

(٣) في (أ): «يضرهم».

(٤) في (ر) و(ف): «كانوا عليه».

(٥) في (ر) و(ف): «فلبث فيهم كلباً».

قومهم أحياءٌ، وأنهم على ما يَعهدون من حالهم وشركهم، فانطلق تمليخا وكان أشدَّهم وأقواهم في أنفسهم[١]، حتى إذا خالط ربض[٢] المدينة أنكرها وأنكر كلَّ شيء خلقه الله تعالى من إنسانٍ ودابةٍ أو دارٍ أو بناء[٣]، ووجد الناسَ على حالٍ لم يكن يعهدُها، ووجدهم يتبايعون بورِقٍ لا يشبه الورِق الذي معه، فتحيَّر وأنكر، وأقبل وأدبر، وأبطأ على أصحابه حتى خافوا عليه وظنُّوا أنه قد فُطن به وقُدِر عليه.

فلما طال عليه ذلك دخل المدينة من ناحيةٍ أخرى خُفْيَةً، فوجد حال أهل المدينة على حال أهل الرَّبَض[٤] في كلِّ شيء، فلما الْتَبَس عليه عَمد إلى مشيخةٍ من أهل المدينة توسَّم فيهم الخير ليتجسَّس ويستمع من قولهم، فوجد[٥] معهم الإنجيل يقرؤونه، فسمع ما فيه من توحيد الله وشرائعه وحلاله وحرامه، فعرَف ذلك وأذعن له، وأَنصت يستمع حتى إذا فرغوا من قراءتهم سألهم عن كتابهم، فقالوا: هذا كتاب الله الذي أَنزلَه على نبيِّه[٦] عيسى عليه السلام، قال: وأين عيسى؟ قالوا: قد رفعه الله إليه، قال: وكم لبث فيكم؟ قالوا: ثلاثاً وثلاثين سنة، قال: هل رأيتموه أو أدركتُم[٧] زمانه؟ قالوا: لا، كان زمانه قبل أن نُولد، ووجدنا كتابه في أيدي آبائنا، قال: فكلُّ أهل هذه المدينة يؤمِن بهذا الكتاب وهذا[٨] النبيِّ ويعمل بما فيه؟ قالوا:

---

(١) في (ر) و(ف): «وكان أشدهم قوة»، «في أنفسهم» ليس في (ف).

(٢) في (ر) و(ف): «أرض».

(٣) في (أ): «من إنسان أو دابة وبناء».

(٤) في (ر) و(ف): «أهل الرفض»، بدل: «حال أهل الربض».

(٥) في (أ): «فوجدهم».

(٦) في (ر) و(ف): «الذي أنزل على».

(٧) في (ر) و(ف): «وأدركتم».

(٨) في (ف): «وبهذا».

نعم، إلا مستخفِياً بذنبٍ أو ظالماً لنفسه، قال: فهل سمعتُم بالملك الذي يقال له: دقيانوس[١]؟ قالوا: نعم، قال: فكم له منذ هلك؟ قالوا: أكثر من ثلاث مئة سنة، قال: فهل بقيت له ذريةٌ أو أحد من أهل ملَّته يعمل عملَه[٢] وعملَ قومه؟ قالوا: لا، قال: فلو أراد أحد أن يعمل مثل عمله؟ قالوا: نقتله أو نُخرجه من بين أظهُرنا، فلما أمِنَهم واطمأنَّ إليهم ورأى سِمة الإسلام عليهم بما وفَّقهم الله تعالى بمسائلتهم عنها قال: أخبِروني؛ هل كان نبيُّكم عيسى عليه السلام يخبركم عن سبعةِ رَهْطٍ[٣] خرجوا من هذه المدينة في زمن دقيانوس وقومه هرباً إلى الله تعالى بأنفسهم ودينهم، وفراراً من دقيانوس وقومه[٤] حتى أووا إلى كهفٍ من هذه الجبال؟ قالوا: نعم كان يخبرنا عنهم فلعلك منهم فإنا أنكرنا حالكَ كلَّه! قال: فهل كان عيسى يسمي فيما بلَغكم أسماء[٥] أصحابِ الكهف؟ قالوا: نعم، وسمَّوهم، فلما ذكروا تمليخا قال: فأنا تمليخا، وأنا أحدهم، فخرُّوا له سجَّداً كما صنع إخوةُ يوسف بيوسف يومَ دخلوا عليه كانت تحيتُهم ذلك، ثم أدخَلوه مسجدهم وعظَّموه وأكرموه ورفَعوه، وجمعوا له أهلَ مدينتهم وعلماءَهم فتمسَّحوا به كلُّهم، وجعلوا له عيداً عظيماً، وأقام أياماً بين أظهُرهم، ثم إنه قال لهم: إن أصحابي لا أُراهم إلا قد خافوا عليَّ وساء ظنُّهم وهم يظنون أن دقيانوس حيٌّ، وأن الزمان زمانُه والدِّينَ دينُه، فانطلِقوا نُعْلمُهم كيف أهلكهم الله تعالى وطهَّر الأرض منهم، وكيف استبدل تعالى بهم أمةً يوحِّدونه ويَهدون بالحق وبه يعدلون.

---

(١) في (أ): «دقيوس»، وكذا في المواضع الآتية.

(٢) في (ر) و(ف): «من أهل بيته يعمل بعمله».

(٣) في (أ): «نفر».

(٤) بعدها في (ف): «ودينه».

(٥) «أسماء» ليست في (ف).

فانطلَقوا حتى انتهوا إلى الكهف، فوجدوا كلبهم باسطاً ذراعيه بالوصيد، قالوا: هذا الكلب أيضاً من علاماتكم التي كان يحدِّثنا عنها عيسى عليه السلام، وقد كان يحدِّث أنه لا يَنظر إليهم أحد مِن خلق الله من يومٍ يدخلون الكهف إلى أن ينزل عيسى، إلا إلى رجل منهم وهو الذي يدل على مكانهم وأنت هو، فدخل على أصحابه فأخبرهم بما رأى وسمع ثم كان آخِرَ العهد منهم.

وائتمر الناسُ فيهم وتنازَعوا، حتى اجتمعوا أن يتَّخذوا عليهم مسجداً يَبنونه حول الكهف، ويجعلون الكهف وسطه، ويكتبون قصتهم في حيطانه، فذلك قوله: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾.

قال وهب: وبلغني أن النبيَّ ﷺ قال: «إن الله تعالى يُنشِر أصحاب الكهف عند نزول عيسى عليه السلام ويُخرجهم من كهفهم»[1].

***

(١٠) ـ ﴿إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ﴾: أي: كانوا عجباً حين التَجؤوا إلى الكهف فراراً بدينهم.

﴿فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً﴾: أي: أعطِنا من عندك رحمة ﴿وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ الرَّشَد: إصابةُ الطريق المؤدِّي إلى البُغية، وكذا الرُّشْد والرَّشاد، وصَرْفه من باب دخل وعلم جميعاً.

***

---

(١) لم أقف عليه.

(١١) ـ ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾.

فاستجاب الله تعالى دعاءهم، وذلك قولُه عز وجل: ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾: أي: أَنَمْناهم ومنعناهم السماعَ، ومجازُه: ضربنا السور[١] على آذانهم.

وقال القتبيُّ: هذا من فَصاحات القرآن التي أقرَّت العرب بالقصور فيها عن الإتيان بمثلها؛ لأن هذا لو نُقل بلفظه إلى لفظٍ آخر لم يُفهم منه ذلك، وإن قيل: أَنَمْناهم فهو ترجمةٌ للمعنى دون اللفظ[٢].

وقوله تعالى: ﴿عَدَدًا﴾ قال الفرَّاء: أي: معدودةً[٣]، فالعَدُّ المصدر[٤]، والعدد اسمٌ للمعدود، كالنَّقص بمعنى المنقوص، والرَّفض بمعنى المرفوض، ويَصلح للواحد والجمع.

وقال الزجَّاج: ﴿عَدَدًا﴾؛ أي: تُعدُّ عدداً لكثرتها؛ لأن القليل يُعلم[٥] مقدارُه من غير عدٍّ، فإذا كثر عُدَّ[٦].

فأما قوله: ﴿دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ﴾ [يوسف: ٢٠] فهي على القلة؛ لأنهم كانوا يعدُّون القليل ويَزِنون[٧] الكثير.

---

(١) في (ر) و(ف): «السنون». والمثبت من (أ)، والمراد: ضربنا عليها حجاباً من أن تسمع، فحذف المفعول الذي هو الحجاب كما يقال: بنى على امرأته، يريدون: بنى عليها القبة. انظر: «الكشاف» (٢/ ٧٠٥)

(٢) انظر: «تأويل مشكل القرآن» لابن قتيبة (ص: ٢٢ ـ ٢٣).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ١٣٥).

(٤) في (أ): «مصدر».

(٥) في (أ): «يعرف».

(٦) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٢٧١).

(٧) في (أ): «ويزنون».

(١٢) ـ ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓاْ أَمَدًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ﴾: أي: أيقظناهم من نومهم لم تغيِّرهم السِّنون.

﴿لِنَعْلَمَ أَيُّ ٱلْحِزْبَيْنِ﴾: أي: لنَعلم اختلافَهما موجوداً واقعاً كما علِمناه قبل وجوده أنه يوجد، وقد شرحناه مرات.

وقيل: أي: لنبيِّنَ لهم ولغيرهم أنَّ الحزبَين لا يُحصِيان مبلغَ مدة لبثهم في الكهف، كقولك: سأُمهِلُك تتفكَّر في هذا الأمر لأنظرَ كيف استخراجُك له، أو: لأعلم كيف بصرُك به، وهو يريد: إني أفعل ليَظهر أنك لا تعرفه.

وقيل: ﴿لِنَعْلَمَ﴾؛ أي: ليَعلم أوليائي.

و﴿أَيُّ ٱلْحِزْبَيْنِ﴾ قال مجاهد: أي: أيُّ الفريقين من قوم الفتية[1]: أهل الهدى أو أهل الضلالة.

وقال السدِّي: أي: اليهود والنصارى[2].

وقيل: هم من الفتية أنفسِهم حيث قالوا: ﴿كَمْ لَبِثْتُمْ﴾.

وقيل: أحدهما أصحاب الكهف والآخر أصحاب الرقيم، وهم الذين كتبوا أسماء أصحاب الكهف بعدهم.

وقيل: هما طائفتان من المسلمين اختلفوا في ذلك.

وقوله تعالى: ﴿أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓاْ﴾: أي: عَلِم وتحقَّق، كما قال تعالى: ﴿أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ﴾ [المجادلة: ٦].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ١٧٧).

(٢) ذكره تاج القراء الكرماني في «غرائب التفسير» (١/ ٦٥٢).

وقوله تعالى: ﴿أَمَدًا﴾: أي: غايةً، مفعولُ ﴿أَحْصَىٰ﴾، وتقديره: أحصَى أمداً لِمَا لبثوا؛ أي: أمد ما لبثوا، وهو نظير قولك: ضربتُ لزيدٍ غلاماً؛ أي: غلاماً لزيدٍ، وحاصله: غلامَ زيد، وهو قول المحقِّقين.

وقال الفراء: ﴿أَحْصَىٰ﴾ أفعل للتفضيل؛ أي: أعلمُ بمقدار لبثهم، و﴿أَمَدًا﴾ نصب على التفسير(1).

وقالوا: هذا غير خارجٍ على ظاهر اللغة؛ لأن ما كان فعلُه من (أَفْعَلَ) لا يقال فيه: هو أفعلُ من فلان، إنما يقال: أشدُّ إفعالاً منه، فكان ينبغي أن يقال: أشدُّ إحصاء.

وقال الزجَّاج: ﴿أَمَدًا﴾ نصب بـ ﴿لَبِثُوٓاْ﴾(2)؛ أي: هو نصبٌ على الظرف.

* * *

(١٣ ـ ١٤) ـ ﴿نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ﴾: أي: بالصِّدق ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ﴾؛ أي: شبَّانٌ.

وقال مجاهد: لقد حدِّثتُ أنه كان على بعضهم أوضاحُ الوَرِق من حداثته(3).

وقوله تعالى: ﴿ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ﴾: أي: صدَّقوا بوحدانيته ﴿وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾؛ أي: ثباتاً ويقيناً ﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾؛ أي: شدَدْناهم ووفَّقْناهم وألهمناهم الصبرَ.

---

(1) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ١٣٦).

(2) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٢٧١).

(3) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ١٦٥).

وقوله تعالى: ﴿إِذْ قَامُوا﴾: قال قتادة: أي: قاموا من رقدتهم.

وقال السدِّي: قاموا بباب البلدة.

وقال مجاهد: قاموا يقصدون الخروج ومفارقةَ القوم.

وقوله تعالى: ﴿فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا﴾: أي: لن نعبد[1] ﴿مِن دُونِهِ إِلَٰهًا﴾؛ أي: لن ندعو غيرَه معبوداً.

وقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا﴾: أي: قلنا جَوراً وعدواناً لو دعونا غيره إلهاً.

* * *

(١٥) ـ ﴿هَٰؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً ۖ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ ۖ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿هَٰؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا﴾: أي: اعتقدوا ﴿مِن دُونِهِ آلِهَةً﴾ بتقليدٍ من غيرِ حجة.

وقوله تعالى: ﴿لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ﴾: أي: هلَّا يقيمون على آلهتهم سلطاناً بيِّناً؛ أي: حجةً بيِّنةً أن عبادتها جائزةٌ أو واجبة.

وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾: أي: فلا أظلمُ من هؤلاء لأنفسهم ولا أوضعُ للعبادة في غير موضعها، افتروا على الله كذباً، اختلفوا فقالوا: له شريك.

وقال الإمام القشيري رحمه الله: سمَّاهم فتيةً لأنهم آمنوا على الوهلة بلا مهلة؛ لِمَا أتاهم من دواعي الوُصلة.

---

(١) «أي: لن نعبد» من (ف).

وقيل: سماهم فتيةً لأنهم قاموا بالله وما استقرُّوا حتى وصلوا إلى الله.

وقال في قوله: ﴿وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾: لاطفهم بإحضارهم ثم كاشفهم في أسرارهم بما زاد في أنوارهم.

وقال في قوله: ﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾: أي: أغنيناهم عن الأغيار، وأوليناهم من أنوار الاستبصار.

وقيل: ربطنا عليها بما استقرَّ فيها من شواهد الغيب، فلم يَهْجس فيها خواطر[1] الريب.

وقال في قوله: ﴿إِذْ قَامُوا۟﴾: أي: قاموا لله وبالله[2]، ومَن قام لله قعد عمَّا[3] سوى الله.

وقيل: مَن قام بالله[4] لم يقعد حتى يصلَ إلى الله.

وقيل: قعدت عنهم الشهوات فصحَّ قيامهم لله[5].

* * *

(١٦) - ﴿وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾: أي: سوى الله.

---

(١) في (ر): «خاطر».

(٢) «وبالله» زيادة من (أ).

(٣) في (ف): «تخلى عما»، وفي (ر): «فقد عمي عن».

(٤) في (أ): «لله».

(٥) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٣٨١).

وقيل: معنى الاستثناء أنه كان فيهم مَن يعبد الله، وقالوا: كان فيهم رجلان يكتمان إيمانهما، وهما كتَبا أسماء الفتية وقت مفارقتهم قومهم.

أي: قال بعضهم لبعضٍ: وإذا فارقتُم قومَكم وآلهتهم ﴿فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ﴾: يبسطْ لكم ربُّكم ما يُصلح لكم دينكم ومعاشكم.

وقوله تعالى: ﴿وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا﴾: قرأ نافع وابن عامر وعاصم في رواية أبي بكر: ﴿مَرْفِقاً﴾ بفتح الميم وكسرِ الفاء، وقرأ الباقون بكسر الميم وفتح الفاء(١)، وهما لغتان فيما يُرتفق به؛ أي: يُنتفع به.

وقيل: أرادوا به الغداءَ، وكانوا يحتاجون إليه ويخافون الخروج والطَّلب(٢)، فدعوا الله أن يهيِّئ لهم ذلك.

وقيل: ﴿وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ﴾ خطابٌ من الله لهم إلهاماً، أو إخباراً أنه فعَل بهم ذلك(٣)؛ كما قلنا في قوله: ﴿وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ﴾ [الإسراء: ١٠٤]؛ أي: أسكنَّاهم، فمعناه هاهنا: آويناهم في(٤) الكهف وكفَيناهم أمرَ القُوت كما فعلنا بمريم: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا﴾ [آل عمران: ٣٧]، ويتصل به على الطريقين(٥) قولُه تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلشَّمْسَ﴾ الآية.

وقال القشيري رحمه الله: مَن تبرَّأ من(٦) اختياره في احتياله، وصدَق رجوعَه

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٣٨٨)، و«التيسير» (ص: ١٤٢). وقراءة أبي بكر عن عاصم ذكرها ابن مجاهد من طريق الكسائي عن أبي بكر، ولم يذكرها الداني.

(٢) في (ر) و(ف): «والظلم».

(٣) بعدها في (أ): «لهم».

(٤) في (أ): «إلى».

(٥) في (أ): «الطريق».

(٦) في (أ): «عن».

إلى الله في أحواله، ولم يستعِنْ بغير الله من[1] أشكاله، آواه إلى كَنَف أفضاله، وكفَاه جميع أشغاله، وهيَّأ له محلًّا يتفيَّأ فيه من برد ظلاله بكمال إقباله[2].

***

(١٧) ـ ﴿ ۞ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ۗ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ﴾: قرأ ابن عامر: ﴿تَزْوَرُّ﴾ مثلَ تحمرُّ، وقرأ عاصم وحمزة والكسائي: ﴿تَزَاوَرُ﴾ خفيفةً، وقرأ الباقون: ﴿تزَّاور﴾ مشدَّدةً[3]، وأصله: تتزاور، فعلى الإدغام تشدَّد وعلى الحذف تخفَّف، والتزاوُر والازورار: الميلُ والانحراف.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾: أي: تعدِلُ عنهم وتميل يسرةً.

وقال أبو عبيدة: تخلِّفُهم وتجاوِزُهم وتقطَعُهم وتتركهم عن شمالها[4].

وفي كتاب الخليل: القرضُ في السير: إذا عدَلْتَ عن شيء في مسيرك قلتَ: قرضتُ يمنةً ويسرةً؛ أي[5]: في السير؛ أي: تركته عن اليمين أو عن الشمال، قال ذو الرُّمَّة:

إلـى ظُعُـنٌ يَقْرِضـنَ أقـوازَ مُشْـرِفٍ ... شـمالاً وعـن أيمانهـن الفـوارسُ[6]

---

(١) في (ر) و(ف): «في».

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٣٨٢).

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٣٨٨)، و«التيسير» (ص: ١٤٢).

(٤) انظر: «مجاز القرآن» (١/ ٣٩٦).

(٥) في (أ): «أو»، وسقطت العبارة من (ر) و(ف)، والصواب المثبت، ويستقيم الكلام بحذفها أيضاً.

(٦) انظر: «العين» (٥/ ٥٠). والبيت في «ديوان ذي الرمة» (٢/ ١١٢٠)، و«مجاز القرآن» (١/ ٣٩٦)، =

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: كان الكهف مُقابلَ[1] بناتِ نعشٍ[2]، وكانت الشمس تميل عن كهفهم في طلوعها وغروبها وجريها؛ لأن مَطلِعها كان على يمينهم ومغرِبها على شمالهم، فلم تكن في حالٍ تَدخل عليهم فتؤذيهم بحرِّها وتُشْحب[3] ألوانهم وتُبلي ثيابهم[4].

﴿وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ﴾: أي[5]: في متَّسَع ينالهم النسيم فينتفي بذلك عنهم غمَّة الغار وكربُه.

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾: أي: ما اختاره الله تعالى لهم من هذا الموضع، وهو لطفٌ من الله بأوليائه.

= و«غريب الحديث» لأبي عبيد (٤/ ١٥٠)، و«تفسير الطبري» (١٥/ ١٨٧)، و«معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٢٧٣)، و«الصحاح» (مادة: قوز)، و«تثقيف اللسان» لأبي حفص عمر بن خلف الصقلي (ص: ٢٦٨). ووقع في جميع النسخ: «لها ظعن»، والمثبت من المصادر، والمعنى: نظرت إلى ظعن يجزن بين هذين الموضعين، والمشرف والفوارس موضعان. والأقواز كما قال الجوهري: جمع القَوز، وهو الكثيب الصغير. ورواية الديوان وبعض المصادر: (أجواز)، قال أبو حفص: والأجواز: الأوساط.

(١) في (ر) و(ف): «يقابل».

(٢) بنات نعش: سبعةَ كواكب تشاهد جهة القطب الشمالي، شبهت بحملة النعش. انظر: «المعجم الوسيط» (مادة: نعش).

(٣) في (ر): «وتسخف»، وفي (ف): «وتسحت».

(٤) لم أجده عن ابن عباس، لكن ذكره الواحدي في «البسيط» (١٣/ ٥٥٣) عن الكلبي، فلعل بعضهم رواه من طريقه عن ابن عباس، وهذا القول قد اعترضه بعض العلماء بأنه إخراجٌ لِمَا وقع في شأنهم من خوارق العادات عن حدِّها ببيان أسبابها العاديَّة. انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٢٧٣ ـ ٢٧٤)، و«تفسير البغوي» (٥/ ١٥٧)، و«تفسير ابن كما باشا» عند هذه الآية، و«روح المعاني» (١٥/ ٢٣١). وسيأتي تنبيه المؤلف على هذا الاعتراض قريباً.

(٥) في (أ): «وكانوا في فجوة»، وفي (ر): «وكانوا ﴿وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ﴾ أي».

وقيل: بل كان عدولُ الشمس عنهم في طلوعها وغروبها وحرِّها خارجاً عن العادة تخصيصاً لهم؛ ليكون ذلك من آيات الله كرامةً لهم، وتغييرُ العادة بطريق الكرامة جائزٌ لأولياء الله عند أهل السنَّة والجماعة، وكان هذا في حقهم كإبقائهم أحياءً في طول هذه المدة من غير غذاءٍ، وإبقاءِ ثيابهم على حالها كذلك.

وقوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلشَّمْسَ﴾ خطابٌ للنبي ﷺ، ولم يُردْ به حقيقة الرؤية لكن معناه: تحصيلُ العلم له بالإخبار عن أحوالهم.

وقوله تعالى: ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ﴾: كهؤلاء الفتية ﴿وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾: مَن يواليه ويتولَّاه ويرشدُه إلى[1] مصالحه.

وقيل: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾: ما أخبرْنا من قصتهم آيةُ صدقِ دعواك النبوةَ، فمَن هداه الله تعالى بها[2] صدَّقك، ومَن أضلَّه الله تعالى كذَّبك.

* * *

(١٨) ـ ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ ۖ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ ۚ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ﴾: جمع يَقُظٍ ويَقِظٍ ـ بضم القاف وكسرها ـ وهو اليقظان، قيل: أي: لانفتاح أعينهم حال نومهم.

وقيل: أي: لكثرةِ تقلُّبِهم كما يتقلَّب اليقظان.

وقوله تعالى: ﴿وَهُمْ رُقُودٌ﴾؛ أي: نيام.

---

(١) في (أ): «في».

(٢) «بها» ليس من (أ).

وقوله تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾: أي: جعلناهم يتقلَّبون يميناً وشمالاً، وأضاف التقليب إلى نفسه لأنه بتخليقه.

وقيل: كانت الملائكة يقلِّبونهم بأمر الله تعالى، وهذا في رقدتهم قبل أن يشعر بهم قومهم.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ولو لم يُقلَّبوا لأكلتهم الأرض[١].

وقال عبدُ ربِّه: كانوا يقلَّبون في كلِّ عام مرتين[٢]، وكذا عن سعيد.

وقال الكلبي وجماعةٌ: في كلِّ سنةٍ على جَنْبٍ[٣].

وقال مجاهد: مكثوا ثلاثَ مئة سنةٍ على شقٍّ واحد، وكانوا يقلَّبون[٤] تسعَ سنين[٥].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ١٨٦ و١٩١).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٦٨١٥) (ت: محمد عوامة) من طريق قتادة عن عبد ربه عن أبي عياض. ورواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ١٩١) عن قتادة قال: وذكر لنا أن أبا عياض قال: لهم في كل عام تقليبتان. وأبو عياض هو المدني قال عنه الحافظ في «التقريب»: مجهول، وقيل: اسمه قيس بن ثعلبة. وعبد ربه هو ابن أبي يزيد. ويقال: ابن يزيد، ويقال: عبد رب. انظر: «تهذيب الكمال» (١٦/ ٤٨٨). وهذا القول ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٦/ ١٦٠)، والبغوي في «تفسيره» (٥/ ١٥٨)، عن أبي هريرة رضي الله عنه، وروى معناه ابن أبي حاتم وابن مردويه كما في «الدر المنثور» (٥/ ٣٧٣) عن ابن عباس، ولفظه: ستة أشهر على ذي الجنب، وستة أشهر على ذي الجنب.

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٦/ ١٦٠)، والبغوي في «تفسيره» (٥/ ١٥٨)، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) في (ر) و(أ): «وكانوا يتقلبون في».

(٥) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٢٩٢) بلفظ: (إنما قلِّبوا تسع سنين بعد ثلاث مئة سنة لم =

وقوله تعالى: ﴿وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾: قيل: كان لهم كلبٌ فتبِعهم.

وقيل: لأحدهم فتَبِعه.

وقال أبو رَوق: لم يكن الكلب من شأنهم، لكنهم مرُّوا براعي غنم فقال لهم: أين تذهبون؟ فقالوا: نَفِرُّ بديننا من هذا الجبَّار، فقال الراعي: ما أنا أَغْنَى عن ربِّي منكم، فترك غنمه ولحق بهم فتبعه كلبُه.

قال ابن جُريجٍ: وكان كلباً أحمرَ، اسمه قطمور[1].

وقوله تعالى: ﴿بِالْوَصِيدِ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهدٌ وقتادةُ والضحاك: بالفِناء[2].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما في روايةٍ: بالباب[3]، ولم يكن له باب ولكنْ أراد به موضعَ الباب، وكذلك قال أبو روق: فم الشِّعب.

وقال ابن جريجٍ: كان يمسك عليهم الباب[4].

وقوله تعالى: ﴿لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾: قرأ ابن كثير: ﴿وَلَمُلِّئْتَ﴾ بالتشديد للمبالغة، وقرأ الباقون بالتخفيف على أصل الفعل الثلاثي المتعدِّي[5].

= يقلبوا فيها). وأورده الواحدي في «البسيط» (١٣/ ٥٥٨) بخلاف هذا فقال: وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: (يمكثون رقودًا على أيمانهم تسع سنين، ثم يقلبون على شمائلهم فيمكثون رقودًا تسع سنين).

(١) رواه ابن المنذر في «تفسيره» كما في «الدر المنثور» (٥/ ٣٧٣).

(٢) رواه عنهم الطبري في «تفسيره» (١٥/ ١٩٢ ـ ١٩٣).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ١٩٤).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ١٩٢).

(٥) انظر: «السبعة» (ص: ٣٨٩)، و«التيسير» (ص: ١٤٣). وقراءة نافع فيهما كقراءة ابن كثير.

﴿رُعْبًا﴾؛ أي: خوفاً.

وهذا خطابٌ للنبيِّ ﷺ، ولم يُرِدْ به اطِّلاعه حقيقةً، لكنه الإخبارُ عن حالهم على تقدير: أن أحداً لو اطَّلع عليهم كان كذا، يقول: لو نظرتَ في كهفهم نظراً من فوقهم لهربتَ منهم ولامتلأتَ خوفاً.

وقيل في معناه وجوه[1]:

أحدها: لو رأيتَهم لظننتَ أنهم يريدونك؛ لأن أعينَهم كانت مفتوحةً[2].

وقيل: هذا وصفُ وحشةِ مكانهم؛ أي: لو نظرتَ إلى موضعهم لهالَتْك وحشةُ مكانهم، وكان الله تعالى لطفَ بهم في هذا الموضع الوحشي ليَنفر الناس عنهم ولا يَقْرَبوهم لطلبهم، أو[3] يكونُ مدحاً لهم برضاهم بمثل هذا الموضع[4].

وقيل: كان الناس محجوبين عنهم بالرعب لئلا يَصِلوا إليهم.

وقال الإمام القشيري رحمه الله: كما ذكَرهم ذكَر كلبهم، ومَن صدَق في محبة أحدٍ أحبَّ مَن يُنسب إليه وما يُنسب إليه.

وقيل: كلبٌ خَطَا مع أحبابه خطواتٍ فذكَره الله تعالى في كتابه، أَتَرى أن مسلماً يَصحب أولياءه من وقتِ شبابه إلى مشيبه يردُّه يوم القيامة خائباً؟

وقيل: قالوا للراعي: اصْرِف الكلب عنَّا، فقال: لا يمكنني لأني[5] أنا ربَّيته، ولمَّا ضربوه قال: لا يمكنني أن أنصرف لأنه ربَّاني.

---

(١) في (أ) و(ف): «بوجوه».

(٢) في (أ): «منفتحة»، وفي (ف): «مفتحة».

(٣) في (ف): «و»، ولها وجه، وتكون من تتمة القيل المذكور.

(٤) في (أ) و(ف): «المكان».

(٥) «لأني» ليست في (أ)، وفي «اللطائف»: (فإني).

وقيل: كلبٌ بسط يده على وصيدِ الأولياء فإلى القيامة يقال: ﴿وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ﴾، فيَدٌ رفعها مسلم إلى الله خمسين سنة يردُّها خائبة؟ هذا لا يكون.

وقال: يقول الله تعالى في حقهم: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ ويقول في حقنا: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ﴾ الآية [المجادلة: ٧]، فشتَّان ما بين المنزلتين.

وقال: لمَّا لم يجاوزِ الكلب قَدْره، ووضع على الوصيد يده، بقي مع الأحباب، وكذا مَن حفِظ أدب الخدمة(١).

***

(١٩) - ﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ﴾: أي: كما أنمناهم وحفظنا عليهم أبدانهم وثيابهم كذلك أيقظناهم ﴿لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ﴾؛ أي: كانت عاقبةُ أمرهم أن يتساءلوا(٢) بينهم عن مدة لبثهم في النوم.

﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ﴾: أي: رئيسُهم: ﴿كَمْ لَبِثْتُمْ﴾ قيل: إنما سألوا(٣) لأنه راعهم(٤) ما فاتهم من العبادة في ذلك النوم عند أنفسهم.

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٣٨٥).

(٢) في (أ): «تساءلوا».

(٣) في (ف): «سألهم».

(٤) في (أ): «لأنهم راعوا»، وفي (ف): «لمراعاة».

﴿قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا﴾: قال الحسن: دخلوا الكهف أولَ النهار، فنظروا حين استيقظوا فإذا هو آخرُ النهار، فقالوا: ﴿لَبِثۡنَا يَوۡمًا﴾ ثم رأوا من الشمس بقيةً فقالوا: ﴿أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖ﴾ فكان عندهم[١] كذلك، فلم يوصفوا فيه بالكذب ولم يؤاخَذوا.

وقوله تعالى: ﴿قَالُواْ رَبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثۡتُمۡ﴾: ورُوي أن ابن عباس رضي الله عنهما استدلَّ بهذه الآية على أن الصحيح من الأقوال في عددهم أنهم سبعة؛ لأنه قال في الآية: ﴿قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ﴾ وهذا واحد، وقال في جواب قول هذا: ﴿قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖ﴾ و﴿قَالُواْ﴾ فعلُ الجمع وأقلُّه ثلاثة، ثم قال: ﴿قَالُواْ رَبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثۡتُمۡ﴾ وهذا قولُ جمعٍ آخَرين سواهم؛ لأنه قال: ﴿قَالُواْ﴾ وهذا جمعٌ، وقال بعده: ﴿رَبُّكُمۡ﴾ وهذا خطابُ الجمع فهم ثلاثةٌ آخرون، فصاروا سبعة.

وقوله تعالى: ﴿فَٱبۡعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمۡ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ﴾: قرأ أبو عمرو وحمزةُ وعاصم في رواية أبي بكر: ﴿بوَرْقِكم﴾ بسكون الراء، وقرأ الباقون: ﴿بِوَرِقِكُمۡ﴾ بكسر الراء[٢]، وعن أبي عمرو في روايةٍ إدغامُ القاف في الكاف[٣].

وتفسيره: بفضَّتكم هذه، وكانوا أخذوا فضةً للحاجة إليها في طريقهم.

وقوله تعالى: ﴿فَلۡيَنظُرۡ﴾: أي: هذا المبعوث ﴿أَيُّهَآ أَزۡكَىٰ طَعَامٗا﴾ فليشترِه، وفيه دليلٌ على[٤] جواز الوكالة.

والزكاةُ في اللغة عبارةٌ عن النماء وعن[٥] الطهارة، واختلف في تفسير هذا:

---

(١) في (أ): «عندكم».

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٣٨٩)، و«التيسير» (ص: ١٤٣).

(٣) انظر: «الحجة للقراء السبعة» لأبي علي الفارسي (٥/ ١٣٦).

(٤) «على» من (أ).

(٥) «عن» ليست في (أ).

قال ابن عباس رضي الله عنهما: أي: أَحَلُّ ذبيحةً، وكانوا يذبحون للطواغيت(١).

وقيل: كانوا يذبحون الخنازير.

وقيل: كانوا يأكلون الميتة.

وقيل: ﴿أَزْكَىٰ طَعَامًا﴾: ما لا غصبَ فيه ولا ظلم.

وقال سعيد بن جبير(٢): أطيبُ طعاماً وألذُّ(٣).

وقيل: أكثرُ رَيعاً.

وقيل: أرخصُ وأجود، يقال: طعام زكيٌّ؛ أي: رخيصٌ جيد.

وقوله تعالى: ﴿فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ﴾: عن ابن عباس رضي الله عنهما في رواية وهو عن علي رضي الله عنه أيضاً أنه الأَرُزُّ(٤)، وعلى هذا قولُه: ﴿أَزْكَىٰ طَعَامًا﴾؛ أي: أكثر ريعاً، فإنه يزاد(٥) بالطبخ، وهو من تدبيرِ قليلِ البضاعة.

وقوله تعالى: ﴿وَلْيَتَلَطَّفْ﴾: أي: وليستعملْ دقائق التدبير في دخول المدينة وشرائه الطعام؛ ليَخْفَى مكانه فلا يُعلمَ به في ذهابه وإيابه.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾: أي: ولا يُعلمنَّ بأخباره، ويحتمِل: بترك التلطف فيُشعَر به، فكأنه أشعَرَهم.

---

(١) » رواه سعيد بن منصور وابن أبي حاتم وابن المنذر كما في «الدر المنثور» (٥/ ٣٧٤).

(٢) «بن جبير» من (أ).

(٣) » لم أجده عن سعيد بن جبير، وروى عنه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٦٦٣)، والطبري في «تفسيره» (١٥/ ٢١٣)، قوله: (أحلُّ).

(٤) لم أقف عليه عنهما، وذكره القرطبي دون عزو. انظر: «تفسير القرطبي» (١٣/ ٢٣٧).

(٥) في (أ): «يزداد».

(٢٠) ـ ﴿إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا﴾.

وقوله: ﴿إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ﴾: ويستولوا عليكم[1] ﴿يَرْجُمُوكُمْ﴾؛ أي: يقتلوكم ﴿أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ﴾؛ أي: يردُّوكم إلى الكفر ﴿وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا﴾؛ أي: ولن تفوزوا بخيرٍ أبداً إذا ارتدَدْتم[2].

* * *

(٢١) ـ ﴿وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾: قال ابن عباس وعطاء: أَطْلَعْنا عليهم[3].

وقيل: أظهَرْنا، وهو قول ابن جريجٍ[4]، وأصله: أنَّ مَن عثر برجله على شيء وهو غافل نظر إليه حتى يعلمَه، فاستُعير العثور للظهور.

ومعناه: كذلك؛ أي: كما[5] كانت قصتهم أطلعنا عليهم الناس.

وقيل: كالذي أخفينا آثارهم على أهل عصرهم أشعَرْنا بذلك مَن بعدهم لِمَا كان فيه من الحكمة.

---

(١) «ويستولوا عليكم» من (أ).

(٢) في (ر): «إذا عدتم»، وفي (ف): «إن رددتم».

(٣) رواه ابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» (٥/ ٣٧٤) عن ابن عباس.

(٤) ذكره الماوردي دون عزو في «النكت والعيون» (٣/ ٢٩٥).

(٥) في (ر) و(ف): «ومعنى ﴿وَكَذَلِكَ﴾ أي: لما».

قال ابن عباس رضي الله عنهما: فلما بعثوا تمليخا ودخل المدينة أنكر أهلَها ولم يعرف منهم أحداً، وكان ظهر على البلدة ملكٌ مسلم يقال له: أسحا[١]، وحملهم على الإسلام ومحقِ[٢] الأصنام، فأتى تمليخا إلى حانوت خبَّاز فأخرج وَرِقه، فأنكر الخباز فقال له: إنك وجدتَ كنزاً، وهذه الدراهم من ضرب دقيانوس، فإن أعطيتَني من ذلك الكنز وإلا رفعتُ أمرك إلى الملك، قال تمليخا: إني خرجتُ[٣] مع أصحابٍ لي من البلدة، فرفعه إلى الملك فقال له الملك: من أين جئت بهذا الدرهم؟ قال: خرجت به من هذه البلدة عشيةَ أمس، فقال الملك: إنك تُريني أنك مجنون، لَتُخبرنِّي من أين جئتَ بهذا الدرهم أو[٤] لأقتلنك، فقصَّ عليه القصة، وكان هناك شيوخٌ فقالوا: أيها الملك، حدَّث آباؤنا أن فتيةً سبعةَ نفر[٥] فرُّوا بدينهم من دقيانوس، ولعله صادقٌ، فاركب حتى نخرج معك فننظرَ إلى الكهف وإليهم، فلعل هذا أمرٌ يريد الله أن يُظهرك عليه، فركب الملك وركبوا حتى أتوا باب الكهف، فسبقهم تمليخا وقال لهم: أتاكم الملك، فظنوا أنه دقيانوس الكافر وخافوا على أنفسهم، فدخل عليهم الملك والناس وسألوهم[٦]، فبينما هم يتحدثون إذ سقطوا ميتين، فقال الملك: إن هذا لعجبٌ فما ترون؟ فاختلفوا فقال بعضهم: نبني عليهم بنياناً. وقال بعضهم[٧]: نتخذ عليهم مسجداً على باب الكهف[٨].

---

(١) في (أ): «استخا»، وفي (ف): «استحا».

(٢) في (ر): «ومحو».

(٣) في (ف): «قال أنى لي بها»، وفي (ر): «قال آتي بها».

(٤) في (أ): «وإلا».

(٥) «نفر» زيادة من (أ).

(٦) في (أ): « الملك وسألهم».

(٧) في (أ): «آخرون».

(٨) ذكره بنحوه مطولًا عبد القاهر الجرجاني في «درج الدرر» (٢/ ٢٣٨ ـ ٢٤٢) من طريق الكلبي عن =

وقد روينا أنهم لم يدخلوا عليهم وعمِّي عنهم مكانُهم حين دخل تمليخا، وإنما علم أهل المِصر حقِّيَّة البعث استدلالاً بإخبار تمليخا عنهم، وثبت عندهم صدقُه بما شاهدوا من أفعاله وما معه.

وقوله تعالى: ﴿لِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾: أي: استدلوا بذلك على أن وعد الله بالبعث حق وأنه قادر عليه ﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ﴾؛ أي: لا شك في قيامها.

وقوله تعالى: ﴿إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ﴾: أي: يتنازع أهل ذلك العصرِ في أمر الساعة، فيُقِرُّ به بعضهم وينكره بعضهم، فعرفوا جميعاً أن البعث حقٌّ بهذه الدلالة، ومعنى ﴿أَمْرَهُمْ﴾؛ أي: الأمرَ الذي فيه تنازُعهم، و﴿يَتَنَٰزَعُونَ﴾ بمعنى: تنازعوا، أو: كانوا يتنازعون.

وقيل: كان تنازُعهم في البناء.

﴿فَقَالُواْ ٱبْنُواْ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا﴾: يُعرف به مكانهم كما يُبنى على قبر الرجل الجليل المذكور.

وقيل: كان باب الكهف قد فتح بعد ما كان مردوماً، فقالوا: ابنوا عليهم ما يستُرهم فلا يدخل عليهم أحد.

وقيل: قال الكفار: نبني بناء الكفار؛ لأنهم من عشائرنا فلعلهم على ديننا.

فقال الله جل جلاله: ﴿رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ﴾: أي: أنهم آمنوا بربهم كما وصفنا.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ﴾: عظماؤهم، وقيل[1]: مسلموهم.

﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾: نتعبد فيه؛ لأنهم مسلمون فيتبرَّك المسلمون بالصلاة في مسجدهم عندهم[2].

= أبي صالح عن ابن عباس.

(١) في (ف): «وهم».

(٢) «عندهم» ليس من (ف).

(٢٢) ـ ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّيٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾: أي: سيقول بعض أهل الكتاب: هم ثلاثةٌ رابعهم كلبهم.

﴿وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾: أي: ويقول بعضٌ(١) ذلك.

وقوله: ﴿رَجْمًا بِالْغَيْبِ ﴾: قال قتادة: قذفاً بالظنِّ(٢)، وذلك أن الغيب ما غاب عن الإنسان، وما غاب إنما يُدركُ(٣) بالاستدلال، ولا يكون كالعِيان في إفادة الإيقان.

والرجم(٤) بالكلام: هو التكلُّم من غير تدبُّر.

وقال نفطويه: تقول: هو يرجم بكذا؛ أي: يقول فيه بالظن.

وقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾: أي: ويقول بعضُهم ذلك، يعني: إذا كانوا يختلفون ثبت أنهم لا يتيقَّنون به، فكيف يمتحنونك به؟

وقال الكلبي: قدم العاقب والسيد على رسول الله ﷺ، فسألهما عن عدد أصحاب الكهف، فقال السيد وأصحابه: ثلاثة رابعهم كلبهم، وقال العاقب وأصحابه: خمسة سادسهم كلبهم(٥)، ....

---

(١) في (أ): «يقولون بعضهم»، وفي (ف): «يقولون»، بدل: «ويقول بعض».

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٦٦٤)، والطبري في «تفسيره» (١٥/ ٢١٨).

(٣) في (أ): «وما غاب لا يدركه إلا».

(٤) في (ر) و(ف): «والرمي».

(٥) إلى هنا ذكره عبد القاهر الجرجاني في «درج الدرر» (٢/ ٢٤٤) من طريق الكلبي عن أبي صالح =

رجماً بالغيب، وقال بعضهم: سبعة وثامنهم كلبهم، فنزلت الآية[١].

وذهب ذاهبون إلى أن الله تعالى بيَّن للنبي ﷺ عددهم بقوله: ﴿سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ لأنه ذكر القولين الأوَّلين وألحق بهما ﴿رَجْمًا بِالْغَيْبِ﴾، ثم ذكر القول الثالث وحقَّقه بقوله: ﴿وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾؛ لأن الواو عطفٌ على قولهم، وهو إخبارٌ من الله تعالى[٢]، وليس بعده: رجماً بالغيب.

وقوله تعالى: ﴿قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم﴾: قال هؤلاء: ليس بإجمال، بل هو تحقيق للقول الثابت، فإنه قال: ﴿وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ وهذا إخبار من الله وهو أعلم بعدتهم[٣]، فهو الصدق دون ما قالوه بالظن، وكذا قوله:

﴿مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾: هذا[٤] إثباتُ علمِ ذلك لقليلٍ من الخلق، وإذا علِمه أحد

= عن ابن عباس، وزاد: ولا علم لهم بذلك، فلما رأى الله ذلك منهم قال لنبيه عليه السلام: ﴿سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم﴾. ووردت القصة في مصادر أخرى بلا عزو. انظر التعليق الآتي.

(١) انظر: «تفسير أبي الليث» (٢/ ٣٣٢)، و«تفسير الثعلبي» (٦/ ١٦٢)، و«الوسيط» للواحدي (٣/ ١٤٢)، و«تفسير البغوي» (٥/ ١٦١)، و«الكشاف» (٢/ ٧١٢)، و«تفسير الرازي» (٢١/ ٤٤٧)، و«تفسير القرطبي» (١٣/ ٢٤٦). وعندهم جميعاً عدا أبا الليث السمرقندي: (وقال المسلمون)، بدل: (وقال بعضهم).

(٢) فهذا يدل على تصديق القائلين بأنَّهم سبعة؛ لأنَّ الواو عاطفة على كلام مصدَّق، تقديره: نعم وثامنهم كلبهم؛ كما إذا قال قائل: زيدٌ شاعرٌ، فقيل: وفقيهٌ أيضًا؛ أي: نعم، وفقيه أيضًا، وفي الخبر: سئل النبي ﷺ: أنتوضأ بما أفضلت الحمر؟ قال: «وبما أفضلت السِّباع». قالوا: يريد: نعم وبما أفضلت السِّباع. قاله ابن كمال باشا في «تفسيره» عند هذه الآية، والحديث المذكور رواه الدارقطني في «سننه» (١٧٥) و(١٧٦) من حديث جابر رضي الله عنه وضعفه، وضعفه أيضاً النووي في «المجموع» (١/ ٢٣٢).

(٣) من قوله: «قال هؤلاء...» إلى هنا من (أ).

(٤) في (ف): «هو».

من خَلْق الله فالنبيُّ عليه السلام أولى بأن يكون عَلِم ذلكِ بإعلام الله، وقد قال ابن عباس رضي الله عنه: أنا من ذلك القليل[(١)].

وقال جماعةٌ منهم الإمام أبو منصور رحمه الله: لم يبين الله تعالى ذلك لأهل الكتاب ولا لنبيِّه عليه السلام، ولو كان أعلمَه لم يقل: ﴿وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا﴾؛ لأن علمه به يُغنيه عن السؤال عنهم، ولذلك قال: ﴿قُل رَّبِّيٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ وهو قطعُ علمهم عنهم[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ خبرٌ عن قولهم؛ كقوله[(٣)]: ﴿رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ ﴿سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾، لا فرق بين ذكر الواو وطرحِها[(٤)]، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ﴾ [الحجر: ٤]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ﴾ [الشعراء: ٢٠٨]، وقال: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ﴾ [غافر: ٣] أثبت الواو في بعضها دون بعض.

وقوله تعالى: ﴿مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾: لم يبيِّن أن الذي يعلمه من[(٥)] الملائكة أو غيرِهم، ويجوز أن يكون هذا نفياً لعلم الكلِّ؛ كما قال تعالى: ﴿فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ٤٦]؛ أي: لا يؤمنون أصلاً.

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٦٦٥)، والطبري في «تفسيره» (١٥/ ٢١٩ ـ ٢٢٠).

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٧/ ١٥٦).

(٣) في (ر): «خبر لقولهم»، وفي (ف): «خبر كقوله».

(٤) كذا قال، وكتاب الله المعجز ليس فيه حرف إلا لغاية وحكمة، فكيف يكون لا فرق بين ذكر الواو وطرحها؟

(٥) في (ر): «لم يبين من يعلمهم من هو».

وقد قال السدِّي: لا يعلمهم إلا قليلٌ؛ أي: ليس أحدٌ يعلمهم، وهو[١] كقولهم: هذه الأرض قلما تُنبت؛ أي: لا تنبت أصلاً.

وقوله تعالى: ﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا﴾: أي: لا تجادلْ في أصحاب الكهف أهلَ الكتاب إلا جدالاً ظاهراً؛ أي: قل لهم: إنكم تقولون هذا بغير حجة[٢] ولا خبرٍ من عند الله، ونحوَ هذا.

﴿وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم﴾: أي: في أصحاب الكهف ﴿مِّنْهُمْ﴾ من أهل الكتاب ﴿أَحَدًا﴾؛ فإنهم[٣] لا يعلمون ذلك.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: وليس بنا إلى معرفة عددهم وأسمائهم حاجةٌ، لو كان لتولَّى الله تعالى ذلك في كتابه[٤].

وقال كعب: أسماؤهم مكسملينا وهو كبيرهم، ثم تمليخا وهو الذي بعثوه لشراء الطعام، ونواس وصدار وبلينوس ومرطيوس وإسبسيانوس.

وقيل في السادس والسابع: كيشرطط ومرطيوس[٥].

---

(١) «وهو» من (أ).

(٢) في (أ): «حق».

(٣) في (ر) و(ف): «أي: قل لهم إنهم»، بدل: «فإنهم».

(٤) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٧/ ١٥٦).

(٥) وقع في هذه الأسماء اختلاف كثير في النسخ والمصادر، وليس في كل ذلك شيء يعتمد عليه، وقد ذكر الحافظ ابن حجر في «الفتح» (٦/ ٥٠٥) أن في النطق بأسمائهم اختلافاً كثيراً، ولا يقع الوثوق من ضبطها. وذكر أبو حيان في «البحر» أن أسماء أصحاب الكهف أعجمية لا تنضبط بشكل ولا نقط، والسند في معرفتها ضعيف. وتقدم كلام القرطبي في ذلك قريباً.

قال عبد(١) الله بن عمر: وإذا وقع الحريق في موضع فكَتَبْتَ هذه الأسماءَ على قطعةِ رِقٍّ وطرحتَه في النار في الحريق طَفِئَ بإذن الله تعالى(٢).

وقد روينا عن وهب في أول القصة طريقاً آخر في أسمائهم.

***

(٢٣ ـ ٢٤) ـ ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىۡءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ۝٢٣ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَهۡدِيَنِ رَبِّي لِأَقۡرَبَ مِنۡ هَٰذَا رَشَدًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىۡءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ۝٢٣ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾: قال

---

(١) في (أ): «عبيد».

(٢) لم أجده عن ابن عمر، ورواه الطبراني في «الأوسط» (٦١١٣)، عقب حديثٍ لابن عباس عن بعض رواة ذلك الحديث، وهو حديث ضعيف، كما تقدم ذلك ضمن خبر ابن وهب الطويل في قصة أصحاب الكهف. وذكر نحو هذا نظام الدين النيسابوري في تفسيره المسمى «غرائب القرآن ورغائب الفرقان» (٤/ ٤١٢) عن ابن عباس، بل زاد عليه حيث قال: (عن ابن عباس: أن أسماء أصحاب الكهف تصلح للطلب والهرب وإطفاء الحريق، تكتب في خرقة ويرمى بها في وسط النار، ولبكاء الطفل تكتب وتوضع تحت رأسه في المهد، وللحرث تكتب على القرطاس وترفع على خشب منصوب في وسط الزرع، وللضَّرَبان وللحمى المثْلِثة والصداع والغنى والجاه، والدخول على السلاطين تشد على الفخذ اليمنى، ولعسر الولادة تشد على فخذها الأيسر، ولحفظ المال والركوب في البحار والنجاة من القتل).

قلت: وهذا كله لا يصح، كيف ولم يثبت لفظ صحيح لواحد من أسمائهم، ولا اتفق مصدران على رسم فيه، وقال الآلوسي في «روح المعاني» (١٥/ ٢٧٩) بعد نقله لكلام النيسابوري: (ولا يصح ذلك عن ابن عباس ولا عن غيره من السلف الصالح، ولعله شيء افتراه المتزيُّون بزي المشايخ لأخذ الدراهم من النساء وسخفة العقول، وأنا أعد هذا من خواص أسمائهم فإنه صحيح مجرب).

وقوله: (وأنا أعد هذا...)، يعني: يَعدُّ تسميةَ المخدوعين بأمثال هذه الخرافات بـ(سخفة العقول) هو من خواص أسمائهم، وفيه سخرية بهم ونوع مشاكلة مع ما خدعوا به في أسماء أهل الكهف.

الأخفش والكسائي والفراء: أي: إلا أن تقول: إن شاء الله[١]، وحذف القول ثانياً تخفيفاً لذكره في صدر الكلام.

وقوله تعالى: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾: قال سعيد بن جبير: إذا قلتَ لشيء: ﴿إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا﴾ فنسيتَ أن تقول: إن شاء الله، ثم تذكَّرْتَ فقل: إن شاء الله، وإن كان بعد هذا بيومٍ أو بشهرٍ أو بسنةٍ[٢].

ومثلُه عن السدي، وقال: ليس هذا في اليمين.

أي: إذا أَطلق الكلام في الوعد بغير يمينٍ، ونسي الاستثناء ثم تذكَّر فاستثنى صار في حقِّ تدارُك النسيان كالوصل، فأما في اليمين فالاستثناء المنفصِل لا يلحقُها ولا يعطلها.

وكان ابن عباس رضي الله عنهما يقول: يُحمل هذا على الاستثناء في اليمين، وكان يقول: إذا استثنى ولو بعد حينٍ صحَّ[٣].

وقال عطاء: هو على الاستثناء في اليمين، ولكن هذا للنبيِّ عليه السلام خاصة[٤].

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ١٣٨)، و«معاني القرآن» للأخفش (٢/ ٤٢٩).

(٢) رواه ابن المنذر كما في «الدر المنثور» (٥/ ٣٧٧)، وذكره الواحدي في «البسيط» (١٣/ ٥٨٢)، واللفظ له.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٢٢٥)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١١٠٦٩)، والحاكم في «المستدرك» (٧٨٣٣) وصححه. وقال القرطبي في بيانه: هذا في تداركه التبرُّك بالاستثناء للتَّخلُّص عن الإثم، وأما الاستثناء المغيِّر حكمًا فلا يصحُّ إلَّا متَّصلًا. انظر: «تفسير القرطبي» (١٣/ ٢٥١). وقال المبرد كما في «البسيط» (١٣/ ٥٨٦): (إن ابن عباس أعلم من أن يسقط حكم الحنث بالاستثناء الذي لا يصله الحالف بيمينه، ولعله قال هذا في الاستثناء من غير يمين كما قال المفسرون، قال: إذا نسي أن يقول: إن شاء الله، ثم ذكر فليقله. فظن بعض الناس أنه يقول ذلك في اليمين، فروى عنه ذلك في اليمين).

(٤) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١١١٤٣)، و«الأوسط» (٦٨٧٢)، و«الصغير» (٨٧٦)، عن =

وأكثر العلماء على أنه في غير اليمين.

وقال إبراهيم: معنى قوله: ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾؛ أي: صلِّ لربِّك إذا[1] نسيت الصلاة حتى فاتت[2].

وقوله تعالى: ﴿وَقُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَهۡدِيَنِ رَبِّي لِأَقۡرَبَ مِنۡ هَٰذَا رَشَدٗا﴾: قال مجاهد: أي: عسى أن يخبرني ربِّي عما سألتُموني قبل غد، فيكون ذلك رشاداً وهذا أرشد منه.

وقال محمد بن إسحاق: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْيۡءٍ إِنِّي فَاعِلٞ ذَٰلِكَ غَدًا ۝٢٣ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ فإنك لا تدري ما أنا صانع ﴿وَقُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَهۡدِيَنِ رَبِّي﴾ بخبرِ ما[3] سألتُموني عنه[4]، ويبين لكم ولي[5] أفضلَ مما سألتموه[6].

وقيل: كان مأموراً أن يقول هذا الكلام أيضاً حين وعدهم بما يفعل غداً؛ أي: قل: وعدتُكم أن أفعل كذا غداً، أو أخبرَكم عن كذا إذا أخبرني الله تعالى بذلك، ولو كان الأقربَ إلى الرشاد أن لا أُخبرَ بذلك هداني إلى ذلك، فليس كلُّ ما أسألُه يجيبُني إلى ذلك، بل يفعل ما يريد، وإذا قال ذلك خرج من الحلف إذا لم يفعل.

= ابن عباس رضي الله عنهما. أما عطاء فروى عنه ابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» (٥/ ٣٧٨) أنه قال: من حلف على يَمِين فله الثنيا حَلَبَ ناقة.

(١) في (أ): «متى».

(٢) ذكره الواحدي في «البسيط» (١٣/ ٥٨٦) عن السدي والضحاك، أما إبراهيم فروى عنه ابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» (٥/ ٣٧٧) قوله: يستثني ما دام في كلامه.

(٣) في (أ): «مما»، وانظر التعليق الآتي.

(٤) انظر: «السيرة النبوية» لابن هشام (١/ ٣٠٦)، وفيه: (لخير مما سألتموني عنه).

(٥) في (أ): «أن يخبرني ويبين لي»، بدل: «ويبين لكم ولي»

(٦) في (أ): «التمستموه».

وقد بينَّا في أول هذه القصة سبب نزول هذه الآية، واختلفت الروايات في مدة إبطاء الوحي عليه؛ ففي بعضها: خمس عشرة ليلة[(١)]، وفي بعضها أربعون ليلة[(٢)]، وفي بعضها أيامٌ قليلة، وقال له جبريل عليه السلام حين سأله عن إبطاء الوحي[(٣)]: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾[(٤)]، وفي رواية: (قال[(٥)]: إنَّا لا ندخل بيتاً فيه كلب أو صورة، وكان في البيت جروُ كلبٍ)[(٦)].

وقال الإمام القشيري رحمه الله: ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ نفسَك، فإنَّ ذِكْرَكَ نفسَك يمنعُك عن استغراقك في شهود مذكورك.

وقال أيضاً: ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ ذكرَك، فإن العبد إذا كان ملاحِظاً لذكره كان كغير الذاكر لمذكوره[(٧)].

---

(١) رواه ابن إسحاق في «السير والمغازي» (ص: ١٩٧)، ومن طريقه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ١٤٣)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ٢٧٠)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما. وقد تقدم مطولاً عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾ [الإسراء: ٨٥].

(٢) ذكره أبو الليث السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٣٣٦) عن الضحاك، والثعلبي في «تفسيره» (٦/ ٢٢٣) عن عكرمة.

(٣) في (أ): «عن الإبطاء».

(٤) تقدم ضمن خبر ابن عباس عند تفسير قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾. وروى البخاري (٤٧٣١) عن ابن عباسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما، قال: قال رسولُ الله ﷺ لجبريل: «ما يمنعُك أنْ تَزُورَنا أكثرَ مما تَزُورُنا»، فنزلتْ: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا﴾ [مريم: ٦٤].

(٥) «قال» ليس من (أ).

(٦) رواه مسلم (٢١٠٤) من حديث عائشة رضي الله عنها، و(٢١٠٥) من حديث أم سلمة رضي الله عنها. ولا علاقة لهذا بقصة أصحاب الكهف.

(٧) في «اللطائف»: (كان ذلك آفة ذكره).

وقال أيضاً: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ حظَّك منه.

وقيل: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ غيرَ ربِّك[1].

وقال ذو النُّون: مَن ذكر الله حقيقةً نسي كلَّ شيء، فحَفِظَه الله بكلِّ شيء، وكان له عِوَضاً عن كل شيء.

* * *

(٢٥) ـ ﴿وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ﴾: قرأ حمزة والكسائي: ﴿ثلاثمئةِ﴾ مضافةً غيرَ منوَّنةٍ على طريق قولهم: (ثلاثمئةِ سنة) على الإفراد، والجمعُ أصل، والإفراد اختصارٌ لدلالته على الجمع بما سبق من ذكر العدد، وقرأ الباقون: ﴿ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ﴾ منوَّنةً[2] على تقدير التقديم: ولبثوا في كهفهم سنينَ ثلاثَ مئةٍ، فالأول ظرف والثاني ترجمةٌ وبدل، وهو كقول زهير:

وقد كنتُ من سلمى سنينَ ثمانياً ... على صِيرِ أمرٍ ما يمرُّ وما يَحلو[3]

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٣٩٠).

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٣٨٩ ـ ٣٩٠)، و«التيسير» (ص: ١٤٣).

(٣) انظر: «ديوان زهير» بشرح الأعلم (ص: ١٥)، و«إصلاح المنطق» (ص: ٢٧)، و«غريب الحديث» للحربي (١/ ٩٢)، و«تهذيب اللغة» (١٢/ ١٦١)، و«المستقصى في أمثال العرب» للزمخشري (٢/ ٣١٤)، و«شرح الشافية» للرضي (٤/ ٢٣٢). ووقع في جميع النسخ: «على صبر» «وما يُحلي»، والمثبت من المصادر، وهو الصواب لأن القصيدة واوية، وقال الرضي: الصِّير بكسر الصاد المهملة: الإشراف على الشيء والقرب منه، يقال: أنا من حاجتي على صير: أي على طرف منها وإشراف من قضائها، وفي «الصحاح»: وأمرَّ الشيء: صار مرًّا، وكذلك مَرَّ الشيء يَمَرُّ ـ بالفتح ـ مرارة، وأمرَّه غيره ومَرَّه.

أي: على إشرافٍ من قضائه.

وقيل: هذا إخبار عن قول أهل الكتاب أنهم يقولون ذلك، ثم قال: ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟﴾ فرُدُّوا علمَ ذلك إلى الله تعالى[1].

قوله تعالى: ﴿وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا﴾ قيل: تسعَ سنين.

وقيل: هي مبهمةٌ لا ندري أنها سنونَ أو شهورٌ أو أيامٌ أو ساعاتٌ.

وقيل: كانت ثلاثَ مئة سنين شمسية، وازدادت عليها تسعُ سنين قمرية[2].

* * *

(٢٦) ـ ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: أي: هو[3] مالك غيبهما والعالم به، وهو ما غاب عن حواسِّ الخلق.

وقوله تعالى: ﴿أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ﴾: أي: ما أسمعَه وما أبصَره بخلقه وبما يكون منهم، وهو مبالغةٌ في وصفه بالسمع والبصر.

---

(١) في (أ): «ففوضوا علم ذلك إليه». ومعنى هذا القول: أنَّ هذا حكايةُ كلام أهل الكتاب؛ فإنَّهم اختلفوا في مدَّة لبثهم، كما اختلفوا في عددهم؛ فقال بعضهم: ثلاث مئةٍ، وقال بعضهم: ثلاثَ مئة وتسعَ سنين. ويعضده قراءةُ ابن مسعود رضي الله عنه: (وقالوا لبثوا)، وقولُه تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟﴾. انظر: «تفسير ابن كمال باشا» عند هذه الآية. وهذا القول مع قراءة ابن مسعود رواهما الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٢٢٩) عن قتادة.

(٢) وقد ذكر لهذا تعليل حسن، وهو: أنهم لبثوا ثلاثَ مئةِ سنةٍ شمسيَّةٍ بحساب الأمم، ولما كان الإخبار هنا للعرب ذُكرت التِّسع؛ إذ المفهوم عندهم من السِّنين القمريَّة، فهذه الزِّيادة هي ما بين الحسابَيْن. قاله ابن كمال باشا في «تفسيره» عند هذه الآية.

(٣) «هو» من (أ).

وقوله تعالى: ﴿مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ﴾: أي: ما للخلق غيرَه مَن يتولى كفايتَهم.

قوله تعالى ﴿وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا﴾: ومِن حُكمه الانفرادُ بعلم الغيب، والعلمُ بمدتهم[(١)] عنده، فليس لأحد أن يَحكم فيه بشيء، وبه قال محمد بن إسحاق[(٢)].

وقيل ـ وهو قول مجاهد ـ: هذا ابتداءُ إخبارٍ من الله تعالى أن لبثهم كان كذلك[(٣)]، وهو معنى[(٤)] قوله: ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟﴾؛ أي: أعلمُ به مِن خلقه الذين يدَّعون علمَ ذلك[(٥)] من أهل الكتاب؛ أي: هذا الإخبارُ[(٦)] هو الحقُّ الصوابُ؛ لأن الله تعالى أخبر به، وهو أعلم بذلك وله غيب السماوات والأرض.

وقيل: ﴿مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ﴾ يرجع إلى أصحاب الكهف؛ أي: لم يكن لهم على تلك الحالة حافظٌ إلا الله تعالى.

وقيل: يرجع إلى أهل الكتاب؛ أي: ليس لهم مَن يَردُّ عنهم عذاب الله لهم على خلافهم واختلافهم.

وقرأ ابن عامر: ﴿ولا تُشْرِكْ﴾ بتاء المخاطبة والجزم على النهي[(٧)]، وهو عطفٌ على قوله: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ﴾ ﴿وَقُلْ عَسَىٰٓ﴾ ﴿ولا تُشركْ في حكمه أحداً﴾؛

---

(١) في (أ): «بعدتهم».

(٢) انظر: «السيرة النبوية» لابن هشام (١/ ٣٠٦).

(٣) في (ر) و(ف): «أن لبثتم كان ذلك»، وفي (أ): «أن لبثتم كان كذلك». والصواب المثبت، وهذا القول عن مجاهد رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٢٢٩).

(٤) في (ر) و(ف): «ومعنى» بدل: «وهو معنى».

(٥) في (أ): «يدعون علمه».

(٦) بعدها في (ر) و(ف): «من الله بل».

(٧) انظر: «السبعة» (ص: ٣٩٠)، و«التيسير» (ص: ١٤٣).

أي: لا تسأل أحداً عما أخبرك الله تعالى به عن عدد أصحاب الكهف ومدتهم، فأتى لك[١] حكم الله فاقتصر عليه.

* * *

(٢٧) ـ ﴿ وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ﴾: أي: اقرأ واتَّبع القرآن الذي أوحاه الله إليك.

وقوله تعالى: ﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾: أي: لا مغيِّر لِمَا ذَكر[٢] فيه، ويدخل في هذه الجملة ما أَخبر به عن أصحاب الكهف مما يختلف فيه أهل الكتاب، وغير ذلك مما أخبر الله تعالى به.

وقوله تعالى: ﴿وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا﴾: ملجأً تَعدِلُ عنه إليه؛ أي: الزَمْ كتابه واعمل به فإنك إن خالفْتَه لم يعصمك من عذابه ملجأٌ.

وقال القشيري: لا تغيير لحُكمه، فمَن أقصاه فلا قبولَ له، ومَن أبعده فلا وصول له، ومَن قبله فلا ردَّ له، ومَن قرَّبه فلا صدَّ له[٣].

* * *

(٢٨) ـ ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴾.

---

(١) في (أ): «فإن ذلك» بدل: «فأتى لك».

(٢) «ذكر» من (أ).

(٣) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٣٩١).

وقوله تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ﴾: ولمَّا أخبر الله بقصة أصحاب الكهف، وكانوا قالوا له: إن أخبرتنا بما سألْنا عنه[١] صدَّقناك واتَّبعناك، فلما أخبرهم به قالوا: اطرد عنك[٢] الفقراء والسفلة الذين اجتمعوا عندك نتَّبعْك، فأنزل الله تعالى هذه الآية في نهيه عن ذلك.

وروي عن سلمان الفارسي قال: جاءت المؤلَّفة قلوبهم إلى رسول الله ﷺ ـ عيينةُ بن بدر والأقرعُ بن حابس وذووهم ـ فقالوا: يا رسول الله، لو جلستَ في صدر المسجد ونفيتَ عنا هؤلاء وأرواحَ جِبَابهم ـ [يعنون]سلمانَ وأبا ذر وفقراء المسلمين، وكانت عليهم جِبَابُ الصوف، ولم يكن عليهم غيرُها ـ لجلسنا إليك وحادثناك وأخذنا عنك، فأنزل الله تعالى: ﴿وَٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ﴾ حتى بلغ[٣]: ﴿إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا﴾ يهدِّدهم[٤] بالنار، فقام النبي ﷺ يلتمِسهم حتى أصابهم في مؤخَّر المسجد يذكرون الله تعالى، فقال: «الحمد لله الذي لم يُمِتْني حتى أمرني أن أَصبِرَ نفسي مع رجالٍ من أمتي، معكم المحيا ومعكم الممات»[٥].

وعن الحسن: أن مشركي العرب كانوا يقولون للنبي ﷺ: إن أردتَ أن نجالسك فاطردْ عنا هؤلاء فإنَّا قوم لنا أخطار وأحساب، فأنزل الله: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا﴾.

---

(١) في (أ) و(ف): «سألناك».

(٢) «عنك» ليست في (أ).

(٣) في (أ): «إلى قوله».

(٤) في (أ): «فهددهم»، وفي المصادر: (يتهددهم).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٢٤٠ ـ ٢٤١)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٣٤٥)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢٩٧)، وما بين معكوفتين من هذه المصادر.

وقد ذكرنا طرقاً أخرى في هذا[1] في سورة الأنعام.

وقوله تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ﴾؛ أي: احْبِس نفسك معهم ولا تطردهم بقول المشركين، فهم أحقُّ بمجالستك إذ هم يَدْعون ربهم بالغداة والعشي ﴿يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥ﴾؛ أي: قاصدينَ التوجُّه[2] إليه طالبين رضاه، وقد فسَّرنا الدعاء ومعنى الغداةِ والعشيِّ في سورة الأنعام.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ﴾: أي: ولا تُجاوِزْ عيناك عنهم إلى أولئك.

﴿تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾: هو على الحال، وتقديره: تريد التزيُّن والتجمُّل بأولئك الأغنياء الأشراف.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا﴾: أي: جعلناه غافلاً عن ذكرنا، ودلَّ هذا على خلقِ الله تعالى أفعال العباد.

وقوله تعالى: ﴿وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾: أي: عبَد ما استحسَنه من الأصنام بهوَى نفسِه.

وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا﴾: قال أهل اللغة: أي: مجاوِزاً فيه الحدَّ، بمعنى المفعول، وهو من الإفراط، وكذلك قال الكلبي: ﴿فُرُطٗا﴾؛ أي: إفراطاً كما أَفرط عيينةُ وأصحابه، قالوا: إنَّا رؤوسُ مضرَ إنْ نُسْلِمْ يُسْلِمِ الناس[3].

قال أبو عوسجة: ﴿فُرُطٗا﴾؛ أي: تفريطاً[4]؛ أي: تقصيراً.

---

(١) في (ر): «طرقاً من هذا»، وفي (ف): «طرفاً آخر في هذا».

(٢) في (ر): «التوحيد».

(٣) ذكره الواحدي في «البسيط» (١٣/ ٦٠١).

(٤) ذكره الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (٧/ ١٦٦).

قال القُتَبيُّ: ﴿فُرُطًا﴾؛ أي: سَرَفاً، وأصله: العجلة والسَّبق، يقال: فَرَطَ منه قولٌ قبيح؛ أي: سبَق، وفرسٌ فُرُطٌ؛ أي: متقدِّم[(١)].

وقال مجاهد: ضَياعاً[(٢)].

وقال قتادة: حَفِظَ ماله وأضاع دِينه[(٣)].

وقال خبَّابٌ: ﴿فُرُطًا﴾: هلاكاً[(٤)].

وقيل: ندامةً.

وقال أبو مسلم: أي: عجلة[(٥)].

وقال محمد بن جرير: وكان أمره في الكِبْر[(٦)] واحتقارِ أهل الإيمان سَرَفاً قد جاوز حدَّه[(٧)].

---

(١) انظر: «غريب القرآن» لابن قتيبة (ص: ٢٦٦).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٢٤٢).

(٣) في (أ): «يحفظ ماله ويضيع دينه».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٢٤٢ ـ ٢٤٣).

(٥) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٣٠٢) بلفظ: (سريعاً) وعزاه لابن بحر. وابن بحر هو أبو مسلم نفسه، واسمه محمد بن بحر الأصفهاني، وقد أكثر بعض المفسرين النقل عنه كالماوردي والرازي وأبي حيان، وتارة يسمونه ابن بحر، وتارة أبا مسلم، وهو مفسر معتزلي قال عنه ياقوت في «معجم الأدباء» (٦/ ٢٤٣٨): كان كاتباً مترسلاً بليغاً متكلماً جدلاً له «جامع التأويل لمحكم التنزيل» على مذهب المعتزلة، و«الناسخ والمنسوخ»، وكتاب في النحو، وجامع رسائله، مولده سنة (٢٥٤هـ)، وتوفي سنة (٣٢٢هـ).

(٦) في (ر) و(ف): «في سرف».

(٧) في (أ): «الحد». وانظر: «تفسير الطبري» (١٥/ ٢٤٣).

وقال الصنعاني: أفرط في مسألته، وأحبَّ أن يرتفع عند الله تعالى بغيرِ تقوى[١].

وقال الإمام القشيري رحمه الله في الآية: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ﴾ ولم يقل: قلبك؛ لأن قلبه كان مع الحقِّ، فأمره بصحبة الفقراء جهراً بجهرٍ، واستخلص قلبه لنفسه سرًّا بسرٍّ.

وقال: ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ لا دنياهم بكرائمها ولا عقباهم بعظائمها[٢].

وقال: ﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ لمَّا نظروا بقلوبهم إلى الله عز وجل أمر رسوله بأن لا يرفع بصره عنهم، وهذا جزاؤهم في العاجل، كأنه قال: جعلنا نظرَك إليهم اليوم ذريعة لهم إلينا، وخلفاً عما يفوتهم اليوم من نظرهم إلينا، فلا تقطع عنهم اليوم نظرك إليهم فإنَّا لا نمنع غداً نظرهم إلينا.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا﴾؛ أي: شغلناهم فيما لا يعنيهم.

وقيل: أنسيناهم ما فاتهم منَّا حتى لم[٣] يتحسَّروا على ذلك.

وقالوا: من أمارات الغفلة: طولُ الأمل، وسوءُ العمل، والتعريجُ في أوطان الكسل.

وقيل: هي تزجيةُ الوقت في[٤] غير قضاء فرضٍ وأداء نفلٍ[٥].

* * *

(١) ذكره الواحدي في «البسيط» (١٣/ ٦٠١) عن ابن عباس من رواية عطاء.

(٢) في (ر): «لا لدنياهم بكرائمها ولا لعقباهم بعظائمها»، وفي (ف): «لدنياهم بكرائمها ولعقباهم بعظائمها». وفي «اللطائف»: (فآويناهم في دنياهم بعظائمنا، وفي عقباهم بكرائمنا).

(٣) في (ر): «لا».

(٤) في (أ): «من».

(٥) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٣٩٢-٢٩٣).

(٢٩) - ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ﴾: أي: وقلْ لهؤلاء: الحقُّ من ربكم جاء[١]، وهو الإيمان به، فلا ينبغي أن يُنظَر ضعفُ أهله وفقرُهم، بل يُعرَف هو بنفسه لا بأهله.

وقوله تعالى: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾: أي: فقد بان الحقُّ فليَختَرِ امرؤٌ[٢] لنفسه ما يشاء من الإيمان به والكفر به، على علمٍ بأن مَن كفر فجزاؤه ما ذكرناه في هذه الآية، ومَن آمن فجزاؤه ما ذكرناه في الآية التي بعدها، وهذا صيغتُه صيغةُ أمرٍ وفي الحقيقة هو أشدُّ تهديداً وأبلغ زجراً.

وقيل: ﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ﴾ هو الأمر بالصبر مع هؤلاء.

وقيل: ﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ﴾ هو الوعد والوعيد المذكوران في هذه الآية والتي بعدها.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: معناه: مَن شاء الله له الإيمانَ آمن، ومَن شاء الله له الكفرَ كفَر، وهو كقوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الإنسان: ٣٠][٣].

وقولُه: ﴿فَلْيُؤْمِن﴾ على هذا صيغةُ أمرٍ بمعنى الخبر؛ كما روي: «إذا لم تستَحْيِ فاصنعْ ما شئتَ»[٤]؛ أي: صنعتَ ما شئتَ.

---

(١) «أي وقل لهؤلاء الحق من ربكم جاء» من (أ).

(٢) في (أ): «أمراً».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٢٤٤).

(٤) رواه البخاري (٣٤٨٤) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

وقولـه تعالـى: ﴿إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا﴾: أي: هيَّأنـا لمن ظلم نفسَـه فكفَر ناراً، وهي الجحيم.

﴿أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَا﴾: هو ما أحاط بالبناء من الستر والحائط ونحوِ ذلك، أَخبر أن للنار شبَهاً بذلك يحيط بهم من كلِّ وجهٍ؛ أي: لا مخلص لهم منها ولا مخرج، ولا فُرجة يتفرَّجون بالنظر إلى ما وراءها.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: هو حائط من نار[١].

وقال الكلبي: هو عنق يخرج من النار فيحيط بهم كالحظيرة[٢].

وروى معمر عن الكلبي: هو دخان يحيط بالكفار يوم القيامة، وهو الذي قال الله تعالى: ﴿إِلَىٰ ظِلّٖ ذِي ثَلَٰثِ شُعَبٖ﴾ [المرسلات: ٣٠][٣].

وقوله تعالى: ﴿وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ﴾: أي: من العطش ﴿يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ﴾ قال ابن مسعود رضي الله عنه: هو كلُّ شيء أُذيب حتى ماع.

وقال مجاهد: هو القيح والدمُ الأسود.

وقال ابن عباس: هو ماء غليظ كدُرْديِّ الزيت.

وقال سعيد بن جبير: هو الذي انتهى حرُّه[٤].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٢٤٦).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٦/ ١٦٧).

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٦٧٦) و(٣٤٤٥). ورواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٢٤٦) من طريق معمر عمن حدثه.

(٤) روى هذه الأقوال الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٢٤٨ ـ ٢٥٠). ودردي الزيت: عكره وما يستقر منه في قعر الإناء. انظر: «حاشية الشهاب الخفاجي على تفسير البيضاوي» (٦/ ٩٨).

وقال أبو أمامة الباهليُّ عن النبيِّ عليه السلام قال: «يُقرَّب إليه فيكرهه، فإذا أُدني منه شَوَى وجهه ووقعت فروةُ رأسه، فإذا شرب قطع أمعاءه حتى يخرج من دبره، يقول الله تعالى: ﴿وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ﴾ [محمد: ١٥] ويقول: ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ﴾»(١).

وقوله تعالى: ﴿يُغَاثُواْ﴾؛ أي: يؤتَوا بماءٍ كالمهل مكانَ ما يغاث به المستغيث(٢) من العطش، وهو مجازٌ كقول الشاعر:

تحيــةُ بينِهــم ضــربٌ وجيــعُ(٣)

وكقول آخر:

ليـس بينـي وبيـن قيـسٍ عتـابٌ   غيـرَ طعنِ الكُلَى وضـربِ الرِّقابِ(٤)

وقوله تعالى: ﴿بِئْسَ ٱلشَّرَابُ﴾: أي: هذا المهلُ بئس الشرابُ(٥).

﴿وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا﴾: أي: ساءت النارُ مجتمَعاً للرُّفقة، لأن قرناءهم الشياطينُ والكفار الملاعين.

---

(١) رواه الترمذي (٢٥٨٣) وقال: حديث غريب.

(٢) في (ف): «كالمستغيث».

(٣) عجز بيت لعمرو بن معدي كرب. انظر: «الكتاب» (٣/ ٥٠)، و«النوادر» لأبي زيد (ص: ١٥٠)، و«الخزانة» (٩/ ٢٦٥)، وقال البغدادي: ولم أره في شعره. وصدره:

وخيـلٍ قـد دَلَفْـتُ لهـا بخيـلٍ

(٤) البيت لعمرو بن الأيهم التغلبي. انظر: «الكتاب» (٢/ ٣٢٣)، و«الوحشيات» لأبي تمام (ص: ٤٢)، و«المقتضب» (٤/ ٤١٣)، و«تفسير الطبري» (٢/ ١٥٩)، و«ربيع الأبرار» للزمخشري (٣/ ٣٣٣).

(٥) «بئس الشراب» ليس في (أ) و(ف).

قال مجاهد: ﴿وَسَآءَتۡ مُرۡتَفَقًا﴾: مجتمَعاً[1].

وقال أبو عبيدةَ: متكَأً، من الرفق؛ قال أبو ذؤيب:

بـات الخلـيُّ وبـتُّ الليـلَ مرتفِقـاً   كأن عينـيَ فيهـا الصَّـابُ مذبـوحُ[2]

وهـو مجازٌ، كأنه قـال: بئس موضعُ طلـبِ الراحة؛ كما قـال: ﴿وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ﴾ [آل عمران: ١٢].

وقيل: هو من الارتِفاق الذي[3] هو الانتفاعُ، والمرتفَق: موضع الانتفاع، وهو مجازٌ أيضاً؛ كأنهم طلبوا الشراب لينتفعوا به ويُبرِّدوا ظمأهم فسُقوا هذا مكانَ ما طَلبوا.

* * *

(٣٠) ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ مَنۡ أَحۡسَنَ عَمَلًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾: قيل: جوابه ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ﴾ بالهاء العائدة، واعتَرض بينهما: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ مَنۡ أَحۡسَنَ عَمَلًا﴾.

وقيل: جوابه: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ مَنۡ أَحۡسَنَ عَمَلًا﴾: لكن يُضْمر فيه: منهم؛ أي: مَن أَحسنَ منهم، فتعود الهاء إلى المبتدأ.

وقيل: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ مَنۡ أَحۡسَنَ عَمَلًا﴾ بدلٌ عن المبتدأ الأول، والجواب له، فيكون جواباً للأول تقديراً[4]، وهو كقول الشاعر:

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٢٥٣).

(٢) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١/ ٤٠٠)، و«تفسير الطبري» (١٥/ ٢٥٣)، و«الكشاف» (٢/ ٦١٩)، وهو في «ديوان الهذليين» (١/ ١٠٤) برواية: «مشتجرًا». الخلي: الذي لا هم له، والصاب: شجرة مرة لها لبن يحرق العين إذا أصابها، والمذبوح: المشقوق.

(٣) في (أ): «أي».

(٤) «تقديراً» ليست في (أ).

إنَّ الخليفــة إنَّ الله سَــرْبَلَه ... سـربالَ مُلْكٍ بـه تُرجَـى الخواتيمُ(٥)

يقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾؛ أي: بالحقِّ الذي جاءهم من ربهم.

* * *

(٣١) ـ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَيَلۡبَسُونَ ثِيَابًا خُضۡرٗا مِّن سُندُسٖ وَإِسۡتَبۡرَقٖ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِۚ نِعۡمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتۡ مُرۡتَفَقٗا﴾.

وقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ﴾: أي: إقامةٍ ﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾؛ أي: تحت قصورهم وأشجارهم وسُرُرهم، وقيل: بأمرهم.

وقوله تعالى: ﴿يُحَلَّوۡنَ فِيهَا﴾: أي: في الجنان.

﴿مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ﴾: جمع سوارٍ؛ يقال: سِوَار، ويجمع: أَسْوِرة، ويجمع الأسورة: الأساور، وهي حليةٌ تلبس في اليد.

وقوله تعالى: ﴿وَيَلۡبَسُونَ ثِيَابًا خُضۡرٗا مِّن سُندُسٖ وَإِسۡتَبۡرَقٖ﴾: السُّندس: ما رقَّ من الديباج، والإستبرق: ما غَلُظَ منه، وأصله فارسيٌّ معرَّبُ استَبْرَه، قال المرقِّش:

تَرَاهُــنَّ يَلْبَسْــنَ المشــاعرَ مــرَّةً ... وإسـتبرَقُ الدِّيبـاجِ طـوراً لباسُـها(٦)

وقوله تعالى: ﴿مُّتَّكِـِٔينَ﴾: نصبٌ على الحال ﴿فِيهَا﴾؛ أي: في جنات عدن.

وقولـه تعالـى: ﴿عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ﴾: جمـع أريكـة، وهـي السـرير فـي الحَجَلـة(٧)،

---

(٥) البيت لجرير، وهو في «ديوانه» (بشرح محمد بن حبيب) (٢/ ٦٧٢).

(٦) البيت في «تفسير الطبري» (١٥/ ٢٥٥)، و«النكت والعيون» (٣/ ٣٠٥)، و«البسيط» للواحدي (١٣/ ٦١٤)، و«شمس العلوم» لنشوان الحميري (٥/ ٣٢٢٨).

(٧) الحجلة: ساتر كالقبة يزين بالثياب والستور للعروس. انظر: «المعجم الوسيط» (مادة: حجل).

لا يسمَّى أريكةً إلا أن يكون كذلك، والحجلة: السِّتر والكِلَّة[١].

وقوله تعالى: ﴿نِعْمَ الثَّوَابُ﴾: أي: الجزاء ﴿وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾؛ أي: وحسُنت الجنة مجتمَعاً للرفقاء، كما قال: ﴿وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩].

وقيل: وحسُنتِ الأرائك متكأً، كما مر[٢].

وقال القشيري رحمه الله: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾: مَن خَطَا خطوةً إلينا وجَد حظوةً لدينا، مَن نقل إلينا قَدَمه غفرنا له ما قدَّمه، مَن التجأ إلى سُدَّة[٣] كرمنا آويناه إلى ظلِّ نِعمنا، مَن شكا فينا قليلاً[٤] مهدنا له في دارِ[٥] فضلنا مَقيلاً.

وقال[٦]: ﴿مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾؛ أي: غاب عن رؤية إحسانه.

وقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾: هم أصحاب الجنان في رغدِ العيش، وسعادةِ الجَدِّ، وكمالِ الرِّفد، يلبسون حُلل الوُصلة، ويتوَّجون بتاج القُربة، ويحلَّون بحُليِّ المباسَطة، يتَّكئون[٧] على الأرائك الرَّوح[٨]، ويشمُّون رياحين الأُنس، يقيمون في حِجال الزُّلفة[٩]، يُسقون شراب المحبة، يأخذون بيد الزُّلفة ما يُتحفهم الحق [به]

---

(١) الكلة: الستر الرقيق، وغشاء رقيق يتوقى به من البعوض. انظر: «القاموس» (مادة: كلل).

(٢) «كما مر» ليس في (أ).

(٣) «سدة» زيادة من (أ) و(ف).

(٤) في (أ) و(ف): «غليلًا».

(٥) في (أ) و(ر): «دري»، وفي (ف): «ذوي». والمثبت من «اللطائف».

(٦) في (ف): «قوله تعالى».

(٧) في (ف) و(ر): «متكئون»، وفي «اللطائف»: (ويتكئون).

(٨) «الروح» ليست في «اللطائف».

(٩) في (ر) و(ف): «الرفعة»، وفي مطبوع «اللطائف»: (مجال الزلفة).

من غير واسطة، يسقيهم[١] شراباً طهوراً يطهِّر قلوبهم عن محبة كلِّ مخلوق، نِعْمَ الثوابُ ثوابُهم، ونِعْمَ الربُّ ربُّهم، ونِعْمَ الدارُ دارُهم، ونِعْمَ الجارُ جارُهم، ونِعْمَ الحالُ حالُهم[٢].

* * *

(٣٢) ـ ﴿ ۞ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ﴾: هذا[٣] تأكيدُ ما سبق من النهي عن تركِ الإقبال على ضعفاء المؤمنين، والتجاوُزِ عنهم إلى أقوياء المشركين، وتعليمٌ للناس صحبةَ أهل الخير والدِّين.

وقوله تعالى: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا﴾؛ أي: صِفْ يا محمد شَبَهاً ﴿رَّجُلَيْنِ﴾ ترجمةٌ عن قوله: ﴿مَّثَلًا﴾، وكانا أخوين أحدهما مسلم والآخر كافر.

﴿جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا﴾: وهو الكافر ﴿جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ﴾؛ أي: بستانَين فيهما أعناب ﴿وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ﴾؛ أي: كان يحيط بهما نخل.

وقال أبو عبيدة: أي: أطَفناهما من جوانبهما[٤]، وهو من قوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ﴾ [الزمر: ٧٥]؛ أي: محيطين به، والحِفَاف: جانب الشيء، وحفَّ به القوم؛ أي: صاروا في أَحْفِيَة جمع حِفَافٍ، ودل على فضل العِنب

(١) في (ر) و(ف): «فسقاهم ربهم».

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٣٩٤ ـ ٣٩٥)، وما بين معكوفتين منه.

(٣) في (أ): «هو».

(٤) في (ف): «أتحفناهما من جوانبهما»، وفي (ر): «أتحفناهما من حوافهما». والمثبت من (أ)، وانظر: «مجاز القرآن» (١/ ٤٠٢)، وفيه: (أطفناهما وحجزناهما من جوانبهما).

على الرُّطَب، حيث جعل النخل محيطةً بها، والمحاطُ به هو المقصود والأصل[١].

وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا﴾: أي: بين الجنتين أرضاً مزروعة.

* * *

(٣٣) ـ ﴿كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا وَفَجَّرْنَا خِلَـٰلَهُمَا نَهَرًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ﴾: أي: كلُّ واحدة منهما ﴿ءَاتَتْ أُكُلَهَا﴾: أي: أعطت ثمرها، ويجوز في الكلام: آتتا أكلهما، وهو ككلمة (كلّ) تضاف إلى الجمع فيُفرد فعلُها ويجمع، قال تعالى: ﴿وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَرْدًا﴾ [مريم: ٩٥]، وقال تعالى: ﴿وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ﴾ [النمل: ٨٧].

وقوله تعالى: ﴿وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا﴾: أي: لم تنقص من الأكُل شيئاً؛ أي: الثمر.

وقوله تعالى: ﴿وَفَجَّرْنَا﴾: أي: سيَّلنا ﴿خِلَـٰلَهُمَا﴾: بينهما ﴿نَهَرًا﴾؛ أي: نهراً كبيراً، ويجوز أن يكون بمعنى الأنهار ووُحِّد لأن السواقيَ تتشعَّب من نهرٍ كبيرٍ واحد.

وقرأ يعقوب: ﴿وفجَرنا﴾ بالتخفيف[٢]؛ لأن النهر واحد، والباقون بالتشديد لِمَا قلنا.

* * *

(٣٤) ـ ﴿وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَـٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ﴾: قرأ أبو عمرٍو بضم الثاء وتسكين الميم، وقرأ عاصم بفتح الثاء والميم، وقرأ الباقون بضم الثاء والميم[٣].

---

(١) في (أ): «مقصوده وأصله» بدل: «هو المقصود والأصل».

(٢) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٨٣).

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٣٩٠)، و«التيسير» (ص: ١٤٣).

فمَن فتحهما: فهو الثمر المعروف الذي يكون على الشجر، ويجوز أن يكون جمعَ ثمرة كالشجر جمع شجرة ﴿وَكَانَ لَهُۥ﴾؛ أي: لهذا الكافر في جنته كلُّ ثَمَرٍ.

وأما الضم: فقد قال الكسائي: هو جمعُ جمعٍ، يقال: ثمرةٌ وثمارٌ وثُمُرٌ، وهو كالحمار والحمُر، ثم يخفَّف ويثقَّل كما في الكتب[1].

وقال غيره: ويجوز أن يكون بالضم جمعاً للثَّمَر بالفتح؛ كالخَشَب والخُشُب، وبالسكون كالأَسَد والأُسْد.

وقيل: (الثُّمُر) بالضم هو المال المثمَّر.

وقال مجاهد والسديُّ وقتادة: أي: كان له الذهب والفضة وكلُّ مالٍ، وكذا كان ابن عباس رضي الله عنهما يقرأ بالضم ويقول: هذا[2] أنواع المال[3].

وقال أبو عمرٍو: الثُّمْر: المال والولد، وأنشد للحارث بن حلِّزة:

ولقـــد رأيـــتُ معاشـــراً ... قــد ثمَّــروا مــالاً ووُلْــداً[4]

وقال النابغة:

مهــلاً فــداءٍ لــك الأقــوامُ كلُّهــم ... ومــا أثمِّــرُ مــن مــالٍ ومِــن ولــدِ[5]

---

(١) يعني: يخفف بالتسكين ويثقل بالضم، والمعنى واحد.

(٢) في (أ): «هو».

(٣) روى هذه الأقوال ـ عدا قول السدي ـ الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٢٥٩ ـ ٢٦٠).

(٤) البيت في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ١٧٣)، و«الوحشيات» (ص: ١٦٤)، و«تفسير الطبري» (١٥/ ٦١٩)، و«النكت والعيون» (٣/ ٣٨٧)، و«البسيط» للواحدي (١٤/ ٣١١)، وقد أوردته كتب التفسير شاهداً على قراءة: (وَوُلْدا)، عند تفسير قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا﴾ [مريم: ٧٧].

(٥) البيت في «الشعر والشعراء» لابن قتيبة (١/ ١٦٥)، و«شرح القصائد العشر» للتبريزي (ص: ٣٢٠)، =

فحملتْه كثرةُ المال على الطغيان

وقوله تعالى: ﴿فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ﴾: أي: لأخيه المسلم ﴿وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ﴾؛ أي: يراجعه الكلامَ، والحَورُ: الرجوع، قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ١٤ بَلَىٰٓ﴾ [الانشقاق: ١٤ ـ ١٥].

وقوله تعالى: ﴿أَنَا۠ أَكۡثَرُ مِنكَ مَالٗا وَأَعَزُّ نَفَرٗا﴾: أي: أمنعُ أصحاباً، والنَّفر: عشيرةُ الرجل وأصحابُه الذين يقومون بالذبِّ عنه، ويَنفِرون إلى عدوِّه الذي يقصده.

* * *

(٣٥) ـ ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدٗا﴾.

﴿وَدَخَلَ﴾: أي: هذا الكافر ﴿جَنَّتَهُۥ﴾؛ أي: بستانه ﴿وَهُوَ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ﴾ استعان بنِعم الله على الكفر به وجحودِ قدرته على البعث.

قوله تعالى: ﴿قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدٗا﴾: أي: ما أحسبُ أن هذه الجنة تهلكُ قطُّ.

وقيل: ﴿هَٰذِهِۦٓ﴾ إشارةٌ إلى الدنيا ﴿أَن تَبِيدَ﴾؛ أي: تفنَى هذه الدنيا ﴿أَبَدٗا﴾.

* * *

(٣٦) ـ ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةٗ وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهَا مُنقَلَبٗا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةٗ﴾: أي: ولا أحسب البعث وما تَذكُر من الحساب والثواب والعقاب مما يكون.

= و«المقصور والممدود» للقالي (ص: ٤٤٧)، و«الصحاح» (مادة: فدى)، و«خزانة الأدب» للبغدادي (٦/ ١٨١) وفيه عن أبي عليٍّ قوله في «المسائل المنثورة»: بُني (فداءِ) على الكسر لأنه قد تضمَّن معنى الحرف وهو لامُ الأمر؛ لأن التَّقدير: ليفدك الأقوام كلهم، فلمَّا كان بمعناه بني، وبني على الكسر لأنه وقع للأَمْر والأمرُ إذا حرِّك تحرَّك إلى الكسر، ونوَّنوه لأنه نكرة.

وقوله تعالى: ﴿وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى﴾: ولئن كان الأمر كما تصف أنه كائن ﴿لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا﴾؛ أي: منصرَفاً، يعني: يعطيني الله تعالى في الآخرة أفضلَ من هاتين الجنتين.

قيل[1]: ظنَّ أنه أُوتي الدنيا بمحلٍّ له عند الله، فكذلك يؤتى في الآخرة كذلك[2].

وقيل: ظنَّ أنه كما تهيَّأ له أن يكتسب ما اتَّخذ به هذه الجنة في الدنيا، يتهيَّأ له ذلك في الآخرة. والأول أوجهُ.

دلَّ هذا على أنه كان شاكًّا في البعث، والشاكُّ في البعث كافرٌ كالقاطع بنفيه، وكذلك في كلِّ ما يعتقد، وفي مصاحف أهل الحرمين: ﴿خيراً منهما﴾[3] رجوعاً إلى الجنتين، وقراءة العامة: ﴿مِّنْهَا﴾ رجوعاً إلى قوله: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ﴾، ويحتمِل أنهما كانتا جنتين متَّصلتين، فيصح أن تسمَّى جنةً وتسمَّى جنتين.

***

(٣٧) ـ ﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ﴾ أي: أخوه المؤمن[4] ﴿وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ﴾؛ أي: خلق آدم الذي هو أصلُك من تراب.

---

(١) «قيل» من (أ).

(٢) «كذلك» ليست في (ف).

(٣) قرأ بها نافع وابن كثير وابن عامر. انظر: «السبعة» (ص: ٣٩٠)، و«التيسير» (ص: ١٤٣).

(٤) في (أ): «المسلم».

﴿ثُمَّ﴾ خلقك(١) ﴿مِن نُّطْفَةٍ﴾: أبيك ﴿ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا﴾؛ أي: جعلَك(٢) من النطفة مع مهانتها وضعفها رجلاً سويًّا بنقله إياك من النطفة إلى العلَقة، ثم إلى المضغة، ثم إلى العظم، ثم كساك(٣) لحماً، ونفخ فيك الروح فأخرجك من المواتيَّة إلى الحيوانيَّة(٤)، ثم من الطفولية إلى أن صرتَ رجلاً.

فاحتج المؤمن على الكافر بهذا، وأراد به أن ما أقرَّ به من قدرة الله تعالى هو أعجبُ وأبدع مما أنكره من البعث والإعادة.

قال الكلبيُّ: ﴿وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ﴾؛ أي: يجادلُه؛ كما قال: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَـٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا﴾ إلى قوله: ﴿تَحَاوُرَكُمَآ﴾ [المجادلة: ١].

وقال الصَّنعاني: ﴿وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ﴾: يسأله عن ماله وفيما أنفقه، وهو يقول: أنفقتُه في طاعة الله رجاءَ ثوابه(٥).

***

(٣٨) ـ ﴿لَّـٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا﴾.

﴿لَّـٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى﴾: قرأ نافع في رواية المسيَّبيِّ وابنُ عامر: ﴿لَكِنَّا﴾(٦).

---

(١) «خلقك» ليست في (أ) و(ف).

(٢) في (ر) و(ف): «خلقك».

(٣) في (ر) و(ف): «سواك».

(٤) في (ف): «الحيوتية».

(٥) في (أ): «ثواب الله».

(٦) يعني: بإثبات الألف في الوصل، وفي الوقف جميع السبعة يقرؤونها بإثبات الألف. انظر: «السبعة» (ص: ٣٩١)، و«التيسير» (ص: ١٤٣). ورواية المسيَّبي عن نافع لم يذكرها الداني. والمسيبي هو إسحاق بن محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن المسيَّب، إمام جليل عالم بالحديث، قيم في قراءة =

وروى ورشٌ عن نافعٍ بغير ألف في الوصل كقراءة سائر القراء السبعة، ولم يختلفوا في الوقف أنه بالألف، وأصله: لكنْ أنا، تُركت همزةُ (أنا) فالتقت نونان، فأدغمت إحداهما ـ وهي الأولى ـ في الأخرى وحذفت الألف الأخيرة كما حذفت في التكلُّم، فإنك تقول: أنا، فلا تتكلم بالأخيرة[1].

وقوله تعالى: ﴿لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّي﴾: أي: الذي خلقني من ترابٍ ثم من نطفةٍ ثم سوَّاني رجلاً هو الله ربي يصرِّفني كيف يشاء، إن شاء أغناني وإن شاء أفقرني.

وقوله تعالى: ﴿وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّيٓ أَحَدًا﴾: أي: لا أرى الفقرَ والغنى إلا منه، ولا أراه من نفسي ولا من غيري من خلقه، ويحتمِل أن أخاه الكافرَ كان عابدَ صنمٍ، فنفَى عن نفسه ذلك.

* * *

(٣٩) ـ ﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَآ﴾: أي: هلا ﴿إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ﴾ إذ دخلت بستانك[2]:

﴿مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾: وله إضمارٌ في أوله وآخره، أما في آخره: ما شاء الله كان، وأما في أوله: هذا ما شاء الله؛ أي: حصل هذا بمشيئة الله، و﴿مَا﴾ هاهنا بمعنى الذي.

وقوله تعالى: ﴿لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾: أي: ما قدرتَ على تحصيله إلا بعون الله.

= نافع ضابط لها، قرأ على نافع وغيره. انظر: «طبقات القراء» لابن الجزري (١/ ١٥٧).

(١) في (أ): «فلا تتكلم بالألف الآخرة».

(٢) في (أ): «جنتك».

وروى أنس عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «مَن رأى شيئاً يعجبُه فقال: ما شاء الله لا قوةَ إلا بالله، لم يضرَّه»[١].

وقوله تعالى: ﴿إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا﴾: ﴿أَنَا۠﴾ عمادٌ للنون في (ترَن)[٢]، ومحلُّه نصبٌ لأنه مفعولٌ، و﴿أَقَلَّ﴾ مفعولٌ ثانٍ، وقوله تعالى: ﴿وَوَلَدًا﴾ دليلٌ على أن المراد من قولِ أخيه: ﴿وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾؛ أي: أعواناً من الأولاد وغيرهم.

* * *

(٤٠) ـ ﴿فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤۡتِيَنِ خَيۡرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرۡسِلَ عَلَيۡهَا حُسۡبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصۡبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا﴾.

يقول: إن كنتَ تراني الآن أقلَّ مالاً وولداً وأنصاراً منك في الدنيا الفانية ﴿فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤۡتِيَنِ خَيۡرًا مِّن جَنَّتِكَ﴾ في الآخرة الباقية، ويحتمل: في الدنيا؛ أي: يعطيني كما أعطاك.

وقوله تعالى: ﴿وَيُرۡسِلَ عَلَيۡهَا﴾: أي: على جنتك ﴿حُسۡبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾؛ أي: عذاباً.

وأصل الحسبان: المرامي[٣] والنَّبلُ الصِّغار، وكأنه قال: سهاماً من السماء، سُمِّيت حُسباناً لأنها نَبلٌ معدودةٌ محسوبةٌ تجمع فترُمَى بمرَّة.

---

(١) رواه البزار في «مسنده» (٣٠٥٥)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٢٠٧)، من حديث أنس رضي الله عنه، وفي إسناده أبو بكر الهذلي وهو ضعيف جداً كما قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥/ ١٠٩).

(٢) في (ر): «تر».

(٣) في (ر): «المرمي»، وسقطت من (ف) مع الواو بعدها.

قال ابن عباس وقتادة: ﴿حُسۡبَانًا﴾؛ أي: عذاباً[١].

وقيل: ناراً تُحرقها. وقال السدِّي: برداً.

وقال الزجَّاج: ﴿حُسۡبَانًا﴾؛ أي: عذاباً هو حسبانُ ما كسبتْ يداك؛ لأن الحسبان هو الحساب[٢].

وقوله تعالى: ﴿فَتُصۡبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا﴾: أملسَ لا نبت عليها، والصعيد: وجه الأرض، والزَّلَق: الذي تَزِلُّ عليه القدم لملوسته، و(تُصبح) دليلٌ على أن الحسبان يأتي ليلاً[٣]، وهو كقوله: ﴿فَطَافَ عَلَيۡهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمۡ نَآئِمُونَ ١٩ فَأَصۡبَحَتۡ كَٱلصَّرِيمِ﴾ [القلم: ١٩ ـ ٢٠].

* * *

(٤١) ـ ﴿أَوۡ يُصۡبِحَ مَآؤُهَا غَوۡرًا فَلَن تَسۡتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَوۡ يُصۡبِحَ مَآؤُهَا غَوۡرًا﴾: أي: غائراً في الأرض فتيبسَ[٤] ﴿فَلَن تَسۡتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا﴾: أي: لا تقدر أن تطلبه فتردَّه إلى موضعه.

* * *

(٤٢) ـ ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصۡبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيۡهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُشۡرِكۡ بِرَبِّيٓ أَحَدًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ﴾: تحقَّق ما ظنه الأخ المسلم، واجتيحت ثمار

---

(١) رواه عنهما الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٢٦٦).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٢٨٩).

(٣) في (أ): «بالليل».

(٤) في (أ): «فيبس» وليست في (ف).

جنَّته[١] ليلاً؛ أي: استؤصلت بآفة، وقيل: أُهلك ماله كلُّه: الجنانُ وغيرُ ذلك من أمواله[٢].

قال مجاهد: بثمره من ذهبٍ وفضةٍ وكلِّ شيء يملكه[٣].

وقال الضحاك: أحاط به أمر الله فهلك.

وقوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ﴾: أي: إحداهما على الأخرى، يعني: الكافر.

وقال قتادةُ: يَصْفِقُ كفيه ندَماً[٤].

﴿عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا﴾: أي: في الجنة.

وقوله تعالى: ﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾: قال الكلبيُّ: أي: ساقطةٌ على سقوفها، وذلك أنه يقع الحيطان أولاً قبل السقف، ثم يقع السقف على الحيطان، والخَواء: السقوط؛ قال تعالى: ﴿أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٧].

وقال السدِّي: ساقطةٌ على سقوفها[٥]؛ أي: سقطت الأشجار على السُّقُف[٦].

وقال أبو عبيدةَ: أي: خاليةٌ على بيوتها[٧]، فالخواء[٨]: الخلاء، والعُروش البيت.

---

(١) في (ف): «وأجيب ما رجيه»، وفي (ر): «وأحسب بما رجيته»، بدل: «واجتيحت ثمار جنته».

(٢) في (أ): «ماله».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٢٥٩).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٢٦٨).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٥٨٦).

(٦) في (أ): «السقوف».

(٧) انظر: «مجاز القرآن» (١/ ٤٠٥).

(٨) في (ر): «فالخوى».

وقال الخليل: خَوَتِ الدار: أي: باد[١] أهلها وهي قائمةٌ بلا عامرٍ[٢].

قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُشۡرِكۡ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا﴾: أي: لمَّا رأى قدرة الله تعالى ندم على شركه.

وقيل: معناه: ليتني رأيت هذه النعمَ من الله، وبقوَّته لا بقوتي.

* * *

(٤٣) ـ ﴿وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٞ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٞ﴾: أي: لهذا الكافر فرقةٌ يرجع إليهم ويلتجئُ بهم.

﴿يَنصُرُونَهُۥ﴾: أي: يمنعون عنه عذاب الله ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: من المخلوقين، و﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: غيرِ الله؛ أي: لا نصرة إلا منه.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا﴾: أي: لم ينصره غيرُه، ولا انتصَر بنفسه[٣].

وقيل: لم يكن له ناصرٌ فينتصِرَ بنُصرته.

وفي قراءة حمزة والكسائي: ﴿ولم يكن له فئة﴾ بياء التذكير؛ لتقدُّم الفعل ولوجود الحائل، وفي قراءة الباقين بتاء التأنيث لأنه فعل الفئة[٤].

* * *

---

(١) في (ف): «أي مات»، وفي (ر): «إذا مات».

(٢) انظر: «العين» (٤/ ٣٢٨).

(٣) في (ف): «ولا ينصر بنفسه»، وفي (ر): «ولا ينصر نفسه».

(٤) انظر: «السبعة» (ص: ٣٩٢)، و«التيسير» (ص: ١٤٣).

(٤٤) ـ ﴿هُنَالِكَ ٱلْوَلَـٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿هُنَالِكَ ٱلْوَلَـٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ﴾: قرأ حمزة: ﴿الوِلاية﴾ بكسر الواو والباقون بفتحها(١)، وهما(٢) لغتان كالرَّضاعة والرِّضاعة؛ قاله الفراء(٣).

وقيل: بالكسر: السَّلطنة، وهي مصدرُ الوالي، وبالفتح: مصدرُ الوليِّ.

ومعنى الفتح؛ أي: في مثلِ ذلك الوقت والمقام، فإن هنالك لهما جميعاً تكون الموالاةُ لله(٤)، يوالي أولياءه ويُعليهم على أعدائه.

وقيل: أي: يتولَّى إعزازَهم ونصرهم، ويَكِلُ الكفارَ إلى أنفسهم وأعوانهم.

وقيل: أي: هنالك يتولَّى العبدُ اللهَ(٥)، فيرجعُ إليه ويعتصِم به دون خلقه.

ومعنى الكسر: هنالك المُلك والسلطان والقهر والغلبة ونفاذ الأمر له وحده.

وقوله تعالى: ﴿لِلَّهِ ٱلْحَقِّ﴾ قرأ أبو عمرو والكسائي: ﴿الحقُّ﴾ رفعاً صفةٌ للولاية، وقرأ الباقون خفضاً صفةٌ لله عز وجل(٦)، قال تعالى: ﴿ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ﴾ [الأنعام: ٦٢].

وقوله تعالى: ﴿هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا﴾: أي: في الآخرة لمن آمَن به والتجأ إليه.

وقوله تعالى: ﴿وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾: أي: عاقبةً لمن رجاه وعَمِل لوجهه.

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٣٩٢)، و«التيسير» (ص: ١٤٣)، عن حمزة والكسائي.

(٢) في (أ): «قيل».

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٤١٩) عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَـٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يُهَاجِرُوا۟﴾ [الأنفال: ٧٢].

(٤) في (ر) و(ف): «تكون الولاية لله جميعاً».

(٥) في (ر) و(ف): «إليه».

(٦) انظر: «السبعة» (ص: ٣٩٢)، و«التيسير» (ص: ١٤٣).

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ونافع والكسائي: ﴿عُقُباً﴾ مثقَّلةً، وقرأ عاصم وحمزة: ﴿عُقْبًا﴾ مخفَّفةً[1]، وهما لغتان كالشُّغْل والشُّغُل.

وقيل: ﴿هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ﴾ إشارةٌ إلى يوم القيامة وجزاءِ الأخوين فيه.

وروى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بلغَنا أنهما كانا أخوين ورِثا مالاً، فأصاب كلُّ واحد منهما أربعةَ آلاف دينار، فأما أحدهما فاتَّخذ بها الأرضِينَ والدُّورَ والبساتين، وأما الآخر فأعطَى ماله في[2] اليتامى والمساكين وابن السبيل، فلما نفدَ ماله واحتاج إلى أخيه تعرَّض له يسألُه، فقال له أخوه: وأين مالك؟ فقال: أقرَضْتُه ربي وقدَّمْتُه لنفسي، قال: ولكنِّي اتخذتُ به لولدي ونفسي، ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا﴾ و﴿أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا﴾ وولداً ﴿وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾، فكان بينهما ما قصَّه الله تعالى في كتابه، وهما الرجلان اللذان ذكرهما الله تعالى في الصافات: ﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ﴾ [الصافات: ٥١][3].

وروي أنهما كانا في بني إسرائيل[4].

وقيل: كانا ابني ملك في بني إسرائيل.

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٣٩٢)، و«التيسير» (ص: ١٤٣)، وقراءة ابن عامر بالتثقيل؛ أي: ضم القاف.

(٢) «في» من (أ).

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٥٨٤) و(٣/ ٦٠٧)، و«تفسير يحيى بن سلام» (١/ ١٨٥)، و«تفسير أبي الليث» (٢/ ٣٤٦)، و«تفسير ابن أبي زمنين» (٣/ ٦٢)، و«الهداية» لمكي (٦/ ٤٣٧٨)، و«تفسير القرطبي» (١٣/ ٢٦٩). وروى الثعلبي في «تفسيره» (٦/ ١٦٩ ـ ١٧٠) هذه القصة مع زيادات عليها عن عطاء الخراساني.

(٤) ذكره أبو الليث في «تفسيره» (٢/ ٣٤٦) عن ابن مسعود رضي الله عنه.

وقيل: ضرب الله مثلاً لرجلين أخوين من أهل مكة من بني مخزوم أحدهما مؤمنٌ[١] وهو أبو سلمة بن عبد الأسد بن عبد ياليل، واسمه: عبد الله، وكان[٢] زوجَ أم سلمة قبل النبيِّ ﷺ، والآخر كافر وهو الأسود بن عبد الأسد بن عبد ياليل، برجلين من بني إسرائيل أخوين[٣] أحدهما مؤمن والآخر كافر.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: المؤمن منهما يهوذا والكافر قطروس[٤]، وسياق القصة على ما مر.

* * *

(٤٥) - ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: يتَّصل بما تقدم من قصة المشركينَ المتكبرين على فقراء المؤمنين.

﴿وَاضْرِبْ لَهُم﴾؛ أي: وبيِّن لهم يا محمد ﴿مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ شَبَهَ الحياة الدنيا التي يفتخرون بها ويترفَّعون بها على فقراء المؤمنين ﴿كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ﴾: أي: هي كمطرٍ أنزلناه من السحاب[٥] ﴿فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ

---

(١) في (ف): «مسلم».

(٢) في (ف): «وهو».

(٣) «أخوين» ليس من (أ).

(٤) في (ر) و(ف): «مطروس». وذكره عن ابن عباس أبو الليث في «تفسيره» (٢/ ٣٤٦)، وفيه: أبو قطروس.

(٥) في (ر) و(ف): «السماء».

﴿ٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: سقَى المطرُ النبات فالتزَق به فربَا[1] النباتُ واهتزَّ وحَسُنَ منظرُه، ثم انقطعت المادةُ من ذلك المطر عنه فيبس ثم تفتَّت.

وقوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحَ هَشِيمًا﴾: أي: صار مهشوماً مكسوراً مفتَّتاً.

وقوله تعالى: ﴿تَذْرُوهُ ٱلرِّيَـٰحُ﴾: تقلِّبه وتطيِّره[2] وترميه، وقد ذَرَتْه الريحُ تَذْروه ذَرْواً، وذَرَّتْه تَذْرِيَةً، وأَذْرَتْه تُذْرِيهِ إِذْراءً.

وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾: يُنشئه ويُنميه إذا شاء، ثم يفتِّته ويكسره إذا شاء، يعني: ما ينال الإنسانُ من هذه الدنيا من عزِّها وغَنائها زائلٌ عن قريبٍ؛ كهذا[3] النباتِ الحسن الذي يَرُوق ثم يَفنى ويزول، فما ينبغي للعاقل أن يثق ويفتخرَ بها ويتكبَّر بنَيلها[4].

وفي قوله: ﴿فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ﴾ وجهٌ آخر: وهو أن اختلاط النبات التفافُه وكثافتُه؛ أي: الْتفَّ النبات وكثُف ﴿بِهِۦ﴾؛ أي: بسببه.

ووجهٌ آخرُ: وهو أن الاختلاط اختلافُ الألوان من أبيضَ وأحمرَ وأصفرَ وأخضر، وهو كقوله: ﴿فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ﴾ [الحج: ٥].

وتتصل هذه الآية بما قبلها من وجه آخر: وهو أن ذلك الأخ الكافر قال: ﴿مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَـٰذِهِۦٓ أَبَدًا﴾ فبيَّن أنها تصير هشيماً، فكذا سائر الدنيا.

---

(١) في (أ): «فربرب».

(٢) في (ف): «نقلته وطيرته».

(٣) في (ف): «هكذا».

(٤) في (ف): «أن يثق ويتكبر بنيلها»، وفي (ر): «أن يثق ولا يكترث بها».

(٤٦) ـ ﴿ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ أَمَلٗا﴾.

وقوله تعالى: ﴿ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾: أي: تَتزيَّن بها وتَتجمَّل مدةً قليلة، ثم تزول وتنقضي.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ﴾: أي: أعمالُ الخير هي باقياتٌ لبقاء أجرها ونفعها، وصالحاتٌ لانتفاء الفساد عنها.

وقوله تعالى: ﴿خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ أَمَلٗا﴾: أي: ثوابُها وما يؤمَّل بها خير من المال والبنين.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما وابن مسعود ومحمد بن كعب وسعيد بن جبير ومسروق وعمرو بن شرحبيل: هن الصلوات الخمس، وهن الحسنات يذهبن السيئات[1].

وقال سعيد بن جبير: الباقيات الصالحات هن: الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان، والحج إلى الحج.

وقال ابن عباس في رواية ـ وهو قولُ عثمان بن عفَّان وابنِ عمر ومجاهدٍ وعطاء بن يسار وسعيد بن المسيِّب رضي الله عنهم ـ: هن سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله[2].

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٢٥٨)، والطبري في «تفسيره» (١٥/ ٢٧٤ ـ ٢٧٥)، عن ابن عباس، وزاد في «الدر المنثور» (٤/ ٤١٨) عزوه للفريابي وابن أبي شيبة ومحمد بن نصر وابن أبي حاتم وابن المنذر وأبي الشيخ. ورواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٢٧٤ ـ ٢٧٥) عن سعيد بن جبير وعمرو بن شرحبيل وإبراهيم وأبي ميسرة. وذكره الواحدي في «البسيط» (١٤/ ٣٥) عن مسروق ومحمد بن كعب. وروي عن محمد بن كعب خلافه. انظر التعليق الآتي.

(٢) رواه عنهم الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٢٧٥ ـ ٢٧٩)، وزاد الحسن وقتادة ومحمد بن كعب.

وعـن النبـيِّ ﷺ فـي طـرق كثيـرة أنه فسـرها بذلـك، فمنها مـا روى أبو سـعيد الخـدري رضي الله عنـه عن النبي ﷺ أنه قال: «اسـتكثِروا من الباقيـات الصالحات» قيـل: ومـا هن يا رسـول الله؟ قال: «التسـبيحُ والتحميـدُ والتهليلُ والتكبيـرُ ولا حولَ ولا قـوةَ إلا بالله»[1].

ومنها: مـا روى[2] أنس رضي الله عنه عـن النبيِّ ﷺ أنه قال لأصحابه يوماً: «خذوا جنَّتكم من النار وقولوا: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله، هن المعقِّبات، وهن المنجِيات، وهنَّ سراج[3] في الخيرات، وهنَّ الباقياتُ الصالحات»[4].

وفي حديث أبي الدرداء عن النبيِّ ﷺ زيادة وهي: «هنَّ يَحْطُطْنَ الخطايا كما تَحطُّ الشجرةُ ورقَها، وهنَّ الباقياتُ الصالحات، وهنَّ من كنوز الجنة»[5].

وقال الضحاك رحمه الله: الباقيات الصالحات هي[6] الفرائض.

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١١٧١٣)، وأبو يعلى في «مسنده» (١٣٨٤)، والطبري في «تفسيره» (١٥/ ٢٧٩)، وابن حبان في «صحيحه» (٨٤٠). وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٨٧): رواه أحمد وأبو يعلى... وإسنادهما حسن.

قلنا: ويشهد له حديث عثمان بن عفان في «مسند أحمد» (٥١٣)، وإسناده حسن.

(٢) في (أ): «روي عن».

(٣) في (أ): «سراع»، ولم أقف على هذه الجملة في المصادر.

(٤) رواه الطبراني في «الأوسط» (٣١٧٩)، وفي إسناده كثير بن سليم وهو ضعيف.

(٥) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٧٨٥)، وابن ماجه (٣٨١٣)، والطبري في «تفسيره» (١٥/ ٦١٦). وفي إسناده عمر بن راشد، وهو ضعيف.

(٦) في (ف): «هن».

وقال ابن عباس رضي الله عنهما في رواية: هن الكلام الطيب[١].

وفي رواية عنه: هن جميع الأعمال الحسنة[٢].

* * *

(٤٧) ـ ﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ ﴾: قرأ أهل الكوفة: ﴿نُسَيِّرُ﴾ بالنون و﴿ٱلْجِبَالَ﴾ بالنصب إخباراً من الله تعالى عن نفسه أنه يفعل كذا، وقرأ الباقون: ﴿تُسيَّرُ﴾ بالتاء وفتحِ الياء وضمِّ ﴿الجبالُ﴾ على ما لم يُسمَّ فاعله[٣].

ثم ذكر القيامة وما فيها من الأهوال والأفزاع، ومجيءِ الناس يومئذ منفردينَ عن الأموال، مَجزيِّين على الأعمال، نهياً لهم عن التكبُّر والترفُّع على الفقراء والضعفاء بالثروة وحُسن الأحوال، فقال: (يومَ تسيَّر الجبال)؛ أي: واذكر لهم يا محمد يوم ننسفُ الجبال عن مواضعها ونسيِّرُها في الهواء؛ كما قال: ﴿ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾ [النمل: ٨٨]، وهذه أحوالٌ متعاقبةٌ تظهر في الجبال يومئذ: ﴿وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴾ [الحاقة: ١٤]، ﴿ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴾ [الواقعة: ٥]، ﴿وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا﴾ [المزمل: ١٤]، ﴿فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ﴾ [الواقعة: ٦]، ﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴾ [القارعة: ٥].

﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً ﴾: ظاهرةً ليس عليها ما يسترُها من جبلٍ أو شجرٍ أو حجر.

وقيل: أبرزنا[٤] ما في بطنها من الموتى.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٢٨٠).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٢٨٠). ووقع في (ر) و(ف): «جميع أعمال الجنة».

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٣٩٣)، و«التيسير» (ص: ١٤٤).

(٤) في (ر): «أبرزت».

وقيل: لا مستتَر فيها. وقيل[١]: لا متفيَّأ فيها.

وقيل: أي: ترى أهل الأرض بارزين.

وقوله تعالى: ﴿وَحَشَرْنَٰهُمْ﴾: أي: جمعناهم بعد الموت[٢] للحساب.

وقوله تعالى: ﴿فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾: أي: لم نَترك أحداً من الأوَّلين والآخِرين لم نُحضره، وهو ماضٍ بمعنى المستقبل.

* * *

(٤٨) ـ ﴿وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ ۚ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَعُرِضُوا۟﴾: أي: يُعرضون ﴿عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا﴾ قيل: صفًّا واحداً.

وقيل: صفوفاً، ويؤدي الواحد عن الجمع؛ كما قال: ﴿ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ [الحج: ٥]؛ أي: أطفالاً.

وقيل: صفٌّ بعد صفٍّ مستديرين كصفوف المصلِّين[٣] حول الكعبة.

وقال الكلبيُّ والصنعانيُّ: صفًّا بعد صفٍّ؛ أي: جميعاً[٤].

وقيل: ﴿صَفًّا﴾؛ أي: قياماً، كما قال: ﴿فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ﴾ [الحج: ٣٦]؛ أي: قياماً.

وقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ جِئْتُمُونَا﴾[٥]: أي: يقال للمشركين المفتخرين بالأموال على

---

(١) «قيل» ليست في (ف).

(٢) في (ر) و(ف): «البعث».

(٣) في (أ): «المسلمين».

(٤) في (ر) و(ف): «جمعاً».

(٥) بعدها في (ر): «فرادى».

الفقراء: ﴿لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾؛ أي: في بطون أمهاتكم حفاةً عراةً بلا أموالٍ ولا أولادٍ ولا أعوانٍ.

﴿بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا﴾: قال أبو عبيدة: إن العرب إذا كانوا في كلامٍ فأرادوا الأخذَ في غيره بدؤوه بـ(بل)، تقديره: ولقد جئتُمونا كما خلقناكم أولَ مرةٍ بعد تعزُّزكم[1] بالأموال والأولاد، وتكبُّركم على الفقراء، فأين تلك الأموالُ والأولاد، دعوا هذا فقد كنتُم تقولون شرًّا من هذا: لا بعثَ ولا نشورَ ولا موعدَ، وهو ميقاتٌ يبعث[2] فيه.

***

(٤٩) ـ ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ﴾: أي: ويوضع كتاب كلِّ إنسان في يده، وهو واحد أريد به الجمع لأنه جنس.

وقوله تعالى: ﴿فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ﴾: أي: المذنِبينَ، وقيل ـ هو قول السديِّ ـ: أي: المشركين[3].

وقوله تعالى: ﴿مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ﴾: أي: خائفين مما في الكتاب.

وقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا﴾: لمَّا رأوا أعمالهم محصاةً عليهم فيه، وعلموا

---

(١) في (أ): «تغرركم».

(٢) في (أ): «بعث».

(٣) ذكره الواحدي في «البسيط» (١٤/ ٤٢) عن ابن عباس رضي الله عنه.

أنهم مجازَون بها[١]، نادَوا بالويل والثُّبور ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ﴾ وهي[٢] لفظة تعجُّب.

وقوله تعالى: ﴿لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا﴾: أي: لا يتركُ فعلةً دقيقةً ولا فعلةً جليلةً[٣] إلا أثبتها بقَدْرها[٤].

قال السدِّي: الصغيرة ما دون الشرك، والكبيرة الشرك[٥].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: الصغيرة التبسُّم، والكبيرة القهقهة[٦].

وقوله تعالى: ﴿وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًا﴾، أي: في الكتاب ذكرُه.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾: أي: لا يعاقب بغيرِ ذنبٍ، ولا ينقص ثوابَ طاعةٍ.

* * *

(٥٠) ـ ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾: أي: واذكر يا محمد قصةَ آدم وإبليس إذ أمرناه بالسجود لآدم في جملةِ مَن أمرناهم بالسجود له من الملائكة، فسجدوا إلا إبليس فإنه فسق عن أمر الله تعالى؛ أي: خرج بتكبُّره

---

(١) في (ف): «يجازون بها»، وفي (ر): «يجازون عليها».

(٢) في (ف): «وهذه».

(٣) في (ف): «فعلة جليلة ولا دقيقة»، وفي (ر): «فعلة قبيحة دقيقة ولا فعلة جليلة».

(٤) في (أ): «بعددها»، وسقطت من (ف).

(٥) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٣/ ٢٩٨) عن الأسدي، وذكره مكي بن أبي طالب في «الهداية» (٦/ ٤٤٠٠) دون عزو.

(٦) رواه ابن أبي الدنيا في «الصمت» (٢٩٠).

ليعتبرَ هؤلاء المشركون بما أدَّاه إليه تكبُّره، ويعلموا أنهم يَفسُقون بتكبُّرهم أيضاً على فقراء المؤمنين.

وقوله تعالى: ﴿كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ﴾: قيل: هم جنس من الملائكة سُمُّوا به لاجتنانهم عن أعين الناس، وهو كقوله: ﴿وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا﴾ [الصافات: ١٥٨]؛ أي: الملائكةِ بقولهم: الملائكة بناتُ الله، وهذا قول محمد بن إسحاق[١].

وقال قوم: ﴿كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ﴾؛ أي: من خزَّان الجِنَان[٢].

وقال سعيد بن جبير رضي الله عنه: كان من قبيلة يصوغون الحليَّ لأهل الجنة[٣].

وقيل: بل كان من الجن الذين في الدنيا[٤]، وهم المذكورون في قوله: ﴿يَـٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ [الأنعام: ١٣٠] ونحوها من الآيات.

وقد بينَّا الاختلاف بين العلماء في ذلك وحججَ الفريقين في سورة البقرة عند قوله: ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ﴾ [البقرة: ٣٤] أن هذا الاستثناء متصلٌ أم منقطع[٥]، وذكرنا القول المعتمد عليه في تلك السورة بحمد الله تعالى.

﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى﴾: استفهام بمعنى التوبيخ والإنكار[٦]؛ أي: أتتولَّون إبليس وأولاده بالطاعة لهم والاقتداء بهم.

---

(١) رواه عنه الطبري في «تفسيره» (١/ ٥٣٨ ـ ٥٣٩).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٢٨٧ و٢٩٨ ـ ٢٩٠) عن ابن عباس وسعيد بن جبير والضحاك.

(٣) رواه ابن الأنباري في «الأضداد» (ص: ٣٣٤)، وابن أبي حاتم وأبو الشيخ كما في «الدر المنثور» (٥/ ٤٠٢).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٢٨٩) عن الحسن قال: ما كان إبليس من الملائكة طرفة عين قط، وإنه لأصل الجنّ، كما أن آدم عليه السلام أصل الإنس.

(٥) في (أ): «منفصل».

(٦) في (أ): «والاستنكار».

وقوله تعالى: ﴿وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ﴾: أي: أعداءٌ، والعدوُّ بمعنى الجمع، وهو كقوله: ﴿هُمُ ٱلْعَدُوُّ﴾ [المنافقون: ٤].

﴿بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا﴾: أي: بئس إبليسُ وأولادُه الواضعونَ التولِّيَ غيرَ موضعه بدلاً عن الله تعالى.

وعن الشعبي رحمه الله أنه قال: سألني رجل فقال: هل لإبليس زوجة؟ فقلت: إن ذلك لعرسٌ[١] ما شهدتُه، ثم ذكرتُ[٢] قوله: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ﴾ فقلتُ: لا تكون له[٣] ذريةٌ إلا من زوجةٍ[٤].

وروى أبو العلاء عن مجاهد في قوله: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ﴾ قال: هم خمسةٌ: قسوط، ودليبو، وداموس[٥]، وثبر، والأعور، أما دليبو فصاحب الراية في الأسواق، وأما داموس فهو الذي في البيوت يأكل مع الناس إذا لم يسمُّوا، وأما ثبر فصاحبُ شقِّ الجيوب على المصائب؛ كقولهم: واثبوراه، وأما الأعور فصاحب الربا يعمِّي أكله على الناس، وأما قسوط فصاحب الكذب الذي لا أصل له[٦].

---

(١) في (أ): «العرس».

(٢) في (ف): «فتذكرت».

(٣) «له» زيادة من (أ).

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٦/ ١٧٦)، ورواه نحوه ابن الجوزي في «أخبار الظراف» (٥٤).

(٥) في (أ): «مسوط وزلينو وداسن»، وفي (ف): «فسوط ودلينو وداموس». وسيأتي هذا الاختلاف بين النسخ في باقي الخبر. وانظر التعليق الآتي.

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٢٩٢)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٥/ ١٦٨٢)، من طريق ابن جريج عن مجاهد، ورواه ابن أبي الدنيا في «مكائد الشيطان» (٣٥) من طريق زبيد عن مجاهد، وأسماء الخمسة عندهم متفقة، وهي: (زلنبور وداسم وثبر ومسوط والأعور)، وعندهم: (فأما الأعور فصاحب الزِّنَا)، زاد ابن أبي الدنيا: (الذي يأمر به ويزينه)، وباقي الخبر بنحوه عندهم مع =

(٥١) ـ ﴿ ۞ مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلۡمُضِلِّينَ عَضُدٗا﴾.

وقوله تعالى: ﴿مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلۡمُضِلِّينَ عَضُدٗا﴾: قال قتادة: أي: أعواناً[١]، من قولك: اعتضَدْتُ به؛ أي: استعنتُ به.

و﴿عَضُدٗا﴾ بمعنى الأعضاد[٢]، كما في قوله: ﴿سَآءَ مَثَلًا ٱلۡقَوۡمُ﴾ [الأعراف: ١٧٧]، وقوله: ﴿ثُمَّ يُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا﴾ [غافر: ٦٧]، وفيه وجوه:

قيل: ما أحضرتُ إبليسَ وذرِّيته ﴿خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ﴾؛ أي: لم أَحتجْ في خلقِ ما خلقتُه إلى شيء من عونهم وإشارتهم، فكيف يكونون شركاء لي.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلۡمُضِلِّينَ عَضُدٗا﴾؛ أي: وما كنتُ لأعتضدَ في شيءٍ من تدبير خلقي بمن أعلمُ أنه لا يريد بهم خيراً بل يريد إضلالهم.

وقيل: هذا ردٌّ لقولهم: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣]، و: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ١٨]؛ أي: إنهم مضلُّون لعبادي[٣]، وهم الجن، قال الله تعالى خبراً عن الملائكة: ﴿بَلۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٱلۡجِنَّ﴾؛ أي: المشركون كانوا يعبدون الشياطين؛ أي: لا أجعلُ لهم شفاعةً فلا يكونون عضداً لهم، ويكون تقدير الآية: وما كنتُ متَّخذ المضلِّين عضداً لهم[٤] يعتضدون بشفاعتهم مع أنهم مضلُّون.

= بعض اختلاف بين كل منهم وبين ما ذكره المصنف.

(١) رواه عنه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٢٩٥).

(٢) في (أ): «الاعتضاد».

(٣) في (ر) و(ف): «يضلون عبادي».

(٤) «لهم» زيادة من (أ).

ووجهٌ آخر: ما أشهدتُ هؤلاء المشركين الذين يَنهون النبيَّ ﷺ عن مجالسةِ الفقراء والضعفاء ﴿خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ﴾؛ أي: لم أستعِنْ بهم في شيءٍ من خلقي ولا تدبيري[(١)]، بل هم مخلوقون أنا خلقتُهم من ماءٍ مَهين، وما كنتُ لأَتَّخذهم وهذه حالُهم عضداً؛ لأنهم مضلُّون فلا أعتضِد بهم في ديني[(٢)]، فلا تلتفتْ يا محمد إلى قولهم: لو أسلمنا أسلم الناس بإسلامنا، فأنا مستغنٍ وأنت عنهم.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ﴾ وإن كان لا يُتصوَّر شهودُ الإنسان خلقَ نفسه للإعانة[(٣)]؛ لأنه مبالغة في النفي فلا يقتضي التصوُّر، وكأنه قال: ما خلقوا أنفسهم ولا أعانوا على خلق غيرهم.

وقال محمد بن جرير: أي: ما أشهدتُ بعضَهم خلقَ بعضٍ فأستعينَ به وبرأيه[(٤)]، بل انفردتُ بخلقِ جميع ذلك بغيرِ مُعينٍ[(٥)]، وهو كقوله: ﴿وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾ [الحجرات: ١١]؛ أي: لا يَلمِزْ بعضُكم بعضاً، وقوله تعالى: ﴿فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ [النور: ٦١]؛ أي: فلْيسلِّم بعضكم على بعضٍ.

* * *

(٥٢) ـ ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا۟ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا﴾.

---

(١) في (ر): «بشيء من تدبيري ولا تقديري».

(٢) في (ر) و(ف): «دنيا».

(٣) في (أ): «للإعادة».

(٤) في (ر) و(ف): «فأستنصر به وبرأيه». وعبارة الطبري: (فأستعين به على خلقه).

(٥) انظر: «تفسير الطبري» (١٥/ ٢٩٤).

وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا۟ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ﴾: قرأ حمزة: ﴿نقولُ﴾ بالنون والباقون بالياء[١].

أي: ﴿وَ﴾ اذكر لهم يا محمد أحوالَهم وأحوال آلهتهم ﴿يومَ﴾ القيامة إذ ﴿يَقُولُ﴾ الله لهم: ﴿نَادُوا۟ شُرَكَآءِىَ﴾؛ أي: ادعوا ﴿ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾ أنهم شركائي وعبدتُموهم دوني؛ أي: ادعوهم لينفعوكم ولينصروكم ﴿فَدَعَوْهُمْ﴾؛ أي: ففعلوا ذلك ﴿فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ﴾ إلى ما دعوهم إليه.

وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا﴾: قال ابن عباس وقتادة والضحاك وابن زيد رضي الله عنهم: أي: مَهلِكاً[٢]، وقد وَبَقَ وُبوقاً ـ من حدِّ ضرب وعلم جميعاً[٣] ـ: إذا هلك، وأوبَقه غيره: إذا أهلكه، وعلى هذا قول الكلبي: معناه: وجعلنا وصلهم هلاكاً، من قوله: ﴿لقد تَقَطَّع بينكم﴾ [الأنعام: ٩٤]؛ أي: وَصْلُكم، وتقديره: وجعَلْنا تواصُلَهم هلاكاً لهم بعد أن قدَّروا نفعَها وشفاعتَها.

ويحتمِل أن يكون معناه: وجعلنا بينهم وبين آلهتهم من الشياطين مهالكَ[٤] بالنار والعذاب؛ أي: أدخلْنا كلَّهم[٥] النارَ: العابدين والمعبودين، كما قال تعالى: ﴿وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء: ٩٨].

وقال مجاهد وابن جريج: ﴿مَّوْبِقًا﴾: هو واد في جهنم[٦].

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٣٩٣)، و«التيسير» (ص: ١٤٤).

(٢) رواه عنهم الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٢٩٦).

(٣) أي: وَبَقَ يَبِقُ وُبُوقًا، ووَبِقَ يَوْبَقُ وَبَقًا. انظر: «الصحاح» (مادة: وبق).

(٤) في (أ): «مهلكاً».

(٥) في (ف): «أدخلناهم».

(٦) رواه عنهما الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٢٩٦).

وقال عمرٌو البِكالي: هو وادٍ عميقٌ يفصل بين أهل الجنة وأهل النار[١].

وقال عكرمة: هو نهرٌ في النار على حافتيه حياتٌ مثلُ البغال[٢].

يعني: جعلنا بينهم وبين معبودِيهم من الملائكة وعيسى وعُزيرٍ عليهما السلام هذا الواديَ أو النهر، فهؤلاء في الجنة وهؤلاء في النار، يدعونهم فلم يستجيبوا لهم.

وقال الحسن: ﴿مَّوْبِقًا﴾؛ أي: عداوةً يوم القيامة[٣]؛ أي: يتلاعنون[٤] ويتبرأ بعضهم من بعضٍ، وهو من الهلاك أيضاً، فكأن الموبِقَ عداوةٌ مُهلِكةٌ على هذا.

قال نِفطَويه: ﴿مَّوْبِقًا﴾؛ أي: محبِساً، يقال: أَوْبَقْتُه؛ أي: حَبَستُه، وقال النبيُّ ﷺ في المارِّين على الصراط: «ومنهم الموبَقُ بذنوبه»[٥]؛ أي: المحبوس.

❊ ❊ ❊

(٥٣) ـ ﴿وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُواْ عَنْهَا مَصْرِفًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا﴾: أي: علموا وأيقنوا أنهم داخلوها.

وقيل: حين يُجاء بالنار لها تغيُّظٌ وزفيرٌ علموا أنها تأتيهم فتأخذهم.

وقوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَجِدُواْ عَنْهَا مَصْرِفًا﴾: أي: مَعدِلاً.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٢٩٧) عن عمرو البكالي، وعنه عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» كما في «الدر المنثور» (٥/ ٤٠٥) بلفظ: هو نهر في النَّار يسيل ناراً على حافتيه حيات أمثال البغال الدهم فإذا ثارت إليهم لتأخذهم استغاثوا بالاقتحام في النَّار منها.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٢٩٦).

(٤) بعدها في (ر) و(ف): «يوم القيامة».

(٥) () رواه البخاري (٦٥٧٣)، والإمام أحمد في «المسند» (٧٧١٧)، وابن حبان (٧٤٢٩)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وعندهم: «بعمله» بدل: «بذنوبه».

(٥٤) ـ ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾: أي: صرَّفنا القولَ في كلِّ نوع من الأمور، وأتينا فيها بضروب الأمثال، فضربنا مَثَل البعثِ بابتداء الخلق، وبإحياء الأرض بعد موتها، وضربنا مثَل الشرك بالشركاء المتشاكسِينَ ورجلاً سالماً لرجل، وضربنا الأمثال للحق والباطل، والمثَلَ لمن اغتر بالدنيا وتعزَّز بزينتها من المال والولد.

وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾: أي: والمشركون مع هذه الأمثال يُكثرون الجدال من غير علم.

وعن أبي زيد قال: هو خصومة القوم لأنبيائهم، وردُّهم عليهم ما جاؤوا به، وقرأ: ﴿مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ﴾ [المؤمنون: ٣٣] الآيات ﴿يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ﴾ [المؤمنون: ٢٤] الآيات، وقوله تعالى: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنبُوعًا﴾ [الإسراء: ٩٠] الآيات[1].

* * *

(٥٥) ـ ﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّهُمْ﴾: أي: وأن يستغفروا، والهدى: القرآن، والاستغفار: التوحيد.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٣٠٠).

يقول: لم[١] يمنع هؤلاء الكفارَ حين جاءهم الكتابُ الهادي إلى الرشد أنْ يؤمنوا به ويستغفروا لِمَا سلف من ذنوبهم ﴿إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾؛ أي: إلا التماسُهم أن ينزل عليهم من الآيات ما حُكمي في مثلها أنهم إذا لم يؤمنوا بها أنزلت عليهم عذاب[٢] الاستئصال الذي هو سنَّتي في الأولين، أضاف السُّنَّة إليهم لأنها سنَّة الله فيهم.

وقوله تعالى: ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا﴾: قرأ عاصمٌ بضمِّ القاف والباء وهي قراءةُ حمزة والكسائي أيضاً؛ جمع قَبيلٍ بمعنى: ضروب من العذاب، وقرأ الباقون بكسر القاف وفتح الباء[٣]، بمعنى: مقابَلةً ومعايَنةً.

* * *

(٥٦) ـ ﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَمَآ أُنذِرُوا۟ هُزُوًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾: أي: بهذا نرسل المرسلين لا بما التمسوه من الآيات التي تَضطرُّ إلى الإيمان، فلا يكون لها[٤] ثوابٌ ولا يقع به تبشير.

وقوله تعالى: ﴿وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ﴾: أي: إنما يقترح الكفار الآياتِ تعنُّتاً ومجادَلة بالباطل، وقصداً منهم أن يُبطلوا بجدالهم الحقَّ الذي أنزله الله تعالى.

---

(١) في (ف): «ما».

(٢) «عذاب» ليس في (أ) و(ف).

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٣٩٣)، و«التيسير» (ص: ١٤٤).

(٤) في (أ): «بها».

وقوله: ﴿لِيُدۡحِضُواْ﴾؛ أي: ليُزيلوا به الحقَّ من موضعه، من قولهم: دَحَضتْ رجله، أي: زَلِقتْ وزلَّتْ، ومكان دَحْضٌ؛ أي: زَلِق[1].

وقوله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَمَآ أُنذِرُواْ هُزُوٗا﴾: أي: إنذارَهم مما يُهزأ به.

* * *

(٥٧) ـ ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعۡرَضَ عَنۡهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتۡ يَدَاهُۚ إِنَّا جَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗاۖ وَإِن تَدۡعُهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ فَلَن يَهۡتَدُوٓاْ إِذًا أَبَدٗا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ﴾: أي: ومَن أظلم لنفسه وعقله ممن وُعظ بالقرآن المعجز ولم يتَّعظ.

وقوله تعالى[2]: ﴿فَأَعۡرَضَ عَنۡهَا﴾: أي: عن التدبُّر فيها ﴿وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتۡ يَدَاهُ﴾: أي: بترك التدبُّر فيما قدَّم من سوء أعماله[3].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً﴾: أي: أغطيةً مانعةً من ﴿أَن يَفۡقَهُوهُ﴾؛ أي: يفهموه، وهو[4] الخذلان لمَّا علم الله اختيار الضلال منهم.

وقوله: ﴿وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗا﴾: أي: وجعلنا في آذانهم ثقلاً مانعاً أن يستمعوا الحقَّ ويعقلوه؛ خذلاناً لهم على سوء اختيارهم وشُؤم إصرارهم.

وقوله تعالى: ﴿وَإِن تَدۡعُهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ﴾: أي: وإن اجتهدتَ في دعائهم إلى الإيمان.

---

(١) في (أ): «مزلة».

(٢) «ولم يتعظ وقوله تعالى» ليس في (أ).

(٣) في (أ): «عمله».

(٤) في (أ): «وهذا».

﴿فَلَن يَهْتَدُوٓاْ إِذًا أَبَدًا﴾: أي: فلن يَرْشُدوا أبداً، وهذا في قوم بأعيانهم من المتمرِّدين المتعنِّتين[١] الذين عَلِم الله تعالى منهم أنهم لا يؤمنون.

* * *

(٥٨) ـ ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُواْ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ ۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُواْ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ﴾: أي: الساترُ لذنوب العباد، الرحيمُ بترك التعجيل في العقوبة ﴿لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُواْ﴾: لو أراد أخذهم بما فعلوا من الذنوب ﴿لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ﴾: الاستئصال في الدنيا.

﴿بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ﴾: أي: وقت للعذاب إذا جاء ذلك الوقت لم يتأخَّر عنهم.

وقوله تعالى: ﴿لَّن يَجِدُواْ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا﴾: أي: من دون الله ملجأً يلجؤون[٢] إليه ويمتنِعون به إذا نزل بهم العذاب.

وقيل: أي: من دون العذاب؛ أي: لن يجدوا شيئاً يلتجئون إليه سوى العذاب.

وقيل: كان هذا العذاب يوم بدر.

وقال السدِّي: هو يومَ القيامة[٣].

* * *

(٥٩) ـ ﴿وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ﴾: أي: أولئك أهلُ البلاد

---

(١) في (ف): «بأعيانهم متمردين متعنتين».

(٢) في (ف): «يلتجئون».

(٣) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» كما في «الدر المنثور» (٥/ ٤٠٧).

أهلكناهم، وهي القرى التي عرَفوها من قرى قوم لوطٍ وشعيبٍ وعادٍ وثمودَ ونحوِها.

وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا﴾: قرأ عاصم بفتح اللام والميم، وروى حفص عنه بفتح الميم وكسر اللام؛ أي: لهلاكهم، وقرأ الباقون بضم الميم وفتح اللام[1]؛ أي: لإهلاكهم.

﴿مَّوْعِدًا﴾؛ أي: أجلاً.

وقال الحسن: لم يعذِّب الله قوماً إلا بمواعَدةٍ تواعَدَهم، ألا تسمعه يقول: ﴿تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾ [هود: ٦٥] وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾ [هود: ٦٥] ويقول: ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾ [هود: ٨١][2].

* * *

(٦٠) - ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ﴾: أي: واذكر يا محمدُ لهؤلاء المشركين المتكبِّرين على فقراء المسلمين قصةَ موسى وتواضُعَه للَّذي ذهب إليه يتعلم منه.

وفيه: تقريعُهم على تكبُّرهم ومدحٌ للمؤمنين على تواضعهم.

وفيه أيضاً: تعريف أهل الكتاب والمشركين أن خفاءَ حال أصحاب الكهف

---

(١) قرأ أبو بكر عن عاصم بفتح الميم واللام، وحفص عنه بفتح الميم وكسر اللام، وباقي السبعة بضم الميم وفتح اللام. انظر: «السبعة» (ص: ٣٩٣)، و«التيسير» (ص: ١٤٤).

(٢) في (ف): «وقال تعالى». وقد ذكره الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (٧/ ١٨٩).

وذي القرنين على محمد ﷺ وتأخُّرَ الوحي عنه لا يدلُّ على أنه ليس بنبيٍّ، فإن موسى عليه السلام كان نبيًّا اصطفاه الله تعالى بكلامه، ثم ذهب عليه من العلم ما علِمه غيرُه حتى احتاج إلى الارتحال إليه وطلبه منه.

وقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ ﴾: أي: موسى بنُ عمران، وهو قول أكثر الصحابة والتابعين وعامةِ المفسرين رضوان الله عليهم أجمعين.

وقوله: ﴿لِفَتَـٰهُ﴾ وهو يوشع بن نون، وعليه الأكثر، وهو ابنُ أخت موسى.

وقال الحسن: ﴿لِفَتَـٰهُ﴾؛ أي: لعبده.

وقال محمد بن إسحاق: هو موسى بن ميشا بن يوسف، وكان نبيًّا في بني إسرائيل قبل موسى بن عمران، وزعم أهل التوراة أنه هو الذي طلب العلم عند الخضر(١).

وقيل لابن عباس رضي الله عنهما: إن نوفاً البكاليَّ ابنَ امرأةِ كعبِ الأحبار يزعُم عن كعبٍ أن موسى بن ميشا بن يوسف هو الذي طلب العلم؟! فقال ابن عباس: كذَب نوفٌ، حدثني أبيُّ بن كعب عن النبيِّ ﷺ: «أن موسى بن عمران صلوات الله عليه سأل ربَّه عز وجل فقال: يا رب، إن كان في عبادك أحدٌ أعلمَ مني فادْلُلْني عليه، فقال له: نعم، في عبادي من هو أعلم منك، ثم نعت مكانه وأذِن له في لقائه، فخرج موسى عليه السلام ومعه فتاه يوشع بن نون...»، وذكر الحديث(٢).

---

(١) رواه عنه الحاكم في «المستدرك» (٤٠٩٣)، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٣٢١)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٥/ ١٦٤). ووقع في مطبوع «النكت»: (موسى بن منشى). وهذا القول قال عنه ابن الجوزي: ليس بشيء؛ للحديث الصحيح. قلنا: سيأتي لاحقاً.

(٢) هذا بداية حديث طويل رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٣٢٦ ـ ٣٢٩). وهو بنحوه في «صحيح البخاري» (١٢٢)، و«صحيح مسلم» (٢٣٨٠).

وقال محمد بن إسحاق: يوشعُ بن نون هو الذي نبأه الله في زمن موسى وبعده، وهو الذي افتتح لموسى[١] أريحا وقتل جبابرتها، وله رُدت الشمس يومئذ.

وقوله تعالى: ﴿لَآ أَبۡرَحُ﴾؛ أي: لا أزال أسير.

وقيل: أي: لا أزايلُ سيري، وفي قوله: ﴿فَلَنۡ أَبۡرَحَ ٱلۡأَرۡضَ﴾ [يوسف: ٨٠]؛ أي: لا أزايل مقامي.

﴿حَتَّىٰٓ أَبۡلُغَ مَجۡمَعَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ﴾: قال قتادة: بحر الروم مما يلي المغربَ، وبحر فارسَ مما يلي المشرقَ. وقال محمد بن كعب: طنجة[٢].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: مجمع البحرين الخضر وإلياس، وهما بحران في العلم[٣].

وقوله تعالى: ﴿أَوۡ أَمۡضِيَ حُقُبٗا﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: أي: دهراً. وقال قتادة: زماناً[٤].

وقيل: هو سنةٌ بلغة قيس.

وقال مجاهد: سبعون سنةً. وقال عبد الله بن عمرو: ثمانون سنةً[٥].

---

(١) «لموسى» ليس من (ف). وقد ذكر الطبري في «تاريخه» (١/ ٢٥٧) خلافاً بين السلف: هل كان مسير يوشع إلى أريحا لقتال الجبارين في حياة موسى أو بعده؟

(٢) رواهما الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٣٠٨ـ٣٠٩).

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٣٢٢) عن السدي. وهذا قول لا يلتفت إليه، وهو أقرب لكلام أهل الإشارة، وهو مردود بنص القرآن، حيث قال تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجۡمَعَ بَيۡنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلۡبَحۡرِ سَرَبٗا﴾.

(٤) رواهما الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٣١١).

(٥) رواهما الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٣١٠).

قيل: لمَّا أعلمه الله حال الخضر ولم يُعْلمه موضعَه بعينه، وإنما جعل له علامةً، أَخبر أنه قد وطَّن نفسه على طلبه وإن احتاج إلى قطع مسافة بعيدةٍ وتَزْجيَةِ مدةٍ طويلة.

* * *

(٦١) ـ ﴿ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا ﴾: أي: انطلقا حتى بلغا مجمع البحرين.

وقوله تعالى: ﴿نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾: أي[1]: الحوتَ الذي كانا تَزوَّدانه، وشاهَد ذلك يوشعُ، وكان موسى بحيث لم يَرَه، وارتحلا من ذلك الموضع ونسي يوشع أن يذكر ذلك لموسى.

ثم[2] قوله: ﴿نَسِيَا﴾ مع أن الناسي يوشعُ وحده، فعند الفراء طريقُه طريقُ قولِه تعالى: ﴿ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴾ [الرحمن: ٢٢] وهو يخرج من المالح دون العذب[3]، وقولِه تعالى: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ ﴾ وهو من الإنس دون الجن.

وقيل: كانا معاً تزوَّدا للحاجة إليه في سفرهما، وفي هذا وإن كان في يد أحدهما تضاف الأفعال إليهما، يقول الرجل: كنا في سفرٍ كذا ومعنا[4] من الزاد كذا، ولما كنَّا بمرحلةِ كذا نسينا الزاد هناك، وإن كان الزاد في يد مَن يقوم بأمر الرفقة؛ لاتفاقهم على ذلك.

---

(١) بعدها في (ر) و(ف): «دخل البحر».

(٢) «ثم» ليس من (أ).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ١٥٤).

(٤) في (أ): «ومعي»، وفي (ر) و(ف): «ومعناه». والصواب المثبت.

وقوله تعالى: ﴿فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا﴾: اختلف في معناه:

قال ابن عباس رضي الله عنهما: أي: جَعل سبيله في البحر كالسرب؛ أي: النفقِ[١] الذي يُدخل فيه فيُسلك منه إلى موضع.

وقال أبو عبيدةَ وقطربٌ والأخفش: ﴿سَرَبًا﴾؛ أي: مسلكاً ومذهباً يُسرب[٢] فيه؛ كما قال: ﴿وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ﴾ [الرعد: ١٠][٣]، وقد سرَب سُروباً؛ أي: مضى وذهب.

وقيل: صار طريقه كالطاق.

وقيل: بل جمد طريقه حتى سلك فيه[٤].

وقيل: بل صار حجراً مضى عليه[٥].

وقال ابن زيد: حيي الحوت في البطحاء بعد موته، ثم مشى على البطحاء إلى البحر، فذلك هو السرب[٦]؛ أي: الطريق على البطحاء إلى البحر، ثم انغمس فيه.

وقيل: كان يغسله على الشط فوثب فانسرب في الماء.

وقال أبو مالك: أوحَى الله تعالى إلى موسى عليه السلام: إن لي عبداً هو أعلمُ

---

(١) في (ر): «الشق»، وفي (ف): «النشف».

(٢) في (ف): «يسلك».

(٣) انظر: «مجاز القرآن» (١/ ٤٠٩).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٣١٤) عن قتادة، ولفظه: (فجعل لا يسلك فيه طريقا إلا صار ماءً جامداً)، فلعل الصواب في عبارة المؤلف: (... حين سلك فيه). وكثيراً ما يقع الاشتباه بين (حتى) و(حين) في النسخ.

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٣١٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٣١٥).

منك فاطلبه، قال: وما علامته؟ قال: تنطلق معك بزاد وتخرج في طلبه فإذا تعبتَ في سفرك...»[١].

وفي حديث سفيان عن عمرو قال: «تأخذ حوتاً فتجعله في مكتلٍ، فحيثما فقدتَ الحوتَ فهو ثَمَّ»[٢]، فانطلق موسى ويوشعُ وحملا معهما خبزاً ولحماً[٣]، وأقبلا من الشام حتى أخذا بحر أرمينية.

وفي حديث أبي مالك عن ابن عباس رضي الله عنهما: تزودا أربعةَ أرغفةٍ في مكتلٍ وسمكةً مالحةً[٤].

وفي حديث العَوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما: أوحى الله إليه أن ائتِ البحر فإنك تجد على شاطئ البحر حوتاً، فخذه وادفعه إلى فتاك ثم الزَمْ شطَّ البحر، فإذا نسيت الحوت فتجد[٥] العبد الصالح الذي تطلبه، تجده عند الصخرة[٦].

فانتهيا إلى الصخرة، ثم وضع موسى رأسه، فقام يوشع وقال: لو أني غسلتُ هذه السمكةَ من هذا الماء[٧] يأكل منها نبيُّ الله، فغسلها وكانت عينٌ في البحر تدعى:

---

(١) ذكره أبو الليث السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٣٥٣) عن السدي.

(٢) قطعة من رواية البخاري (٣٤٠١)، ومسلم (٢٣٨٠/ ١٧٠) من طريق سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، عن أبي بن كعب، عن النبي ﷺ.

(٣) في (ف): «صِرَارَ لحم» بدل: «خبزاً ولحماً». وفي روايات الصحيحين أنهما حملا حوتاً في مكتل.

(٤) لم أجده، وانظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٥٩٣)، وفيه: (ومعهما خبز وسمكة مالحة في مكتل).

(٥) في (أ) و(ف): «فثم تجد».

(٦) قطعة من خبر طويل رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٣٣٠) من طريق عطية عن ابن عباس رضي الله عنهما، وإسناده ضعيف.

(٧) في (أ): «الملح».

عين الحيوان، فلما غسلها اضطرب الحوت فوقع في الماء فذهب، فانجاب[١] الماء فصار مثل السرب.

وفي حديث السدي: فصار أثره في الماء جامداً[٢].

وفي حديث سفيان عن عمرو: «فأمسك الله جريةَ الماء عليه مثلَ الطاق»[٣].

* * *

(٦٢) ـ ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا﴾: أي: تعدَّيا ذلك الموضعَ الذي سربه الحوت في الماء ﴿قَالَ لِفَتَىٰهُ﴾؛ أي: قال موسى لصاحبه يوشع: ﴿ءَاتِنَا غَدَآءَنَا﴾؛ أي: ائتنا بغدائنا.

وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾: أي: تعباً، والجوعُ يَقْوَى معه.

وفي حديث سفيان عن عمرو: «فانطلقا يمشيان، فلما كان من الغد وجد موسى النَّصَب، ولم يجد النَّصَب حتى جاوز المكان الذي أمره الله تعالى به»[٤].

* * *

(٦٣) ـ ﴿قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا﴾.

---

(١) بعدها في (أ): «البحر».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٣١٤) عن قتادة، وقد تقدم قريباً. وورد نحوه في رواية عطية عن ابن عباس الذي تقدمت قطعة منه قريباً.

(٣) قطعة من رواية البخاري (٣٤٠١)، ومسلم (٢٣٨٠/ ١٧٠) من طريق سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، عن أبي بن كعب، عن النبي ﷺ.

(٤) انظر التعليق السابق.

﴿قَالَ﴾: أي: يوشع: ﴿أَرَءَيْتَ﴾ استفهام بمعنى التقرير، وظاهره: أعلمتَ، ومعناه: اعلم أنه كان كذا.

وقوله تعالى: ﴿إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ﴾: أي: التجأنا إليها للاستراحة ﴿فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ﴾؛ أي: نسيت أمر الحوت أن أذكره لك ﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ﴾ بإلقاء الخواطر في القلب.

﴿وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ﴾: من كلام يوشع في الإخبار عن حال الحوت.

وقوله تعالى: ﴿عَجَبًا﴾ له وجوهٌ:

قيل: هو تمامُ كلام يوشع؛ أي: اتَّخذ سبيله في البحر اتخاذاً عجباً، وهذا مما يُتعجَّب منه إذ صار كالطاق.

وقيل: قوله: ﴿عَجَبًا﴾ قول موسى؛ أي: يا[1] عجباً من هذا، وقيل: عجباً من نسيانك هذا الأمر العجيبَ أن تذكُرَه لي.

وقال الحسن: بينهما وقفٌ حسنٌ لهذا[2].

وعن[3] ابن عباس رضي الله عنهما: أن قوله: ﴿وَٱتَّخَذَ﴾ من كلام الله تعالى، و(اتَّخذ) فعلُ موسى، معناه: وعَدَّ موسى سلوكَ الحوت في البحر بهذا الطريق عجباً، وكذا لفظ مجاهد وقال: موسى تَعجَّبَ من أثر الحوت[4].

---

(١) «يا» ليست في (ف).

(٢) ذكره عن الحسن الداني في «المكتفى في الوقف والابتدا» (ص: ١٢٥). ويردُّ هذا القول تأخير ﴿قَالَ﴾ عن ﴿عَجَبًا﴾ كما ذكر ابن كمال باشا في «تفسيره» عند هذه الآية.

(٣) في (أ): «ولهذا قال».

(٤) رواهما الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٣١٧ ـ ٣١٨).

وروى أبيُّ بن كعب عن رسول الله ﷺ: «فكان البحر للحوت سَرَباً ولموسى وفتاه عجَباً»(١).

وقيل: ﴿وَاتَّخَذَ﴾ هو فعلُ يوشع؛ أي: وعَجِبَ يوشع وموسى من سَرَبِ(٢) الحوت في البحر.

* * *

(٦٤) ـ ﴿قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ﴾: أي: قال موسى ليوشع: هو الذي كنا نطلبُه؛ لأن ذهاب الحوت كان جُعل علماً له على وجود الخضر، و﴿ذَلِكَ﴾ يصلح إشارةً إلى انسراب الحوت فإنه جُعل عَلَماً، ويصلح إشارة إلى المكان فإن وجود الخضر كان فيه.

وقوله تعالى: ﴿فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾: أي: فرجع موسى ويوشع ﴿عَلَى آثَارِهِمَا﴾؛ أي: على طريقهما الذي جاءا منه، وقوله: ﴿قَصَصًا﴾؛ أي: اتِّباعاً لذلك الأثر لا يزولان عنه.

* * *

(٦٥) ـ ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا﴾: أي: وجَدا هنالك ذلك المطلوب.

وقوله تعالى: ﴿آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا﴾: قيل: أي: نبوَّةً، كما قال: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾ [الزخرف: ٣٢].

---

(١) قطعة من رواية البخاري (٤٧٢٥)، ومسلم (٢٣٨٠/ ١٧٠).

(٢) في (أ): «تسرب».

وقوله تعالى: ﴿وَعَلَّمۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلۡمٗا﴾: أي: عِلماً من عِلْمنا لم نعلِّمه غيرَه، وهو دليل على نبوته، وكذلك قوله: ﴿وَمَا فَعَلۡتُهُۥ عَنۡ أَمۡرِيۚ﴾.

وقيل: العلم اللدُنيُّ: ما حصل للعبد من طريق الإلهام.

وقال الإمام القشيري رحمه الله: هو ما لا يجد صاحبه سبيلاً إلى جَحْده ولا دليلاً على صحته[١].

وقال الضحاك: لمَّا رجعا وأتَيَا تلك الصخرةَ التي جلسا عندها، فإذا البحر فيه الحوت، فرجع الحوت مُدْبِراً في البحر، ثم أقبل ثم انطلق، فاتَّبعه موسى، فلما تحرك في الماء صار له حجراً وتبعه[٢] موسى حتى انتهى إلى العبد الصالح.

وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما: فإذا رجل على شاطئ البحر ملتفٌّ بكساء[٣].

وفي حديث أبي العالية: وجده قائماً في جزيرة من جزائره[٤].

وقال الكلبي: وجده قائماً يصلِّي.

وفي حديث عثمان بن أبي سليمان: «رآه على طِنْفِسةٍ خضراءَ على وجه الماء»[٥].

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٤٠٨).

(٢) في (ف): «ومعه».

(٣) ورد بنحوه في الصحيحين، ولفظه: «فَلَمَّا انْتَهَيَا إِلَى الصَّخْرَةِ، إِذَا رَجُلٌ مُسَجًّى بِثَوْبٍ» أو قريب من هذا، وانظر التعليق الآتي.

(٤) رواه عبد بن حميد كما في «الفتح» (٨/ ٤١٧)، قال الحافظ: (ولعبد بن حميد من طريق أبي العالية: فوجده نائماً في جزيرة من جزائر البحر ملتفًّا بكساء).

(٥) قطعة من رواية البخاري (٤٧٢٦) من طريق ابن جريج، عن يعلى بن مسلم وعمرو بن دينار، عن سعيد ابن جبير، عن ابن عباس، عن أبيٍّ، عن النبي ﷺ، وفيه: «فرجَعَا فوجَدا خَضِرًا ـ قال لي عثمان بنُ أبي =

وفي حديث أبي مالكٍ: وجده قائماً يصلِّي في مِدْرعةِ صوفٍ وكساءٍ، يصلِّي عند[1] الصخرة، وإذا العشبُ قد نبت وغطَّى قدميه، وسمي الخضر لذلك؛ لأنه حيث كان[2] تَنبت الخضرة[3].

وقال وهبٌ: قال موسى: يا ربّ، هل آتيتَ عبداً من عبادك من العلم[4] ما لم تؤتِني؟ فأوحَى الله إليه: نعم هو[5] عبدٌ من عبيدي يقال له: إيليا، يعبدني في جزيرةٍ من جزائر البحر ـ قد سماها له ـ قال: يا ربّ، فأْذَنْ[6] لي في لُقيِّه، فأَذِنَ له، وذلك في زمان التِّيه، فانطلق مع يوشع حتى انتهى إلى البحر، ووكَّلَ الله تعالى حوتاً من حيتان البحر يدلُّهما على مكانه، فسايرهما في البحر كأنه كوكبٌ درِّي، وأوحى الله إليه: إنك[7] إذا فقدتَ الحوت فإن صاحبك حيث يتغيَّب عنك الحوت..، وذكر القصة إلى أن قال: فدخلا في السَّرب حتى انتهيا إلى موضع الخضر، فإذا هو في روضة خضراء عليه

= سليمانَ ـ على طِنْفِسَةٍ خضراءَ، على كَبِد البحر». قال الحافظ في «الفتح» (٨/ ٤١٧): (القائل هو ابن جريج، وعثمان هو ابن أبي سليمان بن جبير بن مطعم، وهو ممن أخذ هذا الحديث عن سعيد بن جبير. وروى عبد بن حميد من طريق ابن المبارك عن ابن جريج عن عثمان بن أبي سليمان قال: رأى موسى الخضر على طنفسة خضراء على وجه الماء، انتهى. والطنفسة: فرش صغير).

(١) في (ف): «على».

(٢) في (ف): «قام».

(٣) لم أجده، وروى البخاري (٣٤٠٢)، والترمذي (٣١٥١)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّما سمِّيَ الخَضِرُ خَضِرًا لأنَّه جلسَ على فروةٍ بيضاءَ فاهتزَّتْ تحتَه خضراء»

(٤) «من العلم» ليس من (أ).

(٥) «نعم هو» ليس من (ف).

(٦) في (ف): «تأذن».

(٧) في (ف): «أن».

ثيابٌ خضر قائمٌ يصلي، فسلم موسى ويوشع عليه فرد عليهما السلام[1].

وفي روايةٍ قال: وعليك السلام يا نبيَّ بني إسرائيل، قال: ومَن أدراك بي؟ قال: أدراني بك مَن أدراك بي ودلَّك عليَّ، قال: فما الذي جاء بك؟ قال: جئتُك لتعلِّمني مما عُلِّمتَ رُشداً[2]، وذلك قوله تعالى:

* * *

(٦٦) ـ ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾.

﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾: وفيه تعليمُ التواضع لمن طلب العلم من غيره، فإنه غايةُ التواضع من موسى، فإنه بدأ بالاستفهام والاستئذان، ووصف نفسه بالاتِّباع، ومدَحه بالعلم، وأظهر الرغبة فيما عنده من العلم.

وفي رواية: قال له الخضر في جواب هذا: لك في التوراة علمٌ وفي بني إسرائيل شغلٌ.

* * *

(٦٧) ـ ﴿قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا﴾.

ثم ﴿قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا﴾: أي: يَثقل عليك الصبرُ على ما تَرى مني؛ لأنك تنظر إلى ظاهر ذلك الأمرِ، وربما يكون فيه سرٌّ لا يكون لك عليه اطِّلاع، وذلك قوله:

---

(١) لا شك أنه من الإسرائيليات، ويكفيه رداً مخالفته للمتفق عليه من الروايات.

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٦/ ١٨٢ ـ ١٨٣) عن ابن عباس، وبنحوه عبد بن حميد عن الربيع بن أنس كما ذكر الحافظ في «الفتح» (٨/ ٤١٧)، وقال: وهذا إن ثبت فهو من الحجج على أن الخضر نبي، لكن يُبعد ثبوته قوله في الرواية التي في الصحيح: «مَن أنت؟ قال: أنا موسى، قال: موسى بني إسرائيل؟» الحديث.

(٦٨) ـ ﴿ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴾.

﴿ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴾: أي: على ما لم تعلم وجهَه؛ لاتِّصال ما أفعلُه بمعرفة العواقب التي لا يحيط بها علماً إلا مَن علَّمه الله إياها.

***

(٦٩) ـ ﴿ قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴾.

﴿ قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴾: الاستثناء على الأمرين للواو، وهو كقوله تعالى: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ ﴾ [الأحزاب: ٣٥]، وهذا تواضعٌ آخرُ بعد تمنُّعٍ كان من الخضر.

ثم تحكَّم عليه من وجهٍ آخرَ ثانياً، وذلك قوله تعالى:

***

(٧٠) ـ ﴿ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾.

﴿ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾: أي: عن شيء تراه وتُنكره لظاهره، فلا تُراجِعْني فيه ﴿حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾؛ أي: بياناً لوجهه.

***

(٧١) ـ ﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ فَٱنطَلَقَا ﴾: أي: فسارا، قال وهبٌ: فمشيَا على ساحل البحر.

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ﴾: مرت بهما سفينةٌ وثيقةٌ جديدةٌ،

فسألا أهلها أن يحملوهما ففعلوا(١)، فلما اطمأنَّا في السفينة ولجَّجت(٢) بأهلها ﴿خَرَقَهَا﴾؛ أي: الخضرُ.

وكانت لمساكين، وكانوا عشرةَ إخوةٍ زَمْنَى لم يكن لهم معيشةٌ غيرها، وكانت مأواهم ورثوها من أبيهم(٣)، وكان خمسةٌ منهم يعملون فيها وخمسةٌ لا يطيقون العمل، فأما العمالُ منهم فكان أحدهم مجذوماً، والثاني أعورَ، والثالث أعرجَ، والرابع آدَرَ، والخامس محموماً الدهرَ كلَّه وهو أصغرُهم، والخمسة التي لا يطيقون العمل مُقعَدٌ وأعمى وأصمُّ وأخرسُ ومجنونٌ، وكان البحر الذي يعملون فيه(٤) ما بين بحر فارسَ والروم(٥)، وكان جُلَنْدى ملكاً يأخذ كلَّ سفينة غصباً.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا﴾: قرأ حمزة والكسائي: ﴿لِيَغْرَقَ﴾ بياء التذكير والمغايَبة و﴿أهلُها﴾ بالرفع إضافةً للفعل إليهم، وقرأ الباقون: ﴿لِتُغْرِقَ﴾ بضم التاء التي هي للخطاب ﴿أَهْلَهَا﴾ بالنصب إضافة الفعل إلى الخضر(٦).

وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾: قال مجاهد وقتادة: منكراً.

وقال أبو عبيدة: أي: داهية عظيمة، وأنشد:

قد لقي الأقرانُ منِّي(٧) نكراً داهيةً دهياءَ إدًّا إمراً(٨)

---

(١) في (أ): «فقبلوا».

(٢) في (ف): «وولجت». ولججت السفينة: خاضت اللجة.

(٣) في (أ): «آبائهم».

(٤) في (ف): «الذي فيه السفينة».

(٥) في (أ): «إلى بحر الروم».

(٦) انظر: «السبعة» (ص: ٣٩٥)، و«التيسير» (ص: ١٤٤).

(٧) في (أ): «منه»، وفي (ر) و(ف): «منك». والمثبت من «مجاز القرآن».

(٨) انظر: «مجاز القرآن» (ص: ٣٩٥).

وقال أبيٌّ بن كعب رضي الله عنه: أخرج منقاراً له ومطرقةً، ثم عمَد إلى ناحية منها فضرب فيها حتى خرَقها، ثم أخذ لوحاً فطبَّقه عليها، ثم جلس يَرْقَعُها، فقال له موسى ذلك[١].

وقال الكلبي: أخذ فأساً ومنقاراً وفعل ذلك.

وقال مقاتل: خرَق بقَدُوم[٢].

وقال شعيب بن الحَبْحاب: خرقها وكان الخضر لا تراه عينٌ إلا مَن أراد الله تعالى أن يُرِيَه إياه، فخرقها ولم يره إلا موسى، ولو رآه القوم حالوا بينه وبين ذلك[٣].

ورُويت بوجوهٍ أُخر.

***

(٧٢) ـ ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾.

﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾: أي: تحقَّق ما قلتُ لك.

***

(٧٣) ـ ﴿قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ﴾: قال ابن عباس رضي الله عنهما: أي: بما تركتُ من شرطِكَ[٤].

---

(١) قطعة من حديث طويل رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٣٢٦ ـ ٣٢٩) من حديث ابن عباس عن أبي بن كعب عن النبي ﷺ.

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٥٩٥).

(٣) رواه ابن المنذر وابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» (٥/ ٤٢٥).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٣٣٩) بلفظ: بما تركت من عهدك.

وقال أبي بن كعب: هو النسيان حقيقةً[١]، ولعله نسي ذلك لشدة ما ورد عليه من خرق السفينة.

وقيل: هو تعريض؛ فإنه لم يقل: نسيتُ هذا الشرط منك، ولكنْ أَطلق وقال: ﴿لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ﴾ وهو يحتمِل نسيانَ أمر آخرَ سوى هذا.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾: أي: لا تُعسِّر عليَّ، وقد رَهِقه الشيء؛ أي: غشيَه وأدركه، وأَرهقه غيره.

* * *

(٧٤) ـ ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ﴾: قال وهبٌ: انتهوا إلى الملك الذي كان[٢] يأخذ كلَّ سفينة صحيحة[٣] غصباً، فنظر إلى سفينتهم مخروقةً قد عابوها فخَلَّى عنها، فلما جاوزهم سدَّ الخضر السفينةَ وسلَّمها إليهم، وخرجا من السفينة يمشيان، فانطلقا على وجوههما حتى أتيا أيلةَ، وهي قرية[٤] من قرى الروم، فإذا هما بغلمان عشرةٍ يلعبون وفيهم غلامٌ هو أصغرهم، وليس فيهم أظرفُ ولا أضوأُ منه، فأخذ الخضر بيد الغلام وأخذ حجراً فرضخ به رأسه وقتله.

وفي رواية سعيد بن جبير: فاقتلع رأسه بيده.

---

(١) قطعة من حديث ابن عباس عن أبي بن كعب عن النبي ﷺ، رواه البخاري (٤٧٢٥)، ولفظه: وقال رسولُ الله ﷺ: «وكانت الأُولى من موسى نسيانًا».

(٢) في (ر) و(ف): «وكان»، بدل: «الذي كان».

(٣) «صحيحة» ليست في (أ).

(٤) «قرية» ليست في (أ) و(ف).

وفي رواية كعب: فوكزه فقتله.

فرأى موسى أمراً عظيماً لا صبر له[(١)] على مثله، فقال: ﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً﴾: قرأ ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي: ﴿زَكِيَّةً﴾، وقرأ الباقون: ﴿زاكِيَةً﴾[(٢)]؛ أي: طاهرةً بريئةً من الذنوب.

﴿بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ أي: من غيرِ أن قتلتْ نفساً.

وقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا﴾ أي: منكراً، قال قتادة: النكر أشد من الإمر[(٣)]، والأول كان فيه وهمُ الهلاك وفي هذا حقيقةُ الإهلاك[(٤)].

وقيل: بل الإمر أشدُّ؛ لأنه الأمر العظيم، وكان ذلك إتلافَ نفوس كثيرة غالباً، وهذا إتلاف نفسٍ واحدة.

* * *

(٧٥) - ﴿۞ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾: أَذكَره[(٥)] ما كان ﴿قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا﴾؛ أي: بعد هذه المرة، أو هذه المسألة ونحوها.

وقيل: أي: بعد النَّفْس التي قتلتَها.

﴿فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا﴾: أي: صرتَ معذوراً بمفارقتي.

---

(١) «له» زيادة من (ف).

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٣٩٥)، و«التيسير» (ص: ١٤٤).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٣٤٢).

(٤) في (أ) و(ف): «الهلاك».

(٥) في (أ): «أذكر». وفي (ف): «أذكره».

قال الحسن: كان ذلك الغلام رجلاً كافراً[١]؛ أي: بالغاً، وسمي غلاماً لاغتلامه؛ أي: شدَّةِ شَبَقه، فكان اسماً للشاب وكذلك الرجل[٢]، يقال: رأي الشيخ خير من مشهد[٣] الغلام، فيقابَلُ الشيخ به، ومقابلُه الشابُّ دون الصبي.

وروى أبيُّ بن كعب عن النبي ﷺ أنه كان كافراً[٤].

وقال الكلبي: كان فتًى بين قريتين أبوه من عظماء أهلِ إحداهما، وأمُّه من عظماء أهل القرية الأخرى، وكان يقطع الطريق بينهما ويأخذ المتاع[٥]، فعلى هذا كان قتلُه بقطع الطريق.

قال وهب: كان اسم أبيه: ملاس، واسم أمه: رُحْمى[٦].

وعن أبي[٧] إسحاق: أنه كان غيرَ بالغ، وكان طُبع كافراً، ولو أدرك أَرهق[٨] أبويه طغياناً وكفراً[٩].

---

(١) ذكره البغوي في «تفسيره» (٥/ ١٩١) دون كلمة: «كافراً». وهذا مخالف لما في الصحيح حديث ابن عباس عن أبي بن كعب عن النبي ﷺ، رواه البخاري (٤٧٢٥)، وفيه: (... إذ أبصرَ الخضرُ غلامًا يَلعبُ مع الغِلمانِ...).

(٢) «الرجل» من (ف).

(٣) في (ف): «رأي». والمثبت من باقي النسخ، وهو موافق لما في «تفسير الرازي» (٢١/ ٤٨٦).

(٤) رواه مسلم (٢٦٦١) بلفظ: «طُبع كافراً»، والفرق واضح بينه وبين لفظ المؤلف، وللحديث بقية ستأتي قريباً.

(٥) ذكره عن الكلبي بنحوه الثعلبي في «تفسيره» (٦/ ١٨٤)، والماوردي «النكت والعيون» (٣/ ٣٣٣)، والكرماني في «غرائب التفسير» (١/ ٦٧١)، والقرطبي في «تفسيره» (١٣/ ٣٣٠).

(٦) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٦/ ١٨٤).

(٧) في (ف): «ابن».

(٨) في (ف): «لرهق».

(٩) رواه مسلم (٢٦٦١) من طريق أبي إسحاقَ، عن سعيد بن جبيرٍ، عن ابن عباسٍ، عن أُبيٍّ بن =

وقتلُ الصغير إنما لا يجوز لعدم إذن الشرع به، وكان الله تعالى أذن للخضر بذلك، ولذلك قال: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى﴾ وليس الأمر بقتله أكبرَ من إماتته، والله تعالى يميت الصغار، وله أن يحكُم في عباده بما يشاء.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أيضاً: أنه كان غيرَ بالغ[1].

* * *

(٧٧) ـ ﴿فَانطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْا۟ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ ۖ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَانطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا﴾: قال وهب: كانت قريةً من قرى الروم حين غربت الشمس، وكانت ليلةً شاتيةً شديدةَ البرد، فانطلقا[2] فطلبا إلى أهل القرية أن يضيِّفوهما ﴿فَأَبَوْا۟ أَن يُضَيِّفُوهُمَا﴾؛ أي: امتنعوا أن يُنزلوهما ضيفين ويطعموهما.

وقوله تعالى: ﴿فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ﴾: أي: فوجدَا فيها حائطاً على ظهر الطريق مائلاً يمرُّ تحته أهل تلك القرية وغيرُهم لا طريق لهم غيرُه، وكان بناه رجل صالح، فلم يزل يرثُ ذلك الحائط قرنٌ بعد قرنٍ حتى ورثه أبو الصغيرين، وكان سمك الحائط في السماء مئتي ذراع بذراع ذلك القرن، وطوله على وجه الأرض خمس مئة ذراع، وعرضُه خمسون ذراعاً، فمال الحائط من أسفله حتى كاد

= كعبٍ عن النبي ﷺ.

(١) ورد هذا في حديث ابن عباس عن أبي بن كعب عن النبي ﷺ، رواه البخاري (٤٧٢٥)، وفيه: (... إذ أبصرَ الخضرُ غلامًا يَلعبُ مع الغِلمانِ...).

(٢) «فانطلقا» ليست في (أ).

يسقطُ، وذلك قولُه تعالى: ﴿يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ﴾؛ أي: يقارِبُ أن ينكسر ويسقطَ، وذلك مجازٌ وتشبيهٌ بحالِ المريد للفعل في الثاني[1]، قال الشاعر:

يريـد الرمــحُ صــدرَ أبــي بــراءٍ ويرغــبُ عن دمـاءِ بنـي عَقيلِ[2]

والانقضاض: السقوط، وقوله: ﴿فَأَقَامَهُۥ﴾؛ أي: قوَّمه.

وقولـه تعالـى: ﴿قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ قـرأ ابـن كثيـر وأبـو عمـرو: ﴿لَتَخِـذْتَ﴾ بالكسـر مـن بـاب عَلِـم، والتـاءُ فـاء فَعِـلَ[3].

فلما رأى الخضر الجدار رفعه[4] بمنكبيه ويديه حتى أقامه، فقال له موسى عليه السلام: استطعمناهم فأبوا أن يطعمونا ﴿لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ في عمله حتى يكون قُوتاً على سفرنا هذا، وتتصدَّق ببعضه.

* * *

(٧٨) ـ ﴿قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾.

وقوله تعالـى: ﴿قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾: قيـل: القرية أرمينيـة، وقيل: أنطاكية، وقيـل: بَرْقـة، وقيـل: أرض بربـر، وقيـل: جـروان، وقيـل: باجـروان[5]، وقيـل: هي بناحيـة الأندلس.

---

(١) «في الثاني» ليس من (ف).

(٢) البيت في «مجاز القرآن» (١/ ٤١٠) ونسبه للحارثي، و«تأويل مشكل القرآن» (ص: ٨٦)، و«تفسير الطبري» (١٥/ ٣٤٧)، و«معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٣٠٦)، و«الصناعتين» للعسكري (ص: ٢٧٧).

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٣٩٦)، و«التيسير» (ص: ١٤٥).

(٤) في (أ) و(ر): «رفع الجدار».

(٥) في (أ): «خروان»، وفي (ف): «باحروان».

وقوله تعالى: ﴿فَأَبَوْاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا﴾ قيل: ولم يدعوهما ينزلان في القرية.

وقال كعب: وجاءت امرأة إليهما بطعام وقالت: إن رجالنا في أخلاقهم شدةٌ فلم أستطع أن أضيِّفكما، فهذا طعامي فكُلَا منه، فدعا الخضر لنسائهم بالبركة ولعن رجالهم.

ثم قال الخضر لموسى: أمَا إذا لم تستطع أن تصبرَ فسأخبرُك ﴿هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾؛ أي: سببُ فراقِ وَصْلي ووَصْلِك.

وقوله تعالى: ﴿سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾: وفي رواية: أخذ موسى بطرف ثوبه فقال: حدثني[1]، فقال:

* * *

(٧٩) ـ ﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِي ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾.

﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ﴾: وهم ممن ذكرنا من الإخوة العشرة.

﴿يَعْمَلُونَ فِي ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾: أي: أجعلَها ذاتَ عيبٍ لئلا يأخذَها الملك الغاصب، وهو قوله:

﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ﴾ قال ابن عباس والسدي وقتادة والفرَّاء وأبو عبيدةَ رحمهم الله: أي: أمامهم[2]، كما قال تعالى: ﴿وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا﴾ [الإنسان: ٢٧]، وقال: ﴿مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ﴾ [الجاثية: ١٠]، وقال لبيد:

---

(١) انظر: «البسيط» (١٤/ ١١٢).

(٢) انظر: «مجاز القرآن» (١/ ٤١٠) و«معاني القرآن» للفراء (٢/ ١٥٧)، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٣٥٤) عن قتادة. وأما ابن عباس فقد روى البخاري (٣٤٠١) ومسلم (٢٣٨٠) عنه أنه كان يقرأ: (وكان أمامهم ملك).

أليس ورائي إن تراخت مَنِيَّتي لزومُ العصا تُحنَى عليها الأصابع[١]

وقيل: هو ما توارى عنك؛ خلفَك كان[٢] أو قدامك.

والملك قيل: كان ملكَ عمان، وقال الكلبي: هو جُلنَدى[٣].

وقيل: هو جُلَنْدُ بن كركرة[٤].

وقيل: الجلند بن المستكبر بن الأرقم بن الأزد.

وقال ابن جريج: هو مدد بن يزد[٥].

وقيل: هدد بن برد[٦].

﴿يَأۡخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصۡبٗا﴾ وفي قراءة أبيٍّ بن كعب وابن عباس رضي الله عنهم، وهو مرويٌّ عن النبي ﷺ: (يأخذ كلَّ سفينةٍ صالحةٍ غصباً)[٧] وهو محمولٌ على التفسير دون التنزيل.

ورُوي أن الملك مر بها فرآها مَعيبةً فتركها ومرَّ، فقال الخضر لموسى: كيف

---

(١) في (ف): «الأضالع». وانظر: «ديوان لبيد» (ص: ٥٧).

(٢) «كان» زيادة من (ف).

(٣) في (أ): «جلند».

(٤) في (ر) و(ف): «كركر».

(٥) في (أ): «بدد».

(٦) «وقيل هدد بن برد» ليس في (ف).

(٧) رواها الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٣٥٦) عن ابن عباس عن أبيٍّ. ورواها البخاري (٤٧٢٥)، ومسلم (٢٣٨٠) عن ابن عباس.

رأيتَ عاقبةَ[١] صنعِ الله بها؟ أخبرني عن خرق السفينة أحسنتُ أم أسأتُ، فقال: بل أحسنتَ وأَصبتَ وأُجرتَ.

***

(٨٠) ـ ﴿وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا﴾: قال سعيد بن جبير: فخشينا أن يحملهما حبُّه على أن يدخُلا معه في دِينه[٢]. وقال ابن جُريجٍ كذلك.

وقال الكلبي: كان غلاماً[٣] لصًّا عادياً يَقتل ويسرق ثم يجيءُ بسرقته إلى أبويه، فإذا جاء مَن يَطلب حلف أبواه أنه لم يفعل، وكانا في عز وشرف[٤]. وقال مقاتل نحواً من ذلك[٥]، وهذا تمادٍ يُخشى منه الوقوع في الكفر.

وقيل: كان[٦] يحتمل أن يكون يُدخل عليهما شبهةً في دينهما، ويزيِّنَ الكفر والطغيان إليهما.

***

---

(١) «عاقبة» ليس من (ف).

(٢) رواه ابن المنذر وابن أبي حاتم في «تفسيريهما» كما في «الدر المنثور» (٥/ ٤٢٨).

(٣) في (أ): «الغلام».

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٦/ ١٨٤)، وذكر نحوه الواحدي في «البسيط» (١٤/ ١٢٠) عن ابن عباس من رواية عطاء.

(٥) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٥٩٨).

(٦) «كان» زيادة من (أ).

(٨١) ـ ﴿فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ﴾: قرأ نافع وأبو عمرو وأبو بكر عن عاصم: ﴿يُبَدِّلهما﴾ بالتشديد، والباقون بالتخفيف[١]؛ أي: يعطيَهما ولداً آخر بدلاً عنه.

وقوله تعالى: ﴿خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً﴾ ديناً وصلاحاً وطهارة، وهو في مقابلةِ قول موسى ﴿أقتلت نفساً زاكية﴾.

﴿وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾: قال قتادة: أي: أبرَّ بوالديه[٢]. والرُّحم مصدرٌ كالرحمة والمَرحمة.

وعن سعيد بن جبير قال: هو أرحم به منهما بالأول[٣].

وقيل: أي: أقرب إلى أن يُرحما به[٤]؛ أي: يطيع ولا يعصي ولا يحمل أبويه على الكفر والطغيان.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: أبدلهما الله تعالى جارية فولدت نبيًّا وهو شمعون المذكور في قوله: ﴿إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا﴾ [البقرة: ٢٤٦][٥].

وروى ابن جريج[٦] عن عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أبدلهما الله تعالى به جارية ولدت سبعين نبياً[٧].

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٣٩٧)، و«التيسير» (ص: ١٤٥)، ولم يذكرا أبا بكر في قراءة التشديد.

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٦٩٩)، والطبري في «تفسيره» (١٥/ ٣٦٠)

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٣٦٠ ـ ٤٦١) عن ابن جريج.

(٤) في (أ) و(ر): «يرحمانه»، ولعله تصحيف.

(٥) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» كما في «فتح الباري» (٨/ ٤٢٢) عن السدي.

(٦) في (أ): «سعيد بن جبير».

(٧) ذكره الواحدي في «البسيط» (١٤/ ١٢٣) عن ابن عباس من رواية عطاء. والثعلبي في «تفسيره» =

(٨٢) ـ ﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ﴾: وهي القرية المذكورة قبلها، ودل أنها كانت كبيرة ﴿وَكَانَ تَحْتَهُۥ﴾؛ أي: تحت الجدار ﴿كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا﴾.

قيل: اسم الغلامين أصرم وصريم، واسم أبيهما كاشح، وكان صالحاً تقيًّا.

وأما الكنز فقد روي عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «كان لوحاً من ذهب عليه مكتوبٌ: عجبتُ لمن أيقنَ بالموت كيف يفرحُ، وعجبتُ لمن أيقنَ بالقَدَر كيف يحزن، وعجبتُ لمن أيقن بالنار كيف يضحك، وعجبت لمن أيقن بالحساب غداً كيف يَغفل، وعجبتُ لمن أيقن بالدنيا وتقلُّبِها بأهلها كيف يطمئن إليها، لا إله إلا الله محمد رسول الله»(١).

= (٦/ ١٨٧) من طريق جعفر بن محمد عن أبيه.

(١) روي مرفوعاً وموقوفاً ومرسلاً:

أما المرفوع: فرواه البزار في «مسنده» (٤٠٦٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» كما في «الدر المنثور» (٥/ ٤٢١)، من حديث أبي ذر رضي الله عنه. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٥٣): رواه البزار من طريق بشر بن المنذر عن الحارث بن عبد الله اليحصبي، ولم أعرفهما وبقية رجاله ثقات. وقال ابن كثير عند هذه الآية: بشر بن المنذر هذا يقال له: قاضي المصيصة، قال الحافظ أبو جعفر العقيلي: في حديثه وهم.

ورواه البيهقي في «الزهد» (٥٤٥)، وابن مردويه في «تفسيره» كما في «الدر المنثور» (٥/ ٤٢١)، من حديث علي رضي الله عنه. وفيه جويبر بن سعيد وهو متروك.

وأما الموقوف: فرواه ابن عدي في «الكامل» عن ابن عباس رضي الله عنهما، وفيه كثير بن مروان =

وقال الضحاك: ﴿وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا﴾ قال: صحفٌ فيها علمٌ[١].

وقال مجاهد: ذهب وفضة[٢].

وقال وهب: قال الخضر: ولو وقع الجدار لظهر الكنز، ولو ظهر الكنز لأخذه الناس دونهما.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: الرجل الصالح يُحفظ في ولده وولدِ ولده، والدوائرُ تدور حولهم وحولَ دارهم ولا يضرُّهم شيئاً[٣].

وقوله تعالى: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾: اسطاعَ لغةٌ في استطاع، وهو تخفيفٌ بحذف التاء.

ثم ذَكر في الأول ﴿فَأَرَدتُّ﴾ لأنه ذكر بعده: ﴿أَنْ أَعِيبَهَا﴾ فأضاف ذلك إلى نفسه، ثم قال في الثاني: ﴿فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا﴾ جمعاً؛ لأنه تنبَّه[٤] على أن في إضافة الفعل إلى نفسه على الانفراد رؤيةَ نفسه[٥]، فذكر الجمع إدخالاً لنفسه في الجملة، ثم تنبَّه

= الفلسطيني وشيخه أبين بن سفيان، وهما ضعيفان.

وأما المرسل: فرواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٣٦٣ ـ ٣٦٤)، عن جعفر بن محمد وعن الحسن البصري وعن عمر مولى غفرة، من قولهم.

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٣٦٢ ـ ٣٦٤)، عن ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد.

(٢) لم أجده عن مجاهد، وقد روي مرفوعاً، رواه الترمذي (٣١٥٢) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه، وفيه يزيد بن يوسف الصنعاني، وهو متروك. ورواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٣٦٥)، عن عكرمة بلفظ: كنز مال. واختاره على باقي الأقوال.

(٣) رواه بنحوه ابن أبي حاتم في «تفسيره» كما في «الدر المنثور» (٥/ ٤٢٢).

(٤) في (ف): «تنبيه».

(٥) في (ف): «دون النفس»، وفي (ر): «دونه التبس». بدل: «رؤية نفسه».

على أن الأشياء كلَّها بإرادة الله تعالى فقال في الثالث: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ﴾، ولأنه ذكر الفضل والرحمة فأضافه إلى الله تعالى دون غيره.

وقيل: قال الخضر لموسى عليه السلام حين قال له: ﴿أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا﴾ قال له: لقد ألقَتْك أمُّك في اليمِّ فلم تغرق، فلِمَ خِفتَ الغرق عليهم مع حفظ الله تعالى لهم.

ولمَّا قال له: ﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ قال له: إنك قتلْتَ القِبْطيَّ بالوكزة فلمْ يعاتبوك[1]، فلمَ تعاتبُني بهذا؟

فلما قال له: ﴿لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ قال له: إنك سقيتَ لابنتَيْ شعيبٍ فلمْ تطلب لذلك أجراً، فلمَ تأمرني بذلك؟ فكان له وجوهٌ ستة[2] في هذه القصة.

قال وهب: ثم انطلق الخضر وموسى عليه السلام حتى قعدا على الصخرة، فأقبل طائر فغمس بمنقاره في[3] البحر، ثم أخرجه فمسحه على جناحه، فقال له الخضر: إنه يقول: ما علمُ الخلق في علم الله تعالى إلا بقَدْر ما حملتُ بمنقاري[4].

وقال موسى للخضر حين أراد أن يفارقه: أوصني، فقال: يا ابن عمران، إياك واللَّجاجةَ، ولا تمشِ[5] في غيرِ حاجة، ولا تضحك من غيرِ عَجَبٍ، ولا تعيِّر الخاطئ بخطيئته، وابكِ على خطيئتِكَ، ولا تؤخِّر عمل اليوم لغد.

***

(١) في (ف): «يعاقبوك».

(٢) في (أ) و(ف): «تنبيه».

(٣) في (أ) و(ف): «إلى».

(٤) ورد نحوه ضمن حديث أبي بن كعب عند البخاري (٤٧٢٥).

(٥) في (أ): «تكن ماشياً»، وفي (ف): «تكن مشاءاً».

(٨٣) ـ ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ﴾: ذكرنا في أول السورة أن المشركين سألوا رسول الله ﷺ ـ بتلقين أهل الكتاب ـ عن الروح وأصحاب الكهف وذي القرنين، فأنزل الله جلَّ ذكرُه وجلالُه جوابَ ذلك كلِّه(١).

واختُلف في معنى تسميته بذي(٢) القرنين، وفي أنه نبيٌّ أو غيرُ نبيٍّ، وفي نسبه.

روي أن ابن الكوَّاء سأل عليًّا رضي الله عنه عن ذي القرنين: أملِكٌ أم نبيٌّ؟ فقال رضي الله عنه: ليس بملكٍ ولا نبيٍّ، ولكنه كان عبداً أحبَّ الله تعالى فأحبَّه الله، وناصَحَ الله تعالى فناصَحَه الله، ضُرب على قرنه الأيمن فمات فبعثه الله تعالى، ثم ضُرب على قرنه الأيسر فمات فبعثه الله تعالى(٣).

وقال أبو العالية: سمي ذا القرنين لأنه قرَن ما بين مطلع الشمس ومغرِبها(٤).

وقال وهب: اختلف فيه أهل الكتاب؛ فقال بعضهم: كان ملكَ الروم وفارس، وقال بعضهم: كان في رأسه شِبْهُ القرنين(٥).

وقال الحسن: سمي به لأنه كان في رأسه غديرتان يطأ عليهما(٦).

---

(١) في (ف): «تعالى السورة» بدل من «جل ذكره وجلاله جواب ذلك كله».

(٢) في (أ) و(ف): «واختلف في تسمية ذي».

(٣) «ثم ضرب على قرنه الأيسر فمات فبعثه الله تعالى» ليس في (أ). والخبر رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٩٧٠)، وابن عبد الحكم في «فتوح مصر» (١/ ١٠٥)، والطبري في «تفسيره» (١٥/ ٣٧٠)، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٥/ ١٢١)، والضياء في «المختارة» (٥٥٥).

(٤) رواه ابن المنذر وأبو الشيخ في «تفسيريهما» كما في «الدر المنثور» (٥/ ٤٣٩).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٣٧١)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٤/ ١٤٤٤)، والإمام أحمد في «الزهد» وابن المنذر وابن أبي حاتم في «تفسيريهما» كما في «الدر المنثور» (٥/ ٤٣٨).

(٦) رواه ابن عبد الحكم في «فتوح مصر» (١/ ١٠٦)، وابن عساكر في «تاريخه» (١٧/ ٣٣٦). وفيهما: (يطأ فيهما).

وعن وهب قال: كانت صفحتا رأسه من نحاس(١).

وقال وهب: رأى رؤيا أنه دنا من الشمس حتى أخذ بقَرْنيها شرقِها وغربها، فقصَّ رؤياه على قومه فسمي بذي القرنين(٢).

وقيل: عاش عيشَ قَرْنينِ.

وفي رواية وَهْبٍ: عاش خمسَ مئة سنة.

وروى أبو هريرة عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «ما أدري ذا القرنين كان نبيًّا أم لا»(٣).

وقال ابن عباس وعبد الله بن عمر وأبو هريرة رضي الله عنهم: كان نبيًّا، وكذلك قال مجاهد(٤).

وقال علي رضي الله عنه: لم يكن نبياً(٥). وعن الحسن، وعن وهب في رواية كذلك(٦).

وقيل: اسمه إسكندروس.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٣٧١).

(٢) رواه أبو الشيخ في «العظمة» (٤/ ١٤٧٣).

(٣) رواه الحاكم في «المستدرك» (٢١٧٤) وصححه، وابن حزم في «المحلى» (١١/ ١٢٥) وصححه.

(٤) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣١٩١١) من طريق مجاهد عن عبد الله بن عمرو بن العاص، وذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» (٥/ ١٨٤) عن عبد الله بن عمرو والضحاك، ولم أقف عليه عن ابن عباس وأبي هريرة رضي الله عنهم.

(٥) ورد في خبر سؤال ابن الكواء لعلي المتقدم قريباً.

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٣٧١)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٤/ ١٤٤٤)، والإمام أحمد في «الزهد» وابن المنذر وابن أبي حاتم في «تفسيريهما» كما في «الدر المنثور» (٥/ ٤٣٨). وقد تقدم قريبا قطعة منه.

وقيل: إسكندر بن فيلاسون بن يونان[١].

وعن محمد بن إسحاق: اسمه ميرزبان[٢] بن مردبة اليوناني، من ولد يونان بن يافث بن نوح.

وفي تفسير الصنعاني: أنه روميٌّ من ولد العِيص بن إسحاق.

وروى عقبة بن عامر الجهني أن قوماً من أهل الكتاب استأذنوا على رسول الله ﷺ فأذن لهم، فدخلوا ومعهم مصاحفُ، فقال النبي ﷺ «إن شئتُم أُخبركم ما أردتُم أن تسألوني عنه، وإن شئتُم فاسألوني»، قالوا: بل أخبِرْنا بما جئنا له قبل أن نتكلم، فقال: «جئتم تسألوني عن ذي القرنين، وسأخبركم بما تجدونه في كتبكم مكتوباً: إن أول أمره[٣] أنه كان غلاماً من الروم أعطي ملكاً، فسار حتى أتى أرض مصر فابتنى[٤] عندها مدينة يقال لها: الإسكندرية، فلما فرغ من بنائها أتاه ملَك فعرَج به فقال: انظر ما تحتك، فقال: أرى مدينتي وحدها لا أرى غيرَها! فقال له الملَك: تلك[٥] الأرض كلُّها وهذا السوادُ الذي تراه محيطاً بها البحرُ، وإنما أراد الله تعالى أن يُريَك الأرض، وقد جعل لك[٦] سلطاناً فيها، فسِرْ في الأمم فعلِّم الجاهل وثبِّت العالم، فسار حتى بلغ مغرب الشمس، ثم سار حتى بلغ مطلع الشمس، ثم أتى السدَّين وهما[٧] جبلان

---

(١) في (ف): «إسكندروس وقيل: اسنور بن يونان»، وفي (ر): «إسكندروي وقيل: أسور بن نونا» بدل: «إسكندر بن فيلاسون بن يونان».

(٢) في (ف): «مزربة».

(٣) في (أ): «أوانه».

(٤) في (ر) و(ف): «فأنشأ».

(٥) في (ف): «فلك». وجاء في بعض رواياته وهي رواية أبي الشيخ: (لك تلك).

(٦) في (ر) و(ف): «جعلك».

(٧) في (ف): «وفيهما».

ليِّنان يَزلق عنهما كلُّ شيء، فبنى السد ثم سار فوجد يأجوجَ ومأجوجَ يقاتلون قوماً وجوهُهم كوجوه الكلاب، ثم قطَعهم فوجد أمةً [قصاراً] يقاتلون القوم الذين وجوههم كوجوه الكلاب، ثم قطَعهم فوجد قوماً(١) من الغرانيق يقاتلون القوم القصار، ثم قطعهم فوجد أمةً من الحيات تلتقم الحيةُ منها مثلَ الصخرة العظيمة، ثم أفضى إلى البحر الـمُديرِ بالأرض» فقالوا: نحن نشهد أن أمره كان كذا، وإنَّا نجد هذا مكتوباً في كتبنا(٢).

وقال وهب: إن ذا القرنين نشأ في أدبٍ حسنٍ، وحِلمٍ ومروءة وعفَّةٍ، وكان يتخلَّق بمكارم الأخلاق، ويسمو لمعالي الأمور، وكان حلَم حُلماً أنه دنا من الشمس وأخذ بقرنيها، وقصَّ رؤياه على قومه فسمَّوه ذا القرنين، وبهذه الرؤيا بعُدَتْ همته، وعلا صوته(٣)، وعزَّ في قومه، فألقى الله تعالى عليه الهيبةَ، وحدَّث(٤) نفسه بالأشياء كلِّها، وكان أولَ ما أجمع عليه رأيه(٥) أنه أمر قومه فبنوا له مسجداً طولُه أربعُ مئة ذراعٍ، وعرضُه مئتا ذراع، وعرض حائطه اثنان وعشرون ذراعاً، وطوله في السماء مئة ذراع، وأمرهم أن لا ينصبوا فيه سواري، فقالوا: كيف لك بخشب يبلغ ما بين

---

(١) في (ف): «أمة».

(٢) رواه ابن عبد الحكم في «فتوح مصر» (١/ ١٠٤)، والطبري في «تفسيره» (١٥/ ٣٦٨ ـ ٣٦٨)، والبيهقي في «الدلائل» (٦/ ٢٩٥ ـ ٢٩٦)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٤/ ١٤٦٨). وهو حديث واهي السند كما قال ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٣/ ٥٣٨).

(٣) في (ر): «صيته».

(٤) في (أ): «وجرب».

(٥) في (ر) و(ف): «أمره». ولفظ الرواية في «العظمة» هكذا: (فكان أول ما أجمع عليه رأيه الإسلام، فأسلم فحسن إسلامه، ثم دعا قومه إلى أن يسلموا فأسلموا عنوة من عند آخرهم، ثم أمرهم فبنوا له مسجداً قهراً، فلم يجدوا بدًّا أن أجابوه...)، ثم ذكر طوله وعرضه كما سيأتي.

الحائطين؟! فقال: اكبِسوه بالتراب إلى رؤوس الحوائط ووزعوا[١] على الموسِع قَدَرُه وعلى المقترِ قدَره من الذهب والفضة، ثم اقطعوا ذلك مثلَ قُلامة الظُّفُر، واخلِطوه بذلك الكبس، واعملوا له جذوعاً من النحاس كلُّ جذعٍ مئتا ذراعٍ للهواء، وعلى الحائط من الجذوع اثنا عشر ذراعاً من جانب، ومثلُه من جانب، فإذا تم فقولوا للمساكين: أخرجوا التراب وما فيه من الذهب والفضة فهو لكم، ففعلوا وتم ذلك على أعجب الوجوه وأحسنِها.

وأوحى الله تعالى إليه رسولاً: أني قد أرسلتُك إلى جميع الخلائق من مطلع الشمس إلى مغرِبها، فأثبت[٢] حجَّتي عليهم، وهذا تأويلُ رؤياك، وقد بعثتُك إلى جميع أهل الأرض، وهم سبع أمم: أمتان بينهما طول الأرض، وأمتان بينهما عرض الأرض كلُّه، وثلاثُ أمم في وسط الأرض مختلِطون وهم الإنس والجن ويأجوج ومأجوج، وأما اللتان بينهما طول الأرض فإنه عند مطلع الشمس إحداهما ناسِك، وأخرى بحيالها مَنْسك، وأما اللتان بينهما عرضُ الأرض فإنه في القطر الأيمن وهي هاويل، والأخرى في القطر الأيسر وهي تاويل، فقال: يا إلهي، إنك ندَبْتني لأمر عظيم لا يَقْدِر قَدْرَه غيرُك، فبأيِّ قوةٍ أكابدهم؟ وبأيِّ صبر أقاسيهم؟ وبأيِّ لسان أكلِّمهم؟ وكيف أفقهُ لغاتهم؟ وبأي حجةٍ أخصمُهم[٣]؟ وبأيِّ عقل أعقلُ عنهم؟ وبأيِّ حكمة أدبر أمرهم؟ وبأي معرفة أفصِل بينهم؟ وبأي علم أُحصيهم؟ وبأيِّ يد أسطو عليهم[٤]؟ فأوحى الله تعالى إليه: أنِّي سأطوِّقكَ ما حمَّلتُك، وأشرح لك

---

(١) في (أ): «وفرعوا»، وفي «العظمة»: (فإذا فرغتم من ذلك فرضتم).

(٢) في (ر) و(ف): «فأنت».

(٣) في (أ) و(ر): «أخاصمهم».

(٤) في (ر): «أقدر عليهم» وسقطت من (ف)، والمثبت موافق لما في «العظمة».

صدرك فيسعُ كلَّ شيء، وأشرح لك فهمك فتَفْقهُ كلَّ شيء، وأفتح لك سمعك فتعي كلَّ شيء، وأكشف لك عن بصرك[١] فينفذُ كلَّ شيء، وأدبِّر في أمورك فتتيقَّن كلَّ شيء، وأحصي لك فلا يفوتك شيء، وأشدُّ لك ظهرك فلا يَهدُّك شيء، وأشدُّ لك قلبك فلا يَهُولك شيء، وأَبسط لك يدك فتَسْطوا فوق كلِّ شيء، وأسدِّد رأيك فتصيبُ في كلِّ شيء، وأسخِّر لك النور والظلمة وأجعلهما جندين من جنودك: النور يهديك من أمامك، والظلمةُ تَحوطك وتحرس عليك الأمم من ورائك.

فانطلق ذو القرنين، فأيَّده الله تعالى بما وعده، فقصد المغرب فلا يمرُّ بأمة إلا دعاهم إلى الله تعالى، فإن أجابوه قَبِل ذلك منهم، وإن لم يجيبوه أغشاهم الظلمةَ فأُلبست[٢] مدائنَهم وبيوتهم، وأغشت أبصارهم، ودخلت أفواههم وآنُفهم وآذانهم وأجوافهم، فيتحيَّرون ويجيبون..، وذكر بلوغَ الشمس[٣]، على ما نبيِّن في تفسير تلك الآية إن شاء الله تعالى.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا﴾ أي: سأقرأ عليكم منه خبراً فيه ذكرُ قصته وحاله.

* * *

(٨٤ ـ ٨٥) ـ ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: أي: ملَّكناه الدنيا وأعطيناه إمكان ضبطها.

---

(١) في (ر) و(ف): «نظرك».

(٢) في (ف): «فلبست».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٣٩٠ ـ ٣٩٨)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٤/ ١٤٥١ و١٤٧٣)، وواضح أنه مما أخذ عن أهل الكتاب.

وقوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾: أي: من كلِّ شيء يحتاج إليه في سياستها ما به يَتوصل إلى المراد، وأصل السبب هو الحبل يُتوصَّل به إلى الماء وغيره.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿سَبَبًا﴾: علماً، وهو قول قتادة وعبيد بن يعلى وابن زيد[١].

وقال مجاهد: منازلَ وطرقاً[٢].

وقال الحسن: بلاغاً إلى حاجته[٣].

وسئل ابن عباس رضي الله عنهما: كيف وصل إلى المشارق والمغارب؟ قال: سخَّر له السحاب، وبسط له النور، وكان الليلُ والنهار عنده سواءً.

وقوله تعالى: ﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾: قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بالتشديد، ومعناه: اقتفى، والباقون بالقطع[٤]، ومعناه: لَحِق، وإنما لم يعرَّف الثاني باللام مع أنه أعاده[٥] بعد المذكور؛ لأن المراد من الأول الكلُّ، ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾؛ أي: الأسبابَ كلَّها، والمرادَ من الثاني سببٌ منها، ومعناه: امتثل وجهاً من وجوهِ الأسباب؛ أي[٦]: ما مُثِّل له فعمدَ طريق المغرب.

وقيل: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ علماً ﴿فَأَتْبَعَ﴾ طريقاً.

---

(١) رواه عنهم الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٣٧١ ـ ٣٧٢).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٣٧٣).

(٣) ذكره الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (٧/ ٢٠٦)، والثعلبي في «تفسيره» (٦/ ١٩٠)، والبغوي في «تفسيره» (٥/ ١٩٩).

(٤) انظر: «السبعة» (ص: ٣٩٧ ـ ٣٩٨)، و«التيسير» (ص: ١٤٥).

(٥) في (أ) و(ف): «مع أنه إعادة».

(٦) «الأسباب أي» ليس في (أ).

وقيل: آتيناه الأسباب؛ أي: الأقطار ﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾؛ أي: قطراً منها؛ أي: قَصد أولاً إلى قطر بعينه، وهو المغربُ ليصلحه.

* * *

(٨٦) ـ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ﴾: أي: انتهى إلى آخر العمارة من جهة المغرب.

وقوله تعالى: ﴿وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾: أي: رآها في مرأى العين تغيبُ في عين حمئة[1].

قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وعاصم في رواية حفص: ﴿حَمِئَةٍ﴾؛ أي: ذاتِ حَمْأةٍ، كذا فسرها ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وسعيد بن جبير[2] رضي الله عنهم، والحمأة: الطين الأسود، وقرأ الباقون: ﴿حاميةٍ﴾[3]؛ أي: حارَّة.

والعين موصوفة بهما جميعاً: هي طينةٌ سوداء، وهي حارةٌ.

ومعناه: أنه[4] انتهى إلى عمارةٍ كان إذا نظر رأى بعينه عيناً حَمِئةً حاميةً، وكانت الشمس تغيب من تلك الحمئة؛ كالواحد منا إذا كان على شطِّ البحر وغربت الشمس رآها تغرب في البحر.

---

(١) في (أ): «حامية».

(٢) في (أ): «وقتادة وسعيد بن جبير»، وفي (ر): «ومجاهد وابن جبير». وقد رواه عنهم جميعاً الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٣٧٥ ـ ٣٧٧).

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٣٩٨)، و«التيسير» (ص: ١٤٥).

(٤) «أنه» ليست في (أ).

وقوله: ﴿وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا﴾ يجوز: عند الشمس؛ أي: بقرب رؤية غروب الشمس، ويجوز: عند العين الحمئة؛ أي: بقُربها.

وقوله تعالى: ﴿قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ﴾: أي: بالقتل ﴿وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾؛ أي: بالمنِّ، وقيل: بالأسر والاسترقاق(١)، وكانوا كفاراً فخيَّره فيهم بين الأمرين كما خيَّر نبيَّنا محمداً ﷺ بقوله تعالى: ﴿فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً﴾ [محمد: ٤]، وبقوله في حق أهل الكتاب: ﴿فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ [المائدة: ٤٢] ليجتهد فيختارَ الأصلح في الدين.

* * *

(٨٧) - ﴿قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ﴾: إذا أصرَّ على الكفر ﴿فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ﴾؛ أي: بالقتل في الدنيا ﴿ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا﴾؛ أي: فظيعاً في الآخرة.

* * *

(٨٨) - ﴿وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾.

﴿وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ﴾: قرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية حفص: ﴿جَزَآءً﴾ بالنصب والتنوين، وقرأ الباقون: ﴿جزاءُ الحسنى﴾ بالرفع والإضافة(٢)، وتقدير القراءة الأولى: فله الحسنى جزاءً، والحسنى: الجنة، قال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [يونس: ٢٦]، و﴿جَزَآءً﴾ نصبٌ على المصدر، وتقديره: يجزى به جزاءً.

---

(١) في (أ): «وقيل بالاسترقاق».

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٣٩٨)، و«التيسير» (ص: ١٤٥).

وقوله تعالى: ﴿وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنۡ أَمۡرِنَا يُسۡرٗا﴾: أي: سنأمرُه بما هو يسرٌ.

وقال السدي: كانت له آبارٌ يذيب[١] فيها الصُّفْر، فيأمر بالرجل فيُطرح فيها فيعذِّبه فيها[٢]، فذلك قوله: ﴿فَسَوۡفَ نُعَذِّبُهُۥ﴾[٣].

وقال ابن جريجٍ: ﴿وَوَجَدَ عِندَهَا قَوۡمٗا﴾ قال: مدينةً لها اثنا عشرَ ألفَ بابٍ، لولا أصوات أهلها لسمع الناس وجوبَ الشمس حين تَجب[٤]، واسمها: رومية.

وفي رواية: لسمعوا صوتَ مرِّها في السماء كصوتِ المنشار في الخشب.

قال وهبٌ: فلما بلغ المغربَ وجد عدداً لا يُحصيهم إلا الله تعالى، وناساً لا تُطاق، وألسنةً مختلفةً، وأهواءً مشتّتةً، فكابَدهم بالظُّلمة فغشِيَتْهم من كلِّ جانب، فأسلموا كلُّهم، فجنَّد[٥] منهم جنداً عظيماً، فقادهم والظُّلمةُ تسوقهم حتى ساروا[٦] إلى ناحية الأرض اليمنى إلى هاويل، فقطع البحار حتى أتاهم[٧].

---

(١) في (ف): «يصب».

(٢) «فيعذبه فيها» ليس في (أ).

(٣) لم أجده، وهو مردود؛ لأن مثل هذا الفعل لا يفعله سوى الظلمة والجبابرة العتاة، وليس من أخلاق المؤمنين والدعاة.

(٤) رواه أبو يعلى كما في «المطالب العالية» (٣٦٥٧)، وعنه أبو الشيخ في «العظمة» (٤/ ١٤٤٠-١٤٤١)، وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه في «تفاسيرهم» كما في «الدر المنثور» (٥/ ٤٥٢). ولعله من خرافات أهل الكتاب.

(٥) في (ر) و(ف): «فأخذ».

(٦) في (ر): «سار».

(٧) قطعة من خبر وهب الطويل، رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٣٩٠ - ٣٩٨)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٤/ ١٤٥١). وهو كسابقه.

وقال السديُّ: وبلغ أرض الظلمات من قِبَل المغرب فدخلها بالخيل، ورأى تحت حوافرها ضوءاً كالنار فقال: مَن أخذ منها[١] ندم ومَن لم يأخذ ندم، فأَخَذ مَن أَخَذ وتَرَك مَن تَرَك، فلما خرجوا فإذا هو ياقوتٌ أحمر وأصفر، فندم مَن تَرَك على الترك، وندم مَن أخذ على ترك الزيادة، وهو أول ياقوتٍ وقع في أيدي الناس[٢].

* * *

(٨٩ ـ ٩٠) ـ ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا (٨٩) حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا﴾: أي: طريقاً آخر وهو إلى المشرق ﴿إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا﴾:

قال الحسن: كانت أرضهم أرضاً لا تحتمِل البناء، فكانت الشمس إذا طلعت عليهم تهوَّروا في البحار[٣]، فإذا ارتفعت عنهم خرجوا فتراعَوا كما تراعَى البهائم[٤].

وقال سَمُرةُ بنُ جندبٍ: لم يُبن[٥] فيها بناءٌ قط، فإذا طلعت عليهم الشمس دخلوا أسراباً لهم حتى تزول[٦].

---

(١) في (أ): «من هذا».

(٢) قطعة من خبر طويل جدًّا رواه أبو الشيخ في «العظمة» (٤/ ١٤٦١ ـ ١٤٦٧)، من طريق أبي جعفر (هو محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب) عن أبيه.

(٣) في (ر): «العمار»، وفي (ف): «التماد». وفي «تفسير الثعلبي»: (الماء).

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٦/ ١٩٢). ورواه بنحوه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٣٨٢)، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٤٥٤) للطيالسي، والبزار في «أماليه»، وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ، وجاء في آخره: (ثم قال الحسن: هذا حديث سمرة).

(٥) في (ف): «يبتن».

(٦) رواه أبو يعلى كما في «المطالب العالية» (٣٦٥٧)، وعنه أبو الشيخ في «العظمة» (٤/ ١٤٤٠ ـ ١٤٤١)، =

وقالوا: إنما لا تحتمِل(١) البناء لأنه لا جبال فيها، فتميدُ ولا تستقر.

وقال مالك بن سليمان: هم قوم صغيرةٌ أجسامهم، وطعامُهم ما جَزَر عنه البحر من السمك، فأصابه حرُّ الشمس واشتوَى(٢)، فيأكلونه.

وقيل: لا جبلَ بها ولا شجرَ ولا مأوى، ولا ثوبَ ليَستُرهم(٣).

وقال مجاهد: مَن لا يلبس الثياب من السودان عند طلوع(٤) الشمس أكثرُ من جميع أهل الأرض(٥).

وقال وهب: هم الزنج، وبها ذهبٌ ينبتُ نباتاً!

***

(٩١ ـ ٩٢) ـ ﴿كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ۝٩١ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ﴾: قيل: كذلك فعل ذو القرنين أَتبع الأسباب ﴿وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا﴾؛ أي: وقد علمنا بما لديه من الصلاح كذلك.

وقيل: كذلك جعل الله تعالى أمرَ هؤلاء على ما أَعلم رسولَه.

والثالث: أتبع سبباً بلغ به المشرق كما أتبع سبباً بلغ به المغرب، ﴿وَقَدْ أَحَطْنَا

= وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه في «تفاسيرهم» كما في «الدر المنثور» (٥/ ٤٥٢). وهو من طريق ابن جريج: حدث الحسن (وفي «الدر المنثور»: حدثت عن الحسن) عن سمرة قال: قال رسول الله ﷺ...، وذكره.

(١) في (ف): «إنها لا تحتمل»، وفي (ر): «إنما لا تحمل».

(٢) في (ر) و(ف): «واستوى».

(٣) في (ف): «ولا ثوب يسترهم»، وفي (ر): «ولا بيوت تسترهم».

(٤) في (أ): «مطلع».

(٥) ذكره الزمخشري في «الكشاف» (٢/ ٧٤٥).

﴿بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا﴾: علمنا[١] كلَّ ما فعل من جميع الجيوش والآلات والسياسات كذلك كانت حاله مع أهل المشرق كما كان مع أهل المغرب.

وقيل: كذلك علِمنا هؤلاء القوم كما[٢] وجدهم هو، وعلِمنا أيضاً ما كان عنده من التدبير فيهم.

وقال الحسن: كذلك كان خبرُه، ثم ابتدأ ﴿وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا﴾.

وعلى هذه الأقاويل كلِّها ﴿لَدَيْهِ﴾ كنايةٌ عن ذي القرنين.

وقال محمد بن جرير: ﴿وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ﴾؛ أي: بما عند مطلعِ الشمس ﴿عِلْمًا﴾، لا يخفى علينا ما هنالك من الخلق وأحوالهم وأسبابهم[٣].

قولُه تعالى: ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا﴾: أي: طريقاً آخر.

* * *

(٩٣) ـ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾.

قولُه تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ﴾: قال الضحاك[٤] ومجاهد: السدَّان: جبلان بين أرمينية وأذربيجان[٥].

وقوله تعالى: ﴿وَجَدَ مِن دُونِهِمَا﴾: أي: من ورائهما مجاوِزاً عنهما ﴿قَوْمًا﴾؛

---

(١) في (ف): «أي: علمنا».

(٢) في (ف): «ما كان»، بدل: «كما».

(٣) انظر: «تفسير الطبري» (١٥/ ٣٨٤).

(٤) بعدها في (ف): «والسدي».

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٣٨٦)، وابن المنذر كما في «الدر المنثور» (٥/ ٤٥٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما. ورواه الطبري عن الضحاك بلفظ: (بين جبلين).

أي: أمةً من الناس ﴿لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾؛ أي: لا يعرفون الكلام إلا بلسانهم دون لسان ذي القرنين، و﴿يَكَادُونَ﴾ صلة زائدة.

وقرأ حمزةُ والكسائي: ﴿يُفْقِهون﴾ بضم الياء وكسر القاف[1]، ومعناه ما قال السديُّ: لا يَفقه إنسان كلامَهم.

قال ابن جريج: هم التُّرك[2].

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم في رواية حفص: ﴿بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ﴾ ﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾ بالفتح، وقرأ الباقون بالضم[3].

وقال عكرمة وأبو عبيدة: ما كان من صنعة بني آدم فهو بالفتح، وما كان من صنعة الله تعالى فهو بالضم[4].

وقال أبو عمرٍو: السَّدُّ بالفتح: الحاجز بينك وبين الشيء، وبالضم: الغشاوة في العين.

وقيل ـ وهو قول الكسائي ـ: هما لغتان؛ كاليَنْع واليُنْع؛ والمَكْث والمُكْث[5].

* * *

(٩٤) ـ ﴿قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾.

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٣٩٩)، و«التيسير» (ص: ١٤٥).

(٢) رواه ابن المنذر كما في «الدر المنثور» (٥/ ٤٥٤).

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٣٩٩)، و«التيسير» (ص: ١٤٥). وقرأ في الثانية بالفتح أيضاً حمزة والكسائي.

(٤) انظر: «مجاز القرآن» (١/ ٤١٤)، ورواه عن عكرمة الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٣٨٤).

(٥) انظر القولين في «إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ٣٠٦).

قوله تعالى ﴿قَالُواْ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾: قرأ عاصم بالهمز والباقون بغير همز(١).

فهَّم ذا القرنين وفهَّمَهم قولَه بعد وَصْفهم بأنهم لا يَفْقَهون ولا يُفْقِهون، وهو من الأسباب التي آتاه الله تعالى كما علَّم سليمانَ مَنطِق الطير، أو تَرْجَم عنه آخَرُ(٢).

قال وهب: لما كان عند منقطَعِ أرض التُّرك قالت له أمةٌ من الإنس صالحةٌ: إن بين هذين الجبلين خلقاً كثيراً فيهم مشابهُ الإنس، وهم أشباهُ البهائم، يأكلون العشب ويفترسون الدواب والوحوش، ويأكلون الحياتِ والعقارب وكلَّ ذي روح، وليس لله خلقٌ يَنْمِي نماءَهم، ويوشِك أن يملؤوا الأرض ويُخْلون منها أهلها، وليست تمر بنا(٣) سنةٌ منذ جاورونا ورأيناهم إلا ونحن على خوفٍ أن يَطْلع علينا أوائلهم(٤).

قوله تعالى: ﴿فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا﴾: قرأ حمزة والكسائي: ﴿خراجاً﴾ والباقون: ﴿خَرْجًا﴾(٥).

قال عطاءٌ وقتادة: أجراً(٦).

وقال السدِّي: جُعْلاً(٧).

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٣٩٩)، و«التيسير» (ص: ١٤٥).

(٢) في (أ): «أحد»، وفي (ر): «بنطق آخر».

(٣) في (ر): «علينا».

(٤) قطعة من خبر طويل عن وهب رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٣٩٠ ـ ٣٩٨)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٤/ ١٤٥٥ ـ ١٤٦٠)، وهو من الإسرائيليات.

(٥) انظر: «السبعة» (ص: ٤٠٠)، و«التيسير» (ص: ١٤٦).

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٤٠٢) عن قتادة، وعن عطاء الخراساني عن ابن عباس.

(٧) ذكره ابن زنجلة في «حجة القراءات» (ص: ٤٠٢).

وقال الحكم: مالاً.

وقال أهل اللغة: الخَرْج: ما يُخرَج من المال، والخَراج: ما يُخرَج من الأرض.

﴿عَلَىٰٓ أَن تَجۡعَلَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَهُمۡ سَدّٗا﴾: فسألوه أن يجعل بينهم حاجزاً على أن يُعِينوه بمالهم دفعاً لفسادهم في الأرض.

قال السدِّي: كانوا يَخرجون فيأخذون ويَقتلون ثم يَرجعون.

وقال الكلبي: كانوا يخرجون إلى أرضنا أيامَ الربيع فلا يدَعون شيئاً أخضر إلا أكلوه، ولا يابساً إلا احتملوه وأدخلوه أرضَهم.

وقيل: كانوا يُفسدون معايشهم وأموالهم وأزواجَهم.

وعن وهب: أنهم يلوطون بالرجال.

وقال سعيد بن عبد العزيز: كانوا يأكلون لحوم الناس.

* * *

(٩٥ ـ ٩٦) ـ ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيۡرٞ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجۡعَلۡ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُمۡ رَدۡمًا ٩٥ ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلۡحَدِيدِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيۡنَ ٱلصَّدَفَيۡنِ قَالَ ٱنفُخُواْۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارٗا قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفۡرِغۡ عَلَيۡهِ قِطۡرٗا﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيۡرٞ﴾: قال السدي: أي: ما أعطاني ربي من الدنيا خيرٌ مما تَعرضون عليَّ من المال[1].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: أي: العلمُ الذي أعطاني ربِّي بالأسباب التي يقع بها التمكينُ خيرٌ من جُعلكم.

---

(١) رواه ابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» (٥/ ٤٥٩).

قرأ ابنُ كثير: ﴿مكَّنني﴾ بنونين على الإظهار، والباقون بنونٍ واحدة مشدَّدة على الإدغام[١].

وقوله تعالى: ﴿فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ﴾: أي: برجالٍ وآلةٍ، ولا حاجة بي إلى المال.

وقيل: أي: أعينوني بمالٍ أَصْرفه في الآلة، لا جُعلاً لي وأجراً.

وقوله تعالى: ﴿أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾: أي: سدًّا.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما هو كأشدِّ الحجاب[٢].

وقال الكلبي: لمَّا قال: ﴿فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ﴾ قالوا: ما تريد؟ قال: آلة العمل، قالوا: ما هي؟ قال: ﴿ءَاتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ﴾؛ أي: ائتوني بزُبَرِ الحديد، يعني[٣]: قطعَه.

قال ابن عباس ومجاهد والربيع والسدِّي وعطاء: زبر الحديد: قطعُ الحديد[٤].

وقال الخليل: الزُّبرة من الحديد: القطعة الضخمة، والأَزْبرُ: الضخم[٥].

وقيل: الزُّبرةُ: الجملة المجتمِعة، من قولك: زَبَرْتُ الكتاب؛ أي: كتبتُه وجمعتُ حروفه.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ﴾: وهاهنا مضمرٌ تقديره: فأَتَوه بها فساوى بين الصدفين؛ أي: الجبلين، يعني: وضعها بينهما حتى صارت مساويةً لهما كالحشو فيما بينهما.

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٤٠٠)، و«التيسير» (ص: ١٤٦).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٤٠٥ ـ ٤٠٦) عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وأبي صالح.

(٣) «ائتوني بزبر الحديد يعني» من (أ).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٤٠٤).

(٥) انظر: «العين» (٧/ ٣٦٢).

وقيل: حتى وارى رؤوسهما.

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر بضم الصاد والدال، وقرأ نافع وحمزة والكسائي وعاصم في رواية حفص بفتحهما، وقرأ عاصم في رواية أبي بكر بضمِّ الصاد وتسكينِ الدال[1]، وهي ثلاث لغات.

قوله تعالى: ﴿قَالَ انفُخُوا حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا﴾: أي: وضع المنافخ وأوقد النار في الحديد، ثم أمر بالنفخ فيها.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا﴾: أي: نفَخوا حتى ذاب الحديد كلُّه وصار كالنار في منظرها.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفۡرِغۡ عَلَيۡهِ قِطۡرًا﴾: قرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية أبي بكر: ﴿ائتوني﴾ من الإتيان[2]، وقرأ الباقون بالمد[3]؛ أي: آتوني بقِطرٍ أفرغْ عليه، والقِطر: النحاس.

وقيل: هو المذاب الذي يَقطُر.

قال السدِّي: نضَّد الحديد، ثم وضع عليه الحطب، ثم قال: ﴿انفُخُوا حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا﴾ ثم أمر بالصُّفْر فأذيب فصُبَّ عليه، فصار طريقةً حديداً و[4]طريقةً صُفراً.

وقال وهب: أمرهم بجمع الحديد والصُّفر والنحاس، ودخل هو بين بلادهم، ورأى حالهم وقاس ما بينهما، فكان بُعدُ ما بينهما مئةَ فرسخ، فرجع عنهم وحفر أسًّا[5] حتى بلغ الماء، ثم جعل عرضه خمسين فرسخاً، وجعل حشوَها الصخورَ،

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٤٠١)، و«التيسير» (ص: ١٤٦).

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٤٠١)، و«التيسير» (ص: ١٤٦) عن حمزة، وأبي بكر بخلف عنه.

(٣) وهو الوجه الثاني لأبي بكر.

(٤) في (أ): «وصار».

(٥) في (ر) و(ف): «أساسا».

وطينَها النحاسَ يذابُ ويُصبُّ عليه، وأعلاه زبر الحديد والنحاس المذاب، وصار كأنه بردٌ محبَّر من صُفرة النحاس وحمرتِه وسوادِ الحديد(١).

* * *

(٩٧) ـ ﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا﴾.

قوله تعالى: ﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ﴾: أي: يَعلُوه من فوقه لعلوِّه ومَلاسَته ﴿وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا﴾ من أسفله فيَخرجوا منه لكثافته وصلابته.

* * *

(٩٨) ـ ﴿قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾.

﴿قَالَ هَذَا﴾: أي: ما قوَّاني الله تعالى عليه من هذا الرَّدم ﴿رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي﴾ على خلقه، وهو يبقى إلى الميقات(٢).

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي﴾: وهو الوقت الذي وقَّته لخروجهم في آخر الزمان.

﴿جَعَلَهُ دَكَّاءَ﴾: على قراءة المد: مستويةً(٣) على الأرض، من قولهم: ناقةٌ دكاءُ؛ أي: لا سنام لها، وهي قراءة ابن كثير ونافعٍ وأبي عمرو وابن عامر(٤)، والتأنيث راجع إلى مؤنَّث مضمَر؛ كأنه قال: جعله أرضاً دكَّاء.

---

(١) قطعة من خبر وهب الطويل رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٣٩٠ ـ ٣٩٨)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٤/ ١٤٥٥ ـ ١٤٦٠).

(٢) في (أ): «الميعاد».

(٣) في (ف): «فيسويه».

(٤) كذا قال والصواب العكس، فقرأ المذكورون بغير مد، وقرأ باقي السبعة ـ وهم حمزة والكسائي وعاصم ـ بالمد. انظر: «السبعة» (ص: ٤٠٢)، و«التيسير» (ص: ١٤٦) عن حمزة، وأبي بكر بخلف عنه.

وقرأ الباقون غيرَ ممدودة بالتنوين، ومعناه: مدكوكاً؛ أي: مدقوقاً ملزوقاً[١] بالأرض، مصدر بمعنى المفعول؛ كقوله: ﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ ﴾ [لقمان: ١١]؛ أي: مخلوق الله، و: هذا الدرهم ضربُ الأمير؛ أي: مضروبُه.

قوله تعالى: ﴿وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾: أي: صدقاً، وروى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «ولد لنوح سامٌ وحامٌ ويافث، فولد سام العربَ وفارسَ والروم والخيرُ فيهم، ووَلد يافث يأجوجَ ومأجوجَ والتركَ والصقالب ولا خير فيهم، ووُلد لحامٍ القِبْطُ والبربرُ والسودان»[٢].

وفي الحديث المرفوع: «ولا يموتُ أحدهم حتى يُولد لصُلبه ألفُ رجل»[٣].

وقال أبو سعيد: هم خمس وعشرون قبيلةً من وراء يأجوج ومأجوج[٤]، طولُ هؤلاء شبرٌ في شبرٍ.

وفي حديث ابن عباس: شبر وشبران وثلاثة أشبار[٥].

---

(١) في (ف): «مدفوناً ملزقاً».

(٢) رواه البزار (٢١٨ ـ كشف)، والخطيب في «تالي تلخيص المتشابه» (١/ ١١٤)، من طريق سعيد ابن المسيب عن أبي هريرة مرفوعاً. وفي إسناده يزيد بن سنان الرهاوي، قال عنه الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (١/ ٢٧٠) بعد أن ذكر هذا الحديث: (ضعيف بمرة، لا يعتمد عليه). ورواه الطبري في «تاريخه» (١/ ١٢٩) من قول سعيد بن المسيب، وهو المحفوظ كما قال ابن كثير.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٤٠٠) من حديث أبي سعيد الخدري مرفوعاً، وإسناده ضعيف. ورواه عبد الرزاق في «التفسير» (١٨٨٩)، وعنه نعيم بن حماد في «الفتن» (١٦٤٢)، عن عبد الله بن عمرو بن العاص موقوفاً، ورواه نعيم (١٦٤٣) و(١٦٥١) موقوفاً أيضاً عن عبد الله بن سلام وابن مسعود.

(٤) إلى هنا رواه عبد بن حميد كما في «الدر المنثور» (٥/ ٤٤٨).

(٥) رواه الحاكم في «المستدرك» (٨٦٠٧) عن ابن عباس موقوفاً.

وقال كعب: هم ثلاثة أصناف: صنف منهم [أجسامهم كالأرز، وصنف] أربعة أذرع في أربعةِ أذرع طولاً وعرضاً، وصنف يفترشون إحدى آذانهم ويلتحفون الأخرى(١).

وقال حسان: هم أمتان، في كلِّ أمةٍ أربع مئةِ ألفِ أمةٍ، لا تشبه أمةٌ أمةً أخرى(٢).

وقال الكلبي: طعامهم التنِّين(٣)، لا يزرعون إنما يقع في أبياتهم(٤) أمثالَ الجبال منها فيأكلونها(٥).

وقال وهب: توسَّط ذو القرنين بلادهم فإذا لهم مخاليبُ وأضراسٌ وأنيابٌ

---

(١) رواه نعيم في «الفتن» (١٦٢٦)، وأبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٢٤)، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٤٥٦) لابن المنذر وابن أبي حاتم، وذكره الحافظ ابن حجر في «الفتح» (١٣/ ١٠٧). وما بين معكوفتين من هذه المصادر. والأرز كما قال ابن حجر: بفتح الهمز وسكون الراء، وهو شجر كبار جدًّا.

(٢) رواه نعيم في «الفتن» (١٦٤٩)، والداني في «السنن الواردة في الفتن» (٦٧٣)، وابن المنذر وأبو الشيخ كما في «الدر المنثور» (٥/ ٤٥٦)، عن حسان بن عطية.

(٣) في (أ): «القنين». وانظر التعليق بعد الآتي.

(٤) في (أ): «في أنيابهم»، وفي (ف): «فيهم».

(٥) لم أقف عليه، وجاء في خبر وهب الطويل الذي تقدمت منه قطع: (.. وهم يرزقون التنين أيام الربيع، ويستمطرونه إذا تحينوه كما نستمطر الغيث لحينه، فيقذفون منه كلّ سنة بواحد، فيأكلونه عامهم كله إلى مثله من العام القابل، فيغنيهم على كثرتهم ونمائهم، فإذا أمطروا أخصبوا وعاشوا وسمنوا، ورؤي أثره عليهم، فدرّت عليهم الإناث، وشَبِقت منهم الرجال الذكور، وإذا أخطأهم هَزَلوا وأجدبوا، وجفرت الذكور، وحالت الإناث، وتبين أثر ذلك عليهم..).
وفي «تهذيب اللغة» (١٤/ ١٨٠): (التِّنِّينُ: ضربٌ من الحيّات من أعظمها... وجاء في بعض الأخبار أن السحابة تحمل التنين إلى بلاد يأجوج ومأجوج فتطرحُه بها، وأنهم يجتمعون على لحمه فيأكلونه)، وكله من خرافات أهل الكتاب.

كأنياب السباع وأضراسِها، وأحناكٌ كأحناك الإبل يسمع لها حركة[(١)] إذا أكلوا، وعلى أبدانهم شعورٌ يتوارون بها ويتوقَّون الحر والبرد، لكلِّ واحد منهم أذنان عظيمتان، على ظاهر إحداهما وباطنها وبرٌ، وعلى ظاهر الأخرى وباطنها زغبٌ، يتصيَّف في إحداهما ويتشتَّى في الأخرى، يعلم كلُّ ذكر وأنثى وقتَ موته، وهو إذا تم له ألفُ ولد، وإذا مطروا أخصبوا وسمنوا وشبعوا وتوالدوا وإذا لم يمطروا هزلوا وعجزت الذكور وحالت الإناث، يعوون عواء الذئاب، ويتسافدون حيث التَقَوا تسافُد البهائم[(٢)].

وروَى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «إن يأجوج ومأجوج يحفرون السدَّ كلَّ يوم، حتى إذا كادوا يخرقونه قال الذي عليهم: ارجعوا فستفتحونه غدًا، فيُعيده الله تعالى أثبتَ ما كان، حتى إذا بلغت مدتُهم حفروه حتى كادوا يَخرقونه، قال الذي عليهم: ارجعوا فستفتحونه غداً إن شاء الله تعالى، فاستثنى، قال: فيعودون إليه فيجدونه كهيئته حين تركوه، فيخرقونه فيخرجون على الناس ويستقون الماء، ويتحصَّن الناس منهم في حصونهم، فيَرمون سهامهم إلى السماء فترجع مخضبة بالدماء، فيقولون: قهرنا أهل الأرض وغلبنا أهل السماء، فبعث الله عليهم نَغَفاً في أقفائهم فيهلكهم الله تعالى به، فوالذي نفسي بيده إن دوابَّ الأرض لتسمنُ من لحومهم»[(٣)].

***

---

(١) يعني: حركة كحركة الجِرَّة من الإبل. كما جاء في الرواية.

(٢) قطعة من خبر وهب الطويل الذي تقدمت منه قطع، والمراد من الإمطار إمطار التنين عليهم. انظر التعليق السابق.

(٣) رواه الترمذي (٣١٥٣) وحسنه، وابن ماجه (٤٠٨٠)، والحاكم في «المستدرك» (٨٥٠١) وصححه، وقال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (٤/ ٢٠١): صحيح رجاله ثقات.

(٩٩) ـ ﴿ ۞ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾: قال الحسن والكلبيُّ والسدي: يعني: يأجوج ومأجوج يوم خروجهم من السدِّ يموج بعضهم في بعضٍ يزدحمون ويتبادرون(١).

وقال نفطويه: يختلطُ بعضُهم ببعضٍ مقبِلين مُدْبرين حيارَى.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: هم الجن والإنس يموجون عند خروج يأجوج ومأجوج(٢)؛ إذ هو عَلَمٌ للساعة، قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ ﴾ [الأنبياء: ٩٦] إلى قوله: ﴿وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ ﴾ [الأنبياء: ٩٧].

وقوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾ أي: ينفخ إسرافيل فيه.

وقال ابن زيد: ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾: هو أول يوم القيامة(٣)، وهذا الموجُ هو ازدحامهم(٤) واختصامهم.

قوله تعالى: ﴿فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا﴾: للعرض والحساب والجزاء؛ كما قال: ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٧].

* * *

(١٠٠) ـ ﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ عَرْضًا﴾.

---

(١) رواه بنحوه ابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» (٥/ ٤٦٣) عن السدي.

(٢) رواه ابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» (٥/ ٤٦٣)، ولفظه: الجن والإنس يموج بعضهم في بعض.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٤١٦).

(٤) في (ف): «واختطباطهم».

وقوله تعالى: ﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ عَرْضًا﴾: أي: أبرزنا جهنم لهم يرونها قبل أن يدخلوها بما فيها، كما قال تعالى: ﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ﴾.

***

(١٠١) ـ ﴿الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي﴾: صفةٌ لقوله: ﴿لِّلْكَافِرِينَ﴾، مجازٌ عن احتجابهم عن النظر في العواقب والتفكُّر فيما ذكَّرهم الله تعالى به.

وقال مجاهد: ﴿فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي﴾؛ أي: في غفلةٍ، كما قال: ﴿لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [ق: ٢٢].

قوله تعالى: ﴿وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾: أي: يَستثقلون سماع[1] ذكر الله تعالى.

***

(١٠٢) ـ ﴿أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِن دُونِي أَوْلِيَاءَ ۚ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِن دُونِي أَوْلِيَاءَ﴾: أي: أفظنَّ هؤلاء الذين كفروا وأشركوا واتَّخذوا[2] الأنبياء والملائكة آلهةً أنهم إنْ تولَّوهم يصيرون لهم بذلك أولياءَ ينصرونهم ويشفعون لهم ويقرِّبونهم إلى الله زُلفى. وهذا استفهام بمعنى التوبيخ والإنكار؛ أي: ليس كذلك.

و﴿عِبَادِي﴾ إضافة التخصيص، فدلَّ على ما قلنا، وكذا قال ابن عباس رضي الله عنهما، قال: هم عيسى والملائكة[3].

---

(١) في (أ): «استماع».

(٢) في (ر): «هؤلاء الكفار والمشركين الذين اتخذوا».

(٣) روي هذا عن غير ابن عباس، كما روي عن ابن عباس خلافه، فقد روى الطبري في «تفسيره» =

وقيل ﴿عِبَادِى﴾؛ أي: الشياطين والجن، وهو إضافة التخليق، ولا يكونون أولياء، قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ [العنكبوت: ٢٥] وقال تعالى: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ﴾ الآية [إبراهيم: ٢٢].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا﴾: للمعاندين والشياطين جميعاً.

وقال مقاتل: ﴿يَتَّخِذُوا عِبَادِى﴾؛ أي: الأصنام[1]، كما قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ﴾ [الأعراف: ١٩٤].

وقوله تعالى: ﴿نُزُلًا﴾؛ أي: جعلناها مقرًّا[2] لهم لينزلوها.

وقال الزجَّاج: ﴿نُزُلًا﴾؛ أي: منزلاً[3].

وقيل: النُّزل: الطعام المهيَّأ للنازل.

* * *

(١٠٣ ـ ١٠٤) ـ ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: يجوز

= (١٥/ ٤٢٢) عن ابن جريج في قوله: ﴿أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِى مِن دُونِي أَوْلِيَاءَ﴾ قال: يعني مَن يَعبد عيسى ابن مريم والملائكة، وهم عباد الله، ولم يكونوا للكفار أولياء.

أما ابن عباس ففي «تفسير الثعلبي» (٦/ ٢٠٠) عنه أنه قال: يعني: الشياطين، تولَّوهم وأطاعوهم من دون الله. لكن هذا القول استبعده الآلوسي وغمز في صحته، فقال: وفيه بعد، ولعل الرواية لا تصح. انظر: «روح المعاني» (١٥/ ٥٨٥).

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٦٠٤).

(٢) في (أ): «معدة».

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٣١٤).

أن يكون ﴿ٱلَّذِينَ﴾ نعتاً لـ(الأخسرين) ويكونَ جوابُه: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾، ويجوز أن يكون ﴿ٱلَّذِينَ﴾ جواباً وتقديره: هم الذين ضلَّ سعيهم في الحياة الدنيا.

وقوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾: أي: تلاشَى عند الله ثوابُ ما عملوا في الدنيا، وهم مع هذا يظنون أن ما يصنعونه من موالاةِ الكفار وتعنُّت النبيِّ ﷺ بهذه السؤالات صنعٌ حسنٌ.

* * *

(١٠٥) ـ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ﴾: أي: أولئك كفروا بالتوراة بجَحْد ما فيها ﴿وَلِقَآئِهِۦ﴾؛ أي: البعثِ بعد الموت ﴿فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ﴾؛ أي: بطَلت ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾؛ أي: لا نجعل لها قَدْراً.

* * *

(١٠٦) ـ ﴿ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُواْ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَرُسُلِي هُزُوًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُواْ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَرُسُلِي هُزُوًا﴾: يَهْزؤون بذلك.

ثم بعد ذكرِ جزاء الكافرين ذَكَر جزاء المؤمنين، وهو قوله:

* * *

(١٠٧) ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾: أي: بساتينُ الأعناب وكلُّ شيء من الثمار والأزهار[١] وسائرِ ما يُلذُّ ويُمتِع، وهو بلسان السُّريانيةِ في الأصل،

---

(١) في (أ): «والأنهار».

وصارت عربيةً باستعمال العرب[١]، وقوله تعالى: ﴿نُزُلًا﴾ أي: ثواباً معدًّا للنازلين بها.

وقال أبو أمامة: الفردوس سُرَّة الجنة وأفضلُها[٢].

***

(١٠٨) ـ ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبۡغُونَ عَنۡهَا حِوَلٗا﴾.

وقوله تعالى: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبۡغُونَ عَنۡهَا حِوَلٗا﴾: لا يطلبون عنها تحويلاً.

قال الزجَّاج: هو مصدرُ حال يَحولُ حِوَلا كالصِّغَر والكِبَر[٣].

ومعناه: لا يتمنَّون التحوُّل عنها؛ لأنه يكون لكراهته، أو لوجود أفضلَ منه، وليس كذلك، ولأن الإنسان إنما يطلب التحوُّل إذا حُوِّل، وهم لا يحوَّلون.

***

(١٠٩) ـ ﴿قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدٗا﴾.

وقوله تعالى: ﴿قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدٗا﴾: لمَّا سألوا[٤] عن الرُّوح وكذا وكذا ونزل في جواب الروح في آخر الآية ﴿وَمَآ

---

(١) في (ف): «العرف».

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٤١١٠)، والطبري في «تفسيره» (١٥/ ٤٣١).

وروي عنه مرفوعاً، رواه الحاكم في «المستدرك» (٣٤٠٢)، والطبراني في «الكبير» (٧٩٦٦)، وفيه جعفر بن الزبير، قال عنه الذهبي في «التلخيص»: هالك. وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٣٩٨): متروك.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٣١٥).

(٤) في (ف): «سألوه».

أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥] قالت اليهود: إنه يقول: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩] ثم يقول هذا، فكيف يجتمعان؟! فنزلت الآية[١].

أي: وإن كانت الحكمة ـ وهي القرآن ـ خيراً كثيراً وقد آتانيه الله تعالى، ولكن[٢] كلمات الله تعالى لا نفاد لها، ومعلوماتُه لا يحاط بها كثرةً، فما أوتيتُ أنا من القرآن ولا أنتم من التوراة في جنب ذلك إلا قليلاً.

وقال السدِّي: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا﴾ فكُتب به ما وَصف الله تعالى في الجنة للمؤمنين مما لا عينٌ رأت ولا أذنٌ سمعت ولا خطَر على قلبِ بشر، وما في النار للكافرين، وقد سبق ذكرهما في هذه الآيات، لنَفِدَ البحر قبل أن يَنْفدَ ذلك[٣]، ولو جيء ببحرٍ آخرَ مثلِه لنفِدَ أيضاً؛ أي: فَنِيَ.

وقال عكرمة: ﴿لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي﴾؛ أي: ثوابُ مَن تكلَّم بكلماتِ ربي، يعني: قال[٤]: لا إله إلا الله، قال تعالى: ﴿وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلْعُلْيَا﴾ [التوبة: ٤٠].

* * *

(١١٠) ـ ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾.

---

(١) انظر: «تفسير أبي الليث السمرقندي» (٢/ ٣٦٥)، و«تفسير الثعلبي» (٤/ ١٦٢)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ٢٩٨)، و«البسيط» (١٤/ ١٧٢)، و«تفسير البغوي» (٥/ ٢١٢)، و«المحرر الوجيز» (٣/ ٥٤٦)، و«الكشاف» (٢/ ٧٥٠). وعزاه بعضهم لابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) في (ر) و(ف): «وكل».

(٣) في (ر) و(ف): «قبل أن تنفد كلمات ربي».

(٤) في (ف): «قول»، وليست في (ر).

وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾: أي: مِثْلُكم في البشرية، وأُفارقكم في أن يُوحى إليَّ، فلا أعلم إلا ما علَّمني ربي، وقد أَوحَى إليَّ أنْ أبلِّغكم.

وقوله تعالى: ﴿أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ فلا تتخذوا من دونه أولياء(١).

وقوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ﴾: أي: يأمل ثواب الطاعة، وقيل: يخاف عقاب المعصية، والرجاء اسم لهما عند لقاء ربه؛ أي: يوم القيامة.

وقوله تعالى: ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾: خالصاً عن الشرك والرياء ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ قيل: ولا يراءِ بعمله لله أحداً مِن خلقه.

وقيل: لا يشركْ بالله في العبادة شيئاً من الأصنام وغيرها.

والحمد لله رب العالمين، ربِّ نجِّنا من القوم الظالمين، واجعلنا من عبادك الصالحين(٢)، بلطفك آمين(٣).

❊ ❊ ❊

---

(١) في (أ): «ولياً».

(٢) في (ف): «المخلصين».

(٣) «ربِّ نجِّنا من القوم الظالمين، واجعلنا من عبادك الصالحين، بلطفك آمين» ليس في (أ).

سُورَةُ مَرْيَمَ

سُورَةُ مَرْيَمَ

عليها السلام

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

بسم الله الذي وهبَ لزكريا يحيى على وَهْنِ العظمِ واشتعالِ الرأس من الشيب، الرحمنِ الذي وعد جناتِ عدنٍ عبادَه بالغيب، الرحيمِ الذي أحبَّ عباده[1] الذين آمنوا وعملوا الصالحات وحبَّبهم إلى خِيَارِ خلقه مع ما بهم من العيب.

وروى أبيُّ بن كعب رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «مَن قرأ سورةَ مريم أُعطي عشرَ حسناتٍ بعددِ مَن كذَّب بزكريا وصدَّق به، وبيحيى ومريم وعيسى وإبراهيم وإسحاق ويعقوب وموسى وهارون وإسماعيل وإدريس عشرَ حسنات، وبعددِ مَن دعا لله ولداً، وبعددِ مَن لم يَدْعُ لله ولداً»[2].

وهذه السورةُ مكيةٌ، وهي تسعٌ وتسعون آيةً، وقيل: ثمان وتسعون آية، وقيل: سبع وتسعون آية[3].

والاختلافُ في ثلاث آيات: ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ ﴿فِي ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ﴾ ﴿فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا﴾[4].

---

(١) «عباده» من (ر).

(٢) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٦/ ٢٠٥)، وهو قطعة من الحديث الموضوع في فضائل السور.

(٣) تسع وتسعون في المدني الأخير والمكي وثمان في عدد الباقين. انظر: «البيان في عد آي القرآن» للداني (ص: ١٨١). ولم يذكر القول الأخير.

(٤) ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ عدها الكوفي ولم يعدَّها الباقون ﴿فِي ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ﴾ عدها المدني الأخير والمكي =

وكلماتُها تسعُ مئةٍ كلمة وستون[١]، وحروفُها ثلاثة آلاف وثماني مئةٍ وإحدى وستُّون[٢].

وانتظام أول هذه السورة بآخر تلك السورة[٣]: أنه ختم تلك السورةَ بقوله: ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ ثم بيَّن في أول هذه السورة أنه الكافي على الكمال فلا معنى للإشراك في عبادته وقصدِ غيره لمعونته أو كرامته.

وانتظامُ السورتين في المعنى: أن تلك السورة في ذمِّ المشركين ووعد المؤمنين وإلزامِ الحجة عليهم بقصص الأولين، وختم تلك السورة بوعيد المشركين ووعد المؤمنين، وهذه السورة كذلك.

***

(١) ـ ﴿كٓهيعٓصٓ﴾.

وقوله تعالى: ﴿كٓهيعٓصٓ﴾: قال قتادة هي اسم للقرآن[٤].

وقال جماعة: هي اسمٌ لهذه السورة.

وقال السدي: هي اسم الله الأعظم[٥].

= ولم يعدَّها الباقون ﴿فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا﴾ لم يعدها الكوفي وعدها الباقون. المصدر السابق.

(١) في (ر) و(ف): «وتسعون»، وفي المصدر السابق: (واثنتان وستون)، ومثله في «تفسير الثعلبي» (٦/ ٢٠٥).

(٢) كلمة: «وإحدى» من (أ). وفي المصدرين السابقين: (ثلاثة آلاف وثماني مئة وحرفان).

(٣) في (ر) و(ف): «أول هذه السورة بسورة الكهف».

(٤) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٧٢٩)، والطبري في «تفسيره» (١٥/ ٤٥٢).

(٥) ذكره عن السدي القرطبي في «تفسيره» (١٣/ ٤٠٥). وعزاه في «الدر المنثور» (٥/ ٤٧٨) لعثمان ابن سعيد الدَّارِميّ وابن ماجه وابن جرير عن ابن عباس. وانظر: «تفسير الطبري» (١/ ٢٠٦).

وقال محمد بن كعب: أقسم الله تعالى بكفايته وهدايته ويُمنه وعلوِّه وصدقه[١].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما والكلبي ومقاتل والضحاك: هي أسماء الله تعالى: كافٍ هادٍ عالمٌ صادق. وقال سعيد بن جبير: كريمٌ هادٍ، يده مبسوطةٌ بالعدل والفضل، عليمٌ صَمَدٌ[٢].

وقال الإمام القشيري رحمه الله: في هذه الحروف تعريفُ الأحباب أسرارَ معاني الخطاب، بحروفٍ خصَّ الحقُّ سبحانه المخاطَبَ بها بفَهْم معانيها، فللأغيار سماعُها وذكرُها، وللرسول فهمُها وسرُّها.

قال: وقيل: في الكاف إشارةٌ إلى كتابته الرحمةَ على نفسه قبل كتابة الملائكة الزلَّةَ على عباده.

والهاء تشير إلى هدايته المؤمنين إلى عرفانه، وتعريفِ هويَّته لاستحقاقِ جلال سلطانه، وتعريف هيبته للمؤمن[٣] وما له عليه من الحق بحكم إحسانه.

والياءُ إشارة إلى يسر نعمه بعد عُسر محنه، وإلى يده المبسوطة بالرحمة للمؤمنين من عباده.

والعين تشير إلى علمه بأحوال خلقه، سرِّه وجهره، قليلِه وكثيره، حالِه ومآله.

والصاد إلى أنه الصادق في وعده[٤].

---

(١) لم أقف عليه، وروى الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٤٥٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: فإنه قسم أقسم الله به، وهو من أسماء الله.

(٢) انظر هذه الأقوال في «تفسير عبد الرزاق» (١٧٣٠) و(١٧٣١)، و«تفسير الطبري» (٢/ ٤٤٣ ـ ٤٥٢)، و«تفسير الثعلبي» (٦/ ٢٠٦)، و«الدر المنثور» (٥/ ٤٧٧ ـ ٤٧٨).

(٣) في (أ): «وتعريف هيبته للمؤمنين»، وفي (ف): «وتعريف ألوهيته للمؤمن»، وفي (ر): «وتعريف هيئته للمؤمن». ولم ترد هذه الجملة في «اللطائف».

(٤) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٤١٨).

(٢) ـ ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ﴾: قيل: ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ مبتدأ، وهذا خبره.

وقيل: ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ كلام تامٌّ، ثم معناه: هذا ذكر رحمة ربك، كقولك: هذا ذكر سرٍّ[1] فلان بن فلان، وهذا بيان ذكر رحمة الله زكريا.

وهو نبي الله زكريا بن ماثان، قاله ابن عباس رضي الله عنهما[2]، وزكريا بن يوحنا قاله مقاتل.

***

(٣) ـ ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا﴾.

ثم بيَّن ذلك بقوله: ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ﴾: أي: دعا وناجى، وكان ذلك في الصلاة كما قال تعالى: ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ﴾ [آل عمران: ٣٩] وهو أبلغُ في التضرع.

وقوله تعالى: ﴿نِدَآءً خَفِيًّا﴾ عن الخلق، وهو أبعد عن الرياء وأقرب إلى الصفاء.

وقيل: أخفى ذلك حياءً من الناس وتوقِّياً أن يلامَ على سؤال[3] الولد وهو ابنُ خمس وثمانين سنة.

***

(٤) ـ ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾.

---

(١) في (أ): «شراء»، وفي (ر): «سرا».

(٢) انظر: «تفسير أبي الليث» (٢/ ٣٦٧).

(٣) في (أ): «سؤاله».

وقوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي ﴾: أي: ضعُف، وهو نهاية الضعف فإن العظم أشدُّ ما في البدن، وإذا انتهى الضعفُ إليه فهو غاية الضعف.

﴿وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا ﴾: أي: الْتهبَ، يعني: عمَّ الشيبُ رأسي كالنار تشتعلُ في الحطب فتنتشر فيه، وهو مجاز.

قوله تعالى: ﴿وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴾: أي: قد عوَّدْتَني الإجابة أبداً، فلم تكن تُشقيني قط بالردِّ إذا دعوتُك، وتقول العرب: سَعِد فلانٌ بحاجته: إذا ظَفِر بها، وشَقِي: إذا خاب ولم ينلْها، ولأن الشقاء هو التعب؛ قال تعالى: ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴾ [طه: ١١٧]، ومَن سعى لشيء فلم يدركه ظهر له التعبُ، وإذا أدركه زال تعبُه.

وقال الإمام القشيري رحمه الله: ﴿إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي ﴾: لقيتُ بضعفي عن خدمتِك ما لا أحبُّه(١)، ولا قوة بعد الشيب، فهب لي ولداً ينوب عني في عبادتك(٢).

* * *

(٥) ـ ﴿ وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِى ﴾: المولى: ابن العم والعصَبة، وجمعه: الموالي.

---

(١) في (أ): «لقيت لضعفي عن خدمتك على ما أحبه»، وفي (ف): «بقيت بضعفي عن خدمتك عليّ ما لي حيلة»، وفي (ر): «تفتت لضعفي عن خدمتك علي ما لي جنة». والمثبت من «اللطائف»، وزاد: (فطعنت في السنّ).

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٤١٩).

و﴿مِن وَرَآءِى﴾ قال أبو عبيدة: أي: من جهة الموت الذي هو قدَّامي؛ قال الشاعر:

أترجو بنو مروان سمعي وطاعتي وقومي تميمٌ والفَلاةُ ورائيا[1]

أي: خِفْتُ عصَبتي الذين هم موجودون الآن ألَّا يقوموا مقامي في الدِّين بعد موتي، كأنه لم ير فيهم من الخِلال ما يَصلحون لذلك، فسأل من الله تعالى ولداً صالحاً لذلك.

وقيل: أي: خفتُ بني عمي على الدِّين[2] من بعدي، وهم شرارُ بني إسرائيل.

وقوله تعالى: ﴿وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا﴾: قيل: أي: ولداً.

وقيل: أي: من الموالي مَن يصلح لذلك؛ فإن هؤلاء الموجودين لا يصلحون له.

قال هؤلاء: ولم يسأل ولداً، فقد قال: ﴿وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا﴾؛ أي: عقيماً لا تلد، و(كانت) عبارةٌ عن تقادُم العهد وهو مما لا يزول غالباً، فكان وصفاً منه لها بذلك للحال أيضاً، فكان لا يطمع في الولد منها، وإنما سأل عصَبةً تصلُح له.

واستدلوا بقوله لمَّا بُشِّر به: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ﴾ وهو تعجُّبٌ منه، ولو كان استوهَبَ الولدَ ثم بشِّر بذلك لم يستعظِمْه.

قالوا: فدل على[3] أن معنى قوله: ﴿فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا﴾؛ أي: مولًى، فإن المولى والوليَّ واحد.

---

(١) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (٢/ ٢)، ونسب البيت فيه لمساور بن حمئان من بني ربيعة، ونسب في «الكامل» للمبرد (٢/ ٢٦٨)، و«الأضداد» للأصمعي (ص: ٢٠)، لسوار بن المضرَّب.

(٢) في (ف): «الذين» بدل: «على الدين».

(٣) «على» ليست في (ف).

والأكثر على أنه سأل الولد، وقوله تعالى: ﴿وَلِيًّا﴾؛ أي: ولداً هو وليٌّ من أوليائك.

* * *

(٦) - ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾: قال ابن عباس والحسن والضحاك: يرث المال(١).

وقال أبو صالح: يرث النبوةَ(٢).

وقال السدي ومجاهد والشعبي: يرثُني المال ويرثُ من آل يعقوب النبوة.

وقد روي: «إن الأنبياء لم يورِّثوا ديناراً ولا درهماً، وإنما ورَّثوا العلم، فمَن أخذه فقد أخذ حظاً وافراً»(٣)، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا﴾ [النمل: ١٥] إلى أن قال: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾ [النمل: ١٦]، ويدلُّ عليه أنه وهب له يحيى وهو لم يرثِ المال وإنما ورث العلم.

ومعنى وراثة النبوة: أنه يصلُح لها بأن يوحَى إليه، ولم يُرِدْ أن نفس النبوة تورثُ بغير وحي.

---

(١) لم أقف عليه، وانظر التعليق الآتي.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٤٥٨) بلفظ: (يرث مالي، ويرث من آل يعقوب النبوّة). وبهذا اللفظ رواه الفريابي عن ابن عباس كما في «الدر المنثور» (٥/ ٤٨٠)، وهكذا أيضاً رواه داود بن أبي هند عن الحسن كما في «معاني القرآن» للنحاس (٤/ ٣١١). لكن هذا كله يعارض ما رواه البخاري (٦٧٢٨)، ومسلم (١٧٥٧) من حديث أبي بكر رضي الله عنه: «لا نورث، ما تركنا صدقة»، وانظر كلام ابن كثير عند هذه الآية، وكذلك ما سيأتي من كلام المؤلف.

(٣) رواه أبو داود (٣٦٤١)، والترمذي (٢٦٨٢)، وابن ماجه (٢٢٣)، من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه.

وقوله تعالى: ﴿مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾ قيل: هو والد يوسف عليهما السلام؛ لأن زكريا كان تزوج أخت مريم بنت عمران، وهي ترجع بنسبها إلى يعقوب؛ لأنها من ولد سليمان بن داود، وداود من ولد يهوذا بن يعقوب، ثم زكريا نفسه من ولد هارون أخي موسى، وهارون وموسى من ولد لاوي بن يعقوب، وكانت النبوة في سبط يعقوب.

وقيل: هو يعقوب بن ماثان أخو عمران بن ماثان، وكان آل يعقوب أخوالَ يحيى بن زكريا، وهذا قول الكلبي ومقاتل(١).

وقال الكلبي: كان بنو ماثان رؤوسَ بني إسرائيل وملوكَهم، وكان زكريا رأسَ الأحبار يومئذ، فأراد أن يرث ولدُه حبورتَه، ويرثَ هو أيضاً من بني ماثان مُلكَهم(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾: قيل: هو بمعنى فاعلٍ؛ أي: راضياً عنك وراضياً بتقديرك.

وقيل: هو بمعنى مفعول؛ أي: مرضيًّا عندك.

وقيل: أي: مرضيًّا في أمَّته لا يُتلقى بتكذيبٍ ولا تسخُّطٍ لِمَا يأتي به.

وقيل: مرضيًّا عندهم لا يُعاب بشيء، ولا يُنسَب إلى عيب.

وقال القَفَّال: فيه بيانُ أنَّ مَن أراد أن يَسأل الله تعالى حاجةً مّا توجَّب(٣) أن يبلغ ما أَمكن بلوغه من إخلاص المسألة والانقطاعِ بالرغبة إليه، وتأكيدِ أسباب التضرع

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٦٢٣)، وقول الكلبي في «تفسير الثعلبي» (٦/ ٢٠٦). وذكره عنهما أيضاً الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٣٥٦).

(٢) ذكره بتمامه الفخر الرازي في «تفسيره» (٢١/ ٥١١). وذكر أوله الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٣٥٦)، والواحدي في «البسيط» (١٤/ ١٩٧).

(٣) «ما توجب» من (أ).

بإظهار الفاقة والعجز عن نيل ما يريد إلَّا بفضل الله تعالى، ألا ترى أن الله تعالى أخبر عنه أنه دعاه دعاءً خفيًّا في صلاته، وهي أقربُ أحوال العبد إلى ربه، ثم أظهر العجز عن نيل الوليِّ بكِبَر سنه ووَهْن عظمه وعُقْر امرأته، وما يخاف من ردِّ الله تعالى إياه من مصير ميراث النبوة ورئاسةِ العلم في الأباعد منه، ثم توسَّل إلى الله تعالى بما عوَّده من الإجابة في كلِّ ما كان يدعوه به، وفي ذلك طرف[1] من الشكر؛ لأنه اعترافٌ بتقدم المنَّة، فينبغي لمن أراد الدعاء أن يقدِّم أمام دعائه هذه المعانيَ وأشباهَها.

***

(٧) ـ ﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَٰزَكَرِيَّآ﴾: وفيه[2] إضمار: فقلنا: يا زكريا.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ﴾: وكانت البشارة على لسان جبريل عليه السلام كما في سورة آل عمران: ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ﴾ [آل عمران: ٣٩].

وقوله تعالى: ﴿بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ﴾: أي: قد سميناه يحيى.

وقوله تعالى: ﴿لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا﴾: قال ابن عباس وقتادة والحسن ونوفٌ البِكَاليُّ وابن زيد والسدِّي: لم يسمَّ أحد قبله يحيى[3].

---

(١) في (ر) و(ف): «طرق».

(٢) «وفيه» زيادة من (أ).

(٣) رواه الحاكم في «المستدرك» (٣٤٠٧) وصححه، وابنُ أبي شيبة في «المصنف» (٣١٩٠١)، كلاهما من طريق سماك بن حرب عن عكرمة عن ابن عباس. ورواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٤٦٢ ـ ٤٦٣) عن قتادة والسدي وابن زيد وابن جريج. وعن قتادة عبد الرزاق في «تفسيره» (١٧٣٧).

وقيل: أي: سميناه يحيى قبل أن نخلقه، وسائر الأنبياء إنما سماهم آباؤهم وأمهاتهم بعد ولادتهم، فخصَصْناه[١] بتسميته إياه وبتسميته قبل خلقه.

وقال قطرب: ﴿لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا﴾؛ أي: نظيراً ومِثْلاً.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: لم تلد قبله العواقرُ ولداً[٢].

وقيل: سمي يحيى لأنه به حَيِي به عُقرُ أمه.

وقيل: لأن الله تعالى أحيَى قلبه باليقين.

* * *

(٨) - ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ﴾: أي: كيف؟ وقيل: أي: من أين؟ فليس هذا باستعظامٍ ولا تعجيزٍ، بل هو استكشافٌ أنه بأيِّ طريق؟ كما مر في سورة آل عمران.

وقال الحسن: سأل: كيف يُوهب له؟ أيُوهب[٣] وهو وامرأته على هيئتهما أم يحوَّلان شابين[٤]؟

---

(١) في (ر): «فتخصصنا»، وفي (ف): «فتخصيصاً».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٤٦١ - ٤٦٢) من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وفيه: (مثله) بدل: «قبله». وكذا رواه ابن المنذر وابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» (٥/ ٤٨١).

(٣) «أيوهب» من (أ).

(٤) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٣٩١). وذكره مختصراً يحيى بن سلام في «تفسيره» (١/ ٢١٥).

وقوله تعالى: ﴿وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا﴾: قرأ حمزة والكسائي وحفصٌ عن عاصم بكسر العين، والباقون بضمِّها[١].

والعُتيُّ: هو بلوغ نهاية الكبر، وقد عتَا يَعْتُو عُتُوًّا وعِتِيًّا وعُتِيًّا، فهو عاتٍ، وهو الذي غيَّره طول الزمان إلى حال اليبس والجفاف.

وقال أبو عبيدة: كلُّ متناهٍ في كفرٍ أو فسادٍ أو كِبرٍ فهو عاتٍ[٢].

وقال نفطويه: أراد به بلوغَ العمر الطويل، يقال: ليلٌ عاتٍ؛ أي: طويلٌ.

وقيل: أراد زكريا بهذا: إني مع شدة حاجتي إلى الولد كبيرٌ لا يولد لمثلي، وامرأتي عاقرٌ لا يولد لمثلها، وأنت القادر على ما تشاء، فالْطُفْ لي بالولد كيف شئتَ، وأنت قادر على أن تحوِّلنا شابَّين، وأن تهبَ لنا الولد مع ما بنا، وكان هذا استخباراً أنه: يولد لهما على هذه الحالة أو بعد الإحالة؟

* * *

(٩) ـ ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ﴾: أي: أنت وامرأتُك كما قلتَ.

﴿قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾: خلقُ هذا الولد عليَّ سهل ﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ﴾؛ أي: أبدعتُك من قبلِ إخباري إياك عن خَلْق يحيى.

وقوله تعالى: ﴿وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا﴾: أي: بشراً كما أنت الآن، أو هو نفيُ الخَلق عن شيء في الابتداء، فإنَّ ما خَلَق اللهُ في الابتداء خلَقه لا من شيءٍ، ثم الآن وإن كان يتراءى خلقُ الولد من نطفةٍ وخلق النبات من حبةٍ[٣]، لكنَّ الأصل ما قلنا.

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٤٠٧)، و«التيسير» (ص: ١٤٨).

(٢) انظر: «مجاز القرآن» (٢/ ٢).

(٣) في (ر) و(ف): «الحب».

ودلت الآية أن المعدوم ليس بشيء، وهو حجةٌ على المعتزلة.

* * *

(١٠) ـ ﴿ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً ﴾: أي: علامةً أعلم بها أنه عَلِق؛ لأزيدَ في الشكر ودعاءِ السلامة.

﴿قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ﴾: أي: لا تطيقَ أن تكلِّمَ الناس ﴿ثَلَٰثَ لَيَالٍ﴾؛ أي: بأيامها ﴿سَوِيًّا﴾؛ أي: حال كونك سويَّ الأعضاء واللسان لا خرس به[1] ولا آفةَ ولا ضعفَ ولا سُقم، قاله قتادة[2].

وجاء: أنه كان يقدر على القراءة والذِّكر، ويعجز عن كلام الناس.

* * *

(١١) ـ ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ ﴾: أي: من موضع صلاته.

وقيل: كانت له غرفةٌ يصعد إليها بسلَّم.

وقد بينَّا الأقاويل فيه في سورة آل عمران وبينَّا القصة.

وقيل: كان موضعاً لا يدخلونه إلا بإذنٍ، فاجتمعوا ينظرونه، فخرج إليهم وهو لا يتكلم.

---

(١) «به» ليس من (أ).

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٧٤٠)، والطبري في «تفسيره» (١٥/ ٤٦٨)، ورواه الطبري أيضاً عن ابن عباس ومجاهد.

وقوله تعالى: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ﴾: أي: أشار ﴿أَن سَبِّحُواْ﴾؛ أي: صلُّوا ﴿بُكْرَةً﴾؛ أي: صلاة الفجر ﴿وَعَشِيًّا﴾؛ أي: صلاة العصر؛ قاله أبو العالية، فيحتمِل أنهم كانوا يصلون معه في محرابه هاتين الصلاتين، وكان يخرج إليهم فيأذَن لهم بالدخول بلسانه، فلما اعتُقل أذن لهم بإشارته.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ﴾؛ أي: كتب على الأرض[1].

وقال مجاهد: أشار إليهم[2]. وهو الأشبهُ؛ لقوله: ﴿إِلَّا رَمْزًا﴾ فإن ذلك لا يكون كتابةً.

* * *

(١٢) ـ ﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ﴾: وأضمَر هاهنا: فوهبنا له يحيى وقلنا له بعد ولادته[3] في حال طفوليَّته[4]: ﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ﴾ قيل: أي: التوراة.

وقيل: آتاه كتاباً خصَّه به.

﴿بِقُوَّةٍ﴾؛ أي: بجدٍّ ومُواظَبة، وأخذُه: قبولُه والعمل به.

وقوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا﴾: أي: أعطيناه الذكاء وشدةَ الفهم حال صباه.

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» كما في «الدر المنثور» (٥/ ٤٨٣) بلفظ: (كتب لهم)، وبلفظ المؤلف رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٤٧٢) عن مجاهد.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٤٧١)، ورواه أيضاً ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» (٥/ ٤٨٣).

(٣) في (ر) و(ف): «ولايته».

(٤) في (أ): «طفولته».

قال معمر: إن الصبيان قالوا ليحيى وهو ابن ثلاث سنين: اذهب بنا نلعب، فقال: ما للَّعبِ خُلقنا(١)! فذلك قوله: ﴿وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْحُكْمَ﴾؛ أي: الحكمة(٢) ﴿صَبِيًّا ﴾.

وقيل: ﴿ٱلْحُكْمَ﴾: النبوة.

***

(١٣ ـ ١٤) ـ ﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا ﴾: أي: رحمة وشفقة.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لا أدري ما الحنان والرقيم والغسلين(٣)، ثم روي عنه أنه قال: أُراه التعطُّفَ والرحمة(٤).

وهذا معطوف على قوله: ﴿وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْحُكْمَ﴾ ﴿وَحَنَانًا﴾؛ أي: وعطفاً على العباد وشفقةً.

﴿وَزَكَوٰةً ﴾: أي: طهارةً، وقيل: وتزكية، فإنه من زكاة الزرع وهو نماؤه.

وقيل: ﴿وَحَنَانًا﴾؛ أي: ورحمةً منا له ﴿وَزَكَوٰةً﴾؛ أي: تزكيةً منا إياه(٥)؛ أي:

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٧٤٣)، والطبري في «تفسيره» (١٥/ ٤٧٤).

(٢) «أي: الحكمة» ليس من (أ) و(ف).

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٦٥٥) وزاد: والأواه، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٤٧٧)، مقتصراً على لفظ الحنان.

(٤) رواه الحاكم في «المستدرك» (٣٤١٠) وصححه، وعنه البيهقي في «الأسماء والصفات» (١٤١)، كلاهما بلفظ: ﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا﴾ قال: «التَّعطُّفُ بالرحمةِ».

(٥) في (ر) و(ف): «إليه».

تشريفاً ورفعاً[١]؛ كتزكيةِ المزكِّي الشهودَ، وعلى هذا تكون الواو في أوله زائدةً، أو يضمرُ بعده فعلٌ؛ أي: ولرحمةٍ منا عليه وتزكيةٍ منا إياه فضَّلناه بإيتاء الحكم والكتاب في صباه على كثير من الأنبياء.

وقال عطاء بن أبي رباح: ﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا﴾ أي: تعظيماً[٢].

وفي حديث ورقةَ بن نوفل حين رأى بلالاً يعذَّب وهو يقول: أحدٌ أحد، أنه قال: والله لئن قتلتُموه لأتَّخِذَنَّهُ حناناً[٣]؛ أي: لأتمسَّحنَّ به ولأجعلنَّه ممن يعظَّم ويُشهر أمرُه ويجعلُ قبرُه مزاراً.

وقيل ـ وهو قول قتادة ـ: ﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا﴾؛ أي: رحمةً على زكريا استجبنا له وأعطيناه هذا الولد[٤]، ويتصل بقوله: ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ تَقِيًّا﴾: أي: يحيى ﴿وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ﴾ وهو أحد وجوه التقوى.

وقوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا﴾: أي: متكبِّراً متعظِّماً على عباد الله.

وقيل: أي: متمرِّداً على الله.

وقيل: الجبار: الذي لا يرى لأحد على نفسه حقًّا ولا طاعة.

وقال سفيان: الجبار: الذي يَقتلُ على الغضب[٥]، ومَن قتل اثنين فهو جبَّارٌ

---

(١) في (ر): «وترفيعاً»، وفي (ف): «وترفعاً».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٤٧٧).

(٣) رواه ابن إسحاق كما في «السيرة النبوية» لابن هشام (١/ ٣١٨)، وعبد الله بن أحمد في زوائده على «الزهد» (٨٩)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ١٤٨)، عن عروة بن الزبير.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٤٧٦) بلفظ: ورحمة من عندنا رحم الله بها زكريا.

(٥) ذكره الثعلبي في «البسيط» (١٤/ ٢١٠) عن الكلبي.

في الأرض؛ قال الله تعالى خبراً: ﴿أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِن تُرِيدُ إِلَّا أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ﴾ [القصص: ١٩].

وقيل: الجبار الذي يعاقب على غضب نفسه لا على استحقاق الجاني، قال تعالى: ﴿وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾ [الشعراء: ١٣٠].

والعَصِيُّ: المُبالغ في العصيان، وهو مخالفة الأمر.

***

(١٥) ـ ﴿وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾: هي كلمة مدح وثناء؛ قال الله تعالى: ﴿فَسَلَامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ [الواقعة: ٩١]، وهو إخبارٌ بطِيب مولد يحيى وحُسن خاتمته وفوزه يومَ القيامة، والمعنى: إن السلامة والطهارةَ والبراءةَ من خلاف الجميل[١] مقرونةٌ به في أحواله هذه، لم يَجْرِ عليه ما يَدخله عيبٌ ونقصٌ وذم.

وقيل: ﴿وَسَلَامٌ عَلَيْهِ﴾؛ أي: أمانٌ له من الله يومَ ولد من أن ينالَه الشيطان ﴿وَيَوْمَ يَمُوتُ﴾؛ أي: وأمانٌ له من فتَّاني القبر ﴿وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾؛ أي: وأمان له من العذاب[٢] يوم القيامة؛ قاله ابن جرير[٣].

وقال ابن عيينةَ: أوحشُ ما يكون الخلقُ في ثلاثة مواطنَ: يوم وُلد فيَرى نفسه خارجاً مما كان فيه، ويوم يموت فيَرى قوماً لم يكن عايَنهم، ويوم يُبعث فيرى نفسه في محشَرٍ عظيم، فأكرمه الله تعالى بالسلامة فيها[٤].

---

(١) في (ف): «والطهارة والبر من الأخلاق الجميلة».

(٢) في (ف): «عذاب».

(٣) انظر: «تفسير الطبري» (١٥/ ٤٨١).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٤٨٢).

قال نفطويه: فهذه فُجاءاتٌ ثلاثٌ لا فُجاءةَ أعظمُ منها فسلَّمه فيها.

***

(١٦) ـ ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ﴾: وانتظامُ هذه القصة بقصة زكريا عليه السلام: أن سؤال زكريا الولدَ كان عند مشاهدته حالَ مريم، على ما قال: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ﴾ الآيةَ ﴿وَٱذْكُرْ﴾ يا محمد ﴿فِي ٱلْكِتَٰبِ﴾؛ أي: في القرآن ﴿مَرْيَمَ﴾؛ أي: اقرأ عليهم في القرآن قصةَ مريم؛ ليقفوا عليها، ويعلموا ما جرى عليها من ولادة عيسى، فيَعتقدوا ذلك فيَسلموا من شرك النصارى، ويعرفوا قَدْرَ الصلاح والتقوى عند الله ممن كان ذكراً أو أنثى.

وقوله تعالى: ﴿إِذِ ٱنتَبَذَتْ﴾: أي: تباعدت.

وقال قتادة: أي: انفردتْ[١]، وقعدتُ نبذةً؛ أي: ناحيةً.

﴿مِنْ أَهْلِهَا﴾: أي: قومها الذين هي فيهم[٢] ﴿مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾: موضعاً يلي مشرق الشمس.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: إنما اتَّخذت النصارى المشرقَ قبلة وزعموا أنه لو كان شيء من الأرض خيراً من المشرق لوضعت مريم عيسى به[٣].

وإنما انتبذت عند بعضهم لأنها عطشت فخرجت إلى المفازة تستقي[٤].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٤٨٣) بلفظ: انفردت من أهلها.

(٢) في (ف): «منهم».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٤٨٤).

(٤) في (ف): «تستسقي».

وقيل: حاضت وطهُرت، فخرجت من بيتها لتتطهَّر وتمتشِط[١].

وقيل[٢]: اعتزلت في المسجد إلى جانب المحراب في شرقيِّه لتخلوَ للعبادة.

* * *

(١٧) ـ ﴿فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا﴾: قال السدي: من الجدران.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: حجاباً يسترها من الشمس[٣].

وقيل: حجاباً تستتر به عن الناس في الاغتسال[٤].

وقوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾: أي: جبرائيل، قاله الحسن وقتادة والسدي وابن جريج ووهب بن منبه[٥]، والإضافة للتشريف.

وقوله تعالى: ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا﴾: أي: تصوَّر لمريم ﴿بَشَرًا﴾؛ أي: آدمياً ﴿سَوِيًّا﴾؛ أي: صحيحَ الأعضاء لتُطيق مريمُ النظر إليه.

وفي القصة: أنها رأت شابًّا صبيحاً عليه ثيابٌ بيضٌ ﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنكَ﴾ خافت منه وظنَّت أنه رجل يريدها بسوء، وعلمت أنها لا تقدر على دفع ذلك بنفسها فاستعاذت بالله.

---

(١) في (ف): «لتطهر وتغتسل وتمتشط».

(٢) في (ر) و(ف): «وقد».

(٣) روى القولين الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٤٨٥).

(٤) في (أ): «للاغتسال».

(٥) ذكره عنهم الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٣٦٢)، ورواه عنهم ـ عدا الحسن ـ الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٤٨٥ ـ ٤٨٦).

﴿قَالَتْ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا﴾: والتقيُّ يعيذ مَن استعاذ بالله، وغيرُ التقي لا ينفع ذلك عنده، وهو كقوله تعالى: ﴿وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٧٨].

* * *

(١٩) ـ ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ﴾: أمَّنها مما خافت، وأخبر أنه ليس بآدميٍّ يُخافُ منه، بل هو رسول من الله تعالى.

وقوله تعالى: ﴿لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا﴾: قرأ أبو عمرو ونافع: ﴿ليَهَب لك﴾(١)؛ أي: ليَهَب الله لك؛ أي: أنا مبشِّر لك بذلك، وقرأ الباقون: ﴿لِأَهَبَ لَكِ﴾ أي: أتسبَّبُ بهبة(٢) الله لك ذلك، وهو ما كان من نفخه في جيبها بأمر الله عز وجل.

وقيل: أضمر القول هاهنا: إنما أنا رسول ربِّك بقولِ الله تعالى: ﴿لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا﴾؛ أي: ابناً صالحاً طيِّباً طاهراً.

وقال عكرمة: كانت مريم تكون في المسجد ما دامت في الطهر، فإذا حاضت تحوَّلت(٣) إلى بيت خالتها حتى إذا طهرت عادت إلى المسجد، فبينا هي تتطهَّر من الحيض عَرَض لها جبريل في صورةِ غلامٍ أمردَ وضيءِ الوجه، فلما رأته مريم قالت: ﴿إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ﴾ الآية(٤).

---

(١) هي قراءة أبي عمرو، وورش عن نافع، والحلواني عن قالون عن نافع. انظر: «التيسير» (ص: ١٤٨)، و«النشر» (٢/ ٣١٧).

(٢) في (أ): «السبب لهبة»، وفي (ر): «بسبب هبة».

(٣) في (ر): «خرجت».

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٦/ ٢٠٩)، والبغوي في «تفسيره» (٥/ ٢٢٣).

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ونفخ جبريلُ في جيب درعها فحملت[١].

وقيل: نفخ من بعيد فوصل أصل[٢] الريح إلى جسدها.

* * *

(٢٠) ـ ﴿ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ ﴾: أي: بالحلال ﴿وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴾؛ أي: زانية، ولا يكون الولد في العادة إلا من أحدِ هذين الوجهين، فأنَّى يكون لي ولد؟ أي: كيف ومن أين؟ وهو استعظامٌ واستبعاد.

وقيل: هو سؤال وجهُه: أنى يكون: بزوجٍ أتزوَّجه[٣]، أو يخلق الله تعالى فيَّ ذلك بغير زوج؟

* * *

(٢١) ـ ﴿ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ قَالَ كَذَٰلِكِ ﴾: أي: قال جبريل: بل هو[٤] كما قلتِ.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ ﴾: أي: خلقُه من غير أبٍ يسيرٌ عليَّ.

---

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (٤١٥٦)، ومن طريقه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٧٠/ ٨٦)، ورواه ابن عساكر من طريق آخر (٧٠/ ٨١ ـ ٨٣).

(٢) في (أ): «فوصلت» بدل: «فوصل أصل».

(٣) في (أ): «زوج أتزوجه»، وفي (ف): «أتزوج بزوج».

(٤) «بل هو» ليس في (أ).

قوله تعالى: ﴿وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً﴾: أي: نَهَبُه لك من غير أبٍ لنجعله معجزةً له[١].

وقيل: أي: نجعل هذا الولدَ آيةً للناس دالةً على قدرة الله تعالى ووحدانيته.

وقوله تعالى: ﴿وَرَحْمَةً مِّنَّا﴾: نرحمُ به عبادنا ﴿وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾؛ أي: شأناً كائناً قضى الله به.

* * *

(٢٢) ـ ﴿۞ فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا﴾.

قوله تعالى: ﴿فَحَمَلَتْهُ﴾: أي: حملت الولد في البطن بالنفخ ﴿فَانتَبَذَتْ بِهِۦ﴾؛ أي: تنحَّت بالحمل ﴿مَكَانًا قَصِيًّا﴾؛ أي: بعيداً عن الناس، وقد قصا يَقْصو قَصْواً فهو قاصٍ وقصيٌّ؛ أي: تباعَدَ، وأقصى[٢] غيرَه؛ أي: أبعده.

وقيل: أي: انتبذت خوفاً على نفسها من القتل.

وقيل: خوفاً على ولدها لو ولدته فيما بين أظهُرهم.

وقيل: كما حملت أخذها المخاض، ففكَّرت فيما يقول لها الناس فانتبذت.

وقيل[٣]: مكثَتْ بعد الحمل مدةً، واستبان بها الحمل، وقالوا فيها ما قالوا، فتنحَّت[٤] حينئذ فأخذها المخاض في طريقها.

* * *

---

(١) «له» من (أ).

(٢) في (أ): «وأقصاه».

(٣) في (أ): «وقد».

(٤) في (أ): «فانتبذت».

(٢٣) ـ ﴿ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ ﴾: تعديةُ جاء، وقيل[١]: أي: ألجأها؛ قاله الحسن وقتادة ومجاهد وعكرمةُ[٢].

والمخاض: وجع الولادة، وحقيقتُه: اضطراب الولد للخروج، وقد تمخَّض؛ أي: تحرَّك.

وقوله تعالى: ﴿إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ﴾: أي: أصلِها، وكان يابساً، وتعريفُ النخلة دليلٌ أنها كانت نخلةً معروفة مشهورة.

وقوله تعالى: ﴿قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا﴾: قيل: لمَّا ضربها[٣] الطَّلْقُ عِيْلَ صبرُها فتمنَّت الموت، وهذا كلام يستعمله الصالحون عند الشدائد طبعاً ـ لا تسخُّطاً[٤] لقضاء الله تعالى ولا تشكِّياً ـ فيُعذرون.

وقيل: كرهت مقالة[٥] الناس وطعنَهم فيها.

وقيل: قالت ذلك شفقةً على قومها أنهم يأثَمون بما يقولون فيها ويعاقَبون عليه.

وقيل: إنما قالت ذلك: ﴿يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا﴾ حتى لا تسمع ما يقولون[٦]: مريم زوجة الله وعيسى ابن الله.

---

(١) «تعدية جاء وقيل» ليست في (ف).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٤٩٣ ـ ٤٩٤) عن ابن عباس ومجاهد والسدي وقتادة.

(٣) في (أ): «أضر بها».

(٤) في (ر) و(ف): «سخطاً».

(٥) في (أ): «قالة».

(٦) بعدها في (أ): «في».

وقال القشيري رحمه الله: ﴿يَٰلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا﴾ قالت: كنت منفردةً لله فأخاف أن يتعلق بعضُ قلبي بالولد(١).

وقوله تعالى: ﴿وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا﴾: قرأ حمزة وعاصم في رواية حفص: ﴿نَسْيًا﴾ بفتح النون، والباقون بكسرها(٢)، وهما لغتان، وهو الشيء المتروك كأنه منسيٌّ، قال الشاعر:

كأنَّ لها في الأرض نِسْياً تَقُصُّه ... إذا ما غَدَتْ وإنْ تكلِّمْك تَبْلَتِ(٣)

وقال قُطربٌ: هو الشيءُ ينساه القوم من حَبْلٍ أو إداوةٍ.

وقال يونس: كانوا إذا أرادوا الرحيل عن منزلٍ قالوا: احفظوا أنساءَكم.

وقال بعضهم: ﴿وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا﴾؛ أي: حيضةً ملقاةً(٤)؛ أي: خرقة حائضٍ لأنها تُلقى فتُنسى ولا تُذكر.

وقيل: النَّسْي بالفتح: مصدر، وبالكسر: اسمٌ للمنسيِّ المتروك، وهو كالقَشْر والقِشْر، والقَطْف والقِطْف ونحو ذلك.

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٤٢٥).

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٤٠٨)، و«التيسير» (ص: ١٤٨).

(٣) البيت للشنفرى، وهو في «المفضليات» (ص: ١٠٩)، و«مجاز القرآن» (٢/ ٣)، و«أدب الكاتب» لابن قتيبة (ص: ٤٩٣)، و«تفسير الطبري» (١٥/ ٤٩٨)، وعجزه في أكثر المصادر:

على أَمِّها وإن تكلِّمك تَبْلَتِ

يقول: كأنها من شدة حيائها إذا مشت تطلب شيئاً ضاع لا ترفع رأسها، و(تَبْلت)؛ أي: تقطِّع كلامها ولا تطيله من فرط حيائها أو من نعمتها، وأَمُّها: قصدُها الذي تريده، وموضع (على أَمِّها) نصب على الحال؛ أي: تقصُّه آمَّةً.

(٤) روي عن عكرمة ومجاهد والضحاك. انظر تخريج أقوالهم في «الدر المنثور» (٥/ ٥٠١).

(٢٤) ـ ﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى﴾: قرأ حمزة والكسائي ونافع وعاصم في رواية حفص: ﴿مِن﴾ بكسر الميم، والباقون: ﴿مَن﴾ بفتحها، بمعنى: الذي ﴿تحتَها﴾[1]، وأُضمر قبل هذه الآية: فوَلدت فناداها، قيل: ناداها جبريل عليه السلام، وقيل: ناداها عيسى.

﴿مِن تَحْتِهَآ﴾ قال نوفٌ البِكاليُّ: من أقصى الوادي[2].

وقال عكرمة: كانت على رابيةٍ حين ولدت[3].

وقيل: من تحت النخلة، وكانت المناداةُ مخاطَبَةً لها لا رفعاً للصوت؛ كما قال تعالى: ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا﴾.

وقيل: مَن تحتَ مريمَ عيسى، وقد وضعَتْه على الأرض بلا قابلةٍ.

وقوله تعالى: ﴿أَلَّا تَحْزَنِى﴾: أي: لا تهتمِّي بالوحدة وعدمِ الطعام والشراب وقالةِ الناس.

﴿قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾: قال البراء بن عازب: جدولاً[4].

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٤٠٨ ـ ٤٠٩)، و«التيسير» (ص: ١٤٨). ومن قرأ بكسر الميم كسَر التاء من ﴿تَحْتِهَآ﴾، ومن فتح الميم فتح التاء.

(٢) رواه مطولًا أبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٥١).

(٣) ذكره عن عكرمة الرازي في «تفسيره» (٢١/ ٥٢٧) بلفظ: (... على مثل رابية...). وقاله مقاتل في «تفسيره» (٢/ ٦٢٤).

(٤) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٧٥٨)، والطبري في «تفسيره» (١٥/ ٥٠٦) والحاكم في «المستدرك» (٢٤١٣) وصححه. وزاد عبد الرزاق والحاكم: (النهر الصغير).

وقال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير رضي الله عنهم: نهراً[١].

وقال إبراهيم: نهراً صغيراً[٢]، وهو الحاصل والصحيح[٣].

وقال الحسن: ﴿سَرِيًّا﴾؛ أي: ولداً سريًّا[٤]؛ أي: فاضلاً.

وحُكي: أنه قرأ هذه الآية وعنده حميد بن عبد الرحمن الحِمْيَري فقال: إن كان عيسى لسريًّا كريماً، فقال حميد: إنما هو الجدول، فقال له الحسن: مِن ثَمَّ[٥] تُعجبنا مجالستك، ولكن غلبتْنا عليك الأمراء[٦].

وفي رواية: قال له خالد بن صفوان: إن العرب تسمي الجدول سريًّا، فقال الحسن: صدقتَ[٧]، هو كما قلتَ، ورجع إلى قوله.

* * *

(٢٥) ـ ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا﴾.

قوله تعالى: ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ﴾: أي: حرِّكي ﴿بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ﴾ الباءُ زائدة كما في قوله: ﴿تَنۢبُتُ بِٱلدُّهۡنِ﴾ [المؤمنون: ٢٠].

---

(١) رواه عنهم الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٥٠٦ ـ ٥٠٨). وجاء عنده عن سعيد بن جبير في رواية: (هو الجدول النهر الصغير، وهو بالنبطية سري).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٥٠٨).

(٣) «والصحيح» من (أ).

(٤) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» كما في «الدر المنثور» (٥/ ٥٠٢) بلفظ: ﴿جَعَلَ رَبُّكِ تَحۡتَكِ سَرِيّٗا﴾ قال: نبيًّا وهو عيسى.

(٥) في (أ): «ثمة».

(٦) رواه عبد بن حميد في «تفسيره» كما في «الدر المنثور» (٥/ ٥٠٣)، وبنحوه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٥٠٧).

(٧) رواه ابن عساكر في «تاريخه» (١٦/ ١٠٤).

وقوله تعالى: ﴿تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ﴾: قرأ ابن كثير ونافعٌ وأبو عمرٍو وابن عامر[١] والكسائي وعاصم في رواية أبي بكر: ﴿تَسَّاقطْ﴾ بالتاء المفتوحة وتشديدِ السين، وأصلها: تتساقط، فأدغمت الأولى في الثانية، وقرأ حمزة بتخفيف السين مع فتح التاء على حذف أحدهما، قال امرؤ القيس:

فلـو أنهـا نفـسٌ تمـوت سـريعةً ... ولكنهـا نفـسٌ تَسَـاقَطُ أَنْفُسـا[٢]

وقرأ حفصٌ عن عاصم: ﴿تُسَٰقِطْ﴾ بضم التاء وكسر القاف مخفَّفة السين من المساقَطة[٣].

وقوله تعالى: ﴿رُطَبًا جَنِيًّا﴾: أي: طريًّا يُجتَنَى؛ أي: يُقتطف، فحوَّل الله تعالى جذعَ النخلة اليابسة مثمرةً كرامة لها، وكان ذلك في الشتاء.

ودلت الآية على جواز الكسب، فإن الله تعالى أمرها بهزِّ جذع النخلة[٤] ليكون ذلك لها بكسبها.

* * *

(٢٦) ـ ﴿فَكُلِي وَٱشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾.

---

(١) «وأبو عمرو وابن عامر» ليس من (ف).

(٢) انظر: «ديوان امرئ القيس» (ص: ١١٢).

(٣) وثمة قراءة رابعة في المتواتر، وهي قراءة أبي بكر ـ بخلف عنه ـ ويعقوب: (يَسَّاقط) بالياء وإدغام التاء، والوجه الآخر لأبي بكر كقراءة جمهور السبعة. انظر: «التيسير» (ص: ١٤٨)، و«النشر» (٢/٣١٨).

(٤) في (ف): «الجذع».

وقوله تعالى: ﴿فَكُلِي﴾: أي: من الرُّطَبِ الجنيِّ ﴿وَاشْرَبِي﴾ من ماء السَّرِيِّ ﴿وَقَرِّي عَيْنًا﴾؛ أي: بالولد الرَّضي، وهذا كلُّه لإزالة حزنها كما قال: ﴿وَلَا تَحْزَنِي﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا﴾: (إمَّا) أصله: (إنْ ما) كلمةُ شرطٍ مؤكَّدةٌ بـ(ما)، ﴿تَرَيِنَّ﴾ النون المشدَّدة للتأكيد.

وقوله تعالى: ﴿فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ﴾: أي: التزمْتُ ﴿لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا﴾؛ أي: صمتاً وإمساكاً عن الكلام.

وقيل: أي: حقيقةَ صوم، وكان صومهم فيه الصمتَ، فكان ذكرُه والتزامُه[1] التزامَه.

ثم قيل: لمَّا التزمت الصمتَ فلمَ قالت: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا﴾ وهذا كلام منها[2]، وتركُ الصمت الذي نذرته؟

وجوابه: أن بعضهم قال: قالت ذلك إشارةً لا نطقاً، وقد تسمى الإشارة على الشيء كلاماً وقولاً، قال الشاعر في وصف القبور:

وتكلمتْ عن أوجهٍ تَبْلَى.......... [3]

وقال آخر في وصف الناقة:

تقولُ إذا دَرَأْتُ لها وَضِيني ... أهذا دِينُه أبداً ودِيني
أكلَّ الدَّهرِ حِلٌّ وارتحالٌ ... أمَا يُبْقِي عَلَيَّ ولا يَقِيني[4]

---

(١) «والتزامه» ليست في (ف).

(٢) في (ر) و(ف): «كلامها».

(٣) وتمامه: وعن صور شُتُتْ، والبيت لأبي العتاهية. انظر: «ديوانه» (ص: ٩٢)، و«الشعر والشعراء» (٢/ ٧٨٢).

(٤) البيت للمثقب العبدي. انظر: «المفضليات» (ص: ٢٩٢)، و«مجاز القرآن» (١/ ٢٤٧ ـ ٢٤٨)، =

وقيل: كانت مأمورة بذلك: ﴿فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمٗا فَلَنۡ أُكَلِّمَ ٱلۡيَوۡمَ إِنسِيّٗا﴾ فكان وجوبُ الصمت بعد هذا الكلام.

وكان جواز ذلك في تلك الشريعة، وقد نسخ ذلك فينا، روى زيد بن وهب عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه: أنه دخل على امرأة وقد نذرت ألَّا[1] تتكلَّم، فقال أبو بكر رضي الله عنه: إن الإسلام هدم هذا فتكلَّمي[2].

* * *

(٢٧) - ﴿فَأَتَتۡ بِهِۦ قَوۡمَهَا تَحۡمِلُهُۥۖ قَالُواْ يَٰمَرۡيَمُ لَقَدۡ جِئۡتِ شَيۡـٔٗا فَرِيّٗا﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَأَتَتۡ بِهِۦ قَوۡمَهَا تَحۡمِلُهُۥ﴾: أي: بعيسى ﴿قَالُواْ يَٰمَرۡيَمُ لَقَدۡ جِئۡتِ شَيۡـٔٗا فَرِيّٗا﴾ قيل: عجيباً، وقال مجاهد وقتادة والسدِّي: عظيماً[3].

ويجوز أن يكون الفريُّ بمعنى المفترَى؛ أي: في زعمك أنه ليس بزناً ولا نكاحٍ.

* * *

(٢٨) - ﴿يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ بَغِيّٗا﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ﴾: قال قتادة: أي: يا أختَ هارونَ بنِ عمران في الصلاح[4].

= و«طبقات الفحول» (١/ ٢٦٣)، و«تأويل مشكل القرآن» لابن قتيبة (ص: ٧١)، و«غريب القرآن» لابن عزيز (ص: ٢٢٦)، و«إعراب ثلاثين سورة» لابن خالويه (ص: ٢٥). الوضين: حزام الرحل، ودرأْتُ وَضِينَ البعيرِ: إذا بَسَطْتَه على الأرض ثم أَبْرَكْته عليه لتَشُدَّه به. وأراد: لو قدرتْ ناقتي أن تتكلم لقالت هذا الكلام، وأشار بقوله: (هذا) إلى ما استمرت به عادته معها.

(١) في (ف): «على امرأة لا».

(٢) رواه البخاري (٣٨٣٤)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٠/ ٧٦) واللفظ له.

(٣) رواه عنهم الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٥٢٢).

(٤) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٧٦٤)، والطبري في «تفسيره» (١٥/ ٥٢٣). ولفظه: كان رجلًا =

وقيل: كان أخوها من أبيها يسمَّى هارون(١).

وقيل: كان هارون في زمانها رجلَ سوءٍ رمَوها به.

وقيل: كان رجلاً صالحاً فشبَّهوها به(٢).

وقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾: أي: زانيةً، والبغاء: الزنا ـ بكسر الباء ـ قال تعالى: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ﴾ [النور: ٣٣]؛ أي: فكيف أتيتِ بهذا الولد وأنت معروفةٌ بالصلاح وولدُ الأبوين الصالحين.

* * *

(٢٩) ـ ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ﴾: أي: إلى عيسى أنْ كلِّموه(٣).

﴿قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا﴾: ﴿كَانَ﴾ زائدة، ومعناه: مَن هو في المهد صبيٌّ.

وقيل: ﴿كَانَ﴾؛ أي: حدث ووقع، كما قال تعالى: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ﴾ [البقرة: ٢٨٠].

والمهد: الحِجْر هاهنا، لأنها كانت حملتْه في خرقةٍ.

والمهد: المَقَرُّ؛ كما(٤) قال تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا﴾ [النبأ: ٦]، ومهَّدْتُ عذري تمهيداً(٥)؛ أي: قرَّرته.

= صالحًا في بني إسرائيل يسمى هارون، فشبَّهوها به، فقالوا: يا شبيهة هارون في الصلاح.

(١) في (ف): «كان هارون أخوها من أبيها».

(٢) انظر قول قتادة المتقدم.

(٣) في (ر) و(ف): «يكلموه».

(٤) «كما» من (أ).

(٥) «تمهيداً» من (أ).

ومعنى ﴿كَيۡفَ نُكَلِّمُ﴾: [كيف نتكلَّم] نحن معه[١] وهو لا يفهم ولا يجيب.

وقيل: هو على القلب؛ أي: كيف يكلِّمنا مَن هو في المهد صبيًّا[٢].

وقيل: هو مهدُ الصبي، ومعناه: أنه من أهل المهد وإن لم يكن في تلك الحالة موضوعاً في المهد؛ كما يقال: صبي يرتضع[٣]؛ أي: هو من أهله وإن كان لا يرتضع حالَ الإخبار عنه.

* * *

(٣٠ ـ ٣١) ـ ﴿قَالَ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيّٗا ۝٣٠ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيۡنَ مَا كُنتُ وَأَوۡصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمۡتُ حَيّٗا﴾.

ولما أسكتَتْ بأمر الله تعالى لسانها الناطقَ أنطق الله تعالى لها لسانها[٤] الساكت:

﴿قَالَ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ﴾: بدأ بالإقرار بالعبودية لله جلَّ جلاله، وهو قطعٌ لكلام النصارى وإبطالٌ لمقالهم.

وقوله تعالى: ﴿ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ﴾: أي: يؤتيني الكتاب، وهو الإنجيل.

وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَنِي نَبِيّٗا﴾: أي: يرسلني إلى خلقه رسولاً ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيۡنَ مَا كُنتُ﴾: أي: وجعلني نفَّاعاً للخلق.

وقوله تعالى: ﴿وَأَوۡصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمۡتُ حَيّٗا﴾: أي: يوصيني بذلك؛ أي:

---

(١) «نحن معه» ليست في (ف)، و«نحن» ليست في (ر). وما بين معكوفتين زيادة يقتضيها السياق.

(٢) «صبياً» زيادة من (أ).

(٣) في (ف): «يرضع».

(٤) في (أ): «اللسان».

يأمرني. تكلَّم بهذا[(١)] إلى قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾[(٢)] ثم لم يتكلَّم بعد ذلك إلى أن بلغ مبلغ كلام الصبيان، فكان ذلك آيةً أظهرها الله تعالى كرامةً لمريم لبراءتها، وكان ذلك إخباراً منه بكونها في وقت احتمالها[(٣)].

وقيل: بل هو إثباتُ هذه الصفات للحال، وكان الله تعالى أعطاه في تلك الحال العقل الكامل والفهمَ النافذ.

وفي الخبر: أن خمسةً تكلموا قبل أوانِ الكلام: عيسى بنَ مريم، وشاهدَ يوسف، وولدَ ماشطةِ بنتِ فرعون، وولدَ المرأة التي أحرقت في الأخدود، وصاحب جُريجٍ[(٤)].

وروى الحسن عن النبيِّ ﷺ أنه قال: أسلمتْ أمُّ عيسى عيسى إلى الكتَّاب، فقال له المعلم: اكتب، فقال عيسى: أيَّ شيء[(٥)] أكتب؟ قال: اكتب أبجد[(٦)]، قال عيسى: لا

---

(١) في (ف): «أن أتكلم بهذا»، وفي (ر): «أن أتكلم لهذا»، بدل: «تكلم بهذا».

(٢) في (ف): «قوله تعالى: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ أي يوصيني بذلك» بدل: «إلى قوله تعالى ﴿وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾».

(٣) أي: إخباراً بأن الصفات المذكورة في هذه الآية لعيسى عليه السلام ستكون وتقع في وقتها المناسب لها.

(٤) روى البخاري (٣٤٣٦)، ومسلم (٢٥٥٠)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة...» فذكر عيسى، وصاحب جريج، وابن المرأة التي مر عليها الراكب ذو الشارة، وروى مسلم (٣٠٠٥) من حديث صهيب قصة أصحاب الأخدود، وفيه ذكر تكلُّم ولد المرأة التي أحرقت في الأخدود. وروى الإمام أحمد في «المسند» (٢٨٢١) عن ابن عباس: تكَلَّمَ أربعةٌ صغارٌ: عِيسى ابنُ مريم عليه السَّلام، وصاحبُ جريجٍ، وشاهدُ يوسف، وابنُ ماشطة ابنةِ فرعون. فزاد على ما في الصحيحين اثنين، وهما: شاهد يوسف وابن الماشطة. فصاروا ستة.

(٥) في (ر) و(ف): «أيش».

(٦) في (أ): «أبو جاد».

أكتب شيئاً لا أدري ما هو، قال: اكتب كما تؤمر، قال: إن كنت لا تعلم فأنا أعلِّمك، قال المعلم[١]: أيُّ شيء أبجد؟ قال عيسى: الألف آلاء الله، والباء من بهاء الله، والجيم من جمال الله، والدال أدُّوا الحق إلى أهله[٢].

وعلى هذا قوله: ﴿ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ﴾؛ أي: أوحَى إليَّ الإنجيل.

وقيل: أي: علَّمني في بطن أمي التوراةَ والزبور.

وروي أنه كان يقرأ وهو في بطن أمه وهي تسمعُه وتأنَس[٣] به.

﴿وَجَعَلَنِى نَبِيًّا﴾ بما أوحى إليَّ.

﴿وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ﴾ قيل: مؤدِّباً معلِّماً. وقيل: هادياً مهديًّا. وقيل: نفَّاعاً.

وقيل: البركة: الزيادة في منافع الدِّين؛ من الدعاء إلى الله، والعملِ بأمره وحكمه، والدلالةِ على سبيل النجاة.

قوله: ﴿وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ﴾: أمرني بأدائها إذا قدرتُ عليها ﴿وَٱلزَّكَوٰةِ﴾ أي: بأدائها إذا ملكتُ النصاب وحالَ عليه الحول.

وقيل: ﴿بِٱلصَّلَوٰةِ﴾؛ أي: بالدعاء والثناء على الله تعالى للحال ﴿وَٱلزَّكَوٰةِ﴾؛ أي: تطهيرِ[٤] النفس عن الأدناس؛ أي: إبقائها على الطهارة.

* * *

---

(١) «المعلم» زيادة من (ف).

(٢) رواه بنحوه ابن الجوزي في «الموضوعات» (١/ ١٤٥) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وقال: حديث موضوع. ورواه بنحوه أيضا ابن عساكر في «تاريخه» (٤٧/ ٣٧٥) من طريق إسحاق بن بشر عن جويبر ومقاتل عن الضحاك عن ابن عباس. وليس بأحسن حالاً مما قبله.

(٣) في (أ): «وتستأنس».

(٤) في (ر): «بطهر»، وفي (ف): «مطهر».

(٣٢) ـ ﴿وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمۡ يَجۡعَلۡنِي جَبَّارٗا شَقِيّٗا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَتِي﴾: أي: وجعلني عاطفاً عليها مؤدِّياً حقَّها.

وقولـه تعالـى: ﴿وَلَمۡ يَجۡعَلۡنِي جَبَّارٗا شَقِيّٗا﴾: أي: متعظِّمـاً على عبـاد الله، لا أرى لأحـدٍ منهم علـيَّ حقاً.

وقيل: ﴿جَبَّارٗا﴾؛ أي: عاقّاً والدتي متكبِّراً عن أداءِ[1] حقها ﴿شَقِيّٗا﴾ لأن الجبار يكون كذلك؛ قال النبي ﷺ: «لا تُنزَعُ الرحمةُ إلا مِن شقيٍّ»[2].

وقيل: ﴿جَبَّارٗا﴾؛ أي: متعظِّماً عن عبادة الله تعالى وطاعته، ومَن استكبر عن ذلك شَقِيَ كما شَقِيَ إبليس بإبائه واستكباره.

وقال قتادة: قالت امرأة لعيسى حين رأته يُحيي الموتى ويبرئ الأكمه والأبرص إلى غير ذلك: طوبَى لبطنٍ حملك، وطوبى لثديٍ أرضعك، فقال: طوبى لمن تَلَا كتابَ الله تعالى واتَّبع ما فيه[3].

* * *

(٣٣) ـ ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا﴾: أَخبر أن الله تعالى حكَم له بالسعادة والسلامة[4] في هذه الأحوال عن كلِّ آفةٍ وعيب.

---

(١) في (أ): «قضاء».

(٢) رواه أبو داود (٤٩٤٢)، والترمذي (١٩٢٣) وحسنه، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) رواه الإمام أحمد في الزهد (٣١٩)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣١٨٧٨)، ومن طريقه أبو نعيم في «الحلية» (٤/ ١١٩) عن خيثمة بن عبد الرحمن. ورواه الإمام أحمد في الزهد (٣١٨) عن يزيد الضبي. والبيهقي في «الشعب» (٢٠٣٤) عن أبي عبيدة بن عبد الله بن مسعود.

(٤) في (أ): «بالسلامة» بدل: «بالسعادة والسلامة».

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ﴾ من الـهَمْزة واللَّمْزة من الشيطان ﴿وَيَوْمَ أَمُوتُ﴾ من ضغطة القبر ﴿وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ في الآخرة من العناء[1].

***

(٣٢) ـ ﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾: أي: ذلك الموصوفُ بأنه عبد الله وكذا وكذا هو عيسى بن مريم، هو بهذه الصفة لا كما قال النصارى: إنه ابن الله، أو هو الله، أو هو ثالث ثلاثة، ولا كما يقوله اليهود: إنه لغير رِشْدةٍ، وإنه ابن يوسف النجار.

وقوله تعالى: ﴿قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾: قرأ عاصم وابن عامر: ﴿قَوْلَ الْحَقِّ﴾ بنصب اللام على المصدر؛ أي: أقول قولَ الحق، وقرأ الباقون برفعها[2]؛ أي: هو قولُ الحق.

﴿الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾: يجوز أن يكون ﴿الَّذِي﴾ خفضاً نعتاً لـ﴿الْحَقِّ﴾، ونصباً نعتاً للقول على قراءة مَن ينصبُه، ورفعاً نعتاً للقول على قراءة مَن يرفعُه، أو نعتاً لعيسى.

و﴿يَمْتَرُونَ﴾؛ أي: يختلفون ويختصمون.

وقيل: يشكُّون، والمرية: الشك، والمراء: الجدال، فاليهود مع النصارى يختلفون فيه فيما بينهم، ثم النصارى يختلفون فيه فيما بينهم أيضاً.

قال قتادة: اجتمع بنو إسرائيل فأخرجوا[3] أربعةَ نفرٍ، فأخرج[4] كلُّ قوم

---

(١) ذكره بنحوه الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٣٧١) عن الكلبي.

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٤٠٩)، و«التيسير» (ص: ١٤٩).

(٣) في (ر) و(ف): «فخرجوا»، والمثبت من (أ) والمصادر.

(٤) في (أ): «فأخرج منهم»، والمثبت من باقي النسخ والمصادر.

عالِـمَهم، فامترَوا في عيسى حين رُفع[١]، فقال أحدهم: هو الله هبط إلى الأرض فأحيَى مَن أحيَى وأماتَ مَن أمات، ثم صعد إلى السماء، وهم اليعقوبية، وقالت الثلاثة: كذبتَ، ثم قال اثنان منهم للثالث: قل فيه، فقال: هو ابن الله، وهم النَّسطورية، فقال الاثنان منهم: كذبتَ، ثم قال أحد الاثنين للآخر: قل فيه، فقال: هو ثالث ثلاثة؛ الله إلهٌ وهو إلهٌ وأمه إله، وهم الإسرائيلية ملوكُ النصارى، قال الرابع: كذبتَ، هو عبدُ الله ورُوحه وكلمتُه، وهم المسلمون، فكان لكل رجلٍ منهم أتباع ـ على ما قال ـ فاقتتلوا فظهروا على المسلمين، فذلك قوله تعالى: ﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ الآية [آل عمران: ٢١].

قال قتادة: وهم الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ﴾ فاختلفوا فيه فصاروا أحزاباً[٢].

وروينا[٣] فيه طريقاً آخر عند قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾.

وروينا هذا في سورة المائدة في حديث طويل: أن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه قرأ سورة مريم على النجاشي بحضرة أساقفته، فقال النجاشي وأخذ عوداً من الأرض: ما عدا عيسى ما جاء به محمد مقدارَ هذا، أو كما قال.

* * *

(٣٥) ـ ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَٰنَهُۥٓ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾.

---

(١) بعدها في (أ): «إلى السماء»، والمثبت من باقي النسخ والمصادر.

(٢) رواه بتمامه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٧٦٥)، ومن طريقه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٤٣٧)، والنحاس في «معاني القرآن» (٤/ ٣٣٠).

(٣) في (ر): «وأوردنا».

وقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ﴾: أي: ليس من صفة الله اتِّخاذُ الولد ﴿سُبْحَٰنَهُۥٓ﴾؛ أي: هو منزَّهٌ عن ذلك.

وقوله: ﴿إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾: أي: أن كون عيسى من غيرِ أبٍ[1] لا يوجِب أن يكون إلهاً أو ابنَ الله؛ لأن الله تعالى لا يتعذَّر عليه خلقُ ما يريده من غير أصلٍ، بل إذا أراد شيئاً خلَقه كما يريد.

وقيل -وهو الأوجهُ-: قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ ٱلْحَقِّ﴾: الذي قال[2] هو هذا القولَ الحقَّ، وهو ما ذكر في الآية، ويكون هذا من كلامه، ويدل عليه آخرَه:

***

(٣٦) - ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾.

﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ﴾: لا يجوز أن يُحمل هذا إلا على كلامه وإخباره، فكذا أوله.

وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو: ﴿وأن الله﴾ بفتح الهمزة، وله وجوهٌ:

قال أبو عمرو: وقضى أن الله ربِّي وربُّكم.

وقيل: وأوصاني أن الله ربي.

وقيل: ذلك عيسى بن مريم وأنَّ الله، قاله الفرَّاء[3].

وقيل: أي: ولأن الله ربِّي.

---

(١) في (ف): «والد».

(٢) في (ر): «أي»، وفي (ف): «الذي»، بدل: «الذي قال».

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ١٦٨).

وقرأ الباقون: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ﴾ بكسر الهمزة على الاستئناف(١).

وقوله تعالى: ﴿فَٱعْبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسْتَقِيمٞ﴾: أي: فاقصُروا عبادتكم عليه ولا تُشركوا به شيئاً، وهو الطريق السويُّ المفضِي بسالكيه(٢) إلى الجنة.

* * *

(٣٧) ـ ﴿فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْۖ فَوَيْلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ﴾: أي: من بين أصحابِ عيسى، وهو ما ذكرنا. وقيل: من بين قومه.

وقيل: ﴿مِنۢ﴾ صلة، ومعناه: فاختلف الأحزاب بينهم، وهكذا في مصحف ابن مسعود رضي الله عنه(٣).

وقوله تعالى: ﴿فَوَيْلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾: أي من الأحزاب، فقد كان واحدٌ من الفرق على الحق.

﴿مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾: يجوز أن يكون المشهد موضعاً ومصدراً؛ أي: فويلٌ لهم إذا شهدوا يوم القيامة وتبرأ عيسى منهم وقال: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ﴾ الآية [المائدة: ١١٧].

وقيل: ﴿مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾: هو اجتماعهم للتشاور فيه، فاجتمعوا على الشرك، وجعَله عظيماً لفظاعة ما جرى فيه، وهو كقوله تعالى: ﴿هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٞ﴾ [النور: ١٦] وقولِه: ﴿إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٣]؛ أي: فظيعاً منكَراً.

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٤١٠)، و«التيسير» (ص: ١٤٩).

(٢) في (ف): «المقتضي إن شاء الله» بدل: «المفضي بسالكيه».

(٣) لم أجده.

(٣٨) ـ ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَٰكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا﴾: أي: ما أبصرهم وأسمعهم ذلك اليوم، وهو كلمةُ تعجُّب، ومعناه: أنهم حلُّوا في هذا محلَّ مَن يُتعجَّبُ منه[١]؛ أي: سيسمعون[٢] يومئذٍ ما يصدِّعُ قلوبهم، ويرون ما يُهلكهم.

وقيل: أي[٣]: كانوا صمًّا عن استماع الحق وعُمياً عن رؤية الحق في الدنيا، فيصيرون بخلاف ذلك فيسمعون صفتَهم ويبصرون عاقبتَهم.

وقوله تعالى: ﴿لَٰكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾: أي: لكنهم اليوم في الدنيا بظلمهم أنفسَهم ووضعِهم العبادةَ في غير موضعِها في ضلالٍ مبينٍ عن الحق، ظاهر بيِّن[٤] عن نفسه لوضوحه، وهو اعتقادهم عيسى إلهاً معبوداً مع ظهور أحواله.

* * *

(٣٩) ـ ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ﴾: قيل: هو يومُ الموت.

وقيل: هو يومُ القيامة.

وقيل: هو يومَ[٥] يُذبح الموت.

وقيل: هو يومَ يُخرج آخرُ فريق من المسلمين من النار ثم تسدُّ طبقاتها.

---

(١) في (أ): «تعجب فيه»، وفي (ف): «يعجب منه».

(٢) في (ف): «يستمعون».

(٣) في (ف): «إن».

(٤) في (ف): «يقين». والعبارة في (أ): «في ضلال عن الحق مبين».

(٥) في (ف): «حين».

والحسرة: أشدُّ الندامة، وهي التي تقطع الأمل.

وقيل: تقطع نياطةَ القلب لصعوبتها.

يقول: وخوِّفهم يا محمد يومَ الندامة حين قُضي الأمر؛ أي: أُتم وأُمضيَ[١] وفُرغ منه، فإن كان عند الموت فقد صار بحيث لا يُتدارك، وإن كان في القيامة فهو حين يدخل أهلُ الجنة الجنةَ وأهلُ النارِ النارَ، فلا إخراج بعده، وإن كان حين ذَبحِ الموت فلا أملَ في النجاة وفي الخروج للكفار، وإن كان حين أُخرج آخر المؤمنين فكذلك.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يُجاء بالموت يوم القيامة كأنه كبشٌ أملحُ، فيقال: يا أهل الجنة، هل تعرفون[٢] هذا؟ فيشرئبُّون[٣] فينظرون فيقولون: نعم هذا الموت، ويقال: يا أهل النار، هل تعرفون؟ فيشرئبُّون وينظرون فيقولون: نعم هذا الموت، فيؤمر به فيذبح فيقال: يا أهل الجنة خلودٌ فلا[٤] موت، ويا أهل النار خلود فلا موت»، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ﴾[٥].

﴿إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾: أي: غافلون عما يَنال الكافرين يوم القيامة وهم لا يؤمنون، وهذا وصفُهم في الحال؛ أي: أنذرهم اليومَ في هذه الحالة قبل أن يصيروا إلى الآخرة فيُقضى الأمرُ ولا تنفعهم الندامة.

* * *

(١) «أي أتم وأمضي» من (أ).

(٢) بعدها في (أ): «ما»، والمثبت من باقي النسخ والصحيحين.

(٣) في (ف): «فيشرفون»، والمثبت من باقي النسخ والصحيحين.

(٤) في (ف): «بلا»، والمثبت من باقي النسخ والصحيحين.

(٥) رواه البخاري (٤٧٣٠)، ومسلم (٢٨٤٩).

(٤٠) ـ ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾: أَخبر أن يوم القيامة كائنٌ لا محالةَ، وأن الله تعالى ينزعُ الملك من كلِّ مَن آتاه مُلكاً[١] في الدنيا، وكلِّ مَن يَغلبُ على شيءٍ منه، وأنهم إلى الله يحشرون[٢] فلا يكونُ لأحدٍ منهم[٣] يومئذ مُلكٌ ولا رئاسةٌ ولا حكم، ولا أمرٌ ولا نهي، وفي هذا تحذير لهم عن الاغترارِ بما ينالونه من الرئاسة في الدنيا، وتنبيهٌ لهم على التدبُّر في خطأ ما هم فيه[٤].

***

(٤١) ـ ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾: واتصالها بما قبلها: أن قصة مريم وعيسى في ردِّ قول اليهود والنصارى، وفي[٥] هذه القصة كذلك، فإنهم يدَّعون أن دينهم دينُ إبراهيم، وقال تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا﴾ [آل عمران: ٦٧] وبيَّن في هذه القصة حالَ إبراهيم ودينه[٦]، يقول: واذكر يا محمد فيما تقرأ عليهم من القرآن أمرَ إبراهيم أنه كان نبيًّا لله عادتُه الصدقُ والتصديقُ بكلِّ ما جاءه من عند ربه، فهو أهل للاقتداء به.

***

---

(١) في (أ): «الملك».

(٢) في (ر) و(ف): «يرجعون».

(٣) في (ر): «فلا يكون لهم»، وفي (ف): «فلا يكون منهم».

(٤) في (أ): «على تدبرهم في خطاياهم فيه».

(٥) في (أ): «و». وفي (ر): «في».

(٦) في (أ): «في دينه»، وفي (ر): «ذريته».

(٤٢) ـ ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴾.

﴿ إِذْ قَالَ ﴾: إبراهيم ﴿لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ﴾: التاء فيه للمبالغة كما في العلَّامة والنسَّابة، وكسرت طلباً لياء الإضافة، والوقفُ بالتاء لهذه العلة، وأجاز الزجَّاج الوقف بالهاء(١).

وقيل: التاء عوضٌ عن ياء الإضافة، وفي قراءة ابن عامر: ﴿يا أبتَ﴾ بالفتح(٢)، على إرادةِ: يا أبتاه، على النُّدبة.

وقوله تعالى: ﴿لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ﴾ من الله ﴿شَيْـًٔا﴾: وهذه صفاتُ نقصٍ وعجز، فلا يَستحقُّ صاحبُها العبادة، ولو أن إنساناً خدم مثلَه(٣) في الدنيا مع علمه بعجزه عن أن يَدفع عن خادمه ضرًّا، أو يجلبَ له نفعاً، أو يعلمَ بخدمةِ مَن يخدمه، لكان هذا الإنسان سفيهَ الرأي عند العقلاء، فكيف حالُ مَن هو أدنى من هذه الأحوال؛ من حجرٍ نحتَه بيده، أو خشبٍ اتَّخذه معبوداً له؟

* * *

(٤٣) ـ ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ﴾: أي: أنا في(٤) العلم والمعرفة فوقك بما خصَّني الله تعالى به من النبوة، فأنا على يقين من ضلال ما أنت فيه من عبادة الأصنام.

وقوله تعالى: ﴿فَٱتَّبِعْنِىٓ﴾: أي: فاقتدِ في العبادة بي، واعبدْ مَن أعبدُ أنا، وهو

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٨٩).

(٢) في جميع القرآن. انظر: «السبعة» (ص: ٤٤٣)، و«التيسير» (ص: ١٢٧).

(٣) أي: لو أن إنساناً خدم إنساناً آخر له مثل هذه الصفات من عدم السمع والبصر والإغناء.

(٤) في (ر) و(ف): «أي أتاني».

الذي لا يخفى عليه شيء ولا يُعجزه[١] شيء، فإنك إذا فعلتَ هذا كنتَ على الصراط المستقيم المستوي، وهو قوله تعالى: ﴿أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا﴾.

* * *

(٤٤) ـ ﴿يَـٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَـٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَـٰنِ عَصِيًّا﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَـٰنَ﴾: أي: لا تُطِعْه ولا تعظِّمْه بالائتمار له وقبولِ وساوسه ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَـٰنِ عَصِيًّا﴾؛ أي: هو متقادِمُ العصيان لله الذي خلَقه، فهو لا يريد لك خيراً، ومَن هذا صفتُه فحقيقٌ أن لا تقبل إشارته[٢] لسوء اختياره لنفسه.

* * *

(٤٥) ـ ﴿يَـٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَـٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَـٰنِ وَلِيًّا﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَـٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَـٰنِ وَلِيًّا﴾: أي: أخشى أن يصيبك من الله عذابٌ في الآخرة إن دمتَ على طاعتك للشيطان فتكون للشيطان[٣] قريناً في جهنم؛ لأن الوليَّين لا يكادان يفترقان في محبوبٍ أو مكروه، فجعلُه وليًّا له في هذه الحالة لِمَا قلنا وإن كانا متباغضَين يومئذ؛ كما قال تعالى: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٦٧]، وقال خبراً عن الشيطان: ﴿إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ﴾ [إبراهيم: ٢٢].

وقيل: أن يمسكَ عذاب في الدنيا وهو خذلانُه، فتكونَ حينئذٍ موالياً للشيطان،

---

(١) في (أ) و(ف): «يعجز عن».

(٢) «إشارته» من (أ).

(٣) بعدها في (ر) و(ف): «ولياً أي».

فيَكِلكَ الله إليه ويتبرأ منك ولا يتولَّاك، قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١١٩]، ومَن كان الشيطان وليًّا له فهو وليُّ الشيطان؛ لأن الموالاة تقوم بالطرفين.

وفي هذا الخطاب كلُّ ما يحتاج إليه من أسباب التنبيه، فإن إبراهيم عليه السلام افتَتَح بمعاتبته على عبادة الأوثان وبيَّن نقائصَها، ثم ثنَّى بالدعاء إلى تأمُّل[1] ما جاء به من العلم، وهو أمر بالنظر وتركِ التقليد، ثم ثلَّث بأن التقليد وتركَ النظر مِن عمل الشيطان، وطاعةُ الشيطان[2] غيرُ جائزة في العقول، ثم ختم بالوعيد الزاجر عن المعصية الباعثِ على الانقياد للحق.

وفيه دليل على أن العالم يلزمُه الدعاءُ إلى الحق القريب والبعيد، والمبالغةُ في النصح والإيضاحِ[3] للبرهان.

وفيه دليلُ وجوبِ احترام الأب وإن كان كافراً، فإنه خاطبه مرات بقوله: ﴿يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ﴾ الآيةَ.

* * *

(٤٦) ـ ﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ﴾: أي: أزاهدٌ أنت من عبادةِ آلهتي وتعظيمِها، وذاكرٌ لها بسوءٍ، ولم يتأمَّلْ فيما دلَّه عليه، وأصرَّ على تماديه في ضلالته وجهالته، وأنكر عليه اتِّباعَ الحق والدعاءَ إليه.

---

(١) «تأمل» من (أ).

(٢) في (أ): «أو طاعة» بدل: «وطاعة الشيطان».

(٣) في (ر) و(ف): «والإفصاح».

وقد رغب في الشيء؛ أي[١]: أراده وأقبل عليه، ورغب عن الشيء؛ أي: أباه وأعرَضَ عنه، وزَهِد في الشيء؛ أي: أباه وأَعرض عنه، وزَهِد عن الشيء؛ أي: أراده وأَقبل عليه.

وقوله تعالى: ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهِ﴾: أي: لئن لم تمتنع[٢] عن هذا ﴿لَأَرْجُمَنَّكَ﴾ قال السديُّ وابن جريجٍ والضحاك: لأرمينَّك بالعيب والذم[٣]، وبمعناه في قول بعضهم: لأشتمنَّك[٤].

وقال الحسن: لأرمينك بالحجارة حتى تتباعَد عني[٥].

وقيل: لأرجمنَّك بالحجارة عقوبةً لك على فعلك.

وقوله تعالى: ﴿وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا﴾: أي: اجتنِبْني دهراً طويلاً فلا تكلِّمْني، وهو قولُ الحسن ومجاهد وسعيد بن جبير والسدِّي[٦].

﴿مَلِيًّا﴾؛ أي: دهراً طويلاً.

---

(١) في (أ): «إذا».

(٢) في (ف): «أي: لئن لم تنته»، وليست في (أ).

(٣) ذكره عنهم الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٣٧٤) بلفظ: (لأرجمنك بالذم باللسان والعيب بالقول). والواحدي في «البسيط» (١٤/ ٢٥٥) بلفظ: (لأرمينك بالقول القبيح وأشتمك)، ولعل الكل نقل بالمعنى، انظر التعليق الآتي.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٥٥٢) عن ابن جريج بلفظ: (﴿لَأَرْجُمَنَّكَ﴾ بالقول، لأشتمنك)، وعن السدي: (﴿لَأَرْجُمَنَّكَ﴾بالشتيمة والقول)، وعن الضحاك: (﴿لَأَرْجُمَنَّكَ﴾ يعني: رجم القول).

(٥) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٣٧٤).

(٦) ذكره عنهم الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٣٧٤)، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٥٥٣) عن الحسن، وروى عن مجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة: (دهراً)، وفي رواية عن مجاهد: (حيناً)، وعن السدي: (أبداً) وهذا الأخير سيأتي قريباً.

وقيل: أراد به أنه إذا ذاق[١] مرارة هجره مدةً عاد[٢] إلى موافقته في عبادة آلهته.

وقيل: بل أراد هجره أبداً؛ لأن الدهر الطويل هو العمر أو الأبد.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما وقتادةُ وعطيةُ والضحاك: ﴿وَٱهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾؛ أي: سليماً عن عقوبتي[٣]، من قولهم: فلان تملَّى عمرَه؛ أي[٤]: عاش سالماً.

* * *

(٤٧) ـ ﴿قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ﴾: أي: ﴿قَالَ﴾ إبراهيم مصاحباً له بالمعروف، ومحسِناً في المعاشرة، ومظهِراً لما وُصف به من الحِلْم بقوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٤]: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكَ﴾؛ أي: أمانٌ مني لك أن أكافئكَ على إيذائك، ولو حقَّقْتَ بفعلك ما ذكرتَه بقولك: ﴿لَأَرْجُمَنَّكَ﴾.

وقيل: هو خطابُ وداعٍ؛ أي: هجرتُك كما أمَرْتَني به.

وقيل: هو على معنى قوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا﴾ [الفرقان: ٦٣]؛ أي: لا أخاطبُك بمثلِ ما خاطبْتَني[٥] به من الخشونة، وهو قوله تعالى[٦]:

---

(١) في (ف): «أنه أدبه أي أذاقه» وفي (ر): «أنه أدبه أنه أذاقه».

(٢) في (ر): «كي يعود»، وهذا ينسجم مع ما جاء في (ف). انظر التعليق السابق.

(٣) رواه عنهم الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٥٥٤ ـ ٥٥٥).

(٤) في (ر) و(ف): «فلان يملني عمره ما».

(٥) في (أ): «تخاطبني».

(٦) في (ف): «ولكن» بدل: «وهو قوله تعالى».

﴿سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ﴾: أي: أسأَلُ الله تعالى أن يجعلك من أهل المغفرة بأنْ يهديك للإسلام[1].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا﴾: أي: لطيفاً، وقيل: أي: بارًّا، وقيل: رحيماً.

***

(٤٨) ـ ﴿وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدۡعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيّٗا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾: أي: أهجرُك وأهجرُ مَن على دينك، ولا أعبدُ ما تعبدون[2] من الأصنام؛ أي: تَدْعون وتعبدون.

وقوله: ﴿وَأَدۡعُواْ رَبِّي﴾: أي: أعبدُ ربي ﴿عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيّٗا﴾؛ أي: راجياً أن تقع عبادتي متقبَّلةً[3] فلا أشقَى بردِّها؛ لسلامتها من[4] الآفات.

ويحتمل: ﴿وَأَدۡعُواْ رَبِّي﴾؛ أي: أسأل الله أن يهديك راجياً أن لا يردَّ دعوتي فيك.

وقيل: ﴿وَأَدۡعُواْ رَبِّي﴾ أن يرزقني ولداً وأهلاً أتكثَّر وأتقوَّى بهم بعد مفارقتِك، وقد دعا بذلك في ذريته واستُجيب له، يدل عليه ما بعده، وهو قوله تعالى[5]:

***

---

(١) في (ر) و(ف): «بأن يرزقك الإسلام».

(٢) في (أ): «ولا أدعو ما تدعون».

(٣) في (أ) و(ف): «مقبولة».

(٤) في (أ): «عن».

(٥) «وهو قوله تعالى» ليس في (ف).

(٤٩) ـ ﴿ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴾.

﴿ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾: قيل: اعتزلهم بخروجه من أرض بابل إلى أرض الشام؛ كما قال تعالى: ﴿إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾ [الصافات: ٩٩].

وقوله تعالى: ﴿وَهَبْنَا لَهُۥٓ﴾: مَن تكثَّر بهم من القلة واستأنس بهم من الوحشة ﴿إِسْحَٰقَ﴾ ولداً ﴿وَيَعْقُوبَ﴾ نافلةً.

وقوله تعالى: ﴿وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾: أي: كلَّ واحد منهما نبيًّا[1] إماماً للناس.

* * *

(٥٠) ـ ﴿وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا﴾: أي: من نعمتنا، قيل: هي المال والولد؛ أي: كثَّرناهم وباركنا فيهم ووسَّعنا عليهم.

﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ﴾: أي: ثناءً حسناً، وهو الصلوات على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في الصلوات إلى قيام الساعة، ووصفَه بالصدق لأنه ثناء حسنٌ لا كذب فيه.

﴿عَلِيًّا﴾: أي: عالياً، هو نعت ﴿لِسَانَ﴾.

وقيل: ﴿لِسَانَ صِدْقٍ﴾ هو دعاؤهم الناسَ إلى الله تعالى، والرسالةُ في أولاده والدعاء إليهم.

* * *

(١) «نبياً» من (أ).

(٥١) ـ ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مُوسَىٰٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخۡلَصٗا وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ﴾: وفي ذكر قصته ردٌّ على[1] قول اليهود أيضاً؛ لأنهم على غير ما كان عليه موسى.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ مُخۡلَصٗا﴾: قرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية حفص بفتح اللام[2]؛ أي: أَخْلَصه الله تعالى، وقرأ الباقون بكسرها؛ أي: أخلَص هو العبادة لله تعالى.

وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا﴾: أي: جمعنا له الوصفين.

* * *

(٥٢) ـ ﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنِ وَقَرَّبۡنَٰهُ نَجِيّٗا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ﴾: أي: ليلةَ خرج لاقتباسِ النار ناديناه بالنبوة والرسالة.

وقوله تعالى: ﴿مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنِ﴾: الطور: الجبل، وليس للجبل أيمنُ وأيسرُ لكنه راجع إلى يمين الذي يأتيه؛ أي: الجانبِ الذي كان[3] على يمين موسى وهو متوجِّه إليه.

وقوله تعالى: ﴿وَقَرَّبۡنَٰهُ﴾: أي: أَدْنيناه بتقريب المنزلة عندنا ﴿نَجِيّٗا﴾؛ أي: مناجياً؛ أي: كلَّمناه بما نكلِّم به غيره[4].

* * *

---

(١) «على» من (أ).

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٤١٠)، و«التيسير» (ص: ١٤٩) عن حمزة والكسائي وعاصم، والإطلاق عن عاصم يدل أن قراءته هكذا من رواية حفص وأبي بكر، لا حفص وحده.

(٣) «كان» ليست في (ف).

(٤) «بما نكلم به غيره» ليس في (ف).

(٥٣) ـ ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ﴾: أي: برحمتنا بعبادنا، وهو كما تقول: أعطيتُك هذا من كرمي وجودي؛ أي: لكرمي وجودي.

وقيل: ﴿مِن رَّحْمَتِنَآ﴾؛ أي: من نعمتنا؛ أي: من جملة ما أنعمنا به عليه.

وقوله تعالى: ﴿أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا﴾ إجابةً[1] لدعوته: ﴿وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِى ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى﴾ [طه: ٢٩ ـ ٣٢].

وقال القشيري رحمه الله: وفَّقه الحقُّ وناداه، ثم قربه وناجاه، وفي الحالين تولَّاه[2].

* * *

(٥٤) ـ ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ﴾ قال مجاهد: إن إسماعيل لم يَعِدْ ربه بوعدٍ إلا وَفَّى به[3]، وهو كلام جامع للقيام بالفرائض كلِّها؛ لأن الله تعالى أخذ على عباده العهدَ[4] بها، والأنبياءُ وعدوا من أنفسهم الوفاءَ بها، وهذا وصفُ جميع الأنبياء، لكن هذا لا يمنع اختصاص بعضهم بالمدح به[5].

وقيل: كان وعَد من نفسه الصبرَ على ذبح أبيه إياه لله تعالى[6]، فوَفَّى به وصبر إلى أن ظهر له الفداء.

---

(١) «إجابة» ليست في (أ).

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٤٣٣).

(٣) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٣٧٧)، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٥٦١) عن ابن جريج.

(٤) في (أ): «العهود».

(٥) «به» من (أ).

(٦) «لله تعالى» ليس في (أ).

وقيل[١]: يحتمل أنه كان نذر بشيء ووَفَّى به، فكان ذلك صدقَ وعده.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: واعَد إسماعيلُ قوماً في موضعٍ أن يلقَوه فيه، فأتى ذلك الموضع وأخلف القومُ، وأقام إسماعيل عليه السلام ثلاثاً في ذلك الموضع وما له طعام إلا لحاء الشجر وورقُه حتى تشقَّقت شفتاه، ثم جاء القوم، فأثنى الله تعالى عليه بصدق الوعد[٢].

قوله تعالى: ﴿وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾: أي رسولاً إلى قومه يخبر من الله تعالى.

* * *

(٥٥) ـ ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ﴾: أي: أمَّته، وقيل: أي: أهل بيته ﴿بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ﴾ وهذا يشتمِل على أمره إياهم بالعبادات البدنية والمالية جميعاً.

وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا﴾: وهذا أجلُّ صفاته[٣].

وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه: (وكان يأمر قومه)[٤]، فإن حُمل على أهل بيته فهو أهم[٥]، وقد قال الله تعالى لنبيه عليه السلام: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ

---

(١) في (ف): «وقد».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٥٦١) عن سهل بن عقيل بنحوه.

(٣) في (أ): «أوصافه».

(٤) ذكرها مقاتل في «تفسيره» (٢/ ٦٣١)، وابن عطية في «المحرر الوجيز» (٤/ ٢١).

(٥) لعله يريد التوفيق بين القراءتين بأن البدء بأهله قبل قومه أولى، ثم ينتقل لدعوة قومه وأمرهم بذلك، قال الزمخشري في «الكشاف» (٣/ ٢٣): (كان يبدأ بأهله في الأمر بالصلاح والعبادة ليجعلهم قدوة لمن وراءهم، ولأنهم أولى من سائر الناس: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾، ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ﴾، ﴿قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾، ألا ترى أنهم أحق بالتصدّق عليهم، فالإحسان الديني أولى).

عَلَيْهَا﴾ [طه: ١٣٢]، وقال تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]، وقال لكلِّ المؤمنين: ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ [التحريم: ٦].

* * *

(٥٦ ـ ٥٧) ـ ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾: روى أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه رفعه إلى السماء الرابعة(١)، وكذلك رُوي عن كعب ومجاهد وأبي سعيد الخدري(٢).

وعن ابن عباس والضحاك: أنه رُفع إلى السماء السادسة(٣).

وإدريس هو أخنوخ بن بدد بن مهلايل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم عليه السلام، وسمي إدريس لكثرة دَرْسِه ذكرَ الله تعالى.

وروي أنه كان خياطاً، فكان لا يغرزُ إبرته(٤) في الثوب إلا قال: بسم الله، ولا يخرجها إلا قال: الحمد لله.

وقيل: ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾؛ أي: إلى الجنة.

وقيل: رفعناه بالنبوة في المنزلة والفضيلة.

وقال وهب: كان يُرفع لإدريس كلَّ ليلة من العمل ما يفي بعمل أهل الأرض،

---

(١) ورد هذا في حديث الإسراء الطويل في «صحيح مسلم» (١٦٢).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣١٨٨٤) و(٣١٨٨٥)، والطبري في «تفسيره» (١٥/ ٥٦٤) عن مجاهد وأبي سعيد.

(٣) رواه عنهما الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٥٦٤).

(٤) في (ر) و(ف): «إبرة».

فاشتاق إليه ملَك الموت، فاستأذن ربَّه في زيارته فأذن له، فأتاه في صورة ابن[1] آدم، وكان إدريس عليه السلام سائحاً[2] يصوم الدهر كلَّه، فلما كان وقتُ إفطاره دعاه إلى طعامه، فقال: لستُ أشتهيه[3]، ففعل ذلك ثلاث ليال، فأنكره إدريس، فقال له الليلةَ الثالثة: إني أريد أن أعلم مَن أنت، قال: أنا ملك الموت، قال: فلي إليك حاجة، قال: وما هي؟ قال: تَقبض روحي، فأوحَى الله تعالى إليه: اقبضْ روحَه وردَّها إليه بعد ساعة، فقال له ملك الموت: ما الفائدة في[4] سؤالك قبضَ روحك؟ فقال: لأذوق كَرْبَ الموت وغمَّته فأكونَ له أشدَّ استعداداً. ففَعل[5].

ثم قال إدريس له: لي حاجة أخرى، قال: وما هي؟ قال: ترفعني إلى السماء لأنظرَ إليها، فأذن الله تعالى له في رفعه إلى السماء، فلما قرُب من النار قال: لي حاجة أخرى[6]، قال: وما تريد؟ قال: تسأل مالكاً حتى يفتحَ لي أبوابها فأراها، ففعل، ثم قال: فكما أرَيْتني النار فأرِني الجنة، فذهب به إلى الجنة، فاستفتح ففَتح له رضوان فأدخله الجنة، ثم قال له ملك الموت: اخرج لتعود إلى مقرِّك، فتعلَّق بشجرةٍ وقال: لا أخرج منها، فبعث الله ملكاً ينظر في قولهما، فقال له الملَك: ما لَكَ لا تخرج؟ قال: لأن الله تعالى قال: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥] وقد ذقتُه، وقال تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: ٧١] وقد وردتها، وقال تعالى: ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر: ٤٨] فلستُ أخرج، فأوحى الله تعالى إلى ملك الموت: بإذني

---

(١) في (ر) و(ف): «بني».

(٢) في (أ): «صالحاً»، وفي (ر): «سابحاً».

(٣) في (ر): «أسيغه»، وفي (ف): «استمعيه».

(٤) في (ف): «من».

(٥) «ففعل» من (ف).

(٦) «أخرى» ليست في (أ) و(ف).

دخل وبأمري يخرج، فجاء به ملك الموت إلى السماء السادسة، وقال آخرون: إلى السماء[1] الرابعة، وهو حيٌّ هنالك، وذلك قولُه تعالى: ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾[2].

***

(٥٨) ـ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩﴾.

وقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾: أي: هؤلاء المذكورون في هذه السورة الذين تفضَّل الله عليهم من النبيين ﴿مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ﴾؛ أي: من ولد آدم.

قال ابن جريجٍ: زعموا أن هذه لإدريس خاصة.

وقوله تعالى: ﴿وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ أي: في السفينة مع نوح، هو إبراهيم ﴿وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ﴾: هم إسماعيل وإسحاق ويعقوب.

وقوله تعالى: ﴿وَإِسْرَٰٓءِيلَ﴾: أي: ومن ذرية إسرائيل ـ وهو يعقوبُ ـ وهم موسى وهارونُ وزكريا ويحيى وعيسى؛ لأن أمَّه مريمَ من ذريته، وكلُّهم من ذرية آدم، ولكن جُعل مَن قَرُب من آدم من ذريته، وجُعل مَن بَعُدَ منه من ذريةِ مَن قرُب منه تشريفاً لكلِّ واحدٍ بأبٍ يَقرب منه، ثم كلُّهم يرجعون إلى آدم فيشتركون في هذه الفضيلة ويتفاضلون فيما خُصُّوا به.

وقوله تعالى: ﴿وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ﴾: أي: وهم ممن هديناهم واصطفيناهم، وهو جمعٌ بين فضيلتين، كقولك: زيد من نسل فلانٍ ومن قومٍ صالحين.

وهذا كلُّه في محل المبتدأ، ثم خبرُه في قوله:

---

(١) «إلى السماء» من (أ).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٦/ ٢٢٠).

﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا﴾: أي: سقطوا على وجوههم ﴿سُجَّدًا﴾؛ أي: ساجدين لله ﴿وَبُكِيًّا﴾؛ أي: باكين من خشيته، ولرقَّة قلوبهم عند تلاوته.

و(بُكِيّ) على وزن فُعول، وهو وصف لهم بالخشوع والوجَل والعبادةِ لله تعالى.

***

(٥٩) ـ ﴿فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ﴾: أي: فجاء بعد[1] هؤلاء المفضَّلين أقوامٌ أردياءُ.

والخَلْف بتسكين اللام: البدل السيِّء، والخَلَف بفتح اللام: البدل الصالح[2]، قال الشاعر:

خلَّفْتَ خَلْفاً ولم تَدَعْ خَلَفاً ليتَ بهم كان لا بكَ التَّلَفا[3]

﴿أَضَاعُوا الصَّلَاةَ﴾ قال القُرظيُّ: تركوها[4].

وقال عمر بن عبد العزيز: أخَّروها عن وقتها[5].

والصحيحُ الأول فإنه في حق الكفار، بدليل قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ﴾ فاستثنى المؤمنين منهم، فدل أن المستثنَى منهم هم الكفار.

---

(١) في (ف): «فخلف بعد» وفي (ر): «فخلف من بعدهم».

(٢) في (ف): «والخلف بتسكين اللام بدل الشيء والخلف الولد الصالح».

(٣) البيت في «درة الغواص» (ص: ٢١٥)، و«النكت والعيون» (٢/ ٢٧٤)، و«البحر المحيط» (١٠/ ٣٧٧).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٥٦٩).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٥٦٨).

وقوله تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾: أي: المشتهَيات، فلم ينظروا بعقولهم إلى العواقب، ولم يتحملوا مشاقّ العبادات، ومالوا إلى ما يَخِفُّ على الطباع من طلب الراحات.

والصلاة أريد بها الجنس وهي الصلوات، ولعل السورة سيقت في هذا[1] المقصد، فإن المشركين كانوا يأنفون من السجود، حتى كان بعضهم يشترط عند إرادة الإسلام ألَّا يجبِّيَ؛ أي: لا ينحنيَ للركوع والسجود، فذكر الله تعالى أن جميع الأنبياء والأولياء كانوا خاشعين خاضعين لله ساجدين راكعين:

فذكر زكريا أولاً، ودعاءه في صلاته، وخروجَه من المحراب وهو موضع الصلاة، والإشارةَ ﴿أَن سَبِّحُواْ بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا﴾ وهو الصلاة.

وقال في ولده يحيى: ﴿وَلَمۡ يَكُن جَبَّارًا﴾؛ أي: متكبراً عن العبادة لله والصلاةِ له.

وقال في مريم: ﴿إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا﴾ وكان ذلك للاغتسال للصلاة، ومن خطابه لمريم: ﴿يَٰمَرۡيَمُ ٱقۡنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسۡجُدِي وَٱرۡكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ [آل عمران: ٤٣]، وقال تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ﴾ [آل عمران: ٣٧] وهو موضع الصلاة.

وقال في حق عيسى: ﴿وَأَوۡصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ﴾.

وقال في حق[2] إبراهيم صلوات الله تعالى عليه: إنه نهى أباه عن عبادة الأوثان وأمره بعبادة الرحمن.

وقال في حق[3] موسى عليه السلام: ﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنِ﴾ وكان في

---

(١) في (ف): «سيقت لهذا»، وفي (ر): «سبقت وهذا».

(٢) «حق» من (ف).

(٣) «حق» من (ف).

ذلك النداء: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾ [طه: ١٤].

وقال في حق إسماعيل عليه السلام: ﴿وَكَانَ يَأۡمُرُ أَهۡلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ﴾.

وإدريس كان دائم الصلاة والذكر.

وختم ذكرهم ـ صلواتُ الله عليهم ـ بقوله: ﴿خَرُّواْۤ سُجَّدٗاۤ وَبُكِيّٗا﴾ فذكر في كلِّهم هذا، ثم ذَمَّ مَن جاء بعدهم وخالفهم بترك الصلاة[1] واتِّباع الشهوات.

وهذا كلُّه تحريكٌ لهؤلاء على اتِّباعهم، ومخالفةِ الجهل[2] من آبائهم.

وقوله تعالى: ﴿فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا﴾: اختلف أهل العربية وأهل الآثار في الغَيِّ:

قال بعض أهل اللغة: هو الهلاك، وقال جرير:

قُتل الزبيرُ وأنتمُ جيرانُه ... غيًّا لمن قَتَل الزبيرَ طويلاً[3]

وقال بعضهم: هو الشر[4]، قال الشاعر:

فمَن يَلْقَ خيراً يَحمدِ الناسُ أمرَه ... ومَن يَغْوِ لا يَعْدَمْ على الغَيِّ لائما[5]

وقال نفطويه: هو الجهل.

وقال بعضهم: هو الضلال.

---

(١) في (أ): «الصلوات».

(٢) في (ر) و(ف): «الجماعة».

(٣) انظر: «ديوان جرير» بشرح محمد بن حبيب (١/ ١٠٩).

(٤) في (أ): «الخيبة». وفي (ف): «المحنة».

(٥) البيت للمرقش الأصغر. انظر: «المفضليات» (ص: ٢٤٧).

وعلى هذين معناه[١]: فسوف يلقون جزاءَ الجهالة والضلالة، وعلى هذا قوله: ﴿يَلْقَ أَثَامًا﴾ [الفرقان: ٦٨]؛ أي: جزاء الإثم.

وأما أهل الآثار فقد قال ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهم: هو وادٍ في جهنم[٢].

وقال بعضهم: هو الخسران.

وقال بعضهم: هو العذاب.

وقال حميد بن هلال[٣]: إن في جهنم بئراً ضِيقُها كضيقِ الزُّج[٤] تسيل قيحاً ودماً تسمَّى غيًّا.

وعن أبي[٥] عبيدة عن أبيه قال: الغيُّ بئر[٦] في النار[٧].

---

(١) في (ف): «هذا» بدل: «هذين معناه».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٥٧٢) عن ابن مسعود وعبد الله بن عمرو رضي الله عنهم. وذكره عن ابن عباس الثعلبيُّ في «تفسيره» (٦/ ٢٢١).

(٣) العدوي، أبو نصر البصري تابعي ثقة، من رجال «التهذيب». ولم أجد الخبر الآتي عنه، لكن روى نحوه نعيم بن حماد في زياداته على «الزهد» لابن المبارك (٣٣٦) عن شفي الأصبحي.

(٤) في (أ): «ضيق الزج». والزُّج: الحديدة التي في أسفل الرمح.

(٥) في (ف): «وقال أبو».

(٦) في (ف): «عقر»، وفي (ر): «عقد».

(٧) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٥٧٢) بلفظ: (نهر في جهنم خبيث الطعم بعيد القعر). وفي رواية: (نهر جهنم في النار، يعذّب فيه الذين اتبعوا الشهوات). ورواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٩١١١) بلفظ: (وادٍ في جهنم بعيدُ القَعرِ خبيثُ المَطْعَم)، و(٩١١٠) بلفظ: (نهرٌ في جهنم ووَادٍ في جهنم). وثمة روايات أخر عن ابن مسعود من طريق أبي عبيدة عن أبيه ابن مسعود رضي الله عنه ومن غير طريقه تنظر في المصدرين المذكورين وغيرهما.

وقال وهب: الغيُّ نهر[١] في النار بعيدٌ قعره خبيثٌ طعمه[٢].

وقال مقاتل: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ﴾ يعني: اليهود ﴿أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ المفروضة ﴿وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾: استحلُّوا نكاح الأخت من الأب[٣].

وقال مجاهد: هم النصارى[٤].

وقيل: هم مشركو العرب، وهم من أولاد إسماعيل.

وقيل: هي في حقِّ المسلمين الذين يؤخِّرون الصلاة عن أوقاتها، وقد مر عن عمر بن عبد العزيز ذلك، وقال قُرَّةُ بن خالد: أبطأ أميرٌ من الأمراء صلاة العصر فقال الضحاك: ﴿أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾ الآية، والله لئن أتركها أحبُّ إليَّ مِن أن أضيِّعها[٥].

وقال إبراهيم: ﴿أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾؛ أي: لم يصلُّوها لوقتها[٦].

---

(١) في (أ): «بئر». والمثبت من باقي النسخ والمصادر.

(٢) ذكره الثعلبيُّ في «تفسيره» (٦/ ٢٢٢)، والبغوي في «تفسيره» (٥/ ٢٤١).

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٦٣٢).

(٤) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» كما في «الدر المنثور» (٥/ ٥٢٦) عن السدي قال: هم اليهود والنصارى. ورواه عن مجاهد الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٥٣٥) لكن في تفسير قوله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ﴾ [الأعراف: ١٦٩] قال: النَّصارى.

(٥) ذكره الثعلبيُّ في «تفسيره» (٦/ ٢٢١). وقرة بن خالد هو السدوسي البصري، روى عن أبي رجاء العطاردي وابن سيرين والحسن، وروى عنه شعبة ويحيى بن سعيد القطان وأبو داود الطيالسي وغيرهم. من رجال «التهذيب».

(٦) ذكره الثعلبيُّ في «تفسيره» (٦/ ٢٢١) عن ابن مسعود وإبراهيم والقاسم بن مخيمرة قالوا: أخَّروها عن مواقيتها وصلَّوها بغير وقتها.

وقال الزهري: المنافقون شاربون للقهوات[١]، لعَّانون للكعبات[٢]، التابعون للشهوات، التاركون للجمعات، الراقدون عن[٣] العتمات، المفرِّطون في الصلوات، ثم تلا هذه الآية[٤].

وروى ابن جريجٍ عن مجاهد قال: هذا عند قيام الساعة وذهابِ صالحي هذه الأمة، ينزو بعضُهم على بعضٍ في الأزقَّة نزواً[٥].

* * *

(٦٠) ـ ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ﴾: أي: رجع عن كفره ﴿وَءَامَنَ﴾ على شرطه ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ بعد إيمانه.

وعلى قولِ مَن حمل الآية على المسلمين: ﴿وَءَامَنَ﴾؛ أي: دام على إيمانه وتاب من ذنوبه.

وقوله تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ﴾: ولا يدخلون الغيَّ ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾؛ أي: لا يُنقصون من ثواب عملهم[٦] في المستقبل بما عملوا من الذنوب في الماضي.

---

(١) في (ف): «يسابقون للقهوات». والقهوة عند العرب: الخمر.

(٢) في (أ): «العابون باللعاب»، وفي (ر) و(ف): «لعابون بالكعاب». والمثبت من «الدر المنثور».

(٣) في (ف): «في»، وفي (ر): «عند». والمثبت من (أ) و«الدر».

(٤) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» كما في «الدر المنثور» (٥/ ٥٢٦) عن كعب قال: (والله إني لأجد صفة المنافقين في التوراة...) وذكره بنحوه. وهكذا ذكره عن كعب أيضاً ابن كثير عند تفسير هذه الآية، وفيه: (... شرابين للقهوات، تراكين للصلوات، لعابين بالكعبات، رقَّادين عن العتمات، مفرِّطين في الغدوات، تراكين للجمعات...).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٥٧٠) من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.

(٦) في (أ): «أعمالهم».

(٦١) ـ ﴿ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَأۡتِيّٗا ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ﴾: ترجمةٌ عن قوله: ﴿يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ﴾ وهي في محلِّ النصب، وإنما ترجَم عن الجنة بالجنات لأنها جنسٌ وهي بمعنى الجمع؛ أي: هي جنةٌ واحدة مشتمِلة على الجنات.

﴿ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ عِبَادَهُۥ﴾: أي: العبادَ التائبين المؤمنين العاملين الصالحاتِ، فقد سبق ذكر هذه الصفات، ولأنه أضافهم إليه وهو اختصاصٌ، وأهلُ الاختصاص هؤلاء.

﴿بِٱلۡغَيۡبِ﴾: بالوحي إلى نبيِّه وتلك الجنةُ غائبةٌ عنهم فصدَّقوه، وهو ثناء عليهم بالتصديق.

﴿إِنَّهُۥ كَانَ وَعۡدُهُۥ﴾: أي: موعودُه ﴿مَأۡتِيّٗا﴾؛ أي: يأتيه الموعودُ له ويبلغه.

ومَن جعله بمعنى الآتي فهو خلافُ الوضع، وما قلناه أحسن؛ لأنه مراعاةُ الوضع، وما أتاك فقد أتيته.

* * *

(٦٢) ـ ﴿ لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوًا إِلَّا سَلَٰمٗاۖ وَلَهُمۡ رِزۡقُهُمۡ فِيهَا بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا﴾: أي: في الجنة ﴿لَغۡوًا﴾؛ أي: هدراً من الكلام وما حقُّه أن يُلغَى؛ أي: يُبطل ويُطرح[1] ولا يُصغى إليه، وقد ذكر الله تعالى كلامهم في آيات؛ فقال: ﴿ دَعۡوَىٰهُمۡ فِيهَا سُبۡحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ ﴾ الآيتين [يونس: ١٠]، وقال: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَ﴾ [فاطر: ٣٤]، ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا﴾ الآية [الأعراف: ٤٣]، ﴿إِنَّا كُنَّا قَبۡلُ فِيٓ أَهۡلِنَا مُشۡفِقِينَ﴾ الآية [الطور: ٢٦]، وكلام الملائكة لهم: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡ﴾ الآية.

---

(١) في (ف): «وينطرح».

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا سَلَٰمًا﴾: استثناءٌ منقطع؛ أي: لكنْ سلاماً؛ أي: سالماً من اللغو، أو[1] سلاماً عليهم بالتحية.

وقيل: أي: لا يسمعون من غيرهم إلا سلامَ الملائكة بالتحية التي بيننا[2].

وقوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾: أي: مطاعمُهم ومشاربهم على ما يحبُّونه في الدنيا من الأكل والشرب في هذين الوقتين، فيؤتَون به بمقدارِ هذين الوقتين، ولا بكرة فيها ولا عشيَّ.

وقال قتادة: كانت العرب إذا أصاب أحدُهم الغداءَ والعشاءَ عُجب له، فأَخبر أن لهم في الجنة ذلك[3].

وقيل: لما كان أعدلَ أحوالِ المطاعم وأبعدَها من الضرر الغداءُ والعشاءُ عرَّفهم جلَّ جلاله اعتدالَ أحوال أهل الجنة في مأكلهم، وضرَب لهم البكرة والعشيَّ مثلاً لذلك.

وقيل: لهم ذلك غيرَ منقطعٍ في أوقات حاجتهم، ويقول الرجل: أنا أصبح وأمسي في ذكرك، و: برُّ[4] فلان يغدو إليَّ ويروح؛ أي: لا ينقطع.

***

(٦٣) ـ ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا﴾.

﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا﴾: أي: نجعلها للأتقياء دون الذين[5]

---

(١) في (ر) و(ف): «و».

(٢) في (أ): «بينا».

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٧٧١)، والطبري في «تفسيره» (١٥/ ٥٧٧).

(٤) في (ر): «وبني»، وفي (ف): «وابن»

(٥) في (أ): «من».

أضاعوا الصلوات واتَّبعوا الشهوات، وإيراثها: مصيرُها لهم وإنزالُهم فيها؛ كما قال تعالى: ﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ﴾ [الأحزاب: ٢٧].

***

(٦٤) - ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾: أي: ويقولُ لك جبريل حين استبطأتَ نزوله: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ﴾ نحن معاشرَ الملائكة ﴿إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾ وإضمارُ القول في القرآن كثير، منها: ﴿إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ﴾ [النمل: ٩١]؛ أي: قل ذلك.

وقد بينَّا في سورة الكهف أنه تأخَّر نزولُ جبريل أياماً حين سُئل رسول الله ﷺ عن الروح وأصحابِ الكهف وذي القرنين.

ويحتمِل أن يكون تأخُّر نزوله بعد هذه الآيات التي فرَغنا من تفسيرها أياماً، فلما نزل سأله النبيُّ ﷺ عن سبب التأخير، فنزلت الآية في ذلك، فانتظَمت بها لنزولها بعدها.

وقوله تعالى: ﴿لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا﴾: أي: قبل أن يخلقنا ﴿وَمَا خَلْفَنَا﴾ أي: من الدنيا بعد أن يُفنيَنا[1] ﴿وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾: حالَ حياتنا.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾: أي: ناسياً ينسى الوقتَ الذي فيه الصلاحُ في إنزالنا.

وحقيقته: ﴿لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ من الأزمان[2] والأوقات،

---

(١) في (ر): «بعد بعثتنا».

(٢) في (أ): «الأيام».

فهي كلُّها لله تعالى، هو خلقَها وهو يدبِّرها ويدبِّر أمرنا فيها بما شاء[1] من تقديم إنزالٍ وتأخيره.

وقيل: ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِينَا﴾؛ أي: الدنيا ﴿وَمَا خَلْفَنَا﴾: الآخرة ﴿وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾: النفختين.

وقيل: ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِينَا﴾: الآخرة ﴿وَمَا خَلْفَنَا﴾: الدنيا.

وكلٌّ واحد منهما له وجه في الاستعمال؛ يقال: الشتاء بين أيدينا، على معنى: أنَّا متوجهون إليه، و: الشتاء خلفنا؛ أي: يجيءُ بعد هذا، وكذا ما يقابله.

وقيل: ﴿لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا﴾؛ أي: ما مضى من أمورنا ﴿وَمَا خَلْفَنَا﴾: ما يكون منَّا بعدها[2]، ﴿وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ ما نحن فيه الآن؛ أي: هو المالك لأمورنا كلِّها والمصرِّف لها كيف شاء.

وقال الأخفش: اللام[3] في قوله: ﴿لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا﴾ لبيان العلم، وهو في[4] معنى قوله: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، ونظير هذه الآية قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ هو للعلم.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ أي: بين ذينك، وقد أوضحناه في قوله تعالى: ﴿عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾.

وقيل في قوله: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾؛ أي: ناسياً لك، وذلك حين قالوا: لعل ربَّك نسيَك.

---

(١) في (أ): «على ما يشاء»، بدل: «بما شاء».

(٢) في (ر) و(ف): «بعد هذا».

(٣) في (ف): «الكلام».

(٤) «في» ليست في (أ).

(٦٥) ـ ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾.

وقوله تعالى: ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾: أي: هو ربُّ السماوات والأرض.

وقيل: هو ترجمة قوله: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾.

﴿فَٱعْبُدْهُ﴾: بالصلاة وغيرها[1] ﴿وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ﴾؛ أي: اثبُت عليها ولا تجزع لتأخُّرِ[2] الوحي عنك.

وقوله تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾: أي: هل تعلم أحداً يستحقُّ أن يسمَّى بأسمائه ويوصفَ بصفاته، فيكونَ خالقاً ورازقاً، ومحيِياً ومميتاً[3]، عالماً بكلِّ شيء، قادراً على كلِّ شيء؛ أي: قد علمتَ أن أحداً ليس كذلك غيرُه فالْزَمْ عبادته.

وقيل: هل تعلمُ أحداً هو ربُّ السماوات والأرض وما بينهما غيرَه.

وقال مجاهد: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾؛ أي: مِثْلاً[4].

وقال القشيريُّ رحمه الله: هو ربُّ الأكابر، وهو أيضاً ربُّ الأصاغر، وقيمةُ العبد بمالكه وقَدْرِه، لا بثمنه في نفسه وخطره[5].

* * *

(٦٦) ـ ﴿وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا﴾.

---

(١) في (ر) و(ف): «ونحوها».

(٢) في (ر): «لتأخير».

(٣) في (أ): «خالقاً رازقاً محيياً مميتاً».

(٤) في (ر) و(ف): «مثيلًا». والمثبت من (أ)، وكذا رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٤٨٦).

(٥) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٤٣٦)، ولفظه: (إذا كان ربَّ الأكابر من الأقوياء فهو أيضاً ربّ الأصاغر من الضعفاء، وقيمة العبد...).

وقولـه تعالـى: ﴿وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا﴾: استفهام بمعنى التعجُّب والإنكار، وقوله: ﴿لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا﴾؛ أي: من القبر.

وقيل: هو أبيُّ بن خلف الجُمَحي؛ أي: يقول هذا الإنسان المنكِر للبعث، وهو الذي يترفَّع عن الصلاة والخدمة لله تعالى، مخالفاً للأنبياء الذين ثبتوا[1]، وموافقاً للَّذين أضاعوا الصلاة واتَّبعوا الشهوات؛ لإنكاره البعث ولولاه ما فعَل كذلك: ﴿أَءِذَا مَا مِتُّ﴾ لأُبْعَث وأُخرج من القبر، مستعظِماً له منكِراً لكونه.

* * *

(٦٧) ـ ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾: قرأ ابن كثير وأبو عمرو وحمزة والكسائي: ﴿يذَّكَّرُ﴾ بتشديد الذال والكاف، وأصله: يَتذكَّر، فأدغمت التاء في الذال؛ أي: أفلا يتذكَّر ويَحضره قلبه، وقرأ الباقون مخفَّفاً من الذكر الحاضر في القلب[2].

وقوله تعالى: ﴿أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا﴾: وهذا حجَّتُنا على المعتزلة في أن المعدوم ليس بشيء حالَ عدمه؛ أي[3]: أوجَدْناه، والإعادةُ كذلك، وهو كقوله: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [يس: ٧٩].

* * *

(٦٨) ـ ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ﴾: أَقْسَم بنفسه وأضاف نفسَه إلى نبيِّه، وهذا تعظيم لقَدْره، وهو تأكيدُ الخبر عن البعث بعد إقامةِ الحجة عليهم.

---

(١) في (أ): «ثبتنا»، وفي (ف): «بينا».

(٢) » انظر: «السبعة» (ص: ٤١٠)، و«التيسير» (ص: ١٤٩).

(٣) في (ف): «يعني».

﴿لَنَحْشُرَنَّهُمْ﴾: أي: لنبعثنَّهم ولنجمعنَّهم يوم القيامة ﴿وَ﴾ لنحشرنَّ ﴿الشَّيَاطِينَ﴾ معهم وهم أولياؤهم، فنَقرُنهم في السلاسل في جهنم.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾: قال الكلبي: أي: جماعات[1]، قال الأعشى:

وهي جملاءُ كبدرٍ طالعٍ ... بزَّتِ الخلقَ جثيًّا بالجمالِ[2]

أي: جميعاً.

وقيل: أي: جاثين على ركبهم، وذلك يكون للاختصام كما قال: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ [الزمر: ٣١].

وقال قطربٌ: يجوز أن يكون مصدراً، ويجوز أن يكون جمعاً للجاثي.

* * *

(٦٩) ـ ﴿ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا﴾.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا﴾: قال الخليل: رفع ﴿أَيُّهُمْ﴾ على الحكاية بتقدير: فيقال[3]: أيُّهم أشدُّ عتيًّا فليَخرج.

وقال سيبويه: أي: الذي هو أشدُّ، ولما حُذف (هو) أُعرب ﴿أَيُّهُمْ﴾ بإعرابه[4].

---

(١) ذكره عن الكلبي الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٣٨٣)، وذكره الثعلبيُّ في «تفسيره» (٦/ ٢٢٤) والواحدي في «البسيط» (١٤/ ٢٨٧)، عن ابن عباس، فلعله مما روي من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس.

(٢) » لم أجده.

(٣) بعدها في (ر): «لهم».

(٤) انظر: «الكتاب» (٢/ ٣٩٨ ـ ٤٠٠)، وفيه قول الخليل المذكور. وقول المؤلف: «أعرب «أيهم» =

ومعنى الآية: ثم لنُخرجن للنار من كلِّ فرقةٍ متشايعةٍ ـ أي: متعاونةٍ على الكفر ـ أشدَّهم على الله عتوًّا؛ أي: تمرُّداً.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: جراءةً[١].

وقال مجاهد: فجوراً[٢].

وقال مقاتل: علوًّا[٣]؛ أي: نبدأ بالأعتى فالأعتى بإدخالهم النار، فتدخل الرؤساء أولاً ثم الأتْباع؛ كما قال: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ الآية [هود: ٩٨].

= بإعرابه» يريد والله أعلم: أنه أخذ محله من الإعراب؛ لأن «أيهم» عند سيبويه مبنية على الضم؛ لأنها خالفت أخواتها في حذف صدر صلتها مع عدم جواز ذلك فيهن؛ لأنك لو قلت: رأيت الذي أفضل منك، ومَن أفضل، كان قبيحاً، حتى تقول: من هو أفضل. انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٣٣٩ ـ ٣٤٠)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٣/ ١٧)، و«البسيط» (١٤/ ٢٩٠)، و«الكشاف» (٣/ ٣٤). هذا وقد اختار الزجاج قول الخليل واستحسنه فقال: (والذي أعتقده أن القولَ في هذا قولُ الخليل، وهو موافق للتفسير..)، كما أنه غلَّط سيبويه فيما ذهب إليه، فقد نقل عنه تلميذه أبو جعفر النحاس قوله: (ما يَبِين لي أنّ سيبويه غلط في كتابه إلّا في موضعين هذا أحدهما)، قال: (وقد علمنا سيبويه أنه أعرب «أيّاً» وهي منفردة لأنها تضاف، فكيف يبنيها وهي مضافة؟)، وقال النحاس: (وما علمت أن أحداً من النحويين إلّا وقد خطّأ سيبويه في هذا).

(١) ذكره بهذا اللفظ الثعلبيُّ في «تفسيره» (٦/ ٢٢٤)، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٥٨٨ ـ ٥٨٩) بلفظ: كفراً. وبهذا اللفظ جاء في «تفسير مجاهد» (ص: ٤٥٧)، و«تفسير يحيى بن سلام» (١/ ٢٣٥)، و«معاني القرآن» للنحاس (٤/ ٣٤٧)، وكذا عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥٣٣) لأبي عبيد وعبد بن حميد وابن المُنذر وابن أبي حاتِم والبَيهقيّ.

(٢) ذكره بهذا اللفظ الثعلبيُّ في «تفسيره» (٦/ ٢٢٤)، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٥٨٨) بلفظ: (عصيًّا)، وفي رواية: (أيهم أشد للرحمن معصية، وهي معصيته في الشرك)، وفي «البسيط» (١٤/ ٢٨٩): قال ابن عباس في رواية الوالبي: (أيهم أشد عصياناً)، وقال في رواية عطاء: (أيهم أعظم فرية).

(٣) ذكره بهذا اللفظ الثعلبيُّ في «تفسيره» (٦/ ٢٢٤)، وفي «تفسير مقاتل» (٢/ ٦٣٤): (عتوًّا) بالتاء، وهو المناسب لما سيأتي من كلام المؤلف.

(٧٠) ـ ﴿ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا﴾.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا﴾: ﴿ثُمَّ﴾ هاهنا لترتيب الإخبار لا لترتيب العلم؛ أي: نحن أعلم بمن هو أشدُّ استحقاقاً لدخول النار من سائر الناس، وأحقُّ بالبداية[1] به.

وقيل: ﴿لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا﴾؛ أي: بمن هو أولى بزيادة العقوبة، من قولهم: صُلِيتُ بالحرب؛ أي: قاسيتُ شدَّتها، فالآية الأولى في بيان الأحقِّ بالبداءة[2]، وهذه في بيان الأحق بزيادة التشديد.

* * *

(٧١) ـ ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾: أي[3]: وليس منكم أيها الناس من المؤمنين والكافرين إلا وهو واردٌ جهنم.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: إلا[4] داخِلُها.

وروي أن نافعَ بن الأزرق قال لعبد الله بن عباس: ما الورود؟ قال: الدخول، قال: لا، إنما الورود الوقوف على شفيرها، قال[5] ابن عباس رضي الله عنه: والله

---

(١) في (ر) و(ف): «بالندامة».

(٢) في (أ) و(ف): «بالبداية».

(٣) في (ف): «قال نافع».

(٤) في (أ): «أي».

(٥) من قوله: «وقال ابن عباس...» إلى هنا وقع في (ف) بدلًا منه: «وسأل ابن الأزرق ابن عباس عن هذه الآية فقال».

لأَرِدَنَّهـا ولتَرِدَنَّهـا[١]، وإنـي لأرجـو أن أكـون من الذيـن قال الله تعالـى فيهم: ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ﴾ وتكـونَ أنـت من الذيـن قال الله تعالـى: ﴿وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ ويحـك[٢] يا ابن الأزرق! أمَا تقـرأُ كتاب الله تعالى: ﴿وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ۝٩٧ يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ﴾ [هـود: ٩٧ ـ ٩٨] أفتـراه[٣] ـ ويحـك ـ إنمـا أقامهـم علـى شـفيرها والله تعالـى يقـول: ﴿أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦]؟ قال: فسكت نافع[٤].

وعن بكر بن عبد الله المزني قال: لمَّا نزلت هذه الآية ذهب ابن رواحة إلى بيته فبكى، فجاءت المرأة فبكت، فجاءت الخادم فبكت، وجاء أهل البيت فجعلوا يبكون، فلما انقطعت عبرتُه قال: يا أهل البيت! ما يُبكيكم؟ قالوا: لا ندري، ولكنَّا رأيناك تبكي فبَكَينا لبكائك، فقال: آيةٌ أنزلت على رسول الله ﷺ يُنبئني ربِّي فيها أنِّي واردُ النار، ولم يُنْبئني أني أصدُر[٥] عنها، فذلك الذي أبكاني[٦].

وقال الحسن: قال رجل لأخيه: أي أخي! هل أتاك أنك واردُ النار؟ قال: نعم، قال: فهل أتاك أنك خارجٌ منها؟ قال: لا، قال: ففيم الضحكُ إذن؟ قال: فما رُؤي ضاحكاً حتى مات[٧].

---

(١) في (ف): «والله لأردنها»، وفي (ر): « والله لأرد بابها».

(٢) في (ف): «ويلك».

(٣) في (ر): «اقرأ»، وفي (ف): «أو يقول».

(٤) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٧٨٠)، والطبري في «تفسيره» (١٥/ ٥٩١ و٥٩٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ٢٠٨٠) واللفظ له.

(٥) في (ر): «صادر».

(٦) رواه ابن المبارك في «الزهد» (٣٠٩).

(٧) رواه ابن المبارك في «الزهد» (٣١١)، وبنحوه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٥١٩٦).

وقيل: هو مرور الكلِّ على الصراط، وسلامةُ المؤمنين وسقوط الكافرين.

روي عن كعب أنه قال: إن جهنم يُجاء بها يوم القيامة كأنها متنُ إهَالةٍ يعلوها البَرُّ والفاجر، فيقول الله تعالى: خذي أولياءك ودعي أوليائي لي، فلهيَ[١] أعرَفُ بهم من الأم بولدها، فتأخذهم وينجو المؤمنون منها نديَّةً ثيابهم، وهو قولُ الله عز وجل[٢]: ﴿عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ۝٧١ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾[٣].

وعن خالد بن مَعْدَانَ أنه قال: إن المؤمنين يقولون: ألَمْ يَعِدْنا ربُّنا أنَّا نردُ النار، فقيل لهم: بلى ولكنكم مررتُم بها وهي خامدةٌ[٤].

وسُئل السدي عن هذه الآية فقال: حدثني مرةُ الهمداني عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «ليس أحدٌ من الناس إلا سيَرِدُ النار[٥]، ثم يَصْدُرون منها بأعمالهم، فيكون أولُ صادر كلمح البصر، ثم يكون الصادر كالريح

---

(١) في (ر) و(ف): «قالت إني»، بدل: «لي فلهي».

(٢) في (أ): «كقوله» بدل: «وهو قول الله عز وجل».

(٣) رواه ابن المبارك في «الزهد» (٤٠٥ ـ زوائد نعيم)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٤١٧٢)، والطبري في «تفسيره» (١٥/ ٥٩٣)، وابن قتيبة في «غريب الحديث» (٢/ ٤٩٩)، ومن طريقه الدينوري في «المجالسة» (٧٠٢). وقال ابن المبارك في «شرح متن الإهَالة» كما في «الغريبين» للهروي و«مجمع الغرائب» لعبد الغافر الفارسي (مادة: أهب): أمَا تَرَى الدَّسَم إذا جَمَدَ على رأس الـمَرَقة. وقال غيره: مَتْنُ الإهالة: ظهرُها إذا سكنتْ في الإناء، شَبَّهَ كعبٌ سكونَ جهنم بالنار قبل أنْ يَصِيرَ الكافرُ فيها بسكون ظهرِ الإهالةِ. والإهالة: الدهن مما يؤتدم به، أو الدسم الجامد، أو ما أذيب من الألية.

(٤) رواه ابن المبارك في «الزهد» (٤٠٧ ـ زوائد نعيم)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٥٤٢٩)، والطبري في «تفسيره» (١٥/ ٥٩٢)، وأبو عبيد في «غريب الحديث» (٤/ ٣٤٧)، ومن طريقه البيهقي في «الشعب» عقب الخبر (٣٧٣).

(٥) في (ر) و(ف): «سيردها».

المارة بهم، ثم يكون الصادر كالبرق[١]، ثم يكون الصادر كالطير، ثم يكون الصادر كشدِّ[٢] الفرس، ثم يكون الصادر كشدِّ الراحلة[٣]، ثم يكون الصادر كأشد الرجال، ثم يكون الصادر كالماشي، فآخِرُ[٤] مَن ينجو أن يحبوَ حبواً»[٥].

وعن سعيد بن أبي هلال قال: بلغَنا أن الصراط يكون على بعض الناس أدقَّ من الشعر، وعلى بعض الناس مثلَ الوادي الواسع[٦].

ثم فائدةُ إدخال المؤمنين النارَ مع أن الله تعالى يَقيهم حرَّ النار: تشديدُ الحسرة على الكفار بدخولهم فيها وتعذيبِهم بها وبقائهم فيها.

وعن جابر رضي الله عنه قال: سألتُ النبيَّ ﷺ عن هذه الآية فقال: «لا يبقى بَرٌّ ولا فاجر إلا دخلها، ثم تبردُ على المؤمنين كما كانت برداً وسلاماً على إبراهيم»[٧].

وبعض الناس جعل هذا الورود حضوراً، وهو كقوله: ﴿ثُمَّ لَنُحۡضِرَنَّهُمۡ حَوۡلَ

---

(١) «بهم ثم يكون الصادر كالبرق» ليس في (أ) و(ف).

(٢) في (ر) و(ف): «كأشد».

(٣) في (ر) و(ف): «ثم يكون كأشد الراحلة».

(٤) في (أ): «كمشي الرجل وآخر»، بدل: «كأشد الرجال ثم يكون الصادر كالماشي فآخر».

(٥) رواه بنحوه الترمذي (٣١٥٩)، والحاكم في «المستدرك» (٣٤٢١) (٨٧٤١) وقال: صحيح على شرط مسلم. وقال الترمذي: حديث حسن، ورواه شعبة عن السدي فلم يرفعه. ثم رواه الترمذي (٣١٦٠)، والحاكم في «المستدرك» (٨٧٤٢) (٨٧٤٣) من طريق شعبة موقوفاً على ابن مسعود وعقَّباه بقول شعبة: سمعته من السدي مرفوعاً ولكني عمداً أدعه.

(٦) رواه ابن المبارك في «الزهد» (٤٠٦ ـ زوائد نعيم).

(٧) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١٤٥٢٠) من حديث جابر رضي الله عنه، وإسناده ضعيف؛ لجهالة أحد رجال الإسناد.

﴿جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾ الآية، وقال: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا﴾؛ أي: نسلِّم ﴿وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ﴾؛ أي: نُدخل ونتركُ.

وهو خلاف الأحاديث المشهورة، وعلى الأول جمهورُ أهل السنة والجماعة.

وقوله تعالى: ﴿كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾: أي: كائناً لا محالة محكوماً به.

* * *

(٧٢) ـ ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾.

﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا﴾: قرأ الكسائي بالتخفيف من الإنجاء، والباقون بالتشديد من التَّنجية[1]، وهما لغتان؛ أي: يخرج منها الذين اتَّقوا الذنوب كلَّها قبل أن يعذَّب، والذين اتقوا الكفر ووقعوا في المعاصي إمَّا قبل التعذيب وإمَّا بعده[2]، فمصيرهم إلى الجنة في العاقبة.

﴿وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ﴾: أي: ندَع المشركين ﴿فِيهَا﴾ أبداً ﴿جِثِيًّا﴾؛ أي: جماعاتٍ كما مر.

وقيل: جاثين على الرُّكب للتخاصم، كما قال: ﴿وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ﴾ [غافر: ٤٧]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ﴾ [ص: ٦٤].

* * *

(٧٣) ـ ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾.

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٤١١)، و«التيسير» (ص: ١٤٩).

(٢) في (ر) و(ف): «بعد التعذيب».

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾: أي: على هؤلاء[1] المنكرين للبعث ﴿ءَايَٰتُنَا﴾؛ أي: القرآن ﴿بَيِّنَٰتٍ﴾ نصبٌ على الحال؛ أي: حجَجاً واضحاتٍ.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا﴾: قرأ ابن كثير بضم الميم وهو موضع الإقامة، والباقون بفتحها، وهو موضع القيام[2].

وقوله تعالى: ﴿وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾: أي: مجلساً ومجتمَعاً، وندَوْتُ القوم أَنْدُوْهم نَدْواً[3]؛ أي: جمعتُهم في مجلس، والنادي: المجلس؛ قال تعالى: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ﴾ [العلق: ١٧]، والأندية: المجالس، جمعُ نَدِيٍّ؛ كالأَقفِزة جمع قَفِيز، ويُجمع[4] جمعَ نادٍ؛ كالأودية جمع وادٍ.

يقول: عجزوا عن المعارضة والاعتراض فعدَلوا عن المحاجَّة إلى المعانَدة بإدخال الشُّبَه على الضَّعَفة، فقالوا: أيُّ الفريقين منَّا ومنكم أيها المؤمنون خيرٌ منازلَ وأحسنُ مجالس؟ أي: أيُّنا أكثرُ مالاً وأحسنُ في أسباب الدنيا حالاً؟ يُوهمون[5] بذلك أنَّ مَن كثُر ماله وحسُنت حاله وانبَسطت يدُه وكثُرت أعوانه فذاك دليلٌ على أنه محقٌّ في دينه، ومَن خالفه في هذه الصفة ـ من سوءِ الحالة ورثاثةِ الهيئة وقلةِ الخدم والحشم ـ فهو مبطِلٌ في دينه.

* * *

(٧٤) ـ ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا﴾.

---

(١) في (ف): «المشركين».

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٤١١)، و«التيسير» (ص: ١٤٩).

(٣) في (ف): «نديت القوم أنديهم ندياً».

(٤) في (أ) و(ف): «ويجوز».

(٥) في (ر): «توهموا».

وقوله تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا وَرِءْيًا﴾: الأثاث: المتاع.

وقيل: هو ما يزيَّنُ به المنزل من أنواع الأمتعة.

والرِّئْي بالهمزة: المنظر، من الرؤية[١]، وقرأ نافع وابن عامر من غير همز[٢]، وقرأ غيرُهما بالهمز على الأصل، ومَن ترك الهمز فله وجهان:

أحدهما: تليين الهمزة على إرادتها؛ تخفيفاً، أو لموافقةِ فواصل الآي.

والثاني: أنه من رَوِي يَرْوَى رِيًّا[٣]، من حدِّ عَلِم؛ أي: رَوِيَتْ ألوانُهم وجلودُهم وارْتَوَتْ من النعمة والخِصْب.

ذكَر هذين الوجهين الكسائيُّ والأخفش وقطربٌ.

يقول: ليس حُسن هؤلاء في الدنيا لِمَا قالوا، فكم أهلكْنا بالعذاب قبل هؤلاء من قرون المخالِفين المكذِّبين هم كانوا أكثرَ من هؤلاء مالاً وأبسطَ يداً وأبعدَ سوطاً وأبهى منظراً وأنعم عيشاً وأكثرَ أنصاراً، وكان هذا معلوماً عندهم من هلاكِ عادٍ وثمودَ وغيرهم.

وقيل: نزلت الآية في النضر بن الحارث وذوِيه.

قال مقاتل: كانوا يرجِّلون شعورهم ويَدهُنون رؤوسهم ويلبسون جياد ثيابهم مفتخِرين بشارتهم[٤] وهيأتهم على فقراء الصحابة، فنزلت الآية[٥].

---

(١) في (ر) و(ف): «المروة».

(٢) هي قراءة ابن ذكوان عن ابن عامر، وقالون عن نافع. انظر: «السبعة» (ص: ٤١١)، و«التيسير» (ص: ١٤٩).

(٣) (ريًّا) بفتح الراء وكسرها، كما «مختار الصحاح». وكلمة: «ريًّا» ليست في (أ).

(٤) في (ر) و(ف): «بشأنهم».

(٥) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٦٣٦)، و«تفسير الثعلبي» (٦/ ٢٢٨)، و«تفسير البغوي» (٥/ ٢٥٢).

(٧٥) ـ ﴿قُلْ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّاۚ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْاْ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا﴾: أي: قل لهم يا محمد: مَن كان في الشرك والجحود فلْيَعِش ما شاء من المدة الطويلة، وأضاف الـمَدَّ إلى نفسه لأنه هو الذي يُعَمِّر ويُبقي في الدنيا أهلَها، فإن طول عمره لا يمنع الله تعالى مما يريد به عاجلاً أو آجلاً(١).

وقيل: أراد به المدَّ في الضلالة؛ كقوله تعالى: ﴿وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [البقرة: ١٥]، وقولِهِ: ﴿إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًا﴾ [آل عمران: ١٧٨]، وهذا صيغته صيغةُ أمر ومعناه الخبر؛ كقوله: ﴿قُلْ كُونُواْ حِجَارَةً﴾ [الإسراء: ٥٠]، وقالوا: من عادة العرب تأكيدُ الخبر بصيغة الأمر، قال تعالى: ﴿وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ﴾ [العنكبوت: ١٢].

وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْاْ مَا يُوعَدُونَ﴾: أي: على شركهم من أحد هذين: ﴿إِمَّا ٱلْعَذَابَ﴾؛ أي: العاجلَ ﴿وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ﴾؛ أي: القيامةَ.

وقوله تعالى: ﴿فَسَيَعْلَمُونَ﴾: أي: فسوف يعلمون في القيامة ﴿مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا﴾: أهُم أم المؤمنون.

وقوله تعالى: ﴿وَأَضْعَفُ جُندًا﴾: أي: أقلُّ ناصراً؛ أي: لا يبقَى لهم ناصرٌ ولا مقامٌ ولا نديٌّ، وكانوا يقولون: ﴿أَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا﴾ والمقام هاهنا هو ذلك المقام؛ أي: يعلمون أن ما أُوتوه من المقام والنَّديِّ لم يكن لعزِّهم وشرف محلِّهم(٢) عند الله، بل المؤمنون هم أشرفُ عند الله محلًّا.

---

(١) في (أ): «مما يريده عاجلًا وآجلًا».

(٢) في (ر) و(ف): «وشرفهم».

(٧٦) ـ ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ هُدًى وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ هُدًى﴾: أي: ثباتاً على الاهتداء كما يمدُّ الضالِّين المصرِّين على ذلك في الضلال.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ﴾: أي: الأعمال الحسنة التي يبقى ثوابها ﴿خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا﴾؛ أي: أحسنُ عاقبةً من الأعمال السيئة كعبادة الأوثان والمعاصي والافتخارِ بالدنيا والأثاثِ والزِّي[1]، والمقام والنَّدِيِّ.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿وَخَيْرٌ مَّرَدًّا﴾؛ أي: مرجعاً ومنقلَباً.

* * *

(٧٧) ـ ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا﴾: قرأ حمزة والكسائي: ﴿وَوَلَدًا﴾ بضمِّ الواو، وهو لغةٌ في الوَلَد كالحَزَن والحُزْن، والعَدَم والعُدْم[2]، والبَخَل والبُخْل.

وقيل: هو جمع الولد؛ كالأُسْد بالضم: جمع الأَسَد.

والباقون: ﴿ووُلْداً﴾ بفتح الواو واللام، وهو واحد[3].

وروي عن خبَّاب بن الأرتِّ أنه قال: كنت قَيْناً في الجاهلية، وكان لي على العاص بن وائل حقٌّ، فأتيتُه في الإسلام أتقاضاه، فقال: لا أقضيك حتى[4] تكفرَ

(١) في (ف): «والراي»، ولعل المراد بها: (والرئي).

(٢) في (أ): «والقدم والقدم».

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٤١٢)، و«التيسير» (ص: ١٥٠).

(٤) في (ف): «لا أعطيك أو».

بمحمدٍ، فقلت: والله لا أكفرُ بمحمد حتى يميتَك الله ثم يبعثَك، فقال: دعني حتى أموتَ وأُبعثَ فأُوتَى مالاً وولداً فأقضيَك، فنزلت الآية(١). وهذا دليل على(٢) أنه قال ذلك استهزاءً.

وقيل: نزلت في الوليد بن المغيرة.

وقيل: في أبيٍّ بن خلف.

وقوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ﴾؛ أي: أرأيت يا محمد هذا العجَب من هذا الكافر الذي يقول: لأعطين مالاً وولداً.

* * *

(٧٨) ـ ﴿أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ﴾: ألف الاستفهام بمعنى الإنكار والتوبيخ.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: أَنَظرَ في اللوح المحفوظ.

وقال مجاهد: أَعَلِمَ علمَ الغيب(٣).

والاطِّلاع في اللغة: هو الإشراف على الشيء والنظرُ إليه.

وقوله تعالى: ﴿أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾: أي: ميثاقاً أنه يُدخله الجنة ويؤتيه المال والولد.

وقيل: ﴿عَهْدًا﴾؛ أي: توحيداً؛ قاله ابن عباس رضي الله عنهما(٤).

---

(١) رواه البخاري (٢٠٩١)، ومسلم (٢٧٩٥).

(٢) في (أ) و(ف): «وهذا بيان».

(٣) ذكرهما الثعلبيُّ في «تفسيره» (٦/ ٢٢٩)، والبغوي في «تفسيره» (٥/ ٢٥٣). أما الواحدي فقد نسب في «البسيط» (١٤/ ٣١٢) القول الأول للكلبي، والثاني لابن عباس ومجاهد.

(٤) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» كما في «الدر المنثور» (٥/ ٥٣٦) بلفظ: ﴿أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾ =

وقيل: أي: عملاً صالحاً، قاله قتادة[1].

* * *

(٧٩) ـ ﴿كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا﴾.

﴿كَلَّا﴾: أي: ليس كما توهَّم، وما اطَّلع الغيب وما اتَّخذ عند الرحمن عهداً.

وقوله تعالى: ﴿سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ﴾: أي: ستكتب ملائكتُنا بأمرنا كتاباً فيُخرَجُ له يوم القيامة فيقرؤه[2] فيجازى به. وقيل: أي: سنُثبت. وقيل: أي: سنحفظ.

وقوله تعالى: ﴿وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا﴾: أي: نزيد ونَصِل بحيث لا ينقطع.

* * *

(٨٠) ـ ﴿وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ﴾: أي: نُميته ونرث ماله وولده[3]، وهو كقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ﴾ [مريم: ٤٠].

قوله ﴿وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾: أي: من المال والولد.

* * *

(٨١) ـ ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً﴾: أي: اتخذ هؤلاء المشركون

= قال: لا إله إلَّا الله يَرْجُو بها. وذكره ابن كثير عند هذه الآية بلفظ: العهد: شهادة أن لا إله إلا الله، ويبرأ إلى الله من الحول والقوة، ولا يرجو إلا الله عز وجل.

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٦٢١).

(٢) «فيقرؤه» من (أ).

(٣) أي: قوله: ﴿مَا يَقُولُ﴾ بدل اشتمال من الهاء في (نرثه).

أصناماً يعبدونها ﴿لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا﴾؛ أي: ليتعزَّزوا بها في الآخرة عند الله بما ذكروا من رجاء الشفاعة وتقريبهم إلى الله زُلفى.

***

(٨٢) ـ ﴿كَلَّا ۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾.

وقوله تعالى: ﴿كَلَّا﴾: أي: ليس كما ظنوا ﴿سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ﴾؛ أي: تتبرَّأ الآلهة عنهم، كما قال تعالى: ﴿يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ﴾ [العنكبوت: ٢٥].

وقوله تعالى: ﴿وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾: قيل: أي: أضداداً؛ كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ [غافر: ٦٧]، قالوا: وإنما وحَّد لأنه أراد كلَّ واحد منهم[1] يكون ضدًّا.

وقيل: ذكره بمقابلةِ قوله: ﴿لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا﴾، وذاك مصدرٌ فصلح[2] للجمع، فهذا أيضاً في مقابَلته[3]، ومعناه: يكونون خلاف ما توهَّموا[4] أنهم يشفعون وينفعون.

وإنْ حُمل الآلهةُ على الملائكة وعيسى وعزير، فكونهم ضدًّا قولُه[5]: ﴿بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ﴾ وبراءتُهم منهم.

***

(٨٣) ـ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ﴾: أي: خلَّيناهم، وهو كإرسال البعير.

---

(١) بعدها في (ف): «أن» ولو كانت بعد «أراد» لكان أنسب.

(٢) في (ف): «فيصلح» بدل: «وذاك مصدر فصلح».

(٣) بعدها في (أ): «ومعناه: ويكونون عليهم خلافاً فيصلح للجمع».

(٤) في (أ): «توهموه»، وفي (ف): «توهمون».

(٥) في (أ) و(ر): «قولهم».

وقوله تعالى: ﴿عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾: أي: على هؤلاء المشركين الذين اتخذوا آلهةً بتحريض الشيطان؛ أي: خذَلناهم فلم نمنع تزيينَ الشيطان عنهم.

وقوله تعالى: ﴿تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾: قال الفراء: تزعجُهم وتُغْريهم بالمعاصي[1].

وقال أبو عبيدة: تَهيجهم[2].

وقال قطرب: هو من قولك: أُزَّ قِدْرَك؛ أي: أوقِدْ تحتها؛ كأنه قال: تحرِّكهم على الكفر والمعصية بالدعوة والتزيين، يقول: خلَّيناهم ولم نمنعهم النعمةَ لتَتِمَّ المحنة، فيستحِقَّ المتحرِّز عنه الثواب، وقد نهيناهم عن اتِّباع الشيطان، وأكملنا عقولَهم التي يمكن بها التمييزُ بين الحق والباطل.

وقيل: في آخره[3] مضمَر: فعلنا ذلك ليجاهدوا ويتحرَّزوا[4] فلم يفعلوا.

* * *

(٨٤) ـ ﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ﴾: بطَلَب عذابهم ﴿إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا﴾؛ أي: نَعدُّ مدَّتهم، وهو عبارةٌ عن القلة[5]، يقال: أيام معدودةٌ، وأقوام معدودون.

وقيل: ما دخله العددُ فسريعاً يَنفذ.

وقيل: معناه: لا تعجل عليهم فإنما نؤخِّرهم لا لخيرٍ نريده بهم، ولكن ليزدادوا إثماً.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ١٧٢).

(٢) انظر: «مجاز القرآن» (٢/ ١١).

(٣) في (ر): «فيه»، بدل: «في آخره».

(٤) في (ر): «وليحذروا».

(٥) في (ر) و(ف): «العدة».

(٨٥) ـ ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا﴾: قيل: يتصل بقوله: ﴿وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ﴾؛ أي: نبعث ﴿ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ﴾؛ أي: إلى جنات الرحمن، ويُطلق على البعث إلى دار الملِك اسمُ: البعث إلى الملك.

وبدأ الكلامَ بالإخبار عن نفسه بصيغة الجمع، ثم[1] المغايبةِ، وهو من أقسام البلاغة، وطريقُه طريقُ قول الأمير: نُنزلكم دارَ الأمير، يعني: دار[2] نفسه، وهو كقوله تعالى: ﴿مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [النساء: ١٠٠].

وقيل: ﴿إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ﴾؛ أي: إلى موقف الحساب، وفيه تيسير الحساب وتوفير الثواب.

﴿وَفْدًا﴾؛ أي: وافدِين، مصدرٌ يراد به نعتُ الجمع كالضيف والزَّور.

وقيل: الوفد جمع وافد؛ كالرَّكب جمع راكب.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿وَفْدًا﴾ أي: ركباناً[3]؛ فإنه من خصائص الوفود، قال: يؤتَون بنوقٍ لم يُر مثلُها عليها رحائلُ الذهب، وأزمَّتُها الزَّبَرْجدُ، فيركبون عليها حتى يضربوا أبوابَ الجنة[4].

---

(١) بعدها في (أ): «ذكر».

(٢) «دار» من (أ).

(٣) في (ر): «ركباً».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٦٣٠) عن ابن عباس مختصراً بلفظ: (ركباناً). ورواه بتمامه عبد الله بن الإمام أحمد في زوائده على «المسند» (١٣٣٣)، والطبري في «تفسيره» (١٥/ ٦٢٩)، والحاكم في «المستدرك» (٣٤٢٥)، من طريق عبد الرحمن بن إسحاق، عن النعمان بن سعد، عن عليّ رضي الله عنه. قال الحاكم: صحيح على شرط مسلم! وتعقبه الذهبي بقوله: بل عبد الرحمن لم يرو له مسلم ولا لخاله النعمان، وضعفوه.

وفي تسميتِهم وفداً بيانٌ[١] أنهم يتوجَّهون إلى الجنة مسرورين، ويجدون الأهلَ والخدم بقدومهم مسرورين؛ كالوفد يتوجهون إلى السلطان مسرورين، ويكون السلطان وحشمُه بورودهم مسرورين.

* * *

(٨٦) ـ ﴿وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾: قال أهل التفسير: أي: عطاشاً، وهو في اللغة: ورودُ الماء، ولكن لا يكون ذلك إلا عن عطشٍ، فجُعل مجازاً عنه ودليلاً عليه، ودلَّ ذكر ورود جهنم هاهنا أن ما يقابله من ذكر الوفود[٢] هو دخول الجنة.

* * *

(٨٧) ـ ﴿لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾: أي: لا يملك أحد من أهل المحشر أن ينفع أحداً بشفاعته إلا أن يكون الشافعُ ممن ﴿ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾؛ أي: وثيقةً بعملٍ صالحٍ قدَّمه يستحقُّ به رتبةَ الشفعاء.

ويحتمِل: إلا لمن اتخذ عند الله هذا العهد؛ أي: لا تكون الشفاعة إلا في حق المؤمن.

وقيل: العهد: الإيمان. وقيل: الطاعة. وقيل[٣]: أي: الصلاة. وقيل: الذكر. والعهد جامعٌ لذلك كلِّه.

---

(١) في (ر): «إشارة».

(٢) في (ر) و(ف): «الوفد»

(٣) «وقيل» من (أ).

وروى ابن مسعود رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «مَن قال كلَّ صباحٍ ومساءٍ: اللهم فاطرَ السماوات والأرض، عالمَ الغيب والشهادة، إني أعهدُ إليك في هذه الحياة الدنيا أني أشهد أنك أنت الله الذي[1] لا إله إلا أنت، وحدك لا شريك لك، وأن محمداً عبدك ورسولك[2]، وإنك إنْ تَكِلْني إلى نفسي تقرِّبْني من الشر وتباعِدْني من الخير، فإني لا أثقُ إلا برحمتك، فاجعل لي عندك بها عهداً تؤدِّيه[3] إليَّ يوم القيامة إنك لا تُخلف الميعاد، طُبع عليه طابعٌ، ووضع تحت العرش، فإذا كان يومُ القيامة نادى منادٍ: أين الذين لهم عند الله عهد؟ فيدخلون الجنة»[4].

---

(١) «الذي» ليست في (أ).

(٢) بعدها في (ر) و(ف): «فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين»، وليس في (أ) والمصادر.

(٣) في (ر) و(ف): «ترده».

(٤) رواه بتمامه الثعلبي في «تفسيره» (٦/ ٢٣١) فقال: (وروى أبو وائل عن عبد الله بن مسعود قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول لأصحابه ذات يوم...) فذكره. ولم أجده من هذا الطريق بهذا التمام مسنداً، لكن رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣٩١٦) من طريق عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً، وفيه بدل عبارة: «طُبع عليه طابعٌ، ووضع تحت العرش، فإذا كان يومُ القيامة نادى مناد: أين الذين لهم عند الله عهد؟ فيدخلون الجنة»، قوله: «إلَّا قال اللهُ لملائكته يومَ القيامة: إنَّ عبدي قد عَهِدَ إليَّ عهدًا، فأَوْفُوه إياه، فيُدخِلُه الله الجنَّةَ». قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ١٧٤): رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح، إلا أن عون بن عبد الله لم يسمع من ابن مسعود.

ورواه دون هاتين العبارتين الطبراني في «الكبير» (٨٩١٨)، والحاكم في «المستدرك» (٣٤٢٦) وصححه، عن الأَسْوَد بن يَزِيدَ، عن عبدِ الله بن مسعودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْه، أنه قرأ ﴿إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحۡمَٰنِ عَهۡدٗا﴾ فقال: (اتَّخِذوا عند الرحمن عهدًا، فإنَّ اللهَ يقولُ يومَ القيامة: مَن كان له عندي عَهْدٌ فلْيَقُم. قال: فقُلْنا: فعَلِّمْنا يا أبا عبدِ الرحمن، قال: قولوا: اللهمَّ فاطرَ السَّماواتِ والأرضِ...) الحديث. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ١٨٤): رواه الطبراني، وفيه المسعودي، وهو ثقة ولكنه قد اختلط، وبقية رجاله ثقات.

(٨٨ ـ ٨٩) ـ ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا (٨٨) لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾: قال أكثر العرب: الملائكة بناتُ الله.

وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا﴾: قال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهدٌ وقتادة وابن زيد: أي: منكراً عظيماً(١).

ويحتمِلُ أن تكون الآية عامَّةً فيهم وفي النصارى(٢) وزعمِهم المسيحَ ابنَ الله.

* * *

(٩٠) ـ ﴿تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا﴾.

وقوله تعالى: ﴿تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ﴾: قرأ نافع والكسائي: ﴿يكاد﴾ بياء التذكير؛ لتقدُّم الفعل، والباقون بتاء التأنيث(٣).

و﴿يَنْفَطِرْنَ﴾ قرأ ابنُ عامر وأبو عمرٍو، وحمزةُ في رواية، وعاصمٌ في رواية أبي بكر: بالنون بالتخفيف(٤) من الانفطار، وقرأ الباقون بالتشديد من التفطُّر(٥)؛ أي: قاربت(٦) السماوات أن يتشقَّقْن من هذا الشيء الإدِّ(٧).

﴿وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ﴾: لذلك ﴿وَتَخِرُّ الْجِبَالُ﴾؛ أي تسقط ﴿هَدًّا﴾ قال القتبيُّ:

---

(١) رواه عنهم الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٦٣٥ ـ ٦٣٦).

(٢) بل هذا هو الأولى أن تكون الآية عامة، ولا أدري لم التخصيص في مثل هذا، علما أن المشهور بنسبة الولد لله سبحانه هم النصارى، فالأصل شمول الآية لهم ولليهود وللعرب ولكل من نسب لله الولد.

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٤١٢ ـ ٤١٣)، و«التيسير» (ص: ١٥٠).

(٤) «بالتخفيف» من (أ)، وليس فيها: «أبي بكر بالنون».

(٥) انظر: «السبعة» (ص: ٤١٢ ـ ٤١٣)، و«التيسير» (ص: ١٥٠).

(٦) في (أ): «كادت».

(٧) «الإد» من (أ).

سقوطاً[(١)]، وقال الفراء: كسراً[(٢)]، وقال قطرب: زلزلةً وكسراً، وقال الكسائي: رضًّا.

وقال الخليل: هدماً مع صوتٍ شديد، والهدَّة: صوت شديد يُسمع من سقوطِ ركنٍ أو ناحيةِ جبل[(٣)].

وهذه الأشياء تكون عند قيام الساعة وزوالِ بناء العالم؛ قال تعالى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ﴾ [الانفطار: ١]، وقال جل جلاله: ﴿رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ۝٤ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا﴾ [الواقعة: ٤ ـ ٥]، فكأنه قال: كاد العالم ينتقِضُ لفظاعةِ ما قالوا.

* * *

(٩١ ـ ٩٢) ـ ﴿أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ۝٩١ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا﴾: أي: لِأَنْ سمَّوا له ولداً وأضافوه إليه.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾: أي: وما يصلُح هذا.

* * *

(٩٣) ـ ﴿إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا﴾.

قوله ﴿إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا﴾: أي: ليس أحدٌ من أصناف الخلق من الأنبياء والملائكة والجنِّ والإنس والشياطين وغيرهم إلا وهو يأتي عبداً يوم القيامة، وإذا كانوا عبيدَه وقد خلقهم فكيف يكون أحدٌ منهم ولداً له.

وبهذه الآية نقول: إذا ملك الأب ولده عتَق عليه؛ لأنه لا يجتمع البنوة والعبودية.

* * *

(١) انظر: «غريب القرآن» لابن قتيبة (ص: ٢٧٦).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ١٧٣).

(٣) انظر: «العين» (٣/ ٣٤٧).

(٩٤) ـ ﴿لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا﴾.

وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا﴾: أي: قَدَر عليهم وعلِم مبلغَ عددهم.

* * *

(٩٥) ـ ﴿وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾.

﴿وَكُلُّهُمْ﴾: أي: كلُّ واحد منهم، ولذلك وحد قوله: ﴿آتِيهِ﴾، فأما قوله تعالى: ﴿وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ﴾ [النمل: ٨٧] فمعناه: جميعهم، فلذلك جمع الخبر.

﴿آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾: أي: مفرداً[١] عن الأنصار والأموال، فلا يحجزه عما يستحقُّه من عذاب الله تعالى[٢] حاجزٌ، ولا ينفعه إلا ما قدَّمه من عملٍ صالح.

وروى ابن المبارك رحمه الله عن عوف عن غالب بن عجردٍ قال: حدثني رجل من أهل الشام في مسجد منًى قال: إن الله تعالى لمَّا خلق الأرضَ وخلق ما فيها من الشجر، لم يكن في الأرض شجرةٌ يأتيها بنو آدم إلا أصابوا منها منفعةً ـ أو كان[٣] لهم فيها منفعةٌ ـ، فلم تزَل الأرض والشجر كذلك حتى تكلَّم فجَرةُ بني آدم تلك الكلمةَ العظيمة قولَهم: اتخذ الله ولداً، فلما قالوها اقشعرَّت الأرضُ وشاكَ الشجر[٤].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: إن الجبل يقول للجبل: يا فلان! هل مرَّ بك اليوم ذاكرٌ لله تعالى؟ فإن قال: نعم، سُرَّ به، ثم قرأ عبد الله: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا (٨٨) لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا﴾ حتى إذا بلغ ﴿أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا﴾ قال: فتراهن يسمعن الزُّور ولا يسمعن الخير[٥]؟

---

(١) في (أ): «متفرداً».

(٢) في (ف): «من العذاب».

(٣) في (ر) و(ف): «وبان».

(٤) رواه ابن المبارك في «الزهد» (٣٣٧)

(٥) رواه ابن المبارك في «الزهد» (٣٣٣)، والطبراني في «الكبير» (٨٥٤٢)، والبيهقي في «الشعب» (٦٩١).

وهـذا إذا وضـع الله تعالى فيهـا الحياة والعلـم، وذلك جائز عندنـا، وعلى ذلك تصـدُّع الجبل من خشـية الله تعالـى، وهبوطها من هيبـة[١] الله تعالى.

وقـال قطـرب: الإد: الداهية والأمرُ الفاحـش، وجمعه: الإداد، وقـد أَدَّ يَئِدُّ ويَؤُدُّ، وأنشد:

يـا أيهـا الرَّائـمُ أمـراً إدَّا　　إن كنـتَ ترجونـا فناطِـحْ حـدَّا[٢]

وقال رؤبةُ[٣]:

ويتَّقـي الفحشـاءَ والأباطِـلا　　والإدَّ ذا الإدادِ والعضائـلا[٤]

* * *

(٩٦) ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾: ذكر المؤمنين بعد ذكر الكافرين.

﴿سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا﴾: أي: محبةً في صدور عباده المؤمنين، فيحبُّهم ويحبِّبُهم إلى خلقه، وكان نزول هذا بمكة قبل هجرة الحبشة والمدينة[٥]، وحقق الله

---

(١) في (ر) و(ف): «خشية».

(٢) في (أ): «ترجو فناطح أحدا»، وفي (ف): «ترجونا فامنح أحداً» وفي (ر): «ترجونا فباطح حدا». ولم أجده.

(٣) في (أ): «العجاج».

(٤) في (ر): «والأدد الإداد والعضابلا». والبيت ذكره صاحب «العين» عن رؤبة برواية:

ويتَّقـي الفَحْشـاءَ والنَّياطِـلا　　والإدَّ والإدادَ والعَضـائلا

(٥) في (ف): «قبل الهجرة».

لهم هذا الوعد فجعل في قلب النجاشي هذا الودَّ[١]، وَدَّ المؤمنين حتى أمِنوا في بلاده، ووصلوا إلى بِرِّه، على ما مضى ذكرُه في حديث جعفر بن أبي طالب وهجرةِ الصحابة إليه، وقراءتِه هذه السورةَ عليه، ودفعِه قصدَ المشركين عنهم، ثم بعد ذلك جعل لهم الودَّ في قلوب أهل المدينة حتى آوَوْهم ونصروهم، وأسلموا بالقرآن ثم بالسيف، ثم ألَّف الله تعالى بين قلوب الأوس والخزرج فجعل لهم الودَّ حتى اتَّفق الفريقان على نصرة الحق، ثم تتابع هذا حتى دخل الناس في دين الله أفواجاً، وجاء نصر الله والفتح، وأورث الله تعالى المسلمين مقام الكفار ونديِّهم، فظهر دين الله ولو كره المشركون، وفي ذلك أوضح دليل على صدق دعوى النبي ﷺ الرسالةَ.

وقيل: معناه: سيجعل للمؤمنين مودَّةً لبعضهم من بعضهم، فيتوادُّون ويتآلفون، فيتعاضدون ويتناصَرون، فينقمِع بذلك أعداؤهم بالسيف أو بالحجة.

* * *

(٩٧) ـ ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ﴾: أي: يسَّرنا القرآن، كنايةٌ لم يسبقها صريحٌ؛ كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾.

وقيل: يسَّرنا ما قصَصْنا عليك في هذه السورة ﴿بِلِسَانِكَ﴾؛ أي: بلسانك[٢] الذي هو لسانُ العرب، حتى فهموه وعقَلوه ووقفوا على إعجازه.

وقوله تعالى: ﴿لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ﴾: أي: المؤمنين[٣] الذين يتَّقون الشركَ والمعاصيَ بما قلنا: ﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾ ونحوِ ذلك.

---

(١) «هذا الود» من (أ).

(٢) «أي: بلسانك» من (أ).

(٣) «المؤمنين» من (أ).

وقوله تعالى: ﴿وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوۡمٗا لُّدّٗا﴾: هؤلاء المشركين المذكورين في هذه الآيات، واللُّدُّ: جمع الألَدِّ، وهو شديدُ الخصومة، قال تعالى: ﴿وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ﴾ [البقرة: ٢٠٤] والمصدر: اللَّدَد.

وقال أبو عبيدة: هو الذي لا يقبل الحقَّ ويدَّعي الباطل(١).

وقال الخليل: وهو الشديدُ الخصومة العسيرُ الانقياد(٢)، وكان مشركو قريش كذلك، قال تعالى: ﴿بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ﴾ [الزخرف: ٥٨].

* * *

(٩٨) ـ ﴿وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّن قَرۡنٍ هَلۡ تُحِسُّ مِنۡهُم مِّنۡ أَحَدٍ أَوۡ تَسۡمَعُ لَهُمۡ رِكۡزَۢا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّن قَرۡنٍ﴾: ثم(٣) هوَّن الله على النبيِّ ﷺ خصامهم وعنادهم، وقال: وكثيراً أهلكنا قبل هؤلاء من قرونٍ كثيرة مثلَ قوم نوحٍ وقوم صالحٍ وقوم لوطٍ وقوم شعيبٍ وغيرِهم؛ لمخالفتهم أنبياءهم.

وقوله تعالى: ﴿هَلۡ تُحِسُّ مِنۡهُم مِّنۡ أَحَدٍ﴾: أي: هل تُبصر.

وقوله تعالى: ﴿أَوۡ تَسۡمَعُ لَهُمۡ رِكۡزَۢا﴾: هو الصوتُ الخفيُّ في(٤) الحركة؛ أي: قد ذهبوا وبادُوا فلا عينَ لهم ولا أثر، فكذلك هؤلاء أيضاً إن(٥) أعرضوا عن تدبُّر ما يسَّرناه بلسانهم من القرآن، الذي لهم فيه الشفاء والبيان، فعاقبَتُهم الهلاكُ فليَهُنْ عليك أمرهم.

---

(١) انظر: «مجاز القرآن» (٢/ ١٣).

(٢) انظر: «العين» (٨/ ٩).

(٣) «ثم» زيادة من (أ).

(٤) في (أ): «و».

(٥) في (ف): «إذا».

وقال الإمام القشيري رحمه الله: أوجدَهم وأحياهم، وعلى ما شاء فطرهم وأبقاهم، ثم بعد ذلك بما شاء أماتهم وأفناهم، فبادُوا بأجمعهم، وهلكوا عن آخرهم، فلا كبيرَ منهم ولا صغير، ولا جليل ولا حقير، وسيطالبون يومَ النُّشور[١] بالنقيرِ والقِطمير، وإلى جزاء الله المصير[٢].

والحمد لله العليِّ الكبير، السميعِ البصير[٣]، اللطيفِ الخبير، حمداً لا يحصَى عددُه، ولا يُعرف أمدُه، وأشكره على ما وفَّقني في إتمام هذه السورة، وصوَّرني بقدرته في أحسن الصورة، وصلى الله على سيدنا محمدٍ سيدِ الأنبياء وخيرته، والرضوانُ على أهله وعترته[٤]، وعلى الصالحين من أئمة أمته وسلم تسليماً كثيراً[٥].

* * *

---

(١) في (ر): «النشر».

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٤٤٤).

(٣) بعدها في (ر): «وعلى الصالحين من أئمة أمته».

(٤) من قوله: «والحمد لله العلي الكبير...» إلى هنا وقع في (أ) بدلًا منه: «والحمد لله رب العالمين».

(٥) «وعلى الصالحين من أئمة أمته وسلم تسليماً كثيراً» من (ف).

سُورَةُ طه

سُورَةُ طه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

بسم الله الذي خلَق الأرضَ والسماوات العُلى، الرحمنِ الذي لا إلهَ إلا هو له الأسماء الحسنى، الرحيمِ الذي هو غفارٌ لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدَى.

وروى أبيُّ بن كعب رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «مَن قرأ سورة طه أُعطي يوم القيامة ثواب المهاجرين»[1].

وسورة طه مكيةٌ، وهي مئة واثنتان وثلاثون آيةً، وقيل: أربع وثلاثون، وقيل: خمس وثلاثون، وقيل: أربعون[2].

والاختلاف في إحدى وعشرين آية: ﴿طه﴾ ﴿كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا﴾ ﴿وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا﴾ ﴿مَحَبَّةً مِّنِّي﴾ ﴿وَلَا تَحْزَنَ﴾ ﴿وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا﴾ ﴿فِي أَهْلِ مَدْيَنَ﴾ ﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ ﴿مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ﴾ ﴿مَا غَشِيَهُمْ﴾ ﴿غَضْبَانَ أَسِفًا﴾ ﴿وَعْدًا حَسَنًا﴾ ﴿فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ﴾ ﴿وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ﴾ ﴿فَنَسِيَ﴾ ﴿إِلَيْهِمْ قَوْلًا﴾ ﴿إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا﴾ ﴿قَاعًا صَفْصَفًا﴾ ﴿مِّنِّي هُدًى﴾ ﴿زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾.

---

(١) موضوع. انظر: «الفتح السماوي» (٢/ ٨٢٥).

(٢) مئة وثلاثون وآيتان بصري، وأربع مدنيان ومكي، وخمس كوفي، وأربعون شامي. انظر: «البيان في عد آي القرآن» للداني (ص: ١٨٣).

وهي ألفٌ وثلاثُ مئة وخمسٌ وثلاثون كلمةً[١]، وخمسةُ آلافٍ ومئتان وثلاثةٌ وثمانون حرفاً[٢].

وانتظام أول هذه السورة بآخر تلك السورة: أنه ختم تلك السورة بذكر القرآن وتيسيرِه وافتتح هذه بذكر القرآن وإنزاله.

وانتظام السورتين: أنه ذكر في تلك السورة قصصَ الأنبياء وذكر[٣] فيهم موسى، وذكر أنه من ذرية آدم، وختمها بذكر الموافقين والمخالفين، وذكر في هذه السورة قصة موسى وختمها بقصة آدم ثم بذكر الموافقين والمخالفين.

* * *

(١) ـ ﴿طه﴾.

وقوله تعالى: ﴿طه﴾: قرأ ابن كثير وابن عامر ونافع في رواية بتفخيم الطاء والهاء، وقرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية أبي بكر وأبو عمرو في رواية عباس الدوري بإمالتهما، وقرأ أبو عمرو في رواية بتفخيم الطاء وإمالةِ الهاء، ونافع في رواية بين الإمالة والتفخيم[٤].

وأما تفسيره: فقد قال عكرمة والحسن والضحاك وقتادة: معناه: يا رجل، وهي بالسُّريانية، وقيل: بالنَّبَطية[٥]، وقيل: بلغةِ عَكٍّ[٦]، قال شاعرهم:

---

(١) في المصدر السابق: ألف وثلاث مئة وإحدى وأربعون كلمة.

(٢) في المصدر السابق: خمسة آلاَف ومئتان واثنان وأربعون حرفاً.

(٣) «ذكر» ليست في (أ).

(٤) انظر: «السبعة» (ص: ٤١٦)، و«التيسير» (ص: ١٥٠).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٥ ـ ٧) عن ابن عباس وابن جبير ومجاهد وعكرمة والضحاك وقتادة والحسن. وقوله: بالسريانية، جاء في خبر سعيد بن جبير وقتادة، وقوله: بالنبطية، جاء في خبر ابن عباس وعكرمة والضحاك.

(٦) ممن قال بذلك الكلبي كما نقل عنه الثعلبي في «تفسيره» (٦/ ٢٣٦)، وقاله أيضاً الطبري في =

إن السَّــفاهة طــه مــن خلائقكــم لا قــدَّس اللهُ أخــلاقَ الملاعيــن(١)

وقال مقاتل بن حيان: ﴿طه﴾؛ أي: طأ الأرضَ بقدميك، يريد به التهجُّد؛ قالوا: كان النبي ﷺ يقوم في الصلاة على أطراف أصابعه، فأُمر أن يطأَها بأخمص قدميه(٢)، وعلى هذا يكون قوله: (طا) أمرٌ من وَطِئ يطأ، وليِّنت همزته(٣)، و(ها) كنايةٌ عن الأرض.

وقال القرظيُّ: أقسم الله تعالى بطَوله وهدايته.

وقال جعفرٌ الصادق: أقسم الله تعالى بطهارة أهل بيت رسول الله ﷺ كما قال: ﴿وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣].

= «تفسيره» (١٦/ ٧) وقد اختار القول السابق ورجحه فقال: والذي هو أولى بالصواب عندي من الأقوال فيه قول من قال: معناه: يا رجل، لأنها كلمة معروفة في عكّ فيما بلغني، وأن معناها فيهم: يا رجل. ثم استدل عليه بالبيت الآتي.

والزمخشري أيضاً نسبها لعك مع تعليل لطيف، فقال في «الكشاف» (٣/ ٤٩): إن (طاها) في لغة عكٍّ في معنى: يا رجل، ولعل عكًّا تصرفوا في (يا هذا) كأنهم في لغتهم قالبون الياء طاء، فقالوا في (يا): (طا)، واختصروا (هذا) فاقتصروا على (ها).

(١) البيت في «تفسير الطبري» (١٦/ ٧)، و«الأضداد» لابن الأنباري (ص: ٤٠٤)، و«تفسير الثعلبي» (٦/ ٢٣٦)، و«النكت والعيون» (٣/ ٣٩٢)، و«البسيط» (١٤/ ٣٤٨). وعزاه الماوردي ليزيد بن مهلهل. ورواية عجزه عند الطبري:

لا بــاركَ اللهُ فــي القــومِ المَلاعِيــنِ

(٢) رواه عبد بن حميد كما في «الكاف الشاف» (ص: ١٠٨) عن الربيع بن أنس مرسلًا، ورواه البزار في «مسنده» (٩٢٦) من حديث عليٍّ رضي الله عنه، وفي إسناده ضعف. انظر: «مجمع الزوائد» (٧/ ٥٦)، وفيه: رواه البزار وفيه يزيد بن بلال، قال البخاري: فيه نظر. وكيسان أبو عمر، وثقه ابن حبان وضعفه ابن معين، وبقية رجاله رجال الصحيح.

(٣) في (ف): «ولو كان كذلك لثبتت همزته» بدل من «ولينت همزته».

وقيل: هو كناية عن: طاهر، وهو اسم الله تعالى.

وقيل: (طا) طوبى و(ها) هاوية، وهو قَسَم بالجنة والنار.

وقال سعيد بن جبير رضي الله عنه: الطاء افتتاحُ اسمه طاهر وطيِّب، والهاء افتتاح اسمه هادي.

وقيل: هو خطاب النبي ﷺ يا طالب الشفاعة للأمة، ويا هادي الخلق إلى الله[١].

وقيل: الطاء طينتُه، والهاء همتُه، والطينةُ طيبةٌ والهمةُ عاليةٌ.

وقيل: الطاء طاعتُه، والهاء هيبتُه.

وقيل: الطاء تسعةٌ والهاء خمسة، وجملتُها أربعةَ عشر، وهو إشارة إلى تسميته بدراً، كأنه قال: يا بدرُ ليلة أربع عشرة[٢].

وقال مجاهد: هو اسم هذه السورة[٣].

وقال بعضهم: هو اسم القرآن.

وقال الإمام القشيري رحمه الله: الطاء إشارة إلى طهارة قلبه عليه السلام عن غير الله[٤]، والهاء إلى اهتداء قلبه إلى الله تعالى.

وقال أيضاً[٥]: معناه: طوينا عن سرِّك ذكرَ غيرنا، وهديناك بنا إلينا.

---

(١) ذكر هذه الأقوال من قول مقاتل إلى هنا الثعلبي في «تفسيره» (٦/ ٢٣٦ ـ ٢٣٧).

(٢) ذكره الثعلبي أيضاً في «تفسيره» (٦/ ٢٣٧)، وذكر أن ذلك في حساب الجمَّل، وليس فيه: «ليلة أربعة عشرة».

(٣) ذكره البغوي في «تفسيره» (١/ ٥٩).

(٤) في (ف): «إشارة إلى طاعة الله تعالى».

(٥) «أيضاً» ليست في (أ).

وقال أيضاً: طاب عيش مَن اهتدى بك[١].

وقيل: الطاء طلَب الموحِّدين، والهاء هرب الجاحدين، فمَن طلبه وجده، ومَن هرب منه أدركه.

وقيل: الطاء طربُ أهل الجنة بعشرة أشياء، ينادي منادٍ: لكم حياةٌ لا موت بعدها، وصحةٌ لا سقَم بعدها، وشبابٌ لا هرم بعده، وعزٌّ لا ذلَّ بعده، ونعمةٌ لا محنة بعدها، وأمنٌ لا خوف بعده، وفرحٌ لا حزن بعده، وكرامةٌ لا هوان بعدها، وغَناءٌ لا فقر بعده، وملكٌ لا عزل بعده، وسعادةٌ لا شقاء[٢] بعدها، والهاء هوانُ أهل النار بعشرة أشياء ينادي بها المنادي، وهي عشرة على قلب هذا[٣].

***

(٢) ـ ﴿مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ﴾.

وقوله تعالى: ﴿مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: كان النبي ﷺ إذا قام من الليل ربط صدره بحبلٍ كي لا ينام، فأنزل الله تعالى هذه الآية[٤].

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٤٤٥).

(٢) في (أ): «شقاوة».

(٣) كل ما ذكر في هذا الموضع من الأقوال التي لا تحتملها اللغة لا تصلح تفسيراً للآية، وإنما هي أقرب لأقوال أهل الإشارة منها لأهل التفسير، وهي طريقةٌ يعدُّها مَن قَبلها من العلماء على أنها من بابِ الشيءِ بالشيءِ يُذْكر، وإلا فللتَّفسير ضوابطُه التي لا يجوز الحيدُ عنها، ولو فُتح هذا البابُ لساغ للباطنيَّة تسويغُ افتراءاتهم الباطلةِ في الآيات القرآنيَّة.

(٤) رواه عن ابن عباس رضي الله عنهما ابن عساكر في «تاريخه» (٤/ ١٣٤) من طريق عبد الوهاب بن مجاهد عن أبيه عن ابن عباس، وعبد الوهاب بن مجاهد متروك. وروي نحوه عن مجاهد. انظر: «تفسير مجاهد» (ص: ٤٦٠)، و«تفسير الطبري» (١٦/ ٩)، و«تفسير ابن أبي حاتم» (٧/ ٢٤١٥)، و«تفسير الثعلبي» (٦/ ٢٣٧)، و«والدر المنثور» (٥/ ٥٤٩) عن عبد بن حميد، ولفظه عند الطبري: =

وقيل: قام حتى تورَّمت قدَماه، فنزلت[١].

وقيل: زاد في اجتهاده، فقيل له في ذلك، فقال: «أفلا أكون عبداً شكوراً»[٢].

وقال القشيري رحمه الله: يقول: ليس المراد من وحينا إليك تعبَك، إنما هذا استفتاح طلب[٣] الوصلة، وتمهيد بساط القُربة[٤].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما في رواية: قال له قومه: لقد شقيَ هذا الرجل بربِّه فنزلت الآية[٥]: ﴿لِتَشْقَىٰٓ﴾؛ أي: لتتعبَ، كما قال: ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ﴾ [طه: ١١٧]؛ أي: تتعبَ بالكسب، وظاهره أنه نزل أمر بالتخفيف[٦] على نفسه.

ويَحتمِل وجهاً آخر: وهو أن الكفار لمَّا عيَّروه بذلك ـ أن الله تعالى ألزمه اجتهاداً يشقَى به في دنياه بالتعب والسهر أو أرادوا أن ينفِّروه ـ أنزل الله تعالى هذا يبين له أنه ليس بشقاءٍ بل هو يَسعدُ[٧] به، ويقتدي به غيره فيكونُ له مثلُ أجورهم، فيكون هذا أمراً بالثبات عليه والازدياد منه.

= ﴿مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ﴾ قال: في الصلاة، كقوله: ﴿فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾ [المزمل: ٢٠] فكانوا يعلقون الحبال بصدورهم في الصلاة.

(١) ذكره بنحوه الثعلبي في «تفسيره» (٦/ ٢٣٧) عن الكلبي. وروى البخاري (٤٨٣٦)، ومسلم (٢٨١٩)، من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال: قام النَّبيُّ ﷺ حتى تَورَّمَتْ قدماه، فقيل له: غَفَر اللهُ لك ما تَقدَّم مِن ذنبكَ وما تأخَّرَ، قال: «أفلا أكونُ عبدًا شَكورًا».

(٢) انظر التعليق السابق.

(٣) في (أ): «باب»، ولم ترد الكلمة في «اللطائف».

(٤) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٤٤٥).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٥).

(٦) في (أ): «أمر بالتخفيف منه»، وفي (ر): «أمرنا بالتخفيف».

(٧) في (ف): «ليس أشقى بل سعد» وفي (ر): «ليس إشقاءً بل إسعاد».

وقيل[1]: ﴿ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ﴾؛ أي: لتبقى هكذا قليلَ الأصحاب كثيرَ الأعداء، بل ننصرُك، ونقهر أعداءَك، ونُكثر غنائم أصحابك، ونُحْسِن عاقبةَ الكل، ولذلك وصل بهذا قصةَ موسى عليه السلام: أنه قاسى من فرعون وقومه ما قاسى، ثم كانت له ولقومه النصرةُ والغلبة والفرج والسعادة الكبرى.

وقيل: هذا من الاختصار العجيب[2] وجوامع الكلم التي أُوتيَها رسول الله ﷺ، فإنه إذا قال: ﴿لِتَشۡقَىٰٓ ﴾ ـ فنفى أن يكون إنزال القرآن عليه للشقاوة ـ فقد بيَّن أنه كان للسعادة، وهي جامعة لكل مراد، فكأنه قال: أنزلناه عليك لنُسعدك بكلِّ ما تريده وتَرُومُه في الدنيا والآخرة.

* * *

(٣) ـ ﴿ إِلَّا تَذۡكِرَةً لِّمَن يَخۡشَىٰ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا تَذۡكِرَةً لِّمَن يَخۡشَىٰ﴾: أي: ما أنزلناه إلا ليتَّعظ مَن يخشى عقاب الله، فيُقبلَ على الله ويؤمنَ به ويؤدِّيَ ما يلزمه له، وخصَّ الخاشي بذلك وإن كان الإنذار للكلِّ لأنه هو المنتفِع به، وهو كقوله تعالى: ﴿فَذَكِّرۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴾ [ق: ٤٥]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخۡشَىٰهَا﴾ [النازعات: ٤٥]، وقوله: ﴿ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكۡرَ وَخَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِ ﴾ [يس: ١١].

وقيل: معناه: ﴿ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ﴾؛ أي: لتدوم في العبادة فلا تتفرَّغَ للتبليغ والتذكير، بل أنزلناه لتعمل به[3] على وجهٍ لا يمنعك من التبليغ، وعلى هذا

(١) في (ر) و(ف): «ويحتمل».

(٢) في (ر) و(ف): «اختصار العجب».

(٣) في (ف): «لتدل به»، وفي (ر): «على وجه لتدل به».

فسَّر بعضُهم قولَه تعالى: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ﴾ [الشرح: ٧]؛ أي: إذا فرغت من الدعوة فانصَبْ في العبادة.

* * *

(٤) ـ ﴿تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى﴾.

وقولـه تعالـى: ﴿تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ﴾: أي: نـزَّل تنزيـلاً ممـن خلق الأرض ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى﴾: جمـع العليـاء.

* * *

(٥) ـ ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾.

﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ فسَّرناه في سورة الأعراف.

وقيل: معناه: قهر هذا السرير على مراده، وسخَّره على تدبيره، فكان كما أراد، وكذلك سائر المخلوقات، غير أن العرش لمَّا كان أعظمَ المخلوقات نبَّه بذكره على ما دونه من سائر المخلوقات، وقال الشاعر:

قـد اسـتوى مـروانُ فـي سـلطانه ... وابـنُ الزبيـر غافـلٌ عـن شـأنه[1]

أي: قَهَر.

وقيل: خاطب الله تعالى عباده بما يتعارفونه بينهم، ولما كان الملِكُ منهم إذا كان جليلاً جلس على سرير أعدَّه لنفسه يَدلُّ بذلك على عظمته ومُباينته لمن سواه، ثم اتَّسع الأمر فيه حتى قيل: قد جلس فلان على سرير الملك، وإن لم يكن منه جلوس، ولكن يعبَّر به عن كون الـمُلْك له، وعن بينونته لغيره[2] في الجلالة،

---

(١) لم أجده.

(٢) «لغيره» ليس من (ف).

ففهَّمنا الله تعالى انفراده بالملك والعظمة بذكر العرش والاستواء عليه.

وقال سعيد بن زائدة الخزاعي في النعمان بن المنذر مَلِك العرب:

قد نال عرشاً لم يَنَلْه نائلُ جنٌّ ولا إنسٌ ولا ديَّارُ[1]

أي: مُلْكاً.

* * *

(٦) ـ ﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ﴾.

وقوله تعالى: ﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ﴾: أي: ذلك كلُّه ملكُه وفي قبضته، وتحت قهره وقدرته وأمره، ولا يمتنِع شيء منه عما يصرِّفه عليه.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ﴾: أي: وما تحت الأرض؛ لأن ظاهر الأرض من ترابٍ جافٍّ، وما هو أسفل منه إذا كثر فهو تراب مبتلٌّ وهو الثرى.

يقول: يعلم ما تحت الأرض مما بطَن فيها كما يعلم ما ظهَر منها وما بينهما.

وقد ذكر وهب أن الأرضين السبع على عاتق الملَك، والملَكُ قدماه على الصخرة وهي ياقوتة من الجنة، والصخرةُ على قرني ثور من الفردوس، والثورُ على ظهر حوتٍ من الكوثر، والحوتُ على البحر، والبحرُ على جهنم، وجهنمُ على متن الريح، ومتنُ الريح[2] على حجابٍ من ظُلمةٍ، والحجاب على الثرى، وإلى الثرى

---

(١) البيت في «العرش» لأبي جعفر ابن أبي شيبة (ص: ٣٩)، و«التبصير في الدين» للإسفراييني (ص: ١٣٩)، و«العرش» للذهبي (١/ ٢٨٥).

(٢) في (ف): «والريح».

انتهى[١] علمُ الخلائق من أهل السماوات وأهل الأرض، فذلك قوله: ﴿لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ﴾[٢].

* * *

(٧) - ﴿وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى﴾ قيل: وإن تجهر بالدعاء لله في الصلاة وخارجَها فإن الله تعالى يعلم ذلك ولا يخفَى عليه ويُثيبك عليه؛ لأنه يعلم الجهر وما دونه، وهو السرُّ وما هو أخفى من السرِّ، فدُمْ على ما أنت عليه.

وقيل: وإن تجهر بالقول فإن الله يعلم ما دون ذلك، فما حاجتُك إلى الجهر وإتعابِك نفسَك به، وما ينالك من أذى المشركين بسببه؟ وهو أمرٌ بخفض الصوت.

والقول: هو القراءة عند بعضهم، وقد سبق ذكر القرآن. وقيل: الدعاء.

وإذا[٣] حمل على الصلاة كانت جامعةً لهما.

والسر: ما لا يَرفع به صوتَه، وأخفى منه: ما يحدِّث به نفسه ولا يتلفَّظ به.

وقيل: السر: ما حدَّث به غيرَه خافضاً صوته، وأخفى: ما خطَر بباله أو كلَّم به نفسَه.

وقيل: السر: ما أضمَره الإنسان فلم يُظهره، وأخفى: ما وُسوِس إليه ولم يُضمره[٤].

---

(١) في (ف): «انقطع»، وليست في (أ).

(٢) لم أجده ولا يصح.

(٣) في (أ): «وإن».

(٤) في (ف): «يظهره».

وقيل: السر: ما تفكَّرْتَ به، وأخفى منه: ما لم يخطر ببالك وعلِم الله تعالى أن نفسك تحدِّث به بعد زمان؛ قال ابن عباس رضي الله عنهما: أنت تعلم اليوم ما أسرَرْتَ، ولا تعلم ما تُسِرُّ غداً، والله يعلم ذلك كلَّه(١).

وقال الضحاك رحمه الله: ﴿وَأَخۡفَى﴾: يعلم ما لم تعلم وأنت عاملُه(٢).

***

(٨) ـ ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾: فسرناه في آخر سورة الأعراف، يقول هاهنا: بأيِّ أسماء الله تعالى دعوتَه في الصلاة وخارجَها فهو حسنٌ جميل.

***

(٩) ـ ﴿وَهَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَهَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ﴾: وهذا حثٌّ للنبي ﷺ على الصبر على عبادةِ الله تعالى وعلى أذى قومه، والجِدِّ في الدعاء لهم، فإن موسى فعل كذلك فكان له حسنُ العاقبة.

﴿وَهَلۡ﴾: استفهام بمعنى التقرير؛ فإن كان هذا أولَ ما نزل من قصته فمعناه: لم يأتك حديث موسى إلى الآن فقد أتاك الآن فاسمعه فاعتبِرْ به، وإن كان نزل قبله منه شيء فهذا تذكيرٌ لذلك.

***

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ١١).

(٢) في (ف): «عالمه». والخبر رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ١٦).

(١٠) ـ ﴿إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِذْ رَءَا نَارًا﴾: وذلك حين سار بأهله وكان ليلَ شتاء[1] فأظلم عليه، ورأى من بعيد ناراً.

وقوله تعالى: ﴿فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ﴾: أي: لزوجته ـ وهي صفورا بنت شعيب ـ ولمن كان معه، ويدل على أنه كان معه جمعٌ وقد خاطب الجمع.

قال وهب[2]: كان معه أهلُه وولدُه وعبده.

وقيل: ولدت صفُّورا منه ولدين: جرشون وإيليعازاد[3].

وقوله تعالى: ﴿إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا﴾: أي: أبصرتُ، والإنسان مشتقٌّ منه لأنه يُبصَر، والجنُّ من الاجتِنَان وهو الاستتار.

وقوله تعالى: ﴿لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ﴾: أي: شعلةِ نارٍ في طرفِ عودٍ أو قصبةٍ.

وقوله تعالى: ﴿أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى﴾: أي: عند النار هادياً إلى الطريق الذي ضللنا عنه.

وقال الإمام القشيري رحمه الله: ألاح له النار حتى أخرجه من أهله لطلبها، وكان المراد إخراجَه من بينهم، فكان موسى يدنو والنارُ تتناءى ﴿قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ﴾

---

(١) في (ف): «وكانت ليلة شاتية»، وفي (ر): «وكانت ليلة شتاء».

(٢) «قال وهب» ليس من (ف).

(٣) في (أ): «جرشون وإيليعازاد امكثوا»، وفي (ر): «جرشون وإبليغازاد امكثوا»، وفي (ف): «جرسون وإبليغااراد امكثوا». والاسمين أثبتناهما من «تاريخ الطبري» (١/ ٢٣١)، وفي «البداية والنهاية» (٢/ ١٣١): (جرشون وعازر). وكلمة: «امكثوا» زائدة لا حاجة لها.

فقالوا: تتركنا والوادي مُسْبِعٌ[١]، فقال: لأجْلكم أفارقُكم ﴿لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ﴾[٢].

***

(١١ ـ ١٢) ـ ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ﴾: قرأ ابن كثير وابن عامر وأبو عمرو: ﴿أنّي﴾ بفتح الهمزة لوقوع النداء عليه، وقرأ الباقون بكسرها على الابتداء وجَعْلِ النداء كالقول[٣]؛ أي: ناداه ربُّه فأسمعه كلامه.

وقوله تعالى: ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ﴾؛ أي: مالكك ومدبِّرك ومصرِّفك على ما أريد.

وقوله تعالى: ﴿فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ﴾: أي: انزِعْهما ﴿إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى﴾؛ أي: المطهَّرِ، وقيل: المبارك.

قيل: أمره بنزعهما لأنهما كانا من جلدِ حمار غيرِ مدبوغ، فنزَّه الواديَ المقدَّس عن ذلك.

وقيل: أمره بذلك ليباشر تلك التُّربة بقدميه فتصلَ إليه بركتها[٤].

وقيل: أمره بذلك تأدُّباً وتخشُّعاً وتواضعاً عند المناجاة.

---

(١) في (ر): «متسع».

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٤٤٧).

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٤١٧)، و«التيسير» (ص: ١٥٠)، وقراءة ابن عامر فيهما بكسر الهمزة كباقي السبعة.

(٤) في (ر): «وقيل أمره بذلك ليباشر تلك البرية بقدميه فيصل إليه بتركهما»، وليست العبارة في (أ). والمثبت من (ف) وهو الصواب، وهذا القول رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٢٤) عن الحسن ومجاهد وابن أبي نجيح.

وقيل: بل أمره بذلك إعظاماً واحتراماً لذلك المقام؛ كما يؤمَر المرء بدخول الحرم حافياً إعظاماً له.

وقوله تعالى: ﴿طُوًى﴾ قال ابن عباس ومجاهد وابن زيد: هو اسم ذلك الوادي[١].

وقيل: هي أرض[٢].

وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو بضم الطاء غير مجرًى، وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي بضم الطاء مجرًى[٣].

وروى أبو زيد عن أبي عمرو: (طِوى) بكسر الطاء[٤].

فمَن أجراها جعلها اسماً للوادي وهو مذكَّر، ومَن لم يُجْرِها جعلها اسماً للأرض وهي مؤنثةٌ، فإذا اجتمع التأنيث والتعريف امتَنع الصرف.

وقال القشيري رحمه الله: ﴿فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ﴾؛ أي: فرِّغ قلبك عن ذكر الدارين.

وقيل: اخلع نعليك فإن بساط الحق لا يُوْطَأ بنعلين.

وقيل: ألقِ عصاك يا موسى واخلع نعليك وأقمْ عندنا هذه الليلةَ ولا تبرح.

وقيل: تنقَّ[٥] عن نوعي[٦] أفعالك، وانمحِ عن شهودِ جنسي أحوالك؛ من قُربٍ

---

(١) رواه عنهم الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٢٨).

(٢) في (ف): «هي اسم أرض».

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٤١٧)، و«التيسير» (ص: ١٥٠). ويعني بالمجرى: المصروف؛ أي: المنون، وغير المجرى: الممنوع من الصرف؛ أي: غير منون.

(٤) ذكرها ابن مجاهد في «السبعة» (ص: ٤١٧)، وهي خلاف المشهور عن أبي عمرو.

(٥) في (ر): «تبق»، وفي «اللطائف»: (تبرأ).

(٦) في (أ): «عن ندى»، والمثبت من باقي النسخ و«اللطائف».

وبُعد، ووَصلٍ وفصل، وارتياحٍ واجتياح، وفناءٍ وبقاء، وكن بوصفنا قائماً بحقِّنا[١].

***

(١٣) ـ ﴿وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ﴾: قرأ حمزة: ﴿وإنَّا اخترناك﴾ على الجمع؛ أي: اصطفيناك على الجميع، والباقون: ﴿وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ﴾[٢]؛ أي: اصطفيتُك للرسالة.

وقوله تعالى: ﴿فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ﴾: أي: فأصغِ لِمَا أُوحيهِ إليك لتعرِفه وتحفظَه فتؤدِّيه كما آمُرك به.

***

(١٤) ـ ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِي﴾: وهو أولُ ما أُوحي إليه، يقول: لا يستحقُّ العبادة غيري فأفرِدْني بعبادتك.

وقوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ﴾: أي: وحافِظْ بعد توحيدي على الصلاة مُقيماً لها بما هو مشروعٌ فيها من أفعالٍ وأقوال، ودلَّ أنه لا فريضة بعد التوحيد أعظم[٣] منها.

وقوله: ﴿لِذِكْرِيٓ﴾؛ أي: لتكون بها ذاكراً لي[٤]؛ أي: بالأذكار التي فيها، أو تُذكِّرك أفعالُها معاني تتقرب بها إليَّ، وتتذلَّلُ فيها لي.

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٤٤٨).

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٤١٧)، و«التيسير» (ص: ١٥١).

(٣) في (ر) و(ف): «أقوى».

(٤) «لي» ليس من (أ).

وقيل[١]: ذاكراً لي ولعظمتي بقلبك غيرَ غافلٍ عني.

وقيل: لأذكُرَك وأمدحَك وأُثني عليك؛ كما يقال: زُرني لعطائي؛ أي: لأعطيك، وعلى هذا قالوا: ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: ٤٥]؛ أي: ذكر الله للمصلِّي أكبرُ من ذكر المصلي لله تعالى.

وقيل أي: أقم الصلاة حين تذكُرها؛ أي: إذا نسيتَ صلاة لم تسقط عنك بالنسيان، بل إذا ذكرتَها فعليك قضاؤها.

روي عن النبي ﷺ أنه قال: «مَن نَسي صلاةً فليصلِّها إذا ذكرها، فإن الله عز وجل يقول: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ﴾»[٢].

وقيل: ﴿لِذِكْرِيٓ﴾؛ أي: لأمري بها بقولي: ﴿فَٱعْبُدْنِي﴾.

* * *

(١٥) ـ ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ﴾: أي: اعبُدني وصلِّ لي فإني أَجزيك بما يكون منك في يوم القيامة، وهي آتيةٌ لا محالة.

وقوله تعالى: ﴿لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ﴾: أي: بعملٍ إن خيراً فخيرٌ وإن شرًّا فشرٌّ، و﴿لِتُجْزَىٰ﴾ صلة قوله: ﴿ءَاتِيَةٌ﴾؛ أي: تأتي الساعة لجزاء الأعمال، واعترَض هاهنا كلام، وهو قوله تعالى:

﴿أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾: و﴿أَكَادُ﴾ صلةٌ زائدة، وهو في الشعر كثيرٌ؛ قال أبو النَّجم:

---

(١) «وقيل» ليس من (ف).

(٢) روى نحوه البخاري (٥٩٧)، ومسلم (٦٨٤).

وإنْ أتــاكِ نعــيٌّ فاندُبيــه[1] أبــا قـد كاد يَضطلِعُ الأعـداءَ والخُطَبا[2]

وهو للتحقيق.

وإن حمل على المقاربة ضعف المدح، وعلى هذا قوله: ﴿لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا﴾؛ أي: لم يرها[3].

وقيل: ﴿أَكَادُ﴾؛ أي: أريد، وهو تحقيق أيضاً لا مقاربة، قال الشاعر:

كادتْ وكِــدْتُ وتلــك خيــرُ إرادةٍ لـو عاد من لهـوِ الصَّبابة مـا مضَى[1]

ففسره بالإرادة، ودل على أنه هو المراد.

وقيل: ﴿أُخْفِيهَا﴾ من الأضداد للكتمان والإظهار؛ كالإسرار في قوله: ﴿وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ﴾ [يونس: ٥٤]، فسَّروه بالمعنيين جميعاً.

وقد قرئ هاهنا: (أَخفيها) بنصب الهمزة[2]، ومعناه: أُظهرها، يقال: خَفَى يَخْفِي خَفْياً ـ من حدِّ ضرب ـ؛ أي: أظهر، قال امرؤ القيس:

فــإنْ تَدفِنــوا الــدَّاء لا نَخْفِـهِ وإنْ تَبعثــوا الحــربَ لا نقعــدُ[1]

---

(١) في (ر): «فابتديه»، والرواية في المصادر: (وإن أتاكَ نعيٌّ فاندبنَّ).

(٢) البيت في «تفسير الطبري» (١٦/ ٤٠)، و«الأضداد» لابن الأنباري (ص: ٩٧)، و«الزاهر» له (٢/ ٨٥).

والمعنى كما ذكر الطبري: قد اضطلع الأعداء، وإلا لم يكن مدحاً إذا أراد كاد ولم يُرِدْ يفعل.

(٣) «أي: لم يرها» ليس من (أ).

(١) البيـت دون نسبة فـي «معانـي القـرآن» للأخفـش (٢/ ٤٠٣)، و«تفسـير الطبـري» (١٦/ ٣٩)، و«الأضـداد» لابـن الأنبـاري (ص: ٩٧)، و«الصحـاح» (مـادة: كيـد).

(٢) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩٠) عن سعيد بن جبير وأبي الدرداء.

(١) «ديوان امرئ القيس» (ص: ٨٧).

أنشدوه بإعرابين على معنيين.

ومعنى الآية على هذا: أكاد أُظهرها ليحذَرها الناس لقرب وقتها ودنوِّ إتيانها.

* * *

(١٦) ـ ﴿فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ﴾.

﴿فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا﴾: أي: لا يردنَّك عن الساعة وذكرِها ﴿مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا﴾: أي: لا يصدِّق بها، فيهوِّنَ عليك أمرها، ويُبعِّدَ عليك شأنها.

وقوله تعالى: ﴿وَاتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾: أخبر أن التكذيب بها إنما هو من اتِّباع الهوى؛ لأن أصله مبني على استثقال الشرائع والإعراض عن النظر.

وقوله تعالى: ﴿فَتَرْدَىٰ﴾: أي: فتهلِكَ؛ أي: إن اتَّبعتَ قولَ هؤلاء هلكتَ.

وهذا خطاب لموسى عليه السلام والمراد به أمتُه[1]؛ كما قال[2] لنبيِّنا ﷺ: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ﴾ [الزمر: ٦٥] والمرادُ به أمته، ولأن العصمة لا تزيل المحنةَ كما مرَّ شرحه.

* * *

(١٧) ـ ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾: أي: وما تلك التي بيمينك يا موسى، فحذف (التي)؛ كما قال الشاعر:

---

(١) لعل الأحسن أن يقال: والمراد به أمته حين خوطب به، ثم بعد إنزاله في القرآن صار المراد به كلَّ مؤمن.

(٢) في (ف): «أوحى».

عَــدَسْ مــا لعبَّــادٍ عليــكِ إمــارةٌ نجَــوْتِ وهــذا تحمِلِيــنَ طليــقُ[١]

أي: وهذا الذي تحملين، وعدس زجرٌ للبغلة، وهو كقولك: أنت الرجل أحبُّك؛ أي: الرجل الذي أحبُّك.

وقيل: الحكمة في هذا السؤال بسطُه، فقد كانت الهيبة قبضَتْه.

وقالوا: إنما قال: ﴿بِيَمِينِكَ﴾ ولم يقل: بيدك؛ لأنه كان في يساره خاتم، فلو أَجمل لعَيِيَ في الجواب للاشتباه[٢].

***

(١٨) ـ ﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى وَلِيَ فِيهَا مَـَارِبُ أُخْرَىٰ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا﴾: أي: أعتمِدُ عليها إذا مشيتُ وإذا وقفتُ لرعي الغنم.

وقوله تعالى: ﴿وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى﴾: أي: أخبط ورق الشجر.

وفي الخبر: كان للعصا شعبتان، فإذا طالت الشجرة تناول غصنها بالشُّعبتين فلويها[٣].

---

(١) البيت ليزيد بن مفرغ الحميري. انظر: «الجمل في النحو» للخليل (ص: ١٨٠)، و«معاني القرآن» للفراء (٢/ ١٧٧)، و«البغال» للجاحظ (ص: ٥٩)، و«الشعر والشعراء» (١/ ٣٥٢). وكان الشاعر هجا عباد بن زياد والي سجستان فسجنه، فأمر الخليفة معاوية رضي الله عنه فأطلق، وقدمت إليه بغلةٌ ليركبها.

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٤٤٨).

(٣) قوله: «فلويها» كذا في (أ) و(ر)، وسقطت من (ف). والصواب: فلواها، فقد ذكر الواحدي في «البسيط» (١٤/ ٣٨١) نحوه عن وهب، وفيه: فإذا طال الغصن حناه بالمحجن، وإذا أراد كسره لواه بالشعبتين.

وقوله تعالى: ﴿وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ﴾: أي: حوائجُ سوى ما ذكرتُ، وواحدة المآرب: مأربة، بفتح الراء وضمِّها وكسرها لغاتٌ، وكذا الإِرْب، والإِرْبة: الحاجة.

قال وهب: كانت له فيها ألفُ منفعةٍ: يضعها على عاتقه فيعلِّق بها رحلَه، ويَرْكُزها في البر ويجعل عليها كساءه فيستظلُّ بها، ويصل بها الرشاء للاستقاء[1]، ويدفع بها العدوَّ، ويطرد بها الذئب، ويقتل بها الحية، وكذا وكذا.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: من المآرب أنها كانت تماشيه وتحادثُه وتُؤْنِسه، وكانت شعبتاها تصيران بالليل المظلم كالشمعتين المضيئتين، وكانت تحارب عدوَّه إذا ظهر، وإذا أراد الاستقاء من البئر أدلاها وطالت على طول البئر وصارت شعبتاها كالدلو، وإذا اشتهى ثمرةً أركزها في الأرض فتغصَّنت وأورقت وأثمرت، وكذا كذا[2].

فإن كان هذا بعد الوحي كانت معجزةً له، وإن كان قبل الوحي كانت كرامةً له.

وقيل: إنما زاد على الجواب رجاءَ أن يقول له: وما تلك المآرب؟ فينال زيادةَ أنسٍ وكرامة.

* * *

(١٩ ـ ٢٠) ـ ﴿قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ۝١٩ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ﴾.

---

(١) في (ف): «للاستسقاء». والرشاء: الحبل، وأرشى الدلو: جعل لها رشاء. انظر: «القاموس» (مادة: رشو).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٦/ ٢٤٢)، والبغوي في «تفسيره» (٥/ ٢٦٩). وقال ابن كثير عند تفسير هذه الآية: والظاهر أنها لم تكن كذلك، ولو كانت كذلك لما استنكر موسى عليه السلام صيرورتها ثعباناً، فما كان يفر منها هارباً. ولكن كل ذلك من الأخبار الإسرائيلية.

وقولـه تعالـى: ﴿قَالَ أَلْقِهَا يَـٰمُوسَىٰ ۝١٩ فَأَلْقَىٰهَا﴾: قيـل: إنمـا أمـره بإلقائهـا لأنـه أضافهـا إلـى نفسـه بقولـه: ﴿عَصَايَ﴾؛ ليقطعـه عنهـا.

وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ﴾: أي: فقلَبها الله تعالى حيةً تمشي كما تمشي الحية، وأضمر هاهنا: ولَّى خائفاً، فقد ذكره في غير هذه الآية.

* * *

(٢١) ـ ﴿قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ﴾.

﴿قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ﴾: قيل[١]: أُمر أن يُدخل يده في فيها فيقبض عليها، ففعل، فصارت يده في الشعبتين اللتين كانتا في العصا.

وقولـه تعالـى: ﴿سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ﴾: أي: سنردُّها إلـى كونهـا عصـاً ـ والسيرة: الطريقة ـ فتنتفعُ بها بالاتكاء عليها والهشِّ بها.

فإن قيل: سماها جانًّا في قوله: ﴿كَأَنَّهَا جَآنٌّ﴾ [النمل: ١٠]، والجان أصغر ما يكون من الحيات، وقال في آية أخرى: ﴿فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾ [الأعراف: ١٠٧] وهي أكبر الحيات، وقال في هذه الآية: ﴿فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ﴾.

قلنا: قال ابن عباس رضي الله عنهما: صارت أولاً جانًّا، ثم لا تزال تنمو حتى صارت ثعباناً[٢]، والحية اسم يقع على الكبير والصغير.

وقال القشيري رحمه الله: إن موسى استولت عليه الهيبةُ، فسكَّنها بقوله: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَـٰمُوسَىٰ﴾ فلو تُرك ما كان عليه[٣] لعله كان لا يبقى بل يتلاشى.

---

(١) «قيل» زيادة من (أ).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٦/ ٢٤٢).

(٣) في (ف): «ترك بما كان».

ثم لمَّا قال: ﴿هِىَ عَصَاىَ﴾ وجعل يَعدُّ منافعها، قيل له: ﴿أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ﴾ فإنك بنعت التوحيد، وتقف على بساط التفريد، فكيف لك هذا؟ ومتى سلِم لك أن يكون لك معتمَدٌ تتوكأ عليه أو مستند تستند إليه؟

وقيل: أول قدم في الطريق تركُ كلِّ سبب، والتنقِّي عن كل طلب.

وقيل: التوحيد: التجريد، وعلامة صحته[1] سقوط الإضافات بأسرها، فلا جرَم لمَّا قال موسى: ﴿هِىَ عَصَاىَ﴾ أُمر بإلقائها.

وقيل: لمَّا باسطه الحق سبحانه بسماع كلامه أخذته أريحيَّةٌ بسماع الخطاب، فأجاب عما سئل وعما لم يُسأل وقال: ﴿وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ﴾، وأعظم مأربةٍ لي فيها أنك قلتَ: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾[2].

***

(٢٢) ـ ﴿وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ﴾: قيل: أي: جيبك، قال الراجز:

أضمُّــه للصَّــدر والجَنــاح[3]

وقيل: إلى عضدك.

وقال أبو عبيدة: الجناحان: الناحيتان[4].

---

(١) في (ر) و(ف): «التوحيد من علاماته صحة».

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٤٥٠ ـ ٤٥١).

(٣) الرجز في «مجاز القرآن» (٢/ ١٨)، و«تفسير الطبري» (١٦/ ٤٩)، و«غرائب التفسير» للكرماني (٢/ ٧١٦).

(٤) انظر: «مجاز القرآن» (٢/ ١٨).

وقال الخليل: يدا الإنسان جناحاه[١].

وقوله تعالى: ﴿تَخْرُجْ بَيْضَآءَ﴾: أي: مضيئةً، قيل: كالثلج، وقيل: كالبرق.

وقوله تعالى: ﴿مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾: أي: آفةٍ؛ من البرص وغيره.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: أدخلها ثم أخرجها فإذا هي تَبرُقُ مثلَ البرق، فخرُّوا على وجوههم[٢].

وقوله تعالى: ﴿ءَايَةً أُخْرَىٰ﴾: سوى معجزةِ العصا.

* * *

(٢٣) ـ ﴿لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى﴾.

قوله تعالى: ﴿لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى﴾: نعتَ الآيات على التوحيد؛ كقوله: ﴿وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ﴾.

وقال أبو عبيدة: تقديره: لنريَك الكبرى من آياتنا؛ أي: لنريَك الآية الكبرى من جملة آياتنا، فهي نعت الواحدة على هذا[٣].

* * *

(٢٤) ـ ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾: أي: اذهب إليه لتدعوَه إلى الإيمان بي

(١) انظر: «العين» (٣/ ٨٤).

(٢) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦١/ ٥٢) في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾ [النمل: ١٢]، وذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» (٣/ ٢٣٨) عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٠٨].

(٣) انظر: «مجاز القرآن» (٢/ ١٨).

وتركِ التجبُّر والتكبُّر والتمرُّد، إنه قد جاوز الحد في ذلك، وهو ما قال: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ الآية [القصص: ٤]، فدعا موسى بهذه الدعوات استعانةً من الله تعالى على القيام بما أمر به، وهو قوله:

* * *

(٢٥) ـ ﴿قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾.

﴿قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾: أي: وسِّعه للقيام بهذا حتى أصبر على ما ينالني فيه فلا أضيقَ به صدراً؛ كما قال: ﴿وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي﴾ [الشعراء: ١٣].

وقيل: اجعل صدري واعياً لِمَا أوحيتَه إليَّ.

وقيل: أي: شجِّعني لاجترئ على مخاطبةِ فرعون بما تُحبّ.

* * *

(٢٦ ـ ٢٧) ـ ﴿وَيَسِّرْ لِيٓ أَمْرِي ۝٢٦ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَيَسِّرْ لِيٓ أَمْرِي﴾: أي: سهِّله ﴿وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي﴾ قيل: كانت به رُتَّةٌ[1] وانعقادٌ في اللسان بسبب الجمرة التي تناولها في طفولته عند فرعون على ما عُرف، قاله سعيد بن جبير ومجاهدٌ والسدِّي[2].

وقيل: لا يجوز أن يقال هذا، فإنه يرجع إلى إثبات نقصٍ في خِلقة الأنبياء، لكن معناه: أن مخاطبة الخلق بعد مخاطبةِ الله تعالى مما يَشُقُّ على الإنسان ويَعقِد اللسان، فسأل معونة الله تعالى على إجراء لسانه بذلك.

---

(١) وهي عجلة في الكلام، وعن المبرِّد: هي كالرَّتْجِ تمنع الكلام. انظر: «المغرب في ترتيب المعرب» (باب الراء مع التاء الفوقانية) (ص: ١٨٢).

(٢) رواه عنهم الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٥٣ ـ ٥٤).

(٢٨ ـ ٣٢) ـ ﴿يَفْقَهُواْ قَوْلِى ﴿٢٨﴾ وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِى ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى﴾.

وقولـه: ﴿يَفْقَهُواْ قَوْلِى﴾: جـزاء قولـه: ﴿وَٱحْلُلْ﴾؛ أي: ليفهمـوا قولـي ويعلمـوا بمـا أريـد به.

وقوله تعالى: ﴿وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا﴾: أي: مُعاوناً أستشيرُه في أموري وأتقوَّى به على أداء[1] ما أمرتَني به، والوزير من الوِزْر وهو الثِّقْل، فكأن الوزير يحمِل بعضَ ذلك عن صاحبه.

وقوله تعالى: ﴿مِّنْ أَهْلِى﴾: الوزير من الأهل يكونُ أتمَّ نُصحاً وأوفرَ شفقةً وأكمل عوناً.

وقوله تعالى: ﴿هَٰرُونَ﴾: نصبٌ لأنه ترجمة عن قوله: ﴿وَزِيرًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَخِى﴾ لذلك، وكان موصوفاً باللِّين والتُّؤَدة وطَلاقة اللسان، فاعتضَد به واستعان.

وقوله تعالى: ﴿ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى﴾: قرأ ابن عامر: ﴿أَشْدُدْ﴾ بفتح الألف على الجزاء؛ أي: أنا أشدُد[2] بذلك ظهري، وكذلك قرأ هو: ﴿**وأُشْرِكْهُ في أَمْرِي**﴾ بضمِّ الألف على وجه الجزاء إخباراً عن نفسه، والباقون: ﴿أَشْدُد﴾ بضم الألف على وجه الدعاء ﴿وَأَشْرِكْهُ﴾ بفتح الألف على الدعاء أيضاً[3]؛ أي: اجعله يا ربِّ شريكاً لي في النبوة وقوِّ به ظهري.

---

(١) «أداء» ليس من (ف).

(٢) في (أ): «أشد».

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٤١٨)، و«التيسير» (ص: ١٥١).

(٣٣ ـ ٣٦) ـ ﴿كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ﴾.

وقوله تعالى: ﴿كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا﴾: في الصلوات[١]؛ أي: لنجتمعَ للصلاة لك والتنزيه لك.

وقوله تعالى: ﴿وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا﴾: أي: في الصلوات وخارجَها بالثناء والحمد.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا﴾: أي: لم تزَل عالماً بنا مُريداً[٢] لمصالحنا، فإن كنتَ تعلم أنه أصلَحُ لي ولأخي فأعطِنا سؤلنا.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ﴾: أي: أُعطيتَ سؤلَك؛ أي: مسؤولك[٣]، وعدَه بالإجابة.

وقال الإمام القشيري رحمه الله: لمَّا كان وقتُ دعائه إلى فرعون سأل أن يَصحبه أخوه، ولمَّا ذهب لسماع كلام الله تعالى بعد مواعدةٍ[٤] أربعين ليلة أخلفه في قومه؛ لأن المحبة توجب التجرُّد والانفراد، وليس للغير مع المحبِّ مساغ.

وقال في قوله: ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ﴾: أعطيناك ما سألتَ، وتناسيتَ ابتداءَ حالك حين حفظناك في اليم، ونجينا أمَّك من الغم، وربَّيناك في حِجر العدو، فأين كان سؤالك واختيارُك ودعاؤك[٥]؟

* * *

(١) «في الصلوات» ليس في (أ) و(ف).

(٢) في (ف): «تبادر» بدل: «بنا مريداً».

(٣) في (ر) و(ف): «أعطيتك سؤالك ومسؤولك».

(٤) في (أ): «فواعده»، بدل: «بعد مواعدة».

(٥) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٤٥٤).

(٣٧ ـ ٣٨) ـ ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ ۝٣٧ إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ﴾: أي: مننَّا عليك الآن بإيتائك سؤلَك، وقد سبقت منا[1] منٌّ أخرى عليك، ثم فسَّرها فقال:

﴿إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ﴾: أي: ألهمناها، قاله الحسن[2].

* * *

(٣٩) ـ ﴿أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ﴾: أي: ارميه، هذا هو اللغة، ومعناه: ضعيه فيه.

قوله تعالى: ﴿فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ﴾: أي: البحر، وذلك حين كان فرعون لعنه الله يأمر بقتل الذكور من الولدان وخافت أمه عليه، فألهمها الله ذلك.

وقوله تعالى: ﴿فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ﴾: صيغة أمر ومعناه الإخبار، وتقديره: يُلْقِه بالساحل؛ أي: بالشطِّ، واليمُّ: النِّيل، وهو كقوله: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ﴾ [العنكبوت: ١٢]؛ أي: نحملْ خطاياكم.

ومعناه: يسير به الماءُ على الجانب لا في وسطه فيغرقَ.

وقوله تعالى: ﴿يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ﴾: قيل: مَن أخذه من الماء مِن خدَم فرعون.

وقيل: هو فرعون؛ لأن حاصل أَخْذِه كان عنده.

---

(١) في (أ): «وقد سلفت لنا».

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٩٤١) عن ابن عباس، وقال: وروي عن الحسن.

وذكر محمد بن إسحاق: أن فرعون رأى التابوتَ في اليم فأَمر بأخذه[١]، فأضيف إليه لأمره به.

وقوله تعالى: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾: أي: أحببتُك وحبَّبتُك إلى عبادي.

قال قتادة: جعل ملاحةً في عين موسى ما رآه أحد إلا علِق بقلبه حبُّه[٢]. فكان ذلك سبباً لحبِّ امرأة فرعون له[٣]، وهو كما يقال: ألقى الله عليه جمالاً وألبسه حُسناً[٤].

وقوله تعالى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾: أي: لتربَّى على رؤيتي كما أُحبُّ، ومجازه: أن مَن صنع لإنسانٍ شيئاً وهو ينظر إليه صَنعه له كما يحب، ولا يتهيَّأ له خلافه، فقال تعالى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾؛ أي: لتربَّى كما أريد كأنَّ الذين يربُّونك يرونني[٥].

وقيل: ﴿عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾؛ أي: على حفظي؛ أي: وأنت في حفظي.

وقال الخليل: يقال صنعتُ الفرس، وهو فرسٌ صنيع، وهو الذي أحسن أهلُه القيام عليه[٦]، وسيفٌ صنيع: قد أُحسن صقلُه[٧].

* * *

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٥٧).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٦/ ٢٤٤).

(٣) «له» زيادة من (أ).

(٤) في (أ): «ألبسه الله جمالًا وألقى عليه حسناً».

(٥) في (ر) و(ف): «كأن الذي يربيك برؤيتي».

(٦) انظر: «العين» (١/ ٣٠٥).

(٧) انظر: «الصحاح» (مادة: صنع).

(٤٠) ـ ﴿إِذْ تَمْشِيٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ ۖ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا ۚ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِذْ تَمْشِيٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ﴾: وكانت مشت لتتعرَّف حال موسى، ورأتهم يطلبون له مُرضعةً فقالت: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ﴾؛ أي: يَضمه إلى نفسه فيربِّيه، وأرادت بذلك المرضعةَ، وإنما ذكَّر الفعل للَفظ ﴿مَن﴾.

قوله تعالى ﴿فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ﴾: أي: أجابوا أختَ موسى إلى ذلك واسترضَعوا أمَّ موسى له فرجع إليها، و(رجعناك) متعدٍّ هاهنا.

وقوله تعالى: ﴿كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا﴾: برؤيتك ﴿وَلَا تَحْزَنَ﴾ لفُرقتك.

وقوله تعالى: ﴿وَقَتَلْتَ نَفْسًا﴾: بعد كِبَرك، وهو القِبْطي الذي استغاثه عليه السِّبْطي، فوكزه فقضى.

وقوله تعالى: ﴿فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ﴾: أي: غمِّ قتلِه وخوفه.

﴿وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا﴾: قيل: هو مصدر؛ أي: امتحنَّاك امتحاناً بذلك كلِّه.

وقيل: هو جمع؛ أي: ابتليناك ببليةٍ.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: هو ما سبق في هذه الآية.

وقال مجاهد: أخلصناك إخلاصاً[(١)].

وقيل: خلَّصناك تخليصاً، من قولهم: فتن الصائغ الذهبَ والفضة بالنار، والتخليص: التنجيَة، والإخلاص: التصفية.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٧٠ ـ ٧١).

وقوله تعالى: ﴿فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِيٓ أَهْلِ مَدْيَنَ﴾: أي: خرجتَ إليها خائفاً وكنتَ عند شعيب سنين ـ قيل: عشرَ سنين ـ ترعى غنمه مهراً لصفُّورا بنت شعيب.

وقال وهبٌ: لبث بمدين ثمانٍ وعشرين سنة؛ عشرَ سنين مهراً لصفُّورا، وثماني عشرةَ سنة بعدها حتى ولد منها الأولاد.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ﴾: أي: انتهيتَ إلى الوقت الذي أردتُ انبعاثك فيه بالرسالة.

قال ابن كيسان: أي[1]: على رأس أربعين سنةً، وهو القَدْرُ الذي يُبعث فيه الأنبياء عليهم السلام.

* * *

(٤١) ـ ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى﴾: أي: اختصَصْتُك لأمر أستكْفيكه.

وقال الإمام القشيري رحمه الله: ﴿جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ﴾؛ أي: عدَدْنا أيام كونك في مدين، وكان أهل حضرتنا [من] الملائكة الذين عرفوا شرفك منتظِرين لك فجئتَ على قدَر[2].

قال: وذُكر أن فرعون لعنه الله كان يسمَّى: أبا موسى، ولم يكن بأبٍ[3] له، وكانت أمُّ موسى تسمى: ظئر موسى، وما كانت ظئراً له، فحيث كان الدعوى لم يكن معنى، وحيث كان المعنى لم يكن دعوى، هكذا كانت القصة[4].

---

(١) في (ف) و(أ): «أي».

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٤٥٧)، وما بين معكوفتين منه.

(٣) في (ر): «بابن».

(٤) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٤٥٥).

وقـد بينـا بعض قصة موسـى في سـورة الأعـراف، ونذكر هاهنا بعـض ما يتصل بهذه الآيات:

قال وهب: إن موسى لمَّا قضى الأجل الذي كان بينه وبين شعيب فوفَّاه عشرَ حججٍ[١] فصَل من أرض مدين مقبلاً يؤمُّ الشام ومع موسى امرأتُه وولده وعبدُه، فانطلق يسير في بريَّة الشام وأكبرُ[٢] همه طلبُ أخيه هارون وأختِه مريم وهما بمصر في مملكة فرعون، همُّه لقاؤهما والحيلةُ لخروجهما من مصر إن استطاع، فسار غيرَ عارف بالطريق غيرَ أنه يؤمُّ المغرب ويرى أنه الوجهُ[٣] إلى مصر، فلم يزل على ذلك حتى أنحاه السير[٤] إلى جانب الطور الغربي الأيمن في عشيةٍ شاتيةٍ شديدةِ البرد ذاتِ رياحٍ وأمطار وجليد، فنزل حين أمسى وجنَّه الليل واشتدَّ عليه الظلام والبرد والريح، وأخذ امرأتَه الطلقُ، فعمد إلى زندٍ له فقدحه فلم يُوْرِ شيئاً، فاجتهد فلم يزدَدْ إلا شحاحاً، فألقاه وجعل ينظر يميناً وشمالاً هل يسمع صوتاً، أو يرى أحداً قد اختلف على الرائي وأخطأ الطريق؟ فبينما هو كذلك إذ رأى ناراً غيرَ بعيد، فلما نظر إليها قال لأهله: ﴿ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى﴾؛ أي: دلالةً على الطريق، فانطلق يؤمُّها فتتباعدُ عنه مرةً وتتقرَّب أخرى، فلما طال ذلك همَّ أن يرجع عنها فإذا ذكر الحاجة انطلق إليها، فلم يزَل كذلك حتى وصل إليها وما كاد، فإذا بنارٍ عظيمةٍ بيضاء ليس لها حَرٌّ[٥] ولا دخان، وهي على ذلك تعمل عمل

---

(١) في (ر): «سنين».

(٢) في (ف): «وأكثر».

(٣) في (ر): «يؤم المغرب ويروى أنه توجه».

(٤) في (أ): «ألجأه السير»، وفي (ر): «أنجاه النير».

(٥) بعدها في (ر) و(ف): «ولا برد».

النار، تتوقَّد في جوف شجرةٍ شديدةِ الخضرة، ولا تزداد النار إلا تضرُّماً ولا الشجرة إلا خضرة وحُسناً، فأعجبه ولم يَدْر ما يصنع، وظن أنها شجرة أَوقَد عليها مُوقِد فنالها الوقود، فوقف يطمع أن يسقط منها شيء فيقتبسَه، فلما طال ذلك عليه وخاف الضيعة عليه و[1]على أهله، جمع ضِغثاً من دقاق الحطب ثم أهوى به إليها ليقتبس من لهبها، فمالت إليه كأنها تريده فاستأخر عنها وهابها، ثم عاد إليها فلم يزل يطمع فيها ويدور حولها كلما همَّ بها أقبلت عليه كأنها تريده، ثم خمدت حتى كأنْ لم تكن، فتعجب من ذلك غاية التعجُّب، ووقف متحيراً لا يدري أيرجع أم يقيم، ونظر إلى أعلاها فإذا هي أشد ما كانت خضرةً، والأرض عليها شعاع منها كشعاع الشمس يكلُّ عنها البصر، فخر مرعوباً[2] لا يملك من نفسه شيئاً؛ إذ نودي: يا موسى، اخلع نعليك إنك بالوادي المقدس طُوى، وهو اسم للوادي، وكان نعلاه من جلد حمار ميت، فأسرع الإجابةَ وتابع التلبية: لبيك لبيك لبيك، استئناساً بالكلام، وسكن رعبه وقال: أسمع كلامك ولا أراك فأين أنت؟ قال: أنا فوقك وأمامك وخلفك ومحيط بك وأقرب إليك من نفسك، فلما سمع موسى هذه الصفة علم أنها لا تنبغي إلا لله، قال: كذلك أنت إلهي.

قال رحمه الله: هذا لا يراد به إثبات المكان والجهة، بل هو بيان إحاطة العلم وقرب الكرامة.

وقال الله جل جلاله له: ادن، فجمع يديه في العصا وتحامل به[3] حتى قام وما كاد، فأُرعدت فرائصُه، وانقطع لسانه، وانكسر قلبه، وفتَرت قوته، وصار كالميت

---

(١) «عليه و» ليس في (أ).

(٢) في (ر): «مذعوراً».

(٣) «به» زيادة من (أ).

إلا أن روح الحياة تجري فيه، وأراد أن يخطوَ فأرعشت قدماه، ثم أراد أن يدنو للمشي فلم يستطع، وأرسل الله ملَكاً فشد[1] له ظهره وعضُديه، فزحف نحو الشجرة وهو خائف مكروب، فقال الله تعالى له: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ﴾ قال: وما تصنع بها؟ قال: ﴿أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ﴾ قد علمتَها.

وفي التوراة بهذه الزيادة والمآرب ما عدَّدناها في تفسير الآية.

قال: ألقها، فظن موسى أنه يقول له: ارفضها ولا تخف، فتنغَّض بها[2] فألقاها على وجه الرفض خلفه، ثم سمع حسًّا فالتفت فإذا هو بها قد خلقها الله تعالى حيةً، وهي أعظم ثعبان نظر إليها الناس، أسودُ في مثل بدن البُختيِّ العظيم بل أهولُ منه، تدبُّ على أربع قوائم غلاظٍ شدادٍ قد صارت شعبتاها فمًا سعتُه اثنا عشر ذراعاً فيه أضراس وأنياب له صريف، وقد خُلق[3] المحجن له عرفاً، ولها عينان تلمعان كالبرق، تلفح منها ريح السَّموم، لا تُصيب شيئاً إلا أحرقته، فتمر بالصخرة العظيمة فتبتلعها، وللصخور في جوفها قعقعةٌ، وتمر بالشجرة العظيمة فتجتثُّها بنابها وتقضمها، وجعلت تسعى كأنها تطلب شيئاً تريد أن تأخذه، فذهب موسى على وجهه مُدْبراً ولم يعقِّب ولا يلوي على شيء، فعارضه ملَك فقال: أما[4] تستحي من ربك؟ يكلِّمك وتهرب منه، قال: إنما أهرب من الموت، قال: وهل يملك أحدٌ موتاً أو حياة دون الله تعالى؟ قال: لا، ورجع والحيةُ على حالها.

---

(١) في (أ): «يشد».

(٢) في (أ): «ارفضها ولا تتقص بها».

(٣) في (أ): «حلق».

(٤) في (ر): «ألا».

قال الله تعالى: ﴿خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَىٰ﴾ فلما أراد أن يتناولها لفَّ يده بثوبه من مخافتها، فقال الله تعالى: اكشف عن يدك ثم أدخلها بين أضراسها وأنيابها، فإن القدرة التي كوَّنتْها كما ترى هي تصرِفُ عنك ما تُحاذر منها، وتقيك شرور[1] خلقي، فكشف موسى عليه السلام عن يده ثم أدخلها بين لَحييها حتى وجد وخز أضراسها، فلما قبضها إليه تحولت عصاً كما كانت، ويده في موضعها المعتاد بين الشعبتين.

فقال الله تعالى له: ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾ [النمل: ١٢]؛ أي: من غيرِ برَصٍ، فأدخلها ثم أخرجها عليها نورٌ يلتهب ويكلُّ عنه البصر، فأنِس موسى وسكَن وذهب عنه الرعب، فقال الله تعالى له: اسمع قولي وارْعَ عهدي واحفظ وصيتي، فإني وقَفْتك[2] اليوم موقفاً لا أجعل لأحد من خلقي سلطاناً عليك، ولا ينبغي لبشر من بعدك أن يقوم مقامك مني، قرَّبتك حتى سمعت كلامي.

وعلى موسى عليه السلام يومئذٍ جُبَّةٌ من صوفٍ ومِدْرعةٌ من صوفٍ وإزارٌ من صوفٍ وقلنسوةٌ من صوفٍ ونعلان، والله تعالى يكلِّمه ويَعهد إليه، ويقول له: انطلق برسالتي فإنك بعيني، وإن معك يدي وبصري[3]، وإني ألبستك جبةً من سلطاني تستكملُ بها القوة في أمري، فأنت جند عظيم بعثتُك إلى خلقٍ ضعيف[4] من خَلقي، بَطِر نعمتي وأمِن مكري، غرَّته الدنيا عني حتى جحد حقِّي وأنكر ربوبيتي وعُبِد دوني، وزعم أنه لا يَعرفني، وإني أحلف بي اليوم ـ وأيُّ شيء مثلي ـ أنْ لولا الحجةُ

---

(١) في (ر): «وتكفيك شر».

(٢) في (ر): «أوقفك».

(٣) في (ف) و(أ): «ونصرتي».

(٤) «ضعيف» زيادة من (أ).

والعدل اللَّذان وضعتُ بيني وبين خلقي لبطشتُ به بطشة جبارٍ يغضب لغضبه السماء والأرض والجبال والبحار، فإنْ أذنتُ للسماء حصَبَتْه، وإنْ أذنتُ للأرض ابتلعَتْه، وإنْ أذنتُ للجبال دمَّرته، وإنْ أذنتُ للبحار غرَّقته، ولكنه هان عليَّ وسقط من عيني وصغُر عندي، ووسِعه حِلمي، واستغنيتُ عن خَلقي، أنا الغنيُّ لا غنيَّ غيري، فبلِّغه رسالتي وادعُه إلى عبادتي وتوحيدي، وحذِّره نقمتي، وذكِّره بأيامي، وأخبره أنه لا يقوم شيء لغضبي، وقل له فيما بين ذلك قولاً ليِّناً لعله يتذكر أو يخشى، ولا يروعنَّك ما ألبستُه من لباس الدنيا، فإن ناصيته بيدي، وأَخْبِره أني أنا الغفور، والمغفرةُ[1] أسرعُ مني إلى الغضب والعقوبة.

وقل له: أجب ربك إنه واسع المغفرة، قد أمهلك منذ[2] كذا وكذا، في كلها أنت مبارزٌ[3] للمحاربة بصدِّ عباده عن سبيله، وهو يمطر عليك السماء، وينبت لك الأرض، وألبسك العافية لم تسقم ولم تهرم، ولم تفتقِر ولم تُغلب، ولو شاء لم يفعل لك ذلك[4]، ولكنه ذو حِلم عظيم.

ثم لم يُسمعه شيئاً من ذلك سبعةَ أيام ولياليها وهو في ذلك المقام، ثم قيل له بعد سبعٍ: أجب ربك يا موسى فيما كلَّمك، ﴿قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ۝٢٥ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا﴾ [طه: ٣٥]، ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ [طه: ٣٦] فجاهِدْه بنفسك وأخيك وأنتما محتسِبان[5] بجهاده، فإني لو شئتُ أن آتيَه بجنودٍ لا

---

(١) في (أ): «وأخبره أني إلى العفو والمغفرة».

(٢) في (ف): «مذ»، وفي (ر): «مدة».

(٣) في (ر) و(ف): «مبارزه».

(٤) في (ف) و(أ): «لم يجعل بك ذلك فعله».

(٥) في (ف): «محسنان».

قِبَل له بها فعلتُ، ولكن ليعلمَ هذا العبد الضعيف الذي أعجبته نفسُه وجموعه أن الفئة القليلة ـ ولا قليل مني ـ تغلب الفئة الكثيرة بإذني، فلا يعجبنَّكما زينتُه ولا ما متِّع به، ولا تمدَّا إلى ذلك أعينكما فإنها زهرةُ الحياة الدنيا، ولو شئتُ لأزيِّنكما من الدنيا بزينةٍ يعلم فرعون لو يَنظر إليها أن مقدرته تعجز عن بعضِ ما أوتيتُما فعلتُ، ولكني أرغبُ بكما عن ذلك وأَزْويه عنكما، وكذلك أفعل بأوليائي، إني لَأَذُودهم عن نعمة الدنيا ورخائها[1] كما يذودُ الراعي الشفيقُ غنمه من مراعي الهلكة، وأجنِّبهم عن ذلك كما يجنِّب الراعي الشفيقُ إبله عن مَبارك الغرَّة، وما ذلك لهوانهم عليَّ، ولكن ليستكمِلوا كرامتي.

اعلم يا موسى أنه لم يتصنَّع لي المتصنِّعون بمثل الزهد في الدنيا، وأنه لم يتقرَّب إليَّ المتقربون بمثل الورع عما حرَّمت، وأنه لم يتعبَّد العابدون بمثل البكاء من خوفي.

قال وهب: فانطلق موسى إلى فرعون وشيَّعته الملائكة يصافحونه، وخلَّف موسى أهلَه في الموضع الذي تركهم فيه[2]، فلم يزالوا مقيمين حتى مرَّ بهم راعٍ من أهل مدين فعرفهم، فحملهم إلى شعيبٍ فمكثوا عنده حتى بلَغهم خبر موسى بعدما جاوز ببني إسرائيل البحر وغرق فرعون وقومه، فبعث بهم شعيب إلى موسى بمصر.

ثم مضى موسى صلوات الله عليه منطلقاً على وجهه لا علم له بالطريق، وليس معه زادٌ ولا حمولةٌ ولا صحبة ولا شيء إلا العصا، يظلُّ صائماً ويبيت طاوياً، يصيب من ثمار الأرض ومن الصيد شيئاً قليلاً، حتى ورد أرض مصر.

فأوحى الله تعالى إلى هارون عليه السلام يبشره به، ويخبره أنه قادم عليه وقد

---

(١) في (ر): «ورحابها»، وفي (ف): «ورجائها».

(٢) «فيه» ليست في (أ) و(ف).

جعله وزيراً له ورسولاً إلى فرعون وقومه، وإذا كان يومُ السبت لغُرةِ[١] ذي الحجة قبل طلوع الشمس، فأبكِرْ[٢] إلى شط النيل، فإنها الساعة التي تلتقي[٣] أنت وأخوك فيها.

فأقبل موسى في ذلك الوقت، وخرج هارون من عسكر بني إسرائيل، حتى التقيا على شط النيل، وذلك في يوم وِرْد الأُسْد للنيل[٤]، وكان لفرعون لعنه الله أُسْدٌ يحرسونه في غيضةٍ محيطة بالمدينة من حولها، وكانت تَرِدُ الماء غبًّا، فصادف موسى عليه السلام هارونَ يوم وِرْدها.

وكان فرعون في مدينةٍ حصينة عليها سبعون سوراً، بين كلِّ سورين رساتِقُ وأنهارٌ ومزارعُ واسعةٌ، في ربَض كلِّ سور سبعون ألفَ مقاتل، ومن دون المدينة غيضةٌ ملتفَّة غرسها فرعون وسقاها بالنيل ثم أسكنها الأُسد فتناسلت وكثرت، ثم جعلها جنوداً من جنوده يحرسونه، وجعل خلال الغيضة طرقًا، كلُّ طريق يفضي بمَن يسلكه[٥] إلى باب من أبواب المدينة معلومةٍ ليس لتلك الأبواب طرقٌ غيرُها، فمَن أخطأها وقع في الغيضة فأهلكته الأُسد، وكانت إذا وردت النيل ظلَّت عليه يومها ثم تَصْدُر ليلاً.

فالتقى موسى وهارون يوم وِردها، فمدَّت إليهما أعناقها ورؤوسَها، وأَشخصت أبصارها صغارِها وكبارها، وذعرت منهما ذعراً شديداً، فانهزمت نحو الغيضة يتلو بعضُها بعضاً وهي تَضْغو ضغاء الثعالب، وتَعْوي عوي الكلاب، ونزع الله هيبتها

---

(١) أي: لأول، وفي (ر): «العشر».

(٢) في (ف): «باكر».

(٣) في (ف): «تلتقيان».

(٤) في (ر) و(ف): «النيل».

(٥) في (ر) (ف): «كل طريق يمر بعض من يسلكه».

وأذهب زئيرها، وكان لها ساسةٌ يَسوسونها، فلما رأوا ذلك سُقِط في أيديهم ولم يشعروا من حيث أتوا، فانطلقا في تلك المسبعة حتى وصلا إلى باب المدينة الأعظم الذي هو أقربها إلى دار فرعون، فلما انتهيا إلى الباب وجدا حرَّاسه مشتغلين بشأن الأُسد، وذلك ليلة الاثنين الثالث من ذي الحجة، فأقاما عند الباب بقية العشر لا يمكنهما الدخول لمنع الحراس، وهم في كرب شديد بحالِ الأسد، وهما مقيمان وبهما جراءة وتهاون بهم، فكلمهما واحد منهم منتهراً وقال: ما هذه الجرأة؟! أما تدريان ببابِ مَن أنتما؟! فقال موسى: أعلم ذلك، ولو شئتَ أخبرناك مَن ربُّه، قال: مَن هو؟ قال موسى: إن هذا الباب وما دونه وما خلفه وأنا وأنت وفرعون وجميع أهل الأرض وأهل السماء عبيدٌ لرب العالمين صاغرين داخرين، وفرعون أصغر الصاغرين، ومَلَكَةُ رب العالمين، فهاله ذلك، فذكر للآخرين فقالوا: هذا أعظم[1] من مُصيبتا في الأُسد، وما نظن ذلك إلا من جهتهما وسحرِهما، فرفعوا ذلك إلى مَن هو أكبرُ منهم وأقربُ إلى فرعون، وأَخبر بعضهم بعضاً حتى انتهى الخبر إلى فرعون، فدعا بهما فدخلا عليه، ثم القصةُ على ما مر في سورة الأعراف[2].

***

(٤٢) ـ ﴿ ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِى وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى ﴾.

وقولـه تعالـى: ﴿ ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ ﴾: أي: هـارون ﴿بِـَٔايَٰتِى﴾؛ أي: بحجَجـي وأدلَّتـي؛ أي: معهـا.

---

(١) في (أ): «أعجب».

(٢) رواه بنحوه الإمام أحمد في «الزهد» (٣٤٢)، ومن طريقه ابن الجوزي في «التبصرة» (١/ ٢٢٢). وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥٥٤) لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتِم.

قال الكلبيُّ والضحاك: الآيات هي اليد والعصا[١]، وإنما جمع لأن الآية الواحدة علَمٌ على أمور كثيرة فتُجمع لأجلها، وإذا صح ذلك في الواحدة ففي الآيتين أولى.

وقيل: معناه: اذهبا فإني أُمدُّكما بآياتي بعد هذا، وهو كقول الملك لأميره: اذهب فإن جندي معك؛ أي: أُمِدُّك بهم إذا احتجتَ.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي﴾: أي: لا تَفْتُرا ولا تضعُفا، وقد وَنِيَ يَنِي وَنْياً فهو وانٍ؛ أي: فَتَرَ[٢]، وتوانى في الأمر؛ أي: قصَّر.

وقوله تعالى: ﴿ذِكْرِي﴾ يحتمِل ذكرَهما جلالَ الله تعالى عند فرعون لعنه الله وقومِه، ودعاءَهم إلى توحيده.

ويحتمِل الوعظَ؛ أي: عِظاهم بوعظي.

ويحتمِل مواصلة ذكر الله تعالى والثناءِ عليه، فإن الله تعالى ناصرُ مَن ذكره.

ويحتمِل الذكر بالقلب، فإن ذلك يقوِّي العزيمة على الأمور.

* * *

(٤٣) ـ ﴿اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾.

وقوله تعالى: ﴿اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ﴾: في هذا التكرار بهذه الصيغة فائدةُ الاجتماع عند الذهاب إليه، والأول ـ وهو قوله: ﴿اذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ﴾ ـ يحتمِل الاجتماع ويحتمِل الافتراق، ويحتمِل أن يكون الأولُ إلى الكل والثاني إلى فرعون على الخصوص.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ طَغَى﴾: فسَّرناه.

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٢٨)، و«تفسير الثعلبي» (٦/ ٢٤٥).

(٢) «أي فتر» ليس في (أ).

(٤٤) ـ ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾: أي: ارْفُقا ولا تُغْلظا، فإن المترَفين إذا أُغلظ لهم في الوعظ ازدادوا عتوًّا وتكبُّراً.

وقوله تعالى: ﴿لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾: أي: على أرجى الوجوهِ للاتعاظ والخشية.

وقوله تعالى: ﴿أَوْ يَخْشَىٰ﴾ بمعنى: ويخشى، وقد بيِّن في آية أخرى: ﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ۝١٨ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ﴾ [النازعات: ١٨ ـ ١٩] وهذا من القول الليِّن، وذكر هاهنا ما هو منه وهو قوله: ﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ﴾ الآية [طه: ٤٧].

وقوله تعالى: (لعل) ليس لخفاء حاله على الله جلَّ جلالُه، فإنه عالمٌ بما يكون وبما لا يكون أنه لو كان يكونُ كيف يكون، لكنْ أمرٌ لهما بالدعاء على الرجاء، وإذا كان الداعي راجياً فهو أحرص على الدعاء، وذلك أبلغ في إلزام الحجة.

وقال الحسين بن الفضل رحمه الله: هو على غير فرعون، ومعناه: لعله يتذكَّر متذكِّرٌ أو يخشى خاشٍ، وقد كان ذلك من كثيرٍ من الناس.

وقال أبو بكر الورَّاق: (لعل) من الله تعالى واجبٌ، وقد كان ذلك، لكن فعَل ذلك حين أدركه الغرق، فكان في حالة اليأس فلم ينفعه[1].

وقال السدِّي: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾ ليِّناه فقولا له: يا أبا العباس[2].

وقيل: قولا له: أيها الملك.

وقيل: معناه: والْطُفْ به يا موسى فإنه ربَّاك، ويسمَّى بذلك أباك، فأحسِنْ مراعاته وأتمِمْ مكافأته، ولا تواجهه بمكروه في أول قدومك عليه.

---

(١) انظر: «تفسير الثعلبي» (٦/ ٢٤٥).

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» (٦/ ٢٤٥)، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٧٤) بلفظ: (كنياه).

وقال القشيري رحمه الله: هذا رفقُه بمن جحده، فكيف رفقُه بمن وحَّده؟ هذا رفقُه مع الكفار فكيف رفقه مع الأبرار[(١)]؟

وقال يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله: إلهي هذا رفقُك بمن يقول: أنا ربكم الأعلى، فكيف رفقُك بمن سجد لك على التراب وقال: سبحان ربي الأعلى[(٢)].

* * *

(٤٥) ـ ﴿ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ قَالَا ﴾: أي: قال موسى وهارون: ﴿رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ﴾؛ أي: أن يَعْجَل علينا فرعون بعقوبةٍ، أو لا يسمعَ منا، أو لا يتركَنا نبلِّغه.

وقيل: ﴿يَفْرُطَ عَلَيْنَآ﴾: على موسى وهارون ﴿أَوْ أَن يَطْغَىٰ﴾: على بني إسرائيل.

وقيل: ﴿يَفْرُطَ﴾ بالضرب، ﴿أَوْ أَن يَطْغَىٰ﴾ بالقتل.

* * *

(٤٦) ـ ﴿ قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِى مَعَكُمَآ ﴾: أي: ناصرُكما ومعينكما وحافظُكما، كما قال خبراً[(٣)]: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠].

وقوله تعالى: ﴿أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾: ما يجري بينكما من كلام أو فعل.

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٤٥٩).

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» (٦/ ٢٤٦)، ولفظه: (هذا رفقك بمن يقول: أنا الإله، فكيف رفقك بمن يقول: أنت الإله؟)

(٣) في (أ): «كما قال»، وفي (ر) و(ف): «قال خبراً».

وقيل[1]: أسمع إنْ فرط في القول، وأرى إن طغى[2] في الفعل، فأمنع ذلك عنكما.

* * *

(٤٧) ـ ﴿ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ۖ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ ۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ فَأْتِيَاهُ ﴾: أي: فرعونَ ﴿فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ ﴾ إليك ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾؛ أي: أطلِقْهم من الاستعباد، كما يقال: أرسلتُ الصيد.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ﴾: بالاستعمال في الأعمال الشاقة، وكان يفعل ذلك.

وقوله تعالى: ﴿قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ ﴾: أي: معجزةٍ ظاهرة دالةٍ على صدق دعوانا أننا رسولاه.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴾: أي: السلامةُ من المكاره والعقوبات في الدنيا والآخرة من الله تعالى إنما هو لمن اتَّبع هدى الله؛ أي: إرشادَه، فقَبِله وسلك طريقه، والسلام بمعنى السلامة، وهما كالرَّضاع والرَّضاعة، و﴿عَلَىٰ مَنِ ﴾ بمعنى: لمن.

* * *

(٤٨) ـ ﴿ إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَآ ﴾: أي: أوحَى الله تعالى إلينا؛ أي: أعلمَنا ﴿أَنَّ ٱلْعَذَابَ ﴾؛ أي: عذابَ الله الذي لا فتورَ له ولا انقطاع إنما هو ﴿عَلَىٰ مَن كَذَّبَ ﴾

---

(١) «وقيل» ليس من (ف).

(٢) في (ر): «فرط».

بآيات الله كتكذيبك بما جئنا به من الآيات ﴿وَتَوَلَّىٰ﴾؛ أي: أعرض عن طاعة الله كإعراضك.

قال مقاتل: هذه الآية أرجى آيةٍ في القرآن: ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ... أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾[1].

وقال القشيري رحمه الله: قوله: ﴿قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ﴾ دليلٌ على أنَّ الخوف الذي تقتضيه جِبِلَّة الإنسان لا يلام صاحبه عليه.

قال: ولم يخافا على أنفسهما شفقةً عليهما، ولكنْ قالا: نخاف أن يحلَّ بنا مكروهٌ عن جهته فلا يحصلَ منا ما تأمرنا به من القيام بأمرك، فكان ذلك الخوف لحقِّ الله تعالى لا لحظِّ أنفسهما.

وقال: لم يخافا من فرعون ولكن خافا من تسليط الله تعالى إياه عليهما، ولكنهما راعَيَا آداب الخطاب.

وقال: تلطَّفا في استجلاب هذا الخطاب من الحقِّ سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ﴾، وإلا فأنَّى بالخوف لمن بعثه الله تعالى نبيًّا وقرَّبه نجيًّا[2].

* * *

(٤٩) ـ ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ﴾: وفي الكلام إضمار: أنهما أتيا فرعون[3] فقالا له ما أمرهما الله تعالى أن يقولا.

وقيل: الإضمار عند قوله تعالى: ﴿فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ﴾ فأتَياه فقالا له ذلك

---

(١) انظر: «تفسير الثعلبي» (٦/ ٢٤٦) وعزاه لبعض التفاسير.

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٤٦٠).

(٣) في (ف): «أنهما أنبأا فرعون».

وقالا أيضاً: ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ إلى آخره، فقال فرعون: ﴿فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ﴾ حين قالا له: ﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّ﴾.

وقال: ﴿يَٰمُوسَىٰ﴾ مقتصراً عليه لأنه علم أن الرياسة[1] لموسى، وهو كقول القائل: مَن ربُّ هذا العالَم يا فلان.

* * *

(٥٠) ـ ﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾.

﴿قَالَ﴾: أي: قال موسى مجيباً له حيث خاطبه فرعون على الخصوص: ﴿رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾.

قال مجاهد رحمه الله: أعطى كلَّ شيءٍ حيٍّ[2] صورتَه التي خلقَها له؛ أي: قدَّرها له، ثم هداه إلى مطعمه ومشربه ومسكنه ومنكحه وضروبِ هدايته.

وقال الحسن: هدَى كلَّ شيء لِمَا يُصلحه.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُۥ﴾؛ أي: مِثْلَه ونظيرَه في مثل خِلْقته وهيئته، فإناثُ كلِّ جنسٍ من الحيوانات نظيرُ ذكورها، و﴿أَعْطَىٰ﴾ بمعنى: مكَّنه منه[3].

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ هَدَىٰ﴾: ثم أَلهم ما به التناسلُ والنماءُ والاغتذاءُ وأسبابُ البقاء إلى حين الفناء[4].

---

(١) في (أ): «الرسالة».

(٢) في (ر) و(ف): «أعطى كل حي».

(٣) روى هذه الأخبار بنحوها الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٧٩ ـ ٨٠)، والواحدي في «البسيط» (١٤/ ٤١٤).

(٤) في (ف) و(أ): «القضاء».

وقال الضحاك: أعطى اليدَ البطش، والرجلَ المشي[(١)]، واللسان النطق، والعين البصر، والأذن السمع[(٢)].

وقال سعيد بن جبير: هدى الذَّكَر لإتيان الأنثى من كلِّ جنس[(٣)].

وقيل: ﴿خَلْقَهُۥ﴾؛ أي: جوارحَه وآلاته ومعاونه التي خلقها له[(٤)]، ثم هداه لاستعمالها في مواضعها حتى تمَّ له المعاش بها، ويقال: فلانٌ حسن الخلقة؛ أي حسنُ الجوارح والتركيب.

وقيل: فيه تقديم وتأخير؛ أي: أعطى خلقَه كلَّ شيء؛ أي: أعطى مخلوقيهِ كلَّ نِعَم الدنيا ثم دلَّهم على توحيده.

* * *

(٥١ ـ ٥٢) ـ ﴿قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ﴾: أي: قال فرعون معترِضاً على موسى: ما بال القرون الأولى عبدوا غيرَ ربك وسلكوا غيرَ طريقك؟ وهو اعتراضٌ فاسد وتقليدٌ بغير حجة.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى﴾: قال موسى: علمُ تلك القرون عند ربي؛ أي: شركُ أولئك وكفرُهم ليس يخفَى على ربي بل هو عالمٌ بهم.

---

(١) في (ر): «السعي».

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٦/ ٢٤٧).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٦/ ٢٤٧) عن سعيد بن جبير وابن عباس، ورواه بنحوه عن ابن عباس الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٧٩ ـ ٨٠).

(٤) «له» زيادة من (أ).

وقوله تعالى: ﴿فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾: أي: أثبتَ ذلك في كتابٍ عنده يَنشره يوم القيامة، ويُثبت ذلك عليهم ويَجزيهم عليه.

وقيل: اعترَض على قوله: ﴿أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ قال: فما بال القرون الأولى وقد كذَّبوا وتولَّوا؟ قال: معاصيهم محفوظةٌ عنده فسيجزيهم بها ويعذِّبهم عليها.

وقوله: ﴿لَا يَضِلُّ رَبِّي﴾؛ أي: الكتاب[1] ﴿وَلَا يَنسَى﴾؛ أي: ما فيه.

وقيل: أي: ﴿لَا يَضِلُّ رَبِّي﴾ عن علم الأشياء؛ أي: لا يعدِلُ عنها ﴿وَلَا يَنسَى﴾ ما عَلِم؛ أي: لا يذهبُ عن ذكره.

وقيل: ﴿لَا يَضِلُّ﴾: لا يخطئ ﴿وَلَا يَنسَى﴾: لا يترك.

وقيل: لا يخطى في سعادة الناس وشقاوتهم، ولا ينسى ثوابهم وعقابهم.

وقيل: لا يخطئ في القضاء[2] والقِسمة، ولا ينسى في المدة والمهلة.

وقيل لا يخطئ في الأقوال والأفعال، ولا ينسى الأرزاق والآجال.

* * *

(٥٣) ـ ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّى﴾.

وقوله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا﴾[3]: قرأ عاصم وحمزة والكسائي: ﴿مَهْدًا﴾ بغير ألفٍ، وقرأ الباقون: ﴿مِهاداً﴾[4]، وهما لغتان كالفَرْش والفِرَاش.

---

(١) «أي: الكتاب» ليس من (ف).

(٢) في (ر): «العطاء».

(٣) في (ر) و(ف): «مهاداً».

(٤) انظر: «السبعة» (ص: ٤١٨)، و«التيسير» (ص: ١٥١).

وقيل: المهد في الأصل مصدرٌ، والمهادُ اسم.

وهذا صفةُ الأول: ﴿رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ﴾ ولعله كان شَرَع في هذا الكلام، فقطَع عليه فرعون بهذا الاعتراض، فأجابه ثم عاد إلى تتميم الكلام الأول.

ويجوز أن يتمَّ الكلام الأول ثم يكون هذا تقريراً لقوله: ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى﴾ لأنه هو ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا﴾ الآية، ومَن هذا صفتُه فإنه لا يضلُّ ولا ينسى؛ أي: ربي هو الذي جعل لكم الأرض موضعَ قرار كالمهد[1] الذي يُنام فيه[2] ويُستقرُّ عليه، والمهادِ الذي يُجلس عليه ويُستقر عليه، وقد وصفها الله تعالى بكونها فراشاً وبساطاً وقراراً.

وقوله تعالى: ﴿وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾: أي: وجعل لكم فيها طرقاً، والمسلَك: الطريق، والسلوك: الدخول، والسَّلْك: الإدخال، وتقديره: وطرَّق لكم فيها طرقاً تدخلونها وتَمضون فيها إلى مقاصدكم في حوائجكم.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾: وهو المطر الذي يكون به الزرعُ والثمار ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ﴾ صرف الكلام من المغايبة إلى الإخبار عن نفسه وهو من أقسام البلاغة.

وقيل: تَم كلام موسى، ثم هذا مما أخبر الله تعالى به وصلاً بكلام موسى.

وقيل: هذا كلام موسى: فأخرجنا نحن بالحراثة والغرس ذلك.

وقوله: ﴿بِهِۦ﴾؛ أي: بالماء ﴿أَزْوَٰجًا﴾؛ أي: ألواناً وأصنافاً ﴿مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ﴾؛ أي: مختلفةِ المناظر والطُّعوم والأرائح مع اتحاد الماء والتربة، وذلك دلالةٌ على قدرة الله تعالى على ما يشاء.

---

(١) في (ر): «مواضعَ قرار؛ أي: مواضع فراش كالمهد».

(٢) في (ر) و(ف): «عليه».

(٥٤) ـ ﴿كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى﴾.

وقوله تعالى: ﴿كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ﴾: أمرٌ بمعنى الإخبار؛ أي: لتأكلوا منها أنتم وتَرعوا أنعامكم منها[١]، وهذا كقوله: ﴿مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾ [النازعات: ٣٣]: اللباب لكم والقشور لأنعامكم.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى﴾: أي: العقولِ؛ جمع نُهْيةٍ؛ لأنها تَنْهَى عن القبيح، ولأنها يُنتهى إليها في إمضاء الأمور.

وخصَّ بكونها آياتِ أهل[٢] النهى لأنهم أهل التفكُّر والاعتبار والتدبُّر.

وهذا كلُّه احتجاج من موسى على فرعون في إثبات الصانع جواباً لقوله: ﴿فَمَنْ رَبُّكُمَا﴾.

* * *

(٥٥) ـ ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾.

وقوله تعالى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ﴾: وهذا بناء على قوله: ﴿فَأَخْرَجْنَا﴾ على قولِ مَن جعله خبراً من الله عن نفسه، فإن جُعل ذلك خبراً من موسى فهذه الآية ابتداءُ الإخبار من الله تعالى عن نفسه.

﴿مِنْهَا﴾؛ أي: من الأرض ﴿خَلَقْنَاكُمْ﴾؛ أي: خلقنا أباكم آدمَ من تراب، وفي الخبر: أن ملَك الأرحام يصنع[٣] النطفة على كفِّه، ويجعل فيها تربةً من موضع قبره، فإذا مات دُفن في موضعِ رفعِ تلك التربة[٤].

---

(١) في (ف): «وتزرعوا منها لأنعامكم».

(٢) في (ر) (ف): «أولي».

(٣) في (ف): «يضع».

(٤) رواه الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» (١/ ٢٦٧)، وأبو نعيم ـ كما في «تفسير القرطبي» =

﴿وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾: إذا متُّم فدُفنتم ﴿وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ﴾؛ أي: ومن الأرض نبعثكم يوم القيامة ﴿تَارَةً أُخْرَىٰ﴾؛ أي: كما خلقناكم أول مرة منها.

* * *

(٥٦ ـ ٥٧) ـ ﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ۝٥٦ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ﴾: أي: فرعونَ ﴿ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا﴾ يجوز أن يكون هذا خبراً عن الآية التي أَراها إياه أولَ ما أراهُ من قلب العصا حيةً، وهي وإن كانت واحدةً فهي تدلُّ على ما يدلُّ عليه كلُّ الآيات، فهي في المعنى ككلِّ[1] الآيات، وتكذيبُها تكذيبُ كلِّها.

وقيل: كلُّ الآيات: إيجاد المعدوم وإعدام الموجود، وقد اجتمع في العصا وقلبِها حيةً وإعادتها إلى حالتها الأولى كلُّ ذلك معنًى.

وقيل: أراد به كلَّ الآيات التي كانت لموسى، وهي في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾ [الإسراء: ١٠١] وقد أراها كلَّها له آياتٍ في كلِّ المدة من حين أتاه إلى حين[2] أغرقه الله تعالى في البحر، والآية إشارة إلى ذلك.

وقوله تعالى: ﴿فَكَذَّبَ﴾: أي: لم يصدِّق بالآيات ﴿وَأَبَىٰ﴾ الانقياد لها ﴿قَالَ﴾؛ أي: فرعون: ﴿أَجِئْتَنَا﴾ يا موسى استفهام بمعنى التوبيخ.

= (٨/ ٣١٨ ـ ٣١٩) ـ عن ابن مسعود رضي الله عنه موقوفاً. ورواه عبد بن حميد وابن المنذر ـ كما في «الدر المنثور» (٥/ ٥٨٤) ـ عن عطاء الخراساني.

(١) في (ر): «لكل».

(٢) في (ف): «أن».

وقوله تعالى: ﴿لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا﴾: أي: أرضِ مصر ﴿بِسِحْرِكَ يَـٰمُوسَىٰ﴾؛ أي: بتخييلك وتسميةِ الآيات لتخدعهم بها، فيجتمعون معك[١] على محاربتنا وإخراجنا من أرضنا، وهذا لا يتمُّ لك ولا ندعُك تفعله.

* * *

(٥٨) ـ ﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ﴾: أي: فلَنعارضنَّك بسحرٍ مثلِ سحرك ليتبيَّن للناس أن ما أتيتَ به ليس من عند الله حيث أَمكنَنا معارضتُه.

وقوله تعالى: ﴿فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا﴾: أي: نتواعدُ يوماً نلتقي فيه لإبراز ما تدَّعي أنت أنه معجزةٌ، وإبراز ما أذكُر أنه معارَضةٌ منا.

وقوله تعالى: ﴿لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ﴾: أي: الوعدَ ﴿مَكَانًا سُوًى﴾ قال قتادة والسدي: أي: عدلاً بيننا وبينك.

وقيل: مستوياً يتبيَّن للناس ما بيننا[٢] فيه، قاله ابن زيد[٣].

وقرأ ابن عامر وحمزةُ وعاصمٌ بضم السين، والباقون بكسرها[٤]، وهما لغتان.

و﴿مَكَانًا﴾ ترجمةٌ عن ﴿مَوْعِدًا﴾، وقيل: معناه: أي: بمكان.

وقال الحسين بن الفضل: هذا غاية عجزه وحمقه، حيث[٥] ادعى الربوبية ثم لم

---

(١) في (أ): «لك».

(٢) في (ف) و(أ): «بينا».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٩٠).

(٤) انظر: «السبعة» (ص: ٤١٨)، و«التيسير» (ص: ١٥١).

(٥) «حيث» زيادة من (أ).

يمكِنْه أن يقول: لاستأصلنَّك ولأريقنَّ دمك، بل قال: لأجمعن سحرةً يعارضونك بالتمويه والتخييل.

***

(٥٩) ـ ﴿ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴾.

وقوله: ﴿ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ ﴾: أي: قال موسى: الوقت الموعود ـ أي: الأجل المضروب ـ يومُ الزينة، وهو يومٌ معروف كان لهم يتزيَّنون فيه.

قيل: كان يومَ عاشوراء، وقيل: كان يومَ النيروز[1]، وقيل: كان يومَ سوقٍ لهم.

وقوله تعالى: ﴿وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى﴾: أي: يُخْرِجُهم يومُ العيد إلى الخروج، فكأنهم حُشروا فيه، لا أنَّ حاشراً حشرهم.

وقيل: بل اتَّفقوا على أنْ يَحشر لهم حاشرٌ لئلا يتخلَّف أحدٌ، وخصَّ الضحى لأن النهار حينئذ أضوأُ، فيكون الناس فيه أبصرَ، وللمُخْرَجات أَبْيَنَ.

وقيل: أرادوا أن الأمر قد يمتدُّ فيما بينهم فيتَّسعُ الوقت لأمرهم وإن طال.

***

(٦٠) ـ ﴿ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ ﴾: قيل: أعرض عن قبول الحق الذي أتى به موسى.

وقيل: عن كل أمر إلا هذا.

وقيل: ترك ما كان فيه، وقصَد فجمع أمره.

---

(١) في (ف): «النوروز».

وقوله تعالى: ﴿فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ﴾: أي: سحرَته المختالين[(١)]، مصدر بمعنى النعت للجمع.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَتَىٰ﴾: أي: أتى للموعد مع سحرته.

وقيل: (جمع كيده)؛ أي: مكرَه؛ أي: هيَّأ أسبابه.

* * *

(٦١) - ﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ﴾: أي: لفرعون وسحرته: ﴿وَيْلَكُمْ﴾؛ أي: وعيداً لكم[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ بإضافتكم إليه أنه أقدَرَكم على إحداث الأعيان وقلبِها بما تخيِّلونه.

وقوله تعالى: ﴿فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ﴾: قال قتادة وابن زيد والسُّدي: أي: يستأصلَكم[(٣)].

وفي قراءة حمزة والكسائي وعاصم في روايةِ حفص بضم الياء وكسر الحاء من أَسْحَتَ، والباقون بفتح الياء والحاء من سحت[(٤)]، وهما لغتان.

---

(١) في (ر): «المحتالين».

(٢) في (أ): «وعيداً» وفي (ر): «وعيد لكم»، وفي (ف): «وَعَدَ لكم».

(٣) رواه عنهم الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٩٤)، ورواه أيضا عن ابن عباس بلفظ: (فيهلككم)، وهكذا لفظ السدي أيضاً.

(٤) انظر: «السبعة» (ص: ٤١٩)، و«التيسير» (ص: ١٥١).

وقوله تعالى: ﴿خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ﴾: أي: حُرم خيرَ الآخرة مَن كذَب على الله.

(٦٢ ـ ٦٣) ـ ﴿فَتَنَٰزَعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾ قَالُوٓاْ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَتَنَٰزَعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ﴾: أي: فتشاوروا؛ كما قال: ﴿إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ﴾ [الكهف: ٢١]، وهو أخذُ بعضهم القول من بعضٍ، كقوله تعالى: ﴿يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا﴾ [الطور: ٢٣] هو أخذ بعضهم الكأس من بعض.

وقوله تعالى: ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَىٰ﴾: أخفَوا ذلك التشاوُرَ بحيث لم يسمعه موسى وهارون وقالوا في ذلك: ﴿إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ﴾ قاله السدي: أن النجوى ما ذُكر بعده.

وقال قتادة: قالوا: إن كان هذا ساحراً فإنا سنغلبه(١)، وإن كان(٢) من السماء كما زعم فسترون(٣).

وقال وهب: النجوى أنهم لمَّا سمعوا قوله: ﴿لَا تَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ﴾ قالوا: ما هذا بقول ساحر(٤).

وقوله تعالى: ﴿إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ﴾ قرأ أبو عمرو: ﴿إِنَّ﴾ بالتشديد ﴿هذين﴾ بالياء، وهو الظاهر من لغة أكثر(٥) العرب، قالوا: إن مذهبه أن يترك ﴿هَٰذَٰنِ﴾ في المصحف كما كتب بالألف وإذا قرأ قرأ بالياء، كما روي عن عثمان رضي الله عنه

---

(١) في (أ): «فإنا سنقتله»، وفي (ر) و(ف): «فسنغلبه»، والمثبت من «تفسير الطبري».

(٢) في (ف) و(أ): «يك».

(٣) في «تفسير الطبري»: (وإن كان من السماء فله أمر).

(٤) روى هذه الأقوال الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٩٥ ـ ٩٧).

(٥) في (أ): «أهل».

أنه لما[1] نظر في المصحف قال: أَرى فيه لحناً وستُقِيمُه العرب بألسنتها[2].

(١) «لما» ليست في (أ) و(ف).

(٢) رواه ابن أبي داود في «المصاحف» (ص: ١٢١ و١٢٢)، وجاء عنده في رواية بلفظ: (... شيئاً من لحن...).

وقد تكلم كثير من العلماء على هذا الخبر سنداً ومتناً، وعلى رأسهم الباقلاني في «الانتصار للقرآن» (٢/ ٥٣٢) وما بعدها، فأطال في تفنيده ورده من حيث المتن والسند، ثم قال في توجيهه على فرض صحته: (إنهُ يمكنُ ـ إن كانت هذه الرِّواية صحيحةً ـ أن يكونَ عثمانُ أرادَ بقوله: «أرى فيه لحناً وستقيمه العربُ بألسنتِها»، أن فيه لحناً في لغةٍ بعضِ العربِ وعلى مذهَب قبيلةٍ منهم لا يتكلمونَ بتلك الكلماتِ على الوَجهِ الذي أُثبِتَ في المصحف، وأن من لَم يألف الكلامَ بتلك الحروفِ على ذلكَ الوجهِ اعتقدَ أنه لحن وأنه لا يُقرأ به).

وللآلوسي رحمه الله كلامٌ حسنٌ في رده وبيان حقيقته، حيث قال في «روح المعاني» (١/ ١٦١): وأما قول عثمان: «إن في القرآن لحناً... إلخ» فهو مشكل جدًّا؛ إذ كيف يُظن بالصحابة ـ أولاً ـ اللحن في الكلام فضلاً عن القرآن وهم هم؟ ثم كيف يظن بهم ـ ثانياً ـ اجتماعهم على الخطأ وكتابته؟ ثم كيف يظن بهم ـ ثالثاً ـ عدم التنبه والرجوع؟ ثم كيف يظن بعثمان عدم تغييره؟ وكيف يتركه لتقيمه العرب؟ وإذا كان الذين تولوا جمعه لم يقيموه وهم الخيار فكيف يقيمه غيرهم؟ فلعمري إن هذا مما يستحيل عقلاً وشرعاً وعادة. فالحق أَنَّ ذلك لا يصح عن عثمان، والخبر ضعيف مضطرب منقطع. وقد أجابوا عنه بأجوبة لا أراها تقابل مؤنة نقلها، والذي أراه أن رواة هذا الخبر سمعوا شيئاً ولم يتقنوه فحرَّفوه، فلزم الإشكالُ وحلُّ الداء العضال، وهو ما روي بالسند عن عبد الله بن عبد الأعلى قال: لما فُرِغ من المصحف أُتي به عثمان فنظر فيه فقال: «أحسنتم وأجملتم، أرى شيئاً سنقيمه بألسنتنا»، وهذا لا إشكال فيه؛ لأنه عُرِض عليه عقيب الفراغ من كتابته فرأى فيه ما كتب على غير لسان قريش، ثم وفى بذلك عند العرض والتقويم ولم يترك فيه شيئاً، ولا أحسبك في مرية من ذلك. اهـ.

قلت: وهذا أكثره مأخوذ عن السيوطي في «الإتقان» (٢/ ٣٢٢)، وفيه من الزيادة ما له ارتباط بما ذكره المؤلف أعلاه وردٌّ عليه، وهو قوله نقلاً عن ابن الأنباري: ومن زعم أن عثمان أراد بقوله: «أرى فيه لحناً»: أرى في خطه لحناً إذا أقمناه بألسنتنا كان لحن الخط غير مفسد ولا محرف من جهة تحريف =

قال: فأنا أترك المكتوبَ كما تركه هو، وأُقِيمه كما أخبر به.

وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائيُّ وعاصم في رواية أبي بكر: ﴿إِنَّ﴾ بالتشديد ﴿هَٰذَٰنِ﴾ بالألف والتخفيف(١)، وقرأ عاصم في رواية حفص: ﴿إِنْ﴾ بالتخفيف ﴿هَٰذَٰنِ﴾ بالألف والتخفيف، وقرأ ابن كثير: ﴿إِنْ﴾ بالتخفيف و﴿هـذانِّ﴾ بالألف والتشديد(٢).

= الألفاظ وإفساد الإعراب، فقد أبطل ولم يصب؛ لأن الخط منبئ عن النطق فمَن لحن في كَتْبه فهو لاحن في نطقه، ولم يكن عثمان ليؤخر فساداً في هجاء ألفاظ القرآن من جهةِ كَتْبٍ ولا نطق، ومعلوم أنه كان مواصلاً لدرس القرآن متقناً لألفاظه موافقاً على ما رسم في المصاحف المنفذة إلى الأمصار والنواحي، ثم أيد (يعني ابن الأنباري) ذلك بما أخرجه أبو عبيد قال: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي عن عبد الله بن مبارك: حدثنا أبو وائل شيخ من أهل اليمن، عن هانئ البربري مولى عثمان قال: كنت عند عثمان وهم يعرضون المصاحف، فأرسلني بكتف شاة إلى أبي بن كعب فيها: (لم يتسن) وفيها: (لا تبديل للخلق) وفيها: (فأمهل الكافرين)، قال: فدعا بالدواة فمحا أحد اللامين فكتب: ﴿لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾ [الروم: ٣٠] ومحى (فأمهل) وكتب: ﴿فَمَهِّلِ﴾ [الطارق: ١٧]، وكتب: ﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ [البقرة: ٢٥٩] ألحق فيها الهاء، قال ابن الأنباري: فكيف يُدَّعَى عليه أنه رأى فساداً فأمضاه، وهو يُوقَف على ما كُتب، ويُرفع الخلاف إليه الواقع من الناسخين ليحكم بالحق ويلزمهم إثبات الصواب وتخليده؟!. اهـ.

أما قراءة أبي عمرو هنا فقال السمين في «الدر المصون» (٨/ ٦٤): (واضحةٌ من حيث الإِعرابُ والمعنى... ولكنهم استشكلُوها من حيث خطُّ المصحف؛ وذلك أنَّ رَسْمَه «هذن» بدونِ ألفٍ ولا ياءٍ، فإثباتُه بالياء زيادةٌ على خطِّ المصحف، قال أبو عبيد: رأيتُها في الإِمام مصحفِ عثمان: «هذن» ليس فيها ألفٌ. وقال أبو إسحاق: لا أُجيز قراءةَ أبي عمرو لأنَّها خلافُ المصحفِ).

قلت: وأبو إسحاق هو الزجاج، وكلامه في «معاني القرآن» (٣/ ٢٦٤)، وقد تعقبه الآلوسي في «روح المعاني» (١٦/ ٣٧٤) بقوله: (وليس بشيء؛ لأنه مشترك الإلزام، ولو سلم فكم في القراءات ما خالف رسمه القياس مع أن حذف الألف ليس على القياس أيضاً).

(١) في (أ): «والتشديد»، وسقطت من (ر) و(ف)، والصواب المثبت.

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٤١٩)، و«التيسير» (ص: ١٥١).

فمَن قرأ ﴿إِنْ﴾ بالتخفيف فمعناه: (ما)؛ أي: ما هذان لساحران؛ أي: إلا ساحران[١].

وتشديد ﴿هذانِّ﴾ من قراءة[٢] ابن كثير للفرق بين الأسماء المتمكِّنة وغيرِ المتمكنة في التثنية.

فأما تشديد ﴿إِنَّ﴾ والألف في ﴿هَٰذَٰنِ﴾ وهو المكتوب في المصاحف[٣] وعليه أكثر القراء، فله وجوه:

أحدها: أنه على لغة كنانةَ وبني الحارث بن كعب: أنهم يجعلون التثنية بالألف على كلِّ حال، فيقولون: جاءني الرجلان، و: رأيت الرجلان، و: مررت بالرجلان؛ قال شاعرهم:

فأَطْرَقَ إطراقَ الشجاعِ ولو يَرَى   مساغاً لناباه[١] الشجاعُ لصمَّما[٢]

---

(١) قوله: «إلا ساحران» يعني: أن اللام على هذا الوجه ـ الذي تكون فيه (إن) نافية بمعنى (ما) ـ تكون بمعنى: (إلا) وهو قول الكوفيين، قال السمين في «الدر المصون» (٨/ ٦٤): أمَّا الكوفيون فيزعمون أنَّ (إنْ) نافيةٌ بمعنى (ما)، واللامُ بمعنى (إلاَّ)، وهو خلافٌ مشهورٌ، وقد وافقَ تخريجُهم هنا قراءةَ بعضِهم: (ما هذانِ إلا ساحران).

(٢) «قراءة» من (ف).

(٣) كذا قال، وقد تقدم عن أبي عبيد أنها في الإمام: (هذن) بغير ألف، وكذا ذكر الداني في «المقنع في رسم المصاحف» (ص: ٢٤).

(١) في (أ): «لباباه»، وفي (ر): «لناتاه»، وفي (ف): «لناناه»، والصواب المثبت.

(٢) البيت للمتلمس بن عبد المسيح الضبعي، كما في «العين» (٧/ ٩٢)، و«الأصمعيات» (ص: ٢٤٦)، و«الشعر والشعراء» لابن قتيبة (١/ ١٧٨)، و«تهذيب اللغة» (١٢/ ٩٠)، ونسبه ابن السيد في «الحلل» (ص: ٢٨٥) لعمرو بن شأس الأسدي، ودون نسبة في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ١٨٤). ورواية الخليل والأصمعي: (لنابيه).

وقيل: تقديره: إنه هذان، فلم يعمل في ﴿هَٰذَٰنِ﴾.

وقيل: ﴿إِنَّ﴾ بمعنى: نعم، وفي بعض الآثار: لعن الله ناقةً حملتْني إليك، فقال له: إنَّ وصاحبَها؛ أي: نعم، قال الشاعر:

بكر العـواذلُ في الصبـا ... ح يَـلُـمْـنَـنـي وألومُهنَّهْ

ويَقُلْنَ شـيـبٌ قـد عـلا ... كَ وقد كبرتَ فقلتُ إنهْ[1]

أي: نعم.

وعلى هذين القولين اللام في ﴿لَسَٰحِرَٰنِ﴾ لام قسمٍ تأكيداً للخبر.

وقوله تعالى: ﴿يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا﴾: هو كما قال فرعون: ﴿أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ﴾ [طه: ٥٧] وقد فسَّرناه.

وقوله تعالى: ﴿وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَىٰ﴾: أي: ويَصْرِفا وجوه السادات من قومكم والأشرافِ من أهل أرضكم إلى أنفسِهما[2] فيذهبا بهم؛ أي: يُميلاهم إلى أنفسهما، فهمَّتُهما الرياسة، وهو كقولهم: ﴿أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ﴾ [يونس: ٧٨].

قـال الفـرَّاء: تقول العـرب: هؤلاء طريقـةُ قومهـم، وطرائق قومهم، قـال تعالى

---

(١) البيت لعبيد الله بن قيس الرقيات، وهو في «ديوانه» (ص: ٦٦)، و«الكتاب» (٣/ ١٥١)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٣/ ٣١)، و«اللمع» لابن جني (ص: ٤٣). وفي المصادر عدا الديوان: (في الصبوح)، ورواية الديوان:

بكرت علي عواذلي يلحينني وألومهنه

(٢) في (ف): «نفسهما».

خبراً عنهم: ﴿كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا﴾ [الجن: ١١] ويقولون في الواحد: هذا طريقةُ قومه، ونظيرةُ قومه، وجمعه: الطرائق والنظائر[١].

و﴿ٱلۡمُثۡلَىٰ﴾: تأنيث الأمثل، وهو الأفضل، والطريقةُ مؤنثةٌ لفظاً فلذلك أُنِّث نعتها.

وقيل: معناه: أنهم يقولون: أرسل معنا بني إسرائيل، وليسا يريدان به تخليصَهم عن الاستعباد، بل يريدان أن يخرجاهم من بينكم فيتكثَّرا بهم، وإنما سمَّوهم الأشراف مع أنهم كانوا يستعبدونهم؛ لشرفهم بالانتساب إلى الأنبياء.

وقيل: أرادوا به: ويذهبا بدينكم المختار، من قولهم: فلان حسن الطريقة؛ أي: المذهب، وهو كقول فرعون: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمۡ﴾ [غافر: ٢٦]، والأمثل على هذا هو الأصح، من قولهم تماثل المريض؛ أي: صحَّ.

* * *

(٦٤) ـ ﴿فَأَجۡمِعُواْ كَيۡدَكُمۡ ثُمَّ ٱئۡتُواْ صَفّٗاۚ وَقَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡيَوۡمَ مَنِ ٱسۡتَعۡلَىٰ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَأَجۡمِعُواْ كَيۡدَكُمۡ ثُمَّ ٱئۡتُواْ صَفّٗا﴾: قرأ أبو عمرو: ﴿فاجمَعُوا﴾ بألف الوصل من[٢] الجمع، وهو كما مر: ﴿فَجَمَعَ كَيۡدَهُۥ﴾ [طه: ٦٠]، وقرأ الباقون بقطع الألف من الإجماع وهو العزم[٣]، قال الشاعر:

يا ليتَ شِعري والمنى لا يَنفعُ ... هل أغدُوَنْ يوماً وأمري مُجمَع[٤]

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ١٨٥).

(٢) في (أ): «مع».

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٤١٩)، و«التيسير» (ص: ١٥٢).

(٤) البيت دون نسبة في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ١٨٥)، و«تفسير الطبري» (١٢/ ٢٣١)، و«الأضداد» =

ومعنى الأول: لا تدَعوا من كيدكم شيئاً إلا جئتُم به، ومعنى الثاني: فأَحْكِموا احتيالكم حتى لا يتبيَّنَ لِمَا يفعله موسى[1] فضلٌ على ما تفعلونه.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱئۡتُواْ صَفّٗاۚ﴾: قيل: أي: صفًّا واحداً لإلقاء حبالكم وعصيِّكم، فهو أهولُ وأهيَب.

وقيل: بل معناه: صفوفاً، فقد كان فيهم كثرةٌ؛ أي: صفًّا صفًّا.

وقيل: ﴿صَفّٗاۚ﴾؛ أي: موضعاً قد تواعَدوه كمصلَّى العيد للمؤمنين.

وقوله تعالى: ﴿وَقَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡيَوۡمَ مَنِ ٱسۡتَعۡلَىٰ﴾: أي: غلَب، فاجتهِدوا أن تستَعْلُوا ـ أي[2]: تَغلِبوا ـ فتُفلحوا؛ أي: فتفوزوا بما تَرْجونه من الزينة والعزِّ عند فرعون وقومه، فقد كانوا قالوا: ﴿أَئِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا إِن كُنَّا نَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ٤١ قَالَ نَعَمۡ وَإِنَّكُمۡ إِذٗا لَّمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ﴾ [الشعراء: ٤٢] فيحتمِل أنهم أرادوا بالإفلاح الأجرَ والقربة.

***

(٦٥ ـ ٦٦) ـ ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَلۡقَىٰ ٦٥ قَالَ بَلۡ أَلۡقُواْۖ فَإِذَا حِبَالُهُمۡ وَعِصِيُّهُمۡ يُخَيَّلُ إِلَيۡهِ مِن سِحۡرِهِمۡ أَنَّهَا تَسۡعَىٰ﴾.

﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَلۡقَىٰ﴾: أي: منَّا، وهذا على وجه الاقتدار عند أنفسهم.

وقيل: بل كان للاحترام، فنالهم بركتُه.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ بَلۡ أَلۡقُواْۖ﴾: أي: أنتم مبتدِئون فسترون، فكان وعيداً على السحر لا أمراً به.

= لابن الأنباري (ص: ٤١)، و«الصحاح» (مادة: جمع).

(١) في (ف): «بما يفعله» بدل: «لما يفعله موسى».

(٢) في (ر): «أو»، وفي (ف): «أن».

وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ﴾: وهاهنا مضمر؛ أي: فألقوا فإذا حبالُهم وعِصِيُّهُم.

﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ﴾: من الخيال؛ أي: يمثَّل عنده ﴿مِن سِحْرِهِمْ﴾؛ أي: احتيالهم وتمويههم ﴿أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾ سعيَ الحيات.

و﴿يُخَيَّلُ﴾ بالياء التي هي للتذكير؛ لكونه فعلَ السعي، فإن تقديره: يخيل إليه سعيها، أو: كونُها ساعيةً.

* * *

(٦٧) ـ ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَىٰ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً﴾: قيل: أَحسَّ ووَجد، وقيل: أَضمَر.

وقوله: ﴿فِي نَفْسِهِ﴾ الكنايةُ ترجع إلى ﴿مُوسَىٰ﴾ وقد ذكر بعده، وهو في الظاهر سبقُ الكناية على المكنيِّ، لكن قوله: ﴿فَأَوْجَسَ﴾ فعل وهو دال على الفاعل فكان مراداً مثبتاً[1] معنًى على التقديم وإن تأخَّر نظماً.

قيل: كان خوفَ طبيعةٍ، والعاقل قد يخاف طبعاً عند رؤية الأشياء الفظيعة في أول وهلة، ثم يتأمَّل فيسكن.

وقيل: لم يخف موسى أن يغلبوه، لكنْ لمَّا شاهَد الكثرة خاف أن يظنَّ بعض الناس أن الغلبة لهم، فأمَّنه الله تعالى عن ذلك بقوله تعالى: ﴿لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ﴾.

وقيل: كان لا يُلقي العصا إلا بوحي، ولمَّا أبطأ الوحي خاف تفرُّقَ بعض الناس قبل أن يؤمر بالإلقاء فلا يَعلم بغلبته كلُّ الناس.

* * *

---

(١) في (ف): «فكان مراد مبين»، وفي (ر): «فكان مراد مبيناً».

(٦٨) ـ ﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ﴾: أي: العالي، كما قال الشاعر:

فتلكَ طريقٌ لستُ فيها بأوحَدِ[1]

أي: بوحيد، فإنه لم يكن في السحر علوٌّ حتى يكونَ هو أعلى منهم.

وقيل: بل كانوا يَعْلون على الذين لا يعلمون السحر عند الناس، فتبيَّن أنه هو الأعلى، وأنه[2] الغالب لا المغلوب.

***

(٦٩) ـ ﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓاْ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَٰحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ﴾: وهو العصا، ﴿تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓاْ﴾ قرأ ابن عامر بالتشديد ورفعِ الآخِر[3] نعتاً له لا جزاءً[4]، وقرأ عاصم في رواية حفصٍ بالتخفيف وجزمِ الآخِر على الجزاء[5]، وقرأ الباقون بالتشديد والجزم[6]؛ أي: تلتقم وتبتلع ما عملوا من الحبال والعصي.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَٰحِرٍ﴾: قرأ حمزة والكسائي: ﴿كَيْدُ سِحْرٍ﴾، وقرأ

---

(١) نسب لطرفة في «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (٢/ ٣٠١)، و«تفسير الطبري» (٢٤/ ٤٧٨)، ونسبه ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٤/ ٣٣٥) للشافعي، و(٥/ ٤٩٢) لطرفة.

(٢) في (أ) و(ف): «وأنت».

(٣) بعدها في (أ) و(ف): «على التكلف».

(٤) في (ر): «لا خبراً»، والمراد بالنعت الحال والله أعلم.

(٥) «وقرأ عاصم في رواية حفص بالتخفيف وجزم الآخر على الجزاء» ليس من (ف).

(٦) انظر: «السبعة» (ص: ٤٢٠)، و«التيسير» (ص: ١١٢ و١٥٢). وقراءة ابن عامر هي من رواية ابن ذكوان عنه.

الباقون: ﴿كَيْدُ سَحِرٍ﴾[1]؛ أي: لا حقيقة له وهو تخييلٌ.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾: لا نفاذَ لِمَا يفعله، ولا فوز له بما يأمله.

﴿حَيْثُ أَتَىٰ﴾ قيل: أي: حيث كان؛ لأن الذهاب والإتيان يعبَّر بهما عن الكون، يقال: أينما ذهبت فأنت محروم أين كنتَ.

* * *

(٧٠) ـ ﴿فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا﴾: ها هنا مضمرٌ؛ أي: ألقى موسى عصاه فتلقَّفَتْها ﴿فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا﴾؛ أي: فوقعوا لله ساجدين.

قال الأخفش: من سرعةِ ما سجدوا كأنهم أُلقوا، يعني: علموا أنه ليس بسحر بل هو معجزة، فآمنوا بالله وسجدوا لله.

وقوله تعالى: ﴿قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ﴾ الذي أرسلهما، فكان إيماناً بالله ورسولَيه.

* * *

(٧١ ـ ٧٢) ـ ﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ (٧١) قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ﴾: أنكر عليهم إيمانهم توهُّماً أنه بلغ في سلطانه ونفاذ أمره المبلغَ الذي لا يجب أن يُعتقد دينٌ إلا بإذنه، وهذا غاية جهله وعظمته عند نفسه.

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٤٢١)، و«التيسير» (ص: ١٥٢).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ﴾: أي: لرئيسُكم الذي علَّمكم السحر.

﴿فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ﴾: التقطيع: تكثيرُ القَطع وتكريره، والخلاف: أن تكون اليد اليمنى مع الرِّجل اليسرى، ظنَّه تشديداً فوقع تخفيفاً.

وقوله تعالى: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾: أي: على جذوعها تشهيراً لعقوبتكم، وخصَّ النخل لطول جذوعها، ويشبَّه المفرِطُ الطولِ بالنخلة السَّحوق.

وقوله تعالى: ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ﴾: أي: لن نختارك ولن نُؤْثِـر رضاك.

وقوله تعالى: ﴿عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ﴾: من الشواهد البيِّنة أن موسى عليه السلام نبيُّهُ.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِى فَطَرَنَا﴾: وعلى الذي فطرنا؛ أي: خلقَنا وأعطانا العقل الذي ميَّزْنا به بين السحر والمعجزة.

وقيل: ﴿وَٱلَّذِى فَطَرَنَا﴾ قسَمٌ؛ أي: وحقِّ الذي خلقَنا.

﴿فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ﴾: أي فاصنَعْ ما أنت صانعٌ، وأَمْضِ ما أنت مُمْضٍ، قال تعالى: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ﴾ [فصلت: ١٢]؛ أي: صنعَهن، وقضى الأمر؛ أي: أمضاه، ومعناه: وإن صنعتَ ما صنعتَ فلسنا براجعِين.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ﴾: أي: كلُّ ما تصنعُه وتمضيه بسلطانك اليوم فإنما تصنعه في هذه الحياة الدنيا، وهو مُنْقضٍ زائلٌ، ونحن نَمضي إلى النعيم الباقي الدائم.

* * *

(٧٣) ـ ﴿إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغۡفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا﴾: أي: بالكفر والسحر وسائر المعاصي.

وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَكۡرَهۡتَنَا عَلَيۡهِ مِنَ ٱلسِّحۡرِ﴾: عطفٌ على ﴿خَطَٰيَٰنَا﴾ ولهذا الإكراهِ وجهان:

أحدهما: ما قاله الحسن: إن دعوة السلطان إكراه؛ لأنهم لو تُركوا لم يأتوه[1]، أشار إلى قوله: ﴿وَأَرۡسِلۡ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ١١١ يَأۡتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٖ﴾ [الأعراف: ١١١] فكان حشرُهم إكراهاً لهم.

والثاني: ما قال ابن عباس رضي الله عنهما، قال: غلمانٌ له كان دفَعَهم إلى السَّحَرة ليعلِّموهم السحر[2]، فلم يكن إكراهاً على عين الفعل ليزول بهم الإثم، وإنما كان الإكراه في الأصل وكانوا مختارين في الفعل فكان ذنباً فرَجَوا مغفرتَه بالإيمان.

﴿وَٱللَّهُ خَيۡرٞ﴾: ثواباً لمن آمن به وأطاعه[3] ﴿وَأَبۡقَىٰٓ﴾ عقاباً لمن عصاه، وهو ردُّ قول فرعون: ﴿وَلَتَعۡلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابٗا وَأَبۡقَىٰ﴾.

وقيل: ﴿خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ﴾ يرجعان إلى الثواب.

وقيل: ﴿وَٱللَّهُ خَيۡرٞ﴾ منك ﴿وَأَبۡقَىٰٓ﴾ سلطاناً منك.

* * *

---

(١) لم أجده عن الحسن، وذكره الرازي في «تفسيره» (٢٢/ ٧٨) عن عمرو بن عبيد دون قوله: (لأنهم لو تركوا لم يأتوه). وتعقبه بقوله: وهذا ضعيف؛ لأن دعوة السلطان إذا لم يكن معها خوف لم تكن إكراهاً.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ١١٨).

(٣) في (أ): «لمن أطاعه».

(٧٤) ـ ﴿إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا﴾: أي: وافَى القيامةَ مشركاً ﴿فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ﴾؛ أي: فإن جزاءه جهنمُ يُدخَل فيها ويعذَّب بها ﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾: لا يموت فيستريحَ ولا يحيى حياةً ينتفعُ بها.

* * *

(٧٥) ـ ﴿وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾: أي: ومَن وافى القيامة وقد عمل الصالحات بعد الإيمان ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ﴾ عند الله ﴿ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ﴾.

* * *

(٧٦) ـ ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ﴾.

ثم فسَّرها فقال: ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ﴾: أي: إقامةٍ لا خروج عنها ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾: من تحت قصورها وأشجارها المياهُ في الأنهار ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ دائمين فيها.

وقوله تعالى: ﴿وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ﴾: أي: تَطهَّر من المعاصي وتشرَّب[1] بالطاعات.

قيل: انتهى كلام السحرة عند قوله: ﴿وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ وما بعده ابتداءُ كلام من الله تعالى.

وقيل: كلُّه كلام السحرة، وإنما علموا هذا مع قُرب عهدهم بالإيمان إمَّا لسماعهم موسى كأنه حين دعاهم إلى الإيمان أخبرهم هذا، وإمَّا من بعض بني

---

(١) في (ر) و(ف): «وشرف».

إسرائيل فيما كانوا يخبِرون به مِن كلامِ مَن سلَف من الأنبياء، وقد مرت قصة موسى مع السحرة في سورة الأعراف بفوائدها.

***

(٧٧) ـ ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ﴾: أي: أوحينا إليه بعد أن تابعْنا الآيات إلى فرعون فلم يزدَدْ إلا عتوًّا ﴿أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى﴾؛ أي: أن أَخْرِج بني إسرائيل ليلاً ﴿فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا﴾؛ أي: اتَّخِذْ لهم طريقاً يابساً في البحر بضربِكَ البحرَ بعصاك، فينفلق فيصير فيه طرقٌ لقومك لكلِّ سبطٍ طريق.

وقوله تعالى: ﴿لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا﴾: فيه وأنت آمِنٌ من أن يدركك فرعون ﴿وَلَا تَخْشَىٰ﴾ غرقاً، وقرأ حمزةُ: ﴿لا تَخَفْ دَرَكاً﴾ مجزوماً على النهي، ثم قوله: ﴿وَلَا تَخْشَىٰ﴾ على الاستئناف[1]؛ كما قال تعالى: ﴿يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ﴾ بالجزم ثم قال: ﴿ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾ [الحشر: ١٢] فرفع.

ولو قيل: ﴿وَلَا تَخْشَىٰ﴾ على قراءته مجزومٌ[2] أيضاً على النهي[3] بطريقين:

أحدهما: أن الألف بعد الشين للإشباع.

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٤٢١)، و«التيسير» (ص: ١٥٢).

(٢) في (ر) و(ف): «مجزوماً».

(٣) بعدها في (ر) و(ف): «جاز»، وهو جواب «لو» على ما في هاتين النسختين، أما على ما أثبتناه من (أ) فالجواب سيأتي في آخر الكلام كما سننبه عليه إن شاء الله.

والثاني: أن بعضَ العرب لا يحذفُ حرفَ العلة للجزم؛ قال الشاعر:

هُـزِّي إليـك الجـذعَ يجنيـكِ الجنَـى[(١)]

لاستقام[(٢)].

(٧٨) ـ ﴿ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ ﴾: أي: فسَرى بهم فأَتْبعهم فرعون؛ أي: لحِقَهم ﴿بِجُنُودِهِۦ﴾؛ أي: كاد يلحقُهم.

وقوله تعالى: ﴿فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴾: أي: فأتاهم منه ما أتاهم.

وقيل: غطَّاهم منه ما غطَّاهم، وهو عبارةٌ عن تعظيمِ الأمر، يقال: أصاب فلاناً ما أصابه، ويقال: إن كان فلانٌ عصى[(٣)] فقد جرى عليه ما جرى، وهو قريبٌ من قولهم: فلانٌ ما فلان، ونظيره في القرآن: ﴿ٱلْحَآقَّةُ ۝١ مَا ٱلْحَآقَّةُ﴾ و: ﴿ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴾، وهذا بيان أنه ليس بكلامٍ مجمَلٍ لا يفهم.

وقيل: هو إشارة إلى ما ذكر قبل نزول هذه الآيات في مواضع أُخر من بيان قصتهم[(٤)]، أنهم غرقوا وغشيهم ماء البحر، فهذه إشارةٌ إلى أنه أصابهم ما بيَّنَّاه في

(١) الرجز في «معاني القرآن» للفراء (١/ ١٦١) و(٢/ ١٨٧)، و«تفسير الطبري» (١٦/ ١٢٢)، و«البسيط» للواحدي (١٤/ ٤٧٥). قال الفراء: وأنشدني بعض بني حنيفة، فذكره، وقبله:

قـال لهـا مـن تحتهـا ومـا اسـتوى

(٢) «لاستقام» من (أ)، وهي جواب «لو» في قوله: «ولو قيل: ﴿وَلَا تَخْشَىٰ ﴾...».

(٣) في (ف): «يعصي»، وفي (ر): «يقضي».

(٤) في (أ): «في موضع آخر من بيان قصصهم».

مواضع أُخر قبل هذا، ويكون هذا إذكاراً للتفصيل المتقدم، وقد بينَّا هذه القصة أيضاً في سورة الأعراف(١).

***

(٧٩) - ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ﴾: أي: عدَل بهم عن سبيل الرشاد ﴿وَمَا هَدَىٰ﴾؛ أي: ما هداهم إلى الحق؛ أي: ما أرشدهم.

وقيل: هذا إشارةٌ إلى قوله: ﴿مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ [غافر: ٢٩]، فقلَّدوا فرعون في ذلك فضلوا.

وقيل: ﴿وَمَا هَدَىٰ﴾ تقريرُ قوله: ﴿وَأَضَلَّ﴾.

***

(٨٠) - ﴿يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ قَدْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَٰعَدْنَٰكُمْ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ قَدْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ﴾: ثم بعد ما أنجاهم من فرعون وقومه، وغرق أولئك(٢)، وأنعم عليهم في التِّيه بما أنعم، ذكَّرهم آلاءه وحثَّهم على شكرها، فقال: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾؛ أي: أولادَ يعقوب ﴿قَدْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ﴾ فرعونَ.

وقيل: منه ومن قومه، ويكون العدوُّ جمعاً بمعنى الأعداء، كما قال: ﴿هُمُ ٱلْعَدُوُّ﴾ [المنافقون: ٤].

---

(١) في (ف): «وشاهد القصة أيضاً في سورة البقرة» بدل: «وقد بينا هذه القصة...».

(٢) في (ر): «وغرق فرعون وقومه» وليست العبارة في (ف).

وقوله تعالى: ﴿وَوَٰعَدْنَٰكُمْ﴾[(١)]: قرأ أبو عمرو وأهلُ البصرة وأبو جعفرٍ: ﴿ووعَدْناكم﴾، وقرأ حمزة والكسائي وخلف: ﴿أنجيتكم﴾ ﴿وواعدتكم﴾ وقرأ الباقون: ﴿أَنجَيْنَٰكُم﴾ ﴿وَوَٰعَدْنَٰكُمْ﴾[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ﴾: وهو حين أُمر موسى عليه السلام باختيار سبعين رجلاً يحضرون معه الطورَ لنزول التوراة، و﴿ٱلْأَيْمَنَ﴾ نصبٌ لأنه نعتُ قوله: ﴿جَانِبَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ﴾: أي: في التِّيه.

* * *

(٨١) - ﴿كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى ۖ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ﴾.

وقوله تعالى: ﴿كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾: أي: لذائذه، فقد كانا كذلك.

وقيل: كلوا من حلالاته، فقد كانا ينزلان لم يَجْرِ عليهما يدُ إنسان تَثْبُتُ به حرمةٌ أو شبهة.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ﴾: قيل: لا يظلمْ بعضُكم بعضاً فنأخذَه من صاحبه[(٣)].

وقيل: لا تأخذوا منه فوق الحاجة.

وقيل: لا تأخذوا فوق قُوتِ اليوم.

---

(١) في (ف): «ووعدناكم».

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٤٢٢)، و«التيسير» (ص: ٧٣ و١٥٢)، و«النشر» (٢/ ٣٢١). وقراءة يعقوب من العشرة كقراءة أبي عمرو وأبي جعفر.

(٣) في (ف): «فيأخذ من مباحه».

وقيل: لا تدَّخروا لغدٍ، إلا ما نزل يومَ الجمعة فإنه كان يُدَّخر منه لغدٍ، فإنه ما كان[1] ينزل ذلك يوم السبت.

وروي أنهم وجدوا ذلك يوماً أسمن وأحلى من كلِّ يوم، فادخروا لغدٍ ففسَد كلُّه، قال رسول الله ﷺ: «لولا بنو إسرائيل ما دوَّد طعامٌ ولا خَنَز لحمٌ»[2] يعني به هذا.

وقيل: لا تحرِّموا طيبات ما أحلَلْتُ لكم فإنه طغيانٌ كاستحلالِ الحرام.

وقيل: الطغيان كفران هذه النعمة.

وقوله تعالى: ﴿فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى﴾: قرأ الكسائي بضم الحاء، ﴿ومن يَحْلُلْ﴾ بضم اللام؛ أي: ينزل، وقرأ الباقون بالكسر[3]؛ أي: يجب، وهو وعيدٌ على الطغيان.

قوله تعالى: ﴿عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ﴾: أي: هلك.

وقيل: أي: سقط في النار، والأول من الثاني، فإن أصله السقوطُ من عُلوٍ إلى أسفلَ من غير شيء يمسكه في مَهْواه ولا يتخلص منها، وهو كقوله: ﴿إِذَا تَرَدَّىٰٓ﴾ [الليل: ١١] في المعنيين.

* * *

(٨٢) ـ ﴿وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنِّى لَغَفَّارٌ﴾: أي: كثيرُ المغفرة؛ أي[4]: أُتبع الوعيدَ الوعدَ، وعلى ذلك أكثرُ آيات القرآن؛ ليكون العبدُ بين الخوف والرجاء.

---

(١) في (ف): «فإنه كان لا».

(٢) رواه مسلم (١٤٧٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ: «لولا بنو إسرائيلَ لم يَخْبُثِ الطعامُ ولم يَخْنَزِ اللحمُ، ولولا حوَّاءُ لم تَخُنْ أُنثى زوجَها الدَّهرَ». قوله: (يخنز) بفتح النون وكسرها: تغير وأنتن.

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٤٢٢)، و«التيسير» (ص: ١٥٢).

(٤) قوله: «أي: كثير المغفرة أي» ليس في (أ).

﴿لِّمَن تَابَ﴾: قال: ابن عباس رضي الله عنهما: لمن تاب من الشرك ﴿وَءَامَنَ﴾؛ أي: وحَّد ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾: وأدى فرائضه ﴿ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾: لم يشكَّ[1].

وقال قتادة: ﴿تَابَ﴾ من الذنوب ﴿وَءَامَنَ﴾؛ أي: دام على ذلك ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾: أخلص ﴿ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾ لزم الإسلام حتى يموت[2].

وقال أبو فضيل[3] الأشعريُّ: ﴿ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾: للسنَّة والجماعة[4].

وقال الضحاك: ثم استقام[5].

وقال في رواية: ﴿ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾ لكتاب الله وسنَّة رسوله.

وقال ابن زيد: عَلِمَ كيف يعمل[6]؛ أي: عمل على وفق العلم.

وقيل: ثم عَلِم أن له ثواباً على عمله، وروي هذا عن ابن عباس رضي الله عنهما[7].

وقال القشيري رحمه الله: ﴿وَإِنِّى لَغَفَّارٌ﴾: كثير المغفرة بقليل التوبة ﴿لِّمَن تَابَ﴾

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ١٢٧).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ١٢٧ ـ ١٢٨).

(٣) في (أ): «فضل»، والمثبت من (ر) و(ف)، وكلاهما لم أجده، ولعل فيه تحريفاً، انظر التعليق الآتي.

(٤) في (ر): «لزم السنة والجماعة». وفي «تفسير الثعلبي» (٦/ ٢٥٦): (قال فضيل الناجي وسهل التستري: أقام على السنّة والجماعة). وروى ابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» (٥/ ٥٩١) نحوه عن سعيد بن جبير، ولفظه: ثمَّ استقام لِفرقةِ السُّنة والجماعة.

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٦/ ٢٥٦).

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ١٢٨) بلفظ: (أصاب العمل)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٦/ ٢٥٦) بلفظ: (تعلَّم العلم ليهتدي كيف يعمل).

(٧) رواه سعيد بن منصور والفريابي كما في «الدر المنثور» (٥/ ٥٩١).

عن الزلة ﴿وَءَامَنَ﴾: لم ير أعماله من نفسه بل بتوفيق الله ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾: لاحظ عمله بعين الاستصغار[١] وحالته بعين الاستقرار ﴿ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾ إلينا بنا[٢].

***

(٨٣ ـ ٨٤) ـ ﴿۞ وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمْ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾: يتصل بقوله: ﴿وَوَٰعَدْنَٰكُمْ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ﴾ وأضمر هاهنا: فتعجَّل موسى فقلنا له: ﴿وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ﴾.

قيل: كان اختار سبعين رجلاً للميقات بأمر الله تعالى، فتعجَّل هو وخلَّف السبعين وأمرهم أن يتَّبعوه، فقال الله: ﴿وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾؛ أي: عمَّن اخترْتَهم وهم السبعون، فـ﴿قَالَ هُمْ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى﴾ يلحقونني.

وقيل: كان وعَدهم[٣] أن يؤتيَهم الكتاب ويكلِّمَهم، فتعجَّل موسى واستخلَف هارون في بني إسرائيل ومعهم السامريُّ ليسير بهم على أَثَره فيلحقوه، فقال الله تعالى: ﴿۞ وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمْ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى﴾؛ أي: يجيئون[٤] على أثري.

وقوله تعالى: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾: أي: إلى الموضع الذي وُعِدْتُ ﴿لِتَرْضَىٰ﴾؛ أي: حرصاً على وجود رضاك بالتعجُّل إلى وعدك.

وقيل: هم أولاءِ بالقرب مني مع هارون قد استخلفتُه عليهم وعجِلْتُ أنا.

---

(١) في (ف) و(أ): «الاستغفار».

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٤٦٩ ـ ٤٧٠).

(٣) في (ر) و(ف): «وعد الله».

(٤) في (أ) و(ر): «يحبون».

وقال الحسن: ﴿هُمْ أُولَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى﴾؛ أي: ينتظرونني من بعدي ما آتيهم به، لا يعني أنهم يتبعونه(١)، ومعنى ﴿وَمَآ أَعْجَلَكَ﴾؛ أي: كيف سبقْتَهم؟

* * *

(٨٥) ـ ﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ﴾: الذين خلَّفْتَهم مع هارون عاملناهم معاملةَ المختبِر ليظهرَ منهم بفعلهم ما كان في علمنا أنهم يفعلونه.

وقوله تعالى: ﴿وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ﴾: دعاهم إلى عبادة العجل واتِّخاذه إلهًا، ونَسب الضلال له لأنه سببُه.

(٨٦) ـ ﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًاۚ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًاۚ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ﴾: أي: على قومه بما صنعوه من عبادة العجل ﴿أَسِفًا﴾: شديدَ الغضب.

وقيل: حزيناً على ما ينالهم بسببه.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا﴾: هو إنزال التوراة ليقفوا بها على ما عليهم ولهم في دينهم، ويستحقُّوا بالعمل بها الكرامةَ، ويتخلَّصوا به من العقوبة، وهو إشارة إلى قوله: ﴿وَوَٰعَدْنَٰكُمْ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ﴾.

وقيل: الوعدُ الحسن: الذي لا خُلف فيه.

وقيل: سماه حسناً لأنه كان فيه نفعُهم ورفعُهم.

---

(١) انظر: «تفسير يحيى بن سلام» (١/ ٢٧١).

وقيل: الوعد هو العهد، وهو قوله: ﴿وَلَا تَطْغَوْاْ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ﴾ الآية، بدليل قوله: ﴿أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ﴾.

وقيل: معناه: أوَطالَ عليكم الزمانُ ـ كما يقال: كان ذلك في عهد فلانٍ ـ فنسيتُم بسببِ طول الزمان ما أُمرتم به؟!

قوله تعالى: ﴿أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾: أي: أم تعمَّدتُم ذلك من غير نسيان، وفعلتُم ذلك فعلَ مَن يريد أن يقع عليه غضبُ الله تعالى بقصده خلافه[١].

وقيل: ﴿أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ﴾ بنِعَم الله عليكم[٢] من الإنجاء، وإعطاء المنِّ[٣] والسلوى، وتظليلِ الغمام، وسائرِ النِّعم التي تُوجب عليكم أن تشكروا له وتعبدوه، لا أن تعبدوا مِن دونه عجلاً، وهو كقوله: ﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحديد: ١٦] ﴿أَمْ أَرَدتُّمْ﴾ مع قرب العهد ﴿أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾.

وقيل: أوطال عليكم انتظارُ الوعد؛ لأنهم لمَّا انتظروا عشرين يوماً بلياليها عدُّوا ذلك أربعين، فكأنهم استطالوا الأربعين.

وقوله تعالى: ﴿فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي﴾: قال مجاهد: عهدي[٤]، وله وجهان:

ما عاهدتمونيه[٥] من اللحوق بي فلم تفعلوا.

الثاني: ما عاهدتُموني من الإقامة على الدين وعبادةِ الله تعالى فلم تفعلوا.

ويجوز أن يجري هذا المعنى على حقيقة الوعد: كنتم وعدتموني اللحوق بي،

---

(١) «بقصده خلافه» ليس في (ف).

(٢) في (أ): «بي وبنعم الله بما لي عليكم».

(٣) في (ر) و(ف): «والإعطاء من المن».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ١٣٢).

(٥) في (ر): «عاهدتموني».

والثاني: وعدتموني الإقامة على الدين وعبادةَ الله فلم تفعلوا[١].

وعلى هذين المعنيين يجوز إضافة الوعد إلى موسى: كنتُ واعدتُكم أن يكلمني الله بحضرتكم، وكنت واعدتُكم أن أرجع إليكم ومعي الكتاب الذي فيه شرفُكم وجمالكم ونجاتكم.

* * *

(٨٧) ـ ﴿قَالُوا۟ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ فَقَذَفْنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِىُّ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا﴾: قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر بكسر الميم، وقرأ نافع وعاصم غيرَ المفضَّل بفتحها، وقرأ حمزة والكسائيُّ وخلفٌ بضمها[٢].

وقيل: الفتح والكسر لغتان؛ كالرَّطل والرِّطل، والحَجْر والحِجْر، وهما القدرة والملك والسلطان؛ أي لم نُخلف الوعد ونحن مالكون أمورَ أنفسنا ولنا سلطانٌ على أَمْرنا نملك به الرأيَ والتدبير، بل اضطُرِرنا إلى ذلك، فإنْ كان هذا من الذين عبدوا العجل فهو إقرارٌ بالخطأ واعتذار عن الفعل، وإن كان هذا من الذين لم يعبدوه فمعناه: لم نُطقْ منعهم عن ذلك، ولم نتفرغ للُّحوق بك؛ لوقوعنا في هذا المهِمّ[٣]،

---

(١) قوله: «كنتم وعدتموني اللحوق بي والثاني وعدتموني الإقامة على الدين وعبادة الله فلم تفعلوا» من (أ)، وفي (ف) بدلاً منه: «كنتم وعدتموني الإقامة على الدين».

(٢) بعدها في (أ): «وقرأ الباقون بكسرها» وهو تكرار لا لزوم له. وانظر القراءات المذكورة في «السبعة» (ص: ٤٢٢ ـ ٤٢٣)، و«التيسير» (ص: ١٥٣)، و«والنشر» (٢/ ٣٢١ ـ ٣٢٢). وقرأ أبو جعفر بفتح الميم ويعقوب بكسرها.

(٣) في (ر): «الأمر».

أو لأن السامري لمَّا صرفهم إلى ذلك وقال: ﴿هَٰذَآ إِلَٰهُكُمۡ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ﴾ [طه: ٨٨] لم يلحقوا بك[1]، ولم يمكنَّا الانفراد باللحوق.

وقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّا حُمِّلۡنَآ﴾: قرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي وعاصم في رواية أبي بكر[2] بالفتح والتخفيف؛ أي: احتملنا، وقرأ الباقون بضم الحاء والتشديد؛ أي: حمَّلوها علينا.

﴿أَوۡزَارٗا﴾؛ أي: أحمالاً ﴿مِّن زِينَةِ﴾؛ أي: الحليِّ المستعارة من قوم فرعون.

وقيل: أي: احتملنا آثاماً بأخذِ حليِّهم ﴿فَقَذَفۡنَٰهَا﴾ عنَّا خروجاً عن إثمها.

وعلى الأول: ﴿فَقَذَفۡنَٰهَا﴾؛ أي: فطرحناها عن أنفسنا وعن أولادنا.

﴿فَكَذَٰلِكَ أَلۡقَى ٱلسَّامِرِيُّ﴾: أي: كما ألقيناها.

* * *

(٨٨) - ﴿فَأَخۡرَجَ لَهُمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٞ فَقَالُواْ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمۡ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ﴾.

قوله تعالى: ﴿فَأَخۡرَجَ لَهُمۡ﴾: أي: السامريُّ لبني إسرائيل ﴿عِجۡلٗا﴾: ولدَ بقرةٍ؛ أي: في هيئته ﴿جَسَدٗا﴾: مجسَّداً ﴿لَّهُۥ خُوَارٞ﴾؛ أي: صوتٌ كصوت العجل، ﴿فَقَالُواْ﴾؛ أي: الذين عبدوا العجل: ﴿هَٰذَآ إِلَٰهُكُمۡ﴾.

وفي التفسير: قاله السامريُّ والذين وافقهوه.

﴿هَٰذَآ إِلَٰهُكُمۡ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ﴾: أي: المستحِقُّ للعبادة.

---

(١) قوله: «لم يلحقوا بك» ليس في (أ).

(٢) في (أ): «قرأ أهل البصرة غير ورش وأهل الكوفة غير حفص» بدل: «قرأ أبو عمرو وحمزة...»، والمثبت من باقي النسخ، وهو الموافق لما في «السبعة» (ص: ٤٢٣)، و«التيسير» (ص: ١٥٣).

وقيل: قذفناها[1] في حفيرةٍ اتَّخذها السامري لذلك.

وقوله تعالى: ﴿فَنَسِيَ﴾: قيل: معناه: قال السامري: فنسي موسى أنه هو وضلَّ عنه فذهب يطلب غيره، أو: ذهب يطلبه في موضع آخر ونسي أن يذكر لكم أن هذا إلهُه.

* * *

(٨٩) - ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾.

وقيل: بل معناه: قال الله جلَّ جلالُه: فنسي السامري؛ أي: ترك دينَ الإسلام وبدَّله بعبادة العجل، أو نسي الاستدلال على أن العجل لا يجوز أن[2] يكون إلهاً، بدليل أنه قال: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾: وهذا النسيان بمعنى التركِ والإعراض عن التأمل.

﴿أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا﴾؛ أي: لا يردُّ، وهو كقوله: ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ﴾ الآية [الأعراف: ١٤٨]، وإنما لم يُنصب ﴿يَرْجِعُ﴾ بـ﴿أَنْ﴾ لإضمار الهاء، وتقديره: أنه لا يرجعُ.

وقيل: لأن (لا) بمعنى (ليس) فلم تعمل.

وقد مرت القصة بفوائدها والأقاويلِ فيها في سورة الأعراف.

وقالوا: الذهب الذي كان غنيمةً لهم صار سببَ الفتنة، فكيف بذهب الحرام والشبهة؟

وقال القشيري رحمه الله: لمَّا قالوا: ﴿اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ [الأعراف: ١٣٨] وقد رأوا عبدةَ الأصنام وكانت على صورة العجل، وسمع السامري ذلك، وتقرَّر عنده أنه مستكنٌّ في قلوبهم، صاغ العجل على تلك الصورة.

---

(١) في (ف): «فقذفناها» بدل: «وقيل: قذفناها».

(٢) «يجوز أن» من (أ).

وفيه بيان أن دقائق الهوى إذا استكنَّت في القلب، فما لم يُنقش ذلك الشركُ بمنقاش[١] الورع يخشى أن يَلقى صاحبُه يوماً فتنةً[٢].

* * *

(٩٠) ـ ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ﴾: أي: للَّذين عبدوا العجل من قبلِ رجوع موسى إليهم: ﴿يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ﴾؛ أي: إنما جَعل الله تعالى هذا العجل فتنة يمتحن به ثباتكم على الإيمان.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى﴾: أي: كونوا على ديني الذي هو الحق.

وقيل: أي: فاتبعوني في مسيري إلى موسى.

وقوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى﴾: بذلك.

* * *

(٩١) ـ ﴿قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ﴾: أي: لن نزال على هذا العجل مقيمين نعبده ﴿حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ﴾ فننظرَ هل يعبدُه كما عبدناه؟ وهل صدَق السامري فيما قال: هذا إلهكم؟

* * *

(٩٢ ـ ٩٤) ـ ﴿قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ (٩٢) أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى

---

(١) في (ر): «بمناقيش»، وفي (ف): «بمناقش».

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٤٧٢).

﴿قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِيٓ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ (٩٣).

وقوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓاْ﴾: يعني: فتركهم هارون حتى رجع موسى وخاطب قومه بما ذكرناه، ثم عاتب هارونَ فقال: ما منعك يا هارون إذ رأيتهم ضلوا ﴿أَلَّا تَتَّبِعَنِ﴾؛ أي: أن تتبعني[1] فتلحقَ بي مع مَن أطاعك ﴿أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي﴾.

وقيل: أن تتَّبعني فيما قلت لك: ﴿ٱخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٢].

وقوله تعالى: ﴿قَالَ يَبْنَؤُمَّ﴾: قرأ عاصم في رواية حفص: ﴿يَبْنَؤُمَّ﴾ بالفتح على معنى: يا ابن أمَّاه، والباقون بالكسر على معنى: يا ابن أمِّي[2].

وقوله تعالى: ﴿لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِيٓ﴾: أي: فأخذ موسى ذلك منه، كما قال في سورة الأعراف: ﴿وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ﴾ [الأعراف: ١٥٠] فحذف هاهنا اختصاراً[3].

فقال له هارون: لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي، واعتذر بقوله: ﴿إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾.

---

(١) في (ف): «أي تتبعني»، وسقطت من (ر)، والمثبت من (أ) والمراد به أن (لا) زائدة. انظر: «الكشاف» (٣/ ٨٣)، و«تفسير البيضاوي» (٤/ ٣٧).

(٢) في (أ): «قرأ ابن عامر وأهل الكوفة غير المفضل وحفص إلا الجرار بالكسر على معنى: يا ابن أمي، وقرأ الباقون بالفتح على معنى: يا ابن أماه». وانظر: «السبعة» (ص: ٤٢٣)، و«التيسير» (ص: ١١٣)، وفيهما: قرأ حمزة والكسائي وابن عامر وعاصم في رواية أبي بكر بكسر الميم، وابنُ كثير ونافع وأبو عَمْرو وحَفْص عن عاصم بفتحها.

(٣) في (أ): «اقتصارا».

قيل: أي: خفتُ إن لحقتُ بك مع الذين لم يعبدوه وخلَّفت هؤلاء أن تقول لي: فرَّقْتَهم، وكان نقلُ الكل متعذِّراً إذ قالوا: ﴿لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ﴾.

وقيل: خشيتُ أنْ لو أمرتُهم أن يتَّبعوني في اللحاق بك أن تتَّبعني طائفةٌ وتصيرَ مع العابدين طائفةٌ وتشكَّ طائفةٌ.

وقال ابن جريجٍ: خشيتُ أنْ لو عنَّفتُ عليهم أن يصيروا أحزاباً يَقتل بعضُهم بعضاً[١].

وقوله تعالى: ﴿وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾؛ أي: لم تحفَظ قولي: وأَصْلِحْ؛ أي: لم تنتظِر أمراً حادثاً به.

(٩٥ ـ ٩٦) ـ ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا۟ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ﴾: أي: ما شأنك العظيم؛ أي: ما هذا العظيمُ الذي دعاك إلى ما صنعتَ؟! أقبَلَ عليه فسأله عن الأمر[٢] موبخاً له بعدما خاطب هارونَ بما خاطب.

وقيل: معناه: ما خطبتَ وما طلبتَ بما فعلتَ؟

قوله تعالى: ﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ تَبْصُرُوا بِهِ﴾[٣]: قرأ حمزةُ والكسائي وخلف بتاء المخاطبة يخاطِبُ به موسى وقومَه، وقرأ الباقون بياء المغايبة[٤]، يعني: القومَ.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ١٤٧).

(٢) في (أ): «السبب».

(٣) في (أ): «يبصروا به».

(٤) انظر: «السبعة» (ص: ٤٢٤)، و«التيسير» (ص: ١٥٣)، و«النشر» (٢/ ٣٢٢).

وقيل: معنى كلامِه: علمتُ بما لم تعلموا به، و﴿بَصُرْتُ﴾؛ أي: صرتُ بصيراً؛ أي: عليماً، والبَصارة والبَصيرة: العلم، من بَصَر القلب.

وقيل: أي: رأيت ما لم تروه، من بَصَر العين.

ومعنى القولين: رأيت ترابَ حافر فرسِ جبريل ـ صلواتُ الله عليه ـ في البحر ولم يروه، وعلمت أنه يُحيي الجمادَ إذا ألقي فيه ولم يعلموا، أو علمت صنعة [1] العجل من الذهب ولم تعلموه.

وقوله تعالى: ﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ﴾: أي: من تراب فرس جبريل.

وقرأ الحسن: (فقبصْتُ قبصةً) بالصاد غير المعجمة[2]، والأول بجميع الكفِّ وهذا بأطراف الأصابع.

وقوله تعالى: ﴿فَنَبَذْتُهَا﴾: أي: ألقيتُها في العجل ﴿وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي﴾؛ أي: زيَّنت نفسي أن أفعله، ففعلتُه اتِّباعاً لهوايَ وهو اعترافٌ بالخطأ واعتذارٌ منه.

قال وهبٌ: وكان السامري أبصر جبريل على الرَّمَكة[3]، فقبض قبضةً من ترابِ قدمها وصيَّرها في ثوبه، وحدَّثته نفسه إنْ أخذ من موطئها[4] كان خليقاً أن يكون فيه

---

(١) في (ر): «صيغة».

(٢) في (أ): «بالصاد المعجمة من تحتها». وهذه القراءة فيها وجهان: (قُبصة) بالضم، نسبت للحسن وقتادة ونصر بن عاصم، و(قَبصة) نسبت للحسن أيضاً وجماعة. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩٢)، و«الكشاف» (٣/ ٨٤).

(٣) الرمكة: الفرس. انظر: «القاموس» (مادة: رمك).

(٤) في (ف): «مواطئها»، وفي (ر): «موطنها».

عجيبةٌ، وكان السامري من أهل باجرما من بني إسرائيل، وكان فرعون يعبد البقر وقومُه كذلك، قبل أن يقول: أنا ربكم الأعلى، وكانوا لا يعبدون إلا كلَّ بقرة فتيةٍ حسنة، فإذا كبرت أخرجوها وجاؤوا بأفتى منها، ولما مضى عشرون يوماً وعشرون ليلة ولم يرجع موسى إليهم جاءهم الشيطان وقال: إن موسى ليس من شأنه الخُلف والكذب، ولو كان هو حيًّا لرجع إليكم، فقد مضت عشرون يوماً وعشرون ليلة وذلك أربعون، فاتِّخذوا إلهاً فإنه قد مات.

فلما وقع هذا فيهم اختلفوا وتنازعوا، واجتمع أكثرهم على أن يتَّخذوا عجلاً من البقر يعبدونه، فقال لهم السامري: فلو جعلتُموه من الذهب كان أحسنَ وألطف، فاتفقوا على أن يأتيَ كلُّ واحد منهم بذهب بمثل عين الجرادة ليشتركوا في ذلك، فاتخذ السامري منه عجلاً وألقى فيه ذلك التراب، فخار، فقال السامري: هذا إلهكم وإله موسى، فاحتوَشوه وأطافوا به، وهو في ذلك لا يتحرك ولا يخطو، إلا أن ذلك الخوارَ يسمع منه، فعكفوا عليه وأحبُّوه ما لم يحبوا شيئاً قط مثلَه.

* * *

(٩٧) ـ ﴿قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا﴾.

ورجع موسى ورآهم على ذلك، فخاطبهم وخاطب هارون وخاطب السامري كما مر في هذه الآيات، ثم قال للسامري: ﴿فَٱذْهَبْ﴾ وأخرجَه من عسكر بني إسرائيل ﴿فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ﴾؛ أي: لا مماسَّةَ بينك وبين الناس ولا مخالطةَ ولا مؤاكلةَ ولا مشاربة ولا معاملة، تضييقاً عليه وعقوبة له[1]؛ كما يُفعل ذلك بالجاني الذي التجأ إلى الحرم في شريعتنا.

---

(١) «له» من (أ).

وقيل: كانت مقتصرةً على المسِّ الحقيقي دون غيره.

وقيل: كان مأموراً بأن يَهيم في البرية مع الوحوش(١) والسباع.

وقوله تعالى: ﴿فِي ٱلْحَيَوٰةِ﴾؛ أي: ما عشت ﴿أَن تَقُولَ﴾؛ أي: لمن أراد مخالطتك جاهلاً بحالك فذكِّره بهذا، وقل: ﴿لَا مِسَاسَ﴾ ليَعرف ذلك.

وقيل: كان هذا حالَه وحده.

وقيل: بقي في أولاده وهم في قرية، ولا يخالطهم غيرُهم ولا يخالطون أيضاً غيرَهم.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ﴾: قرأ ابن كثير وأبو عمرو: ﴿لن تُخْلِفَه﴾ بكسر اللام؛ أي: لا تجدُه خُلْفاً؛ قال الأعشى:

فمضت وأخلفَ من قُتيلةَ موعداً(٢)

وقرأ الباقون: ﴿لَّن تُخْلَفَهُۥ﴾ بفتح اللام على ما لم يسمَّ فاعلُه(٣)؛ أي: لن يُخْلِفكَ الله، وهو عذاب الآخرة.

وقوله تعالى: ﴿وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ﴾: أي: الذي اتخَذْتَه إلهاً.

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا﴾: أصله: ظَلِلْتَ، حذفت إحداهما للتخفيف كراهيةَ إظهار التضعيف، وهو كقول الشاعر:

---

(١) في (ر) و(ف): «بأن يقيم في البرية والوحوش».

(٢) انظر: «ديوان الأعشى الكبير» (ص: ٢٧٧)، و«مجاز القرآن» (٢/ ١٠٧)، و«أدب الكاتب» (ص: ٤٤٧)، و«الكامل» للمبرد (٢/ ٤٣)، و«تفسير الطبري» (١٨/ ٢٦١)، وجاء في المصادر عدا «مجاز القرآن»: (فمضى)، وصدره:

أَثْوَى وقَصَّرَ لَيْلَهُ لِيُزَوَّدَا

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٤٢٤)، و«التيسير» (ص: ١٥٣).

خــلا أن العتــاق مــن المطايــا أَحَسْــنَ بــه فهــنَّ إليــه شُــوسُ[1]

أي: أَحْسَسْنَ.

ومعناه: أمضيتَ نهارك وأنت وأصحابُك عاكفينَ على عبادته.

وقوله تعالى: ﴿لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ﴾: بالتشديد؛ أي: بالنار، وبالتخفيف على قراءة عليٍّ رضي الله عنه[2]؛ أي: لنَبْرُدنَّه بالـمِبْرَد ـ والصرفُ من بابِ دخل وضرب ـ وهو طريقُ تحريقه، فإن النار لا تعمل في الذهب بالتفريق إلا بهذا الطريق.

وقيل: قد يُجعل عليه شيءٌ إذا جُعل في النار عَمِلت فيه وصيَّرته رماداً، ويَعرف ذلك أهل الصنعة.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ﴾: أي: لنُذَرِّينَّه ﴿فِى ٱلْيَمِّ﴾؛ أي: البحر ﴿نَسْفًا﴾ تأكيدٌ له بالمصدر، وقد نَسَف الطعام بالـمِنْسَف[3]: إذا ذرَّاه ليطير عنه قشورُه.

* * *

---

(١) البيت لأبي زبيد الطائي، كما في «شرح كتاب سيبويه» للسيرافي (٥/ ٤٧٢)، و«المحتسب» لابن جني (١/ ٢٦٩) و(٢/ ٧٦)، و«الأمالي» لابن الشجري (١/ ١٤٦)، ودون نسبة في «مجاز القرآن» (٢/ ٢٨)، و«المقتضب» للمبرد (١/ ٢٤٥)، و«تفسير الطبري» (١٦/ ١٥٤)، و«معاني القرآن» للزجاج (١/ ٤١٦). والبيت من أبيات في وصف قوم سروا والأسد يقفو آثارهم لينتهز منهم فرصة. وقال ابن الشجري: الأشوس: الذى ينظر بأحد شقّي عينيه تغيُّظاً، وقيل: هو الذى يصغِّر عينيه ويضمُّ أجفانه، والهاء التي في «به» و«إليه» تعود على الأسد، ولأبي زبيد معه حديث.

(٢) أي: ﴿لنَحْرُقنه﴾ بفتح النون وضم الراء، وهي قراءة أبي جعفر من العشرة من رواية ابن وردان عنه، وقرأ في رواية ابن جماز: ﴿لنُحْرِقنه﴾ بضم النون وكسر الراء. انظر: «النشر» (٢/ ٣٢٢).

(٣) في هامش (أ): «المنسف: غربال».

(٩٨) ـ ﴿ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴾: أي: عمَّ فعلِم كلَّ شيء، ولا يخفى عليه خافيةٌ، فهو المستحِقُّ للعبادة، لا العجلُ الذي لا علمَ له ولا قدرة.

قال وهبٌ: لمَّا وقف موسى على العجل حمل صخرة فشدَخ بها رأسه، ثم كسره، ثم وضعه في مِرْجَلِ نحاسٍ، ثم لم يزَلْ يُوقِدُ حتى أحرقه، ثم طحنه وجمع إليه عبَدته وقال لهم: انظروا إلى ما صار إليه أمرُ إلهكم، لو كان إلهاً كما زعمتُم ما احترق ولا انْطَحَن ولا أطاقه موسى، ثم أمر السامريَّ فبال عليه في ذلك ليصغِّره إليهم ويحقِّره عندهم، فعندها[1] قالوا: ادعُ لنا ربَّك يَتُبْ علينا ويغفرْ لنا، فأوحى الله إلى موسى: إن في قلوبهم مرضاً من حب العجل لم يخرج منها بعدُ، فانبِذْ طحين العجل في اليم ثم مُرهم فليشربوا منه، فإن ذلك يبين لهم[2] أمرهم.

ففعل وشربوا، فلم يبقَ منهم أحد كان في نفسه حبُّ العجل إلا اصفرَّ لونه وورم وجهُه وحَبِنَ بطنه[3]، فقالوا: يا موسى! لا تُخرجُنا منه إلا توبةٌ خالصة، فمُرنا بما شئتَ فإنك لو أمرتَنا أن نقتل أنفسنا لفعلنا، وكان ذلك هيناً علينا لرِضى ربِّنا.

فأوحى الله تعالى إليه: إني قد حكمتُ عليهم بالتوبة التي حكَموها على أنفسهم، لا أقبلُ منهم توبةً غيرَها، وإن لم يفعلوا مددتُ لهم في هذا السَّقم وغمرتُهم فيه لا أُميتهم ولا أخفِّفُ عنهم.

---

(١) «فعندها» زيادة من (ف).

(٢) في (ر): «لك».

(٣) أي: انتفخ، قال في «القاموس» (مادة: حبن): الحَبَن محركة: داء في البطن يعظُم منه ويَرِم، وقد حبن كعُنِيَ وفَرِح حَبْنا، ويحرك.

فلما رأوا الجِدَّ واشتدَّ عليهم السَّقَم، أخذوا الخناجر فنحروا أنفسهم، فكانت عِدَّةُ قتلاهم يومئذٍ سبعين ألفاً، وبقيت طائفةٌ رُحموا وكُشف عنهم، وجَعل الله تلك البليَّةَ[1] شهادةً لقتلاهم وتوبةً لمن بقي منهم.

* * *

(٩٩) ـ ﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ﴾: أي: يا محمدُ كما قصَصْنا عليك هذه القصةَ نقصُّ عليك قِصصَ مَن سبَق من الأنبياء والأمم؛ لنُعْلِمك ما لم تكن تعلمُ أنه لك مَسْلاةً وتثبياً[2].

وقوله تعالى: ﴿وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا﴾: أي: وقد أعطيناك من عندنا كتاباً فيه ذكرُ ما بالناس حاجةٌ إليه من أمور دِينهم ودنياهم، وفيه وعظٌ لمن يتذكَّر، وشرفٌ لقومك إذ هو بلسانهم، والذكر اسمٌ لكلِّ ذلك.

وقال الإمام القشيري رحمه الله: قوله: ﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ﴾ لتعلَم أنَّا لم نبلِّغْ أحداً مَبْلَغكَ، وأنه لم يكن منَّا لأحدٍ مِثْلُ ما لك، نحفظُ سرَّك ونُخفي أمرك ونُطلِعك على أحوال الكافَّة، ولم نُطْلِع أحداً على سرِّك[3].

* * *

(١٠٠ ـ ١٠١) ـ ﴿مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾ خَٰلِدِينَ فِيهِ ۖ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ﴾: أي: عن هذا الذكر فلم يَقبلْه ولم يَعمل به

---

(١) في (ر) و(ف): «الليلة».

(٢) في (ر): «وتنبيهاً».

(٣) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٤٧٦).

﴿فَإِنَّهُۥ يَحۡمِلُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وِزۡرًا﴾؛ أي: حملاً ثقيلاً، وهو إثمُ الكفر[١] بالقرآن.

وقوله تعالى: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهِ﴾: أي: مؤبَّدين في عذاب ذلك الوِزر، والعذابُ مضمَرٌ.

وقيل: في ذلك الوزر، وهو الحِمل.

وقوله تعالى: ﴿وَسَآءَ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ حِمۡلٗا﴾: أي: وما أسوأَ هذا الوِزْرَ حِملاً لمن أعرضَ عنه.

* * *

(١٠٢) ـ ﴿يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِۚ وَنَحۡشُرُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ يَوۡمَئِذٖ زُرۡقٗا﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ﴾: بدلٌ عن قوله: ﴿يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ حِمۡلٗا﴾ وهو[٢] بيان للنفخة الثانية التي هي للبعث.

وقرأ أبو عمرو: ﴿نَنفخ﴾ بالنون مفتوحةً[٣]؛ لموافَقةِ ما بعدَه.

وقوله تعالى: ﴿وَنَحۡشُرُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ يَوۡمَئِذٖ زُرۡقٗا﴾: قيل: ازْرَقَّت عيونهم من شدة العطش.

وقيل: أي: عَمِيتْ؛ كما قال: ﴿وَنَحۡشُرُهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ عُمۡيٗا﴾[الإسراء: ٩٧] كأنها تُرى زرقاً وهي عمياءُ.

وقيل: أي: نُشوِّه خلقتَهم فتسودُّ وجوهُهم وتَزرقُّ عيونُهم.

* * *

(١٠٣ ـ ١٠٤) ـ ﴿يَتَخَٰفَتُونَ بَيۡنَهُمۡ إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا عَشۡرٗا ﴿١٠٣﴾ نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذۡ يَقُولُ أَمۡثَلُهُمۡ طَرِيقَةً إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا يَوۡمٗا﴾.

---

(١) في (أ): «الكفران».

(٢) في (ف): «وهذا».

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٤٢٤)، و«التيسير» (ص: ١٥٣).

وقوله تعالى: ﴿يَتَخَٰفَتُونَ بَيۡنَهُمۡ﴾: أي: يتسارُّون(١) فيما بينهم.

وقوله تعالى: ﴿إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا عَشۡرٗا﴾: أي: ما لبثتُم في الدنيا إلا عشرَ ليالٍ بأيامها؛ أي: لعظيمِ ما عاينوا من الأهوال يخيَّل إلى بعضهم أنهم لم يعيشوا في الدنيا إلا عشرةَ أيام.

وقوله تعالى: ﴿نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذۡ يَقُولُ أَمۡثَلُهُمۡ طَرِيقَةً إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا يَوۡمٗا﴾: أي: لا يخفى علينا ما يتسارُّون(٢) به وإن كان همساً، إذ يقول أفضلُهم حالاً ومذهباً عند نفسه وعند أصحابه في العلم والحفظ والتذكُّر(٣): ما لبثتُم إلا يوماً، وهو كقوله: ﴿كَأَنَّهُمۡ يَوۡمَ يَرَوۡنَهَا لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوۡ ضُحَىٰهَا﴾ [النازعات: ٤٦]، وكقوله: ﴿قَٰلَ كَمۡ لَبِثۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ عَدَدَ سِنِينَ ١١٢ قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖ﴾ [المؤمنون: ١١٢ ـ ١١٣].

وقال الحسن: يقلِّلون لبثَهم في الدنيا لطولِ ما هم لابثون في النار(٤).

***

(١٠٥ ـ ١٠٦) ـ ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡجِبَالِ فَقُلۡ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسۡفٗا ١٠٥ فَيَذَرُهَا قَاعٗا صَفۡصَفٗا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡجِبَالِ﴾: أي: سيسألونك عن الجبال: ما يصنع الله بها في هذا اليوم؟ كذلك قال الحسن: إن مشركي العرب سألوا النبي ﷺ فقالوا:

---

(١) في (ر) و(ف): «يتشاورون».

(٢) في (ر) و(ف): «يتشاورون».

(٣) في (أ): «والذكر».

(٤) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٤٢٥) بلفظ: إن لبثتم في الدنيا إلا عشراً؛ لما شاهدوا من سرعة القيامة.

فكيف هذه الجبال في اليوم الذي تذكر؟ فنزلت الآية: ﴿فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا﴾[1] ولذلك أجاب بالفاء، وتقديره: إذا سألوك فقل.

وأما في سائر السؤالات فلم يذكر الفاء في جواب: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى﴾ [البقرة: ٢٢٢]، و: ﴿عَنِ ٱلْيَتَـٰمَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ﴾ [البقرة: ٢٢٠]، و: ﴿عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَآ﴾ [البقرة: ٢١٩]، و: ﴿عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا﴾ [الأعراف: ١٨٧]، و: ﴿عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ﴾ [الإسراء: ٨٥]، و: ﴿عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا۟﴾ [الكهف: ٨٣]؛ لأنها سؤالاتٌ تقدَّمت فورد جوابها، ولم يكن فيه معنى الشرط والجزاء فلم يذكر الفاء.

﴿يَنسِفُهَا﴾ قال الخليل: يقلَعُها[2].

وقال أبو عبيدة: يستأصلها ويُطيِّرها[3].

وقيل: يذهب بها ولا يُبقي منها شيئاً.

وقيل: يجعلها كالرمل ثم يرسل عليها الرياح فيذرِّيها ويفرِّقها؛ كما في قوله: ﴿ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا﴾ [طه: ٩٧] وهو كقوله: ﴿وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ۝٥ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا﴾ [الواقعة: ٥ ـ ٦].

وقوله تعالى: ﴿فَيَذَرُهَا﴾: أي: فيدعُ مواضعها ﴿قَاعًا﴾: أرضاً ملساء ﴿صَفْصَفًا﴾: مستويةً.

---

(١) ذكره السمعاني في «تفسيره» (٣/ ٣٥٥).

(٢) انظر: «البسيط» (١٤/ ٥٢١) وعزاه للكلبي. وقاله الهروي في «الغريبين» (مادة: نسف)، والثعلبي في «تفسيره» (٦/ ٢٦٠)، والبغوي في «تفسيره» (٥/ ٢٩٤).

(٣) انظر: «مجاز القرآن» (٢/ ٢٩).

قال ابن عباس ومجاهد وابن زيد: ﴿قَاعًا صَفْصَفًا﴾: مستوياً أملسَ لا نباتَ فيه ولا حجارة ولا حصًى[١].

***

(١٠٧ ـ ١٠٨) ـ ﴿لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ لَا عِوَجَ لَهُۥ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا﴾: اعوجاجاً ﴿وَلَآ أَمْتًا﴾؛ أي: تفاوتاً بارتفاع وانخفاض، وقيل: اضطراباً؛ يقال: مد حبلَه حتى ما ترك فيه أمتاً، وملأ سقاءَه حتى ما ترك فيه أمتاً؛ أي: انثناءً. وقال الشاعر:

مـا فـي انجـذابِ سـيرِه مـن أَمْـتِ[٢]

وقيل: الأمت: غلظُ موضعٍ وسهولةُ موضعٍ، يقول: ليس فيها أودية ولا جبال بحيث ينظر الناظر فيها فلا يرى بعضها، أو يسير السير فيها فيحتاج إلى[٣] أن يميل يمنةً أو يسرةً.

وقال مقاتل: ﴿قَاعًا﴾: لا تراب فيه[٤].

وقيل: ﴿قَاعًا﴾: صحراء ﴿صَفْصَفًا﴾: لا شجر فيه ولا جبل.

---

(١) رواه عنهم الطبري في «تفسيره» (١٦/ ١٦٣).

(٢) الرجز للعجاج كما في «تهذيب اللغة» (١٤/ ٢٤٣)، ودون نسبة في «غريب الحديث» للحربي (١/ ٢١٥)، و«تفسير الطبري» (١٦/ ١٦٧)، و«النكت والعيون» (٣/ ٤٢٧)، وروايته في المصادر عدا الطبري:

مـا فـي انطـلاقِ رَكْبِـه مـن أَمْـتِ

(٣) «إلى» من (ف).

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٤١).

وقيل: ﴿عِوَجًا﴾ بالشقوق و﴿أَمْتًا﴾ بالتلال.

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ﴾: أي: داعي اللهِ تعالى إلى الموقف، قيل: هو إسرافيل بالنفخ في الصور على صخرةِ بيت المقدس.

وقوله تعالى: ﴿لَا عِوَجَ لَهُ﴾: أي: لا انحرافَ عنه، بل يستقيمون سراعاً إليه، كما قال: ﴿مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ﴾ [القمر: ٨] وقال: ﴿سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ﴾ [المعارج: ٤٣].

وقوله تعالى: ﴿وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ﴾: أي: خضع الناس وسكنوا لهيبةِ الرحمن، فلا تعلو أصواتهم.

﴿فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾: قيل: أي: صوتاً خفيًّا؛ كما قال تعالى: ﴿يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ﴾ [طه: ١٠٣].

وقيل: إلا نَفَساً. وقيل: إلا أنيناً.

وقيل: ﴿إِلَّا هَمْسًا﴾؛ أي: صوتَ أقدامهم مشياً إلى الداعي، فأمَّا أن ينطقوا فقد شغلتهم هيبةُ ذلك اليوم عن النطق، وهذا في حال إجابة الداعي، ثم يتكلَّمون في موقف السؤال.

وقال مجاهد: الهمس: إخفاءُ الكلام(١).

وقال الحسن: الهمس: صوتُ الأقدام(٢).

قال أبو زبيد الطائي يصفُ الأسد:

فباتــوا غافليــن وبــات يَسْــري ... بصيــرٌ بالدُّجَــى هــادٍ همــوسُ(٣)

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ١٦٩) بلفظ: (تخافت الكلام)، وفي رواية (خفض الصوت).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ١٦٩) بلفظ: (وطء الاقدام)، وفي رواية: (همس الأقدام).

(٣) البيت في «غريب الحديث» للحربي (٣/ ١١٠٩)، و«الزاهر» لابن الأنباري (٢/ ٦٥)، و«مقاييس =

وقال الإمام القشيري رحمه الله تعالى في قوله: ﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ﴾ قال: تنقطعُ الأوهام، وتقف الأفهام، وتنحسر العقول، ويندرس العلم، وتتحيَّر المعارف، وتتلاشى نعوت الخلق، ويستولي سلطان الحقيقة، فعند ذلك لا عينٌ ولا أثر، في الحضور خرس، وفي البساط فناء، وإنما الصيحة على الباب(١).

* * *

(١٠٩) ـ ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوْلًا﴾.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوْلًا﴾: أي: ﴿لا تنفع الشفاعة﴾ مشفوعاً له ﴿إِلَّا﴾ أن يكون الشافعُ قد ﴿أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ في الشفاعة ﴿وَرَضِيَ لَهُۥ قَوْلًا﴾؛ أي: رضي ما يقوله من الشفاعة، بأنْ تكون شفاعتُه لمن يجوز أن يُغفر له، وهو المسلم دون الكافر، وهو كقوله: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وقيل: أي: ﴿لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا﴾ لـ﴿مَنْ أَذِنَ﴾ الله بالشفاعة فيه ﴿وَرَضِيَ﴾ للمشفوع ﴿لَهُۥ قَوْلًا﴾؛ أي: يكون المشفوع له ممن رضي الله قوله في الدنيا، وهو إن كان قائلاً كلمة الشهادة معتقِداً لها(٢)، وهو كقوله: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سبأ: ٢٣]، وقال: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨].

وقيل: هذا في ردِّ مَن يعبد الملائكة طمعاً في شفاعتهم، وهو كقوله: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ﴾ [النجم: ٢٦].

= اللغة» لابن فارس (٢/ ٣٣٨)، والرواية في المصادر: (فباتوا يدلجون وبات...)، وقد تقدم قريباً بيت آخر من القصيدة، وذكرنا ثمة قصتها.

(١) «وإنما الصيحة على الباب» من (أ). وانظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٤٧٧)، وفيه: (... وعلى البساط فناء، وللرسوم امتحاء، وإنما الصحة على الثبات).

(٢) في (ر): «فتنفعه» بدل: «معتقداً لها».

(١١٠ ـ ١١١) ـ ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾ ۞ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾: هم الملائكة ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ الساعة ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ الدنيا.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾: أي: بعِلْم[1] ذلك، وهو مذكور في قوله: ﴿يَعْلَمُ﴾ دلالةً.

وقيل: ﴿بِهِۦ﴾؛ أي: بما أحاط به علم الله.

وقيل: ﴿بِهِۦ﴾؛ أي: بالرحمن، فقد ذُكر قبله؛ أي: لا يحيطون علماً بالله فإنه ليس بمحاط به، بل يعلمون الله بما تبلغُه عقولهم وما أعلمَهم من ذلك.

وقوله تعالى: ﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ﴾: أي: خضعت وذلَّت، وكنَى بالوجوه عن الناس؛ لأن آثار الخضوع والذل[2] في الوجوه؛ كما قال: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍۭ بَاسِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢ ـ ٢٤].

﴿لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ﴾: لله الواحدِ القهار، الحيِّ القيوم الذي لا يموت، وهو قائمٌ بتدبير خلقه، وقائم على كلِّ نفس بما كسبت.

وقوله تعالى: ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾: أي: يئس من رحمة الله وثوابه مَن[3] حَمَل إلى موقف القيامة ظلماً؛ أي: شركاً، وهو وضعُ العبادة في غير موضعها.

***

---

(١) في (أ) و(ر): «يعلم»، وسقط هذا الموضع من (ف)، والصواب المثبت.

(٢) في (أ): «الذل والخشوع».

(٣) في (ف): «أي: ليس يئس من رحمة الله وثوابه إلا من».

(١١٢ ـ ١١٣) ـ ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا (١١٢) وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾: ولم يحمل ظلماً ﴿فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا﴾ قال الضحاك: هو أن يُزاد في سيئاته ﴿وَلَا هَضْمًا﴾؛ أي: يُنقص من حسناته[1].

وقد هضمَني فلانٌ حقِّي؛ أي: نَقَصَني، وامرأةٌ هَضيمُ الحشا؛ أي: ضامرةٌ، والضمور: نقصانٌ عن حدِّ غيره، وقد هضَمتِ المعدة الطعامَ؛ أي: غيَّرته ونَقَصتْه.

وقرأ ابن كثير: ﴿فلا يَخَفْ﴾ على النهي[2]، وهو بمعناه.

وقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾: أي: وكالذي قدَّمنا ذكره أنزلنا عليك هذه السورةَ قرآناً بلغة العرب ليَعقلوه.

وقوله تعالى: ﴿وَصَرَّفْنَا فِيهِ﴾؛ أي: القولَ ﴿مِنَ الْوَعِيدِ﴾: بأنواع العذاب ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾: ما خوَّفتهم به ﴿أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾: أو يجدِّدُ لهم ذكرَ نِعم الله تعالى.

وقيل: تذكُّراً واتِّعاظاً[3].

وقيل: شرفاً، و﴿أَوْ﴾ بمعنى الواو.

* * *

(١١٤) ـ ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾.

---

(١) ذكره الواحدي في «البسيط» (١٤/ ٥٣٧ ـ ٥٣٨).

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٤٢٤)، و«التيسير» (ص: ١٥٣).

(٣) في (ر) و(ف): «وإيقاظاً».

وقوله تعالى: ﴿فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ﴾: تنزَّه الله عما أضافه إليه المشركون مما لا يليق به، وهو الملك الحق، فهو الغني الذي لا يَلحقه حاجةٌ، وملوك الخلق محتاجون، فليسوا ملوكاً(١) على الحقيقة.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ﴾: هو كقوله: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾ [القيامة: ١٦]، وكان لحرصه(٢) على أخذ القرآن عن جبريل يَعْجَل بقراءته قبل استتمام جبريل إيحاءَه إليه، فقال الله تعالى: لا تعجل به إلى أن يتم وحيُه وإلقاؤه إليك.

وقيل: ولا تَعْجَلْ بقراءته على أصحابك قبل أن يبين(٣) لك معناه.

﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾: بفوائده.

وقال الإمام القشيري رحمه الله: كان رسول الله ﷺ أعلمَ البشر، وممن شهد له الحقُّ بخصائص العلم بقوله: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾ [النساء: ١١٣]، ثم قال له: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾ ليُعلَمَ أن ما يخصُّ الله تعالى به أنبياءه وأولياءه من لطائف العلوم لا حصر له.

وقال: طلب موسى زيادة العلم فأُحيل على الخضر، وكان أولُه: ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٦٧] وآخرُه: ﴿هَـٰذَا فِرَاقُ بَيْنِى وَبَيْنِكَ﴾ [الكهف: ٧٨]، ولما احتاج نبيُّنا ﷺ لزيادة العلم قال له: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾، ولم يُحِلْه إلى غيره، فشتَّان ما بين المنزلتين.

---

(١) في (ف): «فاستوى ملكاً» بدل: «فليسوا ملوكاً».

(٢) في (أ): «يُحرِّضه»، وفي (ف): «يحركه».

(٣) في (ر): «يتبين»، وغير واضحة في (أ).

وقال[١]: ولمَّا قال ﷺ: «أنا أعلمُكم بالله وأخشاكم له»[٢]، قال تعالى له: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ فنقله عن الدعوى إلى التضرُّع والدعاء[٣].

* * *

(١١٥) ـ ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ﴾: أي مِن قبلِ هؤلاء الذين صرَّفنا لهم الوعيد في القرآن، وهذا تسليةٌ للنبي ﷺ، وتعريفٌ له أن طاعة بني آدم للشيطان وتَرْكَهم التحفُّظَ عن وساوسه أمرٌ قديم، فلا يُهِمَّنك.

﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ﴾؛ أي: أوصينا وأَمَرْنا، وهو قوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ﴾ [طه: ١١٧].

قوله تعالى: ﴿فَنَسِيَ﴾: أي: خَفِيَ عليه الحال ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾: أي: قصداً.

ومنهم مَن قال: ﴿فَنَسِيَ﴾؛ أي: ترك ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾؛ أي: ثباتاً على العهد.

وقد بينَّا في سورة البقرة تفسير الزلة وأقاويلَ الناس فيها وما هو الصحيح منها.

* * *

(١١٦ ـ ١١٧) ـ ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ﴾.

---

(١) «وقال» من (أ).

(٢) » رواه البخاري (٢٠)، ومسلم (١١١٠) من حديث عائشة رضي الله عنها ولفظ البخاري: «إن أتقاكم وأعلمكم بالله أنا»، وهو عند مسلم بلفظ: «والله إني لأرجو أن أكون أخشاكم لله وأعلمكم بما أتقي».

(٣) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٤٨٠).

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ﴾: فسَّرناه في سورة البقرة أيضاً.

وقوله تعالى: ﴿فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ﴾: لم يسجد لك ولم يَرَ فضلك، وقال: ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ﴾ [الأعراف: ١٢].

قوله: ﴿وَلِزَوْجِكَ﴾؛ لأنها سكنُك وموضعُ أُنْسك، فصار عدوًّا لها بعداوتك.

وقوله تعالى: ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا﴾: أي: فلا يكونَنَّ[1] سبباً لخروجكما بأنْ تطيعاه فيما يوسوسُ إليكما في مخالفةِ أمري.

وقوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلْجَنَّةِ﴾: أي: هذه الجنة التي أنتما فيها ﴿فَتَشْقَىٰٓ﴾؛ أي: فتتعبَ في الدنيا بالكسب، ولذلك قال: ﴿فَتَشْقَىٰٓ﴾ ولم يقل: فتشقيا؛ لأن الكسب على الزوج خاصة.

* * *

(١١٨ ـ ١٢٠) ـ ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا﴾: أي: في الجنة ﴿وَلَا تَعْرَىٰ﴾؛ أي: عن الملابس؛ أي: هي مُعدَّةٌ فيها أبداً، وكذا الطعام.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ﴾: قرأ عاصم في رواية أبي بكر ونافعٌ: ﴿وإنَّك﴾ بالكسر عطفاً على قوله: ﴿إِنَّ لَكَ﴾، وقرأ الباقون بالفتح عطفاً على قوله: ﴿أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا﴾[2].

---

(١) في (أ): «تكونن».

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٤٢٤)، و«التيسير» (ص: ١٥٣).

و﴿لَا تَظْمَؤُا﴾: ولا تعطش؛ لوجود الأشربة فيها.

﴿وَلَا تَضْحَىٰ﴾؛ أي: لا تبرز للشمس؛ لأنك في منازل الجنة، وفي ظلٍّ ظليلٍ لا شمسَ فيها ولا زمهرير.

وقوله تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾: فسرناه في أول سورة الأعراف.

وقوله: ﴿لَّا يَبْلَىٰ﴾؛ أي: لا يضعف ولا ينقطع كالثوب إذا بَلِي.

***

(١٢١) ـ ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ﴾: فسَّرناه هناك أيضاً.

وقوله تعالى: ﴿وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ﴾: العصيان: وقوع الفعل على خلاف الأمر والنهي، وقد يكون عمداً فيكونُ ذنباً، وقد يكون خطأً فيكون زلةً، وقد أوضحنا ذلك في سورة البقرة.

﴿فَغَوَىٰ﴾؛ أي: تغيَّر حاله عليه، قال الشاعر:

فمَن يَلْقَ خيراً يَحْمَدِ النَّاسُ أَمْرَهُ ... ومَن يَغْوِ لا يَعْدَمْ على الغيِّ لائِمَا[1]

جعل الغيَّ في مقابلةِ لقاء الخير.

---

(١) البيت للمرقش الأصغر. انظر: «المفضليات» (ص: ٢٤٧). وتقدم عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾.

ويقال: ﴿فَغَوَىٰ﴾؛ أي: فجهل موضعَ الحظِّ، قال امرؤ القيس:

فقالــت يميــنُ اللهِ مــا لَــكَ حيلــةٌ وما إنْ أَرَى عنكَ الغِوَايـةَ تَنْجَلِي[1]

أي: الجهالةَ.

* * *

(١٢٢ ـ ١٢٣) ـ ﴿ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ﴾: أي: اختاره.

وقال القشيري رحمه الله: إن الذي اصطفاه أولاً بلا علَّة، اجتباه ثانياً بعد الزلَّة[2].

قوله: ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ﴾: وفقه للرجوع إليه ﴿وَهَدَىٰ﴾؛ أي: وهداه إلى الاعتذار والاستغفار؛ قال تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾ [البقرة: ٣٧] وقال: ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ﴾: فسرناه أيضاً هناك في الأعراف.

﴿فَلَا يَضِلُّ﴾: في الدنيا ﴿وَلَا يَشْقَىٰ﴾: في الآخرة.

وقيل: لا يضلُّ عن الجنة، ولا يشقى في النار.

وهذا[3] لمن اتَّبع الهدى؛ أي: الكتاب. وقيل: أي: الرسول.

* * *

(١) انظر: «الديوان» (ص: ٣٨)، و«شرح القصائد السبع» لابن الأنباري (ص: ٥٢).

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٤٨٥).

(٣) في (ر) و(ف): «وقيل هذا».

(١٢٤ ـ ١٢٥) ـ ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ الْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي﴾: أي: كتابي فلم يَقبله ولم يعمل به، بخلافِ مَن اتَّبع الهدى.

وقيل: هو الإعراض عن قراءته حتى ينساه.

وقيل: عن توحيدي كما قال: ﴿حَتَّىٰ نَسُوا الذِّكْرَ﴾ [الفرقان: ١٨].

وقيل: عن طاعتي؛ كما قال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢].

وقيل: عن العلم؛ كما قال: ﴿فَسْـَٔلُوٓا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾ [النحل: ٤٣].

وقيل: عن الذكر باللسان؛ كما قال: ﴿اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤١].

وقيل: عن الذكر بالقلب؛ كما قال: ﴿ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٣٥].

وقيل: أي: عن وعظي؛ كما قال: ﴿أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾ [طه: ١١٣].

وقيل: عن الصلاة؛ كما قال تعالى: ﴿لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَـٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [النور: ٣٧]، وقوله: ﴿إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى﴾ وقوله: ﴿فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الجمعة: ٩].

وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾: أي: ضيقةً، قال مجاهد: أي: في الدنيا[(١)].

ومعناه: أنهم إذا كانوا لا يعتقدون الخَلَف في الإنفاق ضيَّقوا على أنفسهم[(٢)]،

---

(١) لم أجده بهذا اللفظ، وروى الطبري في «تفسيره» (١٦/ ١٩٣) عنه قوله: ﴿ضَنكًا﴾: ضيقة. وروى عنه عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم قوله: ﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ قال: رزقا. انظر: «الدر المنثور» (٥/ ٦٠٩).

(٢) بعدها في (ر) و(ف): «في الإنفاق».

وإذا أنفقوا ولم يرجو خَلَفاً ضاقت عليهم القلوب، والمؤمن يتَّسع قلبه في ذلك لرجاء الخَلَف والثواب، ويطيب بالقناعة.

وقال أبو سعيد الخدري وأبو هريرة رضي الله عنهما: هي عذاب القبر(١).

وقال قتادة: هي النار(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾: قيل: أي: عن الحجة والحيلة والاهتداء إلى ما ينفعه.

وقيل: يحشر بصيراً إلى أن يحاسب ويقرأ الكتب، ثم يصير أعمى، ثم يساق إلى النار(٣).

قوله: ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا﴾: أي: يا ربِّ، لم عاقَبْتَني بهذا؟ وبأيِّ ذنبٍ أعميتَني؟ يظنُّ أنه لم يكن له ذنب.

وقيل: هذا قبل أن يَظهر خطأُ ما كان عليه في الدنيا: وقد كنتُ بصيرَ العين في الدنيا.

---

(١) رواه عن أبي سعيد رضي الله عنه موقوفاً عبد الرزاق في «تفسيره» (١٨٤٤)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٤٨٣٧)، والطبري في «تفسيره» (١٦/ ١٩٦). ورواه الحاكم في «المستدرك» (٣٤٣٩) مرفوعاً وصححه.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه رواه موقوفاً عبد الرزاق في «المصنف» (٦٧٠٣)، وهناد في «الزهد» (٣٥٤)، والطبري في «تفسيره» (١٦/ ١٩٧)، والحاكم في «المستدرك» (١٤٠٥).

ورواه أبو يعلى في «مسنده» (٦٦٤٤)، والطبري في «تفسيره» (١٦/ ١٩٨)، وابن حبان في «صحيحه» (٣١٢٢)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ١٩٤).

(٣) «ثم يساق إلى النار» من (أ).

وعلى القول الآخَر: لَمَ جعَلْتني لا أهتدي لشيءٍ وقد كنتُ عالماً بوجوه الحيَل مهتدياً إليها.

❊ ❊ ❊

(١٢٦ ـ ١٢٧) ـ ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا﴾: أي: تركتَها وتناسَيْتَ عنها ﴿وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾: أي: تترك في العقوبات كالمنسيِّ لا يُذكر ولا يُخلَّص.

وقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ﴾: وجاوزَ الحدَّ في المعصية حتى انتهى إلى الشرك.

وقوله تعالى: ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ﴾: أي من المعيشة الضَّنْك في الدنيا وفي القبر، ومن العمى في القيامة.

❊ ❊ ❊

(١٢٨ ـ ١٢٩) ـ ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿١٢٨﴾ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾: أي: أفلم يبيِّنْ(١) لهم، استفهامٌ بمعنى الإثبات.

وقوله تعالى: ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ﴾: ﴿كَمْ﴾ في موضع الرفع، وتقديره:

---

(١) في (أ): «أفلم يتبين»، وفي (ر) و(ف): «أولم نبين». والصواب المثبت؛ لأن الأول لازم، والثاني فاعله ضمير الجلالة، وكلاهما لا يستقيم مع ما سيأتي، حيث فيه أن للفعل فاعلاً ظاهراً أو آخر مقدراً، ومفعولاً مضمراً مقدراً أو آخر مذكوراً.

كثرةُ مَن أهلكنا من القرون، وهو فاعلُ ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ﴾، والمفعول مضمَرٌ؛ أي: أفلم يبيِّن للمشركين كثرةُ القرون المهلَكين بمخالفة الأمر أن حالهم كذلك.

ويجوز أن يكون الفاعل هو القرآن، و﴿كَمْ﴾ في موضع النصب لأنه مفعولٌ؛ أي: أفلم يبيِّن القرآنُ للمشركين كثرةَ مَن أهلكنا.

﴿يَمْشُونَ فِي مَسَٰكِنِهِمْ﴾: أي: الذين يمشون؛ كقولك: أنت الرجلُ أحبُّه؛ أي: الرجل الذي أحبُّه؛ أي: يمشي هؤلاء المشركون في مساكن أولئك المهلَكين، وهم عادٌ وثمودُ وقومُ لوطٍ وشعيبٍ، وكانت العرب تسير للتجارة وغيرها في بلادهم.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ﴾: أي: أصحابِ[1] العقول؛ أي: يتفكَّرون في أنهم كفروا وعصَوا فاستُؤصلوا، فلا يفعلوا كذلك لئلا يُفعل بهم كذلك.

ذكَر إهلاكَ الأولين ثم أخبر عن سبب تأخير إهلاك الآخرين فقال: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾: فيه تقديم وتأخير، ومعناه: ولولا قولٌ سبَق من ربِّك أنه لا يعذِّب هذه الأمةَ بالاستئصال في الدنيا، ولولا أجلٌ مسمًّى وهو الساعةُ التي سبق القول بتأخير العذاب إليها، لجاءهم العذاب عاجلاً ولازمهم[2]، وهو كقوله: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَآءَهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾ [العنكبوت: ٥٣].

وقيل: الأجل المسمَّى في الدنيا، ومعناه: ولولا كلمةٌ سبقت من ربِّك في أنَّ لإهلاكِ هؤلاء وقتاً معلوماً قد جعَله وقتاً لذلك وسماه له، لكان الهلاكُ لزاماً،

---

(١) «أصحاب» زيادة من (ف).

(٢) في (ر): «ولاذ بهم» وليست في (ف).

فالهلاك مضمر، و﴿لِزَامًا﴾؛ أي: مُلازماً عاجلاً، وقد حلَّ ذلك الأجَل وأهلكهم؛ قال ابن عباس رضي الله عنهما: هو يومُ بدر[1].

وروى مجاهد عن ابن عباس[2]: ولولا ما بيَّن لأمة محمد، وعَهِدَ إلى إبراهيم في الصحف، وإلى موسى في التوراة، وإلى عيسى في الإنجيل: أنه يستخلفُهم ويمكِّن لهم، لعجَّل لهم العذاب بذنوبهم.

* * *

(١٣٠) - ﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ ءَانَآيِٕ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾: أي على ما يقول هؤلاء المشركون في الله تعالى وفيك من الأباطيل.

وقوله تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾: أي: صلِّ مسبِّحاً لربِّك حامداً له ﴿قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ﴾: صلاة الفجر ﴿وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾: صلاة العصر.

وقوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَانَآيِٕ ٱلَّيْلِ﴾: أي: ساعاته، جمع إِنًى وأناءٍ[3]، وهي صلاةُ العتمة لأنها تصلَّى بعد مضيِّ آناءٍ من الليل.

وقوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ﴾: أي: فصلِّ له.

وقوله تعالى: ﴿وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ﴾: جمعُ طرَف، وأقلُّ الجمع ثلاثةٌ، وأراد بها

---

(١) لم أجده عن ابن عباس، ورواه ابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» (٥/ ٦١٠) عن السدي.

(٢) قوله: «هو يوم بدر وروى مجاهد عن ابن عباس» من (أ).

(٣) في (ف): «وأنى».

هاهنا صلاة الظهر والمغرب، وصلاةُ الظهر[1] في آخر طرف النهار الأول، وفي أولِ طرف النهار الآخر، وهي في طرفين منه، والطرفُ الثالث غروبُ الشمس، وهو عندها يصلِّي صلاة المغرب.

وقوله تعالى: ﴿لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾: قرأ الكسائي وعاصم في رواية أبي بكر بضم التاء؛ أي: يرضيك الله، وقيل: أي: تكونُ مرضيًّا عند الله بطاعتك؛ كما قال: ﴿وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا﴾ [مريم: ٥٥].

وقرأ الباقون بفتحها[2]؛ أي: يعطيك من الثواب ما تريده فترضى؛ كما قال: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾ [الضحى: ٥]، و(لعل) من الله تعالى إيجاب؛ أي: ولعل الله يرضيك بالإعلاء عليهم في الدنيا وترضَى بذلك.

* * *

(١٣١) ـ ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ﴾: أي: أشكالاً؛ أي: رجالاً متشاكِلين في الذهاب عن الصواب والتمتُّع[3] بكثير الإمتاع، والإمتاع: الإلذاذ بالمناظر الحسنة والأصوات المطربة والروائح الطيبة والمناكِح المونقة[4].

وقوله تعالى: ﴿زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾: أي: زينتَها وحُسنها، ونصبُه بـ﴿مَتَّعْنَا﴾.

---

(١) «والمغرب وصلاة الظهر» ليس في (ف).

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٤٢٥)، و«التيسير» (ص: ١٥٣).

(٣) في (ف) و(أ): «والتمتيع».

(٤) في (ر) و(ف): «الموفقة».

وقوله تعالى: ﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾: أي: لنختبِرَهم بما أعطيناهم، يقول: ولا تنظرنَّ إلى ما وسَّعنا على هؤلاء المشركين في الدنيا متاعاً لهم إلى حين؛ فإن ذلك هو من زينة الحياة الدنيا إلى أن[1] تنقضي، أعطيناهم ذلك لنشدِّد عليهم المحنة بالتعبُّد[2].

قال أبو رافع: استسلف النبيُّ ﷺ من يهوديٍّ طعاماً فأبى أن يُسلفه إلا برهْنٍ، فحزن رسول الله ﷺ بذلك فأنزل الله تعالى هذه الآية[3].

قوله: ﴿وَرِزْقُ رَبِّكَ﴾: أي: وما يُعطيه الله تعالى رسولَه والمؤمنين في الآخرة من الثواب على صبرهم وقمعِهم أنفسَهم من النزاع إلى ما متَّعنا به هؤلاء ﴿خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ من ذلك؛ لأنه باقٍ، ولأنه يؤدي إلى رضا الله تعالى، وهذا فانٍ ويؤدي إلى سَخَط الله تعالى.

***

---

(١) في (أ): «التي» بدل: «إلى أن».

(٢) في (أ): «أعطيناهم ذلك لنسدد عليهم المحبة بالتعبد»، وفي (ف): «أعطفناهم عليك لنشدد عليهم المحنة بالتعبد»، وسقطت العبارة من (ر).

(٣) رواه مطولًا ومختصراً البزار في «مسنده» (٣٧٦٣)، والروياني في «مسنده» (٦٩٥) و(٧١٥)، والطبري في «تفسيره» (١٦/ ٢١٤)، والطبراني في «الكبير» (٩٨٩)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٠٤). وفي إسناده موسى بن عبيدة الربذي، قال أحمد: لا يكتب حديثه. وضعفه النسائي وابن عدي. والخبر تعقبه ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٤/ ٧٠) بقوله: (وهذا معترض أن يكون سبباً؛ لأن السورة مكية والقصة المذكورة مدنية في آخر عمر النبي ﷺ، لأنه مات ودرعه مرهونة بهذه القصة التي ذكرت).

قلت: وهذا الحديث الذي أشار إليه رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢١٠٩)، والترمذي (١٢١٤)، والنسائي (٤٦٥١)، وابن ماجه (٢٤٣٨)، عن ابنِ عباسٍ قال: «تُوُفِّي رسولُ اللهِ ﷺ ودرعُه مرهونةٌ عند يهوديٍّ بثلاثين صاعًا من شعيرٍ لأهلِه». قال الترمذي: حسن صحيح.

(١٣٢) ـ ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ﴾: أي: أهلَ بيتك، وقيل: أمَّتك ﴿وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾: واثبُتْ ودُم عليها.

وقوله: ﴿لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا﴾: أي: لا نسألك أن تَرزق نفسكَ وإياهم ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُكَ﴾ وإياهم[1].

وقيل: لا نطلب منك ما[2] تحتاج إلى الاحتيال في تحصيله[3] مع ضِيق أسبابه عليك، بل نكلِّفك عملاً ببدنك[4]، ونُثيبك عليه ثواباً لا يَعْدلُه ثواب.

وقوله تعالى: ﴿وَالْعَٰقِبَةُ﴾: أي: العاقبة المحمودة ﴿لِلتَّقْوَىٰ﴾؛ أي: لأهل التقوى.

وقيل: العاقبة: الجنة.

وكان بكر بن عبد الله المزنيُّ إذا أصاب أهلَه خصاصةٌ يقول: قوموا فصلُّوا فإن الله تعالى أمر رسوله به، ويقرأ هذه الآية[5].

قال الإمام القشيري رحمه الله: لمَّا قال: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾ فأدَّبه في أنْ لا تنظرْ[6] إلى زينة الدنيا، وقِف على وجه الأرض بقدمٍ واحدة تصاوُناً عنها، حتى

---

(١) في (أ): «﴿لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ﴾ أي: نرزق نفسك وإياهم».

(٢) بعدها في (أ) و(ف): «لا».

(٣) في (أ): «تخليصه».

(٤) في (ر): «بيدك».

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٦/ ٢٦٧).

(٦) في (أ): «ينظر».

قيل له: ﴿طه﴾؛ أي: طأ الأرض بقدمك، ولا[١] كلُّ هذه المجاهدة وكلُّ هذا التباعُد حتى تقف بقدم واحدة.

وقال في قوله: ﴿نَّحۡنُ نَرۡزُقُكَۗ﴾: هما شيئان: وجود الرزق وشهود الرازق، فوجودُ الرزق قوتُ النفوس، وشهود الرازق[٢] قوت القلوب.

وقال: خفَّف على الفقراء مقاساةَ الضرر وتأخُّر الرزق بقوله: ﴿نَّحۡنُ نَرۡزُقُكَۗ﴾[٣].

* * *

(١٣٣) ـ ﴿وَقَالُواْ لَوۡلَا يَأۡتِينَا بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّهِۦٓۚ أَوَلَمۡ تَأۡتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَوۡلَا يَأۡتِينَا﴾: أي: قال هؤلاء الكفارُ: هلَّا يأتينا محمدٌ ﴿بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّهِۦٓ﴾: بعلامةٍ تدل على صحة نبوته، يلبِّسون بهذا الكلام على ضعَفتهم.

وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمۡ تَأۡتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ﴾: أي: الآيةُ الدالةُ على نبوته بما وجدوه[٤] في الكتب المتقدمة من البشارة، وذكرِ نبوته، ووصفِ أصحابه وأمته، وهذا إن كان في أهل الكتاب فهو ظاهر، وإن كان في مشركي مكة فهم كانوا يسألون أهل الكتاب عن ذلك فيخبرونهم به.

وقيل: هذا في سؤال آية التعنُّت[٥]، ومعنى الآية: أولم يأتهم بيانٌ[٦] في الكتب

---

(١) في «اللطائف»: (ولمَ).

(٢) «فوجود الرزق قوت النفوس وشهود الرازق» ليس في (أ).

(٣) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٤٨٨ ـ ٤٨٩).

(٤) في (أ): «بما وجده»، وفي (ر): «لما وجده»، وفي (ف): «لما وجدوه». والصواب المثبت.

(٥) في (ر): «في سؤال البعث»، وفي (ف): «في سؤال آية البعث».

(٦) في (ر) و(ف): «بيانه».

أن الأمم السابقة لمَّا هم سألوا الآيات وكفروا حين جاءت استأصلناهم، فكذلك لو أعطيناهم ما سألوا وكفروا به نستأصلهم[1].

* * *

(١٣٤) ـ ﴿وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم﴾: أي: هؤلاء ﴿بِعَذَابٍ﴾ يعاجلهم به ﴿مِّن قَبْلِهِۦ﴾: من قبلِ إرسال الرسل وإنزال الكتب ﴿لَقَالُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا﴾: أي: هلَّا أرسلت ﴿فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ﴾ جواب الاستفهام بالفاء فنُصب.

وقوله تعالى: ﴿مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ﴾: بالعذاب، فقد قطعْنا هذا العذر بما أَرسلنا وما أَنزلنا.

وقيل: كان الذلُّ في يوم بدر، والخزيُ يوم القيامة.

وقيل: الذل في يد ملك الموت، والخزي في يد مالك.

* * *

(١٣٥) ـ ﴿قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا۟ ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِىِّ وَمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾.

﴿قُلْ﴾ يا محمد لهم: ﴿كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ﴾ منَّا ومنكم، مترقِّبٌ عاقبةَ أمره ﴿فَتَرَبَّصُوا۟﴾: أي: أنتم عاقبةَ أمركم فنحن متربصون.

وقيل: أنتم تتربصون موتنا لتستريحوا منا، ونحن نتربَّص بكم العذاب.

وقوله تعالى: ﴿فَسَتَعْلَمُونَ﴾: أي: عند الموت ﴿مَنْ أَصْحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِىِّ﴾؛

---

(١) في (ف): «بها استأصلهم»، وفي (ر): «به يستأصلهم».

أي: الدائنون بالدِّين المستقيم[1] ﴿وَمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾؛ أي: ومَن المهتدِي أنحن أم أنتم؟

روى الحسن عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «لا يَقرأ أهل الجنة من القرآن شيئاً إلا يس وطه»[2].

والحمد لله على كثير[3] إنعامه، ونشكره على سوابغ إكرامه، والصلاة على أفضل أنامه، محمدٍ الأبطحيّ والرسولِ العربيّ وآله وأصحابه المستحقِّين لإحسانه وامتنانه، اللهم بحقِّ هذه السورة وآياتها نجِّني من النار ودركاتها[4]، والحمد لله رب العالمين.

* * *

(١) في (ف): «القيم».

(٢) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٦/ ٢٣٥)، وهو مرسل.

(٣) في (ف): «كثيراً على».

(٤) من قوله: «والحمد لله على كثير إنعامه...» إلى هنا ليس في (أ).

سُورَةُ الأَنبِيَاءِ

سُورَةُ الأَنبِيَاءِ

عليهم السلام

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

بسم الله الذي قصَم القرى الظالمة وأنشأ بعدها قوماً آخرين، الرحمنِ الذي أنزل القرآن ذكراً مباركاً فلسنا له منكرين، الرحيم الذي أرسل المصطفى محمداً رحمة للعالمين.

وروى أبي بن كعب عن النبي ﷺ أنه قال: «من قرأ سورة الأنبياء حاسبه الله حساباً يسيراً، وسلَّم عليه كلُّ نبي ذُكر فيها اسمُه»[(١)].

وسورة الأنبياء مكيةٌ، وهي مئة واثنتا عشرة آيةً، وقيل: إحدى عشرة؛ للاختلاف في آية: ﴿مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾ [الأنبياء: ٦٦].

وهي ألفٌ ومئةٌ وخمسٌ وستون كلمة، وأربعةُ آلاف وتسعُ مئةٍ وتسعةٌ وتسعون حرفاً[(٢)].

وانتظامُ أول هذه السورة بآخر تلك السورة: أنه قال: ﴿فَتَرَبَّصُوا۟ فَسَتَعْلَمُونَ﴾ وهذا العلم حين يعرف الناس حسابهم، وأولُ هذه: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾[(٣)].

---

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٦/ ٢٦٨)، وابن مردويه كما في «الكاف الشاف» لابن حجر (ص: ١١٢). وإسناده ساقط ضعيف كما في «بصائر ذوي التمييز» (١/ ٣٢٢).

(٢) في (أ): «وسبعون حرفاً». وفي «البيان» للداني (ص: ١٨٧): أربعة آلاف وثماني مئة وتسعون حرفاً.

(٣) في (أ) و(ر): «وهذا العلم حين يقترب للناس حسابهم».

وانتظام السورتين: أن (سورة طه) في ذكر الله تعالى وقدرته وجلاله، وذكرِ القرآن وإنزاله، وإرسالِ الرسل ونصرتهم، وتوبيخِ الكفار وعقوبتهم، ونفعِ الطاعة وضررِ المعصية، وهذه السورة كذلك.

* * *

(١) - ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾: أي: دنا للناس وقتُ حسابهم على أعمالهم، وهو يوم القيامة، وهو تنبيهٌ على قِصَر ما بقي من مدة الدنيا ليستعدُّوا للآخرة ولا يركَنوا إلى الدنيا.

﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾: عن هذا ﴿مُعْرِضُونَ﴾ عن التأمل فيه والاستعدادِ له[1].

* * *

(٢) - ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ﴾: من شيءٍ من القرآن ﴿مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ﴾: لم يكن أتاهم قبل ذلك مما هو ذكرٌ؛ أي: وعظٌ وإذكارٌ لِمَا يلزمُهم التفكُّرُ فيه، وذكرٌ لِمَا بهم الحاجة إليه من مراشد[2] دينهم ودنياهم.

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا اسْتَمَعُوهُ﴾: من النبي ﷺ أو غيرِه ممن يَتْلوه.

وقوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾: يستهزؤون به، يشتغلون عنه بأمور دنياهم لا يتفكرون فيه.

---

(١) في (ف): «وهم في غفلة معرضون مر تفسيره».

(٢) في (ر): «أمر».

وقيل: نزلت الآية في أهل مكة: أبي جهل والوليدِ بن المغيرة وغيرهما، وكانوا ينكرون البعث والحساب.

وقال أنس بن مالك رضي الله عنه: لمَّا نزلت ﴿ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ﴾ عمَد ثابت بن قيس إلى نخلة[1] له فصرَمها وتصدَّق بها، وترك عياله بلا شيءٍ، فشكَوا إلى رسول الله ﷺ، فأنزل الله تعالى: ﴿وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦۖ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْ﴾ [الأنعام: ١٤١][2].

ولما نزلت: ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ﴾ أراد المهاجرون والأنصار أن يتلفوا أموالهم فمنعهم النبي ﷺ فقالوا: أيَّ شيء ننفق؟ فأنزل الله تعالى: ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلۡعَفۡوَ﴾ [البقرة: ٢١٩][3].

وقوله تعالى: ﴿مُّحۡدَثٍ﴾ قال مقاتل: يُحدِثُ الله الأمرَ بعد الأمر[4].

وقال الحسين بن الفضل رحمه الله: الذكر هاهنا هو الرسول، يدل عليه قولهم بعده[5]: ﴿هَلۡ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ﴾، ولو كان المراد من الذكر القرآنَ لقالوا: هل هذا إلا أساطير الأولين، ونحوَه، ونظيرُ هذا قوله: ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزۡلِقُونَكَ بِأَبۡصَٰرِهِمۡ لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكۡرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجۡنُونٞ ۝٥١ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [القلم: ٥١ ـ ٥٢].

---

(١) في (أ): «تحمل».

(٢) لم أجده هكذا، لكن روى الطبري في «تفسيره» (٩/ ٦١٥) عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾ [الأنعام: ١٤١] عن ابن جريج قال: نزلت في ثابت بن قيس بن شماس، جَدَّ نخلاً فقال: لا يأتين اليوم أحدٌ إلا أطعمته، فأطعم حتى أمسى وليست له ثمرة، فقال الله: ﴿وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾. وذكره الواحدي في «البسيط» (٨/ ٤٨١) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) سورتا القمر والأنبياء مكيتان، ومع ذلك ذكر المؤلف منهما ثابت بن قيس وهو من الأنصار، وذكر الأنصار أيضاً، ويقع أمثال ذلك عند المفسرين، وهو خطأ، وعليه اقتضى التنبيه.

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٦٩)، و«تفسير الثعلبي» (٦/ ٢٦٩)، واللفظ له.

(٥) «بعده» ليس من (أ).

(٣) ـ ﴿ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ۗ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ۖ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ﴾: أي: متشاغلةً عن التأمُّل فيه، من قولهم: لَهِيْتُ عن الشيء أَلْهَى عنه، من حدِّ عَلِم؛ أي: غفلتُ عنه، قال: ﴿لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ﴾ [المنافقون: ٩].

و﴿ لَاهِيَةً ﴾ نصب على الحال من قوله: ﴿يَلْعَبُونَ ﴾، أو حالٌ مع(١) حال، وتقديره: إلا استمعوه لاعبين لاهيةً قلوبهم.

﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾: جمع الفعلَ المتقدِّمَ على الاسم، وله وجوه:

قال الكسائي: فيه تقديم وتأخير، وتقديره: والذين ظلموا أسروا النجوى.

وقال الفرَّاء: بل تقدم الاسم: ﴿لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾ ﴿وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴾ ﴿مَا يَأْتِيهِم﴾ ﴿ٱسْتَمَعُوهُ﴾ ﴿يَلْعَبُونَ ﴾ ﴿قُلُوبُهُمْ﴾(٢).

وقيل: هذا مستعمل في العربية أيضاً وموجود في أشعارهم، قال قائلهم:

---

(١) في (أ): «من».

(٢) المعنى والله أعلم: أن الضمائر في كل ما ذكر تعود كلها على ما تقدم من قوله: ﴿لِلنَّاسِ﴾، وكذا قوله: ﴿وَأَسَرُّواْ﴾ الضمير فيه يعود على ما عادت عليه الضمائر التي في الكلمات المذكورة، يبينه قول الواحدي في «البسيط» (١٥/ ١٥): (قوله: ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَى﴾ فعلٌ قد تقدمت الأسماء عليه، وهم الذين ذكرهم في قوله: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾، وقد تكرر ذكرهم إلى أن قال: ﴿وَأَسَرُّواْ﴾ فجاء قول: ﴿وَأَسَرُّواْ﴾ معطوفا عليها، وصارت الأسماء مضمرة في هذا الفعل).

وعبارة الفراء في «معاني القرآن» (١/ ٣١٦): (إنما قيل: ﴿وَأَسَرُّواْ﴾ لأنها للناس الذين وصفوا باللهو واللعب، و﴿ٱلَّذِينَ﴾ تابعة للناس مخفوضة؛ كأنك قلت: اقترب للناس الذين هذه حالهم، وإن شئت جعلت ﴿ٱلَّذِينَ﴾ مستأنفة مرفوعة، كأنك جعلتها تفسيرًا للأسماء التي في ﴿وَأَسَرُّواْ﴾).

واهتدَيْـــنَ النبـــالُ للأغـــراض[1]

وقال أبو تمام:

وأشـجيتُ أيامـي بصبرٍ حَلَـون لـي عواقبُـه والصبـرُ مثـلُ اسـمه صبرُ[2]

يقول: يُعرضون عنه بأنفسهم، ويموِّهون على ضعَفتهم، فيتسارُّون فيما بينهم ويقولون: ﴿هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ استفهام بمعنى النفي؛ أي: ما هو إلا آدميٌّ مثلكم يأكل ويشرب، ويكون منه ما يكون منَّا، فكيف صار رسولاً من بيننا؟!

قوله تعالى: ﴿أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾: استفهام بمعنى التوبيخ والاستنكار؛ أي: يقولون للضَّعَفة: ليس هو برسول بل هو ساحر، أفتأتونه لاستماع هذا الكلام الذي هو سحرٌ وأنتم تعلمون أنه سحر، وهذا منكم خطأٌ وسَفَهٌ.

وقيل: وأنتم ترونه بشراً مثلكم، وسمَّوا كلامه سحراً على معنى أنه يَرُوقُ ويَرُوعُ ويأخذ بالقلوب.

وقال القشيري رحمه الله: ﴿وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ﴾ الغفلة على قسمين:

غافل عن حسابه لاستغراقه بدنياه.

وغافل عن حسابه لاستهلاكه في مولاه.

فالأولون لا يستفيقون من غفلتهم إلا في عسكر الموتى، وهؤلاء لا يستفيقون من غفلتهم إلا برؤية المولى[3].

---

(١) عجز بيت لأبي تمام، وهو في «ديوانه» بشرح التبريزي (٢/ ٣١٣)، و«تفسير الثعلبي» (٦/ ٢٧٠)، و«تفسير القرطبي» (١٤/ ١٧٤)، وصدره:

بــك عــاد النصــال دون المســاعي

(٢) انظر: «الموازنة بين شعر أبي تمام والمتنبي» (١/ ١٣٢).

(٣) في (ر): «فالأولون لا يستفيقون من غفلتهم إلا بشوق مقلق أو خوف مزعج والآخرون لا =

(٤) ـ ﴿ قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾: قرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية حفصٍ: ﴿ قَالَ رَبِّي ﴾ وكذا في مصاحف[1] أهل الكوفة.

وقرأ الباقون: ﴿قُلْ﴾[2]؛ أي: يا محمد قل للَّذين أسرُّوا النجوى: ﴿رَبِّي يَعْلَمُ﴾ قولَ كلِّ قائلٍ هو في السماء أو في الأرض.

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾: وهو السميع لأقوالهم، العليم بأفعالهم وأسرارهم.

ووجه القراءة الأولى: قال لهم محمد حين قالوا متسارِّين: ﴿هَلْ هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾: إن الله يعلم ما قلتُم وسيجازيكم عليه.

* * *

(٥) ـ ﴿ بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ﴾.

﴿ بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ ﴾: أي: لتحيُّرهم تضطرب[3] أقوالهم، وهاهنا مضمر: قالوا: ﴿هَلْ هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾ ثم لم يثبتوا على هذا ﴿ بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ ﴾؛

= يستفيقون...». وانظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٤٩١)، وفيه: (فالأولون لا يستفيقون من غفلتهم إلا من سكرة الموت، وهؤلاء لا يرجعون عن غيبتهم أبد الأبد لفنائهم في وجود الحق تعالى).

(١) في (ر) و(ف): «مصحف».

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٤٢٨)، و«التيسير» (ص: ١٥٤).

(٣) في (ف): «أي: ليخبرهم باضطراب»، وفي (ر): «أخبر باضطراب».

أي: تخاليط[١] وتهاويل من الرؤيا رآها في نومه فتوهَّمها[٢] وحياً من الله إليه، ثم لم يثبتوا على هذا حتى قالوا: ﴿بَلِ ٱفۡتَرَىٰهُ﴾؛ أي: اختلقه من نفسه وكذَب به على الله تعالى، ثم لم يثبتوا على هذا حتى قالوا[٣]: ﴿بَلۡ هُوَ شَاعِرٞ﴾ وما أتى به شعرٌ، كلامٌ يَنْظِمُه هو.

وقيل: أسروا النجوى فقال بعضهم: هو سحر، وخالفهم فريق فقالوا كذا، وفريق قالوا كذا.

﴿فَلۡيَأۡتِنَا بِـَٔايَةٖ كَمَآ أُرۡسِلَ ٱلۡأَوَّلُونَ﴾: لمَّا كانوا علماءَ بضروب الكلام، وكانوا يعلمون أنه ليس بسحرٍ ولا بشعرٍ ولا برؤيا، تحكَّموا واقترحوا فقالوا: ﴿فَلۡيَأۡتِنَا بِـَٔايَةٖ﴾؛ أي: بمعجزةٍ كمعجزات[٤] موسى وعيسى وغيرهما، فأمَّا هذا القرآن فإنَّا لا نرضى به آيةً، فردَّ الله عليهم هذا فقال:

***

(٦ ـ ٧) ـ ﴿ مَآ ءَامَنَتۡ قَبۡلَهُم مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَآۖ أَفَهُمۡ يُؤۡمِنُونَ ٦ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۖ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾.

﴿ مَآ ءَامَنَتۡ قَبۡلَهُم مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَآ ﴾: أي: لم يؤمن أهلُ القرى الذين أهلكناهم وقصَصْنا عليكم أخبارهم مع مجيء الآيات التي اقترحوها.

وقوله: ﴿أَفَهُمۡ يُؤۡمِنُونَ﴾: أي: أهؤلاء المقترحون يؤمنون لو أتيناهم بما اقترحوا، وهي استفهام بمعنى النفي.

---

(١) في (ر): «مغاليط».

(٢) في (ر): «فيزعمها».

(٣) «حتى قالوا» من (أ)، وفي (ف): «وقالوا»، وليست في (ر).

(٤) في (ر): «كمعجزة».

وقيل: ما آمنتْ قبل هؤلاء قريةٌ قد سبق لها الهلاك على الكفر، أفأهل مكة يؤمنون وقد سبق لهم أنهم يموتون على الكفر.

وقيل: قوله: ﴿فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ﴾ قاله عبد الله بن أبي أميةَ المخزومي.

وقال القشيري رحمه الله: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ يسمعُ أنين المذنبين سرًّا من الخلق حذاراً أن يَفْتضِحوا، ويسمع مناجاة العابدين بنعت التسبيح إذا تهجَّدوا، ويسمع شكوى المحبِّين إذا مسَّتهم البُرحاء ولشدةِ الاشتياق ضجُّوا(١).

وقوله تبارك وتعالى: ﴿وما أرسلنا قبلك إلا رجالاً يُوحَى إليهم﴾(٢): هو ردُّ قولهم: ﴿هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾ استبعَدوا الرسالة من البشر(٣) وقالوا: ﴿لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ﴾ [الفرقان: ٢١] قال(٤): ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا﴾ الرسلَ ﴿قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا﴾ بشراً لم يكونوا ملائكة ﴿يوحى إليهم﴾(٥)؛ أي: مع ذلك كان يأتيهم الوحي من عندي على ألسُن الملائكة.

وقوله تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا﴾: أي: يا أهل مكة ﴿أَهْلَ الذِّكْرِ﴾: أهلَ الكتب المتقدمة ممن تقرأ التوراة والإنجيل والزبور، وذلك لأنهم كانوا يذكرون أقاصيصَ الأنبياء والأمم ﴿إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ والعرب لم تكن تعرف ذلك ولا تذكُره، فكان

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٤٩٢).

(٢) في (ر): «نوحي»، وهي قراءة حفص، والمثبت قراءة باقي السبعة. انظر: «السبعة» (ص: ٤٢٨)، و«التيسير» (ص: ١٣٠).

(٣) في (أ): «استبعدوا إرساله» وفي (ف): «استبعدوا الرسالة» ليس فيهما: «من البشر».

(٤) في (ر): «فنزل».

(٥) في (ر): «نوحي إليهم».

أولئك يسمَّون[1] أهلَ الذكر، وكان أهل مكة يعتمدون على قولهم، فأمرهم بسؤالهم ليقع لهم العلم بإخبارهم بأن الأنبياء قبله كانوا من البشر.

وقيل: ﴿أَهْلَ ٱلذِّكْرِ﴾: مؤمنو أهل الكتاب.

وقال علي رضي الله عنه: ﴿أَهْلَ ٱلذِّكْرِ﴾ العلماء بالقرآن[2]. قال تعالى: ﴿ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ ﴾ [الأنبياء: ٥٠] وهذا دعاءٌ إلى مساءلة أهل العلم من المؤمنون ومناظرتهم والاجتماعِ معهم على البحث والنظر ليخرجوا بذلك عن التقليد.

* * *

(٨ ـ ٩) ـ ﴿ وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُوا۟ خَٰلِدِينَ ﴿٨﴾ ثُمَّ صَدَقْنَٰهُمُ ٱلْوَعْدَ فَأَنجَيْنَٰهُمْ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ ﴾: أي: وما جعلنا كلَّ واحد منهم جسداً ـ كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ [غافر: ٦٧]؛ أي: يخرج كلَّ واحد منكم طفلاً ـ ﴿لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ﴾؛ أي: كانوا في طباع البشر محتاجين إلى ما يُقيم أبدانهم.

وقيل: الجسد كنايةٌ عما لا يتصرَّف ولا يتحرَّك ولا يحتاج إلى غذاء.

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانُوا۟ خَٰلِدِينَ﴾: لا يموتون؛ أي: فكذلك أنت يا[3] محمد، والرسالة لا توجب الخروجَ من البشرية.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ صَدَقْنَٰهُمُ ٱلْوَعْدَ﴾: من النصرة والنجاة ﴿فَأَنجَيْنَٰهُمْ﴾ مما أحلَلْناه بقومهم المكذِّبين.

---

(١) «يسمون» ليس من (أ).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٢٢٩) بلفظ: (نحن أهل الذكر).

(٣) «أنت يا» ليس في (أ)، وفي (ف): «يا».

وقوله تعالى: ﴿وَمَن نَّشَآءُ﴾: أي: وأنجينا مَن نشاء، وهم المؤمنون بهم.

وقوله تعالى: ﴿وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ﴾: المجاوزين الحدَّ بالكفر والشرك، ودلَّ الإخبار بإهلاك المسرفين أن ﴿وَمَن نَّشَآءُ﴾ غيرُهم.

***

(١٠) ـ ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ﴾: أي: إلى نبيكم، والإنزال إلى النبي إنزالٌ إلى أمته لأنهم مخاطَبون[1] به.

وقوله تعالى: ﴿كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾: أي: شرفُكم، من قولهم: فلان مذكورٌ في الناس، وإنما صار شرفاً لهم لأنه منزَّلٌ على رسول هو منهم، والمنزَل بلسانهم، والناسُ يتفاخرون بكتبٍ يؤلِّفُها لهم حكماؤهم، فكيف بكتابٍ أنزله الله تعالى على شريفٍ منهم؟

وقوله تعالى: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾: أفلستُم عقلاءَ تعرفون مواضع حظوظكم، فكيف غفلتُم عن تحصيل الشرف بالإيمان بهذا الكتاب ومُعاوَنةِ مَن أتى به.

وقيل: ﴿فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾: أي: ذكرُ ما بكم إليه حاجةٌ.

وقال ابن جريج: فيه حديثُكم[2].

وقال الحسن: فيه دينكم[3].

---

(١) في (أ): «مخالطون».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٢٣٢) من طريق ابن جريج عن مجاهد، ومن طريق ابن أبي نجيح عنه.

(٣) رواه ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» (٥/ ٦١٧) =

وروى جابر عن النبي ﷺ أنه قال: «لا ينبغي لعالمٍ أن يسكت على علمه، ولا ينبغي لجاهل أن يسكت على جهله، وقد قال الله تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾»[1].

***

(١١) ـ ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ ﴾: وهذا ترهيب بعد ترغيب؛ أي: وكم كسرنا، وهو عبارة عن الإهلاك، يقال: كُسر الجيش.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: أهلكنا[2].

وقال الضحاك: دمَّرنا.

وقال أبو العالية: خرَّبنا.

وقال ابن كيسان: هزمنا وقتلنا، وأنشد قولَ تبَّعٍ اليمانيِّ:

ولقد قَصَمْتُ يهودَ خيبرَ كلَّهم فتركتُ خيبرَ غيرَ ذاتِ يهودِ[3]

وقال الفراء: القصم بالقاف: كسر بينونة، والفصم بالفاء: كسر بغير بينونة.

= بلفظ: فيه دينكم، أمسك عليكم دينكم بكتابكم. ورواه أيضاً أبو نعيم في «الحلية» (٧/ ٢٩١)، ولفظه: أمسك عليكم دينكم أخلاق القرآن.

(١) لم أجده حديثاً، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣/ ٢٢٨)، والزمخشري في «الكشاف» (١/ ٤٥١)، عن محمد بن كعب قوله.

(٢) لم أجده عن ابن عباس، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٢٣٣) عن ابن جريج ومجاهد وابن زيد.

(٣) لم أقف على هذه الأقوال.

وقوله تعالى: ﴿مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً﴾: أي: من أهل قرية كانوا ظالمين؛ أي: مشركين.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا﴾: أي: خلقنا ﴿قَوْمًا ءَاخَرِينَ﴾ غيرهم.

***

(١٢ ـ ١٣) ـ ﴿فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ۝١٢ لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَىٰ مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا﴾: أي: رأوا عذابنا ﴿إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ﴾؛ أي: أخذوا يهربون خارجين منها يحركون أقدامهم عَدْواً، والركض ذلك.

وقوله تعالى: ﴿لَا تَرْكُضُوا﴾: أي: قيل لهم: لا تَفِرُّوا ﴿وَارْجِعُوا إِلَىٰ مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ﴾؛ أي: إلى نعمكم التي خوّلتموها[1] وتوسّعْتُم فيها حتى بَطِرْتُم بها وكفرتُم وأعرضتُم.

وقال الخليل: المترَف: الموسَّع عليه عيشُه، القليل فيه همُّه[2].

﴿وَمَسَاكِنِكُمْ﴾: أي: وأتوا[3] مساكنكم ﴿لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ﴾ قال قتادة: يعني: عن دِينكم[4].

---

(١) في (أ): «حولتموها».

(٢) انظر: «العين» (٨/ ١١٤).

(٣) في (أ) و(ف): «وإلى».

(٤) كذا ذكر، والذي في المصادر خلافه، فقد روى عبد الرزاق في «تفسيره» (١٨٥١)، والطبري في «تفسيره» (١٦/ ٢٣٥ ـ ٢٣٦)، والثعلبي في «تفسيره» (٦/ ٢٧١)، وابن المنذر وابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» (٥/ ٦١٨) عن قتادة قوله: ﴿وَارْجِعُوا إِلَىٰ مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ﴾ يقول: ارجعوا إلى دنياكم التي أترفتم فيها ﴿لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ﴾ من دنياكم شيئاً، استهزاء بهم. وكذا ذكره الماوردي في «النكت والعيون» =

معناه: يطلب منكم الإيمان وتؤمرون[١] به، وذكره بكلمة (لعل) وبكلمة (السؤال) استهزاءً بهم وتوبيخاً، كأنه قيل لهم: ارجعوا حتى يأتيكم رسولُكم فيسألكم أن تؤمنوا به.

وتحقيقه: قد فاتكم ذلك بترككم التدبير في وقته ويتمنون أن يكون كذلك ولا يكون.

وقال قتادة[٢]: ﴿لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ﴾ من دنياكم شيئاً، وهو استهزاء بهم أيضاً[٣]؛ أي: قيل لهم: ارجعوا إلى مساكنكم[٤] لعلكم يأتيكم رسولُكم محتاجاً إلى ما في أيديكم فيسألكم من ذلك، فتُعطونه فيمتنع عن دعائكم إلى الإيمان.

وقال ابن عباس ومقاتل رضي الله عنهم: كانت[٥] هذه قريةً باليمن تسمَّى: حاصوراء، قتَلوا نبيهم حنظلةَ عليه السلام، فسلَّط الله عليهم بخت نصَّرَ حتى قتلهم وسباهم، فلمَّا استَحرَّ فيهم القتل هربوا وانهزموا، فقالت لهم الملائكة على طريق الاستهزاء: ﴿لَا تَرْكُضُواْ﴾؛ أي: لا تَعْدوا ﴿لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ﴾؛ أي: عن قتل نبيِّكم لمَ قتلتُموه[٦]؟

= (٣/ ٤٣٩)، والواحدي في «البسيط» (١٥/ ٣٢)، والبغوي في «تفسيره» (٥/ ٣١٢). قال الواحدي: (والمعنى على هذا: أن الملائكة قالت لهم: ارجعوا إلى نعمكم ومساكنكم لعلكم تسألون شيئًا من دنياكم، فإنكم أهل ثروة ونعمة، استهزاء بهم، كما ذكره قتادة. وهذا في الحقيقة توبيخ لهم...)، ثم قال: (وقول قتادة في هذه الآية هو الصحيح، وذكرت أقوال، وهي بعيدة في المعنى).

(١) في (أ): «وتؤمنون».

(٢) «وقال قتادة» ليس في (ف).

(٣) انظر ما تقدم قبل تعليقين.

(٤) في (أ): «مسالكهم»، وفي (ف): «مسألتكم».

(٥) في (ف): «وكانت» وليست في (أ).

(٦) ذكر نحوه ابن عبد ربه في «العقد» (٣/ ٣٣٦)، والسهيلي في «التعريف والإعلام» (ص: ١١٢)، =

وقال ابن جريج: ﴿لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ﴾[1] عن سبب كفركم، لِمَ كفرتُم؟ ولا يكون لكم حجةٌ.

* * *

(١٤ ـ ١٥) ـ ﴿قَالُواْ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿١٤﴾ فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَالُواْ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾: أي: أنفسَنا بكفرنا، ولا ينفعهم هذا الاعترافُ.

وقوله تعالى: ﴿فَمَا زَالَت تِّلْكَ﴾: أي: تلك الكلمة، أو تلك الدعوى ﴿دَعْوَىٰهُمْ﴾؛ أي: دعاءهم ـ كقوله تعالى: ﴿دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا﴾ [يونس: ١٠]؛ أي: دعاؤهم فيها ـ بالويل والثبور على أنفسهم.

وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ﴾: أي: محصوداً بالسيف كحصيد الزرع، ووُحِّد كما في قوله: ﴿جَسَدًا﴾، أو معناه: حصيدةً، فيكون جمعاً، والفعيل إذا كان للمفعول لم تدخله الهاء.

= والطبري في «تفسيره» (١٤/ ١٨١) عن أهل التفسير والأخبار، واسم المدينة عندهم: حضور، واسم نبيهم الذي قتلوه: شعيب بن ذي مهدم. وزاد السهيلي والقرطبي: وقتل أصحاب الرس في ذلك التاريخ نبياً لهم اسمه حنظلة بن صفوان...) إلى آخر القصة.

وذكر نحو هذه القصة أيضا الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ٢٧) عن الضحاك، لكن عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾ [الحج: ٤٥].

(١) «أي: عن قتل نبيكم لم قتلتموه وقال ابن جريج لعلكم تسألون» من (أ).

وإن كان هذا بغير السيف فمعناه: الساقط؛ لأنه يقابل القائم، قال تعالى: ﴿مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ﴾ [هود: ١٠٠].

و﴿خَـٰمِدِينَ﴾: ميتين كخمود النار.

***

(١٦ ـ ١٧) ـ ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَـٰعِبِينَ ﴿١٦﴾ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَـٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَـٰعِلِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَـٰعِبِينَ﴾: أي: وما خلقتُ ذلك وأنا أريد به اللعب؛ بل خلقتُ الخلق للابتلاء بالأمر والنهي، ثم أبعثُهم بعد الموت لأجازيَهم في الآخرة على الخير الشر.

وهذه الآية في إثبات وحدانيته، وما قبلها في إثبات رسالة رسوله وحقِّيَّة[1] كتابه.

ثم ذكر بعدها تنزيهَه عن الصاحبة والولد، فقال تعالى: ﴿لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا﴾:

قال الحسن ومجاهد: أي: زوجة[2].

وقال قتادة: اللهو بلغة أهل اليمن المرأة[3]؛ لأنها يُلهى بها ويُصرَف الهم.

---

(١) في (ر) و(ف): «وحقيقة».

(٢) رواه عن مجاهد الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٢٣٨ ـ ٢٣٩). أما الحسن فذكر عنه الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٤٤٠) أن المعنى: (ولداً). وروى عنه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٢٣٨) قوله: اللهو: المرأة. وروى عنه عبد بن حميد وابن المنذر كما في «الدر المنثور» (٥/ ٦٢٠) قوله: ﴿لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا﴾ قَالَ: النِّساء. وروى عنه يحيى بن سلام في «تفسيره» (١/ ٣٠٢)، وابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» (٥/ ٦٢٠) قال: اللَّهو بلسان اليمن المرأة. وهو عين قول قتادة الآتي.

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٨٥٣)، والطبري في «تفسيره» (١٦/ ٢٣٩)، وابن المنذر وابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» (٥/ ٦٢٠).

وقيل: يقع اللهو على الزوجة والولد.

وقوله تعالى: ﴿لَّٱتَّخَذۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ﴾: أي: من عندنا لا من عندك.

وقيل: لو اتخذنا ولداً لم يكن ذلك ما تنحتونه من الأوثان المتَّخذة من طينٍ وخشبٍ وحجارة، بل كنا نتَّخذه نحن من عندنا؛ أي: كيف يكون ما تنحتونه ولداً لنا.

وقيل: لو اتخذنا صاحبةً وولداً لم يكن ذلك من أهل الأرض من الأجسام الأرضية والأخلاط الكدرة[1]، بل من الجواهر الكريمة الشريفة الذي منها خُلق أهل السماء.

وقيل: الأول أصح؛ لأن الجواهر لا تتفاضل لأعيانها.

وقوله تعالى: ﴿إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾: قيل: هو على الشرط: لو جاز ذلك لفعلنا، لكنَّا لسنا ﴿فَٰعِلِينَ﴾[2] لاستحالة ذلك.

وقال مجاهد وقتادة وجماعةٌ: تم الكلام عند قوله: ﴿لَّٱتَّخَذۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ﴾ ثم قوله: ﴿إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ معناه: ما كنَّا لنفعلَ ذلك[3]، و﴿إِنۡ﴾ للنفي كما في قوله: ﴿إِنۡ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٣].

* * *

(١٨ـ١٩) ـ ﴿بَلۡ نَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ عَلَى ٱلۡبَٰطِلِ فَيَدۡمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٞۚ وَلَكُمُ ٱلۡوَيۡلُ مِمَّا تَصِفُونَ ۝١٨ وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَنۡ عِندَهُۥ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسۡتَحۡسِرُونَ﴾.

---

(١) في (ف): «القذرة».

(٢) «لو جاز ذلك لفعلنا، لكنا لسنا ﴿فَٰعِلِينَ﴾» ليس من (أ).

(٣) رواه عن قتادة عبد الرزاق في «تفسيره» (١٨٥٣)، والطبري في «تفسيره» (١٦/ ٢٣٩)، وعن مجاهد عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» (٥/ ٦٢٠).

وقوله تعالى: ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ ﴾: أي: ليس الأمر كما تتوهمون من قوة الباطل، وأنكم تُتركون على ضلالكم وتمويهِكم على الضَّعفة، ﴿ بَلْ ﴾؛ أي: لكن ﴿نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ﴾؛ أي: نرمي بالحق ﴿عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ ﴾: فيقهر الحقُّ الباطل ويعلُوه، كما يفعل القاتل بالمقتول إذا أصاب دماغه.

وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا هُوَ ﴾: أي: الباطل ﴿زَاهِقٌ﴾؛ أي: هالك ذاهبٌ كالحي تزهَق نفسه فيموت.

وقوله تعالى: ﴿وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ﴾: أي: الوعيد والعذاب الشديد في الآخرة ﴿مِمَّا تَصِفُونَ﴾؛ أي: تُضيفون إلى الله تعالى ما لا يليق به.

وقوله تعالى: ﴿وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: أي: هم خلقُه وملكُه، فكيف يكون شيء منه شريكاً له أو ولداً أو صاحبة؟

قوله: ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ﴾: أي: الملائكةُ الذين عنده، وهو بيانُ قربِ المنزلة دون قربِ المكان، فإن الله تعالى عن ذلك علوًّا كبيراً، وهم الذين يعبدهم كثير من المشركين.

قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ﴾: أي: لا يتعظَّمون عنها بل يداومون عليها ﴿وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴾؛ أي: لا يكلُّون ولا يملُّون ولا يعيَوْن.

***

(٢٠ ـ ٢٢) ـ ﴿ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوٓا۟ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾.

قوله تعالى: ﴿ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴾: على المواظبة ﴿لَا يَفْتُرُونَ ﴾: لا يضعفون ولا يعيَون.

وقوله تعالى: ﴿أَمِ اتَّخَذُوٓا۟ ءَالِهَةً مِّنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ﴾: أي: يُحيون الموتى، استفهام بمعنى التوبيخ، و﴿أَمِ﴾ بمعنى ألف الاستفهام لأنه لم تتقدَّمه ألف الاستفهام ليكونَ عطفاً عليه.

وقيل: هو عطف على ذلك تقديراً، ووجهه: أفخلَقْنا[١] السماوات والأرض لعباً، أم الملائكةُ الذين يعبدوننا في السماء معبودين، أم هل ما اتَّخذتُموه[٢] من الأصنام في الأرض يُحيي الموتى ويَضرُّ وينفع فيكونَ في ذلك موضعُ شبهة.

وقيل: يجوز أن يكون ﴿أَمِ﴾ في هذه الآية عطفاً على قوله: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ ويجوز انتقال الكلام من المخاطبة إلى المغايبة.

وقوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾: أي: لو توهِّم وجود السماوات والأرض بصانعَين لفسدتا؛ لِمَا يجري بين الصانعَين من التمانع؛ لأنهما لا يخلوان من أن يكونا قادرين، أو عاجزين، أو أحدهما عاجزاً والآخرُ قادراً، والعاجز لا يكون إلهاً، وفي كونهما قادرين مع جواز ممانعةِ أحدهما صاحبَه ما يوجب استحالة وجود[٣] فعلهما؛ أو[٤] يَحتاج كلُّ واحد إلى موافقة صاحبه لحصول مراده، والحاجةُ نقصٌ يستحيل معها الإلهيَّةُ، فإذا لم يكونا إلهين خلا العالم عن مدبِّر له، وفي ذلك مما يوجب انتقاضَ أمور العالم، وفي وجود العالم على ما هو عليه من الاتِّفاق[٥] دليلُ صانع واحد.

---

(١) في (أ): «أفجعلنا».

(٢) في (ر) و(ف): «اتخذوه».

(٣) «وجود» من (أ).

(٤) في (ر): «إذ».

(٥) في (أ): «الإتقان».

وقوله تعالى: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ﴾: أي: نزِّهوا الله ﴿رَبِّ ٱلْعَرْشِ﴾ العظيم[١] ﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾؛ أي: من الولد والشركاء.

* * *

(٢٣ ـ ٢٤) ـ ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ۝٢٣ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ ۖ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِى ۗ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ ۖ فَهُم مُّعْرِضُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾: أي: من أفعال الربوبية ﴿وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ عما كلِّفوا به[٢] من العبودية.

وقيل: إنما يُسأل مَن يُحتمل وقوعُ الخطأ في فعله، ولا يُحتمل ذلك في فعل الله تعالى فلا يُسأل، وإشراكُ الكفار بالله الأصنامَ، ووصفُهم إياه باتخاذ الصاحبة والولد، ضلالٌ وخروج عن الصواب والحكمة فيُسألون.

وقيل: ﴿وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ يرجعُ إلى المسيح والملائكة الذين هم متعبَّدون مسؤولون محاسَبون، فكيف يكونون شركاء لله؟

وقوله تعالى: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً﴾: قيل: الإعادة لتجديد إفادة؛ فإن الأول إنكار عليهم من حيث العقلُ، والثاني من حيث الخبر؛ أي: أيقولون ذلك عقلاً وهم يُنشرون الأموات فيقعَ لهم شبهةٌ، أم يقولون من جهة الخبر أنَّا أخبرنا في الكتب أنهم آلهةٌ، وليس كذلك، فلا إنشار ولا إخبار، وذلك قوله تعالى:

﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ﴾: على أنه في الكتب ﴿هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِى﴾؛ أي: هذا الكتاب ـ وهو القرآن ـ وكتابُ مَن قبلي وهو التوراة والإنجيل ليس ذلك في شيء

---

(١) «العظيم» ليست في (أ).

(٢) «به» من (ر).

منها؛ بل كلُّها دالة على التوحيد ونفي الصاحبة والولد والشريك، فقد بطل اتخاذ الآلهة من الجهات كلها.

﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ﴾: من أين يُتعرَّف ومن أيِّ جهة يُطلب ﴿فَهُم مُّعْرِضُونَ﴾ عن الحقِّ كذلك.

***

(٢٥ ـ ٢٦) ـ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وما أرسَلْنا مِن قَبْلِكَ مِن رسولٍ إلا يُوْحَى[1] إليه أنَّه لا إلهَ إلَّا أنا فاعْبُدون﴾: تقرير ذلك؛ أي: ولم نرسل قبلك رسولاً إلا أوحينا إليه بالتوحيد وتجريدِ العبادة لله، دون الشركِ[2] الذين يَدين به هؤلاء، وهذا كلُّه كلام واحد.

وقيل: تم الكلام عند قوله: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ ومعناه: ولا برهان لهم، ثم ابتدأ كلاماً فيه حثٌّ على التوحيد وزجرٌ عن الشرك: ﴿قُلْ﴾ يا محمد: هذا القرآن ﴿ذِكْرُ مَن مَّعِيَ﴾؛ أي: بيانُ حال أهل عصري: أنَّ مَن آمن أو كفر فإلى ماذا يصيرون؟ ﴿وَذِكْرُ مَن قَبْلِي﴾: بيانُ مَن آمَنَ بالأنبياء ووحَّد، وبيانُ مَن كذَّبهم وأشرك: أنهم إلى ماذا صاروا؟ ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ﴾؛ أي: ليس بهم رغبةُ معرفةِ الحق ﴿فَهُم مُّعْرِضُونَ﴾ عنه، وكذلك ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ﴾ كلامٌ آخرُ في تنبيههم.

وقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾: أي: قال طائفة من العرب: اتخذ الله الملائكةَ بناتٍ ﴿سُبْحَانَهُ﴾؛ أي: تنزَّه الله تعالى عن ذلك وتقدَّس.

---

(١) في (ر): «نوحي»، وهما قراءتان سبعيتان، قرأ بالنون حفص وحمزة والكسائي، والباقون بالياء. انظر: «السبعة» (ص: ٤٢٨)، و«التيسير» (ص: ١٥٤).

(٢) في (ر): «الشريك».

وقوله تعالى: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾: أي: ليس كما قالوا، لكنهم ﴿عِبَادٌ﴾ لي ﴿مُّكْرَمُونَ﴾؛ أي: أكرمتُهم ورفعتُ منزلتهم[١].

* * *

(٢٧ ـ ٢٨) ـ ﴿لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ﴾: أي: لا يقولون شيئاً لم يؤذَن لهم فيه.

وقيل: هو إبطال ظنِّ المشركين، فإنهم كانوا يعبدون الملائكة طمعاً في شفاعتهم، فقال: ﴿لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ﴾؛ أي: لا يقولون شيئاً لم يؤذن لهم فيه.

ثم قال: ﴿وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾: ذكر طاعتهم في القول والعمل جميعاً.

وقوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾: مما لم يبلُغوه بعدُ: ماذا يعملون فيه؛ ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾؛ أي: ويعلم ما مضى من أزمنتهم فخلَّفوه ما عملوا فيه؛ أي: أحصى ذلك عليهم وحفظه ليحاسبهم، فهم مستعبَدون محاسبون، فكيف يتقدمون بين يدي الله فيشفعون لمن لم يأذن لهم فيه.

﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ﴾: أي: لمن هو مرضيٌّ عند الله بالتوحيد، ومن شفاعتهم ﴿لِمَنِ ارْتَضَىٰ﴾ هو استغفارهم الآن، قال تعالى: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ الآية [غافر: ٧].

وقوله تعالى: ﴿وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾: أي: خائفون.

* * *

---

(١) في (ف): «عنهم زلتهم».

(٢٩ ـ ٣٠) ـ ﴿ ۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَـٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَـٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾.

﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَـٰهٌ مِّن دُونِهِۦ﴾: أي: من دون الله ﴿فَذَٰلِكَ﴾ القائلُ ﴿نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ﴾ على ادعائه الشركةَ في الألوهية.

وقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾: أي: هكذا نفعل بمن ادَّعى ما ليس له أن يدَّعيَه، وهذا الوعيد في حقِّهم مع العصمة كوعيدِ الأنبياء، وقد مر تأويلُه مرات.

وقال ابن عباس وقتادة والضحاك: الوعيد تحقَّق في إبليس خاصة(١).

وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا﴾: وهذا بيان دلالة التوحيد، والرَّتق: السد، ومنه الرَّتْقاء: وهي المرأة التي فرجها ملتحمٌ، والفَتْق: الشَّق، وصرفُهما من باب دخل.

ومعناه: أولم ير الكفار بالأبصار، وهو استفهامٌ بمعنى الإثبات؛ أي: قد رأوا ﴿أَنَّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا﴾؛ أي: تكونان مرتوقتَين، مصدرٌ أريد به النعت فلم يثنَّ لذلك، وإنما ثُني ﴿كَانَتَا﴾ مع أن السماوات والأرض جمع؛ لأنهما صنفان.

قوله: ﴿فَفَتَقْنَـٰهُمَا﴾: أي: فنفتق السماء بالمطر والأرضَ بالنبات قواماً للعالَم.

وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾: أي: وجعلنا من ماء السماء كلَّ شيء على وجه(٢) الأرض حيًّا ﴿أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾: أي: أفلا يصدِّقون بأن ذلك لم يكن

---

(١) رواه عن قتادة عبد الرزاق في «تفسيره» (١٨٥٦)، والطبري في «تفسيره» (١٦/ ٢٥٤)، وعن الضحاك ابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» (٥/ ٦٢٥). وزاد الواحدي في «البسيط» (١٥/ ٥٥) نسبته للسدي والكلبي.

(٢) «وجه» ليست في (أ).

بنفسه بل بمكنونِ كونه، وإلى هذا التأويل ذهب عطيةُ وعكرمة وابن زيد وجماعة[١].

وتأويل آخر: أولم يعلم الذين كفروا أن السماوات والأرض كانتا ملتصقتَين ففتقناها بالهواء، وهو قول الحسن وقتادةَ وجماعةٍ[٢].

والرؤية[٣] على هذا من رؤية بصر القلب وهي العلم؛ أي: فليعلموا ذلك.

وقيل: السماوات كانت طبقةً واحدة ففتقها الله تعالى فجعلها سبعاً، وكذلك الأرضون.

وعلى هذين القولين معنى قوله: ﴿أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾؛ أي: أفلا يصدِّقون بهذا وقد أتاهم الخبر به عن الله تعالى.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أنه سئل عن الليل: أكان قبل النهار أو النهارُ كان[٤] قبل الليل؟ فقال: الليل، وقرأ هذه الآية، ثم قال: فهل يعلمون كان بينهما إلا ظلمة[٥].

* * *

(٣١) ـ ﴿وَجَعَلْنَا فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ﴾: أي: جبالاً ثوابتَ ﴿أَن تَمِيدَ بِهِمْ﴾؛ أي: لئلا تضطرب بهم؛ ليَتِمَّ القرار عليها والتمكُّن فيها.

---

(١) رواه عنهم الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٢٥٧ ـ ٢٥٨).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٢٥٥ ـ ٢٥٦) عن ابن عباس والحسن وقتادة.

(٣) في (أ): «وأولم ير» وفي (ف): «وألم».

(٤) «كان» من (أ).

(٥) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٧١٧)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٤/ ١٣٦٨).

وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا﴾: قال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿فِيهَا﴾؛ أي: بين الجبال[١]؛ أي: طرقاً واسعة؛ جمع فجٍّ، ومنه: تفاجَّ؛ أي: فتح ما بين رجليه للبول.

وقال ابن عمر رضي الله عنهما: كانت الجبال مصمتةً، فلما أغرق الله قومَ نوح فرَّقها فجاجاً[٢].

وقيل: ﴿فِيهَا﴾؛ أي: في الأرض، فيعمُّ الجبال والسهول.

وقوله تعالى: ﴿سُبُلًا﴾: أي: مسالكَ، وهو كقوله تعالى: ﴿لتسلكوا منها سبلاً فجاجاً﴾ [نوح: ٢٠].

وقوله تعالى: ﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾: أي: ليهتدوا بها إلى البلاد المقصودة، ودخل فيها (لعل) لأنه قد ينقطع الاستدلال[٣]، وقد يقع فيه الخطأ.

* * *

(٣٢ ـ ٣٣) ـ ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ (٣٢) وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا﴾: أي: مُظِلًّا عليكم كالسقف ﴿مَحْفُوظًا﴾ في موضعه عن السقوط؛ كما قال: ﴿وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [الحج: ٦٥] وقال تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ الآية [البقرة: ٢٥٥].

وقيل: ﴿مَحْفُوظًا﴾ بالشهب من الشياطين؛ كما قال: ﴿وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾ [الحجر: ١٧].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٢٦٢).

(٢) ذكره الرازي في «تفسيره» (٢٢/ ١٣٩)، وفيه: (كانت الجبال منضمة...).

(٣) في (أ): «لأنه يقطع بالاستدلال».

وقوله تعالى: ﴿وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا﴾: أي: آياتِ السماوات والأرض ﴿مُعْرِضُونَ﴾ لا يتفكَّرون فيها، بخلاف المؤمنين الذين يتفكَّرون في خلق السماوات والأرض ويقولون: سبحانك ﴿مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا﴾ [آل عمران: ١٩١].

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ﴾: الليلَ ليسكنوا فيه والنهارَ ليتصرفوا فيه.

﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾: أحدهما سراجُ الليل والآخر سراج النهار، ليُعلم بهما الشهورُ والسِّنون، ويقومَ بهما مصالح العباد.

وهذا كلُّه آيات يُستدل بها على وحدانية الله تعالى ونعمِه يجب بها شكر الله تعالى.

وقوله: ﴿كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾: أي: كلٌّ من الشمس والقمر والنجوم في فلك.

قال الضحاك: أي: هذا المجرى الذي يجري فيه الشمس والقمر(١).

وقال الحسن: الفلَكُ طاحونة كهيئة فَلْكة المغزل(٢).

وقيل: هو موج مكفوف، فلذلك قال: ﴿يَسْبَحُونَ﴾ كما يسبح الإنسان في الماء.

قال ابن جريج: يَجرون(٣).

وقيل: يسرعون، وقيل: يدورون.

وجمع بالواو لأنه وصَفَها بالفعل الذي يكون مثلُه من العقلاء، وهو كقوله تعالى: ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ﴾ [يوسف: ٤]، وكقوله: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٢٦٥).

(٢) في (ر): «فلك المغزل»، وذكره بهذا اللفظ يحيى بن سلام في «تفسيره» (١/ ٣١١). وذكره باللفظ المثبت الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٢٦٦)، ويحيى بن سلام في «تفسيره» (٢/ ٨٠٩).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٢٦٧) من طريق ابن جريج عن مجاهد، ومن طريق ابن أبي نجيح عنه.

﴿يَنطِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٦٥]، وكقوله: ﴿ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ﴾ [النمل: ١٨]، وقال النابغة:

تمزَّزْتُها والدِّيكُ يدعو صباحَه ... إذا ما بنُو نعشٍ دَنَوا فتَصوَّبوا[1]

* * *

(٣٤ ـ ٣٥) ـ ﴿وَمَا جَعَلۡنَا لِبَشَرٖ مِّن قَبۡلِكَ ٱلۡخُلۡدَۖ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلۡخَٰلِدُونَ ٣٤ كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ وَإِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلۡنَا لِبَشَرٖ مِّن قَبۡلِكَ ٱلۡخُلۡدَ﴾: لمَّا ذكر لهم هذه الآيات قالوا: ما أتى به ﴿أضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعر﴾ وقال في آية أخرى: ﴿شَاعِرٞ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيۡبَ ٱلۡمَنُونِ﴾ [الطور: ٣٠]؛ أي: الموت، يموت كما مات شاعر بني فلان فنستريحُ منه ومِن سبِّه لأصنامنا وتسفيهه لأحلامنا، فنزلت: ﴿وَمَا جَعَلۡنَا لِبَشَرٖ مِّن قَبۡلِكَ ٱلۡخُلۡدَ﴾؛ أي: الخلودَ في الدنيا، فليس في الموت ما يُبطل النبوة.

وقوله تعالى: ﴿أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلۡخَٰلِدُونَ﴾: استفهام بمعنى النفي؛ أي: لا يخلدون بل يموتون كما تموت.

وقوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفۡسٖ﴾: أي: كلُّ نفسٍ حيوان ﴿ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِ﴾؛ أي: تذوق الموت لا محالةَ ﴿وَنَبۡلُوكُم﴾؛ أي: نختبرُكم في الدنيا ﴿بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ﴾: بالمكروه والمحبوب ﴿فِتۡنَةٗ﴾؛ أي: امتحاناً وتعبُّداً بالصبر في المكروه، والشكرِ في المحبوب.

وقوله تعالى: ﴿وَإِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ﴾: بالموت والبعث فنجزيكم بما عملتُم.

* * *

---

(١) البيت في «الكتاب» (٢/ ٤٧) برواية: (شربت بها)، و«الأزمنة» لقطرب (ص: ٢٩) برواية: (سريت بهم)، و«مجاز القرآن» (٢/ ٣٨)، و«المقتضب» (٢/ ٢٢٦)، و«تفسير الطبري» (١٥/ ٥٤٥)، والرواية عندهم كالمؤلف.

(٣٦) ـ ﴿وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ هُمْ كَٰفِرُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ﴾: أي: ما يتخذونك ﴿إِلَّا هُزُوًا﴾ يَسْخرون بك.

وقوله تعالى: ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ﴾: استفهام بمعنى التعجب؛ أي: يقولون: أهذا الذي يَعيب آلهتكم، وهو كقولهم: ﴿سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ﴾ [الأنبياء: ٦٠]؛ أي: يَعيبهم.

وقيل: يذكرهم بالذم والسوء.

وقوله تعالى: ﴿وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ هُمْ كَٰفِرُونَ﴾: أي: بذكر الله الذي خلقهم بما هو أهلٌ أنْ يُذكر به كافرون؛ أي: يُنكرون عليك ذكر آلهتهم بالسوء، وذكرَ الله تعالى بصفاته الحسنى.

وقيل: ﴿بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾؛ أي: توحيده؛ كما قال: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ﴾ [الزمر: ٤٥]، وقال: ﴿إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ﴾ [غافر: ١٢].

وقيل: الذكر اسم للقرآن هاهنا، ومعناه: هم بكتاب الله كافرون.

وأعاد كلمة ﴿هُمْ﴾ فقال: ﴿وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ هُمْ كَٰفِرُونَ﴾ لأن الأولى إشارة إلى المشركين بمكة(١) بمنزلة تسميتهم، والثانية تحقيق لاختصاصهم بهذا(٢)، كقولك: زيد هو الذي فعل كذا؛ أي: اختصَّ به وانفرد.

---

(١) في (أ): «إلى مشركي مكة».

(٢) بعدها في (ر) و(ف): «القول».

(٣٧ ـ ٣٨) ـ ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَـٰنُ مِنْ عَجَلٍ ۚ سَأُو۟رِيكُمْ ءَايَـٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَـٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَـٰنُ مِنْ عَجَلٍ﴾: أي: عَجولاً، وقد ذكر ذلك في آيةٍ[1]، وهو كقوله: ﴿خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ﴾ [الروم: ٥٤]، وقال في آية أخرى: ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَـٰنُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٨] وهو كقولك: خُلقتَ من الشرِّ.

أي: خُلق مستعجِلاً ما يشتهيه ويريده بطبعه، وهؤلاء المشركون يستعجلون أيضاً في طلب الآيات، فقال تعالى: ﴿سَأُو۟رِيكُمْ ءَايَـٰتِى﴾ التي تطلبونها دلالةً على صحة[2] رسالة محمد ﷺ ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾ في سؤالها.

وقيل: يستعجلون العذاب بقولهم: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَـٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾.

وقيل: هذا في حق النَّضر بن الحارث، وقوله: ﴿سَأُو۟رِيكُمْ ءَايَـٰتِى﴾؛ أي: عجائبي في عقوبتهم ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾ ذلك، وكان ذلك يوم بدر.

ثم النهيُ عن الاستعجال ـ مع أنه طُبع على العجلة ـ لمخالفةِ الطبع، وعليه الثوابُ كما في الشهوات.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَـٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾: أي: الموعود ﴿إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ هو أحد وجهي استعجالهم، وذلك قوله تعالى:

* * *

(٣٩ ـ ٤٠) ـ ﴿لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾ بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾.

---

(١) وهو قوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ عَجُولًا﴾ [الإسراء: ١١].

(٢) في (ر): «صدق».

﴿لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾: أي: لو علموا حالهم إذا دخلوا جهنم وهم حينئذ لا يمكِنُهم أن يمنعوا عن أنفسهم ما يضطرم من النار في وجوههم وظهورهم لعظمها وكثرتها، ولأن أيديَهم مغلولةٌ حينئذ ولا ينصرهم غيرهم؛ أي: لا يمنع العذاب عنهم، والنصرة: المنع، قال الله تعالى خبراً: ﴿فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ﴾ [هود: ٦٣].

وقيل: لا تنصرهم الآلهةُ التي رجَوها.

وجوابه محذوف، وهو أبلغُ لِمَا مرَّ مرات، وأحدُ وجوه الجواب هاهنا: لم يستعجلوا.

وقيل: إضمار الجواب بعد تمام الآية التي تليها.

قوله تعالى ﴿بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً﴾: أي: النار فجاءةً ﴿فَتَبْهَتُهُمْ﴾ قيل[1]: فتحيِّرهم.

وقيل: فتَجْهَدهم وتَلفح وجوههم وظهورهم عِياناً؛ كالرجل يَبْهَت الرجل في وجهه.

وقوله تعالى: ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾: أي: يُمْهَلون؛ أي: لا تؤخَّر عنهم طرفةَ عين، والجمع بين هذه الصفات بيانُ غايةِ شدة عذابهم.

* * *

(٤١ ـ ٤٢) ـ ﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٤١) قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَٰنِ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ﴾: أي: نزل ﴿بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُم مَّا كَانُوا﴾؛ أي: جزاءَ ما كانوا ﴿بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ مر تفسيره مرات.

---

(١) في (ر) و(ف): «أي».

وقوله تعالى: ﴿قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم﴾: أي: قل يا محمد لهؤلاء المستعجِلين: مَن يحفظكم ﴿بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾؛ أي: من عذاب الرحمن، وكان مشركو العرب مقرِّين بأن الله تعالى هو الخالق والرازق والحافظ، فإذا سألتَهم عن ذلك واعترفوا بأنْ لا حافظ من عذاب الله، ثبت أنه قادرٌ على أن يعجِّل لهم العذاب، فإنه لا يؤخِّره لعجزه ولكن ليبلُغ الكتاب أجلَه.

وقوله تعالى: ﴿بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ﴾: وفيه إضمارٌ لتفيد كلمة ﴿بَلْ﴾[1]: ليسوا جاهلين أنْ لا كالئ لهم من عذاب الله تعالى، ﴿بَلْ هُمْ عَن﴾ تدبُّر[2] ﴿ذِكْرِ﴾ الله؛ أي: وعظِه ﴿مُّعْرِضُونَ﴾.

* * *

(٤٣ ـ ٤٤) ـ ﴿أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴿٤٣﴾ بَلْ مَتَّعْنَا هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا﴾: وفيه إضمار أيضاً لتكون ﴿أَمْ﴾ على حقيقتها[3]: أيستعجلون العذاب ظنًّا منهم أنهم يمتنعون من عذاب الله تعالى بأنفسهم ﴿أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا﴾.

ثم ردَّ عليهم ذلك فقال: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ﴾: أي: يُجارون ويُحفظون، يقال في الدعاء: صَحِبَكَ الله؛ أي: كان الله

---

(١) في (ف): «أنهم» بدل من «لتفيد كلمة بل». وكلمة «لتفيد» غير واضحة في (أ) و(ر).

(٢) «تدبر» ليست في (أ).

(٣) في (ف): «الحقيقة».

لك مجيراً وحافظاً، وفي الحديث: «اللهم اصْحَبنا بصحبةٍ واقْلِبنا بذمَّةٍ»[١].

وقوله تعالى: ﴿بَلْ مَتَّعْنَا هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ﴾: أي: ليس لهم آلهةٌ تمنعهم من دوننا ولا جارٌ يُجيرهم من عذابنا ليكون إصرارهم على الكفر اتِّكالاً عليهم، لكنْ متَّعناهم بالحياة الدنيا وبسَطنا لهم في عزِّها ونعيمها، وكذلك فعلنا بآبائهم فطال عليهم العمر فألِفوه واستطابوا الدَّعَةَ، فقست قلوبهم، فلما جاءهم مَن يدعوهم إلى خلافِ ما ألِفوه استثقلوا تركَ ما هم عليه وظنوا أنَّ ما هم فيه لا يزول عنهم، فأعرضوا عن التدبُّر.

ثم بيَّن خطأهم في ذلك فقال: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ﴾: أي: أفلا يُشاهدون ما نفتحه على محمدٍ من بلاد الكفر مما حول مكة، فنَنْقص من قراهم ونزيد في ملك محمد وما يهلكه[٢] من رؤساء هؤلاء[٣].

قوله تعالى: ﴿أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾: أي: أفكفَّارُ مكة يغلبون بعد أن نقصنا من أرضهم[٤]؛ أي: ليس كذلك، بل يغلبهم رسول الله ﷺ وينصرُه الله تعالى.

وفي نقص الأطراف أقاويلُ أُخر ذكرناها في سورة الرعد، وهذا القول هاهنا أقرب إلى النظم.

---

(١) قطعة من حديث رواه الإمام أحمد في «المسند» (٩٢٠٥)، والترمذي (٣٤٣٨)، والمحاملي في «الدعاء» (٢٧)، والحاكم في «المستدرك» (٢٤٨٤)، والخطيب في «الكفاية في علم الرواية» (ص: ١٧٩)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. ولفظ أحمد: (بنصح)، والترمذي: (بنُصْحك) بدل: (بصحبة). قال الترمذي: حسن غريب.

(٢) في (ر) و(ف): «يهلك».

(٣) السورة مكية، ولم يكن هناك فتح ولا نصر، وقد تكرر هذا عند المؤلف.

(٤) في (ر) و(ف): «أطرافهم».

وقيل: نقصُ الأطراف تنبيهٌ على ذهاب[1] الكل، قال قائلهم:

طوى العصرانِ ما نَشَراهُ مني فأبلى جِدَّتي نشرٌ وطَيُّ
أَراني كلَّ يوم في انتقاصٍ ولا يَبْقَى مع[2] النُّقصان شيُّ[3]

* * *

(٤٥ ـ ٤٦) ـ ﴿قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُم بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ (٤٥) وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُم بِالْوَحْيِ﴾: أي: ﴿قُلْ﴾ يا محمد للمستعجِلين: ﴿إِنَّمَا أُنذِرُكُم﴾ بالعذاب بوحي الله[4] لا من تلقاء نفسي.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ﴾: ويحقُّ عليهم أن يسمعوا إنذارك، لكن لا يسمع الصمُّ الدعاء إذا ما ينذرون، وقد أصمَّهم الاغترار بالمهلة.

وقيل: معناه: ﴿إِنَّمَا أُنذِرُكُم بِالْوَحْيِ﴾ والله تعالى يُنزل العذاب متى شاء، ولكنكم لصَمَمكم[5] معرضون عن التدبر.

وقرأ ابن عامر: ﴿ولا تُسمِعُ﴾ بالتاء مضمومة على خطاب النبي ﷺ ﴿الصمَّ﴾ بالنصب على أنه مفعول[6]؛ أي: لا تستطيع أنت أن تسمع الصم الدعاء.

---

(١) بعدها في (ف): «بعض»، وهو خطأ.

(٢) في (ف) و(أ): «على».

(٣) البيتان لابن أبي الدنيا كما في «تاريخ بغداد» للخطيب (١٤/ ٣١٠)، ودون نسبة في «الطائف الإشارات» (٢/ ٢٣٧ و٥٠٤).

(٤) لفظ الجلالة «الله» من (أ).

(٥) في (ف): «صممتم»، وفي (ر): «صممتم وأنتم».

(٦) انظر: «السبعة» (ص: ٤٢٩)، و«التيسير» (ص: ١٥٥).

وقوله تعالى: ﴿وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ﴾: أي: شيء قليل، وهو من قولهم: نَفَح الوردُ: إذا فاح شيءٌ من رائحته، قال الشاعر:

وعَمْرةُ من سَرَواتِ النِّسا ... ءِ تنفحُ بالمسكِ أردانُها[1]

ونفح لفلان من عطائه[2]؛ أي: أعطاه شيئاً منه، قال أبو تمام:

وانفَحْ لنا من طِيبِ خِيْمِكَ نفحةً ... إنْ كانت الأخلاقُ مما تُوهَبُ[3]

يقول عز وجل: ولئن أصابت هؤلاء المستعجِلين بالعذاب[4] ﴿نَفْحَةٌ﴾؛ أي: شيء قليل من ﴿عَذَابِ رَبِّكَ﴾ ﴿لَيَقُولُنَّ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾؛ أي: لأقرُّوا على أنفسهم بظلمهم عليها، ولنادوا بالويل جزعاً مما أصابهم، أَخبرَ أنه لا طاقة لهم باحتمالِ قليلِ العذاب فكيف بالكثير؟

* * *

(٤٧) ـ ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾: أي: ونحضِر الموازين التي لا جَور فيها ـ بل هي كلُّها قسطٌ؛ أي: عدلٌ ـ لوزن الأعمال يوم القيامة.

---

(١) البيت لقيس بن الخطيم كما في «الأغاني» (١٦/ ٣٥)، وعمرة هي بنت رواحة أخت عبد الله بن رواحة وأم النعمان بن بشير. انظر: «أسد الغابة» (٧/ ٢١٩)، و«الإصابة» (٨/ ٣١).

(٢) في (ر) و(ف): «عطاه».

(٣) انظر: «الموازنة بين شعر أبي تمام والمتنبي» للآمدي (١/ ٣٣٢).

(٤) «بالعذاب» ليست في (أ).

﴿فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا﴾: أي: لا[(١)] يُنقص شيءٌ من عمله ولا يُحمل عليه ذنبُ غيرِه.

﴿كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ﴾: وإن كان عملُها قَدْرَ حبةٍ من خردل ﴿أَتَيْنَا بِهَا﴾؛ أي: أحضرنا تلك الحبة فوزنَّاها وحاسبنا عليها.

وقوله تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾: أي: مُحْصِين مثبِتين مقاديرَ[(٢)] ما عملوا، لا حاجة بنا إلى غيرنا في محاسبةٍ يومئذ.

وقيل: ﴿وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ في الدنيا مُحْصِين لأعمالهم.

ومعنى الجمع في الموازين: تعظيمُ شأنها وإن كان الميزان واحداً؛ كقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ﴾ [المؤمنون: ٥١] يعني: النبيَّ ﷺ.

ولأن أعمال كل واحد توزن به فهي ميزان في حقِّه وميزان في حقِّ كلِّ واحد، فصار جمعاً بإضافته إلى الجمع.

ولأن الميزان مجموع أشياءَ بها كلِّها يقع الوزن، فكلُّ شيء منه آلةُ وزنٍ فكان ميزاناً، فكان بجملته موازينَ معنًى.

ولأن ﴿ٱلْمَوَٰزِينَ﴾ يجوز أن تكون جمع الموزون، فكان جمعاً للموزونات لا للميزان.

و﴿ٱلْقِسْطَ﴾: نعت الموازين؛ قال الفرَّاء: هو مصدرٌ فصلح نعتاً للجمع؛ كما للرضا والعدل[(٣)].

وقال الفراء: ﴿لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ في معنى: في يوم القيامة[(٤)].

---

(١) في (ف) و(أ): «بأن» بدل: «أي: لا».

(٢) في (ف): «مثبتين مقدار»، وفي (ر): «مبينين مقدار».

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢٠٥).

(٤) المصدر السابق.

وقيل: معناه: لأهلِ يومِ القيامة، ولأمرِ يومِ القيامة.

ثم القولُ بحقيقة الميزان يوم القيامة من[١] مذهب أهل السنة والجماعة[٢]؛ لورود الأحاديث[٣] الصحيحة فيه[٤].

وقال الحسن: للميزان لسان وكفَّتان توزن به الأعمال[٥]، فيحتمل أن يجعل في إحدى كفتيه صحف الحسنات وفي الأخرى صحف السيئات، أو كما شاء الله تعالى.

وقال الإمام القشيري رحمه الله: تُوزن الأعمال بميزان الإخلاص فما فيه الرياءُ لا يُقبل، وتوزن الأحوال بميزان الصدق فما فيه الإعجابُ[٦] لا يُقبل، وتوزن الأنفاس بميزان الصفاء فما فيه الحظوظُ لا يُقبل[٧].

وقد مر في قوله تعالى: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ﴾ [الأعراف: ٨] زوائدُ وفوائد.

* * *

(٤٨) - ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا﴾: ثم اقتصَّ الله تعالى على نبيِّه ﷺ أخبارَ كثير من الأنبياء، وما قاسَوه مع قومهم في إقامة دين الله تعالى، وما أنعم الله عليهم من حميد العاقبة، يُسلِّيه بذلك ويبشِّره الله تعالى،

---

(١) «من» من (أ).

(٢) «والجماعة» من (أ).

(٣) في (ر): «لورود الكتاب والأحاديث».

(٤) انظر ما تقدم عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ﴾ [الأعراف: ٨] وقد أشبعنا الكلام فيه ثمة.

(٥) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ٢٠١).

(٦) في (ر): «العجب».

(٧) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٥٠٥).

ويعـرِّف الكفـار أنهم عليهم السـلام كانوا بشـراً عاشـوا مـا قدِّر لهم ثـم قبضهم الله إلـى رحمتـه، فمحمـد ﷺ كأحدهـم، فقـال: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا﴾.

قيل: هذه الثلاثُ كلها في[1] التوراة:

هي فرقانٌ يُفْرَق به بين الحق والباطل والهدى والضلال.

وهي ضياءٌ يُهتدى به إلى الحق ويُتوصَّل به إلى سبيل النجاة.

وهي ذكرٌ؛ أي: تعريفٌ لِمَا بالناس من حاجةٍ إليه، ووعظٌ وتنبيه.

وعطفُ بعض هذه الصفات على البعض كالعطف في قوله تعالى: ﴿وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [آل عمران: ٣٩].

وقيل: بل ﴿ٱلْفُرْقَانَ﴾ هو نصرهما على العدو، والفرقان: النصر؛ قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ﴾ [الأنفال: ٤١]، أو فرقُ البحر قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ﴾ [البقرة: ٥٠]، والضياء اسم للتوراة، والذكرُ الوعظ.

وقوله تعالى: ﴿لِّلْمُتَّقِينَ﴾: وفي الحقيقة الضياء والذكر للكلِّ، لكن انتفع بذلك المتَّقون فخصَّهم بالإضافة إليهم؛ كما قال: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا﴾ [النازعات: ٤٥].

* * *

(٤٩ ـ ٥٠) ـ ﴿ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ۝٤٩ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ﴾: هو وصف المتقين.

---

(١) في (أ): «هي».

قال نفطويه: ﴿يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ﴾؛ أي: لم يروه.

وقيل: يحذَرون ما حذَّرهم الله تعالى وبلَّغه الأنبياءُ من الأشياء التي تكون في القيامة وهي غيب.

وقيل: ﴿بِٱلْغَيْبِ﴾؛ أي: بالسرِّ حين يغيب عنهم الناس يُجِلُّون الله تعالى ويخافون مقامه.

وقوله تعالى: ﴿وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ﴾: أي: حذِرون من قيام الساعة وما يَظهر فيه من معاصيهم وتقصير طاعاتهم.

﴿وَهَٰذَا﴾: وهو[1] القرآن المنزل عليك ﴿ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ﴾ مَن تبرَّك به اتَّصلت له البركات؛ من الاهتداء إلى المَراشد، والنجاةِ من العقاب، والوصول إلى الثواب.

وقوله تعالى: ﴿أَنزَلْنَٰهُ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾: قيل: أي: جاحدون أنه منزلٌ من عند الله تعالى، استفهام بمعنى التوبيخ.

وقيل: ﴿مُنكِرُونَ﴾؛ أي: مستنكرون[2] نزولَه على محمد؛ كما قال تعالى: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ﴾ [يونس: ٢]، وقال: ﴿وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: ٣١].

أي: لا معنى لإنكاركم، فقد أنزلنا التوراة على موسى وهارون، وأرسلنا رسلاً إلى قومهم على ما ذكره من بعده[3].

وقال القشيري: الخشية بالغيب: إطراق السريرة في أوان الحضور باستشعار

---

(١) في (أ): «وهذا».

(٢) في (ر) و(ف): «مستكثرون».

(٣) في (أ): «بعد»، وكلمة «من» ليست في (ر).

الوجل من جريان سوء الأدب والحذر من أن يبدو من الغيب بغتات التقدير مما[١] يوجب حَجبة العبد[٢].

***

(٥١ ـ ٥٢) ـ ﴿ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ﴾: أي: ولقد أعطينا إبراهيم الخليل هداه.

وقيل: وفَّقناه للحق وعصمناه من عبادة الأوثان.

﴿مِن قَبْلُ﴾: أي: من قبل الوحي؛ أي: دلَلْناه على معرفتنا بالآيات حين جنَّ عليه الليل فرأى كوكباً ثم القمرَ ثم الشمسَ على ما مرت قصته.

وقيل: يعني: محاجَّة القوم قبل الوحي.

وقيل: أي: الفهمَ والعقل قبل البلوغ.

وقيل: أي: من قبلِ موسى وهارون، والرُّشد على قول هؤلاء النبوةُ.

وقوله تعالى: ﴿وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ﴾: أي: بصلاحه للنبوة؛ أي: على علمنا بذلك آتيناه النبوة، وهو كقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الدخان: ٣٢].

وقيل: كنا عالمين بطاعته لنا.

قوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ﴾: أي: الأصنام المصوَّرة وتماثيلُ الناس ﴿ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ﴾: أي: على تعظيمها وعبادتها مُقيمون.

---

(١) في (ف): «يبدو من الغيب شأن التقدير مما»، وفي (ر): «يبدو من الغيب شيء مما». وفي «اللطائف»: (يبدو من الغيب من خفايا التقدير ما)

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٥٠٦).

(٥٣ ـ ٥٦) ـ ﴿قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَـٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّـٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّـٰهِدِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَـٰبِدِينَ﴾: كعبادتنا لها.

﴿قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾: أي: ظاهر.

وقيل: أي: مُظهِرٍ عن نفسه أنه ضلال، وهو لازمٌ ومتعدٍّ.

ووجهُ ظهور هذا الضلال: أنكم عبدتُم خشباً وطيناً وحجارة لا تعقل ولا تضرُّ ولا تنفع، ولا تدفع عن نفسها شيئاً[1].

وقوله تعالى: ﴿قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّـٰعِبِينَ﴾: أي: أمُحِقٌّ أنت في هذا[2] القول جادٌّ فيه أم لاعبٌ ممازح؟! استعظاماً منهم إنكارَه عليهم.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: أي: لستُ بلاعبٍ فيما قلتُ لكم، بل أنا جادٌّ فيه محقِّقٌ له؛ لأن هذه التماثيل ليست بربكم، ﴿بَل رَّبُّكُمْ﴾؛ أي: مدبِّرُكم والقائم عليكم هو خالق السماوات والأرض ومدبِّرهما وممسكهما؛ لِمَا فيها من الدلائل أنها مصنوعة لصانعٍ واحدٍ قادرٍ عليهم، لا يُشبه المصنوعات بوجهٍ من الوجوه كأصنامكم هذه التي هي مصنوعة.

﴿ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ﴾: أي: أنشأهن من غير شيء.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّـٰهِدِينَ﴾: أي: أنا أشهد أن المستحِقَّ للعبادة والربوبية هو خالقُ السماوات والأرض.

---

(١) «شيئاً» ليست في (أ) و(ف).

(٢) في (ف): «محقق أنت في هذا» وفي (ر): «محقق أنت هذا».

(٥٧ ـ ٥٨) ـ ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم﴾: أي: أحلف بالله تعالى لأحتالنَّ في إصابة أصنامكم بالمكروه، ولم يرض بالمجادلة باللسان حتى قصد الفعلَ بما لا يفعله إلا مَن أخلص في الذبِّ عن دين الله بنيَّته، ووطَّن على مكروهٍ يناله في الله نفسَه.

وقوله تعالى: ﴿بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ﴾: أي: بعد غيبتكم عني، وذلك لانتهاز الفرصة لِمَا أراد.

وقيل: إنه قال هذا سرًّا[1] لم يسمعه الجميع وإنما سمعه واحد، وهو الذي قال: ﴿سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ﴾ [الأنبياء: ٦٠].

وقيل: إن القوم كانوا عزموا على الخروج إلى عيدٍ لهم، فاحتال إبراهيمُ عليه السلام للتخلُّف عنهم بقوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ [الصافات: ٨٩].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: كان لهم في كلِّ سنةٍ مَجمَعٌ وعيد، فإذا رجعوا من عيدهم دخلوا على الأصنام فسجدوا لها ثم رجعوا إلى منازلهم، فقالوا من الليل لإبراهيم: نحن خارجون غداً إلى عيد لنا أفتصحبُنا[2]؟ ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾ أي: فعلم من النجوم[3]؛ لأنهم كانوا يقصدون بالنجوم[4]، وقوله تعالى: ﴿فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾؛ أي: سأسقم.

---

(١) في (ر) و(ف): «بسر».

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ١٤٨).

(٣) في (ر): «فعلم في علم النجوم»

(٤) أي: كانوا يتعاطون علم النجوم فعاملهم من حيث كانوا لئلا ينكروا عليه. انظر: «تفسير الثعلبي» (٨/ ١٤٨)، و«البسيط» للواحدي (١٩/ ٧٠)، كلاهما عن ابن عباس أنه قال ذلك.

وقيل: أي: نظر في نبات الأرض، والنجمُ نبتٌ ليس لها ساق، قال تعالى: ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ [النجم: ١]، وقال تعالى: ﴿وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ﴾ [الرحمن: ٦].

وقال: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ والإنسان لا يخلو من سقم، فتركوه، فلما خرجوا إلى عيدهم دخل بيت الأصنام وبيده فأسٌ، وكان في البيت تسعون صنماً ما بين[١] خشبٍ وحديد ورصاص ونحاس وفضة وذهب، فكان في صدر البيت أكبرُها من ذهب، وفي عينيه جوهرتان تضيئان في الليل، فكسر رؤوسها ووضع الفأس على عاتق الكبير وخرج.

وقوله تعالى: ﴿فَجَعَلَهُمۡ جُذَٰذًا﴾: قرأ الكسائي: ﴿جِذاذاً﴾ بكسر الجيم والباقون بضمها[٢].

قال الفرَّاء: الضمُّ مثل الحُطام والرُّفات، وبالكسر: جمع جَذيذ[٣]، وهو من الجذِّ؛ أي: القطع، قال تعالى: ﴿عَطَآءً غَيۡرَ مَجۡذُوذٍ﴾ [هود: ١٠٨].

وقال الخليل: هو القطع المستأصِل الوحيُّ[٤].

وقال أبو عبيدة: ﴿فَجَعَلَهُمۡ جُذَٰذًا﴾؛ أي: مستأصَلين، قال جرير:

بنو المهلَّبِ جذَّ الله دابرَهم ... أمسَوا رماداً فلا أصلٌ ولا طرفُ[٥]

هاهنا مضمر: فتولوا عنه مدبرين فكاد أصنامهم ﴿فَجَعَلَهُمۡ جُذَٰذًا﴾؛ أي: فتاتاً.

قوله: ﴿إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمۡ﴾: أي: إلا صنماً كبيراً لم يجذّه.

---

(١) في (ر): «صنما من»، وفي (ف): «صنما بين».

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٤٢٩)، و«التيسير» (ص: ١٥٥).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢٠٦).

(٤) انظر: «العين» (٦/ ١١). والوحي: السريع.

(٥) انظر: «مجاز القرآن» (٢/ ٤٠). والبيت في «ديوان جرير» (١/ ١٧٦) برواية: (آل المهلب...).

وقوله تعالى: ﴿لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ﴾: أي: إلى كبيرهم ﴿يَرْجِعُونَ﴾ على عادتهم في الرجوع من العيد للسجود له.

وقيل: للأكل عنده، وكانوا إذا خرجوا إلى العيد وضعوا في بيت أصنامهم طعاماً، وإذا رجعوا أكلوا ذلك وقالوا: باركتِ[1] الأصنام عليه.

أي: كان على رجاءِ أن يرجعوا إليه فيشاهدوا هذه الحالة، فيبحثوا عن السبب، فيجد سبيلاً إلى تنبيههم على ضلالهم، وإذا رأوا كسرَها وعجزها عن الدفع تنبَّهوا على جهلهم في عبادتهم.

وقيل: ﴿لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾؛ أي: إلى دين الله.

وقيل: إلى قول إبراهيم.

* * *

(٥٩ ـ ٦٠) ـ ﴿قَالُوا مَن فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ۝٥٩ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾.

قوله: ﴿قَالُوا مَن فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا﴾: وهاهنا مضمر أيضاً؛ أي: فرجعوا إليها ورأوا ما فعل بها فقالوا: ﴿مَن فَعَلَ هَٰذَا﴾ ﴿إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ أي: قد ظلم نفسَه مَن فعَل هذا وهو يعلم أنا إذا علمنا به أهلكناه.

وقوله تعالى: ﴿قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ﴾: أي: قال الذين سمعوا منه قولَه: ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم﴾.

وقد[2] قيل: سمع ذلك واحد وأخبر هو، وذُكر جمعاً لأن الجمع رضُوا بقوله،

---

(١) في (أ): «بركت»، وفي (ر): «بركة».

(٢) «قد» من (أ).

فكأنهم قالوا ذلك، وهو كقول السلولي: ﴿لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾ [المنافقون: ٨].

ويحتمِل أن السامع الواحد أخبر بذلك جمعاً، فقالوا ذلك بإخباره.

ويحتمِل أن واحداً سمع منه هذه الكلمة، وآخرُ في موضع آخر عيباً منه لها، وآخر في موضع آخر، فصاروا جمعاً، وذلك قوله: ﴿فَتًى يَذْكُرُهُمْ﴾؛ أي: يَعِيبهم، وهو كقوله: ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ﴾ [الأنبياء: ٣٦]؛ أي: فإذا كان هو يَعيبهم فالظاهر أنه فعَل بهم ذلك.

وقوله تعالى: ﴿يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ﴾: أي: اسمه هذا.

* * *

(٦١ ـ ٦٢) ـ ﴿قَالُوا۟ فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوٓا۟ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ﴾: أي: أحضِروا إبراهيم وأشهِروه للناس لينظروا له، ومعنى: ﴿عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ﴾؛ أي: بحيث يَرونه ويشاهدونه.

وقوله تعالى: ﴿لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾: قيل: أي: يُؤدُّون الشهادة عليه أنه هو الفاعل ذلك، فيكون لنا حجةٌ في أخذه.

فهؤلاء الكفار لم يقبلوا في كسرِ ما يعتقدونه إلهاً لهم قولَ طاعنٍ إلا بحجةٍ، فكيف حالُ مَن يَقبل من الملوك قول النمّام على رجلٍ لم يَثبت ذلك عليه.

وقوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾: أي: على كسر الأصنام.

وقيل: لعلهم يسمعون منه حين أُحضر لها طعناً في أصنامهم، فيستدلون بذلك على أنه فعل ذلك، أو قد يعترف بذلك فيشهدون؛ أي: يصيرون شهداء عليه.

وقيل: بل[1] معناه: يشهدون ما نعاقبه به؛ أي: يحضرون ويشاهدون[2].

فكان له ثلاث تأويلات.

والآخر قول ابن إسحاق قال: ﴿يَشْهَدُونَ﴾ ما يُصنَع به[3].

وقوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا﴾: وهاهنا مضمر أيضاً؛ أي: فأحضَروه فقالوا له: أنت فعلتَ هذا بآلهتنا ﴿يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ﴾؟ يحتمِل أن يكون هذا استخباراً منه لأنهم لم يتيقَّنوا به، ويحتمِل أن يكون استنكاراً عليه.

* * *

(٦٣) ـ ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ﴾: أَوهمهم أن كبير الأصنام كسر سائرها والفأسُ على عنقه دليلُه، فأمرهم بسؤالهم إنْ كانوا ينطقون ليشهدوا له بما يدَّعي، وهذا من معاريضِ الكلام ولا كذب فيه، وله ثلاثة أوجه:

أحدها: فيه تقديم وتأخير، تقديره: فعله كبيرهم هذا إن كانوا ينطقون فاسألوهم، علَّق فعلَه بنطقهم، يعني: فإن نطقوا فهو فاعل ذلك، ومقتضاه[4]: إن لم ينطقوا فليس هو بفاعل ذلك.

والثاني: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ﴾ وهاهنا وقف؛ أي: فعَله مَن فعَله، عنَى به نفسه، ثم قال: ﴿كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾ وهاهنا وقف وهو مبتدأ وخبر، ﴿فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُواْ﴾ وهذا كلام آخرُ تام.

---

(١) «بل» ليست في (ر).

(٢) في (أ): «أي يحضرونه ويشهدونه».

(٣) رواه الطبري «تفسيره» (١٦/ ٢٩٩).

(٤) كلمة: «مقتضاه» من (أ).

والثالث: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾ عنى به نفسه، وأضاف نفسه إليهم لاشتراكهم في الحضور ﴿فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ﴾ وهذا كلام آخر.

وإنما أتى بهذا التعريض تمهيداً لأمرٍ يُلزِمُهم به الحجةَ، وكذلك قوله: ﴿إِنِّى سَقِيمٌ﴾ كان من المعاريض، هم فهموا به قيام السقم فتركوه، وهو أراد به أنه سيَسقم في المستقبل، فتخلَّص عنهم ومهَّد ذلك للكيد بالأصنام[1].

* * *

(٦٤ ـ ٦٥) ـ ﴿فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ (٦٤) ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ﴾.

﴿فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾: أي: تفكَّروا في أنفسهم فيما قال لهم راجعين إلى عقولهم.

قوله تعالى: ﴿فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾: هذا الرجلَ في مسألته، فاتركوا مسألتَه واسألوا آلهتكم فهي حاضرتُكم.

وقال ابن إسحاق: ﴿فَرَجَعُوٓا۟﴾ عنه فيما ادَّعوا عليه من كسرهن إلى أنفسهم فيما بينهم[2] فقالوا: لقد ظلمناه، وما نراه إلا كما قال[3].

وقيل: ﴿فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ فلاموها، فقال بعضهم لبعض: ﴿إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ إبراهيمَ حين تزعمون أنه كسرها والفأسُ على عنق الصنم الأكبر، فهو أولى أن يكون كسَرها.

---

(١) في (ر) و(ف): «لكيد الأصنام».

(٢) في (ر) و(ف): «إلى أنفسهم فلاموها»، والمثبت موافق للفظ الخبر.

(٣) رواه الطبري «تفسيره» (١٦/ ٣٠١).

قوله تعالى ﴿نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ﴾ ظاهره: ثم قلبوا على رؤوسهم فصارت رؤوسهم سفلاً وأرجلهم عُلْواً، وله معانٍ:

أحدها: القهر والغلبة والذلُّ حيث لزمتهم الحجة.

والثاني: انعكاس الأمر عليهم، أرادوا أن يحتجوا لأنفسهم فصار ذلك حجةَ إبراهيم عليهم، قالوا: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ﴾ وهذا على قصدهم ردَّ كلامه وأمرِه بالسؤال، فصار ذلك اعترافاً بعجزها، فصارت حجةَ إبراهيم عليهم.

والثالث: التحيُّر[1] والتكلُّم بالهذيان، يقال: هذا كلام منكوس.

وقيل: معنى قوله: ﴿ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ﴾؛ أي: ثم رُدُّوا إلى رؤوسِ أمورهم من الجهالة والضلالة والبَطالة.

وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ﴾؛ أي: قالوا: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ﴾.

***

(٦٦ ـ ٦٧) ـ ﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾: أي: جماداً لا ينطق ولا ينفع ولا يضر ﴿أُفٍّ لَّكُمْ﴾ كلمة توبيخٍ واستثقال وكراهية.

وقيل: معناه: قذراً لكم.

وقوله تعالى: ﴿وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾: أي: أنتم وهم مكروهون عند العقلاء ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أن عبادةَ مَن هذا وصفُه لا تجوز.

ثم قوله في صفة الأصنام: ﴿يَنطِقُونَ﴾ بالواو لِمَا أنهم وصفوها بصفة العقلاء.

---

(١) في (ف): «التعجيز».

(٦٨ ـ ٦٩) ـ ﴿قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ۝٦٨ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَالُواْ حَرِّقُوهُ﴾: ولمَّا لم يجدوا عليه حجةً قالوا: حرِّقوه بالنار.

قال ابن عمر رضي الله عنهما: أشار به عليه رجل من أكراد فارس اسمه: هيرز(١).

وقوله تعالى: ﴿وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمْ﴾: بإهلاك مَن يسبُّها ويَعِيبُها ﴿إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ﴾: ناصرين آلهتكم.

وقوله تعالى: ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا﴾ وهاهنا أيضاً مضمرٌ، وهو قوله: فأوقَدوا له ناراً وألقَوه فيها فـ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا﴾ ﴿وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾.

وقصة ذلك: أن إبراهيم عليه السلام لما بيَّن لهم عيبَ أصنامهم قال له نمرود لعنه الله: أرأيت إلهك ما هو؟ صفه لي، فقال: ﴿رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾ [البقرة: ٢٥٨] إلى آخر تلك القصة.

ثم حبسه نمرود اللعين في السجن سبع سنين، فدعا أهلَ السجن إلى الإيمان والإسلام، فأسلم كثير منهم، ثم أخرجه واتَّفقوا على تحريقه بالنار، وبنَوا له بنياناً طويلاً طولُه ستُّون ذراعاً، ونادى نمرود في الناس بجمع الأحطاب، فاشتغل كلُّ الناس بجمع الحطب وحمله على كل الدوابِّ أربعين يوماً، فملؤوا البنيان منه وبلَّطوا جداره وسدُّوا أبوابه بالنحاس المذاب، وقذفوا فيه النارَ فاشتعل لهبُها وسطع

(١) رواه دون تسمية الكردي: الطبري «تفسيره» (١٦/ ٣٠٥). وفيه عنعنة ابن إسحاق وضعف ليث بن أبي سليم. ورواه الطبري أيضاً عن مجاهد، وروى عن شعيب الجبائي قال: إن الذي قال: ﴿حَرِّقُوهُ﴾ (هيزن) فخسف الله به الأرض، فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة.

دخانها، فملأ كلَّ شيء حتى غَشِيَ مدينتهم وما حولها، وأظلم عليهم، وسُمع من النار أمثالُ وقع الحديد على الحديد، وتطايَرَ شررُها كالصخر، وكان يسمع وهجُها على مسيرة ليلة، ولم يقرب شيء منها إلا احترق بحرِّها.

ثم بنوا بنياناً شامخاً ونصبوا فوقه منجنيقاً، ثم وضعوا إبراهيم عليه السلام في المنجنيق فقذفوا به في النار، فلما وقع فيها إبراهيم وهي كالجبال أطفأها الله تعالى، فخمدت ونشَّت نشيشَ النار التي يصبُّ عليها الماء.

قال وهب: فبلغني أن السماء والجبال والبحار وما فيها من الخلق ضجُّوا إلى الله تعالى ضجةً واحدة ـ إلا الثقلين ـ قالوا: ربنا ليس في أرضك مَن(١) يعبدك ويوحِّدك غيرَ إبراهيم حُرق بالنار من أجلك فأذن لنا في نصرته، فأوحى الله تعالى إليهن: إن استغاث بشيء منكن فلْيَنْصُره ولْيُعِنْه، وإن استغاث بشيء من خلقي فلْيُعِنْه ولْيَنْصُرنه، وإن دعاني فأنا وليُّه وناصرُه، وكفى بي وليًّا وناصراً أمنعه منهم وأَحُول بينه وبينهم(٢).

وقال محمد بن إسحاق: قيَّدوه ورموا به من القرارة(٣) من مضربٍ شاسع، فاستقبله جبريل في الهواء فقال له: يا إبراهيم، ألك حاجة؟ قال: أمَّا إليك فلا، فأتاه ميكائيل وقال: إن أردتَ أخمدتُ النار فإن خزائن الأمطار والمياه بيدي، قال: لا أريد، فأتاه شمسائيل وهو خازن الريح فقال: إن شئت طيَّرتُ النار في الهواء، قال: لا حاجة لي إليكم؛ حسبي الله ونعم الوكيل، فقال جبريل: إن لم تسألنا فاسأل الله، فقال: حسبي من سؤالي علمُه بحالي(٤).

---

(١) في (أ): «أحد».

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٦/ ٢٨١) عن محمد بن إسحاق.

(٣) القرارة: الأرض. ووقع في (ر) و(ف): «العرارة»، ولعله تحريف. وفي المصادر: (رموه في المنجنيق...).

(٤) ذكره الثعلبي في «عرائس المجالس» (ص: ١١٦) عن المعتمر عن أبي بن كعب عن أرقم، والبغوي =

وقيل: كان من دعائه: لا إله إلا أنت سبحانك ربَّ العالمين، لك الحمد ولك الملك لا شريك لك[١].

وقال وهب: قال إبراهيم: يا أحدُ يا صمدُ بك أستعينُ وبك أستغيثُ وعليك أتوكلُ، حسبي الله لا إله إلا هو ونعم الوكيل، يا ربِّ إنك تعلم إيماني لك وعدوانَ قومي فيك، فانصرني عليهم ونجني من النار، فقال الله تعالى: ﴿يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ﴾ فبردت يومئذ على أهل المشرق والمغرب فلم ينضج بها كُراع[٢].

وقال كعب: ما انتفع أحد من أهل الأرض يومئذ بنار، ولا أحرقت النار شيئاً إلا وثاقَ إبراهيم[٣].

وقال وَهْبٌ: بقيت كذلك سبعة أيام.

= في «تفسيره» (٥/ ٣٢٧) عن أبي بن كعب قوله، والقرطبي في «تفسيره» (١٤/ ٢٢٧) عن أبي بن كعب عن النبي ﷺ. ولعله كله وهم، وصوابه: المعتمر عن ابن كعب عن أرقم، هكذا جاء في «تفسير الثعلبي» (١٨/ ١٥٢) ط: دار التفسير، وهكذا روى الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٣٠٩) بعض هذه القصة، انظر التعليق الآتي.

وقوله: (حسبي من سؤالي علمُه بحالي) ذكره ابن عراق في «تنزيه الشريعة» (١/ ٢٥٠) بلفظ: (علمه بحالي يغني عن سؤالي) وقال: قال ابن تيمية: موضوع.

قلت: وجاء في «مجموع الفتاوى» لابن تيمية (١/ ١٨٣): ليس له إسناد معروف، وهو باطل، بل الذي ثبت في الصحيح [البخاري (٤٥٦٣)] عن ابن عباس أنه قال: (حسبي الله ونعم الوكيل).

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٣٠٩) من طريق المعتمر عن ابن كعب عن أرقم. وابن كعب لعله محمد بن كعب القرظي.

(٢) رواه دون الدعاء الإمام أحمد في «الزهد» (٤١٧)، والدينوري في «المجالسة» (٦٣)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٢٠)، وابن عساكر في «تاريخه» (٦/ ١٨٣)، جميعهم عن بكر بن عبد الله المزني.

(٣) رواه يحيى بن سلام في «تفسيره» (٢/ ٨٣٧)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (١٨٦٨)، والطبري في «تفسيره» (١٦/ ٣٠٧).

وقال السدي: فلما أشرف إبراهيم على النار صارت كالإكليل، وأخذت الملائكة بضبعي إبراهيم فأقعدوه على الأرض فإذا عينُ ماءٍ عذبٍ ووردٌ أحمرُ ونرجسٌ[(١)].

وكان إبراهيم في ذلك الموضع سبعةَ أيام، ولم يقدر أحد أن يقرب من النار، وما شكُّوا في موته واحتراقه، فلما جاؤوا يستطلعون فإذا هو قائم يصلي.

وقيل: بقي فيها[(٢)] أربعين يوماً.

وقال وَهْبٌ: وجعل الله ما حوله روضةً خضراء، وفرش له ما يشتهي، وألبسه وبنى فوقه قبةً، وجعل بينه وبين النار حجاباً من ثلج، وكانت النار توقَد فوق ذلك وحول ذلك حتى نظر إلى ضوئها أهل الشام، وذاب النحاس الذي سدَّت به الأبواب، واحترق الجدار وصار رماداً، وخرج منها إبراهيم صحيحاً سالماً، فانطلق يمشي حتى قعد إلى أمه وهي في مجمع[(٣)]، وأسلمت سارة يومئذ، وهي أولُ مَن آمن به، وأرسل الله تعالى ريحاً عاصفاً فنسفت رماد تلك النار عن وجه الأرض وذراه في وجوههم وعيونهم، وقام إبراهيم داعياً إلى الله فقال لأبيه وقومه: ﴿مَا تَعۡبُدُونَ﴾.

وعن عائشة رضي الله عنها: أنها كانت تأمر بقتل الأوزاغ وتقول: إنهن كنَّ ينفُخْنَ على إبراهيم عليه السلام[(٤)].

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٦/ ٢٦٢).

(٢) في (أ): «في النار».

(٣) في (ف): «مجتمع».

(٤) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢٤٥٣٤) من حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعاً، وله شاهد رواه البخاري (٣٣٥٩) عن أُمِّ شَرِيكٍ رضي الله عنها: أن رسولَ الله ﷺ أَمَر بقتلِ الوَزَغِ، وقال: «كان يَنفُخُ على إبراهيم عليه السَّلامُ»، ورواه مسلم (٢٢٣٧) مختصراً بذكر قتل الأوزاغ.

وقوله تعالى: ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ أي: كوَّنها برداً وسلامةً على إبراهيم[1]؛ كما قال: ﴿كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾ [البقرة: ٦٥].

وقيل: خاطبها وركَّب فيها تمييزاً وأمرها أن تسلِّم على إبراهيم.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: لو لم يقل: ﴿وَسَلَٰمًا﴾ لأهلكته النار ببردها[2].

* * *

(٧٠ ـ ٧١) ـ ﴿وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا﴾: أي: قوم نمرود أرادوا أن يكيدوا بإبراهيم؛ أي: يحتالوا لإهلاكه ﴿فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ﴾؛ أي: الأخيبين؛ لأنه إذا سعى ولم يدرِك ما طلبه فقد خَسر سعيُه.

وقوله تعالى: ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ﴾: أي: خلَّصنا إبراهيم وابنَ عمه لوطاً من نمرود وقومه وأرضهم، وأخرجناهما منها إلى أرض الشام.

وقيل: كانوا مُكوثاً في أرض العراق، فخرج مهاجراً إلى أرض الشام وفيها بركة الدِّين؛ لأنها منزل الأنبياء وبركةُ الدنيا لكثرة الماء والأشجار؛ هذا قول قتادة[3].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: إلى مكة؛ قال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا﴾ [آل عمران: ٩٦][4].

---

(١) «أي: كونها برداً وسلامة على إبراهيم» ليس في (ف). وفي (ر): «وسلاماً» بدل: «وسلامة».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٣٠٦)، والفرْيابيّ وعبد بن حميد وابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» (٥/ ٦٤٠).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٣١١ـ٣١٢)، عن قتادة ورواه أيضاً عن أبي بن كعب والحسن وغيرهم.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٣١٤).

(٧٢ ـ ٧٣) ـ ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ﴾.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ﴾: ولداً ﴿وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً﴾؛ أي: زائدة على ما دعا، فإنه قال: ﴿رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الصافات: ١٠٠] وهو سؤال الولد.

وقوله تعالى: ﴿وَكُلًّا﴾: أي: إبراهيم وإسحاق ويعقوب ﴿جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ﴾ في الدِّين.

وقيل: ﴿صَٰلِحِينَ﴾ للنبوة والسفارة.

وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً﴾: في الأرض يؤتَمُّ بهم ﴿يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾؛ أي: يَهْدون عبادنا إلى الحق بأمرنا إياهم به.

وقوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ﴾: أي: أمرناهم ﴿فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾؛ أي: الطاعات ﴿وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ﴾ لا للأصنام، فأنتم يا معاشر العرب أولادُ إبراهيم فاتَّبعوه في ذلك كلِّه.

* * *

(٧٤ ـ ٧٥) ـ ﴿وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ ﴿٧٤﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا﴾: على الناس في الخصومات ﴿وَعِلْمًا﴾: معرفةً بأمور الدين.

وقيل: ﴿حُكْمًا﴾ على العباد ﴿وَعِلْمًا﴾ بالحُكم.

وقوله تعالى: ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾: أي: من أهلها،

وهي سَدُوم، وهي مدينة ويدخل فيها ما حولها من القرى، والخبائث: الكفرُ، وإتيانُ الذُّكران، والمنكرُ الذي كانوا يأتونه في ناديهم من التضارُط وحذفِ المارة بالحصى ونحوِ ذلك.

وهذه خبائثُ لنفور القلوب عنها وقبحِها في العقول السليمة، ونجاتُه منها: هي خروجه منها حتى لم يُصِبْه عذاب أهلها.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا﴾: أي: قومُ لوط ﴿قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ﴾: أي: خارجينَ عن طاعة الله تعالى.

﴿وَأَدْخَلْنَاهُ﴾: أي: لوطاً ﴿فِي رَحْمَتِنَا﴾؛ أي: نعمتنا، وهي جمع: من التوفيق للإيمان، والإكرامِ بالنبوة، وإهلاكِ مَن كذَّبه، وتخليصِه، وتخليصِ مَن اتَّبعه.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾: أي: ثواباً له على صلاحه كما أهلكنا قومه عقاباً لهم على فسادهم.

وقيل: ﴿وَأَدْخَلْنَاهُ﴾ في النبوة ﴿إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ لها.

* * *

(٧٦ ـ ٧٧) ـ ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ﴾: قيل[1]: واذكر نوحاً، وقيل: أي: ونجَّينا نوحاً، وقيل: ورَحِمْنا نوحاً.

والأصح: وآتينا نوحاً رشدَه، عطفاً على قوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ﴾.

---

(١) في (ر) و(ف): «أي».

﴿إِذۡ نَادَىٰ﴾ أي: دعا ربَّه، كما قال: ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَغۡلُوبٞ فَٱنتَصِرۡ﴾ [القمر: ١٠] وسائرِ ما ذكر من دعائه ﴿مِن قَبۡلُ﴾؛ أي: كان هو قبل إبراهيم وإسحاق ويعقوب ولوطٍ.

وقوله تعالى: ﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ﴾: أي: دعاءَه ﴿فَنَجَّيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥ﴾؛ أي: المؤمنين به من ولده وقومه.

وقوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلۡكَرۡبِ ٱلۡعَظِيمِ﴾: أي: الغمِّ الذي يأخذ بالنَّفس.

وقيل: الغرق، وهو هاهنا الطوفان.

وقيل: هو أذى قومه.

وقوله تعالى: ﴿وَنَصَرۡنَٰهُ﴾: أي: منعناه ﴿مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ وهم كفار قومه؛ أي: من شرِّهم، وكذلك قولُه: ﴿مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ﴾ [هود: ٣٠]: مَن ينصرنا من بأس الله.

وقيل: أي: فانتقمنا له ﴿مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾.

وقال أبو عبيدة: وأعنَّاه على القوم.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمَ سَوۡءٖ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾: وفي هذا كلِّه تسليةٌ للنبي ﷺ، وتبشيرٌ له بالخلاص، وتثبيتٌ على الصبر.

* * *

(٧٨) - ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ إِذۡ يَحۡكُمَانِ فِي ٱلۡحَرۡثِ إِذۡ نَفَشَتۡ فِيهِ غَنَمُ ٱلۡقَوۡمِ وَكُنَّا لِحُكۡمِهِمۡ شَٰهِدِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ﴾: عطف على ما مر ﴿إِذۡ يَحۡكُمَانِ فِي ٱلۡحَرۡثِ﴾: اختلفت الروايات في هذه القصة:

روى محمد بن إسحاق عن الزهري: أن رجلاً أدخل ماشيتَه في زرع رجل فأفسدته، والنُّفوش: الرعيُ ليلاً، فارتفعا إلى داود عليه السلام، فقضى بغنم صاحب الغنم لصاحب الزرع، فانصرفا فمرَّا على سليمان، وكان سليمان يومئذ ابنَ إحدى عشرةَ سنة، فقال: بماذا قضَى بينكما نبيُّ الله، فقال: قضى بالغنم لصاحب الزرع، فقال: إن الحُكم غيرُ هذا فانصرِفا معي، فأتى أباه فقال: يا نبيَّ الله، قضيتَ على هذا بغنمه لصاحب الزرع؟ قال: نعم، قال: يا نبيَّ الله، إن الحكم على غير هذا، قال: وكيف يا بني؟ قال: يُدفع الغنم إلى صاحب الزرع فيصيب من ألبانها وسمونها وأصوافها، ويُدفع الزرع إلى صاحب الغنم ليقوم عليه، فإذا عاد الزرع إلى الحالة التي أصابته الغنم عليها رُدَّت الغنم إلى صاحب الغنم ورُدَّ الزرع إلى صاحب الزرع، فقال داود عليه السلام: لا يَقطع الله فهمَك، وقضى بما قضى به سليمان(١).

وقوله تعالى: ﴿إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ﴾: أي: دخلت فيه ليلاً فرعَتْه وأكلته وأفسدته.

قال الخليل: الإبل النَّوافشُ: التي تتردَّد بالليل في المراعي بلا راعٍ، وهي كالهوامل بالنهار(٢).

وقال قطربٌ: ﴿نَفَشَتْ﴾: إذا تفرَّقت بلا راعٍ، ومنه: (العِهْن المنفوش)؛ أي: المتفرِّق.

وقوله تعالى: ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ﴾: أي: الحكمِ الذي جرى بين داود وسليمان والقوم ﴿شَاهِدِينَ﴾: حاضرين عالمين به.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٣٢٧)، وروى نحوه عن ابن مسعود وابن عباس وابن زيد وغيرهم.

(٢) انظر: «العين» (٦/ ٢٦٨).

وقيل: ﴿لِحُكْمِهِمْ﴾: لحكم داود وسليمان، وجمَع التثنيةَ لأنها لأول الجمع، ونظيره: ﴿فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ﴾ [النساء: ١١]؛ أي: أخَوان.

***

(٧٩) ـ ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا﴾: أي: القصةَ[1] ﴿سُلَيْمَٰنَ﴾ دون داود.

وقيل: الحكومةَ؛ لدلالةِ ﴿يحكمان﴾ عليها.

وقوله تعالى: ﴿وَكُلًّا ءَاتَيْنَا﴾: أي: وكلًّا من داود وسليمان أعطينا ﴿حُكْمًا﴾ أي: النبوة التي يُنفَّذ بها الحكمُ على الأمة.

وقوله تعالى: ﴿وَعِلْمًا﴾: أي: ومعرفةً بمُوجِبِ الحكم.

ويحتمِل ﴿وَكُلًّا﴾ منهما ومن سائر الأنبياء المذكورين في هذه السورة.

وقوله تعالى: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ﴾: كان داود عليه السلام إذا سبَّح سبَّحت الجبال والطير معه فيَسمع تسبيحهن، وكان ذلك معجزة له، وقوله تعالى: ﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ﴾ [سبأ: ١٠]؛ أي: سبِّحي النهارَ كلَّه.

قوله تعالى: ﴿وَكُنَّا فَٰعِلِينَ﴾: قيل[2]: كنا قد قضينا أنَّا فاعلو ذلك.

وقيل: كنَّا فاعلين ذلك به كما نفعله بأنبيائنا الذين نخصُّهم بالمعجزات.

***

(١) في (أ): «القضية».

(٢) في (ر): «أي».

(٨٠) ـ ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ﴾: أي: اتِّخاذَ الدروع بإلانة الحديد له؛ كما قال: ﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ﴾ [سبأ: ١٠]، وقوله تعالى: ﴿أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ﴾ [سبأ: ١١].

وقيل: هو أولُ مَن عمِلها.

وقوله تعالى: ﴿لِيُحْصِنكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ﴾: أي: ليُحرزكم، وفيه ثلاثُ قراءات: بالياء والتاء والنون[1]، فالياءُ مردودةٌ على الله أو على اللَّبوس، والتاءُ على الصَّنعة، والنونُ على قوله عز وجل: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ﴾.

والبأس: الحرب؛ أي: تقيكم في الحروب من القتل والجراح[2]؛ كما قال تعالى: ﴿سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ﴾ [النحل: ٨١].

واللبوس: ما يلبس من ثوب أو درع، قال الشاعر:

البَسْ لكلِّ حالةٍ لَبوسَها ... إمَّا نعيمَها وإمَّا بوسَها[3]

وقوله تعالى: ﴿فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ﴾: استفهام بمعنى الأمر.

وقيل: معناه: أن داود عليه السلام لمَّا كان[4] هو أولَ مَن عمِل ذلك، فتوارثَها

---

(١) قرأ ابن عامر وحفص: ﴿لِتُحْصِنَكُم﴾ بالتَّاء، وأبو بكر بالنُّون، والباقون بالياء. انظر: «السبعة» (ص: ٤٣٠)، و«التيسير» (ص: ١٥٥).

(٢) في (أ): «والجرح».

(٣) الرجز لبيهس الفزاري؛ كما في «أمثال العرب» للمفضل الضبي (ص: ١١١)، و«الفاخر» للمفضل بن سلمة (ص: ٦٣)، ودون نسبة في «العين» (٧/ ٢٦٢)، و«إصلاح المنطق» (ص: ٢٣٦)، و«البسيط» للواحدي (١٥/ ١٤٢).

(٤) «لما كان» من (أ).

الناس إلى وقت رسول الله ﷺ وبعده إلى يوم القيامة، فقال[١]: ﴿فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ﴾ لله تعالى على ما أنعم الله تعالى عليكم من هذا وغيره.

* * *

(٨١) ـ ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً﴾: على قراءة النصب؛ أي: وسخرنا لسليمان الريح، وعلى قراءة الرفع[٢] (الريحُ) خبرُ اللام؛ كقولك: المال لزيد.

وقوله تعالى: ﴿عَاصِفَةً﴾: أي: شديدةَ الهبوب، نصبٌ على الحال، وقال في آية أخرى: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً﴾ [ص: ٣٦]؛ أي: ليِّنةً، والتوفيقُ بينهما: أنها كانت مذلَّلةً له فتجري على ما يريد عاصفةً أو رُخاءً.

وقيل: كانت تسير سيراً ليِّناً في سرعةٍ، فيجتمع الوصفان في حالٍ واحدة.

وقوله تعالى: ﴿تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾: وهي الشام؛ لأن منزله كان بها، وكانت الريح تحملُه من نواحي الأرض إليها.

وقوله تعالى: ﴿وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ﴾: أي: فعلنا ذلك له، وكنَّا عالمين بأنه أهلٌ له، وعالِـمين بكلِّ شيء.

* * *

(٨٢ ـ ٨٣) ـ ﴿وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ (٨٢) وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾.

---

(١) «فقال» من (أ).

(٢) هي قراءة عبد الرحمن الأعرج. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩٥)، و«تفسير الطبري» (١٦/ ٣٣٢).

وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ﴾: أي: وسخرنا من الشياطين مَن يغوصون له في البحار بأمره؛ لاستخراج الدُّرر[1] وما يكون فيها، و(مَن) اسمُ جنس فصلح للجمع.

وقوله تعالى: ﴿وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ﴾: أي: سوى ذلك، وقال في آية أخرى: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ﴾ [سبأ: ١٣].

وقيل: كانوا يعملون له من أمور الصناعات والأبنية.

وقيل: هم الذين عملوا له الحمَّام والنُّورة والطواحين والقوارير والصابون.

وقيل: إن نهر الملك[2] ببغداد حفرتْه له الشياطين، وألقت ترابه بين خانقين وقصر شيرين[3].

وقوله تعالى: ﴿وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ﴾: قيل: أي: كنا لهؤلاء الشياطين وأعدادِهم وأعمالهم حافظين لا يَؤُودنا حفظُ ذلك.

وقال الحسن: حفظناهم عليه لئلا يذهبوا ويتركوه.

قال: ولم يكن سليمان يسخِّر في هذه الأعمال إلا الكفار منهم[4].

وقيل: كنا لهم حافظين؛ أي: أن يمتنعوا عليه.

---

(١) في (ر): «لاستخراج الجواهر الدر».

(٢) نهر عظيم مخرجه من الفرات ويصبّ في دجلة، عليه نحو ثلاثمائة قرية. ويقال لذلك جميعه: نهر الملك، قيل: إن أول من حفره سليمان بن داود عليهما السلام، وقيل: إنه حفره الإسكندر لما خرب السواد. انظر: «معجم البلدان» (١/ ٣٧) و(٥/ ٣٢٤).

(٣) خانقين: بلدة من نواحي السواد في طريق همذان من بغداد، بينها وبين قصر شيرين ستّة فراسخ لمن يريد الجبال، ومن قصر شيرين إلى حلوان ستة فراسخ. انظر: «معجم البلدان» (٢/ ٣٤٠).

(٤) ذكره يحيى بن سلام في «تفسيره» (١/ ٣٣٢).

وقيل: وكنا للأنبياء حافظين، وكانوا لنا عابدين.

وقوله تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ﴾: عطفٌ على ما تقدم ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ﴾؛ أي: دعاه.

وقوله تعالى: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾: أي: نالني في بدني ضرٌّ، وهو ما أصابه من المرض والداء والمصيبة في ماله وأهله.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾: أي: لا أحد أرحمُ منك؛ أي: فارحمني واكشِفْ عني الضرَّ الذي مسني.

* * *

(٨٤) ـ ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ﴾: أجبنا دعاءه ﴿فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ﴾؛ أي: وكشفنا ضرَّه[1] إنعاماً عليه.

وقوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ﴾ قال وهبٌ: إن أيوبَ عليه السلام بنَ موص ابنِ رعويل[2]،..

(١) «أي: وكشفنا ضره» ليس في (ف).

(٢) في (أ): «موص بن روعيل»، وفي (ف): «موجر بن دوعيل»، وفي (ر): «موخر بن دوعيل»، وكله تحريف. والمثبت من «البدء والتاريخ» للمطهر بن طاهر (٣/ ٧٢) وقد ذكر هذا الخبر عن وهب، و«تاريخ الطبري» (١/ ١٩٤) وعزاه لبعضهم ولم يسمه. وقد اختلفوا في نسبه كما ذكر العيني في «عمدة القاري» (١٥/ ٢٨٢) ونقل فيه أقوالاً كثيرة، وانظر كذلك «تاريخ دمشق» (١٠/ ٥٨) وفيه: (ويقال: أيوب بن موص بن رعيل، ويقال: أيوب بن آموص بن رازح بن رعويل)، وبدأ في ذكر نسبه بقوله: (أيوب نبي الله ابن رازح بن آموص بن ليفزر بن العيص بن إسحاق بن إبراهيم الخليل). وليس فيه شيء يضبطه.

النبيَّ عليه السلام كان زوجَ ليا[١] بنت يعقوب، وقيل: رحمة بنت يعقوب، وأبوه موص كان ممن آمن بإبراهيم يوم ألقي في النار، وكانت أم أيوب بنتَ لوطٍ النبيِّ عليه السلام، وكانت لأيوبَ البَثْنيةُ[٢] كلُّها شرقُها وغربها وسهلُها وجبلها، وهي ولاية بالشام بقربِ دمشق، وكان موسَّعاً عليه غنيًّا كثيرَ الضيافة عظيم الصدقة.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: وكان إبليس يومئذ يصعد إلى السماوات فيسمع الملائكة يقولون: إن لله تعالى عبداً في الأرض يقال له: أيوب، من فضله كيت وكيت، فقال إبليس لعنه الله: لو سلَّطني الله عليه لَأضْطرَّنَّه إلى الجزَع والشكاية، فسلَّطه الله تعالى على ماله، فنزل إلى الأرض واستغوى جنوده، وذكر لهم ما وقع له، وكان لأيوب يومئذ ثلاثةُ آلاف بعيرٍ، في كلِّ خمسين منها عبدٌ له يرعاها، ولكلِّ عبد امرأةٌ وولد ومالٌ حسن، وسبعةُ آلاف شاةٍ، في كلِّ خمسٍ مئة منها عبدٌ له يرعاها، وله امرأةٌ[٣] وولد ومال حسن، وخمسُ مئةِ أتانٍ لها أولادٌ، وخمسُ مئة فدانٍ بآلاته، كلُّ فدان في يد عبدٍ له، وله أهل وأولاد ومال، وكلُّ أتانٍ يحمل آلةَ كلِّ فدان، فقال عفريتٌ: لي من القوة ما إذا شئتُ تحوَّلت إعصاراً من النار أَحرق كلَّ شيء، فقال له: أنت للإبل ورعاتها، فجاءها وأحرقها كلَّها ورعاتها، وجاء إبليس متمثِّلاً بواحد من رعاتها، فأتى أيوب وقال: يا أيوب، هل علمتَ ما صنع ربك بإبلك؟ قال: إنها ليست بإبلي ولكنها عاريَّةٌ عندي، وهي مال ربي فهو أولى بها مني، قال: ما قَبَضها قبضاً جميلاً، لكن أرسل لها شواظاً من نار فأحرقها ورعاتَها، وترك الناس قياماً عليها

---

(١) في جميع النسخ: «إيليا» والمثبت من «تفسير الطبري» و«البدء والتاريخ».

(٢) في هامش (أ): «البثنية أراض معروفة في الشام لينة صالحة للزراعة». وقال ابن عساكر وقد ذكر هذا عن أيوب: بقرب نوى. انظر: «تاريخ دمشق» (١٠/ ٥٨)

(٣) في (أ): «أهل».

مبهوتين، منهم مَن يقول: ما كان أيوب يعبد شيئاً، ولا كان إلا[١] في غرور، ولو كان له ربٌّ يقدر على أن يمنع شيئاً لمنع وليَّه، ومنهم مَن يقول: بل ربُّه الذي عبده وتوكَّل عليه هو الذي فعل به ليَفْجَع به أحبَّاءه ويُشمت به أعداءه[٢]، ومنهم مَن يقول: بل كان أيوب مُرائياً، ولو كان صادقاً ما جازاه الله تعالى هذا الجزاء، فقال أيوب عليه السلام: الحمد لله حين أعطى وحين أخذ، والحمد لله حين أعار، والحمد لله حين نزع عاريَّته، خرجتُ من بطن أمي عارياً وأُردُّ إلى تراب كذلك، وأصير إلى الله، ولو علم الله فيك خيراً لقبض روحك مع تلك الأرواح فاستَشهدك وأجَرَني فيك، ولكنه علم منك شرًّا، فارجع عني مذموماً مدحوراً.

فرجع إبليس إلى أصحابه في شرِّ حال، واستشارهم، فقال عفريت آخر: أنا أصيح صيحة لا يسمع فيها[٣] ذو روح إلا مات، فسلطه على الغنم فصاح بها فماتت ومات رعاتها، وعاد هو إلى أيوب وقال ما قال في المرة الأولى، وأجاب بما أجاب، ورجع إلى جنوده وأخبر آخرُ إبليسَ[٤] أنه يصير ريحاً تنسف كلَّ شيء، فسلطه الله على الحرَّاثين والفدادين فأهلك الحرثَ والحراثين[٥]، وعاد إبليس بالقصة كالأول، فسأل الله تعالى أن يسلِّطه على ولده ففعل، فأتى قصور أولاده وهم رجالٌ ونساء، وكهولٌ وشباب، ومُردٌ وأطفال، ومراضعُ وحواضن والمعلِّمون، فزلزلها حتى تداعت من قواعدها، ثم شدخهم بالخشب والجندل ورفع القصور فقلبها، ثم

---

(١) في (ر): «وإنما كان»، بدل: «ولا كان إلا».

(٢) في (ف): «ليحزن به أحباؤه ويشمت به أعداؤه».

(٣) في (ف): «لا يبقى بها»، وفي (ر): «لا يبقى به».

(٤) «إبليس» زيادة من (ف).

(٥) في (أ): «فأهلك الحروث»، وفي (ف): «فأهلك الحروث والحراتين».

جاء على صورة معلِّم يصيح ويَنُوح وأخبره بما صار إليه أولاده، فأجاب كذلك، فتحير إبليس وقال: إن أيوب يرى سلامةَ نفسه فيَهون عليه هلاك ماله وولده، ولو سلَّطني الله تعالى على جسده لظهر منه ما أقول، فسلَّطه الله على جسده، فجاء وهو ساجد فدخل تحت وجهه ونفخ في أنفه نفخةً من لهب النار اشتعل منها جسده واسودَّ وجهه وتمعَّط شعره، ونضح[1] دماغه ومخُّه، وظهر في جسده ثآليل مثل أليات الشاة، فاحتكَّ، فجعل يحكُّها بأظفاره وبالعظم والخزف، فوقعت فيه الأكلة والدُّود، وسال منه الصديد، وتأذى به الجيران، فبنوا له عريشاً ونقلوه إليه، فلبث فيه ثلاث سنين في أشد الجهد، وقطعه القريب والبعيد، وكانت امرأته تدور في القرية وتعمل للناس وتجيء بقُوْته، ولم تجد عملاً يوماً فباعت ذؤابتيها برغيفين فأتته بهما، فقال لها: أين ذؤابتاك؟ قالت: بعتهما برغيفين[2]، فحينئذ قال: ﴿مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾.

وقال بعضهم: ضعُف عن العبادة فقال: ﴿مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾ كذلك.

وقيل: إنما قال ذلك لأن الشيطان تمثَّل لهم وقال لهم: لا تستعملوا هذه المرأة فإنها تمسُّ بيدها هذا المريض فتُعْدي، فلم يستعملوها، فلم تجد شيئاً، فرجعت إليه بغير شيء فأخبرته بذلك فقال ذلك.

وقيل: تراءى لها وقال: أنا طبيب فاسقيه خمراً يبرأ، فذكرت له ذلك فقال ذلك.

وقيل: إنه تمثَّل ـ أي: إبليس[3] ـ لأيوب وقال: إنها أخذت في فاحشة فقطعت ذؤابتاها لذلك، فاهتاج لذلك فقال ذلك.

---

(١) في (ف): «ونضج».

(٢) رواه بنحوه عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما أحمد في «الزهد» وابن أبي حاتم وابن عساكر؛ كما في «الدر المنثور» (٧/ ١٩٢). ورواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٣٥١ ـ ٣٥٣) عن وهب بن منبه، و(١٦/ ٣٦٠ ـ ٣٦٣) عن الحسن.

(٣) في (أ): «مثل»، وفي (ف): «تمثل»، بدل: «تمثل أي: إبليس».

وقيل: جاءه خليلان له بطعام، فلما نظرا إليه قالا: لو كان فيه خير لم يصيَّر كذا، ومالا[١] ولم يطعماه.

وقيل: إنما قال: ﴿مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾ حين وصل[٢] الدود إلى قلبه ولسانه، فخشي أن يمنع عن الذكر والشكر[٣].

وقيل: معناه: مسني الضر من شماتة الأعداء.

وقيل: إنما قال ذلك حين قال إبليس لامرأته: اسجدي لي سجدةً حتى أردَّ عليك المال والأولاد وأعافيَ زوجك، فأنا فعلتُ ذلك بكم، فذكرت المرأة له ذلك فقال: مسَّني الضرُّ مِن طمَع إبليس في سجود امرأتي له.

وقيل: إنما قال ذلك حين سقطت من جسده دودةٌ، فأعادها إليه[٤] فعضَّته عضة، فعجز عن الصبر عليه لاختياره ذلك.

وقيل: مكث في بلائه ثلاث سنين.

وقيل: سبع سنين وسبعة أشهر وسبعة أيام وسبع ساعات.

وقيل: ثماني عشرة سنة.

ثم في تسليط إبليس عليه وعلى ماله وولده زيادةُ غيظ على[٥] إبليس، وإظهارُ صدق أيوب، ورفعُ درجاته، وتضعيف كراماته، وقصةُ عاقبته تذكر في (سورة ص) إن شاء الله تعالى.

---

(١) «ومالا» ليتس في (أ) و(ف).

(٢) في (ف) و(أ): «قصد».

(٣) في (ف) و(أ): «ينفى عن ذكر الله وشكره»، بدل: «يمنع عن الذكر والشكر».

(٤) «إليه» من (أ).

(٥) «على» زيادة من (أ).

وقوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ﴾: قال الحسن: آتاه الله أهله وولده بأعيانهم ومثلَهم معهم مِن نسلهم في الدنيا، وهو قول ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم[(١)].

وقال الكلبي: آتاه الله ذلك في الآخرة.

وقال القاسم بن أبي بَزَّةَ: بعثني مجاهد إلى عكرمة أسأله عن قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ﴾ قال: قيل له: أهلك في الجنة، فإن شئتَ أحييناهم لك، وإن شئت كانوا لك في الجنة، قال: بل يكونون لي في الجنة، وعوِّض مكانهم في الدنيا[(٢)].

وقال وهب: كان له سبعةُ بنينَ وسبعُ بنات، فأحياهم الله تعالى وردَّهم عليه مع الأموال، وولد له مثلُهم، وكذلك قال كعب[(٣)].

وقال القشيري: سمي أيوبَ لكثرة إيَابه إلى الله تعالى.

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا﴾ [ص: ٤٤]، ثم إنه قال: إنه ﴿مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾[(٤)] فلم يكن جزعاً وتركاً للصبر بل إظهاراً لعجز البشر.

وقال: إنما قال ذلك شكراً لا شكايةً، ومعناه: مسني الضرُّ الذي تخصُّ به أولياءك، وذلك برحمتك وأنت أرحم الراحمين.

قال: وقيل: اشتَبه عليه وجهُ البلاء أنه تطهيرٌ أو تأديب، أو تعذيب أو تهذيب، أو

---

(١) رواه عنهم الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٣٦٦ـ ٣٦٧).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٣٦٥ـ ٣٦٦).

(٣) ذكره عن كعب الواحدي في «البسيط» (١٥/ ١٥٠)، ودون عزو: الفراء في «معاني القرآن» (٢/ ٢٠٩).

(٤) بعدها في (أ): «وقيل: ما دام في البلاء يعاد جبرائيل كل يوم فإذا برئ فقال: مسني الضر».

تقريب، أو تمحيص أو تخصيص، فقال: ﴿مَسَّنِيَ الضُّرُّ﴾ خوفاً عن[1] أن يكون تعذيباً.

قال: وقيل: أوحى الله تعالى إليه: إن سبعين[2] من الأنبياء طلبوا مني هذا البلاء[3] وأنا اخترته لك، فلما أراد الله كشفه قال: ﴿مَسَّنِيَ الضُّرُّ﴾ لفقدي ألم الصبر[4].

وقيل: كوشف بمعنًى من المعاني فلم يجد ألَمَ البلاء، فقال: ﴿مَسَّنِيَ الضُّرُّ﴾ لفقدي ألم الضر.

قال: وقيل: ألف الاستفهام مضمرة في أوله: أمسَّني الضر، كما قال: ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ﴾ [الشعراء: ٢٢]؛ أي: أوتلك نعمة، ومعناه: أيكون هذا؟ أُمسُّ الضرَّ وأنت أرحم الراحمين أشاهدُ فضلك ورحمتك؛ أي: ليس بمسِّ ضرٍّ[5].

***

(٨٥ ـ ٨٦) ـ ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ (٨٥) وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ﴾: عطف على ما تقدم.

وقوله تعالى: ﴿كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾: مدحهم بالصبر

وذو الكفل اختُلف فيه؛ قال الحسن: هو اسم نبيٍّ[6]، بدليلِ أنه ذُكر في عداد الأنبياء.

---

(١) «عن» من (أ).

(٢) في (ر) و(ف): «سبعين».

(٣) في (ف) و(أ): «هذا مني» بدل: «مني هذا البلاء».

(٤) «لفقدي ألم الصبر» ليس في (أ) و(ف).

(٥) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٥١٤ ـ ٥١٧).

(٦) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٤٦٤)، والواحدي في «البسيط» (١٥/ ١٥٣).

وقيل: هو إلياس، وقيل: هو زكريا كفيل مريم، وقيل: كان خليفةَ نبيٍّ في قومه بعد وفاته.

وقال قتادة ومجاهد ومَعْمَرٌ وابن جُريج ـ وهو مرويٌّ عن أبي موسى الأشعري ـ: لم يكن نبيًّا، وإنما كان رجلاً صالحاً كَفَل بأمورِ خيرٍ[١].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: كان في بني إسرائيل ملك قتل ثلاثَ مئة نبي في أول النهار، وأقام سوقاً فأخذ منه مثلهم فقتلهم[٢] آخر النهار؛ استخفافاً بهم وجراءة على الله تعالى، فانفلت منهم مئة نبيٍّ فكفلهم وخبأهم عنه، فسمي به[٣].

وقيل: اسمه عويذ[٤] بن آزر.

وقوله تعالى: ﴿كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَـٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ﴾: أي: النبوة ﴿إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾ لذلك.

وقيل: أي: في رحمتنا في الآخرة إنهم من العاملين بطاعتنا.

* * *

(٨٧) ـ ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَـٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَـٰتِ أَن لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَـٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَـٰضِبًا﴾: عطفٌ على ما مر، والنون: الحوت، وهو كقوله تعالى: ﴿كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ﴾ [القلم: ٤٨] وهو يونس بن متَّى.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٣٧١ ـ ٣٧٣) من طريق معمر عن قتادة عن أبي موسى، ومن طريق ابن جريج عن مجاهد.

(٢) في (أ): «بقتلهم»، وفي (ر): «قتلهم». وقوله: «فأخذ منه مثلهم» من (ف).

(٣) ذكره الجرجاني في «درج الدرر» (٢/ ٣٢١) عن الكلبي.

(٤) في (ر) و(ف): «عويد»، وفي المصدر السابق: «عايوذا».

قال ابن عباس رضي الله عنهما: كان يونسُ وقومه يسكنون فلسطين، فغزاهم ملك فسبى منهم سبعةَ أسباط ونصفَ سبط، وبقي سبطان ونصفُ سبط، فأوحى الله تعالى إلى أشعيا[1] النبيِّ عليه السلام أن سرْ إلى حزقيا الملِكِ وقل له حتى يوجِّهَ نبيًّا قوياً أميناً، فإني ألقي في قلوب أولئك الرعب[2] حتى يرسلوا معه بني إسرائيل، فقال له الملِك: فمَن تَرى؟ وكان في مملكته خمسة من الأنبياء، فقال: يونس، فإنه قويٌّ أمين، فدعا الملك يونس فأمره أن يخرج، فقال يونس: هل أمرك الله بإخراجي؟ قال: لا، قال: هل سمَّاني لك؟ قال: لا، قال: هاهنا غيري أنبياءُ أقوياءُ أمناءُ، فخرج مغاضِباً للملك، فأتى بحرَ الروم فإذا هو بسفينةٍ محشوَّةٍ فركبها، فلما لجَّجت السفينة تكفَّأت حتى كادوا يغرقون، وذكر حديث القرعة[3].

وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بُعث يونس إلى قرية فردُّوا عليه ما جاءهم به، فأوحَى الله إليه: أني أرسل عليهم العذاب في يوم كذا وكذا فاخرج من بين أظهُرهم، فأَعْلم قومه الذين قد أَوعدهم، فقال بعضهم لبعض: ارْمُقوه، فإن هو خرج فإنه كائن ما وعدكم به، فرمقوه حتى إذا كانت تلك الليلة التي يجيء العذاب في صبيحتها فخرج ليلاً، ورآه القوم فحذِروا وخرجوا إلى بَرَازٍ من الأرض وفرَّقوا بين كلِّ ذات ولدٍ وولدِها، ثم عجُّوا إلى الله تعالى وتابوا، فصرف الله عنهم العذاب، وكان يونس عليه السلام ينتظرُ العذاب، فأُخبر بما فعل قومه وبما صُرف العذاب عنهم، فلم يرجع يونس إليهم خشيةَ أن يُنسب إلى الكذب، ومضى على وجهه[4].

---

(١) في (ر) و(ف): «شعيب».

(٢) في (ف): «الوعيد»، وليست في (أ).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٦/ ٣٠١) من طريق عطية العوفي عن ابن عباس.

(٤) إلى هنا رواية الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٣٧٥) من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس.

حتى أتى سفينةً فركب فيها، حتى إذا توسطت ركدت لا تتقدم ولا ترجع، فقال أهل السفينة: إن لسفينتنا شأناً! قال يونس: قد والله عرفتُ شأنها، قالوا له: وما شأنُها؟ قال: ركبها رجل ذو خطيئةٍ عظيمة، قالوا: ومَن هو؟ قال: أنا، فاقذفوني من سفينتكم في البحر وانطلِقوا لشأنكم، فقالوا: والله ما كنَّا لنطرحَك من بيننا أبداً حتى نُعذر[1] في شأنك، فقال لهم: فاستهِموا حتى ننظرَ مَن وقع عليه السَّهم، فاقترعوا فأُدْحِضَ سهم يونس، فقال: قد أخبرتكم فاقذِفوني في البحر، فقالوا: لا نفعل حتى نعذر[2] في شأنك، ففعل ذلك ثلاث مرات وإن الحوت عند رجل السفينة فاغراً فاه ينتظر أمر الله فيه، فقال لهم يونس: إنكم والله لن تصنعوا شيئاً، وإنكم لتَهْلِكُنَّ أو لتَقْذِفُنَّني منها، فقذفوه منها إلى البحر فالتقمه الحوت وانطلق به إلى مسكنه في البحر، فأقام في بطنه ثلاثاً[3] ثم أمره الله تعالى فخرج به حتى لفظه فطرحه[4] في ساحل البحر، فطرحه مثل الصبي المولود لم ينقص من خلقته شيءٌ، وذلك لأنه نادى في الظلمات: ظلمةِ الليل، وظلمةِ البحر، وظلمةِ بطن الحوت: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ معترِفاً بزلَّته تائباً منها، فأنبت الله عليه شجرةً من يقطينٍ، وفجَّر تحت خده عيناً من ماءٍ، فنبت كما ينبت الصبي حتى استوى وصار كما كان[5].

---

(١) في (ر): «تغدو».

(٢) في (ر): «تغدو».

(٣) في (أ): «ثلاثة أيام».

(٤) «فطرحه» من (أ).

(٥) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣١٨٦٦)، والنحاس في «إعراب القرآن» (٣/ ٤٤١)، وابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» (٧/ ١٢٣)، عن ابن مسعود رضي الله عنه موقوفاً. وصحح إسناده الحافظ في «الفتح» (٧/ ١٢٣).

وروى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «لمَّا أراد الله تعالى حبسَ يونس بن متى في بطن الحوت، أوحى الله إلى الحوت: أنْ خُذه، ولا تخدِش له لحماً، ولا تكسر له عظماً، فأخذه ثم هوى به إلى مسكنه في البحر، فلما انتهى إلى مسكنه في أسفل البحر فسمع يونس حسًّا، فقال في نفسه: ما هذا؟! فأوحى الله إليه وهو في بطن الحوت: إن هذا تسبيحُ دوابِّ البحر، فعند ذلك سبَّح وهو في بطن الحوت، فسمعت الملائكة تسبيحه فقالوا: يا ربنا إنَّا لنسمع صوتاً ضعيفاً بأرض غريبةٍ! قال: ذاك عبدي يونس عصاني فحبستُه في بطن حوت في البحر، فقالوا: يا ربنا! العبد الصالح الذي كان يصعد منه في كلِّ يوم وليلةٍ عملٌ صالح؟ قال: نعم، قال: فَشَفَعوا له عند ذلك، فأمر الله تعالى الحوت فقذفه بالساحل»(١).

وقوله تعالى: ﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾: أي: أنْ لن نضيِّقَ عليه، قال الله تعالى في سورة (والفجر): ﴿وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ﴾ [الفجر: ١٦]؛ أي: ضيَّق.

وقوله تعالى: ﴿فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ﴾: والظلمات ثلاثٌ على ما ذكرنا في القصة.

وقيل: ابتلع الحوتَ الذي ابتلع يونسَ عليه السلام حوتٌ آخر، ثم ابتلع

---

(١) رواه البزار في «البحر الزخار» (٨٢٢٧) من طريق ابن إسحاق عن عبد الله بن رافع مولى أم سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٣٨٥) وجاء فيه: ابن إسحاق عمن حدثه، عن عبد الله بن رافع به. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٩٨): رواه البزَّار عن بعض أصحابه ولم يُسمِّه، وفيه ابنُ إسحاقَ وهو مُدَلِّسٌ، وبقيةُ رجالِه رجالُ الصَّحيح. قلت: ومع ذلك فشيخ ابن إسحاق مبهم كما في رواية الطبري. وذكر له ابن كثير في «البداية والنهاية» (٢/ ٢٢) شاهداً من طريق يزيد الرقاشي قال: قال: سمعتُ أنسَ بنَ مالكٍ ولا أعلمُ إلا أن أنسًا يرفعُ الحديثَ إلى رسولِ اللهِ ﷺ...، فذكر نحو حديث أبي هريرة. قال ابن كثير: ويزيدُ الرَّقَاشيُّ ضعيفٌ، ولكنْ يَتقوَّى بحديث أبي هريرة المتقدِّم، كما يَتقوَّى ذاك بهذا. واللهُ أعلمُ.

ذلـك الحـوتَ حوتٌ آخر، فـكان في ظلمات بطـون الحيتان الثلاثة، قاله سـالم بن أبي الجعد[١].

وقوله تعالى: ﴿أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ﴾: وهذا توحيدٌ وتنزيه.

وقوله تعالى: ﴿إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: وهذا اعتراف بالزلة، وقد فسَّرناه في سورة البقرة عند ذكر زلة آدم، وهي فعلُ الفاضل وترك الأفضل، وكان الأفضل أن يرجع شفقةً على قومه وإن كان ذهابه فاضلاً لأنه غاضَبهم في ربه.

* * *

(٨٨) ـ ﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ﴾: دعاءه، وهو ما ثبت في ضمن هذا الثناء.

وقوله تعالى: ﴿وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّ﴾: قيل: غمِّ الحبس، وقيل: غمِّ الزلة.

وقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾: الذين يدعونني إذا ابتُلوا.

وقيل: وكذلك ننجي مَن تكلَّم بهذه الكلمات.

وقيل: نجيناه من البلاء لطاعته في الرخاء، وكذلك ننجي مِن المحنة مَن كان مطيعاً لنا في النعمة؛ قال الله تعالى: ﴿فَلَوۡلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِي بَطۡنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ﴾ [الصافات: ١٤٣ ـ ١٤٤].

قـال: أخذتـه الزَّلةُ برجلـه فسَـفَلتْه في البحـر، وأخذته الطاعـة بيـده فأَعْلَتْه إلى السـاحل، وكذلـك معصيـةُ كلِّ عـاصٍ تَسْـفُله فـي النـار أسـفلَ سـافلين، وتُعليـهِ[٢] طاعتُـه فـي أعلـى علِّيِّين.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٣٨٣).

(٢) في (ر): «وتنقله»، وفي (ف): «ونقلته».

وقيل: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُـجِي ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ من الظلمات الثلاث: ظلمةِ الدنيا، وظلمةِ القبر، وظلمةِ النار.

وقال النبي ﷺ: «دعوةُ ذي النون ما دعا بها مؤمنٌ إلا استُجيب له»[١].

وقيل: صحب يونسُ النونَ سبعةَ أيام فلزمه الاسمُ فلا يفارقه، والمؤمن صحبه الإيمانُ سبعين سنة فكيف يفارقه الاسم؟

* * *

(٨٩) - ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَزَكَرِيَّآ﴾: عطفٌ على ما تقدم.

وقوله تعالى: ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ﴾: أي: دعا ربه: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا﴾؛ أي: بلا ولدٍ يعينني على إقامة دِينك.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾: أي: أعلمُ أنك لا تضيِّع دينك، ولا تُخْلي الدنيا بعدي عن قائمٍ بحقِّك، وهذا على وراثة النبوة.

وقيل: معناه: ربِّ لا أسألك ولداً يرث[٢] مالي نفاسةً على أخذِ ميراثي من غير ولدي، فإن الأموال كلَّها صائرةٌ إلى غير وارث سواك، وأنت خيرُ الوارثين لأن الموروث مِلكُك وعطيَّتك ومنك كان وإليك عاد.

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١٤٦٢)، والترمذي (٣٥٠٥)، والنسائي في «الكبرى» (١٠٤١٧)، وفي «عمل اليوم والليلة» (٦٥٥)، والحاكم في «المستدرك» (١٨٦٢) وصححه، من حديث سعد ابن أبي وقاص رضي الله عنه.

(٢) بعدها في (أ): «من».

وقيل: معناه: إن تفضَّلت بهبةِ وارثٍ لي فهو منّتُك[1] وإنعامُك، وإلا فكفى بك وارثاً، والله أعلم بما أراد.

***

(٩٠) ـ ﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾.

﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ﴾ دعاءه ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓ﴾: قيل: عن العُقم، وقيل: أصلحنا أخلاقها.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾: الكناية عن زكريا وامرأته وأهل بيته.

وقوله تعالى: ﴿وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗا﴾: أي: في الشدة والرخاء[2] ﴿وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾: خاضعين خائفين.

***

(٩١) ـ ﴿وَٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلۡنَٰهَا وَٱبۡنَهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا﴾: عطف على ما تقدم، وهي مريم، و﴿أَحۡصَنَتۡ﴾؛ أي: أحرزت فرجها من السِّفاح.

---

(١) في (ف): «من منتك».

(٢) في (أ): «﴿وَيَدۡعُونَنَا﴾ أي في الشدة والرخاء ﴿رَغَبٗا وَرَهَبٗا﴾ أي: ويدعوننا كما قال: ﴿وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾».

﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا﴾؛ أي: جبريلُ في جيبها ﴿مِن رُّوحِنَا﴾: من روحٍ خلقناها[1] نحن بعيسى على الخصوص، وهي إضافة تخصيصٍ كبيتِ الله وناقةِ الله.

ذكَر مريم ـ وهي ليست من الأنبياء ـ بعد ذكر الأنبياء ليَتِمَّ ما أُريد من ذكر عيسى، ألا تَراه قال: ﴿وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ فجعلهما معاً آيةً واحدة؛ لأن الآية كانت باجتماعهما، وهي الأعجوبة للخلق والدلالةُ على نفاذِ قدرة الله تعالى على ما يشاء، إذ وُلد عيسى من غيرِ أبٍ ووَلَدت هي من غيرِ زوج.

* * *

(٩٢ ـ ٩٣) ـ ﴿إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ (٩٢) وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ ۖ كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾: قيل: هو خطابُ هؤلاء الأنبياء: إن هذا دينُكم ديناً واحداً، نُصب على القطع، وكان الأنبياء كلُّهم على دينٍ واحدٍ في التوحيد والطاعة، وإنما اختلفت شرائعُهم وأحكامهم، وهو كقوله خبراً عن الكفار: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ﴾ [الزخرف: ٢٢]، وهي من الأَمِّ وهو القصدُ، وكلُّ ذي دِينٍ قاصدٌ إلى ما يَدِين به.

﴿وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾: أي: وحِّدوني وأطيعوني؛ أي: اثبُتوا على هذا.

﴿وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ﴾: أي: تقسَّموا وتوزَّعوا أمرهم في أديانهم، يعني: بعضُ أممهم فعلوا ذلك فدانوا بأديانٍ مختلفة يهوديةٍ ونصرانيةٍ ومجوسيةٍ وإشراك.

قوله تعالى: ﴿كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ﴾: فنجازي كلًّا جزاءَ مثله.

وقيل: هـذا خطابٌ للمشـركين، وقولُه تعالـى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾؛

---

(١) في (ف): «خلقنا».

أي: أنتم على دينٍ واحد وهو الكفر ﴿وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ آمِنوا بي ووحِّدوني وأطيعون ﴿وَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ﴾ فاختلفوا يهوداً ونصارى ومجوساً ومشركين[1] ﴿كُلٌّ إِلَيْنَا رَٰجِعُونَ﴾ فنجازيهم.

* * *

(٩٤ ـ ٩٥) ـ ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ ﴿٩٤﴾ وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ﴾: أي: فإن سعيه مشكورٌ مقبول ﴿وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ﴾؛ أي: نحفظ عليه أعماله فنجزيهِ بها.

وقيل: تكتبها ملائكتنا بأمرنا فنُخرجُ لهم الكتبَ يوم القيامة فنحاسبُهم بها.

وقوله تعالى: ﴿وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ﴾: قرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية أبي بكر: ﴿وحِرْمٌ﴾ بكسر الحاء، وقرأ الباقون: ﴿وَحَرَٰمٌ﴾[2] والمعنى واحد.

وقوله تعالى: ﴿أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾: أي: كلُّ قرية أهلكناها بكفرها ـ أي: أهل قرية ـ فحرامٌ عليهم ـ أي: هم ممنوعون منه ـ أن يرجعوا إلى قريتهم أو إلى الدنيا فيتلافَوا ما فَرَط منهم؛ أي: فلْيجتهدوا قبل الهلاك إذاً فلا[3] تدارُك بعد الهلاك.

و﴿لَا﴾ زائدة في قوله: ﴿لَا يَرْجِعُونَ﴾ كما في قوله: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾ [الأعراف: ١٢]، وهذا كقوله: ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [يس: ٣١].

---

(١) في (ر): «ومسلمين».

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٤٣١)، و«التيسير» (ص: ١٥٥).

(٣) في (ر): «إذ لا».

وقالت(١) عائشة رضي الله عنها وعيسى بن عمر(٢): ﴿وحِرْمٌ على قريةٍ﴾؛ أي: واجبٌ وعزم، وعلى هذا التأويل ﴿لَا﴾ ليست بزائدةٍ بل هي ثابتة؛ أي: ثبت هذا وتحقَّق ﴿أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ إلى الدنيا.

***

(٩٦ ـ ٩٧) ـ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ٩٦ وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبۡصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَٰوَيۡلَنَا قَدۡ كُنَّا فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا بَلۡ كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ﴾: أي: لا يرجعون، بل يبقَون(٣) في قبورهم معذَّبين إلى أن تُفتح جهةُ يأجوج ومأجوج(٤) وهو السد.

وقوله تعالى: ﴿وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ﴾: أي: من كلِّ مرتفعٍ من الأرض يُسرعون، و﴿يَنسِلُونَ﴾(٥) عدُوه من باب ضرب.

وقوله تعالى: ﴿وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ﴾: قيل: الواو زائدة، معناه: اقترب، جواباً لقوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا﴾، و﴿ٱلۡوَعۡدُ﴾ بمعنى: الموعود، و﴿ٱلۡحَقُّ﴾: الصِّدق.

وقيل: الواو للعطف، والجواب في قوله ﴿يَٰوَيۡلَنَا﴾ على إضمارِ: (قالوا: يا ويلنا).

---

(١) في (ر): «وقرأت».

(٢) في (ر) و(ف): «وعيسى بن حزم».

(٣) في (ف): «يقفون».

(٤) «أي: لا يرجعون بل يبقون في قبورهم معذبين إلى أن تفتح جهة يأجوج ومأجوج» من (أ)، ووقعت في (ف) عقب قوله: «وهو السد».

(٥) في (أ) و(ف): «ونسلان الذئب».

وقيل: جوابه محذوف: نَدِموا، أو: علِموا، وقوله تعالى: ﴿وَٱقۡتَرَبَ﴾ العطفُ على الجواب المحذوف.

﴿فَإِذَا هِيَ﴾: قيل: ﴿هِيَ﴾ إشارةٌ إلى[1] الأبصار المذكورةِ بعدها؛ ابتدأ بالكناية ثم صرَّح بعدها للبيان.

وقيل: ﴿هِيَ﴾ عماد، وتقديره: فإذا أبصار الكفار شاخصةٌ؛ قال الشاعر:

بثوبٍ ودينارٍ وشاةٍ ودرهمٍ فهل هو مرفوعٌ بما هاهنا رأسُ[2]

أي: فهل رأسٌ مرفوعٌ.

يقول: إن القيامة إذا قامت شخصت ﴿أَبۡصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾؛ أي: ارتفعت خوفاً لما ينالهم من الوعيد وتوقُّعاً لذلك ﴿يا ويلنا﴾؛ أي: يقولون: يا ويلنا ﴿قَدۡ كُنَّا فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا بَلۡ كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ ذكروا أولاً ما يشبه العذرَ: كنَّا في غفلةٍ كمَن لا يعلم بالشيء فيستعدَّ له، ثم يقولون: بل أَنذرَنا الرسل لكنَّا ظلمنا أنفسنا بالتكذيب وتركِ استعدادنا لهذا[3].

* * *

(٩٨) ـ ﴿إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمۡ لَهَا وَٰرِدُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾: أي: مرميٌّ

---

(١) في (أ): «إشارة» بدل: «قيل: هي إشارة إلى».

(٢) البيت دون نسبة في «معاني القرآن» للفراء (١/ ٥٢) و(٢/ ٢١٢)، و«تفسير الطبري» (٢/ ٢١٥) و(١٦/ ٤١٠)، و«البسيط» (٣/ ١٧١) و(١٥/ ٢٠٤).

(٣) في (أ): «وترك الاستعداد لها».

به في النار، يقال: حصَبْتُه بالحصى[١]؛ أي: رميتُه بها؛ أي: تُرمون أنتم والأوثانُ في النار كالحطب يرمَى فيها[٢].

وقال الفراء: الحصَب: الحطَب بلغة أهل اليمن[٣].

وقال الهيثم بن عديٍّ: بلغة الحبشة[٤].

وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما بالضاد المنقوطة فوقها[٥]، وهو ما هيَّجْتَ به النار.

وقال قطرب: بالصاد المعجمة تحتها[٦] أيضاً: الوقود[٧].

وقوله تعالى: ﴿أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ﴾: الأوثان والعبَّاد فيها داخلون[٨]، و﴿لَهَا﴾

---

(١) في (ر) و(ف): «بالحصباء»، والمعنى واحد.

(٢) في (ر) و(ف): «كالحصب يرمى بها».

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢١٢).

(٤) انظر: «تفسير البغوي» (٥/ ٣٥٦) عن عكرمة.

(٥) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢١٢)، و«المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩٥)، و«تفسير الطبري» (١٦/ ٤١٣).

(٦) في (ر): «بالضاد المعجمة تحتها»، والمثبت من (أ)، وسقط قول قطرب كله من (ف). ولعله يعني بقوله: «بالصاد المعجمة تحتها»: الصاد المهملة، قال ابن الصلاح في «معرفة علوم الحديث» (ص: ٢٩٦): (كما تُضبَطُ الحروفُ المعجمةُ بالنقط؛ كذلك ينبغي أن تضبطَ المهمَلاتُ غيرُ المُعجَمة بعلامة الإِهمال لتدلَّ على عدم إعجامها، وسبيلُ الناس في ضبطِها مختلف: فمنهم من يَقْلِبُ النقطَ؛ فيجعل النقطَ الذي فوق المعجمَات، تحت ما يشاكِلُها من المهمَلات؛ فينقط تحت الراء والصاد والطاء والعين ونحوِها من المهمَلات).

(٧) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٤١١) عن ابن عباس.

(٨) في (ف): «خالدون».

لتقدُّم محلِّ الفعل[١]؛ كما في قوله: ﴿لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ﴾ [المؤمنون: ٥] ﴿لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ﴾ [المؤمنون: ٨].

وقِرانُ الأصنام بهم لزيادة عذابهم[٢]؛ لأنها حجارة فتَحمى فيعذَّبون بها، ولزيادة حسرتهم؛ فإنهم عبدوها راجين نفعَها فحُرموه ونالهم بها زيادة ضرٍّ.

***

(٩٩ ـ ١٠٠) ـ ﴿لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ۖ وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝٩٩ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا﴾: أي: لأَمْكنَها دفعُ النار عن أنفسها فلم توقَع فيها.

قوله: ﴿وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾: العابدون والمعبودون.

وقوله تعالى: ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ﴾: أي: للكفار ﴿وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴾؛ أي: صوتاً لصممهم، وفي السماع نوعُ تفرُّج فلم يعطَوا ذلك.

وقيل: لا يسمعون ما يسرُّهم.

***

(١٠١) ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾:

روى محمد بن إسحاق: أن النبي ﷺ جلس يوماً مع الوليد بن المغيرة في

---

(١) في (أ): (ف): «وهذا لتقدم الفعل» وفي (ر): «وهذا لتقدير الفعل». ولعله يريد أن قوله: ﴿لَهَا﴾ اللام فيه للتقوية لتأخر الفعل.

(٢) في (ر) و(ف): «العذاب بهم».

المسجد، فجاء النَّضْر بن الحارث حتى جلس معهما، وفي المجلس غير واحد من رجال قريش، فتكلم رسول الله ﷺ، فعرَض له النضر بن الحارث، فكلَّمه رسول الله ﷺ حتى أفحمه، ثم تلا عليه وعليهم: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ﴾ ثم قام رسول الله ﷺ، وأقبل عبد الله بن الزِّبَعْرَى بنِ قيس ابن عدي السهمي حتى جلس، فقال الوليد بن المغيرة لعبد الله بن الزِّبعرى: والله ما قام النضر بن الحارث لابن عبد المطلب آنفاً وما قعد، وقد زعم أنَّا وما نعبد من دون الله من آلهتنا هذه حصبُ جهنم، فقال ابن الزِّبعري: أمَا والله لو وجدتُه لخَصَمْتُه، فسلوا محمداً: أكلُّ مَن عُبد من دون الله في جهنم مع مَن عبده، فنحن نعبد الملائكة، واليهودُ تعبد عزيراً، والنصارى تعبد المسيح، فعجِب الوليد بن المغيرة ومَن كان في المجلس مِن قول عبد الله بن الزبعرى، ورأوا أنه قد خاصم واحتج، فذُكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال: «نعمْ، كلُّ مَن أحبَّ أن يُعبد من دون الله فهو مع مَن عبَده، إنما يعبدون الشياطين ومَن أمَرتهم بعبادته»، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ﴾ إلى قوله: ﴿خَٰلِدُونَ﴾؛ أي: عيسى بن مريم وعزير ومَن عَبدوا من الأحبار والرهبان الذين مضَوا على طاعة الله فاتخذهم مَن بعدَهم من أهل الضلالة أرباباً من دون الله، وأَنْزَل فيما ذكروا أنهم يعبدون الملائكة لأنها بنات الله، ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦] إلى قوله: ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٢٩][(١)].

---

(١) انظر: «السيرة النبوية» لابن هشام (١/ ٣٥٨-٣٥٩) عن ابن إسحاق، ورواه عنه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٤١٧ - ٤١٨)، ورواه مختصراً الطبراني في «المعجم الكبير» (١٢٧٣٩)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٠٥)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٦٩): فيه عاصم بن بهدلة وقد وثق وضعفه جماعة. ورواه بنحوه دون ذكر الآية الإمام أحمد في «المسند» (٢٩١٨).

ثم اعتراضُهم إن كان على ظاهر الآية فهو فاسد؛ لأنه قال: ﴿وَمَا تَعْبُدُونَ﴾ وذلك لا يتناول مَن[1] يَعقل، ولا يعمُّ الملائكة ونحوَهم، بل يقتصر على الأصنام.

أما لو قالوا: كلُّ معبود من دون الله هل يكون مع عابده في النار؟ وهذا سؤال عامٌّ[2] يتناول الكلَّ، لكن جواب رسول الله ﷺ: «مَن أحبَّ أن يُعبد من دون الله فهو مع مَن عبَده» يقتضي إخراج هؤلاء من ذلك[3]؛ لأنهم لا يرضون بذلك فلا يَلزمه كلامُهم، وكان نزول هذه الآية الثانية بعد سؤالهم زيادةَ إيضاحٍ لهم، وكان تنبيهاً أنهم بما سبقت لهم من الله الحسنى لا يكون لهم دخول النار.

وقوله: ﴿سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ﴾؛ أي: الجنة، كما قال: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، ومعناه: سبق لهم الوعدُ بها لإيمانهم وطاعتهم.

وقوله تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾؛ أي: عن النار مبعَدون لا يعذَّبون فيها.

وقيل: ﴿ٱلْحُسْنَىٰٓ﴾: السعادةُ، يعني: مَن سبقت له السعادةُ الأزلية؛ أي: الحكمُ منا بالسعادة.

قال الجنيد رحمه الله: سبقت العناية في البداية فظهرت الولاية في النهاية.

* * *

(١٠٢ ـ ١٠٣) ـ ﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِى مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾.

---

(١) في (ف) و(أ): «ما».

(٢) «عام» من (أ).

(٣) «من ذلك» من (أ).

وقوله تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا﴾: أي: صوتها، وهو قوله: ﴿إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا﴾ [الملك: ٧].

وقوله تعالى: ﴿وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ﴾: وذاك في الجنة، ولهم فيها ما يشتهون.

وقوله تعالى: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ﴾: أي: فزعُ القيامة، فهو أكبر الأفزاع.

وروي أن الفزع الأكبر إذا ذُبح الموت.

وقيل[1]: إذا أُطبقت النار على أهلها.

وقيل: إذا أُمر بالكفار إلى النار[2].

ورُوي: إذا نفخ في الصور النفخةُ الثانية.

وقال ذو النون المصري: هو فزع القطيعة.

وروي: إذا نادى المنادي ألَا إنَّ فلان بنَ فلان قد سُعِدَ سعادةً لا شقاوة بعدها أبداً، ألَا إن فلانَ بن فلان قد شَقِي شقاوةً لا سعادة[3] بعدها أبداً.

وقوله تعالى: ﴿وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾: أي: تستقبلهم ﴿هَذَا يَوْمُكُمُ﴾؛ أي: يقولون لهم: هذا يومكم ﴿الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾؛ أي: توعدون فيه الكرامةَ من الله تعالى.

* * *

---

(١) في (أ): «وروي».

(٢) في (أ): «أمر العبد بالنار»، وفي (ر): «أمر بالعبد إلى النار».

(٣) في (أ): «فلان بن فلان شقيٌّ لا يسعد».

(١٠٤) ـ ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ﴾: أي: لا يَحزنهم الفزع الأكبر يوم نطوي السماء؛ أي: السماوات؛ كما قال: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ﴾ [الزمر: ٦٧]، وهو عبارةٌ عن نقض تركيبها.

وقوله تعالى: ﴿كَطَيِّ السِّجِلِّ للكِتَاب﴾: قرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية حفص: ﴿لِلْكُتُبِ﴾ على الجمع، وقرأ الباقون: ﴿للكتاب﴾ على الواحد[1].

والسجل هو الكتاب.

وقيل: هو اسم كاتبٍ مخصوصٍ وهو رجل.

وقيل: هو ملَكٌ من الملائكة.

ومعناه: كما يطوي الكاتبُ الصحيفة فيصغِّرها بالطَّيِّ بعد طولها وعرضها، فكذلك نجعل السماوات على طولها وعرضها، وعلى هذا يكون قوله: ﴿لِلْكُتُبِ﴾ داخلاً في المفعول؛ كقولك: أكرمتُك إكرام زيد لعمرو؛ أي: عمراً.

وقيل: السجِلُّ: الصحيفة، ومعناه: كما تطوى الصحيفة، ويكون هذا إضافةَ المصدر إلى المفعول، والأولُ كان إضافةً إلى الفاعل، وكلُّ ذلك جائز، ثم قوله: ﴿للكتاب﴾ له ثلاثةُ معان:

للكتابة: فيكون مصدراً

وللمكتوب؛ أي: لأجْل ما كُتب فيه.

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٤٣١)، و«التيسير» (ص: ١٥٥).

والثالث: على ما كُتب فيه، واللام بمعنى (على)؛ كما قال: ﴿وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ [الإسراء: ٧]؛ أي: فعليها.

﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾: أي: كما ابتدأناها أولَ ما خلقناها نُعيد خلقَها في القيامة.

وقيل: نجعلها سماءً واحدة كما كانت، قال الله تعالى: ﴿كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا﴾ [الأنبياء: ٣٠]، وهو قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ [إبراهيم: ٤٨] وهو قولُ الحسن: نعيدها بعد إهلاكها.

وقيل: هو مستأنفٌ؛ أي: نعيدُ الخلق يومَ القيامة كما خلقناهم أولَ مرةٍ حُفاةً عُراةً غُرلاً كما كانوا في بطون أمهاتهم، وهو قول الفراء[1]، يدلُّ عليه ما بعده، وهو قوله تعالى: ﴿وَعْدًا عَلَيْنَآ﴾ وكان ذلك للخَلْق؛ كما قال: ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا﴾ [النحل: ٣٨].

وقوله تعالى: ﴿وَعْدًا عَلَيْنَآ﴾: أي: وعداً كائناً لا محالةَ، و(على) كلمة تحقيق.

﴿إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾: أي: محقِّقين هذا الوعدَ فاستعِدُّوا له وقدِّموا صالح الأعمال للخلاص من الفزع الأكبر.

وقال القشيري رحمه الله: كانت السماء سقفاً مرفوعاً لأن الأولياء تحتها، والأرضَ فراشاً ممهداً لأنهم عليها، فإذا ارتحل الأحباب طُوي الفراش ونُقض السقف[2].

* * *

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢١٣)، ولفظه: انقطعَ الكلام عند (الكتب)، ثُمَّ استأنف فقال: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾ فالكاف للخلق؛ كأنك قلت: نعيد الخلق كما بدأناهم أوَّلَ مرَّة.

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٥٢٥).

(١٠٥) ـ ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ﴾: قرأ حمزة بضم الزاي، وهي جمع (زِبْرٍ) بكسر الزاي وهو الكتاب، فيكون جمعاً، وقرأ الباقون بفتحها(١)، فكان واحداً وهو الكتاب.

يقول: أثبتنا في الكتب المنزلة على الأنبياء، أو في زبور داودَ إذا كان على الواحد، أو في كتاب آخر مما أنزل.

﴿مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ﴾: أي: بعد الكتابة في اللوح المحفوظ.

وقوله تعالى: ﴿أَنَّ ٱلْأَرْضَ﴾: أي: أرضَ الجنة ﴿يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ وينصرف إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ﴾.

وقيل: الصالحون هم أمة محمد ﷺ.

قال وهب: كذلك قرأتُ في عدةٍ من كتب الله تعالى، وأضيفت إليهم لأنهم أكثر أهلها، فقد روي أنهم ثلثا أهل الجنة(٢).

وقيل: معناه: أن أرض الشام يرثها الصالحون؛ أي: مؤمنو بني إسرائيل، كما قال: ﴿وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ١٢٩].

وقيل: معناه: أن أرض الدنيا ترثُها أمة محمد ﷺ، قال تعالى: ﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٤٣١)، و«التيسير» (ص: ٩٨).

(٢) رواه الترمذي (٣١٦٩) من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه، وفيه: إني لأرجو أنْ تكونوا رُبعَ أهل الجنة فكبَّروا، ثُم قال: إني لأرجو أنْ تكونوا ثُلُثَ أهل الجنة فكبَّروا، ثُم قال: إني لأرجو أن تكونوا نصفَ أهل الجنة فكبَّروا قال: ولا أدري؟ قال: الثُّلُثين أم لا؟ قال الترمذي: حسن صحيح.

﴿فِي الْأَرْضِ﴾ [النور: ٥٥]، وقال رسول الله ﷺ: «زُويتْ لي الأرض فأُرِيْتُ مشارقَها ومغاربَها، وسيبلغ ملكُ أمتي ما زُوي لي منها»(١).

* * *

(١٠٦ ـ ١٠٧) ـ ﴿إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ (١٠٦) وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا﴾: يعني: إن فيما قصَصْناه عليكم لوُصولاً إلى الحق والصواب وإحرازاً للثواب ﴿لِقَوْمٍ عَابِدِينَ﴾؛ أي: للّذين همُّهم عبادة الله والتذلُّل له(٢).

والبلاغ يعني البلوغ؛ كالصلاح والصلوح، والثبات والثبوت.

وقيل: ﴿لَبَلَاغًا﴾؛ أي: لكفايةً؛ قال الشاعر:

تــزجَّ مــن دنيــاك بالبــلاغِ ... وباكــرِ المِعْــدةَ بالدِّبــاغِ
بكِسْــرةٍ ليِّنــةِ الـــمَضَاغِ ... بالملحِ أو ما خَفَّ من صِباغِ(٣)

وقيل: ﴿إِنَّ فِي هَذَا﴾؛ أي: في هذا القرآن.

وقيل: ﴿لِقَوْمٍ عَابِدِينَ﴾؛ أي: موحِّدين. وقيل: مطيعين.

وقال كعب: والذي نفسُ كعبٍ بيده هم أهلُ الصلوات الخمس(٤).

---

(١) رواه مسلم (٢٨٨٩) من حديث ثوبان رضي الله عنه.

(٢) في (ر) و(ف): «والتدين».

(٣) الرجز في «الصحاح» (مادة: صبغ)، و«أساس البلاغة» (مادة: زجا).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٤٣٨).

وقيل: أي: لكلِّ بشر؛ لأنهم عباد[1] الله.

وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ﴾: ذكَر بعد إنزال القرآن إرسالَ الرسول ﴿إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ لأنه بُعث داعياً إلى الله، ومرشداً إلى دينه، ومنقذاً من الضلالة، ومنبِّهاً على ما فيه الفوزُ بالنعيم المقيم والنجاةُ من العذاب الأليم، وذلك رحمةٌ عامة للمؤمنين والكافرين، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا﴾ [الإسراء: ١٠٥]، فالتبشير والإنذار رحمةٌ أجراها الله تعالى على يديه.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: تمتِ الرحمة لمن آمن به في الدنيا والآخرة، ومَن لم يؤمنْ به عُوفي مما أصاب الأمم مِن قبلنا[2].

وقال عكرمة: قيل: يا رسول الله، ألا تلعنُ قريشاً بما أتوا إليك؟ فقال لهم[3]: «لم أُبعَثْ لعَّاناً إنما بعثتُ رحمةً للعالمين، يقول الله: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾»[4].

وما أتى به من القتال للدعوة إلى الإسلام، ومن الحدود للزجر عن الآثام، فهو استصلاح لهم كاستصلاح الوالدين الولدَ بالمعالجات في الأسقام، بالكيِّ والجراح والحَجم لبعض الآلام، فكان تحقيقاً للرحمة والإنعام.

* * *

---

(١) في (أ): «عبيد».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٤٣٨).

(٣) «لهم» ليست في (ر).

(٤) رواه عبد بن حميد كما في «الدر المنثور» (٥/ ٦٨٨)، وله شاهد عند مسلم (٢٥٩٩) من حديث أبي هريرة قال: قيل: يا رسولَ الله، ادْعُ على المشركين، قال: «إني لم أُبْعَث لعَّانًا، وإنما بُعِثْتُ رحمةً».

(١٠٨ ـ ١٠٩) ـ ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ آذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ وَإِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾: وهو أصلُ ما أُرسل به إليهم ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ وهو كلمةُ[1] استبطاءٍ، وفيه أبلغُ تلطُّفٍ[2] في الدعوة إلى الإسلام، وهو كقوله: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩١]، وتحقيقه: فانتهُوا، وكذلك هاهنا: فأسلِموا.

﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾: أي: أعرضوا فلم يُسلموا ﴿فَقُلْ﴾ لهم: ﴿آذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ﴾؛ أي: لا مسالمة بيني وبينكم، فقد أعلمتُكم ذلك ظاهراً مكشوفاً صرتُ أنا وأنتم في علمه سواءً، وهو كقوله **تعالى**: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ﴾ [الأنفال: ٥٨]؛ أي: أعلِمْهم أنك قد نقضتَ ذلك العهد حتى تصيرَ أنت وهم في علم ذلك سواءً.

وهذا الإنذار كان إعلاماً بالمحاربة.

وقيل: كان إخباراً أنه لا يوافقُهم على ما هم عليه، وكانوا يطمعون في ممايلته إياهم، فقطع بهذا طمعهم.

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ﴾: قيل[3]: وما أعلم أقريبٌ ما توعدون به من العذاب على تولِّيكم عن الإسلام أم بعيدٌ؟ وذلك إلى الله وعلمُه

---

(١) في (ف): «هذا كله» بدل: «وهو كلمة».

(٢) في (أ): «تبليغ بلطف» بدل: «أبلغ تلطف».

(٣) في (ر) و(ف): «فقل أي»، بدل: «قيل».

عنده[١]؛ أي: آذنتُكم بالحرب على السواء وما أدري[٢] أقريب ذلك أم بعيد.

وقيل: ما توعدون من الساعة؛ أي: آذنتكم بالحرب في الدنيا، وما أدري متى تكون الساعة فتعذَّبون في الآخرة زيادةً على عذاب القتل في الدنيا.

***

(١١٠ ـ ١١٢) ـ ﴿إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١١٠﴾ وَإِنْ أَدْرِى لَعَلَّهُۥ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَـٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١١١﴾ قَـٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ ۗ وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَـٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾: ما تجهرون به من القول بشرككم ﴿وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ﴾ من ذلك، فليس تأخير العذاب عنكم لخفاءِ حالكم، بل هو معذِّبكم في الوقت الذي قدَّره لذلك.

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَدْرِى لَعَلَّهُۥ فِتْنَةٌ لَّكُمْ﴾: أي: لعل إمهالَكم وتأخيرَ العذاب عنكم تشديدٌ للمحنة عليكم بزيادة المعاصي الموجِبة لزيادة العقوبات فلا تظنُّوه خيراً.

وقوله تعالى: ﴿وَمَتَـٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾: أي: تمتيعٌ إلى مدةٍ، وهي وقتُ نزول العذاب في الدنيا، فإن كان هذا تخويفاً بعذابِ الآخرة فالحينُ هو الموت.

وقوله تعالى: ﴿**قُلْ ربِّ احكُمْ بالحقِّ**﴾: قرأ عاصم في رواية حفص: ﴿قَـٰلَ رَبِّ﴾ خبراً عن النبي ﷺ أنه قال هذا الدعاء، وقرأ الباقون: ﴿قُلْ﴾ أمراً له بذلك[٣]؛

---

(١) بعدها في (أ): «وهو كقوله: أقريبٌ ما توعدون من الساعة».

(٢) قوله: «أقريب ما توعدون من الساعة أي آذنتكم بالحرب على السواء وما أدري» من (أ).

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٤٣١ ـ ٤٣٢)، و«التيسير» (ص: ١٥٦).

أي: فوِّضِ الأمر إلى الله وقل: يا ربِّ احكم بالحق بيني وبين هؤلاء بنُصرتي عليهم، وإظهارِ حقِّي على باطلهم، وإنزال[١] نقمتك عليهم، وهو كقوله: ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ﴾ [الأعراف: ٨٩]، وعلى هذا: (الحق) هو ما يستحقونه.

وقيل: استُجيب هذا فيهم يومَ بدر.

وقيل: معناه: احكُم بحكمك وهو الحقُّ، فذكر النعت مكان المنعوت.

وقال قتادة: كان النبي ﷺ إذا شهد قتالاً قال: ﴿رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ﴾[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾: قرأ ابن عامر في روايةٍ بياء المغايبة[٣]، والباقون بتاء المخاطَبة.

أمره بأن يخاطب الكفار فيقولَ لهم: ربُّنا هو الرحمن المستعان على إزالة ما تصفون من الشرك، وما تقولون في صفتي وصفة القرآن: ﴿هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ﴾ [الأنبياء: ٣] ﴿ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ﴾ [الأنبياء: ٥] ﴿ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا﴾ [مريم: ٨٨]، هو المستعان على تغيير هذا، والحكمِ بيني وبينكم بالحق، ويكون ﴿قُلْ﴾ في أول الآية أمراً بشيئين: أي: قل داعياً ﴿رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ﴾، وقل: متوعِّداً للكفار ﴿وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾.

ومَن قرأ بياء المغايبة فمعناه: قل للمؤمنين مبشراً لهم ومطيِّباً قلوبَهم: ربُّنا الرحمن يرحمكم وينصركم، المستعان على ما يصف الكفار من الباطل.

---

(١) في (ف): «حقي على ظلمهم وأنزل»، وفي (ر): «حقي على من ظلمني وأنزل».

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٨٩٤)، والطبري في «تفسيره» (١٦/ ٤٣٨).

(٣) هي رواية ابن ذكوان عن ابن عامر بخلف عنه، ورواية المفضل عن عاصم. انظر: «السبعة» (ص: ٤٣٢)، و«النشر» (٢/ ٣٢٥).

وقيـل: بقيـة الآيـة تتمـة للدعـاء أيضـاً؛ أي: و﴿قـل ربِّ احكـم بالحـق﴾، واعتـرِف فـي دعائـك هـذا أن الله هـو الرحمن والمسـتعان علـى ما تصفـون، وهو ثناء مـع الدعـاء[1].

والحمد لله على نعمائه، والشكرُ على عموم آلائه، والصلاةُ على خاتم أنبيائه، ومبلِّغِ أنبائه، وعلى الباذلين مُهجَهم في قمع أعدائه.

* * *

(١) في (ف): «على ما يصف الكفار وهو الثناء مع الدعاء» بدل: «تصفون وهو ثناء مع الدعاء».

سُورَةُ الحَجِّ

سورة الحج

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الذي يميت الأحياء ويُحيي الموتى[1] وهو على كل شيء قدير، الرحمنِ الذي رزقنا من بهيمة الأنعام وأمرنا بإطعام البائس الفقير، الرحيمِ الذي يتولَّانا وينصرنا، فنعمَ[2] المولى ونعم النصير.

روى أبي بن كعب رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «مَن قرأ سورة الحج أُعطي من الأجر بعددِ مَن حج أو اعتمر فيما مضى وفيما بقي»[3].

وسورة الحج مكيةٌ إلا ستَّ آيات منها يقال: إنها نزلت بالمدينة يومَ بدر في اليوم الذي اقتتلوا فيه: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ﴾ [الحج: ١٩] إلى قوله: ﴿صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ﴾ [الحج: ٢٤][4].

وقيل: هي مدنية إلا آياتٍ منها[5] نزلت بمكة: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ﴾ [الحج: ٥٢] إلى قوله: ﴿عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾ [الحج: ٥٥][6].

---

(١) في (أ): «الأموات».

(٢) في (ف): «فهو نعم».

(٣) رواه الثعلبي في «تفسيره» (١٨/ ٢٨٩ ـ ٢٩٠)، وهو قطعة من الحديث الموضوع في فضائل السور، وقد تقدم الكلام عليه مراراً. وانظر: «الفوائد المجموعة» للشوكاني (ص: ٢٩٦).

(٤) وهو قول ابن عباس وعطاء بن يسار. انظر: «البيان في عد آي القرآن» للداني (ص: ١٨٩).

(٥) بعدها في (ر) و(ف): «يقال إنها».

(٦) وهو قول قتادة. انظر: «البيان في عد آي القرآن» للداني (ص: ١٨٩).

وآياتها أربع وسبعون، وقيل: خمسٌ، وقيل: ستٌّ، وقيل: سبعٌ، وقيل: ثمانٍ[١].

والاختلاف في خمس آيات: ﴿ٱلْحَمِيمُ﴾ ﴿وَٱلْجُلُودُ﴾ ﴿وَعَادٌ وَثَمُودُ﴾ ﴿وَقَوْمُ لُوطٍ﴾ ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾.

وكلماتها ألف ومئتان وأربع وسبعون، وحروفها خمسة آلاف ومئتان وتسعة وثلاثون[٢].

وانتظام أول هذه السورة بآخر تلك السورة: أنه قال: ﴿مَا تُوعَدُونَ﴾ [الأنعام: ١٣٤] وهي الساعة، وذكرها في أول هذه السورة.

وانتظام السورتين: أن تلك السورةَ في ذكر الإيمان والطاعة وثوابهما، وفي ذكر الكفر والمعصية وعقابهما، وهذه السورة كذلك.

* * *

(١) ـ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ﴾.

قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ﴾: أي: فلا تخالفوه فيما أَمر ونهى، واذكروا جزاء ذلك في الآخرة يوم القيامة.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ﴾: الزلزلة: شدةُ الحركة على الحالة[٣] الهائلة، وهي تضعيف الزَّلَل.

---

(١) هي سبعون وأربع آيات في الشَّامي، وخمس في البَصْرِيّ، وست في المدنيين، وسبع في المكِّيّ، وثمان في الكوفي. المصدر السابق.

(٢) في المصدر السابق: «كلمها ألف ومئتان وإحدى وتسعون كلمة، وحروفها خمسة آلاف ومئة وخمسة وسبعون حرفاً».

(٣) «على الحالة» ليست في (أ).

وقيل: أراد بها شدائدها وأهوالها؛ كما قال: ﴿مَّسَّتۡهُمُ ٱلۡبَأۡسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلۡزِلُواْ﴾ [البقرة: ٢١٤].

وقيل: هي زلزلة الأرض؛ كما قال تعالى: ﴿إِذَا زُلۡزِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ زِلۡزَالَهَا ١ وَأَخۡرَجَتِ ٱلۡأَرۡضُ أَثۡقَالَهَا﴾؛ أي: إن حركة الأرض بأهلها للبعث شيء عظيم.

ولا حجة فيها للمعتزلة في تسمية المعدوم شيئاً، فإن هذا اسم لها حالة وجودها.

وروي: أن النبي ﷺ كان في غزوة بني المصطلق إذ غشي الناسَ الكرى، فوقف النبي ﷺ وقرأ عليهم هذه الآية التي أنزلت عليه، فاجتمع إليه الناس وأطافوا به ثم أنصتوا، فقال: «أتدرون أيُّ يوم هذا؟» قالوا: اللهُ ورسوله أعلم، قال: «ذلك يوم القيامة يومَ[1] يقول الله تعالى لآدم: يا آدمُ ابعث بعثاً من ولدك إلى النار، فيقول آدم عليه السلام: وما بعث النار؟ فيقال له: من كلِّ ألفٍ تسعُ مئةٍ وتسعةٌ وتسعون إلى النار وواحدٌ إلى الجنة»، فشَقَّ ذلك على الناس مشقَّةً عظيمة، وقالوا: يا نبيَّ الله! فمَن ذا الناجي منا بعد هذا؟ فقال لهم: «إنكم في[2] خليقتين لا يكونان في شيء إلا كثَّرتاه: يأجوج ومأجوج، فإن كملوا وإلا كملوا بالكفار والمنافقين»[3].

---

(١) «يوم» ليست في (ف).

(٢) في (ر): «بين».

(٣) رواه بنحوه الترمذي (٣١٦٩)، والنسائي في «الكبرى» (١١٢٧٧)، من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه قال: كنَّا مع النبي ﷺ في مسيرٍ، فتفَاوَتَ بين أصحابه في السَّير، فرَفَع رسول الله ﷺ صوته بهاتين الآيتين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ﴾، فلمَّا سمع بذلك أصحابُه عَرَفوا أنه قولٌ يقوله، فقال: «هل تدرون أيَّ يومٍ ذاكم؟»... الحديث، وفيه بدل «فإن كملوا وإلا كملوا بالكفار والمنافقين»: «ومَن مات مِن بني آدم وبني إبليس». قال الترمذي: حسن صحيح.

=

وفي رواية أبي سعيد قال بعدما ذكر خطاب آدم: «فعند ذلك يَشيبُ الصغير وتضع كلُّ ذاتِ حملٍ حملَها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد»، فشق ذلك على الصحابة رضي الله عنهم، وقالوا: من كلِّ ألفٍ تسعُ مئة وتسعةٌ وتسعون ويبقى واحد، فأيُّنا[١] ذلك الواحد؟ ثم مضى رسول الله ﷺ حتى نزل ونزل الناس، ثم راحوا[٢] إلى رسول الله ﷺ كأنما على رؤوسهم الطير من هول ما سمعوا، فقال: «أبشروا، فمِن يأجوج ومأجوج ألفٌ ومنكم واحد، إني لأرجو أن تكونوا أكثر من شطر أهل الجنة»، فكبروا الله وحمدوه، ثم قال: ما أنتم في الأمم إلا كالشعرة السوداء في الثور الأبيض، أو كالشعرة البيضاء في الثور الأسود»[٣].

وفي رواية الحسن: فقال: «إن الأمم قد عُرضت عليَّ، فرأيتُ النبي يأتي في الثمانية، ورأيت النبي يأتي في الأربعة، ورأيت النبي يأتي في الاثنين، حتى رأيت النبي يجيء ليس معه أحد من أمته، حتى رأيتُ أمةً أعجبتني كثرتُها فقلتُ: يا رب، أمتي هذه؟ قال: بل هذا موسى ومَن معه من بني إسرائيل، ثم رأيت أمة أعجبتني كثرتها فقلت: يا رب، أمتي هذه؟ قال: بل هذا[٤] يونس ومَن معه من بني إسرائيل،

= وروى نحوه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٨٩٥)، والطبري في «تفسيره» (١٦/ ٤٥٢)، وابن حبان في «صحيحه» (٧٣٥٤)، والحاكم في «المستدرك» (٧٩)، من حديث أنس رضي الله عنه. قال الحاكم: صحيح على شرطهما.

(١) في (ر): «فما».

(٢) في (ر) و(ف): «رجعوا».

(٣) رواه البخاري (٣٣٤٨)، ومسلم (٢٢٢). وفي البخاري بدل: «إني لأرجو أن تكونوا أكثر من شطر أهل الجنة»، فكبروا الله وحمدوه»: («إنِّي أرجو أنْ تكونوا ربُع أهل الجنَّة» فكبَّرنا، فقال: «أرجو أنْ تكونوا ثُلُثَ أهل الجنة» فكبَّرنا، فقال: «أرجو أن تكونوا نصفَ أهل الجنة» فكبَّرنا). ولفظ مسلم مثل البخاري لكن فيه: «شطر» بدل: «نصف».

(٤) «هذا» ليس من (أ).

ثم رأيت أمةً كذلك فقال: هذا عيسى ومَن معه، فقلت: يا رب، أين أمتي؟ قال: انظر، فنظرتُ قِبَل طريق مكة فإذا أنا بناسٍ كثير، ثم قال: انظر، فنظرتُ إلى طريق المشرق فإذا بناسٍ كثير، ثم قال: انظر، فنظرت تحتي فإذا هم بكلِّ نبيٍّ بُعث[1]، فقلت: يا رب رضيتُ رضيتُ، قال: مع هؤلاء سبعون ألفاً مع كلِّ واحد[2] سبعون ألفاً ليس عليهم حساب ولا عقاب» فقام عكَّاشةُ بن مِحْصَنٍ الأسديُّ وقال: يا رسول الله، ادع الله أن يجعلني منهم، فقال: «أنت منهم» فقام رجل من الأنصار فقال: يا رسول الله، ادعُ الله أن يجعلني منهم، فقال: «سبقك[3] بها عكَّاشة»[4].

وقيل: هي الزلزلة قبلَ يوم القيامة، وهي من أشراط الساعة.

* * *

(٢) - ﴿ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ ﴾: أي: تنسى ولدَها وتَسْلو عنه.

وقيل: الذهول عن الشيء: هو الذهاب عنه وتركُه دَهَشاً وحيرة، من حدِّ صنع.

والمرضعة: التي تُرْضِع، والمرضع: لها ولد رضيع.

---

(١) في (أ): «فنظرت تحتي فإذا كل ينتعش»، وفي (ر): «فنظرت تحتي فإذا كل نبي ينتعش». ولم أجد هذه العبارة في المصادر.

(٢) في (أ) و(ف): «مع كل سبعين ألفاً».

(٣) في (ر) و(ف): «سبق».

(٤) رواه بنحوه البخاري (٥٧٥٢) و(٦٥٤١)، ومسلم (٢٢٠). وبنحوه أيضا الإمام أحمد في «المسند» (٣٨٠٦) والبزار في «مسنده» (١٤٤١) من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه.

وقوله تعالى: ﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا﴾: أي: تُسقط الحبالَى أولادها من الفزع، والحمل بالفتح: ما كان في البطن، وبالكسر: ما كان على رأسٍ أو ظهر.

قالوا: وهذا يدل على أن هذه الزلزلة[١] في الدنيا؛ لأنه لا حملَ ولا إرضاع بعد البعث.

وقيل: بل هو يومَ القيامة، وإن ماتت حاملاً تبعث[٢] حاملاً فتضع حملها للهول.

وقيل: هو مَثَلٌ؛ أي: هول ذلك اليوم على وجهٍ لو كان مثلُه في الدنيا لوضعت الحوامل وذَهَلت المراضع من شدته.

وقوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ﴾: خطاب لغيرِ معيَّنٍ؛ أي: أيها الناظر[٣] ﴿سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ﴾، قرأ حمزة والكسائي: ﴿سَكْرى﴾ فيهما[٤]، والباقون بالألف فيهما[٥]، وهما جميعاً جمع سكران، وسكران وسُكارى كالكسلان والكُسالى، وسَكْران وسَكْرى كالعطشان والعَطْشى.

أي: تراهم من الدَّهش على حالٍ يُشاكلُ السُّكْرَ وما هم بسكارى على الحقيقة، لا أنه[٦] من الشراب.

ثم هذا ليس بتناقضٍ؛ لأنه لم يقل: هم سكارى وما هم بسكارى، بل قال: ﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ﴾، وهو كقولك في السراب: ترى هناك ماءً وليس بماءٍ، وهو معنى قول

---

(١) في (ف): «على أن هذا الولد لها».

(٢) في (أ): «ومن ماتت حاملا بعثت».

(٣) في (ف): «أي رأيها»، وفي (ر): «أي رأيتها».

(٤) في (أ): «سكرى وما هم بسكرى».

(٥) انظر: «السبعة» (ص: ٤٣٤)، و«التيسير» (ص: ١٥٦).

(٦) في (أ) و(ر): «لأنه».

الحسن: ﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَـٰرَىٰ﴾ من الخوف ﴿وَمَا هُم بِسُكَـٰرَىٰ﴾ من الشراب[1].

وقوله تعالى: ﴿وَلَـٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾: أي: تراهم دَهْشَى وما هم بسكارى، ﴿وَلَـٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾ فأزال عقولهم وحيَّر قلوبهم.

* * *

(٣) - ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَـٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَـٰنٍ مَّرِيدٍ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَـٰدِلُ﴾: ومن الناس المأمورين بالتقوى في أول هذه السورة مَن يخاصم خصومةً شديدة ﴿فِى ٱللَّهِ﴾؛ أي: في دين الله.

وقيل: أي: يجادل رسولَ الله ﷺ فيما يُخبِر به عن الله أنه يَبعث العبادَ ويجازيهم، فيقول: ﴿مَا هَـٰذَآ إِلَّآ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الأحقاف: ١٧]، و: ﴿مَن يُحْىِ ٱلْعِظَـٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ﴾ [يس: ٧٨]، و: ﴿إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا﴾ [الانعام: ٢٩] ونحوه مما حُكي عنهم.

وقوله تعالى: ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾: أي بغير حجةٍ ولا شيءٍ يصح من جهة العلم.

وقوله تعالى: ﴿وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَـٰنٍ مَّرِيدٍ﴾: أي: يأخذ هذا الإنكارَ وهذا الجدلَ من الشيطان بوسوسته، أو من شياطين الإنس بدعواهم، وقد قيل[2]: نزلت الآية في النضر بن الحارث، وكان يأخذ عن الأعاجم وعن اليهود والنصارى ما يطعن به على الإسلام، وهم شياطين الإنس.

* * *

(٤) - ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٤٥٨).

(٢) في (أ): «بدعوتهم وقيل»، وفي (ف): «بدعواهم وقيل»، وفي (ر): «يدعوهم وقد قيل».

وقوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ﴾: أي: حُكم على هذا الشيطان لتمرُّده أنَّ ﴿مَن تَوَلَّاهُ﴾؛ أي: اتَّبعه ووالاه.

وقوله تعالى: ﴿فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ﴾: أي: الشيطان يُضلُّ هذا المتولِّي ﴿وَيَهْدِيهِ﴾ أي: يَدلُّه ﴿إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾؛ أي: النارِ الموقَدة.

وفتح الألف في قوله: ﴿فَأَنَّهُۥ﴾ لوقوع ﴿كُتِبَ﴾ عليه، وتقديره: كُتب عليه أنه يضلُّ مَن تولاه، إلا أنه لمَّا قدَّم السبب الذي يكون به الإضلال، وألقى عليه قوله: ﴿كُتِبَ﴾، ذكر بعده ما يقع عليه الفعل ففتَحه.

* * *

(٥) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ﴾: خاطب المجادِلين في الساعة وحاجَّهم بوجهين من الحجة:

أما أحدهما: فقال: ﴿إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ﴾؛ أي[1]: شكٍّ في أن الله يبعث الموتى ﴿فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ﴾؛ أي: ابتدأنا خلقَ أبيكم منه.

﴿ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾: ثم خلقناكم في بطون أمهاتكم من النطفة، وهي ماء مَهين جارٍ[2].

---

(١) «ريب من البعث أي:» ليس في (أ) و(ف).

(٢) في (أ): «جماد»، وفي (ر): «حار».

﴿ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ﴾: ثم جعلنا النطفة علقة، وهي الدم الجامد.

﴿ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ﴾: ثم جعلنا العلقة مضغةً، وهي لحمة قَدْرَ ما يمضغ.

﴿مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾: قال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿مُّخَلَّقَةٍ﴾: ما كان حيًّا ﴿وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾ ما كان سَقطاً[١]. وهي نعتُ المضغة، فما نُفخ فيه الروح فهو مخلَّقٌ، وما سقط بغيرِ روحٍ فهو ليس بمخلَّقٍ.

والتخليق في الأصل: التقدير، فما صوِّر أعضاؤه فهو مخلَّق، وما سقط وهو لحمة مجتمِعةٌ فليس بمخلق[٢]، والتفعيل للتكرير، فما تكرَّر فيه الفعل فهو مخلَّق وما لا فلا، قال تعالى: ﴿خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ﴾ [الزمر: ٦].

وقال: ﴿ثم أنشأناه خلقاً آخر﴾ ﴿لنبين لكم﴾: قال الحسن: أي: هذا الخلقَ.

وقيل: لنبين لكم قدرتَنا على ما نشاء.

وقيل: أخبرناكم بما يزول به الرَّيب في أمر البعث.

وقوله تعالى: ﴿وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: أي: مَن قضينا له حياةً إلى مدةٍ[٣] أقررناه في رحِم أمه إلى وقتٍ معلوم وهو وقت الولادة، وإنما قال: ﴿مَا نَشَآءُ﴾ ولم يقل: مَن نشاء[٤]؛ لأنه أراد به الحمل.

وقيل: هو بيان المدة؛ أي: ما شئنا أن نقرَّه فيه ستة[٥] أشهر أو أكثر.

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» وصححه كما في «الدر المنثور» (٦/ ١٠).

(٢) في (ر): «وما سقط وهو لحم مجتمع فهو ليس بمخلق»، وسقطت الجملة من (ف).

(٣) في (ر) و(ف): «من قضينا له خيرة».

(٤) «ولم يقل من نشاء» ليس في (أ).

(٥) في (ف): «نقره في ستة» وفي (ر): «نقره فيه تسعة».

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾: أي: صغاراً[١] لا تقومون بأمورِ أنفسكم، ولا تَعْقلون شيئاً، وإنما وحَّد لأنه على صيغة المصدر فصلح للجمع.

وقيل: أي: نخرج كلَّ واحد منكم طفلاً.

﴿ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ﴾: أي[٢]: ننقلكم من حالةٍ إلى حالةٍ إلى أن تبلغوا كمالَ القوى بالبلوغ.

وقرأ عاصم في روايةٍ: (ثم نخرجَكم) بالنصب، وكذا (نقرَّ) عطفاً على ﴿لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ﴾[٣].

وقرأ[٤] العامة بالرفع على الاستئناف.

ثم قال: ﴿وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ﴾: أي: يَتوفَّاه الله تعالى بالموت شابًّا أو طفلاً.

﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ﴾: أي: أخسِّه، وهو الهرمُ والخرَف.

وقوله تعالى: ﴿لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا﴾: أي: يزولُ عقله فلا يَعقل شيئاً وإن كان عاقلاً عالماً قبل ذلك. هذا[٥] أحد وجهي الحجة.

والثاني: قوله: ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً﴾: قيل: دارسةً بالية. وقيل: يابسةً لا نبات فيها؛ أي: في الشتاء.

---

(١) في (ف): «ضعافاً».

(٢) في (ف): «ثم».

(٣) نسبت لعاصم ويعقوب. انظر: «المحرر الوجيز» (٤/ ١٠٨)، و«البحر المحيط» (١٥/ ٣١٣). والمشهور عنهما كقراءة الجماعة.

(٤) في (ف): «وقراءة».

(٥) في (ر) و(ف): «هو».

وقوله تعالى: ﴿فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ﴾: أي: المطر ﴿ٱهۡتَزَّتۡ﴾؛ أي: تحرَّكت بالنبات ﴿وَرَبَتۡ﴾؛ أي: انتفخت.

وقيل: أضعفت النبات بالمطر.

﴿وَأَنۢبَتَتۡ﴾: أي: أخرجت النبات ﴿مِن كُلِّ زَوۡجِۢ بَهِيجٖ﴾؛ أي: من كلِّ صنفٍ حسن.

وقيل: فيه تقديم وتأخير: رَبَتْ واهتزَّتْ، تربو أولاً ثم تهتزُّ.

* * *

(٦ ـ ٧) ـ ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ۝٦ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٞ لَّا رَيۡبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡعَثُ مَن فِي ٱلۡقُبُورِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ﴾: أي: يصرِّف الأحوال بالإنسان وبالأرض ليَدلَّ على أن[1] لهما صانعاً خالقاً[2] لا صانعَ غيرُه، يقدر على ما يشاء.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ۝٦ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٞ لَّا رَيۡبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡعَثُ مَن فِي ٱلۡقُبُورِ﴾: أي: الذي قدر على إنشاء البشر مما ذكر، وإحياء الأرض الهامدة بالمطر، قادر على البعث بعد الموت[3]، وإقامةِ القيامة، ومجازاةِ الخلق على ما عملوا في الدنيا يومَ المحشر والمنشر.

وقال القشيري رحمه الله: ﴿وَأَنَّهُۥ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾: يحيي النفوسَ بتوفيق العبادة،

---

(١) في (أ): «إنما كان لأن»، وفي (ف): «لا بما كان لأن»، بدل: «ليدل على أن».

(٢) في (أ): «حقاً».

(٣) في (ر) و(ف): «على بعث الموتى».

والقلوبَ بأنوار المشاهَدة، وأحوالَ المريدين بحُسنِ إقباله عليها، والأوقاتَ بموافقةِ الأمر، ثم بجميل الرضا وسكون الجأش عند جريان التقدير[(١)].

* * *

(٨) ـ ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾: وهؤلاء طائفةٌ أخرى من المجادِلِين بظاهر حرف العطف.

وقيل: هي في النضر بن الحارث أيضاً، والتكريرُ للمبالغة في الذم والتقريع، كقولك لآخر: أنت فعلتَ كذا أنت فعلتَ كذا، ولأن في كلِّ آيةٍ بيانَ نوعِ جدلٍ، وكان يجادل في أوقات في أشياء.

وقد[(٢)] قيل: نزل في شأنه بضعَ عشرةَ آية.

وقوله في هذه الآية: ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾، قيل: بغير علمٍ بصحةِ ما يقول، وقيل: بغيرِ علمٍ بعاقبة ما يقول.

﴿وَلَا هُدًى﴾: ولا دليلٍ يكون معتقِده مهتدياً من جهةِ دلائل النظر.

وقوله تعالى ﴿وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ﴾: ومِن غير أن يَشهد له على قوله كتابٌ منزلٌ بنور الدعوى.

* * *

(٩ ـ ١٠) ـ ﴿ثَانِىَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٩﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾.

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٥٣١).

(٢) «قد» من (أ).

وقوله تعالى: ﴿ثَانِيَ عِطْفِهِۦ﴾: نصبٌ على الحال، ومعناه: مُعْرِضاً متكبِّراً، وترجمتُه: صارِفَ ناحيته وجنبه[1].

وقوله تعالى: ﴿لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: أي: يجادلَ ليستزلَّ[2] عباد الله عن دين الله.

وقوله تعالى: ﴿لَهُۥ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌ﴾: عقوبةٌ مُهينةٌ فاضحةٌ، وقد قتل صبراً يوم بدر.

وقوله تعالى: ﴿وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾: بنار جهنم ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ﴾؛ أي: يقال له ذلك في النار.

وقيل له هذا حين هدّد به في الدنيا؛ أي: ذلك الوعيدُ لك بكَسْبك الذي قدَّمْته.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ﴾: أي: وبأنَّ الله ﴿لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾؛ أي: بواضعٍ الثوابَ والعقابَ في غير موضعهما.

* * *

(١١) ـ ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾: أي: على وجه، وأصله: الطَّرَف والجانب؛ لانحرافه.

﴿فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ﴾: سكن على الإيمان[3] ﴿وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ﴾؛ أي: محنة ﴿ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ﴾ ارتد عن الإسلام.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: كان الرجل يَقدم المدينة، فإن ولدت امرأته

---

(١) في (ف): «صادف بجنبه»، وفي (ر): «صادف بلحيته وجنبه».

(٢) في (ر): «ليستنزل».

(٣) في (ف): «إيمانه».

غلاماً ونُتِجت خيلُه قال: هذا دينٌ صالحٌ، وإن لم تلد امرأته غلاماً[1] ولم تُنْتَجْ خيله قال: هذا دِينُ سوء[2].

وقيل: ﴿عَلَىٰ حَرْفٍ﴾: على شك. وقيل: على وجَل. وقيل: على انتظار.

وهذه الأقاويل متقاربةٌ في المعنى؛ لأن مَن كان على طرفِ شيء لم يكن مستقرًّا، فيضطرب ويخاف السقوط وينتظرُ ما يكون الحال.

وقوله تعالى: ﴿خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةَ﴾: وخسرانُ الدنيا: أنه ارتدَّ لشدةٍ لَحِقَته، وبالكفر لا تزول تلك الشدة المقدَّرة بل تزداد، لو أُخذ فإنه يُقتل[3] لردته، ثم عذابُ الآخرة من ورائه، فيخسرهما جميعاً.

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾: الظاهر الذي لا يَخفى على أحد.

* * *

(١٢) ـ ﴿يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ﴾: وهو الصنم، فإنه بعد الردة يَفعل كذلك[4].

---

(١) «غلاماً» من (ف).

(٢) رواه البخاري (٤٧٤٢)، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٤٧٢ ـ ٤٧٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وقتادة.

(٣) في (ف): «بل زادت لو أخذ يقتل».

(٤) كذا جزم بأنه الصنم، وليس هذا محصوراً به، بل هو فعل البعض، فهناك من يدعو بشراً ويظن عنده النفع والضر كما يفعل كثير من الناس، وهناك من يعتقد ذلك في نوع من أنواع الحيوانات أو الجمادات، فلا مسوغ لحصر ذلك في الصنم.

وقولـه تعالـى: ﴿مَا لَا يَضُـرُّهُۥ﴾ قيـل[1]: أي: فـي الدنيـا إن لـم يعبـده ﴿وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ﴾؛ أي: فـي الآخـرة إن كان عبَـدَه.

وقيل: لا يضره في الدارين ولا ينفعه في الدارين.

وقولـه تعالـى: ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ﴾: أي: فـي أقصـى درجـات البُعـد والضـلال[2]، فإنـه يَتعـب ولا يُثمـر تعبُـه[3] قط.

***

(١٣) ـ ﴿يَدْعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَدْعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ﴾: اللام لام القسم، تقديره: يدعو والله مَن ضرُّه ﴿أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ﴾ وهذا في القيامة؛ أي: مَن ضرُّه بإدخال النار أقربُ من نفعه بالشفاعة التي كان يرجوها، ولم يُرِدْ به أن الشفاعة موجودةٌ لكنها بعيدةٌ، بل أراد أنها معدومةٌ أصلاً، وهذا خارجٌ مخرجَ كلام الناس في الشيء يرجوه الإنسان وذلك مما لا يكون، فيقال له: عدمُ هذا أقربُ من وجوده، ولا قربَ للعدم.

وقوله تعالى: ﴿لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ﴾: أي: يرجو الإنسان النصرَ والعون من مولاه وهو ابنُ عمه، ومن العشير وهو صاحبه ومُعاشره، فالوثنُ بئس موضعُ رجاءِ النصرةِ[4] والعون، فإنه مما لا يكون.

وروي: أنهـا نزلـت فـي قوم من بني أسـد بن خزيمـة قدموا المدينة فأسـلموا،

---

(١) «قيل» زيادة من (أ).

(٢) في (أ) و(ف): «أقصى درجات الضلال».

(٣) في (ر) و(ف): «بتعبه».

(٤) في (ف): «التصرف».

فأفسدوا طريق المدينة بالعَذِرات وقالوا: يا رسول الله، أتاك[1] العرب بأنفسها وأتيناك بأهالينا وأولادنا، فمنُّوا[2] بذلك على رسول الله ﷺ، وفيهم نزل[3]: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا﴾ [الحجرات: ١٧][4]، فكانوا إذا ارتفع مرادهم وصحّت أجسامهم ونما مالهم قالوا: هذا دينٌ صالح، فإن كان غيرَ ذلك قالوا: هذا دين سوء[5].

وروى الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: هذا رجل من المنافقين كان يُظهر تصديقاً ويُسِرُّ كفراً، فكان يبعث إلى نظرائه من المنافقين فيقول لهم: إن كانت الدائرةُ على محمد وأصحابه فأنا معكم، وإن كانت الدائرة عليكم والظَّفَر لمحمد وأصحابه فأنا معهم، فهو قوله الله تعالى: ﴿عَلَىٰ حَرْفٍ﴾.

* * *

(١٤ ـ ١٥) ـ ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ (١٤) مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا

---

(١) في (أ): «أتتك».

(٢) في (ف): «يمنون».

(٣) في (ر): «فنزل» بدل: «وفيهم نزل».

(٤) رواه النسائي في «الكبرى» (١١٤٥٥)، والبزار في «مسنده» (٥١٤١)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وذكره دون عزو الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٩٦)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٣٤٩)، جميعهم في نزول قوله تعالى: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا﴾ وليس فيه ذكر آية الحج.

(٥) انظر ما تقدم قريباً عن ابن عباس ومجاهد وقتادة.

﴿ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾: وهذا وعدٌ من عند الله على التحقيق بكلِّ حال، لا لمن[1] عبده على حرف.

وقوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾: قال ابن عباس وقتادة رضي الله عنهم: ﴿يَنصُرَهُ ٱللَّهُ﴾؛ أي: محمداً ﷺ[2]؛ أي: مَن ظنَّ من هؤلاء الذين يعبدون الله على حرفٍ أن الله تعالى لا ينصر محمداً على أعدائه وأحبَّ أن لا ينصره ﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾؛ أي: فليعلِّق حبلاً إلى السماء العالية وليصعد ﴿ثُمَّ لْيَقْطَعْ﴾ نصر الله عن محمد ﷺ الذي ينزل من السماء.

وقوله تعالى: ﴿فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ﴾: أي: غيظه؛ أي: لا يقدر[3] على ذلك فلْيَصبِرْ ولْيَرْضَ به.

وقيل: أي: مَن استعجل النصر لنبيِّ الله وأظهر الضَّجر لتأخُّره مع تعذُّر وصوله إليه فليمدُد بسبب إلى السماء المعروفة فلْيتعلَّق به، ثم ليقطع حتى يخرَّ فيموت فلينظر هل يَذهبُ غيظه؟ أي: فلا معنى لضجره[4] فلْيصبِر على مرارة الانتظار[5].

وقال مجاهد والضحاك وابن عباس رضي الله عنهم في روايةٍ: ﴿أَن لَّن يَنصُرَهُ﴾ الهاء راجعةٌ إلى قوله: ﴿مَن كَانَ يَظُنُّ﴾؛ أي: مَن ساء ظنُّه بربِّه في حقِّ نفسه، وظنَّ أنه

---

(١) في (أ): «كمن».

(٢) رواه عنهما الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٤٧٨ ـ ٤٨٠).

(٣) في (ف): «يقدم».

(٤) في (ر): «لعجزه»، وفي (ف): «لغيظه».

(٥) في (ف): «على مراده بالانتظار».

لا يصل إلى نصره ﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ﴾: سماءِ بيته[١]؛ أي: سقفِه، ولْيَختَنِق[٢] به فلينظر هل يشفيه ذلك من غيظه[٣].

وهو على بيان أنه إذا كان لا ينتفِع به[٤] فلا وجه إلا الصبرُ على بلائه.

وقال جماعة: النصر هو الرزق، يقال: أرض منصورة؛ أي: ممطورة، و: نَصَر الله مَن نصرَني؛ أي: أعطى الله مَن أعطاني، وهو قول جماعة من المفسرين أن معناه: لن ينصره الله؛ أي: لن يرزقه الله، وهو خارج على هذين الوجهين كما بيَّنَّا، ولفظ[٥] بعضهم: ﴿مَن كَانَ﴾ قانطاً من رزقِ الله ﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ﴾؛ أي: فليختنق ﴿فَلْيَنظُرْ هَلْ﴾ يأتي ذلك برزقٍ لم يقدِّره الله تعالى[٦].

* * *

(١٦ ـ ١٧) ـ ﴿وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يُرِيدُ (١٦) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾.

وقوله: ﴿وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ﴾: أي: كالذي أنزلناه عليك في الوضوح والبيان

---

(١) في (أ): «فليمدد بسبب إلى سماء بيته».

(٢) في (ف): «وليقطع».

(٣) روي هذا القول عن الأئمة المذكورين لكن بحمل النصر على الرزق، وسيأتي.

(٤) في (ف): «لا نفع له».

(٥) في (أ): «كما يتناول لفظ».

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٤٨١ ـ ٤٨٣) عن ابن عباس ومجاهد والضحاك. ورواه عن ابن عباس أيضاً عبد بن حميد وابن أبي حاتم، وعن مجاهد أيضاً عبد بن حميد وابن المنذر. انظر: «الدر المنثور» (٦/ ١٥).

والحجة على مَن دعا من دون الله شيئاً أنزلنا القرآن كلَّه ﴿ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٍ﴾؛ أي: علامات يُهتدَى بها إلى الحق.

قوله تعالى ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يُرِيدُ﴾ أي: وأنزلنا أن الله يهدي من يريد، ولذلك فتح (أنَّ) في قوله: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ﴾ لوقوع (أنزلنا) عليه؛ أي: لا اهتداء إلا بإرادته[١].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلۡمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ﴾: فسرناه في سورة البقرة.

وهذا مبتدأ وخبره: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡصِلُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾: وهو كقولك: إن زيداً إنَّ الخير عنده لَكثير، وهو الجواب بجملة تامة، وهو كقول جرير:

إنَّ الخليفة إنَّ الله سَرْبَله ... سربالَ ملكٍ به تُرْجَى الخواتيمُ[٢]

يقول: إن الله ليس بغافلٍ عن أعمال الأمم المختلفة الأديان، وعما يعتقدونه ويقولون به، وإنه يفصل بينهم؛ أي: يقضي بينهم[٣] يوم القيامة فيما هم فيه مختلفون، فيَمِيز المحقَّ منهم من الـمُبْطِل، ويجزي كل واحد على وَفق عمله.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴾: عالمٌ به حاضرٌ له لا يَعْزُب عنه شيءٌ، فهو حافظٌ لذلك كلِّه حتى يوصِل إلى كلِّ واحد منهم يوم الحساب[٤] جزاءه؛ أي: فلينظر كلُّ امرئ ما يعتقِد وما يقول وما يفعل، وهو أبلغ وعيد.

* * *

(١) في (ر): «أي لا يهتدى إلا بإذنه».

(٢) البيت لجرير، وهو في «ديوانه» (٢/ ٦٧٢).

(٣) «يقضي بينهم» ليس في (أ).

(٤) في (ر): «القيامة».

(١٨) ـ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾: أي: ألم تعلم يا محمد العلمَ الذي يقوم مقام العِيَان ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ من الخلائق ﴿وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ منهم ﴿وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ﴾؛ أي: الأشجار، جمع شجرة بحذف الهاء ﴿وَٱلدَّوَآبُّ﴾.

وسجود هذه الأشياء: ما[١] فيها من أمارات الحدث، وأمارات الحاجة إلى ممسِكٍ يمسكها ومقيمٍ يقمُها لولاه لبَطلت ولم تَثْبت طرفةَ عين.

وقيل: سجود هذه الأشياء سجود ظلِّها؛ كما قال: ﴿يَتَفَيَّؤُا۟ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ﴾ [النحل: ٤٨].

وقيل: سجودها: خضوعها، فمَن كان من أهل السماوات وهم الملائكة ومن أهل الأرض من المؤمنين فخضوعهم بالصلاة وسائرِ وجوه التذلُّل، ومن كان كافراً فبسجود ظلِّه، وهكذا سجود الشمس والقمر والنجوم جريانها[٢] بتسخير الله تعالى، وأما الجبال والشجر والدوابُّ فسجودها سجود ظلها[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾: المؤمنون بوجوههم اختياراً، وهو خصوصٌ من عمومِ قولهِ تعالى ﴿وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ وذاك عمومُ سجود الظلال في المؤمنين والكفار جميعاً اعتباراً، فيجتمع في المؤمنين النوعان.

---

(١) في (ر) و(ف): «ما كان».

(٢) «جريانها» من (أ).

(٣) في (ف): «ظلالها».

وقوله تعالى: ﴿وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ﴾: هم الكفار، وقيل: هو مستأنف.

وقيل: هو داخل في السجود أيضاً.

وقال: ﴿عَلَيْهِ﴾ ولم يقل: عليهم؛ للفْظِه وهو واحد كالكثير، وقال: ﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [الحديد: ١٦] فجَمع لمعناه.

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ﴾: أي: ومَن يُهنه الله بالإضلال ﴿فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ﴾؛ أي: من أحدٍ يُكرمه في الدنيا بالإيمان ولا[1] في الآخرة بنوعٍ كرامة.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾: من إكرام وإهانةٍ وكلِّ شيء.

* * *

(١٩) - ﴿ ۞ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ﴾: المذكورون في هذه الآية وفي الآيات التي قبلها، فالحاصل فريقان: مؤمنون وكافرون، فهذان[2] الفريقان خصمان كلُّ فريق خصمٌ للآخر يخاصمه في دينه.

وقوله تعالى ﴿ٱخْتَصَمُوا۟﴾: جُمع لأن كلَّ فريق منهم جمعٌ، فهما جمعان.

وقوله تعالى ﴿فِى رَبِّهِمْ﴾: ففريق يُقرُّون به ويوحِّدونه ويصِفونه بصفاته وينزِّهونه، وفريق يكذِّبونه ويصفونه بما لا يليق به، ثم بيَّن جزاء كلِّ فريق فقال: ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ إلى آخره.

---

(١) «لا» ليست في (أ).

(٢) في (أ): «وقال هذان».

وقولـه: ﴿ٱخْتَصَمُوا۟﴾؛ أي: يختصمون في الله تعالـى ويتحاربون[١] فيه، ويدَّعي كلُّ فريـق أنهـم هـم[٢] المحِقُّـون ومخالفوهـم هـم[٣] المبطلون، وهـذا القول على العموم.

وقيل: هو على الخصوص:

قال ابن سيرينَ: نزلت في القوم الذين تبارَزوا يوم بدر؛ ثلاثة من المسلمين وهم كواسطة القلادة من القلادة: عليُّ بن أبي طالب وحمزةُ بن عبد المطَّلب وعبيدةُ بن الحارث بن عبد المطلب، وفي ثلاثةٍ من المشركين، وكانوا كواسطة القلادة من القلادة: عُتبةُ بن ربيعة بن عبد شمس، وأخوه شيبةُ بن ربيعة بن عبد شمس، والوليد بن عتبة بن ربيعة، فبارَز عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه الوليد فقتله عليٌّ رضي الله عنه، وبارز حمزة رضي الله عنه عتبةَ فقتله حمزة، وبارز عبيدةُ رضي الله عنه شيبةَ فاختلفا ضربتين، فجرح[٤] كل واحد منهما صاحبه، ومال عليٌّ رضي الله عنه على شيبة فقتله، ثم احتمَل عليٌّ وحمزة رضي الله عنهما عبيدةَ حتى أتوا به النبيَّ ﷺ، فنزلت هذه الآية: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ ـ عتبةُ وشيبةُ والوليد ـ الآيةَ، ونزل في علي وحمزةَ وعبيدةَ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ الآية[٥].

---

(١) في (أ): «ويتجادلون».

(٢) «هم» من (ف).

(٣) «هم» ليست في (ف).

(٤) في (أ): «فأتعس»، وفي (ر): «فانعسر».

(٥) ذكره عن ابن سيرين مختصراً الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ١٣)، وكون قوله تعالى: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ﴾ نزل في هذه القصة رواه البخاري (٣٩٦٦)، ومسلم (٣٠٣٣)، عن أبي ذر رضي الله عنه، وأقسم على ذلك.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: نزلت في المسلمين واليهود، فقال المسلمون: ليس لله تعالى ولد، وقالت اليهود: عزيرٌ ابن الله[1].

وقيل: نزلت في عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأبي جهل بن هشام لعنه الله.

وقوله: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾ مثلُ قوله تعالى: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا﴾ [الحجرات: ٩] ثُنِّي الاسم لأنهما فريقان وجُمع الفعل لأنهما جمعان.

وقوله تعالى: ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ﴾: أي: تُقطَّع، وذكر بصيغة الماضي لأنه كائن لا محالة، فهو كالثابت المتحقق. وتقطيعُ الثياب استعارةٌ عن اتخاذ الملابس لهم في النار.

وقيل: هي من نحاس وتصيرُ ناراً باشتعالها بالنار، وثيابُ الدنيا تقطعُ وتُخاط فذكر لهم ذلك، ويجوز أن يكون هذا ما ذكر في قوله: ﴿سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ﴾ [إبراهيم: ٥٠].

وقوله تعالى: ﴿يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾: أي: الماء الحارُّ المغليُّ بالنار.

* * *

(٢٠ ـ ٢١) ـ ﴿يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ۝٢٠ وَلَهُم مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ﴾.

وقوله تعالى: ﴿يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ﴾: أي: يُذاب بالحميم ما في بطونهم

---

(١) لم أجده هكذا، لكن روى الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٤٩١) عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾ قال: هم أهل الكتاب، قالوا للمؤمنين: نحن أولى بالله، وأقدم منكم كتاباً، ونبينا قبل نبيكم، وقال المؤمنون: نحن أحقّ بالله، آمنا بمحمد ﷺ، وآمنا بنبيكم، وبما أنزل الله من كتاب، فأنتم تعرفون كتابنا ونبينا، ثم تركتموه وكفرتم به حسداً. وكان ذلك خصومتهم في ربهم.

من الشحوم والأكباد والأمعاء والأفئدة ونحوِها[1]، وهو وصف الحميم بغاية شدة الحرارة تُصب على الرأس ويذوب به ما في البطون[2].

وقوله تعالى: ﴿وَٱلْجُلُودُ﴾: ظاهرُه عطفٌ على الأول، ومعناه: وتُحرَق الجلود، بإضمار فعل يشاكلُها ـ لأنها مما لا تذوب ـ كما قالوا ذلك في قول الشاعر:

علَفْتُها تبناً وماء بارداً[3]

أي: وسقيتُها ماء بارداً.

وقوله تعالى: ﴿وَلَهُم مَّقَـٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ﴾: جمع مقمعة وهي المِدقَّة يُقمع بها؛ أي: يضرب بها ردعاً وزجراً وإذلالاً، يَضرب بها الزبانيةُ رؤوسَ الكفار، ﴿وَلَهُم﴾ بمعنى: أُعدَّ لهم ذلك يُضربون بها.

* * *

(٢٢) ـ ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا﴾: ذكرنا[4] له وجوهاً عند قوله: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [المائدة: ٣٧].

---

(١) «ونحوها» ليس من (أ).

(٢) في (أ): «الأمعاء»، وفي (ف): «البطن».

(٣) صدر بيت أنشده الفراء لبعض بني دُبَير ـ قبيلة من أسد ـ يصف فرسه. انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ١٤)، و«تفسير الطبري» (١/ ٢٦٤)، و«الكشاف» (٢/ ١٠٨)، و«الخزانة» (١/ ٤٩٩).
وعجزه:

حَتّى شَتَتْ هَمّالَةً عَيْناهَا

(٤) في (ر) و(ف): «ذكروا».

ورويَ(١): أن جهنم تَجِيش فتُلقي مَن فيها إلى أعلى أبوابها، فيريدون الخروج منها فتعيدهم الزبانيةُ فيها بضربِ المقامع(٢).

وقال الكلبي ومقاتل: فيه تقديم وتأخير: قطعت لهم ثياب من نار ولهم مقامع من حديد يصب من فوق رؤوسهم الحميم، فيضربون بالمقامع على رؤسهم فتنشقُّ، ويصبُّ الحميم فيصل إلى الجوف فيذيب ما فيه(٣).

وقوله: ﴿وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾: أي: يقال لهم ذلك في النار.

* * *

(٢٣) ـ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ﴾: وهو(٤) بيان جزاء الفريق الآخر ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ﴾: هو جمعُ جمعٍ: سوارٌ وأسورةٌ وأساورُ.

وقال في سورة ﴿هَلْ أَتَىٰ﴾: ﴿وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ﴾ [الإنسان: ٢١]؛ قيل: يجمع لهم الذهب والفضة جميعاً، وهو أجمل.

وقيل: بعضهم يحلّى بالذهب وبعضُهم بالفضة.

---

(١) في (ر) و(ف): «ويروى».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٤٩٨) عن أبي ظبيان.

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ١٢٠)، ولم يرتض الطبري هذا الوجه، وينظر كلامه عليه في «تفسيره» (١٦/ ٤٩٥).

(٤) في (ف): «وهذا».

وقيل: الفضةُ للرجال والذهبُ للنساء.

وقوله تعالى: ﴿وَلُؤْلُؤًا﴾: قرأ ابن كثير وأبو عمرو وحمزة والكسائي: ﴿ولؤلؤٍ﴾ خفضاً عطفاً على ﴿مِن ذَهَبٍ﴾، وقرأ عاصم ونافع: ﴿وَلُؤْلُؤًا﴾ نصباً[1]، على معنى: ويحلَّون لؤلؤاً.

وقال سعيد بن المسيب: ليس من أهل الجنة أحدٌ إلا في يده ثلاثةُ أسورةٍ: واحدٌ من فضة، وآخرُ من ذهب، وآخرُ من لؤلؤٍ[2].

وقوله تعالى: ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾: وهو من حرير الجنة لا يوجد من معناه في الدنيا إلا الاسم، ثم هو على ما لا عينٌ رأت ولا أذنٌ سمعت ولا خطر على قلبِ بشر.

* * *

(٢٤) ـ ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾: وهُدي هؤلاء في الدنيا إلى كلمة التوحيد، وقيل: هو القرآن.

قوله تعالى: ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ﴾: أي: صراطِ اللهِ المحمود وهو دينُ الإسلام، هو الطريق الموصل إلى ثواب الله.

وقيل: هدوا في الآخرة إلى الطيب من القول في الجنة، وهو ما قال: ﴿وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ﴾ [الزمر: ٧٤] ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا﴾ [الأعراف: ٤٣]، ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ﴾ [فاطر: ٣٤]، ﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٤٣٥)، و«التيسير» (ص: ١٥٦).

(٢) رواه يحيى بن سلام في «تفسيره» (١/ ١٨٤ و٣٦٠). وانظر: «الدر المنثور» (٦/ ١٥).

[يونس: ١٠] ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا﴾ [مريم: ٦٢]، ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ﴾: طريقِ دار الإسلام، كما قال: ﴿يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ﴾ [يونس: ٩].

وقيل: ﴿ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾: هو البشارات في الآخرة.

وللقشيري[1] رحمه الله في القول الطيب عبارات[2]: ذكرُ الله، ما صدر عن سرٍّ صافٍ[3]، الثناءُ دون الدعاء بالحاجة، إرشاد المريدين إلى الله، الدعاء للمسلمين، الاستغفار من غير ذنب، ما أوجبه توهُّج القلب، ما قاله العبد في مقام الفناء وهو مستنطَق، المباسطة حالة البسط[4].

* * *

(٢٥) ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ ۚ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: عاد الكلام إلى ذكر مشركي العرب.

وقال ابن عباس ومقاتل: نزلت في عبد الله بن خَطَلٍ، وذلك أن النبي ﷺ بعثه مع رجلين أحدهما أنصاريٌّ والآخرُ مهاجريٌّ إلى بعض القرى، فافتخروا في الطريق بالأنساب، فقتل عبد الله بن خَطَلٍ الأنصاريَّ ولحق بمكة كافراً، فلما كان يومُ فتح مكة أمر النبيُّ ﷺ بقتله، فقتله أبو بَرْزَةَ الأسلميُّ وسعيد بن حُرَيثٍ القرشيُّ[5].

---

(١) في (ر) و(ف): «وقال القشيري».

(٢) في (ف): «عبارة»، وفي (ر): «عبارة عن».

(٣) في (ر) و(ف): «صادق».

(٤) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٥٣٦)، وفي ألفاظه اختلاف عما ذكر المؤلف، وفيه زيادة عبارات وإسقاط أخرى.

(٥) انظر: «تفسر مقاتل» (٣/ ١٢١ ـ ١٢٢).

وظاهر الآية عامٌّ يتناوله وغيرَه.

وقوله: ﴿وَيَصُدُّونَ﴾ عطفٌ على ﴿كَفَرُواْ﴾ وهو مستقبَل وذاك ماضٍ، وله وجوه:

قيل: فيه مضمرٌ: إن الذين كفروا هلكوا، ثم بدأ: ويصدُّون.

وقيل: معناه: ومن شأنهم أنهم يصدون، ونظيره قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم﴾ [الرعد: ٢٨].

وقال الفراء: الواو زائدة، وتقديره: يصدُّون، جواباً للمبتدأ، وهو كقوله: ﴿وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُواْ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ﴾ [الأنعام: ١١٣]؛ أي: ليرضوه[1].

وقوله تعالى: ﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: أي: يمنعون عن دين الله.

قوله تعالى: ﴿وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾: أي: ويصدون عن المسجد الحرام، وقيل: هو عتبة.

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً﴾: يصلُّون فيه ويطوفون به، ويقيمون فيه سائر القُرب.

قوله: ﴿سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ﴾: المقيمُ بمكةَ ﴿وَٱلْبَادِ﴾؛ أي: الساكنُ في البدو والآتي إليه؛ أي ليس لأحد أن يمنع أحداً عنه.

وقيل: ﴿المسجدِ الحرام﴾ هو الحرمُ كلُّه، والناس سواءٌ في النزول بمكة حيث شاؤوا، وفي حرمة الاصطياد والاحتشاش فيه.

والسلف مختلِفون في جواز بيع بيوت مكة وإجارتها، وكانت بيوت مكة لا يُتخذ بها أبوابٌ حتى ظهرت السرقة فيهم، فقال عمر لرجل منهم ـ وهو أول مَن

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢٢١).

اتَّخذ باباً ـ: أتَّخذتَ باباً لتحتجِب به[١]؟ فقال: لا، ولكنْ أحرزتُ المتاع عن السرقة، فقال له: إنه لا يحل لأهل مكة أن يأخذوا أجور بيوتهم[٢].

وفي جواز بيع أراضي مكةَ عن أبي حنيفة رحمه الله روايتان، قال في «الجامع الصغير»: لا يجوز، وروى ابن زياد عن أبي حنيفة رضي الله عنه[٣] أنه يجوز[٤]، وهو قول أبي يوسف.

وقوله تعالى: ﴿سَوَآءً﴾ قرأ عاصم في رواية حفص: ﴿سَوَآءً﴾ بالنصب لوقوع ﴿جَعَلْنَا﴾ عليه، وقرأ الباقون بالرفع على الابتداء[٥].

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ﴾: الباء زائدة، كما في قوله تعالى: ﴿تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ﴾ [المؤمنون: ٢٠].

وقيل: الإرادة بمعنى الهم؛ أي: مَن همَّ بإلحادٍ.

قيل: هو الشرك.

وقيل[٦]: هو توبيخ لمشركي العرب.

وقيل: هو القتل.

وقيل: هو استحلال الحرام[٧].

---

(١) في (أ): «فيه».

(٢) رواه بنحوه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٥٠١).

(٣) في (أ): «عنه» بدل: «عن أبي حنيفة رضي الله عنه».

(٤) انظر: «عيون المسائل» للسمرقندي (ص: ٢٦٧).

(٥) انظر: «السبعة» (ص: ٤٣٥)، و«التيسير» (ص: ١٥٧).

(٦) «قيل» من (أ).

(٧) في (أ): «الحرم».

وقيل: هو احتكار الطعام بمكة.

وقيل: هو ظلم الناس.

والإلحاد في اللغة هو الميل، وفي الشرع: الميل عن الحق إلى الباطل، فكان عاماً للشرك ولكلِّ[1] معصية.

وقوله تعالى: ﴿بِظُلْمٍ﴾: قيل: الباء أداةُ تعديةٍ.

وقيل: هو بيان الوجه؛ أي: على وجهِ الظلم.

وقوله تعالى: ﴿نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾: جزاءُ قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِدْ﴾، وهذا وعيدٌ على الإرادة فكيف بالتحقيق؟

واختُلف في جواب أول الآية، وقد ذكرنا وجهين، والثالث: أن آخره جواب الكلامين جميعاً، ونظيره: ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ﴾ وبعده: ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا﴾، وقوله: ﴿لَعَذَّبْنَا﴾ [الفتح: ٢٥] جوابُهما، وهذا لأن قوله ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ في تقديرِ: مَن يكفر.

* * *

(٢٦) ـ ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ﴾: وهو المسجد الحرام المذكورُ في الآية الأولى، يقول: واذكر يا محمد إذ مكنَّا لإبراهيم مكان هذا البيت؛ أي: موضعَه، حتى بناه على ما أريناه منه، وهو البيت الذي تعبَّد قومك فيه غيري، ويصدونك وأصحابَك عن عبادتي فيه.

---

(١) في (ر): «عاماً في الشرك وكل».

قوله: ﴿أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا﴾: أي: قلتُ له: لا تشرك بي شيئاً، وقد بينَّا في سورة البقرة أصلَ البيت وكيفيةَ بناء إبراهيم ذلك.

وقوله تعالى: ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِىَ﴾: قيل: طهِّره عن الأنجاس.

وقيل: عن الأوثان؛ أي: أخرجها عنه ونحِّها عنه.

وقيل: عن عبادة الأوثان.

وقيل: هو عام يتناول كلَّ ذلك.

﴿لِلطَّآئِفِينَ﴾: أي: لأجلهم.

﴿وَالْقَآئِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾: هم المصلُّون، وهذه أركان الصلاة، وفصَل بين الأول وبين الأخيرين بالواو، وجمع بين الأخيرين بغير واوٍ؛ لأن القيام تعظيمٌ لله تعالى، والركوع والسجود تذلُّلٌ له، فاتَّحد هذان وغايرهما الأول.

* * *

(٢٧) - ﴿وَأَذِّن فِى النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَأَذِّن فِى النَّاسِ بِالْحَجِّ﴾: أي: نادِ فيهم، قال ابن عباس رضي الله عنهما: لمَّا فرغ إبراهيم عليه السلام من بناء الكعبة قال: ربِّ قد فرغتُ من بناء الكعبة، قال: فأذِّن في الناس بالحج، قال: ربِّ وهل يبلغ صوتي ذاك(١)؟ قال: أذِّن وعليَّ البلاغُ، فصعد أبا قبيس وقال: يا أيها الناس، إني بنيتُ لله تعالى بيتاً فحُجُّوه(٢).

---

(١) «ذاك» زيادة من (ف). وفي المصادر: (قال رب وما يبلغ صوتي).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣١٨١٨)، والطبري في «تفسيره» (١٦/ ٥١٤)، والحاكم في «المستدرك» (٣٤٦٤) وصححه، من طريق قابوس عن أبيه عن ابن عباس.

وفي رواية: إن الله جل جلاله بنى بيتاً وأمركم أن تحجُّوه فحجُّوه(١).

وفي رواية: قال: إن الله تعالى قد كتب عليكم حجَّ البيت العتيق فحُجُّوه، فأجابوه من أصلاب الآباء وأرحام الأمهات: لبيك لبيك(٢).

وروي: أن الله تعالى أسمع صوته مَن قضى أنه يحج فأجابوه(٣).

وقال مقاتل بن حيان: هذا أمرٌ للنبي ﷺ أن ينادي بالحج، وفعَل ذلك في حجة الوداع.

وقوله تعالى: ﴿يَأْتُوكَ رِجَالًا﴾: وعده بذلك، وهو(٤) جزمٌ لأنه جواب ﴿وَأَذِّن﴾، والرجال: جمع راجلٍ.

﴿وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ﴾: أي: ركبانٌ على الإبل وغيرها من الدواب، وقد ضَمِرت لطول السفر.

وقوله تعالى: ﴿يَأْتِينَ﴾: أي: الضوامرُ ﴿مِن كُلِّ فَجٍّ﴾؛ أي: طريقٍ واسعٍ ﴿عَمِيقٍ﴾؛ أي: بعيدٍ، وقدَّم الرجال على الركبان إظهاراً لفضلهم(٥).

ورُوي: أن الراكب له بكلِّ خطوة سبعون حسنةً، وللماشي سبعُ مئةِ حسنةٍ من حسنات الحرم، كلُّ حسنةٍ مئةُ ألفِ حسنة.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٥١٥)، والحاكم في «المستدرك» (٤٠٢٦) وصححه، من طريق عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٥١٥) من طريق أبي الزبير عن مجاهد عن ابن عباس.

(٣) قطعة من الرواية السابقة.

(٤) «هو» ليست في (ف).

(٥) في (ر): «لإظهار فضيلتهم».

وقال مجاهد: حج إبراهيمُ وإسماعيل عليهما السلام ماشيين، وكانا إذا قرُبا من الحرم خلعا نعالهما[١].

وقال القشيري رحمه الله: قوله: ﴿يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ هذا ذُكر على وجه المدح لهم وسبيل الشكر عنهم، وكم قَدْرُ المسافة للدنيا بأجمعها[٢]، لكن جعل القَدْر لأفعالهم والعظمة لصنيعهم[٣]، وهو إظهار فضله وكرمه معهم[٤].

* * *

(٢٨) - ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ﴾: يقول: وأذِّن في الناس بالحج ليشهدوا منافع.

وقيل: أي: ليحضروا لأداء فرضه مشاهدَ ينتفعون بها في دينهم ودنياهم؛ كعرفاتٍ ومنًى والمشعرِ الحرام وغيرِها، وفيها الثواب في الآخرة والثناءُ والقبول في الناس، وسعةُ الرزق ببركته، وحصول الأرباح بالتجارة فيها، ولذلك اختلفت عبارات المفسرين فيها:

قال بعضهم: هي منافعُ التجارة.

وقال بعضهم: هي الأجر في الآخرة.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٥١٨) دون قوله: «وكانا إذا قرُبا من الحرم خلعا نعالهما».

(٢) «بأجمعها» ليست في (أ). وفي «اللطائف»: (وكم قدر مسافة الدنيا بجملتها).

(٣) في (ر): «والعطية لسعيهم». وفي «اللطائف»: (ولكن لأجل قدر أفعالهم وتعظيم صنيعهم يقول ذلك).

(٤) انظر: «لطائف الإشارات»: (٢/ ٥٣٩).

وقال بعضهم: هي مناسك الحج.

وحجَّ بعض الصالحين فكان عند كلِّ ميلٍ يصلِّي في البادية[١] ركعتين، ويقول: قال الله تعالى: ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ﴾: قال الحسن وقتادة: هي أيام العشر، والأيام المعدودات هي أيام التشريق[٢]، وعليه أكثر السلف.

وقيل: الأيام المعلومات هي أيام النحر.

وقال هؤلاء: ذُكِرَ فيها ذِكْرُ اسم الله على الأنعام، وهو يختصُّ[٣] بها.

وقال الأولون: جعَل الله الأيامَ العشر وقتاً للمنافع والذكر على الذبائح ثم[٤] للمنافع أيام مخصوصة منها، وهو يومُ عرفةَ لعرفات، ويومُ النحر لمنًى والأفعالِ فيها وللطواف بالبيت بمكة، فكذا الذكر على الذبيح يختص بيوم النحر منها.

وقوله تعالى: ﴿عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾: وقد فسَّرناه[٥] في أول سورة المائدة، وهي الإبل والغنم والبقر؛ أي: وليتقرَّبوا إلى الله بالذبائح والنحائر ويذكروا اسم الله عليها: بسم الله، والله أكبر، اللهم منك ولك صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين، ونحو ذلك، ويحتمل الشكر لله تعالى على هذه النعم.

قوله تعالى ﴿فَكُلُوا مِنْهَا﴾: أنتم ﴿وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ﴾: الذي به بؤسٌ؛ أي: شدة.

---

(١) «في البادية» زيادة من (أ).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٥٢٣).

(٣) في (أ): «يخصص».

(٤) «ثم» ليست في (أ).

(٥) في (أ): «فسرناها».

وقال الخليل: البائس: الذي نزلت به بليةٌ أو فاقةٌ، فيُرحم لما به(١).

وقيل: البائس: الذي به ضرُّ الجوع، والفقير: الذي لا مال له.

* * *

(٢٩) - ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ﴾: واللام(٢) لام الأمر، والتَّفَث: الوسَخ والدَّرَن في اللغة.

وقال نفطويه: معناه: ثم ليزيلوا عنهم أدرانَهم.

وقال القُتبي: التَّفَثُ: الأخذ من الشارب والأظفار، ونتفُ الإبطِ، وحلقُ العانة(٣).

وقال الكسائي: هو حلقُ الرأس، وقصُّ الأظفار، وأشباهُ ذلك.

وقال الفراء: هو نحرُ الإبل والبقر والغنم، وحلق الرأس، وتقليم الأظفار، وأشباهها(٤).

وقيل: ما بقي من الحج بعد الذبح والنحر من الحلق والتقصير.

وقيل: ما عليهم من الحج.

وقيل: مواقف الحج ومناسكه كلها(٥).

وقيل: هو عمل الحج كلُّه.

---

(١) في (ر): «لبأسه»، وفي (ف): «لبلائه». والمثبت موافق لما في «العين» (٧/ ٣١٦).

(٢) في (أ): «هي»، وفي (ف): «وهو».

(٣) انظر: «غريب القرآن» لابن قتيبة (ص: ٢٩٢).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢٢٤).

(٥) في (ف): «والمناسك».

هذه أقاويل المفسرين، وتوجيهُها على اللغة: أن التَّفَث اللُّغوي الذي هو الشَّعَثُ والغَبرُ والدَّرَن هو شعار الحج، قال النبيُّ ﷺ: «الحاجُّ الشَّعِثُ التَّفِلُ»[١]، وتقديره على هذا: ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ﴾؛ أي: وليتمُّوا أعمال حجِّهم مستديمين بذلك الشعثَ والتَّفَل.

وقوله تعالى: ﴿وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ﴾: أي: ومَن كان عليه نذرٌ بهديٍ فلْيَفِ به، وليس كلُّ أحد يلزمُه هديٌ، فلذلك ذكر النذر.

وقيل: النذر: الالتزام، ومَن شَرَع في حجٍّ[٢] فقد التزَم أفعالَه، فهذا أمرٌ بإتمام الحج.

وقرأ عاصم في رواية أبي بكر: ﴿ولْيُوَفُّوا﴾ بالتشديد[٣]، والتوفية والإيفاء بمعنًى.

وقوله تعالى: ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾: وهذا أمرٌ بالطواف يوم النحر، وهو ركنٌ فيه[٤]، والطواف الأول طوافُ التحية وهو سنَّةٌ، والطوافُ الأخير طوافُ الصَّدَر وهو واجبٌ، وهذا الطواف طوافُ الزيارة وهو ركنٌ لا حجَّ بدونه.

والبيت العتيق: الكعبة.

وروي عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه أنه قال: سألتُ النبيَّ ﷺ عن البيت العتيق، قال: «أُعتقَ من الجبابرة، ولا ينالُه جبارٌ أبداً»[٥].

---

(١) رواه الترمذي (٢٩٩٨)، وابن ماجه (٢٨٩٦)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً. قال الترمذي: هذا حديثٌ لا نعرفُه من حديث ابن عُمر إلا من حديث إبراهيم بن يزيدَ الخُوزِيِّ المكيِّ، وقد تَكَلَّم بعضُ أهل الحديث في إبراهيم بن يزيدَ من قِبَل حِفظِه.

(٢) في (أ): «حجه».

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٤٣٦)، و«التيسير» (ص: ١٥٧).

(٤) «فيه» ليس من (ف).

(٥) لم أجده عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه، لكن رواه الترمذي (٣١٧٠)، والحاكم في =

وقال ابن عيينة: لأنه لم يملك قط[١].

وقال الكلبي: أعتق من الغرق زمان الطوفان[٢].

وقال بعض المفسرين: عَتَق في الجاهلية من أن يخرَّب أو يُقتلَ أهلُه.

وقال الحسن وابن زيد: ﴿ٱلْعَتِيقِ﴾: القديم، وهو أول بيت وضع للناس في الأرض[٣].

وقال مجاهد: خلق الله تعالى البيت العتيق قبل الأرض[٤] بألفي عام[٥].

وقيل: العتيق: الكريم، وفرس عتيق؛ أي: كريم، وسمي به لأنه كريمٌ على الله تعالى.

* * *

(٣٠) ـ ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ﴾.

= «المستدرك» (٣٤٦٥)، والبيهقي في «الشعب» (٤٠١٠) من حديث عبد الله بن الزبير رضي الله عنه. قال الترمذي: (هذا حديثٌ حسنٌ غريب، وقد رُوي هذا الحديثُ عن الزُّهريِّ، عن النبيِّ ﷺ مرسَلًا). قلت: مرسل الزهري رواه الترمذي أيضاً عقب الحديث، ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٩٢٥) من طريق الزهري عن ابن الزبير موقوفاً.

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ٢٠) عن ابن عيينة ومجاهد، ورواه عن مجاهد الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٥٣٠).

(٢) رواه ابن المنذر وابن أبي حاتِم عن سعيد بن جبير كما في «الدر المنثور» (٦/ ٤١).

(٣) رواه عن ابن زيد الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٥٣٠ ـ ٥٣١).

(٤) في (أ): «قبل سائر الخلق».

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٥٥٥) عن مجاهد، ورواه (٥/ ٥٩١) من طريق مجاهد عن عبد الله بن عمرو. ولعله مما نقل عن الإسرائيليات.

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ﴾: أي: ما قدَّمتُ ذكرَه من أمر الحج فهو كما قدَّمْتُه فالتزِموه ولا تخالفوه، مبتدأ حُذف خبره اختصاراً.

وقيل: معناه افعلوا ذلك، أضمر الأمر في أوله، أو هو بنفسه منصوب على الإغراء، تامٌّ[1] بغير إضمار.

﴿وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ﴾: أي: أمورَ الحج والعمرة والبيت، فراعاها ولم يتعدَّ حدودها.

﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾: أي: أنفع له من أنْ لا يعظِّمها؛ لأنه يثاب على فعله ويعاقب على تركه، وهذا ترغيب وترهيب، وعمومُه يشمل الحج وغيرَه.

والحرمات حقيقتُها: ما حرُم انتهاكُها[2] ومُنع عن ارتكابها.

وقيل: ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ﴾ ليس للتفصيل؛ أي: تعظيمُه خيرٌ له معدٌّ عند ربه مجازيهِ به[3].

وقوله تعالى: ﴿وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾: فسرناه في سورة المائدة: أن المستثنى ما ذُكر في قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ﴾ الآية [المائدة: ٣].

وقوله تعالى: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ﴾: أي: النَّجس ﴿مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ﴾ ﴿مِنَ﴾ للتبيين[4] هاهنا لا للتبعيض؛ أي: اجتنبوا هذا النوع من الرجس فكلُّه خبيث؛ أي: اجتنبوا الأوثان أنْ[5] تعظِّموها فتذبحوا لها وتذكُروا على ذبائحكم أسماءها.

---

(١) في (ر) و(ف): «قام».

(٢) في (ر): «إتيانها».

(٣) في (ر): «خير عند ربه يجازيه».

(٤) في (أ) و(ف): «للتجنيس».

(٥) في (أ): «أي»، وفي (ر): «فلا».

وقوله تعالى: ﴿وَٱجۡتَنِبُواْ قَوۡلَ ٱلزُّورِ﴾: أي: الكذب، وهو ما يقال على[1] الذبائح من ذكر الأصنام، وما يتصل بها من كلمات هي شركٌ.

* * *

(٣١) - ﴿حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيۡرَ مُشۡرِكِينَ بِهِۦۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخۡطَفُهُ ٱلطَّيۡرُ أَوۡ تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٖ سَحِيقٖ﴾.

وقوله تعالى: ﴿حُنَفَآءَ لِلَّهِ﴾: نصبٌ على الحال؛ أي: مستقيمين[2] في تلك الحال على الدِّين الحقِّ.

﴿غَيۡرَ مُشۡرِكِينَ بِهِۦ﴾: أي: بالله[3]، ختم الآية بوعيد الشرك، يقول: أمركم بالحج لتتقرَّبوا فيه بالقرابين إلى الله تعالى، لا أن تذبحوا للأصنام وتتكلموا بالشرك[4].

وقيل: ﴿وَٱجۡتَنِبُواْ قَوۡلَ ٱلزُّورِ﴾؛ أي: بتسميتها آلهةً.

وقيل: ﴿وَٱجۡتَنِبُواْ قَوۡلَ ٱلزُّورِ﴾ في التلبية وهو قولهم: لبيك لا شريك لك، إلا شريكاً هو لك، تملكُه وما ملَك، وهذا قول مقاتل بن حيان[5]، وهذا على نظمِ آخِر الآية بأولها في أمور الحج.

وقيل هو ابتداءُ كلامٍ: ﴿فَٱجۡتَنِبُواْ ٱلرِّجۡسَ﴾؛ أي: المآثم ﴿مِنَ ٱلۡأَوۡثَٰنِ﴾ وهو عبادتها وتعظيمُها ﴿وَٱجۡتَنِبُواْ قَوۡلَ ٱلزُّورِ﴾؛ أي: الكذب في كلِّ شيء.

---

(١) في (أ): «في».

(٢) في (ف): «مشتغلين».

(٣) بعدها في (أ): «ثم».

(٤) في (ر): «وتتكلموا بكلمة الشرك».

(٥) رواه ابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» (٦/ ٤٥). وانظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ١٢٤).

وروي عن خريم بن فاتك رضي الله عنه أنه قال: صلى رسول الله عليه السلام صلاة الصبح، فلما انصرف قام قائماً فقال[١]: «عُدلت شهادةُ الزور بالإشراك بالله تعالى»، ثم قرأ[٢] هذه الآية[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾: قيل: أي: فمَثَلُه في بُعده من الهدى[٤] والحق وهلاكِه كمَن خرَّ من السماء ﴿فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ﴾: أي: تستَلِبه بسرعة ﴿أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ﴾؛ أي: تُسقطه ﴿فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾؛ أي: بعيد، وهو قولُ قتادة[٥].

وقيل: هو مَثَلُ حال الكافر في القيامة، يريد به أنه يكون يومئذٍ بهذه الصفة لا يملك لنفسه ولا يملك أحدٌ من الخلق له نفعاً ولا ضرًّا[٦]، ولا يمتنع من عذاب الله، فهو بمنزلةِ مَن خرَّ من السماء فهو يهوي من غير أن يقدر لنفسه على خلافِ ذلك، فتخطفه الطير وتقطِّع مخَّه[٧] بمخاليبها ومناقيرها، فلا يملك دفع ذلك، أو بمنزلةِ مَن تحمله الريح من موضعٍ مرتفع فترمي به في منحدَرٍ بعيد، وهو معنى قولِ ابن عباس رضي الله عنهما.

---

(١) في (ف): «ثم قال»، وفي باقي النسخ: «قال»، والمثبت من المصادر.

(٢) في (أ): «تلا».

(٣) رواه أبو داود (٣٥٩٩)، والترمذي (٢٣٠٠)، وابن ماجه (٢٣٧٢). قال ابن حجر في «التلخيص الحبير» (٤/ ٣٤٩): إسناده مجهول.

(٤) في (ف): «الدين».

(٥) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٩٢٩)، والطبري في «تفسيره» (١٦/ ٥٣٨ ـ ٥٣٩)، ولفظه فيهما: هذا مثَل ضربه الله لمن أشرك بالله في بعده من الهُدى وهلاكه.

وكون معنى ﴿سَحِيقٍ﴾: بعيد، رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٥٣٩) عن مجاهد.

(٦) «ولا ضراً» ليس من (أ).

(٧) غير واضحة في (أ)، وقد تقرأ: «فمه» أو «خمه»، وسقطت الجملة من (ر) و(ف).

(٣٢) ـ ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾: أي: ذلك الذي عرَّفْتُكم من أمرِ[١] الشرك، وهو كما عرَّفتكم ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾: جمع شَعِيرة، والشعائر: هي أمور الحج؛ قال ابن زيد: منها رميُ الجمار، والسعيُ بين الصفا والمروة، ونحوُها[٢].

وقال مجاهد: هي البُدْن، وتعظيمُها: استسمانُها واستحسانُها[٣]، قال تعالى: ﴿وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ﴾.

ودليل القول الأول قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٥٨].

﴿فَإِنَّهَا﴾: أي: هذه الفعلة، وهي تعظيمها ﴿مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾: هي تصحيحُ النية وتجريدها[٤] للتقرُّب إلى الله تعالى.

* * *

(٣٣) ـ ﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: على القول الأول ـ أن الشعائر هي أمور الحج ـ هذه المنافع ما فسرنا في قوله تعالى: ﴿لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ﴾ [الحج: ٢٨] وهي منافع المشاهد[٥] ﴿ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾: أي: مَحِلُّ إحرامها بالطواف بالبيت؛ أي: بعده.

---

(١) في (أ): «أهل».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٥٤١).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٥٤٠).

(٤) في (ر) و(ف): «وتحريرها».

(٥) في (ر) و(ف): «مشاهد المنافع».

وعلى القول الثاني ـ أن الشعائر البدن ـ فالمنافع: ركوب ظهورها عند الحاجة، وشرب ألبانها عند الضرورة، ثم مَحِلُّ الشعائر إلى البيت العتيق؛ أي: نحرُها يكون في الحرم، فالبيت العتيق عبارة عن كل الحرم كما قلنا في المسجد الحرام.

***

(٣٤) ـ ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا ﴾: قرأ حمزة والكسائي بكسر السين والباقون بفتحها[1]، ومعناهما واحد؛ أي: لكلِّ أهل دين سَلَفوا قبلكم شَرَعْنا قرابين.

وقوله تعالى: ﴿لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾: أي: ليتقرَّبوا بها ويذبحوها على اسم الله دون أسماء الأصنام.

﴿فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾: أي: إلهكم وإلهُ الأمم كلِّها واحدٌ، والواجب أن يُتقرب إليه ويُذكر على الذبائح اسمُه دون اسم غيره.

وقوله تعالى: ﴿فَلَهُ أَسْلِمُوا﴾: أي: انقادوا بالعبودية[2].

﴿وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ﴾: أي: المطمئنِّين إلى وعد الله، الخاشعين له، والخبت في اللغة هو المطمئن من الأرض.

وقال الخليل: الخبت: ما اتَّسع من بطون الأرض[3].

فعلى هذا: المخبتُ هو الواسع الصدرِ في احتمال المكاره.

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٤٣٦)، و«التيسير» (ص: ١٥٧).

(٢) في (أ): «لعبوديته».

(٣) انظر: «العين» (٤/ ٢٤١).

(٣٥) ـ ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾: أي: خافت من عظمته، فعظَّمت شعائر الله وحَذِرت مخالفته.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾: في الزكوات والصدقات.

يقول: وبشِّر هؤلاء بكلِّ خير، وكلُّه تفسير المخبِت، إذ لا(١) يقدر على هذه الأشياء إلا الخاضع لله تعالى بالعبودية.

* * *

(٣٦) ـ ﴿ وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ ﴾: هي جمع بَدَنةٍ؛ كالتَّمر جمع تَمْرةٍ، وهي الإبل التي تُهدى، سميت بها لبدانتها؛ أي: ضِخَمها، ونصبُها بالفعل المذكور بعدها على تقدير التقديم؛ كما في قوله تعالى: ﴿ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ ﴾ [يس: ٣٩].

﴿مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ ﴾؛ أي: من أعلام دين الله.

وقوله تعالى: ﴿لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ﴾: وهو نفعُ الدِّين والدنيا.

وقال الإمام القشيري رحمه الله: الخيرات فيها كثيرة: الركوب، والحمل،

(١) في (أ): «إذ»، وفي (ر): «ولا».

وشرب الألبان، والانتفاع بالأوبار، ثم بالاعتبار بخلقها كيف سُخِّرت للناس على قوَّتها وصُورتها، ثم كيف تنقاد للصبيان في البروك[١] للحمل والركوب والنزول، وصبرِها على العطش في الأسفار، واكتفائها بقليل العلَف، ثم بما في طبعها من اللَّطافة حتى تستريحُ بالحُداء مع كثافةِ صورتها، إلى غير ذلك[٢].

وقوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ﴾: جمع صافَّةٍ، وهي القائمة، وهي نصبٌ على الحال؛ أي: اذكروا اسمَ الله عليها عند نحرِها وهي قائمةٌ شرطاً للذَّكاة وتسميةً لله تعالى، دون جعلِها للأصنام كفعلِ الكفار.

وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا﴾: أي: سقطت على الأرض بعد نحرها قائمة.

وقوله تعالى: ﴿فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ﴾: قيل: القانع: الذي يَرْضَى بما يُعْطَى وبما عنده ولا يَسأل، والمعترُّ: الذي يتعرَّض لك أن تُطعمه.

وقال ابن عباس ومجاهد وقتادةُ: القانع: الذي لا يَسأل، والمعترُّ: الذي يَسأل[٣].

وقال الحسن وسعيد بن جبير: القانع: الذي يَسأل، والمعترُّ: الذي يَتعرَّض ولا يَسأل[٤]، وعليه أهل اللغة، فيقال: قَنَعَ يَقْنَعُ قُنوعاً من بابِ صنع؛ أي: سأل، وقَنِعَ يَقْنَعُ قناعةً من بابِ عَلِم: إذا رضي بما رُزق، قال الشمَّاخ:

لمالُ المرء يصلحُه فيُغْني ... مَفَاقِرَه أَعَفُّ من القُنوعِ[٥]

---

(١) في (ر): «تنقاد للناس في النزول».

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٥٤٥).

(٣) رواه عنهم الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٥٦٣ ـ ٥٦٥).

(٤) رواه عنهما الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٥٦٥ ـ ٥٦٦).

(٥) انظر: «ديوان الشماخ» (ص: ٢٢١)، وأنشده سعيد بن جبير في قوله السابق. انظر: «تفسير الطبري» =

أي: السؤال.

وقال مجاهد: القانع: جارك الغني، والمعترُّ: الذي يجيئك[١] من الناس[٢].

وقيل: القانع: الهر، والمعترُّ: الكلب؛ أي: اجعلوا لهما منه نصيباً، والهر يتقاضى بصياحه، والكلب يقوم ساكتاً[٣].

وقوله تعالى: ﴿فَكُلُواْ مِنۡهَا﴾ إباحة، ولو لم يأكل منها جاز.

وقوله تعالى: ﴿وَأَطۡعِمُواْ﴾ ندبٌ، ولو صَرف كلَّه إلى نفسه لم يَضمن شيئاً، وهذا في كلِّ هدي، هو نُسك لا كفارةٌ، وكذا الأضحية، فأما هديٌ هو كفارةٌ فعليه التصدُّق بجميعه، وما أَكَله ضمِنه، وكذا ما أَطعمه الأغنياءَ، وإنما مصرفُه الفقراءُ، فأما هديُ النُّسك والأضحية فيَحِلُّ لصاحبه والأغنياءِ، والمستحَبُّ في ذلك أن يكون نصفُه لأَكْله وإطعامِ أهله، ونصفُه للصرف إلى غيره.

وقيل: يُجعل أثلاثاً: ثلثٌ يأكله ويطعمه أهلَه وأضيافَه في هذه الأيام، وثلثٌ يدَّخره لِمَا بعدُ، وثلثٌ يدفعه للناس.

وكان الحسن البصري رحمه الله يجعله أرباعاً: الرُّبع لنفسه وأهله، والرُّبع للمساكين، والربع لليتامى، والربع لأهل السجون، ويَتأول قوله: ﴿وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسۡكِينٗا وَيَتِيمٗا وَأَسِيرًا﴾ [الإنسان: ٨].

= (١٦/ ٥٦٦). وقوله: (مفاقره)؛ أي: وجوه فقره، يقال: سد الله مفاقره؛ أي: أغناه وسد وجوه فقره. انظر: «الصحاح» (مادة: فقر).

(١) في (أ): «يحتك». وجاء في الرواية: (الذي يعتريك)، وفي أخرى: (من اعتراك). انظر التعليق الآتي.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٥٦٦ ـ ٥٦٧).

(٣) في (أ): «ساكناً».

وقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ سَخَّرۡنَٰهَا لَكُمۡ﴾: أي: كالذي أمرتُكم بنحرها ذلَّلْتُها لكم مع عِظَم أجسامها فلا تمتنعُ عليكم، ولو أعطيتُها ما أعطيتُ السباع لصعب عليكم نحرُها.

وقوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾: أي: فعلتُ ذلك بكم لتشكروا نِعمي بذلك.

* * *

(٣٧) - ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقۡوَىٰ مِنكُمۡۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمۡ لِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا﴾: أي: لا تبلغ رضاه ولا يكون مقبولاً عنده أعيانها ﴿وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقۡوَىٰ مِنكُمۡ﴾: وهو قصدُ الائتمار، وطلبُ الرضا، والاحتياطُ في ذلك، والتحرُّزُ عن الحرام والشبهة.

وقيل: لمَّا أمرهم بأكلها ظنُّوا أنها ردَّت إليهم أو صارت[1] لهم لا لله تعالى، فأَخبر أن لله مِن عبده ما أَخلص له من النية والعمل، دون أعيان ما يَتقرب بها.

وقال مجاهد: كان أهل الجاهلية يذبحون ويشرِّحون اللحم فيَنصبونه على أنصابٍ حول الكعبة، وينضحون ما أقبل منها[2] بدمائها، فلما كان الإسلام ذكر المسلمون فعلهم لرسول الله ﷺ فسكت، حتى نزلت هذه الآية[3].

---

(١) في (ف): «وصارت».

(٢) «ما أقبل منها» ليس في (ف). وفي المصادر: (ما أقبل من البيت).

(٣) ذكره ابن عطية في «المحرر الوجيز»، والقرطبي في «تفسيره»، وأبو حيان في «البحر»، جميعهم عن ابن جريج عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ﴾ [المائدة: ٣]، وفيه: فأنزل الله تعالى: ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا﴾ ونزلت: ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ﴾. ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» كما في «الدر المنثور» (٦/ ٥٦) بلفظ: كان أهل الجاهليَّة ينضحون البيت بلحوم الإبل ودمائها فقال =

وقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ﴾: أي: كالذي ذكر ذلَّل هذه البُدن[١].

وقوله تعالى: ﴿لِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ﴾: أي: لتعظِّموا الله ﴿عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ﴾؛ أي: أرشدكم إليه من دِينه، وأعاد ذكر التسخير لمعنًى غيرِ الأول، فإن الأول للشكر والثاني للتعظيم.

وقوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾: في أمور الحج والشعائر وسائر الشرائع.

وقال الحسين بن الفضل رحمه الله: ﴿لِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ﴾ فتقولوا: الله أكبر على ما هدانا.

وقال القشيري رحمه الله: لا عبرةَ بأعيان الأفعال، لكن العبرة لقرائنها من الإخلاص، وإذا انضاف إلى اكتساب الجوارح خلاصاتُ القصود، وتجرَّدت[٢] عن ملاحظةِ أصحابها الأغيار[٣]، صلحت للقبول.

وقال في قوله: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾: الإحسان: أن تعبد الله كأنك تراه، وأمَارتُه: سقوط التعب عن صاحبه بالقلب، فلا يستثقل شيئاً في ذات الله، ولا يتبرَّم بشيء[٤].

* * *

(٣٨) ـ ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ﴾.

= أصحاب النَّبي ﷺ: فنحن أَحَق أن ننضح، فأنزل الله: ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا﴾.

(١) بعدها في (ر) و(ف): «لك».

(٢) في (أ): «خلاصات المقصود وتجردت»، وفي (ر): «خلاصات القصود وتحرزت». وفي «اللطائف»: (إخلاص القصود وتجردت).

(٣) في (ر): «الأعيان».

(٤) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٥٤٦).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾: قرأ ابن كثير وأبو عمرو: ﴿إنَّ اللهَ يَدْفَعُ... ولولا دَفْعُ اللهِ الناسَ﴾، وقرأ نافع: ﴿إنَّ اللهَ يُدافِعُ عن الذين آمنوا... ولولا دفاعُ اللهِ الناسَ﴾، وقرأ عاصم وحمزة والكسائي [وابن عامر]: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ... وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ﴾(1).

وعاد الكلام إلى ذكر المؤمنين والكفار، وبشارةِ المؤمنين بالفتح والنصر والعودِ إلى مكة التي صدَّهم المشركون عنها، وهذه الآيات في ذكرها وما يقام من الحج والقرابينِ بها: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ بشارةٌ بدفع ضرر الكفار عنهم، وهو كما قال: ﴿لَن يَضُرُّوكُمۡ إِلَّآ أَذٗىۖ وَإِن يُقَٰتِلُوكُمۡ يُوَلُّوكُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ﴾ [آل عمران: ١١١]، وقال: ﴿وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـًٔا﴾ [آل عمران: ١٢٠].

وقيل: كان هذا قبل الهجرة، فدفع عنهم بأنْ أَذِن لهم في الهجرة إلى المدينة، وأعانهم وقوَّاهم بالأنصار، وأَذِن بالقتال وجهاد الكفار.

وقيل: يدفع عنهم بتوفيقه وتثبيته إياهم على الحق عن فتنة الكفار بإعادتهم إلى الكفر(2).

وقيل: يدفع عنهم شدائد الآخرة وكثيراً من شدائد الدنيا.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ﴾: العبادات أمانات، فمَن خالفها فقد خان.

وقيل: المشركون كانوا يقرُّون بالصانع ثم يعبدون غيره وهذا خيانةٌ.

وقيل: كل إنسان يُظهر الشفقة على نفسه وإرادةَ الخير بها، فإذا فعل بها ما يُهلكها فقد خانها، والخوَّان: الكافر على هذا، والكَفور: الذي يكفر نِعَمَ الله عليه.

---

(1) انظر: «السبعة» (ص: ٤٣٧)، و«التيسير» (ص: ٨٢ و١٥٧)، وما بين معكوفتين منهما.

(2) «بإعادتهم إلى الكفر» ليس في (أ).

ومعنى ﴿لَا يُحِبُّ﴾؛ أي: لا يريد بهم الخير، ولا يجعل لهم العاقبةَ المحمودة، بل يكون ذلك للمؤمنين بالدفع عنهم.

وقال القشيري رحمه الله: يدفع عن صدورهم نزغات[1] الشيطان، وعن قلوبهم خطرات العصيان، وعن أرواحهم طوارق النسيان[2].

***

(٣٩) ـ ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ﴾: قرأ ابن كثير وحمزة والكسائي: ﴿أَذِنَ﴾ بفتح الألف و﴿يُقاتِلون﴾ بكسر التاء، ومعناه: أَذِن الله للمؤمنين الذين يقاتِلون الكفار ـ أي: يحرِّضون على قتالهم ـ بالقتال، فقوله: بالقتال، هذا مضمر، وهذا طريق الدفع الذي قال: ﴿يدفع[3] عن الذين آمنوا﴾.

وقرأ عاصم ونافع في روايةٍ: ﴿أُذِنَ﴾ بالضم على ما لم يسمَّ فاعله ﴿يُقَٰتَلُونَ﴾ بفتح التاء على ما لم يسم فاعلُه، وهم المؤمنون أيضاً لأن الكفار يقاتلونهم.

وقرأ أبو عمرو وعاصم في رواية أبي بكر[4]: ﴿أُذِنَ﴾ بالضم ﴿يقاتِلون﴾ بالكسر.

وقرأ ابن عامر: ﴿أَذِنَ﴾ بالفتح ﴿يُقَٰتَلُونَ﴾ بالفتح أيضاً[5].

---

(١) في (ر): «ترهات».

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٥٤٧).

(٣) «الذي قال يدفع» من (أ)، وفي (ف) بدلًا منها: «للأذى».

(٤) «أبي بكر» ليس في (ف).

(٥) وملخص ما ورد عن السبعة في المشهور عنهم: نافع وعاصم وأبو عَمْرو: ﴿أُذِنَ﴾ بضم الهمزة والباقون بفتحها، نافع وابن عامر وحفص: ﴿يُقَٰتَلُونَ﴾ بفتح التاء والباقون بكسرها. انظر: =

وذكر بعض المفسرين أن الصحابة رضوان الله عليهم لمَّا اشتدَّ عليهم أذى المشركين قبل الهجرة استأذنوا النبي ﷺ في قتل مَن قدروا على قتله سرًّا فلم يؤذَن لهم[1]، ووعدهم الله تعالى بالدفع عنهم، وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ لِمَا همُّوا به من قتلهم سرًّا، فلما هاجروا وقرُّوا أذن لهم في قتالهم[2].

وقوله تعالى: ﴿بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟﴾: أي: بسببِ أن المشركين ظلموهم في صدِّهم عن المسجد الحرام وإظهارِ دينهم.

﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾: يُورثهم ديارَ عدوِّهم، ويَشفي به صدورهم، وهو إشارة إلى البشارة بذلك، وهذه الآية أول آية أُنزلت في الأمر بالقتال[3].

***

(٤٠) ـ ﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَـٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾.

﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ﴾: وهو بيان قوله تعالى: ﴿بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟﴾.

﴿إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾: هو استثناءٌ منقطع بمعنى: لكن؛ أي: ﴿أُخْرِجُوا۟... بِغَيْرِ حَقٍّ﴾؛ أي: من غير أن يستحقوا ذلك ويحقَّ عليهم ذلك، لكنْ لأنهم قالوا: ﴿رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ وحده لا شريك له على خلاف قولهم.

= «السبعة» (ص: ٤٣٧)، و«التيسير» (ص: ١٥٧).

(١) في (ر) و(ف): «يؤذنوا».

(٢) ذكره الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٥٧٦) وقال: هذا قول ذكر عن الضحاك بن مزاحم من وجه غير ثبت.

(٣) في (ف): «في أمر القتال».

وهذا الإخراج من مكة إلى المدينة إن كانت الآية نزلت بعد الهجرة إليها، وإن كان قبلها فهذا الإخراج من مكة إلى الحبشة؛ أي: إلجاؤهم[١] إياهم إلى أن هاجروا عنها إليها.

﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾: أي: لولا شرعُ الله للأنبياء والأممِ من الجهاد.

﴿لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا﴾: أي: لغَلب أهلُ الشرك أهلَ الإيمان؛ أي: وعطَّلوا ما بَنتْه[٢] أهل الديانات من مواضع عبادة الله تعالى.

قال مجاهد: الصوامع للرهبان[٣].

وقال قتادة: البيع للنصارى[٤].

وقال مجاهد: البِيَع كنائس اليهود[٥]، جمع بِيْعَةٍ.

وقال الضحاك: الصلوات كنائس اليهود[٦].

وقيل: ﴿وَصَلَوَٰتٌ﴾: هي مواضع صلوات المسلمين في منازلهم، والمساجدُ للجماعات.

---

(١) في (ر) و(ف): «إلحاقهم».

(٢) في (ف): «يبنيه».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٥٨٠ ـ ٥٨١) بلفظ: ﴿لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ﴾ قال: صوامع الرهبان.

(٤) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٩٣٨)، بلفظ: ﴿لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ﴾ قال: هي للصَّابئينَ، ﴿وَبِيَعٌ﴾ للنَّصارى ﴿وَصَلَوَٰتٍ﴾ كنائسُ اليهودِ، والمساجدُ مساجدُ المسلمين ﴿يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا﴾.

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٥٨٣).

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٥٨٤).

وقيل: ﴿وَصَلَوَٰتٌ﴾؛ أي: وتُركت صلوات، على[١] إرادة أعيانها دون مواضعها.

وقال الزجاج: أي: لهدِّمت صوامعُ في أيام شريعة عيسى، وبيعٌ في أيام شريعة موسى، ومساجد في أيام شريعة محمد عليهم السلام[٢].

وقيل: ذُكرت الصوامع والبِيَع ـ وإن كانت تلك لغيرِ أهل الإسلام ـ وذلك لأن النصارى ينكرون أمر الجهاد ويَرَونه شنيعاً في الحكمة، والصابئون لا يرونه، فنُبِّهوا على حُسنه في العقول؛ إذ فيه بقاءُ أثر هذه الديانات التي يعتقدها هؤلاء.

ثم قوله: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ﴾: هم الكفارُ ﴿بَعْضَهُم﴾ بدلٌ عنه ﴿بِبَعْضٍ﴾ هم المؤمنون المقاتلون، فالدفع يقع بهم.

وقيل: معناه: ولولا دفعُ اللهِ بأهل هذا الدِّين عن الأديان كلِّها؛ أي: لولا إقماعُ[٣] عبدة الأوثان وأهلِ التعطيل بخوف سيوف المسلمين لتغلَّبوا على أهل الأديان كلِّها[٤]، وفيه تعريفُ منَّةِ الله تعالى بما عاد على[٥] أهل الأديان كلِّها من النَّفع بدِين الإسلام.

وقوله: ﴿يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا﴾: أي: في المساجد، هو الصحيح، فإن الذكر في البيع ونحوها محرَّفٌ غيرُ معتبَر.

وقيل: يدفع الله بالمقاتلين[٦] عن القاعدين، وبالشاكرين عن الكافرين،

---

(١) في (أ): «عن».

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٤٣١).

(٣) في (أ): «انقماع».

(٤) في (أ): «الأديان» بدل: «أهل الأديان كلها».

(٥) في (أ): «إلى».

(٦) في (أ): «بالمقاتلة».

وبالصابرين عن الجازعين، وبالمصلين عن التاركين، وبالمصَّدِّقين[١] عن المانعين، وبالمطيعين عن العاصين، وبالذاكرين عن الناسين.

وقوله تعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾: هذا ظاهر.

***

(٤١) - ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: هو نعتُ ﴿الذين يقاتلون﴾ أي: أُذِنَ بالقتال لهؤلاء الذين إنْ أعطيناهم المكنة والمكانة في الأرض ﴿أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ وأقاموا الدِّين بألسنتهم وأيديهم، وألزَموا الناس ما هو مستحسَن عند[٢] العقل والشرع، ومنعوهم عما هو مستقبَحُ[٣] العقل والشرع.

وقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾: أي: خاتمتُها؛ أي: النصر والعلوُّ والغَلَبة خاتمةُ مَن نصَر دِين الله، وهي لله، وإن تأخَّرت مدةً لحكمةٍ[٤] فهي موعودةٌ لهم، وهذا تطييبٌ لقلوبهم، وتثبيتٌ على الصبر.

وقيل: أي: مرجعُ الأمور إلى الله في الآخرة، وهو المُثيب والمعاقِبُ، وهذا تحريكٌ لهم على الأعمال المذكورة في الآية.

---

(١) في (أ): «وبالمتصدقين».

(٢) «عند» زيادة من (ف).

(٣) في (ف): «قبيح».

(٤) في (أ): «بحكمة».

وكثير من المفسرين على أن هذه الآيةَ في الخلفاء الراشدين الأربعة.

وقال الحسن: هي في حقِّ جميع هذه الأمة[١].

وقال القشيري رحمه الله: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّـٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ إذا طالت بهم المدَّة[٢] وساعدهم العمرُ، لم يستفرغوا[٣] أعمارهم في استجلاب حظوظهم، ولا في اقتناء محبوبهم في الدنيا ومطلوبهم، ولكن قاموا بأداء حقوقنا.

وأقاموا الصلوات في الظاهر، وأداموا المواصلات في الباطن.

وقيل: إقامة الصلاة بالوفاء[٤] بأدائها؛ تَعْلَمُ بين يديْ مَن أنت[٥]، وتناجي مَن، والرقيبُ عليك مَن، والقريبُ منك من.

﴿وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ الأغنياء منهم يُؤتون زكاة أموالهم، وفقراؤهم يؤتُون زكاة أحوالهم، فزكاة المال من مئتين خمسةٌ للفقراء[٦] والباقي لهم، وزكاة الأحوال أن يكون من مئتي نفس مئة وتسعةٌ وتسعون ونصفٌ لله تعالى، ونصفُ جزءٍ من نفسٍ من مئتين لك[٧].

وقوله تعالى: ﴿وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ﴾ يَبتدِئون[٨] في الأمر

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ٢٦) عن الحسن وأبي العالية، والواحدي في «الوسيط» (٣/ ٢٧٤) عن الحسن وعكرمة.

(٢) في (ف): «الإقامة».

(٣) في (ف): «يستوفوا».

(٤) في (أ) و(ف): «الوفاء».

(٥) بعدها في (ر): «قائم له». وليست في «اللطائف»، ولفظه: (فتعلم بين يدى الله مَن أنت).

(٦) في (ف): «من المئتين خمسة دراهم».

(٧) في (ف): «لهم».

(٨) في (ف): «ينتدبون».

بالمعروف والنهي عن المنكر بأنفسهم، ثم بأغيارهم، فإذا أخذوا في ذلك لم يتفرَّغوا من أنفسهم إلى غيرهم.

وقيل: الأمر بالمعروف: حفظُ الحواسِّ عن مخالفة أمره، ومراعاةُ الأنفاس معه إجلالاً لقَدْره، ومن وجوهِ المنكر: الرياء والإعجاب والمساكَنة والملاحظة[1].

***

(٤٢ ـ ٤٤) ـ ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَٰهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَٰبُ مَدْيَنَ ۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَٰهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَٰبُ مَدْيَنَ ۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ﴾: وهـذا بيانُ قوله: ﴿وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾، وتسليةٌ للنبي ﷺ بما ينالُه من جهة الكفار من المكروه والمحذور، يقول: إنْ نَسبك هؤلاء إلى الكذب فقد فعلَتْ قوم نوحٍ بنوحٍ[2] كذلك.

والتأنيث في ﴿كَذَّبَتْ﴾ لإرادةِ القبيلة أو الأمَّة أو الجماعة، وكذلك ما ذُكر بعده كذَّبتْ كلُّ أمةٍ نبيَّها ﴿وَكُذِّبَ مُوسَىٰ﴾ على ما لم يسمَّ فاعله، ولم يقل: وكذبت قوم موسى لأن قومه بنو إسرائيل وهم صدَّقوه، وإنما كذَّبه فرعونُ وقومه.

وقوله تعالى: ﴿فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ﴾: أي: طوَّلتُ لهم الزمانَ للحجة عليهم.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ﴾: أي: عاقبتُهم على كفرهم وتكذيبهم ومعاصيهم.

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٥٤٩ ـ ٥٥٠).

(٢) «بنوح» ليست في (أ).

وقوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾: أي: إنكاري وتغييري عليهم، ألمْ أبدِّلهم بالنعمة نقمةً، وبالكثرة قِلةً، وبالحياة هلاكاً، وبالعمارة خراباً، وكذلك حالُ قومك.

* * *

(٤٥) - ﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ﴾: أي: وكم من أهل قرية ﴿أَهْلَكْنَٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ﴾؛ أي: أهلكناهم وهم ظالمون أنفسَهم بالكفر، واضعون العبادةَ غيرَ موضعها.

وقرأ أبو عمرو: ﴿أهلَكْتُها﴾ على موافقةِ ﴿أمليتُ... ثم أخَذْتُهم﴾، وقرأ الباقون: ﴿أَهْلَكْنَٰهَا﴾ على موافقة ﴿مَّكَّنَّٰهُمْ﴾ [الحج: ٤١][(١)].

﴿فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾: فالقريةُ ساقطةٌ سُقوفُها أولاً ثم ساقطةٌ حيطانها على سقوفها.

وقوله تعالى: ﴿وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾: أي: وكم من بئرٍ معطَّلة بفِناء أهلها اندَفنتْ وصارت لا واردةَ لها ولا شاربةَ منها باندِفانها وغورِ مائها.

وقوله تعالى: ﴿وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾: وكم قصرٍ مشيد.

قال عكرمة ومجاهد: أي: مبنيٍّ بالجصِّ، والشِّيد: الجص[(٢)].

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٤٣٨)، و«التيسير» (ص: ١٥٧).

(٢) في (ف): «والمشيد الحصين» بدل: «والشيد الجص». والخبر رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٥٩٢ ـ ٥٩٣) عن عكرمة ومجاهد وعطاء وسعيد بن جبير، وعن عكرمة وعطاء رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٩٤٠) و(١٩٤١).

وقال قتادة: أي: مرفوعٍ(١)، وقد شاد البناء؛ أي: رفعه وطوَّله.

وقيل: أي: مزيَّنٍ، وقد شاده؛ أي: زيَّنه؛ أي: خلا عن سكانه وتداعَى للخراب بذهاب أهله.

فهذا تنبيهٌ لهم ووعظ بمن كان قبلهم ممن كان أطولَ منهم أعماراً وأقوى آثاراً، فأهلكهم الله تعالى لعتوِّهم وتمرُّدهم.

وقال الضحاك: إن هذه البئر كانت في حضرموتَ في بلدةٍ يقال لها: حاضوراء، وذلك أن أربعةَ آلافِ نفرٍ ممن آمن بصالح ونجَوا من العذاب أتوا حاضوراء ومعهم صالح، فلما حضروا مات صالح فسمي: حضرموت؛ لأن صالحاً لمَّا حضر مات، فبنوا حاضوراء وقعدوا على هذه البئر وأمَّروا عليهم رجلاً يقال له: جليس بن جلاس بن سويد، وجعلوا وزيره سنحاريب بنَ سَوَادَةَ، وأقاموا دهراً وتناسلوا حتى كثروا، ثم عبدوا الأصنام فأرسل الله إليهم نبياً يقال له: حنظلةُ بن صفوان، فقتلوه في السوق، فأهلكهم الله عن آخرهم، وتعطلت(٢) بئرهم وخرب قصر ملكهم(٣).

وقيل: إن ملكاً كافراً كان له وزير مسلم ومعه أربعةُ آلافِ(٤) مسلم من خواصِّه، فغضب(٥) عليه الملك يوماً فهجره الوزير وذهب مع خواصِّه إلى أرضٍ طيبة فنزلوها

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٩٤٢)، والطبري في «تفسيره» (١٦/ ٥٩٣). ولفظه فيهما: كان أهله شيَّدوه وحصَّنوه، فهلكوا وتركوه.

(٢) في (ر) و(ف): «فعطلت».

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ٢٧) وأبو بكر النقاش في «تفسيره» كما في «التعريف والإعلام» للسهيلي (ص: ١١٨).

(٤) بعدها في (ر): «وزير».

(٥) في (أ): «فعنف».

وحفروا آباراً خرج(١) من كلِّها ماءٌ مِلْحٌ، ومر بهم رجل فأمرهم أن يحفروا في موضعٍ أَراهم، ففعلوا فخرج ماء عذب، فوسَّعوها وبنوها حجراً ذهباً وحجراً فضة، وجعلوها حظيرةً ولها أربعة آلاف باب بعدد ذلك(٢) الرجال، واتخذوا منازل، وطالت بهم المدة، وأتاهم الشيطان في صورة عجوزٍ صالحة ومكث عندهم، ودلت النساء على السَّحق عند غيبةِ الأزواج فظهر ذلك فيهنَّ، وأتاهم في صورة شيخ صالح بعد ذلك، وبعد مدةٍ دل رجالهم على إتيان البهائم إذا غابوا عن أزواجهم، ففشا ذلك فيهم، وأتاهم بعد ذلك(٣) النبيُّ ـ وقيل: نبي اسمه قحافة ـ فنهاهم فلم ينتهوا له(٤)، فغار ماؤهم فتضرعوا للنبيِّ حتى دعا الله، فعاد الماء فلم يؤمنوا، فخوَّفهم إتيانَ العذاب بعد سبع سنين وسبعةِ أشهر وسبعة أيام وسبعِ ساعات، فاتخذوا قصراً مَشيداً لبنةٌ ذهباً ولبنةٌ فضةً، وركَّبوا فيها اليواقيت وتحصَّنوا ولم يؤمِنوا به(٥)، فلما انتهت هذه المدة وهو يجدِّد لهم التخويفَ كلَّ ساعةٍ فلم ينتهوا، أمر الله تعالى جبريل فخسف بهم وبها(٦).

---

(١) في (ر): «وقيل خرج»، وفي (أ): «وقيل».

(٢) في (أ): «كل».

(٣) في (أ): «وأتاهم هذا»، وفي (ر): «وأتاهم ذلك».

(٤) «له» ليست في (أ).

(٥) «به» من (أ).

(٦) لم أجد هذا الخبر، وظاهر الآية العموم، كيف وقد صدرها بكلمة: ﴿فَكَأَيِّن﴾ دلالة على كثرة حصول هذا المشهد، وهذه الآية من مظاهر الإعجاز في كتاب الله، فقد جاء تركيبها بحيث يمكن تخيل عشرات القصص بل المئات التي يكون هذا المشهد المذكور في الآية محوراً لها، وليس ذلك مقتصراً على تعدد الأزمنة، بل يشمل أيضاً تعدد الأمكنة، ولا يشترط في ذلك وجود نبي بينهم مع مخالفته أو قتله، بل يكفي وجود شريعة الإيمان عندهم، بل قد يكون سبب ما يحل بهم هو كثرة التظالم وأكل الحقوق ولو لم يكن إيمان، والله أعلم.

(٤٦) ـ ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾: أفلم يسافر هؤلاء في الأرض فيشاهدوا هذه القرى وآثار[1] وقائع الله تعالى بها.

﴿فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾: أي: فيَحْضرَهم عقولٌ يتفكرون بها فيها فيَعتبِرون ﴿أو آذان يسمعون بها﴾؛ أي: يدعوهم ما شاهدوا إلى سماع وعظ الواعظ، وهذا استفهامٌ بمعنى الإثبات؛ أي: قد سافروا إليها وشاهَدوها ثم لا يعتبرون[2] بها بإعراضهم عن التدبُّر، فهم متعامُون متصامُّون.

وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ﴾: قيل: فإن القصة والحادثة، وقيل: فإن الأبصار، ثم أعاد ﴿الْأَبْصَارُ﴾ تفسيراً للكناية وإزالةً للاشتباه؛ أي: لا تعمى الأبصار[3] أبصارُ رؤوسهم عن رؤية هذه الآثار عِياناً ﴿وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ عن التفكر فيها والاعتبار بها.

وقيل: معناه: وإنَّ العمى ليس بعمى البصر وإنما العمى في الحقيقة عمَى القلوبِ؛ لأن منفعةَ بصر العين لا يَهْلِكُ بعدمها صاحبُها، وعدمَ بصر القلب يهلكُ صاحبه، وهذا كما يقال: ليس الغنى غنَى المال إنما الغنَى غنى النفسِ، ونحوِه.

ثم القلب لا يكون إلا في الصدر، ومعنى تقييدِه به[4]: تحقيقُه بخاصته لا تمييزُه عن غيره؛ كقوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم﴾ [آل عمران: ١٦٧] ﴿يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ [الأنعام: ٣٨].

---

(١) في (ر) و(ف): «ويروا».

(٢) في (ف): «وشاهدوها فلم يعتبروا».

(٣) «الأبصار» ليست في (أ).

(٤) في (ف): «ومعنى تأكيده»

(٤٧) ـ ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ ۚ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ﴾: أي: يقولون: متى هذا العذاب الذي تُوْعِدُنا به وتَذكُر أنه كان للأمم السالفة؟

﴿وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ﴾ فإنه يتعالى عن الخُلف[1] والكذب، وهو آت لا محالة لكنْ لوقته الذي جعله له.

وقيل: نزلت في النضر بن الحارث، وأتاه الوعد يوم بدر فقتل.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة وابن زيد: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا﴾ من أيام الآخرة ﴿كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ في الدنيا[2]؛ أي: فلا معنى لاستعجالهم وهم يصيرون إلى الآخرة ويعذَّبون فيها هذه المدةَ الطويلة.

وقيل: إن يوماً من أيام العذاب في الثِّقل والطول كألفِ سنة مما تعدُّون في السلامة، كما قالوا: أيام الغموم طِوال وأيام السرور قِصار، فلا معنى لاستعجالهم العذاب[3].

وقيل: إن يوماً من الأيام التي خلق الله تعالى فيها السماوات والأرض كألف سنة[4]؛ أي: هؤلاء يستعجلونك بالعذاب، وإن يوماً من الأيام التي خلقتُ فيها السموات والأرض كألف سنة، وكنتُ قادراً على أن أخلق جميع ذلك في لحظةٍ

---

(١) في (ر): «عن خلف الوعد».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٥٩٧ ـ ٥٩٨) عن ابن عباس وعكرمة ومجاهد. وذكره عن ابن زيد الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ٢٨).

(٣) «العذاب» من (أ).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٥٩٦ ـ ٥٩٧) عن ابن عباس ومجاهد.

وأقلَّ، ولكنْ خلقتُه في المدة الطويلة ولم أُعجِّل، فكذلك أنا قادر على إنزال العذاب بهم ساعةَ عَصوني ولكنْ لا أُعَجِّل، ويدل عليه أنه قال في سورة (ق)[1]: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ﴾ [ق: ٣٦] ثم ذكر عَقيبه: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [ق: ٣٨] فذكرُها بعد ذكرِ إهلاكهم[2] إشارةٌ إلى هذا، فكذلك في[3] هذه الآية.

وقيل: هو إشارةٌ إلى ما ذكر في قوله: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [السجدة: ٥] فالملَك ينزل مسيرةَ خمس مئة سنةٍ ـ وهي من السماء إلى الأرض ـ ويصعد كذلك في ساعة، فهي مسيرة[4] ألف سنة، يقول: لمَّا كان في قدرتي هذا فكيف أعجز عن إهلاك هؤلاء، لكن تأخيره لحكمة.

❊ ❊ ❊

(٤٨ ـ ٥٠) ـ ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٨﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾.

وقوله: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا﴾: أي: في الدنيا ﴿وَإِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾؛ أي: المرجعُ في عذاب الآخرة؛ أي: فما ينبغي لهؤلاء أن يغترُّوا بإمهالي.

قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾: أي: جعل الله إليَّ الإنذار دون إنزالِ العذاب، فلا يستعجلوا به.

---

(١) في (ر) و(ف): «في سورة أخرى».

(٢) في (ر) و(ف): «بعد هلاكهم».

(٣) في (ر) و(ف): «فكذا».

(٤) «مسيرة» من (أ).

قوله تعالى: ﴿فَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّلِحَتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ﴾ للذنوب ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾: حسن في الجنة، هذا لمن خاف بإنذاري فاتَّبعني.

(٥١) - ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي ءَايَتِنَا مُعَجِزِينَ أُوْلَئِكَ أَصْحَبُ الْجَحِيمِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي ءَايَتِنَا مُعَجِزِينَ﴾: أي: اجتهدوا في أعلام الحقِّ للإبطال والتكذيب وصدُّوا الناس عنها ﴿مُعَجِزِينَ﴾: مغالبين مقدِّرين أنهم يغلبوننا فيفوتوننا.

وقرأ أبو عمرو وابن كثير: ﴿معجِّزين﴾[1]؛ أي مُثبِّتين عجز الأنبياء والمؤمنين بذلك على زعمهم.

وقال الكسائي: ﴿مُعَجِزِينَ﴾: معاندين و﴿معجِّزين﴾: مثبِّطين.

وقال الخليل: عاجَزَ فلان: ذهب فلم يُوصَل إليه[2].

وقوله تعالى: ﴿أُوْلَئِكَ أَصْحَبُ الْجَحِيمِ﴾: أي: الدائمون في النار الموقَدة.

* * *

(٥٢) - ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَنُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِى الشَّيْطَنُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ ءَايَتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾: قيل: الرسول: صاحب الشريعة، والنبي: هو الذي يتَّبع الرسول في الشريعة؛ كهارونَ لموسى، ولوطٍ لإبراهيم، عليهم السلام.

وقيل: الرسول: المرسَل بالوحي، والنبي: هو المخبِر عن الله بالوحي إليه، أو بالوحي إلى رسولٍ أُمر أن يأمره بالتبليغ أو بالرؤيا.

---

(١) وقرأ باقي السبعة: ﴿مُعَجِزِينَ﴾. انظر: «السبعة» (ص: ٤٣٩)، و«التيسير» (ص: ١٥٨).

(٢) انظر: «العين» (١/ ٢١٥)، وفيه: (... فلم يقدر عليه).

وقيل: هما واحد، وفي الآية جمَع بينهما في الإرسال فقال: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ﴾.

﴿إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ﴾: وهذا متصل بقوله تعالى: ﴿سَعَوۡاْ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ﴾؛ أي: إن مشركي عصرك يَسعون في آياتنا[1] المنزَلةِ عليك، وكذا كان[2] كلُّ رسول يسعى الشيطانُ في الإلقاء في قراءته.

وقوله: ﴿تَمَنَّىٰٓ﴾؛ أي: تلا، وقوله: ﴿أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ﴾؛ أي: في تلاوته؛ قال الشاعر:

تمنَّى كتابَ الله أولَ ليلهِ وآخرَه لاقَى حِمَامَ المَقادِرِ[3]

وروي في ذلك: أن النبيَّ ﷺ كان يقرأ سورة: ﴿وَٱلنَّجۡمِ﴾ في الكعبة أو في المسجد الحرام بحضرة المؤمنين والمشركين، فلما انتهى إلى قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ ۝١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ﴾ [النجم: ١٩ ـ ٢٠] ألقى الشيطان في قراءته: تلك الغَرانيقُ العُلا وإنَّ شفاعتَهنَّ لتُرتَجى، فلما فرغ سجد وسجد المشركون والمسلمون، وبلغ الخبرُ مَن كان عند النجاشيِّ من المهاجرين، فرجع كثير منهم إلى مكة لِمَا توهَّموه من دخول المشركين في دِين رسول الله ﷺ[4].

---

(١) في (أ): «آياتي».

(٢) في (أ): «فكذا» بدل: «وكذا كان».

(٣) دون نسبة في «السيرة النبوية» لابن هشام (٣/ ٧٤)، و«الزاهر» لابن الأنباري (٢/ ١٥١)، و«المحكم» لابن سيده (١٠/ ٥١١). وجعلوهما بيتين صدرهما واحد، وعجز الآخر:

تَمَنِّيَ داودَ الزَّبورَ على رِسْلِ

وذكر ابن الأنباري أنه في رثاء عثمان، وعزاه الآلوسي في «روح المعاني» (١٧/ ٣٦٠) لحسان، وليس في ديوانه.

(٤) قصة الغرانيق معروفة، ولا يصح فيها شيء، فقد رويت فيها مرسلات عن قتادة والضحاك وأبي العالية =

وأخذ أصحاب الظواهر بظاهره، وحملوه على قراءة رسول الله ﷺ ذلك كلَّه، وتكلُّمِه بلسانه بهاتين الكلمتين، وهذا باطل على ما نبيِّن.

فأما الغرانيق: فقد ذكر في «ديوان الأدب» أن الغُرْنُوق: الشابُّ الناعم[1].

وذكر في «شرح الغريبين»: أنه الحسن العالي[2].

وقيل: هو رئيس القوم.

وقال الخليل: الغُرْنُوق والغِرْناق[3]: الشاب الأبيض والطائر[4].

وقال الأصمعي: هو الكُرْكِيُّ.

وقال ابن الأنباري: هو الذَّكَرُ من الطير.

= وأبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام وغيرهم، وروي فيها خبر من طريق عطية العوفي عن ابن عباس، لكن إسناده ضعيف جداً. انظر هذه الأخبار في «تفسير الطبري» (١٦/ ٦٠٤ ـ ٦١٢)، وقد تكلم العلماء ـ ومنهم المؤلف كما سيأتي ـ في توهين ما روي في هذه القصة وردها عقلاً ونقلاً فلا داعي للإطالة في ذلك. ويكفي في ردها ما قاله القاضي عياض: (فيكفيك أنّ هذا حديث لم يُخَرِّجه أحد من أهل الصحَّة، ولا رواه ثقة بسند سليم متصل، وإنما أُولِع به وبمِثْله المفسرون والمؤرخون المُولَعون بكلِّ غريب، المتلقِّفون من الصحف كلّ صحيح وسَقيم، وصَدَق القاضي بكرُ بن العلاء المالكيّ حيث قال: لقد بُلِي الناس ببعض أهل الأهواء والتفسير، وتعَلَّق بذلك المُلحِدون مع ضَعْف نَقَلَتِه واضطراب رواياتِه وانقطاع إسنادِه واختلاف كلماتِه...) انظر: «الشفا» (٢/ ١٢٥). وانظر أيضاً: «نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق» لناصر الدين الألباني.

(١) انظر: «معجم ديوان الأدب» للفارابي (٢/ ٦٥).

(٢) انظر: «الغريبين» (مادة: غرن)، وفيه: (الغرانيق: جمع الغرانق: وهو الحسن)، فقط.

(٣) «والغرناق» ليست في (أ). وانظر التعليق الآتي.

(٤) في (ف): «الثياب البيض» بدل: «الشاب الأبيض والطائر». وانظر: «العين» (٤/ ٤٥٨)، وفيه: الغِرنَيْقُ والغُرْنُوقُ: طائر أبيض، والغُرنُوقُ: الرجل الشاب الأبيض الجميل، وهو الغُرانِق أيضا. وقال الفارسي في «مجمع الغرائب» (مادة: غرنق): وقيل: الغُرنُوقُ: الشَّابُّ النَّاعِمُ، وهوَ الغِرنَاقُ والغِرنَوقُ والغُرَانِقُ.

وفي «الغريبين» أيضاً: الغِرْنَوق والغِرْناق والغِرْنيق: الشاب الناعم والطير[١].

وكان المشركون يزعمون أن الأصنام تقرِّبهم إلى الله تعالى وتشفَع لهم إليه، فشبَّهوها بالطيور التي تعلو وترتفع في[٢] السماء.

وقال الحسن: إنْ ثبَت تكلُّمُ النبيِّ ﷺ بهذه الكلمات فهو على الإنكار عليهم[٣]، على تقدير إثباتِ ألف الاستفهام في أولها: أتلك الغرانيق العلى، كما في قوله خبراً عن إبراهيم: ﴿هَٰذَا رَبِّي﴾ [الأنعام: ٧٦]؛ أي: أهذا ربي.

والصحيح المعتمد: أن النبي ﷺ لم يتكلم بها، فإنَّا لو توهَّمنا أنه تكلَّم بها فلا يخلو من ثلاثة أوجه:

إمَّا أنْ تكلَّم بها من جهةِ نفسه عمداً اختياراً، وهو كفرٌ، فلا يجوز أن يُظنَّ برسول الله ﷺ ذلك، فإنه جاء داعياً إلى الإسلام ناهياً عن الكفر طاعناً في الأصنام، فكيف يمدحها؟!

وإمَّا أنْ أجرى[٤] الشيطان ذلك على لسان رسول الله ﷺ جبراً بحيث لم يَقدر على الامتناع عنه، وهذا أيضاً لا يجوز؛ لأن الشيطان لا يقدر على ذلك في حقِّ غيره؛ قال تعالى خبراً عنه: ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ﴾ [إبراهيم: ٢٢]، فكيف يقدر على ذلك في حق النبي ﷺ؟!

وإما أن يقال: وقع ذلك على لسانه سهواً وغفلة من غيرِ قصدٍ، ولا يجوز ذلك أيضاً؛ لأنه ﷺ كان أعقلَ الخلق وأعلمَهم فكيف يجوز عليه هذه الغَفلة؟! خصوصاً

---

(١) انظر: «الغريبين» (مادة: غرن)، وفيه: (الغِرنَاقُ والغِرنَوقُ والغُرَانِقُ).

(٢) في (ر) و(ف): «إلى».

(٣) ذكره الجصاص في «أحكام القرآن» (٣/ ٣٢٢).

(٤) في (ر): «وإما بإلقاء».

في حالة تبليغ الوحي، ولو جاز ذلك لبطل الاعتمادُ والتصديقُ واحتمالُ الغلط والخطأ قائم، ولأن الله تعالى قال: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ﴾ [فصلت: ٤٢]، وقال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

فبَطَلت الوجوه كلُّها، ولم يبق إلا وجهٌ واحد، وهو أن النبي ﷺ سكت عند قوله: ﴿وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ والشيطانُ حاضرٌ، فتكلَّم الشيطان بهذه الكلمات متَّصلاً بقراءة النبيِّ ﷺ، فوقع عند بعضهم أن النبيَّ ﷺ هو الذي تكلَّم بها، ويكون هذا إلقاءً في قراءة النبي ﷺ، وكان الشيطان يتكلَّم في زمن النبي ﷺ ويُسمَع كلامه؛ كما ذُكر عنه في اليوم الذي مكَروا بالنبيِّ ﷺ في دار الندوة، وإبليس ظهر يوم أحدٍ على صورة شيخ نجديٍّ ونادى: ألَا إن محمداً قد قتل، وقال[1] يوم بدر: ﴿لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٨].

وقيل: لمَّا استعجلوه بالعذاب تمنَّى أن يعجِّل الله لهم بالعذاب فأبطأ، فألقى الشيطان في أمنيَّته وساوسَ؛ كما قال: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟﴾ [يوسف: ١١٠]، وقال: ﴿وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢١٤]، وقولُه تعالى: ﴿فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ﴾؛ أي: يزيله عن القلب ﴿ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ﴾؛ أي: يُلهِمه صدقَ مواعيده.

وعلى التأويل الأول: فيُبْطِلُ الله تعالى ما تكلَّم به الشيطان؛ أي: يُظهِرُ بطلانه بالوحي بعده، ﴿ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ﴾ فيُثْبِتها[2] ويحفظها عن لحوق الزيادة من الشيطان بها.

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾: ﴿عَلِيمٌ﴾ بوقت إنزال العذاب وبقصد الشيطان ﴿حَكِيمٌ﴾ لا يدعُه حتى يكشفَه ويزيلَه.

---

(١) في (أ): «ونادى».

(٢) في (أ) و(ف): «يبقيها».

(٥٣) ـ ﴿لِّيَجۡعَلَ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ وَٱلۡقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمۡۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ﴾.

وقوله تعالى: ﴿لِّيَجۡعَلَ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ﴾: أي: نِفاقٌ.

﴿وَٱلۡقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمۡ﴾: أي: وللقاسيةِ قلوبُهم وهم الكفار، صار ذلك فتنةً لهم؛ اعتقَدوا كلام الشيطان كلامَ الله وحقَّقوا[1] شفاعتَها ونفعها.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ﴾: أي: وإن المشركين لفي خلافٍ للحق[2] بعيد عنه.

(٥٤) ـ ﴿وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤۡمِنُواْ بِهِۦ فَتُخۡبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمۡۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ﴾: أي: أُعطوا العلمَ بالله وبدِينه وبالآيات ﴿أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ أي: أنَّ نسخَ ما يُلقي الشيطان.

وقيل: أنَّ القرآنَ الحقُّ من ربك.

﴿فَيُؤۡمِنُواْ بِهِۦ﴾: أي: فيصدِّقوا به ﴿فَتُخۡبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمۡ﴾؛ أي: تلينَ وتطمئنَّ.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾: أي: لمثبِّتُهم[3] على الهدى ﴿إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾: دينِ الإسلام.

* * *

(٥٥) ـ ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي مِرۡيَةٖ مِّنۡهُ حَتَّىٰ تَأۡتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةً أَوۡ يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابُ يَوۡمٍ عَقِيمٍ﴾.

---

(١) في (ر) و(ف): «كلام النبي ﷺ وحفظوا».

(٢) في (ر) و(ف): «الحق».

(٣) في (أ): «ليثبتهم».

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ﴾: أي: في شكٍّ من إلقاء الشيطان، وقيل: من الحق.

وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ﴾: أي القيامةُ ﴿بَغْتَةً﴾: فجأةً.

﴿أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾: قيل: يومٌ لا خيرَ فيه ولا فرحَ كالريح العقيم التي لا مطر معها؛ قاله الضحاك[١].

وقيل: يوم لا ليلةَ بعده كالعقيمِ لا ولد لها[٢].

واختُلف في ذلك اليوم:

قال قتادة: هو يومُ بدر[٣]، قُتلوا فيه فلم يكن لهم بعده ليلةٌ في الحياة، والشكُّ يزول للكافر إذا مات، ويزول أيضاً بالقيامة.

وقال أيضاً سعيد بن جبير وعكرمة: هو يومُ القيامة لا ليلةَ بعدها[٤].

ومعنى الجمع بين الساعة وبينه: أن الأول ذكرُ القيامة والثاني ذكرُ عذاب يوم القيامة.

---

(١) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٣/ ٢٧٧)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٥/ ٤٤٥)، وانظر التعليق الآتي.

(٢) روي هذا القول عن الضحاك. انظر: «تفسير الطبري» (١٦/ ٦١٦)، و«غريب القرآن» لابن عزير (ص: ٣٣٧)، و«الهداية» لمكي (٧/ ٤٩٢١)، و«تفسير الثعلبي» (٧/ ٣١)، و«تفسير البغوي» (٥/ ٣٩٦)، و«الدر المنثور» (٦/ ٧٠) عن عبد بن حميد وابن أبي حاتم. ورواه عنه أيضاً ابن عدي في «الكامل» (٧/ ٢٩٣). ورواه الطبري أيضاً (١٦/ ٦١٦) عن عكرمة، وابن أبي حاتم عن مجاهد، وعبد بن حميد وابن المنذر عن سعيد بن جبير. انظر: «الدر المنثور» (٦/ ٧٠)

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٩٤٧) ثم قال: ذكره عن أبي بن كعب، ثم روى بعده برقم (١٩٤٨) عن قتادةَ قال: (بَلَغني أنَّ أُبيَّ بنَ كعبٍ كان يقول: أربعُ آياتٍ نزلت في يومِ بدرٍ هذه إحداهنَّ: ﴿يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾: يومُ بدرٍ...).

(٤) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٣٧) عن عكرمة.

وقيل: الساعة هي النفخة الأولى، وهي بموت كلِّ الخلائق، وبه تزول الشكوك، والثاني هو يوم البعث والجزاء.

* * *

(٥٦ ـ ٥٧) ـ ﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾: أي: إذا قامت القيامة فزالت غلبةُ المتغلِّبين ومعارضةُ المعاندين، وهو كقوله تعالى: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾، وقولهِ تعالى: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦].

﴿يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾: يُنزل كلَّ واحد من هذين الفريقين منزلة: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾: هذا هو(١) حكم أحد الفريقين ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾: وهذا حكم الفريق الآخر(٢).

* * *

(٥٨ ـ ٥٩) ـ ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓا۟ أَوْ مَاتُوا۟ لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٥٨﴾ لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓا۟ أَوْ مَاتُوا۟ لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾: في الجنة ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾: هو تخصيصُ قوم من الفريق الأول، وهو خير المعطين لأنه لا يعطي أحدٌ عطاءه في الكثرة والجلالة والدوام وزوالِ الشوائب.

---

(١) «هو» زيادة من (أ).

(٢) في (ر) و(ف): «الفريقين الآخرين».

وقوله تعالى: ﴿لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥ﴾: الجنة، وهذا وصف لها بكلِّ[١] جميل؛ لأن ما وقع موقع الرضا فقد كمل.

وقرأ نافع: ﴿مَدْخَلاً﴾ بفتح الميم، وهو موضع الدخول، وقرأ الباقون بضمها[٢]، وهو موضع الإدخال.

﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ﴾: بأحوال المهاجرين ﴿حَلِيمٌ﴾ بتأخير العذاب عن المشركين.

(٦٠) ـ ﴿۞ ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِىَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِىَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ﴾: أي: ذلك الموعود للمهاجرين كما أعلمناكم به، ولهم مع ذلك أنِّي أنصرهم في الدنيا على مَن بغَى عليهم.

وقال مقاتل: التقَى جماعة من المشركين بجماعة من المؤمنين وقد بقي من المحرَّم يومان، فقال المشركون بعضُهم لبعض: إن أصحاب محمد لا يقاتلون في الشهر الحرام فتعالَوا نشدُّ[٣] عليهم ونقتلهم، فلما اضطرَّهم المشركون قاتلوهم وغلبوهم، ثم حدَّثوا أنفسهم مهتمِّين بما صنعوا في الشهر الحرام، فنزلت الآية وعذَرهم الله تعالى[٤].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾: يعفو عنهم ويغفر لهم.

* * *

(٦١) ـ ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾.

---

(١) في (ر): «وصف لكل».

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٤٣٩)، و«التيسير» (ص: ٩٥).

(٣) في (ف): «في الشهر المحرم فنشد» وفي (ر): «في الشهر الحرام فقالوا نشد».

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ١٣٥).

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾: أي: ذلك الذي أخبرتُكم أني فاعلُه هو بأني قادر على ما أشاء؛ أُدخل الليلَ في النهار وأُدخل النهار في الليل بنقصان أحدهما وزيادة في الآخر، وبأني أنا السميع للأصوات والبصير للمبصَرات لا يخفى عليَّ شيء، ولا يخفى عليَّ المطيع من العاصي، والمؤمنُ من الكافر، والمهاجر من القاعد، ومتبع الشيطان من المخالِف، فلكلٍّ واحد جزاءٌ مني على وَفْق عمله لا أعجز عنه.

(٦٢) - ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾: أي: ما ذكرتُه من آيات قدرتي بأني أنا الله المستحِقُّ للإلهية، ومَن كان إلهاً حقًّا كان قادراً على كلِّ شيء، مصرِّفاً كلَّ شيء على ما أراد.

﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ﴾: قرأ نافع وابن عامر بتاء المخاطبة، والباقون بياء المغايبة[١].

﴿هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾: أي: الأصنامُ خاليةٌ عن هذه الصفات، فبطَل وصفُها بالإلهية.

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ﴾: أي: العالي على كلِّ شيء بالقهر والسلطان، دون توهُّم المكان.

﴿ٱلْكَبِيرُ﴾: بالجلال والقدرة والكمال.

* * *

(٦٣) - ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾.

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٤٤٠)، و«التيسير» (ص: ١٥٨). وقراءة ابن كثير وأبي بكر مثل نافع وابن عامر.

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾: أي: ألم تعلم ـ استفهام بمعنى التقرير ـ أن الله أنزل من السماء ماء وهو المطر.

﴿فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً﴾: أي: فتصيرُ بالنبات خضراءَ، فمَن قدر على هذا قدر على إنشاء الأجسام وعلى إحياء الموتى[1] وعلى كلِّ شيء.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ﴾: عالم ببواطن الأشياء ﴿خَبِيرٌ﴾ بظواهرها.

وقيل: ﴿لَطِيفٌ﴾: بارٌّ بخلقه ﴿خَبِيرٌ﴾ عالمٌ بمصالحهم.

* * *

(٦٤) ـ ﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾.

قوله تعالى: ﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾: ملكاً وخلقاً ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِىُّ﴾: المستغني عن ذلك كلِّه ﴿ٱلْحَمِيدُ﴾: المحمودُ على جميع الأفعال، المنزَّهُ عن صفات الذم.

وقيل: أي: المستحِقُّ للحمد وإنْ ضلَّ عن حمده الضالُّون.

* * *

(٦٥) ـ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ﴾: وهذا بيانُ مِنَّتِه بتسخير ما في الأرض من الحيوان وغيرِه لنا مما بنا حاجةٌ إليه في معاشنا[2]، فلا أصلب من الحجارة والحديد، وقد ذلَّلهما لنا نتخِذُ منهما ما نريد.

---

(١) في (أ): «الأموات».

(٢) في (أ): «إليه من معايشنا».

﴿وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى﴾: أي: وأنَّ الفلك، أو يكونُ عطفاً على قوله: ﴿مَّا فِى ٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: سخَّرها لكم تجري[1].

وقوله: ﴿فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ﴾: أي: بتسخيره وتصييره إياها كذلك علَّمكم صنعتها لتقطعوا بها المسافات البعيدةَ في المدة القريبة.

وقوله تعالى: ﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ﴾: أي: يمنعها عن الوقوع ﴿عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ﴾؛ أي: بإرادته وتَخْلِيَته، فتقعُ إذا لم يمسكها.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾: فلِرأْفته ورحمته هيَّأ لهم هذا كلَّه.

* * *

(٦٦) ـ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ﴾.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ﴾: وكنتُم مُضَغاً وعَلَقاً وعظاماً، ولولا إحياؤه لكنتُم جماداً، فعل بكم ذلك وسخر لكم هذا كلَّه ليمتحنكم بالشكر.

﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾: لآجالكم ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ للحساب والجزاء.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ﴾: للنعم في الغالب ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣].

* * *

(٦٧) ـ ﴿لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ ۖ فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ فِى ٱلْأَمْرِ ۚ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ﴾.

وقوله تعالى: ﴿لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ﴾: قال ابن عباس رضي الله عنهما: أي: عيداً[2].

(١) «تجري» ليست في (أ).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٦٢٦).

وقال مجاهد وقتادة: أي: متعبَّداً في إراقة الدم بمنًى وغيره(١).

وقيل: هو جمع العبادات، وأصل النُّسُك: العبادةُ، والناسك: العابد، والمتنسِّك: المتعبِّد. ويطلق(٢) على الحج لأنه منها، وعلى القربان كذلك لذلك.

قيل: لمَّا نبَّه الله تعالى على قدرته وعلمه، وعلى أنه الإله الحقُّ، ووعد قبل ذلك مَن جاهد في دينه النصرَ(٣) بعد أن أذن لهم في القتال وأمرهم بالهجرة= أمر رسولَه ﷺ بالجدِّ(٤) في الدعاء إلى الدين، وعرَّفه وجه معاملتهم والاحتجاجِ عليهم، فقال: ﴿لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ﴾؛ أي: شَرَعْنا لكلِّ أمة خلت(٥) ضرباً من العبادة هم متنسِّكون به مأخوذون(٦) عليه، وهو كما قال: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨].

وقوله تعالى: ﴿فَلَا يُنَازِعُنَّكَ﴾: أي: فليس لأحد من بقايا تلك الأمم منازعتُك(٧) ﴿فِي ٱلْأَمْرِ﴾؛ أي: فيما تَأمر به أمتَك من الشرائع؛ إذ قد كانت لهم شرائع يخالفُ بعضها بعضاً، فكذا هذه الشريعة، فإنْ خالفَتَ تلك الشرائع فليس لهم منازعتُك فيها.

وقوله تعالى: ﴿وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾: أي: إلى دينِ ربك ﴿إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ﴾؛ أي: دلالةٍ على سبيلِ رشدٍ.

---

(١) رواه عنهما الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٦٢٦ ـ ٦٢٧). ورواه عن قتادة أيضا عبد الرزاق في «تفسيره» (١٩٤٩).

(٢) في (ف): «وهو مطلق».

(٣) في (أ): «بالنصر»، وفي (ف): «له النصر».

(٤) في (ر) و(ف): «يأخذ».

(٥) في (ر): «لكل منهم».

(٦) في (أ): «ماضون»، وفي (ف): «ما موصول»

(٧) في (أ): «فليس أحد... ينازعك».

(٦٨ ـ ٦٩) ـ ﴿وَإِن جَـٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾ ٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِن جَـٰدَلُوكَ ﴾: ليُدْحِضوا بباطلهم حقَّك فلا تمارِهم.

﴿فَقُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾: من الكفر، والجدال بالباطل، والتعنُّتِ بعد ظهور الحجة.

قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾: فيجزي المحِقَّ على حقِّه والمبطِلَ على باطله.

وقيل: ولكلِّ أمةٍ جعلنا موضعَ قربانٍ يتقرَّبون بذلك إلى الله تعالى، فأهلُ المِلَل معترفون[1] بذلك، فليس لهم منازعتُك فيما أتيتهم به من الذبائح لاتِّفاقهم على شرعة الماضين[2]، فلا معنى لمنازعتهم إياك في ذبائح مكة، ﴿وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ﴾؛ أي: إلى طاعته فيما أمر به من الحج والنحر، فهذا الجدال على هذا كان من أهل الكتاب المنكِرين فضلَ مكة وكونَ الكعبةِ قبلةً.

وقيل: هو جدال المشركين المذكورُ في قوله: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَـٰدِلُوكُمْ ﴾ [الأنعام: ١٢١] وهو قولهم: تأكلون مما أمتُّم ولا تأكلون مما أماته الله تعالى.

وقال الزجاج: ﴿فَلَا يُنَـٰزِعُنَّكَ فِى ٱلْأَمْرِ ﴾؛ أي: فلا تنازعنَّهم، وهو مستقيمٌ في كلِّ فعلٍ يكون بين اثنين ونهي أحدهما نهي الآخر، تقول: لا يخاصِمَنَّك فلان؛ أي: لا تخاصمنَّه[3]، وإنما نهى عنه لأنهم ما كانوا يجادلونه لطلبِ الحق بل للتعنُّت.

* * *

---

(١) في (ف) و(ر): «متقربون».

(٢) في (ر) و(ف): «على شرعها».

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٤٣٧).

(٧٠) ـ ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾: فلا يخفى على الله شيء من حالِ المجادِلين وتجرُّئهم[1] على ذلك يوم الدين.

وقوله: ﴿إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ﴾: أي: كلُّ ما في السماء والأرض فهو مكتوب في أمِّ الكتاب عنده قبل خَلْقهما.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾: أي: إثباتُه في الكتاب سهلٌ عليه لا يَلحقُه فيه مؤنةٌ كما يَلحق كَتَبَةَ الخلق.

وقيل: أي: الحكمُ بينهم يوم القيامة يسيرٌ لا يَلحقه ما يَلحق قضاةَ الخلق من الحاجة إلى استنباطِ وجه الحكم ونحوِ ذلك.

وقيل: نزلت الآية في بُدَيلِ بن وَرْقاءَ الخزاعيِّ وبشرِ بن سفيان ويزيد بن خُنيسٍ من بني الحارث بن عبد مناف بن تميم، قالوا لأصحاب رسول الله ﷺ: ما لكم تأكلون ما تقتلون بأيديكم ولا تأكلون ما يقتله الله تعالى؟! فنزل: ﴿فَلَا يُنَازِعُنَّكَ فِي الْأَمْرِ﴾[2].

وقال القشيري رحمه الله: جعل لكلِّ فريق شرعةً هم واردوها، ولكلِّ جماعةٍ طريقةً هم سالكوها، ومقاماً هم سكَّانه، ومحلًّا هم قُطَّانه، ربط كلًّا بما هو أهلٌ[3]

---

(١) في (ف): «وتحزبهم».

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ٣٣)، والبغوي في «تفسيره» (٣/ ١٨١). وروى الطبري في «تفسيره» (٩/ ٥٢٣) عن عكرمة: أن ناساً من المشركين دخلوا على رسول الله ﷺ فقالوا: أخبرنا عن الشاة إذا ماتت من قتلها؟ فقال: «الله قتلها»، قالوا: فتزعم أن ما قتلت أنت وأصحابك حلال، وما قتله الله حرام؟ فأنزل الله: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ [الأنعام: ١٢١].

(٣) في (أ) و(ف): «بما أهّله»، وفي (ر): «بما هو أهله»، والمثبت من «اللطائف».

له، وأوصَل كلًّا إلى ما جعله محلَّه، فبساطُ التَّعبُّد موطوءٌ بأقدام العابدين، ومَشاهد الاجتهاد معمورةٌ بأصحاب الكُلَف من المجتهدِين، ومجالسُ أصحاب المعارف مأنوسةٌ بلزوم العارفين، ومنازل المحبِّين مأهولةٌ[1] بحضور الواجدين[2].

* * *

(٧١) ـ ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَـٰنًا وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ عِلْمٌ ۗ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَـٰنًا﴾: أي: حجةً؛ لأنهم يعبدون ما لا يَضرُّ ولا ينفع، ولا يبصرُ ولا يسمع، وهذا ما لا حجةَ لأحد في عبادته، ولو كانت في ذلك حجةٌ لأنزلها الله تعالى في كتابه.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ عِلْمٌ﴾: أي: يعبدون ذلك مقلِّدين آباءهم من غيرِ علم بذلك.

قوله: ﴿وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾: وهذا وعيد لهم؛ أي: وإذا نزل بهم عذابُ الله في الدنيا والآخرة لم يكن لهم منه مانعٌ.

(٧٢) ـ ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا بَيِّنَـٰتٍ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ ۖ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِنَا ۗ قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ۗ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا بَيِّنَـٰتٍ﴾: أي: وإذا قرئ على هؤلاء الذين يعبدون الأوثان كتابُنا الذي جعلنا آياته أعلاماً للناس إلى ما بهم إليه حاجةٌ، ووجدوها

---

(١) في هامش (أ): «أو معمورة»، والمثبت موافق لما في «اللطائف».

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٥٥٩).

واضحاتٍ لا لَبْس فيها ولا موضعَ اعتراضٍ، وعجزوا عن معارضته ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنكَرَ﴾؛ أي: التغيُّر لسماعه والكراهةَ والاغتياظَ لتاليه.

﴿يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا﴾: أي: يبطشون بهم ويَثِبُون عليهم.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ﴾: أي: بأكرهَ من سماع القرآن عندكم.

وقيل: ﴿بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ﴾؛ أي: بأشرَّ[1] وأغلظ.

﴿النَّارُ﴾: أي: ذلك هو النار ﴿وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ وأنتم منهم ﴿وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾؛ أي: وبئس المرجعُ النارُ.

* * *

(٧٣) ـ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ ۚ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ﴾: ينتظِم بقوله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾ يقول: يأيها الناس جُعل لي مَثَلٌ؛ أي: مِثْلٌ، وهو كالشَّبَه والشِّبْه[2]؛ أي: جَعَل الكفار لي الصنمَ مِثْلاً[3].

---

(١) في (ر) و(ف): «أشر».

(٢) في (ر) و(ف): «أي تمثل وهو كالشبه والتشبيه».

(٣) في (ر) و(ف): «شبيها». وهذا الوجه من التفسير قال نحوه أيضاً الأخفش في «معاني القرآن» (٢/ ٤٥٢)، ونقله الطيبي في حاشيته على «الكشاف» المسماة «فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب» (١٠/ ٥٣٠) عن المؤلف في «تفسيره» هذا، ثم تعقبه بقوله: في جعل (ضُرِبَ) بمعنى: جُعِل هذا له، عدولٌ عن الظاهر، وخرمٌ للنظم الفائق؛ فإن قوله تعالى: ﴿ضُرِبَ مَثَلٌ﴾ مُجملٌ بُيِّنَ بقولِه تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ وقولَه: ﴿فَاسْتَمِعُوا لَهُ﴾ تقريرٌ لما يُراد من الإبهام والتبيين، من توخِّي التفطن لما يُتلى بعد المجمل، وتطلُّب إلقاء الذهن، ويؤيده تصديرُ الآية بقوله: =

﴿فَاسْتَمِعُوا لَهُ﴾: أي: استمعوا له[1] حالَ ما شبَّهوه بي؛ لتَقِفوا على جهلهم.

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾: أيها المشركون؛ أي: تَدَّعونهم آلهة، وقيل: أي: تعبدونها.

وقوله تعالى: ﴿لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا﴾: أي: لن يقدروا على خلقِ ذبابٍ مع صغره وذلِّه[2] ﴿وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ﴾ مع كثرتهم.

وقوله تعالى: ﴿وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا﴾: أي: ولو استَلَب الذباب من هذه الأصنام شيئاً ﴿لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ﴾؛ أي: لا يقدروا على أن يخلِّصوه منه، وجَزْمُه بكونه جزاءَ الشرط، والجمع بالواو والهاء والميم وهي لا تعقل لِمَا أنهم أنزلوها في هذه منزلةَ العقلاء؛ كما قلنا[3] في قوله: ﴿وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ [يوسف: ٤].

وقوله تعالى: ﴿ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾: ضعفَ الصنمُ الذي سلبه الذباب شيئاً فصار طالباً عند الذباب ما أخذه منه، والمطلوب الذبابُ ثبت عليه ما سلب، وتوجَّه إليه[4] الطلب.

وقيل: معناه على هذا: ضَعُفَ كلُّ واحد منهما، فلا فرقَ بين مَن عبد هذا أو ذاك، بل الذباب أقرب إلى القوة والعزة[5] من الصنم الذي لا يَدفع سلبَ الذباب عنه.

= ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾، وتذييل المثل بقوله تعالى: ﴿مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾، وتعليله بقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾.

وحكاه الآلوسي في «روح المعاني» (١٧/ ٤١٠) عن الأخفش، ثم استبعده بقوله: والحق الذي لا ينكره إلا مكابر: أن تفسير الآية بما حكي فيه عدول عن الظاهر.

(١) «أي: استمعوا له» ليس في (أ).

(٢) في (ر) و(ف): «وقلته».

(٣) «قلنا» زيادة من (أ).

(٤) في (ر) و(ف): «عليه».

(٥) في (ر) و(ف): «والعدة».

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أن المشركين كانوا يلطخون أصنامهم بالعسل في كلِّ سنة مرةً، ويغلقون أبواب البيوت، فيدخل الذباب من[١] الكُوى فيأكل ذلك العسل، فإذا رأوا ذلك قالوا: أكلت آلهتُنا العسل[٢].

فعلى هذا: الطالبُ الذباب والمطلوبُ الصنم[٣].

قال ابن كيسان وابن زيد: كانوا يُحَلُّون الأصنام بالجواهر واليواقيت، فربما سقط منها واحد فيأخذها طائر أو ذباب، فلا تقدر الآلهةُ على استردادها، فالطالب في هذا القول الطائر والذباب والمطلوب الصنم[٤].

وقيل: هذا منقطِعٌ عن الأول وهو الذباب، ومعناه: ضعُفَ الطالب من بني آدم حاجةً إلى الصنم والراجي منه نفعاً أو شفاعةً؛ إذ صار يؤمِّل جماداً لا يدفع ولا ينفع، وضعف الصنم المطلوب منه الحاجةُ، وهو معنى قول الضحاك: ضعف العابد والمعبود[٥]، كانوا يطلبون في عبادتهم الثواب ما وصلوا إليه[٦].

* * *

(٧٤) - ﴿مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾: أي: ما عظَّموه حقَّ عظمته، وقيل: ما وصفوه حقَّ صِفَته.

---

(١) في (أ): «في».

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ٣٤).

(٣) رواه عن ابن عباس الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٦٣٦) مختصراً بنحو هذا، ولفظه: ﴿ضَعُفَ الطَّالِبُ﴾ قال: آلهتهم ﴿وَالْمَطْلُوبُ﴾: الذباب.

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ٣٤).

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ٣٤)، والواحدي في «البسيط» (١٥/ ٥٠١)، والبغوي في «تفسيره» (٥/ ٤٠٠).

(٦) قوله: «ما وصلوا إليه» ليس في (أ).

قال الفرَّاء: هو كما تقول في الكلام: ما عرفتُ لفلانٍ قَدْرهُ(١).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ﴾: على خَلْق ما يشاء من صغيرٍ وكبيرٍ ﴿عَزِيزٌ﴾؛ أي: منيع(٢) لا يقدر أحدٌ أن يسلب من ملكه شيئاً.

وقيل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ﴾ أي: بيِّن مثلٌ لعبادة الكفار الأصنامَ، ثم لم يبيِّنه في هذه السورة، وبيِّن في قوله: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ﴾ [العنكبوت: ٤١].

وقيل: ما ذكر هاهنا مَثَلٌ أيضاً تقديره: يا أيها الناس مَثَلُكم مَثَلُ مَن عبَد آلهةً اجتمعت لأنْ تخلقَ ذباباً فلم تقدر عليه، وإنْ سلَبها الذباب شيئاً لم تستنقذه منه(٣).

***

(٧٥) ـ ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا﴾: أي: يختار منهم رسلاً يُوحي على ألسنتهم كجبريل وميكائيل ونحوهما.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ أيضاً رسلاً، منهم محمد ﷺ لتبليغ ما في هذه السورة وسائر رسالاته.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾: عالمٌ بكلِّ شيء، فهو يعلم مواضع الاختيار والاصطفاء، قال تعالى: ﴿وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الدخان: ٣٢].

***

(٧٦) ـ ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢٣٠).

(٢) في (ف): «ممتنع».

(٣) في (أ): «فسلبها الذباب شيئاً فلم يستنقذوه منه»، بدل: «وإن سلبها الذباب شيئاً لم تستنقذه منه».

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾: قبل خلقهم ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾؛ أي: بعد أنْ خلَقهم.

وقال الكلبي: ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ من أمر الآخرة ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ من أمر الدنيا.

وقيل على عكسه.

وقوله تعالى: ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾: أي: إلى علمه وتدبيره.

وقيل: إلى الله ترجع الأمور في الآخرة فيَجزي كلًّا بما عمِله، وهو تحريضٌ[١] على طاعة الرسل وقبولِ ما يؤدُّون.

* * *

(٧٧) ـ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا﴾: أي: صلُّوا ودُوموا عليها، وخصَّ الركوع والسجود بالذكر من بين أفعالها لأنهما هما المقصودان والأصلان في التذلُّل والخشوع الذي لذلك شُرِعت.

قوله تعالى ﴿وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾: يقول: اقصدوا بالخدمة وأفرِدوا[٢] بالعبادة ربَّكم، لا كما يفعلُه هؤلاء المشركون من عبادة الأصنام الذين جُعِلوا لله شبيهاً[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَافْعَلُوا الْخَيْرَ﴾: أي: ما هو محمودٌ في عقولكم: من العدل والإحسان وإيتاء ذي القربى ونحوها.

﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾: على رجاء الفلاح، والتعليقُ بالرجاء لاحتمالِ الخلل الذي يقع فيها.

---

(١) في (أ) و(ف): «تحريك».

(٢) في (أ): «وأفردوا»، وفي (ف): «وأوردوا».

(٣) في (أ) و(ف): «شبهاً».

(٧٨) ـ ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ﴾.

وقوله تعالى ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾:

قيل: أي: استفرِغوا جهدكم في إحياء دين الله تعالى.

وقيل: جاهدوا أنفسَكم وردُّوها عن الهوى واتِّباعِ الشهوة.

وقيل: وجاهدوا الشيطان في رد وساوسه.

وقيل: وجاهدوا الكفار.

وإطلاقه يصلح لتناول الكلِّ ﴿حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾[1] وهو بلوغ أقصاه.

وقيل: هذا في الائتمار بأوامره، وقولُه تعالى: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ [آل عمران: ١٠٢] في الانتهاء بنواهيه.

قوله: ﴿هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ﴾: أي: اختاركم[2] للذب عن دينه والجهادِ مع أعدائه.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖ﴾: أي[3]: ضِيق، وإن كان أمَر بالجهاد فلا تضييق فيه، ولذلك أزال الحرج في الجهاد عن الأعمى والأعرج، وعادمِ النفقة والراحلةِ، والذي لا يأذن له أبواه[4]، ثم هكذا كلُّ أمور الدين.

---

(١) «حق جهاده» زيادة من (أ).

(٢) بعدها في (أ): «قيل أي».

(٣) في (أ): «من».

(٤) في (أ): «أبوه».

وقوله تعالى: ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾: نصب على الإغراء؛ أي: الْزَموا ملة أبيكم إبراهيم.

﴿هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ﴾: أي: اللهُ شرَّفكم بهذا الاسم.

وقوله تعالى: ﴿مِن قَبْلُ﴾: أي: من قبل أن يبعث محمداً ﷺ؛ لأنه كان سمَّى مَن اتَّبع ملة إبراهيم حنيفاً مسلماً ﴿وَفِي هَٰذَا﴾ أي: القرآن.

وقيل: ﴿مِن قَبْلُ﴾؛ أي: في اللوح المحفوظ.

وقيل: ﴿هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ﴾؛ أي: إبراهيمُ؛ لقوله: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾ [البقرة: ١٢٨].

وقيل: أي: ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ﴾ خطابٌ للعرب؛ لأنه أبوهم في النسب.

وقال الحسن: هو خطابٌ لكل الأمة، وهو أبوهم ملةً، وحرمتُه عليهم كحرمة الأب، وكذلك في[١] الشفقة، وهما[٢] كما قال الله تعالى في حق نبيِّنا محمد ﷺ: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ [الأحزاب: ٦][٣].

وقوله تعالى: ﴿لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ﴾: أي: في القيامة بأنكم قبِلتُم ما أتى به، وظهرت بذلك عدالتُكم، وصرتُم[٤] شهداءَ ﴿عَلَى النَّاسِ﴾ للأنبياء على أممهم[٥] بتبليغهم إليهم الرسالة.

---

(١) «في» ليس من (أ) و(ف).

(٢) «وهما» ليس من (ف).

(٣) ذكره بنحوه الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ٣٦).

(٤) في (أ) و(ف): «وتكونوا».

(٥) في (أ): «الأمم».

﴿فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾: دُوموا على ذلك، والصلاة تذلُّل لله تعالى، والزكاة مواساةٌ لضعفاء[1] عباد الله.

وقوله تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ﴾: أي: تقوَّوا[2] بالتوكُّل على الله.

وقيل: تعلَّقوا بدين الله.

وقيل: امتَنِعوا عن أعدائكم بالله.

﴿هُوَ مَوْلَىٰكُمْ﴾: أي: متولِّي أموركم ومصالحِ دينكم ودنياكم، وقيل: وليُّكم، وقيل: ناصركم.

قوله تعالى ﴿فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ﴾: لأن مَن تولَّاه لم يَضِعْ بحال[3].

وقوله تعالى: ﴿وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾: فإن مَن نصره لم يُخذل بحال.

وقال القشيري رحمه الله: المجاهدة على أقسام:

مجاهدةٌ بالنفس: وهي أن لا يدخر ميسوراً إلا بذله في طاعته.

ومجاهدةٌ بالقلب: وهي صَونه عن الخواطر الرديَّة؛ مثلِ الغفلة عنه والعزمِ على مخالفته.

ومجاهدةٌ بالمال: وهي بذلُ المال والجودُ والإيثارُ في حق خليقته.

وقال: ﴿هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ﴾ ومِن حق اجتبائه إياكم أن تعظِّموا أمر[4] مولاكم.

---

(١) في (ر) و(ف): «الضعفى».

(٢) في (ر): «ثقوا»، وفي (ف): «قفوا».

(٣) في (ف): «له حال».

(٤) في (ر) و(ف): «أمور».

وقال: عَلِم قبلَ خلقك ما يكون منك، ولم يمنعه ذلك من اجتبائك[١]، فلا يمنعه ما يكون منك من العصيان عن مغفرتك[٢].

وقال: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ﴾: بالتبرِّي من الحول والقوة، والافتقارِ والاستعانة.

وقال: ﴿فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ﴾ إخبار عن عظمته ﴿وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ إخبار عن رحمته.

قال: وقال تعالى لسليمان وأيوب: ﴿نِعْمَ ٱلْعَبْدُ﴾ [ص: ٣٠][٣] وقال لنا: ﴿نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ وهذا أرجى لنا وأطيبُ لقلوبنا[٤].

والحمد لله رب العالمين

والصلاة على محمد خاتم المرسلين، واختم لي يا مولاي بالإيمان مع المؤمنين[٥]

* * *

---

(١) في (ف): «عن إحسانك». وفي «اللطائف»: (من أن يجتبيك).

(٢) في (ف): «مغفرته».

(٣) قال في أيوب: ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص: ٤٤]، وقال في سليمان: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص: ٣٠].

(٤) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٥٦٤ ـ ٥٦٦).

(٥) في (أ): «اللهم إني أعوذ بك من شر كل شر، وارزقني خلق كل ذي خير، ونجنا من القوم الظالمين، برحمتك يا أرحم الراحمين».

وفي (ف): «والصلاة والسلام على خاتم المرسلين، وآله وصحبه أجمعين، واختم لي بالإيمان مع المؤمنين».

بدل: «والصلاة على محمد خاتم المرسلين، واختم لي يا مولاي بالإيمان مع المؤمنين».

التيسير في التفسير

تأليف الإمام

أبي حفص النسفي

نجم الدين عمر بن محمد بن أحمد النسفي الحنفي

٤٦١ - ٥٣٧هـ

يطبع أول مرة محققاً على ثلاث نسخ خطية

تحقيق وتعليق

ماهر أديب حبوش

المجلد الحادي عشر

دار اللباب

بسم الله الرحمن الرحيم

التيسير

في

التفسير

(١١)

حُقُوق الطّبْع محفُوظَة

الطبعَة الأولى
١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م

يُمنع طباعةُ هذا الكتاب أو ترجمته أو تصويرُه ورقياً أو إلكترونياً
إلا بإذن خطي من الدار الناشرة
تحت المُساءلة الدُّنيوية والأُخروية

9 786052 279311

دار اللُّباب
للدراسات وتحقيق التراث
DAR-ALLOBAB
Lubab Yazma Eserleri İhya ve İlmi Araştırma Yayınları

بيروت - لبنان
009615813966
0096170112990
Www.allobab.com

اسطنبول - تركيا
00905454729850
00902125255551
info@allobab.com

İskenderpaşa mh. Kıztaşı cd. No:7 D:5 Fatih (Özel Fatih Hastanesi Karşısı)

سُورَةُ المُؤْمِنُونَ

سُورَةُ المؤمنون

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

بسم الله الذي خلق الإنسان من سلالةٍ من طين، الرحمنِ الذي يرزق البرَّ والفاجر وهو خير الرازقين، الرحيمِ الذي يغفر ويرحم وهو خير الراحمين.

ورَوى أبي بن كعب رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «مَن قرأ سورة المؤمنين بشرته الملائكةُ بالرَّوح والريحان وما تَقَرُّ عينُه عند نزول ملَك الموت»(١).

وهذه السورة مكيةٌ، وهي مئة وثماني عشرةَ آيةً، وقيل: تسعٌ، الاختلاف في قوله: ﴿ثُمَّ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ﴾ [المؤمنون: ٤٥].

وكلماتها ألفٌ وثماني مئة وأربعون(٢)، وحروفُها أربعةُ آلاف وثلاثُ مئة وسبعةٌ وتسعون(٣).

وانتظام أول هذه السورة بآخر سورة الحج: أنه قال: ﴿وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [الحج: ٧٧] وقرَّر ذلك ببقيَّة السورة حيث أمَر بالمجاهَدة

---

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ٣٧)، وإسناده واه كما في «بصائر ذوي التمييز» (١/ ٣٢٢). وانظر: «الفوائد المجموعة» للشوكاني (ص: ٢٩٦).

(٢) في جميع النسخ: «ألف وثمانية وأربعون»، والمثبت من «البيان في عد آي القرآن» للداني (ص: ١٩١)، و«تفسير الثعلبي» (٧/ ٣٧).

(٣) في المصدرين السابقين: «أربعة آلاف وثماني مئة وحرفان».

فيها حقَّ المجاهدة[١]، ومدحهم، وافتتح هذه السورة بذكر ذلك الفلاحِ وتفاصيلِ العبادة ومدحهم بها.

وانتظامُ السورتين: أن هذه السورة مشتمِلة على ذكر صفات المؤمنين، ومُحاجَّةِ الكافرين، والترغيبِ والترهيب للغافلين[٢]، وكذلك تلك السورة.

***

(١ ـ ٢) ـ ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾: قال ابن عباس رضي الله عنهما: قد فاز بما رجا وأمن مما خاف المؤمنون[٣].

وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾: قيل: متذلِّلون، وقيل: خائفون، وقيل: ساكنون.

وقيل: الخشوع في الصلاة: سكونُ الأطراف، وتركُ الالتفات، والاشتغال بها عما يَشغل عنها.

ورُوي: أن النبي ﷺ رأى رجلاً يَعبثُ بلحيته في الصلاة، فقال: «أمَا إن هذا لو خشع قلبه لخشعت جوارحه»[٤].

---

(١) «حق المجاهدة» من (ف).

(٢) في (أ): «للعالمين».

(٣) في (أ): «مما يخاف المؤمنون». وذكره عن ابن عباس الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٤٥) بلفظ: المفلحون الذين أدركوا ما طلبوا ونجوا من شر ما منه هربوا.

(٤) ضعيف مرفوعاً، وقد تقدم تخريجه مفصلًا في أوائل سورة البقرة عن تفسير قوله تعالى: ﴿وَيُقِيمُونَ الصَّلَوٰةَ﴾.

قال أبو العالية: بلغني أن الله تعالى لمَّا خلق الجنة أذِن لها في الكلام، فكان أولَ ما نطقت به أن قالت: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ الآيات، فأنزل الله تعالى بها[1] قرآناً[2].

وقال عمر رضي الله عنه: كان النبي ﷺ إذا نزل عليه الوحي سُمع عند وجهه دويٌّ كدوي النحل، فمكثنا ساعةً، فاستقبل القبلةَ ورفع يديه وقال: «اللهمَّ زِدْنا ولا تَنْقُصنا، وأكرِمْنا ولا تُهِنَّا، وأعطنا ولا تَحْرِمنا، وآثِرْنا ولا تُؤْثِرْ علينا، وأَرْضِنا وارْضَ عنا» ثم قال: «قد نزلت عليَّ عشر آياتٍ مَن أقامهنَّ دخل الجنة»، ثم قرأ علينا: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ إلى قوله: ﴿خَالِدُونَ﴾[3].

وعن ابن سيرين قال: كان النبي ﷺ إذا قام إلى الصلاة يرفع رأسه إلى السماء، حتى نزلت هذه الآية: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ إلى قوله: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ فخفض رسول الله ﷺ بصره، ونظر إلى موضع سجوده[4].

---

(١) في (ف): «فأنزلها الله» بدل من «فأنزل الله تعالى بها».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٦)، بلفظ: لما خلق الله الجنة قال: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ فأنزل به قرآناً.

(٣) رواه الترمذي (٣١٧٣)، والنسائي في «الكبرى» (١٤٤٣)، والحاكم في «المستدرك» (١٩٦١).
قال النسائي: هذا حديث منكر، لا نعلم أحداً رواه غير يونس بن سُليم، ويونس بن سُليم لا نعرفه.
وقال الحاكم: صحيح الإسناد، وتعقبه الذهبي بقوله: سئل عبد الرزاق عن شيخه ذا (يعني يونس بن سليم) فقال: أظنه لا شيء.

(٤) رواه الحاكم في «المستدرك» (٣٤٨٣) من طريق محمد بن سيرين عن أبي هريرة رضي الله عنه، وقال: صحيح على شرط الشيخين لولا خلاف فيه على محمد، فقد قيل عنه مرسلاً. وقال الذهبي: الصحيح مرسل.
والمرسل رواه عبد الرزاق في «المصنف» (٣٢٦١)، وأبو داود في «المراسيل» (٤٥)، والطبري في «تفسيره» (١٧/ ٧)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٢/ ٢٨٣) وقال: هذا هو المحفوظ مرسل.

وقال مجاهد: الخشوع: خشية القلب، وغضُّ البصر، وخفضُ الجَناح، وكان الرجل من العلماء إذا صلى هاب الرحمنَ أن يمدَّ[١] بصره إلى شيء أو يحدِّثَ نفسه بشيء من شأن الدنيا[٢].

وقال القشيري رحمه الله: الخشوع في الصلاة: إطراق السرِّ على بساط النجوى باستكمال نعت الهيبة، والذوب تحت سلطان الكشف، والانمحاء عند غلَبات التجلِّي.

وقوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾؛ أي: قد أدرك ثمراتِ القُرْب وفاز بكمال الأُنس مَن وقف على بساط النجوى بنعت الهيبة ومراعاةِ آداب الحضرة، ولا يكمل الأنس بلقاء الحبيب إلا عند فَقْدِ الرقيب، وأشدُّ الرقباء وأكثرهم تنغيصاً للقُرْب النفسُ، ولا راحة للمصلِّي مع حضور[٣] نفسه، فإذا حبَس عنه نفسَه، وشاهِدُه عدمُ إحساسِه بآفةِ نفسه، طاب له العيش، وتمت له النُّعمى، وتعجَّلت له البشرى[٤].

* * *

(٣ ـ ٤) ـ ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (٣) وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ﴾:

قال ابن عباس رضي الله عنهما: هو الحَلِف الكاذب[٥].

---

(١) في (أ) و(ف): «يشد».

(٢) رواه يحيى بن سلام في «تفسيره» (١/ ٣٩٢)، والمروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (١٣٨)، والطبري في «تفسيره» (٤/ ٣٨٢)، وأبو نعيم في «الحلية» (٣/ ٢٨٢).

(٣) في (ف): «حظوظ».

(٤) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٥٦٧).

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ٣٩)، والواحدي في «البسيط» (١٥/ ٥٢٢).

وقال مقاتل: هو الشتم والأذى[١].

وقال الحسن والضحاك: هو الباطل[٢].

وقيل: هو ما لا يُجدي خيراً.

﴿مُعْرِضُونَ﴾: أي: لا يشغلون أنفسهم به.

وقيل: جملة الفضول وما لا يَحسن من القول والفعل.

وقال القشيري رحمه الله: ما شغل عن الله فهو سَهْو، وما ليس لله فهو حَشْو، وما ليس بمسموع من[٣] الله أو بمقولٍ مع الله[٤] فهو لَغْو، وما فيه حظٌّ للعبد فهو لَهْو[٥].

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَـٰعِلُونَ﴾: أي: مؤدُّون.

* * *

(٥ ـ ٦) ـ ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَـٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَـٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ﴾: قال الفرَّاء: أي: إلا من أزواجهم[٦]؛ أي: زوجاتهم.

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ١٥٢).

(٢) ذكره يحيى بن سلام في «تفسيره» (١/ ٣٩٣) عن الحسن والسدي، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ١١) عن ابن عباس رضي الله عنهما. وروى عن الحسن قوله: (عن المعاصي)، وكذا ذكره عن الحسن الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ٣٩)، والماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٤٦)، والواحدي في «البسيط» (١٥/ ٥٢٢).

(٣) في (أ): «عن».

(٤) في (ر): «أو مقول مع الله»، وسقطت من (ف)، وفي «اللطائف»: (أو بمعقول مع الله).

(٥) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٥٦٧).

(٦) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢٣١).

قوله: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ﴾: أي: إماؤهم.

وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾: أي: لا لومَ عليهم إن لم يحفظوا فروجهم من[1] نسائهم وإمائهم، فهذا حلالٌ وما وراء هذا حرام.

* * *

(٧ ـ ٨) ـ ﴿فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝٧ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَـٰنَـٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ﴾: أي: طلب قضاء شهوةٍ من غير هاتين ﴿فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ﴾: أي: المتعدُّون حدودَ الله.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَـٰنَـٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ﴾: قرأ ابن كثير: ﴿لأمانَتِهم﴾[2] والمراد بها الجنس، وهذا يشتمِل على حقوق الله تعالى وحقوقِ عباده، قال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ﴾ الآية [الأحزاب: ٧٢].

وقيل: هي العبادات وما ائتمن[3] الله عباده عليه من فرائضه وشرائعه، وأماناتُ الخلق ظاهرةٌ وهي داخلةٌ فيها، فالعهدُ يقع على ما يوثِّق الله تعالى فيه على عباده بأن يقوموا به، قال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ٩١] ويقع على النذور والأيمان أيضاً، وعلى عهود الخلق فيما بينهم.

وقوله تعالى: ﴿رَٰعُونَ﴾؛ أي: حافظون جميع ذلك.

وقال القشيري رحمه الله: الأمانات مختلفة: فأمانة قومٍ الوظائفُ بظواهرهم،

---

(١) في (أ) و(ف): «عن».

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٤٤٤)، و«التيسير» (ص: ١٥٨).

(٣) في (ف): «يئتمن».

وأمانةُ آخرين اللطائف[1] في سرائرهم، وأمانةُ قوم معاملاتُهم، ولآخرين[2] منازَلاتهم، ولآخَرين مواصلاتهم، وكذلك عهودهم متفاوتةٌ: فمنهم مَن عاهَده أن لا يعبد سواه، ومنهم مَن عاهده على أن لا يَقصد سواه، ومنهم مَن عاهده على أن لا يَشهد في الكونين سواه[3].

* * *

(٩ ـ ١١) ـ ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ ﴾: قرأ حمزة والكسائي: ﴿على صلاتهم﴾ والباقون: ﴿عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ﴾[4].

﴿يُحَافِظُونَ﴾: أي: يداومون في أوقاتها على شرائطها ومراعاةِ حدودها وحقوقها ومعانيها.

وقال القشيري رحمه الله: لا تصادفُهم أوقاتها وهم[5] غيرُ مستعدين لها، ولا يدعوهم المنادي إليها[6] وليسوا بالباب، فهم في الصف الأول بظواهرهم، وكذلك في الصف الأول بسرائرهم[7].

---

(١) في (ف): «الوظائف».

(٢) في (ر): «معاملتهم وآخرين».

(٣) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٥٦٨).

(٤) انظر: «السبعة» (ص: ٤٤٤)، و«التيسير» (ص: ١٥٨).

(٥) «وهم» من (أ).

(٦) في (ر): «لها». ولم ترد في مطبوع «اللطائف».

(٧) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٥٦٨).

قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ (١٠) الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ﴾: أي: الواجدون ثمراتِ أعمالهم.

والفردوس: الجنة بلسان الحَبَش.

وقال السدي: هو البساتين عليها[1] الحيطانُ بلسان الروم[2].

وقال مجاهد: فردوس جبل في الجنة من أصله تتفجَّر أنهارها[3].

وروى سمرة بن جندب عن رسول الله ﷺ أنه قال: «الفردوس ربوةُ الجنة العليا، وهي أوسطها وأحسنها»[4].

وقوله تعالى: ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾: لا يموتون فيها ولا يخرجون عنها.

وقال القشيري رحمه الله: الإرثُ على حسب النسب[5]، والنسبُ في استحقاق وعد الجنة بالإيمان في الأصل، ثم الطاعاتِ في الفضل، واستحقاقُ الإرث على تفاوتٍ في السُّهمان وبالفرض والتعصيب، كذلك في الطاعات فمنهم ومنهم[6].

ثم إن الله تعالى وعد الفلاحَ بالإيمان والطاعات في أول السورة، ونفى الفلاحَ

---

(١) في (ف): «البستان عليه» بدل من «البساتين عليها».

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ٤٠). ورواه الطبري (١٧/ ١٦) عن مجاهد قال: الفردوس بستان بالرومية. وروى ابن أبي حاتِم كما في «الدر المنثور» (٥/ ٤٦٨) عن السّديّ قال: الفردوس هو الكَرم بالنبطية، وأصله: فرداسا.

(٣) رواه بنحوه البخاري (٢٧٩٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، والترمذي (٢٥٣٠)، وابن ماجه (٤٣٣١)، من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٤٣٥ و٤٣٦)، والطبراني في «الكبير» (٦٨٨٥) و(٦٨٨٦).

(٥) في (أ) و(ر): «السبب». والمثبت من (ف) و«اللطائف».

(٦) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٥٦٩).

بالكفر في آخر هذه السورة: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾، ولولاه لوقع عند العصاة أن الفلاح إذا كان بالإيمان مع الطاعات وفاتت الطاعات فات الفلاح، فسكَّن قلوبهم وذكر أن عدم الفلاح بالكفر لا بالمعاصي.

* * *

(١٢ ـ ١٣) ـ ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ ﴾: بيَّن في هذه الآية ابتداءَ[1] خلقِ الإنسان، وذكر أن آخرَه الموت ثم البعثُ للجزاء، وهو تحريكٌ على الإيمان والطاعات التي بها ينالون الفردوس.

يقول: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ ﴾[2] الآدميَّ ﴿مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ﴾: أي: من طينةٍ مستلَّةٍ من كلِّ تربةٍ؛ لأن آدم عليه السلام خُلق منها فكان أصلاً لأولاده، فجاز أن يضاف خلقُهم إليها إذا كان أصلهم مخلوقاً منها.

وقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ ﴾: أي: الإنسانَ، وهو ولدُ آدم بعد أن كان أصله الطين ﴿نُطْفَةً﴾ في أصلاب الآباء وأرحام الأمهات، فقذفه من الصُّلب حالة الالتقاء إلى رحم المرأة.

﴿فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾: هو[3] الرَّحِم؛ أي: في مقرٍّ مكينٍ لذلك؛ أي: هُيِّئ له.

وقيل: معناه: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ﴾ الآدميَّ ﴿مِن سُلَٰلَةٍ﴾؛ أي: من نطفةٍ مسلولةٍ ﴿مِّن

---

(١) «ابتداء» ليست في (ف).

(٢) «الإنسان» ليست في (أ).

(٣) في (ف): «هو التقاء».

طِينٍ﴾؛ أي: مخلوقةٍ من طينٍ وهو آدم؛ لأن النطفة سلَّت منه، والسُّلالة تقع على النطفة، قال تعالى: ﴿ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴾ [السجدة: ٨]، وتقديره: ولقد خلقنا الإنسان من سلالةِ آدم؛ قال الشاعر(١):

هلِ ابنُكَ إلا مِن سلالةِ آدمٍ ... لكلٍّ على حوضِ المنيَّة مَوردُ(٢)

وقيل(٣): ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ ﴾؛ أي: آدم ﴿مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ﴾؛ أي: من طينٍ إذا قُبِض عليه انسلَّ من بين الأصابع.

وقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ ﴾؛ أي: جعلنا ولده ﴿نُطْفَةً﴾، فأضمَر واختصَر هاهنا وبسَطه في موضع آخر فقال: ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ۝٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ﴾ [السجدة: ٧ـ٨].

والنطفة: المنيُّ، والنطفة: الماء القليل، ونَطَفَت القِرْبة(٤)؛ أي: قَطَرت.

* * *

(١٤) ـ ﴿ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾.

﴿ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً ﴾: أي: نقلنا النطفةَ فجعلناها علقةً؛ أي: دماً غليظاً.

قوله تعالى: ﴿فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً ﴾: أي: نقلنا العلقة فجعلناها قطعةَ لحم.

---

(١) في (أ): «شعر» بدل: «قال الشاعر».

(٢) أنشده رجل لعمر بن عبد العزيز عند وفاة ابنه عبد الملك. انظر: «عيون الأخبار» (٣/ ٦٢)، و«التعازي والمراثي» للمبرد (ص: ٧٨)، و«ربيع الأبرار» (٥/ ١٤٣).

(٣) «وقيل:» ليس من (ف).

(٤) بعدها في (ف): «مرطاً».

قوله ﴿فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا﴾: قرأ عاصم في رواية أبي بكر وابنُ عامر: ﴿عظماً﴾ ﴿**فكسونا العظم لحماً**﴾ على الواحد موافقةً لِمَا قبلها[١]، وقرأ الباقون: ﴿عِظَٰمًا﴾ ﴿فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا﴾ كذلك[٢]؛ لأن الوجود كذلك.

أخبر أنه تعالى خلق الإنسان درجةً فدرجةً، إلى أن صارت النطفة التي هي كالماء عظماً بما أَبْدع فيها عَرَضاً بعد عَرَضٍ.

قوله تعالى ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾: أي: نفَخْنا فيه الروح فصار روحانياً حيواناً[٣] بعد أن كان جماداً.

وقيل: هو نبات الشعر.

وقيل: هو تصريفُه إياه بعد الولادة في الطفولية وما بعدها.

وقال ابن عمر رضي الله عنهما: ﴿خَلْقًا ءَاخَرَ﴾ هو استواءُ الشباب[٤].

وقيل: هو جعله[٥] ذكراً أو أنثى.

وقوله تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾: قيل: تَعَظَّم. وقيل: دامت نعمُه وبركاته على خلقه. وقيل: **تعالى**.

وقيل: هو دوام بقائه؛ أي: المصوَّرون والمقدَّرون ليسوا بهذه الصفة، ولذلك قال بعده:

---

(١) في (ف): «لما تقدمه».

(٢) «كذلك» زيادة من (أ). وانظر: «السبعة» (ص: ٤٤٤)، و«التيسير» (ص: ١٥٨).

(٣) في (ف): «بروحنا حيواناً»، وفي (ر): «روحانياً نباتاً حيوانياً».

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ٤٢)، والواحدي في «تفسيره» (١٥/ ٥٤١)، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٢٤) عن مجاهد.

(٥) في (ر) و(ف): «خلقه».

(١٥ ـ ١٦) ـ ﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ (١٥) ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾.

﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ﴾: أي: والبقاءُ للخالق دونكم.

وقوله تعالى: ﴿أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾؛ أي: أحسن المقدِّرين؛ قال زهير:

ولأنــتَ تَفْــرِي مــا خَلَقْــتَ وبعــ ـــعضُ القـومِ يخلـقُ ثم لا يفـري[1]

وقال تعالى: ﴿أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ [السجدة: ٧]؛ أي: خلَقه محكَماً يصلح لِمَا أُريد له.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ﴾: أي: بعد نفخ الروح فيكم ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾؛ أي: للجزاء بالأعمال؛ إذ خلقتكم[2] للتعبُّد فاعلموا أنكم لم تُخلقوا عبثاً؛ كما قال في آخر السورة: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾ [المؤمنون: ١١٥].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: كان عبد الله بن سعدِ بنِ أبي سرحٍ أخاً لعثمان من الرضاعة، وكان يكتب لرسول الله ﷺ، فإذا أَملى عليه: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ كتب ﴿سَمِيعًا بَصِيرًا﴾، وإذا أملى عليه ﴿سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ كتب ﴿رؤوفاً رحيماً﴾، فكان رسول الله ﷺ يملي عليه هذه الآية، فلما بلغ قوله: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾ خطر بباله: فتبارك الله أحسنُ الخالقين، فلما قال رسول الله ﷺ: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ قال عبد الله: إن كنتَ نبياً يوحَى إليك فأنا نبيٌّ يوحى إليَّ، فارتد ـ والعياذ بالله[3] ـ ولحق بمكة كافراً[4].

---

(١) انظر: «ديوان زهير» (ص: ٩٤).

(٢) في (أ): «خلقتم».

(٣) «والعياذ بالله» زيادة من (أ).

(٤) ذكره الفراء في «معاني القرآن» (١/ ٣٤٤)، والثعلبي في «تفسيره» (٤/ ١٧٠)، والماوردي في =

= «النكت والعيون» (٢/ ١٤٤)، والبغوي في «تفسيره» (٣/ ١٦٩)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٣/ ٨٦)، والزمخشري في «الكشاف» (٢/ ٤٥).

وهذه القصة قد وردت في أكثر التفاسير، وهي باللفظ الذي ذكره المؤلف مردودة سنداً ومتناً، أما السند فقد صرح بعض من ذكرنا أنها من رواية أبي صالح عن ابن عباس، وآخرون أنها من رواية الكلبي عن ابن عباس، فتكون من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، والكلبي متروك، وأبو صالح لم يسمع من ابن عباس، فالخبر ساقط لا يحتج به.

وله طريق آخر رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٤٠٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٤٦) من طريق أسباط عن السدي، وهذا أيضاً ضعيف لإرساله، وأسباط هو ابن نصر قال عنه الحافظ في «التقريب»: صدوق كثير الخطأ يغرب.

وأما متناً ففيه نكارة عظيمة في قوله: فإذا أملى عليه: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ كتب ﴿سَمِيعًا بَصِيرًا﴾، وإذا أملى عليه ﴿سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ كتب ﴿رؤوفاً رحيماً﴾، بل زاد بعضهم: (فيقول له النبي ﷺ: هما سَوَاء)، فكيف يعقل أن يترك النبي ﷺ ما أنزل الله عليه ويعدل إلى كلام ابن أبي سرح فيثبته بدلاً عن كلام الله؟! وهل من بهتان أعظم من هذا البهتان، أم هل من سبيل لأعداء المسلمين في طعنهم على هذا الدين والتشكيك به أحسن من هذا السبيل؟! وأعجب من ذلك كيف يورد أئمة كبار كالطبري وابن أبي حاتم والماوردي والبغوي وابن الجوزي هذه القصة ويسكتوا عليها.

لكن وردت هذه القصة بسياق آخر ليس فيه ما تقدم من النكارة، فقد ذكرها أبو الليث السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٤٧٦)، والثعلبي في «تفسيره» (٧/ ٤٣)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢٢٠)، والرازي في «تفسيره» (٢٣/ ٢٦٦)، بألفاظ متقاربة، وفيها: أن ابن أبي سرح كان يكتب هذه الآيات للنبي ﷺ، فلما انتهى إلى قوله: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾، عجب من ذلك فقال: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ فقال النبيّ ﷺ: «اكتب هكذا أُنْزِلَتْ» فشك عند ذلك... إلخ.

فهذا ليس فيه ذلك المحذور الذي قدمناه، ومع قد ذلك فقد رده بعض العلماء، فقال أبو الليث عقبه: وقد قيل: إن الحكاية غير صحيحة، لأن ارتداد عبد الله بن أبي سرح كان بالمدينة، وهذه الآية مكية. وكذا قال ابن كمال باشا في «تفسيره» عند هذه الآية: وهذه الرِّواية غيرُ صحيحة؛ لأنَّ السُّورةَ مكيَّةٌ، وارتداده كان بالمدينة على ما اعترف به الرَّاوي. =

وقال القشيري رحمه الله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ﴾ عرَّفهم أصلهم كي لا يُعجبوا بفعلهم.

وقيل: عرَّفهم نسبتهم[١] لئلا[٢] يخرجوا عن حدِّهم، ولا يغلطوا في أنفسهم.

وقيل: بسط عذرهم عند الكافة، فإن المخلوق من سلالة ماذا ينتظر منه؟

وقيل: خلقه من طين لكنَّ القَدْر للتربية لا للتُّربة.

وقيل: ﴿سُلَٰلَةٍ﴾ ولكنها معدن العرفان وموضع المحبَّة ومتعلَّق العناية، وكذلك قال[٣]: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤].

﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً﴾؛ أي: قطرةً أجزاؤها متماثلة، وأبعاضُها متشاكلة، ثم جعل بعضَها لحماً، وبعضَها عظاماً، وبعضها شعراً، وبعضها ظفراً، وبعضها عصَباً،

= وقد نقل الآلوسي رحمه الله التوفيق بين كون السورة مكية والقصة وقعت في المدينة فقال في «روح المعاني» (١٨/ ٣٨): وطعن بعضهم في صحة هذه الرواية بأن السورة مكية وارتداده بالمدينة كما تقتضيه الرواية، وأجيب: بأنه يمكن الجمع بأن تكون الآية نازلة بمكة واستكتبها ﷺ إياه بالمدينة فكان ما كان، أو يلتزم كون الآية مدنية لهذا الخبر، وقوله: إن السورة مكية، باعتبار الأكثر.

قلت: وأصل القصة رواه أبو داود (٤٣٥٨)، والنسائي (٤٠٦٩)، ولفظه: (عن ابن عباس قال: كان عبد الله بن سعد بن أبي سرح يكتب لرسول الله ﷺ، فأزله الشيطان، فلحق بالكفار، فأمر به رسول الله ﷺ أن يقتل يوم الفتح، فاستجار له عثمان بن عفان، فأجاره رسول الله ﷺ).

فهذا القدر من القصة ليس فيه إشكال، وقد قال الطبري (٩/ ٤٠٧): ولا تمانُع بين علماء الأمة أن ابن أبي سرح كان ممن قال: إني قد قلت مثل ما قال محمد، وأنه ارتدّ عن إسلامه ولحق بالمشركين.

(١) في (ف): «تسميتهم». وفي «اللطائف»: (نسبهم).

(٢) في (أ): «كيلا».

(٣) في (أ) و(ر): «ومن قال». وعبارة «اللطائف»: (ويقال: خلقهم من سلالة، ولكنّ معدن المعرفة، ومرتع المحبة، ومتعلق العناية منه لهم، قال تعالى).

وبعضها جلداً، وبعضها مخًّا، وبعضها عِرْقاً، ثم خصَّ كلَّ عضوٍ بهيئةٍ مخصوصة، وكلَّ جزء بكيفيةٍ معلومةٍ.

﴿ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾ يحتمِل: مِن سمعٍ وبصرٍ، وفكرٍ وغضبٍ، وإرادةٍ وقدرةٍ، وعلمٍ وكتابة، وحَذَاقة وملاحة، وشجاعة وجُبن، وحِقد وحَرَد، إلى غير ذلك من الأوصاف التي يتقاصر عنها الحصر.

وقيل: هو أن هيَّأهم لأحوالٍ عزيزةٍ يُظهرها عليهم بعد بلوغهم إذا استووا وحصَل لهم كمال التمييز من فنون الأحوال، فلقومٍ تخليص من رِبْقة العبودية[1]، ولقومٍ تحرُّرٌ من رقِّ البشرية، ولآخرين تحقُّقٌ بالصفات الصَّمدية.

﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾: خلق السماوات والأرضين والعرشَ والكرسيَّ، مع سائر المخلوقات من الجنة بزينتها ومن النار بأهوالها، وأخبر عنها ولم يعقِّبها بهذا التمدُّح الذي ذكر بعد ذكر[2] خلقه بني آدم؛ تخصيصاً لهم.

وقيل: لما ذكَر نعتكَ وتاراتِ حالك، ولم يكن لك لسانُ شكر ينطق[3]، ولا بيان مدح ينطلِق[4]، ناب عنك بالثناء على نفسه، فقال: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾.

ثم قال: ﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ﴾:

آخِرُ الأمر ما ترَى … اللحدُ والقبرُ والثرى

---

(١) في (أ): «فلقوم ربقة العبودية» وليست في (ر) و(ف)، وفي مطبوع «اللطائف»: (فلقوم تخصيص بزينة العبودية)، ولعل المثبت هو الصواب.

(٢) «ذكر» زيادة من (ف).

(٣) في (ف): «منطلق».

(٤) في (ر) و(ف): «ينطق».

كسَر على أهل الغفلة سطوةَ غفلتهم، وفلَّ دونهم سيفَ صولتهم[١]، بقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ۝١٥ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴾[٢].

***

(١٧) ـ ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ ﴾: ثم بيَّن أنه خلَق ما به قِوَام معايشهم، وما يتوصلون به إلى أداء ما عليهم.

قال الفرَّاء: ﴿سَبْعَ طَرَآئِقَ﴾: سبعَ سماوات كلُّ سماءٍ طريقةٌ[٣]، سميت بها لأن بعضها فوق بعضٍ، من قولهم: طارَقَ بين الشيئين: جعل أحدهما فوق الآخر.

وقيل: سميت بها لأنها طرائق ملائكته[٤] للنزول والصعود.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ ﴾: أي: عما يحتاجون إليه في إقامة مصالحهم.

***

(١٨) ـ ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ﴾: الآيات في بيان خلقِ ما يحتاجون إليه.

وقيل: ما كنا غافلين عما يفعله الخلق من الشكر على هذه الأنعام ومن كفران

---

(١) في (أ): «وفل دونهم شي دولتهم»، وفي (ر) و(ف): «وقل دونهم سيئ صولتهم». والمثبت من «اللطائف».

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٥٦٩ ـ ٥٧١).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢٣٢).

(٤) في (أ): «ملائكة».

ذلك، وعلى هذا ﴿كُنَّا﴾ زائدة، وتقديره: ولسنا عن الخلق غافلين، كما في قوله: ﴿كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ [مريم: ٢٩]، وقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ﴾ [المؤمنون: ١٨]؛ أي: بمقدارٍ ما علمناه كافياً لهم، مُصلحاً لغلّاتهم، عائداً بمنافع معايشهم.

﴿فَأَسْكَنَّٰهُ فِي ٱلْأَرْضِ﴾: في العيون ونحوها ﴿وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ﴾؛ أي: على إذهابه ورفعه عن[1] الأرض وتغويرِ العيون، فلا يبقى لكم ما تشربونه وتسقونه دوابَّكم وزروعَكم وجناتِكم، تهلكون عطشاً ﴿لَقَٰدِرُونَ﴾ لأن القادر على إنشاء الشيء قادر على إفنائه، يعرِّفهم منَّته في إنشائه وإبقائه[2].

* * *

(١٩) ـ ﴿فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾.

﴿فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ﴾: أي: بهذا الماء ﴿جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ﴾:

قيل: أي: من الرُّطَب والعنب.

وقيل: ﴿فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ﴾ من الجنات سوى هذين.

﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾: قيل: من الفواكه.

وقيل: من الجنات؛ من حبوبها قُوتاً[3]، وتتفكَّهون من فواكهها، وجمَعَ الأطعمة والفاكهة في الذكر.

* * *

(١) في (ر) و(ف): «ودفقه على».

(٢) في (ر): «وإفنائه».

(٣) «قوتاً» ليس من (أ).

(٢٠) ـ ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاءَ تَنبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْآكِلِينَ﴾.

قوله تعالى ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاءَ﴾: عطفٌ على ﴿جَنَّٰتٍ﴾؛ أي: وأنشأنا بهذا الماء شجرةَ الزيتون من طور سيناء، قال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد: أي: من جبل البَرَكة[1].

وقال قتادة والضحاك: أي: جبلٌ حسن[2].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: هو كثير الشجر، وهو الجبل الذي نودي منه موسى عليه السلام[3].

وقيل: هو فَيْعالٌ من السَّنا؛ أي: الرِّفعة.

وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو بكسر السين، والباقون بفتحها[4].

وخُصت هذه الشجرة بالذكر للعبرة؛ لأنها لا يراعيها أحدٌ بسقيٍ وغيره وتخرج[5] الثمرةَ التي منها الدُّهن الذي تَعظُم به الفائدةُ وتَكثُر المنفعة.

وقوله تعالى: ﴿تَنبُتُ بِالدُّهْنِ﴾: قرأ ابن كثير وأبو عمرو بضم التاء، والباقون

---

(١) ذكره عنهما بهذا اللفظ الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٥٠)، والواحدي في «تفسيره» (١٥/ ٥٤١)، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٢٩) عن ابن عباس بلفظ: هو جبل بالشام مبارك. وعن مجاهد بلفظ: ﴿طُورِ سَيْنَاءَ﴾: المبارك.

(٢) رواه عنهما الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٢٩ ـ ٣٠).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٣٠) دون قوله: «هو كثير الشجر»، وهذا اللفظ رواه الطبري عن معمر عمن حدثه.

(٤) انظر: «السبعة» (ص: ٤٤٤)، و«التيسير» (ص: ١٥٩).

(٥) في (ف): «لأنها لا يرى عندها من به علة إلا شفي وتخرج»، وفي (ر): «إلا تخرج» وسقط ما بينهما.

بفتحها[١]، ووجه الفتح: أن الفعل يتعدَّى[٢] بالباء، ووجه الضم: أنه متعدٍّ والباء زائدة.

ومعنى إنباتِ الدهن: إنباتُ ثمرِ الدُّهن، وهو كعصر الخمر: عصرُ ما يصير من خارجه الخمرُ.

وقيل: ﴿تَنۢبُتُ بِٱلدُّهۡنِ﴾؛ أي: تنبتُ هي ومعها الدُّهن؛ كما يقال: جاء فلان بالسيف؛ أي: ومعه السيف، ومعنى: معها الدهنُ؛ أي: في ثمرها ما إذا استُخرج[٣] كان دهناً.

﴿وَصِبۡغٖ لِّلۡأٓكِلِينَ﴾: أي: إدامٍ يُصْطَبَغ به، والصِّبغ: هو الدُّهن، وإنما أدخل[٤] الواو لاجتماع معنيين في الزيت: معنى الادِّهان، ومعنى الاصطباغ، وتقديره: تَنبت بما يُنتفع به انتفاعَ الدُّهن من الاستصباح[٥] والتداوي والادِّهان، ويُنتَفع به انتفاعَ الإدام بالضم إلى الطعام.

وخصَّ النخيل والأعناب والزيتون هاهنا لأن العرب في الحجاز كانوا يرون هذه الأشياء، وذكرُ إخراجِ هذه الشجرة من طور سيناء تعريفٌ ببركتها، فإن هذا الجبل مباركٌ، وقد قال في صفة الزيتون: ﴿شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ﴾[٦] [النور: ٣٥].

* * *

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٤٤٥)، و«التيسير» (ص: ١٥٩).

(٢) في (ر): «معدى».

(٣) بعدها في (ر) و(ف): «بما ينتفع به انتفاع».

(٤) في (ف): «دخل».

(٥) في (ف): «تنبت بالدهن من الاستصباغ»، وفي (ر): «تنبت بالدهن للاستصباح».

(٦) في (أ) و(ف): «زيتونة مباركة» بدل: «﴿شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ﴾».

(٢١) ـ ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً﴾: أي: ما تعتبِرون به؛ أي: تستدلُّون به على قدرة الله تعالى وعجيب صُنعه[1].

وقوله تعالى: ﴿نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا﴾: قرأ نافع وابن عامر وعاصم في رواية أبي بكر بفتح النون من السَّقي، والباقون بضمها من الإسقاء[2]، وهما واحد؛ يقول: نخرج لكم من بطونها لبناً سائغاً خالصاً من بينِ فرثٍ ودم.

﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ﴾: سوى الألبان، وهي منافع الأصواف والأوبار والأشعار والجلود وغيرها.

وقوله تعالى: ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾: وهي لحوم[3] الأزواج الثمانية وشحومُها ونحوها.

* * *

(٢٢ ـ ٢٣) ـ ﴿وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ (٢٢) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَعَلَيْهَا﴾: أي: وعلى الأنعام في البر ﴿وَعَلَى الْفُلْكِ﴾؛ أي: وعلى السفن في البحر ﴿تُحْمَلُونَ﴾ في أسفاركم؛ كما قال: ﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ﴾ الآية [النحل: ٧].

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ﴾: ذكر بعد بيان بدءِ الخلق أنه هيَّأ لهم

---

(١) في (أ): «صنيعه»، وفي (ف): «صنعته».

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٤٤٥)، و«التيسير» (ص: ١٣٨).

(٣) في (ر) و(ف): «لحمان».

أسباب القيام بما لأجْله خلقَهم؛ من إتمام ما يقوم به المعاش، ومواترةِ الرسل لبيان ما به تُعُبِّدوا، وبدأ بقصة شيخ الأنبياء نوحٍ صلوات الله عليه فقال: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾.

﴿فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾: أي: وحِّدوه وأطيعوه ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾؛ أي: اتَّقوا.

* * *

(٢٤) ـ ﴿فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ﴾.

﴿فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ﴾: أي: الأشراف فمن دونهم: ﴿مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ أنكروا كونَ الرسول من البشر، واختصاصَه بالرسالة من بينهم مع تساويهم في البشرية، وقالوا:

﴿يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ﴾: أي: يريد أن يكون ذا فضلٍ وعلوٍّ في المنزلة عليكم.

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ﴾: أي: أن لا يُعبد غيره ﴿لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً﴾ للدعاء إلى ذلك، لا بشراً مثلنا.

﴿مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا﴾: أي: بما يدعونا إليه نوحٌ من التوحيد وتركِ الشرك ﴿فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ﴾.

* * *

(٢٥ ـ ٢٦) ـ ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ﴾.

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ﴾: أي: جنون، ولو كان عاقلاً ما ادَّعى الرسالة؛ لأن من المحال عندنا بعثُ البشر رسولاً.

﴿فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّى حِينٍ﴾: أي: هو مجنون فلا تعجِّلوا بعقوبته، بل دعوه إلى مدةٍ، فإما أن يموت أو يرجعَ عن هذا أو تفعلوا به ما شئتم.

وقوله تعالى: ﴿رَبِّ انْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ﴾: أي: انتقِمْ لي[1] منهم واحفظني من شرهم.

وقيل: ﴿انْصُرْنِي﴾ بتحقيق قولي لهم في العذاب أنه نازل بهم ﴿بِمَا كَذَّبُونِ﴾ من العذاب الذي أنذرتهم به إن لم يؤمنوا.

وقال هذا حين أَيِس من إيمانهم حين أُوحي إليه: ﴿لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ﴾ [هود: ٣٦].

* * *

(٢٧) ـ ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ﴾: أي: أجبنا دعاءه وأرسلنا إليه رسولاً من السماء: ﴿أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾؛ أي: اتخذِ السفينة بمرأًى منا وبما نوحي[2] إليك من صفتها، وبعث إليه جبريل عليه السلام حتى علمه ذلك.

---

(١) في (ف): «أمني» بدل: «انتقم لي».

(٢) في (ر) و(ف): «ومما أوحينا».

وحقيقة قوله: ﴿بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾؛ أي: واعلم أنا حافظون لك ومُوحون إليك بما تحتاج إليه في إتمامه.

وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا﴾: أي: عذابنا بأمرنا.

وقوله تعالى: ﴿وَفَارَ التَّنُّورُ﴾ ذكرنا الأقاويل فيه في سورة هود.

وقوله تعالى: ﴿فَاسْلُكْ فِيهَا﴾: أي: فأدخل في الفلك ﴿**مِن كلِّ زوجين اثنين**﴾؛ أي: من كلِّ ذكرٍ وأنثى من الحيوانات ذكراً وأنثى[1]، أراد أن لا ينقطع نسلها.

قال قتادة والحسن: لم يحمل نوح في السفينة إلا ما يلد ويبيض، وأما البقُّ والذباب والدود فلم يحمل معه شيئاً منها إنما يخرج هذا من الطين.

وقرأ عاصم في رواية حفص: ﴿مِن كُلٍّ﴾ بالتنوين ﴿اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ﴾[2] أي: من كلِّ صنفٍ فردين ذكراً وأنثى.

وقوله تعالى: ﴿وَأَهْلَكَ﴾: أي: وأدخل أهلك أيضاً وهم نساؤه وأولاده ﴿إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ﴾؛ أي: بالهلاك، فلا تُدخله الفلك.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾: أي: ولا تسألني نجاةَ الذين كفروا والإذنَ بالإدخال[3] في السفينة فإني أغرقُهم في الطوفان.

* * *

(٢٨) - ﴿فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾.

---

(١) «ذكراً وأنثى» ليس في (ف).

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٤٤٥)، و«التيسير» (ص: ١٢٤).

(٣) في (أ): «بالدخول».

وقولـه: ﴿فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ﴾: قـال أبو عبيـدة: أي: في الفلك[1]؛ أي: تمكَّنْتُـم عليها راكبين.

قوله: ﴿فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: أي: من عذابهم.

وقيل: هو أمرٌ بالحمد على إهلاكهم، ففي هلاكهم نجاة المؤمنين.

* * *

(٢٩) ـ ﴿وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا﴾: قرأ عاصم في رواية أبي بكر بفتح الميم وكسر الزاي، والباقون بضم الميم وفتح الزاي[2]. وبالفتح: النزول، وموضعُ النزول، وبالضم: الإنزال، وموضع الإنزال، ويَصلح كلُّ واحد منهما مراداً.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ﴾: تكفي مَن أنزلتَه كلَّ ما به إليه حاجةٌ، وغيرُك لا يتهيَّأ له ذلك.

وقيل: أُمر بهذا الدعاء أن يقوله إذا نزل.

وقيل: أُمر بأن يدعو به وهو في السفينة يلتمس وجود ذلك إذا نزل.

ومعنى ﴿أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا﴾: اجعله نزولاً[3] تُتابعُ به الخيراتِ عليَّ وعلى مَن معي حتى يَكثر أتباعُنا في الدين، فأجاب ذلك فقال: ﴿يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ﴾ [هود: ٤٨].

---

(١) انظر: «مجاز القرآن» (٢/ ٥٧).

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٤٤٥)، و«التيسير» (ص: ١٥٩).

(٣) في (ر) و(ف): «نزلًا».

وقال القشيري: الإنزال المبارك: أن يكون لله وبالله وعلى شهود الله[1]، من غير غفلةٍ عن الله، ولا مخالفةٍ لأمر الله[2].

* * *

(٣٠) ـ ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ﴾: أي: في ذلك الاقتصاص لعلاماتٍ على الحق يُعرف بها وجوبُ متابعة الأنبياء واستحقاقِ العقوبة على مخالفتهم، وأن الله تعالى لا يعذِّب إلا بعد انتهاء الحجة، وأنَّ مَن فعل فعْلَهم جُوزي جزاءَهم.

وقوله تعالى: ﴿وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ﴾: له وجهان في اللغة: وما كنا إلا مُبْتلين، وقد كنا مُبْتلين.

قال قتادة: أي: ابتلى الله الناس قبلكم وكشفه[3]؛ أي: لم يزل الله يبتلي الأمم ليظهر المطيع من العاصي، فمَن أطاع نجا ومَن عصى هلك، وقوله تعالى: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٦٢].

وقيل: ﴿وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ﴾ مِن بعد قوم نوح كما ابتليناهم.

وقيل: أي: إرسال الرسل إلى الأمم كان للابتلاء.

* * *

(٣١ ـ ٣٣) ـ ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴿٣١﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ﴾.

---

(١) «وعلى شهود الله» زيادة من (أ).

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٥٧٦).

(٣) رواه عبد بن حميد وابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» (٦/ ٩٧).

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٣١﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾: ولم يسمه.

قيل: هو صالح، وقيل: هو هود، عليهما السلام.

وقوله تعالى: ﴿أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾: أي: أرسلناه إليهم بهذا.

﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾: أي: البعثِ ولقاءِ ما وَعد الله في الآخرة.

﴿وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾: أي: ووسَّعنا عليهم ونعَّمناهم.

وقوله تعالى: ﴿مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ﴾: أي: يحتاج إلى غذاءٍ يقيمه كما تحتاجون أنتم، ولو كان نبيًّا لكان ملكاً[1] مستغنياً عن هذا.

* * *

(٣٤ ـ ٣٥) ـ ﴿وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٣٤﴾ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ﴾: أي: الانقيادُ للمِثْل والرضا بأنْ نكون دونه خسرانٌ.

وقوله تعالى: ﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ﴾: خبر (أنَّ) المذكورةِ أولاً قولُه: ﴿مُّخْرَجُونَ﴾ و(أنَّ) الثانيةُ مكرَّرةٌ للتأكيد.

وقيل: ﴿أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ﴾ جملةٌ تامةٌ جُعلت خبراً للأول، وهو كقوله: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ﴾ [التوبة: ٦٣].

ومعناه: ﴿أَيَعِدُكُمْ﴾ هذا المدَّعي للنبوة ﴿أَنَّكُمْ﴾ بعد أن تصيروا تراباً وعظاماً باليةً لا لحومَ عليها ولا جلود تُخرَجون من قبوركم أحياءً[2]؟ وهذا استفهام بمعنى الإنكار.

---

(١) «ملكاً» ليس من (ف).

(٢) «أحياء» زيادة من (أ).

(٣٦ ـ ٣٧) ـ ﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ۝٣٦ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ﴾: أي: بعيد بعيد هذا الموعودُ؛ أي: هو مما لا يكون.

وقوله تعالى: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾: أي: ما الحياةُ إلا هذه الحياةُ القربى التي نحن فيها.

﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾: قيل: هذا[1] على التقديم والتأخير: نحيا مدةً ونموت بعد ذلك ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ بعد الموت.

وعلى التقدير على النظم معناه: يموت بعضنا ويحيا بعضنا.

* * *

(٣٨ ـ ٤٠) ـ ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ ۝٣٨ قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ ۝٣٩ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾: أي: ما هذا الذي يدَّعي الرسالة إلا رجل كذَب على الله ﴿وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ﴾: بمصدقين.

قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ ۝٣٩ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ﴾ أي: فأوحى الله إليه: عن قريب ـ وهو القليل من الزمان، و(ما) صلةٌ ﴿لَيُصْبِحُنَّ﴾ قومك؛ أي: ليصيرُنَّ ﴿نَادِمِينَ﴾ على تكذيبهم إياك إذا أخذهم العذاب، ولا تنفعُهم الندامة.

* * *

---

(١) في (أ): «هو». وسقطت من (ف).

(٤١ ـ ٤٢) ـ ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً فَبُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٤١) ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا آخَرِينَ﴾.

قوله تعالى: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ﴾: العقوبةُ الهائلة، أو حقيقةُ الصيحة من جبريل عليه السلام ﴿بِالْحَقِّ﴾ أي: باستحقاقهم ذلك.

وقيل: بالأمر من الله وهو الحق.

وقوله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً﴾: أي: موتى باليِنَ كالغُثاء، وهو ما يأتي على وجه السيل من القصب والحشيش، شبِّهوا بالغُثاء في البِلَى وتفرُّقِ الأوصال، وفي أنهم[1] صاروا لا يُنتفَع بهم[2] بوجهٍ.

وقوله تعالى: ﴿فَبُعْدًا﴾: أي: فهلاكاً، وقيل: فبُعْداً من كلِّ خير، الأولُ من باب عَلِم، والثاني من باب شَرُفَ.

﴿لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾: المشركين.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا آخَرِينَ﴾: أي: أمماً في أزمنةٍ شتَّى، وهاهنا إضمار: كذَّبوا أنبياءهم فأهلكناهم، والاختصارُ ما[3] ذُكر في آخره: ﴿كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ﴾.

* * *

(٤٣ ـ ٤٤) ـ ﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ (٤٣) ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

---

(١) في (ر) و(ف): «وقيل إنهم»، بدل: «وفي أنهم».

(٢) في (أ): «لهم».

(٣) في (أ): «لما».

وقوله تعالى: ﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا﴾: أي: ما كان يتقدَّم أمةً من هؤلاء القرون الوقتُ المؤقَّت لعذابهم ﴿وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ﴾: لا يتأخَّرون عنه.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا﴾: أي: تِبَاعاً متَّصِلين ﴿كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ﴾ جهلاً منهم وتقليداً لأسلافهم واستثقالاً للشرائع.

قوله: ﴿فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا﴾: في الإهلاك، قال تعالى: ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [المرسلات: ٦١] الآيات.

﴿وَجَعَلْنَـٰهُمْ أَحَادِيثَ﴾: أي: صيَّرناهم إلى حالٍ يتحدث الناس بعدهم بذكرهم ويتعجَّبون منهم ﴿فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾.

* * *

(٤٥ ـ ٤٦) ـ ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَـٰرُونَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا عَالِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَـٰرُونَ بِـَٔايَـٰتِنَا﴾: بالأعلام الدالة على صحة نبوتهما ﴿وَسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ﴾؛ أي: حجةٍ ظاهرة.

وقيل: الآيات: المعجزات، والسلطان: القدرة والقوة والملك.

وقيل: السلطان: إيجاب الانقياد لهما.

قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ﴾: مر تفسيره ﴿فَٱسْتَكْبَرُوا۟﴾: أي: تعظَّموا[1] عن الانقياد لهما ﴿وَكَانُوا۟ قَوْمًا عَالِينَ﴾؛ أي: كانوا قد قهروا مَن في ناحيتهم من الناس واستعبدوهم.

---

(١) في (ف): «تعاظموا».

(٤٧ ـ ٤٨) ـ ﴿فَقَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴿٤٧﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَقَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا﴾: أي: أنصدِّق آدميَّينِ مثلَنا في ادِّعاءِ الرسالة من الله في وجوب الانقيادِ لهما علينا ﴿وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ﴾؛ أي: وبنو إسرائيل لنا مطيعون يَرون أنفسهم لنا عبيداً فكيف نكون نحن مطيعين لهما؟!

وقيل: ﴿عَٰبِدُونَ﴾: دائنون.

﴿فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ﴾: فصاروا من المغرقين في اليم.

* * *

(٤٩ ـ ٥٠) ـ ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾: التوراة ﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾؛ أي: ليهتدوا بها إلى الحق.

﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾: أي: عيسى ﴿وَأُمَّهُۥٓ﴾؛ أي: مريم ﴿ءَايَةً﴾: ولم يقل: آيتين؛ لأنهما باجتماعهما صارا آيةً واحدة، وهي ولادتُها إياه من غيرِ أب، وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ﴾ [الإسراء: ١٢]؛ لأن كل واحدٍ منهما آيةٌ على حِدَة.

ومعنى هذه الآية: وجعلناهما ﴿ءَايَةً﴾؛ أي: علامةً يُستدل بها على قدرتي على اختراع الأجسام من غيرِ أصل كما خلقتُ عيسى من غيرِ أبٍ، وعلى أنِّي المتفرِّدُ[1] بالخلق والاختراع لا خالقَ غيري، وعلى صدقِ عيسى في دعوى النبوة، فلم أُخْلِ الناس في كلِّ وقتٍ من رسولٍ يدعوهم إلى الحق.

---

(١) في (ر) و(ف): «المنفرد».

وقوله تعالى: ﴿وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ﴾: أي: وجعلنا مأواهما مكاناً مرتفعاً، والربوة بفتح الراء وضمِّها وكسرها: المكان المرتفع على ما حوله، واختُلف فيها أين كانت؟

قال أبو هريرة رضي الله عنه: هي الرَّملة من فلسطين[1].

وقال سعيد بن المسيب: هي دمشقُ[2].

وقال ابن زيد: هي بمصر، وقراها[3] على الرُّبى، ولولاها غرقت بالماء[4]، وهو قول الكلبي أيضاً.

وقيل: هي بيت المقدس، وهو قول قتادة[5]، وهو أنشر[6] الأرض.

قال كعب: هي أدنى الأرض إلى السماء بثمانيةَ عشر ميلاً[7].

وقوله تعالى: ﴿ذَاتِ قَرَارٍ﴾: أي: ذاتِ استواءٍ يُستقرُّ عليها[8].

وقال قتادة: ﴿ذَاتِ قَرَارٍ﴾: ذاتِ ثمار[9]؛ أي: لأجلها يَستقرُّ فيها ساكنوها.

وقوله تعالى: ﴿وَمَعِينٍ﴾: ماءٍ جارٍ ظاهرٍ للعيون.

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٩٧٢)، والطبري في «تفسيره» (١٧/ ٥٤).

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٩٦٩)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٢٤٦٣)، والطبري في «تفسيره» (١٧/ ٥٤).

(٣) في (ر) و(ف): «هي مصر، وقال: وجدتها».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٥٥).

(٥) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٩٦٨)، والطبري في «تفسيره» (١٧/ ٥٥).

(٦) في (ر): «أيسر».

(٧) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٩٧٠)، والطبري في «تفسيره» (١٧/ ٥٥).

(٨) في (أ): «مستقر عليه»، وفي (ف): «عليها» بدل: «يستقر عليها».

(٩) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٩٦٨)، والطبري في «تفسيره» (١٧/ ٥٥).

قال سعيد والضحاك: ﴿وَمَعِينٍ﴾ مفعول من عِنْتُه أَعِينُه؛ أي: أصبتُه بعين[١].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: هذا الإيواءُ كان عند الولادة، وهو كما ذكر في سورة مريم: ﴿قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ [مريم: ٢٤] الآيات.

وقيل: كان هذا حين فرَّت مريم بابنها إلى مصر، فكانا بها سنين، ثم رجعت به إلى أهلها بعدما مات الملك الذي كانا هربا منه.

* * *

(٥١) ـ ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾:

قيل[٢]: أي: كنَّا نقول لكلِّ هؤلاء: ﴿كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾ وإضمار القول في القرآن كثير.

وقيل: كان هذا خطاباً لعيسى عليه السلام على إضمار القول، وتسميةُ الواحد بالجماعة تشريفٌ له.

وقيل: هو خطاب للنبي ﷺ بذلك بغير إضمار القول، وتسميتُه بالرسل لكونه أفضل الرسل وسيدَ الرسل[٣].

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١٧/ ٥٧ ـ ٥٨). واللفظ المذكور هو للطبري، وقد روى قبله عن سعيد والضحاك قولهما في معنى المعين: هو الماء الظاهر، ولعل هذا هو المراد من كلام الطبري، فقد قال ابن كمال باشا في «تفسيره» عند هذه الآية: المَعينُ الماءُ الجاري على وجه الأرض، مفعول مِن عَانَه: إذا أدركه بالعَيْن، نحو رَكَبَهُ: إذا ضربه بالرُّكْبَةِ؛ أي: يُدْرَكُ بالعَيْن لظهوره، فميمه على هذا زائدة.

(٢) «قيل» من (أ).

(٣) في (ف): «المرسلين».

وقوله: ﴿إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾: لا يخفى عليَّ ما تعملونه فأنا مجازيكم عليه، فاجتهِدوا في الطاعات، وهي الصالحاتُ، وتجنُّبُ الحرام، وأكلُ الحلال وهو[1] الطيبات، وإذا كان الأمر للأنبياء ولنبينا على الخصوص بهذا فمَن سواهم أولى به.

* * *

(٥٢) ـ ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾: قرأ حمزة والكسائي وعاصم بكسر الألف وهو ابتداءٌ، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ونافعٌ بفتحها[2] عطفاً على قوله: ﴿إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ وبـ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ﴾ قاله الكسائي وأبو عبيد والفراء في قول، وعنه أنه قال: أضمر في أوله (واعلموا) أن هذه[3].

يقول: هذا الذي تقدم ذكرُه من وصية الله لرسله بالتوحيد والطاعة، ووصيةِ الرسل لأممهم، هو دينُكم وملَّتكم[4]، وهي واحدة لا تختلف في الأصل فالْزَموها وتمسَّكوا بها.

﴿وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ﴾: وحدي ﴿فَٱتَّقُونِ﴾؛ أي: فخافوا عقابي في مخالفتكم أمري، وقد أوضحنا هذا في آخر سورة الأنبياء.

---

(١) في (أ): «وأكل الحلالات وهي» وفي (ف): «وأكل الحلال وهي».

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٤٤٦)، و«التيسير» (ص: ١٥٩). وخفف ابن عامر النُّون ـ مع فتح الهمزة ـ وشدَّدَها الباقون.

(٣) القولان اللذان ذكرهما عن الفراء هما وجهان في تأويل هذه القراءة كلاهما في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢٣٧)، لكن الفعل المضمر عنده هو: (واعلم) وليس: (واعلموا).

(٤) في (ر) و(ف): «وقبلتكم».

وقيل: الأمة: الجماعة والفريق، أي: هؤلاء الذين[١] ذكرتُهم جماعتكم وفريقكم الذين ينبغي أن تقتدوا بهم وتكونوا من جملتهم.

﴿أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ نصبٌ على القطع، ومعناه: هم فرقة مجتمِعة على التوحيد.

* * *

(٥٣ ـ ٥٤) ـ ﴿فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾ فَذَرْهُمْ فِى غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ﴾: أخبر عن تفرُّق أهل الكتاب في دينهم، يقول: فصار هؤلاء الذين أُمروا بالاجتماع على الدِّين الحقِّ فِرقاً في أمرهم؛ أي: في أمر دينهم.

قوله: ﴿زُبُرًا﴾: بضم الباء[٢]؛ أي: كتباً، جمعُ زبور، وقال الحسن[٣] وقتادة ومجاهد وابن زيد: توزَّعوا وتقسَّموا كتباً دانوا بها وكفروا بما سواها؛ كاليهود في قبول التوراة وكفروا بالإنجيل والقرآن، وكالنصارى في قبول الإنجيل وكفرِهم بالقرآن[٤].

وقرأ ابن عامر: (زُبَراً) بفتح الباء[٥]: جمع زُبرة[٦]، أي: جماعاتٍ كقطع الحديد؛ أي: تقسَّموا جماعاتٍ مختلفة متفرقة.

---

(١) في (أ): «والفرائق أي هؤلاء الذين» وفي (ر) و(ف): «والفريق، أهذا الذي».

(٢) في (أ): «الزاي».

(٣) في (أ): «الحسين»، وسقط من باقي النسخ، والصواب المثبت. انظر: «الدر المنثور» (٦/ ١٠٣).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٦٢ ـ ٦٣) عن قتادة ومجاهد وابن زيد.

(٥) نسبها لابن عامر الداني في «جامع البيان» (٢/ ٣٠٣) لكن بخلاف بين أصحاب هشام راوية ابن عامر، ونسبت لأبي عمرو في «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٠١).

(٦) في (ر) و(ف): «زابرة».

وقال القشيري رحمه الله: ﴿ فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ ﴾: فمستقيمٌ على حقِّه، وتائهٌ في غِيِّه، ومصرٌّ على عصيانه وفسقه، ومقيمٌ على إحسانه وصدقه، كلٌّ مربوط بحدِّه، موقوف[1] على ما قُسِم له في البداية من شأنه، كلٌّ ينتحل طريقة، ويدَّعي لحسن[2] طريقته حقيقة، وعند صحوِ سماء قلوب أرباب التوحيد لا غبار في الطريق، وهم على يقينِ معارفهم، فلا ريب يتخالجهم ولا شبهة، وأهلُ الباطل في عمَى[3] جهلهم وغبار جحدهم، وظلمةِ تقليدهم ومحنة شكِّهم[4].

وقوله تعالى: ﴿كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾ فَذَرۡهُمۡ فِي غَمۡرَتِهِمۡ﴾: أي: فدَعْ يا محمد هؤلاء الضَّلالَ المتقطِّعين أمرهم بينهم في ضلالتهم وغفلتهم[5]، والغمرة: ما يغمر القلب ويغطي عليه، فيغفل صاحبه عن النظر لنفسه، ومنه: الرجل الغمر، ومنه: غمرةُ الماء، ومنه قولهم: دخل في غُمَار الناس؛ أي: في زحمتهم بحيث يستَتِر عن الأبصار.

وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾: أي: إلى وقت نزول العذاب بهم، ولا يَضيقنَّ قلبُك بتأخير نزول[6] العذاب عنهم، وذلك الوقت قد يكون بالموت فيعرفون ذلك، وقد يكون بنزول العذاب ولا ينفعهم الندم؛ كما وقع بفرعون حين أدركه الغرق.

* * *

---

(١) في (ر): «كل مربوط موقوف على حده وموقوف».

(٢) في (أ): «حسن»، وفي «اللطائف»: (بحسن).

(٣) في (أ) و(ف): «غمام»، والمثبت من (ر) و«اللطائف».

(٤) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٥٧٧).

(٥) في (ف): «وغفوتهم».

(٦) «نزول» من (أ).

(٥٥ ـ ٥٦) ـ ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ۝٥٥ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ۝٥٥ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ﴾: استفهام بمعنى الإنكار؛ أي: أيظنُّون أنما نزيدهم ونعطيهم على الترادف[١] من الأموال والأبناء ﴿نُسَارِعُ لَهُمْ﴾ به[٢] ﴿فِى ٱلْخَيْرَٰتِ﴾؛ أي: نجعله ثواباً وكرامة معجَّلاً لهم على حسن صنيعهم عندنا، ﴿بَل﴾: هو ردٌّ ما قبله؛ أي: ليس كذلك ﴿لَّا يَشْعُرُونَ﴾: لا يعلمون أن ذلك لتعبُّدهم بالشكر والتوحيد والطاعة.

وقيل: نفعله استدراجاً لهم، وهو كقوله: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ﴾ الآية [التوبة: ٥٥]، وإضمار (به)[٣] في قوله تعالى: ﴿نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ كالإضمار في قوله تعالى: ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [النحل: ٥٠]؛ أي: به، وقوله: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ [النمل: ٦٠]؛ أي: بالله غيرَه.

* * *

(٥٧ ـ ٥٩) ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ۝٥٧ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ۝٥٨ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ﴾.

وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم﴾: أي: من خوفهم ربَّهم ﴿مُّشْفِقُونَ﴾ من عذابه.

وقال الضحاك: يخافون أن يُنزع منهم[٤] الإيمان.

---

(١) «على الترادف» من (أ).

(٢) «به» من (ف).

(٣) في (ر): «وإضماره»، وفي (ف): «الإضمار».

(٤) في (أ) و(ف): «عنهم».

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾: أي: بكتبِ الله كلِّها، لا يفرِّقون بين كتبه كالذين تقطَّعوا أمرَهم بينهم، وهم أهل الكتاب.

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ﴾: كشرك العرب.

* * *

(٦٠) - ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾.

﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا﴾: أي: يُعطون ما أَعطوا من أموالهم في حقوق الله.

﴿وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾: أي: خائفة أن لا تقبلَ ولا ينفعَهم ذلك إذا رجعوا إلى جزاء الله يوم القيامة.

وقرأت عائشة رضي الله عنها: (يَأْتُون ما أَتَوا)[١]؛ أي: يفعلون ما فعلوا، وسألت عائشة رضي الله عنها رسول الله ﷺ فقالت: أهم الذين يَزْنون ويسرقون ويشربون الخمر؟ قال: «لا، هم الذين يصلُّون ويزكُّون ويحجُّون ويصومون ويخافون أن لا يقبل منهم»[٢].

وقال كعب: لو أن رجلاً كان له مثلُ عملِ سبعين نبيًّا، يخشى أن لا ينجوَ من عذاب يوم القيامة.

وقال الحسن: لقد مضى بين أيديكم أقوام لو أن أحدهم أنفق عدد هذا الحصى خشي أن لا ينجو من عِظَم ذلك اليوم[٣].

---

(١) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٠٠)، و«المحتسب» (٢/ ٩٥).

(٢) رواه الترمذي (٣١)، وابن ماجه (٧٥).

(٣) رواه ابن المبارك في «الزهد» (١٥)، والإمام أحمد في «الزهد» (١٦٣٨)، والطبري في «تفسيره» (١٧/ ٦٧) بلفظ: يعملون ما عملوا من أعمال البر، وهم يخافون ألا ينجيهم ذلك من عذاب ربهم.

وقال الحسن: لقد عمِّرتُ عمراً، وأدركت صدراً من الناس، فوالذي[١] لا إله إلا هو: لهم فيما أُحِلَّ لهم كانوا أزهدَ منكم فيما حُرِّم عليكم، وهم لحسناتهم ألا تُقبل[٢] كانوا أشد خوفاً منكم لسيئاتهم أن يؤاخَذوا بها[٣].

***

(٦١) ـ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾: أي: هؤلاء هم الذين يسارعون فيها لا الذين تقطَّعوا أمرهم بينهم.

﴿وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾: أي: إلى الخيرات، واللام بمعنى (إلى)، كما في قوله تعالى: ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوۡحَىٰ لَهَا﴾ [الزلزلة: ٥]؛ أي: أوحى إليها.

وقيل: ﴿لَهَا﴾؛ أي: لأجلها؛ أي: من جهة خيراتهم هم سابقون إلى الجنة.

وقال القشيري: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾؛ أي: مسارعٌ بقدمه من حيث الطاعات، ومسارعٌ بهممه من حيث المواصلات، ومسارعٌ بندمه من حيث تجرُّعُ الحسرات، والكلُّ مصيب، ولكلٍّ من إقباله على ما يليق بحاله نصيب[٤].

***

(٦٢) ـ ﴿وَلَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۖ وَلَدَيۡنَا كِتَٰبٞ يَنطِقُ بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾.

---

(١) في (أ): «فوالله الذي».

(٢) في (ف): «وهم لخشية أن لا يقبلون» وفي (ر): «وهم لخشيانهم ألا تقبل».

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في «الورع» (٤٥)، والدينوري في «المجالسة» (٦١٦)، وابن الجوزي في «المنتظم» (٦/ ١٣٣).

(٤) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٥٧٩).

وقولـه تعالـى: ﴿وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾: أي: لا نحمِّل من الخيـرات أحداً شـيئاً إلا مـا في وسـعه وهـو دون طاقته.

وقال القشيري رحمه الله: مطالباتُ الشريعة مضمَّنة بالسهولة، فأما مطالبات الحقيقة فقد قالوا: ليس إلا بذلَ الروح وإلا فلا تَشتغل بالترَّهات، قال للمستضعفين: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨]، وقال لأهل الحقائق: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾ [الحج: ٧٨][1].

وقوله تعالى: ﴿وَلَدَيْنَا كِتَابٌ﴾: أي: كتبُ الملائكة فيها[2] أعمالُ العباد.

وقوله تعالى: ﴿يَنْطِقُ بِالْحَقِّ﴾: أي: يبيِّن جميعَ ما عمله العبد على الصدق، فهذا الكتاب محفوظٌ عند ملائكة الله، وأضافه إلى نفسه لأنهم يحفظونها بأمره، ويُخرَج يوم القيامة ويُحاسب عليه ويجازى به.

وقيل: ﴿وَلَدَيْنَا كِتَابٌ﴾ كتبناه فيما سبق بما هم[3] عاملون، فهم يعملون ذلك ونحن نجازيهم به.

﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾: أي: لا يُنقص من ثوابهم ولا يعذَّبون بغير[4] ذنب.

* * *

(٦٣) ـ ﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِنْ هَذَا وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ﴾.

---

(١) المصدر السابق.

(٢) في (أ): «في».

(٣) في (ف): «مما هم»، وفي (ر): «مما هو».

(٤) في (ر) و(ف): «من غير».

﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ﴾: ﴿بَلْ﴾ ردٌّ لكلام مضمَر، وكأنه[١]: ليس تركُهم الإيمان لقصور في البيان؛ لكن قلوبهم في غطاء وغمرة؛ أي[٢]: غفلةٍ؛ للحَميَّة الجاهلية، وإلْفِ التقليد، وترك التدبر.

﴿مِنْ هَذَا﴾: قيل[٣]: أي: العذاب. وقيل: أي: مما سبق ذكره. وقيل: من الكتاب الذي عندنا.

﴿وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ﴾: قيل: أي: سوى ذلك، يعني: هم عاملون أعمالاً ينضم ذلك إلى غمرتهم فيعاقبون على الكل.

وقيل: أي: أدنى من ذلك وهو المعاصي[٤]، والأول هو الكفر؛ أي: يعملون ذلك فيعاقبون على الكل[٥].

وقيل معناه: ولهؤلاء المشركين أعمال أُخر أقبح من هذه الأعمال التي ذكرناها عنهم هم يعملونها للحال لم نذكرها لكم.

وقيل: بل هذا إخبار عما يعملون بعد هذا، فلهم مدة يبقَون إليها ثم يأخذهم إذا جاء وقتُهم.

وقيل: معناه: ﴿مِنْ دُونِ ذَلِكَ﴾؛ أي: من قبل نزول العذاب بهم، وقوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ بِالْعَذَابِ﴾ [المؤمنون: ٦٤] بيانُ غاية ذلك.

---

(١) في (أ): «وكأنه هذا».

(٢) «غمرة أي» من (ف).

(٣) «قيل» من (أ).

(٤) في (ر): «المعصية».

(٥) في (أ): «الجميع».

وقيل: ﴿وَلَهُمْ أَعْمَٰلٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ﴾؛ أي: قلوبهم في غفلة عن[١] طلب الحق، ولهم أشغالٌ سوى الحقِّ هم بها مشتغلون منصرفون عن الحق.

وقال القشيري رحمه الله: لا يصلُح لهذا الشأن إلا مَن كان فارغاً عن جميع الأعمال، وأكثرُ أصحاب الدنيا مشغولون بدنياهم، وأربابُ العقبى بعُقباهم، وأهلُ النار ببلواهم، وإن الذي له في الدنيا والآخرة غير مولاه ـ حين الفراغ ـ عزيز[٢]، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ﴾ [يس: ٥٥][٣].

* * *

(٦٤ ـ ٦٥) ـ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِٱلْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْـَٔرُونَ ﴿٦٤﴾ لَا تَجْـَٔرُوا۟ ٱلْيَوْمَ ۖ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم﴾: أي: منعَّميهم ﴿بِٱلْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْـَٔرُونَ﴾؛ أي: يستغيثون ويضجون ضجيج مَن نزل به ما لا يقدر على دفعه، ونزل هذا بهم يوم بدر، أخذ الله رؤساء مكة بالسيف فجأر أهل مكة لذلك.

وقوله تعالى: ﴿لَا تَجْـَٔرُوا۟ ٱلْيَوْمَ ۖ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ﴾: أي: لا تضجُّوا بالاستغاثة إلى غيرنا، فلا مانع لكم من عذابنا.

ويحتمل[٤]: لا تضجُّوا إلينا فلا نصرةَ لكم عندنا، والمراد بذلك النهيِ الخبرُ أنكم وإن ضجِجْتم فلا نصرةَ لكم.

---

(١) في (ر): «زمن»، وفي (ف): «من».

(٢) في (أ) و(ر): «فمَن الذي له في الدارين عن مولاه خبر الفراغ عزيز»، وفي (ف): «فمَن له في الدارين عن مولاه غنى فإن خبر الفراغ عزيز». والمثبت من «اللطائف».

(٣) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٥٨٠).

(٤) في (أ): «وقيل».

(٦٦ ـ ٦٧) ـ ﴿ قَدْ كَانَتْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ ﴿٦٦﴾ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ قَدْ كَانَتْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾: أي: القرآن ﴿فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ﴾؛ أي: ترجعون القَهْقَرى.

﴿ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ﴾ قال أكثر المفسرين[١]: ﴿بِهِۦ﴾؛ أي: بالبيت، أو بالحرم، وكانوا ينكرون[٢] على كل الناس بكونهم أهل الحرم وأهل البيت.

وقوله تعالى: ﴿سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ ﴾: أي: متكلِّمين بالسَّمَر ليلاً حول الكعبة تقولون الهَجْر، وهو الهذَيان الذي في حقه أن يُهجَر ويُرفض، و﴿سَٰمِرًا﴾ واحد[٣] بمعنى الجمع من وجوه:

أحدها: أنه جنس يصلح للجميع.

والثاني: أنه موضوع للجمع.

والثالث: أن الفاعل قد يستعمل للمصدر، ثم المصدر يصلح نعتاً للجمع.

والرابع: ما قال أبو عمرو الشيباني: يقال لمجلس القوم بالنهار: النادي، وبالليل: السامر، ثم ذكر[٤] المجلس يكون ذكراً لأهله، قال تعالى: ﴿ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ﴾ [العلق: ١٧]؛ أي: أهلَ ناديه، وقال الشاعر:

لهم مجلس صُهْبُ السبال أذلةٌ   سواسيةٌ أحرارُها وعبيدُها[٥]

---

(١) في (أ): «أهل التفسير».

(٢) «ينكرون»، كذا في (أ)، وسقطت الجملة من باقي النسخ، ولعلها: (يتكبرون).

(٣) في النسخ: «واحداً»، والصواب المثبت.

(٤) في (ف): «وذكر» بدل: «ثم ذكر».

(٥) البيت لذي الرمة، وهو في «ديوانه» (٢/ ١٢٣٥). أراد: أهل مجلس، وأما قوله: (صهب السّبال) =

وكانوا يجتمعون بالليل حول الكعبة ويتحدثون بالقبح في ذكر النبي ﷺ.

وقرأ نافع: ﴿تُهْجِرُونَ﴾ بضم التاء وكسر الجيم[١]، وهما لغتان هَجَر وأَهْجَر.

وقيل: في القراءة الأولى: أي: تهجرون الحق بالإعراض عنه، أو: تهجرون النبي ﷺ أو القرآن.

وقوله: ﴿بِهِۦ﴾ كنايةٌ عن مكنيٍّ لم يسبق ذكرُه، وهو كقوله تعالى: ﴿مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ﴾ [فاطر: ٤٥]، ثم يجوز أن يكون ﴿بِهِۦ﴾ ـ أي: بالبيت ـ صلة الاستكبار، ويجوز أن يكون صلةَ السَّمَر.

وقيل: ﴿بِهِۦ﴾؛ أي: بالنكوص المذكور في قوله: ﴿تَنكِصُونَ﴾.

وقال الضحاك: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِٱلْعَذَابِ﴾ يعني: الجوعَ، وذلك حين دعا النبي ﷺ على مُضر في القنوت: «اللهمَّ اشدُدْ وطأتَكَ على مُضر واجعلها عليهم سنينَ كسِني يوسفَ» فألقى الله عليهم الجوع حتى أكلوا الجيَف والأولاد[٢].

***

(٦٨) ـ ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ﴾: أي: أفلم يتدبَّر هؤلاء القرآن ﴿أَمْ جَآءَهُم مَّا

= فإنما أراد به الأعداء، والعرب تصف الأعداء بذلك وإن لم يكونوا صهب الأسبلة، وقوله: (سواسية) يريد أنهم مستوون متشابهون؛ ولا يقال هذا إلا في الذم. والسبال جمع سبَلة، وهي ما على الشارب من الشعر، أو ما على الذقن إلى طرف اللحية، والصَّهَب حمرة أو شقرة في الشعر؛ أي: هم عجم ليسوا بعرب.

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٤٤٦)، و«التيسير» (ص: ١٥٩).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ٥١)، والواحدي في «البسيط» (١٦/ ١٩)، والمرفوع رواه البخاري (٨٠٤)، ومسلم (٦٧٥)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

﴿لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ﴾: وهذا توبيخٌ لهم بلفظ الاستفهام؛ كأنه قال: ما عذرُهم في الإعراض عن استماع القرآن من الرسول والنكوصِ على الأعقاب، أهو أنهم لا يتدبرون القرآن[1] الذي يخاطَبون به فالتقصيرُ منهم، أم يقولون: لو كان لله رسولٌ إلى العرب لأتى ذلك آباءنا الأولين، وإذا لم يأتهم لا يأتينا[2]، وهذا ليس بحجة أيضاً؛ لأنه قد أتى غيرَهم من الأمم رسلٌ كثيرة قد سمعوا ذلك، وتناهت[3] به الأخبار المتواترة إليهم، وهي أخبار صالحٍ وشعيبٍ وهودٍ، وهم رسل الله إلى العرب.

* * *

(٦٩) - ﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ﴾.

﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ﴾: أم يحتجُّون في ترك سماعه من محمد عليه السلام أنه مجهول فيهم، فلم يعرفوه بالصدق والعقل وشرفِ الأصل، وليس كذلك، بل قد عرَفوا مولده ومنشأه، وصدقه وأمانته، وخلالَه[4] المحمودةَ، فما الذي ينفِّرهم[5] عنه؟ وهو إشارة إلى ما وهبه[6] الله تعالى له[7] عليه السلام قبل أن يبعثه من أسباب القبول؛ من حسن التربية وتمام العصمة من أول حاله إلى مبعثه، لم يَعْلَق به أمر شائن؛ ليكون ذلك أدعى إلى الركون إليه والقبول منه.

* * *

(١) في (أ): «القول».

(٢) في (ر): «لم يأتنا».

(٣) في (ر) و(ف): «وشاعت».

(٤) في (ر): «وصفاته»، وفي (ف): «وجلالته».

(٥) في (أ): «ينكرهم».

(٦) في (أ): «مهد».

(٧) في (ف): «وقد منحه» بدل: «وهو إشارة إلى ما وهبه الله تعالى له».

(٧٠) ـ ﴿ أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةُۢ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴾.

﴿ أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌ ﴾: أي: جنون، فليس من حقِّه أن يُسمع كلامه.

وليس كذلك ﴿بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ ﴾: أي: ليس[1] به شيء من هذا، لكن ﴿جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ ﴾ والانقيادُ للحق تَنفر عنه طباعهم الجاهليةُ ميلاً منهم إلى الرئاسة في الدنيا والانهماكِ في لذاتها، وذلك قوله: ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴾.

وقيل: الحق: التوحيد.

* * *

(٧١) ـ ﴿ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴾.

قوله تعالى: ﴿ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ﴾: أي: لو كان الحق تابعاً لأهواء[2] الناس لبطل نظام العالم؛ لأن الأهواء مختلفةٌ وطبائعَ الناس شتَّى متضادَّةٌ، فشهواتهم تتضادُّ وتتنافَى، واجتماع المتضادَّات محال ﴿ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ ﴾ لأفضى ذلك إلى وجود ما لا يُتوهَّمُ وجوده في العقول، وهو باطل.

ولأن أهواءهم داعيةٌ إلى القبيح، والحقُّ يدعو إلى المحاسن[3]، فلو اتَّبع أهواءهم لانقلبت الأدلة، وصارت الدلالة على القبيح[4] دليلاً على الحَسَن، والدلالةُ على الحَسَن دليلاً على القبيح[5]، وفي انقلاب الأدلة انقلابُ المدلول

---

(١) بعدها في (أ) و(ر): «لهم».

(٢) في (أ): «لهؤلاء».

(٣) في (ف): «إلى القبح... إلى الحسن».

(٤) في (ف): «القبح».

(٥) في (ف): «القبح».

وسقوطُ حكم الأدلة، وفي ذلك فسادُ العالم، فإن بقاء العالم ببقاء أحكام الحق، وبقاءَ الأحكام ببقاء أدلتها.

وقيل: ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ﴾ فيما يعتقدون من الآلهة ﴿لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾، كما قال: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢].

وقوله تعالى: ﴿بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ﴾: أي: بما فيه شرفُهم وعزُّهم ﴿فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ﴾ بسوء اختيارهم.

وقيل: معناه: بذكر ما بهم(١) الحاجةُ إليه في الدين.

وهذه الآية على القولين تتصل بقوله تعالى: ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ﴾؛ أي: وما ينبغي أن يكرهوه وفيه شرفُهم، وفيه ذكرُ ما يحتاجون إليه.

* * *

(٧٢) - ﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾.

قوله تعالى: ﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ﴾: قرأ ابن عامر بغير ألف فيهما، وقرأ حمزة والكسائي بالألف فيهما، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم ونافع: ﴿خَرْجًا﴾ بغير ألف ﴿فَخَرَاجُ رَبِّكَ﴾ بالألف(٢).

قال أبو عبيد وأبو معاذ(٣): هما لغتان.

---

(١) في (أ): «به».

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٤٤٧)، و«التيسير» (ص: ١٤٦).

(٣) الفضل بن خالد، أبو معاذ النَّحْوي المروزي، روى عن عبد الله بن المُبارك وغيره، وأكثر عنه الأزهري في «التَّهْذيب»، وذكره ابن حِبَّان في «الثِّقات»، وصنَّف كتاباً في القرآن، ومات سنة (٢١١هـ). انظر: «بغية الوعاة» (٢/ ٢٤٥).

وقال الحسن: هو الأجر على العمل[(١)]، يقول: أهم يتَّهمونك[(٢)] فيما تدعوهم إليه أنك تسألهم عليه أجراً فيظنون بك أنك تطمع في أموالهم، وهو كقوله: ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ﴾ [الطور: ٤٠]، ﴿فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ﴾؛ أي: فما يؤتيك الله من الأجر على طاعتك له في الدعاء إليه خيرٌ لك من عرَض الدنيا.

وقوله: ﴿وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾: أي: خيرُ مَن أعطى عوضاً على عمل؛ لأن ما يعطيه لا ينقطع ولا يتكرر وقد علمت ذلك ورضيت به، فما معنى اتهامهم لك بالطمع في أموالهم وهذا كله إخبارٌ أنهم متعنِّتون محجوجون[(٣)] من كلِّ وجهٍ في ترك الاستماع إليك والتدبر بما جئتهم[(٤)] به.

* * *

(٧٣ ـ ٧٥) ـ ﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ ﴿٧٤﴾ وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾: فحقيقٌ أن يستجيبوا لك.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ﴾: أي: عن هذا الطريق[(٥)] المستقيم لعادلون مُجانبون.

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: زاغوا عن المحجَّة المثلى بقلوبهم فوقعوا في

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٩٠).

(٢) في (ف): «أم يتوهمونك» بدل: «أهم يتهمونك».

(٣) في (ر) و(ف): «محجوبون».

(٤) في (ر) و(ف): «والنذير الذي جئتهم».

(٥) في (ر): «الصراط».

جحيم الفُرقة، وستزلُّ أقدامهم عن الصراط فيقعون في نار الحُرقة، فهم ناكبون في دنياهم وعقباهم(١).

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ﴾: متصل بقوله: ﴿إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ﴾.

﴿لَّلَجُّوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾: أي: لتمادوا في عتوِّهم يتردَّدون؛ أي: لعادوا إلى الطغيان الذي به أخذناهم بالعذاب، وهو كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ [الأنعام: ٢٨].

***

(٧٦ ـ ٧٧) ـ ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ (٧٦) حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾.

قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ﴾: أي: لقد أخذنا مترفيهم بضربٍ(٢) من العذاب فما تذلَّلوا لربهم استكباراً منهم على الله تعالى وجراءةً.

ثم أخبر عن عنادهم فقال: ﴿وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾ أي: في الشدائد فلا يُظهرون تذلُّلاً وانكساراً.

وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾: أي: متحيِّرون لا يدرون ما يصنعون.

وقيل: آيسون من الفرج.

قيل: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ﴾ هو سبعُ سنين في الجوع والقحط، وهو قول مجاهد(٣)، وهو قوله: ﴿قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً﴾ الآية [النحل: ١١٢]، ﴿فَمَا

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٥٨٣).

(٢) في (ف): «بصرف».

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٦٤)، ورواه دون ذكر العدد ابن المنذر في «تفسيره» كما =

﴿ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ﴾ ما زادوا على قولهم: ﴿رَبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾ [الدخان: ١٢] على الوعد لا على التحقيق؛ كقول قوم فرعون: ﴿لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ﴾ [الأعراف: ١٣٤]، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ [المؤمنون: ٧٧]، هو يوم بدر.

وقيل: الأول عذاب الدنيا بالشدائد، وقوله: ﴿ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ هو عذابُ الآخرة في النار.

* * *

(٧٨) - ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ﴾: عدَّد نعمه، وبيَّن قدرته؛ تنبيهاً على استغنائه عن طاعة خلقه، وأن إرساله الرسل والامتحانَ لم يكن للحاجة فقال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ﴾؛ أي: وربكم الله الذي خلق الأسماع ﴿وَٱلْأَبْصَٰرَ﴾ لإدراك الأصوات والألوان ﴿وَٱلْأَفْـِٔدَةَ﴾ للتمييز بين الحق والباطل.

وقوله تعالى: ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾: أي: لا تشكرون إلا قليلاً بقولكم: هو الصانع، ثم تشركون به غيره.

وقيل: أي: لا تشكرون له أصلاً، تقول العرب: هذه أرضٌ قلما تُنبت؛ أي: لا تنبت أصلاً.

* * *

(٧٩ - ٨٠) - ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.

= في «الدر المنثور» (٦/ ١١١).

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: أي: خلقكم في الأرض وبثَّكم فيها ﴿وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ أي: تبعثون وتُجمعون للجزاء.

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾: أي: هو المالك والفاعل بمجيء الليل والنهار أحدِهما بعد الآخر، كما قال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً﴾ [الفرقان: ٦٢].

وقيل: الاختلاف هو التفاوت(١) بالزيادة والنقصان، وهو الفاعل ذلك بهما.

قوله تعالى: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾: أن اختلافهما دليل حدوثهما، وأن لهما محدِثاً لا شريك له عالماً قادراً مريداً.

* * *

(٨١ ـ ٨٣) ـ ﴿بَلْ قَالُوا۟ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوٓا۟ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾.

قوله تعالى: ﴿بَلْ قَالُوا۟ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ﴾ وهو قوله: ﴿قَالُوٓا۟ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾: أي: لم يعقلوا ذلك ولم يتدبروا فيه ليَعلموا أنَّ مَن قدر على هذه الأشياء قدر على بعث الموتى فلا تستبعِدوا ذلك.

﴿بَلْ قَالُوا۟ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ﴾؛ أي: سلفُهم ﴿أَءِذَا مِتْنَا﴾ وصرنا تراباً وعظاماً بالية، أنبعث؟! وهذا محال.

وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ﴾: أي: قبل مجيء محمد ﷺ.

﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾: ما هذا إلا ما سطَّرته الأوائل من الأحاديث الأكاذيب.

---

(١) في (ف): «التقارب».

وقيل: نزلت الآية في آل أبي طلحة، منهم: طلحة وشيبة وأبو سعيد ومسافع[١] وأرطاة بن شرحبيل والنضر بن الحارث وأبوه[٢] الحارث بن علقمة بن كلدة؛ هم الذين قالوا هذا القول[٣].

وقال القشيري رحمه الله: ليس اختلاف الليل والنهار كلُّه في ضيائهما وظلمتهما[٤] وطولهما وقِصَرهما، بل ليالي المحبين تختلف في الطول والقِصَر، وفي الرَّوح والنَّوح، فمِن الليل ما هو أضوأُ من النهار، ومن النهار ما هو أشدُّ ظلاماً من الليل، يقول قائلهم:

وكم لظلام الليل عندك من يدٍ ... تخبِّر أن المانَوِيَّة تَكْذبُ

وقال آخر:

ليالي وصالٍ قد مضَيْن كأنها ... لآلي عقودٍ في نحور الكواعب
وأيامُ هجرٍ أعقبَتْها كأنها ... بياض مشيب في سواد الذوائبِ[٥]

***

(٨٤ ـ ٨٥) ـ ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٨٤) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾.

---

(١) في (أ): «سعد وسافع» وفي (ر): «سعيد وشافع». وانظر ما سيأتي في تخريجه.

(٢) في (أ) و(ر): «وأبو». وانظر ما سيأتي في تخريجه.

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ١٦٣)، وفيه: (... وأبو سعيد ومشافع وأرطاة وابن شرحبيل والنضر بن الحارث وأبو الحارث بن علقمة...).

(٤) «وظلمتهما» من (ف).

(٥) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٥٨٤).

وقوله تعالى: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ فأَجيبوا.

﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾: وإقرارهم أنها لله إقراراً به أنشأها(١) فهو مالكها.

﴿قُلۡ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾: كأنه شيء كانوا عالمين به لوضوحه فنسُوه فذكَروه بالتنبيه عليه، فقيل: ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ فتعلموا بذلك أن مَن قدر عليها قدر على إحياء الموتى.

وقيل: أفلا تتَّعظون فتعملوا بذلك فتتركوا الإشراك بالله تعالى؛ إذ هو القادر على هذا والأصنامُ غير قادرة عليه.

وقيل: أفلا تتَّعظون بذلك فتتركوا جحود البعث؛ إذ خالقُ هذه الأشياء لم يخلقها عبثاً بل ليَستأدِيَكم شكرَه عليها ثم يميزَ(٢) بين المطيع منكم وبين العاصي، وفي ذلك إثباتُ البعث والثواب والعقاب.

* * *

(٨٦ ـ ٨٧) ـ ﴿قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبۡعِ وَرَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ (٨٦) سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبۡعِ وَرَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ﴾: قيل: ﴿ٱلۡعَرۡشِ﴾: المُلك هاهنا، وكانت العرب تُقِرُّ بالملائكة وسكانِ السماوات فقرِّروا على ذلك(٣)، وأما العرش الذي هو سرير فثبوته عند أهل الكتب.

وقيل: كان ذلك مقرَّراً(٤) عند العرب أيضاً بإخبار أهل الكتاب.

---

(١) في (ر): «إنشاءها»، وفي (ف): «أنشاها»، والمثبت من (أ)، والجملة غير واضحة على الكل، ولعلها: (إقرار بأنه أنشأها...).

(٢) في (ر): «لم يميز»، وفي (ف): «ليميز».

(٣) في (أ): «فأقرا بذلك» وفي (ف): «فقروا على ذلك».

(٤) في النسخ: «مقرر»، والصواب المثبت.

قوله تعالى ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾: وقرأ أبو عمرو في هذا وفي الذي بعده: ﴿سيقولون الله﴾ وهذا ظاهرٌ موافق للابتداء، وقرأ الباقون: ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾[1].

قال الفرَّاء وقطرب: هو[2] محمول على المعنى؛ لأن قوله: ﴿لله﴾؛ أي: لله هذه الأشياء، وهذا جوابٌ صحيح، وإن مَن قال لآخر: مَن مولاك؟ فقال: أنا لفلان، كفاه من أن يقول: مولاي فلان[3]، وأنشدوا في ذلك:

إذا قيل مَن ربُّ القِيَان[4] بموقفٍ ... وربُّ الجيادِ الجُرْد قيل لخالد[5]

وأنشدوا في عكسه شعراً:

فقال السائلون لمَن حفَرْتُم ... فقال المخبِرون لهم وزيرُ[6]

أي: هو وزير[7] الذي يُحفر له.

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٤٤٧)، و«التيسير» (ص: ١٦٠).

(٢) في (أ): «هذا».

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢٤١).

(٤) في (أ) و(ف): «القباب»، وفي (ر): «العباب»، والمثبت من «حاشية الطيبي على الكشاف» (١٠/ ٦٢٠).

(٥) انظر: «تفسير الثعلبي» (٧/ ٥٤)، و«تفسير القرطبي» (١٥/ ٨٠)، و«تفسير النسفي» (٢/ ٤٧٩)، و«روح المعاني» (١٨/ ١٣٠). وصدره فيها جميعاً:

إذا قيل من ربُّ المزالفِ والقرى

(٦) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢٤١)، قال: أنشدني بعض بني عامر...، فذكره. ونسبه الجاحظ في «البيان والتبيين» (٣/ ١٢٧) للوزيري، لكن لا شاهد في البيت على روايته؛ لأن صدره عنده:

وقال السائلون من المسجّى

(٧) في (ف): «أي وزير هو».

وقوله تعالى: ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾: أي: عذابَ الله في اتخاذكم غيرَ الله إلهاً معه وأنتم مقرُّون أنه خالقُ هذه الأشياء ومالكُها، والأصنامُ لا تملك شيئاً منها ولا تخلقه.

وقيل: ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ في جحودكم قدرتَه على إحياء الموتى مع اعترافكم بقدرته على خلق هذه الأشياء.

* * *

(٨٨) ـ ﴿قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾: أي: يملك هذه(١) الأشياء كلها.

وقال مجاهد: ﴿مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾: خزائنُ كلِّ شيء(٢).

﴿وَهُوَ يُجِيرُ﴾: أي: يمنع مَن يشاء مِن عباده ممن قصَد الإضرار به.

﴿وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾: أي: ولا يُمنع ولا يمكن منعه(٣) مَن أراده الله تعالى بسوء.

﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ذلك فأجيبوا(٤).

وقيل: وهو يؤمِنُ مَن أخافه غيرُه ومَن أخافه هو لم يؤمِنه غيره.

* * *

(٨٩ ـ ٩٠) ـ ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ بَلْ أَتَيْنَاهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾.

---

(١) «هذه» ليست في (أ).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ١٠٠).

(٣) في (ر) و(ف): «ولا يمنع ويمكن مع»، وفي (ر): «ولا يمتنع ويمكن مع».

(٤) في (ف): «فاجتنبوا» بدل: «ذلك فأجيبوا».

قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾: ووجهُه ما مر؛ أي: لله قدرةُ ذلك ومُلك ذلك فاجتنبوا[١].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ﴾: أي: فمِن أيِّ وجهٍ يخيَّل لكم الباطلُ حقًّا حتى تشركوا به غيره.

وقيل: فكيف تُخْدعون عن الحق.

قوله: ﴿بَلْ أَتَيْنَاهُم بِالْحَقِّ﴾: أي: ليس كذبهم على الله بنسبة الولد إليه لقصورِ البيان، فقد ﴿أَتَيْنَاهُم﴾ بالكتاب المبينِ ذلك، وأعطيناهم العقل الذي به يُتوصل إلى بطلان ذلك.

﴿وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾: في قولهم: ﴿اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ [البقرة: ١١٦].

* * *

(٩١) ـ ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ﴾: أي: لم يتَّخذ الله الملائكة بناتٍ له ﴿وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ﴾؛ أي[٢]: ليس معه شريك في الألوهية.

﴿إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ﴾: أي: ولو كان معه آلهةٌ لميَّز كلُّ إله ما خلَقه هو[٣] وحده، ولم يتركه مختلِطاً بمخلوقٍ غيرِه، وظهرت المنازعة، وإذ لا منازع في شيء من المخلوقات للتمييز بطل قول المشركين.

---

(١) في (ر): «فأجيبوا»، وليست في (أ).

(٢) في (ف): «و».

(٣) في (أ): «لميَّز كلُّ إله ما خلقه وهو»، وفي (ر): «لتميَّز كلُّ إله بما خلقه»، وفي (ف): «لميَّز كلُّ إله بما خلق هو».

﴿وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾: أي: لغَلَب؛ فإن الإلهين لو تُوُهِّما: فإما أن يكونا إذا أراد أحدهما شيئاً والآخر خلافَه يحصل[1] مرادهما، أو لا يَحصل شيء، أو يحصل مراد أحدها، ولا يجوز أن يحصل مرادُهما جميعاً؛ لأن الضدَّين لا يُتصور اجتماعهما، فلو لم يحصل مرادهما جميعاً فهما عاجزان فلا يكونان إلهين، وإذا حصل مراد أحدهما دون الآخر فالذي حصل مراده هو القادر والآخرُ عاجز فبطل أن يكون إلهاً، وهو معنى قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢] على ما قدَّرنا.

وقوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾: أي: تنزيهاً لله عمَّا يصفه به هؤلاء.

وقيل: هو بمعنى الأمر؛ أي: فنزِّهوه.

* * *

(٩٢) ـ ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾: قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وعاصم في رواية حفص بالخفض وصفاً لقوله: ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ﴾، وقرأ الباقون بالرفع على الابتداء[2]؛ أي: هو عالمُ الغيب والشهادة فلن يخفى عليه شيءٌ، فخبرُه هو الحق دون قول هؤلاء.

وقوله تعالى: ﴿فَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾: تقدَّس عن الشركاء الذين يقولون.

* * *

(٩٣ ـ ٩٤) ـ ﴿قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾.

---

(١) في (ف): «حصل».

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٤٤٧)، و«التيسير» (ص: ١٦٠).

وقوله تعالى: ﴿ قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي ﴾: (إنْ) شرطٌ و(ما) صلة والنونُ المشدَّدة تأكيد وكأنه قسم.

وقوله تعالى: ﴿مَا يُوعَدُونَ ﴾: أي: من العذاب، ويجوز من أَوْعَد، ويجوز من وَعَد؛ كما قال: ﴿ وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَـٰدِرُونَ ﴾ [المؤمنون: ٩٥]، وقال تعالى: ﴿ أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى وَعَدْنَـٰهُمْ ﴾ [الزخرف: ٤٢].

* * *

(٩٤ ـ ٩٥) ـ ﴿ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِى فِى ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٩٤﴾ وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَـٰدِرُونَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِى فِى ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾: أي: معهم وفي جملتهم في العذاب. أَخبر أنه يعذِّبهم، وأمره أن يدعو بهذا، وهو كما رُوي عنه أنه كان يقول: «وإذا أردتَ بقومٍ فتنة وأنا فيهم فاقْبِضْني إليك غير مفتون»[1].

و(الفاء) في قوله ﴿فَلَا تَجْعَلْنِى ﴾ لجواب قوله: ﴿إِمَّا تُرِيَنِّى﴾ ولولاه لم تصلح الفاء في الابتداء.

﴿ وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَـٰدِرُونَ ﴾: أي: على أن نعذبهم[2] قبل أن نقبضك فتراه.

* * *

(٩٦) ـ ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾: أي: بالمعاشرة التي هي أجمل

(١) رواه الترمذي (٣٢٣٣) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) في (ف): «على أن ننزل بهم ما نعدهم».

﴿ٱلسَّيِّئَةَ﴾؛ أي: معاملتَهم القبيحة؛ أي: فأحسِن معاملتَهم إلى أن تؤمَرَ بقتالهم لتَسْلَم بذلك من أذاهم.

قوله: ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾: من الشرك، فسنجازيهم[1] عليه ونأمرك بقتالهم لوقته.

وقال القشيري رحمه الله: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ﴾؛ أي: ادفع الجفاءَ بالوفاء، ادفع ما هو حظُّك بما هو حقُّه[2].

وقد فعل ذلك حين شُجَّ جبينه وأُدْمي وجهه، وكُسرت رَبَاعِيَتُه والبيضةُ على رأسه، فقال: «اللهمَّ اهدِ قومي فإنهم لا يعلمون»[3].

وقيل: الأحسن ما أشار إليه القلب، والسيئة ما دعت إليه النفس[4].

* * *

(٩٧ ـ ٩٨) ـ ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾: قيل: أي: نَزَغاته ووساوسه[5]، وأصله: الطعن، وهو طعنٌ في القلب، وقد يكون في النفس فيقع به الصَّرع ونحوُه.

---

(١) في (أ): «فنجازيهم»، وفي (ف): «فيجازيه بهم».

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٥٨٧).

(٣) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٤٤٧) عن عبد الله بن عبيد، وقال: «هذا مرسل».

(٤) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٥٨٨).

(٥) في (ر) و(ف): «نزغاته أي: وساوسه».

وقيل: هو ما يوقعه الشيطان في القلب من ترك دفع السيئة بالأحسن واستعجالِ العذاب.

قوله تعالى: ﴿وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ﴾: أي: يأتوني.

وقيل: هو حالُ حضرة الموت، وأَخْوَفُ ما يكون حضورُ الشيطان في تلك الساعة، وهو لتعليم الأمة[1].

* * *

(٩٩ ـ ١٠٠) ـ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ﴾: يقول: إذا ذكِّروا بالآخرة والبعث ﴿قَالُوٓاْ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا﴾ [المؤمنون: ٨٢] إلى آخره، هذا قولهم إلى أن يجيء الموت فيَتيقَّنَ بضلالته وجهالته في مقالته.

﴿قَالَ رَبِّ﴾ يستغيث أولاً بالله، فيقول: ﴿رَبِّ﴾ ثم يقول للملائكة الذين حضروه لقبض الروح: ﴿ٱرْجِعُونِ﴾؛ أي: ردُّوني إلى الدنيا ﴿لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا﴾؛ أي: لأعمل صالحاً، و(لعل) أصله للشك، وهاهنا لليقين؛ لأنه حالة اليقين[2]، وهو كإطلاقِ لفظة الظن في معنى اليقين في آيات.

﴿فِيمَا تَرَكْتُ﴾: له وجوه:

أحدها: في تركتي أؤدِّي حقوق الله فيها وأتقرَّب بها؛ كما قال: ﴿لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ﴾ [المنافقون: ١٠].

---

(١) في (أ): «وأخوف ما يكون القلب من ترك دفع السيئة بالأحسن واستعجال العذاب».

(٢) «لأنه حالة اليقين» ليس في (ر).

والثاني: ﴿فِيمَا تَرَكْتُ﴾: في الموضع الذي تركت؛ أي: الدنيا، تركتُ فيها التوحيدَ والطاعة، فالآن ﴿أَعْمَلُ صَٰلِحًا﴾ في الدنيا: التوحيد والطاعة.

والثالث: ﴿فِيمَا تَرَكْتُ﴾؛ أي: فيما تركت العملَ به من الصالحات.

﴿كَلَّآ﴾: ردٌّ لِمَا سأل؛ أي: لا ترجع.

وقيل: أي: ردٌّ لِمَا بعدُ؛ أي: لو رُدَّ إليها لا يَفي بها؛ كما قال: ﴿وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ﴾ [الأنعام: ٢٨].

﴿إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا﴾: قيل: ﴿إِنَّهَا﴾؛ أي: ﴿رَبِّ ٱرْجِعُونِ﴾ كلمةٌ يقولها الكافر عند الموت.

وقيل: ﴿إِنَّهَا﴾؛ أي: قول الله ﴿كَلَّآ﴾ للردِّ ﴿كَلِمَةٌ هُوَ﴾؛ أي: الله ﴿قَآئِلُهَا﴾ وهو حقٌّ صدق لا خُلف له، وهو قوله: ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا﴾ [المنافقون: ١١].

قوله: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾: أي: وأمامَهم حاجز يحجز بينهم وبين الرجوع.

قال ابن زيد: هو الحاجز بين الموت والبعث.

وقال مجاهد: حاجز بين الميت والرجوع إلى الدنيا.

وقال الضحاك: هو الحاجز بين الدنيا والآخرة(١).

﴿وَمِن وَرَآئِهِم﴾ جمع بعد ذكر ﴿أَحَدَهُمُ﴾ لأن أحداً أضيف إلى الجمع فانصرف هذا إلى أولئك الجمع.

قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ من قبورهم للحساب والجزاء.

---

(١) روى هذه الأقوال الطبري في «تفسيره» (١٧/ ١١٠ ـ ١١١).

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: هذا في الكافر إذا حضره الموت ورأى ما حلَّ به من نقمة الله تعالى سأل الرجعة إلى الدنيا؛ لأنه علم أن الله تعالى لا يقبل توبةً بعد الموت ﴿لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا﴾ أقول: لا إله إلا الله مخلصاً ﴿كَلَّآ﴾ هيهات، إن هذا كلام يقوله عند موته لندامته[١].

* * *

(١٠١) ـ ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾: للبعث ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾؛ أي: إذا سِيقوا إلى موقف الحساب شغلهم الحزن والخوف عن أن يتناسبوا في ذلك الموضع ليَعرف بعضُهم بعضاً بالنسب، ولا يتفاخرون أيضاً بالأنساب كما فعلوا في الدنيا، ولا يَسأل بعضهم بعضاً عن حاله كما يتساءلون في الدنيا على سبيل التعاطف.

وقيل: هذا حال الكلِّ على العموم، بدليل أنه فصَّل بعده حال الفريقين: ﴿فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ ﴿وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ﴾، ولا يُشْكِل هذا بقوله: ﴿وَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَسَآءَلُونَ﴾ [الصافات: ٢٧] لأن ذلك قولُهم: ﴿مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜۗ هَٰذَا﴾ [يس: ٥٢] ثم يساقون إلى الموقف ﴿وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾.

وقيل: فإذا ﴿نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾؛ أي: النفخةُ الأولى، فيُقطع التواصل والقرابات[٢] والتساؤل عن الحالات.

وعن[٣] ابن عباس رضي الله عنهما: إذا نُفخ النفخةُ الأولى هلك كلُّ شيء إلا

---

(١) لم أجده.

(٢) في (أ): «فينقطع التواصل بينهم بالقرابات».

(٣) في (ر) و(ف): «وقال».

ما شاء الله، وتقطَّعت الأنساب وذهبت المساءلة، ثم نفخ النفخةُ الثانية فقاموا جميعاً لربِّ العالمين ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾[١].

وقال النبيُّ ﷺ في صفة الصور: «إن عُظْمَ دارةٍ منه كعرضِ السماء والأرض»[٢].

ويقول إسرافيل في النفخة الثانية: أيتها الأجساد البالية، والجلود المتمزِّقة، واللحوم المتفرِّقة[٣]، والعظام النَّخِرة، والعروق المتقطِّعة، والشعورُ المتطايرة: قوموا فإنَّ الديان قد أقام القيامة، فيَحْيَون جميعاً في أقلَّ من لحظة[٤].

وفي الخبر: أن بين النفختين أربعين سنة؛ تمطر السماء، وتنبت الأرض، وتمضي فصول السنة وليس في السماء والأرض حيوان[٥].

وقيل: لا يُسألون في القيامة عن الأنساب، إنما يُسألون[٦] عن الأعمال، قال تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ١١٢).

(٢) رواه الطبراني في «الأحاديث الطوال» (٣٦)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٣٨٦)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) «واللحوم المتفرقة» ليس من (ف).

(٤) روي نحوه عن قتادة كما تقدم عند تفسير قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ﴾ [الإسراء: ٥٢].

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٣٣٤) عن قتادة قال: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ قال نبي الله: «بين النفختين أربعون» قال أصحابه: فما سألناه عن ذلك، ولا زادنا على ذلك، غير أنهم كانوا يرون من رأيهم أنها أربعون سنة، وذُكر لنا أنه يبعث في تلك الأربعين مطر يقال له: مطر الحياة، حتى تطيب الأرض وتهتزّ، وتنبت أجساد الناس نباتَ البقل، ثم ينفخ فيه الثانية ﴿فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾.

(٦) في (ر) و(ف): «لا يتساءلون... إنما يتساءلون».

(١٠٢ ـ ١٠٤) ـ ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ﴾: فسرنا الآيتين في سورة الأعراف وغيرها.

وقوله تعالى: ﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾: أي: تحرقها ﴿وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ﴾ الكُلوح: تقلُّص الشفتين من العُبوس حتى تبدوَ الأسنان؛ أي: إذا لفَحت النار وجوههم تقلَّصت شفاههم وبدت أسنانهم، وتغيَّرت بذلك مناظرهم وقبحت صورهم، قال رسول الله ﷺ: «تَقْلِصُ شفةُ الكافر العُليا حتى تبلغَ وسطَ رأسه، وتسترخي شفتُه السُّفلى حتى تَضْرِب سُرَّتَه»(١).

***

(١٠٥ ـ ١٠٦) ـ ﴿أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾: أي: يقال لهم في النار: ألم يكن كتابي المنزلُ على رسولي يُقرأ عليكم.

﴿فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾: وتزعمون أنها ليست من الله تعالى.

﴿قَالُوا۟ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾: قرأ حمزة والكسائي: ﴿شَقاوتُنا﴾ بالألف وفتح الشين، وقرأ الباقون: ﴿شِقْوَتُنَا﴾ بكسر الشين وحذف الألف(٢).

---

(١) رواه الترمذي (٢٥٨٧) و(٣١٧٦) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه. وقال: حسن صحيح غريب.

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٤٤٨)، و«التيسير» (ص: ١٦٠).

ومعناه: قال أهل النار: غلب علينا ما سبق لنا[١] في سابق علمك، وكُتب في أمِّ الكتاب من الشقاوة.

وقوله تعالى: ﴿وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ﴾: في الدنيا عن طريق الهدى، وهو كقوله: ﴿حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ [يونس: ٩٦].

وقيل: أي: ﴿غَلَبَتْ عَلَيْنَا﴾ الأعمال الرديَّة والأمور القبيحة التي شَقِينا بها ﴿وَكُنَّا﴾ في فعلها ﴿ضَالِّينَ﴾ عن الحق والصواب، وليس هذا باعتذارٍ بل هو اعترافٌ منهم بسوء الصنيع.

* * *

(١٠٧ ـ ١٠٨) ـ ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ (١٠٧) قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا﴾: أي: من جهنم ﴿فَإِنْ عُدْنَا﴾؛ أي: في الكفر والمعصية ﴿فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾ بالعود؛ أي: فلا نعود.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا﴾: أي: ابْعُدوا في النار ﴿وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ وهو أبلغُ ما يكون من الإذلال.

قال الحسن: وهو آخِرُ كلام أهل النار، فلا يقدرون على الكلام بعده، فلا يبقى لهم إلا زفيرٌ وشهيق[٢].

وقال أبو الدرداء: يرسل على أهل النار الجوع حتى ينسيَهم ذلك كلَّ[٣]

(١) «لنا» ليست في (أ).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ٥٨)، ورواه بنحوه عبد بن حميد كما في «الدر المنثور» (٦/ ١٢٠).

(٣) «كل» من (أ).

العذاب، فيستغيثون فيغاثون بالضريع، فينشبُ[١] في حلوقهم، فيَذْكرون أنهم كانوا في الدنيا يُجيزون الغصص بالشراب، فيستغيثون بالشراب فيُسقون الحميم، فإذا أدنوه من وجوههم شوى وجوههم، وإذا دخل بطونهم قطَّع أمعاءهم، فيدعون خزنة النار: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٩] فيجيبونهم: ﴿أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۚ قَالُوا۟ فَٱدْعُوا۟ ۗ وَمَا دُعَٰٓؤُا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾ [غافر: ٥٠] فيقولون: ادعوا مالكاً، فيقولون: يا مالك: ﴿لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ [الزخرف: ٧٧] قال: فيجابون بعد ألف سنة: ﴿إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾ [الزخرف: ٧٧]، فيقولون: ادعوا ربكم فليس أحد خيراً لكم من ربكم، فيقولون: ﴿رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾ إلى قوله: ﴿ظَٰلِمُونَ﴾[٢].

وفي حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: فلا يجابون قَدْرَ الدنيا مرتين، ثم يقول الله تعالى لهم: ﴿ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ فما نبس القوم بعدها بكلمة[٣]، وما هو إلا الزفير والشهيق في نار جهنم بأصواتٍ كأصوات الحمير أولُها زفيرٌ وآخرُها شهيق[٤].

---

(١) في (ر) و(ف): «فيتشبث».

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٤١٢٩)، وابن أبي الدنيا في صفة النار (٨٤)، والطبري في «تفسيره» (١٧/ ١٢٣)، ورواه الترمذي (٢٥٨٦) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه مرفوعاً. وقال: (قال عبد الله بن عبد الرحمن: والناس لا يرفعون هذا الحديث)، وعبد الله بن عبد الرحمن هو الدارمي صاحب «المسند»، وقال المباركفوري في «تحفة الأحوذي» (٧/ ٢٦٣): هو وإن كان موقوفاً لكنه في حكم المرفوع فإن أمثال ذلك ليس مما يمكن أن يقال من قبل الرأي.

(٣) قوله: «فما نبس القوم بعدها بكلمة» من (أ)، وفي (ف): «فييأس القوم بعدها الكلام»، وفي (ر): «فأيس القوم بعدها فلا أحد يتكلم بكلمة».

(٤) رواه ابن المبارك في الزهد (٣١٩ ـ زوائد نعيم)، وهناد في «الزهد» (٢١٤)، وابن أبي حاتم كما =

وفي حديث محمد بن كعب القرظي: أقبل بعضهم على بعض يَنبح نباحَ الكلب وأطبقت عليهم[١].

* * *

(١٠٩ ـ ١١٠) ـ ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى﴾: وهم المؤمنون ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا﴾: قرأ حمزة والكسائي بضم السين، والباقون بكسرها[٢]، وهما لغتان:

قيل: هما بمعنى الهزء.

وقيل: بالضم من التسخير وبالكسر من الهزء[٣].

= في «تفسير ابن كثير» عند هذه الآية، والطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٦٤٩ و٦٥٠)، والحاكم في «المستدرك» (٨٧٧٠) وصححه، والبيهقي في «البعث والنشور» (٦٤٨).

(١) رواه ابن المبارك في الزهد (ص: ٩١ ـ ٩٢ ـ زوائد نعيم) وقد سقط من المطبوع بعضه لسقط في المخطوط نبه إليه المحقق، وهو خبر طويل ذكره بتمامه القرطبي في «التذكرة» (ص: ٨٩٨ ـ ٩٠٠) وعزاه لابن المبارك، وكذا عزاه إليه في «الجامع لأحكام القرآن» (١٥/ ٩٣) وذكر بعضه ومن ضمنه القطعة المذكورة أعلاه.

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٤٤٨)، و«التيسير» (ص: ١٦٠).

(٣) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (٣/ ١٢٤)، وفيه: فرق أبو عمرو بينهما فجعل المكسورة من جهة التهزؤ والمضمومة من جهة السخرة، ولا يعرف هذا التفريقَ الخليلُ وسيبويه رحمهما الله ولا الكسائي ولا الفراء؛ قال الكسائي: هما لغتان بمعنى واحد؛ كما يقال: عُصِيٌّ وعِصِيٌّ.

وذكر قول النحاس القرطبي في «تفسيره» (١٥/ ٩٤)، ثم عقبه بقوله: وحكى الثعلبي عن الكسائي والفراء الفرق الذي ذكره أبو عمرو، وأن الكسر بمعنى الاستهزاء والسخرية بالقول، والضم بمعنى =

أي: قصدتُم يا معاشر الكفار هؤلاء المؤمنين بالاستهزاء والقهر ﴿حَتَّىٰٓ أَنسَوۡكُمۡ ذِكۡرِي﴾: أي: أنساكم ولوغُكم بذلك ذكرَ الله، وأضاف إليهم بطريق التسبيب، وهو كقوله في الأصنام: ﴿إِنَّهُنَّ أَضۡلَلۡنَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ [إبراهيم: ٣٦].

وقوله تعالى: ﴿وَكُنتُم مِّنۡهُمۡ تَضۡحَكُونَ﴾: مستخِفِّين بهم.

* * *

(١١١ ـ ١١٢) ـ ﴿إِنِّي جَزَيۡتُهُمُ ٱلۡيَوۡمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ١١١ قَٰلَ كَمۡ لَبِثۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ عَدَدَ سِنِينَ﴾.

قوله تعالى: ﴿إِنِّي جَزَيۡتُهُمُ ٱلۡيَوۡمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ﴾: قرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية[1]: ﴿أنهم﴾ بالكسر على الاستئناف[2]، و﴿جَزَيۡتُهُمُ﴾ بالضم: ما جوزوا به الجنة والكرامة.

وقرأ الباقون ﴿إِنَّهُمۡ﴾ على وقوع الجزاء عليه؛ أي: جزيتُهم الفوز من العذاب والنَّيلَ للثواب.

﴿قَٰلَ كَمۡ لَبِثۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ عَدَدَ سِنِينَ﴾: إلى أن بُعثتم، يخاطبهم توبيخاً لهم على إنكار البعث واستبعاده.

= التسخير والاستعباد بالفعل. انظر: «تفسير الثعلبي» (٧/ ٥٨)، و«معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢٤٣)، و«الكشاف» (٣/ ٢٠٥).

قلت: ووقع في «العين» للخليل (٤/ ١٩٦) تفريق بينهما أيضاً.

(١) قوله: «وعاصم في رواية» ليس في (أ)، ولم تذكر عنه في «السبعة» و«التيسير».

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٤٤٨ ـ ٤٤٩)، و«التيسير» (ص: ١٦٠) عن حمزة والكسائي. وقرأ باقي السبعة بفتح الهمزة على ما يأتي.

(١١٣ ـ ١١٤) ـ ﴿قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ الْعَادِّينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

﴿قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾: تقليلاً لمدة[1] الدنيا، كما قال: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾ [النازعات: ٤٦].

وقيل: نسياناً له لعِظَم ما هم فيه.

وقوله تعالى: ﴿فَسْـَٔلِ الْعَادِّينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: أي: العارفين عددَ ذلك فإنَّا قد نسيناه، وعلى تأويل التقليل: لا نتيقَّن بمبلغ عدد السنين فاسأل مَن يعرف ذلك.

وقيل: المراد من العادِّين هم الملائكة؛ لأنهم كانوا يَعُدُّون الأنفاس والأوقات.

وقيل: المراد به المنجِّمون لأنهم كانوا يحفظون ذلك.

وقال مجاهد وعكرمة والسدي وغيرهم: ﴿فَسْـَٔلِ الْعَادِّينَ﴾؛ أي: الملائكة[2] الذين جعلهم الله حفظةً يكتبون أيام الدنيا ويُحصُونها.

* * *

(١١٥ ـ ١١٦) ـ ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾: أي: أفظننتُم في إنكاركم البعثَ أنا خلقناكم لعباً بغيرِ فائدة، ولا نكلِّفكم في الدنيا ولا نبعثكم للجزاء[3] في العقبى.

---

(١) في (أ): «لهذه».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ١٣١) عن مجاهد، وذكره أبو الليث السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٤٩٢) عن السدي ومجاهد.

(٣) «للجزاء» من (أ) و(ف).

وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾: قرأ حمزة والكسائي بفتح التاء، والباقون بضمها[1]، الأول لازم والثاني هو ما لم يسمَّ فاعله من المتعدي.

﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ﴾: أي: جلَّ عن الأولاد والشركاء والأنداد ﴿ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ﴾: الذي يحق له الملك دون غيره.

وقوله تعالى: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ﴾: الجليلِ في نفسه الخطيرِ في ذاته بجَعل الله له ذلك الوصفَ.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿ٱلْكَرِيمِ﴾: الشريف[2].

***

(١١٧) ـ ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ﴾: أي: لا حجةَ له عليه؛ لأن البرهان عقليٌّ أو نقلي، وليس في واحد منهما ما يجوِّز أن يكون معه إلهٌ آخرُ، وهذا وإن كان مذكوراً في موضع الصفة فليس لتمييز مَن يدَّعي ذلك بلا برهانٍ ممن يدَّعي ذلك ببرهان، بل هو صفةُ تحقيق لا صفةُ تمييز؛ كما في قوله تعالى: ﴿ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟﴾ [المائدة: ٤٤].

وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ﴾: وهو جزاء هذا الشرط؛ أي: قد علم الله ذلك منه وأعدَّ له جزاءه، ثم هو لا يفلح أبداً ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾.

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٤٤٩)، و«التيسير» (ص: ١٦٠).

(٢) لم أقف عليه.

وقيل: معنى قوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ﴾؛ أي: هو الذي يحاسبه يوم القيامة ويجازيه.

﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ ذكر عدم فلاح الكافرين في آخر السورة، ووعد الفلاح للمؤمنين المطيعين في أول السورة.

وقيل: هذا في حالةِ الإكراه، ﴿وَمَن يَدْعُ﴾؛ أي: يتكلَّم به ﴿لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ﴾؛ أي: لا حجة له في هذا التكلُّم، وهو أن يكون مختاراً، فإذا كان مكرهاً فله حجة؛ لأن الله تعالى استثنى حالة الإكراه بقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [النحل: ١٠٦]، والمذكور في الآية هو الدعوة، وذاك قول باللسان، وذاك مع الإكراه لا يكون كفراً، ولو كان مكان كلمة الدعوى ما يدل على الاعتقاد لم يمْكِنَّا الحمل على هذا التأويل.

* * *

(١١٨) - ﴿وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾: نفى: الفلاح للكافر مطلقاً، ووعد الفلاح للمؤمن المطيع مطلقاً، ولما كان المؤمن العاصي على خوف التعذيب مدةً، أمر نبيَّه عليه الصلاة والسلام بهذا الدعاء تعليماً لأمته عليه السلام أن يقولوه ليغفر الله تعالى لهم ذنوبهم فيَصِلون إلى الفلاح، وهو أمرٌ له أن يقول: ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ﴾؛ أي: للمؤمنين والمؤمنات ﴿وَٱرْحَمْ﴾؛ أي: وارحمهم، فيكون الدعاء منه ولكن[1] لهم.

وروى ابن مسعود رضي الله عنه قال: كنتُ مع رسول الله ﷺ في بعض طرقات المدينة، إذا برجل قد صُرع، فدنوتُ فقرأتُ في أذنه فاستوى جالساً، فقال النبي ﷺ:

---

(١) «ولكن» ليست في (ف).

«ماذا[١] قرأتَ في أذنه يا ابنَ أم عبد؟» قلتُ: فداكَ أبي وأمي، قرأت: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾، فقال النبي ﷺ: «والذي بعثني بالحق لو قرأها موقنٌ على جبلٍ لذاب»[٢].

والحمد لله ربِّ العالمين، ربَّنا أدخِلْنا الجنة آمين[٣]

---

(١) في (ف): «ما».

(٢) رواه الإمام أحمد في «العلل» (٥٩٧٩)، والعقيلي في «الضعفاء» (٢/ ١٦٣)، وابن الجوزي في «الموضوعات» (١/ ١٨٦)، من طريق سلام بن رزين عن الأعمش عن شقيق عن ابن مسعود به.
قال الإمام أحمد: هذا حديث موضوع، هذا حديث الكذابين. وقال الذهبي في «الميزان» ترجمة سلام بن رزين: لا يعرف، وحديثه باطل.
قلت: لكن قال ابن عراق في «تنزيه الشريعة» (١/ ٢٩٤): تعقب بأن له طريقاً آخر أخرجه أبو يعلى بسند رجاله رجال الصحيح سوى ابن لهيعة وحنش الصنعاني وحديثهما حسن.

(٣) قلت: رواه بهذا السند أبو يعلى في «مسنده» (٥٠٤٥)، والطبراني في «الدعاء» (١٠٨١)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٦٣١)، والثعلبي في «تفسيره» (٧/ ٦١)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٧)، من طريق الوليد بن مسلم، عن ابن لهيعة، عن عبد الله بن هبيرة، عن حنش الصنعاني، عن عبد الله. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥/ ١١٥): رواه أبو يعلى، وفيه ابن لهيعة، وفيه ضعف، وحديثه حسن، وبقية رجاله رجال الصحيح.
ولكن الشيخ الألباني نبه في «السلسلة الضعيفة» (٢١٨٩) على علة في هذا الحديث تجعله من باب المرسل، فقال: وقد فاتهم التنبيه على أن الوليد بن مسلم وإن كان من رجال الصحيح فإنه كان يدلِّس تدليس التسوية، لكنه قد توبع، فقال ابن أبي حاتم في «التفسير» (٨/ ٢٥١٣): حدثنا بحر بن نصر الخولاني: حدثنا ابن وهب: أخبرني ابن لهيعة عن ابن هبيرة عن حنش بن عبد الله: أن رجلاً مصاباً مُرَّ به على ابن مسعود، فقرأ في أذنه. الحديث. وهكذا عزاه ابن كثير لابن أبي حاتم.
وكذا أخرجه الخطيب في «تاريخ بغداد» (١٢/ ٣١٢) من طريق أبي عمرو عفيف بن سالم، والبغوي في «تفسيره» (٥/ ٤٣٢) من طريق بشر بن عمر قالا: أخبرنا ابن لهيعة، به. =

= قلت (القائل الألباني): ويلاحظ أن هؤلاء الثلاثة: (ابن وهب) و(عفيف) و(بشر)، وثلاثتهم ثقات ـ بل والأول حديثه عن ابن لهيعة صحيح ـ قالوا: (عن حنش بن عبد الله أن رجلا..)، فأرسلوه، بخلاف الوليد بن مسلم، فإنه قال: (عن حنش عن عبد الله أنه...)، فجعله من مسند ابن مسعود، وإن مما لا شك فيه أن الإرسال هو الصواب... إلى آخر ما قال.

قلت: ويؤيد ما ذهب إليه الألباني أن أبا عبيد في «فضائل القرآن» (ص: ٢٧٨) رواه عن أبي الأسود عن ابن لهيعة، عن عبدِ الله بن هُبَيرةَ، عن حَنَشٍ الصَّنْعانيِّ: أنَّ رجلًا مصابًا...، فذكره مرسلاً أيضاً، وأبو الأسود هو النضر بن عبد الجبار المرادي، وهو أيضاً ثقة من رجال «التقريب».

في (أ): «رب نجنا من القوم الظالمين».

سُورَةُ النُّورِ

سُورَةُ النُّورِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

بسم الله الذي حرَّم السِّفَاح، الرحمنِ الذي شرَعَ[1] النِّكاح، الرحيمِ الذي وعد على السمع والطاعة الفلاح.

روى أبيٌّ بن كعب رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «مَن قرأ سورة النور كان له عشرُ حسنات بعددِ كلِّ مؤمنٍ ومؤمنة فيما مضى وفيما بقي»[2].

وعن أبي عطيةَ قال: كَتب إلينا عمر بن الخطاب رضي الله عنه: تعلَّموا سورةَ براءة وعلِّموا نساءكم سورة النور[3].

وهذه السورة مدنية، وهي اثنتان وستُّون آية، وقيل: أربع، والاختلاف في اثنين: ﴿بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ﴾ ﴿يَذۡهَبُ بِٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾.

وكلماتها ألف وثلاثُ مئةٍ وستةَ عشر، وحروفُها خمسةُ آلافٍ وستُّ مئة وستةٌ وثلاثون.

---

(١) في (ر) و(ف): «أحل».

(٢) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ٦٢)، وهو قطعة من الحديث الموضوع في فضائل السور، وقد تقدم الكلام عليه مراراً. وانظر: «الفتح السماوي» للمناوي (٢/ ٨٧٩)، و«الفوائد المجموعة» للشوكاني (ص: ٢٩٦).

(٣) رواه سعيد بن منصور في «سننه» (١٠٠٤ ـ تفسير)، والبيهقي في «الشعب» (٢٤٣٧).

وانتظام أول هذه السورة بآخر تلك السورة: أنه أُمر في آخر تلك السورة بسؤال الرحمة، ونيلُ الرحمة بأداء الطاعة دون فعل المعصية، فقد قال في أول هذه السورة في حقِّ مَن عصَى الله: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ﴾.

وانتظام السورتين: أنه بدأ تلك السورة بخلقِ الإنسان، ثم بما أنعم عليه، ثم بالأمر بالتوحيد وعاقبةِ أهله وذكرِ الشرك وعاقبةِ أهله، وختم بالأمر بالدعاء، وبيَّن في هذه السورة المعاملاتِ والجزاءَ على الموافقات والمخالفات، وهو ترتيبٌ معقول يشهد بحُسنه الأصول.

* * *

(١) ـ ﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿سُورَةٌ﴾: أي: هذه سورة؛ أي: قطعةٌ ودرجةٌ من الكتاب الذي وعدْتُ أن أُنزله عليك.

وقوله تعالى: ﴿أَنزَلْنَاهَا﴾: أي: أنزلناها إليك من السماء.

وقوله تعالى: ﴿وَفَرَضْنَاهَا﴾: قرأ ابن كثير وأبو عمرو بالتشديد، والباقون بالتخفيف[١]، ومعنى التخفيف: فرضُ العمل بها، فأضاف الفرض إليها اختصاراً لوضوح المراد.

قال الضحاك: أوجَبْناها[٢].

ومعنى التشديد: أنزلنا فيها فرائض مختلفةً وفرضناها عليكم وعلى مَن بعدَكم إلى يوم القيامة، والتفعيلُ في الفعل الثلاثي المتعدِّي يكون للتكثير والتذكير.

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٤٥٢)، و«التيسير» (ص: ١٦١).

(٢) لم أجده عن الضحاك، وهو قول كثير من المفسرين. انظر: «معاني القرآن» للنحاس (٤/ ٤٩٣)، و«تفسير الثعلبي» (٧/ ٦٣)، و«البسيط» للواحدي (١٦/ ٦٤).

وحُكي عن أبي عمرو أنه قال: ليست بفريضةٍ واحدة، ولكنها فرائض[١].

وقال غير واحد من المفسرين: بيَّنَّاها[٢].

وقال مجاهد: بينَّا حلالها وحرامها[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾: أي: واضحات ﴿لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾؛ أي: لتتَّعظوا [٤] بها، وأكثرُ هذه السورة ترجع أحكامها إلى التستُّر والتعفُّف وما تَخلَّلها فهو من مقتضياتها.

ومن جلالةِ موقع[٥] أحكام هذه السورة من جملة أمور الدِّين ما ذُكر عن أبي وائل رضي الله عنه قال: خطبنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وهو على الموسم فافتتح سورة النور وأخذ يفسرها، فقال رجل: ما رأيتُ كاليوم كلاماً خرج من رأس رجل، والله لو سمعتْ بهذا التُّركُ[٦] لأسلمت[٧]، وفي بعضها: لو سمعت بهذا الدَّيلمُ لأسلموا[٨].

* * *

---

(١) بعدها في (ف): «مختلفة وفرضناها عليكم».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ١٣٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ١٣٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٥١٦).

(٤) في (ف): «لتتيقظوا».

(٥) في (ر) (ف): «مواضع».

(٦) في (ف): «القول».

(٧) رواه عبد الله بن الإمام أحمد في زوائده على «فضائل الصحابة» لأبيه (١٨٤٨)، والطبري في «تهذيب الآثار» مسند ابن عباس (٢٨٨).

(٨) رواه يعقوب بن سفيان في «المعرفة والتاريخ» (١/ ٢٦٧)، وصحح إسناده الحافظ في «الفتح» (٧/ ١٠٠).

(٢) ـ ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٖۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٞ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ٱلزَّانِيَةُ﴾: أي: المرأة التي مكَّنتْ من الزنا، وهو الوطءُ الحرام الخالي عن النكاح وشبهته، ومِلك اليمين وشبهته، ﴿وَٱلزَّانِي﴾؛ أي: الرجل الذي زنى.

قوله: ﴿فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٖ﴾: أي: اضربوا كلَّ واحد منهما مئة ضربةٍ بالسوط ونحوِه، مأخوذ من الجِلْد فإن الضرب يلاقيهِ.

وفيه إشارة إلى أنه لا يبالغ حتى يصل إلى اللحم بالجَرح، والخطابُ لجميع الأمة؛ لأن إقامة الحد من الدِّين وهو على الكلِّ، ثم يقيمون إماماً ينوب عنهم؛ لأنه لا يمكنهم الاجتماع عليه.

وعمومُ الآية يتناول المحصنَ وغيرَ المحصنِ، ثم خصَّ منه المحصن بحديث الرجم وهو رجم ماعز، ويتناول الأحرار والمماليك، ثم المملوك يحد خمسين جلدة بقوله تعالى: ﴿فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ﴾ [النساء: ٢٥]؛ أي: الحد.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٞ﴾: أي: رقَّةٌ تمنعكم عن إقامة الحد عليهما[١].

﴿فِي دِينِ ٱللَّهِ﴾: أي: طاعته.

وقيل: أي: في حكمه، وأما الرأفة الطبيعية الإسلامية التي لا تدعو إلى تعطيل الحد فلا إثم به.

---

(١) «عليهما» ليست في (أ) و(ف).

وقيل: هذا أمر بإيجاعهما، ولا يخفف رِقةً عليه[1] فلا يحصل المقصود.

قوله تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾: فإن الإيمان يوجب الائتمارَ بأمر الله.

وقوله: ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا﴾: أي: حدَّهما ﴿طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: أقلُّه واحدٌ[2]. وقال مجاهد: اثنان[3]. وقيل: ثلاثة[4].

وقيل: أربعة، وهو عدد شهود الزنا، وقيل: عشرة.

وقال قتادة: أمر الله تعالى أن يشهد ﴿عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ ليكون ذلك عبرة وموعظةً ونكالاً[5].

وقال الحسن: أمر الله تعالى بذلك لتعظيم الحدود.

وقال نصر بن علقمة: أمَا إنَّ ربكم لم يُرِد الفضيحة، ولكن ليُدْعَى لهما بالتوبة والرحمة[6].

وقال الحسن رحمه الله: ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ يعني به مجلسَ الحكم، فإنه لا يكون إلا وفيه طائفةٌ من المؤمنين، وهو إشارة إلى أن إقامته إلى الحكام.

---

(١) «عليه» ليس من (أ).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٥٢٠).

(٣) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٥٢٠) عن سعيد بن جبير، والطبري في «تفسيره» (١٧/ ١٤٧) عن عطاء وعكرمة. أما مجاهد فروى عنه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ١٤٥ ـ ١٤٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٥٢٠) كقول ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ١٤٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٥٢١)، عن الزهري.

(٥) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٥٢١).

(٦) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٥٢٠).

وقال القشيري: ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾؛ أي: ليكون ذلك عليه أشدَّ، وليكون ذلك أشدَّ تخويفاً لمتعاطي ذلك الفعل، ثم من حقِّ الذين يشهدون ذلك الموضع أن يذكروا عظيم نعمة الله عليهم إذ لم يفعلوا مثلَ فعله كيف عصمهم الله تعالى من ذلك، وإن كان قد جرى عليهم شيء من ذلك ذكَروا نعمة الله عليهم إذ لم يَهتك سترَهم ولم يفضحهم ولم يُقمهم في الموضع الذي أقامه فيه، وسبيلُ مَن شهده أن لا يعيِّر صاحبه به، ولا ينسى حكمَ الله في إيذائه على جرمه[1].

وقال غيره: معنى جلدِ غيرِ المحصَن ورَجْمِ المحصَن: أن الخبث بحُرَم الناس عملُ الحمُر والكلاب ليس عملَ العقلاء المميِّزين، فيُضربُ بالخشب ضربَ الحُمر، ويُرمَى بالحجارة رمي الكلاب.

* * *

(٣) ـ ﴿الزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿الزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ﴾: روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: إن المهاجرين أتوا المدينة فضاقت عليهم معيشتُهم في ذات أيديهم لغلاء الأسعار بها، وكان في المدينة نساءٌ فواجرُ زوانٍ غيرُ محصنات متَّسعاتٌ في ذات أيديهن، فقال المهاجرون: لو تزوَّجناهن فأحصناهنَّ، فإذا استغنينا عنهنَّ طلقناهنَّ، فسألوا رسول الله ﷺ عن ذلك، فأنزل الله تعالى هذه الآية[2].

وفي الآية أقاويلُ كثيرة، وللناس في العمل بها مذاهب مختلفة.

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٥٩٤). وفيه: (... في إقدامه على جرمه).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٥٢٢).

وعن سعيد بن المسيب: أن الآية كانت على ظاهرها في تحريم نكاح الزانية على الزاني وغيره، وأن الأمر كان على ذلك إلى أن نسخ ذلك وأبيح لها أن تنكح مَن شاءت من الزاني وغيره، والنسخُ بقوله تعالى: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ﴾ [النور: ٣٢][(١)].

وأصح الأقاويل فيها: أنها ترهيب في نكاح البغايا.

وتأويل ذلك: أن أهل الإسلام والإيمان سبيلُهم أن لا يرغبوا إلا في المسلمات العفائف، فالزاني إنما يميل إلى مَن هي على مذهبه في الزنا والتهتُّك، وإلى مَن لا يعتقد الإيمان، فهو لا يفكر في التعفُّف.

والزانية أيضاً إنما تميل إلى أحد رجلين: إما إلى زانٍ مثلِها، وإما إلى مشركٍ شرٍّ منها؛ أي: فالزنا عديلُ الشرك في أنه قبيح، وأهلُ الإيمان بمعزلٍ عنه، فإن الإيمان قَرينُ العفاف والتحصُّن، فأنتم معاشر الراغبين في البغايا إن كنتم مؤمنين حقيقُون بالزهد فيمَن مذهبُها بمعزلٍ عما يوجبه مذهبُكم في الإيمان، وهو نظير قوله في تأويل بعضهم: ﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ﴾ الآية [النور: ٢٦].

وقوله تعالى: ﴿وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: أي: حرم الزنا، وقيل: الشركُ، وقيل: نكاحُ البغايا قصدَ التكسب بما يأخذون من الزنا.

* * *

(٤) ـ ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾.

---

(١) رواه يحيى بن سلام في «تفسيره» (١/ ٤٢٧)، والشافعي في «أحكام القرآن» (٢/ ٥٥١)، وأبو عبيد في «الناسخ والمنسوخ» (١٧١)، والطبري في «تفسيره» (١٧/ ١٥٩ ـ ١٦٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٥٢٤).

وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ﴾: أي: يقذفون بالزنا العفائفَ ﴿ثُمَّ لَمۡ يَأۡتُواْ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ﴾ على زنا المقذوفة ﴿فَٱجۡلِدُوهُمۡ ثَمَٰنِينَ جَلۡدَةً﴾: فأقيموا حد القذف عليهم بهذا، وهو خطاب للأمة، ويتولى الإمام عنهم كما قلنا في الزُّناة(١).

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقۡبَلُواْ لَهُمۡ شَهَٰدَةً أَبَدٗا﴾: أي: لا تقبلوا شهادتهم أبداً، وهو الحكم في الحد أيضاً، وهو مشروعٌ على التأبيد عندنا لا يُقبل بحال وإن تاب.

وقوله تعالى: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾: خارجون عن الطاعة بقذف المحصَنة.

* * *

(٥) ـ ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُواْ﴾: أي: بعد الرمي وهو القذف ﴿وَأَصۡلَحُواْ﴾؛ أي: أصلحوا أحوالهم بعد التوبة وأظهروا الأعمال الحسنة ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ يغفر ذنوبهم ويرحمهم فلا يعذبهم.

والاستثناء لزوال اسم الفاسقين عنهم، لا لبطلان حكم ردِّ الشهادة، فإنه مؤبَّد ومن جملة الحد، وذلك لا يَبطل بالتوبة، وأما الفسق فيزول بالتوبة، ثم النصُّ في قذف المحصَنة، وحكمُ قذف المحصَن كذلك.

والإحصان في المقذوف يَثبت بخمسة أشياء: العقل والبلوغ والإسلام والحرية والعفة، فإذا فات وصف منها لم يكن محصَناً ولا حدَّ على قاذفه.

وإحصان الزاني الذي يُرجم: بالعقل، والبلوغ، والإسلام، والحرية، والنكاح الصحيح، والدخول بالمنكوحة في النكاح الصحيح، ويعرف ذلك في الفقهيات.

* * *

---

(١) في (ر) و(ف): «الزنا».

(٦) ـ ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ﴾: أي: يقذفون زوجاتهم بالزنا، ذكر هذا بعد ذكر حكم قذف الأجنبيات.

وقوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنفُسُهُمْ﴾: أي: لم يكن لهم شهود أربعة يقيمونهم على دعواهم، واستثنى ﴿أَنفُسُهُمْ﴾ لأن عليهم اللعان، واللعان شهاداتٌ مؤكَّدة بالأيمان، فكانوا شهوداً باللعان.

وقوله تعالى: ﴿فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ﴾: قرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية حفص: ﴿أَرْبَعُ﴾ بالرفع لأنه خبر المبتدأ، وقرأ الباقون بالنصب[١]؛ لوقوع فعل الشهادة عليه؛ أي: فيشهد أحدهم أربعَ شهادات بالله ﴿إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ يحلف أربع مرات أنه صادق فيما رماها به من الزنا بعد التكلُّم بلفظة الشهادة: أشهد أني صادق فيما رميتها به من الزنا.

* * *

(٧) ـ ﴿وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾: قرأ نافع: ﴿أنْ﴾ مخففةً ﴿لعنةُ الله﴾ بالرفع، وقرأ الباقون بتشديد ﴿أَنَّ﴾ ونصب اللعنة[٢].

وقوله تعالى: ﴿إِن كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾: أي: يقول في المرة الخامسة: لعنة الله عليَّ إن كنت كاذباً فيما رميتُها به من الزنا.

* * *

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٤٥٢)، و«التيسير» (ص: ١٦١).

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٤٥٣)، و«التيسير» (ص: ١٦١).

(٨) ـ ﴿ وَيَدْرَؤُاْ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ وَيَدْرَؤُاْ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ ﴾: أي: يدفع عن المرأة الحبسَ والجبرَ على اللعان، فإنها إذا امتنعت عن اللعان[1] حُبست وأجبرت عليه حقًّا للزوج ﴿أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَٰدَٰتٍۭ﴾؛ أي: هذا يدفع عنها الحبس والجبر[2].

وقوله تعالى: ﴿أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾: أي: تقول عند القاضي بعدما لاعن الزوج عند القاضي: أشهد بالله أن زوجي هذا كاذب فيما رماني به من الزنا.

* * *

(٩) ـ ﴿ وَٱلْخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ وَٱلْخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾: قرأ عاصم في رواية حفص: ﴿ وَٱلْخَٰمِسَةَ ﴾ بالنصب عطفاً على قوله: ﴿أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَٰدَٰتٍۭ﴾: وتشهدَ الخامسةَ، والباقون بالرفع[3]؛ أي: واللفظةُ الخامسة: أنَّ غضَب الله عليها.

﴿أَنَّ﴾ بالتخفيف قراءة نافع وبالتشديد قراءة الباقين[4].

قوله: ﴿إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾: أي: تقول في المرة الخامسة: غَضِبَ الله عليَّ إن كان هو صادقاً فيما رماني به من الزنا.

* * *

---

(١) «عن اللعان» من (أ).

(٢) في (ر): «والحد».

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٤٥٣)، و«التيسير» (ص: ١٦١).

(٤) وقراءة نافع: ﴿أَنْ غَضِبَ اللهُ﴾ بكسر الضَّاد في ﴿غَضِبَ﴾ ورفع ﴿اللهُ﴾. انظر: «السبعة» (ص: ٤٥٣)، و«التيسير» (ص: ١٦١).

(١٠) ـ ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾: حذف جواب (لولا) وهو أبلغ؛ لأن النفس تذهب في تقدير جوابه كلَّ مذهب.

وقال الكلبي: جوابه: لأظهر المذنب وفضحه.

وقال الحسن: جوابه[1]: لعاجلكم بالعذاب فأهلككم.

وقال ابن عباس ومقاتلٌ: لمَّا نزل قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ﴾ قرأها النبي ﷺ يوم الجمعة على المنبر، فقام عاصم بن عدي الأنصاري فقال: جعلني الله فداك، إن رأى رجلٌ منا مع امرأته رجلاً فأخبر بما رأى جُلد ثمانين جلدةً وسمي فاسقاً ولا تقبل شهادته أبداً، فكيف لنا بالشهداء، ولو التَمسْنا الشهداء لكان الرجل فرغ من حاجته، وكان لعاصم هذا ابن عم يقال له: عويمر، وله امرأة يقال لها: خولةُ بنت قيس بن مِحْصَنٍ، فأتى عويمرٌ عاصماً فقال: لقد رأيتُ شَرِيكَ بن السَّحْماء على بطن امرأتي خولةَ، فاسترجع عاصمٌ وأتى رسول الله ﷺ في الجمعة الأخرى فقال: يا رسول الله، ما أسرع ما ابتُليت بالسؤال الذي سألتُ في الجمعة الماضية في أهل بيتي، فقال رسول الله ﷺ: «وما ذاك» فقصَّ عليه القصة، وكان عويمرٌ وخولةُ وشَريكٌ كلُّهم بني عمٍّ عاصم، فدعا رسولُ الله ﷺ بهم جميعاً فقال لعويمرٍ: «اتَّقِ الله في زوجتك وحليلتِك وابنةِ عمِّك فلا تقذِفْها» فقال: يا رسول الله، إني أقسم بالله أني رأيت شَريكاً على بطنها، وإني ما قربْتُها منذ أربعةِ أشهرٍ، وإنها حُبْلى من غيري، فقال رسول الله ﷺ للمرأة: «اتَّقي الله ولا تخبري إلا بما صنَعْتِ» فقالت: يا رسول الله، إن عويمراً رجل غيور، وإنه رآني وشَرِيكاً نُطيل السهر ونتحدَّث فحملته الغيرةُ على ما قال يا رسول الله، فقال

---

(١) «جوابه» من (أ).

رسول الله ﷺ لشَريكٍ: «ما تقول؟» فقال: ليس إلا ما تقوله المرأة، فأنزل الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ أَزۡوَٰجَهُمۡ﴾ فأمر رسول الله ﷺ حتى نودي للصلاة جامعة فصلى العصر ثم قال لعويمر: «قم» فقام[١] فقال: أشهد بالله إن خولةَ لزانية[٢] وإني لمن الصادقين، ثم قال في الثانية: أشهد بالله إني رأيت شريكاً على بطنها وإني لمن الصادقين، ثم قال في الثالثة: أشهد إنها حبلى من غيري وإني لمن الصادقين، ثم قال في الرابعة: أشهد إني ما قربتها منذ أربعة أشهر وإني لمن الصادقين، ثم قال في الخامسة: لعنة الله على عويمر ـ يعني: نفسه ـ إن كان من الكاذبين فيما قال، ثم أمره بالقعود ثم قال لخولة: «قومي» فقامت فقالت: أشهد بالله ما أنا بزانية وإنه ـ تعني: عويمراً ـ لمن الكاذبين، ثم قالت في الثانية: أشهد إنه ما رأى شريكاً على بطني وإنه لمن الكاذبين، ثم قالت في الثالثة: أشهد إني حبلى منه وإنه لمن الكاذبين، ثم قالت في الرابعة: أشهد إنه ما رأى قط فاحشة علي وإنه لمن الكاذبين، ثم قالت في الخامسة: غضب الله على خولة ـ تعني: نفسها ـ إن كان ـ تعني: عويمراً ـ من الصادقين، ففرق رسول الله ﷺ بينهما وقال: «لولا الأيمان لكان لي في أمرهما رأي» ثم قال: «تحيَّنوا بها الولادة، فإن جاءت به أصيهِبَ[٣] أُثيبج[٤] يضرب إلى السواد فهو لشريك، وإن جاءت به أورق جعْداً جُمَاليًّا خدلَّج الساقين[٥] فهو لغير الذي رُميت به».

---

(١) «فقام» ليست في (أ).

(٢) بعدها في (ف): «زني بها».

(٣) تصغيرُ أَصْهَبَ، وهو الذي يَضْرِبُ شَعَرُه إلى الحُمْرةِ. انظر: «مجمع الغرائب» للفارسي (مادة: ثبج).

(٤) تصغيرُ الأَثْبَجِ، وهو النَّاتِئُ الثَّبَجِ، وهو ما بَيْن الكاهِلِ ووسَطِ الظَّهر. انظر: «مجمع الغرائب» للفارسي (مادة: ثبج).

(٥) الأورق: الأسمر، والوُرْقة: السمرة، والجُمالي: الضخم الأعضاء التام الأوصال، يقال: ناقةٌ جماليةٌ: مشبهةٌ بالجمل عظمًا وبدانةً. والجَعْدُ في صفات الرِّجال يكونُ مدحا وذمًّا: فالمدح مَعناه أَنْ يكونَ =

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: فجاءت به أشبهَ خلقِ الله بشريكٍ[١].

ثم كلمات[٢] اللعانِ شهاداتٌ مؤكَّداتٌ بالأيمان، وإنما يجري بين الزوجين إذا كانا من أهل الشهادة مسلمَين حرَّين عاقلَين بالِغَين غيرَ محدودين في قذفٍ؛ لقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ أَزۡوَٰجَهُمۡ وَلَمۡ يَكُن لَّهُمۡ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمۡ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمۡ أَرۡبَعُ شَهَٰدَٰتِۭ بِٱللَّهِ﴾ استثنى ﴿أَنفُسُهُمۡ﴾ من جملة الشهداء فسمَّى ذلك شهادةً، ولأنه يشترط لفظة الشهادة ولفظة بالله، فدل على أن الشهادة[٣] مؤكَّدةٌ باليمين.

وقال النبي ﷺ: «لا لعانَ بين أهل الكفر وبين أهل الإسلام، ولا بين العبد وامرأته، ولا بين الحر وامرأته إذا كانت أَمَةً»[٤].

= شديد الأسْرِ والخَلْق، أو يكونَ جَعْدَ الشَّعَر، وأمَّا الذَّم فهو القصير المتردِّد الخَلْق، وخدلَّج الساقين: العظيم الممتلئ الساق. انظر: «النهاية» كل في بابه.

(١) ذكره عن ابن عباس ومقاتل الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ٧٠)، والبغوي في «تفسيره» (٦/ ١٤ ـ ١٥)، وهو في «تفسير مقاتل» (٣/ ١٨٤) دون قوله آخر الخبر: «ثم قال: تحيَّنوا بها الولادة... » إلى آخره، وهذه العبارة مخالفة للروايات الصحيحة، وفيها: أنها إن جاءت بِهِ أُصَيْهِبَ أُثَيبِجَ فهو للزوج، وإن جاءت به أورَقَ جَعْداً جُماليًّا خدلَّج السَّاقيْنِ فهو للذي رُمِيَت به. وفي الخبر أعلاه زيادات أيضا على تلك الروايات. انظر حديث ابن عباس رضي الله عنهما عند أبي داود (٢٢٥٦)، وحديثه أيضاً عند البخاري (٥٣١٠) وأطرافه، ومسلم (١٤٩٧)، وحديث سهل بن سعد عند البخاري (٤٧٤٥) و(٥٣٠٩)، ومسلم (١٤٩٢).

(٢) في (ر) و(ف): «ثم كان».

(٣) في (أ): «على أنها».

(٤) لم أجده بهذا اللفظ، ورواه الدارقطني في «سننه» (٣٣٣٩)، والبيهقي في «سننه» (٧/ ٣٩٦)، من طريق عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أنَّ رسول الله ﷺ، قال: «أَرْبَعٌ من النِّساءِ لا مُلاعَنَةَ بينهم: النَّصرانيَّةُ تحتَ المُسْلِمِ، واليهوديَّةُ تحتَ المُسْلِمِ، والمملوكةُ تحتَ الحُرِّ، والحُرَّةُ تحتَ المملوكِ». وضعفه الدارقطني وكذا البيهقي، ثم روياه عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده موقوفاً، وضعف =

وقال الشافعي: هي أيمان، فتجري بينهما إذا كانا من أهل اليمين، لأن النبي ﷺ قال في هذا الخبر: «لولا الأيمانُ» ولأن الفاسق والأعمى من أهل اللعان بالإجماع، ولا شهادة لهما.

وقلنا: بل فيه معنى اليمين ومعنى الشهادة أيضاً، والفاسق والأعمى لهما شهادة، ولهذا ينعقد بهما النكاح عندنا، لكن في سائر المواضع لا يقبل للتهمة، والتهمة هاهنا غيرُ مانعة؛ لأن العدل يلاعن وهو متهم.

ثم أيُّهما نكَل حُبس وأُجبر عليه حتى يَلتعِن عندنا لأنه حق مقصود.

وعند الشافعي رحمه الله: أيهما نكَل حُدَّ؛ لأن قذف الرجل موجِبٌ للحد عليه، ويسقطه عنه اللعان، ولعان الزوج موجبٌ للحد عليها ولعانُها يسقطه عنها، قال تعالى: ﴿وَيَدْرَؤُا۟ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ﴾؛ أي: الحدَّ، كما قال: ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ﴾.

وقلنا: لا معنى لإقامة الحد عليها بقول الزوج ولا بنكولها؛ لأن الحد لا يقام بالنكول، وأما العذابُ فيحتمِل الحبسَ والجبرَ.

ولا تقع الفُرقة عندنا من غيرِ تفريق القاضي، حتى لو مات أحدهما وَرِثه الآخر، ولو أكذب نفسَه فهي امرأته ولا يفرَّق بينهما.

وعن مالك وزُفرَ رحمة الله عليهما: إذا فرغا وقعت الفُرقة.

وعند الشافعي رحمه الله: تقع الفُرقة بلعان الزوج، ثم لعانُ المرأة لدرءِ الحد عنها، ثم هما لا يجتمعان ما داما متلاعنين.

= البيهقي الموقوف أيضاً. وورد فيه رواية أخرى مرسلة عند عبد الرزاق في «المصنف» (١٢٤٩٨) عن ابن شهاب قال: من وصية النبي ﷺ عتاب بن أسيد: أن لا نكاح بين أربع...، فذكره بنحو الحديث السابق.

فإذا أكذَبَ الزوج نفسه أو بطَلت أهليةُ شهادة أحدهما جاز النكاح بينهما إلا عند أبي يوسف رحمه الله، والدلائل تعرف في الفقهيات.

* * *

(١١) - ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡۚ لَا تَحۡسَبُوهُ شَرّٗا لَّكُمۖ بَلۡ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُم مَّا ٱكۡتَسَبَ مِنَ ٱلۡإِثۡمِۚ وَٱلَّذِي تَوَلَّىٰ كِبۡرَهُۥ مِنۡهُمۡ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡۚ﴾ الآيةَ: ويتصل بما تقدم من إيجاب حد القذف ونزولِ هذه الآيات في حقِّ عائشةَ الصدِّيقةِ زوجِ النبي ﷺ ورضي عنها.

وقصته ما روى الزهري قال: أخبرني عروة وسعيد بن المسيب وعلقمة بن وقاص وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن عائشة رضي الله عنها حين قال فيها أهل الإفك ما قالوا، فبرأها الله تعالى، وكلُّهم حدثني من حديثها طائفة، وبعضهم كان أوعى لحديثها من بعض، زعموا أن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يخرج إلى سفر[١] أَقْرَعَ بين نسائه أَيَّتُهنَّ خرج سهمها خرج بها[٢] معه، فأَقرع بيننا في غزوة بني الـمُصْطلِق فخرج سهمي، فخرجت مع رسول الله ﷺ بعدما أُنزل الحجاب، قالت: فأُحمل في هودجي وأُنزل فيه، فسرنا حتى إذا فرغ رسول الله ﷺ من غزوته وقفَل ودنَوْنا من المدينة قافلين، آذن ليلةً بالرحيل، فقمت حين آذنوا بالرحيل فسرت حتى جاوزتُ الجيش، فلما قضيتُ شأني أقبلتُ إلى رحلي فلمستُ صدري فإذا عِقدٌ لي من جَزْع ظَفَار قد انقطع، فرجعتُ فالتمستُ عِقدي، فحبسني ابتغاؤه، وأقبل الرَّهْط الذين كانوا يَرْحَلون لي[٣] فاحتملوا هودجي

---

(١) في (ف) و(أ): «إذا أراد سفراً».

(٢) في (ر) و(ف): «أخرجها».

(٣) في (ر) و(ف): «يرحلون بي»، وهي موافقة لرواية «مسند أحمد»، والمثبت موافق لرواية مسلم =

فرَحَلوه على بعيري الذي كنتُ أركب وهم يحسَبون أني فيه، وكان الناس إذ ذاك خَفافاً فلم يستنكِرِ القوم ثقلَ الهودج(١) حين رفعوه وكنت جاريةً حديثةً [السنِّ] فبعثوا الجمل وساروا، ووجدتُ عِقدي بعدما استمرَّ الجيش، فجئت منازلهم وليس بها منهم داعٍ ولا مجيبٌ، فتيمَّمْتُ منزلي الذي كنتُ فيه وظننتُ أنهم سيفقدونني ويرجعون إليَّ، فبينا أنا جالسةٌ في منزلي غلبَتْني عيناي فنمتُ، وكان صفوان بن المعطَّلِ [السُّلَميُّ ثم] الذَّكْوانيُّ من وراء الجيش، فأَدلج فأصبح عند منزلي، فرأى سوادَ إنسانٍ نائمٍ، فأتاني فعرَفني حين رآني، وكان يراني قبل الحجاب، فاسترجع فاستيقظتُ باسترجاعه حين عرَفني، فخمَّرْتُ وجهي بجلبابي، وواللهِ ما تكلَّمنا بكلمةٍ ولا سمعتُ منه كلمةً غيرَ استرجاعه، حتى أناخ راحلتَه فركبتُها وانطلق يقودُ بي الراحلة، حتى أتينا الجيش بعدما نزلوا في نحرِ الظهيرة، فهلَكَ مَن هلَك، وكان الذي تولَّى أمرَ الإفك عبدَ الله بن أبيٍّ ابنَ سَلُولَ لعنه الله.

فقدمنا المدينة فاشتكيتُ حين قدمتُ المدينة شهراً والناسُ يُفيضون في قول أصحاب الإفك ولا أشعر بشيء من ذلك، وهو يَريبُني في وجَعي غيرَ أني لا أعرف من رسول الله ﷺ التلطُّف الذي كنتُ أرى منه حين أشتكي، إنما يدخل عليَّ رسول الله ﷺ ثم يقول: «كيف تِيْكم» ثم ينصرف، فذلك يَريبني ولا أشعرُ بالشر، حتى خرجتُ بعدما نَقَهْتُ، وخرجت مع أمِّ مِسْطَحٍ قِبَلَ المناصع وهو متبرَّزنا، ولا نخرج إلا من

= وإحدى روايتي البخاري، وفي الرواية الثانية عند البخاري: (يُرحِّلوني).

(١) كذا في النسخ ورواية أحمد ومسلم: (ثقل الهودج)، وفي رواية البخاري: (خفة الهودج)، وهي أوضح، قال الحافظ: (لأن مرادها إقامة عذرهم في تحميل هودجها وهي ليست فيه، فكأنها تقول: كأنها لخفة جسمها بحيث إن الذين يحملون هودجها لا فرق عندهم بين وجودها فيه وعدمها...) وانظر توجيه الرواية الأولى في «الفتح» (٨/ ٤٦٠).

الليل إلى الليل، وذلك قبل أن نتَّخذ الكُنُف وهو قريب[١] من بيوتنا، وأَمْرُنا أمرُ العرب الأُوَل في البرية، وكنا نتأذَّى بالكنف أن نتخذها عند بيوتنا، فانطلقت أنا وأمُّ مسطحٍ ـ وهي بنت أبي رُهْمِ[٢] بن المطلب بن عبد مناف، وأمها بنت صخر بن عامر[٣] بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة، خالةُ أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وأم أبي بكر أمُّ الخير بنتُ صخر بن عامر بن عمرو، وابنُها مِسطح بن أُثاثةَ بنِ عَبَّاد بن المطلب[٤] ـ بن عبد منافٍ، فأقبلتُ أنا وأمُّ مسطحٍ قِبَل بيتي حين فرغنا من شأننا، فعثَرتْ أمُّ مسطح في مِرْطِها، فقالت: تَعِسَ مسطحٌ، فقلتُ لها: بئس ما قلت، أتسبِّين رجلاً شهد بدراً؟! فقالت: أيْ هَنْتاه! أولم تسمعي ما قال؟ قالت: قلتُ: وماذا قال؟ قالت: فأخبرتني بقول أهل الإفك، قالت: فازدَدْتُ مرضاً على مرضي، فلما رجعتُ إلى بيتي دخل عليَّ رسول الله ﷺ ثم قال: «كيف تيكُم» فقلت له: أتأذنُ لي أنْ آتيَ أبويَّ؟ قالت: وأنا حينئذ أريد أن أستيقِنَ الخبر من قبَلهما، فأذِنَ لي رسول الله ﷺ، فجئتُ أبويَّ فقلتُ لأمي: أي أمَّاه! ماذا يتحدَّث الناس؟ فقالت: أي بنيَّةُ هوِّني عليك، فوالله ما كانت امرأةٌ قط وضيئةٌ عند رجل يحبُّها لها ضرائرُ إلا أكثرنَ عليها، قلتُ: فقلتُ: سبحان الله! ولقد تحدَّث الناس بهذا؟! قالت: فبكيتُ تلك الليلة حتى أصبحتُ لا يرقأُ لي دمعٌ ولا أكتحلُ بنوم، قالت: ثم أصبحت أبكي.

ودعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأسامة بن زيد حين استَلْبَثَ الوحي يستشيرهما في فراق أهله، قالت: أمَّا أسامة فأشار على رسول الله ﷺ

---

(١) «وهو قريب» كذا في النسخ، وفي الصحيحين و«المسند» بدلًا منها: (قريباً).

(٢) في (ر): «زينب ابنة رهم».

(٣) في جميع النسخ: «وأمها أم صخر بنت عامر» والمثبت من الصحيحين و«المسند».

(٤) في (أ): «ابن عبد المطلب» في (ف): «ابن عباد بن عبد المطلب» بدل: «بن عباد بن المطلب».

بالذي يَعلم من براءة[١] أهله، وبالذي يعلم في نفسه لهم من الودِّ، فقال: يا رسول الله، أهلُك ولا نعلم إلا خيراً، قالت: وأما عليٌّ فقال: يا رسول الله، لم يضيق الله عليك والنساءُ سواها كثير، وأرسل إلى الجارية تَصْدَقْكَ، قالت: فدعا رسول الله ﷺ بريرةَ فقال لها: «أي بريرةُ، هل رأيتِ من عائشةَ شيئاً يَرِيبك؟» قالت له بريرة: والذي بعثك بالحق إنْ رأيتُ عليها أمراً قط أَغمِصُه عليها، غير أنها جارية حديثة السن تنام عن عجينِ أهلها، فتأتي الداجن فتأكله، قالت: فقام رسول الله ﷺ من يومه فاستعذر من عبد الله بن أبيٍّ ابنِ سلول، قالت: قال رسول الله ﷺ وهو على المنبر: «يا معشرَ المسلمين، مَن يَعذِرني من رجل قد بلغني أذاه في أهلي، والله ما علمتُ على أهلي إلا خيراً، وقد ذكروا رجلاً ما علمتُ عليه إلا خيراً، وما كان يدخل على أهلي إلا معي» قالت: فقام سعد بن معاذ وقال: يا رسول الله، أنا أَعذِرك منه، إن كان من الأوس ضربتُ عنقه، وإن كان من إخواننا من الخزرج أمَرْتَنا ففعلنا أمرَك، قالت: وقام سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج، وكان قبل ذلك رجلاً صالحاً ولكن احتمَلَتْه[٢] الحمية، فقال لسعد بن معاذ: كذبتَ، لعمرُ الله لا تقتله ولا تقدر على قتله، فقام أُسَيد بن حُضَير وهو ابن عم سعد بن معاذ فقال لسعد بن عبادة: كذبت، لعمر الله لنقتلنَّه، فإنك رجل منافق تجادل عن المنافقين، قالت: فثار الحيان الأوس والخزرج حتى هموا أن يقتتلوا، ورسول الله ﷺ قائم على المنبر، قالت: فلم يزل رسول الله ﷺ يخفِّضهم حتى سكتوا وسكت.

قالت: فبكيتُ يومي ذلك كلَّه لا يَرقأ لي دمع ولا أكتحِل بنوم، قالت: فأصبح أبواي عندي وقد بكيتُ يومين وليلتين لا أكتحل بنوم ولا يرقأ لي دمع، يظنان

(١) في (ف): «منزلة».

(٢) في (أ): «أجهلته».

أن البكاء فالق كبدي، قالت: فبينما هما عندي وأنا أبكي استأذنتْ عليَّ امرأة من الأنصار فأذنتُ لها، فجلست تبكي معي، قالت: فبينما نحن على ذلك إذ دخل علينا رسول الله ﷺ، ثم جلس في البيت ولم يجلس عندي منذ قيل ما قيل قبلها، وقد لبث لا يوحى إليه في شأني شيءٌ، فتشهَّد حين جلس ثم قال: «أمَّا بعدُ، يا عائشة، فإنه قد بلَغني عنك كذا وكذا، فإن كنتِ بريئةً فسيبرِّئك الله، وإن كنتِ ألمَمْتِ بذنبٍ فاستغفري اللهَ وتوبي إليه».

قالت: فلما قضى رسول الله ﷺ مقالته غاض دمعي حتى ما أُحسُّ منه قطرةً، فقلت لأبي: أجِبْ رسول الله ﷺ فيما قال، قال: والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ، فقلت لأمي: أجيبي رسول الله ﷺ، فقالت: ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ، فقلت وأنا جاريةٌ حديثة السن لا أقرأ[1] كثيراً من القرآن: وقد سمعتم هذا الحديث حتى استقر في أنفسكم وصدَّقتم به، ولئن قلت لكم: إني بريئة ـ والله يعلم أني منه[2] بريئة ـ لا تصدِّقونني بذلك، ولئن اعترفتُ لكم بأمر ـ والله يعلم أني منه بريئة ـ لتصدِّقُنِّي، وإني والله لا أجد لي ولكم مثلاً إلا أبا يوسف قال: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: ١٨].

قالت: ثم تحوَّلْتُ فاضطجَعْتُ على فراشي، قالت: وأنا والله حينئذ أعلم أني بريئة وأن الله سيبرِّئني ببراءتي، ولكن ما كنتُ أظن أن الله يُنزل شيئاً في شأني من الوحي يُتلى، ولَشَأني كان في نفسي أحقرَ من أن يتكلم الله فيَّ بأمرٍ يُتلى، ولكن كنتُ أرجو أن يرى رسول الله في النوم رؤيا يبرِّئني الله[3] بها.

---

(١) من هنا بداية سقط من النسخة (ر) وسنبين آخره في مكانه.

(٢) «منه» من (ف).

(٣) في (ف): «رؤيا أبرأ بها».

قالت: والله ما قام رسول الله ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أنزل عليه، فأخذه ما كان يأخذه من البُرَحاء حتى أنه ليتحدَّرُ منه مثلُ الجُمَانِ من العرق في اليوم الشاتي من ثقلِ القول الذي أنزل عليه، قالت: فسرِّي عن رسول الله وهو يضحك، فكانت أول كلمةٍ تكلَّم بها أن قال: «يا عائشة، أما والله لقد برَّأك الله»، قالت أمي: قومي إلى رسول الله ﷺ، قالت: قلت: لا والله لا أقوم إليه فإني لا أحمد إلا الله، وأنزل الله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ﴾ الآياتِ كلَّها.

فلما أنزل الله الآيات في براءتي، وكان أبو بكر الصدِّيق ينفق على مسطح لقرابته منه وفقره، فقال: والله لا أنفق على مسطحٍ شيئاً أبداً بعد الذي قال لعائشة، فأنزل الله: ﴿وَلَا يَأۡتَلِ أُوْلُواْ ٱلۡفَضۡلِ مِنكُمۡ وَٱلسَّعَةِ﴾ الآية، فلما أنزلت الآية قال أبو بكر رضي الله عنه: بلى والله إني لأحبُّ أن يغفر الله لي، فرجع إلى مسطحٍ بالنفقة التي كان ينفق عليه، وقال: والله لا أنزعُها عنه أبداً[1].

وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡ﴾ أخبر بما كان غيباً عنهم؛ لأنهم ظنوا أن الإفك وقع من الكفار دون مَن كان من المؤمنين، فقال: إن الذين أتوا بالكذب[2] في أمر عائشة ﴿عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡ﴾؛ أي: طائفة منكم معشرَ المسلمين، وهذا تعجيبٌ من استزلال الشيطان أهلَ الإيمان بمثل هذا من العصيان.

قوله: ﴿لَا تَحۡسَبُوهُ شَرّٗا لَّكُم﴾: أي: لا تظنُّوه شرًّا أصابكم ﴿بَلۡ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ﴾؛ أي: بل هو لكم خيرٌ ولهم شرٌّ، لأن في ذلك أجراً لكم وتكفيراً لخطاياكم.

قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُم مَّا ٱكۡتَسَبَ مِنَ ٱلۡإِثۡمِ﴾: أي: على كلِّ واحد منهم عقوبةُ ما اكتسب من الوِزر على قَدْر سعيه في إشاعةِ ذلك والقولِ به.

---

(١) رواه البخاري (٤١٤١) و(٤٧٥٠)، ومسلم (٢٧٧٠)، والإمام أحمد في «المسند» (٢٥٦٢٣).

(٢) في (ف): «بالإفك».

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ﴾: أي: والذي فعل بنفسه معظَم ذلك ﴿مِنْهُمْ﴾؛ أي: من العصبة ﴿لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ أعظم من عذابِ مَن هو دونه.

قيل: هو الذي بدأ به.

وقيل: هو الذي كانوا يجتمعون عنده ويتكلَّمون به ويؤذون[1] إلى عائشة بذلك، وهو عبد الله بن أُبيٍّ ابنُ سَلُولَ لعنه الله، وكان رأسَ المنافقين، ودخل في قوله تعالى: ﴿عُصْبَةٌ مِنْكُمْ﴾ ـ وهم المؤمنون ـ لإظهاره الإيمان.

وقيل: والذي تولَّى كبرَه حسان بن ثابت، وابن أبيٍّ، وأَروى، ومسطح بن أثاثة[2].

وروي أن النبي عليه السلام جلد في هذا رجلين وامرأةً[3]، ودخلت في قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ﴾ لأنه كلمةُ جمع، والأنثى تدخل في جمع الذكور باسمهم.

***

(١٢) ـ ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ﴾.

قوله تعالى: ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ﴾: أي: هلَّا إذ سمعتُموه ﴿ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا﴾؛ أي: بأمثالهم كما قال: ﴿فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ﴾ [النور: ٦١] ﴿وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ﴾؛ أي: كذب ظاهرٌ ولا يليق بهما، وعائشةُ هي زوجة رسول الله وأحبُّ الناس[4] إليه.

---

(١) في (ف): «ويودون».

(٢) ذكره البخاري (٤٧٥٧) معلقاً، ومسلم (٢٧٧٠/ ٥٨) متصلًا، من حديث عائشة رضي الله عنها، لكن فيه: (حمنة)، مكان كلمة: «أروى».

(٣) رواه أبو داود (٤٤٧٤)، والترمذي (٣١٨١)، من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٤) في (ف): «نسائه».

وقال القشيري رحمه الله: بيَّن الله تعالى بهذه القصة أنه لا يُخْلي أحداً من المحنة والبلاء في المحبة والولاء، والمحنة من أقوى[1] أركان المحبة، قال رسول الله ﷺ: «يُمتحَنُ الرجل على قَدْر دينه»[2] وإن الله ليغار على قلوب خواصِّ عباده، فإذا حصلت مساكنةٌ لبعضٍ إلى بعضٍ أجرى الله ما يردُّ كلًّا عن صاحبه، فيردُّه إلى نفسه، وفي ذلك قالوا:

إذا عَلِقَتْ رُوحي حَبيباً تعلَّقتْ ... به غِيَرُ الأيام كي تسلُبَنِّيا[3]

وإن النبي عليه السلام لمَّا قيل له: أيُّ الناس أحبُّ إليك؟ قال: «عائشة»[4].

وقالت عائشة: يا رسول الله، إني لأحبُّك وأحبُّ قربك[5].

فأجرى الله حديثَ الإفك حتى انصرف قلبُ رسول الله، فكان لا يزيد على قوله: «كيف تيكم» وانصرف قلبها حتى قالت عند ظهور البراءة: نحمد الله لا نحمدك[6].

* * *

(١٣) ـ ﴿لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُواْ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُوْلَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾.

---

(١) في (أ) و(ف): «أقوى من»، والمثبت من «اللطائف».

(٢) رواه الترمذي (٢٣٩٨)، وابن ماجه (٤٠٢٣)، من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه. قال الترمذي: حسن صحيح.

(٣) في (أ): «غير الأيام تسلبنه»، وسقط البيت من (ف)، والمثبت من «اللطائف».

(٤) رواه البخاري (٣٦٦٢)، ومسلم (٢٣٨٤)، من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه.

(٥) رواه ابن حبان في «صحيحه» (٦٢٠) من حديث عائشة رضي الله عنها بلفظ: والله إنِّي لأُحِبُّ قُرْبَكَ، وأُحبُّ ما سَرَّكَ.

(٦) في (ف): «بحمد الله لا بحمدك»، ومثله في مطبوع اللطائف. انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٥٩٦ ـ ٥٩٧).

قوله تعالى: ﴿لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ﴾: أي: العُصْبة ﴿بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ﴾: إن كانوا صادقين فهلا أقاموا أربعة شهود[١].

قوله تعالى: ﴿فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾: ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: في حكم الله؛ كما يقال: جوابه عند أبي حنيفة رحمه الله كذا وعند الشافعي كذا، وهذا في كلِّ الناس: مَن قذف ولم يُقم عليه بينة فهو كاذبٌ في حكم الشرع، به يسمى وإليه ينسب وإن كان صادقاً في الباطن، ولو أقام بينةً عُدَّ صادقاً وإن كان كاذباً في الباطن.

وقيل: ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: في علم الله، وهذا يكون في حديث عائشة رضي الله عنها على الخصوص؛ لأن الله تعالى علِم كذبَ قذفِها[٢].

وتأويل الآية على هذا القول: لولا جاؤوا عليه بأربعة شهداء فيكونَ لهم حجةٌ في الظاهر على صدقهم، فإذ[٣] لم يأتوا بالشهداء فاعلموا أنهم عنده[٤] كاذبون في الباطن كما هم كاذبون عندكم في الظاهر.

وفائدة هذا الكلام: أنهم لو أتوا بأربعة شهداء لكانوا غيرَ كاذبين في الظاهر، وكاذبين في الباطن.

* * *

(١٤) - ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

---

(١) «فهلا أقاموا أربعة شهود» ليس في (ف).

(٢) في (ف): «لأن الله تعالى كذَّب قذَفَتَها».

(٣) في (ف): «وإن».

(٤) في (ف): «عندي».

قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾: أي: ولولا فضله عليكم ورحمته بأنْ لا يعاجلَكم بالعقوبة وبسَطَ لكم مدةَ التوبة ويقبلُ توبتكم، وهو فضلُه ورحمته في الدنيا، ثم يغفر لكم ويرحمكم يوم القيامة إذا أتيتم تائبين، ولا يعذبُكم ويتفضَّل عليكم فيدخلكم الجنة، وهو فضل ورحمة في الآخرة.

قوله تعالى: ﴿لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾: أي: لنالكم فيما خُضتم فيه من الإفك عذابٌ عظيم تعاجَلون به.

وقيل: معناه: ولولا فضل الله عليكم ورحمته لمسَّكم فيما أفضتُم فيه عذابٌ عظيم في الدنيا والآخرة جميعاً، ولكنه تفضَّل عليكم ورحمَكم بأن يسترَ[1] عليكم في الدنيا وقَبِل توبتكم وأزال عنكم العذاب في الدارين بالتوبة.

* * *

(١٥) - ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾.

قوله تعالى: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾: قال ابن عباس رضي الله عنهما: أي: يرويه بعضُكم عن بعض.

وقيل: أي: تأخذونه؛ كقوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾ [البقرة: ٣٧].

وأصله: (تتلقَّونه)، وهي قراءة أبيِّ بن كعبٍ، وقراءة عائشة: (تَلِقُونه) بكسر اللام وتخفيف القاف[2] من الوَلَق وهو الكذب.

وقيل: السرعة في الكذب.

---

(١) في (ف): «تفضل عليكم بأن ستر».

(٢) القراءتان في «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٠٢).

ومعنى التلقي بالألسنة: أن التلقِّيَ قد يكون بغيرِ الكلام، قال تعالى: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ﴾ [ق: ١٧]، وذلك أخذٌ وكتابة من غير اختصاصٍ بالقول.

وكان تلقيهم بالألسنة: أن بعضهم كان يقول لبعض: هل بلغك حديث عائشة؟ حتى فاض ذلك فيما بينهم.

قوله تعالى: ﴿وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ﴾: والتقييد بالأفواه أيضاً: أنه لا حقيقة له فهو مقتصِر على وجودها بالأفواه لا غير، وهو كقوله تعالى في الظهار: ﴿ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ﴾ [الأحزاب: ٤].

﴿وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا﴾: يسيراً لا إثم فيه ﴿وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ﴾ تستحقُّون به العقوبة لإيذائكم رسول الله ﷺ وزوجةَ رسوله، وإشاعةِ الفاحشة في المنزَّهة عنها.

ومعنى ﴿عَظِيمٌ﴾: منكرٌ شنيع، وإطلاقه في ذلك متعارفٌ.

* * *

(١٦) ـ ﴿وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا﴾: أي: هلا إذ سمعتُم هذا الأفك قلتُم: ما يحلُّ لنا في دين الله أن نتكلَّم بهذا الإفك.

قوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَكَ﴾ كلمة تعجُّبٍ؛ أي: العجب ممن يتكلم بهذا قال الأعشى:

أقـولُ لـمَّـا جـاءني فـخـرُه ... سبحان مـن علقمـةَ الفاخـرِ[1]

وقيل: أي: ننزِّهك عن أن نعصيَك نحن بالقذف.

---

(١) انظر: «ديوانه» (ص: ٩٤)، و«الكتاب» (١/ ٣٢٤)، وعلقمة هو ابن علاثة، والبيت في هجائه.

﴿هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ﴾: كذبٌ شنيع، وذكر في الآية المتقدمة: ﴿وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾ فيجوز أن يكونوا أُمروا بأن يتكلَّموا بالكلامين جميعاً مبالغةً في التبرُّؤ عن قبوله واعتقاده.

ويجوز أن يكون الثاني تكلُّماً باللسان، فقد ذكره بعد التصريح بالكلام: ﴿أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا﴾ والأول في القول في النفس، فقد ذكره في الظن[1]: ﴿ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ﴾ فلا يكون تكراراً، ويكون مجموعهما: يقولون في أنفسهم: لا نعتقد هذا، ويقولون بألسنتهم: نتبرأ[2] من تجويز هذا.

* * *

(١٧) ـ ﴿يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

قوله تعالى: ﴿يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا﴾: أي: يحذركم الله أن تعودوا إلى مثل ما فعلتُم من القول به وسماعه وتلقِّيه ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾: فإن الإيمان يوجب الاتِّعاظ بوعظِ الله تعالى.

* * *

(١٨) ـ ﴿وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ﴾: أي: علاماتِ الدِّين التي يجب أن يُتديَّنَ بها.

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾: بكم وبأعمالكم ﴿حَكِيمٌ﴾ يجزي على وَفْق العمل[3].

* * *

---

(١) في (ف): «بعد» بدل: «في الظن».

(٢) في (ف): «نبرأ».

(٣) في (ف): «﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾: ﴿عَلِيمٌ﴾ بما قلتم ﴿حَكِيمٌ﴾ بالمجازاة».

(١٩) ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾: أي: تُنشَر المقالة السيئة الشنيعة القبيحة في المؤمنين كهذا الإفكِ من غيرِ صحةٍ ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ و(في المؤمنين) على هذا له وجهان:

أحدهما: أنهم هم المقذوفون؛ أي: يسيئون القول فيهم.

والثاني: ﴿فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾؛ أي: بين[1] الذين آمنوا وهم السامعون؛ أي: يقذفون إنساناً ويظهرونه فيما بين المؤمنين.

والعذاب في الدنيا: حدُّ القذف، وذاك بالقذف.

وفي الآية ذكر ﴿يُحِبُّونَ﴾ لكنْ لمَّا قال: ﴿أَن تَشِيعَ﴾ عُلم أنهم[2] هم الذين أظهروا ما أَحَبُّوا بلسانهم بالتكلُّم بكلمة القذف.

وعذاب الآخرة: النار وسائرُ العقوبات إن لم يتوبوا.

وقال قتادة: ﴿أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ﴾؛ أي: يظهر الزنا[3].

ومعناه: أنهم إذا أشاعوا عن عائشة رضي الله عنها أنها فعلت كذا قالت النساء: إذا ارتكبت عائشة ـ وهي زوجةُ النبي عليه السلام ـ هذا فكيف بنا؟ فيقعن في الزنا ويظهرُ ذلك منهن، فيكون المتكلِّم بهذا على الإفك مسبِّباً ظهور الزنى في النساء، وله عذاب الدنيا والآخرة.

---

(١) في (أ): «من».

(٢) في (ف): «أي قلوبهم لأنهم» بدل: «علم أنهم».

(٣) رواه عبد بن حميد كما في «الدر المنثور» (٦/ ١٦١).

قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾: أي: مقاديرَ الجنايات والعقوبات.

وقيل: والله يعلم مَن الذي يحب أن تشيع الفاحشة، قالوا: وكان ذلك عبدَ الله بن أبيٍّ ابنَ سلولَ لعنه الله، وهو كقوله تعالى: ﴿مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعۡلَمُهُمۡۖ نَحۡنُ نَعۡلَمُهُمۡ﴾ [التوبة: ١٠١].

❊ ❊ ❊

(٢٠) ـ ﴿وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾: أي: لعاجلكم بالعقوبة على ما فعلتُم.

وقيل: معناه: ولولا فضل الله عليكم ورحمتُه بإنزال الوعيد[1] على إشاعةِ الفاحشة لشاعت.

❊ ❊ ❊

(٢١) ـ ﴿۞يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۚ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ﴾.

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾: أي: لا تسلكوا مسالكه، ولا تتَّبعوا أثاره ـ وهي وساوسُه ـ بالإصغاء إلى الإفك والقولِ به.

﴿وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ﴾: أي: مَن اتَّبع ذلك ارتكب الفحشاء والمنكر، فإن الشيطان لا يأمر إلا بهما، وهذا بيانٌ أنه إذا كان كذلك لم يجز طاعتُه ولم يَصلح اتِّباعه.

---

(١) في (ف): «العذاب».

والفحشاء: ما فيه حدٌّ، والمنكر: ما لا حدَّ فيه[1].

وقيل: الفحشاء: القبيح، والمنكر: ما هو في نهاية القبح.

ومعنى الفحشاء لغةً: الفعلة المفرِطةُ القبحِ، ومعنى المنكر: ما لا يعرفه العقل والشرع.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ﴾: أي: ولولا توفيقُ الله وعصمتُه ﴿مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾؛ أي: ما طهُر أحد منكم من دنَس الذنوب أبداً، بل وقعتم فيها لأهواء النفوس وإغواء الشيطان.

قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ﴾: أي: يطهِّر، ودلَّ هذا على أن الله خالقُ الأفعال، وهو حجَّتُنا على أهل الضلال.

قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾: أي: للأصوات ﴿عَلِيمٌ﴾؛ أي: بالأسرار، لا يَخْفَى عليه متَّبعُ الشيطان من غيره، والزكيُّ مِن غيره، وهو ترغيبٌ وترهيب.

* * *

(٢٢)- ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُو۟لُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُو۟لُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ﴾: قيل: أي: لا يحلفْ، وفيه لغتان: آلى يؤلي إيلاء، قال: ﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ﴾ [البقرة: ٢٢٦]، وائتلى يأتلي ائتلاءً، قال زهير:

إنْ تَصْرِمِيني فإني مُؤْتَلٍ قَسَماً ... بالله ليس على مَن قالها زورُ[2]

(١) في (ف): «له».

(٢) لم أقف عليه.

وقال أبو عبيدةَ وقطربٌ: ﴿وَلَا يَأْتَلِ﴾؛ أي: لا يقصِّر، وقد أَلَى يألُو أَلْواً[(١)]؛ أي: قصَّر، قال تعالى: ﴿لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾ [آل عمران: ١١٨]؛ أي: لا يقصِّرون في إفساد أمركم، وائتلَى كذلك؛ قال امرؤ القيس:

أَلَا رُبَّ خصمٍ فيكِ أَلْوَى ردَدْتُه ... نصيحٍ على تَعْذالِهِ غيرِ مؤتَلِ[(٢)]

﴿أُولُوا الْفَضْلِ﴾؛ أي: أولو الفضيلة في الدين والسَّعة؛ أي: الغنى في المال، والواسع: الغني.

وقيل: ﴿أُولُوا الْفَضْلِ﴾؛ أي: أولو الإفضال؛ أي: المشهورون بذلك.

ثم المنكرون فضلَ أبي بكر يحملون هذا الفضلَ على فضل المال، لكن لا معنى له لأنه مستفاد من قوله: ﴿وَالسَّعَةِ﴾، فعُرف أن الفضل ليس بذلك لأنه مُعادٌ محضٌ، بل هو الفضل في الدين.

قوله تعالى: ﴿أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: أي: يعطوا أقرباءهم المساكين المهاجرين، وإدخالُ الواو لاختلاف الصفات، والموصوفون طائفةٌ واحدة.

---

(١) انظر: «مجاز القرآن» (٢/ ٦٥)، و«غريب القرآن» لابن قتيبة (ص: ٣٠٢)، و«تهذيب اللغة» (١٥/ ٣١٠)، و«الغريبين» للهروي (مادة: ألو)، وقد غلَّط ابن عرفة هذا القول كما ذكر الهروي، قال: لأن الآية نزلت في حَلف أبي بكر ألا ينفق على مسطح، فالمعنى: لا تحلفوا.

ولفظ «مجاز القرآن»: (مجازه: ولا يفتعل، من «آليت»: أقسمت، وله موضع آخر من ألوت بالواو).

(٢) انظر: «الديوان» (ص: ٤٧)، و«شرح المعلقات السبع» للزوزني (ص: ٥٨)، وفيه: يقول: ألا ربّ خصمٍ شديد الخصومة كان ينصحني على فرطِ لومه إياي على هواكِ غيرَ مقصِّر في النصيحة واللوم، ردَدْته ولم أنزجر عن هواك بعذله ونصحه. وتحرير المعنى: أنه يخبرها ببلوغ حبه إياها الغاية القصوى، حتى إنه لا يرتدع عنه بردع ناصح ولا ينجع فيه لوم لائم.

وقيل: هم جمعٌ أريد بهم الواحد، وهو مسطحُ بن أُثَاثَةَ الذي ذكرناه في القصة، وقع في الإفك بشؤم صحبةِ ابن أُبيٍّ، وكان جلس تلك الساعة عنده، وحلف أبو بكر الصدِّيقُ رضي الله عنه أن لا ينفق عليه بعد هذا، وكان في نفقته، فنزلت فيهما هذه الآية.

وفيه بيانُ فضل الصدِّيق من وجوه:

أحدها: أنه نهاه مغايبةً وهو تشريفٌ.

وسماه (أولي الفضل) فدل على فضله من وجهين: من جهة الجمع، ومن جهة التنصيص على الفضل.

وحثَّه على إيتاء أولي القُربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله، وكان مسطحٌ قريبَه ابنَ بنت خالته، وكان مسكيناً، وكان مهاجراً، وفيه بيان فضل مسطحٍ أيضاً.

قوله تعالى: ﴿وَلْيَعْفُواْ﴾: أي: وليتجاوزوا عن الجفاء ﴿وَلْيَصْفَحُواْ﴾؛ أي: وليُعْرِضوا عن العقوبة، وهما أمران مغايبة أيضاً[1].

قوله تعالى: ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾: وهذا غايةُ تلطُّفٍ في الخطاب؛ أي: فإذ أحببتُم مغفرة الله لكم فاغفروا لغيركم.

قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: أي: فتأدَّبوا بإذن الله واغفروا وارحموا.

ولما نزل: ﴿أَلَا تُحِبُّونَ﴾ قال أبو بكر: بلى رب، ثم عاد لمسطح إلى ما كان وكفَّر يمينه[2].

---

(١) «مغايبة أيضاً» ليس في (ف).

(٢) قطعة من حديث الإفك الطويل عن عائشة رضي الله عنها، وقد تقدم تخريجه قريباً.

ثم السبب وإن كان خاصًّا فاللفظ عامٌّ، وهو جمعٌ، فكان خطاباً لكلِّ مَن كان ذا فضل وسعة في حق كلِّ ذي قربى ومسكينٍ ومهاجر.

وقال الضحاك: ولما نزل عذرها من السماء قال أبو بكر رضي الله عنه وآخرون من المسلمين: والله لا نَصِلُ رجلاً تكلَّم بشيء من أمر عائشة، ولا نتصدَّق عليه، ولا يكون بيننا وبينه خيرٌ أبداً، فنزلت الآية[1].

وقال القشيري: تحرَّك في الصدِّيق رضي الله عنه عرقٌ من البشرية حتى همَّ بقطع الرِّفق من مسطحٍ، فأبى الله تعالى له ذلك وأنزل هذه الآية، فلم يرض من الصدِّيق أن يتحرك فيه عرقٌ من الأحكام النفسية والمطالبات البشرية، فعاد لِمَا كان يفعله من الإحسان إليه، والإحسانُ إلى المحسن مكافأةٌ، وإلى مَن لا يسيء ولا يحسِنُ فضل، وإلى الجاني[2] فتوةٌ وكرم.

وقال في قوله: ﴿وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ﴾: العفو: أن يتجاوز عن الجاني، والصفح: أن يتناسى جُرمه.

وقيل: العفو بالفعل، والصفح بالقلب فلا يبقى فيه كراهة، وأنشدوا:

ربَّ رامٍ لي بأحجارِ الأذى ... لم أجد بدًّا من العطف عليه
فعسى يطَّلعُ الله على ... فرح[3] القوم فيدنيني إليه[4]

***

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٢٢٥).

(٢) في (ف): «الخاطئ».

(٣) في (ف): «فرج»، وفي مطبوع «اللطائف»: (قدح).

(٤) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٦٠١ ـ ٦٠٢). والبيت الأول نسب مع بيتين آخرين للبهلول بن عمرو المجنون كما رواه البيهقي في «الشعب» (٨٠٩٥).

(٢٣) ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ﴾: أي: يقذفون العفائف ﴿ٱلْغَٰفِلَٰتِ﴾؛ أي: عن الفواحش؛ أي: لا يفكِّرن فيها ولا يتعرَّضن[1] لها ﴿ٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ بكلِّ ما يجب الإيمان به، وفيه إثبات هذه الصفات لعائشة رضي الله عنها.

قوله: ﴿لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا﴾: أي هؤلاء القذَفةُ أُبعدوا في الدنيا عن الثناء الحسن على ألسنة المؤمنين ﴿وَٱلْءَاخِرَةِ﴾؛ أي: وفي الآخرة عن رحمة الله، ويتكلَّم المؤمنون في الدنيا بلعنهم، والملائكةُ في الآخرة، وكذلك أهل الموقف، وكذلك أهل النار، قال تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا﴾ [الأعراف: ٣٨]، وقال: ﴿وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ [العنكبوت: ٢٥].

والآية في عبد الله بن أبيٍّ المنافقِ وأصحابه، وكان الله تعالى علِم منهم الموتَ على النفاق فألزمهم اللعنة[2] في الدارين.

قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ في حقِّهم أيضاً.

وبهذا التأويل ينقضي سؤال مَن قال: ذكر في أول هذه السورة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ﴾ [النور: ٢٣] ثم قال: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟﴾ [النور: ٥] فجعل لهم توبةً والتائبُ لا يكون له لعنةُ الآخرة، لكن نقول: هذه الآية الثانية في حق المنافقين، ولا توبةَ لهؤلاء المنافقين المخصوصين.

وقيل: إن الله ينتقم لأوليائه بأبلغَ مما ينتقم في حقِّ نفسه، قال في حق اليهود

---

(١) في (أ): «يعترضن».

(٢) في (أ): «النقمة».

الذين قالوا: ﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ ولا كلامَ أشنعُ منه: ﴿وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا﴾ [المائدة: ٦٤] فأطلق ولم يقل: في الدنيا والآخرة.

وقال في حقِّ قذَفةِ المحصَنات خصوصاً زوجةَ رسوله عائشة رضي الله عنها: ﴿لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾.

* * *

(٢٤) ـ ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

قوله: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ﴾: قرأ حمزة والكسائي: ﴿يَشْهَد﴾ بياء التذكير لتقدُّم الفعل الحائل، والباقون بالتاء لأنها فعلُ الألسنة وهي جمعٌ[1]؛ أي: ولهم عذابٌ عظيم يومَ تشهد عليهم ألسنتهم بالإفك الذي جاؤوا به، فتعترِف، فيُقذفون بذلك في النار.

﴿وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: أي: ثم تشهد الأيدي والأرجلُ بسائر المعاصي التي عملوا بها، ولا يعارض هذا قولَه: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ﴾ [يس: ٦٥] وشهادةُ الألسنة مع الختم على الأفواه لا تتحقق= لأن ذلك يكون في حالٍ وهذا في حالٍ، ولأن هذا في حق القَذَفة وذاك في حق[2] الكفار الذين يقولون: ﴿وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ فيُختم على أفواه أولئك.

وقال النبي عليه السلام: «إذا كان يومُ القيامة يقول الكافر: إنك وعَدْتني أنْ لا تَظْلِمني، وإني لا أقبل اليومَ عليَّ إلا شاهداً من نفسي، فيَختم الله على لسانه ويُشهِد

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٤٥٤)، و«التيسير» (ص: ١٦١).

(٢) «حق» ليس من (ف).

عليه جوارحَه بما عمل بها من المعاصي، ثم يُنطق الله لسانه فيقول لجوارحه: أفٍّ لكنَّ فعنكنَّ كنتُ[١] أناضل»[٢].

وقال القشيري: كما يشهد على قومٍ يشهد لقومٍ: العينُ بالبكاء، واليد بالعطاء، وكذا سائر الأعضاء، وتشهد في الدنيا أيضاً على المحبة بآثارها: من صُفرة الوجوه، وشُحوب اللون، ونحافة الجسم، وجَرْي الدمع[٣].

* * *

(٢٥) ـ ﴿يَوۡمَئِذٖ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلۡحَقَّ وَيَعۡلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ ٱلۡمُبِينُ﴾.

قوله تعالى: ﴿يَوۡمَئِذٖ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلۡحَقَّ﴾: أي: حسابَهم؛ كما قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ﴾ [التوبة: ٣٦]؛ أي: الحساب المستقيم، وإيفاء الحساب إيفاءُ الجزاء؛ قال تعالى: ﴿فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ﴾ [النور: ٣٩].

وقيل: الدِّين هو الجزاء؛ يقال: كما تَدِين تُدَان[٤]؛ أي: كما تفعل تجازَى به.

و﴿ٱلۡحَقَّ﴾ صفة له؛ أي: هو حقٌّ مستحَقٌّ ولا جورَ فيه بزيادةِ عذاب على غيرِ ذنب ونقصانِ ثوابٍ على طاعةٍ.

---

(١) في (ف): «ففيكن» بدل: «فعنكن كنت».

(٢) رواه مسلم (٢٩٦٩) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٣) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٦٠٢ ـ ٦٠٣).

(٤) رواه عبد الرزاق في «المصنف» (٢٠٢٦٢) من طريق أبي قلابة عن النبي ﷺ مرسلًا. ومن طريق عبد الرزاق رواه أحمد في «الزهد» (ص: ١٤٢) لكن عن أبي قلابة عن أبي الدرداء قوله. وله شاهد موصول من حديث ابن عمر رضي الله عنه رواه ابن عدي في ترجمة محمد بن عبد الملك وضعفه. انظر: «تخريج أحاديث الكشاف» لابن حجر (ص: ٣).

وقال أبو عبيد[1]: هو كقوله: دينَهم حقاً؛ أي: صدقاً، ثم عرَّفه باللام.

قوله تعالى: ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ﴾: على الحقيقة ﴿الْمُبِينُ﴾ ذلك بالبراهين.

***

(٢٦) ـ ﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾.

قوله تعالى: ﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ﴾: أي: الكلمات الخبيثات للرجال الخبيثين؛ أي: كلمات القذف إنما تليق بالفسَّاق.

قوله تعالى: ﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ﴾: أي: الفساق هم الذين يليق بهم الكلام الخبيث.

وقيل: الخبيثات من الكلام إنما تُلصق بالخبيثين لا بالطيبين، وعائشة طيبةٌ اختارها الله لصحبة نبيِّه فلا يُلصق بها هذا.

قوله تعالى: ﴿وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ﴾: أي: الكلمات الطيِّبة للرجال الطيبين ﴿وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ﴾ كذلك.

وقال تعالى: ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ﴾ [إبراهيم: ٢٦]، وقال: ﴿كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾ [إبراهيم: ٢٤]، فدلَّ أن الكلمة توصف بالخبيث والطيب، والخبيثون والطيبون يتناول الذكورَ والإناث جميعاً.

وقيل: ﴿الْخَبِيثَاتُ﴾ من القول والعمل ﴿لِلْخَبِيثِينَ﴾ من الرجال، وعلى هذا بقيَّتُه.

وقيل: ﴿الْخَبِيثَاتُ﴾ من النساء ﴿لِلْخَبِيثِينَ﴾ من الرجال، وكذا بقيَّتُه، وفيه

---

(١) في (ف): «عبيدة». ولم أقف عليه عن أي منهما.

تبرئةُ[١] عائشةَ رضي الله عنها لِمَا أنها زوجةُ رسول الله ﷺ، فهي طيبةٌ لزوجٍ طيبٍ، وامرأةُ المنافق القاذف[٢] خبيثةٌ لزوجٍ خبيث.

قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ﴾: قال بعض المفسرين: هي عائشة.

وقيل: عائشةُ وصفوانُ. وهو جمعٌ أريد به الواحد أو الاثنان.

وقيل: أي: الطيباتُ والطيبون مبرَّؤون مما يقول الخبيثاتُ والخبيثون، واندرج في ذلك عائشة وصفوان رضي الله عنهما.

وقيل: هذا يعم الصِّنفين؛ أي: الطيبات والطيبون مبرَّؤون عن كلام خبيثٍ[٣] يقال فيهم، والخبيثات والخبيثون مبرَّؤون عن كلامٍ طيب يقال فيهم.

قوله: ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾: أي: في الجنة، وهذا لعائشةَ رضي الله عنها وصفوانَ، أو لكلِّ الطيبين والطيبات.

والقشيريُّ رحمه الله أجرى الخبيثات والطيبات في الأقوال والأفعال والأحوال والأموال، والطيبين والخبيثين على الرجال والنساء، فأطال وأطاب[٤]، وحمل الكلَّ أيضاً على الأشخاص.

وقرَّر من وجهٍ آخر فقال: ﴿وَٱلطَّيِّبَٰتُ﴾ من الأشخاص وهنَّ المبرَّآت من وهج الخطر، المتنقِّيات عن سَفْساف أخلاق البشرية، [و]من التعريج في أوطان الشهوات ﴿لِلطَّيِّبِينَ﴾ من الرجال الذين هم قائمون بحقِّ الحقِّ لا يصحبون الخلق

---

(١) في (ف): «تنزيه».

(٢) «القاذف» ليست في (ف).

(٣) في (أ): «عن خبث».

(٤) «فأطال وأطاب» ليست في (ف).

إلا للتعفُّف دون استجلابِ الشهوات ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ﴾ في المآل ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ في الحال، وهو ما ينالون من غيرِ استشرافٍ وطمعٍ وتعبٍ[١].

***

(٢٧) ـ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا﴾: وهو تأديبٌ بما يرجع إلى السَّتر والتحرُّز عن الاطِّلاع على عورة.

يقول: لا يدخلنَّ أحدُكم بيتَ غيره[٢] مغافصةً[٣] حتى يستأنس؛ أي: يبصرَ هل في البيت إنسان؟ فإن كان، قال: السلام عليكم أدخل؟ فإنْ أُذن فليدخل، وأضمر في آخره: وتسلموا على أهلها مستأذِنين فيؤذن لكم، وصحَّ هذا الإضمار لأن الكلام سيق له فعرف[٤] ذلك فيه، وبما بعده أيضاً وهو قوله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ الآية.

قال الفرَّاء: الاستئناس: النظر، يقال: اذهب فاستأنِسْ: هل ترى أحداً[٥]؟ وقال تعالى: ﴿آنَسَ مِن جَانِبِ الطُّورِ نَارًا﴾ [القصص: ٢٩]، وقال تعالى: ﴿فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا﴾ [النساء: ٦].

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٦٠٤).

(٢) في (ف): «بيتاً غير بيته» بدل: «بيت غيره».

(٣) من غافصه: فاجأه، وأخذه على حين غرة. انظر: «القاموس» (مادة: غفص).

(٤) في (ف): «يعرف».

(٥) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢٤٩).

وقال القتيبي: الاستئناس: الاستئذان والاستعلام، وقال تعالى: ﴿فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا﴾ [النساء: ٦]؛ أي: عَلمتُم[١].

وقيل: هو طلب الأُنس وسؤالُه، ومَن استأذَن فأُذن له وقع له به الأُنس.

وروي أنهم كانوا لا يستأذن الواحد منهم قبل الدخول، لكن يفتح ويدخل ويقول: قد دخلت، فربما شقَّ ذلك على الرجل، فنزلت الآية[٢].

وقال السُّدِّي: الاستئناس: التنَحْنُح والتنخُّع[٣].

وقال عكرمة: التسبيح والتكبير[٤].

قوله: ﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾: أي: أنفعُ لكم في دينكم ودنياكم، أما في الدِّين فإحرازُ الثواب بالائتمار[٥]، وأما في الدنيا فلأن مَن دخل بغيرِ إذنٍ فلعله يهجم على ما يسوءه أو يسوء المدخولَ عليه.

قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾: تتَّعظون بمواعظ الله فتؤْجَرون به، فذلك هو الخير.

❊ ❊ ❊

(٢٨) ـ ﴿فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ ۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا ۖ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾.

---

(١) انظر: «غريب القرآن» لابن قتيبة (ص: ٣٠٣).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٥٦٥) عن مقاتل بن حيان.

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ٨٤) وتنخع: رمى نُخامته، والنُّخامة: النُّخاعة. وفي الثعلبي: (والتنخم)، ومعنى تنخم: ألقى بشيء من صدره أو أنفه. انظر: «القاموس» (مادة: نخع ونخم).

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ٨٤).

(٥) في (ف): «فبإحراز أبواب الائتمار».

قوله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا﴾ يأذن لكم ﴿فَلَا تَدْخُلُوهَا﴾ وقال المبرد: أي: فإن لم تعلموا، يقال: وجدت زيداً كريماً؛ أي: علمتُه كذلك، ولو حُمل على حقيقة الوجود فذاك يكون بعد الدخول وهو غير مطلَق قبل الإذن.

قوله تعالى: ﴿وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا﴾: أي: إن قيل لكم بعد الاستئذان: ﴿ارْجِعُوا﴾ فلا تدخلوا بغير إذن، ولا تقعدوا على الباب أيضاً، بل ارجعوا ﴿هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ﴾؛ أي: أطهر لكم وأبعدُ عن التدنُّس بالإثم.

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾: من طاعة ومعصية في هذا الأمر وغيره، لا يخفى عليه ذلك ولا يعجز عن جزائه، وهو ترغيب وترهيب.

* * *

(٢٩) - ﴿لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾.

وقال مقاتل: ولما نزلت هذه الآية قال أبو بكر رضي الله عنه: يا رسول الله، أرأيت الخانات والمساكن في طرق الشام ليس فيها ساكن، فأنزل الله تعالى قوله: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ﴾[١]: وهي الخانات الموقوفة والرِّباطات، والخَرِبات التي يدخلها الإنسان لقضاء الحاجة، وهي كالأسواق[٢] وُضعت لمنافع العامة، والحاجةُ إلى الأذن كانت لحقِّ المالك أو الساكن فيه بحقِّ مِلكٍ أو إجارةٍ، فإذا انعدم ذلك سقط الاستئذان.

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٥٧٠) عن مقاتل بن حيان، وهو في «تفسير مقاتل بن سليمان» (٣/ ١٩٥).

(٢) في (أ): «وهي من الأسواق».

وقوله: ﴿أَن تَدْخُلُواْ﴾؛ أي: في أن تدخلوا.

قوله تعالى: ﴿فِيهَا مَتَٰعٌ لَّكُمْ﴾: أي: منفعةٌ وتمتُّع، وقيل: أي: ثوبٌ ونحوُه.

قال مجاهد: وكانت الطرق والمساكن إذ ذاك آمنةً، فكان الرجل يضع حرَّ متاعه في رباطٍ أو بيتٍ ويغلق بابه ويمرُّ، فإذا جاء وجد متاعه بعينه، فذلك قوله: ﴿فِيهَا مَتَٰعٌ لَّكُمْ﴾[١].

قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾: من قولٍ وعملٍ، وهو عامٌّ.

وقيل: ﴿مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾ في الاستئذان: هل تقصدون به الطاعة أو غيرَ ذلك؟ وفيه تنبيهٌ على إصلاح النية في كلِّ شيء.

* * *

(٣٠) ـ ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ﴾: وهذا يتَّصل بالستر أيضاً كالذي سبق؛ أي: قل يا محمد للرجال المؤمنين يغضُّوا[٢] أبصارهم عما لا يحلُّ النظر إليه ﴿وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ﴾؛ أي: يستروها عن أن يراها[٣] مَن لا يحلُّ له رؤيتُها.

وقيل: أي: يحفظوها عن أن يواقعوا بها محرَّماً.

والأول أشبه؛ لأن الآية فيما يحلُّ النظر إليه وما لا يحل.

---

(١) رواه يحيى بن سلام في «تفسيره» (١/ ٤٣٩)، والطبري في «تفسيره» (١٧/ ٢٤٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٥٦٩).

(٢) بعدها في (ف): «من».

(٣) «أن يراها» ليس في (ف).

ثم زاد كلمةَ ﴿مِنْ﴾ في الأبصار دون الفروج، ولذلك وجهان:

أحدهما: أن ﴿مِنْ﴾ صلة كما في قوله تعالى: ﴿فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ﴾ [الحاقة: ٤٧]؛ أي: أحدٌ، وكان يجوز حذفها منهما وإدخالها فيهما، فجاز حذفها من أحدهما والإدخال في الآخر.

وقيل ـ وهو الوجه الثاني ـ: أن ﴿مِنْ﴾ للتبعيض، وليس كلُّ نظرٍ محرَّماً، فأَمر بالغضِّ من الأبصار ليكون مقصوراً على ما حرِّم منه دون ما حلَّ، ووجوه الحلِّ فيه أكثر فذكر حرف التبعيض، والفروج كذلك لكن[1] وجوه الحرمة فيها أكثر فأطلق الأمر لحفظها دلالةً على الشمول.

وقيل: ﴿مِنْ﴾ ليس للتبعيض، بل فعلُ الغضِّ يستعمل مع هذه الصلة؛ يقال: فلان يغض من بصره؛ أي: ينقص من بصره[2].

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ﴾: أي: أطهرُ وأبعدُ عن دَنَس الإثم و﴿إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ ترغيبٌ وترهيب كما قلنا.

* * *

(٣١) ـ ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

---

(١) في (ف): «لأن».

(٢) في (ف): «نظره».

قوله تعالى: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾: ولعِظَم هذا الأمر خصَّ النساء وأفردَهن بهذين الأمرين(١).

قوله تعالى: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾: أي: ولا يُظهِرْن مواضعَ الزينة، فهذا مضمر، وهذا لأن إظهار عينِ الزينة ـ وهي الحليُّ وغيرُها ـ غيرُ منهيٍّ عنه، بل أريد بها مواضعُها، أو إظهارُها وهي في مواضعها؛ لإظهار مواضعها لا لإظهار أعيانها.

﴿إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾: وشَقَّ سَترُه، واختُلف في تفسير هذا المستثنى الذي لا يَحرُم كشفُه على المحارم والأجانب جميعاً:

قيل: الزينة: الثياب؛ كما في قوله: ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: ٣١]؛ أي: لباسكم، فقد كانوا يتعرَّون، وقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ هو الملاءة والبُرقع والخفاف، فعلى قول القائلين بهذا: لا يحل النظر إلى شيء منها ومن ثيابها إلا إلى ملاءتها وبرقعها وخُفِّها الظاهرةِ عليها، ولا يحل لها إظهارُ شيء منها إلا هذا، وهو قول ابن مسعود رضي الله عنه.

وقيل: الزينة: الحليُّ، ومواضعها: الأعضاء المخصوصة بها، ومواضع الزينة المطلقة منها هذه الأشياء:

الرأس: لأنه موضع الإكليل.

والشعر: لأنه موضع العِقاص والدُّريهمات.

والأذن: لأنها موضع القُرط.

والعنق: لأنه موضع القِلَادة.

---

(١) في (ف): «الذكرين». وهنا نهاية السقط من النسخة (أ).

والصدر: لأنه موضع الوشاح.

والعضدين: لأنهما موضعا الدُّمْلوجين.

والذراعين: لأنهما موضعا السوار.

والساقين: لأنهما موضعا الخلخال.

ويحلُّ النظر إليها للمحارم؛ لِمَا ذكر في هذه الآية بعد هذا القسم.

وأما مواضع الزينة الظاهرة التي يحلُّ النظر إليها للأجانب إذا لم يكن شهوةٌ بهذا الاستثناء ـ وهو قوله: ﴿إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ ـ فالوجه والكفان عند عامة العلماء.

وقال جماعة من الصحابة رضي الله عنهم: ﴿إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ الكحل والخاتم والخِضَاب، فالكحل زينة الوجه، والخاتم زينة الإصبع، والخضاب زينة الكفين(١).

وقال بعض الناس: الكحل للعين خاصةً، والخاتم للإصبع خاصةً، ولا يباح غيرهما.

وقالت عائشة رضي الله عنها: هي مضطرةٌ إلى كشف عينٍ واحدة للمشي، ولا ضرورة في غير ذلك، ولا يباح لها الإبداء ولا لغيرها النظر إلا في عين واحدة.

وقلنا: إنها قد تضطرُّ إلى الخروج للبيع والشراء، وتحتاج إلى الأخذ والعطاء، وتحتاج إلى كشف العينين للمشي، وفي كشفهما كشفُ بعض الوجه، وفي المناولات كشفُ الكفين.

وقوله تعالى: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾: أي: ولْيُلْقِينَ أغطية رؤوسهن على مواضع جيوب دُروعهن؛ أي: قُمُصِهن.

---

(١) انظر ما روي فيه في «تفسير الطبري» (١٧/ ٢٥٨ ـ ٢٦١) عن ابن عباس والمسور وبعض التابعين.

وكنَّ في الجاهلية يَسْدُلنَ خُمرهنَّ من خلفهنَّ، فكانت تنكشف صدورهنَّ وآذانُهنَّ، فأمرن أن يُلقين أطراف خمرهنَّ على جيوبهنَّ، وهي في مواضع صدورهنَّ؛ لتغطي بذلك أعناقَهنَّ وشعورهنَّ وآذانهنَّ وصدورهنَّ.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾: أي: مواضعَ الزينة الباطنة ﴿إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ﴾؛ أي: أزواجهن ﴿أَوْ ءَابَآئِهِنَّ﴾ ويدخل فيهم الأجداد ﴿أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ﴾ فقد صاروا محارمَ أيضاً[1] ﴿أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ﴾ ويدخل فيهم النوافل.

وقوله تعالى: ﴿أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ﴾: فقد صاروا محارم أيضاً.

وقوله تعالى: ﴿أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ﴾: ويدخل فيهم[2] نوافل الإخوة والأخوات أيضاً، وإذا ثبت في هؤلاء المحارمِ ثبت في سائر المحارم من الأعمام والأخوال، وفي المحارم بالرضاع؛ لأن ذكر بعضهم تنبيهٌ على سائرهم.

وقوله تعالى: ﴿أَوْ نِسَآئِهِنَّ﴾: أي: الحرائرِ المسلمات.

وقوله تعالى: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ﴾: أي: إماؤهن، ولا يحلُّ لعبدها أن ينظر إلى هذه المواضع، ومِن الناس مَن أحلَّ ذلك بهذه الآية، وقال: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ﴾ يتناول الغلامَ والجارية جميعاً.

وقلنا: قال سَمُرةُ بن جُندبٍ: لا يغرَّنكم هذه الآية، فإنها نزلت في الإماء[3].

وقوله تعالى: ﴿أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ﴾: قرأ ابن عامر وعاصم

---

(١) «أيضاً» من (أ).

(٢) في (أ): «فيه».

(٣) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (١٦٩١٠) و(١٧٢٧٤)، وابن عبد البر في «التمهيد» (١٦/ ٢٣٥)، كلاهما عن سعيد بن المسيب، ولم أجده عن سمرة. قال الزمخشري: وهذا هو الصحيح، لأن عبد المرأة بمنزلة الأجنبي منها، خصيًّا كان أو فحلاً. انظر: «الكشاف» (٣/ ٢٣٢).

في رواية أبي بكر ﴿غيرَ﴾ بالنصب على الاستثناء، والباقون بالخفض على النعت[١].

والإربةُ: الحاجة، ومعناه: الرجال الذين هم أتباعُ هذا البيت ممن لا يشتهي النساء ولا يَحتاج إليهن، وليس هذا بواقعٍ على الخصيِّ والمجبوبِ والمخنَّث لأنهم يَشْتَهُون ويُشْتَهَون.

وقوله تعالى: ﴿أَوِ ٱلطِّفْلِ﴾: أي: الأطفال؛ لأنه جنسٌ فصلح[٢] للجمع.

﴿ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُواْ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ﴾: قال القُتَبيُّ: أي: لم يَفهموا ذلك ولم يقفوا عليه[٣]، من قوله: ﴿إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُواْ عَلَيْكُمْ﴾ [الكهف: ٢٠].

وقال الفرَّاء: أي: لم يَبلغوا أن يُطيقوا النساء، يقال: صارع فلانٌ [فلاناً] وظهَر عليه[٤]، وقال تعالى: ﴿فَأَصْبَحُواْ ظَٰهِرِينَ﴾ [الصف: ١٤].

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ﴾ أي: على الأرض بشدة.

وقوله تعالى: ﴿لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾: وهي الخلاخيل، وقال جابر بن زيد: هو الحَلَقُ الصغار[٥]؛ لأن في ذلك فتنة.

وقوله تعالى: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ أي: التزموا هذه الأوامر والنواهيَ، ثم توبوا إلى الله؛ لأنكم لا تخلُون من سهوٍ وإغفال[٦] وتقصير فيها فلا تتركوا التوبة في كل حال.

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٤٥٥)، و«التيسير» (ص: ١٦١).

(٢) في (ر) و(ف): «يصلح».

(٣) انظر: «غريب القرآن» لابن قتيبة (ص: ٣٠٤)

(٤) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢٥٠) وما بين معكوفتين منه.

(٥) في (أ): «الخف الصرار» بدل: «الحلق الصغار».

(٦) في (ر) و(ف): «واعتقاد».

وقوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾: أي: لتُفلحوا.

وقال محمد بن جرير: أي: ارجعوا إلى[١] طاعة الله فيما أمركم به ونهاكم عنه؛ من غضِّ البصر، وحفظِ الفرج، وترك دخول بيوت غيركم إلا بإذنه، وغير ذلك[٢].

وقال القشيري رحمه الله: التوبة: الرجوع عن المذمومات من الأفعال إلى أضدادها، وجميع المؤمنين مأمورون بالتوبة، فتوبة عن الزلة وهي توبة العوام، وتوبة عن الغفلة وهي توبة الخواص، وتوبة على محاذرة العقوبة، وتوبة على ملاحظة الأمر.

وقيل: أمر الكافة بالتوبة: العاصينَ بالرجوع إلى الطاعة عن المعصية، والمطيعين من رؤية الطاعة إلى رؤية التوفيق، وخاصَّ الخاصِّ من رؤية التوفيق إلى مشاهدة[٣] الموفِّق.

وقيل: أمر الكافة بالتوبة كيلا يخجل العاصي من الرجوع على الانفراد.

وقيل: مساعدة الأقوياء مع الضعفاء رفقاً بهم من أمارات الكرم.

وقوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ بيانٌ أنه أمرهم بالتوبة لينتفِعوا هم بذلك، لا أن يكون للحق سبحانه وتعالى بها تجمُّل[٤].

وقيل: أحوج الناس إلى التوبة مَن توهَّم أنه ليس له حاجةٌ إلى التوبة[٥].

* * *

---

(١) في النسخ: «راجعوا» بدل: «ارجعوا إلى»، والمثبت من «تفسير الطبري».

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (١٧/ ٢٧٣).

(٣) في (ر): «رؤية».

(٤) في (ر) «حاجة بذلك» بدل «بها تجمل». وفي «اللطائف»: (بتوبتهم وطاعتهم تجمل).

(٥) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٦٠٨).

(٣٢) ـ ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ﴾: وهو تحصيلُ التَّسترُّ[1] والعفَّة أيضاً.

والأيِّم: كلُّ ذكر لا أنثى معه، وكلُّ أنثى لا ذكر معها، ولهذا سُميت الحية أيِّما بالتشديد والتخفيف كالميِّت والميْت؛ لأنها لا تكاد تكون في جُحرها إلا وحدها.

قوله تعالى: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ﴾؛ أي: زوِّجوا مَن لا زوج له منكم، ويدخل فيه الرجال والنساء، فيزوِّج الرجل وليَّته بالولاية، ويزوِّج مَن خطبها إليه من الرجال، كما روي: «أَنْكِحوا أبا هند وانكِحوا إليه»[2]؛ أي: زوِّجوه واخطِبوا إليه.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ﴾: بولاية المِلك، وهو أمرٌ بتحصين المماليك، وذكرُ الصلاح للترغيب في تحصين مَن همتُه التحصُّن[3]، وليس بشرط لصحة العقد، وذلك كما ذكر بعده: ﴿فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ [النور: ٣٣]، وهذا للترغيب في تحصين[4] أهل الخير عن مشقَّة الرق، وليس بشرطٍ في[5] صحة الكتابة.

---

(١) في (ر): «للستر»، وفي (ف): «الستر».

(٢) رواه أبو داود (٢١٠٢)، وابن حبان في «صحيحه» (٤٠٦٧) و(٦٠٧٨)، والحاكم في «المستدرك» (٢٦٩٣) وصححه، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وأبو هند كان حجاماً، كما جاء في الحديث نفسه. وللحديث شاهد من حديث عائشة عند الطبراني في «الأوسط» (٦٥٤٤)، والدارقطني في «سننه» (٣٧٩٣) و(٣٧٩٥). وإسناده حسن.

(٣) في (ر) و(ف): «التحصين».

(٤) في (أ): «تخليص».

(٥) «في» ليست في (أ) و(ف).

وقوله تعالى: ﴿إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾: أي: لا تنظروا إلى فقر الخاطب أو فقرِ المخطوبة، ففي فضل الله ما يغنيهم، والمال غادٍ ورائحٌ، وقد يقع الغنى، فليس الفقرُ بمانع من الرغبة في الإنكاح، وليس المراد به الوعدَ والغنى على وجهٍ يكون[1] لا محالة.

ومنهم مَن قال: هو وعدٌ به؛ قال عمر رضي الله عنه: ابتَغوا الغنى في النكاح[2]، ما رأيتُ مثل مَن قعد أيماً بعد هذه الآية[3].

وقد تكون المرأة فقيرة فتستغني بالنكاح بالمهر والنفقة.

وقد يتناكحان ويتعاونان على المعاش فيستغنيان.

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾: أي: غنيٌّ قادر على إغنائكم ﴿عَلِيمٌ﴾ بمصالح عباده فيُغني إذا رأى الصلاح في الغنى.

وقيل: ﴿عَلِيمٌ﴾ بنيَّاتكم في إنكاح[4] عبيدكم وإمائكم، أنه للإعفاف أو غيرِ ذلك، فيجزيكم على نياتكم.

ويروَى عن بعض الصحابة رضوان الله عليهم: أنه كان منكاحاً مطلاقاً، فقيل له في ذلك، فقال: إن الله تعالى وعد الغنى فيهما[5]، فقال: ﴿إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن

---

(١) «يكون» ليست في (أ).

(٢) رواه عبد الرزاق في «المصنف» (١٠٣٨٥) و(١٠٣٩٣).

(٣) ذكر هذه القطعة عن عمرَ رضي الله عنه أبو أحمد القصاب في «النكت الدالة على البيان» (٢/ ٤٧٥). وفي «الوسيط» للواحدي (٣/ ٣١٨) نحوه، ولفظه: وقال قتادة: ذكر لنا أن عمر بن الخطاب كان يقول: ما رأيت مثل رجل لم يلتمس الغنى في الباءة، والله يقول: ﴿إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾.

(٤) في (ف): «نكاح».

(٥) في (ر) و(ف): «في ذلك».

فَضْلِهِۦ﴾ وقال تعالى: ﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ﴾ [النساء: ١٣٠][1].

* * *

(٣٣) - ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ۚ وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾: أي: لا يقدرون عليه؛ كقوله: ﴿فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ [النساء: ٤٣]، يقول: ومَن لم يجد سعةً للنكاح فلْيَصبر وليَصُن فرجَه عن الحرام، فإن نيَّته إذا حسُنت[2] في الكف عن الحرام أغناه الله تعالى من فضله بأنْ يرزقه الله مالاً يتزوَّج به، أو يقيضَ له امرأة ترغب فيه مع فقره باليسير من الصَّداق، أو بأن يعصمه ويزيل عنه شدة الشهوة، وما عند الله خيرٌ[3]، ومَن ترَك شيئاً لله عوَّضه الله ما هو خير منه.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾: أي: والمماليكُ الذين يطلبون الكتابَة، وهي العَقد للعِتق على مالٍ منجَّم على العبد يؤدِّيه على النجوم فيَعْتِقُ إذا أدَّى الجميع.

وقوله تعالى: ﴿فَكَاتِبُوهُمْ﴾: أي: أجيبوهم إلى ذلك ﴿إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ وقد بينَّا معنى كلمة الشرط في أول هذه الآية.

---

(١) لم أقف عليه، وفي استنباط معنى الغنى بالطلاق من الآية دون ضرورة تدعو إليه نظر، والله أعلم.

(٢) في (ر): «احتسبت».

(٣) في (أ): «واسع».

وقيل: معناه(١): إن علمتُم فيهم قوةً على اكتساب وأمانةٍ بحفظِ ما يكتسبون فيؤدُّونه فيَعْتِقون، وسمي هذا العقدُ كتابةً لأن بدلها(٢) منجَّم، والمالُ المنجَّم(٣) يُكتب فيه كتابٌ على مَن عليه المال غالباً، فاختُصَّ هذا العقد بهذا الاسم لاختصاصه بهذا الوصف، وهذا أمرُ ندبٍ لا حتمٍ.

واتِّصال هذا بالأول: أنه إذا كان فيه خيرٌ فإنما يَطلب الكتابةَ ليجتهد فيكتسبَ فيؤديَ فيَعْتِقَ فيصيرَ أقدرَ على تحصيل ما يتزوَّج به فيصلَ إلى التعفُّف له(٤) إن لم يزوِّجه المولى.

وقوله تعالى: ﴿وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ﴾: أي: أعطوهم، قال الشافعي: أي: حُطُّوا من بدل الكتابة شيئاً قلَّ أو كثُر، وهو واجبٌ، ويُحطُّ ذلك من آخر نجومه.

وعن بعض السلف: حُطُّوا(٥) ثلثاً أو ربعاً(٦).

وقال سفيان: يَحُطُّ ربعاً أو أقلَّ منه(٧)، وهو ندبٌ لا حَتْمٌ.

---

(١) «معناه» من (أ).

(٢) في (ف): «كتاباً لأن بدلها»، وفي (ر): «كتاباً لأن بدل الكتابة».

(٣) في (أ): «المؤجل».

(٤) «له» من (أ).

(٥) في (ر): «يحط عنه».

(٦) استحسن علي رضي الله عنه الربع، كما رواه عبد الرزاق في «المصنف» (١٥٥٩٠)، والنسائي في «الكبرى» (٥٠١٩). ورواه عبد الرزاق في «المصنف» (١٥٥٨٩)، والنسائي في «الكبرى» (٥٠١٧)، عن علي مرفوعاً، ورفعه منكر كما ذكر ابن كثير عند هذه الآية، قال: (والأشبه أنه موقوف على علي). واستحسن ابن مسعود والحسن الثلث. انظر: «تفسير القرطبي» (١٥/ ٢٤٩).

(٧) «أو أقل منه» ليس من (أ).

وعندنا هو[1] أمر لسائر الناس أن يعطوهم من الزكاة؛ لأن الله تعالى قال: ﴿وَفِي ٱلرِّقَابِ﴾ وهم المكاتبون، وهو الصحيح؛ لأن الإيتاء هو التمليك فلا يقع على الحط.

وقال الإمام القشيري رحمه الله: وإذا كنا مأمورين بكلِّ هذا الرفق حتى يصل المملوك المسكين إلى العتق، فبالحريِّ[2] أن يقوى الرجاءُ للعبد بالعتق من النار من فضل الله[3].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾: أي: لا تُجبروا إماءكم على الزنا بالأجرة إن أردن تعفُّفاً[4].

وقوله تعالى: ﴿لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾: يعني: أجرهن وأولادهن.

وقيل: إن الزاني كان يفدي ولده من المزنيِّ بها بمئةٍ من الإبل يدفعُها إلى سيدها.

وقوله: ﴿إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾ ليس على أن ذلك مباحٌ إذا طاوَعْن؛ لكنْ على معنى: أن الإماء إذا رغبن في التحصُّن فأنتم أحق بذلك.

وقال الحسين بن الفضل: في الآية تقديم وتأخير، وتقديرها: وأنكحوا الأيامى منكم إنْ أردن تحصُّناً، ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء لتبتغوا عرض الحياة الدنيا.

---

(١) في (ر): «هذا»، وفي (أ): «هو هذا».

(٢) في (ر) و(ف): «فبالأحرى».

(٣) في (أ): «من فضل الحق»، وفي (ف): «فضل من الحق»، وفي (ر): «فضل من الله». وانظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٦١٠)، والعبارة فيه: (... فبالحريّ أن يسمو الرجاء إلى الله بجميل الظنّ أن يعتق العبد من النار...).

(٤) في (ر) و(ف): «تحصناً».

وقال مقاتل بن سليمان: نزلت في مُعاذةَ ومُسيكةَ وأُميمةَ وعَمْرةَ وقُتَيلةَ وأروى؛ كنَّ إماءَ عبد الله بن أبيٍّ ابنِ سَلُولَ المنافقِ لعنه الله، لمَّا نزل تحريم الزنا أتينَ النبيَّ ﷺ فشكَينَ إليه فنزلت(١).

وفي رواية: قالت معاذة لمسيكة: إن كان هذا الأمر منا خيراً فقد استكثرنا منه، وإن كان شراً فقد آن لنا أن نتوب، فنزلت(٢).

وقوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعۡدِ إِكۡرَٰهِهِنَّ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾: قال الحسن: لهنَّ والله، لهنَّ والله(٣).

وقال عكرمة وغيره: كان هذا الإكراهُ بالضرب والتعذيب(٤)، ودلَّ أن الإكراه يتحقَّق في الزنا، والانتشار لا يدلُّ على الطواعية.

* * *

(٣٤) ـ ﴿وَلَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ ءَايَٰتٖ مُّبَيِّنَٰتٖ وَمَثَلٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِكُمۡ وَمَوۡعِظَةٗ لِّلۡمُتَّقِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ ءَايَٰتٖ مُّبَيِّنَٰتٖ﴾: قرأ حمزةُ والكسائيُّ وابن عامر وعاصم في رواية حفصٍ بالكسر؛ أي: مرشداتٍ هاديات، وقرأ الباقون: بالفتح(٥)؛ أي: قد بينَّاها.

يقول: قد أوحينا إليكم في هذه السورة وغيرها قرآنا في إعلام شرائعنا، فقد قال في أول السورة: ﴿وَأَنزَلۡنَا فِيهَآ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖ لَّعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾.

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ٩٩).

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٠٤٢) عن عكرمة.

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ٩٩).

(٤) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٥٨٩) من طريق عكرمة عن ابن عباس.

(٥) انظر: «السبعة» (ص: ٢٢٩)، و«التيسير» (ص: ١٦٢).

وقوله تعالى: ﴿وَمَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ﴾: أي: ما أحلَلْنا بالماضين فجعلناه مثلاً لمن بعدَهم يعلمون أنهم إذا فعلوا فعلَهم عُوقبوا عقوبتَهم.

وقوله تعالى: ﴿وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾: أي: هم المنتفِعون بها وإن كانت الموعظةُ للكل.

***

(٣٥) ـ ﴿ ۞ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ۖ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿الله اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: ذكر إنزالَ الآيات البينات، وإقامةَ الدلالات الواضحات، وضربَ الأمثال بالذين خلَوا من قبلنا، ثم بيَّن وضوح الدلالات وجلاءَ البينات وأنَّ مَن ضلَّ عن الحق فليس لخفاءِ الدليل واشتباهِ السبيل، فقال: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾.

قال الكلبي: الله هادي أهلِ السماوات وأهلِ الأرض إلى ما بهم الحاجةُ إليه في مصالح دينهم ودنياهم، وهي كلمةٌ مطلقة في هذا المعنى، يقال: فلانٌ نورُ بلده؛ أي: به يهتدون إلى أمورهم، وعن رأيه يصدرون إلى مصالحهم.

وقوله تعالى: ﴿مَثَلُ نُورِهِ﴾: أي: صفةُ دلائله التي يَهدي بها عباده، فسمَّى دلائله نوراً؛ لأن الناس يسلكون بها طريق النجاة.

وقد سمَّى الله تعالى كتابه نوراً بقوله: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١٧٤]؛ لأنه يهدي إلى الحق.

وسمى نبيه عليه الصلاة والسلام نوراً بقوله: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ﴾ [المائدة: ١٥]؛ لأنه يهدي إلى الحق.

فاللهُ هادٍ، وكتابُه هادٍ، ونبيُّه هادٍ، وما ركَّب في العباد من العقول حتى ميَّزوا ما[1] بين الأشياء هاد، وكلُّ ذلك نورٌ، وإضافتُه إلى الله على معنى أنه هو الواضعُ له والهادي به، ولأن الأمور[2] كلَّها لله، فأضاف أشرفَها إلى نفسه كما أضاف بعضَ الشهور وبعضَ الأيام وبعضَ البيوت وبعضَ الأموال إلى نفسه تشريفاً لها.

وقوله تعالى: ﴿كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ﴾: أي: صفةُ نوره ككوَّةٍ غيرِ نافذة وُضع فيها مصباحٌ في قنديلٍ مِن أصفَى زجاجٍ يكون، قد أُوقد بأصفَى زيتٍ يكون، فاجتمع في المشكاة ضوءُ المصباح إلى ضوء الزجاجة إلى ضوء الزيت، فصار ذلك نوراً على نور، فاجتمعت في المشكاة هذه الأنوارُ فصارت كأنوَرِ ما يكون، وكذلك براهينُ الله تعالى في وضوحها ومنافعها[3] هي على غاية ما يكون عليه مثلُها، فليس ظلام الضلالِ من جهةِ قصور البيان وضعفِ البرهان، بل بتعاميهم وتماديهم في معاصيهم.

وقال الهيثم بن عدي: المشكاة حبشيةٌ[4].

---

(١) «ما» ليست من (ف).

(٢) في (أ): «الأنوار».

(٣) في (أ): «وتتابعها»، وفي (ف): «وينائعها».

(٤) رواه عبد بن حميد في «تفسيره» كما في «الدر المنثور» (٦/ ١٩٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٥٩٥) عن مجاهد، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٩٩٦٧) عن سعيد بن عياض، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ١٠٣) عن الكلبي. وزاد الواحدي في «البسيط» (١٦/ ٢٦١) السدي وعكرمة.

وقوله تعالى: ﴿ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾: قرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وعاصم في رواية حفص بضم الدال وتشديد الياء، وهو منسوب إلى الدر، شبِّه به في صفائه وبياضه.

وقرأ أبو عمرو والكسائي بكسر الدال والمدِّ والهمز، وهو فِعِّيلٌ من الدَّرء؛ أي: يُدفع به الشيطان، والنجومُ التي يُرجم بها الشياطين هي دراريُّ.

وقرأ حمزة وعاصم في رواية أبي بكر بضم الدال والمد والهمز[(١)].

وقيل: لا وجه لذلك، فليس في اللغة فُعِّيلٌ بضم الفاء وتشديد العين[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾: قرأ ابن كثير وأبو عمرو بفتح التاء والدال على أنه فعلٌ ماضٍ من التوقُّد وهو التلهُّب، والفعل للمصباح.

وقرأ حمزة وعاصم في رواية أبي بكر بضم التاء والدال[(٣)]، وهو فعلٌ مستقبَل لم يسمَّ فاعله من الاتقاد، وتاء التأنيث راجعة إلى الزجاجة.

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٤٥٦)، و«التيسير» (ص: ١٦٢).

(٢) وقد أثبته بعض العلماء على قلة فيه، ولخص الآلوسي ما قيل فيه فقال: (ولا يخفى على المتتبِّع أن فُعِّيلاً قليل في كلامهم، ففي «اللباب»: فُعِّيلٌ غريب لا نظيرَ له إلا مُرِّيق ـ لحب العصفُر أو ما سمن من الخيل ـ وعُلِّيَّة وسُرِّيَّة وذُرِّيَّة، قاله أبو عليٍّ.

وفي «البحر»: سمع أيضاً «مُرِّيخ» للذي في داخل القرن اليابس، وفيه لغتان: ضم الميم وكسرها.

وقال الفراء: لم يسمع إلا مُرِّيق وهو أعجمي.

وسيبويه عد ذلك من أبنية العرب، ولم يثبت بعضهم هذا الوزن أصلاً، وقال أبو عبيد: أصل «دُرِّيء» دُرُّوء كسبوح، فجعلت الضمةُ كسرةً للاستثقال، والواوُ ياءً لانكسار ما قبلها، كما قالوا في عتوٍّ: عُتِيٌّ، فوزنه: فعُّول). انظر: «روح المعاني» (١٨/ ٣٦٦)، و«الحجة» للفارسي (٥/ ٣٢٣)، و«الكتاب» (٤/ ٢٦٨).

(٣) وهي قراءة الكسائي أيضاً.

وقرأ نافع وابن عامر وعاصم في رواية حفص: ﴿يُوقَدُ﴾ بياء التذكير مضمومةَ الياء والدالُ، مخففةً من الإيقاد فعلاً للمصباح على ما لم يسمَّ فاعله مستقبلاً[١].

وقرأ الباقون بتاء التأنيث مفتوحةً وتشديدِ القاف وضمةِ الدال[٢]، وأصله: تتوقَّدُ فعلاً للزجاجة، وحذفت إحدى التاءين تخفيفاً كما في قوله تعالى: ﴿تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ﴾ [الملك: ٨].

وقوله: ﴿زَيْتُونَةٍ﴾ بدلٌ من ﴿شَجَرَةٍ﴾ وترجمةٌ لها، هي مباركةٌ لكثرتها وكثرةِ انتفاعِ أهل الشام بها، ولكونها في أرض الأنبياء والأولياء.

وقوله تعالى: ﴿لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾: قال الكسائي: أي: ليست شرقيةً وحدها ولا غربيةً وحدها، بل هي شرقيةٌ غربيةٌ، وهو كقولك: مررتُ برجل لا ظالمٍ ولا مظلومٍ، على هذا المعنى.

وكذلك قال الفراء، قال: وهو كقولك: فلان لا مسافرٌ ولا مقيمٌ، على هذا المعنى.

قال: وهي تنبت على تلعةٍ[٣] من الأرض لا يسترها من الشمس شيء وهو أجودُ لزيتها[٤].

قال أبو عبيدة: ﴿لَّا شَرْقِيَّةٍ﴾ تَضْحى للشمس ولا تصيب ظلاً ﴿وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ تكون في الظل ولا تصيبها الشمس، بل هي شرقيةٌ غربية، تكون في الشمس وتكون في الظل، وهو أحسن الشجر[٥].

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٤٥٦)، و«التيسير» (ص: ١٦٢).

(٢) هي رواية عن عاصم كما في «السبعة» (ص: ٤٥٦).

(٣) هي ما ارتفع من الأرض.

(٤) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢٥٣).

(٥) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (٢/ ٦٦).

وصار حاصل جواب أهل اللغة والتفسير فيها على ثلاثة أوجه:

أحدها: أنها بين الشجر بحيث لا تُصيبها الشمس بالغداة والعشيِّ؛ لالتفافِ الشجر حولها، وتغطيته إياها.

والثاني: أنها بارزة للشمس في وقتٍ خافيةٌ عنها في وقت، فقد أخذت من الشمس والظل حظًّا كاملاً[(١)].

والثالث: أنها بارزة للشمس كلَّ النهار، فتزكو ويَكثر زيتونها، ويصفو زيتُها حتى يكادُ لضيائه يضيء عن النار، وهو قوله تعالى: ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞ﴾.

وقال الحسن: هذه ليست من شجر الدنيا بل هي من شجر الجنة، فلا تكون شرقية ولا غربية[(٢)].

وجملتُه: أن ذكر هذه الأشياء جميعاً بيانُ قوةِ حُجج الله تعالى، واكتنافِ النور لها من جوانبها، وتتابُعِها من جهات العقل والتوفيق[(٣)]، والوعدِ والوعيد، وتكرارِ المواعظ، وضرب الأمثال، وذكرُ المشكاة ـ وهي الكوةُ التي لا منفذَ لها كما فسَّره ابن عباس رضي الله عنه وابن جريجٍ وأهلُ اللغة[(٤)] ـ على معاني استجماع النور؛ لأن المصباح إذا كان في موضعٍ نافذ انتشر ضياؤه.

وقوله تعالى: ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞ﴾؛ أي: أن حُجج الله في

---

(١) «كاملًا» ليست في (أ).

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٠٤٩)، والطبري في «تفسيره» (١٧/ ٣١٢).

(٣) في (ر) و(ف): «من جهة العقل فيه التوفيق».

(٤) رواه عن ابن جريج الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٣٠٥). وذكره عن ابن عباس الواحدي في «البسيط» (١٦/ ٢٦٠).

وضوحها بحيث تتجلَّى لمن أعرض عنها وإن لم ينبِّهْ عليها منبِّهٌ ولم ينزل بها كتاب.

وقوله تعالى: ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾: أي: برهانٌ بعد برهانٍ، ودلالةٌ على أثر دلالةٍ، يريد به تضاعُفَ الأنوار وكثرتَها لا الاقتصارَ على نورين، كما يقال: فلان يضعُ درهماً على درهم، لا يراد به درهمان، وكما يقال: فعلتُ هذا مرةً بعد مرةٍ، لا يراد به مرتين.

وقوله تعالى: ﴿يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ﴾: أي: يوفِّق الله عز وجل لاتِّباع دلائله وإصابةِ الحق بالتدبُّر لها ﴿مَن يَشَآءُ﴾: مَن عَلِم منه اختيارَ ذلك.

﴿وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ﴾: كما ضربها لكم في هذه الآية، يعرِّف بذلك[1] مواقع حججه، ويحركهم على تأمُّلها.

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾: بما به يهتدي الخلق إلى مراشدهم، وبكل شيء.

* * *

(٣٦) - ﴿فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ﴾: فهذا المصباح في مساجدَ عظَّمها الله وأمر بتعظيمها فائتمَرَ بذلك، ثم ذكر صفتَها وصفةَ أهلها، والمهتدين بالدلائل والضالِّين عنها في آيات.

قال أبيُّ بن كعب والضحاك: ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ﴾؛ أي: مَثَلُ النور الذي في قلب المؤمن بهدايةِ الله تعالى[2]، فعلى هذا الهاءُ كنايةٌ عن المؤمن، ولم يسبق ذكره لكنْ

---

(١) في (ر) و(ف): «يعرفكم بها».

(٢) رواه عنهما الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٢٩٨).

عُرف بمعناه، فهو كقوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ﴾ [القدر: ١] وقوله تعالى: ﴿مَّا تَرَكَ عَلَيۡهَا مِن دَآبَّةٍ﴾ [النحل: ٦١]، وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ تَوَارَتۡ بِٱلۡحِجَابِ﴾ [ص: ٣٢].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ﴾؛ أي: نورِ الله الذي هدَى به المؤمنَ[(١)].

وقال الحسن: الله هادي أهل السماوات والأرض بنوره الذي هو القرآن ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ﴾ أي: مثلُ هذا القرآن في القلب، ومثل هذا القلب ﴿كَمِشۡكَوٰةٖ﴾ إلى آخره[(٢)].

وقيل: هو مثَلُ قلب المؤمن، والمشكاةُ صدره، والمصباح القرآن، والزجاجة قلبه، قاله أبي بن كعب[(٣)].

وقيل: ﴿المشكاة﴾ نفس المؤمن، و﴿ٱلزُّجَاجَةُ﴾ قلبه، و﴿ٱلۡمِصۡبَاحُ﴾ المعرفة في القلب، فكما أن المشكاة نور والزجاجةَ أنورُ منها، والزجاجةَ نورٌ والمصباحَ أنورُ منها، فكذلك نَفْس المؤمن نور وقلبه أنورُ منها، وقلبُه نورُ والمعرفةُ أنورُ منه، قال: ﴿فَهُوَ عَلَىٰ نُورٖ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [الزمر: ٢٢]، قال: ﴿وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ﴾ [الأنعام: ١٢٢].

وقيل: هذا مَثَلُ النبيِّ ﷺ، يعني: كما أُخذ دهنُ هذا المصباحِ من شجرة مباركةٍ وهي الزيتون، فكذلك حصل لهذا المؤمن هذا الاهتداءُ ببركة دعوة النبيِّ ﷺ المباركةِ التي هي كشجرةِ الزيتونة لا دخانَ لزيتها بخلافِ سائر الأدهان، فكذا النبيُّ ﷺ لا شبهةَ في صدقه ولا ريبةَ في دِينه.

وقيل: المشكاة مَثَلٌ لفمه، والمصباح مثَلٌ للسانه، والزجاجة مثلٌ لصدره،

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٢٩٩).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٢٩٩ ـ ٣٠٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٥٩٤).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٣٠٢).

والكوكبُ الدرِّي مثلٌ لقلبه، والشجرةُ المباركةُ هي إبراهيم عليه السلام ﴿لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ﴾؛ أي: لم يكن إبراهيم مصلِّياً إلى المشرق كالنصارى لقوله تعالى: ﴿مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا﴾ [مريم: ١٦]، ولا إلى المغرب كاليهود لقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلۡغَرۡبِيِّ﴾ [القصص: ٤٤]، قال تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا﴾ [آل عمران: ٦٧].

وقيل: ﴿المشكاة﴾ مَثَلُ جوف محمد ﷺ، و﴿ٱلزُّجَاجَةُ﴾ مثلٌ لقلبه، و﴿ٱلۡمِصۡبَاحُ﴾ مثلٌ للنور الذي فيه.

وقيل: الشجرة هي النبيُّ ﷺ ﴿لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ﴾؛ أي: ليست بشجرةٍ نابتةٍ على الأرض لتكون شرقيةً أو غربيةً.

وقيل: معناه: ﴿لَّا شَرۡقِيَّةٖ﴾ وحدها ﴿وَلَا غَرۡبِيَّةٖ﴾ وحدها، بل هي شرقيةٌ غربية، يَظهرُ دينُه في الدنيا كلِّها، وينتشر نورُ دعوته في الآفاق كلها.

وقوله تعالى: ﴿يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞ﴾؛ أي: يكاد منظره ﷺ يدلُّ على نبوته وإن لم يَتْلُ قرآنا ولم يُقِمْ برهاناً، قال عبد الله بن رواحة رضي الله عنه:

لو لم تكن فيه آياتٌ مبيِّنةٌ ... كانت بديهتُه تُنْبيكَ بالخبرِ[1]

* * *

(٣٦) - ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ﴾ الآية: وهذا في صفة الصحابة رضوان الله عليهم وعبادتِهم وتلاوتِهم في المساجد، وكذا مَن بعدهم من العلماء وأهل القرآن في كل عصر.

---

(١) انظر: «الإصابة» لابن حجر (٤/ ٨٥)، و«الفاضل» للمبرد (ص: ١٠) وعزاه لحسان.

وإن حُملت[١] الآية الأولى على مَثَل القرآن فذكرُ المساجد أيضاً لذكر أهل القرآن القائمين به في المساجد، وإن حُملت على نور المعرفة فهي عَلَمُ أهل[٢] الإيمان القائمين بالشرائع في بيوت الله عز وجل وغير ذلك.

وإن حمل قوله: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ على معنى أنه مزيِّن السماوات والأرض، فزينة السماوات بالملائكة وزينةُ الأرض بأهل المساجد.

وأما ألفاظ المفسرين في هذه الآية:

فقد قال ابن عباس رضي الله عنهما: الله هادي أهلِ السماوات وأهلِ الأرض[٣].

وقال الضحاك: الله منوِّر السماوات والأرض[٤].

وقال أبي بن كعب رضي الله عنه: مرسِلُ رسلِ أهل السماوات والأرض[٥].

وقال مجاهد وعبد العزيز بن يحيى: ﴿ٱللَّهُ﴾ مزيِّنُ السماوات بثلاثٍ: بالشمس والقمر والنجوم، ومزين الأرض بثلاثة أشياء: بالأنبياء والعلماء والمؤمنين[٦]، فأنوار السماء متفاوتةٌ وكذلك أنوار الأرض، وأنوار السماء نافعةٌ وبعضُها أنفع من بعضٍ، وكذلك أنوار الأرض، وأنوار السماء بعضُها للنفع وبعضها[٧] للدفع وهي رجوم الشياطين، وكذلك أنوار الأرض قال النبي ﷺ: «إن المؤمنَ ليُنْضي شيطانَه

---

(١) في (ر) و(ف): «دلت».

(٢) في (أ): «على أهل» وفي (ر): «علم».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٢٩٥ ـ ٢٩٦).

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ١٠٠).

(٥) لم أجده، وانظر التعليق الآتي.

(٦) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ١٠٠) عن أبي بن كعب وأبي العالية والحسن.

(٧) «للنفع وبعضها» ليس في (أ).

كما يُنْضي أحدُكم بعيرَه في السفر»(١)، والكواكب تضيء لأهل الأرض، وقلوبُ المؤمنين تضيء لأهل السماوات.

وقيل: نوَّر السماوات بالعرش والكرسي واللوح والقلم وسدرةِ المنتهى وجنةِ المأوى والبيت المعمور والمقامات(٢)، ونوَّر الأرضَ بالكعبة وبيت المقدس ومسجد المدينة ومسجد الكوفة وطُور سيناء والمساجد والمتعبَّدات.

وقيل: زيَّن السماء بالبروج الاثني عشر، والأرضَ بالشهور الاثني عشر.

وقيل: زيَّن السماء بالكَرُوبيين وبالروحانيين والصافِّين والحافِّين، وزيَّن الأرض بالأنبياء والمرسلين والعلماء والمتعلمين.

وقيل: زيَّن السماوات بالملائكة وعبادتهم، وزيَّن الأرض بالمؤمنين وطاعتهم.

وقيل: زيَّن السماوات بجبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل صلوات الله عليهم، وزيَّن الأرض بأبي بكر وعمر وعثمان وعليٍّ رضوان الله عليهم.

وقيل: زيَّن السماوات بتسبيح المسبِّحين وتقديس المقدِّسين وركوعِ الراكعين وسجود الساجدين وتلاوة التالِين، وزيَّن الأرض بتلبية الحجاج والمعتمِرين، وتكبيرِ الغزاة والمرابطين، وضجيجِ القانتين والمستغفرين، وحنين العارفين المشتاقين(٣)، وبكاء العاصين النادمين.

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٨٩٤٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. قوله: «إن المؤمن لينضي»، قال السندي كما في حواشي «المسند»: من: أنضاه؛ أي: أهزله، والنضوُ: دابة أهزلتَها، وأذهبتَ لحمها، والمراد: أن من شأن المؤمن مخالفة الشياطين وتصغيرهم، وفي التشبيه تنبيهٌ على أن حق المؤمن أن يغلب على الشيطان حتى يكون الشيطان تحته مطيعاً له كالدابة، والله تعالى أعلم.

(٢) «والمقامات» ليس في (ف).

(٣) في (أ): «السابقين».

وقوله تعالى: ﴿كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾ قال السدِّي: هو أحد الكواكب الخمسة: زُحَلُ والمشتري والمريخُ والزُّهَرة وعُطارِدٌ(١).

وقال محمد بن كعب: ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ﴾ يعني: محمداً ﷺ في صُلب آبائه ﴿كَمِشْكَوٰةٍ﴾ وهي إبراهيم، ﴿فِى زُجَاجَةٍ﴾ يعني: إسماعيل، فيها مصباح وهو النبيُّ ﷺ، سماه مصباحاً كما سماه سراجاً في قوله: ﴿وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٦] ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾ يعني: نور إبراهيم ونور إسماعيل ونور(٢) محمد ﷺ(٣).

وقال الضحاك: شبَّه عبد المطلب بالكوَّة، وشبَّه عبدَ الله بالزجاجة، وشبَّه النبيَّ ﷺ بالمصباح.

وقال القشيري رحمه الله: زيَّن السماءَ بنور الشمس ونور القمر، وزيَّن القلوب بنور العقل ونور الفهم ونور العلم ونور اليقين ونور المعرفة ونور التوحيد، ولكلِّ شيء من هذه الأنوار مطرحُ شعاعٍ بقَدْره في الزيادة والنقصان.

وقوله تعالى: ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾ [نورٌ] اكتسبوه بجهدهم بنظرهم واستدلالهم، ونورٌ وجدوه بفضل الله لا بأفعالهم وأقوالهم، قال: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: ٦٩].

وقال: نور المطالبة يحصل في القلب ابتداءً فيَحمل صاحبه على المحاسبة، فإذا نظر في ديوانه وما أسلف من عصيانه حصل له نور المعاتبة(٤)، فيعود على نفسه

---

(١) ذكره الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (٧/ ٥٦٩) عن ابن عباس.

(٢) «ونور إسماعيل ونور» من (أ).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ١٠٥) بنحوه.

(٤) في مطبوع «اللطائف»: (المعاينة).

بالملامة، ويتجرَّع كاسات الندامة، فيرتقي عن هذا باستدامة قصده، والتنقِّي(١) عما كان عليه في أوقات جهله، فإذا استقام فيه كوشف بنور المراقبة، فيعلم دائماً أنه سبحانه مطَّلع عليه، ثم بعد هذا نورُ المحاضرة، وهي لوائح تبدو في السرائر، ثم بعد ذلك نورُ المكاشفة، وذلك بتجلِّي الصفات، ثم بعده أنوار المشاهدة، فيصير ليله نهاراً ونجومُه أقماراً وأقماره بدوراً وبدوره شموساً، ثم بعد هذا نور التوحيد، وعند ذلك تحقيق التجريد بخصائص التفريد، ثم(٢) [ما] لا تتناوله عبارة ولا تدركه إشارة، فالألسنة عند ذلك خُرْس، والشواهد طُمْس، وشهودُ الغير عند ذلك مُحال، فعند ذلك: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ﴾ و﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾ و﴿ٱنفَطَرَتْ﴾ وما ظهر لهم من القِدَم صار إلى العدم، جلَّت الأَحَديَّة، وعزَّتِ الصَّمَديَّة، وتقدَّستِ الرُّبوبيَّة، وتنزَّهتِ الأُلوهية(٣).

ثم إنما شبَّه المعرفة بالمصباح وهو سريعُ الانطفاء، وقلبَ المؤمن بالزُّجاج وهو سريع الانكسار، ولم يشبِّهْها بالشمس التي لا تُطفأ، ولا قلبَ المؤمن بالأشياء الصُّلبة التي لا تُكسر؛ تنبيهاً أنه على خطر وجديرٌ بحذر(٤).

وقوله تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ﴾: ذكرنا لها وجوهاً في النَّظم، ووجهٌ آخر: ﴿وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ وهم ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ﴾ إلى آخره، وهو(٥) ﴿فِي

---

(١) في (ف): «والتبقي».

(٢) في (ر): «مما»، وفي (ف): «لمن».

(٣) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٦١١ ـ ٦١٤)، وما بين معكوفتين منه.

(٤) في (ر) و(ف): «وجدير أن يحذر».

(٥) في (أ): «وهم».

﴿بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ﴾؛ أي: أمَر الله أن تعظَّم، وهو كقولك: أرفعك[1] إن أنبسط إليك؛ أي: أجلُّك وأعظِّمك.

ويجوز أن يراد به رفعُ البناء وإعلاؤه تعظيماً له، قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ﴾ [البقرة: ١٢٧].

وقوله تعالى: ﴿وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾: قيل: هو التوحيد، وقيل: هو الثناء والدعاء.

وقوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا﴾: قرأ ابن عامر وعاصم في رواية أبي بكر بفتح الباء على ما لم يسمَّ فاعله، وقرأ الباقون بكسرها على الفعل الظاهر[2]، وفاعله قوله: ﴿رِجَالٌ﴾، وعلى الأول ﴿رِجَالٌ﴾ خبر قوله: ﴿فِي بُيُوتٍ﴾[3]؛ أي: في المساجد رجالٌ صفاتهم كذا، والتسبيح هو الصلاة.

وقيل: هو تنزيهُ الله تعالى عن كلِّ سوء بذكر كلمات التسبيح.

وقوله تعالى: ﴿بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾: قيل: هو الذكر بعد الفجر وبعد العصر؛ كما قال: ﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾.

وقيل: هي الصلوات الخمس بالنهار والليل، والغدوُّ عبارةٌ عن كلِّ النهار، والآصال عبارة عن كلِّ الليل.

وقيل: هو الذكرُ على الدوام، يقال: مَبارُّ فلان متصلةٌ لنا بالغدو والآصال؛ أي: على الدوام.

* * *

---

(١) في (ر) و(ف): «إن أرفعك».

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٤٥٦)، و«التيسير» (ص: ١٦٢).

(٣) كذا قال، والمعروف في مثله العكس، أي: الجار والمجرور هو الخبر، والاسم الظاهر المتأخر مبتدأ.

(٣٧) ـ ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ الزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَـٰرُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ﴾: وصَف بالرجولية ثلاثَ فرق: ﴿رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا﴾ [التوبة: ١٠٨] و: ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَـٰهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٢٣] و: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ﴾؛ أي: لا تَشغلُهم تجارة؛ أي: بالأسفار في الأمصار[1] ﴿وَلَا بَيْعٌ﴾؛ أي: في الأسواق في الحوانيت، وحملناهما على هذين لتكون لزيادة إفادةٍ لا لمجرَّد إعادة.

﴿عَن ذِكْرِ اللَّهِ﴾: أي: خارج الصلاة ﴿وَإِقَامِ الصَّلَوٰةِ﴾؛ أي: وعن إقامة الصلاة في وقت الصلاة، حذف الهاء للإضافة، إذا كانت الهاء عوضاً عن الواو إذ كان أصله: (إقوام) صارت الهاء عوضاً عن الواو، قال الشاعر:

إنَّ الخليط أَجَدُّوا البَينَ فانجردوا ... وأخلَفوكَ عِدَ الأمرِ الذي وَعَدوا[2]

أي: عِدَةَ الأمر، وكانت الهاء عوضاً عن الواو في أوله: وَعَد، فصارت الإضافة عوضاً عن الهاء.

وقوله تعالى: ﴿وَإِيتَآءِ الزَّكَوٰةِ﴾: أي: وعن إيتاء الزكاة، بيَّن أنهم ليسوا بزَمْنَى لا أبدانَ لهم، ولا فقراءَ لا أموالَ لهم؛ ليكون لهجُهم بالذكر لعجزهم وفقرهم، بل قال: لهم أبدان يقيمون الصلاة بها، وأموال يؤدون الزكاة عنها، ثم لا يشغلُهم ذلك عن خدمة الله تعالى وذكره.

وقيل: معناه: لا يشتغلون بتجارةٍ وبيعٍ فيَشغلُهم ذلك عن إقام الصلاة وإيتاء

---

(١) في (ر) و(ف): «في الأمصار بالأسفار».

(٢) البيت في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢٥٤).

الزكاة، وأكثرهم على أنهم يتَّجرون ويبيعون ولا يشغلهم ذلك عن خدمة الله تعالى.

قال الحسن: يبيعون، ولكن إذا حضر حق الله تعالى بدؤوا بحق[١] الله تعالى[٢].

وقال سعيد بن [أبي] الحسن: هم قومٌ في بياعاتهم وتجاراتهم يقومون للصلاة في أوقاتها[٣].

وقال الكلبيُّ وعطاء بن أبي رباحٍ: يبيعون ويشترون، ولا يلهيهم ذلك[٤] عن الصلاة في أوقاتها[٥]، وعن مواضع حقوق الله أن يؤدُّوها في أوقاتها[٦].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه: أنه رأى قوماً من أهل السوق سمعوا الأذان فتركوا بياعاتهم وقاموا إلى الصلاة، قال: هؤلاء من الذين قال الله تعالى فيهم[٧]: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ الزَّكَوٰةِ﴾[٨].

وقيل: أراد به كلَّ الشرائع، وخَصَّ الصلاة والزكاة بالذكر لأنهما من أعظم الشرائع.

---

(١) في (ف): «انتدبوا لحق».

(٢) ذكره الجصاص في «أحكام القرآن» (٣/ ٤٢٣ ـ ٤٢٤)، والسمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٥١٥). وروى نحوه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٦٠٨) عن مطر الوراق.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٣٢١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٦٠٨)، وما بين معكوفتين منهما.

(٤) في (أ): «ولا تلهيهم تجارة».

(٥) «في أوقاتها» ليس في (أ).

(٦) رواه بنحوه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٦٠٨) عن مطر الوراق.

(٧) في (ف): «في حقهم».

(٨) رواه الطبراني في «الكبير» (٩٠٧٩).

وقيل: لأن في الصلاة حقَّ الله تعالى، وفي الزكاة حقَّ العباد، فنبَّه على أنهم يكونون مؤدين حقوقَ الله تعالى وحقوقَ عباده.

وقال بعض أهل المعرفة: ﴿لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ﴾ وهذا إشارة إلى قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم﴾ إلى قوله: ﴿فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ﴾ [التوبة: ١١١] يقول: لا يركَنون إلى هذا البيع ووجودِ الجنة بهذا العقد، بل يخافون العاقبة، ولا يمنعهم سبق هذا البيع عن المجاهدة في الأعمال الصالحة.

وقوله تعالى: ﴿يَخَافُونَ يَوْمًا﴾: أي: الحاملُ لهم على إقامة هذه الأشياء وإدامتِها خوفُ القيامة.

وقوله تعالى: ﴿تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ﴾: أي: لهيبة ذلك اليوم كما قال: ﴿وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ﴾ [إبراهيم: ٤٣] وقال: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْءَازِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ﴾ [غافر: ١٨] وقال: ﴿شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [الأنبياء: ٩٧] وقال تعالى: ﴿تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [إبراهيم: ٤٢].

وقال محمد بن جرير: تتقلَّب يمنةً ويسرةً: من أين يُؤتى كتابَه، وأين يُذهب به[1].

وقيل: إلى الكتب والموازين والخصماء.

وقيل: من الخوف إلى الرجاء، ومن الرجاء إلى الخوف.

* * *

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١٧/ ٣٢٥) عن مطر الوراق.

(٣٨) ـ ﴿لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

وقوله تعالى: ﴿لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا﴾: وهاهنا مضمرٌ: يقيم ذلك اليومَ ليجزيهم أحسنَ ما عملوا.

قيل: معناه: أي: يجزيهم بكلِّ عملٍ من أعمالهم جزاءَ أحسن أعمالهم[1]؛ أي: يجزي على الأدنى جزاء الأعلى.

قوله تعالى ﴿وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ﴾: على الجزاء الموعود على العمل.

وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾: أي: يُثيب مَن يشاء ثواباً لا يدخل في حساب الخلق.

هذه صفات المهتدين بنور الله تعالى، وأما الذين ضلوا عنه فالمذكورون بعده، وهو قوله:

(٣٩) ـ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ ۗ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ﴾: السراب: شعاعٌ يُتخيَّل ماءً يجري على الأرض في المفازة نصفَ النهار عند شدة الحر. وأما الآلُ: فهو شعاع يرتفع بين السماء والأرض كالماء[2] ضحوةَ النهار.

وسمي سراباً لأنه ينسرب؛ أي: يجري جريان الماء.

والقِيعة: جمع قاع، وهو المنبسط الواسع من الأرض، والقيعان جمعه أيضاً، يقال: قاع، وجمعه قيعة وقيعان؛ كما يقال: جار وجِيرةٌ وجيران.

---

(١) في (ف): «جزاء الحسن».

(٢) في (أ): «كالملاء».

وقوله تعالى: ﴿يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً﴾: أي: يظنُّه العطشان ماء ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ﴾؛ أي: إذا تكلَّف المسير إليه ﴿لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا﴾؛ أي: شيئاً نافعاً؛ كما يقال: ما علمتُ شيئاً، و: هذا ليس بشيء، يراد به نفيُ نَفْعِه، وهذا إذا حُمل قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ﴾[1] على أنه جاء السراب، وقولُه: ﴿لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا﴾؛ أي: لم يجد السراب شيئاً؛ أي: شيئاً[2] نافعاً.

وإنْ حُمل قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ﴾؛ أي: جاء الموضع الذي تراءى له فيه السراب، فمعنى: ﴿لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا﴾؛ أي: لم يجد في ذلك الموضع شيئاً كان يتراءى له، لأنه لا يرى ذلك إذا حضَره.

كذلك الكافرُ إذا قدِم على أعماله التي هي خيراتٌ عنده يومَ القيامة لم يجد لها نفعاً ولا يراها فقد صارت هباءً منثوراً ﴿وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ﴾: وهو كقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾ [الفجر: ١٤]، وتقديره: ووجد عقابَ الله لكفره وسيئاته عنده؛ أي: يُبطل حسناته ويُبقي عقابَ سيئاته معدًّا له عند قدومه.

وقوله تعالى: ﴿فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ﴾: أي: أتمَّ حسابه على ما عمله، وأعطاه جزاءه على وَفق ما فعله.

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾: أي: لا يَطول الزمانُ في حسابه؛ إذ هي كلُّها محصَّلة مجموعةٌ لا حاجة إلى جمع تفاريقها، ولا إلى إقامة الحجة عليها[3]، ولا يتهيأ للعبد جحدُه[4]، ولا يشغله حسابٌ عن حساب.

---

(١) بعدها في (ر) و(ف): «أي: جاء الموضع»، ولعله سهو من الناسخ أو سبق قلم.

(٢) «أي شيئاً» من (أ).

(٣) «عليها» ليست في (أ).

(٤) في (أ): «جحوده».

وقيل: هو وعيدٌ بقرب وقته؛ كما قال: ﴿ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ﴾ [الأنبياء: ١].

* * *

(٤٠) ـ ﴿أَوۡ كَظُلُمَٰتٖ فِي بَحۡرٖ لُّجِّيّٖ يَغۡشَىٰهُ مَوۡجٞ مِّن فَوۡقِهِۦ مَوۡجٞ مِّن فَوۡقِهِۦ سَحَابٞۚ ظُلُمَٰتُۢ بَعۡضُهَا فَوۡقَ بَعۡضٍ إِذَآ أَخۡرَجَ يَدَهُۥ لَمۡ يَكَدۡ يَرَىٰهَاۗ وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورٗا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَوۡ كَظُلُمَٰتٖ﴾: وهو مَثَلٌ آخر لأعمال الكفار، وللتخيير في ضرب المثَل بأيِّهما شئتَ؛ كقوله تعالى: ﴿أَوۡ كَصَيِّبٖ﴾ [البقرة: ١٩].

وقوله تعالى: ﴿فِي بَحۡرٖ لُّجِّيّٖ﴾: أي: عميق واسعِ اللجَّة، وهو معظمُ الماء ووسطُه وموضع العمق منه، وتكون الظلمة فيه أكثر.

وقوله تعالى: ﴿يَغۡشَىٰهُ﴾: أي: يغطِّي هذا البحرَ ﴿مَوۡجٞ﴾ وهو ماءٌ يضطرب من معظم الماء.

﴿مِّن فَوۡقِهِۦ مَوۡجٞ﴾: أي: موجٌ آخرُ أعلى منه وأهولُ.

﴿مِّن فَوۡقِهِۦ سَحَابٞ﴾: أي: من فوق الموج غمامٌ.

وقوله تعالى: ﴿ظُلُمَٰتُۢ بَعۡضُهَا فَوۡقَ بَعۡضٍ﴾: أي: هذه الظلمات.

وفي التفسير: أن قوله: ﴿أَوۡ كَظُلُمَٰتٖ﴾؛ أي: ظلمةِ الليل، وظلمةِ عمقِ البحر، وظلمةِ الموجين، وظلمةِ السحاب، فلا يُرى فيها شيء، فكذا الكافر في تحيُّره وخَبْطه في كفره كالخابط[1] في هذه الظلمات، وهو مَثَل الكافر في الدنيا في عمَهه[2] في طغيانه، وكذلك في الآخرة في حيرته وخسرانه.

(١) في (ر): «وخبطه وكفره كالخائض».

(٢) في (ر) و(ف): «غمه».

وقوله تعالى: ﴿إِذَآ أَخۡرَجَ يَدَهُۥ لَمۡ يَكَدۡ يَرَىٰهَا﴾: أي: لا يكاد يرى يدَه إذا أخرجها من شدة هذه الظلمات، فيضيق صدره وتشتدُّ حيرته[١].

وقيل: ﴿لَمۡ يَكَدۡ يَرَىٰهَا﴾؛ أي: لم يطمع في أنْ يراها.

وقيل: كاد يفعلُ كذا؛ أي: قارَبَ أن يفعل كذا، فقوله: ﴿لَمۡ يَكَدۡ يَرَىٰهَا﴾؛ أي: لم يقارِبْ ذلك، وهو أبلغ من النفي أصلاً؛ أي: لم يرها ولم يقارِبْ رؤيتها.

وقيل: تقديره التقديم والتأخير: إذا أخرج يده يراها لم يكَدْ؛ أي: إذا أخرج يده ليراها لم يقارِب ذلك.

وقال الفرَّاء: قيل: هو مثَلٌ، ومعناه: يراها ولكن لا يراها إلا بطيئاً؛ كما يقال: ما كدْتُ أبلغ إليك، وأنت قد بلغتَه مجهوداً[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورٗا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾: أي: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ فمَن لم يجعل له نوراً يهتدي به إلى الإيمان لم يهتدِ إليه، ومَن لم يجعل الله له يومَ القيامة نوراً يمشي به إلى الجنة لم يَصل إليها.

وقال مقاتل: نزلت الآية في عُتبة بن ربيعة بن أميةَ بن عبد شمسِ بن عبدِ مَناف، كان يلتمس الدِّين في الجاهلية، ولبس المِدرعةَ والمُسوح، ثم كفر بعد مجيء الدعوة إلى الإسلام[٣].

وقال القشيري رحمه الله: ظلماتُ الحسبان، وغيوم التفرقة، وليالي الجحدِ، وحنادسُ الشك، إذا اجتمعت فلا سراج لصاحبها، ولا نجوم ولا أقمار ولا شموس

---

(١) في (ف): «حسرته».

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢٥٥).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ١١١).

﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾ إذا لم يسبق لعبدٍ نورُ القسمة، ولم يساعده روحُ الرحمة(١)، فجهدُه وكدُّه وسعيُه وجدُّه عقيم من ثمراته مُؤْيس من نيل بركاته، والبدايات غالبة للنهايات، فالقبولُ لأهله غيرُ مجتلَب، والردُّ لأهله غير مكتسَب(٢).

* * *

(٤١) - ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: ألم تعلم يا محمد العلمَ الذي يقوم مقامَ العِيَان في الإيقان أنه يسبح مَن في السموات والأرض لمَن هو هادي أهلِ السماوات والأرض، و﴿مَن فِي السَّمَاوَاتِ﴾ هم الملائكة والجنُّ(٣)، وتسبيحهم: تنزيه الله جلَّ جلاله عما لا يليق به نطقاً.

وقوله تعالى: ﴿وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ﴾: هي عطفٌ على الأول، و﴿صَافَّاتٍ﴾ نصبٌ على الحال؛ أي: في حال بسطِها أجنحتَها؛ أي: وهي تسبح الله؛ أي: تنزِّهه بأصواتها.

وقيل: بما فيها من أمارات الحدوث(٤) الشاهدةِ على حاجتها إلى مُحْدِث أحدَثها وخلقها على ما هي عليه.

ويجوز أن يضاف التسبيح إلى الكلِّ وتختلفُ معانيها في التفصيل؛ كما في قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٥٦].

---

(١) في (أ): «روح الروحة»، وفي (ر): «نور الرحمة». وعبارة «اللطائف»: (ولم يساعده تعلق).

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٦١٦).

(٣) بعدها في (ر) و(ف): «والآدميين».

(٤) في (ف) و(أ): «الحدث»، وفي (ر): «الحديث». والصواب المثبت.

وقوله تعالى: ﴿كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ﴾: أي: كلُّ واحدٍ من هؤلاء ﴿قَدْ عَلِمَ﴾ الله ﴿صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ﴾؛ أي: عبادته فعلاً وتنزيهه قولاً، والهاءُ على هذا القول[١] راجعةٌ إلى ﴿كُلٌّ﴾.

وقيل: أي: كلُّ جنسٍ قد علم عبادةَ الله وتنزيهَه.

وقيل: أي: كلُّ جنس علِم عبادةَ نفسه وتنزيهَ نفسه لله تعالى.

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾: أي: لا يَعْزُب عنه شيءٌ منهم، وجُمع بالواو والنون وإن كان فيهم الطيور وهي لا تعقل؛ لأنه جمَع بينها وبين ما يَعقل، ولأنه وصفَها بوصف العقلاء: وهو التسبيح والصلاة.

وفي حديثٍ مسندٍ عن أبي ذرٍّ الغِفَاريِّ رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ[٢]: أنه لمَّا حضر آدمَ الوفاة دعا بابنه شيث فعَهِدَ إليه عَهْدَه، وعلَّمه ساعاتِ الليل والنهار، وعبادةَ الخلق في كلِّ ساعة منهن، وأن لكلِّ ساعة صنفاً من الخلق:

فالساعة الأولى من النهار: حين يسجد بنو آدم من الضحى.

والثانية: صلاة الملائكة.

والثالثة: صلاة الطير.

والرابعة: صلاة الهوامِّ.

والخامسة: صلاة الحيوان.

والسادسة: صلاة الملائكة المقرَّبين حين يستغفرون لبني آدم.

---

(١) «القول» ليست في (ف).

(٢) لم أجده عن أبي ذر مرفوعاً، لكن رواه الطبري في «تاريخه» (١/ ٩٦)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٥/ ١٧١٦)، عن محمد بن إسحاق، ورواية الطبري مقتصرة على أوله دون تعداد الساعات.

والسابعة: صلاة الملائكة حين يلجئون العباد إلى الصلوات كلها[١].

والثامنة: صلاة السماوات والأرضين.

والتاسعة: صلاة الذين حول العرش.

والعاشرة: حين ينزل الريح على الماء، وتفرُّ الجن من حول الماء، ولولا ذلك لأفسدت الشياطين على بني آدم الماء.

والحادية عشر: حين تعرج أرواح النبيين والصدِّيقين إلى الله تعالى.

والثانية عشر: عند غروب الشمس التي يصلُّون[٢].

والساعة الأولى من الليل: صلاة الجن.

والثانية: صلاة كلِّ دابة في البحر.

والثالثة: صلاة مَن تحت الأرض من الخلق.

والرابعة: صلاة الصابرين.

والخامسة: صلاة الذين فوق السماء من الخلق.

والسادسة: صلاة الغمام.

والسابعة: حين تثقل العين ويهدأ[٣] الخلق.

والثامنة: صلاة الشجر.

والتاسعة: صلاة الملائكة الذين هم في السماء.

---

(١) في «العظمة»: (والساعة السابعة حين تلج الملائكة ويلجون في الصلاة كلها بأسمائه).

(٢) «التي يصلون» ليست في «العظمة». وجاء بعدها: (فتلك ساعات النهار وهي اثنتا عشرة ساعة).

(٣) في (ر): «بهذا».

والعاشرة: حين تفتح أبواب السماء، وتنفض الملائكة أجنحتها، ويصيح الدجاج في الأرض، وحينئذ مَن سأل الله تعالى شيئاً آتاه إياه.

والحادية عشر: حين يخرج ما في الأرض من أهلها.

والثانية عشر: عند صلاة الصبح(١).

وقال آدم صلوات الله عليه لشيث: كذلك كنتُ أسمع وأبصر وأنا في الجنة، وذلك قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ﴾ وقال: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ الآية.

* * *

(٤٢ ـ ٤٣) ـ ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ (٤٢) أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾: هذا ظاهر.

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ﴾: وهذه دلالةٌ أخرى يهدي الله بها مَن في السماوات والأرض، وهو وجهُ انتظام هذه الآية بالأولى.

وقوله: ﴿يُزْجِي سَحَابًا﴾؛ أي: يسوقه إلى حيث يريده ﴿ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ﴾؛ أي: بين بعضه ببعضٍ، ويجمَع متفرِّقه.

﴿ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا﴾: أي: متراكماً بعضُه على بعضٍ، وقد ركمَه، وهو سحابٌ مركوم.

---

(١) هنا نهاية الخبر في «العظمة».

وقوله تعالى: ﴿فَتَرَى ٱلْوَدْقَ﴾: أي: المطر ﴿يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ﴾: جمع خَلَل، وقرأ أبو عمرو في رواية: (مِن خَلَله) على الواحد[1]؛ أي: من بينه، والأول: من أثنائه.

وقوله تعالى: ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ﴾: ذكَر (مِن) ثلاثَ مرات، والأول ابتداء الغاية، والثاني للتبعيض، والثالث للجنس.

قال بعضهم: خلق الله جبالاً في السماء من بردٍ فيُنزل منها برداً، فذلك قوله: ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾؛ أي: بَرَداً[2] ﴿مِن جِبَالٍ فِيهَا﴾؛ أي: في السماء[3] ﴿مِنۢ بَرَدٍ﴾؛ أي: الجبال مجموعةٌ من برد.

وقيل: ذكرُ الجبال للتشبيه، وتقديره: من السماء بَرَداً كثيراً مجتمعاً أمثالَ جبال من هذا الجنس[4].

قوله تعالى: ﴿فَيُصِيبُ بِهِۦ﴾: فيعذِّب بالبرَد ﴿مَن يَشَآءُ﴾ من الناس في نفسه أو زرعه فيُهلك ذلك.

وقوله: ﴿وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ﴾: أي: يدفع ضررَه عمَّن يشاء فلا يصيبُه.

وقيل: فيصيب بالوَدْقِ مَن يشاء فينفعُه، ويَصرفُه عمَّن يشاء فلا ينفعُه.

وقوله تعالى: ﴿يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ﴾: أي: ضوءُ برق السحاب ﴿يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ﴾ عدِّي الفعلُ بالباء؛ أي: يقارِبُ البرق أن يزيلَ أبصار العيون.

* * *

---

(١) انظر: «تفسير الثعلبي» (٧/ ١١٢)، و«المحرر الوجيز» (٤/ ١٩٠). وهي خلاف المشهور عن أبي عمرو.

(٢) «أي برداً» من (ف).

(٣) «أي في السماء» من (ف).

(٤) في (ف): «من للجنس» بدل: «من هذا الجنس».

(٤٤) ـ ﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ﴾: قيل[1]: يذهب بهذا ويجيء بهذا.

وقيل: يقلب أحوال الناس بالظُّلمة والضياء فيهما، فجعل ذلك تقليباً لهما توسُّعاً.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾: أي: إن في إزجاء السحاب وإنزالِ الودْق والبرَد وتقليب الليل والنهار ﴿لَعِبْرَةً﴾؛ أي: دليلاً يُستدلُّ بها على وحدانية الله تعالى وقدرته وعظمته وعلمه[2].

وقوله تعالى: ﴿لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ﴾: أي: لذوي البصائر والعقول.

* * *

(٤٥) ـ ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ ۖ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ ۚ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.

ثم بيَّن دلالةً أخرى وهي قوله **تعالى**: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ﴾: أي: كلَّ حيوانٍ يَدِبُّ على وجه الأرض، قال الحسن: ﴿مِّن مَّآءٍ﴾[3]؛ أي: من ماء الذكر والأنثى[4].

وقيل: أي: من الطين، والطينُ من الماء؛ لأن أصلَ الأرض ماءٌ.

وقيل: كلُّ حيوان لا يخلو عن رطوبةٍ فيه، ولأن حياة الحيوانات بالماء.

وقيل: أي: خلق أكثر الدوابِّ من ماء، واسم الكلِّ قد يطلق على الأكثر، قال

---

(١) في (ر) و(ف): «أي».

(٢) «وعظمته وعلمه» ليس في (أ).

(٣) «من ماء» زيادة من (ف).

(٤) في (ف): «وهو المني» بدل: «والأنثى».

تعالى: ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ [إبراهيم: ٣٤]، وقال تعالى: ﴿يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [القصص: ٥٧]، وقال تعالى: ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ﴾ [النمل: ٢٣].

وقوله تعالى: ﴿فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ﴾: قال: ﴿فَمِنْهُم﴾ ولم يقل: منها، وقال: ﴿مَّن﴾ ولم يقل: ما؛ لأن قوله: ﴿كُلَّ دَآبَّةٍ﴾ يتناول مَن يَعقِلُ ومَن لا يَعقل فغلَّب مَن يَعقل في الكناية.

قوله: ﴿يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ﴾ كالحيات والحيتان والديدان.

وقوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ﴾: كالإنسان والطير ﴿وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ﴾: كالبهائم والأنعام والسباع، ولم يذكر مَن يمشي على أكثرَ من أربعٍ في الحيوانات، ذلك لأن الأكثر ما ذكر، ولأنه ليس فيه نفيُ الزيادة، ولأن ما يمشي على أكثرَ من أربعٍ إذا مشى اعتمد على أربع جهاتٍ لا أكثر[(١)]، فكأنه يمشي على أربع.

وقوله تعالى: ﴿يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾: وهو قادرٌ على ما يشاء، وعالمٌ بما يشاء، لا يتعذَّر[(٢)] عليه شيء.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾: من هذا وغيره، ذكر أنه خلَق كلَّ هذا من ماء ثم هو مختلفٌ هذا الاختلافَ، فدل أن للجميع خالقاً مدبِّراً أنشأها على الاختلاف كما شاء، وإلا لم يختلف بل كان يتَّفق لاتِّفاق[(٣)] الأصل، وهو كقوله: ﴿يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ﴾ [الرعد: ٤].

* * *

(١) في (أ): «اعتمد في أربع جهات لا في أكثر».

(٢) في (ر) و(ف): «لا يبعد»، وقوله: «وعالم بما يشاء» ليس في (أ).

(٣) في (أ): «بل كان متفق».

(٤٦) ـ ﴿ لَّقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ ﴾: أي: نوراً للناس وبياناً ﴿وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ فهو هادي أهلِ السماوات والأرض، وهو إعادةُ ما قدَّمه مرة: ﴿ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ وَمَثَلًا ﴾ الآية [النور: ٣٤] لينتظِم هذا بذاك.

* * *

(٤٧) ـ ﴿ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ﴾: ذكرَ إنزال الآيات، وبعد نزولها صار الناس ثلاثَ فرقٍ:

فرقةً صدَّقتْ ظاهراً وكذبت باطناً وهم المنافقون.

وفرقة صدَّقت ظاهراً وباطناً وهم المخلصون.

وفرقة كذَّبت ظاهراً وباطناً وهم الكافرون.

فذكرهم جميعاً هاهنا على الترتيب، وبدأ بالمنافقين فقال: ﴿ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ ﴾؛ أي: بألسنتهم ﴿وَأَطَعْنَا ﴾ كذلك.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ ﴾: أي: يُعرض عن الانقياد لحكم الله وحكمِ رسوله ﴿فَرِيقٌ مِّنْهُم ﴾ كان الإعراض من بعضهم والرضا بإعراضه من كلِّهم، فصاروا جميعاً مذمومين.

وقوله تعالى: ﴿مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾: أي: وما المعرِضون بالمؤمنين.

وقيل: وما كلُّهم بمؤمنين؛ لاعتقادهم جميعاً ما يعتقد هؤلاء.

والآية نزلت في المنافق واليهودي اللَّذين اختصما إلى كعب بن الأشرف[١]، وقد ذكرنا القصة عند قوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ﴾.

* * *

(٤٨) ـ ﴿وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُم مُّعۡرِضُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ﴾: أي: الرسول، وذكر الدعاءَ إلى الله ورسوله لأن الدعاء إلى الرسول دعاءٌ إلى الله؛ لأنه يحكم بينهم بأمره.

وقوله تعالى: ﴿إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُم مُّعۡرِضُونَ﴾: أي: ممتنِعون من المحاكمة إلى رسوله[٢].

* * *

(٤٩) ـ ﴿وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلۡحَقُّ يَأۡتُوٓاْ إِلَيۡهِ مُذۡعِنِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلۡحَقُّ﴾: أي: إنْ علموا أن الحق يكون لهم دائماً[٣] إذا تحاكموا ﴿يَأۡتُوٓاْ إِلَيۡهِ﴾؛ أي: إلى الرسول ﴿مُذۡعِنِينَ﴾؛ أي: مسرعين منقادِين طلباً منهم لحقِّهم، لا رضاً بحكم رسول الله ﷺ.

* * *

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ٣٢٧)، و«الكشاف» (٣/ ٢٤٨). ورواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ١٩٣ ـ ١٩٤) عن مجاهد في سبب نزول قوله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزۡعُمُونَ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ﴾ [النساء: ٦٠]، وكذا رواه الواحديُّ في أسباب النزول (ص: ١٦١)، عن قتادة والشعبي، وعن ابن عباس من رواية الكلبي عن أبي صالح عنه.

(٢) في (ف): «ممتنعون عن المحاكمة إلى ربه وله».

(٣) «دائما» ليست في (أ).

(٥٠) ـ ﴿أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾: أي: نفاقٌ ﴿أَمِ ارْتَابُوا﴾؛ أي: شكُّوا، وهو استفهام بمعنى التقرير ﴿أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ﴾؛ أي: يَجورَ، وهاهنا مضمر: أفي قلوبهم مرض أو ريبة أو[1] ليسوا كذلك بل هم مخلصون غير أنهم يخافون أن يجور عليهم رسول الله ﷺ، وهذا لا يكون لأنه معصوم بعصمة الله.

قوله ﴿بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾: أي: أولئك المتولُّون[2] هم الكافرون.

وقيل: هو محاجَّةٌ لهم، وكأنه أُمر أن يقول لهم: أفي قلوبكم نفاقٌ فلا ترضون بحكمي، أم تشكُّون في صحة حكمي فلا تقبلونه، أم تخافون جَوري فتَحْذَروني؟ فإذا قالوا: لا شيء من ذلك، قيل لهم: فأنتم الظالمون خصومَكم بترك التحاكُم إليَّ من غير مانعٍ.

* * *

(٥١) ـ ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾: قيل: كلمة (كان) زائدة.

وقيل: معناه: إن هؤلاء لو كانوا مؤمنين كما يزعمون لكان قولَهم ﴿إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾: أي: سمعنا قولك وأطَعْنا أمرك[3] ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

---

(١) في (ر): «أم ريبة أم».

(٢) في (ف): «أولئك المرتابون»، وليست في (ر).

(٣) قوله: «أي: سمعنا قولك وأطعنا أمرك» ليس في (أ) و(ف).

(٥٢ ـ ٥٣) ـ ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾ ۞ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ ۖ قُل لَّا تُقْسِمُوا۟ ۖ طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ ﴾: أي: يخاف أن يخالفه حذراً من عقابه ﴿وَيَتَّقْهِ﴾؛ أي: يتحرَّز عن معصيته ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾؛ أي: الناجون.

وقوله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ﴾: أي: هؤلاء المنافقون ﴿جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ﴾؛ أي: مبالِغينَ في تأكيد حَلِفهم ﴿لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ﴾؛ أي: تخلَّفوا عنك في غزوة تبوك ويحلفون: لو كنتَ أمرتَهم بالخروج لخرجوا معك، وبعد هذا[1] إذا أمرتهم خرجوا.

وقوله تعالى: ﴿قُل لَّا تُقْسِمُوا۟﴾: أي: لا تحلفوا كاذبين منافقين ففي قلوبكم غيرُ ما على ألسنتكم.

﴿طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ﴾: قيل: هو ردٌّ عليهم دعواهم الطاعةَ؛ كقولك ـ لمن قال لك: أنا منقادٌ لك مطيعٌ لأمرك ـ: أنا عارف بطاعتك وانقيادك، وتقديره هاهنا: ما هو طاعة عندكم لنا في دعواكم معروفةٌ عندنا أنه خلافٌ ونفاق.

وقيل: معناه: وليكن منكم طاعة معروفة؛ أي: عرَفها الشرع والعقل طاعةً.

أو: طاعة معروفة منكم خيرٌ من يمينكم الباطل.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾: أي: عالمٌ بأعمالكم.

* * *

(٥٤) ـ ﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾.

---

(١) قوله: «تخلفوا عنك في غزوة تبوك ويحلفون لو كنت أمرتهم بالخروج لخرجوا معك وبعد هذا» من (أ).

قوله تعالى ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ﴾: أي: أخلِصوا طاعة الله ﴿وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾: واتركوا هذا النفاق ﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾؛ أي: فإن تتولَّوا، حُذفت إحدى التاءين تخفيفاً؛ أي: فإن تُعْرِضوا عن طاعة الرسول فيما أمركم به ونهاكم عنه.

وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْهِ﴾: أي: على الرسول ﴿مَا حُمِّلَ﴾؛ أي: ما أُلزم ـ أي: الرسول[1] ـ من تبليغ الرسالة ﴿وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ﴾؛ أي: أُلزمتم من طاعته؛ أي: لا ضرر عليه في خلافكم فإنه لا يُؤخذ بذنوبكم.

﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾: ترشُدوا ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾: أي: التبليغ الظاهر، ليس إليه الهداية والإضلال.

* * *

(٥٥) ـ ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾.

ثم ذكر المخلصين فقال: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾: أي: ليجعلنهم خلفاءَ الأرض؛ أي: سكانَها والمسلَّطين[2] عليها.

﴿كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾: قرأ عاصم في رواية أبي بكر: ﴿كما استُخلِف﴾ على ما لم يسمَّ فاعله، والباقون على الفعل الظاهر[3]؛ أي: بني إسرائيل، قال لهم: ﴿وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ١٢٩]؛ أي: أرضِ الشام، وفعَل كذلك.

---

(١) «أي الرسول» من (أ).

(٢) في (أ): «والمتسلطين».

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٤٥٨)، و«التيسير» (ص: ١٦٣).

وقوله تعالى: ﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ﴾: أي: وليُعِزَّنَّهم وليُعْلينَّهم[١] على أعدائهم فيُظهروا دينَهم الإسلام الذي ارتضاه لهم؛ أي: متمكِّنين في الأرض مستولينَ عليها.

قوله: ﴿وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾: أي: وليجعلنَّ لهم بدلَ خوفهم أمناً، وهو الخوف من الأعداء، والأمنُ منهم بغلبتهم عليهم.

وقرأ ابن كثير وعاصم في رواية أبي بكر: ﴿وليُبْدِلنَّهم﴾ مخفَّفاً، والباقون مشدَّداً[٢]، والإبدال والتبديل لغتان.

وقوله تعالى: ﴿يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا﴾: أي: بعد أمنهم يُظهِرون دينهم.

وقوله تعالى: ﴿وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾: أي: بعد تحقيق هذا الوعد ﴿فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ﴾؛ أي: الخارجون عن الطاعة، وعن هذه الأسماء الصالحة.

وقيل: أي: الخارجون إلى أفحش[٣] الكفر.

وقيل: ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ هو من كفران النعمة ﴿فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ﴾ الخارجون[٤] بسبب الكفران.

ودلت الآية على صحةِ دعوى النبوَّة من النبي ﷺ، فإنه أخبر عما هو كائنٌ فكان كما قال، وعلى خلافة الخلفاء الراشدين الأربعة، فإن الله تعالى وعد أن يستخلفهم في الأرض، ولم يُستخلف فيها بعدَ رسول الله ﷺ من الذين كانوا مؤمنين في وقت نزول هذه الآية إلا هؤلاء الأربعةُ رضي الله عنهم أجمعين.

---

(١) في (ف): «وليقربنهم وليغلبنهم».

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٤٥٩)، و«التيسير» (ص: ١٦٣).

(٣) في (ر) و(ف): «محشر».

(٤) في (ف): «خارجون»، وليست في (أ).

وقال مقاتل: إن النبيَّ ﷺ لمَّا رجع من الحديبيَة حزن أصحاب رسول الله ﷺ؛ إذ كانوا موقِنين بدخولهم مكة لرؤيا رسول الله ﷺ، فلما رجعوا محزونين أَطعَمَهم الله تعالى نخيل خيبر[1]، ووعدهم أن يدخلوا مكة في العام القابل، وأنزل: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ الآية[2].

***

(٥٦ ـ ٥٧) ـ ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ٥٦ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مُعْجِزِينَ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ وَلَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾: أي: لتُرحموا.

ثم ذكر الكافرين وذلك قوله: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مُعْجِزِينَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾: أي: فائتين حتى يعجزونني عن أخذهم، وهاهنا مضمر تقديره[3]: بل هم مقدورٌ عليهم ومحاسبون ﴿وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ وَلَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾؛ أي: ولبئس المرجعُ النار.

***

(٥٨) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُواْ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٍ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ثَلَٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّ طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

---

(١) في (ر): «أطعمهم الله بكل خير».

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٢٠٦).

(٣) «تقديره» ليست في (أ) و(ف).

وقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ﴾: عاد الكلام إلى ذكر أسباب التستُّر والتعفُّف، وتخلَّلها شرح الآيات، يقول: الْزَموا ومُرُوا عبيدكم وإماءكم.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا۟ ٱلْحُلُمَ﴾: أي: والصبيان الذين لم يحتلِموا ولم يُنزلوا ﴿مِنكُمْ﴾؛ أي: من الأحرار.

أي: ليستأذنوكم للدخول عليكم فلا يدخلوا عليكم من غير إذنٍ منكم ﴿ثَلَـٰثَ مَرَّٰتٍ﴾؛ أي: في ثلاثة أوقات من الليل والنهار ﴿مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ﴾ هذا واحد ﴿وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ﴾؛ أي: حين تتجرَّدون فتنزعون ثيابكم في وقت شدة الحر وهو وقت القيلولة، وهذا ثان ﴿وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ﴾؛ أي: العتمة، وهذا ثالث.

ثم نبَّه على المعنى فقال تعالى: ﴿ثَلَـٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ﴾: قرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية أبي بكر: ﴿ثلاثَ عورات﴾ بالنصب ردًّا على ﴿ثَلَـٰثَ مَرَّٰتٍ﴾، وقرأ الباقون بالرفع على إضمار: هذه[١]، يقول: هذه أوقاتُ التجرُّد وظهور العورة؛ لأن ما قبل صلاة الفجر وقتُ انتهاء النوم في الأغلب والأكثر، ووقتُ الخروج من ثياب النوم ولبسِ ثياب النهار، ووقتَ الظهيرة وقتُ التجرد للقائلة، وبعد صلاة العشاء وقتَ ابتداء النوم والتجرُّد من ثياب النهار والتغشِّي بثياب النوم، ولأن الله تعالى جعل الليل سكناً ولباساً.

وقوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّ﴾: أي: لا إثم عليكم ولا عليهم بعد هذه الأوقات الثلاثة في الدخول عليكم بغير إذنٍ[٢].

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٤٥٩)، و«التيسير» (ص: ١٦٣).

(٢) في (ف): «بعد الإذن» بدل: «بغير إذن».

وقوله تعالى: ﴿طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم﴾: أي: هم خدمُكم؛ أي: المماليك والصبيان ومَن يَشُقُّ الاحتراز عن التبذُّل عندهم[١]؛ فالحرج مدفوع عنكم وعنهم في دخولهم بغير إذن في غير هذه الأوقات الثلاثة؛ لارتفاع الحشمة، ولأن الغالب في ذلك التغطِّي، وإنما نفَى الحرج عن الطرفين لأن الحرمة في وقت الحرمة من الطرفين.

وقوله تعالى: ﴿بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾: أي: يطوف بعضكم على بعضٍ للخدمة، والخادمُ قد يحتاج [٢] إلى الطواف في الجهات.

وقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْآيَٰتِ﴾: أي: كالذي يبيِّن الله لكم من حُكم الاستئذان يبيِّن لكم غيره من الآيات التي بكم إلى بيانها حاجةٌ.

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بمصالح عباده ﴿حَكِيمٌ﴾ يضع الأمور مواضعها.

* * *

(٥٩) - ﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ﴾: أي: من الأحرار ﴿ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟﴾ في كل الأوقات للدخول ﴿كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾؛ أي: الكبار الأحرار.

وقيل: هم الداخلون في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟﴾.

وقيل: يرجع هذا إلى أول هذه الآية؛ أي: ليستأذنكم الأطفال إذا بلغوا في كلِّ الأوقات كما استأذن المماليك والأطفال في الأوقات الثلاثة.

---

(١) في (ف): «عندكم».

(٢) في (ر) و(ف): «محتاج» بدل: «قد يحتاج».

قوله: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾: قد فسرناه.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: وجَّه رسول الله ﷺ غلاماً من الأنصار يقال له: مدلج بن عمرو، إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقتَ الظهيرة[1] ليدعوَه، فدخل فرأى عمرَ بحال كره عمرُ رؤيتَه ذلك، فقال: يا رسول الله، وددْتُ لو أن الله تعالى أمرنا ونهانا في حالة الاستئذان، فنزلت[2].

وعن عمر أنه قال: وافقني ربي في ثلاث: في الاستئذان، وفي الحجاب ﴿فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾ [الأحزاب: ٥٣]، وفي الاتِّخاذ من مقام إبراهيم مصلًّى[3].

وقال مقاتل بن حيان: نزلت في أسماءَ بنتِ مرشدةَ، كان لها غلامٌ كبير، فدخل عليها في وقتٍ كرهَتْه، فأتت رسول الله ﷺ فقالت: إنَّ خدَمَنا وغلماننا يدخلون علينا في حالٍ نكرهها، فأنزل الله تعالى هذه الآية[4].

---

(١) «وقت الظهيرة» من (أ).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ١١٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما دون سند، ورواه ابن منده كما في «الإصابة» لابن حجر (٦/ ٥٠) من طريق السديّ الصغير، عن الكلبيّ، عن أبي صالح، عن ابن عباس.
والسدي الصغير هو محمد بن مروان: كذاب، والكلبي متروك، وأبو صالح لم يسمع من ابن عباس.

(٣) ذكره الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (٧/ ٥٨٨) بلفظ: (وافقت ربي...) ولم أجده مسنداً هكذا، لكن رواه البخاري (٤٠٢) من طريق أنس عن عمر فذكر بدل الاستئذان قوله: (واجْتَمَع نساءُ النبي ﷺ في الغَيرةِ عليه، فقُلتُ لهنَّ: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ﴾، فنزلت هذه الآيةُ). ورواه مسلم (٢٣٩٩) من طريق ابن عمر عن عمر فذكر بدل الاستئذان أسارى بدر.

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ١١٦)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٢٩)، والبغوي في «تفسيره» (٦/ ٦٠)، والزمخشري في «الكشاف» (٣/ ٢٥٣)، والرازي في «تفسيره» (٢٤/ ٤١٦)، والبيضاوي في «تفسيره» (٤/ ١١٣).
ورواه عن مقاتل بنحوه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٦٣٣).

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَنُكُمْ﴾ الإماء[١].

وقال مجاهد: العبيد والإماء[٢].

وقال زيد بن أسلم: ولمَّا نزلت آية الاستئذان قال فتًى: يا رسول الله، إن أمي عجوزٌ كبيرة أفأستأذِنُ عليها؟ قال: «نعم»، قال: فقال: إنه ليس لها أحدٌ غيري، قال: «استأذِنْ عليها»، فقال: إنه ليس لها زوجٌ ولا خادم، قال: «أتحبُّ أن تراها عريانة؟»، قال: لا، قال: «فاستأذن عليها»[٣].

= ووقع في اسم صاحبة القصة اختلاف في المصادر، فما ذكره المؤلف موافق لما رواه ابن أبي حاتم، وكذا ذكر ابن سعد في «الطبقات» (٨/ ٣٣٥) وابن الأثير في «أسد الغابة» (٧/ ١٩) أسماء بنت مرشدة في الصحابيات، لكن لم يوردا لها هذا الحديث.

وجاء الاسم عند الثعلبي والواحدي والبغوي: (أسماء بنت مرثد). ومثله في «الإصابة» (٨/ ١٨) لكن لم يذكر لها هذا الحديث.

وفي «الكشاف»: (أسماء بنت أبي مرشد)، وعند الرازي والبيضاوي: (أسماء بن أبي مرثد). قال الشهاب الخفاجي في حاشيته على «تفسير البيضاوي» المسماة: «عناية القاضي وكفاية القاضي» (٦/ ٣٩٨): بنت أبي مرشد بالشين المعجمة أو الثاء المثلثة، قيل: وهو بفتح الميم فيهما.

(١) لم أجده عن ابن عباس رضي الله عنهما، ورواه أبو عبيد في «الناسخ والمنسوخ» (٤٠٢) عن أبي عبد الرحمن السلمي قال: قال: (هي خاصة للنساء لا للرجال، يستأذنون على كل حال بالليل والنهار). قال أبو عبيد: (يعني أن الإماء ينبغي لهن أن يستأذن على مواليهن في هذه الحالات الثلاث المسماة هاهنا... فأما ذكور المماليك فإن عليهم الاستئذان في الأحوال كلها).

(٢) لم أجده بهذا اللفظ، وروى الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٣٥٢) عنه قوله: عبيدكم المملوكون.

(٣) رواه عن زيد بن أسلم ابن أبي شيبة في «المصنف» (١٧٦٠٠) مختصراً. ورواه بتمامه مالك في «الموطأ» (٢/ ٩٦٣)، وأبو داود في «المراسيل» (٤٨٨)، والطبري في «تفسيره» (١٧/ ٢٤٤)، عن عطاء بن يسار مرسلاً. قال ابن عبد البر في «التمهيد» (١٦/ ٢٢٩): هذا الحديث لا أعلم يستند من وجه صحيح بهذا اللفظ، وهو مرسل صحيح مجتمع على صحة معناه.

وقال سعيد بن المسيب: ثلاث آيات ترك الناس العمل بها وهو واجب: آيةُ الاستئذان، وقوله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾ الآية [الحجرات: ١٣]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ﴾ الآية [النساء: ٨][1].

***

(٦٠) - ﴿وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ ۖ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ﴾: أي: العجائزُ اللاتي قعدْنَ عن الْتِماس النكاح لكِبَرهن، جمع قاعِدٍ لأنها من صفات النساء على الخصوص كطالقٍ وحائض.

وقيل: قعَدن عن الحيض والولد.

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا﴾: أي: لا مَطمع لهن في الأزواج.

وقوله تعالى: ﴿فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ﴾: أي: جلابيبَهن وأَرْدِيَتَهن ومَقانِعَهن التي فوق رؤوسهنَّ وفوق[2] الدروع والخُمُر عند الأجانب؛ كما يحل ذلك للشوابِّ[3] عند المحارم.

وقوله تعالى: ﴿غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ﴾: أي: من غيرِ أن يُرِدْنَ بوضع ذلك عنهنَّ

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٤٣٤)، وابن المنذر في «تفسيره» (١٧١٣)، كلاهما من طريق قتادة عن يحيى بن يعمر. ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٠٥٤) من طريق قتادة عن ابن عباس ولم يذكر آية النساء، وكذا رواه أبو عبيد في «الناسخ والمنسوخ» (٤٠٣) من طريق عطاء عن ابن عباس، وفيه التصريح بنسيان الثالثة، ولفظه: قال: حفظت آيتين ونسيت واحدة، ورواه النحاس في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٥٩٤) وفيه بيان أن القائل: (حفظت...) هو عطاء.

(٢) «رؤوسهن وفوق» ليس في (أ).

(٣) في (ف): «للنسوان».

أن يُبْدِينَ ما عليهن من الزينة للرجال ويتكشَّفْنَ لهم، وإنما يفعَلْنَ ذلك للتخفيف عن أنفسهنَّ.

والمتبرِّجات: المتكشِّفات.

﴿وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ﴾: أي: يستتِرْن فلا يَضَعْنَ جلابيبَهن وأردِيَتَهن ﴿خَيْرٌ لَّهُنَّ﴾ وأفضلُ لهن، وأَدْفعُ للرِّيبة عنهنَّ.

قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾: أي: لا يخفَى عليه ما يَقُلْن بألسنتهنَّ ويفعلن بأنفسهنَّ، وهو أبلغُ تحذير.

***

(٦١) - ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَـٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَـٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّـٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَـٰلَـٰتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوْ صَدِيقِكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟ جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا ۚ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَـٰرَكَةً طَيِّبَةً ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ الآية: قال سعيد بن المسيب: كان المسلمون يخرجون مع رسول الله ﷺ فيعطون مفاتحهم الأعمى والأعرجَ والأقارب، ويقولون لهم: أحلَلْنا لكم ما تأكلون مما في بيوتنا، فيقولون: والله لا يحلُّ لنا مما في بيوتهم شيءٌ وإنْ أحلُّوه لنا حتى يرجعوا إلينا، وإنها لأمانةٌ اؤتُمِنَّا عليها، فلم يزالوا على ذلك حتى أنزل الله تعالى هذه الآية، فطابت أنفسهم لِمَا أحل الله لهم[1].

---

(١) رواه النحاس في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٦٠٠)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٣٠)، =

وعن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة قال: كانوا يؤون المريض والأعرج والأعمى في بيوتهم[(١)]، فنزلت هذه الآية[(٢)].

يقول: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ في أكلهم من بيوت الذين أَذنوا لهم بذلك بالمعروف من غير إسرافٍ.

﴿وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ﴾: قيل: هو على ظاهره، ومعناه: أنه لا بأس بأكله من بيوت أقربائه هؤلاء كما لو أكل من بيتِ نفسه من مالِ نفسه.

وقيل: معناه: أن تأكلوا من بيوت أزواجكم؛ لأن الزوجين صارا كنفسٍ واحدة، والإذن ثابتٌ دلالةً.

وقيل: معناه: أن تأكلوا من بيوت أولادكم؛ لقوله ﷺ: «أنت ومالُك لأبيك»[(٣)].

= وروى نحوه البزار (٢٢٤١ ـ كشف) من حديث عائشة رضي الله عنها، ورجاله رجال الصحيح كما قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٨٤).

(١) بعدها في (ر) و(ف): «فلما نزل ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم أخرجوهم من بيوتهم» وليست هذه العبارة في مصادر التخريج.

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٠٦٤)، وأبو عبيد في «الناسخ والمنسوخ» (٤٤٥)، والطبري في «تفسيره» (١٧/ ٣٦٨)، والجصاص في «أحكام القرآن» (٣/ ٤٣١)، جميعهم عن معمر قال: قلت للزهري: ما بال الأعمى والأعرج والمريض ذكروا هاهنا؟ قال: أخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة أن المسلمين كانوا إذا غزوا خلَّفوا زمناهم في بيوتهم ودفعوا إليهم المفاتيح، وقالوا: قد أحللنا لكم أن تأكلوا منها، فكانوا يتحرجون من ذلك ويقولون: لا ندخلها وهم غيَّب، فنزلت هذه الآية رخصة لهم.

(٣) رواه ابن ماجه (٢٢٩١) من حديث جابر رضي الله عنه، وإسناده صحيح على شرط البخاري كما قال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (٣/ ٣٧). وصححه البزار فيما نقله عنه ابن التركماني في «الجوهر النقي» (٧/ ٤٨١)، وصححه أيضًا ابن التركماني، وابن القطان في «بيان الوهم والإيهام» (٥/ ١٠٢ ـ ١٠٣). =

وقال ﷺ: «إنَّ أطيبَ ما يأكل الرجل من كَسْبه، وإن ولده من كسبه»[١].

وقوله تعالى: ﴿أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمْ﴾: والإذن ثابتٌ من هؤلاء دلالةً.

﴿أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ﴾: قال ابن عباس رضي الله عنهما: هو الوكيل[٢] يدفع الرجل إليه ضيعتَه، فله أن يأكل من طعامها ويشربَ من ألبانها[٣].

وقيل: بيوت العبيد والإماء، والعبد وما في يده لمولاه.

وقال عبيد الله بن عبد الله بن عتبة: هو الغازي يدفع بيته إلى غيره ويسلِّطه عليه ويأذنُ له في الأكل من بيته[٤].

وقيل: هي بيوت الإجارة والعاريَّة.

وقوله تعالى: ﴿أَوْ صَدِيقِكُمْ﴾: أي: أصدقائكم، قال الشاعر:

إذا قـلَّ مـالُ المـرءِ قـلَّ صديقُه وضـاق به عمَّـا يريـد طريقُه[٥]

قال قتادة: هو الرجل يأتي منزلَ الرجل فيقول: أهاهنا فلان؟ فيقول أهله: لا،

= ورواه ابن حبان في «صحيحه» (٤١٠) من حديث عائشة رضي الله عنها، وإسناده صحيح كذلك.
ورواه أبو داود (٣٥٣٠) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، وإسناده حسن.

(١) رواه أبو داود (٣٥٢٨)، والترمذي (١٣٥٨)، والنسائي (٤٤٥١)، وابن ماجه (٢٢٩١)، من حديث عائشة رضي الله عنها. قال الترمذي: حديث حسن.

(٢) في (أ): «الرجل».

(٣) انظر: «النكت والعيون» للماوردي (٤/ ١٢٤). ورواه بنحوه ابن أبي حاتم (٨/ ٢٦٤٨).

(٤) تقدم قريباً.

(٥) ذكره دون نسبة مع بيت آخر ابن أبي الدنيا في «إصلاح المال» (٤٥٩).

فيقول: غدُّونا، عشُّونا، أسرِجوا لي دابته، أعطُوني ثوبه، فيفعلون ذلك، فيجيءُ الرجل فيقول له أهله: جاء أخوك فلان فغدَّيناه وعشَّيناه، وأسرَجْنا له دابَّتك، وأعطيناه ثوبك، فلا يقع في قلبه إلا كما لو قيل له: جاء أبوك أو أخوك أو عمك ففعلنا به ذلك، فذلكم الصديق(١).

وجاء فتحٌ الموصليُّ إلى صديقٍ له فوجده غائباً من منزله، فقال لجاريته: هل(٢) كيسه في البيت؟ فقالت: نعم، فاستدعى بكيسه فأخذ منه درهمين وردَّ الباقي عليها، فلما جاء سيدها أخبرته بذلك، فقال لها: إن كنت صادقةً فأنت حرةٌ لوجه الله.

كذا كان الصالحون فيما سلف، وأما الآن فقد غلَب الشحُّ على القلوب فلا يأكل إلا بإذن.

وقوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا﴾: قال قتادة: كان بنو كنانة بنِ خُزيمةَ يرى أحدهم عاراً في الجاهلية أن يأكل وحده، حتى كان أحدهم يمتنعُ وهو جائعٌ حتى يجدَ مَن يؤاكلُه ويشاربه(٣).

وعن أبي صالح وعكرمة قالا: كانت الأنصار يشدِّدون في هذا، فكان إذا أضاف أحدهم ضيفاً لم يأكل إلا وضيفُه معه، فنزلت: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا﴾(٤).

وقال سعيد بن جبير: كان العُرجان والعُميان والمرضَى يتنزَّهون عن مؤاكلةِ

---

(١) رواه ابن عساكر في «تاريخه» (٢٤/ ٣٩).

(٢) في (ف): «هذا»، وفي (ر): «ها».

(٣) رواه يحيى بن سلام في «تفسيره» (١/ ٤٦٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٦٤٩). وبنحوه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٠٧٠)، والطبري في «تفسيره» (١٧/ ٣٧٦).

(٤) رواه عنهما الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٣٧٧).

غيرهم خوفاً من الاستيثان وتضييقِ[١] المكان على الناس، فنزلت الآية[٢].

وعن مجاهد قال: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ﴾ إذا دعي إلى وليمةٍ أن يستتبعَ قائده معه[٣].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: نزلت الآية في الحارث بن عمرو، خرج مع رسول الله ﷺ غازياً فخلَّف مالكَ بن زيد على أهله، فلما رجع وجده مجهوداً، فسأله عن حاله، فقال: تحرَّجت أن آكل من طعامك إلا بإذن منك، فنزلت هذه الآية[٤].

وقيل: لمَّا نزل قوله ﴿لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ﴾ [النساء: ٢٩] توقَّوا الأكل من بيت هؤلاء، وتوقَّوا الاجتماع على الطعام؛ لاختلاف أحوال الآكلين في القلة والكثرة، وتفاوتِ أخلاق أهل البيوت[٥]، فنزلت الآية[٦].

ودل قوله تعالى: ﴿أَن تَأْكُلُواْ جَمِيعًا﴾ على جواز التناهد[٧] في الأسفار.

---

(١) في (ر) و(ف): «وضيق».

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ١١٨)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٣٠)، والبغوي في «تفسيره» (٦/ ٦٣).

(٣) لم أقف عليه عن مجاهد، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٦٤٤) عن عبد الكريم الجزري، وكذا ذكره السمعاني في «تفسيره» (٣/ ٥٥٠)، وذكره دون عزو ابن العربي في «أحكام القرآن» (٣/ ٤٢١).

(٤) ذكره عن ابن عباس دون سند الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ١١٩)، والبغوي في «تفسيره» (٦/ ٦٥). ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٦٤٨) عن مقاتل بن حيان قال: (بلغنا والله أعلم...) وذكره.

(٥) في (ر) و(ف): «وتفاوت اختلاف أهل البيت».

(٦) رواه بنحوه أبو عبيد في «الناسخ والمنسوخ» (٤٤٣)، وأبو داود (٣٧٥٣)، والطبري في «تفسيره» (١٧/ ٣٦٦)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٧/ ٢٧٤)، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٧) في هامش (أ): «التناهد: إخراج كل واحد من الرفقة في السفر نفقة على قدر نفقة صاحبه».

وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا﴾: قيل: بيوت هؤلاء للأكل. وقيل: كلّ بيت. وقيل: هي المساجد.

وقوله تعالى: ﴿فَسَلِّمُوا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾: أي: على جنسكم ممن كان فيها، وهو كقوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾ [النساء: ٢٩]، فإن لم يكن في البيت أحد ولا في المسجد فليقل: السلام علينا من ربنا، أو ليقل: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، أو ليقل: السلام على مَن اتَّبع الهدى.

وقوله: ﴿تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً﴾: قيل: يتكلَّم بهذا متصلاً بالسلام[1].

وعن بعض السلف: أنه كان إذا دخل المسجد ولا إنسانَ فيه يقول: السلام علينا من ربِّنا تحيةً من عند الله مباركة طيبة.

وقيل: هي بيانُ صفة السلام ﴿فَسَلِّمُوا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً﴾ فهو مصدرٌ للأول من غير لفظه؛ كقول الراجز:

يعجبُه السَّحورُ والثَّريدُ   والتمرُ حبًّا ما له مزيدُ[2]

وقوله تعالى: ﴿مُبَٰرَكَةً﴾: أي: كثيرةَ الخيرِ طيبةً، أي: يستطيبه المحيَّى.

---

(١) بعدها في (ر) و(ف): «علينا من ربنا».

(٢) الرجز ذكره الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٥٩٨)، وابن الأنباري في «شرح القصائد السبع الجاهليات» (ص: ٣١)، و«الصحاح» (مادة: سخن)، والأول عندهم:

(يعجبه السَّخُونُ والعصيدُ)

وذكره ابن جني في «اللمع» (ص: ٥٠)، وابن الشجري في «الأمالي» (٢/ ٣٩٦)، برواية:

(يُعجبهُ السَّخون والبَرود)

السخون: ما يسخن من الطعام، والبرود منه: البارد. انظر: «توجيه اللمع» لابن الخباز (ص: ١٧٢)

وقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ﴾: أي: كما بيَّن هاتين يبين سائر الآيات.

وقوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾: أي: لتعقلوا أمره ونهيَه فتعملوا بذلك فتؤجَروا عليه.

* * *

(٦٢) - ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾: وينتظِم هذا بما قبله من الاستئذان ﴿وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ﴾؛ أي: مع الرسول ﴿عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ﴾؛ أي: على شأنٍ جمَعهم كالغزو والجمعة والعيد ﴿لَّمْ يَذْهَبُوا۟﴾ من عنده ﴿حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ﴾ فيأذنَ لهم.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ﴾: رجع من المغايَبة إلى المخاطبة، وهو من وجوه الكلام ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ فيأتمِرون بأمر الشرع.

وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ﴾: أي: لبعض أمورهم التي وراءهم ﴿فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ﴾.

قيل: جعل المشيئةَ إليه في ذلك؛ كما في قوله تعالى: ﴿تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ﴾ الآيةَ [الأحزاب: ٥١]، وفيه(١) رفعُ شأنه.

وقيل: أي: فأذن لمن رأيتَ المصلحةَ في ذلك فلا يكون في رجوعه ضررٌ على

---

(١) في (أ): «وقيل»، وفي (ف): «وقيل فيه».

الناس، دون مَن كان في رجوعه خطرُ ضررٍ؛ لأنَّا نعلم أنه لا يأذن إلا لمن هذا وصفُه فحملناه على هذا.

وقوله تعالى: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ﴾: أي: وادْعُ لهم بالمغفرة لسالفِ ذنوبهم وتقصيرهم جزاءً لهم على إجابتهم لك، كما قال: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً﴾ ثم قال ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ١٠٣].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾: يغفر لمن استغفرتَ له ويرحمُه.

نزلت الآية يوم الخندق، وكان المنافقون يرجعون إلى منازلهم من غيرِ استئذان، فنزلت الآية[١].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ﴾: نزلت في عمر بن الخطاب رضي الله عنه؛ استأذن النبيَّ ﷺ في الرجوع إلى أهله في غزوةٍ، فأَذِن[٢] له وقال: «ارجع فلستَ بمنافقٍ» فعيَّره المنافقون، فنزلت الآية[٣].

وهذا خلافُ قوله في سورة براءة: ﴿إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [التوبة: ٤٥]، ذاك في حقِّ المنافقين، وكان استئذانهم نفاقاً من غيرِ عذرٍ.

***

---

(١) رواه البيهقي في «الدلائل» (٣/ ٤٠٨ - ٤٠٩) من طريق ابن إسحاق عن يزيد بن رومان، وعن يزيد بن زياد عن محمد بن كعب، وهو في «السيرة النبوية» لابن هشام (٢/ ٢١٦).

(٢) في (ر) و(ف): «فما أذن»، وهو خطأ مخالف للخبر.

(٣) ذكره مقاتل في «تفسيره» (٣/ ٢١٠)، والماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٢٧)، والواحدي في «البسيط» (١٦/ ٣٨٦). وقوله: «فعيره المنافقون» الضمير للنبي ﷺ، وفي المصادر بدلاً منه: (وكان المنافقون إذا استأذنوا نظر إليهم ولم يأذن لهم، فكان بعضهم يقول لبعض: محمدٌ يزعم أنه بُعِث بالعدل وهكذا يصنع بنا).

(٦٣) ـ ﴿ لَّا تَجْعَلُوا دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ لَّا تَجْعَلُوا دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ﴾: أي: لا تجعلوا دعاءه إياكم كدعاء واحدٍ منكم غيرَه إلى أمرٍ، فتستجيزوا التخلُّفَ عنه أو الانصرافَ بعد المجيء بغيرِ إذن، فإنه أمرٌ حَتْمٌ ولا يجوز خلافُه.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: لا تجعلوا دعاء الرسول عليكم إذا أسخطتُموه[١] كدعاء غيره؛ لأن دعاءه مستجابٌ لا محالة[٢].

وقال جماعة من المفسرين: لا تجعلوا دعاءكم الرسولَ كدعاء بعضِكم بعضاً، فتدعوه باسمه: يا محمد، أو ترفعوا عليه الصوت، بل ادْعُوه بتعظيمٍ وخفضِ صوتٍ ولِينٍ، قال الله تعالى: ﴿لَا تَرْفَعُوٓا أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ﴾ [الحجرات: ٢]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ ﴾ [الحجرات: ٤]، والقصة تذكرُ في سورة الحجرات إن شاء الله تعالى.

وقوله تعالى: ﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ ﴾: أي: ينتزِعون[٣] ويُخرجون أنفسهم ﴿مِنكُمْ﴾؛ أي: من بينكم أيها المؤمنون.

وقوله تعالى: ﴿لِوَاذًا﴾: أي: مُلاوَذةً، وهي التستُّر بشيءٍ مخافة أن يراه أحد، وقيل: نفاراً[٤]، وقيل: تباعُداً، وقيل: رَوَغانا.

---

(١) في (ر): «استخصمتموه».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٣٨٨).

(٣) في (ر) و(ف): «يسرعون».

(٤) في (ر) و(ف): «ويقال نفاذاً».

وقوله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ﴾: قيل: ﴿عَنْ﴾ زائدة(١).

وقيل: معناه: يُعْرِضون عن أمره.

وقيل: أي: يخالفونه بعد أمره، و﴿عَنْ﴾ بمعنى: بعد، وقال الشاعر:

ما زلتُ أرحَلُ مَنْهَلاً عن مَنْهَلٍ حتى أَنَخْتُ ببابِ عبدِ الواحدِ(٢)

أي: بعدَ منهلٍ.

قوله تعالى: ﴿أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾: قيل عقوبةٌ في الدنيا ﴿أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ في العقبى.

وقيل: ﴿فِتْنَةٌ﴾؛ أي: كفر؛ كما قال ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾ [البقرة: ١٩١]، ودلَّ على أن أمرَ النبي ﷺ للفَرْض حتى كان خلافُه كفراً.

***

(٦٤) - ﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ﴾.

قوله تعالى ﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: ملكاً وخَلْقاً وتصرُّفاً، لا يَمتنِعُ أحد عن عقابه.

﴿قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾: من المعصية والطاعة(٣).

وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ﴾: قرأ أبو عمرو في روايةٍ بفتح الياء وكسر

---

(١) في (ر): «قيل عن رأيه».

(٢) ذكره الرازي في «تفسيره» (٣١/ ١٠٣).

(٣) «والطاعة» من (أ).

الجيم على الفاعل الظاهر[(١)]، والباقون بضم الياء وفتح الجيم على ما لم يسمَّ فاعله؛ أي: ويعلمُ يوم تردُّون إلى جزائه وثوابه[(٢)] وهو يومُ القيامة؛ كما قال تعالى[(٣)]:

﴿فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْ﴾: يعدِّدُ عليهم ذنوبهم تقريعاً، ويعذِّبهم عليها عذاباً وجيعاً.

قوله: ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ﴾: من أعمالهم وأعمالِ غيرهم جميعاً.

تمت والحمدُ لله رب العالمين

***

---

(١) ذكر هذه الرواية عن أبي عمرو ابن مجاهد في «السبعة» (ص: ٤٥٩)، وهي خلاف المشهور عنه، ولم يذكرها الداني في «التيسير» ولا صاحب «النشر»، لكن قرأ بها من العشرة يعقوب. انظر: «النشر» (٢/ ٢٠٨).

(٢) قوله: «وثوابه» ليس في (أ).

(٣) قوله: «كما قال تعالى» ليس في (أ).

سُورَةُ الفُرْقَانِ

1-Part..Tafseer..Nosafi... A.Soboh.. 17x24..2019.job6B......07/17/2019...13:11:34..

سُورَةُ الفُرْقَانِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

بسم الله الذي نزَّل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً، الرحمنِ الذي له الملكُ الحقُّ يوم القيامة وكان يوماً على الكافرين عسيراً، الرحيمِ الذي جعل في السماء بروجاً وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً.

روى أبيُّ بن كعبٍ رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «مَن قرأ سورة الفرقان بعثه الله يوم القيامة وهو موقنٌ أن الساعة آتيةٌ لا ريب فيها، وأُدخل الجنةَ بغير نَصَب»[1]، يعني: الإعياء[2].

وسورة الفرقان مكية، وهي سبعٌ وسبعون آية[3]، وثماني مئة وثلاثٌ وتسعون[4] كلمة، وثلاثة آلاف وسبع مئة وستة[5] وسبعون حرفاً.

---

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ١٢٢)، وهو قطعة من الحديث الموضوع في فضائل السور، وقد تقدم الكلام عليه مراراً. وانظر: «الفتح السماوي» للمناوي (٢/ ٨٨٥)، و«الفوائد المجموعة» للشوكاني (ص: ٢٩٦).

(٢) «يعني الإعياء» ليس في (ف).

(٣) وقد نقل أبو عمرو الداني الإجماع عليه. انظر: «البيان في عد آي القرآن» (ص: ١٩٤).

(٤) في (ر) و(ف): «وسبعون». وفي «البيان في عد آي القرآن» (ص: ١٩٤)، و«تفسير الثعلبي» (٧/ ١٢٢): (واثنتان وتسعون).

(٥) «وستة» ليست في (أ). وفي المصدرين السابقين: (ثلاثة آلاف وسبع مئة وثلاثة وثمانون حرفاً).

وانتظامُ أولِ هذه السورة بآخر تلك السورة: أنه قال في ختم تلك السورة: ﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ وقال في افتتاح هذه السورة: ﴿لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾.

وانتظام السورتين: أن تلك السورةَ في معرفة الله وصفاته، وذكرِ الكفر وبطلانه، وبيان العبادة والمعاملة والوعدِ والوعيد، وهذه السورة كذلك، إلا أن تلك ذكرُ المعاملة فيها[1] أكثرُ لأنها مدنية، وبيان التوحيد في هذه السورة أكثر لأنها مكية.

* * *

(١) ـ ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ﴾: قيل: عَظُم، وقيل: تعالى، وقيل: كَثُر خيرُه، وقيل: دام بِرُّه، وقيل: تبارك اسمُه.

الذي أوحَى القرآن ﴿عَلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾: أي[2]: إلى عبده المصطفى محمدٍ.

﴿لِيَكُونَ﴾ الله، وقيل: ليكون عبده، وقيل: ليكون الفرقان.

﴿لِلْعَٰلَمِينَ﴾: لأهل الدنيا كلها، وقيل: للقرون كلها إلى يوم القيامة ﴿نَذِيرًا﴾ مخوِّفاً بالقيامة وما فيها لمن خالفه.

* * *

(٢) ـ ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: على الخُلوص، هو الذي خلقهما فلا شريكَ له فيهما.

---

(١) في (ف): «في تلك السورة».

(٢) «على عبده أي» من (ف).

﴿وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾: كما تقول اليهود: ﴿عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠]، والنصارى: ﴿الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠]، ومشركو العرب: الملائكة بنات الله.

﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ﴾: كما يقوله المشركون: إن الأصنام آلهة.

﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾: وحده، لا كما تقوله المجوس والثَّنويةُ: من النور والظلمة، ويَزْدانَ وأَهرَمَن[1]، والمعتزلةُ: أن الأفعال مخلوقة العباد.

وقوله تعالى: ﴿فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾: أي: هيَّأه على ما أراد، لم يمتنِع عليه شيءٌ، ولم يتغير إلى زيادة ونقصان.

أي: فوحِّدوه وأطيعوه، فهو المنفرد بالألوهية والربوبية، والملك والخلق، والتقدير والتدبير، ولا تكونوا كالمشركين، وهم الذين ذكرهم من بعدُ، وهو قوله:

* * *

(٣) ـ ﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا﴾.

﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا﴾: أي: وجعل المشركون لأنفسهم سوى اللهِ آلهةً من الأصنام يعظِّمونها ويحبونها وهي جمادٌ لا قدرة لها، فجُمع ﴿يَخْلُقُونَ﴾ و﴿يُخْلَقُونَ﴾ و﴿يَمْلِكُونَ﴾[2]..

---

(١) قالوا: إن الله ـ تعالى ـ وإبليس أخوان، فالله ـ تعالى ـ خلق الناس والدواب والأنعام وكل خير، ويعبرون عن الله بيزدان، وإبليس خالق السباع والحيات والعقارب وكل شر، ويعبرون عن إبليس بأهرمن. انظر: «جامع البيان» للإيجي (١/ ٥٦٣).

(٢) «ويملكون» من (أ)، وفي (ف): «ولا يملكون».

بالواو والنون وهو فعلُ الجماد؛ لأنهم اعتقدوها آلهةً[1] عالمةً قادرة.

وقوله: ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا﴾ أنْ[2] يدفعوه عن أنفسهم ﴿وَلَا نَفْعًا﴾ يجرُّونه إليها ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ﴾ إماتة أحدٍ، ولا إبقاءَه حيًّا، ولا إنشاءه بعد موته، والله تعالى يقدر على ذلك كلِّه.

وقيل ـ وهو الصحيح ـ: دخل في ذلك الملائكةُ والأنبياء، ولذلك جمَع أفعالَهم بالواو والنون، ويدل عليه ما ذكر بعده: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ﴾ [الفرقان: ١٧]، وعلى هذا يكون قوله: ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾؛ أي: لا يملكون ذلك بأنفسهم بل بتمليك الله جلَّ جلاله.

* * *

(٤) ـ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ﴾: أي: ما هذا الذي جاء به محمد الذي يزعُم أنه من عند الله إلا كذبٌ اختلَقه واخترعه من عند نفسه.

وقوله تعالى: ﴿وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ﴾: قال مجاهد: أي: اليهود.

وقال الحسن: أي: عبدٌ حبشيٌّ كان لابن الحضرمي[3]، وكان كاهناً في الجاهلية.

وقيل: ﴿وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ﴾؛ أي: على اختلاقه ﴿قَوْمٌ ءَاخَرُونَ﴾ قرؤوا الكتب المتقدِّمة وأقاصيصَ الأولين. وقال الله تعالى في ردِّهم:

---

(١) «آلهة» ليست في (أ).

(٢) في (ر): «أي»، وفي (ف): «أي لن».

(٣) ذكره يحيى بن سلام في «تفسيره» (١/ ٤٦٦)

﴿فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا﴾: أي: أَتَوا جَوراً[١] وكذباً، ووضعوا التكذيب غيرَ موضعه.

وقيل: هو من كلام المشركين في صفة النبيِّ ﷺ والقومِ الآخرين[٢]؛ أي: جاؤوا بكلامٍ هو ظلمٌ وزورٌ، والزُّور: القول المائل عن القصد.

* * *

(٥) - ﴿وَقَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَقَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾: أي: هو أقاصيصُ المتقدِّمين وما سطَروه؛ قاله النضر بن الحارث، وهو عن ابن عباس رضي الله عنهما[٣].

وقوله تعالى: ﴿ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ﴾: أي: كتبها محمد عن اليهود وغيرهم.

ويقال: ﴿ٱكْتَتَبَهَا﴾؛ أي: كتبها من ذاته.

وقيل: معناه: طلب كتابتها من غيره.

﴿فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾: أي: طرفي النهار، فيحفظ ما يُملى عليه ثم يَتلُوه علينا.

* * *

(٦) - ﴿قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾.

﴿قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: يعني: أن القرآن لمَّا كان مشتمِلاً على علمٍ كثيرٍ من الغيوب التي يستحيل في مجرى العادات أن يعلَمها محمد من غيرِ تعليم، دلَّ ذلك على أنه مِن عندِ مَن يَعلم الغيوب وهو الله تعالى، ولو كان

---

(١) في (أ): «زوراً».

(٢) في (أ): «الآخرون».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٤٠٠).

مأخوذاً من اليهود لم يزد على ما في كتبهم، ولو اختلقه من عند نفسه لأَمْكَنهم مثلُه.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾: يستر على عباده ذنوبَهم، ويرحمُهم فلا يعاجلهم بالعقوبة، ويُعْذِر إليهم بإقامة البراهين ومواتَرة المرسَلين[1].

وقيل: عنوا بقولهم: ﴿وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ﴾: عداساً مولى حُوَيطبِ بن عبد العُزَّى، ويساراً مولى عامر بن الحضرمي، وجبراً مولى عبد الله بن الحضرمي، وأبا فكيهة[2].

وقيل في قوله: ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾: أي: أحاديث رستم وأسفنديار.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: نزلت في النضر بن الحارث ثماني آيات فيها ذكر أساطير الأولين، قام يوماً وقصَّ قِصصَ رستمَ وأسفنديار وملوكَ فارس، وقال: ما محمدٌ بأحسنَ حديثاً مني، وما حديثه إلا أساطير الأولين[3].

***

(٧) - ﴿وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ﴾: أي: وقال هؤلاء المشركون: ما لهذا الذي يزعم أنه رسول، أطلقوا له الاسم إما استهزاء أو بناءً على زعمه ﴿يَأْكُلُ

---

(١) في (أ) و(ف): «ومؤاثرة المسلمين»، وفي (ر): «ومؤاثرا المسلمين».

(٢) قوله: «وأبا فكيهة» فيه نظر، فإن أبا فكيهة هو يسار نفسه، كما ذكر الذين أوردوا هذا الخبر، وهو مذكور أيضاً في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ﴾ [النحل: ١٠٣]. انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٤٨٧)، و«تفسير السمعاني» (٣/ ٢٠٢)، و«تفسير البغوي» (٥/ ٤٤)، و«أحكام القرآن» لابن العربي (٤/ ٨٧).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٤٠٠).

﴿ٱلطَّعَامَ﴾ كما تأكل البشر، ويخرج منه كما يخرج من البشر، أنكروا أن يكون البشر رسولاً؛ كما قالوا: ﴿أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا﴾ [الإسراء: ٩٤].

﴿وَيَمْشِي فِي ٱلْأَسْوَاقِ﴾ كما يمشي الناس، فأي فضل له علينا؟!

وقيل: عنَوا به طلبَ المعاش لفقره.

وقوله تعالى: ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ﴾: أي: هلَّا أنزل على محمد ملكٌ ﴿فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا﴾؛ أي: نبيا معه ينذر كما ينذر هو، فيكونَ إنذار الملك معه تصديقاً له وشهادةً على نبوته.

* * *

(٨) ـ ﴿أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ۚ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ﴾: أي: ينزل عليه من السماء كنزٌ فيقسمه بيننا.

وقيل[١]: ﴿أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ﴾ من الأرض فيستغنيَ به، فإنه إنما يَفعل ما يفعل طلباً للدنيا والرياسة.

قوله: ﴿أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ﴾: أي: بستان ﴿يَأْكُلُ مِنْهَا﴾ ويَتمتَّع[٢] بنعيمها؛ أي[٣]: لا ينبغي أن يكون الفقير نبيًّا.

---

(١) «وقيل» من (أ).

(٢) في (أ): «ويتسع»، وفي (ر): «ويشبع».

(٣) في (أ): «يعنون».

وقرأ حمزة والكسائي: ﴿نأكل﴾ بالنون[١]؛ أي: نشبع نحن في نعمته[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾: أي: هؤلاء المشركون ﴿إِن تَتَّبِعُونَ﴾؛ أي ما تتَّبعون أيها المؤمنون ﴿إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾ سحرته الشياطين فهو لا يعقل ما يقول، ولو كان عاقلاً لم يَدَّعِ أنه رسول وهو ممن يأكل ويتحدَّث ويتردَّد في الطرق، لا ملَكَ يصدِّقه ولا دنيا يَتَّسع فيها.

وقيل في قوله: ﴿مَّسْحُورًا﴾: أي: يخيَّل إليه الشيطانُ ملكاً، وكلامُ الشيطان وحياً.

* * *

(٩) ـ ﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَٰلَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ ٱنظُرْ﴾ يا محمد ﴿كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَٰلَ﴾؛ أي: وصفوا لك الأشباه من المفترِي والمملَى عليه والمسحورِ ﴿فَضَلُّوا۟﴾؛ أي: تحيَّروا ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾؛ أي: فلا يجدون لقولهم نفاذاً إلى شيء يَستقرُّ عليه.

وقيل: ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾؛ أي: إلى إبانة ما يكون قدحاً فيك.

* * *

(١٠) ـ ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ﴾: أي: تعالى وتقدَّس الله الذي إن شاء جعلَ لك خيراً من الجنة الواحدة التي قالوها، والكنزِ الذي ذكروه:

---

(١) انظر «السبعة» (ص: ٤٦٢)، و«التيسير» (ص: ١٦٣).

(٢) في (أ): «أي نحن نتوسع في نعيمه».

﴿جَنَّٰتٍ﴾: أي بساتين في الدنيا كثيرةً ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾؛ أي: تمر في أصول أشجارها المياه في أنهارها.

قوله تعالى: ﴿وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا﴾: تسكنها، وهي المساكن الكبار العالية كما قد آتى سليمانَ وغيرَه، وهو قادر على ذلك لكنْ لا موضعَ للتعظيم بالدنيا والتكثيرِ[١] بزهرتها، والتقلُّلُ منها أَلْيَقُ برتبة النبوة[٢].

وقيل: يجعل لك جناتٍ وقصوراً في الجنة، وتعليق ذلك بالمشيئة لبيانِ أنه تفضُّل[٣] من الله تعالى لا واجب عليه.

وقيل: معناه: إذ شاء، كما قال: ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٩١]؛ أي: إذ كُنتم.

***

(١١) - ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلسَّاعَةِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلسَّاعَةِ﴾: في أوله إضمار؛ أي: ما كذَّبوك لأنك تأكل الطعام وتمشي في الأسواق وليس لك كنز ولا جنةٌ ولم ينزل معك ملكٌ، لكنهم يكذِّبون بالقيامة وما فيها من الجزاء، فركَنوا إلى الدنيا واستثقلوا ما جئتَهم به من الشرائع لتكذيبهم بالثواب والعقاب.

وقوله تعالى: ﴿وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا﴾: أي: وقد أعدَدْنا لمن جحد بها ناراً تستعِر فيهم[٤].

---

(١) في (ر): «والتكثر بها».

(٢) في (ف): «بزينة النبوة» وفي (ر): «بزينة النبوية».

(٣) في (ر): «بفضل».

(٤) في (ر) و(ف): «تسعرهم».

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: إن أبا جهل لعنه الله جمع الملأ من قريش في الحِجْر ثم أرسل إلى[1] رسول الله ﷺ فقال: أنت ابنُ أخينا وابنُ عمنا ومن أشرافنا، ولكنك فقير عائل، وقد علمنا أن الله ـ تعالى ـ غني[2] جليل، وكان حقَّك أن تغيِّر من حالك، ثم مع ذلك إنك تمرضُ كما نمرض، ويصيبك البلاء[3] والمصائب كما تُصيبنا، وتأكل الطعام وتمشي في الأسواق كما نأكل ونمشي، فنزلت الآية[4].

وقيل: الذي قال: ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ﴾ عبد الله بن أبي أمية المخزومي.

* * *

(١٢) ـ ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾: قيل: من مسيرةِ مئة سنة، وقيل: خمسِ مئة سنة.

قوله تعالى: ﴿سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾: قيل: أي: إذا ظهرت لهم.

وقيل: أي: حاذَتْهم وقابلتْهم، والعرب تقول: إذا رآك الجبل فخذ عن يمينك؛ أي: إذا حاذاك، ويقال: دور بني فلان تتناظر، ويقال أيضاً: تتراءى؛ أي: تتحاذى.

وقيل: هي مبالغةٌ في بيان هيبة تلك؛ أي: كأنهم إذا دنوا منها هي تراهم رؤيةَ الغضبَى التي تزفر غيظاً عليهم ﴿سَمِعُوا۟ لَهَا﴾؛ أي: للنار ﴿تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾[5] عليهم؛

---

(١) في (ف): «ثم أتى».

(٢) «غني» ليست (أ).

(٣) في (أ): «اللأواء».

(٤) لم أجده.

(٥) من قوله: «قيل: أي: إذا ظهرت لهم...» إلى هنا من (أ).

أي: صوتَ غليانٍ وفورانٍ والتهابٍ كالتهاب الرجل المغتاظ، وهي كما قال: ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ﴾ [الملك: ٨]؛ أي: تتقطَّعُ غيظاً عليهم.

وقيل: معناه: سمعوا فيها تغيظاً وزفيراً للمعذَّبين، كما قال تعالى: ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾ [هود: ١٠٦]، واللام و(في) يتقاربان: افعل هذا في الله ولله، ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الأنبياء: ٤٧]؛ أي: في يوم القيامة، وعاد في كذا ولكذا.

* * *

(١٣) ـ ﴿وَإِذَآ أُلْقُواْ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْاْ هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَآ أُلْقُواْ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ﴾: قُرِنت أيديهم إلى أعناقهم في الأغلال. وقيل: أي: قُرِن كلُّ رجلٍ بشيطانه.

وقوله تعالى: ﴿دَعَوْاْ هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾: أي: نادوا: واويلاه واثُبوراه واهلاكاه.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: الثبور: الويل. وقال الضحاك: الهلاك[1].

وقال المبرِّد: الثبور: هلاك على هلاك، من قولك: ثابر فلان على كذا؛ أي: داوَمَ عليه.

* * *

(١٤) ـ ﴿لَّا تَدْعُواْ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُواْ ثُبُورًا كَثِيرًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿لَّا تَدْعُواْ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُواْ ثُبُورًا كَثِيرًا﴾: والثبور المصدر، وهو جنسٌ فصلح للواحد والجمع؛ أي: يقول لهم الملائكة ذلك، وليس هذا أمراً لهم به لكنْ بيانٌ أنهم وإن أكثَروا من ذلك لم يتخلصوا.

---

(١) رواهما الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٤١١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٦٦٩).

وقال ابن عباس وعبد الله بن عمرو بن العاص: إن جهنم تضيق على الكافر كضيق الزُّجِّ على الرمح[1].

* * *

(١٥) ـ ﴿قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ ۚ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾: أي: قل يا محمد: أمَا[2] سلف من ذكر النار خيرٌ ﴿أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ﴾: وعَدها الله الذين يتقون الشرك والمعاصي.

﴿كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً﴾: على أعمالهم بوعد الله ﴿وَمَصِيرًا﴾؛ أي: مرجِعاً يرجعون إليه.

* * *

(١٦) ـ ﴿لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ﴾: أي: ما تشتهيه الأنفس وتلذُّ به الأعين ﴿خَالِدِينَ﴾ فيها لا يخرجون عنها ولا يموتون فيها.

وقوله تعالى: ﴿كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا﴾: أي: كان خلودهم فيها ومصيرُهم إليها وعداً على ربك؛ أي: وعداً حقًّا، كما قال: ﴿وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا﴾ [التوبة: ١١١].

﴿مَسْئُولًا﴾: أي: كانوا يَسألونه في الدنيا بقولهم: ﴿وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ﴾ [آل عمران: ١٩٤].

وقيل: هو سؤال الملائكة: ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ﴾ [غافر: ٨].

وقيل: هو أمر بالسؤال؛ أي: وعدتكم ذلك وأنا منجزُه لا محالة، فسلوني ذلك.

---

(١) رواه ابن المبارك في «الزهد» (٢٩٩ ـ زوائد نعيم)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٦٦٨) عن عبد الله بن عمرو، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ١٢٦) عن ابن عباس.

(٢) في (ر) و(ف): «ما».

(١٧) - ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ﴾: أي: واذكر يا محمد يومَ نحشرهم ﴿وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ من الأنبياء والملائكة، و﴿وَمَا﴾ بمعنى (من)، وهو كقوله: ﴿فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء: ٣].

﴿فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ﴾: المشركين حتى عبدوكم ﴿أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ﴾؛ أي: أأنتم زينتُم لهم ذلك بإدخال الشُّبَه، وهو استفهام بمعنى التقريع.

* * *

(١٨) - ﴿قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَكَانُوا۟ قَوْمًۢا بُورًا﴾.

﴿قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ﴾: أي: أنت منزه عن الشركاء ﴿مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ﴾؛ أي: لا يجوز لنا ولا يصلح ﴿أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ﴾؛ أي: إنَّا لم نأمر هؤلاء بعبادتنا فنكونَ بذلك قد اتخذناهم لنا[1] أولياء؛ لأنهم إذا والَونا بأمرنا فقد واليناهم نحن وصار بعضُنا أولياءَ بعض.

وتلخيصه: ما كان لنا أن نتخذ من دونك مَن يُواليْنا فيَعبدَنا دونك، ومعناه: التبرؤ من الرضا بشرك هؤلاء والانتفاءُ منهم.

وقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا۟ ٱلذِّكْرَ﴾: أي: ما عبدونا بأمرنا، لكنْ لمَّا طال عمرهم وعمرُ آباءهم في الدنيا ممتَّعين بالجاه والمال والصحة نسُوا ذكرك فأشركوا بك وعبدوا غيرك.

---

(١) «لنا» ليست في (ر).

﴿وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا﴾: أي: صاروا قوماً هلكَى، وقيل: كانوا في سابق القضاء كذلك.

والبور: قيل: هو جمع بائرٍ، من البَوَار وهو الهلاك، وهو كقولهم: هائدٌ وهُود، وحائلٌ وحُول.

وقيل: هو لفظٌ يصلح للواحد والجمع، وهو في الأصل مصدر كالزُّور والنُّور[1]، وقال ابن الزِّبَعْرَى في الواحد:

يـا رسـولَ الإلـهِ إنَّ لسانـي ... راتِقٌ مـا فتَقْـتُ إذ أنـا بُـورُ[2]

* * *

(١٩) - ﴿فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ﴾: يحتمل أنه كلام الله تعالى في خطاب المشركين يوم القيامة؛ أي: كذَّبكم الملائكةُ أيها المشركون فيما كنتُم تقولون: إنهم أربابٌ يريدون منكم أن تعبدوهم ﴿**فما يَسْتَطيعون صَرْفاً**﴾[3]؛ أي: فما يستطيع الملائكةُ وعزيرٌ وعيسى صرفَ العذاب عنكم ولا منعاً لمن يعذِّبكم.

وقيل: تمَّ خطاب الله تعالى للمشركين بقوله: ﴿بِمَا تَقُولُونَ﴾ ثم قال: ﴿فَمَا تَسْتَطِيعُونَ﴾؛ أي: الكفار ﴿صَرْفًا﴾ للعذاب عن أنفسهم ﴿وَلَا نَصْرًا﴾: ولا منعاً لمن يعذِّبهم، وقد أَيِسوا من شفاعة معبودهم ونصرتهم، ثم خاطب الكفار في الدنيا فقال: ﴿وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾.

---

(١) في (ف): «كالدور والنور»، وفي (ر): «كالدور والبور».

(٢) انظر: «ديوان عبد الله بن الزبعرى» (ص: ٣٦).

(٣) ﴿يَسْتَطِيعُونَ﴾ بالياء قراءة السبعة عدا حفصاً فقد قرأ بالتاء. انظر: «التيسير» (ص: ١٦٣).

ويحتمل أن قوله: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوكُم﴾ خطابٌ من الله تعالى لرسوله وللمؤمنين، يعني: فقد كذبكم الكفار بما تقولون من الحق في الإيمان بالله وتوحيده وخلعِ الأنداد ﴿فما يستطيعون صرفاً﴾ للعذاب الذي استحقُّوه بذلك عن أنفسهم ﴿وَلَا نَصْرًا﴾ لأنفسهم، لا من أنفسهم ولا من بعضهم لبعض في دفع ما ينزل بهم.

ووجهٌ آخر: فقد كذَّبكم أيها المؤمنون هؤلاء المشركون ﴿فَمَا تَسْتَطِيعُونَ﴾ لكم ﴿صَرْفًا﴾ عن الحق الذي هداكم الله له ﴿وَلَا نَصْرًا﴾ لأنفسهم من عذاب ينزل بهم ﴿وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ﴾ أيها المؤمنون؛ أي: يشرك بعد إيمانه ﴿نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾ لا يجد له ناصراً فاستديموا[1] على إيمانكم فإنهم لا يستطيعون صرفكم عن الحق الذي أوضحه الله تعالى لكم.

* * *

(٢٠) - ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۗ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ﴾: وهذا ردٌّ لقولهم: ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ﴾.

يقول: وما أرسلنا قبلك أحداً من المرسلين إلى الأمم إلا وهم كانوا بشراً يأكلون الطعام ويمشون في الأسواق، وذلك أَدْعى إلى الموافقة، وأسمعُ لِمَا يُلقى إليه للمناسبة.

و﴿إِنَّهُمْ﴾ بكسر الألف لأنه موضعُ ابتداءٍ، وتقديره: إلا وهم يأكلون، وليست

---

(١) في (أ): «فاثبتوا»، وفي (ف): «فاستووا».

الكسرة للّام؛ لأن دخولها وخروجها هاهنا سواءٌ[١]، وهو كما تقول: (ما قدم علينا أمير إلا إنه مُكْرِمٌ لي) بالكسر.

وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ﴾: فتُؤْجَروا، أو لا تصبرون فتعاقَبوا؛ أي: محنةً؛ أي: الدنيا دارُ ابتلاء وامتحان، فلا بد من المخالفة بين أحوال أهلها، وإحواجِ بعضهم إلى بعضٍ، وتفضيل بعضهم على بعضٍ؛ ليشكر الفاضل ويَصبر المفضول، فمِن غنيٍّ وفقير، ورئيس ومرؤوس، ثم كلٌّ بشرٌ، فكذلك رسولٌ ومرسَلٌ إليه وكلٌّ بشرٌ، والرسول ممتحَنٌ بالشكر على ما أُوتي من الرتبة، وبالصبر على تحمُّل أعباء الرسالة، والمرسَل إليه ممتحَنٌ بالانقياد له والطاعةِ لأمره.

وقيل: معناه: امتحنَّا بعضكم ببعضٍ، فجعلتُ محمداً نبيًّا وبعثتُه إليكم، ولم أعطه الدنيا، وجعلتُه يطلب المعاش في الأسواق، واختبرتُكم في إجابتكم إياه إلى ما دعاكم إليه بغيرِ عرَضٍ من الدنيا ترجونه منه؛ لأني لو أعطيتُه الدنيا لتَسارَعَ كثيرٌ منكم إلى اتِّباعه طمعاً في دنياه أن ينال منها.

وقال مقاتل: نزلت الآية في أبي جهل والوليدِ والعاصِ والنَّضْر بن الحارث، وذلك أنهم لمَّا رأوا أبا ذرٍّ وابنَ مسعود وعمارَ بن ياسر وبلالَ بن حمامةَ[٢]، وصُهيبَ بن سنانٍ، وعامر بن فُهيرة، والنَّمِرَ بن قاسطٍ، ومَهجَعاً مولى عمر، وخيراً[٣] غلامَ

---

(١) يعني: لو لم تكنِ اللامُ لكسرت الهمزة أيضًا؛ لأنَّ الجملةَ حاليةٌ؛ إذ المعنى: إلا وهُم يأكلون. انظر: «معاني القرآن» للأخفش (١/ ١١٦)، و«معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٦٢)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٣/ ١٠٨)، و«الإملاء» للعكبري (٢/ ٩٨٣).

(٢) هو بلال بن رباح الصحابي الجليل، وحمامة اسم أمه.

(٣) في (أ): «وجبراً». وكلاهما منقول في اسمه: (جبر) بالجيم والباء و(خير) بالخاء والياء. انظر: «الإصابة» (٢/ ٢٩٥).

الحضرميِّ، وذويهم، قالوا: أَنُسلِم فنكونَ مثل هؤلاء؟ فأنزل الله تعالى هذه الآيةَ يخاطب هؤلاء المذكورين: ﴿أَتَصْبِرُونَ﴾ يعني: على هذه[1] الشدة والفقر[2].

وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾: بصبرِ مَن صبرَ وجَزَع مَن جَزِع، وهذا عن ابن جريج[3].

وعلى الأول: ﴿وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ بمن يَصلُح للرسالة[4]، وبما ينبغي أن يُدبِّر[5] كلُّ منهم من غني وفقير.

وقيل: ﴿وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ بمن يصلح أن يكون فاضلاً أو مفضولاً.

* * *

(٢١) ـ ﴿۞ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾: أي: الذين لا يؤمنون بالبعث ولقاءِ الله في الآخرة، فلم يَعملوا خيراً يرجوننا به إذا لَقُونا يوم القيامة.

وقيل: لا يخافون عذابنا، وقال تعالى: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ [نوح: ١٣]؛ أي: لا تخافون لله عظَمةً.

وقوله تعالى: ﴿لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ﴾: أي: هلَّا أَنزل الله علينا الملائكة.

---

(١) في (ر) و(ف): «ليصبروا على» بدل: «أتصبرون يعني على هذه».

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ١٢٨)، والبغوي في «تفسيره» (٦/ ٧٧).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٤٢٦).

(٤) في (ف): «للرئاسة».

(٥) في (ر): «تدبر» بدل: «أن يدبر».

ويحتمل أن يكون معناه: هلا جُعِلَ الرسولُ من الملائكة دون البشر.

ويحتمل: هلا أنزلهم علينا فيَشهدوا أن محمداً محقٌّ في دعوى الرسالة ﴿أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا﴾ عِياناً فيخبرَنا هو برسالته.

وقوله تعالى: ﴿لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنفُسِهِمْ﴾: أي: لقد تعظَّموا في نفوسهم حتى تحكَّموا على الله تعالى هذا التحكُّمَ ﴿وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا﴾؛ أي: وتمرَّدوا غايةَ التمرُّد في ردِّ حُجج الله تعالى.

والعتوُّ: بلوغ النهاية في تركِ قبول الوعظ والحجة حتى يقعَ اليأس عن صلاحه، قال تعالى: ﴿وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا﴾ [مريم:٨]؛ أي: حدًّا لا يطمع في مثله[١] الولد.

* * *

(٢٢) ـ ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ﴾: أي: إنهم لا يرون الملائكة في الدنيا، وإنما يرونهم في الآخرة حين يبشِّرونهم بالعذاب[٢].

قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ قيل: هو يوم القيامة.

وقيل: هو عند الموت ﴿لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ﴾؛ أي: لا خبر يبشِّرهم ويظهر استبشارهم في بشرة وجوههم ﴿وَيَقُولُونَ﴾؛ أي: تقول الملائكة لهم: ﴿حِجْرًا مَّحْجُورًا﴾؛ أي: حراماً محرَّماً عليكم أن تكون لكم البشرى، إنما البشرى للمؤمنين.

وكان كلاماً مستعملاً في أوائل العرب ثم تُرك، يقوله المسؤول للسائل إذا أراد تخييبه: حجراً محجوراً؛ أي: سألتَ شيئاً ممنوعاً.

---

(١) في (ر): «في نيل».

(٢) في (ف) و(أ): «بالعقاب».

وقيل: المجرمون يقولون ذلك للملائكة، وهي كلمة استعاذةٍ، وكان الرجل إذا لقي مَن يخافه على نفسه قال: حجراً محجوراً؛ أي: حراماً محرَّماً عليك التعرُّض لي، قال ذلك مجاهد وقتادة والحسن والخليل(١).

وعن مجاهد قال: ﴿حِجْرًا﴾ كلامُ المجرمين و﴿مَّحْجُورًا﴾ كلام الله تعالى؛ أي: مُنِع هذا الكلام أن ينفعهم.

* * *

(٢٣) ـ ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾: أي: أبطَلْنا جميعَ أعمالهم لكفرهم، وهذا الكلام ـ وهو لفظ القدوم ـ مجازٌ أُريد به المبالغةُ في إحباطه، فإن الغائب منَّا إذا قدِم، والمشغولَ منا إذا تفرَّغ، والـمُعْرِضَ منا إذا أقبل، كان جِدًّا(٢) منه فيما قدم عليه وتفرَّغ له وأقبل عليه، والله تعالى لا يغيب عنه شيءٌ، ولا يشغله شيءٌ عن شيءٍ، لكنْ لمَّا أراد إثبات ما ذكر على وجه المبالغة ذكَر هذه الكلمات التي يَفهم الناس منها المبالغة في التوجُّه إلى الشيء، فقال تعالى: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾ [الرحمن: ٣١] وقال تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة: ٢٩].

وقال: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً﴾؛ أي: غباراً، والهَبْوةُ كذلك ﴿مَّنثُورًا﴾: مفرَّقاً لا يمكن جمعُه، وهو استعارةٌ عن جعله(٣) بحيث لا يَتهيأ له الاجتماع، ولا يقع بها الانتفاع، وهو كقوله: ﴿كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾ [إبراهيم: ١٨].

---

(١) انظر: «العين» للخليل (٣/ ٧٤)، ورواه عن الحسن وقتادة عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٠٨٢)، وعن مجاهد وقتادة الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٤٢٨ ـ ٤٣٠).

(٢) في (ر): «حداً»، وفي (ف): «جديراً».

(٣) بعدها في (ف): «هباء منثوراً».

وقيل: الهباء[1] هو ما يُرى إذا دخلت الشمس الكوةَ، وهو كقوله: ﴿فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا﴾ [الواقعة: ٦]؛ أي: منتشِراً.

* * *

(٢٤) ـ ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا﴾: أي: يستقرُّون في الجنة بعد الفراغ من العرض والحساب ﴿وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ ظاهره: موضع القيلولة، ولا نومَ في الجنة، ويراد به الاستراحةُ في ذلك الوقت، وليس في الجنة بكرةٌ وعشيٌّ وظَهيرةٌ لكن يؤتَون بالأرزاق على مقادير الأوقات المعهودة في الدنيا، ويستريحون في مثل أوقات الدنيا.

وقيل: إن أهل الجنة لا يمكثون في عَرَصات القيامة إلى وقت الدخول في الجنة إلا مقدارَ أول النهار إلى وقت القائلة في الدنيا، فهذا إشارةٌ إلى ذلك.

وقيل: المقيل هو موضعُ التمكُّن، قال القائل:

بضربٍ[2] بالسيوف رؤوسَ قومٍ ... أزلنا هامهنَّ عن المَقِيل[3]

ثم قولُه تعالى: ﴿خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ ليس للتفضيل بعد الاشتراك[4] في صفةِ الخيرية والحُسن، وهو كقوله تعالى: ﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ﴾ [الصافات: ٦٢]،

---

(١) في (ف): «الهبو».

(٢) في (أ): «وتصرف» وفي (ر) و(ف): «ويضرب»، والمثبت من المصادر.

(٣) البيت للمرار بن منقذ التميمي كما في «المقاصد النحوية» (٣/ ١٣٩٦)، ودون نسبة في «الكتاب» لسيبويه (١/ ١١٦ و١٩٠)، و«اللمع» لابن جني (ص: ١٩٦)، و«شرح التسهيل» لابن مالك (٣/ ١٢٩).

(٤) في (ر): «الإشراك».

وقوله تعالى: ﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ﴾ [الفرقان: ١٥]، لكنه على التوبيخ؛ كالرجل يُفسِد فيُعاقَب عليه، وآخرُ يُصلِح فيثاب عليه، فيقال للمفسد: أهذا الذي فعل فلان خيرٌ أم ما أنت فيه؟

* * *

(٢٥) ـ ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ﴾: هو يومُ القيامة، و﴿تَشَقَّقُ﴾ أصله: تتشقَّق، حُذفت إحدى التاءَين تخفيفاً، و﴿ٱلسَّمَآءُ﴾؛ أي: السماوات ﴿بِٱلْغَمَٰمِ﴾ هو فوق السماوات السبع، وهو سحابٌ أبيضُ غِلَظُه كغِلَظ السماوات السبع، ويمسكه الله تعالى اليوم، وثقلُه أثقلُ من ثقل السماوات.

فإذا أراد الله عز وجل أن تَشَقَّقَ السماوات ألقى ثقلَه عليها فانشقَّت، فذلك قوله: ﴿بِٱلْغَمَٰمِ﴾؛ أي: بثقل الغمام فظهر الغمام.

﴿وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا﴾ في الغمام بنزوله، وذلك قوله: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ﴾ [البقرة: ٢١٠]؛ أي: بظللٍ من الغمام فيه الملائكةُ، ونزولُهم لمحاسبة الخلق.

وقيل: ﴿وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ أي[1]: ملائكةُ السماوات ﴿تَنزِيلًا﴾ لزوال السماوات، فتزولُ أماكن الملائكة فيصيرون في مكانٍ آخر.

* * *

(٢٦) ـ ﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ﴾: أي: المُلْكُ الحقُّ يوم القيامة

---

(١) في (أ): «ونزول» بدل: «ونزل الملائكة أي».

للرحمن على الخلوص، لا يبقى مدَّعي ملكٍ يومئذ، قال تعالى: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦].

ووصفُه بالحق لأن مُلك الخلقِ مجازٌ ومستعار، وهو للهِ تعالى على الحقيقة، لا يزول ملكُه ولا يردُّ حكمُه.

وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا﴾: لِمَا ينالهم من الأهوال والتشديدِ في السؤال، ثم الخزيِ والنكال، ثم النارِ والأغلال.

* * *

(٢٧) - ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ﴾: قيل: هو في حقِّ كلِّ[1] مشرك، يَعَضُّ على يديه تحسُّراً، وهو واحد بمعنى الجمع؛ كما قال: ﴿وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًا﴾ [النبأ: ٤٠]، وقال عز وجل: ﴿وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٥].

وقوله تعالى: ﴿يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا﴾: أي: مع محمدٍ ﷺ، وُصْلةً[2] بالإيمان به وسلوك طريقه.

* * *

(٢٨) - ﴿يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا﴾: أي: أحداً خالَف الرسول ﴿خَلِيلًا﴾؛ أي: صديقاً.

ينادي على نفسه بالويل لعِلمه بما وقع فيه بمعاداة الرسول وموالاةِ مَن عاداه.

---

(١) في (أ): «قيل هو في»، وفي (ر) و(ف): «قيل في حق كل».

(٢) في (ف): «صلة».

و(فلان) عندهم كنايةٌ عن واحدٍ مجهول، وهو مستعمل في كلامهم، يقول الرجل لآخر: ما تصنعُ بصحبة فلانٍ وفلانٍ، وقال قائلهم:

استَغْنِ بالله عن فلانٍ   وعن فلانٍ وعن فلان[1]

* * *

(٢٩)- ﴿لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ﴾: أي: الإيمانِ بالقرآن، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ﴾ [النحل: ٤٤] ﴿بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي﴾ من الله بإنزاله على رسوله وتبليغه إلينا.

قوله تعالى: ﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولًا﴾: أي: يَخذلُ أولياءه يوم القيامة ويتبرَّأ منهم، قال تعالى: ﴿إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ﴾ [الحشر: ١٦]، وقال تعالى: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ﴾ الآية [إبراهيم: ٢٢].

وقال مجاهد: ﴿فُلَانًا خَلِيلًا﴾؛ أي: الشيطان[2].

وقيل: نزلت في مُعيَّنٍ[3]، وأكثرُ القرآن نزل في أسبابٍ خاصةٍ ثم يكون عامَّ المعنى فيمَن تتناوله اللفظة.

قال الضحاك: ﴿يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ﴾؛ أي: على أطراف أصابعه فيأكلها حتى يتنهيَ إلى مرفقيه وما يَشعر[4].

---

(١) البيت لأبي العتاهية. انظر: «الشعر والشعراء» (٢/ ٧٨٢).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٤٤٢).

(٣) سيأتي قريباً.

(٤) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٣/ ٣٣٩)، والبغوي في «تفسيره» (٦/ ٨١)، عن عطاء. ورواه بنحوه مختصراً ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٦٨٤) عن سفيان.

وقال ابن السمَّاك: يفعل ذلك أربعة آلاف[١] مرةٍ يأكلها ثم يعيدها الله تعالى، إلى أن يجيء وقت الحساب.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: وهو عقبة بن أبي معيط بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، وكان رجلاً يجالس النبي ﷺ يستمع إلى كلامه من غير أن يؤمن به، وكان أبيُّ بن خلف صديقَه، فقال: وجهي لوجهك حرام إن كلمتك أو صادَقْتُك ما لم تَصِرْ إليه فتبصقَ في وجهه، ففعل، فأنزل الله هذه الآية[٢].

وقال مقاتل والسدي: كان عقبة رجلاً يسافر كثيراً، وكان إذا رجع من سفره أضاف أشراف قومه، فدعا رسول الله ﷺ، فلما قرِّب الطعام قال رسول الله ﷺ: «ما أنا بآكلٍ حتى تشهد شهادةَ الحق» فشهد بلسانه وهو مضمِرٌ الكفرَ، وكان أبيُّ بن خلف غائباً، فلما رجع أخبره بذلك، فأتاه عقبة زائراً، فقال له أبيٌّ: صبوتَ؟ قال: لا والله، قال: قد انقطعت العصمة بيني وبينك إن لم تَتْفل في وجهه، ففعل، فقتَل رسول الله ﷺ أبيَّ بن خلف يوم أحد، وذلك أنه طعنه طعنةً فرجع إلى مكة فمات منها، ولم يقتل بيده غيرَه، وأما عقبة فقتله عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح الأنصاريُّ يوم بدر صبراً[٣].

---

(١) في (ر) و(ف): «أربع مئة».

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٠٨٥ و٢٠٨٦)، والطبري في «تفسيره» (١٧/ ٤٤٠ ـ ٤٤١)، عن مقسم مولى ابن عباس، وفيه بدل قوله: «ففعل»: (فلم يسلطه الله عليه). أما رواية ابن عباس فخرجها الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٤٤٠) من طريق عطاء الخراساني عن ابن عباس قال: كان أُبيّ بن خلف يحضر النبيّ ﷺ، فزجره عقبة بن أبي معيط، فنزل: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا﴾ إلى قوله: ﴿خَذُولًا﴾ قال: ﴿ٱلظَّالِمُ﴾: عقبة، و﴿فُلَانًا خَلِيلًا﴾: أُبيّ بن خلف. ثم رواها من طريق عطية عن ابن عباس بنحو هذا.

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٢٣٢ و٣٠١)، ورواه عن السدي ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٦٨٥). =

وقال أبو روقٍ: جمع عقبة البزاق فأتى رسول الله ﷺ فيما بين أصحابه فرمى بالبزاق، فانصرف البزاق وصار قطعتين على خده فسفعتا[١] خديه فكان فيهما أثرُه إلى أن قتل[٢].

* * *

(٣٠) ـ ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾: أي: متروكاً[٣] لا يسمعونه ولا يتدبَّرونه ولا يعملون بما فيه، ويقولون مرةً: هو سحر، ومرةً: هو مفترًى، ومرةً: هو أساطيرُ الأولين.

يعني: يقول الرسول يوم القيامة ذلك فيَشهد عليهم بذلك؛ كما قال تعالى: ﴿وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

و(قال) بمعنى: يقول؛ كسائر ما ذكر من أحوال يوم القيامة، وإخراجُه على صفة الماضي لتحقُّق كونه يومئذ فأُلحق بالكائن المتحقِّق.

* * *

(٣١) ـ ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾.

= وفيهما: (أمية بن خلف) بدل: (أبي بن خلف). ولم يرد فيهما قصة قتله، والخبر بنحو سياق المؤلف رواه ابن مردويه وأبو نعيم في «دلائل النبوة» بسند صحيح كما قال السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٢٥٠).

(١) في (ر) و(ف): «فشققتا».

(٢) ذكره بنحوه الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ١٣٠)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٣٤)، عن الضحاك.

(٣) في (ر) و(ف): «مستوراً».

وقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾: أي: كما يُعاديك هؤلاء المشركون ويقولون فيك ما يقولون، فكذلك جعلنا لكلِّ نبيٍّ قبلك عدوًّا من المجرمين مثلَ أعدائك من الكافرين، فصبروا ففازوا، فاصبر أنت تَفُزْ أيضاً.

وقوله تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾: أي: حسبُك الله موفِّقاً لك[1] للحق، كافيك به وناصراً لك على أعدائك.

***

(٣٢) ـ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً﴾: وهذا طعنٌ آخرُ منهم، قالوا: هلا نزِّل على محمد هذا القرآن دفعةً واحدةً مجتمعاً كلُّه.

﴿كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾: أي: كذلك أنزلناه متفرقاً، وكذلك نُنزله لنُحْكِمه حفظاً[2] في قلبك، فيكون فؤادُك ثابتاً به غيرَ مضطربٍ، ولو أنزلناه[3] عليه جملةً واحدة[4] وهو أميٌّ لا يكتب لتعذَّر عليه حفظه.

وقيل: لأن فيه ناسخاً ومنسوخاً، فلم يَستقِم إنزاله جملةً واحدة[5].

وقيل: كان النبي ﷺ في دار الحَجْبة، وسكونُ قلبِ المحِبِّ المحجوب بأن

---

(١) في (أ): «موقعاً لك»، وكلمة «لك» ليست في (ر) و(ف).

(٢) في (ر): «لحكمة ليحفظ».

(٣) في (أ): «أنزل».

(٤) «واحدة» ليست في (ف).

(٥) «واحدة» ليست في (أ) و(ف).

يتواصل إليه كتُبُ[١] المحبوب، فجعله متفرقاً تثبيتاً لقلبه، وترويحاً لروحه، وتسكيناً لشوقه.

وقوله تعالى: ﴿وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا﴾: أي: جئنا ببعضه على إثر بعضٍ، وأَضمر بعد قوله: ﴿كَذَٰلِكَ﴾: فرقنا ذلك ورتَّلناه؛ أي: فرَّقناه تفريقاً غيرَ متباعدٍ، بل تابعناه ولم نقطعه قطعاً يُضعف بذلك قلبك[٢].

قالوا[٣]: ولما نزلت التوراة جملةً[٤] تركوها جملةً، ولما نزل القرآن مرتَّلاً مفصَّلاً ثبت في القلوب مقرَّراً ومحصَّلاً.

* * *

(٣٣) ـ ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ﴾: أي: لا يأتيك هؤلاء المشركون بمثَلٍ؛ أي: شيءٍ يماثل ما كان من الأمم السالفة من محاجَّةِ أنبيائهم وتعنُّتِ رسلهم ﴿إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ﴾: أي: أتيناك بما يحقُّ أن يُؤتى به[٥]، دون الباطل الذي لا حقيقة له.

وقوله تعالى: ﴿وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾: أي: أحسن بياناً مما عند هؤلاء السائلين؛ لأنهم لم يكونوا فيما يسألونه يعرفون من تلك الأمور مثلَ الذي كان الله يُعرِّفه نبيَّه ﷺ، وكان التحريف قد غلب على أهل الكتاب، فكان المشركون يرجعون إليهم

---

(١) في (ر): «بأن يتوصل إلى كنف».

(٢) في (ر): «وقوله تعالى: ﴿وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا﴾: أي: فرَّقناه تفريقاً غيرَ متباعدٍ، وقيل: تابعناه جئنا ببعضه على إثر بعض، وأضمر بعد قوله: ﴿كَذَٰلِكَ﴾: فرَّقنا ذلك ورتلناه، ولم نقطعه قطعاً يُضعف بذلك قلبك».

(٣) «قالوا» من (أ).

(٤) بعدها في (ر): «واحدة».

(٥) في (ف) و(أ): «أن يجابه فيه».

ويأخذون منهم ثم يسألون النبيَّ ﷺ، وهو يخبرهم على الوجه الذي[1] أخبره الله تعالى به، فكان أحسنَ تفسيراً مما هم يذكرونه.

* * *

(٣٤)ـ ﴿ٱلَّذِينَ يُحۡشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرّٞ مَّكَانٗا وَأَضَلُّ سَبِيلٗا﴾.

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُحۡشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرّٞ مَّكَانٗا وَأَضَلُّ سَبِيلٗا﴾: أي: هؤلاء المشركون الذين يعادُونك ويتعنَّتونكَ يمشُّون يومَ القيامة على وجوههم خزياً ونكالاً لهم، وسئل النبي ﷺ: كيف يمشُّون على وجوههم؟ فقال: «إن الذي أمشاهم على أقدامهم قادر أن يمشِيَهم على وجوههم»[2].

وقيل: يُسحبون على وجوههم إلى النار؛ كما ورد ذلك في آية أخرى.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ شَرّٞ مَّكَانٗا﴾ في الآخرة فإنهم في النار ﴿وَأَضَلُّ سَبِيلٗا﴾ عن الجنة.

وقيل: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ شَرّٞ مَّكَانٗا﴾: منزلةً في الدنيا، وأضلُّ عن طريق الحق، كما قال يوسف عليه السلام: ﴿أَنتُمۡ شَرّٞ مَّكَانٗا﴾ [يوسف: ٧٧].

ومعنى كل الآية: ﴿وَلَا يَأۡتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئۡنَٰكَ﴾ في جوابه ﴿بِٱلۡحَقِّ﴾ فأنت منصورٌ عليهم في الدنيا بالحجة الواضحة، ثم هم محشورون على وجوههم إلى جهنم، وذلك نصرةٌ لك في الأخرة وخذلانٌ لهم وإخزاءٌ لهم في الدارين جزاءً على ضلالتهم، وهم أسوءُ مكاناً وأضلُّ سبيلاً.

وليس هذا للتفضيل بعد ثبوت التسوية في الطرفين، بل طريقه ما قلنا في قوله: ﴿خَيۡرٞ مُّسۡتَقَرّٗا وَأَحۡسَنُ مَقِيلٗا﴾.

---

(١) في (ف) و(أ): «كما» بدل: «الذي».

(٢) روى نحوه البخاري (٤٧٦٠)، ومسلم (٢٨٠٦)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٣٥ ـ ٣٦) ـ ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾ فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَدَمَّرْنَٰهُمْ تَدْمِيرًا ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ ﴾: يقول: لستَ أولَ نبيٍّ كذِّب، بل قد أعطينا موسى التوراةَ ﴿وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا ﴾ وقد فسرناه في (طه).

وقوله تعالى: ﴿ فَقُلْنَا ﴾: أي: لهما[1]: ﴿ٱذْهَبَآ إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ﴾: فرعونَ وقومِه.

وقوله تعالى: ﴿فَدَمَّرْنَٰهُمْ تَدْمِيرًا ﴾: أي: قد ذهبا إليهم فدعَواهم فعصَوهما فأهلكناهم إهلاكاً بالغرق في اليم.

***

(٣٧) ـ ﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا۟ ﴾: أي: ودمَّرنا قوم نوح لما كذَّبوا ﴿ٱلرُّسُلَ ﴾؛ أي: نوحاً ومَن قبله من آدم وشيث وإدريس؛ أو[2] أخبرهم نوحٌ أن الله يبعث بعدي رسلاً فكذَّبوهم أيضاً كما كذبوه، أو أراد به تكذيبَ نوحٍ وحده، ويطلق اسم الجمع على الواحد، يقال: خرج فلان على البغال، وإن خرج على بغلة واحدة.

وقوله تعالى: ﴿أَغْرَقْنَٰهُمْ ﴾: أي: بالطوفان ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً ﴾؛ أي:

---

(١) «أي لهما» من (ف).

(٢) في (ر) و(ف): «أي و» بدل: «أو».

لمن بعدهم علامةً على قدرتنا وربوبيَّتنا وانتقامنا ممن كذَّب الرسل[١]؛ لأن الطوفان عمَّ الدنيا كلَّها، فصار عبرةً للكل.

وقوله تعالى: ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾: أي: وكذلك هيَّأنا لكلِّ ظالمٍ نفسَه بالكفر بي وبرسلي.

* * *

(٣٨) ـ ﴿وَعَادًا وَثَمُودَا وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَعَادًا وَثَمُودَا﴾: أي: ودمَّرنا عاداً قومَ هود وثمودَ قومَ صالح.

﴿وَأَصْحَابَ الرَّسِّ﴾: قيل: هم الذين بُعث إليهم صاحبُ (يس) حبيبٌ النجارُ، المذكورُ في قوله: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾ [يس: ١٤]، فقذفوه في بئرٍ بأنطاكيةَ ورسُّوه بالحجارة؛ أي: أثبتوه[٢] فيها بها، كذلك قال كعبُ الأحبارِ، رواه عنه ابن عباس رضي الله عنهما[٣].

وقيل: هم قرية[٤] من ثمود[٥].

وقيل: هم باليمامة.

وقيل: كانوا بين المدينة ووادي القرى.

وقيل: الرسُّ: البئر غيرُ المطويَّة.

---

(١) في (أ): «رسلنا».

(٢) في (ف): «ابتنوه».

(٣) رواه ابن أبي شيبة وابن المنذر كما في «الدر المنثور» (٦/ ٢٥٧).

(٤) في (ر): «فرقة».

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٤٥٢) من طريق ابن جريج عن ابن عباس، وإسناده منقطع.

وقيل: الرسُّ: ماء ونخلٌ لبني أسد.

وقال عكرمة: الرسُّ: بئر أَلقوا فيها نبيَّهم(١).

وقال قتادة: هي قرية باليمامة يقال لها: فلج(٢).

وقال أبو عبيدة: هو المعدِن(٣).

وقوله تعالى: ﴿وَقُرُونًا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا﴾: قال إبراهيم: القرن أربعون سنة(٤).

وقال بعضهم: سبعون سنة.

وقيل: هم أهلُ عصرٍ مقترِنون.

ومعناه: وأمماً بين ذلك كثيراً، وقال النبيُّ ﷺ: «كذب النسَّابون، يقول الله: ﴿وَقُرُونًا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا﴾»(٥).

* * *

(٣٩) ـ ﴿وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا﴾.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٤٥٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٦٩٥). وفيهما: (رسُّوا) بدل: «ألقوا».

(٢) رواه بهذا اللفظ الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٤٥٢)، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٦٩٥) بلفظ: كانوا أهل فلج وآبارٍ كانوا عليها.

(٣) انظر: «مجاز القرآن» (٢/ ٧٥ و٢٢٣).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٤٥٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٦٩٦).

(٥) رواه ابن سعد في «الطبقات» (١/ ٥٦)، وخليفة بن خياط في «الطبقات» عن هشام بن محمد بن السائب الكلبي، عن أبيه، عن أبي صالح، عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ إذا انتهى إلى معد بن عدنان أمسك ثم يقول: «كذب النسابون قال الله: ﴿وَقُرُونًا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا﴾» وإسناده ضعيف جداً.

وقوله تعالى: ﴿وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ﴾: أي: وصفنا[١] له الأشباهَ من الأمم التي كانت قبلهم فأُهلكت بتكذيب الأنبياء، فحذَّرنا كلَّ أمةٍ أن ينزل بها ما نزل بمن كان[٢] قبلها.

وقوله: ﴿وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا﴾: أي: أهلكنا إهلاكاً.

وهذا كلُّه تعريفٌ للنبي ﷺ أن الأنبياء قبله قد لقُوا من أممهم نحوَ ما تَلْقاه، وأن الله تعالى جاعلٌ العاقبةَ المحمودة له على مَن كذبه؛ تطييباً لنفسه وتثبيتاً لقلبه.

* * *

(٤٠) ـ ﴿وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ﴾: أي: هؤلاء المشركون قد أتوا في أسفارهم على قريةِ قوم لوط وهي سَدُومُ، أُمطر أهلُها الحجارة عقوبةً لهم على معصيتهم نبيَّهم لوطاً عليه السلام، وارتكابهم الفاحشةَ بإتيان الذُّكران، وغيرِ ذلك.

قوله تعالى ﴿أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا﴾: يَعتبِروا بها؛ أي: فكان ينبغي لهم أن يؤمنوا عند مشاهدةِ تلك الآيات.

قوله تعالى: ﴿بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا﴾: أي: قد رأوا هذه القرية وسمعوا بخبرها، ولكنهم كانوا لا يخافون الآخرة، ولا يرون ثواباً ولا عقاباً، فلِكفرهم بالبعث أصرُّوا على تكذيب محمد ﷺ ولم يعتبروا بأولئك.

* * *

---

(١) في (ف): «وضعنا».

(٢) «كان» من (ر).

(٤١) ـ ﴿ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا ﴾: أي: ما يتَّخذونك إلا سخريةً لا يَرونك أهلاً للتعظيم، ويقولون: ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴾؛ أي: بعثه الله رسولاً إلى خلقه.

نزلت في أبي جهل لعنه الله تعالى، كان إذا مرَّ بالنبي ﷺ يقول: ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴾[1].

* * *

(٤٢) ـ ﴿ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ۚ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا ﴾: أي: قد كاد يضلُّنا، وقيل: ما كاد إلا ليُضِلَّنا.

﴿عَنْ ءَالِهَتِنَا ﴾: أي: قارَبَ أن يصرفنا عنها وعن عبادتها بالسحر الذي أتى به، والخدع الذي يزعم أنها آيات من عند الله تعالى ﴿لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ۚ﴾؛ أي: لولا حبسُنا أنفسَنا على عبادتها وتركُنا الإصغاءَ إلى ما يدعونا إليه محمدٌ لقارَبَ محمد أن يصرفنا عنها إلى إلهه.

عدُّوا عبادتَهم الأصنام رشاداً، واعتقدوا صرفهم عنها ضلالاً، فأَوعدهم الله تعالى فقال:

﴿وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾: أي: عن قريبٍ يعلمون إذا رأوا العذاب في الدنيا، أو في الآخرة، أو فيهما، مَن أضلُّ سبيلاً أهم أم مَن كان يدعوهم إلى تركها؟

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٢٣٥).

(٤٣) ـ ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾: أي: ما يهواه، نزلت في الحارث بن قيس السَّهْميِّ كان تَبُوعاً لهواه يتَّخذ صنماً يعبدُه ثم يرمي به[1] فيتخذُ سواه، فهذا كان دأبَه[2].

وقوله تعالى: ﴿أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾: أي: أرأيتَ مَن عبَد ما يهواه من غيرِ حجةٍ ولا دليل، أفأنت تكون عليه موكَّلاً فتصرفَه عن الهوى إلى الهدى؟ عرَّفه أنه ليس بمقدورٍ للنبيِّ ﷺ، بل هو المنفرد[3] به، إذا شاء فعله بمن شاء، وأنه ليس عليه إكراههم على الإسلام بل عليه التبليغ لا غير.

* * *

(٤٤) ـ ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ﴾: أي: أم تتوهَّم أن أكثر هؤلاء المشركين يعملون عمل مَن يسمع، أو يعقلون عقلَ[4] مَن يَعقل، و(أم) لا تكون إلا بعدَ ألف الاستفهام، وهو ثابت هاهنا تقديراً: أتعلم أنهم يسمعون أو يعقلون أم تحسبُ ذلك منهم.

---

(١) في (ف): «ثم يبرم عنه».

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٢٣٥)، و«النكت والعيون» (٤/ ١٤٦) وفيه: حكاه النقاش، و«البسيط» (١٦/ ٥١٢) وعزاه لمقاتل.

(٣) في (أ): «بل الله المتفرد».

(٤) في (ر): «أو يعملون عمل»، وفي (ف): «أو يعقلون عمل»، وسقطت الجملة من (أ)، ولعل المثبت هو الصواب.

وقوله تعالى: ﴿إِنۡ هُمۡ إِلَّا كَٱلۡأَنۡعَٰمِ﴾: أي: لا تحسبْ ذلك منهم[١] فما هم إلا كالبهائم ﴿بَلۡ هُمۡ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ منها؛ لأن البهائم إن لم تعتقِد صحةَ التوحيد والنبوَّة لم تعتقِد بطلانهما، وهؤلاء يعتقدون بطلانهما.

* * *

(٤٥) ـ ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيۡفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوۡ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنٗا ثُمَّ جَعَلۡنَا ٱلشَّمۡسَ عَلَيۡهِ دَلِيلٗا﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيۡفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ﴾: أي: ألم تعلم، وهو استفهامٌ بمعنى التقرير؛ أي: قد علمتَ أن ربك مد الظل؛ أي: قد شاهدتَ الظلَّ كيف مدَّه الله تعالى؛ أي: بسطه فعمَّ الأرض، وذلك من حين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، فإن الظلَّ مُطبِقٌ[٢] للأرض من غير شمسٍ ولا ليل، وهذا قولُ عامة المفسرين، وهو كقوله في صفة الجنة: ﴿وَظِلّٖ مَّمۡدُودٖ﴾ [الواقعة: ٣٠]؛ أي: لا شمس معه ولا ظلمة.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوۡ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنٗا﴾: أي: مستقِرًّا دائماً لا تَعقبه الشمس فتَنسخَه.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلۡنَا ٱلشَّمۡسَ عَلَيۡهِ دَلِيلٗا﴾: أي: نسخناه بالشمس، ثم جعلنا زوال الظل بالشمس دليلاً على أنه مِن خَلْقنا نوجدُه إذا شئنا ونُعدمه إذا شئنا.

* * *

(٤٦) ـ ﴿ثُمَّ قَبَضۡنَٰهُ إِلَيۡنَا قَبۡضٗا يَسِيرٗا﴾.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَبَضۡنَٰهُ إِلَيۡنَا﴾: أي: قبضنا ذلك الظلَّ الممدود؛ أي: أخذناه إلينا؛ أي: إلى حيث أردنا قبضه من الأرض.

---

(١) «منهم» ليس من (أ).

(٢) في (ف): «مطلق».

﴿قَبْضًا يَسِيرًا﴾: أي: قليلاً قليلاً شيئاً بعد شيء، بطلوع الشمس شيئاً فشيئاً.

وقيل: قبضه[1] بغروب الشمس؛ لأنها ما لم تَغرب فالظلُّ فيه بقية، وإنما يَتمُّ زواله بمجيء الليل، وعلى هذا قولُه: ﴿قَبْضًا يَسِيرًا﴾؛ أي: سهلاً علينا لا مؤنةَ فيه علينا؛ كقوله: ﴿ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾ [ق: ٤٤].

وقيل: ﴿قَبْضًا يَسِيرًا﴾؛ أي: سريعاً.

وقيل: كالأول قليلاً قليلاً؛ لأنه يذهب شيئاً فشيئاً إلى أن يجتمعَ كلُّ الظلام.

وهذا بيان القدرة، ومن آيات الوحدانية وإلزامِ الحجة على أهل الشرك والضلالة، وكذا ما بعده، وهو قوله:

* * *

(٤٧) ـ ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا﴾.

﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا﴾: أي: ستراً وغطاءً للأشياء كلها بظلامه، فتسكن الأشياء فيه ﴿وَالنَّوْمَ سُبَاتًا﴾؛ أي: راحة لأبدانكم بانقطاعكم عن الأشغال، والسَّبْت: القطع.

وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا﴾: أي: حياةً من موت المنام لتنتشر الناس فيه لمعاشهم؛ كما قال: ﴿وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾ [النبأ: ١١]، وكان النبيُّ ﷺ إذا أصبح قال: «الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور»[2].

وقال القشيري رحمه الله: رُوي أن النبي ﷺ نزل في بعض أسفاره وقتَ

---

(١) في (أ): «قبضها».

(٢) رواه البخاري (٦٣١٢) من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه. ورواه البخاري أيضاً (٦٣٢٥) من حديث أبي ذر رضي الله عنه، ومسلم (٢٧١١)، من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه.

القيلولة في ظلِّ شجرة، وكان معه خلق كثير، فمدَّ الله تعالى ظلَّ تلك الشجرة حتى وسِع جميعهم، ونزلت الآية، وكان ذلك من معجزاته.

وقال: مدَّ الظلَّ على أوليائه: فقومٌ في ظل الحماية، وآخرون في ظلِّ الرعاية، وآخرون في ظل العناية، وآخرون في ظلِّ الكفاية.

وقال في قوله عز وجل: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا﴾ قال: هو وقتُ سكونٍ لقوم ووقتُ انزعاجٍ لآخرين، فأربابُ الغفلة يسكنون، وأصحابُ المحبة يسهرون، إن كانوا في رَوح الوصال لم يناموا لكمال أُنسهم، وإن كانوا في ألم الفراق لم يناموا لكمال وَجْدهم[1].

* * *

(٤٨) ـ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وهو الذي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ نشراً[2] بَيْنَ يَدَي رحمتِهِ﴾:

قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو: ﴿نُشُراً﴾ بضم النون والشين وهي جمعُ نَشُورٍ؛ أي: ناشراتٍ للغيم تَنْشُره وتَبْسطُه في السماء بحركتها كما يُنشر الشيء المطويُّ.

وقرأ ابن عامر وأبو عمرو في روايةٍ بضم النون وسكون الشين.

وقرأ حمزة والكسائي بفتح النون وسكون الشين.

وقال الكلبي: هو الريح الطيبة، مأخوذٌ من نشر المسك. وقيل: أي: حياةً.

وقرأ عاصم بالباء مضمومةً من البشارة[3].

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٦٣٨ ـ ٦٣٩).

(٢) في (أ): «بشراً» بدل: «نشراً».

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٤٦٥)، و«التيسير» (ص: ١١٠). والمشهور عن أبي عمرو القراءة الأولى، والثانية ـ التي بضم النون وسكون الشين ـ ذكرها ابن مجاهد، ولم يذكرها الداني.

﴿بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِۦ﴾: أي: مطرِه، وهو من بيان قدرته ونعمته أيضاً.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا﴾: نقل الكلام من المغايبة إلى الإخبار عن نفسه بخطاب الملوك جمعاً، وهو من وجوه تصريف الكلام.

والطهور مبالغةٌ في الطهارة.

وقيل: هو ما يُتطهَّر به؛ كالوَضوء ما يُتوضأ به، والسَّحور والفَطور والوَقود كذلك.

* * *

(٤٩ ـ ٥٠) ـ ﴿لِّنُحْـِۧيَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَٰمًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا ۝٤٩ وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا۟ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿لِّنُحْـِۧيَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا﴾: بإنبات النبات وإخراج الثمار[1].

وقوله تعالى: ﴿وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَٰمًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا﴾: جمع إنسيٍّ؛ أي: نمكِّنهم من أن يشربوه ويَسقوا به دوابَّهم.

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ﴾: قيل: أي: صرَّفنا الماء الطهور وهو المطر؛ أي: قسَّمناه بين العباد فجعلناه[2] سنةً لهؤلاء وسنةً لهؤلاء، ينقص حولاً لقوم ويزاد لقوم.

وقوله تعالى: ﴿لِيَذَّكَّرُوا۟﴾: قرأ حمزة والكسائي: ﴿ليَذْكُروا﴾ بالتخفيف، والباقون بالتشديد[3]؛ أي: ليتذكَّروا نعمتي فيشكروا لي، ومعنى القراءتين: الذِّكر والتذكُّر بالقلب.

---

(١) في (أ): «الأثمار».

(٢) في (أ): «فجعلته».

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٤٦٥)، و«التيسير» (ص: ١٤٠).

وقيل: الذكر: الشكر باللسان، والتذكُّر: تكلُّف إحضار القلب بالذكر.

وقوله تعالى: ﴿لِيَذَّكَّرُوا﴾: أي: كفراناً لنعمي؛ لأنهم يَصرفون النعمة والمطر إلى الأنواء، فيقولون: مُطِرنا بنَوءِ كذا، قال تعالى: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ [الواقعة: ٨٢].

وقال الحسن: ﴿لِيَذَّكَّرُوا﴾؛ أي: ليتذكَّروا بالمطر الذي أنزله فأحيى به الأرض أنه قادر على أن يُحيي الموتى.

وقوله: ﴿فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾: كفراً[1] بالبعث، وعلى هذا تصريفُه أمطارَه في كلِّ البلاد مرةً هاهنا ومرةً هاهنا ليَشترك الكلُّ في التذكُّر به.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ما مِن عامٍ بأقلَّ مطراً من عام، ولكن الله تعالى يصرِّفه حيث يشاء، وقرأ هذه الآية[2].

وقيل: ولقد صرَّفنا الذكرَ في القرآن في السور كلِّها بين الناس ﴿لِيَذَّكَّرُوا﴾؛ أي: ليتَّعظوا وينتهوا ﴿فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ بالنعم وكفراً بالمنعم.

* * *

(٥١ ـ ٥٢) ـ ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا﴾: أي: ولو شئنا لأرسلنا في كلِّ مصرٍ نبيًّا، ولكن لم نفعل فجعلناك نذيراً للجميع، فاشكر نِعَم الله عليك.

---

(١) في (ف): «كفوراً»، وليست في (أ).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٤٦٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٧٠٦).

وقوله تعالى: ﴿تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ﴾: أي: بالقرآن؛ أي: حاجَّهم وجادِلْهم به وقرِّعهم بالعجز عنه.

وقيل: جاهدهم بالسيف.

والصحيح الأول؛ لأن السورة مكية، وكان الأمرُ بالقتال بعد ذلك.

وقيل: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا﴾ تكثيراً للآيات، ولكنَّا أقمنا بك وحدك الدلالات، فلا تُطِعْ مَن كذَّبك، بل جاهدهم بالقرآن فقد لزمتْهم الحجةُ؛ كما قال: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ [العنكبوت: ٥١].

وقيل: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا﴾ لتخِفَّ عنك بذلك المؤونة، ولكنَّا حمَّلناك ثقل تبليغ الرسالة(١) إلى كلِّ القرى؛ لتنال بصبرك عليه(٢) ما أَعدَّ الله لك من الكرامة والمثوبة، فلا تطع الكافرين فيما يدعونك إليه من عبادة آلهتهم، وجاهدهم بالقرآن.

﴿جِهَادًا كَبِيرًا﴾: بليغاً؛ كما قال تعالى: ﴿نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: ١٩].

وقيل: ﴿جِهَادًا كَبِيرًا﴾؛ أي: عظيماً موقعُه عند الله، وعلى حسَبه الثوابُ عليه.

* * *

(٥٣) - ﴿۞ وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾: وهو بيانُ نعمته وقدرته أيضاً؛ أي: أجراهما(٣) وأرسلهما في الأرض ﴿هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾؛ أي: أحد البحرين

---

(١) في (أ): «الوحي».

(٢) «عليه» من (أ).

(٣) في (ف) و(أ): «خلاهما».

عذبٌ؛ أي: طيبٌ فرات؛ أي: شديد العذوبة، والآخر ﴿مِلْحٌ﴾: فيه ملوحةٌ ﴿أُجَاجٌ﴾: مرٌّ.

قيل: أراد به الأنهار العظام، يعني: أرسل في الأرض المياه على ضربين: أحدهما عذبٌ والآخر ملح، وكلُّ واحد منهما بحر، فالفرات العذبُ كالنيل والفرات ودجلةَ وسيحان ونحوِها، والملح الأجاج كالبحار المعروفة.

قوله: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا﴾: أي: حاجزاً ﴿وَحِجْرًا﴾؛ أي: ستراً مانعاً ﴿مَّحْجُورًا﴾؛ أي: مستوراً ممنوعاً.

وقيل: ﴿مَّحْجُورًا﴾؛ أي: مجعولاً حجراً[1]؛ كما يقال: حدٌّ محدودٌ، وحرامٌ محرَّمٌ، وذلك هو الجزائر والبلاد، فلا يختلط أحدهما بالآخر كذلك فيُفسدَ على الناس مياههم، فإذا قامت الساعة زال الحاجز فاختلطت؛ قال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ [التكوير: ٦] وهو قول الحسن.

وقيل: بحر الأرض وبحر السماء.

وقيل: بحرٌ[2] تحت الأرض، والبرزخُ الأرض.

وقيل: هو بحرٌ واحد من البحار المعروفة يجتمع فيه الماء العذب والماء الملح في مكان واحد، فلا يختلطان فيَفسُدَ العذبُ بالملح ﴿وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا﴾: حاجزاً من القدرة، قاله قتادة[3].

وقيل: ﴿بَرْزَخًا﴾ هو مدة الدنيا، فإذا قامت الساعةُ اختلط أحدهما بالآخر، وذلك قولُه: ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾ [الانفطار: ٣]، وسيأتي بيانُ ذلك في سورة الرحمن إن شاء الله تعالى في قوله: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾ [الرحمن: ١٩].

---

(١) في (ر): «محدوداً»، وفي (ف): «محمولًا»، بدل: «مجعولًا حجراً».

(٢) في (أ): «بحر السماء».

(٣) رواه عبد بن حميد وابن أبي حاتم، كما في «الدر المنثور» (٦/ ٢٦٦).

وقيل: هما بحر الهند وبحر الروم.

وقيل: هو بحر العراق وبحر الشام.

* * *

(٥٤) ـ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا﴾: وهذا أيضاً بيانُ قدرته ونعمته.

﴿مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا﴾ قيل: خلق آدم من الطين وأصله الماء ﴿فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا﴾ آدمَ ﴿وصهرا﴾ حواء.

وقيل: ﴿خَلَقَ مِنَ﴾ النطفة ولدَ آدم ﴿فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا﴾؛ أي: قرابةً ﴿وَصِهْرًا﴾؛ أي: مصاهرةً، وهي الوصلة بالنكاح، مَنَّ بالأنساب لأن التقارب والتواصُل يقع[1] بها، ومنَّ بالمصاهرة لأن التوادَّ والتوالُدَ يكون بها.

وقيل: ﴿فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا﴾ لمن وُلد منه ولمن يُولد منه ﴿وَصِهْرًا﴾ لمن يتزوَّج به.

وقال قطرب: الصِّهر أبو زوجِ البنت، وما كان من قِبَل زوجِ البنت فهم أصهارٌ، وما كان من قِبَل المرأة فهم أحماءٌ.

﴿وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾: على كلِّ شيء.

* * *

(٥٥) ـ ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ۗ وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ﴾: أي: **الله تعالى** مالكُ النفع والضر، وهؤلاء المشركون بجهلهم يعبدون مِن دونه جماداً لا ينفعهم إنْ عبدوه ولا يضرُّهم إن تركوا عبادته.

---

(١) «يقع» من (أ).

وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱلۡكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا﴾: قال عطية العوفي والشعبي ومجاهد: نزلت في أبي جهل بن هشام لعنه الله(١).

وقيل: هو اسمُ جنس يقع على كلِّ كافرٍ.

﴿ظَهِيرًا﴾ قال قتادة ومجاهد والحسن: أي: مُعيناً للشيطان(٢)، والمظاهرة: المعاونة.

ومعنى ﴿عَلَىٰ رَبِّهِۦ﴾: على معصية ربه ومخالفةِ أمره، يعني: إن الكافر إذا أتى بالكفر والمعاصي كان مُعيناً للشيطان على الإصرار على الكفر والاستكبار.

وقيل: ﴿عَلَىٰ رَبِّهِۦ﴾ أي: على أوليائه؛ قال النبيُّ ﷺ: «يقول الله تعالى: مَن أهان لي وليًّا فقد بارزني بالمحاربة»(٣)؛ أي: يُعين الكافرُ الشيطانَ على معاداة أولياء الله.

وقيل: أي: يستظهر الكافر بالأوثان وعبادتها وعبَدتها على مغالبة رسول الله ﷺ والمؤمنين.

وقيل: الظهير: الهيِّنُ الملقَى خلف الظهر؛ أي: وكان الكافر على ربِّه هيِّناً حقيراً.

وقيل: ﴿عَلَىٰ رَبِّهِۦ﴾ معناه: على ما يعتقده ربًّا وهو الصنم، ومعناه: ﴿وَكَانَ ٱلۡكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا﴾؛ أي: قويًّا قادراً، ويتصل بأول الآية: أن الصنم لا ينفع ولا يَضر ولا

---

(١) رواه عنهم ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٦١١). ورواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٤٧٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) رواه عن الحسن عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٠٩٣)، وعن مجاهد والحسن الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٤٧٧ـ٤٧٨).

(٣) قطعة من حديث قدسي رواه البخاري (٦٥٠٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ: «مَن عادى لي وليًّا فقد آذَنْتُه بالحرب»، وله ألفاظ مقاربة في غير الصحيح تنظر في «الفتح» (١١/ ٣٤٢).

يقدر على شيء، وعابد الصنم قادرٌ على الصنم يعمل به ما شاء وينقله حيث شاء، وهو بيانُ جهلهم أنهم يعبدون ما هو عاجز وهم قادرون عليه.

* * *

(٥٦ ـ ٥٧) ـ ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٥٦﴾ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا﴾: أي: للموافق ﴿وَنَذِيرًا﴾ للمخالفين.

﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾: أي: على التبليغ، وقيل: على التبشير.

﴿إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾: أي: إلا مَن شاء أن يتخذ إلى ربِّه قربةً بإجابته فلْيَفعلْ والاستثناء منقطِع بمعنى (لكن).

وقيل: هو استثناءٌ حقيقةً: إلا متَّخذَ السبيل إلى ربه بالتوحيد فإنه أجري[1]؛ أي: يَأْجُرني الله تعالى بدعوتي إياه وأجابته إياي، قال تعالى: ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَـٰرَهُمْ﴾ [يس: ١٢].

وقيل: اتخاذُ السبيل إلى الله تعالى هو الإيمانُ به.

وقيل: أي: بمودَّة رسول الله ﷺ لقرابته، كما قال: ﴿إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى: ٢٣].

وقيل: أي: لا أطالبكم بالأجر إلا أنْ يشاء أحدكم أن يتقرب إلى الله تعالى ببذلِ مالٍ أنفقه على الفقير، أو في الجهاد وسبُل الخير، فإن هذا مما أرغِّبكم فيه، أما لا أطالبكم به لأَجْلي[2].

---

(١) في (أ): «أحرى».

(٢) في (ر): «لأجر».

(٥٨) ـ ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ ﴾: بالتبليغ، فإنه يعصمك ويحرسك.

وقوله تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ﴾: أي: نزِّه الله تعالى عما يصفُه به هؤلاء واحمده؛ أي: صِفْه بصفاته الحميدة.

وقيل: أي: صلِّ لله تعالى حامداً له فيها.

وقوله تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴾: أي: عالماً بمعاصي هؤلاء المشركين، فهو يجزيهم عليها.

* * *

(٥٩) ـ ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ﴾: قد فسرنا هذه الكلمات مرات، وهذا كلُّه صفة قوله: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ﴾: أي: هو الرحمن، أو: ثم استوى الرحمن على العرش، أو: كان ربُّك الرحمن قديراً، أو[1] هو خبر المبتدأ، والمبتدأُ قوله: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴾: قيل: فاسأل يا محمدُ الرحمنَ عن ذلك، فإنك تسألُ خبيراً بما خلَق، و﴿خَبِيرًا ﴾ مفعولُ (سل)، و﴿بِهِۦ﴾ بمعنى: عنه؛ كما

---

(١) في النسخ الثلاث: «و»، والصواب المثبت. انظر: «روح المعاني» (١٩/ ٨٦).

قال: ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ﴾؛ أي: عن عذابٍ، والخبير صفةُ الله تعالى، وهو معنى قول الحسن: إنْ سألتَه فهو خبيرٍ بالعباد.

وقيل: معناه: فاسأل الله؛ أي: عن الله ﴿خَبِيرًا﴾ أي: عالماً، وهو الله تعالى العالمُ بحوائجك ومصالحك، و﴿بِهِۦ﴾ على هذا له معنيان:

أحدهما: أنه صلةُ ﴿خَبِيرًا﴾؛ أي: خبيراً به.

والثاني: أن يكون بمعنى: سلِ اللهَ بالله، كما تقول: أعوذ بك منك، و: أهرب منك إليك.

* * *

(٦٠) ـ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُواْ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ۩﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُواْ لِلرَّحْمَٰنِ﴾: أي: صلُّوا لله تعالى واخضَعوا لأمره.

﴿قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ﴾: أي: لا نعرف الرحمنَ فنسجدَ له ﴿**أنسجدُ لِمَا يأمُرنا**﴾ بياء المغايبة في قراءة حمزة والكسائي؛ أي: يأمرنا به محمد من غير أن نعرفه[1].

وقرأ الباقون بالتاء[2]؛ أي: لما تأمرنا به يا محمد؟ استفهام بمعنى الاستنكار.

وقوله تعالى: ﴿وَزَادَهُمْ نُفُورًا﴾: أي: زادهم هذا الأمرُ شروداً عن الإسلام.

* * *

(٦١) ـ ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي جَعَلَ فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي جَعَلَ فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا﴾: قيل: قصوراً.

---

(١) في (ر) و(ف): «أي بأمر يأتي به محمد من غير أن يعرف».

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٤٦٦)، و«التيسير» (ص: ١٦٤).

وقيل: هي التي تُبنى حول السور والحصون.

وقيل: هي البروج الاثنا عشرَ المعروفةُ: الحَمَل، والثَّوْر، والجَوْزاءُ، والسَّرَطان، والأسدُ، والسُّنبلةُ، والميزانُ، والعَقْربُ، والقَوْس، والجَدْيُ، والدَّلْو، والحُوت.

وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا﴾: أي: في جملتها شمساً، فهي من البروج؛ قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا﴾ [نوح: ١٦] ﴿وَقَمَرًا مُّنِيرًا﴾ بالليل.

ومَن قرأ: ﴿سُرُجاً﴾(١) فهي النجوم التي يُهتدَى بها، فهي كالمصابيح.

***

(٦٢) ـ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً﴾: قيل: أي: مختلفَين؛ يجيء هذا ويذهب ذلك، ويجيءُ ذاك ويذهب هذا، ولم يجعل منهما واحداً سرمداً نهاراً لا ليلَ له، وليلاً لا نهار له، ليَعلم الناسُ عددَ السنينَ والحسابَ، وليكون للانتشار في المعاش وقتٌ معلوم، وللقرار والاستراحة وقتٌ معلوم، وفيه تنبيه على قدرته ونعمته، وذلك قوله:

﴿لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ﴾: أي: يتذكر بذلك ﴿أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾؛ أي: أراد شكر الله تعالى بما أنعم عليه.

وقيل: أي: جعل الليل والنهار خلفة؛ أي: مختلفين في اللون ليتميَّز أحدهما عن الآخر؛ كما قال تعالى: ﴿فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟﴾ الآية [الإسراء: ١٢]، قاله مجاهد(٢).

---

(١) قرأ بها حمزة والكسائي. انظر: «السبعة» (ص: ٤٦٦)، و«التيسير» (ص: ١٦٤).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٤٨٦).

وقيل: ﴿جَعَلَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ خِلۡفَةً﴾؛ أي: يَخلُف كلٌّ واحد منهما صاحبه، فيكون خَلَفاً عنه، ووحِّد لأنه كالمصدر، قال زهير:

بها العِينُ والآرامُ يَمشِينَ خِلْفَةً وأطلاؤُها يَنهَضْنَ من كلِّ مَجْثَمِ[1]

كأنه قال: جَعَل كلَّ واحدٍ منهما خلَفاً عن الآخر فيما أَمر به فيهما، حتى إذا فاته ما أُمر به في أحدهما أتى به في الآخر، فيكون إخباراً عن توسعةِ الأمر على عباده في نوافل الطاعات؛ يأتي بما فاته في الليل القصير في النهار الطويل الذي بعده، وكذا الآخر، قاله الحسن[2].

وقيل: إنهما خلفةٌ في النقصان والزيادة يتعاقبان حثيثين إلى أجلٍ مسمى، وهو كقوله: ﴿يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ﴾ [الحج: ٦١].

* * *

(٦٣) ـ ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾: ثم وصف أولياءه بعدما ذكر في كلِّ السورة أعداءه، فقال: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾؛ أي: وعباد الله الذين رضي الله بهم عباداً، وخصَّهم بإضافتهم إليه بالعبودية تشريفاً لهم ورفعاً[3] لأقدارهم؛ كما يقال: بيت الله، وناقة الله، وشهر الله.

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا﴾: إذا خرجوا يمشون بين[4] الناس

---

(١) «ديوان زهير» بشرح ثعلب (ص: ٥). قال ثعلب: العين: البقر، والطلا: ولد البقرة، وولد الظبية الصغير.

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٠٩٦)، والطبري في «تفسيره» (١٧/ ٤٨٦).

(٣) «لهم ورفعاً» ليس في (أ).

(٤) بعدها في (ر) و(ف): «يدي».

بما لا بد لهم من معاشٍ وقضاءِ حقٍّ وحضورِ جماعة يمشون في لِينٍ ووقارٍ وسكونٍ وتواضعٍ، لا بمرحٍ[١]، ولا تحريكِ أعطافٍ ودقِّ أقدام على الأرض، فهذا مشيٌ ممدوح، وقد ذكر المشي المذموم في قوله: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾ [لقمان: ١٨ ـ ١٩] وقال: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾ [الإسراء: ٣٧].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾: الجاهلون: الكفار والعصاة، و﴿سَلَامًا﴾؛ أي: سَداداً من القول؛ أي: إذا خُوطبوا بما يكرهونه لم يجيبوهم بمسافهةٍ ومشاتمةٍ، بل صانوا أنفسَهم عن ذلك وأجابوهم[٢] بالذي يسلَمون به من أذاهم ومن معصية الله تعالى.

* * *

(٦٤ ـ ٦٥) ـ ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴿٦٤﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾: أي: يُمضون لياليهم متهجِّدين لله تعالى قياماً على أرجلهم في موضعِ القيام، وسجَّداً في موضع السجود، ومع ذلك يخافون الله تعالى، وذلك قوله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾: قيل: هلاكاً، وقيل: دائماً لازماً، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: أي: شديداً[٣].

---

(١) في (ر): «تبرج»، وفي (ف): «تمريح».

(٢) في (ر): «بل خاطبوهم» بدل: «وأجابوهم»، وليست في (ف).

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ١٥٥) عن ابن شجرة.

(٦٦ ـ ٦٧) ـ ﴿إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ۝٦٦ وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾: أي: إنَّ جهنم بئسَ موضعُ قرارٍ وموضعَ إقامةٍ، والاستقرار أقل من الإقامة، وجهنم مستقرٌّ للعصاة ومقامٌ للكفار.

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا﴾: والإسراف: مجاوزة الحدِّ في الإنفاق لغةً(١)، والإقتار: التقصير عن العدل فيه، وقد قَتَر من حدِّ دَخَل وضَرَب، وأَقْتَرَ من باب أدخَلَ، وهذا من صفات عباد الرحمن أيضاً.

قال إبراهيم: السَّرَف: مجاوزةُ الحد في النفقة، والإقتار: التقصيرُ عما لا بد منه(٢).

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: الإسراف: الإنفاق في معصية الله تعالى قلَّ أو كثُر، والإقتار: منعُ حقِّ الله تعالى من المال(٣).

وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾: أي: بين ذَينك(٤) ﴿قَوَامًا﴾؛ أي: عدلاً، والقَوَام بالفتح: العدل، والقِوَام بالكسر: العماد يقال: هذا قِوَامُ الأمر ونظامُه ومِلاكُه، وهذا في المطعم والمشرب والملبس وكلِّ شيء.

وقيل: أي: لم يتكلَّفوا فوق الطاقة، ولم يقصِّروا عن الحاجة.

وقيل: إذا تكلَّموا لم يأتوا بالفضول ولم يسكتوا عن الحق، وإذا عملوا لم يأتوا بالمعصية ولم يتركوا الطاعة.

---

(١) «لغة» من (أ).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٤٩٩).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٤٩٧ ـ ٤٩٨).

(٤) «أي: بين ذينك» ليس في (ف).

(٦٨) ـ ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ﴾: أي: لا يُشركون ﴿وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ﴾: وهي النفس المسلمة والذِّمِّية ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ بِقصاصٍ أو رجمٍ أو قتلٍ على رِدَّة.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَزْنُونَ﴾: قال ابن مسعود رضي الله عنه: قال رجل: يا رسول الله! أيُّ الذنب أكبر؟ قال: «أنْ تَجعل لله نِدًّا وهو خلَقك»، قال: ثم أيّ؟ قال: «أن تقتل ولدك خشيةَ أنْ يأكل معك»، قال: ثم أيّ؟ قال: «أن تُزانيَ حليلةَ جارك»، فأنزل الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ﴾ الآية[1].

وقال القشيري رحمه الله: من النفوس المحرَّمة نفسك المسكينة، وقتلُها بغير حقٍّ تمكينُك إياها من اتِّباع ما فيه هلاكُها، و:

إنَّ السفيه إذا لم يُنْهَ مأمور[2]

ثم قوله: ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ دليلٌ على جواز قتلها بحقٍّ، وذلك بذبحِها بسكين المخالفات، وما فلاحُك إلا بقتل عدوِّك، وأعدى عدوِّك نفسُك التي بين جنبيك[3].

---

(١) رواه البخاري (٤٧٦١)، ومسلم (٨٦).

(٢) عجز بيت عزاه الثعالبي في «المنتحل» (ص: ١٠٤) للأحوص، وابن حمدون في «التذكرة الحمدونية» (٥/ ١٩٢) لجرير وليس في ديوانه، وعزاه المستعصمي في «الدر الفريد» (٥/ ٢٣٠) لعمارة بن عقيل، ودون نسبة في «البيان والتبيين» للجاحظ (١/ ٢٢٦) و(٣/ ٢٠٨)، و«جمهرة الأمثال» للعسكري (١/ ٥٢١)، وصدره:

بنـي هـلالٍ ألا فانهـوا سـفيهكم

وعند بعضهم: (بني عدي ألا يا انهوا...)، وفي رواية: (بني تَميم ألا فانهوا...). ووقع في «اللطائف»: (إن العبد إذا...)، وهو مخالف لما في المصادر كلها.

(٣) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٦٥٠ ـ ٦٥١).

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾: أي: هذه الأشياء الثلاثة ﴿يَلْقَ أَثَامًا﴾؛ أي: بجزاء إثمه، وقيل: الأثام: العقاب[١]، قال الشاعر:

جزى الله ابنَ عروة حيث أمسى عَقوقاً والعُقوقُ له أثامُ[٢]

أي: عقاباً[٣].

وقال قتادة: الأثام: النَّكال[٤].

وقال مجاهد: وادٍ في جهنم[٥] من قيحٍ ودمٍ فيه حياتٌ وعقاربُ كالبغال.

(٦٩) ـ ﴿يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا﴾: قرأ عاصمٌ في رواية أبي بكر برفع الفاء من ﴿يضاعفُ﴾ ورفع الدال من ﴿يَخلدُ﴾ على الاستئناف، وقرأ ابن عامر: ﴿يُضعَّفُ﴾ بالتشديد مرفوعاً، وقرأ الباقون بجزمهما على جزاء الشرط، إلا أنَّ ابنَ كثير يقرأ: ﴿يُضعَّفْ﴾ بالتشديد[٦].

ومعنى[٧] ﴿يُضَٰعَفْ﴾؛ أي: يُعذَّب على مرور الأيام في الآخرة عذاباً على عذابٍ.

وقال ابن جرير: ﴿يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ﴾ لاجتماع هذه المعاصي الثلاثة،

---

(١) في (أ): «وقيل أي عقاب الأثام العقوبة» بدل: «الأثام العقاب».

(٢) البيت لبلعاء بن قيس الكناني، كما في «مجاز القرآن» (٢/ ٨١)، و«تفسير الطبري» (١٧/ ٥٠٥)، وعزاه الفارسي في «الحجة للقراء السبعة» (٥/ ٣٥١) لمسافع العبسي نقلاً عن أبي عبيدة!

(٣) «أي: عقاباً» ليس في (أ).

(٤) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٠٩٨)، والطبري في «تفسيره» (١٧/ ٥١٤).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٥١٣).

(٦) انظر: «السبعة» (ص: ٤٦٧)، و«التيسير» (ص: ١٦٤). وقراءة ابن عامر مثل أبي بكر برفع الدال من (يخلد).

(٧) في (أ): «ومتى».

فيكون لكل معصيةٍ قسطٌ ﴿وَيَخْلُدْ فِيهِۦ﴾؛ أي: يبقى في العذاب ﴿مُهَانًا﴾؛ أي: مذلَّلًا مستخفًّا[١] به؛ كما قال: ﴿ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون: ١٠٨].

***

(٧٠) ـ ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ﴾: أي: رجع عن ذلك ﴿وَءَامَنَ﴾ بالله ورسوله ﴿وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾؛ أي: أتى بالطاعات.

وقيل: لما نزل هذا قال أصحاب رسول الله ﷺ: ما منا إلا وقد فعل هذا في الجاهلية، فأنزل الله تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ﴾[٢].

وقيل: نزلت في قوم من المشركين عملوا هذه الأشياء ثم جبُنوا عن الدخول في الإسلام خوفاً ألا يُقبل منهم[٣].

وقيل ـ وهو مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما ـ : نزلت في وحشيِّ بن حرب غلامِ مُطْعِم بن عدي بن عبد مناف ـ وقيل: غلامِ جُبير بن مُطْعِمٍ ـ وذلك أنه كتب إلى النبي ﷺ: إنك تدعونا إلى دينك وتقول: ومَن يَدْعُ مع الله إلهاً آخرَ، ويقتل النفس التي حرَّم الله، ويزنِ، فهو من أهل النار، وإني قد فعَلْتُ هذا كلَّه، فهل من توبةٍ؟ فأنزل الله تعالى قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾

---

(١) في (ر) و(ف): «مذللًا مستحقاً».

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٧٣٢) عن أبي مالك مرسلًا.

(٣) رواه مسلم (١٢٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنَّ ناسًا من أهلِ الشِّرك قَتلوا فأكثَروا، وزنَوا فأكثَروا، ثُم أتَوا محمدًا ﷺ، فقالوا: إنَّ الذي تقولُ وتَدْعو لحسَنٌ، ولو تُخبِرُنا أنَّ لِمَا عَمِلْنا كفَّارة، فنزَل: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾، ونزَل ﴿يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٣].

[النساء: ٤٨]، فقال: إن الله تعالى شرَطَ المشيئة، ولا أدري أيشاء الله تعالى بمغفرتي أم لا يشاء، فنزلت هذه الآية: ﴿مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ فقال: لعلي لا أصل إلى العمل الصالح، فأنزل الله تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٥٣] فقال: لا أرى[١] في هذا شرطاً، فجاء[٢] فأسلم[٣].

وقال تعالى: ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ﴾: قال الحسن: أي: في الدنيا يبدِّل الله العمل السيِّئ بالعمل الصالح: الشركَ إخلاصاً، والكفر إيماناً، والزنا عفافاً وإحصاناً[٤].

وقال قتادة: هو طاعةُ الله تعالى بعد عصيانه، وذكرُ الله بعد نسيانه، والخيرُ يعمله بعد الشر[٥].

وقال علي بن الحسين وإبراهيم وأبو يعلى[٦]: هو في الآخرة يجعل سيئاته حسنات[٧].

قال سلمان: يُعطَى رجل يوم القيامة صحيفةً فيقرأ أعلاها فإذا سيئاته أكثرُ، فإذا كاد يسوءُ ظنُّه ينظر في أسفلها فإذا حسناته، ثم نظر في أعلاها فإذا هي بدِّلت حسنات[٨].

---

(١) في (أ): «أدري».

(٢) في (ر): «يخاف».

(٣) رواه الطبراني في «الكبير» (١١٤٨٠). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢١٥): فيه أبين بن سليمان وهو ضعيف.

(٤) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٧٣٤).

(٥) المصدر السابق، الموضع نفسه.

(٦) في (أ): «وابن لعلي»، ولم أقف على قوله أو تعيينه.

(٧) رواه عن علي بن الحسين ابنُ أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٧٣٥).

(٨) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٧٣٤).

وروي مثلُه عن ابن مسعود.

وعن أبي عثمان النهديِّ رضي الله عنه: أن المؤمن يعطَى كتابه في سترٍ من الله تعالى فيقرأ سيئاته، فإذا قرأها تغيَّر لونه، حتى يمرَّ بحسناته فيقرؤها يرجع إليه لونه، ثم ينظر فإذا سيئاتُه قد بدِّلت حسناتٍ، فعند ذلك يقول: ﴿هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ﴾ [الحاقة: ١٩][(١)].

وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾: لمن تاب وإليه أناب.

* * *

(٧١) ـ ﴿وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا﴾: الأول ـ وهو قوله: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ﴾ ـ في حق المشرك، وهذا في حق المؤمن المذنب، يقول: ومَن تاب من ذنوبه وأتبعه عملاً صالحاً فإنه أيضاً قد تاب إلى الله، فله ما للأول من المغفرة والرحمة وتبديل السيئات حسنات.

وقيل بخلاف ذلك؛ قال عبد الرحمن بن زيد: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ الآية، قال: هذه صفة أصحاب رسول الله ﷺ، فقال المشركون: والله ما كان هؤلاء الذين مع محمد إلا معنا بالأمس في هذا، فأنزل الله: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ﴾ ثم قال لهؤلاء المشركين: ﴿وَمَنْ تَابَ﴾؛ أي: منكم ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ فإن له مثل ما لهؤلاء ﴿فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا﴾ لم تحظر التوبة عنكم[(٢)].

وقيل: ﴿فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ﴾؛ أي: يرجع إلى الله يوم القيامة وإلى ثوابه.

* * *

(٧٢) ـ ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾.

---

(١) رواه ابن المبارك في «الزهد» (١٤١٥).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٥٢١).

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾: قال قتادة: أي: الكذبَ[١].

وقال الضحاك: الشرك[٢].

وقال أيضاً: أعيادَ المشركين[٣].

وقال محمد بن الحنفية: الغناءَ واللهو[٤]، و(يشهد) بمعنى: يَحضر، ولذلك لم يقل: لا يشهدون بالزور؛ لأنه أداءُ[٥] الشهادة، ومَن حضر الزور شهد به أيضاً وثبت مقتضاه.

والزور: تمويهُ الباطل بما يوهِم أنه حقٌّ، والتزوير فعلُ ذلك.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾: اللغو: الفعل الذي لا فائدة فيه؛ أي: إذا مروا بقوم يفعلون أو يقولون ما لا يفيد مرُّوا مرَّ الكرام الذين لا يرضَون به، ويكرمون أنفسهم أن يدخلوا فيه أو يختلطوا بأهله.

وقال قتادة: أي: [لا] يساعدون أهلَ الباطل على باطلهم[٦].

وقال مجاهد: إذا مرُّوا بمن يؤذيهم صفحوا عنه[٧].

وقال ابن جرير[٨]: أي: إذا مروا بالباطل فسمعوه أو رأوه مروا كراماً[٩].

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٧٣٨).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٥٢٢).

(٣) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٧٣٧).

(٤) المصدر السابق، الموضع نفسه.

(٥) في (ر) و(ف): «لأنه ليس لأداء».

(٦) رواه يحيى بن سلام في «تفسيره» (١/ ٤٩٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٧٣٦).

(٧) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٥٢٤).

(٨) تحرف في (ر) و(ف) إلى: «جريج».

(٩) انظر: «تفسير الطبري» (١٧/ ٥٢٦).

والكرم في بعض ذلك ألا يسمعوه كالغناء.

وفي بعضه ألا يجيبوا وهو إذا سمعوا قبيحاً.

وفي بعضه أن ينهوا عنه بأن يروا منكراً.

وفي بعضه أن يضاربوا بالسيوف كقطع الطريق ونحوه.

ويقال: مات فلان كريماً؛ أي: مدافعاً عن نفسه وأهله وقومه، فلم يكن الكرم على وجه واحد.

***

(٧٣) ـ ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا۟ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا۟ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾: قال الفراء: أي: والذين إذا قرئ عليهم القرآن لم يقعدوا على حالتهم الأولى كأنهم لم يستمعوا ولم يروا قارئه، فذلك الخرور[١].

وقيل: ﴿لَمْ يَخِرُّوا۟﴾؛ أي: لم يلبثوا ولم يبقوا.

وقيل: لم يقعوا.

وقال القُتبي: أي: لم يتغافلوا عنها كأنهم صمٌّ وعميٌ[٢].

وقال الزجَّاج: خرُّوا سجَّداً وبكيًّا، ولم يخروا عليها[٣] صمًّا وعمياناً[٤].

وقيل: لم يكونوا كالذي ولَّى مستكبراً كأنْ لم يسمعها، بل كانوا من الذين يستمعون القول فيتَّبعون أحسنه، والذين إذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢٧٤).

(٢) انظر: «غريب القرآن» لابن قتيبة (ص: ٣١٥).

(٣) «عليها» من (أ).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٧٧).

(٧٤) ـ ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا﴾: أي: نسائنا ﴿وَذُرِّيَّاتِنَا﴾[1]: قرأ حمزة والكسائي على الواحد: ﴿وذرِّيتنا﴾؛ أي: ولدنا، وقرأ الباقون: ﴿وَذُرِّيَّاتِنَا﴾ على الجمع[2]؛ أي: أولادنا.

وقوله تعالى: ﴿قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾: وحَّد القرة لأنها مصدر، وهي بردُ دمعتها، وذاك من السرور.

وهذا الدعاء معناه: أن تريناهم مؤمنين مطيعين فبه يتم السرور والراحة، وهذا إن كان من الذين لم يُسلم أزواجُهم ولا أولادهم سؤالُ الإيمان، وممن أسلم أهاليهم وأولادهم سؤالُ الإبقاء على الإيمان.

قال جُبير بن نُفيرٍ: جلسنا إلى المقداد بن الأسود يوماً، فمرَّ به رجل فقال: طُوبى لهاتين العينين اللَّتين رأتا رسول الله ﷺ، والله لودِدْنا أنَّا رأينا ما رأيتَ وشهِدْنا ما شهدتَ، قال: فاستُغْضِب، فجعلتُ أعجبُ وما قال إلا خيراً، ثم أقبل إليه فقال: ما يحمل الرجلَ على أن يتمنَّى محضراً غيَّبه الله عنه لا يدري لو شهِدَه كيف كان يكون فيه؟ والله لقد حضر رسولَ الله ﷺ أقوامٌ كبَّهم الله على مناخرهم في النار لم يجيبوه ولم يصدقوه، أولا تحمدون الله إذ أخرجكم لا تعرفون إلا ربَّكم، مصدِّقين بما جاء به نبيُّكم، قد كُفيتم البلاء بغيركم، والله لقد بعث النبيُّ ﷺ على أشد حالٍ بعث عليها

---

(١) في (ف) و(أ): «وذريتنا».

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٤٦٧)، و«التيسير» (ص: ١٦٤). وقراءة أبي عمرو وأبي بكر بالإفراد كحمزة والكسائي.

نبيٌّ من الأنبياء في فترةٍ وجاهلية، ما يرون ديناً أفضلَ من عبادة الأوثان، فجاء بفرقانٍ فَرَق بين الحق والباطل، ففرَّق بين الوالد وولده حتى إنْ كان الرجل ليَرى والدَه أو ولدَه أو أخاه كافراً وقد فتح الله قلبَه للإيمان، يعلم أنه إن هلك دخل[1] النار، فلا تقرُّ عينه وهو يعلم أن حبيبه في النار، وإنها التي قال الله: ﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ ﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾: هو سؤالُ الرياسة في الدِّين على وَفق السؤال الأول، والإمام واحدٌ لكنه جنسٌ يصلح للجمع، وهذه درجةٌ علِيَّة، قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ [السجدة: ٢٤] وقال تعالى لإبراهيم عليه السلام: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾ [البقرة: ١٢٤].

وقال مجاهد: اجعلنا ممن يأتَمُّ بمن قبلنا حتى يأتمَّ بنا مَن بَعْدنا[3].

وقال أبو رَوق: واجعلنا للمتقين إماماً في الجنة.

وقيل: اجعلنا أئمةً للمتقين يومَ الدِّين نتقدَّمُهم[4] في المضي إلى الجنة.

***

---

(١) في (أ): «يعلم أن هلك ودخل»، وفي (ف) و(ر): «يعلم أن أهله قد هلك ودخل». والمثبت من المصادر.

(٢) خبر صحيح، رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢٣٨١٠)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٨٧)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٢٩٢)، والطبري في «تفسيره» (١٧/ ٥٣١)، وابن حبان في «صحيحه» (٦٥٥٢)، والطبراني في «الكبير» (٢٠/ ٢٥٣)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ١٧٥ ـ ١٧٦).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٥٣٢ ـ ٥٣٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٧٤٢).

(٤) في (ر) و(ف): «لتقدمهم».

(٧٥) ـ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوۡنَ فِيهَا تَحِيَّةٗ وَسَلَٰمًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ بِمَا صَبَرُواْ﴾: أي: هؤلاء يُجزون بأقوالهم وأفعالهم الغرفَ في الجنة بما صبروا على هذه الأخلاق، والغرفةُ جنسٌ يصلح للجمع، وقد قال تعالى: ﴿وَهُمۡ فِي ٱلۡغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ﴾ [سبأ: ٣٧] وقال تعالى: ﴿لَهُمۡ غُرَفٞ مِّن فَوۡقِهَا غُرَفٞ﴾ [الزمر: ٢٠].

وقال القشيري رحمه الله: استكثَرَ القليل من عباده فعدَّد أفعالهم في آيات، واستقلَّ الكثير من نفسه فعدَّ الجنة بما فيها على كثرتها غرفةً[١].

وقوله تعالى: ﴿وَيُلَقَّوۡنَ فِيهَا تَحِيَّةٗ وَسَلَٰمًا﴾: قرأ حمزة والكسائي بفتح الياء وتخفيف القاف، وهي قراءة عاصم في رواية أبي بكر؛ أي: يَرَوْن فيها ويَجِدُون فيها، وقرأ الباقون: ﴿وَيُلَقَّوۡنَ﴾ بضم الياء وتشديد القاف[٢]؛ أي: تلقِّيهم الملائكة ذلك؛ كما قال تعالى: ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ۝٢٣ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡ﴾ [الرعد: ٢٣ ـ ٢٤].

وقيل: يلقِّي بعضُهم بعضاً؛ كما قال تعالى: ﴿لَا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوٗا وَلَا تَأۡثِيمًا ۝٢٥ إِلَّا قِيلٗا سَلَٰمٗا سَلَٰمٗا﴾ [الواقعة: ٢٥ ـ ٢٦].

* * *

(٧٦ ـ ٧٧) ـ ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ حَسُنَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا ۝٧٦ قُلۡ مَا يَعۡبَؤُاْ بِكُمۡ رَبِّي لَوۡلَا دُعَآؤُكُمۡۖ فَقَدۡ كَذَّبۡتُمۡ فَسَوۡفَ يَكُونُ لِزَامَۢا﴾.

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٦٥٢) ولفظه: يعطي سبحانه الكثير من عطائه ويَعُدُّه قليلًا، ويقبل اليسير من طاعة العبد ويَعُدُّه كثيراً عظيماً، يعطيهم الجنة قصوراً وحوراً ثم يقول: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ﴾، ويقبل اليسير من العبد فيقول: ﴿فَجَآءَ بِعِجۡلٖ سَمِينٖ﴾ [الذاريات: ٢٦].

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٤٦٨)، و«التيسير» (ص: ١٦٥).

وقوله تعالى: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾: أي: في الغرفة ﴿حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾؛ أي ما أحسنَها موضعَ قرارٍ وإقامة! كما قال في صفة أهل النار: ﴿سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ [الفرقان: ٦٦].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾: قال مجاهد وابن زيد: ما يصنع بكم(١)، ختَم السورة بأن عرَّف المشركين حكمةَ خَلْقهم.

وقيل ما يريد بكم.

وقيل ما يبالي بكم.

وقيل: أيُّ حظٍّ(٢) لكم.

وقوله تعالى: ﴿لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾: أي: دعاؤه إياكم(٣)؛ أي: إلى التوحيد والطاعة، وقد دعاكم إليه على لسانِ محمد ﷺ.

وقيل: لولا عبادتُكم إياه؛ أي: لو لم يكن هذا مما يلزمُكم.

وقوله تعالى: ﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ﴾: رسولي الذي دعاكم فسوف يكون تكذيبكم عذاباً لازماً لكم، وذلك قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾: قيل: كان ذلك يومَ بدر(٤).

وقيل: هو عذاب الآخرة.

---

(١) رواه عنهما الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٥٣٦)، وعن مجاهد ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٧٤٥).

(٢) في (ر) و(ف): «وقيل خطر».

(٣) في (ر) و(ف): «إليكم».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٥٣٨ ـ ٥٣٩) عن ابن مسعود وأبي بن كعب وإبراهيم النخعي ومجاهد والضحاك.

وقال الضحاك: ﴿مَا يَعْبَؤُا﴾ بمغفرتكم لولا دعاؤكم معه إلهاً آخر ﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾[1].

والحمد لله رب العالمين

والصلاة على خير البرية وآله وصحبه[2] أجمعين، نسألك اللهم الإيمان تماماً، وإعطاءَك الجنة إنعاماً وإكراماً، وتفضلاً وجوداً وإحساناً وائتناما[3]، نأملُ[4] من الخير بلا نقصان، فلك الجود والفضل والامتنان، نجِّني وولدي من الخزي والهوان، وعن السلاسل والأغلال والنيران، وأنزلنا في جوارك في غُرفات الجنان، مع الأولاد والأخلَّاء والإخوان[5].

***

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ١٥٤) وزاد: بيانه قوله سبحانه وتعالى: ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ﴾ [النساء: ١٤٧].

(٢) «وآله وصحبه» زيادة من (ف).

(٣) في (ف): «واتناماً».

(٤) في (ر): «نؤمك».

(٥) من قوله: «والصلاة على خير البرية» إلى هنا ليس في (أ).

سُورَةُ الشُّعَرَاءِ

سُورَةُ الشُّعَرَاءِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

بسم الله الذي أنزل آيات الكتاب المبين، الرحمنِ الذي نصَر المرسلين وأهلك المكذِّبين، الرحيمِ الذي أمر نبيَّه بخفضِ جناحه لمن اتَّبعه من المؤمنين.

وروى أبي بن كعب رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «مَن قرأ سورة طسم الشعراء كان له عشرُ حسنات بعددِ مَن صدَّق بموسى وكذَّب به، وإبراهيم ونوحٍ وهودٍ وصالحٍ ولوطٍ وشعيب، وبعددِ مَن صدَّق بمحمد وكذَّب به»(١).

وهذه السورة مكيةٌ إلا أربعَ آيات نزلت بالمدينة: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ﴾ إلى آخر السورة، نزلت في حسان وكعب وابنِ رواحة(٢).

وهي مئتا آيةٍ وستٌّ وعشرون، وقيل: سبعٌ وعشرون(٣)، الاختلاف في قوله تعالى: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾ [الشعراء: ٢١٠](٤).

---

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ١٥٥)، وهو قطعة من الحديث الموضوع في فضائل السور، وقد تقدم الكلام عليه مراراً. وانظر: «الفتح السماوي» للمناوي (٢/ ٨٩٠)، و«الفوائد المجموعة» للشوكاني (ص: ٢٩٦).

(٢) هذا قول ابن عباس وعطاء. انظر: «البيان في عد آي القرآن» للداني (ص: ١٩٦).

(٣) «وقيل: سبع وعشرون» ليس في (أ). وفي المصدر السابق: «وهي مئتان وست وعشرون آية في المدني الأخير والمكي والبصري وسبع وعشرونَ في المدني الأول والكوفي والشامي».

(٤) وفي المصدر السابق: (اختلافها أربع آيات: ﴿طسٓمٓ﴾ عدها الكوفي ولم يَعُدَّها الباقون...) إلى آخر ما قال.

وكلماتُها ألف وثلاثُ مئة وتسعةَ عشرَ، وحروفُها خمسة آلاف وخمس مئة وسبعة وعشرون[١].

وانتظام أول هذه السورة بآخر تلك السورة:

أنه قال: ﴿لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ﴾ وكان الدعاء بآيات الكتاب المبين، وعلى لسان المصطفى الأمين، فلم يستجيبوا فشقَّ عليه، فقال له: ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾.

وقال: ﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ﴾، وقال هاهنا: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا۟﴾.

وقال ﴿فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًۢا﴾ وقال هاهنا: ﴿فَسَيَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾.

وانتظام السورتين: أن تلك السورة في بيان إنزال آيات الكتاب، وإرسالِ الرسول، والدعاءِ إلى التوحيد، ووعدِ الموحدين ووعيدِ الجاحدين، وكذلك هذه السورةُ، وفيها بسطُ القول بإرسال الرسول، وتكذيبِ الأمم، وعاقبةِ الفريقين.

* * *

(١) ـ ﴿طسٓمٓ﴾.

وقوله تعالى: ﴿طسٓمٓ﴾: قال ابن عباس رضي الله عنهما: هو قسمٌ أقسم الله تعالى به[٢].

وقال قتادة: هي فاتحة السورة[٣].

---

(١) وفي المصدر السابق: (كلمها ألف ومئتان وسبع وتسعون، وحروفها خمسة آلاف وخمس مئة واثنان وأربعون).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٥٤٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٧٤٧).

(٣) لم أجد هذا القول عن قتادة، والذي روي عنه في هذا هو قوله: (اسمٌ مِن أسماءِ القرآن)، رواه يحيى بن =

وقال مجاهد: هي اسم هذه السورة[١].

وقال الحسن: هي أسماءُ الله مقطَّعة الحروف[٢].

وقال محمد بن كعب القرظي: أقسم الله تعالى بطَوله وسنائه وملكه[٣] أنه لا يعذب أحداً من هذه الأمة عاد إليه بلا إلهَ إلا الله مخلصاً من قلبه.

وروى عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهم أنه قال: عجزت العلماء عن علم تفسيرها[٤].

وقيل: طا: شجرة طوبى، سين: سدرةُ المنتهى، ميم: محمد المصطفى، أقسم الله بها.

= سلام في «تفسيره» (٢/ ٤٩٥)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (٢١٠٦)، ومن طريقه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٥٤٢)، ومن طريق آخر ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٧٤٧) وزاد: أقسم به ربك، وكذا ذكره بهذه الزيادة يحيى بن آدم في رواية أخرى عن قتادة، والثعلبي في «تفسيره» (٧/ ١٥٦) وزاد نسبته لأبي روق. وأما ما ذكره المؤلف فقد روى نحوه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٧٤٧) عن الحسن قال: فواتحُ افتتَح اللهُ بها كتابَه، أو: القرآن. ونحو ذلك ذكر عنه يحيى بن سلام أنه قال: لا أدري ما تفسيرُها غيرَ أنَّ قومًا من السَّلفِ كانوا يقولون فيها وأشباهِها: أسماءُ السُّور ومَفاتِحُها. وكذا روى الطبري في «تفسيره» (١/ ٢٠٥) عن مجاهد في أمثالها أنها فواتح افتتح الله بها.

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ١٥٦).

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ١٦٤) دون عزو، وقد ذكرنا قريباً ما روي فيها عن الحسن.

(٣) إلى هنا ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ١٥٦)، والواحدي في «البسيط» (١٧/ ٨)، والبغوي في «تفسيره» (٦/ ١٠٢). وروى عنه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٧٤٧) قوله: الطَّاءُ من الطَّولِ، والسِّينُ مِن القُدُّوسِ، والميمُ من الرَّحمن.

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ١٥٦)، والواحدي في «البسيط» (١٧/ ٨)، والبغوي في «تفسيره» (٦/ ١٠٢).

وقيل طا: طوبى للمؤمنين، سين: سلام على المؤمنين، ميم: مملكة المؤمنين.

وقيل طا: طهارة أبدان الصالحين، سين: سلامة قلوب الزاهدين، ميم: مشاهدة أرواح العارفين.

وقيل: طا: طرب المشتاقين، سين: سرور[1] العارفين، ميم: مناجاة المحبين.

وقيل: طا: طُول قيام المصطفى في خدمة ربِّ العالمين، سين: سؤالُ عفو الأمة من ربِّ العالمين، ميم: مقامه المحمود في شفاعة الخلق من رب العالمين[2].

***

(٢) ـ ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾: أي: هذه آيات.

وقيل: ﴿تِلْكَ﴾ الآيات التي تقدَّم نزولُها ﴿ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ﴾؛ أي: القرآن ﴿ٱلْمُبِينِ﴾: المظْهِرِ دلائلَ وحدانيتنا، وصدقَ رسالتك، وما بالناس إليه حاجة.

***

(٣ ـ ٤) ـ ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾: أي: قاتلٌ نفسك، وهو مثَلٌ لحرصه على إيمانهم.

وقيل: لتأسُّفه على كفرهم؛ قال تعالى في سورة الكهف: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ [الكهف: ٦].

---

(١) في (أ): «سهر».

(٢) بعدها في (ر): «ميم مقامه المحمود الذي وعده أيضاً».

وقيل: شفقةً عليهم.

وقيل غضباً لله، وهو كقوله: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ﴾ [فاطر: ٨].

وقوله تعالى: ﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ﴾: أي: صارت رقابهم لنا خاضعةً منقادةً، وجمع بالياء والنون؛ لأنه وصفها بالخضوع وهو صفةُ مَن يعقل.

وقيل: الأعناق: الكُبَراء والسادة، يقال: هؤلاء وجوه القوم وأعناقُ القوم، يعني: إذا أسلم القادة أسلم الأتباعُ تَبَعاً لهم.

وقيل: الأعناق: الطوائف، وفي الخبر: «يخرج عنقٌ من النار»[1]؛ أي: قطعةٌ وطائفة.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: ومعناه: إن يشأ إيمانهم ينزل[2] عليهم من السماء آية فيؤمنوا[3]، والمعتزلة حملوا ذلك على مشيئة القهر وآيةِ الاضطرار[4]، وهو باطل لأن الآية لا تَضطرُّ إلى الإيمان بدون الاختيار؛ قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾ الآية [الأنعام: ١١١]، ولأنهم يقولون يوم القيامة: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣] ولا آية فوق رؤية أحوال يوم القيامة[5].

* * *

(١) قطعة من حديث رواه الترمذي (٢٥٧٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وقال: حسن غريب صحيح.

(٢) في (أ): «نشأ إيمانهم ننزل».

(٣) في (أ): «يؤمنوا» وفي (ر) و(ف): «فآمنوا به»، والمثبت من «التأويلات».

(٤) في (ف): «وأنه للاضطرار».

(٥) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٨/ ٤٩).

(٥ ـ ٦) ـ ﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ ۝٥ فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنبَاؤُا مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ﴾: من وعظٍ في القرآن ﴿مُحْدَثٍ﴾ في النزول والوصول.

وقيل: ﴿مِّن ذِكْرٍ﴾: من شرف يحصل لهم؛ لأنهم إذا قبِلوه وعملوا به صار به لهم ذكرٌ في الناس.

﴿إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ﴾: مولِّين على عادتهم.

وقوله تعالى: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا﴾: أي: أقاموا على التكذيب ﴿فَسَيَأْتِيهِمْ أَنبَاؤُا مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾؛ أي: أخبارُ ما استهزَؤوا به وهو القرآن، وإتيانُ الخبر عبارةٌ عن حلول العقوبة، يقول: تفعل كذا وسيبلغك الخبر عن فعلك.

وقيل: فسيأتيهم وهم في النار أخبارُ الذين آمنوا بما كانوا هم به يستهزؤون؛ أي: خبرُ كرامتهم في الجنة.

وقيل: إتيان الخبر: وصول الوعيد عند الموت، أو عند البعث، أو قبل الوصول إلى العذاب.

وقيل: هو الإخبار بظهور هذا الدِّين وانتشارِ أحكام هذا القرآن الذي كانوا به يستهزؤون.

وقيل: سيأتيهم يومَ بدر.

قال مقاتل: نزل قوله: ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ في أبي جهل بن هشام وأميةَ بن خلفٍ وأبيِّ بن خلف[1]، آذَوْا رسولَ الله ﷺ فضاق بأذاهم

(١) «وأبي بن خلف» ليس في (ف).

صدره، فنزلت عدة آيات: ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ﴾ ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ﴾ [الكهف: ٦] ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكُۢ بَعۡضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ وَضَآئِقُۢ بِهِۦ صَدۡرُكَ﴾ [هود: ١٢] ﴿وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدۡرُكَ﴾ [الحجر: ٩٧][1].

* * *

(٧ ـ ٨) ـ ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ كَمۡ أَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجٖ كَرِيمٍ ۝٧ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ كَمۡ أَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجٖ كَرِيمٍ﴾: أي: صنفٍ حسنٍ ولونٍ حسنٍ[2] نفيسٍ مما يأكله الناس والأنعام، أفلا يعلم هؤلاء المكذبون بهذا الذكر أن ذلك لم يُخلق عبثاً وإنما خُلق لصلاح معاشهم قِواماً لهم مدةَ مقامهم في دار الامتحان.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ﴾: أي: إن في إنبات كلِّ زوجٍ كريم لعلامةً لوجوب شكره عليكم وإقراركم له بالوحدانية وإخلاصِ العبادة.

﴿وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ﴾: وقد سبق في علمي وإرادتي أنَّ أكثر هؤلاء المشركين لا يؤمنون.

* * *

(٩ ـ ١١) ـ ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٩ وَإِذۡ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئۡتِ ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٠ قَوۡمَ فِرۡعَوۡنَۚ أَلَا يَتَّقُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ﴾: المنيع الذي لا يغالَب، فليس بعَجْزِه وضَعْفِه طالت مدةُ هؤلاء في الشرك والعُتُوِّ.

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٢٥٨).

(٢) «حسن» ليست في (أ).

قوله: ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾: فلا يعجِّل بعقوبتهم إذ لا يَخاف الفَوْت، ويَقبل توبةَ مَن تاب منهم قبل الموت، ومن رحمته أيضاً إرسالُ الرسل وإنزالُ الكتب لإرشادهم، وتنبيههم[1] على صلاحهم وفسادهم.

وقيل: ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾: المنتقِمُ من أعدائه ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾: المنعِم على أوليائه.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ﴾: أي: واذكُر يا محمد لقومك إذ دعا ربُّك موسى، يعرِّفه بقصة موسى وما بعدها من قصص سائر الأنبياء، وأن الله واصَلَ الحجج لعباده ودعاهم إلى توحيده وطاعته، والأنبياءُ صبروا على أذى الأمم، فكان النصرُ والفرج للموافِقين والهلاكُ والعقوبة على المخالفين، فكذلك أنت وقومك.

وقوله تعالى: ﴿أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: أي: قال له ذلك ﴿قَوْمَ فِرْعَوْنَ﴾ بدلٌ وترجمةٌ عن الأول، ذكَر في بعض الآيات الإرسال إلى فرعون لعنه الله، وفي بعضها إلى فرعون وملئه، وبيَّن هاهنا أنه كان مبعوثاً إلى كلِّ قومه.

وقوله تعالى: ﴿أَلَا يَتَّقُونَ﴾: استفهامٌ بمعنى التوبيخ، وهي كلمة استبطاءٍ[2] وحثٍّ.

* * *

(١٢ ـ ١٤) ـ ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِى وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَهُمْ عَلَىَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ﴾: أي: لا يصدِّقوني فيردُّوا أمرك.

وقولـه تعالـى: ﴿وَيَضِيقُ صَدْرِى﴾: أي: بتكذيبهـم ﴿وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى﴾ بضيـقِ صدري.

---

(١) في (ر) و(ف): «وتثبيتهم».

(٢) في (ر): «استيصاء» وليست من (ف).

وقوله تعالى: ﴿فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ ۝١٣ وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنبٌ﴾: أي: اجعله رسولاً معي، وعوناً لي، وشرحاً لصدري، وإطلاقاً للساني، وتقويةً لي على القيام بأمرك على الوجه.

وقيل: يضيق صدري غضباً لك، وإذا اشتدَّ الغضب ضاق الصدر ولم ينطلق اللسان.

وقوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنبٌ﴾: أي: دعوَى ذنبٍ بقتلِ القِبْطيِّ بالوكزة دفعاً عن السِّبطي.

وقوله تعالى: ﴿فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ﴾: بذلك فاكْفِني فلا كافي إلا أنت.

* * *

(١٥) ـ ﴿قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ﴾.

﴿قَالَ كَلَّا﴾: أي: قال الله تعالى: لا يقدرون على قتلك.

وقوله تعالى: ﴿فَاذْهَبَا﴾: أي: اذهب أنت وأخوك فقد أجبتُك إلى ما سألتَ مِن ضمِّه إليك.

وقوله تعالى: ﴿بِآيَاتِنَا﴾: أي: ببراهيننا، وهي اليد والعصا وغيرُ ذلك و﴿بِآيَاتِنَا﴾؛ أي: مع آياتنا، كقولك: دخل بسيفه؛ أي: مع سيفه.

وقيل: أي: فاذهبا وأنا أُمِدُّكما بآياتي؛ أي: حُججي عند المحاجَّة.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ﴾: أي: أنا معك ومع هارون ومع فرعون وملئه سامعٌ لِمَا يجري عليكم و[1] بينكم، لا يخفى عليَّ شيءٌ من ذلك، والاستماعُ

---

(١) «عليكم و» ليست في (أ).

في غير هذا الموضع[١]: الإصغاء للسماع، ولا يجوز حملُه هاهنا على ذلك فحُمل على السماع، والافتعالُ بمعنى الفعلِ كثيرٌ؛ يقال: كتب واكتَتب، وسلب واستَلب، وخطف واختَطف، ونهب وانتَهب.

***

(١٦ ـ ١٧) ـ ﴿ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦) أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾: إنما وحَّد لأنه في معنى الرسالة، وهي مصدرٌ فلا تثنَّى، قال الشاعر:

لقد كذَب الواشون ما بُحتُ عندهمُ ... بسرٍّ ولا أرسلتُهم برسولِ[٢]

أي: برسالة.

وقوله تعالى: ﴿أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾: أي: بأنْ أطلق بني إسرائيل عن الاستعباد، وخلِّهم يذهبوا حيث شاؤوا، وهو كإرسال الصيد وأهلِ القيد[٣].

***

(١٨ ـ ١٩) ـ ﴿ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ (١٨) وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا ﴾: أضمر هاهنا: فأَتَياه فقالا له ذلك، فقال:

---

(١) في (ر): «الوضع» وليست في (أ).

(٢) البيت لكثيِّر. انظر: «ديوانه» (ص: ٢٧٨)، و«تفسير الطبري» (١٧/ ٥٥٤)، ورواية الديوان: (بليلى) بدل «بسر»، و(برسيل) بدل «برسول».

(٣) في (ر): «وحل القيد» وليست من (ف).

﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ﴾؛ أي: أليس قد أخذناك من اليمِّ فاسترضعنا لك وغذوناك ﴿فِينَا﴾؛ أي: بيننا و[١]في منازلنا ﴿وَلِيدًا﴾: طفلاً مولوداً.

وقوله تعالى: ﴿وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ١٨ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِى فَعَلْتَ﴾: كنايةٌ عن قتلِ القِبْطي.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾: من أهل كفران نعمتي؛ إذ قتلت رجلاً من شيعتي.

وقيل: أي: وأنت الآن تكفر نعمتي، وتدعوني إلى طاعتك، وتدَّعي أن لك إلهاً غيري، وتأمرني أن أُفسد عليَّ مملكتي بإرسال بني إسرائيل معك.

* * *

(٢٠ ـ ٢١) ـ ﴿قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ٢٠ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾: أي: ضربتُه وأنا من الجاهلين بما يَؤُول إليه الضرب، لم[٢] أعلم أنه يصير قتلاً[٣]، والضالُّ عن الشيء هو الذاهب عن معرفته.

وقال نفطويه: أردتُ أمراً فضلَلْتُ عنه.

وقوله تعالى: ﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ﴾: أن تقتلوني، وذلك حين[٤] قال له

---

(١) «أي: بيننا و» ليس في (ف).

(٢) في (ف): «لا».

(٣) في (ر): «قتيلًا».

(٤) في (ف): «لما».

مؤمن من[(١)] آل فرعون: ﴿إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ﴾ الآية [القصص: ٢٠]، ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ [القصص: ٢١].

﴿فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا﴾: أي: نبوَّةً؛ لأن صاحبها يَحكم على الناس بشرائع الدِّين فيَلزمُهم طاعتُه.

وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾: أرسلني إليك وإلى قومك.

***

(٢٢) ـ ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾: قال الفراء: هذا إقرارٌ من موسى لفرعون بمنَّته بما ربَّاه.

وقوله تعالى: ﴿أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾: أي: استعبَدْتهم ولم تستعبِدْني، بل ربَّيتني في دارك وأدخلتَني في جملةِ أهلك، قال: ومثاله: أن يضرب الرجلُ أحدَ عبديه ويتركَ الآخرَ، فيقولَ المتروكُ: هي نعمةٌ عليَّ أن ضربتَ فلاناً وتركتَني، ثم تُحذف: وتركتني؛ لأن المعنى قائمٌ معروف[(٢)].

ثم تقريب هذا الكلام: أن المنَّة تقتضي شكراً ومقابلةً بالجميل، فإذا نبَّهتُك على رشدك، وخلَّصتُك من عذاب ربك، ودعوتُك إلى صلاح دينك ودنياك، فقد شكرتُك وقابلتُ نعمتك بما لا شيءَ أجملُ منه.

وقيل: هذا من موسى إبطالُ أن يكون ما امتَنَّ به عليه نعمةً، وفي أوله مضمر

---

(١) «من» من (أ).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢٧٩).

وهو استفهام، وتقديره: أوتلك نعمةٌ تمنُّها عليَّ أن اتَّخذتَ[١] بني إسرائيل عبيداً وهم أهلي ورَهْطي، ولو لم تفعل ذلك ولم تعبِّدهم لكفلني أهلي ولم يُلقوني في اليمِّ؟ فليس هذا موضعَ امتنانٍ منك، ولا موضعَ اعتقادٍ مني لك به[٢] منه.

وقيل: معناه: إنك أحبطت ما كان لك[٣] عليَّ من المنَّة حيث عبَّدْتَ قومي ورَهْطي، وهو كمَن يمنُّ على الرجل بشيءٍ يسيرٍ بعد أن أساء إليه في أشياءَ كثيرة، فيقول: كيف تمنُّ عليَّ بأنْ وهبتَني درهماً وقد أخذتَ مني ألوفاً؟!

وقيل: معناه: إنك تمنُّ عليَّ بأنِ استَعْبدْتَ بني إسرائيل حتى ربَّوني[٤] وهم قومي والحِراصُ على تربيتي، وذلك أن أمه هي التي أرضعَتْه والذين ربَّوه من ذويها[٥] فهم مِن نساء بني إسرائيل دون نساء القبط، فقال له: أيُّ مِنَّةٍ لك عليَّ في التربية وإنما تولَّى ذلك مني مَن لو لم يكن أنت لكان هو يربِّيني.

ثم إن فرعون سار مع موسى إلى المساءلة في قوله: ﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٦] فقال له: ﴿وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ قيل: أراد به: أيُّ شيء هو؟ ومن أيِّ الأجناس هو؟ كأنه ظن أن الذي يذكُره موسى من أحد أجناس الأجسام، فأعرض موسى عن الجواب من هذا الوجه وسار إلى الدلالة على الله تعالى بأفعاله التي تشهدُ لذوي العقول على الصانع العالم القادر:

* * *

(١) في (أ): «عبدت».

(٢) في (أ): «مني له».

(٣) «لك» من (ف).

(٤) في (ف): «رموني».

(٥) في (ر) و(ف): «دونها».

(٢٤) ـ ﴿قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾.

﴿قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ﴾: أي: مدبِّر ذلك ومصرِّفه، فإليه أدعو لا إلى مَن له مائية[1].

وقوله تعالى: ﴿إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾: أي: إن كان قصدكم أن تعرفوا ربَّ السماوات حتى تُفيضوا إلى اليقين.

وقيل: إن كنتم موقنين بما تعاينونه، فربُّ العالمين ربُّها.

* * *

(٢٥ ـ ٢٦) ـ ﴿قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾.

فوقع عند فرعون أنه لم يجبه عما سأله، وأنه أخبره بشيء آخر[2] لم يعرف حقيقته[3]: ﴿قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ﴾: معجِّباً لهم من جواب موسى؛ أي: ألا تستمعون ما أسأله عنه وما يجيبني به.

فعاد موسى إلى مثل قوله الأول فـ﴿قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾: أي: هو خالقُكم ومصرِّفكم ومدبِّركم على ما يريد، وخالقُ آبائكم الأولين ومدبِّرهم

(١) المائية: الماهية، وهي حقيقة الشيء التي يسأل عنها بـ(ما). قال أبو البقاء في «الكليات» (ص: ٧٥٣): المَاهِيّة منسوبة إلى لفظ (ما) بإلحاق ياء النِّسْبَة بلفظ (ما)، ومثل (ما) إذا أُريد به لفظه تلحقه الهمزة، فأصلها: مائية؛ أي: لفظ يُجَاب به عن السُّؤال بـ(ما)، قلبت همزته هاء لما بينهما من قرب المخارج، أو الأصل: (ما هو)؛ أي: الحقيقة المنسوبة إلى (ما هو)، فحذف الواو للخفة المطلوبة وأبدلت الضمة بالكسرة للياء، ثمَّ عوض عن الواو التَّاء).

(٢) «آخر» ليست في (أ).

(٣) في (ف): «لم يعرفه حقيقة».

ومصرِّفهم؛ أي: ليس الطريق إلى معرفته ما سألتَني عنه من المائية(١)، إنما الطريق إلى معرفته الاستدلال عليه بما قلتُ.

* * *

(٢٧ ـ ٢٨) ـ ﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ (٢٧) قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾.

فلما رآه فرعون ثابتاً على مثل جوابه الأول لا يجيبه عن الماهية ﴿قَالَ﴾ لمن حوله: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾: يستهزئ به؛ يقول: إن هذا الذي يزعم أنه رسول الله أرسله إليكم لمجنونٌ لا يعقل ما يقال له، فهو يُسأل عن شيء ويجيب عن غيره.

فعاد موسى ثالثةً إلى مثل كلامه الأول بالدلالة على الله تعالى بأفعاله ﴿قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾: أي: ربُّ العالمين هو الذي يُطلع الشمس ويُغربها، وهو خالقهما ومصرِّفهما(٢) على هذا الانتظام والاتِّساق(٣) الذي ترونه وتشاهدونه(٤).

قوله تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾: ما يقال لكم، وكانت لكم عقولٌ تقفون بها على الكلام والمقصود، فربُّ العالمين هو المدلولُ عليه بهذه الأشياء؛ لظهور آثار الصَّنعة فيها، وشهادتِها أن لها صانعاً عالماً قادراً لا يُشبهها.

* * *

(٢٩) ـ ﴿قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾.

---

(١) في (ف): «الماهية».

(٢) في (ر): «خالقها ومصرفها».

(٣) في (ر) و(ف): «والأسباب».

(٤) في (ر): «الذي ترون وتشاهدون».

فلما أوضح موسى عليه السلام عمَّا أراد، ترَك مساءلة موسى إذ لم يتهيَّأ له أن يدفع ظهور آثار الصنعة مما ذكر، فاشتغل بتوعُّده بالحبس: ﴿قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾: أي: لأسجُنَنَّك مع مَن سجَنْتُهم لسعيهم في فساد مملكتي وتفريقِ شمل رعيتي.

وقيل: لمَّا قال موسى: ﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ سأل فرعون عن مقدار مُلك مَن أرسله على ما يُسأل[١] مثله من الملوك إذا وردت رسلهم، فيقول هذا: ما ملكُ[٢] صاحبك؟ أي: ما مقدار ملكه وسلطانه؟ فقال موسى صلوات الله عليه: هو ربُّ السماوات والأرض وما بينهما، فعجَّب جلساءه من جوابه وقال لهم: ألا تستمِعون ما يقول موسى من سَعة ملك مَن أرسله[٣]؟ أي: متى يكون هذا؟ فأوضح موسى ذلك وقال: ﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ وكان في هذا تضليلُ هؤلاء الذين يعبدون مِن دون الله، فكان هذا أشنعَ من الأول عندهم، وأبعدَ من وفاق فرعون فيما يدَّعي من الربوبية، فقال: هو مجنون إذ يزعم[٤] أن له إلهاً غيري، فيزداد موسى عليه السلام في بيانه فقال: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ فاعقِلوا وميِّزوا بين مَن يملك الدنيا كلَّها من شرقها إلى غربها وبين مَن لا يعدو ملكُه حدود مصر، فقال: ﴿لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِي﴾؛ أي: أصرَرْتَ على عبادة هذا لأجعلنك من أهل السجون، وكان إذا سجن أحداً لم يخرجه من سجنه حتى يموت فيه[٥]؛ قطعاً لإفساده.

* * *

(١) في (ر) و(ف): «سأل».

(٢) «ملك» من (ف).

(٣) بعدها في (ر) و(ف): «على ما سأل مثله».

(٤) «يزعم» ليست في (أ).

(٥) «فيه» ليست في (ر).

(٣٠ ـ ٣٢) ـ ﴿قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ (٣٠) قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ (٣١) فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ﴾: أي: أرأيت لو جئتُك بشيء يُبين لك صدقَ دعواي الرسالةَ وأنه ملك الملوك، أتجعلني من المسجونين إن عبدتُ هذا الإله؟ فلم يتهيأ له دفعه فـ﴿قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ في دعواك.

وقوله تعالى: ﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾: أي: فتحوَّلت عصاه ثعباناً أبانَ عن نفسه أنه ثعبان، وقال في آية أخرى ﴿كَأَنَّهَا جَآنٌّ﴾ [النمل: ١٠] والجان إلى الصغر ما هي، فالتوفيق بينهما: أنه صار ثعباناً في خلقته جانًّا في خفَّته.

***

(٣٣ ـ ٣٥) ـ ﴿وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ (٣٣) قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ (٣٤) يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَنَزَعَ يَدَهُۥ﴾ من كمِّه[1] ﴿فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ﴾ كالثلج ﴿لِلنَّٰظِرِينَ﴾: لمن نظر إليه.

﴿قَالَ﴾ فرعون ﴿لِلْمَلَإِ﴾؛ أي: للأشراف ﴿حَوْلَهُۥٓ﴾ ليلبِّس عليهم: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ﴾؛ أي: في السحر.

وقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ﴾: أي: يُلقيَ العداوةَ والفُرقة بينكم ويستميلَ بعضكم ليحارب به بعضكم فيُخرجَكم من بلادكم.

وقوله تعالى: ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾: أي: تشيرون به في أمره من حبسٍ أو قتلٍ أو غيرِ ذلك.

---

(١) «من كمه» من (أ).

(٣٦ ـ ٣٩) ـ ﴿قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ وَٱبۡعَثۡ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ۝٣٦ يَأۡتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٖ ۝٣٧ فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ ۝٣٨ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلۡ أَنتُم مُّجۡتَمِعُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ﴾[1]: أي: أخِّره، وقيل: احبِسْه ﴿وَأَخَاهُ﴾ هارونَ كذلك ﴿وَٱبۡعَثۡ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ﴾: أي: أمصارِ ملكك ﴿حَٰشِرِينَ﴾: رجالاً يَحشرون السحرة؛ أي: يَجمعون ويُحضرون ﴿يَأۡتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٖ﴾.

﴿فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ﴾: وها هنا مضمر: فأرسل فرعونُ في المدائن حاشرين فجمعوا لميقات يوم معلوم، وهو يومُ الزينة: يوم عيد أو[2] يوم نيروز كما مرَّ مرات.

﴿وَقِيلَ لِلنَّاسِ﴾: أي: أن أصحاب فرعون قالوا للناس: ﴿هَلۡ أَنتُم مُّجۡتَمِعُونَ﴾؛ أي: اجتمِعوا في هذا اليوم.

* * *

(٤٠ ـ ٤٢) ـ ﴿لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُواْ هُمُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ۝٤٠ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُواْ لِفِرۡعَوۡنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا إِن كُنَّا نَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ۝٤١ قَالَ نَعَمۡ وَإِنَّكُمۡ إِذٗا لَّمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ﴾.

وقوله: ﴿لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُواْ هُمُ ٱلۡغَٰلِبِينَ﴾: أي: إنَّ الغلَبة تكون لهم فاجتمِعوا لنتَّبعهم؛ أي: لنكون من جملتهم وعلى دينهم وهو دينُ فرعون، و(لعل) للتحقيق هاهنا؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾ [الحجرات: ١٠]؛ أي: لتُرحموا.

قوله: ﴿فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ﴾: أي: جاءوا فرعون ﴿قَالُواْ لِفِرۡعَوۡنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا﴾؛ أي: جزاءَنا بالخير ﴿إِن كُنَّا نَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبِينَ﴾ لموسى وهارون.

---

(١) في (ر) و(ف): «أرجئه»، والمثبت من (أ)، وهما قراءتان سبعيتان.

(٢) في (ر) و(ف): «و».

﴿قَالَ﴾ فرعون: ﴿نَعَمْ﴾ لكم جزاء عندي ﴿وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾؛ أي: وتكونون مع ذلك مقرَّبين عندي في المنزلة[1] والجاه، فتكونون أولَ مَن دخل عليَّ وآخِرَ مَن خرج.

وقيل: تدخلون عليَّ من غيرِ إذنٍ.

وقيل: تُقبل شفاعتكم فيمَن تشفعون لهم.

* * *

(٤٣ ـ ٤٥) ـ ﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُواْ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٤٣﴾ فَأَلْقَوْاْ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُواْ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُواْ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ﴾: أي: ما تريدون أن تُلقوه من الحبال والعصيِّ فستعلمون بطلانها وغلبةَ الحق.

﴿حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُواْ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾: قال القاسم بن أبي بَزَّة: كانوا سبعين ألفَ ساحرٍ، وألقوا سبعين ألفَ حبلٍ وسبعين ألفَ عصاً[2]، فجعلت تسعى، فتعاظم ذلك عندهم وتوهَّموا أنهم غلبوا موسى بكثرتها، فقالوا: ﴿بعزة فرعون إنا لنحن الغالبون﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ﴾: أي: بأمر الله تعالى ﴿فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾؛ أي: فصارت ثعباناً فجعلت تلتقِم ما أَلقَوه يوهمون به الانقلابَ زوراً وبطلاناً.

* * *

---

(١) في (أ): «المرتبة».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٣٥٨) و(١٦/ ١٠٦)، والثعلبي في «تفسيره» (٦/ ٢٥٣).

(٤٦ ـ ٤٩) ـ ﴿فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ (٤٦) قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٧) رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ (٤٨) قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ﴾: أي: لسرعة ما سجدوا صاروا كأنهم أُلقوا.

قوله تعالى: ﴿قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾: وكانوا حفظوا الاسم حين قال: ﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، فقال فرعون: تعنوني؟ فقالوا: ﴿رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾ وفيه إقرارٌ برسالتهما.

فلما رأى فرعون ذلك تحيَّر ﴿قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ﴾: أي: أصدقتم بذلك موسى ﴿قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ﴾ بذلك ﴿إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ﴾؛ أي: لأُستاذكم ﴿الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ﴾ وهذا تلبيسٌ منه على العامة، ثم قال: ﴿فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ وهذا تهديد.

وقوله تعالى: ﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾: أراد به ترهيبَ العامة لئلا يتَّبعوهم في الإيمان.

***

(٥٠ ـ ٥١) ـ ﴿قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ (٥٠) إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿قَالُوا لَا ضَيْرَ﴾: أي: لا نَعُدُّ ذلك ضرراً علينا، فإنه تعبُ ساعة ثم نصير إلى كرامة الله تعالى، وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ﴾.

وقيل: هل هو إلا أن تقتلَنا فتقلبنا[١] إلى ربنا؟

وقيل: إنَّا وأنت منقلبون إلى ربِّنا فيجزي كلًّا على عمله.

---

(١) في (أ): «فتنقلنا»، وفي (ف): «فيقبلنا».

وقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ﴾: المتقدمة ﴿أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ به وبرسوله في هذا المحفل، وقد مرت القصة وفوائدها مرات[1].

* * *

(٥٢ ـ ٥٣) ـ ﴿۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِىٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِىٓ﴾: أخبر بما آل إليه أمرُ فرعون وقومه من الهلاك بالغرق، وأمرُ موسى عليه السلام وقومه من العلوِّ والنصر، فقال: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِىٓ﴾؛ أي: سرْ ببني إسرائيل ليلاً، وسماهم عبادَه لإيمانهم بنبيِّه ﴿إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ﴾ أي: يتبعكم فرعون وقومه ليردُّوكم ويحاربوكم[2] إن لم تنصرفوا، وكان هذا بعد سنين من أمر السحرة.

﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ﴾: أي: ففعل ذلك موسى وخرجوا، فأُخبر فرعون بذلك فأرسل فرعونُ ﴿فِى ٱلْمَدَآئِنِ﴾؛ أي: أمصارِ عمله ﴿حَٰشِرِينَ﴾؛ أي: شُرطاً يحشرون الأجناد إليه للإنجاد.

* * *

(٥٤ ـ ٥٦) ـ ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ﴾: قال فرعون حيث تبعهم بجنوده ونظر إليهم فاستقلَّهم، وكانوا ستَّ مئة ألفٍ وسبعين ألفاً، قاله عبد الله بن مسعود رضي الله عنه[3]، وفرعون في ألفِ ألفِ فارسٍ.

---

(١) «مرات» ليست في (ف).

(٢) في (ر) و(ف): «ويجادلوكم».

(٣) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢١٩٦).

والشرذمة: العُصْبة الباقية من عُصَبٍ كثيرة.

وقيل: الطائفة، وشرذمة كل شيء: بقيتُه القليلة. قال الراجز:

جاء الشتاءُ وقميصي أخلاقْ شراذمُ يضحكُ منه التَّوَّاقْ[١]

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ﴾: فعلوا ما يَغيظنا ويُسخطنا، وهو خروجهم من مِصْرنا.

وقيل: بحَمْلهم الحليَّ التي استعاروها منَّا للعيد.

﴿وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ﴾[٢]: قرأ حمزة والكسائي وعاصم بالألف، والباقون: ﴿حَذِرون﴾ بغير ألف[٣].

ومعنى ﴿وَإِنَّا لَجَمِيعٌ﴾؛ أي: مجتمعون متفقو الآراء، قال تعالى: ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾ [الحشر: ١٤]، وقال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ﴾ [القمر: ٤٤].

﴿حَاذِرُونَ﴾ تامُّو السلاح، و﴿حَذِرُونَ﴾[٤]: ....

(١) في (أ): «النواق»، وهي رواية كما ذكر في «الصحاح» و«اللسان». والرجز دون نسبة في «العين» (٦/ ٣٠٢)، و«معاني القرآن» للفراء (١/ ٤٢٧) و(٢/ ٨٧)، و«تفسير الطبري» (١٧/ ٥٧٢)، و«الصحاح» (مادة: توق)، و«تفسير الثعلبي» (٧/ ١٦٤)، و«اللسان» (مادة: توق). قال الجوهري: تاقت نفسي إلى الشيء تَوْقاً وتَوَقاناً؛ أي: اشتاقَتْ، يقال: المرء تَوَّاقٌ إلى ما لم يَنَل، وأما قول الراجز: (جاء الشتاء...) فيقال: هو اسم ابنه، ويروى: (النوَّاق). وزاد في «اللسان»: وقيل: التَّوَّاق: الذي تَتُوق نفْسُه إلى كلِّ دناءة.

(٢) في (ف): «حذرون».

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٤٧١)، و«التيسير» (ص: ١٦٥). وقرأ ابن ذكوان أيضاً بالألف، واختلف عن هشام. انظر: «النشر» (٢/ ٣٣٥).

(٤) في (ر) و(ف): «حذرون» في الموضعين.

متيقِّظون متأهِّبون، وقوم موسى لا سلاح معهم، ولم يتأهَّبوا لمقاومتنا[١]، شجَّع بذلك قومه.

وقال العبدي: حَذِرون: عالمون بالحرب.

***

(٥٧ ـ ٥٨) ـ ﴿فَأَخْرَجْنَاهُم مِّن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۝٥٧ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَاهُم﴾: أي: فأخرجناهم من مصر فلم يرجعوا إليها ﴿مِّن جَنَّاتٍ﴾: بساتين ﴿وَعُيُونٍ﴾ كثيرة المياه ﴿وَكُنُوزٍ﴾ من ذهب وفضة.

﴿وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾: قيل: هو جمع مَقامةٍ، وهي مقاماتٌ كانت تقوم بها أشرافهم ورؤساؤهم في المحافل التي يجتمعون فيها لجلائل الأمور كما كانت العرب تفتخِر بذلك.

وقيل: هي منابر كانوا يَذكرون عليها ملكَهم فرعون ويُثنون عليه، وكان تكرَّم[٢] عليهم ذلك وتعظَّم.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: كان بمصر ألف منبر يُثْنون عليها على فرعون لعنه الله[٣].

وقيل: هي الدُّور الواسعة.

وقيل: هو المسكن الحسن الشريف.

---

(١) في (أ): «لمقاربتنا».

(٢) في (ف): «تلوم»، وفي (ر) تحتمل الوجهين.

(٣) ذكره النحاس في «معاني القرآن» (٥/ ٨٢)، ومكي في «الهداية» (٤/ ٥٢٥٢)، والسمعاني في «تفسيره» (١٣/ ١٠٥)، دون نسبة. وروى ابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» (٦/ ٢٩٨) عن ابن عباس في قوله: ﴿وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ قال: المنابر.

(٥٩ ـ ٦٠) ـ ﴿كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ (٥٩) فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ﴾: أي: كذلك كان الأمرُ أخرجناهم منها[١] ولم نُعِدْهم إليها.

وقوله تعالى: ﴿وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾: أي: وملَّكناها[٢] بعدهم قوم موسى، قيل: ردَّ بني إسرائيل إلى أرض مصر فسكنوها.

وقيل: ملكوها فنقلوا ما فيها وذهبوا به[٣] إلى الشام وسكنوا الشام.

وقيل: ملكوا بعد ذلك بلادَ مصر وكنوزَهم ومدائنَ فرعون، بعد ذلك بزمانٍ في عصر داود وغيره.

وقوله تعالى: ﴿فَأَتْبَعُوهُم﴾: أي: فلحقوهم؛ أي: لحق فرعون وقومُه قوم موسى. وقد تَبِعه؛ أي: قفا أثره، واتَّبعه؛ أي: لحقه.

وقوله تعالى: ﴿مُّشْرِقِينَ﴾: أي: حالَ شروق الشمس وهو طلوعُها.

وقد رَوَينا أن قوم فرعون اشتغلوا بدفنِ مَن كان مات من أبكارهم[٤] إلى أن انبسطت الشمس.

و﴿مُّشْرِقِينَ﴾ في الظاهر حال قوم فرعون، وقيل: هو حال قوم موسى.

---

(١) في (أ): «عنها».

(٢) في (ر): «ومكناها».

(٣) «وذهبوا به» ليس في (ف).

(٤) في (ر) و(ف): «بدفن موتاهم من أبكارهم». وقد تقدم في قصة موسى في الأعراف عن وهب: أن الطوفان هو الطاعون، فوقع فيهم ومات من أبكارهم في ليلةٍ ثمانون ألفاً، ومن أبكار الدوابِّ كذلك، واحتال فرعون فجمع بين أبكارِ القِبط وأبكارِ بني إسرائيل بين كلِّ بكرين بسلسلةٍ، فمات في الليل أبكارُ القبط دون أبكار بني إسرائيل.

وقيل في معناه: كان قوم فرعون في الضباب والظُّلمة وقومُ موسى في ضياءِ الشمس، فلحقوهم فوجدوهم في ضياء الشمس.

* * *

(٦١ ـ ٦٢) ـ ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ﴾: أي: تلاقى فصار كلُّ جمع يرى الجمع الآخر ﴿قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾؛ أي: قرُب قوم فرعون منَّا بحيث يدركوننا، خافوا ذلك.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ كَلَّآ﴾: أي: قال موسى: ليس كذلك، نفَى إدراكَهم إياهم، وفيه حجتُنا على نُفاةِ رؤية الله تعالى الذين يتعلَّقون بقوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] ويتأوَّلونه: لا تراه، فإنه نفى الإدراك مع إثبات الرؤية بقوله: ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ﴾ فعُلم أنه ليس هي، بل الإدراك هو الإحاطة بجوانب الشيء، وهم خافوا ذلك، وهو المنفي في قوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ دون الرؤية.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ مَعِىَ رَبِّى﴾: أي: ناصري على عدوِّي ﴿سَيَهْدِينِ﴾؛ أي: سيعرِّفني الطريق الذي في سلوكه نجاتي ونجاةُ مَن معي.

* * *

(٦٣) ـ ﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ﴾: هو بحر القُلْزُم[1].

---

(١) وهو المعروف اليوم بخليج السويس من البحر الأحمر. انظر: «معجم متن اللغة» (مادة: قلزم).

﴿فَانفَلَقَ﴾ وهاهنا مضمر؛ أي: فضرب فانفلق؛ أي: فانشقَّ فصارت فيه طرقٌ ﴿فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ﴾ من الماء ﴿كَالطَّوْدِ﴾ كالجبل ﴿الْعَظِيمِ﴾.

والفَرْق بالفتح: مصدرٌ؛ قال تعالى: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ﴾ [البقرة: ٥٠]، والفِرْق بالكسر: الاسم، كالقَشْر والقِشْر، والقَطْف والقِطْف؛ أي: ارتفع ماءُ كلِّ طريقٍ في الهواء فصار كجبلٍ، وكانوا اثني عشر سِبطاً، فصار اثني عشر فِرقاً، فسلك كلُّ سبطٍ فِرقاً فجاوزوه حتى أصحروا[1].

* * *

(٦٤) - ﴿وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ﴾.

﴿وَأَزْلَفْنَا﴾: أي: قرَّبنا ﴿ثَمَّ﴾؛ أي: هناك من البحر ﴿الْآخَرِينَ﴾؛ أي: قومَ فرعون، فدخلوه على أن يسلكوا فيه كما سلك موسى وقومُه، فانطمَّ[2] عليهم البحر وصارت الأفراق كلُّها شيئاً واحداً.

قال ابن عباس وقتادة رضي الله عنهم: ﴿وَأَزْلَفْنَا﴾؛ أي: قرَّبنا، قال تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ﴾ [الشعراء: ٩٠][3].

قال أبو عبيدة: أي: جمعنا، ومزدلفة مجمع[4].

وقال الحسن: ﴿وَأَزْلَفْنَا﴾؛ أي: أهلكنا[5]؛ أي: قرَّبْناهم إلى الهلاك.

---

(١) في (ر): «حتى أضجروا» وليست في (ف).

(٢) في (ر) و(ف): «فانضم». والمثبت من (أ)، وفي هامشها: «انطم كل شيء: كثر حتى علا وغلب».

(٣) رواه عنهما الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٥٨٦).

(٤) في (أ): «تجمع». وانظر: «مجاز القرآن» (٢/ ٨٧)، وفيه: (أي: وجمعنا، ومنه ليلة المزدلفة، والحجة فيها أنها ليلة جمع).

(٥) ذكره ابن قتيبة في «غريب القرآن» (ص: ٣١٧)، والماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (٨/ ٦١)، والنحاس في «معاني القرآن» (٥/ ٨٥).

(٦٥ ـ ٦٩) ـ ﴿ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ (٦٥) ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ (٦٦) إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ (٦٧) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ (٦٨) وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ ﴾: أي: قومه ﴿أَجْمَعِينَ (٦٥) ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴾: قومَ فرعون بعد إخراج قوم موسى، وفيه إبطالُ القول بتأثير الكواكب في الآجال وغيرها من الحوادث، فإنهم اجتمعوا في الهلاك مع اختلاف الطوالع.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ (٦٧) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾: قد فسَّرنا ذلك كلَّه غيرَ مرة.

وقوله تعالى: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴾: كان في عصر النبيِّ ﷺ أهلُ كتاب ومشركون، فحاجَّ أهلَ الكتاب بقصة نبيِّهم موسى، وحاجَّ المشركين بقصةِ أبيهم إبراهيم، فلذلك جمع بين القصتين.

﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ﴾؛ أي: واقرأ عليهم خبر إبراهيم.

* * *

(٧٠ ـ ٧٢) ـ ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ (٧٠) قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ (٧١) قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴾.

﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ ﴾: آزر ﴿وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴾؛ أي: أيَّ شيء تعبدون؟

﴿ قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا ﴾: تماثيلَ ممثَّلةً ﴿فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴾؛ أي: نقيم على عبادتها وخدمتها طول النهار، هذا ظاهر الكلمة، ويجوز أن يكون عبارة عن: فنكون، كما تستعمل كلمة أصبح وأمسى في معنى: صار وكان.

فـ﴿ قَالَ ﴾ إبراهيم منبِّهاً لهم على ضلالتهم وجهالتهم: ﴿هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ ﴾؛ أي:

هل يجيبونكم ﴿إِذْ تَدْعُونَ﴾؟ قال قتادة: أي: هل تجيبكم آلهتكم إذا دعوتُموهم[1].

وقال عكرمة: هل يسمعون أصواتكم[2].

وقال أبو عبيدة: هل يسمعون دعاءكم[3].

وقال قطربٌ: هو كقولك: سمعته يشتم زيداً، ونظيره قوله: ﴿فَاسْمَعُونِ﴾ [يس: ٢٥] ﴿إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا﴾ [آل عمران: ١٩٣] ﴿سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ﴾ [الأنبياء: ٦٠]، ويستعمل باللام أيضاً: سمع الله لمن حَمِده، وبـ(مِن)؛ يقال: سمع منه.

* * *

(٧٣ ـ ٧٤) ـ ﴿أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ﴾: ﴿يَنفَعُونَكُمْ﴾: يرزقونكم على عبادتهم ﴿أَوْ يَضُرُّونَ﴾: يعاقبونكم على ترك العبادة، وجمع هذه الأفعال بالواو والنون لأنها من صفاتِ مَن يَعقل.

﴿قَالُوا بَلْ﴾: أي: لا تسمع ولا تُبصر، ولا تنفع ولا تَضُر، ولسنا نعبدها لشيء من ذلك، ولكن ﴿وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾: يعبدون هذه الأصنام فقلَّدناهم.

* * *

(٧٥ ـ ٧٧) ـ ﴿قَالَ أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ

---

(١) رواه عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» (٦/ ٣٠٥).

(٢) رواه ابن المنذر كما في «الدر المنثور» (٦/ ٣٠٥).

(٣) انظر: «مجاز القرآن» (٢/ ٨٧).

عَدُوٌّ لِّيٓ﴾: أي: كلُّ ما عبدتُموهم أنتم وعبدَه آباؤكم الأقدمون في سالف الدهر ـ و(الأقدم) تفضيل القديم، وهو الأجداد وآباء الأجداد ـ فإني أعاديهم؛ أي: أجتنبُ عبادتهم وتعظيمَهم.

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾: فإني أعبده وأعظِّمه، لا أعبد غيرَه ولا أعظِّم سواه.

وذكرُ الأقدمين على معنى: أنه ليس في تقليد الآباء حجةٌ، فإن كانوا قروناً فكيف الآباء الأدنَون[1].

والعدو: اسم للمعادِي والمعادَى جميعاً، ونظير قوله: ﴿فَإِنَّهُمۡ عَدُوٌّ لِّيٓ﴾ قولُ اليهود لجبريل عليه السلام: هو عدونا من الملائكة، وقول الله: ﴿مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّلَّهِ﴾ الآية [البقرة: ٩٨] وقال تعالى: ﴿ٱلۡأَخِلَّآءُ يَوۡمَئِذِۭ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٦٧] فوقع على المعادِي والمعادَى جميعاً.

وقيل: معناه: افعل بهم من الاستحقاق ما لو كانوا أحياءً عقلاءَ لعادَوني.

وقيل: أي: لو عبدتُهم لكانوا أعداءً لي يوم القيامة، كما قال: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةٗ﴾ [مريم: ٨١] إلى قوله تعالى: ﴿وَيَكُونُونَ عَلَيۡهِمۡ ضِدًّا﴾ [مريم: ٨٢]؛ أي: يتبرَّؤون من عبَدتهم ويضلِّلونهم.

وقال الضحاك: ﴿إِلَّا رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾؛ أي: إني بريء من الآلهة التي تعبدون كلِّها إلا ربَّ العالمين فإني لا أتبرَّأ منه.

وقيل: هو استثناء منقطع بمعنى: لكن.

وقيل: بل هو استثناء متصل، وقد كان في أبائهم مَن يَعبد الله فاستثنى ذلك.

---

(١) في (ف): «الأقدمون».

وقيل: كان هؤلاء يعبدون الله ويعبدون الأصنام على الاشتراك، فتبرَّأ من كلِّ ما يعبدونه واستثنى ربَّ العالمين مما يعبدونه فصحَّ الاستثناء.

وقيل: إنهم لم يعبدوا الله العبادة المعروفة، فقد قالوا: إن الله خالقهم ورازقهم، فكانوا مُقرِّين بالعبودية من هذا الوجه.

وقيل: كانت آثار العبودية عليهم ظاهرةً، فاستثنى من هذا الوجه.

* * *

(٧٨ ـ ٧٩) ـ ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ۝٧٨ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى﴾: أي: أَوْجدني ولم أكُ شيئاً ﴿فَهُوَ يَهْدِينِ﴾؛ أي: يرشدني ويوفِّقني لصواب القول والعمل.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ﴾: أي: يرزقني ما أتغذَّى به وأقيمُ به بدني مدةَ حياتي.

* * *

(٨٠ ـ ٨٢) ـ ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ۝٨٠ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ۝٨١ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾: أضاف المرض إلى نفسه؛ لأنه في موضعِ عدِّ نعم الله ومنَّته عليهم[١]، فكان الأدبُ في ألا يضيف المكروه إلى المنعِم.

وقوله تعالى: ﴿فَهُوَ يَشْفِينِ﴾: ليس معناه أنه يشفيني لا محالةَ، لكن معناه: إذا مرضتُ ثم شُفيت فالله هو الذي شفاني دون غيره.

---

(١) في (أ): «منن الله عليه» بدل: «نعم الله ومنته عليهم».

وقوله تعالى: ﴿ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴾: أي: هو مالكُ إماتتي وإحيائي بعد موتي.

وقوله تعالى: ﴿ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴾: تلطَّف في سؤال المغفرة، وأَحسنَ في الثناء على الله، ونبَّه المشركين على ضلالتهم في عبادة الأصنام، وقال: معبودي هو الذي إن أخطأتُ كان هو الذي أرجو منه المغفرة لسَعة رحمته، فلا حاجة لي إلى عبادة شيء من دونه أرجو أن يشفع لي عنده يومَ الدين؛ أي: يوم الحساب والجزاء.

ومنهم مَن حمل الخطيئة على كلماته الثلاث: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ [الصافات: ٨٩] ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾ [الأنبياء: ٦٣] «هذه أختي»[١]، ولم تكن هذه الكلمات خطيئات، وهي معاريضُ جائزة، لكن معناه ما ذكرنا: أنه ليس لتحقيق الخطيئة، لكن لرجاءِ المغفرة منه لو وقع في الخطيئة ما يقع[٢] من الأنبياء مما يعاتَبون عليه، فهو زلةٌ فليس بذنب ولا معصية، وقد عُرف ذلك في موضعه إن شاء الله تعالى.

* * *

(٨٣ ـ ٨٤) ـ ﴿ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا ﴾: وهو دوامُ العلم والفهم، فقد كان أعطاه الحكمَ وهو العلمُ والفهم، فكان هذا سؤالَ الإدامة كما في قوله تعالى: ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾.

---

(١) رواه البخاري (٢٢١٧)، ومسلم (٢٣٧١)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) في (ر) و(ف): «ما لم يقع»، وفي (أ): «ثم ما نفع». ولعل المثبت هو الصواب.

وقيل: هذا سؤالُ صواب[١] الحكم الذي يَحكم به، وقبولِ ذلك في قلوب الخلق.

وقوله تعالى: ﴿وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾: أي: الأنبياء؛ أي: توفَّني على ما توفَّيْتَهم.

﴿وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾: أي: وأَبْقِ لي الثناء الحسن على ألسنةِ عبادك إلى آخِر الدهر، ففعل الله تعالى له ذلك، فكلُّ أهل الأديان يتولَّونه وينتسبون إليه.

وقيل: معناه: أي: اجعل في آخر الزمان من ذريتي مَن يقولُ بالحق، ويقومُ بالدِّين، ويدعو الناس إليه، وذلك راجعٌ إلى نبيِّنا محمد ﷺ؛ قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ﴾ [الزخرف: ٢٨].

* * *

(٨٥ ـ ٨٧) ـ ﴿وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ (٨٥) وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ (٨٦) وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ﴾: أي: من الباقين فيها.

وقوله تعالى: ﴿وَاغْفِرْ لِأَبِي﴾: أي: اجعله أهل المغفرة بإعطاء الإسلام.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ﴾: للحال، رجا إسلامه فسأل الله تعالى أن يعطيَه ذلك، وكان وعَدَه مِن نفسه ذلك، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ﴾ الآية [التوبة: ١١٤].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾: أي: لا تخجلني بتقصيري يوم القيامة.

وقيل: أي: لا تطالبني بصدق الخلة.

فاستجاب الله دعواته فقال: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ﴾ [الأنعام: ٨٩]،

---

(١) في (أ): «جواب».

وقال: ﴿وَإِنَّهُۥ فِي ٱلْآخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [البقرة: ١٣٠]، وقال: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ [مريم: ٥٠]، وقال: ﴿أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥]، وقال: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ﴾ [التحريم: ٨].

* * *

(٨٨ ـ ٨٩) ـ ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾: كما ينفع في الدنيا ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ استثناء منقطع بمعنى لكنْ، يعني لكنْ[1] مَن أتى كذلك نَفَعه.

﴿بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾؛ أي: سالم عن الشرك والنفاق، فالسليم: المخلِص، والميت: الكافر، والمريض: المنافق؛ تشبيهاً بسلامة البدن ومرضه وموته.

وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «القلب السليم: المتبرِّئ من بغضِ أهل بيتي وأصحابي وأزواجي»[2].

وقال الحسين بن الفضل رحمه الله: بقلبٍ سليمٍ من آفة المال والبنين.

وقال الجنيد: السليم في اللغة: اللَّديغ[3]، وهو لا يستقرُّ، فالقلب السليم: الذي أقلقه الحب فلا يستقر.

وقال الأستاذ أبو القاسم بن حبيب: القلب السليم: الذي سلِم من ذكر غيرِ الله، وسلَّم لأمر الله، وأسلم نفسَه إلى الله، وسالم ربه ـ أي: رضي بقضاء الله ـ، واستسلم؛ أي: انقاد لحكم الله.

وقال مقاتل بن حيان: ﴿سَلِيمٍ﴾؛ أي: خالص[4] من حب الدنيا.

---

(١) «لكن» من (أ).

(٢) لم أقف عليه.

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ١٧١).

(٤) بعدها في (ر) و(ف): «وخلص».

وقيل: هو السالم عن الهوى والبدعة.

وقيل: هو السالم من الذنب والذلة.

وقيل: هو السالم من الحسد والخيانة.

وقيل: هو الذي لا هم فيه غيرُ الله[(١)].

وقيل: هو الذي لا يشكُّ في الله، ولا في الدِّين، ولا في الرزق، ولا في الوعد.

وقال أبو سليمان الداراني: هو الخالي عما سوى الله.

وقال الشيخ أبو القاسم: الحليم[(٢)] هو الذي لا يؤذي الخلق ولا يتأذى منهم، ولا يتوقعُ المكافأة[(٣)] على إحسانه إليهم.

وقيل: السليم هو الذي لا يزيل تغيُّرُ الأحوال يقينَه، ولا يقطع جفاءُ الخلق شفقتَه.

وقال القشيري رحمه الله: إن إبراهيم الخليل عليه السلام حقَّق مقام الخُلَّة بأنْ قال: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ جمع أولهم وآخرهم في اسم واحد يطلق غالباً على الفرد تقليلاً لهم، ثم أعرض عن ذكرهم واشتغل بذكر الله فقال: ﴿إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، ثم لمَّا أخذ في وصفه كاد لا يسكت، ومن أمارة المحبة كثرةُ ذكر المحبوب والإعراض عن ذكر غيره[(٤)].

* * *

---

(١) في (أ): «لا همة فيه إلا الله».

(٢) في (أ): «الحكيم»، وفي (ف): «الحكم». ولعل الصواب: (السليم).

(٣) في (ر) و(ف): «الإحسان».

(٤) انظر: «لطائف الإشارات» (٣/ ١٣).

(٩٠ ـ ٩١) ـ ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾: من صفات قوله: ﴿يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾؛ أي: قرِّبت لهم ليدخلوها.

وقوله تعالى: ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ﴾: أي: ظهرت ﴿لِلْغَاوِينَ﴾؛ أي: للضالين.

وقيل: للخائبين من رحمة الله، تظهر لهم قبل أن يدخلوها تعجيلاً لإفزاعهم وإقراعهم[1] كما قربت الجنة للمتقين تعجيلاً لإفراحهم وإمتاعهم.

* * *

(٩٢ ـ ٩٦) ـ ﴿وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾ فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ قَالُوا۟ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَقِيلَ لَهُمْ﴾: أي: للغاوين: ﴿أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ وهذا تعيير لهم وتوبيخ ﴿هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ﴾؛ أي: هل يمنعونكم عن العذاب، وهل يمتنعون[2] بأنفسهم، وهو استفهام بمعنى النفي؛ أي: يدخلون النار معكم تشديداً لعذابكم.

وقوله تعالى: ﴿فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا﴾: أي: كُبُّوا وأُلقوا على رؤوسهم فيها؛ أي: في الجحيم ﴿هُمْ﴾؛ أي: المعبودون ﴿وَٱلْغَاوُۥنَ﴾؛ أي: عابدوهم الضالون ﴿وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ﴾؛ أي: أعوانُه كلُّهم سوى هؤلاء.

وقيل: ﴿وَٱلْغَاوُۥنَ﴾: الشياطين، ﴿وَجُنُودُ إِبْلِيسَ﴾؛ أي: أتباعه من الإنس.

---

(١) في (أ): «لأغراضهم وإنجاعهم» وفي (ف): «لإيجاعهم وإفزاعهم» وفي (ر): «لإنجاعهم وإقراعهم». ولعل المثبت هو الصواب.

(٢) في (ر): «أو ممتنعون» بدل: «وهل يمتنعون».

وقيل: ﴿وَجُنُودُ إِبْلِيسَ﴾ الذين عصوا الله ودعوا إلى معصيته.

وقوله تعالى: ﴿قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ﴾: أي: الأتباعُ والمتبوعون، فهو كقوله: ﴿وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ﴾ [غافر: ٤٧].

* * *

(٩٧ ـ ١٠٢) ـ ﴿تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٩٧) إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٩٨) وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ (٩٩) فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ (١٠٠) وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ (١٠١) فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾: أي: قال عبدةُ الأصنام: والله ما كنا إلا في غوايةٍ ظاهرة ﴿إِذْ نُسَوِّيكُم﴾ أيها الأصنام ﴿بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ في العبادة واعتقادِ الربوبية.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ﴾: الذين دعَونا إلى ذلك ﴿فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ﴾ من الأباعد ﴿وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ من الأقارب فيخلِّصنا ﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً﴾ فيا ليت لنا رجعة إلى الدنيا ﴿فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ بالله ورسوله.

* * *

(١٠٣ ـ ١٠٧) ـ ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ (١٠٣) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (١٠٤) كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ (١٠٥) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٠٦) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾: بالله ورسوله[1] ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ قد فسرناه[2].

وقوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾: أي: كذَّبت جماعةُ قوم نوح، فلذلك

---

(١) «بالله ورسوله» ليس في (أ).

(٢) في (ف): «مر تفسيره».

أَنّث، وقوله: ﴿ٱلْمُرْسَلِينَ﴾؛ أي: نوحاً في دعوى الرسالة والدعاءِ إلى توحيد الله تعالى وطاعته، وإلى ذلك دعا مَن قبله من الرسل ومَن بعده، فكان تكذيبه في ذلك تكذيباً للكل.

وقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ﴾: أي: كذَّبوا إذ قال لهم ﴿أَخُوهُمْ﴾؛ أي: نبيُّهم ﴿نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ الله فتتركوا عبادة الأصنام، استفهام بمعنى الأمر.

وقوله تعالى: ﴿لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾: أي: أمين عليكم غيرُ خائن لكم.

وقيل: أمينُ الله على وحيه.

***

(١٠٨ ـ ١١١) ـ ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٠٨) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٠٩) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١١٠) ۞ قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾: لأني رسولٌ أمين[(١)] فيما أمرتُكم به ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾؛ أي: جزاءٍ منكم على تبليغ الوحي ﴿إِنْ أَجْرِيَ﴾؛ أي: ثوابي على تبليغي[(٢)] ﴿إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾؛ أي: من ربِّ العالمين بوعده.

وقوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾: كرَّر لتكرار الداعي:

الأول: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ لأني لكم رسول أمين.

والثاني[(٣)]: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ لأني لا أسألكم عليه من أجر.

وكلٌّ واحد منهما يقوِّي الصدق ويدعو إلى التصديق.

---

(١) «لأني رسول أمين» ليست في (أ).

(٢) «على تبليغي» زيادة من (ف).

(٣) كلمة: «الأول» «والثاني» ليستا في (أ).

وقوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلۡأَرۡذَلُونَ﴾: قال مقاتل: أي: السَّفِلة[1].

وقال عكرمة: أي: الحاكَة والأساكفة[2].

وقيل: الحجَّامون، وقيل: ناقصو العقول.

أي: أنصدِّقك فيما تدعونا وننقادُ لك وإنما اتَّبعك الأخسَّاء منا والفقراء والضعفاء فنكونَ أمثالَهم إذا آمنَّا بك، بل يكونُ لهم الفضل علينا بالسَّبق، وهذا مما تنفر منه النفوس، توهَّموا لجهلهم أن اتِّباع هؤلاء الضعفاء مما يُضعف أمره، ولم يعلموا أن الفضل لمن فضَّله الله تعالى بالدِّين لا لمن له المالُ والرفعةُ في الدنيا.

* * *

(١١٢ ـ ١١٦) ـ ﴿قَالَ وَمَا عِلۡمِي بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنۡ حِسَابُهُمۡ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّيۖ لَوۡ تَشۡعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴿١١٥﴾ قَالُواْ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمَرۡجُومِينَ﴾.

قوله تعالى: ﴿قَالَ وَمَا عِلۡمِي بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾: وقيل: ولا حاجة لي إلى علم ما كان هؤلاء يعملونه من الأعمال التي استرذَلْتُموها.

قوله: ﴿إِنۡ حِسَابُهُمۡ﴾: أي: ما حسابهم ﴿إِلَّا عَلَىٰ رَبِّيۖ لَوۡ تَشۡعُرُونَ﴾: لو تعلمون أنه كذلك.

وقيل: قالوا: إنما اتَّبعوك ليكون ذلك شرفاً لهم ورفعةً، واتَّبعوك طمعاً في مالٍ[3] ينالونه منك لا تصديقاً بك وإيماناً بربك[4]، وباطنهم بخلاف ظاهرهم، فقال:

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٢٧٢).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ١٧٣).

(٣) في (أ): «ما».

(٤) في (ر) و(ف): «لا تصديقاً لك وإنما يأتوك».

﴿وَمَا عِلۡمِي بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ في الباطن، و(كان) زائدة كما في قوله تعالى: ﴿كَيۡفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلۡمَهۡدِ صَبِيّٗا﴾ [مريم: ٢٩].

وقوله تعالى: ﴿إِنۡ حِسَابُهُمۡ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّيۖ﴾ وهو يجازيهم على حقيقة أمرهم، وإنما عليَّ البناءُ على الظاهر، وهم في[1] الظاهر مؤمنون مصدقون.

قوله: ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١١٤ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ مُّبِينٞ﴾: فإذا قبلوا ما أنذرتُهم لم يكن لي أن أطردهم.

﴿قَالُواْ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ يَٰنُوحُ﴾: أي: عن ادِّعاء الرسالة وعن سبِّ آلهتنا ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمَرۡجُومِينَ﴾: قيل: أي: من المشتومين، وقيل: أي: من المقتولين بالحجارة؛ أي: أَوعدوه شتمَهم أو رجمهم.

* * *

(١١٧ ـ ١١٩) ـ ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوۡمِي كَذَّبُونِ ١١٧ فَٱفۡتَحۡ بَيۡنِي وَبَيۡنَهُمۡ فَتۡحٗا وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١١٨ فَأَنجَيۡنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِي ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوۡمِي كَذَّبُونِ ١١٧ فَٱفۡتَحۡ بَيۡنِي وَبَيۡنَهُمۡ فَتۡحٗا﴾: أي: فاقضِ بيني وبينهم قضاءً؛ أي: أهلِكْهم ﴿وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾؛ أي: هو حكمُك فاحكم بهذا الحكم الحقِّ وهو استنجازُ الموعود.

وقوله تعالى: ﴿فَأَنجَيۡنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِي ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ﴾: أي: السفينة المملوءة.

وقال مجاهد: المفروغِ منه تحميلاً[2].

---

(١) في (أ): «على».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٦٠٥).

وقال الحسن: المُوْقَر[١].

وقال عطاء: المثقل[٢].

وقال الربيع بن أنس: أي: المملوء[٣].

والفلك يذكَّر ويؤنَّث.

* * *

(١٢٠ ـ ١٢٧) ـ ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ (١٢٠) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (١٢١) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (١٢٢) كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ (١٢٣) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٢٤) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٢٥) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٢٦) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ﴾: أي: بعدَ إنجائنا نوحاً والمؤمنين ﴿الْبَاقِينَ﴾ من قومه بالطُّوفان.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (١٢١) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ قد فسرناه.

وقوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ﴾: أي: هوداً ومَن قبله ومَن بعده من الرسل.

﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٢٤) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٢٥) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٢٦) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾: قد فسرناه.

* * *

(١) رواه عن الحسن يحيى بن سلام في «تفسيره» (٢/ ٨١٠)، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٦٠٤ ـ ٦٠٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٧٩١) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ١٧٣).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٦٠٥) عن مجاهد بلفظ: (المفروغ منه المملوء).

(١٢٨ ـ ١٢٩) ـ ﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ﴾: قال قتادة: بكلِّ طريق[1]. وقيل: بكلِّ سوق. وقيل: بكل مكانٍ مرتفعٍ.

﴿ءَايَةً ﴾: أي: علامة، قيل: هي البناء العالي. وقال مجاهد أي: برجَ حمَام[2].

﴿تَعْبَثُونَ ﴾: قال ابن عباس رضي الله عنه: تلعبون[3].

﴿ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ ﴾: قال مجاهد: أي: حصوناً مشيَّدة[4].

وقال قتادة: حياضاً[5]، والمصنعة: الحوض[6]، والمصنعة: البناء.

وقيل: معناه: أتجعلون بكلِّ موضع عالٍ مشرِفٍ علامةً تبنونها لا تحتاجون إليها لسكناكم إنما تريدون بها المباهاة والمراءاة، وذلك عبث.

وقيل: بل كانوا يبنون بالطرق[7] والمواضع المشرِفة بروجَ الحمام ليلعبوا بها، فذلك عبثُهم.

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢١١٩)، والطبري في «تفسيره» (١٧/ ٦٠٩). ورواه الطبري أيضاً عن ابن عباس لكن بإسناد ضعيف.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٦١٠) بلفظ: (بنيان الحمام).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٦١٠) عن ابن عباس والضحاك.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٦١١) وزاد في رواية: (وبنيان مخلَّد).

(٥) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢١٢٠)، والطبري في «تفسيره» (١٧/ ٦١١). بلفظ: (مآخذ للماء). وكذا ذكره البغوي في «تفسيره» (٦/ ١٢٣) وزاد: يعني الحياض.

(٦) في (ر): «والمصانع الحياض». قال الطبري: المصانع جمع مصنعة، والعرب تسمي كل بناء مصنعة، وجائز أن يكون ذلك البناء كان قصورًا وحصوناً مشيدة، وجائز أن يكون كان مآخذ للماء، ولا خبر يقطع العذر بأيِّ ذلك كان، ولا هو مما يدرك من جهة العقل.

(٧) في (ر) و(ف): «وقيل ما كانوا يبنون بالطريق».

وقيل: كانوا يجتمعون في ذلك للَّهو واللعب(١).

وقوله تعالى: ﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾: أي: تتخذون دُوراً وقصوراً اتخاذَ مَن يؤمِّل الخلود في الدنيا فيُحْكِم ويُبْرِم ذلك ويُحْسِن ويُتْقِن.

* * *

(١٣٠ ـ ١٣٦) ـ ﴿وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾ وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣٥﴾ قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ الْوَاعِظِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا بَطَشْتُم﴾: أي: أخذتُم أخذَ العقوبة ﴿بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾: قهَّارين بالسيف والسوط ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾ وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم﴾؛ أي: تابعَ عليكم ﴿بِمَا تَعْلَمُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾: إن دمتُم على هذا ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ في الدنيا، وهو يومُ إهلاككم، وتَلِجون عذاب النار يومَ القيامة، وهو يومٌ عظيم.

وقوله تعالى: ﴿قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ الْوَاعِظِينَ﴾: فلسنا نُصغي إليك، ولا نقبل منك(٢)، فيعامَلون في النار بمثله فيقال لهم: ﴿اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ﴾ [الطور: ١٦]، وهم يقولون: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ﴾ [إبراهيم: ٢١].

* * *

(١) في (ف): «والعبث».

(٢) في (ف): «ولا نسمع منك ولا نقبل».

(١٣٧ ـ ١٤٠) ـ ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿١٣٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَٰهُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾: قرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي بفتح الخاء؛ أي: اختلاق الأولين؛ أي: كذبهم، قاله ابن مسعود رضي الله عنه[1].

وقيل: هو من الخَلْق الذي هو التخليق، وهو معنى قول قتادة: أي: هكذا كان الناس يعيشون ما عاشوا ويموتون ولا بعث عليهم ولا حساب[2].

وقرأ الباقون بضم الخاء واللام[3]، ومعناه: إلا عادةُ الأوَّلين؛ أي: اتخاذُ البنيان والبطشُ ونحو ذلك؛ أي: نفعله كما فعلَ الأولون.

﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾: في الدنيا ولا بعد البعث، فلا بعثَ.

وقوله تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾: أي: هوداً ﴿فَأَهْلَكْنَٰهُمْ﴾ بريحٍ صرصرٍ عاتيةٍ سُخِّرت[4] عليهم سبعَ ليالٍ وثمانيةَ أيام.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾: مر تفسيرها.

* * *

(١٤١ ـ ١٤٨) ـ ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٦١٦)، والطبراني في «الكبير» (٨٦٧٦).

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢١٢٢)، والطبري في «تفسيره» (١٧/ ٦١٥).

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٤٧٢)، و«التيسير» (ص: ١٦٦).

(٤) في (ر) و(ف): «سخرها».

﴿١٤٥﴾ أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ﴾: أي: صالحاً وسائرَ الأنبياء.

﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾: قد فسرناها.

وقوله: ﴿أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ﴾: أي: أتظنُّون أنكم تبقَون في الدنيا في دياركم هذه آمنين لا تخافون عذاباً ولا موتا.

قوله تعالى: ﴿فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾: في بساتينَ نزهةٍ وعيون جارية ﴿وَزُرُوعٍ﴾؛ أي: وحروث ﴿وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: أي: قد نَضِجَ وأَيْنَعَ وبَلَغَ[(١)].

وقال الضحاك: أي: قد ضمر بركوبِ بعضه بعضاً[(٢)]، من قوله: هضيم الكشح؛ أي: لطيفُه.

وعن الضحاك أيضاً[(٣)] في رواية: هو أنْ يَكثر حملُ التَّمر[(٤)] حتى يَهضم بعضُه بعضاً؛ أي: يَكسر وينقص[(٥)].

وقال مجاهد: ﴿هَضِيمٌ﴾؛ أي: هشيمٌ متهشِّمٌ يتفتَّت إذا مُسَّ[(٦)].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٦١٩).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ١٧٦) عن الضحاك ومقاتل: متراكم ركب بعضه بعضا حتى هضم بعضه بعضاً. ولعله نقل بالمعنى للخبر الذي بعده.

(٣) «أيضاً» من (أ).

(٤) في (ر): «الثمرة»، وفي «تفسير الطبري»: (النخلة)، و«تفسير ابن أبي حاتم»: (الشجر).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٦٢٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٨٠٢).

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٦١٩ ـ ٦٢٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٨٠٢).

وقال عكرمة: أي لينٌ رَطْبٌ[١].

وقال في «ديوان الأدب»: يقال للطلع: هضيم، ما لم يخرج من كُفُرَّاه[٢].

❊ ❊ ❊

(١٤٩) ـ ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَـٰرِهِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَرِهِينَ﴾: قرأ ابن كثير وأبو عمرو ﴿فَرِهين﴾ والباقون: ﴿فَـٰرِهِينَ﴾[٣].

والفَرِهُ والفارِهُ: الماهر[٤] في الصنعة، الحاذق في الأمر، وعن ابن عباس رضي الله عنهما هكذا قال: ﴿فَـٰرِهِينَ﴾: حاذقين[٥].

وفي رواية عنه: أَشِرِينَ بَطِرِين[٦].

وقال الضحاك: كيِّسين[٧].

وقال ابن زيد: ﴿فَـٰرِهِينَ﴾: قويِّين[٨].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٦٢٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٨٠١).

(٢) انظر: «معجم ديوان الأدب» (١/ ٤٢٣).

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٤٧٢)، و«التيسير» (ص: ١٦٦). وقرأ نافع مثل ابن كثير وأبي عمرو.

(٤) في (ف) و(أ): «النافذ».

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٦٢١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٨٠٢).

(٦) ذكره بهذا اللفظ الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ١٨٣)، والواحدي في «البسيط» (١٧/ ١٠٦)، والبغوي في «تفسيره» (٦/ ١٢٥)، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٦٢٢) دون كلمة: «بطرين».

(٧) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٦٢٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٨٠٣).

(٨) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٦٢٣).

وقيل: مَرِحين[١].

وقيل: فَرِحين، وقد فَرِحَ وفَرِهَ كما يقال: مَدَح ومَدَه.

أي: فلا تظنُّنَّ[٢] ذلك فإنكم لم تُخلقوا للبقاء، بل للابتلاء والحساب في دار الجزاء.

* * *

(١٥٠ ـ ١٥٣) ـ ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٥٠) وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ (١٥١) الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ (١٥٢) قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾.

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ أن تُعْرِضوا عن هذه السنَّة ﴿وَأَطِيعُونِ﴾ فيما أدعوكم إليه ﴿وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ﴾ الذين أسرفوا على أنفسهم في تمردهم على الله وهم تسعةُ رهط.

قوله: ﴿الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾: بالكفر والمعاصي[٣] والظلم ﴿وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ بالإيمان والعدل.

وقوله تعالى: ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾: أي: المسحورين، سحروك ففسَد عقلك فلا تدري ما تقول، هذا قول مجاهد وقتادة[٤].

وقيل: ﴿مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾؛ أي: المخلوقين، قاله ابن عباس رضي الله عنهما[٥]، وهو الذي له السَّحْر بفتح السين؛ أي: الرئة.

---

(١) ذكره أبو عبيدة في «مجاز القرآن» (٢/ ٨٨).

(٢) في (ف): «تطيقون».

(٣) «والمعاصي» ليست في (أ).

(٤) رواه عنهما الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٦٢٥).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٦٢٦).

وقيل: أي: المعلَّلين بالطعام والشراب، قال لبيد:

فإن تسألونا فيمَ نحن فإننا ... عصافيرُ من هذا الأنامِ المسحَّرِ[1]

وقال الفراء: المسحَّر: المجوَّف[2].

* * *

(١٥٤ ـ ١٥٧) ـ ﴿مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثۡلُنَا فَأۡتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ١٥٤ قَالَ هَـٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرۡبٌ وَلَكُمۡ شِرۡبُ يَوۡمٍ مَّعۡلُومٍ ١٥٥ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابُ يَوۡمٍ عَظِيمٍ ١٥٦ فَعَقَرُوهَا فَأَصۡبَحُواْ نَـٰدِمِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثۡلُنَا فَأۡتِ بِـَٔايَةٍ﴾: أي: بعلامةٍ على صدق دعواك الرسالةَ، وعلى أنك داعٍ[3] إلى الحق ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ فيما تدَّعي.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ هَـٰذِهِۦ نَاقَةٌ﴾: أخرجها الله تعالى لا من ناقةٍ، وهي آية عظيمة ﴿لَّهَا شِرۡبٌ﴾؛ أي: حظٌّ من الماء فلا تزاحموها فيه ﴿وَلَكُمۡ شِرۡبُ يَوۡمٍ مَّعۡلُومٍ﴾ لا تزاحمكم هي فيه.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ﴾: بقتل ﴿فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابُ يَوۡمٍ عَظِيمٍ﴾: يوم نزول الهلاك بكم.

وقوله تعالى: ﴿فَعَقَرُوهَا﴾: أي: فعَرْقبوها، وقد عَرْقبها قُدَارٌ ـ على ما ذكرنا القصة في سورة الأعراف ـ وهم مُعِيْنون له راضون به فأضيف إليهم.

---

(١) «ديوانه» (ص: ٤٧) برواية: (فإن تسألينا...).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢٨٢)، وزاد: كأنه ـ والله أعلم ـ من قولك: انتفخ سَحْرك؛ أي: إنك تأكل الطعام والشراب وتُسَحّر بِهِ وتعلّل.

(٣) في (أ): «أدعى».

﴿فَأَصۡبَحُواْ نَٰدِمِينَ﴾: أي: فصاروا نادمين على عَقرها، وقيل: على فَوْت ولدها لم يقتلوه.

***

(١٥٨ ـ ١٦٤) ـ ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱلۡعَذَابُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ١٥٨ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ١٥٩ كَذَّبَ قَوۡمُ لُوطٍ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٦٠ إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ١٦١ إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ ١٦٢ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ١٦٣ وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱلۡعَذَابُ﴾: أي: الصيحة بعدما تمتَّعوا ثلاثة أيام.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ١٥٨ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ قد مر تفسيره.

وقوله تعالى: ﴿كَذَّبَتۡ قَوۡمُ لُوطٍ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾: أي: جماعةَ المرسَلين لوطاً وسائر الأنبياء.

﴿إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ لُوطٌ﴾: أي: نبيُّهم[1]: ﴿أَلَا تَتَّقُونَ ١٦١ إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ ١٦٢ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ١٦٣ وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ مرَّ تفسيرها.

***

(١٦٥ ـ ١٦٧) ـ ﴿أَتَأۡتُونَ ٱلذُّكۡرَانَ مِنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦٥ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُمۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٌ عَادُونَ ١٦٦ قَالُواْ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُخۡرَجِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَتَأۡتُونَ ٱلذُّكۡرَانَ مِنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾: استفهام بمعنى التوبيخ؛ أي: أتُواقِعون الذُّكران[2] من الناس، وهي كنايةٌ عن الفاحشة.

---

(١) في (أ): «نسيبهم».

(٢) في (أ): «الذكور».

﴿وَتَذَرُونَ﴾: أي: وتتركون ﴿مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم﴾؛ أي: زوجاتكم، جمع زوجٍ وهي الزوجة، وهذا يحتمِل وجهين:

أحدهما: وتتركون النساء اللاتي خُلقن للتزوُّج ولا تتزوَّجونهنَّ.

والثاني: وتتركون زوجاتكم اللاتي عقَدتم عليهن وتأتون غيرهنَّ.

ويحتمل وجهاً ثالثاً: وتتركون القُبُل من زوجاتكم إلى أدبار الرجال والنساء.

وقوله تعالى: ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾: أي: ليس لكم قضاءُ وطرٍ للتلذُّذ فذلك حاصل بالنساء، بل أنتم مجاوِزون حدودَ الله[1] متعدُّون أمرَه.

وقوله تعالى: ﴿قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ﴾: أي: لئن لم تمتنعْ عن هذا القول ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ﴾؛ أي: لننفينَّك[2] من أرضنا؛ كما قالوا: ﴿أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ﴾ [النمل: ٥٦].

* * *

(١٦٨ ـ ١٧٠) ـ ﴿قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ الْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾ رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ أَجْمَعِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ الْقَالِينَ﴾: أي لإتيانكم الذُّكران[3] وسائرَ المعاصي ﴿مِّنَ الْقَالِينَ﴾؛ أي: المبغِضين، وقد قَلَاه يقليه؛ أي: أبغضه، وبين الكلمتين تجنيس، وهو من أنواع الكلام النفيس.

وقوله تعالى: ﴿قال رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ﴾: من عقاب ما يعملون.

---

(١) في (ف): «مجاوزون الحد».

(٢) في (ر): «لنصرفنك»، وفي (ف): «لنخرجنك».

(٣) في (أ): «الذكور».

وقيل: نجِّني وأهلي من أن نكون(١) على دينهم وعملهم؛ أي: اعصِمني عن ذلك.

وقيل: لمَّا قالوا: ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ﴾ أظهَر أنه لا يسوءه مفارقتُهم فقال: ﴿إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ الْقَالِينَ﴾ فلا أكرهُ مفارقتكم ولا أرضَى مجاورتَكم، ثم: ﴿رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ﴾؛ أي: أخرِجنا من جملتهم فننجو من مجاورة مَن يعمل بمعاصيك.

قوله تعالى: ﴿فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ﴾: إجابةً لدعوته، فأخرجناهم من جملتهم.

***

(١٧١ ـ ١٧٥) ـ ﴿إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ (١٧١) ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ (١٧٢) وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ (١٧٣) إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ (١٧٤) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا عَجُوزًا﴾: وهي امرأته ﴿فِي الْغَابِرِينَ﴾؛ أي: الباقين في العذاب فلم تنجُ منه.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ﴾: أي: بعد إخراجهم أهلكنا مَن سوى لوطٍ ومَن نجا من أهله؛ أي: عياله وأولاده وأهل بيته، فجعلنا قريتهم عاليَها سافلَها بمن فيها.

قوله تعالى: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا﴾: حجارة من سجِّيل.

وقوله تعالى: ﴿فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ﴾: أي: فبئس المطر الذي أصاب المخوَّفين(٢) بالعذاب إنْ أصروا على تكذيبهم، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا﴾ [القمر: ٣٦].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ (١٧٤) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾.

***

---

(١) في (ر) و(ف): «أكون».

(٢) في (ر) و(ف): «المجرمين».

(١٧٦) ـ ﴿كَذَّبَ أَصۡحَٰبُ لۡـَٔيۡكَةِ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿كَذَّبَ أَصۡحَٰبُ لۡـَٔيۡكَةِ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾: أي: سكانُ الغيضةِ وهم أهل مدين، قاله ابن عباس رضي الله عنهما[1].

وقال الخليل: الأيكة: غيضةٌ تُنبت السِّدر والأراك وناعمَ الشجر[2].

وقيل: بُعث شعيب صلوات الله عليه إلى قومٍ هم أصحاب بادية وأصحاب قرًى، وأصحاب البادية هم أصحاب الأيكة، وأهل مدين هم أهل القرية.

وقيل: هم أهل مدين هم قومه وعشيرته، ولذلك قال: ﴿وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗا﴾ [الأعراف: ٨٥] في الآية التي ذكر أصحاب مدين، وأهل الأيكة غيرُ قومة وعشيرته، ولذلك لم يقل في هذه الآية: إذ قال لهم أخوهم، بل قال: ﴿إِذۡ قَالَ لَهُمۡ شُعَيۡبٌ﴾ وقد بُعث إلى كلٍّ واحد منهما على الانفراد أحدهما بعد الآخر.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: لا ندري ذلك[3].

* * *

(١٧٧ ـ ١٨٣) ـ ﴿إِذۡ قَالَ لَهُمۡ شُعَيۡبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ ﴿١٧٨﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾ وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٨٠﴾ ۞ أَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُخۡسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُواْ بِٱلۡقِسۡطَاسِ ٱلۡمُسۡتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ﴾.

﴿إِذۡ قَالَ لَهُمۡ شُعَيۡبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ ﴿١٧٨﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾ وَمَآ

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٦٣٣).

(٢) انظر: «العين» (٥/ ٤٢٣).

(٣) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٨/ ٨٢).

أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: بيَّن سبحانه أن جميع الأنبياء كانوا على طريق واحدٍ في الدعوة إلى الله تعالى وطاعته ومعاملةِ الخلق.

وقوله تعالى: ﴿أَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ﴾: أي: أتمُّوا الكيل في قضاء حقوق الناس ولا تَنقصوهم حقوقهم.

قوله تعالى: ﴿وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ﴾: قال الحسن: أي: القبَّان(١).

وقيل: أي: الميزان.

وقال أبو عبيدة: أي: العدل والسَّواء(٢).

﴿وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ﴾: أي: لا تنقصوا الناس في معاملتكم في مالهم(٣).

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾: أي: لا تبالغوا فيها بالإفساد وهو بالكفر والظلم.

* * *

(١٨٤ ـ ١٨٧) ـ ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٨٤﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾: أي: الخليقةَ الماضينَ، وإذا كان هو خالقَ أنفسكم وأعمالكم كان هو عالماً بكم قادراً عليكم فسيجازيكم على وَفق عملكم.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٥٩١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٨١٢).

(٢) انظر: «مجاز القرآن» (٢/ ٩٠).

(٣) «الناس في معاملتكم في مالهم» من (ف).

وقيل: معناه: إن الذي خلقكم هو الذي خلق الأولين، وقد رأيتم عقوباته للأولين حين عصوا رسله وظلموا عباده، فاتَّقوه فإنه خالقكم وقادرٌ عليكم أيضاً[1].

﴿ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴾: قد فسرناه.

﴿ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾: أي: ما نظنُّك إلا من الكاذبين في دعوى الرسالة.

وقوله تعالى: ﴿ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾: جمع كِسْفةٍ؛ أي: قطعة، قاله ابن عباس رضي الله عنهما.

﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾: وهذا قد يكون على معنى: أن يفتح لهم باباً من السماء فينظروا إليه كما كانوا يسألون أن يروا الله جهرة، وهو كما قال: ﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا ﴾ [الحجر: ١٤ ـ ١٥] وما أشبهه.

ويحتمل أن يكون على معنى الْتِماس العذاب إظهاراً منهم للاستنصار[2] في كذب الرسول؛ كما قال خبراً[3] عن النَّضر بن الحارث: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأنفال: ٣٢]؛ أي: نعلم أنه ليس كذلك.

* * *

(١٨٨ ـ ١٩١) ـ ﴿ قَالَ رَبِّيٓ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٩٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾.

---

(١) «أيضاً» من (أ).

(٢) في (أ): «للاستبصار».

(٣) في (ف): «كما أخبر».

﴿قَالَ رَبِّيٓ أَعۡلَمُ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ من الشرك والمعاصي فهو مُجازيكم عليه.

﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمۡ عَذَابُ يَوۡمِ ٱلظُّلَّةِ﴾: وهو العذاب الذي أهلكهم الله به من ظلةٍ أقامها[1] فوق رؤوسهم فألهبها عليهم فماتوا من حرِّها ﴿كَانَ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٍ﴾.

وقيل: أصابهم الحر حتى أقلقهم وأخرجهم من بيوتهم، ورُفعت إليهم سحابة فانطلقوا إليها، فلما استظلُّوا بها أُرسلت عليهم فلم ينفلت منهم أحد.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ١٩٠ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ مر تفسيره.

* * *

(١٩٢ ـ ١٩٣) ـ ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾: أي: إن القرآن منزَلٌ من عند ﴿رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ وقد تقدم ذكره في أول السورة: ﴿طسٓمٓ ١ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ﴾ والسورة كلها في معنًى واحد، فإنه ذكر القرآن وتكذيبَ المشركين الرسولَ عليه السلام فيه، ووصَل به تكذيبَ سائر الأمم رسلَهم، ثم عاد إلى ذكر القرآن فقال: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ وهذا مصدر بمعنى المفعول؛ كقولهم: هذا الدرهم ضربُ الأمير؛ أي: مضروبُه.

يقول ـ وهو معنى أول السورة وآخرها على التقدير ـ : وإن هذا القرآن الذي نتلوه على هؤلاء المشركين فيستهزؤون به ويعرضون عنه، هو منزلُ ربِّ العالمين، وما كان منه فحقيقٌ بالإصغاء إليه والتدبُّر فيه، ليس هو مما تقوَّلتَه علينا، ولا مما تنزَّلت به الشياطين، ولا هو شعرٌ، بل نزل به جبريل من عند الله، وهو قوله:

---

(١) في (ر) و(ف): «ظلة أتى بها».

﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ﴾: قرأ ابن عامر وحمزةُ والكسائي وعاصم في رواية أبي بكر: ﴿نَزَّلَ﴾ بالتشديد ﴿الرُّوحَ﴾ بالنصب؛ أي: نزَّل الله جبريلَ مع القرآن.

وقرأ الباقون: ﴿نَزَلَ﴾ بالتخفيف ﴿ٱلرُّوحُ﴾ بالرفع على أن الفعل لجبريل(١)، يعني: نزل جبريل ومعه القرآن إذ هو أنزل(٢) القرآن؛ لأن الباء تستعمل للتعدية يقال: ذهب به؛ أي: أذهبه، وتستعمل للقران يقال: دخل بسيفه.

و﴿ٱلرُّوحُ﴾: جبريل، سمي به لِمَا يجري على يديه من الوحي الذي فيه الحياةُ من موت الجهالة، و﴿ٱلْأَمِينُ﴾ صفتُه؛ لأنه أمين الله على وحيه عَلِم الله أنه لا يغيِّره ولا يبدِّله.

* * *

(١٩٤ ـ ١٩٦) ـ ﴿عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ (١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ (١٩٥) وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾: أي: لقَّنك حتى تلقَّنْتَه وحَفِظْتَه بقلبك، فصار قلبك وعاءً له، فكأنه ينزل على قلبك.

وقوله تعالى: ﴿لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾: أي: لتُنذر الناس به فتكونَ من المرسلين الذين كان الإنذار صفتَهم.

وقوله تعالى: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾: أي: بلغةِ العرب، وهو مُبينٌ(٣) ما يراد به لوضوحه، ومبينٌ(٤) للناس ما يحتاجون إليه من أمر دينهم ودنياهم.

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٤٧٣)، و«التيسير» (ص: ١٦٦).

(٢) في (أ): «أو هو إنزال»، بدل: «إذ هو أنزل».

(٣) في (ر): «يبين».

(٤) في (ر) و(ف): «ويبين».

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ﴾: أي: في كتب المرسلين الماضين المنزلةِ من الله عليهم؛ كما قال: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ۝١٨ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ [الأعلى: ١٨ ـ ١٩]؛ أي: معناه فيها.

ودلت الآية على صحة قول أبي حنيفة رحمه الله: إن القرآن لا يتبدَّل بتبدُّل اللسان، وإن قراءة القرآن بالفارسية في الصلاة جائزةٌ، فإن الله تعالى جعل ما في الصحف الأولى وفي زبر الأولين قرآناً، وكان ذلك بمعناه لا بنظمه ولفظه بالعربية.

* * *

(١٩٧) ـ ﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾: وقراءة العامة: ﴿أَوَلَمْ يَكُن﴾ بياء التذكير ﴿ءَايَةً﴾ نصب على أنه خبرُ كان، واسمُه ﴿أَن يَعْلَمَهُۥ﴾ لأن (أنْ) مع الفعل مصدر، وتقديره: أولم يكن لهم علمُ بني إسرائيل آيةً.

وقرئ: ﴿أولم تكُنْ﴾ بتاء التأنيث ﴿آيةٌ﴾ بالرفع[1] على أنه اسم كان، وعلى هذا ﴿أَن يَعْلَمَهُۥ﴾ يجوز نصباً خبراً لكان، ويجوز رفعاً ترجمةً لقوله: (آيةٌ)[2]، ومعناه: ألَا يكفي أنَّ هذا القرآن مِن عند الله أنْ يشهد بذلك علماءُ بني إسرائيل عبدُ الله بن سلَام وسلمانُ ونحوُهما، وكانوا يرجعون في كثير من الأمور الدينية إلى علماء أهل الكتاب، وكان ذلك لازماً لهم.

وقيل: إن قوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ وقوله تعالى: ﴿أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ راجع إلى بيان النبي ﷺ في الكتب.

---

(١) قراءة ابن عامر، وباقي السبعة بالياء والنصب. انظر: «السبعة» (ص: ٤٧٣)، و«التيسير» (ص: ١٦٦).

(٢) قوله: «ترجمة»؛ أي: بدلًا، وعلى هذا الوجه يكون الخبر هو قوله: ﴿لَهُمْ﴾.

(١٩٨ ـ ١٩٩) ـ ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ﴾: أي: القرآن ﴿عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ﴾ والأعجم: الذي لا يُفصح عربيًّا كان أو غيره.

وقيل: هو الذي يمتنع لسانه من العربية، والعَجَمُ غيرُ العرب نسبةً وولادة، والعجم منسوبٌ إلى العجم وهو من الولادة[1]، والأعجميُّ منسوب إلى أنه من الأعجَمين الذين لا يُفصحون الكلام[2].

يقول: ولو نزَّلنا القرآن على بعض الأعاجم الذين لا يُفصحون الكلام بلسان العربية وجعلنا القرآن بلسان ذلك الأعجم ﴿فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم﴾؛ أي: على العرب ﴿مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ﴾ لأنهم لا يعرفونه.

وقيل: معناه: ولو نزلناه على رجلٍ من العَجَم يُحْسِن لسان العرب بالعربية، لكانت العرب لا تؤمن به ولا تتَّبعه لأَنَفتهم من اتِّباع العجم؛ أي: فلم أجعله كذلك، بل جعلتُه من أنفسهم والقرآنَ بلسانهم ليفهموه وليكونوا إليه أسكَنَ وبه أوثَق، ومع ذلك يُعرضون عنه فدل على عنادهم.

* * *

(٢٠٠) ـ ﴿كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ﴾: أي: أدخلنا الكفر، وهو مدلول قوله تعالى: ﴿مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ﴾.

---

(١) قوله: «والعجم منسوب إلى العجم وهو من الولادة» ليس في (أ).

(٢) في (ف): «القول»، وليست في (ر).

﴿فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾: أي: المشركين الذي علِمنا منهم اختيارَ الكفر والإصرارَ عليه، وهو حجتنا على المعتزلة في مسألة خلق أفعال العباد خيرِها وشرها، وهو كقوله تعالى: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ [البقرة: ٧] ﴿طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾ [النساء: ١٥٥] ﴿أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: ٢٤] ﴿فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ﴾ [محمد: ٢٣]، ونظائرِها.

* * *

(٢٠١ ـ ٢٠٣) ـ ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ (٢٠١) فَيَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (٢٠٢) فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ﴾.

﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾: أي: الهلاكَ المستأصِلَ الذي ينزل بهم في الدنيا، ويكون ذلك إيمانَ يأسٍ فلا ينفعهم.

وقيل: هو عذاب يوم القيامة، ويَسألون الرجعة حينئذ ويندمون ولا ينفعهم.

وقيل: هو قيام الساعة، ودليله ما بعده: ﴿فَيَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً﴾؛ أي: فجأة وهو الساعة ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾؛ أي: لا يعلمون.

﴿فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ﴾: ونصب ﴿فَيَقُولُوا﴾ وحُذف النون منه عطفاً على قوله: ﴿حَتَّى يَرَوُا... فَيَأْتِيَهُمْ﴾؛ أي: يسألون الرجعة فلا يُجابون إليها.

* * *

(٢٠٤ ـ ٢٠٧) ـ ﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ (٢٠٤) أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ (٢٠٥) ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ (٢٠٦) مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ﴾.

﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾: توبيخٌ لهم وإنكارٌ عليهم قولَهم: ﴿فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾ [الأنفال: ٣٢]، لن نؤمنَ لك حتى تُسقط علينا كسفاً من السماء[1]، ونحوَ ذلك.

---

(١) يريد قوله تعالى في سورة الإسراء: ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا (٩٠) أَوْ تَكُونَ =

ثم بيَّن سفهَهُم في هذا الاستعجال فقال: ﴿ أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ﴾: قيل: هو سِنُو مدة[١] الدنيا، وقيل: هي سِنُو مدةِ عمر[٢] كلٍّ واحدٍ منهم.

﴿ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴾: من العذاب ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يُمَتَّعُونَ ﴾.

معناه: إن عمر الإنسان في الدنيا إنما يكون سنين، وإن تفاوتت[٣] فإنما هي سنونَ معدودةٌ، فما معنى الفرحِ بذلك وهو ينقضي عن قريبٍ ثم وراءه عذابٌ غير منقضٍ؟

* * *

(٢٠٨ ـ ٢١١) ـ ﴿ وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ﴿٢٠٨﴾ ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٠٩﴾ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾.

قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ﴾: أي: رسلٌ مخوِّفون بعذابنا إنْ لم يؤمنوا.

﴿ ذِكْرَىٰ ﴾: أي: تذكرةً ووعظاً ﴿وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴾: معذِّبين بغير ذنبٍ، وهو كقوله: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ [الإسراء: ١٥] وقد شرحنا تلك الآية[٤] في موضعها على الوجه.

قوله تعالى: ﴿ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴾: أي: بالقرآن، كما يقول هؤلاء: إنك كاهن، والكاهن يلقي عليه الشيطان، بل هو تنزيل رب العالمين.

= لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴾.

(١) في (ف): «هذه»، وليست في (ر).

(٢) «عمر» ليس من (أ).

(٣) في (ف): «تقادمت».

(٤) في (أ): «الآيات».

قوله: ﴿ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُمۡ ﴾: أي: للشياطين أن يتنزَّلوا به؛ أي: لم يجعلهم الله بهذا المحل فإنهم أرجاسٌ، وإنما جعل ذلك للملائكة المطهَّرة[1]، الكرامِ البَرَرة.

﴿وَمَا يَسۡتَطِيعُونَ ﴾: أي: الشياطين.

* * *

(٢١٢ ـ ٢١٣) ـ ﴿ إِنَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّمۡعِ لَمَعۡزُولُونَ ٢١٢ فَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُعَذَّبِينَ ﴾.

﴿ إِنَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّمۡعِ لَمَعۡزُولُونَ ﴾: أي: إن الشياطين قد[2] عزلوا عن الأمكنة التي كانوا يسمعون فيها من الملائكة أخبارَ السماء برجمهم بالكواكب، قال تعالى خبراً عن الجن: ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقۡعُدُ مِنۡهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمۡعِۖ فَمَن يَسۡتَمِعِ ٱلۡأٓنَ يَجِدۡ لَهُۥ شِهَابٗا رَّصَدٗا﴾ [الجن: ٩].

﴿ فَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُعَذَّبِينَ ﴾: أي: ينزلُ بك من العذاب ما نزل بهؤلاء الذين قصصْنا خبرهم.

* * *

(٢١٤) ـ ﴿ وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴾.

قوله تعالى: ﴿ وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴾: أي: ابدأ بإنذار رهطِك الأدنَيْنَ إنْ لم يؤمنوا بك فتَنْحسِم أطماعهم وأطماعُ الأبعدين في تركهم وما هم عليه، وإن هم أجابوك كانوا عُدَّةً لك على غيرهم، فكان أقوى لأمرك وأهيَبَ لأعدائك فامتثِلْ به.

قال أبو هريرة رضي الله عنه: لمَّا نزلت عليه[3] هذه الآية دعا قريشاً فعمَّ وخصَّ

---

(١) في (أ): «الطاهرة».

(٢) في (ر): «قبل»، وليست من (ف).

(٣) «عليه» من (أ).

فقال: «يا معشر قريش، أنقذوا أنفسكم من النار، يا معشر بني كعب، يا معشر بني عبد مناف، يا معشر بني هاشم، يا معشر بني عبد المطلب» يقول لكل معشر: «أنقذوا أنفسكم من النار، يا فاطمةُ بنت محمدٍ أنقذي نفسك من النار، فإني والله لا أملك لكم من الله شيئاً»[١].

وفي حديث عروة بن الزبير: «يا صفيةُ عمةَ رسول الله، يا فاطمة بنتَ محمد، يا بني عبد المطلب، لا أملك لكم من الله شيئاً، سلوني من مالي ما شئتم»[٢].

وعن أبي هريرة أيضاً: «يا بني عبد المطلب، ويا بني عبد منافٍ، ويا بني هاشم، افتكُّوا أنفسَكم من النار فإني لا أُغني عنكم شيئاً، يا عائشةُ بنت أبي بكر، ويا حفصةُ بنت عمر، ويا فاطمةُ بنت محمد، ويا صفيةُ عمة محمد، اشترينَ أنفسكن[٣] من النار فإني لا أغني عنكن[٤] شيئاً»[٥].

وقال السُّدِّي: قال: «يا بني هاشم، يا بني المطلب، إني رسول الله إلى الناس عامة وإليكم خاصة»[٦].

---

(١) رواه مسلم (٢٠٤).

(٢) رواه عن عروة الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٦٥٥)، ورواه مسلم (٢٠٥) من طريق عروة عن عائشة رضي الله عنه.

(٣) في (ر): «اشروا أنفسكم»، وفي (ف): «اشتروا أنفسكم».

(٤) في (ر) و(ف): «عنكم».

(٥) رواه بنحوه البخاري (٢٧٥٣)، وليس فيه ذكر عائشة وحفصة رضي الله عنهما. وورد ذلك في حديث أبي أمامة رضي الله عنه، رواه الآجري في «الشريعة» (٩٠٧)، والطبراني في «الكبير» (٧٨٩٠)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٨٦): فيه علي بن زيد الألهاني وهو متروك.

(٦) ذكره مقاتل في «تفسيره» (٣/ ٢٨١) دون عزو.

وقال مقاتل: قال رسول الله ﷺ لعمه أبي طالب: «اتَّخِذْ دعوةً وادْعُ أُناساً» سماهم، ثم دخل عليهم فدعاهم إلى دينه[١].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: لما نزلت هذه الآية صعد رسول الله ﷺ أبا قُبيسٍ فدعا أحياء العرب فقال: «يا آلَ غالبٍ ويا آلَ مرةَ ويا آل تميمٍ» حتى اجتمعوا فقال: «ما تقولون فيَّ؟» قالوا: أمين صدوق، قال: «لو أخبرتُكم أن بسفحِ هذا الجبل خيلاً أكنتُم مُصَدِّقيَّ؟» قالوا: نعم، قال: «فإني رسول الله إليكم أدعوكم[٢] من عبادة الأوثان إلى عبادته»، فقام أبو لهب فقال: ألهذا دعوتنا؟ تبًّا لك! فأنزل الله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾[٣].

* * *

(٢١٥ ـ ٢١٦) ـ ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: قال ابن عباس: أَلِنْ جانبَك لهم، وأراد به التواضُع والعطف[٤].

وقال محمد بن علي: أي: حسِّن خلقَك.

---

(١) روى نحوه مطولًا الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٦٦١ ـ ٦٦٣) من حديث علي رضي الله عنه، وفيه أن رسول الله ﷺ أمر عليًّا رضي الله عنه أن يتخذ طعامًا ويدعو إليه أشراف قريش من المشركين، ففعل ذلك علي، ودخل عليهم رسول الله ـ ﷺ ـ وقرأ عليهم القرآن ودعاهم إلى التوحيد... الحديث. وله روايات بنحو هذا ذكرها ابن كثير عند تفسير هذه الآية.

(٢) في (ر) و(ف): «أمنعكم».

(٣) رواه بنحوه البخاري (٤٧٧٠) و(٤٨٠١)، ومسلم (٢٠٨).

(٤) ذكره الواحدي في «البسيط» (١٢/ ٦٥٨) بلفظ: (ألِن لهم الموعظة وارفق بهم ولا تغلظ عليهم).

وقوله تعالى: ﴿فَإِنْ عَصَوْكَ﴾: أي: عشيرتُك؛ أو: المؤمنون[١] ﴿فَقُلْ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ فلم يقل: منكم، بل: إني بريء من أعمالكم لا أرضى بها.

وقيل: أي: ليس عليَّ من أعمالكم تبعةٌ أنتم المؤاخَذون بها.

وقيل: ﴿إِنِّي بَرِيٓءٌ﴾ منها لا أملك لكم فيها شفاعةً عند الله، ولا دفعاً لِمَا يحلُّ بكم من العقوبة.

* * *

(٢١٧ ـ ٢٢٠) ـ ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾.

قوله: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ﴾: أي: فوِّض أمرك في مُنابذة عشيرتك وغيرِ ذلك إلى الله تعالى، المنيعِ الذي لا يغالَب ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾: الذي لا يخذل أولياءه، وثِقْ به.

﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ﴾: أي: وحدك من فراشك أو من مجلسك إلى الصلاة لتلاوة كلامه ومناجاته ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ﴾: حين تتقلَّب بين المصلين في الجماعة ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾: الذي لا تخفى عليه الأصوات ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾: الذي لا تَعْزُبُ عنه الطَّويَّات، وهذا تأويل الحسن وجماعةٍ[٢].

وقيل: أي: يراك في تصرفاتك في حالاتك ومجالستك أهلَ الصلوات، لستَ تعاشر[٣] السحَرة والكهَنة والشعراء، فدُمْ على مصاحبة[٤] هؤلاء ومجانبة أولئك.

---

(١) في (ر): «أي عشيرتك أي المؤمنون»، وفي (ف): «أي عشيرتك المشركون».

(٢) انظر ما روي في هذا المعنى عن الحسن وغيره في «تفسير ابن أبي حاتم» (٩/ ٢٨٢٨ ـ ٢٨٢٩).

(٣) في (ر) و(ف): «ليست بمعاشرة».

(٤) في (ر) و(ف): «معاشرة».

وقال عكرمة: ﴿فِي ٱلسَّٰجِدِينَ﴾: في أصلاب الرجال[١].

وعن ابن عباس ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ نبيٍّ بعد نبيٍّ[٢].

وقال القشيري: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ﴾ أي: انقطِعْ إلينا، واعتصِمْ بنا، وتوسَّل بنا إلينا، وكن بنا، وإذا قلتَ فقل بنا، وتحقَّق بنا ولنا.

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ﴾ تجد العزة فإن العزيز مَن وَثِق بالعزيز ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ الذي يقرِّب مَن تقرَّب إليه، ويُجْزِل البرَّ لمن توسَّل به إليه.

وقوله تعالى: ﴿يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ﴾ اقتطعه بهذا عن شهود الخلق، فإنه مَن علِم أنه بمشهدٍ من الحق انقطع بالكلِّية[٣] عن شهود الخلق.

وقوله تعالى: ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ هوَّنَ عليه معاناةَ مشاقِّ العبادات حين أخبر برؤيته له[٤]، ولا مشقَّةَ على مَن يعلم أنه يعمل بمرأى من مولاه.

وقيل: ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ من أصحابك، فهم نجومٌ وأنت بدر، وهم بدورٌ وأنت شمسٌ، وهم شموسٌ وأنت للشموس شمس[٥].

* * *

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٨٢٨)، والثعلبي في «تفسيره» (٧/ ١٨٤)، من طريق عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ما زال رسول الله ﷺ يتقلب في أصلاب الأنبياء حتى ولدته أمّه.

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٨٢٨))، والثعلبي في «تفسيره» (٧/ ١٨٤)، من طريق عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) «بالكلية» ليست في (ف).

(٤) في (أ): «إياه»، وليست الكلمة في «اللطائف».

(٥) انظر: «لطائف الإشارات» (٣/ ٢٠ ـ ٢١).

(٢٢١ ـ ٢٢٣) ـ ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ (٢٢١) تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ (٢٢٢) يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ﴾: أي: هل أخبركم أيها المشركون ﴿عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ (٢٢١) تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ﴾؛ أي: كذَّاب ﴿أَثِيمٍ﴾: عاصٍ[١] مرتكبٍ للآثام، وهو الكاهن؛ أي: فكيف تنزل الشياطين بالكتاب على محمد ﷺ وهو يشتم الأفَّاكين الآثمين والشياطين ويذمُّهم ويلعنهم ويلعن مَن اتَّبعهم، والكاهن كان كذَّاباً يخلط[٢] الأكاذيب بما يلقي إليه الشيطان، ولدعواه علم الغيب.

﴿يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ﴾: قال الكلبي: يستمعون القول؛ أي: الشياطينُ يلقون أسماعهم للاستماع من الملائكة، ثم يخلطون به كذباً كثيراً فيخبرون به الكهَّان.

وقيل: ﴿يُلْقُونَ﴾ ما سمعوه من الملائكة إلى الكهَّان.

فعلى الأول: السمع للأذن بمعنى الجمع وعلى الثاني: السمع بمعنى المسموع.

﴿وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ﴾: يخلط الأكاذيب بذلك.

* * *

(٢٢٤ ـ ٢٢٦) ـ ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ (٢٢٤) أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ (٢٢٥) وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ﴾: فكيف يكون محمدٌ شاعراً، وكيف يكون ما أتى به شعراً، والشعراءُ أهل هَزْلٍ وكذبٍ، وأتباعُهم غواةٌ، ومحمد ﷺ صاحبُ جِدٍّ وصدق، وأصحابه مهتدون هداة؟

---

(١) في (ف) و(أ): «عصي».

(٢) في (أ): «لخلطه»، وفي (ف): «بخلطه».

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ﴾: أي: الشعراءَ ﴿فِي كُلِّ وَادٍ﴾: في كل طريق من الكلام ﴿يَهِيمُونَ﴾: يمضون على وجوههم حائرين عن القصد؛ من مدحٍ بكذبٍ، وهجاءٍ بباطل، وإخبارٍ على غير تثبُّت.

﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾: يكذِبون في الوعد والوعيد، والمدحِ والذمِّ، والتفاخُرِ بالقبائل، وهذا في شعراء الجاهلية: عبدِ الله بن الزِّبَعْرَى المخزوميِّ، وهبيرةَ بن أبي وَهْبٍ، ومسافعِ بن عبد منافٍ، وعمرِو بن عبد الله أبي عزَّةَ، وأمية بن أبي الصلت، كانوا يهجون النبيَّ ﷺ ويذمُّون الإسلامَ، ويحرِّضون على الشرك وعبادة الأصنام.

* * *

(٢٢٧) - ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾.

وقال عبد الله بن رواحة: لما نزلت هذه الآية لقد خشيت أن أموت على هذا، فنزل قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ الآية(١)، فاستثنى شعراء أهل(٢) الإسلام، وهم حسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة وجماعةٌ من الصحابة كانوا ينشدون(٣) الأشعار وغيرَ ذلك.

﴿وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾: في الشعر وغير الشعر ﴿وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا﴾؛ أي: أجابوا شعراء الجاهلية الذين هجَوهم بشعرٍ قالوه في هجائهم، فهؤلاء مستثنَون من

---

(١) رواه بنحوه ابن سعد في «الطبقات» (٣/ ٥٢٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٨٣٤).

(٢) «أهل» ليست في (ر).

(٣) في (أ): «ينشئون».

أولئك الشعراء، فإن أولئك هائمون في كلِّ وادٍ، ذامُّون للدِّين الحق وللرسول عليه السلام وللمؤمنين، وهؤلاء ليسوا بهائمين بل يذمُّون الدِّين الباطلَ والمشركين.

وقال أبو منصور رحمه الله: ذكر أن شاعرين كافرين قالا في النبيِّ ﷺ وفي الإسلام أشعاراً، واتَّبعهما غواةٌ من قومهما في ذلك، فاستأذن شعراءُ المسلمين[1] رسولَ الله ﷺ في جوابهما، فأذن لهم، قالوا: فنزلت الآية فيهم[2].

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ يجوز أن يكون مستثنًى من الشعراء؛ أي: هؤلاء ليسوا بمذمومين، ويحتمل أن يكون مستثنًى من قوله: ﴿يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ﴾؛ أي: المؤمنون لا يتَّبعون شعراء الجاهلية.

وقوله تعالى: ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾: من الشعراء وغيرهم ﴿أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾؛ أي: في الآخرة[3] في منقلب الظلمة وهي النار؛ أي: يعلمون علم العِيان إذ تركوا النظر في الدنيا فلم يعلموا علم الاستدلال، أو علموا علم الاستدلال في الدنيا وعاندوا، فيعلمون علم العيان في الآخرة، والله تعالى أعلم.

* * *

---

(١) في (ر) و(ف): «شعراء الإسلام والمسلمين».

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٧/ ٩٢). والخبر رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٦٧٤ ـ ٦٧٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما، لكن فيه أنهما تهاجيا فيما بينهما، لا أنهما قالا ذلك الشعر في هجاء الإسلام، كما أنه ليس فيه أنهما كانا كافرين، وأن شعراء المسلمين استأذنوا في هجائهما. ومع هذا فإسناده ضعيف.

(٣) «أي في الآخرة» من (أ).

سُورَةُ النَّمۡلِ

سُورَةُ النَّمۡلِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

بسم الله الهادي بآيات القرآن وإنزالها، الرحمنِ الذي يجيب المضطرَّ إذا دعاه في الشدائد وأهوالها، الرحيمِ الذي يجعل لمن جاء بالحسنة عشرَ أمثالها.

وروى أبي بن كعب رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «مَن قرأ طس سليمان[1] كان له من الأجرِ عشرُ حسنات عددَ مَن كذَّب بموسى وصدَّق به، وسليمان وصالحٍ ولوطٍ، ويخرج من قبره وهو ينادي لا إله إلا الله»[2].

وسورة النمل مكية، وهي ثلاثٌ وتسعون آيةً، وقيل: أربعٌ، وقيل: خمسٌ، والاختلافُ في آيتين: ﴿وَأُوْلُواْ بَأۡسٖ شَدِيدٖ﴾ و﴿مُّمَرَّدٞ مِّن قَوَارِيرَ﴾.

وكلماتها ألفٌ ومئة[3] واثنتان وخمسون، وحروفها أربعة آلاف وستُّ مئة وخمسة وتسعون[4].

---

(١) في (ف): «النمل».

(٢) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ١٨٨)، وهو قطعة من الحديث الموضوع في فضائل السور، وقد تقدم الكلام عليه مراراً. وانظر: «الفتح السماوي» للمناوي (٢/ ٨٩٢)، و«الفوائد المجموعة» للشوكاني (ص: ٢٩٦).

(٣) في (ر) و(ف): «ومئتان». وانظر التعليق الآتي.

(٤) انظر: «البيان في عد آي القرآن» (ص: ١٩٩) وفيه: وكلمها ألف ومئة وتسع وأربعون كلمة وحروفها أربعة آلاف وسبع مئة وتسعون حرفاً.

وانتظام أول هذه السورة بآخر السورة التي قبلها: أنهما جميعاً في بيان أن القرآن منزل من عند الله معجزةً لرسول الله هادياً الخلق إلى الله.

وانتظام السورتين: أنهما جميعاً في بيان وحدانية الله تعالى، وإبطالِ الشرك بالله، وذكرِ قصص الدعاة إلى الله.

* * *

(١) ـ ﴿طسٓۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ﴾.

وقوله تعالى: ﴿طسٓ﴾ مرت الأقاويل فيه.

﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ﴾: أي: هذه آياتُ القرآن ﴿وَكِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ وهو القرآن، وإنما جمع بينهما لاجتماع الوصفين له، فإنه يُقرأ ويُكتب، والواو ليست للمغايرة بل للدلالة على الوصفين.

وقيل: هو للمدح[1] كما في قوله: ﴿وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا﴾ [آل عمران: ٣٩]، وإنما عرَّف الأول ونكَّر الثاني؛ لأن الأول كاسم العلم له، والثاني كالصفة له، ويجوز في صفة العلم التعريف والتنكير: زيد رجل عاقل، وزيد الرجل العاقل.

وقال في سورة الحجر: ﴿الٓرۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ﴾ [الحجر: ١] فعرَّف الكتاب ونكَّر القرآن، وهاهنا على قلبه[2]؛ لأن كل واحد من الاسمين جُعل اسماً له[3] مطلقاً وفيه معنى الصفة، وأيُّهما جعل اسماً والآخرُ صفةً صح هذا.

* * *

---

(١) «وقيل: هو للمدح» ليس في (أ).

(٢) في (ر) و(ف): «ثلاثة»، ولعلها محرفة عن: «خلافه».

(٣) «له» من (أ).

(٢ ـ ٣) ـ ﴿هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝٢ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿هُدًى وَبُشْرَىٰ﴾: قال الفرَّاء: يجوز أن يكون نصباً على القطع، ورفعاً على الاستئناف[1] على تقدير: هو هدًى وبشرى.

﴿لِلْمُؤْمِنِينَ ۝٢ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾: خصَّهم بإضافة الهدى والبشرى إليهم؛ لحصول نفع ذلك لهم على ما مر شرحه في أول سورة البقرة.

وإذا أيقنوا بالآخرة كانوا مشفقين من التقصير؛ كما قال: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٠]، وكذلك إذا أيقنوا بالجزاء كانوا أنشطَ في الطاعة وأحرصَ عليها؛ كما قال تعالى: ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ [الأنبياء: ٩٠].

* * *

(٤) ـ ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾: ذكر الذين لا يؤمنون بالآخرة بعدما ذكر المؤمنين بها، وذكر صفتهم فقال: ﴿زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ﴾؛ أي: الأعمالَ التي يعملونها بما ركَّبنا فيهم من الشهوات والأماني حتى رأوا ذلك حسناً؛ كما قال: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا﴾ [فاطر: ٨]، وهو كالختم والطبع، وفيه إثبات خلقِ الله تعالى أفعالَ العباد.

وفي قوله في أول الآية: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ وفي آخرها: ﴿فَهُمْ يَعْمَهُونَ﴾ إثبات الأفعال، وثبت بذلك صحة مذهب أهل السنة والجماعة.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢٨٦).

﴿فَهُمْ يَعْمَهُونَ﴾: أي: يترددون في الضلالة متحيِّرين.

* * *

(٥) - ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ﴾.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ﴾: بما كان منهم من سوء الأعمال، و﴿سُوءُ الْعَذَابِ﴾: اشتداده وامتداده، وقيل: هو قتلُهم يومَ بدر.

قوله: ﴿وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ﴾: تكرار كلمة ﴿هُمُ﴾ للتحقيق والتأكيد، وكذلك في الآية الأولى: ﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾.

و﴿الْأَخْسَرُونَ﴾؛ أي: الخاسرون؛ كما في قوله: الله أكبر، ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧] أنه بمعنى الكبير والهين.

وقيل: هو على حقيقته للتفضيل، ومعناه: هم الأخسرون من الخاسرين في الدنيا؛ أي: الأعظمون هلاكاً والأبينون[١] خسراناً؛ لأنهم خسروا الجنة ومجاورةَ الأنبياء والأولياء واكتسبوا سوء العذاب ومجاورةَ الشياطين والكفار، فمَن أظهر غبناً منهم؟

وقيل: قد يكون في النار خاسرين وهذه الطبقة أخسرُهم.

وقال القشيري: ﴿زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ﴾: أغشيناهم فهم لا يبصرون، وعمَّيناهم عن سواء السبيل فهم عنه يعدلون، أولئك الذين في ضلالتهم يعمهون، وهم في حيرتهم يتردَّدون.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ﴾ وهو أن يجد الآلام ولا يعرفَ المبتلي فيتسلَّى بمعرفته ويخفَّ عنه البلاء بمشاهدته، وهو للكفار كذلك، وأما المؤمنون فيخفِّف

---

(١) في (ر): «والأثبتون»، وفي (ف): «والأسؤون».

عنهم العذابَ في الآخرة حُسنُ رجائهم بالله، ثم تضرُّعهم إلى الله، ثم فضلُ الله معهم بالتخفيف، ثم تغييبُه إياهم عن الإحساس به حالةَ التعذيب[١].

* * *

(٦ ـ ٧) ـ ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ﴾: أي: لتُلقَّنُه وتُعلَّمُه[٢] ﴿مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ﴾؛ أي: من عند الله الذي هو مصيب في أفعاله وأقواله ﴿عَلِيمٍ﴾ بكلِّ شيء وأحواله.

وقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ﴾: أي: واذكر إذ قال موسى ﴿لِأَهْلِهِۦٓ﴾: لزوجته وولده ومَن كان معه في سفره إذ خرج من مدينَ يقصد الشام:

﴿إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا﴾: أي: أبصرتُ؛ أي: امكثوا هاهنا وأنا أذهب إليها.

﴿سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ﴾: أي: بدلالةٍ على الطريق؛ كما قال: ﴿أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى﴾ [طه: ١٠]، وكان ضلَّ الطريق مع وجود البرد.

﴿أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ﴾: قرأ عاصم وحمزة والكسائي: ﴿بِشِهَابٍ﴾ منوَّناً غيرَ مضاف[٣]، والشهاب: الشُّعلة، والقبس: ما اقتُبس من نارٍ كثيرةٍ على طرفِ خشبة، والتنوين على أن الثانيَ بدل وترجمةٌ عن الأول، وتركُ التنوين على الإضافة، وهو قد يكون إضافةَ الشيء إلى نفسه، كـ ﴿حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦]، و﴿وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ﴾ [ق: ٩]،

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» (٣/ ٢٤).

(٢) في (ر) و(ف): «تلقنه وتعلم».

(٣) وقرأ باقي السبعة بغير تنوين. انظر: «السبعة» (ص: ٤٧٨)، و«التيسير» (ص: ١٦٧).

وقد يكون على أن الشهاب اللهبُ، والقبسَ: النار التي في الخشب، فكان إضافةَ الشيء إلى غيره.

﴿لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾: أي: تستدفئون[1] بالنار من البرد الذي أصابكم.

* * *

(٨) ـ ﴿فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهَا﴾: أي: النارَ ﴿نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ﴾ قال الفراء والكسائي: تقول العرب: باركك الله، وبارك فيك، وبارك لك، وبارك عليك[2]، قال الشاعر:

فبُورِكْتَ مولوداً وبُورِكْتَ ناشئاً ... وبُورِكْتَ عند الشيبِ إذ أنتَ أَشْيبُ[3]

و﴿نُودِيَ﴾؛ أي: جاءه النِّدَاء، وهو الكلام المسموع، والمنادي هو الله تعالى كما قال: ﴿وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ﴾ [مريم: ٥٢].

﴿أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ﴾؛ أي: نودي بهذا الكلام: ﴿بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ﴾: الملائكةُ الذين أحضرهم الله تعالى ذلك المكان إكراماً لموسى عليه السلام، كالملِك منا إذا أراد إكرام رجل من أوليائه أو إرسالَه في وجهٍ جليلِ الخطر أشهَدَ ذلك الموضعَ خواصَّه وعظماء[4] حشَمه.

---

(١) في (ر): «تستنفعون تتدفؤون»، وليست في (ف).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢٨٦)، وليس فيه: (وبارك لك)، وذكر النحاس في «إعراب القرآن» (٣/ ١٣٦) عن الكسائي: (باركك الله وبارك فيك)، وذكرها كلها دون عزو الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ١٩٠).

(٣) البيت للكميت، وهو في «ديوانه» (٢/ ١٨٧) طبعة عالم الكتب، وذكره دون عزو الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ١٩٠)، والواحدي في «البسيط» (١٧/ ١٦٤).

(٤) في (ر): «وعظام».

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾: الملائكة أيضاً، بارك الله عليهم؛ أي: تابع لهم الخيرات ليَعلم موسى أنه هُيِّئ[١] في ذلك المقام لأمر عظيم أحضره المقرَّبين من الملائكة، وكأنه قال: بركاتُ الله على مَن في النار ومَن حولها، على وجه الدعاء، وحقيقتُه راجعةٌ إلى الإخبار من الله تعالى بفعلِ البركات بهم، ولم يكن للنار تأثير فيهم[٢] كما في خزَنة جهنم، على أن هذه النار لم يكن لها إحراقٌ ولذلك تضرَّمت في الشجرة الخضراء.

وقيل: دخل موسى في هذه البركة معهم أيضاً؛ لأنه[٣] كان مع مَن حولها.

وقيل: يجوز أن يكون أراد بـ ﴿مَن فِي ٱلنَّارِ﴾: مَن دنا منها وإن لم يكن فيها؛ كما يقال: ورَدْنا البلد، و: صرنا في البلد؛ أي: قربنا منها[٤]، وهم الملائكة أيضاً الذين بقربها وحولها.

وقيل: ﴿مَن فِي ٱلنَّارِ﴾؛ أي: مَن في طلَب النار وهو موسى ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾: الملائكة.

وقيل: يجوز أن تكون (مَنْ) في معنى (ما) كما في قوله تعالى: ﴿مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ﴾ [النور: ٤٥]، ومعناه: بورك ما في النار وما حولها من أمر الله؛ أي: ما دل الله بهذه النار عليه من [أن][٥] الأمر الذي جعله علَماً لموسى على نبوته أمرٌ مبارك؛ لأن

---

(١) في (ر) و(ف): «تهيأ».

(٢) في (ر) و(ف): «ولم يكن للتأثير فيهم».

(٣) في (ر) و(ف): «إلا أنه».

(٤) في (أ): «قريباً منه».

(٥) زيادة يقتضيها السياق.

فيه نجاةً من الجهل وهدًى من الضلالة، وتخليصاً للعباد المستضعفين[١]، وغيره من جلائل الأمور.

﴿وَسُبْحَانَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ﴾: أي: واللهُ منزَّهٌ عن أن يكون له شريك أو يوصفَ بما لا يليق به.

***

(٩ ـ ١٠) ـ ﴿يَامُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾ وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَامُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾.

﴿يَامُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ﴾: أي: المنيع فلا أغالَبُ ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ في أقوالي وأفعالي، فلحكمتي اخترتُك لرسالتي، و﴿إِنَّهُۥٓ﴾ الهاءُ للعماد كما في قوله: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى﴾ [المؤمنون: ١٠٩].

﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ﴾: أي: اطرح[٢] العصا التي بيدك.

﴿فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ﴾: أي: فألقاها فرآها تتحرك ﴿كأنها جان﴾؛ أي: حية ﴿وَلَّىٰ مُدْبِرًا﴾؛ أي: هرب خوفاً من وثوب الحية عليه ﴿وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾؛ أي: لم يرجع ولم يحوِّل عَقِبه متوجِّهاً إلى عصاه.

﴿يَامُوسَىٰ لَا تَخَفْ﴾: أي: قلنا له: يا موسى لا تخف ﴿إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾؛ أي: عندي، ومعناه: في[٣] حال خطابي إياهم، و﴿لَا تَخَفْ﴾؛ أي: لا يخاف ما دوني.

***

---

(١) في (ر) و(ف): «المستصفين».

(٢) في (ر) و(ف): «أخرج».

(٣) «ومعناه في» ليس في (أ).

(١١) ـ ﴿إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾.

﴿إِلَّا مَن ظَلَمَ﴾: أي: لكنْ مَن زلَّ من المرسلين فجاء منه غيرُ ما أَذنتُ[١] له به ﴿ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا﴾؛ أي: أَتبعَ توبةً وندماً[٢] ﴿بَعْدَ سُوٓءٍ﴾؛ أي: زلةٍ ﴿فَإِنِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ أقبل توبته، وأغفر زلَّته، وأرحمه فأحقِّق أمنيته. و﴿إِلَّا﴾ بمعنى (لكن) على هذا التأويل.

ووجهٌ آخر: ﴿لَا يَخَافُ﴾ عند خطابي أحدٌ من رسلي ﴿إِلَّا مَن ظَلَمَ﴾ أي: زلَّ زلةً فإنه يخاف، ثم هاهنا مضمر: ومَن ظلَم ﴿ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوٓءٍ﴾؛ أي: تاب بعد زلة ﴿فَإِنِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾.

ووجهٌ آخرُ: ﴿لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ١٠ إِلَّا مَن ظَلَمَ﴾ منهم، وتم هذا الكلام، ﴿ثُمَّ بَدَّلَ﴾؛ أي: ثم إنْ ﴿بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ له، فالمضمر فيه كلمة (إنْ).

وقيل: معناه: ﴿لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ بل غيرُهم الخائف ﴿إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوٓءٍ﴾ فإنه مع إبداله الحسنَ بعد السوء يخافني، وأنا غفور رحيم أُومِنُه من خوفه وأرحمه وأغفر له.

قالوا: وهذه إشارة إلى أن موسى إنما خاف في الموضع الذي لا يخاف سائر الأنبياء؛ لِمَا سبق منه من قتل القِبطي وإن كان من غيرِ قصدٍ؛ كما قال: ﴿فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ [القصص: ١٥] إلى قوله: ﴿ظَلَمْتُ نَفْسِي فَٱغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓ﴾ [القصص: ١٦].

قالوا: ولما خاف موسى زلةً واحدة لم يقصدها، وأحسنَ العذر عنها، وعفا الله

(١) في (ر): «أذن».

(٢) «وندماً» ليست في (أ).

عنه ذلك، حضره ذلك بعد سنين كثيرةٍ حتى خاف في الحال التي لا يخاف فيها سائر الرسل، فما حال مَن عصى الله تعالى معاصيَ كثيرةً عمداً في طول عمره، كيف لا يخاف عند الموت؟ وهو الحالة(١) يَخاف فيها كل الخلائق.

***

(١٢) ـ ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ﴾: أي: في جيب قميصك ﴿تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾؛ أي: آفَةٍ من برصٍ وغيره.

﴿فِي تِسْعِ آيَاتٍ﴾؛ أي: هما معجزتان: عصاك ويداك في جملةِ تسعِ معجزات أُوتِيْتَها(٢)، وقد عدَّدْناها في آخر سورة بني إسرائيل.

﴿إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ﴾: أي: مبعوثٍ بهن أنت إلى فرعون وأشرافِ قومه، حُذف ذلك لدلالة الكلام عليه؛ كما قال الشاعر:

رأتْني بحَبْلَيها فصَدَّتْ مَخافةً ... وفي الحبل روعاءُ الفؤادِ فَرُوقُ(٣)

أي: رأتني مقبلاً بحبليها.

---

(١) في (ر): «وهذه حالة»، وفي (ف): «وهذا بحالة».

(٢) في (ف): «أوتيكها».

(٣) البيت لحميد بن ثور كما في «الغريبين» للهروي (١/ ٢٤٠)، ودون نسبة في «معاني القرآن» للفراء (١/ ٢٣٠) و(٢/ ٢٨٨)، و«تأويل مشكل القرآن» لابن قتيبة (ص: ١٣٨)، و«تفسير الطبري» (٥/ ٦٨٤) و(١٨/ ٢١)، و«أساس البلاغة» (مادة: روع). يقول الشاعر في وصف ناقته: رأتني مقبلاً ـ أو: أقبلتُ ـ بحبليها، فترك ذكر (مقبلاً) استغناء بمعرفة السامعين معناه في ذلك، إذ قال: (رأتني بحبليها). ويقال: ناقة روعاء الفؤاد؛ أي: حَديدته ذكيَّته. وفَروق: خائفة.

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾: أي: هم متقادِمو الفسق، وهو الخروج عن طاعة الله.

* * *

(١٣ ـ ١٤) ـ ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ (١٣) وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا﴾: أي: المعجزاتُ التي آتيناها موسى ﴿مُبْصِرَةً﴾؛ أي: واضحةً بينة، و[1] ﴿مُبْصِرَةً﴾: ذاتَ إبصارٍ؛ أي: فيها إبصارٌ لمن نظر إليها.

﴿قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾: أي: قالوا لمعجزته: هذا تخييلٌ لا حقيقةَ له، ظاهرٌ لمن تأمَّله.

﴿وَجَحَدُوا بِهَا﴾: أي: أنكروها ﴿وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ﴾؛ أي: وقد تيقَّنت بصحتها قلوبُهم ﴿ظُلْمًا﴾ لأنفسهم ولآيات الله بوضعها غيرَ موضعها ﴿وَعُلُوًّا﴾: تكبُّراً من اتِّباع موسى، وترؤُّساً على الناس.

قوله تعالى: ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾: أي: فانظر يا محمدُ نظرَ اعتبارٍ بالقلب كيف كان ختمُ أمرهم في الدنيا الهلاك، ثم لهم في الآخرة أشدُّ العذاب وذلك حال قومك.

* * *

(١٥) ـ ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا﴾: أَتْبَع قصة موسى قصةَ داود وسليمان، وفي الأولى: البلاء والصبر، وفي الثانية: العطاء والشكر؛ تنبيهاً لمحمدٍ

---

(١) كذا وقعت في النسخ بالواو، ولعل الصواب: (أو).

ﷺ على فضلهما، ودعاءً له إليهما، واقتداءً منه بهما؛ قال الله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠].

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا﴾؛ أي: أعطينا ﴿دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا﴾؛ أي: بالدِّين والحُكم وغيرِ ذلك، قال: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ﴾ [الأنبياء: ٨٠] قال: ﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ۝١٠ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ﴾ [سبأ: ١٠ ـ ١١]، وقال في سليمان: ﴿عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ﴾ [النمل: ١٦]، وقال في حقهما جميعاً: ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [الأنبياء: ٧٩].

﴿وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: بما آتانا.

ودلت الآية على خلق أفعال العباد، وعلى فساد القول بالأصلح، فإن الحمد لا يجب على أداء ما عليه، فدل على أنه كان متفضِّلاً بما أعطاهما فاعلاً ما ليس عليه.

***

(١٦) ـ ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾: ملكَه وعلمه ﴿وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ﴾؛ أي: تفضل الله عليَّ بزيادةٍ على ما ورَّثنيه[١] من أبي من النبوة والملك والعلم، بأنْ علَّمني منطق الطير؛ أي: فهَّمني[٢] ما يقول الطير.

قوله تعالى: ﴿وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ﴾: أي: أعطانا الله الكثير من خيرات الدنيا[٣]

---

(١) في (ر): «ورثته».

(٢) في (ر): «وألهمني» بدل: «أي فهمني».

(٣) في (ف): «من جراب الأرض».

ونعمها، وهو للتكثير لا للاستيعاب؛ كقوله تعالى: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيۡءِۭ بِأَمۡرِ رَبِّهَا﴾ [الأحقاف: ٢٥] ﴿وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [النمل: ٢٣].

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: ﴿وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيۡءٍ﴾ سألناه أن يؤتينا، [أو]: ﴿وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيۡءٍ﴾ يؤتاه الأنبياء والملوك مما يحتاجون إليه[١].

قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡمُبِينُ﴾: مبينٌ عن نفسه ولا يخفى على مَن شاهده جلالةُ قَدْرِه.

***

(١٧) ـ ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيۡمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ وَٱلطَّيۡرِ فَهُمۡ يُوزَعُونَ﴾.

قوله: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيۡمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ وَٱلطَّيۡرِ فَهُمۡ يُوزَعُونَ﴾: أي: جُمع وسِيق في مسير سليمان[٢] ما سخِّر له من جنود الإنس والجن والطير، فهو يسير فيهم كما يسير الملِك في عسكره.

قال محمد بن كعب القرظي: كان عسكرُه مئةَ فرسخ؛ خمسة وعشرون للإنس، وخمسة وعشرون للجن، وخمسة وعشرون للطير، وخمسة وعشرون للوحش.

قوله ﴿فَهُمۡ يُوزَعُونَ﴾: أي: فعليهم وَزَعةٌ يَحبسون أولهم على آخرهم إذا تفرَّقوا حتى يجتمعوا في مسيرهم، وذلك أحسنُ في الهيئة[٣]، وأهيَبُ في الرؤية.

وقال أبو عوسجةَ: ﴿يُوزَعُونَ﴾؛ أي: يساقون[٤].

---

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٨/ ١٠٤).

(٢) في (ر): «في مسيره لسليمان».

(٣) في (ف): «الهيبة».

(٤) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٨/ ١٠٤).

وقال القُتبي: ﴿يُوزَعُونَ﴾؛ أي: يُدفعون(١).

والوَزْع: الكفُّ والمنع، والوَزَعة: جمع وازعٍ، وهو الذي يكفُّ الجيش من التفرُّق والانتشار، ويكفُّ العامة عن التظالُم والإفساد، وفي الخبر(٢): ما يَزَعُ السلطانُ أكثرُ مما يَزَع القرآن(٣).

* * *

(١٨) ـ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ﴾: أي: على وادٍ فيه نملٌ كثير، وهو كما يقال: هذا بلدُ الإبل؛ أي: الإبلُ فيه كثيرةٌ، وكذا: هذا بلدُ النمل، وكان النمل يكون في غير ذلك الوادي أيضاً، لكن كانت به كثيرةً.

قوله تعالى: ﴿قَالَتۡ نَمۡلَةٞ﴾: أي: سمع سليمان نملةً تقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ﴾؛ أي لا يَدُقَّنكم ﴿سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ﴾؛ أي: خيلُ سليمانَ وجنودِه بأرجلها ولا يكسرنَّكم بذلك ﴿وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾؛ أي: لا يعلمون بمكانكم، قالت النملة ذلك على وجه العذر، ووصفت سليمان وجنوده بالعدل.

أو(٤) قوله: ﴿وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ قول الله تعالى، ومعناه: سمع سليمان وعلم

---

(١) انظر: «غريب القرآن» لابن قتيبة (ص: ٣٢٣).

(٢) في (أ) و(ر): «وقال النبي ﷺ» بدل: «وفي الخبر».

(٣) رواه ابن شبة في «أخبار المدينة» (١٧٠٤) من قول عثمان رضي الله عنه. والخطيب في «تاريخ بغداد» (٤/ ١٠٧) من قول عمر رضي الله عنه.

(٤) في (ر): «و».

ذلك وجنوده لا يشعرون بذلك، وهو قول ابن عباس[١].

وقيل: والنمل لا يشعرون أن الجنود تمر في الهواء أم تنزل إلى الأرض فتدقهم.

وجمع ﴿ٱدۡخُلُواْ﴾ بالواو، و﴿مَسَٰكِنَكُمۡ﴾ بالميم وكذلك ﴿لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ﴾ وهو خطاب العقلاء وكنايتهم؛ لأنها وصفتهم بصفات العقلاء.

* * *

(١٩) - ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكٗا مِّن قَوۡلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

قوله تعالى: ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكٗا مِّن قَوۡلِهَا﴾: تعجُّباً منها وسروراً بما أعطاه الله مِن فَهم كلامها ﴿وَقَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ﴾؛ أي: ألهِمْني ﴿أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ﴾ من النبوة والعلم والمُلك وغير ذلك ﴿وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ﴾ والإنعامُ على الوالدين إنعامٌ على الولد.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ﴾ في بقية عمري ﴿وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾؛ أي: وأدخلني الجنة برحمتك مع عبادك الصالحين، وهم الأنبياء ومن تبعهم من أهل الجنة، وذلك برحمة الله، وهو دعاءٌ بحُسن العاقبة كدعاء يوسف: ﴿تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١].

وقال مقاتل: نَسجت الشياطين لسليمان عليه السلام بساطاً فرسخاً في فرسخ ذهباً في إبريسم، وكان يوضع له منبرٌ من الذهب في وسط البساط فيقعد عليه وحوله ثلاثةُ آلاف كرسي من ذهب وفضة، تقعد الأنبياء على كراسي الذهب والعلماء على كراسي الفضة وحولهم الناس، وحول الناس الجنُّ والشياطين، وتُظلُّه الطير

---

(١) ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» (٦/ ١٦٢).

بأجنحتها حتى لا تقع عليه الشمس، وترفع ريح الصبا البساط مسيرةَ شهر من الصباح إلى الرَّواح ومن الرَّواح إلى الصباح[١].

قال ابن عباس: كانت النمل إذ ذاك كالذئاب والكلاب[٢].

وقال مجاهد: كانت نملاً ذواتِ أجنحةٍ[٣].

وفي نسخة[٤] الشيخ أبي القاسم بن حبيب عن وهب قال: قرأتُ في بعض الكتب أن سليمان ركب ذات يوم مركبَ الريح، فلما قرُب من وادي النمل سمع قولَ النمل، وكان يسمع قولها من ثلاثة أيام أو[٥] أميال فأمر الريح حتى وقفت فقال للنملة: ما قولك: ﴿لَا يَحْطِمَنَّكُمْ﴾ وكيف أحطمنكم وأنا على الهواء؟ فقالت: إني لم أُرِدْ حَطْم الأرجل، إنما أردتُ حتى لا ينظروا إلى ملكك فيتمنَّوه، فيكون ذلك حطماً لقلوبهم[٦].

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ١٩٦).

(٢) رواه البخاري في «التاريخ الكبير» (١/ ٦٠)، والطبري في «تفسيره» (١٨/ ٢٨)، عن نوف البكالي قال: (كان نمل سليمان بن داود مثل الذئاب)، وذكره الواحدي في «البسيط» (١٧/ ١٨٨) عن نوف وشقيق بن سلمة، وعن بريدة الأسلمي: أنها كانت كهيئة النعاج، ثم تعقب ذلك بقوله: ولو كانت كالذئاب والنعاج ما حُطِمت بالوطء ولا خافت ذلك. وقال ابن كثير بعد أن ذكر قول نوف البكالي: هكذا رأيته مضبوطا بالياء المثناة من تحت: (الذياب) وإنما هو بالباء الموحدة، وذلك تصحيف، والله أعلم.

(٣) لم أجده عن مجاهد، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٨٥٧) عن الشعبي، وكذا ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ١٩٧)، والسمعاني في «تفسيره» (٤/ ٨٦)، وابن عطية في «المحرر الوجيز» (٤/ ٢٥٣).

(٤) في (أ): «تفسير».

(٥) «أيام أو» من (ف).

(٦) انظر التعليق الآتي.

وفي رواية: خفتُ أن يشتغلوا بالنظر إلى ذلك فيغفلوا عن تسبيح الرب[1].

ثم قالت: يا سليمان ما سألتَ ربك؟ قال: سألتُه ﴿مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ﴾ [ص: ٣٥]، قالت: فما أعطاك؟ قال: أعطاني خاتماً جعل ملكي فيه، قالت: إنه يقول: لا تفتخر به فإنه حجر، قالت: وما أعطاك أيضاً؟ قال: أعطاني مركب الريح[2]، قال: ركبتُ مركباً غدوُّها شهرٌ ورواحُها شهر، قالت: فأين أنت من مركب يوصلُك في ساعة إلى العرش؟ ثم قالت: إن جندي أطوعُ لي من جندِك لك، قال: ولم؟! قالت: لأنهم يريدون منك الرزق ويَعصون ربهم، وجندي مطيعون لله ولا يسألون مني الرزق.

ثم قالت: يا نبي الله أتدري لم صار اسم أبيك داودَ واسمُك سليمان؟ قال: لا، قالت: لأن أباك داوى جرحه فوُدَّ، وأنت سُليمُ آن لك أن تلحق بأبيك، فعند ذلك تبسَّم سليمان ضاحكاً من قولها[3].

وفي رواية: قالت له: كما سخِّرتْ لك الريح فزوالها من يدك كزوال الريح.

وعن أبي الصدِّيق الناجي[4] قال: ركب سليمان يوماً فعدل عن الطريق وأخذ

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ١٩٧ ـ ١٩٨) قال: ورأيت في بعض الكتب أنّ سليمان لمّا سمع قول النملة قال: ائتوني بها، فأتوه بها فقال لها: لم حذّرت النمل ظلمي؟ أما علمت أنّي نبي عدل؟ فلم قلت: لا يَحْطِمَنَّكم سليمان وجنوده؟ فقالت النملة: أما سمعت قولي: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾؟ مع أنّي لم أرد حطم النفوس وإنّما أردت حطم القلوب، خشيت أن يتمنَّيْنَ ما أُعطيت ويشتغلن بالنظر عن التسبيح.

(٢) في (ر) و(ف): «قالت وما أعطاك أيضاً في مركب الريح».

(٣) ذكره بنحوه الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ١٩٨)، وحقي في «روح البيان» (٦/ ٣٢٥)، ولفظ الثاني: (لأن أباك داوى قلبه عن جراحة الالتفات الى غير الله فودّ، وأنت سُلَيم ـ تصغير سليم ـ آن لك ـ أي: حان لك ـ أن تلحق بأبيك).

(٤) في (ف): «وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه».

في غيره، فقيل له في ذلك، فقال: جاءت خُطَّافةٌ فقالت: إني قد(١) أخرجت فراخي أعلِّمها الطيران، وإن أخذت على طريقك حطَمْتَهنَّ، فعدلْتُ عنه لأجلهنَّ.

وحكي أن الناس قُحِطوا على عهد سليمان، فجمع سليمان الناس فخرج بهم للاستسقاء، فلما رجعوا مروا على نملة رافعةٍ يديها تدعو الله وتقول: اللهم لا تحبِسْ عنا رزقَنا بخطايا بني آدم، فأوحى الله تعالى إلى سليمان: إني قد استجبتُ لهذه النملة، فأُمطِرَ الناس، فقالوا: هذه بدعوة نبي الله سليمان، فقال لهم سليمان: إنها ليست بدعوة سليمان، ولكن الله قد استجاب للنملة.

* * *

(٢٠) ـ ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَالِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ﴾: أي: تعرَّف الطير فلم يجد فيها الهدهد، وكان هذا في مسير سليمان، وظاهرُ نظم هذه الآيات يدل على أنه كان في مسيره إلى وادي النمل.

وقال الخليل: التفقُّد: طلب ما غاب(٢).

قال ابن عباس رضي الله عنهما: كان سليمان يوضع له ستُّ مئة ألف كرسي، ثم يجيء أشراف الناس حتى يجلسوا مما يليه، ثم تجيء أشراف الجن حتى يجلسوا مما يلي الإنس، ثم يدعو الطير فتُظلُّهم، ثم يدعو الريح فتحملهم، ثم يسير في الغداة الواحدة مسيرةَ شهر، فبينما هو كذلك في مسيره إذ احتاج إلى الماء وهو في فلاةٍ من الأرض، فيدعو الهدهد فينقر الأرض فيدلهم على موضع الماء، فتجيء الشياطين

---

(١) «قد» من (ف).

(٢) انظر: «العين» (٥/ ١٢١).

إلى ذلك المكان، فيسلخونه كما يُسلخ الإهاب فيخرجون منه الماء.

فقال له نافع بن الأزرق: قِفْ يا وقّاف، أرأيت قولك: ثم يجيء الهدهد فينقر الأرض فيصيب موضع الماء، كيف يبصر هذا ولا يبصر الفخَّ يجيء إليه حتى يقع في عنقه؟! فقال ابن عباس: ويحك إن القدَر حال دون البصر(١).

وقيل: كان يَرى الماءَ في الأرض كما يُرى الماءُ في الزجاج.

وقيل: بل كان يَعْرض جنوده من الطير وغيرها، فتفقَّد الغائبَ منهم والحاضرَ(٢)، وإنه كان يأتيه من كلِّ صنفٍ واحدٌ نُوباً، فلم ير الهدهد(٣).

وقيل: كانت الطير تظلُّه حتى تسترَه عن الشمس بتقارب أجسامها وأجنحتها، فيقال: إن الشمس سقطت عليه من مكان الهدهد، فنظر إلى الطير فوقه فلم يره وقال ما قال.

وقيل: كان يسلِّم غداءَ كلِّ واحد منهم بنفسه، فنظر إليه فطلبه ليسلِّم إليه غداءه فلم يجده.

وقوله تعالى: ﴿فَقَالَ مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ﴾: بدأ أولاً بنفسه ثم قال: ﴿أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ﴾ قال الكسائي والأخفش: أي: بل كان.

وقيل: هاهنا مضمر فيه ألف الاستفهام ثم عطف عليه ﴿أَمْ﴾، وذلك: أحاد بصري عنه بسببٍ ﴿أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ﴾.

ولقوله ﴿كَانَ﴾ وجوه:

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣١٨٥٢)، والطبري في «تفسيره» (١٨/ ٣٠).

(٢) في (ف): «الغائب منها من الحاضر».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٣١) عن وهب.

أحدها: أنها زائدة، وتقديره: أم هو من الغائبين، كقوله: ﴿كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ [مريم: ٢٩].

والثاني: أم صار، كقوله: ﴿فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾ [هود: ٤٣].

والثالث: أم كان قبل هذه الساعة غائباً فلغيبته لم أره الساعة.

***

(٢١) - ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾.

وقوله تعالى: ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ قيل: أي: لأنتفنَّ ريشه ولأطرحنَّه في الشمس، وهو قول ابن عباس ومقاتل بن سليمان(١).

وقال مقاتل بن حيان: لأَطْلِيَنَّه بالقَطِران ولأشمِّسنَّه(٢).

وقيل: لأمنعنَّه من خِدمتي.

وقيل: لأفرِّقن بينه وبين إلفه.

وقيل لأغيِّبنَّه عن وطنه.

وقيل: أي: لأضُمَّنه إلى خلافِ جنسه.

﴿أَوْ لَأَاذْبَحَنَّهُ﴾، ثم جعل لنفسه مخرجاً مما توعَّده به فقال: ﴿أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾؛ أي: بحجةٍ ظاهرة له فيها عذرٌ ظاهر في غيبته.

وقيل: إنَّ جبريل عليه السلام قال له وبقي شيء لم يقله: أو لأعفون عنه، وهو

---

(١) رواه عن ابن عباس الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٣٣)، وهو في «تفسير مقاتل» (٣/ ٣٠٠).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ١٩٨).

الأليقُ بالكرم(١) والأقرب إلى التقوى، هذا في حق طيرٍ غاب عن خدمة سليمان ساعةً فكيف بالعصاة الهِرَاب من الباب.

* * *

(٢٢) ـ ﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴾: أي: لبث الهدهد زماناً قليلاً.

وقيل: لبث سليمان وجاء الهدهد ﴿فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ﴾: أي: علمت ما لم تعلم، وقيل: رأيتُ ما لم ترَ.

وقيل: أدركتُ ما لم تدركْ.

وقيل: أي: شهدتُ ما لم تشهدْ.

ثم فسره فقال: ﴿وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ﴾: وهي قرية بلقيس ﴿بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾؛ أي: بخبرٍ متيقَّن، والباء للتعدية، و(سبأ) ينوَّن ويكون مذكَّراً لأنه اسم رجل وهو أصل القبيلة أو اسم المكان، ولا ينوَّن ويكون مؤنَّثاً ويكون اسماً للقبيلة أو للقرية(٢).

* * *

(٢٣) ـ ﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾.

قوله تعالى: ﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ﴾: أي: تملك أهلَ سبأ ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ أي: مما تحتاج إليه الملوك: من الرجال والأموال والآلات وصنوف النِّعم.

---

(١) في (ر): «بالكرام».

(٢) في (ر) و(ف): «للعرب».

﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾: أي: سريرٌ عظيم تجلس عليه كما تجلس الملوك على الأسرَّة تعظُّماً.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: كان عرشها ثلاثين ذراعاً في ثلاثين ذراعاً، طولُه في الهواء ثلاثون ذراعاً[١]، معمول من ذهب قوائمه من لؤلؤ وجوهر[٢].

وقال مقاتل: كان ثمانين ذراعاً في ثمانين ذراعاً، وطوله في الهواء ثمانين ذراعاً، مكلَّل بالجواهر والدرِّ واليواقيت[٣].

وعن وهبٍ شرحُه على ما يتبيَّن من بعدُ إن شاء الله تعالى.

قرأ ابن كثير وأبو عمرو: ﴿مِن سَبَأَ﴾ غير مصروف[٤]، والباقون مصروفاً.

وقال الزجَّاج: (سبأ) مدينة تُعرف بمأرب من اليمن، بينها وبين صنعاء مسيرة ثلاثة أيام، فإذا صُرف فعلى البلد، وإذا لم يُصرف فعلى المدينة[٥].

* * *

(٢٤) ـ ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾.

﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ﴾: أي: يعبدونها ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ

---

(١) في (ر) و(ف): «ثمانون ذراعاً»، والمثبت من (أ)، وكذا ذكره عن ابن عباس الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ٢٠٣).

(٢) روى هذه القطعة عن ابن عباس الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٤٠).

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٣٠١).

(٤) وهي رواية البزي عن ابن كثير. انظر: «السبعة» (ص: ٤٨٠)، و«التيسير» (ص: ١٦٧).

(٥) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ١١٤).

﴿أَعْمَٰلَهُمْ﴾؛ أي: حبَّب إليهم كفرهم ومعاصيهم ﴿فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾؛ أي: فعدل[1] بهم عن الطريقة المستقيمة، وهي التوحيد وإخلاص العبادة لله.

وأطلق ﴿ٱلسَّبِيلِ﴾ لأن السبيل الذي لا يجوز سلوكها ممنوعٌ منه فكأنه ليس بسبيل.

قوله تعالى: ﴿فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾: لذلك لسبيل الرشد.

* * *

(٢٥) ـ ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾.

﴿أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ﴾: قرأ الكسائي وأبو جعفر ورويسٌ عن يعقوب بالتخفيف[2]، ومعناه: (ألَا) كلمة تنبيهٍ، و﴿يَسْجُدُوا۟﴾ بمعنى: يا اسجدوا، (يا) نداء والمنادى مضمر؛ أي: يا هؤلاء اسجدوا لله، قال ذو الرُّمَّة:

ألَا يـا اسْـلَمي يـا دارَ مَـيَّ عـلى البِـلَى ولا زالَ مُنْهَـلًّا بجَرْعائـكِ القَطْـرُ[3]

وقرأ الباقون بالتشديد، وله وجوه:

أحدها: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ ألَّا يسجدوا.

والثاني: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ أعمالهم لئلا يسجدوا.

والثالث: ﴿فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ لئلا يسجدوا.

---

(١) في (ر): «فضل»، وفي (ف): «قعد».

(٢) ويقف هؤلاء على (يا)، ويبتدئون: (اسجدوا) على الأمر. انظر: «السبعة» (ص: ٤٨٠)، و«التيسير» (ص: ١٦٧ ـ ١٦٨)، و«النشر» (٢/ ٣٣٧).

(٣) انظر: «ديوان ذي الرمة» (١/ ٥٥٩).

والرابع: ﴿فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾ أن لا يسجدوا، ومعناه: أن يسجدوا، و(لا) زائدة، كما في قوله: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾ [الأعراف: ١٢]؛ أي: أن تسجد.

والخامس: ﴿فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾ لقُبحِ أن لا يسجدوا لله، كما قالوا في قوله: ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا﴾ أي: كراهة أن تضلوا على الإضمار.

وقوله تعالى: ﴿لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: أي: ينزل المخبوء؛ أي: المستور المكنون الذي في السماوات والأرض، مصدر بمعنى المفعول.

وخَبْءُ السماوات: المطر والريح، وخَبْءُ الأرض: الشجر والنبات.

وقيل: يدخل في ذلك معادن الأرض.

وحقيقته: يُنزل من السماء الغيثَ ويُخرج من الأرض النبات بعد أن كانا مستورين غيرَ ظاهرين؛ أي: خلق ذلك وأوجده بعد أن كان معدوماً إقامةً لأسباب معاش العباد وعمارةِ البلاد.

قوله تعالى ﴿وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾: قرأ الكسائي وعاصم في رواية حفص بتاء الخطاب بناء على قوله: ﴿أَلَّا تَسْجُدَ﴾، والباقون بياء الغائبة[1]؛ بناء على أن الياء في: ﴿يَسْجُدُوا﴾ للمغايبة.

***

(٢٦) ـ ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ۩﴾.

﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾: فهو المستحِقُّ للعبادة دون الشمس.

قال ابن زيد: إلى هاهنا كلام الهدهد[2].

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٤٨٠ ـ ٤٨١)، و«التيسير» (ص: ١٦٨).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٤٤).

وقيل: من قوله: ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا﴾ كلامُ سليمان بعد تمام كلام الهدهد.

وقيل: هو خطاب الله للمشركين بعد تمام[1] كلام الهدهد[2]، وهو كلام معترِض.

***

(٢٧ ـ ٢٨) ـ ﴿۞ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٧﴾ اذْهَب بِّكِتَابِي هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾.

ثم اتصل به قوله: ﴿قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾: أي: قال سليمان للهدهد سنعرف حقيقة ما أخبرتَ به عن سبأ وملكها وأهلها، هل أخبرتَ بالصدق فتُعذرَ في غيبتك، أو أخبرت بالكذب فتؤدَّبَ على فعلتك؟ وذلك قوله تعالى:

﴿أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾: و﴿كُنتَ﴾ بمعنى أنت.

وقيل: معنى ذلك: أم كذبتَ، على الماضي.

قوله تعالى: ﴿اذْهَب بِّكِتَابِي هَٰذَا﴾: أي: فكتب سليمان كتاباً إلى ملكة سبأ وقال للهدهد: ﴿اذْهَب بِّكِتَابِي هَٰذَا﴾ وهو ما ذكر بعده.

قوله: ﴿فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ﴾: أي: اطرحه إليهم؛ لأن الطائر لا يمكنه تبليغ الكتاب مناولةً.

قوله: ﴿ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ﴾: أي: تنحَّ عنهم لئلا تؤخذ، وكن قريباً منهم بحيث تسمع كلامهم ماذا يجيبون، وهو قوله تعالى:

﴿فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾: أي: يردُّون من الجواب.

---

(١) «تمام» ليست في (أ).

(٢) بعدها في (أ): «لم يردوا الجواب».

وقيل: ﴿ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ﴾؛ أي: أسرع الرجوع منهم إلينا، وعلى هذا فيه تقديم وتأخير: فألقه إليهم فانظر ماذا يرجعون ثم تول عنهم أسرع الانصراف عنهم إلينا.

وقيل: ﴿فَٱنظُرْ﴾؛ أي: فانتظر، وقوله: ﴿مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾؛ أي: يتراجعون بينهم الكلام؛ كما قال: ﴿يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ [سبأ: ٣١].

* * *

(٢٩) - ﴿قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ﴾.

ثم هاهنا مضمر: فذهب الهدهد بالكتاب فألقاه إليها ﴿قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟﴾: أي: قالت ملكة سبأ لأشراف قومها: ﴿إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ﴾ وهو هذا الكتاب، خلت[1] بوزرائها فقالت لهم: ﴿إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ﴾؛ أي: شريف فاضل.

وقيل: الكريم: الحقيق بأن يؤمَّل فيه كلُّ خير، ورأت آثار ذلك في هذا الكتاب فلذلك قالت ما قالت.

وقيل: سمَّته كريماً لأنه كان مختوماً.

وقيل: كان مكتوباً بالذهب.

وقيل: كان مِن ملكٍ تُطيعه الجنُّ والإنس والطير والوحش.

وقيل: سمَّته كريماً لحُسْن ما فيه: من افتتاحه بـ ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، والدعاءِ فيه إلى الإسلام، ومن وَجازة الخطاب فيه مع إتيانه على المراد.

وقيل: لمَّا وصل إليها الكتاب على خلافِ العادة مع طائرٍ قد اخترق إليها البيوت والأبواب توهَّمَت أنه من السماء فسمَّته كريماً لذلك.

* * *

---

(١) في (ر): «فدعت».

(٣٠ ـ ٣١) ـ ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣٠ أَلَّا تَعۡلُواْ عَلَيَّ وَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ﴾: قيل: كان هذا عنوانَ الكتاب ﴿وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣٠ أَلَّا تَعۡلُواْ عَلَيَّ وَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ﴾ هذا مضمونه.

وقيل: ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ﴾ كان في أول السطر في الداخل، وإنما بدأ به لأن ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ﴾ كان لا يأمن أن تستخِفَّ به بلقيس، فقال: لو ستخَفَّت به بلقيس كان باسمي لا باسم الله، وكان ذلك تعظيماً لاسم الله لا تقديماً لاسمه.

وقوله تعالى: ﴿أَلَّا تَعۡلُواْ عَلَيَّ﴾؛ أي: لا تتكبَّروا عليَّ ولا تخالفوني ﴿وَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ﴾ خاضعين لله منقادين له متديِّنين له(١) بالدِّين الحق.

ويحتمل: مستسلِمين منقادين لأمري.

قال وهب بن منبه في قوله: ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيۡرَ﴾: كانت غيبةُ الهدهد: أنه ذهب في طلب موضع الماء، فلقيه هدهدٌ من أرض سبأ فقال له: أيَّ شيء تَطلبُ؟ قال: أَطلب الماء لسليمان نبيِّ الله فإني مسخَّر له، فسأله عن سليمان وجنوده، فأخبره الهدهد بخبر سليمان وما سخِّر له من الريح والشياطين والجن والإنس والطير، فأخبره عند ذلك هدهد سبأ عن ملكة سبأ وعن ملكها وجنودها، وكان الهدهد يومئذ مثلَ البطة العظيمة، فانطلق الهدهد حتى أتى أرض سبأ، فنظر إلى بلقيس وملكها ﴿فَمَكَثَ غَيۡرَ بَعِيدٖ﴾ ثم رجع إلى سليمان فقال: ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ﴾ وساق ما ذكرنا على نظم الآيات(٢).

---

(١) «له» ليست في (أ).

(٢) في (أ): «السياق».

وكان لملكة سبأ اسمان: مقة[١] بنت شراحيل، وبلقيس بنت شراحيل، وكان أبوها ملكاً من ملوك اليمن إلى أربعين أباً كلهم ملوك، وكانت هي امرأة لها نسب في الجن، وكان رغب شراحيل عن أن يتزوج في الإنس تعظُّماً، وزعم أنه ليس له كفؤ لمكان آبائه الملوك، فخطب إلى الجن فزوَّجوه ريحانة بنت السكن، فولدت له بلقيس، فكان الجن أخوالَها.

فلما انقرض آباؤها دعت الناس إلى بيعتها فاختلفوا في أمرها، فتركتهم فملَّكوا ملكاً فلعب بنسائهم، فلما أكثر من ذلك وعجزوا عنه أدركتها الغيرة والحمية[٢]، فأرسلت إليه تخطبه لنفسها تختدعُه لتستمكن منه فتقتلَه، فأجابها ثم قال[٣]: لم يمنعني أن أبتدئك بالخطبة إلا اليأسُ منك، وكنت أبصر شرفك[٤] وموضعك، ولكن خشيتُ أن تردِّيني فتُسقِطي قَدْري، فأرسلَتْ إليه: ما عنك رغبةٌ، وإنك لكفؤٌ كريم، فإذا أصبحتَ فاجمع رجال قومك واخطبني إليهم فإني فاعلةٌ ما يَسرُّك.

فلما أصبح فعَل ما أمرته، فقال له القوم: ما هي فاعلة ما تريد، فقال لهم: إنها ابتدأتني بزواجها[٥]، فجاؤوها فقالوا: فعلتِ ما ذكر الملك؟ قالت: نعم، طالت عليَّ الأَيْمة وانقرض أهل بيتي، وأحببتُ الولد والذرية ولم أجد أحداً أشرفَ منه، فقالوا: قد رضينا، فتزوَّجها.

---

(١) في (أ): «معتة». ولم أقف عليه، لكن أخرج ابن عساكر كما في «الدر المنثور» (٦/ ٣٥١) عن الحسن أن اسمها ليلى.

(٢) «والحمية» ليست في (أ).

(٣) «ثم قال» ليست في (ف).

(٤) في (ر): «لعلمي بشرفك»، بدل: «وكنت أبصر شرفك».

(٥) «بزواجها» ليست في (أ) و(ف).

فلما زُفَّت إليه خرجت في بشرٍ[١] كثير من خدم وحشم حتى مَلَؤوا منزله من كثرتهم، فلما خلا بها سقته الخمر حتى إذا أسكرَتْه قطعت رأسه، فلما انصرف حشمُها ومَن كان معها خرجت في غمارهم لا يُفطن لها ولا يَظن الناس إلا أنها قد تخلَّفت عند زوجها، فأصبح الملك قتيلاً وأصبح رأسه منصوباً على باب دارها، فلما نظر إليه الناس عرفوا أن فعلتَها كانت حيلةً منها ومكيدة، فأعجبهم ذلك فمالوا إليها وقالوا: ما نعلم اليوم لك مِثلاً، إنك عمَدْتِ إلى ملك الأرض الذي كان يزني وأفسد نساءنا فقتلتيه بأهون أمركِ[٢]، وقد عجز عنه جميع مَن ترَينَ! فلا أحد أحقُّ بهذا الملك منك للَّذي سلف من آبائك، قالت: لولا ما خشيتُ عليَّ وعليكم من العار ما فعلتُ ذلك، ولا كان لي إلى ما في يديه حاجة.

فملَّكوها عليهم، فأمرتهم أن يصنعوا لها منزلاً فاخراً لم يُصنع مثله لملك قط، فوصفت لهم عمله، فعمدوا إلى تلٍّ مشرِف[٣] من صفاءٍ صَلْد، فغرزوا على ظهره خمسَ مئة أسطوانة من رخام، نقروها حتى رسخت[٤] في الصفاء، طولُ كلِّ أسطوانة ثلاثون ذراعاً، وبين كلِّ أسطوانتين خمسة أذرع، ثم جعلوا من فوق الأسطوانة[٥] سطحاً من ألواح الرخام، وضموا بعضَه إلى بعضٍ حتى صارت كأنها لوحٌ واحد، ثم بنوا في السطح بيوتاً من رخام، وقباباً من ذهب وفضةٍ مبوبةً بأبوابٍ مرصَّعة بالجوهر الملوَّن، ثم أحاطوا على السطح بحائطٍ باطنه من رخام وظاهره من نحاس، وله أربع

---

(١) في (أ): «سير».

(٢) بعدها في (ر): «منك».

(٣) في (أ): «إلى تلعة مشرفة».

(٤) في (ف) و(أ): «رسخن».

(٥) في (ف): «فوقها».

زوايا على كل زاوية قبةٌ من ذهب على رأس قبتها ياقوتةٌ حمراء تلتهب، فإذا طلعت الشمس سطع ضوء الياقوتة على القبة فبرَقت، ثم جُعل للقصر حين فرُغ منه أربعُ مَرَاقٍ عن يمينٍ وشمالٍ وشرقيٍّ وغربيٍّ، في كل مرقاةٍ مئةُ درجة من فضة، في أعلاها بابٌ مفضَّضٌ، وفي أسفلها بابٌ من نحاس، ثم جوِّف الصفاء فجُعل جوفه خزائنُ، وجوِّف بعض الأسطوانات حتى أفضى إلى السطح، فكان طريقاً إلى الخزائن التي تحت الصفاء، ثم بُني تحت كلِّ أسطوانةٍ مجلسٌ من رخام للحراس والقوَّاد.

ولم يكن في الأرض مَلِك بعد سليمانَ وذي القرنين وفرعونِ وموسى أكثرَ منها جنوداً، كان لها اثنا عشر قائداً، يقودُ كلُّ واحد منهم اثني عشر ألفَ مقاتل، وكان تحت يدها أربعُ مئةِ ملك منِ أشراف اليمن، أمَّرت كلَّ واحد منهم على كُورة معلومة، وشرطت عليه أربعةَ آلاف مقاتل متى ما احتاجت.

فلما فرغوا من عمل قصرها ـ وهو عرشها العظيم ـ أمرت بالمدينة والحيطان والأرباض[1] فبُني ذلك كلُّه حول قصرها حتى صارت في وسط ذلك، فأشرف قصرُها على ما حوله[2] حتى كان يُرى من مسيرة يوم، وكانت تكلِّم الناس من وراء الحجاب لا يُرى وجهها، فإذا وقعت حربٌ حسَرت لهم عن ذراعها.

قال وهب: فلما جاء الهدهد إلى سليمان بخبرهم كَتب إليها: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ من سليمان بن داود نبي الله إلى بلقيس، أما بعد: فإن كنتِ من الإنس فقد عُبدت لي، وإن كنتِ من الجن فقد سخِّرتِ لي، فأَقْبِلي إليَّ أنت وقومُك و﴿ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴾.

---

(١) في (ف): «والرياض». والأرباض: جمع ربض، وهو سور المدينة.

(٢) في (أ): «على تلها على ما حولها» بدل: «قصرها على ما حوله».

فأخذ الهدهد هذا الكتاب برجله فانطلق يهوي به حتى اقتحم عليها من كوة البيت، فوضع الكتاب في يمينها وهي قاعدة على عرشها، فمُلئت من ذلك عجباً، ثم ارتفع الهدهد فوقع[1] فوق الحائط، فلما وجدت في الكتاب اسم سليمان خرجت إلى الهدهد فقالت: مَن أرسلك إليَّ؟ فأنطقه الله قال: أرسلني إليك ملكُ الجن والإنس والطير والريح والشياطين، قالت: ما أُراك كذبتَ، لولا أنه كما تقول ما طعتَ له بالرسالة، ثم جمعت قوماً من قوَّادها وأهلِ مشورتها وأسفرت عن وجهها والهدهدُ مكانَه، فقالت لهم: ما كنتُ أحسب أن فوق ملككم ملكاً حتى جاءني رسول ملك الجن والإنس والشياطين والطير والريح، قالوا لها: فأين هو الرسول الذي جاءك قالت: هو هذا، وأشارت إلى الهدهد فأقبلوا عليه يكلمونه فلم يُجبهم، وقرأت عليهم كتاب سليمان، وسألتهم عن الرأي، وذلك قوله تعالى:

* * *

(٣٢) ـ ﴿قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ﴾.

﴿قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى﴾: أي: أشيروا عليَّ فيما حدث لي من هذا الأمر: ماذا أصنع؟

﴿مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا﴾: أي: منفِّذةً عزماً ﴿حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ﴾ أنتم؛ أي: تحضرون فأشاورَكم وأمضيَه على اتِّفاق منكم، استعطفَتْهم وراعَتْهم فاحترموها، وذلك قوله تعالى:

* * *

(٣٣ ـ ٣٤) ـ ﴿قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾.

---

(١) في (أ): «فوضع»، ولعل الصواب: فوقف.

﴿قَالُوا نَحْنُ أُولُوا قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾: قادرون على القتال إن احتيج إليه؛ لوفور عَدَدِنا وعُدَدِنا ﴿وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ﴾ في الانقياد لصاحب الكتاب أو محاربته ﴿فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾ به من الأمرين، فلا نكلِّفك ما لا تريدين ولا نخالفك فيما تأمرين.

قوله تعالى: ﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً﴾: أي: استولَوا على مدينةٍ بالقهر[1] ﴿أَفْسَدُوهَا﴾ وسعَوا فيها بالفساد والتخريب ليزول تحرُّز[2] أهلها بها ﴿وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً﴾ بسلبِ نعمهم وأموالهم وأعوانهم ﴿وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾؛ أي: سليمانُ وقومه بكم إن دخلوا مدينتكم، فكان أولُ الآية على عموم الملوك وآخرُ الآية على خصوص هؤلاء.

وقيل: هذا قول الله ﴿وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾؛ أي: كذلك تفعل الملوك كما قالت هي.

* * *

(٣٥) - ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾: أي: من رأيي أن لا أعجل بالقتال الذي قد يكون علينا، ولكنْ أتعرفُ الحال، فأُرسل هديةً فأنظرُ ما يكون منهم، وبماذا يرجعون من عندهم رسلي؟ فإن رجعوا بردِّ الهدية فالقوم طالِبو دِينٍ لا يكفُّهم عنا إلا الاتِّباع، ولا طاقةَ لنا بقتالهم.

وقال الفراء: ذكروا أنها أرسلت واحداً، ولذلك قال بعده: ﴿فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ﴾، وقال: ﴿ارْجِعْ إِلَيْهِمْ﴾[3].

---

(١) «بالقهر» من (أ).

(٢) في (أ): «لنزوله عذر»، وفي (ف): «لنزول تحرز»، وفي (ر): «ليزول تحرر»، والصواب المثبت.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢٩٣).

وإنما قالت: ﴿ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ تعظيماً للرسول، أو هذا من متعارَفِ اللسان؛ يقول الملك: أرسلْ إلى فلان رسلاً، وهو يريد الواحد، ويَجمع للتعظيم، أو لأنه يكون معه أتباع، ثم قال: ﴿فَلَمَّا جَآءَ﴾ وقال: ﴿ٱرْجِعْ﴾ خطاباً لرأسهم وإخباراً عن كبيرهم.

قال وهب: قالت لهم: لا آمَنُ إنْ هو ظفر بكم أن يُذلَّكم ويتعبَّدَكم ويبيحَ جنوده قراكم وحريمَكم، وسأختبره أيعمل لله أم للدنيا؟ قالوا: بماذا؟ قالت: أعرضُ عليه الدنيا، فإنْ قَبِلها فهو لها وإن حقَرها فهو لله ولا سبيل إليه، فإنْ قَبِل الدنيا قاتلناه عن ملكنا، فكتبت إلى سليمان: إني قد سمعتُ كتابك، وأنا ناظرةٌ في أمرك ومعجِّلة إليك رسلي ليَعلموا عِلمك.

وأهدت إليه ألفَ فرس عربيٍّ سابق ليس فيها إلا ما أَحرز الحلبة، وهي كلُّها على شِيَةٍ واحدة ليس منها إلا أدهمُ أزرقُ أغرُّ محجَّل، مع كلِّ فرس عبدٌ يسوقه، في رأس كلِّ فرسٍ حَكَمةٌ من ذهب، عِذارها مفصَّصٌ بالجوهر، ومِقْوَدها سلسلةٌ من حَلَق الذهب والفضة، حَلْقةٌ من ذهب وحَلْقةٌ من فضة، وعليه سَرجٌ من جَزْعٍ ملبَّسٌ أرجواناً أحمرَ مرصَّعاً باللؤلؤ، نصفُها ذكور ونصفُها إناث.

وأهدت له خمسَ مئة وصيفٍ وخمس مئة وصيفة عربية[1]، في يمين كلِّ وصيفة سوارٌ من ذهب فيه ياقوتة، وفي عنقِ كلِّ وصيفةٍ طوقٌ من ذهب فيه ياقوتة، وفي أذنها قرطان في كلِّ قرط درةٌ، وعلى كل وصيفٍ منطقةٌ منظومة باللؤلؤ، وعهدت إلى رسلها إذا هم عرضوا على سليمان هديتَها أن يحملوا الوصفاء على ذكور الخيل والجواري على إناثها.

وقال زيد بن أسلم: وجَّهت مع هذا كلِّه لَبِناً من ذهب، فأُخبر سليمان بذلك،

---

(١) في (ر) و(ف): «ووصيفة»، بدل: «وخمس مئة وصيفة عربية».

فقال للشياطين: مهدوا لهم الأرض ذهباً إلا موضع لبنة في الطريق، فلما قربوا من بلد[1] سليمان ظنوا أن الأرض مفروشةٌ بلَبِنِ ذهب، فرأوا في الطريق موضعَ لبنةٍ خالياً، فقال رئيسهم: حملنا إلى هذا الرجل لَبِناً من ذهب فإذا أرضه ذهبٌ كلُّها إلا موضعَ لبنة، فسبيلُنا أن نلقيَ[2] هذه اللبنة في هذا الموضع وإلا نسبنا[3] إلى السرقة[4].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: إنها وجهت غلماناً وجواري، وجعلت الغلمان على زيِّ الجواري في اللباس والشعر، والجواريَ على زيِّ الغلمان في اللباس والشعر[5]، وقالت للغلمان: إذا كلَّمكم فألينوا الكلام، وقالت للجواري: إذا كلَّمكن فأغلِظن الكلام، وبعثت بحُقَّة فيها جواهرُ فأمَّرت عليهم رجلاً يقال له: المنذر بن عمرو.

وقال أبو القاسم بن حبيب: رأيتُ في بعض التفاسير: كانت في الحقة ثلاثةُ جواهر، أحدها مثقوب والثاني غير مثقوب والثالث ثُقب نصفه ولم ينفذ، وقالت: إن كان نبيًّا ميَّز بين الوصفاء والوصائف، ويخبركم بما في الحُقة، وإن كان غيرَ نبي الْتَبَس أمركم عليه، فميَّز بين الوصفاء والوصائف بالوضوء، وذلك أنه أمرهم أن يتوضؤوا، فجعل الغلمانُ يَحدرون الماء على اليد والرجل حَدْراً، وجعلت الجواري يصبُبْن من اليد اليسرى على اليد اليمنى ومن اليمنى على اليسرى، فميَّز ذلك بينهم، وأخبرهم أن

---

(١) في (ف): «موضع».

(٢) في (ر): «أن تبقى».

(٣) في (أ): «ولا ينسبونا» بدل: «وإلا نسبنا».

(٤) رواه بنحوه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢١٥٩)، والطبري في «تفسيره» (١٨/ ٥٤)، عن ثابت البناني.

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٥٣)، ولفظه: (بعثت إليه بوصائف ووصفَاء، وألبستهم لباساً واحداً حتى لا يُعرف ذكر من أنثى، فقالت: إن زيَّل بينهم حتى يعرف الذكر من الأنثى ثم ردّ الهدية فإنه نبيّ، وينبغي لنا أن نترك ملكنا، ونتبع دينه، ونلحق به). وإسناده ضعيف جدًّا.

الجواهر ثلاثةٌ: أحدها مثقوب، والثاني[1] صحيح، والثالث مثقوبُ النصف.

* * *

(٣٦) - ﴿فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ﴾: أي: جاء الرسولُ، وقيل: جاء ما أَهدت.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ﴾: استفهام بمعنى الإنكار؛ أي: أتبعثون إليَّ ما لا تقدرون[2] به الزيادة في مالي ونعمي.

﴿فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ﴾: أي: فالذي أعطاني الله من الملك والنبوة وسخَّر لي الطير والوحش والجن والإنس ﴿خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم﴾؛ أي: أفضلُ وأكثر مما أعطاكم، فلا أفرح به ﴿بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾.

قيل: بل أنتم بهذا المال أهدَيْتُموه إليَّ تفرحون إعظاماً منكم له.

وقيل: معناه: بل أنتم بما يُهْدَى إليكم تفرحون؛ لأنكم أهلُ تفاخُرٍ وتكاثُرٍ بالدنيا.

* * *

(٣٧) - ﴿ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ﴾: أيها الرسول بهذه الهدية فلا حاجة لي فيها، ولا أمتنعُ عن دعوتكم إلى الإسلام، فإنْ لم تفعلوا ولم تأتوني طائعين ﴿فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا﴾؛ أي: لا طاقة لهم بها؛ أي: ولا يمكنُهم دفعُها ﴿وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ﴾؛ أي:

(١) في (أ): «والآخر».

(٢) في (أ): «تعدون».

من قريتهم، وقد سبق ذكر القرية: ﴿إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً﴾ ﴿أَذِلَّةً﴾ أي: قد سلبتُهم العز بالاستيلاء على أموالهم وعيالهم، وقهر أنصارهم.

وقيل: مغلولةً أيديهم إلى أعناقهم.

﴿وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾: مُهانون.

* * *

(٣٨) ـ ﴿قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾.

قوله تعالى: ﴿قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ﴾: قال وهب: يعني: ملأ الجن ﴿أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾؛ أي: قبل أن يرجع إليهم رسلُهم فينذروهم فيأتوني مسلمين، فإذا أسلموا فليس عليهم سبيل، ولا يحلُّ لي حينئذ أن أُجْلِيَهم[١] من بلادهم.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: قال سليمان هذا حين جاء الهدهد، فامتَحن ذلك، وجاء آصف بالعرش ثم كتب إليه الكتاب، ولولا ذلك لم يكتب إليها بقول الهدهد من غير ثبوت[٢].

وقال وهب بن منبِّهٍ: قال ذلك عند مجيء الرسل بالهدية[٣].

وقيل: قال ذلك حين لم يبق بينها وبين سليمان إلا قَدْرُ فرسَخٍ.

وقيل: إنما طلب ذلك ليختبِر عقلها إذا أتته ورأته: أَتُثْبِتُه أم تُنْكِرُه؟ وهذا عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم[٤].

---

(١) في (أ): «أجيبهم» وفي (ر): «أخليهم». ولعل الصواب: (أجلبه)؛ أي: العرش. فقد روى عبد الرزاق في «تفسيره» (٢١٥٥)، والطبري في «تفسيره» (١٨/ ٦٤) عن قتادة خبراً فيه: (... فعرف أنهم إن جاءوه مسلمين لم تحلّ لهم أموالهم، فقال للجنّ: ﴿أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٦٠ ـ ٦١).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٦٢).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٦٤).

وقيل: فعل ذلك ليثبتَ عندها أنه رسولٌ وملكُه سماويٌّ، فتُضطرَّ هي وقومُها إلى الإسلام[١].

* * *

(٣٩) ـ ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾: قيل: داهيةٌ.

وقيل ـ وهو قول الفراء ـ: هو القوي النافذ[٢].

وقال القتبي: هو الشديد الوثيق[٣].

وقيل: هو المارد.

قيل: كان اسمه صخراً. وقيل: كان عَمْراً.

قوله تعالى: ﴿أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ﴾: أي: مجلسِ قضائك، سماه مقاماً لأنه يقوم فيه بالقضاء بين الناس؛ كالمقامات التي تكون للخطباء والرؤساء.

وقيل: أي: من مجلسك، وسماه مقاماً لأن عاقبته القيامُ عنه.

﴿وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ﴾: أي: قادر[٤] ﴿أَمِينٌ﴾ على ما فيه من ذهب وجوهر، لا أخون في ذلك.

* * *

---

(١) في (أ): «فستبصر هي وقومها في الإسلام»، وفي (ف): «فتستنصر هي وقومها بالإسلام»، بدل: «فتضطر هي وقومها إلى الإسلام».

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢٩٤).

(٣) انظر: «غريب القرآن» لابن قتيبة (ص: ٣٢٤).

(٤) «أي: قادر» ليست في (أ).

(٤٠) ـ ﴿قَالَ ٱلَّذِي عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِيٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾.

﴿قَالَ ٱلَّذِي عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾: هو آصفُ بن بَرَخيا، وقيل: آصف بن يوسف، وقيل: ضبَّة والدُ بني ضبة من العرب، وقد ادَّعى ذلك بعض بني ضبَّة، وكان آصفُ وزير سليمان.

وقوله: ﴿عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾؛ أي: من الكتب المنزلة.

وقيل: كان يعلم اسمَ الله الأعظم الذي إذا دُعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى، وكان مستجابَ الدعوة.

وفي «تفسير الصنعاني»: ﴿ٱلَّذِي عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ جبريل عليه السلام.

قال: لما رجع رسلُ بلقيس إليها، وعلمت أنها لا قبَل لها بجنود سليمان، أقبلت إليه، فأعلمه جبريل بذلك، وأحب سليمان أن يوتَى إليه بعرشها، وقال عفريت من الجن ما قال، قال جبريل: ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ﴾ بأسرع من ذلك، وصفةُ جبريل بأن عنده علم من الكتاب هو علم إنزال الكتب على الأنبياء.

وقيل: هو علم الكتاب الذي هو أمُّ الكتاب.

قوله تعالى: ﴿قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾: قيل: قبل أن يرجع إليك طرفك ببصرك، كأنك تفتح بصرك لتنظر إلى شيء، فتنظر إليه ثم تردُّ بصرك عن النظر.

وقال أبو عبد الله الأزديُّ ـ وهو في معنى هذا ـ : أي: إذا مدَدْتَ طرفك ناظراً إلى أن تردَّ جفنك ردَدْتَه بين هذين.

وقال قتادة والكلبي والفراء: يريد: قبل أن يأتيك الشيء من مدِّ بصرك[1]، ومجازه: من قبل أن يرجع إليك مَن تنظر إليه منتهَى بصرِك.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ﴾: قيل: فدعا اللهَ آصف، فرفع سليمان طَرْفه ثم ردَّه فإذا هو عنده.

وقال مجاهد: دعا الله فأُخرج له من نفق في الأرض[2] حتى وضع بين يديه.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: قال: يا حيُّ يا قيوم.

وقال عبد الله بن سلَام: قال: اللهم إني أسألك بأنك أنت الله الذي لا إله إلا أنت، الحيُّ القيوم الطاهرُ المطهَّر، نورُ السماوات والأرض، عالمُ الغيب والشهادة الكبيرُ المتعال.

وروي عن جابر أنه قال في الدعاء: يا اللهُ يا اللهُ يا الله.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢٩٤)، ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢١٦٣) عن معمر عن الكلبي بلفظ: (قبل أن يأتيك الشخص..). أما قتادة فذكر هذا القول عنه الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ٢١١)، لكن لعل في نسبته لقتادة وهم، فقد روى الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٧٢) عن معمر قال: (قال غير قتادة...) فذكره مثل رواية معمر عن الكلبي بالحرف، فغير قتادة هو الكلبي على الأظهر كما يظهر من رواية عبد الرزاق عن معمر، فلعل من نسبه لقتادة سقطت عنده كلمة (غير) التي في رواية الطبري، أو تحرفت إلى (عن)، وقد وقعت كذلك في بعض نسخ الطبري كما ذكر في حواشيه. ويؤيد ما ذكرناه أنه قد روي عن قتادة غيره كما ذكر الواحدي وغيره، قال الواحدي في «البسيط» (١٧/ ٢٤٤): وعلى هذا التفسير (يعني تفسير الكلبي والفراء) يجب أن يكون التقدير: قبل أن يرتد إليك مَن على منتهى طَرْفك؛ وهذا التقدير بعيد، ثم إتيانُ الشخص إليه من مدِّ البصر لا يسمى ارتدادًا إلا أن يكون قد خرج من عنده... ولهذا قال قتادة: هو أن يبعث رسولاً إلى منتهى طرفه، فلا يرجع حتى يؤتى به)، وهذا القول الذي ذكره عن قتادة أورده أيضاً الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ٢١٢).

(٢) في (ف): «من شق الأرض».

وقال عمرو بن عديٍّ: دعا فقال: يا ذا الجلال والإكرام والفضلِ العظيم والعزِّ الذي لا يُرام.

وقيل: قال: أَهيا شَرَاهيا(١).

وكان ذلك من كرامة آصف، وكرامةُ الأولياء حقٌّ عند أهل السنَّة والجماعة، وهو في الحقيقة معجزةٌ لذلك الرسول الذي هذا من أمته.

وقال وهب: كان آصف من الجنِّ، وجمعَ عفاريتَ من الجن حتى اقتلعوا منزلها الأعلى الذي فوق الأسطوانات بمساكنه وجميع ما فيه، وهي فيه على فُرُشها لم تقدر أن تتحوَّل عنها(٢) حتى وُضعت بين يدي سليمان(٣)، وكان حليُّها وثيابها وطيبُها مخزوناً معها في منزلها، فأتي بذلك كله، فلما رآه مستقراً عنده ﴿قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِيٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾؛ أي: إن ما فعله ربي من إلقاء الرعب في قلبها حتى أقبلت إليَّ مع قومها في تلك الرواية، ومن إحضار عرشها في هذه المدة من مسيرة شهرين على هذه الرواية ﴿مِن فَضْلِ رَبِّي﴾؛ أي: من إفضاله عليَّ من غير استحقاقٍ

(١) ذكره الثعلبي ومكي بن أبي طالب وابن عطية والرازي في تفاسيرهم في تفسير قوله تعالى في سورة يونس: ﴿دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾. وذكره في هذه الآية القرطبي في «تفسيره» (١٦/ ١٦٨) قال: وقالت عائشة رَضِيَ اللهُ عنها قال النبيُّ ﷺ: «إنَّ اسم الله الأعظمَ الذي دعا به آصفُ بنُ بَرخيا يا حيُّ يا قيُّومُ»، قيل: وهو بلسانهم، أَهيا شَرَاهيَا. وحديث عائشة المذكور ذكره أيضا الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ٢١١)، ولم أجده مسنداً.

(٢) في (ف): «عنه».

(٣) كذا جاء في هذا الخبر، وهو مخالف لنص القرآن الذي قال: ﴿قَالَ نَكِّرُوا۟ لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِىٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ ۖ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ﴾، وهذا واضح لا لبس فيه أن العرش وصل قبلها، والعجب من بعض المفسرين كيف يوردون أمثال هذه الأخبار دون التبصر بمعناها؟! وسيأتي للمؤلف كلام في تضعيف هذه الرواية.

مني ليمتحنني ﴿ءَأَشْكُرُ﴾؛ أي: إنعامَه[1] ﴿أَمْ أَكْفُرُ﴾ لم يفعل ذلك بي لأستعين به على معاصيه ولا لأفاخر به.

وقيل: خطر بباله أنه ظهر هذا لآصف، ثم رد الخاطر وقال: إنه من فضل الله عليَّ حيث جعل في أمتي مَن له هذه المنزلةُ، وهو كشكر الأب بما يظهر لابنه من كرامةٍ ينفرد بها ولا يكون ذلك للأب.

وقوله تعالى: ﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ﴾: لأن المزيد يحصل له به، وحقُّ النعمة يقضي[2] به.

﴿وَمَن كَفَرَ﴾ النعمة ﴿فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ﴾ عن شكره ﴿كَرِيمٌ﴾ لا يعجِّل بعقوبةِ مَن كفر نعمه[3].

* * *

(٤١) ـ ﴿قَالَ نَكِّرُواْ لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِىٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ نَكِّرُواْ لَهَا عَرْشَهَا﴾: أي: غيِّروا، والتنكير: التغيير، والتنكُّر: التغيُّر.

قوله: ﴿نَنظُرْ أَتَهْتَدِىٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ﴾: أتعرفُ ذلك وتعقله أم لا تعقله ولا تعرفه؟

وقيل: ﴿أَتَهْتَدِىٓ﴾ إلى الإسلام بهذه الآية وهو حملُها إليَّ في هذه المدة اليسيرة، أم لا تهتدي إليه؟ والتغيير يكون بالزيادة والنقصان أو العكس.

---

(١) «أي: إنعامه» ليس في (أ).

(٢) في (ر): «يفضي».

(٣) في (أ): «النعمة».

قال وهب: قال للجن: ﴿نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا﴾ فنكِّس، وبنت الشياطين فوقه قباباً أخرى هي أعجب من تلك القباب وهو مقلوب قد جُعل أسفلُه أعلاه، وإنما أراد سليمان أن يعلِّمها صغر ملكها عند ملكه.

ونظمُ هذه الآيات يضعف قول وهب: حملوا عرشها وهي عليه؛ لأن التنكير والمجيء والنظر إليه يخالف كونها عليه.

* * *

(٤٢) ـ ﴿فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ﴾: لما رأته محمولاً على الريح مقلوباً وهو في الهواء لا يقع على الأرض، وقد صُنع فيه ما هو أعجب وأفخر ما كان فيه، أنكرته، فعند ذلك ﴿قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ﴾.

قالوا: إن الشياطين خافت أن يتزوجها فيولَدَ له منها ولدٌ وهي جنية[1]، فتطيع الجنُّ ولده منها، فيدوم له الملك ويبقَوا مسخَّرين لآل[2] سليمان أبداً، فقالوا له: إنها ضعيفة العقل حمقاء، وإن رِجْلها كرِجْل حمار، فأمر بتنكير عرشها ليَمتحن عقلها فقال: ﴿نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا﴾ ففعلوا وقالوا لها: ﴿أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ﴾ لم تعرف ولم تنكر ذلك لمَّا بَعُدَ عندها أن يكون هو هو[3]؛ لأنها خلَّفته في منزلها، ثم وكَّلت به مَن وكَّلت، فلم تقل: هو، ولما رأت فيه من التغيير ولم تقطع أيضاً على أنه ليس هو لِمَا رأت فيه من المشابهة فقالت قولاً بين النفي والإثبات تحرُّزاً عن الكذب بالقطع على أحدهما من غير ثبت.

---

(١) في (ف): «حسنة».

(٢) في (ر) و(ف): «لابن».

(٣) «هو» ليست في (ف).

وأمر بإدخالها الصرح لتكشف عن ساقها لِمَا تتوهم أنه لجَّة فيظهرَ حالُها، ففعلت وانكشف عن أحسن ساق وقدم، فزال تلبيس الشياطين.

وقوله تعالى: ﴿وَأُوتِينَا ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهَا﴾: قيل: أي: قالت: ﴿وَأُوتِينَا ٱلۡعِلۡمَ﴾ بالله[1] ﴿مِن قَبۡلِهَا﴾: من قبلِ صحبة سليمان[2] ﴿وَكُنَّا مُسۡلِمِينَ﴾: أسلمنا قبل أن نجيء.

وقيل: هذا قول سليمان على وجه الشكر آتيناه العلم به من قبل هذه المرأة ﴿وَكُنَّا مُسۡلِمِينَ﴾: منقادين لله.

* * *

(٤٣) ـ ﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعۡبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ إِنَّهَا كَانَتۡ مِن قَوۡمٖ كَٰفِرِينَ﴾.

﴿وَصَدَّهَا﴾: أي: ومنع المرأة ﴿مَا كَانَت تَّعۡبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ في موضع الرفع أي: عبادتها الشمس من دون الله عبادة الله وهو مفعول ثاني.

وقيل: صدها عن العلم والاهتداء.

قوله: ﴿إِنَّهَا كَانَتۡ مِن قَوۡمٖ كَٰفِرِينَ﴾: أي: فإنها كانت كذلك.

قيل: هذه الآية قول سليمان.

وقيل: هو قول الله تعالى.

وقيل: ﴿وَصَدَّهَا﴾ أي: ومنعها سليمان.

وقيل: ومنعها الله ﴿مَا كَانَت تَّعۡبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: من عبادة غير الله، وهو في موضع المفعول.

* * *

---

(١) «بالله» من (أ).

(٢) في (ف): «صحبته».

(٤٤) - ﴿قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِي ٱلصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

﴿قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِي ٱلصَّرْحَ﴾: قال أبو عبيدة وقطربٌ: أي: القصر[١].

وقيل: هو عَرصةُ الدار، وهو قول الزجَّاج[٢].

وقيل: هو البنيان[٣] المرتفع.

﴿فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً﴾: هي موضع الماء.

وقال وهب: وأمر سليمان الشياطين فصنعت له منزلاً من قارورةٍ بيضاء يترجرج كأنه[٤] الماء، وجعل فيها تماثيلَ سَمَك تسبح فيها، ومرِّدت حتى اشتدَّ بريقها[٥]، فجعلت تنظر إلى مثالها[٦] في الزجاجة كأنها المرآة المصقولة[٧]، وعليها حلةٌ من حريرٍ أبيض مُلحمةٌ من الذهب الأحمر، فجعلت تنظر إلى نفسها ولباسها وكلِّ شيء عليها في أرض[٨] تلك القارورة، ثم: ﴿قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِي ٱلصَّرْحَ﴾ وهو منزلُك، فظنت أنها مخاضةٌ من ماء حين نظرت إلى تماثيل السمك تسبح فيها، فلما كشفت

---

(١) انظر: «مجاز القرآن» (٢/ ١٠٥).

(٢) في (ر) و(ف): «وقال الزجاج: أي: عرصة الدار». ولفظ الزجاج في «معاني القرآن» (٤/ ١٢٢): و(الصَّرْحُ: في اللغة القصرُ، والصَّحْن، يقال: هذه ساحةُ الدار وصحنة الدار وباحة الدار وقاعةُ الدار وقارِعة الدار، هذا كله في معنى الصَّحْن).

(٣) في (أ): «البناء».

(٤) في (أ): «تتزحزح كأنها».

(٥) في (ف): «اشتدت بريقا».

(٦) في (ر) و(ف): «تمثالها».

(٧) في (ف): «الصقيلة».

(٨) في (أ): «عرض».

عن ساقيها وهو قوله: ﴿وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ﴾ قيل لها: إنه ليس بماء، ولكنه: ﴿صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ﴾؛ أي: مملَّسٌ من قوارير، فأسلمت عند ذلك و﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

﴿ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ بالشرك.

وقيل: ظنت أن سليمان مكر بها ليقتلها.

وقال محمد بن كعب القرظي: لما بصُرت بالصرح قالت: ما وجد ابن داود عذاباً يقتلني به إلا الغرق[1]، فلما وقفت على الحقيقة قالت: ﴿ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ بما أسأت به الظن.

وقيل: أمرُ سليمان بتنكير العرش واتخاذِ الصرح كان لتنظر إلى ذلك فتعلمَ فضلَ ملكه على ملكها، وأن الله هو الذي سخرهم له وهيَّأ ذلك كلَّه له، فإن ذلك لا يكون إلا آيةً لنبوته ورسالته، فتهتدي بذلك إلى الإسلام، ولذلك أسلمت.

وقيل: كان هذا معارضةً[2] له إياها فيما فعلت من أمر الوصفاء والوصائف، وتنكيرِها إياهم، وكذا حال الجواهر، ففعل بها كذلك، فاهتدى هو إليها لنبوته ولم تهتدِ هي إليه، فاستبان لها حاله فأطاعته وأسلمت.

وقيل: الحكمةُ في كتمان حالِ[3] هذه الملكة على سليمان مع قُرب ولايتها منه، ومع أن الدنيا كلَّها كانت مملكةً له؛ ليكون ذلك عند ظهور عذرِ الهدهد عن جنايته، وما ذَكر سليمان في حقه: ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُ﴾ ﴿أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ﴾ كان تأديباً وتهذيباً لا

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٨٢).

(٢) في (أ): «معاوضة».

(٣) «حال» من (أ).

عقوبةً وتعذيباً، وذاك جائز كرياضة الدوابّ وضربها عند الحراب، وضرب الكلاب ونحوها للتعليم، وهو التفصّي[١] عن اعتراضِ مَن قال: كيف استجاز[٢] ذلك فيما لا يخاطَب ولا يعاتَب ولا يعاقَب؟!

* * *

(٤٥) ـ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا﴾: وهذه قصةٌ أخرى في معنى ما مضى ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾؛ أي: ليقول لهم: وحِّدوا الله.

﴿فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ﴾: فصدَّقه بعضهم وكذَّبه بعضهم فصاروا فريقين.

وقال: ﴿يَخْتَصِمُونَ﴾ على الجمع لأن الفريقين جمعان، معناه: يخاصم كلُّ فريقٍ الآخرَ في مخالفته ومحاجَّته في إثبات قول نفسه، وهو ما قال في سورة الأعراف: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا﴾ [الأعراف: ٧٥] الآيات.

* * *

(٤٦) ـ ﴿قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.

﴿قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾: وكان من عادة الأمم المكذِّبة استعجالُ العذاب كقولهم: ﴿ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا﴾ [الأعراف: ٧٧] ونحوِ ذلك.

وقيل: معناه: لمَ تفعلون ما تستحقُّون به أن تعاجَلوا بالعذاب من الكفر والمعاصي، ولم يُرد به السؤال.

---

(١) في (أ): «التعصي»، وفي (ر) و(ف): «التقضي». والصواب المثبت، والتفصِّي: التخلص.

(٢) في (أ): «استحار»، وفي (ر) و(ف): «استحال». والصواب المثبت.

﴿لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ﴾: أي: هلا تتوبون إلى الله من الكفر، فيكون ذلك سؤالَ المغفرة ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾؛ أي: راجين رحمة الله.

* * *

(٤٧) ـ ﴿قَالُوا ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ ۚ قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ ۖ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿قَالُوا ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ﴾: أي: تشاءمنا بكم فلا نتَّبعكم لئلا تصيبَنا المكارهُ في أنفسنا وأولادنا وأهالينا وأموالنا، آيَسوه عن إيمانهم.

وقيل: قُحِطوا فقالوا: هذا بشؤمكم.

قوله تعالى: ﴿قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ﴾: أي: ما أصابكم من مكروهٍ أو محبوب فمن الله لا مني.

وكان الكفار إذا أصابتهم شدة في زمن النبي ﷺ قالوا: هذه من شؤمه، وإذا أصابتهم نعمة قالوا: هذه باستحقاقنا، كما ذكر الله ذلك عن قوم موسى: ﴿فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَٰذِهِۦ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ﴾ [الأعراف: ١٣١]، وقال المشركون لنبينا عليه السلام ما ذكر عنهم: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ﴾ [النساء: ٧٨].

وقيل: ﴿طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: ما ينزل بكم من العذاب في الآخرة إنما يصيبكم بتكذيبكم إياي في الدنيا.

وقيل: ﴿طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: جزاء تطيُّركم عند الله، هو يجزيكم به بعذاب الدنيا والآخرة.

قوله تعالى ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾: أي: تُمتحنون مرةً بالشدة ومرةً بالرخاء.

وقيل: أي: بل الكفار يَفتنونكم بالدعوة إلى الثبات على الكفر والتطيُّر فيَّ[1].

---

(١) «فيَّ» ليست في (أ) و(ف).

وقيل: معناه: بل أنتم قوم تعذَّبون بذلك في الآخرة، قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ [الذاريات: ١٣]؛ أي: يعذَّبون.

***

(٤٨) - ﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾: قال ابن عباس رضي الله عنهما: كانوا من أولاد الأشراف وكانوا فسَّاقاً[1].

وقيل: هم قُدَار بن سالفٍ، ومِصْدعُ بن دهر[2]، وأسلم، ورهمي ورُهيم، ورعمي ورعيم، وقبال وصداف[3]، عقروا الناقة[4] يوم الأربعاء فأهلكهم الله يوم السبت.

***

(٤٩) - ﴿قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾.

---

(١) ذكره الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (٨/ ١٢٣)، والماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٢١٩).

(٢) في (أ): «زهر». وقد تقدم في قصة صالح في سورة الأعراف ان اسمه: مصدع بن مَهْرَج.

(٣) في (أ): «ورغمي ورغيم وقبال وصداق». وقد وقع في أسمائهم اختلاف كثير في النسخ والمصادر، ولا ينضبط ذلك بضابط، قال السهيلي في «التعريف والإعلام» (ص: ١٢٩): (ذكر النقاش التسعة وسماهم بأسمائهم، وذلك لا ينضبط برواية، غير أني أذكره على وجه الاجتهاد والتخمين...) إلى آخر ما قال. وانظر أسماءهم على الاختلاف فيها في «المحبر» لابن حبيب (ص: ٣٥٧)، و«تفسير الثعلبي» (٧/ ٢١٦)، و«النكت والعيون» (٤/ ٢١٩)، و«الكشاف» (٣/ ٣٧٢)، و«تفسير القرطبي» (١٦/ ١٨٣).

وانظر كذلك ما رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٩٠٠) عن ابن عباس في تعداد أسمائهم.

(٤) في (ر) و(ف): «قتلوا الناقة أي: عقروها».

قوله تعالى: ﴿قَالُواْ تَقَاسَمُواْ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهۡلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ﴾: قرأ حمزة والكسائي بتاء الخطاب على الجمع[1]؛ أي: قال بعضهم: ﴿تَقَاسَمُواْ﴾ على الأمر؛ أي: احلِفوا لتأْتُنَّه ليلاً فتقتلوه، و﴿لتقولُن لوليِّه﴾؛ أي: لأوليائه وهو جنس يصلح للجمع، وهو كقوله: ﴿فَقَدۡ جَعَلۡنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلۡطَٰنًا﴾ [الإسراء: ٣٣].

وقرأ الباقون بالنون إخباراً عن أنفسهم؛ أي: احلفوا فقولوا كذا. ويجوز أن يكون ﴿تَقَاسَمُواْ﴾ فعلاً ماضياً، ويكون تفسيراً لقوله: ﴿قَالُواْ﴾، ويكون بمعنى الحال؛ أي: متقاسمين.

﴿مَا شَهِدۡنَا مَهۡلِكَ أَهۡلِهِۦ﴾: وقرأ عاصم في رواية أبي بكر ﴿مَهْلَكَ﴾ بفتح الميم واللام، ومعناه: الهلاك؛ أي: موضع الهلاك.

وفي رواية حفصٍ بفتح الميم وكسر اللام وهو كذلك.

وقرأ الباقون بضم الميم وفتح اللام، وهو الإهلاك وموضع الإهلاك[2].

﴿وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾: فيما قلنا.

* * *

(٥٠ ـ ٥١) ـ ﴿وَمَكَرُواْ مَكۡرًا وَمَكَرۡنَا مَكۡرًا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ۝٥٠ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكۡرِهِمۡ أَنَّا دَمَّرۡنَٰهُمۡ وَقَوۡمَهُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾.

﴿وَمَكَرُواْ مَكۡرًا﴾: قصدوا قتلَ صالح وأهله في خفيةٍ ﴿وَمَكَرُواْ مَكۡرًا﴾: جازيناهم جزاء مكرهم وأهلكناهم في خفيةٍ ﴿وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ أنهم حين قصدوا ذلك أنه يعود قصدهم عليه[3].

---

(١) أي: ﴿لـتُـبـيِّـتُـنَّـه وأهلَه ثم لتَقولُنَّ﴾. انظر: «السبعة» (ص: ٤٨٣)، و«التيسير» (ص: ١٦٨).

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٤٨٣)، و«التيسير» (ص: ١٤٤).

(٣) في (ف) و(أ): «عليه».

﴿فَانْظُرْ﴾ يا محمد ﴿كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ﴾: قرأ حمزة والكسائي [وعاصم]: ﴿أنا﴾ بالفتح؛ أي: كان عاقبةُ مكرهم تدميرَهم، وقرأ الباقون بالكسر على الاستئناف وتمامِ الأول(١).

﴿دَمَّرْنَاهُمْ﴾؛ أي: أهلكناهم؛ أي: التسعة ﴿وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ أي: سائرَ قوم صالح.

واختلفت الآثار في كيفية هلاك هؤلاء:

قال ابن عباس رضي الله عنهما: أرسل الله ملائكة ليلاً فامتلأت بهم دار صالح، فأتى(٢) التسعةُ الدارَ شاهرينَ سيوفهم ليقتلوا صالحاً، فرمتهم الملائكة بالحجارة من حيث لا يَرَون الملائكة فقتلتْهم(٣).

وقيل: خرجوا نهاراً من المدينة يُظهرون أنهم يسافرون وعادوا ليلاً خفيةً ونقَبوا الجدران ليدخلوا داره فيقتلوه، فرمتهم الملائكة من السطح فقتلوهم.

وقال مقاتل: نزلوا في سفح من الجبل ينتظر بعضهم بعضاً ليأتوا دار صالح، فجثم عليهم الجبل فأهلكهم(٤).

وقال السدِّي: خرجوا ليأتوا دار صالح فنزلوا خرقاً من الأرض ليكتمنوا فيه فانهار عليهم(٥).

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٤٨٣ ـ ٤٨٤)، و«التيسير» (ص: ١٦٨)، وما بين معكوفتين منهما.

(٢) في (أ): «فأتت».

(٣) ذكره الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (٨/ ١٢٣)، والثعلبي في «تفسيره» (٧/ ٢١٧)، والواحدي في «البسيط» (١٧/ ٢٦٥)، والبغوي في «تفسيره» (٦/ ١٧٠).

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ٢١٧)، والواحدي في «البسيط» (١٧/ ٢٦٥)، والبغوي في «تفسيره» (٦/ ١٧٠).

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ٢١٧)، والواحدي في «البسيط» (١٧/ ٢٦٥)، والقرطبي في =

وقال قتادة: خرجوا مسرعين إلى صالح، فسلط الله عليهم صخرةً[١] فقتلتهم[٢].

وفيهم يقول الشاعر:

كمـا بتسـعةِ رَهْـطٍ فـي مَساكنِهِمْ ... قـد نـكَّل الله إذ أغواهُـمُ رجـلُ

يدعَـى قُـدارٌ فلمَّـا أن هُـمُ عقـروا ... لربِّهم ناقـةً والدِّيـنَ[٣] مـا قبلـوا[٤]

أتاهـمُ ربُّهـم مـن حيـث مـا عمِـلوا ... يجزيهمُ[٥] فأراهـمْ غـبَّ مـا عملـوا

* * *

(٥٢ ـ ٥٣) ـ ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوٓاْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٥٢ وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً﴾: أي: خاليةً، وقيل: ساقطةً، وهي نصبٌ على القطع لأنه نعتُ نكرةٌ لاسمٍ معرفةٍ.

﴿بِمَا ظَلَمُوٓاْ﴾: أي: بظلمهم.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾: أي: يتأمَّلون فيعرفون فيتَّعظون.

= «تفسيره» (١٦/ ١٨٥). وقوله: «خرقاً» كذا في النسخ و«تفسير الثعلبي»، وفي «البسيط»: (جرف)، ومثله عند القرطبي: (على جرف). والجُرُف: ما ينجرف بالسيول من الأودية.

(١) في (ف): «قروداً» وفي (ر): «قروداً صخراً». والمثبت من (أ) والمصادر.

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢١٧٠)، والطبري في «تفسيره» (١٨/ ٩٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٩٠٢).

(٣) في (أ) و(ر): «والذين».

(٤) في (ر): «قتلوا».

(٥) في (ف): «يخزيهم».

قوله تعالى: ﴿وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾: فميَّزنا بين المحسنين والمسيئين.

***

(٥٤ ـ ٥٥) ـ ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلُوطًا﴾: عطف على ﴿صَٰلِحًا﴾؛ أي: وأرسلنا لوطاً إلى قومه.

﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ﴾: أي: الفعلةَ القبيحةَ، وهي إتيان الذكران.

﴿وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾؛ أي: ترون قبحها بقلوبكم وهو العلم.

وقيل: يبصر[1] بعضكم بعضاً على ذلك.

وقيل: ﴿تُبْصِرُونَ﴾ آياتي، وتعلمون صدقي، ولا تنتهون بنهيي.

قوله تعالى: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ﴾: استفهام بمعنى الإنكار والتوبيخ، وكذلك الأول وهو قوله: ﴿أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ﴾.

﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾: أي: ليس ذلك منكم لوجود الشهوة في الرجال وعدَمِها في النساء، بل لفرط جهالتكم تفعلون ذلك.

***

(٥٦ ـ ٥٧) ـ ﴿۞ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوٓا۟ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾.

قوله تعالى: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوٓا۟ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ﴾: أي: لوطاً ومتَّبِعِيه ﴿إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾.

---

(١) في (ر) و(ف): «ينظر».

وقيل: أرادوا به الاستهزاء؛ كما في قولهم: ﴿إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ﴾ [هود: ٨٧].

وقيل: أي: ﴿يَتَطَهَّرُونَ﴾ عند أنفسهم وفي زعمهم.

وقيل: أي: يتنزَّهون عن مثلِ عملنا ويخالفوننا.

قوله: ﴿فَأَنجَيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَـٰهَا مِنَ ٱلْغَـٰبِرِينَ﴾: قرأ عاصم في رواية أبي بكر بالتخفيف، والباقون بالتشديد[1]، وهما بمعنًى واحدٍ، قال تعالى: ﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَـٰدِرُونَ﴾ [المرسلات: ٢٣].

و﴿مِنَ ٱلْغَـٰبِرِينَ﴾؛ أي: الباقين في الهلاك.

* * *

(٥٨ ـ ٥٩) ـ ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٥٨﴾ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَـٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ۗ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا﴾: أي حجارةً من سجِّيلٍ من السماء[2] ﴿فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾: أي: ﴿قُلِ﴾ يا محمدُ: الشكرُ لله على إهلاك الأعداء وإنجاء الأولياء.

وقيل: أي: على بيان آيات[3] الوحدانية وإبطالِ الكُفر والكَفرة.

﴿وَسَلَـٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾: أي: الأنبياءِ والمؤمنين.

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٤٨٤)، و«التيسير» (ص: ١٣٦).

(٢) «من السماء» ليس في (أ) و(ف).

(٣) «آيات» ليس من (أ).

وقيل: أصحاب رسول الله ﷺ، وعلى هذا أمَره بالحمد على إعطاء الرسالة، والسلامِ على الصحابة، ثم علمه محاجة المشركين فقال:

﴿ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾: استفهامٌ للتقرير؛ أي: آلله القادر على الإهلاك والإنجاء وعلى كلِّ شيء خيرٌ، أم الأصنام التي تشركونها بالله وهي عاجزة جماد؛ أي: بل[1] الله هو المستحق للعبادة دونها.

* * *

(٦٠) ـ ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾: له وجهان:

أحدهما: ابتداء سؤال على معنى التقرير؛ كما في قوله: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ﴾ فإنهم إذا سئلوا عن هذا اعترفوا فلزمهم[2] وجوب العبادة له دون غيره.

والثاني: بإضمار آخر الآية الأولى: أمَّا تشركون خير أمَّن خلق السماوات والأرض.

﴿فَأَنبَتْنَا بِهِ﴾: صرف الكلام عن المغايبة وهو قوله: ﴿وَأَنزَلَ﴾ إلى الإخبار عن نفسه، وهو قوله تعالى: ﴿فَأَنبَتْنَا﴾، وهو من أقسام البلاغة.

﴿حَدَائِقَ﴾: بساتين ﴿ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾: أي: حُسن وزينة.

قوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا﴾: أي: ليس من صفتكم القدرةُ على إنباتها.

---

(١) في (أ): «قل».

(٢) في (ر): «بلزمهم»، وفي (ف): «يلزمهم».

وقيل: ما يمكنكم أن تنبتوها إلا بالماء، وأنزلنا الماء لقضاء حوائجكم.

﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾: استفهام بمعنى النفي؛ أي: لا إله مع الله، وهو المنفرد بالألوهية والربوبية وكمال القدرة.

﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾: أي: الكفار يميلون عن الحق.

وقيل: أي: يَعدِلون بالله غيرَه؛ أي: ينسبون الأصنام به بالإشراك[1].

* * *

(٦١) - ﴿أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا﴾: مستقرًّا للخلق، وله وجهان كالأول.

﴿وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا﴾: أي: أوساطَها ﴿وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ﴾؛ أي: جبالاً ثوابت لتسكينها عن الاضطراب ﴿وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾ العذبِ والـمِلْحِ ﴿حَاجِزًا﴾؛ أي مانعاً عن الاختلاط، وقد فسرناه في سورة الفرقان.

قوله: ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ يَفعل كذلك، وهو بمعنى النفي.

﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾: الكناية عن قوم النبي ﷺ، وأقلُّهم علموا وآمنوا، وأكثرهم لم يعلموا بترك التأمُّل في الدلائل فأصرُّوا على الكفر.

* * *

(٦٢) - ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾.

---

(١) في (أ): «أي يسرون الأصنام بالإشراك». والمثبت من باقي النسخ، والمعنى والله أعلم: يشركون بالله الأصنام ويجعلونها مثله في استحقاق العبادة.

قوله: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾: له وجهان أيضاً كما مر.

﴿وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ﴾: أي: ساكنيها بعد ذهاب السَّلَف، وكانوا مُقِرِّين بذلك كلِّه، فكانوا إذا اضطُروا وأصابهم سوءٌ لا يفزعون في إزالة ذلك إلا إليه.

وقال القشيري: الإجابة بالقول وكشف السوء بالطَّول، الإجابة بالكلام والكشف بالإنعام، وما دام العبد يتوهَّم من نفسه شيئاً من الحول والقوة، أو شيئاً[1] [من الأسباب] يعتمد عليه أو يستند إليه، فليس بمضطرٍّ، إلى أن يرى نفسه كالغريق في البحر، والضالةِ في المتاهة، والميتِ في يد الغاسل، لا يرى لنفسه استحقاقاً للإجابة[2].

قوله تعالى: ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾: فسَّرناه ﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾؛ أي: ما يتَّعظون بمواعظ الله.

***

(٦٣) ـ ﴿أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿أَمَّن يَهْدِيكُمْ﴾: أي: يرشدكم ﴿فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ للطرق إلى المقاصد، وله وجهان كما مر.

ومعناه: هو الذي يهديكم إليها بالنجوم والعلامات المجعولة لها والاستدلال بالدلائل.

قوله: ﴿وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِۦٓ﴾: بينًّا معناه والقراءةَ فيه في سورة الفرقان.

---

(١) في (أ): «سبباً»، والمثبت من باقي النسخ، ومثله في مطبوع «اللطائف».

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» (٣/ ٤٤ ـ ٤٥)، وما بين معكوفتين منه.

﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾: وهذا ظاهر.

* * *

(٦٤) ـ ﴿أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾.

﴿أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ﴾: كانوا مقرِّين بأن الله تعالى هو الذي يبدأ الخلق، فأما قوله: ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ فهم وإن جحدوه فهم محجوجون بالنشأة الأولى، فلزمهم الأمران، و﴿ٱلْخَلْقَ﴾ بمعنى المخلوق، وهو واحدٌ، فلذلك قال: ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾.

﴿وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾: أي: المطر ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: من الأرض بالنبات.

قوله تعالى: ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾: فسَّرناه ﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ﴾: حُجَّتكم على ما تقولون من أن الأصنام شركاءُ لله ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ في هذه الدعوى، فإنا قد أقمنا البرهان على قدرة الله وربوبيته وإلاهيته(١) ووحدانيته.

وقيل: قل لهم إن قالوا: إنه يفعل ذلك معه غيره: هاتوا حجتكم على ذلك، ولا يجدون فيلزمهم الانقياد للحق.

* * *

(٦٥ ـ ٦٦) ـ ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِۚ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّنْهَاۖ بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾: سأل هؤلاء المشركون رسول الله ﷺ عن القيامة: متى هي؟ فكان يُوْعدهم بذلك، فقال الله

---

(١) في (أ): «وألوهيته».

تعالى له: ﴿قُل﴾ يا محمد: لا تعلم ملائكة السماء ولا الجنُّ والإنس في الأرض غيباً، وهو مما استأثر الله بعلمه، وهذا من الغيب.

قوله تعالى: ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾: أي: ما تعلم أهل السماء والأرض ﴿أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ متى يحشرون.

﴿بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ﴾[1]: قرأ ابن كثير وأبو عمرو: ﴿بل أَدْرَكَ عِلْمُهم في الآخرة﴾، والباقون: ﴿ادَّارَكَ﴾[2]، ومعناه: تدارك، وأُدغمت التاء في الدال وسكِّنت فأُدخلت في أولها الألف ليُبتدأ بها[3].

فمَن قرأ: ﴿أَدْرَكَ﴾ فمعناه عند بعضهم: بَلَغ علمهم في الآخرة؛ أي: خطر على قلوبهم أن البعث كائنٌ ثم الْتَبَس وقته.

قوله: ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا﴾: أنه يكون أو لا يكون ﴿بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ﴾: جاهلون لا يعلمون كونَها ولا يعتقدون ذلك.

وقيل: هذه الصفات الثلاث لفرقٍ ثلاث[4]: منهم فرقة علمت بها، وفرقة شكَّت، وفرقة أنكرت.

ومَن قرأ ﴿ادَّارَكَ﴾ فمعناه: تتابع واجتمع[5]، ثم له وجوه:

---

(١) في (ف): «بل أدرك... ».

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٤٨٥)، و«التيسير» (ص: ١٦٨).

(٣) في (ف): «لابتدائها» بدل: «ليبتدأ بها».

(٤) في (أ): «بل».

(٥) «واجتمع» ليست في (ف)، وهذا المعنى ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ٢٢٠) في معاني قراءة: (ادَّارك) فقال: ويقال: اجتمع علمهم في الآخرة أنّها كائنة وهم في شكٍّ من وقتها. وقد تقدم عند المؤلف نحوه في القراءة المذكورة، لكنها مرادة له هنا في هذه القراءة كما سيأتي في بعض معانيها.

أحدها: تتابع زعمُهم الذي هو علمٌ عندهم في الآخرة أنها لا تكون، وهذا في ابتداء القول ﴿بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ مِّنۡهَا﴾: أنها تكون أو لا تكون، بعد التأمُّل[١] ﴿بَلۡ هُم مِّنۡهَا عَمُونَ﴾: باقون على الجهالة غيرُ مُـمْعِنين[٢] النظرَ حتى يعرفوا كونها.

وقيل: ﴿ٱدَّٰرَكَ عِلۡمُهُمۡ﴾؛ أي: تتابع علمُ المؤمنين على كونها، ﴿بَلۡ هُمۡ﴾؛ أي: المنافقون ﴿فِي شَكّٖ مِّنۡهَا بَلۡ هُم﴾؛ أي: المشركون ﴿مِّنۡهَا عَمُونَ﴾.

وقيل: ﴿ٱدَّٰرَكَ﴾ ماضٍ بمعنى المستقبل كسائرِ ما ذكر من أحوال القيامة: ﴿إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ﴾ [المائدة: ١١٠] ﴿وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ﴾ [الكهف: ٤٨] ﴿وَحَشَرۡنَٰهُمۡ﴾ [الكهف: ٤٧] ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾ [الكهف: ٩٩]؛ أي: يدَّارك[٣] علمُهم في الآخرة، يعني: يتتابع[٤] يومئذ علمهم[٥] ويجتمع على التيقُّن بها وهم في شك وعمًى في الدنيا، وهو كقوله: ﴿أَسۡمِعۡ بِهِمۡ وَأَبۡصِرۡ يَوۡمَ يَأۡتُونَنَا لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلۡيَوۡمَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ [مريم: ٣٨].

وبعضهم قالوا: ألف الاستفهام في أوله مقدَّرة، فتكون بمعنى النفي مع أن ظاهره إثبات، وألفاظ السلف على هذه الأقاويل دالة.

وقال السدي: ﴿بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلۡمُهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ﴾[٦]؛ أي: ما عَمِي عليهم من ذلك في الدنيا علِموه في الآخرة[٧].

---

(١) في (ر) و(ف): «التأويل».

(٢) في (ف) و(أ): «منعمين».

(٣) في النسخ: «تدارك»، والصواب المثبت.

(٤) في النسخ: «تتابع»، والصواب المثبت.

(٥) في (ف) و(أ): «عليهم».

(٦) في (ف): «بل أدرك...»، وانظر التعليق الآتي.

(٧) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٩١٥) بلفظ: (﴿بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلۡمُهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ﴾: اجتمَع عليهم =

وقال مجاهد: يدرك علمهم في الآخرة إذا عاينوها[١].

وفي[٢] رواية: لم يدرك علمهم في الآخرة[٣].

وقال القتبي: ﴿عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ﴾: ظنٌّ ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ﴾ يقولون تارةً: يكون، وتارةً: لا يكون[٤].

***

(٦٧ ـ ٧٠) ـ ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا وَآبَاؤُنَا أَإِنَّا لَمُخْرَجُونَ (٦٧) لَقَدْ وُعِدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (٦٨) قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ (٦٩) وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا وَآبَاؤُنَا أَإِنَّا لَمُخْرَجُونَ﴾: أي: من القبور أحياءً.

﴿لَقَدْ وُعِدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ﴾: أي: قبل هذا ﴿إِنْ هَذَا﴾؛ أي: ما هذا ﴿إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾: أكاذيبُ سطرها الأولون.

﴿قُلْ﴾ يا محمد لهؤلاء المشركين: ﴿سِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾: في البلاد ﴿فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾؛ أي: المكذِّبين.

= يومَ القيامةِ ﴿بَلْ هُمْ﴾ منها اليومَ ﴿فِي شَكٍّ مِنْهَا﴾). وذكره الأزهري في «معاني القراءات» (٢/ ٢٤٣) في معنى قراءة: (ادَّارك) بلفظ: (اجتمع علمهم يوم القيامة فلم يَشُكوا ولم يختلفوا).

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٠/ ٣١٣) (ط: دار التفسير) بلفظ: (يدرك علمهم في الآخرة ويعلمونها إذا عاينوها حين لا ينفعهم علمهم لأنّهم كانوا في الدنيا مكذِّبين). ورواه ابن وهب كما في «تفسير القرآن من الجامع» (٩٩) بلفظ: (ما جهلوه في الدنيا علموه في الآخرة).

(٢) في (ر) و(ف): «وقال مجاهد في».

(٣) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٩١٥).

(٤) انظر: «تأويل مشكل القرآن» لابن قتيبة (ص: ٢١٠).

﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ يا محمد أن يهلكوا فإنهم مستحِقُّون لذلك ﴿وَلَا تَكُن فِي ضَيْقٍ﴾؛ أي: لا يَضيقنَّ عليك أمرُك ﴿مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾؛ أي: من مكرهم؛ أي: لا تظنَّ ظفرهم بك، فإن الله ناصرُك ومهلكُهم.

* * *

(٧١ ـ ٧٣) ـ ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٧١﴾ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾: أي: العذاب الموعود ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ في إخباركم عنه، يخاطبون به النبيَّ ﷺ وأصحابه.

﴿قُلْ﴾ يا محمد: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم﴾؛ أي: دنا منكم، فهو آتيكم من ورائكم، وهذا فعلٌ يُعدَّى باللام وغيرِ اللام، وما رَدِفَ الشيءَ فقد قَرُبَ منه.

﴿بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ﴾ من العذاب في الدنيا: الأسرِ والقتل، وقيل: القحط. وقيل: عذاب القبر وباقيه[1] في الآخرة من عذاب النار.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾: على الكفار بتأخير العذاب عنهم، وقيل: ببعث الرسول.

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾: لا يؤدون شكر نعمه بالإيمان.

* * *

(٧٤ ـ ٧٦) ـ ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٤﴾ وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٧٥﴾ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾.

---

(١) في (ر) و(ف): «وما فيه».

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ﴾: أي: تُسرُّ[1] وتكتُم ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾؛ أي: يظهرون بالقول والفعل، فليس تأخيرُ العذاب لخفاءِ ما يُضمرونه ويُظهرونه.

قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ﴾: أي: خصلةٍ غائبةٍ عن رؤيتكم أو علمكم ﴿فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾؛ أي: مُثْبتةٌ في اللوح المحفوظ.

وقيل: معلومةٌ عند الله محفوظة.

قوله: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾: قال ابن عباس رضي الله عنهما: اختلفوا فصاروا أحزاباً، فأُنزل القرآن ببيان ذلك[2].

واختلفوا أيضاً في النَّسخ، وفي صفة عيسى، وفي تعيين المبشَّرِ به في الكتاب أنه نبيُّ آخِرِ الزمان، وأشياءَ كثيرةٍ.

وإنما قال: ﴿أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾؛ لأنه بقي اختلافٌ كثير لم يبيِّنه الله تعالى، وإنما بيَّن كثيراً من ذلك، وهذا تحريكٌ للمشركين على اتِّباع القرآن، فإنه لمَّا كان فيه بيانٌ لأهل الكتاب، وأنتم ترجعون إليهم في كثير من أموركم، فلمَ تركتم أنتم هذا الكتاب وهو منزلٌ على نبيِّكم بياناً لكم؟

* * *

(٧٧ ـ ٧٩) ـ ﴿وَإِنَّهُ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ (٧٧) إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ (٧٨) فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾.

﴿وَإِنَّهُ﴾: أي: القرآن ﴿لَهُدًى﴾؛ أي: إرشاد ﴿وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ بما اتَّبعوه.

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ﴾ فيما اختلفوا فيه ﴿بِحُكْمِهِ﴾ الحقِّ في الآخرة،

---

(١) في (ر): «تستر».

(٢) ذكره الواحدي في «البسيط» (١٧/ ٢٩٥) من رواية الكلبي عن ابن عباس.

بمجازاةِ كلِّ أحدٍ على وَفق عمله، ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾[1] فلا يُعارَض حكمُه ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ فلا يخفى عليه المطيعُ من العاصي.

وقيل: يقضي بينهم في الدنيا بحكمه فيما حرَّفوه ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ فلا يردُّ بأسه عمَّن خالف حكمَه ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ فلا يخفَى عليه الصواب.

﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ يا محمد فإنه ناصرُك على مَن خالفك ﴿إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ﴾؛ أي: الظاهرِ لمن نظَر إليه بعينِ قلبه.

* * *

(٨٠ ـ ٨١) ـ ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَـٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَـٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾: أي: ليس[2] في طاقتك إدخالُ الإيمان في قلبِ من لا يتدبر القرآن[3].

﴿وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ﴾ أي: الذين تصامُّوا[4] عن سماع الحق وولَّوا عنه.

قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ بِهَـٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَـٰلَتِهِمْ﴾: وقرأ حمزة: ﴿تَهْدي العُمْيَ﴾ خطاباً له بالفعل[5]، و﴿العُمْيَ﴾ نصب لأنه مفعول.

---

(١) في جميع النسخ: «إنه هو العزيز»، والمثبت موافق للفظ الآية.

(٢) في (ر): «ما».

(٣) في (أ): «الإيمان».

(٤) في (ف): «صموا».

(٥) انظر: «السبعة» (ص: ٤٨٦)، و«التيسير» (ص: ١٦٩).

﴿إِن تُسْمِعُ﴾: أي: ما تُسمع ﴿إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا﴾: يصدِّق بها ﴿فَهُم مُّسْلِمُونَ﴾: منقادون للحق، فالميت هو الكافر، والأصم والأعمى: هو المعرِض عن رؤية الحق وسماعِه.

وليس في وسع النبي عليه السلام هدايةُ الكافر، وهو إثبات فعل الاهتداء له، والله تعالى هو معطي الاهتداءِ وموصلُ العبدِ إلى سماع الحق ورؤيته، وإنما يعطيه مَن عَلِم منه اختيارَ الحق، فأما مَن علم منه اختيارَه الباطل فإنه يخذله ويدَعه وما يختاره.

***

(٨٢) ـ ﴿۞ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾: أي: وجب العقابُ عليهم ونزولُ العذابِ الموعودِ بهم، ومعناه: قرُب قيامُ الساعة، وظهرت الأيام التي لا يُقبل معها الإيمان؛ كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَـٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَـٰنُهَا﴾ [الأنعام: ١٥٨].

﴿أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾: علَماً من أعلام الساعة ﴿تُكَلِّمُهُمْ﴾؛ أي: تخبرهم وتقول: ﴿**إن الناس**﴾ على قراءة الكسر، ومَن فتَح فعلى وقوع الفعل عليه[(١)].

﴿كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾: أي: الكفار الذين حقَّ عليهم القول كانوا بآياتنا لا يصدِّقون ويشكُّون، فقد أتى ما أزال الشكوك عنهم، وأَشرفوا على العقاب الذي كانوا يُوعدون.

وقال مقاتل: ﴿مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ أي: من أرض مكة، وهي دابة لها زغبٌ وريشٌ وجَناح[(٢)].

---

(١) قرأ الكوفيون بفتح الهمزة والباقون بكسرها. انظر: «السبعة» (ص: ٤٨٦ ـ ٤٨٧)، و«التيسير» (ص: ١٦٩).

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٣١٧).

وقال قتادة: تخرج من وادٍ من أودية تِهَامة[1].

وقال علي: تخرج ثلاثة أيام والناس ينظرون إليها[2] فلا يخرج إلا ثلثُها[3].

وقال مقاتل بن حيان: لا يخرج إلا رأسها، ورأسُها يبلغ عنان السماء[4].

وقال الحسن: لا يتمُّ خروجها إلا بعد ثلاثة أيام والناس ينظرون، وهي تسير سيرَ الشمس.

وقال السدِّي: ثم تعود إلى ما كانت عليه قبل خروجها.

قال عبد الله بن عمرٍو: لو شئتُ لتنعَّلْتُ بنعلي هذه ثم قمتُ فأَرَيْتُكم الموضعَ الذي تخرج منه الدابة، وهو يومئذ بمكة[5].

وقيل: تخرج من بين الصفا والمروة.

وقال وهب: تخرج ومعها عصا موسى وخاتمُ سليمان، فتمسح وجه المؤمن

---

(١) رواه عن قتادة الطبري في «تفسيره» (١٨/ ١٢٦). ورواه يحيى بن سلام في «تفسيره» (٢/ ٥٦٥)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (٢١٧٦)، ونعيم بن حماد في «الفتن» (١٨٦٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٩٢٥)، من طريق قتادة عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) «إليها» من (أ).

(٣) ذكره عن علي رضي الله عنه الزمخشري في «الكشاف» (٣/ ٣٨٤). ورواه نعيم بن حماد في «الفتن» (١٨٥٩)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٧٢٨٧)، والفاكهي في «أخبار مكة» (٢٣٥٣)، وأبو يعلى في «مسنده» (٥٧٠٣)، والطبري في «تفسيره» (١٨/ ١٢١ ـ ١٢٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٩٢٥)، والثعلبي في «تفسيره» (٧/ ٢٢٥)، عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(٤) روى نحوه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ١٢٦) عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما موقوفاً، وانظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٣١٧)، وليس فيه سوى قوله: (فإذا خرجت بلغ رأسها السحاب).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ١٢٤).

بعصا موسى فيَبْيضُّ، وتختم بين عيني الكافر بخاتم سليمان فيَسْودُّ وجهه، فلا يبقى إلا مسودُّ الوجه ومبيضُّه[١].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: تنكُت في وجه المؤمن فيبيضُّ وجهه، وفي وجه الكافر فيسودُّ وجهه[٢].

ولا يكون حينئذ إلا كافر ومؤمن، فيقول المؤمن: يا كافر اقْضِني حقِّي، ويقول الكافر للمؤمن: يا مؤمن اقض حقِّي[٣].

وقال النبيُّ ﷺ: «لها ثلاث خرجات، تخرج أولاً من أقصى اليمن، فيفشو ذكرُها في أهل البوادي ولا يدخل ذكرُها مكة، ثم تكمُن دهراً طويلاً[٤] فبينا الناس في أعظم المساجد حرمةً وأكرمها عند الله ـ يعني: المسجدِ الحرام ـ فما يَهولُهم إلا

---

(١) في (ر) و(ف): «وأبيضه». وهذا الخبر رواه بنحوه الإمام أحمد في «المسند» (٧٩٣٧)، والترمذي (٣١٧)، وابن ماجه (٤٠٦٦)، والطبري في «تفسيره» (١٨/ ١٢٥)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً. وإسناده ضعيف لضعف علي بن زيد بن جُدْعان. وقال الترمذي: حسن غريب!

(٢) جزء من خبر رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢١٧٦)، وعنه نعيم بن حماد في «الفتن» (١٨٦٢)، من طريق قتادة عن ابن عباس وعبد الله بن عمرو رضي الله عنهم، والقطعة المذكورة هي من قول ابن عمرو. ورواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ١٢٦) ووقع فيه: قتادة عن عبد الله بن عمر.

(٣) هذه قطعة من حديث رواه الطيالسي في «مسنده» (١٠٦٩)، ومن طريقه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٩٢٣)، عن أبي سريحة حذيفة بن أسيد رضي الله عنه مرفوعاً. وللحديث فيهما إسنادان: الأول فيه إبهام الراوي عن حذيفة، والثاني فيه طلحة بن عمرو وهو متروك. ورواه بالإسناد الثاني الطبراني في «الكبير» (٣٠٣٥)، والحاكم في «المستدرك» (٨٤٩٠) وقال: صحيح الإسناد! وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ٧): فيه طلحة بن عمرو وهو متروك.

(٤) بعدها في (ر): «ثم تخرج في البادية فيفشو ذكرها في مكة ثم تكمن دهراً طويلًا»، وليس في (أ) و(ف).

خروجها من بين الركن الأسود حذاءَ دار بني مخزوم عن يمين الخارج من المسجد، فيتفرَّق الناس، فقوم يهربون وقوم يبقون للنظارة...»(١).

وقال أبو الجوزاء: سألتُ عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: تكلِّمهم أو تَكْلِمهم؟ فقال: كل ذلك تفعل تكلِّم المؤمن وتَكْلِم الكافر(٢).

وقال كعب: صورتُها صورة الحمار.

وقال وهب(٣): وجهُها وجهُ رجلٍ، وسائرُ خَلقِها كخَلْقِ الطير، فتُخبر مَن رآها أن أهل مكة كانوا بمحمدٍ والقرآنِ لا يوقنون(٤).

---

(١) قطعة من حديث حذيفة بن أسيد السابق وإسناده ضعيف كما تقدم. ورواه بنحوه عبد الرزاق في «التفسير» (٢١٧٥)، ونعيم في «الفتن» (١٨٦٨)، والطبري في «تفسيره» (١٨/ ١٢٢ ـ ١٢٣)، والحاكم في «المستدرك» (٨٤٩١) وصححه، عن حذيفة رضي الله عنه موقوفاً.

(٢) ذكره عن أبي الجوزاء الثعلبيُّ في «تفسيره» (٧/ ٢٢٢)، والبغوي في «تفسيره» (٦/ ١٧٧)، وأبو الجوزاء هو أوس بن عبد الله الربعي. ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٩٢٦) لكن السائل فيه أبو داود نفيع الأعمى، وهو متروك كما في «التقريب».

(٣) «وهب» من (أ)، وفي (ف): «وقيل».

(٤) ذكره الثعلبيُّ في «تفسيره» (٧/ ٢٢٥)، والبغوي في «تفسيره» (٦/ ١٨٠). وهذا وما سبقه وأمثالهما من الأخبار كله من الإسرائيليات، وفيها اختلاف وتناقض، حتى قال أبو حيان في «البحر» (١٦/ ٤٨٦): (اختلفوا في ماهيتها وشكلها ومحلِّ خروجها وعددِ خروجها ومقدارِ ما يخرج منها، وما تفعل بالناس، وما الذي تخرج به، اختلافا مضطرباً معارِضاً بعضه بعضاً، ويكذِّب بعضه بعضاً، فاطَّرحنا ذكره لأن نقله تسويدٌ للورق بما لا يصح، وتضييع لزمان نقله).

ووافقه الآلوسي في «روح المعاني» (٢٠/ ٦٦) فقال تعقيباً على كلام أبي حيان: (وهو كلام حق، وأنا إنما نقلت بعض ذلك دفعاً لشهوة مَن يحب الاطلاع على شيء من أخبارها صدقاً كان أو كذباً، وقد تصدى السفاريني في كتابه «البحور الزاخرة» للجمع بين بعض هذه الأخبار المتعارضة ولا أظنه أتى بشيء، ثم إن الأخبار المذكورة أقربها للقبول الخبر الذي حسنه الترمذي، ومن الأخبار في =

(٨٣) ـ ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَـٰتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا﴾: ثم ذكر قيام الساعة بعد ذكر هذه الأعلام فقال: واذكر يوم نجمعُ من كلِّ أمة من أمم الأنبياء زمرةً ﴿مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَـٰتِنَا﴾ المنزلةِ على أنبيائنا[1]، وبالآيات الدالة على وحدانيتنا في الآفاق ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾؛ أي: يُحبس أولُهم على آخرهم ليجتمعوا، ثم يساقون إلى موضع الحساب، وهي تقاربُ قوله: ﴿ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَـٰنِ عِتِيًّا﴾ [مريم: ٦٩].

* * *

(٨٤) ـ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَـٰتِى وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

قوله تعالى ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو﴾: أي: اجتمعوا وتلاحقوا ﴿قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَـٰتِى﴾؛ أي: قال الله عز وجل موبخاً: أكذَّبتم بآياتي المنزلةِ على رسلي ﴿وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا﴾ الألف المذكورة في الأول مقدَّرةٌ في الثاني، منقولةٌ عن الأول معنًى: أكذَّبتم بآياتي ألم[2] تحيطوا بها علماً أنها من عندي، وهو كقوله: ﴿أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٤٤] الألف مقدَّرة في الثاني منقولةٌ عن الأول معنًى.

﴿أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: في تكذيب آياتي.

وقيل: معناه: لـمَ عملتُم ما عملتُم من الكفر والمعاصي.

= هذا الباب ما صححه الحاكم، وتصحيحه محكوم عليه بين المحدثين بعدم الاعتبار، وقصارى ما أقول في هذه الدابة: إنها دابة عظيمة ذات قوائم ليست من نوع الإنسان أصلاً يخرجها الله تعالى آخر الزمان من الأرض...).

(١) في (ر) و(ف): «الأنبياء».

(٢) في (أ): «كذبتم بأياتي ألم»، وفي (ف): «كذبتم بآياتي أي لم»، وفي (ر): «أكذبتم بآياتي أي لم». والصواب المثبت.

(٨٥ ـ ٨٦) ـ ﴿وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُواْ فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ﴿٨٥﴾ أَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم﴾: أي: حقَّ وعيدُ العذاب عليهم ﴿وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم﴾؛ أي: أشركوا ﴿فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ﴾ ولا يؤذَن لهم في التكلُّم بالعذر.

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾: وهذه الآية ظاهرة بيِّنة[1] لا يتهيَّأ لهم جحدُها والاختلافُ فيها والتكذيبُ بها، فكيف كذبوا بآياتي وهي بهذه الحالة؟

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾: أي: لمن كان همُّه الإيمان.

وقيل: ﴿أَلَمْ يَرَوْاْ﴾؛ أي: ألم يعلموا العلمَ والفهمَ[2] الذي يقوم مقام العِيَان ﴿أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ قِواماً لمعاشهم في الدنيا ليعلموا أن ذلك لم نجعله[3] عبثاً بل محنة وابتلاء، ولا بد عند ذلك من ثوابٍ وعقاب، فإذا لم يكن في هذه الدار فلا بدَّ من دارٍ أخرى، وفي ذلك صحة البعث.

* * *

(٨٧) ـ ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ﴾.

قوله تعالى ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ﴾: قيل: النفخةُ الأولى ﴿فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾ فزعاً يموتون منه؛ كما قال: ﴿فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الزمر: ٦٨].

---

(١) «بينة» ليست في (أ).

(٢) «والفهم» ليست في (أ).

(٣) في (ف) و(أ): «يجعل».

وفي تفسير ابن حبيب: يُنفخ ثلاث نفخات: الأولى نفخةُ الفزع، ثم بعده بأربعين يوماً نفخةُ الصَّعق، ثم نفخة البعث.

وقال: ﴿فَفَزِعَ﴾ بعد قوله: ﴿يُنفَخُ﴾، والأول مستقبل وهذا ماضي لأن تقديره: فإذا نفخ في الصور.

﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾: هم الشهداء لأنهم أحياءٌ عند ربهم يرزقون.

وقيل: هم جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل.

وقيل: هو إدريس النبيُّ عليه السلام.

وقيل: هم الحور العين في الجنة، وخزَنتُها وخزنةُ أهل النار في النار.

وقيل: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ﴾: هو يومُ القيامة، وهي النفخة الثانية، وقوله: ﴿فَفَزِعَ﴾ هو من هيبتهم من أهوالها، كما قال: ﴿تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ﴾ الآية [الحج: ٢] ﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ هم المؤمنون المطيعون؛ كما قال في آخر هذه السورة: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ﴾.

وقيل: هم الشهداء.

وفي «تأويلات» الإمام أبي منصور عن النبي ﷺ: «ما أعطي آدميٌّ بعد النبوة أفضلَ من الشهادة، لا يسمع الشهداء الفزعَ يوم القيامة إلا كرجلٍ قال لصاحبه: أتسمع؟ قال: أسمع كتأذين الصلاة»[1].

وقوله تعالى: ﴿وَكُلٌّ أَتَوْهُ﴾: قرأ حمزة وعاصمٌ في رواية حفصٍ مقصوراً على أنه فعل، والباقون ممدوداً على أنه نعتُ الفاعل[2]، وإنما جمع لأنه أراد به الجمع.

---

(١) في (ف): «وتأويلات أهل السنة» (٨/ ١٤١).

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٤٨٧)، و«التيسير» (ص: ١٦٩).

وقال في ﴿كٓهيعٓصٓ﴾: ﴿وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ﴾ [مريم: ٩٥] على الانفراد؛ لأنه أراد به: وكلُّ واحدٍ منهم، فإن الكلمة عامةٌ عمومَ الانفراد.

﴿دَٰخِرِينَ﴾: أي: صاغرين منقادين، والفعلُ من بابِ صنع.

***

(٨٨) ـ ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً﴾: أي: واقفةً[1] في مرأى العين لكبرها[2] ﴿وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾: تسيرُ سيرها، فقد[3] قال تعالى: ﴿فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا﴾ [طه: ١٠٥] وقال تعالى: ﴿دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا﴾ [الفجر: ٢١] وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ﴾ [الكهف: ٤٧].

وكلُّ كبير متكاثفٍ إذا تحرَّك لم تتبيَّن حركتُه، قال الشاعر يصف جيشاً:

بأرعَنَ مِثْلِ الطَّودِ تَحْسَبُ أنهم ... وقوفٌ لحاجٍ والرِّكاب تُهَمْلِجُ[4]

وقوله تعالى: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ﴾: أي: هذا من صنع الله، وهو ما حدَث بالجبال ﴿ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾: أي: أحكم.

---

(١) في (ر): «واقعة».

(٢) في (ف) و(أ): «لكثرتها».

(٣) في (ر): «بعدما»، وليست في (ف).

(٤) البيت للنابغة الجعدي، وهو في «ديوانه» (ص: ١٨٧)، و«المعاني الكبير» لابن قتيبة (٢/ ٨٩١).
قال ابن قتيبة: أرعن: جيش كثير مثل رعن الجبل، والرعن: أنف يتقدم من الجبل فينسلُّ في الأرض، والطَّود: الجبل؛ أي: من كثرتهم تحسب أنهم وقوف وركابهم تسير.

يقول: هو الله الذي[1] خلق الأشياء فأَحْكم خَلْقها على ما ينبغي، ويبقيها إلى الوقت الذي شاء ثم يفنيها ويزيلها عن هيأتها، فيفعل في كلِّ حين بكلِّ شيء ما يشاء.

﴿إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفۡعَلُونَ﴾: أي: عالم بما يفعله مَن في السموات ومَن في الأرض.

* * *

(٨٩) ـ ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيۡرٞ مِّنۡهَا وَهُم مِّن فَزَعٖ يَوۡمَئِذٍ ءَامِنُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ﴾: أي: مَن جاء يوم القيامة بالحسنة، أكثر المفسرين على[2] أن الحسنة هنا: كلمة الإخلاص، والسيئةَ ضدُّها وهو الشرك؛ لأنه قال في حقها: ﴿فَكُبَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ﴾.

﴿فَلَهُۥ خَيۡرٞ مِّنۡهَا﴾: قال مقاتل: في الآية تقديم وتأخير: فله منها خير[3]؛ أي: لا يريد به التفضيل، فلا شيء أفضلُ من الإيمان، لكن المراد به: له منها[4] نفعٌ وخير؛ أي: ثوابٌ وكرامة، بخلافِ قوله عز وجل: ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيۡرٞ مِّنۡهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ الآية [القصص: ٨٤] هناك معناه: فله أفضل منها؛ أي: التضعيفُ بالعشر والزيادة؛ كما قال: ﴿فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠].

وقيل: الحسنة عامة الحسنات، ورأسها كلمةُ الإخلاص؛ أي: مَن جاء بالإيمان والأعمال الصالحة فله من ثواب الله أفضل من عمله، فإن الثواب فعلُ الله، والإيمانَ والعملَ الصالح فعلُ العبد، وهو سبحانه يُثيب العبد بأفضل من عمله تفضُّلاً منه.

---

(١) في (أ): «هذا هو الذي».

(٢) في (أ): «قال أكثر المفسرين» بدل: «أكثر المفسرين على».

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٣١٨).

(٤) في (ر): «المراد به له منها» بدل: «لكن أراد به له فيها».

وقوله تعالى: ﴿وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ﴾: قرأ حمزة والكسائي وعاصم ﴿مِّن فَزَعٍ﴾ بالتنوين ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ بفتح الميم، وقرأ الباقون بغيرِ التنوين وخفضِ الميم على الإضافة(١).

وهذا الوعدُ في حقِّ المؤمن المطيع على الإطلاق، وفي حقِّ المؤمن العاصي: هو الأمن من الفزع الأكبر، وهو نداء القطيعة والإخبارُ بالتخليد في النار.

* * *

(٩٠ ـ ٩١) ـ ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٩٠) إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ﴾: أي: بالشرك ﴿فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ﴾ وهو كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾ [القمر: ٤٨].

﴿هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: أي: تقول لهم الملائكة يومئذ هذا.

وقيل: هو خطاب الله لهم في الدنيا؛ أي: هل تُجزون يومئذ إلا على وَفق عملكم.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أُمِرْتُ﴾: أي: قل يا محمد: إنما أمرني الله ﴿أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ﴾؛ أي: مالكَ هذه البلدة، وهي مكةُ التي بها تفخَر العرب على سائر الناس، وبها يسمَّون أهلَ الله وسكانَ بيته، فأنتم أولى بموافقته على ذلك.

وقوله: ﴿ٱلَّذِى﴾: صفة الرب ﴿حَرَّمَهَا﴾: جعل لها حرمةً ﴿وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ﴾: هو مالك كلِّ شيء غيرِ البلدة، فإنه مالك الدنيا والآخرة وربُّ العالمين.

﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾: المنقادين له والمتديِّنين بدينه الحقِّ.

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٤٨٧)، و«التيسير» (ص: ١٧٠). وقراءة نافع المشهورة عنه بفتح الميم في ﴿يَوْمَئِذٍ﴾.

(٩٢ ـ ٩٣) ـ ﴿وَأَنْ أَتْلُوَا الْقُرْآنَ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ (٩٢) وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَأَنْ أَتْلُوَا الْقُرْآنَ﴾: لأعرفَ الحلالَ والحرام، وسائرَ الأحكام، وما يقتضيه الإسلام، وأعرِّفكم ذلك.

﴿فَمَنِ اهْتَدَى﴾: إلى الحق ﴿فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ﴾: فله نفعُه ﴿وَمَن ضَلَّ﴾ عن الحق ﴿فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾: ما عندي إلا النذارةُ(١)، وليس لي إكراهُه على الحق وإجباره.

قوله تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾: على هدايتنا ونصبِ الدلالات على الحقِّ في حقِّ الكل ﴿سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ﴾ في المستقبل مع ما أراكم(٢) منها في الماضي.

وقيل: هي الآيات التي هي أشراط الساعة.

وقيل: أي: سيُريكم أعلامَه الدالةَ على سخطه عليكم ﴿فَتَعْرِفُونَهَا﴾ وتعلمون صدقي فيما كنت أَعِدُكم منها.

﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾(٣): قرأ ابن كثير وأبو عمرو بياء المغايبة، والباقون بتاء المخاطبة(٤)، وهي لأهل مكة.

والله تعالى أعلم بالصواب.

* * *

---

(١) في (أ): «إنذاره».

(٢) في (ف): «أريتكم».

(٣) في (ف): «يعملون».

(٤) القراءة بتاء المخاطبة هي قراءة نافع وابن عامر وحفص، والباقون بياء المغايبة. انظر: «السبعة» (ص: ٤٨٨)، و«التيسير» (ص: ١٢٦).

سُورَةُ القَصَصِ

سُورَةُ القَصَصِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

بسم الله الذي منَّ على الذين استُضعفوا في الأرض فجعلهم أئمَّة، الرحمنِ الذي جعل للعرب حرماً آمناً يُجبى إليه ثمراتُ كلِّ شيء تفضُّلاً[1] منه ونعمَة، الرحيمِ الذي ابتَعث محمداً ﷺ بالرسالة وما كان يرجو أن يُلقى إليه الكتاب إلا رحمة.

وروى أبي بن كعب رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «مَن قرأ (طسم القصص) كان له من الأجر عشرُ حسنات بعدَدِ مَن صدق بموسى وكذَّب به، ولا يبقى ملَك في السماوات والأرض إلا شهد له يوم القيامة أنه كان صادقاً بأن كلَّ شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون»[2].

وسورة القصص مكية إلا قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ [القصص: ٨٥] الآيات فإنها جُحْفيَّة ليست بمكيةٍ ولا مدنية[3].

---

(١) في (أ): «فضلًا».

(٢) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ٢٣٢)، وهو قطعة من الحديث الموضوع في فضائل السور، وقد تقدم الكلام عليه مراراً. وانظر: «الفتح السماوي» للمناوي (٢/ ٨٩٤)، و«الفوائد المجموعة» للشوكاني (ص: ٢٩٦).

(٣) وردت فيه أخبار منقطعة، منها ما رواه يحيى بن سلام في «تفسيره» (٢/ ٦١٣) فقال: (بَلَغني أنَّ النَّبيَّ ﷺ وهو مُوَجِّهٌ من مكة إلى المدينة حين هاجَرَ نَزَل عليه جبريلُ وهو بالجحْفَةِ فقال: أتشتاقُ يا =

وهي ثمانٍ وثمانون آيةً، وألفٌ وأربعُ مئة وثلاثون كلمة[1]، وخمسة آلاف وثماني مئة حرف.

وانتظام أول هذه السورة بآخر تلك السورة: أنه بيَّن في آخر تلك السورة استحقاقَه الحمدَ بالقدرة والعلم، وأثنى على نفسه في أول هذه السورة بالطَّول والسَّناء[2] والملك.

وانتظامُ السورتين: أنهما جميعاً في الاحتجاج على المشركين، والوعظِ لهم، وبيانِ وحدانية الله تعالى[3]، وحُسن العاقبة للمؤمنين، ووقوعِ الهلاك بالكافرين وإيضاحِ ذلك بقصص الماضين.

ثم هذه السورةُ فيها قصصُ موسى وفرعون وقارون.

ومعنى وصله قصةَ قارون بقصة موسى: أنه مع قُرب قرابته بموسى لمَّا بغَى

= محمدُ إلى بلادك التي وُلدْتَ بها؟ فقال: نَعم، فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ [القصص: ٨٥] إلى مولدِكَ الذي خرجْتَ منه ظاهِرًا على أهلِه). وهكذا رواه الداني في «البيان في عد آي القرآن» (ص: ٢٠١) عن يحيى، وكذا ذكره مقاتل في «تفسيره» (٣/ ٣٥٩) دون سند أيضاً. وروى ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٣٠٢٦) من طريق مقاتل عن الضحاك قال: لَمَّا خَرَج النَّبيُّ ﷺ مِن مكة فبلغ الجُحْفَةَ اشتاق إلى مكة، فأَنزَل اللهُ تباركَ وتعالى عليه القرآنَ: ﴿لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾: إلى مكةَ. وزاد الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ٢٦٧) على السند السابق ابن عباس فقال: قال مقاتل: قال الضحاك: قال ابن عباس: (إنّما نزلت بالجحفة ليس بمكة ولا المدينة)، وهذا منقطع.

(١) في «البيان في عد آي القرآن» (ص: ٢٠١): (وكلمها ألف وأربع مئة وإحدى وأربعون) ووافقه في عدد الحروف.

(٢) في (ر) و(ف): «والثناء». والسناء: الرفعة.

(٣) في (ر) و(ف): «وحدانيته».

عليه انتقم الله منه، فكذا العربُ مع قرب قرابتهم من رسول الله ﷺ إذا[1] كذَّبوه وآذَوه استحَقُّوا ذلك.

وقيل: مدارُ هذه السورة على الحثِّ والإصلاح في الأرض وتركِ العلوِّ والفساد فيها، فإنه قال في أولها: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾. وقال في آخرها: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا﴾.

***

(١ ـ ٣) ـ ﴿طسٓمٓ ١ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ٢ نَتْلُوا۟ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿طسٓمٓ﴾ فسَّرناه ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾ كذلك.

﴿نَتْلُوا۟ عَلَيْكَ﴾: أي: يقرأ عليك جبريل بأمرنا ووحينا ﴿مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ﴾؛ أي: من خبرهما، و﴿مِن﴾ للتبعيض، فإن المذكور هاهنا بعضُ خبرهما.

﴿بِٱلْحَقِّ﴾: أي: بالصدق.

﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾: أي: من أجلهم؛ ليَعْلموه وينتفِعوا به.

وقيل: ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾؛ أي: لقوم همَّتُهم الإيمانُ والتصديق بما يتَّضح بيانه ليتدبَّروه فيعلموه.

وعلى الأول بشارةٌ وتعرفةٌ[2] للَّذين قد آمنوا إذا تأمَّلوا في هذه القصة، وعلى الثاني تنبيه للَّذين همتُهم ذلك في المستقبل لتتَّضح لهم الحجة.

---

(١) في (ر): «لما».

(٢) في (أ): «وتعزية»، وفي (ف): «ومعرفة».

(٤) ـ ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ﴾: وهذا ابتداء القصة؛ أي: إن فرعون علا في زمانه في أرض مصر لأن ملكه لم يَعْدُ مصر؛ أي: ارتفع وغلب مَن تحتَ يده بكثرة أمواله وأتباعه.

﴿وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا﴾: أي: فرقاً.

﴿يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ﴾: أي: يستذل، ومضمونه ويكرم طائفةً منهم[1].

﴿يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ﴾: أي: الصغارَ من الذكور.

﴿وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ﴾: أي: يستبقي الصغائرَ من إناثهم، وقيل: أي: يسترقُّ.

وقيل: أي: يأمر بتفتيش حياء النساء ـ أي: فروجِهن ـ: هل بهن ولد.

وقد أوضحنا الكلمتين[2] في سورة البقرة.

وقيل: (يُذبِّح ويَستحيي) تفسيرُ الاستضعاف، فليس بينهما حرفُ عطف.

وقيل: بل الاستضعاف: الاستعبادُ والاستسخارُ والاستعمالُ في الأعمال الشاقَّة القذرة[3]، وهو في حقِّ كلِّ بني إسرائيل منه، و(يُذبِّح ويَستحيي) فعلان آخران منه بالصِّغار والصَّغائر[4] منهم.

وقيل: ﴿طَائِفَةً مِنْهُمْ﴾ هم كلُّ بني إسرائيل، والطائفةُ الأخرى هم القِبْط، وكان الإكرام لهم.

---

(١) «منهم» من (أ).

(٢) في (ر): «الكلام»، وفي (ف): «الكلامين».

(٣) في (ر): «في القدرة».

(٤) «والصغائر» من (أ).

وقيل: بل الطائفتان من بني إسرائيل.

قوله ﴿إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ أي: في الأرض: بإظهار الكفر والمعاصي، واستعبادِ الأحرار، وقتل الأبناء والتسخير[1].

* * *

(٥) ـ ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: أي: كان فرعون يفعل بهم ذلك ونحن نريد أن نتفضَّل[2] على بني إسرائيل الذين استُضعفوا[3] في الأرض؛ أي: في بلاد مصر.

﴿وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً﴾: أي: قادةً في الخير، ودعاةً إلى الدِّين يُقتدَى بهم.

﴿وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾: ونُورِثهم أرض مصر، وقد قال: ﴿وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الشعراء: ٥٩].

* * *

(٦) ـ ﴿وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُواْ يَحْذَرُونَ﴾.

﴿وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: أي: ونجعلَهم مقتدِرين على الأرض وعلى أهلها حتى يستولوا عليها، وهي أرض الشام.

---

(١) في (أ): «والتجبر».

(٢) بعدها في (ف): «﴿عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾».

(٣) في (ر) و(ف): «المستضعفين» بدل: «الذين استضعفوا».

﴿وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ﴾: أي: يخافونه من بني إسرائيل من سلْبهم مُلكَهم واستيلائهم على بلادهم على ما قال كهنتُهم ومنجِّموهم أنه يصير كذلك، حتى دعاهم ذلك إلى قتل أبنائهم واستحياء نسائهم[1] على ما مر بيانه في سورة البقرة وسورة الأعراف.

* * *

(٧) - ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ﴾: قيل: كان اسمها نوخابد[2] بنت لاوي بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام.

﴿أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾: أي: ألهمناها وقذفنا في قلبها، وهو قول الحسن وقتادة رحمهم الله، وليس هذا وحي رسالةٍ[3].

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: ويجوز أن يكون برسالةِ رسولٍ إليها أخبرها به ولا تكون هي رسولاً؛ كإرسال جبريل إلى مريم ولم تَصِرْ مريم بذلك رسولاً[4].

﴿أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾: أي: اسقيه اللبن.

﴿فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ﴾: أن يُعلَمَ به فيقتلَ ﴿فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ﴾؛ أي: فاطرحيه في

---

(١) في (ف): «بناتهم».

(٢) في (ر): «يوحنا»، وفي (ف): «يوخاند». وفي اسمها اختلاف بين المصادر، ولا ضابط. انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٣٣٦)، و«تفسير الثعلبي» (٧/ ٢٣٣)، و«تفسير القرطبي» (١٦/ ٢٣٢).

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢١٩١)، والطبري في «تفسيره» (١٨/ ١٥٥ ـ ١٥٦)، عن قتادة.

(٤) انظر: «تأويلات أهل السنة» (/ ١٤٩).

النيل، وهو بحر مصر، وبيَّن كيفيةَ الإلقاء في سورة طه، وهو قوله: ﴿أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ﴾ [طه: ٣٩][1].

﴿وَلَا تَخَافِي﴾ عليه الضيعة والهلكة[2] ﴿وَلَا تَحْزَنِي﴾: ولا تهتمِّي لفراقه.

﴿إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾: أي: فإني أردُّه إليك سالماً وأبلِّغه مبلغاً يصلح للرسالة، فأجعلُه رسولاً إلى فرعون وقومه فيكون رئيساً عليهم، وإن لم ينقادوا له أهلكتُهم.

وبيَّن الزيادة عليه في تلك السورة: ﴿فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ﴾ [طه: ٣٩].

* * *

(٨) ـ ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ﴾: وهاهنا مضمَر: فأرضعَتْه وخافت عليه فألقَتْه في اليم ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ﴾؛ أي: أخذوه وقد وجدوه من غيرِ طلبٍ، هو معنى الالتقاط، وكذلك أخذُ اللُّقَطة واللقيط.

﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾: قال الكوفيون: هي لام (كي)، وقال البصريون: هي لام الصيرورة، وقيل: لام العاقبة؛ أي: صاروا في العاقبة كذلك، وحقيقته: كان في علم الله ذلك، فالتقطوه فكان ﴿لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾، ﴿عَدُوًّا﴾ لمخالفتهم في الدين ﴿وَحَزَنًا﴾ لِمَا يجري من المكاره بسببه عليهم أجمعين، وهو كما يقال:

---

(١) بعدها في (ف): «أي فاطرحيه في النيل».

(٢) في (أ) و(ف): «والهلاك».

لِـدُوا للمـوت وابنُـوا للخـراب[١]

قوله: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾: أي: آثمين بالكفر والمعاصي، فعوقبوا على ذلك بما جرى[٢] عليهم بسببه.

قال وهب: لمَّا حملت أم موسى بموسى كتمت أمرها جميعَ الناس ولم يطَّلع على حملها أحد، وكان فرعون بعث القوابل يفتِّشن النساء، ولم تنتفخ بطن أم موسى ولم يتغيَّر لونها، وكنَّ لا يعترضن لها، فولدته ليلاً ولا رقيب عليها، فلم يطَّلع عليها أحد إلا ابنتُها مريم، وكانت أسنَّ من هارون، وهارونُ أكبر من موسى بثلاث سنين، وكانت مريم تحت كالب بن يوقنا، وأوحى الله إليها: ﴿أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ الآية. فكتمَتْه أمُّه ثلاثة أشهر ترضعه في حِجرها لا يبكي ولا يتحرك، فلما خافت على نفسها وعليه[٣] عملت له تابوتاً على عمل سفن البحر خمسةَ أشبار في خمسةِ أشبار، فأقبل التابوت يطفو على الماء، فألقى البحرُ التابوت في الساحل في جوف الليل، فلما أصبح فرعون وجلس في مجلسه على شاطئ النيل فبصر بالتابوت، فقال لمن حوله من خدمه: ائتوني بهذا التابوت، فأتوه به.

وقال مقاتل: كانت أمُّه تَتْبع التابوت وترمقه ببصرها وتخاف عليه الغرقَ، وكان

---

(١) صدر بيت لأبي العتاهية كما في «الحماسة البصرية» (٢/ ٤٢٧)، وعجزه:

فكلكـم يصيـر إلـى ذهـاب

وهو في الديوان المنسوب لعلي رضي الله عنه كما في «الخزانة» للبغدادي (٩/ ٥٣١) عجز، وصدره:

لـه ملـك ينـادي كل يـوم

(٢) في (أ): «يجري».

(٣) في (أ): «خافت عليها وعليه».

الماء يرفعه مرةً ويَخفضه أخرى(١)، وإن جواريَ فرعون خرجن يستقين من النهر فرأين تابوتاً يجري به(٢) الماء فأخذنه.

وقال كعب: كان فرعون وامرأتُه قاعدَيْن على شطِّ بِرْكته(٣) فإذا هما بالتابوت، فأمر بأخذه، ففتح رأسه فإذا هما بغلام كأحسن ما يكون وأتمِّه، فلما رأياه لم تتمالك آسية حبًّا له.

وقال وهب: لمَّا نظر إليه فرعون قال: عبرانيٌّ من الأعداء، وغاظه ذلك وقال: كيف أخطأ هذا الغلامُ الذبح، وكانت امرأته آسيةُ بنتُ مزاحم من بني إسرائيل، وهي من خيار النساء ومن بنات الأنبياء، وكانت أمًّا للمساكين ترحمهم وتتصدق عليهم، فقالت لفرعون: إن هذا الولد أكبر من ابن سنة، وإنما أمرت بذبح الولدان في هذه السنة، فدَعْه يكون قرةَ عينٍ لي ولك، فذلك قوله تعالى:

* * *

(٩) ـ ﴿وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾.

﴿وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ﴾: أي: هو قرةُ عين لي ولك، رقَّ قلبها له، ولعلها رأت من فرعون ما وقع عندها أن قلبه صار كذلك فقالت ذلك؛ أي: نرجو أن يكون لنا كالولد تقرُّ به أعينُنا.

﴿لَا تَقْتُلُوهُ﴾: أي: لا تذبحوه كما تذبحون أبناء بني إسرائيل ﴿عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ﴾ كما ينفعُ الخادم ﴿أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا﴾؛ أي: نتبنَّاه، ولم يكن لفرعون ابن.

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٣٣٧).

(٢) في (ر) و(ف): «يجريه».

(٣) بعدها في (أ): «في الباغ» وفي (ر): «في الباع».

﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ ما ينالُهم من المكروه من جهة موسى.

وقيل: لا يشعرون بكرامته على الله.

وقيل: وهم لا يشعرون أنه من بني إسرائيل، فقد قالت آسية: إنما جاء التابوت من غير مصر، فليس هو من بني إسرائيل.

وقيل: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾؛ أي: بنو إسرائيل لا يعلمون أن آل فرعون التقطوه.

وقيل: هو تمام[1] كلام آسية؛ أي: نتخذه ولداً والناسُ لا يشعرون أنه ملتقَطٌ، بل يظنون أنه مولودنا.

قال وهب: فومِقَه[2] فرعون واستَحْياه، وألقى الله عليه محبته ورأفته، وقال لآسية: عسى أن ينفعك، وأما أنا فلا أريد نَفْعه.

قال ابن عباس: لو أن فرعون قال في موسى كما قالت آسية لنفعه الله به؛ ولكنه أبى ذلك للشقاء الذي كتبه الله عليه[3].

***

(١٠) ـ ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا﴾: قيل: خالياً عن الصبر؛ كما قال: ﴿وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ﴾ [إبراهيم: ٤٣].

---

(١) «تمام» ليست في (أ).

(٢) في (ر) و(ف): «ووقفه». ومعنى «ومقه»: أحبه.

(٣) قطعة من حديث الفتون، وهو خبر طويل جدًّا رواه النسائي في «الكبرى» (١١٢٦٣)، وأبو يعلى في «مسنده» (٢٦١٨)، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وقيل: فارغاً عن كلِّ شيء إلا همَّ موسى.

وقيل: فرغ قلبُها حين علمت أنه حيٌّ في يد آل فرعون لا يقتلونه.

قوله: ﴿إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ﴾: أي: ما كادت إلا تُبدي به؛ أي: قرُبتْ أن تُظهر ذلك، و(تُبدي به) بمعنى: تُبديه؛ كما قال: ﴿تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾ [الممتحنة: ١]؛ أي: المودةَ، والباءُ صلةٌ زائدة.

وقيل: أي: لتُبدي[1] القولَ به؛ أي: عجزت عن الاحتمال وقاربت من الإظهار.

وقيل: لفراغ قلبها وزوالِ خوفها أرادت أن تُظهر.

وقيل: ﴿فَٰرِغًا﴾ بوعدِ الله، وهو قوله[2]: ﴿إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: ٧]، وكادت تبدي هذه البشارة.

وقيل: كادت تُبدي أنه ابنها حين أَخذ بثَدْيها.

﴿لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا﴾: أي: شدَدْنا قلبَها وثبَّتْناه بالصبر، وحفظناها عن الإظهار، وفيه دليلُ خلقِ اللهِ أفعالَ العباد.

﴿لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: أي: المصدِّقين بوعدنا.

***

(١١) ـ ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ۖ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾.

﴿وَقَالَتْ﴾: أي: أمُّ موسى ﴿لِأُخْتِهِۦ﴾؛ أي: لأخت موسى وهي مريم، وقيل: كلثم.

---

(١) في (أ): «التبدي» بدل من «أي: لتبدي».

(٢) «وهو قوله» ليس في (أ) و(ف).

﴿قُصِّيهِ﴾: أي: اتَّبعي أثره وامشي خلف التابوت على الشط.

﴿فَبَصُرَتْ بِهِۦ﴾: أي: رأته ﴿عَن جُنُبٍ﴾؛ أي: بُعْدٍ ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾؛ أي: آلُ فرعون لا يعلمون أن أختَه تَقصُّه.

وقيل: رأوها ولم يعلموا أنها أختُه وأنها تتعرَّف أمره.

وقال وهب: لمَّا سمعت بأن آل فرعون التقطوا التابوت قالت لأخته: ﴿قُصِّيهِ﴾: تنكري واذهبي مع الناس فانظري ماذا يفعلون به، فخرجت تقصُّه ودخلت مع القوابل على آسية، فلما رأت وَجْدَهم بموسى وحبَّهم إياه ورقَّتَهم عليه، وقد دعَوا بالمراضع، وكان لا يقبل الرضاع ولا يسكت بكاهُ ولا ينام، حتى شقَّ ذلك على فرعون وأحزنه، وذلك بسبب ما أراد الله تعالى بموسى وذلك قوله تعالى:

* * *

(١٢) - ﴿۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ﴾.

﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ﴾: أي: منعناه من أن يَرضع، وليس هو تحريمَ نهي وتكليفٍ، و﴿ٱلْمَرَاضِعَ﴾ يصلح جمعَ مرضعةٍ ومُرضعٍ بضم الميم: وهي المرأة، ويحتمِل أن يكون جمعَ مَرْضَعٍ بفتح الميم وهو الثديُ.

﴿مِن قَبْلُ﴾؛ أي: من قبلِ أن تأتيَه أمُّه.

وقيل: قبل حضور أخته.

وقيل: أي: قبل وجوده بالقضاء[1] السابق.

---

(١) في (ر) و(ف): «للقضاء».

﴿فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ﴾: أي: هل لكم حاجةٌ إلى أن أُرشِدَكم إلى أهل بيتٍ يكفُلون بموسى يضمنون[1] إمساكَه ويضمُّونه إلى أنفسهم للتربية والإرضاع.

﴿لَكُمْ﴾: أي من أجلكم وبسببكم ﴿وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ﴾؛ أي: للصبيِّ ناصحون لا يمنعونه ما ينفعُه في تربيته وغذائه لا يخونونكم فيه.

وقال وهب: قالت لهم: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ﴾ أي: ينصحون الملك في كفالته ويحرصون على مسرَّته؟ قالت لها آسية: نعم، قالت: إن حنَّةَ امرأةَ عمران قد ولدت غلاماً وأمر الملكُ بذبحه، وهي غزيرة اللبن طيبةُ النفس بأنْ تُرضع لكم هذا الغلامَ لحزنها على ابنها، فدلَّتهم على أم موسى، فبعث إليها فرعون، فلما دخلت عليه ناولها الابنَ فسكن بكاؤه، فلما وضعته في حِجرها ووجد ريحها الْتَقف ثديَها فرضع حتى رَوِي ونام، فمكث موسى عند أمه بعدما كفَلَتْه حتى فطمَتْه ثم ردَّته إليه.

* * *

(١٣) - ﴿فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا﴾: فالمحبُّ لا تَقَرُّ عينه إلا بلقاء المحبوب ﴿وَلَا تَحْزَنَ﴾ بفراقه ﴿وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ عِلْمَ عِيانٍ، فقد كانت علمَتْ ذلك علمَ خبر، وهو ما قال لها: ﴿إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ﴾.

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾: أي: الكفار يتوهَّمون خُلفَ الوعد.

---

(١) في (ر): «موسى يضمنون».

وقال وهب: وكان من لُطف الله أن عطَّف الله فرعون على موسى، فنشأ[١] موسى في حجر فرعون وآسية يربِّيانه بأيديهما[٢] وقد اتَّخذاه ولداً فأكرماه ونعَّماه، فبينا هو يلعب بين يدي فرعون يوماً وبيده قضيبٌ خفيف صغير يلعب به، إذ رفع القضيب فضرب رأس فرعون، فغضب فرعون وتطيَّر من ضربه، وقال لامرأته: ألَا تَرَيْن إلى هذا الغلام كيف تناولني بالقضيب، وقد كنتُ قلتُ لكم: إنه من الأعداء، فأراد قتله، فقالت امرأة فرعون: أيها الملك، لا تغضب ولا يشقَّنَّ عليك هذا، فإنه صبيٌّ صغير لا يَعقل شيئاً، وليس[٣] ينبغي لملكٍ أن يغضب من مثل هذا، فجربه إن شئت فاجعل في هذا الطست جمرةً وذهباً فانظر إلى أيهما يقبض، فأمر فرعون بجمرةٍ وذهبٍ فوضعهما في طستٍ بين يدي موسى، فلما مد موسى يده ليقبض على الذهب قبض الملك الموكَّل به على يده فردها إلى الجمرة، فقبض عليها موسى فألقاها في فيه ثم قذفها حين وجد حرارتها، فقالت آسية لفرعون لعنه الله: ألم أقل لك إنه لا يعقل شيئاً؟ فكف عنه فرعون وصدَّقها وترك قتله، فيقال: إن العقدة التي كانت في لسانه أثر تلك الجمرة[٤]، وهي التي قال موسى: ﴿وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةً مِّن لِّسَانِي﴾ [طه: ٢٧].

* * *

---

(١) في (ر): «فأقام».

(٢) «بأيديهما» ليست في (ف).

(٣) في (أ): «ولا».

(٤) قطعة من خبر طويل رواه الحاكم في «المستدرك» (٤٠٩٧) من طريق عبد المنعم بن إدريس بن سنان عن أبيه عن وهب بن منبه عن ابن عباس رضي الله عنهما موقوفاً. وعبد المنعم بن إدريس قال عنه أحمد بن حنبل كما في «الميزان»: كان يكذب على وهب بن منبه، وقال البخاري: ذاهب الحديث. وقال ابن حبان: يضع الحديث على أبيه وعلى غيره.

(١٤) ـ ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ﴾: أي: شدةَ بدنه وقوَّته ﴿وَٱسْتَوَىٰٓ﴾ أي: تناهى شبابه وتم خلقه.

وقيل: الأَشُدُّ: جمع شَدٍّ بالفتح؛ كالبَحْر والأَبْحُر.

وقيل: شُدٍّ بالضم؛ كالنُّعْم والأَنْعُم.

وقيل: جمعُ شدَّة بالخفض[1] كالنِّعمة والأَنْعُم.

وقيل: لا واحدَ له من لفظه استعمالاً.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿بَلَغَ أَشُدَّهُۥ﴾؛ أي: بلغ مبلغ الرجال[2].

وقيل: هو اثنتا عشرةَ سنةً، وقيل: ثماني عشرةَ سنةً.

وقال قتادة: ﴿بَلَغَ أَشُدَّهُۥ﴾: ثلاثاً وثلاثين سنة ﴿وَٱسْتَوَىٰٓ﴾؛ أي: بلغ أربعين سنة[3].

وقيل: بلوغُ الأَشُدِّ من ثماني عشرةَ إلى الثلاثين، ثم منها إلى الأربعين الاستواءُ.

وقالوا: خرج موسى من مصر إلى مدين وهو ابن اثنتي عشرةَ سنة، وكان عند شعيبٍ ثماني وعشرين سنة، وخرج بأهله إلى مصر وهو ابنُ أربعين سنة حين أوحى الله إليه وقد رأى النار من جانب الطور.

﴿ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾: قال محمد بن إسحاق: فقهاً في دينه وعلماً بشرائع دينه،

---

(١) «بالخفض» من (ف)، وفي (ر): «بالضم»، وليست في (أ).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢١٢٠) عن ابن وهب في تفسير سورة يوسف، ولم أجده عن ابن عباس.

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢١٩٨) و(٢٢٠٠)، والطبري في «تفسيره» (١٨/ ١٨٢).

فكانت له من بني إسرائيل شيعةٌ[١] يستمعون منه ويقتدون به ويطيعونه، فلما عرف ذلك رأى أن مفارقة فرعون وقومِه حقٌّ عليه في دينه، فتكلَّم وعابهم على ذلك حتى ذكر ذلك[٢] منه، فأخافوه وخاف حتى كان لا يدخل مدينة فرعون إلا خائفاً مستخفياً[٣].

﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾: أي: وكذلك نجزي من الأنبياء كلَّ مَن أحسنَ عمله لنا وصبر على طاعتنا؛ كما فعل موسى من مفارقتهم وعَيبِ آلهتهم، لما[٤] فعل ذلك فآتيناه ما آتيناه جزاء له على إحسانه.

* * *

(١٥) - ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِ ۖ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ۖ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ﴾: أي: ودخل موسى مدينة فرعون ﴿عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا﴾ قال أكثر المفسرين: نصفُ النهار، ووقتُ القائلة وخلوِّ الطريق.

وقيل: بين المغرب والعشاء.

وقيل: كان يومَ عيد لهم وقد اشتغلوا بلهوهم ولعبهم.

قوله: ﴿فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ﴾: يعني: يتشاجران ﴿هَٰذَا مِن شِيعَتِهِ﴾؛ أي:

---

(١) في (ر) و(ف): «وكان له... سبعة».

(٢) في (ر): «حتى تكرر».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ١٨٢و١٨٤).

(٤) «لما» من (ف).

أحدهما من شيعة موسى؛ أي: مشايعيهِ، وهم بنو إسرائيل ﴿وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾؛ أي: والآخر من أعدائه، وهم قوم فرعون.

قال مجاهد: هذا سِبْطيٌّ وهذا قِبْطيٌّ[١].

وقال ابن إسحاق: هذا مسلم وهذا كافر[٢].

قيل: كان القِبْطيُّ قد تسخَّر الإسرائيليَّ.

وقيل: كانا كافرين، ولكن أحدُهما إسرائيليٌّ وكان من شيعة موسى بذلك لا بالدِّين، قاله قتادة[٣].

وقيل: ﴿يَقْتَتِلَانِ﴾: يختصمان في الدِّين، أحدهما إسرائيليٌّ وكان من شيعة موسى يَدِين بدين التوحيد[٤] والنبوة، والثاني لا يدين بهما.

قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾: أي: سأله الإسرائيليُّ أن يُغيثه[٥] بالخلاص من يد القبطيِّ.

﴿فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ﴾: أي: وكزه موسى في صدره بجُمْعِ كفِّه وهو غيرُ عامدٍ لقتله ﴿فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾: أي: فقتله وفرغ منه.

﴿قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾: أي: قال موسى: إنما أغواني[٦] بهذا الفعل الشيطانُ وهيَّج غضبي حتى ضربتُ هذا.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ١٨٧ ـ ١٨٨) عن ابن عباس وقتادة وسعيد بن جبير ومجاهد.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ١٨٨).

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٢٠٢)، والطبري في «تفسيره» (١٨/ ١٨٧).

(٤) في (أ) و(ر): «وكان بدين التوحيد»، بدل: «وكان من شيعة موسى يَدِين بدين التوحيد».

(٥) في (ر): «يعينه».

(٦) في (أ): «أغراني».

﴿إِنَّهُۥ عَدُوٌّ﴾: أي: إن هذا الشيطان عدوٌّ ﴿مُّضِلٌّ﴾: قاصدٌ إلى الإضلال والإفساد ﴿مُّبِينٌ﴾ ظاهر، ثم استغفر منه فقال:

* * *

(١٦ ـ ١٧) ـ ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَٱغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ﴾.

﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ بفعل صار قتلاً ﴿فَٱغْفِرْ لِي﴾ زلَّتي، فاستجاب له ربه ﴿فَغَفَرَ لَهُۥٓ﴾ زلته ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ﴾ بالمغفرة ﴿فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا﴾: معيناً ﴿لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ المذنبين[١]، وإذا لم يكن مُعيناً للمذنب لا يذنب بنفسه.

وقيل: أي: ﴿بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ﴾ من القوة، وكان له قوة أربعين رجلاً، قال: لا أصرف هذه القوة إلى عون المجرمين.

وقيل: ﴿بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ﴾ من كلِّ النعم، وقلتَ: ﴿فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٤] فشكري لك أن لا أُعِين المجرمين.

وقيل: أراد به: أني لا أُعِين بعد هذا إسرائيليًّا أيضاً، وكانوا يومئذ كفاراً، ومعنى ﴿مِن شِيعَتِهِۦ﴾؛ أي: نسباً لا ديناً، وهو قول قتادة كما مر.

وقوله[٢]: ﴿رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ﴾ قيل: هو باء سببٍ، وقيل: هو باء قسم.

---

(١) في (ف): «للمذنبين».

(٢) في جميع النسخ: «وقيل» والصواب المثبت.

وقوله تعالى: ﴿فَلَنۡ أَكُونَ ظَهِيرٗا﴾ قيل: هو وعدٌ من نفسه(١)، وقيل: هو دعاءٌ وسؤال من ربه(٢).

﴿ظَهِيرٗا لِّلۡمُجۡرِمِينَ﴾؛ أي: للمشركين، وقيل: هو عام في كل الظالمين.

***

(١٨) ـ ﴿فَأَصۡبَحَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ خَآئِفٗا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِي ٱسۡتَنصَرَهُۥ بِٱلۡأَمۡسِ يَسۡتَصۡرِخُهُۥۚ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِيّٞ مُّبِينٞ﴾.

قوله تعالى: ﴿فَأَصۡبَحَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ خَآئِفٗا﴾: على نفسه من أن يُعلم بما جرى على يديه.

---

(١) في (أ): «هو عدو من نفسه»، وهو تحريف ظاهر، وسقطت الجملة من باقي النسخ. وانظر التعليق الآتي.

(٢) قوله: «هو وعدٌ من نفسه، وقيل: هو دعاءٌ وسؤال من ربه» من (أ). وهذان الوجهان ذكرهما الفراء وتبعه المفسرون، وملخصهما: أن هذا القول من موسى عليه السلام إما أن يكون خبراً أو دعاء، والأول عزاه الفراء لابن عباس رضي الله عنهما، قال الفراء في «معاني القرآن» (٢/ ٣٠٤): (وقوله: ﴿رَبِّ بِمَآ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ فَلَنۡ أَكُونَ ظَهِيرٗا لِّلۡمُجۡرِمِينَ﴾ قال ابن عباس: لَمْ يستثن فابتُلِي، فجَعل (لن) خبرًا لموسى، وفي قراءة عبد الله: (فَلَا تَجۡعَلۡنِي ظَهِيرًا) فقد تكون (لَنْ أكُونَ) على هذا المعنى دُعاءً من موسى: اللَّهُمَّ لن أكون لهم ظهيرًا فيكون دعاءً). قلت: وذهب الأكثر إلى اختيار كونه خبراً على ما ذكر عن ابن عباس، قال النحاس في «إعراب القرآن» (٣/ ١٥٨): (وأن يكون بمعنى الخبر أولى وأشبه بنسق الكلام). وقال الواحدي في «البسيط» (١٧/ ٣٥٠): (ومذهب المفسرين أن هذا خبر وليس بدعاء؛ أخبر عن نفسه أنه لا يكون ظهيرًا للمجرمين بعد ذلك).

قلت: والقول بأن (لن) هنا على حقيقتها للإخبار وليست دعاء رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٢٠٤) عن قتادة، ويؤيده أنه وقع في الأمر مرة أخرى كما أشار إلى ذلك ابن عباس رضي الله عنهما. والله أعلم.

﴿يَتَرَقَّبُ﴾: أي: ينتظر[١] ويتوقَّع مكروهاً يقع به.

وقيل: ينظر هل عَلِم به أحد.

﴿فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ﴾: أي: ذلك الإسرائيلي ﴿يَسْتَصْرِخُهُۥ﴾؛ أي: يستغيثه على قبطيٍّ آخر يشاجره[٢].

﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ﴾: أي: ضالٌّ عن الرشد ظاهرُ الغيِّ، تُبِين عن نفسك، فقد قاتلت بالأمس رجلاً منهم فتفعل اليوم كذلك، وأوقَعْتني أنت فيما أوقَعْتَني، وهذا لا يفعله رشيد في تدبيره؛ لأنك بذلك[٣] تستدعي البلاء إلى نفسك وإلى مَن يريد نصرتك.

* * *

(١٩) ـ ﴿فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ﴾.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا﴾: أي: ﴿فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ﴾ موسى ﴿أَن يَبْطِشَ﴾ بالقبطيِّ الذي هو عدوٌّ لموسى وللإسرائيلي، فوثب[٤] عليه ليمنعه من أخذ الإسرائيلي وتسخيره.

﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ﴾: أي: قال الإسرائيلي: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ﴾[٥]، وتوهَّم أنه إنما أراد أخذه

---

(١) في (ر) و(ف): «يتذكر».

(٢) في (ر): «يسخره».

(٣) في (ف): «لذلك» بدل: «لأنك بذلك».

(٤) في (أ): «فيثيب».

(٥) في (أ): «لموسى» بدل: «﴿يَٰمُوسَىٰٓ﴾».

لا أخذَ القبطي؛ إذ قال له: ﴿إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ﴾، ورأى ندمه على ما كان منه بالأمس من قتل القبطي، ثم [لمَّا][(١)] رآه قصد نحوه ونحو صاحبه ظنَّ أنه إنما يقصده.

قوله تعالى: ﴿أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ﴾: أي: القبطيَّ ﴿إِن تُرِيدُ إِلَّا أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ﴾؛ أي: ما تريد إلا أن تكون قتَّالاً، وقيل: متجبِّراً.

﴿وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ﴾ في الأرض.

وقيل: أي[(٢)]: مَن أصلح بين متشاجرَين فإنما يدفع أحدهما عن الآخر، لا أن يقتل أحدهما.

وكان أمر قتل القبطي بالأمس قد شاع لكن خفيَ قاتلُه، فلما سمع القبطي في اليوم الثاني ذلك من السِّبطي لموسى عليه السلام [علم][(٣)] أن موسى هو قاتل القبطي بالأمس، فذهب فأخبر فرعون وطلبوه ليقتلوه، وهذا عن ابن عباس رضي الله عنهما وجماعة[(٤)].

وقال الحسن: قوله: ﴿أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي﴾ قولُ القبطي[(٥)].

***

---

(١) زيادة يقتضيها السياق.

(٢) في (ف): «إن».

(٣) ما بين معكوفتين من «تفسير ابن كمال باشا» عند هذه الآية.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ١٩٣ ـ ١٩٦) عن ابن عباس وقتادة والسدي. وهو قطعة من حديث الفتون الطويل، رواه النسائي في «الكبرى» (١١٢٦٣)، وأبو يعلى في «مسنده» (٢٦١٨)، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٥) ذكره ابن فورك في «تفسيره» (١/ ٣٣٧).

(٢٠) ـ ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّـٰصِحِينَ ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ﴾: قال محمد بن إسحاق: هو حزقيل بن سورا[١] ابن عم فرعون، وهو مؤمن[٢] آل فرعون.

﴿يَسْعَىٰ﴾: أي: يسرع ﴿قَالَ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ﴾: أي: أشراف القوم ﴿يَأْتَمِرُونَ بِكَ﴾؛ أي: يتشاورون ويرتؤون[٣] فيك ﴿لِيَقْتُلُوكَ﴾ بالقبطي الذي قتلته ﴿فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّـٰصِحِينَ ﴾.

* * *

(٢١) ـ ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾.

﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ﴾: أي خائفاً[٤] على نفسه منهم، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: أي: خائفاً أن يضلَّ[٥] الطريق[٦].

---

(١) في (أ): «خريقيل بن صيورا» وفي (ف): «حزقيل بن صورا» وفي (ر) «خرقيل بن سورا». وهذا شيء يكثر الاختلاف فيه، ولا فائدة في استقصائه. على أنه قد روي عن ابن إسحاق خلافه، فقد روى الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٢٠٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٩٥٩)، عن ابن إسحاق أن اسم هذا الرجل: سمعان.

(٢) بعدها في (أ): «من».

(٣) «ويرتؤون» من (أ). وهو مذكور في معنى ﴿يَأْتَمِرُونَ﴾. انظر: «تفسير الطبري» (١٨/ ٢٠١).

(٤) «أي خائفاً» زيادة من (ف).

(٥) «عن» ليس من (أ).

(٦) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٩٦٠)، ولفظه: (فخرج منها متوجِّهًا نحو مدينَ لَمْ يَلْقَ رجلًا قَبْل ذلك، وليس له بالطريق عِلْمٌ إلا حُسْنُ ظنِّه بربِّه).

﴿يَتَرَقَّبُ﴾: أي: ينتظرُ هل يلحقُه طلب فيؤخَذَ؟

ثـم التجـأ إلـى الله تعالـى: ﴿قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: أي: احفَظْـني فـلا يَلحقَـني الطلـب، فإنهـم ظالمـون بقتلي.

وقال الإمام أبو منصور: دل هذا على صحة قول أبي حنيفة رحمه الله: أن القتل بالمثقَّل لا يوجِب القِصاص، فإن موسى جعلهم ظالمين بطلب القصاص بقتله بالوكزة، والوكزة من موسى ـ وله قوة أربعين رجلاً ـ كانت مفضيةً إلى القتل ولم تكن موجبة للقصاص، حتى عدَّه موسى عليه السلام ظلماً[١].

وفي «تفسير مالك بن سليمان الهروي»[٢]: أن الرجلين المقتتِلَين[٣] كان أحدهما السامريَّ واسمُه ميحا[٤]، والآخرُ طباخَ فرعون واسمه فليتون[٥]، فسخَّر السامريَّ بحمل الحطب إلى المطبخ، وكذلك قال وهب في «المبتدأ»؛ قال: فخرج[٦] موسى من مصر لا يدري إلى أي وجه يسلك ﴿خَآئِفًا﴾ ليس معه زاد ولا حمولة ولا صاحبٌ[٧] متوجِّهاً تلقاء مدين، وهو قوله تعالى:

* * *

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٨/ ١٥٦).

(٢) مالك بن سليمان الهَرَويّ، أبو عبد الرحمن السَّعديّ المفسر، توفي سنة (٢١٤هـ). انظر: «تاريخ الإسلام» (٥/ ٤٥٧).

(٣) «المقتتلين» ليست في (أ).

(٤) في (ف): «منجا».

(٥) في (ر): «فليقون».

(٦) في (ف): «خرج» بدل: «قال: فخرج».

(٧) في (أ): «صاحبة».

(٢٢ ـ ٢٣) ـ ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ۝٢٢ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَاۖ قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾.

﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾: أي: أرجو أن يرشدني إلى وسط الطريق، فسار موسى من مصر إلى مدينَ ثماني[1] ليالٍ وقد تفطَّرت قدماه دماً وقَرِحَ شِدْقاه من أكل ورق الشجر.

﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ﴾: قيل: كان قصدُه مدين وهو لا يعرف جهتها، فتوجَّه وجهاً على رجاء أن يصل إليها.

وقيل: لم يقصد مدين، لكن أخذ طريقاً يرجو أن تؤديه إلى مأمنٍ.

ولما وصل إلى ماء مدين وهو بئرٌ لهم ﴿وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ﴾: أي: جماعةً يسقون مواشيَهم.

﴿وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ﴾: أي: أسفلَ من الجماعة ﴿ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ﴾ قال السدي: أي: تَحْبِسان غنمَهما[2].

وقال قتادة: أي: تطردان الناس عن شائهما[3].

وقد ذاد يَذُود ذَوْداً وذِيَاداً؛ أي: حبَس إبلَه أو غنمه أو نحوَ ذلك عن الشيء يمنعها منه[4]. قال الشاعر:

---

(١) في (ر) و(ف): «ثلاث».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٢٠٨).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٢٠٩) بلفظ: (تذودان الناس..).

(٤) في (ر) و(ف): «عنه».

عجبت من نفسي ومن إشفاقها ومن ذيادي الطيرَ عن أرزاقها
في سنةٍ قد كشفت عن ساقها حمراءَ تُبدي اللحمَ عن عُراقها[1]

﴿قَالَ مَا خَطْبُكُمَا﴾: أي: ما شأنكما واقفتين لا تسقيان كسائر الناس؟

﴿قَالَتَا لَا نَسْقِى﴾: أي: نحن لا نسقي غنمنا ﴿حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: لا قوةَ لنا على الاستقاء، وإنما ننتظر فضولَ الماء في الحوض[2]. وكذا قال ابن إسحاق وقتادة[3].

وقيل: كان تأخُّرهما لمنع الناس.

وقيل: لحيائهما من[4] مزاحمة الناس، ولتجنُّبهما عن مخالطة الناس.

وقرأ أبو عمرو وابن عامر وأبو جعفر: ﴿حَتَّىٰ يَصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ﴾ بفتح الياء وضم الدال؛ أي: يرجع، وهو لازم.

وقرأ الباقون بضم الياء وكسر الدال من الإصدار[5]، وهو متعدٍّ.

---

(١) الرجز نسبه البلاذري في «أنساب الأشراف» (١٢/ ٣٨٤) لأبي البلاد خليفة بن بلاد، وذكره الراغب في «محاضرات الأدباء» (١/ ٢١٢) وقال: الأبيات لرؤبة قالها وقد تولى طراد الطير عن زرع له. وهو دون نسبة في «غريب الحديث» لابن قتيبة (١/ ٢٦٣)، و«الزاهر» لابن الأنباري (٢/ ٣٧١)، و«البصائر والذخائر» للتوحيدي (٩/ ١١٤)، و«تفسير الثعلبي» (١٠/ ١٩)، و«اللامع العزي شرح ديوان المتنبي» للمعري (ص: ١٢٩٩). وجاء في جميع المصادر: (وعن طرادي الطير...)، فلا شاهد فيه. وفيها أيضاً (تبري) مكان: (تبدي).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٢١١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٩٦٤).

(٣) رواه عن ابن إسحاق الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٢١٢)، وعن قتادة ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٩٦٣).

(٤) في (ف): «عن».

(٥) انظر: «السبعة» (ص: ٤٩٢)، و«التيسير» (ص: ١٧١)، و«النشر» (٢/ ٣٤١).

والرِّعاء: جمع راعٍ؛ كالقيام جمع قائم.

والرعـاء: هـم الذيـن يرعَـون المواشـي، والرعـاة: هـم الذيـن يرعَـون الناس وهم الـولاة.

ومعنى الأول: حتى ينصرف الراعون فيَصْدُروا عن وُرودٍ.

ومعنى الثاني: حتى يردُّوا ماشيتَهم إصداراً عن إيرادٍ.

وقوله: ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾: لا يستطيع حضور الماء فيسقيَ غنمه بنفسه، وليس له عون غيرَنا.

* * *

(٢٤) ـ ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾.

﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا﴾: أي: فسقى موسى غنمهما لأجلهما قبل صدور الرعاء ﴿ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ﴾؛ أي: توجه إلى ظلِّ شجرة.

وقيل: كانت سَمُرةً[١].

وقيل: كان ظلَّ حائط.

ودلَّ على أن البئر كانت في الشمس، ودلَّ أنه لا بأس بالجلوس تحت الظل.

﴿فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾: أي: يا رب إني إلى ما[٢] تُنزل إليَّ من رزقٍ محتاج.

---

(١) السمر من شجرة الطلح: شجر صغير الورق قصير الشوك، له برمة صفراء وخشبه جيد للسقوف. انظر: «معجم متن اللغة» (مادة: سمر).

(٢) في (ف): «إني لما».

قال ابن عباس رضي الله عنهما: سأل ما يسدُّ به جَوعتَه[1]، فقد كان جائعاً ثمانية أيام.

و(اللام) بمعنى (إلى) كما قال: ﴿أَوْحَىٰ لَهَا﴾ [الزلزلة: ٥]؛ أي: إليها، ويقال: هداه الله لكذا، أو إلى كذا.

وقيل: معناه: مع ما ﴿أَنزَلْتَ إِلَيَّ﴾؛ أي: أعطيتني من الخير؛ أي: من كل خير ﴿فَقِيرٌ﴾ إلى خيرٍ آخر وهو الطعام.

وقيل: سأل خبزَ الشعير، شكر أولاً لِمَا سَلَف وسأل في المؤتنَف.

والشيخ الكبير هو شعيبُ بن ثويبِ بنِ مدين بنِ إبراهيم عليه السلام[2]، وسميت تلك البلدة[3] ﴿مَدْيَنَ﴾ باسم جده مدين بن إبراهيم، وكان لإبراهيم أربعة بنين: إسماعيل وإسحاق ومدين ومدائن، وإليهما نسبت البلدتان مدين ومدائن.

هذا قول ابن عباس ومقاتل والضحاك ومجاهد والسدِّي: أنه شعيب[4].

---

(١) رواه بنحوه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٢١٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٩٦١). وانظر: «النكت والعيون» (٤/ ٢٤٥ ـ ٢٤٦).

(٢) هذا أحد الأقوال في اسم نبي الله شعيب عليه السلام، وقيل في نسبه غير ذلك، وقد تقدم تفصيل ذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ [الأعراف: ٨٥]، وقيل في صاحب القصة أقوال غير هذا أيضاً، منها أنه ابن أخي شعيب كما سيأتي، ومنها أنه أجنبي عنه، وقد جمع ذلك ونقل ما فيه من أقوال الآلوسي في «روح المعاني» (٢٠/ ١٤٦ ـ ١٤٧).

(٣) في (أ) و(ف): «الولاية».

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ٢٤٤) عن مجاهد والضحاك والسدي والحسن. ورواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٢٢٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٩٦٥)، عن الحسن. وعقبه الطبري بقوله: وهذا مما لا يُدرك علمه إلا بخبر، ولا خبر بذلك تجب حجته، فلا قول في ذلك أولى بالصواب مما قاله الله جل ثناؤه.

وقال الآلوسي في «روح المعاني» (٢٠/ ١٤٨): والأخبار التي وقفنا عليها في هذا المطلب مختلفة، =

وقال وهب بن منبه وسعيد بن جبير: هو يثرون[١] ابن أخي شعيب، [وكان شعيب قد] مات قبل[٢] ذلك بعد ما كُفَّ بصرُه فدفن بين المقام وزمزم[٣].

وقال محمد بن إسحاق: المرأتان أكبرهما صَفُوراء والأخرى ليا[٤].

وقيل: الكبرى صَفْراء والصغرى[٥] صُفَيراء.

وقال وهب: الكبرى صَفُوراء والصغرى حنوفا[٦].

= ولم يتميز عندنا ما هو الأرجح فيما بينها، وكأني بك تعول على المشهور الذي عليه أكثر المفسرين، وهو أن أباهما على الحقيقة شعيب عليه السلام إلى أن يظهر لك ما يوجب العدول عنه.

(١) في (أ): «نيرون»، وفي (ر): «تبرون»، وفي (ف): «شرون». والمثبت من «تفسير البغوي»، وانظر ما سيأتي بعد تعليق.

(٢) في (ر): «بعد»، والصواب المثبت. وانظر التعليق الآتي.

(٣) ذكره عنهما الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ٢٤٤)، والبغوي في «تفسيره» (٦/ ٢٠٠)، وما بين معكوفتين منهما. ووقع اسمه عند الثعلبي: (بثرون)، وعند البغوي: (يثرون) كما ذكرنا، وكذا رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٢٢٣) عن أبي عبيد بن عبد الله بن مسعود قال: الذي استأجر موسى يثرون ابنُ أخي شعيب عليه السلام. وهكذا ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٢٤٧)، وابن عطية في «المحرر الوجيز» (٤/ ٢٨٤) عن أبي عبيدة، وكذا رواه عنه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٩٦٦) لكنه سماه: (أثرون)، ثم أعقبه بقول أبي زرعة: (الصحيح: يثرون)، وذكر ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٤/ ٢٨٤) عن الحسن: هو ابن أخي شعيب واسمه ثروان. وروى الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٢٢٣) عن ابن عباس: الذي استأجر موسى: يثرى صاحب مدين. والبحث في هذا طويل لا ينتهي لكثرة الاختلاف بين المصادر والنسخ فيه، وانظر ما تقدم عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ [الأعراف: ٨٥].

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٢٢٢ ـ ٢٢٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٩٦٩).

(٥) في (ر): «وقيل صفرى والأخرى».

(٦) في (أ): «حيوتا».

وقوله تعالى: ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا﴾: قال شريحٌ: رفع لهما حجراً لا يَقدر على رفعه إلا عشرة رجال[١].

وقيل: أربعون رجلاً.

وقال مجاهد: مئة رجل، وكان الدلو لا ينزعها إلا أربعون رجلاً، فرفع الحجر بنفسه، ونزع الدلو بنفسه، وكان له قوة أربعين رجلاً[٢].

وقال محمد ابن إسحاق: زاحم[٣] القوم حتى نحَّاهم عن رأس البئر ثم سقى لهما[٤].

وقال القشيري: لمَّا أحس موسى من نفسه قوةَ مئة رجل خاف العُجب على نفسه، فقال: ﴿إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ فرأى فقرَه وفاقته؛ أي: وإن تعاطيتُ ما تعاطيتُ بما بي من القوة فإني فقير إليك وإلى رحمتك؛ أي: لم أعمل إلا بقوَّتك[٥].

ولمَّا سقى موسى غنمهما قبل سقي الناس أسرعتا الرجوع إلى أبيهما، فقال: ما لكما أسرعتُما الرجوع؟! فحكيا له ذلك، فأمر إحداهما أن تدعوه ليجزيه أجر ما سقى لهما.

❊ ❊ ❊

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٢١٣) عن شريح وابن جريج.

(٢) لم أجده، وروى الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٢١٣) عن مجاهد قال: فتح لهما عن بئر حجراً على فيها، فسقى لهما منها.

(٣) في (أ) و(ف): «زحم».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٢١٤).

(٥) انظر: «لطائف الإشارات» (٣/ ٦٣).

(٢٥) ـ ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾.

قوله: ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ﴾: قال ابن عباس رضي الله عنهما: أي: مستترة بكمِّ درعها[1].

وقيل: جاءت الكبرى ساترةً وجهها.

وقال سعيد بن المسيب: كانت حَيِيَّةً لم تكن خرَّاجة ولَّاجة[2].

وقيل: ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي﴾ هاهنا وقف، ثم قال: ﴿عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ﴾ فكان الحياء في[3] الكلام.

﴿قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾: أي: ليعطيك ثوابَ ما عملتَ لنا، وفيه دليلٌ على أن المكافأة على الصنيعة لازمةٌ، ويُستحب للمصطَنِع أن لا يطلبَ مكافأة وأن لا يقبل؛ ليبقى[4] له الفضل، ولو قبِل عند الحاجة فلا بأس به؛ لأن موسى قبل ذلك لحاجته.

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾: قال ابن عباس رضي الله عنهما: أي: ليس لفرعون سلطان بأرضنا[5]، وهو إجابةٌ لدعوته: ﴿رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾.

---

(١) لم أجده عن ابن عباس، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٢١٨) عن عمر رضي الله عنه.

(٢) لم أجده عن سعيد بن المسيب، ورواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣١٨٤٢)، والطبري في «تفسيره» (١٨/ ٢١٩)، من قول عمر رضي الله عنه.

(٣) في (ر): «على استحياء فكان ابتداء».

(٤) في (ف): «أن لا يطلب مكافأة ولا يطلب لسقي بل له».

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٢٢٠ ـ ٢٢١). وهو قطعة من حديث الفتون الطويل، رواه النسائي في «الكبرى» (١١٢٦٣)، وأبو يعلى في «مسنده» (٢٦١٨)، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

قال وهبٌ: ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدۡيَنَ وَجَدَ عَلَيۡهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسۡقُونَ ﴾ أهلَ[1] شاءٍ ونَعَمٍ ﴿وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمۡرَأَتَيۡنِ تَذُودَانِۖ﴾ غنمَهما عن الماء، فرقَّ لهما موسى حين نظر إليهما ورآهما ضعيفتين لا تصلان إلى الماء لكثرةِ مَن عليه من الناس، فـ﴿قَالَ مَا خَطۡبُكُمَاۖ قَالَتَا لَا نَسۡقِي حَتَّىٰ يُصۡدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ وَأَبُونَا شَيۡخٞ كَبِيرٞ﴾ لا يقدر على أن يليَ سقيَ ماشيته بنفسه لضعفه وكِبَر سنِّه ـ ويقال: إنه كان ضريرَ البصر ـ فنحن ننتظر الرعاء، فإذا فرغوا من سقي مواشيهم تقدَّمنا فسقينا مواشيَنا ثم انصرفنا إلى أبينا، فلمَّا سمع موسى مقالتهما رقَّ لهما فأخذ دلوهما ثم تقدَّم فزاحم القوم[2] حتى أفرجوا له فرجة ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا﴾ ماشيتَهما، وكان رجلاً قويًّا كأقوى الرجال، فلما فرغ من سقيهما ﴿تَوَلَّىٰٓ إِلَى﴾ ظل شجرة ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلۡتَ إِلَيَّ مِنۡ خَيۡرٖ فَقِيرٞ﴾ وأمنيتُه يومَه[3] شبعةٌ من طعام، وكان على رأس البئر صخرةٌ لا يزيلها أقلُّ من ثلاثين رجلاً، فرفعها وحده.

فانصرفتا إلى أبيهما في ساعةٍ لم تكونا تنصرفان إليه فيها، فسألهما فأخبرتاه الخبر، وكيف سقى لهما موسى، وكيف زاحم الرجال على الماء، فقال شعيب لصفوراء ابنته وهي إحداهما: انطلقي فأتي بهذا الرجل، فجاءته ﴿تَمۡشِي عَلَى ٱسۡتِحۡيَآءٖ﴾ فوجدته قاعداً في الظل، فقالت: ﴿إِنَّ أَبِي يَدۡعُوكَ لِيَجۡزِيَكَ أَجۡرَ مَا سَقَيۡتَ لَنَاۚ﴾ فقام موسى معها وقال لها: امشي أمامي وأنا خلفك إلى أهلك، فجاءت الريحُ فوصفته[4] ثيابها وموسى منكِّس لا ينظر إليها،..............................

---

(١) في (ف): «أي».

(٢) في (أ): «فزحم القوم»، وفي (ف): «فزاحم الناس».

(٣) في (ف): «قوته».

(٤) في (ر) و(ف): «فرفعت»، والمثبت من (أ)، والمعنى عليه: فألزقت الريح ثوبها بجسدها فوصفته. انظر: «الكشاف» (٣/ ٤٠٢).

فخشي[١] أن تحين[٢] منه نظرة، فقال لها: امشي خلفي فإنَّا لا ننظر في ظهور النساء وهذا يومُ ريح، فنعتت له الطريق ومشت خلفه، فلما دخل على شعيب سأله عن حاله فأخبره موسى بخبره، فقال له: ﴿لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ وأخبرت أباها بذلك[٣].

* * *

(٢٦) - ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾.

﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ﴾: أي: لرعي أغنامنا وسقيها والقيام بمصالحها.

﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾: أي: خيرَ مَن استأجرته، وهذا قويٌّ أمين.

روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: يا بنية، ما أمانتُه وما قوته؟ قالت: أما قوتُه فرفَع الحجر ولا يطيقه إلا جماعة، وأما أمانته فإنه قال لي: امشي خلفي وصِفي لي الطريق فإني أكره أن تصيب الريح ثيابك فتصفَ[٤] لي جسدك، قال[٥]: فزاده فيه رغبة[٦].

* * *

(١) في (ر): «يخشى».

(٢) في (أ): «تحير».

(٣) «وأخبرت أباها بذلك» من (أ).

(٤) في (ر) و(ف): «فيظهر».

(٥) «قال» ليس من (أ).

(٦) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣١٨٤٢) من قول عمر رضي الله عنه. وورد ضمن حديث الفتون الطويل، رواه النسائي في «الكبرى» (١١٢٦٣)، وأبو يعلى في «مسنده» (٢٦١٨)، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وروى هذه القطعة عنه أيضاً الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٢٢٥).

(٢٧) ـ ﴿ قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَيَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٍ ۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ ۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ۚ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾.

﴿ قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَيَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٍ ﴾: يعني: على أن تأجُرني نفسَك فتكونَ أجيري ثماني سنين[1] ترعى غنمي، والحجة: السنة؛ لأن في كل سنةٍ حَجةً، فسمَّوها بها لتضمُّنها إياها تعظيماً لها.

﴿فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ﴾: أي: فإن زدت على الثمانية فأتممت السنين عشراً فذلك تطوُّع من عندك لا يَلزمك ذلك لي بعقد الإجارة.

قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ۚ﴾: أي: أحملَ عليك ما يشتد عليك.

﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾: أي: ممن يَفي بالشرط فلا يتعدَّى ولا يطالب بما وراء الشرط، ومَن فعَل ذلك فهو صالح.

* * *

(٢٨) ـ ﴿ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ ۖ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَيَّ ۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴾.

﴿ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ ۖ ﴾: أي: هذا شرطٌ بيننا على كلِّ واحد منا الوفاءُ به لصاحبه.

﴿أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ﴾: أي: أيَّ المدتين وَفَيْتُك العملَ فيها ﴿**فلا عدوان علي**﴾؛ أي: فليس لك أن تُلزمني أكثر منه متعدِّياً عليَّ.

---

(١) في (أ): «حجج».

وقيل: ﴿ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ﴾: أي: ما ذكرتَ من الأجلين فهو أمرٌ بيني وبينك أفعلُ منه ما أحببتَ لا شرطَ عليَّ فيه.

﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾: أي: على ما نعقد عليه حفيظ.

وقال وهب: رعى موسى لشعيب ثمانيَ حجج، فأدخل عليه ابنته وفوَّض إليه أمره، ثم رعى موسى أيضاً[1] بعد ذلك سنتين وأتمَّها عشراً فقضى أوفى الأجلين وأتمهما.

وعن وهب: أنه لما قضى الأجل أنكحه أكبرَهما[2].

وعن النبيِّ ﷺ أنه سئل: أيَّ الأجلين قضى موسى، وأيَّ الابنتين تزوج؟ قال: «تزوج صغراهما[3] وقضى أوفاهما»[4].

وقيل: خيَّره شعيبٌ فيهما، فقال: أختار التي مدحَتْني، فكيف بمن مدَح الله تعالى بكلِّ حال؟

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: أفرسُ الناس ثلاثة: ابنةُ شعيب في قولها: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ﴾ الآية، والذي تفرَّس في

---

(١) «أيضاً» ليست في (ر).

(٢) في (أ): «كبراهما».

(٣) في (ر) و(ف): «صغراهما».

(٤) قال الحافظ في «الكاف الشاف» (ص: ١٢٦): (أخرجه الطبراني [في «الأوسط» (٥٤٣٠)] والبزار [في «مسنده» (٣٩٦٤)] من طريق عوبد بن أبي عمران الجوني عن أبيه عن عبد الله بن الصامت عن أبي ذر: أن النبي ﷺ سئل: أيَّ الأجلين قضى موسى؟ قال: «أوفاهما وأبرهما»، قال: وسئل: أيَّ المرأتين تزوج؟ قال: «الصغرى منهما»، وعويد ضعيف). ثم ذكر عن ابن مردويه نحوه من حديث أبي هريرة رفعه وقال: (وفي إسناده سليمان الشاذكوني وهو ضعيف).

يوسف عليه السلام: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ﴾ وأبو بكر حين تفرَّس في عمر رضي الله عنه فاستخلفه[١].

وروي: أن شعيباً قال لموسى صلوات الله عليهما حين جنَّ الليل: ادخل ذلك البيتَ فأَخْرِج عصاً من تلك العصيِّ، فدخل فأخرَج عصاً كان آدمُ أخرجها من الجنة، فلما نظر شعيب إليها ضرَبها في العصي فقال[٢]: أَخْرِج غيرها، فأخرجها بعدما ألقاها في العصي، حتى فعل ذلك سبعَ مرات، فعلم شعيب أن لموسى شأناً، فلما أصبح قال له: سُقْ هذه الأغنامَ إلى مفرق الطريق، ثم خذ عن يمينك وليس بها عشب كثير، ولا تأخذ عن يسارك وفيها عشب كثير لكن فيها تنين يقتل المواشي، فساق موسى المواشي إلى مفرق الطريق، فأخذن نحو اليسار ولم يقدر على ضبطهن وانسرحنَ في الكلأ، فنام موسى فخرج التنِّين، فقامت العصا فصارت شعبتاها حديداً وحاربت التنين حتى قتلته وعادت إلى موسى، فلما انتبه موسى رأى العصا مخضوبةً بالدم والتنينَ مقتولاً، فارتاح لذلك وعاد إلى شعيب، فمسَّ الأغنام فإذا هي أمثلُ حالاً، فسأله عن العصا[٣] فأخبره بها، ففرح بذلك شعيب وأراد أن يجزي موسى عليها، فقال له: كلُّ ما ولدت الأغنام في هذه السنة من أولاد سود فهو لك، فكانت الأولاد في تلك السنة كلُّها سوداً، فحازها كلَّها، وفي السنة الثانية شرَط ذلك في البِيض

(١) رواه ابن سعد في «الطبقات» (٣/ ٢٧٣)، وسعيد بن منصور في «سننه» (١١١٣) (التفسير)، وابن الجعد في «مسنده» (٢٥٥٥) وابن أبي شيبة (٣٧٠٥٨)، والطبراني في «الكبير» (٨٨٢٩)، والحاكم (٣٣٢٠) عن ابن مسعود موقوفاً. وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين.

(٢) في (أ) و(ر): «حلي بها فقال»، بدل: «ضربها في العصي وقال».

(٣) في (أ): «القصة».

فولدت كلُّها بيضاً فحازها، وفي السنة الثالثة قال: كلُّ ولدٍ وُلد[1] له لونان سوادٌ وبياض فهو لك، فكان الكلُّ كذلك فحازها كلَّها، وعلم شعيب أن له عند الله منزلة.

***

(٢٩) ـ ﴿۞ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿۞ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ﴾: قيل: عشر سنين ﴿وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ﴾: وخرج بإذن شعيب مع امرأته وأولاده وعبيده يريد مصر وأخاه وأختَه وقرابتَه وهم بها.

﴿ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا﴾: أي: أَبصر ناراً ﴿قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟﴾؛ أي: الْبَثوا مكانكم ﴿إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ﴾ في الدلالة على الطريق ﴿أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ﴾؛ أي: قطعةٍ غليظة من الحطب فيها النار، وفيها ثلاث لغات: فتح الجيم وضمها وكسرها، والفتح قراءة عاصم، والضم قراءة حمزة، والكسر قراءة الباقين[2].

وقال قتادة: الجذوة: الشعلة من النار[3].

﴿لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾: أي: تستدفئون، وكانت ليلةً شاتيةً ذاتَ بردٍ ومطر.

---

(١) «ولد» ليست في (أ).

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٤٩٣)، و«التيسير» (ص: ١٧١).

(٣) هذا القول رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٢١٢) عن معمر عن الكلبي، أما قتادة فقد روى عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٢١٣)، والطبري في «تفسيره» (١٨/ ٢٤٠)، عن معمر عنه أنه قال في معنى الجذوة: (أصل الشجرة في طرفها النار)، وروى الطبري نحوه من طريق سعيد عن قتادة، ثم روى عن معمر قال: (قال غير قتادة...) فذكر مثل رواية معمر عن الكلبي بالحرف، فغير قتادة هو الكلبي على الأظهر كما يظهر من رواية عبد الرزاق عن معمر، فلعل من نسبه لقتادة سقطت عنده كلمة (غير) التي في رواية الطبري، أو تحرفت إلى (عن).

(٣٠ ـ ٣١) ـ ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ﴾.

﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ﴾: أي: جانبه الأيمنِ، نعتٌ للشاطئ، وهو عن يمين المتوجِّه إليه.

﴿فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ﴾: أي: في القطعة المفردة من ذلك الوادي، و﴿ٱلْمُبَٰرَكَةِ﴾ صفتُها على ما مر في قوله تعالى: ﴿أَنۢ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ﴾ [النمل: ٨]، والوادي هو الوادي المقدسُ طُوى.

﴿مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ﴾: أي: ونودي: ﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ﴾.

﴿فَلَمَّا رَءَاهَا﴾: أي: فألقاها ـ وهذا مضمر ـ فلما رآها ﴿تَهْتَزُّ﴾؛ أي: تتحرك ﴿كَأَنَّهَا جَآنٌّ﴾؛ أي: حيةٌ خفيفةٌ في سعيها، وهي ثعبانٌ عظيمةٌ في جثَّتها ﴿وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾؛ أي: لم يرجع.

﴿يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ﴾: أي: قيل له: يا موسى لا تخفْ مِن الذي تهرب منه ﴿إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ﴾ مما تخاف.

***

(٣٢) ـ ﴿ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ ۖ فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ﴾.

﴿ٱسْلُكْ يَدَكَ﴾: أي: أدخلها ﴿فِى جَيْبِكَ﴾؛ أي: في جيب قميصك ﴿تَخْرُجْ بَيْضَآءَ﴾: متلألئةً لها شعاعٌ ﴿مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾؛ أي: آفةٍ من البرص ونحوه.

﴿وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ﴾: أي: يدك، واليدان للآدمي كالجناحين للطير.

وقيل: كان بسَطَها اتقاءً عن الحية، فقيل له: ضُمَّها ولا تفتحها[1].

وقال الضحاك والفرَّاء: ﴿جَنَاحَكَ﴾؛ أي: عصاك[2].

وقيل: أي: اضمُمْ يدك إلى صدرك تسكيناً للقلب.

وقيل: أي: تعظيماً للرب، فإنه من الخشوع والتواضع.

قوله: ﴿مِنَ ٱلرَّهْبِ﴾: قرأ ابن كثير وأبو عمرو ونافع: ﴿من الرَّهَب﴾ بفتح الراء والهاء، وقرأ ابنُ عامرٍ وعاصمٌ في رواية أبي بكرٍ وحمزةُ والكسائيُّ بضم الراء وجزمِ الهاء، وروى حفصٌ عن عاصم بفتح الراء وجزمِ الهاء[3]، وهي لغاتٌ في الرَّهب[4].

وقيل: هو متَّصل بقوله: ﴿إِنَّكَ مِنَ ٱلْآمِنِينَ﴾.

وقيل: الرهب: الكُمُّ بلغة بني حنيفة، حكاه مقاتلُ بن سليمان[5].

﴿فَذَٰنِكَ بُرْهَـٰنَانِ مِن رَّبِّكَ﴾: قرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب بالتشديد، وذلك للتأكيد، والباقون بالتخفيف[6].

---

(١) في (أ) و(ف): «تخفها».

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٠٦).

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٤٩٣)، و«التيسير» (ص: ١٧١). قال ابن مجاهد: (وروى هُبَيْرَة عن حفص عن عاصم: (من الرَّهَب) بفتح الرَّاء والهاء وهو غلط).

(٤) في (أ): «قرأ ابن كثير وأبو عمرو ونافع وأبو جعفر وسهل ويعقوب والخزاز عن هبيرة عن حفص من الرهب بفتح الراء والهاء وروى حفص عن الخزاز عن عاصم بفتح الراء وجزم الهاء وقرأ الباقون بضم الراء وجزم الهاء وهي لغات في الرهب».

(٥) ذكره عن مقاتل الأزهري في «تهذيب اللغة» (٦/ ١٥٦)، ولفظه: (الرَّهَب كمُّ مِدْرعته).

(٦) انظر: «السبعة» (ص: ٤٩٣)، و«التيسير» (ص: ١٧١). وقراءة يعقوب من رواية رويس عنه. انظر: «النشر» (٢/ ٢٤٨).

قوله: ﴿بُرْهَـٰنَانِ﴾؛ أي: حجَّتان ﴿مِن رَّبِّكَ﴾[1] على صدق نبوتك.

﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦٓ﴾: أي: على إرسالك إلى فرعون وأشرافِ قومه.

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ﴾: متقادِمين في[2] الفسق، وهو الخروج عن طاعة الله.

* * *

(٣٣ ـ ٣٤) ـ ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِى هَـٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ﴾.

قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا﴾: أي: القبطيَّ الذي مرَّ ذكره ﴿فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ﴾ به، وهو خوف الطبع.

﴿وَأَخِى هَـٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا﴾: أي: أَبْيَنُ كلاماً ﴿فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ﴾؛ أي: اجعله رسولاً إليهم معي ﴿رِدْءًا﴾ أي: عوناً على تبليغ الرسالة.

﴿يُصَدِّقُنِىٓ﴾: قرأ عاصم وحمزة برفع القاف على الصفة، وقرأ الباقون بالجزم على الجزاء[3].

﴿إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ﴾: فإذا كان معي أخي قمنا بمحاجَّتهم.

* * *

(٣٥) ـ ﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَـٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا ۚ بِـَٔايَـٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَـٰلِبُونَ﴾.

﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾: أي: سنقوِّيك به، وهو مجاز.

---

(١) في (ر): «من ذلك»، وفي (ف): «من ذانك».

(٢) في (أ): «متقادمي» بدل: «متقادمين في».

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٤٩٤)، و«التيسير» (ص: ١٧١).

﴿وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا﴾: أي: حجةً، وقيل: قوة وقدرة ومنعة.

﴿فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا﴾: أي: فلا يصيبونكما بمكروهٍ.

﴿بِـَٔايَٰتِنَآ﴾: قيل: هو متصل بقوله: ﴿وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا ... بِـَٔايَٰتِنَآ﴾.

وقيل: هو متأخر، وتقديره: (أنتما ومَن اتَّبعكُما الغالبون بآياتنا) وهي المعجزات.

ويجوز أن تكون ﴿بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ مقرَّرةً في موضعها: فلا يَصلُون إليكما بسبب آياتنا، وكان له ثلاثة أوجهٍ، وقد مرت القصة مرات.

* * *

(٣٦ ـ ٣٧) ـ ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِۦ وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾.

﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا﴾: أي: بمعجزاتنا ﴿بَيِّنَٰتٍ﴾؛ أي: واضحاتٍ ﴿قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى﴾؛ أي: مختلَقٌ لا حقيقةَ له ﴿وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ﴾: ما دعَونا إلى التوحيد.

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِۦ وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾: أجملَ الكلامَ تلطُّفاً في الخطاب، ومعناه: ما جئتكم به حقٌّ وهدًى وليس بسحرٍ، وربي عالمٌ بذلك، وأنتم ظالمون، وحُسنُ العاقبة لي في الدنيا والآخرة ولمَن اتَّبعني لا لكم.

* * *

(٣٨) ـ ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾: فلا تسمعوا قول موسى ولا تجيبوه إلى التوحيد.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: كان بين قوله: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ وبين قوله: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾ أربعون سنة[1].

وقال الحسن: لقد أملى الله لفرعون بعد هاتين[2] الكلمتين أربعين سنة.

وقيل في قوله: ﴿فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْآخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ﴾: أي: الكلمةِ الآخرةِ والكلمةِ الأولى وهما هاتان.

قوله تعالى: ﴿فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ﴾: هو وزيره ﴿عَلَى ٱلطِّينِ﴾؛ أي: فاطبخه فاجعله آجُرًّا.

قال قتادة: هو أولُ مَن طبَخَ الآجرَّ وبنى به[3].

﴿فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا﴾: أي: اتخِذْ لي منه قصراً عالياً ﴿لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾؛ أي: واجعل لي مراقيَ أَرْقاها فأَرى إلهَ موسى، أو قال: فأصِلَ إلى إله موسى، ظنَّ اللعين أن موسى يقول: إن الله في السماء؛ لإظهاره نزول الوحي عليه من السماء، فقال: أصعدُ فأنظرُ إليه.

وقد ناقض اللعين في كلامه من وجوه؛ قال أولاً: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾ ثم أقر فقال: ﴿إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾، ثم ذكر من نفسه الظنَّ فقال:

﴿وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾: أي: أظنُّ موسى يكذِبُ في دعواه أن له إلهاً، وأنه أرسله إلينا رسولاً يدعونا إلى توحيده وعبادته.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٨٤ ـ ٨٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد والشعبي.

(٢) في (ر) و(ف): «بهاتين» بدل: «بعد هاتين».

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٢١٧)، والطبري في «تفسيره» (١٨/ ٢٥٥).

(٣٩ ـ ٤٠) ـ ﴿وَٱسۡتَكۡبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ إِلَيۡنَا لَا يُرۡجَعُونَ ٣٩ فَأَخَذۡنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَٱسۡتَكۡبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ﴾: أي: تعظَّم عن الاستسلام والإسلام ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾؛ أي: أرضِ مصر ﴿بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ﴾؛ أي: بالباطل ﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ إِلَيۡنَا﴾؛ أي: إلى حسابنا وجزائنا ﴿لَا يُرۡجَعُونَ﴾ يوم القيامة، وليس هذا بعذرٍ لهم، بل ذمٌّ[1] بالجهل وتركِ التأمُّل في الآيات حتى يعلموا.

﴿فَأَخَذۡنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ﴾: أي: عاقبناهم ﴿فَنَبَذۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّ﴾؛ أي: فألقيناهم في البحر فأغرقناهم، على ما مرت قصتُه.

﴿فَٱنظُرۡ﴾: يا محمد ﴿كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ فليَحْذرْ قومك أن يجري عليهم مثلَ ذلك.

* * *

(٤١ ـ ٤٢) ـ ﴿وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةٗ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ٤١ وَأَتۡبَعۡنَٰهُمۡ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا لَعۡنَةٗۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلۡمَقۡبُوحِينَ﴾.

﴿وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةٗ﴾: أي: قادةً في الشر والضلال ليقتديَ بهم فيها أمثالهم ﴿يَدۡعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ﴾ وفيه دلالةُ خلقِ الله تعالى أفعالَ العباد ودلالةُ الإرادة[2].

﴿وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ﴾: أي: لا يَمنع العذابَ عنهم مانعٌ.

---

(١) بعدها في (أ): «لهم».

(٢) في (أ): «العذر».

﴿ وَأَتْبَعْنَٰهُمْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً﴾: أي: ألزمناهم طرداً وتبعيداً عن كلِّ خير، وقيل: هو ما يَلحقهم من لعنِ الناس إياهم بعدهم.

﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ ﴾: قال ابن كيسان: أي: من المهلَكين.

وقال الخليل: قبَّحه الله؛ أي: نحَّاه من كلِّ خير[1].

وقيل: من المشوَّهين، والتشويه: تقبيحُ الخِلقة.

* * *

(٤٣ ـ ٤٤) ـ ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ ﴾ أي: التوراةَ ﴿مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ﴾؛ أي: بعد أممٍ قد مضت أهلكناها بكفرها ﴿بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ﴾ أي: حججاً للناس وهم بنو إسرائيل، والتوراةُ جعلت بصائرَ لهم يبصرون بها الرشد.

﴿وَهُدًى﴾ إلى الحق ﴿وَرَحْمَةً﴾ لمن اتبعها وعمل بها ﴿لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ أي: ليتَّعظوا بها.

﴿وَمَا كُنتَ﴾ يا محمد ﴿بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ﴾ أي: بجانب الجبل الغربي، وقيل: أي: الوادي الغربي.

وقيل: هو إضافة الشيء إلى نفسه، فإن الغربي هو الجانب، وهو كقوله: ﴿وَلَدَارُ ٱلْأَخِرَةِ﴾ [يوسف: ١٠٩].

---

(١) انظر: «العين» (٣/ ٥٣).

قولـه: ﴿إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ﴾: أي: كلَّمناه وقرَّبناه نجيًّا، وأتممنا تعريفه وأمره به.

﴿وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾: أي: من الحاضرين ذلك.

* * *

(٤٥) ـ ﴿وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۚ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾.

﴿وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا﴾: أي: لم تكن هناك ولا حضرْتَ ما جرى من الأمر فيكونَ إخبارك قومَك به عن مشاهدةٍ، ولكنَّا أنشأنا قروناً ﴿فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ﴾ وفتَرتِ النبوة، وكادت الأخبار تخفى والشرائعُ تَدْرُس، ولحقَ كثيراً منها التحريف.

ثم هاهنا مضمر: فأرسلناك مجدِّداً[1] لها، مبيِّناً ما وقع التحريف فيه[2]، رحمةً وهدًى وتبصيراً لعلهم يتذكَّرون، كما فعلنا ذلك بموسى.

ومنهم مَن قال: ﴿وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ عليه؛ لأن الحضور مستفادٌ بقوله: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِىِّ﴾.

ومنهم مَن حقَّق الأول وقال: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِىِّ﴾[3] عبارةٌ عن الوجود ﴿وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ عبارةٌ عن الشهود، فلم يتكرر.

ثم إخبارُه عن ذلك ولم يَشهده دليلٌ على صحة دعواه الرسالةَ كما عُرف.

قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا﴾: أي: ولم تكن أيضاً مقيماً ﴿فِىٓ أَهْلِ

---

(١) في (ر): «محرراً».

(٢) في (ر): «ما وقع فيها من التحريف».

(٣) «ومنهم مَن حقق الأول وقال: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِىِّ﴾» ليس في (أ).

مَدۡيَنَ ﴾؛ أي: لم تكن أنت الرسول إلى أهلها ﴿تَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرۡسِلِينَ ﴾ في كل زمانٍ رسولاً، فأرسلنا فيهم شعيباً، وأرسلناك في آخر الزمان لتكون خاتم الأنبياء.

وقال الفراء: معناه: وما كنت ثاوياً في أهل مدين [و]مع موسى مقيماً تراه وتسمعه، وها أنت تتلو عليهم آياتنا[1]، فهو منقطع عن الأول إثباتاً للحال لا نفياً في الماضي.

* * *

(٤٦) - ﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذۡ نَادَيۡنَا وَلَٰكِن رَّحۡمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوۡمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبۡلِكَ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ﴾.

﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذۡ نَادَيۡنَا ﴾: أي: وما كنتَ أيضاً بجانب الطور إذ نادينا[2] موسى إذ جاء لميقاتنا مع السبعين، فكلَّمناه وأعطيناه الألواح.

﴿وَلَٰكِن رَّحۡمَةً مِّن رَّبِّكَ ﴾: أي: ولكن عرَّفناك ذلك[3] رحمة منا إظهاراً لنبوتك.

﴿لِتُنذِرَ قَوۡمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبۡلِكَ ﴾: وهم العرب ﴿لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ﴾: يتَّعظون[4].

وقد روي في قوله: ﴿إِذۡ نَادَيۡنَا﴾ أنه قوله: ﴿فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٦] الآيات.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣١٣)، وما بين معكوفتين مستفاد منه، ولفظه: (أي: إنك تتلو على أهل مكة قصص مدين وموسى ولم تكن هنالك ثاويًا مقيمًا فتراه وتسمعه).

(٢) «أي: وما كنت أيضاً بجانب الطور إذ نادينا» ليس في (ف).

(٣) في (ر) و(ف): «ربك».

(٤) في (ر) و(ف): «يتيقظون».

وقال أبو زرعة: ﴿إِذْ نَادَيْنَا﴾ قال: نودوا أن يا أمة محمد أعطيتُكم قبل أن تسألوني، واستجبتُ لكم قبل أن تدعوني[(١)].

وقال مقاتل بن حيان: أي: نادينا أمتك وهم في أصلاب آبائهم[(٢)].

وقال وهب: قال موسى: يا رب، أرني محمداً، قال: إنك لن تصل إليه، وإن شئتَ ناديتُ أمتَه فأسمعتُك صوتَهم[(٣)].

وقيل في قوله: ﴿وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا﴾: معناه: إن قومك يا محمد حدَثوا في الدنيا بعد موسى وسائر الأنبياء بدهر طويل، فلم يَعرفوا إرسال الرسل إليهم فأنكروا.

وقيل: كانت الفترة بين عيسى ومحمد عليهما السلام خمسَ مئةٍ وخمسين سنةً.

* * *

(٤٧) ـ ﴿وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

---

(١) رواه من قول أبي زرعةَ يحيى بنُ سلام في «تفسيره» (٢/ ٥٩٦)، والطبري في «تفسيره» (١٨/ ٢٦٢). ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٢١٩)، وفيه: (عن أبي زرعة رفع الحديث). وقد روي من طريق أبي زرعة عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً، رواه النسائي في «الكبرى» (١١٣١٨)، والطبري في «تفسيره» (١٨/ ٢٦٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٩٨٣)، والحاكم في «المستدرك» (٣٥٣٥) وقال: صحيح على شرط مسلم. لكن قال الدارقطني في «العلل» (٨/ ٢٩١) عن الموقوف: وهو أصح.

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٩٨٣)، وذكره الواحدي في «البسيط» (١٧/ ٤٠٨).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ٢٥٢)، والواحدي في «البسيط» (١٧/ ٤٠٨)، والبغوي في «تفسيره» (٦/ ٢١١).

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: أي: لولا أنَّا لو[1] عاجلناهم بالعقوبة بما ارتكبوه من المعاصي لقالوا: هلَّا أرسلت إلينا رسولاً فكنا نؤمنُ به ونتَّبع القرآن الذي أنزلته ونصدِّقُ به، لما أرسلنا إليهم رسولاً، هذا الجواب محذوفٌ لدلالة ظاهر الكلام عليه.

* * *

(٤٨) ـ ﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ ۚ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۖ قَالُوا۟ سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓا۟ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا﴾: النبيُّ المرسل، وهو محمد ﷺ، والكتاب المنزل وهو القرآن، تحكَّموا على الله ﴿قَالُوا۟ لَوْلَآ أُوتِىَ﴾؛ أي: محمد ﴿مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ﴾ من الآيات كفَلْق البحر ونحوه.

وقيل: هلَّا أنزل عليه القرآن جملةً واحدةً كالتوراة.

﴿أَوَلَمْ يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ﴾: أي: أوليس هؤلاء المشركون كافرين بما أوتي موسى من قبلِ محمد.

وقيل: من قبلِ هذا القول.

﴿**قالوا ساحران تظاهَرَا**﴾: قرأ عاصم وحمزة والكسائي: ﴿سِحْرَانِ﴾ بغير ألفٍ؛ أي: التوراةُ والقرآن سحران تعاوَنا على خديعة الناس وصَرْفهم عن دين آبائهم[2].

---

(١) «أنا لو» من (أ).

(٢) في هامش (أ): «وقيل: وصفا بالسحر مبالغة كما يقال: فلان أسد».

وقرأ الباقون: ﴿ساحران تظاهرا﴾[١]؛ أي: موسى ومحمدٌ خادعان[٢] الناس تعاوَنا على ذلك؛ أي: فما معنى قولهم: ﴿لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ﴾ وهم بموسى كافرون ككفرهم بمحمد.

﴿وَقَالُوٓا۟ إِنَّا بِكُلٍّ كَـٰفِرُونَ﴾: أي: بكلٍّ من السِّحرين؛ أو: الساحرين.

وقيل: هذا إشارةٌ إلى مَن كفر بموسى من القوم الذين بُعث إليهم، والمعنى: أن نزول التوراة على موسى جملةً واحدةً لم يمنع كثيراً من أولئك من الكفر به، حتى قالوا: موسى وهارون ساحران تظاهرا ـ أو: كلامهما سحران تظاهرا ـ فكفرُ مشركي العرب كذلك.

* * *

(٤٩ ـ ٥٠) ـ ﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِكِتَـٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٤٩﴾ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾.

قوله تعالى: ﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِكِتَـٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾: أي: فإذ كذَّبتم يا معشر العرب بهذين الكتابين ﴿فَأْتُوا۟ بِكِتَـٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ﴾ فيكونَ ذلك عذراً لكم في الكفر بهما ﴿إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ في أنهما سحران لا هدايةَ فيهما، ويَلزمني بذلك أيضاً اتِّباعُ ذلك الأهدى وتركُ ما أنزله الله عليَّ وعلى موسى، وهذا دليلٌ على أن أولى القراءتين: ﴿سِحْرَانِ تَظَـٰهَرَا﴾[٣].

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٤٩٥)، و«التيسير» (ص: ١٧٢).

(٢) في (ر) و(ف): «موسى وهارون خادعا».

(٣) في (ر) و(ف): «ساحران تظاهرا».

قوله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ﴾: أي: فإن لم يُجيبوك إلى الإيمان بالكتابين مع عجزهم عن الإتيان بأهدى منهما.

﴿فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ﴾: وليس بهم طلبُ الحق وتعرُّفُه واتِّباعُه.

﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ﴾: استفهامٌ بمعنى النفي؛ أي: لا أضلُّ منه.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾: وهم هؤلاء.

* * *

(٥١) - ﴿۞ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾: أي: ولقد تابَعْنا، والتوصيل: تكثيرُ الوَصْل وتكريره؛ أي: أَتْبعنا لهم الوعد والوعيد والإخبارَ عن الأمم الماضين[1] بعضَه بعضاً ليتذكَّروا؛ أي: فعلنا ذلك لينفعَهم لا ليزداد شيءٌ في ملكنا.

وقوله: ﴿لَهُمُ﴾؛ أي: لمشركي العرب.

وقال نِفْطويه: ﴿وَصَّلْنَا﴾؛ أي: أنزلناه شيئاً بعد شيء ليكون لهم أَدْعَى، وهذا[2] جواب قولهم: ﴿لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَىٰ﴾ من التوراة جملةً.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿وَصَّلْنَا﴾: بيَّنَّا[3].

وقال قطرب: أتممنا.

---

(١) في (أ) و(ف): «السالفة».

(٢) في (أ): «ليكونوا له أدعى وهو».

(٣) ذكره عن ابن عباس البغوي في «تفسيره» (٦/ ٢١٣)، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٢٧٤) عن سفيان بن عيينة، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٩٨٧) عن السدي.

وقال الفرَّاء: أنزلناه يَتْبَعُ بعضُه بعضاً[١].

وقال ابن زيد: ﴿ٱلْقَوْلَ﴾؛ أي[٢]: الخبر عن أمر الدنيا والآخرة[٣].

* * *

(٥٢) ـ ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾: أي: التوراة من بني إسرائيل ﴿مِن قَبْلِهِۦ﴾؛ أي: من قبل القرآن، وقيل: قبل محمد.

﴿هُم بِهِۦ﴾: أي: بالقرآن ﴿يُؤْمِنُونَ﴾؛ أي: يصدِّقون، وهم عبد الله بن سلام وأصحابه ومَن آمَن من أهل الكتاب.

وقيل: هم أربعون نفراً؛ اثنان وثلاثون منهم جاؤوا مع جعفر بن أبي طالب من أرض الحبشة فآمنوا، وثمانيةُ نفرٍ من الشام: بَحيرا وأبرهةُ والأشرفُ وتمَّامٌ وإدريسُ وأيمنُ ونافعٌ وتميمٌ[٤].

وهؤلاء حجةٌ على مَن خالفهم ممن كانوا يرجعون إليهم ويعتمدون على قولهم، وفي تكذيبهم إياهم بيانُ أنهم معاندون.

* * *

(٥٣ ـ ٥٤) ـ ﴿وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ (٥٣) أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٠٧).

(٢) في (ر): «يعني».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٢٧٤ ـ ٣٧٥).

(٤) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٢٥٧).

﴿وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾: أي: القرآن ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ﴾؛ أي: صدَّقناه.

﴿إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ﴾: أي: مِن قبلِ مجيء محمدٍ ﷺ ونزولِ القرآن عليه ﴿مُسْلِمِينَ﴾: دائنينَ بدينِ الإسلام منقادِينَ له عالمين بصحته؛ لِمَا كان مِن ذكره في كتابنا[1].

قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ﴾: أي: هؤلاء الذين كانوا[2] آمَنوا بالكتاب الأول والرسولِ الأول ثم آمنوا بك وبكتابك يُعطون ثوابهم مرتين ﴿بِمَا صَبَرُواْ﴾؛ أي: ثبتوا على الحق فلم يبدِّلوه.

﴿وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ﴾: أي: يدفعون ما ينالُهم ممن يخالفُهم في الدِّين ـ من مكروهٍ وشتمٍ وسخرية ـ بالحسنة؛ أي: الاحتمالِ والصبرِ والقولِ الجميل.

﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾: في وجوه الطاعات ولا يبخلون؛ ثقةً بوعدِ الخُلفِ والثواب، لا كالمشركين.

* * *

(٥٥) ـ ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُواْ عَنْهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي ٱلْجَٰهِلِينَ﴾.

﴿وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغْوَ﴾: أي: الباطل من المشركين.

﴿أَعْرَضُواْ عَنْهُ﴾: فلم يُصغوا إليه ولم يجيبوا عنه.

﴿وَقَالُواْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا﴾: رضينا بما نحن عليه من الدِّين.

﴿وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ﴾: التي رضيتُم بها.

---

(١) في (أ): «كتابهم».

(٢) «كانوا» ليست في (أ).

﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ﴾: أي: أمانٌ منَّا لكم أن نقابل لغوَكم بمثله.

﴿لَا نَبۡتَغِي ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾: لا نرضى بمجاورة الجاهلين ومُعاشَرتهم والتخلُّقِ بأخلاقهم.

* * *

(٥٦) ـ ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾.

﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ﴾: أي: لا يجري[1] اهتداءُ الناس على محبتك.

﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ﴾: يخلُق فعل الاهتداء فيمَن يشاء.

﴿وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾: أي: سبق علمُه بمن يختار الهداية فيهديه، والآيةُ عامةُ الصيغة.

وقيل: إنها نزلت في حقِّ أبي طالب على الخصوص، قال ابن عباس رضي الله عنه: كان النبي ﷺ حريصاً على إسلامه لتكفُّله إياه في صباه وذبِّه عنه في كبره، حتى قال أبو طالب لقريش حين همُّوا بقتله[2]:

كذبتُم وبيتِ الله لا تقتلونه ... ولمَّا نطاعِنْ حوله ونقاتلِ
ونسلمُه حتى نصرَّعَ حوله ... ونَذْهَل عن أبنائنا والحلائلِ[3]

---

(١) في (ر): «تملك».

(٢) في (ف): «به».

(٣) لم أجده عن ابن عباس هكذا، ورواه البيهقي في «دلائل النبوة» (٦/ ١٤١) عن أنس، وورد الشعر أيضاً عن أبي طالب في «مغازي الواقدي» (١/ ٧٠)، و«السيرة النبوية» لابن هشام (٢/ ٢٤)، و«غريب الحديث» للخطابي (٢/ ٣٥٧) وفيه: (ولما نُجالد دونه ونُضارِبِ). وصدر الأول في أكثر المصادر: =

وكان يقول لقريش: صدِّقوا ابنَ أخي وآمِنوا به تَرْشُدوا وتُفلِحوا، وكان النبي ﷺ يقول له: «أتأمرهم بالنصيحة وتتركها لنفسك؟!»، وحضره عند موته فقال أبو طالب: ما تريد يا ابن أخي؟ قال: «أريد أن تشهد بشهادة الحق أشفع لك بها عند الله»، وكان عنده أبو جهل وجماعةٌ من كفار قريش فقالوا له: يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب؟ أترغب عن ملة آبائك؟ فما زالوا به حتى كان آخرَ ما قال أبو طالب: يا ابن أخي، إني أعلم أنك صادق، ولكني أكره أن يقال: جزع عند الموت، ولولا ذلك لأقرَرْتُ عينَك به، ولكن أموت على ملة أشياخي عبد المطلب وهاشم وعبد مناف، وقصى، وقام عليه السلام من عنده باكياً ونزلت هذه الآية[1].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾؛ أي: لا تقدر على أن[2] تنوِّر قلبَ مَن أحببتَ، ولكن الله يفعل ذلك.

وقيل له: إنك شفيعُ الجناية لا شريكُ الهداية.

***

= كذَبْتُم وبيتِ الله يُبْزَى محمدٌ

ورواه الطبري في «تاريخه» (٢/ ٥٧٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما، لكن على أن القائل هو عمر لا أبو طالب.

(١) ذكره دون سند مقاتل في «تفسيره» (٣/ ٣٥٠)، وابن إسحاق في «سيرته» (٣٢٥)، والماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (٨/ ١٨١)، والزمخشري في «الكشاف» (٣/ ٤٢٢). قال الحافظ في «الكاف الشاف» (ص: ١٢٦): (لم أجده، وقصة وفاة أبي طالب في الصحيحين عن سعيد بن المسيب عن أبيه بغير هذا السياق أو أخصر منه). قلت: رواه بنحو ما ذكر من قصة الوفاة البخاري (٣٨٨٤)، ومسلم (٢٤)، من حديث المسيب بن حزن رضي الله عنه. ومسلم (٢٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه

(٢) «على أن» من (أ)، وفي (ف): «أن».

(٥٧) ـ ﴿وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ ۚ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ﴾: أي[1]: وقال المشركون: يا محمد، إنْ نتَّبع الهدى فنكونَ معك؛ أي: نتَّبع الهدى الذي معك ـ وهو القرآن ـ يجتمع العرب على محاربتنا ليُخرجونا من أرضنا.

والتخطُّف: الاستلاب بسرعة.

وهو تعلُّلٌ فاسد منهم تعلَّقوا به عند عجزهم عن معارضة حقِّه وردِّه.

﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا﴾: أولم نجعل مكانهم في حرمٍ آمنٍ؛ أي: مأمونٍ فيه، و(آمِنٌ) في معنى: ذي أمنٍ لا يُسْبَون فيه ولا يُغار عليهم، ولا يُتعرَّض لهم بمكروهٍ، ثم هذا الحرمُ في موضعٍ لا ضرعَ فيه ولا زرع.

﴿يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ﴾: أي: يُجمع[2] ويُجلبُ إليه ثمراتُ كلِّ بلدة.

وقيل: أي يُحمل إليه من كلِّ شيء أرفعُه وأنفعُه؛ كما يقال: ثمرةُ الكلام.

﴿رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا﴾: أي: عطيةً مِن عندنا؛ أي: تفضُّلاً منا؛ أي: فمَن فعَل ذلك بكم في حالِ كفركم فهو قادرٌ على أن يحفظكم[3] حالَ إسلامكم.

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾: لا يتأمَّلون فيعلمون هذا.

وقيل: نزلت في شأن الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد منافٍ، قال لرسول الله

---

(١) في (ر): «أي حولنا»

(٢) «أي يجمع» من (أ).

(٣) في (ر) و(ف): «يمنعكم»، والمثبت من (أ)، والمعنى واحد.

ﷺ: إنَّا لنعلمُ إنك لصادق، ولكن العرب فيهم كثرةٌ ونحن في جنبهم أَكَلةُ رأسٍ، فإن آمنَّا بك آذَوْنا وأخرجونا، فنزلت الآية[1].

***

(٥٨) - ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾.

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ﴾: أي: من أهل بلدةٍ ﴿بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا﴾ أي: طغَتْ في معيشتها وأَغفلت شكرَها.

﴿فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ﴾: أي: فتلك منازلهم في البلاد باقيةُ الآثار، يشهدونها في الأسفار؛ كبلاد ثمودَ وقومِ شعيبٍ وغيرهم، قد خَرِبت من[2] بعدهم ولم يسكنها أحدٌ لخرابها ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ منها لم يخرب.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: لم يسكنها إلا المسافر ومارُّ الطريق يوماً أو ساعة[3].

---

(١) رواه بنحوه مختصرا النسائي في «الكبرى» (١١٣٢١)، والطبري في «تفسيره» (١٨/ ٢٨٧)، عن ابن عباس رضي الله عنهما. وذكره بهذا اللفظ مقاتل في «تفسيره» (١/ ٥٥٨)، لكن في نزول قوله تعالى: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ﴾ الآية [الأنعام: ٣٣] وقال مقاتل: نظيرها في القصص: ﴿وَقَالُوٓا۟ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ﴾. وقوله: «أكلة رأس»: جمع آكل، وهو مثَل في القلة، وأصله: ناسٌ قليلون يكفيهم إذا أكلوا رأسٌ واحدة من رؤس الحيوان المطبوخة، ويصح أن يراد بالرأس حيوان واحد.

(٢) «من» ليست في (أ) و(ف).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ٢٥٦)، والواحدي في «البسيط» (١٧/ ٤٢٩)، والبغوي في «تفسيره» (٦/ ٢١٦).

وقيل: لم يسكنها إلا الخُطَّاف والهَوَامُّ[١].

﴿وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾: أي: صار أمر تلك البلاد وأهلها إلينا وزال عنها سلطانهم؛ أي: إني قادر على أن أفعل بكم كذلك ولا ينفعكم تحرُّزكم من أن يتخطَّفوكم.

* * *

(٥٩) ـ ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِيٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَاۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ﴾: أي: لم يكن الله لِيُهلِكَ البلادَ التي حول مكة ﴿حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِيٓ أُمِّهَا﴾ وهي مكةُ؛ لأنها أم القرى؛ لأنها أصل البلاد فإنها أولُ ما خلق منها.

وقيل: لأن الأرض دُحيت من تحتها.

﴿رَسُولًا﴾: وهو محمد ﴿يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَاۚ﴾؛ أي: القرآنَ؛ أي: وما كنتُ لأُهلك العرب مع كفرهم حتى أُلزم الحجة عليهم بالرسول والكتاب.

وقيل: هي عامة؛ أي: لم يكن الله ليهلك القرى فيما مضى حتى يبعث في سرَّة تلك البلاد ـ أي: معظمها ـ نبيًّا فيَعلمَ به مَن سواهم.

﴿وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ﴾: أي: وما أهلكناهم بالانتقام إلا وأهلها مستحِقُّون العذابَ بظلمهم، وهو إصرارُهم على كفرهم بعد الإعذار إليهم.

* * *

(١) في (أ): «الخطاب والهام»، وفي (ف): «الخطاف والهام».

(٦٠) ـ ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ﴾: أي: وما أُعطيتُم في الدنيا من شيءٍ من الأموال ونحوها فتراءَيتم به على الضَّعَفة وتركتُم به الإيمان ﴿فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا﴾: أي: فهو شيء يُنتفع به في الحياة القريبة التي تنقضي قريباً وينقضي المتاع بانقضاء الحياة الدنيا، وهو زينةٌ من زِين[1] الدنيا.

﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ﴾: أي: ما أعدَّه للمؤمنين ﴿خَيْرٌ﴾ من متاع الدنيا ﴿وَأَبْقَىٰٓ﴾.

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾: أفليست لكم عقول تعلمون بها الأَوْلى بالاختيار.

* * *

(٦١) ـ ﴿أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ﴾.

قوله: ﴿أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا﴾: أي: هل مَن وعدناه على الإيمان والطاعة وعداً حسناً وهو الجنةُ وما فيها من الثواب ﴿فَهُوَ لَٰقِيهِ﴾؛ أي رائيه، فوَثِق بوعدنا[2] واجتهد في طاعتنا فصيَّرناه إليها ﴿كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ فاغترَّ به واشتغل به عن طاعتنا، واستعان بما أعطيناه على مخالفتنا ثم انقطع ذلك.

﴿ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ﴾: للعرض والحساب والعقاب؛ أي: ليسا[3] سواءً، وما ينبغي لمن عقلَ أن يشتغل بمتاع الدنيا ويفارقَ الهدى[4].

---

(١) في (ر) و(ف): «زينة في زمن».

(٢) في (أ): «بعهدنا».

(٣) في (ر) و(ف): «ليسوا».

(٤) في (ر): «ويقارب العداء»، وسقطت من (ف).

قال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَٰقِيهِ﴾؛ أي: مدركُه ومصيبُه، هو النبي عليه السلام[١].

وقال السدي: بلغني عن ابن عباس أنه قال: هو عمار بن ياسر[٢].

وقال محمد بن كعب القرظي: نزلت في عليٍّ وحمزة ﴿كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾؛ يعني: أبا جهل[٣]. ويقال: الوليد بن المغيرة[٤].

* * *

(٦٢ ـ ٦٣) ـ ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ أَغْوَيْنَٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا ۖ تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كَانُوٓا۟ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ﴾: أي: يخاطبُهم، وهو عطفٌ على قوله: ﴿ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾.

﴿فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾: أي: أين الذين كنتم تدَّعون أنهم شركائي فينصروكم ويشفعوا لكم ويجازوكم على عبادتكم إياهم.

قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ﴾: أي: وجب عليهم العذاب الذي أوعَد[٥] الله

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٢٩٤) عن ابن جريج. وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٢٦١) عن الضحاك.

(٢) ذكره الثعلبيُّ في «تفسيره» (٧/ ٢٥٧)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٣٩) عن السدي أنه قال: نزلت في عمار والوليد بن المغيرة. وليس فيه ذكر البلاغ عن ابن عباس.

(٣) ذكره عن محمد بن كعب القرظيِّ الثعلبيُّ في «تفسيره» (٧/ ٢٥٧)، وذكره الواحدي في «البسيط» (١٧/ ٤٣٣) عن القرظي ومجاهد، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٢٩٥) عن مجاهد.

(٤) انظر ما تقدم عن السدي قريباً.

(٥) في (ف): «وعدهم».

به: ﴿رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغۡوَيۡنَآ﴾ أي: هؤلاء الذين أغويناهم؛ أي: دعوناهم إلى الشرك واتَّبعونا.

﴿أَغۡوَيۡنَٰهُمۡ كَمَا غَوَيۡنَا﴾: إنما دعوناهم إلى ما كنا عليه نحن من الكفر.

﴿تَبَرَّأۡنَآ إِلَيۡكَ﴾: من أن يكونوا لنا أولياءَ أو نحن نكون لهم أولياء أو من أن ننصرهم.

﴿مَا كَانُوٓاْ إِيَّانَا يَعۡبُدُونَ﴾: ما كانوا يعبدوننا.

* * *

(٦٤) ـ ﴿وَقِيلَ ٱدۡعُواْ شُرَكَآءَكُمۡ فَدَعَوۡهُمۡ فَلَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَهُمۡ وَرَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَۚ لَوۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ يَهۡتَدُونَ﴾.

﴿وَقِيلَ ٱدۡعُواْ شُرَكَآءَكُمۡ﴾: أي: قيل للأتباع: ادعوا شركاءكم؛ أي: استنصِروهم ﴿فَدَعَوۡهُمۡ فَلَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَهُمۡ﴾: أي لم يجيبوهم بالنصرة. ثم لهذه الجملة وجهان:

أحدهما: أن الذين حقَّ عليهم القول هم الشركاء المعبودون وهم الشياطين، فإذا قيل للمشركين: أين شركائي بزعمكم، قال الشياطين: ربنا أَغْوَينا هؤلاء المشركين كما غَوينا، لم نأمرهم بعبادتنا لكنْ زينَّا لهم الشركَ فأشركوا ولم نأمرهم بعبادتنا، فلا نصرة لهم عندنا ﴿مَا كَانُوٓاْ إِيَّانَا يَعۡبُدُونَ﴾ قصدوا اتِّباع أهوائهم لا عبادتَنا.

وقيل: ما كانوا يعبدوننا بإكراهنا إياهم عليها لكن بالوسوسة؛ كما قال: ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِي﴾ [إبراهيم: ٢٢].

والثاني: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ﴾؛ أي: الدعاةُ إلى الشرك، و﴿شُرَكَآءِيَ﴾ غيرُهم وهي الأصنام، فيقال لهم: ﴿أَيۡنَ شُرَكَآءِيَ﴾ ﴿ٱدۡعُواْ شُرَكَآءَكُمۡ فَدَعَوۡهُمۡ فَلَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَهُمۡ﴾؛ أي: الأصنام، فتقول الشياطين عند هذا خوفاً على أنفسهم أنْ يُزاد في عذابهم بإغوائهم: ﴿رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغۡوَيۡنَآ﴾ إنا ما أمرناهم بعبادتنا وما عبدونا، ومثل هذا ما

يقول مَن يكون منه سببٌ في جنايةِ غيره، فيقول: أما أنا فلمْ أَجْنِ هذه الجنايةَ ولا أمرتُ بها، إنما كان[١] مني كذا، إشفاقاً أن ينزل به جزاءُ تلك الجناية.

وقوله تعالى: ﴿وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَۚ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُواْ يَهْتَدُونَ﴾: قيل: هاهنا مضمر: فوَدُّوا لو كانوا مهتدين إلى الإسلام في الدنيا.

وقيل: الإضمار في آخره: لو أنهم كانوا يهتدون لخرجوا من[٢] العذاب الذي رَأَوا.

وقيل: بل المضمر في آخره: لو كانوا يهتدون لَمَا رأوا ذلك العذاب.

* * *

(٦٥ ـ ٦٦) ـ ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ﴾: عطف أيضاً على الأول ﴿فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ الذين أُرسلوا إليكم.

﴿فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ﴾: أي: خفي عليهم الجواب فلم يدروا بماذا يجيبون؛ إذ لم يكن عندهم جواب يعتذرون[٣] به.

﴿فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ﴾: أي: فلا يسأل بعضهم بعضاً عن [الحجة التي يحتجُّ بها؛ إذ يعلم أنه لا يجد ذلك عند أحد.

وقيل: ﴿فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ﴾؛ أي: لا يسأل بعضُهم بعضاً عن حاله لأنه مشغول بأمر نفسه.

---

(١) في (ف): «إنما كانت» وفي (ر): «وما كانت».

(٢) في (أ): «لما أروا ذلك»، بدل: «لخرجوا من».

(٣) في (أ) و(ف): «يعذرون».

وقال مجاهد: أي: لا يتساءلون بالأنساب[1]؛ أي: لا يمكنُه أن يقول لآخر: انصرني لقرابتك مني[2].

❊ ❊ ❊

(٦٧ ـ ٦٨) ـ ﴿فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلۡمُفۡلِحِينَ ۝٦٧ وَرَبُّكَ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخۡتَارُۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن تَابَ﴾: أي: مِن شِركه ﴿وَءَامَنَ﴾ بربِّه وبما جاء مِن عنده ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ في دينه ﴿فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلۡمُفۡلِحِينَ﴾ و(عسى) من الله إيجابٌ لأنه إطماع، وإطماعُ الكريم إيجابٌ، وهذا ترغيب للكفار في الإسلام، وبشارةٌ للمسلمين على الإسلام.

وقوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخۡتَارُۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُۚ﴾: أما قوله: ﴿يخلق ما يشاء﴾ فهو على العموم، ودل على خلق الأعيان والأفعال كلِّها، وكان حجةً لنا على المعتزلة،

وقوله تعالى: ﴿وَيَخۡتَارُ﴾ منهم مَن وقف هاهنا، ووجهه: ويختار ما يشاء، ثم قوله: ﴿مَا كَانَ لَهُمُ﴾ أي: ليس الاختيار إليهم، وهو ردٌّ على الذين قالوا: ﴿لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: ٣١]، وعلى الذين اتخذوا الأصنام شركاء وشفعاء، فيقول: ليس لهم أن يختاروا شيئاً من ذلك للعبادة والشفاعة[3].

وقيل: هو بمعنى قوله: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٢٩٨).

(٢) «مني» ليس من (أ).

(٣) في (أ): «وللشفاعة».

لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡ﴾ [الأحزاب: ٣٦]؛ أي: الأمر ملزِمٌ ولا اختيارَ للمأمور أن يفعله أو لا يفعله.

ومنهم مَن وقف عند قوله: ﴿وَرَبُّكَ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُ﴾ ثم يقول: ﴿وَيَخۡتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ﴾ ويكون ﴿مَا﴾ اسماً؛ أي: ويختار للعباد[1] ما هو مختارٌ في نفسه حسنٌ مَرْضي.

وقوله تعالى: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾: أي: تَنزَّه الله تعالى وتقدَّس عن إشراك المشركين.

* * *

(٦٩ ـ ٧٠) ـ ﴿وَرَبُّكَ يَعۡلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمۡ وَمَا يُعۡلِنُونَ ۝٦٩ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلۡأُولَىٰ وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾.

﴿وَرَبُّكَ يَعۡلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمۡ﴾: أي: تُسِرُّ ﴿وَمَا يُعۡلِنُونَ﴾ بالقول والفعل، وهو وعد ووعيد.

﴿وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلۡأُولَىٰ وَٱلۡأٓخِرَةِ﴾: أي: هو المحمود وحده في الدارين، إليه[2] مرجعُ شكرِ كلِّ شاكرٍ، ومدحِ كلِّ مادحٍ؛ لأن إحسان المحسنين بتوفيقه، فهو المنعِمُ على الحقيقة دون خلقه.

﴿وَلَهُ ٱلۡحُكۡمُ﴾: وحده لا شريك له، ولا يشرك في حكمه أحداً.

﴿وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾: في الآخرة فيجازي كلًّا على وَفْق عمله.

* * *

---

(١) في (أ): «للعبادة».

(٢) في (ر) و(ف): «في الدارين وإليه مرجعكم أي».

(٧١ ـ ٧٢) ـ ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾: أي: قل يا محمد لهؤلاء المشركين: ﴿أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا﴾[1]: دائماً لا نهار بعده ﴿مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾؛ أي: هل إلهٌ غير الله ﴿يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ﴾: بنهار مضيء، فإذ كنتم مقرِّين أنه لا يقدر على ذلك غيرُه فلمَ تشركون به ﴿أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾: أصمٌّ أنتم، فإن فعلكم هذا فعلُ مَن لا يسمع.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾: أي: دائماً.

﴿مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ﴾: من تعب أشغالكم بالنهار.

﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾: أعُميٌ أنتم لا تبصرون الليلَ والنهار وما فيهما فتعتبروا بذلك.

* * *

(٧٣ ـ ٧٤) ـ ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾.

﴿وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ﴾: أي: في الليل ﴿وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ﴾؛ أي: في النهار.

﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾: ولتشكروا له على هذه النعمة.

وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ﴾: عاد الكلام إلى التخويف بيوم القيامة.

---

(١) «سرمداً» من (ف).

﴿فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾: فسرناه، ومعنى التكرار ـ والله أعلم ـ: أنه يأمرهم بدعائهم أوَّلاً، فيدعون فلا يستجيبون، فيظهر حُبوط عملهم وخيبة أملهم، ثم يخاطبهم به فيسكتون، وهو توبيخ لهم وزيادة في خزيهم.

* * *

(٧٥) ـ ﴿وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ فَعَلِمُوٓا۟ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾: أي: وأخرجنا من كل أمة شاهداً عليهم بما أجابوا به رسلهم؛ كما قال: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١]، وقال: ﴿وَجِاْيٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ﴾ [الزمر: ٦٩].

﴿فَقُلْنَا هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ﴾: أي: هلمُّوا أيها المشركون[1] حجَّتكم على كفركم.

﴿فَعَلِمُوٓا۟ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ﴾: أي: أن الحق هو ما كان الله أرسل به أنبياءه إليهم، وأن الصدق هو ما كان أخبرهم به.

وقيل: ﴿أَنَّ ٱلْحَقَّ﴾؛ أي: الإلهية لله وحده.

﴿وَضَلَّ عَنْهُم﴾ باطلاً[2] ﴿مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ بشركهم[3] الذي كانوا يفترون به على الله.

* * *

(٧٦ ـ ٧٧) ـ ﴿۞ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ

---

(١) بعدها في (ف): «هاتوا».

(٢) «باطلًا» من (ر) و(ف).

(٣) في (ر): «من شركهم».

مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُوْلِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ﴾: هو قارون بن ضافر[1] بن قاهث بن لاوي بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام، وكان ابنَ عم موسى، فإنه موسى بنُ عمران بن قاهث بن لاوي بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم.

وانتظام هذه القصة بما قبلها ما مر في أول هذه السورة.

ووجه آخر: أن هذا يتصل بقوله: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا﴾.

ووجهٌ آخرُ: أن أغلب مَن كان يخالف أنبياءَهم[2] الأغنياءُ الذين بَطِروا بغناهم، وكذلك في عصرِ كلِّ نبيٍّ ومنهم قارون في زمن موسى.

﴿فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ﴾: أي: طلب الفضل عليهم وأن يكون فوقهم.

وقيل: بغى عليهم بكُفره، وقيل: بكِبْره.

وقيل: كان عاملاً لفرعون فبغى على الناس بأخذ أموالهم حتى صار أغناهم.

وقيل: استخف بالفقراء وازدرى بالناس ومنع الحقوق المالية.

---

(١) كذا في جميع النسخ، والذي في التفاسير: (يصهر). انظر: «تفسير الطبري» (٤/ ٤٣٥) و(١٨/ ٣٠٩)، و«البسيط» للواحدي (١٧/ ٤٤٦)، و«تفسير البغوي» (٦/ ٢٢٠)، و«الكشاف» (٣/ ٤٢٩)، و«تفسير القرطبي» (١٦/ ٣١٢)، و«روح المعاني» (٢٠/ ٢٤٩). وقيده الشهاب الخفاجي في «عناية القاضي وكفاية الراضي» (٧/ ٨٤) وعنه الآلوسي بياء تحتية مفتوحة وصاد مهملة ساكنة وهاء مضمومة.

(٢) في (أ): «نبينا هم».

وقيل: زاد في ثيابه[١] قَدْراً من الطول.

﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ﴾: أي: أعطيناه من كنوز الأموال.

﴿مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُوْلِى ٱلْقُوَّةِ﴾: قيل: هو جمع مَفتح بفتح الميم، وهو بيت المال أو الصندوقُ الذي فيه المال، وهو موضع الفتح.

وقيل: هو جمع المِفتح بكسر الميم؛ أي: المفتاح الذي يُفتح به بيت المال أو الصندوق.

﴿لَتَنُوٓأُ﴾: يقال: ناء ينوء نَوْءاً؛ أي: حمل على ثقلٍ ونهض به على مشقَّةٍ، وهو لازمٌ، وصار هنا متعدِّياً بالباء الذي في قوله: ﴿بِٱلْعُصْبَةِ﴾، والعصبة: جماعة، وهي من عشرة إلى أربعين.

وقال الفراء: العصبةُ هاهنا: أربعون رجلاً[٢].

فمَن جعل المفاتح جمعَ مَفتح ـ بالفتح ـ فمعناه: وأعطيناه من الأموال ما كانت خزائنُه وصناديقه التي فيها أموالُه ما بلغ مقداره أن العصبة وهي الجماعة الأقوياء إذا حملوها عجزوا عن حملها فأمالتهم لثقلها؛ كالرجل الذي يحمل الشيء فيعجز عن حمله فيميل تحته، وكان قارون وقومُ موسى غيرَ متمكِّنين في بلد، بمنزلةِ السيارة ينتقلون من بلد إلى بلد، فكانت أموالهم في صناديق ونحوها تُحمل من مكان إلى مكان.

ومَن جعلها من الـمِفتح الذي هو المفتاح. قال: كانت أقفال خزائنه ومفاتيحُها التي يُفتح بها بيوتُ أمواله وصناديقِه في الكثرة بحيث يعجز عن حملها الجماعةُ الكثيرة.

---

(١) في (ر): «شأنه».

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣١٠).

وقال مجاهد: كانت مفاتيحُه من جلود الإبل، كلُّ مفتاحٍ على قَدْرِ إصبعٍ، وكلُّ مفتاح يفتح به خزانة[١].

وعن خيثمة قال: كان يحمِلُ مفاتيحَ خزائنِ قارون ستُّون بغلاً محجَّلاً[٢].

﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ﴾: قال مجاهد: أي: لا تَبْطَر[٣]، وهو سوءُ احتمالِ الغنى والطغيانُ بالدنيا.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ﴾: أي: اكتسِبْ بها ثوابَ الآخرة دون التجمُّل والتكثُّر بالدنيا والتكبُّر على أهلها.

﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا﴾: أي: خذ مع هذا من دنياك ما لا بدَّ لك منه في معاشك، فإنك غيرُ مَلُوم على ذلك.

وقيل: خذ بنصيبك[٤] في الدنيا من العمل الصالح الذي يوصلك إلى ثواب الآخرة، فهو نصيب المؤمن من الدنيا.

﴿وَأَحْسِن﴾ بمالك [٥]إلى عباد الله ﴿كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ فيما وسَّع عليك وبسَطه لك.

﴿وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾: هذا ظاهر.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٣١٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٣٠٠٧)، بلفظ: (كانت المفاتح من جلود الإبل). ورروياه بتمامه لكن عن خيثمة، وخيثمة: هو ابن عبد الرحمن بن أبي سبرة الجعفي، وهو تابعي ثقة.

(٢) قطعة من خبر خيثمة السابق.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٣٢٠).

(٤) في (أ): «أي خذ نصيبك» بدل من «خذ بنصيبك».

(٥) في (ر) و(ف): «من مالك».

(٧٨) - ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِيٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾.

﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِيٓ﴾: قال: إنما أُعطيتُ هذا المالَ لفضلي على غيري بعلمي، وكان علمُه حفظَ التوراة، وكان من السبعين الذين اختارهم موسى للميقات، وكان أحدَ العلماء المذكورين يومئذ.

وقيل: أي: آتاني الله على علمٍ منه بفضلي ورضًا منه عني ورؤيتِه استحقاقي ذلك، وقوله: ﴿عِندِيٓ﴾؛ أي: عندي هو كذلك و﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ هو علمُ الله هذا القول.

وقيل: أي: أوتيتُه على علم عندي، وهو علم الكيمياء، وبه اكتسبتُه ليس هو من إنعام الله عليَّ بل هو كسبي، وكفر بهذا.

وعن[1] سعيد بن المسيب: كان موسى يعلم الكيمياء، فعلَّم يوشعَ بنَ نون ثُلث ذلك العلم، وعلَّم كالب بن يوقنَّا ثلثه، وعلَّم قارون ثلثه، فخدعهما قارون حتى أضاف علمهما إلى علمه[2].

وكان يأخذ الرصاص فيجعله فضةً، ويأخذ[3] النحاس فيجعله ذهباً[4].

﴿أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ﴾ الماضية ﴿مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً﴾؛ أي: بالأنصار والأعوان والآلات المحصنة ﴿وَأَكْثَرُ جَمْعًا﴾ للأموال مثلَ نمرود،

---

(١) في (أ): «قال».

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ٢٦٢)، والبغوي في «تفسيره» (٦/ ٢٢٢)، وعزاه الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٢٦٨) للنقاش. ورده ابن كثير عند تفسير هذه الآية بقوله: وهذا القول ضعيف؛ لأن علم الكيمياء في نفسه علم باطل؛ لأن قلب الأعيان لا يقدر عليها أحد إلا الله عز وجل.

(٣) «يأخذ» ليست في (ر).

(٤) وهذا أيضا باطل. انظر التعليق السابق.

ولو كان إعطاء ذلك للفضل والعلم والاستحقاق لم يُعطهم ذلك، ولأن ذلك لم يدفع عنهم بأس الله فكذا قارون.

﴿وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾: أي: والله عالم بهم لا يَحتاج إلى السؤال عنهم، فيهلكُهم في الدنيا ويعاقبُهم بالنار في الآخرة.

وقيل: لا يُسألون عن ذنوبهم يوم القيامة بل يدخلون النار بغير حساب.

وقيل: الملائكة لا تسألهم عن ذنوبهم بل تعرفهم بسيماهم؛ كما قال: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ﴾ [الرحمن: ٣٩] ثم قال: ﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ﴾.

وقيل: معناه: ولا يُسأل عن ذنوب الماضين المجرمون من هذه الأمة.

* * *

(٧٩) - ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾.

قوله: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ﴾: التي يتعظَّم بها؛ من اللباس والمركب والخدم ونحوهم.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: خرج على بغلةٍ شهباء عليها سرجٌ من ذهبٍ وقطيفةُ أرجوانٍ[1].

وقال وهب: خرج في أربعة آلاف غلام على بغال شهب ثيابُهم الأرجوان.

وقال كعب: خرج في ثلاث مئة غلام عن يمينه وثلاث مئة جارية عن يساره عليهم ألوان الثياب.

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٣٢٩) عن ابن جريج.

وقال الحسن: ﴿فِي زِينَتِهِۦ﴾ يعني: الحمرة والصفرة[١].

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾: أي: يريدون زينةَ الحياة الدنيا الفانيةِ، ولا يرغبون في الحياة الباقية في الجنان العالية.

وقال قتادة: يعني ناساً من أهل التوحيد قالوا غبطة وتمنِّياً: ﴿يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ﴾[٢] من الأموال لنُنفقها في طاعة الله.

﴿إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾: أي: جليلٍ يقدر معه على ما يريد من الدنيا.

* * *

(٨٠) ـ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾: بالله وصفاته وأسمائه[٣] وأحكامه: ﴿وَيْلَكُمْ﴾؛ أي: قالوا للأوَّلينَ الذين تمنَّوا ذلك ﴿ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ﴾ وأبقى؛ لأنه أفضل من أعراض الدنيا ﴿لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾.

﴿وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ﴾؛ أي: لا يُلقَّى هذه الكلمة ولا يوفَّقُ للعمل بها إلا الصابرون عن الدنيا، الحابسون أنفسهم على طاعة الله تعالى؛ أي: لا يلقِّيها الله إلا هؤلاء.

وقال مجاهد: لا يُلقَّى الجنةَ وثوابها؛ أي: لا يؤتاها إلا الصابرون على طاعة الله.

* * *

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٣٢٩) بلفظ: (في ثياب حمر وصفر).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٣٠١٥).

(٣) في (أ): «بالله وبدينه وأقسامه» وفي (ف): «بالله وبربوبيته وأقسامه» بدل من «وصفاته وأسمائه».

(٨١) ـ ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ﴾: أي: غيَّبناه في الأرض يغوص فيها ويَسُوخ وفعلنا بداره كذلك.

﴿فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ﴾: أي: جماعةٍ ﴿يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: يمنعون عنه عذابَ الله.

﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ﴾ هو بنفسه وقوته.

وقيل: بداره وبأهل داره.

وقيل: بعين داره؛ لأنه كان زيَّنها بصفائح الذهب.

وقيل: بما فيها من الكنوز والأموال، ولمَّا خسف بقارون قال منافقون من بني إسرائيل: دعا موسى على قارون فخُسف به[١] ليرث موسى خزائنه، فدعا موسى على خزائنه[٢] فخسف الله بداره وبصامت ماله بعد ثالثة[٣].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: لما أتى موسى قومَه بالزكاة جمعهم قارون وقال: هذا جاءكم بالصلاة[٤] وبأشياء تحتملونها[٥]، أفتحتملون أن تعطوه[٦]

---

(١) «فخسف به» ليست في (ف).

(٢) في (أ): «على ماله».

(٣) في هامش (أ): «الصامت: المال الذي سوى الحيوان».

(٤) في (ر): «بالصاعرة»، وفي (ف): «بالصاغرة»، والمثبت من (أ) والمصادر.

(٥) في (ف): «لا تحتملونها». والمثبت من باقي النسخ، وهو الموافق لما في المصادر، فقد جاء في بعضها: (فاحتملتموها)، وفي أخرى: (تطيقونها).

(٦) بعدها في (أ): «من»، والمثبت من باقي النسخ والمصادر.

أموالكم؟! فقالوا: ما نحتمل أن نعطيه أموالنا، فما ترى؟ قال: أرى أن أرسل إلى بغيٍّ بني إسرائيل فنرسلَها إليه ونأمرَها أن ترميه بأنه أرادها على نفسها، ففعلوا فرمت موسى على رؤوس الناس أنه أرادها على نفسها، فدعا الله عليهم فأمر الله الأرض أن تطيعه(١).

وقال السدي: كانت امرأة من بني إسرائيل تسمى سيرا(٢) أرسل إليها قارون فقال لها: إنك تَزْنينَ بالدرهم والدينار والثوب، فهل لك أن أعطيك(٣) ألف دينار على أني إذا أرسلتُ إليك تخبرين أن موسى زنى بك؟ قالت: نعم، فوزن لها قارون ألفَ دينار، فلما أصبحوا واجتمع بنو إسرائيل قال قارون: يا موسى كيف أنزل الله في الزنا؟ قال: الرجم، قال: انظر ما قِبَلك، ودعا سيرا، فلما جاءت قال: يا سيرا أخبري بني إسرائيل ما صنع بك موسى، قالت: دعاني قارون فأعطاني ألف دينار فهذا خاتمه عليها على أن أفتري على نبيِّ الله موسى، فأعوذ بالله من ذلك، فغضب موسى فدعا الله عليه(٤).

وفي حديث وهب قال: نافق قارون حسداً لموسى كما نافق السامريُّ، فدعا

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣١٤٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٣٠١٨)، والحاكم في «المستدرك» (٣٥٣٦) وصححه، وزاد السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٤٣٦) عزوه لابن المنذر وابن مردويه.

(٢) في (أ): «سنبرا»، وفي (ف): «سبيرا». والمثبت من (ر)، ومثل هذا الخلاف على اسمها في النسخ وقع في الموضعين الآتيين، وكذا وقع ذلك في المصادر كما سنبين.

(٣) في (ف): «فهل لك في».

(٤) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٣٠١٧)، واسم البغي في مطبوعه: (شيرتا)، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ١٦٥) وفي مطبوعه: (شجرتا)، وفي «تفسير القرطبي» (١٦/ ٣١٤): (سبرتا).

مومسةً وبين يديه طستٌ من ذهب مملوءٌ دنانير وقال لها: هل لك في هذا كله؟ قالت: كيف؟ قال: تقومين غداً وأنا مع موسى على السرير فتقولين للناس: إن موسى دعاني البارحة ليفسق بي، حتى تذهبي بمائه وجاهه، ولك هذا كله، فكانت الليلة مجمِعةً على ذلك، فلما أصبحت أدركتها رحمة الله، فقامت وبنو إسرائيل حضور فقالت: يا موسى! احذر هذا فإنه دعاني أمسِ..، وذكرت القصةَ، فقام قارون متشوراً، وأتى جبريلُ موسى وقال: إن الله جعل الأرض مطيعة لك، فقال موسى: يا أرض خذيهم فأخذتهم إلى أعقابهم، فجعلوا يقولون: يا موسى يا موسى، ثم قال: خذيهم، فأخذتهم إلى ركبهم فقالوا: يا موسى يا موسى، فقال: خذيهم، فأخذتهم إلى حُجَزهم، ثم كذلك إلى أعناقهم، ثم غيَّبتهم فيها، فأوحى الله إلى موسى: سألك عبادي وتضرَّعوا إليك فلم تُجبهم، أمَا وعزتي وجلالي لو أنهم دعوني لأجبتهم[1].

***

(٨٢) ـ ﴿ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْاْ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْاْ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ ﴾: أي: وصار الذين يتمنون أن يكون لهم من الأموال ما لَهُ ﴿يَقُولُونَ﴾ متندمين على ما كان منهم:

﴿وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ﴾: قيل: (ويكأن) كلمة واحدة معناها: أما ترى أما تعلم[2].

وقيل: هما كلمتان: (ويك) بمعنى: ويلك بحذف اللام، قال عنترة:

---

(١) لم أجده عن وهب، ورواه بنحوه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣١٤٣)، والحاكم في «المستدرك» (٣٥٣٦) وصححه، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وزاد السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٤٣٦) عزوه لابن المنذر وابن مردويه. وقد تقدمت قطعة منه قريباً.

(٢) قاله الفراء. انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣١٢).

ولقد شَفَى نفسِي وأَبْرَأ سُقْمَها ... قولُ الفوارسِ وَيْكَ عنتر أَقْدِمِ[١]

وهذا الحذف للتخفيف لكثرة الاستعمال.

وقيل: (وي) كلمة يُتعجب بها وبعدها (كأن) التي هي للتشبيه.

وهي هاهنا بمعنى الظن والحسبان.

قال تعالى[٢]: ﴿يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ﴾: أي: صاروا يقول بعضهم لبعض: ألم تعلموا أن ﴿اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ﴾ لا لكرامةِ مَن يَبسط عليه، ولا لهوان من يقدر عليه؛ أي: يضيق.

﴿لَوْلَا أَن مَّنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾: فصرَف عنا ما كنَّا نتمناه بالأمس ﴿لَخَسَفَ بِنَا﴾ كما خسف به.

﴿وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾: ألم تروا أنه لا يفلح مَن كفر بالله.

وقوله: ﴿بِالْأَمْسِ﴾ معناه: الوقت المتقدِّم، لا الوقتُ[٣] بعينه.

وقال مقاتل: قال بعض بني إسرائيل: إنما أهلك موسى قارونَ طمعاً في ماله وداره، فخسف الله بماله وبداره بعد ثلاثة أيام، فهو يتلجلج[٤] في الأرض كلَّ يوم قامةَ رجل، حتى إذا بلغ قعر الأرض السفلى نفخ إسرافيل في الصور[٥].

* * *

---

(١) البيت في «شرح المعلقات السبع» للزوزني (ص: ١٥٢)، و«شرح القصائد العشر» للتبريزي (ص: ٢٤٩).

(٢) في (ر) و(ف): «والحساب ويك أن الله»، بدل: «والحسبان قال تعالى».

(٣) في (ر): «لا الأمس».

(٤) في (أ): «يتجلجل»، وفي (ف): «يتخلخل».

(٥) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٣٥٧). وليس فيه: «حتى إذا بلغ قعر... ».

(٨٣ ـ ٨٤) ـ ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ۝٨٣ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ﴾: أي: تعظُّماً على الناس ﴿وَلَا فَسَادًا﴾ في الأرض كما علا فرعون وأفسد في الأرض وكذا قارون.

﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ﴾ المحمودة الجميلة ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ﴾: قال ابن عباس رضي الله عنهما: بالتوحيد[1].

﴿فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا﴾: أي: فله منها خيرٌ؛ أي: ثواب[2].

وقيل: مَن جاء بالإيمان والطاعة فله عند الله من الثواب ما هو أكبرُ وأفضل من عمله؛ لأن ثواب الله يَفضُل عملَ العامل.

قوله تعالى: ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ﴾: أي: بالشرك والمعاصي.

﴿فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾: أي: لا يُجزى المسيء إلا جزاءَ عمله السيِّئ لا يزاد عليه، وإنما أعيد ذكر الفاعل في قوله: ﴿فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ تنبيهاً على المعنى الموجب للتمييز بين الفريقين.

* * *

(٨٥) ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ١٤٠) في تفسير قوله تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا﴾ [النمل: ٨٩] قال: مَن جاء بلا إلهَ إلَّا اللهُ.

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٩٣٤ ـ ٢٩٣٥) عند تفسير الآية السابقة في سورة النمل.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ﴾: ثم ختم السورة ببشارة نبيِّه عليه السلام بردِّه إلى مكة ظاهراً قاهراً لأعدائه المشركين هؤلاء، الذين حاجَّهم في هذه السورة، ووصلها بمواعظ تتصل بمعناها فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ﴾.

قال محمد بن كعب: أي: فرض عليك تبليغه.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: أي: أنزله عليك(١) شيئاً بعد شيء، وأَوجب عليك العملَ بما فيه من شرائع الهدى ومحاسنِ الأخلاق.

وقال عطاء: أعطاك(٢).

﴿لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾: أي: لراجعُك إلى وطنك بمكةَ مفتوحاً عليك عاليَ اليد على أهله، وكان كما ذَكر فدلَّ على صدق دعواه النبوَّة.

وقال مقاتل: خرج النبيُّ ﷺ من مكة ومعه أبو بكر رضي الله عنه متوجهاً إلى المدينة، فعدل عن الطريق مخافةَ الطلب، فلما أَمِن عاد إلى الطريق فنزل الجحفة، واشتاق إلى مولده ومولد آبائه فأتاه جبريل عليه السلام فقال له: أتشتاق إلى مولدك ومولد آبائك ومسقط رأسك؟ قال: «نعم»، قال: فإن الله تعالى أنزل عليك ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ يعني: إلى مكة ظاهراً من غير خوفٍ(٣).

وقال الحسن: يعني: القيامة(٤)؛ لأنها مرجع الخلق.

---

(١) هذا القدر من الخبر ذكره عن ابن عباس رضي الله عنهما الواحدي في «تفسيره» (١٧/ ٤٧٣).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٣٤٥ ـ ٣٤٦) عن مجاهد. وانظر: «تفسير الثعلبي» (٧/ ٢٦٦)، وفيه: (وقال عطاء بن أبي رباح: فرض عليك العمل بالقرآن).

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٣٥٩)، وقد تقدم في أول السورة ما روي في سبب نزول هذه الآية.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٣٤٧ و٣٤٨).

وقال الزهري: يعني: الجنة[1]، قالوا: لأنه كان عليه السلام فيها في صُلب آدم، وأيضاً ليلةَ المعراج، ويجوز أن يسمى معاداً من غير أن كان فيها مرةً؛ كما قال في الكفار: ﴿ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٦٨].

وقال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه: يعني: الموت[2]، وإليه يعود الخلق، قال تعالى: ﴿وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾ [طه: ٥٥].

وقوله تعالى: ﴿قُل رَّبِّيٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ﴾: يصلح في ﴿مَن﴾ النصبُ بكونه مفعولاً، والرفعُ بكونه مبتدأ على الاستفهام.

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾: فيفتح على المهتدي ويقهر الضالَّ، فيُدخل المهتديَ الجنة والضالَّ النارَ، فيثيب المهتدي ويعاقب الضالَّ، فيَسعد المهتدي ويشقى الضالُّ، على اختلافهم في تفسير المعاد.

***

(٨٦) ـ ﴿وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓاْ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿كُنتَ تَرْجُوٓاْ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾: أي: يوحَى إليك القرآن[3].

﴿إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾: لكن الله رحمك وأنعم عليك به.

﴿تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ﴾: أي: عوناً للكافرين.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٣٤٦ـ٣٤٧) عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة وأبي مالك وأبي صالح.

(٢) رواه عبد بن حميد وابن مردويه كما في «الدر المنثور» (٦/ ٤٤٦).

(٣) في (أ): «الكتاب».

(٨٧ ـ ٨٨) ـ ﴿وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ ۖ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾: هو على الجمع؛ أي: لا يمنعنَّك هؤلاء عن اتِّباع القرآن[1].

﴿بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ﴾: أي: الآيات.

﴿وَٱدْعُ﴾ هؤلاء وغيرهم ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾: لا يحملنَّك شوقك إلى وطنك على مداهنة هؤلاء وموافقتهم في شيءٍ ليمكنك[2] المقام فيها، فإني مُعيدُك إليها عالياً[3] عليهم.

﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾: أي: إلا هو، يقال: أكرم الله وجهك؛ أي: أكرمك الله.

وقيل: معناه: كلُّ عمل باطلٌ إلا ما أريد به وجهُه؛ أي: رضاه.

﴿لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾: هذا ظاهر.

والحمد لله رب العالمين

* * *

---

(١) في (ف): «الحق».

(٢) في (ر) و(ف): «لتمليك».

(٣) في (أ): «أعيدك إليها غالباً».

سُورَةُ العَنكَبُوتِ

سورة العنكبوت

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الذي هو غنيٌّ عن العالمين، الرحمنِ الذي وعَد الذين آمنوا وعملوا الصالحات الجنة ونعم أجرُ العاملين، الرحيمِ الذي يهدي المجاهدين فيه سبُله وإنَّ الله لَمَع المحسنين.

وروى أبي بن كعب رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «مَن قرأ سورة العنكبوت كان له من الأجر عشرُ حسنات بعدد كلِّ المؤمنين والمنافقين»(١).

وهذه السورة مكية إلا قولَه في قصة سعد: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا﴾، وقولَه تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ فإنهما نزلتا بالمدينة.

وهي تسع وستون(٢) آيةً، وتسعُ مئة وستٌّ وسبعون كلمة(٣)، وأربعة آلاف ومئتان وتسعةٌ(٤) وثلاثون حرفاً.

---

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ٢٦٩)، وهو قطعة من الحديث الموضوع في فضائل السور، وقد تقدم الكلام عليه مراراً. وانظر: «الفتح السماوي» للمناوي (٢/ ٩٠٠)، و«الفوائد المجموعة» للشوكاني (ص: ٢٩٦).

(٢) في (ر) و(ف): «وتسعون»، والمثبت من (أ) وهو الصواب. انظر: «البيان في عد آي القرآن» (ص: ٢٠٣)، و«تفسير الثعلبي» (٧/ ٢٦٩).

(٣) في «البيان في عد آي القرآن»: (تسع مئة وثمانون)، وفي «تفسير الثعلبي»: (وإحدى وثمانون).

(٤) في هامش (ف): «وسبعة». وفي المصدرين السابقين: (أربعة آلاف ومئة وخمسة وتسعون حرفا).

(١ ـ ٢) ـ ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿الٓمٓ﴾: مر ذكر الأقاويل فيه في أول سورة البقرة، ومنها: أن معناه: أنا الله أعلم، وهو وصف الله تعالى بكمال العلم.

وختم تلك السورة بذكر نفاذ الحكم، وذلك وجهُ النظم.

وانتظام السورتين: أنهما جميعاً في بيان وحدانية الله تعالى ودلائلها، ومدحِ المؤمنين ومواعيدهم، وذمِّ الكافرين[١] ووعيدهم.

وقوله تعالى: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ﴾: أي: أظنَّ الناس ـ وهم الذين شكَوا أذى المشركين ـ أن نقتصِر منهم على أن يقولوا آمنا بالله ورسوله ويُتركون أن لا[٢] يختَبروا بالأمر بهجر ديارهم وجهادِ عدوهم والصبرِ على إيذائهم؟ ويدخل في ذلك المصائب والأمراضُ والشدائد، وهو استفهام بمعنى الإنكار؛ أي: لا يكون ذلك[٣]، ولا بد أن يُفتَنوا بأنواع المحن في الدِّين، فيُخلصوا على الامتحان، ويَظهر بذلك صدقُ مَن صدَق فيه وكَذِبُ مَن كَذَب.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: لمَّا نزل قوله تعالى ﴿قُلۡ هُوَ ٱلۡقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبۡعَثَ عَلَيۡكُمۡ عَذَابٗا مِّن فَوۡقِكُمۡ﴾ الآية [الأنعام: ٦٥] اغتمَّ رسول الله ﷺ وقال: «إنْ بَعَث عليهم عذاباً من فوقهم كما بعث على قوم لوط لم يبق منهم أحد، وإن خَسَف بهم كما خَسَف بقارون لم يبق منهم أحد، وإن لَبَسهم[٤] شيعاً وأذاق بعضَهم بأسَ بعضٍ فكيف

---

(١) في (أ) و(ف): «الكفار».

(٢) في (أ): «أن»، وفي (ر): «أي لا».

(٣) في (أ): «هذا».

(٤) في (أ): «ألبسهم».

يكون حالهم[١]؟» فأتاه جبريل عليه السلام فقال له: إن الله تعالى يقول: قد أرسلنا قبلك رسلاً إلى قومهم فصدَّقهم مصدِّقون وكذَّبهم مكذِّبون، فسمَّينا المصدِّقين منهم مؤمنين وسمَّينا المكذِّبين منهم كفاراً، ثم لم يمنعْنا بعد[٢] قبض الأنبياء أن نبتليَهم ليَتبيَّن الصادقُ منهم من الكاذب، وأنزل الله هذه الآية[٣].

وقال الشعبي: نزلت في أناسٍ مؤمنين من أهل مكة كتب إليهم أصحاب رسول الله ﷺ من المدينة: لا ينفعُكم إيمانكم إلا أنْ تهاجروا، فخرجوا مهاجرين فتبعهم المشركون فردُّوهم، فأنزل الله هذه الآية، فوجَّهوا إليهم الآية، فقالوا: نخرج ثانياً، فإن خرجوا على إثرنا قاتلناهم، فخرجوا فتبعهم المشركون، فمنهم مَن قُتل ومنهم مَن نجا، وفيهم نزل: ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا فُتِنُواْ ﴾ الآية [النحل: ١١٠][٤].

وقال مقاتل: نزلت في مِهْجَعِ بن عبد الله مولى عمر بن الخطاب أولِ قتيلٍ في الإسلام، جزع عليه أبواه فنزلت[٥].

---

(١) في (ر) وقعت الضمائر كلها بالمخاطب: «إن بعث عليكم.. من فوقكم.. وإن خسف بكم.. لم يبق منكم.. وإن لبسكم.. وأذاق بعضكم.. كيف يكون حالكم».

(٢) في (ر) و(ف): «مع».

(٣) لم أقف عليه. وقد روي في معناه حديث في الصحيح، فقد روى البخاري (٤٦٢٨) عن جابرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: لمَّا نزلت هذه الآيةُ: ﴿قُلۡ هُوَ ٱلۡقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبۡعَثَ عَلَيۡكُمۡ عَذَابٗا مِّن فَوۡقِكُمۡ﴾ [الأنعام: ٦٥]، قال رسولُ الله ﷺ: «أعوذُ بوَجهِك»، قَالَ: ﴿أَوۡ مِن تَحۡتِ أَرۡجُلِكُمۡ﴾ [الأنعام: ٦٥]، قال: «أعوذُ بوَجهِك» ﴿أَوۡ يَلۡبِسَكُمۡ شِيَعٗا وَيُذِيقَ بَعۡضَكُم بَأۡسَ بَعۡضٍ﴾ [الأنعام: ٦٥] قال رسولُ الله ﷺ: «هذا أهونُ ـ أو: هذا أَيْسَرُ»

(٤) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٢٣٩)، والطبري في «تفسيره» (١٨/ ٣٥٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٣٠٣١).

(٥) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٣٧٢).

وقال ابن جريج: نزلت في عمار بن ياسر حين عذَّبه الكفار[1].

***

(٣) ـ ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾: يعني: من الأمم، لم نكتفِ منهم بقولهم: ﴿ءَامَنَّا﴾ بل ابتليناهم، فكذا هؤلاء.

وقوله تعالى: ﴿فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾: أي: فليفتننَّهم الله ليَظهر صدقُ الصادق وكذبُ الكاذب بالفعل وترك الفعل.

وقيل: ليَعلمن الله ذلك موجوداً عند وجوده كما علمه قبل وجوده أنه يوجد، وقد أوضحنا ذلك في سورة البقرة وآل عمران.

ثم هذا الصدق وهذا الكذب يجوز أن يكونا في القول بأنْ كانوا وَعدوا من أنفسهم الصبرَ، فصبر بعضهم فصار صادقاً في وعده، ولم يصبر بعضهم فصار كاذباً فيه.

ويجوز أن يكون في معنى تحقيقِ الإيمان والوفاءِ بشروطه؛ كما يقال: صدق فلان القتالَ، وكما قال: ﴿لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ﴾ [الواقعة: ٢]؛ أي: خلاف.

***

(٤) ـ ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَن يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾.

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾: أي: المعاصي، بجزعهم عند الفتنة وإضمارهم النفاق والشك وغير ذلك.

---

(١) ذكره عن ابن جريج الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ٢٧٠)، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٣٥٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٣٠٣٢)، عن ابن جُرَيج، قال: سمعت عبد الله بن عبيد بن عمير يقول...، فذكره.

﴿أَن يَسْبِقُونَا﴾: أي: يُعْجزونا فيَفوتونا فلا نقدرَ على مجازاتهم، فلذلك لا يصبرون ولا يجاهدون ولا يهاجرون؟

﴿سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾: بهذا الحسبان(١).

وقيل: الأول في المؤمنين وهذا في الكافرين؛ أي: ﴿حَسِبَ﴾ الذين قالوا: ﴿ءَامَنَّا﴾ أن نكتفيَ منهم بالإيمان بدون الامتحان، ﴿أَمْ حَسِبَ﴾ الكفار أن يعجزونا فتركوا لأجل ذلك الإيمان؛ أي: فالحسبانان باطلان.

وقيل: نزلت الآية في بني عبد شمس: شيبةَ وعتبةَ والوليدِ بن عتبة، وحنظلة بن أبي سفيان وعبيدة بن سعيد بن العاص وعقبة بن أبي معيط والعاص بن وائل، هؤلاء الذين بارزوا عليًّا وحمزة وعبيدةَ بنَ الحارث رضي الله عنهم(٢).

* * *

(٥) ـ ﴿مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأٓتٍۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾.

قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ﴾: أي: يؤمِّل أن يَلْقَى الله فيُثيبَه على عمله.

وقيل: أي: يخاف أن يلقَى الله(٣) فيحاسبَه على عمله. والرجاء يحتملُهما.

﴿فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأٓتٍ﴾: لا محالة، وهو قريبٌ، وهو اسم للموت وللقيامة أيضاً، قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًاۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ﴾ [الأنعام: ٢].

﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لأقوالهم ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بأفعالهم؛ أي: فلْيجتهِدْ في صالح الأعمال

---

(١) في (ر) و(ف): «الحساب».

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٣٧٣). وفي قوله: «هؤلاء الذين بارزوا عليًّا وحمزة وعبيدة...» على الإطلاق نظر؛ فإن الذين بارزوهم هم الثلاثة الأُوَل فقط.

(٣) في (أ) و(ف): «يلقاه».

ولْيجتنِبْ سيِّئَ الأفعال، وهو حثٌّ على الصبر على أذى المشركين، والجهادِ مع أعداء الله لإعلاء الدِّين.

* * *

(٦ ـ ٧) ـ ﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: أي: جاهد عدوَّ الله، وجاهَد نفسَه، وجاهد الشيطان، فنفعُ ذلك يرجع إليه، لا حاجة إليه لله[1] تعالى، وهو غنيٌّ عن العالمين كلِّهم وهو غنيٌّ عن الخلائق كلهم[2].

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾: أي: إن المؤمنين إذا عملوا الصالحات من الصبر على نفسه[3]، ومجاهدةِ العدو، وتحمُّل الأذى، وغيرِ ذلك، ليَمحونَّ الله معاصيَه التي سلفت، وليَجْزِينَّه على أحسن أعماله، ثم يُلحِقُ سائرَه به.

وقيل: أي: مَن أمن من الكفار، وعمل صالحاً في الإسلام، يَغفر الله له ما كان من سيئاته في كفره، ويجزيه في الإسلام على الصالح من عمله.

* * *

(٨) ـ ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًاۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

---

(١) في (ر): «يرجع إليه لا إلى الله».

(٢) «وهو غني عن الخلائق كلهم» من (أ).

(٣) في (أ): «الفتنة».

وقوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا﴾: ثم ذكر بعض ما يُفتَن به الإنسان في إيمانه، وهو أن يأمره أبواه بالشرك والمعصية فلا يحتمِل قلبُه معصيتَهما مع وجوب برِّهما شرعاً وعقلاً، وأخبر أنه لا طاعة لهما في ذلك فقال: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا﴾ أي: أمرناه أن يفعل بهما حُسناً.

﴿وَإِن جَـٰهَدَاكَ﴾: أي[1]: قلنا له بما أوحينا إلى رسولنا وأنزلنا عليه أن يأمره به: وإن استفرَغا مجهودهما لك ﴿لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ أنه لي شريك ﴿فَلَا تُطِعْهُمَآ﴾ في ذلك.

﴿إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ﴾: في القيامة ﴿فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: أخبرُكم بأعمالكم وأجازيكم عليها، الولدَ المؤمنَ المطيعَ على إيمانه وطاعته، والوالدين الكافرين العاصيين على كفرهما ومعاصيهما.

نزلت الآية في سعد بن أبي وقاص وأمّه حَمنةَ بنت أبي سفيان بن أمية بن عبد شمس، وكانت مشركةً وأسلم ابنها سعدٌ، فحلفت أن[2] لا تأكلَ ولا تشرب ولا يظلَّها ظلٌّ حتى يرجع سعد عن دينه، فأبى عليها، فلَمْ تزل كذلك حتى غُشي عليها، فأتاها بنوها فسقَوها[3] حتى أفاقت، وأنزل الله هذه الآية يأمر سعداً بالإحسان إليها وألَّا يطيعها في الشرك[4].

---

(١) بعدها في (أ): «إن»، ولا وجه لها.

(٢) «أن» من (أ).

(٣) في (ر): «فنبهوها».

(٤) رواه بنحوه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٣٦٣) عن قتادة، وورد دون عزو في «تفسير مقاتل» (٣/ ٣٧٤)، و«تفسير الثعلبي» (٧/ ٢٧١)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ٣٤١). وروى نحوه مسلم (١٧٤٨) كتاب فضائل الصحابة، عقب الحديث (٢٤١٢)، والترمذي (٣١٨٩)، من حديث سعد رضي الله عنه.

(٩ ـ ١٠) ـ ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ ۝٩ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِن جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ﴾.

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾: قيل: أي: والذين آمنوا بعد كفرهم وأصلحوا بعد إفسادهم ﴿لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ﴾: لنتقبَّلنَّ ذلك منهم، ولنجعلنَّهم من جملة المؤمنين المصلحين.

وقيل: أي: ولندخلن المؤمنين المطيعين الجنة مع عبادي الصالحين.

وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ﴾: وهذه صفة المنافق الذي يُفتن في دينه، يقول بلسانه: آمنت بالله وصدقتُ بوعده ووعيده.

﴿فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ﴾: أي: ناله مكروه بسبب دِين الله.

﴿جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ﴾: أي: جعل إيذاء الناس في خوفه وتركِ الدِّين لأجله كعذاب الله الذي هو باقٍ لا ينقطع؛ أي: يترك الإسلام إذا خاف إيذاء الكفار إياه كما يترك المسلم المعصية إذا خاف كذلك عذاب الله.

وسمى الأذى فتنةً لأنه محنةٌ يشتدُّ احتمالها، وهذا تقبيحٌ من الله تعالى فعلَ هذا المنافق، وذمٌّ له بسوء اختياره[1].

وقوله تعالى: ﴿وَلَئِن جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ﴾: أي: للمسلمين ظفَرٌ وغنيمة.

﴿لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ﴾: أي: في الدِّين، فأشرِكونا فيما أصبتُم.

وقوله تعالى: ﴿أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ﴾: أي: بما في قلوب الخلق

---

(١) في (ف): «وذم له سوء الاختيار» وفي (ر): «وذم لسوء اختياره».

من الإيمان والكفر والإخلاص والنفاق، فكيف يتوهَّم هذا المنافق أنه يَخْفَى على المسلمين(١) ولا يُخبرهم الله به وهو عالمٌ به؟ وهذا تهديدٌ لهم.

* * *

(١١) ـ ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾: أي: وليمتحننَّ الله الفريقين، وليُظهرنَّ إخلاصَ المخلِصين ونفاقَ المنافقين، وليُميِّزنَّ بين الفريقين ليَعْرفهم المؤمنون فيجازوهم على حسب استحقاقهم.

وقال عكرمة: كان ناسٌ بمكة قد شهدوا أنْ لا إلهَ إلا الله، فلما خرج المشركون إلى بدر أخرجوهم معهم فقُتلوا، [فقال المسلمون: كان أصحابنا هؤلاء مسلمين وأكرهوا، فاستغفَروا لهم] فنزلت: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ إلى قوله: ﴿عَفُوًّا غَفُورًا﴾ [النساء: ٩٧ ـ ٩٩] وكتب بها المسلمون الذين بالمدينة إلى المسلمين الذين بمكة [أنْ لا عذر لهم]، فخرج ناسٌ من المسلمين حتى إذا كانوا ببعض الطريق طلبهم المشركون فأدركوهم، فمنهم مَن أعطى الفتنة طائعاً، فأنزل الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ الآية، فكتب بها المسلمون الذين بالمدينة إلى المسلمين الذين بمكة، فقال رجل من بني صخر لأهله: أخرِجوني إلى الرَّوحاء، وكان مريضاً، فأخرجوه حتى إذا كان ببعضِ الطريق مات، فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ الآية [النساء: ١٠٠] ونزل في أولئك الذين كانوا(٢) لم يعطوا الفتنة: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُواْ﴾ الآية [النحل: ١١٠](٣).

---

(١) في (ف): «الناس».

(٢) «كانوا» من (أ).

(٣) رواه عن عكرمة الأزرقيُّ في «أخبار مكة» (٢/ ٢١٢)، ومن طريقه الواحدي في «أسباب النزول» =

ثـم فـي أول الآية: ﴿مَن يَقُولُ﴾ علـى التوحيد، وكذلـك: ﴿فَإِذَآ أُوذِيَ فِي ٱللَّهِ جَعَلَ﴾ ثـم قـال: ﴿لَيَقُولُنَّ﴾ علـى الجمـع؛ لأن (مَـن) اسـمُ جنس، فجـاز توحيـدُه لِلَفظـه وجمعُـه لمعناه.

وقيل: نزلت في عياش بن أبي ربيعة أخي أبي جهل لأمه، وذلك أنه أسلم وهاجر إلى المدينة قبل هجرة رسول الله، فحلفت أمُّه أن لا تقومَ من الشمس ولا تغسل رأسها[1] حتى يعود عياش كافراً، وهي [أسماء] بنت مخرمة بن أبي جندل بن نهشل المخزومي، فخرج أخواه أبو جهل والحارث ابنا هشام على إثره إلى المدينة، فلم يزالا يفتلان منه في الغارب والسَّنام[2] حتى ردَّاه، فأوثقاه، وضربه كلُّ واحد منهما مئة جلدة، وقالا له: أنت تزعم[3] أن في دينك برَّ الوالدين وأن ربك بمكة والمدينة واحد، فرجعاه وآلَ أمرُه إلى أنْ كفَر[4].

= (ص: ١٧٨ ـ ١٧٩)، وفيهما: (فقال رجل من بني بكر). ورواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٣٦٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٣٠٣٧)، من طريق عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما، وما بين معكوفتين منهما. وليس فيهما قصة رجل بني بكر.

(١) في (أ): «تغتسل»، بدل: «تغسل رأسها».

(٢) أي: ما زالا يُخادِعانه حتى لان، وهو على طريقِ ضَرْب المَثَل، ويقال فيه أيضاً: (في الذروة والغارب)، والذروة: أعلى السنام، الغارِب مُقدَّمُه، قال الأصمعي: يُقال: ما زال يفتل فِي ذروته ـ أي: يخادعه ـ حتى يُزيله عن رَأْيٍ هو عليه. وأصله: أنَّ مَن أراد أنْ يزُمَّ الصَّعبة من الجِمالِ فإنه يَرفُقُ بها، ويمسحُ غارِبها، ويَفتِلُ وَبَرَها، حتى تَستَأنِس به، فيُلقِيَ الزِّمامَ في مِخْطَمها. انظر: «غريب الحديث» لابن قتيبة (٢/ ١٥٦)، و«مجمع الغرائب» للفارسي (مادة: غرب).

(٣) في (ر) و(ف): «تدعي».

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ٢٧٢) عن الكلبي ومقاتل، وهو في «تفسير مقاتل» (٣/ ٣٧٥)، وما بين معكوفتين منهما.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: ثم أسلم بعد ذلك بدهرٍ وحسُن إسلامه[1].

* * *

(١٢) ـ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَـٰيَـٰكُمْ وَمَا هُم بِحَـٰمِلِينَ مِنْ خَطَـٰيَـٰهُم مِّن شَىْءٍ إِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَـٰيَـٰكُمْ﴾: صيغةُ أمرٍ، ومعناه جزاءُ الأمر، جُعل جوابُ الأمر على صيغة الأمر للتقابل.

وهذا أيضاً مما يُفتَنُ به المؤمن عن دينه من الخديعةِ التي يَنْفُق مثلُها على الضَّعفة، يقول: قال مشركو مكة للمؤمنين: اتبعوا ديننا ونحن نتحمَّل عنكم آثامكم في الآخرة إن كان اتِّباعكم إيانا إثماً وكانت القيامة حقاً.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا هُم بِحَـٰمِلِينَ مِنْ خَطَـٰيَـٰهُم مِّن شَىْءٍ﴾: أي: لا يحمل هؤلاء القائلون من آثام هؤلاء المقولِ لهم شيئاً؛ لأنه لا تَزِر وازرةٌ وِزْر أخرى.

﴿إِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ﴾: في قولهم: إنَّا نحمل خطاياكم.

* * *

(١٣) ـ ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَمَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾.

﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ﴾: أي: أوزار أنفسهم بضلالهتم.

﴿وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾: أي: وأوزار الضالين بإضلالهم.

﴿وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾: أي: هؤلاء الخادعون ﴿عَمَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾؛ أي:

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ٢٧٢) عقب الخبر السابق عن الكلبي ومقاتل.

يكذبون بهذا الوعد، وهو حملُ الخطايا عنهم، فكان هذا الخداع منهم داخلاً في أوزارهم التي يحملونها ويعاقَبون عليها.

وقيل: عما كانوا يفترون من الشرك بالله والكذبِ على كتاب الله ورسوله.

وقيل: نزلت الآية في أبي سفيان بن حرب وأمية بن خلف الجمحيِّ قالا لعمر بن الخطاب وخباب بن الأرت: ﴿اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا﴾ الآية[١].

وقال محمد بن الحنفية: كان أبو جهل وصناديدُ قريش يتلقَّون العرب ويصدون الناسَ عن اتِّباع رسول الله ﷺ، ويقولون لهم: لا تُقِرُّوا لمحمدٍ[٢] ولا تدخلوا في دينه وعلينا أوزاركم[٣].

وقال النبي ﷺ: «ما من عبدٍ يدعو إلى خير إلا أعطاه الله مثلَ أجرِ مَن أجابه لا يَنقُص ذلك من أجورهم شيئاً، وما من عبد يدعو إلى شرٍّ فيُتَّبع عليه إلا جَعل الله عليه مثلَ أوزار الذين اتَّبعوه لا يَنقص ذلك من أوزارهم شيئاً»، ذلك بأن[٤] الله تعالى يقول: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾[٥].

***

(١) ذكره مقاتل في «تفسيره» (٣/ ٣٧٦).

(٢) في (أ): «لا تغتروا بمحمد».

(٣) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٦٥٦٧).

(٤) في (ر) و(ف): «وذلك لأن».

(٥) رواه عبد بن حميد وابن المُنذر عن الحسن عن النَّبي ﷺ مرسلًا، وكذا ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ٢٧٤)، والاستدلال بالآية في آخره هو من كلام الحسن كما صرحوا بذلك. ورواه مسلم (٢٦٧٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه دون ذكر الآية.

(١٤) ـ ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ ﴾: ثم ذكر بعض قصص الأنبياء عليهم السلام وتحمُّلهم أذى القوم وجهادَهم إياهم في الدعوة إلى الحق بدءاً بقوله: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ ﴾.

﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا ﴾: أي: فمكث في قومه يدعوهم إلى الله تسعَ مئة وخمسين سنة.

قال الواقدي: كان عمرُه هذا.

وهذا غلط؛ هذه مدةُ مُقامه فيهم من وقتِ الوحي إلى وقت هلاكهم بالطوفان.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: بُعث نوح لأربعين سنة، وكذا كان بعثُ كلِّ نبيٍّ إلا عيسى عليه السلام، وعاش بعد الطوفان ستين سنة[1]، فذلك ألفٌ وخمسون.

وقال وهب: كان عمر نوح عليه السلام ألفاً[2] وأربعَ مئةِ سنة.

وقوله تعالى: ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ ﴾: أي: الماء الكثير ﴿وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾؛ أي: مشركون.

* * *

(١٥) ـ ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾.

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٣٩١٨)، والدينوري في «المجالسة» (٣٣٨٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٣٠٤١)، والحاكم في «المستدرك» (٤٠٠٥).

(٢) في (ر): «ألفي سنة». والمثبت من باقي النسخ، وهو الموافق لما في «الكشاف» (٣/ ٤٤٥)، و«تفسير القرطبي» (١٦/ ٣٤٥)، و«روح المعاني» (٢٠/ ٣٢١).

وقوله تعالى: ﴿فَأَنجَيۡنَٰهُ﴾: أي: أنجينا نوحاً ﴿وَأَصۡحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ﴾؛ أي: والذين حملهم نوحٌ في السفينة.

وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَٰهَآ﴾: أي: السفينةَ ﴿ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ أي: علامةً لهم دالةً على صدق قول الأنبياء ونجاةِ مَن آمن بهم وهلاكِ مَن كذبهم.

وقال قتادة: أبقاها الله تعالى آيةً فهي على الجوديِّ[1].

وقيل: ﴿وَجَعَلۡنَٰهَآ﴾؛ أي: العقوبةَ بالطوفان عبرةً للعالمين يَعتبرون بها.

***

(١٦ ـ ١٧) ـ ﴿وَإِبۡرَٰهِيمَ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُۖ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١٦ إِنَّمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡثَٰنٗا وَتَخۡلُقُونَ إِفۡكًاۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ لَكُمۡ رِزۡقٗا فَٱبۡتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزۡقَ وَٱعۡبُدُوهُ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥٓۖ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِبۡرَٰهِيمَ﴾: عطفٌ على قوله ﴿نُوحًا﴾.

﴿إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُۖ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾: أي: أنفعُ لكم وأصلحُ إن كنتم من أهل العلم بالأمور والتفكُّر في بَواديها وعواقبها.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡثَٰنٗا﴾: أي: أصناماً من خشب وحجر.

﴿وَتَخۡلُقُونَ إِفۡكًاۚ﴾: أي وتفتعلون كذباً؛ أي: وتسمُّونها آلهة كذباً.

وقيل: (تخلقون): تنحتون ما تكذبون فيه بتسميته إلهاً.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: وتصنعون كذباً[2].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٣٧٢).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٣٧٣).

قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ لَكُمۡ رِزۡقٗا﴾: أي: لا يقدرون أن يرزقوكم، وجَمع بالواو والنون فعلَ الأوثان لأنه وصَفَها بصفاتِ العقلاء[1].

وقوله تعالى: ﴿فَٱبۡتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزۡقَ﴾: أي: فاطلبوا الرزق من عند الله، ثم بيَّن طريق الطلب فقال: ﴿وَٱعۡبُدُوهُ﴾؛ أي: في الحال ﴿وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥٓ﴾؛ أي: لِمَا مضى من إنعامه.

وقوله تعالى: ﴿إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾: فيجازيكم بما عملتُم: من الشكر والكفران، والعبادة والطغيان، وهو وعد ووعيد.

* * *

(١٨) - ﴿وَإِن تُكَذِّبُواْ فَقَدۡ كَذَّبَ أُمَمٞ مِّن قَبۡلِكُمۡۖ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِن تُكَذِّبُواْ فَقَدۡ كَذَّبَ أُمَمٞ مِّن قَبۡلِكُمۡۖ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾: قيل: من هاهنا إلى قوله: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوۡمِهِۦٓ﴾ كلامٌ معترِض، وهو خطاب من الله تعالى لمشركي العرب.

ومعناه على الوصل: لمَّا قال إبراهيم عليه السلام هذا كذَّبوه، وكذلك قومُ نوح عليه السلام كذَّبوا نوحاً، وإن تكذبوا يا معشر العرب فقد كذَّب أممٌ من قبلكم أنبياءهم، فما ضرَّ ذلك الأنبياء بل ضرَّ المكذِّبين، فأهلكهم الله تعالى وأنجى الأنبياء والمؤمنين، وليس على الرسول إلا البلاغ[2] الظاهر.

* * *

---

(١) في (ر): «من يعقل».

(٢) في (أ): «وليس على الأنبياء والرسل إلا التبليغ».

(١٩ ـ ٢٠) ـ ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ﴾: استفهام بمعنى الإثبات؛ أي: قد رأوا ذلك وعلِموه، وقوله: ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ ليس هذا مما يقع عليه[١] رؤيتهم، لكنه إخبارٌ ودليلُ ثبوته إبداؤه.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾: غيرُ متعذِّر: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]، وأكد هذا بما بعده.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾: على كثرتهم وتفاوُتِ هممهم، واختلافِ طبائعهم وألوانهم وألسنتهم وصناعاتهم، فتستدلوا بذلك على أنه لم يخلقهم لذلك[٢] عبثاً بل ليمتحنهم، فلا بد من دارٍ للجزاء والحساب.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ﴾: قرأ ابن كثير وأبو عمرو: ﴿النشاءة﴾ بالمد، والباقون بالقصر[٣]، وهو كالرأفة والرآفة؛ أي: كابتداءِ إيجادهم في الدنيا مختلفي الأحوال والأعمال، فكذلك يعيدهم في الآخرة مختلفين في الجزاء اختلافهم في الأفعال.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: من الإبداء[٤] والإعادة وكلِّ شيء.

---

(١) في (ر): «في»، وليست في (ف).

(٢) «لذلك» من (أ).

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٤٩٨)، و«التيسير» (ص: ١٧٣).

(٤) في (ر) و(ف): «الابتداء».

(٢١ ـ ٢٢) ـ ﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرۡحَمُ مَن يَشَآءُۖ وَإِلَيۡهِ تُقۡلَبُونَ ٢١ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ﴾.

﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرۡحَمُ مَن يَشَآءُۖ﴾: في النشأة الآخرة ﴿وَإِلَيۡهِ تُقۡلَبُونَ﴾؛ أي: وإلى جزائه تردُّون وتُرجَعون.

وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ﴾: أي: بفائتين ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ قال الفراء: أي: ولا مَن في السماء[1]، فأضمر كلمة (مَن) وهو جائز؛ قال حسان رضي الله عنه:

فمَن يهجو رسولَ الله منكم ... وينصرُه ويمدحُه سواءُ[2]

أي: ومَن ينصره ومَن يخذله.

وقيل: هو خطاب لأهل السماء والأرض جميعاً: ﴿وَمَآ أَنتُم﴾ يا أهل الأرض والسماء ﴿بِمُعۡجِزِينَ﴾: فائتين ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِۖ﴾.

وقيل: ﴿وَمَآ أَنتُم﴾ يا أهل الأرض تعجزون الله هرباً في الأرض، ولا في السماء لو صعدتم إلى السماء، ولا ينفعُكم[3] الهرب إليها، ويكون في معنى قوله: ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ﴾ [الرحمن: ٣٣].

﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ﴾ يتولى أموركم ﴿وَلَا نَصِيرٖ﴾ يمنعكم من عذاب ينزل بكم، فإلى الله فافزعوا وإياه فاعبدوا.

---

(١) أي: ولا من في السماء بمعجز. انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣١٥).

(٢) انظر: «ديوان حسان» (ص: ٦٤).

(٣) في (ر): «يمكنكم».

(٢٣ ـ ٢٤) ـ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٣) فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ﴾: أي: بالقرآن والبعث والحساب ﴿أُولَئِكَ يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِي﴾؛ أي: فأولئك القانطون من رحمتي ﴿وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ وهو تفسير قوله: ﴿يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾ وإذا كان اليأس من الرحمة لهؤلاء كانت الرحمة للمؤمنين المخالفين لهؤلاء.

ثم عاد الكلام إلى قصة إبراهيم وجوابِ قومه له:

﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا﴾ أي: إلا قولُهم، بالرفع اسماً لـ﴿كَانَ﴾، ونصبِ ﴿جَوَابَ﴾ خبراً لـ﴿كَانَ﴾، [وقرئ بالرَّفع][(١)] وعلى هذا يكون ﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا﴾ نصباً خبراً لـ﴿كَانَ﴾، ونظيره: ﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَى﴾ [الروم: ١٠]، ﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا﴾ [آل عمران: ١٤٧]، على قراءتين على الوجهين.

﴿اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ﴾: لمَّا ألزمهم الحجةَ أعرضوا عنها وعارضوه بقصد الإهلاك، فقال بعضهم لبعض: اقتلوه بالسيف ونحوه أو حرِّقوه بالنار.

﴿فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ﴾: أي: من أذاها ومكروهها بعد إلقائهم إياه فيها.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾: أي: لَعلاماتٍ للمؤمنين على أن العاقبةَ المحمودة لأهل الإيمان.

---

(١) ما بين معكوفتين زيادة يقتضيها السياق، والقراءة بالرفع نسبت للحسن وسالم الأفطس. انظر: «تفسير الثعلبي» (٥/ ١٠)، و«المحرر الوجيز» (٤/ ٣١٢)، و«البحر المحيط» (١٧/ ١٢٠).

(٢٥) ـ ﴿وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّـٰصِرِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا﴾: أي: لتَوَادُّوا بينكم على عبادتها وتَحابُّوا وتَواصَلوا عليها.

وقوله تعالى: ﴿مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ﴾: فيه أربع قراءات:

قرأ أبو عمرو وابن كثير والكسائي: ﴿مودةُ بينِكم﴾ بالرفع والإضافة.

وقرأ نافع وعاصم في رواية أبي بكر وابن عامر: ﴿مودةً بينكم﴾ منوناً منصوباً.

وقرأ عاصم في رواية الأعشى عن أبي بكر: (مودَّةٌ) مرفوعٌ منوَّن (بينكم) نصباً.

وقرأ حمزة وعاصم في رواية حفص: ﴿مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ﴾ نصباً غيرَ منوَّنٍ مضافاً[1].

فمَن ترك التنوين[2] فقد أضاف ولذلك خفَض ﴿بَيْنِكُمْ﴾، ومَن نوَّن فقد ترك الإضافة فنصب ﴿بينكم﴾ على الظرف، ومَن رفع ﴿مودة﴾ فلها وجهان:

أحدهما: أن يكون: (إنَّ ما) مفصولاً، وتقديره: إن الذين اتخذتُموهم أوثاناً مودةُ بينكم، على خبر (إنَّ).

والثاني: أن يكون ﴿إِنَّمَا﴾ موصولاً، ويكونُ حرفاً واحداً، ويتمُّ الكلام عند قوله: ﴿أَوْثَانًا﴾، ثم قوله: ﴿مودةُ بينكم﴾ يضمَر قبلها: هي؛ أي: هي مودةُ بينكم.

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٤٩٨ ـ ٤٩٩)، و«التيسير» (ص: ١٧٣). والقراءة الثالثة وهي قراءة الأعشى عن أبي بكر لم يذكرها الداني، والمشهور عن أبي بكر الرواية الأخرى؛ أي: مثل قراءة نافع وابن عامر.

(٢) في (أ): «فيه أربع قراءات قرأ ابن كثير وأهل البصرة والكسائي وأبو زيد عن المفضل: (مودةُ بينِكم) بالرفع والإضافة، وقرأ حمزة وعاصم في رواية حفص: ﴿مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ﴾ نصباً غير منون مضافاً، وقرأ الشموني والبرجمي عن أبي بكر: (مودةٌ) مرفوعاً منوناً (بينكم) نصباً، وقرأ الباقون: (مودةً بينكم) منوناً منصوباً. فمن ترك التنوين...».

ومَن نصَب ﴿مودة﴾ فلوقوع الاتخاذ عليها وعلى الأوثان؛ لأنه فعلٌ يطلب اثنين[(١)]، يقول: اتخذْتُموها لتتوادُّوا[(٢)] عليها وهي في الدنيا.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ﴾: أي: يتبرأُ ﴿وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ كما قال: ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا﴾ [الأعراف: ٣٨].

﴿وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ﴾: يومئذ[(٣)] ﴿وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾ حينئذ.

* * *

(٢٦) - ﴿ ۞ فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ﴾: أي: صدَّقه لوطٌ بعد هذا التنبيه وإقامةِ الحجج من بين القوم الكثير.

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي﴾: قيل: هو قول لوط.

وقيل: هو قول إبراهيم.

وفي رواية[(٤)]: أنهما هاجرا معاً من أرض السواد إلى الشام.

ومعناه: إني تاركٌ وطني وبلدي ومفارقٌ مَن خالفني مَن أهلي متقرِّباً[(٥)] بذلك إلى ربي.

وقيل: لمَّا صدَّقه لوط من بين قومه لم يتهيَّأ له المقام بينهم، فقال: إني مهاجر إلى حيث أمرني ربي من المواضع التي أمرنا فيها.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ﴾: أي: المنيع الذي مَن لجأ إليه مَنَعه من أعدائه.

---

(١) في (أ): «اسمين»، وفي (ف): «أيتهن».

(٢) في (ر): «لتودوا»، وفي (ف): «لتوادوا».

(٣) «يومئذ» من (أ).

(٤) في (أ): «والرواية» بدل: «وفي رواية». وستأتي الرواية بذلك.

(٥) في (أ): «تقرباً».

﴿ٱلْحَكِيمُ﴾: الذي يمتحن أولياءه بأعدائه، ثم يجعل العاقبةَ المحمودة لأوليائه.

وقال محمد بن إسحاق: خرج إبراهيم ولوط عليهما السلام مهاجرَين ـ وقد تزوَّج إبراهيمُ سارةَ بنتَ عمه ـ فراراً بدينهم والتماساً للتمكُّن من عبادة ربهم، حتى نزلوا حرَّان، فمكثوا بها مدة ثم خرجوا إلى مصر ثم إلى الشام، فنزل إبراهيم فلسطين من قرى الشام، ونزل لوطٌ المؤتفكةَ على مسيرة يومٍ وليلة، فبعثه الله نبيًّا إليهم[1].

***

(٢٧) ـ ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ﴾: أي: في أعقابه ونسله؛ لأن موسى وداود عليهما السلام وغيرَهما من أنبياء[2] بني إسرائيل كلُّهم من ذرية يعقوب، ومحمدٌ ﷺ من ولد إسماعيل، وهو ابن إبراهيم، ولهم النبوةُ والكتابُ، ووحَّد الكتاب لأنه مصدرٌ كالنبوة فصلح للجمع.

وقوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ﴾: أي: ثوابَ قيامه بأداء الرسالة، وصبرِه على أذى القوم، ومهاجَرته إلى ربه فارًّا بدينه ﴿فِى ٱلدُّنْيَا﴾ من كثرةِ الأولاد وكونِ الأنبياء فيهم، وإلزامِ الناس اتِّباعَ ملَّته، وإبقاءِ ذكره على ألسنة الآخرين[3].

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾: قال الحسن: أي: لَمِن أهل الجنة، قال تعالى: ﴿وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٦] قيل: في جنَّتنا[4].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٣١٣).

(٢) في (ف): «من الأنبياء من».

(٣) في (ف): «على الألسنة».

(٤) «قيل في جنتنا» من (أ). ووقعت هذه العبارة في (ر) و(ف) قبل قوله: «قال الحسن».

(٢٨) ـ ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلُوطًا﴾: عطفٌ على قوله: ﴿وَنُوحًا﴾، وبيَّن صبرَه على أذى قومه: ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ﴾: أي: الفعلةَ القبيحةَ المتناهيةَ القُبح، وهي إتيان الذكور.

﴿إِنَّكُمْ﴾ ﴿أَيِنَّكُمْ﴾: قرأ ابن كثير، ونافعٌ غيرَ قالون، وسهلٌ، ويعقوبُ غيرَ زيد، بغيرِ استفهام في الأول وبالاستفهام في الثاني بغير مدٍّ، ﴿إِنَّكُمْ﴾ ﴿آئنكم﴾: قرأ أبو جعفر وقالون وزيد بالمد في الثانية، وقرأ أبو عمرو بالاستفهام مع المد في الموضعين، ﴿إِنَّكُمْ﴾ ﴿أَيِنَّكُمْ﴾: قرأ شامي ـ وهو ابن عامر ـ وحفصٌ عن عاصم بغير استفهام في الأول وبالاستفهام في الثاني، وهشام عن ابن عامر يدخل بين الهمزتين مدةً، وقرأ الباقون بالاستفهام في الحرفين[1]، وهو استفهام بمعنى التوبيخ والإنكار.

﴿مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: لم يفعلها أحد من الناس قبلكم.

* * *

(٢٩) ـ ﴿أَيِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾.

---

(١) من قوله: «﴿إِنَّكُمْ﴾ ﴿أَيِنَّكُمْ﴾: قرأ ابن كثير ونافع...» إلى هنا وقع بدلًا منه في (ر) و(ف): «وقرأ نافع وحفص: ﴿إِنَّكُمْ﴾ في الموضعين بغير استفهام، وقرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية أبي بكر بالاستفهام في الحرفين، وحفص عن عاصم في الأولى بغير استفهام وفي الثانية باستفهام». وانظر: «التيسير» (ص: ١٧٣)، و«البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة» لعبد الفتاح القاضي (ص: ٢٤٥)، وقد لخص القاضي ما فيهما من قراءات للعشرة فقال: (قرأ المدنيان والمكي والشامي وحفص ويعقوب بالإخبار في الأول والاستفهام في الثاني، والباقون بالاستفهام فيهما، فلا خلاف بينهم في الاستفهام في الثاني، وكل على أصله في التحقيق والتسهيل والإدخال). والمدنيان هما: نافع وأبو جعفر، والمكي: ابن كثير، والشامي: ابن عامر.

﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ﴾: أي: تُواقعونهم، وهو تفسير تلك الفاحشة.

﴿وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ﴾: قيل: أي: تقطعون طرق الناس وتأخذون أموالهم، وكانوا يفعلون كذلك.

وقيل: كانوا يفعلون[١] الفاحشة بمن مرَّ بهم من الغرباء، فكانوا لذلك لا يمرُّون بهم فينقطع الطريق لذلك.

وقيل: كانوا يَخْذفون المارَّة بالحصى، فكان الناس يمتنعون من المرور بهم.

وقال الفرَّاء: وتقطعون سبيل الولد لتعطيلكم النساء[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَرَ﴾: قال السدي: كانوا يَخْذِفون بالحصى مَن مرَّ بهم[٣].

وقال مجاهد: كانوا يأتون الذُّكران مجاهرةً[٤].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: هو الضُّراط[٥].

وقيل: هو كلُّ فعلٍ قبيح يجاهِر به[٦] أهلُ المجون والذين لا حياءَ لهم.

---

(١) في (أ) و(ف): «يأتون».

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣١٦).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٣٩٠). وروي مرفوعاً، رواه الترمذي (٣١٩٠) وحسنه، والطبري في «تفسيره» (١٨/ ٣٨٩ ـ ٣٩٠)، والحاكم في «المستدرك» (٧٧٦١) وصححه، من حديث أم هانئ رضي الله عنها. وفي إسناده أبو صالح مولى أمِّ هانيء ـ واسمه باذام، ويقال: باذان ـ وهو ضعيف كما في «التقريب».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٣٩١).

(٥) لم أجده عن ابن عباس، ورواه البخاري في «التاريخ الكبير» (٦/ ١٩٦)، والطبري في «تفسيره» (١٨/ ٣٨٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٣٠٥٤)، من قول عائشة رضي الله عنها. ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٣٠٥٤ ـ ٣٠٥٥) من قول القاسم بن محمد.

(٦) في (ف): «مجاهر به»، وفي (ر): «مجاهرة به فعل».

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال[١]: هو الخذفُ بالحصى، والرميُ بالبندق، وفرقعةُ الأصابع، ومضغُ العِلك، وحلُّ الأزرار والإزار[٢]، وفحشُ المزاح[٣].

وقوله تعالى: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾: وهو غايةُ وقاحتهم وعنادهم.

* * *

(٣٠ ـ ٣١) ـ ﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِي عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ ۝٣٠ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوٓاْ إِنَّا مُهْلِكُوٓاْ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُواْ ظَٰلِمِينَ﴾.

﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِي عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾: سأل الله أن يمنع أذاهم عنه، وأن يُنزل العذاب عليهم، فاستجاب الله ذلك له بما ذكر بعده.

وقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ﴾: أي: الملائكة المرسلون جبريلُ وجماعة من الملائكة ﴿إِبْرَٰهِيمَ﴾ عليه السلام ﴿بِٱلْبُشْرَىٰ﴾ بإسحاق، ويعقوبَ بعده منه؛ أي: من إسحاق[٤].

﴿قَالُوٓاْ إِنَّا مُهْلِكُوٓاْ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ﴾: وهي قرية قوم لوط؛ أي: نهلكُهم، فقد أمرَنا الله بذلك.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَهْلَهَا كَانُواْ ظَٰلِمِينَ﴾: أي: هم متقادمو الكفر والمعاصي.

* * *

---

(١) في (ر) و(ف): «وقال ابن عباس رضي الله عنهما».

(٢) «والإزار» من (أ).

(٣) ذكره الزمخشري في «الكشاف» (٣/ ٤٥٠).

(٤) «منه أي من إسحاق» من (أ).

(٣٢) ـ ﴿قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا ۚ قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا ۖ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾.

﴿قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا ۚ﴾: أي: قال إبراهيم أتهلكونهم وفيها لوط.

﴿قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا ۖ﴾: أي: ليس يخفَى علينا ذلك أن فيها لوطاً ومؤمنين معه، أعلمنا الله تعالى بذلك، فلَنا العلم به حقيقةٌ وغيرُنا من البشر مَن علمهم كذلك فإنما ينبني على الظاهر دون الحقيقة فنحن أعلم منه.

﴿لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ﴾ أي: لنأمرنَّ لوطاً أن يخرج مع مَن معه من المؤمنين من القرية بأمر الله إيانا بذلك، فيخرج فينجو بذلك مما يحلُّ بقومه[1].

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾: أي: الباقين في الهلاك.

وقال أبو عبيدة: يعني: من الذين طالت أعمارهم فبقيت بعد موت الأتراب ثم أهلكت[2].

* * *

(٣٣) ـ ﴿وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ ۖ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا﴾: أي: لمَّا جاء هؤلاء الملائكة لوطاً ﴿سِيٓءَ بِهِمْ﴾: ساءه مجيئهم؛ أي: أحزنه.

﴿وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾: قال في «ديوان الأدب»: الذَّرْع قَدْرُ الرجل الذي يبلغُه[3].

---

(١) في هامش (ف): «بالقرية. نسخة».

(٢) انظر: «مجاز القرآن» (١/ ٢١٨) و(٢/ ١١٥).

(٣) انظر: «معجم ديوان الأدب» للفارابي (١/ ١١٦).

وقوله: ﴿وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾؛ أي: ضاق قلبُه ولم يحتمل ذلك وُسْعُه، وذلك لأنه لم يعلم أنهم ملائكةٌ فظنَّ أنهم غرباءُ ضافُوه، وخاف عليهم من قومه ما كان[1] يكون منهم بالغرباء من الفاحشة.

وقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ﴾: أي: لا تخَفْ علينا من وصولهم إلينا، ولا تحزنْ ولا تهتمَّ من ظهور حالٍ يحزنُك بسببنا من الفضيحة، وأَظهَروا أنهم ملائكة أُرسلوا لإنجائه وإهلاك قومه ـ كما ذكر في سورة أخرى ـ:

﴿إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ﴾: أي: إنا ننجِّيك وننجِّي أهلك، ونصَبه بهذا التقدير ولم يخفض عطفاً على الكاف المخفوضة بالإضافة؛ لأن المكنيَّ المخفوض لا يَحسُنُ العطف عليه إلا بإعادة الخافض، على ما مر في قوله تعالى: ﴿تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾ [النساء: ١][2].

﴿إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾: أي: الباقين في الهلاك.

* * *

(٣٤ ـ ٣٥) ـ ﴿إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (٣٤) وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾.

﴿إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ﴾: أي: عذاباً، وهو إمطار الحجارة.

﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾: أي: بفسقهم المتقادِم.

---

(١) «كان» من (أ).

(٢) وهذا الشرط الذي هو إعادة الخافض عند العطف مردود بقراءة حمزة: (والأرحامِ) بالكسر، وللعلماء في هذا كلام طويل، وردود على مَن قال بالشرط المذكور، وينظر في ذلك ما قاله أبو حيان والآلوسي عند تفسير الآية المذكورة في سورة النساء.

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَد تَّرَكۡنَا مِنۡهَآ ءَايَةَۢ بَيِّنَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾: قال قتادة: هي الحجارةُ التي أُمطرت عليهم[1]، ما من أحدٍ مرَّ منهم[2] من المدينة إلى الشام إلا رآها في قرية سدوم.

وقيل: هو عفو آثارهم مع ظهور هلاكهم، يقول: ولقد ألقينا في قرية قومِ لوط علامةً واضحة على قدرتنا وعلى انتقامنا من أعدائنا لأوليائنا ﴿لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾ الآيات فيتدبرونها.

وقال الحسن: إن ملكاً موكَّلاً بالأرض، فإذا أراد الله أن يخسف بأرض ناداه جبريل باسمه، فيقول: لبيك، فيقول جبريل: أَرْخِ أرض كذا وكذا، فإذا هو لا يمسكها بشيء فيُخسَف بها، فلما أراد الله أن يخسف بقوم لوط ناداه جبريل: أن ارفعها إليَّ، فرفعها إليه حتى جعلها على جناحي جبريل، حتى سمع أهل السماء صياحَ الدجاج ونباح الكلاب ثم قلبها، ثم نادى ملَكَ المطر: عليَّ بالسحاب، فجاء بالسحاب فيها الحجارةُ، فأمطرها على مَن كان خارجاً من القرية وعلى مَن كان في القرية، ثم قال: كذلك قال رسولُ الله عليه السلام[3].

* * *

(٣٦) ـ ﴿وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗا فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱرۡجُواْ ٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ﴾.

---

(١) رواه عبد الرزاق «تفسيره» (٢٢٥٧)، والطبري في «تفسيره» (١٨/ ٣٩٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٣٠٥٨).

(٢) «مر منهم» من (ر).

(٣) من قوله: «وقال الحسن...» إلى هنا من (أ). ولم أجده عن الحسن، وانظر ما تقدم عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِم مَّطَرٗاۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ [الأعراف: ٨٤].

وقوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾: عطف على قوله: ﴿نُوحًا﴾.

﴿فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ﴾: أي: وحِّدوا الله وأطيعوه.

﴿وَٱرْجُواْ ٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ﴾: قال الحسن: أي: صدِّقوا به، ومعناه: أنهم كانوا لا يصدِّقون به فلا يرجون كونَه، فكأنه قال: وارجوا كونَه.

وقيل: معناه: فاعملوا الصالحات راجين ثوابه في الآخرة.

وقيل: أي: خافوا عذاب الله يوم القيامة على المعاصي فلا تعصُوه، والرجاء يقع على الأمل والخوف جميعاً على ما مر[1].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾: أي: ولا تبالغوا في الإفساد في الأرض بالكفر والمعاصي؛ من نقص الكيل والوزن[2] وغير ذلك.

* * *

(٣٧) ـ ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ﴾: أي: الزلزلة التي أصابتهم يوم الظلَّة، رجَفَتْ[3] بهم الأرض مع أخذِ الحر فهلكوا.

وقوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحُواْ فِى دَارِهِمْ﴾: أي: بلدهم ﴿جَٰثِمِينَ﴾: ميتين لاصقينَ بالأرض. وقال أبو عبيدة وقتادة: ساقطين بعضهم على بعض[4].

وقيل: جاثمين على الركب.

---

(١) عند تفسير قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ﴾.

(٢) في (ف): «الكيل والميزان»، وفي (ر): «كيل أو وزن».

(٣) في (ر): «وجفت».

(٤) انظر: «مجاز القرآن» (١/ ٢١٨) و(٢/ ١١٦). وروى عبد الرزاق في «تفسيره» (١٢٠٦)، والطبري في «تفسيره» (١٨/ ٣٩٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٣٠٦٠)، عن قتادة قوله: (ميتين).

(٨) ـ ﴿وَعَادًا وَثَمُودَاْ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمۡۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُواْ مُسۡتَبۡصِرِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَعَادًا وَثَمُودَاْ﴾: قيل: عطف على الهاء والميم في قوله: ﴿فَأَخَذَتۡهُمُ﴾.

وقيل: أضمر قوله: وأهلكنا.

وقيل: أي: واذكر عاداً وثمودَ.

وقال الكسائي: يرجع هذا إلى أول السورة: ﴿وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾ وفتنَّا عاداً وثمود.

وقوله تعالى: ﴿وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمۡ﴾: كيف خرَّبها الله تعالى وأخلاها عن أهلها؛ كما قال: ﴿وَإِنَّكُمۡ لَتَمُرُّونَ عَلَيۡهِم مُّصۡبِحِينَ﴾ [الصافات: ١٣٧].

﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾: الكفرَ والمعاصيَ بالوسوسة.

﴿فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾: أي: صرفهم بالدعوة عن الطريق المستقيم، وهو الدِّين الحق.

﴿وَكَانُواْ مُسۡتَبۡصِرِينَ﴾: قال قتادة: أي: صاروا ذوي بصائرَ في دينهم عند أنفسهم لعُجْبهم بضلالتهم(١).

وقال مجاهد: وكانوا ذوي بصائر يمكنهم تمييز الحق من الباطل، ولكنهم أغفلوا ولم يستعملوا بصائرهم(٢).

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٢٤٨)، والطبري في «تفسيره» (١٨/ ٣٩٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٣٠٦٠)، عن قتادة بلفظ: (﴿وَكَانُواْ مُسۡتَبۡصِرِينَ﴾ في ضلالتهم معجبين بها). وروى الطبري وابن أبي حاتم عن ابن عباس قوله: (كانوا مستبصرين في دينهم).

(٢) ذكره بنحوه دون نسبة الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (٨/ ٢٢٧)، والنحاس في «إعراب =

(٣٩) - ﴿وَقَـٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُوا۟ سَـٰبِقِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَقَـٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ﴾: عطف على قوله: ﴿وَعَادًا وَثَمُودَا۟﴾.

وقيل: فصدَّهم وصدَّ قارونَ وكذا.

قوله تعالى[1]: ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بالترؤُّس على أهلها واستعبادِ ضعفائها.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانُوا۟ سَـٰبِقِينَ﴾: أي: فائتين أَخْذَنا.

* * *

(٤٠) - ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَـٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ﴾: أي: فأخَذْنا كلًّا مِن هؤلاء بكفره ومعصيته.

﴿فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا﴾: حجارةً كقوم لوط.

﴿وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ﴾: كقوم صالح.

﴿وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ﴾: كقارون.

﴿وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا﴾: بالطوفان كقوم نوحٍ، وبالبحر كفرعون وقومه.

= القرآن» (٣/ ١٧٤)، أما مجاهد فروى الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٣٩٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٣٠٦٠)، عنه قوله: (﴿وَكَانُوا۟ مُسْتَبْصِرِينَ﴾ في الضلالة). وهو شبيه بما رويناه عن قتادة.

(١) «وكذا قوله تعالى» ليس في (ف).

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾: أي: ليعاقبَهم من غيرِ ذنبٍ ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بالمعاصي المنزلةِ بهم الهلاك.

* * *

(٤١) ـ ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا﴾: أي: مَثَلُ مَن أشركَ بالله الأوثانَ وتولَّاها في ضَعْف احتيالهم وسوءِ اختيارهم كمثَل العنكبوت حيث ابتنَتْ لنفسها(١) بيتاً، وإن ذلك البيت لا يكنُّ من حرٍّ ولا بردٍ، ولا يَقي ما تقي البيوتُ، فكذلك أوثانُ هؤلاء لا تنفعُهم ولا تغني عنهم في الدارين.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾: أي: واعتمادُهم على الأوثان أضعفُ شيء لو كانوا يرجعون إلى علمٍ.

والعنكبوت مؤنَّثةٌ في الآية، وقد ذكرها بعض الشعراء فقال:

على هَطَّالهم منهم بيوتٌ كأنَّ العنكبوتَ هو ابْتَناها(٢)

* * *

(٤٢ ـ ٤٣) ـ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ﴾: قرأ أبو عمرو

---

(١) في (ر): «حين أثبتت لها».

(٢) البيت في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣١٧)، و«الصحاح» (مادة: هطل)، وفيه: الهطَّال اسم جبل.

وعاصم في رواية[١] بياء المغايبة، والباقون بتاء الخطاب[٢]؛ أي: إن الله يعلم ما يعبدون من دونه من صنمٍ أو ملَكٍ أو جنٍّ أو شيطان.

﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾: المنيع الذي لا شريك له ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾: في ترك المعاجلة بالعقوبة.

وقوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ﴾: أي: هذا المثلُ وسائر الأمثال نبيِّنها للناس ونذكِّر[٣].

﴿وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾: أي: وما يفهمها ويعرف حقائقها إلا أولو العلم الذين يضعون الأشياء مواضعها، فأما مَن ألِفَ الجهل وترَك التدبُّر فما يَنتفِع بها انتفاعَ مَن يَعقِل.

فإن قيل: لِمَ لمْ يقل وما يعلمها إلا العاقلون، والعقل يسبق العلم؟

قلنا: لأن العقل آلةٌ يُستدرك بها معاني الأشياء بالتأمُّل فيها، ولا يمكن التأمُّل فيها والوصول إليها بطريقها إلا بالعلم، ودلَّت الآية على فضل العلم على العقل، ولا عالم منَّا إلا وهو عاقل وأما العاقل فقد يكون غير عالم.

* * *

(٤٤ ـ ٤٥) ـ ﴿خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾.

وقوله: ﴿خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾: أي: لم يخلقها باطلاً ولا جُزافاً، بل بحكمةٍ بالغةٍ وهو الامتحان، ثم ذلك يقتضي داراً أخرى للحساب والجزاء على الأعمال.

---

(١) في (أ): «قرأ أهل البصرة وعاصم غير الأعشى يدعون».

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٥٠١)، و«التيسير» (ص: ١٧٤)، عن أبي عمرو وعاصم.

(٣) في (ر) و(ف): «تنبيهاً للناس وتذكيراً».

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً﴾: أي: لدلالةً على قدرة الله تعالى وربوبيَّته وحكمته.

﴿لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾: والدلالةُ للكل، لكن انتفَع بها المؤمنون فأُضيفت إليهم.

وقيل: ﴿لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾؛ أي: لحجةً للمؤمنين على الكافرين في التوحيد والإسلام.

وقوله تعالى: ﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ﴾: تقرُّباً إلى الله تعالى بقراءةِ كلامه، ولِتَقِفَ على ما أمر الله تعالى به ونهى عنه فيه[1]، وعلى ما يعامَلُ به الكفار.

وقيل: أي: اتلُ على الكفار وأنذرهم به وادعُهم إليه.

وقوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ﴾: أي: إذا فرغْتَ من إنذارهم به.

وقيل: دُمْ على تلاوة الكتاب وإقامةِ الصلوات.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ﴾: أي: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ﴾ تشتمِل على قراءة القرآن، وفيه الوعظُ والوعيد والوعد، وذلك مانعٌ[2] ﴿عَنِ الْفَحْشَاءِ﴾؛ أي: الفعلةِ القبيحة ﴿وَالْمُنكَرِ﴾؛ أي: ما يُنكره العقل والشرع.

والنهيُ يكون بالقول، ولكن هذا مجازٌ عن المنع، ولأن الصلاة تشغلُ المصلي عن ذلك كلِّه، فإن المصليَ يناجي ربه فإذا أراد أن يعطيَ الصلاة حقَّها وجب عليه أن يُقبلَ عليه بقلبه ويُشعرَ قلبه الخشيةَ لله والمراقبةَ له، وذلك يمنعه عن المعاصي بعدها.

قال أبو هريرة رضي الله عنه: قيل للنبي ﷺ: إن فلاناً يصلي الليلَ كلَّه فإذا أصبح سرق، قال: «سينهاه ما تقول»[3].

---

(١) «فيه» من (أ).

(٢) في (أ): «يمنعه»، وفي (ف): «لمنعه».

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٩٧٧٨)، والبزار (٧٢٠ ـ كشف)، وابن حبان في «صحيحه» (٢٥٦٠). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢/ ٢٥٨): رواه أحمد والبزار، ورجاله رجال الصحيح.

وقال أبو عون[١]: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ﴾ قال: إذا كنتَ في صلاةٍ فأنت في معروفٍ وطاعةٍ وقد حجزَتْك عن الفحشاء والمنكر[٢].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: إقامةُ الصلاة: إتمام وضوئها وقيامها وركوعها وسجودها وقراءتها، ومراعاةُ السُّنن فيها[٣]، فمَن كان هكذا مواظباً على هذا يرجو ثوابَها نهتْه ﴿عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ﴾: الزنا والقبيح من الأعمال ﴿و﴾عن ﴿المنكرِ﴾: البغي والظلم.

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: قال النبي ﷺ: «لا صلاة لمن لم يُطِع الصلاة، ومَن انتهى عن الفحشاء والمنكر فقد أطاع الصلاة»[٤].

قال أبو هريرة رضي الله عنه: أيما[٥] صلاة لا تنهى صاحبها عن الفحشاء والمنكر لم تزده من الله إلا بعداً[٦].

---

(١) في (أ): «ابن عوف»، وفي (ر) و(ف): «ابن عون». والصواب المثبت. وهو أبو عون الأنصاري الشامي الأعور، واسمه عبد الله بن أبي عبد الله. من رجال «التهذيب».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٤١٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٣٠٦٦).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٢٤٨).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٤٠٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٣٠٦٦). وفي إسناده جويبر بن سعيد وهو متروك.

(٥) في (أ): «قال النبي عليه السلام أيما».

(٦) لم أجده عن أبي هريرة رضي الله عنه، ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٢٥٣)، والطبري في «تفسيره» (١٨/ ٤٠٩)، وابن الأعرابي في «معجمه» (١٩٥٤) من طريق الحسن عن النبي ﷺ مرسلاً.

ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٣٠٦٦)، والطبراني في «الكبير» (١١٠٢٥)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً. وفي إسناده ليث بن أبي سليم وهو ضعيف.

ورواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٤٠٩)، والطبراني في «الكبير» (٨٥٤٣)، عن ابن مسعود رضي الله عنه موقوفاً. =

وقال بعض أهل المعرفة: معناه: إن الصلاة الخالصة لله تنهَى عن الرياء والعُجب.

وقوله تعالى: ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾: قيل: ولذكرُ الله جلَّ جلالُه بتلاوةِ القرآن والأذكار في الصلاة أكبرُ من كلِّ شيء.

وقيل: ولذكر الله في الصلاة بالقرآن أفضلُ من ذكره بغيره.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: هو قوله: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ﴾ ولذكر الله إياكم أكبر من ذكركم إياه[1].

وقال عبد الله بن ربيعة: قال لي ابن عباس: أرأيتَ قول الله: ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ فقلت: ذكر الله بالقرآن وبالصلاة وبالتسبيح وبالتكبير حسنٌ، وأفضل من ذلك كلِّه إذا ذكر الرجل ربه عند المعصية فانحجز عنها، قال: لقد قلتَ قولاً عجباً، وما هو كما قلتَ، ولكن ذكرُ الله إياكم أكبر من ذكركم إياه[2].

وقيل: يتصل هذا بقوله: ﴿تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾؛ أي: ولذكر الله بقلبه عند الهم بالفحشاء والمنكر، والكفُّ عن ذلك أكبرُ من كل عمل.

وقيل: ولذكر الله في الصلاة أكبر من أفعالها.

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾: أي: ما تعملون من الصلاة وغير ذلك،

= قال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (١/ ١٠٤): (أخرجه علي بن معبد في كتاب «الطَّاعة والمعصية» من حديث الحسن مرسلاً بإسناد صحيح، ورواه الطبراني وأسنده ابن مردويه في تفسيره من حديث ابن عَبَّاس بإسناد لين، والطَّبرانيّ من قول ابن مسعود: من لم تأمره صلاته بالمعروف وتَنْهَه عن المُنكر لم يَزْدَدْ من الله إِلَّا بعدا. وإسناده صحيح).

(١) انظر التعليق الآتي.

(٢) رواه بنحوه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٢٥٦)، والطبري في «تفسيره» (١٨/ ٤١١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٣٠٦٧).

والتعظيم فيها وترك التعظيم، وهو حثٌّ على الطاعات والإخلاصِ فيها ونهيٌ عن المعاصي والرياء في الصلاة[١].

***

(٤٦) ـ ﴿ ۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾: أمره بمحاجَّة المشركين بما مرَّ، وبمجادلة أهل الكتاب بالأحسن[٢]، فقال: ولا تخاصموا أهل الكتاب في الدِّين إلا بالجهة التي هي أحسنُ من غيرها، وهو الدعاء إلى الله تعالى بآياته والتنبيهِ على حججه، على سبيل النصح والرفق وتصويرِ الحق بأحسن الصور على وجهٍ يُرجى به ميلُهم إلى الإسلام.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: نزلت الآية في وفد نجران: السيدِ والعاقب وذريتِهم[٣]، وقد ذكرنا ذلك في سورة آل عمران[٤].

قوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ﴾: أي: الذين أصرُّوا على كفرهم وامتنعوا من إعطاء الجزية، فجادلوهم بالسيف ـ وهو الجدالُ بغيرِ الأحسن ـ حتى يُسْلموا أو يعطوا الجزية.

وقيل[٥]: يحتاج هؤلاء إلى المغالطة والتشديد، فيكون جدالاً بغير الأحسن.

---

(١) في (أ): «الطاعات».

(٢) في (ر): «أمره بمحاجَّة المشركين لما مرَّ، ونهاه عن مجادلة أهل الكتاب إلا بالأحسن».

(٣) في (أ): «وذويهم».

(٤) عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾.

(٥) في (أ): «وقد».

وقوله تعالى: ﴿وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا﴾: وهو القرآن ﴿وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ﴾: وهو التوراة والإنجيل، وهو بيان مجادلةِ الأحسن؛ أي: قولوا لهم: كتابكم حكَمٌ بيننا وبينكم ككتابنا حكَمٌ علينا، وقد آمنا بالكتابين.

وقوله: ﴿وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾: منقادون، فقد اتَّفقنا على الله[١] الذي يستحق أن يُعبد ويطاع، وعلى الكتاب الذي أُنزل إليكم، فقد رضينا بحكمه كرضانا بحكم كتابنا، فلم يبق إلا الرجوع إلى قصة[٢] الكتاب، فهلموا نرجعْ إليه فيما اختلفنا من نبوة نبينا محمدٍ ﷺ، وهو موصوف في كتابكم بصفاتٍ لا توجد إلا في محمد عليه السلام، فما بقي بعد هذا إلا العِنادُ، والمجادلةُ على هذا الوجه مجادلةٌ بالأحسن.

وقيل: معناه: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ إلا بالجميل ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ﴾: إلا مَن ظلم رجلاً بحق له قِبَله فأنه يؤخَذُ بذلك الحق ولو بالإغلاظ[٣] له في القول.

وقيل: معناه ما روي في الخبر عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا حدَّثكم أهل الكتاب عن كتابهم فلا تصدِّقوهم ولا تكذِّبوهم، وقولوا: ﴿ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ﴾»[٤].

(٤٧) ـ ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۖ وَمِنۡ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤۡمِنُ بِهِۦۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾.

---

(١) بعدها في (ف): «هو».

(٢) في (ف): «قضية».

(٣) في (أ): «ولو بإغلاظ».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٤٢٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٣٠٧٠)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، ورواه البخاري (٤٤٨٥)، لكن فيه: وقولوا: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا﴾ الآية [البقرة: ١٣٦].

وقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ﴾: أي: وكما أنزلنا الكتب على الأنبياء المتقدمين فكذلك أنزلنا إليك القرآن وأمرناك أن تحاجَّهم به.

﴿فَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾: أي: والذين آتيناهم الكتاب من قبلك من بني إسرائيل يؤمنون بهذا الكتاب؛ لإيمانهم بالأنبياء الذين بشَّروهم بك وبأمَّتك والكتابِ المنزلِ عليك.

﴿وَمِنْ هَـٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤْمِنُ بِهِۦ﴾: أي: ومن أهل عصرك مِن بني إسرائيل مَن يؤمن به؛ كعبد الله بن سلَام وأصحابه.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَـٰتِنَآ﴾: أي: القرآنِ ﴿إِلَّا ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ بالله وكتبه، فلا يَضيقنَّ صدرُك بكفر هؤلاء، فقد آمَن بك وبكتابك أولئك.

* * *

(٤٨) - ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَـٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾.

قوله: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَـٰبٍ﴾: يدل على صحة كتابه ويقول: وما كنتَ تقرأ مِن قبل هذا الكتاب المنزل عليك كتاباً من الكتب المتقدمة فتكونَ قد وقفتَ بذلك على قصص الأولين.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ﴾: أي: وكنتَ لا تكتب كتاباً بيمينك(١) فتكونَ قد وجدتَ كتاباً من الكتب المتقدِّمة فنظرتَ فيه وحفظتَ القصص منه، بل كنتَ أميًّا في بلاد الأميين لا تقرأ ولا تكتب.

وقوله تعالى: ﴿إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾: أي: ولو كنتَ تتلو كتاباً أو تخطُّه لشكُّوا إذاً، وإذ لم يكن كذلك فلا وجهَ للارتياب في أنَّ ما تتلوه عليهم هو وحيٌ من السماء.

والمبطِلون: الكفار، وقيل: أهل الكتاب.

(١) «أي: وكنت لا تكتب كتاباً بيمينك» ليس في (أ).

وقيل: معناه: لو كنتَ تقرأ الكتب لقالوا: أخذ القصص منها، ولو كنت تخطُّه بيمينك لقالوا: نظَمْتَه وألَّفْتَه من عندك.

وقيل[١]: منعُ الخط والقراءة كان معجزةً له، وهما من الفضل لغيره، وقد أكرمه الله بذلك في آخر عمره، وروى مجالد عن[٢] عون بن عبد الله [عن أبيه] أنه قال: ما مات رسول الله ﷺ حتى كتب وقرأ[٣].

* * *

(٤٩) - ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾: أي: القرآن، و﴿بَلْ﴾

---

(١) في (أ): «وقالوا».

(٢) في (أ) و(ف): «مجاهد عن»، وليست في (ر)، والصواب المثبت، ومجالد هو ابن سعيد، وقال عنه الحافظ في «التقريب»: ليس بالقوي.

(٣) رواه البيهقي في «السنن الكبرى» (٧/ ٤٢)، وما بين معكوفتين منه. قال البيهقي: (هذا حديث منقطع، وفي رواته جماعة من الضعفاء والمجهولين).

قلت: وقد نقل عن بعض العلماء القول بذلك، قال الآلوسي في «روح المعاني» (٢٠/ ٣٧٧): وممن ذهب إلى ذلك أبو ذر عبد بن أحمد الهروي، وأبو الفتح النيسابوري، وأبو الوليد الباجي من المغاربة، وحكاه عن السمناني، وصنف فيه كتاباً، وسبقه إليه ابن منية، ولما قال أبو الوليد ذلك طعن فيه ورمي بالزندقة وسُب على المنابر، ثم عقد له مجلس فأقام الحجة على مدعاه وكتب به إلى علماء الأطراف فأجابوا بما يوافقه، ومعرفة الكتابة بعد أميته ﷺ لا ينافي المعجزة، بل هي معجزة أخرى لكونها من غير تعليم، وردّ بعض الأجلة كتاب الباجي لما في الحديث الصحيح: «إنا أمةٌ أميةٌ لا نكتب ولا نحسب»، وقال: كل ما ورد في الحديث من قوله: كتب، فمعناه أمر بالكتابة كما يقال: كتب السلطان بكذا لفلان...) إلى آخر ما قال، وقد استوفى رحمه الله الكلام في هذه المسألة، واستوفينا في تحقيقنا له تخريج أحاديثه ومسائله وترجمة من ذكر من الأئمة فيه.

لردِّ ما سبق، وتقديره: ليس هذا القرآن كما يقوله المبطلون إنه سحر وشعر وكهانة ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ﴾؛ أي: دلائلُ واضحات وحججٌ نيِّرات، يُعرَف بها دينُ الله وأحكامُه.

وقوله تعالى: ﴿فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾: أي: هي كذلك في قلوب أصحابك العلماء يحفظونها ويعتقدونها، فمَن وصَفَه بغير هذه الصفة[1] فهو من أهل الجهل، فلا تبالِ بقوله.

وقيل: ﴿بَلْ هُوَ﴾؛ أي: بل محمدٌ ﷺ ﴿ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ﴾؛ أي: رسولُ الله حقٌّ ظاهرُ الدليل، وجمع الآيات لوجوه:

أحدها: أنه عَلَمٌ[2] على أشياءَ كثيرة من أمور الدِّين[3]، فهو آيةٌ واحدة لذاته آياتٌ لمدلولاته، وهو كقوله: ﴿فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [آل عمران: ٩٧] على قولِ مَن جَعَل ﴿مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ﴾ تفسيراً لها وترجمةً عنها.

وقيل: كلُّ صفةٍ كانت آيةً، فكانت صفاتُه آياتٍ.

وقيل: كان[4] من أولِ ما نشأ[5] إلى آخر أمره آيات؛ لِمَا ذُكر من النور في وجه أبيه ما دام في صلبه، ثم في وجه أمه إذ وقع في رحمها، ثم من ضياء الليلة التي وُلد فيها، ثم مِن ظِلِّ السحاب الذي أظلَّه، وأمثالها، وهي كثيرةٌ.

﴿فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾؛ أي: أوتوا منافع العلم؛ فهم الذين يعتقدونه ويصدقونه.

---

(١) في (ر) و(ف): «بغير هذا الوصف».

(٢) في (ف): «أعلم».

(٣) في (ر) و(ف): «الدنيا».

(٤) في (أ): «فكان»، وفي (ف): «وقال». بدل: «وقيل كان».

(٥) في (أ): «فشا».

وقيل: الذين أوتوا العلم: أهلُ الكتاب، وجدوه في كتبهم وعلِموه.

﴿وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾: بمحمدٍ ﴿إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ أنفسَهم، وقيل: الواضعون التكذيبَ في غير موضعه.

* * *

(٥٠ ـ ٥١) ـ ﴿وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ قُلْ إِنَّمَا ٱلْأَيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٥٠ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾: كآيات الأنبياء موسى وعيسى وغيرِهما؛ كفَلق[1] البحر، وإحياءِ الموتى، وإخراجِ الناقة من الصخرة.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا ٱلْأَيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ﴾: أي: هو يأتي بها على ما يعلمه صلاحاً لكلِّ نبيٍّ ولكلِّ قومٍ، لا أملك أنا شيئاً منها.

﴿وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾: مخوِّف بالقرآن أن يأتيكم عذابٌ إذا أصرَرْتُم على شركِكم وعنادكم.

وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ﴾: استفهامٌ بمعنى الإثبات؛ أي: لقد كفاهم ﴿أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ وهو معجزة[2] فهو آيةٌ كافية.

﴿يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾: بلسانهم، ولقد تحدَّاهم[3] أن يأتوا بسورةٍ مثلِه فعجزوا.

وقرأ ابن كثير، وعاصمٌ في رواية أبي بكرٍ، وحمزةُ والكسائي[4]: ﴿آيةٌ من ربه﴾،

---

(١) في (أ): «من فلق».

(٢) في (أ): «معجز».

(٣) في (ر) و(ف): «تحديتهم».

(٤) في (أ): «وحماد وحمزة والكسائي غير قتيبة وخلف لنفسه» بدل: «وحمزة والكسائي».

وقرأ الباقون: ﴿ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾[(١)] لأنهم كانوا يقترحون آيات كما قال: ﴿وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا﴾ [الإسراء: ٩٠] الآيات، ومَن وحَّد فهو للجنس فيؤدِّي معنى الجمع، وهو كقوله: ﴿فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ﴾ [الأنبياء: ٥].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾: أي: إن في ذلك الكتاب المنزل عليك لرحمةً وموعظةً لمن همَّتُه الإيمانُ بما قامت دلالتُه.

وقيل: هو متصلٌ بقوله: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ﴾ على تأويلِ مَن قال: لا تصدِّقوهم ولا تكذِّبوهم بما يُخبرون به من كتابهم، ثم[(٢)] قال: أولم يكفهم ما في القرآن[(٣)].

ورُوي أن بعض الصحابة رضوان الله عليهم كان في يده رقٌّ فيه شيءٌ مكتوبٌ[(٤)] من كتبهم، فقال النبي ﷺ: «ما هذا؟» قال: كتبتُه من كتبهم[(٥)] لأزدادَ علماً على علمي، فتغيَّر وجهُ رسول الله ﷺ وقال: «أمتهوِّكون أنتم كما تهوَّكتِ اليهود والنصارى؟! كفى بقومٍ حُمقاً وضلالاً أن يرغبوا عما أتاهم به نبيهم إلى غيره» فأنزل الله هذه الآية[(٦)].

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٥٠١)، و«التيسير» (ص: ١٧٤).

(٢) «ثم» من (أ).

(٣) في (ر) و(ف): «ما في الأرض من القرآن».

(٤) «مكتوب» ليست في (ر).

(٥) في (أ): «كتابهم».

(٦) رواه الدارمي في «سننه» (٤٧٨)، وأبو داود في «المراسيل» (٤٥٤)، والطبري في «تفسيره» (١٨/ ٤٢٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٣٠٧٢)، عن يحيى بن جعدة قال: جاء ناس من المسلمين بكتب قد كتبوها فيها بعض ما سَمِعُوه من اليهود، فقال رسول الله ﷺ: «كفى بقوم حمقاً..» الحديث، وهو مرسل، وليس فيه: «أمتهوِّكون أنتم كما تهوَّكتِ اليهود والنصارى؟!»، وهذه العبارة وردت في حديث آخر رواه أبو عبيد في «غريب الحديث» (٢/ ٣٢٣) (ط: الأميرية)، والإمام أحمد في «المسند» (١٥١٥٦)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٦٤٢١)، والبغوي في «شرح السنة» (١٢٦)، من حديث جابر رضي الله عنه، وإسناده ضعيف. ولفظه: «أمتهوّكون أنتم =

(٥٢) ـ ﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا ۖ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾.

﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا﴾: أي: شاهداً بصدقِ ما أدَّعيه[1] من الرسالة وإنزالِ القرآن عليَّ.

وقوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: لا يخفى عليه شيء مما فيهما، وهذا وعيد لهم بتعريضٍ.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ﴾: بالجبت والطاغوت ﴿وَكَفَرُوا بِاللَّهِ﴾؛ أي أشركوا به.

﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾: قيل: الهالكون، وقيل: المغبونون؛ حُرِموا الجنة واستحقُّوا الخلود في النار.

***

(٥٣) ـ ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ ۚ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُسَمًّى لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾: ولمَّا قال ﴿وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾؛ أي: بالعذاب، قالوا: متى هذا الوعد؟ وقال النضر بن الحارث: ﴿إِنْ كَانَ هَٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا﴾ الآية [الأنفال: ٣٢]، فنزل هذا: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾، ونزل: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ [المعارج: ١]، ونزل: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطَّنَا﴾ [ص: ١٦]، وقوله تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾ [الرعد: ٦].

= كما تهوّكت اليهود والنّصارى؟ لقد جئتكم بها بيضاء نقيةً، ولو كان موسى حيًّا ما وسعه إلّا اتّباعي».
وليس فيه ذكر نزول الآية.

(١) في (ر): «ادعيت».

قوله: ﴿وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَآءَهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾: أي: إن لكلِّ عذابٍ يُنزله الله بالعصاة أجلاً معلوماً عنده لا يقدِّمه قبله ولا يؤخِّره بعده.

وقوله تعالى: ﴿وَلَيَأْتِيَنَّهُم﴾: أي: العذاب ﴿بَغْتَةً﴾؛ أي: فجأة ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بوقتِ مجيئه.

(٥٤ ـ ٥٥) ـ ﴿يَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٤﴾ يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾: عجبٌ من جهلهم في استعجال العذاب وقد أعد الله لهم جهنم[1] وهي قد أحاطت بهم؛ أي: هم في المعنى كالمحصور فيها لا يجد مخرجاً.

وقيل: أي: ستحيط بهم في الآخرة لا محالةَ، فلا معنى لاستعجالهم في الدنيا.

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾: أي: مُحيطةٌ[2] بهم في[3] يومٍ يأتيهم ويغطِّيهم العذاب ﴿مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ ومن[4] كلِّ جهاتهم، وهو كقوله: ﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾ [الزمر: ١٦].

وقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: قرأ نافع وأهل الكوفة بالياء ردًّا على قوله: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ﴾ ﴿وَكَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ﴾؛ أي: تقول لهم الملائكة بأمر الله: هذا جزاء عملكم فذوقوه؛ أي: فقاسوه، وقرأ الباقون بالنون ردًّا على قوله: ﴿أَنَّآ أَنزَلْنَا﴾[5].

---

(١) قوله: «عجب من جهلهم...» إلى هنا من (أ). والمراد: (تعجيب من جهلهم) لأنه سبحانه منزه عن أن ينسب إليه العجب.

(٢) في (ر): «يحيط».

(٣) «في» من (أ).

(٤) في (أ): «من» بدل: «﴿مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ ومن».

(٥) في (ر) و(ف): «قرأ ابن كثير وابن عامر بالنون ردًّا على قوله: ﴿أَنَّآ أَنزَلْنَا﴾، وقرأ الباقون بالياء =

(٥٦ ـ ٥٧) ـ ﴿ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٞ فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ ۝٥٦ كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۖ ثُمَّ إِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٞ ﴾: أي: يا عبادي الذين آمنوا بي وبرسولي، وخالَفوا عشائرهم وقومهم، وخافوا الفتنة منهم وألَّا يصبروا على أذاهم.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٞ ﴾: أي: بلادي والمواضعَ التي[1] خلقتُها لمعاشِ خلقي كبيرةٌ لا تَضيق عنكم فهاجِروا إليها.

﴿فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ﴾ لا ما يدعوكم إليه المشركون، ولا يَشُقَّنَّ عليكم احتمالُ الغربة لأجلي، فإن حياة الدنيا منقضية، والبلايا منتهية، ومرجعُكم إليَّ، وذلك قوله تعالى: ﴿ كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۖ ثُمَّ إِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ﴾.

وقيل: ﴿إِنَّ أَرۡضِي ﴾؛ أي: أرضَ الجنة ﴿وَٰسِعَةٞ ﴾، ﴿فَٱعۡبُدُونِ﴾ حتى أُوتيكم ذلك.

* * *

(٥٨) ـ ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ غُرَفٗا تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ نِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم ﴾: قرأ حمزة والكسائي وخلف[2] ....

= ردًّا على قوله: ﴿ قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ ﴾؛ أي: تقول لهم الملائكة بأمر الله تعالى: هذا جزاؤكم فذوقوه؛ أي: فقاسُوه». والمثبت من (أ)، وأهل الكوفة هم عاصم وحمزة والكسائي، وانظر: «السبعة» (ص: ٥٠١)، و«التيسير» (ص: ١٧٤).

(١) في (ر) و(ف): «أي الأرض التي».

(٢) في (أ): «حمزة وخلف»، وفي (ف): «حمزة والكسائي» وفي (ر): «ابن كثير والكسائي»، والمثبت من المصادر.

بالثاء المعجمة فوقها بثلاثٍ من الثَّواء، وهو[١] الإقامةُ، والإثواءُ تعديتُه، وقرأ الباقون بالتاء من التَّبْوئة وهي الإنزال[٢].

﴿مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا﴾: وهي أعالي المنازل بها.

قوله: ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾: أي: من تحت أشجارها وقصورها المياه في الأنهار، وهي أنزه ما يكون.

وقوله تعالى: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾: لا يموتون فيها ولا يخرجون منها ﴿نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾.

(٥٩ ـ ٦٠) ـ ﴿ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾.

ثم وصفهم فقال: ﴿ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟﴾: أي: ثبتوا على الإيمان مع الفتنة، وتحمَّلوا أذى الكفار ومفارقة الديار.

وقوله تعالى: ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾: أي: يعتمدون في أرزاقهم وجهادِ أعدائهم وكفايةِ أمورهم على ربهم.

وقوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ﴾: أي: وكم من ذاتِ حياةٍ تدبُّ على وجه الأرض ليس معها رزقُها مدَّخراً يرزقها الله تعالى كما يرزقكم.

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾: الذي لا تخفى عليه الأصواتُ ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ الذي أحاط علمُه بالخَفِيَّات.

نزلت في الذين أُمروا بالهجرة من المستضعَفين، فقالوا: كيف نهاجر إلى المدينة

---

(١) في (أ): «وهي».

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٥٠٢)، و«التيسير» (ص: ١٧٤)، عن حمزة والكسائي، و«النشر» (٢/ ٣٤٤) عن خلف.

وليس لنا بها دار ولا عِقار، ولا أحد يؤوينا ويطعمنا ويسقينا؟ فنزلت هذه الآية.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: لا يخبئ القُوتَ إلا الإنسان والفأرة والنملة.

* * *

(٦١) ـ ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾: أي: ولئن سألتَ هؤلاء المشركين: مَن خالقُ السماوات والأرض على كبرهما وسَعَتِهما وكثرةِ عجائبهما، وما علَّق اللهُ تعالى بهما من قرارِ هذا العالم على كثرتهم، ومَن الذي صيَّر الشمس والقمر غيرَ ممتنعَين عما خلَقهما له من منافعِ العباد، وما علَّق بهما من أسباب المعاش؟ لأقرُّوا أن فاعل ذلك كلِّه هو اللهُ وحده لا شريك له.

وقوله تعالى: ﴿فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾: أي: فأين يُصرَفون، وإلى أين يذهبون عن الإخلاص له مع إقرارهم بهذا كلِّه، ومِن أين يجوز مع هذا أن يكون مَن عبَد[1] خالقَ هذه الأشياء يعاقبُه الله تعالى بالتقتير عليه، ومَن أشرك به غيرَه يُثيبه الله تعالى بالتوسيع عليه.

* * *

(٦٢) ـ ﴿ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ ﴾: أي: إن الله هو المستحِقُّ العبادة وحده، وهو الموسِّع للرزق على مَن يشاءُ وهو المضيِّق له والمعطي بقَدْر الكفاية.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾: هو العليم بمصلحة كلِّ عبدٍ، فيعطي كلًّا ما فيه صلاحُه، قال النبي ﷺ: «يقول الله تعالى: إنَّ مِن عبادي مَن لا يصلحُه إلا

---

(١) في جميع النسخ: «عند»، ولا يستقيم به السياق.

الفقرُ، ولو أغنيتُه لأفسده ذلك، وإنَّ من عبادي مَن لا يصلحه إلا الغنى، ولو أفقَرْتُه لأفسده ذلك، أدبِّر أمور عبادي بعِلمي»(١).

ثم من تمام معنى الآية: أن الله هو يبسط الرزق ويَقْدِره، فلا يحملنكم خوفُ الفقر والضِّيق في الغربة على ترك الهجرة، فإن الله هو رازقكم أين كُنْتم.

* * *

(٦٣) - ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾: أي: فإذا كانوا مُقرِّين بأن فاعل ذلك هو الله، وهو القادر عليه وعلى كل شيء، أفلا يقدر على إغناء المؤمنين؟ قل: الحمد لله على ما أوضح لنا من الحجة، وبصَّرنا من العَمَاية(٢)، وأنقذنا من الجهالة.

وقوله تعالى: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾: أي: لا يتدبَّرون بما فيهم من العقول فيما يُريهم من الآيات ويُقيم من الدلالات، فصاروا بذلك كمَن لا يعقل ما يقال له ولا ما يقول.

وقيل: لا يعقلون ما يلزمهم بهذا الإقرار.

* * *

(٦٤) - ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾.

---

(١) رواه الترمذي الحكيم في «نوادر الأصول» (٢/ ٢٣٢)، والثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٣١٨)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٧/ ٩٥)، من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) في (ف): «وبصرنا من الحماقة»، وفي (ر): «ونصرنا بالحماية».

وقوله تعالى: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ﴾: أي: ما[1] يعطيه الله تعالى لهؤلاء الأغنياء من السَّعة في دنياهم فليس هو في سرعة انقضائه إلا كاللهو، وهو الشيء الذي يَتلذذ به الإنسان فيُلهيه ويُفرحه ساعةً ثم ينقضي، وكاللعب الذي لا حقيقة له.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ﴾: أي: والدار الآخرة التي هي للثوابِ والعقاب ﴿لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ﴾[2]؛ أي: فيها الحياةُ الباقية؛ أي: هي الحياةُ في الحقيقة لأنها حياةٌ لا تتنغَّص[3] بانقضائها بالموت.

﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾: أي: لو كان هؤلاء المشركون المفتخرون بالدنيا يعرفون حقائق الأشياء.

* * *

(٦٥) ـ ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ﴾: أي: لأمرٍ من أمور المعاش، فأصابتهم شدة يخافون منها الغرق والهلاك ﴿دَعَوُا۟ ٱللَّهَ﴾ وحده ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾: لا يَدينون في تلك الحالة أن شيئاً يفرج عنهم ذلك غيرَ الله وحده.

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ﴾: فإذا خلَّصهم[4] من البحر إلى البر وأَمِنوا ﴿إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾؛ أي: عادوا إلى الشرك بالله.

* * *

(٦٦) ـ ﴿لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا۟ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾.

---

(١) في (أ) و(ف): «إنما».

(٢) في (أ): «لهي الحياة».

(٣) في (ف): «تنتقض».

(٤) في (أ): «خلصناهم».

وقوله تعالى: ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا﴾: قرأ ابن كثير وحمزة والكسائي[1] بتسكين اللام: ﴿وَلْيَتَمَتَّعُوا﴾ على الأمر[2]، وعلى هذا ﴿لِيَكْفُرُوا﴾ يكون على صيغة الأمر وهو للتهديد؛ كما قال: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾ [فصلت: ٤٠]، وقال: ﴿وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩]، فدل على أنه للتهديد.

وقوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾: يعني: في الآخرة إذا عُوقبوا على ذلك.

وقرأ الباقون بكسر اللام، وعلى هذه القراءة يجوز أن يكون على صيغة الأمر وتأويله ما مر، ويجوز أن يكون بمعنى (كي) ويتصل بقوله: ﴿إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ كي يكفروا نعمتنا ويتمتَّعوا بالدنيا، وسوف يعلمون سوء تدبيرهم عند تعذيبهم وتدميرهم.

* * *

(٦٧) - ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾: استفهام بمعنى التقرير ﴿أَنَّا جَعَلْنَا﴾؛ أي: لهم ﴿حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾؛ أي: وسائرُ أهل بلاد العرب يُستلبون بالإغارة والسبي، إنعاماً مني على أهل الحرم وقد خلَّصتهم في البر كما خلَّصتهم في البحر، فكيف صاروا يشركون بي في البر ولا يشركون بي في البحر ويدعون لي مخلصين؟

وقوله تعالى: ﴿أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ﴾: بما يعبدونه من دون الله ﴿وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾: وهو الرسول والكتاب، استفهام بمعنى التوبيخ.

---

(١) في (أ): «قرأ ابن كثير عن البزي من طريق الهاشمي وقالون عن نافع وحمزة والكسائي وخلف والشموني والبرجمي والخزار عن هبيرة» بدل: «وحمزة والكسائي».

(٢) وهي أيضا قراءة قالون، وقرأ باقي السبعة بكسر اللام. انظر: «السبعة» (ص: ٥٠٢)، و«التيسير» (ص: ١٧٤).

(٦٨ ـ ٦٩) ـ ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ ۚ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴿٦٨﴾ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾: أي: لا أظلم منه ﴿أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ ۚ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴾ استفهام بمعنى الإثبات.

وقوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا ﴾: أي: أعدائي، وقيل: الشيطان، وقيل: أنفسَهم.

﴿فِينَا﴾؛ أي: لأجْلنا وفي طلب رضانا.

وقوله تعالى: ﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾: أي: لنثبِّتَنَّهم على الحق.

وقيل: لنوفِّقنَّهم سُبلَنا، وسبيلُ الله واحد وجُمع لذكر المجاهدين، فصار السبيل جمعاً لاجتماع السالكين.

وقال الداراني: والذين جاهدوا فيما علموا لنهدينَّهم إلى ما لم يعلموا[1].

وقال سهل بن عبد الله: والذين جاهدوا في إقامة السنَّة لنهدينَّهم سبل الجنة[2].

وقال الواسطي: والذين جاهدوا فينا لنهدينهم إلينا.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾: أي: حافظُهم وناصرُهم.

والحمد لله رب العالمين، اللهمَّ يا مستعان، أسألك الثبات على الإيمان، بحق

---

(١) ذكره بهذا اللفظ الزمخشري في «الكشاف» (٣/ ٤٦٥)، ورواه الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ٢٩٠) بلفظ: (الذين يعملون بما يعلمون يهديهم ربّهم إلى ما لا يعلمون).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ٢٩٠)، والبغوي في «تفسيره» (٦/ ٢٥٦).

كتابك الفرقان(١)، وآياتك والتبيان، وأياديك والإحسان، على أنبيائك وعلى أهل التوحيد والإيمان، احفظنا يا رحيم يا رحمن، عن المعاصي والطغيان، وعن شر الجن والإنس(٢) والشيطان، وأدخِلْنا بفضلك دار الجنان، وأَمِّنَّا من(٣) درَكات النيران، مع الآباء والأمهات، والمؤمنين والمؤمنات، من الإخوة والأخوات، والأبرار والأصحاب والأقران، من الطغيان والعصيان، بحقِّ نبيِّك وخِيرتك من البَرِيَّة والإنسان(٤).

***

(١) في (ف): «القرآن».

(٢) في (ر): «والإنسان».

(٣) في (ف): «وآمنا عن».

(٤) من قوله: «والحمد لله رب العالمين...» إلى هنا ليس في (أ).

التيسير في التفسير

تأليف الإمام

أبي حفص النسفي

نجم الدين عمر بن محمد بن أحمد النسفي الحنفي

(٤٦١-٥٣٧هـ)

يطبع أول مرة محققاً على ثلاث نسخ خطية

تحقيق وتعليق

ماهر أديب حبوش   سارية فايز عجلوني

المجلد الثاني عشر

دار اللباب

بسم الله الرحمن الرحيم

التيسير

في

التفسير

(١٢)

حُقوق الطّبع محفُوظَة

الطبعَة الأولىٰ
١٤٤٠هـ-٢٠١٩م

يُمنع طباعةُ هذا الكتاب أو ترجمته أو تصويرُه ورقياً أو إلكترونياً
إلا بإذن خطي من الدار الناشرة
تحت المُساءلة الدُّنيوية والأُخروية

9 786052 279311

دار اللُّباب
للدِّراسَاتِ وتحقِيق التُّراثِ
DAR-ALLOBAB
Lubab Yazma Eserleri İhya ve İlmi Araştırma Yayınları

اسطنبول - تركيا
00905454729850
00902125255551
info@allobab.com

بيروت - لبنان
009615813966
0096170112990
Www.allobab.com

İskenderpaşa mh. Kıztaşı cd. No:7 D:5 Fatih (Özel Fatih Hastanesi Karşısı)

سُورَةُ الرُّومِ

سُورَةُ الرُّومِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

بسم الله الذي يفرِّح المؤمنين بنُصرته، الرحمنِ الذي يبسط الرزقَ لمن يشاء ويقدر بقدرته، الرحيمِ الذي يحيي الأرض بعد موتها بآثار رحمته.

روى أبيُّ بن كعب رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «مَن قرأ سورة الروم كان له من الأجر عشرُ حسناتٍ بعددِ كلِّ ملكٍ[1] يسبِّح اللهَ بين السماء والأرض، وأَدرك ما ضيَّع في يومه وليلته»[2].

وهذه السورة مكية، وهي ستُّون آية، وقيل: تسعٌ وخمسون، الاختلاف في: ﴿بِضۡعِ سِنِينَ﴾[3].

وكلماتُها ثماني مئة وخمسَ عشرة، وحروفها ثلاثة آلاف وثلاث مئة وتسع وتسعون[4].

---

(١) في (أ): «كل ملك». وفي (ف): «كل من».

(٢) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ٢٩١)، وهو قطعة من الحديث الموضوع في فضائل السور. وانظر: «الفتح السماوي» للمناوي (٢/ ٩٠٩)، و«الفوائد المجموعة» للشوكاني (ص: ٢٩٦).

(٣) انظر: «البيان في عد آي القرآن» (ص: ٢٠٥)، وفيه: اختلافها أربع آيات: ﴿الٓمٓ﴾ عدَّها الكوفي ولم يَعُدَّها الباقون، ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ﴾ لم يَعُدَّها المدني الأخير والمكي وعدها الباقون، ﴿فِي بِضۡعِ سِنِينَ﴾ لم يعدَّها المدني الأول والكوفي وعدها الباقون، ﴿يُقۡسِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ﴾ عدها المدني الأول ولم يعدها الباقون، وكلهم عد ﴿يُبۡلِسُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ﴾.

(٤) في المصدر السابق: كلمها ثماني مئة وتسع عشرة كلمة، وحروفها ثلاثة آلاف وخمس مئة وأربعة وثلاثون.

وانتظـام أول هذه السـورة بآخر تلك السـورة: أنـه قال في ختم تلك السـورة: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾، وقـال فـي أول هـذه السـورة: ﴿الٓمٓ﴾؛ أي: أنـا الله أعلـمُ بالمحسـنين وغيرِ المحسنين.

وانتظام السورتين: أن كلَّ واحدة منهما مكيةٌ متضمِّنةٌ ذكرَ التوحيد ومحاجَّةَ المشركين وبيانَ العاقبة للمؤمنين والكافرين.

* * *

(١ ـ ٣) ـ ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿الٓمٓ﴾: مرَّت الأقاويل فيه في أول سورة البقرة.

﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ﴾: أي: غَلبـت فـارسُ الـرومَ فـي أقـرب أرض الشـام إلـى حـدود أرض فارس والـروم[١].

قـال مقاتـل ـ هـو قـول ابـن عبـاس رضـي الله عنهمـا ـ: هـي أرض الأردن وفلسـطين[٢].

وقال مجاهد: هي أرض الجزيرة، وهي أدنى أرض الروم إلى فارس[٣].

وقال عكرمة: هي أذرعات وكسكر[٤].

---

(١) «والروم» ليست في (أ).

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٤٠٦)، وذكره يحيى بن سلام في «تفسيره» (٢/ ٦٤٣) عن السدي. ولم أجده عن ابن عباس بهذا اللفظ، لكن روى عنه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٤٥٨) قوله: طرف الشام.

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٢٦٩).

(٤) ذكره الواحدي في «البسيط» (١٨/ ٩)، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٤٥٠) مطولاً دون كلمة: «وكسكر».

وقال مقاتل بن حيَّان: هي ريف الشام[١].

وقوله تعالى: ﴿وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ﴾: أي: والروم بعد أن صاروا مغلوبين، وهو إضافة المصدر إلى المفعول.

قوله: ﴿سَيَغۡلِبُونَ﴾؛ أي: سيصيرون غالبين لغالبِيهم وهم فارس.

***

(٤ ـ ٥) ـ ﴿فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

قوله تعالى ﴿فِي بِضۡعِ سِنِينَ﴾ وقال الفرَّاء: يقال: غلب غَلَبةً، وسقطت التاء هاهنا للإضافة كما في قوله: ﴿وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ [الأنبياء: ٧٣][٢].

وقال الزجاج: الغَلَب مصدر كالغَلَبة؛ كالجَلَب والجَلَبة[٣]، والبضع: القطعة من العدد، وتستعمل في الثلاث إلى العشرة، قاله الخليل والقتبي[٤].

وقال الحسن: لما نزلت ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ﴾ فقال كفار قريش: والله لا يكون ذلك أبداً، أن يظهر الروم على أهل فارس أهلِ البأس والشدة والعدَّة، فأنزل الله تعالى: ﴿فِي بِضۡعِ سِنِينَ﴾؛ أي: يظهر أهل الروم على أهل فارس، فقال كفار قريش: إن كنتم صادقين فراهِنوا، قال: فتراهنوا على خمس قلائصَ، وجعلوا بينهم من الأجل خمس سنين، فولَّوا قمار المسلمين أبا بكر الصدِّيقَ رضي الله عنه، وولَّوا

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ٢٩٤).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣١٩).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ١٧٧).

(٤) انظر: «العين» (١/ ٢٨٦)، و«تأويل مشكل القرآن» (ص: ٢٤٠).

قمار المشركين أبيَّ بن خلف، فمضت خمس سنين ولم تظهر أهل الروم على أهل فارس، فقال المشركون: أعطونا القمار، فاشتدَّ ذلك على المسلمين، فشكَوا ذلك إلى رسول الله ﷺ، فقال لهم: «إن الله عز وجل قال: ﴿فِي بِضْعِ سِنِينَ﴾ والبضع ما بين الثلاث إلى العشر، فزايِدوهم(١) في القلائص وزايدوهم في الأجَل»، فزادوهم في الأجل خمسَ سنين وفي القلائص خمساً، فلما كان في السنة السابعة ظهر أهل الروم على أهل فارس، فأنزل الله تعالى: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ﴾ فظهر أهل الروم على أهل فارس(٢).

قال: فقدم رسول الله ﷺ المدينةَ ولم يقبض القمارَ، فأنزل الله تعالى تحريم الخمر والقمار في قوله: ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ﴾ الآية.

وقال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه: التقَينا مع رسول الله ﷺ ومشركو العرب، والتقت الرومُ وفارسُ في ذلك اليوم، فنصرَنا اللهُ تعالى على مشركي العرب ونصر الله أهل الكتاب على المجوس، ففرحْنا بنصر الله إيانا على المشركين وفرحْنا بنصر الله أهلَ الكتاب على المجوس، فذلك قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾(٣).

وقوله تعالى: ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾: أي: الأمرُ في غلبة فارس للروم

(١) في (ف): «فدابروهم».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٤٥٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٣٠٨٧)، عن قتادة، ولم أجده عن الحسن، وقد روي في هذه القصة أحاديث وآثار كثيرة يطول ذكرها، جمعها السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٤٧٩ ـ ٤٨٣).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٤٤٩). وإسناده ضعيف.

وغلبة الروم لفارس لله تعالى، لو شاء أن يهلك الفريقين معاً أو أحدهما[1] لفعل، وليست غلبةُ فارسَ للروم على ما توهَّمه المشركون من أنَّ مَن لا كتاب له ولا نبوةَ فدينُه هو الحقُّ ودينُ مَن له نبوةٌ وكتابٌ باطل، وكما غلبت فارسُ الرومَ فكذلك يغلب[2] مشركو قريش المسلمين، بل كلَا الفريقين مبطِلٌ، ولو شاء الله لمنع أحدهما عن الآخر، فله الأمر من قبلِ غلبة فارس للروم، ومن بعد ذلك.

وقيل: أي: من قبلِ كلِّ شيء، ومن بعد كلِّ شيء.

وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ﴾: أي: يومَ غَلبت الروم فارسَ يفرح المؤمنون، لا بنصرة النصارى، ولكن بتحقيق الله وعدَه دالًّا على صدق نبيِّهم فيما أخبرهم به.

وقيل: بل بنصر الله المسلمين على المشركين، على ما روينا أنه كان ذلك في ذلك اليوم[3].

وقيل: كان ذلك عامَ الحديبية[4].

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾: أي المنيعُ بسلطانه لا يُغلب على أمره ولا يَجري في خَلْقه إلا ما يريده ﴿الرَّحِيمُ﴾ فلا يعاجلُ العصاةَ بالعقوبة.

* * *

---

(١) في (أ): «وأحدهما» وليست في باقي النسخ، والصواب المثبت.

(٢) في (أ): «فكذلك فعلت»، وفي (ف): «لغلبت»، بدل: «فكذلك يغلب».

(٣) انظر ما تقدم قريباً عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٤٥٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٣٠٨٧)، عن قتادة، وقد تقدم قريباً.

(٦) ـ ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

وقوله: ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ﴾: نصب على المصدر، كأنه قال: وعَدَ الله ذلك وعداً، وهو لا يخلف وعده.

قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾: أي: المشركون جهَّالٌ[1] لا يعلمون أن محمداً ﷺ وسائرَ الأنبياء لم يؤيَّدوا بالمعجزات إلا ليَدُلَّ ذلك على صدقهم، فلا يكذِبون فيما يخبرون، فإذا كذَّبوا محمداً ﷺ فيما أَخبر عن غلَبة الروم فارسَ فلجهلهم كذَّبوه.

* * *

(٧) ـ ﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾: أي: همَّتُهم دنياهم، فيصرفون تدبُّرهم وتفكُّرهم وتعلُّمهم إلى أمور الدنيا فيَعلمونها.

﴿وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ﴾: لا يتفكَّرون فيها، وما يكون لهم فيها من الحساب والعقاب.

وقيل: ﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾؛ أي: إنما يعلمون ما يشاهدونه ولا يعرفون ما يدل عليه من أمور الآخرة.

ثم في الآيتين نفيُ العلم عنهم بقوله: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ وإثباتُ العلم لهم بقوله: ﴿يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا﴾، ولا تناقُض فيه، فإن الأول نفيُ العلم بأمور الدين، والثاني ثبوتُ العلم بأمور الدنيا، ولأن الأول نفيُ الانتفاع بالعلم بما ينبغي، والثاني صرفُ العلم إلى ما لا ينبغي، ومن العلم القاصر أن يهيِّئ الإنسان

---

(١) في (أ): «بحال».

أمورَ شتائه في صيفه وأمور صيفه في شتائه وهو لا يتيقن بوصوله إلى ذلك الوقت، ويقصِّرَ في الدنيا في إصلاح أمور معاده ولا بد له منها[١].

***

(٨) ـ ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِم ﴾: هي كلمة استبطاءٍ، ومعناها: هلا تفكَّروا إذ[٢] أخَّروا التفكُّر وتركوه.

وقوله: ﴿فِي أَنفُسِهِم﴾ قيل: أي: في خلق أنفسهم؛ كما قال: ﴿ وَفِي أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ [الذاريات: ٢١]، وقال تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ ﴾ [فصلت: ٥٣]؛ أي: لو تفكَّروا في خلق أنفسهم أفادهم ذلك علماً في الآخرة وزوال الغفلة عنهم. وانقطع الكلام ثم قولُه:

﴿مَّا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾: كلام مبتدأ.

وقيل: هو متصل بالأول، والتفكُّر واقعٌ على ﴿مَّا﴾، ومعنى الكل على هذا القول: أولم يَخْلوا بأنفسهم فيتفكَّروا في الخلوة[٣] التي يتمكَّن معها الإنسان من عقله أنْ ﴿مَّا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾ بإضمارِ (أنْ) الخفيفة، ويكون التفكُّر واقعاً على هذا، وإضمار (أنْ) للوصل جائز كما في قوله في هذه السورة:

---

(١) في (ر): «من العلم القاصر على منافع الدنيا يفني الإنسان شبابه في تعلم أمور الدنيا وهو لا يتيقن بوصوله إلى ذلك الوقت ويقصر في أمور دينه واستعداده لمعاده الذي لا بد له منه»، بدل: «ومن العلم القاصر أن يهيئ...».

(٢) في (أ): «لم»، وفي (ف): «إذا لم».

(٣) في (ف): «الحياة»، وفي (ر): «الحياة الدنيا».

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ﴾؛ أي: أنْ يريكم البرق، فقد صرَّح بـ(أنْ) قبل هذه الآية في قوله: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا﴾ ويكون معنى[1] هذه الآية على هذا الوجه: أوَلم يتفكروا في خلق السماوات والأرض أنَّ الله تعالى لم يخلقهما عبثاً ولا جزافاً، ولكن ليَعتبر بها عباده ويَستدلُّوا بها على وحدانيته وكمالِ قدرته، فإنه إنما خلقهما لمنافع عباده بلاغاً لهم في دار التكليف ليحاسبهم في دار الجزاء، وهو معنى قوله: ﴿بِٱلْحَقِّ﴾؛ أي: للحق، وهو هذا.

وقوله: ﴿وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: أي: وليوم القيامة الذي يحاسبهم فيه ويجازيهم على أعمالهم فيه، وقد جعل الله أجلاً لذلك، فيخرجهم هذا التفكُّرُ عن الغفلة.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآيِٕ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ﴾: أي: تركوا هذا التفكُّر فغفلوا وكفروا بالبعث والجزاء.

وقيل في قوله: ﴿وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾؛ أي: خلقهما في الوقت الذي كان سماه لخَلْقهما فيه وأراده[2]؛ أي: لم يخلقهما على سهوة وغفلةٍ ومجازفةٍ، بل على مقدارٍ معلوم ووقتٍ معلوم.

وقيل: ﴿وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾؛ أي: وقتٍ معلوم[3] مؤقَّتٍ إذا بلغت ذلك الوقت أفناها وبدَّل الأرضَ غيرَ الأرض وغيرَ السماوات.

* * *

---

(١) في (ف): «معناه في».

(٢) في (ف): «سماه بخلقهما فيه على علم وإرادة».

(٣) «معلوم» ليست في (أ).

(٩) ـ ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾: وهذا تنبيهٌ آخر عن الغفلة: أولم يسيروا في الأرض في أسفارهم للتجارات وغيرها ﴿فَيَنظُرُوا﴾ إلى آثار القوم الذين كانوا قبلهم فعَصوا الله وكذَّبوا أنبياءهم.

﴿كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾: وهم هؤلاء.

﴿كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾: أي: من مشركي قريش.

﴿وَأَثَارُوا الْأَرْضَ﴾: للزراعة[1] ﴿وَعَمَرُوهَا﴾ بأنواع الأبنية ﴿أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا﴾؛ أي: مشركو قريش، فلم يعصمهم شيء من أموالهم وحصونهم مما نزل بهم، فكيف يمتنع هؤلاء من مثل ذلك؟

وقوله تعالى: ﴿وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾: نزل بهم هذا بعد أن جاءتهم رسل الله إليهم بالحجج الواضحة ﴿فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾؛ أي: ليعذبهم من غير ذنب ﴿وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بمعاصيهم فعُوقبوا لذلك.

* * *

(١٠) ـ ﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَىٰ أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ﴾.

﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا﴾: أي: كذبوا أنبياءَ الله وردُّوا البينات ﴿السُّوأَىٰ﴾؛

(١) في (أ): «للزراعات».

أي: العقوبةُ الغليظة التي تَسوءُ صاحبها، ويحتمل أن يكون ذلك في الدنيا والآخرة؛ في الدنيا الدمار وفي الآخرة عذابُ النار.

وقيل: ﴿ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾: تأنيث الأسوء؛ أي: أسوأُ العقوبات.

وقيل السوأى: اسم لجهنم كالحسنى اسم للجنة، قال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦].

وقوله تعالى: ﴿أَن كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ﴾: أي: بأنْ كذبوا بها واستهزؤا منها.

ووجه آخر: ﴿ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ﴾ المكذِّبين[1] ﴿ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾: فعلوا الفعلةَ السوأى؛ أي: وهي بمعنى السيئة، ويكون مفعولاً بـ﴿أَسَٰٓـُٔوا۟﴾، ﴿أَن كَذَّبُوا۟﴾ ويكون هذ اسمَ ﴿كَانَ﴾، و﴿أَن﴾ مع الفعل مصدرٌ، وهي بمعنى التكذيب؛ أي: كان عاقبةَ إساءتهم التكذيبُ بآيات الله؛ أي: ألقاهم شؤمُ معصيتهم في الكفر، وهو كقوله: ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ﴾ الآية [التوبة: ٧٧].

* * *

(١١ ـ ١٢) ـ ﴿ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾: قرأ أبو عمرو في رواية[2] بياء المغايَبة، والباقون بتاء المخاطبة[3].

---

(١) «المكذبين» من (ف).

(٢) في (أ): «قرأ أبو عمرو غير عياش وأوقيه [كذا] وسهل ويحيى عن أبي بكر وحماد عن عاصم».

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٥٠٦)، و«التيسير» (ص: ١٧٥)، عن أبي عمرو وأبي بكر.

قيل: ﴿يَبْدَؤُا الْخَلْقَ﴾؛ أي: المخلوقَ من الماء ثم يعيده من التراب.

وقيل: إلى التراب، وكان خلقه من التراب.

وقوله تعالى: ﴿تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ﴾: أي: يَقنط المشركون من رحمة الله ومن شفاعة الشفعاء.

وقال سعيد بن جبير: ﴿يُبْلِسُ﴾: يُبْهَتُ(١). وقال الأخفش: يَنْدم(٢). وقيل: يَدْهَشُ.

***

(١٣ ـ ١٤) ـ ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمْ شُفَعَـٰٓؤُا وَكَانُوا بِشُرَكَآئِهِمْ كَـٰفِرِينَ (١٣) وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمْ شُفَعَـٰٓؤُا﴾: أي: ولا يكون لهم من أصنامهم التي جعلوها شركاءَ لله شفعاءَ يشفعون لهم إلى الله.

﴿وَكَانُوا بِشُرَكَآئِهِمْ كَـٰفِرِينَ﴾: أي: فيكونون عن أصنامهم متبرِّئين حين رأوها لا تشفع(٣).

وقيل: أي: الملائكة والجن والشياطين يتبرؤون من المشركين، وهو كقوله: ﴿يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ﴾ [العنكبوت: ٢٥]؛ أي: يتبرأ بعضكم من بعضٍ.

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ﴾: قيل: فريق في الجنة وفريق في السعير.

وقيل: يتفرقون في آلهتهم، فلا يجتمعون فيتناصرون، وهو تأكيدٌ للآية التي قبلها.

---

(١) في (أ) و(ف): «يهتم». ولم أجده.

(٢) لم أجده عن الأخفش، وقاله أبو عبيدة في «مجاز القرآن» (٢/ ١٢٠).

(٣) في (أ): «لا تنفع» وفي (ف): «تضر ولا تنفع».

وقيل: يتفرقون في الأحوال والمحالّ على ما فسَّره[١] بعدها.

* * *

(١٥) ـ ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ﴾: أي: يُصار بهم إلى الجنة فيكونون فيها[٢] في رياضٍ ﴿يُحْبَرُونَ﴾؛ أي: يُسرُّون، والحَبْرةُ: السرور.

وقيل: أي: ينعَّمون.

وقال وكيع: هو بالسماع[٣]، والحِبَار والحَبَر: الأثر، والحُبور: سرورٌ يظهر أثره في الوجه.

وقال أبو بكر بن عياش: أي: يتوَّجون على رؤوسهم[٤]، من قولهم: ذهب حَبْرُه وسَبْرُه؛ أي: هيئتُه[٥] وجماله.

وقال ابن كيسان: أي يزيَّنون ويحلَّون[٦]، والمحبَّر: المزيَّن.

* * *

---

(١) في (ر) و(ف): «فسر».

(٢) في (أ): «منها».

(٣) ذكره عن وكيع الزمخشري في «الكشاف» (٣/ ٤٧١)، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٤٧٢) عن يحيى بن أبي كثير.

(٤) ذكره الزمخشري في «الكشاف» (٣/ ٤٧١).

(٥) في (ر) و(ف): «حبره ونضره أي: بهاؤه».

(٦) «ويحلون» من (أ).

(١٦ ـ ١٧) ـ ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا وَلِقَآيِٕ ٱلْأَخِرَةِ فَأُوْلَـٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾ فَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا وَلِقَآيِٕ ٱلْأَخِرَةِ فَأُوْلَـٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾: أي: أُحضروا جهنم ليعذَّبوا فيها.

وقوله تعالى: ﴿فَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ﴾: أي[1]: صلُّوا لله، مصدر بمعنى الأمر؛ كقوله تعالى: ﴿فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ﴾ [محمد: ٤]، والتسبيح: الصلاة؛ قال الله تعالى: ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ﴾ [الصافات: ١٤٣]؛ أي: المصلين، وهي رأس الأعمال الصالحة التي ذُكرت في الآية المتقدمة.

﴿حِينَ تُمْسُونَ﴾: أي: مساءً، وهي صلاة المغرب. وقيل: صلاة المغرب والعشاء.

﴿وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾: أي: صلاة الفجر.

﴿وَعَشِيًّا﴾: هي صلاة العصر ﴿وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾: هي صلاة الظهر، وقد[2] أَظهَرَ؛ أي: دخل في وقت الظهيرة، قال امرؤ القيس:

تُقطِّعُ غِيْطاناً كأنَّ متونَها ... إذا أَظْهَرتْ تُكْسَى مُلاءً منشَّرا[3]

***

(١) في (أ): «يعني».

(٢) في (ر) و(ف): «وقيل».

(٣) انظر: «الديوان» (ص: ٩٥). الغيطان: الأرض المطمئنة. متونها: ظهورها، الملاء المنتشر: الثوب المبسوط. وقوله: تقطِّع، لعل معناه هنا: تطوي، والضمير للناقة المذكورة قبلُ.

(١٨ ـ ١٩) ـ ﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: أي: وهو المحمود عند جميع خلقه من سكان سماواته وأرضه، يحمدونه على نعمه ويثنون عليه بصفاته.

وقيل: تحمده الملائكة في السماوات والمؤمنون في الأرض.

وقوله تعالى: ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾: أي: البشَرَ من النطفة، والطيرَ من البيضة، والشجرة من الحبة، والمؤمن من الكافر، والعالم من الجاهل.

قوله تعالى: ﴿وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾: النطفةَ من البشر، والبيضةَ من الطير، والحبَّ من الشجرة، والكافر من المؤمن، والجاهل من العالم.

﴿وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ﴾ الميتة اليابسة[1] ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ بالنبات في الربيع.

وقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾: أي: يخرجكم الله من قبوركم، دلَّ بها على البعث بعد الموت.

***

(٢٠) ـ ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ﴾: عدَّد في هذه الآيات بعضَ الآيات المنبِّهةِ على كمال قدرته، الدالةِ على وحدانيته، المبطِلةِ قولَ مَن أشرك به شيئاً من خليقته، فقال:

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ﴾؛ أي: ومن علامات ربوبيته ووحدانيته ﴿أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ﴾؛

(١) في (ف): «المائتة»، وليست في (ر).

أي: خلق آباءكم؛ كما قال: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا﴾ [البقرة: ٧٢]؛ أي: قتل آباؤكم، ولأن الولد فرعُ الوالد فكان مخلوقاً مما خلق أصله.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ﴾: أي: آدميون عقلاءُ ناطقون تتصرَّفون فيما فيه قِوامُ معاشكم، فلم يكن الله ليخلقكم هكذا عبثاً، بل يتعبَّدكم بشكره ثم يجزي المحسنَ بإحسانه والمسيء على إساءته، فإذا تفرَّد بخلقكم فهو المنفردُ باستحقاق العبادة له.

* * *

(٢١) ـ ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا﴾: أي: نساء تَزْدوِجون[1] معاً ﴿لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا﴾؛ أي: لتكون نساؤكم سكَناً لكم تطمئنون إلى معاشرتهنَّ وقضاء اللذات منهن.

وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً﴾: أي: في الشباب[2] وحالَ قيام الشهوة.

﴿وَرَحْمَةً﴾: أي: في حالة الكبر وقِدَم الصحبة يودُّ كلُّ واحدٍ من الزوجين صاحبَه حالَ شبابهما، ويرحمه ويعطف عليه حالَ كبرهما.

وقوله تعالى: ﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾؛ أي: من نطفة الرجال.

وقيل: أي: حواء خلقت من نفس آدم، والأولاد راجعون إلى الأصل.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾: لأنه إذا تفكَّر بالعقل السليم

---

(١) في (أ): «تزوجون».

(٢) في (ر) و(ف): «النساء».

تبيَّن[1] له بذلك أنه لم يكن كذلك إلا لقِوام الدنيا بوقوع التناسل فيها إلى الأجل المعلوم، وذلك إنما هو لأن الدنيا دارُ عمل وامتحان، ولا بد بعدها من دارِ حسابٍ وجزاء، وفي ذلك إثباتُ البعث، ويتدرَّج بذلك إلى إثبات الأنبياء والشرائع.

* * *

(٢٢) - ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾: وكانت العرب مقرِّين بأنَّ الله تعالى هو المنفرد بخلقهما، ومَن قدر على خلقهما على ما فيهما من عجائب الصَّنعة وبدائع الخِلقة لم يُعجزه البعث بعد الموت، ولم يجز أن يشرَك به مَن لا يمكِنه خلقُ مثلهما.

ثم في ذلك دلالة أن لهما صانعاً ومدبِّراً؛ لِمَا فيهما من آثار الصنعة وعلامات الحدوث، وإذا استحال أن يكون خلَقَهما أحدٌ من البشر، واستحال أن يكونا بأنفسهما من غيرِ صانع، دل على أن لهما خالقاً، وهو حجة على كلِّ ملحد ومشرك.

وقوله تعالى: ﴿وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ﴾: والألسنة: اللغات والأصوات، والألوان: الصور والهيئات، وذلك أبينُ الدلالات، فإن الأصل واحد وهو التراب والماء، وفي الحال لحم ودم وعظم وعصب وعرق وجلد، وتختلف النغمات واللغات، وتتفاوت الألوان والكيفيات، بحيث لا يُشبه وجهٌ وجهاً على اتحاد الصورة، ولا تُشبه نغمةٌ نغمةً على اتحاد الآلة، فدل ذلك على كمال قدرته ونفاذ مشيئته، وفيه إثبات خلق الأفعال والأقوال.

---

(١) في (ر) و(ف): «تميز».

والحكمة في إثبات هذا الاختلاف: وقوعُ التعارف، وتميُّز الأشخاص؛ لتَتِمَّ أسباب التعامل في الدنيا.

وقوله تعالى: ﴿فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ﴾: قرأ عاصم في رواية حفصٍ بكسر اللام؛ أي: فيه حجج لقوم يعلمون؛ أي: يرجعون إلى علمٍ وإدراكِ حقائق الأمور، ولا يقصُرون همهم على علم الظاهر من الحياة الدنيا، وقرأ الباقون بفتح اللام[1]؛ أي: فيه حُججٌ وأعلام على الحق للخلق كلِّهم جنِّهم وإنسهم، وملائكتهم وشياطينهم؛ لأن[2] كلًّا منهم متعبَّد.

* * *

(٢٣) ـ ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُم مِّن فَضْلِهِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُم مِّن فَضْلِهِ﴾: أي: ومن أعلام[3] وحدانيته وكمالِ قدرته ومُجازاتِه العبادَ في آخرته: نومُكم الذي هو راحةٌ لأبدانكم، وجمامٌ[4] من أشغالكم؛ ليدوم لكم البقاء في الدنيا إلى آجالكم، ﴿بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ أيضاً على حسَب الحاجة، فإذا تنبَّهتم[5] من منامكم انتشرتُم لمعاشكم تطلبون من فضل الله، وهو القوتُ وغيره الذي به قِوامُ[6] الحياة.

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٥٠٦)، و«التيسير» (ص: ١٧٥).

(٢) في (ر) و(ف): «أن».

(٣) في (ر) و(ف): «علامة».

(٤) الجمام: الراحة. وتحرفت في النسخ إلى: حمام.

(٥) في (ف): «إذا انتبهتم».

(٦) في (ر) و(ف): «قيام».

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾: أي: يُصْغون إلى هذا التذكير ويتدبَّرون فيه.

***

(٢٤) - ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾: يعني: أنْ يريكم، يقول: ومِن أعلامه ما يُنزِّل من المطر من السحاب[١] ليُخرج به النباتَ من الأرض متاعاً لكم ولأنعامكم؛ لحاجتكم إلى ذلك في ظَعْنكم وإقامتكم[٢] ويقدِّم قبل المطر البرقَ بشارةً به، وفيه طمعٌ في الغيث وخوفٌ من الصواعق.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾: يتفكَّرون بعقولهم في جميع ما ذكرنا من وجوه الدلالة بهذه الآيات[٣].

***

(٢٥) - ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ﴾: قال الفراء: أي: تدومان قائمتين بأمره بلا عَمَدٍ[٤]، ثابتَتين تماماً لمنافع الخلق.

---

(١) في (أ): «السماء».

(٢) في (ر): «ومقامكم».

(٣) في (أ): «الآية».

(٤) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٢٣).

وقيل: ﴿تَقُومَ﴾؛ أي: تقف وتسكن بإقامته.

وقيل: ﴿بِأَمْرِهِۦ﴾؛ أي: أمرهما الله بذلك، وقيل: أي: بأمره بالعدل، وفي الخبر: بالعدل قامت السماوات والأرض[1].

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ﴾: أي: وهو القادر على أن يُخرجكم من الأرض أحياءً للحساب بعد الموت، لا تمتنعون عليه إذا دعاكم كما لا[2] تمتنع السماوات والأرض من القيام بأمره.

وقيل: معناه: إذا دعاكم دعوةً وأنتم في الأرض أمواتٌ إذا أنتم تخرجون أحياءً، كما يقول الرجل لآخر: دعوتُك من البستان فلم تخرج؛ أي: وأنت في البستان.

وقيل: هو مؤخَّر، وتقديره: إذا أنتم تخرجون من الأرض.

وقيل: ﴿إِذَا دَعَاكُمْ﴾ توسُّعٌ، ومعناه: إذا أخرجكم؛ لأنهم ليسوا هناك بمحلٍّ يُدعون ويُؤمرون ويُنهون.

وقيل: هي النفخة الأخرى، قال تعالى: ﴿وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ﴾ [ق: ٤١ ـ ٤٢].

* * *

(٢٦) ـ ﴿وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾: أي: مطيعون.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: مطيعون في الحياة والنشور والموت، عاصون في العبادة[3]، ويتصل بقوله: ﴿إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾.

---

(١) قال المناوي في «الفتح السماوي» (٣/ ١٠٢٠): لم أجده.

(٢) في (أ) و(ف): «لم».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٤٨٣).

وقيل: ﴿كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ﴾؛ أي: مطيعون بإقرارهم بأنه ربُّهم وخالقهم؛ قاله قتادة[١].

وهـذا فـي مشـركي العـرب، فأما مَـن أنكـر الصانـع فقُنوتـه لله شـهادةُ خلقته علـى أن الله خلَقـه.

وقيـل: هـو فـي حق أهـل السـماء على العمـوم، وفي حـق أهـل الأرض على الخصوص.

وقيل: ﴿كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ﴾ يومَ القيامة، فقد ذكره بعد قوله: ﴿إِذَا أَنتُمْ تَخْرُجُونَ﴾.

وقال مقاتل بن حيان: ﴿إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً﴾ يعني: نفخةَ إسرافيل بالبعث، يقول في الصور: أيتها الأجساد البالية، والعظام النَّخِرة، والعروق المتمزِّقة، واللحوم المتشتِّتة[٢]، قوموا إلى محاسبةِ ربِّ العزة.

* * *

(٢٧) ـ ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾: أي: هيِّنٌ عليه؛ أي[٣]: يسير. قال الشاعر:

تمنَّى رجالٌ أنْ أموتَ وإنْ أَمُتْ ... فتلك سبيلٌ لستُ فيها بأوحَدِ[٤]

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٤٨٤).

(٢) في (ر): «المتلبثة»، وفي (ف): «المنبتة».

(٣) «هين عليه أي» ليس في (ر).

(٤) نسب لطرفة في «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (٢/ ١٠٣)، و«تفسير الطبري» (٢٤/ ٤٧٨)، ونسبه ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٤/ ٣٣٥) للشافعي، و(٥/ ٤٩٢) لطرفة.

أي: بواحد. وقال الفرزدق:

إن الـذي سـمَك السـماء بنـى لنا   بيــتاً دعائمُـه أعزُّ وأطـولُ[١]

أي: عزيزة طويلة.

وقيل: الإعادة أيسرُ من البداية[٢] في تَعارُفكم فيما تبتدِئون فعلَه وتعيدونه.

وقيل: أي: فيما تصوِّرون في أنفسكم من ابتداء الشيء من غيرِ شيء ثم إعادتهِ بعد أن بَلِيَ وتفرَّقت أجزاؤه.

وقيل[٣]: أهونُ عليه بما يتوهَّمون؛ كقولك للرجل تريد أن تصف له سهولة الأمر وخفَّته: هو أهونُ عليَّ من ذلك، ثم تحذف (من ذلك).

وقيل: ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾؛ أي: على المخلوق من الابتداء؛ لأنه في الابتداء يخلقُ[٤] نطفةً ثم علقةً، ثم تمر عليه[٥] التارات، ثم يولد ويكون[٦] طفلاً ثم رضيعاً، ثم بعد الفِطام[٧] غلاماً، ثم شابًّا ثم كهلاً ثم شيخاً، فأما الإعادةُ فإنه يُبعث بشراً عاقلاً، فهذا أهونُ عليه في المتعارف.

وقوله تعالى: ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: أي: الوصفُ الأرفعُ؛ قال تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ﴾[٨] [الرعد: ٣٥]؛ أي: صفتُها.

---

(١) انظر: «ديوانه» (ص: ٧١٤)، و«شرح نقائض جرير والفرزدق» لأبي عبيدة (١/ ٣٥٤).

(٢) في (ف): «البدو».

(٣) في (ر) و(ف): «وهو».

(٤) في (ر) و(ف): «بخلق» بدل: «لأنه في الابتداء يخلق».

(٥) في (ر) و(ف): «على» بدل: «ثم تمر عليه».

(٦) «ويكون» من (أ).

(٧) في (أ) و(ف): «طفلا ثم بعد الرضاع فطيماً ثم».

(٨) في (ر): «مثل الحياة»، وفي (ف): «مثل الحياة الدنيا».

قال قتادة: ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ قول: لا إله إلا الله وحده لا شريك له[1].

﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾: في انتقامه من أعدائه ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ في تدبيره لخلقه.

* * *

(٢٨) ـ ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِي مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾: أي: بيَّن الله لكم معاشرَ المشركين مَثَلاً من أنفسكم لتقريبِ الأمر من أفهامكم.

﴿هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ﴾: أي: هل لكم معاشرَ الأحرار من عبيدكم شركاء ﴿فِي مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ من الأموال ﴿فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ﴾؛ أي: فأنتم معاشرَ المالكين والمملوكين في ذلك الرزقِ سواءٌ يَحكم مماليكُكم في أموالكم كحُكْمِكم ويتصرَّفون فيه تصرُّفَكم.

﴿تَخَافُونَهُمْ﴾: وتخافون أنتم معاشرَ السادة عبيدَكم فيه، فتشفِقون عن[2] أن تأمروا فيه بأمرٍ دون أمرهم، فلا تُمضون فيه حكماً دون إمضائهم[3]؛ خوفاً من لائمةٍ تلحقُكم من جهتهم.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٤٨٩).

(٢) في (أ): «وتتوقفون على»، وفي (ف): «فيتفقون على»، بدل: «فتشفقون عن».

(٣) في (أ): «بدون إذنهم» وفي (ف): «بدون رأيهم».

﴿كَخِيفَتِكُمۡ أَنفُسَكُمۡ﴾: أي: كما يخاف بعضُ الأحرارِ بعضاً أن ينفرِد بأمرٍ[١] مشتركٍ بينهم.

وقيل: تخافونهم أن يرثوكم بعد موتكم.

وهو استفهامٌ بمعنى التقرير؛ أي: فإذ لم يكن هذا هكذا فيما بينكم، بل لا يستحقُّ العبد شركةً مع سيده فيما يملكه، فكيف استجَزْتُم هذا المعنى في حقِّ الله تعالى فأشركتُم به عبيده؟ وكيف رضيتُم له بما لا ترضونه لأنفسكم؟ وفي ذلك تسفيهٌ لأحلامهم وتعجيبٌ من فعلهم[٢].

قال قتادة: كما لا يرضى الإنسان أن يكون عبده مشاركاً له في فراشه وزوجه، كذلك لا يرضَى ربُّه أن يُعدَل به أحدٌ من خلقه[٣].

وقال أبو مِجْلَزٍ: تخافونهم في المال أن يقاسموكم إياه كما تخافون الشريك من نظرائكم[٤].

وقيل: معناه: هل تنبسط أيديهم في أموالكم وتخافون منهم إتلافَها كما تنبسط أيديكم فيما تملكون وتخافون من جهتكم إتلافها وإنفاقها.

وقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأَيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾: أي: كما بيَّنَّا لكم هذا المثلَ وفصَّلنا لكم الحججَ، كذلك نفصِّل الآيات لقوم يرجعون إلى عقلٍ فيتدبَّرون فيها.

---

(١) في (أ): «فيما هو»، وفي (ف): «هما»، بدل: «أن ينفرد بأمر».

(٢) في (ف): «وتعجيب لفعلهم».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٤٨٩ ـ ٤٩٠).

(٤) رواه بنحوه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٤٩١).

(٢٩) ـ ﴿بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَهۡوَآءَهُم بِغَيۡرِ عِلۡمٍۖ فَمَن يَهۡدِي مَنۡ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَهۡوَآءَهُم بِغَيۡرِ عِلۡمٍ﴾: ﴿بَلِ﴾ لردِّ ما قبله، وتقديره: ليس إصرار هؤلاء المشركين لانقطاع الحجج وتأخُّرِ الإرشاد، بل يتَّبعون ما تميلُ إليهم نفوسهم اتِّباعاً لسلَفهم بغيرِ علمٍ أتاهم من الله، وبغيرِ معرفةٍ منهم بصوابِ ما هم عليه.

وقوله تعالى: ﴿فَمَن يَهۡدِي مَنۡ أَضَلَّ ٱللَّهُ﴾: استفهامٌ بمعنى النفي؛ أي: فلا هاديَ لمن أضله الله.

﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾: جمعَ لأن (مَن) للجنس، فبَدأ بالتوحيد للَفْظه وجمَعَ في آخره لمعناه، ومعناه: فلا مانع لهم من العذاب يوم القيامة كما لا هاديَ لهم في الدنيا.

* * *

(٣٠) ـ ﴿فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗاۚ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗاۚ﴾: الخطاب للنبيِّ ﷺ والمعنى لأمته؛ أي: قد بان لكم بطلانُ الشرك بما أوضحنا لكم من الآيات، فلا تلتفتوا إلى أهله وأقيموا وجوهكم للدِّين الحقِّ مستقيمين عليه؛ أي: أقبِلوا بقلوبكم على[١] ذلك، وانحرفوا عن غيره من الأديان؛ كمَن قصد موضعاً يقيم[٢] وجهه إلى سَمْته عالماً أنه لو انحرف عنه ضلَّ عن مقصده.

---

(١) في (أ) و(ف): «إلى».

(٢) في (أ): «يتم».

وقوله تعالى: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ﴾: أي: خلقةَ الله، نصبٌ على الإغراء؛ أي: الزَموا هذا الدِّين الحقَّ فإنه فطرةُ الله ﴿ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾؛ أي: خلَقها عليها؛ أي: على خلقةٍ تَشهد أن لها صانعاً وتدل على التوحيد.

وقيل: أي: فطر الناس لها، وهو قوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، واللام و(على) متعاقبان، يقال: ما على هذا بعثتُك، وما لهذا بعثتُك.

وقوله تعالى: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾: أي: لا يتهيَّأ لأحد تبديلُ هذه الخلقة وتغييرُها عن هذه الدلالة بإقامةِ حجةٍ على ضدها، إنما يُورد الناس الشُّبَهَ على الحجج ليستزلُّوا بها الناس، فمَن تأمَّلها بان له بطلانُها.

وقيل: معناه: خلق الله العباد ليأمرهم بالإسلام، فلا يمكنُ تبديل ذلك وجعلُهم بغيرِ ذلك الدِّين.

﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾: أي: المستقيم، وهو ما ذكر: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾.

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾: أي: ولكن الجهل غالب على كثير من الناس لتقليدهم الأسلافَ وتركِهم التأمُّلَ.

وقيل: أي: ولكنَّ قريشاً[1] لا علم لهم[2] فلذلك ضلُّوا عن هذا الدين، ولو كانوا علماء لم يَدينوا[3] بغيره.

* * *

---

(١) في (ف): «ولكن عبدوا من».

(٢) بعدها في (ف): «به».

(٣) في (ر): «يتدينوا».

(٣١) - ﴿ ۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾: أي: أقمْ وجهك للدِّين أنت وأمتُك راجعينَ إلى الله بآمالكم مقبلين عليه بقلوبكم وأعمالكم، وهو كقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ [الطلاق: ١]، لأن أمر النبيِّ عليه السلام أمرٌ لأمته.

وقوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُوهُ﴾: أي: اتَّقوا الله واحذروه، يعني: مخالفتَه في[1] الأمر والنهي.

﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: أي: أديموها لأوقاتها.

﴿وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾: أي: اتَّقوه وحده، وأنيبوا إليه وحده، وأقيموا الصلاة له وحده، ولا تكونوا ممن يشرك به غيره في العبادة.

وقيل: هذا يتصل بما قبله: وأقيموا الصلاة ولا تتركوها فشؤمُ تركها قد يفضي إلى الكفر.

قال محمد بنُ أسلمَ الطوسيُّ[2]: بلغني عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «مَن ترك صلاة متعمِّداً فقد كفر»[3]، وكان بلغني عن النبيِّ عليه السلام أنه قال: «إذا رُوي لكم عنِّي

---

(١) في (أ): «يعني مخالفة».

(٢) محمد بن أسلم بن سالم بن يزيد، أبو الحسن الكندي مولاهم، الطوسي، من حفاظ الحديث، اشتهر بالصلاح، ونعته الذهبي بشيخ المشرق، صَنَّف: «المُسند»، و«الأربعين»، وغيرَ ذلك. توفي سنة (٢٤٢هـ).

(٣) رواه الطبراني في «الأوسط» (٣٣٤٨) من حديث أنس رضي الله عنه بلفظ: «من ترك الصلاة...». قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ٢٩٥): (رواه الطبراني في الأوسط ورجاله موثقون إلا محمد بن أبي داود فإني لم أجد من ترجمه).

وله شاهد من حديث بريدة رضي الله عنه، رواه الترمذي (٢٦٢١)، والنسائي (٤٦٣)، وابن ماجه =

حديث فاعْرِضوه على كتاب الله تعالى، فإنْ وافقَ كتابَ الله فاقبَلوه، وإن خالفه فردُّوه»[1]، فطلبتُ صحةَ الحديث الأول في القرآن ثلاثين سنة حتى وجدتُه في هذه الآية.

***

(٣٢) ـ ﴿ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا كُلُّ حِزْبِۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾.

ثم وصف هؤلاء المشركين فقال: ﴿ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ ﴾: أي: عبدوا أصناماً متفرقةً، كلُّ قوم يعبدون صنماً غيرَ صنم الآخرين، واختار قوم اليهودية، وقومٌ النصرانيةَ، وقومٌ المجوسيةَ، وكذا وكذا.

وقرئ: ﴿فارَقوا دينهم﴾[2]؛ أي: جانَبوا الدِّين الذي فطرهم الله تعالى عليه وشهدتْ خلقتُهم به، فلمَّا فارقوا دينهم اتَّبعوا الأهواء على غيرِ علمٍ فاختلفوا.

﴿وَكَانُواْ شِيَعًا ﴾: أي: صاروا فرقاً كلُّ فرقةٍ تشايع[3] مَن وافقَها على هواها.

وقوله تعالى: ﴿كُلُّ حِزْبِۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾: مسرورون لتوهُّمهم أنهم على حقٍّ وأنَّ مَن خالفه باطلٌ، وليس كذلك بل كلُّهم على باطل.

وقال أبو العالية ومقاتل: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ يعني: أَخذ الميثاق عليهم حين أخرجهم من صُلب أبيهم آدم عليه السلام وقال لهم: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ﴾ [الأعراف: ١٧٢][4].

= (١٠٧٩). قال الترمذي: حسن صحيح غريب.

(١) انظر: «الموضوعات» للصغاني (ص: ٧٦).

(٢) قراءة حمزة والكسائي، وقرأ الباقون: ﴿فَرَّقُواْ دِينَهُمْ﴾. انظر: «السبعة» (ص: ٢٧٤)، و«التيسير» (ص: ١٠٨).

(٣) في (ر) و(ف): «تتابع».

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٤١٣)، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٥٥٧)، وابن أبي حاتم في =

وروى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «كلُّ مولودٍ يولد على الفطرة فأبواه يهوِّدانه أو ينصِّرانه أو يمجِّسانه كما تُنتجُ البهيمةُ [بهيمةً جمعاء] هل تُحسون فيها من جدعاء؟» ثم قال أبو هريرة رضي الله عنه: اقرؤوا إن شئتم: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾[1].

* * *

(٣٣) ـ ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا۟ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا۟ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾: أي: وإذا أصاب هؤلاء المشركين بلاءٌ من مرض ونحوِه استغاثوا بالله في كشفِ ما نزل بهم مقبِلين بالدعاء إليه وحده دون الأصنام؛ لعلمهم أنه لا فرج عندها.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً﴾: أي: ثم إذا أعطاهم من ذلك الضرِّ عافيةً ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾؛ أي: إذاً وجدتَ فريقاً منهم يشركون[2] به في العبادة.

* * *

(٣٤ ـ ٣٥) ـ ﴿لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ ۚ فَتَمَتَّعُوا۟ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا۟ بِهِۦ يُشْرِكُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ﴾: أي: يفعلون ذلك ليكونوا كفاراً بما أنعم الله عليهم من كشفِ الضرِّ وإبداله بالعافية فيجحدون ذلك.

= «تفسيره» (٥/ ١٦١٥)، من طريق أبي العالية عن أبي بن كعب رضي الله عنه.

(١) رواه البخاري (١٣٨٥)، ومسلم (٢٦٥٨)، وما بين معكوفتين منهما.

(٢) قوله: «أي إذا وجدت فريقاً منهم يشركون» ليس في (ر).

﴿فَتَمَتَّعُواْ﴾: أي: يا معاشر المشركين ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ عاقبةَ أمركم من عقوبة الله.

وقوله تعالى: ﴿أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا﴾: أي: ما[1] أنزلنا، استفهامٌ بمعنى النفي، أو قدر هاهنا ألفُ الاستفهام ثم عطف عليه بـ﴿أَمْ﴾، يقول: أيفعلون هذا بحجةٍ جاءتهم من السماء أنزلناها عليهم فهم لذلك معذورون في الشرك في الرخاء مع إخلاصهم في الشدة؟ أي: فليس كذلك، إنما الشركُ هوًى لا حجة عليه.

والسلطان: الحجة، وذاك قد يكون بكتاب من السماء وقد يكون برسول وقد يكون بغيرهما.

وقوله تعالى: ﴿فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُواْ بِهِۦ يُشْرِكُونَ﴾: أي: فهذا السلطانُ يوضِّح عذرَهم في الإشراك بالله ويأمرهم بذلك، فإن كان السلطان رسولاً فكلامه حقيقةٌ، وإن كان كتاباً فكلامه ذكر على وجه التوسُّع والمجاز؛ لأنه للإبانة كالكلام، قال أبو العتاهية:

وعَظَتْكَ أجداثٌ صُمُتْ ... ونَعَتْكَ أزمنةٌ خُفُتْ
وتكلَّمتْ عن أوجهٍ ... تَبْلى وعن صورٍ سَبَتْ
وأَرَتْكَ قبرَكَ في القُبو ... رِ وأنت حيٌّ لم تَمُتْ[2]

* * *

(٣٦) - ﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُواْ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾.

---

(١) «ما» ليست في (أ) و(ف).

(٢) انظر: «الشعر والشعراء» (٢/ ٧٨٢).

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَآ أَذَقۡنَا ٱلنَّاسَ رَحۡمَةً﴾: خصباً وسعة برحمة منا ﴿فَرِحُواْ بِهَا﴾؛ أي: أظهروا بها سروراً.

﴿وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةُۢ﴾: أي: أمرٌ يَسُوءهم من قحطٍ ومجاعة ﴿بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ﴾؛ أي: بسبب معاصيهم، وقيد باليد لأن أكثر العمل وأظهرَه باليدين.

وقوله تعالى: ﴿إِذَا هُمۡ يَقۡنَطُونَ﴾: أي: وجدتَهم يجزعون فعلَ الذين عن رحمة الله ييأسون، ولم تدخل الفاء في قوله: ﴿إِذَا هُمۡ﴾ لِمَا قلنا: إنَّ تقديره: وجدتَهم، وإذا كان الجواب بالفعل لم يَحتجْ إلى الفاء.

***

(٣٧) ـ ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾.

وقوله: ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ﴾: أي: قد رأى هؤلاء أن الله يوسِّع الرزقَ ابتداءً ﴿لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ﴾؛ أي: يضيِّق، فليس يجب أن يدعوَهم التضييق في الرزق إلى القنوط من رحمة الله.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾: أي: لعلاماتٍ لأهل الإيمان على أن التضييق في الرزق والتوسعةَ فيه على ما سبق من علمه وإرادته.

***

(٣٨) ـ ﴿فَـَٔاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلۡمِسۡكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجۡهَ ٱللَّهِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَـَٔاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلۡمِسۡكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ﴾: أي: فأعطِ قريبك حقَّه من البِرِّ والصلة والمواساة، وأعطِ الفقير والغريب حقوقَهم، فليس فقرُهم وغناك إلا لأن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر؛ أي: وليس فقرُ القفير لهوانه على الله ولا

غنَى الغنيِّ لكرامته على الله، لكن امتحَن عباده بالفقر والغنى، وآتِـهم حقوقَهم من مال الله[١] قِبَلك[٢]، فإنه وإن كان قتَّر عليهم فقد[٣] أوجب مقدارَ كفايتهم عليك.

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ﴾: وهو إيتاءُ هؤلاء حقوقهم ﴿خَيْرٌ﴾ لك من بُخلك بمالك.

﴿لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ﴾: أي: يطلبون به التقرُّب إلى الله ونيلَ ثوابه.

﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾: أي: الفائزون ببقاء الأبد ودَركِ الطلب.

* * *

(٣٩) ـ ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَاْ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُواْ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَاْ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُواْ عِندَ ٱللَّهِ﴾: أي: وما أعطيتُم أحداً من شيء طلبَ الازدياد به لتَزيدوا من أموالهم في أموالكم ـ وهو أن يكون العطاء طلباً للمكافأة في الدنيا والاستكثار ـ فإنه لا يزداد عند الله؛ أي: لا يضاعَف لكم أجره؛ لأنكم قد نلتُم أجرَ ذلك في الدنيا بإعطائكم إياه، فلا مكافأة لكم عند الله.

وقوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ﴾: أي: وما أَعطيتم من شيء تلتمِسون به الطُّهرة من الذنوب، والجزاءَ في الآخرة لا في الدنيا، وهو قوله: ﴿تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: التقرُّبَ إلى الله.

---

(١) في (أ): «حقوقهم بالله».

(٢) «قبلك» ليست في (ف).

(٣) في (ف): «فإنه».

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُضۡعِفُونَ﴾: أي: الواجدون الضِّعفَ؛ أي: الإضعافَ بالواحدة العشرةَ إلى سبعِ مئةِ ضعفٍ.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: هي هبةُ الرجل يَهَب الشيءَ يريد أن يثاب أفضلَ منه، فذلك الذي لا يربو عند الله؛ أي: لا يؤجَرُ فيه صاحبه ولا إثم عليه، قوله: ﴿وَمَآ ءَاتَيۡتُم مِّن زَكَوٰةٖ﴾ قال: هي[1] الصدقة ﴿تُرِيدُونَ وَجۡهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُضۡعِفُونَ﴾[2].

* * *

(٤٠) ـ ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ ثُمَّ رَزَقَكُمۡ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡۖ هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفۡعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيۡءٖۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ ثُمَّ رَزَقَكُمۡ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡ﴾: رجع الكلام إلى محاجَّة المشركين، يقول: هذه قدرة الله لا يُعجزه شيء، فهو الخالق وحده والرازق وحده والمميت وحده والمحيي وحده.

وقوله تعالى: ﴿هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفۡعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيۡءٖ﴾: أي: هل ممن جعلتُموهم شركاء لله مَن يفعل شيئاً من ذلك؛ أي: فإذا كانوا لا يفعلون شيئاً من ذلك فكيف أشركتموهم بي؟

وقوله تعالى: ﴿سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾: أي: تقدَّس الله وتنزَّه عن أن يكون له شريك، وهو أمر بتنزيهه سبحانه.

* * *

---

(١) في (ر): «هي مال».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٥٠٧ ـ ٥٠٨) من طريق عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن ابن عباس. ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٢٨١)، وليس في مطبوعه: عن ابن عباس.

(٤١) ـ ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾: قال الفراء: أي: أجدبَ البرُّ وانقطعت مادةُ البحر بذنوبهم، كل ذلك ليذوقوا الشدةَ بذنوبهم في العاجل[١].

ويتصل هذا بقوله تعالى: ﴿يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾ وبقوله: ﴿ثُمَّ رَزَقَكُمْ﴾، وضِيقُ الرزق بشؤم المعصية، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ﴾ الآية [الأعراف: ١٣٠]، وسعةُ الرزق بالإيمان والطاعة؛ قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَـٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦]، وعلى هذا الفسادُ بمعنى عقوبة الفساد؛ كجزاء السيئة يُسمى سيئةً.

وقيل: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ﴾؛ أي: غلب أهلُ الفساد؛ كما قال تعالى: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢]؛ أي: أهلَ القرية ﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ﴾ [الأعراف: ٤]؛ أي: أهلِ قرية، ﴿بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ﴾؛ أي: بسبب معاصي الناس، وهو كقول النبي ﷺ: «إذا غضب الله على قومٍ سلَّط الله عليهم شرارَهم في البر والبحر»[٢].

قيل: هما على ظاهرهما؛ البرُّ: المفازة، والبحر: موضع[٣] الماء الكثير.

وقال مجاهد: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾: ما في البر فهو قتلُ ابنِ آدم أخاه، وما في البحر فهو جُلندَى الملك الذي كان يأخذ كل سفينة غصباً[٤].

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٢٥).

(٢) لم أقف عليه.

(٣) في (ر) و(ف): «البر المفاوز والبحر مواضع».

(٤) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٧٧٦١)، رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٥١٢).

وقيل: البرُّ بلادٌ ليس فيها[١] ماءٌ جارٍ، والبحر بلاد فيها ماء جارٍ[٢].

وقوله تعالى: ﴿لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُواْ﴾، أي: يعاقبهم في الدنيا على بعض[٣] ما عملوا فيها من انتهاك المحارم، وكمالُ الجزاء يكون في الدار الآخرة.

وقوله تعالى: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾؛ أي: ليرجع مَن سوى هؤلاء المعذَّبين اتِّعاظاً بمن عذِّب مِن جنسهم.

وقيل: أي: ﴿ظَهَرَ﴾ أثرُ الفساد وهو عقوبةُ أهل الفساد ﴿فِى ٱلْبَرِّ﴾ بإهلاك القرى ﴿وَٱلْبَحْرِ﴾ بتغريق فرعون وقومه، ولذلك قال بعده:

* * *

(٤٣ ـ ٤٤) ـ ﴿قُلْ سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ﴾.

﴿قُلْ سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ﴾: أي: قل لأهل مكة: سافروا فانظروا في بلاد عادٍ وثمودَ وقومِ لوطٍ ونحوها كيف أهلكناهم وخرَّبنا ديارهم.

وقوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ﴾: يقول: قد بلغ الإعذار مبلغه فلا تهتمَّنَّ بإعراض هؤلاء واقصِدْ أنت الطريقَ الذي يُسلك بك إلى الدِّين المستقيم، وهو ما تقدم ذكره: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾.

---

(١) في (أ): «بها».

(٢) في (أ): «مياه جارية».

(٣) بعدها في (أ): «جزاء».

﴿مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ﴾: أي: لا يردُّه الله وإذا لم يردَّه هو لم يستطِعْ أحدٌ ردَّه، فهو آت لا محالةَ وهو يوم القيامة فاستعِدُّوا له.

﴿يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ﴾: أي: يتفرَّقون، وأصله: يتصدَّعون، وهو كقوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا﴾ الآية [الزلزلة: ٦] وبيَّنه هاهنا أيضاً فقال:

* * *

(٤٤ ـ ٤٥) ـ ﴿مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

﴿مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ﴾: أي: ضررُ كفره وعقوبةُ كفره في دار الجزاء.

﴿وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾: أي: يوطِّئون مقارَّ[1] أنفسهم في القبور، وقيل[2]: في الجنة.

وقوله تعالى: ﴿لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾: متصلٌ بقوله: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ... لِيَجْزِيَ﴾؛ كما قال: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [الزلزلة: ٦] يقول: إنهم يتفرقون في المنازل ليتميَّز الكافر من المؤمن ﴿لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ بالله وحده ﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ له وحده ﴿مِن فَضْلِهِۦٓ﴾؛ أي: بفضله.

﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾: فيسويهم بالمؤمنين، بل يُبغضهم فيميِّز بينهم وبينهم، فيعاقب الكافرين عذاباً غيرَ منقطعٍ وذلك عدل منه، ويثيب المؤمنين ثواباً غيرَ منقطعٍ وذلك فضل منه.

* * *

---

(١) في (ر) و(ف): «مهاد».

(٢) «قيل» زيادة من (أ).

(٤٦) ـ ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾: ثم عاد الكلام إلى ذكر الآيات، يقول: ومن الأعلام الدالة على قدرته إرسالُ الرياح ﴿مُبَشِّرَٰتٍ﴾؛ أي: بالمطر لأنها تتقدمه وتُطمع فيه على العادة، يُرسلها ليبشِّر بها ﴿وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ﴾؛ أي: يرزقكم من نعمته التي يرحمُكم بها ﴿وَلِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ﴾ في البحار ﴿بِأَمْرِهِۦ﴾ بهذه الرياح، ولتطلبوا ﴿مِن فَضْلِهِۦ﴾ بالتجارة في البحار والجهادِ فيها واصَلَ لكم هذه النعمة لتشكروا له عليها فتستحِقُّوا نِعَم الآخرة بشكركم على نعم الدنيا، وإذا كان فعَل ذلك ليستأديَهم شكرَه فلا بد من التمييز بين مَن أطاعه بذلك وبين مَن عصاه، وإذا لم يميز في الدنيا وقع ذلك في دار الآخرة[1]، وفي ذلك إثباتُ البعث.

* * *

(٤٧) ـ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ﴾: للدعاء إلى الإيمان وشكر النعم.

﴿فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾: بالحجج الواضحات، فآمن بهم البعضُ وكفر بهم البعض.

وقوله تعالى: ﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ ۖ﴾: أي: كفروا، بالإهلاك في الدنيا.

﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: أي: ونصَرْنا المؤمنين بهم، فأنجيناهم من

---

(١) في (أ): «أخرى».

العذاب ومنعناهم من الكفار إذ كنا وعدناهم ذلك، وكان حقًّا علينا بوعدنا الذي لا خُلف فيه أن ننصرَ المؤمنين، فعَلْنا ذلك بالأوَّلين وكذلك نفعلُ بالآخِرين، وفيه تسليةٌ للنبيِّ ﷺ والمؤمنين.

* * *

(٤٨) ـ ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبۡسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ يَشَآءُ وَيَجۡعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلۡوَدۡقَ يَخۡرُجُ مِنۡ خِلَٰلِهِۦۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾: عاد الكلام إلى ذكر آياته بقوله: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ﴾ فيبعث الرياح سحاباً؛ أي: فينشأ عند مجيء الريحِ السحابُ، أضاف الفعلَ إليها بطريق التسبيب[1].

وقوله تعالى: ﴿فَيَبۡسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ يَشَآءُ﴾: أي: يبسطه الله في السماء في أيِّ موضع يشاء، وعلى أيِّ قَدْرٍ يشاء، فيكون المطر في ذلك الموضعِ على ذلك القَدْر.

وقوله تعالى: ﴿وَيَجۡعَلُهُۥ كِسَفًا﴾: أي: ويجعل الله السحابَ قطعاً يركَب بعضُه على بعضٍ حتى يَكْثف.

قرأ ابن عامر: ﴿كِسَفًا﴾[2] ساكن السين، وقرأ الباقون بفتحها[3]، والواحدة: كِسْفةٌ، والجمع: كِسَف، بفتح السين وتسكينها.

---

(١) في (ر): «التسبب».

(٢) في (أ): «قرأ ابن عباس في رواية ابن ذكوان وأبو جعفر». ولعل «ابن عباس» محرف عن (ابن عامر)، وانظر التعليق الآتي.

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٥٠٨)، و«التيسير» (ص: ١٧٥) عن ابن عامر من رواية ابن ذكوان، واختلف فيه عن هشام، وهما راويا ابن عامر. وقرأ بها من العشرة أبو جعفر. انظر: «النشر» (٢/ ٣٠٩).

وقوله تعالى: ﴿فَتَرَى ٱلْوَدْقَ﴾: أي: المطر ﴿يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ﴾؛ أي: وسطِ السحاب مع كثافته وغلظته.

وقيل: فيبسطه في السماء مرةً ويجعلُه كسَفاً مرة؛ أي: يجعله منبسطاً يأخذُ وجهَ السماء مرةً، ويجعله قطعاً متفرقةً غيرَ منبسطةٍ مرةً.

وقيل: فيه تقديم وتأخير: يجعله كسفاً ـ أي: قطعاً متراكمةً ـ ثم يبسطه في السماء كيف يشاء.

وقوله تعالى: ﴿فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾: أي: فإذا أصاب بالودق مَن يشاء من عباده أن يصيبه به استبشروا(١) به؛ أي: فرحوا فرحاً يظهر ذلك في بشرات وجوههم طمعاً في الخصب، ثم مع هذا الموقع إنهم(٢) يشركون به غيره ممن لا يقدر على ذلك.

* * *

(٤٩ ـ ٥٠) ـ ﴿وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ﴾: أي: وما كانوا من قبلِ أن ينزَّل عليهم الودقُ من قبلِ ظهور السحاب إلا مُكتئبين(٣) باحتباسه عنهم اكتئابَ الآيس من الشيء، حتى يظهرُ ذلك في وجوههم.

وقوله تعالى: ﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ﴾: قرأ حمزة والكسائي وعاصم في

---

(١) في (ر): «إذا هم يستبشرون»، بدل: «استبشروا».

(٢) في (ر) و(ف): «أهم».

(٣) في (ر) و(ف): «مبلسين».

رواية حفص[1]: ﴿إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحۡمَتِ ٱللَّهِ﴾ على الجمع[2]، وقرأ الباقون: ﴿إلى أَثَرِ﴾ على التوحيد، والمعنى واحد؛ لأن المراد: ما[3] أثَّر المطر، وهو يؤدي معنى الجمع، فانظر إلى آثار رحمة الله.

﴿كَيۡفَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾: أي: فانظروا بعقولكم إلى ما أثَّره المطر من إنبات العشب[4] وأصناف النبات كيف أحييتُ الأرض بذلك بعد أن كانت ميتة؛ أي: كيف اهتزَّت بعد أن كانت هامدةً، فاستدِلُّوا بذلك على أن الذي قدر على إحيائها يقدر على إحياء الموتى أيضاً لأنه قادرٌ على كل شيء.

* * *

(٥١) ـ ﴿وَلَئِنۡ أَرۡسَلۡنَا رِيحٗا فَرَأَوۡهُ مُصۡفَرّٗا لَّظَلُّواْ مِنۢ بَعۡدِهِۦ يَكۡفُرُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَئِنۡ أَرۡسَلۡنَا رِيحٗا فَرَأَوۡهُ مُصۡفَرّٗا لَّظَلُّواْ مِنۢ بَعۡدِهِۦ يَكۡفُرُونَ﴾: أي: ولئن أرسلنا ريحاً على ذلك مُفسدةً، فرأوا ما أثَّر المطر من الزرع قد اصفرَّ بتلك الريح المفسِدة، لظلُّوا من بعد استبشارهم يكفرون بربهم، وهو تعجيبٌ من جهلهم وخفَّةِ عقولهم في عبادتهم لله تعالى على شكٍّ؛ كما قال: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ﴾ الآية [الحج: ١١].

وقيل: كانوا إذا استبطؤوا المطر سألوا الله، فإذا حُبس عنهم كفروا بالله تعالى.

---

(١) في (أ): «قرأ ابن عباس وحمزة والكسائي وعاصم في رواية حفص والمفصل»، ولعل الأول محرف عن (ابن عامر) والأخير محرف عن (المفضل). وانظر التعليق الآتي.

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٥٠٨)، و«التيسير» (ص: ١٧٥)، عن ابن عامر وحمزة والكسائي وحفص.

(٣) في (أ): «ماء» وليست في باقي النسخ، ولعل الصواب المثبت.

(٤) في (ف): «من الإنبات للعشب».

(٥٢ ـ ٥٣) ـ ﴿فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَا أَنتَ بِهَادِ الْعُمْيِ عَن ضَلَالَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾: يقول بعدما أقام الحجج وامتنع المشركون عن الإيمان: فإنك يا محمد لا يمكنك أن تُسمع مَن لا روح فيه من الأموات، وهؤلاء الكفار بمنزلةِ الأموات كما قال تعالى: ﴿أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ﴾ [النحل: ٢١]، ﴿وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ﴾ [النمل: ٨٠]؛ أي: ولا يتهيأ لك إسماعُ الصم ما تدعوهم إليه إذا أعرضوا عنك وتباعَدوا عن السمع منك، وهؤلاء الكفار كذلك.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَنتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَن ضَلَالَتِهِمْ﴾: أي: ولا يتهيَّأ لك يا محمد أن تهدي الأعمى إلى طريقٍ قد ضلَّ عنه بإشارةٍ منك له إليه مع ذهاب بصره.

﴿إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا﴾: أي: ما يَسمع مواعظَ الله إلا المؤمنون الذين فتح الله تعالى على[1] أسماعهم المصدِّقون بآيات الله.

﴿فَهُم مُّسْلِمُونَ﴾: أي: خاضعون منقادون لأحكام الله.

* * *

(٥٤) ـ ﴿۞ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۖ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾: قرأ عاصم وحمزة بفتح[2] الضاد في جميعهن، والباقون بالضم،

---

(١) «على» من (ف).

(٢) في (أ): «قرأ حمزة وعاصم غير المفضل بنصب» وفي (ف): «قرأ عاصم وحمزة بنصب».

وهو اختيار خلف وحفص[١]، وعن عاصم[٢] في رواية ضمُّ الأُولَيين وفتح الثالثة[٣].

وقيل: الضُّعف بالضم: ما كان أصلاً وبالفتح ما كان عارضاً[٤].

يقول: الله الذي خلقكم من نطفةٍ ضعيفةٍ كما قال تعالى: ﴿مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ﴾ [السجدة: ٨].

وقيل: أي: ﴿خَلَقَكُم﴾ على صفةِ[٥] ﴿ضَعْفٍ﴾ في الأوَّل وهي حالة الصغر والطفولية، ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً﴾؛ أي: حالةَ الشباب وبلوغِ الأشُدِّ، ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا﴾ وهي حالة الهرم، وقوله تعالى: ﴿وَشَيْبَةً﴾؛ أي: بياضَ شعر، وقال تعالى: ﴿وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِى ٱلْخَلْقِ﴾ [يس: ٦٨] فيعود في ضعفه وانقطاعه عن التصرُّف إلى مثل[٦] ما كان عليه في حال طفوليته، فمَن قدِر على هذا[٧] قدِر على إحياء الموتى، وكما يَردُّ الحيَّ في آخر حياته إلى أولِ[٨] خلقه فغيرُ بعيدٍ أن يردَّه بعد موته إلى ما كان عليه في أول أمره.

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٥٠٨)، و«التيسير» (ص: ١٧٥ ـ ١٧٦)، و«النشر» (٢/ ٣٤٥). قال الداني: روى حفص عن عاصم بفتح الضاد فيهنَّ، غير أنه ترك ذلك واختارَ الضَّم اتِّباعاً منه لروايةٍ حدثه بها الفضيل بن مرزوق عن عطيَّة العوفيّ عن عبد الله بن عمر: أن النَّبي عَلَيْهِ السَّلَام أقرأه ذلك بالضمِّ وردَّ عليه الفتحَ وأباه، وعطية يضعَّف، وما رواه حفص عن عاصم عن أئمَّته أصح، وبالوجهين آخذ في روايته لأتابع عاصمًا على قراءته وأوافق حفصاً على اختياره.

(٢) في (ر) و(ف): «وعن عاصم بالضم في رواية وعنه» بدل: «وهو اختيار خلف وحفص وعن عاصم».

(٣) ذكرها الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ٣٠٧).

(٤) في (ر): «أصليًّا.. عارضيًّا».

(٥) «صفة» من (أ).

(٦) «مثل» من (أ).

(٧) في (ر): «ذلك».

(٨) في (أ): «أصل».

وقوله تعالى: ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾: من صِغَرٍ وكِبَرٍ، وضَعفٍ وقوةٍ، وشبابٍ وشَيبة ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ﴾ بمصالح خلقه وبلوغِ مَن بلغ منهم الشبابَ والكهولةَ والهرمَ ومَن انقطع منهم قبل ذلك، والعليم بوقت البعث ﴿ٱلْقَدِيرُ﴾ على كل شيء.

❊ ❊ ❊

(٥٥) ـ ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ﴾: أي: يحلف هؤلاء المشركون المنكرون للبعث أنهم ما لبثوا في الدينا إلا ساعةً من نهار.

وقيل: أي: ما لبثوا في قبورهم إلا ساعة؛ أي: يستقلُّون مدةَ كونهم في القبور أو كونهم في الدنيا؛ لهول يوم القيامة وطولِ مقامهم في الآخرة وشدةِ العذاب فيها.

قال الإمام أبو منصور رحمه الله: يقولون: لم نلبث في الدنيا إلا ساعةً كيف عملنا فيها المعاصيَ؟! وهذا إنكارٌ منهم للذنوب[١].

﴿كَذَٰلِكَ كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ﴾: أي: يُصرَفون في الدنيا عن الصِّدق إلى الكذب، وكانوا يحلفون على الكذب ويقولون: ما هي إلا حياتُنا الدنيا، ولا بعثَ ولا حسابَ ولا جزاء، فكذلك قالوا في الآخرة: ما لبثنا في الدنيا ـ أو: في قبورنا ـ إلا ساعة.

وقيل: أقسموا عليه لأنه كان عندهم كذلك، وكانوا عند أنفسهم صادقين، وذلك أنهم في الآخرة لا يتعمَّدون الكذب، ومعنى قوله: ﴿كَذَٰلِكَ كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ﴾؛ أي: يُصْرَفون عن الصواب فيقولون يوم القيامة ما لا يعلمون كما كانوا يقولون في الدنيا ما لا يعلمون، والتشبيه من هذا الوجه لا في تعمُّد الكذب.

❊ ❊ ❊

---

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٨/ ٢٩٢).

(٥٦) ـ ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَـٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ فَهَـٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَـٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَـٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ ﴾: أي: قال المؤمنون بالبعث العالمون به للكفار: لقد لبثتُم إلى يوم البعث كما أخبر الله تعالى في كتابه بقوله: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ [المؤمنون: ١٠٠] فقد لبثتم مدةً طويلة إلى أن حضَر يومُ البعث ﴿فَهَـٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ﴾ كما أخبر الله تعالى ﴿وَلَـٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾: أي: لا تَرجعون إلى العلم ولا تتدبَّرون فكنتُم تُكذِّبون بالبعث كذلك.

وقيل: ﴿فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ ﴾؛ أي: في حُكم الله.

* * *

(٥٧ ـ ٥٨) ـ ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ۝٥٧ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَلَئِن جِئْتَهُم بِـَٔايَةٍ لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴾.

قوله تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ﴾: أي: كفرُوا ﴿مَعْذِرَتُهُمْ ﴾: أي: عذرُهم.

﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴾: أي: لا يُطلب منهم الإعتابُ وهو الإرضاء؛ لأنه لا يُقبل فلا يطلب[١].

وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ﴾: أي: في التنبيه[٢] على التوحيد وعلى البعث وغير ذلك.

---

(١) في (أ) و(ف): «يطالب».

(٢) في (ف): «في الألسنة»، وليست في (ر).

﴿وَلَئِن جِئْتَهُم بِآيَةٍ﴾: أي: بمعجزةٍ، أو آيةٍ من القرآن ﴿لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ﴾: آتون بالباطل، لا يزيدون على الدعوى بعد إقامة البرهان منكم.

* * *

(٥٩ ـ ٦٠) ـ ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ (٥٩) فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾.

﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾: فسَّرنا الطبع والختم في أول سورة البقرة، ومعناها هاهنا: كذلك يخذل الله الذين لم ينظروا في أسباب العلم فلم يعلموا، وهذا في حق مَن علم الله منهم اختيارَ الضلال، ودل ذلك على خلقِ الأفعال.

وقوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾: أي: ﴿فَاصْبِرْ﴾ على أذاهم ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ﴾ بنصرك ﴿حَقٌّ﴾.

﴿وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾: أي: ولا يَحملنَّك هؤلاء الذين لا يوقنون بالآخرة على الخفَّة والعجلة في الدعاء عليهم بالعذاب.

وقيل: أي: ولا يستفزَّنَّك هؤلاء ولا يُغضبُنَّك فتمتنعَ عن تبليغ الرسالة لذلك.

والحمدُ لله علَّامِ الغيوب، الذي ستَر علينا قبائحَ الذنوب، وأَسْبَلَ علينا ذيلَ فضله، ولم يفضحنا بين خلقِه، بسبب المعاصي والعيوب[١].

* * *

---

(١) في (ف): «والذنوب». والكلام من قوله: «والحمد لله علام الغيوب...» إلى هنا ليس في (أ).

سُورَةُ لُقمَان

سُورَةُ لُقْمَانَ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

بسم الذي آتى لقمان الحكمة، الرحمنِ الذي أسبغَ علينا النعمة، الرحيمِ الذي ينزل الغيث ويكشفُ الغمة.

وروَى أبي بن كعب رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «مَن قرأ سورة لقمان كان لقمانُ له يومَ القيامة رفيقاً، وأُعطي عشرَ حسنات بعددِ مَن عمِل بالمعروف ونهى عن المنكر»(١).

وهذه السورةُ مكية إلا آيتينِ نزلتا بالمدينة: ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ ﴾ إلى قوله: ﴿سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ﴾.

وهي ثلاث وثلاثون آية، وكلماتها خمسُ مئة وسبعٌ وأربعون، وحروفُها ألفان ومئة وعشرون حرفاً(٢).

وانتظام أول هذه السورة بآخر تلك السورة: أنَّ ختمَ تلك بذمِّ الكفار لأنهم لا يوقنون وافتتاح هذه السورة بمدحِ المؤمنين أنهم بالآخرة هم(٣) يوقنون.

---

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ٣٠٩)، وهو قطعة من الحديث الموضوع في فضائل السور. وانظر: «الفتح السماوي» للمناوي (٢/ ٩١٨)، و«الفوائد المجموعة» للشوكاني (ص: ٢٩٦).

(٢) انظر: «البيان في عد آي القرآن» للداني (ص: ٢٠٥)، و«تفسير الثعلبي» (٧/ ٣٠٩)، وفيهما: (وكلمها خمس مئة وثمان وأربعون كلمة، وحروفها ألفان ومئة وعشرة).

(٣) «هم» من (أ).

وانتظام السورتين: أنهما مكيتان، وكلٌّ واحدةٍ منهما في بيانِ وحدانية الله وبيانِ حقِّيَّة الكتاب والرسولِ، ومدحِ المؤمنين وبيانِ حُسن عاقبتهم، وذمِّ الكافرين وبيانِ سوءِ خاتمتهم.

* * *

(١ ـ ٢) ـ ﴿الٓمٓ ۝١ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿الٓمٓ﴾: قد بينَّا الأقاويل فيه.

﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ﴾: أي: هذه آياتُ القرآن المحكَم، من قوله تعالى: ﴿أُحْكِمَتْ﴾ [هود: ١].

وقيل: أي: ذي الحكمة.

وقيل: أي: الحاكمِ، ومعناه: أنَّ فيه بيانَ الأحكام.

* * *

(٣ ـ ٤) ـ ﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ۝٣ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ﴾: قرأ حمزة بالرفع على الاستئناف؛ أي: هو هدًى ورحمةٌ، وقرأ الباقون بالنصب على القطع[1]؛ لأنه نكرة جُعل نعتاً للمعرفة، ومعناه: هذه الآيات يُهتدَى بها إلى سبيل[2] الحق، ورحِم الله بها عباده بأنْ أودعها ما بهم إليه حاجةٌ في دينهم ومصالح دنياهم، فصاروا بذلك محسنين؛ أي: يُحسنون العمل لله تعالى، وخصَّهم بالإضافة لاختصاصهم بالانتفاع بها.

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٥١٢)، و«التيسير» (ص: ١٧٦).

(٢) في (أ): «سبل».

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾: صفات المحسنين.

* * *

(٥ ـ ٦) ـ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾: وعدٌ لهم؛ أي: هم على الرشاد في الدنيا ولهم الفوزُ في العقبى.

وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ﴾: أي: ومن الناس مَن يختارُ على هذا الكتاب الذي مرت صفتُه ومدحُ متَّبعيه ووعدُهم عليه في الدارين[١] حديثاً يُلهيه؛ أي: يَلِذُّه في غير دينه، كأحاديثِ ملوك فارسَ والروم، فيقطع الزمانَ بمثله ويدعو نظراءَه إلى التلهِّي به.

وقوله تعالى: ﴿لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: أي: عن دِينه الحقِّ.

وقيل: سبيلُ الله هاهنا هو القرآن وذكرُ الله، وهذا عن ابن عباس رضي الله عنهما[٢].

﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾: أي: جهلاً منه وقلةَ تمييز بين ما يُفيد نفعاً في مصالح الدارين وبين ما يفيد وِزراً وخُسراناً[٣] في الدارين.

وقيل: ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾؛ أي: جهلاً منه بما عليه من الوزر به في الآخرة.

---

(١) في (أ): «في الدار الآخرة».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٥٣٩ ـ ٥٤٠).

(٣) في (أ): «وخساراً».

وقيل: ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ صفة المفعول بالإضلال؛ أي: يضلُّ به مَن قلده توهُّماً أنه على علم.

وقوله تعالى: ﴿وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا﴾: عطف على ﴿لِيُضِلَّ﴾؛ أي: وليتَّخذ سبيلَ الله هُزواً؛ أي: سخريةً يسخر منه وممن اعتقده، ويقول: هؤلاء يضيِّعون أيامهم، ويتحمَّلون أثقالَ شرائعَ على أمرٍ[1] مظنونٍ مشكوك فيه، لا ثمرة له على نَصَبه.

وقوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾: أي: هذه الطائفةُ لهم السبي والقتل في الدنيا.

وقيل: لهم العذاب المذِلُّ المخزي في الآخرة.

* * *

(٧) ـ ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا﴾: أي: القرآنُ ﴿وَلَّىٰ﴾؛ أي: أعرَضَ[2] عن الاستماع إليه.

﴿مُسْتَكْبِرًا﴾ أي: متعظِّماً مترفِّعاً عن استماعه واتِّباعه.

﴿كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا﴾: أي: يعرض عنها كإعراضِ مَن لم يسمعها.

﴿كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ﴾: وكإعراض مَن في أذنيه ثقلٌ أو[3] صمم.

---

(١) في (أ): «أثقال على أمر»، وفي (ف): «أثقال شرائع أمر».

(٢) في (ف): «﴿وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا﴾ أي: مدبراً معرضاً» وفي (ر): «﴿وَلَّىٰ﴾ مدبراً أي: أعرض».

(٣) في (أ): «و».

وقوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[1]: أي: وجيع، وجَمع في ختم الآيتين[2] لأنه من جنسٍ أُريد به الجمع، فوحَّد في الابتداء للَفظه وجمعَ في الآخر لمعناه.

وقيل: المراد بالبشرى هو البشرى المعروف.

وقيل: المذكور في الآيتين هو النضر بن الحارث بن علقمة من بني عبد الدار، وهو الذي قُتل ببدر، وكان يتَّجر ويخرج إلى فارس، فيرجعُ بكتب الأعاجم ويقول لقريش: إن محمداً يحدِّثكم بحديث عاد وثمود فأنا أحدثكم بحديث كسرى وبهرام[3].

وقال مقاتل: كان يحدث قريشاً بحديث رستم وإسفنديار وكانوا يستملحون حديثه فيصدُّهم بذلك عن النبي ﷺ[4].

وقيل: اللهو في هذه الآية: الغناءُ وما يتصل به من الملاهي، وكان منهم مَن يشتري القَينةَ تُلهيه وتغنِّيه، فيقطعُ بذلك أيامه ويُحسن الاستماع[5] إليه، ويستكبر عن استماع مواعظ الله تعالى، وهو قول ابن عباس ومجاهد[6].

وروى أبو أمامة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «لا يحلُّ بيعُ المغنيات ولا التجارةُ فيهن، وثمنهنَّ حرام، وإنما أنزلت هذه الآية في هذا ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى

---

(١) في (أ): «فبشرهم بعذاب أليم» وهو سهو فإن الآية هنا: ﴿فَبَشِّرْهُ﴾ بالإفراد. وانظر التعليق الآتي.

(٢) كذا في (أ) و(ف)، وسقطت الجملة من (ر)، والصواب أن الأولى فقط هي التي ختمت بالجمع، ولعل هذا الخطأ مبني على ما تقدم في النسخة (أ) من مجيء (فبشرهم) بالجمع فيها.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ١٨٢)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٥٩١٤)، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ٣١٠) عن مقاتل والكلبي، وهو قطعة من خبر ابن عباس السابق.

(٥) في (أ): «الاستمتاع».

(٦) رواه عنهما الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٥٣٤ ـ ٥٣٨)، ورواه أيضاً عن ابن مسعود وجابر وعكرمة.

﴿لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ﴾ والذي نفسي بيده لا يرفعُ الرجل عقيرته بالغناء إلا اكتنَفه شيطانٌ من هذا الجانب وشيطان من هذا الجانب، فلا يزالان يضربانه بأرجلهما حتى يكون هو الذي يسكت»[١].

وقال قتادة: هو كلُّ لهوٍ ولعب[٢].

وقال عطاء: هو الترهات وفضول الكلام[٣].

وقيل: لهو الحديث هو الشرك لأنه يلهي عن الطاعات لله؛ لجحود صاحبه بيوم الحساب[٤].

* * *

(٨ ـ ٩) ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ۝٨ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ﴾: هو في مقابلةِ وعيد أولئك بالعذاب الأليم.

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾: أي في جنات النعيم لا يخرجون منها ولا يموتون فيها.

﴿وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا﴾: أي: وعَد اللهُ ذلك وَعْداً صدقاً.

---

(١) رواه الطبراني في «الكبير» (٧٧٤٩). وضعفه العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (١/ ٥٧٤).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ٣١٠). وروى عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٢٨٥)، الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٥٣٣)، عنه قوله: (والله لعله أن لا ينفق فيه مالاً، ولكن اشتراؤه استحبابه، بحسب المرء من الضلالة أن يختار حديث الباطل على حديث الحقّ)، زاد الطبري: (وما يضرّ على ما ينفع).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ٣١٠). بلفظ: (الترهات والبسابس).

(٤) في (أ): «القيامة».

﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾: المنيع الذي لا يغالب فيما يفعل بأوليائه وأعدائه.

﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ فيما يفعل من التمييز بينهم وبينهم.

* * *

(١٠) ـ ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾.

وقوله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾: أي: العزيز الحكيم ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ فأقامها ﴿بِغَيْرِ عَمَدٍ﴾ وأنتم ﴿تَرَوْنَهَا﴾ أنها بغير عمدٍ.

وقيل: جعل لها عمداً ولكنكم لا ترونها وهي القدرة.

وقوله تعالى: ﴿وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ﴾: أي: وخلق فيها جبالاً ثوابت.

﴿أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾: أي: لئلا تضطرب بكم؛ كقوله تعالى: ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا۟﴾ [النساء: ١٧٦]؛ أي: لئلا تضلوا.

وقوله تعالى: ﴿وَبَثَّ فِيهَا﴾: أي: نشر[١] فيها ﴿مِن كُلِّ دَآبَّةٍ﴾ من أنواع الحيوانات التي تدبُّ على وجه الأرض، وهذا كلُّه على المغايبة[٢].

ثم قال: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾: وهذا إخبارٌ عن نفسه كخطاب الملوك على الجمع، وهو من تلوين الخطاب، وهو أحد أنواع البلاغة.

وقوله تعالى: ﴿فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾: أي: من كلِّ صنفٍ من النبات حسنٍ مُؤْنق.

* * *

---

(١) في (ر): «فرق»، وفي (ف): «أنشر».

(٢) في (ر): «المعاينة».

(١١) ـ ﴿هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾.

وقوله تعالى: ﴿هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ﴾: أي: مخلوقُ الله ﴿فَأَرُونِى﴾ معاشرَ المشركين ﴿مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾ من الأصنام والملائكة والشياطين فيستحِقُّوا بذلك العبادة.

وقوله تعالى: ﴿بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾: ﴿بَلِ﴾ ردٌّ لِمَا قبله صريحاً أو تقديراً، وتقديره هاهنا: ليس إشراكهم بالله لأن ما أشركوا به[1] خلَق شيئاً بل هم واضعون العبادةَ في غير موضعها على سبيلِ ضلالٍ عن الحق ظاهرٍ وجهلٍ بيِّن.

* * *

(١٢) ـ ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ﴾: ذكر قصةَ لقمان وأمرِه ابنَه بتجنُّب الشرك وملازمة الإخلاص وغير ذلك من الأمور التي كان مشركو قريش يخالفونها؛ لأن أمر[2] لقمان كان مشهوراً عند أهل الكتاب، وكان مشركو العرب يرجعون إليهم، فكان تصديق أهل الكتاب بقصته حجةً على المشركين.

واختلف في لقمان: هل كان نبيًّا أو لا؟

قال الواقدي: كان عبداً حبشياً مجدَّعاً مصكَّك الركبتين مصفَّح القدمين، قاضياً في بني إسرائيل[3].

---

(١) «به» من (أ).

(٢) «أمر» من (أ).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ٣١٢) عن الواقدي مقتصراً على قوله: (كان قاضياً في بني إسرائيل)، =

وقال وهب: هو ابن أخت أيوب صلوات الله عليه[١].

وقال مجاهد: كان عبداً نوبيًّا غليظَ الشفتين ذا مَشافرَ[٢].

وقال محمد بن إسحاق: هو لقمان بن باعور بن ناحور بن تارخ وهو آزر والد إبراهيم عليه السلام[٣].

وقال قتادة: كان حكيماً من غير نبوة[٤].

وقال عكرمة: كان نبيًّا[٥]، وتفرَّد بهذا القول.

وقال مجاهد: الحكمة هي العقل والإصابة في القول والعمل[٦].

وقال وهب: هي العلم والفهم والفطنة من غير نبوة.

قال: وكان عبداً لرجل من بني إسرائيل فأعتقه وأعطاه مالاً فبارك الله له فيه، وكان لا يأتيه سائل إلا أعطاه، ولا ينزل به ضيف إلا أضافه، وكان في زمن داود عليه السلام قد نوَّر الله قلبه بالإيمان، وأطلق لسانه بالحكمة، وعمِّر عمراً طويلاً، بعث الله تعالى طوائف من الملائكة حين انتصف النهار وهدأت العيون للقائلة، فدخلوا عليه بيته يسمع كلامهم ولا يرى صورهم، فسلَّموا عليه فرد عليهم السلام،

= ورواه بنحوه الإمام أحمد في «الزهد» (٢٦٦)، والطبري في «تفسيره» (١٨/ ٥٤٧)، عن مجاهد، ولفظه: كان لقمان الحكيم عبداً حبشيًّا، غليظ الشفتين، مصفح القدمين، قاضياً على بني إسرائيل.

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ٣١٢).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٥٤٧) عن سعيد بن المسيب.

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ٣١٢).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٥٤٦).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٥٤٩)، والثعلبي في «تفسيره» (٧/ ٣١٢).

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٥٤٦).

فقالوا: إنا رسل ربِّك ليجعلك خليفةً في الأرض تحكُم بين الناس بالحق، قال لقمان: إنْ جبَرني ربي على ذلك سمعتُ له وخضعتُ لطاعته ورجوتُ أن يُعينني ويسدِّدَني عليه، فإذا أعفاني قبلتُ العافية ولم أتعرَّض للفتنة؛ لأن الحكم بين الناس بأشدِّ المنازل وأكثرِها لمواقع الفتن، والحاكم إذا لم يحكم بالحق خُذل، وإذا حكم بالحق أُعين، وفيه خطرٌ عظيم، ومَن أخطأ الحقَّ أخطأ طريقَ الجنة، ومَن يكن في الدنيا حقيراً خاملاً كان أهونَ عليه يومَ المعاد و﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾ ويوم ﴿تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ فعَجِبت الملائكة من حكمته، ورضي الله تعالى قوله.

فلما أمسى لقمان وجنَّه الليل وأخذ مضجعه، غشَّاه الله بالنعاس، وأنزل عليه الحكمة فصبها عليه صبًّا وحشا بها جوفَه، وأظهرها على لسانه، فاستيقظ وهو أحكمُ أهل زمانه، فلا يلقى أحداً إلا وعظه وذكَّره.

وآتى الله تعالى داود عليه السلام الخلافةَ، وبينما لقمان يوماً يَعِظ الناس وهم مجتمعون عليه إذ مر عظيم من عظماء بني إسرائيل، فأقبل ينظر[1] في وجهه فإذا رجل أسود، فتحوَّل حتى أتاه من خلفه، فأخذ برقبته فغمزها ثم قال: أنت لقمان؟ قال: أنا لقمان، قال: أنت راعي بني فلان؟ قال: نعم، قال: فما الذي بلَّغك[2] ما أرى وأنت أنت؟ قال: صدقُ الحديث وأداءُ الأمانة وتركي ما لا يَعنيني، قال: صدقت.

وقد وعظ ابنَه ثاران بعشرة آلاف حكمة، وقيل: إنه لمَّا[3] فرغ منها لقمان خرجت روح ابنه لِمَا أثقله من حملها.

وقوله تعالى: ﴿أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ﴾ أي: وقلنا له: اشكر لله.

---

(١) في (أ): «قيل فنظر»، بدل: «فأقبل ينظر».

(٢) في (ف): «بلغ بك».

(٣) في (أ): «ولما»، وفي (ف): «وقيل إنه كان لما»، بدل: «وقيل إنه لما».

وقيل: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ﴾ ترجمةٌ لقوله: ﴿ٱلْحِكْمَةَ﴾ وهو بيان أن رأس الحكمة للمخلوقين شكرُهم نِعَمَ الله تعالى.

﴿وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ﴾: أي: نفعُه يعود إليه بتمام النعمة ودوامها وزيادتها والثواب على شكرها ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ النعمة ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ﴾ عن شكر عباده، لا يتكثَّر بشكرهم، ولا يتعزَّز بطاعتهم ﴿حَمِيدٌ﴾ على إنعامه لأن آثار إنعامه ظاهرةٌ على كافة بريَّته.

* * *

(١٣) ـ ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ﴾: أي واذكر يا محمد إذ قال لقمان لابنه ﴿وَهُوَ يَعِظُهُۥ﴾:

﴿يَٰبُنَيَّ﴾: تصغير على جهة الشفقة والتلطف ﴿لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ﴾؛ أي: لا تجعل لله شريكاً في العبادة.

﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ﴾ من المشرك على نفسه ﴿عَظِيمٌ﴾ لأنه يورده[1] عذاباً لا ينقطع ولا يُفتَّر، ولأنه وضْعُ العبادةِ غيرَ موضعها وهو عظيم؛ أي: شنيع منكر في العقول.

* * *

(١٤) ـ ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾.

---

(١) في (ر): «يؤديه».

وقوله تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ ﴾: قيل: هو عطف على قوله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَـٰنَ ٱلْحِكْمَةَ... وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ ﴾.

وقيل: هذا كلام معترِضٌ في قصة لقمان إلى قوله: ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ ثم عاد الكلام إلى قصته.

وقيل: هو متصل كلُّه، وهاهنا مضمر تقديره: وقلنا له ـ أي: للقمان ـ: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ ﴾.

قيل: أي: ببرِّ والديه، وقد صرح به في آية أخرى: ﴿بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ﴾ و: ﴿بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَـٰنًا ﴾، ثم نبَّه على المعنى الموجِب لبرهما فقال:

﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ ﴾: أي ضَعفاً على ضَعفٍ؛ أي: تزداد كلَّ يوم ضعفاً على ضعفٍ؛ لأن الحمل في البداية خفيفٌ ثم يَثْقُل شيئاً فشيئاً.

وقيل: معناه: أن المرأة ضعيفة في الخلقة ثم يُضعفها الحمل لثقله.

وقوله تعالى: ﴿وَفِصَـٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ ﴾: أي: فطامه عن الرضاعة لتمام عامين؛ أي: أنها ترضعهُ وتربِّيهِ في هذه المدة، وهذا مما يوجِب لها حقًّا، ويُلزمه لها شكراً.

وقوله تعالى: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ ﴾: قيل: هو متصل بقوله: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ... أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ ﴾: اشكر لي على الإيجاد ولهما على التربية.

﴿إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴾: وهو ترغيب وترهيب.

* * *

(١٥) ـ ﴿ وَإِن جَـٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ وَإِن جَـٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ﴾:

أي: إني وإن كنتُ عظَّمتُ عليك حقَّهما، فلم يبلغ من حقِّهما عليك أن[1] يجوز لك طاعتُهما فيما يأمرانك به من الإشراك بي وإن اجتهدا عليك في ذلك.

وهذا كلُّه تعريفٌ لهؤلاء المشركين شدةَ في الأمر في الشرك، فإنه لا يباح بحال، وانتظمت هذه الآية[2] بالأولى بهذا المعنى، فإنه قال هناك: ﴿لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ﴾، وهاهنا قال: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى ... فَلَا تُطِعْهُمَا﴾.

﴿وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾: أي: في أمور الدنيا بالمعروف لمثلهما، وهو الطاعةُ لهما فيما لا يُفسد عليك دينك.

﴿وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ﴾: أي: واتَّبع أيها الإنسان طريقَ مَن أقبل عليَّ بتوبته وعبادته[3].

﴿ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ﴾: أي: رجوع جميعِكم في الآخرة.

﴿فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: أي: أخبرُكم بأعمالكم وأجازيكم عليها.

وقيل: نزلت الآية في سعد بن أبي وقاص، وذلك أن أمه حمنةَ بنت سفيان[4] بن أمية بن عبد شمس، نذرت أن لا تأكل ولا تشرب حتى[5] يمس سعدٌ إسافاً ونائلةَ[6]، وهما صنمان كانا على الصفا والمروة.

---

(١) في (ر) و(ف): «فلا»، بدل: «فلم يبلغ من حقهما عليك أن».

(٢) في (ف): «الحالة».

(٣) في (ف): «ثبوتك على عبادته» بدل: «من أقبل علي بتوبته وعبادته».

(٤) قيل: بنت سفيان، وقيل: بنت أبي سفيان. انظر: «أسد الغابة» (٢/ ٤٣٣).

(٥) في (أ): «أو»، وفي (ف): «ما لم».

(٦) رواه بنحوه مسلم (١٧٤٨) كتاب فضائل الصحابة، عقب الحديث (٢٤١٢)، والترمذي (٣١٨٩)، من حديث سعد رضي الله عنه.

وقال سعد بن أبي وقاص نزلت فيَّ ثلاث آيات: هذه الآية، وآية الوصية، وآية تحريم الخمر[١]، وقد ذكرناها مبسوطة في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ﴾ الآيةَ.

❊ ❊ ❊

(١٦) ـ ﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ﴾: قرأ نافع: ﴿مِثْقَالُ﴾ رفعاً[٢]، وعلى هذا قوله: ﴿إِنَّهَآ﴾ تكون الكناية عماداً كما في قوله: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا﴾ [طه: ٧٤]، وتأنيثه ردٌّ إلى القصة أو الحادثة أو الواقعة، وقوله: ﴿إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ﴾ بالرفع يكون رفعاً بـ(كان)، وهو تامٌّ لا خبر له، وتأنيثه ـ مع أن المثقال مذكَّر ـ لِمَا أنه مضاف إلى ﴿حَبَّةٍ﴾، و(مثقال حبة) هي الحبةُ حقيقةً، وهو كقول الشاعر:

طـولُ الليالي أسـرعتْ فـي نقضي[٣]

لأن طولَ الليالي هي الليالي حقيقةً.

وقرأ الباقون: ﴿مِثْقَالَ حَبَّةٍ﴾ بالنصب، وعلى هذا قوله: ﴿إِنَّهَآ﴾ تكون كنايةً عن الفعلة ونحوِها؛ أي: إن كانت فعلةُ الإنسان مقدارَ[٤] خردلةٍ في الثقل والوزن من خيرٍ أو شر.

---

(١) قطعة من الحديث السابق.

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٥١٣)، و«التيسير» (ص: ١٥٥). وقرا باقي السبعة بالنصب كما سيأتي.

(٣) الرجز للعجاج كما في «الكتاب» (١/ ٥٣)، و«مجاز القرآن» (١/ ٩٩)، و«تفسير الطبري» (٥/ ٦٥٨)، وعزاه العيني في «المقاصد النحوية» (٣/ ١٣١٧) للأغلب العجلي، وبعده:

طوَيــن طولــي وطوَيــن عَرضــي

(٤) في (أ): «مثقال».

﴿فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ﴾: قيل: في جبل، وقيل: في حجر.

﴿أَوْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾: مع سعتهما.

﴿يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ﴾: أي: يُحضرها الله صاحبَها[1]؛ كما قال: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ﴾ [آل عمران: ٣٠] حتى يوفِّيه جزاءها إن خيراً وإن شرًّا.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ﴾: أي: عالمٌ بكل دقيقٍ وجليل من الأشياء.

﴿خَبِيرٌ﴾: أي: عالم بالأشياء على حقائقها وبواطنها، لا بقَدْر[2] ما يعلمه العباد من ظواهرها.

وقال أبو معاذ: هذا في الرزق؛ أي: وإن كان للإنسان رزقُ مثقالِ حبةٍ من خردلٍ في هذا الموضع جاء الله بها حتى يسوقَها إلى مَن هي رزقُه؛ كأنه قال: لا تهتمَّ للرزق اهتماماً يشغلك عن أداء فرائض الله تعالى.

* * *

(١٧) ـ ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾.

﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: أي: حافِظْ عليها بأركانها وسُننها وأدائها[3].

﴿وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾: ما عُرف حُسْنُه عقلاً وشرعاً.

﴿وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾: ما أنكره الشرع والعقل.

---

(١) في (ف): «لصاحبها»، وفي (ر): «مع صاحبها».

(٢) في النسخ: «يقدر»، ولعل المثبت هو الصواب.

(٣) «أي حافظ عليها بأركانها وسننها وأدائها» من (أ)، ولعل الصواب: (وآدابها).

وقوله تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ﴾: أي: مِن أذى مَن أمرتَه ونهيتَه، روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «يا أبا هريرة، مُرْ بالمعروف وانْهَ عن المنكر واصبر على ما أصابك، فإن ذلك من وثائق الأمور»، قال: يا رسول الله آمُرُ بالمعروف وأَنْهَى عن المنكر وأُوذَى؟ قال: «نعم كما أُوذيَتِ الأنبياء، ليس أحدٌ يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر إلا سيُؤذى في الدنيا»(١).

وقيل: هو مبتدأ؛ أي: واصبر على ما أصابك من شدائد الدنيا من الله تعالى مثلَ الأمراض والفقر، وهو أن لا يجزع، ويعلمَ(٢) أن الله تعالى إنما(٣) يفعلُ به ذلك تأديباً أو تمحيصاً، أو ليُثيبه عليه في الآخرة.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾: أي: هذه الأشياءُ مما عزم الله تعالى به على عباده؛ أي: أمرهم به أمراً حتماً، فعليهم الثباتُ عليه واعتقادُ وجوبه.

وقيل: ﴿مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾؛ أي: من الأمور التي تدل على أن صاحبه ثابتٌ في دينه، قويُّ النية(٤) في طاعة ربه، عالمٌ بصحة ما يَدين به، مستبصِرٌ في أمره، وفلانٌ من أولي العزم هو هذا.

* * *

(١٨) ـ ﴿وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾: أي: لا تُـمِلْه مُعْرِضاً عن الناس تكبُّراً أو استخفافاً لمن يُقبل عليك يكلِّمك، بل أَقبِلْ عليه بوجهك متواضعاً.

---

(١) لم أقف عليه، وأحاديث الأمر بالمعروف كثيرة في الصحيحين وغيرهما.

(٢) في (أ) و(ف): «أن لا تجزع وتعلم».

(٣) في النسخ: «إن»، والصواب المثبت.

(٤) «النية» من (أ)، وفي (ف): «دينه».

وقرئ: ﴿ولا تُصاعِرْ﴾[1] وهما لغتان في معنًى واحد، وهو من الصَّعَر، وهو داءٌ يأخذ البعير في عنقه فيُميله، والتصعير والمصاعرة كالتضعيف والمضاعفة.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾: أي: بطراً وأشراً.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾: والاختيال مشيةُ المتكبِّر، والفخر: ذكر المناقب للتطاوُل بها على السامع.

* * *

(١٩) ـ ﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾: هو المشي في لِينٍ وتواضعٍ، كما قال تعالى: ﴿يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ [الفرقان: ٦٣].

وقوله تعالى: ﴿وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ﴾: أي: واخفِضْ صوتَك إذا تكلَّمتَ ولا تُفْرِط في رفعه كفعلِ المتعظِّم.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ﴾: أي: أقبحَ الأصوات وأشنعَها عند السامعين.

﴿لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾: جمع حمار، ولو كان في ارتفاع الصوت فضيلةٌ لم يُستشنع صوتُ الحمار الذي هو أرفعُ الأصوات.

و﴿أَنْكَرَ﴾ بمعنى: أقبح؛ كقولهم: هذا[2] رجل منكرُ الوجه؛ أي: قبيحُه، وقال

---

(١) قرأ ابن كثير وعاصم وابن عامر: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ﴾ بتشديد العين من غيرِ ألف، والباقون بالألف وتخفيف العين. انظر: «السبعة» (ص: ٥١٣)، و«التيسير» (ص: ١٧٦).

(٢) في (ف): «هو».

عمر بن عبد العزيز لرجل رفع صوته في الكلام: لا ترفع صوتك، فإنه بحسْبِ المرء[١] من الكلام ما أسمع جليسَه، أو صاحبه[٢].

وعن عبد الله بن زَحْرٍ قال: كان النبي ﷺ يعجبه أن يكون الرجل خفيضَ الصوت، ويكره أن يكون مجهور الصوت[٣].

***

(٢٠) ـ ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾: وهذا تعجيبٌ من الله عبادَه من هؤلاء المشركين بعد انقطاع حُججهم وزوال عُذرهم في الشرك، واعترافهم بما يُبطله، قال: ﴿أَلَمْ تَرَوْا﴾؛ أي: ألم تعلموا العلم الذي يقوم مقام رؤية العين أن الله خلق لكم ما في السماوات وما في الأرض من شمسٍ وقمرٍ ونجمٍ ونباتٍ وبرٍّ وبحر مما جعله الله مذلَّلاً لكم غيرَ ممتنعٍ عليكم منفعةً لكم وقِواماً لحياتكم في دار الامتحان.

وقوله تعالى: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ﴾: أي: أتمَّ عليكم ﴿نِعَمَهُ﴾: قرأ نافع وأبو عمرو وعاصم في رواية حفص: ﴿نِعَمَهُ﴾ جماعةً مضافة، والباقون: ﴿نعمةً﴾ واحدةً منوَّنةً غير مضافةٍ[٤].

---

(١) في (ف): «المؤمن».

(٢) في (أ): «وأصابه» بدل: «أو صاحبه».

(٣) حديث مرسل، ولم أقف عليه مسنداً.

(٤) انظر: «السبعة» (ص: ٥١٣)، و«التيسير» (ص: ١٧٧).

أي: أنعم عليكم نعماً ﴿ظَـٰهِرَةً﴾ تَظهر وتُشاهد ﴿و﴾ نِعماً ﴿باطنةً﴾ لا تَظهر للأبصار ولا تشاهَد.

فالظاهر: ما يُرى على العبد من نعمة الجمال والمال، وحُسن الصورة، وسعة العيش، وتمام الجاه، وثناء الناس، والعلم والمعرفة بالأمور، والتوفيقِ للإيمان والأعمالِ الصالحة.

والباطن: ما يجده الإنسان في نفسه من الاستبصار في دينه، والعلمِ بربِّه[١]، وما يستره الله من عيوبه وذنوبه، وما يدفع الله عنه من بليَّاته، وما يُنعم الله عليه في دينه ومصالحِ دنياه مما لا يقف على كُنْهه، فهذا باطن عن المنعَم عليه وعن سائر الناس.

ومَن قرأ ﴿نعمةً﴾ على الوحدان فقد قال المفسرون: هي نعمة الإسلام؛ هي ظاهرةٌ بالإقرار وباطنةٌ بالتصديق، ويجوز أن يكون هذا الواحدُ دلالةً على الجمع كما يقال: خوَّله الله مالاً.

وفي النعمة الظاهرة والنعمة[٢] الباطنة أقاويلُ كثيرة، ونحن ذكرنا ذلك في كتابنا الموسوم بكتاب[٣] «بحر علوم التفسير على نحو رسوم التذكير» عند قوله: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ ثلاث مئة قول على البسط والتطويل، ونذكر هاهنا بعضها على الاختصار فنقول:

قال ابن عباس رضي الله عنهما: هذا من مخزوني الذي سألتُ عنه رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله، ما هذه النعمة الظاهرة والباطنة؟ فقال: «يا ابن عباس، أما

---

(١) في (ف): «والعمل به» وفي (ر): «والعمل لربه».

(٢) «النعمة» من (ف).

(٣) «الموسوم بكتاب» ليس في (ف).

ظاهرُها فالإسلام وما سوَّى مِن خلْقِك وما أفضَلَ عليك من الرزق، وأما ما بطَنَ فسترُ مساوئ عملك»[١].

وقيل: الظاهر الجوارح والباطنة المصالح، وهي الصفات القائمة بها.

الظاهرة التصوير، والباطنة التنوير.

الظاهرة الإقرار، والباطنة الاعتقاد.

الظاهرة الدعوة إلى الإيمان، والباطنة الهداية إلى الإيمان.

الظاهرة إعطاء الإيمان، والباطنة الإبقاء على الإيمان[٢].

الظاهرة الدعاء إلى الإسلام، والباطنة الدعاء إلى دار السلام.

الظاهرة النفع، والباطنة الدفع.

الظاهرة التوفيق للإيمان والطاعات، والباطنة العصمة عن الكفر والجفوات.

الظاهرة إظهار الطاعات، والباطنة إخفاء السيئات.

الظاهرة التخفيف، والباطنة التضعيف.

الظاهرة النطق، والباطنة العقل.

الظاهرة التبيين: ﴿وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ﴾ [البقرة: ٢٢١] والباطنة التزيين: ﴿وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات: ٧].

الظاهرة التكليف: ﴿ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً﴾ [البقرة: ٢٠٨]، والباطنة التأليف: ﴿فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

---

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ٣١٨) من طريق جويبر عن الضحاك عن ابن عباس. وجويبر متروك.

(٢) «الظاهرة إعطاء الإيمان، والباطنة الإبقاء على الإيمان» من (أ).

الظاهرة تعديد الحسنات: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ﴾ الآية [التوبة: ١١٢] ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ﴾ الآية [الأحزاب: ٣٥] ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون: ١] الآيات ﴿إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ﴾ [المعارج: ٢٢] الآيات ﴿ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [آل عمران: ١٧] الآيات، والباطنة إجمال السيئات: ﴿وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [النور: ٣١].

الظاهرة الأوصاف، والباطنة الأسرار.

الظاهرة الأفعال المرئية، والباطنة الضمائر المطوية.

الظاهرة الأقوال والأفعال، والباطنة المقامات والأحوال.

الظاهرة الشخوص والأشباح، والباطنة القلوب والأرواح.

الظاهرة حسن الصورة، والباطنة حسن السيرة.

الظاهرة الرسوم، والباطنة العلوم.

الظاهرة حسن الخَلق، والباطنة حسن الخُلق.

الظاهرة وجود النعمة، والباطنة شهود المنعم[1].

الظاهرة الدنيوية، والباطنة الدينية.

الظاهرة نفس بلا زلة، والباطنة قلب بلا غفلة.

الظاهرة في الأموال ونمائها، والباطنة في الأحوال وصفائها.

الظاهرة توفيق الطاعات، والباطنة قبول الطاعات.

الظاهرة التسوية[2]، والباطنة التصفية.

---

(١) في (أ): «النعم».

(٢) في (ف): «التسرية».

الظاهرة صحبة الصالحين، والباطنة حفظ حرمتهم.

الظاهرة الزهد في الدنيا، والباطنة الاكتفاء بالمولى.

الظاهرة الزهد، والباطنة الوَجد.

الظاهرة توفيق المجاهدة، والباطنة تحقيق[1] المشاهدة.

الظاهرة وظائف النفس، والباطنة لطائف القلب.

الظاهرة اشتغالك بنفسك عن غيرك، والباطنة اشتغالك[2] بربك عن نفسك.

الظاهرة طلبه، والباطنة وجوده.

الظاهرة أن تصل إليه، والباطنة أن تبقى معه.

الظاهرة الخدمة، والباطنة الحرمة

الظاهرة الأمر، والباطنة الأجر

الظاهرة ما سمَّى من نعيم الجنة، والباطنة ما أخفاه منها، فقال تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧].

الظاهرة المال والثروة، والباطنة العلم والحكمة.

الظاهرة حفظ القرآن، والباطنة فهم القرآن.

الظاهرة محكم القرآن، والباطنة متشابه القرآن.

الظاهرة تفسيره، والباطنة تأويله.

---

(١) في (أ): «توفيق».

(٢) في (ر): «إشغالك».

الظاهرة الترغيب، والباطنة الترهيب.

الظاهرة الترغيب والترهيب، والباطنة التزيين والتحبيب، قال الله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ﴾ [الحجرات: ٧].

الظاهرة أنك تحبه، والباطنة أنه يحبك.

الظاهرة أنك مريده، والباطنة أنك مراده.

الظاهرة النعم المنقودة[١]، والباطنة النعم الموعودة.

الظاهرة المحضرة، والباطنة المنتظرة.

الظاهرة النصر على الأعداء في الحروب، والباطنة إلقاء الرعب في القلوب.

الظاهرة الصحة، والباطنة العلة؛ تقدر على الأعمال الصالحات في صحتك، ويكتب لك ثوابُ الأعمال من غيرِ عملٍ في علتك.

الظاهرة الشباب، والباطنة الشَّيب؛ الشباب سرور والشيب نور.

الظاهرة إدامة النعمة عليك لتشكر فتنالَ ثواب الشاكرين، والباطنة سلب النعم عنك لتصبر فتنالَ ثواب الصابرين.

الظاهرة الإعطاء بالمسألة، والباطنة الإعطاء من غير مسألة.

الظاهرة الرزق، والباطنة تفريق الرزق.

الظاهرة قوله تعالى: ﴿وَأَلۡزَمَهُمۡ كَلِمَةَ ٱلتَّقۡوَىٰ﴾ [الفتح: ٢٦]، والباطنة قوله تعالى: ﴿وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهۡلَهَا﴾ [الفتح: ٢٦].

---

(١) في (ر): «المنقادة».

الظاهرة التنعيم، والباطنة التعليم.

الظاهرة الرزق، والباطنة البركة في الرزق.

الظاهرة سلام النبي عليه السلام ظاهراً، والباطنة سلام الملائكة ليلة القدر وعند الموت وفي القيامة وفي الجنة ثم سلام الرب بلا واسطة.

الظاهرة أولياؤك، والباطنة أعداؤك؛ تستعين بالله على أمورك بأوليائك، وتستعيذ بالله من أعدائك، يذكر وليك محاسنك فتلازمُها، ويذكر عدوك مساوئك فتفارقُها، يُعينك وليُّك فيكثر لك الحسنات، ويظلمك عدوُّك فتصبرُ فتُغفَر لك السيئات.

الظاهرة الزوجة المساعدة، والباطنة الزوجة المخالفة؛ تلك تشرح بالسرور صدرك، وهذه تُعْظِمُ بالصبر والاحتمال أجرك وقَدْرك(١).

الظاهرة الجار المرضيُّ، والباطنة الجار المؤذي؛ ذاك يقرُّك في دارك فتعيش في الرخاء، وهذا يزعجك عن وطنك فتنال فضيلة الغرباء.

الظاهرة قبول القلوب، والباطنة نفرة القلوب؛ وفي ذلك وجود برِّ الأبرار، وفي هذا زوال رحمة الأغيار.

الظاهرة الجاه والرفعة، والباطنة الخمول والضَّعَة(٢)؛ في ذاك يُنشر عملك(٣) فتثابُ بكلِّ ما عمِل به أحد من الأمة، وفي هذا يَسْلَم(٤) دينك فلا تقع في الرياء والسمعة.

---

(١) «وقدرك» ليست في (أ).

(٢) في (ف): «والضعفة».

(٣) في (أ): «ينتشر علمك».

(٤) في (أ): «تسليم».

الظاهرة الولد البار، والباطنة الولد العاق؛ ذلك يُكثر الأعداد[١] وهذا يقطع عن الخلق الاعتماد.

الظاهرة ولادة الولد، والباطنة موته؛ ذاك فرح[٢] وهذا فَرَط.

الظاهرة النهار، والباطنة الليل؛ قال تعالى: ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ﴾ [القصص: ٧٣].

الظاهرة البحار والأنهار، والباطنة العيون والآبار.

الظاهرة الصلوات، والباطنة الصوم.

الظاهرة قصة الماضين علينا لنعتبر، والباطنة ترك[٣] قصَّتنا على غيرنا لنستتر .

الظاهرة اختلاف الهيئات، والباطنة اختلاف الهمَّات، لو[٤] استوت الهيئات لم تتميَّز الذوات، ولو علَتِ الهمم لم يشتغل أحد بالحِرَف الخسيسة فتعطَّلت الحاجات.

الظاهرة النظر في ملكوت الأرضين والسماوات، والباطنة التدبر في السور والآيات.

الظاهرة التقويم، والباطنة التقديم.

---

(١) في (أ): «هذا يكسر الاعتقاد»، وفي (ف): «ذلك تكثير الأعداد».

(٢) في (ر) و(ف): «فرج».

(٣) في (ف): «ستر».

(٤) في (أ): «لو اختلفت».

الظاهرة التعديل، والباطنة التبديل: ﴿وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗا﴾ [النور: ٥٥].

الظاهرة التحسين، والباطنة التحصين[1].

الظاهرة التصريف، والباطنة التعريف.

الظاهرة حسن العمل، والباطنة صدق الوجل؛ قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ﴾ [المؤمنون: ٦٠].

الظاهرة الحمد على النعمة، والباطنة الشكر في[2] النعمة؛ والحمد ثناء اللسان وذكره، والشكر معرفة الإحسان ونشره.

الظاهرة المنح، والباطنة المحن؛ والمنح: الأموال للتصرُّف، والأعمال للتشرُّف، والثياب للتجمُّل، والعيال[3] للتمتُّع. والمحن: الخسران والنقصان، والأدواء والأسواء، والنوائب والمصائب، وعاقبتُها: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٥]، والموعود عليها: الصلوات والرحمة ودوام الهداية.

الظاهرة العروق المتحركة، والباطنة الساكنة.

الظاهرة التربية بعد الولادة، والباطنة التربية قبلها؛ قال تعالى: ﴿وَإِذۡ أَنتُمۡ أَجِنَّةٞ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ﴾ [النجم: ٣٢].

الظاهرة ما يَكتسِب، والباطنة ما يأتيه من حيث لا يحتسب.

الظاهرة الأمر بمحاربة الكفار، والباطنة الأمر بمحاربة الشيطان؛ ذلك لئلا يستوليَ على نفسك، وهذا لئلا يزيلَك عن دينك.

---

(١) في (أ): «الظاهرة المحسنين والباطنة المحصين».

(٢) في (أ): «على».

(٣) في (ف): «والجمال».

الظاهرة الأمر بالصدقة، والباطنة إعطاء الخَلَف على النفقة.

الظاهرة العمل، والباطنة النية.

الظاهرة الإطعام والإسقاء، والباطنة الإشباع والإرواء.

الظاهرة إساغة الطعام والشراب، والباطنة إخراجهما بسهولة من[1] ذلك الباب.

الظاهرة الإشباع والإرواء، والباطنة الإجاعة والإظماء.

الظاهرة إنزال الأمطار، والباطنة إخراج الحبوب والثمار.

الظاهرة ما ظهر من الزروع والثمار، والباطنة ما بطن من الرطاب[2].

الظاهرة ما يستفاد بالتجارات والصناعات، والباطنة ما يستفاد بالزراعات، وهذا أكثر ربحاً لأنه معاملةٌ مع الله تعالى.

الظاهرة صيود البر، والباطنة صيود البحر.

الظاهرة ما يكتسب في الأسواق من الدرهم والدينار، والباطنة ما يستخرج من المعادن والبحار.

الظاهرة التجارات لإصلاح المعاش، والباطنة أن لا تشغلَك هذه التجارات عن إصلاح المعاد؛ قال تعالى: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ الآية [النور: ٣٧].

الظاهرة العمل الصالح، والباطنة العلم النافع.

الظاهرة ذكر اللسان، والباطنة ذكر الجَنان.

الظاهرة أنك تدعوه، والباطنة أنك تريده؛ قال تعالى: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [الأنعام: ٥٢].

---

(١) في (أ) و(ف): «عن».

(٢) في (ف): «والباطنة نتاجه ورطوباته».

الظاهرة البسط، والباطنة القبض؛ قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ﴾ [البقرة: ٢٤٥].

الظاهرة النوم بالسكون والراحة، والباطنة التهجد للمناجاة والخلوة.

الظاهرة الصيف فالنعم ظاهرة في الكروم، والباطنة الشتاء فالنعم باطنة في البيوت.

الظاهرة إحسان العبادة، والباطنة رؤية منة الله تعالى في التوفيق للعبادة.

الظاهرة شريعة الرسول، والباطنة شفاعة الرسول.

الظاهرة السمعيات، والباطنة العقليات.

الظاهرة أعيان النصوص، والباطنة دلائل المنصوص.

الظاهرة العبارات، والباطنة الإشارات.

الظاهرة التمكين، والباطنة التسكين؛ ﴿وَلَقَدۡ مَكَّنَّٰهُمۡ﴾ [الأحقاف: ٢٦] ﴿أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ﴾ [الفتح: ٤].

الظاهرة ما يؤكل ظاهره ويلقى باطنه كالتفاح والكمَّثْرى والسَّفَرْجَل ونحوها، والباطنة ما يؤكل باطنه ويلقي ظاهره كالرمان والجوز واللوز ونحوها.

الظاهرة الاختبار: ﴿وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ﴾ [الأنبياء: ٣٥]، والباطنة الاختيار[١]: ﴿هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ﴾ [الحج: ٧٨].

الظاهرة المناداة، والباطنة المناجاة.

الظاهرة حياة النبي ﷺ، والباطنة موته عليه السلام؛ قال عليه السلام: «حياتي خير لكم ومماتي خير لكم» الحديث[٢].

---

(١) في (أ): «الاجتباء».

(٢) رواه الحارث في «مسنده» (٩٥٣ ـ زوائد الهيثمي) عن بكر بن عبد الله المزني عن النبي ﷺ مرسلًا، =

الظاهرة قضاء غيرِك حاجتَك، والباطنة قضاؤك حاجةَ غيرك؛ قال النبي ﷺ: «يا علي، وإذا أتاك طالبُ حاجة فاعلم أنها نعمةٌ ومنةٌ من الله تعالى عليك حين أراد أن يغفر لك ذنبك ويقضيَ حوائجك»[١].

الظاهرة الأمن في الدنيا، والباطنة الأمن في العقبى.

الظاهرة صحة الأبدان، والباطنة صحة الأديان.

الظاهرة البدن السليم، والباطنة القلب السليم.

الظاهرة غنى المال، والباطنة غنى الحال.

الظاهرة إخراجنا بعد الأنبياء والأمم لئلا يطَّلعوا على قبائحنا، والباطنة ذكرنا[٢] الأنبياء بعد[٣] مجيئنا بأوصاف مدائحنا.

الظاهرة الرواية، والباطنة الرعاية.

الظاهرة ركوب الأنعام، والباطنة ركوب السفن العظام.

= والبزار في «مسنده» (١٩٢٥) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه بلفظ: «حياتي خيرٌ لكم تُحْدِثُون ويُحدَثُ لكم، ووفاتي خير لكم، تعرض علي أعمالكم، فما رأيت من خير حمدت الله عليه، وما رأيت من شر استغفرت الله لكم»، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩/ ٢٤) والعراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (٢/ ١٠٥١): (رواه البزار، ورجاله رجال الصحيح).

زاد العراقي: (إلا أن عبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي رواد وإن أخرج له مسلم ووثقه ابن معين والنسائي فقد ضعفه كثيرون، ورواه الحارث بن أبي أسامة في «مسنده» من حديث أنس بنحوه بإسناد ضعيف).

(١) لم أقف عليه.

(٢) في (ف): «ذكر».

(٣) في (أ): «للأنبياء قبل» بدل: «الأنبياء بعد».

الظاهرة المراكب في حياتك، والباطنة المناكب بعد وفاتك.

الظاهرة المال والبنون، والباطنة المفروض والمسنون؛ وهما في قوله تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ﴾ [الكهف: ٤٦].

الظاهرة قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٣]، والباطنة قوله تعالى: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم﴾ [التوبة: ٢١].

الظاهرة الحياة، والباطنة الموت، قال الشاعر:

قد قلت إذ مدحوا الحياة فأكثروا: للموت ألفُ فضيلة لا توصفُ
منها أمانُ لقائه بلقائه[1] وفراقُ كلِّ[2] مُعاشرٍ لا يُنصفُ[3]

ثم ذكرُ النعمة استبداءٌ لشكرها، والشكر يكون من جنس النعمة، فإذا عرفتَ أن الله تعالى أسبغ نعمه[4] ظاهرةً وباطنة فشكرُ ذلك أن تعمل بقوله تعالى: ﴿وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٠].

وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾: يقول: هذه نعمي على عبادي، ثم منهم ﴿مَن يُجَادِلُ﴾ في توحيدي وإخلاصِ طاعتي يريد بذلك إثبات الشريك والتعطيلَ ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ منه بما يخاصم به إنما هو مقلِّد، ﴿وَلَا هُدًى﴾: ولا دلالةٍ عليه نظراً وعقلاً ﴿وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾: ولا كتابٍ أنزله الله تعالى بصحةِ ما يدعو إليه ويدَّعيه.

---

(١) في (ر): «ونعيمه»، وسقطت من (ف). والمثبت موافق للمصادر.

(٢) بعدها في (ف): «معاندو».

(٣) البيتان لابن الرومي كما في «ديوان المعاني» لأبي هلال العسكري (٢/ ١٧٢)، ولمنصور بن إسماعيل أبي الحسن التميمي الشاعر المصري الضرير أحد أئمة المذهب الشافعي، كما في «معجم الأدباء» (٥/ ٥٣٠)، و«طبقات الشافعية الكبرى» للسبكي (٣/ ٤٧٨).

(٤) في (ف): «أسبغ عليكم نعمه» وفي (ر): «أصبغ نعمه عليكم».

وقيل: إن الآية نزلت في شأن[١] النضر بن الحارث[٢].

***

(٢١) ـ ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ ﴾: أي وإذا قيل لهؤلاء المجادلين في الله: إنه ليس معكم من الله هدًى ولا كتابٌ يدل[٣] على ما تقولون فهلمُّوا إلى كتاب الله.

﴿قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ الأدنَيْنَ[٤] والأقصَيْنَ الذين كانوا يعبدون الأوثان، ونشرك كما أشركوا تقليداً لهم.

﴿أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴾: وقال أبو عبيدة: (لو) هاهنا محذوفةُ الجواب؛ أي: أولو كان الشيطان يدعوهم إلى الكفر الذي يفضي إلى عذاب جهنم يتَّبعونه[٥]، وهذا استفهامٌ بمعنى التوبيخ؛ أي: فلِمَ يتَّبعونه وهو يدعو إلى ذلك.

---

(١) «شأن» من (أ).

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٤٣٦)، و«تفسير الثعلبي» (٧/ ٣٢٠)، و«النكت والعيون» (٤/ ٣٤٣)، ولم يذكروا له سنداً، لكن نسبه الماوردي لأبي مالك، كما أنه ذكر سبباً آخر لنزول الآية، وهو: أنها نزلت في يهودي جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا محمد أخبرني عن ربك من أي شيء هو؟ فجاءت صاعقة فأخذته.

(٣) في (أ): «منير».

(٤) في (ر): «الأولين».

(٥) انظر: «تفسير الثعلبي» (٧/ ٣٢٠).

(٢٢) ـ ﴿ ۞ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾: أي: ومَن يخلِص عمله لله ويتوجَّه إلى طلب رضا الله ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ فيما يعمل تاركٌ للإساءة ﴿فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾؛ أي: فقد(١) تعلَّق بالركن الأوثق الذي لا أوثق منه، فهو مخلِّصه(٢) من العذاب الذي لا انقطاع له.

﴿وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾: أي: ومصيرُ الأمور في أواخرها إلى الله، وهو يحاسب بها ويجازي عليها.

* * *

(٢٣) ـ ﴿ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ ۚ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ ﴾: أي: ومَن لم يُسلِم وجهه لله وكفر به، فليَهُنْ عليك أمره، ولا يَغُمنَّك كفرُه، فلا يرجع إلا إليه ضرُّه.

﴿إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾: يوم الحساب ﴿فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟﴾؛ أي: فنجزيهم بذلك.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾: أي: عالم بضمائر القلوب فكيف بعلانيَة الأعمال، فهو يجازيهم بما أَظهروا وبما(٣) أضمروا.

وأنزلت الآية في مشركي مكة حين قالوا: إن محمداً يفتري على الله، فحزن لذلك، فأنزل الله هذه الآية.

---

(١) «فقد» من (أ).

(٢) في (أ): «يخلصه».

(٣) قوله: «أظهروا وبما» ليس في (أ) و(ف).

وقيل: ﴿عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾؛ أي: يعلم بما في قلبك من الحزن لكفرهم.

* * *

(٢٤ ـ ٢٥) ـ ﴿نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا﴾: أي: نبقيهم في الدنيا فيمتَّعون[1] بالبقاء فيها مدةً قليلةً وهي مُدَد أعمارهم.

﴿ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾: أي: ثم ندخلُهم كرهاً في ﴿عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾؛ أي: شديدِ الإيلام عظيمِ المكروه، والاضطرارُ: الإلجاء، وهو متعدٍّ، وجُمع في هذه الآية ووحِّد في الآية الأولى لأن ﴿مَنْ﴾ اسمُ جنس يصلح للواحد والجمع.

وقوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾: أي: إذا سئل هؤلاء المشركون عن خالق السماوات والأرض اعترفوا بأنه هو الله.

﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾: أي: قل: الحمد لله على ما هدانا لدينه[2] وجعلنا من أهل العلم به، وأوضح حججنا على مَن خالفنا فيه إذ قرَّرهم[3] بما فيه الحجة عليهم.

وقوله تعالى: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾: أي ليس شركُهم لانقطاع الحجج عنهم، لكن أكثرهم لا يعملون بعلمهم؛ أي[4]: يتركون التدبُّر في الدلائل فيَفوتهم العلم بسفههم.

---

(١) في (ف): «فيتمتعون».

(٢) «لدينه» من (أ).

(٣) في (ف): «أو قررهم».

(٤) في (أ): «لا يعلمون أو» وفي (ف): «لا يعلمون به» وسقط منها ما بعده. وفي (ر): (لا يعلمون بعلمهم أي). والصواب المثبت.

(٢٦ ـ ٢٧) ـ ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ﴾: أي: له ذلك كلُّه، وهو مالكه وخالقه، ولا حاجة له إلى إيمان هؤلاء.

﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾: أي: إن الله هو المستغني عن خلقه، المحمودُ بشهادة خلقه كلِّهم بوحدانيته وقدرته وإلهيته بشهادة الخِلقة[1].

وقوله تعالى: ﴿أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ﴾: قرأ أبو عمرو: ﴿والبحرَ﴾ نصباً عطفاً على (ما)، والناصبُ كلمة ﴿أَنَّ﴾، وقرأ الباقون: ﴿وَالْبَحْرُ﴾ رفعاً[2] على الاستئناف[3].

يقول: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ﴾ جُعلت بالبَرْي أقلاماً ليُكتب بها ﴿وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ﴾: فكان البحرُ مداداً[4]، ومَدَّه ـ أي: زاد فيه ـ سبعةُ أبحر، فكتب بها كلمات الله في إقامة الحجج على عباده، وضربِ الأمثال لهم، وتنبيهِهم على مصالح دينهم ودنياهم، وذكر أقاصيص مَن سلَف قبلهم من الأمم، وغيرِ ذلك من ضروبِ ما يشتمِل عليه كلامه، وما اختصَّ العلماءَ به[5] من معاني كلامه، وما استأثر الله به دون خلقه، لم يَفْنَ كلامُ[6] الله، وذلك قوله:

---

(١) في (ر) و(ف): «الخليقة».

(٢) في (أ): «بالرفع».

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٥١٣)، و«التيسير» (ص: ١٧٧).

(٤) في (ف): «ممداً».

(٥) في (ف): «وما اختص من اختصه».

(٦) في (ف): «لم يفن ذلك من كلام»

﴿مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ﴾.

ذُكر أن بعض المشركين قالوا فيما تلا[١] عليهم النبي ﷺ: إن هذا كلام سيَنفد، فنزلت هذه الآية[٢].

وقيل: نزلت جواباً لليهود إذ قالوا: قد أوتينا التوراة وفيها كلُّ الحكمة، فنزلت الآية، قاله ابن عباس رضي الله عنهما[٣].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾: أي: منيعٌ في ملكه فلا يُرام[٤] ولا يغالَب.

﴿حَكِيمٌ﴾: يُطْلع عبادَه على ما يشاء، ويفعل ما يشاء، ويضع كلَّ شيء في موضعه.

* * *

(٢٨) - ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾: أي: إلا كخَلْقِ نفسٍ واحدة وبعثِ نفسٍ واحدة في أن أمري إذا أردتُ شيئاً أن أقول له: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ [البقرة: ١١٧]، فلا يَلحقُني نَصَب[٥] بكثرةٍ، ولا يَخِفُّ عليَّ بقلَّةٍ، وقدرتي على الكل قدرتي على الواحد، فإذا قدرتُ على الواحد فأنا على الجميع قادر.

---

(١) في (أ): «قرأ».

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٢٠٠) دون عزو، و«إعراب القرآن» للنحاس (٣/ ١٩٧) وعزاه لقتادة.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٥٧٣) مطولًا. وهذا الخبر يدل على أن الآية مدنية، ومن قال: إنها مكية، علله بأن اليهود أمروا وفد قريش أن يسألوا عنه النبي عليه الصلاة والسلام. انظر: «روح المعاني» (٢١/ ٨٧).

(٤) في (أ): «يلام»، وفي (ف): «يرى».

(٥) في (أ): «تعب».

وقوله تعالى: ﴿كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾: كقوله: ﴿تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾ [الأحزاب: ١٩]؛ أي: كدوران الذي يغشى عليه.

﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾: لافتراء المشركين على الله في أنه لا بعث ولا نشور ﴿بَصِيرٌ﴾ بأعمالهم فهو مجازيهم عليها(١).

* * *

(٢٩) - ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾: وهذا احتجاج على المشركين؛ أي: ألم تر أن الله يأخذ من الليل فيزيد(٢) في النهار، وكذا في النهار، وهو كقوله تعالى: ﴿يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ [النور: ٤٤].

﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾: لمنافع العباد ﴿كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾؛ أي: إلى أن يكون الأجل المسمى وهو يوم القيامة، فيفني الله هذا كلَّه.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾: أي: عليم بذلك(٣).

* * *

(٣٠) - ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ﴾: أي خلَق ما خلَق على ما شاهَدْتُموه ليدلَّكم بخلقه إياه على أنه هو الإله(٤) الحقُّ لا إله غيرُه.

---

(١) في (أ): «فهو مجازيهم» وفي (ف): «فهو يجازيهم»، وفي (ر): «هو يجازيهم عليها».

(٢) في (ف): «فيزيده».

(٣) «بذلك» ليست في (أ).

(٤) في (أ): «الله».

﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الْبَاطِلُ﴾: لا يستحقُّ العبادة[١] غيرُه؛ لأنه لا يقدر على شيء.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾: العالي على كل شيء، وكلُّ ما دونه فهو له متذلِّلٌ منقاد، وهو الكبير وكل شيء دونه فهو له متصاغر.

* * *

(٣١) - ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ﴾: أي: ألم ترَ أن السفن تجري في البحر مع صغرها وكِبَر البحر وهولِ أمواجه ﴿بِنِعْمَتِ اللَّهِ﴾؛ أي: بتسخيره إياها وإنعامه بذلك على خلقه.

﴿لِيُرِيَكُم مِّنْ آيَاتِهِ﴾: من أعلام قدرته.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾: أي: لكلِّ مَن هو من أفاضل المؤمنين؛ لأن جميع خصال الإسلام ترجع إلى الصبر والشكر، والصَّبَّار والشَّكور مبالغةٌ في هذين الوصفين، أي: الانتفاعُ بهذه الآيات إنما يحصل لهؤلاء، فكأنها لهم دون غيرهم.

* * *

(٣٢) - ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ﴾: أي: وإذا جاءهم في البحر موجٌ متراكبٌ بعضُه على بعضٍ كأنها ظللٌ فوقهم؛ أي: جبال مُظِلَّة أو سحاباتٌ.

---

(١) في (أ): «لا مستحق للعبادة».

﴿دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾: حين علموا حينئذ أنه لا مُنْجيَ لهم غيرُه.

﴿فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ فَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ﴾: قال قتادة: أي: مقتصدٌ في قوله مصرٌّ على كفره[١]؛ أي: محسنٌ القولَ في ربه وهو مع ذلك ثابتٌ على كفره، ولا يَعتبر[٢] بذلك إلا قَدْرَ الاقتصاد.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٖ كَفُورٖ﴾: أي: وما يجحد بما جعلناه آيةً من أمر البحر وغيرِه إلا كلُّ غدَّارٍ قبيحِ الغدر، يَنقُض عهدَ الله من بعد ميثاقه بما جَعل له من الـمَشاهد في نفسه على وحدانية الله تعالى، وبما أعطاه الله من الإقرار بلسانه أنه خالقُه ومنجيه من الأهوال، كفورٍ لإنعام الله تعالى عليه.

وقيل: ﴿فَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ﴾: مُوفٍ بما عاهَدَ الله عليه في البحر[٣]، قاله ابن عباس رضي الله عنهما[٤].

وقيل: ﴿فَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ﴾: سالك قصدَ السبيل بالإسلام.

* * *

(٣٣) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡ وَٱخۡشَوۡاْ يَوۡمٗا لَّا يَجۡزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوۡلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ﴾.

---

(١) لم أجده عن قتادة، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٥٧٣) عن مجاهد.

(٢) في (ف): «يتغير».

(٣) في (ر): «الخير».

(٤) في (أ): «وقال ابن عباس فمنهم مقتصد موف بما عاهد الله عليه في البحر». وذكره عن ابن عباس الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ٣٢٢)، والواحدي في «البسيط» (١٨/ ١٢٦).

وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ ﴾: ختَم السورة بتجديدِ الموعظة وترهيبِهم بيوم القيامة؛ توكيداً للأمر بمخالفة المشركين في جحد البعث، فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ ﴾ فلا تخالفوا أمرَه ولا نهيه[1].

﴿وَٱخْشَوْاْ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ﴾: أي: لا ينوبُ فيه والد عن ولده.

﴿مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا﴾: أي: نائب.

﴿إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾: أي: بالبعث والحساب والجزاء.

﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾: أي: لا تغترُّوا بهذه الحياة القُربى فتُهلِكوا[2] أنفسَكم وترتكبوا المعاصي مستبعِدين للقيامة، أو مغترِّين بقول هؤلاء المشركين الجاحدين له، فإن الحياة الدنيا قريبةُ الانقضاء تَفْنى لذَّاتُها وتبقى تَبِعاتها.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾: أي: ولا يخدعنَّكم مِن التوقِّي من عذاب الله مَن يغرونكم فيدعوكم إلى المعاصي، ويُوهموكم أنْ لا بعثَ ولا حساب ولا جزاء.

وقيل: ﴿ٱلْغَرُورُ﴾ اسم الشيطان، والاسم صالحٌ لكلِّ مَن عمل هذا[3] بالعبد من شيطان وغيره.

***

(٣٤) ـ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴾.

---

(١) في (أ): «أمره ونهيه».

(٢) في (أ) و(ف): «فتهملوا».

(٣) في (ف): «ذلك».

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾: أي: علم[١] وقت قيام الساعة عند الله لا يعلمه غيره، فإياكم أن تأتيكم بغتة وأنتم مغترُّون بالحياة الدنيا.

وقيل: نزلت الآية في الوارث[٢] بن عمرو بن حارثة بن محارب رجلٍ من أهل البادية، أتى النبي ﷺ فسأله عن الساعة ووقتها، وقال: إن أرضنا أجدبت فمتى ينزل بها الغيث؟ وامرأتي حُبلى فما تلد؟ وإني أعلم ما عملتُ أمس فما أعملُ غداً؟ وإني أعلم أين ولدتُ فبأيِّ أرض أموت؟ فأنزل الله هذه الآية[٣].

وقال النبي ﷺ: «خمسٌ لا يعلمُهنَّ إلا الله» وتلا هذه الآية ﴿إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾[٤]، وهو يعلم متى تقوم.

﴿وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ﴾: أي: هو الذي ينزِّل الغيث للوقت الذي يعلم الصلاح في إنزاله لعباده[٥] وبلاده، ولا يَعلم العباد بذلك.

---

(١) «علم» من (أ).

(٢) في (ر): «الحارث». وانظر التعليق بعد الآتي.

(٣) رواه ابن المنذر في «تفسيره» عن عكرمة كما في «الدر المنثور» (٦/ ٥٣٠)، وسمى الرجل: الوارث من بني مازن.
وذكره مقاتل بن سليمان في «تفسيره» (٣/ ٤٤٠)، والثعلبي في «تفسيره» (٧/ ٣٢٣)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٤٧)، وذكره الواحدي أيضاً في «البسيط» (١٨/ ١٢٨) وعزاه لمجاهد ومقاتل، واسم صاحب القصة عندهم عدا «أسباب النزول»: عبد الوارث بن عمرو. ورواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٥٨٥) عن مجاهد ولم يسمه. فهذا الخبر مع الاختلاف في اسم صاحب القصة لم يرو بسند متصل إلى النبي ﷺ، وإنما هي مراسيل عن عكرمة ومجاهد ومقاتل.

(٤) رواه البخاري (٤٦٢٧).

(٥) في (ف): «هو الذي ينزله للوقت الذي يعلمه للإصلاح في أمره لعباده» وفي (ر): «هو الذي ينزله للوقت الذي يعلمه لإصلاح أمر عباده».

﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْأَرْحَامِ﴾: هو الذي يعلم ذلك: أذكر هو أم أنثى؟ أحيٌّ هو أم ميت؟ وعلم جميع صفاته وهيئته ووقت ولادته.

﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾: أي: ما تعمل في مستقبل العمر من خيرٍ أو شرٍّ.

﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾: أي: بأيِّ بلد.

وقيل: أي: بأيِّ قدم تموت.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾: أي: هو العالم بظواهر الأشياء وبواطنها بتفاصيلها وجملها، ما كان وما يكون وما لا يكون[١] وجاز أن يكون أنْ لو كان كيف كان يكون.

وقال الزهري رحمه الله: أكثِروا من قراءة سورة لقمان فإن فيها أعاجيب[٢].

الحمد لله الذي إذا دُعي يجيب، الرحمنِ الذي هو القابلُ للمنيب، الرحيمِ الذي[٣] منا من حبل الوريد قريب، وصلى الله على محمدٍ العطوفِ للمقيم والغريب[٤].

* * *

---

(١) قوله: «وما لا يكون» ليس في (أ).

(٢) ذكره ابن عجيبة في «البحر المديد في تفسير آيات القرآن المجيد» (٤/ ٣٨٤)، والقنوجي في «فتح البيان في مقاصد القرآن» (١٠/ ٣٠٥).

(٣) في (ر): «الذي هو أقرب».

(٤) في (أ): «والحمد لله رب العالمين» بدل قوله: «الحمد لله الذي إذا دُعي يجيب، الرحمنِ...» إلى هنا.

سُورَةُ السَّجْدَةِ

سُورَةُ السَّجْدَةِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

بسم الله الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام، الرحمنِ الذي أنشأ لنا السمع والبصر والأفئدة والأفهام، الرحيمِ الذي يسوق الماء إلى الأرض الجرُز فيُخرج به زرعاً تأكل منه البشر والأنعام.

وروى أبي بن كعب رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «من قرأ سورة تنزيل[1] السجدة وتبارك فكأنما أحيَا ليلة القدر»[2].

---

(١) «سورة تنزيل» من (أ).

(٢) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ٣٢٥) دون ذكر تبارك، وفي إسناده أبو عصمة نوح بن أبي مريم قال عنه الحافظ في «التقريب»: كذبوه في الحديث، وقال ابن المبارك: كان يضع.

ورواه بذكر السجدة وتبارك ابن مردويه كما في «الدر المنثور» (٦/ ٥٣٥) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، وزاد: «بين المغرب والعشاء الآخرة». قال الحافظ في «تخريج أحاديث الكشاف» (ص: ١٣١): في إسناده داود بن معاذ وهو ساقط.

قلت: وقد روي مرسلاً ضمن حديث طويل رواه ابن الضريس في «فضائل القرآن» (٢٩٦) عن إسحاقَ بنِ عبدِ الله بن أبي فَرْوةَ، قال: (بلَغَنا أنَّ رسولَ الله ﷺ قال...)، فذكره.

وروي من قول طاوس وعطاء، رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٩٨١٨) عن أبي يونسَ عن طاوسٍ قال: «مَن قرأ (الم تَنْزِيلُ السَّجْدَةَ)، و﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ كان مثلُ أجرِ ليلةِ القَدْر»، قال (يعني أبو يونس): فمرَّ عطاءٌ فقُلْنا لرجلٍ منَّا: ائته فاسأله، فقال: صَدَق، ما تركتُهما منذُ سمعْتُهما.

وروى جابر رضي الله عنه: أن النبيَّ ﷺ كان لا ينام حتى يقرأ هاتين السورتين: تبارك والسجدة[١]. ويقول: فضِّلن على القرآن بستين حسنةً[٢].

وروى أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «مَن قرأ في ليلةٍ سورة تنزيل السجدة، وسورة ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ أو في يوم، بنى الله له بيتان في الجنة، وكان كمَن وافق ليلة القدر، وحفَّت به الملائكة، وحفَّته بسورة[٣] ﴿الم تَنْزِيلُ﴾ السجدة، ومنعته ملائكةَ العذاب»[٤].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سورة ﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ﴾ هي المانعة تمنع من عذاب القبر[٥].

وسورة السجدة مكية إلا ثلاثَ آيات نزلت بالمدينة: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا﴾ إلى قوله: ﴿كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾ نزلت في عليٍّ بن أبي طالب رضي الله عنه وعُقبةَ بنِ أبي معيط على ما نبيِّن إن شاء الله تعالى.

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١٤٦٥٩)، والدارمي في «سننه» (٣٤١١)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٩٨١٦)، والبخاري في «الأدب المفرد» (١٢٠٧) و(١٢٠٩)، والترمذي (٢٨٩٢)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٧٠٦ ـ ٧٠٩)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٦٧٥)، والحاكم في «المستدرك» (٣٥٤٥)، قال الحاكم: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه لأن مداره على حديث ليث بن أبي سليم عن أبي الزبير.

(٢) ليس هذا حديثاً، لكن رواه الدارمي في «سننه» (٣٤١٢)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٩٨١٧)، والترمذي عقب الحديث (٢٨٩٢)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» عقب الحديث (٦٧٥) عن ليث بن أبي سليم عن طاوس قوله، ورواه البخاري في «الأدب المفرد» عقب الحديث (١٢٠٧) عن ليث عن أبي الزبير قوله. ووقع في بعض الروايات: (بسبعين حسنة).

(٣) في (ر) و(ف): «سورة».

(٤) لم أقف عليه.

(٥) لم أقف عليه.

وهي تسع وعشرون آيةً، وثلاثون في قول، والاختلاف في قوله: ﴿لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾.

وكلماتها ثلاثُ مئة واثنان وسبعون، وحروفها ألف وخمسُ مئة وأربعة وعشرون[1].

* * *

(١ ـ ٢) ـ ﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَا رَيۡبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿الٓمٓ﴾ مرت الأقاويل فيه.

وانتظام أول هذه السورة بآخر تلك السورة: أنه قال في ختم تلك: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ﴾ وقال في افتتاح هذه: ﴿الٓمٓ﴾ ومعناه: أنا الله أعلمُ.

وانتظام السورتين: أنهما في بيان وحدانية الله تعالى، وذكرِ الكتاب والرسول، ومحاجَّةِ المشركين، ومدحِ المؤمنين، وبيانِ عاقبة الفريقين.

وقوله تعالى: ﴿تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾: قيل: هذا جواب ﴿الٓمٓ﴾، وقيل: أي: هذا تنزيل الكتاب.

﴿لَا رَيۡبَ فِيهِ﴾: لا شك فيه أنه من عند الله. وقيل: أي: لا ترتابوا فيه.

﴿مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾: أي: هو من ربِّ العالَمين، وهو كقوله تعالى: ﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الواقعة: ٨٠]، وقوله: ﴿تَنزِيلٌ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢].

قيل: هو جواب ﴿الٓمٓ﴾، وقيل: أي: هذا ﴿تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَا رَيۡبَ فِيهِ﴾[2].

* * *

(١) انظر: «البيان في عد آي القرآن» (ص: ٢٠٧)، وفيه: وكلمها ثلاث مئة وثمانون، وحروفها ألف وخمس مئة وثمانية عشر.

(٢) «قيل هو جواب ﴿الٓمٓ﴾ وقيل أي هذا ﴿تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَا رَيۡبَ فِيهِ﴾»، من (ر).

(٣) ـ ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۚ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾.

وقوله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾: قيل: (أيقولون: افتراه محمد)، ويجوز أن يقدَّر قبله استفهام ثم يعطف عليه بـ﴿أَمْ﴾: أيقولون: هو ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ أم يقولون: اختلقه محمد.

وقوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾: أي ليس كما يقولون أنه مفترًى، بل هو الحق من ربك يا محمد، رجع من المغايبة إلى المخاطبة، وهو من تلوين الكلام[1].

وقوله تعالى: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ﴾: أي لم يأتهم رسول منذرٌ وهم مشركو العرب.

﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾: أي: لتنذرهم العذاب إن أصروا على كفرهم فيُسْلِموا ويهتدوا إلى الحق.

* * *

(٤) ـ ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾: فسرناه في سورة الأعراف.

﴿مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ﴾: أي: ليس لكم سوى الله تعالى وليٌّ يتولى أموركم، ولا شفيع يشفع لكم إليه[2] إن متُّم كافرين؛ أي: فإليه وحده فافزعوا

---

(١) في (ر) و(ف): «وهو تلوين الخطاب».

(٢) في (ف): «ولا شفيع يشفع إليه»، وفي (ر): «ولا شفيع لكم إليه يشفع».

فلـن ينفعكـم أحـد دونـه كما يتوهَّـم المشـركون من ولايـة آلهتهم وشـفاعتها.

﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾: أفلا تتَّعظون بمواعظ الله.

* * *

(٥) ـ ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾.

وقولـه تعالـى: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾: أي: يدبـر الأمر من السـماء فيَنـزل بـه بعـض ملائكتـه مـن السـماء إلـى الأرض[1]، فيُلقي ذلـك إلى الـذي أُمر بإلقائـه إليه من الرسـل.

﴿ثُمَّ يَعْرُجُ﴾: أي: يعرج الملك ﴿إِلَيْهِ﴾: إلى الموضع الذي أُمر بالعروج إليه من السماء.

وقوله: ﴿فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ﴾: في نزول الملك إلى الأرض وعروجه منها إلى السماء ﴿أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾: من أيامكم في الدنيا؛ لأن ما بين السماء إلى الأرض مسيرةُ خمسِ مئة عام، فإذا قطع الملَك ذلك في يوم واحد نازلاً وصاعداً حصل له[2] مسيرة ألف سنة في يوم واحد.

وهذا التدبير هو ما يكتب في اللوح المحفوظ للملائكة الموكَّلين به، حتى إذا رأوا ذلك قد وجد في اللوح المحفوظ عرفوا أنه أراد أن ينزلوا به إلى نبيِّه في الأرض، فيفعلون ذلك ثم يرجعون إلى مكانهم الذي كانوا فيه.

---

(١) «من السماء إلى الأرض» من (أ).

(٢) في (ف): «حصل قاطعاً».

وقوله: ﴿يَعْرُجُ﴾: ظاهره يرجع إلى الأمر فهو المذكور قبله(١)، ومعناه: عروج المأمور بتبليغ ذلك الأمر.

وقوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ﴾ ظاهره يرجع إلى الله تعالى، ومعناه: العروج إلى المكان الذي كان الخطاب الأول فيه والأمر بالعروج إليه.

وقيل: ﴿إِلَيْهِ﴾؛ أي: إلى السماء، فقد ذكر قبله وهو يذكَّر ويؤنَّث، قال الله تعالى: ﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ﴾ [المزمل: ١٨] وقال الشاعر:

فلو رَفَع السماءُ إليه قوماً ... لكنا في السماء مع النجوم(٢)

وقوله: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ﴾ قيل: ﴿كَانَ﴾ زائدة؛ كما في قوله: ﴿مَن كَانَ فِي ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ [مريم: ٢٩].

وقيل: معناه: إن هذا مما عرفتُموه من قبلُ، فأما قوله في سورة ﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ﴾: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ فهو يومُ القيامة وذلك مقدارُه.

* * *

(٦ ـ ٧) ـ ﴿ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٦ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ﴾.

---

(١) بعدها في (ف): «يرجع إلى الله تعالى».

(٢) البيت للفرزدق، وهو في «ديوانه» (١/ ٣٣)، و«شرح نقائض جرير والفرزدق» لأبي عبيدة (٣/ ١١٠٥)، ودون نسبة في «معاني القرآن» للفراء (١/ ١٢٨) و(٣/ ١٩٩)، و«تفسير الطبري» (٢٣/ ٣٩١)، و«معاني القرآن» للزجاج (٥/ ١٤٣)، و«المذكر والمؤنث» لأبي بكر الأنباري (١/ ٤٩٣)، وغيرها. ورواية الديوان: (الإله) بدل (السماء)، وعجزه في المصادر:

لحقنا بالسماء مع السحاب

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾: أي: الموصوف بما مرَّ عالمٌ بما غاب عن الخلق وما شهِدوه وما[1] شاهدوه، لا يخفى عليه شيء من ذلك.

﴿ٱلْعَزِيزُ﴾: المنيع بسلطانه فلا يغالَب ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ بخلقه بإيصال المنافع ودفع المضار.

قوله: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ﴾: قرأ نافع وحمزة والكسائي وعاصم: ﴿خَلَقَهُۥ﴾ بتحريك اللام وهو ماضٍ، ومعناه: أتقن كلَّ شيء قد خلقه كما قال: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [النمل: ٨٨].

وقيل: أي: عَلِم كلَّ شيء قد خلَقه، من قولهم: قيمة كل شيء ما يحسنه؛ أي: عَلِم قبل أن يخلقه أنه كيف يكون إذا خلقه، وعَلِم بحاله ومدةِ بقائه، وما يكون منه وما يحتاج إليه إلى انقضائه.

وقيل: عَلِم ما خَلَق فلم يَحتجْ أن يَحتذيَ فيه على مثالٍ سَبَق.

وقيل: أي: جعَله حسناً، على معنى: أنه خلق ما له[2] أن يخلقه، ومَن فعَل ما ليس له أن يفعله فقد أساء، أو: جعَله حسناً على ما علَّق به من الحكمة وجعَل فيه من الدلالة.

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو: ﴿أَحْسَنَ كُلَّ شَيءٍ خَلْقَهُ﴾ بتسكين اللام[3] على أنه مصدر والفعل واقعٌ عليه، وتقديره: أحسن خَلْق كلِّ شيء، ثم هو يقع على الإتقان وعلى العلم وعلى التحسين على ما مر، وظاهرُ نَظْمه أن قوله: ﴿كُلَّ شَىْءٍ﴾ مفعول به، وقوله: ﴿خَلَقَهُۥ﴾ بدلٌ عنه، وهو كقوله: ضربتُ زيداً رأسَه.

---

(١) «ما» ليست في (أ).

(٢) بعدها في (ر): «قبل».

(٣) وهي قراءة ابن عامر أيضاً. انظر: «السبعة» (ص: ٥١٦)، و«التيسير» (ص: ١٧٧).

وقوله تعالى: ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ﴾: أي: بدأ خلقَ آدم من طينٍ وهو التراب المبلول بالماء.

* * *

(٨ ـ ٩) ـ ﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ (٨) ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾.

﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ﴾: أي: نسل آدم، وهو ما توالَدَ منه من الذرية ﴿مِن سُلَالَةٍ﴾؛ أي: من ماءٍ سُلَّ من أصلاب الرجال ﴿مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾ صفةُ السلالة أنها نطفةٌ ضعيفة رقيقة لا خطر لها عند الناس.

﴿ثُمَّ سَوَّاهُ﴾: أي: عدلَه، ويجوز أن ترجع الهاء إلى ﴿مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾ ويجوز أن ترجع إلى النسل.

﴿وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ﴾: أي: أدخل فيه الروحَ الذي خلقه[١] له، والإضافة إليه للتشريف؛ كبيت الله، وناقة الله، وشهر الله.

وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ﴾: أي: جعَل لكم معاشرَ الناس ما تسمعون به فتميِّزون به[٢] بين الأصوات، وما تبصرون به فتميِّزون به بين الأشخاص والألوان، والأفئدةَ حتى تعقلوا بها الأمور وتتدبروها.

﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾: وهذا حثٌّ على الاستكثار من الشكر له على ما ابتدأهم به من هذه النعم لينالوا به النعيمَ المقيم في الآخرة أيضاً[٣].

---

(١) في (ف): «خلقت».

(٢) «به» ليست في (ف).

(٣) في (ر): «النعيم في الجنة أيضاً».

(١٠) ـ ﴿ وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۭ ۚ بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۭ ﴾: أي: وقال المشركون المنكرون للبعث للأنبياء: إذا بَلِينا في الأرض وهلَكت أجسادنا فيها فلم تتبيَّن لأنَّا صرنا تراباً كما يَضِلُّ الماء في اللبن فلا يتبين فيه نعاد بخلقٍ جديد[1] فنَحيَى كما كنا قبلَ موتنا؟! أي: إن هذا عجَبٌ منكَر، فهذا استفهام بمعنى الإنكار.

﴿بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ ﴾: ﴿بَلْ﴾ ردٌّ لِمَا قبله صريحاً أو تقديراً، وتقديره هاهنا: ليس لهم[2] جحودُ قدرة الله تعالى على البعث و[3]الإعادة؛ لأنَّا نبهناهم بالآيات على قدرتنا، لكنْ قد اعتقدوا ألَّا دارَ للحساب والجزاء، فهم لهذا ينكرون البعث والإحياء بعد الموت.

* * *

(١١) ـ ﴿ ۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم﴾: أي يقبض أرواحكم ﴿مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ﴾ لإحصاء آجالكم وقبض أرواحكم، وهو عزرائيل عليه السلام.

﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾: في[4] القيامة، فيحاسبكم على أعمالكم ويجازيكم عليها.

وأضاف التوفِّيَ هاهنا إلى ملك الموت، وإلى الملائكة في قوله تعالى:

---

(١) في (ر): «أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جديد» بدل: «نعاد بخلق جديد».

(٢) في (ف) و(أ): «بهم».

(٣) «البعث و» ليس في (أ) و(ف).

(٤) في (أ): «يوم».

﴿تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [النحل: ٢٨]، وإلى نفسه في قوله: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ﴾ [الزمر: ٤٢]، والجمع بينها: أن الملائكة ـ وهم[1] أعوان ملك الموت ـ ينزعون الروح إلى الحلقوم، ثم يقبضه ملك الموت، والله تعالى هو الآمِرُ بذلك، وهو الخالق لأفعال العباد[2]، والإضافةُ إليه بالأمر وبالتخليق أيضاً.

* * *

(١٢) ـ ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ﴾: أي: ولو ترى يا محمد ﴿إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ هذا بيانُ حالهم إذا رجعوا إلى الله يوم القيامة ﴿إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ ـ وهم الذين قالوا: ﴿أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ ـ ﴿نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ﴾ حياءً وخزياً[3] ﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾: عند حساب ربهم والعرض على ربهم[4].

وقوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا﴾: أي: يقولون: يا ربنا أبصرنا الآن ما لم نكن نُبصره في الدنيا وسمعنا ما لم نكن[5] نسمع؛ أي: تيقنَّا بالبعث وزالت[6] الشكوك.

﴿فَٱرْجِعْنَا﴾: أي: إلى الدنيا ﴿نَعْمَلْ صَٰلِحًا﴾؛ أي: الإيمانَ والطاعة ﴿إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ بالبعث والحساب، وأنه لا ينفعنا عبادةُ مَن كنا نشركُه بك.

---

(١) «وهم» ليست في (ف).

(٢) في (أ): «البشر».

(٣) في (ر) (ف): «وخوفاً».

(٤) في (أ): «أيهم» في الموضعين.

(٥) «نكن» ليست في (أ) و(ف).

(٦) في (أ): «وزوال».

وقيل: معناه: ربنا لك الحجةُ علينا، فقد أبصرنا رسلك وآياتِ وحدانيتك، وسمعنا كتابك ووعظ أنبيائك، فلا حجة لنا عليك ولكن بنا حاجةٌ إليك، وهو أن تَرْجِعَنا إلى الدنيا لنُطيعك، فقد تيقنَّا أنه لا ينفعنا عندك إلا العملُ الصالح.

وجواب ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ﴾ محذوف، وتقديره: لرأيتَ منظراً هائلاً؛ كقولك: لو رأيتَ فلاناً وقد أخذته السياط.

***

(١٣) - ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾: قال الإمام أبو منصور رحمه الله: أي: ولو شئنا لأعطَينا[1] كلَّ نفس ما عندنا من اللطف الذي لو كان منهم اختيارُ ذلك لاهتدوا، ولكن لم نعطهم ذلك اللطفَ لَمَّا علمنا منهم اختيارَ غيرِ ذلك.

وعلى قول المعتزلة: شاء أن يعطي كل نفس ما به اهتدت، وقد أعطاها لكنها لم تهتد.

فقولهم مخالفٌ للآية؛ لأنهم يقولون: شاء أن تهتديَ كلُّ نفس، وآتى كلَّ نفس ما تهتدي به لكنها لم تهتد، لكنهم يقولون: المشيئة هاهنا[2] مشيئةُ الجبرِ والقسر.

فيقال لهم: زعمتُم أنه قد شاء أن يهتدوا وآتاهم ما يهتدون به، فلم يهتدوا ولم تنفذ مشيئتُه، فكيف يقدِر ويملك أن يشاءَ مشيئةً تقهرُهم وتجبرهم حتى يهتدوا؟ وكيف يؤمَنُ على ذلك؟ فذلك بعيد على قولكم.

---

(١) في (ر): «لآتينا».

(٢) بعدها في (ر): «ليست»، وليست في «التأويلات».

ويقال لهم أيضاً: إن الإيمان به والتوحيدَ في حال القهر والقسر لا يكون إيماناً؛ لأن القهر والجبر يرفع[١] الفعل عن فاعله ويحوِّله عنه، فكيف يصح تأويلكم على هذا؟!

وقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾: أي: وجَب القول مني لـمَّا علمتُ أنه يكون منهم ما يستوجبون به جهنم، وهو ما علم منهم أنهم يختارون الردَّ[٢] والتكذيب[٣].

* * *

(١٤) ـ ﴿فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَذُوقُوا﴾: عاد الكلام إلى خطاب المجرمين في القيامة، وكان قوله: ﴿وَلَوْ شِئْنَا﴾ في الآية كلاماً معترِضاً.

وقيل: هو متصل؛ قال محمد بن كعب القرظي: بلغني أن أهل النار إذا قالوا: ﴿رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ ردَّ الله عليهم بقوله: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾ الآية ﴿فَذُوقُوا﴾؛ أي: يقال لهؤلاء: قاسوا العذاب ﴿بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾؛ أي: بترككم العمل لهذا اليوم كأنكم نسيتُموه فلم تذكُروه ﴿إِنَّا نَسِينَاكُمْ﴾ أي: تركناكم في جهنم[٤].

وقيل: أي: جازيناكم على نسيانكم.

---

(١) في (ر): «يخرج»، وفي (ف): «يرجع». والمثبت من (أ) و«التأويلات».

(٢) في (ر): «الكفر».

(٣) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٨/ ٣٣٥).

(٤) قطعة من خبر طويل رواه عن محمد بن كعبٍ الطبريُّ في «تفسيره» (١٧/ ١١٩).

وقوله تعالى: ﴿وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ﴾: أي: واعلموا أن هذا العذاب خالدٌ لكم غيرُ زائل عنكم ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾؛ أي: هذا لكم بأعمالكم من الكفر والمعاصي.

* * *

(١٥) - ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدًا وَسَبَّحُواْ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدًا وَسَبَّحُواْ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾: أي: إن هؤلاء المشركين لإلفهم الشركَ وتقليدهم الآباءَ في أنه لا بعثَ ولا حساب ولا جزاء لا يؤمنون بآياتنا؛ أي: القرآن، إنما يؤمن بها المتدبِّرون لها المستمِعون إلى مواعظها، فهم إذا قرئ عليهم القرآن ووُعظوا به ﴿خَرُّواْ سُجَّدًا﴾ لله على وجوههم تذلُّلاً لله وتعظيماً لآياته ﴿وَسَبَّحُواْ﴾؛ أي: في سجودهم ﴿بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾.

قيل: يقولون: (سبحان الله وبحمده) في السجود.

وفي بعض الأخبار أن النبيَّ ﷺ كان يقول في سجوده ذلك[1].

ويجوز أن يكون التسبيحُ تنزيهَ الله تعالى عما لا يليق به، وحمدُ الله وصفَه بصفاته العلى وتسميتَه بأسمائه الحسنى، فإذا قال: (سبحان ربي الأعلى) فقد نزَّه الله عزَّ وعلا بقوله: (سبحان ربي) وحمِده بقوله: (الأعلى).

* * *

---

(١) رواه البخاري (٧٩٤) و(٨١٧)، ومسلم (٤٨٤)، عن عائشةَ قالت: كان رسولُ اللهِ ﷺ يُكثرُ أن يقولَ في ركوعِه وسجودِه: «سبحانك اللهمَّ ربَّنا وبِحَمْدِك، اللهمَّ اغفِرْ لِي» يتأولُ القرآن.

(١٦) ـ ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ ﴾: أي: تتباعد ﴿عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ ﴾: جمع مضجع، يقول: تتباعدُ جنوب هؤلاء وتنوء ﴿عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ ﴾[١]: مواضع الاضطجاع من الفُرش وغيرها؛ شغلاً منهم بالصلاة في أوقات اضطجاع الناس للنوم والاستراحة.

﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ ﴾: في الصلاة وخارج الصلاة.

﴿خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾: خوفاً من عقابه وطمعاً في ثوابه.

خوفاً من نقمته وطمعاً في رحمته.

خوفاً من فراقه وطمعاً في لقائه.

وهو كقوله تعالى: ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾: أي: يتصدَّقون نفلاً وفرضاً[٢]، ذاك بالنفس وهذا بالمال.

وقيل: ومما رزقناهم من القرآن يقرؤون[٣]، وهو أوفق لما قبله.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: هؤلاء قوم كانوا يجتمعون العشاءَ والمغرب مع النبي ﷺ، فأثنى الله عليهم بذلك[٤].

---

(١) «المضاجع» من (أ).

(٢) بعدها في (ر): «لأن».

(٣) في (ر) و(ف): «﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ من القرآن».

(٤) رواه ابن مردويه كما في «الدر المنثور» (٦/ ٥٤٦) عن ابن عباس قال: أنزلت في صلاة العشاء الآخرة، كان أصحاب رسول الله ﷺ لا ينامون حتَّى يصلوها.

ورواه عنه مرفوعاً بلفظ: «هم الذي لا ينامون قبل العشاء فأثنى عليهم».

وقال أنس: كان أصحاب النبيِّ ﷺ يعملون من النهار فإذا جنَّهم الليل قاموا[١] بين المغرب والعشاء حتى صلَّوا العشاء الآخرة، فأَحيوا ما بينهما بالصلاة[٢].

* * *

(١٧) - ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾: أخفَوا أعمالهم فأخفَى الله جزاءهم، يقول: لا يعلم أحد كُنْهَ ما يعطي الله هؤلاء المؤمنين في الجنة من الثواب الذي تَقَرُّ به أعينهم مما أخفاه الله عنهم.

وقيل: هو وعد الرؤية، فإن عين المؤمن لا تَقَرُّ إلا برؤية الله.

---

(١) في (أ) و(ف): «اضجعوا». وانظر التعليق الآتي.

(٢) رواه أبو داود (١٣٢١) و(١٣٢٢)، والطبري في «تفسيره» (١٨/ ٦١٠)، ولفظ الطبري: (عن أنس رضي الله عنه: أن هذه الآية نزلت في رجال من أصحاب النبيّ ﷺ، كانوا يصلون فيما بين المغرب والعشاء ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾.

لكن ذكر الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (٨/ ٣٣٧) عن أنس روايتين فقال: روي عن أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنها نزلت في أصحاب رسول الله ﷺ، لكن اختلفت عنه الروايات:

ذكر في بعضها: أنها نزلت في نفر من عمال أصحاب رسول الله ﷺ كانوا يعملون النهار، فإذا جن عليهم الليل اضطجعوا بين المغرب والعشاء فناموا، فلما نزل هذا اجتنبوا عن ذلك.

وذكر عنه: أنهم كانوا يصلون بين المغرب والعشاء؛ فنزلت الآية فيهم.

فإن كان هذا فنزول الآية لذلك يخرج مخرج المدح لهم والثناء الحسن، وإن كان الأول فهو على النهي والتوبيخ لذلك.

قلت: وقد صح عن النبيِّ عليه السلام تفسيرها بقيام العبد من الليل. رواه الترمذي (٢٦١٦) وصححه، والنسائي في «الكبرى» (١١٣٣٠)، وابن ماجه (٣٩٧٣)، والطبري في «تفسيره» (١٨/ ٦١٤)، من حديث معاذ رضي الله عنه.

وقوله تعالى: ﴿جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾: جزاءً لهم من الله تعالى على هذه الأعمال.

وروت أسماءُ بنت يزيدَ عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا جمع الله الناس يوم القيامة نادى منادٍ: سيَعلم أهل الجمع مَن أولى بالكرم، أين الذين ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ﴾ الآية؟ فيقومون وهم قليل فيدخلون الجنة بغير حساب.

ثم ينادي منادٍ: سيَعلم أهل الجمع مَن أولى بالكرم، أين الحمَّادون لله في السرَّاء والضرَّاء؟ فيقومون وهم قليل فيدخلون الجنة بغير حساب.

ثم ينادي منادٍ: سيَعلم أهل الجمع مَن أولى بالكرم، أين الذين لا تُلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله؟ فيقومون وهم قليل فيدخلون الجنة بغير حساب.

ثم يحاسب(١) مَن سواهم من الناس»(٢).

وروى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «قال الله تعالى: أعددتُ

---

(١) في (ف): «ثم ينادي مناد للحساب فيحاسب».

(٢) رواه هناد في «الزهد» (١٧٦)، وإسحاق بن راهويه في «مسنده» (٢٣٠٥)، والثعلبي في «تفسيره» (٧/ ٣٣٢)، من طريق عبد الرحمن بن إسحاق عن شهر بن حوشب عن أسماء به، وعبد الرحمن بن إسحاق هو الواسطي، وهو ضعيف كما في «التقريب».

ورواه عبد بن حميد في «مسنده» (١٥٨١) من طريق أبان بن أبي عياش عن شهر به. وأبان متروك كما في «التقريب».

وله شاهد من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه رواه الحاكم في «المستدرك» (٣٥٠٨) من طريق عبد الله بن عطاء عن عقبة وصححه، لكن عبد الله بن عطاء لم يدرك عقبة كما ذكر المزي في «تهذيب الكمال» (١٥/ ٣١٢).

وروي نحوه عن ابن عباس رضي الله عنهما، رواه ابن المبارك في «الزهد» (٣٥٣ ـ زوائد نعيم)، والحارث بن أبي أسامة كما في «بغية الباحث» (١١٢٢)، وقال الحافظ في «المطالب العالية» (٤٥٥٧): هذا موقوف إسناده حسن.

لعبادي الصالحين ما لا عينٌ رأت ولا أذنٌ سمعت ولا خطر على قلب بشر» قال أبو هريرة رضي الله عنه: اقرؤوا إن شئتم: ﴿ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ ﴾[١].

❋ ❋ ❋

(١٨) ـ ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤۡمِنٗا كَمَن كَانَ فَاسِقٗاۚ لَّا يَسۡتَوُۥنَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤۡمِنٗا كَمَن كَانَ فَاسِقٗاۚ لَّا يَسۡتَوُۥنَ ﴾: ذكر وعيدَ الكافرين ووعد المؤمنين، ثم عجَّب عباده ممن سوَّى بين الفريقين، فقال: ﴿ أَفَمَن ﴾ وهو استفهام بمعنى النفي، يقول: أفمَن كان متقادمَ الإيمان كمَن كان فاسقاً خارجاً عن طاعة الله يَهتكُ[٢] الحرمةَ فيما بينه وبين الله؛ أي: إن هذا لا يكون.

وقال: ﴿لَّا يَسۡتَوُۥنَ ﴾ ولم يقل: يستويان؛ لأن (مَن) جنسٌ يصلح[٣] للجمع.

والآية نزلت في علي بن أبي طالب رضي الله عنه والوليد بن عقبة بن أبي معيط، وكان بينهما تنازعٌ في شيء، فقال الوليد لعلي رضي الله عنه: إلى كم تهدِّدني؟! فوالله إني لأحدُّ منك سناناً، وأشجعُ منك جَناناً، وأبسطُ منك لساناً، وأملأ منك حشواً في الكتيبة، فقال له علي رضي الله عنه: اسكت يا فاسق، فأنزل الله هذه الآية تصديقاً لعليٍّ رضي الله عنه[٤]، ونزل أيضاً قوله تعالى: ﴿إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ﴾ في الوليد.

---

(١) رواه البخاري (٤٧٧٩)، ومسلم (٢٨٢٤).

(٢) في (أ): «متهتك»، وفي (ف): «مهتك».

(٣) في (أ): «فصلح».

(٤) » رواه الإمام أحمد في «فضائل الصحابة» (١٠٤٣)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (١٣/ ٣٢١)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٤٩)، عن ابن عباس رضي الله عنهما. وكذا أورده في تفاسيرهم السمرقندي والثعلبي والواحدي والبغوي وابن عطية وابن الجوزي، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٦٢٥) عن عطاء بن يسار مرسلاً. =

(١٩ ـ ٢٠) ـ ﴿أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾: هو تفصيل قوله: ﴿لَّا يَسْتَوُۥنَ﴾، فإن المؤمنين في جنات المأوى ناعمون.

﴿نُزُلًۢا﴾؛ أي: رزقاً وعطاءً لهم بأعمالهم الصالحة.

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا﴾: أي: إذا رفعهم لهب النار إلى أعلاها رُدُّوا إلى مواضعهم فيها بضرب الزبانيةِ إياهم بمقامع الحديد، قاله الحسن[1].

﴿وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾: أي: وتقول لهم خزنة النار: قاسُوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون، والتذكير راجعٌ إلى العذاب، وإن جعل راجعاً إلى النار فلأن تأنيثها ليس بلفظيٍّ ولا حقيقيٍّ، فيجوز التذكير فيه للَفْظه.

* * *

(٢١) ـ ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم﴾: أي: هؤلاء الفساق ﴿مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ﴾؛ أي: العذاب في الدنيا من القتل والسبي، وقيل: هو يوم بدر.

= لكن نقل ابن عطية عن الزجاج [في «معاني القرآن» (٤/ ٢٠٨)] وغيره أنها نزلت في علي وعقبة بن أبي معيط، قال: وعلى هذا يلزم أن تكون الآية مكية، لأن عقبة لم يكن بالمدينة وإنما قتل في طريق مكة منصرف رسول الله ﷺ من بدر.

(١) ذكره عن الحسنِ: يحيى بنُ سلام في «تفسيره» (١/ ٣٦٠)، والزمخشري في «الكشاف» (٣/ ١٥٠). ورواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٤٩٨) عن أبي ظبيان.

وقيل: هو مصائب الدنيا وشدائدُها في النفوس والأموال والقَحْط.

وقيل: هو عذاب القبر.

﴿دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ﴾: أي: قبل العذاب الأكبر، وهو عذاب الآخرة؛ أي: يجمع الله لهم العذابين، ونظيره: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الجاثية: ٢١].

وقال الحسن: ﴿ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ﴾: البلايا ﴿دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ﴾؛ أي: لا[1] العذابِ المستأصِل[2]، يعني: لا يكون ذلك لهذه الأمة، فعلى قوله العذابان جميعاً في الدنيا.

﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾: أي: ليرجعوا إذا انتبهوا بالعذاب الأدنى، وهذا إذا حمل الأدنى على ما دون القتل، فإن حُمل على القتل فمعنى قوله: ﴿يَرْجِعُونَ﴾؛ أي: لعل الآخرين يعتبرون بهم فيرجعون.

***

(٢٢) ـ ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ﴾: أي: وُعِظ بها ﴿ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ﴾ فتولى عنها فلم يقبلها، فلا أحق بالعذاب في الدنيا والآخرة من هذا.

﴿إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾: أي: إنَّا من هؤلاء الفسَّاق المشركين منتقِمون تمييزاً بين المحسن والمسيء.

---

(١) «لا» من (أ).

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٣٠٧) بلفظ: (عقوبات الدنيا)، والطبري في «تفسيره» (١٨/ ٦٢٩) بلفظ: (مصيبات الدنيا)، ولم أجد باقي الخبر عن الحسن، بل روى عنه قَتادة: ﴿دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ﴾ يوم القيامة. رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٦٣٣).

وقال القشيري: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا﴾؛ أي: أفمَن كان في حلةِ الوصال يجرُّ أذيالها كمَن هو في مَذلَّة[1] الفراق يعاني وَبالها.

أفمَن كان في رَوح إقبالنا عليه كمَن هو في محنةِ إعراضنا عنه.

أفمَن بقي معنا كمَن بقي عنا.

أفمَن هو في ضياء العرفان ونهار الإحسان[2] كمَن هو في ليالي الكفران ووحشة العصيان والهجران.

أفمَن أُيِّد بنور البرهان وأُطلع على[3] شموس العرفان كمَن رُبط بالخذلان ووُسم بالحرمان؛ لا يستويان ولا يلتقيان[4].

وقيل: ﴿ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ﴾: الخذلان في الذلة، و﴿ٱلْأَكْبَرِ﴾: الهجران عن الوُصلة.

﴿ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ﴾ لقوم محنُ الدنيا، و﴿ٱلْأَكْبَرِ﴾ عقوبةُ العُقبى.

ولقوم ﴿ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ﴾: فترةٌ تتداخلُهم في عبادتهم، و﴿ٱلْأَكْبَرِ﴾ قسوةٌ تصيبهم في قلوبهم.

ولقوم ﴿ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ﴾: وقفةٌ في سلوكهم تمسُّهم[5]، و﴿ٱلْأَكْبَرِ﴾ حَجْبةٌ عن مُشاهدتهم [تنالهم]، قال قائلهم:

---

(١) في (أ): «ملة».

(٢) في (ر) و(ف): «وبهاء الإحسان». وعبارة «اللطائف»: «في نهار العرفان وضياء الإحسان».

(٣) في «لطائف الإشارات»: «وطلعت عليه».

(٤) انظر: «لطائف الإشارات»: (٣/ ١٤٤).

(٥) في مطبوع «اللطائف»: «تنبيهم».

أدَّبْتَنـي بانصـرافِ الطَّـرْفِ يـا ثِقَتـي فانظُـرْ إلـيَّ فقـد أحسَـنْتَ تأديبـي[١]

* * *

(٢٣) ـ ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ ۖ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ ﴾: أي: التوراةَ؛ أي كما أعطيتُك القرآن.

﴿فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ﴾: أي: في شكٍّ من أنك ستلقاه يوم القيامة، وتكونان[٢] مع سائر الأنبياء في المراتب العالية التي أُعدَّت لكم.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: أي: فلا تكن في شكٍّ في أنك لقيتَه في ليلةِ المعراج[٣]، وأكرمك الله بالاجتماع معه، وإراءةِ مشاهد ملكوت السماوات، فثِق بكرامتك على الله وامضِ لِمَا أنت عليه من الدعاء إلى دِين الله صابراً عليه.

وقيل: معناه: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ ﴾ فلقيه مِن قومه الأذى فصبر عليه ﴿فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ﴾ في أنْ تلقى ما لقي هو، واصبر كما صبر هو تُحمد العاقبة كما حُمدها هو.

وقال الزجاج: ﴿فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن﴾ لقاء موسى الكتابَ[٤].

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات»: (٣/ ١٤٥).

(٢) بعدها في (ف): «يوم القيامة».

(٣) قطعة من حديث رواه البخاري (٣٢٣٩)، ومسلم (١٦٥)، والطبري في «تفسيره» (١٨/ ٦٣٦)، من طريق قتادة عن ابن عباس في قصة الإسراء.

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٢٠٩)، وزاد: (ويكون الهاء للكتاب، ويكون في لقائه ذكرُ مُوسى، ويجوز أن يكون الهاء لموسى، والكتاب محذوف، لأنْ ذكر الكتاب قد جرى كما =

وقيل: هذا يتَّصل بكلام متقدِّم، وتقديره: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ ﴿وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ وهذا المعترض يتصل بقوله: ﴿وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ إلى قوله: ﴿بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ﴾ ﴿فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ﴾.

وقال عطاء: ﴿فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن﴾ لقاء موسى الجبل دكًّا عند سؤاله الرؤية(١).

وقال الشيخ أبو القاسم بن حبيب: روي عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «﴿فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ﴾ لنا غداً ورؤيته لنا»(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾: قيل: أي: وجعلنا موسى هادياً.

وقيل: الكتابَ هادياً دالًّا إلى الحق.

* * *

(٢٤) ـ ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾.

﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ﴾: أي: من بني إسرائيل ﴿أَئِمَّةً﴾: قادةً يُقتدَى بهم.

﴿يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾: أي: يدلُّون الناس على الطريق المستقيم بأمرنا إياهم به، وهم أنبياء بني إسرائيل، وغيرُ الأنبياء أيضاً.

﴿لَمَّا صَبَرُوا۟﴾: قرأ حمزة والكسائي: ﴿لِمَا صَبَرُواْ﴾ بكسر اللام والتخفيف؛ أي: لصبرهم(٣)، وقرأ الباقون: ﴿لَمَّا صَبَرُوا۟﴾ بفتح اللام وتشديد الميم(٤)، يعني: إذ صبروا وحين صبروا.

= جرى ذكر موسى). قال: (وهذا والله أعلم أشبه بالتفسير).

(١) ذكره الجرجاني في «درج الدرر» (٢/ ٤٤٨) دون عزو.

(٢) ذكره القشيري في «لطائف الإشارات»: (٣/ ١٤٦) من كلامه هو، ولم أجده مسنداً.

(٣) في (ف): «لتصبرهم».

(٤) انظر: «السبعة» (ص: ٥١٦)، و«التيسير» (ص: ١٧٧).

وقيل: على الجوع والصوم؛ كما قال: ﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ﴾ [الإنسان: ١٢].

وقيل: أي: على تحمُّل[1] البلايا وأذى الأعداء.

وقيل: على طاعة الله.

وقيل: أي: عن محارم الله.

وفيه دليل على أن الصبر ثمرتُه إمامةُ الناس.

وقوله تعالى: ﴿وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾: عطفٌ على ﴿صَبَرُواْ﴾[2].

والآيات: التوراة.

وقيل: المعجزات التي كانت لموسى عليه السلام.

* * *

(٢٥) ـ ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ﴾: أي: يَقطع الحكم بين هؤلاء المذكورين ـ وهم المؤمنون والكفار وبنو إسرائيل وغيرهم ـ في الآخرة وهو قوله:

﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾: من أمور الدنيا والدِّين، فيميِّز بينهم في الثواب والعقاب، فيَتبيَّن إحسان المحسنين وإساءةُ المسيئين، وحقُّ المحقِّ وباطل المُبْطِل.

وقال القشيري رحمه الله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ فعند ذلك

---

(١) في (أ): «تجرع».

(٢) في (أ): «على ما صبروا».

يتبيَّن المردود من المقبول، والمهجورُ من الموصول، والذَّميم من الرضيِّ[(١)]، والعدوُّ من الولي، فكم من بَهجةٍ دامت[(٢)] هنالك، وكم من مُهجةٍ ذابت عند ذلك[(٣)].

* * *

(٢٦) ـ ﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْقُرُونِ ﴾: أي: أولم يتبين لهم إهلاكُنا القرونَ من قبلهم فيتَّعظوا أو يرتدِعوا عن الشرك.

﴿يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ﴾: أي: يمشي هؤلاء في مساكن المهلَكين في أسفارهم، وهي بلاد قوم صالح وشعيب ولوط؛ كما قال: ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ﴾ [الصافات: ١٣٧] وقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [الحجر: ٧٩].

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ﴾: أي: مَن فعَل فعلَهم جُزي جزاءهم ﴿أَفَلَا يَسْمَعُونَ﴾ ما يوعظون به فيتعظوا به.

* * *

(٢٧) ـ ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا ﴾: أي: أولم يرَ هؤلاء المكذِّبون بالبعث ﴿أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ﴾ وهو المطر ﴿إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ﴾؛ أي: اليابسةِ التي لا نبات فيها، انقطع ذلك لانقطاع الأمطار، وهو من قولهم: سيف جُراز؛ أي: قطَّاع.

---

(١) في (ف): «والدميم من الوضي».

(٢) في (أ): «بهجة دامت» بدل من «مهجة هامت».

(٣) انظر: «لطائف الإشارات»: (٣/ ١٤٦ ـ ١٤٧).

وقوله تعالى: ﴿فَنُخْرِجُ بِهِۦ﴾: أي: بالماء ﴿زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ﴾؛ أي: مواشيهم من الحشيش ونحوه ﴿وَأَنفُسُهُمْ﴾ من الأطعمة والفواكه ﴿أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾ هذا بأعينهم فيستدلُّوا به على أن مَن قدر على إحياء الأرض بعد موتها فهو قادرٌ على إحيائهم[١] بعد موتهم؛ أي: أبصَروا ذلك فهلَّا استدلُّوا.

* * *

(٢٨) ـ ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾: أي: ويقول هؤلاء المنكِرون للبعث: ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ﴾؛ أي: الحكم والقضاء والفصل بيننا وبينكم على ما تذكرونه، والفتح: الحُكم، والفتَّاح: الحاكم ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ أنه كائن فبيِّنوا لنا وقته.

* * *

(٢٩) ـ ﴿قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِيمَٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِيمَٰنُهُمْ﴾: لأن إيمانهم إيمانُ اضطرارٍ، وقد قال الله: ﴿فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا﴾ [غافر: ٨٥].

﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾: لا[٢] يمهَلون بتأخير العذاب عنهم.

وقيل: هو فتح مكة، وكان موعوداً للنبي ﷺ وأصحابه، فكانوا يذكرون ذلك للكفار، فقالوا: متى هذا الفتح؟ فقال الله تعالى مجيباً لهم: ﴿قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِيمَٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ وكان القائلون هذا قوماً من جَذِيمة، فلما فتحت

---

(١) في (ف) و(أ): «إحياء الناس».

(٢) «لا» ليست في (أ) و(ف).

مكة هربوا، فلحقهم خالد بن الوليد رضي الله عنه، فأظهروا الإسلام فلم يقبله خالد منهم وقتلهم، فكان ذلك قوله: ﴿لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِيمَٰنُهُمْ﴾ ذكره الكلبي رحمه الله وغيره[١].

وقالوا: هذا غير صحيح؛ لأن أكثر أهل مكة آمنوا يومئذ فنفعهم إيمانهم.

وذُكرت هذه الحادثة من وجه آخر قال الحسن: إن رسول الله ﷺ لما فتح مكة تحصَّن بنو جَذِيمة على[٢] أعلى جبل، فأرسل إليهم خالد بن الوليد يستنزلهم، فقالوا: قد أسلمنا، قال: فانزلوا إن أسلمتم، فنزلوا فوضع فيهم السيف فقتلهم[٣]، فأُخبر رسول الله ﷺ بذلك، فقال ﷺ: «اللهم إني أبرأُ إليك مما صنَع خالد»[٤]، ووداهم من غنائم خيبر.

وقال محمد بن إسحاق: كان بين خالد رضي الله عنه وبني جَذيمة إحنةٌ في الجاهلية، وذلك أن بني جذيمة قتلوا عوفاً أبا عبد الرحمن بن عوف وقتلوا الفاكهَ عمَّ خالد بن الوليد.

وقال السدي: يعني: يوم بدر؛ لأن أصحاب النبي ﷺ كانوا يُوْعدونهم[٥].

---

(١) ذكره عن الكلبي: أبو الليث في «تفسيره» (٣/ ٣٨).

(٢) في (أ): «إلى».

(٣) «فقتلهم» ليس من (ف).

(٤) لم أجده عن الحسن، هذا مع أنه مردود أيضاً؛ لأن فيه أن خالداً رضي الله عنه قتلهم بعد أن أسلموا وأعلنوا إسلامهم وعلم منهم هو ذلك، وصواب القصة ما رواه البخاري (٤٣٣٩) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: (بَعَث النَّبيُّ ﷺ خالدَ بنَ الوليد إلى بني جَذِيمةَ، فدعاهم إلى الإسلام، فلم يُحْسِنوا أنْ يَقولوا: أسلَمْنا، فجعلوا يقولون: صَبَأنا صَبَأنا، فجَعَل خالدٌ يَقتلُ منهم ويأسِرُ...) الحديث.

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ٣٣٥)، والواحدي في «البسيط» (١٨/ ١٦٣)، والبغوي في «تفسيره» (٦/ ٣١٠).

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: كان أصحاب رسول الله ﷺ يقولون: يكون لنا يوم نغنم[١] فيه ونستريح، فردَّ عليهم المشركون فقالوا: متى هذا الفتح؟ يعني[٢]: اليوم الذي تقولون[٣].

***

(٣٠) ـ ﴿ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَٱنتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ ﴾: أي: عن قتالهم، وكان هذا قبل فرض القتال.

﴿وَٱنتَظِرْ﴾: هذا الفتح يومَ القيامة، أو يوم بدر، أو يوم فتح مكة، فإنه كائن لا محالة.

﴿إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴾: أي: ماكثون إلى أن يكون ذلك، جعَلهم منتظِرين له وإن لم يقصدوا ذلك لأنه كان يأتيهم لا محالة، فكان كقوله: ﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً ﴾.

وقيل: إنهم منتظِرون نزولَ الموت بهم، وكانوا موقنين به.

وقيل: كان بعضهم شاكًّا فيه فكانوا ينتظرونه؛ قال تعالى: ﴿ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً ﴾ [الحج: ٥٥].

---

(١) في (أ): «ننتقم»، وفي (ف): «ننقم».

(٢) في (ر): «متى هذا الوعد أي»، وفي (ف): «متى هذا الوعد يعني».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٦٤٤) عن قتادة. وروى الحاكم في «المستدرك» (٣٥٥٣) وصححه، والبيهقيّ في «الدّلائل» (٢/ ٣٢) عن ابن عبَّاس في قوله: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ قال: يوم بدر فتح للنّبي ﷺ فلم ﴿يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِيمَٰنُهُمْ﴾ بعد الموت.

وقيل: معناه: فأعرِضْ عن مكافأتهم على ذلك فإنَّا نكافئهم على ذلك، فانتظِرْ هلاكهم إنهم منتظِرون هلاكَكَ.

وروى مكحول رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «مَن قرأ ﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ﴾ السجدة و﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ﴾ فهما القرينان[1] يأتيان يوم القيامة لصاحبهما[2] الذي كان لا يدَعُهما كإنسانين من الناس يهديانه السبيل، ويكفَّان عنه الوعث[3]، ويسهِّلان له الطريق حتى يقف عند الله، قال: فيقول لهما: جزاكما الله من صاحبين وقرينين خيراً قد أحسنتُما، فيقولان له: هل تدري مَن نحن؟ نحن اللّذان كنتَ لا تَدَعُنا في قراءتك ليلاً، فلا نَدَعُك اليومَ حتى نشفعَ لك عند الله تبارك وتعالى»[4].

الحمد لله المعطي الوهَّاب، غافرِ الثواب مُجزل الثوب، قابلِ التوب شديدِ العقاب، والصلاة والسلام على خيرِ خلقك سيدِ البشر، والشفيعِ يوم المحشر، محمدٍ النبيِّ العربي المقدَّم على ذوي الألباب[5].

* * *

---

(١) في (ف): «القرينتان».

(٢) في (أ): «يوم القيامة بصاحبهما» وفي (ف): «يأتيان يوم القيامة بصاحبهما»، بدل: «يأتيان يوم القيامة لصاحبهما».

(٣) في (ر): «الرعب». والوعث: الطريق العسر.

(٤) لم أقف عليه، وإسناده ضعيف لإرساله.

(٥) في (أ): «اللهم نجنا من الظالمين اللهم ارزقني حوائجي وحوائج المحتاجين يا رب العالمين» بدل: «الحمد لله المعطي الوهاب...».

سُورَةُ الأَحزَابِ

سُورَةُ الأَحْزَابِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وهو حسبي وكفى

بسم الله الذي أعدَّ للكافرين عذاباً أليماً، الرحمنِ الذي وعد المؤمنين أجراً كريماً، الرحيمِ الذي قال: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧١].

وروى أبي بن كعب رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «مَن قرأ سورة الأحزاب وعلَّمها ملكَ يمينه وأهلَه أُعطي الأمان من عذاب القبر»[١].

وسورة الأحزاب مدنية، وهي ثلاث وسبعون آية، وألف ومئتان وسبع وثمانون كلمة، وخمسة آلاف وستُّ مئة وسبعةٌ وأربعون حرفاً[٢].

وانتظام أول[٣] هذه السورة بآخر سورة السجدة: أنه أمر رسوله ﷺ بالإعراض عن الكافرين، ونهاه هاهنا عن طاعة الكافرين والمنافقين.

وانتظام السورتين: أن تلك السورة في محاجَّةِ المشركين والصبر على أذى المؤذين، فقد قال: ﴿لَمَّا صَبَرُواْ﴾ وقال: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾. وهذه السورة في تعداد

---

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٥)، وهو قطعة من الحديث الموضوع في فضائل السور. وانظر: «الفتح السماوي» للمناوي (٣/ ٩٤٢)، و«الفوائد المجموعة» للشوكاني (ص: ٢٩٦).

(٢) انظر: «البيان في عد آي القرآن» للداني (ص: ٢٠٨)، وفيه: (وكلمها ألف ومئتان وثمانون كلمة وحروفها خمسة آلاف وسبع مئة وستَّة وتسعون حرفاً).

(٣) «أول» ليس من (ف).

ضروب أذًى ناله من الكافرين والمنافقين وبعضِ المؤمنين في طعنهم عليه في زيدٍ وتزوُّجِ امرأته، والاستكثارِ من النساء، والتوسُّع في المناكح، واعتراضِ نسائه عليه في طلب الزينة، ودخولِ بعض المؤمنين بيوتَه وانتظارِهم طعامَه، وتعرُّضِ بعض المنافقين بعضَ نسائه، وإيذائهم المؤمنين، وختم بذكر إيذاء قوم موسى عليه السلام، وكرَّر في هذه السورة لفظة الأذى: ﴿وَدَعْ أَذَىٰهُمْ﴾ [الأحزاب: ٤٨] ﴿إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ﴾ [الأحزاب: ٥٣] ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ﴾ [الأحزاب: ٥٣] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [الأحزاب: ٥٧] ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [الأحزاب: ٥٨] ﴿أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾ [الأحزاب: ٥٩] ﴿لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ﴾ [الأحزاب: ٦٩].

* * *

(١) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾: روي في نزول هذا: أن أبا سفيان بن حرب وعكرمةَ بن أبي جهل وأبا الأعورِ السُّلميَّ[١] ـ واسمه عمرو بن سفيان ـ قدموا المدينة فنزلوا على عبد الله بن أبيٍّ رأسِ المنافقين[٢] ـ وكان رسول الله ﷺ أعطاهم الأمان على أن يكلِّموه ـ ومعهم طُعْمة[٣] بن أُبيرقٍ وعبد الله بن سعد بن أبي سَرْحٍ، فأتوا النبيَّ ﷺ وقالوا له: ارفض ذكر آلهتنا اللاتِ والعزى ومناة وقل: إن لهم شفاعة ومنفعة لمن عبدها وندعُك وإلهك، فشقَّ ذلك على رسول الله ﷺ، فقال عمر رضي الله: ائذن

---

(١) وقد أسلم هؤلاء الثلاثة، إلا أن الأخير اختلف في صحبته. انظر: «الإصابة» (٤/ ٥٢٩).

(٢) بعدها في (أ): «وجد بن قيس».

(٣) في (ر) و(ف): «طعيمة».

لي يا رسول الله في قتلهم، فقال: «قد أعطيتُهم الأمان فأَخْرِجهم من المدينة»، فقال لهم عمر: اخرجوا في لعنة الله وغضبه، وأنزل الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾[١].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: يعني: ولا تطع الكافرين من أهل مكة والمنافقين من أهل المدينة[٢]، يعني: هؤلاء الستةَ نفر المسمَّين.

وقال الضحاك: إنهم حملوا النبيَّ ﷺ على أن ينقض عهداً[٣] كان بينه وبين قوم من العرب، فنهاه الله تعالى عن ذلك[٤].

وقوله تعالى: ﴿اتَّقِ اللَّهَ﴾؛ أي: دم على تقواك ﴿وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ فيما يدعونك إليه.

وقال ابن كيسان: الخطاب له والمراد به جميع المؤمنين، فإنه ختم الآية بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ على الجمع.

وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾؛ أي: بما يؤذيك من قولهم ﴿حَكِيمًا﴾ في أن لا يعاجلَهم بالعقوبة على فعلهم.

وقال الإمام القشيري رحمه الله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ﴾؛ أي: يا أيها المرقَّى إلى أعلى الرُّتَب، الملقَّى بأسنى القُرَب، يا أيها المخبِرُ عنا المأمونُ على أسرارنا، المبلِّغُ

---

(١) ذكره دون سند مقاتل في «تفسيره» (٣/ ٥٠٠)، والماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (٨/ ٣٤٧)، والثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٥)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٥١). وقال الحافظ في «الكاف الشاف» (ص: ١٣٢): هكذا ذكره الثعلبي والواحدي بغير سند.

(٢) ذكره الواحدي في «البسيط» (١٨/ ٢٦٦ ـ ٢٦٧).

(٣) في (ر) و(ف): «العهد الذي».

(٤) ذكره السمعاني في «تفسيره» (٤/ ٢٥٦).

خطابنا إلى أحبابنا ﴿ٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ أن تلاحظ غيرَنا معنا أو تساكن شيئاً من دوننا.

والتقوى رقيب على قلوب أوليائه تمنعهم في أنفاسهم وحركاتهم وسكناتهم أن ينظروا إلى غيره.

التقوى لجام يكبحك[١] عما لا يجوز، وزمامٌ يقودك إلى ما يجب[٢]، وسوطٌ يسوقك إلى ما أُمرت به، ومِشْخَصٌ[٣] من الله يحملك على القيام بحقه، وحرزٌ يعصمك من وصول أعدائك إليك، وعوذةٌ تشفيك من داء الخطأ[٤].

***

(٢ ـ ٣) ـ ﴿وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۝٢ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾: من أوامره ونواهيه.

وقيل: واتَّبع أحكام الله التي نوحيها إليك دون أحكام الجاهلية في الظهار وفي التبنِّي، ولا تخالف ذلك.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾: أي: عالماً، هذا خطابٌ له ولأمته.

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾: أي: اعتمِدْ عليه، وفوِّضْ أمرَك إليه مما[٥] تخافه من ضرر أذى الكفار.

---

(١) في (ف): «يمنعك».

(٢) في (أ) و(ر): «تحب»، ومثله في مطبوع «اللطائف»، والمثبت من (ف) وهو الأنسب بسياق الكلام.

(٣) في (ف): «ومركب»، وفي «اللطائف»: (شاخص).

(٤) انظر: «لطائف الإشارات» (٣/ ١٤٩ ـ ١٥٠).

(٥) في (ف): «فيما».

﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾: أي: وحسبك الله قائماً بأمورك.

وقال الإمام القشيري رحمه الله: ﴿وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ كنْ لنا لا لك، وقُم بنا لا بك.

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ التوكُّل تحقُّقٌ ثم تخلُّقٌ ثم توثُّقٌ ثم تملُّقٌ، تحقُّقٌ في العقيدة، وتخلُّقٌ بإقامة الشريعة، وتوثُّقٌ بالمقسوم من القضية، وتملُّقٌ بين يديه بحسن العبودية[(١)].

* * *

(٤) ـ ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔى تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ ۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ﴾: يذكُر ما كان المنافقون يقولونه، يقول: لم يجعل الله لرجل ﴿فِى جَوْفِهِۦ﴾؛ أي: في بطنه قلبين، إنما جعل له قلباً واحداً.

وقوله تعالى: ﴿مِّن قَلْبَيْنِ﴾ كلمةُ ﴿مِّن﴾ زيدت للتأكيد؛ كما في قوله: ﴿فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ﴾ [الحاقة: ٤٧].

وقيل: هو في أبي معمر جميل بن معمر بن أُسَيدٍ الفِهْرِيِّ، وكان حافظاً لِمَا يسمع، وأهدى الناسِ للطريق، وسمَّته العرب ذا قلبين، وكان هو يقول: إن لي قلبين أحدهما أعقلُ من الآخر، وكان يوم بدر انهزم وإحدى نعليه في رجليه والأخرى في يديه، وكان يعدو في الرمضاء وتحترق رجله ويقول: أين نعلي أين نعلي؟ ولا يعقل

(١) انظر: «لطائف الإشارات» (٣/ ١٥٠).

أنها في يده، فأنزل الله هذه الآية في شأنه تكذيباً لهم في تسميته بذلك(١).

وروي أنه تلقاه أبو سفيان بن حرب فقال: ما فعَل الناس؟ فقال: انهزموا، فقال: ما بال نعلك في يدك؟ قال: ما شعرتُ إلا أنهما جميعاً(٢) في رجلي، فعرفوا يومئذ أنه لو كان له قلبان ما نسي نعله في يده(٣).

وقيل: كان بعض المنافقين يزعم أن النبي ﷺ له قلبان، وهذا عن ابن عباس رضي الله عنهما(٤).

وعنه في رواية أنه قال: كان رجل من قريش يسمَّى ذا قلبين لدهائه، فنهاهم الله تعالى عن هذه التسمية(٥)، كما نهاهم الله تعالى أن يسمُّوا الزوجة أمًّا في الظهار،

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٤٧١ ـ ٤٧٢)، و«معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٣٤)، و«تأويلات أهل السنة» (٨/ ٣٤٩)، و«تفسير الثعلبي» (٨/ ٦)، و«النكت والعيون» (٤/ ٣٧٠ ـ ٣٧١)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ٣٥١). وروى نحوه مختصراً بإبهام اسم الرجل الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٧ ـ ٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد والحسن وقتادة وعكرمة.

(٢) «جميعاً» ليست في (أ).

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٤٧١ ـ ٤٧٢)، و«معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٣٤)، و«تأويلات أهل السنة» (٨/ ٣٤٩)، و«تفسير الثعلبي» (٨/ ٦)، و«النكت والعيون» (٤/ ٣٧٠ ـ ٣٧١)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ٣٥١). وعزاه الماوردي مع ما قبله للسدي.

(٤) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢٤١٠)، والترمذي (٣١٩٩) وحسنه، وابن خزيمة في «صحيحه» (٨٦٥)، والطبري في «تفسيره» (١٩/ ٧)، والحاكم في «المستدرك» (٣٥٥٥)، عن قابوس بن أبي ظبيان أن أباه حدثه قال: قلنا لابن عباس: أرأيت قول الله: ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦ﴾ ما عنى بذلك؟ قال: قام رسول الله ﷺ يوماً يصلي، فخطر خطرة، فقال المنافقون الذين يصلون معه: إن له قلبين، قلباً معكم، وقلباً معهم، فأنزل الله: ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦ﴾، قال الحاكم: (صحيح الإسناد ولم يخرجاه)، فتعقبه الذهبي بقوله: (قابوس ضعيف).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٧).

وأن يسمُّوا المدَّعى[١] ابناً، فانتظمت الآية هذه الثلاثة: ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّـٰٓـِٔي تُظَـٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَـٰتِكُمْۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ﴾ وهو قول مجاهد وقتادة[٢].

وقال الحسن هذا تكذيبٌ لرجل كان يقول: إن لي قلبين: قلبٌ يأمرني بكذا وقلبٌ ينهاني عنه[٣].

وقيل: كان المنافقون مذبذبين، إذا لقوا المؤمنين قالوا: إنَّا معكم، وإذا خلَوا إلى شياطينهم قالوا: إنَّا معكم، فعوتب واحد منهم على ذلك فقال: لي قلبان؛ قلبٌ مع هؤلاء وقلبٌ مع هؤلاء، فردَّ الله ذلك.

وقيل ـ وهو الأوجه والأوفق للنظم، ويتصل بقوله: ﴿وَلَا تُطِعِ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ﴾ ـ: إن معناه: أن طاعة الكافرين والمنافقين لا تجامع الإيمان بالله في قلب؛ كما تقول العرب: لا يجتمع سيفان في غِمْدٍ[٤]، ومجازه: أن الاعتقاد من أعمالِ[٥] القلب، فإذا كان قلبان لا يجتمعان في جوفٍ[٦]، فكذا اعتقادان متنافيان لا يجتمعان في قلب.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: الحكمة فيما لم يَجعل لواحدٍ قلبين وجعَل له سمعين وبصرين: أن الإدراك بالسمع والبصر يكون بالمشاهدة، فيخرج ذلك مخرجَ

---

(١) في (ف): «الدعي».

(٢) رواه عنهما الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٨)، وعن قتادة عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٣١١).

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٣١٢)، والطبري في «تفسيره» (١٩/ ٧).

(٤) بعدها في (أ): «واحد».

(٥) في (ر): «عمل».

(٦) بعدها في (ر): «واحد».

المعاوَنة، وما يُدرك بالقلب يُدرك بالاجتهاد، وقد يختلف القلبان فيما يجتهدان في شيء فيناقضُ أحدهما صاحبه، أو[1] يَجوز أن يرى أحدهما خلافَ ما يراه الآخر، ولا كذلك السمعان والبصران[2].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔى﴾: قرأ ابن كثير ونافع: ﴿اللَّاء﴾ بهمزة ليس بعدها ياء، وقرأ أبو عمرو كذلك إلا أنه ليَّن الهمزة، وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي بهمزة بعدها ياء[3]، وهي لغاتٌ وهي لجمع التي.

﴿تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ﴾: قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو: ﴿تَظَّهَّرون﴾ بفتح التاء وتشديد الظاء بغير ألف.

وقرأ عاصم: ﴿تُظَٰهِرُونَ﴾ بضم التاء من المظاهرة.

وقرأ حمزة والكسائي: ﴿تَظَاهَرُون﴾ بالألف وفتحِ التاء وتخفيف الظاء.

وقرأ ابن عامر بتشديد الظاء مع الألف[4]، وأصله: تتظاهرون، فأُدغمت التاء في الظاء، ومَن خفَّف فقد حذف إحدى التاءين.

وهذه الكلمة بوجوهها اسم لقول الرجل لامرأته: أنت عليَّ كظهرِ أمي، وكان ذلك طلاقاً في الجاهلية، فأبطل الشرعُ هذا الحُكم وجعله سبباً لحرمةٍ مؤقَّتة بالكفَّارة، وهي حرمةُ الفعل.

يقول: وما جعل الله نساءكم بهذا الكلام في حُكم أمهاتكم.

---

(١) في «التأويلات»: (إذ).

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٨/ ٣٥١).

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٥١٨)، و«التيسير» (ص: ١٧٧ ـ ١٧٨).

(٤) انظر: «السبعة» (ص: ٥١٩)، و«التيسير» (ص: ١٧٨).

وقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ﴾: أي: ولم يجعلِ الله مَن تدَّعون بنوَّته فتسمُّونَه ابناً لكم ابناً[1].

﴿ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ﴾: أي: إن قولكم للزوجة: هي أم، وللدَّعيِّ: هو ابنٌ، هو قولٌ تقولونه بألسنتكم التي بأفواهكم، لا حقيقةَ له في اعتقاد القلوب عند الله تعالى، ولا حجةَ مع صاحبه، إنما هو كقول النائم الهاذي يوجد بالفم لا حقيقةَ له، فلا تصير المرأة بذلك أمًّا، ولا الدعيُّ ابناً.

نزلت في شأن زيد بن حارثة، كانوا يسمُّونه: زيد بن محمد؛ لأن النبيَّ ﷺ كان تبنَّاه[2].

﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ﴾: ما يجب أن يقال وما له حقيقةٌ.

﴿وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ﴾: أي: يرشد إلى طريق الحق في هذا وفي كلِّ الأحكام، فاتَّبعوا ما شَرَعه في الإسلام، وكان في الجاهلية إذا أعجَبَ أحدَهم ولدُ غيره ضمَّه إلى نفسه وتبنَّاه، وجعَل له مثلَ نصيبِ أحد الأولاد، فبيَّن الله الحقَّ فيه وهدَى السبيل.

ولما نزلت هذه الآية قال زيد: أنا زيد بن حارثة[3] بن فروة بن شراحيل[4] من بني عبد ود، وكان بعد ذلك ينسب إلى أبيه.

***

---

(١) في (ف): «فتسمونه ابناً لكم ابناً لكم» وفي (ر): «فتسمون به أبناءكم ابناً لكم».

(٢) رواه البخاري (٤٧٨٢)، ومسلم (٢٤٢٥)، عن ابن عمر رضي الله عنهما: ما كنَّا نَدْعُو زيدَ بن حارثةَ إلَّا زيدَ بنَ محمدٍ حتى نزَل في القرآن: ﴿ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ﴾.

(٣) إلى هنا ذكره ابن إسحاق كما في «السيرة النبوية» لابن هشام (١/ ٢٤٩).

(٤) في (ر) و(ف): «شرحبيل»، وهو خطأ، وكذا قوله في نسبه: «بن فروة» لم أقف عليه، فالذي في المصادر: (زيد بن حارثة بن شراحيل). انظر: «الإصابة» (٢/ ٤٩٤).

(٥) ـ ﴿ ٱدْعُوهُمْ لِآبَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ ۚ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ ٱدْعُوهُمْ لِآبَآئِهِمْ ﴾: الذين ولدوهم: يا فلان بن فلان.

وقوله تعالى: ﴿هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ﴾: أي: أعدلُ وأقومُ.

﴿فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ ﴾: لم تعرفوا أنسابهم ﴿فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ﴾؛ أي: فهم إخوانكم في الدين ﴿وَمَوَٰلِيكُمْ ﴾؛ أي: أولياؤكم في الإسلام؛ كما قال: ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾ [الجاثية: ١٩].

وقيل: هو مِن ولاء العتاقة.

أي: إذا لم يمكنكم النسبةُ إلى الأب لعدم معرفةِ الأب، فقولوا: يا أخي ويا مولاي، وفي ولاء العتاقة: يا مولى فلانٍ، أو أن تسمُّوه بأسامي المسلمين: يا عبد الله، يا عبيد الله، يا عبد الرحمن، ونحوه من أسماء أهل الإسلام وأسماءِ الموالي، أو تُعرِّفونه بما يُعرَف به من عبوديةِ الله أو الإسلام أو الصناعة.

و﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ ﴾: فنسبتُم واحداً إلى رجلٍ وعندكم أنه أبوه وكان ذلك خطأً.

﴿وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ﴾: أي: ولكن فيما تعمَّدْتُم ذلك من النسبة إلى غيرِ الأب مع العلم بذلك.

وقيل: فيما أخطأتم به قبل بلوغ النهي، فنسبتُم إنساناً إلى مَن تبناه ﴿وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ﴾؛ أي: فقلتُم[١] ذلك بعد سماع النهي.

---

(١) في (ف): «فعلتم».

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾: لا يؤاخذ[١] بالخطأ، ويقبلُ التوبة من المتعمِّد.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: إن أبا حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ـ وكان ممن شهد بدرًا ـ تبنَّى سالماً وأنكحه ابنةَ أخيه هند بنت الوليد بن عتبة بن ربيعة، وهو مولى امرأةٍ من الأنصار، كما تبنى رسول الله ﷺ زيداً، وكان مَن تبنى رجلاً في الجاهلية دعاه الناس إليه، وورث من ميراثه، حتى أنزل الله تعالى: ﴿ ٱدْعُوهُمْ لِآبَآئِهِمْ﴾ الآية، فرُدُّوا إلى آبائهم، فمَن لم يُعلم له أبٌ كان أخاً في الدِّين[٢].

***

(٦) ـ ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ﴾.

وقوله: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾: أي: أحَقُّ بالمؤمنين بأنْ يَحكم عليهم من أنفسهم فيما يحكمون به لأنفسهم مما يخالف حكمَه.

وقيل: ﴿مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾؛ أي: من بعضهم لبعض؛ كما قال: ﴿فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ [النور: ٦١]، ﴿وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾ [الحجرات: ١١]؛ أي: فهذه رتبةُ النبي ﷺ، ومع هذا هو لا يرث أحداً من أمته إلا بقرابة، فكذلك أدعياؤكم لا يرثونكم لأنه لا قرابة بينكم.

وفي مصحف أبيٍّ: (النَّبيُّ أَوْلَى بالمؤمِنينَ مِن أنفُسِهم وهو أبٌ لهم)[٣].

---

(١) في (ر): «يؤاخذكم».

(٢) رواه البخاري (٥٠٨٨).

(٣) رويت عن أبي بن كعب رضي الله عنه في «تفسير عبد الرزاق» (٢/ ٢١١)، وعن ابن عباس رضي الله عنهما في «المستدرك» (٣٥٥٦). وعن ابن مسعود أو أبيٍّ في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٣٥).

﴿وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾: أي: أن نساء النبيِّ كأمَّهات المؤمنين في وجوب تعظيمهنَّ وبِرِّهنَّ.

وقيل: في أن الله حرَّمهن عليهم كما حرَّم عليهم أمهاتهم.

وقيل: في إنهنَّ مشفقاتٌ عليهم مريداتٌ للخير لهم(١) كالأمهات.

ثم هذه الأمومة لا تُوجب ميراثاً، فأمومةُ التبنِّي من إيجاب ذلك أبعد.

﴿وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾: أي: ولاية الميراث تقع بالأرحام لا بالتبني.

وقال الفرَّاء: كان المسلمون متواخِينَ، وكان الرجل إذا مات عن أخيه الذي آخاه ورثه دون عصبته وقرابته، فأنزل الله: ﴿ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ وليس يرثهم، فكيف يرث المؤاخي(٢) أخاه، وأنزل: ﴿وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾(٣).

ووجهٌ آخرُ: قال الحسن: لمَّا نزلت هذه الآية قال النبي ﷺ: «أنا أولى بكلِّ مؤمنٍ من نفسه، فأيما مؤمنٍ مات وترك عليه دَيناً فعليَّ أو ضيعةً فإليَّ، وإن ترك مالاً فلورثته»(٤).

ووجه آخر: أن الله تعالى عاب عليهم التسمية بالأبوَّة بالتبنِّي، والتسمية بالأمومة

---

(١) في (أ): «بهم».

(٢) في (أ): «الموالي».

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٣٥).

(٤) روى الطبري في «تفسيره» (١٩/ ١٦) أوله وهو قوله: «أنا أولى بكلِّ مؤمنٍ من نفسه» عن الحسن، وباقيه عن قتادة. ورواه بتمامه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٣١٥) من حديث جابر رضي الله عنه. ورواه البخاري (٢٢٩٨)، ومسلم (١٦١٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه دون ذكر الآية.

في الظهار، ثم كانت هاتان التسميتان(١) صالحتين للنبيِّ ﷺ وأزواجه، فيقال للنبي: أبو المؤمنين، ولأزواجه: أمهات المؤمنين، فعرَّفنا الله بذلك خروجَ هذا من جملة ما عابه فقال: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ هو أبٌ لهم وأزواجُه أمهاتهم، فلا بأس عليكم في هذه التسمية في هذا الموضع ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ يعني: لكن التوارث فيما أُنزلت في كتابي لا يقع إلا بالقرابة والرَّحِم.

وقوله تعالى: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾: أي: في حكم القرآن. وقيل: أي: في حكم الله الذي كتبه لهم.

﴿مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ﴾: أي: بعضُهم أحقُّ بميراث بعضٍ من الذين تواخَوا على الإيمان والهجرة، وكانوا يتوارثون بهذه المؤاخاة.

وقيل: كانت المؤاخاة بين الأنصار والمهاجرين، والمؤمنون هم الأنصار، والمهاجرون هم الذين هاجروا إليهم.

وقيل: كانت مؤاخاتان إحداهما بين المهاجرين؛ آخى فيها النبي ﷺ بين حمزة وزيد، وبين أبي بكر وعمر، وبين نفسه وعليٍّ، والأخرى بين المهاجرين والأنصار: بين أبي بكر وخارجةَ، وبين عمر وعاصمٍ، وبين عِتْبانَ وعليٍّ، وبين سهلِ بن حنيفٍ وعبد الرحمن، وبين سعد بن الربيع وعثمان، وبين أوس بن ثابت وبين الزبير، رضوان الله عليهم أجمعين.

﴿إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓاْ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًا﴾: أي: إلا أن تُوصوا لمن أحبَبْتُم من هؤلاء بشيء، فيكون له ذلك بالوصية لا بالميراث.

وقيل: ﴿مَّعْرُوفًا﴾ بالصلة لهم، والمعونةِ بالبر والعقلِ عنهم ونحوِها، هذا وجه.

---

(١) في (ر): «المسألتان».

ووجه آخر قاله قتادة في هذه الآية، وفيه تقديمٌ وتأخير: ﴿وَأُوْلُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ﴾ ﴿مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ﴾ ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ بالميراث دون الكفار منهم، ﴿إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم﴾؛ أي: قراباتكم من غير المؤمنين ﴿مَّعْرُوفًا﴾ بالوصية في الموت أو بالصلة في الحياة[1].

﴿كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا﴾: أي: التوارثُ بالأرحام في اللوح المحفوظ كان مسطوراً.

وقيل: أي: في القرآن، وهي آية المواريث.

***

(٧) ـ ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ﴾: يعني: كان ذلك في الكتاب مسطوراً حين كتب الله تعالى ما هو كائن وحين أخذ مواثيق الأنبياء، وهو لتعظيم الأمر فيه، وتأكيدِ قطع الولاية بين المسلمين والكفار، وتعريفِ المؤمنين أن ذلك مما لا تختلف فيه شرائع الأنبياء في الجملة وإن كان في تفصيله اختلافٌ، وذلك أن الناس في أول الإسلام كانوا يتوارثون بالهجرة إذ هي من آكَدِ[2] أسباب الديانة،

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ١٧ و١٩) عن قتادة قال: ﴿وَأُوْلُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ﴾ لبث المسلمون زماناً يتوارثون بالهجرة، والأعرابيّ المسلم لا يرث من المهاجرين شيئاً، فأنزل الله هذه الآية، فخلط المؤمنين بعضهم ببعض، فصارت المواريث بالملل. ﴿إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًا﴾ قال: للقرابة من أهل الشرك وصية، ولا ميراث لهم.

(٢) في (ر): «من أكبر».

وبالمؤاخاة إذ هي اجتماعٌ على نصرة دين الله، ثم[1] في الآخِر توارثوا بالإيمان مع القرابة، وذلك اجتماعٌ في الدِّين بجمع الله تعالى فلم تَخْلُ هذه الشرائعُ كلُّها من تعليق التوارث بسبب ولاية الدين.

وقيل في نظمه وجهٌ آخر: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ... كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا﴾ ومأخوذاً به المواثيقُ من الأنبياء.

وقوله تعالى: ﴿وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾: قال سعيد بن جبير: عمَّ بأخذ الميثاق على الدِّين والشهادة، وخصَّ الخمسة المذكورين في الآية بتبليغ الرسالة والقيامِ بالحجة؛ لأن لهم الكتبَ والأمم وهم أولو العزم، وبدأ بذكر النبي ﷺ لأنه كان هو الأولَ في خطاب العهد، ولذلك قال النبي ﷺ: «أنا أولُ الأنبياء خَلْقاً وآخرُهم بعثاً إلى الخلق»[2].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: أخذ ميثاقَ نوح على أن يبشِّر بإبراهيم، وأخذ ميثاق إبراهيم على أن يبشِّر بموسى، وأخذ ميثاق موسى على أن يبشر بعيسى، وأخذ ميثاق عيسى على أن يبشر بمحمد ﷺ.

ثم قولُه تعالى: ﴿وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ﴾ إلى آخره: دليلٌ على أن الواو للجمع المطلَق لا للترتيب.

---

(١) «ثم» ليست في (أ) و(ف).

(٢) رواه ابن سعد في «الطبقات» (١/ ١٤٩)، والطبري في «تفسيره» (١٩/ ٢٣) من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن النبي ﷺ مرسلاً. ورواه الطبراني في «مسند الشاميين» (٢٦٦٢) من طريق سعيد بن بشير عن قتادة عن الحسن عن أبي هريرة عن النبي ﷺ. وسعيد بن بشير قال عنه البخاري: يتكلمون في حفظه. وقال ابن معين: ليس بشيء. والحسن هو البصري ولم يسمع من أبي هريرة كما في «المراسيل» لابن أبي حاتم (ص: ٣٨). وانظر: «المقاصد الحسنة» (ص: ٨٣٧).

ثـم هـذا التفصيلُ بأسـماء هـؤلاء بعد الإجمـال؛ لِمَا مـرَّ أنهم أصحـابُ كتبٍ وشـرائعَ، وهـم المذكـورون فـي قولـه: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا﴾ الآيـة [الشـورى: ١٣].

ثم قولُه: ﴿وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾ يحتمِل أن يكون هو الميثاقَ المذكورَ في أول الآية، وإنما أُعيد لِمَا أريد من تعريف تغليظه؛ أي: توثيقه وتأكيده، ويحتمِل أن يكون الأولُ ميثاقَ الإقرار والشهادة، والثاني ميثاقَ التبليغ والبشارة.

* * *

(٨) ـ ﴿لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾.

وقوله تعالـى: ﴿لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾: أي: الأنبـياءَ، وهـم الصـادقـون ﴿عَن صِدْقِهِمْ﴾: عن دعائهم لأمتهم: ماذا أُجيبوا فيه، وهل أُطيعوا وأُنزلوا منزلة الآباء من الأمم؛ أي[1]: أممهم، حتى كأن الأنبياء أحبُّ إليهم من أنفسهم وأهاليهم وأولادهم.

وقد روي أن كلَّ نبي أبو أمته[2]، وفي قصة لوط: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾ [هود: ٧٨] أنه أراد به بنات أمته فكان كالأب لهم.

وقيل: معناه: ليسألهم هل بلَّغوا؟ هل قاموا بما أُمروا به؟ فيحاسَبون على ذلك ويثابون على تبليغهم، فإذا كان الأنبياء يحاسبون ويُسألون فكيف مَن سواهم؟

وقيل: إذا كان الصادق يُسأل عن صدقه فكيف الكاذب؟

وقوله تعالى: ﴿وَأَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾: أي: للكافرين من أمم هؤلاء؛ أي: مَن شَهد عليهم الأنبياء بالكفر.

---

(١) «الأمم أي» من (أ).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٥٠٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ٢٠٣٥)، عن مجاهد.

وقال الإمام القشيري رحمه الله: سؤالُ الصادقين سؤالُ تشريف لا سؤالُ تعنيف، والصدقُ أن لا يكون في أحوالك شَوبٌ، ولا في اعتقادك رَيب، ولا في أعمالك عَيب[1].

***

(٩) ـ ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾: وهي قصةٌ تشتمِل على ذكر الكافرين والمنافقين الذين ذكرهم في أول هذه السورة، يقول: اذكروا أيها المؤمنون منَّةَ الله عليكم ﴿إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ ﴾؛ أي: حين جاءتكم جنود من المشركين أهلِ مكة وهوازن[2] وغطفان في الأحابيش، وظاهَرهم على ذلك أهلُ الكتاب من بني قريظة، وذلك أن أبا سفيان بن حربٍ وعيينةَ بن حصنٍ ظاهَرَا يهودَ قريظة على النبي ﷺ، وسمع به النبيُّ ﷺ فحفر الخندق بإشارة سلمان.

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ ﴾: أي: على هذه الجنود ﴿رِيحًا﴾ قطَّعت خيامهم وأكفأَتْ قُدورهم، فلم يمكِنْهم القَرارُ في مواضعهم[3] ﴿وَجُنُودًا ﴾؛ أي: من الملائكة ﴿لَّمْ تَرَوْهَا﴾: قرأ أبو عمرٍو في روايةٍ بياء المغايبة[4]؛ أي: لم يرها المشركون، وقرأ الباقون بتاء المخاطَب للمؤمنين.

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» (٣/ ١٥٣).

(٢) في (ف): «وفزارة».

(٣) في (ف): «الفرار من موضعهم».

(٤) انظر: «المختصر في شواذ القرءات» (ص: ١١٩).

قوله ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾: قرأ أبو عمرو وابن كثير بياء المغايبة[١]؛ أي: بما يعمله جنود المشركين من البغي والسعي في إطفاء نور الله تعالى وهو وعيد لهم.

وقيل: أي: بما يعمله[٢] جنود الله؛ أي: بعلمه فعلوا[٣] ما فعلوا وكان أرسلَهم لذلك.

وقرأ الباقون بتاء المخاطبة؛ أي: لم يَخْفَ عليَّ أيها المؤمنون ما عمِلْتُم من التحصُّن والثبات على معاونة النبيِّ ﷺ وهو وعدٌ لهم.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: لمَّا كان يومُ الأحزاب انطلقت الجنوب إلى الشمال فقالت: انطلقي بنا ننصرِ اللهَ ورسوله، فقالت الشمال: إن الحُرَّة لا تسري بالليل، فأرسل الله عليهم الصَّبا فذلك قوله: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾[٤]، وهم ألفٌ من الملائكة كانوا يكبِّرون من ناحية العسكر، وكانت هذه الريح من كبار المعجزات؛ لأنه لم يكن بين العسكرين إلا قَدْرٌ يسيرٌ يرى بعضهم بعضاً، فأرسل الله الريح على المشركين وهي باردةٌ شغلَتْهم بأنفسهم وقلعت أخبِيَتهم ونالهم بسببها ما لم يتهيَّأ لهم القرارُ، وكان النبيُّ والمؤمنون في عافيةٍ من ذلك.

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٥١٩)، و«التيسير» (ص: ١٧٧)، عن أبي عمرو وحده.

(٢) في (ف): «يعلمه».

(٣) «فعلوا» ليس من (أ).

(٤) رواه البزار (١٨١١ ـ كشف الأستار)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٣١١٧)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٤/ ١٣٤٨)، وابن عدي في «الكامل» (٧/ ٣٦) من طريق عكرمة عن ابن عباس. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦/ ٦٦): (رواه البزار ورجاله رجال الصحيح). ورواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٢٥) من قول عكرمة، وكذا ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٧/ ٩٠) عن عكرمة لكن بلفظ: (إن محوة لا تسري...) ومحوة هي ريح الشمال، سميت بذلك لأنها تمحو السحاب وتذهب بها. انظر: «اللسان» (مادة: محا).

(١٠) ـ ﴿ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ ﴾: قيل: هو وصف لهم بالكثرة والتوجُّهِ إليهم من كلِّ جهةٍ، وذلك أهولُ ما يكون.

وقيل: ﴿مِّن فَوْقِكُمْ ﴾: ما يلي مكة ﴿وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ ﴾: ما[1] يلي المدينة.

وقيل: ﴿مِّن فَوْقِكُمْ ﴾: من فوق الوادي من قِبَلِ المشرق وعليهم عوفُ بن مالكٍ النصْريُّ ﴿وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ ﴾: ما[2] يلي المدينة، يعني: أبا سفيان بنَ حرب وعيينةَ بن حِصنٍ على أهل مكةَ، ويزيدَ بن حبيش[3] على قريش، ومن قِبَل الخندق طليحةُ بن خويلدٍ اليهودي[4] ثم الفقعسي ومعه يهود بني قريظة[5].

﴿وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾: أي: مالت عيونكم عن كلِّ شيء فلم تلتفت إلا إلى العدوِّ متحيِّرةً، قاله الفراء[6].

وقيل: عُدلت عن مقرِّها وشَخَصت طامحةً من شدة الفزع.

---

(١) في (ف): «مما» في الموضعين.

(٢) في (ف): «مما».

(٣) في (ف): «حابس». واسمه في المصادر عدا «تفسير مقاتل»: يزيد بن جحش، وعند مقاتل: (يزيد بن خليس).

(٤) كذا في النسخ، والذي في المصادر: (الأسدي). ولم أجد من ذكر فيه أنه يهودي، ولم يذكر ذلك ابن حجر في ترجمته في «الإصابة» (٣/ ٤٤٠)

(٥) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٤٧٦)، و«تفسير يحيى بن سلام» (٢/ ٧٠٤)، و«النكت والعيون» (٤/ ٣٧٩)، و«تفسير القرطبي» (١٧/ ٩١).

(٦) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٣٦).

﴿ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ ﴾: قيل: أي: كادت قلوبهم تبلغ الحلاقم.

وقيل: إن الرئة تنتفِخ عند الخوف فتدفع القلبَ حتى يكاد يبلغ الحنجرة.

وقيل: أي: صار بعضهم من الرعب يضطربُ فؤادُه فلم يستقرَّ مكانه، بل بلغ بحركته واضطرابه إلى الحلق.

وقوله تعالى: ﴿وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠﴾: قرأ ابن كثير والكسائي وعاصم في رواية حفص: ﴿ٱلظُّنُونَا۠﴾ بالألف بالوقْف دون الوصل، وقرأ نافعٌ وعاصمٌ في رواية أبي بكرٍ وابنُ عامر بالألف في الوصل والوقف، وقرأ أبو عمرو وحمزة بغير ألف في الحالين[1]، وفي المصحف بالألف في هذه الثلاث ﴿ٱلظُّنُونَا۠﴾ و﴿ٱلرَّسُولَا۠﴾ و﴿ٱلسَّبِيلَا۠﴾[2]، وهو الأولى[3]؛ لموافقة المكتوب، ولمطابقة رؤوس الآي[4]، وهو صحيح في اللغة مستعملٌ في الكلام، وزيادة الألف إشباع الفتحة.

ومعنى هذا الكلام: ﴿وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ﴾ ظُنوناً مختلفةً، يظنُّ المخلِص أن الله تعالى منجزٌ نبيَّه وعدَه في إعلائه وقهرِ أعدائه، ويظنُّ المرتاب أو غيرُ نافذ البصيرة غيرَ ذلك

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٥١٩)، و«التيسير» (ص: ١٧٨).

(٢) انظر: «المقنع في معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار» للداني (ص: ٣٩).

(٣) في (ر): «الأوفى».

(٤) في «تفسير القرطبي» (١٧/ ٩٣ ـ ٩٤): (قال ابن الأنباري: ولم يخالف المصحفَ من قرأ الظنون والسبيل والرسول بغير ألف في الحروف الثلاثة وخطُّهن في المصحف بألف؛ لأن الألف التي في ﴿أَطَعْنَا﴾ والداخلةَ في أول الرسول والظنون والسبيل كفى من الألف المتطرفة المتأخرة كما كفت ألف أبي جاد من ألف هواز.

وفيه حجة أخرى: أن الألف أنزلت منزلة الفتحة وما يلحق دعامة للحركة التي تسبق والنية فيه السقوط فلما عُمل على هذا كانت الألف مع الفتحة كالشيء الواحد يوجب الوقف سقوطها..) إلى آخر ما قال.

لِمَا يرى من كثرة العدو وضِيق الأمر بالمسلمين، يقول: لو كان الله يريد أن ينصرهم لَمَا بلغ الأمر هذا المبلغَ، وهو قولُه: ﴿ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴾ [الأحزاب: ١٢] وقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ [الأحزاب: ٢٢].

وقيل: هذا خطاب للمؤمنين؛ أي: تظنُّون مرةً أن الله سيكفيكم ويقوِّيكم ويحميكم، وتظنُّون مرةً أنه يبتليكم ويخليكم، ويُخطر الشيطان مع ذلك قلوبَكم الخواطر.

***

(١١) ـ ﴿ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴾.

﴿ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾: أي: امتُحن المؤمنون فبان صبرُهم وثباتهم.

﴿وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴾: أي: حرِّكوا تحريكاً شديداً بليغاً بالفتنة والتمحيص.

قال محمد بن إسحاق: إن الحال لمَّا اشتدت وجاءت قريش مع قادتها حتى نزلت برومة، وغطفانُ مع قادتها ونزلت إلى جانب أحد، وكانوا عشرة آلاف والمسلمون ثلاثةَ آلاف، وبلغ رسولَ الله ﷺ أن حييَّ بن أخطبَ لم يزل يَفتِلُ من كعب بن الأشرف في الذِّروة والغارب حتى نقض العهد، وعظُم بذلك البلاءُ واشتدَّ الخوف، وظنَّ المؤمنون الظنونَ ونجَم النفاق، حتى قال معتِّب بن قُشيرٍ: كأن محمداً يرى أن يأكل من كنوز كسرى وقيصر وأحدُنا لا يأمن أن يذهب إلى الغائط!

وأقام النبي ﷺ بضعاً وعشرين ليلة، فبينا الناس على ذلك من الخوف والبلاء، ولم يكن بين الناس قتال إلا الحصارُ والرميُ بالنبال، بعث رسول الله ﷺ إلى عيينةَ بن حصن والحارثِ بن عوف وهما قائدا غطفان فأعطاهما ثلثَ ثمار المدينة على أن

يرجعا ومَن معهما عن رسول الله ﷺ وأصحابه، وكتبوا الكتاب ولم تقع الشهادة، فلما أراد رسول الله ﷺ أن يفعل بعث إلى سعد بن معاذ وسعد بن عبادة فذكر لهما ذلك واستشارهما، فقالا: يا رسول الله، أمر تحبُّه فتصنعَه، أم شيءٌ أمرك الله تعالى به لا بد لنا من أن نعمل به، أم شيء تصنعه لنا؟ فقال: «لا، بل لكم والله، ما أصنع ذلك إلا لأني رأيتُ العرب قد كالبَتْكم من كل جانب ورمتكم عن قوس واحد، فأردت أن أكسر عنكم شوكتهم، فقال سعد بن معاذ: يا رسول الله، قد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة الأوثان لا نعرف الله ولا نعبده، وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها ثمرة إلا بقِرًى أو بشِرًى، فحين[1] أكرمنا الله بالإسلام وهدانا له وأعزَّنا بك نعطيهم أموالنا؟! ما لنا بهذا من حاجةٍ، فوالله لا نعطيهم إلا السيفَ حتى يحكم الله بيننا وبينهم، فقال رسول الله ﷺ: «فأنت وذاك» وتناول صحيفة العهد ومحاها[2].

***

(١٢) ـ ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾: قيل: إن المنافقين معروفون وهم كفارٌ غير مؤمنين ﴿وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ هم قوم لا نصرةَ لهم في الدِّين[3] كان المنافقون يستميلونهم بإدخال الشُّبَه عليهم:

﴿مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾: أي: أن رسول الله ﷺ وعدَنا النُّصرة ولم تظهر أَمَارةُ ذلك بل يَظهر غيرُ ذلك، فليس ما وُعدنا إلا غروراً؛ أي: إلا شيئاً يخدعُنا به

---

(١) في (ر) و(ف): «فحيث».

(٢) انظر: «السيرة النبوية» لابن هشام (٢/ ٢١٩) وما بعدها.

(٣) في (أ): «لا بصيرة لهم في الدنيا» وفي (ف): «لا بصيرة لهم في الدين».

لنتَّبعه من غير أن يكون له حقيقةٌ، وافتتح بذكر الله لأن رسول الله ﷺ كان يَعِدُ ذلك عن الله تعالى، وكان وعدُه وعدَ الله.

ورُوي أن رسول الله ﷺ ضرب بالمعول في الخندق ضرباتٍ أضاءت له منها قصور الشام واليمن والعراق، فبشَّرهم بأنها ستُفتح عليهم وهم يومئذ[1] في جهدٍ شديد وخوفٍ عظيم، فقال معتِّب بن قُشيرٍ ـ وقيل: أوس بن قيظيٍّ ـ : يَعِدُنا محمد بهذا ونحن لا نستطيع أن نبرز للخلاء! فنزلت هذه الآية[2].

وقيل: ما كان قولهم ﴿مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا﴾؛ لأن مَن أقرَّ بالله والرسل لا يتكلَّم بهذا، لكنْ لمَّا وعدهم محمد ﷺ ذلك قالوا: هذا غرور، فأخبر الله تعالى أنهم إنما وَصفوا بالغرور ما هو وعدُ الرسول، ووعدُه وعدُ[3] الله.

* * *

(١٣) ـ ﴿وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾.

---

(١) في (أ): «حينئذ».

(٢) ذكره ابن إسحاق كما في «السيرة النبوية» لابن هشام (٢/ ٢٢٢)، و«دلائل النبوة» للبيهقي (٣/ ٤٣٥). ورواه بنحوه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٣٩ ـ ٤٢)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٣/ ٤١٨ ـ ٤٢٠) من طريق كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف المزني عن أبيه عن جده، وكثير متروك. وليس في خبر ابن إسحاق ذكر نزول الآية.

وقصة تبشير النبي ﷺ بمدائن كسرى وقيصر عند كسر الصخرة أخرجها أيضاً النسائي في «المجتبى» (٣١٧٦) من طريق أبي سكينة ـ رجل من المحررين ـ عن رجل من أصحاب النبي ﷺ. ورواها الإمام أحمد في «المسند» (١٨٦٩٤)، والنسائي في «الكبرى» (٨٨٠٧)، من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه.

(٣) في (أ): «بوعد».

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مَقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا﴾: أي: يا أهل المدينة ليس لكم موضعُ قيام.

وقرأ عاصم في رواية حفص: ﴿لَا مُقَامَ لَكُمْ﴾ بالضم[١]؛ أي: موضع إقامة؛ أي: ضيَّق عليكم الأحزاب الموضعَ فارجعوا من العسكر[٢] إلى المدينة.

وقوله تعالى: ﴿وَيَسْتَئْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾:

أي: منكشفةُ الظهور. وقيل: أي: خالية. وقيل: أي: ضائعة.

وقيل: أي: ممكنةٌ للعدو، ونحتاج إلى أن نرجع فنحفظَها لقرب العدوِّ منها.

وقيل: خارجةٌ من عمران المدينة، فبَعَث رسول الله ﷺ إليها فلم تكن كذلك، وذلك قوله:

﴿وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾: أي: ما يريدون إلا هرباً من العسكر[٣]؛ حذراً من الحرب، وإرادةً لكسر قلوب غيرهم.

* * *

(١٤) ـ ﴿وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا ٱلْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم﴾: أي: المدينة ﴿مِّنْ أَقْطَارِهَا﴾؛ أي: من نواحيها.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ سُئِلُوا ٱلْفِتْنَةَ﴾: أي: الكفر؛ كما قال تعالى: ﴿لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ [البقرة: ١٩٣].

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٥٢٠)، و«التيسير» (ص: ١٧٨).

(٢) في (أ): «المعسكر».

(٣) في (أ): «المعسكر».

﴿لَآتَوْهَا﴾: أي: لأعطَوها من أنفسهم وكفروا، وهذا على قراءة المد، وقرأ ابن كثير ونافع ﴿لَأَتَوْهَا﴾ بالقصر؛ أي: لجاؤوها وفعلوها، من قولك: أتيتُ أمر كذا، والباقون بالمد من الإيتاء[1]، وهو الإعطاء.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا﴾: أي: ما تثاقلوا عن الإجابة إلا وقتاً قليلاً، وهذا وصفٌ لهم بضعف النية فيما يُظهرونه من الإسلام، وانحلالِ عقائدهم في الإيمان.

يقول: لو دخل الأحزاب الأبواب قبل أن يصلوا إلى البيوت ساعدوهم على إظهار الكفر.

وقيل: لو سئلوا إثارة الفتنة على المخلِصين لفعلوا وعاونوا عليها الكفار.

وقال الحسن رحمه الله: ﴿وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا﴾؛ أي: لو عادوا إلى الكفر لم يلبثوا بالمدينة إلا قليلاً حتى يعاجلهم الله تعالى بعذابه فيهلكوا[2].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ﴾: قال ابن عباس رضي الله عنهما: هم بنو حارثة[3].

وقال مقاتل: هم بنو سالم[4].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: إن اليهود قالت لعبد الله بن أبيٍّ وأصحابه: ما الذي يحملكم على قتل أنفسكم بيد أبي سفيان وأصحابه؟ فارجعوا إلى المدينة ﴿وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِيَّ﴾؛ أي: في الرجوع إلى المدينة وهم بنو حارثة[5].

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٥٢٠)، و«التيسير» (ص: ١٧٨).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ١٩)، والواحدي في «البسيط» (١٨/ ٢٠٠).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٤٤).

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٤٧٨).

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ١٩).

(١٥) ـ ﴿ وَلَقَدْ كَانُوا۟ عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَٰرَ ۚ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَانُوا۟ عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَٰرَ ۚ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا ﴾: أي: مسؤولاً عنه؛ أي: فنقضوا عهدهم والله يسألهم عن ذلك، وكان بنو حارثة عاهدوا الله بأحد أنْ لا يُولُّوا.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: هم قوم من أهل مكة.

وقال مقاتل رحمه الله: هم السبعون الذين عاهدوا رسول الله ﷺ ليلة العقبة وقالوا له: اشترط لربك ولنفسك، قال: «اشترطتُ لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، واشترطتُ لنفسي أن تمنعون مما تمنعون، منه أنفسكم وأموالكم وأولادكم»، قالوا: فإذا فعلنا ذلك فما لنا؟ قال: «لكم النصر في الدنيا والجنة في الآخرة»، قالوا: قد فعلنا ذلك[1].

وقال محمد بن إسحاق رحمه الله: عاهدوا رسول الله ﷺ يوم أحد على ألا يَفِرُّوا بعد ما نزل في الفارِّين[2].

* * *

(١٦) ـ ﴿ قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾: أي: إن كان حضر أجلُكم فلن ينفعكم الفِرار، وإن كان لم يحضر وفَرَرْتُم لم

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٤٧٨). وهذا الكلام مردود لا يجوز اعتقاده، فكيف يظن بأهل بيعة العقبة وهم من خيرة الأنصار أن يكونوا هم المقصودن بهذه الآية، وقد تعقبه البغوي في «تفسيره» (٦/ ٣٣٣): وهذا القولُ ليس بمَرْضيٍّ، لأن الذين بايَعوا ليلةَ العَقَبة كانوا سبعين نفرًا، لم يكن فيهم شاكٌّ ولا مَن يقولُ مِثلَ هذا القول، وإنما الآيةُ في قومٍ عاهَدوا الله أنْ يقاتلوا ولا يَفِرُّوا، فنقضوا العهدَ.

(٢) انظر: «السيرة النبوية» لابن هشام (٢/ ٢٤٦).

تمتَّعوا في الدنيا إلا قليلاً، وهو مدة أعماركم، وذلك قليلٌ لأنه ينقضي عن قريب؛ أي: فصبرُكم مع رسول الله ﷺ في مجاهدة الكفار خيرٌ لكم من الفرار على كل حال.

* * *

(١٧) ـ ﴿ قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ ﴾: أي: يمنعكم مما يريد الله إنزالَه بكم.

﴿إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا ﴾: أي: في أنفسكم من قتلٍ أو غيره من مكروه.

﴿أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ﴾: أي: إطالةَ عمرٍ في عافيةٍ وسلامة؛ أي: هل هذا كلُّه إلا من الله تعالى؟

﴿وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾: أي: ولا ينال هؤلاء القوم من[1] غير الله مَن يتولى حفظهم، ولا مَن ينصرهم على مَن يريد إيقاعَ مكروهٍ بهم.

وقيل: ﴿إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا ﴾؛ أي: هزيمةً ﴿أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ﴾؛ أي: ظهوراً على الأعداء.

ثم الجمعُ بين الأمرين وأحدُهما مكروهٌ والآخرُ محبوب ـ والمذكور في صدر[2] الكلام هو العصمة ـ يُشْكل بظاهره، لكن تقديره في الثاني: ومَن يمنع الله من أن يرحمكم إن أراد بكم رحمة.

* * *

---

(١) «من» من (ر).

(٢) في (ر) و(ف): «صدور».

(١٨) ـ ﴿ ۞ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ﴾: أي: المثبِّطين المثقِّلين الناسَ عن شهود الحرب، وأصل التعويق: المنعُ، وقد عاقَه يَعُوقُه؛ أي: منعه، والتفعيل للتكرير والتكثيرِ، وهم طائفة من المنافقين.

قوله تعالى: ﴿وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ﴾: أي: طائفةٍ أخرى منهم.

وقيل: هؤلاء اليهود يقولون لإخوانهم؛ أي: للَّذين يؤاخونهم على الكفر.

﴿هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾؛ أي: أقبِلوا إلينا وصيروا في جملتنا، ودَعُوا عسكرَ محمد ـ ﷺ ـ ولا تشهدوا معه القتال.

﴿وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ﴾: الحربَ ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ يقولون لإخوانهم: إن أصحاب محمد لا يحضرون الحرب، إلا طائفةٌ قليلة منهم لا يقاومون الأحزاب، فهم مغلوبون فلا تكونوا معهم، وهذا قول قتادة[١].

وقيل: أي: ولا يأتي هؤلاء القائلون لإخوانهم هذا الحربَ إلا قليلاً؛ أي: لهم الوصفان جميعاً: هم مثبِّطون لغيرهم ومتخلِّفون في أكثر الأحوال بأنفسهم.

وقيل: أي: يحضرون ساعةً رياءً وسمعة، يقفون قليلاً مقدارَ ما يُرى شهودُهم ثم ينصرفون؛ كالذين لا يَأتونَ الصَّلاةَ إلَّا وهم كُسَالَى يراؤون الناس.

* * *

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٥٠).

(١٩) ـ ﴿أَشِحَّةً عَلَيۡكُمۡۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلۡخَوۡفُ رَأَيۡتَهُمۡ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ تَدُورُ أَعۡيُنُهُمۡ كَٱلَّذِي يُغۡشَىٰ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡمَوۡتِۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلۡخَوۡفُ سَلَقُوكُم بِأَلۡسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلۡخَيۡرِۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَمۡ يُؤۡمِنُواْ فَأَحۡبَطَ ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا﴾.

﴿أَشِحَّةً عَلَيۡكُمۡ﴾: جمعُ شحيح وهو البخيل، ونصبه على الحال ويتصل بقوله: ﴿وَلَا يَأۡتُونَ ٱلۡبَأۡسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ﴿أَشِحَّةً عَلَيۡكُمۡ﴾؛ أي: بخلاءَ عليكم بالظفَر والغنيمة والخير ومعونةِ الضعفاء.

﴿فَإِذَا جَآءَ ٱلۡخَوۡفُ رَأَيۡتَهُمۡ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ تَدُورُ أَعۡيُنُهُمۡ كَٱلَّذِي يُغۡشَىٰ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡمَوۡتِ﴾: أي: كدوران عينِ الذي يزول عقله عند ظهور سكرات الموت.

يقول: إذا كانت الغنيمة فهم أشحُّ الناس، وإذا جاء خوف القتل فهم أجبنُ الناس، ويُدهشون من الفزع، ويقلِّبون أعينَهم يميناً وشمالاً، وينظرون إليك يلوذون بك أحداقُهم تضطرب في رؤوسهم كما يكون ممن حضره الموت.

﴿فَإِذَا ذَهَبَ ٱلۡخَوۡفُ سَلَقُوكُم﴾: قال الفرَّاء: أي: عصَوكم وآذوكم بالكلام[١].

وقال قطرب: سَلَقَتِ المرأة وصَلَقَت؛ أي: صَخِبَت[٢]، وأصله: رفع الصوت؛ قال النبي ﷺ: «ليس منَّا مَن حلق أو سلق»[٣]؛ أي: حلَق شعره عند المصيبة أو رفعَ صوته بالنياحة.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٣٩)، و«البسيط» (١٨/ ٢٠٨). وليس في «معاني القرآن»: «عصوكم».

(٢) كذا وقعت العبارة في النسخ، وفي «تفسير ابن كمال باشا» عند هذه الآية عن قطرب: (سلقْتُ المرءَ وصلقْتُ؛ أي: صحْتُ به، وأصلُه...). ويغلب على الظن أنه منقول عن المؤلف فإن هذا التفسير من مصادر ابن كمال في «تفسيره».

(٣) روى نحوه البخاري (١٢٩٦)، ومسلم (١٠٤) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

﴿بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ﴾: أي: ذَرِبةٍ بالقول بعد أن كانت حَصِرةً بالخوف.

وقيل: أي: يطعنون فيكم ويغمزونكم بالمعايب كذباً وزوراً.

وقيل: أي: يُكْثِرون القولَ عليكم في الغنيمة[1]: أعطُونا أعطُونا، إلحاحاً منهم وتوهُّماً أنكم تستأثرون به.

وقيل: أي: أثنَوا عليكم نِفاقاً برفع الصوت بعدما كانوا يثبِّطونهم في حال الحرب.

وقوله تعالى: ﴿أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ﴾:

قيل: أي: بخلاءَ عليكم بالغنيمة، والأولُ بالمعونة؛ لئلا يتكرَّر.

وقيل: أي: أَشِحَّةً بكلام الخير؛ أي: يُسيؤون القولَ فيكم ولا يُحْسنون.

وقيل: الأول على الخصوص فإنه قال: ﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ﴾، وهذا على العموم؛ أي: في حقِّ كلِّ الناس؛ لشَرَههم وسوءِ طباعهم وخُبث اعتقادهم.

وقيل: ﴿أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ﴾؛ أي: بالطاعات والخيرات.

وقيل: الخير: المال؛ أي: أشحةً بأموالهم فلا ينفقونها في سبيل الله ولا يُؤْثِرون ولا يواسُون.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُواْ﴾: أي: في الحقيقة، بل بالألسنة ﴿فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾؛ أي: أبطل بإضمارهم الكفرَ ما أظهروه من الأعمال.

﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾: أي: إحباطُ أعمالهم.

* * *

---

(١) في (أ): «القسمة».

(٢٠) ـ ﴿ يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا۟ ۖ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّوا۟ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ ۖ وَلَوْ كَانُوا۟ فِيكُم مَّا قَـٰتَلُوٓا۟ إِلَّا قَلِيلًا ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ ﴾: أي: يظنُّون أن الأحزاب وهم قريشٌ وغطفانُ ومَن معهم ﴿لَمْ يَذْهَبُوا۟ ﴾؛ أي: لم ينصرفوا مع أنهم انصرفوا، وهو بيان جبن هؤلاء المنافقين.

﴿ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّوا۟ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ ﴾: أي: ولو رجع الأحزاب إلى المدينة بعد أن انصرفوا إلى مواضعهم تمنَّى هؤلاء المنافقون ـ لجُبنهم ـ لو كانوا في البوادي مع الأعراب وهم سكان البدو؛ ليأمنوا على أنفسهم.

﴿يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ ﴾: أي: يودُّون لو أنهم في البدو ويسألون هناك عن أخباركم مَن أتاهم من المدينة؛ أي: تمنَّوا أن يكونوا ببُعدٍ منكم لا يعلمون بحالكم إلا بالسؤال عنها من القادمين من جهتكم جُبناً منهم.

وقيل: ﴿يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ ﴾ ليس بمبنيٍّ على الأول، ومعناه: أن مَن كان منهم في أطراف المدينة لم يحضروا الخندق يسألون الناس[1] عن أنبائكم متوقِّعين خبر غلبةِ المشركين عليكم.

﴿وَلَوْ كَانُوا۟ فِيكُم﴾: أي: لو كان هؤلاء السائلون في عسكركم ﴿مَّا قَـٰتَلُوٓا۟ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ رياءً وسمعةً لا نفعَ لكم فيه.

* * *

(٢١) ـ ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾.

---

(١) «الناس» ليست في (أ).

وقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾: قرأ عاصم: ﴿أُسْوَةٌ﴾ بضم الألف والباقون بكسرها[1]، وهما لغتان في القدوة، وتذكيرُ ﴿كَانَ﴾ لتقدُّم الفعل؛ أي: لقد كان لكم قدوةٌ برسول الله حين خرج لحرب هؤلاء وبذَل نفسه لنصر دين الله، مع ما قاساه من البلايا من البرد والجوع وحفر الخندق وغيرِ ذلك، فكان ينبغي لهؤلاء أن لا يخالِفوه ولا يتخلَّفوا عنه.

﴿لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ﴾: أي: يأمل ثوابَ الله ويخافُ عقاب الله، والرجاء اسم لهما جميعاً.

﴿وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾: بالتعظيم له في كل الأحوال، فهذا هو الذي يرغب في اتِّباع رسول الله ﷺ.

* * *

(٢٢) ـ ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا﴾.

﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾: أي: أخبرَ الله أنه يكون بلاءٌ وشدة في آيات ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ﴾ [البقرة: ٢١٤] ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ﴾ [العنكبوت: ١ ـ ٢] الآيات ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾ الآية [آل عمران: ١٧٩]، ونحوها.

﴿وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾: ظهر صدقُهما.

﴿وَمَا زَادَهُمْ﴾ ما رأوا ﴿إِلَّآ إِيمَٰنًا﴾ وتصديقاً[2] ﴿وَتَسْلِيمًا﴾ وتفويضاً، وقالوا: ظهر صدق وعد الله في إصابة البلاء، فكذلك يظهر صدق وعده في النصر والفرج.

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٥٢٠)، و«التيسير» (ص: ١٧٨).

(٢) «وتصديقاً» ليست في (أ).

(٢٣) ـ ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾: قال ابن عباس رضي الله عنهما: إن جماعة من الصحابة لمَّا سمعوا رسول الله ﷺ يصف شهداء بدر ودرجاتهم في الجنة وثوابَهم عند الله تعالى، قالوا: لئن أرانا الله مثلَ ذلك اليوم فعلنا وفعلنا، فلما ابتُلوا بيوم أحد صاروا فرقاً، فمنهم مَن استُشهد مثلَ حمزةَ ومصعبِ بن عميرٍ ودونهما، ومنهم مَن جُرح، ومنهم مَن انهزم، فوصف الله الذين ثبتوا في الحرب فقال: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾[(١)].

﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ﴾: أي: نذره.

وقال ابن عباس ومقاتل: أي: أجَله[(٢)].

وقال الضحاك: يعني: الموت[(٣)].

﴿وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ﴾ يعني الوفاء بالعهد ﴿وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: غاب عمي أنسُ بن النضر عن قتال بدر، فقال: غبتُ عن أولِ مشهدٍ شهِده رسول الله ﷺ، ولئن شهدتُ مشهداً مع رسول الله ليَرينَّ الله ما أصنع، وهاب أن يقول غير ذلك، فلما كان يوم أحد وقتل من

---

(١) لم أقف عليه عن ابن عباس، وقد ذكر نحو هذا الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٦٤ ـ ٦٥) مقدماً به لحديث أنس رضي الله عنه في قصة عمه أنس بن النضر وسيأتي.

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٤٨٤). ورواه عن ابن عباس الطستي في «مسائله» كما في «الدر المنثور» (٦/ ٥٨٨)، ومن طريق الطستي رواه السيوطي في «الإتقان» (٢/ ٨٣).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٦٤)، والواحدي في «البسيط» (١٨/ ١٩)، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

المسلمين مَن قتل وهرب مَن هرب قال: اللهم إني أبرأ إليك مما صنع هؤلاء، يعني: المنهزمين، وانغمس في العدو وجعل يضرب بسيفه حتى قُتل، قال أنس: فنظرنا فإذا عليه فيما يُقبل من جسده[١] بضعٌ وثمانون جراحةً من ضربٍ بالسيف وطعنٍ بالرمح ورمي بالسهم، فلم يعرفه أحد حتى عرفته أختُه من بنانه، وفيه أنزل الله: ﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ﴾[٢]، يعني: النذر[٣].

﴿وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ﴾ قيل: هو طلحة بن عبيد الله، فإنه قد بذل نفسه وأصابته الجراح في يده، وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «طلحة ممن قضى نحبه»[٤]، وإنما قال ذلك لأنه كان بذل نفسه.

﴿وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾؛ أي: ما نقضوا العهد.

* * *

(٢٤) - ﴿لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ﴾: هم الذين صدَقوا ما عاهدوا الله عليه وهو متصلٌ بما قبله، قالوا: هذا ما وعدَنا الله ورسوله أنه يمتحنُنا بالشدائد

---

(١) «فيما يقبل من جسده» ليس في (ف).

(٢) رواه البخاري (٢٨٠٥)، ومسلم (١٩٠٣)، والطبري في «تفسيره» (١٩/ ٦٥ - ٦٦)، وجاء آخر الرواية عند البخاري بلفظ: (قال أنسٌ: كنَّا نُرى - أو نَظنُّ - أنَّ هذه الآية نزلت فيه وفي أشباهه: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ إلى آخر الآيةِ). ونحوه في بعض روايات الطبري.

(٣) في (ر): «يعني أنس بن النضر» وليست في (ف).

(٤) رواه الترمذي (٣٢٠٢) من حديث معاوية رضي الله عنه. ورواه بنحوه الترمذي أيضاً (٣٢٠٣) و(٣٧٤٢) وحسنه من حديث طلحة رضي الله عنه.

من الكفار ويتعبَّدنا بمجاهدتهم؛ ليتميَّز بذلك الصادقُ من الكاذب، فيجزيَ الله الصادقين بصدقهم ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ﴾: وهو إذا مات المنافق على نفاقه ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾: يقبلَ توبةَ مَن تاب منهم وأخلص ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ لمن تاب وإليه أناب.

* * *

(٢٥) ـ ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ﴾: أي مع غيظهم لم يَشْفوه؛ أي: صرفهم عن المدينة وكفَّهم عن النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم.

﴿لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا﴾: أي: ظَفَراً.

﴿وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ﴾: أي: لم يُحْوِجهم في ردِّهم عنهم إلى قتال، بل دفعهم عنهم بالريح فلم يستطع أحد منهم أن يُلجم دابته، وجالت خيلهم في عسكرهم وتقطَّعت أطنابهم فانهزموا سريعاً عاجلاً[1].

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾: قادراً منيعاً.

* * *

(٢٦) ـ ﴿وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾: أي: عاونوا المشركين

---

(١) «عاجلًا» من (ف).

وهم يهود بني قريظة ﴿مِن صَيَاصِيهِمْ﴾؛ أي: حصونهم، جمع صِيْصِيَةٍ، والصِّيصِيَةُ قرنُ البقرة وشوكةُ الديك وشوكةُ الحائك؛ قال الشاعر:

كوقـعِ الصَّيـاصي في النسـيجِ الممـدَّد[١]

وكانوا ذمةً لرسول الله ﷺ، فنقضوا العهد باستدعاء أبي سفيان، وجاؤوا لمحاربة المسلمين، فلما فرغ رسول الله ﷺ من أمر قريش ودخل الحجرة ووضع السلاح سمع وَجْبةً على باب الحجرة، فنظر فإذا هو بجبريل عليه السلام على فرسٍ أبلقَ وعلى ثيابه أثرُ النَّقْع، فقال: يا رسول الله، وضعتَ السلاح ونحن ما وضعنا أسلحتنا بعدُ، فقالت عائشة رضي الله عنها: فكأني أنظر إلى رسول الله ﷺ يمسح الغبار عن وجه جبريل، فقلت: يا رسول الله! هذا دحيةُ الكلبي؟ فقال: «هذا جبريل»، فقال: إن الله يأمرك ألا تصلِّي العصر إلا ببني قريظةَ، فنادى رسول الله ﷺ بذلك في المسلمين، فخرجوا إليهم[٢] ولحق بهم رسول الله ﷺ، وحاصرهم أحداً وعشرين يوماً، ثم نزلوا على حكم سعد بن معاذ، فحكم بأن تُقتل مقاتلتُهم وتُسبى ذراريهم ونساؤهم وتغنم أموالهم، فقال رسول الله ﷺ: «لقد حكمتَ بحكم الله تعالى فيهم» وفعل ذلك، ومَنَّ الله على المسلمين بذلك فقال: ﴿وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ﴾[٣].

---

(١) عجز بيت لدريد بن الصمة، وهو في «ديوانه» (ص: ٤٨)، و«مجاز القرآن» لأبي عبيدة (٢/ ١٣٦)، وصدره في الديوان:

فجئـت إليـه والرمـاح تنوشـه

وفي «المجاز»:

فمـا راعنـي إلا الرمـاح تنوشـه

(٢) في (أ): «إليه» وليست في (ر).

(٣) تنظر القصة بنحو هذا السياق في «السيرة النبوية» لابن هشام (٢/ ٢٣٣)، و«تفسير الطبري» =

﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ﴾: أي: ألقى فيها الخوف ﴿فَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ وهم البالغون ﴿وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾ وهم الصبيان والنساء.

* * *

(٢٧) - ﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾.

﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ﴾: أي: جعلها لكم بعدهم.

﴿وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا﴾: أي: لم تصيروا إليها بعدُ قاصدين قتال أهلها واستيلاءكم على أموالهم فيها، وهذا وعدٌ لهم بإحرازِ أرض لم يصلوا إليها بعد.

قيل: هي أرض فارس والروم، وهذا قول الحسن.

وقال قتادة: هي مكة.

= (١٩/ ٧٢)، و«دلائل النبوة» للبيهقي (٤/ ٥).

وروى الإمام أحمد في «مسنده» (٢٤٩٩٢) عن عائشة: أن رسول الله ﷺ لما فرغ من الأحزاب، دخل المغتسل ليغتسل، فجاء جبريل عليه السلام، فقال: أوقد وضعتم السلاح، ما وضعنا أسلحتنا بعد، انهد إلى بني قريظة.

وقول عائشة رضي الله عنها: فكأني أنظر إلى رسول الله ﷺ يمسح الغبار عن وجه جبريل، فقلت: يا رسول الله! هذا دحيةُ الكلبي؟ فقال: «هذا جبريل»، رواه يونس بن بكير كما في «سيرة ابن إسحاق» (٤٦٦)، ومن طريقه أبو جعفر الرزاز كما في «مجموع مصنفاته» (١٥٣)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٤/ ١١).

وقوله: «فنادى رسول الله ﷺ بذلك في المسلمين»، هو قول النبي ﷺ: «لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة» رواه البخاري (٤١١٩)، ومسلم (١٧٧٠)، عن ابن عمر رضي الله عنهما.

ونزول قريظة على حكم سعد رضي الله عنه وما جاء بعده رواه البخاري (٤١٢١)، ومسلم (١٧٦٨)، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

وقال ابن زيد ويزيد بن رومان: هي خيبر[١].

وقيل: هي فدكُ وخيبرُ.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾: أي: لم يزل الله قادراً على استئصال الكفار ـ وإن كان لا يعاجل بالعقوبة ـ وعلى كل شيء.

وكان حرب الأحزاب ـ ويسمى: حربَ الخندق ـ بعد حرب أحدٍ بسنةٍ في السنةِ الخامسة من الهجرة، واستجاش أبو سفيان سبعةَ جيوش، وقد كان بايَع مجوسَ فارس ونصارى الروم، وكان الأحزاب تحالفوا أن يستأصلوا المدينة وأهلها ويهدموا البنيان بحيث لا يبقى بها أثر، وكان في صميم الشتاء وشدةِ البرد، وأهلُ المدينة في عزةٍ من الطعام وقلةٍ من اللباس وضعفٍ من البدن، وكانوا يحفرون الخندق وهم شادُّون الأحجار على أوساطهم، والنبيُّ ﷺ شادٌّ حجراً على حجر[٢] على بطنه، وفي اليوم الأول قُتل عمرو بن عبدِ ودٍّ من أكابر المشركين، وفي اليوم الثاني شَغلوا النبيَّ ﷺ عن الصلاة الوسطى، وفاتته أربعُ صلوات وقضاهن من الليل، وفيه دعي رسول الله ﷺ إلى طعام قليل وهو صاعٌ من شعيرٍ وشاةٌ، فجمع كل أصحابه وأتاهم فكفاهم كلَّهم ذلك الطعامُ وفَضَل عنهم[٣].

* * *

(٢٨) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾.

---

(١) روى هذه الأخبار الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٨٢ ـ ٨٣)، وعن قتادة والحسن عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٣٣٢) و(٢٣٣٣).

(٢) «على حجر» ليست في (أ).

(٣) رواه البخاري (٤١٠٢)، ومسلم (٢٠٣٩)، من حديث جابر رضي الله عنه.

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾ الآية: روي أن النبي ﷺ قسم غنائم بني قريظة بين أصحابه وعائشةُ رضي الله عنها تنظر[١]، وكان للنبي الخُمسُ من كلِّ الغنيمة، فقالت عائشة رضي الله عنها في نفسها: اليومَ يومُ خماري ومِقْنَعتي، وصرف النبيُّ الخمسَ أيضاً إلى الناس فلم يحصل لعائشةَ شيء، فجادلت رسول الله ﷺ في ذلك وأبو بكر الصدِّيقُ حاضر، فرفع يده إليها ليلطمها فمنعه رسول الله ﷺ فقال: «دَعْها فإنها صغيرة[٢]» ثم وضَع يده على كتفها وقال: «اخرُج يا شيطان منها»، وقيل: قال: «اخرُجْ يا خبيثُ من هذه الطاهرة» فقامت وقالت: والذي بعثك بالحق لقد خرج، ونزلت هذه الآية في عتابهنَّ[٣]، وفيها تخييرُهن وهو انتظامٌ حسَن.

وقيل: انتظامها بما قبلها: أنه نوعُ أذًى كان منهنَّ في حقِّ النبي، والأولُ كان نوعَ أذًى في حقه من الكفار والمنافقين.

وقال عكرمة: نزلت الآية في غيرة غارتها عائشة رضي الله عنها[٤].

وقيل: إن بعض نسائه استزادَتْه في النفقة[٥].

وروي أنه أُمر أولاً باعتزالهنَّ، فآلى ألا يدخل عليهن شهراً، ثم لمَّا مضى شهرٌ

---

(١) في (ر): «تنتظر».

(٢) في (أ): «صبية».

(٣) لم أقف عليه بهذا السياق، والذي في الصحيح أنها نزلت في سؤال زوجات النبي ﷺ منه النفقة، وسيأتي.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٨٦).

(٥) رواه مطولًا البخاري (٢٤٦٨)، ومسلم (١٤٧٩)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، ورواه مطولًا أيضاً مسلم (١٤٧٨) من حديث جابر رضي الله عنه.

أنزل الله هذه الآية وأمره بتخيير نسائه، فبدأ بعائشة رضي الله عنها وقال لها: «إني مُلْقٍ إليك أمراً فلا عليك أن تجيبيني حتى تستأمري أبويك» ـ قالت عائشة: وكان[1] النبي ﷺ يعلم أن أبوي لا يأمراني بفراقه ـ ثم تلا عليها الآيتين، قالت عائشة رضي الله عنها: يا رسول الله! أفي اللهِ ورسوله أستأمِرُ أبويَّ؟ فإني اخترتُ الله ورسوله والدارَ الآخرة، ولكنْ لا تخبر بقولي سائر نسائك، فكان رسول الله ﷺ يدخل على نسائه ويتلو عليهن الآيتين ويخبرهن بصنيعِ عائشة، فاخترن الله ورسوله والدار الآخرة[2].

وقوله تعالى: ﴿إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾؛ أي: إن كنتن تُرِدْن نكاحَ مَن يمتِّعُكُنَّ بدنياه وزينتِها من الأموال حتى تتوسَّعْنَ في النفقة والكسوة حتى تنفردَ كلُّ واحدةٍ منكن بزوجٍ لا يتزوَّج معها غيرَها فتزولَ الغيرة عنها ﴿فَتَعَالَيْنَ﴾؛ أي: فجئن[3] ﴿أُمَتِّعْكُنَّ﴾؛ أي: أُعطِكُنَّ المتعةَ بالمعروف ﴿وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾؛ أي: أطلقكن طلاقاً حسناً لا ضرارَ فيه في وقت السُّنَّة.

***

(٢٩) ـ ﴿وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

﴿وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾: يعني رضا الله ورضا رسوله ﴿وَٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ﴾؛

---

(١) في (أ): «وظني».

(٢) هذه قطعة من حديثي ابن عباس وجابر المتقدمين، وليس في حديث ابن عباس قول عائشة: «ولكنْ لا تخبر بقولي سائر نسائك»، أما حديث جابر فلفظه: وأسألُك أنْ لا تخبرَ امرأةً مِن نسائكَ بالذي قلتُ، قال: «لا تسألُني امرأةٌ منهنَّ إلا أخبرْتُها، إن الله لم يبعثني مُعنتًا، ولا مُتعنتًا، ولكنْ بعَثني معلِّمًا مُيَسِّرًا».

(٣) «أي فجئن» ليس في (أ).

أي: ثواب الآخرة دون زينةِ الدنيا ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾؛ أي: تنلنَ بالدوام على نكاحي رضا اللهِ ورضاي وثوابَ الآخرة دون زينة الدنيا[1]، فإذا أحسَنْتُنَّ العمل فاثْبُتْنَ على نكاحي أَثْبُتْ عليه.

* * *

(٣٠) - ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾: أي: زناً ظاهرٍ ﴿يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾: قرأ ابن كثير: ﴿نُضعِّف﴾ بضم النون وتشديد العين ﴿العذابَ﴾ بالنصب، وقرأ أبو عمرو بالياء وفتح العين على ما لم يسمَّ فاعله[2].

وحكى أبو عمرو قراءة أبي عمرو[3]: (نضاعِفْ) بالنون والألف خبراً من الله تعالى من نفسه بخطاب الملوك.

والتضعيف والمضاعفة واحد؛ كقوله: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ﴾ ﴿ولا تُصاعِرْ﴾ [لقمان: ١٨].

و﴿ضِعْفَيْنِ﴾ عند أبي عبيدة: ثلاثةُ أمثال؛ لأن ضِعْفَ الشيء مثلُه، فضِعْفاه مِثْلاه، فيكون مع الأصل ثلاثةَ أمثال[4].

---

(١) «دون زينة الدنيا» من (ف).

(٢) وقرأ ابن عامر مثل قراءة ابن كثير، وقرأ باقي السبعة: ﴿يُضَٰعَفْ﴾. انظر: «السبعة» (ص: ٥٢١)، و«التيسير» (ص: ١٧٩).

(٣) قوله: «وحكى أبو عمرو قراءة أبي عمرو» كذا في النسخ، ولعل الصواب: (وروى خارجة عن أبي عمرو)، كما في «المحرر الوجيز» (٤/ ٣٨٢). وهي خلاف المشهور عنه، الذي هو (يُضعَّف) بضم الياء وفتح العين المشددة كما تقدم.

(٤) انظر: «مجاز القرآن» (٢/ ١٣٦ ـ ١٣٧).

وقال القتبي وأبو عمرٍو والزجَّاج وجماعةٌ: هما مثلان، بدليل أنه قال في الثواب: ﴿نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ﴾ فكذلك العذاب، ومعناه: نضاعف لها العذاب فنجعل ذلك ضعفين؛ أي: مثلين كل واحد منهما ضعفُ الآخر؛ لأن ضعف الشيء مثله[1].

وهذا لشرفهن وقَدْرهن بصحبة النبيِّ ﷺ، فتَفْحُش جنايتُهنَّ وتُغلَّظ عقوبتُهن، وكذلك طاعتُهن وثوابهن.

وقيل: هذا العذاب المضعَّف في الآخرة كالثواب المضاعف.

﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾: أي: وكان تضعيف العذاب لهن على الله هيناً غيرَ متعذِّر.

* * *

(٣١) ـ ﴿۞ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾: أي: ومَن يدم منكنَّ على طاعة الله وطاعة رسوله، والقنوت: الدوام على العمل لله تعالى.

﴿وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا﴾: قرأ حمزة والكسائي بياء التذكير ردًّا على (مَن)، والباقون بتاء التأنيث[2]؛ لأنه فعلُ المرأة.

﴿نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ﴾: قرأ حمزة والكسائي بياء المغايبة؛ أي: يؤتها الله، والباقون

---

(١) انظر: «غريب القرآن» لابن قتيبة (ص: ٣٥٠)، و«معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٢٢٦). أما أبو عمرو فذكر قوله الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٩١) بتفصيل، وذلك أنه جعل (يُضعَّف) بمنزلة المثلين، و(يضاعَف) ثلاثة أمثال، ولذلك اختار في القراءة: (يُضعَّف).

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٥٢١)، و«التيسير» (ص: ١٧٩).

بالنون[1] خبراً من الله تعالى عن نفسه بخطاب الملوك جميعا.

﴿وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾: أي: وهيَّأنا لها في الجنة رزقاً حسناً خطيراً.

* * *

(٣٢) - ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾: بل لكُنَّ فضيلةٌ على كلِّ النساء بأنَّكن زوجات رسول الله ﷺ في الدنيا والآخرة، ومشاهِداتٌ أفعالَ النبيِّ ﷺ وأقوالَه وأحواله بالليل والنهار.

﴿إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ﴾: هذه الفضيلةُ لكنَّ إذا اتقيتنَّ المعاصيَ ومخالفةَ الله ورسوله والرغبةَ في الدنيا وزينتها.

﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ﴾: فلا تَلِنَّ بالكلام إن كلَّمْتُن الرجال من وراء حجابٍ كما يكلِّم الإنسان مَن يخضع له بالطاعة وينقادُ له فيما يريد.

﴿فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾: جوابُ النهي بالفاء فنُصب؛ أي: فيطمع فيكنَّ مَن ﴿فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾؛ أي: نفاق، وقيل: فجور.

والمرض المطلق ضَعْفٌ في البدن، وهذا ضعفٌ في الدِّيانة أو الاعتقاد أو الصلاح.

﴿وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾: يرضاه الشرع بأنْ يكون كلاماً يُعرف أنه كلامُ العفائف الصالحات الصائنات.

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٥٢١)، و«التيسير» (ص: ١٧٩).

وقوله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾: قرأ نافع وعاصم بفتح القاف، وأصله: واقْرَرْنَ، من باب عَلِم من القرار، وهو مستعمل من باب ضرب وعلم جميعاً.

قال الزجَّاج: حُذفت إحدى الراءين ونُقلت فتحتُها إلى القاف فتحرَّكت فسقطت الألف المجتلَبة لزوال الضرورة والحاجة إليها[١]، وهذا الحذف كالحذف في قوله: ﴿فَظَلْتُمْ﴾ [الواقعة: ٦٥].

وقرأ الباقون: ﴿وقِرْنَ﴾ بكسر القاف من الوَقار[٢]، وهو السكون والطمأنينة؛ أي: الْزَمْنَ بيوتَكُنَّ فذلك أَسترُ لكنَّ وأحرى أنْ لا يراكُنَّ أجنبيٌّ يكلِّمكنَّ.

﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾: قال قتادة: وهو التبختُر إذا خرجت من بيتها[٣].

وقال مجاهد: هو التبخترُ في بيتها لمن دخله من الرجال[٤].

فأُمرن بالتَّستُّر والعفاف[٥] في الحالين.

وقيل: هو التزيُّن والتكشُّف، وأصل الكلمة: السعةُ والظهور، ومنه: البُرج، وهو القصر، والبَرَج في العين وهو سَعَة الحدقة.

والجاهلية الأولى: المتقدِّمة على الإسلام.

وقيل: إن الله تعالى كان أعلمَ نبيَّه انفتاحَ بلدان الأمم على أمته واتِّساعَ أصحابه

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٢٢٥).

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٥٢١)، و«التيسير» (ص: ١٧٩).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٩٧).

(٤) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٣٤٠) بلفظ: (كانت المرأةُ تتمشَّى بَيْن الرِّجالِ فذلك تبرُّجُ الجاهليَّة).

(٥) في (ف): «فأمرت بالستر والتعفف».

في المال، فنهى نساءه إذا أَدركن ذلك أن يتبرَّجن، فيكونَ ذلك منهن جاهليةً ـ وهي حالةُ فسقٍ ـ كالجاهلية قبل الإسلام وهي حالة كفرٍ[(١)].

وقيل: الجاهلية الأولى زمانُ إبراهيم عليه السلام، كانت المرأة تلبس من الدروع درعَ اللؤلؤ غيرَ مخيطِ الجانبين، وتلبس الثياب الرِّقاق التي لا تواري بدنها.

﴿وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: فإنها تنهى عن الفحشاء والمنكر ﴿وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾: فإنها مواساةُ أهل الجنة ﴿وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾ في كلِّ أمرٍ ونهي.

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾: أي: إنما يريد الله بتنبيهِكم يا أهلَ بيت محمد على مراشدكم بهذه الأوامر أن يُذهب عنكم نجاسةَ الآثام ويطهِّرَكم عنها فتطهَّروا بها.

وقيل: أهل البيت: الحسن والحسين وعليٌّ وفاطمةُ رضي الله عنهم.

قال أنس رضي الله عنه كان النبي ﷺ يمر ببيت فاطمة وقت الفجر فيقول: «الصلاة [يا أهل البيت] ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾»[(٢)].

قالت أم سلمة رضي الله عنها: إن هذه نزلت على النبيِّ وهو في بيتها، فدعا الحسنَ والحسين وعليًّا وفاطمةَ فجلَّلهم بالكساء ثم قال: «اللهم هؤلاء أهلُ بيتي فأَذْهِبْ عنهم الرجس وطهِّرْهم تطهيراً»[(٣)].

---

(١) في (أ): «الكفر».

(٢) رواه الترمذي (٣٢٠٦) وحسنه، والحاكم في «المستدرك» (٤٧٤٨) وصححه. وما بين معكوفتين منهما.

(٣) رواه الترمذي (٣٨٧١)، والحاكم في «المستدرك» (٣٥٥٨) وصححه. وصححه الترمذي أيضاً كما في «تحفة الاشراف» (١٣/ ١٢). وفي الباب من حديث عائشة رضي الله عنها عند مسلم (٢٤٢٤).

وقال ابن عباس وعكرمة: هم أزواج النبي ﷺ على الخصوص[١]؛ لأن ما قبلها وما بعدها فيهن.

وقال الحسين بن الفضل: وهو الصحيح.

وبه قال الإمام أبو منصور رحمه الله: أن هذه الآية في أهل بيت النبيِّ ﷺ من الأزواج وغيرهنَّ، ففي حديث أم سلمة أنها قالت: يا رسول الله، وأنا من أهل البيت؟ قال: «نعم»[٢] والخطاب بالكاف والميم هاهنا لشموله على الذكران والإناث[٣].

***

(٣٤) ـ ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾:

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ١٠٧ ـ ١٠٨) عن عكرمة، ورواه ابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» (٦/ ٦٠٢ ـ ٦٠٣)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦٩/ ١٥٠)، من طريق عكرمة عن ابن عباس، قالا: (نزلت في نساء النبي ﷺ خاصة). ورواه ابن مردويه كما في «الدر المنثور» (٦/ ٦٠٣) من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس دون لفظ: (خاصة).

(٢) رواه البغوي في «شرح السنة» (٣٩١٢) بلفظ: (قال: بلى إن شاء الله). قال البغوي: هذا حديث صحيح الإسناد.

ورواه الإمام أحمد في «المسند» (٢٦٥٥٠) وفيه أنه ﷺ قال: «بلى» وأنه أدخلها الكساء بعدما قضى دعاءه لهم، وفيه شهر بن حوشب وهو ضعيف. وقد جاء في روايات أخرى كثيرة أن النبي ﷺ قال لها: «إنك على خير»، ولم يقل: بلى. وللآلوسي رحمه الله في «روح المعاني» (٢١/ ٢٩٨ ـ ٣١٢) بحث طويل ومناقشات مفيدة وجمع للروايات وجمع بينها، وقد وفقنا الله في تحقيقه لتخريجها وتفصيلها تراجع فيه ثمة.

(٣) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٨/ ٣٨٢ ـ ٣٨٣).

قيل: هو ذكر النعمة للشكر عليها.

وقيل: هو التلاوة والذكر باللسان.

وقيل: هو الحفظ بالقلب. والصيغة صالحة للكل.

﴿مِنْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ﴾: أي: القرآن ﴿وَٱلْحِكْمَةِ﴾؛ أي: بيانِ معاني القرآن.

وقيل: الحكمةُ: سنةُ الرسول وهي كلامه[1].

والحكمة من الإحكام وهو الإتقان، وسنةُ الرسول أيضاً محكمةٌ واجبة الحفظ كالكتاب[2].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾: قيل: اللطيف: العالم بغوامض الأشياء، الخبير: العالم بحقائقها؛ أي: هو عالمٌ بأفعالكنَّ وأقوالكنَّ وأحوالكنَّ، ومُجازٍ لكُنَّ عليها، فاحذَرْنَ مخالفةَ أمره ونهيه ومعصيةَ رسوله.

وقيل: ﴿لَطِيفًا﴾؛ أي: بارًّا بكنَّ ﴿خَبِيرًا﴾؛ أي: عالماً بمواضع الاختيار لكُنَّ، فاشكُرْن إنعامه عليكنَّ.

* * *

(٣٥) ـ ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَـٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ وَٱلْقَـٰنِتِينَ وَٱلْقَـٰنِتَـٰتِ وَٱلصَّـٰدِقِينَ وَٱلصَّـٰدِقَـٰتِ وَٱلصَّـٰبِرِينَ وَٱلصَّـٰبِرَٰتِ وَٱلْخَـٰشِعِينَ وَٱلْخَـٰشِعَـٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَـٰتِ وَٱلصَّـٰٓئِمِينَ وَٱلصَّـٰٓئِمَـٰتِ وَٱلْحَـٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَـٰفِظَـٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾.

---

(١) في (أ): «وهو كلامه»، وفي (ف): «وكلامه».

(٢) في (ر): «بالكتاب».

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ﴾ الآية: قال قتادة: لمَّا ذكر الله تعالى أزواج النبي ﷺ دخل نساءٌ من المسلمات عليهن فقلن: ذُكِرْتُنَّ ولم نُذكر، ولو كان فينا خيرٌ لذُكرنا، فنزلت هذه الآية[١].

وقالت أم سلمة: يا رسول الله! ما للنساء لا يُذكرن مع الرجال؟ فأنزل الله هذه الآية، ذكره مجاهد[٢].

وذكر مقاتل هذا عن أم سلمة ونسيبة[٣] بنت كعب، قال: قالتا: يا رسول الله، ما لنا لا نذكر بخير في القرآن؟ فنزلت[٤].

وقال عكرمة: أتت أم عمارة النبيَّ ﷺ فقالت: ليس فينا معشر النساء خير؟ قال: «ولم؟»، قالت: لأن الله تعالى لا يذكرنا بخير في القرآن، فنزلت[٥].

وقال مقاتل بن حيان: رجعت أسماء بنت عميس من الحبشة مع زوجها جعفرِ بن أبي طالب، فدخلت على نساء رسول الله ﷺ قالت: هل نزل فينا شيء من القرآن؟ قلن: لا، فأتت رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله، إن النساء لفي خيبةٍ وخَسار، قال:

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٣٤٣) والطبري في «تفسيره» (١٩/ ١٠٩ ـ ١١٠).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ١١٠) عن مجاهد قال: قالت أم سلمة... فذكره. وهذا مرسل، لكن الحديث روي من طرق أخرى بأسانيد متصلة صحيحة، رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢٦٥٧٥) و(٢٦٦٠٣)، والنسائي في «الكبرى» (١١٣٤٠) و(١١٣٤١).

(٣) في (أ): «وآيسة»، وفي (ر) و(ف): «وأنيسة». والمثبت من «تفسير مقاتل»، وانظر: «الإصابة» (٨/ ٢٦٥). ونسيبة بنت كعب تكنى بأم عمارة، وسيأتي ذكرها بكنيتها في الخبر الآتي.

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٤٨٩).

(٥) رواه الترمذي (٣٢١١) وحسنه.

«وممَّ ذلك؟» قالت: لأنهن لا يُذكرن بخير كما تُذكر الرجال، فنزلت[1]:

﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ﴾: أي: الخاضعين لله بالطاعة والخاضعات.

﴿وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾: أي: المصدِّقين لله ورسوله والمصدِّقات.

﴿وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ﴾: أي: المطيعين لله والمطيعات.

﴿وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ﴾: أي: في العهود والأقوال والمعاملات.

﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ﴾: أي: على الطاعة، وعن المعصية، وفي البلية.

﴿وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ﴾: والخشوع: سكونُ الظاهر، وخوفُ الباطن، والتذلُّل لله.

﴿وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ﴾: فرضاً ونفلاً.

﴿وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ﴾: فرضاً ونفلاً أيضاً.

﴿وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ﴾: أي: فروجهنَّ، واختصر لدلالة صدر الكلام عليه، ومعناه: الحافظين عن الحرام[2].

﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ﴾: أي: الله كثيراً، وهو بالألسنة والقلوب.

﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً﴾: لذنوبهم ﴿وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ على طاعاتهم، هو جواب الابتداء، وعظمُ الأجر بكثرته ودوامه.

* * *

---

(١) ذكره عن مقاتلٍ الثعلبيُّ في «تفسيره» (٨/ ٤٥)، ولم أجده مسنداً.

(٢) بعدها في (ر): «فروجهن».

(٣٦) ـ ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾: وانتظامُها بما قبلها: أنه قال: ﴿وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾ ومدَح بعد ذلك المطيعين والمطيعات لله ورسوله، وبيَّن في هذه الآية وجوبَ طاعة اللهِ ورسوله، ووعيدَ مَن عصَى اللهَ ورسوله.

ووجه آخرُ: أن الآيات المتقدمةَ في ذكر نساء النبي ﷺ وسائرِ النساء، وهذه الآية في ذكر زينب وزوجِها زيد، ثم صارت لرسول الله ﷺ.

ووجه آخر: أنه قال: ﴿مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ﴾ والآيات: القرآن، والحكمة: السنَّة، وفي هذه الآية وعيدٌ لمن خالف الكتاب والسنة.

وقيل: نزلت الآية في زيدٍ وزينبَ، خطب النبيُّ ﷺ زينب بنتَ جحش بن رئاب بن يَعمر بن صبرةَ بن مُرةَ بن كثير بن غنم بن دودان بن أسد بن خُزيمة، وهي بنت عمةِ رسول الله ﷺ، فإن أمها أميمةُ بنت عبد المطلب عمةُ رسول الله ﷺ، لمولاه زيد بن حارثةَ بن شَراحيل بن كعب بن عبد العُزَّى بن يزيد[1] بن امرئ القيس بن عامر بن النعمان بن عمران[2] بن عبد ودٍّ بن كِنانةَ بن عوف بن مالك بن[3] زيد اللات بن رُفيدةَ بن ثور بن كلب بن وَبَرة بن ثعلبة بن حلوان بن عمران بن الحاف[4] بن قضاعة، فأبت لمكان أنها قرشيةٌ وبنتُ عمة رسول الله ﷺ وهو مولًى، فأمرها النبي

---

(١) في (أ): «زيد».

(٢) في (ر): «بن عمران بن النعمان».

(٣) «مالك بن» ليس من (أ).

(٤) في (أ) و(ف): «الحارث». والمثبت من (ر) والمصادر.

ﷺ بذلك بأمر الله، فالآية تدل عليه، فكأنها تلكَّأت، ولعل زيداً امتنع أيضاً لإبائها، فأنزل الله تعالى هذه الآية[١]، فبيَّن أنه لا اختيار لهما في أن يفعلا أو لا يفعلا مع أن الله ورسوله أمراهما بذلك، وما بعد الآية يدل على أن الآية في هذين.

وقد قيل: إنها نزلت في أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط، عرضت نفسها على رسول الله ﷺ لينكحها فزوَّجها زيد بن حارثة فكرهاه، فنزلت[٢].

وقرأ عاصم وحمزة والكسائي: ﴿أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ﴾ بياء التذكير؛ لتقدُّم الفعل، وللحائل بين الفعل والاسم، والباقون بتاء التأنيث على لفظ الخيرة[٣].

وقوله تعالى: ﴿إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا﴾؛ أي: أَمَرَ الله ورسوله أمراً؛ كما قال: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣].

وقوله تعالى: ﴿ٱلْخِيَرَةُ﴾؛ أي: الاختيار بين الفعل والترك، ودلَّ ذلك على أن الأمر للوجوب.

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾: فإن كان عصيانَ ردٍّ وامتناع عن القبول فهو ضلال وكفر، وإن كان عصيان فعلٍ مع قبول الأمر والنهي واعتقادِ الوجوب فهو ضلال وخطأ كما في قوله: ﴿إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ﴾ [يوسف: ٩٥].

* * *

(١) روى نحوه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٤/ ٣٩)، والدارقطني في «سننه» (٣/ ٣٠١)، من حديث زينب بنت جحش رضي الله عنها. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩/ ٢٤٧): رواه الطبراني وفيه حفص بن سليمان وهو متروك وفيه توثيق لين. ورواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ١١٢ و١١٣) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما بإسنادين ضعيفين.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ١١٤) عن ابن زيد. وقوله: «فكرهاه» الضمير يعود على أم كلثوم وأخيها كما جاء في هذا الخبر.

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٥٢٢)، و«التيسير» (ص: ١٧٩).

(٣٧) ـ ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِيٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْاْ مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ﴾: أي: اذكر يا محمد إذ كنت ﴿تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ﴾؛ أي: بالإسلام ﴿وَأَنْعَمْتَ﴾ أنت ﴿عَلَيْهِ﴾ بالإعتاق، وهو زيد، وكان عبداً لخديجة فوهبته لرسول الله ﷺ فأعتقه، وكان هو من بني كلب وأغار على بني كلب قوم من العرب فسبَوه وباعُوه في سوق عكاظ، فاشتراه حكيم بن حزام وهو شريك خديجة في التجارة فأهداه لها، فوهبته للنبي ﷺ، وخفي حاله على أبيه سنين، ثم أُخبروا أنه عند النبي ﷺ، فجاء أبوه وعمه وطلبا من النبي ﷺ أن يبيعه من أبيه بثمن عظيم، فقال النبي ﷺ: «إن اختار أن يكون معكم دفعته إليكم»، فخيَّره فاختار المقام مع رسول الله ﷺ، فتركاه وذهبا، فأعتقه رسول الله ﷺ وتبنَّاه، وكان من حُكم العرب أن مَن تبنى ولداً كان كولده من صُلبه في التوريث وفي حرمةِ نكاح امرأته على الأب المتبنِّي.

وكان النبي ﷺ أبطل هذا الحكم، وأراد الله أن يقرِّر هذا الحكم بقول النبي ﷺ وفِعْلِه عندهم؛ ليكون ذلك أنجعَ في قلوبهم وأقطعَ لعادتهم، وكان الله تعالى أخبر رسوله بذلك وأسرَّ ذلك، بأن أمره[1] أن يخطبها لزيد ويزوِّجَ بينهما، ثم بعد مدةٍ يتفرقان ويتزوَّجُها رسول الله ﷺ، فيتحقَّقُ عندهم تقريرُ هذا الحكم، وكان يخفيه رسول الله ﷺ في نفسه إلى أن يُظهره في وقته.

ولمَّا وقع هذا النكاح ومضت مدةٌ وقعت بينهما خشونةٌ، فجاء زيد يشكوها

---

(١) في (ف): «وأسر ذلك بأمره» وفي (ر): «وأسر بذلك بأن أمره».

لرسول الله ﷺ ويذكر ترفُّعها عليه وامتناعَها من مساعدته وسوءَ خلقها معه، فقال له: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾؛ أي: جامِلْها، وبالخلق الحسن عامِلْها، ولا تطلِّقها ـ وكذا يجب على المتوسِّط بين الزوجين أن يدعوَهما إلى حسن المعاشرة ـ ﴿وَاتَّقِ اللَّهَ﴾؛ أي: يا زيد اتَّق الله وراعِ حقوق النكاح ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ﴾ يا محمد ﴿مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾؛ أي: مُظْهِره؛ أي: ما أَعلمك الله أنك تتزوَّجها إذا طلقها زوجها برضاه واختياره وانقضت عدتُها ﴿وَتَخْشَى النَّاسَ﴾؛ أي: تكره قالةَ الناس أنه تزوج امرأة ابنه ﴿وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾ فتفعلَ ما أباحه لك وأَذِنَ لك فيه.

﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا﴾: أي: حاجة وهي كنايةٌ عن تمام الانتفاع بها على قَدْر رغبته فيها ثم مفارقتِها عند كراهة صحبتها.

﴿زَوَّجْنَاكَهَا﴾: أي: جعلناها زوجة لك، قال أنس: فكانت زينبُ تفخر على نساء النبي ﷺ فتقول: زوَّجكن أهلوكنَّ وزوَّجني الله تعالى[1].

قال: وأرسل رسول الله ﷺ إليها يخطبها، فقالت: ما أنا بصانعةٍ شيئاً حتى أوامر ربي، فقامت إلى مسجدها فنزل القرآن ودخل عليها رسول الله ﷺ من غير إذن[2].

﴿لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ﴾: أي: ضِيقٌ ﴿فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ﴾؛ أي: في نكاح زوجات الذين تبنَّوهم[3] ﴿إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا﴾؛ أي: استوفوا منهن حاجتَهم وفارقوهن وانقضت عِدَّتُهن ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾؛ أي: وكان ما أمر الله به مما يجب أن يفعل.

* * *

(١) رواه البخاري (٧٤٢٠)، وزاد: (من فوق سبع سماوات).

(٢) رواه مسلم (١٤٢٨).

(٣) في (ف): «يتبنونهم».

(٣٨) ـ ﴿ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ ﴾: أي: لا إثم ولا ضيق على رسول الله ﷺ في النكاح الذي أحلَّه الله له وأمره به، وهو نكاح زينب، وهو كقوله: ﴿قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْ ﴾ [التحريم: ٢].

وقيل: ﴿فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ﴾؛ أي: قدَّر له من عدد النساء، والفَرْض: التقدير.

﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُ﴾: أي: هو كما سنَّ(١) الله في الأنبياء(٢) الذين مضَوا من قَبله في زوال الحرج عنهم وعن أممهم فيما أباحه لهم، وأنهم لا ينبغي لهم أن يستَحْيوا من الناس فيما أباح الله لهم من الملاذِّ، قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً ﴾ [الرعد: ٣٨].

﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴾: أي: وكان ما أمر الله به قضاءً مقدَّراً لا بد من كونه.

وقيل: أي: موضوعاً على الحكمة الـمُحكَمة(٣)؛ كقوله: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩]؛ أي: على قدَرٍ مقدَّرٍ لا ينحطُّ عنه ولا يتجاوزُه.

ومعنى دخول (كان) عليه: أنه تقادَم ولم يزل كذلك لا يتغيَّر ولا يتبدل.

***

(٣٩) ـ ﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴾.

قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ ﴾: صفةُ قوله: ﴿ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُ﴾،

---

(١) في (ف): «بين».

(٢) في (ر): «للأنبياء»، وفي (ف): «والأنبياء».

(٣) «المحكمة» من (أ).

ومعناه: الذين كانوا يبلِّغون رسالات الله[١]؛ كقوله ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾ [البقرة: ١٠٢]؛ أي: ما كانوا يتلونه.

﴿وَيَخْشَوْنَهُۥ﴾: أي: في أمر الدِّين[٢] ﴿وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ﴾؛ أي: سوى الله، فكن أنت يا محمد كذلك.

﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾: أي: حافظاً لأعمال خلقه، محاسباً لهم عليها ومجازياً بها، فهو الأحقُّ بأنْ يُخشى دون خلقه، وقد تكلم الناس في الآية بوجوهٍ وهذا أقومُها وأسلمها.

* * *

(٤٠) ـ ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾: أي: أباً بالنسب لأحد من الرجال البالغين.

وقيل: أباً لرجلٍ لم يلده، وأما أبوَّةُ الشفقة ومراعاةِ الحرمة فثابتةٌ بقوله تعالى: ﴿ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾ [الأحزاب: ٦].

﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ﴾: يعمل بأمره.

﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾: قرأ عاصم: ﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ بفتح التاء وهو آلةُ الختم، وقرأ الباقون بالكسر[٣] وهو فاعل الختم.

---

(١) «رسالات الله» من (ر).

(٢) في (ر) و(ف): «الله».

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٥٢٢)، و«التيسير» (ص: ١٧٩).

أي: هو آخِر النبيين، وشريعتُه ناسخةٌ لشرائع المرسلين، فتمسَّكوا بها ولا تعترِضوا عليه في شيء منها.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾: من مصالح العباد وكلِّ شيء.

* * *

(٤١ ـ ٤٢) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾: شكراً له على النعم التي مرت وغيرها، والكثير: الذي لا ينقطع، قال الله تعالى: ﴿وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ﴾ ثم فسَّرها: ﴿لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ [الواقعة: ٣٣].

وقيل: الكثير: ما كان عن إخلاص فيُقبَل ويَكثُر ثوابه، فأما ما لا إخلاصَ فيه فقد قال الله تعالى في حقه: ﴿وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٤٢].

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: قال أهل التأويل: ﴿ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ﴾ في كلِّ حال وفي كل وقت ﴿ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ باللسان.

ويحتمل أن يكون تأويله: اذكروا نِعَم الله لتشكروا له، واذكروا أوامره ليُؤتمرَ بها والنواهي ليُنتهَى[١] عنها، ووعيدَه ليُخاف، وعِدَاته ليُرغبَ فيها، واذكروا عظمته وجلاله وكبرياءه ليُهاب[٢].

﴿وَسَبِّحُوهُ﴾: أي: ونزِّهوه، وقيل: صلُّوا له بالغداة والعشيِّ.

قال عبد الله: هي الصلوات الخمس[٣].

---

(١) في (ر): «أوامره لتأتمروا بها ونواهيه لتنتهوا».

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٨/ ٣٩٦).

(٣) ذكره الواحدي في «البسيط» (١٨/ ٢٦٣) عن الكلبي.

﴿بُكۡرَةٗ﴾ يعني: الفجرَ والظهرَ والعصر ﴿وَأَصِيلًا﴾؛ أي: المغرب والعشاء.

* * *

(٤٣) ـ ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا﴾.

وقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ﴾: أي: يرحمكم ﴿وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ﴾؛ أي: ويأمر ملائكتَه بالاستغفار لكم والدعاء.

وقيل: الصلاة: الثناء الجميل؛ أي: أن الله يثني عليكم الذكرَ الجميل في عباده بذكره إياكم؛ كما قال: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ﴾ [البقرة: ١٥٢].

﴿لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾: أي: ليديمكم خارجين ﴿مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ﴾؛ أي: من الضلالات ﴿إِلَى ٱلنُّورِ﴾؛ أي: الهدى.

وقيل: أي: من الجهالات إلى العلم.

وقيل: أي: من الشكوك إلى اليقين.

وقيل: أي: من البدع إلى السُّنَّة.

وقال أبو عبيدة: ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ﴾؛ أي: يبارك عليكم[1].

وقال الفراء: هو الذي يغفر لكم وتستغفر لكم ملائكتُه[2].

وقيل: ﴿لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾؛ أي: ليهديَكم إلى الجنة وينجيَكم من النار، قال تعالى: ﴿نُورُهُمۡ يَسۡعَىٰ بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِم﴾ [التحريم: ٨].

---

(١) انظر: «مجاز القرآن» (٢/ ١٣٨).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٤٥).

قوله تعالى ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾: يرحمهم فلا يعذِّبهم إذا أطاعوه وأطاعوا رسوله.

* * *

(٤٤ ـ ٤٥) ـ ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ﴾: أي: يوم يرونه ﴿سَلَٰمٌ﴾؛ أي: يسلِّم بعضهم على بعضٍ، ويقول: أمنٌ لنا ولكم من عذاب الله أبداً.

وقيل: يحيِّيهم الله بسلامه.

وقيل: هو سلام الملائكة إذا دخلوا عليهم من كل باب.

﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾: أي: ثواباً خطيراً عظيماً.

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ﴾: تنتظم بقوله: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ ومن رحمته إرسالُ محمد ﷺ رحمة للعالمين ﴿شَٰهِدًا﴾؛ أي: على الأمة؛ كما قال: ﴿وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١]؛ أي: على الأمة[1]، وقال: ﴿وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

وقيل: ﴿أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا﴾ بوحدانيتنا ﴿وَمُبَشِّرًا﴾ أهلَ طاعتنا ﴿وَنَذِيرًا﴾: ومخوِّفاً أهل مخالَفتنا.

* * *

(٤٦) ـ ﴿وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾.

---

(١) «أي على الأمة» ليس في (أ).

﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ﴾: كما قال: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ﴾ [النحل: ١٢٥] ﴿بِإِذْنِهِ﴾؛ أي: بأمره.

وقيل: بعلمه؛ أي: وهو[1] يعلم ما يكون منك وما يكون ممن أُرسلتَ إليه.

﴿وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾: أي: مصباحاً مضيئاً من ظُلَم الضلالة إلى نور الهداية، وهو كما قال: ﴿الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ﴾.

وقيل: أي: شمساً مضيئة؛ كما قال: ﴿وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا﴾ [نوح: ١٦] سماه شمساً في هذه الآية، وبدراً في قوله: ﴿طه﴾، ونجماً في قوله: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾؛ أي: نزل من السماء في ليلة المعراج.

فأما معنى تشبيهه بالمصباح على قولِ مَن فسَّره به: فإن المصباح الواحد يُشعَل منه مصابيحُ كثيرةٌ والأول بحاله لم يَنتقِص منه شيء، فكذلك ظهرت فوائدُ علومِ علماء أمته في أمته وهو بحاله.

ولأن ضوء المصباح إذا جاء ذهبت الظلمة، وإذا جاءت متابعة المصطفى ذهبت البدعة[2].

ولأن المفقودات[3] توجد بضوء المصباح، وكذلك الضالُّون يهتدون بالمصطفى.

ولأن المصباح يُحرق الأقرب ويضيء للأبعد، فكذلك المصطفى كان ينذر عشيرته الأقربين ويبشر الأنصار والمهاجرين.

---

(١) «وهو» ليست في (أ).

(٢) في (ف) و(أ): «النكرة».

(٣) في (ر) و(ف): «المقصودات».

ولأن المصباح يُرى به وجوه الأحباء، فكذا بمتابعة المصطفى يُوصَل إلى صحبة الأنبياء والشهداء والصدِّيقين والصُّلحاء.

ولأن المصباح تمامه بأربعة أشياء: الـمِسْرجةُ والفتيلةُ والدُّهن والنار، وكذا تمام أمر المصطفى كان بالخلفاء الراشدين الأربعة.

ولأن المصباح يضيء من كلِّ جهاته، وكان للنبي ﷺ رفيقاً نافعاً في كلِّ مقاماته.

وأما وجه تشبيهه بالشمس على قولِ مَن فسره بها: فلأن الشمس تضيء من المشرق إلى المغرب(١)، والنبيُّ ﷺ أضاء من الثرى إلى الثريا(٢).

ولأن الشمس لا ثانيَ لها ولا نظير والنجمُ له نظير، وكذلك النبي ﷺ لم يكن له نظير.

ولأن الشمس تنكسفُ ثم تنجلي، وكذلك النبي ﷺ كان يُمتحَن ثم يعتلي.

ولأن الشمس تغرُب ثم تطلع، والنبي ﷺ هاجر من مكة إلى المدينة ثم عاد إلى مكة.

ولأن الشمس تضيء لمن لا سراج له، وتُدفئ مَن لا ثوب له، وتُنضِج لمن لا نار له، وكذلك النبي ﷺ يشفع لمن لا طاعة له، ويرفع لمن لا عبادة له، وينفع مَن لا خدمة له.

***

(٤٧ ـ ٤٨) ـ ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾.

(١) في (أ): «الشرق إلى الغرب».

(٢) في (أ): «من الثريا إلى الثرى».

وقوله تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴾: أي: ثواباً يُفْضل به عليهم عظيماً، وهو الملكُ الكبير والنعيم الكثير.

﴿ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴾: قد مر هذا في أول هذه السورة ﴿وَدَعْ أَذَىٰهُمْ ﴾؛ أي: لا تؤذِهم مكافأةً لهم.

وقيل: أي: اجعل إيذاءهم إياك في جانبٍ كأنه لم يكن، ولا تفكر فيه فنحن مكافئون كافُون.

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾: كافياً وناصراً وحافظاً ودافعاً.

***

(٤٩) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا ۖ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴾.

وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ ﴾: قيل: أي: قبل أن تجامعوهن، ويحتمِل المسَّ بشهوة أيضاً.

﴿فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا ﴾:

قيل: أي: تعدُّونها؛ يقال: عدَّ واعتَدَّ؛ كما يقال: صَبَر واصْطَبر.

وقيل: أي: تستوفونها؛ يقال: عدَدْتُه له فاعتَدَّ؛ كما يقال: وزَنْتُه له فاتَّزن، وكِلْتُه له فاكتال.

﴿فَمَتِّعُوهُنَّ ﴾: المتعةُ الواجبة إن كان المهرُ غيرَ مسمَّى، فإنْ سُمي فالواجب نصفُ المسمَّى والمتعة مستحبة.

﴿وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴾: أي: لا تمسكوهن ضراراً، وهو في قوله: ﴿فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ﴾ وهو أن يتركها حتى تنقضيَ عِدَّتُها.

وقيل: هو أن يرجعها[١] إلى بيتها من غيرِ منعِ حقٍّ أو أذًى، والآيةُ في النكاح والطلاق فتتصل بالآيات التي في المنكوحات.

* * *

(٥٠) - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيۡتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِي هَاجَرۡنَ مَعَكَ وَٱمۡرَأَةً مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۗ قَدۡ عَلِمۡنَا مَا فَرَضۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ لِكَيۡلَا يَكُونَ عَلَيۡكَ حَرَجٞۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ﴾: أي: زوجاتك ﴿ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيۡتَ﴾؛ أي: قبلت؛ كما هو في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ﴾ [التوبة: ٢٩].

﴿أُجُورَهُنَّ﴾: أي: مهورَهن وهذا بيانُ إحلال النساء اللاتي كنَّ عنده.

﴿وَمَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَ﴾: أي: وأحللنا لك ما ملكْتَه مِلْكَ يمين؛ قيل: هي ماريةُ القِبْطيةُ أمُّ إبراهيم.

﴿مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ﴾: أي: أَغْنمكَ من غنائم المشركين، أُحل لك أن تضمَّها إلى نفسك بالـمِلك دون النكاح.

وقيل: أي: صفيةُ بنتُ حيي، وجُوَيرِيَة بنت الحارث هما ممَّا أفاءَ اللهُ عليه أعتقهما وتزوجهما.

﴿وَبَنَاتِ عَمِّكَ﴾: من بنات العباس وغيرهن من أولاد عبد المطلب ﴿وَبَنَاتِ

---

(١) في (أ): «يراجعها».

عَمَّـٰتِكَ﴾ من ولد بنات عبد المطلب ﴿وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَـٰلَـٰتِكَ﴾ من أولاد عبد منافِ بن زهرة.

وأَفرد العمَّ والخال للتخفيف والمراد بهما الجمع، وجمع العمَّات والخالات للتحقيق، وجمَعهما بزيادة ألف فلم يثقِّل.

ومعناه: ﴿أَحْلَلْنَا لَكَ﴾ في المستأنف مَن تتزوَّج بهنَّ من هؤلاء.

﴿الَّـٰتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ﴾: و(مع) ليس لِقران الفعل بل لوجودهما في الأصل؛ كما في قوله: ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَـٰنَ﴾ [النمل: ٤٤].

وفيه: أنه لا يحلُّ له غيرُ المهاجِرة منهن، ورُوي عن أم هانئ رضي الله عنها بنت أبي طالب قالت: نزلت فيَّ هذه الآية، أراد النبيُّ أن يتزوَّجني فنُهي عني لأني لم أهاجر(١).

أي: وأحلَلْنا لك تزوُّجَ بَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ من مكة إلى المدينة، فإن لم تهاجر لم يحلَّ لك نكاحها.

وقوله تعالى: ﴿وَامْرَأَةً مُّؤْمِنَةً﴾: أي: مصدِّقةً بتوحيد الله، وهي أمُّ شَرِيكٍ بنتُ جابر العامريِّ، وكانت تسمى: أمَّ المساكين.

وقيل: هي زينب بنت خُزيمة.

وفقهاء الكوفة يجيزون النكاح بلفظ الهبة، ويجعلون خصوصية النبيِّ عليه

---

(١) رواه الترمذي (٣٢١٤)، وقال: حديث حسن، لا أعرفه إلا من هذا الوجه من حديث السدي.

قال ابن العربي في «أحكام القرآن» (٣/ ٥٨٨): وهو ضعيف جداً ولم يأت هذا الحديث من طريق صحيح يحتج في مواضعه بها.

السلام في ترك المهر لا في تعيُّن اللفظ، ويستدلُّون لجواز الهبة بقوله: ﴿إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا﴾ لولا أن الهبة نكاح لقيل: إن أراد النبي أن يتَّهبها[١].

والشافعي رحمه الله يرى به اللفظَ والمعنى مما خُصَّ به النبيُّ ﷺ إن رغب النبي عليه السلام أن يستنكحها؛ أي: يتزوجها؛ يقال: نكَح واستَنْكَح؛ كما يقال: عَجِل واستعجل[٢].

﴿وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾: أي: ملَّكت نفسها رسولَ الله ﷺ بالنكاح بلفظ الهبة من غيرِ مهرٍ.

﴿إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا﴾: أي: أحبَّ أن ينكحها؛ كما يقال: نكِرَ واستَنْكر، وعَجِب واستَعْجب، وعَجِل واستعجل.

﴿خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: رجوعٌ إلى المخاطبة بعد المغايبة، وهي تلوين الكلام[٣]، ومعناه: أنها خالصة[٤] للنبي ﷺ من غير مهر، وغيرُ النبيِّ ليس له ذلك، بل يجب المهر وإن لم يسمِّه أو نفاه.

وقيل: قوله: ﴿خَالِصَةً﴾ يرجع إلى كلِّ منكوحةٍ له، ومعناه: أنها تخلُص له في الدنيا والآخرة فلا تحلُّ لأحدٍ بعده امرأةٌ من نسائه.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: الواهبةُ نفسَها له ميمونةُ بنتُ الحارث[٥].

---

(١) في (ف): «يمهرها».

(٢) من قوله: «﴿وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً﴾: أي: مصدِّقةً...» إلى هنا ليس في (أ).

(٣) في (أ): «وهو تلوين»، وليس فيها: «الكلام».

(٤) في (ر) و(ف): «خلصت».

(٥) رواه عبد الرزاق في «المصنف» (٢٢٦٦)، والطبري في «تفسيره» (١٩/ ١٣٥).

وقال عليُّ بن الحسين: هي امرأة من بني أَسْدٍ يقال لها: أم شريك[1].

وقال الشعبي: هي امرأة من الأنصار[2].

وقيل: هي زينب بنت خزيمة من الأنصار[3].

وقال أبي بن كعب رضي الله عنه: ﴿خَالِصَةً لَّكَ﴾؛ أي: أحللنا لك هؤلاء الأصنافَ بلا عددٍ تخصيصاً لك، وفي حق الأمة هو مقصور على الأربع[4].

ومعنى ﴿خَالِصَةً لَّكَ﴾ على الجمع؛ أي: خلوصاً لك على المصدر؛ كما في قوله: ﴿لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ﴾؛ أي: كذب.

﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِيٓ أَزْوَٰجِهِمْ﴾: أي: ما أوجبنا من المهور على أمتك في زوجاتهم ﴿أَحْلَلْنَا لَكَ﴾ الواهبةَ من غير مهر.

وقيل: أي: قدَّرنا عليهم الأربع، ووسَّعنا عليك في الزيادة على ذلك.

---

(١) رواه ابن سعد في «الطبقات» (٨/ ١٥٥)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (١٧١٧٣)، والطبري في «تفسيره» (١٩/ ١٣٦). وفي المصادر أنها من الأَزْد، ولا خلاف لأن الأزد تقال بالزاي والسين. انظر: «القاموس» (مادة: أسد).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (١٧١٧٤)، والطبري في «تفسيره» (١٩/ ١٣٦).

(٣) قوله: «وقيل هي زينب بنت خزيمة من الأنصار» ليس في (أ)، وفي (ف) بدلًا منه: «وهي زينب بنت خزيمة». والمثبت من (ر)، وهذا القول ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٥٤)، والماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٤٥٠)، والقرطبي في «تفسيره» (١٧/ ١٨٢)، عن الشعبي. وقولهم فيه: (من الأنصار) تعقبه ابن كثير في «البداية والنهاية» (٨/ ٢٢٣) بقوله: (وأمَّا حكايةُ الماوَرديِّ عن الشَّعبي أنَّ زينبَ بنتَ خُزيمةَ أمَّ المساكينِ أنصاريةٌ، فليس بجيدٍ؛ فإنها هلاليةٌ بلا خلافٍ).

قلت: وقد ذكره البغوي في «تفسيره» (٦/ ٣٦٤) عن الشعبي فقال: (الهلالية) على الصواب.

(٤) رواه بنحوه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ١٣٤).

﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ﴾: فإنه لا يكون إلا بعِوَضٍ، وأطلقنا لك الاصطفاء من الغنيمة ما شئت.

﴿لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ﴾: أي: ضِيقٌ، فيكون ما تتوسَّع به من الملاذِّ المباحة عوناً لك على القيام بما أُمرتَ به.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾: بعباده.

* * *

(٥١) - ﴿۞ تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِىٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ۖ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ﴾: أي: أبحتُ لك أن تؤخِّرَ من نسائك[١] مَن تشاء عن نفسك فلا تَقْسِمَ لها.

﴿وَتُـْٔوِىٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ﴾: أي: تضمُّ إلى فراشك مَن تشاء منهن.

﴿ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ﴾: أي: ومَن دعوتَ إلى فراشك وطلبتَ صُحبتَها ممن عزلْتَ عن نفسك بالإرجاء ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ﴾[٢]: فلا ضِيقَ عليك في ذلك؛ أي: ليس إذا عزلتها لم يجز لك ردها إلى نفسك.

﴿ذَٰلِكَ﴾: أي: ذلك الإعادة[٣] ﴿أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ﴾؛ أي: يرضينَ كلُّهنَّ بما آتيتهن، رفْعُه بفعلِ الرضا؛ أي: هذا أقربُ

---

(١) في (ف): «أبحت لك أن ترجي من نسائك أي: تؤخر».

(٢) «فلا جناح عليك» من (أ).

(٣) «أي ذلك الإعادة» من (ر).

إلى أن يعود سرورُهن[1] وانتفاءُ الحزن عنهن ورضاهن إذا علمن أنك فعلتَ ذلك كلَّه بأمر الله، وأن لهنَّ الثوابَ إذا رضينَ بذلك، وأن لكلٍّ واحدة منهن الرجاءَ في الابتغاء بعد العزل.

وعن معاذةَ العدويَّةِ عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يستأذنُنا في نوبةِ إحدانا بعد ما أُنزلت ﴿تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ﴾ الآية، قالت معاذة: فما كنتِ تقولين لرسول الله ﷺ إذا استأذن؟ قالت: كنت أقول: إن كان ذاك إليَّ لم أُوثر على نفسي أحداً[2].

قالوا: وكان هذا تفضُّلاً منه ومراعاةً لقلوبهن، حتى كان يطاف به محمولاً في مرض موته إلى أن استحلَّهن فرضِينَ بأنْ يكون في بيت عائشة رضي الله عنها.

وعن أبي رَزِينٍ قال: المرجَآت ميمونةُ وسودةُ وصفيةُ وجُويرية وأمُّ حَبيبة، وكانت عائشةُ وحفصةُ وزينبُ وأمُّ سلمة رضي الله عنهم سواءً في القَسْم كان يسوِّي بينهن[3].

وقيل: ﴿تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِىٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ﴾ هذا التخيير فيمَن كانت تَعْرِض نفسها على رسول الله ﷺ هبةً، وكان له أن يقبل مَن يشاء ويردَّ مَن يشاء، وهذا على قبول النكاح ابتداءً وردِّه.

وقيل: هذا التخيير كان في تزوُّجِ مَن يشاء من هذه الأصناف وفي ترك تزوُّجها.

---

(١) في (ر) و(ف): «تعود بسرورهن».

(٢) رواه البخاري (٤٧٨٩)، ومسلم (١٤٧٦).

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٣٦١)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (١٦٤٧٧)، والطبري في «تفسيره» (١٩/ ١٣٩ ـ ١٤٠).

وقال الحسن: كان النبي ﷺ إذا خطب امرأة لم يكن لأحد أن يخطبها معه ولا أن يُعرِّض لها، فقال: ﴿تُرْجِي مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ﴾؛ أي: تدعُها بعد خطبتها ﴿وَتُـْٔوِيٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ﴾ فتتزوَّجُها ﴿وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ﴾ ذلك في القَسْم(١).

وقيل: أي: تطلِّق مَن تشاء منهن وتستبدل بها مَن تشاء ﴿وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ﴾ هو الرجعة فيمَن طلَّق.

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ﴾؛ أي: قصَرْنا الحِلَّ على هؤلاء وحرَّمنا عليك نكاحَ الغرائب فذلك أَدْنى أنْ تَقَرَّ أعينُ هؤلاء.

قال محمد بن علي الباقر: لما تزوَّج النبي ﷺ الكِنْدية أسماءَ بنتَ النعمان بن شرحبيل الجَونية، وكانت من أحسن النساء، قالت نساء النبي ﷺ: إنْ تزوَّج علينا الغرائبَ فما له فينا حاجةٌ، فحبَس الله نبيَّه على أزواجه اللاتي عنده وأحلَّ له من بنات العم والعمة والخال والخالة ما شاء الله، فقال: ﴿تُرْجِي مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ﴾ يقول: من اللاتي أَحَل له ومن اللاتي عنده ﴿وَتُـْٔوِيٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ﴾ من اللاتي عنده ﴿وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ﴾ يعني: نساؤه اللاتي عنده إذا علمن أنه لا ينكح عليهن غريبةً.

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾: أيها العِبَاد من الرجال والنساء؛ من محبة البعض لبعض ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا﴾ بمصالح عباده ﴿حَلِيمًا﴾ لا يعاجلهم بالعقوبة على مخالفته.

***

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٣٥٣)، والطبري في «تفسيره» (١٩/ ١٤٠ ـ ١٤١)، بلفظ: كان نبي الله ﷺ إذا خطب امرأة فليس يَحِلُّ لأحدٍ أنْ يَخطُبَها حتى يتزوَّجها رسولُ الله ﷺ أو يَدَعها، ففي ذلك أنزلت: ﴿تُرْجِي مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ﴾ الآيةَ.

(٥٢) ـ ﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعۡدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ حُسۡنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ رَّقِيبٗا﴾.

وقوله تعالى: ﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعۡدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ حُسۡنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَ﴾: إن الله تعالى لمَّا أمر رسوله بتخيير نسائه، فخيَّرهن فاخترنه، شكر الله تعالى لهن ذلك فعظَّم حقَّهن بأنْ جعلهنَّ أمهاتِ المؤمنين، ومنع رسوله من أن يتزوج عليهن غيرهنَّ أو يتبدل بهنَّ سواهنَّ وإن وقع بقلبه حُسنُ غيرهن، وقصَره عليهن، وصرَف توسِعتَه في الملاذِّ[1] بعدهنَّ إلى مِلكِ اليمين فقط.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ رَّقِيبٗا﴾: أي: حافظاً لا يغيب عنه علمُ شيء؛ أي: فانْتَهِ يا محمد إلى ما حدَّدْتُه إليك في نسائك ومِلك يمينك.

***

(٥٣) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ فَٱدۡخُلُواْ فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسۡتَـٔۡنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ يُؤۡذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسۡتَحۡيِۦ مِنكُمۡۖ وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ وَإِذَا سَأَلۡتُمُوهُنَّ مَتَٰعٗا فَسۡـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٖۚ ذَٰلِكُمۡ أَطۡهَرُ لِقُلُوبِكُمۡ وَقُلُوبِهِنَّۚ وَمَا كَانَ لَكُمۡ أَن تُؤۡذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزۡوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ أَبَدًاۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ﴾: قيل: أي: وقته، وقيل: أي: نضجه وبلوغه.

والأناء: الوقت، وجمعه: الآناء؛ قال تعالى: ﴿وَمِنۡ ءَانَآيِٕ ٱلَّيۡلِ﴾ [طه: ١٣٠]؛ أي: ساعاته، وقد أنى يأني أناءً؛ أي: حان؛ قال تعالى: ﴿أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ

---

(١) في (أ): «البلاد».

﴿لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الحديد: ١٦] وقال تعالى: ﴿وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ﴾ [الرحمن: ٤٤]؛ أي: قد انتهى حره.

قال أنس رضي الله عنه: أنا أعلم الناسِ بهذه الآية، لمَّا زُفَّت زينب إلى رسول الله ﷺ كانت مع رسول الله[1] في البيت، وصنع طعاماً فجاء القوم فكانوا في البيت، وجعل رسول الله ﷺ يخرج والقوم مكانهم، ثم يرجع وهم قعود، فأنزل الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ﴾[2]؛ أي: مَنازلَه التي فيها نساؤه ﴿إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ﴾؛ أي: إلا أن تُدْعَوا إلى طعام يريد أن يطعمَكُموه رسولُ الله ﷺ لوليمةٍ أو نحوها ﴿غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ﴾؛ أي: فتدخلونه غيرَ منتظِرين إدراكه؛ قال تعالى: ﴿ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾ [الحديد: ١٣]؛ أي: انتظرونا.

﴿وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُواْ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُواْ﴾: أي: تفرَّقوا.

﴿وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ﴾: عطف على قوله: ﴿نَٰظِرِينَ﴾؛ أي: غيرَ مشتغِلين بعد الفراغ من الطعام بالحديث تستأنسون به.

﴿إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِيَّ﴾: أي: يَشُقُّ عليه بتضييقكم المنزلَ عليه وعلى أهله، ومَنْعِكم إياه عن أهله ﴿فَيَسْتَحْيِۦ مِنكُمْ﴾؛ أي: يترك إعلامكم بذلك وأمرَكم بالانتشار.

﴿وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْيِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾: أي: لا يترك بيانَ الحق.

وقال الحسن رحمه الله: حسبك من الثقلاء أن الله لم يتجوَّز في أمرهم فقال: ﴿فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ﴾[3].

---

(١) في (ف): «كانت معه».

(٢) روى نحوه البخاري (٤٧٩٢)، ومسلم (١٤٢٨).

(٣) لم أجده عن الحسن، لكن رواه الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٥٩) عن ابن عائشة، وابن عائشة: هو =

﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ﴾: أي: سألتُم أزواج النبيِّ، ولم يسبق ذكرهنَّ صريحاً، لكنْ ثبت ذلك دلالةَ قوله تعالى: ﴿بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ﴾ لأن فيها نساءه.

﴿مَتَٰعًا﴾: أي: شيئاً من الأمتعة بالاستعارة ونحوها.

وقيل: أي: سألتم منهنَّ شيئاً تنتفعون به في الدِّين من رواية الحديث ونحوِه.

﴿فَسۡـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾: أي: بينكم وبينهن ستراً.

وقيل: هذا في حق[1] كل النساء.

﴿ذَٰلِكُمۡ أَطۡهَرُ لِقُلُوبِكُمۡ وَقُلُوبِهِنَّ﴾: أي: أبعد من خواطر الشيطان وعوارض الفتن التي تدعو إليها الطباع من ميل النساء إلى الرجال والرجال إلى النساء.

قال عمر رضي الله عنه: وافقني ربي في ثلاثٍ؛ قلت: يا رسول الله، لو اتَّخذتَ مِنْ مَقَامِ إبراهيم مُصلًّى، فأنزل الله آية المقام، وقلتُ: يا رسول الله، إنه ليَدخلُ عليك البرُّ والفاجر فلو أمرتَ أمهات المؤمنين أن يحتجِبْن، فأنزل الله آية الحجاب، وبلغني أن النبي ﷺ عاتب أزواجَه فأتيتُهنَّ فوعظتُهن حتى انتهيتُ إلى امرأة منهن، فقالت: يا عمر، أما في رسول الله ما يَعِظ أزواجه حتى تعظَهنَّ؟! فخرجتُ، فأنزل الله تعالى: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبۡدِلَهُۥٓ أَزۡوَٰجًا خَيۡرًا مِّنكُنَّ﴾ الآية[2].

= عبيد الله بن محمد بن حفص القرشي التيمي، أبو عبد الرحمن البصري، من ولد عائشة بنت طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه، توفي سنة (٢٢٨هـ). وقد وهم الزمخشري فجعله عن عائشة رضي الله عنها وتابعه النسفي أبو البركات وأبو حيان والآلوسي وغيرهم.

(١) «حق» ليس من (أ).

(٢) رواه البخاري (٤٤٨٣)، وفيه بدل «فأتيتهن فوعظتهن»: (فدخلْتُ عليهن، قلتُ: إن انْتَهَيْتُنَّ أو لَيُبْدِّلنَّ اللهُ رسولَه ﷺ خيرًا منكنَّ).

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ﴾: أي: بما مر، وقيل: بأيِّ أذًى كان.

﴿وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا﴾: أي: لا يجوز بعد وفاته، ولا يجوز بعد فراقه في حياته بطلاقٍ أو نحوه، كما قال: ﴿بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِن بَعْدِي﴾ [الأعراف: ١٥٠] وكان لا يجوز ذلك لأن نساءه أمهات المؤمنين.

و﴿كَانَ﴾ زائدة عند أبي عبيدة وجماعة(١).

وقيل: أي: كان ذلك في حكم الله الذي لا يتغيَّر ولا يتبدل.

﴿إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾: أي: عظيم الإثم، وقيل: أي: منكراً في العقل والشرع.

***

(٥٤ ـ ٥٥) ـ ﴿إِن تُبْدُوا شَيْئًا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٥٤﴾ لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءِ إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءِ أَخَوَاتِهِنَّ وَلَا نِسَائِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ ۗ وَاتَّقِينَ اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾.

﴿إِن تُبْدُوا شَيْئًا﴾: أي من أذى الرسول ﴿أَوْ تُخْفُوهُ﴾ في أنفسكم من ذلك ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: قال بعضهم: لئن مات رسول الله ﷺ لأتزوَّجنَّ بعائشة، فأنزل الله هذه الآية(٢).

---

(١) انظر: «مجاز القرآن» (٢/ ١٤٠).

(٢) رواه عن ابن عباس رضي الله عنهما ابن مردويه كما في «الدر المنثور» (٦/ ٦٤٣). ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٣٧٢) عن قتادة.

وقوله تعالى: ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِيٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ إِخْوَٰنِهِنَّ﴾: لمَّا أمرهن بالاحتجاب استثنى مَن يجوز لهن أن لا يحتجبن منهم من آبائهن وأبنائهن وإخوانهن وأبناء إخوانهن لأنهن محارم لهن.

﴿وَلَا نِسَآئِهِنَّ﴾: هن نساء المؤمنات.

﴿وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ﴾: هن إماؤهن، ولا يدخل في ذلك عبيدُهن عند عامة العلماء، وهم كالأجانب.

ودخل في هذا الاستثناء سائرُ المحارم[1] المذكورين في الآية في سورة النور.

﴿وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَ﴾: خطاب لنساء النبي ﷺ وأمرٌ لهن بالتقوى.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾: أي: شاهداً عليه عالماً به مُجازياً على وَفْقه.

* * *

(٥٦) ـ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ﴾: وهذا تعريف للمؤمنين منزلةَ النبي ﷺ، والصلاة من الله تعالى: الرحمة والمغفرة والرضوان، ومن الملائكة: الدعاء له.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ﴾: أي: قولوا: صلى الله على محمد، أو: اللهمَّ صلِّ على محمد ﴿وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾: أي: حيُّوه تحيةً؛ أي: قولوا اللهم سلِّم على محمد.

---

(١) في (ر) و(ف): «المحرمات».

وقيل: أي: انقادوا لأمره وحكمه انقياداً؛ كما قال: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ ﴾ إلى قوله: ﴿وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾.

وعن كعب بن عُجرةَ قال: لما نزلت هذه الآية قمنا إليه فقلنا: أما السلام عليك فقد عرفناه، فكيف الصلاة عليك يا رسول الله؟ قال: «قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد»(١).

وعن الحسن رحمه الله قال: لما نزلت هذه الآية قالت الصحابة: فما لَنا؟ فأنزل الله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ ﴾ [الأحزاب: ٤٣](٢).

ثم بيَّن تشريفَه من وجه آخر ـ وهو وعيد مَن آذاه ـ فقال:

***

(٥٧) ـ ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾: وذكرُ اللهِ للافتتاح به والتيمُّنِ كما في قوله: ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ﴾ [الأنفال: ٤١]، ولأن عصيان الرسول عصيانُ الله، فكان إيذاؤه كذلك إيذاءه.

﴿لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ﴾: أي: أبعدهم الله عن رحمته وطردهم في الدارين؛ لأن إيذاءه كفر ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾ في الآخرة مُذلًّا مخزياً.

***

(١) رواه البخاري (٣٣٧٠)، ومسلم (٤٠٦).

(٢) ذكره السمعاني في «تفسيره» (٤/ ٢٩٢) نقلًا عن بعض التفاسير.

(٥٨) ـ ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾.

﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾: وهم رجال أمته ونساؤهم ﴿بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ ﴾: فعلوا ما يستحقُّون به الإيذاء بالحد والتعزير والإسماع ﴿فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا ﴾؛ أي: كذباً مفترًى[١] وهذا في الإيذاء بالقول ﴿وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ ظاهراً مظهِراً من نفسه أنه إثم.

جعل إيذاء المؤمنين والمؤمنات معصيةً، وإيذاءَ الله والرسول كفراً.

وقيل: إيذاء الله هو تصوير التماثيل الحيوانية، فإنه مضاهاةُ الله في الخلق.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ ﴾؛ أي: اليهود والنصارى والمشركون ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ ﴾ [المائدة: ٦٤] وقال فنحاص بن عازورا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ ﴾ [آل عمران: ١٨١]، ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة: ٣٠] و: ﴿ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ﴾ [المائدة: ٧٣]، وقالت المشركون: الملائكة بنات الله، والأصنام شركاؤه[٢].

وقوله: ﴿وَرَسُولَهُۥ ﴾ يعني: حين شُجَّ في وجهه وكُسرت رَباعِيَتُه، وحين قيل: إنه ساحر، وكاهن، ومعلِّم، ومجنون.

وقيل: ﴿يُؤْذُونَ ٱللَّهَ ﴾: يُلحدون في أسمائه ﴿وَرَسُولَهُۥ ﴾: يبتدعون في شريعته.

وقال النبيُّ ﷺ: «يقول الله تعالى: شتَمني ابن آدم ولم يَنْبغِ له أن يَشتمني، وآذاني ولم يَنْبغِ له أن يؤذيَني، أمَّا شتمُه إيايَ فقولُه: إني اتخذتُ ولداً، وأنا الله

---

(١) في (أ): «كبيراً»، وفي (ف): «محيرا».

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٦٣)، والبغوي في «تفسيره» (٦/ ٣٧٥).

الأحـدُ الصمد، وأما إيـذاؤه فقولـه: إن الله لا يُعيدني بعـد أن أبداني[١]»[٢].

وقال مقاتل: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾ الآية نزلت في علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وذلك أن ناساً من المنافقين كانوا يؤذونه ويُسمعونه[٣].

وقال الضحاك والسدِّي: نزلت في الزناة الذين كانوا يَتْبعون النساء للزنية[٤] وهن كارهاتٌ فيتأذَّين منهم[٥].

ويدل على هذا ما بعده وهو قوله:

***

(٥٩) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾.

---

(١) في (ف) و(أ): «براني».

(٢) رواه بنحوه البخاري (٣١٩٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، و(٤٤٨٢) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٥٠٦).

(٤) في (ر) و(ف): «لريبة».

(٥) ذكره عنهما الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٦٣)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٦٢)، والبغوي في «تفسيره» (٦/ ٣٧٦). ولفظه عندهم: (... يتبعون النساء إذا تبرّزن بالليل لقضاء حوائجهنّ، فيرون المرأة فيدنون منها فيغمزونها، فإن سكتت اتّبعوها، وإن زجرتهم انتهوا عنها، ولم يكونوا يطلبون إلّا الإماء، ولم يكن يومئذ تعرف الحرّة من الأمة لأنّ زيّهن كان واحداً، إنّما يخرجن في درع واحد وخمار الحرّة والأمة، فشكون ذلك إلى أزواجهنّ فذكروا ذلك لرسول الله صلّى الله عليه. فأنزل الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾ الآية، ثمّ نهى الحرائر أن يتشبهنّ بالإماء، فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ ﴾ الآية). وبهذا اللفظ يظهر ارتباط الآية مع ما بعدها، وهو ما سيشير إليه المؤلف بقوله: «ويدل على هذا...».

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: قيل: أي: زوجات المؤمنين، وقيل: أي: الحرائر.

﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ﴾: أي: يغطِّين رؤوسَهن ووجوهَهن[1] في بروزهن من البيوت في حوائجهن وإلى متبرَّزاتهن قبل اتخاذ الكُنُف في البيوت ليلاً ونهاراً بملاحفهنَّ وأردِيَتهنَّ، بخلاف الأمة التي تخرج مكشوفة الرأس.

وقال الخليل: الجلبابُ ثوب أوسعُ من الخمار دون الرداء تغطي به المرأة رأسها وصدرها[2].

وقال قطرب: الجلباب: الملحفة.

وقال ابن سيرين عن أبي عبيدة: إدناء الجلباب: أن تَردَّ المرأة رداءها على رأسها، ثم تضعَه على حاجبها، ثم تُديرَه فتضعَه على طرفِ أذنها، ثم تديرَه من الجانب الآخر على خدِّها حتى تضعَه على طرف أنفها، وتكشف إحدى عينيها وتغطي الأخرى[3].

قال ابن سيرين: حدثتني أختي أنها رأت امرأة من المهاجرات أو الأنصاريات قد تنقَّبت هكذا.

وقالت صفيةُ بنتُ شيبةَ: قالت أمُّ سلمة: لمَّا نزلت ﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ﴾ خرج نساء الأنصار كأن على رؤوسهن الغربان من أكسيةٍ سودٍ كنَّ يلبسنَ بها[4].

---

(١) «ووجوههن» ليست في (أ).

(٢) انظر: «العين» (٦/ ١٣٢).

(٣) رواه بنحوه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ١٨١).

(٤) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٣٧٧)، وأبو داود (٤١٠١).

﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ﴾: أي: يريهنَّ أنهنَّ حرائر ﴿فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾؛ أي: لا يؤذيهنَّ أهل الريبة توهُّماً منهم أنهن إماءٌ، فإنهم كانوا يَتْبعون الإماءَ وكان زيُّ الأمة والحرة في الأصل واحداً وهو قميص وخمار، وربما آذى الرجل منهم الحرة بالرفث من الكلام، فأمر الله بهذا ليزول ذلك عنهنَّ، وكنَّ عاجزاتٍ عن الزَّجر والإماءُ كنَّ يزجرن بالكلام.

وقيل: ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ﴾ بالعفاف فإنه غايةُ التستُّر[1] ﴿فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾: فلا يُتعرَّضَ لهن حين علم أنهن عفائف.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾: ﴿غَفُورًا﴾ لِمَا سلف قبل هذا من تركِ إدناءِ الجلابيب ﴿رَّحِيمًا﴾ لا يؤاخذُهم بما ارتكبوه على جهلٍ، و﴿رَّحِيمًا﴾ بدلالتهم على ما يزول به الأذى عنهم.

***

(٦٠) ـ ﴿۞ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ﴾: أي: لئن لم يكفَّ عن إيذاء المؤمنين والمؤمنات هؤلاء ثلاثةُ الأصناف:

﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾ وهم الذين يُضمرون الكفر اعتقاداً ويظهرون الإيمان قولاً.

﴿وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾؛ أي: شكٌّ فلا يعتقدون أحد الدِّينين.

﴿وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ﴾ المسلمون الذين يحرِّكون القلوب بإيقاع الأخبار الكاذبة.

---

(١) في (ر): «الستر».

وقيل: كان من المنافقين التضريب[1]، ومن ﴿وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ الميلُ إلى الزنا، واتِّباعُ النساء والإماء بالليل، والتعرُّضُ لهن بكلام الرَّفث ﴿وَٱلْمُرْجِفُونَ﴾: المخبرون بأن فلاناً يتبع فلانةَ وفلانة تطاوع فلاناً، وهو إذاعة الفاحشة.

وقيل: كان من الطبقة الثالثة الإخبارُ بأحوال المشركين؛ أنهم اجتمعوا ولهم[2] عَددٌ وعُدَّة ليَحْزُنوا بذلك المسلمين.

وقيل كان من المنافقين إيقاع الشكوك والشبه في قلوب الضَّعَفة من[3] المسلمين.

وقيل: الثلاثة صنفٌ واحد وهم المنافقون، وهذه صفاتهم، والواو لتغايُرِ الصفات لا لتغايُر الذوات؛ كما مر في قوله: ﴿أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [النور: ٢٢][4]، وأنشد الفراء:

فإن رُشيداً وابنَ مروان لم يكنْ ليَفعلَ حتى يُصْدِرَ الأمرَ مَصْدَرا[5]

وقوله تعالى: ﴿لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ﴾: أي: لنسلِّطنَّك عليهم ولنأمرنَّك بقتالهم، يعني: إن لم يكفُّوا عن إيذاء المؤمنين، وخرجوا إلى المكاشفة والتصريح بما هم عليه في معاملة المؤمنين من التضريب وإيقاع الشُّبه والسعي في إشاعة الفاحشة فيهم وإيهان[6] أمورهم.

---

(١) التضريب: الإغراء، والمراد هنا: إيقاع الفتن والسعي بين الناس بالنميمة.

(٢) في (ر) و(ف): «وبهم».

(٣) «من» ليس من (ف).

(٤) روى هذا القول ابن سعد في «الطبقات» (٨/ ١٧٧) عن عبيد بن حنين.

(٥) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ١٣٢)، و«الأضداد» لابن الأنباري (ص: ١١٠)، وفيه: فرُشيد هو ابن مروان، نُسقَ عليه لما فيه من زيادة المدح.

(٦) في (ر): «وتشتيت».

﴿ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا﴾: أي: في المدينة إلا زماناً قليلاً، بل يُضطرُّون إلى الجلاء عنها إلى أرض أخرى.

وقيل: ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾؛ أي: أذلَّاء مقهورين مقموعين، فإن القِلة توضعُ مكان الذِّلة، ويكون نعتاً لهم على هذا القول[1].

* * *

(٦١) ـ ﴿مَّلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓاْ أُخِذُواْ وَقُتِّلُواْ تَقْتِيلًا﴾.

وعلى هذا قوله: ﴿مَّلْعُونِينَ﴾ يكون نعتاً لهم أيضاً على الحال كالأول؛ أي: مشتومين مُبْعدين عنكم وعن مجالسكم ومساجدكم.

وإذا حُمل الأول على قلة الزمان فقوله: ﴿مَّلْعُونِينَ﴾ يكون نصباً[2] على الذم؛ كما في قوله ﴿حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ﴾.

﴿أَيْنَمَا ثُقِفُوٓاْ﴾: أي: وُجدوا ﴿أُخِذُواْ وَقُتِّلُواْ تَقْتِيلًا﴾: هذا حكمُهم إذا ظهر[3] حالهم.

وقد حقَّق معنى قوله: ﴿مَّلْعُونِينَ﴾ ـ أي: مشتومين مطرودين ـ لمَّا نزلت سورة براءة، حتى قال النبي ﷺ: «قم يا فلان فاخرج من المسجد فإنك منافق، وقم يا فلان..»[4]، على ما ذكرنا في تلك السورة[5].

---

(١) أي: حالًا لهم، والمؤلف قد يعبر عن الحال بالنعت.

(٢) في (ر): «نعتاً».

(٣) في (أ): «أظهروا».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٦٤٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٨٧٠)، والطبراني في «الأوسط» (٧٩٢)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وفيه: قام رسول الله ﷺ يوم جمعة خطيباً فقال: «قم يا فلان فاخرج فإنك منافق، اخرج يا فلان فإنك منافق» فأخرجهم بأسمائهم ففضحهم.. الحديث. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٣٤): فيه الحسين بن عمرو بن محمد العنقزي، وهو ضعيف.

(٥) عند تفسير قوله تعالى: ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ﴾.

(٦٢) ـ ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾.

قوله تعالى: ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ﴾: أي: سنَّ الله هذا سنةً في المنافقين الذين كانوا في سائر الأمم؛ أنهم كانوا إذا كاشفوا[1] سلَّطتُ عليهم أنبيائي فأَجْلَوهم وأَسَروهم وقتلوهم.

﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾: أي: لطريقة الله التي أجراها لهم تغييراً، بل هي تجري مجرًى واحداً في الأمم كلها.

* * *

(٦٣) ـ ﴿يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ﴾: لما قال في وعيد المؤذين: ﴿لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ﴾ قالوا: متى الآخرة؟ وكان ذلك كالإنكار منهم كما قال: ﴿فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ﴾ [الإسراء: ٥١]، فأجاب الكفارَ عن هذا السؤال بقوله:

﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ﴾: هو الذي يعلمُها لا أنا.

قوله تعالى: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴾: أي: وما يُعْلِمُك لعل ما يُنتظر منها قريبٌ، وليس قوله: ﴿قَرِيبًا ﴾ صفةً للساعة فلم يؤنِّثها، لكنه صفةٌ للزمان؛ أي: زماناً قريباً؛ أي[2]: في زمان قريب.

* * *

---

(١) في هامش (ف): «أي: أظهروا النفاق».

(٢) «زماناً قريباً أي» من (أ).

(٦٤ ـ ٦٦) ـ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴾.

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾: أي: أبعدهم عن رحمته في هذا اليوم ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴾؛ أي: هيأ لهم ناراً موقودةً ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴾؛ أي: في هذه النار ﴿لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾: مَن يلي دفعَها عنهم ويمنعُهم من العذاب بها.

وقوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ ﴾: أي: تُصرَّف حالاً بعد حال، ولوناً بعد لون، بما يمسُّهم من لفحها واشتعالها فيها، فتسودُّ تارةً[1] وتخضرُّ أخرى.

ويجوز أن يكون في معنى قوله: ﴿ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ﴾ [القمر: ٤٨].

ويجوز أن يكون هذا في معنى ما قال النبيُّ ﷺ: «فينظر عن يمينه[2] فلا يرى إلا النار، وينظر إلى يساره فلا يرى إلا النار، وينظر فوقه فلا يرى إلا النار، وينظر تحته فلا يرى إلا النار»[3].

﴿ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴾: الألف في آخره إشباعُ الفتحة لتتساوى الفواصل، وهذا إخبارٌ أنهم إنما وقعوا في ذلك لكفرهم بالله ورسوله.

* * *

(٦٧ ـ ٦٨) ـ ﴿ وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴾.

---

(١) في (ر) و(ف): «مرة».

(٢) في (أ): «أيمن منه» بدل: «عن يمينه».

(٣) رواه بنحوه البخاري (١٤١٣) و(٧٥١٢)، ومسلم (١٠١٦)، من حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه.

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا﴾: وهذا إشباعٌ أيضاً للفتحة بالألف.

والسادة: جمع السيد، وهو الذي يملك تدبير السواد الأعظم، والكبراء: الرؤساء العظماء، ويجوز أن يكون الكبراء علماءَهم كما قال: ﴿إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ﴾ [طه: ٧١]، ويكون في معنى قوله: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١].

وقوله تعالى: ﴿آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ﴾: أي: عذابَ الضلال والإضلال.

﴿وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾: قرأ عاصم وابن مجاهد والنقاش عن ابن ذكوان[1]: ﴿كَبِيرًا﴾ بالباء من الكِبَر وهو العِظَم، وقرأ الباقون بالثاء من الكثرة[2]، وهما قريبان لأن ما كثُر عظم.

واختار أبو حاتم الكثير لأنهم يُلعنون مرةً بعد مرةٍ، وتلعنُهم الملائكة فيَشْتمونهم على ضلالتهم وإضلالهم ﴿لعناً كثيراً﴾؛ أي: متتابعاً متصلاً.

* * *

(٦٩) ـ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِندَ اللَّهِ وَجِيهًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى﴾: أي: لا تؤذوا النبيَّ

(١) «وابن مجاهد والنقاش عن ابن ذكوان» ليس في (أ). وانظر التعليق الآتي.

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٥٢٣)، و«التيسير» (ص: ١٧٩). والداني نسب الباء لعاصم وحده والثاء لباقي السبعة، وهذا هو المشهور في القراءة، وقال ابن مجاهد: قرأ عاصم وابن عامر: ﴿لَعْنًا كَبِيرًا﴾ بالباء، كذلك في كتابي عن أحمد بن يوسف التغلبي عن ابن ذكوان، ورأيت في كتاب موسى بن موسى عن ابن ذكوان عن ابن عامر بالثاء، وقال هشام بن عمار عن ابن عامر: ﴿كثيرا﴾ بالثاء.

ﷺ ولا المؤمنين، ولا تكونوا في ذلك كالذين آذوا موسى فقالوا فيه ما لم يكن فيه.

﴿فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا﴾: أي: أظهر براءته.

معناه ـ والله أعلم ـ: أيها المؤمنون لا تؤذوا نبيّكم محمداً ﷺ كما آذى بنو إسرائيل موسى فقالوا فيه ما ليس فيه.

﴿وَكَانَ عِندَ اللَّهِ وَجِيهًا﴾: أي: ذا جاهٍ ومنزلة.

قيل: كان رُمي بقتلِ هارون، فأحيى الله هارون فأخبرهم أنه لم يقتله ثم مات.

وقيل: لا تكونوا في أذى محمدٍ واتهامكم إياه بالغدر بكعب بن الأشرف كالذين أذوا موسى باتهامهم إياه في قتل أخيه هارون، فإن الله يبرئه بإظهار ما أحدث كما برأ موسى بإراءته إياهم هارون صحيحاً.

وقيل: (بَرَّأَهُ اللهُ) معناه: أن موسى عليه السلام كان لا يدخل عيون بني إسرائيل معهم، فقالوا: لا يمنع نبيَّنا موسى ـ عليه السلام ـ أن يدخل معنا في هذه العيون إلا أنه آدَرُ أو بَرِصٌ، فأراد الله تعالى أن يبرِّئ نبيَّه عن مقالتهم، فوضع موسى ثيابه على صخرة يوماً ودخل العين، فأوحى الله تعالى إلى الصخرة: أن امضي بثيابه حتى توسَّطي بها محلةَ بني إسرائيل، فمضت واتَّبعها موسى عليه السلام حيث مشت، قال لها: ردِّي عليَّ ثيابي، قالت: أنا مأمورة يا رسول الله، حتى توسَّطت بثيابه محلَّتهم، فرأوا أحسن الناس خلقاً وطولاً ﴿فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا﴾ ورجعوا عن مقالتهم[(١)].

وقيل: رموه بالبَرَص، وقيل: بالأُدْرةِ، وكان البرص عندهم فظيعاً.

روي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «كان موسى رجلاً حَييًّا ستِّيراً لا يكاد يرى من جلده شيء استحياءً منه، فآذاه مَن آذاه من بني إسرائيل،

---

(١) لم أجدها بهذا السياق، وستأتي الرواية من الصحيح بهذه القصة.

فقالوا: ما يتستَّر هذا التسترُّ إلا من عيبٍ بجلده؛ إما برصٌ وإما أدرةٌ وإما آفةٌ، وإن الله عز وجل أراد أن يبرِّئه مما قالوا، وإن موسى عليه السلام خلا يوماً وحده، فوضع ثيابه على حجر ثم اغتسل، فلما فرغ أقبل إلى ثيابه ليأخذها، وإن الحجر عدا بثوبه، فأخذ موسى عصاه وطلب الحجر، فجعل يقول: ثوبي حجرُ ثوبي حجرُ، حتى انتهى إلى ملأ من بني إسرائيل، فرأوه عُرياناً أحسن الرجال خلقاً، وبرَّأه[1] الله مما كانوا يقولون، وقام الحجر، فأخذ ثوبه ولبسه وطفق بالحجر ضرباً بعصاه، فوالله إن بالحجر لنُدَباً من أثرِ ضربه ثلاثاً أو أربعاً أو خمساً، فذلك قوله: ﴿لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَاذَوْا مُوسَىٰ﴾ الآية»[2].

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: هذا وَحشٌ من القول وتأويلٌ بعيد[3]، والأشبهُ أن يقال: إن كلَّ قوم نسبوا رسولهم إلى الجنون مرةً وإلى السحر مرةً والكذبِ أخرى ونحوِ ذلك، على علم منهم أنه رسول الله، وكانوا يتأذَّون به جدًّا، ولذلك قال: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾ [الصف: ٥] فكذا في حق رسولنا ﷺ[4].

وقيل: كان موسى إذا تقدَّم القومَ في المسير قالوا: يتكبَّر علينا، فإذا توسَّطهم قالوا: يخاف على نفسه فيتحصَّن بنا، وإذا تأخر عنهم قالوا: يسوقنا كما يسوق الراعي الغنم، وإذا مشى على جانب منهم قالوا: يأنف من صحبتنا، فكانوا يؤذونه بكل حال.

---

(١) في (ف): «وأبرأه».

(٢) رواه البخاري (٣٤٠٤)، ومسلم (٣٣٩).

(٣) حاشا أن يكون هذا وحشاً من القول، فإن هذا تفسير من لا ينطق عن الهوى بالأسانيد المتفق عليها! وقد أبعد الإمام أبو منصور وأوحش في هذا القول.

(٤) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٨/ ٤١٨ ـ ٤١٩).

(٧٠) ـ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾: أمر رسوله بتقواه في أول السورة وأمر أمته بها في آخرها.

وقيل: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ﴾ في إيذاء الله ورسوله والمؤمنين.

﴿وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾: صواباً، فاذكروا المؤمنين والمؤمنات بالجميل.

وقيل: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ﴾ في الشرك، وقيل: في المعاصي.

﴿وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما قولوا: لا إله إلا الله(١).

وقال ابن حبيب: ﴿وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ يسدُّ عنكم باب النيران، ويفتح لكم أبواب الجنان.

وقال مقاتل بن حيان: ﴿وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ يعني: في شأن زيد وزينب، قولوا في رسول الله ﷺ ﴿قَوْلًا سَدِيدًا﴾ أي: جميلاً، ولا تنسبوه إلى ما لا يحمل(٢).

وقيل: ﴿وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾: هو الصلاة على النبي ﷺ.

وقيل: القول السديد: البريء من الكذب والتمويه واللغو.

* * *

(٧١) ـ ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾.

---

(١) رواه البيهقي في «الأسماء والصفات» (٢٠٥) من طريق عكرمة عن ابن عباس. ورواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ١٩٦) عن عكرمة قوله.

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٦٧).

﴿ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴾: قيل[١]: أي: يوفِّقْكم لصالح الأعمال.

وقيل: أي: يثيبكم[٢] عليها ثواباً جزيلاً لا فساد فيه ولا ضرر ولا أذى.

وقيل: أي: يرفع التقصير والزلل والخطأ عن طاعتكم.

﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾: أي: يمحُها ويكفِّرْها.

﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾: أي: نجا من كلِّ ما يخاف، ووصل إلى كلِّ ما يرجو.

* * *

(٧٢) - ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا﴾: ضمَّن هذه السورة ما ضمَّنها من الأمر والنهي، ثم ختم السورة بتعريفِ أمر الفرائض والأمانات ليكونوا على علم فيَستفرِغوا مجهودهم في القيام بها ويخافوا تضييعها.

واختلف في تأويل الأمانة:

قال ابن عباس رضي الله عنهما: الأمانة: الطاعة لله[٣].

وقال سعيد بن المسيب: الأمانة: الفرائض[٤].

---

(١) «قيل» من (أ).

(٢) كذا في النسخ، والجادة: (يثبكم) بالجزم.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ١٩٨).

(٤) لم أجده عن سعيد بن المسيب، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ١٩٧) عن سعيد بن جبير وابن عباس رضي الله عنهما.

وقال مجاهد: الأمانة: الدِّين والفرائض والحدود(١).

وقال عبد الله بن عمرو بن العاص: أولُ ما خلق الله تعالى من الإنسان فرجُه وقال: هذه أمانة استودعتُكَها، فالفرج أمانةٌ، والأذن أمانةٌ، والعين أمانةٌ، واليد أمانةٌ، والرِّجل أمانةٌ، ولا إيمان لمن لا أمانةَ له(٢).

وقال زيد بن أسلم: الأمانة ثلاثة أشياء: الصلاة، والصوم، والاغتسال من الجنابة(٣).

وقيل: هي العقد الذي يجب الوفاء به، قال تعالى: ﴿أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ﴾ [المائدة: ١].

والروايات الظاهرات فيه منها ما روى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهم أنه قال: قال الله تعالى للسماوات والأرض(٤) والجبال: إن أحسنتُنَّ جُوزِيتُنَّ وإن أسأتُنَّ عوقِبْتُنَّ(٥).

والأمانة: هي الأعمال التي أُمر بها المسلمون أن يعملوها ولا يتركوها، وعلى كلِّ مسلم أن لا يغشَّ مسلماً ولا معاهداً.

وقال الضحاك: قال الله تعالى لآدم: يا آدم(٦) عَرَضْتُ الأمانةَ على السَّماواتِ

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٦٨).

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في «مكارم الأخلاق» (٢٧٥)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٦٨).

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٣٨٦) عن زيد بن أسلم مرفوعا مرسلًا. ورواه يحيى بن سلام في «تفسيره» (٢/ ٧٤٢) من قول ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) في (أ): «والأراضين».

(٥) ذكره يحيى بن سلام في «تفسيره» (٢/ ٧٤٢) عن الكلبي، وأبو الليث السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٧٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٦) «يا آدم» زيادة من (أ).

والأرضِ والجبالِ فلم تُطِقْها، فهل أنت قابلُها بما فيها؟ قال: يا رب! وما فيها؟ قال: إن أحسنتَ جُوزيتَ وإن أسأتَ عذِّبتَ، قال: قد حملتُها بما فيها، فلم يلبث في الجنة بعد ما حملها إلا قَدْرَ ما بين الصلاة الأولى والعصر حتى خرج منها(١).

وقال الحسن ومقاتل بن حيان رحمهما الله: إن الله تعالى حين خلق خلقه جمع الإنس والجن والسماوات والأرض، فعرض عليهن الأمانة وهي الطاعة وقال لهن: تحمَّلن هذه الأمانةَ ولكنَّ عليَّ الفضلُ والكرامة والثواب في الجنة، قلن: لا نستطيع ذلك، فعرض على الأرضين فقلن كذلك، ثم عرض على الجبال فقلن كذلك، ثم عرض على آدم وقال: ولك عندي الكرامة والفضل إن أحسنتَ وأطعتَ ورعيتَ الأمانة، وإن عصيتَ ولم تَرْعَ الأمانة فإني أعذِّبك، قال: رضيتُ، فحملها، فذلك قوله تعالى: ﴿وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾(٢).

قال ابن عباس رضي الله عنهما: ظلوماً بحقِّها جهولاً بأخذها(٣).

وقال الضحاك ﴿جَهُولًا﴾ غرًّا بأمر الله تعالى(٤).

وقال الكلبي: ﴿ظَلُومًا﴾ حين خالف أمر ربه ﴿جَهُولًا﴾ لا يدري ما العقابُ في تركها.

وقال الحسين بن الفضل: ﴿كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ عند الملائكة لا عند الله.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ١٩٩).

(٢) رواه محمد بن نصر المروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (٥١٨)، وذكر نحوه الواحدي في «البسيط» (١٨/ ٣٠٣).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ١٩٨ و٢٠٥) بلفظ: غرًّا بأمر الله.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٢٠٥) بلفظ: ظلومًا لنفسه جهولًا فيما احتمل فيما بينه وبين ربه. وانظر التعليق السابق.

وقيل: ﴿ظَلُومًا﴾ نفسَه بمطاوعته حواءَ ﴿جَهُولًا﴾ بتفريق الله بينه وبينها.

وقال الحسين بن الفضل: كانت الأمانة على السماوات والأرض والجبال عَرْضاً، وكانت على آدم فرضاً.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: قال بعضهم: أي: خلقنا السماوات والأرض والجبال خلقةً لا تحتمِل حملَ ما ذكر من الأمانة ﴿فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا﴾ إباءَ خِلْقةٍ ﴿وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ﴾؛ أي: خلقناه خِلقةً تحتمِل ذلك.

وقال بعضهم: هو على حقيقة العرض، إلا أنه على التخيير بين أن تَقبل وتفيَ بذلك فيكونَ لها الثواب، ولا تفيَ فيكونَ لها العقاب في الآخرة، وبين ألا تقبل فتكون كسائر الموات تَفْنَى بفناء الدنيا لا ثواب لها في الآخرة ولا عقاب، ولا يجوز أن يعرضَ عليهن ما ذُكر عرضَ لزوم وهن يأبَيْنَ ذلك، وقد وصفهن الله بالطاعة له والخضوع في آيات؛ منها قوله: ﴿قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ [فصلت: ١١]، ﴿وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ﴾ فكان له الثواب إن قام بها وعليه العقاب إن لم يقم بها.

قال[١]: وقال بعضهم: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى﴾ أهل السماوات وأهل الأرض وأهل الجبال فلم يحملوها، إلا الإنسان منهم فإنه حملها، وكان عرضُ الأمانة على هذه الأماكن وفيها الملائكة يعبدون الله تعالى.

ومعنى عرضها عليهم: تعريفه إياهم أن في أداء الأمانة ثواباً وفي تضييعها عقاباً، فقالوا: إن كان هذا عرض تخيير فقد تركنا الثواب مخافة العقاب نطيعك ولا نعصيك طرفة عين وكان هذا إباء امتناع للخوف لا إباء رد ولذلك قرنه بالإشفاق وهو الخوف.

---

(١) «قال» ليست في (أ).

قال: وقال بعضهم: ﴿عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا﴾؛ أي: يحتملنَ وزرها بالخيانة فيها، يعني: أطعنا الله وحفظنا الأمانة وما خانوها، وهو كقوله: ﴿لِيَحۡمِلُوٓاْ أَوۡزَارَهُمۡ﴾ [النحل: ٢٥]، وقوله: ﴿وَلَيَحۡمِلُنَّ أَثۡقَالَهُمۡ﴾ [العنكبوت: ١٣]، وقوله: ﴿وَوَضَعۡنَا عَنكَ وِزۡرَكَ ۝٢ ٱلَّذِيٓ أَنقَضَ ظَهۡرَكَ﴾ [الشرح: ٢][1]، ﴿وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُ﴾؛ أي: خانها ولم يحفظها الإنسان وهو الكافر على هذا القول ﴿إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا جَهُولٗا﴾ هو صفة الكافر أيضاً.

وأما مَن حمل الأولَ على أنهن لم يقبلنها وقبلها الإنسان فالإنسانُ اسم جنس لآدم وأولاده[2] هم قبلوا، وقوله بعد ذلك: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا جَهُولٗا﴾ هو صفة بعضهم وهو الكافر، فإن الإنسان اسم جنس فيقع على الجميع؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ﴾ وهذا للجمع، حتى صح الاستثناء منه بقوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ فكذلك هاهنا يرجع قوله: ﴿ظَلُومٗا جَهُولٗا﴾ إلى الكافر، ولا يجوز أن يُجعل هذا صفةً لآدم عليه السلام فإنه لا يجوز أن يسمَّى ظالماً جاهلاً فكيف يسمى ﴿ظَلُومٗا جَهُولٗا﴾ وهو أبلغ، فأما في حق الكافر فيصح هذا لأن الله تعالى سماهم ظالمين بقوله: ﴿وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٤] وجاهلين بقوله: ﴿قُلۡ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَأۡمُرُوٓنِّيٓ أَعۡبُدُ أَيُّهَا ٱلۡجَٰهِلُونَ﴾ [الزمر: ٦٤]، فيجوز وصفهم بالظلوم والجهول لأنهم ثابتون على الظلم والجهل دائمون عليهما.

* * *

(٧٣) ـ ﴿لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ وَٱلۡمُشۡرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمَۢا﴾.

---

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٨/ ٤٢٠ ـ ٤٢١).

(٢) في (ف): «لآدم وحواء ولأولادهما»، وفي (ر): «لآدم ولأولادهم».

وقوله تعالى: ﴿لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ﴾ وهذا دليل على[1] هذا القول؛ لأنه ذكر الصنفين جميعاً فدل أن الاسم كان لهما[2].

ومعنى هذه الآية: أن الله ألزم الأمانةَ الإنسَ فلم[3] يقبلها المنافقون والمنافقات والكفار فيعذبهم الله، وقبلها المؤمنون ﴿وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾[4] ويغفر لهم ما سلف منهم.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾: يغفر ذنوب التائبين، ويرحم عباده المؤمنين.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

* * *

---

(١) «على» ليست في (أ).

(٢) في (أ): «لهم جميعاً».

(٣) في (أ): «فما».

(٤) قوله: «﴿وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾» وقع بدلًا منه في (أ): «فيتوب الله عليهم».

سُورَةُ سَبَإٍ

سُورَةُ سَبَإٍ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

بسم الله الذي جعَل خَلْقَ السماوات والأرض آيةً لكلِّ عبد منيب، الرحمنِ الذي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر من عدوٍّ أو حبيب، الرحيم الذي هو السميع القريب.

وروى أبي بن كعب عن النبي ﷺ أنه قال: «مَن قرأ سورة سبأ لم يبق نبي مرسل إلا كان له رفيقاً مصافحاً»(١).

وسورة سبأ مكيةٌ، وهي خمسون آيةً وخمس آيات، وقيل: وأربع آيات.

وكلماتُها ثماني مئة وثلاثٌ وثمانون، وحروفُها ثلاثةُ آلاف وخمسُ مئة وخمسةَ عشر.

وانتظام أول هذه السورة بآخر تلك السورة: أن تلك السورة في مدح الله وهذه في حمد الله.

وانتظام السورتين: أن تلك مدنية في بيان المعاملة، وهذه مكية في بيان العقيدة، وبهما تعبَّد الله عباده، واشتملت السورتان على مدح الموافقين وثوابهم وذمِّ المخالفين وعقابهم.

---

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٦٩)، وهو قطعة من الحديث الموضوع في فضائل السور. وانظر: «الفتح السماوي» للمناوي (٣/ ٩٤٣)، و«الفوائد المجموعة» للشوكاني (ص: ٢٩٦).

(١) ـ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾: يجوز فيه ثلاثة أوجه:

الأمر بالحمد على إضمار قل أو قولوا.

وحمد الله في نفسه تعليماً لعباده.

والإخبار أن استحقاق الحمد لله.

وقوله تعالى: ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ﴾: أي: هو المحمود في الآخرة، وهو المستحِقُّ للحمد فيها كما هو مستحِقُّه في الدنيا؛ إذ هو المالك في الآخرة قال تعالى: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ لا ملك إلا له ولا مالك إلا هو، وهو المنعِم على المطيعين بالجنة وما فيها من النعيم المقيم والأجر العظيم، وهم يحمدونه فيها، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ﴾ [فاطر: ٣٤]، ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا﴾ [الأعراف: ٤٣]، ﴿وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [يونس: ١٠].

وقيل: ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ﴾؛ أي: في إنشاء الآخرة؛ لأن خلق الدنيا صار حكمةً لخلق الآخرة، ولولاها لكان خلق الدنيا للفناء وهو عبث.

﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ﴾: المحكِم لأفعاله، المصيبُ في أفعاله وأقواله ﴿الْخَبِيرُ﴾: العالم بالأشياء على حقائقها.

* * *

(٢) ـ ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ﴾.

﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ﴾: ما يدخل فيها في جوفها من جمادٍ ونامٍ وحيوان.

﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾: ما يكون على ظهرها من هذا، فيعلم أعيانها ومقاديرها وأحوالها ومدةَ بقائها ووقت فنائها.

﴿وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾: من مطر وملَكٍ وغيرِ ذلك.

﴿وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾: أي: يصعد إليها من الملائكة الحفظة وما يكتبون.

﴿وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ﴾: لا يعاجل مَن عصاه بالعقوبة، ويغفر لهم بالتوبة، وهو المستحِقُّ للحمد بذلك.

* * *

(٣) - ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾: أي: وقال المنكِرون للبعث، الواصفون اللهَ تعالى بضدِّ ما مر ذكرُه من القدرة والحكمة والعلم: ﴿لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ﴾ وإنكارهم لذلك: إما أن يكون لأنه ليس في قدرة الله تعالى عندهم وقد بيَّن قدرته بخلق السماوات والأرض، أو لأنه ليس بحكمةٍ، وإقامةُ القيامة لمجازاةِ المطيع والعاصي حكمةٌ، أو لأنه لا يعلم بأعمال العباد ليجازيَهم على وَفق عملهم، وقد بيَّن أنه حكيمٌ عليمٌ، فبطل قولهم بما تقدم من عدم إتيانِ الساعة[1].

ثم زاد في البيان فقال: ﴿قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾ نفى قولهم وأقسم على كونها، وأكد باللام والنون.

---

(١) «من عدم إتيان الساعة» ليس في (أ) و(ف).

وقوله تعالى: ﴿عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ﴾: قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم بكسر الميم نعتاً لـ﴿ربي﴾ والباقون بالرفع على معنى: هو عَالِمُ الغَيْبِ[١].

﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ﴾: أي: لا يَبعد ولا يغيب، وقرأ الكسائي: ﴿لَا يَعْزِبُ﴾ بكسر الزاي والباقون بضمها[٢]، وهما لغتان.

﴿مِثْقَالُ ذَرَّةٍ﴾: أي: علمُ مقدارِ نملةٍ صغيرة.

وقيل: ما يتراءى من شعاع الشمس إذا وقعت في كوَّة.

﴿فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ﴾: أي: من مِثْقَالِ ذَرَّةٍ ﴿وَلَآ أَكْبَرُ﴾ من ذلك ﴿إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ﴾ قيل: هو اللوح المحفوظ وما يرجع منه إلى أعمال العباد، فهو في كتاب الحفظة[٣].

* * *

(٤ ـ ٥) ـ ﴿لِّيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا مُعَـٰجِزِينَ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ﴾.

﴿لِّيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ﴾: يتصل بقوله: ﴿لَتَأْتِيَنَّكُمْ... لِّيَجْزِىَ﴾[٤].

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٥٢٦)، و«التيسير» (ص: ١٧٩). وفي قوله: «والباقون بالرفع» نظر، فالذي قرأ بالرفع كما ذكر ابن مجاهد والداني هما نافع وابن عامر، وقرأ حمزة والكسائي: ﴿علَّامِ الغيب﴾ بالكسر ووزن فعَّال، ففي السبعة ثلاث قراءات: ﴿عالمِ﴾ بالكسر، و﴿عالمُ﴾ بالرفع، و﴿علَّامِ﴾ بالكسر.

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٥٢٦)، و«التيسير» (ص: ١٢٢).

(٣) في (ف): «الحفظ».

(٤) «﴿لِّيَجْزِىَ﴾» ليس في (أ) و(ف).

﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ﴾: أي: حسن خطير في الجنة.

﴿وَٱلَّذِينَ سَعَوۡ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ﴾[1]: أي: في إبطال آياتنا بالافتراء عليها مسابقينَ مقدِّرين أنهم يفوتوننا ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مِّن رِّجۡزٍ أَلِيمٞ﴾ بخلافِ جزاء الأوَّلينَ.

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو: ﴿معجِّزين﴾ بالتشديد[2]؛ أي: مثبِّطين الناسَ عن تأمُّلها.

والرجز: العذاب المؤذي المؤلم.

وقرأ ابن كثير وحفص عن عاصم ويعقوبُ: ﴿أَلِيمٞ﴾ رفعاً نعتاً لقوله: ﴿عَذَابٞ﴾ والباقون بالخفض بهما لقوله: ﴿مِّن رِّجۡزٍ﴾[3].

قال مقاتل: قال أبو سفيان بن حرب وحلَف باللات والعزَّى: إن البعث غير كائن، فأمر الله رسوله أن يحلف ردًّا عليه بقوله: ﴿قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأۡتِيَنَّكُمۡ﴾[4].

***

(٦ ـ ٧) ـ ﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلۡحَقَّ وَيَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ٦ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هَلۡ نَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ يُنَبِّئُكُمۡ إِذَا مُزِّقۡتُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمۡ لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلۡحَقَّ وَيَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ﴾: أي: ﴿وَيَرَى﴾ بقلبه وهو العلمُ ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ﴾

---

(١) في (ف): «معجزين».

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٤٣٩)، و«التيسير» (ص: ١٥).

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٥٢٦)، و«التيسير» (ص: ١٨٠)، و«النشر» (٢/ ٣٤٩).

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٥٢٣).

وهم أصحاب رسول الله، وقيل: مؤمنو أهل الكتاب ﴿ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ﴾ وهو القرآن ﴿هُوَ ٱلۡحَقَّ﴾ مفعول ثان بقوله: ﴿وَيَرَى﴾؛ أي: هؤلاء يرون القرآن حقًّا ويعلمونه صدقاً، وأنه يهدي إلى طريق الحق وهو طريق الله تعالى ودينُ الله ﴿ٱلۡعَزِيزِ﴾ الذي لا يغالب ﴿ٱلۡحَمِيدِ﴾ المستحِقِّ للحمد.

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هَلۡ نَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ يُنَبِّئُكُمۡ إِذَا مُزِّقۡتُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمۡ لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍ﴾: أي: وقال هؤلاء المنكرون للساعة لإخوانهم الموافقين لهم على الإنكار: ﴿هَلۡ نَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ﴾ يعنون النبيَّ ﴿يُنَبِّئُكُمۡ﴾؛ أي: يخبركم أنكم بعد أن تَبْلوا في قبوركم وتتقطَّعَ أجسادكم فيها أو تأكلكم السباع، والـمَزْق: الخرق، والتمزيق: التكثير والتكرير منه، ﴿إِنَّكُمۡ﴾ تعودون خلقاً جديداً أحياءً كما كنتم قبل البِلَى والتقطُّع، وهذه لفظةُ تعجيب بصيغة الاستفهام؛ كقولك: هل رأيت مثل هذا؟!

❊ ❊ ❊

(٨) ـ ﴿أَفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةُۢۗ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ فِي ٱلۡعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلۡبَعِيدِ﴾.

﴿أَفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾: ألف استفهام دخلت على الألف المجتلَبة فأسقطَتْها للاستغناء عنها ﴿أَم بِهِۦ جِنَّةُۢ﴾؛ أي: جنون، وهذا قولهم أيضاً، يقولون: لا ندري أنَّ ما يخبر به ويضيفه الله تعالى أهو على جهة الافتراء على الله تعالى فهو أمر فظيع، أم به جنون فهو يتكلم بما لا يدري؟!

فأجابهم الله تعالى فقال: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ فِي ٱلۡعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلۡبَعِيدِ﴾: أي ليس هو مفترياً على الله تعالى ولا به جنون، ولكن المنكرون للبعث ﴿فِي ٱلۡعَذَابِ﴾ في الآخرة إذا صاروا إليها ﴿و﴾ في ﴿الضلالِ البعيد﴾ عن الحق في الدنيا.

وقيل: ﴿فِي ٱلْعَذَابِ﴾؛ أي: في العناء والأذى؛ لِمَا يجتهدون فيه من إضلالِ الناس وصدِّهم عن الحق مع بطلان سعيهم؛ قال عَبيدُ بن الأبرص:

والمرءُ ما عاش في تكذيبٍ   طول الحياة له تعذيبُ(١)

وحكى أبو معاذ عن بعضهم: ﴿فِي ٱلْعَذَابِ﴾؛ أي: الشقاءِ الطويل.

***

(٩) - ﴿أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾: أي: كيف هو محيط بهم، ومن كل جهة رَموا بأبصارهم إليهما رأوهما، وهم محصورون بينهما، فيستدلوا بذلك على أنهم في سلطان الله تعالى تجري عليهم أحكامه.

﴿إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾: لا يمتنعون عن شيء من ذلك، فيحذروا الافتراء على رسولي، ويتركوا الإشراك بي والتعجيزَ لي عن إعادتهم بعد موتهم، ويستدلوا بقدرتي على خلقهما على قدرتي على بعثهم بعد موتهم، وهو كقوله: ﴿قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ [يس: ٧٨] إلى قوله: ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ﴾ [يس: ٨١].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾: أي: راجعٍ إلى الله مقبلٍ عليه متدبرٍ في آياته، فهو المنتفع(٢) بها.

***

(١) انظر: «جمهرة أشعار العرب» (ص: ٣٨٤)، و«الشعر والشعراء» (١/ ٢٦١)

(٢) في (أ): «المتسع».

(١٠) ـ ﴿ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا﴾: ثم بيَّن قصة أبٍ وابنٍ كانا منيبين إلى الله، قال تعالى: ﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ﴾ [ص: ٣٤]، وبه وقع الانتظام بين هذه الآية والتي قبلها(١)، وفي إثبات رسالتهما إثباتُ رسالة محمد عليه السلام، وصدقُ ما أخبر به من البعث وغيره.

ومعنى الآية(٢): ولقد أعطينا داود النبيَّ منا أمراً فضَّلناه به على غيره من أهل عصره، وهو ما قال: ﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ﴾؛ أي: قلنا: يا جبال رجِّعي معه ما يأتي به من ذكرِ الله وتسبيحه.

وقيل: أي: سبِّحي معه، وكانت تسبِّح معه.

وقيل: التأويب سيرُ النهار كلِّه، وكانت الجبال تسير معه بالنهار حيث سار هو عند بعضهم.

﴿وَٱلطَّيْرَ﴾: قال قتادة: وكانت الطير تسبِّح معه إذا سبَّح.

وقرأ نافع وعاصم في رواية: (وَالطَّيْرُ) بالرفع(٣) عطفاً على قوله: ﴿يَٰجِبَالُ﴾، وهو كقول الشاعر:

يـا طلحــةُ الكامــلُ وابــنُ الكامــلِ(٤)

---

(١) «وبه وقع الانتظام بين هذه الآية والتي قبلها» ليس في (أ) و(ف).

(٢) في (ف) و(أ): «قال» بدل: «ومعنى الآية».

(٣) رويت من طريق عبد الوارث عن أبي عمرو، ومن طريق نصر عن عاصم. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٢٢)، و«المحرر الوجيز» (٤/ ٤٠٧)، و«تفسير القرطبي» (١٧/ ٢٦٢).

(٤) الرجز دون نسبة في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٥٥).

بالرفع للظاهر، وإن كان لا ينادَى وحده بالرفع.

ووجه آخر: ﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ﴾ أنت (وَالطَّيْرُ) رفعاً[1] عطفاً على (أنت).

ووجه آخر: والطَّيرُ كذلك، أو: والطَّيرُ مثلُك.

وقرأ الباقون بالنصب لوجوهٍ:

أحدها: أن الثانيَ معرفةٌ والأولَ نكرةٌ، واستعمالُ العرب فيهما كذلك، قال الشاعر:

أَلَا يـا زيـدُ والضحـاكَ سِـيرَا ... فقد جاوَزْتُمـا خَمَـرَ الطريـقِ[2]

والخَمَر: ما واراك من شجر وغيره.

وكذلك يفعلون في المضاف والمفرد؛ قال ذو الرُّمَّة[3]:

ألا يـا اسـلمي يـا هنـدُ هندَ بنـي بـدرِ ... وإن كـان حيَّـانا عِـدًى آخـرَ الدهر

وقال آخر:

يـا زيـدُ زيـدَ اليَعْمَـلاتِ الذُّبَّلِ ... تـطاوَلَ الليـلُ عليهـا فانـزلِ[4]

---

(١) «رفعا» ليست في (أ).

(٢) البيت دون نسبة في «الجُمل» للخليل (ص: ١١٠)، و«معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٥٥)، و«تفسير الطبري» (١٩/ ٢٢١)، و«الأضداد» لابن الأنباري (ص: ٥٣). وقال الفراء: وقد يجوز نصب (الضحاك) ورفعه.

(٣) كذا قال، وهو في المصادر منسوب للأخطل. انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢٩٠)، و«مجاز القرآن» (٢/ ٩٤)، و«إصلاح المنطق» (ص: ١٠٣)، و«تفسير الطبري» (١٨/ ٤١)، و«معاني القرآن» للزجاج (٤/ ١١٥).

(٤) نسب لبعض ولد جرير في «الكتاب» (٢/ ٢٠٥). و«المفصل» للزمخشري (ص: ٦٦ ـ ٦٧)، ولعمر بن لجأ في «الكامل» للمبرد (٣/ ١٦٠)، ولعبد الله بن رواحة في «شرح أبيات سيبويه» =

والثاني: ما قال الكسائي: تقديره: وسخرنا الطير.

والثالث: ما قال الفراء: وآتيناه الطير[١]، وحقيقتُه: أن المنادى منصوبٌ لأنه مفعولٌ بالنداء، والمفردُ المعرفةُ مضمومٌ بناءً لا إعراباً ولذلك لا ينوَّن، فأما المنادى المضافُ والمفردُ النكرةُ فمنصوبان لِمَا قلنا.

وقوله تعالى: ﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ﴾: أي: جعلناه ليِّناً في يده.

قال قتادة: كان الحديد في يده مثلَ الشمع يصرِّفه كيف يشاء من غير نارٍ ولا مطرقةٍ، وكان يتَّخذ منه الدروعَ، وهو أولُ مَن عمِلها وكانت قبله صفائحَ[٢].

* * *

(١١) ـ ﴿أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ﴾: أي: أمرناه أن اعمل سابغات؛ أي: دروعاً تامةً تعمُّ الإنسان ما دون رأسه بالتغطية حتى تقرب من الأرض.

﴿وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ﴾: أي: في النَّظم والوصل والنَّسج؛ أي: اجعل المسامير على قَدْر الحَلَق لا تغلِّظها فتَخرق ولا تدقِّقها فتَقْلَق[٣].

= للسيرافي (٢/ ٤٢)، و«أساس البلاغة» (مادة: عمل).

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٥٥). ونص كلامه: (الطَّيْرَ) منصوبة على جهتين: إحداهما: أن تنصبها بالفعل بقوله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا﴾ وسخَّرنا له الطير، فيكون مثل قولك: أطعمته طعامًا وماءً، تريدُ: وسقيته ماءً. والوجهُ الآخر بالنداء، لأنك إِذَا قلت: يا عَمْرو والصَلْت أقبِلا، نصبتَ الصلت لأنه إنما يدعى بـ: يا أيّها، فإذا فقدتَها كان كالمعدولِ عن جهته فنُصب.

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٨٨٠)، والطبري في «تفسيره» (١٩/ ٢٢٣).

(٣) في (ف): «فتخرق ولا تدقها فتغلق»، وفي (ر): «فتحرق ولا تدققها فتغلق». والمثبت من (أ)، ومعناه: اجعلها على مقدار معين دقة وغيرها مناسبة للثقب الذي هيىء لها في الحلقة، فإنها إن =

﴿وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًا﴾: أي: أنت وأهلك عملاً يوافق أمر الله ويكون طاعةً له، وهو في معنى ما ذكر بعده: ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗا﴾.

﴿إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾: أراه وأعلمه وأَقدِر على المجازاة به، وهذا ترغيب وترهيب.

وقال الإمام القشيري: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضۡلٗا﴾ هو ما ذُكر بعده من مساعدةِ الجبال والطير إياه تنفيساً له على حزنه وبكائه.

وقيل: هو توفيق الرجوع له إلى الله تعالى بالاعتذار.

وقيل: هو شهود موضع ضرورته وأنه لا يُصلح أمرَه غيرُه.

وقيل: هو طِيبُ صوته عند قراءته الزبور.

وقيل: هو حلاوة صوته في المناجاة.

وقيل: هو حسن خلقه مع الذين اتَّبعوه.

وقيل هو توفيقه للحكم بين[1] أمته بالعدل.

* * *

(١٢) - ﴿وَلِسُلَيۡمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهۡرٞ وَرَوَاحُهَا شَهۡرٞۖ وَأَسَلۡنَا لَهُۥ عَيۡنَ ٱلۡقِطۡرِۖ وَمِنَ ٱلۡجِنِّ مَن يَعۡمَلُ بَيۡنَ يَدَيۡهِ بِإِذۡنِ رَبِّهِۦۖ وَمَن يَزِغۡ مِنۡهُمۡ عَنۡ أَمۡرِنَا نُذِقۡهُ مِنۡ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلِسُلَيۡمَٰنَ ٱلرِّيحَ﴾: قرأ عاصم في رواية أبي بكرٍ[2] بالرفع

= كانت دقيقة اضطربت فيها فلم تمسك طرفيها، وإن كانت غليظة خرقت طرف الحلقة الموضوعة فيه فلا تمسك أيضاً. انظر: «روح المعاني» (٢٢/ ٣٦).

(١) في (ر) و(ف): «بين الناس من».

(٢) في (ر): «قرأ عاصم غير حفص».

على الابتداء، والباقون بالنصب على تقدير: وسَخَّرْنا له الرِّيحَ[(١)].

وقيل: هو على ظاهر قوله: ﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ... وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ﴾ والتسخير تذليل[(٢)] وتليين، وذلك قوله: ﴿رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ﴾، وكذلك قوله: ﴿تَجْرِي بِأَمْرِهِۦٓ﴾.

وقوله تعالى: ﴿غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ﴾: أي: كانت تغدو به مسيرة شهر وتَروح به مسيرة شهر آخر.

قال الحسن: كان يغدو فيَقيل بإصطَخْر ويروح فيَبيت بكابُلَ[(٣)].

﴿وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ﴾: أي: أذَبْنا له عينَ النحاس فأجريناها له حتى سالتْ بإسالتنا كما ألَنَّا لداود الحديد دلالةً على نبوَّته.

وقال ابن عباس وقتادة وأهل اللغة: ﴿ٱلْقِطْرِ﴾ النحاس[(٤)].

وقال قطرب: الصُّفر.

وقال مجاهد: سالت من صنعاء ثلاث ليالٍ بأيامها[(٥)]، وكذلك قال عكرمة[(٦)].

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٥٢٧)، و«التيسير» (ص: ١٨٠).

(٢) في (أ): «والتسخير بدليل» وفي (ر): «والتخير تذليل».

(٣) في (ر): «ببابل»، والمثبت من باقي النسخ والمصادر. انظر: «تفسير عبد الرزاق» (٢٤٠٠)، و«تفسير الطبري» (١٩/ ٢٢٨)، و«تفسير الثعلبي» (٨/ ٧٣)، و«البسيط» (١٨/ ٣٣٠)، و«تفسير البغوي» (٦/ ٣٨٩). ورواه الإمام أحمد في «الزهد» كما في «الدر المنثور» (٦/ ٦٧٧) بلفظ: (فيقيل بقلعة خراسان).

(٤) رواه عنهما الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٢٢٨ ـ ٢٢٩)، وعن قتادة عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٤٠١).

(٥) ذكره الواحدي في «البسيط» (١٨/ ٣٣١).

(٦) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٤٣٧)، وبنحوه رواه ابن المنذر كما في «الدر المنثور» (٦/ ٦٧٨).

وقيل: كان النحاس يجري له في الشهر ثلاثة أيام، وكلُّ ما هو في أيدي الناس فإنما هو مما كان يجري في أيامه.

وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ﴾: أي: بحضرته وبمرأى عينه باستعماله.

﴿بِإِذْنِ رَبِّهِۦ﴾: أي: بأمر الله.

﴿وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾: قال السدي: كان مع سليمان ملَك بيده سوطٌ من نارٍ، فمَن استعصى عليه من الجنِّ ضربه بذلك السوطِ من حيث لا يراه الجن[1].

وقيل: ﴿نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ في الآخرة؛ لأنهم مكلَّفون كبني آدم.

***

(١٣) ـ ﴿يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ۚ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾.

﴿يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ﴾: قال ابن كيسان: أي: المجالسِ الشريفةِ والمنازل الرفيعة.

وقال الأخفش: المحاريب: صدور المجالس.

وقال أبو عبيدة: المحاريب: أشرف موضع في البناء[2].

---

(١) ذكره الزمخشري في «الكشاف» (٣/ ٥٧٢)، وفيه: (من حيث لا يراه الجني).

(٢) انظر: «مجاز القرآن» (٢/ ١٤٤)، ولفظه: ﴿مَّحَٰرِيبَ﴾ واحدها محراب، وهو مقدم كل مسجد ومصلًّى وبيتٍ، قال وضّاح اليمن:

ربّة محراب إذا جئتها لم ألقها أو أرتقي سلّما

﴿وَتَمَاثِيلَ﴾: قال ابن عباس رضي الله عنهما: كانوا يصنعون تماثيل الأنبياء والصالحين ليُقتدَى بهم(١).

وقال أبو العالية: لم يكن اتخاذ الصور إذ ذاك محرَّماً، وإنما حرم على هذه الأمة(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ﴾: أي: صِحافٍ كبيرةٍ كالحياضِ، والواحدة: جابيَة، ومعناه: جامعةٌ للماء، وحذفت الياء من (الجوابي) تخفيفاً.

---

(١) لم أقف عليه عن ابن عباس، لكن ذكره بعض المفسرين في تفاسيرهم دون عزو، منهم الفراء في «معاني القرآن» (٢/ ٣٥٦)، والواحدي في «الوسيط» (٣/ ٤٨٩)، وتاج القراء الكرماني في «تفسيره» (٢/ ٩٢٨)، والبغوي في «تفسيره» (٦/ ٣٩١)، والزمخشري في «الكشاف» (٣/ ٥٧٢).
وهو قول مردود لا دليل عليه من الشرع، بل هو مخالف لشرعنا، ومع هذا فلا خبر فيه يعتمد عليه، ثم كيف يرضى شرع نبي من أنبياء الله بصنع تماثيل للأنبياء والصالحين لأجل الاقتداء، مع أن هذا هو نفسه سبب ضلال كثير من الناس والأمم كما سيأتي في تفسير سورة نوح، وقد رام بعض المفسرين تبرير ذلك فلم يأت بشيء، قال الزمخشري: (فإن قلت: كيف استجاز سليمان عليه السلام عمل التصاوير؟ قلت: هذا مما يجوز أن تختلف فيه الشرائع، لأنه ليس من مقبحات العقل كالظلم والكذب). وكأنه غفل عما جاء في أصنام قوم نوح من أن أصنامهم هي في الأصل لرجال صالحين، صنعوها لهم بعد موتهم بوسوسة الشيطان ليذكروهم بها، فلما طال العهد بهم عبدوها من دون الله، وهو ما رواه البخاري (٤٩٢٠) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: صارت الأوثانُ التي كانت في قومِ نوحٍ في العرب بعدُ، أما وَدٌّ كانت لكَلْبٍ بدَوْمَةِ الجَنْدَلِ، وأما سُوَاعٌ كانت لهُذَيلٍ، وأما يغوثُ فكانت لمُرادٍ، ثُم لبني غُطَيْفٍ بالجَوف، عند سبإٍ، وأما يَعُوقُ فكانت لهَمْدانَ، وأمَّا نَسْرٌ فكانت لحِمْيَرَ لآلِ ذي الكَلاعِ، أسماءُ رِجَالٍ صَالِحِينَ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ، فَلَمَّا هَلَكُوا أَوْحَى الشَّيْطَانُ إِلَى قَوْمِهِمْ، أَنِ انْصِبُوا إِلَى مَجَالِسِهِمُ الَّتِي كَانُوا يَجْلِسُونَ أَنْصَابًا وَسَمُّوهَا بأسمائهم، ففعلوا، فلم تُعبدْ، حتى إذا هَلَكَ أولئك وتَنَسَّخ العلمُ عُبِدَت.

(٢) ذكره الزمخشري في «الكشاف» (٣/ ٥٧٢).

﴿وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ﴾: أي: ثابتات غيرِ زائلاتٍ عن أمكنتها.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: كان يقعد على كلِّ جفنةٍ ألفُ رجل[1].

وقيل: كان يسعُ في كلِّ قِدْرٍ[2] ألفُ شاة ونحوها، وكانت تُتَّخذ من الجبال لا تحرَّك عن موضعها.

قال وهب رحمه الله: كانت أعمال الجن هذه بأرض اليمن.

﴿ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا﴾: أي: وقلنا لهم: اعْمَلُوا لله على الخلوص شكرَ النعمة عليكم.

﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾: قال ابن عباس رضي الله عنهما: أي: مَن يشكر على الأحوال كلها.

وقال السدي: أي: قليل مَن يشكر على الشكر.

وقال بسام بن عبد الله[3]: قليل مَن يرى عجزَه عن الشكر[4].

وقيل: وقليل مَن يشكر لي بلسانه فيحمدني، وبقلبه فيرى نعمة الله عليه، وببدنه فيُتعبه في طاعة ربه.

---

(١) لم أقف عليه عن ابن عباس، لكن ذكره بعض المفسرين في تفاسيرهم دون عزو، منهم مقاتل بن سليمان في «تفسيره» (٣/ ٥٢٧)، وأبو الليث في «تفسيره» (٣/ ٧٨)، والثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٧٩)، والبغوي في «تفسيره» (٦/ ٣٩١).

(٢) في (أ): «قدرة».

(٣) وهو بسام بن عبد الله الصيرفي أبو الحسن الكوفي، روى عن زيد بن علي بن الحسين وأخيه أبي جعفر الباقر وجعفر الصادق وعطاء وعكرمة،وغيرهم، وعنه ابن المبارك ووكيع وأبو نعيم وغيرهم، من رجال «التهذيب».

(٤) ذكر هذه الأقوال الزمخشري في «الكشاف» (٣/ ٥٧٣) لكن الأخير فيه دون عزو.

وقال الإمام القشيري رحمه الله: الشكور مَن زاد شكرُه على شكر أمثاله، فالشاكر مَن يشكر على الرخاء والشكور مَن يشكر على البلاء، والشاكر مَن يشكر على العطاء والشكور مَن يشكر على المنع.

و[يقال في ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾]: قليلٌ من عبادي من يأخذ النعمة مني فلا يحملُها على الأسباب فيشكرَ للوسائط ولا يشكرَ لي، والأكثرون يأخذون النعمة من الله ثم يتقلدون المنة[1] من غير الله، فيشكرون لغير الله تعالى[2].

* * *

(١٤) ـ ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ﴾: أي: ما دلَّ الجن، وقيل: ما دل آلَ داود. وقد سبق ذكر الكلِّ.

ودابة الأرض: هي الأَرَضة التي تكون في الخشب فتأكلُه.

﴿تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ﴾: أي: عصاه، من قولك: نسأتُ البعير وغيرَه: إذا زجَرْتَه ليزداد في سيره.

ويقال: نسأ؛ أي: ساق.

﴿فَلَمَّا خَرَّ﴾: أي: سقط ﴿تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ﴾؛ أي: علمت، وقيل: أي: ظهر حال الجن للإنس.

---

(١) في (أ): «النعمة».

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» (٣/ ١٧٩)، وما بين معكوفتين منه.

﴿أَن لَّوْ كَانُوا۟﴾: أي: الجن ﴿يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ﴾: ما غاب عن حواسِّهم ﴿مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ﴾: في استسخار سليمان في هذه الأعمال.

قال مقاتل رحمه الله: كان داود عليه السلام أسَّس بناءَ مسجد بيت المقدس موضعَ فسطاط موسى، [فمات قبل أن يُبنى، فبناه سليمان بالصخر والقار]، وكانت بقيت لهم سنَةٌ حتى يَفرغوا من بنائه، وخاف سليمانُ الموت فقال لأهله: لا تخبروا الشياطين والجنَّ بموتي حتى يفرغوا من بناء المسجد، ودعا ربه فقال: اللهم أَعْمِ على الشياطين والجن موتي حتى تعلم الناسُ أن الجن والشياطين لا يعلمون الغيب[1].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: كانت الشياطين والجنُّ تدَّعي علمَ الغيب وما يكون في غد، فابتُلوا بموت سليمان[2].

وقال الواقدي: كان ملَك الموت صديقاً لسليمان، فسأله سليمان عن آيةِ موته، فقال: إن آية موتك أن تخرج من الأرض شجرةٌ يقال لها: الخرُّوبة، فإذا وجدتَها فقد حضر أجلُك[3]، فبينما سليمان في منزله ذات يوم طلعت شجرةٌ، فقال لها سليمان: ما اسمك؟ قالت: الخرُّوبة، فولج سليمان مسجدَه واتَّكأ على عصاه وقبضه الله تعالى، فكان كذلك سنةً جرداءَ[4].

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٥٢٨)، وما بين معكوفتين منه.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٢٤٢ ـ ٢٤٣) عن قتادة.

(٣) في (أ): «موتك».

(٤) روي نحوه عن ابن عباس مرفوعاً وموقوفاً؛ فقد رواه البزار (٢٣٥٥ ـ كشف الأستار)، والطبري في «تفسيره» (١٩/ ٢٤٠)، والضياء في «المختارة» (٣٠٨)، عن ابن عباس مرفوعاً. قال البزار: لا نعلم أسنده إلا إبراهيم (هو ابن طهمان)، وقد رواه جماعة عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس موقوفاً.

وروى الموقوف على ابن عباسٍ الحسينُ المروزي في زياداته على «الزهد» لابن المبارك (١٠٧٢)، =

وقال مجاهد: لما رأى الشجرة تحنَّط وتكفَّن وصعد كرسيَّه واتكأ على عصاه[(١)].

وقال الضحاك: مكث كذلك سنةً والشياطين والجنُّ يَدْأبون في العمل، ويدخل كلَّ يوم رئيسهم عليه فيخرج ويقول لأصحابه: جِدُّوا فإنه قائم يصلي، فيجتهدون في العمل، إلى أن فرغوا، فلما فرغوا أتت الأَرَضة فأكلت من عصاه ما وَلِي الأرض فانكسرت العصا فخر سليمان، فحينئذ أيقنوا بموته.

وقيل: كان قائماً في محرابه، فجاء ملك الموت ليقبض روحه فقال: أمهلني حتى أوصيَ إلى[(٢)] أهلي، فقال: لا زمان، فقال: اتركني حتى أجلسَ، قال كذلك، قال: فكيف تقبضني؟ قال: اتَّكِئْ على مِنسأتك، فاتكأ عليها فقبضه، فبقي كذلك حولاً، ثم أكلت الأرضة أسفل عصاه فانكسرت، فخر سليمان فظهر ذلك لهم.

* * *

(١٥) ـ ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ﴾: قرأ أبو عمرو وابن كثير في رواية البزِّي[(٣)] بالفتح

= ومحمد بن نصر في «تعظيم قدر الصلاة» (٢٠٧)، والبزار (٢٣٥٦ ـ كشف الأستار)، وقال ابن كثير عند تفسير هذه الآية: الأقرب أن يكون موقوفاً.

(١) ذكره تاج القراء الكرماني في «تفسيره» (٢/ ٩٢٩).

(٢) «إلى» ليست في (ف).

(٣) في (ر) و(ف): «قرأ ابن كثير وأبو عمرو في رواية البزِّي»، وقوله: «في رواية البزي» ليس في (أ). والصواب المثبت.

غيرَ منوَّن[١] لأنها اسم قبيلة أو أرض، والباقون بالخفض منوَّناً[٢] لأنه اسم أبٍ[٣].

﴿فِي مَسْكَنِهِمْ﴾: قرأ الكسائي وخلف بكسر الكاف موحَّداً، وقرأ حمزة وحفصٌ بفتحها موحَّداً، وقرأ الباقون: ﴿مساكنهم﴾ على الجمع[٤].

فقوله: ﴿مسكنهم﴾؛ أي: أرضهم وبلدهم، و﴿مساكنهم﴾؛ أي: منازلهم.

ذكر قصةَ سبأ لمشركي العرب ـ وكانت معروفةً لهم ـ يحذِّرهم أن ينزل بهم بشركهم وكفرهم ما نزل بأولئك على كثرتهم وقوتهم من جهةِ أضعفِ خلق الله.

ووجه الانتظام: أن الأولى في مدح الشكور والثانيةَ في بيان جزاء الكفور.

يقول: لقد كان لأولادِ سبأٍ في ديارهم، وهو سبأُ بن يَشجُبَ بن يَعْرُبَ بن قحطان، وأولاد سبأٍ سبعةٌ: حِمْيَرٌ وكَهْلانُ وعمرٌو والأشعرُ وأنمارٌ ومرٌّ وعاملةُ، هم بنو سبأ، وكثُر نسلُهم حتى إن خزاعةَ والأوسَ والخزرجَ وغسانَ من جملةِ مَن تمزَّقوا في البلاد لمَّا جرى على بلاد سبأ ما جرى[٥].

﴿ءَايَةٌ﴾: أي: علامةٌ تدل على أن لهم إلهاً خلقهم وأنعم عليهم؛ لأن ما أعطاهم من أنواع الشجر وألوان الثمر خارجٌ عن وسع البشر.

﴿جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾: هي ترجمةُ قوله ﴿ءَايَةٌ﴾.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: كانت سبأُ على ثلاثِ فراسخَ من صنعاء،

---

(١) في (ف) و(أ): «مجرى».

(٢) في (ف) و(أ): «مجرى».

(٣) وقرأ قنبل: ﴿لِسَبأْ﴾ بإسكانها على نية الوقف. انظر: «السبعة» (ص: ٤٨٠)، و«التيسير» (ص: ١٦٧).

(٤) انظر: «السبعة» (ص: ٤٨٠)، و«التيسير» (ص: ١٦٧)، و«النشر» (٢/ ٣٥٠).

(٥) في (أ): «بدى».

وكانت أخصبَ البلاد وأطيبَها وأكثرَها ثمراً، حتى كانت المرأة تضع على رأسها مِكْتَلاً فتطوف فيما [1] بين الأشجار وقد امتلأ المكتلُ من ألوان الثمار من غير أن تمسَّ بيدها شيئاً[2].

وكانت مياههم تخرج من جبلٍ، فبنوا فيه سدًّا بالصخر والقار، وجعلوا له ثلاثةَ أبواب: أعلى وأوسطُ وأسفلُ، وكانوا يسرِّحون المياه إلى أشجارهم وكرومهم منها، وكان عن يمين الوادي ويساره بساتينُ وكرومٌ وأنهار، وكان بين اليمين واليسار مسنَّاةٌ، وهي موضعٌ رفيعٌ فيما بين النهرين، فأرسل الله إليهم ثلاثة عشر من الرسل عليهم السلام، فكذَّبوهم وكفروا بهم وبطروا النعمة، وقالوا للرسل: ما لله علينا من نعمة.

وقال الضحاك: كان ذلك في الفترة بين عيسى ونبيِّنا صلوات الله عليهما[3]، وكانت الفترة ستَّ مئة سنة، ويقال: خمسَ مئة وخمسين سنة[4].

وقال أنس بن مالك رضي الله عنه: سئل رسول الله ﷺ عن سبأ فقال: «كان سبأٌ رجلاً وُلد له عشرةٌ من الأولاد، تيامَنَ منهم أربعة وتشاءم ستة، فأما الذين تيامنوا

---

(١) في (ف): «ما».

(٢) لم أقف عليه عن ابن عباس، وقصة المرأة التي يمتلئ مكتلها من الفواكه رواها عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٤١٥)، والطبري في «تفسيره» (١٩/ ٢٤٧) عن قتادة. ورواها ابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» (٦/ ٦٨٨) عن السدي.

(٣) ذكره الزمخشري في «الكشاف» (٣/ ٥٧٦).

(٤) روى الطبري في «تفسيره» (٨/ ٢٧٥) عن الضحاك قال: كانت الفترة بين عيسى ومحمد صلى الله عليهما أربع مئة سنة وبضعًا وثلاثين سنة. وعن قتادة: ست مئة، وفي رواية: خمس مئة وستون، وعن معمر: خمس مئة وأربعون.

فقُضاعةُ والأَزْدُ وخزاعةُ وعاملة، وأما الذين تشاءموا فكلبٌ ولخمٌ وجُذامٌ وغسانُ وطَسْمٌ ووَبَار»[١].

وعن ابن عباس: «والأوس والخزرج» بدل: «طَسْم ووَبَار»[٢].

وقوله تعالى: ﴿جَنَّتَانِ﴾؛ أي: بساتينُ من جانبٍ وبساتين[٣] من جانب.

﴿عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾ قيل: عن يمين السائر بينهما وعن شماله.

وقيل: عن يمين الوادي وعن يساره.

وقيل: عن يمين مساكنهم وعن يسارها.

وقيل: كانت بين جبلين.

قوله تعالى: ﴿كُلُواْ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ﴾: أي: قلنا لهم ذلك، وهو أمرُ إباحةٍ ﴿وَاشْكُرُواْ لَهُۥ﴾: وهو أمر إيجاب.

وقيل: كان هذا على ألسنة رسلهم.

وقيل: هو إخبارٌ عن إباحةٍ وإلزام[٤] من غير كلام؛ كما في قوله: ﴿ وَقُلْنَا مِنْ

(١) لم أقف عليه عن أنس رضي الله عنه، ورواه الترمذي (٣٢٢٢) وحسنه من حديث فروة بن مسيك رضي الله عنه، ورواه الإمام أحمد في «المسند» (٢٨٩٨)، والحاكم في «المستدرك» (٣٥٨٥) وصححه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما. وفي الحديثين: (تيامن ستة وتشاءم أربعة)، وفيهما خلاف رواية المؤلف في بعض الأسماء أيضا، حيث جاء فيهما أن الذين تيامنوا: مَذْحِجٌ وكِنْدَةُ والأَزْدُ والأَشعَرِيُّونَ وأَنْمَارٌ وحِمْيَرٌ، والذين تشاءموا: لَخْمٌ وجُذَامٌ وعَامِلَةُ وغَسَّانُ.

(٢) قوله: «وعن ابن عباس والأوس والخزرج بدل طسم ووبار» ليس في (ف). ولم أجده هكذا عن ابن عباس، وانظر التعليق السابق.

(٣) في (ر): «بستانين... وبستانين».

(٤) في (ر) و(ف): «وإكرام».

بَعْدِهِۦ لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ﴾ [الإسراء: ١٠٤] وفي قوله: ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ الآية [فصلت: ١١].

﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾: أي: لكم بلدةٌ طيِّبةُ الماء والهواء والتربة(١) مستلَذَّةٌ مُخْرِجةٌ للنبات والثمرات، وربٌّ غفورٌ لعباده إذا تابوا وأنابوا إليه وشكروا له، فآمِنوا به(٢) واشكروا له وأطيعوه يغفر لكم.

* * *

(١٦) ـ ﴿فَأَعْرَضُوا۟ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَأَعْرَضُوا۟﴾: أي: فتولَّوا عن الواجب عليهم من الشكر وكفروا.

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ﴾: السيل: الماءُ الجاري الكثير الذي لا يضبط دفعُه لعِظَمه.

و﴿ٱلْعَرِمِ﴾ قيل: هو السِّكْر(٣).

وقيل: هو المطر الشديد.

وقيل: هو اسم وادٍ.

وقيل: هو الجُرَذُ الذي هو نقب السِّكْر.

وقيل: كانت أسنانها من الحديد.

---

(١) في (أ) و(ف): «والبرية».

(٢) في (أ): «واشكروا له بلدة فآمنوا به»، بدل: «وشكروا له فآمنوا به»، وليست في (ف).

(٣) السكر بفتح السين وكسرها وسكون الكاف: السد على الماء. انظر: «حاشية الشهاب الخفاجي على تفسير البيضاوي» (٧/ ١٩٧).

قيل: أرسل الله عليه سيلاً فقلعه وهدمه وخرَّبه.

وقيل: كان الماء يُحبس هناك مما يأتي[1] من أمطار السنة، وكان واديهم ينصبُّ إليه الماء من سائر الأودية، وكانوا يحبسون الماء في السد ويُجْرُون إليها بقَدْر الحاجة، فبعث الله جُرذاً فخرقت السدَّ، فسال الماء المجتمِع فلم يُمْكِن ردُّه، وكبس الجنات حمأةً وتراباً وطيناً حتى علت الأشجار.

وقيل غيرُ ذلك.

وقيل: سال الماء متباعداً عنهم وغاض[2] في الأرض، فجفت جنانُهم لفوات الماء.

وقوله ﴿وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ﴾: تثنيةُ (ذات) لأنه نعت ﴿جَنَّتَيْنِ﴾، والأُكُل: الثمر وقرأ أبو عمرو وسهل ويعقوب[3]: ﴿أُكُلِ خَمْطٍ﴾ مضافاً، وقرأ الباقون منوناً[4]، و﴿خَمْطٍ﴾ بدلاً عنه وترجمةً له.

وقيل: الخمط: كلُّ نبتٍ مرٍّ لا يمكن أكلُه؛ قاله الزجاج[5].

وقال أبو عبيدةَ: هو كلُّ شجرٍ ذي شوكٍ[6].

---

(١) في (أ): «يلي».

(٢) في (أ): «وغاص».

(٣) «وسهل ويعقوب» ليس من (أ) و(ف).

(٤) انظر: «السبعة» (ص: ٥٢٨)، و«التيسير» (ص: ١٨٠)، عن أبي عمرو، و«النشر» (٢/ ٣٥٠) عنه وعن يعقوب.

(٥) انظر: «معاني القرآن» (٤/ ٢٤٩).

(٦) انظر: «مجاز القرآن» (٢/ ١٤٧).

وقال ابن عباس والحسن وقتادة والضحاك: هو الأراك[١].

وقيل: البرير[٢].

وقال الحسن: الأثل: الخشب[٣]. وقيل: السَّمُر[٤]. وقيل: الطَّرْفاء[٥].

﴿وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾: قيل: السِّدر: شجر النَّبق[٦].

وقال محمد ابن إسحاق: صارت عامةُ أشجارهم الدَّوم وهو المُقْلُ[٧].

ثم قوله: ﴿مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾ هو نعتُ السِّدر، والسِّدر كان في الجِنان الأُوَل ويُرْغَب فيه، وبقي شيء منه في الجنان المبدَلة يتذاكرون به ما كان ويتحسَّرون عليه.

وقيل: هو نعت الأُكُل؛ أي: بدِّلت لهم جنانٌ لا خُضرةَ لها ولا نَضرة إلا شيءٌ

---

(١) رواه عنهم الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٢٥٥ ـ ٢٥٦).

(٢) البرير: ثمر الأراك أو أول ما يظهر منه، أو إذا اسود وبلغ فأكله الناس والدواب، وفيه حرارة على اللسان. انظر: «معجم متن اللغة» (مادة: برر).

(٣) ذكره ابن فورك في «تفسيره» (٢/ ١٣٨)، والثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٨٤).

(٤) السمر من شجرة الطلح: شجر صغير الورق قصير الشوك، له برمة صفراء وخشبه جيد للسقوف. انظر: «معجم متن اللغة» (مادة: سمر).

(٥) الطرفاء بالمد: شجر لا ثمر له وهو نوع من الأثل بالمثلثة. انظر: «حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي» (٧/ ١٩٨).

(٦) النبق بفتح النون وكسر الباء: حَمْل السدر وثمرُه، وتسكن باؤه تخفيفاً، يعني: أنه لطيب ثمره جعله الله قليلا فيما بدلوا به لأنه لو كثر كان نعمة لا نقمة وإنما أوتوه تذكيراً للنعم الزائلة ليكون حسرة عليهم، ولذا قيل: المراد بالسدر نوع منه لا ثمر له يسمى الضال وهو أنسب. انظر: «حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي» (٧/ ١٩٨).

(٧) الدَّوْمُ: ضِخامُ الشَّجرِ ما كان، وقيل: هو شجرٌ يُشبِهُ النَّخل، إلاَّ أنه يُثْمِرُ المُقْلَ، وله لِيفٌ وخُوْصٌ. انظر: «مجمع الغرائب» للفارسي (مادة: دوم).

قليلٌ لا يُعْبأ به ولا يُكتفى به من الخمط والأثل والسِّدر جميعاً، فكان نعتاً للأُكُل وهو من هذه الأشياء الثلاثة.

* * *

(١٧) ـ ﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ ۖ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟﴾: أي: ما فعلنا بهم من إهلاك جناتهم ومساكنهم جزاءُ كفرهم في الدنيا.

﴿وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ﴾[1]: قرأ حمزةُ والكسائيُّ وعاصم في رواية حفص: ﴿نُجَٰزِىٓ﴾ بالنون ﴿ٱلْكَفُورَ﴾ نصباً إخباراً من الله تعالى عن نفسه بخطابِ الملوك جمعاً، وهو متعدٍّ ناصبٌ للمفعول، وقرأ الباقون: ﴿يُجازَى﴾ بالياء والضم على ما لم يسمَّ فاعله و﴿الكفورُ﴾ رفعاً لأنه اسمٌ لِمَا لم يسمَّ فاعله[2].

وهو استفهام بمعنى النفي؛ أي: لا تكون إزالة النعم إلا جزاءَ الكفور، وهذا في الدنيا والآخرة على اعتبارهما، قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ الآية [القلم: ٣٣].

* * *

(١٨) ـ ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ ۖ سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً﴾:

---

(١) في (ف): «وهل يجازى..».

(٢) » انظر: «السبعة» (ص: ٥٢٨)، و«التيسير» (ص: ١٨١).

قال مجاهد وقتادة: القرى التي باركنا فيها الشام(١).

وقال الإمام ابن عباس رضي الله عنهما: بيت المقدس(٢).

وقال قتادة: ﴿قُرًى ظَٰهِرَةً﴾؛ أي: متواصلةً(٣)، وهي أن تَظهر الثانية من الأولى لقربها منها.

﴿وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ﴾: قيل: أي: للمَقيل والمبيت، بين كلِّ قريتين ثلاثةُ فراسخَ، وقيل: أربعة فراسخ، وقيل: سوَّينا مسيرةَ ما بين كلِّ قريتين فكانت لا تتفاوت.

﴿سِيرُواْ فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ﴾: أي: قال لهم رسولهم ذلك، أو معناه: كانوا يسيرون كذلك؛ كما مر في قوله: ﴿كُلُواْ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ﴾ [سبأ: ١٥].

﴿ءَامِنِينَ﴾: أي: من الجوع والعطش وتعرُّض الناس.

* * *

(١٩) ـ ﴿فَقَالُواْ رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾.

﴿فَقَالُواْ رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾(٤): قرأ عاصم وحمزة والكسائي ونافعٌ: ﴿رَبَّنَا﴾ بالنصب ﴿بَٰعِدْ﴾ بالألف مكسورةَ العين مجزومةَ الدال على الدعاء، وقرأ ابن كثير وأبو عمر وهشام عن ابن عامر: ﴿بَعِّدْ﴾ بغير ألفٍ مجزوماً أيضاً(٥)، وهما لغتان كقوله: ﴿لا تُصَاعِرْ﴾ و﴿لا تُصَعِّرْ﴾.

---

(١) رواه عن مجاهد عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٤١٠)، وعنهما الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٢٦١).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٢٦١).

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٤١٥) و(٢٤١٧)، والطبري في «تفسيره» (١٩/ ٢٦٢).

(٤) في (ف): «بعِّد» بدل: «باعد».

(٥) انظر: «السبعة» (ص: ٥٢٩)، و«التيسير» (ص: ١٨١). وقرأ ابن ذكوان عن ابن عامر: ﴿بَٰعِدْ﴾ كعاصم ومن معه.

أي: بَطِروا وأساؤوا السيرةَ، وجهلوا قَدْر النعمة والعافية(١)، وسألوا الله تعالى أن يبعِّد أسفارهم.

روي أنهم قالوا: ليت أن أسفارنا تباعَدَت، فكنَّا نركب البحار ونحملُ معنا الأزواد ونقطع المفاوِز متنزِّهين، ولزيادة الأموال بالتجارة متكسِّبين، وهذا كجهل قوم موسى في قولهم: ﴿لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ﴾ [البقرة: ٦١] وسؤالِهم ما سألوا.

وإلى هاهنا على قول بعضهم بيانُ أولِ أحوالهم: أنه كان لهم جنتان، وكانت منازلهم إلى الشام في الأسفار متقاربةً متيسِّرةً، فملُّو ذلك وسألوا تباعُدَ الأسفار، فبدَّلهم الله بجنتَيهم جنَّتين، وأيبس بلادهم وغوَّر مياههم وأهلك أموالَهم، وفرَّقهم في البلاد، وبعَّد أسفارهم، وذلك قوله:

﴿وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾: بخَسوها حظوظَها من النعمة والعافية والدَّعَة ﴿فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ﴾ يتحدَّث الناس بعدهم بما جرى عليهم فيتمثَّلون به، فيقولون: تفرَّقوا أيدي سَبَا، و: أيادي سَبَا(٢)، قال الشاعر:

مــن صــادرٍ ووارِدٍ أيــدي سَــبَا(٣)

---

(١) في (ر): «وجهلوا قدر العافية»، وفي (ف): «وجهلوا قدر العاقبة».

(٢) أي: تفرقوا مذاهب سبأ وطرقها؛ أي: تفرقاً لا اجتماع بعده. انظر: «معاني القرآن» للنحاس (٥/ ٤١٠)، و«مجمع الأمثال» للميداني (٢/ ٢٧٥).

(٣) الرجز لدكين الراجز كما في «الفاخر» للمفضل بن سلمة (ص: ٢٢)، وللعجاج كما في «المقصور والممدود» للقالي (ص: ٢٧٤)، ودون نسبة في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٥٨)، و«الألفاظ» لابن السكيت (ص: ٤٠)، و«معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٢٥١)، و«البسيط» للواحدي (١٨/ ٣٥٢)، و«المستقصى في أمثال العرب» للزمخشري (٢/ ٩٠). والرواية في بعض المصادر: (من صادر أو وارد...)، وفي الذي قبله اختلاف بين المصادر، وهو عند الفراء وبعضهم:

عينًا تــرى النّــاس إليهــا نَيْسَــبَا

وقال كثيِّر عزَّةَ:

أيادي سبا يا عَزُّ ما كنتُ بعدكم فلم يَحْلُ للعينين بعدَكِ منظرُ[١]

وقوله تعالى: ﴿وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾: أي: فرَّقناهم في البلاد كلَّ مفرَّقٍ.

قال الشعبي: أمَّا غسانُ فلحقوا بالشام، وأمَّا الأنمار فلحقوا بيثرب، وأما خزاعةُ فلحقوا بتِهامةَ، وأما الأَزْد فلحقوا بعُمَان[٢].

وقيل: كان أولُ حالهم ما ذكر في الآية الأولى، وزال ذلك بسيلِ العَرِم وبدَّل الله تعالى جنتيهم بما بدَّل، فقالوا لنبيهم أو لأنبيائهم: سلُوا الله تعالى حتى يُهيئَ لنا أسبابَنا فنشكرَ له ولا نكفرَه، فجعل الله بينهم وبين الشام قرًى ظاهرةً سهُل عليهم الامتيار، وقرُبت عليهم الأسفار، فلم يشكروا وسألوا تبعيدَ الأسفار[٣].

وقرأ سهل ويعقوب[٤]: ﴿رَبُّنَا بَاعَدَ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾ برفع قوله: ﴿رَبَّنَا﴾ على الابتداء و﴿بَاعَدَ﴾ على الفعل الماضي[٥]؛ أي: شكَوا الله، وسمَّوا هذه أسفاراً بعيدة، وعادوا إلى الكفران، فعوقبوا بالتمزيق[٦] في البلدان، وجُعلوا أحاديث.

---

(١) انظر: «المقصور والممدود» للقالي (ص: ٢٧٤)، و«معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٢٥١)، و«البسيط» للواحدي (١٨/ ٣٥٢)، و«المستقصى في أمثال العرب» للزمخشري (٢/ ٩٠).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٢٦٧).

(٣) ولا حاجة لمثل هذا التأويل المخالف لظاهر الآية، مع عدم الداعي للصرف عن الظاهر، بل الذي في الآية من اجتماع النعم كلها أولاً ثم زوالها بعد كفرهم جملةً أعظم في الاعتبار وأوقع في النفوس، فسبحان الله كيف يذهب مثل هذا على البعض حتى يتحولوا إلى أمثال هذه التأويلات البعيدة عن روح النص القرآني، وكيف يُذهبون دون قصد بمثل هذه الأقوال جماله وروعته.

(٤) «سهل ويعقوب» ليس في (أ) و(ف).

(٥) انظر: «النشر» (٢/ ٣٥٠) عن يعقوب.

(٦) في (أ): «بالتفريق».

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾: أي: لكلِّ مؤمنٍ مستكملٍ خصالِ الإيمان، فإن الشكر والصبر حاصِلُها[1]؛ أي: هو المنتفِع بهذه الآيات بالتأمُّل فيها وإن كانت الآيات للكلِّ على العموم.

***

(٢٠) ـ ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ﴾: قرأ عاصم وحمزةُ والكسائي وخلف: ﴿صَدَّقَ﴾ مشدَّداً[2]؛ أي: حقَّق على هؤلاء العصاة الذين أنكروا البعث وأعرضوا عن شكر الله تعالى وكفروا به إبليسُ ما ظنَّه فيهم حيث قال: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص: ٨٢]، ﴿لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ﴾ [الإسراء: ٦٢]، ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الأعراف: ١٦]، وأشباه ذلك.

ولم يقل ذلك عن ثقةٍ بأنه سيكون كذلك، فإنه لم يُخبر به، ولا كان عالماً بالغيب، لكن استدلالاً بإستزلاله آدمَ وحواء، وقال: تنفُذُ في أولادهما حيلتي كما نفذت فيهما، وحقَّق ذلك الظنَّ بجهده في الإغواء[3] والتزيين.

﴿فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾: إن جُعل ﴿مِّنَ﴾ للتمييز فمعناه: فاتَّبعوه في الكفر إلا المؤمنين، وإنْ جعل من للتبعيض فمعناه: فاتبعوه في المعاصي إلا فريقاً من جملة المؤمنين لم يتابعوه في معصيته، وهم المخلصون المطيعون.

وقرأ الباقون: ﴿صَدَقَ﴾ بالتخفيف؛ أي: صدَق إبليس في ظنه وخرج كما ظن.

---

(١) في (ر): «حاصله»، وفي (ف): «حاصلهما».

(٢) وقرأ باقي العشرة بتخفيف الدال كما سيأتي. انظر: «السبعة» (ص: ٥٢٩)، و«التيسير» (ص: ١٨١)، و«النشر» (٢/ ٣٥٠).

(٣) في (ر): «الإغراء».

(٢١) ـ ﴿ وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْـَٔاخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِى شَكٍّ ۗ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ ﴾: أي: ولايةِ جبرٍ على فعل.

وقيل: أي: حجةٍ على ما يدعوهم إليه.

﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْـَٔاخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِى شَكٍّ ﴾: ﴿إِلَّا ﴾ بمعنى: لكنْ؛ أي: ولكنَّا ابتلينا المكلَّفين بوساوسه ليُعلم المؤمن المخلص من الشاكِّ في البعث، وهو استثناء منقطع.

وقيل: هو على حقيقة الاستثناء، وهذا سلطان التخلية؛ أي: وما كان له عليهم من سلطان بالتخلية منَّا إلا لنعلم المؤمنَ من الكافر؛ أي: إلا لتصِحَّ[1] المحنة؛ لأنها تصحُّ إذا كان للممتحَن داعٍ يدعوه إلى الباطل وجاذبٌ يجذبه إلى الحق، فيجاهدُ بعقله هواه، فيظهرُ حينئذ طاعةُ المطيع ومعصيةُ العاصي.

ثم قوله: ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ ﴾؛ أي: إلا لنُظهِرَ المعلوم بوجوده، أو لنعلمه موجوداً حالَ وجوده كما علِمناه قبل وجوده أنه يوجد، أو لنعامل معاملةَ مَن يختبِر للظهور، أو ليعلم أولياؤنا ذلك، وقد كشفنا ذلك كله في نظائره فيما مر.

وقوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴾: عالمٌ به يحفظه على صاحبه ليجازيَه جزاء عمله[2].

وقيل: أي: رقيب.

***

---

(١) في (ر): «لتفضح».

(٢) في (ر): «مثله».

(٢٢) ـ ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾: أي: قل يا محمد للمشركين: ادعوا هؤلاء الذين اتَّخذتُموهم من دون الله أولياءَ ليُظهروا شيئاً من آثار القدرة كما أظهرتُ، وهذا توبيخٌ لهم وتقريع.

و﴿زَعَمْتُم﴾ بمعنى: ظنَنْتُم هاهنا؛ كما قال الشاعر:

زعَمَتْني شيخاً ولستُ بشيخٍ إنما الشيخُ مَن يَدِبُّ دَبيبا[1]

﴿لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾: أي: الأصنام ﴿وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ﴾: أي: نصيبٍ، وقيل: أي: شركةٍ مع الله تعالى.

﴿وَمَا لَهُۥ مِنْهُم﴾: وما لله من الأصنام ﴿مِّن ظَهِيرٍ﴾؛ أي: مُعينٍ على خلقِ شيء.

***

(٢٣) ـ ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُواْ ٱلْحَقَّ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾.

﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ﴾: أي: عند الله ﴿إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ وهو لا يأذنُ في الشفاعة إلا للمؤمنين، ويكون ﴿لَهُۥ﴾ على هذا التأويل للمشفوع له.

ويجوز أن يكون للشافع؛ أي: لا يَشفع إلا مَن أذن الله له به، والله لا يأذن بالشفاعة للأصنام.

---

(١) البيت دون نسبة في «العين» (١/ ٣٦٦)، و«التذييل والتكميل» لأبي حيان (٦/ ٢٤)، و«مغني اللبيب» لابن هشام (ص: ٧٧٥).

وقرأ حمزة والكسائي وأبو عمرو وخلف والأعمش والبرجمي[(١)]: ﴿أُذِنَ له﴾ بالضم على ما لم يسمَّ فاعله، والباقون على الفعل الظاهر مضافاً إلى الله تعالى[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾: أي: أُزيل الفزع عنها، وقد فَزِعَ؛ أي: خاف، وأفزعه غيرُه؛ أي: أخافه، وفزَّعه؛ أي: أزال خوفه؛ كقولك: قَذِيَتْ عينه؛ أي: وقع فيها القَذَى، وأقذاها غيرُه؛ أي: أوقعَ فيها القَذَى، وقذَّاها: أزال عنها القذى، وقريب منه: مَرِض بنفسه، وأَمْرَضه غيرُه: جعله مريضاً، ومرَّضه: إذا قام عليه وداواه وعالجه.

وهذا وصف الملائكة، وتقديره: ﴿إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾؛ أي: إلا للَّذين أذن الله لهم من الأنبياء والملائكة ـ و(مَن) للجنس فصلح للجمع ـ ففزِعوا حين وردَ عليهم كلام الله تعالى بالإذن لهم بالشفاعة، وهم الملائكة، وهذا الفزع من هيبة ما يَقترن به من الأمر الهائل، أو لِمَا يخافون من وقوع التقصير منهم في شفاعة الذين يَشفَعون لهم بأنْ كان على الإجمال دون التعيين فتَشتبِهُ أحوال المشفوع لهم.

حتى إذا كُشف عنها الفزع ﴿قَالُواْ﴾ للملائكة الذين فوقهم، وهم المبلِّغون ذلك إليهم:

﴿مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ﴾: أي: أَمر به، وهو كلام الخاضع المتذلِّل.

﴿قَالُواْ﴾: أي: أولئك الملائكة: ﴿ٱلْحَقَّ﴾؛ أي: قال اللهُ الحقَّ؛ أي: أَمَر أمراً حقًّا.

﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾: أي: المتقدِّس بالجلال، المتفرِّد بالكمال، فلا يأمر إلا بالحق.

---

(١) «وخلف والأعمش والبرجمي» من (ر).

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٥٢٩)، و«التيسير» (ص: ١٨١)، وقراءة خلف من العشرة في «النشر» (٢/ ٣٥٠).

يعني: هم مع منزلتهم هذه يفزعون ويُشفقون من[1] شفاعة مَن لهم يشفعون، وهم بأمر الله يعملون، فكيف يشفعون للكفار؟

وقيل: هذه الشفاعة قولهم: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ﴾ [غافر: ٧].

قيل[2]: هو في الآخرة.

وقيل: هو في نزول الوحي المطلق، وتقديره: ولا تنفع الشفاعة في الآخرة عند الله إلا لمن أذن له في الشفاعة من الملائكة الذين يفزعون لِمَا يَرِدُ عليهم من كلام الله تعالى ووحيه بأقضيته، حتى إذا أزال الله عنهم الفزع ﴿قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾؛ أي: الشفاعة لهؤلاء لا للأصنام والشياطين والجن.

وقيل: قولهم ﴿قَالُوا الْحَقَّ﴾ هذا الإجمال في وحي لم يؤذن للأكابر بيانُه للأصاغر، فأما إذا كان أمراً يحقُّ إظهاره فسَّروه لهم، والروايات فيه كثيرة.

روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ قال: «إن الله تعالى إذا قضى الأمر من السماء ضَربت الملائكة بأجنحتها كضرب السلسلة على الصَّفوان، فذلك قوله: ﴿حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾ قال: فيسمعها مسترِقُو السَّمْع وهم كذلك، وربما أدرك الشهابُ الأولَ قبل أن يرمي إلى صاحبه، وربما لم يدركه حتى رمى بها إلى صاحبه، فيرمي بها هذا إلى هذا وهذا إلى هذا حتى تُلقى على فم ساحر أو كاذب فيكذب معها فيصدق، فيقال: ألم يخبرنا يوم كذا بكذا فوجدناه حقًّا، وهي الكلمة التي سُمعت في السماء»[3].

---

(١) في (أ): «في»، وفي (ر): «على».

(٢) في (ر) و(ف): «وقيل».

(٣) رواه البخاري (٤٧٠١).

وقال مسروق: سألنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، ولولا عبدُ الله ما وجدنا أحداً يخبرنا به قال: إذا تكلم [الله] بالوحي سمع أهل السماوات صلصلةً كصلصلة السلسلة على الصفوان، فيرون أنه من أمر الله تعالى فيفزعون، فإذا سكن ﴿قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾(١).

وفي رواية عنه: «فيصعقون، ولا يزالون كذلك حتى يأتيهم جبريل عليه السلام فيفزِّع عن قلوبهم، فيقولون: يا جبريل! ماذا قال ربنا؟ فيقول: الحقَّ، فينادون: الحق الحق»(٢).

وفي حديث شعبة: فيرون أنه الساعة(٣).

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: لم يسمع الملائكة الوحيَ في الفترة التي كانت بين عيسى ومحمد ﷺ وهو قريبٌ من ستِّ مئة سنةٍ، فلما بعث الله جبريل إلى النبي ﷺ سمعتِ الملائكة الوحي فسقطوا مغشيًّا عليهم فظنُّوا أن القيامة قد قامت(٤).

وقال السدي: سألت الملائكةُ جبريل: إلى مَن بُعث؟ قال: إلى محمد، قالوا: الله أكبر! قد قامت القيامة، لأنهم كانوا يقولون: إن محمداً من أشراط الساعة، فلما علموا آية(٥) الساعة سأل بعضهم بعضاً: ماذا قال ربُّكم؟ قالوا: الحق.

---

(١) رواه اللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٥٤٩)، وما بين معكوفتين منه. وهو موقوف، وعلقه البخاري في (كتاب التوحيد) قبل الحديث رقم (٧٤٨١) عن مسروق عن ابن مسعود موقوفاً أيضاً.

(٢) رواه أبو داود (٤٧٣٨) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه بإسناد صحيح مرفوعاً.

(٣) رواه الدارمي في «الرد علة الجهمية» (٣٠٨) عن ابن مسعود موقوفاً.
وانظر الكلام في رفع هذا الحديث ووقفه في «فتح الباري» (١٣/ ٤٥٦).

(٤) ذكره السمعاني في «تفسيره» (٤/ ٣٣١) عن السدي، والبغوي في «تفسيره» (٦/ ٣٩٨) عن السدي ومقاتل والكلبي.

(٥) في (أ): «أنه».

وعن عائشة رضي الله عنها: أن الحارث بن هشام قال لرسول الله ﷺ: كيف ينزل عليك الوحي؟ فقال: «كلُّ ذلك يأتيني الملك أحياناً في صورة الرجل، فيقول لي فأعي ما يقول لي، ويأتيني أحياناً في مثل صلصلة الجرس، فيَفْصِم عني وقد وَعَيْتُ ما قال، وهو أشدُّ عليَّ»[1].

* * *

(٢٤) ـ ﴿ ۞ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: أي: ﴿قُلْ﴾ لهؤلاء المشركين: ﴿مَن يَرْزُقُكُم﴾: مَن يخلق لكم الأرزاقَ الكائنة في ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ من الأمطار وما يَصلح بالشمس والقمر والنجوم، وما في الأرض من الماء والنبات، ولا يقدرون أن يضيفوا شيئاً من ذلك إلى آلهتهم، فيسكتون لانقطاع الحجة.

﴿قُلْ﴾ أنت: ﴿ٱللَّهُ﴾ يفعل[2] ذلك ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾: فإنا لعلى هدًى بالإيمان بالله تعالى والإخلاصِ له، وأنتم في ضلالٍ مبين بإشراككم به غيرَه.

والجمع بين الكلامين تعريضٌ بتضليلهم وتخلُّصٌ[3] إلى المقصود بكلام هو في غاية الحسن والإنصاف؛ كالرجل يريد تكذيبَ صاحبه فيقول: أحدنا كاذبٌ، فيكون هذا ألطفَ من أنْ يقول: أنت كاذب، وأوامرُ الله تعالى في دعاء الكفار إلى الإسلام مبنيةٌ على الأرفق والأقرب إلى ما يُرجَى به ميلهم إلى الإسلام، ألا تراه

---

(١) رواه البخاري (٣٢١٥)، ومسلم (٢٣٣٣).

(٢) في (ف): «يقول».

(٣) في (ر): «وتخليص»، وفي (أ) تحتمل اللفظين.

قال: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ﴾ [طه: ٤٤]، ونحو هذا الكلام قول حسان رضي الله عنه:

أتهجوهُ ولستَ له بندٍّ فشرُّكما لخيرِكما الفداءُ[1]

وقيل: هو من التقسيم الذي هو من أقسام البلاغة، هما مبتدآن لهما خبران، فيتصل كلُّ خبر بمبتدئه، وتقديره: وإنَّا لعلى هدى وإياكم لفي ضلال مُبين، وهو كقوله: ﴿وَمِن رَّحۡمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ﴾ [القصص: ٧٣]؛ أي: الليل لتسكنوا فيه والنهار لتبتغوا من فضله، وهو كقول أمرئ القيس:

كأنَّ قلوب الطير رطباً ويابساً لدَى وَكْرِها العُنَّابُ والحَشَفُ البالي[2]

أي: الرَّطب كالعُنَّاب واليابسُ كالحشف البالي.

* * *

(٢٥ ـ ٢٦) ـ ﴿قُل لَّا تُسۡـَٔلُونَ عَمَّآ أَجۡرَمۡنَا وَلَا نُسۡـَٔلُ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ٢٥ قُلۡ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفۡتَحُ بَيۡنَنَا بِٱلۡحَقِّ وَهُوَ ٱلۡفَتَّاحُ ٱلۡعَلِيمُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قُل لَّا تُسۡـَٔلُونَ عَمَّآ أَجۡرَمۡنَا وَلَا نُسۡـَٔلُ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾: أي: إنما أدعوكم لنَفْعِكم ودفعِ الضرِّ عنكم، لا لنفعنا ودفع الضر عن أنفسنا، فإنكم لا تؤاخَذون بإجرامنا ونحن لا نؤاخَذ بإجرامكم.

﴿قُلۡ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَا رَبُّنَا﴾: أي: في القيامة ﴿ثُمَّ يَفۡتَحُ بَيۡنَنَا بِٱلۡحَقِّ﴾؛ أي: يقضي فيجزي كلَّ فريق على وَفْقِ عمله إنْ خيراً فخير وإن شرًّا فشر.

﴿وَهُوَ ٱلۡفَتَّاحُ﴾: أي: القاضي العدلُ ﴿ٱلۡعَلِيمُ﴾ بأعمال العباد وبوجوه القضاء.

---

(١) انظر: «ديوانه» (ص: ٩).

(٢) انظر: «ديوانه» (ص: ١٣٩). العناب: ثمر، والحشف: اليابس الفاسد من التمر.

(٢٧) ـ ﴿قُلْ أَرُونِيَ الَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِ شُرَكَاءَ كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَرُونِيَ الَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِ شُرَكَاءَ﴾: أي: قل يا محمد للمشركين: ﴿أَرُونِيَ﴾؛ أي: عرِّفوني ﴿الذين ألحقتُم به﴾؛ أي: بالله ﴿شُرَكَاءَ﴾؛ أي: في العبادة، هل لها شركٌ في السماوات والأرض؛ أي: شركةٌ[١] مع الله في الخلق فتستحقَّ العبادة.

وقيل: ﴿شُرَكَاءَ﴾؛ أي: في الخَلْق، فيَستقيمَ وصفُها بكونها شريكاً لله[٢] أو معبوداً معه؛ أي: وهذا لا يكون.

فإذا عجزوا عن ذلك فقل أنت: ﴿كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾: أي: لا معبودَ إلا الله، وهو الله المعبود المستحِقُّ للعبادة، العزيزُ الذي لا يُرام، والحكيم الذي له تنفيذُ الأحكام، ومنه الإتقان والإحكام، وإراءة الآيات والأعلام.

* * *

(٢٨ ـ ٢٩) ـ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٢٨) وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾: ذكَر إنكارهم رسالتَه في أول هذه السورة، وقال هاهنا: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً﴾ وفيه تقديمٌ وتأخيرٌ، وتقديره: وما أرسلناك إلا مبشِّراً[٣] ونذيراً للناس كافةً؛ أي: جميعاً، وكفَّ الثوبَ: جمَع ما تفرَّق من أطرافه.

---

(١) في (أ): «أو شركة»، وفي (ر): «أي لشركة»، وسقطت من (ف).

(٢) في (ف) و(أ): «بكونه شريكاً لله»، وفي (ر): «بكونها شركاء مع الله».

(٣) في (ف): «بشيراً».

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾: وهم المشركون؛ لأنهم أكثر من المؤمنين، ولا يعملون بعلمهم، ولا يتأمَّلون في الآيات ليعلموا.

وقوله ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾: وهو شاملٌ لِمَا يقع به التبشيرُ والإنذار ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ في ذلك.

❋ ❋ ❋

(٣٠) ـ ﴿قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ﴾.

﴿قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ﴾: أي: هذا مؤقَّتٌ عند الله بيوم لا يتقدَّمونه بساعةٍ ولا يتأخرون عنه، وهو يوم القيامة.

وقيل: هو يوم الموت، قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤]؛ أي: بالموت يأتيكم ما توعدون به قبل قيام الساعة.

❋ ❋ ❋

(٣١) ـ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ﴾: أي: لن نصدِّق به؛ أي[1]: بنزول القرآن على محمد ﴿وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾: التوراةِ والإنجيل، جحَدوا التوراة والإنجيلَ حين احتج عليهم بقول علماء أهل الكتاب وإخبارهم[2] عن ذكر النبيِّ فيهما، فجحدوا الكتب كلَّها أصلاً سفهاً منهم.

---

(١) «به أي» ليس في (أ).

(٢) في (أ): «وأحبارهم».

وقيل: ﴿وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾: هو قيام الساعة.

ثم بيَّن حالهم ذلك اليومَ فقال: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ﴾: أي: محبوسون في موضع الحساب والسؤال ﴿يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ﴾؛ أي: يتراجعون الكلام بينهم باللوم واللعن والبراءةِ من بعضهم عن بعضٍ.

﴿يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟﴾: أي: يقول الأتْباع للسادة الذين من صفتهم استضعافُ مَن دونَهم وجرُّهم إلى مرادهم:

﴿لَوْلَآ أَنتُمْ﴾: أي: لو لم يكن تسلُّطكم علينا وقهرُكم إيانا واستتباعُكم لنا ﴿لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾ بمحمد متابِعين له.

* * *

(٣٢) ـ ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا۟ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ﴾.

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا۟ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم﴾: استفهام بمعنى الإنكار، ومعناه: ما منعناكم عن اتِّباع الهدى بعد إذ جاءكم[1]، وما كان لنا ولايةُ القهر لو آمنتم أن نمنعكم[2] ﴿بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ﴾ ثابتين على الكفر باختياركم.

* * *

(٣٣) ـ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾.

---

(١) «بعد إذ جاءكم» ليس في (أ).

(٢) «أن نمنعكم» ليس في (أ) و(ف).

﴿وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾: أي: بل كان سببُ كفرنا مكرَكم بنا في الليل والنهار على الدوام، كنتُم تخادعوننا عن الهدى، وتمكرون بنا أبداً، وأضاف المكر إلى الليل والنهار لوقوعه منهم فيهما، وهو كقول الشاعر:

لقد لُمْتِنا يا أمَّ غيلانَ في السُّرَى ... ونمتِ وما ليلُ المطيِّ بنائمِ[1]

وقيل: كان الليل والنهار يمكران بطولِ السلامة فيهما.

والأصح الأول، ويدل عليه ما بعده: ﴿إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا﴾: أي: أشباهاً من الأصنام، فنعبدَها دونه.

﴿وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ﴾: أي: أضمروها في قلوبهم واستشعروها في قلوبهم.

وقيل: أخفوها؛ أي: السادة عن الأتباع.

وقيل: أي: أظهروها بقولهم: ﴿يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا﴾ [الأنعام: ٢٧] ونحوِ ذلك، والكلمة من الأضداد؛ قاله القتبيُّ[2] وقطرب، وأنشد للفرزدق:

فلما رأى الحجَّاجَ جرَّد سيفَه ... أَسَرَّ الحروريُّ الذي كان أَضمَرا[3]

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: أي: لمَّا رأوا العذاب ولمَّا جعلنا؛ أي: ندموا حين رأوا الأغلال جُعلت في أيدي الكفار إلى أعناقهم، ويحتمل

---

(١) البيت لجرير. انظر: «ديوانه» (٢/ ٩٩٣). قال أبو عبيدة في «شرح النقائض» (٣/ ٨٧٦): أم غيلان يعني ابنته، يقول لابنته: لا تلومينا في السرى في ليلتنا ونهارنا، ما المطي بنائم ليله كلّه في طلب العلا.

(٢) انظر: «غريب القرآن» لابن قتيبة (ص: ٣٥٧).

(٣) انظر: «تفسير الطبري» (١٦/ ٤٠)، و«الأضداد» لابن الأنباري (ص: ٤٦)، و«تهذيب اللغة» (١٢/ ٢٠١)، وفيه: قال شمر: لم أجد هذا البيت للفرزدق.

أن يكون عطفاً على قوله: ﴿وَأَسَرُّوا ... وَجَعَلْنَا﴾؛ أي: وجعلنا الأغلال في أعناق المستضعَفين والمستكبرين جميعاً فهم كفار.

﴿هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: استفهام بمعنى النفي للتقرير؛ أي: لا نجزيهم إلا بأعمالهم.

وأضمر في آخر هذه الآيات جوابَ قوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ رأيت منظراً هائلاً، ونحو ذلك كما عُرف[1].

نزلت ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ﴾ وما بعدها في الأسود بن عبد يغوثَ الزهريِّ وأصرم وبَعْكك أخوين من بني حارث بن عبد مناف.

***

(٣٤) ـ ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ﴾: أي: وما بعثنا قبلك في بلدةٍ من رسولٍ ينذر الناس عاقبةَ الشرك والكفرِ ﴿إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ﴾؛ أي[2]: منعَّموها، وهم أصحاب الأموال والأعوان مستكبِرين ممتنعين عن زوال رئاستهم.

﴿إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾: أي: جاحدون.

وعمَّ قوله: ﴿أُرْسِلْتُم بِهِۦ﴾ لأنه عمَّ جميع أهل القرى؛ أي: كان جوابُ مترفي كلِّ قوم لرسولهم كذلك، واللفظ واحد[3] في ﴿قَرْيَةٍ﴾ وكذلك ﴿مِّن نَّذِيرٍ﴾ ولكن معناه الجمعُ، فصح قوله: ﴿أُرْسِلْتُم﴾؛ أي: وكذلك قال أهل مكة لك يا محمد، وفيه تسليةٌ له.

---

(١) في (ر): «عرفت»، وفي (ف): «عرف مرات».

(٢) «مترفوها أي» من (أ).

(٣) في (ف): «وحد».

(٣٥ ـ ٣٦) ـ ﴿وَقَالُواْ نَحۡنُ أَكۡثَرُ أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ ٣٥ قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ نَحۡنُ أَكۡثَرُ أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا﴾: أي: من الأنبياء، فنحن أكرمُ على الله وأولى بالحق ﴿وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾؛ أي: ولا يعذِّبنا الله على تكذيب الرسل لأنه فضَّلنا عليهم.

وقوله تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُ﴾: أي: يوسِّع على مَن يشاء ويضيِّق على مَن يشاء، لا تفضيلاً لمن يوسِّع عليه لكنْ لِمَا يرى من الحكمة.

﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾: لا يقفون على[1] مواضع الحكمة.

* * *

(٣٧) ـ ﴿وَمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمۡ عِندَنَا زُلۡفَىٰٓ إِلَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَزَآءُ ٱلضِّعۡفِ بِمَا عَمِلُواْ وَهُمۡ فِي ٱلۡغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمۡ عِندَنَا زُلۡفَىٰٓ﴾: أي: قربةً، وقيل: أي: درجةً ومنزلة.

﴿إِلَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا﴾: أي: لكنْ مَن آمَن وعمل صالحاً فأولئك لهم الزُّلفى.

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَزَآءُ ٱلضِّعۡفِ﴾: أي: الأضعاف، والضعفُ هو المثل إلى ما زاد عليه، وهو جنس يصلح للجمع، ويدلُّ عليه قوله: ﴿فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠]، وقوله: ﴿فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافٗا كَثِيرَةٗ﴾ [البقرة: ٢٤٥].

---

(١) في (أ): «لا يفقهون على» وفي (ف): «لا يفقهون».

﴿بِمَا عَمِلُوا﴾: أي: بأعمالهم ﴿وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ﴾؛ أي: في غرفِ[1] منازل الجنة ﴿آمِنُونَ﴾ من كلِّ مَخوف.

و﴿إِلَّا﴾ على هذا القول استثناءٌ منقطع بمعنى: لكن.

وقيل: هو استثناء متصل، ومعناه: ﴿إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ في أمواله وأولاده، فأنفق مالَه في نصرة دين الله وإقامةِ حدود الله، واستَظهر بأولاده على طاعة الله ومتابعةِ رسل الله ﴿فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ﴾ فيضاعف خيرُهم بأموالهم وأولادهم.

وقيل: ﴿جَزَاءُ الضِّعْفِ﴾ هو دوام النعيم[2] في الجنة بالتضاعُف وقتاً بعد وقتٍ بلا انقطاع.

* * *

(٣٨) - ﴿وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ﴾[3]: أي: في إبطالها وفي صرف الناس عنها ﴿مُعَاجِزِينَ﴾: ظانِّين أنهم يفوتوننا.

﴿أُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾: أي: في النار، بخلاف الفريق الأول أنهم في غرفات الجنة آمنون.

* * *

(٣٩) - ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾.

---

(١) في (ف): «غرفات».

(٢) في (ف): «النعمة».

(٣) في (ف): «معجزين».

وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ﴾: أي: فلا تتَّكلوا على ما أعطاكم من أسباب العزِّ والتوسُّع في الدنيا، ولا تمتنِعوا بها عن طاعة الله[1]، بل أنفقوا في طلب مرضاته.

﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾: يعطي خلَفَه في الدنيا مع ما يُثيب عليه في الآخرة.

﴿وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾: أي: المعطِين؛ لأنه قادر على مواصلةِ رزقه وزيادةِ ما شاء لمن شاء فيه بغيرِ حساب، وليس إعطاءُ العباد كذلك، ولأنه يعطي مِلكَ نفسه، ولأنه يوجِد المعدوم، وغيرُه يعطي رزقَ الله تعالى، ويحوِّل من موضعٍ إلى موضع.

ولا رازق في الحقيقة إلا الله تعالى، ولا خالق أيضاً غيرُه، لكن معنى ﴿خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ هذا، و﴿أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤]؛ أي: أحسن المصوِّرين والمقدِّرين.

وقيل[2]: معنى تكرار هذه الآية: أن الأولى خطاب للكافرين وهذه خطاب للمؤمنين.

ثم قوله: ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ﴾؛ أي: في وجوه الخير، وذلك وإنْ لم يُذكر فالإنفاق المثمِر هذا، والذي لا يثمر هذا[3] كلا إنفاقٍ؛ كالعلم الذي لا ينفع يسمَّى جهلاً، وكذلك وصَف الكفار بأنهم صمٌّ بكمٌ عميٌ وأنهم لا يعقلون؛ لعدم انتفاعهم بهذه الآلات.

* * *

---

(١) في (ف): «عن الطاعة لله».

(٢) «قيل» ليست في (أ).

(٣) «هذا» مكررة في (أ).

(٤٠) ـ ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾: أي: الذين سبق ذكرهم: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [سبأ: ٣١] و﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا۟﴾[1] [سبأ: ٣٢].

وقيل: يوم يحشر العابدين والمعبودين جميعاً؛ أي: يجمعهم للحساب والعرض.

﴿ثُمَّ يَقُولُ﴾[2] بحضرتهم ﴿لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ﴾؛ أي: أهؤلاء المشركون كانوا يعبدونكم في الدنيا.

* * *

(٤١) ـ ﴿قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾.

﴿قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ﴾: أي: ننزِّهك تنزيهاً أن يكون معك إلهٌ.

﴿أَنتَ وَلِيُّنَا﴾: أي: أنت إلـهُنا وحافظُنا ومتولِّي أمورِنا ومصالحنا، وأنت الذي نتولَّاك ونلتمسُ قُربك بإخلاص العبادة لك.

﴿مِن دُونِهِم﴾؛ أي: من دون هؤلاء المشركين الذين يزعمون أنهم يتولَّوننا ونتولَّاهم، بل أنت وليُّنا وحدك وهم ليسوا لنا بأولياء ولا نحن لهم أولياء.

﴿بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ﴾: أي: بل كانوا يتولَّون الجنَّ ويظنُّون أنهم يتولَّوننا، ويعبدونهم ويتوهَّمون أنهم يعبدوننا.

﴿أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾: أي: كلُّهم؛ كقوله: ﴿وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ﴾[الشعراء: ٢٢٣]

---

(١) في (ر) و(ف): «وقال الذين اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا».

(٢) في (ف) و(أ): «ثم نقول».

فهو كقوله: ﴿يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ﴾ [غافر: ٢٨] وكقوله: ﴿فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ٨٨]؛ أي: لا يؤمنون أصلاً.

وهذا توفيقٌ للكلام بمنزلة قولك: اقبَلْ وَعْظي لعلك تُفْلحُ، ولا تريد به الشكَّ لكنه توفيق للكلام.

قيل: كان بنو مليحٍ من العرب يعبدون الملائكة ويقولون: هم بنات الله من مصاهرة الجن، قال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا﴾ [الصافات: ١٥٨].

وقيل: معناه: بل كانوا يطيعون الشياطين في عبادتهم إيانا.

* * *

(٤٢) ـ ﴿فَٱلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾.

﴿فَٱلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾: أي: يقال لهم: اليومَ لا تجدون عند هؤلاء الذين كنتُم تعبدونهم من دون الله ضرًّا ولا نفعاً مما كنتُم ترجون من شفاعتهم لكم.

﴿وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾: لهؤلاء الكفار ولسائرهم: ﴿ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ ويقولون مستهزئين: ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾ [سبأ: ٣٩].

* * *

(٤٣) ـ ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ وَقَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ مُّفْتَرًى ۚ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾: أي: وإذا تقرأ على هؤلاء ﴿ءَايَٰتُنَا﴾: آيات

القرآن ﴿بَيِّنَٰتٍ﴾؛ أي: واضحاتٍ دالَّاتٍ على إعجاز القرآن ﴿قَالُواْ مَا هَٰذَآ﴾ يعنون محمداً ﴿إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُكُمۡ﴾؛ أي: يصرِفكم عن دينِ آبائكم.

﴿وَقَالُواْ مَا هَٰذَآ﴾: أي: القرآن ﴿إِلَّآ إِفۡكٌ﴾؛ أي: كذب ﴿مُّفۡتَرًى﴾؛ أي: مختلَقٌ.

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡ إِنۡ هَٰذَآ﴾: أي: ما هذا ﴿إِلَّا سِحۡرٌ مُّبِينٌ﴾؛ أي: تخييلٌ ظاهر؛ تحيَّروا: فمرة قالوا: هو كذب، ومرة قالوا: هو سحر.

ويحتمل أن يكون قوله: ﴿سِحۡرٌ﴾ من قولِ الأتباع، وقوله: ﴿إِفۡكٌ مُّفۡتَرًى﴾ من قول السادة.

* * *

(٤٤) ـ ﴿وَمَآ ءَاتَيۡنَٰهُم مِّن كُتُبٍ يَدۡرُسُونَهَاۖ وَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمۡ قَبۡلَكَ مِن نَّذِيرٍ﴾.

﴿وَمَآ ءَاتَيۡنَٰهُم مِّن كُتُبٍ يَدۡرُسُونَهَا﴾: أي: وما أعطينا هؤلاء المشركين كتباً يتدارسونها(١) فيدَّعون أنهم وجدوا فيها شاهداً لقولهم.

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمۡ قَبۡلَكَ مِن نَّذِيرٍ﴾: أي: ولم نُرسل إليهم قبلك رسولاً يا محمدُ يخبرهم عن الله بإبطالِ أمرك(٢)، فليست عندهم حجةٌ على ما يقولونه في القرآن وفيك، وهو كقوله: ﴿ٱئۡتُونِي بِكِتَٰبٍ مِّن قَبۡلِ هَٰذَآ أَوۡ أَثَٰرَةٍ مِّنۡ عِلۡمٍ﴾ [الأحقاف: ٤].

* * *

(٤٥) ـ ﴿وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَمَا بَلَغُواْ مِعۡشَارَ مَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ فَكَذَّبُواْ رُسُلِيۖ فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ﴾.

---

(١) في (أ): «يدرسونها».

(٢) في (ف) و(أ): «أمر محمد».

﴿وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾: أي: وقد كذَّب الذين كذَّبوا قبْلَهم من الأمم والرسل فأهلكناهم.

﴿وَمَا بَلَغُواْ مِعۡشَارَ مَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ﴾: أي: إن هؤلاء المشركين لم يبلغوا في القوة والأموال[1] والأولاد عُشر ما بلغه أولئك، فإذا لم يمتنع أولئك من عذابي فكيف يمتنع هؤلاء.

والمعشار: العشر، وكذلك المرباع: الرُّبع، ولا يُتكلم بمثله إلا في هذين؛ قاله قطرب.

﴿فَكَذَّبُواْ رُسُلِيۖ فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ﴾: قيل: النكير جزاءُ المنكَر.

وقيل: هو الإنكار؛ أي: التغيير؛ أي: فانظر كيف كان تغييري أحوالَهم عن المحبوب إلى المكروه، وتقديره: نكيري، حُذفت الياء تخفيفاً واكتُفيَ بكسرة الراء؛ لاتِّفاق الفواصل.

* * *

(٤٦) - ﴿۞ قُلۡ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثۡنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا نَذِيرٞ لَّكُم بَيۡنَ يَدَيۡ عَذَابٖ شَدِيدٖ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ﴾: ثم إن الله تعالى بعد أن حاجَّهم فيما وصَفوا به الكتاب والرسول، وعَظَهم ودعاهم إلى النظر ومخالفةِ سُبُل[2] الأمم الخالية في التقليد.

وبيَّن وجه النظر على أبلغ وجه وأَبْيَنِه فقال: قل يا محمدُ لمشركي مكة: إنما

---

(١) في (ر): «والمال».

(٢) في (ر): «سبيل».

أذكِّركم بكلمة واحدةٍ أو خَصلةٍ واحدةٍ أو موعظةٍ واحدةٍ، وأكتفي بها منكم، وهي: ﴿أَن تَقُومُواْ﴾ وهي قيامُ القصد إلى الشيء دون النهوض والانتصاب ﴿لِلَّهِ﴾؛ أي: لوجه الله والْتماسِ التقرُّب إلى الله تعالى، لا لحميَّة وعصبية بل لطلب الحق ﴿مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ﴾؛ أي: مجتمعين ووحداناً؛ لأن ما يراد تعرُّفه بالنظر[1] لا يخلو من أن يكون مما يدركه الناظرُ وحده إذا أمعن[2] نظره لوضوح وجهه، أو يكون مما لا تتجلَّى الشبهة فيه عنه بانفراده لغموضه حتى يستعين بغيره، فالأحوطُ هو النظر في الأمر بالوجهين.

﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ﴾: أي: تستعملوا فكركم بالتدبُّر في أمر محمدٍ: هل في شيء من أحواله من مَنشئه إلى وقتِ إخباره بنزول الوحي عليه اشتباهٌ[3] في أمره أو اختلالٌ في حاله يوجب له وصمَه، أو يوجِّه[4] عليه ظنَّه بما لا يجوز معه في العقل أن يكون رسولاً؟

وهل جرَّبتم عليه كذباً، أو رأيتم في عقله ضعفاً، أو شاهدتُموه يختلف إلى مَن يدَّعي سحراً أو يكون عنده أقاصيصُ الأولين فيأخذُها منه تعلُّماً؟

أو هل يقدر أحدٌ منكم على معارضته في صورة[5] فتجوِّزوا بذلك أن يكون هذا الكتاب مِن عنده؟

فإذا لم يكن كذلك فاعلموا أنه ليس به جنونٌ، وأنه نذير لكم بين يدي عذابٍ

(١) في (أ): «بقربه بالنظر» وفي (ر) (ف): «تعرفه للنظر».

(٢) في (أ): «أنعم».

(٣) في (أ) و(ف): «انتشار».

(٤) في (ر): «يوجب»، وفي (ف): «يوجبه».

(٥) في (أ): «سورة».

شديد: أمام عذابٍ قد أعدَّه الله تعالى لمكذِّبي رسوله وجاحدي كتابه ومشركي غيرِه به، واحذروا أيضاً أن ينالكم هذا العذاب الشديد، فقد اشتملت هذه الآية مع قلَّة حروفها على إثبات النظر ووجوهه.

ثم قوله: ﴿مَا بِصَاحِبِكُم﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: ثُم تَتَفكَّروا أيُّ شيء بصاحبكم من الجنون؟ أي: من آثار الجنون، فيتصل الكلام.

والثاني: أن يتم الكلام بقوله: ﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا﴾؛ أي: في الأمور التي عدَّدنا، ثم يكون قوله: ﴿مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ﴾ ابتداءً، ويكون ﴿ما﴾ للنفي؛ أي: ليس به جنون ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾؛ أي: ما هو إلا مخوِّف لكم أمام عذاب شديد.

* * *

(٤٧) ـ ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾.

وقوله: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ﴾: أي: كلُّ ما طلبتُ منكم على ما أدعوكم إليه من الإيمان من جُعلٍ فهو لكم؛ أي: فقد جعلتُه لكم لا حاجةَ لي إليه، ولا أطلب منكم شيئاً ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾؛ أي: ما أبتغي عليه إلا الثوابَ من الله تعالى، وقد وعده لي وعداً مؤكَّداً لا خُلف فيه ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾؛ أي: شاهدٌ عليَّ وعليكم، مشاهِدٌ لأفعالي وأفعالِكم، فيجزي كلًّا على وَفْق عمله، وهذا تأكيدٌ أنه لم يسألهم شيئاً، وهو كقولك لمن نصحت له فلم يقبل: ما أعطيتني على نصيحتي لك فخذه مني؛ أي: لم تعطني شيئاً ولم أسأله منك.

وللآية وجهٌ آخر: قال الكلبي: لما قال الله تعالى لنبيه: ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا

﴿ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى: ٢٣] قال: لا تؤذوا محمداً في أقاربه، فلما ذكر رسول الله ﷺ آلهتهم بعد ذلك قالوا: ما أنصفَنا محمدٌ ـ ﷺ ـ ينهانا أن لا نؤذيَ أقاربه ففعلنا، وهو يذكر آلهتنا! فنزلت هذه الآية: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ﴾؛ أي: إن شئتم فآذوهم، فردَّ عليهم أجرهم الذي كان سألهم من[1] أن لا يُؤذوا أقاربه.

وفيها وجه آخر: ﴿مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ﴾ وهو الكفُّ عن أذى أقاربي ﴿فَهُوَ لَكُمْ﴾؛ أي: فذلك الأجر لكم؛ لأنكم إذا فعلتُموه كان ثوابه من عند الله لكم.

***

(٤٨) ـ ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّى يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّى يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ﴾: أي: يُلقي الحقَّ إليَّ وإلى عباده المؤمنين على وجهٍ لا يقع عليه اعتراضٌ متوجِّهٌ، بل يَبطُل به الباطلُ.

﴿عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾: أي: هو علَّام الغيوب، لا تخفَى عليه حقائق الأشياء، ولا يذهب عليه[2] الصواب في الحجج.

***

(٤٩) ـ ﴿قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾.

﴿قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ﴾: أي: الدِّين الحقُّ؛ لوضوح آياته ودلالاته ﴿وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾؛ أي: ولا يَثبُت للباطل ـ أي: الشركِ ـ أثرٌ بدءاً ولا عوداً.

وقال أبو عبيدة: ﴿يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ﴾؛ أي: يأتي بالحق[3].

---

(١) «من» من (أ) و(ف).

(٢) في (أ): «عنه».

(٣) انظر: «مجاز القرآن» (٢/ ١٥٠).

وقال نِفطويه: أي: يلقي الحقَّ في قلبِ مَن يشاءُ وعلى لسانه.

وقيل: هو ما قال في آية أخرى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ [الأنبياء: ١٨].

وقيل في قوله: ﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ﴾: أي: القرآن.

قال الضحاك: ﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ﴾: أي: القرآن ﴿وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾؛ أي: ما يخلق إبليس أحداً ولا يبعثه[1].

وقال الحسن: ﴿وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ﴾ لأهله خيراً في الدنيا ﴿وَمَا يُعِيدُ﴾ عليهم خيراً[2] في الآخرة، والباطل ما عُبد من دون الله[3].

* * *

(٥٠) - ﴿قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾.

﴿قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي﴾: أي: إن تركتُ الحقَّ الذي أتيتُ به واتَّبعتكم فقد ضلَلْتُ وألحقتُ الضررَ بنفسي.

﴿وَإِنِ اهْتَدَيْتُ﴾: ثبتُّ على حقي ﴿فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي﴾ تبيان[4] جاءني من ربي ﴿إِنَّهُ سَمِيعٌ﴾ لِمَا أقوله لكم ﴿قَرِيبٌ﴾ مني ومنكم يجازيني ويجازيكم.

---

(١) رواه يحيى بن سلام في «تفسيره» (٢/ ٧٧٠)، والطبري في «تفسيره» (١٩/ ٣٠٧) عن قتادة.

(٢) في (أ): «جزاء».

(٣) ذكره ابن فورك في «تفسيره» (٢/ ١٥٥)، والثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٩٤)، والزمخشري في «الكشاف» (٣/ ٥٩٢)، ولفظه في «الكشاف»: لا يبدئ لأهله خيراً ولا يعيده؛ أي: لا ينفعهم في الدنيا والآخرة.

(٤) في (ر) و(ف): «فيه بيان»، بدل: «تبيان».

(٥١) ـ ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ فَلَا فَوْتَ﴾: قيل: يتصل بقوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ﴾.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما والضحاك: هو يوم بدر حين أخذتهم سيوف الملائكة[١].

وقال الحسن رحمه الله: وهو حين يخرجون من قبورهم[٢].

﴿إِذْ فَزِعُوا۟﴾؛ أي: هابوا[٣]، وقيل: أي: خافوا خوفاً شديداً.

وقيل: الفزع: انزعاج النفس بتوقُّع المكروه.

﴿فَلَا فَوْتَ﴾ قال الضحاك: أي: لا مهرب[٤].

وقيل: فلم يفوتوا ما نزل من العذاب بهم.

﴿وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾: أي: من قُرْب فلم يفوتوا، وهو تمثيل لسرعة الأخذ.

وقيل: هو تأكيدُ ﴿فَلَا فَوْتَ﴾.

ومَن حمَله على يوم بدر قال: أخذوا في الدنيا قبل أن يصيروا إلى الآخرة، وهو المكان القريب.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٣٠٩) عن ابن عباس والضحاك وابن زيد، وخبر ابن عباس والضحاك بلفظ: (عذاب الدنيا)، وليس فيه تعيين يوم بدر، لكنه عام فيشمله.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٣١٢).

(٣) في (ر) و(ف): «غابوا»، ولم أجد هذا المعنى فيه.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٣١٤).

وقال الحسن: ﴿وَأُخِذُوا﴾ يوم القيامة ﴿مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾: من بطن الأرض إلى ظهرها(١).

***

(٥٢) - ﴿وَقَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾.

﴿وَقَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾: يجوز أن يكون راجعاً إلى قوله: ﴿قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ﴾، ويجوز أن يكون إلى الوحي فقد قال: ﴿فَبِمَا يُوحِىٓ﴾، ويجوز أن يكون إلى الرب فقد قال: ﴿إِلَىَّ رَبِّىٓ﴾(٢).

فإن كان هذا عند الموت فهو كقوله: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ﴾ [غافر: ٨٤] وقال: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ [النساء: ١٥٩].

وإن كان في القيامة فكلُّ الكفار يؤمنون(٣) ويتبرَّؤون عن الكفر حينئذ.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾: أي: كيف ومن أين لهم تناوُل الإيمان من مكان بعيد؟ وهو تمثيل ومعناه: ليس هذا وقتَ نفعِ الإيمان ولا مكانَ قبول الإيمان، كان ذلك في الدنيا وقبل معاينة هذه الأحوال.

وقرأ أبو عمرو وحمزةُ والكسائي وخلف(٤)، وعاصم في رواية أبي بكر والشموني والبرجمي(٥):..

---

(١) ذكره يحيى بن سلام في «تفسيره» (٢/ ٧٧١)، وابن أبي زمنين في «تفسيره» (٤/ ٢١).

(٢) في (ف): «﴿إِنَّ رَبِّى﴾»، وهي أيضاً مما تقدم.

(٣) بعدها في (ر): «به».

(٤) «وخلف» ليست في (أ) و(ف).

(٥) قوله: «والشموني والبرجمي» ليس في (أ).

والشموني هو محمد بن حبيب، قرأ على أبي يُوسف الأعشى، وقرأ أبو يوسف على أبي بكر، =

﴿التناؤش﴾ مهموزاً ممدوداً[١].

قال الزجاج: هو من النَّأْش، وهو الحركة في إبطاء[٢]؛ أي: من أين لهم أن يتحرَّكوا فيما لا حيلة فيه.

وقرأ الباقون: ﴿ٱلتَّنَاوُشُ﴾ بغير همزٍ، وهو التناول، والنَّوش كذلك؛ قال الشاعر:

وَهْيَ تَنوشُ الحوضَ نَوْشاً مِن عَلَا ... نَوْشاً بِه تَقْطَعُ أَجْوازَ الفَلَا[٣]

وقال ثعلب: ﴿ٱلتَّنَاوُشُ﴾ بغير همز: التناول من قُرْبٍ، وبالهمز: التناول من بُعْدٍ.

وقيل في الآية: وكيف لهم تناولُ ما في الدنيا من الآخرة وهي بعيدة عن الدنيا؟

= انظر: «النشر» (١/ ١٣٥).

والبرجمي: عبد الحميد بن صالح بن عجلان التيمي، أبو صالح الكوفي، أخذ القراءة عرضًا عن أبي بكر بن عياش ثم عن أبي يوسف الأعشى بحضرة أبي بكر. انظر: «طبقات القراء» لابن الجزري (١/ ٣٦٠).

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٥٣٠)، و«التيسير» (ص: ١٨١) عن حمزة والكسائي وأبي عمرو وأبي بكر. وقراءة خلف في «النشر» (٢/ ٣٥١).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٢٥٩).

(٣) الرجز لغيلان بن حريث كما في «مجاز القرآن» (٢/ ١٥٠)، و«شرح أبيات سيبويه» للسيرافي (٢/ ٢٤٧)، و«اللسان» (مادة: نوش). ودون نسبة في «الكتاب» (٣/ ٤٥٣)، و«معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٦٥)، و«إصلاح المنطق» (ص: ٣٠٧). قال في «اللسان»: الضمير في قوله: (فهي) للإبل، و(تنوش الحوض): تتناول ملأه، وقوله: (من علا)؛ أي: من فوق، يريد أنها عالية الأجسام طوال الأعناق، وذلك النوش الذي تناله هو الذي يعينها على قطع الفلوات، والأجواز: جمع جوز، وهو الوسط؛ أي: تتناول ماء الحوض من فوق وتشرب شرباً كثيراً وتقطع بذلك الشرب فلوات فلا تحتاج إلى ماء آخر.

(٥٣) ـ ﴿وَقَدْ كَفَرُوا بِهِۦ مِن قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾.

﴿وَقَدْ كَفَرُوا بِهِۦ مِن قَبْلُ﴾: أي: من قبلِ حالة اليأس[1]، أو قبلَ يوم القيامة.

﴿وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾: أي: يرمون بالظن المغيَّب عنهم ﴿مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾؛ أي: يظنون أن إيمانهم في الآخرة أو حالةَ اليأس نافعٌ لهم؛ جهلاً منهم في الآخرة وحالةِ اليأس كما كانوا جاهلين في الدنيا وفي غير حالة اليأس فعمَّهم الجهل في الحالين.

وقيل: ﴿وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ هو ابتداء كلام في وصفهم في الدنيا، ومعناه: يرمون بالظن فيقولون: لا بعث ولا جزاء، وهو رجمٌ بالظنِّ من مكان بعيد، وهو أضعف ما يكون من الظنِّ لبُعد المكان عن الظانِّ.

وقيل: هذا البعد عن القلب، وقيل: عن العقل.

وقيل: هذا الظن البعيد منهم كان في القرآن وفي الرسول، فكانوا يصفون كلَّ واحد منهما بصفات مختلفة.

وقيل: المكان البعيد تمثيل؛ كقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٤].

وقيل: هو الوصف منهم في الدنيا، لكنه متصل بالأول بإضمار: كانوا؛ أي: لا ينفعهم الإيمان لأنهم كفروا به من قبل وكانوا يقذفون بالغيب من مكان بعيد في الدنيا.

وقيل: ﴿وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ﴾؛ أي: يرمون بالآخرة ﴿مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾؛ أي: يبعدون أمرها فلا يعتقدون كونَها، كما قال تعالى: ﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ﴾ [المؤمنون: ٣٦] وهذا معنى قول الضحاك.

---

(١) في (ر) و(ف): «البأس» وكذا في المواضع الآتية كلها.

وقيل: ﴿وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ﴾؛ أي: يرمون آجالهم ﴿مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾؛ أي: يقدِّرونها بطولٍ فيسوِّفون بالتوبة، وهذا معنى قول عكرمة.

* * *

(٥٤) - ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾: أي: من الانتفاع بالإيمان والتوبة ﴿كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ﴾؛ أي: بالذين سابقوهم(١) على الكفر من الماضين، كان لا يقبل إيمانهم عند البأس، قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ﴾ [غافر: ٨٤].

وقيل: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ﴾ حينئذ ﴿وَبَيْنَ مَا﴾ كانوا(٢) ﴿يَشْتَهُونَ﴾ وهو الأموال والأولاد والأسباب التي كانوا يتنعَّمون بها ويتعزَّزون(٣) في الدنيا بها، وهو كقوله تعالى: ﴿وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ﴾ الآية [الأنعام: ٩٤].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ﴾: أي: في شك من القرآن والرسول والإيمان والبعث، وكلُّ ذلك سبق ذكره.

وقوله تعالى: ﴿مُّرِيبٍ﴾؛ أي: مشكِّكٍ(٤)، وهو مبالغةٌ كقولهم: عَجَبٌ عجيب، وشتاءٌ شاتٍ، وليلةٌ ليلاء.

---

(١) في (ر): «شايعوهم».

(٢) «كانوا» ليست في (ف).

(٣) في (أ): «ويتغررون».

(٤) في (ف): «مشك».

وقيل: المريب: الآتي بالمكروه، وقال الهذلي الشاعر:

كنتُ إذا أتوتُه من غيبِ كأنني أَرِيبه بريبِ[١]

أي: هؤلاء الكفار الذين في عصرك والكفار الماضون من قَبلك كانوا كذلك فعذِّبوا لذلك.

قال[٢] ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟﴾ في السفياني الذي يظهر في آخر الزمان يقصد الكعبة في ثمانين ألفاً ليخربها، فيُخسف بهم في البيداء[٣].

وقوله: ﴿وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾: خُسِف بهم من تحت أرجلهم[٤].

وقال مقاتل: يَبعث ثلاثين ألفاً إلى مكة عليهم رجلٌ يقال له: بحير بن بجيلة، فإذا دخلوا البيداء خُسف بهم فلا يُفلت منهم إلا رجلٌ من جهينةَ يقال له: ناجية، مقلوبٌ وجهُه إلى قفاه [يمشي قهقرَى على عقيبة حتى ينتهيَ إلى السفيانيِّ الخبيث، وإنما يملك تسعة أشهر، وأكثرُ أتباعه كلبٌ][٥] يخبر الناس بما أصابهم[٦].

---

(١) الرجز لخالد بن زهير الهذلي. انظر: «ديوان الهذليين» (١/ ١٦٥)، و«الإتباع» لأبي علي القالي (ص: ٧١)، و«المحرر الوجيز» (٣/ ١٨٤).

(٢) في (ر) و(ف): «وقد وردت أحاديث في هذه الآية أنها في السفياني وقال».

(٣) ذكره الزمخشري في «الكشاف» (٣/ ٥٩٢ ـ ٥٩٣) بلفظ: نزلت في خسف البيداء، وذلك أنّ ثمانين ألفاً يغزون الكعبة ليخربوها، فإذا دخلوا البيداء خسف بهم. وليس فيه ذكر السفياني، وانظر التعليق الآتي.

(٤) رواه ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس رَضِي الله عَنْهُمَا في قوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ قال: هو جيش السفياني، قال: من أين أُخذ؟ قال: من تحت أقدامهم. انظر: «الدر المنثور» (٦/ ٧١٢).

(٥) ما بين معكوفتين ليس (أ)، ووقع مكانه في «تفسير مقاتل»: (يمشي القهقرى).

(٦) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٥٣٩).

وقال مقاتل بن سليمان: يخرج السفياني من الوادي اليابس في أخواله من بني كلب، فيخطبون على منابر الشام، فإذا بلغوا عينَ التمر محا الله الإيمان من قلوبهم، فيخرجون حتى ينتهوا إلى ميل الذهب، فيقاتلون قتالاً شديداً، فيَقتل السفيانيُّ سبعين ألفَ رجل عليهم السيوفُ المحلَّاة والمناطق المفضَّضة[١]، ثم يدخل الكوفة فتصير أهلها ثلاثَ فرقٍ: فرقةٌ تلحق بهم وهم شرارُ خلق الله تعالى، وفرقةٌ تقاتله وهم عند الله شهداء، وفرقة ثالثةٌ تلحق بالأعراب وهم العصاة، ثم يغلب الكوفة فيفتضُّ أصحابه ثلاثين ألف عذراءَ، فإذا أصبحوا كشفوا شعورهن وأقاموهن على السوق يبيعوهن، فعند ذلك كم من لاطمةٍ خدَّها وكاشفةٍ وجهَها وناتفةٍ[٢] شعرها بدجلة أو شاطئ الفرات، فيبلغ الخبر أهل البصرة فيركبون إليهم في البر والبحر فيستنقِذون أولئك النساء من أيديهم، فيصير أصحاب السفياني ثلاثَ فرقٍ: فرقةٌ تسير نحو الرِّي، وفرقةٌ تبقى بالكوفة، وفرقةٌ تأتي المدينةَ وعليهم رجل من بني زهرةَ، فيحاصرون أهل المدينة فيقتتلون جميعاً، فيُقتل بالمدينة مقتلةٌ عظيمةٌ، حتى يبلغ الدمُ الرأسَ المقطوع، ويُقتل رجل من أهل بيتِ رسول الله ﷺ وامرأة[٣]، واسم الرجل محمدٌ واسم المرأة فاطمة، يصلبونهما عاريين، فعند ذلك يشتدُّ غضب الله عليهم، فيبلغ الخبرُ وليَّ الله، فيخرج من قرية من قرى جُرَش في ثلاثين رجلاً، فيبلغ المؤمنين خروجُه، فيأتونه من الأرض ويحنُّون إليه كما تَحِنُّ الناقة إلى فصيلها، فيجيء فيدخل مكة، فتقام الصلاة فيقال: تقدم يا ولي الله، فيقول: لا أفعل، ثم يصلي

---

(١) في (أ): «المفضفضة».

(٢) «وجهها وناتفة» ليس في (أ).

(٣) في (أ): «وامرأته».

بهم رجل، ثم يتداكُّون[1] عليه بالبيعة تداكَّ الإبل الهيم[2] يوم ورودها حياضَها فيبايعونه، فإذا فرغ من بيعة الناس بعث خيلاً إلى المدينة عليهم رجلٌ من أهل بيته، فيقاتل الزهريَّ فيُقتل من كِلَا الفريقين مقتلةٌ عظيمة، فيرزق الله وليَّه الظَّفَر، فيُقتل الزهريُّ ويُقتل أصحابه، فالخائب يومئذ مَن خاب من غنيمةِ كلبٍ ولو بعقالٍ، فإذا بلغ الخبر السفياني خرج من الكوفة في سبعين ألفاً، حتى إذا بلغوا البيداء عسكر بها وهو يريد قتالَ وليِّ الله وخرابَ بيت الله، فبينما هم كذلك بالبيداء إذ نَفَر فرس لرجل من العسكر، فخرج الرجل لطلبه[3]، وبعث الله جبريل فضرب الأرض برجله ضربةً فخسف الله عز وجل الأرض بالسفياني وأصحابه، ورجع الرجل يقود فرسه فيستقبلُه جبريل فيقول: ما هذه الضجة في العسكر، فيضربه جبريل صلوات الله عليه بجناحه فيتحول وجهه مكان القفاء فيمشي قهقرى، فهذه الآية نزلت فيهم[4].

* * *

(١) في (ف): «يتدالون».

(٢) في (أ): «الصيم»، وفي (ر): «بهم».

(٣) في (ر) و(ف): «فخرج الطلب في أثره».

(٤) انظر: «عقد الدرر في أخبار المنتظر» ليوسف بن يحيى المقدسي الشافعي (ص: ١٤٧ ـ ١٤٩)، وعزاه للنقاش في «تفسيره»، وهو كلام مجموع من أخبار عديدة، لكن لم يثبت منها شيء.

سُورَةُ فَاطِرٍ

سُورَةُ فَاطِرٍ(1)

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

بسم الله الذي يزيدُ في الخلق ما يشاء، الرحمنِ الذي يخشاه من عباده العلماء، الرحيمِ الذي بحكمته تستمسك الأرض والسماء.

وروى أبي بن كعب رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «مَن قرأ سورة الملائكة دَعَتْه يوم القيامة ثمانيةُ أبوابِ الجنة أن ادخل من أيِّ الأبواب شئتَ»(2).

وهذه السورة مكيةٌ، وهي ستٌّ وأربعون آية، وقيل: خمس وأربعون، والخلاف في سبع الآيات: ﴿لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞ﴾ ﴿وَيَأۡتِ بِخَلۡقٖ جَدِيدٖ﴾ ﴿ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ﴾ ﴿وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ﴾ ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسۡمِعٖ مَّن فِي ٱلۡقُبُورِ﴾ ﴿أَن تَزُولَاۚ﴾ ﴿لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا﴾.

وكلماتها سبعُ مئة وخمس وسبعون، وحروفها ثلاثة آلاف ومئة وخمس وأربعون(3).

وانتظام أول السورة بآخر تلك السورة: أنه ذكر في آخر تلك السورة أن الكفار في شكٍّ مريبٍ لتركهم التأمُّل في تلك الآيات، وذكر في أول هذه السورة

---

(1) في (ر) و(ق): «سورة الملائكة».

(2) رواه الثعلبي في «تفسيره» (8/ 97)، وهو قطعة من الحديث الموضوع في فضائل السور. وانظر: «الفتح السماوي» للمناوي (3/ 948)، و«الفوائد المجموعة» للشوكاني (ص: 296).

(3) انظر: «البيان في عد آي القرآن» (ص: 210)، وفيه: كلمها سبع مئة وسبع وسبعون كلمة وحروفها ثلاثة آلاف ومئة وثلاثون حرفاً.

من الآيات ما لا يبقَى معه ريب عند التأمل فيه، وهو خلق الأرض والسماوات.

وانتظام السورتين: أنهما مكيتان، وهما في محاجَّة المشركين، ومدحِ الموافقين، وذمِّ المنافقين المخالفين.

* * *

(١) - ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: أي: خالقِهما من غير شيءٍ ﴿جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا﴾ إلى النبيين ﴿أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ﴾ يطيرون بها ينزلون من السماء إلى الأرض، ويعرجون منها إلى السماء في يوم وأقلَّ منه، ومسيرةُ ما بينهما ألفُ سنة نزولاً وعروجاً، ولولا ما قوَّاهم بذلك لَمَا أَمْكنهم ذلك.

﴿مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾: أي: من الملائكة مَن له جناحان كما للطيور التي في الهواء، ومنهم مَن له ثلاثةُ أجنحة، ومنهم من له أربعةُ أجنحة.

﴿يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ﴾: أي: ويزيد بعضَهم على أربعةٍ[١]، فقد روي أن جبريل صلواتُ الله عليه له ستُّ مئة جناح[٢]، لو نشر جناحاً له لسدَّ ما بين الخافقين، ولبعض الملائكة أكثرُ من ذلك، وهذا عامٌّ يتناول زيادةَ كلِّ شيء في كلِّ شيء، ولذلك قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ وهذا أساس لحديث إرسال الرسل وبعثِ الخلق يوم القيامة.

---

(١) في (ر) و(ف): «على بعض».

(٢) رواه البخاري (٣٢٣٢)، ومسلم (١٧٤)، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

وعن النبي ﷺ رواه أبو هريرة رضي الله عنه أنه قال في الآية: «هي[(١)] الوجه الحسن، والصوت الحسن، والشعر الحسن»[(٢)].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: في أجنحة الملائكة[(٣)].

وقال ابن كيسان: في الجسم والعرض والطول؛ كما قال: ﴿وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ﴾ [البقرة: ٢٤٧]، يعني: طالوت.

وعن قتادة أنه قال: الملاحة في العينين[(٤)].

وقيل: الكياسة في الطبيعة.

وقيل: الفصاحة في المنطق.

وقيل: الفهم عن الله تعالى.

وقيل: السخاء.

وقيل: الرضا بالتقدير.

وقيل: علو الهمة.

وقيل: التواضع في الشرف.

وقيل: القناعة في الفقر.

---

(١) في (ر): «إنه».

(٢) ذكره تاج القراء الكرماني في «تفسيره» (٢/ ٩٤٤)، والزمخشري في «الكشاف» (٣/ ٥٩٦).
وأورده الحافظ في «تخريج أحاديث الكشاف» (ص: ١٣٨) ولم يذكر له تخريجاً.

(٣) رواه ابن أبي حاتِم عن السدي. انظر: «الدر المنثور» (٧/ ٤).

(٤) رواه ابن عدي في «الكامل» (٣/ ٤٧)، والبيهقي في «الشعب» (١١٦)، والثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٩٨).

وقيل: الظَّرف في الشمائل.

وقيل: المحبة في القلوب.

وقيل: خفَّة الروح.

وقيل: سلامة الصدر من الشر.

وقال الإمام القشيري: التعطُّف[١] على الخلق.

وقيل: الشوق إلى الحق.

وقيل: تحرُّر القلب عن رقِّ الحدثان.

وقيل: ألا يطلب لنفسه منزلةً في الدارين[٢].

* * *

(٢) ـ ﴿مَّا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿مَّا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ﴾: قيل: هي النبوة؛ كما قال: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾ [الزخرف: ٣٢] ﴿فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾؛ أي: لا يتهيأ لأحدٍ ردُّها ولا[٣] معارضتُها.

﴿وَمَا يُمْسِكْ﴾: أي: يقطعْ في زمان الفترة ﴿فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ﴾؛ أي: لا يمكن أحداً فتحُ هذا الباب.

وقال: ﴿فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾ بالتأنيث لسبق ذكر الرحمة، وقال: ﴿فَلَا مُرْسِلَ لَهُ﴾

---

(١) في (ر): «العطف».

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» (٣/ ١٩١).

(٣) «لا» ليست في (أ).

بالتذكير لسبق ذكر قوله: ﴿وَمَا يُمْسِكْ﴾، ويجوز في العربية التأنيثُ فيهما لذكر الرحمة[1]، ويجوز تذكيرهما لذكر ﴿وَمَا﴾ فيهما.

وقيل: الآية عامة لكلِّ نعمة، ويدل عليه ما بعده: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ﴾.

والرحمة في القرآن جاءت للمطر: قال تعالى: ﴿نُشراً بين يَدَي رحمته﴾ [الأعراف: ٥٧].

وللرزق: قال تعالى: ﴿وَإِمَّا تُعۡرِضَنَّ عَنۡهُمُ ٱبۡتِغَآءَ رَحۡمَةٖ مِّن رَّبِّكَ﴾ [الإسراء: ٢٨].

ولأشياء: قال تعالى: ﴿وَمِن رَّحۡمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ﴾ [القصص: ٧٣]، وقال تعالى: ﴿إِنۡ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ﴾ ثم قال: ﴿أَوۡ أَرَادَنِي بِرَحۡمَةٍ﴾ [الزمر: ٣٨] وعلى هذا آيات.

﴿وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ﴾: في مُلكه وجلاله ﴿ٱلۡحَكِيمُ﴾ في أقواله وأفعاله.

* * *

(٣) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾: قيل: هو خطاب للمشركين ﴿ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ﴾؛ أي: تذكَّروا.

وقيل: أي: احفظوا ما مَنَّ الله به عليكم من أنواع النِّعم.

﴿هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ﴾: قرأ حمزة والكسائي وأبو جعفر: ﴿غيرِ الله﴾ بالخفض على ظاهرِ قوله: ﴿مِنۡ خَٰلِقٍ﴾، وقرأ الباقون: ﴿غَيۡرُ ٱللَّهِ﴾ بالرفع[2] لوجهين: هل غيرُ الله

---

(١) بعدها في (ر) و(ف): «فيهما».

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٥٣٤)، و«التيسير» (ص: ١٨٢)، و«النشر» (٢/ ٣٥١).

من خالق، و: هل خالقٌ غيرُ الله، فإن ﴿مِنۡ﴾ زائدة مؤكِّدة، فإذا حُذفت رفع ﴿خَٰلِقٍ﴾، وهو استفهام بمعنى النفي.

﴿يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾: بالمطر والنبات وغير ذلك.

وإذا لم يكن خالقٌ ولا رازقٌ غيرُه فلا إلهَ غيرُه، ولذلك قال بعده: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾

وقوله تعالى: ﴿فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ﴾: أي: كيف تُصْرفون ومن أين تُصرَفون عن هذا الحق إلى غيره، والأفكُ بالفتح: الصرفُ، والإفك بالكسر: الكذب، وهو الكلام المصروف عن الصواب، وخرج الكلام على ما لم يسمَّ فاعله على مذهب العرب في قولهم للرجل: أين يُذهبُ بك؟ أي: أين تذهب؟ فكذا هذا معناه: فكيف ومن أين تنصرفون من الحق إلى الباطل؟ وهو استفهام بمعنى الإنكار والتوبيخ.

وقال الإمام القشيري رحمه الله: مَن ذكر النعمةَ فهو صاحب عبادة ونائل زيادة، ومَن ذكر المنعِم فهو صاحب إرادةٍ ونائلُ زيادة، وفرقٌ بين زيادةٍ وزيادة، هذا زيادته عطاؤه وهذا زيادته لقاؤه.

وقوله تعالى: ﴿هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم﴾ مَن عرف أنه لا رازق غيرُ الله لم يُعلِّق قلبه بأحدٍ في طلبِ شيء، ولا يتذلَّل للارتفاق لمخلوق، وكما لا يرى رزقَه من مخلوق لا يراه من نفسه أيضًا، فيتخلَّص من ظلمات تدبيره واحتياله وتَوهُّمِ شيء من أشكاله وأمثاله[1].

* * *

(٤) ـ ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدۡ كُذِّبَتۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ﴾ يا محمد فلا يَضِيقنَّ صدرُك فلستَ بأولِ مَن كذِّب

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» (٣/ ١٩١ ـ ١٩٢).

مِن الرسل ﴿فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ﴾ كذَّبهم أممهم ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾؛ أي: وإلى حُكم الله تصيرُ الأمور في عواقبها، فيجعل العاقبةَ المحمودة للأنبياء والمرسَلين[1] والمؤمنين والعاقبةَ المذمومةَ للمكذِّبين، وهذا وعد ووعيد.

***

(٥) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾: وهو عام للمكلَّفين ﴿إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾؛ أي: بالثواب والعقاب[2] جميعاً؛ لقوله: ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ والوعدُ يقع على العذاب قال تعالى: ﴿ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [الحج: ٧٢].

﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾: أي: لا تغترُّوا بهذه الحياةِ الخاليةِ فإنها زائلةٌ، وأنتم مبعوثون للعرض والحساب والجزاء.

﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾: قيل: الدنيا.

وقيل: الشيطان بما يمنِّيكم على الله من المغفرة مع الإصرار، وبما يزيِّن لكم من الـمُقام على الكفران[3].

***

(٦) ـ ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾.

﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾ قديم من وقتِ أبيكم آدمَ عليه السلام وأمِّكم حواءَ ﴿فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ ولا تتابعوه[4] ولا تطيعوه فتَهلِكوا.

---

(١) «والمرسلين» ليست في (أ).

(٢) في (ف): «والعذاب».

(٣) في (ف): «الكفر».

(٤) في (أ): «تبايعوه».

﴿إِنَّمَا يَدْعُواْ﴾ إلى طاعته[1] ﴿حِزْبَهُۥ﴾؛ أي: طائفته ﴿لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾: ليسوقهم إلى نار جهنم ليكونوا من أصحابها؛ أي: أهلِها الذين لا يفارقونها.

وخصَّ حزبه بالذكر وإن كان يدعو كلَّ الناس؛ لأنهم هم الذين أجابوه.

وقيل: ﴿يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ﴾ على الخصوص دون الذين عَلِم أن الله أخلصهم ومنه خلَّصهم.

وقيل: ﴿يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ﴾ الذين أجابوه إلى[2] الدوام عليه فيخلَّدون في النار.

* * *

(٧) ـ ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾.

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾: هم الذين أطاعوا الشيطان ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾: وهم الذين عادَوه، وهذا هو تحقيق قوله: ﴿إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ هو وعدُ الكافرين بالعقاب ووعدُ المؤمنين بالثواب

* * *

(٨) ـ ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ﴾: أي: الكفرُ والمعصية ﴿فَرَءَاهُ حَسَنًا﴾ زَيَّنت له ذلك نفسُه باتِّباع الشهوات وتركِ النظر في الحجة، والشيطانُ بالوسوسة واتِّباع الشبهة، أو الله تعالى بالتخليق والمشيئة وتحقيقِ الابتلاء والمحنة، وأضمر هاهنا: كمَن قبِّح له فانتهى عنه؛ أي: ليسا بسواء، استفهام بمعنى النفي.

---

(١) «إلى طاعته» ليس في (أ).

(٢) في (ف): «على».

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۖ﴾: مَن علم منه اختيارَ الضلال أضلَّه الله، ومَن علم منه اختيارَ الإيمان(١) هَدَاه.

﴿فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ﴾: أي: لا تُهلك نفسَك تأسُّفاً عليهم وتحسُّراً، وهو كقوله: ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٣]، وقد بينا وجوه ذلك في تلك الآية.

وقيل: الإضمار هاهنا ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنٗا﴾ ذهبتْ نفسُك حسرةً عليه ﴿فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍ﴾ ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ﴾.

ثم هذا الموصوف قيل: هو إبليس ـ لعنه الله ـ زُيِّن له سوء عمله ﴿فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ﴾؛ أي: على الكفار.

وقيل: مَن زُيِّن له سوءُ عمله هو الكافر، ووحَّد لفظُ (مَن) ومعناه الجمعُ وهم الكفار، وقوله: ﴿فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍ﴾ يرجعُ إليهم

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ﴾: وعدٌ ووعيدٌ وتسليةٌ للنبي عليه السلام.

وقال القشيري: الذي يُؤْثِر على ربه شيئاً من المخلوقات فقد زُيِّن له سوء عمله، والذي يكتفي يوم القيامة بنجاته ورفعِ درجاته فقد زيِّن له سوء عمله؛ لأنه غفل عن حلاوة مناجاته(٢).

* * *

(٩) ـ ﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَسُقۡنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَحۡيَيۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ﴾.

---

(١) في (أ): «الاهتداء».

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» (٣/ ١٩٤).

وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾: أي: تجمعُه بإثارته من مواضعه.

﴿فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ﴾؛ أي: تسوقه الرياح بأمرنا وتقديرنا.

﴿فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾: أي: بالسحاب، هذا ظاهره، ومعناه: بالمطر الذي في السحاب، و(تثير) مستقبَل و(سقناه) و(أحيينا) ماضيان، والأول إضافةٌ إلى الريح، وهذا إلى نفسه، وهذا من تلوين الكلام ومن أقسام البلاغة والبيان.

﴿كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾: أي: البعثُ بعد الموت.

* * *

(١٠) - ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ﴾: يتصل بقوله: ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ والتغرُّر[1] بالمال والسلطان والشرف في الدنيا.

﴿فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾: هو العزيز بذاته والمعزُّ مَن يشاء مِن خلقه، وإنما يعزُّ المؤمنين والمطيعين بالإيمان والطاعةِ، لا الكفارَ المترفين بالمال والسلطنة، فقد قال: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ﴾ إلى قوله: ﴿وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ﴾ [آل عمران: ٢٦] قال: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨] ولا تُعارض هذه الآيةُ تلك الآيةَ؛ لأن عز الرسول والمؤمنين بإعزاز الله، فله العزةُ جميعاً على الحقيقة.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ﴾ بعبادة الأصنام؛ كما قال: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا﴾ [مريم: ٨١]، وقال: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنْصَرُونَ﴾ [يس: ٧٤] ﴿فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾؛ أي: بتوحيد الله يُنال العز؛

---

(١) في (ف): «والتعزز».

كما قال: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ﴾ [النساء: ١٣٤][1].

وقوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾: هو كلُّ قولٍ مَرْضيٍّ عند الله لا خَبَثَ فيه.

﴿وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾: هو كلُّ فعلٍ حسنٍ لا فسادَ فيه.

وذكر في الأول الصعود إليه وفي الثاني الرفع إليه، وتقديره: والعمل الصالح يرفعُه الله إليه، ولا يُتوهَّم منهما المكانُ تعالى الله عن ذلك، لكن المراد قبولُهما، ووجهُ ذلك: أن أعمال العباد تكتبها الحفَظة ويرفعونها في السماء إلى حيث أمر الله تعالى، فتوضع للحفظ ثم يجاء بها يومَ القيامة للقراءة والحساب بها والجزاءِ عليها، وذلك قوله: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ﴾ [المطففين: ١٨].

وتقدير الآية: إلى السماء يصعد كتاب الكَلِم الطيب، والعملُ الصالح يرفعُ الله كتابَه إلى السماء، فذكر أحدهما وصعودَه والآخرَ ورفعَه ومعناهما واحد.

وقيل: تقديره: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ﴾ أيضاً، فالصعود لهما جميعاً، ثم قال: ﴿يَرْفَعُهُۥ﴾؛ أي: الله تعالى هو الذي يرفع ذلك، ولم يقل: يرفعُهما؛ لوجهين:

أحدهما: أن معناه: يرفع ذلك أو يرفع المذكور؛ كما قال: ﴿عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ [البقرة: ٦٨] على الإفراد مع تقدم ذكر الاثنين.

والثاني: أن الكناية قد ترجعُ إلى أحد المذكورَين لفظاً ومعناه رجوعُها إليهما كما في آيات: ﴿وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٤] ﴿ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا﴾ [النساء: ١١٢] ﴿ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا﴾ [الجمعة: ١١].

---

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٨/ ٤٧٣).

وقيل: ﴿وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾؛ أي: يرفع الكلِمَ الطيِّب، يريد به: أن اعتبار الكلام الحسن بالفعل[١] الحسن، ولا ينفع قولٌ بغيرِ عملٍ؛ قاله المبرد.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾؛ أي: الوعدُ الحسن ﴿وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾؛ أي: إنجازُ ذلك الوعد وتحقيقه.

وقيل: ﴿يَرْفَعُهُۥ﴾؛ أي: الكلام الطيب هو الذي يرفع العمل الصالح، والكلم الطيب هو كلمة التوحيد، وبها قبول الأعمال ورفعها[٢]، حكاه أبو معاذ عن بعض أهل العلم.

وقيل: العمل الصالح يرفعه الله على الكلام الطيب؛ أي: العمل أفضل من الكلام.

وقيل: ﴿وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ الهاء ترجع إلى قوله: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ﴾؛ أي: مَن أراد العزَّ فليعمل عملاً صالحاً، فإنه هو الذي يرفع العبد.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾: قيل: يعني: والمتعزِّزون بالدنيا؛ أي: الذين يمكرون بالضَّعَفة بإدخال الشُّبه عليهم وهي السيئات ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ في الآخرة ﴿وَمَكْرُ أُو۟لَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾؛ أي: يَهلك احتيالُهم ويَبطل، والبوار: الهلاك.

وقال أبو العالية: ﴿وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ هم الذين مكروا بالنبي عليه السلام في دار الندوة ليقتلوه أو يُثْبتوه أو يُخرجوه[٣] ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُو۟لَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾ قيل: هو قتلُهم ببدر.

* * *

---

(١) بعدها في (ر) و(ف): «بالعمل».

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٨/ ٤٧٣).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ١٠٢)، والواحدي في «البسيط» (١٨/ ٤٠٨)، والبغوي في «تفسيره» (٦/ ٤١٥).

(١١) ـ ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ﴾: أي: قدَّر كونكم في الابتداء من تراب ﴿ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾[1] وهو معنى قولِ مَن قال: خلق آدم الذي أنتم متفرِّعون عنه وهو أصلُكم ﴿مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾.

﴿ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا﴾ ذكراناً وإناثاً للتناسل والبقاء في الدنيا إلى حينه.

﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ﴾: ثم إذا وقع التناسل فما يكون من حملٍ على أيِّ وصفٍ كان، والوضع في أيِّ وقتٍ كان، فذلك بعلمه وتقديره وتدبيره، ولا يخرج شيء من ذلك عن حكمه، ولا يَعْزُب عن علمه.

﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ﴾: أي: هو يعلم أعمار الخلق ومقاديرها طالت أو قصُرت، وهي عنده في كتابٍ في اللوح المحفوظ كتبه لمن أراد تعريفَه من الملائكة وغيرهم.

والمعمَّر: مَن أطيل عمرُه، وناقص العمر: مَن لم يَطُل عمره، فيُشْكِل قوله: ﴿مِنْ عُمُرِهِۦٓ﴾ مضافاً إلى المعمَّر، ولا يجتمع طول العمر ونقصانه في شخص واحد، لكن له معنيان:

أحدهما: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ﴾ إلا يكتب في اللوح المحفوظ بيانُ عمره أنه[2] إلى كذا ﴿وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ﴾: لا يمضي شيء منه فينقص مما قدِّر له إلا ذلك محفوظ عند الله كم مضى وكم بقي، وكم مضى ظاهر للناس وكم بقي باطن لا

---

(١) بعدها في (ر) و(ف): «الأبوين».

(٢) في (ف): «في اللوح بيان عمر عبد أنه».

تعلمه الخلق، فأخبر أنه يعلم كلَّ ذلك كما قال: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ﴾ وهو باطن ﴿وَلَا تَضَعُ﴾ وهو ظاهر، والله تعالى يعلم كلَّ ذلك.

والثاني ـ وهو قول الفراء وغيره ـ: ﴿وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ﴾؛ أي: من عمرِ آخَرَ، وهو كقولك: عندي درهمٌ ونصفه، أو: لك عندي ثوب ونصفه، فيكون النصف من درهمٍ آخر وثوبٍ آخر، لكنْ لمَّا كان لو أَظهر فقال: لك عندي ثوب ونصف ثوب، ودرهم ونصف درهم، صلح ذلك، جاز أن يقال: نصفه، فكذا هاهنا[1].

﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾: أي: كتابة ذلك في الكتاب يسيرٌ على الله تعالى، لا يتعذَّر عليه شيءٌ منها[2] لكثرتها وطولها[3] كما يتعذر على العباد كتابة مثلها ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢].

وقيل: أي: حفظُ ذلك على الله بدون الكتابة يسير، وهذا كلُّه بيان قدرته واستشهاد به على قدرته على بعث الخلق بعد موتهم[4].

* * *

(١٢) ـ ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ۖ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾:

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٦٨).

(٢) «شيء منها» ليس في (أ) و(ف).

(٣) في (أ): «وكمونها».

(٤) قوله: «بعد موتهم» ليس في (أ)، وقوله: «على بعث الخلق بعد موتهم» ليس في (ف).

قال الخليل رحمه الله: البحر سمي به لاستبحاره؛ أي: انبساطه وسعته، وشقُّ الأذن سمي بحراً لأنه يوسِّعها، وتبحَّر فلان في العلم؛ أي: توسَّع فيه[1].

والفرات: المتناهي في العذوبة.

والملح: الماء الذي فيه ملوحةٌ، ولا يقال: مالح، والأُجاج: أشدُّ المياه ملوحة، وهو الذي لشدة ملوحته يلتهِب، ويقال: أجَّجتُ النار؛ أي: ألهبتُها، والأجَّة: شدةُ الحر.

وقيل: الفرات: البارد، والأُجاج: الحار، وسائغ شرابه؛ أي: سهلٌ انحدارُه إلى الجوف، لا يتكرَّهه الشارب، نفى[2] الاستواءَ بين البحرين بتفاوت الوصفين.

وفيه نفيُ الاستواء بين الصالح والطالح، ووجوب التفرقة بينهما، وإذا لم تقع التفرقة بينهما في الدنيا فمِن ضرورته البعثُ والقيامة.

وقوله تعالى: ﴿وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ﴾: أي: من كلِّ واحد من هذين البحرين ﴿لَحْمًا طَرِيًّا﴾؛ أي: السمك، والطريُّ: الغضُّ.

﴿وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾: أي: تغوصون على الدرِّ والمرجان، وتتخذون من ذلك حليةَ النسوان، إذا ضم ذلك إلى سائر الألوان، ويباع ذلك بأنفس الأثمان.

وفيه بيان النعمة والقدرة وإبطال الطبيعة، وهو كقوله: ﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ﴾ إلى قوله: ﴿يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ﴾ [الرعد: ٤].

وقولُه: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾ [الرحمن: ٢٢] يدل أيضاً على استخراجها[3] منهما.

---

(١) انظر: «العين» (٣/ ٢١٩).

(٢) في (أ) و(ف): «ففي».

(٣) في (ر) و(ف): «استخراجهما».

وقيل: بل يستخرج من الملح، وأضيف إليهما لأنه منهما، وهو كقوله: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾ [الأنعام: ١٣٠] والرسل أتوا من الإنس، فأضيف إليهما لأن الإنس منهما، فكذلك الملح منهما.

﴿وَتَرَى ٱلْفُلْكَ﴾: أي: السفن ﴿فِيهِ﴾؛ أي: في كلِّ واحدٍ منهما ﴿مَوَاخِرَ﴾: جمع ماخرة.

قال أبو عبيدة: مخرتِ السفينةُ الماءَ؛ أي: شقته[١].

وقال الفراء: مَخْرُها: خَرْقُها الماء[٢]. وصرفُه من باب صنع ودخل جميعاً.

وقال الكسائي: مخرتُ السفينة: إذا استقبلتُ بها الريحَ، والفرس يستمخِرُ الريحَ ويَمتخرها؛ أي: يستقبلها استرواحاً.

وقال مقاتل: ﴿مَوَاخِرَ﴾: مقبلةً ومُدبرةً، ترى سفينتين إحداهما مقبلةٌ والأخرى مدبرةٌ تجريان بمجرَى ريحٍ واحدة[٣].

﴿لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ﴾: أي: بالتجارة ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾؛ أي: لتشكروا هذه النعمة.

* * *

(١٣) - ﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾.

---

(١) انظر: «مجاز القرآن» (٢/ ١٥٣).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٦٨).

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٥٥٤).

وقوله تعالى: ﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ﴾: أي: يُدخل، فيأخذ من هذا ويزيد في الآخر ﴿وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ﴾ كذلك.

﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾: أي: ذلَّلهما في المسير بالطلوع والغروب لا يمتنعان عما سخَّرهما له، وعلَّق بهما معايش العباد ومصالحهم كما علَّق ذلك بتفاوت الليل والنهار في الفصول.

﴿كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: أي: كلٌّ من الشمس والقمر يجري إلى وقتٍ قد جعله الله له، فالقمر يقطع السماء في كلِّ شهرٍ مرةً والشمس في كلِّ سنةٍ مرةً.

وقيل: ﴿كُلٌّ يَجْرِي﴾؛ أي: الليل والنهار والشمس والقمر على العادة في الدنيا إلى أن يجيء الأجل المسمى عند الله تعالى في نقض هذه العادة بانقضاء الدنيا فخُسف القمر ﴿وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾ [القيامة: ٩]، وانفطرت السماء وانشقت، و﴿ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ﴾، و﴿ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾.

﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ﴾: لا يخرج شيء من السماوات والأرض ومَن فيهما عن مِلكه ومُلكه، فإياه فاعبدوا دون الأصنام.

﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ﴾: أي: تَدْعونهم آلهة، وقيل: أي: تعبدونهم ﴿مِن دُونِهِۦ﴾؛ أي: من دون الله ﴿مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾ وهي القشرة التي على النَّواة، وإذا لم يملكوا هذا القَدْر على حقارته وصغره فما فوقه أبعد.

* * *

(١٤) ـ ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾.

﴿إِن تَدْعُوهُمْ﴾ بحوائجكم أو تنادونهم ﴿لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ﴾ لأنهم جماد ﴿وَلَوْ

سَمِعُواْ مَا ٱسْتَجَابُواْ لَكُمْ﴾؛ أي: ما أَمْكنهم إعانتُكم؛ لأنهم لا يقدرون على كشف الكروب.

وقيل: لو كانوا سامعين ما تابعوكم على الكفر.

﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾: أي: يتبرؤون منكم ويجحدون أنكم عبدتُموهم، فإن كان هذا في الأصنام فجحودهم يوم القيامة بأنْ يُنطقهم الله تعالى يومئذ، فيجحدون أن يكونوا أهلاً للعبادة، وأن تكون عبادة المشركين في الحقيقة لها، أو يجحدون أن تكون تلك العبادة حقًّا. وإنما ذكر أفعالهم بالواو والنون لأنه وصفهم بصفات العقلاء، فصار كما في قوله: ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ﴾ [يوسف: ٤].

وإن كان هذا في الملائكة والأنبياء فمعنى قوله: ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُواْ دُعَآءَكُمْ﴾ لغيبتهم عنكم ﴿وَلَوْ سَمِعُواْ مَا ٱسْتَجَابُواْ لَكُمْ﴾ لأنهم يملكون ذلك ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾ يقولون: ﴿مَا كَانُوٓاْ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ﴾ [القصص: ٦٣] بل كانوا يعبدون الجن، أو يجحدون أن يكونوا أمروهم بذلك، أو أن يكون ذلك حقًّا.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾: أي: لا يخبرُك عن الغيوب مثلُ مَن يعلم حقيقتَها وهو الله تعالى؛ أي: وقد أخبرتك بما يكون من أحوال هؤلاء يوم القيامة فتيقَّنْه.

* * *

(١٥) ـ ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ﴾: أي: المحتاجون إليه ﴿وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ﴾؛ أي: المستغني عنكم ﴿ٱلْحَمِيدُ﴾؛ أي: المستحِقُّ للحمد، ما أمركم أو نهاكم لحاجته إليكم بل لحاجتُكم إليه، ونفعُ ذلك لكم وضررُه عائد إليكم.

ووجه آخر: ﴿أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ﴾ لا إلى الأصنام، فإياه فاعبدوا.

ووجه آخر: لا ترجوا الخلائق ولا تَسلوهم فكلُّهم محتاجون، بل اللهَ فارجوا وإياه فاسألوا.

* * *

(١٦ ـ ١٧) ـ ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾.

﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾: كلَّكم شريفكم ووضيعَكم ﴿وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ ووحَّد ﴿جَدِيدٍ﴾ لأن لفظ الخلق واحد وأصله مصدر، ومعناه: بخلائق.

﴿وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾: أي: بعسيرٍ، وهو إذهابكم.

* * *

(١٨) ـ ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ ۗ إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾: أي: ولا تحمل نفسٌ حاملة حملَ نفسٍ أخرى يوم القيامة، فلا تغترُّوا بقول كبرائكم المتعزِّزين[١] بالدنيا، القائلين لكم: ﴿وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ﴾ [العنكبوت: ١٢]، فلا تُجزى نفسٌ عن نفسٍ شيئاً.

﴿وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ﴾: أي: نفسٌ مثقلةٌ بالذنوب ﴿إِلَىٰ حِمْلِهَا﴾ ليُحمل من ذنوبها شيء ﴿لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ﴾ والكناية ترجع إلى ﴿حِمْلِهَا﴾.

﴿وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ﴾: أي ولو كان مدعوُّها قريباً لها؛ من أبٍ أو أمٍّ أو أخٍ أو أختٍ أو نحوِ ذلك، وكل امرئ منهم له شأنٌ يغنيه.

---

(١) في (ر): «المتغررين».

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ﴾: أي: إن إنذارك إنما يقبلُه وينتفع به مَن يخشى الله في حالة الغيب، فأما مَن لم يخشَه فلا ينتفِع بإنذارك، فكأنه لم يسمع إنذارك وكأنك لم تنذره وهو كقوله ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ﴾ وكقوله ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾، وقال ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا﴾

وقوله تعالى: ﴿وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: ذكره بلفظ الماضي وذكر ﴿يَخْشَوْنَ﴾ بصيغة المستقبل لأن الخشية صفةٌ لازمةٌ دائمةٌ والصلاةَ مؤقتةٌ لها أوقاتٌ مخصوصة تنقضي بانقضائها وتنتهي بانتهائها.

﴿وَمَن تَزَكَّىٰ﴾: أي: تطهَّر من الآثام ﴿فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ﴾ فنَفْعُ ذلك له.

﴿وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾: أي: مرجع الكلِّ من الخاشعين المصلِّين المتزكِّين وغيرهم.

وقال بعض أهل المعرفة في قوله: ﴿أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ﴾ وقال: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ﴾ [النجم: ٤٨]: ذكر الفقر في آية والغنى في آية، والمؤمن فقير خِلقةً وغني خِلعةً(١).

وقال الإمام القشيري رحمه الله: مَن افتقر إلى شيء استغنَى بوجوده، فالمفتقِرُ إلى الله مستغنٍ بالله، والمستغني بالله مفتقرٌ إلى الله.

ومن آداب الفقير الصادق: إظهارُ التشكُّر عند كمال التكسُّر(٢).

وقال: إن الحق لم يسمِّ عباده فقراءَ إزراءً(٣) بهم فإن كرمه يتقدَّس عن ذلك، ولا

---

(١) في (ف): «فالمؤمن فقير خلقة وغني خلقة»، وفي (ر): «فالمؤمن فقير بخلقه وغني خلقة».

(٢) في (أ): «إظهار التكسر عند كمال التكسر»، وفي (ر) و(ف): «إظهار التكسر عند كمال التكثر». والمثبت من «اللطائف».

(٣) في (ر): «ازدراء».

وصَف نفسه غنيًّا افتخاراً به فإن جلاله يتعالى عن ذلك، لكن أراد به تقويةَ رجائنا في كرمه وجوده بإعطائنا.

وقال: إذا لم تدَّع ما هو صفتُه من استحقاق الغنى، أولاك ما يُغنيك وأعطاك فوقَ ما يكفيك(١).

* * *

(١٩ ـ ٢١) ـ ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ (١٩) وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ (٢٠) وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ﴾: مَثَلٌ للضالِّ والمهتدي ﴿الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ﴾: مَثَلٌ للضلالة(٢) والهدى ﴿وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ﴾: مَثَلٌ لجزاء المهتدي وجزاء الضال.

وقيل: ﴿الظِّلُّ﴾: الجنة؛ قال تعالى: ﴿وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا﴾ [النساء: ٥٧] و﴿الْحَرُورُ﴾: النار، وأصل الحرور: السَّموم، وهي الريح الحارَّة في الشمس، والظلُّ للراحة والحرورُ للتعب والشدة.

وقال الفراء: ﴿الْحَرُورُ﴾ يكون بالليل والنهار، والسَّموم لا يكون إلا في النهار(٣).

وفي «ديوان الأدب»: الحرور: شدة الحر بالنهار، ويقال: بل هي بالليل، والسموم شدة الحر بالليل، ويقال: بل هي بالنهار(٤). كذا قال على الشك فيهما.

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» (٣/ ١٩٩ ـ ٢٠٠).

(٢) في (أ): «للضلالات».

(٣) ذكره عن الفراء ابن فورك في «تفسيره» (٢/ ١٦٧)، ولم أجده في «معاني القرآن» للفراء.

(٤) انظر: «ديوان الأدب» (٣/ ٦٩ و٧١).

(٢٢ ـ ٢٣) ـ ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ﴾: قيل: هي مَثَلُ المؤمنين والكفار، قال تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ [الأنعام: ١٢٢]؛ أي: كافراً فهديناه.

ويقال: هو مَثَل العلماء والجهَّال.

وأما تكرارُ (لا) في قوله: ﴿وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ﴾ فقد قال الأخفش: هي زائدة، تقديرها: ولا الظلماتُ والنور، وكذا ما بعده.

وقال غيره: هي مقدَّرة، ومعناها: ولا الظلمات تساوي النور، ولا النورُ يساوي الظلمات، وكذا ما بعده.

والأصل إثباتُها في كلِّ موضع، فأما الأول ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ﴾ فـ(لا) بينهما مقدَّرةٌ على هذا، وتقديرها: وما يستوي الأعمى ولا البصير؛ أي: لا يساوي الأعمى البصيرَ ولا البصيرُ الأعمى[1]، والآية تقريرٌ لِمَا قبلها فإنها في بيان الفريقين.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾: يقول: إنك يا محمد قد أنذرت الكفار وما أنت بقادرٍ على أن تُسمع الموتى في القبور؛ أي تُدخل الإيمان في قلوب الكفار، بل ذلك من مقدور الله تعالى، ولو شاء الله لهداهم أجمعين ليس إليك إلا الإنذار وقد أنذرت.

* * *

(٢٤) ـ ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾.

---

(١) في (ف): «وتقديرها: وما يستوي الأعمى والبصير ولا البصير والأعمى».

وقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ﴾: أي: بالدِّين الذي يحقُّ اعتقاده ﴿بَشِيرٗا﴾ بالجنة لمن آمن ﴿وَنَذِيرٗا﴾ بالنار لمن كفر.

وقوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ﴾: أي: وما[1] من أمةٍ قبلَ أمتك ﴿إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٞ﴾: مضى فيها رسول، ما أخلينا أمةً عن رسول.

* * *

(٢٥) ـ ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدۡ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُنِيرِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ﴾: أهلُ عصرك ﴿فَقَدۡ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾؛ أي: بالحجج، وقيل: أي: بالمعجزات.

وقيل: أي: بالشرائع التي بانت صحتُها وحسنُها في العقول

﴿وَبِٱلزُّبُرِ﴾: أي: الأخبارِ عن الكتب المتقدمة المنزَلة على الأنبياء قبلهم

﴿وَبِٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُنِيرِ﴾: أي: الكتاب المنزل عليه المنوِّر الموضِّح لِمَا يحتاجون إليه.

* * *

(٢٦ ـ ٢٧) ـ ﴿ثُمَّ أَخَذۡتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۖ فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ ٢٦ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٖ مُّخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهَاۚ وَمِنَ ٱلۡجِبَالِ جُدَدُۢ بِيضٞ وَحُمۡرٞ مُّخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٞ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَخَذۡتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾: أي: أستأصلتُ الذين كذبوهم ﴿فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ﴾؛ أي: تغييري عليهم.

---

(١) «وما» ليست في (أ).

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾: وهذا من محاجَّة المشركين أيضاً، يقول: ألم تشاهد يا محمدُ عجائب صنع الله تعالى فيما خلَق، وهذا خطاب له ولأمته معنًى، من ذلك أنه أنزل من السماء مطراً.

﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ﴾: رجوعٌ من المغايبة إلى الإخبار عن نفسه، وهو من تلوين الكلام.

وقوله تعالى: ﴿مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا﴾: نصب لأنه نعتُ ﴿ثَمَرَٰتٍ﴾ وهي منصوبة لأنها مفعولٌ بها، ولم يقل: مختلفةً؛ لأنه في معنى تقديم الفعل على الاسم؛ لأن تقديره: اختلف ألوانها.

ثم اختلافُ ألوانها[1] مع اتِّفاق الماء والتربة دليلٌ على أن الفاعل بها ذلك هو الله القادر الذي لا يُعجزه شيء.

وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ﴾: أي: طرائق، جمع جُدَّة؛ أي: طريقةٍ؛ كالمدَّة والمُدَد.

وقوله تعالى: ﴿بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا﴾: وتذكيرُ المختلف لِمَا مرَّ أنه مقدَّم على الاسم، ورفعُ هذه الكلمات بالابتداء والخبر، دون العطف على الأول بإيقاع الفعل عليها.

وقوله تعالى: ﴿وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾: جمع غِرْبيبٍ، وهو الذي لونُه لونُ الغراب، ولذلك قال بعدها: ﴿سُودٌ﴾ لأن الأول دلالةٌ على السواد والثاني إفصاحٌ وتفسير، وهي من صفات الجُدَد، وبيانِ اختلاف ألوانها بالبياض والحمرة والسواد.

* * *

---

(١) في (ف): «طعمها».

(٢٨) ـ ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ﴾: وهو ابتداءٌ أيضاً، و﴿مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ﴾ على التذكير في قوله: ﴿مُخْتَلِفٌ﴾ وفي قوله: ﴿أَلْوَٰنُهُۥ﴾ لِمَا أن كلمة (مِن) للتبعيض، ويقتضي أن يكون تقديره: ما يختلف ألوانه، فانصرف إلى البعض أو إلى كلمة (ما) وهو واحد في اللفظ، وقال: ﴿أَلْوَٰنُهُۥ﴾ ولم يقل: لونه؛ للمعنى وهو جمع.

يقول: ومختلفٌ كذلك ألوانُ الناس والدوابِّ، وهو جمع دابة، وهي في الأصل اسمٌ لكلِّ ما يدبُّ على الأرض، وعند الإطلاق يقع[١] على الخيل والبغال والحمير عند ذكر الركوب، قال: ﴿وَٱلْأَنْعَٰمِ﴾ وهي الإبل والبقر والغنم، وقد تقع على الإبل خاصةً على كثرة أصنافها وأجناسها وأنواعها[٢]، ولا يجوز أن يكون كونُها بأنفسها واختلافُها بذواتها، بل بصانعٍ قديرٍ عالم مريدٍ خلَقَها كذلك، ومَن قدر على ذلك قدر على إحياء الموتى، ولا يكون من الحكمة أن يتركهم سدًى، بل ينهاهم ويأمرهم، وإذا خالفوه أو وافقوه فلا بدَّ من أن يجازيَهم على ذلك، وإذا لم يجازهم به في دار الدنيا فلا بد من دارٍ أخرى يجازيهِم بها فيها.

فمَن كان عالماً بهذا كلِّه خشي الله تعالى، وهو معنى قوله بعده:

﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾: وهؤلاء المشركون لا يخشون لجهلهم بالله؛ قال النبي ﷺ: «أنا أعلمُكم بالله وأخشاكم لله»[٣].

---

(١) قوله: «وعند الإطلاق يقع» كذا في (ر) و(ف)، ولعل الصواب: (عند الإطلاق ويقع).

(٢) من قوله: «وعند الإطلاق...» إلى هنا ليس في (أ).

(٣) » رواه البخاري (٢٠)، ومسلم (١١١٠) من حديث عائشة رضي الله عنها ولفظ البخاري: «إن =

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾: منيع لا يُعترَض عليه فيما يفعل بأهل المخالفة[١] ﴿غَفُورٌ﴾: لا يعاجل بالعقوبة، ويغفر ذنوب أهل التوبة.

***

(٢٩) - ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ﴾: أي: القرآنَ، وهم العلماء الذين يخشون الله، ويقرؤون كتاب الله، ويتَّعظون بمواعظه، ويَثِقون بوعده ووعيده.

وقيل: هو التوراة والإنجيل، وهو مدحُ مَن أسلم من أهل الكتاب.

﴿وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ﴾: عطَف الماضي على المستقبل وهو سائغ، ولعل معناه: قد أطاعوا الله في الماضي ويطيعونه في المستقبل أيضاً.

وقوله تعالى: ﴿سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾: يجوز أن يكون في حقِّ الإنفاق خاصةً، وقد قال تعالى: ﴿إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢٧١]، ويجوز أن يكون في حق الصلاة أيضاً كذلك، وحاصله: أن الفرائض يُجهر بها والنوافلَ يُخفى بها[٢] فيهما جميعاً[٣].

﴿يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ﴾: هي للحال؛ أي: راجين بها متاجرةَ الله تعالى تجارةً لن تكسدَ، وليسوا قاطعين القول بما يعملون من الطاعات أنهم يثابون عليها؛

= أتقاكم وأعلمكم بالله أنا»، وهو عند مسلم بلفظ: «والله إني لأرجو أن أكون أخشاكم لله وأعلمكم بما أتقي».

(١) في (أ): «بالمخالفة» بدل: «بأهل المخالفة».

(٢) «والنوافل يخفي بها» ليس في (أ).

(٣) «فيهما جميعاً» ليس في (ف).

لأنهم يخشون ردَّها، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ [المؤمنون: ٦٠].

وهذا يبطل قول المعتزلة خذلهم الله: إنه يجب على الله أن يقبلها ويثيبَ عليها.

ومعنى ﴿لَّن تَبُورَ﴾: أنهم يربحون فيها؛ لأن السلعة إذا كسَدت على صاحبها لم يَنتفعْ بها.

* * *

(٣٠) - ﴿لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾.

﴿لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ﴾: أي: يتلون ويتصدَّقون ويصلُّون وينفقون ليتمِّم الله لهم[1] ما وعدهم من الثواب على الطاعات ﴿وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ﴾ على الموعود، فقد قال: ﴿وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠].

﴿إِنَّهُۥ غَفُورٌ﴾ للذنوب الكثيرة ﴿شَكُورٌ﴾ للطاعات اليسيرة، يرضاها ويقبلها ويُثني عليها ويحب صاحبها، قال تعالى: ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾ [الإسراء: ١٩].

* * *

(٣١) - ﴿وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ هُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ بَصِيرٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾: أي: القرآن الذي يتلوه هؤلاء ﴿هُوَ ٱلْحَقُّ﴾؛ أي: الصدق ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾: موافقاً لِمَا قبله من التوراة والإنجيل وسائرِ الكتب في التوحيد والعبادة والإخبار عن الأمور الكائنة، ونُصب على القطع لأنه نكرةٌ نعت به المعرفة.

---

(١) في (أ): «ليتم الله» بدل: «ليتمم الله لهم».

﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ﴾: يعلم ما يُضمرون ﴿بَصِيرٌ﴾: يرى ما يُظهرون.

وإذا حُمل قوله: ﴿يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ﴾ على التوراة والإنجيل، فقوله: ﴿وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ﴾ على الماضي؛ أي: وقد صلَّوا وزكَّوا قبل مجيء محمدٍ ﷺ، وقوله تعالى: ﴿وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ﴾ هو ما قال: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ﴾ [القصص: ٥٤]؛ ﴿إِنَّهُۥ غَفُورٌ﴾؛ أي: لِمَا كان منهم قبل الإيمان بمحمدٍ ﴿شَكُورٌ﴾ لإيمانهم به ﴿وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ وهو القرآن لا يخالفُ ذلك بل يوافقُه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ بَصِيرٌ﴾ لعلمه بهم وبمصالحهم أنزل عليكم وعليهم الكتبَ لبيان مصالح الدِّين والدنيا.

* * *

(٣٢) ـ ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ﴾: أي: ثم نخبركم أنَّا أعطينا الكتاب؛ أي: هذا الكتاب وهو القرآن.

وقال الإمام القشيري: سماه ميراثاً لأنه بغيرِ كسبٍ، والإرثُ يُستحقُّ بنسَب وسبب، والنسب هاهنا هو الإيمان والسبب الطاعة، ففي الأول[1] يُبدأ بصاحب الفرض وقد يقل نصيبه، فكذا هاهنا بدأ بالظالم ونصيبُه أقلُّ من نصيب الآخرين[2].

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا﴾: أي: هذه الأمةَ الذين اخترناهم ﴿مِنْ عِبَادِنَا﴾؛ أي: وهم من خواصِّنا وهم ثلاثُ طبقات:

---

(١) في (أ): «الإرث».

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» (٣/ ٢٠٤)، والكلام فيه بنحوه.

﴿فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ﴾: وهو الذي يقترف الذنوب غيرَ مستحلٍّ لها ولا جاحدٍ تحريمها.

﴿وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ﴾: هو الذي لم يبلغ النهايةَ من الطاعات مستكثِراً منها، بل يسلك القصد في أعماله، فأتى بالفرائض دون النوافل، وبقليل من النوافل؛ كالمقتصد في النفقة الذي لا يُسرف ولا يقتِّر، أو خلَط عملاً صالحاً وآخَر سيئاً.

﴿وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ﴾: أي: مُبادِرٌ إلى كلِّها مستكثِرٌ منها مستفرِغٌ وُسْعَه في مواصلتها ﴿بِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: بتيسير الله ذلك عليه لا باستبداده.

وقال الإمام القشيري رحمه الله: كأنه قال: يا ظالم ارفع رأسك فإنك وإن ظلمتَ فما ظلمتَ إلا نفسك، ويا سابق اخفِضْ رأسك فإنك وإن سَبقْتَ فما سَبقْتَ إلا بتوفيقي.

وقد كثُرت الأقاويلُ فيها مما[1] رُوي في الحديث ونُقل عن الصحابة والتابعين ومَن بعدهم:

قال عمر رضي الله عنه: سابقُنا سابقٌ، ومقتصدُنا ناجٍ، وظالِمُنا مغفور له[2].

---

(١) في (أ): «مما».

(٢) روي مرفوعاً وموقوفاً، فالمرفوع رواه العقيلي في «الضعفاء» (٣/ ٤٤٣)، والثعلبي في «تفسيره» (٥/ ١٨٠)، والواحدي في «الوسيط» (٣/ ٥٠٥)، من طريق الفضل بن عميرة، عن ميمون بن سياه، عن أبي عثمان النهدي عن عمر رضي الله عنه. والفضل بن عميرة ضعيف، وقال العقيلي: لا يتابع عليه.

ورواه البيهقي في «البعث والنشور» (٦١) من طريق ميمون بن سياه عن عمر رضي الله عنه. وهذا منقطع كما ذكر البيهقي.

والموقوف رواه سعيد بن منصور في «سننه» عقب الخبر (٢٣٠٨)، والبيهقي في «البعث والنشور» =

وقال عثمان رضي الله عنه سابقنا أهل الجهاد منا، ومقتصدُنا أهلُ حضرنا، وظالمنا أهل بَدْونا[١].

وقالت عائشة رضي الله عنها: السابق بالخيرات من مضى على عهد رسول الله ﷺ من أصحابه فيشهد له رسول الله ﷺ بالحياة والرزق، والمقتصِدُ مَن اتَّبع أثره من أصحابه، والظالم لنفسه مِثْلي ومِثْلُك ومَن اتَّبعنا[٢].

وقال الربيع بن أنس: الظالم: صاحب الكبائر، والمقتصد: صاحب الصغائر، والسابق: المجتنِب للصغائر والكبائر.

وقال السدي: السابق هو السابق إلى الإسلام والهجرة، والمقتصد هو السابق إلى الهجرة، والظالم: الذي أسلم بعد الهجرة قبل فتح مكة.

وقال عكرمة: السابق أصحاب رسول الله ﷺ، والمقتصد مَن يليهم من التابعين، والظالم قوم يكونون في آخر الزمان.

وقال عطاء رحمه الله: السابق أصحاب رسول الله ﷺ، والمقتصد التابعون، والظالم مَن يجيء بعد التابعين.

= عقب الخبر (٦٢). وإسناده غير قوي كما قال البيهقي، وانظر: «الكاف الشاف» (ص: ١٣٩).

(١) رواه سعيد بن منصور في «سننه» (٢٣٠٨)، والبيهقي في «البعث والنشور» (٦٢)، والثعلبي في «تفسيره» (٨/ ١٠). وإسناده غير قوي كما قال البيهقي.

(٢) رواه الطيالسي في «مسنده» (١٤٨٩)، والحاكم في «المستدرك» (٣٥٩٣)، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وتعقبه الذهبي بأن فيه الصلتَ بن دينار، قال النسائي: ليس بثقة، وقال أحمد: ليس بالقوي.

وقولها رضي الله عنها: (مثلي ومثلك...) هو من باب التواضع وهضم النفس كما هو دأب الصالحين من المؤمنين.

وقال مقاتل بن حيان رحمه الله: الظالم يعذَّب بذنبه ثم يخرج من النار، والمقتصد ينجو بالشفاعة، والسابق ينجو برحمة الله.

وقال سفيان الثوري رحمه الله: الظالم آكل الحرام، والمقتصد آكل الشبهة، والسابق آكل الحلال.

وقال الحسن رحمه الله: الظالم مَن رجحت سيئاته على حسناته، والمقتصِد مَن استوت حسناته وسيئاته، والسابق مَن رجحت حسناته على سيئاته[1].

وقيل: الظالم الجاهل، والمقتصد المتعلِّم، والسابق العالم.

وقيل: الظالم طالبُ الدنيا، والمقتصد طالب العُقبى، والسابق طالب المولى.

وقيل: الظالم الذي يسعى للمعاش، والمقتصد الذي يسعى للمعاش والمعاد، والسابق الذي يسعى للمعاد.

وقيل: الظالم الذي ظاهرُه خيرٌ من باطنه والمقتصد الذي ظاهره مثلُ باطنه، والسابق الذي باطنه خيرٌ من ظاهره.

وقيل: الظالم الذي يَجمع الحرام، والمقتصد مَن يجمع الحلال، والسابق الذي لا يجمع شيئاً.

وقيل: الظالم الذي يرائي في كل الأعمال، والمقتصد الذي يرائي في بعضها ويخلِص في بعضها، والسابق الذي يخلِص في كلِّها.

وقيل: الظالم الذي إذا أُنعم عليه بخل به، والمقتصِد الذي إذا أُنعم عليه جاد به، والسابق الذي إذا مُنع شكَر عليه.

---

(١) ذكره السلمي في «تفسيره» (٢/ ١٦١)، والثعلبي في «تفسيره» (٨/ ١٠٩)، والواحدي في «البسيط» (١٨/ ٤٢٤).

وقيل: الظالم المصِرُّ، والمقتصد التائب، والسابق المتَّقي.

وقيل: الظالم الذي يعبد الله ليَخلص من النار، والمقتصِد الذي يعبد الله ليدخل الجنة، والسابق الذي يعبد الله لأنه عبدُه.

وقيل: الظالم الذي يعظُ بقوله، والمقتصِد الذي يعظُ بفعله، والسابق الذي يعظُ بسرِّه.

وقيل: الظالم الذي يجزع في البليَّة، والمقتصد الذي يَصبر فيها، والسابق الذي يتلذَّذ بها.

وقيل: الظالم الذي يفرح بوجود الدنيا، والمقتصِد الذي يتمنَّى زوالها عنه، والسابق الذي لا تخطر بباله الدنيا.

وقيل: الظالم الذي يعتمد على فعله، والمقتصِد الذي يعتمد على دينه[1]، والسابق الذي يعتمد على ربه.

وقيل: الظالم الذي هو في الطريق، والمقتصد الذي هو على الباب، والسابق الذي هو على البساط.

وقيل: الظالم الطالب، والمقتصد الواجد، والسابق المطلوب.

وقيل: الظالم الذي هو بلا ذِكرٍ، والمقتصد الذي هو مع الذِّكر، والسابق الذي مع المذكور.

وقيل: الظالم الذي يظلم نفسه، والمقتصد الذي وهب نفسه، والسابق الذي خرج عن نفسه.

---

(١) في (أ): «ذنبه».

وقيل: الظالم الذي ينظر إلى الطاعة[١]، والمقتصد الذي ينظر إلى التوفيق، والسابق الذي ينظر إلى الموفِّق.

وقيل: الظالم الذي يعاقَب، والمقتصِد الذي يعاتَب، والسابق الذي يُعتذَر منه.

وقيل: الظالم الضاحك، والمقتصد: المتبسِّم، والسابق الباكي.

وقيل: الظالم صاحب الأقوال، والمقتصد صاحب الأفعال، والسابق صاحب الأحوال.

وقيل: الظالم الذي يَعْمُر البيت، والمقتصد الذي يَعْمُر القبر، والسابق الذي يَعْمُر القلب.

وقال الإمام القشيري رحمه الله: الظالم مَن جاد بنفسه، والمقتصد مَن جاد بقلبه[٢]، والسابق من جاد بروحه.

وقيل: الظالم مَن له علم اليقين، والمقتصدُ مَن له عين اليقين، والسابق مَن له حقُّ اليقين.

وقيل: الظالم طالب النجاة، والمقتصِد طالب الدرجات، والسابق طالب المناجاة[٣].

وقال أسامة بن زيد وأبو سعيد الخدري رضي الله عنهما عن النبي ﷺ في هذه الآية أنه قال: «كلُّهم في الجنة»[٤].

---

(١) في (ف): «الظالم الذي يطلب التوفيق».

(٢) في «اللطائف»: (الظالم من جاد بماله، والمقتصد من لم يبخل بنفسه...).

(٣) انظر: «لطائف الإشارات»: (٣/ ٢٠٥ ـ ٢٠٦).

(٤) حديث أسامة رضي الله عنه رواه الطبراني في «الكبير» (٤١٠)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٩٦): فيه محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى وهو سيئ الحفظ. =

وقدم رجل من الشام إلى المدينة فلقي أبا الدرداء، فقال له أبو الدرداء رضي الله عنه: ألَا أحدِّثك حديثاً أُتحفك به ما حدَّثتُ به غيرك منذ سمعتُه من رسول الله ﷺ، سمعتُه تلا هذه الآية إلى قوله: ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ﴾ قال: «يدخل السابق بالخيرات الجنةَ بغير حساب، ويحاسب المقتصد حساباً يسيراً، ويُحبس الظالم لنفسه في طول المحشر[1]، ثم يتلقَّاهم الله جميعاً برحمته، فعند ذلك يقولون: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾»[2].

وروي عن أبي مسلم الخولاني رضي الله عنه: أن رجلاً من أهل الكتاب أسلم فقال له ناس: ما حملك على الدخول في ديننا؟ فقال: رغبتي فيكم، وسأحدثكم أيها الأمة: إنكم تنزلون يوم القيامة على ثلاث فرق:

فأما فرقه: فيدخلون الجنة بغير حساب.

وأما فرقة فيحاسبون حساباً يسيراً.

وأما الثالثة فتقوم الملائكة فيقولون: ربنا هؤلاء أصحاب الدماء الحرام والأموال الحرام والفروج الحرام، غير أنَّا وجدناهم لا يشركون بك شيئاً، قال: فيقول: اجعلوا خطاياهم على أهل النار وأدخلوهم الجنة.

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ﴾: أي: توفيقُ الله تعالى السابقَ إلى الخيرات بالسَّبق إفضالٌ من الله كبير.

= وحديث أبي سعيد رواه الإمام أحمد في «المسند» (١١٧٤٥)، والترمذي (٣٢٢٥)، والطبري في «تفسيره» (١٩/ ٣٧٦). قال الترمذي: غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه. وقال ابن كثير عند تفسير هذه الآية: في إسناده من لم يُسمَّ.

(١) في جميع النسخ: «الحبس»، والمثبت من المصادر.

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٤٤٩)، والإمام أحمد في «المسند» (٢١٦٩٧) و(٢٧٥٠٥)، والطبري في «تفسيره» (١٩/ ٣٧٥). وإسناده ضعيف، ينظر الكلام عليه في حاشية «المسند».

وقيل: إنزال الكتاب ﴿هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ﴾.

وقيل: هو اصطفاؤهم.

وقيل: هو إضافتهم إلى نفسه بقوله: ﴿مِنْ عِبَادِنَا﴾.

* * *

(٣٣ ـ ٣٤) ـ ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ﴾: أي: بساتينُ إقامةٍ ﴿يَدْخُلُونَهَا﴾؛ أي: هذه الفرق الثلاث ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ وفي ذلك اللذةُ والزينة، وقد بيَّنَّا تفسيره والقراءةَ فيه في سورة الحج.

﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ﴾:

قيل: هو حزنُ الحبس في موقف(١) الحساب على ما روينا.

وقيل: هو حزن الفزع الأكبر؛ كما قال: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ﴾ [الأنبياء: ١٠٣].

وقيل: هو حزن الموت، يقولون ذلك حين يذبح الموت.

وقيل: هو حزن الدنيا والاهتمامُ بالفوت(٢) ونحو ذلك.

قال عطاءٌ الخراساني رحمه الله: هو حزنُ الحشر، وهو عام.

ويجوز أن يكون كلُّ ذلك مراداً(٣).

---

(١) في (أ): «موضع».

(٢) في (ف): «للقوت».

(٣) في (أ): «ويجوز لأن يكون مراداً».

وقيل: هو حزن الأخذ بتقصير الطاعات، والعقوبةِ على ارتكاب[١] الجنايات، ويدلُّ عليه ما بعده: ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ أي: غفر الجنايات الكثيرة، وقيل: الطاعات اليسيرة.

* * *

(٣٥) ـ ﴿ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ﴾: قيل: هو نعتُ قوله: ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ﴾.

وقيل: هو عطف على قوله: ﴿شَكُورٌ﴾.

وقيل: تقديره: هو ﴿ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ﴾؛ أي: الإقامة ﴿مِن فَضْلِهِۦ﴾؛ أي: هذا بفضله لا باستحقاقنا.

قوله: ﴿لَا يَمَسُّنَا فِيهَا﴾: أي: في دار الإقامة ﴿نَصَبٌ﴾؛ أي: تعب، من حدِّ علم.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾: أي: لا يصيبنا فيها إعياء، وصرفُه من بابِ دخل؛ أي: لا سعي عليهم في أسباب المعاش فلا تعبَ ولا إعياء، ولا تهتمُّ قلوبهم بعدم مراد فلا مشقَّة ولا عناء.

وقال الإمام القشيري رحمه الله: إذا أرادوا أن يروه لم يحتاجوا إلى قطع مسافةٍ، ولا إلى تحديقِ مقلةٍ نحو جهة[٢].

* * *

(٣٦) ـ ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ﴾.

---

(١) في (ر) و(ف): «فعل».

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» (٣/ ٢٠٧).

وقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ ﴾: هو وعيدٌ المخالفين بعد وعد الموافقين.

﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ﴾: أي: لا يموتون فيستريحوا، فيقولون[1]: ﴿يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ﴾ [الحاقة: ٢٧]؛ أي الموت، وقوله: ﴿فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾ [القصص: ١٥]؛ أي: أماته.

﴿وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا﴾: فيستريحوا بعض الراحة، ولا يعارضه قوله: ﴿كُلَّمَا خَبَتْ﴾ [الإسراء: ٩٧] لأن الآلام لا تنقطع وإن خبت أحياناً.

ثم تقسيم[2] الفرق الثلاث على المؤمنين في الآية الأولى قولُ عامة المفسرين، وهو نظير قوله ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ﴾ [التوبة: ١٠٠] وبعدها: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ﴾ [التوبة: ١٠٢] وبعدها: ﴿وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ١٠٦].

وبعضهم حملوها على غير هذا:

قال ابن عمر رضي الله عنهما: هذه الثلاثة كما في سورة الواقعة ﴿فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ﴾ [الواقعة: ٨] ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ﴾ [الواقعة: ٩] ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ﴾ [الواقعة: ١٠] وفي آخر السورة: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ [الواقعة: ٨٨] ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾ [الواقعة: ٩٠] ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ [الواقعة: ٩٢][3].

فعلى قوله الظالم نفسَه هو الكافر.

قال ابن عباس رضي الله عنهما أيضاً في هذه الآية: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ هو الكافر[4].

---

(١) «فيقولون» من (ف).

(٢) في (ر) و(ف): «تفسير».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٣٧٢) عن قتادة.

(٤) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٤٤٥)، والطبري في «تفسيره» (١٩/ ٣٧٢).

وعن الحسن: هو المنافق[١].

فعلى قول هؤلاء قوله: ﴿فَمِنْهُمْ﴾ لا يرجع إلى قوله: ﴿الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا﴾ وإنما يرجع إلى قوله: ﴿مِنْ عِبَادِنَا﴾؛ أي: فمن عبادنا خلقه كافر وكذا وكذا، وقوله تعالى: ﴿يَدْخُلُونَهَا﴾ يرجع إلى قوله: ﴿الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا﴾ لا إلى عموم قوله: ﴿مِنْ عِبَادِنَا﴾ وإلى الظالم لنفسه والمقتصد والسابق، ويكون قوله: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ﴾ بيانُ موضع الظالم لنفسه، ويستقيم أيضاً على نظمه وظاهره قوله تعالى:

﴿كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ﴾: مبالغةٌ في الكافر، وهو الذي يجحد الله أو رسله أو كتبه أو البعث أو شيئاً مما أخبر به النبي ﷺ أنه كائن.

* * *

(٣٧) ـ ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا﴾: أي: يستغيثون في النار بصوتٍ عالٍ، والصراخ: الصوت العالي في الاستغاثة.

﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾: هذا بيان صراخهم، يقولون: ردَّنا إلى دار الامتحان نعملِ الطاعات غيرَ الذي كنا نعملُ من المعاصي.

﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ﴾: وهذا رد عليهم، ويضمر في أوله: فيقال لهم: أولم نجعلْ لكم من العمر في الدنيا ما يمكِن التذكُّر والاتِّعاظ فيه بالكتب ومقالات الرسل، وهذا استفهامٌ بمعنى التقريعِ والتوبيخ.

وتقدير قوله: ﴿مَنْ تَذَكَّرَ﴾؛ أي: مَن أراد أن يتذكر.

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٤٤٣)، والطبري في «تفسيره» (١٩/ ٣٧٢).

﴿وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾: أي: الرسول المنذِر.

وقيل: هو إلزام الحجة عليهم بالعقل والسمع، فإن التذكُّر من باب العقل، والإنذارَ من باب السمع.

وقيل في قوله ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ﴾: إنه سبعون سنة، وقيل: ستون سنة، وقيل: أربعون سنة.

وقال الحسن رحمه الله: عشرون سنة(١).

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ثماني عشر سنة(٢).

وقيل: يوم واحد فما فوقه.

وقيل: ﴿وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾؛ أي: الشيب(٣).

﴿فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾: وهذا يقوِّي قولَ مَن حمل قوله: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ على الكافر؛ لأنه ختم وعيدَ الكفار بتسميتهم بهذا الاسم.

---

(١) لم أقف عليه عن الحسن، وذكره ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٤/ ٤٤١) دون عزو.
وذكر الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٤٧٦)، والسمعاني في «تفسيره» (٤/ ٣٦١)، وابن عطية في «المحرر الوجيز» (٤/ ٤٤١)، عن الحسن أنه البلوغ، زاد الماوردي وابن عطية: لأنه أول زمان التذكر.
وذكر النحاس في «معاني القرآن» (٥/ ٤٦١)، والثعلبي في «تفسيره» (٨/ ١١٤)، والواحدي في «البسيط» (١٨/ ٤٣٢)، والبغوي في «تفسيره» (٦/ ٤٢٥)، عن الحسن قوله: (أربعون سنة).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ١١٤) عن الكلبي، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٦/ ٤٩٤) عن عطاء ووهب وأبي العالية وقتادة. أما ابن عباس فروى عنه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٤٥٥)، والطبري في «تفسيره» (١٩/ ٣٨٥) قوله: (ستون سنة).

(٣) روي في «تفسير مجاهد» (ص: ٥٥٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣٨) ـ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ غَيۡبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ غَيۡبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾: يعلم أنه لو ردَّكم إلى الدنيا لم تعملوا غيرَ الذي كنتم تعملون ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾: أي: خفيَّات القلوب، يعلم أنكم كاذبون في هذا الكلام.

وقيل: الآية مبتدأةٌ عامة شاملة للترغيب والترهيب.

* * *

(٣٩) ـ ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمۡ خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيۡهِ كُفۡرُهُۥۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلۡكَٰفِرِينَ كُفۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ إِلَّا مَقۡتٗاۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلۡكَٰفِرِينَ كُفۡرُهُمۡ إِلَّا خَسَارٗا﴾.

وقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمۡ خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾: كما أورثكم الكتاب أورثكم الأرضَ فجعلكم خلفاء لمن تقدَّمكم فيها، فجعل سلطانها لكم، أنعم عليكم بذلك لتشكروا له.

وقوله تعالى: ﴿فَمَن كَفَرَ فَعَلَيۡهِ كُفۡرُهُۥ﴾: أي: فمَضرَّةُ كفرانه النعمة راجعةٌ إليه[١].

﴿وَلَا يَزِيدُ ٱلۡكَٰفِرِينَ كُفۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ إِلَّا مَقۡتٗا﴾: أي: بغضاً.

﴿وَلَا يَزِيدُ ٱلۡكَٰفِرِينَ كُفۡرُهُمۡ إِلَّا خَسَارٗا﴾: إلا هلاكاً، وقيل: إلا غبناً بذهاب رؤوس أموالهم[٢].

* * *

(٤٠) ـ ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ لَهُمۡ شِرۡكٞ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَمۡ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ كِتَٰبٗا فَهُمۡ عَلَىٰ بَيِّنَتٖ مِّنۡهُۚ بَلۡ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعۡضُهُم بَعۡضًا إِلَّا غُرُورًا﴾.

---

(١) بعدها في (ر): «أي إلى الكافر».

(٢) «بذهاب رؤوس أموالهم» ليس في (أ).

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ﴾: وهذا من محاجة المشركين أيضاً، يقول: قل يا محمد للمشركين: أخبروني عن الأصنام التي جعلتُموها شركاء لي[١].

﴿ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: تدعونهم آلهة، وقيل: تعبدونهم.

وقيل: أي: تدعونهم في حوائجكم وتستغيثون بهم.

﴿أَرُونِي مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾: أي: أعلِموني ـ وقيل: أشيروا إليَّ عِياناً ـ أيَّ شيءٍ خلقوه من الأرض[٢].

﴿أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: أم خلقوا شيئاً في السماوات فكان لهم فيها شركةٌ أو نصيب بذلك.

﴿أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا﴾: أي: نزلنا عليهم كتاباً فيه تصويب شركهم وأن الأصنام شفعاءُ لهم ﴿فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ﴾؛ أي: حجةٍ وبصيرةٍ فلا يمكِنهم أن يَدَعوا شيئاً من ذلك، فإذاً لا حجة لهم عقلاً ولا سمعاً، فالعقل أن يخلقوا كخلقي، والسمع أن ينزل بذلك كتابي، فإذا عُدما لم يكن فعلهم إلا ضلالاً وجهالة.

﴿بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا﴾: أي: ما يَعِدُ، وهو وعدُ الشيطان للكافر كما قال: ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [النساء: ١٢٠] منَّاهم أن تشفعَ لهم أصنامهم وتقرِّبَهم إلى الله زلفى.

وقيل: هم المشركون يقول بعضهم لبعض: إن آلهتنا هذه تنفعنا عند الله.

* * *

---

(١) في (ف): «شركائي» وفي (ر): «شركاء في».

(٢) «أي: أعلموني، وقيل: أشيروا إلي عياناً أي شيء خلقوه من الأرض» من (ف).

(٤١) ـ ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَا﴾: أي: فإن لم يكن لآلهتهم شركٌ في السماوات والأرض فيستحِقُّوا أن يُعبدوا فاعلموا أني أنا المستحِقُّ لها؛ لأني أنا خالقُهما وحافظهما، قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَا﴾ [البقرة: ٢٥٥] ولو لم أمسكهما لزالتا.

وقوله تعالى: ﴿أَن تَزُولَا﴾؛ أي: من أن تزولا.

وقيل: أي: لئلا تزولا؛ كقوله: ﴿أَن تَمِيدَ بِكُمۡ﴾ [النحل: ١٥]؛ أي: لئلا تميد بكم.

﴿وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓ﴾: أي: ما أمسكهما أحدٌ من بعد إمساكه إياهما، وقيل: أي: بعد زوالهما. وقيل: أي: غيرُه.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا﴾: تعليل بمعنًى اقتضاه قولُه تعالى: ﴿إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓ﴾؛ أي: ولو زالتا لردَّهما الله تعالى إلى مكانهما وأمسكهما كما كانتا لمصالح العباد؛ لأنه ﴿كَانَ حَلِيمًا﴾ قادراً لا يعاجل بالعقوبة ﴿غَفُورٗا﴾ ساتراً لذنوب العباد، ماحياً لها إذا تابوا.

ووجه آخر في تفسير تمام الآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ﴾ ولو لم يمسكهما[1] لزالتا لفظاعة مقالة المشركين في الله، وهو كما قال: ﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗا (٨٨) لَّقَدۡ جِئۡتُمۡ شَيۡـًٔا إِدّٗا (٨٩) تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَنفَطِرۡنَ مِنۡهُ﴾[2] [مريم: ٨٨ ـ ٩٠]

---

(١) في (أ): «ولولا أمسكهما».

(٢) في (ف) و(أ) بدل ﴿يَتَفَطَّرۡنَ﴾: «ينفطرن»، وهي قراءة سبعية تقدمت في موضعها.

﴿وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ لا يعاجِلُ الكفار بالعقوبة ويَستر عليهم في الدنيا.

* * *

(٤٢) ـ ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ﴾: أي: وحلف هؤلاء المشركون قبل أن يَبعث الله محمداً بالله أيماناً بالَغوا في تأكيدها على أنفسهم: لئن جاءهم رسول من الله ينذرهم كما جاء مَن قبلهم من الأمم ﴿لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ﴾؛ أي: أشدَّ اتِّباعاً له من أهل الكتاب لأنبيائهم، وذلك أن أهل الكتاب كانوا يُظهرون الفضل لأنفسهم على العرب بالكتاب والنبوة فيهم، فكان العرب يَسوؤهم ذلك لِمَا كانوا عليه من الأَنَفة والحميَّة، فكانوا يتمنون أن يكون منهم رسول.

﴿فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ﴾: وهو محمد ﷺ ﴿مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾؛ أي: ما ازدادوا مع مجيئه ﴿إِلَّا نُفُورًا﴾ عن الحق، وهو كقوله: ﴿فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [التوبة: ١٢٤]، ﴿فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا﴾ [التوبة: ١٢٥] والسورة لا تَزيد إيماناً ولا رجساً، لكن المراد هذا، والإضافةُ إلى النذير والسورة للتسبُّب.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: لمَّا بلغ قريشاً أن اليهود والنصارى كذَّبوا رسلهم وجحدوهم قالوا: لعن الله اليهود والنصارى، لئن جاءنا رسول لنكونَنَّ أهدى منهم(١).

---

(١) ذكره بنحوه الواحدي في «البسيط» (١٨/ ٤٣٩)، وورد دون عزو في كثير من التفاسير. انظر: «تفسير =

ونظيرُه قولُه: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا﴾ [الأنعام: ١٠٩]، وقولُه: ﴿لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ﴾ [الأنعام: ١٥٧].

* * *

(٤٣) - ﴿اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿اسْتِكْبَارًا﴾: أي: نفروا عنه ليكون لهم الكبرياءُ والعلوُّ ﴿فِي الْأَرْضِ﴾؛ أي: في بلادهم ﴿وَمَكْرَ السَّيِّئِ﴾؛ أي: وليخدعوا الضعفاء التابعين لهم بالاحتيال، ويصدُّوهم بذلك عن الإيمان ليكونوا أعواناً لهم كما كانوا يقولون: نحن أكثر أتباعاً وأعزُّ نفراً.

وإضافة المكر إلى السيِّئ إضافةُ الشيء إلى نفسه كإضافة الحق إلى اليقين ونحوِ ذلك، ووصفه بالسيئ لأنه كان للصدِّ عن الحق، وقد يكون المكرُ حسناً إذا كان احتيالاً للدعاء إلى الحق.

﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾: أي: لا ينزل إلا بهم(١).

وقال الزهري: بلغنا أن النبي ﷺ قال: «لا تمكُرْ ولا تُعِنْ ماكراً، فإن الله تعالى يقول: ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ ولا تَبْغِ ولا تُعِنْ باغياً فإن الله يقول: ﴿إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰ أَنفُسِكُم﴾ [يونس: ٢٣] ولا تنكُثْ ولا تُعِنْ ناكثاً فإن الله يقول: ﴿فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ﴾ [الفتح: ١٠]»(٢).

= مقاتل» (٣/ ٥٦٠)، و«معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٢٧٤)، و«معاني القرآن» للنحاس (٥/ ٤٦٥)، و«تفسير الثعلبي» (٨/ ١١٥)، و«تفسير البغوي» (٦/ ٤٢٦).

(١) «إلا بهم» ليس في (أ) و(ف).

(٢) رواه ابن المبارك في «الزهد» (٧٢٥).

وقوله تعالى: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾: استفهامٌ بمعنى النفي؛ أي: فما ينتظرون إلا طريقةَ الأولين أن ينزل بهم[1] ما نزل بالأولين حين كذَّبوا أنبياءهم ومكروا بهم، وهو كقوله: ﴿فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِهِمْ﴾ [يونس: ١٠٢].

﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا﴾: أي: إن الله تعالى لا يبدل هذه الطريقةَ في الكفار ولا يحوِّلها عنهم، أضاف السنَّة إليهم مرةً وإلى نفسه مرةً لأنها سنَّةُ الله فيهم، وهو كقوله: ﴿إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ﴾ [نوح: ٤] وقوله: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً﴾ [الأعراف: ٣٤].

❊ ❊ ❊

(٤٤) ـ ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾: فيعرفوا كيف كان سنَّةُ الله فيهم.

﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾: أي: ليس من صفة الله العجزُ عن شيء من إنزال العذاب بالأعداء وغير ذلك ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾: عالماً بكل شيء قادراً على كل شيء.

❊ ❊ ❊

(٤٥) ـ ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا﴾.

---

(١) في (ر): «عليهم».

ثم بيَّن أن تأخير العذاب عنهم[1] ليس للعجز بل لحكمة، فقال: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ﴾: أي: يعاقبهم ﴿بِمَا كَسَبُوا﴾؛ أي: من الكفر والمعاصي ﴿مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا﴾؛ أي: ظهر الأرض، ولم يتقدم ذكرها لكنه معلوم المراد ﴿مِن دَابَّةٍ﴾؛ أي: حيوان يدبُّ على وجه الأرض؛ لأن الناس إذا خلت عنهم الأرض وكان سائر الحيوانات خلقت لهم أهلكوا أيضاً ﴿وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: معلومٍ عنده لكلِّ قوم.

﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ﴾: وقتهم عذبهم ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا﴾: عالماً بهم وبوقت عذابهم.

* * *

(١) في (ف): «عليهم» وليست في (ر).

سُورَةُ يسٓ

سُورَةُ يسٓ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

بسم الذي أنزل الكتاب الحكيم، الرحمنِ الذي مَن خشيَه بالغيب فله مغفرةٌ وأجر كريم، الرحيمِ الذي لأوليائه في جنته ﴿سَلَٰمٞ قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ﴾.

وهذه السورة مكية، وهي ثلاث وثمانون آية، وقيل: اثنتان وثمانون آية، والاختلاف في يس أنه آية عند الكوفيين.

وكلماتها سبع مئة وخمس وعشرون، وحروفها ألفان وسبع مئة وستة وسبعون(١).

روى أبي بن كعب رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «إن لكلِّ شيء قلباً، وإنَّ يس قلبُ القرآن، ومَن قرأ يس يريد بها وجه الله غَفر الله له، وأُعطي من الأجر كأنما قرأ القرآن ـ أُراه قال: ـ ثنتي عشرةَ مرةً، وأيما مسلم قرئ عنده إذا نزل به ملكُ الموت سورةُ يس نزل بعدد كلِّ حرف في سورة يس عشرةُ أملاك يقومون بين يديه صفوفاً يصلُّون عليه ويستغفرون له ويشهدون غَسله ويتبعون جنازته ويشهدون دفنه، وأيُّما مسلم قرأ سورة يس وهو في سكرات الموت لم يَقبض ملكُ الموت روحَه حتى يجيئه رضوان خازن الجنة بشربةٍ من شراب الجنة، فيشربها وهو على

---

(١) في (أ): «وتسعون». وانظر: «البيان في عد آي القرآن» للداني (ص: ٢١١)، وفيه: كلمها سبع مئة وسبع وعشرون كلمة، وحروفها ثلاثة آلاف وعشرون حرفاً.

فراشه، فيقبض ملك الموت روحه وهو ريَّانُ، ويمكث في قبره وهو ريَّانُ، ويبعث يوم القيامة وهو ريَّانُ، ويحاسب وهو ريَّان، ولا يحتاج إلى حوض من حياض الأنبياء حتى يدخل الجنة وهو ريَّان»(١).

وروى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «مَن قرأ سورةَ يس كان كمَن قرأ القرآن عشرَ مرات»(٢).

وروى الحسن عن النبي ﷺ أنه قال: «إن أهل الجنة لا يقرؤون من القرآن إلا يس وطه»(٣).

وروى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «مَن قرأ سورة يس في ليلةٍ ابتغاءَ وجه الله تعالى غَفر الله له تلك الليلة»(٤).

---

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ١١٩)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (١٠٣٦). وقال المناوي في «الفتح السماوي» (٣/ ٩٥١): قال الوليُّ العراقيُّ: رواه الثَّعلبي وابن مردويه من حديث أبي بن كعب، وهو موضوع.
ورَوَى التِّرمذيّ (٢٨٨٧) الجملة الأولى منه عن هارون أبي محمد عن مقاتل بن حَيَّان عن قَتَادَة عن أنس، وقال: غريب، وهارون أبو محمد شيخ مجهول.

(٢) رواه البيهقي في «الشعب» (٢٤٦٦). وقال أبو حاتم كما في «العلل» لابنه (٢/ ٦٧): حديث منكر.

(٣) رواه الثعلبي في «تفسيره» (١٧/ ٤٨٦) (ط: دار التفسير)، وهو مرسل، ومع إرساله فيه المسيب بن شريك وهو متروك.

(٤) رواه الدارمي في «سننه» من طريق الحسن عن أبي هريرة به، ولم يسمع الحسن من أبي هريرة كما في «المراسيل» لابن أبي حاتم (ص: ٣٨). ورواه ابن حبان في «صحيحه» (٢٥٧٤) من طريق الحسن عن جندب بن عبد الله عن النبي ﷺ، ولم يصح للحسن سماع من جندب كما في «المراسيل» (ص: ٤٢)، وذكر الدارقطني في «العلل» (١٠/ ٢٦٧ ـ ٢٦٩) الاختلاف على الحسن فيه ثم قال: وليس فيها شيء ثابت.

وعن النبي ﷺ: أنه قال لعلي[١] رضي الله عنه: «يا عليُّ، أكثر من قراءة يس فإن فيها خصالاً من البركات، ما قرأها جائع إلا أشبعه الله، وما قرأها خائف إلا أمَّنه الله، وما قرأها ملهوف ولا مكروب إلا فرَّج الله عنه، وما قرأها ظمآنُ إلا رَوِي، ولا عريانٌ إلا كُسِيَ، ولا فقيرٌ إلا استغنى، ولا عَزَبٌ إلا تَزوَّج، ولا مسافرٌ إلا أُعِين على سفره، ولا مَدْيون إلا قضَى الله عنه دينه، ولا محبوسٌ إلا أُخرج، ولا قُرئت عند ميت قط[٢] إلا خفَّف الله عنه، ولا يجد تلك الساعة من كُرَب الموت، وما قرأها رجلٌ ضلت له ضالةٌ إلا ردها الله عليه ووجدها، ومَن قرأها صباحاً كان في أمان الله حتى يمسيَ، ومَن قرأها مساءً كان في أمانِ الله حتى يصبحَ»[٣].

وروي عن[٤] النبي ﷺ: «مَن قرأ يس أمام حاجته قُضيت له»[٥].

وانتظامُ أول هذه السورة بآخر سورة الملائكة بالكلمتين: أن آخر تلك السورة باسم من أسماء الله وأولَ هذه السورة كذلك، وبالآيتين: أنَّ ختم تلك بقوله: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟﴾ ومن كسبهم تكذيب الرسل، وفي أول هذه السورة بيان إرسال الرسول، وبالآيات: أن من أواخر تلك السورة ﴿لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ﴾ وما بعده في تقدير ذلك، وفي أول هذه السورة بيان إرسال النذير.

---

(١) في (ر) و(ف): «وقال النبي ﷺ لعلي».

(٢) «قط» ليست في (أ).

(٣) رواه الحارث بن أبي أسامة في «مسنده» (٤٦٩)، وفيه السري بن خالد، قال عنه الذهبي في ترجمته في «الميزان»: لا يعرف، قال الأزدي: لا يحتج به.

(٤) في (أ): «وقال» بدل: «وروي عن».

(٥) رواه المحاملي في «أماليه» من حديث عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما، كما في «الإتقان» (٤/ ١٦٣). وكذا ذكره ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٧١/ ٥٨). ولم أقف على إسناده.

وانتظام السورتين: أنهما في محاجَّة[١] المشركين المنكرين بعثَ الرسل في الدنيا وبعثَ الموتى في العُقبى، وفي ذمهم ووعيدهم، وفي مدح المؤمنين المقرِّين بذلك ومواعيدهم.

* * *

(١) ـ ﴿يسٓ﴾.

وقوله تعالى: ﴿يسٓ﴾: قيل: هو اسم من أسماء الله تعالى، وهذا قسمٌ به[٢].

وقيل: هو اسم القرآن.

وقيل: هو اسم هذه السورة.

وقال[٣] ابن عباس وابن مسعود وعكرمة والضحاك وجماعةٌ رضي الله عنهم: معناه: يا إنسان[٤].

وقال الهيثم بن عدي: هو يا إنسان بلغة طيء، وعن[٥] ابن عباس رضي الله عنهما: هو بالسُّريانية[٦].

وقيل: معناه: يا سيد المرسلين.

وقيل: (يا) يومُ الميثاق، وسين: سرُّ الله مع أحبابه[٧].

---

(١) في (أ): «أنهما لمحاجة».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٣٩٨) من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.

(٣) في (أ): «وقال».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٣٩٨) عن عكرمة، وذكره النحاس في «معاني القرآن» (٥/ ٤٧١) عن الحسن والضحاك، وسيأتي عن ابن عباس.

(٥) في (أ): «وقال».

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٣٩٨) من طريق عكرمة عن ابن عباس.

(٧) وهذا يندرج ضمن ما عُرف عن الصُّوفيَّةِ من التفسيرِ بالإشارات، وهي طريقةٌ ليستْ مقبولةً عند =

(٢) ـ ﴿ وَالْقُرْءَانِ الْحَكِيمِ ﴾.

﴿ وَالْقُرْءَانِ الْحَكِيمِ ﴾: قسمٌ بالقرآن المحكَم فلا يَلحقُه تغيير.

وقيل: أي: ذو الحكمة.

وقيل: أي: الحاكم بما فيه من الأحكام.

***

(٣ ـ ٤) ـ ﴿ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ۝٣ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾.

﴿ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾: خطاب لنبينا محمد، وقسم على إرساله إلى الخلق.

﴿ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾: له وجهان:

أحدهما: إنك ﴿ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾.

والثاني: أنه صفة لـ﴿ الْمُرْسَلِينَ ﴾؛ أي: أنت منهم.

ودليل الأول قوله: ﴿ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الزخرف: ٤٣].

ودليل الثاني قوله: ﴿ اهْدِنَا الصِّرَٰطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّآلِّينَ ﴾.

***

(٥ ـ ٦) ـ ﴿ تَنزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ۝٥ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ﴾.

= جمهورِ العلماء، ومَن سَكَتَ عنها فليس لأنه يعدُّها من التفسير، بل هي عندَه من بابِ الشيءِ بالشيءِ يُذْكر، وإلا فللتَّفسير ضوابطُه التي لا يجوز الحيدُ عنها، ولو فُتح هذا البابُ لساغ للباطنيَّة تسويغُ افتراءاتهم الباطلةِ في الآياتِ القرآنيَّة، وقد ذكرنا في هذه المسألة تحريراً حسناً في مقدمة تحقيقنا لـ«روح المعاني».

قوله تعالى: ﴿تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ﴾: قرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وعاصم في رواية أبي بكر: ﴿تنزيلُ﴾ بالرفع؛ أي: هو ـ أو: هذا ـ تنزيل، أو[1] هو مصدر بمعنى المفعول؛ أي: مُنَزَّلُ الله العزيزِ المنيعِ المنتقِم من أهل معصيته الرحيمِ بأهل طاعته.

وقرأ الباقون بالنصب على المصدر[2]؛ أي: والقرآنِ المنزلِ تنزيلاً من العزيز الرحيم.

وقوله تعالى: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا﴾: أي: إنك لمرسلٌ ﴿لِتُنذِرَ﴾؛ أي: لتخوِّف من عذاب الله ﴿قَوْمًا﴾.

﴿مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ﴾: له وجهان:

أحدهما: أن (ما) يكون اسماً؛ أي: لتنذرهم بالذي أَنذر الرسلُ المتقدِّمون آباءَ هؤلاء.

والثاني: أن (ما) للنفي؛ أي: قوماً لم ينذِر آباءَهم[3] أحدٌ من الرسل؛ أي: لم يأتهم رسل؛ كما قال: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ﴾ [سبأ: ٤٤].

﴿فَهُمْ غَٰفِلُونَ﴾: أي: عن التدبُّر في إنذار الرسل الماضين.

وعلى القول الثاني: أي: عن التدبر بالعقول فيما يَلزمُهم من توحيد الله، وفيما جاء به[4] رسولهم هذا.

وقيل: أي: غافلون عما أُعد لهم من العقاب؛ كالرجل يُعَدُّ له ما يكرهُه وهو لا يعلم به، فيقال له: إنك لغافلٌ عما يرادُ بك.

---

(١) في (أ) و(ف): «و».

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٥٣٩)، و«التيسير» (ص: ١٨٣)، وفيهما «أبو عمرو» بدل «ابن عامر».

(٣) في (أ): «ينذروهم» بدل: «ينذر آباءهم».

(٤) في (أ): «أجابهم» بدل: «جاء به».

وقيل: ﴿مَآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمۡ﴾: أي: بما أُنذر آباؤهم، قاله الفراء، وهو كقوله: ﴿فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَقُلۡ أَنذَرۡتُكُمۡ صَٰعِقَةٗ مِّثۡلَ صَٰعِقَةِ عَادٖ وَثَمُودَ﴾ [فصلت: ١٣](١).

* * *

(٧) ـ ﴿لَقَدۡ حَقَّ ٱلۡقَوۡلُ عَلَىٰٓ أَكۡثَرِهِمۡ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿لَقَدۡ حَقَّ ٱلۡقَوۡلُ عَلَىٰٓ أَكۡثَرِهِمۡ﴾: أي: لقد تحقَّق قول الله على أكثر هؤلاء بموتهم على الكفر ﴿فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ وهو في قومٍ علِم الله منهم اختيارَ الكفر والإصرارَ عليه، فشاء منهم ذلك وأخبر عنهم بذلك فهُم كذلك.

وقيل: حق القول عليهم هو قوله: ﴿لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾ [ص: ٨٥] في تلك الآية هو معلق بشرط الاتِّباع، وفي هذه الآية حقَّ القول بذلك(٢) وسقط الشرط؛ لعِلْم الله منهم بالاتِّباع دون الإقلاع، وهو كقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ حَقَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾ [غافر: ٦] وكقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ﴾ [الأحقاف: ١٨].

* * *

(٨) ـ ﴿إِنَّا جَعَلۡنَا فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ أَغۡلَٰلٗا فَهِيَ إِلَى ٱلۡأَذۡقَانِ فَهُم مُّقۡمَحُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلۡنَا فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ أَغۡلَٰلٗا فَهِيَ إِلَى ٱلۡأَذۡقَانِ فَهُم مُّقۡمَحُونَ﴾: الذَّقَن: مجتمع اللَّحْيين.

والمُقْمَح: الغاضُّ بصرَه بعد رفع رأسه، وقال مجاهد: هو الذي رفع رأسه وشَخَص ببصره(٣).

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٧٢).

(٢) «بذلك» من (ف).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٤٠٤)، وعبد بن حميد وابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» =

والغل: ما يُشد به اليدُ إلى العنق للتعذيب والتشديد[1] من الحديد وغير الحديد.

وتقديرها: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَـٰقِهِمْ أَغْلَـٰلًا﴾ فالأغلال مع الأيدي مجموعةٌ إلى الأذقان[2]، وهو عبارةٌ عن منع التوفيق حتى صاروا متكبِّرين مستثقِلين الحقَّ؛ لأن المتكبِّر يوصف بانتصاب العنق، والمتواضعَ يوصفُ بضدِّه، قال تعالى: ﴿فَظَلَّتْ أَعْنَـٰقُهُمْ لَهَا خَـٰضِعِينَ﴾ [الشعراء: ٤]، ويقول المستثقِل للآخر: ما أستطيعُ أن أنظر إليك، والذي جمعت يداه إلى عنقه إلى الذقن[3] منتصبُ الرأس، فجُعل ذلك مثلاً للمتكبِّر[4] عن الحق، والغاضُّ بصرَه مَثَلاً للمستثقِل للحق.

وقال عكرمة: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَـٰقِهِمْ أَغْلَـٰلًا﴾ يعني: بني المغيرة بن مخزوم أمسكنا أيديهم عن الإنفاق في الخير[5].

وقال السدي: إن الآية نزلت في قومٍ من قريش اجتمعوا وكان النبيُّ جالساً عند البيت في نفر من أصحابه، فقالت قريش: انطلِقوا فنأخذَ محمداً وأصحابَه فنرتقيَ بهم فوق أبي قبيس، فأما محمد فنضربُ عنقه وأما أصحابه فأيُّما رجل افتدَتْه عشيرتُه بدِيَته فقد خلَّينا سبيله، وإلا ضربنا عنقه، فأقبلوا فجعل الله من بين أيديهم

= (٧/ ٤٤)، وهو في «تفسير مجاهد» (ص: ٥٥٩)، جميعهم بلفظ: رافعو رؤوسهم، وأيديهم موضوعة على أفواههم.

(١) في (ر): «والغل» بدل: «والتشديد».

(٢) في (ر): «إلى العنق».

(٣) في (أ): «والذي جعلت يداه إلى عنقه من الذقن».

(٤) في (ف): «للمتكبرين».

(٥) لم أجده هكذا، وروى الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٤٠٦) عن عكرمة قال: قال أبو جهل: لئن رأيت محمدًا لأفعلن ولأفعلن، فأنزلت: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَـٰقِهِمْ أَغْلَـٰلًا﴾ إلى قوله: ﴿فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ قال: فكانوا يقولون: هذا محمد، فيقول: أين هو، أين هو؟ لا يبصره.

سدًّا وظلمة، ومِن خلفهم سدًّا وظلمة، وغلّت أيديهم إلى أعناقهم بغير حديد فهم مقمحون[١].

وعن عكرمة قال: كان ناس من المشركين من قريش يقول بعضهم لبعض: لو قد رأيت محمداً لفعلت به كذا وكذا، ويقول بعضهم: لو قد رأيته لفعلت به كذا وكذا، فأتاهم النبي وهم في حلقة في المسجد فوقف عليهم فقرأ عليهم: ﴿يسٓ ۝١ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ﴾ حتى بلغ ﴿فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ ثم أخذ تراباً فجعل يذرِّيه على رؤوسهم وما يرفع إليه رجلٌ منهم طَرْفَه ولا يتكلّم بكلمة، ثم جاوز النبيُّ فجعلوا ينفضون التراب عن رؤوسهم ولحاهم وهم يقولون: والله ما أبصرنا، والله ما سمعنا، والله ما عَقَلنا[٢].

وقيل: هذا شيءٌ يُفعل بهم في[٣] القيامة؛ كما قال: ﴿إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ﴾ [غافر: ٧١]، وكذلك السدُّ من بين أيديهم ومن خلفهم، والإغشاء هو في معنى قوله: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾ [الإسراء: ٩٧] واللفظ ماضٍ وهو في معنى المستقبل؛ لأنه كائن لا محالة فأُلحق بالموجود المتحقِّق.

* * *

(٩) ـ ﴿وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا﴾: على التأويل

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٤٥٩)، وعبد بن حميد وابن المنذر كما في «الدر المنثور» (٧/ ٤٥).

(٢) رواه بنحوه مختصراً ابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» (٧/ ٤٥).

(٣) في (أ): «يوم».

الأول؛ أي: منعناهم الألطافَ فانسدَّت عليهم المسالك فلم يقدروا على النفوذ[١] منها.

﴿فَأَغْشَيْنَٰهُمْ﴾: أي: أعميناهم وغطَّينا أبصارهم.

﴿فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾: وهذا من أشدِّ ما يقع به المنعُ من النفوذ[٢]، وهو انسدادُ المسالك مع عدم البصر.

وقيل: هو مَثَلٌ[٣] لتحيُّرهم وتردُّدهم في ضلالتهم.

وقال الحسن: ﴿وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا﴾؛ أي: البعثَ، فلا يُقرُّون به ﴿وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا﴾؛ أي: الدنيا فلا يطيعون الله فيها.

وقال الضحاك على قلبِ هذا: ﴿مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾: الدنيا لأنها حاضرتُهم، ﴿وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾: الآخرة لأنها آتيةٌ مِن بعدُ[٤].

* * *

(١٠ ـ ١١) ـ ﴿وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝١٠ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ ۖ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾.

﴿وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾: هم قومٌ علِم الله منهم ذلك.

﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ﴾: أي: إنما ينتفع بإنذارك مَن اتَّبع الذكر؛ كما قال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ﴾ [الحجر: ٩].

---

(١) في (ر) و(ف): «التعوذ».

(٢) في (ر) و(ف): «التعوذ».

(٣) في (ر) و(ف): «شك».

(٤) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٧/ ٤١٨).

وقيل: ﴿مَنِ اتَّبَعَ﴾: انتفع[1] بذكرك ووعظِك ﴿وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ﴾ قيل: بالعذاب الغيبِ الذي أخبر به.

قال قتادة: يقول ﴿خَشِيَ﴾ عذابَ الله وناره[2].

وقيل: ﴿خَشِيَ﴾ حين يغيب عن أبصار الناظرين.

وقيل: ﴿خَشِيَ﴾ بالقلب الذي هو غيبٌ عن الناس.

﴿فَبَشِّرْهُ﴾ يا محمد ﴿بِمَغْفِرَةٍ﴾: بأن الله تعالى يغفر له ما سلف في شركه ﴿وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾: ثوابٍ خطير في الجنة.

* * *

(١٢) - ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ الْمَوْتَى﴾: في الآخرة بالبعث للحساب والجزاء ﴿وَنَكْتُبُ﴾ في الدنيا ﴿مَا قَدَّمُوا﴾ من الأعمال الصالحة والسيئة.

﴿وَآثَارَهُمْ﴾: ما خلَّفوه مما يضاف إليهم من الأموال والأولاد وسائر الآثار.

وقيل: ما سنُّوه من الخير والشر فاتَّبعهم على ذلك مَن بعدهم، لهم أجرُ ذلك ووزرُ ذلك.

﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ﴾: أي: عدَدْناه وحفِظناه.

﴿فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾: قال ابن عباس ومقاتل والضحاك وعكرمة والسدِّي: أي: في اللوح المحفوظ[3].

---

(١) «انتفع» ليست في (أ).

(٢) رواه ابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» (٧/ ٤٦).

(٣) ذكره الواحدي في «البسيط» (١٨/ ٤٦٢) عن ابن عباس ومقاتل، وهو في «تفسير مقاتل» (٣/ ٥٧٥)، =

والإمام: ما يؤتم به؛ أي: يُعمل به ويُتَّبع ولا يخالَف.

﴿وَكُلَّ شَيْءٍ﴾؛ أي: من المقدَّم والآثار وغيرِ ذلك، و(كلَّ) نصب بفعلٍ مقدَّر دلَّ عليه المظهَر بعده.

وقيل: ﴿وَآثَارَهُمْ﴾: خطاهم في الخير والشر، قال ابن عباس رضي الله عنهما: كانت الأنصار منازلهم بعيدة عن المسجد، فأرادوا أن ينتقلوا قريباً من المسجد، فأنزل الله تعالى: ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ﴾ فقالوا: بل نمكث مكاننا[1].

وقال المغيرة بن شعبة والضحاك: نزلت الآية في بني عُذرة، وكانت منازلهم بعيدةً من المسجد، وكان يشقُّ عليهم حضورُهم الجماعات، فأنزل الله: ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ﴾ يعني: خطاهم إلى المسجد[2].

وقال الضحاك: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى﴾؛ أي: نَهدي الكفار ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا﴾ في الشرك ﴿وَآثَارَهُمْ﴾ ما عمِلوه في الإسلام.

***

(١٣) - ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ﴾: أمر نبيَّه ﷺ بإنذار هؤلاء المشركين أن ينزل بهم في الدنيا ما نزل بكفار أهل تلك القرية، فقال: ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ

= ورواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٤١٢) عن مجاهد وقتادة وابن زيد بلفظ: (أم الكتاب). وانظر: «المحرر الوجيز» (٤/ ٤٤٨) و«تفسير القرطبي» (١٧/ ٤٢٢).

(١) رواه ابن ماجه (٧٨٥). وله شاهد من حديث أبي سعيد الخدري عند الترمذي (٣٥٠٦)، وقال: حديث حسن غريب. وآخر دون ذكر الآية من حديث جابر بن عبد الله عند مسلم (٦٦٤) و(٦٦٥). وثالث دون ذكر الآية أيضاً من حديث أنس رضي الله عنه عند البخاري (٦٥٦) و(١٨٨٧).

(٢) ذكره عنهما الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ١٢٢).

﴿مَثَلًا﴾؛ أي: صِفْ لهم شَبَهاً يمتثِلونه في أمرك وأمرهم ﴿أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ﴾ ترجمةٌ عن قوله: ﴿مَّثَلًا﴾، وهي أنطاكية.

﴿إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ﴾: رسل الله، وقيل: رسل المسيح.

* * *

(١٤) ـ ﴿إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ﴾.

﴿إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ﴾: أي: أرسلنا في الابتداء رسولين.

وقال محمد بن إسحاق: أحدهما تاروص والآخر ماروص عليهما السلام(١).

وقال مقاتل بن سليمان: تومان ومالوص(٢).

وقال وهب: يحيى ويونس(٣).

﴿فَكَذَّبُوهُمَا﴾: أي: أهلُ القرية جحدوهما.

﴿فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾: أي: قوَّيناهما برسول ثالث صدَّقهما؛ كما قال: ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾ [القصص: ٣٥].

وقيل: تعزيزهما بالثالث كان بتلطُّفه الذي نبيِّن في القصة إن شاء الله.

﴿فَقَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ﴾: أي: قال الثلاثة لأهل القرية: قد أُرسلنا الله إليكم فصدِّقونا.

وقال ابن عباس ومقاتل: وجَّه عيسى عليه السلام رسولين، فلما قرُبا من المدينة

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ١٢٥) عن ابن عباس.

(٢) في (ف): «قومان ومالوص» وفي (ر): «قومان ومالوض». وفي «تفسير مقاتل» (٣/ ٥٧٥) تومان ويونس. وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ١٢٥) عن مقاتل، وفيه: تومان ومانوص.

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ١٢٥).

رأيا شيخاً يرعَى غنيماتٍ له، فسلما عليه فقال الشيخ لهما: مَن أنتما؟ قالا: رسولا عيسى عليه السلام ندعوكم من عبادة الأوثان إلى عبادة الله، فقال: أمعكما آيةٌ؟ قالا: نعم، نحن نشفي المرضى ونُبرئ الأكمه[١] والأبرص ـ فقال بعضهم: كان لهذا الشيخ ابنٌ صاحبُ فراشٍ منذ سنين، وقال بعضهم: كانت له بنت بهذه الصفة ـ فقال الشيخ لهما: إن لي عليلاً، قالا: ومَن هو منك؟ قال: هو ولدي، قالا: فانطَلِق بنا إلى منزلك فنطَّلعَ[٢] حاله، فأتى بهما إلى منزله فمسحا ابنه فقام في الوقت بإذن الله تعالى وشفاه الله تعالى، وفشا الخبر في الناس وشفى الله على أيديهما كثيراً من المرضى، وكان لهم ملك يقال له: شلاحن[٣]، فانتهى الخبر إليه فقال لهما: مَن أنتما؟ قالا: رسولا عيسى عليه السلام، قال: وما آيتكما؟ قالا: نبرئ الأكمه والأبرص ونشفي المرضى، قال: وفيم جئتما؟ قالا: جئناك ندعوك من عبادةِ ما لا يسمع ولا يبصر إلى عبادةِ مَن يسمع ويبصر، قال شلاحن[٤]: ولنا إلهٌ سوى آلهتنا؟ قالا: نعم، مَن أوجدك وآلهتك، قال: قُوما حتى أنظرَ في أمركما، فتبعهما الناس فأخذوهما وضربوهما في السوق. وكان اسم الشيخ الذي ذهب بهما إلى منزله حبيباً النجار[٥].

قال مقاتل: لما أخذوا الرسولين وضربوهما بعث عيسى رسولاً ثالثاً[٦].

قال وهب ومحمد بن إسحاق: اسمه شمعون وكان من الحواريين.

---

(١) في (أ): «نشفي المريض والأكمه».

(٢) في (ف): «نتطلع».

(٣) في (أ): «شلاحان».

(٤) في (أ): «شلاحان».

(٥) في جميع النسخ: «حبيب النجار»، والصواب المثبت. وهذا الخبر ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ١٢٤)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ١١)، ونسباه للعلماء بأخبار الأنبياء، وهو من الإسرائيليات.

(٦) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٥٧٥).

وقال مقاتل: اسمه شمعان، وهو الذي قال الله تعالى: ﴿فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾[1].

وقال وهب: بعث عيسى صلوات الله عليه يحيى ويونس إلى أنطاكية، فأتياها فلم يصلا إلى ملكها، وطالت مدة مقامهما، فخرج الملك ذات يوم فكابراه وذكَّراه اللهَ تعالى، فغضب الملك وأمر بهما فأُخذا وحُبسا وجُلد كلُّ واحد منهما كذا جلدةً، ثم بعث عيسى شمعون على إثرهما لينصرَهما فدخل شمعونُ البلد متنكراً، فجعل يعاشر حاشية الملك حتى أَنِسوا به وأَنِس بهم، فرفعوا خبره إلى الملك، فدعاه ورضي عِشْرته وأَنِس به وأكرمه، ثم قال[2] له ذات يوم: أيها الملك، بلغني أنك حبستَ رجلين في السجن وضربتَهما حين دعواك إلى غير دينك، فهل كلَّمْتَهما وسمعتَ قولهما، فقال الملك: حالَ الغضب بيني وبين ذلك، قال: فإن رأى الملك دعاهما حتى نطَّلع ما عندهما، فدعاهما الملك فقال لهما شمعون: مَن أرسلكما إلى هاهنا؟ قالا: الذي خلق كلَّ شيء وليس له شريك، قال لهما شمعون: فصِفَاه وأوجِزَا، فقالا: إنه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، قال شمعون: وما آيتُكما؟ قالا: ما يتمناه الملك[3]، قال: فأمر الملك حتى جاؤوا بغلام مطموسِ العينين، موضعُ عينيه كالجبهة، فما زالا يدعوان ربهما حتى انشقَّ موضع البصر، فأخذا بندقتين من طينٍ فوضعا في حدقتيه فصارتا مقلتين يبصر بهما، فتعجب الملك، فقال شمعون للملك: أرأيت أن تسأل إلهك حتى يصنع صنيعاً مثل هذا فيكونَ لك الشرف ولإلهك؟ فقال له الملك: ليس لي عنك سرٌّ إن إلهنا الذي نعبده لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع، وكان شمعون إذا دخل الملك على الصنم يدخل بدخوله ويصلي كثيراً

---

(١) الذي في «تفسير مقاتل» (٣/ ٥٧٥) هو عين ما نقله المؤلف عن وهب وابن إسحاق.

(٢) في (ف): «فقال»، وفي (ر): «قال».

(٣) في (أ) و(ف): «ما تتمناه».

ويتضرع حتى ظنُّوا أنه على ملتهم، فقال للملك: أهاهنا مثلُ هذا الغلام مطموسِ العينين، فأمر حتى أُحضر مثلُ ذلك الغلام مطموس العينين[١]، فصنعا به مثلَ ما صنعا بالأول، ففرح الملك بذلك ثم قال لصاحبيه: إني سائلُكما مسألة، قالا هات، قال: إن قدر إلهكما الذي تعبدانه على إحياء ميتٍ آمنا به وبكما، قالا: إلهنا قادر على كلِّ شيء، فقال الملك: إن هاهنا ميتاً مات منذ سبعة أيام ابنٌ لدهقان[٢] وأنا أخَّرتُه فلم أدفنه حتى يرجع أبوه، وكان غائباً، فجاؤوا بالميت وقد تغيَّر واصفر وأَرْوَح، فجعلا يدعوان ربهما علانيةً وجعل شمعون يدعو ربه سرًّا يُعِينهما، فقام الميت وقال لهم: إني ميت[٣] منذ سبعة أيام، ووجدتُ[٤]مشركاً فأدخلت في سبعة أودية من النار، وأنا أحذركم ما أنتم فيه فآمِنوا بالله، ثم قال: فُتحت أبواب السماء فنظرتُ فرأيتُ شابًّا حسن الوجه يشفع لهؤلاء الثلاثة. قال الملك: ومَن الثلاثة؟ قال: شمعون وهذان، وأشار إلى صاحبيه، فتعجَّب الملك، فلما علم شمعون أن قوله قد أثر في الملك أخبر الملك بالحال ودعاه، فآمَن قوم وكان الملك فيمَن آمَن، وكفر آخرون[٥]، فصاح فيهم جبريل عليه السلام صيحة فماتوا عن آخرهم، فذلك قوله: ﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ﴾.

---

(١) «مطموس العينين» من (أ).

(٢) في (أ): «ابن الدهقان»، وفي «تفسير الثعلبي»: (ابنا لدهقان).

(٣) في (ف): «مت».

(٤) في (ر): «وقد مت»، والمثبت من باقي النسخ و«تفسير الثعلبي»، وليست الكلمة في «تفسير البغوي».

(٥) إلى هنا ذكره عن وهبٍ الثعلبيُّ في «تفسيره» (٨/ ١٢٤)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ١١ ـ ١٢)، وهو مما أخذه وهب من أهل الكتاب. وزاد الثعلبي والبغوي بعده: وقال ابن إسحاق عن كعب ووهب: بل كفر الملك، وأجمع هو وقومه على قتل الرسل، فبلغ ذلك حبيباً وهو على باب المدينة الأقصى، فجاء يسعى إليهم ويذكرهم ويدعوهم إلى طاعة المرسلين، فذلك قوله سبحانه: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ﴾.

(١٥) ـ ﴿ قَالُوا۟ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ قَالُوا۟ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا ﴾: قال أهل أنطاكية: ما أنتم أيها الثلاثة إلا آدميُّون مثلُنا فمن أين يجب علينا طاعتُكم، أو يجعلُكم الله رسلاً إلينا؟

﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَىْءٍ ﴾: أي: وحياً من السماء.

﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴾: أي: ما أنتم إلا تكذبون في دعوى الإرسال والإنزال.

* * *

(١٦ ـ ١٧) ـ ﴿ قَالُوا۟ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾.

﴿ قَالُوا۟ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴾: ويَشهد لنا على صدق دعوانا، والاستشهادُ بالله تأكيدٌ وتحقيقٌ وتقريرٌ في النفوس.

﴿ وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾: أي: ليس عندنا من طاعته إلا أن نبلِّغ رسالته إليكم، ولا سلطان لنا على إجباركم على الإيمان، ولا أن نوقع في قلوبكم العلم بصدقنا.

* * *

(١٨) ـ ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا۟ لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾.

قوله: ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ ﴾: أي: تشاءمنا بكم؛ يعني[1]: سمعنا منكم ما هو من جهة الفأل نذيرٌ بمكروه يَلحقنا في أنفسنا أو في أهلينا أو أموالنا، أو غيرِ ذلك من أسبابنا وأمورنا، فكفُّوا عن هذا الكلام ولا تعاوِدونا به.

﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا۟ لَنَرْجُمَنَّكُمْ ﴾: أي: لنقتلنكم بالحجارة.

---

(١) في (ر): «أي».

وقيل: لنشتمنَّكم، وحقيقته: لنرمينكم بالقول القبيح، والأولى: لنرمينكم بالحجارة.

﴿وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: أي: غليظٌ شديدٌ وجيع، فإن كان الأولُ قتلاً فهذا ما دون القتل.

وقيل: ﴿لَنَرْجُمَنَّكُمْ﴾ لنطردنَّكم ولنبعدنَّكم[١]؛ أي: ولنخرجنَّكم من قريتنا.

وقيل في قوله: ﴿إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ﴾: يحتمِل أن يكون هؤلاء سمعوا بما جرى على أممٍ قبلهم كذَّبوا رسلهم فأُهلكوا، فخافوا مثلَ ذلك، وهو معنى قول قتادة[٢].

وقيل: بل أقحطوا فقالوا للرسل: أصابنا هذا من شؤمكم، كما في قصة موسى: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ﴾ [الأعراف: ١٣١].

* * *

(١٩) - ﴿قَالُوا طَائِرُكُم مَّعَكُمْ أَئِن ذُكِّرْتُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾.

﴿قَالُوا طَائِرُكُم مَّعَكُمْ﴾: أي: ما تطيَّرتم به من المكروه فذلك شيءٌ ألزمه الله تعالى أعناقَكم وكتبه عليكم، فهو جارٍ لكم وواقعٌ بكم[٣] لا من جهتنا.

وقال أهل التفسير: الطائر هاهنا: هو العمل والحظُّ من الخير والشر.

وقيل: ﴿طَائِرُكُم مَّعَكُمْ﴾؛ أي: إنما المكروه الواقع بكم بسوء أعمالكم لا مِن جهةِ غيركم.

---

(١) في (ر): «ولنعذبنكم».

(٢) رواه يحيى بن سلام في «تفسيره» (٢/ ٨٠٤)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (٢٤٧٠)، والطبري في «تفسيره» (١٩/ ٤١٦)، ولفظه: (قالوا: إن أصابنا شر فإنما هو من أجلكم)، وفي رواية: (فهو بكم)، وفي أخرى: (فهو من قِبَلكم).

(٣) في (ف): «فيكم».

﴿أَئِن ذُكِّرْتُم﴾: أي: أئن ذكرتُم تطيَّرتُم؛ أي: أفيكون هذا دَأْبكم لا تتدبرون وعظاً ولا تتفكرون في تنبيه ولا تردُّون قولنا بحجة؛ أي: فليس هذا فعلَ العقلاء.

وقيل: معناه: أئن ذكرتم بالله تهدِّدوننا بالرجم والتعذيب.

﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾: أي: ليس لكم التطيُّر لعلمكم بأنَّا صادقون، ولأنكم قوم أسرفتُم على أنفسكم في ارتكاب المعاصي؛ أي: أكثرتم من ذلك وجاوزتُم الحد في قلة النظر لأنفسكم[1].

* * *

(٢٠) - ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ﴾: ثبت أن تلك القرية كانت مدينةً متباينةَ الأطراف.

قوله: ﴿رَجُلٌ﴾: قيل: هو حبيبُ النجار الذي ذكرنا أن الرسولين شفيَا ولده.

وقيل: كان رجلاً مجذوماً ينزل ناحية من المدينة.

وقيل: كان حرَّاثاً يعمل في حرثه[2] خارج المدينة.

قوله: ﴿يَسْعَىٰ﴾: أي: يعدو.

وقيل: يقصد وجه الله بالذبِّ عن رسله، وهو من قوله: ﴿وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا﴾ [الإسراء: ١٩].

وروي أن القوم عزموا على قتل هؤلاء الثلاثة[3] الرسل، فسعى هذا الرجل لذلك ليخلصهم، وكان يكتم إيمانه.

---

(١) في (أ): «في أنفسكم».

(٢) قوله: «في حرثه» ليس في (أ).

(٣) «الثلاثة» ليست في (أ) و(ف).

﴿قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾: باح بإسلامه ليشتغل القوم عن الرسل، و﴿يَٰقَوْمِ﴾ دلالةٌ وإظهار منه أنه لا مباينةَ بيننا ولا تهمةَ في إرادة السوء بكم.

﴿ٱتَّبِعُوا۟﴾ هؤلاء الذين أرسلهم الله.

* * *

(٢١) ـ ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾.

﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا﴾: أي: لا يقصدون بدعائكم استيكالكم(١).

﴿وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾: أي: على دينٍ حقٍّ يدعونكم إليه.

وقيل: خرج هذا الرجل بمالٍ يستطبُّ به من داءٍ كان به، فدعوا الله فشفاه الله تعالى، فأعطاهم ذلك المال فلم يقبلوه، فقال لذلك: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾.

* * *

(٢٢) ـ ﴿وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾: أي: وأيُّ شيء يمنعُني من أن أعبد الله الذي هو ابتدأ خلقي.

﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾: أنتم للعرض والحساب والجزاء.

ولم يقل: وما لكم لا تعبدون الذي فطركم؛ ترقيقاً للكلام، وتلطُّفاً في الدعاء؛ لأنه إذا ذكره في حقِّ نفسه فقد ذكره(٢) في حقِّهم، فحصل المقصود من غير تعنيفٍ وتشديد.

---

(١) في (ر): «أخذ الأجر منكم» بدل: «استيكالكم».

(٢) بعدها في (أ) و(ف): «بعد ذكره».

(٢٣ ـ ٢٥) ـ ﴿ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ﴾.

﴿ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ﴾: أي: أصناماً ﴿إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴾ أي: لا يخلصوني، دل أنهم كانوا عبدةَ أصنام.

﴿ إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾: أي: إن فعلتُ فعلكم كنتُ ضالًّا بيِّنَ الضلال مثلكم.

﴿ إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ﴾: أي: فاشهدوا عليَّ بالإيمان أيتها الرسل.

وقيل: ﴿فَٱسْمَعُونِ ﴾؛ أي: فأطيعون يا قوم.

***

(٢٦ ـ ٢٧) ـ ﴿ قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ ۖ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴾.

قوله تعالى: ﴿ قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ ﴾: وهاهنا مضمر؛ أي: فقُتل فقيل له: ﴿ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ ﴾، ودل ذلك على أن الجنة مخلوقةٌ، وعلى أن القبر روضةٌ من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار(١).

﴿قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى ﴾: و(ما) مع الفعل مصدر؛ أي: بمغفرة الله لي، تمنى أن يعلمَ قومه بأنه غُفر له بإيمانه فيرغبوا في الإيمان.

وقيل: (ما) هو بمعنى: الذي؛ أي: بأيِّ شيء غفر لي، وهو الإيمان ليؤمنوا هم أيضاً، وهذه مرتبةُ أولياء الله، يريدون الخير بمن أراد بهم الشر، ويتمنون أن لا يكون لله عاص.

---

(١) في (أ) وهامش (ف): «النيران».

﴿وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ﴾ بالجنة.

وقال الحسن: لمَّا أراد القوم أن يقتلوه رفعه الله إليه فهو في الجنة[١].

وقال غيره: قتلوه فلما دُفن نقله الله إلى الجنة.

قيل: لما قال هذا القول وثبوا عليه فقتلوه.

وقيل: رجموه بالحجارة كما قالوا لرسلهم: ﴿لَنَرْجُمَنَّكُمْ﴾.

قال السدي: كانوا يرمونه بالحجارة وهو يقول: اللهم اهدِ قومي، حتى قطَّعوه وقتلوه[٢].

وقيل: توطَّؤوه بأقدامهم حتى تلف تحتها. وباشتغالهم بقتله تخلَّص الرسل.

* * *

(٢٨) - ﴿۞ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿۞ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ﴾: أي: ولم ينزل على قوم هذا الرجل جنداً من السماء لتعذيبهم كما يحتاج الملوك من البشر في الإيقاع بأعدائهم إلى ذلك.

قوله[٣]: ﴿وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ﴾؛ أي: وليس من صفاتي[٤] الحاجة إلى ذلك.

---

(١) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٧/ ٤٣١) نقلًا عن القشيري، وتعقبه الآلوسي في «روح المعاني» (٢٢/ ٢٢٨) بقوله: والجمهور على أنه قتل، وادعى ابن عطية [في «المحرر الوجيز» (٤/ ٤٥١)] أنه تواترت الأخبار والروايات بذلك.

(٢) ذكره الثعلبيُّ في «تفسيره» (٨/ ١٢٦)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ١٥).

(٣) في (ر): «وقيل» وليست في (أ).

(٤) في (ر): «في صفاتنا».

وقيل: ﴿وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ﴾؛ أي: والذي كنا منزلين على مَن قبلهم من الطوفان والقذف والصاعقة.

* * *

(٢٩ ـ ٣٠) ـ ﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ (٢٩) يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾.

﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾: أي: ما كانت العقوبة ﴿إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ من جبريل عليه السلام ﴿فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ﴾؛ أي: ميتون، خمدت أرواحهم وسكنت أنفاسهم؛ كالنار إذا طَفِئت[١] من الإيقاد.

وقوله تعالى: ﴿يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ﴾: أي: ندامةً تكون من العباد على أنفسهم إذا صاروا إلى دار الجزاء ورأوا ثواب أهل الطاعة، فيقولون: ﴿يَا حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا﴾ [الأنعام: ٣١] والحسرة هي بلوغ النهاية في التلهُّف حتى يبقى القلب حسيراً لا موضع فيه لزيادة التلهُّف، كالبصير الحسير الذي لا قوة فيه للنظر، والبعيرِ الحسير الذي لا قوة له على المسير[٢].

وقيل: هذا قول الرجل الذي جاء من أقصى المدينة يسعى.

وقيل: هو قول رسلهم حين رأوا ما نزل بهم.

وقيل: هو قول المعذَّبين حين رأوا نزول العذاب.

وقيل: هو ابتداء كلام من الله تعالى.

﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ﴾: أي: ما يأتي العباد رسول ﴿إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾؛ أي: يسخرون.

---

(١) في (ف): «أطفئت».

(٢) في (ر) و(ف): «لا قوة فيه للمسير».

(٣١) ـ ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾.

﴿أَلَمْ يَرَوْا﴾: أي: كفارُ قريش ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ﴾ على تكذيب الرسل فيعتبروا بهم.

﴿أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾: قرأه العامة بفتح الألف لوقوع ﴿يَرَوْا﴾ عليها؛ أي: قد رأوا أن مَن هلك لا يرجع إلى الدنيا، بل هم قوم مُبقَّون في قبورهم إلى أن يُبعثوا فيحاسَبوا فيجازَوا بأعمالهم.

ومَن قرأ بالكسر[1] فعلى الابتداء؛ أي: حكمنا أنهم لا يرجعون إلى الدنيا، وإنما يبعثون يوم القيامة، وكذلك حال هؤلاء.

ودلت الآية على بطلان قول القائلين بالتناسخ والقائلين بالرجعة، وبها استدل ابن عباس في ردِّ مَن قال بأن عليًّا مبعوث وإلينا مردود[2].

* * *

(٣٢) ـ ﴿وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾: قرئ ﴿لَّمَّا﴾ بالتشديد، وهو قراءة ابن عامر وحمزةَ وعاصمٍ، وله معنيان:

أحدهما: ﴿وَإِن كُلٌّ﴾؛ أي: وما كلٌّ لمَّا جميع؛ أي: إلا جميع[3]؛ كقوله: ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ [الطارق: ٤]؛ أي: ما كلُّ نفس إلا عليها حافظ.

---

(١) نسبت للحسن. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٢٥ ـ ١٢٦).

(٢) رواه عبد بن حميد وابن المنذر كما في «الدر المنثور» (٧/ ٥٥).

(٣) في (ر): «إلا ﴿لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾» بدل: «لما جميع أي إلا جميع».

والثاني: أن ﴿إِن﴾ الخفيفة للتأكيد كالمشددة، و﴿لَّمَّا﴾ بمعنى (لممَّا)[(١)] حذفت الميم الأولى تخفيفاً؛ كما في قوله: ﴿إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا﴾ [الإسراء: ١٠٨] على قولِ مَن قال: ﴿إِن﴾ كلمة تأكيد.

وقرئ بالتخفيف[(٢)]، وعلى هذا ﴿إِن﴾ للتأكيد و﴿لَـمَا﴾ اللام للتأكيد أيضاً في جواب ﴿إِن﴾، و(ما) صلة، وتقديره: وإنْ كلٌّ لجميعٌ لدينا محضَرون، يعني: في موقف حسابنا يوم القيامة محضَرون للعرض والجزاء.

* * *

(٣٣ ـ ٣٤) ـ ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا﴾: أي: ومن العلامات الدالَّات

---

(١) في (أ): «لم ما»، وفي (ر): «لما»، والمثبت من (ف)، وعليه يكون أصلها: (لَمَنْ مَا) ثم انْقلبت النون ميماً فاجتمع ثلاث ميمات، فحذفت إحداها ـ وهي الوسطى ـ فبقيت (لَمَّا). هذا قول الفراء، ونقله الزجاج، والشرح الذي ذكرناه لفظه، لكنه تعقبه بقوله: (وهذا القول ليس بشيء؛ لأن (مَن) لا يجوز حذفها، لأنها اسم على حرفين).

وللفراء في المسألة قول آخر موافق لما جاء في النسخة (أ): (لم ما)، وبسطُ هذا القول: أن تُجعل (لَمَّا) بمنزلة (إلا) مع (إِنْ) خاصة، يعني أن (إن) و(لا) كلمتان أولاهما (إنْ) التي هي جحد بمنزلة (ما)، والثانية (لا) وهي أيضًا جحد، جمع بينهما فصارتا جميعًا حرفًا واحدًا، وخرجتا من حد الجحدِ إلى الاستثناء، فتكون (لمَّا) في مذهبها، كأنها (لَمْ) ضُمَّت إليها (ما) فصارتا جَميعًا استثناء وخرجتا من حد الجحد. انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٧٦)، و«معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٨١)، وانظر أيضا «البسيط» للواحدي (١٨/ ٤٧٦)، وقد استعنا به لبسط قول الفراء وتوضيحه.

(٢) انظر: «التيسير» (ص: ١٢٩).

على كمال قدرتنا على إحياء الموتى وغيرِ ذلك: أنَّا نحن[١] نحيي بالماء الذي ينزل من السماء الأرضَ التي قد ماتت فصارت لا نباتَ لها ولا حركة بها.

قوله تعالى: ﴿وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا﴾: أي: أخرجنا منها أنواعَ الحب من الأطعمة كالحنطة والشعير والأقوات ﴿فَمِنْهُ﴾؛ أي: من ذلك الحَبِّ ﴿يَأْكُلُونَ﴾ غذاءً لهم.

﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا﴾: أي: في الأرض ﴿جَنَّٰتٍ﴾: بساتين ﴿مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ﴾ وهما أعلى الثمار فخصَّهما بالذكر لذلك.

﴿وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ﴾: في الجنات عيونَ الماء؛ لتَحسُنَ مناظرُها وتبلغَ ثمارها.

***

(٣٥) ـ ﴿لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾.

﴿لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ﴾: ليكون لهم ثمارٌ يأكلونها.

وقوله تعالى: ﴿مِن ثَمَرِهِۦ﴾: من ثمرِ ما ذكرنا، ولم يؤنِّثها لذلك، وجمَع نعمة الثمار إلى نعمة الأطعمة.

﴿وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾: قيل: هو نفي، أي: ولم تعمله أيديهم، فإن الله أخرجها لهم، وهو كقوله: ﴿ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ﴾ [الواقعة: ٦٤] ﴿ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ﴾ [الواقعة: ٧٢].

وقيل: هو بمعنى (الذي)؛ أي: ومِن الذي عملَتْه أيديهم، وهي أصنافُ الأشربة والحلاوات؛ كما قال: ﴿تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا﴾ [النحل: ٦٧]، ويدخل فيها العصير والخل والرُّبُّ وغيرها.

---

(١) «نحن» من (أ).

وقيل: ﴿وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾؛ أي: ما غرسوه من الجنان ﴿وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا﴾ لم يَغْرسوه.

﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾: كلمة استبطاءٍ وحثٍّ على الشكر.

* * *

(٣٦) - ﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا﴾: أي: تنزيهاً لله تعالى عمَّا لا يليق به من قول الكفار.

وقيل: أي: عجباً من الكفار مما يشركون مع ظهور هذه الآثار، قال الشاعر:

أقول لمَّا جاءني فخرُه   سبحانَ من علقمةَ الفاخرِ[(١)]

أي: عجباً منه.

﴿خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا﴾؛ أي: الأصنافَ والأنواع من كلِّ شيء.

﴿مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ﴾: أي: تُخرج من الحب والنخل والأعناب.

﴿وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾: أي: ومن البشر.

﴿وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾: من أصناف خلقه في البَرِّ والبحر وقُعور الأرض وفي السماوات، وفي ذلك تعريفٌ أنه إذا كان خالقَ الأصناف كلِّها من غير أن يَشْرَكه فيه غيره، وجب تنزيهه عن الشركاء الذين لا يخلقون كخَلْقه، وفيه بيانُ وجوب النظر في علم الأصول، والاستدلالِ بدلائل[(٢)] العقول.

---

(١) البيت للأعشى، وهو في «ديوانه» (ص: ٩٤)، و«الكتاب» (١/ ٣٢٤)، وعلقمة هو ابن علاثة، والبيت في هجائه.

(٢) في (أ): «بدليل».

(٣٧) ـ ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ﴾: أي: ومن علامات قدرتنا وعِلمنا ورحمتنا ما ترونه من مجيء الليل والنهار خلفةً، نسلخ من الليل النهار؛ أي: نزيل منه الضوء الذي يكون بالنهار.

﴿فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ﴾: أي: داخلون في الظلمة بمجيء الليل.

ودلَّ هذا أن الليل كان قبل النهار، وأن الظلمة كالأصل والنورَ دخيلٌ عليه، فإذا سُلخ منه ـ أي: نُزع النور من الظلمة ـ خلصت الظلمةُ فكان الليلُ، وإذا أُلبست الظلمةُ النورَ كان النهار، قال تعالى: ﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ﴾ [الأعراف: ٥٤]؛ أي: يُلبسه، فإذا وُصف بالإلباس جاز أن يوصف بالسلخ الذي هو ضدُّه، فيقول[1]: فهذا شيء ترونه متَّسِقاً لا يتغير، فدل ذلك على علمِ فاعله وحكمتِه.

* * *

(٣٨) ـ ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾.

﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا﴾: أي: إلى مستقرٍّ لها، كما يقال: جرى فلان لغايةِ كذا، وإلى غاية كذا، وله ثلاثة أوجه:

أحدها: استقرارها: قطعُ حركاتها بانتهاء أمرها عند انقضاء الدنيا.

والثاني: قول قتادة: ﴿لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا﴾: لوقتٍ واحدٍ لها لا تَعْدُوه[2].

والثالث: تجري إلى أبعد منازلها في الغروب ثم ترجع، فمستقرُّها بلوغُها الموضعَ الذي لا تتجاوزه؛ كالإنسان يقطع مسافةً لا يسكن فيها حتى يبلغَ أقصى مقصوده، فيستقر هناك ـ على معنى أنه لا يجاوزه ـ ثم يرجع.

---

(١) «فيقول» ليست في (أ).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٤٣٥).

وقال الحسن: إن للشمس في السنة ثلاثَ مئة وستين مطلِعاً، تنزِل في كلِّ يوم في مطلعٍ منها ثم لا تنزله إلى الحول، فهي تجري في تلك المنازل فهي مستقرُّها[١].

وقيل: مستقرُّها: هو الوقت الذي يَحبس الله فيه الشمسَ عن الطلوع.

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾: أي: مَن تأمَّل أحوال مجيء الليل والنهار ومجاريَ الشمس علم بما يجد[٢] من دلائل الحدوث وآثار التدبير أنها مقدَّرة مدبَّرة لمدبِّرٍ عالمٍ عزيز لا يغالَب ولا يُمنع مما يريد إمضاءَه في خليقته.

***

(٣٩) - ﴿وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ﴾: قرأ ابن كثير ونافعٌ وأبو عمرو: ﴿والقمرُ﴾[٣] بالرفع على الابتداء، والباقون بالنصب[٤] بإضمارِ فعلٍ مقدَّم مقدَّر دلَّ عليه الـمُظهَر المؤخَّر، وهو قوله: ﴿قَدَّرْنَاهُ﴾.

يقول: وفي القمر دلالةُ ذلك أيضاً؛ لأنه في مسيره لازم لطريقةٍ واحدة لا تختلف، بل ينزل كلَّ ليلةٍ منزلاً معروفاً فيقطع الفَلَك في ثمانٍ وعشرين ليلةً، ثم يستسِرُّ ثم يَطلع هلالاً، ومنازلُه ثمانية وعشرون نجماً.

﴿حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾: العرجون: العِذْقُ الذي فيه الشماريخ، فإذا تقادم

---

(١) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٧/ ٤٤٥)، وروى نحوه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٢٨٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) في (ر) و(ف): «علم ما يجب».

(٣) في (ر): «وسهل ويعقوب عن ورش» بدل: «والقمر».

(٤) انظر: «السبعة» (ص: ٥٤٠)، و«التيسير» (ص: ١٨٤).

عهدُه حتى يبسَ تقوَّس؛ أي: يَدِقُّ[١] القمر في ليلة ثمانٍ وعشرين حتى يصير كالعرجون المتقادم في الدقة والتقوُّس.

* * *

(٤٠) - ﴿لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ﴾: قيل: أي: خلقهما الله تعالى على صفةٍ يستحيل إدراك الشمس القمرَ واجتماعُهما ما بقيت الدنيا، فإذا انقضى[٢] العالم وقامت القيامة جمع الشمس والقمر.

وقيل: أي: لا يصلُح أن تدركَ الشمس القمرَ[٣] فيغلبَ ضوؤها ضوءَه، فتذهبَ آية الليل وتصيرَ الأوقات كلُّها نهاراً.

﴿وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ﴾: أي: ولا يصلح أن يكون الليل غالباً للنهار فتكونَ الأوقاتُ كلُّها ليلاً، بل يتعاقبان لمصالح أهل الدنيا.

﴿وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ﴾: أي: كلُّ واحد من الشمس والقمر والنجوم التي هي مثلُهما[٤] يَجرون في الفَلَك بسرعةٍ، وكلُّ واحدٍ مسخَّرٌ مقصورٌ على ما لا يتعدَّاه.

وقيل: أي: القمر أسرعُ سيراً وقطعاً للفَلَك من الشمس، وهو يسبق الشمس، والشمس لا تدركه فيَبطُلَ سلطانُه، والليلُ لا يسبق النهارَ فيجيءَ في غير الوقت المقدَّر له.

---

(١) في (أ): «أي تقوس».

(٢) في (ف): «انتقض».

(٣) «وقيل: أي لا يصلح أن تدرك الشمس القمر» ليس من (ف).

(٤) في (ر) و(ف): «منازلهما».

وقال الحسن: ﴿لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ﴾ ليلةَ الهلال؛ أي[١]: لا ينبغي لها أن تبقى حتى يطلع القمر والشمسُ طالعةٌ، لكن إذا وجبت الشمس ظهر القمر.

وقوله تعالى ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ﴾: جَمع بالواو والنون لأنه وصَفها بصفات العقلاء.

وقالوا: وصفُ الله تعالى هذه الطوالعَ بالسباحة والسبق والإدراك توسُّعٌ؛ إذ لا اختيار لها في أفعالها لكنها مسخَّرةٌ يُفعل ذلك بها جبراً، وهو كقولهم: تحرَّك الحائط، ونحوه.

* * *

(٤١) ـ ﴿وَءَايَةٞ لَّهُمۡ أَنَّا حَمَلۡنَا ذُرِّيَّتَهُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَءَايَةٞ لَّهُمۡ أَنَّا حَمَلۡنَا ذُرِّيَّتَهُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ﴾: قرأ نافع وأبو جعفر وابن عامر وسهل ويعقوب[٢]: ﴿ذُرِّيَّٰتِهِمۡ﴾ جمعاً والباقون ﴿ذُرِّيَّتَهُمۡ﴾ على الوحدة[٣]؛ أي: ومن علامات قدرتنا ودلائل وحدانيتنا أنَّا حملنا ذرية هؤلاء المشركين من أهل مكة في سفينة نوح المملوءةِ من الناس ومما يحتاجون إليه، والفُلك مذكَّر هاهنا، وهو واحد، والذرية: الأولاد، وتقديره: ذريةَ أصلهم؛ أي: آدم، وهو كقوله: ﴿خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ﴾ [فاطر: ١١]؛ أي: خلق أصلكم وهو آدم.

وقيل: أراد بالذرية الأسلافَ؛ لأنه من الذَّرْء وهو الخلقُ، فيَصلح[٤] الاسمُ للأصل والنسل لأن بعضهم خُلق من بعضٍ.

---

(١) في (أ): «و».

(٢) في (أ): «وابن عامر» بدل من «وأبو جعفر وابن عامر وسهل ويعقوب».

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٥٤٠ ـ ٥٤١)، و«التيسير» (ص: ١٨٤)، و«النشر» (٢/ ٢٧٣).

(٤) في (أ): «فيصح».

وقيل: أي: حملنا ذرية هؤلاء مع نوح في السفينة؛ لأن ذرية آدم كلَّهم كانوا في أصلاب أولئك وكانوا محمولين كلُّهم، يعرِّفهم المنَّةَ بأنْ سلَّم آباءهم وسلَّمهم وأخرجهم للحال وجعلهم ولاة بيته.

وقيل: معناه: وحملنا ذرية هؤلاء وهم الصبيانُ والنسوان ﴿فِي ٱلْفُلْكِ﴾؛ أي: في السفينة التي تكون في هذا[1] الزمان، وهم بأنفسهم عَجَزةٌ عن قطع المسافات.

***

(٤٢) ـ ﴿وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ﴾.

﴿وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ﴾: أي: مثلِ الفلك المشحون وهو سفينةُ نوح.

﴿مَا يَرْكَبُونَ﴾: من السفن في كلِّ زمان، وهذا عن ابن عباس رضي الله عنهما في رواية[2]، وعنه في رواية: ﴿مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ﴾ هي الأنعام هذه في البر[3]، وتلك في البحر للحمل والنقل من مكان إلى مكان، وهو كقوله ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ﴾ [الزخرف: ١٢].

***

(٤٣) ـ ﴿وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ﴾: في البحر مع السفينة ﴿فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ﴾؛ أي: فلا مُغيث لهم ﴿وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ﴾؛ أي: يَخلصون[4].

---

(١) في (ر): «في آخر».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٤٤٤).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٤٤٦).

(٤) في (ر) و(ف): «لا يخلصون».

وقيل: ﴿فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ﴾؛ أي: لا يجدون في البحر صريخاً، وإن وجدوا لا يقدر على إنقاذهم.

وقيل: ﴿فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ﴾ يحفظُهم أن يغرقوا ﴿وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ﴾؛ أي: ليس لهم مَن يخلِّصهم بعد أن غرقوا.

* * *

(٤٤ ـ ٤٥) ـ ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُوا۟ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.

﴿إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا﴾: إلا أن نرحمَهم نحن فنخلِّصَهم.

﴿وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ﴾: ونمتِّعهم بالبقاء إلى انقضاء أعمارهم.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُوا۟ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾: وجوابه محذوف، وهو: أعرَضوا.

قال الكلبي: وإذا قيل لهؤلاء المشركين: ﴿ٱتَّقُوا۟ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ﴾ من الآخرة فاعمَلوا لها ﴿وَمَا خَلْفَكُمْ﴾ من الدنيا اتَّقوها فلا تغترُّوا بها.

وقيل: اتَّقوا ما تقدم من معاصيكم وما تأخَّر مما أنتم تعملونه من بعدُ.

وقيل: ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ﴾: ما سلف قبلكم من عقوبات الله للأمم الخالية أن ينزل بكم مثلُها ﴿وَمَا خَلْفَكُمْ﴾ من العذاب في الآخرة بعد هلاككم[1].

وقيل: ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ﴾؛ أي: اتَّقوا الكفر بآيات الله التي نزلت فيكم[2]، وبآياته التي نزلت بعد خلقكم، وآمِنوا بها جميعاً ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ أي: لتُرحموا، وجوابه ما قلنا.

---

(١) في (ف): «ضلالكم».

(٢) في (ف): «قبلكم».

(٤٦ ـ ٤٧) ـ ﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤٦﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾.

﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾: وهذا يدل على أن المضمَر: أعرضوا.

وقوله: ﴿مِّنْ ءَايَةٍ﴾، ﴿مِّنْ﴾ للتأكيد، ومعناه: وما تأتيهم آيةٌ.

قال مقاتل: هي انشقاق القمر بمكة نصفين[1].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾: قال مقاتل بن سليمان: إن أصحاب رسول الله ﷺ قالوا للمشركين: أعطونا ما زعمتُم من أموالكم أنها لله مما ذرأ من الحرث والأنعام، فسألوهم نصيب الله من أموالهم فحرموهم فقالوا:

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ﴾: أي: أَنُعطي مَن لو يشاء الله أعطاه[2]؟ وهذا استفهام بمعنى الإنكار.

﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾: أي: ما أنتم؛ قيل: هو قول الكفار للمؤمنين؛ أي: إنكم لتقولون: إن الله قادرٌ على أن يوسِّع على عباده[3] ثم تتركون مسألته وتسألوننا.

وقيل: هو خطاب للكفار: ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ في التكلُّم بهذا على وجه الاستهزاء بالمؤمنين، وفي التعلُّق بهذا في ترك الإنفاق على المحتاجين، فإنهم كانوا يقولون: إنكم قلتُم ﴿أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾ وإذا كان الله يرزقنا فهو قادر على أن

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (١/ ٥٤٩) تفسير الآية الرابعة من سورة الأنعام.

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٥٥٨١).

(٣) في (ر): «عبده»، وفي (ف): «عبيده».

يرزقكم، فما معنى التماسِكم الرزقَ منا؟ وهذا جهل منهم؛ لأن الله تعالى إذا رزق عبداً شيئاً وملَّكه إياه لم ينقطع عنه ملكُه، وأوجب فيه حقوقاً أمره بأدائها، فليس للعبد أن يمتنع عنها؛ كالمالك منا إذا أعطى عبده مالاً ثم أمره أن ينفق منه في كذا، فليس له أن يقول: أنت أعطيتَني هذا فأعطِ فلاناً أيضاً من عندك ولا تأمرني به فيما هو مالي، ومن الجهل أيضاً أن يقول العبد: لا أعطي مَن لم يعطه الله.

روي عن النبي ﷺ أنه قال: «لو شاء الله لجعلكم أغنياءَ لا فقيرَ فيكم، ولو شاء الله لجعلكم فقراءَ لا غني فيكم، ولكن ابتلى بعضَكم ببعضٍ لينظر كيف عطفُ الغني وكيف صبرُ الفقير»(١).

* * *

(٤٨ ـ ٤٩) ـ ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ (٤٨) مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾: يتصل بقوله: ﴿ٱتَّقُوا۟ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ﴾؛ أي: الساعةَ، قالوا: متى الساعةُ التي تَعِدوننا بها، فقد أتت على آبائنا الدهور الكثيرة فلم تأت؟ فأُجيبوا عن ذلك:

قوله تعالى: ﴿مَا يَنظُرُونَ﴾: أي: ما ينتظرون ﴿إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ﴾؛ أي: ترسَل عليهم فتهلكُهم وهي النفخة الأولى.

﴿وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾: الواو للحال؛ أي: في حال اختصامهم.

قرأ ابن كثير وأبو عمرو(٢): ﴿يَخَصِّمُونَ﴾ بفتح الخاء وتشديد الصاد(٣)، إلا

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٥٤٧١) ـ ت محمد عوامة ـ عن الحسن عن النبي ﷺ مرسلًا.

(٢) في (ف): «قرأ ابن كثير ونافع في راويةِ ورش وسهل ويعقوب غير ورش والشموني عن أبي بكر».

(٣) وهي قراءة ورش عن نافع وهشام عن ابن عامر.

أن أبا عمرو يختلس حركة الخاء، وأصله: يختَصِمون، بفتح التاء وتسكين الخاء، فأدغمت التاء في الصاد ونُقلت فتحة(١) التاء إلى الخاء.

وقرأ نافع: ﴿يَخْصِّمون﴾ بفتح الياء وتسكين الخاء وتشديد الصاد(٢)، وجمع بين الساكنين ضرورة الإدغام.

وقرأ ابن عامر(٣) وعاصم والكسائي: ﴿يَخِصِّمُونَ﴾ بفتح الياء وكسر الخاء وتشديد الصاد تحريكاً للساكن إلى الكسرة؛ لأنها حركة ضرورية.

وقرأ حمزة: ﴿يَخْصِمون﴾ بفتح الياء وتسكين الخاء على أصل الفعل الثلاثي؛ لعدم تاء الافتعال صورةً(٤).

* * *

(٥٠) ـ ﴿ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴾.

يقول: تأتيهم الساعة وهم يتخاصمون في أمور دنياهم وأسباب معايشهم في الأسواق وغيرها ﴿ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ ﴾: وهم بحضرتهم ﴿يَرْجِعُونَ ﴾ يتمكَّنون من الرجوع إليهم وهم على غيبةٍ منهم؛ أي: لا يُمْهَلون بل يُهلَكون للحال.

وقيل: ﴿وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴾ هو من رَجْع الكلام؛ أي: لا يمكنهم أن يراجعوهم الكلام.

روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «تقوم الساعة والرجل

---

(١) في (أ): «حركة».

(٢) وهي قراءة قالون عن نافع.

(٣) في رواية ابن ذكوان عنه.

(٤) انظر: «السبعة» (ص: ٥٤١)، و«التيسير» (ص: ١٨٤).

يَلِيطُ حوضَه ليسقيَ ماشيته فما يسقيها حتى تقوم الساعة، والرجلان قد نشرا ثوبهما يتبايعان فما يطويانه حتى تقوم الساعة، والرجلُ يَخْفِض ميزانه فيرفعُه فما يرفعه حتى تقوم الساعة، والرجل يرفع أُكلته إلى فيه فما يصل إلى فيه حتى تقوم الساعة»[1].

وهذه[2] نفخة الصعق، ثم بعدها نفخة البعث، وهو[3] قوله تعالى:

* * *

(٥١) ـ ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾.

﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾: أي: نفَخ إسرافيل في القرن للبعث.

﴿فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ﴾: أي: القبور، والواحد: جَدَث.

﴿إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾: أي: إلى موضع حساب الله يسرعون، والنَّسَلان: العَدْو، هو من باب دخَل وضرب، وهو كقوله: ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ﴾ [المعارج: ٤٣].

* * *

(٥٢) ـ ﴿قَالُوا۟ يَـٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَـٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ يَـٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا﴾: أي: مَن أيقظَنا من موضع رُقادنا؛ أي: من نومنا، والفعل من باب دخل.

روي أنهم يخفف عنهم فيما بين النفختين فيستريحون استراحةَ النائم، ثم يبعثون فيقولون هذا القول.

---

(١) » رواه البخاري (٦٥٠٦)، ومسلم (٢٩٥٤).

(٢) في (ف): «وهي» وفي (ر): «وهو وهذا».

(٣) «هو» زيادة من (أ).

وقيل: إذا رأوا أهوال يوم القيامة هان عليهم ما كان عليهم[١] من عذاب القبر، حتى كان ذلك كالنوم في جنب ما صاروا إليه.

قوله تعالى ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾: قال عبد الرحمن بن زيد: ثم يرون اليقين الذي لا يمكن دفعُه، فيقولون معترفين شاهدين على أنفسهم بالكذب في الدنيا: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ وهو البعث للحساب والجزاء ﴿وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ في الإخبار عنه[٢].

وقيل: ﴿وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ قولُ الملائكة لهم حين قالوا: ﴿مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا﴾ وفيه توبيخهم[٣].

وقيل: هو قول المؤمنين لهم.

ثم قوله: ﴿هَٰذَا﴾ عند بعضهم يوصل بقوله: ﴿مِن مَّرْقَدِنَا﴾؛ أي: من هذا المرقد، وجوابهم: ﴿مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾، وعند بعضهم يبتدأ من قوله: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾.

* * *

(٥٣ ـ ٥٤) ـ ﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

قوله: ﴿إِن كَانَتْ﴾: أي ما كانت إعادتهم[٤]، وقيل: أي: النفخة.

﴿إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾: أي: إلا نفخةً واحدةً في الصُّور.

---

(١) في (أ): «كانوا فيه» بدل: «كان عليهم».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٤٥٨).

(٣) في (أ): «توبيخ».

(٤) في (أ): «إعلامهم».

﴿فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾: أي: مجتمعون لدينا قد أُحضروا موقفَ الحساب بسرعة لم يتخلَّف منهم أحد.

﴿فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا﴾: أي: لا يُنقَص من ثواب طاعته ولا يُحمل عليه معصيةُ غيره.

﴿وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: من خيرٍ وشرٍّ.

* * *

(٥٥) ـ ﴿إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ﴾: أي: الذين وعدهم الله الجنة على الإيمان والطاعة.

﴿فِى شُغُلٍ﴾: أي: مما فيه أهلُ النار من العذاب، و﴿فِى شُغُلٍ﴾ مما هم فيه من التقلُّب في النعيم وأنواع الملاذِّ؛ من افتضاض الأبكار، والتلذُّذ بالأحاديث الطيبة، والتعلُّلِ بالفواكه الشهية في الأماكن البهية، ومن زيارة الملائكة مع الكرامات، ومن ملاقاةِ الأحبَّة والقرابات.

وقيل: ﴿فِى شُغُلٍ﴾ عن ذكر أهل النار، ولو خطر ذلك ببالهم وفيها أحدٌ من أقاربهم أو معارفهم[1] تنغَّص عليهم ما هم فيه.

وقوله: ﴿فَٰكِهُونَ﴾: قال الحسن رحمه الله: ناعمون[2].

---

(١) «أو معارفهم» ليس في (أ).

(٢) ذكره الواحدي في «البسيط» (١٨/ ٥٠٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما، والثعلبي في «تفسيره» (٨/ ١٣٢) عن السدي، والماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٢٥) عن قتادة. وذكره عن الحسن يحيى بن سلام في «تفسيره» (٢/ ٧١٤) بلفظ: (مسرورون)، وانظر التعليق الآتي.

وقيل: معجَبون[١].

وقيل: فرحون، وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما[٢].

وقيل: ذوو فاكهة؛ كما يقال: لابنٌ وغاسلٌ وتامر، قال الشاعر:

وغـرَرْتَـنـي وزعـمـتَ أنْ   نَـكَ لابـنٌ في الصيـف تامِـرْ[3]

وقيل: الفاكه: المازح، من الفُكاهة، والفَكِه: الطيِّب النَّفْس.

وقيل: هما واحد كالحادر والحَذِر.

ومَن كان في الدنيا في شغلٍ كان في تعبٍ، فقال: ﴿فِي شُغُلٍ فَٰكِهُونَ﴾ ليُعلَم أنه ليس بشغلٍ فيه تعبٌ.

* * *

(٥٦) ـ ﴿هُمۡ وَأَزۡوَٰجُهُمۡ فِي ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ﴾.

﴿هُمۡ وَأَزۡوَٰجُهُمۡ﴾: قيل: نساؤهم اللاتي كن لهم في الدنيا.

وقيل: هنَّ الحور العين.

وقيل: يجوز أن يكون الكلُّ مراداً.

وقوله تعالى: ﴿فِي ظِلَٰلٍ﴾: جمع ظُلَّةٍ.

وقيل: الظلال: الستار عن وهج الشمس لا حرَّ فيها ولا برد.

وقيل: أي: هم خالون بهن لا يقع عليهن أبصار غيرهم، والجمع بينهم وبينهن إتمام لسرورهم.

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٤٩٢) عن الحسن وقتادة.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٤٦٣).

(٣) البيت للحطيئة، وهو في «ديوانه» (ص: ٧٦).

وقال مجاهد وعكرمة رحمهم الله: ﴿هُمۡ وَأَزۡوَٰجُهُمۡ﴾؛ أي: أخلَّاؤهم، فهو كقوله: ﴿ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ﴾ [الصافات: ٢٢].

﴿عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ﴾: جمع أريكة.

وقال عكرمة وقتادة: هي الحجال على السرر[١].

وقيل: هي الفُرُش.

وقيل: هي الوسائد، ومَن حمل الأزواج على الأخلَّاء فهو كقوله: ﴿إِخۡوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَٰبِلِينَ﴾ [الحجر: ٤٧].

* * *

(٥٧ ـ ٥٨) ـ ﴿لَهُمۡ فِيهَا فَٰكِهَةٞ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ٥٧ سَلَٰمٞ قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ﴾.

﴿لَهُمۡ فِيهَا فَٰكِهَةٞ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ﴾: أي: ما يتمنَّون.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: يعني: إذا خلا في نفسه فتفكَّر شيئاً وُضع بين يديه من غير أن ينطق بلسانه[٢].

﴿سَلَٰمٞ﴾: أي: ولهم سلام؛ أي: تحية.

﴿قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ﴾: أي: خطاباً من الله تعالى بغير واسطة.

وقيل: تبليغاً من الله على ألسُنِ الملائكة؛ كما قال: ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٤٦٦) عن عكرمة وقتادة وابن عباس ومجاهد، وعن قتادة عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٤٩٣)، ووقع بعدها في (أ): «متقابلين» وليست في المصادر. والحجال جمع الحجلة: وهي ساتر كالقبة يزين بالثياب والستور للعروس. انظر: «المعجم الوسيط» (مادة: حجل).

(٢) في (ف): «به لسانه».

﴿كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ﴾ [الرعد: ٢٣ ـ ٢٤]، ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا﴾ [الزمر: ٧٣].

وهو بشارةٌ بدوام السلامة لهم.

وقيل: ﴿سَلَٰمٌ﴾؛ أي: خالص لهم ما يتمنونه ﴿قَوْلًا﴾؛ أي: حقًّا وصدقاً[1] ﴿مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾.

قيل: تقييده باسم الرحيم دليل على أن العاصيَ ينال ذلك أيضاً.

وقال الإمام القشيري رحمه الله: ﴿إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ﴾ قيل: لو علموا عمَّن شغلوا لَمَا تهنَّوا بما فيه شغلوا.

وقيل: شغلهم تأهُّبهم لرؤية مولاهم.

وقيل: هذا خطاب من الله لمن بقي من العُصاة في العَرَصات، يقول الله لهم: إن أصحاب الجنة اليوم لا يتفرغون لكم لأشغالهم، ولا أهلَ النار لأهوالهم، فليس لكم اليوم إلا نحن[2].

* * *

(٥٩ ـ ٦٠) ـ ﴿وَٱمْتَٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾.

﴿وَٱمْتَٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ﴾: أي: يقال لهم: تميَّزوا عن أهل الجنة، فإنهم يُجزون على ضدِّ ما تجزون[3].

---

(١) في (ر): «أي وعداً صدقاً».

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» (٣/ ٢٢١).

(٣) في (ر) و(ف): «يجزون على صدقاتهم»، والمثبت من (أ) وهامش (ف).

وقيل: هو إخبار عن تمييزهم من أهل الجنة؛ كما قال: ﴿سِيرُواْ فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴾ [سبأ: ١٨]، وقال: ﴿ وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُواْ ٱلْأَرْضَ ﴾ [الإسراء: ١٠٤].

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾: أي: يقال لهؤلاء المشركين عند إدخالهم النار توبيخاً لهم: ألم أُوْصِ إليكم ألم آمركم على ألسنة رسلي يا أولاد آدم ألّا تطيعوا الشيطان ولا تعظِّموا أمره ولا تتذلَّلوا له بالانقياد لِمَا يوسوس إليكم من اتِّباع الشهوات وترك الديانات ﴿إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ قد أبان لكم عداوته.

* * *

(٦١ ـ ٦٢) ـ ﴿ وَأَنِ ٱعْبُدُونِي هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُواْ تَعْقِلُونَ ﴾.

﴿ وَأَنِ ٱعْبُدُونِي ﴾: فإني خالقكم ورازقكم.

﴿هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾: فإنه طريقٌ سويٌّ مَن سلكه استقام به إلى رضواني والوصول إلى جِناني.

وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا﴾: أي: خلقاً كثيراً.

قرأ ابن كثير وحمزة والكسائي بضم الجيم والباء خفيفة اللام، وقرأ نافع وعاصم بكسر الباء والجيم مشددة اللام، وقرأ ابن عامر وأبو عمرو بضم الجيم ساكنة الباء خفيفة اللام(١).

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٥٤٢)، و«التيسير» (ص: ١٨٤). ووقع في (ف): «قرأ أبو عمرو وابن عامر بضم الجيم ساكنة الباء خفيفة اللام وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي بضم الجيم والباء خفيفة اللام وقرأ نافع وعاصم وأبو جعفر وسهل بكسر الجيم والباء مشددة اللام».

وقوله تعالى: ﴿أَضَلَّ مِنكُمْ﴾؛ أي: أغوى، وقيل: أهلك.

﴿أَفَلَمْ تَكُونُواْ تَعْقِلُونَ﴾: أنه فعَل بهم ذلك فتحذَروا مثلَه.

* * *

(٦٣ ـ ٦٥) ـ ﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾.

﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ بها على شرككم ﴿ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ﴾؛ أي: ادخلوها ﴿بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾؛ أي: بسبب كفركم.

﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ﴾: إذا قيل لهم: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَٰنَ﴾ [يس: ٦٠] جحدوا وقالوا: ما عبدناه، فيَختم الله على أفواههم؛ أي: يفعل بأفواههم ما لا يمكِنهم معه أن يتكلَّموا بألسنتهم، وابن عباس فسَّره بالإخراس، وبعضهم حمله على قول النبيِّ: «إنكم تُدْعون يوم القيامة مفدَّمةً أفواهكم بالفِدام حتى إنَّ أول ما يُبين عن أحدكم لفخذُه ويدُه»[1].

﴿وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ﴾ تخبرُ بما امتدَّت إليه في المعاصي ﴿وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم﴾ بما خطَوا به إلى الباطل، وهو قوله: ﴿بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾.

وقال في آية أخرى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم﴾ [فصلت: ٢٠]، وقال: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم﴾ [النور: ٢٤] فذكر شهادة الألسُن في هذه الآية مع ذكر الختم على الأفواه في تلك الآية، وذكروا له وجوهاً وأوضحها قول الإمام أبي منصور رحمه الله: أنهم إذا جحدوا أنطق الله الجوارح

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢٠٠٤٣)، والطحاوي في «شرح المشكل» (٤١٦٠)، والطبراني في «الكبير» (١٩/ ٩٧٣)، من حديث بهز بن حكيم عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ.

فشهدت بها، ثم أنطق الله ألسنتَهم حتى تعاتِب الجوارح على نُطقها، وذلك قوله: ﴿وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾.

قال: وفيه دليل على أن النطق الذي يكون من اللسان لا يكون لأنه لسان، ولكن للُّطف الذي يجعله الله في اللسان فينطقُ، فحيثما جعَل الله ذلك اللطف والمعنى[1] في أيِّ جارحةٍ ما جعل نَطقت، ولو كان النطق لنفس اللسان لكان يجب أن ينطق لسان كلِّ ذي لسانٍ لِمَا له اللسان، فإذا لم ينطق دلَّ أنه لِلُّطف[2] الذي جُعل فيه، وكذلك عملُ كل جارحةٍ من السمع والبصر والذوق والشم وغيرِ ذلك، اختصَّ كلَّ جارحةٍ بشيء من ذلك اللُّطف الذي جعل فيه لذلك[3].

* * *

(٦٦) ـ ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ فَٱسْتَبَقُواْ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ﴾: أي: في الدنيا ﴿لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ﴾؛ أي: على أعين هؤلاء الكفار؛ أي: لأعميناهم ومحَوْنا نورَ أبصارهم.

﴿فَٱسْتَبَقُواْ ٱلصِّرَٰطَ﴾: أي: فبادروا في أول العمَى إلى الطريق ليَسلكوه إلى منازلهم أو مَقْصِدٍ آخر فلم يقدروا على ذلك، هذا مضمَرٌ.

﴿فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ﴾: أي: فكيف يبصرون بعدما أعميناهم؟

* * *

(١) في (ف): «ذلك اللطف والمعنى الذي يجعله في اللسان» وفي (ر): «ذلك اللطف الذي يجعله في اللسان»، والمثبت من (أ) وهو الموافق لما في «التأويلات».

(٢) في (ر) و(ف): «اللطف».

(٣) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٨/ ٥٣٤).

(٦٧) ـ ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ﴾.

﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ﴾: أي: لبدَّلنا خِلقتهم وقَلَبْنا بِنْيَتهم فصيَّرناهم جماداً.

﴿عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ﴾؛ أي: مكانهم، كالـمَقام والـمَقامة فما استطاعوا مضياً ولا يرجعون.

قرأ عاصم في رواية أبي بكر: ﴿على مكاناتهم﴾ على الجمع[1]؛ لأن الممسوخين جماعة ولكلٍّ واحد مكانةٌ؛ يقول: نَقدِر أن نفعل بهم ذلك في الدنيا كما أنطقنا جوارحهم في العُقبى، ويستحقُّون ذلك لكفرهم، لكنَّا لا نعاجلهم؛ ليتوبوا وليشكروا نعمتي عليهم.

وقيل ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ﴾: لحوَّلنا أبصارهم عن الضلال إلى الهدى ﴿فَٱسْتَبَقُوا۟ ٱلصِّرَٰطَ﴾ فاهتدوا إلى طريق الحق ﴿فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ﴾ ولكن كيف يبصرون ولم أشأ ذلك فلم أفعل بهم ذلك[2].

﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ﴾ قيل: لأقعدنا أرجلهم فلم يتقدموا ولم يتأخروا.

* * *

(٦٨) ـ ﴿وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِى ٱلْخَلْقِ ۖ أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِى ٱلْخَلْقِ﴾: قرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وأبو عمرو والكسائي بفتح النون الأولى وتسكين الثانية وتخفيف الكاف وضمها على الفعل الثلاثي.

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٥٤٢ ـ ٥٤٣)، و«التيسير» (ص: ١٨٥).

(٢) قوله: «بهم ذلك» ليس في (أ).

وقرأ حمزة وعاصم بضم النون الأولى وفتح الثانية وكسر الكاف وتشديدها على التفعيل(١).

﴿ وَمَن نُّعَمِّرْهُ ﴾ جزمٌ على الشرط بكلمة (مَن) يقول: مَن أطلنا عمرَه صيَّرناه إلى حالةِ الهرم التي تشبه حالةَ الصِّبا في ضعفِ العلم والقوة ونقصان الجسم والبِنية.

﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴾: أنه كذلك.

قرأ نافعٌ، وأبو جعفرٍ، وابنُ عامر في رواية ابن ذكوان عن ابن مجاهد عنه، وسهلٌ ويعقوبُ(٢) بتاء المخاطبة(٣)، والباقون بياء المغايبة.

وهو كقوله: ﴿يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ﴾ [النحل: ٧٠]، وقولهِ ﴿خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ﴾ الآية [الروم: ٥٤]، وقوله: ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ [نوح: ١٤]، يقول: فمَن قدر على ردِّ الإنسان في كبره إلى أول حالهِ قدر على إعادته بالبعث إلى أول حاله، وقدر على طمس عينه ومسخ خَلْقه.

***

(٦٩) ـ ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ﴾.

﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ﴾: يقول: إن الذي علَّمناه محمداً مما يتلوه عليكم ويحاجُّكم به ليس بشعرٍ كما يقوله بعضكم.

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٥٤٣)، و«التيسير» (ص: ١٨٥).

(٢) في (أ) و(ف): «حمزة»، بدل: «نافعٌ وأبو جعفرٍ وابنُ عامر في رواية ابن ذكوان عن ابن مجاهد عنه وسهلٌ ويعقوبُ».

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٢٥٦) عن نافع وحده، و«التيسير» (ص: ١٨٥) عن نافع وابن ذكوان، و«النشر» (٢/ ٢٥٧) عن نافع وابن ذكوان وأبي جعفر ويعقوب.

قال مقاتل: نزلت في عقبةَ بن أبي مُعيطٍ ـ لعنه الله ـ قال: إن ما يقوله محمد شعر، فأنزل الله هذه الآية ﴿وَمَا يَنۢبَغِي لَهُۥٓ﴾ أن يقول الشعر[1]، ولو كان شاعراً لدخلت الشبهة على كثير من الناس في أمره أنه إنما يقدر على مثل هذا الكلام لأنه شاعر صناعتُه نظمُ الكلام.

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ﴾: أي: ما القرآن إلا ذكر ذكَركم الله به، وقيل: شرفٌ لكم لأنه بلسانكم.

﴿وَقُرْءَانٌ﴾: أي: وكتاب يقرأ ﴿مُّبِينٌ﴾ ما تحتاجون إليه.

❋ ❋ ❋

(٧٠) ـ ﴿لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

﴿لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا﴾: أي: ليخوِّف مَن كان حيَّ القلب؛ أي: هو الذي يَنتفع به.

﴿وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ﴾: أي: وليتحقَّق وعيدُ الله بالعذاب ﴿عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾. وسئلت عائشة رضي الله عنها: هل كان رسول الله ﷺ يتمثَّل بشيء من الشعر؟ فقالت: كان الشعر أبغضَ الحديث إليه، ولم يتمثل بشيء من الشعر إلا ببيت طرفة:

ستبدي لك الأيام ما كنتَ جاهلاً ... ويأتيك بالأخبارِ مَن لم تزوِّدِ

فجعل يقول: «ويأتيك مَن لم تزوِّدْ بالأخبار»، فقال أبو بكر رضي الله عنه: ليس هكذا يا رسول الله، فقال: «إني لستُ بشاعرٍ ولا ينبغي لي»[2].

❋ ❋ ❋

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٥٨٤).

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٤٩٦)، والطبري في «تفسيره» (١٩/ ٤٨٠).

(٧١) ـ ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَـٰمًا فَهُمْ لَهَا مَـٰلِكُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟﴾: الألف للاستفهام، وهو بمعنى الإثبات، والواو للعطف، ومعناه: أولم يروا مع سائر ما رأوه من آياتنا ﴿أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ﴾؛ أي: مما تولَّينا خَلْقَه منفردِينَ به لم يشاركنا فيه أحد.

﴿أَنْعَـٰمًا﴾: وإبلاً وبقراً وغنماً.

﴿فَهُمْ لَهَا مَـٰلِكُونَ﴾: مصرِّفون فيها على ما يشاؤون بالقهر بتسخيرنا إياها لهم، ولولا ذلك لما أطاقوها لقواها وعظم أجسامها؛ كما قال: ﴿لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ﴾ [الزخرف: ١٣].

* * *

(٧٢ ـ ٧٤) ـ ﴿وَذَلَّلْنَـٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَـٰفِعُ وَمَشَارِبُ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ﴾.

قوله تعالى ﴿وَذَلَّلْنَـٰهَا لَهُمْ﴾: أي: ليَّنَّاها وسخَّرناها.

﴿فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ﴾: هو ما يركب ﴿وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ﴾: من لحومها وشحومها.

﴿وَلَهُمْ فِيهَا مَنَـٰفِعُ﴾ من قوله: ﴿لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً﴾ [النحل: ٨]، ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَـٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا﴾ الآية [النحل: ٨٠].

﴿وَمَشَارِبُ﴾: من ألبانها.

﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾: لخالق هذه النعم وباسطِ هذه النعم بالإخلاص والطاعة.

﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً﴾: مع ما رأوه من آياتنا في خلقنا.

﴿لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ﴾: أي: يرجون نصرهم؛ أي: منعهم من العذاب.

* * *

(٧٥) ـ ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ﴾.

﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ﴾: هو قطع رجائهم منهم.

﴿وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ﴾: قيل: أي: والمشركون للأصنام ﴿جُندٌ مُّحْضَرُونَ﴾ في التعصُّب لها والذبِّ عنها.

وقال مجاهد: ﴿مُّحْضَرُونَ﴾ عند الحساب[1]؛ أي: لتشفع لهم، فتكذِّبهم وتتبرَّأ منهم؛ كما قال: ﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِّيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ [مريم: ٨١ ـ ٨٢].

وقيل: ﴿وَهُمْ﴾؛ أي: الأصنام ﴿لَهُمْ﴾؛ أي: للمشركين ﴿جُندٌ مُّحْضَرُونَ﴾؛ أي: هم معتقِدون أنهم يُعِينونهم يوم القيامة كأنهم جندٌ لهم[2].

وقيل: إنَّ كلَّ مَن عبَد شيئاً من دون الله فإنه يؤمَر يوم القيامة باللحوق بمعبوده، فعبَدةُ الأصنام[3] يُجعلون يومَ القيامة جنداً لهم يُجمعون إليها ثم يُحضرون النار جميعاً؛ قال تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٨].

وقيل: ﴿وَهُمْ﴾؛ أي: المشركون ﴿لَهُمْ﴾؛ أي: للأصنام ﴿جُندٌ﴾ متعصِّبون لهم في الدنيا ﴿مُّحْضَرُونَ﴾ النارَ يوم القيامة، لا ينفعهم فيها تعصُّبهم لها.

* * *

(٧٦ ـ ٧٧) ـ ﴿فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٤٨٤).

(٢) في (أ): «جندهم».

(٣) في (أ) و(ف): «الأوثان».

﴿فَلَا يَحْزُنكَ﴾ يا محمد ﴿قَوْلُهُمْ﴾ فيك: إنك شاعر وساحر وكاهن وكاذب، وسائرُ وجوه الأذى بالقول.

﴿إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾: أي: إنَّا نعلم سرَّهم وعلانيتَهم، إضمارَهم وإظهارهم لك، وسنكافيهم على ذلك.

وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ﴾: قال ابن عباس رضي الله عنهما: هو أبي بن خلف بن كَلَدة لعنه الله؛ أتى النبيَّ بعظمٍ حائل ففتَّه بين أصبعيه في يومٍ شديدِ الريح على صَفَاةٍ، فجعل لا ينتهي إلى الصَّفَاة حتى تهبَّ به الريح، فقال: يا محمد، أتزعُم أن الله يحيي هذا وهو رميم كما ترى؟ وهو البالي الذي لا شيء أشدُّ بِلًى منه، فقال له رسول الله ﷺ: «نعم، ثم يُميتك ثم يبعثك ثم يدخلك نار جهنم»، فأنزل الله هذه الآية: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ﴾[1]: أولم يعلمْ هذا الكافر أنا خلقناه من نطفة ﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾: آل أمرُه إلى أن صار عاقلاً جَدِلاً مُحاجًّا في إحياء الموتى مُظهِراً ذلك.

* * *

(٧٨ ـ ٧٩) ـ ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ ۖ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا﴾: بيَّن لنا شبَهاً لأمر البعث ﴿وَنَسِيَ خَلْقَهُ﴾: نسي أمر خَلْقه كيف كان، وأنه لم يكن كما هو الآن، وإنما كان مَوَاتاً فأُحيي.

﴿قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾: أي: باليةٌ.

---

(١) رواه عبد الرزاق في «التفسير» (٢/ ١٤٦)، والطبري في «التفسير» (١٩/ ٤٨٦)، عن قتادة. وقال ابن الجوزي في «زاد المسير» (٧/ ٤١): وعليه المفسرون. وفي رواية سعيد بن جبير عند الطبري (١٩/ ٤٨٧) أنه العاص بن وائل السهمي، وكذا رواه الحاكم في «المستدرك» (٣٦٠٦) من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما.

﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾: أي: خلقها وأوجدها، وإذا قدر على إيجادها بداءً قدر على إعادتها.

﴿وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾: ثم قرن هذا بما هو أبلغ منه في الدلالة على كمال القدرة فقال:

***

(٨٠) - ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ﴾.

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ﴾: أي: الرطب ﴿نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ﴾؛ أي: من الشجر ﴿تُوقِدُونَ﴾ ومَن قدر على أن يجعل في الشجر الذي فيه الرطوبةُ ناراً فلا رطوبةُ الشجر تطفئها ولا النار تحرق الشجر، قدر على إحياء الموتى.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: هما شجرتان: المرخُ والعَفَار، فمَن أراد منهم النار قطع منهما مثلَ السواك وهي خضراءُ يقطر منها الماء، فيسحقُ المرخَ وهو ذكر على العَفار وهي أنثى فيخرج منهما نارٌ بإذن الله[(١)]، وذلك قوله: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ (٧١) أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ﴾ [الواقعة: ٧١ - ٧٢].

وقال[(٢)]: في كلِّ شجرٍ نارٌ إلا العُنَّاب[(٣)].

ومن مُثُل العرب: في كلِّ شجرةٍ نارٌ واستَمْجَدَ[(٤)] المرخُ والعَفَار[(٥)].

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢/ ١٤٦)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٢٩).

(٢) في (ر): «وقالوا»، وانظر التعليق الآتي.

(٣) ذكره الواحدي في «البسيط» (١٨/ ٥٢٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٢٩)، عن الحكماء.

(٤) في (ف): «واستحمد».

(٥) انظر: «الأمثال» لأبي عبيد (ص: ١٣٦)، و«الكامل» للمبرد (١/ ١٧٢)، وفيه: استمجد: استكثر، =

ثم نبَّههم على ما هو أعظم من هذا فقال:

(٨١ ـ ٨٣) ـ ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ﴾: أي: أمثالَ هؤلاء المنكِرين للبعث بدءًا وإعادةً؛ أي: مَن قدر على الأكبر قدر على الأصغر.

﴿بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾: أي: يكونه في أسرع وقت لا يعجزه شيء ولا يتعبه[1] شيء.

﴿فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ﴾: أي: نزِّهوا الله عما أضافه إليه هؤلاء المشركون فهو الذي بيده ملكوت كلِّ شيء؛ أي: هو مالك كلِّ شيء ومصرِّفه.

﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾: فيحاسبُكم ويجازيكم على طاعاتكم ومعاصيكم.

والحمد لله رب العالمين

* * *

= يقال: أمجدتُه سبًّا وأمجدْتُه ذمًّا، إذا أكثرتَ من ذلك.

(١) في (ر): «يمنعه».

سُورَةُ الصَّافَّاتِ

سُورَةُ الصَّافَّاتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

بسمِ اللهِ الَّذي أقسَمَ بالملائكةِ المُكرَّمين، الرَّحمنِ الذي يجزي المـُحسِنين، الرَّحيمِ الَّذي يُسلِّمُ على المُرسَلين.

روى أبيُّ بنُ كعبٍ رضيَ اللهُ عنه، عنِ النَّبيِّ ﷺ أنَّه قالَ: «مَنْ قرَأَ سورةَ والصَّافَّاتِ أُعطيَ مِنَ الأجرِ[1] عشرَ حسناتٍ بعدَدِ كلِّ شيطانٍ وجنٍّ، وتباعدتْ عنه مرَدَةُ الشَّياطينِ، وشهِدَ له حافظاه أنَّه مؤمنٌ بالمُرسَلين»[2].

وهذه السُّورةُ مكِّيَّةٌ، وهيَ مئةٌ وإحدى وثمانون آيةً، وقيلَ: اثنتان وثمانون، الاختلافُ في آيتين: ﴿وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ﴾، ﴿وَإِن كَانُوا۟ لَيَقُولُونَ﴾.

وكلماتُها ثماني مائةٍ واثنتان وستُّون كلمةً.

وحروفُها ثلاثةُ آلافٍ وثماني مئة وستةٌ[3] وعشرون حرفاً.

وانتظامُ أوَّلِ هذه السُّورةِ بآخرِ تلكَ السُّورةِ: أنَّه ذكَرَ في ختمِ تلكَ: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ﴾، وأقسَمَ في أوَّلِ هذه السُّورةِ على أنَّه إلهٌ واحدٌ لا يُشبهُه شيءٌ.

---

(١) «من الأجر» ليس في (أ)، والمثبت موافق لمصادر التخريج.

(٢) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ١٣٨)، وهو قطعة من الحديث الموضوع في فضائل السور، وقد تقدم الكلام عليه مراراً.

(٣) في (أ): «وثمانية»، وهو تحريف.

وانتظامُ السُّورتين: أنَّهما في مُحاجَّةِ المشركين، وفي إثباتِ الرِّسالةِ والبعثِ يومَ الدِّينِ، والتَّنبيهِ بقصصِ الأوَّلين.

***

(١) ـ ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفّٗا﴾.

وقولُه تعالى: ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفّٗا﴾: هوَ قسَمٌ بالملائكةِ على أنَّ اللهَ إلهٌ واحدٌ.

وقال الإمامُ أبو منصورٍ رحِمَه اللهُ: وجهُ القسَمِ بهم: أنَّ اللهَ تعالى قد عظَّمَ شأنَ الملائكةِ في قلوبِ أولئكَ الكفرةِ حتَّى قالوا: ﴿لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ مَلَكٞۖ وَلَوۡ أَنزَلۡنَا مَلَكٗا لَّقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ﴾ [الأنعام: ٨]، وقال فرعونُ لعنَه اللهُ: ﴿أَوۡ جَآءَ مَعَهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ مُقۡتَرِنِينَ﴾ [الزخرف: ٥٣]، وقولُهم: ﴿لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [الفرقان: ٢١]، وما وصفَهُم اللهُ سبحانه أنَّهم ﴿لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦]، وأنَّهم ﴿عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦] ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٠]، كذلكَ أقسَمَ بهم تقريراً لذلكَ في قلوبِهم(١).

وقالَ ابنُ مسعودٍ وابنُ عبَّاسٍ رضيَ اللهُ عنهم: الصَّافَّاتُ والزَّاجراتُ والتَّالياتُ كلُّهمُ الملائكةُ(٢)، وكذا قال مجاهدٌ والسُّدِّيُّ وجماعةٌ(٣).

﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ﴾ خُفِضَ بواوِ القسَمِ، وسُمِّيَتْ بها لأنَّهم صافُّون في السَّماواتِ في الصَّلواتِ.

وقيل: لأنَّها تصُفُّ أجنِحَتَها في الهواءِ إذا نزلَتْ للوحيِ وغيرِه.

---

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٨/ ٥٤٤).

(٢) رواه عن ابن مسعود عبدُ الرزاق في «تفسيره» (٢٥٠٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٢٠٤).
ورواه عن ابن عباس أبو الشيخ في «العظمة» (٥١١).

(٣) رواه عنهما الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٤٩٢ ـ ٤٩٤)، وهو مروي عن جماهير السلف.

(٢ ـ ٣) ـ ﴿فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا ۝٢ فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا﴾.

﴿فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا﴾: النَّازِلاتِ بما هو زَجْرٌ للخلْقِ عنِ المعاصي.

﴿فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا﴾: القارِئاتِ على الرُّسُلِ ذِكْراً؛ أيْ: وحْياً مِن اللهِ، والوصلُ بالفاءِ يدلُّ على أنَّها في صفاتِ جماعةٍ واحدةٍ يبتني بعضُها على بعضٍ.

ومعنى ﴿فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا﴾ كمعنى ﴿الْمُلْقِياتِ ذِكْراً، عُذْراً أوْ نُذْراً﴾ [المرسلات: ٥ ـ ٦].

والجمعُ بالألفِ والتَّاءِ لِمَا أنَّهم طوائفُ، كلُّ طائفةٍ منهم صافَّةٌ زاجرةٌ تاليةٌ، والجمعُ: صافَّاتٌ زاجِراتٌ تالياتٌ.

وقيل: صافَّاتٌ بالنُّزولِ بسورةِ الأنعامِ جملةً.

والمصادرُ فيها لتأكيدِ الوصفِ، و(التاليات ذِكراً) قيل: أي: تلاوةً، والتَّبديلُ بالذِّكْرِ لتتَّفِقَ الفواصِلُ[1]، وهوَ كقولِ الشَّاعرِ:

ألَـمْ يحزُنْـكَ أنَّ حِبـالَ قيـسٍ وتغلِـبَ قـدْ تباينَـتِ انقِطاعـاً[2]

أيْ: تبايُناً.

وقيلَ: ﴿ذِكْرًا﴾، أي: كتاباً وقرآناً.

---

(١) في (ر): «ليتفق رؤوس الآي».

(٢) البيت لعُمير بن شُييم القطامي يمدح زفر بن الحارث الكلابي؛ كما في «ديوانه» (ص: ٣١)، و«مجاز القرآن» لأبي عبيدة (٢/ ٣٧)، و«طبقات فحول الشعراء» لابن سلام (٢/ ٥٣٨)، و«تفسير الطبري» (١٧/ ٤٨٠)، و«الأزمنة والأمكنة» للمرزوقي (ص: ٥٠٤). وفي أكثر المصادر: (قد تباينتا). والبيت ذكره المؤلف شاهداً على مجيء المصدر على غير لفظ الفعل، وفي إعراب قوله تعالى: ﴿ذِكْرًا﴾ قول آخر، وهو النصب على المفعولية، إلا أن في إعرابه مصدراً جعلُ المنصوبات الثلاثة على نسق واحد. انظر: «روح المعاني» (٢٣/ ٧).

وقيل: الذِّكْرُ هوَ الذي نُسِخَ منه القرآنُ في السَّماءِ.

وقيل: ﴿فَٱلزَّٰجِرَٰتِ﴾ هي التي تزجُرُ السَّحابَ سَوْقاً.

وقال قتادةُ: ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا﴾ الملائكةُ صفوفٌ[1] في السَّماءِ، ﴿فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا﴾ قال: ما زَجَرَ اللهُ عنه بالقرآنِ، ﴿فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا﴾ قال: ما يُتلى في القرآنِ مِن أخبارِ الأممِ السَّالفةِ[2].

* * *

(٤) ـ ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ﴾.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ﴾: أقسَمَ على هذا.

وقال الحسن[3]: ﴿فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا﴾: هي آيُ الكتابِ الَّتي زجَرَ اللهُ بها عبادَه عن معاصيه ﴿فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا﴾ يعني: آياتِ القرآنِ تتلو ذِكْرَ ما مضى، وذِكْرَ ما نحنُ فيه، وذِكْرَ ما بقِيَ.

وقيلَ[4]: ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا﴾: جماعاتُ المؤمنين إذا اصطفُّوا للصَّلاةِ ﴿فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا﴾: الرَّافعاتُ الأصواتِ بتلاوةِ القرآنِ، فإنَّ الزَّجْرَ والصَّيحةَ في معنًى واحدٍ، قالَ تعالى: ﴿فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾ [الصافات: ١٩]، وقالَ: ﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾ [يس: ٢٩].

وقيل: هيَ صفوفُ الغُزاةِ، قال اللهُ تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى

---

(١) في (أ): «صافون».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٤٩٢ ـ ٤٩٥) مفرقاً، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٢٠٤).

(٣) «وقال الحسن» من (أ). ولم أجده.

(٤) «وقيل» ليس من (أ).

سَبِيلِهِۦ صَفًّا﴾ [الصف: ٤]، ﴿فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجۡرٗا﴾: خيولَهم، ﴿فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكۡرًا﴾: التَّكبيرَ.

قولُه: ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمۡ لَوَٰحِدٞ﴾: المقسَمُ عليه.

***

(٥) ـ ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَرَبُّ ٱلۡمَشَٰرِقِ﴾.

قوله تعالى: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾: نعتٌ له.

﴿وَمَا بَيۡنَهُمَا﴾: ثُنِّيَ والسَّماواتُ جمعٌ؛ لأنَّ السَّماواتِ(١) جِنْسٌ والأرضَ جِنْسٌ، فهما جِنْسان.

﴿وَرَبُّ ٱلۡمَشَٰرِقِ﴾: أي: ومالِكُ مطالِعِ الشَّمسِ في كلِّ يومٍ مِن أيَّامِ السَّنَةِ والمُدبِّرُ لها.

وقالَ في آيةٍ أخرى(٢): ﴿رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ وَرَبُّ ٱلۡمَغۡرِبَيۡنِ﴾ [الرحمن: ١٧]، وأراد مَشْرِقَ الشِّتاءِ ومَشْرِقَ الصَّيفِ ومَغْرِبَيهما.

وقال في آيةٍ أخرى: ﴿رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ﴾ [الشعراء: ٢٨]؛ لأنَّه أرادَ به الجهةَ، والجهةُ واحدةٌ.

ولَمْ يذكُرِ المغاربَ في هذه الآيةِ؛ لطولِ الآيةِ بذِكْرِها، وخروجِها مع حذفِها على مُشاكلةِ قدْرِ الآياتِ قبلَها وبعدَها، وكانتِ المطالِعُ دالَّةً على المغاربِ؛ لأنَّها تطلُعُ بعدَ الغروبِ، والمصالِحُ المتعلِّقةُ بطلوعِها أكثرُ مِنَ المصالحِ المتعلِّقةِ بغروبِها.

---

(١) في (ف): «لأنها».

(٢) «أخرى» ليست في (أ).

وقال مقاتلٌ: إنَّ كفَّارَ مكَّةَ قالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾ [ص: ٥]، فأقسَمَ اللهُ على أنَّ الإلهَ واحدٌ[١].

وقيل: إنَّ المشركين قالوا: كيف يقومُ إلهٌ واحدٌ بحوائجِنا ولنا ثلاثُ مئةٍ وستُّون إلهاً لا يقُمْنَ بحوائجِنا[٢]؟! فأقسَمَ اللهُ على أنَّ إلهَهمْ وإلهَ مَن في السَّماواتِ والأرضِ وقاضي حوائجِهم واحدٌ.

* * *

(٦) ـ ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا﴾: هيَ تأنيثُ الأدنى، أي: الأقربُ، وهي الَّتي تلِينا وتدنو منَّا.

﴿بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ﴾: قرأ ابنُ كثيرٍ ونافعٌ وأبو عمرٍو وابنُ عامرٍ[٣] ﴿بِزِينَةِ الكَوَاكِبِ﴾ مُضافةً، أي: بالزِّينةِ القائمةِ بالكواكبِ.

وقرأ عاصمٌ في روايةِ حفصٍ وحمزةُ: ﴿بِزِينَةٍ﴾ منوَّنةً ﴿ٱلْكَوَاكِبِ﴾ خفْضاً على البدَلِ.

وقرأ عاصمٌ في روايةِ أبي بكرٍ: ﴿بِزِينَةٍ﴾ منوَّنةً ﴿الكواكبَ﴾ نصباً[٤] على أنَّ الزِّينةَ مصدرٌ بمعنى التَّزيينِ، و﴿الكواكبَ﴾ نصبٌ؛ لأنَّه مفعولٌ بوقوعِ التَّزيينِ عليه.

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٥٩١)، و«تفسير الثعلبي» (٨/ ١٣٩).

(٢) ذكره الماوردي في «تفسيره» (٦/ ٣٧٠)، والرازي في «تفسيره» (٣٢/ ٣٥٧).

(٣) في (ف): «وجعفر وأبو عمرو وسهل ويعقوب وابن عامر وخلف والمفضل» بدل من «وأبو عمرو وابن عامر».

(٤) انظر: «السبعة» (ص: ٥٤٦ ـ ٥٤٧)، و«التيسير» (ص: ١٨٦). وقراءة الكسائي كقراءة ابن كثير ومن ذكر معه.

(٧) ـ ﴿وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ﴾.

﴿وَحِفْظًا﴾: أي: وحَفِظناها[١] حِفْظاً.

وقيل: وجعلْناها حِفظاً؛ كما قالَ: ﴿وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾.

﴿مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ﴾: أي: مُتناهٍ في الفَسادِ والإفسادِ.

وقيلَ: أي: مُتجرِّدٍ عن كلِّ خيرٍ؛ كالأمردِ، والشَّجرةِ المَرْداءِ؛ أي: المُتجرِّدةُ مِن[٢] الأوراقِ.

* * *

(٨) ـ ﴿لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ﴾.

﴿لَّا يَسَّمَّعُونَ﴾: قرأ حمزةُ والكسائيُّ وعاصم[٣] بالتَّشديدِ، أي: لا يتسمَّعون، أُدغِمَتِ التَّاءُ في السِّينِ كما في المزَّمِّلِ والمدَّثِّرِ، أي: لا يتعرَّضون للسَّماعِ بالإصغاءِ.

وقرأَ الباقون بالتَّخفيفِ مِنَ السَّماعِ[٤]، ومعناه: لئلَّا يسْمَعوا، فلمَّا حُذِفَ النَّاصبُ ارتفعَ؛ كما في قولِه: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ﴾ [الزمر: ٦٤]، أي: أنْ أعبُدَ، وقال: ﴿كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ۝٢٠٠ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾، أي: لئلَّا يؤمنوا به.

﴿إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾: أي: الملائكةِ، ووحَّدَ ﴿ٱلْأَعْلَىٰ﴾ لظاهرِ لفظِ ﴿ٱلْمَلَإِ﴾، كما يُقالُ: السَّلَفُ الصَّالحُ.

---

(١) في (أ): «وجعلناها»، وهو تحريف.

(٢) في (أ): «عن».

(٣) هي قراءة عاصم من رواية حفص. ووقع في (ر): «قرأ حمزة والكسائي وخلف عن عاصم في رواية حفص والمفضل».

(٤) انظر: «السبعة» (ص: ٥٤٧)، و«التيسير» (ص: ١٨٦).

وقالَ أبو معاذٍ[1]: (سمعتُ إلى قولكَ) بمعنى: (استمعتُ إليه).

يقولُ: إنَّا حفِظْنا السَّماءَ بالكواكبِ الرَّاجمةِ مِن الشَّياطينِ أنْ يتعرَّضوا لسماعِ الوحيِ مِن ملائكةِ السَّماءِ الذين هم الزَّاجراتُ زجراً، فالتَّالياتُ[2] ذِكْراً في إنزالِ الوحيِ على الرسُلِ، ونحرُسُه عن تغييرِهم.

﴿وَيُقْذَفُونَ﴾: أي: يُرْمَون بنجومِ الرُّجومِ، عطفٌ على قولِه: ﴿لَّا يَسَّمَّعُونَ﴾.

﴿مِن كُلِّ جَانِبٍ﴾: أيْ: مِن جوانبِ السَّماءِ.

* * *

(٩) ـ ﴿دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ﴾.

﴿دُحُورًا﴾: أي: طَرْداً وإبعاداً ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ﴾: أي: دائمٌ في الآخرةِ؛ لكُفرِهم وإضلالِهم النَّاسَ وإيهامِهم إيَّاهم أنَّهم يعلمون الغَيْبَ كالأنبياءِ؛ طمَعاً في إفسادِ النُّبوَّاتِ.

* * *

(١٠) ـ ﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾.

﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ﴾: أي: سلَبَ السَّلْبَةَ، ومعناه: أخذَ شيئاً مِن كلامِهم بسرعةٍ طالباً للغَفْلةِ.

وقيل: هذا الاختطافُ ليس في حقِّ الوحيِ، فقد ذكَرَ أنَّه يحفظُه عنهمْ، لكنَّه

---

(١) هو الفضل بن خَالِد، أبو معاذ النَّحْوِي المروزِي مولى باهلة، المتوفى سنة (٢١١هـ). وقد تقدمت ترجمته.

(٢) في (أ): «والتاليات» بدل: «زجراً فالتاليات».

في تسمُّعهِمْ كلامَ الملائكةِ في أشياءَ أُخَرَ سوى الوحيِ، فإذا أخذوا شيئاً مِن ذلكَ رُجِموا، فذلكَ قولُه:

﴿فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾: أي: لحِقَه شهابٌ؛ أي: نجمٌ راجمٌ.

﴿ثَاقِبٌ﴾: أي: مُضيءٌ، وقيل: نافِذٌ، والثُّقوبُ: التَّوقُّدُ، مِن بابِ دخَلَ.

وقيل: نجومُ الرُّجومِ غيرُ نجومِ الزِّينةِ، تلك ثابتةٌ وهذه سائِرةٌ[١] مُتشتِّتةٌ.

وقال الشَّعبيُّ: لمْ يُقْذَفْ بالنُّجوم حتَّى بُعِثَ محمَّدٌ ﷺ، فلمَّا قُذِفَ بها جعَلَ النَّاسُ يُسَيِّبون أنعامَهمْ ويُعتِقون رقائِقَهمْ يظنُّون أنَّها القيامةُ، فأتوا عبدَ يالِيلَ الثَّقَفِيَّ وكان قد عمِيَ، فقالوا له: قد سيَّبوا أنعامَهمْ وأعتَقوا رقيقَهم، قال: ولمَ؟ قالوا: إنَّ النُّجومَ تهافَتُ[٢] مِنَ السَّماءِ، فقال لهم: لا تعْجَلوا، فإنْ كانت نجومٌ تُعْرَفُ فهي عندَ قيامِ السَّاعةِ، وإنْ كانت نجوماً لا تُعْرَفُ فهو أمرٌ حدَثَ، فنظَروا فإذا هيَ نجومٌ لا تُعْرَفُ، قال: فما مكَثوا إلَّا يَسيراً حتَّى أتاهم النَّبيُّ ﷺ[٣].

* * *

(١١) ـ ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ﴾.

﴿فَاسْتَفْتِهِمْ﴾: أي: فاسألِ المشركين يا محمَّدُ: ﴿أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ﴾؛

---

(١) في (ف): «ثائرة».

(٢) الهَفْتُ: تساقطُ الشيءِ قطعةً بعد قطعة كما يهفت الثلج ونحو ذلك. انظر: «تهذيب اللغة» للأزهري (٦/ ١٣١).

(٣) رواه أبو داود في كتاب «المبعث» فيما نقله عنه القرطبي في «تفسيره» (١٠/ ١٢)، وابن حجر في «فتح الباري» (٨/ ٦٧٢)، وروى نحوه البيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ٢٤١). وقال ابن حجر: وقد أخرجه الطبري من طريق السدي مطولاً، وذكر ابن إسحاق نحوه مطولاً بغير إسناد في «مختصر ابن هشام».

أي: مِن الأممِ الماضيةِ الَّذين كانوا أشدَّ منكم قوَّةً، وأكثرَ أموالاً وأولاداً، فإنْ أجابوكَ أنَّهم أشدُّ مِمَّنْ سلَفَ فقلْ لهم:

﴿إِنَّا خَلَقْنَٰهُم﴾: أي: خلَقْنا جميعَهم ﴿مِّن طِينٍ لَّازِبٍ﴾: أي: لازقٍ باليدِ، والفِعلُ مِن بابِ دخَلَ، يعني: خَلَقَ أصْلَهم منه ـ وهو آدمُ ـ ثمَّ خلَقَهم منه، فكيفَ صاروا هم أشدَّ منهم، وكيفَ توهَّموا لشدَّتِهم عند أنفسِهم أنَّهم يُعْجِزونني وأنا خالِقُ جميعِهم، وموجِدُهم مِن العدَمِ؟

وقيل: ﴿أَم مَّنْ خَلَقْنَآ﴾ مِن الملائكةِ والشَّياطينِ والسَّماواتِ والأرضِ وما بينهما، وهو كقولِه: ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ﴾ [النازعات: ٢٧] الآياتِ، وقال: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ﴾ [غافر: ٥٧]، وذُكرَ بكلمةِ (مِن) لأنَّه جمعَ بينَ ما يعقِلُ وبينَ ما لا يعقِلُ، فغلَّبَ ما يعقِلُ.

يقولُ: فإذا قدَرْنا على خلْقِ ما هو أشدُّ منهم، فنحن نقدِرُ على إعادتِهم بعدَ موتِهم.

وقال مقاتلٌ: نزلَتْ في أبي الأشَدَّيْنِ، وسُمِّيَ به لشدَّةِ بطْشِه، واسمُه كَلَدَةُ بنُ أسيدٍ[1].

وقال محمَّدُ بنُ إسحاقَ: اسمُه أُبيُّ بنُ أسيدٍ[2].

❊ ❊ ❊

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل بن سليمان» (٣/ ٦٠٣).

(٢) لم أقف عليه، وقد اختلف في اسمه ولقبه، فقيل: أبو الأشدين أسيد بن كلدة، وقيل: كلدة بن أسيد كما مرَّ، وقيل: أبو الأشد بن أسيد بن كلاب الجمحي، كما في «تفسير الماوردي» (٥/ ٤١)، وقيل: كلدة بن خلف الجمحي، كما ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ٣٦٤)، وقيل: هو (أبو الأسد) بالسين المهملة كما ذكر الشهاب الخفاجي في «حاشية البيضاوي» (٨/ ٣٦١)، وقيل غير ذلك.

(١٢) ـ ﴿ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴾.

﴿ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴾: قرأ حمزةُ والكسائيُّ وخلفٌ[١] بضمِّ التَّاءِ، والباقون بفَتْحِها خِطاباً للنَّبيِّ ﷺ[٢].

و﴿ بَلْ ﴾: لِنَفْيِ ما مضى وإثباتِ ما بعدَه، أي: ليست لهم[٣] هذه الجُرْأةُ على أنَّهم يتوهَّمون أنَّهم يفوتونني، لكنْ أَلِفوا شِرْكَهم، وقلَّدوا أسلافَهم، وأعرَضوا عن التَّدبُّرِ، فهم لذلك على جهلٍ، وأنت يا محمَّدُ تعجَبُ منهم وهم يَسْخَرون منك إذْ تدْعوهم إلى الإيمانِ باللهِ وبالرُّسلِ والبعثِ بعدَ الموتِ.

وقراءةُ الضَّمِّ إخبارٌ مِن اللهِ تعالى عن نفْسِه، وهو مَجازٌ عن الإنكارِ والكراهيةِ، ولا تجوزُ حقيقتُه على اللهِ تعالى، فإنَّه لظُهورِ ما لَمْ يكنْ في الوهْمِ، لكنْ مَن ظَهَرَ له ذلك ـ وهو قبيحٌ في نفْسِه ـ كرِهَه وأنكرَه، فأُريدَ به ذلكَ هاهنا.

وقال قُطْرُبٌ: أي: كبُرَ عندي وعظُمَ، فإنَّ الواحدَ منَّا إنَّما يعجَبُ مِن الشَّيءِ إذا كبُرَ عنده وعظُمَ.

❊ ❊ ❊

(١٣) ـ ﴿ وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿ وَإِذَا ذُكِّرُوا ﴾: أي: وإذا وُعِظوا ﴿لَا يَذْكُرُونَ ﴾؛ أي: لا يتَّعِظون.

وقيل: إذا ذُكِّروا أنَّهم خُلِقوا مِنْ طينٍ لازبٍ.

وقيل: أي: ذُكِّروا ما أحلَّ اللهُ بالمكذِّبين الماضين.

---

(١) «وخلف» من (ر).

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٥٤٧)، و«التيسير» (ص: ١٨٦)، و«النشر» لابن الجزري (٢/ ٣٥٦).

(٣) في (ر) و(ف): «بهم».

وقيل: ما يُعاقَبون به يومَ[1] القيامةِ.

وقيل: ما أنعَمَ اللهُ به عليهم وألزَمَهم شُكْرَه.

وقولُه: ﴿لَا يَذْكُرُونَ﴾: أي: أعرَضوا عن ذلك فإنَّهم[2] لا يذكُرونها ولا يحفظونها.

* * *

(١٤) ـ ﴿وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ﴾.

﴿وَإِذَا رَأَوْا آيَةً﴾: أي: مُعجزةً ﴿يَسْتَسْخِرُونَ﴾: قيل: أي: يَسْخرون بها. قاله قطربٌ وأبو عبيدةَ وجماعةٌ[3]، فهو كقولِهم: عجِلَ واستعجلَ، ويَقِنَ واستيقنَ، ونكِرَ واستنكرَ.

وقيل: أي: يَعدُّونها سُخْرِيَةً؛ كقولك: استحسنتُ كذا، واستقبحتُ كذا، واستجهلتُ فلاناً، واستحمقتُه.

وقيل: أي: يدْعون النَّاسَ إلى السُّخْرِيَةِ بها، يريدُون بذلكَ التَّمويهَ على الضَّعفَةِ، قال تعالى: ﴿وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ [القمر: ٢].

* * *

(١٥ ـ ١٧) ـ ﴿وَقَالُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ﴾.

﴿وَقَالُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾: أي: وما هذا إلا تخييلٌ[4] ظاهرٌ.

---

(١) في (ر) و(ف): «في».

(٢) في (ر) و(ف): «كأنهم».

(٣) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (٢/ ١٦٧) ـ ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٥١٠)، والطبري في «تفسيره» (١٩/ ٥١٥) عن قتادة، ورواه الطبري أيضاً في «تفسيره» (١٩/ ٥١٥) عن مجاهد.

(٤) في (ر): «تمويه».

وقولُه تعالى: ﴿أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا﴾: أي: رميماً ﴿أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ﴾: يسخرون بهذا أيضاً منكمْ.

﴿أَوَءَابَآؤُنَا ٱلۡأَوَّلُونَ﴾: الألفُ للاستفهامِ، والواوُ للعطفِ، ورفعُه مِن وجهين: أحدُهما: أوَ آباؤُنا يُبعثون أيضاً؟!

وقيلَ: تقديرُه: أنحنُ وآباؤُنا نُبْعثُ؟!

* * *

(١٨ ـ ٢٠) ـ ﴿قُلۡ نَعَمۡ وَأَنتُمۡ دَٰخِرُونَ ۝١٨ فَإِنَّمَا هِيَ زَجۡرَةٞ وَٰحِدَةٞ فَإِذَا هُمۡ يَنظُرُونَ ۝١٩ وَقَالُواْ يَٰوَيۡلَنَا هَٰذَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ﴾.

﴿قُلۡ نَعَمۡ﴾: تُبْعَثون[1] ﴿وَأَنتُمۡ دَٰخِرُونَ﴾؛ أي: أذلَّاءُ صاغِرون، والواوُ للحالِ.

﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجۡرَةٞ وَٰحِدَةٞ﴾: قيل: صَيْحةٌ واحدةٌ، قالَ الحسنُ: هيَ النَّفْخةُ الثَّانيةُ[2].

﴿فَإِذَا هُمۡ قيام﴾: أي: مِن قبورِهم ﴿يَنظُرُونَ﴾: إلى ما يرونه مِن الأهوال.

وقولُه تعالى: ﴿وَقَالُواْ يَٰوَيۡلَنَا هَٰذَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ﴾: أي: يومُ الجزاءِ، وقيل: الحسابُ. وقيل: يومُ القضاءِ. وقيل: أي: يومُ ينفَعُ الدِّينُ الحقُّ[3].

* * *

(٢١) ـ ﴿هَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾.

﴿هَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾: قيل: هو قولُ بعضِهمْ لبعضٍ.

---

(١) «تبعثون» ليس من (أ) و(ف).

(٢) ذكره الماوردي في «تفسيره» (٥/ ٤٢)، وابن فورك في «تفسيره» (٢/ ٢١٤).

(٣) في (أ): «نفع الدين» بدل: «ينفع الدين الحق».

وقال الكلبيُّ: هو قولُ الملائكةِ لهم: ﴿هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ﴾.

قيل: أي: القضاءِ، فإنَّه فصْلُ الخصومةِ.

وقيل: هو القضاءُ الحقُّ؛ لأنَّه هو الَّذي ينفُذُ فتنفصِلُ به الخصومةُ، فأمَّا القضاءُ بغيرِ حقٍّ فيُرَدُّ ولا يقعُ به الفصْلُ.

وقيلَ: هو يومُ التَّمييزِ بين[1] الفريقين بالطَّريقين.

وقيل: هو يومُ الفصلِ، أي: يومُ تفريقِ الأحبَّةِ والأقاربِ بعضِهم مِن بعضٍ باختلافِ الأجزيةِ والأمكنةِ.

***

(٢٢ ـ ٢٣) ـ ﴿۞ احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ (٢٢) مِن دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾: أي: يُقالُ للملائكةِ: اجمَعوا الذينَ كفروا، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]: وهو وضعُ العبادةِ في غيرِ موضعِها.

﴿وَأَزْوَاجَهُمْ﴾: أي: قُرناءَهم، وقيل: أي[2]: أصنافَهم، فإنَّهم على طرقٍ.

وقولُه تعالى: ﴿وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ (٢٢) مِن دُونِ اللَّهِ﴾: مِنَ الأصنامِ.

وقيل: ﴿وَأَزْوَاجَهُمْ﴾، أي: قُرناءَهم مِن الشَّياطينِ، قالَ تعالى: ﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُم﴾ [فصلت: ٢٥]، وقالَ: ﴿نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ [الزخرف: ٣٦].

---

(١) في (ر): «هو تمييز» بدل: «يوم التمييز بين».

(٢) في (أ): «أي»، وفي (ر): «وقيل» بدل: «وقيل أي».

وقيلَ: «أزواجَهم»؛ أي: زوجاتِهم، وهو قولُ الحسنِ[1]، يعني: كلَّ كافرٍ وكافرةٍ ومنافقٍ ومنافقةٍ، وهو الغالبُ في الاستعمالِ، قال تعالى: ﴿فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ﴾ [القيامة: ٣٩].

وقيل: ﴿ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾: أي: كُبراءَ الظَّلَمة ﴿وَأَزْوَٰجَهُمْ﴾؛ أي: وأتباعَهم، حتَّى رُوِيَ أنَّ مَن برى لهم قلماً، أو ألاقَ لهم دَواةً، أو ناولَهمْ قِرْطاساً حُشِرَ معهم[2]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ [التكوير: ٧]؛ أي: قُرِنَتْ بأشكالِها.

وقولُه تعالى: ﴿فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ﴾:

قال ابنُ عبَّاسٍ رضِيَ اللهُ عنهما: فدلُّوهم[3].

وقالَ الضَّحاكُ: فادعوهمْ[4].

وقالَ ابنُ كيسانَ: فقدِّموهم[5]، وهادِيةُ الإِجْلِ[6] هي التي تتقدَّمُها.

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ١٤١)، والواحدي في «الوسيط» (٣/ ٥٢٣)، وابن عطية في «المحرر الوجيز» (٤/ ٤٦٨) وقال: وروي ذلك عن ابن عباس، ورجحه الرماني.

(٢) رواه الديلمي في «الفردوس» (١/ ٢٥٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وقال الزيلعي في «تخريج أحاديث الكشاف» (٣/ ٢٨): غريب.

ورواه ابن بشران في «أماليه» الجزء الثاني (١/ ١٣٢) من حديث ابن مسعود مرفوعاً، ولفظه: «إذا كان يوم القيامة نادى مناد: أين الظلمة، وأعوان الظلمة، وأشباه الظلمة؟ حتى من برى لهم قلماً، أو لاق لهم دواةً، فيجمعون في تابوت من حديد، ثم يرمى بهم في جهنم».

والنصوص والآثار الواردة في النهي عن الكون مع الظلمة كثيرة مستفيضة.

(٣) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٢٩٨)، والثعلبي في «تفسيره» (٨/ ١٤١)، والواحدي في «البسيط» (١٩/ ٣٤).

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ١٤١).

(٥) ذكره الثعلبي الواحدي في «البسيط» (١٩/ ٣٤)، والبغوي في «تفسيره» (٤/ ٢٩).

(٦) الإِجْل ـ بكسر الهمزة وسكون الجيم ـ: القطيع من بقر الوحش، والجمع آجال. «الصحاح» (مادة: أجل).

﴿إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡجَحِيمِ﴾: أي: طريقِ جهنَّمَ.

* * *

(٢٤ ـ ٢٥) ـ ﴿وَقِفُوهُمۡۖ إِنَّهُم مَّسۡـُٔولُونَ ۝٢٤ مَا لَكُمۡ لَا تَنَاصَرُونَ﴾.

﴿وَقِفُوهُمۡ﴾: أيُّها الملائكةُ في موقفِ العَرْضِ والحسابِ.

﴿إِنَّهُم مَّسۡـُٔولُونَ﴾: قال ابنُ عبَّاسٍ رضِيَ اللهُ عنهما: عن قولِ: «لا إلهَ إلَّا اللهُ»[1].

وقال الضَّحَّاكُ: عن خطاياهم[2].

وقال كعبٌ: عن أقوالِهم وأفعالِهم[3].

وقولُه تعالى: ﴿مَا لَكُمۡ لَا تَنَاصَرُونَ﴾: قيل: هو تفسيرُ قولِه: ﴿إِنَّهُم مَّسۡـُٔولُونَ﴾ وهو سؤالُ توبيخٍ وتقريعٍ، أي: ما لكم لا ينصُرُ بعضُكم بعضاً؟!

وقيل: هو على أبي[4] جهلٍ لعنَه اللهُ؛ إذْ قال يومَ بدرٍ: ﴿نَحۡنُ جَمِيعٞ مُّنتَصِرٞ﴾[5].

* * *

(٢٦ ـ ٢٧) ـ ﴿بَلۡ هُمُ ٱلۡيَوۡمَ مُسۡتَسۡلِمُونَ ۝٢٦ وَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَسَآءَلُونَ﴾.

﴿بَلۡ هُمُ ٱلۡيَوۡمَ مُسۡتَسۡلِمُونَ﴾: أي: ليس أحدٌ يقْدِرُ على نصرِ أحدٍ، بلِ الكلُّ مُنقادون لِما يُرادُ بهم.

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ١٤٢)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٣٨).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ١٤٢).

(٣) لم أقف عليه عن كعب، لكن ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ١٤٢) عن ابنه محمد بن كعب القرظي.

(٤) في (ر): «هو أبو».

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ١٤٣)، والواحدي في «الوسيط» (٣/ ٥٢٤)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٣٨).

﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴾: أي: يسألُ كلُّ واحدٍ صاحبَه سؤالَ توبيخٍ، يقولُ هذا: لِمَ غرَرْتَني؟ ويقولُ الآخر[1]: لِمَ قبِلْتَ منِّي.

وقيل: هو في معنى قولِه: ﴿ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ ﴾ [ص: ٦٤]، وقولِه تعالى: ﴿ وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ ﴾ [غافر: ٤٧].

وقيل: هذا التَّساؤلُ هاهنا بينَ السَّادةِ والأتباعِ.

***

(٢٨) ـ ﴿ قَالُوا إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ ﴾.

قوله تعالى: ﴿ قَالُوا إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ ﴾: قال نِفْطويه: كنتُمْ تمنعوننا عنِ الدِّينِ[2] الحقِّ وعنِ الطَّاعةِ، وتُلَبِّسون ذلك علينا[3].

يُقالُ: أتاهُ عن يمينِه، إذا أتاه مِن الجهةِ المحمودةِ، والعربُ تنسِبُ الفعلَ الجميلَ إلى اليمينِ، وما ضادَّه إلى الشِّمالِ، وقالوا: الميمنةُ مِنَ اليُمْنِ، والمشأمةُ مِنَ الشُّؤْمِ[4].

وقال الفرَّاءُ: أي: كنتُم تأتوننا مِن قِبَلِ الدِّينِ، فتخدعوننا عنه بأقوى الوجوه[5].

وقوَّةُ الرَّجلِ بيمينِه، وتُسمَّى القوَّةُ يميناً كذلكَ، قالَ الشَّمَّاخُ:

---

(١) في (ر): «هذا». وسقطت من (ف).

(٢) في (أ): «اليمين».

(٣) ذكر نحوه من غير عزو الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ١٤٣)، والواحدي في «البسيط» (١٩/ ٣٨)، ونسبه الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٤٦) إلى الرماني.

(٤) انظر: «تصحيح الفصيح» لابن درستويه (ص: ٤٨٤).

(٥) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٨٤).

إذا ما رايةٌ رُفِعَتْ لمجدٍ تلقَّاها عَرابةُ باليمينِ(٦)

وقيلَ: معناه: كنتُم(٧) تصدُّوننا عن طريقِ الجنَّةِ وسبيلِ النَّجاةِ، قال تعالى: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ﴾ [الواقعة: ٢٧].

وقيلَ: هوَ ما ذُكِرَ في قولِه: ﴿ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ﴾ [الأعراف: ١٧]، فالشَّياطينُ يأتونهم مِن كلِّ الجهاتِ، فمَن أتاه الشَّيطانُ مِن جهةِ اليمينِ أتاه مِن قِبَلِ الدِّينِ ولبَّسَ عليه الحقَّ، ومَن أتاهُ مِن قِبَلِ اليسارِ حبَّبَ إليه الشَّهواتِ، ومَن أتاه مِن بين يديه أنساه الآخرةَ، ومَن أتاه مِن خلْفِه خوَّفه الفقرَ على أعقابِه.

***

(٢٩ ـ ٣١) ـ ﴿قَالُواْ بَل لَّمْ تَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ ﴿٣٠﴾ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَآ إِنَّا لَذَآئِقُونَ﴾.

﴿قَالُواْ بَل لَّمْ تَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ﴾: قال لهمُ السَّادةُ: ما كان ذلك منَّا، بل أنتم لمْ تؤمنوا.

﴿وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ﴾: أي: تسلُّطٍ بحُجَّةٍ ولا قَهْرٍ.

﴿بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ﴾: مُجاوزين حدودَ الشَّرْعِ.

﴿فَحَقَّ عَلَيْنَا﴾: جميعاً ﴿قَوْلُ رَبِّنَآ﴾؛ أي: وعيدُ ربِّنا: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾ الآيةَ [الأعراف: ١٨].

---

(٦) انظر: «ديوان الشماخ بن ضرار الذبياني» (ص: ٣١٩) من قصيدة يمدح بها عَرابة بن أوس رضي الله عنه.

(٧) «كنتم» ليس من (أ).

﴿إِنَّا لَذَآئِقُونَ ﴾: قيل: يقعُ على هذا قولُه: ﴿فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَآ﴾، وكُسِرَتْ «إنَّا» للَّامِ في قوله: ﴿لَذَآئِقُونَ ﴾، أي: تحقَّقَ علينا أنَّا نذوقُ العذابَ.

وسكَتَ عن ذكرِ المـذوقِ لوضوحِه؛ كما في قولِه: ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴾ [الدخان: ٤٩].

* * *

(٣٢ ـ ٣٥) ـ ﴿فَأَغْوَيْنَٰكُمْ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ ﴿٣٢﴾ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴾.

﴿فَأَغْوَيْنَٰكُمْ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ ﴿٣٢﴾ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾: أي: السَّـادةُ والأتبـاعُ سـواءٌ في اسـتحقاقِ العـذابِ.

﴿ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴾: وهم مجرمون.

﴿ إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴾: أي: يتعظَّمون عن قبولِه ويأنَفون منه.

* * *

(٣٦ ـ ٣٧) ـ ﴿ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴿٣٦﴾ بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾.

﴿ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا﴾: أي: لِمَ نترُكُ عبادةَ أصنامِنا؟! استفهامٌ بمعنى النَّفيِ.

﴿لِشَاعِرٍ﴾: أي: لقولِ رجلٍ يأتي بكلامٍ منظومٍ.

﴿مَّجْنُونٍ﴾: لا يعقِلُ ما يقولُ؛ لأنَّه يخبرُنا بالبعثِ بعدَ الموتِ وهو لا يعقِلُ، ونحنُ لا ندعُ دِينَ آبائِنا بقولِ هذا، يعنون محمداً عليه السَّلامُ، فردَّ اللهُ عليهم ذلك، فقال:

﴿بَلْ جَآءَ بِالْحَقِّ﴾: أي: ليس بشاعرٍ ولا مجنونٍ، بل هو رسولٌ جاءَ بما يجبُ في[1] العقولِ السَّليمةِ.

﴿وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ﴾: أي: وحقَّقَ بشاراتِ الأنبياءِ الماضين به، ووافقَ دينَهم وما جاؤوا به مِن توحيدِ اللهِ وطاعتِه.

* * *

(٣٨ ـ ٤٠) ـ ﴿إِنَّكُمْ لَذَآئِقُوا الْعَذَابِ الْأَلِيمِ (٣٨) وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٣٩) إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾.

قولُه تعالى: ﴿إِنَّكُمْ لَذَآئِقُوا الْعَذَابِ الْأَلِيمِ﴾: أي: إنَّكم يا أهلَ عصرِ النَّبيِّ المكذِّبين به[2] تصيرون إلى النَّارِ، فتذوقون عذابَها الوَجيعَ.

﴿وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: مِن الكفرِ والمعاصي.

﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾: مَن قرأَ بفتحِ اللَّامِ فهمُ الَّذين صفَّاهمُ اللهُ تعالى عنِ الشِّركِ والمعاصي، ومَن قرأَ بكسرِها فهم الَّذينَ أخلَصوا العبادةَ للهِ، فلمْ يُشركوا به ولمْ يَعصوه[3]، وهذا استثناءُ مَن يؤمنُ منهم بعدَ هذا.

وقيل: هو استثناءٌ منقطعٌ بمعنى (لكن)، أي: هؤلاءِ المكذِّبون بالنَّارِ يُعذَّبون، لكنَّ المؤمنين بالجنَّةِ يُنعَّمون.

* * *

---

(١) في (ر): «على».

(٢) في (أ): «له».

(٣) قرأ عاصم وحمزة والكسائي ونافع بفتح اللام من ﴿الْمُخْلَصِينَ﴾، وكسرها ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر. انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ٣٤٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٨).

(٤١ ـ ٤٢) ـ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَٰكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ﴾.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ﴾: أي: عطيَّةٌ معلومةٌ يعلمون دوامَها لهم.

﴿فَوَٰكِهُ﴾: ترجمةٌ عن قولِه: ﴿رِزْقٌ﴾.

قيل: لمْ يُرِدْ به الفاكهةُ المعروفةُ في الدُّنيا، لكنَّ الفاكهةَ ما يُتَفَكَّه به؛ أي: يُتنعَّمُ به؛ أي: رزقَهم ما يُتنعَّمُ به[1] في الجنَّةِ، وليس ذلك كقُوتِ الدُّنيا الذي يتناولُه مَن يضطرُّ إليه ويضيقُ قلبُه لتأخُّرِه عنه، وهو إشارةٌ إلى أنَّه يتناولُ المأكولاتِ التي يتنعَّمُ بها، وهو كقوله: ﴿وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾ [الواقعة: ٢١]؛ أي: يتناولونها مُشْتهين لها، لا مُضطرِّين إليها ولا كارهين[2] لها.

﴿وَهُم مُّكْرَمُونَ﴾: أي: بأنواعِ الكراماتِ مع ذلك.

* * *

(٤٣ ـ ٤٥) ـ ﴿فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ﴾.

﴿فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ﴾: هو نصبٌ على الحالِ، وهو صفةٌ لهم لا لسُرُرِهم، والتَّقابلُ أتمُّ للأنسِ، وأجمَعُ للرُّؤيةِ، وأيسَرُ للتَّحدُّثِ.

وقال مجاهدٌ: ﴿مُّتَقَٰبِلِينَ﴾: لا ينظُرُ بعضُهم في قفا بعضٍ[3].

﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ﴾: هي القَدَحُ الملآنُ شراباً.

---

(١) «أي رزقهم ما يتنعم به» ليس من (ف).

(٢) في (أ): «أو كارهون»، وفي (ر): «وكارهين».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٨٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٢٦٧)، وابن المبارك في «الزهد» (٢/ ١٣٠).

ورواه ابن المنذر وابن مردويه عن ابن عباس كما في «الدر المنثور» (٥/ ٨٥)، وروي عن عكرمة أيضاً، كما في «إعراب القرآن» للنحاس (٣/ ٢٨٣)، و«تفسير القرطبي» (١٥/ ٧٧).

﴿مِّن مَّعِينٍ﴾: قال الحسنُ وقتادةُ والضَّحاكُ والسُّدِّيُّ: أي: مِن خمرٍ جاريةٍ في أنهارٍ ظاهرةٍ للعيونِ(١).

قيل: هو مفعولٌ مِن عانَه يَعينه؛ أي: نظَرَ إليه بعينِه.

وقيل: هوَ فعيلٌ مِن الـمَعْنِ، وهو الإمعانُ في الجَرْيِ، أي: الشِّدَّةُ والسُّرعةُ.

***

(٤٦ ـ ٤٧) ـ ﴿بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّـٰرِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ﴾.

﴿بَيْضَآءَ﴾: صفةٌ لـ(الكأسِ)، وبياضُها بصفاءِ ما فيها.

﴿لَذَّةٍ﴾: أي: لذيذةٍ، واللَّذُّ نعتٌ كاللَّذيذِ؛ كالطَّبِّ في معنى الطَّبيبِ(٢)، والهاءُ للتَّأنيثِ.

﴿لِّلشَّـٰرِبِينَ﴾: أي: لشاربِيها، ليست كخمورِ الدُّنيا في كراهةِ الطَّعمِ.

﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾: قال قُطْرُبٌ: أي: لا تغتالُ عقولَهم كخمورِ الدُّنيا(٣)، أي: لا تَذْهَبُ بها. وأصلُه: الإهلاكُ في الخفاء، و«قدْ قتلَه غَيْلةً واغتالَه»، أيْ: قتلَه في خُفْيةٍ.

---

(١) ذكره عن الحسن ابنُ فورك في «تفسيره» (٢/ ٢١٩).

ورواه عن قتادة عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٥١٥)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٥٧٢٢)، الطبريُّ في «تفسيره» (٢٢/ ٢٩٨).

ورواه عن الضحاك الطبريُّ في «تفسيره» (٢٢/ ٢٩٨)، وابن المنذر كما في «الدر المنثور» (٧/ ٨٨)، وذكره عنه الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٤٦).

(٢) انظر: «الصحاح» للجوهري (مادة: طبب).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٥٣٣) عن السدي، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ١٤٤)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٤٠) عن الشعبي، وهو اختيار أبي عبيدة، كما في «مجاز القرآن» (٢/ ١٦٩).

وقيل: ﴿غَوْلٌ﴾: أي: غائلةٌ، أي: ما يُكْرَه.

﴿وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ﴾: قرأ حمزةُ والكسائيُّ[1] بكسرِ الزَّاي، أي: ولا تنفدُ خمورُهم، وقرأ الباقون بفتحِها، أي: لا تُزالُ عقولهم[2].

و(قد نُزِفَ) على ما لمْ يُسمَّ فاعلُه، فهو منزوفٌ ونزيفٌ، ونزْفُ البئرِ: استخراجُ مائِها، كلُّه مِنْ بابِ ضرَبَ.

* * *

(٤٨) ـ ﴿وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ﴾.

﴿وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ﴾: أي: نساءٌ قد قصَرْنَ أبصارَهنَّ على رؤيةِ أزواجهنَّ؛ لحُبِّهنَّ إيَّاهم ولعفافِهنَّ وحُسْنِ عِشْرتهنَّ، والطَّرْفُ في معنى الجمعِ، ووُحِّدَ لأنَّه في الأصلِ مصدرٌ.

﴿عِينٌ﴾: جمعُ عَيْناءَ، وهي الواسعةُ العَينِ، الحسنةُ العَينِ، والفعلُ مِنْ بابِ عَلِمَ.

* * *

(٤٩) ـ ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾.

﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾: أي: مَصون، وقيل: أي: مستورٌ.

وقيل: أراد به داخلَ البَيْضِ، وهو تشبيهٌ لهنَّ به في الصَّفاءِ واللِّين.

وقال في صفةِ الولدانِ: ﴿كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ﴾ [الطور: ٢٤]، وقال في صفةِ الحورِ

---

(١) في (ر): «حمزة والكسائي وخلف والمفضل عن عاصم».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٤٧)، و«التيسير» للداني (ص: ١٨٦).

العِينِ: ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾، أشارَ بذلكَ إلى أنَّ الحورَ العِينَ للصُّحْبةِ دونَ الوِلْدانِ؛ لأنَّ اللُّؤلؤَ للنَّظَرِ لا للذَّوْقِ، والبَيْضَ لهما.

وقيلَ: أرادَ به المصونَ عن الكسرِ، أرادَ به أنَّهنَّ عَذارى صحيحاتٍ، قال الفَرَزْدَقُ:

خرجْنَ إليَّ لمْ يُطْمَثْنَ[1] قَبْلي وهُنَّ أصحُّ مِنْ بَيْضِ النَّعامِ[2]

وقال الحسنُ وابنُ زيدٍ: شُبِّهْنَ ببَيْضِ النَّعامِ يُكَنُّ بالرِّيشِ مِن الرِّيحِ والغُبارِ[3].

***

(٥٠ ـ ٥١) ـ ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ۝٥٠ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾: أي: فأقبَلَ بعضُ أهلِ الجنَّةِ ـ وهمُ المُخلصون ـ على بعضٍ يتحدَّثون بما أنعمَ اللهُ عليهم مِن حينِ كانوا في الدُّنيا إلى أنْ صاروا إلى الجنَّةِ.

﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ﴾: أي: صاحبٌ مقارِنٌ كافرٌ بالبعثِ.

***

(٥٢ ـ ٥٣) ـ ﴿يَقُولُ أَئِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ۝٥٢ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَدِينُونَ﴾.

﴿يَقُولُ أَئِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ﴾: بالبعثِ؟ استفهامٌ بمعنى الإنكارِ.

﴿أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَدِينُونَ﴾: أي: لَمَجزيُّون، مِن قولِهم: كما تَدينُ تُدانُ[4].

---

(١) في (ف): «يطمثهن».

(٢) انظر: «ديوان الفرزدق» (٢/ ٨٣٥) وهو من قصيدة يمدح بها هشام بن عبد الملك.

(٣) ذكره عنهما الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ١٤٤)، والواحدي في «الوسيط» (٣/ ٥٢٥).

(٤) رواه عبد الرزاق في «المصنف» (٢٠٢٦٢) من طريق أبي قلابة عن النبي ﷺ مرسلًا. ومن طريق

قيل: كانا أخوينِ، وهما المذكوران في قولِه: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ﴾ [الكهف: ٣٢]، وقد بيَّنا القصَّةَ في سورةِ الكهفِ، قاله الكلبيُّ[1].

وقيل: كانا شريكين على ما نُبيِّنُ.

وقيلَ: أرادَ به قرينَه مِنَ الشَّياطينِ كان يوسوسُ إليه بالتَّكذيبِ بيومِ البعثِ، ﴿يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ﴾ الآياتِ.

قال ابنُ عبَّاسٍ: كانا شريكَين أحدُهما قُطْرُوسُ وهو الكافرُ، والآخرُ يَهودا وهو المؤمنُ، فاستجمَعَ لهما ثمانيةُ آلافِ دينارٍ، وكان أحدُهما مُحترِفاً، والآخرُ لا حِرْفةَ له، فقال المحترفُ لصاحبِه: ليستْ لك حِرْفةٌ، وما أُراني إلَّا مُفارقَكَ ومُقاسمَكَ، فقاسَمه وفارقَه، ثمَّ إنَّ قُطْرُوسَ اشترى داراً بألفِ دينارٍ، فدعا صاحبَه، فقال: كيف ترى هذه الدَّارَ؟ قال: حسَنةً، ثمَّ خرجَ وتصدَّقَ بألفِ دينارٍ، وقال: يا ربِّ! أسألكَ[2] داراً في جنَّتِكَ، ثمَّ إنَّ الكافرَ تزوَّجَ امرأةً، وأنفقَ عليها وفي أمرِها[3] ألفَ دينارٍ، فدعا صاحبَه، فقال: كيفَ ترى زوجتي؟ قال: ما أحسنَها! ثمَّ خرجَ وتصدَّقَ بألفِ دينارٍ، وسألَ ربَّه تعالى أنْ يُزوِّجَه مِنَ الحُورِ العِينِ، ثمَّ اشترى صاحبُه بألفَيْ دينارٍ بُسْتانين، فدعا صاحبَه فقال: كيفَ تراهما؟ قال: بُستانين خَضْراوين حَسَنين، ثمَّ

عبد الرزاق رواه أحمد في «الزهد» (ص: ١٤٢) لكن عن أبي قلابة عن أبي الدرداء قوله. وله شاهد موصول من حديث ابن عمر رضي الله عنه رواه ابن عدي في ترجمة محمد بن عبد الملك وضعفه. انظر: «تخريج أحاديث الكشاف» لابن حجر (ص: ٣). وروى أبو نعيم في «الحلية» (٤/ ٤٨) عن وهب بن منبه أنه قال: أربعة أحرف في التوراة، وذكر منها: (كما تدين تدان).

(١) ذكره عن الكلبي الواحديُّ في «البسيط» (١٩/ ٥٣)، وأورده يحيى بن سلام في «تفسيره» (٢/ ٨٣١)، والماوردي في «تفسيره» (٥/ ٤٩)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٤١) من غير نسبة.

(٢) في (أ): «أملك».

(٣) في (ر): «في أمرها»، وفي (ف): «عليها» بدل: «عليها وفي أمرها».

خرجَ فتصدَّقَ بألفَيْ دينارٍ، وسألَ ربَّه أنْ يرزقَه بُسْتانين في الجنَّةِ، ثمَّ توفَّاهما الملَكُ، فانطلَقَ يومَ القيامةِ بالمتصدِّقِ إلى الجنَّةِ، وبوَّأه داراً هُيِّئَتْ له، وزوَّجه حُوراً، وسلَّمَ إليه[1] بُسْتانين في الجنَّةِ، فقالَ حينئذٍ: ﴿إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ﴾: يعني في دارِ الدُّنيا، يعني: شريكَه الكافرَ[2].

***

(٥٤ ـ ٥٦) ـ ﴿قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ (٥٤) فَاطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِي سَوَآءِ الْجَحِيمِ (٥٥) قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ﴾.

﴿قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ﴾: يقولُ لأصحابِه: هل أنتم تتطلَّعون معي في النَّارِ؟ لعلَّنا نرى هذا القَرينَ، وأُضْمِرَ هاهنا: فقالوا: نعم.

﴿فَاطَّلَعَ﴾: هذا المؤمنُ ﴿فَرَءَاهُ فِي سَوَآءِ الْجَحِيمِ﴾؛ أي: في وسَطِ النَّارِ الموقدَةِ.

وقيل: في الجنَّةِ كوًى شارِعةٌ إلى الجحيمِ، فإذا أرادوا النَّظَرَ إلى أهلِ النَّارِ فتَحوها ونظَروا إليها[3].

---

(١) في (ر): «له».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٥٤٤) من كلام فرات بن ثعلبة البهراني، وهو مختلف في صحبته، ورواه الثعلبي في «تفسيره» (٦/ ١٦٩)، والبغوي في «تفسيره» (٥/ ١٧٠) عن عطاء الخراساني، وروى الطبريُّ في «تفسيره» (١٩/ ٥٤٣) عن ابن عباس قوله: هو الرجل المشرك يكون له الصاحب في الدنيا من أهل الإيمان، فيقول له المشرك: إنك لتصدق بأنك مبعوث من بعد الموت أئذا كنا تراباً؟ فلما أن صاروا إلى الآخرة وأدخل المؤمن الجنة، وأدخل المشرك النار، فاطلع المؤمن، فرأى صاحبه في سواء الجحيم ﴿قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ﴾.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٢٢٨) من حديث كعب ولفظه: إن بين الجنة والنار كوًى، فإذا أراد المؤمن أن ينظر إلى عدو كان له في الدنيا، اطلع من بعض تلك الكوى. =

﴿ قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴾: أي: أقسمُ باللهِ لقد كنتَ قاربْتَ أنْ تُهلِكَني بإضلالك. ووجهٌ آخرُ: ما أردتَ إلَّا أنْ تُهلِكَني.

* * *

(٥٧ ـ ٥٩) ـ ﴿ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴾.

﴿ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي ﴾: أي: إنعامُه عليَّ بالتَّثبُّتِ على الحقِّ، والعصمةِ عن قبولِ قولِكَ.

﴿ لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴾: النَّارَ معكَ، وهو كلمةُ شكرٍ؛ كقولِهم: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾ الآيةَ [الأعراف: ٤٣].

﴿ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴾: قيل: معناه: أنَّه يقولُ في الجنَّةِ لأصحابِه: أوَ قد أمِنَّا الموتَ بعدَ أنْ أحيانا اللهُ مِن الموتةِ الأولى الَّتي كانتْ في الدُّنيا، انتقلْنا منها إلى دارِ الجزاءِ، وقولُه: ﴿ إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَىٰ ﴾؛ أي: سوى الموتةِ الأولى ﴿ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴾؛ أي: وقد أمِنَّا العذابَ مع تقصيرِنا، فالحمدُ للهِ على هذا، وهو[1] كقولِه عندَ التَّعجُّبِ: أوَ كلُّ هذا النَّعيمِ[2] لنا؟! لا يكونُ إنكاراً، بل يكونُ تعجُّباً وشكراً.

وقيل: يكونُ هذا توبيخاً لقرينِه، وكان في الدُّنيا إذا توعَّدَه قال: وما نحن

= وذكر نحوه الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ١٤٥)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٤١) عن ابن عباس رضي الله عنه، وهو مروي عن قتادة، كما في «تفسير ابن أبي حاتم» (١٠/ ٣٢١٦).

(١) في (أ) و(ر): «وهي».

(٢) في (ر) و(ف): «هذه النعم».

بمعذَّبين، وما نحن بمبعوثين[١]، ويُكْثِرُ هذا القولَ، فيذكُرُه في[٢] هذه الحالةِ، ويقولُ: أهكذا تقولُ الآن: ما نحنُ بميِّتين إلَّا موتتَنا الأولى حينَ كنَّا نُطَفاً، ثمَّ أحيانا اللهُ، وما نحن بمعذبين بعدَما نموتُ، أي: لا نُبعَثُ بعدَه، أو لا نُعذَّبُ بقولِنا: (لا بَعْثَ)؛ لأنَّه حقٌّ وصدقٌ.

وقيل: (وما نحن بميتين): بمُهْلَكين بعقابِ اللهِ في الدُّنيا كما نُتوعَّدُ به، ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ في الآخرةِ؛ لأنَّه لا آخرةَ.

ثمَّ قرأ بعضُهم هاهنا: ﴿أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ﴾، ﴿أَءِذَا مِتْنَا﴾، ﴿أَءِنَّا لَمَدِينُونَ﴾ بالاستفهامِ في المواضعِ الثَّلاثةِ على أنَّ كلَّ واحدٍ سؤالٌ تامٌّ قُرِنَ بالاستفهامِ.

وبعضُهمْ قرأَ: ﴿أَءِنَّا لَمَدِينُونَ﴾ على أنَّ الأوَّلَ تامٌّ، وهذا الأخيرَ داخلٌ في الاستفهامِ الثَّاني[٣].

وقيلَ: داخلٌ في الاستفهامين جميعاً، وحقُّه: أَنَّا، بالنَّصبِ، لكنْ كُسِرَ لِلَّامِ في قولِه: ﴿لَمَدِينُونَ﴾.

* * *

(١) في (ر): «وما نحن بمعذبين وما نحن بميتين»، وفي (ف): «وما نحن بميِّتين إلا موتتنا الأولى وما نحن بمعذبين».

(٢) «في» زيادة من (أ) و(ف).

(٣) أما قوله تعالى: ﴿أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ﴾ فقد قرئت على الاستفهام عند الجميع، والخلاف فيها بين تسهيل الثانية أو تحقيقها، مع إدخال الألف في كل منهما أو عدم إدخالها، أربع حالات. وأما قوله تعالى: ﴿أَءِذَا مِتْنَا﴾، فقرأها ابن عامر وأبو جعفر بهمزة واحدة على الإخبار، والباقون بهمزتين على الاستفهام، وقوله تعالى: ﴿أَءِنَّا لَمَدِينُونَ﴾ بهمزة واحدة عند نافع والكسائي ويعقوب، والباقون بهمزتين. انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (١/ ٣٧٣).

(٦٠ ـ ٦١) ـ ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٦٠) لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾.

﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٦٠) لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾:

قيل: هذان الكلامان الأخيران مِن قولِ هذا الرَّجلِ.

وقيل: هما مِن كلامِ اللهِ تعالى بعدَ تمامِ كلامِ الرَّجلِ.

وقيل: تمَّ كلامُ الرَّجلِ عندَ قولِه: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾، ثمَّ قالَ اللهُ تعالى: ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾، فكلُّ ذلكَ له وجهٌ صحيحٌ.

* * *

(٦٢) ـ ﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ﴾: أي: أهذا الذي ذكرناه لأهلِ الجنَّةِ خيرٌ أي: أفضلُ ممَّا يعدُّ نُزُلاً للنُّزَّالِ، أم شجرةُ الزَّقُّومِ التي أعددْناها لأهلِ الشِّركِ؟!

* * *

(٦٣) ـ ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِّلظَّالِمِينَ﴾.

﴿إِنَّا جَعَلْنَاهَا﴾: أي: هذه الشَّجرةَ ﴿فِتْنَةً لِّلظَّالِمِينَ﴾؛ أي: جعلْنا ذِكْرَ كونِ هذه الشَّجرةِ في النَّارِ ممَّا افتُتِنَ الكفَّارُ به في دِينِهم، فقالوا: كيفَ يكونُ في النَّارِ شجرةٌ والنَّارُ تأكلُ الشَّجرَ؟!

وقيل: لمَّا نزلَ: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ (٥١) لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ﴾ [الواقعة: ٥١] قال بعضُهمْ: ما الزَّقُّومُ؟ فقال بعضُهمْ: هوَ التَّمرُ والزُّبْدُ، فقالوا: يخوِّفُنا محمَّدٌ بالتَّمرِ والزُّبْدِ[1]. فصارَ فتنةً لهم مِن هذا الوجهِ.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٥٥٢) عن مجاهد والسدي، والمقصود بالبعض أبو جهل =

وقيلَ: معنى قولِه: ﴿إِنَّا جَعَلْنَـٰهَا فِتْنَةً﴾؛ أي: عذاباً؛ كما قال: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ [الذاريات: ١٣]؛ أي: يُعذَّبون، يقولُ: يعذَّبُ الكُفَّارُ بهذا في النَّارِ.

* * *

(٦٤) ـ ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ﴾: أي: تنبُتُ في أرضِ(١) جهنَّمَ، وهو جوابُ قولِهم: كيف تبقى الشَّجرةُ في النَّار؟!

يقولُ: إذا كانَ أصلُها مِن النَّارِ تبقى في النَّار وإنْ لمْ يبقَ فيها سائرُ الأشجارِ؛ كالسَّمَكِ لَمَّا كانَ أصلُه مِنَ الماءِ يبقى في الماءِ، وإنْ كان لا يبقى سائرُ الحيواناتِ في الماءِ(٢).

* * *

(٦٥) ـ ﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَـٰطِينِ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَـٰطِينِ﴾: وهو جوابُ قولِهمْ: الزَّقُّومُ هو التَّمرُ والزُّبْدُ.

يقولُ: ليس كذلك، بل هي شجرةٌ ثمرُها في القُبْح كرؤوسِ الشَّياطينِ، والشَّيطانُ وإنْ لمْ يرَهُ النَّاسُ فقد علِموا أنَّه في نهايةِ القُبْحِ.

وقيلَ: «الشَّياطينُ» الحيَّاتُ هاهنا، ورؤوسُ الحيَّاتِ مُستكرَهةٌ مُستقبَحةٌ.

= وأصحابه، كما روى الإمام أحمد في «المسند» (٣٥٤٦)، والنسائي في «الكبرى» (١١٤٢٠)، وأبو يعلى في «مسنده» (٢٧٢٠)، والبيهقي في «كتاب البعث والنشور» (٥٤٦)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(١) في (ف): «أصل».

(٢) في (ر): «كما أن سائر حيوانات الماء تبقى في الماء»، بدل: «وإنْ كان لا يبقى سائرُ الحيواناتِ في الماء».

(٦٦ ـ ٦٧) ـ ﴿فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ۝٦٦ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ﴾.

﴿فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ۝٦٦ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا﴾: أي: معها، وقيل: أي: بعدَها.

﴿لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ﴾: لَمَزْجاً وخَلْطاً مِن ماءٍ حارٍّ قد انتهى حرُّه.

ولهذا الكلامِ وجهان:

أحدُهما: أنَّه يُخلَطُ الحميمُ بالزَّقُّومِ، فيُجعلان معاً في بطونِهم، ويكونُ ﴿عَلَيْهَا﴾ بمعنى: (معها) على هذا القولِ.

والثَّاني: أنَّهم يجوعون فيَستطعِمون فيُطعَمون الزَّقُّومَ، فيغَصُّون به فيَستسقون فيُسْقَون الحميمَ، وعلى هذا يكون بمعنى (بعدَها).

و(الشَّوْبُ) اختلاطُهما معاً في البُطونِ على التَّناولِ تعاقباً، وهو على مُقابلةِ ما ذُكِرَ مِن المزْجِ لأهل الجنَّةِ، ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا﴾ [الإنسان: ١٧]، و﴿مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ [الإنسان: ٥]، ﴿يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ۝٢٥ خِتَامُهُۥ مِسْكٌ﴾ [المطففين: ٢٥ ـ ٢٦].

* * *

(٦٨) ـ ﴿ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ﴾: قال كعبُ الأحبارِ: يُعذَّبون في الجحيمِ، فإذا جاعوا جاؤوا إلى الزَّقُّومِ، فإذا عطِشوا جاؤوا إلى الحميمِ، ﴿وَسُقُوا مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ﴾ [محمد: ١٥]، فيَسألون أنْ يُردُّوا إلى الجحيمِ، فهم كذلكَ يُردُّون في العذابِ[1].

---

(١) لم أقف عليه عن كعب، ولكن روى نحوه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٢٥١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٢١٧) عن سعيد بن جبير.

(٦٩ ـ ٧٠) ـ ﴿إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ (٦٩) فَهُمْ عَلَىٰ آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ﴾: أي: إنَّما صاروا إلى النَّارِ لأنَّهم كانوا وجدوا آباءَهم على ضلالٍ.

﴿فَهُمْ عَلَىٰ آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ﴾: أي: فهُم بهم يقتدون، وعلى آثارِهم يُسرِعون.

قالَ أبو عُبيدةَ: يستحثُّون مَن خلْفَهمْ[1].

وقال المبرِّدُ: يُقالُ: جاءَ فلانٌ إلى النَّارِ مُهْرِعاً؛ أي: يستحثُّه البرْدُ[2].

ومعنى الآيةِ: يسيرون على آثارِهمْ سِراعاً كأنَّهم يُساقون إليه ويُحثُّون.

***

(٧١ ـ ٧٤) ـ ﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ (٧١) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ (٧٢) فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ (٧٣) إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ﴾: بتقليدِ الغيرِ، وتركِ النَّظَرِ والتَّأمُّلِ.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ﴾: رُسُلاً مخوِّفين.

﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ﴾: الَّذينَ أنذرَهمْ رسلُنا، فلم يخافوا ولم يقبلوا كيف أهلكْناهمْ؟!

﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾: إنْ حُمِلَ على حقيقةِ الاستثناءِ، فالإنذارُ كان للكلِّ، فمَن قبِلَ الإنذارَ آمنَ وأخلص، فنجا وتخلَّص، ومَن لمْ يقبلْ منهم وأصرَّ على كفرِه أهلكَه اللهُ تعالى بجُرْمِه.

---

(١) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (٢/ ١٧١).

(٢) ذكره مكي بن أبي طالب في «الهداية» (٩/ ٦١١٦)، والقرطبي في «تفسيره» (١٥/ ٨٨).

وإنْ حُمِلَ على الاستثناءِ المنقطعِ بمعنى «لكنْ»، فالمُـنْذرون هم الكافرون، وهم مُهْلَكون، لكنَّ المؤمنين مُخْلَصون.

* * *

(٧٥ ـ ٧٦) ـ ﴿ وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ﴾: وهـذا تفصيـلُ المنذِريـن والمنذَريـن.

يقـولُ: ولقـد دعانـا نوحٌ؛ كمـا قـال: ﴿ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴾ [القمر: ١٠]، وقـال: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴾ [نـوح: ٢٦].

﴿فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ﴾: فأجبْنا دعاءَه، ونِعْمَ المجيبون نحن.

﴿ وَنَجَّيْنَٰهُ ﴾: أي: وخلَّصْناه ﴿وَأَهْلَهُۥ﴾: وأولادَه وأهلَ بيتِه ومَن آمنَ به ﴿مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ﴾: مِن الغَمِّ الذي كان فيه مِن أذى القوم.

* * *

(٧٧ ـ ٧٨) ـ ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ﴾: أي: أولادَه هم الذين بقُوا في الأرضِ، فتناسلوا وتوالدوا، فالنَّاسُ بعدَ طوفانِ نوحٍ عليه السَّلامُ مِن أولادِه وذرِّيَّتِه[1] إلى اليومِ، فالعربُ والعجمُ مِن أولادِ سامِ بنِ نوحٍ، والتُّرْكُ والصَّقالبةُ والخَزَرُ مِنْ أولادِ يافثِ بنِ نوحٍ، والسُّودانُ[2] مِن أولادِ حامٍ.

---

(١) في (ر) و(ف): «من ذريته» بدل: «من أولاده وذريته».

(٢) في (أ): «والسود».

وقولُه تعالى: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾: أي: وأبقَيْنا عليه ثناءً جميلاً ومدحاً له وانتماءً إليه في الذينَ أتوا بعدَه.

وقيل: ﴿فِي الْآخِرِينَ﴾: أي: في أمَّةِ محمَّدٍ ﷺ.

وقيل: في الأنبياءِ، فإنَّه لمْ يُبْعَثْ بعدَه نبيٌّ إلَّا أُمِرَ بالاقتداءِ به، قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا﴾ [الشورى: ١٣]، والمتروكُ مضمَرٌ، وهو ما بيَّنا.

***

(٧٩) - ﴿سَلَامٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾.

وقيل: المتروكُ هو المذكورُ بعدَه، قولُه:

﴿سَلَامٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾: أي: أبقَيْنا عليه هذا السَّلامَ، ورُفِعَ على الحكايةِ، فإنَّهم يتكلَّمون به على هذا النَّظْمِ، وهو كقولكَ: (قرأتُ الحمدُ للهِ ربِّ العالمين) بالرَّفعِ على الحكايةِ، فإنَّهم يتكلَّمون على هذا[1]، ونظيرُه قولُ حسَّان:

لتسمعُنَّ وشيكاً في دياركمُ ... اللهُ أكبرُ يا ثاراتِ عُثْمانا[2]

وعلى القولِ الأوَّلِ «سلامٌ» ابتداءٌ، ثمَّ له وجهان: إخبارٌ أنَّ السَّلام عليه، وتعليمٌ أنْ يتكلَّمَ به؛ كما مرَّ في قولِه: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

***

(٨٠ - ٨٢) - ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٨٠) إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (٨١) ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ﴾.

---

(١) «فإنهم يتكلمون على هذا» ليس في (أ) و(ف).

(٢) انظر: «ديوان حسان بن ثابت» (ص: ٢٤٤)، و«الجمل في النحو» للخليل (ص: ٢٦١)، و«التقفية في اللغة» للبندنيجي (ص: ٣٩٣)، و«تهذيب اللغة» (١٥/ ٨٢)، وورواية الديوان: (ديارهم).

﴿ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾: فنُبقِي لهمُ الثَّناءَ الجميلَ.

﴿ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾: وفيه بيانُ عظمةِ حُسْنِ العبوديَّةِ وصدقِ الإيمانِ، وهو[1] حقيقةُ الإحسانِ.

﴿ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴾: أي: ثمَّ[2] نخبرُكم أنَّا أغرَقْنا بالطُّوفانِ الآخَرين[3] مِن قومِه، وهم الذين لمْ يؤمنوا به.

❊ ❊ ❊

(٨٣) ـ ﴿ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴾: أي: مِن مُتَّبعيه ـ يعني: نوحاً ـ إبراهيمُ الخليلُ عليه السَّلامُ.

وقال الفرَّاءُ: وإنَّ مِن شيعةِ محمَّدٍ لَإبراهيمَ[4]. وفيه بُعْدٌ.

يقولُ: إنَّ إبراهيمَ اتَّبعَ نوحاً في هَدْيِه، وصبرَ على ما نالَه في نفْسِه وولدِه ومالِه؛ كما تحمَّلَ نوحٌ عليه السَّلامُ أذى قومِه، وفيه تفضيلُ نوحٍ بجعلِ إبراهيمَ مِن أشياعِه، ومدحٌ لإبراهيمَ بحُسْنِ اتِّباعِه.

❊ ❊ ❊

(٨٤ ـ ٨٥) ـ ﴿ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾: أي: خالصٍ له، وهو في معنى: سالمٍ له.

---

(١) «هو» ليست في (ف).

(٢) في (ر): «ألم».

(٣) في (ر): «الآخرين الذين».

(٤) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٨٨).

وقيل: سالمٌ عن كلِّ آفةٍ.

وقيل: هو السَّالمُ عن الغِلِّ في حقِّ الخَلْق.

﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ﴾: و﴿إِذْ﴾ زمانُ وصفِه بالسَّلامةِ، و﴿إِذْ﴾ في الأوَّلِ زمانُ المشايعةِ، وهذا سؤالُ توبيخٍ؛ كقولكَ لِمَن لا ترضى عملَه: ماذا تعملُ؟!.

* * *

(٨٦ ـ ٨٧) ـ ﴿أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ۝٨٦ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

﴿أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ﴾: فيه تقديمٌ وتأخيرٌ: أتريدون أنْ تتَّخذوا مِن دونِ اللهِ آلهةً؟! أي: أصناماً إفكاً؛ أي: كذِباً في تسميتِكم الأصنامَ آلهةً، وهو استفهامٌ على وجهِ الإنكارِ.

قولُه تعالى: ﴿فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: أي: فما ظنُّكمْ بِمَن هو ربُّ العالمين إذا لقيتموه يومَ القيامة ـ أي[1]: وافيتُم موقِفَ حسابِه ـ ماذا يصنَعُ بكم وقد أشركتُم به؟

* * *

(٨٨ ـ ٨٩) ـ ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ ۝٨٨ فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ﴾: قيل: كان أهلُ زمانِه أصحابَ نظَرٍ في علمِ النُّجومِ، ويستدلُّون[2] على حوادثِ الأمورِ مِن جهتِها، وكان إبراهيمُ عليه السَّلامُ قد كلَّمَهم في الأصنامِ أنَّها لا تضُرُّ ولا تنفَع، ولا تُبْصِرُ ولا تسمَع، وأنَّها جمادٌ لا تعقِلُ، ونهاهم عن عبادتِها، فلمْ ينجَعْ ذلك فيهم، فأحبَّ أنْ يُرِيَهم ذلك مِن أوضحِ وجهٍ

(١) في (أ): «إذا».

(٢) بعدها في (ر) و(ف): «به».

بأنْ يكسِرَها، وكان يحتاجُ في ذلك إلى خلُوِّ موضعٍ يُمكِنُه فيه ذلك، فانتهزَ الفرصةَ، وانتظرَ عيداً لهم يخرُجون فيه إلى الصَّحراءِ جُمْلةً، فدعَوه يومئذٍ إلى الخروجِ معهم، فاعتَلَّ للتَّخلُّفِ عنهم، وهيَّأَ عُذْراً يترُكونه له.

وقولُه تعالى: ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي ٱلنُّجُومِ﴾: أي: فعَلَ ما يفعلُه النَّاظرُ في النُّجومِ في تعرُّفِ أمرٍ يريدُ معرفتَه مِن جهتِها.

وقولُه تعالى: ﴿فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾: أوهمَهم أنَّ[1] النُّجومَ تدلُّ على أنِّي سأسقم غداً في مَخْرَجي إنْ خرجْتُ، فأنا أتخلَّفُ في منزلي؛ لئلَّا يتزايدَ بي ما يحدُثُ بسببِ الحركةِ، فوقعَ عندهم أنَّه عُذْرٌ.

***

(٩٠) ـ ﴿فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ﴾.

﴿فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ﴾: فأعرَضوا عنه مُولِّين الأدبارَ، وكان مرادُه في قولِه: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾؛ أي: سأسقمُ سقَمَ الموتِ، فإنَّ العبدَ لا يخلو عنه، أو أرادَ: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ للحالِ، فإنَّ الإنسانَ لا يخلو كلَّ ساعةٍ عن ضعفٍ ببدنِه بعارضٍ مِن وجهٍ، وزوالِ الاعتدالِ مِن السَّقَمِ والاعتِلالِ.

وقيل: كان عندهم اسمُ السَّقيمِ[2] يقعُ على المطعونِ، وهو الذي به الطَّاعون، وكانوا يتشاءَمون به وينفِرون عنه، فلذلك ولَّوا عنه، وهو أرادَ به ما قلنا، فلمْ يكنْ كذِباً ولا غُروراً، بل كان احتيالاً لإظهارِ الحقِّ وإبطالِ الباطلِ، فكانَ عملاً مبروراً وسَعْياً مشكوراً.

---

(١) في (ر): «على أن».

(٢) في (أ): «السقم».

وقيل: كانَ يعرِضُ له كلَّ ليلةٍ حُمَّى أو عارضٌ نحوَها في ساعةٍ مِن اللَّيل، ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي ٱلنُّجُومِ﴾: لا في علمِ النُّجومِ، لكنْ في عَينِ النُّجومِ في السَّماءِ، وهي تدلُّ بأعيانِها في المتعارفِ على ساعاتِ اللَّيلِ، فقال: قرُبَتْ ساعةُ سقَمي بدلالةِ مسيرِ هذا النَّجمِ، وإذا وقعَ ذلك ضعُفْتُ عنِ الخروجِ، فلا أخرجُ. وكان في نفْسِه قصَدَ كسْرَ الأصنامِ، لكنْ لمْ يكنْ كاذباً فيما أظهرَ مِن الكلامِ، فلمْ يلحقْه به شيءٌ مِن الملامِ.

* * *

(٩١) ـ ﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ﴾: أي: فمالَ في خُفْيَةٍ إلى أصنامِهم التي كانوا يسمُّونها آلهةً، وهو مِن روَغانِ الثَّعلبِ إذا قصدَه الكلبُ.

قولُه تعالى: ﴿فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾: قال السُّدِّيُّ: ثمَّ رجَعَ إبراهيمُ إلى بيتِ الأصنامِ، فإذا هي في بهْوٍ عظيمٍ، وإذا هم قد جعلوا طعاماً، فوضعُوه بينَ أيديها وقالوا: إذا كان حين نرجِعُ رجَعْنا وقد برَّكتِ الآلهةُ في طعامِنا فأكلْنا، فلمَّا نظرَ إليهم وإلى ما بينَ أيديهم مِنَ الطَّعامِ قال: ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ﴾(١). وهذا على وجهِ الاستهزاءِ، وهو وإنْ كان خِطاباً للجمادِ، لكنَّه صحيحُ الاعتبارِ؛ لأنَّه تحريكٌ للخاطرِ وبعثٌ على الاستدلالِ، فلمَّا لمْ تُجِبْه الأصنامُ قال:

* * *

(٩٢ ـ ٩٣) ـ ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ۝٩٢ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ﴾.

﴿مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ﴾: والجمعُ بالواوِ والنُّونِ لِمَا أنَّه خاطبَها خطابَ مَن يعقِلُ.

وقولُه تعالى: ﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ﴾:

---

(١) رواه عن السدي مطولًا الطبريُّ في «تفسيره» (١٦/ ٢٩٥)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٦/ ٢٧٩).

قيل: أي: باليدِ اليُمنى؛ لأنَّها أقوى على العملِ مِن اليُسرى.

وقيلَ: أي: بالقسَمِ الَّذي كان قالَ: ﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم﴾ [الأنبياء: ٥٧].

وقالَ الفرَّاءُ: أي: بالقوَّةِ[1]، قال تعالى: ﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ﴾ [الحاقة: ٤٥].

* * *

(٩٤) ـ ﴿فَأَقْبَلُوٓاْ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿فَأَقْبَلُوٓاْ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ﴾: قرأَ حمزةُ والمفضَّلُ[2] عن عاصمٍ: ﴿يُزِفُّون﴾ بضمِّ الياءِ من الإزفافِ، وهو الإسراعُ؛ أي: فأقبلَ القومُ إليه يُسرعون حينَ سمِعوا أنَّه فعلَ بأصنامِهم ذلك.

وقرأه العامَّةُ: ﴿يَزِفُّونَ﴾ بفتحِ الياءِ[3] مِن الزَّفيفِ، والزَّفيفُ: الإسراعُ، مِن بابِ ضرَبَ.

* * *

(٩٥) ـ ﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ﴾: قال هذا بعدَ مُحاوراتٍ كانت بينهم ذكرَها في سورةِ الأنبياءِ، ﴿قَالُواْ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ﴾ [الأنبياء: ٥٩] إلى قولِه: ﴿أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا﴾ [الأنبياء: ٦٦].

وقال هاهنا: ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ﴾: نحْتُ الخشَبةِ: بَرْيُها.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٨٤).

(٢) في (ر): «وجبلة عن المفضل»، وفي (ف): «عن المفضل» بدل: «والمفضل».

(٣) انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ٥٤٨)، و«التيسير» (ص: ١٨٦)، و«الكامل في القراءات» للهذلي (ص: ٦٢٧). وقراءة حمزة المشهورة عنه: ﴿يَزِفُّونَ﴾ مثل باقي السبعة.

يقولُ: أتعبدون أصناماً تعمَلونها أنتم، وتترُكون عبادةَ اللهِ الَّذي خلقَكم وأوجدَكم؟!

❁ ❁ ❁

(٩٦ ـ ٩٧) ـ ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ لَهُۥ بُنْيَٰنًا فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾: أي: مِن الأصنامِ، ويقعُ أيضاً على الأعمالِ، وهوَ دليلُ خلْقِ الأفعالِ أيضاً.

وقولُه تعالى: ﴿قَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ لَهُۥ بُنْيَٰنًا﴾: لَمَّا لزِمَتْهمُ الحُجَّةُ وعجَزوا عن مُحاجَّتِه صاروا إلى قصْدِ هلاكِه[1]، مُعاندين في مُخالفتِه، فتشاوروا فيما بينهم، فاتَّفقَ رأْيُهم على أنْ يَبنوا له بُنْياناً يملؤونه حطَباً، فيُضْرِمونه فيُلْقونه فيه.

وقولُه تعالى: ﴿فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ﴾: أي: النَّارِ الموقدةِ.

❁ ❁ ❁

(٩٨) ـ ﴿فَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿فَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا﴾: أي: قصَدوا أنْ يكيدوا به كما كادَ هو بأصنامِهم.

﴿فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ﴾: أي: أعليناهُ عليهم بالظَّفَرِ والنَّجاةِ مِن قصدِهم، فجعَلْنا النَّارَ عليه برْداً وسلاماً، وقد بيَّنا قصَّتَه في سورةِ الأنبياءِ.

❁ ❁ ❁

(٩٩) ـ ﴿وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى﴾: أي: وقال إبراهيمُ حينَ خلَّصَه اللهُ مِن النَّارِ: إنِّي مهاجرٌ مِن بلدِ قومي ومِن مولِدي إلى حيثُ أتمكَّنُ مِن عبادةِ ربِّي.

---

(١) في (أ): «هلاكته».

﴿سَيَهۡدِينِ﴾: أي: إلى الصَّوابِ فيما نويتُه(١)، فيُبَلِّغُني إلى حيثُ أصِلُ فيه إلى ما أريدُ.

قيل: خرَجَ إلى بيتِ المقدسِ، وخرجَ أوَّلاً إلى حرَّانَ، فأقامَ بها مُدَّةً.

وظاهرُه يحتمِلُ وجهين:

أحدُهما: أنَّه يكونُ قصَدَ موضِعاً بعينِه، وأرادَ بقولِه: ﴿سَيَهۡدِينِ﴾، أي: سيُرشِدُني إلى مقصِدي.

ويحتملُ أنَّه قصَدَ المهاجَرةَ ولمْ يُعيِّنْ موضِعاً، وأراد بقولِه: ﴿سَيَهۡدِينِ﴾؛ أي: يثيبني ويختارُ(٢) لي موضِعاً هو أهدى لي ويُبَلِّغُني إليه.

وقيلَ: قالَ ذلكَ حينَ رُمِيَ به في النَّارِ، فقالَ: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي﴾، أي: وطَّنْتُ نفْسي على موتي ولقاءِ ربِّي، ﴿سيهديني﴾: أي: يُثبِّتُني(٣) على صبْري.

* * *

(١٠٠ ـ ١٠١) ـ ﴿رَبِّ هَبۡ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٠٠ فَبَشَّرۡنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٖ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿رَبِّ هَبۡ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾: سألَ اللهَ أنْ يرزُقَه ولداً صالحاً يستأنِسُ به في غُرْبتِه وينفرجُ به عن كربتِه، وتقديرُه: هبْ لي صالحاً مِنَ الصَّالحين؛ أي: ولداً صالحاً يصلُحُ لِمَا صلَحَ له(٤)، فيصبرُ على البلاءِ كصبرِه، ويقومُ في الذَّبِّ عن دينِ اللهِ كقيامِه، فاستجابَ اللهُ له، فوهَبَ له ولداً كذلك:

---

(١) في (ر): «آتيه».

(٢) «أي: يثيبني ويختار» من (ر)، وفي (أ) و(ف) بدلا منها: «سيختار».

(٣) في (أ) و(ر): «يثيبني».

(٤) في (أ): «يصلح لما صلح»، وفي (ر): «يصلح لما يصلح عليه له».

﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾: أي: بولدٍ ذكَرٍ يكونُ حليماً إذا كبرَ؛ أي: لا يعجَلُ في الأمورِ، ويتحمَّلُ المشاقَّ.

وفيه دليلٌ على أنَّ الولدَ هبةٌ مِن اللهِ، وأنَّ سؤالَ الولدِ مِن اللهِ تعالى جائزٌ، لكنَّه يسألُه صالحاً في الدِّينِ، لا لذَّةً لنفسِه، وعوناً على أمورِ دنياه(١)، قال زكريَّا عليه السَّلامُ: ﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا﴾ [مريم: ٥].

وقالَ إبراهيمُ: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾.

وقالَ زكريَّا أيضاً: ﴿هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾ [آل عمران: ٣٨].

وقال عبادُ الرَّحمنِ: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ [الفرقان: ٧٤].

* * *

(١٠٢) ـ ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ﴾: أي: فبشَّرْناه بولدٍ صالحٍ ورزقناه ذلك، فلمَّا بلَغَ الولدُ المبلغَ الذي يسعى معه في أموره ويُعينه على أشغاله التي يستعين الآباء فيها بأبنائهم، وذلك وقتُ اغتباطِ الآباء بالأبناء.

وقيل: أي: لمـَّا بلَغ في كونه مع إبراهيم أنْ يسعى لله في العبادات والطَّاعات، وذلك بأنْ أدركَ وصار مكلَّفاً، وما بعده في الآية دليلُ ذلك.

﴿قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ﴾: أي: رأيـتُ فيه ﴿أَنِّي أَذْبَحُكَ﴾: أي: بالأمر، ولا يحتمـلُ غير ذلك.

---

(١) وما المانع من أن يسأل الولد لأجل الدين وللعون في أمور دنياه؟!

وقوله تعالى: ﴿فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾: وهو مِن الرَّأي؛ أي: كيف رأيُك فيه: الإمضاءُ أو التَّوقُّفُ؟ وهذا امتحانٌ منه للولد وتعرُّفٌ بحاله أنَّه هل يُجيبه بالسَّمع والطَّاعة، فيتحقَّق عنده أنَّه وهب له صالحاً، ويُقيم أمر الله فيه بمعاونته، وإنْ أجابه بغير ذلك أمضاه أيضاً على كُرْهٍ منه.

وقرأ الكسائيُّ وحمزةُ: ﴿مَاذَا تُرِىٰ﴾ بضمِّ التَّاء وكسر الرَّاء[١]، أي: بماذا تشيرُ وماذا[٢] تُظهرُ مِن نفْسِك.

﴿قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ﴾: أي: ما أُمرتَ به، وإخراجُه على صيغة المستقبل على معنى: افعلْ ما أنتَ يا أبتِ مأمورٌ به الآن.

وقوله تعالى: ﴿سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾: أي: سأصبِرُ على الذَّبح بتوفيق الله وعونه.

قال ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: لمَّا كانت ليلةُ التَّروية رأى إبراهيمُ في المنام كأنَّ قائلاً قال له: إنَّ الله يأمرُك أنْ تذبحَ ابنك هذا، فلمَّا أصبح روَّى في نفْسه؛ أي: فكَّر مِن الصَّباح إلى الرَّواح: أمِنَ اللهِ هذا الحلمُ أم مِن الشَّيطان؟ فمِن ثمَّةَ سُمِّيَ ذلك اليومُ يومَ[٣] التَّروية، فلمَّا أمسى رأى في المنام ثانياً، فلمَّا أصبح عرَف أنَّ ذلك مِن الله تعالى، فسُمِّيَ اليومُ عرفةَ، والموضعُ عرفاتٍ[٤].

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٤٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١٨٦).

(٢) في (أ): «بماذا تشير وبماذا»، وفي (ر): «بما تشير وبماذا».

(٣) «يوم» ليست في (ف)، «ذلك اليوم» ليس في (أ) و(ر).

(٤) رواه بنحوه البيهقيُّ في «شعب الإيمان» (٣٧٨٥) من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، وذكره البغوي في «تفسيره» (١/ ٢٢٩) من هذا الطريق أيضاً، والكلبي متروك، وأبو صالح لم يسمع من ابن عباس، وذكره دون عزو الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ١٥٦)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٤٨)، والزمخشري في «الكشاف» (٤/ ٥٤).

وقال وهْبٌ: فلمَّا أراد إبراهيم أنْ يذهبَ بإسماعيل عليه السَّلام إلى المـَنْحَر قال لهاجر: ألبِسي إسماعيلَ أحسنَ ثيابه، فإنِّي ذاهبٌ به إلى ضيافة، فألبَسَتْه ودهَنَتْه، وحمَل معه حبلاً وسكِّيناً، ولم يكن إبليس مِن يوم خلَقه اللهُ أشغلَ ولا أكثرَ تَرداداً[1] منه في ذلك اليوم، فكان إسماعيل يعدو أمام أبيه ويلعب، فجعل إبليسُ لعنه الله يقول لإبراهيم: ألا ترى إلى قوامه وشهامته وحُسْنه، فيقول إبراهيم: أُمِرْتُ بذبحه، فلمَّا أيِسَ مِن جانبه أتى هاجر فقال: ذهب إبراهيم بابنكِ لِيذبحَه، فقالت: ولِمَ يذبحه؟ قال: يقولُ: أمرني بذلك ربِّي، قالت: فمَن أنا حتى أحكمَ على ربي؟ فلما أيِسَ مِن جانبها أتى إسماعيل فقال له: إنكَ تنزو وتلعب، ومع أبيك حبلٌ وسكِّينٌ يريد ذبحك، قال: ولِمَ؟ قال: يزعم أنَّ ربَّه أمره بذلك، قال: فإني لا أريد خِلاف ربي، فلما انتهى به إلى منًى قال له: ﴿يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ﴾، ﴿قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[2].

قال الإمام أبو منصور رحمه الله: فيه دلالةٌ أنَّه لا كلُّ مأمورٍ بأمر مِن الله شاء الله أنْ يفعل ما أمره به، حيث أخبره أنَّه سيجده مِن الصَّابرين إن شاء الله، وقد كان إبراهيم مأموراً بذبح ولده، فإذا أُمِرَ هو بالذَّبح أُمِرَ الولدُ أنْ يصبر عليه، ثم أخبر أنَّه سيصبر عليه إن شاء الله، فدلَّ على ما ذكَرْنا، وهو حُجَّة لنا على المعتزلة خذلهم الله[3].

---

(١) في (ر) و(ف): «ترددا».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٥٩٠) بزيادة واختلاف من حديث كعب، والذبيح فيه هو إسحاق، وزوجته سارة.

وذكر نحوه الخازن في «تفسيره» (٤/ ٢٣) من رواية كعب الأحبار وابن إسحاق.

(٣) «خذلهم الله» ليس من (أ). وانظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٨/ ٥٧٨).

(١٠٣) ـ ﴿فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَسْلَمَا﴾: قيل: أي: انقادا لأمر الله.

وقيل: أيْ: سلَّما أنفسَهما للائتمار.

﴿وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ﴾: أي: وصرَعه على الجبين؛ أي: جانب الجبهة، ولها جنبتان يكتنِفانها، وكان هذا إضجاعاً على الجنب كإضجاع الشَّاة للذَّبح.

وقال المفسرون: صرَعه على جبهته؛ لئلَّا يراه حين يذبحه، ولئلَّا ينظر الابن إلى أبيه وهو يذبحه، فيورثَ ذلك رقَّةً أو خِيفةً فيخلَّ بالطَّاعة.

* * *

(١٠٤ ـ ١٠٥) ـ ﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۝١٠٤ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ﴾: قال الفراء وغيره: الواو مُقحَمةٌ زائدةٌ[1]، ومعناه: ناديناه[2]، جواباً لقوله: ﴿فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ﴾، وهو كقوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ [الزمر: ٧٣]، وكقوله: ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓا۟ أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ﴾ [يوسف: ١٥].

وقولُه تعالى: ﴿قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ﴾: أي: حقَّقْتَ ما أمرناك به في المنام مِن تسليم الولد للذبح.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٩٠)، و«تفسير الثعلبي» (٥/ ٢٠١).

(٢) ومنهم من قدر جواب «لما» محذوفاً، والتقدير: سعدا وأجزل لهما الثواب، ونحوه من التأويلات، والواو عاطفة على أصلها، وهو مذهب البصريين، قالوا: والقول بالتقدير خير من الحكم بالزيادة، لا سيما في كتاب الله تعالى. انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (٣/ ٢٩٢)، و«الدر المصون» للسمين الحلبي (٩/ ٣٢٤).

﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ﴾: نوفِّقُ للإحسان مَن نوى الإحسان، وأحسنَ النِّيَّةَ وأخلصَها وصحَّحها[1] وصمَّمها.

* * *

(١٠٦) - ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ﴾.

﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ﴾: أي: الاختبارُ الظَّاهرُ لإظهارِ ما علِمَ الله على ما عَلِم الله[2]، ويُستعمل البلاء في المكروه والمحبوب؛ أي: المحنةِ والنِّعمة، ويصلُح هذا لكل واحد منهما؛ أي: قولُنا لك: ﴿قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ﴾ وإسقاطُ حقيقة الذبح عنك نعمةٌ، وأمرُنا إياك بذبح ولدك مِحْنةٌ.

* * *

(١٠٧) - ﴿وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿وَفَدَيْنَٰهُ﴾: أي: الولدَ ﴿بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾؛ أي: ما يُذبح مكانه، وهو عظيمٌ في هيئته، وعظيمٌ في خطَره ورِفعته؛ لأنه كان يَرعى[3] في الجنة أربعين عاماً.

قال عثمان بن حاضر[4]: هبَط عليه الكَبْشُ مِن ثَبِير[5]، وكان رعى في الجنة أربعين سنة[6].

---

(١) «وصححها» ليست في (أ).

(٢) «على ما علم الله» من (ر) و(ف).

(٣) في (أ) و(ف): «رعى».

(٤) عثمان بن حاضر الحميري، ويقال: الأزدي، روى عن ابن عباس، وأنس، وجابر وغيرهم، قال عنه أبو زرعة: يماني حميري ثقة، وذكره ابن حبان في «الثقات»، وروى له أبو داود وابن ماجه. انظر: «تهذيب الكمال» للمزي (١٩/ ٣٤٩)، و«تاريخ الإسلام» للذهبي (٣/ ٢٧٥).

(٥) ثبير: من أعظم جبال مكة. انظر: «معجم البلدان» (٢/ ٧٢).

(٦) رواه عنه عبدُ بن حميد كما في «الدر المنثور» (٧/ ١١٢).

وقيل: ثمانين سنة.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: نزل عليه تَيْسٌ مِن ثَبير، أقرنُ له ثُغاءٌ[١]، وهو الكبش الذي قرَّبه ابن آدم فتُقُبِّل منه، وكان مخزوناً في الجنة[٢].

قال الكلبي رحمه الله: وأخذ إبراهيم الشَّفْرة ليذبحَه، قال إسماعيل: يا أبتِ! أوثِقْني، فإني أخاف أنْ أجدَ حدَّ[٣] السِّكين فأضطربَ فأشقَّ عليك، واصرفْ وجهك عني، فإني أخاف أنْ ترحمني فيَشقَّ عليَّ[٤].

وفي حديث وهب قال له: اشدُدْ وَثاقي، فإني أخاف أنْ يفارقَني عقلي، ويتحرَّكَ منِّي عضو فيؤذيَك، وأنا أكره أنْ أختِمَ عمري بذلك، فإذا فرَغْتَ مِن أمركَ، فاقرأ على أمي مني السَّلام، وقل لها: لا تجزعي، فإن الله قد أحرز لكِ ابنكِ في الجنة خالداً مخلَّداً، فلما وضَعَ السِّكينَ عليه ليذبحه نودي: يا إبراهيمُ! ارفع رأسكَ، فاذبح هذا الكبش الذي ينحدرُ عليك مكانَ ابنكَ، فرفع إبراهيم رأسه فإذا هو بكبش ينحدرُ عليه مِن الجبل المشرف على مسجد منًى أقرنَ أملحَ، فقام إليه إبراهيم ليذبحه، فهرب الكبش، فاتَّبَعه إبراهيم، فانتهى به إلى جمرة العقَبة، فاضطرَّ عندها، ثم أخذه، ثم أقبل به نحو ابنه[٥]، حتى انتهى به إلى ما بين الجمرتين، فرمى بنفْسه فلم يُطِقْه

(١) الثُّغاء: صوت الغنم، والفعل: «ثغا يثغو». انظر: «تهذيب اللغة» للأزهري (٨/ ١٥٩).

(٢) أخرجه بهذا السياق ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٢٢١ ـ ٣٢٢٤)، وكون الكبش الذي ذبحه إبراهيم هو نفسه الذي قربه ابن آدم أخرجه من قول ابن عباس أيضاً الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٨٧).

(٣) في (ر): «حز».

(٤) روى نحوه سعد بن منصور وابن المنذر عن عطاء بن يسار فيما نقله السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ١١٣)، ورواه الإمام أحمد من وجه آخر من حديث ابن عباس رضي الله عنهما (٢٧٩٤)، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٥٨٥) عن مجاهد، ولم أقف عليه للكلبي.

(٥) «نحو ابنه» ليس من (ف).

إبراهيم، فذبحه مكانه، فصار الذبح هنالك، ثم جاء إلى ابنه فحلَّه[١].

وفي حديث وهب: فإذا بكبش مثلِ بدنِ الفيل العظيم قد لوى قرْنَه الأيمن على ساقِ سمُرةٍ غليظةٍ، لم يكن ليحبِسَه إلا ذلك.

ولما ذبح الكبش أوحى الله إلى هذا الولد أنِ ادعُ، فإن لكَ دعوةً مستجابةً، فقال: اللهم إني أدعوكَ أن تستجيبَ لي: أيُّما عبد مِن الأولين والآخرين لقِيَكَ لا يُشرِك بكَ شيئاً أنْ تدخلَه الجنة، فقال: لكَ ذلك[٢].

***

(١٠٨) ـ ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ﴾: أي[٣]: على إبراهيم ثناءً حسناً ﴿فِي الْآخِرِينَ﴾: في الأنبياء بعده.

وقيل: في الأمم بعده.

وقيل: في أمة محمد، فكلٌّ ينتمي إليه ويُصلي ويُسلِّم عليه.

وقيل: تَرَكَ مناسكه ونسائكه فيمَن بعده.

وقيل: هو ما استجاب مِن قوله: ﴿وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾ [الشعراء: ٨٤].

---

(١) ذكر الثعلبي نحوه مطولاً في «تفسيره» (٨/ ١٥٤) عن محمد بن إسحاق بن يسار، ولم أقف عليه لوهب.

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣/ ٩٨)، والطبري في «تفسيره» (١٩/ ٥٩٠)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٦٠٨) عن كعب، والذي في هذه الرواية إسحاق لا إسماعيل، وهذا قول أهل الكتاب، فالخبر من الإسرائيليات التي عرف عن كعب روايتها.

(٣) في (أ): «يعني».

(١٠٩ ـ ١١١) ـ ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

وقيل: هو ما بعده: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾: على ما شرحناه في قصة نوحٍ مِن هذه السورة.

وقولُه تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: هو على ما فسَّرناه في قصة نوح عليه السلام، وكرَّر قوله: ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ في حق إبراهيم عليه السلام؛ لاختلاف الإحسانَين والجزاءَين، وهو ما ذُكِر ثمَّةَ وهاهنا.

قولُه تعالى: ﴿وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾: قيل: وجزيناه على صبره في حقِّ إسماعيل أنْ بشَّرناه بولد آخر، وهو إسحاقُ، ﴿نَبِيًّا﴾ نصبٌ على القطع؛ لأنه نكرةٌ نُعِت به معرفةٌ، ﴿مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ كالولد الأول.

* * *

(١١٣) ـ ﴿وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ﴾.

﴿وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ﴾: أي: على إبراهيم ﴿وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ﴾: ولدِه، أي: أدَمْنا عليهما البركاتِ، وكثَّرْنا نَسْلَهما.

﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ﴾: لما ذكَرَ البركة عليهما ـ ومنها[1] كثرةُ نسلِهما ـ وظاهرُه للثَّناء بها، ذكَرَ أنَّ من ذُرِّيتهما محسناً فله جزاء المحسنين، ومسيئاً فله جزاء المسيئين، وأنه[2] يُميِّزُ بينهما، وإنْ كانا من نسلِهما يُعرِّفُ عبادَه أنَّ الجزاء لا يُستَحقُّ بصلاح الآباء، وإنما يُستَحقُّ بالأعمال الحسنة.

---

(١) في (أ) و(ر): «منهما».

(٢) في (أ): «والله».

ثم اختلفوا: في أنَّ الولدَ المأمور بذبحه إسماعيلُ أو إسحاقُ؟

قال خوَّات بن جُبير، وسعيد بن المسيَّب، ويوسف بن مهران، وعمر بن عبد العزيز، وسعيد بن جُبير، وأبو الجَلْد[1]، وعطاءٌ، والضَّحاك، وأبو صالح، والكلبيُّ، ومحمد بن كعب القُرَظيُّ، وعليُّ بن الحسين، وأبو جعفر محمد بن علي، وزيد بن علي، ومعاوية، وابن عباس[2]، ومجاهد، وابن عمر، وأبو هريرة، والحسن، ووهْب بن منبِّه رضي الله عنهم: إنه إسماعيل[3].

وقال العبَّاس، وعمر، وعثمان، وابن مسعود، وعبد الله بن سلام، وجابر بن عبد الله، وأبيُّ بن كعب، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وأبو سعيد الخدري، وأبو الدرداء، وكعب الأحبار، وعبيد بن عمير، وعبد الله بن أبي الهذيل، وأبو ميسرة، وابن سابط، والسُّدِّيُّ، ومسروق، وعثمان بن حاضر، وقتادة، وعكرمة، وعطاء الخُراساني، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وأبو اليمان: هو إسحاق عليه السلام[4].

---

(١) في (ر) و(ف): «الخالد»، وهو تصحيف.

(٢) في (أ): «إسحاق».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٥٩٢ ـ ٥٩٨) عن ابن عمر، وابن عباس، والشعبي، ويوسف بن مهران، ومجاهد، والحسن، ومحمد بن كعب القرظي، وعمر بن عبد العزيز، ومعاوية.
وذكره ابن كثير في «تفسيره» (٧/ ٣٣) أيضاً عن سعيد بن جبير، وعطاء، والثعلبي في «تفسيره» (٨/ ١٥١) عن أبي الطفيل عامر بن واثلة، وسعيد بن المسيب، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٣/ ٥٤٧) عن عبد الله بن سلام، والقرطبي في «تفسيره» (١٥/ ١٠٠) عن الكلبي، ورواه الحاكم في «مستدركه» (٤٠٤٠)، عن خوات بن جبير.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٥٩٢) عن العباس، وابن عباس، وابن مسعود، وكعب، ومسروق، وعبيد بن عمير، وعبد الله ابن أبي الهذيل، وابن سابط، وأبي ميسرة.
ورواه الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ١٥١) أيضاً عن عمر بن الخطاب، وسعيد بن جبير، وعطاء، ومقاتل، والزبيري. =

فمَن جعله إسحاق احتجَّ بما رُوي في الخبر أنَّ يوسف صلوات الله عليه كان يقول: أنا يوسف صدِّيقُ الله ابنُ يعقوبَ إسرائيلِ الله ابنِ إسحاقَ ذبيحِ الله ابنِ إبراهيمَ خليلِ الله(١).

= وذكره ابن كثير في «تفسيره» (٧/ ٣٣) أيضا عن علي، وعكرمة، وسعيد بن جبير، ومجاهد، والشعبي، وزيد بن أسلم، وعبد الله بن شقيق، والزهري، والقاسم بن أبي بزة، ومكحول، وعثمان بن حاضر، والسدي، وقتادة.

وذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» (٣/ ٥٤٧) أيضاً عن أبي هريرة، وأبي موسى الأشعري، ووهب بن منبه.

وهو القول الذي رجحه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٥٩٨)، والقرطبي في «تفسيره» (١٨/ ٦٣)، وقال القرطبي: وهذا القول أقوى في النقل عن النبي ﷺ وعن الصحابة والتابعين.

ورد ذلك ابن كثير في «تفسيره» (٧/ ٣٣) فقال: وهذه الأقوال [القائلة بأن الذبيح هو إسحاق] ـ والله أعلم ـ كلها مأخوذة عن كعب الأحبار، فإنه لما أسلم في الدولة العمرية جعل يحدث عمر عن كتبه، فربما استمع له عمر، فترخص الناس في استماع ما عنده، ونقلوا عنه غثها وسمينها، وليس لهذه الأمة ـ والله أعلم ـ حاجة إلى حرف واحد مما عنده، وقد ورد في ذلك حديث ـ لو ثبت لقلنا به على الرأس والعين ـ ولكن لم يصح سنده.

وقال الحاكم في «مستدركه» (٢/ ٦٠٩): وقد كنت أرى مشايخ الحديث قبلنا وفي سائر المدن التي طلبنا الحديث فيه وهم لا يختلفون أن الذبيح إسماعيل.

(١) رواه الطبراني في «الكبير» (١٠٢٧٨) موقوفاً على ابن مسعود. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ٢٠٢): فيه بقية مدلس، وأبو عبيدة لم يسمع من أبيه.

ورواه أيضاً في «الكبير» (٨٩١٦) موقوفا عليه. قال الهيثمي: رواه الطبراني موقوفاً بإسنادين، رجال أحدهما ثقات غير أن مشايخ الطبراني لم أعرفهم.

ورواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٥٩٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١١٧٠٨) من حديث أبي ميسرة التابعي.

وقد روى البخاري (٣٣٥٣)، ومسلم (٢٣٧٨)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال لما سئل عن أكرم الناس: «فيوسف نبي الله، ابن نبي الله، ابن نبي الله، ابن خليل الله». لم يقل: (ذبيح الله).

ومَن جعله إسماعيل احتجَّ بقوله عليه السلام: «أنا ابن الذَّبيحين»[١]، وعنى بأحدهما أباه عبد الله، وقصَّتُه معروفةٌ، وبالثاني إسماعيل.

وبقول الله تعالى: ﴿فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ﴾، فلما بشِّرتْ سارة بأنَّ لها من ولدها إسحاقَ نافلةً هو يعقوب، وعلِم بذلك إبراهيم، كان يتيقَّن أنَّ إسحاق لا يُذبحُ، فلا يتحقَّق الابتلاء بأمره بذبحه.

ولأنه[٢] قال في هذه السورة بعد تمام قصة الولد: ﴿فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ﴾، فكان التبشير بإسحاق بعد مُضيِّ هذه القصة.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: لا حاجةَ بنا إلى معرفة ذلك الولد بعينه، ولو كانت بنا حاجةٌ[٣] إليه لبيَّنَ الله تعالى لنا ذلك[٤].

---

(١) لا أصل له بهذا اللفظ، كما ذكر ابن حجر والزيلعي فيما نقله العجلوني في «كشف الخفاء» (١/ ٢٢٦).

وقد روى الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٥٩٧)، والحاكم في «المستدرك» (٤٠٣٦) عن الصنابحي قال: كنا عند معاوية بن أبي سفيان، فذكروا الذبيح إسماعيل أو إسحاق، فقال: على الخبير سقطتم، «كنا عند رسول الله ﷺ، فجاءه رجل، فقال: يا رسول الله! عد علي مما أفاء الله عليك يا ابن الذبيحين، فضحك عليه الصلاة والسلام»، ثم ذكر أن الذبيح الأول والده عبد الله، والثاني إسماعيل.

قال ابن كثير في «تفسيره» (٧/ ٣٥): هذا حديث غريب جداً. وضعفه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ١٠٦).

(٢) في (ر): «ثم»، و(ف): «لأنه».

(٣) في (أ): «حاجة التعيين».

(٤) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٨/ ٥٧٦)، وأسوقه بلفظه لنفاسته، قال: (فلا حاجة لنا إلى معرفة ذلك أنه فلان أو فلان، إذ لو كان لنا إلى بيان ذلك حاجة لبين وأزال الإشكال، واختلاف الناس في ذلك والتكلم فيه فضل وتكلف، إذ لا يحتمل أن يكون بالناس حاجة إلى معرفة ذلك وبيانه، ثم لا يبين لهم ولا يعرف ذلك، فدل ترك التنازع لذلك على أن لا حاجة لهم إلى ذلك). ونحوه قال الزجاج في «معاني القرآن» (٤/ ٣١١).

(١١٤ ـ ١١٦) ـ ﴿ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١١٤﴾ وَنَجَّيْنَٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾ وَنَصَرْنَٰهُمْ فَكَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴾.

قولُه تعالى: ﴿ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴾: أي: تفضَّلْنا عليهما بإيتاء النبوة والرسالة وغير ذلك مما يكثُرُ، قال الله تعالى: ﴿قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ [طه: ٣٦] إلى قوله: ﴿ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ ﴾ [طه: ٣٧] الآيات.

وقولُه تعالى: ﴿ وَنَجَّيْنَٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا ﴾: أي: بني إسرائيل ﴿مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ﴾؛ أي: الغمِّ الذي يأخذ بالنَّفْس مِن الاستعباد من فرعون وقومه وسائر المِحَن.

وقولُه تعالى: ﴿ وَنَصَرْنَٰهُمْ ﴾: أي: موسى وهارون وقومهما على فرعون وقومه ﴿فَكَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ﴾: بالحُجَّة والقوة ووجوه النُّصْرة.

***

(١١٧ ـ ١٢٢) ـ ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١١٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾.

﴿ وَءَاتَيْنَٰهُمَا ﴾: أي: موسى وهارون ﴿ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ ﴾؛ أي: البيِّنَ الظاهر الواضح، وهو التوراة.

﴿ وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾: أي: أرشَدْناهما إلى الدين الحق، ثم أمَرْناهما بدعاء الناس إليه.

﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴾: له وجهان كما مرَّ في ذِكْر نوح عليه السلام.

﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾: وقد فسَّرْناه في ذِكْر نوح.

(١٢٣ ـ ١٢٥) ـ ﴿ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾: أي: ألا تخافون الله؟! استفهامٌ بمعنى الأمر.

وقولُه تعالى: ﴿ أَتَدْعُونَ بَعْلًا ﴾: قال عكرمة ومجاهد وقتادة والسُّدِّي: البَعْلُ: الرَّبُّ في لغة أهل اليمن، يقال: هذا[1] بَعْلُ هذا الثوب؛ أي: ربُّه[2].

وقال الحسن والضحاك وابن زيد: هو اسمُ صنمٍ لهم، وبلاد هؤلاء كانت (بَعْلَبَكَّ) بنواحي الشام[3].

وقيل: إنَّ البَعْل كانت امرأةً يعبدونها.

وقولُه تعالى: ﴿وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾: أي: وتتركون عبادة الله الذي هو أحسن المـُقدِّرين والمصوِّرين، ولا خالقَ إلا الله؟!

والخَلْقُ حقيقةً هو الاختراع، ويُستعمل في التقدير، والمراد به هاهنا ذلك.

* * *

(١٢٦ ـ ١٢٨) ـ ﴿ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾.

﴿ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾: قرأ حمزة والكسائي وحفصٌ عن عاصم بالنصب؛ لأنه نعتُ قولِه: ﴿أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾.

---

(١) في (أ): «هو».

(٢) رواه الطبري عنهم في «تفسيره» (١٩/ ٦١٢ ـ ٦١٣).

(٣) رواه عن الضحاك وابن زيد الطبريُّ في «تفسيره» (١٩/ ٦١٤)، وعن الحسن يحيى بن سلام في «تفسيره» (٢/ ٨٤٠).

وقرأ الباقون بالرفع على الابتداء والخبر، أو على إضمار: هو[١].

قولُه تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾: أي: استحقُّوا إحضارَ عذاب النار.

وقولُه تعالى: ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾: استثنى الذين أخلصوا العبادة لله، والذين أخلصهم الله بالإيمان منهم، وبيَّنَ أنهم لا يحضُرون العذاب.

ويجوز أن يكون الاستثناء منقطعاً؛ أي: لكنَّ هؤلاء لا يحضُرون النار.

* * *

(١٢٩ ـ ١٣٢) ـ ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ (١٢٩) سَلَامٌ عَلَى إِلْ يَاسِينَ (١٣٠) إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٣١) إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾: فسَّرْناه.

﴿سَلَامٌ عَلَى إِلْ يَاسِينَ﴾: قرأ نافع وابن عامر: ﴿على آل ياسين﴾، والباقون ﴿على إل ياسين﴾[٢].

﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٣١) إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾: فسَّرْناه.

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: إلياسُ هو إدريسُ[٣].

وقال محمد بن إسحاق: هو إلياس بن قيس[٤] بن فِنْحاص بن العَيْزار بن هارون بن عمران.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ١/ ٥٤٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١٨٧).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ١/ ٥٤٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١٨٧).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٣٨٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٣٣٦)، والثعلبي في «تفسيره» (٨/ ١٥٨) ثم قال: وإلى هذا ذهب عكرمة، وقال: هو في مصحف عبد الله: وإن إدريس لمن المرسلين، وتفرد عبد الله وعكرمة بهذا القول.

(٤) كذا في النسخ الثلاث، وقد ذكره عنه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٦١٢)، وفيه: إلياس بن تسبي، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٥٢)، وفيه: إلياس بن بشر.

والقيِّمُ بأمور بني إسرائيل بعد يُوشَع كان كالِبَ بنَ يُوقَنا ثم حِزْقيلَ مِن بعدِه، ولما قُبِض حِزْقيل كثُرت الأحداث في بني إسرائيل، وتركوا عهد الله الذي عهِدَ إليهم في التوراة، وعبَدوا الأوثان، وبعث الله إليهم إلياس نبياً في عهد ملك من ملوك بني إسرائيل يقال له: أَحابُ[1]، فكان إلياس يقيم له أمره، وكان سائرُ بني إسرائيل قد اتخذوا صنماً يعبدونه من دون الله يقال له: بعل[2].

فأما قولُه: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلۡ يَاسِينَ﴾ فله وجهان:

أحدُهما: أنَّ ﴿إِلۡيَاسَ﴾ زِيد في آخره ياء ونون لِتَسْتويَ الفواصلُ؛ كما في قوله: ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾ [التين: ٢]، وفي آية[3] أخرى: ﴿مِن طُورِ سَيۡنَآءَ﴾ [المؤمنون: ٢٠].

والثاني: أنَّه إلياسُ ومُتَّبِعوه؛ صار جمعاً بهم؛ كما يقال: المـُهَلَّبون، للمُهَلَّب وأتباعه.

ومَن قرأ: ﴿آل ياسين﴾ فقد قيل: هم أهل القرآن، و(ياسين) سورةٌ منها، والإضافةُ إليها إضافةٌ إلى كل القرآن معنًى؛ كما قال عليه الصلاة والسلام في حديث حرب[4] حُنين: «يا أصحاب سورة البقرة»[5].

وقيل: «ياسين» اسم رسول الله ﷺ، و«إلْ ياسين» آل محمد عليه السلام.

***

---

(١) في (أ) و(ف): «أجاب».

(٢) رواه مطولًا الطبري في «تفسيره» (٤/ ٤٣٧) من طريق محمد بن إسحاق عن وهب بن منبه.

(٣) في (أ): «رواية».

(٤) في (أ): «في حديث في حرب».

(٥) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (١٧٧٦).

(١٣٣ ـ ١٣٨) ـ ﴿ وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ نَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٣٥﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿١٣٦﴾ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِٱلَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ نَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ﴾: قد فسَّرْناها مرات[1].

﴿ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴾: أي: أهلكناهم.

﴿وَإِنَّكُمْ﴾: يا مَعْشَر العرب ﴿لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم﴾؛ أي: على بلادهم ﴿مُّصْبِحِينَ﴾: نصبٌ على الحال، أي: داخلين في وقت الصباح.

﴿وَبِٱلَّيْلِ﴾: أي: وتمرُّون عليهم بالليل أيضاً، فكانت مدائنُ[2] قوم لوط في أرض العرب، وكانوا يسافرون ويتكرَّرُ مرورهم عليها بالليل والنهار، وهو داعٍ إلى الاعتبار.

وقولُه تعالى: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾: أفليس لكم عقول تتأمَّلون بها أنَّهم ماذا فعلوا وماذا فعلنا بهم كذلك، فتتَّقوا مثلَ فعلهم لئلَّا[3] تُجازَوا مثلَ جزائهم.

* * *

(١٣٩ ـ ١٤٠) ـ ﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴾: الإِباق: الفرارُ إلى حيث لا يهتدي إليه الطلاب؛ أي: خرج من بين قومه حين[4] كذَّبوه من غير علمِ قومِه بخروجه.

---

(١) في (أ): «فسرناها» بدل: «قد فسرناها مرات».

(٢) في (أ) و(ف): «مدن».

(٣) في (ر): «كيلا».

(٤) في (ف): «حيث».

وقيل: هو في معنى قوله: ﴿إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا﴾ [الأنبياء: ٨٧].

وقيل: فرَّ بدينه إلى حيث يَسْلَم.

وقيل: خرج خائفاً على نفْسه منهم.

وقيل: خائفاً نزولَ العذاب.

﴿إِلَى ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ﴾: أي: السفينةِ المملوءة، وهو واحد هاهنا مذكَّرٌ، والاسم يصلُح للجمع، وقد يؤنَّثُ.

* * *

(١٤١ ـ ١٤٣) ـ ﴿فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُدۡحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَٱلۡتَقَمَهُ ٱلۡحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٞ ﴿١٤٢﴾ فَلَوۡلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُسَبِّحِينَ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿فَسَاهَمَ﴾: أي: قارَعَ بإلقاء السِّهام.

﴿فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُدۡحَضِينَ﴾: أي: مِن الذين خرجت عليهم القُرْعة.

﴿فَٱلۡتَقَمَهُ ٱلۡحُوتُ﴾: أي: فألقى نفْسه في البحر لوقوع القُرْعة عليه، فابتلعه السمك.

﴿وَهُوَ مُلِيمٞ﴾: أي: آتٍ[1] بما يُلام عليه، وهو الخروج قبل أنْ يُؤمر به.

وقولُه تعالى: ﴿فَلَوۡلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُسَبِّحِينَ﴾:

قيل: أي: مِن المصلِّين قبل ذلك، وكان كثير الصلاة. قاله قتادة[2].

وقيل: أي: المنزِّهين اللهَ بكلمة التسبيح، وكان كثير الذكر لله تعالى والتسبيح.

---

(١) في (أ): «أتى».

(٢) رواه عن قتادة الطبريُّ، وروى نحوه عن ابن عباس، وسعيد بن جبير، والسدي. انظر: «تفسير الطبري» (١٩/ ٦٢٨ ـ ٦٣٠).

وقيل: فلولا أنه صار مِن المسبِّحين؛ كقوله: ﴿فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ﴾، وهو قوله في الظُّلُمات: ﴿سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧]. قاله سعيد بن جبير[١].

* * *

(١٤٤ ـ ١٤٥) ـ ﴿لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۝١٤٤ فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ﴾.

﴿لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِۦٓ﴾: أي: بقِيَ في بطن الحوت ﴿إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾؛ أي: يوم تُبعَثُ الخلائق، وهو يومُ القيامة؛ أي: لبقِيَ فيه حتى يُحشَرَ يومئذ من بطن الحوت، وسائرُ الناس من القبور.

وفيه دليلٌ على أنَّ إخلاص[٢] العمل في الرَّخاء سببُ خَلاص العبد حالةَ البلاء.

وقولُه تعالى: ﴿فَنَبَذْنَٰهُ﴾: أي: ألقيناه، يعني: أخرجناه من بطن الحوت وألقيناه ﴿بِٱلْعَرَآءِ﴾؛ أي: الفضاء، وهو الصحراء الخالية عن البِناء والأشجار وما يُظِلُّ، مِن التَّعرِّي.

﴿وَهُوَ سَقِيمٌ﴾: أي: سقيمُ البدن، قد رقَّ بدنه وضعُفَ ولطُفَ، وصار لا يطيق حرَّ الشمس وهُبوب الريح.

* * *

(١٤٦) ـ ﴿وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ﴾.

---

(١) رواه عنه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٦٢٩)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ١٧٠)، والواحدي في «البسيط» (١٩/ ١٠٩).

(٢) في (أ) و(ف): «إحسان».

﴿وَأَنۢبَتۡنَا عَلَيۡهِ شَجَرَةً مِّن يَقۡطِينٖ﴾: قال أهل اللغة: هو كل شجرة ليس لها ساقٌ، ولها ورق عريض[١].

وقال ابن عباس وابن مسعود وقتادة ومجاهد وسعيد بن جُبير: هو القَرْع[٢]، هو[٣] مأخوذ من: قطَنَ بالمكان؛ أي: أقام به، وهي إقامةُ زوال، لا إقامة رسوخ.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: القَرْع أسرع الأشجار نباتاً وامتداداً وارتفاعاً في السماء في مدة لطيفة، ويقرُب الوصول إلى الانتفاع بها أكلاً واستظلالاً.

قال: وروي عن النبي ﷺ أنه قيل له: إنك لتحبُّ القرع؟ قال: «أجل، هي شجرة أخي يونس بن متى وهي تزيد في العقل»[٤].

وقال السُّدِّي: لبِث في بطن الحوت أربعين يوماً، وكذا قال الكلبي ومقاتل.

وقال عطاء: سبعة أيام.

وقال الضحاك: عشرين يوماً.

---

(١) في (ر) و(ف): «عظيم عريض». وانظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٣١٤)، و«مجاز القرآن» لأبي عبيدة (٢/ ١٧٥)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ١٧١) عن ابن عباس والحسن ومقاتل.

(٢) رواه عنهم الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٦٣٤ ـ ٦٣٦).

(٣) «هو» من (أ).

(٤) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٨/ ٥٨٩).

والحديث بهذا اللفظ ذكره الزمخشري في «الكشاف» (٤/ ٦٢)، والقرطبي في «تفسيره» (١٨/ ١٠٤) وغيرهما من غير إسناد.

وقال العراقي: لم أقف عليه، وقال ابن حجر: لم أجده. انظر: «الفتح السماوي» للمناوي (٣/ ٩٥٧).

وقد صح عن النبي ﷺ أنه كان يحب الدباء وهو القرع، كما عند «مسلم» (٢٠٤١) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

وقال ابن حيان: ثلاثة أيام[١]، وعن الحسن كذلك[٢].

وقال الشَّعبي: ما مكث يوماً تامًّا[٣]، التقمَه ضحًى، فلما كان بعد العصر تثاءب الحوت، فرأى يونس ضوء الشمس، فقال: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، فنبَذه وقد صار كأنه فَرْخ[٤].

وقيل: كانت وَعْلَةٌ تختلف إليه، فيشرب من لبنها، لا تفارقه.

وعن الحسن: أنه قيل له: اليقطين هو القَرْع؟ فقال: وما يجعل القَرْع أحقَّ به من البِطِّيخ والقِثَّاء[٥].

وقال مقاتل: مرَّ الزمان على الشجرة فيبِست، فبكى يونس جزَعاً، فأوحى الله إليه: بكيتَ على شجرة يبِسَتْ جزعاً، ولا تبكي على مئة ألف في يد الكفار[٦].

* * *

(١٤٧) - ﴿وَأَرۡسَلۡنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلۡفٍ أَوۡ يَزِيدُونَ﴾.

---

(١) ذكر الأقوال الأربعة الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ١٧٠)، والواحدي في «البسيط» (١٩/ ١٠٩).

(٢) ذكر الزجاج في «معاني القرآن» (٤/ ٣١٣)، والزمخشري في «الكشاف» (٤/ ٦٢) أن الحسن قال: لم يلبث إلا قليلاً.

(٣) في (ر): «كاملا».

(٤) رواه عبد الله بن أحمد في «زوائد الزهد»، وابن المنذر، وابن أبي حاتم والحاكم؛ كما في «الدر المنثور» (٧/ ١٢٧).

وذكره الواحدي في «الوسيط» (٣/ ٥٣٣)، والماوردي في «تفسيره» (٥/ ٦٨).

(٥) لم أقف عليه للحسن، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٦٣٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٦) روى نحوه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٦٣٦) عن سعيد بن جبير، وذكره عن مقاتل البغويُّ في «تفسيره» (٤/ ٤٨)، والزمخشري في «الكشاف» (٤/ ٦٢) بصيغة روي.

وقولُـه تعالـى: ﴿وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾: قال ابـن عباس رضي الله عنهما: أي: بـل يزيدون[1].

وقيل: هو إبهامٌ من الله تعالى على السامعين، وتقديرُه: أرسلناه إلى أحد هذين العددين.

وقيل: هو تشكيك المخاطَبين.

وقيل: أي: هو عند الناظر إليهم كذلك، لا يظُنُّ أنهم دون مئة ألف، ولكن يظُنُّ مئة ألف أو زيادةً على ذلك.

وقيل: ﴿أَوْ﴾ هاهنا للغاية[2]؛ كما في قوله: ﴿تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ﴾ [الفتح: ١٦]، فكأنه قال: وأرسلناه إلى مئة ألف حين أرسلناه إليهم وكان فيهم إلى أنِ ازدادوا على ذلك.

* * *

(١٤٨) ـ ﴿فَـَٔامَنُواْ فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾.

واختُلِف في هؤلاء وفي وقت الإرسال إليهم:

قيل: هم القوم الذين خرج منهم، والإرسالُ كان قبل الخروج منهم، وتقديرُه: وكُنَّا أرسلناه[3] إلى مئة ألف أو يزيدون ﴿فَـَٔامَنُواْ﴾ به بعد مفارقته إياهم ﴿فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾: وقد بيَّنا تلك القصة عند قوله: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ﴾ الآية [يونس: ٩٨].

وقيل: القوم هؤلاء، و(أرسلنا) معناه: أي: وأرسَلْناه إليهم بعد الخروج من بطن

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٦٣٧).

(٢) في (ر) و(ف): «بمعنى الغاية».

(٣) في (أ): «وكما أرسلنا» بدل من «وكنا أرسلناه».

الحوت؛ أي: أعَدْناه إليهم، ﴿فَـَٔامَنُواْ﴾: فجدَّدوا الإيمان به، ﴿فَمَتَّعْنَـٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾: إلى انقضاء آجالهم.

وقد ذكَرْنا قصة الخروج إلى السفينة والخروج من بطن الحوت في سورة الأنبياء.

وروى ابن مسعود عن النبي ﷺ أنه قال: «إنَّ يونس كان أوعَدَ قومه العذاب، وأخبرهم أنه يأتيهم إلى ثلاثة أيام، ففرَّقوا بين كل والدة وولدها، ثم خرجوا فجَأَروا إلى الله تعالى واستغفروه، فكفَّ الله عنهم العذاب، وغدا يونس ينتظر العذاب، فلم ير شيئاً، وكان مَن كذَب ولم يكن له بيِّنة قُتِل، فانطلق مغاضباً حتى أتى قوماً في سفينة فحمَلوه وعرَفوه، فلما دخل السفينة ركَدت والسفينةُ تسير يميناً وشمالاً، فقال: ما لِسفينتكم؟ قالوا: ما ندري، قال يونس: إنَّ فيها عَبْداً آبِقاً، وإنها واللهِ لا تسير بكم إلا أنْ تُلْقوه، قالوا: أمَّا أنتَ يا نبي الله فلا واللهِ لا نُلْقيكَ، قال لهم يونس: فاقترِعوا، فمَن قُرِعَ فليَقَعْ، فقارَعهم يونس، وقال: مَن قُرِع ثلاثاً فليقعْ، فقُرِع يونس ثلاث مرات فوقَع، وقد وُكِّلَ به الحوت، فلما وقع ابتلعه، فأهوى به إلى قرار الأرض، فسمِعَ يونس تسبيح الحصا، ﴿فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَـٰتِ أَن لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَـٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧]، ظُلْمةُ بطن الحوت، وظُلْمةُ البحر، وظُلْمةُ الليل، قال: ﴿فَنَبَذْنَـٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ﴾، قال: كهيئة الفَرْخ المـَمْعُوط الذي ليس عليه رِيشٌ، فأنبَتَ الله عليه شجرة من يقطين، وكان يستظلُّ بها فيُصيب منها، فيبِسَتْ فبكى عليها، فأوحى الله إليه: أتبكي على شجرة أنْ يبِسَتْ ولا تبكي على مئة ألف أو يزيدون أردتَ أنْ تُهْلِكَهم؟ فخرج فإذا هو بغلام يَرعى غنماً، فقال: مَن أنت يا غلامُ؟ قال: مِن قوم يونس، قال: فإذا رجعتَ إليهم فاقرأْ عليهم السلام، وأخبِرْهم أنَّك قد لقيتَ يونس، فقال له الغلام: إنْ تكُ يونسَ فقد تعلَمُ أنَّ مَن كذَبَ ولم تكن له بينة

يُقتَل، فمَن يشهدُ لي؟ قال يونس: تشهدُ لك هذه الشجرة وهذه البقعة، فقال الغلام ليونس: مُرْهما، قال لهما: إذا جاءكما هذا الغلام فاشهدا له، قالتا: نعم، فرجع الغلام إلى قومه، فأتى الملكَ، فقال: إني قد لقيتُ يونس، وهو يقرأ عليكم السلام، فأمر به أن يُقتَل، فقال: إنَّ لي بينةً، فأَرسل معه، فانتهَوا إلى البقعة والشجرة، فقال لهما الغلام: أنا أَنشُدُكما اللهَ: هل أشهدَكما يونس؟ قالتا: نعمْ، فرجع القوم مذعورين، فأتوا الملك فحدَّثوه بما رأوه، فتناول الملكُ بيد الغلام، فأجلسه في مجلسه، فقال: أنت أحقُّ بهذا المكان مني».

قال عبد الله بن مسعود: فأقام به الغلام أربعين سنة(١).

وذُكِرَ أنَّ الله تعالى أوحى إلى يونس عليه السلام بعد نجاته: أنْ قل لفلانٍ الفخَّارِ يكسرِ الجِرار التي عملها بهذه السنة كلها، فقال يونس: يا رب! إنه عمِل مدةً في اتخاذ ذلك، فكيف آمرُه أنْ يكسرَه كله؟! فقال: يا يونس! يرِقُّ قلبُك لخزَّافٍ يُتلِفُ عمَلَ سنةٍ، وأردتَ أنْ أُهلِكَ مئة ألف أو يزيدون من عبادي؟ يا يونس، أنتَ لم تخلقهم ولم توجدهم، ولو كانوا مِن عمَلِكَ لرحمتهم(٢).

* * *

(١٤٩) ـ ﴿ فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿ فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ ﴾: أعاد الكلام إلى مُحاجَّة المشركين في وصفهم اللهَ تعالى باتخاذ البنات.

يقول: فاسأل هؤلاء المشركين عن قولهم: إنَّ الملائكة بنات الله، وإنهم يعبدونهم

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣١٨٦٧)، وابن أبي الدنيا في «العقوبات» (١٧١)، والنحاس في «إعراب القرآن» (٥/ ١٥٢) موقوفاً على ابن مسعود رضي الله عنه.

(٢) ذكره القشيري في «لطائف الإشارات» (٣/ ٢٤٢).

لهذا السبب تقرُّباً به إلى الله: ما حُجَّتهم من العقل أو السمع؟ أفي مُقتضى العقل أنْ يكون لله البناتُ وللمشركين البنون، فيكونَ لكم أفضلُ نوعَيِ الأولاد ولله أَدْوَنُهما؟!

وهو كقوله: ﴿أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ (٢١) تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ﴾ [النجم: ٢١]؛ أي: جائرة.

* * *

(١٥٠ ـ ١٥٢) ـ ﴿أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ (١٥٠) أَلَا إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ (١٥١) وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ﴾: أي: أيدَّعون أنهم شهدوا خَلْقَنا الملائكةَ؛ أي: حضروه فرأوا أنا خلقْناهم[1] إناثاً؟!

وهو كقوله: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا ۚ أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ﴾، وهذا لا يمكنهم أنْ يدَّعوه، وإذا بطَلَ هذا بالعقل ولا مشاهدةَ ثبَتَ كذبُهم، وذلك قولُه:

﴿أَلَا إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ (١٥١) وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾: والإفكُ: الكلام المصروف عن الحق إلى الباطل.

* * *

(١٥٣ ـ ١٥٦) ـ ﴿أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ (١٥٣) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (١٥٤) أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (١٥٥) أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُّبِينٌ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ﴾: دخل ألفُ الاستفهام على ألف «الافتعال»، وهو استفهام بمعنى الإنكار، يعني: أتقولون أنَّه اختار البنات على البنين مع نُقْصانهن رضاً بالأخسِّ، فما حُجَّتكم على ذلك؟

---

(١) في (ر): «أي حضروا فرأوا أنا خلقنا الملائكة»، وليس من (ف).

﴿مَا لَكُمْ﴾: وهو استفهام في معنى التوبيخ؛ أي: وماذا يحمِلُكم على هذا القول بغير حُجَّة؟!

﴿كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾: كذلك أيضاً.

﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾: أي: أفلا تتذكَّرون ما في عقولكم؟! أفلا تتَّعِظون بمواعظ ربكم؟!

﴿أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ﴾: أي: حُجَّةٌ ظاهرة مِن كتاب.

* * *

(١٥٧) ـ ﴿فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.

﴿فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ﴾: أي: الكتابِ الذي أُنزِل عليكم وفيه حُجَّة ذلك.

﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾: في هذه الدَّعوى، فإذا بطَلت الدِّلالة بالعقل أو المشاهدة أو السمع سقَط ذلك وبطَل.

ورُوِي: أنَّ جُهَيْنة وبني سَلَمة بن عبد الدار زعموا أن الملائكة بنات الله[1].

وقال مقاتل بن حيان: زعموا أن الله وإبليس أخوان[2].

وقال الكلبي: زعموا أن الله صاهَرَ إبليس، فولَدت الملائكة، فاتخذهم اللهُ بناتٍ[3].

* * *

(١٥٨) ـ ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا﴾: قيل: قالوا: إنَّ أمهات الملائكةِ بناتُ

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ١٧١)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٦٢)، والواحدي في «البسيط» (١٩/ ١١٨)، وذكر أيضاً من الأحياء التي زعمت أن الملائكة بنات الله خزاعة وبنو مليح.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٦٤٥) عن ابن عباس رضي الله عنه، ولم أقف عليه لمقاتل.

(٣) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٣/ ٥٣٤).

سَرَواتِ الجن[١]؛ أي: ساداتِهم، فقد جعلوا اللهَ أباً، والجنَّ أمهاتٍ، والملائكةَ بناتٍ، وهو نسَبٌ.

وقولُه تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ﴾: وهُمُ الجنُّ[٢].

﴿إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾: أي: يحضُرون الحساب يوم القيامة، وفِعْلُ العِلم واقع على ذلك، وإنما كسر ﴿إِنَّهُمْ﴾ ولم يفتَحْ؛ للجواب باللام: ﴿لَمُحْضَرُونَ﴾.

وإنما قال: ﴿عَلِمَتِ﴾؛ لأنَّ فيهم مؤمنين قد أتوا النبيَّ ﷺ وآمنوا به على ما ذُكِرَ في سورة الجن.

وذكَرَ مجاهد وغيره أنَّ القائلين بمصاهرة الجن مشركو العرب[٣].

وقال قتادة: هم اليهود[٤].

وقيل: معنى قوله: ﴿بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ﴾؛ أي: الملائكةِ، وهو قولهم: إنَّ الملائكة[٥] بنات الله، و(الجِنَّة) من الاجتنان، وهو الاستتار، وصِفَةُ الملائكة كذلك، وعلى هذا تأويلُ بعضهم: ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ﴾ [الكهف: ٥٠]؛ أي: من الملائكة، وقولُه تعالى ﴿وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ﴾: أي: الملائكة ﴿إِنَّهُمْ﴾؛ أي: القائلون بهذا ﴿لَمُحْضَرُونَ﴾ الحسابَ والعذابَ يوم القيامة.

***

(١٥٩ ـ ١٦٣) ـ ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٠﴾ فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ﴾.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٦٤٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٢٣١) عن مجاهد.

(٢) «وهم الجن» ليس من (أ).

(٣) رواه عن مجاهد الطبري في «تفسيره» (٩/ ٦٤٥).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٦٤٥).

(٥) في (أ): «إنهم».

﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾: نزَّه نفْسَه عن قولهم هذا.

وقولـه تعالـى: ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾: استثنى المؤمنين المخلَصين من المحضَرين العذابَ.

وقولُه تعالى: ﴿فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ (١٦١) مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ (١٦٢) إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ﴾:

قال الحسن: فإنكم أيها القائلون بهذا القول والذي تعبدونه من الأصنام ما أنتم على عبادة الأوثان بمُضِلِّين إلا مَن قُدِّرَ عليه أنه يَصْلى الجحيم[(١)].

وقال الفراء: ﴿مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ﴾؛ أي: به[(٢)]، ويرجع إلى (ما).

وقيل: معناه: أي: مِن أجله؛ كقولكَ: اشتريتُ هذا على فلان؛ أي: من أجله؛ أي: قصدُكم إضلالَ النَّاسِ يكون من جهة الأصنام؛ لتكون العبادة لها.

وقولُه تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ هُوَ﴾: مفعول؛ لوقوع فعلِ الفتنة عليه، وهي الإضلال؛ أي: لا يَقْدِرون على إضلال أحد إلا مَن علِمَ الله منه اختيار الكفر والإصرارَ عليه، فقدَّرَ عليه الكفرَ والإصرارَ عليه ودخولَ النار.

وصَلْيُ النار: دخولُها.

وقيل: قرأ الحسن: (صالُ الجحيم) بالرفع[(٣)].

قال الأصمعي: كان الحسن أعلمَ باللغة وأفصحَ مِنْ أن يقرأ هكذا.

---

(١) رواه بنحوه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٦٤٨)، وذكره الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (٨/ ٥٩٣).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٩٤).

(٣) ذكرها الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٦٥٠)، والزجاج في «معاني القرآن» (٤/ ٣١٥)، والفراء في «معاني القرآن» (٢/ ٣٩٤)، وذكروا للقراءة ـ إن صحت ـ وجهاً أقوى من الذي ذكره المصنف، وذلك حملاً لها على الجمع، حيث أراد: «صالون الجحيم»، فحذفت النون للإضافة، وحذفت الواو لسكونها وسكون اللام من «الجحيم»، مع تقدير «مَن» جنسيةً، أي: بالجنس الذين هم صالوا الجحيم.

وقالوا: إنْ ثبَت ذلك عنه فهو على القلب؛ كما يقال: شاكُ السِّلاحِ، فأصلُه: شاكي السلاح[1].

***

(١٦٤ ـ ١٦٦) ـ ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾: أكثر المفسرين على أنه خبرٌ عن الملائكة أنهم يقولون هذا، وفيه إضمار ليتَّصِلَ بالأول: وتقول الملائكة الذين جعلتُموهم بنات الله تعالى: وما منا إلَّا له مقام معلوم في السماء للعبادة، لا يتقدَّمُه ولا يتأخَّرُ عنه، فنحن عَبيده لا بناته.

﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ﴾: للخدمة ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ﴾: المنزِّهون الله عما لا يليق به من الصفة.

وقيل: هو قول النبي ﷺ والمؤمنين: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾؛ أي: ليس منا ومنكم ـ أيها المشركون ـ أحدٌ إلا له مقام معلوم في الآخرة للحساب، ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ﴾ في الدنيا للصلاة ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ﴾ لله المنزِّهون له.

***

(١٦٧ ـ ١٧٠) ـ ﴿وَإِن كَانُوا۟ لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾ لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٩﴾ فَكَفَرُوا۟ بِهِۦ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾.

---

(١) أي: يقلب حتى يصير: صائل، ثم يقال: صال، في صائل، كما يقال: شاك، في شائك.
وذكروا للقراءة وجهاً آخر، وهو حملها على الجمع والتقاء السَّاكنين، حيث أراد: «صالون الجحيم» محمولًا على معنى ﴿مَنْ﴾، والتَّوحيدُ في ﴿هُوَ﴾ على لفظه، فحذفت النون للإضافة، وحذفت الواو لسكونها وسكون اللام من «الجحيم»، مع تقدير «مَن» جنسيةً، أي: بالجنس الذين هم صالوا الجحيم.

﴿ وَإِن كَانُوا لَيَقُولُونَ ﴾: أي: ولقد كان هؤلاء المشركون يقولون قبل أنْ يُبعثَ إليهم محمد:

﴿ لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴾: أي: كتاباً مِن الرسل الأولين؛ أي: لو أُرسِلَ إلينا رسول، وأُنزِلَ علينا كتاب.

﴿ لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴾: مؤمنين مخلِصين[1] غيرَ مشركين.

﴿ فَكَفَرُوا بِهِ ﴾: أي: فقد جاءهم الذِّكْر ـ وهو القرآن ـ فجحَدوه.

﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾: عن قريب ما يحلُّ بهم من العذاب، أي: فلا يَضِقْ صدرُك يا محمد بكفرهم وإيذائهم.

* * *

(١٧١ ـ ١٧٤) ـ ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ (١٧١) إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ (١٧٢) وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ (١٧٣) فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾.

﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا ﴾: أي: لقد[2] تقدَّمَ وعدُنا ﴿لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴾.

﴿ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ ﴾: كُسِرَ لأجل اللام مع أنَّ الفعل واقع عليه، ويجوز أنْ يكون مبتدأً على الحكاية، أي: سبَق للأنبياء قولُنا لهم ذلك، وكذلك يكون لك يا محمد.

وقولُه تعالى: ﴿ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾: جُمِعَ لأن معنى (الجُنْد) الجمع، وقال: ﴿جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ الْأَحْزَابِ ﴾ [ص: ١١] فوحَّدَ لأن لفْظَه واحد.

﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ ﴾: يا محمد، أعرِضْ عن مُكافأتهم ﴿حَتَّىٰ حِينٍ ﴾: وهو نزول الأمر بالقتال.

* * *

(١٧٥) ـ ﴿ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴾.

---

(١) قوله: «مؤمنين مخلصين» ليس من (أ)، وهذا المعنى أنسب بقراءة كسر اللام، وكسر اللام وفتحها قراءتان سبعيتان تقدمتا.

(٢) في (ر) و(ف): «فقد».

﴿وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾: أي: فانتظِرْ ما ينزل بهم، وهو كقولكَ: انظرْ ما أصنعُ بفلان[(١)].

وقيل: أي: أبصِرْهم حين ينزل بهم العذاب، ﴿فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾: عن قريب يَرون ذلك.

وقيل: أي: كُنْ على بصيرة من عذابهم، ﴿فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾: يصيرون على بصيرة من ذلك.

وقيل: على بصيرة من أمرِكَ، ﴿فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾[(٢)]: حين لا ينفعهم.

* * *

(١٧٦ ـ ١٧٩) ـ ﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ (١٧٦) فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنذَرِينَ (١٧٧) وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ (١٧٨) وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾: قَبْل حينِه، وهو توبيخ.

﴿فَإِذَا نَزَلَ﴾: أي: العذاب ﴿بِسَاحَتِهِمْ﴾؛ أي: بعرَصَتهم، وهو نزول بهم.

﴿فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنذَرِينَ﴾: نزل بهم ما يسوؤُهم، وكانت عادتُهم مفاجأةَ الأعداء صباحاً، فقيل هاهنا كذلك مجازاً.

وقولُه تعالى: ﴿وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ (١٧٨) وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾: قيل: التَّكرار[(٣)] للتأكيد والتقرير.

وقيل: الأول حين القتالِ وإبصارِ عذاب الدنيا، والثاني للآخرة.

* * *

(١٨٠ ـ ١٨٢) ـ ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ (١٨٠) وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ (١٨١) وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

---

(١) في (أ): «انظر ماذا أصنع لفلان».

(٢) في (أ): «يصيرون كذلك».

(٣) في (ر) و(ف): «التكرير».

وقولـه تعالـى: ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ ﴾: أي: تنزيهـاً لربـك يـا محمـد عمَّـا وصفَـه به المشـركون مِـن الأولاد والشُّـركاء.

﴿رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾: أي: له العزَّةُ بذاته، فلا حاجةَ له إلى التَّعزُّز بالأولاد، وهو كما قال: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر: ١٠]، وقال: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [المنافقون: ٨].

وقيل: أي: مالكُ العِزَّة التي تكون للعباد مِن الظَّفَر والنُّصْرة وغير ذلك، فمنه التمسِ العزَّةَ.

﴿وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾: أي: تحيَّةٌ مِن الله عليهم.

وقيل: أي: وأمان لهم أنْ يُنصرَ عليهم أعداؤهم في الدنيا، أو ينالَهم عذاب في العُقْبى.

﴿ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾: أي: هو المـُستحِقُّ للثناء والحمد.

وانتَظَمَتْ هذه الخاتمة بتنزيهِ الله تعالى عن كل صفات المشركين الذين معهم المُحاجَّة في هذه السورة، والثناءِ على المرسلين الذين بلَّغوا رسالات الله إلى أُمَمهم على ما ذكروا في هذه السورة، والشُّكرِ لله على ما أنعمَ على عباده، ففصَّلَها في هذه السورة.

ورُوِي عن علي رضي الله عنه أنه قال: مَن أحبَّ أن يكتال بالمِكْيال الأوفى مِن الأجر يوم القيامة فليكن آخرَ كلامه إذا قام من مجلسه: ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[1].

---

(١) رواه بهذا اللفظ الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ١٧٤)، والواحدي في «الوسيط» (٣/ ٥٣٦) موقوفاً على علي رضي الله عنه.
وفي إسناده الأصبغ بن نباتة رمي بالكذب، ورواياته عن علي لا يتابع عليها كما قال ابن عدي. انظر: «تهذيب الكمال» للمزي (٣/ ٣٠٨).
ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٢٣٤) عن الشعبي.

سُورَةُ صٓ

سُورَةُ صٓ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

بسم الله الذي هزَمَ الأحزاب، الرحمنِ الذي أنزل الكتاب المبارك ليدَّبروا آياته وليتذكَّر أولو الألباب، الرحيمِ الذي وعد المؤمنين جنات عَدْنٍ مُفَتَّحةً لهم الأبواب.

وروى أبي بن كعب رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «مَن قرأ سورة ص كان له بوزن كل جبل سخَّرَه الله تعالى لداود عليه السلام عشرُ حسنات، وعصَمَه[1] أنْ يُصِرَّ على ذنب صغير أو كبير»[2].

وهذه السورة مكيَّةٌ، وهي ثمانٍ وثمانون آية، وقيل: ستٌّ وثمانون، وقيل: خمس وثمانون. الاختلاف في قوله: ﴿ذِى ٱلذِّكۡرِ﴾، وقوله: ﴿كُلَّ بَنَّآءٖ وَغَوَّاصٖ﴾، وقوله: ﴿قَالَ فَٱلۡحَقُّ وَٱلۡحَقَّ أَقُولُ﴾.

وكلماتُها: سبعُ مئة وثلاثٌ وثلاثون، وحروفُها: ألفان وتسعُ مئة وأربعةٌ وتسعون.

وانتظام أوَّلِ هذه السورة بآخر تلك السورة: أنه ختَمَ تلك باسمه رب العالمين، وفتح هذه باسمه الصَّادق.

---

(١) في (ف): «وعصم».

(٢) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ١٧٥)، والواحدي في «الوسيط» (٣/ ٥٣٧)، وهو قطعة من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه الموضوع، وقد تقدم الكلام عليه مراراً.

وانتظام السورتين: أنهما في ذِكْر المشركين ومُحاجَّتهم ووَعْظهم وتنبيههم، وتسليةٌ للنبي وبشارتُه بحُسْن العاقبة بما ذُكِر مِن قصص المرسلين والأمم الماضين.

* * *

(١) ـ ﴿صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿صٓ﴾: قال ابن عباس رضي الله عنهما: هو قسَمٌ باسم من أسمائه تعالى.

وقال السُّدِّي: هو قسَمٌ بحرف من حروف المعجم.

وقال الضحاك: معناه: صدَقَ اللهُ.

وقال قتادة: هو اسم القرآن[١].

وقال محمد بن كعب القُرَظِيُّ: هو افتتاح أسماء الله: صمد، وصانع، وصادق.

وقال عكرمة: سأل نافعٌ الأزرقُ عبدَ الله بن عباس عن ﴿صٓ﴾: فقال: ﴿صٓ﴾ كان بحراً بمكة، وكان عليه عرش الرحمن إذ لا ليلَ ولا نهارَ.

وقال سعيد بن جُبير: ﴿صٓ﴾ بحر يُحيي الله به الموتى بين النَّفْختين[٢].

وقيل: هو اسم محمد عليه السلام، اختصارٌ من: المصطفى.

وقيل: معناه: صَدَّ أهل مكة عن الحق.

وقيل: معناه: صادَ محمد قلوب الخَلْق.

وقال الحسن: (صادِ) أي: عارضِ القرآن بعملكَ[٣]، وهو أمر من المـُصادَاة، وعلى هذا تُكْسَر.

---

(١) ذكر هذه الآثار الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ١٧٦)، ورواها الطبريُّ في «تفسيره» (٢٠/ ٥ ـ ٧).

(٢) ذكر هذه الآثار الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ١٧٦).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٥)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ١٧٦).

وقيل: على هذا معناه: دارِ الخَلْقَ والطُفْ بهم، والمُصادَاة: المداراةُ، قال كُثيِّرٌ:

فيا عزُّ صادِي القلبَ حتى يودَّني ... فؤادُكِ أو رُدِّي عليَّ فؤادِي[١]

ويجوز: فؤاديا[٢].

وقال الزَّجَّاج: أي: قاتلِ الناس وحاربْهم[٣].

وهي مُسَكَّنةٌ على قراءة عامَّة القراء لأنها حرفٌ، ومفتوحةٌ عند بعضهم؛ لاجتماع الساكنين كـ«أين» و«كيف»، ومضمومةٌ عند بعضهم بمنزلة الاسم المبتدأ، ومكسورةٌ عند بعضهم؛ لأنها حركة ضرورية، وعند بعضهم على تأويل الأمر على ما بيَّنا[٤].

وليست بآية بالإجماع؛ لأنها لا تُجاوزُ كلمةً، وهي كقوله: ﴿قٓ﴾، و﴿نٓ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿وَٱلْقُرْءَانِ﴾: هو قسَم ﴿ذِى ٱلذِّكْرِ﴾: أي: الوعظِ، وقيل: أي: ذِكْر ما يُحتاج إليه. وقيل: الذِّكْرُ الشَّرفُ. وقيل: العِلْم. وقيل: ذِكْر أسماء الله تعالى وصفاته.

* * *

(٢) ـ ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾.

---

(١) انظر: «ديوان كثير عزة» (ص: ٤٤٣)، و«تهذيب اللغة» للأزهري (١٢/ ١٥٣).

(٢) «ويجوز فؤاديا» من (ر).

(٣) ذكره عن الزجاج الماتريديُّ في «تأويلات أهل السنة» (٨/ ٥٩٧).

(٤) قرأ الجمهور ـ ومنهم القراء العشرة ـ «ص» بسكون الدال، وقرأ أبي والحسن وابن أبي إسحاق وأبو السمال وابن أبي عبلة ونصر بن عاصم بكسر دالها، وقرأ عيسى ومحبوب عن أبي عمرو وغيرهما بفتحها، وقرأ الحسن أيضاً وابن السميفع وهارون الأعور بضمها. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٢٩)، و«المحتسب» (٢/ ٢٣٠)، و«المحرر الوجيز» (٤/ ٤٩١)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٩/ ١٣٤).

والذي وقعَ عليه القسم محذوفٌ عند بعضهم، والمذكور بعده دالٌّ عليه، وهو قوله: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٖ وَشِقَاقٖ﴾: وذلك المحذوف: لقد جاء الحق.

وقيل: بل المحذوف: ما الذين كفروا في طلَبِ حقٍّ، بل هُم في تعزُّزٍ عند أنفسهم عن طلَبِ الحقِّ، أي: ترفُّع وتكبُّر.

﴿وَشِقَاقٖ﴾: أي: ومُشاقَّةٍ لمحمد، وهي المعاداةُ والمخالفة، وكلمةُ ﴿بَلِ﴾ تدلُّ عليه؛ لأنها لنفي ما مضى ذِكْرُه، وإثباتِ ما ذُكِر بعده، والحذفُ في مِثْله أبلغُ مِن ذِكْره؛ لأن الذِّكْر يقصُره على ما ذُكِر، وفي الحذف تَذهب النَّفْس فيه كلَّ مذهب.

وقيل: بل جوابه: ﴿إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ﴾.

وقيل: بل جوابه: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهۡلِ ٱلنَّارِ﴾.

ورُوِي أنَّ كفار مكة جاؤوا إلى أبي طالب في مرضه، فقالوا: إنه قد حضَرَكَ ما ترى، وقد علِمْتَ ما بيننا وبين ابن أخيكَ، فادْعُه فخُذْ لنا منه وله منا، فيكُفَّ عنا ونكُفَّ عنه، فدعاه أبو طالب، فكلَّمه في ذلك، فقال: «إنما أريدهم على كلمة، وهي أن يقولوا: لا إله إلا الله»، فنفروا وقالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًا﴾، فنزل قولُه: ﴿صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ١ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٖ وَشِقَاقٖ﴾[1].

* * *

(٣) - ﴿كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّن قَرۡنٖ فَنَادَواْ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٖ﴾.

قولُه تعالى: ﴿كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّن قَرۡنٖ فَنَادَواْ﴾: أي: بالاستغاثة وطلَب التوبة.

﴿وَّلَاتَ﴾: أي: وليس، وهو في لغة أهل اليمن.

---

(١) رواه الترمذي في «سننه» (٣٢٣٢)، والنسائي في «الكبرى» (١١٣٧٢)، والإمام أحمد في «مسنده» (٢٠٠٨) (٣٤١٩)، والطبري في «تفسيره» (٢٠/ ١٩)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما. قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

وقيل: هي «لا» زيدتْ عليها التاء؛ كما في قوله: (ثَمَّ وثمَّة)، و(ثُمَّ وثُمَّةَ).

واختار الكسائيُّ الوقف عليها بالهاء[١]، والفرَّاءُ بالتاء[٢].

وقولُه: ﴿حِينَ مَنَاصٍ﴾: أي: وقتَ مَفَرٍّ، وقد ناصَ ينوصُ نَوْصاً؛ أي: فَرَّ وراغَ.

وقال الفراء: النَّوْصُ ـ بالنون ـ: التأخُّرُ، والبَوْصُ ـ بالباء ـ: التَّقدُّمُ، وقد جمعهما امرؤ القيس في بيت واحد:

أَمِـنْ ذِكْر سـلمى[٣] إذْ نأَتْـكَ تَنوصُ   فتقـصُرُ عنهـا خُطْـوةً وتَبـوصُ[٤]

وقال الحسن: أي: ليس هذا وقتَ نَزْوٍ[٥].

وقال ابن عباس: كان كفار مكة إذا قاتلوا فاضطُروا في الحرب قال بعضهم لبعض: مَناص؛ أي: اهرُبوا وخذوا حِذْرَكم، فلما نزل عليهم العذاب ببَدْر قالوا: مناص، فأنزل الله: ﴿وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾[٦].

وقيل: معناه: كم أهلَكْنا قبل مشركي العرب من القرون الخالية بتكذيبهم، فلم يَقْدِروا على دفع الهلاك عن أنفسهم، ولمـَّا أخذهم العذاب رفعوا أصواتهم بالاستغاثة والتوبة وطلباً للخَلاص، فلم ينفعْهم ذلك؛ لأنه كان حالةَ البَأْس.

* * *

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ١٣٢)، وقال: هذا هو الصحيح عنه.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٩٧).

(٣) في (أ): «ليلى»، وهي رواية الفراء، والمثبت من باقي النسخ وهي رواية الديوان.

(٤) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٩٧)، والبيت في «ديوان امرئ القيس» (ص: ١١٧).

(٥) لم أقف عليه للحسن، ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ١٣)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (٢٥٧٥)، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٦) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ١٧٨)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٧١).

(٤) ـ ﴿وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡۖ وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿وَعَجِبُوٓاْ﴾: أي: أظهرَ هؤلاء المشركون العَجَبَ.

﴿أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡۖ﴾: أي: مِن أنْ جاءهم رجلٌ[1] منهم يُنذرهم عذاب الله.

﴿وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ﴾: أي: خادِعٌ بكلامه المـموَّه، كذَّابٌ[2] في دعوى الرسالة.

* * *

(٥) ـ ﴿أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ﴾.

﴿أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًا﴾: أي: أحَكَمَ أنَّ الآلهة التي تُعبد إنما يَستحقُّ منها العبادةَ إلهٌ واحد، وهو الذي يذكُر أنه أرسله وأنزل عليه كتابه.

﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ﴾: أي: عَجيب؛ وقيل: هو نهاية العَجَب.

يقولون: هو مِن أعجب العَجَب أنْ[3] يخفى الحقُّ على آبائنا وعلينا ويظهرَ له، والطُّوالُ أبلغ مِن الطَّويل، وكذا الجُمال أبلغ مِن الجميل.

* * *

(٦) ـ ﴿وَٱنطَلَقَ ٱلۡمَلَأُ مِنۡهُمۡ أَنِ ٱمۡشُواْ وَٱصۡبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٞ يُرَادُ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿وَٱنطَلَقَ ٱلۡمَلَأُ مِنۡهُمۡ﴾: أي: ذهب أشراف هؤلاء الكفار مِن عند النبي.

وقال قُطْرُبٌ: ﴿وَٱنطَلَقَ ٱلۡمَلَأُ مِنۡهُمۡ﴾: أي: وجعل الملأُ، وهو لابتداء الأمر دون الذهاب[4].

---

(١) في (ر): «منذر رجل».

(٢) في (أ): «كاذب».

(٣) في (ر) و(ف): «أي».

(٤) لعل المراد بهذا ما قاله السيوطي في «الإتقان» (٢/ ٢٠٣): ليس المراد بالانطلاق المشي، بل انطلاق ألسنتهم بهذا الكلام.

﴿أَنِ ٱمْشُوا﴾: أي: قائلين بعضهم لبعض: أي: امضوا على ما كنتم عليه، ولا تُقيموا على استماع كلام محمد.

و﴿أَن﴾ بمعنى (أيْ) التي للتفسير. وقال الزَّجَّاج: معناه: بأن امشوا[1].

﴿وَٱصْبِرُوا عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ﴾: أي: واحبسوا أنفسكم على عبادة آلهتكم التي كنتم أنتم وآباؤكم على عبادتها، فإنها تستحقُّ ذلك.

﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ﴾: أي: إنَّ كلام محمد هذا لَشيء يُراد به جرُّكم إلى الانقياد له لِيتحكَّمَ في أنفسكم وأموالكم وأولادكم وأهاليكم بما يشاء، وهو كلام يُذْكَر على الإبهام للتَّحذير.

* * *

(٧) ـ ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ﴾.

﴿مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ﴾: أي: إنَّ قوله: (لا إله إلا الله) ما سمعنا به في أديان قومنا التي هي الملَّةُ المتأخِّرة عن الملل المتقدِّمة.

﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ﴾: أي: ما هذا إلا ابتداعٌ كَذِبٌ.

وقال مجاهد: الملة الآخرة: ملةُ قريشٍ[2].

وقال ابن عباس: الملة الآخرة: اليهوديَّة والنصرانيَّة[3]، وجُعِلَتا ملَّةً واحدة على

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٣٢١)، ونص كلامه: معناه: أي: امشوا، وتأويله: يقولون امشوا، ويجوز: وانطلق الملأ منهم بأن امشوا، أي: بهذا القول.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٢٢).

(٣) ذكره الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (٨/ ٦٠٧) عن عامة أهل التأويل، وهو قول الفراء في «معاني القرآن» (٢/ ٣٩٩).

والمروي عن ابن عباس أن الملة الآخرة هي النصرانية، كما رواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٢٢) عنه وعن السدي ومحمد بن كعب القرظي.

معنى أنهما ملَّةُ أهل الكتاب، يَعْنون أنَّ اليهود يقولون: عُزَيرٌ ابن الله، والنصارى يقولون: المسيح ابن الله وثالثُ ثلاثةٍ، كأنهم قالوا: التوحيد شيء كان يقوله المتقدِّمون اختلاقاً، فذلك قولهم: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ﴾.

وهو كقولهم: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الشعراء: ١٣٧]، ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الأنعام: ٢٥]، ثم اتَّفقَ المتأخِّرون وهم أهل الكتاب على خِلافِ ذلك وتَرْكِ ذلك.

* * *

(٨) ـ ﴿أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا ۚ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِى ۖ بَل لَّمَّا يَذُوقُوا۟ عَذَابِ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا﴾: أي: القرآنُ، استفهام بمعنى الإنكار. أي: كيف خُصَّ به دونَنا؟!

﴿بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِى﴾: أي: ليس ردُّهم قولَكَ لإنكارهم كونَكَ صادقاً في سائر كلامك، لكنْ يشكُّون فيما أنزلتُه عليكَ مِن الذِّكر: هل هو مِن عندي؟ إنكاراً لاختصاصي إيَّاكَ بالرسالة فيما أنزلتُه عليكَ مِن الذِّكْر(١).

وقولُه تعالى: ﴿بَل لَّمَّا يَذُوقُوا۟ عَذَابِ﴾: أي: وقد رأوا مع ذلك إِمْهالي لهم إياهم، وتأخيري العذاب عنهم، فظنوا أنَّ ذلك لرضايَ بشِرْكهم.

و﴿لَّمَّا يَذُوقُوا۟ عَذَابِ﴾: بمعنى: ولم يذوقوا، و«ما» زائدة مؤكِّدة، كما في قوله: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

و﴿عَذَابِ﴾: بمعنى: عذابي، على الإضافة.

* * *

(٩) ـ ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ﴾.

---

(١) «فيما أنزلته عليك من الذكر» ليس من (أ).

﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ﴾: أي: أعندَ هؤلاء المشركين خزائنُ رحمةِ الله، فيقسِمون منها ما يشاؤون على مَن يشاؤون حتى يُعْطوا النبوَّةَ مَن يريدون؟!

أي: فليس لهم ذلك، بل هو لله يُعطيها مَن يشاء، وهو كقوله: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾.

* * *

(١٠) ـ ﴿أَمْ لَهُم مُّلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ فَلْيَرْتَقُواْ فِى ٱلْأَسْبَٰبِ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿أَمْ لَهُم مُّلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾: أي: أمْ يدَّعون أنَّ مُلْكَ السماوات والأرض وما بينهما مِن الهواء لهم، فهم قادِرون على إنزال ما يُريدون مِن الوحي إلى مَن يريدون أنْ تكونَ النبوة له، وعلى المنع مِن نزول الوحي على مَن لا يُريدون، حتى يمنعوا ملائكتي مِن النزول بالوحي على محمد؟! فإن[1] كانوا يدعونه:

﴿فَلْيَرْتَقُواْ فِى ٱلْأَسْبَٰبِ﴾: أي: فليَصْعدوا إلى السماء مِن أبوابها وطرُقِها الموصِلة إليها، فليمنعوا مِن نزول الوحي على محمد، وإذ لا يُمكنهم أنْ يدَّعوا ذلك وهي لي، كان لي أنْ أُنزلَه على مَن أشاءُ.

* * *

(١١) ـ ﴿جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ﴾.

وقولُه: ﴿جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ﴾: قيل: أي: لو كان هؤلاء يُطيقون الصُّعودَ إليها لكانوا جُنْداً مهزومين هنالك؛ أي: في موضع الارتقاء، فكيف وهم لا يُطيقون الارتقاء إليها؟!

---

(١) في (ف): «فإنهم».

وقيل: هذه الآية تتَّصِلُ بقوله: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٖ وَشِقَاقٖ﴾، ولا يضرُّك ذلك؛ لأنهم جُنْدٌ أهزِمُهم وأفرِّقُ جَمْعَهم وتحزُّبَهم وأجعلُهم أَسْراكَ.

وقيل: أي: هم مهزومون مِن الأحزاب، فكيف يرتقون في الأسباب؟!

وقولُه تعالى: ﴿مِّنَ ٱلۡأَحۡزَابِ﴾: قيل: أي: مِن قبائل شتَّى تجمَّعوا على مُعاداتك.

وقيل: أي: هم مِن جُمْلة الأحزاب المتقدِّمين، وهم المذكورون في الآية التي بعدها: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَحۡزَابُ﴾، وهذا قول مجاهد(١).

ووجهٌ آخرُ للآيتين المتقدِّمتين: أنَّ الكفار أنكروا نبوة محمد، وقالوا: ﴿لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: ٣١] له أملاكٌ وأموالٌ، فقال الله لهم: ﴿أَمۡ عِندَهُمۡ خَزَآئِنُ رَحۡمَةِ رَبِّكَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡوَهَّابِ﴾ التي لا تنقطعُ؟ أم لهم مُلْكُ السماوات والأرض وما بينهما فيتعظَّموا بذلك، فيرون لهم الفَضْل على محمد؟

فإذا لم يكن لهم ذلك، وإنما يملِكون أموالاً تروح وتغدو وتزول عن قليل، فليس لهم موضعُ تعظيمٍ تُستَحَقُّ به النبوَّةُ، ولو كان ذلك بالمـُلْك لم يكن بمُلْك(٢) الأموال، بل بمُلْك السماوات والأرض، فليس لهم ذلك، فليَصْعدوا إلى السماء فينظُروا: هل يُمكنُهم إزالةُ النبوة عمَّنْ أوتِيَها بلا مُلْك؟!

وهذا كلامٌ يُذْكَر للتَّبعيد؛ كما قال: ﴿فَإِنِ ٱسۡتَطَعۡتَ أَن تَبۡتَغِيَ نَفَقٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ أَوۡ سُلَّمٗا فِي ٱلسَّمَآءِ فَتَأۡتِيَهُم بِـَٔايَةٖ﴾ [الأنعام: ٣٥].

وقيل: ﴿فَلۡيَرۡتَقُواْ فِي ٱلۡأَسۡبَٰبِ﴾: معناه: فإنْ كان لهم مُلْك السماوات والأرض فليَصْعدوا إليها فيدبِّروها؛ لأنَّ مَن ملَكَ ولايةً أشرَفَ عليها وتعهَّدَها، وإذ ليس يمكنُهم ذلك دلَّ أنهم لا يملِكونها.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٢٩) بلفظ: ﴿جُندٞ مَّا هُنَالِكَ مَهۡزُومٞ﴾: قريش، ﴿مِّنَ ٱلۡأَحۡزَابِ﴾: القرون الماضية. وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ١٤٧) إلى الفريابي وعبد بن حميد.

(٢) في (أ): «لملك»، ووقع في (ر) هنا وفي الموضع الآتي: «يملك».

وقيل: لمَّا أسلمَ عمر رضي الله عنه شقَّ ذلك على قريش، وفرِحَ به المؤمنون، فقال الوليد بن المغيرة للملأ مِن قريش: امشوا إلى أبي طالب، واثبُتوا على آلهتكم، وكانوا خمسةً وعشرين رجلاً، منهم الوليد بن المغيرة، وهو أكبرهم سناً، وأبو جهل بن هشام، وأبيٌّ وأميةُ ابنا خلف، وعُمير بن وهْب، وعُتْبةُ وشيبةُ ابنا ربيعة، وعبد الله بن أبي أمية، والعاص بن وائل، والحارث بن قيس، وعدي بن قيس، والنَّضْر بن الحارث، وأبو البَخْتَرِيِّ[1] بن هشام، وقُرْط بن عمرو، وعامر بن خالد، ومَخْرَمة بن نَوْفل، وزَمْعَة بن الأسود، ومُطْعِم بن عدي، والأخنسُ بن شَرِيق، وحُوَيْطِب بن عبد العُزَّى، ونبيهٌ ومُنبهُ ابنا الحجَّاج، والوليد بن عُتْبة، وهشام بن عمرو بن ربيعة، وسُهيلُ بن عمرو، فقال لهم الوليد: امضوا إلى أبي طالب، فأتوا أبا طالب وقالوا له: أنت شيخُنا وكبيرُنا، وقد علِمْتَ ما فعل هؤلاء السفهاء، وإنَّا أتيناكَ لِتَقضيَ بيننا وبين ابن أخيك، فأرسلَ أبو طالب إلى النبي عليه السلام فدعاه، فقال له بمَشْهَدٍ منهم: يا ابن أخي! هؤلاء قومُك، فلا تمِلْ كلَّ الميل على قومك، فقال رسول الله ﷺ: «وما يريدون مني»، قال: يقولون: ارفِضْنا وارفِضْ ذِكْرَ آلهتنا وندعْكَ وإلهكَ، فقال لهم رسول الله ﷺ: «أتُعْطُون أنتم كلمة واحدة تملكون بها العربَ، وتدينُ لكم بها العجمَ؟»، فقال أبو جهل مِن بينهم: يا محمد! لَنُعْطِيَكَها وعَشْرَ أمثالها، فقال لهم رسول الله ﷺ: «قولوا: لا إله إلا الله»، فقاموا ونفَروا من ذلك وقالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْأَلِهَةَ﴾ أي: الآلهةَ التي لنا والآلهةَ التي لغيرنا ﴿أَجَعَلَ ٱلْأَلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَٰذَا﴾ الذي يقوله محمد ﴿لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾، أي: لأمرٌ عَجيبٌ[2].

---

(١) في (ر) و(ف): «البُخْتُري».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٢٣) عن السدي. وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ١٧٨)، والزمخشري في (٤/ ٧١) من غير سند.

وروى أصله مختصراً الترمذي (٣٢٣٢)، والنسائيُّ في «الكبرى» (٨٧١٦)، والإمام أحمد في =

(١٢) ـ ﴿كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَعَادٞ وَفِرۡعَوۡنُ ذُو ٱلۡأَوۡتَادِ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ﴾ رسولَهم نوحاً ﴿وَعَادٞ﴾ هوداً ﴿وَفِرۡعَوۡنُ﴾ موسى.

﴿ذُو ٱلۡأَوۡتَادِ﴾: قال ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة: كانت له ملاعبُ من أوتاد.

وقال السُدِّيُّ والربيع بن أنس: كانت له أوتاد يعذِّبُ بها[1].

وقال مقاتل: كان يأمر حتى تمَدَّ رجلا الرجل إلى ساريتين ويداه إلى ساريتين ثم يعذِّبُه.

وقال مقاتل بن حيان: كان يأمر أنْ يُمَدَّ الرجل مُستلقياً على الأرض، ثم يشدُّه بالأوتاد.

وقال السُّدِّي: كان يمدُّ الرجل بين الأوتاد، ويُرسل عليه الحيَّات والعقارب.

وقال الضحاك: الأوتادُ: البُنيان الثابتة.

وقيل: ذو الأوتاد، أي: ثابت أركان المُلْك[2].

وقال الأسود بن يَعْفَرَ:

ولقد غدا فيها بأطيبِ عِيشةٍ ... في ظِلِّ مُلْكٍ ثابتِ الأوتاد[3]

وقيل: هي أوتادُ خيام الجيوش، وكانت كثيرةً فعُرِفَ بها.

= «مسنده» (٢٠٠٨)، عن ابن عباس رضي الله عنه. وقال الترمذي: حسن صحيح.

(١) رواه عنهم الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٣٠ـ ٣١).

(٢) في (ف): «الثابت الأركان» بدل: «ثابت أركان الملك».

ذكر هذه الآثار بنحوها الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ١٨١)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٧٤).

(٣) انظر: «ديوان الأسود بن يعفر» (ص: ٢٧)، وصدره فيه: ولقد غنوا فيها بأنعم عيشة.

(١٣ ـ ١٤) ـ ﴿وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْأَحْزَابُ ﴿١٣﴾ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿وَثَمُودُ﴾: أي: كذَّبَتْ صالحاً.

﴿وَقَوْمُ لُوطٍ﴾: أي: كذَّبوا لوطاً.

﴿وَأَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ﴾: أي: قومُ شعيب كذَّبوا شعيباً، وقد فسَّرْنا الأَيْكةَ[1] في قصته.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْأَحْزَابُ﴾: أي: تحزَّبوا على أنبيائهم؛ أي: تجمَّعوا على تكذيبهم وإيذائهم.

وقولُه تعالى: ﴿كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ﴾: أي: ما كلٌّ ﴿فَحَقَّ عِقَابِ﴾؛ أي: فوجَبَ عليهم عقابي، وأهلكتُهم بما مرَّ ذِكْرُه في قصصهم، فكذلك أفعل بمُكذِّبيكَ يا محمد.

* * *

(١٥) ـ ﴿وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ﴾: أي: وما ينتظرُ هؤلاء المشركون ﴿إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾؛ أي: عذاباً يفجؤُهم فيستأصلُهم؛ يُقالُ: صاح بهم الزَّمان؛ أي: هلَكوا.

قال الشاعر:

صاحَ الزمانُ بآلِ بَرْمَكَ صَيْحةً ... خرُّوا لشِدَّتها على الأذقانِ[2]

وعلى هذا: هو كقولِه: ﴿فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [يونس: ١٠٢].

---

(١) في (أ) و(ف): «الكلمة».

(٢) ذكره الرازي في «تفسيره» (٢٦/ ٣٧٢) من غير نسبة.

وقيل: هذه الصَّيْحة هي النَّفْخة الأولى في الصُّور، فهو كقوله: ﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾، أي: إنْ لم يذوقوا عذابي في الدنيا فهو مُعَدٌّ لهم يوم القيامة.

وقولُه: ﴿مَا لَهَا مِن فَوَاقٍ﴾: قرأ حمزة والكسائي بضمِّ الفاء، والباقون بفتحها[1].

وقال قتادة والسُّدِّي: ﴿مَا لَهَا مِن فَوَاقٍ﴾: أي: ما للصَّيْحة مِن إفاقة؛ أي: رجوعٍ إلى الدنيا[2].

وقال ابن زيد: أي: ما لها مِن فُتور كما يفيقُ المريض[3].

وقيل: ما لها مِن راحة، وهذا إذا قُرِئَتْ بالفتحة، وما لها مِن مُكْثٍ مِقدارَ ما بين الحَلبَتين، وهذا إذا قُرِئَت بالضمة، وهذا قولُ أبي عبيدة[4].

وقال الكسائي والفراء وأبو عبيدة والأخفش: هما لغتان في فواق النَّاقة بين الحَلبتين[5].

وقال قُطْرُب: بالفتح: الإفاقةُ، وقد فاق فَواقاً وأفاقَ إفاقةً، وأما فواقُ الناقة ففيه لغتان.

***

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٥٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١٨٧).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٣٥) عن السدي، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٨٢)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٧٤) عن قتادة.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٣٥)، ولفظه: يا لها من صيحة لا يفيقون فيها كما يفيق الذي يغشى عليه، وكما يفيق المريض، تهلكهم، ليس لهم فيها إفاقة.

(٤) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (٢/ ١٧٩). ووقع في (أ): «وهذا إذا فرق أبي عبيدة»، وفي (ر): «وهذا فرق أبي عبيدة».

(٥) ذكره عنهم الرازي في «تفسيره» (٢٦/ ٣٧٢).

(١٦) ـ ﴿وَقَالُوا۟ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾: أي: استعجلوا العذاب؛ كما ذكَرَ ذلك عنهم في آيات.

والقِطُّ: الصَّحيفة، وهي صحيفة الأعمال التي يُعطاها الناس يوم القيامة عن أيمانهم وشمائلهم؛ أي: عجِّلْ لنا هذا إنْ كان صدقاً.

وقيل: هو كقوله: ﴿وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ﴾ [الإسراء: ٩٣]، وكقوله: ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً﴾ [المدثر: ٥٢].

وقيل: القِطُّ: النَّصيب، مِن القَطِّ: وهو القَطْع، وهو ما قُطِعَ مِن الكُلِّ فجُعِل لصاحبه، فكأنهم قالوا: عجِّلْ لنا نصيبَنا مِن العذاب مِن النار إنْ كان الأمر على ما تقول، وهو كقوله: ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ﴾ [الذاريات: ٥٩].

وقيل: أرادوا: عجِّلْ لنا نصيبَنا مِن الجنة والثوابِ الذي تعِدُنا على الإيمان لنؤمنَ بكَ، ونحن نريده في الدنيا لا في الآخرة، يستهزؤون بذلك.

وقيل على هذا: عجِّلْ لنا كَتْبَ جوائزِنا مِن الله بذلك ككَتْبِ جوائز الملوك.

وقال المبرد: «القُطوطُ» أصلُها الصُّحُف بالجوائز، ثم قيل لكلِّ نصيبٍ: قِطٌّ[1].

قال أبو العالية: لما نزل في الحاقة: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ... و... بِشِمَالِهِۦ﴾ [الحاقة: ١٩ ـ ٢٥]، قرأها عليهم رسول الله ﷺ، فقالوا على جِهة الاستهزاء: ﴿عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا﴾ يَعْنون: هذا الكتابَ[2].

---

(١) لم أقف عليه للمبرد، وذكر نحوه الواحدي في «الوسيط» (٣/ ٥٤٣)، وابن دريد في «جمهرة اللغة» (١/ ١٥٠)، وأبو عبيد في «الغريبين» (مادة: قطط).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ١٨٢)، والواحدي في «الوسيط» (٣/ ٥٤٣) عن أبي العالية والكلبي، وزاد الواحدي نسبته لمقاتل.

وقيل: قائلُ هذا الكلام أبو جهل[1].

وقيل: قائلُه النَّضْر بن الحارث[2].

* * *

(١٧) ـ ﴿اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ﴾: أي: مِن قولهم: ﴿هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾، وقولهم: ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا﴾، وقولِهم: ﴿عَجِّلْ لَنَا قِطَّنَا﴾ وغيرِ ذلك، فإنا نجعل لكَ العاقبة الجميلة، ولهم المغبَّةَ الوَبيلة؛ كما كان ذلك للأنبياء المتقدِّمين ومكذِّبيهم، وبيَّن قصصَهم، هذا أحد معاني ربْطِ قصة داود عليه السلام بهذا الكلام.

ووجهٌ آخر: إنا أحسَنَّا إليكَ كما أحسنَّا إلى داود، ولو شئنا لأعطيناكَ مِن الدنيا كما أعطينا داود وسليمان عليهما السلام وأكثرَ مِن ذلك، ولكنِ اختَرْنا لكَ ما هو أَعْوَدُ[3] عليك.

ووجهٌ آخر: ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ﴾: وما آتيناه من النبوة والمُلْك، ثم لم نترُكْ عِتابَه[4] على أدنى زلَّةٍ كانت منه، فتنبَّهوا بذلك على أني منتقِمٌ ممَّنْ عصاني.

ووجهٌ آخر: واذكر قصصهم برهاناً لكَ على صحَّةِ نبوَّتِكَ.

يقول: فاصبِرْ على أذاهم، ولا تجزَعْ منه، وأَقبِلْ على الإنذار وإيراد البراهين، واذكُرْ عَبْدَنا داود.

﴿ذَا الْأَيْدِ﴾: أي: القوة في أمرِنا، والصبر على الدعاء إلينا، فاقتَدِ به.

---

(١) رواه عبد بن حميد عن قتادة كما في «الدر المنثور» (٤/ ٥٥).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٥٠٦) عن عطاء.

(٣) في (ر): «أعون».

(٤) في (أ): «عقابه».

﴿إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾: أي: رجَّاعٌ إلى طاعتنا وطلَبِ مرضاتنا.

* * *

(١٨) ـ ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ﴾: هو كما مرَّ في قوله: ﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ﴾ [سبأ: ١٠].

﴿بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ﴾: أي: في طرَفي النهار.

والعَشِيُّ: وقت العصر إلى الليل، والإشراقُ: وقت إضاءة الشمس، وقد شرَقَتْ؛ أي: طلَعَتْ، وأشرَقَتْ؛ أي: أضاءَتْ.

وقيل: العَشِيُّ: وقت صلاة العصر، والإشراقُ: وقت صلاة الضحى.

قال كعب الأحبار لعبد الله بن عباس: إني لأَجِدُ في كتاب الله صلاةً بعد طلوع الشمس، فقال: أنا أوجدُكَها[1] في كتاب الله في قصة داود، قال: وما هي؟ قال: ﴿يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ﴾، وليس الإشراق طلوع الشمس، إنما هو صفاؤُها وضَوْءُها[2].

* * *

(١٩) ـ ﴿وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً﴾: عَطْفٌ على قوله ﴿ٱلْجِبَالَ﴾، وحشرُها: جَمْعُها إليه حتى تحضُرَه، وتسبِّحَ معه، وتسمعَ تسبيحه.

قال محمد بن إسحاق رحمه الله: لم يُعْطِ الله أحداً مِن خَلْقه مثلَ صوت داود

---

(١) في (ر): «أجد لها».

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ١٨٣).

عليه السلام، حتى إذا كان يقرأ بالزَّبور[١] تُدْنى له الوحوشُ حتى يؤخذَ بأعناقها، وإنها لمُصيخةٌ به تسمعُ صوتَه[٢].

وحشرُها يجوز أنْ يكون مِن الملائكة، أو مِن كبارها لصغارها، وقد كان الله تعالى جعل كبارها مُنقادةً له ومُطيعةً لأمره.

﴿كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾: أي: كلٌّ مِن الطير له مُطيعٌ راجع إلى طاعته.

* * *

(٢٠) ـ ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ﴾: أي: قوَّيْنا سُلْطانه.

قيل: بكثرة الرجال.

وقيل: بصَنْعة الدُّروع.

وقيل: بإلقاء الرُّعْب في قلوب أعدائه.

وقيل: بأسباب المنَعةِ.

وقيل: كان يحرُسه كلَّ ليلة ثلاثة وثلاثون ألف رجل.

وقيل: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ﴾؛ أي: قوَّيْنا سُلْطانه[٣] بنصرنا له ودَفْعنا عنه.

وقيل: أي: بالعدل في الرَّعِيَّة، والحقِّ بالقضيَّة.

وقيل: أي: بقَبْض أيدي الظَّلَمة.

وقيل: أي: بدُعاء المستضعَفين.

---

(١) في (أ) و(ر): «قرأ الزبور».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٧١) عن محمد بن إسحاق عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه. وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢/ ٢٢٣)، والبغوي في «تفسيره» (١/ ٣٠٧) من غير نسبة.

(٣) «أي قوينا سلطانه» ليس من (أ).

وقال الإمام القُشيريُّ: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ﴾ بأنْ رأى النصر منا، وتبرَّأَ مِن حوله وقوته.

وقيل: أي: بوزراء صالحين.

وقيل: أي: بتيقُّظه وحُسْن سياسته.

وقيل: بقَبوله الحقَّ مِن كل أحد.

وقيل: برجوعه إلينا في عموم الأوقات[١].

قولُه تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْحِكْمَةَ﴾: قيل: أي: النبوة.

وقيل: العِلْمَ بالشَّرْع.

وقيل: إحكامَ الأمور.

وقيل: وضعَ كلِّ شيء مَوْضِعَه.

﴿وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾: أي: أسباب القضاء بين الخُصوم.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: هو بيان الكلام[٢].

وقال الضحاك: أي: القضاء[٣].

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: هو القضاء بين العباد، وكان لا[٤] يتتعتعَ في قضائه، ويفصِلَ على الوجه الحقِّ بين المتخاصمين[٥].

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» (٣/ ٢٤٩).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ١٨٤)، والبغوي في «تفسيره» (٤/ ٥٨).

(٣) لم أقف عليه للضحاك، ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٤٩ ـ ٥٠) عن مجاهد والسدي وابن زيد وابن مسعود.

(٤) في مصدر التخريج: «كأن لا» بدل: «وكان لا».

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ١٨٤).

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: البيِّنة على المُدَّعي، واليمينُ على مَنْ أنكرَ[١].

وقال شُرَيْح والشَّعبي: هو قوله: (أمَّا بعدُ)، وهو أول مَن قالها[٢].

وقال المبرد: الخِطابُ: المخاطبة، وفَصْلُه: الخروجُ مِن مخاطبةٍ إلى مخاطبة، وفَصْلُ قصةٍ بعد قصة، وخُصومةٍ بعد خُصومة.

* * *

(٢١) ـ ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ﴾: كلمة تُستعمل للتنبيه على جَلالة[٣] القصَّةِ؛ لتكون داعيةً إلى الإصغاء إليها والاعتبار بها؛ لأنها في المعنى تقريرٌ للمُخاطب بأنَّه لم يسمعْها، وفي اعترافه بذلك إقرارٌ منه أنه مُحتاج إلى سماعها، فيقول له حينئذ: فاسمَعْها، فقد كان كذا وكذا.

﴿نَبَأُ الْخَصْمِ﴾؛ أي: خبرُ الخُصوم، هو في الأصل مصدرٌ، فصلُحَ للجمع، ودليل أنه جَمْع قولُه: ﴿إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ﴾؛ أي: علَوْهُ وتسلَّقُوه؛ لأنه كان مُحتجِباً عن الخصوم، مُتفرِّغاً للعبادة، مُتخلِّياً لها، فنزَلوا إليه مِن عالٍ، والمِحْرابُ: موضعُ صلاته.

وقيل: كان غُرْفةً، والمِحْراب قد بيَّنَّا الأقاويل فيه في سورة آل عمران.

* * *

---

(١) في (ر) و(ف): «واليمين على المدعى عليه». والخبر ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ١٨٤)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٧٧).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٥١) عن الشعبي، وأما شريح، فقد نقل الطبري عنه في نفس الموضع روايات متعددة فيها أن فصل الخطاب: الشاهدان واليمين، أو نحو ذلك.

(٣) في (أ): «حال».

(٢٢) ـ ﴿إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ﴾.

﴿إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ﴾: أي: حين دخلوا عليه بالتَّسوُّر.

﴿فَفَزِعَ مِنْهُمْ﴾: أي: خاف مِن دخولهم عليه بغير إذنٍ، ومِن غير الباب، ومع قيام الحُجَّاب، أو ظنَّ أنهم لُصوصٌ مُكابرون، أو أنهم ملائكة جاؤوا لأمر عظيم.

﴿قَالُوا۟ لَا تَخَفْ﴾: فإنَّا لن ندخُلَ لريبة، لكنْ لوقوع خُصومة خشِينا وقوعَ الخلَلِ في التأخير في تلافيها، وعلِمْنا رِضاكَ بإصلاح ما فيها، فتفرَّغَ داود لهم.

فقالوا: ﴿خَصْمَانِ﴾: أي: نحن خَصْمان.

وقيل: أي: فينا خَصْمان، وقد كانوا جماعةً بدليل قوله: ﴿تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ﴾، ﴿دَخَلُوا۟﴾، ﴿قَالُوا۟﴾، ﴿مِنْهُمْ﴾، والجماعة مُدَّعٍ ومُدَّعًى عليه وشهودٌ، فإنه لا يقول: ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ﴾ بمجرَّدِ دعوى المُدَّعي، فالظَّاهرُ أنه قال ذلك بعد شهادتهم للمُدَّعي.

﴿بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ﴾: أي: تعدَّى وظلَمَ.

﴿فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ﴾: أي: لا تُباعِدْ عن الحق، وقيل: أي: لا تَجُرْ.

وقيل: أي: لا تُسْرِفْ.

وقد شطَّ شُطوطاً مِن باب دخل وضرب؛ أي: بعُدَ، وأشَطَّ؛ أي: جارَ، وأشَطَّ؛ أي: باعَدَ في السَّوْم، والشَّطَطُ: مُجاوزة القَدْر في كل شيء.

﴿وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ﴾: أي: وأَرْشِدْنا في قَطْع خصومتنا إلى قَصْد السبيل، فإنَّ السَّواءَ الوسَطُ، والوَسَطُ[1]: العَدْلُ، وهذا كلُّه كلامُ استعطافٍ.

---

(١) «والوسط» ليس من (أ).

(٢٣) ـ ﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِى﴾ يعني: صاحبي وصديقي ﴿لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً﴾: هي الأنثى مِن الضَّأْن ﴿وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا﴾؛ أي: أعطِنيها واجعَلْها كِفْلي؛ أي: نَصيبي.

وقيل: أي: ضُمَّها إليَّ واجعلني كافِلَها.

﴿وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ﴾: أي: غلَبَني بعزِّ سُلْطانه، وهو مِن باب دخَل[1]، يقال: مَن عزَّ بَزَّ[2]، أي: مَنْ غلَبَ سلَبَ.

قال الإمام أبو منصور رحمه الله: وشهِدَ له الشُّهودُ بذلك[3].

***

(٢٤) ـ ﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾.

﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ﴾: أي: مَضْمومةً إلى نعاجه.

وقيل: أقرَّ خصمُه بذلك، فلذلك قال: ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ﴾: إذ معناه: إنْ كان الأمر كما تقولُ فلقد ظلَمَكَ.

﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ﴾: هو جَمْع خليط، وهو الذي يكون له مع الآخرِ خُلْطةٌ، أي: اختلاط بشِرْكة أو مُعاملة أخرى.

---

(١) في (ر): «جعل». والصواب المثبت، قال أبو حيان في «البحر المحيط» عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٩]: يقال: عَزَّ يعُزُّ بضم العين، أي: غلب، ومنه: ﴿وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ﴾، وعَزَّ يعَزُّ بفتحها، أي: اشتد، وعزَّ يعِزُّ من النفاسة، أي: لا نظير له.

(٢) انظر: «الأمثال» لأبي عبيد (ص: ١١٣)، و«الكامل» للمبرد (٤/ ٣٤).

(٣) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٨/ ٦١٥).

﴿لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾: أي: يطلب الفَضْل لنفْسِه ويظلم.

﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾: فإنهم لا يَبْغون.

﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾: ﴿مَّا﴾ زائدةٌ مؤكِّدةٌ؛ أي: هم قليل.

﴿وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ﴾: أي: علِمَ داود بالدليل أنَّا امتحَنَّاه فلمْ يصبِرْ على المِحْنَة حتى صار إلى خِلاف ما هو به أولى.

وقرأ أبو عمرو في رواية العبَّاس: (فَتَنَاهُ) بالتخفيف[1]، على أنَّ الخَصْمَين فتَنَاهُ، أي: أظهرا له ما خَفِيَ عليه.

﴿فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ﴾: زلَّته ﴿وَخَرَّ رَاكِعًا﴾؛ أي: سقَطَ على وجهه لله ﴿وَأَنَابَ﴾: أي: رجع إلى الله ممَّا وقَعَ فيه.

***

(٢٥) ـ ﴿فَغَفَرْنَا لَهُ ذَٰلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ﴾.

﴿فَغَفَرْنَا لَهُ ذَٰلِكَ﴾: أي: زلَّته ﴿وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ﴾؛ أي: القُرْبة في المنزلة يوم القيامة.

﴿وَحُسْنَ مَآبٍ﴾: أي: مَرْجِعٍ، وهو الجنة.

والدليلُ على أنَّ الركوع سجودٌ هاهنا أنَّ النبي ﷺ سجَدَ لها وقال: «سجدَها داود توبةً، ونحن نسجُدُها شُكْراً»[2].

وهذه قصة زلَّ فيها كثير مِن الناس، وقالوا في نبي الله داود عليه السلام ما

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٥٥٣)، و«المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٣٠)، و«الكامل في القراءات» للهذلي (ص: ٦٢٨).

(٢) رواه البخاري في «صحيحه» (٤٨٠٧)، والنسائي في «الكبرى» (١٠٣١) من حديث ابن عباس رضي الله عنه، واللفظ له.

لا يليقُ بحال الأنبياء، فإنَّ الله تعالى يقول في حقِّهم: ﴿وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، وهم هُداةُ البشر، وشُفَعاءُ العصاة[1] يوم القيامة، وكانوا في غاية الطهارة، وكمالِ الفراغ في حقِّ أنفسهم، والذي انتشرَ مِن ذلك روايةٌ أكثرُها مردود:

ما يُروى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: كان داود عليه السلام جزَّأ الدَّهْرَ أربعة أجزاء: يوماً للعبادة، ويوماً للقضاء، ويوماً للاشتغال بأشغاله، ويوماً يجمع بني إسرائيل فيُبكيهم ويُبْكونه، وكان في المحراب يومَ عبادته إذ وقع بين يديه طائر[2].

وعنه في رواية: أنَّ داود قال: يا رب! اجعلني مع أجدادي في رُتْبَتِهم، فأوحى الله إليه أنِّي لم أبتلِكَ بما ابتليتُ به أجدادكَ، فأما إبراهيم فابتليتُه بالمال والنَّفْس والولد فلم أرَ منه ما أكرهُه، وأما إسحاق فابتليتُه بالذَّبْح فسلَّمَ لقضائي، وأما يعقوب فابتليتُه بالحُزْن على ولده فرضِيَ وصبرَ، فإنْ شئتَ ابتليتُكَ وجعلتُكَ بمثابتهم، فقال داود: فابتلِني بما شئتَ، فأوحى الله إليه: إني مُبْتَليكَ في شهر كذا في يوم كذا، وإنما هو ساعة وامرأة، فتحيَّنَ داود الشَّهرَ واليوم، وخلَا ذلك اليومَ بنفْسِه، وجعل الحرسَ على بابه، وكانوا ثلاثين ألفاً ـ وقال مقاتل: ثلاثةً وثلاثين ألفاً، وقال القُرَظِيُّ: أربعة آلاف ـ ، فوكَّلَ الأحراسَ، ولبِسَ الصُّوف، ودخل المحراب، وفتحَ الزَّبور فوضعه بين يديه، فبينما هو في نُسُكِه إذ وقع طائر بين يديه، حسِبَه داود مِن ذهب، فمدَّ يده ليتناولَه ويدفعَه إلى بُنيٍّ له صغير، فوثبَ الطائر، وجثَمَ في موضع آخر، فقام إليه داود، فطار وجثَمَ على كُوَّةٍ، فقام داود إليها، فوقع بصرُه في بستان فيه أشجار، فرأى امرأةً لم ير الراؤون مِثْلَها جمالاً وحسناً وكمالاً، فتحيَّرَ داود وأُعْجِبَ بها، فرأت ظلَّهُ، فانتقَضَتْ في شَعرها، فغطَّتْ نفْسَها به، فازداد داود بذلك عَجَباً، فرجع وكان

---

(١) في (ر) و(ف): «الجناة».

(٢) في (ر): «طائر الفتنة».

له تلميذان مِن بني إسرائيل، فدعا أحدَهما فقال: اذهبْ فتأمَّلْ حالة المرأة والبستان، وهل هي ذاتُ زوج أم لا؟ فذهب ورجع، وقال: إنها بتشايع[1] امرأةُ أوريا بن حنانَا، وكان غائباً في غَزاة.

وقال مقاتل: كان أوريا في غَزاة نحوَ البَلْقاء مع أيوب بن صوريا ابن أخت داود، فكتب داود إلى أيوب: أنْ مُرْ أوريا بن حنانا حتى يأتيَ البلقاء، فيُقاتلَ أهلها حتى يفتَحَها أو يُقتَلَ، فقاتل حتى قُتِلَ.

وقال الكلبيُّ: لما تخاصمَ الملكان، وقال داود: ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ﴾ نظرَ أحدهما إلى الآخر[2] فضحِكَ، وعلِما أنَّ داود لم يفهم القضيَّة، فقاما مِن بين يديه، وصعِدا إلى السماء حِيال وجهه، فعلِمَ داود عند ذلك أنه مبتلًى، فذلك قوله تعالى: ﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ﴾[3].

---

(١) في (أ): «شائع»، وفي (ر): «تتشايع».

(٢) في (ر): «صاحبه».

(٣) ذكره هذه الروايات الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٦٤ ـ ٦٦)، والثعلبي في «تفسيره» (٨/ ١٨٦)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٧٨)، وليس فيها إسناد يصح، وفيها ما ينافي عصمة الأنبياء، ويخل بمنصبهم.

قال ابن كثير في «تفسيره» (٧/ ٦٠): قد ذكر المفسرون هاهنا قصة أكثرها مأخوذ من الإسرائيليات، ولم يثبت فيها عن المعصوم حديث يجب اتباعه. ثم قال: فالأولى أن يقتصر على مجرد تلاوة هذه القصة، وأن يرد علمها إلى الله عز وجل، فإن القرآن حق، وما تضمن فهو حق أيضاً.

وقال القاضي عياض في «الشفا» (٢/ ١٦٣): وأما قصة داود عليه السلام فلا يجب أن يلتفت إلى ما سطره فيه الأخباريون عن أهل الكتاب الذين بدلوا وغيروا ونقله بعض المفسرين، ولم ينص الله على شيء من ذلك، ولا ورد في حديث صحيح، والذي نصَّ اللهُ تعالى عليه قولُه: ﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ (٢٤) فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾ [ص: ٢٤ ـ ٢٥]، وقولُه فيه: ﴿إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص: ١٧].

قال سعيد بن جُبير وابن المسيِّب: سمعتُ عليًّا رضي الله عنه يقول: مَن حدَّثكم بحديث داود على ما يرويه القُصَّاص جلدتُه مئة وستين؛ لأنه حدُّ الفِرْية على الأنبياء، فأُضَعِّفُه[1].

وقيل: كانت زلَّته أنه تمنى أنْ يتزوَّجَ بامرأة أوريا، لكنْ صبر ولم يطلُبْ، واتفقت غيبة أوريا في غَزاة استشهد فيها مِن غير قَصْد من داود، فأُخْبِرَ بذلك، فلم يجزَعْ عليه كما جزِعَ على غيره، فعوتب عليه.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: أما وقوعُ الطائر بقُرْبٍ منه ونظرُه إليه وإعجابُه به والهمُّ بأخذه فيُحتمَل أنْ يكون، وكذا الذهاب لطلَبه والنظر إليه أنه مِن أين؟ وإلى أين؟ وإلى ماذا صار؟ فذلك محتمَلٌ أنْ يكون، ثم هو مَعْذور في ذلك؛ لمَّا كانت الطيور حُشِرَتْ إليه وسُخِّرَتْ في التسبيح معه والطاعة له، فجائزٌ أنْ يكون له البحث عن حال ذلك الطائر على حسب ما كان مِن سليمان، قال تعالى: ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَالِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ﴾ [النمل: ٢٠].

وكذلك وقوعُ بصَرِه على تلك المرأة، فكان بلا قَصْدٍ منه، فكان مَعْذوراً فيه، وميلُ قلبِه إليها لحُسْنها وجمالها، فذلك مِن غير تكلُّفٍ منه، فأما إدامة النَّظر إليها، فإنه لا يُحتمل أنْ يكون ذلك منه ولا مِن نبي مِن الأنبياء النَّظرُ إلى ما لا يحِلُّ النظر إليه.

وكذا بعثُ زوجها في القتال ليُقتلَ، فهذا أيضاً غير مُحتمل، لكنه يُحتمل بعثُه ليجاهد أعداء الله تعالى، وكان ذلك فرضاً عليه، وقُتل فيه من غير أن يُتوهَّمَ منه قصدُ قتلِه وهلاكه[2].

---

(١) ذكره الزمخشري في «الكشاف» (٤/ ٨١)، والرازي في «تفسيره» (٢٦/ ٣٧٩) من غير إسناد.

(٢) كذا ذكر الماتريدي هذه التأويلات، وكلها لا لزوم لها، فإن التأويل فرع عن ثبوت النص، فلما كانت الروايات في القصة غير ثابتة فلا حاجة إلى تأويلها، وتنزيه النبي المعصوم أولى.

قال: فإنْ قيل: كيف عُوتِبَ كلَّ هذا العتابِ ـ حتى بعَثَ الملائكة بالخصومة عنده تمثيلاً لحاله وتقريراً لذلك عنده، ثم أخبَر أنه غفَر له بعد طول المدة ـ إنْ كان معذوراً في ذلك غيرَ مؤاخَذٍ به؟

قيل: إن الأنبياء عليهم السلام كانوا يؤاخَذون بأدنى شيء كان منهم مما لا يُؤاخذُ غيرهم بذلك، بل يُعدُّ ذلك منهم مِن أرفع الأعمال وأجلِّها؛ نحوَ ما عُوتِبَ يونس عليه السلام في خروجه مِن بين قومه لِيَسْلَمَ له دينه أو نفْسه، لكنه خرَجَ بلا إذن مِن الله فعوتِبَ كذلك، فعلى ذلك جاز أنْ يكون عِتابُ داود عليه السلام؛ لأنَّ ما فُعِلَ فُعِلَ بغير إذن مِن الله تعالى.

ثم في بعْثِ الملائكة إليه وجوهٌ مِن الحكمة، وأنواعٌ مِن الفائدة:

أحدُها: جوازُ الحُجَّاب والحرَس، حيث دخلوا عليه مِن غير الباب.

والثاني: رفعُ الحُجَّاب عن الخصوم، والجلوسُ للقضاء في وقت حاجة الخُصوم، لا على وقت اختيار نفْسِه، حيث دخلوا عليه مِن غير باب الخصومة بلا إذنٍ منه.

والثالث: قُدْرةُ الملائكة على التصوُّرِ بصورة البشر، وذلك يرُدُّ على الفلاسفة قولَهم بخلافه.

ثم قولُ الخَصْمين ﴿بَغَىٰ بَعۡضُنَا عَلَىٰ بَعۡضٖ﴾ وكذا وكذا ـ ولم يكن ذلك منهما ـ ليس بكذِب، بل هو تمثيلٌ وتشبيهٌ[1]، أي: لو كان أخوان لأحدهما كذا وكذا نَعْجةً وللآخر نَعْجةٌ واحدةٌ، فغلَب صاحبُ النِّعاج الكثيرة على صاحب النَّعْجة الواحدة فأخذَها، أليس يكون ظالماً؟ فيكون تمثيلاً لا تحقيقاً[2].

---

(١) في (ر): «وتغشية».

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٨/ ٦١٥ ـ ٦١٧).

وقال غيره: هو مِن مَعاريض الكلام، ومعنى قولِه: ﴿خَصۡمَانِ﴾: أي: نحن في صورة خَصْمين بغى أحدُهما على الآخر، وذِكْرُ التسع والتسعين نَعْجةً تمثيلٌ لنساء نبي الله داود عليه السلام، فقد كانت نساؤُه بهذا العدد، والعرب تُكَنِّي عن النِّسوة بالنِّعاج والبقر والنَّوْق، وقال عنترة:

يا شاةَ ما قَنَصٍ لمن حَلَّتْ له ... حرُمَتْ عليَّ ولَيْتَها لم تَحْرُمِ[1]

وقيل: لم يكن منه إلَّا خِطْبتُها؛ إذ ليس في الآية إلا قولُه: ﴿فَقَالَ أَكۡفِلۡنِيهَا﴾؛ إذ ليس فيه أنه أخذَها، وكذلك قولُه: ﴿لَقَدۡ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعۡجَتِكَ﴾، ولم يقل: بأَخْذِ نعجتِك، وكذلك قال: ﴿وَعَزَّنِي فِي ٱلۡخِطَابِ﴾، ولم يقل: في الاستيلاء.

وقيل: كانت زلَّته أنه سأل عنها، فقيل: فارِغةٌ، فخطَبَها، وكان خطَبَها غيرُه قَبْلَه، وكانت خِطْبَةً على خِطْبة أخيه، فعُوتِبَ لذلك، وعلى هذا قولُه: ﴿وَعَزَّنِي فِي ٱلۡخِطَابِ﴾: أي: في خِطابها بالخِطْبة.

وقال محمد بن جرير الطبريُّ: القصةُ على ظاهرها، والخصمان كانا مِن الإِنس، وقعَتْ لهما هذه الخصومة[2] على الحقيقةِ، فاستعجلا في الوصول إلى نبي الله بالتَّسَوُّر في المحراب، ولم ينتظِرا خروجه ولا إِذْنَ الحُجَّاب، وكان هذا مِن سوء الأدب، فاستنكَره داود عليه السلام وتسخَّطَ[3] عليهما، ثم مالَ قلبُه إلى

---

(١) انظر: «ديوان عنترة بن شداد» (ص: ١٧٨)، والبيت من معلقته الشهيرة، قوله: (يا شاة) كناية عن المرأة، والعرب تكني أيضا عن المرأة بالنعجة، وأراد: يا شاةَ قنصٍ؛ أي: صيد، وقوله: (لمن حلَّت له)؛ أي: لمن قدر عليها، وقوله: (حرُمتْ عليَّ) اختلفوا في السبب، فقيل: لأنها كانت من قوم أعداء، وقيل: لأنها كانت جارته وقيل غير ذلك. انظر: «شرح القصائد العشر» للتبريزي (ص: ٢٠٧).

(٢) في (أ): «الحادثة».

(٣) في (أ): «واستنكره وسخط» بدل: «فاستنكره داود عليه السلام وتسخط».

المدَّعي لترقيقه في الكلام، فعجَّلَ في الحُكْم قبلَ مسألة الخَصْم، فقال: ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ﴾، فكان ذلك زلَّةً منه؛ إذ كان الواجب عليه الاحتمالَ منهما، وأنْ لا يُعَجِّلَ في القضاء.

وقولُه تعالى: ﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ﴾: أي: وقعَ له في غالب الظَّنِّ أنَّه أخطأَ فيما فعَلَ، وأنما قد فتنَّاه بذلك ﴿فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ﴾.

وقولُه: ﴿فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ﴾ دليلٌ أيضاً على ما قلناه، فإنَّ قوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارةٌ إلى المذكور قبله، وهو ما ذُكِر في الآية دون شيء آخر، وكذلك ما بعده: ﴿فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ﴾ يؤيِّدُ هذا[1]، وإذا كان ما ذكَرْناه جائزاً ولم يَرِدْ خبرٌ عمَّنْ يجب تقليده بخلافه، كان لزوم الظاهر أولى مِن غيره، ولم يثبُتْ خبرٌ بأنَّ الخصمين كانا ملَكَين، ولا أنه كان من داود عليه السلام ما ذكَرَه أهل الروايات مِن قصة تلك المرأة[2].

---

(١) في (ر): «ذلك».

(٢) لم أجد هذا الكلام عند الطبري، لكن قال نحوه ابن حزم في «الفصل في الملل والنحل» (٤/ ١٤) فذكر أن ما جاء في الآية لا يدل على شيء مما قاله المستهزئون الكاذبون المتعلقون بخرافات ولَّدها اليهود، ثم قال: (وإنما كان ذلك الخصم قوماً من بني آدم بلا شك، مختصمين في نعاج من الغنم على الحقيقة بينهم، بغى أحدهما على الآخر على نص الآية، ومن قال: إنهم كانوا ملائكة معرِّضين بأمر النساء، فقد كذب على الله عز وجل وقوَّله ما لم يقل، وزاد في القرآن ما ليس فيه، وكذَّب الله عز وَجل، وَأقر على نَفسه الخبيثة أنه كذَّب الملائكة؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ﴾ فقال هو: لم يكونوا قطّ خصمين، ولا بغى بعضهم على بعض، ولا كان قطّ لأحدهما تسع وتسْعُونَ نعجة، ولا كان للآخر نعجةٌ واحِدَةٌ، ولا قال له: ﴿أَكْفِلْنِيهَا﴾... ثم كل ذلك بلا دليل، بل الدعوى المجردةُ، وتالله إن كل امرئ منا ليصون نفسه وجاره المستور عن أن يتعشق امرأة جاره ثم يعرِّض زوجها للقتل عمدا ليتزوجها، وعن أن يترك صلاته لطائر يراه، هذه أفعال السفهاء المتهوكين =

وقال[١] الإمام أبو منصور رحمه الله: فإنْ قيل: ما الحكمةُ في ذِكْر زلّات الرسل، واللهُ تعالى وصَفَ نفْسَه بأنه غفور؛ أي: ستورٌ، وقد أمرَنا بالسَّتر على مَن ارتكب[٢] ذنباً، فكيف ذكَرَ هو زلّات أنبيائه حتى تُقرأ زلّاتهم في المساجد والمكاتب بأعلى صوت إلى يوم القيامة؟

قلنا: لذلك وجوه:

أحدُها: أنْ تكون آيةً لرسالته؛ لأنَّ قلوب الخلق لا تحتمِلُ ذِكْرَ مساوئ الآباء والأجداد، وذِكْرَ مساوئ أنفسهم، فإذا ذكرَ رسولُ الله ﷺ ذلك، دلَّ على أنه عن أمرٍ مِن الله يذكُرُ ذلك.

والثاني: ذكَرَ زلّاتهم امتحاناً منه عبادَه بأنْ[٣] كيف يُعاملون رسلهم بعدما عرَفوا منهم الزلّات؟ وكيف ينظُرون إليهم بعين الرَّأفة والرحمة؟ يمتحِنُهم بذلك على ما امتحنَهم بسائر أنواع المِحَن.

والثالث: لِيَعلمَ الخَلْقُ أنَّ الرسل كيف عاملوا ربهم عند زلاتهم، فيُعاملون هم ربَّهم عند ذنوبهم كذلك مِن البُكاء والتضرُّع والفزَع إلى الله والتوبة.

والرابع: أنْ يكون ذكَرَها لِيُعلمَ أنَّ ارتكاب الصغائر لا يُزيل الولاية، ولا يُخرِجُ مِن الإيمان؛ ردًّا على الخوارج.

= الفساق المتمردين لا أفعال أهل البر والتقوى، فكيف برسول الله داود الذي أوحى إليه كتابه وأجرى على لسانه كلامه، لقد نزهه الله عز وجل عن أن يمر مثل هذا الفحش بباله فكيف أن يستضيف إلى أفعاله...) إلى آخر ما قال.

(١) في (ر): (قال)، وفي (ف): «فقد قال».

(٢) بعدها في (ر): «كبيرة».

(٣) في (ر): «أن»، وفي (ف): «أي».

والخامس: أنْ يكون ذلك لِيُعلمَ أنَّ الصغيرة ليست بمغفورةٍ، ولله أنْ يُعذِّبَ عليها؛ ردًّا على المعتزلة[١].

وقال غيره: جاء في التفسير في قوله: ﴿وَخَرَّ رَاكِعًا﴾ أنه خرَّ ساجداً أربعين يوماً وليلةً حتى نبتَ العُشْبُ مِن دموعه، فأوحى الله تعالى إليه: أنَّا قد غفَرْنا لكَ[٢].

ورُوِي: أنه ما شربَ مدَّةً كثيرةً ماءً في إناء إلا وثُلُثاه دمعٌ، والثُّلُثُ ماء.

وقيل: أغلَقَ داودُ يومَ خوفِ الابتلاء على نفْسِه أبوابَ الدار، لكنْ لم يُمْكِنْه أنْ يُغْلِقَ على نفْسه أبواب[٣] الأقدار.

* * *

(٢٦) ـ ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ﴾: أي: صيَّرْناكَ في الأرض حاكماً بين العِباد، وخلَفاً عمَّن كان قبلك فيها مِن الأنبياء.

﴿فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ﴾: أي: فامنَعِ المتنازِعين بعضَهم مِن بعض بما أمَرَ الله تعالى به مِن ذلك، فإنه الحقُّ؛ أي: الذي يحِقُّ أنْ تَعْمَلَ به.

﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ﴾: أي: هواكَ المخالِفَ لأمر الله.

﴿فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: نصبٌ بالفاء؛ لأنه جواب النَّهْي؛ أي: يعدِلَ بك الهوى واتِّباعُه عن الطريق المُفضي بسالكه إلى رِضوان الله.

---

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» (٨/ ٦١٨).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٦٤) عن ابن عباس، وقد تقدمت قطعة منه، ورواه (٢٠/ ٦٩) عن الحسن.

(٣) في (أ): «باب».

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾: نصب ﴿يَوْمَ﴾ لوجهين:

أحدُهما: أنه ظرفُ قولِه: ﴿عَذَابٌ شَدِيدٌۢ﴾؛ أي: لهم ذلك يوم القيامة ﴿بِمَا نَسُوا۟﴾: أي: تركوا سلوكَ سبيل الله.

والثاني: أنه مفعولُ ﴿نَسُوا۟﴾؛ أي: نسُوا يوم الحساب الذي فيه حُكْمُ الله بين عباده بالحق، فحكَموا في الدنيا بغير الحقِّ.

وهذا النِّسيان هو التَّناسي والتَّغافُل.

ثم هذا الخِطاب مِن قوله: ﴿يَٰدَاوُۥدُ﴾ إلى هاهنا يحتمِلُ الاستخلافَ بعد التوبة عليه، ويحتمِلُ أنْ يكون معناه: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ﴾ فاثبُتْ على ذلك، ﴿فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ﴾.

* * *

(٢٧) ـ ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا﴾: هو تذكير عن نسيان يوم الحساب.

يقول: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ مِن المكلَّفين لأُهملَهم، فلا آمرَهم ولا أنهاهم، بل خلقْتُهم لِأمتحنَهم وأُكلِّفَهم، وإذا كلَّفْتُهم ميَّزْتُ بين مُحْسِنهم ومُسيئهم بالثواب والعقاب، وذلك يوم الحساب.

وقولُه تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾: أي: ظنُّ خَلْقِ السماء والأرض وما بينهما باطلاً هو ظنُّ الكفار ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ﴾.

(٢٨) ـ ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ﴾: ﴿أَمْ﴾ بمعنى ألف الاستفهام، أو هو عطفٌ على ألفِ استفهامٍ مُقدَّرٍ على ما مرَّ تقريره مرات، وهو استفهام بمعنى النفي، وهو تحقيق معنى الامتحان، والتَّمييز بين أهل الإساءة والإحسان.

وقولُه تعالى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾: أي: كالعُصاة الذين يَفْجُرون؛ أي: يَميلون عن الحق إلى الباطل.

وقيل: هذا متَّصلٌ بقوله: ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ (٩) أَمْ لَهُم مُّلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، وعُطف بعضها على بعض بـ(أم).

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾: يعني: عليًّا، وحمزةَ، وعبيدةَ بن الحارث رضي الله عنهم، ﴿كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ﴾: يعني: عُتْبة وشَيْبة ابنا ربيعة، والوليد بن عُتْبة لعنهم الله[1].

وقال مقاتل: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾: يعني: بني هاشم بن عبد مَناف، ﴿كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ﴾: يعني: بني عبد شمس[2].

* * *

(٢٩ ـ ٣٠) ـ ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ (٢٩) وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾.

---

(١) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٨/ ٢٦١) من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس، وذكره السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ١٦٥) من رواية الكلبي عن ابن عباس.

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٦٤٣)، وذكره السمعاني في «تفسيره» (٤/ ٤٣٨) من غير نسبة.

وقولُه تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ﴾: أي: هذا كتاب أنزلناه إليك مبارك.

﴿لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ﴾: أي: الذين آمنوا وعملوا الصالحات والمُفسدون والمُتَّقون والفُجَّار؛ أي: ليتفكَّروا[1] بعقولهم ما فيه مِن العلامات الدالَّة على الحق والباطل.

﴿وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾: أي: وليتَّعظوا بعِظاته، ويتذكَّروا بذِكْره، فإنه القرآن ذو الذِّكْر كما ذُكِرَ في أول السورة.

وقولُه تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ﴾: أي: رزَقْناه ولداً اسمه سليمان.

﴿نِعْمَ ٱلْعَبْدُ﴾: أي: سليمانُ نِعْمَ العبدُ.

﴿إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾: إذ كان[2] رجَّاعاً إلينا في أموره، مُستغفِراً مِن زلَّته.

* * *

(٣١) ـ ﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِيِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ﴾: صِلةُ قولِه: ﴿نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿بِٱلْعَشِيِّ﴾: أي: آخرَ النهار، وهو وقتُ العصر.

﴿ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ﴾: عُرِضَتْ عليه الخيلُ لينظُرَ إليها؛ إظهاراً منه الحُبَّ للجهاد، والحِرْصَ عليه، والحثَّ للناس على الاقتداء به في ارتباطها.

وقولُه: ﴿ٱلصَّٰفِنَٰتُ﴾: الخيول القائمةُ على ثلاث قوائمَ وقد أقامَتْ قائمةً[3] على طَرَف الحافر مِن يد أو رجل، مِن باب ضرَب، ومصدرُه: الصُّفون.

---

(١) في (أ): «ليتدبروا».

(٢) في (ف): «أي» بدل: «إذ كان».

(٣) أي: أقامت القائمة الرابعة.

وقال القُتَبيُّ: الصَّافِن في كلام العرب: الواقف مِن الخيل وغيرِها؛ قال النبي ﷺ: «مَن سرَّه أنْ تقوم له الرجال صُفوناً فليتبوَّأ مقعدَه مِن النار»[(١)].

قولُه: ﴿ٱلْجِيَادُ﴾: جمع جَواد، وهو الذي يُجيدُ السَّيْر، ويتَّسِع في العَدْوِ، وهما وَصْفان:

أحدُهما: حُسْنُ هيأتها في وقوفها.

والثاني: جودة سَيرها حال ركضها.

قال الكلبي: غزا سليمان بن داود عليهما السلام أهلَ دمشقَ ونَصِيبين، فأصاب منهم ألف فرس، فكانت الخيل تُعرَضُ عليه وقت العصر، فعُرِضتْ عليه منها تسعُ مئة، فتنبَّهَ لصلاة العصر، فإذا الصلاة فاته وقتُها، فأمر بها فعُرْقِبَتْ[(٢)] وبقِيَتْ منها مئة، وهي التي تناسلت إلى اليوم[(٣)].

وقال مقاتل: ورِثَ سليمان مِن أبيه ألف فرس كان أبوه أصابَها مِن العمالقة،

---

(١) انظر: «غريب القرآن» لابن قتيبة (ص: ٣٧٩).

والحديث ذكره الخطابي في «غريب الحديث» (١/ ٣٩٧)، والماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (٨/ ٦٢٦)، والهروي في «الغريبين» (مادة: صفن)، والثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٢٠٠)، والزمخشري في «الكشاف» (٤/ ٩١)، من غير سند، وقال الزيلعي في «تخريج الكشاف» (٣/ ١٨٩): غريب. والثابت في الحديث ما رواه الترمذي في «سننه» (٢٧٥٥) وحسنه، وأبو داود في «سننه» (٥٢٢٩)، والإمام أحمد في «مسنده» (١٦٨٣٠)، من حديث معاوية رضي الله عنه، بلفظ: «من سره أن يتمثل له الرجال قياماً، فليتبوأ مقعده من النار».

(٢) يقال: عَرْقَبْتُ الدابة: إذا قطَعْت عُرْقُوبها، وهو كناية عن قتلها، والعُرْقُوب: العصب الغليظ المُوَتَّر فوق عَقِبِ الإنسان، وعُرْقوبُ الدابة في رِجلها بمنزلة الرُّكبة في يدها. انظر: «تهذيب اللغة» للأزهري (٣/ ١٨٥) و«الصحاح» (مادة: عرقب).

(٣) وهذا من خرافات الكلبي وما أكثرها!

فصلَّى الصلاة الأولى وقعَدَ على كرسيه وهي تُعرضُ عليه، ففاتته صلاة العصر، فضرَبَ سُوقَها وأعناقَها(١).

وقال الحسن: بلغني أنها كانت خيلاً خرجتْ مِن البحر لها أجنحةٌ، فكانت تُعرَضُ عليه وقت العصر حتى فاتته الصلاة(٢).

***

(٣٢) ـ ﴿فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ﴾: أي: آثرْتُ؛ كما قال: ﴿فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ [فصلت: ١٧].

وقولُه تعالى: ﴿حُبَّ ٱلْخَيْرِ﴾: أي: حُبِّي للخير؛ كما قال: ﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥]؛ أي: كحُبِّهم لله.

و﴿ٱلْخَيْرِ﴾ قال قتادة والسُّدِّي: أي: الخَيْل(٣)، قال النبي ﷺ: «الخيل مَعْقودٌ بنواصيها الخيرُ إلى يوم القيامة»(٤).

وقيل: أي: حُبَّ المال؛ كما قال: ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ [العاديات: ٨].

وقولُه تعالى: ﴿عَن ذِكْرِ رَبِّى﴾: أي: على ذِكْر ربي، ويجوز (عن) عبارةً عن (على)(٥)؛ قال تعالى: ﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ﴾ [يوسف: ٢٣]؛ أي: على نفْسه، قال الشاعر:

---

(١) ذكرهما عن الكلبي ومقاتل الثعلبيُّ في «تفسيره» (٨/ ١٩٩)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٨٨).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ١٩٩)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٨٨) عن عوف عن الحسن.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٨٤) عن السدي، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٩٢) عن قتادة والسدي.

(٤) رواه البخاري (٢٨٥٠)، ومسلم (١٨٧٣)، من حديث عروة بن الجعد رضي الله عنه.

(٥) في (ر) و(ف): «ويجوز عن عبادة ربي».

إذا رضِيَتْ عليَّ بنو قُشير لَعَمْرُ الله أعجبني رضاها[١]

وقيل: ﴿إِنِّيٓ أَحۡبَبۡتُ حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ عَن ذِكۡرِ رَبِّي﴾؛ أي: أحببْتُ الخيرَ[٢] حُبًّا شغَلَني عن ذِكْر ربي.

وقيل: ﴿أَحۡبَبۡتُ﴾؛ أي: قعدتُ وتأخَّرْتُ، يقال: أَحَبَّ الجملُ: إذا برَكَ، وأحبَّ الأسدُ: إذا طأطأَ رأسَه وسكَنَ، قال الشاعر:

مُحِبٌّ كإِحْباب السَّقيم وإنما به أَسَفٌ أنْ لا يَرى مَن يُساورُه[٣]

يصِفُ الأسد.

وتقديره: إني قعدتُ وتأخَّرْتُ لحُبِّ الخيل[٤] عن ذِكْر ربي.

والذِّكْرُ: الصلاة؛ كما قال تعالى: ﴿فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ [الجمعة: ٩].

وأراد بقوله: ﴿عَن ذِكۡرِ رَبِّي﴾: صلاةَ العصر، وهذا عن علي وقتادة والسُّدِّي[٥].

وقولُه تعالى: ﴿حَتَّىٰ تَوَارَتۡ بِٱلۡحِجَابِ﴾: أي: توارَتِ الشمس بما حجَبها عن الأبصار، ولم يَسْبِقْ ذِكْرُها، لكنْ نعرف أنها المراد لأنه ذكَرَ العَشِيَّ، ولا شيءَ يتوارى

---

(١) البيت لقُحَيف العُقَيلي، كما في «النوادر» لأبي زيد (ص: ٤٨١)، و«أدب الكاتب» لابن قتيبة (ص: ٥٠٧).

(٢) في (ر) و(ف): «الخير».

(٣) البيت لأبي الفضل الكناني، كما في «الأصمعيات» (ص: ٧٨)، وذكره ابن فارس في «مقاييس اللغة» (٢/ ٢٧)، وثعلب في «مجالسه» (ص: ٦٤) من غير نسبة، والرواية في «الأصمعيات»:

محب كإحباب السقيم وما به سوى أسف أن لا يرى من يشاور

(٤) في (أ): «الخير».

(٥) رواه عنهم الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٨٤).

حينئذ غيرُها، وهذا كقوله: ﴿مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ﴾ [فاطر: ٤٥]، وقوله: ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ﴾ [الواقعة: ٨٣]، ﴿إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ﴾ [المرسلات: ٣٢]، قال لَبيد:

حتى إذا أَلْقَتْ يداً في كافر ... وأجَنَّ عوْراتِ الثُّغورِ ظَلامُها[1]

يعني: الشَّمسَ.

وقال حاتم الطائي:

أَماوِيَّ! لا يُغْني الثَّراء عن الفتى ... إذا حَشْرَجَتْ يوماً وضاق بها الصَّدْرُ[2]

يعني: النَّفْس.

(٣٣) ـ ﴿رُدُّوهَا عَلَىَّ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿رُدُّوهَا عَلَىَّ﴾: أي: الصَّافناتِ الجِياد.

﴿فَطَفِقَ﴾: أي: أخذَ وابتدأ ﴿مَسْحًۢا﴾؛ أي: يمسَحُ مَسْحاً؛ قال أبو عبيدة: أي: يقْطَع، يقال: مسح علاوته؛ أي: ضرب عنقه، وكذا قال الكسائي والفراء والخليل وجماعة مِن المفسرين: أنَّه القَطْعُ[3].

﴿بِٱلسُّوقِ﴾: وهي جمع الساق.

﴿وَٱلْأَعْنَاقِ﴾: جمع العُنُق؛ أي: جعل يُعَرْقِبُ سُوقَها ويقطَعُ أعناقها.

واختلفوا في وجه ذلك على هذا القول:

---

(١) انظر: «ديوان لبيد بن ربيعة» (ص: ١١٤)، والبيت من معلقته الشهيرة.

(٢) انظر: «ديوان حاتم بن عبد الله الطائي وأخباره» ليحيى بن مدرك الطائي (ص: ٢١٠).

(٣) انظر: «العين» للخليل (٣/ ١٥٦)، و«مجاز القرآن» لأبي عبيدة (٢/ ١٨٣)، وذكره الواحدي في «الوسيط» (٣/ ٥٥٢) عن الفراء، وجعله ابن الجوزي في «زاد المسير» (٧/ ١٣١) قول الجمهور.

قيل: فعَلَ ذلك تلهُّفاً على فَوْت الصلاة، فأتلفَها قَطْعاً لأسباب الشُّغل عن ذِكْر الله تعالى، وهو كمَن شغَلَه ثوبُه عن الصلاة فخرَقه[1] حَسْماً لطمَع الشيطان في عوده إلى مثله، وللإنسان إتلافُ ماله في غرَضٍ صالحٍ.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: إنْ ثبَتَ هذا فلوجهين:

أحدهما: أنه كان ذلك في شريعته جائزاً، وإنْ كان لا يجوز في شريعتنا إتلافُ الحيوان وتعذيبُه، وهو كتعذيبِه الهُدْهُدَ حين تفقَّدَه، ولا يجوز تعذيب الطير في شريعتنا، أو يكون ذلك منه قبْلَ نهيه عن المُثْلة، ثم نُهِيَ عنها، فحُرِّمَ ذلك عليه وعلينا.

والثاني: أنْ يكون ذلك عبارةً عن الذبح؛ لتُفَرَّقَ لحومُها على الناس، فيكونَ كفارة لِمَا كان منه[2].

وهذا وجهٌ آخر قال به جماعة: أنَّه ذبحَها وأطعمَها الناسَ، فدلَّ ذلك على أنَّ الخيل كانت مأكولةً في شريعته، ولم يكن ذلك تعذيباً للخيل، بل رياضةً للنَّفْس، وتقرُّباً إلى الله تعالى بأحبِّ الأموال إليه، وعلى هذا عَرْقَبَةُ السوق كانت لئلَّا[3] تنفِرَ، ويُتمكَّن مِن ذبحها، وقَطْعُ الأعناق كانت ذبحاً وذكاة ومشروعة، وشكَرَ الله سَعْيه ذلك، فأثنى عليه به، وأبدَله مكانها ريحاً غُدُوُّها شهرٌ ورَواحُها شهر، فزاد في المعونة، ورفَعَ المؤونة.

وفيه قولان آخران سوى القَطْع والذَّبْح:

أحدُهما: أنه مسَحَ السُّوق، أي: كواها، وكوى على الأعناق أيضاً، وجعلَها في سبيل الله للغُزاة، وأعلَمَها بالكيِّ، وليس المسح باسمٍ للقَطْع لا محالةَ، فإنه عبارة عن المسِّ، وذلك يقع بما دون القَطْع.

---

(١) في (أ): «فحرقه».

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٨/ ٦٢٥).

(٣) في (ر): «ولهذا عرقبة السوق لئلا».

والآخر: أنه كان مُجَرَّدَ مسٍّ للسُّوق والأعناق؛ قال ابن عباس رضي الله عنهما: جعل يمسَحُ أعْرافَ الخيلِ وعراقيبها حُبًّا لها[1].

وقال الزُّهْري: مسَحَ الغُبار عنها، وليس يأنَفُ الرجل ـ وإنْ جلَّ مقداره ـ عن تعهُّدِ الخيل بنفْسه[2].

وقيل أيضاً: كان يمسَحُ هذه المواضع ينظُرُ: هل حدَثَ بها عيبٌ فيُسْتَصْلَحَ؟

وقيل على هذا الوجه: عُرِضَ عليه بعضها، ثم تذكَّرَ الصلاة فصلاها، ثم أمرَ بعَرْض ما بقِيَ عليه، فجعل يمسح سُوقها وأعناقها، وذلك قوله: ﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ﴾، أو رُدَّ كلُّ ما[3] عُرِض عليه مرَّةً، فرآها ثانياً ومسَحها؛ إظهاراً لحُبِّها وحثًّا على ارتباطها.

وقيل على هذا: ليس في الآية ذِكْرُ فوت الصلاة.

ولها تأويل آخر: ﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ﴾: الخيلُ، فنظَرَ إليها إلى غروب الشمس حُبًّا للخيل، ورغبةً في إمساكها للجهاد في سبيل الله تعالى، وإظهاراً للناس بقوله: إنه يُحبُّها بأمر الله تعالى، فإن معنى قوله: ﴿إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ﴾؛ أي: الخيل؛ أي: أحببتُها حبًّا ﴿عَن ذِكْرِ رَبِّي﴾؛ أي: بما ذكَر لي ربي في الزَّبور أنَّ حُبَّها وارتباطَها مما يرضى به الله تعالى، وقال: أعيدوها عليَّ، فجعل يمسحها مسحاً إظهاراً لمحبَّتها.

* * *

(٣٤) ـ ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ﴾.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٨٧)، وهو الصواب في القصة، ورجحه الطبري فقال: وهذا القول الذي ذكرنا عن ابن عباس أشبه بتأويل الآية؛ لأن نبي الله لم يكن إن شاء الله ليعذب حيواناً بالعرقبة، ويهلك مالاً من ماله بغير سبب سوى أنه اشتغل عن صلاته بالنظر إليها، ولا ذنب لها في اشتغاله بالنظر إليها.

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٢٠١)، والبغوي في «تفسيره» (٤/ ٦٨) عن الزهري وابن كيسان.

(٣) في (أ) و(ر): «أورد كل» بدل من «أي: ردوا ما».

وقولُه تعالى: ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ ﴾: أي: اختبرناه كما اختبرنا آباءه، كما قال: ﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ﴾ [ص: ٢٤].

﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ﴾: هو بيان تلك الفتنة.

﴿ثُمَّ أَنَابَ ﴾: هو إلى الله؛ أي: رجع إليه كما رجع أبوه وأناب واستغفر الله تعالى، فغفَرَ الله له، فسأله المُلْك الذي لا ينبغي لأحد مِن بعده فأعطاه، كما جعل أباه خليفةً في الناس، ووعدَه الزُّلْفى وحُسْنَ مآب.

وزلَّ في تفسير هذه الآية بشرٌ كثيرٌ، ورووا فيه رواياتٍ مختلفةً:

قال قتادة: إنَّ سليمان غزا ملِكاً من الملوك، فقهره وسبى ابنةً له، وشُغفَ بها، واختصَّها مِن بين نسائه، وكان اسمها: جرادة، فقالت لسليمان: إنْ رأيتَ أنْ تأذنَ لي حتى أتَّخذ صورةً على صورة أبي، فلستُ أتمالَكُ شوقاً إليه، فأذن لها، فاتَّخذت صنماً، فعبَدَته في دار سليمان أربعين يوماً، وقيل: خمسين يوماً، فابتلى الله سليمان بسبب ذلك بنَقْل مُلْكه عنه، وإلقاء جسد على كرسيِّ مُلْكه[1].

وقال مقاتل: هو شيطان اسمه: صخرُ بنُ عمير بن عمرو[2] بن شرحبيل، قال له سليمان: كيف تفتنون الناس؟ قال: أعطني خاتمكَ حتى أُخبرَك، فأعطاه خاتمه، فرماه في البحر، فانتقل مُلْك سليمان عنه لزوال خاتمه[3].

وقيل: تختَّمَ صخرٌ به، فصار المُلْك له.

وقال السُّدِّي: كانت لسليمان ثلاثُ مئة نِسْوة مَهْرِيَّة، وكان آثرُ نسائه عنده امرأةٌ

---

(١) ذكره الثعلبي بنحوه مطولًا في «تفسيره» (٨/ ٢٠١)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٩١)، عن وهب بن منبه، ولا شك أنه من خرافات بني إسرائيل التي أكثر منها وهب.

(٢) في (أ): «عميرة» بدل: «عمير بن عمرو».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٨٨) عن ابن عباس ومجاهد وقتادة، وخبر ابن عباس ضعيف جدًّا، وهذا كله من الإسرائيليات.

يقال لها: جرادة، وكان سليمان إذا أجنبَ أو دخل الخَلاء نزَعَ خاتمه فدفعه إليها، لا يأمَنُ عليه سواها، فدخل الخَلاء يوماً ودفَعَ الخاتم إليها، فجاء شيطان اسمه: آشمَدِّي[١] على صورة سليمان، وأخذَ منها الخاتم فظنَّته سليمان، وقعد الشيطان على كرسيه، وخرج سليمان مِن الخلاء فطالبَها به، فقالت: ألَمْ أُعْطِكَهُ الآن؟! فخرج سليمان وغاب، وقعد الشيطان على كرسيه يقضي بين الناس[٢].

وذكروا أشياء لا تقبلُها العقول السليمة، وتردُّها العقائد المستقيمة، ولا يجوز على نبي الله سليمان ولا على سائر الأنبياء الرضا بعبادة الأصنام[٣]، ولا التَّرْكُ بعد العلم، فإنْ فعلَتْ ذلك امرأته بغير علمه، فما معنى عِتاب سليمان به وهو لا يَعْلَم به؟!

وكيف يجوز تسليط الشيطان أن[٤] يحكُمَ بين الناس بالباطل، ويأتيَ النساء، ويُصَوِّرَ أنه نبي، وأنَّ أحكامَه أحكامُ الله تعالى، وهذا تلبيس على المسلمين طريقَ الدين؟!

فكيف تصوَّرَ بصورة سليمان وعلى الناس الإيمانُ بسليمان، والشيطانُ تَصَوَّر بصورة سليمان وهم يعتقدونه نبيَّ الله، ولا يصلون إلى حقيقة ذلك ألبَتَّة؟! هذا مُحالٌ مِن القول.

وكيف يسلُبُ الله سليمان مُلْكه في حياته وقد بقَّاه عليه سنة كاملة بعد وفاته؟!

وكيف ينزعه منه وهو يقول: ﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا﴾، واستجاب الله له في قوله: ﴿وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ﴾.

---

(١) في (ر): «اشبري».

(٢) رواه الطبري مطولاً في «تفسيره» (٢٠/ ٩١)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٢٠٤)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٩١). وليس بأقل خرافة من سابقه.

(٣) في (أ): «الصنم».

(٤) «أن» من (أ).

وعند بعض المفسرين: كان له المُلْك قبل هذه الفتنة.

قال مقاتل: فُتِنَ سليمان بعد مُلْكه عشرين سنة، وملَكَ بعد الفتنة عشرين سنة[١].

ومنهم مَن قال: سؤال هذا الملَك كان بعد الفتنة، ويدلُّ عليه نَظْم الآية، لكنَّ بعضَ ما ذكرناه مِن الدلائل كافية، ولِمَا قاله هؤلاء نافية.

وقيل: إنه كان لسليمان مئة امرأة، فقال: لأطوفَنَّ الليلة على نسائي، فتحمِلُ كل واحدة منهن غلاماً يُقاتل في سبيل الله، ولم يستَثْنِ، فما حمَلَتْ منهن إلا واحدةٌ ولدت شِقَّ غلام، وقيل: ولداً ميتاً، فجيء به وهو على كرسيه، فوُضِعَ في حِجْره، فذلك قوله: ﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا﴾. وقال النبي ﷺ: «والذي نفسي بيده، لو استثنى لولَدتْ كلُّ واحدة منهن غلاماً يقاتلون في سبيل الله تعالى فرساناً أجمعين»[٢]، فكانت فتنتُه هذه، وعتابُه لترك الاستثناء.

وقال الشَّعبي: وُلِد لسليمان ابنٌ، فاجتمعت الشياطين، وكانت تُقَدِّرُ أن راحتها في موت سليمان، فقال بعضهم لبعض: إنْ عاش له ولد لم ننفكَّ مما نحن فيه من البلاء والسُّخْرة، فسبيلُنا أن نقتل ولده أو نَخْبِلَه، فعلِم سليمان بذلك، فأمر السَّحاب

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٢٠٧)، والماوردي في «تفسيره» (٥/ ٩٧).

(٢) رواه البخاري (٦٣٤٧)، (٧٤٦٩)، ومسلم (١٦٥٤)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، بلفظ: «لو كان سليمان استثنى لحملت كل امرأة منهن، فولدت فارسا يقاتل في سبيل الله».

وقوله: «ولم يستثن»؛ أي: لم يقل: إن شاء الله؛ قال ابن حجر في «فتح الباري» (٦/ ٤٦١): أي: بلسانه، لا أنه أبى أن يفوض إلى الله، بل كان ذلك ثابتاً في قلبه، لكنه اكتفى بذلك أولاً ونسي أن يجريه على لسانه.

قلت: ويضرب هذا مثالاً لتفسير القرآن بالسنة عن طريق الاجتهاد، فبعض المفسرين حملوا هذه الآية على حديث سليمان هذا، فقالوا: إن هذا هو الجسد الذي أخبر الله سبحانه وتعالى عنه، لكن الرسول ﷺ لم يربط هذا الحديث بالآية، وإنما أخبر بخبرٍ عن سليمان عليه السلام، فحَمْلُ الحديثِ على الآية ليس من فعل الرسول ﷺ، لأنه لم يرد من الرسول ﷺ على سبيل التفسير.

حتى حملَتْه الريح، وغدا ابنه في السَّحاب خوفاً مِن مَعَرَّة الشياطين، فابتلاه الله تعالى لأجل هذا الخوف[١] بموت هذا الولد، فأُلقِيَ ميتاً على كرسيه[٢].

(٣٥) ـ ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي﴾: أي: زلَّتي ﴿وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ﴾: لم يسأل ذلك نفاسةً على غيره، وطلباً للاستئثار بمِثْله، لكنْ أراد أنْ يكون مُلْكه على هذا الوجه آيةً لنبوته يَبينُ[٣] بها عن غيره مِن ملوك الأرض في عصره.

وقيل: أراد به أنْ يكون علامةً لقَبول توبته.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: يحتمل أنه أراد أنْ يستسلِمَ له الخَلْق في الإجابة إلى ما يدعو إليه مِن توحيد الله تعالى وعبادته لَمَّا رأى أنَّ إجابة الناس وإقبالهم إلى مَن عنده السَّعةُ والغِنى أسرع، ورغبتَهم فيه أكبر، فإذا كان ما ذكرنا كان في سؤاله نجاةُ الخَلْق كلِّهم لِمَا يستسلمون له ويجيبونه إلى ما يدعوهم إليه.

ويحتمل أنه سأل ذلك ليبقى له الذِّكْر والثَّناء الحسَن في الخَلْق، وكذلك كان التماس المرسلين؛ قال إبراهيم عليه السلام: ﴿وَٱجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي ٱلْآخِرِينَ﴾ [الشعراء: ٨٤][٤].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ عِفْريتاً مِن الجن تفلَّتَ عليَّ البارحة ليقطع صلاتي، وإن الله أمكنني منه، ولقد همَمْتُ أنْ أربِطَه إلى سارية من سواري المسجد حتى تُصبحوا فتنظروا إليه كلُّكم»[٥].

---

(١) «لأجل هذا الخوف» ليس من (أ).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٢٠٦)، وهذا أيضا من خرافات الإسرائيليات.

(٣) في (ر): «يتبين».

(٤) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٨/ ٦٢٨).

(٥) رواه البخاري (٤٦١)، (٣٤٢٣)، (٤٨٠٤)، ومسلم (٥٤١).

وفي رواية: «حتى تلعبَ به صبيان المدينة، فذكرتُ قول أخي سليمان: ﴿رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَهَبۡ لِي مُلۡكٗا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓۖ﴾، فرده الله خاسئاً»[١].

وقولُه تعالى: ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ﴾: أي: المعروفُ بكثرة الهِبات[٢].

وفيه دليل على أنَّ الأهم بالمؤمن تقديمُ سؤال المغفرة على كلِّ سؤال.

وقيل: إنما سأل مثلَ هذا المُلْك؛ لينالَ ثواب الملوك العادلين، قال النبي ﷺ: «عدلُ ساعةٍ خيرٌ مِن عبادة سنة»[٣].

وقيل: سأل ذلك لعِلْمه بأنه لا يقوم به أحد مثلُه؛ ليُنْصِفَ المظلوم من الظالم، وليَعْمُرَ البلاد، ويُنْعِشَ[٤] العباد، ويُظهرَ الرشاد، ويقطعَ الفساد.

وقيل: سأل ذلك ليُظهر مِن نفْسه عند كمال المُلْك في الدنيا كمالَ العبودية للمولى، فيزدادَ خشوعاً ومَسْكنةً لله تعالى بزيادة الله له في المُلْك والرِّفعة، ولذلك كان يأكل خبز الشعير، ويُرمِلُ الخُوْصَ[٥]،..............................

---

(١) رواه مسلم (٥٤٢) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه.

(٢) في (ر): «بكثرة أسباب الهبات».

(٣) قال الزيلعي في «نصب الراية» (٤/ ٦٧): غريب بهذا اللفظ.

وروى أبو نعيم في «فضيلة العادلين» (١٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «عدل ساعة خير من عبادة ستين سنة، قيام ليلها، وصيام نهارها». وضعفه البوصيري في «إتحاف الخيرة المهرة» (٥/ ٤٠).

وروى الطبراني في «الأوسط» (٤٧٦٥)، وفي «الكبير» (١١٩٣٢) عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يوم من إمام عادل أفضل من عبادة ستين سنة». قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥/ ١٩٧): فيه سعيد أبو غيلان الشيباني لم أعرفه، وبقية رجاله ثقات.

(٤) في (أ): «وينفس».

(٥) الخُوص: هو ورق النخل وما شابهه، أي: أن سليمان كان ينسج الورق ويرققه. انظر: «تهذيب اللغة» للأزهري (٧/ ١٩٨) و(١٥/ ١٤٩).

ويأكل مِن كَدِّ يده، ويجلس مع المساكين، وكان يقول: مسكينٌ جالس مسكيناً[١].

وقولُه تعالى: ﴿لَّا يَنۢبَغِي﴾: قال أبو عبيدة: أي: لا يكون[٢].

وقيل: هو فعل لازم لقولهم: بغى؛ أي: طلَبَ بُغْيته فانبغى[٣]؛ أي: طَلِبته[٤] فحصل.

***

(٣٦) ـ ﴿فَسَخَّرۡنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجۡرِي بِأَمۡرِهِۦ رُخَآءً حَيۡثُ أَصَابَ﴾.

فاستجاب الله دعاءه هذا، وذلك فيما قال: ﴿فَسَخَّرۡنَا لَهُ ٱلرِّيحَ﴾: أي: ذلَّلناها له ﴿تَجۡرِي بِأَمۡرِهِۦ رُخَآءً﴾؛ أي: سهلةً ليِّنة ﴿حَيۡثُ أَصَابَ﴾؛ أي: حيث أراد سليمان مِن البلاد والمواضع.

يقال: أصاب الصوابَ فأخطأ الجواب؛ أي: أراد الصواب.

وقال قتادة: ﴿رُخَآءً﴾: أي: سريعةً طيِّبة حيث أراد.

وقال الحسن: كان يغدو من إيليا، ويَقيلُ بقزوين، ويبيت بكابل.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد والضحاك والسُّدِّي: ﴿حَيۡثُ أَصَابَ﴾: أي: حيث أراد[٥].

***

(٣٧ ـ ٣٨) ـ ﴿وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٖ وَغَوَّاصٖ ٣٧ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي ٱلۡأَصۡفَادِ﴾.

﴿وَٱلشَّيَٰطِينَ﴾: عطف على الأول، أي: وسخَّرنا له الشياطين.

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣/ ٤٢)، والرازي في «تفسيره» (٣٢/ ٢٢٠) من غير سند ولا نسبة.

(٢) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (٢/ ١٨٣).

(٣) في (أ) و(ر): «فانبغى».

(٤) «طلبته» زيادة من (أ).

(٥) روى جميع هذه الآثار الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٩٥ ـ ٩٨).

﴿كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ﴾: ترجمة عنه، أي: فسخَّرْناهم له، فبعضهم كانوا يبنون له الأبنية العظيمة المرتفعة البديعة، وبعضهم يستخرجون له مِن البحار الجواهرَ واللآلئَ والحُلِيَّ الثمينة.

وقال مقاتل: كان سليمان أول مَن استخرج اللؤلؤ مِن البحر(١).

﴿وَءَاخَرِينَ﴾: أي: مِن الشياطين ﴿مُقَرَّنِينَ﴾؛ أي: مُقيَّدين، مِن القِران، والتشديد للتكثير والتكرير.

﴿فِي ٱلْأَصْفَادِ﴾: أي: الأغلال، والواحد: صَفَد، بفتح الفاء.

وقال السُّدِّي: كان يجمع أيديَهم إلى أعناقهم بالسلاسل(٢).

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: كان مَن امتنع منهم عن العمل له بالبِناء والغَوْص وغير ذلك قيَّدَه بالغُلِّ؛ ليدفع شرَّه عن الخَلْق(٣).

* * *

(٣٩) ـ ﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا﴾ أي: فلما أعطيناه هذا كلَّه، قلنا له: هذا عطاؤنا لك.

﴿فَٱمْنُنْ﴾: أي: أَعْطِ منه ما شئتَ ومَن شئتَ.

﴿أَوْ أَمْسِكْ﴾: أي امنَعْ منه ما شئتَ ومَن شئتَ.

﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾: أي: بغير تَبِعَةٍ عليكَ فيه، ولا سؤالٍ عنكَ: لِمَ أعطيتَ؟ ولِمَ أمسكتَ؟

---

(١) ذكره الماوردي في «تفسيره» (٣/ ٤٦١) عن مقاتل، وهو من غير نسبة عند الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٢١١)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٩٥).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٩٩).

(٣) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٨/ ٦٢٩).

وقيل: هو تفويضُ تقديرِه ما يُعطي وما يُمسك؛ أي: أَعْطِ وأَمسِكْ غيرَ مُقدَّر عليك تقديراً لا تجوز الزيادة عليه ولا النقصان منه.

وقولُه تعالى: ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾: قيل: أي: فامنُنْ؛ أي: أَعْطِ مَن أعطيتَه مُتفضِّلاً لا مُحاسِباً له على ما تُعطيه، وراجياً مكافأته عليه بقَدْره.

وقيل: ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ صلةُ قولِه تعالى: ﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا﴾؛ أي: عطاؤُنا لك بغير حساب؛ أي: أعطيناكَ بغير حساب[1] لكَ علينا، بل ابتداءَ إنعامٍ منا.

وقيل: ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾: أي: أعطيناكَ مِن غير أن يُنقِصَنا الإعطاءُ أو يزيدَنا تركُ الإعطاء، وهو معنى الحساب؛ لأنه لتعرُّفِ الزيادة والنُّقْصان، وهما عن عطائنا مُنْتَفيان.

وقيل: ﴿فَٱمْنُنْ﴾؛ أي: فامنُنْ على مَن شئتَ فأَطْلِقه ولا تستعملْه، ﴿أَوْ أَمْسِكْ﴾؛ أي: احبسه واستعمله، والأولُ كقوله: ﴿فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ﴾ [محمد: ٤]، والثاني كقوله: ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ فِى ٱلْبُيُوتِ﴾ [النساء: ١٥] ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾؛ أي: لا نحاسبك على ما فعلتَ، ولا نسألكَ: لِم فعلت؟ أو[2] هلَّا فعلتَ.

* * *

(٤٠ ـ ٤١) ـ ﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٠﴾ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾: كما كان لأبيه داود، وقد فسَّرْنا ذلك.

وقولُه تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ﴾: أي: دعا ربه؛ أي: اذكر عبدنا أيوب كما ذكرتَ داود وسليمان إذ قال في دعائه ونِدائه:

---

(١) «أي أعطيناك بغير حساب» ليس من (أ).

(٢) في (أ): «و».

﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ﴾: أي: أصابني ﴿بِنُصْبٍ﴾؛ أي: نَصَب، وهو التَّعَب، وهو كالشُّغْل والشَّغَل، والحُزْن والحَزَن، والرُّشْد والرَّشَد، والبُخْل والبَخَل.

وقال أبو عبيدة: ﴿بِنُصْبٍ﴾: أي: أذًى[1].

وقال قُطْرُب: أي: مرض، وقال المبرد: أي: مكروه.

وقولُه تعالى: ﴿وَعَذَابٍ﴾: قيل: أي: شديد. وقيل: أي: عَناء.

ومعنى إضافةِ ذلك إلى الشيطان عند بعضهم: أنَّ الشيطان كان سأل الله أنْ يسلِّطَه على ماله وولده وجسده على ما ذكَرْنا في سورة الأنبياء في قصته.

وعند بعضهم: أنَّ الشيطان وسوس إليه وأوردَ على خاطره ما يبعَثه على الجزَع والشِّكاية مِن تَذْكار الحالة الأولى.

وعند بعضهم: أنه يُخيِّلُ إلى امرأته وإلى الناس أنه لو كان له جاه عند الله لم يبتلِه بمِثْل هذه البَلِيَّة، وكان يُنفِّرُ الناس عنه، ويخدَعُ امرأتَه بأشياء.

❊ ❊ ❊

(٤٢) ـ ﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ﴾: أي: فاستجبنا له، وقلنا له: اركض برجلكَ، أي: اضرب بها وحرِّكْها في مكانكَ.

قال الحسن: فركَضَ برجله فسقطت عنه كلُّ دُودة كانت في جسده.

﴿هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾: أي: فضرب برجله الأرض، فنبعت عَين فيها ماء بارد ليغتسل به ويشربه، فزال ما كان به مِن ضُرٍّ حين اغتسل به وشربه.

❊ ❊ ❊

---

(١) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (٢/ ١٨٤)، وفيه: بلاء وشر.

(٤٣) ـ ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ﴾: قال مقاتل: كان لأيوب سبعُ بنات وثلاثة بنين في المكتب، ومعلم يعلِّمهم التوراة، فأخذ إبليس بالسَّارية فهزَّها، فانهدمَ السَّقْف ووقع عليهم، فلما شفاه الله تعالى أحياهم ورزقه مِثْلهم سبع بنات وثلاثة بنين(١).

وقال الضحاك: أوحى الله تعالى إليه: أتريد أنْ أبعثَهم؟ قال: لا يا ربِّ! دَعْهم في الجنة، فعلى هذا آتاه أهله في الآخرة، وأعطاه مثلهم في الدنيا بأنْ عمَّرَه فتزوج، فولد له أولاد كذلك(٢).

وقيل: معناه: ووهبنا له أجرَ أهلِه في الآخرة ومِثْلَهم في الدنيا.

وقال النبي ﷺ: «إنه تناثر عليه جَرادٌ مِن ذهب حين عوفي، فجعل يأخذه في ثوبه، فأوحى الله إليه: ألَمْ يَكْفِكَ ما أعطيناكَ؟ قال: يا رب! ومَن يشبع مِن فضلك؟!»(٣).

وقولُه تعالى: ﴿رَحْمَةً مِّنَّا﴾: أي: فعلتُ به ذلك رحمةً مني عليه.

---

(١) ذكر نحوه الواحدي في «البسيط» (١٥/ ١٥٠) عن الكلبي، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٣/ ٢٠٧) من رواية أبي صالح عن ابن عباس، فيكون الخبر واحداً؛ لأن الكلبي هو الراوي عن أبي صالح، والكلبي متروك، وأبو صالح لم يسمع من ابن عباس.

(٢) روى الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٣٦٧) عن مجاهد قال: قيل لأيوب: إن شئت أحييناهم لك، وإن شئت كانوا لك في الآخرة وتعط مثلهم في الدنيا، فاختار أن يكونوا في الآخرة، ومثلهم في الدنيا. ولم أقف عليه للضحاك.

(٣) رواه البخاري (٢٧٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وفيه بدل «يا رب ومَن يشبع مِن فضلك»: «بَلَى وَعِزَّتِكَ، وَلَكِنْ لاَ غِنَى بِي عَنْ بَرَكَتِكَ».

وقولُه تعالى: ﴿وَذِكْرَىٰ لِأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾: أي: وتذكيراً للعقلاء ليصبروا كما صبر، فيُؤجَروا كما أُجِر.

***

(٤٤) ـ ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا﴾: أي: وقلنا له؛ أي: في تكفير يمينه على ضرب امرأته.

قال سعيد بن المسيِّب: كانت امرأته تأتيه كلَّ يوم بشيء معلوم، فأتته يوماً بأكثرَ مِن المعهود، فخاف عليها سوءاً، فحلف ليضربنَّها مئة سُوط[1].

وقيل: أعطَتْ في طلَب القُوت يوماً ذُؤابتَيها، فجأت فرآها كذلك، فظن بها شيئاً، فحلَف على ذلك.

وقيل غير ذلك، فقال الله تعالى له:

﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا﴾: قال الخليل: هو قَبْضة قُضْبانٍ يجمعها أصل واحد[2].

وقال قُطْرُبٌ: هو الحُزْمة مِن الكَلأ والرَّيحان.

وقيل: هو ملءُ الكف مِن حشيش أو شَماريخ[3].

وفي بعض التفاسير: أنه أخذ قَبْضة مِن مكانِسَ[4].

---

(١) ذكره عنه الواحدي في «الوسيط» (٣/ ٥٥٨)، والماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ١٠٣).

(٢) انظر: «العين» للخليل (٤/ ٣٦٣).

(٣) الشماريخ: جمع شُمْرُوخ، وهو غصن دقيق يكون في أعلى الغصن الغليظ. انظر: «تهذيب اللغة» للأزهري (٧/ ٢٦٣).

(٤) مكانس: جمع مِكْنس، وهو ما يُكنس به. انظر: «لسان العرب» لابن منظور (٦/ ١٩٧).

وفي بعضها: مِن ثُمام(١).

وفي بعضها: مِن إِذْخِر(٢).

﴿فَٱضْرِب بِّهِۦ﴾: أي: امرأتك ﴿وَلَا تَحْنَثْ﴾؛ أي: في يمينك، خفَّفَ عنها لعدم جِنايتها، وأبرَّه فيما حلف لحُسْن نيته فيما حلف(٣).

وقولُه تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا﴾: أثبت له صفة الصبر مع قوله ﴿مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾؛ لأنه لم يكن على وجه الشكوى، ولأنه قال ذلك مع الله لا مع غيره، ولأنه كان مَرَّةً، ولأنه كان شكراً لله على ما أَهَّلَه له.

وقيل: الصَّبر(٤): استعذاب البلاء دون استصعابه.

وقيل: هو التَّلَذُّذ بالبلاء.

وقيل: هو الوقوف تحت الحُكْم.

﴿نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ﴾: لم يشغله البلاء عن المُبْلي، وسليمان نِعْم العبد لم يشغله العطاء عن المُعْطي.

﴿إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾: أي: رَجَّاع إلى الله، وهو تحقيق ما قلنا.

وقيل: مكث في بلائه ثماني عشرة سنة(٥).

---

(١) الثُّمام: نبت ضعيف له خُوص أو شبيه بالخوص، وربما حشي به وسدَّ به خصاص البيوت، واحده: ثمامة. انظر: «الصحاح» للجوهري (مادة: ثمم).

(٢) الإِذْخِر: حشيشة طيبة الريح. انظر: «العين» للخليل (٤/ ٢٤٣).

(٣) في (ر) و(ف): «وجد».

(٤) في (ر): «والصبر» بدل: «وقيل: الصبر».

(٥) وهو المروي عن النبي ﷺ، رواه ابن حبان في «صحيحه» (٢٨٩٨)، والحاكم في «مستدركه» (٤١١٥) وصححه.

وقال السدي: ثلاث عشرة سنة(١).

وقال مقاتل: سبع سنين وسبعة أشهر وسبعة أيام وسبع ساعات(٢).

***

(٤٥) ـ ﴿ وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿ وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ﴾: قرأ ابن كثير: ﴿واذكر عَبْدَنا﴾، وهو لإبراهيم خاصة، والباقون: ﴿عِبَٰدَنَآ﴾(٣)، وهو له ولإسحاق ويعقوب.

﴿أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى ﴾: جمع يد، وبها يقع البطش والقوة.

﴿وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴾: جمع بصَر، وهو بصر القلب، وبه يقع الاستبصار والمشاهدة، وهذا وصف لهم بالقوة في العمل، والكمالِ في العِلْم.

وقال الحسن: ﴿أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى ﴾: أي: الأيادي على الناس، ﴿وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴾: في دين الله(٤).

(٤٦ ـ ٤٧) ـ ﴿ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴾: قرأ نافع بغير تنوين على الإضافة، والباقون بالتنوين على التَّرجمة(٥).

---

(١) ذكره الزمخشري في «الكشاف» (٣/ ١٣١) عن قتادة.

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٦٤٨)، وذكره الزمخشري في «الكشاف» (٣/ ١٣١).

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٥٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١٨٨).

(٤) لم أقف عليه.

(٥) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٥٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١٨٨).

يقول: إنَّا اختصَصْناهم[١] واستخلصناهم بخاصِّيَّةٍ، وهي تذكيرُ الناس[٢] بيوم القيامة؛ لإرسالنا إياهم دُعاةً للخَلْق.

وقولُه تعالى: ﴿وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ﴾: المختارين ﴿ٱلْأَخْيَارِ﴾؛ أي: الأفاضل.

وقيل: ﴿أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ﴾: وهو ذِكْرهم في الآخِرين في دار الدنيا ﴿وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ﴾: المستحِقِّين للجنة.

* * *

(٤٨) - ﴿وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ﴾: قرأ حمزة والكسائي وخلف: «واللَّيْسَع» بلامين، والباقون بلام واحدة[٣].

﴿وَذَا ٱلْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ﴾: قال ابن إسحاق: إنَّ الْيَسَعَ وذا الكِفْل كانا ابنَيْ عم، وكان الْيَسَعُ في أربع مئة مِن الأنبياء في زمانِ ملكٍ غَشوم، فقتل الملِكُ منهم ثلاث مئة، وبقي ذو الكِفْل ومئةٌ منهم، فكفِلَهم وجعل يُطعمهم ويَسقيهم، وخبَّأَهم حتى أُفْلِتوا، فمِن ذلك سُمِّيَ: ذا الكفل[٤].

وقد ذكَرْنا في قوله: ﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات: ١٢٣] أنَّ الْيَسَعَ كان آمن بإلياس، ولما ذهب إلياس نُبِّئَ الْيَسَعُ في بني إسرائيل.

---

(١) في (ر): «أخلصناهم».

(٢) في (ر): «الناسي».

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٦٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٤)، و«النشر» لابن الجزري (٢/ ٢٦٠).

(٤) ذكره الجرجاني في «درج الدرر» (٢/ ٣٢١) عن الكلبي.

وقيل: لمَّا مات أيوبُ أرسل الله ابنَه بِشْرَ بن أيوب نبيًّا، وسماه: ذا الكِفْل، وأمرَه بالدعاء إلى توحيده، وكان نبيًّا بالشام عمَّرَه الله خمساً وسبعين سنة، ثم مات، فأرسل الله تعالى بعده شُعيباً.

وفيه أقاويل أُخَر ذكرناها في سورة الأنبياء في قوله: ﴿وَذَا ٱلْكِفْلِ﴾.

* * *

(٤٩ ـ ٥٠) ـ ﴿هَٰذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿هَٰذَا ذِكْرٌ﴾: هذا الذي تلَوْناه عليكم مِن قصص الأنبياء ذِكْرٌ؛ أي: وَعْظٌ، فتذكَّروا[1] به.

﴿وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ﴾: أي: للمُتذكِّرين به، وقيل: لكل المؤمنين على العموم لا للأنبياء الذين ذكرتُهم على الخصوص.

﴿لَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾: أي: مرجعٍ، ثم فسَّره:

﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾: وهي في محلِّ نصبٍ[2] ترجمةً عن الأول.

﴿مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ﴾: التَّفْتيحُ: تكثير الفتح، وذلك لِذِكْر الأبواب؛ أي: إذا أتوها فتحوا أبوابها لدخولهم؛ كما قال: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ [الزمر: ٧٣].

* * *

(٥١ ـ ٥٢) ـ ﴿مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾ ۞ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ﴾.

---

(١) في (ر): «فتذاكروا».

(٢) في (أ): «النصب».

﴿ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا ﴾: نصب على الحال، أي: يتَّكِئون على الأرائك فيها.

﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ﴾: للأكل ﴿وَشَرَابٍ﴾: للشُّرْب.

و﴿يَدْعُونَ﴾: أي: يحكُمون. وقيل: يطلبون. وقيل: ينادون.

وقيل: يتمنَّون بقلوبهم، فيأتيهم من غير لَبْثٍ ولا كُلْفة.

قولُه تعالى: ﴿وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾: نساء قد قصَرْنَ أبصارهن عليهم.

﴿أَتْرَابٌ﴾: لِدَاتٌ على سنٍّ واحدة، متساوياتٌ في الحسن والجمال، وذلك أنفى للغَيْرة عنهن؛ لأن النَّفْس تتوق إليهن على السواء.

* * *

(٥٣ ـ ٥٦) ـ ﴿ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾ هَٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴾: أُجازيهم به يوم أُحاسِبُ الخَلْق، فأُجازيهم على أعمالهم.

﴿ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا ﴾: أي: عطاؤنا الذي لا ينقطع ﴿مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ﴾؛ أي: فناءٍ.

﴿ هَٰذَا﴾: أي: هذا لهؤلاء، أو: هذا كما وصفنا، أضمرَ خبره.

﴿وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ ﴾: أي: وإن للمُتمرِّدين لأسوأ مرجع ﴿ جَهَنَّمَ﴾: ترجمة عنه ﴿يَصْلَوْنَهَا﴾: يدخلونها ﴿فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾؛ أي: فبئس الفراش المـُعَدُّ لهم، بخلاف ما ذُكِرَ للمتقين مِن حسن المآب والجنة المفتَّحة الأبواب.

* * *

(٥٧) ـ ﴿ هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴾.

وقولـه تعالـى: ﴿هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ﴾: قيـل: أضمـر فيـه: نزُلهـم؛ أي: هـذا نزُلهـم فليذوقـوه.

﴿حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ﴾: ترجمةٌ عن المضمَر.

وقيل: فيه تقديم وتأخير: هذا حميمٌ فليذوقوه، وغسَّاق فليذوقوه، وهذا مكانَ الفاكهة والشراب للمتقين.

والحميمُ: الماء الحارُّ الذي تناهى حرُّه، قال: ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ [محمد: ١٥].

وأما الغَسَّاق:

فقد قال قتادة: هو ما يَسيل من بين جلده ولحمه(١).

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: هو الزَّمْهَرير الذي يحرق ببَرْده كما تحرق النار(٢).

وقال ابن عمر رضي الله عنهما: هو القَيْح الذي يَسيل منهم يجتمع فيُسْقَونه(٣).

وقال كعب: الغسَّاقُ: عَين في جهنم يسيل إليها سُمُّ كلِّ ذات حُمَة مِن حية وعقرب(٤).

وقيل: هو قَيْح شديد النَّتْن.

وقيل: هو ما يَسيل مِن الصَّديد.

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٦٠٩)، والطبري في «تفسيره» (٢٠/ ١٢٨).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٣٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٩١٠٠)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٢١٣).

(٣) ذكره ابن فورك في «تفسيره» (٢/ ٢٩٧).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ١٢٩).

وقيل: الغَسَّاقُ مأخوذ مِن الظُّلْمة والسوادِ مِن الليلِ الغاسقِ، وهو شراب أهل النار، بخلاف شراب أهل الجنة الذي له صفاءٌ وحسنٌ ورِقَّةٌ.

وقال ابن بُريدة: الغَسَّاق: المُنْتِن، وهي لغة الطَّخارية(١). وقيل: التركية(٢).

وقال محمد بن كعب القُرَظي: هو عُصارة أهل النار(٣).

وقال الأخفش: هو ما يغسِقُ مِن فُروج الكفرة والزُّناة، أي: يسيل(٤).

وقرأ حمزة والكسائي وخلف وعاصم في رواية حفص بالتشديد، وكذا في ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾، وقرأ الباقون بالتخفيف(٥).

فالمخفَّف اسم كالشَّراب والعذاب، والمشدَّد نعت كالكَذَّاب والقَلَّاب والغَلَّاب، وقد غسَقَت القَرْحة غُسوقاً؛ أي: سالت، وغسَقَت العين غَسَقاناً(٦)؛ أي: جرى دمعُها، وغسَقَ الليل: إذا أظلم، والغسَقُ: الظُّلْمة.

* * *

(٥٨) - ﴿وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ﴾: قرأ أبو عمرو وابن كثير: ﴿وَءَاخَرُ﴾

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ١٣٠). والطَّخارية: نسبة إلى ولاية واسعة من نواحي خراسان. انظر: «معجم البلدان» (٤/ ٢٣).

(٢) انظر: «الأضداد» لابن الأنباري (ص: ١٣٨)، و«المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب» للسيوطي (ص: ١١٨).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٢١٣).

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٢١٣) عن قتادة والأخفش.

(٥) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٥٥)، و«التيسير» للداني (ص: ١٨٨)، و«النشر» لابن الجزري (٢/ ٣٦١).

(٦) في (ر) و(ف): «غسقا».

بالضم(١) على الجمع، أي: ضُروب أُخَرُ، وقرأ الباقون بالفتح على الواحد(٢)؛ أي: وعذابٌ آخَرُ مِن شكله؛ أي: شِبْهه.

و(الشَّكْل) بالفتح: ما يُشاكل الشيءَ، وبالكسر الدَّلُّ(٣).

﴿أَزْوَٰجٌ﴾: أي: ضُروب وألوان، وهي الضَّريع والغِسْلين(٤) والصَّديد والزَّقُّوم.

* * *

(٥٩) - ﴿هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ﴾.

﴿هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ﴾: أي: يقال لهم: هذا فَوْج؛ أي: انظروا إلى أفواج أمم الكفار(٥) الذين أضلَلْتُموهم، فإنهم مُقْتَحِمون النَّارَ معكم، لم يُمْكِنْكم نصرتهم ودفعُ العذاب عنهم.

والفَوْج يطلق(٦) للجمع معنًى، ولفظُه لفظ الواحد، فلذلك وحَّد نعته فقال: ﴿مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ﴾.

﴿لَا مَرْحَبًا بِهِمْ﴾: أي: يقول الأوَّلون للمُقتحِمين: لا مرحباً بهم.

هذه كلمة تُذكر عند استثقال(٧) الداخل، وضدُّه: مرحباً، يقال ذلك للإكرام

---

(١) في (ر): «وسهل ويعقوب والمفضل عن عاصم» بدل: «وابن كثير وأخر»، وفي (أ) سقط قوله: «بالضم».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٥٥)، و«التيسير» للداني (ص: ١٨٨)، و«جامع البيان» للداني (٣/ ٩٨٤)، و«الكامل في القراءات» للهذلي (ص: ٤٠٠).

(٣) أي: التغنج والدلال. انظر: «تهذيب اللغة» للأزهري (١٠/ ١٥).

(٤) في (أ): «والغساق».

(٥) في (أ): «الكفرة»، وفي (ف): «الكفر».

(٦) «يطلق» ليس من (أ) و(ف).

(٧) في (أ): «تذكر عند استعمال استثقال»، في (ر): «تقال عند استثقال».

وللفرح بالداخل، ومعناه: أتيتَ مرحباً؛ أي: منزلاً رحباً واسعاً وخيراً واسعاً[١].

و(الرُّحْبُ) بالضم: السَّعَة، و(الرَّحْب) بالفتح: الواسع، و(المَرْحَب): موضع السَّعة.

﴿إِنَّهُمْ صَالُوا۟ ٱلنَّارِ﴾: أي: داخلوها، أي: هم مثلُنا، فلا فرحَ برؤيتهم، ولا فرجَ بمعونتهم.

* * *

(٦٠ ـ ٦١) ـ ﴿قَالُوا۟ بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِكُمْ ۖ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا ۖ فَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ۝٦٠ قَالُوا۟ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَـٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِى ٱلنَّارِ﴾.

﴿قَالُوا۟ بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِكُمْ﴾: أي: بل أنتم الذين لا نفرح بالاجتماع معهم.

﴿أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا﴾: أي: أنتم حمَلتمونا على الكفر بالدعوة والتَّزْيين حتى أوردتُمونا هذه الموارد.

﴿فَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ﴾: أي: موضعُ الاستقرار، والهاء في ﴿قَدَّمْتُمُوهُ﴾ يرجع إلى الصَّلْيِ، فقد ذُكِر فعلُه، أو إلى الاقتحام لذلك.

﴿قَالُوا۟ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَـٰذَا﴾: أي: مَن كان سبباً لهذا بدعوته.

﴿فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا﴾: أي: مُضاعَفاً بكفره ودعوته إيانا إليه.

﴿فِى ٱلنَّارِ﴾: أي: في نار جهنم.

* * *

(٦٢) ـ ﴿وَقَالُوا۟ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ﴾: أي: يقول هؤلاء: ما

---

(١) «وخيراً واسعاً» ليس من (أ).

لنا؟ أي: ما السبب في أنَّا لا نرى معنا في هذا الموضع رجالاً كُنَّا في دار الدنيا ﴿نعدُّهُم مِّنَ ٱلۡأَشۡرَارِ﴾؛ لتَرْكِهم ديننا إلى دينٍ كان باطلاً عندنا؟!

وقيل: ﴿مِّنَ ٱلۡأَشۡرَارِ﴾؛ أي: مِن الأرذال والسَّفِلة، هذا كما يقال[1]: هذا مِن شرِّ المتاع.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: إنَّ أبا جهل وذويه يقولون في النار: أين صُهَيْب؟ أين بلال؟ أين عمار؟ أين خبَّاب؟ وهم الذين كانت السادة تسخَرُ منهم[2].

وقال مقاتل: هذا قول صناديد قريش في النار للعبيد والموالي[3].

* * *

(٦٣) ـ ﴿أَتَّخَذۡنَٰهُمۡ سِخۡرِيًّا أَمۡ زَاغَتۡ عَنۡهُمُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿أَتَّخَذۡنَٰهُمۡ سِخۡرِيًّا﴾: مَن قرأ بكسر الألف غيرَ مقطوع[4] فهو على التحقيق؛ أي: كنا اتَّخذناهم سخريًّا.

قال أبو عبيدة: مَن كسر السين جعله مِن الـهُزْء، أي: نسخر بهم، ومَن ضمَّها جعلها من السُّخْرة، وهي التَّسَخُّر والاستذلال والاستعمال[5].

---

(١) في (ف): «هذا كما تقول»، وفي (أ): «هذا ما يقال».

(٢) ذكره عن ابن عباس: السمعانيُّ في «تفسيره» (٤/ ٤٥١)، وروى نحوه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ١٣٦)، والثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٢١٥) عن مجاهد.

(٣) ذكر نحوه الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٢١٤)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ١٠٠) دون نسبة.

(٤) هي قراءة أبي عمرو وحمزة والكسائي. انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٥٦)، و«التيسير» للداني (ص: ١٨٨).

(٥) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (٢/ ١٨٧).

﴿أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ﴾ على هذا يكون فيه إضمار ألف الاستفهام، ثم عطف الثاني عليه بـ﴿أَمْ﴾، وتقديرُه: أَأُدْخِلوا غير هذا المدخل[1] أم زاغت عنهم الأبصار؟ أي: أبصارنا، فلا نراهم وهم معنا هاهنا.

ومَن قرأ: ﴿أَتَّخَذْنَاهُمْ﴾ بألف مفتوحة على القطع فهو استفهام[2]، والثاني معطوف عليه بغير إضمار، ومعناه: أكان ذلك باطلاً منا[3] وهزواً بغير حق، وكانوا أخياراً لا أشراراً، فأُدْخِلوا غير مدخلنا أم أُدْخِلوا هاهنا معنا ومالت عنهم أبصارُنا لكونهم في ناحية أخرى مِنَّا؟!

* * *

(٦٤ ـ ٦٥) ـ ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ ﴿٦٤﴾ قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ ۖ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾.

﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ﴾: أي: هو كما أُخْبِرتموه[4]، وليس بباطل أنهم يتخاصمون على هذا الوجه، على ما ذكر عنهم ذلك في آيات: ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا﴾ [الأعراف: ٣٨] الآيات، ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا﴾ [البقرة: ١٦٦] الآيات، ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ﴾ الآية [العنكبوت: ٢٥].

قولُه تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ﴾: أي: مُخَوِّف بهذا اليومِ وبهذا العذاب، وقيل: بالقرآن، ورسولٌ داعٍ إلى الحق.

---

(١) في (ر): «أدخلوا غير هذه المداخل».

(٢) هي قراءة ابن كثير ونافع وابن عامر وعاصم. انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٥٦)، و«التيسير» للداني (ص: ١٨٨).

(٣) في (أ): «هنا».

(٤) في (ر): «أخبروا».

﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾: فأدعوكم إلى توحيده وعبادته.

***

(٦٦ ـ ٦٧) ـ ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ۝٦٦ قُلْ هُوَ نَبَؤٌا۟ عَظِيمٌ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾: نعت لقوله ﴿إِلَّا ٱللَّهُ﴾، وكذلك **قولُه:** ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿قُلْ هُوَ نَبَؤٌا۟ عَظِيمٌ﴾: قيل: أي: القرآن الذي أُنذركم به، والنَّبأُ: الخَبرُ.

وقيل: هو الإنذار بالساعة، قال تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ﴾، فأمْرُ الساعة أمْرٌ عظيم؛ لِما فيه مِن النعيم المؤبَّد لقوم، والعذابِ المخلَّد لقوم.

وقيل: هو الإخبار بنبوَّته.

***

(٦٨ ـ ٦٩) ـ ﴿أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ۝٦٨ مَا كَانَ لِىَ مِنْ عِلْمٍۭ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾.

﴿أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾: أي: عن النبأ على الوجوه الثلاثة.

وقولُه تعالى: ﴿مَا كَانَ لِىَ مِنْ عِلْمٍۭ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾: هو إقامة البُرْهان على دعوى الرسالة، يقول: ما كان لي مِن عِلْم باختصام الملائكة في أمر آدم، وهو ما ذُكِرَ في قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾ [البقرة: ٣٠] الآيات، وإنما علِمْتُ بإعلام الله تعالى، فدلَّ ذلك على رسالتي إذ علِمْتم أني لم أُسافرْ ولم أُخالطْ مَن يخبرني به ممَّن قد علِمَه، وإنما علِمْتُه بوحي الله تعالى إليَّ.

ورُوِي عن النبي ﷺ أنه قال: «لمَّا عُرِجَ بي إلى السماء قال الله تعالى: يا محمد! فيمَ يختصم الملأ الأعلى؟ فقلتُ: في الكفارات والدرجات، فقال: وما الكفاراتُ يا محمد؟ فقلتُ: إسباغُ الوضوء في السَّبَرات[1]، ونَقْل الأقدام إلى الجماعات، وانتظار الصلاة بعد الصلاة. قال: وما الدرجات؟ فقلتُ: إطعام الطعام، وإفشاء السلام، والصلاة بالليل والناس نيام»[2].

والأشبه بنَظْم الآيات ما تقدَّمَ.

وقيل: اختصموا في أمر آدم، قالوا: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾ [البقرة: ٣٠]، وقال الله لهم: ﴿إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠]، وكان[3] في ذلك ذِكْر الرسل، وفيهم ذِكْر محمد، فأنا ذلك المذكور في ذلك الوقت.

* * *

(٧٠ ـ ٧٢) ـ ﴿إِن يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾.

﴿إِن يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾: أي: ما يوحى إليَّ ﴿إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾: أي: هذا الكلام يُوحى إليَّ.

---

(١) السَّبَرات: جمع «سَبْرة»: وهي شدة البرد. انظر: «غريب الحديث» لأبي عبيد (١/ ١٨٤).

(٢) رواه الترمذي في «سننه» (٣٢٣٥)، والإمام أحمد في «مسنده» (٢٢١٠٩)، من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه. قال الترمذي: (حسن صحيح، وسألت محمد بن إسماعيل عن هذا الحديث فقال: هذا حديث حسن صحيح).

وللحديث طرق وألفاظ مختلفة، وقد تكلم في إسناده ومتنه بعض المتقدمين. انظر الكلام عليه في حواشي «المسند».

(٣) في (ف): «وما كان».

وقيل: أي: ما يوحى إليَّ القرآنُ وسائر وجوه الوحي إلا لأني[1] نذير مبين؛ أي: رسول مبين.

وقولُه تعالى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾: أي: يختصمون حين قال ربك يا محمد للملائكة: ﴿إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ﴾: وهو آدم.

﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ﴾: أي: هيَّأْتُه الهيئةَ التي لا يبقى بعدها إلا نفخُ الروح فيه.

﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾: أي: أدخلْتُ فيه روحاً أنا خلقْتُه له.

﴿فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾: أي: فخُرُّوا على وجوهكم ساجدين له سجدةَ التَّحيَّة.

* * *

(٧٣ ـ ٧٥) ـ ﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ﴾.

﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ﴾: تعظَّمَ عن السجود له.

﴿وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾: أي: وصار من الكافرين بإباء الأمر[2].

﴿قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾: هو سؤال تَقْريع وتَوْبيخ؛ أي: لِمَن انفردتُ بإيجاده، وصوَّرْتُه بلا واسطة.

﴿أَسْتَكْبَرْتَ﴾: بقطع الألف، استفهامٌ بمعنى الإنكار ﴿أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ﴾؛ أي: أتكبَّرْتَ للحال أم كنتَ مِن المتكبِّرين قبل هذا؟!

وقيل: أي: أم صرتَ مِن الطالبين العُلُوَّ؟!

* * *

(١) في (ر): «أني».

(٢) في (ف): «بإباء أمر السجود».

(٧٦ ـ ٧٨) ـ ﴿ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ٧٦ قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ٧٧ وَإِنَّ عَلَيۡكَ لَعۡنَتِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ ﴾: لها نورٌ ﴿وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ﴾: له ظُلْمةٌ، وقد بيَّنَّا وجوه خطئِه في هذا القياس.

﴿ قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا ﴾: أي: مِن الجنة. وقيل: مِن السماء. وقيل: مِن صورتِكَ بالمسخ.

﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ﴾: أي: متى همَمْتَ بالعَود إلى السماء رُجِمْتَ بالشُّهُب؛ أي: رُميتَ بها وطُردتَ عن السماء.

وقولُه تعالى: ﴿ وَإِنَّ عَلَيۡكَ لَعۡنَتِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾: أي: قد أوجبتُ على الملائكة والبشر أنْ يلعنوكَ إلى يوم القيامة، ثم أُدخِلُكَ النار تحقيقاً لهذا اللعن.

وفيه إخبار أنه يبقى على الكفر إلى يوم القيامة.

(٧٩ ـ ٨٣) ـ ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ٧٩ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ٨٠ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ ٨١ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٨٢ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴾.

قولُه تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ ﴾: أي: فأَمْهِلْني ﴿إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴾: خاف الموت، فسأل النَّظِرة إلى يوم القيامة.

﴿فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ٨٠ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ ﴾: وهو فَناء الدنيا.

﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴾: أي: لأُضِلَّنَّ بني آدم بالوسوسة.

﴿ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴾: فإنه لا يعمل فيهم إغوائي.

قال القُشيري رحمه الله: لو عرف عزَّتَه لَمَا أقسم بها على مخالفته.

وقال في قوله: ﴿رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ﴾: مِن كمال شَقاوته سؤالُ إنظاره، فإنه تزداد عقوبته بزيادة أوزاره، فأجابه الله تعالى فإنه بلسانه سأل تمام شَقاوته[(١)].

* * *

(٨٤) ـ ﴿قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ﴾: قرأ عاصم وحمزة[(٢)]: ﴿فَٱلْحَقُّ﴾ بالرفع، و﴿وَٱلْحَقَّ أَقُولُ﴾ بالنصب، وقرأ الباقون كليهما بالنصب[(٣)].

وقرأ طلحة بن مُصَرِّف كليهما بالخفض على القسم[(٤)] قسماً بعد قسم، عطفاً على قوله ﴿فَبِعِزَّتِكَ﴾.

ومَن رفع الأول فمعناه: فأنا الحقُّ، أو هو مبتدأ، ومعناه: فالحقُّ بأني أملأُ جهنم منكَ ومِن مُتَّبعيك[(٥)].

ومَن نصب فعلى القسم؛ كقولك: «فحقاً»، والثاني نُصِبَ بوقوع القول[(٦)] عليه: وأقول الحق.

* * *

(٨٥ ـ ٨٦) ـ ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٨٥ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾.

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٣/ ٢٦٤).

(٢) في (ف): «قرأ عاصم غير المفضل وهبيرة وحمزة وخلف ويعقوب غير ورش».

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٥٧)، و«التيسير» للداني (ص: ١٨٨)، و«النشر» لابن الجزري (٢/ ٣٦٢).

(٤) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٣١).

(٥) في (أ): «وممن تبعك» بدل: «ومن متبعيك».

(٦) في (أ): «الفعل».

وقولُه تعالى: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ﴾: من بني آدم ﴿أَجْمَعِينَ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿قُلْ مَآ أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾: أي: على الإنذار وتبليغ القرآن، فيقع عندكم أني مُسْتَأْكِل.

وقولُه تعالى: ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾: أي: مِمَّن يتكلَّفُ إظهار خلاف الإضمار، بل أنا على ما عرفتُموني به مِن الصدق والأمانة ومحاسن الأخلاق، ولو كان تكلُّفاً مني لظهر على تطاول الزمان خلافُه، وذلك دليل صدقي في دعوى رسالتي.

وقيل: وما أنا مِن المتكلِّفين في القرآن كما يقولون: إنه يختلِقُه، بل هو وحي من الله إليَّ، وما أنا بقائل ما لا عِلْم لي به.

***

(٨٧ ـ ٨٨) ـ ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ۝٨٧ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿إِنْ هُوَ﴾: أي: وما هو، يعني: القرآن.

﴿إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ﴾: ختمَ السورة بما بدأَها به، فإنه قال: ﴿وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ﴾، وكذا قال في أثنائها: ﴿وَٱذْكُرْ﴾، ﴿وَٱذْكُرْ﴾، ﴿وَٱذْكُرْ﴾، ﴿وَٱذْكُرْ﴾، ﴿هَٰذَا ذِكْرٌ﴾، ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ﴾.

﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ﴾: وهو ما قال: ﴿قُلْ هُوَ نَبَؤٌا۟ عَظِيمٌ﴾ على الوجوه الثلاثة.

﴿بَعْدَ حِينٍۭ﴾: أي: بعد ورود الأمر بالقتال.

وقيل: بعد الموت بتحقيق العذاب.

والحمد لله رب العالمين

***

التيسير في التفسير

تأليف الإمام

أبي حفص النسفي

نجم الدين عمر بن محمد بن أحمد النسفي الحنفي

(٤٦١-٥٣٧هـ)

يطبع أول مرة محققاً على ثلاث نسخ خطية

تحقيق وتعليق

سارية فايز عجلوني

المجلد الثالث عشر

دار اللباب

بسم الله الرحمن الرحيم

التيسير

في

التفسير

(١٣)

حُقوق الطّبع محفُوظة

الطبعة الأولى
١٤٤٠هـ-٢٠١٩م

يُمنع طباعةُ هذا الكتاب أو ترجمته أو تصويرُه ورقياً أو إلكترونياً
إلا بإذن خطي من الدار الناشرة
تحت المُساءلة الدُّنيوية والأُخروية

9 786052 279311

دار اللُّباب
للدِّراسات وتحقيق التُّراث
DAR-ALLOBAB
Lubab Yazma Eserleri İhya ve İlmi Araştırma Yayınları

اسطنبول - تركيا
00905454729850
00902125255551
info@allobab.com

بيروت - لبنان
009615813966
0096170112990
Www.allobab.com

İskenderpaşa mh. Kıztaşı cd. No:7 D:5 Fatih (Özel Fatih Hastanesi Karşısı)

سُورَةُ الزُّمَرِ

سُورَةُ الزُّمَرِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

بسم الله الذي خلَقَنا في بطون أمهاتنا خَلْقاً مِن بعد خَلْق في ظلُمات ثلاث، الرحمنِ الذي عليه يتوكَّل المتوكلون وهو المُسْتعان والمُسْتغاث، الرحيمِ الذي يورث المؤمنَ أرضَ الجنة يتبوَّأ منها حيث يشاء فهي خير ميراث.

وروى أبي بن كعب رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «مَن قرأ سورة الزُّمَر لم يَقْطَعِ الله رجاءه، وأعطاه ثواب الخائفين الذين يخافون الله تعالى»(١).

وهذه السورة مكِّيَّةٌ إلا ثلاث آيات نزلت بالمدينة في وَحْشِيِّ ابن حَرْب: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِ﴾ إلى قوله ﴿وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ﴾.

وآياتُها: خمس وسبعون. وقيل: ثلاث. وقيل: اثنتان.

الاختلافُ في سبع آيات: ﴿مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾، ﴿فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ﴾، ﴿مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾، ﴿فَبَشِّرۡ عِبَادِ﴾، ﴿مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾، ﴿مِنۡ هَادٖ﴾، ﴿فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ﴾.

وكلماتُها: ألف ومئة وتسع وستون.

وحروفُها: أربعة آلاف وسبع مئة وثلاثة وسبعون.

وانتظامُ أول هذه السورة بآخر تلك السورة: أنَّهما في ذِكْر القرآن.

---

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٢٢٠)، والواحدي في «الوسيط» (٣/ ٥٦٩)، وهو قطعة من الحديث الموضوع في فضائل السور، تقدم الكلام عليه مراراً.

وانتظامُ السورتين: أنَّهما في مُحاجَّة المشركين، ووعد المؤمنين، ووعيد الكافرين.

* * *

(١ ـ ٢) ـ ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ (١) إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾: أي: إنزال القرآن شيئاً فشيئاً على محمد ﴿مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ﴾؛ أي: في انتقامه ﴿ٱلْحَكِيمِ﴾؛ أي: في أحكامه.

وقيل: فيه تقديم وتأخير، تقديرُه: تنزيل الكتاب العزيز الحكيم مِن الله، فهُما مِن صفات القرآن، قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ﴾ [فصلت: ٤١]، وقال: ﴿يسٓ (١) وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [يس: ١ ـ ٢].

وقولُه تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ﴾: يا محمد ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾؛ أي: القرآن ﴿بِٱلْحَقِّ﴾؛ أي: ببيان الحق؛ أي: وبما يحِقُّ الأخذ به.

وقولُه تعالى: ﴿فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ﴾: أي: وحِّدْه وأَطِعْه ﴿مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾؛ أي: مُصفِّياً له الاعتقاد والعمل.

* * *

(٣) ـ ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾: أي: المُسْتحِقُّ للطاعة الخالصة التي لا يشوبُها شرك هو الله تعالى؛ إذ هو الخالق الرازق المالك المنفرد بالألوهية.

وقيل: معناه: إنَّ التوحيد الخالص هو الذي يُتَقَرَّبُ به إلى الله تعالى، دون غيره مِن الأديان التي يشوبُها الشرك.

وقال الإمام القُشيري في قوله: ﴿فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾: العبادة مُعانقة الأمر على غاية الخشوع[١]، ويكون بالنفس والقلب والروح، فالتي بالنفس الإخلاصُ فيها بالتباعد عن الانتقاص، والتي بالقلب الإخلاصُ فيها بالعَمى عن رؤية الأشخاص، والتي بالروح الإخلاصُ فيها بالتَّنَقِّي عن طلب الاختصاص[٢].

وقولُه تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ﴾: أي: والمشركون الذين اتَّخذوا مِن دون الله أصناماً يتولَّوْنهم ويجعلونهم يلُونهم بالحفظ والإحاطة[٣] والحيَاطة من المكاره.

وقولُه تعالى: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ﴾: أي: يقولون: ما نعبد هؤلاء الأصنام ﴿إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾: بالشفاعة لنا إليه.

وقولُه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ﴾ يوم القيامة[٤] ﴿فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ﴾: أي: إنَّ الله عالم بهذا القول منهم، وسيرجعون إليه فيحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون، بأنْ يُمَيِّزَ بين المُحِقِّ منهم والمُبْطِل بالثواب والعقاب، ويكون على هذا قولُه: ﴿بَيۡنَهُمۡ﴾ كنايةً عن المشركين والموحِّدين جميعاً، وثبَتَ ذِكْر المشركين في الآية صريحاً، وذكرُ الموحِّدين دلالة قوله: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُ﴾ وأهلُه الموحِّدون.

فإن كان قولُه: ﴿بَيۡنَهُمۡ﴾ مُقتصِراً على المشركين، فالحُكْمُ بينهم فيما هم فيه

---

(١) في (ف) و(أ): «الخضوع»، والمثبت موافق لما في «اللطائف».

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٣/ ٢٦٧).

(٣) «والإحاطة» ليس من (أ) و(ف).

(٤) «يوم القيامة» زيادة من (ف).

يختلفون مِن اختلاف معبوديهم: فمنهم عابدُ صنَمٍ، ومنهم عابدُ عِجْلٍ، ومنهم عابدُ شمسٍ، ومنهم عابدُ الملائكةِ، ومنهم عابدُ الجنِّ، فيحكم بينهم جميعاً بما ذُكِر في آيات: ﴿ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ﴾ [سبأ: ٤٠]، ﴿يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ﴾ [المائدة: ١١٦]، ونظائرها.

وقولُه تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى﴾: أي: لا يُرشد إلى الحقِّ، ولا يخلُقُ صفة الاهتداء ﴿مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ﴾ على الله أو على رسوله ﴿كَفَّارٌ﴾: كافر بالله ما دام مُصِرًّا على ذلك.

وقيل: هذا الكذب هو قولهم: ﴿إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾.

* * *

(٤) ـ ﴿لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ سُبْحَٰنَهُۥ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾:

قال الإمام أبو منصور: أي: لو جاز واحتمل أنْ يتَّخِذ الله ولداً ـ على ما يتوهَّمون ـ لاختار مما يشاء مَن شاء، لا على ما تختارون أنتم وتشاؤون أنَّ الملائكة بنات الله؛ إذ العُرْفُ في الخَلْق أنَّ مَن اتَّخذ لنفسه شيئاً إنما يتَّخذ مِن أعز الأشياء وأرفعها وأعظمها قَدْراً، لا مِن أخس الأشياء وأذلِّها، وأنتم تختارون البنين على البنات، فكيف اختار هو البنات على البنين[1]؟!

﴿سُبْحَٰنَهُۥ﴾: أي: تنزيهاً لله تعالى عن هذا ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ﴾: الذي لا إله غيره ﴿ٱلْقَهَّارُ﴾: أي: القهار عبادَه.

---

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٨/ ٦٥٦).

والولدُ في الشاهد إنما يُتَّخذُ لأحد وجوه:

إما لوحشة أصابَته فيستأنِس به.

وإما لحاجة مسَّته[١]، فيدفع الولدُ ذلك عنه.

وإما لغلبة شَهْوة فيقضيها، فيتولد منه الولد.

وإما لوراثة مُلْكِه بعد موته.

والله تعالى قهَّار دائم باقٍ واحد، فلا يجوز ذلك عليه.

* * *

(٥) ـ ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾: أي: بالحق الذي له على الخَلْق.

وقيل: ﴿بِٱلْحَقِّ﴾: أي: للحق، وهو البعث؛ لأن الخَلْق للفناء عبَثٌ.

وقيل: ﴿بِٱلْحَقِّ﴾: أي: بالحكمة؛ إذ جعل في كل شيء آيةً على ربوبيَّته ووحدانيَّته.

وقولُه تعالى: ﴿يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ﴾: أي: يلُفُّه، وهو مِن كَوْر العِمامة، قاله قُطْرُب[٢].

وقال أبو عبيدة: أي: يُدْخِل نُقْصان الليل في زيادة النهار[٣].

---

(١) في (ر) و(ف): «تمسه».

(٢) ذكره الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (٨/ ٦٥٨) من قول أبي عوسجة والقتبي.

(٣) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (٢/ ١٨٨).

﴿وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيۡلِ﴾: أي: يُدْخل نُقْصان النهار في زيادة الليل؛ كقولهم: «الحَوْر بعد الكَوْر»[١]، أي: النُّقْصان بعد الزيادة، وهو في معنى قوله: ﴿يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ﴾ [الحج: ٦١]، وهو تعريف اختلاف فصول السنة من ربيعٍ وصيفٍ وخريفٍ وشتاءٍ تعديلاً للطبائع والأزمنة.

وحاصلُه: أنَّ التكوير له ثلاثُ مَعانٍ:

الإيلاج: وهو أنْ يُزاد مِن هذا في هذا، ومِن هذا في هذا.

والتَّغْطية: فإذا جاء الليل غطَّى على النهار؛ كما قال: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا﴾ [الشمس: ٤]، وكذا كَوْر العمامة.

والإدارة: كما في كَوْر العمامة[٢]، وهو مجيء أحدهما على إِثْر الآخر مُتعاقبين.

﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ﴾: أي: ذلَّلَهما وجعلهما يجريان ويَطْلعان ويَغْرُبان لمنافع العباد.

﴿كُلٌّ يَجۡرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: أي: كلُّ واحد مِن الشمس والقمر يجري في الفُلْك إلى أنْ تنقضيَ الدنيا للأجل المسمى عنده، فينتقِض هذا النَّظْم حينئذ.

وقيل: الأجل المسمى: هو الوقت الذي ينتهي فيه سَيْر الشمس والقمر إلى منازلهما المرتَّبة لغروبهما وطلوعهما على ما مرَّ في سورة يس.

---

(١) انظر: «المستقصى في أمثال العرب» للزمخشري (١/ ٣١٥).

وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه كان يستعيذ من الحور بعد الكور، رواه مسلم في «صحيحه» (٢/ ٩٧٩) من حديث عبد الله بن سَرْجِس رضي الله عنه.

(٢) «كما في كور العمامة» ليس في (أ).

وقولُه تعالى: ﴿أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾: المنيع الذي لا يُمنع ممَّا[1] يُجريه على المُسيء ﴿ٱلْغَفَّٰرُ﴾: لِمَن تاب وأناب بعد الإساءة.

* * *

(٦) ـ ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾: وهو آدم عليه السلام ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾: وهي حوَّاء.

وقولُه تعالى: ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾: أي: وخلق لمنافعكم مِن البهائم ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾: وهي الإبل، والبقر، والغنم، والمَعْز.

والأزواجُ: الأصناف، والزوجان: ذكر وأنثى، كلُّ فردٍ زوجٌ، وهي المذكورة في قوله: ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ﴾ [الأنعام: ١٤٣]، ﴿وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ﴾ [الأنعام: ١٤٤].

ثم قولُه: ﴿وَأَنزَلَ﴾ له وجوه:

أحدُها: أنَّ أصلها مِن الجنة، وأُنزلت على آدم.

والثاني: أنَّ معناه: أعطى، والنُّزولُ: العَطِيَّةُ.

والثالث: أنَّ السؤال رَفْعُ الحاجة، والإجابةَ إنزالٌ.

والرابع: أنَّ قِوام الأنعام بالنبات، وهو مِن المطر، وذاك مُنزل مِن السماء،

---

(١) في (ف): «عما».

وعلى هذا قولُه: ﴿قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا﴾ [الأعراف: ٢٦]، ولأنَّ الوصول بأمر الله تعالى، والمُبَلِّغون[١] أمْرَ الله ينزلون مِن السماء.

وعلى هذا: ﴿وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ﴾ [الحديد: ٢٥] له هذه الوجوه.

وقولُه تعالى: ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ﴾: أي: تقديراً بعد تقدير، وتارةً بعد تارة، وهي ما ذُكِر في قوله: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ [المؤمنون: ١٣] الآيات.

﴿فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ﴾: قال أكثر المفسرين: هي ظُلْمة الـمَشيمة، وهي الجِلْدة التي يكون فيها الولد، وهي كالغشاء، وظُلْمةُ الرَّحِم، وظُلْمةُ البطن يُصوِّرُ الله الخَلْق فيها، لا يخفى عليه ذلك كما لا يخفى على مَن أراد تصوير شيء لو كان في شيء يسترُه، نبَّهَ على أنه بصير بكل شيء، لا يخفى عليه شيء، ولا يَستُرُ شيئاً عنه شيءٌ[٢].

وقولُه تعالى: ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾: أي: كيف ومِن أين ينصرفون عن تدبُّر هذه الآيات، وعن إخلاص العبادة لله إلى الشرك به وإلى عبادة ما سواه.

***

(٧) ـ ﴿إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ﴾: أي: إنْ تجحَدوا نِعَم الله، وتتركوا

---

(١) في (ف): «والمتلقون».

(٢) في (ف): «ولا يُستر شيء عنه».

الشكر له عليها، فإنه لا يضرُّه كفركم؛ إذ لم يأمرْكم بالشكر لنَفْعٍ يجرُّه إلى نفْسه، وضُرٍّ يدفعه عن نفْسه، بل هو غني عنكم وعن عبادتكم.

وقولُه تعالى: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾: وهو وإنْ كان غنيًّا عنكم، فإنه لا يرضى أنْ يفعل العباد الكفر، فإنه قبيح في نفْسه.

وقولُه تعالى: ﴿وَإِن تَشْكُرُواْ يَرْضَهُ لَكُمْ﴾: أي: الشكرَ، فإنه حسَنٌ في نفْسه، فيقبله منكم ويُثيبكم عليه.

﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾: أي: ولا تحمل نفْسٌ حاملةٌ حِمْلَ نفْسٍ أخرى.

﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ﴾: أي: ثم في القيامة إلى جزاء ربكم رجوعُكم.

﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: أي: فيُخبركم بأعمالكم، ويُجازيكم عليها.

﴿إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾: أي: بخَفِيَّات القلوب.

وقال السُّدِّي: ﴿إن تشكروا﴾: تطيعوا[١].

وقال الخليل: الشكر: عِرْفانُ الإحسان ونَشْرُه[٢].

❊ ❊ ❊

(٨) ـ ﴿۞ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُوٓاْ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ﴾: أي: وإذا نال أحداً مِن هؤلاء المشركين بلاءٌ وشِدَّةٌ في أبدانهم وأموالهم وأسبابهم، فزِعَ إلى الدعاء والتضرُّع

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ١٦٩).

(٢) انظر: «العين» للخليل (٥/ ٢٩٢).

إلى الله تعالى، راجعاً إليه دون الأصنام الذي اتخذوها أولياء؛ لعِلْمه الضروري أنَّ الصنم لا يضرُّ ولا ينفع، ولا يجرُّ ولا يدفع.

وقولُه تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ﴾: أي: ملَّكه وأعطاه ﴿نِعْمَةً مِّنْهُ﴾: وهي خلاف الضُّرِّ الذي كان مسَّه مِن الصحة والعافية والثَّرْوة والأُلْفة.

﴿نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓا۟ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ﴾: أي: ترَكَ الدعاء الذي كان يدعو به من قبل نَيْلِ هذه النعمة تَرْكَ الناسي للشيء الذي لا يخطُرُ بباله.

وقوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ﴾ له معنيان:

أحدُهما: ﴿يَدْعُوٓا۟ إِلَيْهِ﴾؛ أي: يدعو الله مُنيباً إليه، فتكون الهاء كنايةً عن الله.

والثاني: يدعو الله إليه، أي: إلى كَشْفه، فتكون الكناية عن ذلك الشيء الذي يَسأل كشفَه،

وعلى هذا قوله: ﴿فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ﴾.

ووجهٌ آخر: نسِيَ ما كان يدعو الناسَ إلى الله؛ أي: إلى الإيمان بالله تعالى، والاعتصام به في هذه الحالة.

ووجهٌ آخر: نسِيَ ما كان يَستشفع به[1] بالناس إلى الله تعالى؛ أي: يستعين بهم في دعاء الله لحاجته[2].

وقولُه تعالى: ﴿وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ﴾: أي: قل يا محمد لهذا الكافر: إنَّ تمتُّعَك بكفركَ في الدنيا مِن نَيْل الرياسة والأغراض الدنيوية قليلٌ زائلٌ، ثم إنك صائرٌ إلى النار، باقٍ فيه خالداً مُخلَّداً.

---

(١) «به» زيادة من (أ).

(٢) في (أ): «بحاجته»، وهذا الوجه الأخير غير واضح.

وقولُه تعالى: ﴿تَمَتَّعْ﴾: صيغة أمر، ومعناه خبر؛ كما قيل: «إذا لم تستحِ فاصنعْ ما شئتَ»[(١)]، أي: صنَعْتَ ما شئتَ.

وقيل: هو تهديد؛ كقوله: ﴿ٱعْمَلُواْ مَا شِئْتُمْ﴾ [فصلت: ٤٠].

***

(٩) - ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ﴾: استفهام بمعنى النفي؛ أي: ليس مَن هو مصلِّي أوقاتِ ليلِه[(٢)] في أوله وأوسطه وآخره، مواظبٌ على الصلوات لربه، يقوم في صلاته إعظاماً، ويسجد تارةً تذلُّلاً، ويخاف الحساب في الآخرة لإيمانه بالبعث، ويرجو رحمة ربه، فيتردَّدُ بين الخوف والرجاء، كمَن ليس هكذا، بل هو مشرك يتَّخذ مِن دون الله أنداداً، ويكفر نعمة ربه.

وحذَفَ ذِكْر الفريق الثاني اختصاراً؛ لوضوح المراد، فأشار إليه أيضاً فيما ذَكَر بعده:

﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾: وهو للنفي أيضاً، فكذا الأول، وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨]، فإذا لم يستَوِ العالم وغيرُ العالم لم يستَوِ الخاشي وغيرُ الخاشي.

---

(١) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (١٧٠٩٨) من حديث أبي مسعود البدري رضي الله عنه، وهو من الأمثال التي سارت بها الركبان. انظر: «المثل السائر» (١/ ٦٤) لابن الأثير.

(٢) في (ف): «يصلي أوقات ليله» وفي (ر): «يصلي أو قانت ليله».

وقولُه تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ﴾: أي: إنما ينتفع بهذه المواعظ والأمثال مَن كان له عقل، فيتدبَّرُ به.

وقرأ حمزة ونافع: ﴿أَمَن﴾ بالتخفيف[1]، وله وجهان:

أحدُهما: أنه استفهام بالألف.

والثاني: أنه نداء بالألف؛ أي: يا مَنْ هو قانت وكذا أبشِرْ بالثواب والنجاة مِن النار.

وقال ابن عباس ومقاتل: نزلت في عمار بن ياسر[2].

وقال الضحاك والسُّدِّي: نزلت في عثمان بن عفان رضي الله عنه[3].

وقولُه تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ﴾: يعني: عماراً وعثمان، ﴿وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾: يعني: أبا حذيفة بن المغيرة، وكذا الأول: ﴿ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ﴾: هي فيه[4].

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٦١)، و«التيسير» للداني (ص: ١٨٩)، وهي قراءة ابن كثير أيضاً من السبعة.

(٢) رواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٣/ ٢٥٠) عن الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس رضي الله عنهما.
وذكر الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٢٢٤) عن مقاتل أنها نزلت في عمار بن ياسر، وأبي حذيفة بن المغيرة بن عبد الله المخزومي.

(٣) رواه ابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه وغيرهم كما في «الدر المنثور» (٧/ ٢١٤) عن ابن عمر رضي الله عنهما.
وفي «تفسير السمعاني» (٤/ ٤٦١)، و«تفسير البغوي» (٧/ ١١٠)، عن الضحاك أنها نزلت في أبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٣٧٥)، وذكره عنه الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٢٢٤)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ١١٠).

(١٠) ـ ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ﴾: أي: ﴿ قُلْ ﴾ يا محمد عني: ﴿يَٰعِبَادِ ﴾؛ أي: خواصّي ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ﴾، فأطيعوه ولا تعصوه.

وقولُه تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾: له وجهان:

أحدُهما: الذين أحسنوا في الدنيا لهم حسنةٌ في الآخرة، وهي الجنة، ﴿وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ﴾؛ أي: أرض الجنة؛ كما قال: ﴿عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [الحديد: ٢١]، واسم الأرض يقع عليها، قال تعالى: ﴿وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ﴾ [الزمر: ٧٤]، وقولُه تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ ﴾ على الإحسان في الدنيا ﴿أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾: ثواباً لا يدخل في حساب الخَلْق لكثرته.

والثاني: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ﴾: وهي النصر؛ كما قال: ﴿ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ ﴾ [التوبة: ٥٢]؛ أي: النُّصْرةَ أو الشهادةَ، وقولُه تعالى: ﴿وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ﴾؛ أي: وأرض الدنيا مُتَّسعة لِمَن ضعُفَ عن الصبر على فتنة المشركين، وتعذيبهم على الدين، فهاجِروا فيها إلى أرضٍ تأمنون بها على أنفسكم وأديانكم، ولا ترجعوا إلى دين الكفار بإكراهكم، واصبروا على الحق وأذى الخَلْق، ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم ﴾ على ذلك ﴿أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾.

* * *

(١١ ـ ١٢) ـ ﴿قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾:

أي: قل يا محمد للكفار ـ بعدما قلتَ للمسلمين ـ : أمرَني الله أنْ أعبدَه مُخلصاً له الطاعة والانقياد، بخلافِ ما أنتم عليه، وأمرَني أنْ أسبق الأمة إلى الإسلام، لا أنتظر به إسلام أحد منهم؛ ليكونَ لي شرَف السَّبْق، وثوابُ الكل بسبب السَّبْق.

وقولُه تعالى: ﴿وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ﴾: جمَعَ بين صِلَتين، وهما اللام و(أنْ)، ويجوز ذِكْر الأمر على ثلاثة أوجه: وأُمِرْتُ أنْ أفعل، و: أُمِرْتُ لِأفعل؛ قال تعالى: ﴿وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ٧١]، و: أُمِرْتُ لِأنْ أفعل.

وقيل: معناه هاهنا: أُمِرْتُ أنْ أعبد الله تعالى، وأُمِرْتُ بذلك لأنْ أكون أول المسلمين، فأنالَ شرف ذلك وثوابه.

***

(١٣ ـ ١٥) ـ ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٣) قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي (١٤) فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾.

﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾: أي: عظيم الأحوال، كثير الأهوال.

قولُه تعالى: ﴿قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي﴾: كما أمرني به.

﴿فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ﴾: وهذا أمرُ تهديدٍ؛ أي: اختاروا لأنفسكم ما شئتُم، فقد اخترتُ[١] لنفْسي ما أمرَني به ربي، ودليلُ أنه للتهديد: ما سبَقَ مِن ذِكْر العذاب العظيم على خلاف هذا الأمر، وكذا ما ذُكِر بعده مِن الخُسْر[٢].

وقولُه تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾: أي: الذين عبدوا غيرَ الله هم الهالكون، أهلكوا أنفسهم وأهليهم.

---

(١) في (أ): «أجزت».

(٢) في (ر): «الحشر».

قال مجاهد وابن زيد: خُسْران النَّفْس: هلاكُها بالعذاب، وخُسْران أهليهم: ألَّا يكون لهم في النار أهل وقد كان لهم في الدنيا أهل(١).

وقال الحسن: ﴿وَأَهْلِيهِمْ﴾: الحورُ العِين في الجنة خسِروها حيث حُرِموها بكفرهم(٢).

وقيل: ﴿خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾: حيث لا يكون لهم نفوس صحيحة ينتفعون(٣) بها بشيء من المَلاذِّ، ﴿وَأَهْلِيهِمْ﴾: فإنهم إنْ كانوا كفاراً وكانوا معهم في النار، كان ذلك زيادةَ حَسْرةٍ ووَحْشةٍ لا سببَ أُنسٍ وراحةٍ.

وقولُه تعالى: ﴿أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾: أي: الظاهر الواضح.

* * *

(١٦) ـ ﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ﴾: أي: كهيئة الظُّلَل(٤) المبنيَّة فوقهم.

وقولُه تعالى: ﴿وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾: أي: تُحيط بهم نار جهنم مِن كل الجهات، وهو كقوله: ﴿يَغْشَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ [العنكبوت: ٥٥]، وكقوله: ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾ [الأعراف: ٤١].

---

(١) رواه عنهما الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ١٨١)، وذكره عنهما الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ١١٩).

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ١١٩) عن الحسن وقتادة.

(٣) في (ر): «يرتفقون».

(٤) في (أ): «الظلمة».

ثم جعَل ما تحتهم ظُلَّةً وإن كانت ظِلال[١] الدنيا عاليةً؛ لأنَّ جهنم أَدْراكٌ، فالظُّلَّة التي تكون تحت قوم تكون ظُلَّةً عاليةً على قوم.

وقيل: جعل ما تحتهم ظُلَّةً؛ لأن ذِكْرها في مقابلة ما فوقَهم، والمُتَقابلان يُسمَّيان باسم واحد؛ كـ(العصرين) في أول النهار وآخره.

﴿ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ﴾: يعني: بما ذكَرَ مِن عذاب النار.

﴿يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ﴾: حذَّرهم النار، ثم حذَّرهم نفْسه، فهو المعذِّب بالنار مَن عذَّبه بها.

***

(١٧ ـ ١٨) ـ ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا﴾: أي: مَن أخلص العبادة لله، وتباعَد عن عبادة الشياطين، ومن طاعاتهم في الإشراك به، وكان منهم على جانب لا يُلاقيهم، هذا حقيقة الاجتناب؛ كالانحراف الذي حقيقتُه أنْ يكون على حَرْف، والاعتراض[٢] الذي حقيقته أن يكون على عُرْض.

﴿وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾: أي: وأقبلوا إلى الله بطاعتهم وعبادتهم مُخلصين له الدِّين.

﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ﴾: أي: بالجِنان، بدلٌ عمَّا لأولئك الخاسرين مِن النار.

﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ﴾[٣]: قيل: عمومُه يتناول كلَّ قول؛ أي:

(١) في (أ): «ظلة».

(٢) في (ف) و(أ): «والإعراض».

(٣) في (ف): «فبشر عبادي..»، وهي رواية السوسي ـ بخلف عنه ـ عن أبي عمرو، حيث قرأها بإثبات =

قـولَ الله، وقـولَ رسـوله، وقـولَ مَـن سـلَف مِـن المؤمنيـن والكفار.

وقولُه: ﴿فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ﴾: أي: أحسَنَه عاقبةً، وهو طاعة الله تعالى.

﴿أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ﴾: أي: اهتدَوا بهُداه.

﴿وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾: أي: المُنتفعون بعقولهم.

قيل: نزلت الآية في ثلاثة نفَرٍ كانوا يقولون: (لا إله إلا الله) في الجاهلية: زيد ابن عمرو بن نُفيل، وسلمان، وعمار[1].

و﴿ٱلطَّـٰغُوتَ﴾ قيل: هو الشيطان. وقيل: هُمُ الشياطين.

وقيل: هو ما عُبِد مِن دون الله.

وقيل: هو الكاهن.

وقد يكون واحداً مُذكَّراً، قال الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّـٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ﴾[2] [النساء: ٦٠]، ويكون مؤنثاً كما في هذه الآية، وهو قوله: ﴿أَن يَعْبُدُوهَا﴾، ويكون جَمْعاً، قال تعالى: ﴿أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّـٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧].

وقيل: الطواغيت خمسة: كعب بن الأشرف بالمدينة، وأبو بُرْدة بالشام، وعوف ابن عامر في أَسْلَمَ، وأبو السَّوداء في بني أسد، وعبد الله بن قيس في بني خُزاعة[3].

وعـبادة الطـواغيت هي طاعتهم لهم فيما أَمروا به ونهَوا عنه؛ كما قال:

= الياء وفتحها وصلاً. انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٦١)، و«التيسير» للداني (ص: ١٨٩).

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ١٨٥) عن ابن زيد، وثالثهم فيه هو أبو ذر الغفاري لا عمار.

(٢) في النسخ: «يؤمنون بالجبت والطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به»، والصواب المثبت.

(٣) ذكره نحوه الثعلبي في «تفسيره» (١/ ٨٩)، والبغوي في «تفسيره» (١/ ٦٧).

﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة: ٣١].

وقال الإمام القُشَيري: طاغوتُ كل أحد نفْسُه، وعبادتُه له: اتِّباع هواه في مخالفة مولاه(١).

وقال في قوله: ﴿ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ﴾: أي: يستمعون كلَّ قول، ثم يتَّبعون الأحسن، وهو ما كان لله دون غيره.

وقيل: هو ذِكْر الله خالصاً.

وقيل: مَن عرف الله لا يسمع مِن غير الله.

وقيل: للعبد دَواعٍ مِن باطنه، منها: هواجس النَّفْس، ومنها: وساوس الشيطان، ومنها: خواطر الملَك، ومنها: خطاب الحق، فوساوس الشيطان تدعو إلى المعاصي، وهواجس النَّفْس إلى مُتابعة الشهوات، وخواطر الملَك تدعو إلى الطاعات، وخطاب الحق إلى حقائق التوحيد(٢).

وقيل: مَن أحسَنَ أنْ يستمِعَ(٣) مِن الله، أحسَنَ أنْ يسمعَ عباد الله.

* * *

(١٩) ـ ﴿ أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِى ٱلنَّارِ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ ﴾: أي: وعيدُ الله به بقوله: ﴿ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾: فعبَدَ الطاغوت، واتخذ مِن دون الله أولياء.

---

(١) عبارة «اللطائف»: طاغوت كل إنسان نفسه، وإنما يجتنب الطاغوت من خالف هواه، وعانق رضا مولاه.

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٣/ ٢٧٤ ـ ٢٧٥).

(٣) في (ف): «يسمع».

﴿أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي ٱلنَّارِ﴾: أي: تُخَلِّص منها.

وقيل: جواب الأول محذوف: ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ﴾ تَهديه.

وقيل: الإضمار في الكلام الثاني: ﴿أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي ٱلنَّارِ﴾ منهم؛ أي: لا تجهَدْ في حق هؤلاء كلَّ هذا الجَهْد، فأنت غير قادر على ذلك، ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ﴾، فهو استفهام في معنى النفي.

فأما تكرير الاستفهام في الآية فللتأكيد؛ كما في قوله: ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٢].

وقال الفراء: إنَّ هذا مما يُراد به الاستفهام الواحد، لكنْ سبق الاستفهامُ موضعَه، فأُعيد في موضعه الذي هو له، وإنما المعنى: ﴿أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي ٱلنَّارِ﴾ وهو ممَّن حقَّتْ عليه كلمة العذاب، وكذلك قوله: ﴿أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا﴾ الآية، ونظيره مِن غير الاستفهام: ﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ﴾ [المؤمنون: ٣٥]، فذكر «أنَّكم» مرتين، وإنما المعنى: أيَعِدُكم أنَّكم مُخرجون إذا مِتُّم، وكذلك قوله: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ﴾ [آل عمران: ١٨٨][1].

***

(٢٠) ـ ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ﴾: أي: في الجنة،

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٤١٨).

على مُقابلةِ ما قال لأهل النار قبله، وهو قوله تعالى: ﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعْدَ اللَّهِ﴾: أي: وعداً حقاً مِن الله ذلك ﴿لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ﴾؛ أي: الوعد في الفريقين جميعاً.

* * *

(٢١) ـ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾: أي: مطراً.

﴿فَسَلَكَهُ﴾: أي: أدخَلَه ﴿يَنَابِيعَ﴾؛ أي: عيوناً وأنهاراً ينبع الماء منها؛ أي: يفور.

﴿فِي الْأَرْضِ﴾: فصارت فيها.

﴿ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ﴾: أي: بالماء ﴿زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ﴾: قيل: أي: أصنافه؛ كقولك: هذا لون مِن الثياب، ولون مِن الطعام، يعني: مِن حِنْطة وشعير وأَرُزٍّ وغير ذلك مِن الحُبوب.

وقيل: هي الألوان حقيقةً، فإنَّ الزرع مختلِف ألوانه، فإنَّ لون الأَرُزِّ غيرُ لون الحِنْطة، ونحو ذلك.

وقولُه تعالى: ﴿ثُمَّ يَهِيجُ﴾: ثم ييْبَس هذا الزرع ﴿فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا﴾.

﴿ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا﴾: مُتناثراً مُتساقطاً مُتكسِّراً.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾: أي: فيما ذكَرْنا مِن إحياء الأرض بعد موتها دِلالةً على إحياء الخَلْق بعد موتهم، وهذا وعد مِن الله تعالى لا يُخْلِفُه.

* * *

(٢٢) - ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾: هو نعتُ ﴿لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾؛ أي: أَفَمَن فتح الله قلبه فاتَّسعَ للتدبر والعلم والإيمان ﴿فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ﴾؛ أي: على هداية ﴿مِّن رَّبِّهِۦ﴾: فهو يمضي على استبصارٍ في طريق الحقِّ[1]؛ أي: هو أفضل وأهدى سبيلاً، أمْ مَن هو مُخالف له ممن قد قسا قلبه عن ذكر الله تعالى، فهو مُتحيِّرٌ مُتردِّدٌ في الظلمات ليس بخارج منها؟! وحذف هذا اختصاراً؛ لوضوح المراد بما تقدم وما تأخر.

وقولُه تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم﴾: والقاسي القلب: هو الذي أَلِفَ الكفر والإعراضَ عن استماع ذِكْر الله، فرانَ على قلبه سوءُ كَسْبه، فقسا قلبه؛ أي: صلُبَ، فصار كالشيء المُصْمَت الذي لا يتخلَّله شيء، ولا ينفُذُ إليه شيء.

﴿مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾: هو ما ذكَرَ الله ورسوله مِن الترغيب والترهيب وضَرْب الأمثال.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾: أي: غِواية ظاهرة.

وقال مقاتل: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾: يعني: النبيَّ ﷺ، ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم﴾: يعني: أبا جهل وذَوِيه[2].

ورُوِي عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا دخل النورُ القلبَ انفسحَ وانشرحَ»، قيل: يا رسول الله! وهل لذلك مِن علامة؟ فقال: «نعم، التَّجافي عن دار الغُرور،

---

(١) في (ر) و(ف): «الجنة».

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٢٢٩)، والواحدي في «الوسيط» (٣/ ٥٧٧).

والإنابةُ إلى دار الخُلود، والاستعداد للموت قبل نزول الموت»[١].

وقال الإمام القُشَيري رحمه الله: النور الذي هو من عند الله: نورُ اللَّوائح بنجوم العلم، ثم نور اللوامع ببيان الفَهم، ثم نور المحاضرة بزوائد اليقين، ثم نور المُكاشفة بتجلِّي الصفات، ثم نور المشاهدة بظهور الذات، ثم أنوار الصَّمَدية بحقائق التوحيد، فعند ذلك يتحقَّقُ الاصطلام، فلا وَجْدَ ولا قَصْد، ولا قُرْبَ ولا بُعْد، كلَّا بل هو الله الواحد القهار[٢].

***

(٢٣) ـ ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ﴾: أي: أوحى إلى محمد لِيُلَيِّنَ القلوب القاسية بذكر الله، ولِيُطَيِّبَ قلوب الذين يستمعون القول فيتَّبعون أحسنه ﴿أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ﴾؛ أي: أحسنَ ما يُتَحَدَّثُ به؛ لأنه مُشتمل على مصالح أمور الدين والدنيا.

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٤٣١٥)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٣/ ١٣٣)، والحاكم في «مستدركه» (٤/ ٣٤٦) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً، وفي إسناده عدي بن الفضل، متروك الحديث. كما في «تقريب التهذيب».

ورواه البيهقي في «الأسماء والصفات» (٣٢٦) من حديث عبد الله بن المسور مرسلا.

قال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (١/ ٢١٧): مرسل ضعيف، وهو الصواب في رواية هذا الحديث،

وقال الدارقطني في «علله» (٥/ ١٨٩) بعد أن ذكر رواياته: وكلها وهم، والصواب عن عمرو بن مرة، عن أبي جعفر عبد الله بن المسور مرسلا، عن النبي ﷺ، وعبد الله بن المسور هذا متروك.

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٣/ ٢٧٧).

﴿كِتَٰبًا﴾: أي: كلاماً مجموعاً يُكتب، وقيل: كتاباً مِن الله تعالى إلى عباده.

﴿مُّتَشَٰبِهًا﴾: أي: يُشبه بعضه بعضاً، فلا يختلف ولا يتناقض.

ولفظٌ آخر: يُصدِّقُ بعضُه بعضاً، ويشهد بعضه لبعض.

وقيل: أي: كلُّه فاضلٌ مُعْجزٌ خارج عن صفات كلام الآدميِّين الذي لا يخلو عن تفاوت.

﴿مَّثَانِيَ﴾: أي: ثنَّى فيه الأنباءَ والقصص والآياتِ المُكرَّرةَ في الوعد والوعيد للتقرير[1] والتأكيد.

وقيل: المثاني: خواتم الآيات؛ وذلك أنَّ القرآن بايَنَ سائر الكلام بخروجه عن طرق أصناف الكلام التي كانت العرب تتعاطاها نظماً ونثراً، فالمنظوم عندهم يُسمَّى: شِعْراً، والمنثور يُسمَّى: خُطْبَةً، والقرآن خارجٌ عما عليه هذان النوعان.

وكذلك أسماؤُه مُباينةٌ لأسمائها، فليس يُسمَّى: شعراً، ولا: خُطْبَةً، بل هو: قرآن، و: كتاب، وسمَّى كل قِطْعة منه: سورةً؛ كما سمَّت العرب كل قِطْعة مِن الشعر: قصيدةً وأُرْجُوزةً، وسمَّى كل فَصْل مِن السورة: آيةً؛ كما سمَّت العرب مثل ذلك مِن الشِّعر: بيتاً؛ أي: رجَزاً، وسمَّت العرب الأبيات لاتفاق أواخرها: قوافيَ، وسمى الله القرآن لاتفاق خواتم الآي: مثانيَ.

وقولُه تعالى: ﴿تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾: أي: تنقبِضُ.

وقيل: هو اليَبَس والخُشونة، وذلك عند الخوف بوعيده.

﴿ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾: وذلك عند الرجاء بوعده.

---

(١) في (ر): «والتقرير».

ومعنى ﴿إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: تَلين وتطمئنُّ إلى ذكر الله.

وقال قُطْرُب: أي: مائلةً إلى ذكر الله.

وقولُه تعالى: ﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ﴾: أي: ذلك القرآن إرشاد للخَلْق مِن[1] الله.

﴿يَهْدِى بِهِۦ﴾: أي: يخلُق فعلَ الاهتداء بسبب القرآن.

﴿مَن يَشَآءُ﴾: وهو مَن علِمَ منه اختيار الاهتداء.

﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ﴾: أي: مَن يخلُقْ فيه صفة الضلال ﴿فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾: إلى الحق.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿مَّثَانِىَ﴾: ثنَّى فيه الأنباء والقصص[2].

وقال مجاهد: الحلال والحرام، والأمر والنهي، والوعد والوعيد.

وقال الكلبي: أي: آيات الرَّحمة والعذاب، وصفة الجنة والنار، وصفة المؤمن والكافر وما ضاهاها.

وقال عبد الله بن الزُّبير: سألتُ أمي أسماءَ: كيف كان أصحاب رسول الله ﷺ إذا قُرئ القرآن بين أيديهم؟ قالت: كانت عيونهم تدمع، وقلوبهم تقشعِرُّ، قلت: فإن قوماً إذا قُرئ عليهم القرآن يخِرُّون مَغْشيًّا عليهم، فقالت: اللهم إني أعوذ بك مِن الشيطان الرجيم[3].

---

(١) في (ر): «من عند».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ١٩٢) بلفظ: ثنى فيه الأمر مراراً، وذكر نحوه الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٣٥١)، ولفظ المصنف أورده البغوي في «تفسيره» (٣/ ٦٥)، وابن قتيبة في «غريب القرآن» (ص: ٣٨٣) من غير نسبة.

(٣) رواه سعيد بن منصور في «سننه» (٩٥ ـ تفسير)، وابن المبارك في «الزهد» (١٠١٦)، والبيهقي في =

أي: هذا التكلُّف والإِراءة منهم ببَعْث الشيطان إياهم عليه.

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: ملَّ أصحاب رسول الله ﷺ مَلَّةً، فقالوا: يا رسول الله! حدِّثْنا، فأنزل الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ﴾، فقالوا: يا رسول الله! فاقصص علينا، فأنزل الله تعالى: ﴿نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ﴾ السورةَ، قالوا: يا رسول الله! فذكِّرْنا، فأنزل الله تعالى: ﴿أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾[1].

* * *

(٢٤) - ﴿أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجۡهِهِۦ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجۡهِهِۦ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾: وهو الذي يُضلُّه الله تعالى فما له مِن هادٍ، استفهام بمعنى النفي، وفي آخره مُضمر، أي: أفمَن يُلقى في النار يوم القيامة مغلولَ اليد لا يُمكنه أنْ يَتوقى العذاب إلا بوجهه، والوجه لا يُتوقَّى به، فهو إذاً لا يَتوقى العذاب الذي يُلقى فيه، فيحرِقُ بدنه كله، ولا يمكنه أنْ يرُدَّه عن وجهه الذي هو أعز شيء وأجلُّه في بدنه، أفهذا كمَن يدخل الجنة ويتنعَّم بها؟!

= «شعب الإيمان» (١٩٠٠)، والثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٢٣١)، والسائل هو عبد الله بن عروة بن الزبير، سأل جدته أسماء، لا عبد الله بن الزبير كما ذكر المؤلف.

(١) رواه ابنُ مردويه كما في «الدر المنثور» (٤/ ٤٩٧).

ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١١٣٢٥) عن القاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود.

ورواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٨) عن عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، وليس فيه قوله: (فذكرنا...) إلخ، لكنه أتبعه بحديث آخر من طريق مصعب بن سعد عن سعد فذكره بتمامه.

وحديث سعد رضي الله عنه رواه أيضا ابن حبان في «صحيحه» (٦٢٠٩)، وأبو يعلى في «مسنده» (٧٤٠)، والضياء في «المختارة» (١٠٦٩).

وحذف أحد الطرفين للاختصار عند وضوح المراد؛ كما مرَّ في هذه السورة مرات.

ونظير قولِه: ﴿يَتَّقِي بِوَجْهِهِ﴾: قولُه: ﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ﴾ [المؤمنون: ١٠٤]، ﴿يَشْوِي الْوُجُوهَ﴾ [الكهف: ٢٩]، ﴿حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ﴾ [الأنبياء: ٣٩].

وقيل: إذا كان التَّوَقي بسائر الأعضاء لوقاية الوجه، فإذا كان الاتِّقاء بالوجه لم يكن اتِّقاءً، فصار الحاصل أنه لا يتَّقي العذاب(١)، وهو كقوله: ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ﴾، وهذا لا يقع به الإغاثة، فحصل المعنى: وإنْ يستغيثوا لا يُغاثوا، وقريب مِن هذا قول الشاعر:

ولا عيبَ فيهم غيرَ أنَّ سيوفهم ... بهنَّ فلولٌ مِن قِراع الكتائب(٢)

أي: لا عيبَ فيهم إلا هذا، وليس هو بعيب، فلا عيبَ فيهم إذاً بوجه.

وقولُه تعالى: ﴿وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ﴾: أي: لهذه الطَّبَقة مِن الظالمين: ﴿ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾؛ أي: جزاء ذلك، وهو الذي أنتم فيه.

وقولُه: ﴿وَقِيلَ﴾: ماضٍ بمعنى المستقبل؛ لأنه مِن أمور الآخرة، فأُلحق بالكائن لتحقُّقه.

***

(٢٥ ـ ٢٦) ـ ﴿كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ (٢٥) فَأَذَاقَهُمُ اللَّهُ الْخِزْيَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾.

---

(١) في (أ): «يبقى» بدل من «يتقي العذاب».

(٢) البيت للنابغة الذبياني، وهو في «ديوانه» (ص: ١١).

﴿كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾: أي: كذَّبَ الأممُ الذين مِن قَبْل هؤلاء المشركين رسلَهم.

﴿فَأَتَىٰهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ﴾: أي: مِن حيث لم يكونوا يعلمون أنْ يأتيَهم منه، وفي وقت لم يتوهَّموا نزولَه بهم فيه.

وقولُه تعالى: ﴿فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلۡخِزۡيَ﴾: أي: الفَضيحة ﴿فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾.

﴿وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ﴾: مِن عذاب الدنيا ﴿لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ﴾؛ أي: لو كان عند هؤلاء المشركين مِن العلم ما يتدبَّرون به ويعلمون لصدَّقوا بهذا الوعيد ولآمنوا به، لكنهم لا يتدبرونه، فلا يعلمونه(١).

* * *

(٢٧ ـ ٢٨) ـ ﴿وَلَقَدۡ ضَرَبۡنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٖ لَّعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ٢٧ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا غَيۡرَ ذِي عِوَجٖ لَّعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ضَرَبۡنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٖ﴾: أي: ولقد وصَفْنا في هذا القرآن مِن كلِّ ما بالناس إليه حاجةٌ في أمور دينهم ومصالح دنياهم مثلاً، وهذا العموم كما في قوله: ﴿مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖ﴾ [الأنعام: ٣٨]؛ أي: مِن شيء يُحتاج إليه في الدِّين.

وقولُه تعالى: ﴿لَّعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ﴾: أي: لِيتَّعظوا به.

وقولُه: ﴿قُرۡءَانًا﴾: نصبٌ على القطع؛ لأنه نكرة نُعِت به معرفة، أو نُصِب بإضمار فعل واقع عليه: أنزلناه أو جعلناه.

---

(١) في (ر) و(ف): «فلا يعلمون به».

﴿عَرَبِيًّا﴾: نعتٌ، أي: بلسان العرب ليفهموه ويعلموا حُسْن نَظْمه وصواب معانيه؛ لأنه بلسانهم.

وقولُه تعالى: ﴿غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾: أي: لا يوجد فيه اختلاف ولا خطأ يخرُج به عن الحكمة والصحة لفظاً ومعنًى، وفي ذلك ما يدل على أنه مِن عند الله تعالى، فوجب التذكُّر به، ولزِم تقوى الله في أنْ يوقِع بهم ما توعَّدَهم به مِن العذاب.

* * *

(٢٩) ـ ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا﴾: أي: وصَفَ الله شبَهاً للمشركين والموحِّدين، ولم يقل: مثلين، وإنْ ذكَر بعده رجلين؛ لأن ذِكْرهما جملةً مثَلٌ واحد، وهو كقوله: ﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً﴾ [المؤمنون: ٥٠]، ثم وصَفَ المثَل فقال:

﴿رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ﴾: أي: رجلاً يخدِم جماعةً هم في خدمته لهم شُركاءُ مُتعاسرون مُتشاحُّون، كل واحد منهم يحب أنْ ينفرد به، ولا يُعجبه خِدمتُه لغيره، ولا إشراكه مَن سواه في طاعته وتعظيمه.

وقد شكِسَ شَكاسةً فهو شكِسٌ مِن حدِّ علِمَ، وهو صعب الخُلُق.

فهذا مثَلُ مَن عبد آلهة، فلا شكَّ أنَّ تلك آلهة لو كانت أحياءً، فرأى كل واحد منها حُسْن طاعة هذا العابد له، لأَحبَّ أنْ يُخلص خدمته له، وأنْ ينقطع بها وحده إليه(١)، فإذا لم يجد هذا منه نبَتْ نفْسُه عنه، فلم يصْفُ له قلبه، ولا شك أنه لو أفرد واحداً منهم بالخدمة كان أَرْوَحَ له، وأرضى لمخدومه عنه، خصوصاً إذا كان في

---

(١) أي: إليه وحده.

الجماعة الذين يخدمهم رئيس يعترف الباقون برئاسته، وأنهم دونه في منزلته، وأنَّ سبيلهم أن يتشفَّعوا[(١)] لمن يخدمهم عند هذا الرئيس، فكلُّ عاقل يعلم أنه لا معنى في إِتْعاب هذا الخادم بدنَه في قسمة خدمته بينهم، وأنَّ الألْزَم له[(٢)] والأَرْوَحَ لبدنه أن يُفرد ذلك الرئيس بالخدمة، لا سيما إذا كان ذلك يدعوه إلى نفْسِه، ويضمن له بلوغ الأمل إذا أفرده لخدمته.

ثم ضرَبَ مثَل المُخْلِص الموحِّد، فقال:

﴿وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ﴾: قرأ ابن كثير وأبو عمرو: ﴿سالِماً﴾، وقرأ الباقون: ﴿سَلَمًا﴾[(٣)].

و«السَّلَم»: الاستسلام، مصدر أُريد به النعت.

أي: رجلاً قد خلَصَ لرجل، فصار له بحيث لا يَشوب بخدمته خدمةَ غيره[(٤)]، ولا يوجِّه أمله إلى سواه، فقد تكامل حقُّه عليه، واجتمعت محبته وخدمته وعبوديته كلها له، ففي العقول السليمة أنَّ هذا المخدوم قد لزمه ذِمامُه، ووجب عليه حقُّه، وأنَّ هذا الخادم يفوز بكلِّ ما يؤمِّله مِن خدمته، خصوصاً إذا كان المخدوم كريماً واسعاً لحقوق خدَمه، مع ما يُريح هذا الخادم مِن مُؤْنة كثرة التَّعَب في الخدمة، وتشعُّبِ الفكر في إرضائهم.

وقولُه تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾: أي: هل يستوي هذان الرجلان في الوصف؟!

---

(١) في (ر): «يشفعوا».

(٢) في (ر): «الإكرام له»، وفي (أ): «الألزم»، بدل: «الألزم له».

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٦٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١٨٩).

(٤) في (ر): «لا يشوب بخدمته غيره»، وفي (ف): «لا يشرك بخدمته خدمة غيره».

وكلُّ مَن تدبر بعقله علِمَ أنَّ المنفرد بالخدمة أحسنُ حالاً وأحمدُ عاقبةً مِن الذي يخدم جماعة.

وقولُه: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ﴾: أي: على إيضاح الحُجَّة.

وقيل: على التَّخْصيص بالتوحيد.

وقيل: على جعله سالماً خالصاً لله تعالى.

﴿بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾: أي: لا يستعملون عقولهم في النَّظر في الدلائل ليعلموا.

وقيل: أي: لا ينتفعون بعلومهم.

قال مُقاتل: إن المشركين دعوا رسول الله ﷺ إلى ملة آبائه وعبادة الأصنام، فضرب الله لهم ولآلهتهم مثلاً، فقال: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا﴾ الآية، أي: هل يستوي عبدٌ يَشترك فيه نفرٌ مُختلفون يملكونه جميعاً مع عبدٍ لا شِرْكة لأحد فيه؟! فخصَمَهم الله بهذا، فقال: قل: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ توحيدَ ربهم(١).

وقال الإمام القُشَيري: ﴿رَّجُلٗا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ﴾: الذي يتجاذبه شُغُل الدنيا، وشُغُل الولد، وشُغُل العيال، وغير ذلك مِن الأشغال المختلفة والخواطر المُشتَّتة، والمؤمن خالصٌ لله ليس لأحد فيه نصيب(٢).

***

(٣٠ ـ ٣١) ـ ﴿إِنَّكَ مَيِّتٞ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ۝٣٠ ثُمَّ إِنَّكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمۡ تَخۡتَصِمُونَ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٞ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾: نفى التَّسْوية بينه وبينهم، ووعد النُّصْرة

---

(١) ذكره عن مقاتل: الواحدي في «الوسيط» (٣/ ٥٨٠).

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٣/ ٢٨٠).

له في الدنيا والآخرة عليهم، فقال في الدنيا: ﴿كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾ الآية، وقال في الآخرة: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٞ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾: أي: إنَّك يا محمد تموت ويموت هؤلاء المشركون؛ لأنَّ آجال الجميع مُنقضيةٌ مُنقطعة.

وقولُه تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمۡ تَخۡتَصِمُونَ﴾: أي: ثم يُحييكم الله ويَبعثكم للحساب والجزاء والفَصْل بين المختلفين، فيختصم أهل الحق وأهل الباطل بحضرة الملائكة والمرسلين والصِّدِّيقين، ويَفْصِل الله الخُصومة بينهم بالتمييز بين الفريقين، وذلك قولُه تعالى:

* * *

(٣٢) ـ ﴿۞فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدۡقِ إِذۡ جَآءَهُۥٓۚ أَلَيۡسَ فِي جَهَنَّمَ مَثۡوٗى لِّلۡكَٰفِرِينَ ٣٢ وَٱلَّذِي جَآءَ بِٱلصِّدۡقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ﴾: فزعم أنَّ له شُركاء وأولاداً ﴿وَكَذَّبَ بِٱلصِّدۡقِ إِذۡ جَآءَهُۥٓۚ﴾؛ أي: بالقرآن لَمَّا جاءه، فهؤلاء فريق.

﴿أَلَيۡسَ فِي جَهَنَّمَ مَثۡوٗى لِّلۡكَٰفِرِينَ﴾: استفهام بمعنى التَّقْرير، وهو جزاء هؤلاء الفريق.

ثم قال: ﴿وَٱلَّذِي جَآءَ بِٱلصِّدۡقِ﴾: قيل: أي: بالصدق في اعتقاده ودينه فأخلَصَ لله ووحَّدَه.

﴿وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾: أي: حقَّقَ ذلك الصدق بالطاعة.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ﴾: لم يظلموا أنفسهم كما ظلَم الأولون.

* * *

(٣٤ ـ ٣٥) ـ ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُواْ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾.

﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ﴾: أي: ما يشتهونه في الجِنان التي أعدَّها لهم مِن أنواع النِّعَم.

﴿ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾: في اعتقادهم وأعمالهم.

﴿لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُواْ﴾: أي: يجزيهم هذا الجزاءَ ليكون كفارة ـ أي: سِتارةً ـ لِمَا سلَف منهم حالَ كفرهم.

﴿وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾: بطاعتهم في الإسلام.

ثم قولُه: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾: واحد، وقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾: جمع؛ لأنه واحدٌ في لفظه جمعٌ في معناه؛ لأنه جنس، فصار كقوله: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ فاستثنى، ولا يكون ذلك إلا مِن الجَمْع.

وقيل: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ﴾: هو رسول الله عليه السلام، و(الصدق): هو القرآن ـ وقيل: هو التوحيد ـ و﴿وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾: هو أيضاً قبِلَه وحقَّقَه، وقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾: وهو مَن اتَّبَعه.

وقيل: ﴿وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾: أي: ومَن صدَّق به، وهو أبو بكر الصديق، قاله الكلبي وأبو العالية[1]، وقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: أي: هو وأتباعه.

وقيل: ومَن صدَّقَ به: هم المؤمنون، جميعاً مع النبي ومع الصِّدِّيق.

---

(١) ذكره عنهما الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٢٣٦)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ١٢٠)، وزاد الثعلبي: عن علي.

وقال السُّدِّي: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ﴾: جبريل ﴿وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾: محمد، يعني: تلقَّاه بالقَبول[١].

وقال مجاهد: ﴿وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾: أهل القرآن[٢].

وقال الشَّعبي: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ﴾: بـ(لا إله إلا الله)، ﴿وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾: أقام على (لا إله إلا الله)[٣].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾: هذا في بعض المواضع دون بعض[٤].

وقال أبو العالية: قوله: ﴿عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾: نزولُها في حق أهل القبلة، والتي في سورة (ق) قال: ﴿لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ﴾: هم أهل الشرك[٥].

وقال عكرمة: ﴿تَخْتَصِمُونَ﴾؛ أي: محمد ومشركو قريش.

وقال أبو سعيد الخُدْريُّ: كنا نقول: ربنا واحد، وديننا واحد، ونبيُّنا واحد، فما

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٢٠٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٨٣٩٣)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٢٣٦).

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٦٣٢)، والطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٢٠٦).

(٣) لم أقف عليه، وذكر عنه النحاس في «إعراب القرآن» (٤/ ١٢) قوله: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ﴾: محمد ﷺ ﴿وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾ أبو بكر والصحابة رضي الله عنهم.

وروى الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٢٠٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٨٣٩٢) عن ابن عباس رضي الله عنه: أن الذي جاء بالصدق رسول الله ﷺ الذي جاء بـ(لا إله إلا الله).

(٤) روى الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٢٠١) أن ابن عباس قال: يخاصم الصادق الكاذب، والمظلوم الظالم، والمهتدي الضال، والضعيف المستكبر. وهكذا ذكره الماوردي في «تفسيره» (٥/ ١٢٥).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٤٤٢).

هذه الخصومة؟ فلما كان يوم صَفِّين، وشدَّ بعضنا على بعض بالسيف قلنا: هي هذا[١].

وقال إبراهيم النَّخَعي: إنَّ الصحابة قالوا: ما خصومتُنا ونحن إخوان؟! فلما قُتل عثمان قالوا: هذه خصومتنا[٢].

***

(٣٦) ـ ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾: أي: أليس الله كافياً عبدَه ورسولَه المصطفى أنْ يضُروه بما يوهن له حُجة، أو يصلوا إليه بمكروه؟! وهو استفهام على معنى التقرير؛ لأن جوابه: بلى.

وقرأ حمزة والكسائي: ﴿عِباده﴾ على الجمع[٣]، قيل: أراد به الأنبياء، وقيل: أراد به المؤمنين.

وأما التوحيد[٤]، فهو على النبي ﷺ.

وقال مقاتل: قالوا: يا محمد! إنا نخاف أنْ تخبلك آلهتنا لأنك لا تزال تَعيبُها بسوء، وذلك قوله: ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾[٥].

---

(١) رواه سعيد بن منصور كما في «الدر المنثور» (٧/ ٢٢٦)، والثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٢٣٥)، وذكره البغوي في «تفسيره» (٧/ ١١٩).

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٦٢٩)، والطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٢٠٢)، والثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٢٣٥).

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٦٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١٨٩).

(٤) أي: قراءة الإفراد في «عبده»، وهي قراءة الجمهور.

(٥) ذكر نحوه الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٢٣٧)، والزمخشري في «الكشاف» (٤/ ١٢٨) من غير نسبة.

وقال الضحاك: قالوا له: لتكُفَّنَّ عن ذِكْر آلهتنا أو لتخْبِلَنَّكَ[١].

ورُوِي أنَّ النبي ﷺ بعث خالد بن الوليد لِيكسِرَ العُزَّى، فقال له قيِّمُها: اتَّقِها، فإنَّ لها شِدةً لا تقوم لها الرجال، فضربها خالد ضَرْبةً أبان عنها رأسها، ويقال: هشَمَ أنفها[٢].

وقولُه تعالى: ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾: قد بيَّنا في قولٍ أنه الأصنام.

وقيل: كانوا يُخوِّفونه بكثرة جموعهم، قال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ﴾ [القمر: ٤٤]، والكفاية في حق ذلك ما قال: ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾ [القمر: ٤٥]، وقال: ﴿وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ١٣٧].

فإذا حُمل على الأنبياء فقد كانوا يُخوِّفونهم بالأصنام أيضاً، قال تعالى في قصة إبراهيم: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ﴾ [الأنعام: ٨١]، وقال في قصة هود: ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ﴾ [هود: ٥٤].

وإنْ كان التخويف بالجُموع، فقد كان ذلك في حق الأنبياء، حتى قال نوح: ﴿فَأَجْمِعُوٓا۟ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ﴾ [يونس: ٧١]، وقال هود: ﴿فَكِيدُونِى جَمِيعًا﴾ [هود: ٥٥].

وإنْ كان هذا في حق المؤمنين، فهو كقوله: ﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى﴾ [آل عمران: ١١١]، وقوله: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا﴾ [آل عمران: ١٢٠].

وقولُه تعالى: ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾: أي: هؤلاء الذين يُخوِّفونك قد أضلَّهم الله؛ لعِلْمه باختيارهم الضلالة.

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٦٣٤) عن قتادة، وذكره البغوي في «تفسيره» (٧/ ١٢٠) من غير نسبة.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٢١٠)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (٢٦٣٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٨٣٩٤) عن قتادة.

(٣٧ ـ ٣٨) ـ ﴿ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ ﴿٣٧﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ ﴾: كالنبيِّ والمؤمنين.

وقولُه تعالى: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ ﴾: استفهام بمعنى التقرير، وهو وعد للنبي ﷺ أنه مُنتقم له مِن أعدائه.

وقولُه تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾: فكيف يطمعون في خوفك مِن آلهتهم التي هي مخلوقة لله تعالى وأنت رسولُ مَن خَلَقها وخَلَق السماوات والأرض؟!

وقولُه تعالى: ﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾: أي: تدْعونه آلهةً.

وقيل: أي: تعبدونه.

وقيل: أي: تدْعونه بحوائجكم، وهي الأصنام.

﴿إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ ﴾: أي: بسوء وبلاءٍ ومكروه مما تُخوِّفونني به ﴿هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ ﴾.

﴿أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ ﴾: أي: بنعمة ﴿ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ﴾؛ أي: هل هنَّ قادراتٌ على شيء مِن ذلك، والتأنيث على الجَمْع في هذا؛ لِمَا أنَّ الأصنام إناث في اللفظ عندهم، فإنهم سمَّوها: اللاَّت والعُزَّى ومَناة، وكانوا يقولون في الملائكة أيضاً: هنَّ بنات الله.

وقولُه تعالى: ﴿قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ﴾: أي: فإنهم لا يدَّعون لأصنامهم شيئاً مِن هذا، بل

يُقِرُّون أنَّ الله لا يُعارَض ولا يُمانَع ولا يُغالَب ولا يُنازَع، فإذا قالوا: لا تَقْدِر أصنامنا على مُعارضة الله في ذلك، فقل لهم: حسبي الله إذاً، عليه توكلتُ و﴿عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾؛ أي: ومَن أراد أنْ يتوكَّل على مَن يَكفيه ويُحقِّقُ توكُّله عليه فإنما يتوكَّلُ على الله.

***

(٣٩ ـ ٤٠) ـ ﴿قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ﴾[١]: أي اُثْبُتوا على ما أنتم عليه بما اخترتُموه لأنفسكم.

وقال مجاهد: على ناحيتكم[٢].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾: أي: منازلكم[٣].

وقيل: على رَسْمكم وعادتكم.

وقال مُقاتل: على وتيرتكم؛ أي: على طريقتكم[٤].

وقيل: على تمكُّنكم.

---

(١) في (أ): «مكاناتكم»، بدل: ﴿مَكَانَتِكُمْ﴾، وهي رواية أبي بكر عن عاصم. انظر: «السبعة» لابن مجاهد (٢٦٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١٠٧).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٢١٣)، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧٩٠٩) عن ابن عباس، وقال: وروي عن مجاهد والضحاك نحو ذلك.

(٣) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١١٣٠٨) عن قتادة، وذكره الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٥٥٨) عن بعض أهل التأويل، والثعلبي في «تفسيره» (٤/ ١٩٣)، والواحدي في «تفسيره» (٨/ ٤٥٠)، عن الكلبي.

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٤/ ١٩٣)، والواحدي في «البسيط» (٨/ ٤٥٠)، عن مجاهد.

وقيل: على دِيانتكم، وهو تهديد.

وقولُه تعالى: ﴿إِنِّي عَـٰمِلٌ﴾: أي: ثابت على ما أنا عليه مما قد اخترتُه لنفسي، ينتظر كلٌّ منا ما يؤول إليه أمره ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣٩ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾؛ أي: يفضَحُه ﴿وَيَحِلُّ عَلَيْهِ﴾؛ أي: يحِقُّ عليه ويجب عليه ﴿عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾؛ أي: دائم.

ثم في قوله: ﴿مَكَانَتِكُمْ﴾ وجهان:

أحدُهما: أنْ تكون مَفْعَلةً مِن الكون؛ أي: على موضع كونكم، والمكانةُ بمعنى المكان؛ كالمَقامة تكون بمعنى المقام.

والثاني: أنْ تكون فَعَالةً مِن التَّمكين[1]، ومعناه: اعملوا مُتمكِّنين.

وقال أبو العالية: ﴿اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ في هلاكي إنْ قدِرْتُم عليه ﴿إِنِّي عَـٰمِلٌ﴾ على هلاككم ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ مَن الغالبُ منا ومنكم.

* * *

(٤١) ـ ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ﴾: أي: ببيان الحق.

وقولُه تعالى: ﴿فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ﴾: أي: فنَفْعُه له ﴿وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾؛ أي: ضررُه عليه.

وقولُه تعالى: ﴿وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾: أي: بمُسَلَّط على إكراههم على الإسلام، فإنه ليس ذلك بيدكَ، وإنما عليك البلاغ، وهو كقوله: ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾ [الغاشية: ٢٢].

---

(١) في (ف) و(أ): «المكين».

وقيل: الوكيل: مَن يُجعل إليه الشيء لعَجْزِ مُوكِّله عنه بنفْسِه.

يقول: لسنا بعاجِزين عن حَمْلهم على الإيمان فنكِلَ ذلك إليكَ، بل نحن قادرون على ذلك، قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٩٩].

وقيل: نسَخَتْ هذه الآيةُ آيةَ الأمر بالقتال.

* * *

(٤٢) ـ ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾: أي: يقبِضُها ﴿وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ﴾؛ أي: ويقبِضُ الأنفس التي لم تمُتْ ﴿فِى مَنَامِهَا﴾؛ أي: حالَ نومها.

﴿فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ﴾: فلا يرسلها في أبدانها.

﴿وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾: أي: الأنفسَ الأخرى في أجسادها.

﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: أي: الموت.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾: أي: لَعلامات دالَّة على قدرة الله على البعث بعد الموت.

والآية في مُحاجَّة المشركين في إثبات البعث بعد الموت؛ أي: مَن قدِرَ على هذا قدِرَ[1] على ذلك.

قال الإمام أبو منصور رحمه الله: قال سعيد بن جُبير رحمه الله: يُجمع بين

---

(١) في (ف): «يقدر».

أرواح الأحياء وبين أرواح الموتى، يتعارفُ منها ما شاء الله أنْ يتعارف، ﴿فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ إلى أجسادها(١).

قال: وبهذا لم يُفْهَمْ شيءٌ مِن تأويل الآية.

قال: وقال الكلبي: النائم مُتوفًّى حتى يرُدَّ الله إليه نفْسَه، وأما التي يتوفاها حين موتها فإنه يقبِض الرُّوح والنَّفْس معاً، ويُرسل التي يتوفاها في منامها حتى تبلغ أجلَها المُسمَّى، وهو الموت.

ويقول: إنما يقبِض الله مِن النائم النَّفْس لا الرُّوح.

قال: وهذا الذي ذكره الكلبي أقربُ إلى تأويل الآية مِن الذي ذكرَه سعيدٌ، وأصلُه: أنَّ الله تعالى جعل في الأجساد أنفُساً درَّاكةً بها تُدرِك الأجسادَ الأشياءَ، وأرواحاً بها تَحيا الأجساد؛ لأنك ترى الأجساد في حال نومها على الهيئة التي كانت مِن قَبْل، ليس بها أثَر الموت، لكنها لا تُدرِك شيئاً، فلا تَسمع، ولا تُبصر، ولا تَعقل شيئاً، وليس بها آثار الأحياء، فدلَّنا هذا على أنها في حال النوم قد ذهب منها وخرَجَ ما به تُدرَك الأشياء، وبقِيَ فيها ما به تَحيا، وهو الرُّوح، فإذا خرج الرُّوح منها ماتت، ألا تراها عند ذلك تتغيَّر؟! وكان قبل خروج الرُّوح منها وإنْ كانت لا تُدرِك شيئاً، فهي على الهيئة التي كانت مِن قَبْل، دلَّ ذلك على أنَّ الذي به تُدرَك الأشياء غيرُ الذي به تَحيا، والله أعلم(٢).

* * *

(٤٣) ـ ﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُواْ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ﴾.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٢١٥).

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٨/ ٦٨٦ ـ ٦٨٧).

وقولُه تعالى: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ﴾: وهذه في مُحاجَّة المشركين أيضاً، وكانوا يقولون: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ١٨]، فقال: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ﴾.

و﴿أَمِ﴾ بمعنى ألفِ الاستفهام، أو أُضمِر كلامٌ فيه ألفُ الاستفهام، ثم عُطف هذا عليه بـ﴿أَمِ﴾، وتقديرُه على الانتظام: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ﴾ أفلا يتفكرون فيعلموا وحدانية الله تعالى فلا يُشركون به الأصنام، أم اتخذوها[1] شُفعاء.

ثم أبطل ذلك بقوله: ﴿قُلۡ أَوَلَوۡ كَانُواْ لَا يَمۡلِكُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَعۡقِلُونَ﴾: أي: أَتشفعُ لهم[2] وهي لا تملك شيئاً، ولا تعقل، ولا تسمع، فلا يشفع مَن لا يعقل ولا يملك.

* * *

(٤٤) ـ ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعٗاۖ لَّهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾.

ثم بيَّنَ وجهاً آخر لإبطال ذلك، فقال: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعٗاۖ لَّهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾: أي: عرِّفهم أنَّ الشفاعة إنما يملكها[3] مَن يملك السماوات والأرض.

أي: كلها لله تعالى؛ أي: لا يُقدِم عليها أحد إلا بإذنه، وأنتم معاشرَ المشركين مُقِرُّون بذلك، فإياه فأفرِدوا بالعبادة، ودَعوا الإشراك به، وأخلِصوا له، فإنه لا تنفع عنده الشفاعة لِمَن أشرك به.

وقولُه: ﴿ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾: أي: إلى جزائه تَصيرون، وهذا ترغيب وترهيب.

---

(١) في (ف): «اتخذوا هؤلاء».

(٢) «لهم» ليس من (ف).

(٣) في (ر): «لا يملكها إلا» بدل: «إنما يملكها».

(٤٥) ـ ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ ﴾: أي: وإذا ذُكِر عندهم التوحيد ووجوبُه، وعرفوا أنَّ الله واحد لا شريك له، اشمأزَّتْ قلوبهم؛ أي: انقبضت واعتَرَتها الوَحْشة، فصاروا إلى النِّفار عن التدبر لانقباضها وضِيقها.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿ٱشْمَأَزَّتْ﴾: أي: انقبضت(١).

وقال قتادة: كفرت واستكبرت(٢).

وقال الضحاك: نفرت(٣).

وقولُه تعالى: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾: أي: وإذا ذُكِر ما يعبدونه مِن دون الله ظهَرَ في وجوههم البِشْرُ، وهو أثَر السُّرور.

* * *

(٤٦) ـ ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِى مَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾: أي: يا خالقَ السماوات والأرض.

---

(١) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٣/ ٥٨٤) عن ابن عباس ومجاهد، ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٢١٩) عن مجاهد، وذكره السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ١٨٠) عن مقاتل.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٢١٨)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (٢٦٣٦).

(٣) ذكره عن الضحاك الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٢٣٩)، ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٢١٩) عن السدي.

﴿عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾: أي: يا عالمَ السرِّ والعلانية.

﴿أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾: أي: قد علِمْتَ حالي وحالَ قومي هؤلاء، وإني قد بلَّغْتُهم واجتهدتُّ في النُّصْح لهم، وأوضحتُ بينهم دلائلكَ، فأعرضوا واشمأزُّوا، فاحْكُمْ بيني وبينهم، فإنكَ أنتَ تحكم بين جميع عبادكَ فيما كانوا فيه يختلفون مِن أديانهم.

وهذا الحُكْم: قد يكون في الدنيا بإنجاز وعده في دُعائه[1] على قومه، وهو كدعاء نوح عليه السلام: ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ﴾ [القمر: ١٠].

وقد يكون في الآخرة بأنْ يجزيَ كُلًّا على عمله، وتحت هذا الأمر بشارةٌ له بذلك كلِّه.

ويجوز أنْ يكون قوله: ﴿أَنتَ﴾ لا على وجه الدعاء، بل إظهار الثقة مِن نفْسه على الانتقام له منهم في الدنيا، والتمييزِ بين الكل بالجزاء في العُقْبى.

ويجوز أنْ يكون هذا وعداً[2] له بالشهادة بالبعث، وأنه حق، وأنَّ الله يُحاسب عباده فيه، ويحكم بينهم فيما اختلفوا فيه، وهو بإدخال الكفار النار، وإدخال المؤمنين الجنة، وقد مرَّ في السورة الأمران جميعاً.

* * *

(٤٧) ـ ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِن سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾.

---

(١) في (ر) و(ف): «إعلائه».

(٢) في (ر) و(ف): «أمراً».

وقولُه تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾: أي: كفروا، فوضعوا العبادة غيرَ موضعها، وظلموا أنفسهم بذلك، ونقصوها(١) حقَّها.

وقولُه تعالى: ﴿مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾: مِن الأموال ﴿وَمِثْلَهُ مَعَهُ﴾: وعلِموا أنَّ الفدية تُغني عنه ﴿لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾: ليتخلَّصوا منه، ولكنَّ الفدية لا تُغني، كما أنَّ الشفاعة لا تُغني.

﴿وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾: أي: وظهر لهم مِن أمر الله ما لم يكونوا يظنونه ولا يَعُدُّونه(٢) في جملة ما يجري عليهم؛ لأنهم كانوا مُنكِرين لهذا اليوم.

وقيل: أبطل الله عليهم أعمالاً كانوا عمِلوها في الدنيا يحسبون أنها تنفعهم، وأنها حسنات، فبدا لهم أنها سيئات.

* * *

(٤٨) - ﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾.

﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا﴾: أي: وظهرت لهم يوم القيامة أعمالهم السيئة مِن أمور الكفر.

وقيل: معناه: بدا لهم جزاء ذلك، وهو كقوله: ﴿هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ﴾ [التوبة: ٣٥]؛ أي: جزاء ما كنزتم(٣).

وقيل: ظهرتْ أعمالهم لهم مُثْبَتةً في كتبهم.

وقيل: ظهر لهم سوء عملهم بعذابٍ كان خفِيَ عليهم لتقادُمه.

---

(١) في (ف): «ونقصوا».

(٢) في (ف) و(أ): «يعتدونه».

(٣) «أي: جزاء ما كنزتم» ليس من (أ) و(ف).

وقيل: بدا لهم بشهادة جوارحهم عليهم.

وقولُه تعالى: ﴿وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾: أي: فنزل بهم عذابُ استهزائِهم في الدنيا بآيات الله وأنبيائه.

وقيل: ﴿وَحَاقَ بِهِم﴾: أي: أحاط بهم.

وقال السُّدِّي: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ﴾: ظنوا أنها حسنات، فبدت لهم سيئات[1].

وقال سفيان حين قرأ هذه الآية: ويل لأهل الرِّياء، ويل لأهل الرِّياء[2].

ونظيره: ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٤].

* * *

(٤٩) ـ ﴿فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍۭ ۚ بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا﴾: قال مقاتل: يعني: أبا حذيفة بن المغيرة[3].

وقيل: هو عامٌّ، ومعناه: إذا نال المشركَ بلاءٌ في بدنه وأمرٌ كان يخافه دعانا؛ أي: التجأَ إلينا، وأخلصَ الاستغاثة بنا.

وقولُه تعالى: ﴿ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَٰهُ﴾: أي: ملَّكْناه وموَّلْناه ووسَّعْنا عليه ﴿نِعْمَةً مِّنَّا﴾:

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٢٤٠)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ١٢٤).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٢٤٠)، والزمخشري في «الكشاف» (٤/ ١٣٣).

(٣) ذكره عن مقاتل البغوي في «تفسيره» (٧/ ١٠٩) لكن في تفسير قوله تعالى بداية سورة الزمر: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ﴾، وذكره الماوردي في «تفسيره» (٥/ ١٣٠) هنا لكن من غير نسبة.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: يعني: إذا بدَّلْناه بالسَّقَم الصحةَ، وبالفقر الغنى[١].

﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ﴾: أي: لِفَضْلي.

وقيل: أي: لم ير ذلك مِن عندنا، ولم يعُدَّه مِن عطائنا، ويقول[٢]: إنما أُعطيتُه على علمٍ عِلِمَه الله مني، فأعطاني ما أعطاني لاستحقاقي ذلك بفضلي.

وقيل: على علم مني بجَمْعه واكتسابه، فأُعطيته بجُهْدي وتصرُّفي واكتسابي، لا مِنَّةَ لأحد عليَّ فيه يستحق فيها شكري.

وقيل: على علم مني قبل أنْ أُعطاه[٣] أني أُعطاه لاستحقاقي ذلك بعقلي وكفايتي.

فردَّ الله تعالى عليه ذلك، فقال: ﴿بَلۡ هِيَ فِتۡنَةٞ﴾: أي: عَطِيَّةٌ مِن الله امتحنه بالشكر له عليها، والاستعانة على إقامة الدين بها، وهو كقوله: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّنۡهُمۡ زَهۡرَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا لِنَفۡتِنَهُمۡ فِيهِ﴾ [طه: ١٣١].

وقال الحسين بن الفَضْل رحمه الله: أي: كلِمَتُه هذه التي قالها فتنةٌ له[٤].

وقيل: إن هذه النعمة بَلِيَّةٌ ابتليتُه بها.

وقولُه تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾: أي: لا عِلْمَ لهم ولا تمييز لهم، يقولون ذلك بجهل، ولو تدبروا لعلموا أن الله تعالى لو أراد لسلَبَهم قوة الاكتساب، فلم يُمكِنْهم جمع شيء، ولو أراد أتلفَها، ولعلموا أن كثيراً ممن يُخالفهم في دينهم أوتوا أكثر منهم، وأنَّ كثيراً مِن الناس أكثرُ اجتهاداً منهم في الاكتساب ولا شيء لهم.

(١) ذكره الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٢٢٠) من غير نسبة، ولم أقف عليه بلفظه عن ابن عباس.

(٢) في (ف): «وقيل».

(٣) في (ف): «قبل إعطائه».

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٢٤٠).

(٥٠ ـ ٥١) ـ ﴿قَدْ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ۚ وَٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ هَٰٓؤُلَآءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿قَدْ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾: أي: هذه المقالةَ بهذه الجهالة.

﴿فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾: أي: فما نفعَهم شيئاً ما جمعوه مِن الأموال، وظنوا ذلك لفَضْل فيهم، وأنه يعصِمهم مِن عذاب الله تعالى، وما دضفع العذابَ عنهم.

ويجوز أنْ تكون (ما) للاستفهام، ويجوز أنْ تكون للنفي.

قولُه: ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟﴾: أي: فنالَهم جزاءُ سيئاتِ أموالهم التي كسبوها، وتلك السيئات هي ما استعانوا به في إماتة دِين الله، وأنفقوه في معاصي الله، وقوَّوا بها أعداء الله.

وقيل: ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟﴾: مِن الآثام.

وقيل: السيئات: هي عقوبات ما كسَبوه مِن المعاصي؛ سُمِّي بذلك للمقابلة؛ كما في قوله: ﴿وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ [الشورى: ٤٠]، أو لأنها تسوؤهم، أو هم يكرهونها، فوُصِفت بالسوء لذلك.

وحاصلُه: أنَّ أموالهم لم تنفعهم، بل عُذِّبوا بها وانتُقِمَ منهم كما فُعِل بقارون، فخُسِف به وبداره الأرض، ﴿فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ﴾ [القصص: ٨١].

وقولُه تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ هَٰٓؤُلَآءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟﴾: كما أصاب الأولين ﴿وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ﴾: أي: بفائتين.

* * *

(٥٢) ـ ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ﴾: أي: يُوسِّع ﴿وَيَقْدِرُ﴾؛ أي: يُضيِّق.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾: أي: فيما ذكرناه علاماتٌ لِمَن كان همُّه التصديقَ بالحق على أنَّ التفاوُت في النِّعَم مِن عند الله مِن غير علةٍ بفضل أو اجتهاد في كَسْب.

وقال مُقاتل: إنَّ أهل مكة قُحِطوا سنين، ثم مُطِروا بعدها سبع سنين، فأنزل الله تعالى إظهاراً لقُدرته: ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾[(١)].

* * *

(٥٣) ـ ﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾: فجاوزوا حدودها ﴿لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: لا تيأسوا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾:

قال القَفَّال: أي: ﴿قُلْ﴾ لهؤلاء المشركين عني: ﴿يَٰعِبَادِىَ﴾؛ أي: يا خَلْقاً أنا مالكُهم، أُصرِّفهم في حُكْمي كيف أشاء ﴿ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ فجاوَزوا حدود ما أُمروا به، وتعدَّوا إلى ما نُهوا عنه، واستكثروا[(٢)] في ذلك، وانهمكوا فيه، وركِبوا العظائم منهم؛ لأن الإسراف يشتمل على ذلك كله، ولا إسرافَ أشنَعُ مِن الكفر بالله،

---

(١) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٣/ ٥٨٦) عن مقاتل، وهو في «الكشاف» (٤/ ١٣٥) من غير نسبة.

(٢) في (ر) و(ف): «واستكبروا».

وتكذيبِ رسله، والصدِّ عن دينه، وقَتْلِ المؤمنين ﴿لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ﴾؛ أي: لا يحمِلنَّكم إسرافُكم على أنفسكم على أنْ تظنُّوا أنَّ رحمة الله تَضيق عنكم، حتى لو تُبْتُم لم تُقبل توبتكم، ولم يزُلِ الوعيد عنكم ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾؛ أي: يسترُها كلَّها على العباد إذا تابوا منها كفراً كان أو ما دونه، فرحمتُه واسعةٌ، فلا تقنطوا منها.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: دعا اللهُ تعالى إلى مغفرته مَن قال: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي﴾ [القصص: ٣٨]، ومَن قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾ [المائدة: ٧٣]، ومَن قال: ﴿الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠]، ومَن قال: الملائكة بنات الله، بقوله: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾ [الأنفال: ٣٨]، وبقوله: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ﴾ الآية[١].

وقال مقاتل: يعني: الذين أسرفوا بالدماء والأموال، وذلك هُمُ المشركون ظنوا أنْ لا يُتابَ عليهم، منهم: وَحْشِيٌّ قاتلُ حمزة، وذلك أنَّ الله أنزل فيه: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ﴾ [الفرقان: ٦٨] إلى قوله: ﴿غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٢٣]، فأسلم وَحْشِي، فقال المشركون: قُبِلت توبته، وأُنزِلت فيه آية، ولم ينزل فينا شيء، فأنزل الله هذه الآية[٢].

وقال قتادة: ذُكِر لنا أنَّ أناساً أصابوا ذنوباً عِظاماً في الجاهلية، وظنوا[٣] أنهم مأخوذون بها لا توبةَ لهم فيها، فأنزل الله هذه الآية[٤].

---

(١) رواه بنحوه الطبري وابن المنذر كما في «الدر المنثور» (٧/ ٢٣٨)، وذكره ابن كثير في «تفسيره» عند هذه الآية من رواية علي بن أبي طلحة عن ابن عباس. ولم أقف عليه في «تفسير الطبري».

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٦٨٣).

(٣) في (ف) و(أ): «وأيقنوا».

(٤) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٦٣٨)، والطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٢٢٥).

وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه: (إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً لِمَن يشاء)(١).

وروت أسماء بنت يزيد: أنَّ النبي ﷺ قرأ: «﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ ولا يبالي، ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾»(٢).

وقال الإمام القُشَيري رحمه الله: التَّسميةُ بـ﴿يَٰعِبَادِىَ﴾ مدحٌ، والوصفُ بأنهم أسرفوا ذمٌّ، فلما قال: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ﴾ طمِع المطيعون أنْ يكونوا هم المقصودين بالخطاب، فرفعوا رؤوسهم، ونكَّسَ العاصي رأسه، وقال: مَن أنا حتى يقول لي هذا؟! فقال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟﴾، فانقلبت القصة، فالذين نكَّسوا رؤوسهم انتعشوا، وزالت ذِلَّتهم، والذين رفعوا رؤوسهم أطرقوا وزالت صَوْلتهم، ثم أزال الأُعْجُوبة عن القصة بما قوَّى رجاءهم بقوله: ﴿عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾، يعني: إنْ أسرفْتَ فعلى نفْسِكَ أسرفْتَ، ﴿لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾: أي: بعدما قطَعْتَ اختلافَكَ إلى بابنا، فلا ترفعْ قلبَكَ عنا.

وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾: الألف واللام للاستغراق والعموم، و﴿ٱلذُّنُوبَ﴾ جمع، و﴿جَمِيعًا﴾ تأكيد، فكأنه قال: أغفِرُ ولا أتركُ، وأعفو ولا أُبقي(٣).

* * *

(٥٤) ـ ﴿وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾: أي: ارجعوا بالانقطاع إليه بالعبادة.

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٢٠/ ٢٢٦)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٤/ ١٣)، و«الكشاف» (٤/ ١٣٥) وزاد نسبتها لابن عباس.

(٢) رواه الترمذي (٣٢٣٧)، والإمام أحمد في «مسنده» (٢٧٥٦٩)، والثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٢٤٣)، وقال الترمذي: حديث حسن غريب، لا نعرفه إلا من حديث ثابت، عن شهر بن حوشب.

(٣) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٣/ ٢٨٧).

وذِكْرُ الربِّ على معنى التنبيه على وجوب الإنابة إليه؛ إذ كان هو المالكَ والمدبِّرَ والمُربِّيَ، فهو الأحقُّ بالانقطاع إليه بالعبادة والتعظيم مِن جماد لا يضُرُّ ولا ينفع.

وقولُه تعالى: ﴿وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ﴾: أي: انقادوا له، واجعلوا أنفسكم سالمةً له؛ أي: خالصةً مُسْلِمةً إليه لا ممنوعة، مسالِـمةً له لا مُنازِعة.

﴿مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ﴾: في الدنيا والآخرة بعد الموت.

﴿ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾: أي: وإذا أتاكم[1] العذاب لم ينصُرْكم ناصر، ولم يمنعْكم مِن عذاب الله مانع.

وقال الإمام القُشَيري: الإنابة: الرجوع بالكُلِّيَّة، والفَرْق بين الإنابة والتوبة: أنَّ التائب يرجع مِن خوف العقوبة، والمُنيبَ يرجع استحياءً لكرَمه، ﴿وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ﴾؛ أي: أخلِصوا، والإخلاصُ بعد الإنابة أنْ يعلَم أنَّ نجاته بفضله لا بإنابته، فبفضله وصلَ إلى إنابته، لا بإنابته وصلَ إلى فضله[2].

* * *

(٥٥) ـ ﴿وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم﴾: أي: اتَّبعوا طاعة الله فيما أَمر ونهى مِن أصل الإيمان وفروعه، فإنه أحسن ما أنزل الله في الكتاب؛ لموافقتها دلائلَ العقول، ولحُسْن عاقبتها، والثوابِ الجزيل عليها، ويُقابلها الكفر والمعاصي؛ لقُبْحها في دلائل العقول، ولسوء عاقبتها، والعذابِ الأليم عليها.

---

(١) في (ف): «أذقناكم».

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٣/ ٢٨٨).

وقيل: ﴿أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم﴾ مِن أخبار الأمم الماضية، فإنما[1] ذكَرْنا لكم أفعالَها: محاسنَها ومساوئَها، فاتَّبعوا محاسنها.

وقيل: أي: اتَّبِعوا القرآن، فإن الله أنزلَ على رسوله القرآنَ وغيرَه، والقرآنُ أحسن ما أنزل، قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ﴾ [الزمر: ٢٣].

وقال عبد الرحمن بن زيد: ﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم﴾؛ أي: المُحْكَمات، وكِلُوا عِلْمَ المتشابهات إلى عالِمها[2].

وقيل: معناه: إنَّ العدلَ حسَنٌ، والفضلُ أحسنُ منه، وطلبَ الحق حسَنٌ، والعفوُ أحسنُ منه، والبدايةَ بالنَّفْس حسَنٌ، والإيثارُ أحسنُ منه.

وقولـه تعالـى: ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾: أي: فجأةً مِن حيثُ لا عِلْمَ لكم أنه يجيئكم.

وقيل: العذابُ المذكور في الآية الأولى عذابُ الدنيا، والمذكورُ في هذه الآية عذابُ الآخرة بدليل ما بعدها.

***

(٥٦) ـ ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ﴾.

﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ﴾: أي: لئلَّا تقولَ نفْس؛ كما في قوله: ﴿وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ [لقمان: ١٠]؛ أي: لئلَّا تميدَ بكم.

وقيل: حذَراً.

---

(١) في (أ): «فإذا»، وفي (ف): «فإنا».

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٢٤٦).

وقولُه: ﴿يَٰحَسۡرَتَىٰ﴾: كلمةُ تأسُّفٍ وتلهُّفٍ، والألف في آخرها للنُّدْبة، وقد يُقال: يا حسرتاه، وكذلك: (يا ويلا ويا ويلاه)، و: (يا ويلتا ويا ويلتاه).

﴿عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ﴾: ﴿مَا﴾ مع الفعل مصدرٌ؛ أي: على تفريطي، وهو التقصير.

﴿فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾: قال ابن عباس والحسن وأبو عُبيدة وقُطْرُب: أي: في ذات الله[1].

وقال أبو عُبيدة في قول: في دِين الله.

وقال الضحاك: في نعمة الله[2].

وقال ثعلب: في أمر الله، وأنشدَ:

خليليَّ كُفَّا واذكرا الله في جَنْبي فقد لمتُما[3] في غير شيء ولا ذَنْبِ[4]

وقال القَفَّال: أي: فيما يتَّصِل بطاعة الله ورضاه، ومجازُ الكلمة: في جَنْبٍ يُمال إلى الله تعالى، وكذلك الجانب والجَنْبة والجَناب.

وقيل: هي صلة زائدة، ومعناه: في الله، وأنشدوا لكُثَيِّر:

---

(١) ذكره الماوردي في «تفسيره» (٥/ ١٣٢) عن الحسن، وهو قول مقاتل كما في «تفسيره» (٣/ ٦٨٤)، وذكره الماتريدي في «تفسيره» (٨/ ٦٩٧)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ١٢٩) من غير نسبة، وانظر قول أبي عبيدة في «مجاز القرآن» (٢/ ١٩٠).

(٢) لم أقف عليه، ذكر مكي بن أبي طالب في «الهداية» (١٠/ ٦٣٦٤) عن الضحاك أنه فسرها بقوله: في ذكر الله.

(٣) في (ف): «نلتما».

(٤) أنشد صدره الليثُ بن المظفر، كما في «تهذيب اللغة» للأزهري (١١/ ٨١)، وابن الأعرابي كما في «المحكم» (٧/ ٤٦٠) لابن سيده، وذكره الميداني في «مجمع الأمثال» (١/ ١٤١) من غير نسبة.

ألا تَتَّقِينَ اللهَ في جَنْبِ عاشقٍ لـه كبِدٌ حرَّى عليك تَقَطَّعُ[1]

وقولُه تعالى: ﴿وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ﴾: له وجهان: وما كنتُ إلَّا مِن الساخِرين، وقد كنتُ مِن الساخِرين؛ أي: في لعبٍ مِن أمري في الدنيا وباطلٍ.

وقيل: أي: مع تفريطي في أمر الله كنتُ أسخَرُ ممَّن لا يُفرِّط في أمر الله، ونظيرُه قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضۡحَكُونَ﴾ [المطففين: ٢٩] الآيات، ﴿أَوۡ تَقُولَ لَوۡ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِي لَكُنتُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [الزمر: ٥٧]؛ أي: الشرك والمعاصي.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: هذا الكافر أعرَفُ بهداية الله مِن المعتزلة، وكذا ما قال أولئك الكفرةُ لأتباعهم: ﴿لَوۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيۡنَٰكُمۡ﴾ [إبراهيم: ٢١]، يقولون: لو وفَّقَنا الله للهداية وأعطانا الهدى لدعوناكم إليه، ولكنْ علِمَ منا اختيار الضلالة والغِواية، وتَرْكَ الرَّغْبة في الهدى، والاستخفافَ به، فأضلَّنا وخذَلَنا ولم يُوفِّقْنا، والمعتزلة يقولون: بل هداهم وأعطاهم التوفيق لكنهم لم يهتدوا[2].

* * *

(٥٨) ـ ﴿أَوۡ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلۡعَذَابَ لَوۡ أَنَّ لِي كَرَّةٗ فَأَكُونَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿أَوۡ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلۡعَذَابَ لَوۡ أَنَّ لِي كَرَّةٗ﴾: أي: رَجْعةً إلى الدنيا.

﴿فَأَكُونَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾: نصبٌ بالفاء في جواب التَّمنِّي.

---

(١) انظر: «ديوان كثير» (ص: ١٧٧)، و«الحماسة البصرية» (٢/ ١٢٢)، وفي الديوان: «حب» بدل: «جنب»، و(تصدَّع) بدل: «تقطَّع»، ونسب لجميل بثينة، كما في «ديوانه» (ص: ٢٩) من قصيدة مطلعها: أهاجك أم لا بالمداخل مربع.

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٨/ ٦٩٧).

قال قتادة: وهذه مقالاتٌ ذكرَت أنَّ الكافر يقول ذلك يوم القيامة، ويحتمل أنْ يكون كلُّ قول لكلِّ صنف[(١)].

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: ويجوز أنْ يكون كلُّ كلام مِن كلِّ كافر[(٢)].

***

(٥٩) ـ ﴿ بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾: ﴿ بَلَىٰ ﴾ لرَدِّ ما قبلها، وإثباتِ ما بعدها.

وفي هذه الآيات إشارات[(٣)] إلى أنهم أضافوا التَّفريط، وذهاب العُمُر على اللَّهْو، وعدمَ هداية الله، وتمنيَ الرجوع ليُحسنوا باختيارهم، أضافوا ذلك إلى عدم إتيان البيان على الإيضاح والإعلان، فردَّ الله عليهم بهذا.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: أي: بلى، بيَّنَتْ لكَ الآياتُ الهدايةَ مِن الغِواية، والحقَّ مِن الباطل، والخيرَ مِن الشر، والصدقَ مِن الكذب، ومكِّنْتَ مِن اختيار الهداية على الغواية، والحقِّ على الباطل، والصدقِ على الكذب، لكنْ تركْتَ ذلك وضيَّعْتَ واستخففْتَ به واشتغَلْتَ بضده، فإنما جاء التضييع مِن قِبَلِكَ[(٤)].

وأكثرُ القراء على التذكير في قوله: ﴿ بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ ﴾: على إرادة خطاب الإنسان، وقرأ بعضهم بتأنيثِ كلِّها؛ لسبق ذِكْر النَّفْس[(٥)].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٢٣٥ ـ ٢٣٦).

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٨/ ٦٩٧).

(٣) في (ف): «إشارة».

(٤) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٨/ ٦٩٨).

(٥) نسبها ابن خالويه في «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٣٢) للنبي ﷺ وأبي بكر، والثعلبي في =

(٦٠) ـ ﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ﴾: ويُقرأ: «وجوهَهم مسودةً» بالنصب على الترجمة والبدل(١).

وكذِبُهم على الله بوصفه بما لا يليق به، وسوادُ الوجوه قد يكون قبل دخول النار علامةً لهم، وقد يكون في النار بتغيير النار، وقد يكون عبارةً عن الخَيْبة والذِّلَّة والفضيحة.

وإسفارُ الوجه على خلافه، وعلى هذا قوله: ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾

= «تفسيره» (٨/ ٢٤٨) لعائشة، ونقل عن المروزي أنها رواية السريجي عن الكسائي، وجعلها مكي في «الهداية» (١٠/ ٦٣٦٧) قراءة الجحدري.

وقد وردت في حديث مرفوع رواه أبو داود في «سننه» (٣٩٩٠) من طريق الربيع بن أنس عن أم سلمة رضي الله عنها. قال أبو داود: هذا مرسل، الربيع لم يدرك أم سلمة. وعنى بقوله: مرسل، أنه منقطع، وإطلاق المرسل على المنقطع شائع عند الأئمة المتقدمين، وفيه علة أخر وهي أبو جعفر الرازي فإنه ضعيف.

وقد جاء في رواية الحاكم في «مستدركه» (٢٩٣١)، والطبراني في «الكبير» (٩٤٣)، تعيين الواسطة بينهما، وهو أبو العالية، فإن صح ذكر الواسطة يبقي ضعفُ أبي جعفر الرازي.

ورواه البزار في «مسنده» (٣٦٧٢) عن عاصم الجحدري، عن أبي بكرة رضي الله عنه مرفوعا، قال أبو زرعة: هذا الحديث منكر. انظر: «علل الحديث» لابن أبي حاتم (٦/ ٦٣٥).

وقد أشار الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٢٣٨) إلى المرفوع، لكنه عقب ذلك بقوله: والقراءة التي لا أستجيز خلافها ما جاءت به قراء الأمصار مجمعة عليه، نقلاً عن رسول الله ﷺ، وهو الفتح في جميع ذلك.

(١) وهي قراءة شاذة. انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٤٢٤)، و«غرائب التفسير» للكرماني (٢/ ١٠١٨)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (١٨/ ٣٦٢).

[آل عمران: ١٠٦]، ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ﴾ [عبس: ٣٨] الآيات، ﴿كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًا﴾ [يونس: ٢٧]، ﴿وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ﴾ [يونس: ٢٦].

وقولُه تعالى: ﴿أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾: استفهام بمعنى التقرير؛ أي: هذا جزاء وقَعَ لهم باستحقاقهم، يُقيمون فيها خالدين.

وقولُه: ﴿لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾: إشارةٌ إلى ما سبق، وهو قوله: ﴿وَٱسْتَكْبَرْتَ﴾.

والتَّكبُّر والاستكبار واحد؛ كالتعجُّل والاستعجال، والتَّيقُّن والاستيقان، ومِثْلُه في قصة إبليس: ﴿أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ﴾ [البقرة: ٣٤]، وقال: ﴿فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا﴾ [الأعراف: ١٣].

* * *

(٦١) ـ ﴿وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟﴾: وهم على خلاف هؤلاء.

﴿بِمَفَازَتِهِمْ﴾: قرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية أبي بكر: ﴿بمفازاتهم﴾ على الجَمْع، والباقون: ﴿بِمَفَازَتِهِمْ﴾ على التوحيد(١).

والمفازةُ: سبب الفوز؛ كقوله عليه الصلاة والسلام: «الولد مَبْخَلَةٌ مَجْبَنَةٌ مَجْهَلَةٌ»(٢)؛ أي: سببُ البُخْلِ والجُبْنِ والجهل.

والمفازةُ على التوحيد: يُراد بها التقوى، وعلى الجمع: يُراد بها الطاعات.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٦٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١٩٠).

(٢) رواه بهذا اللفظ الطبراني في «الكبير» (٦١٤) من حديث خولة بنت حكيم رضي الله عنها، والحاكم في «مستدركه» (٥٢٨٤) من حديث الأسود بن خلف، وأصله في السنن. قال العراقي: إسناده صحيح. انظر: «تخريج الإحياء» (ص: ١١٦٨).

أي: ويُنجِّي الله المتقين بتقواهم الشرك والمعاصي، أو بطاعاتهم.

﴿لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ﴾: أي: المكروه وما يسوؤهم، أي: يُحزنهم، وهو كقوله: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ﴾ [الأنبياء: ١٠٣].

﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾: بفَوْتِ محبوبٍ، وحاصلُه: لا يُصيبهم مكروه، ولا يفوتهم محبوب.

* * *

(٦٢ - ٦٣) - ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (٦٢) لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾: أي: هو مُنشئ الأشياء كلِّها.

﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾: أي: وهو القائم على كلِّ شيء بحفظه وتصريفه[1] على ما يحب، وهو في معنى القيوم والقائمِ على كل شيء[2].

وقولُه تعالى: ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: أي: وهو المالك لمفاتيح خزائن السماوات والأرض، يحفظُها ويفتح على عباده منها ما يشاء.

وذِكْرُ المفاتيح مَثَلٌ، وكذلك ذِكْر الخزائن في قوله: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ﴾ [الحجر: ٢١].

ومعناه: وهو المكوِّن ما يريد كونَه، والحافظُ ما هو كائن منه والمُدبِّر له، والموصِل إلى عباده ما يشاء منه، وإذا كان هو المالكَ والمُصرِّفَ كلَّ شيء، فهو المستحِقُّ للعبادة دون غيره مِن الأصنام، وهو في مُحاجَّة المشركين، وهذه

---

(١) في (أ): «يحفظه ويصرفه».

(٢) في (أ): «نفس».

الكلمـة مُسْـتعملة مفهومـةُ المـراد؛ يُقـال: ألقى إلـيَّ فلان مقاليـد الأمـور، ومفاتيح الأمـور، وأَزِمَّـة الأمور.

وقال الحُطَيئة يُخاطب عمر رضي الله عنه:

أنـتَ الأمـينُ لهـا مِـن بعـد صاحبهـا ... ألقـى إليـك مقاليدَ الهـدى البـشَرُ[1]

فالمقاليد: جمع إِقْليد، على خلاف لفظ الواحد؛ كالمحاسن والمذاكير. قاله نِفْطَوَيْهِ والقُتَبِيُّ[2].

والإقليد أصلُه بالفارسية: كليد[3]، فعرَّبَته العرب، وتُكُلِّم به فصار عربياً.

وقال المبرد: واحدها مِقْليد.

وقولـه تعالـى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾: قيـل: المغبونـون.

وقيل: الهالكون.

وغَبْنَهُم: ذهابُ عبادتهم الأصنامَ هَدراً لا نَفْعَ له، وهلاكُهم: عقوبتُهم في النار عليها.

❊ ❊ ❊

(٦٤) ـ ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾.

---

(١) انظر: «ديوان الحطيئة» (ص: ١٠٨)، ولفظه فيه:

أنت الأمين الذي من بعد صاحبه ... ألقـت إليـك مقاليـد النهـى البـشر

(٢) انظر: «غريب القرآن» لابن قتيبة (١/ ٣٩١).

(٣) انظر: المصدر السابق (١/ ٣٨٤)، و«تفسير السمرقندي» (٣/ ١٩٣)، وفيهما أنه بالفارسية: «إكليد».

وقولُه تعالى: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾: أي: ﴿قُلْ﴾ يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يَستميلونك بالإطماع في الأموال والنساء والرِّياسة والسَّناء إلى ما هُم فيه: ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ﴾ الذي هو خالقُ كل شيء، وهو على كلِّ شيء وكيل، له مقاليد السماوات والأرض ﴿تَأْمُرُونِّي﴾ أنْ أعبُدَ؟!

وهذا توبيخٌ وتقريعٌ، وقطعٌ للأطماع، وإنكارٌ عليهم، وتجهيلٌ لهم.

أي: فما أنا بفاعل ذلك، فإنكم جاهلون بموضع اختيار العبادة؛ إذ لا يجوز أنْ يُعْبَد ما لا يسمع ولا يُبصر ولا ينفع ولا يَضُرُّ.

و﴿أَعْبُدُ﴾: رُفِعَ حيث حُذِف الناصب، و﴿الْجَاهِلُونَ﴾: هم الكفار، كما أنَّ أولي العلم هم المسلمون في قوله: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ١٨].

* * *

(٦٥) ـ ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ﴾: أي: مِن الأنبياء ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ ولم يقل: أشركتُم.

قال أبو عُبيدة والأخفش: فيه تقديم وتأخير، وتقديرُه: ولقد أُوحي إليك لئن أشركْتَ ـ إلى آخره ـ وإلى الذين مِن قبلك[1].

وقيل: أُوحي إليك وإلى كل واحد مِن الأنبياء: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾؛ أي: كلُّهم مأمورون بالتوحيد والإخلاص، منهيُّون عن الكفر والإشراك، ودينُ الكل في هذا واحد، وهذا مما لا يجوز عليه النَّسْخ والتبديل.

---

(١) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (٢/ ١٩١).

﴿لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾: أي: لَيَتَلاشَيَنَّ ولَيَبطُلَنَّ ﴿وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾: تفسيرُه وتقديرُه؛ لأنَّ عملَه إذا بطَلَ أثرُه وفات ثمرُه بقِيَ عناؤُه وخُسْرُه.

وقيل: ﴿وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾: إشارةٌ إلى ما سبق ذِكْرُه مِن قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾.

* * *

(٦٦) - ﴿بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ﴾: أي: فاعْبُده ووحِّدْه ولا تُشركْ به غيرَه.

﴿وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾: فإنه المُنعم بالحقيقة، وشكرُ المنعم واجب بتعظيمه وإخلاص العبادة له.

ثم هذا الوعيد مع تحقُّق العصمة؛ لِما مرَّ مرات أنَّ العِصْمة هي الحفظ عن فعلِ ما عليه الوعيد، ولو زال النهي وارتفع الوعيد لبطَلت العِصْمة.

* * *

(٦٧) - ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ﴾: قيل: أي: وما عظَّموا الله حقَّ تعظيمه.

وقيل: وما اعتقدوا في الله ما يجب أنْ يُعتقَد فيه.

وقيل: أي: وما وصفوا الله بما يستحِقُّ أنْ يوصف به، يعني: المشركين، فإنهم وصفوا الله بما لا يليق به، وعجَّزُوه عن البعث والجزاء، وجوَّزوا عليه بعث رسول ظنوا فيه أنه يُطابقهم على مُرادهم بما استمالوه به مِن الأموال وغيرها، وهو ظنُّ السَّفَهِ[1] بالله، تعالى الله عنه عُلُوًّا كبيراً.

---

(١) في (ف): «السفيه».

﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾: أي: مع أنه قادر على قَبْض الأرض كلها بسعَتها وطُولها وعَرْضها وعِظَم جُرْمها، وعلى تبديلها، وعلى طَيِّ السماوات بأَسْرها، ومَن قَدِر على ذلك كلِّه قَدِر على إحياء الموتى، ولم يَجُزْ عليه غيرُ الحكمة والصواب.

وذِكْرُ القَبْضة(١) واليمين مِن المُتشابه.

ولا يُفهَمُ مِن ذلك ما يُفهَم مِن أيدي الخَلْق وقَبْضتهم؛ لأنه تشبيه، وقد قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾، بل يُفهَم منه التصرُّف فيها والقُدرة على تغييرها، وهو مُستعمل في كلام الناس على هذا المراد، يُقال: هذه الولاية في يد السلطان وفي قبضته، ويُراد به: الاستيلاءُ والقدرةُ، دون حقيقة إثبات اليد عليها وإدخالها في قبضتها.

وقيل: معنى قوله: ﴿قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾: أنه تَزول دعاوى المُدَّعين عنها، وهو كقوله: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦].

وقيل: ذِكْرُ اليمين تحقيقُ المُلك؛ كقوله: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ [النساء: ٣].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما، وبه قال الكلبي مِن المفسرين، وقُطْرُب مِن أئمة الأدب: ﴿بِيَمِينِهِۦ﴾: أي: بقُوَّته(٢). وأنشد الشَّمَّاخُ:

---

(١) في (أ) و(ف): «القبض».

(٢) كذا ذكره عن ابن عباس رضي الله عنه، ولم أقف عليه، والمشهور عن الصحابة والسلف عدم التأويل في أمثال هذه النصوص، وإن كان الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٣٢) قد ذكر عنه تأويل اليمين بمعنى القدرة والقوة في تفسير قوله تعالى: ﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ﴾ والله أعلم بصحته.
والقول أنها بمعنى القدرة ذكره الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٢٥٣) عن بعض النحويين البصريين، وهو قول المبرد أيضاً كما في «الهداية» لمكي (١٠/ ٦٣٧٦).

إذا ما رايةٌ رُفِعَتْ لمجدٍ تلقَّاها عَرَابةُ باليمين[١]

أي: بالقوة.

وقيل في قوله: ﴿قَبْضَتُهُۥ﴾: أي: يقبِضها ويبسُطها.

وروى ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «يأخذ الله السماوات والأرض فيقبِضُها ويبسُطها، ثم يقول: أنا الجبَّار، أين الجبَّارون؟ أنا المتكبِّر، أين المتكبِّرون؟»[٢].

وفي رواية أبي هريرة رضي الله عنه: «أين الملوك؟ لِمَن المُلْك اليوم؟»[٣].

وقيل: ليس الإِدْراج على الطَّيِّ فقط[٤]، بل له معانٍ في اللغة:

منها: الإخفاء، تقول العرب: طويتُ فلاناً عن أعين الناس، و: اطوِ هذا الحديثَ عني؛ أي: استُره.

ومنها: الإعراض، يقول الرجل[٥]: طوى فلان عني كَشْحاً؛ أي: أعرضَ عني.

ومنها: الإفناء، تقول العرب: طويتُ فلاناً بسيفي؛ أي: أَفْنَيتُه، فيَحتمِل أنْ يكون معناه: ﴿مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ﴾؛ أي: مَفْنِيَّاتٌ بقسَمه؛ لأنه أقسمَ أنْ يفنيَها[٦].

---

(١) انظر: «ديوان الشماخ بن ضرار الذبياني» (ص: ٣١٩) من قصيدة يمدح بها عَرابة بن أوس رضي الله عنه.

(٢) رواه مسلم في «صحيحه» (٢٧٨٨).

(٣) رواه البخاري في «صحيحه» (٤٨١٢)، ومسلم في «صحيحه» (٢٧٨٧).

(٤) يعني: من معاني الطي الإدراج كطي القرطاس والثوب، لكن ليس معنى الطي مقتصراً على الإدراج. انظر: «تفسير الثعلبي» (٨/ ٢٥١).

(٥) في (ر): «تقول الأعراب»، وفي (ف): «تقول: طويت الرجل».

(٦) انظر: «تفسير الثعلبي» (٨/ ٢٥١).

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: جاء رجل مِن أهل الكتاب إلى النبي ﷺ، فقال: يا محمد! إنَّ الله يُمسك السماوات على إِصْبَع، والأرَضين على إِصْبَع، والجبالَ على إِصْبَع، والبحارَ على إِصْبَع، والأشجار على إِصْبَع، فضحك رسول الله ﷺ، فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾ الآية[1].

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾؛ أي: ما عرَفوه حقَّ معرفته، ولا عظَّموه حقَّ تعظيمه مما لا يحتمله وُسْعُ الخَلْق، فهو لم يُكلِّفْهم ذلك، وإنما كلَّفَهم ما احتمله وُسْعُهم، والمُشَبِّهةُ ـ خذَلهم الله ـ حيث وصَفوه بما يوصف به الخَلْق، فلم يعرِفوه المعرفة التي يحتملها وُسْعُ الخَلْق، ولا عظَّموه التعظيم الذي يحتمله وُسْعُهم[2].

* * *

(٦٨) ـ ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ﴾: أي: وقد كان نُفِخ في الصُّور قبل قَبض الأرض وطَيِّ السماوات.

﴿فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾: أي: فمات.

قال السُّدِّي: أي: إلا جبريلَ وميكائيلَ وإسرافيلَ وملكَ الموت، وهو في حديث مرفوع[3].

---

(١) رواه البخاري في «صحيحه» (٧٤١٤)، ومسلم في «صحيحه» (٢٧٨٦).

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٨/ ٧٠٤).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٢٥٤) عن السدي، ثم رواه عقبه مرفوعاً مطولًا من حديث أنس رضي الله عنه. وفيه يزيد الرقاشي وهو ضعيف.

وقال سعيد ابن جُبير رضي الله عنه: أي: إلا الشُّهَداء، فإنهم أحياءٌ عند ربهم[1].

وقيل: إلا مَن سبَقَ موتُهم النَّفخةَ الأولى؛ لأنهم كانوا في السماوات والأرض أيضاً، فصحَّ استثناؤُهم منهم.

وقيل: هم حملة العرش.

وقيل: الحُور العِين، والغِلْمان، والوِلْدان، وخزَنة الجنة في الجنة[2]، وخزنة النار في النار.

ومنهم مَن أبهَمَه لإبهام النَّصِّ.

﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ﴾: أي: في الصُّور نَفْخة أخرى، وهي نَفْخة البعث، ودلَّت هذه الآية على نَفْختين.

وقيل: هي ثلاث نفَخات: نَفْخة الفزَع؛ كما قال: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ [النمل: 87]، ثم نَفْخة الصَّعْق وهو الموت، ثم نَفْخة البعث، وكذا في حديث مرفوع[3].

وقولُه تعالى: ﴿فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾: يعني: فإذا الأموات قِيام مِن قبورهم وهُم ينظرون.

---

(1) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (2644)، والطبري في «تفسيره» (20/ 255)، بلفظ: (هم الشهداء ثنيَّة الله حول العرش، متقلدين السيوف). و(ثنية الله)؛ أي: الذين استثناهم الله من الصعق.

(2) في (أ) و(ف): «والخزنة في الجنة».

(3) رواه مطولاً إسحاق بن راهويه في «مسنده» (10)، والطبري في «تفسيره» (20/ 256)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (16621)، والثعلبي في «تفسيره» (7/ 227) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. قال ابن حجر في «فتح الباري» (11/ 369): (سنده ضعيف مضطرب، وقد ثبت في «صحيح مسلم» من حديث عبد الله بن عمرو أنهما نفختان)، انتهى. قلت: رواه مسلم (2940).

قيل: هو نظَر العَين.

وقيل: هو الانتظار؛ أي: ينتظرون بماذا يُؤمرون، وأين يُحشرون، وبماذا يُعاملون.

***

(٦٩) ـ ﴿ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ ﴾: أي: أضاءت أرض القيامة ﴿بِنُورِ رَبِّهَا﴾؛ أي: بعَدْل ربها وقضائه بالحق بين عباده، وهي كلمة مُستعمَلة في هذا المعنى.

قال العباس بن عبد المطلب في رسول الله ﷺ:

وأنــتَ لَمَّــا وُلِــدتَ أشــرقَتِ الأر ... ضُ وضــاءَتْ بنــورك الأُفُــقُ

فنحــن فــي ذلــك الضيــاء وفــي النـْ ... ـــنُور وسُــبْلِ الرَّشــاد نَخْتــرِقُ[١]

وقـال الإمـام أبـو منصـور رحمه الله: يجـوز أن يخلـق الله نوراً فتنـوَّر به أرض الموقف[٢].

والإضافة إلى الله إضافةُ تخصيصٍ؛ كبيت الله، وناقة الله، وشهر الله، ورُوح الله، لا أنْ يُفهمَ منه نور هو صفة قائمة بذات الله تعالى.

---

(١) في (أ) و(ف): «نحترق»، وفي (ر): «تخترق»، والمثبت موافق لمصادر التخريج.
الأبيات رواها ابن قتيبة في «غريب الحديث» (١/ ٣٥٩)، والطبراني في «الكبير» (٤١٦٧)، والحاكم في «المستدرك» (٥٤١٧)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ٢٦٨)، من حديث خريم بن أوس رضي الله عنه. قال الحاكم: هذا حديث تفرد به رواته الأعراب عن آبائهم، وأمثالهم من الرواة لا يضعون. فتعقبه الذهبي في «السير» (٢/ ١٠٣) بقوله: قلت: لكنهم لا يُعرفون.

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٨/ ٧٠٨ ـ ٧٠٩).

وقولُه تعالى: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ﴾: اسمُ جنسٍ بمعنى الجَمْع؛ أي: ووُضِعَت الكتب في أيدي الناس ليقرؤوها، وهي صحائف الأعمال المكتوبة عليهم.

وقولُه تعالى: ﴿وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ﴾: أي: وأُحْضِر موقفَ الحساب النبيون لِيُسألوا عما أجابتهم به أممُهم.

و﴿الشهداء﴾: هم المؤمنون يشهدون على الكفار.

وقيل: هُم هذه الأمة، قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣].

وقيل: هُم الملائكة، قال الله تعالى: ﴿وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ [ق: ٢١]، أي: ملَكٌ يسوقه إلى الموقف، ويشهد عليه بما عمل، وهُم الحَفَظة.

وقيل: هُم الشُّهداء في سبيل الله.

ويجوز أنْ يكون الجميع مُراداً به.

وقولُه تعالى: ﴿وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾: وتفسيرُه ما قال بعده: ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ﴾؛ أي: مِن خير وشر، فلا يُزاد في شرٍّ، ولا يُنقَصُ مِن خير.

﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾: أي: واللهُ أعلمُ بما كانوا يعملون مِن غير كتاب ولا شاهد.

* * *

(٧١) ـ ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾: وهذا تفصيلُ ما أُجمِلَ في قوله: ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ﴾.

والسَّوْقُ: الحثُّ على السَّير، والزُّمَرُ: الجماعات، والواحدة: زُمْرة.

وقولُه تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾: وهي سبعة.

﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ﴾: أي: حفظةُ جهنم، وهم الملائكة الموكَّلون بتعذيب أهلها:

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾: وهذا توبيخ وتقريع، وفيه زيادةُ إيلامٍ وتوجيع.

يقولون: أوَ ليس قد جاءكم مِن عند الله رسُلٌ آدميُّون مثلُكم، تعرفونهم وتألفونهم، وتعرفون شفقتهم عليكم، وصيانتهم فيما بين يديكم[1]، فقرؤوا عليكم كتابَ ربكم الذي كان علَماً[2] على دركِ الحق، وأنذروكم ما تَلْقَونه في يومكم هذا، وخوَّفوكم المصير إليه؟!

﴿قَالُواْ بَلَىٰ﴾: أي: قد أتَوْنا وأنذرُونا ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾؛ أي: تحقَّقَ وعيدُ الله، وهو قوله: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص: ٨٥].

وقولُه: ﴿عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾: أي: على مَن كفر به منا ومِن سائر أهل جهنم.

* * *

(٧٢) ـ ﴿قِيلَ ٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴾.

﴿قِيلَ ٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ﴾: أي: فتقول لهم الخزَنة: فادخلوا إذاً أبوابَ جهنم

---

(١) في (ر) و(ف): «فيما بينكم».

(٢) في (أ): «عالماً».

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ لاستحقاقكم ذلك بكُفركم على ما قُسِمَ لكم مِن دركاتها، فهي مَثْواكم، وبئس المَثْوى، وهو قولُه:

﴿فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴾: الذين لم ينقادوا لرُسُل الله، فلم يؤمنوا.

* * *

(٧٣) ـ ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا﴾: أي: ويُسرَعُ بالمؤمنين أيضاً إلى الجنة، وبيَّنَ اختلافهما في هذه الحالة في آية أخرى، فقال: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾ [مريم: ٨٥ ـ ٨٦]، فالمُتَّقون يجيئون إليها مُكْرَمين رُكْباناً، والمجرمون يُدَعُّون إليها دعًّا.

و(سِيق): ظاهرُه ماضٍ، ومعناه مستقبل؛ لأنه أمرٌ كائنٌ لا محالةَ، فأُلْحِق بالموجود.

وقولُه تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾: قيل: الواو: مُقْحَمةٌ زائدة(١)؛ كما في قوله: ﴿وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ﴾ [الصافات: ١٠٣]، وفي قوله: ﴿وَأَجْمَعُوٓا۟ أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ﴾ [يوسف: ١٥].

وقيل: هي عاطفة، وجواب ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا﴾ مُضْمَر في آخرها.

قال الزجاج: قال المبرد: جوابُه المُضْمَر في آخر الآية: سُعِدوا، ونحو ذلك.

قال: وقيل: معناه: حتى إذا جاؤوها وقد فُتِحَت أبوابها.

---

(١) «زائدة» ليس من (ف).

قال: وعندي: الجوابُ عند قوله: ﴿فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ دَخَلوها[1].

﴿وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا﴾: أي: حفَظة الجنة: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ﴾ يتلقَّونهم بتحيَّةٍ مِن عند الله.

وقيل: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ﴾؛ أي: سلامةٌ لكم مِن كلِّ مكروه.

﴿طِبۡتُمۡ﴾: أي: كنتم في الدنيا طيِّبين غير خبيثين؛ أي: مؤمنين مُطيعين غير كافرين عاصين. قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُشۡرِكُونَ نَجَسٌ﴾ [التوبة: ٢٨]، وقال: ﴿فَٱجۡتَنِبُواْ ٱلرِّجۡسَ مِنَ ٱلۡأَوۡثَٰنِ﴾ [الحج: ٣٠]، وقال: ﴿كَانَت تَّعۡمَلُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ﴾ [الأنبياء: ٧٤]، وقال تعالى: ﴿مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾ [إبراهيم: ٢٤]، وقال تعالى: ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ﴾ [إبراهيم: ٢٦].

أي: صلُحتم لهذه الدار بذلك الطِّيب.

وقيل: هو دعاءٌ لهم منهم للحال؛ أي: لا زِلتم طيبين، وهو تمامُ قولهم: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ﴾ ومعناه: لا زال يحسُنُ على الأسماع ذِكْرُكم، وعلى الأبصار مناظرُكم، ويدومُ لكم الثناء والذِّكْر الجميل مِن ربكم.

وقيل: هو دعاءٌ بطِيب العَيش؛ أي: طاب لكم دخولُها والعيشُ فيها.

وعن عليٍّ رضي الله عنه قال: إذا جازوا[2] الصراط أُتي بهم إلى باب الجنة، فإذا هُم بشجرة تحتها عَينان مِن الماء، فيشربون مِن إحداهما، فتطهُرُ قلوبهم مِن الغِلِّ والغِشِّ والآفات، ثم يغتسلون مِن الأخرى، فتطهُر أبشارُهم، فحينئذ تقول لهم خزَنة الجنة: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ﴾[3].

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٣٦٢ ـ ٣٦٣).

(٢) في (أ) و(ف): «جاوزوا».

(٣) رواه مطولًا عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٦٤٦)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٤٠٠٤)، والطبري في =

وقال قتادة: رُوِي أنهم إذا ورَدوا النار حُبِسوا على قَنْطَرة، فيَقْتَصُّ بعضهم مِن بعض، حتى إذا هُذِّبوا ونُقُّوا قيل لهم: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ﴾[1].

* * *

(٧٤) ـ ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾.

﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ﴾: بإدخال الجنة ﴿وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ﴾: أي: أرض الجنة ﴿نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ﴾: لِسَعتها وكثرتها نتمكَّن منها[2] ونتقلَّبُ فيها حيث نشاء، لا نُمنَع مِن ذلك، ولا يضيقُ عنا ذلك.

﴿فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾: بالطاعة.

وقال الإمام القُشيري: قيل لقوم: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا﴾، وقيل لقوم: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا﴾ [مريم: ٨٥]، وقيل لقوم: ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الشعراء: ٩٠]، وفَرْقٌ بين مَن يُساق إلى الجنة، وبين مَن تُقَرَّبُ إليه[3] الجنة، فالأول للظالمين، والأوسط للمُقتصِدين، والآخِر للسابقين[4].

= «تفسيره» (٢٠/ ٢٦٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٨٤١٣). قال ابن حجر في «المطالب العالية» (١٨/ ٦٤٧): حديث صحيح، وحكمه حكم المرفوع، إذ لا مجال للرأي في مثل هذه الأمور.

(١) ذكره عن قتادة الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٢٥٨)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ١٣٣). ورواه البخاري (٢٤٤٠) من طريق قتادة عن أبي المتوكل عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «إذا خلص المؤمنون من النار حبسوا بقنطرة بين الجنة والنار، فيتقاصون مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا نقوا وهذبوا أذن لهم بدخول الجنة».

(٢) في (ف) و(أ): «فيها».

(٣) في (أ): «يقرب إلى» بدل: «تقرب إليه». وفي «اللطائف»: (تقرب منه).

(٤) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٣/ ٢٩٣).

(٧٥) ـ ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ﴾: أي: ﴿وَتَرَى﴾ يا محمد يوم القيامة عند فَصْل القضاء ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ﴾؛ أي: مُحْدِقين بالجوانب.

وقد حفَّ به القومُ: إذا صاروا في حِفافه؛ أي: جانبه مِن حول العرش.

﴿مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ﴾: ﴿مِنْ﴾ صِلةٌ زائدةٌ؛ كقولك: جئتُ مِن قَبْل فلان؛ أي: قَبْله.

والعرشُ يحضُرُ عرصَةَ القيامة، قال الله تعالى: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٧].

وقولُه تعالى: ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾: يُنزِّهون الله تعالى ويحمدونه.

وقيل: معنى الباء في قولِه: ﴿بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾: أي: بتوفيق الله تعالى يُسبِّحونه، وله الحمد.

﴿وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ﴾: أي: بين الخَلْق.

﴿وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: أي: ويقول أهل الموقِف: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

وقيل: يقولُه أهل الجنة إذا دخلوها؛ كما قال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ﴾ [الزمر: ٧٤]، ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا﴾ [الأعراف: ٤٣]، ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ﴾ [فاطر: ٣٤]، ﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [يونس: ١٠].

وقال قتادة: بدأ الله تعالى خَلْق العالَم بالحَمْد، فقال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ الآيةَ [الأنعام: ١]، وختَمَ القضاء بينهم بالحَمْد، فقال: ﴿وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[1].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٢٧٣)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (٢٦٥٠)، والثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٢٦٠).

سُورَةُ غَافِرٍ

سُورَةُ غَافِرٍ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

بسم الله غافر الذَّنْب وقابل التَّوْب شديد العِقاب، الرَّحمنِ الذي يُدخِل المؤمنين الجنة يُرزَقون فيها بغير حساب، الرَّحيمِ الذي أنزل الكتاب هُدى وذكرى لأولي الألباب.

وروى أبيٌّ بن كعب رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «مَن قرأ ﴿حمٓ﴾ المؤمن لم يبقَ رُوح نبي ولا صِدِّيق ولا شهيد ولا مؤمن إلا صلَّوا عليه واستغفروا له»[1].

وهذه السورة مكية، وهي خمس وثمانون آيةً، وقيل: أربع.

وكلماتُها: ألف ومئتان وسبع عشرة.

وحروفُها: خمسة آلاف وسبعة.

وانتظامُ خَتْمِ تلك السورة وافتتاحِ هذه السورة: أنهما في ذِكْر أسماء الله تعالى.

وانتظامُ السورتين: أنهما في ذِكْر المشركين، والاحتجاج عليهم في إبطال شِرْكهم، وفي إثبات البعث والحساب، وفيهما الترغيبُ والترهيبُ، وتسليةُ النبي ﷺ والمؤمنين.

---

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٢٦٢)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ٥٥٨)، وهو قطعة من حديث أبي بن كعب الموضوع في فضائل السور. انظر: «الفتح السماوي» للمناوي (٣/ ٩٧٢).

وقال النبي ﷺ: «لكلِّ شيء ثمَرةٌ، وإنَّ ثمَرةَ القرآن ذواتُ ﴿حمٓ﴾، هُنَّ روضاتٌ حسناتٍ مُخَصِباتٌ مُتجاوِرات، فمَن أحبَّ أنْ يرتَعَ في رياض الجنة فليقرأ الحواميمَ»(١).

وقال: «مثَلُ الحواميم في القرآن مثَلُ الحِبَرات في الثياب»(٢).

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: إذا وقعتُ في آل ﴿حمٓ﴾ وقعتُ في رياضٍ دَمِثاتٍ أتأنَّقُ فيهن(٣).

وقال مجاهد: آلُ ﴿حمٓ﴾ دِيباج القرآن(٤).

---

(١) رواه ابن الضريس في «فضائل القرآن» (٢٢٣) عن إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة: (بلغنا أن رسول الله ﷺ قال...) فذكره، وفيه: «هن روضات مخصبات معشبات متجاورات». وهو مرسل.
وروى الواحدي في «الوسيط» (٤/ ٣) من حديث أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه مرفوعاً: «من أحب أن يرتع في رياض الجنة فليقرأ الحواميم في صلاة الليل». وفي إسناده محمد بن مروان السدي، وهو كذاب.

(٢) ذكره الزجاج في «معاني القرآن» (٤/ ٣٦٥)، والثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٢٦٢)، والسمعاني في «تفسيره» (٥/ ٥) من غير إسناد. الحِبَرات: جمع حِبَرة كعِنَبَة، وهو ضرب من برود اليمن مُنَمَّر. انظر: «المحكم» لابن سيده (٣/ ٣١٦).
وجاء في هامش (ف): «الحبر: مبالغة في نهاية الزينة».

(٣) رواه أبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص: ٢٥٥)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٠٢٨٥)، وذكره محمد بن نصر المروزي في «مختصر قيام الليل» (ص: ١٧٥).

(٤) رواه أبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص: ٢٥٥)، وابن الضريس في «فضائل القرآن» (٣٠٢)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٠٢٨٣)، والحاكم في «المستدرك» (٣٦٣٤)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢٢٤٣) من طريق مجاهد عن ابن مسعود رضي الله عنه موقوفاً.
ورواه عبد الرزاق في «مصنفه» (٦٠٣١)، والمستغفري في «فضائل القرآن» (٨٨٦) عن مجاهد.
الدَّمِثُ: المكانُ اللَّيِّنُ السهلُ الذي لا يَتْعبُ فيه الماشي، (أتأنَّقُ فيهنَّ)؛ أي: أَتتبَّعُ محاسنهنَّ، من =

وقال أبو الدرداء رضي الله عنه: كنا نُسمِّي الحواميمَ العرائسَ[١].

وقال محمد بن سيرين رحمه الله: رأى رجل في المنام سبعَ جَوارٍ حِسانٍ في مكان واحد لم يرَ أحسن منهن، فقال لهن: لِمَن أنتنَّ؟ قلن: لِمَن قرأ آل ﴿حمٓ﴾[٢].

وقال الحسن رحمه الله: الحواميم رياض الجنة[٣].

وقال محمد بن الحنفية وابن عباس رضي الله عنهم: الحواميم كلُّها مكية[٤].

* * *

(١) ـ ﴿حمٓ﴾.

قولُه تعالى: ﴿حمٓ﴾: قال مجاهد: ﴿حمٓ﴾: فواتح السُّوَر[٥].

= قولهم: مَنْظَرٌ أَنِيْقٌ: إذا كان حَسَناً مُعْجِباً. انظر: «مجمع الغرائب» للفارسي (مادة: دمث).

(١) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٠٢٨٤)، والدارمي في «سننه» (٣٤٦٥)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢٢٥٣)، والثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٢٦١) عن سعد بن إبراهيم.
ورواه الشجري في «ترتيب الأمالي» (١/ ١٥٣)، وابن الحمامي (٢٧٨) (مصنفات ابن الحمامي)، من قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(٢) ذكره عن ابن سيرين الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٢٦٢)، ورواه المستغفري في «فضائل القرآن» (٨٨٤) عن محمد بن قيس.

(٣) رواه المستغفري في «فضائل القرآن» (٨٨٨) من طريق مجاعة بن الزبير، عن أبان، عن سعيد بن أبي الحسن، عن عن سمرة بن جندب مرفوعاً، ولفظه: «الحواميم روضة من رياض الجنة»، وهذا إسناد ضعيف جداً؛ أبان هو ابن أبي عياش، وهو متروك، ومجاعة بن الزبير؛ فيه ضعف. أما سعيد بن أبي الحسن فهو أخو الحسن البصري، وهو ثقة.

(٤) ذكره عنهما السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ١٨٩)، والزمخشري في «الكشاف» (٤/ ١٤٨)، ورواه عن ابن عباس النحاس في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٦٤٩)، والبيهقي في «الدلائل» (٧/ ١٤٤).

(٥) رواه سفيان الثوري في «تفسيره» (ص: ١٩٢)، والطبري في «تفسيره» (١/ ٢٠٩)، وذكره الثعلبي =

وقال قتادة: اسم القرآن[١].

وقال محمد بن كعب: هذا قسَمٌ أقسمَ الله بحِلْمه[٢] ومُلْكه أنْ لا يُعذِّبَ أحداً عاد إليه بقول: لا إله إلا الله، مُخلِصاً مِن قلبه[٣].

وقال عكرمة وسعيد بن جُبير رضي الله عنهما: ﴿الٓر﴾ ﴿حمٓ﴾ ﴿نٓ﴾ هي الرحمن[٤].

وقال السُّدِّي رحمه الله: الحواميم أسماء الله تعالى[٥].

وقال الشَّعْبي رحمه الله: شِعار السورة[٦].

وقال الضحاك رحمه الله: ﴿حمٓ﴾: أي: قضى ما هو كائن، وقال الكسائي كذلك[٧]، وأنشد[٨]:

وليس لأمرٍ حمَّهُ اللهُ دافِعُ[٩]

= في «تفسيره» (٨/ ٢٦٣)، والماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ١٤١).

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣/ ١٣٩)، والطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٢٧٥).

(٢) في (ر): «بحكمه»، وفي (ف): «بحكمته».

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٢٦٣).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ١٠٣) عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما، ورواه أيضاً (١٢/ ١٠٤) عن ابن جبير.

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٢٧٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما والسدي.

(٦) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٢٦٣).

(٧) ذكره عنهما الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٢٦٣)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ١٣٥)، وذكره الواحدي في «الوسيط» (٤/ ٤) عن ابن عباس من رواية عطاء والكلبي.

(٨) في (ر): «وقال الشاعر».

(٩) عجز بيت منسوب إلى كعب بن مالك رضي الله عنه، كما في «سيرة ابن هشام» (٢/ ١٣٤) عن ابن =

وقال آخر:

ألا ليتنـي حُمَّـتْ لنفْسـي مَنِيَّتـي ... ولـم تتعلَّقْنـي لحِيـنٍ عَلُوقُهـا[١]

وقال أنس رضي الله عنه: سأل أعرابي رسول الله ﷺ: ما ﴿حمٓ﴾؟ فإنا لا نعرفها في لغتنا، فقال عليه السلام: «بَدْءُ أسماء، وفواتحُ سورة»[٢].

وقال عطاءٌ الخُراساني رحمه الله: الحاء: افتتاحُ اسمه حليم، حميد، حي، حنَّان، حكيم، والميم: افتتاح أسمائه: ملك، مجيد، منَّان، ونحوها[٣].

***

(٢) ـ ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾: قيل: ﴿تَنزِيلُ﴾: مبتدأ، و﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾: خبره، وعلى هذا هو مصدرٌ، ولا إضمارَ فيه.

وقيل: ﴿حمٓ﴾ اسم للسورة أو القرآن، وهو مبتدأ، و﴿تَنزِيلُ﴾ إلى آخره: خبرُه،

= إسحاق، وصدره:

فلمـا تلاقيناهـمُ ودارت بنـا الرحـى

ونسب إلى عباس بن مرداس رضي الله عنه، كما في «سيرة ابن هشام» أيضاً (٢/ ٤٦٤) وصدره:

أقـام بـه بعـد الضلالـة أمرنـا

ونسب إلى غيرهما. انظر: «المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء» للآمدي (ص: ١١٨)، و«أنساب الأشراف» للبلاذري (٥/ ٣٨١).

(١) البيت لأبي عدي عامر بن سعد النمري، كما في «مسالك الأبصار في ممالك الأمصار» (١٠/ ٥٧٧).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٢٦٣)، وابن عطية في «المحرر الوجيز» (٤/ ٥٤٥) من غير إسناد.

(٣) «ونحوها» ليست من (أ) و(ف). والأثر ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٢٦٣)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ١٣٥) ونسبه أيضاً إلى سعيد بن جبير.

وهو مصدر بمعنى المفعول؛ أي: مُنزَّلٌ مِن الله العزيز العليم؛ أي: المنيع سلطانُه عن أنْ يتقوَّلَ عليه مُتَقوِّل، العليم بمَن صدَّقَ به وكذَّبَ، وهي تبرئةٌ للنبي ﷺ، وتهديدٌ للمشركين، وبِشارةٌ للمؤمنين.

***

(٣) ـ ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِي ٱلطَّوۡلِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾.

قولُه تعالى: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ﴾: نعته ﴿وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ﴾: نعتٌ آخر.

والتَّوْبُ مصدر كالتوبة، وهي الرجوع إلى الله عن المعصية.

وقال أبو عبيدة: التَّوْبُ: جمع التوبة، ووصْلُ النعت بالنعت بالواو وبدون الواو جائزٌ(١).

﴿شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ﴾: لِمَن يُصِرُّ ولا يتوب.

وقولُه تعالى: ﴿ذِي ٱلطَّوۡلِ﴾: أي: ذي الفَضْل على كلِّ عباده بالخَلْق والرِّزْق والبَيان وكلِّ وجوه الإحسان.

﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾: أي: إلى جزائه رجوعُ الخَلْق.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ﴾: لِمَن قال: لا إله إلا الله، ﴿شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ﴾: لِمَن لا يقول: لا إله إلا الله(٢).

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٢٦٤)، والبغوي في «تفسيره» (٤/ ١٠٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما.
ورواه الطبراني في «الدعاء» (١٥٥٩) عن الكلبي، وفي «الأوسط» (٩/ ١٨١) عن ابن عمر رضي الله عنهما.
قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٠٢) عن رواية ابن عمر: فيه يحيى بن عبد الحميد الحماني، وهو ضعيف.
=

وقال أيضاً: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ﴾: للمؤمنين، ﴿شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ﴾: للكافرين.

وقال أيضاً[1]: ﴿ذِي ٱلطَّوۡلِ﴾: أي: ذي الغِنى عمَّن لا يُوَحِّدُه[2].

وقال الضحاك: ذي المَنِّ[3].

وقال قتادة رحمه الله: ذي النِّعَم[4].

وقال الإمام القُشَيري رحمه الله: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ﴾: للظالمين، ﴿وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ﴾: للمُقْتصِدين، ﴿شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ﴾: للمشركين، ﴿ذِي ٱلطَّوۡلِ﴾: للسابقين[5].

* * *

(٤) ـ ﴿مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَا يَغۡرُرۡكَ تَقَلُّبُهُمۡ فِي ٱلۡبِلَٰدِ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾: أي: ما يُخاصِمُ في كتاب الله الذي هو تنزيلُ الكتاب مِن الله العزيز العليم لِيدفعَه بالأباطيل، فيقول مرَّةً: هو سِحْر، ومرَّةً: هو قول الكَهَنة، ومرَّةً: هو أساطير الأولين، ومرَّةً: يُعَلِّمُه بشَر، وأشباه ذلك= إلَّا الذين كفروا نِعَمَ الله مِن سلامة البُنْية وتمام العقل، فلا يُقابلونه بالشكر.

= قلت: وفيه أيضاً عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وهو ضعيف كما في «التقريب».

(١) في (ف) و(أ): «ابن عباس».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٢٧٨) بلفظ: ذي السعة والغنى.

(٣) ذكره عنه الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٢٦٤)، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ١٤٢) عن عكرمة، وعزاه ـ يعني خبر عكرمة ـ السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٢٧٢) إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

(٤) رواه عنه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٢٧٨)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٢٦٤) عنه، وابن فورك في «تفسيره» (٢/ ٣٤١) عن ابن عباس وقتادة.

(٥) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٣/ ٢٩٥).

وقولُه: ﴿فَلَا يَغۡرُرۡكَ تَقَلُّبُهُمۡ فِي ٱلۡبِلَٰدِ﴾: أي: فلا تغترَّنَّ بإمهالي إياهم سالِمين في أموالهم وأبدانهم، يتصرَّفون في البلاد كيف يشاؤون للتِّجارات والمَعاش، فتتوهَّمَ أنَّ ذلك لخفاء أحوالهم عليَّ أو لِرضايَ بكفرهم، فإني وإنْ أمهلتُهم سآخذُهم وأنتقِمُ لكَ منهم، كما فعلتُ بأشكالهم مِن الأولين.

* * *

(٥) ـ ﴿كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۖ وَهَمَّتۡ كُلُّ أُمَّةِۭ بِرَسُولِهِمۡ لِيَأۡخُذُوهُۖ وَجَٰدَلُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّ فَأَخَذۡتُهُمۡۖ فَكَيۡفَ كَانَ عِقَابِ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ﴾: أي: نبيَّهم ﴿وَٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ﴾: أي: والأمم المُتحزِّبة على الكفر؛ أي: المجتمِعة؛ كقوم عاد وثمود وغيرهم.

وقولُه تعالى: ﴿وَهَمَّتۡ كُلُّ أُمَّةِۭ﴾: أي: وعزَمَتْ ﴿بِرَسُولِهِمۡ لِيَأۡخُذُوهُ﴾: وقيل: لِيحبِسوه ولِيُعذِّبوه. وقيل: لِيقتلوه.

وقولُه تعالى: ﴿وَجَٰدَلُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ﴾: أي: خاصموا رسلهم بما لا حقيقةَ له، وبما لا فائدةَ فيه.

﴿لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّ﴾: أي: لِيُبطلوا به الحق، ويُزيلوه عن موضعه، وهو ما يَحِقُّ اعتقادُه واستعمالُه، وما له ثَباتٌ في العقول.

﴿فَأَخَذۡتُهُمۡ﴾: بالعذاب المستأصِل ﴿فَكَيۡفَ كَانَ عِقَابِ﴾: أليس كان فظيعاً في الذِّكْر، واقعاً موقع الاعتبار لأولي الفِكْر؟! فأنا أفعلُ بقومكَ كذلك إنْ أصرُّوا على خِلافكَ وإيذائك.

* * *

(٦) ـ ﴿وَكَذَٰلِكَ حَقَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾: أي: وجبَ وتحقَّقَ وعيدُ ربك ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾: أي: على هؤلاء الذين كفروا بك بمِثْل ذلك العذاب المستأصِل الذي كان لمَن قبلهم.

وقولُه تعالى: ﴿أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾: أي: لأنهم أصحاب النار كأولئك.

وقيل: معناه: كذلك تحقَّقَ وعيد ربكَ على الذين كفروا مِن المُتقدِّمين والمُتأخِّرين أنهم جميعاً يدخلون جهنم بعد الهلاك في الدنيا.

وقيل: نزل قولُه: ﴿مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾: في الحارث بن قيس السَّهْمِي(١).

وقال أبو العالية: ﴿وَٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾: ثلاث قبائل مِن قريش: بنو أمية، وبنو مَخْزوم، وبنو عبد الدار.

ثم ذكَرَ وعْدَ المؤمنين والتائبين مِن الكفر؛ تحريضاً لهؤلاء على الإسلام، فقال:

❊ ❊ ❊

(٧) ـ ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾.

﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ﴾: أي: الملائكةُ الذين يحملونه ﴿وَمَنْ حَوْلَهُۥ﴾؛ أي: والملائكةُ الذين هم حول العرش يطوفون به ويُعظِّمونه ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾؛ أي: يُنزِّهونه عما يُضِيف إليه هؤلاء المشركون المجادلون، فيحمَدونه بمحامده.

---

(١) رواه ابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» (٧/ ٢٧٣) عن أبي مالك، وذكره مقاتل في «تفسيره» (٣/ ٧٠٥)، والماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ١٤٣).

﴿وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾: أي: ويُصدِّقون به مُخْلِصين في ذلك.

﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾: أي: يسألون اللهَ لهم المغفرة: ﴿رَبَّنَا﴾؛ أي: يقولون: يا ربَّنا ﴿وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾؛ أي: ما مِن شيء إلَّا وقد نالَه رحمتُكَ، وأحاط به عِلْمُكَ.

قال الإمام أبو منصور رحمه الله: أمَّا في الدنيا، فالرحمةُ تسَعُ المؤمن والكافر، وأمَّا في الآخرة، فلا تنالُ إلا المؤمن، قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ الآيةَ [الأعراف: ١٥٦][1].

قدَّموا الثَّناء على الله تعالى ثم اشتغلوا بالدعاء، فقالوا:

﴿فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟﴾: أي: عن الشرك ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ﴾؛ أي: الإسلامَ، فهو الطريق المؤدِّي إلى رِضْوان الله ﴿وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾؛ أي: واحفظهم.

* * *

(٨) - ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾.

﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾: أي: إقامة ﴿ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ﴾: أي: في القرآن.

﴿وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ﴾: أي: وأَتمِمْ سرورهم بأنْ تجمَعَ بينهم وبين آبائهم ونسائهم وأولادهم.

﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ﴾: أي: المَنيعُ بسلطانكَ، فلا يُعترَضُ عليك فيما تُؤتيه عبادَكَ، ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾: المُصيبُ في أفعالكَ وأقوالكَ.

وإنما قالوا: ﴿وَمَن صَلَحَ﴾؛ لأن مَن أشركَ منهم لم يستحِقُّوا ذلك.

---

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٩/ ٧).

ثم يجوز أنْ يكون ﴿وَمَن صَلَحَ﴾ عطفاً على قوله: ﴿وَعَدتَّهُمْ﴾، فإنه قال: ﴿وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾، ويجوز أنْ يكون عطفاً على قوله: ﴿وَأَدْخِلْهُمْ﴾.

* * *

(٩) - ﴿وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾.

﴿وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾: أي: واصرِفْ عنهم العقوباتِ والمكارهَ التي تسوء صاحبَها.

وقيل: هي الأهوال قبلَ دخول النار.

وقيل: هي العقوبات في النار.

وقولُه تعالى: ﴿وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾: بدؤوا بوصف الله تعالى بالرَّحمة، وختَموا بذلك؛ ليُعلِموا[1] أنَّ الأدب في الدعاء هو البدايةُ بالثناء والختمُ به، وأنَّ كل ذلك برحمة الله.

وقيل: لَمَّا اختار الملائكةُ هاروتَ وماروتَ، ووقع لهما ما وقع، أشفقوا على عُصاة البشَر، فالتزموا لهم هذا الدعاء[2].

وقال الإمام القُشَيري رحمه الله: لئن سلَّطَ الله عليكَ أراذل خَلْقه ـ وهم الشياطينُ ـ بالإغواء، فقد أمرَ بشفاعتكَ أفاضلَ خَلْقه ـ وهم الملائكةُ ـ بالدعاء[3].

وقال يحيى بن معاذ الرازيُّ رحمه الله: هذه الآية أرجى آيةٍ في كتاب الله للمذنبين.

---

(١) في (أ): «ليعلم».

(٢) روى نحوه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٣٤٢)، وابن أبي الدنيا في «العقوبات» (٢٢١) من حديث ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم.

(٣) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٣/ ٢٩٧).

(١٠) ـ ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ﴾: ثم عاد الكلام إلى وعيد الكافرين المُجادلين:

﴿يُنَادَوْنَ﴾؛ أي: تُناديهم الملائكة يوم القيامة إذا دخلوا النار فمقَتوها؛ أي: أبغَضوها أشدَّ بُغْضةٍ، فيقولون لهم: ﴿لَمَقْتُ اللَّهِ﴾ وهو لام قسَمٍ؛ أي: بُغْض الله تعالى لكم على كفركم ﴿إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ﴾ في الدنيا ﴿أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ في النار، فيكون فيه تقديم وتأخير.

وقيل: هو على ظاهر نَظْمِه[١]؛ أي: أكبر مِن بُغْضكم أنفسَكم في الدنيا، فإنكم بتَرْك الإيمان فعلتُم بأنفسكم فِعْلَ الأعداء، وكان مَقْتُ الله لكم وقتَ كفركم أكبرَ مِن بُغْضكم أنفسَكم حينئذ.

وقيل: أي: بُغْض الله لكم في الدنيا حالةَ الكفر أكبرُ مِن بُغْض بعضكم لبعض الآن، وهو مِن قوله: ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ [العنكبوت: ٢٥]، وطريقُه طريقُ قولِه: ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ﴾ [الحجرات: ١١]؛ أي: لا يفعلْ ذلك بعضكم ببعض.

* * *

(١١) ـ ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ

---

(١) في (أ): «على ظاهره».

﴿مِّن سَبِيلٍ﴾: كانوا مُنكِرين البعثَ بعد الموت، فاعترفوا به، وقالوا: أمتَّنا مرَّتين، وأحييْتَنا مرَّتين.

قال ابن عباس وابن مسعود وقتادة ومقاتل والسُّدِّي في رواية: كانوا أمواتاً في أصلاب آبائهم، فأحياهم الله تعالى في الدنيا، ثم أماتهم عند انقضاء أعمارهم، ثم أحياهم للبعث يوم القيامة، فهُما حياتان وموتتان، وهو كقوله: ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨][١].

وروى أَسْباطٌ عن السُّدِّي رحمهما الله: أنَّ إحدى الموتتَين هي التي تنقضي فيها آجالُهم، ثم يُحييهم في القبر، ثم يُميتهم، ثم يُحييهم للبعث يوم القيامة[٢]، فهما موتتان وحياتان، ويدل هذا على عذاب القبر.

قال الإمام أبو منصور رحمه الله: وهو الأشبه والأقرب؛ لأنهم وإنْ كانوا أمواتاً حيث كانوا نُطَفاً، ففي الغالب لا يُسمَّى ذلك ميِّتاً، ولا يقال فيه: ﴿أَمَتَّنَا﴾[٣].

وقال محمد بن كعب القُرَظِيُّ رحمه الله: أحدُ مَوْتَي الكافر: حياتُه في الدنيا على الكفر، والثاني: موتُه عند انقضاء عمره، فهما موتتان، وإحدى الحَياتين: حياتُه في قبره بعد موته للمُسائلة، والثانية: حياتُه للبعث[٤].

وقولُه تعالى: ﴿فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا﴾: في إنكار البعث بعد الموت ﴿فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾؛ أي: فهل يَجعَلُ الله لنا سبيلاً إلى الخروج مِن النار، والرجوعِ

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٤٤٣) عن ابن عباس وابن مسعود والسدي وأبي مالك ومجاهد وأبي العالية وقتادة، واللفظ له.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٢٩٢).

(٣) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٩/ ١٠).

(٤) ذكر نحوه الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ١٤٦) عن السدي.

إلى الدنيا؟ كما قال في آية أخرى: ﴿هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ﴾ [الشورى: ٤٤].

وقيل: أي: فهل لنا بتوبتنا خروجٌ مِن النار، ودخولٌ في الجنة؟

* * *

(١٢) ـ ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ ۖ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟ ۚ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِيِّ ٱلْكَبِيرِ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ﴾: أي: لا تُجابون إلى الخروج، ويُقال لهم: ذلك الخُلودُ في النار بأنكم كنتم إذا دُعِيَ اللهُ وحده جحدتُم وحدانيَّةَ الله تعالى.

﴿وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟﴾: أي: فإذا أُضيفَ إلى الله الشُّرَكاءُ قلتُم: إنه الحقُّ، وصدَّقْتُم قائله، فكان هذا دينكم في دار الدنيا، وهي دار العمَل، فأما اليوم فأنتم في دار الجزاء ﴿فَٱلْحُكْمُ﴾ فيه ﴿لِلَّهِ﴾ تعالى ﴿ٱلْعَلِيِّ﴾: وهو الذي يتعالى عن الشُّرَكاء ﴿ٱلْكَبِيرِ﴾: وهو الذي كل شيء يتصرَّفُ على حُكْمه، وهو لا يتصرَّفُ على حُكْم أحد، فالحُكْمُ له.

ومِن حُكْمه: تخليدُ الكفار في النار، وتخليدُ المؤمنين في الجنة، فلا يُنازعه في هذا الحُكْم أحد، وفيه بيان أنَّه لا سبيلَ لهم إلى الخروج.

* * *

(١٣) ـ ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا ۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾: أي: علاماتِه الدالَّةَ على وحدانيته لإقامة الأديان.

﴿وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزۡقٗاۚ﴾: لإقامة الأبدان، وبهما يُتمكَّنُ مِن التأمُّل في البرهان.

﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ﴾: أي: وقد جعلتُ لكم عقولاً تُعرِّفُكم هذه الدلائلَ لِمَن تفكَّرَ وتذكَّرَ، وما يتذكَّرُ إلا مَن يرجع إلى الله؛ أي: يتدبَّر بعقله، فيُدرك الآيات، ويعلم أنَّ الله واحد لا شريك له، فيرجع إليه وحده.

***

(١٤ ـ ١٥) ـ ﴿فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ١٤ رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلۡعَرۡشِ يُلۡقِي ٱلرُّوحَ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوۡمَ ٱلتَّلَاقِ﴾.

قولُه تعالى: ﴿فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾: أي: الطاعة والانقياد والعبادة ﴿وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾: أي: وإنْ كرِهَه مَن خالف هذا مِن الجُهَّال الذين لا يتذكَّرون.

وقولُه تعالى: ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ﴾: أي: هو عالي الصفات.

وقيل: أي: هو رافعُ درجاتِ عباده المُطيعين له على حسب مساعيهم.

وقولُه تعالى: ﴿ذُو ٱلۡعَرۡشِ﴾: أي: ذو المُلْك والسُّلْطان.

وقيل: مالك السَّريرِ الأعظم الذي هو فوق السماوات.

وقولُه تعالى: ﴿يُلۡقِي ٱلرُّوحَ﴾: أي: يُنزِّلُ الوحي. قاله قتادة والضحاك وابن زيد رحمهم الله[1]؛ سُمِّيَ به لأنه يَحيا به القلبُ بخروجه عن الحَيْرة إلى المعرفة.

وقيل: أي: يُنزِّلُ جبريل؛ كما قال: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ﴾ [الشعراء: ١٩٣].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٢٩٥) عن قتادة، وروى عن الضحاك وابن زيد أن المقصود بالروح: القرآن، والمعنى متقارب.

وقولُه تعالى: ﴿مِنْ أَمْرِهِۦ﴾: أي: بأمره.

﴿عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾: فيختاره للرسالة.

﴿لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ﴾: أي: لِيُخوِّفَ هذا المبعوثُ بالرسالة الخَلْقَ بيوم القيامة الذي هو يوم اجتماع أهل السماوات وأهل الأرض، واجتماع الأوَّلين والآخِرين، ويوم يَلقى الإنسانُ عملَه وجزاء عمله، ويَلقى ملائكة البِشارة وملائكة العذاب.

* * *

(١٦) ـ ﴿يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿يَوْمَ هُم﴾: أي: الخَلْقُ ﴿بَٰرِزُونَ﴾: أي: خارجون مِن قبورهم، ظاهرون لا يستُرُهم شيء؛ لأن الأرض يومئذ قاعٌ صَفْصَفٌ، لا عِوَجَ فيه ولا أَمْتَ. والبُروز: الخروج.

وقولُه تعالى: ﴿لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ﴾: ممَّا عمِلوه على كثرتهم، قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾، وقال: ﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾: أي: فيُنادى فيهم ذلك اليوم: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾؟ فيُجيب العبادُ كلُّهم مؤمنهم وكافرهم:

﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾: لزوال الشُّكوك عنهم، ووقوع الضرورة بهم إلى المعرفة بوحدانيَّته.

وهو إخبار بأن المُلْك يوم القيامة لله وحده؛ لأنه لا تفلُّتَ يومئذ ولا توثُّبَ كما يكون في الدنيا، ولا يُفوَّضُ إلى أحد حُكْمٌ كما يكون في الدنيا، وهو كما قال: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾، وقال: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا﴾ [الانفطار: ١٩].

والقهار: هو الذي يُصَرِّفُ العباد على ما يريد، لا يمتنع عليه أحد مما أراد به.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ ﴾: يُخاطب أهل مكة إذا سافروا في الأرض، فرأوا آثار الأمم السالفة ومنازلهم.

وقال مقاتل: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ ﴾: يعني: السماوات والأرض والشمس والقمر والجبال والرياح والسَّحاب والليل والنهار والفُلْك في البحار والنبات عاماً بعد عام[1].

وقال الإمام القُشَيري رحمه الله: ﴿وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا﴾: لأبدانكم: وهو توفيق المُجاهدات، ولقلوبكم: وهو تحقيق المُشاهدات، ولأسراركم: وهو فنون المواصلات، ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ﴾؛ أي: يرجع مِن العادة إلى العبادة، ومِن الشك إلى اليقين، ومِن الخَلْق إلى الحق[2].

وقولُه: ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ﴾: قال السُّدِّي: أي: رافعُ درجاتِ أهل الجنة[3]، قال تعالى: ﴿لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ﴾ [الزمر: ٢٠].

وقيل: درجات الغُزاة، قال تعالى: ﴿وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ﴾ [النساء: ٩٥].

وقيل: درجات العلماء والمؤمنين، قال الله تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١].

وقيل: درجات أهل الدنيا، قال تعالى: ﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ﴾ [الأنعام: ١٦٥].

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٧٠٨).

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٣/ ٢٩٩).

(٣) ذكر نحوه البغوي في «تفسيره» (٧/ ١٤٣) من غير نسبة.

وقولُه تعالى: ﴿يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ﴾: قال ميمون بن مِهْران: يوم يلتقي الظالم والمظلوم[١].

وقيل: يوم يلتقي العابد والمعبود.

وقيل: تلتقي الخُصوم بين يدي الله تعالى.

قال قتادة: يوم لقاء الله تعالى[٢].

وقال مجاهد: يوم التقاء البَرِّ بالبَرِّ، والفاجر بالفاجر.

***

(١٧ ـ ١٨) ـ ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٧﴾ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْـَٔازِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَـٰظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾: تفسيرها ظاهر.

وقولُه تعالى: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْـَٔازِفَةِ﴾: أي: يوم القيامة التي هي قريبة، وقد أزِفَ أُزوفاً؛ أي: قرُبَ، وجعلَها قريبةً؛ لأنها آتية لا محالةَ ولو بعد حِينٍ.

وقولُه: ﴿إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ﴾: أي: الحلاقم؛ أي: ينتهي إليها لغلَبة الخوف.

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٢٧٠)، والسمعاني في «تفسيره» (٥/ ١١)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ١٤٣). وميمون بن مِهران الجزَري الرَّقِّي، إمام تابعي جليل ثقة، حدث عن أبي هريرة، وعائشة، وابن عباس، وابن عمر وغيرهم، ولي قضاء الجزيرة، وكان من العابدين، توفي سنة سبع عشرة ومئة. انظر: «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٥/ ٧١).

(٢) روى نحوه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٦٦٥)، والطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٢٩٦)، ولفظ الطبري: يوم تلتقي فيه أهل السماء وأهل الأرض، والخالق والخلق.

﴿كَٰظِمِينَ﴾: أي: ساكتين على امتلائهم مِن الغَمِّ، نصبٌ على الحال.

﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ﴾: أي: قريب ﴿وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾؛ أي: ولا شافع يُجاب.

* * *

(١٩) ـ ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي ٱلصُّدُورُ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي ٱلصُّدُورُ﴾: أي: يعلم يوم القيامة ما كان منهم مِن خيانة الأعين وإخفاء الصُّدور.

والخائنةُ بمعنى المصدر؛ كالكاذبةِ في قوله: ﴿لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ﴾ [الواقعة: ٢]، واللَّاغِيَةِ في قوله: ﴿لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةً﴾ [الغاشية: ١]، وكقولهم: سمعتُ راغِيَةَ الإبل وثاغِيَةَ الغنم(١).

وخائنةُ الأعين: هي ما ينظر إليه الإنسان مُسارَقةً مِن حيث يرى مَن حضَرَه أنه ليس بناظر إليه.

وأصلُ الخيانة: الإخفاء لِمَا لا يحب الخائن إظهارَه.

وقيل: الخائنة: نعت للنَّظْرة، أو الإشارة، أو الغَمْزَة، ونحوِها.

وقيل في الجَمْع بين الكلامين: هو أنْ ينظر إلى أجنبية بشَهْوةٍ مُسارقةً، ثم يتفكَّر بقلبه في حالها وجمالها، ولا يعلمُ بنَظْرته وفِكْرته مَن بحضرته، والله تعالى عالمٌ بذلك كله.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: هذا رجل يكون في القوم، فتمُرُّ بهم المرأة،

---

(١) انظر: «تهذيب اللغة» للأزهري (٣/ ٧٢)، والرُّغاء والثُّغاء: اسما صوتهما.

فيلحَظُها إذا غفَلوا، ويغُضُّ بصره إذا نظروا[١]، ويُريهم أنه لا يلحَظُها[٢].

وقال الإمام القُشَيري رحمه الله: خائنةُ أعين المُحبين استحسانُهم شيئاً، ولذلك قالوا:

يا قُرَّةَ العين سَلْ عيني هل اكتحَلَتْ بمَنْظَرٍ حسَنٍ مذْ غِبْتَ عن عيني[٣]

وقال آخر:

فقلت إذا استحسنَتْ غيركم أمرتُ الدُّموعَ بتأديبها[٤]

ومنها[٥]: أنْ يأخذهم السُّبَات في أوقات المناجاة؛ وفي الخبر: كذبَ مَن ادَّعى محبَّتي، فإذا جنَّه الليلُ نام عني[٦].

---

(١) في (أ) و(ف): «نظروه».

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٧٢٢٨)، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٢٨٢) إلى سعيد بن منصور وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) كذا في النسخ، وفي «اللطائف»: عن بصري.

(٤) البيت أورده العسكري في «الصناعتين» (ص: ٤٤٦)، والتوحيدي في «البصائر والذخائر» (٨/ ١٧٩)، والثعالبي في «التمثيل والمحاضرة» (ص: ٢١١) من غير نسبة، ونسبه السري الرفاء في «المحب والمحبوب» (ص: ١٢) لابن المعتز. وفي بعض المصادر: (فعيني) بدل «فقلت».

(٥) أي: ومن خائنة أعينهم.

(٦) ذكره أبو طالب المكي في «قوت القلوب» (٢/ ٩١) بصيغة: روي، والغزالي في «الإحياء» (٤/ ٣٣٣) نقلاً عن الزبور مما أوحاه الله إلى داود. وقدم له القشيري في «لطائف الإشارات» بقوله: وقد جاء في قصة داود عليه السلام.

ورواه أبو نعيم في «الحلية» (٨/ ٩٩)، والدينوري في «المجالسة» (١٣٢) عن الفضيل بن عياض. ورواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٤/ ١٣٨)، وأبو الحسين الطيوري في «الطيوريات» (٣/ ١٠٣٤) عن أبي سليمان الداراني، ومثله يروى للاعتبار والعظة لا من حيث نسبته إلى الرب تبارك وتعالى.

ومنها: أنْ يكون لهم عِلْم بقلوبهم بما تقع عليه عيونهم، ينظرون ولكنْ لا يُبصرون.

ومنها: أن تخرج منها قَطْرَةُ دمعٍ تأسُّفاً على مخلوق يفوت في الدنيا والآخرة، وعلى أنفسهم(١).

***

(٢٠) ـ ﴿وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقْضُونَ بِشَىْءٍ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ﴾: يُجازي العباد على العمل والنَّظْرة والفِكْرة في الخير والشر ﴿وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقْضُونَ بِشَىْءٍ﴾؛ أي: والذين يعبدونهم مِن دون الله لا يَقْدِرون أنْ يَقْضوا بشيء.

وقولُه تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾: أي: إنما يقوم بالجزاء على الأعمال مَن لا يخفى عليه شيء مِن المرئيَّات والمسموعات، واللهُ تعالى سامعٌ كلَّ مسموع، ومُبْصِرٌ كلَّ مُبْصَر، فهو القائم بذلك، والأصنام ليست لها هذه الصفة، فليس لها هذا الاستحقاق.

***

(٢١) ـ ﴿۞ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا۟ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: وهذا استفهام بمعنى الإثبات؛ أي: قد ساروا في الأرض.

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٣/ ٣٠٣).

ثم خوَّفَهم عقوبة الدنيا بعد أنْ خوَّفهم عقوبة العُقْبى، فقال:

﴿فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ مِن قَبْلِهِمْ﴾: وذلك أنهم كانوا يمرُّون بديار[1] عاد وثمود وقوم لوط وغيرهم في جِوار بلادهم، وكان شأن بعضهم معلوماً عندهم عِياناً وخَبَراً.

وقولُه تعالى: ﴿كَانُواْ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾: في أبدانهم، وعلى أعدائهم بعُدَّتِهم.

وقولُه تعالى: ﴿وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ﴾: قيل: أي: وأكثرَ آثاراً مِن الأبنية ونحوها؛ كما قال في آية أخرى: ﴿وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا﴾ [الروم: ٩]، وجمَعَ بينهما بوصف واحد، وما قلناه مُضْمَر، وهو نظير قول الشاعر:

علَفْتُها تِبْناً وماءً بارداً[2]

أي: وسقيتُها ماءً بارداً.

ويحتمِل الوصفَ بغير إضمار، ووصْفُ الآثار بالشِّدَّة لِمَا أنها كانت في الجبال ومِن الحجارة، ووحَّدَ القوَّةَ، وجمَعَ الآثار؛ لأنَّ القوةَ مصدرٌ، والأثرَ اسمٌ.

وقولُه تعالى: ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ﴾: أي: عاقبَهم وأهلكَهم.

وقولُه تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ﴾: أي: ولم يكن لهم شيء مِن الأشياء يَقيهم عذاب الله، وهو معنى ﴿مِّنَ﴾ في قوله: ﴿مِن وَاقٍ﴾.

أي: فهؤلاء المشركون الذين هُم دونهم، فهم أولى ألا يقِيَهم شيء.

---

(١) في (ف): «بديارهم ديار».

(٢) صدر بيت استشهدت به كتب اللغة والأدب، ولا يعرف له قائل. انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ١٤) عن بعض بني أسد، و«الخصائص» لابن جني (٢/ ٤٣٣). وتقدم عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ﴾ [يونس: ٧١].

(٢٢) ـ ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَكَفَرُوا۟ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾.

وقولُه: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَكَفَرُوا۟ ﴾: هذا العذاب الذي أحلَّه الله بهم؛ لأنهم كذَّبوا الرسل، وجحدوا الآيات ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ﴾.

﴿إِنَّهُۥ قَوِىٌّ ﴾: عزيزٌ قادرٌ على كل شيء ﴿شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾: إذا عاقب.

* * *

(٢٣ ـ ٢٤) ـ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُوا۟ سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُوا۟ سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴾: أي: ومِن الذين مِن قبلهم هؤلاء، وكان تكذيبهم كتكذيب هؤلاء.

﴿بِـَٔايَٰتِنَا﴾: أي: بالعلامات الدالَّة على صدقه، وهي المعجزات.

وقولُه: ﴿وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴾: قيل: هي المعجزات أيضاً، ووُصِفَت المعجزات بوصفين: أحدهما: أنها ظاهرات، والثاني: أنها قاهرات.

وقيل: البيِّنات[1] أمور الشرع.

وقيل: الآيات: آيات التوراة، والسلطان المبين: المُعجزة إلى فرعون وهامان وقارون، خصَّهم بالذِّكْر؛ لأن فرعون كان ملِكَهم، وهامانَ وزيرَه، وقارونَ صاحبَ الأموال والكنوز، وكان موسى مبعوثاً إلى كل القوم، لكنهم مُدبِّرو أمورِهم، فكان خطابُهم خطابَهم.

---

(١) لعله يريد: المبينات.

﴿فَقَالُواْ سَٰحِرٌ﴾: أي: هو ساحر، موَّهوا بذلك على قومهم حين أتى بالمعجزات لئلَّا يتَّبِعوه، وقالوا أيضاً: ﴿كَذَّابٌ﴾: للتَّنْفير، يَعْنون: في دعوى الرسالة والدعاء إلى التوحيد.

* * *

(٢٥) ـ ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُواْ ٱقْتُلُوٓاْ أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ وَٱسْتَحْيُواْ نِسَآءَهُمْۚ وَمَا كَيْدُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾.

﴿فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ مِنْ عِندِنَا﴾: وهو التوحيد الذي يحِقُّ أنْ يُعتقَدَ.

وقيل: ﴿بِٱلْحَقِّ﴾؛ أي: بالصدق فيما أَخبرَ عنه.

وقيل: أي: بالمعجزة.

﴿قَالُواْ ٱقْتُلُوٓاْ أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ﴾: لئلا يعتضِدوا بمَن ينشَأُ مِن ذُكْران[1] أولادهم.

﴿وَٱسْتَحْيُواْ نِسَآءَهُمْ﴾: أي: واستَبْقُوا بناتهم؛ إذ لا يقع بهن اعتِضادٌ، ولأنَّا ننتفِعُ[2] بخدمتهن.

وكان هذا قتلاً واستحياءً غيرَ الأول الذي كان قبل مجيء موسى.

وقولُه تعالى: ﴿وَمَا كَيْدُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾: أي: فأبطَلَ الله كيدَهم، وما كيد الكافرين إلا في بُطْلان؛ أي: لم يحصل غرضهم بما دَبَّروا، بل حاق ذلك بهم ودُمِّروا.

* * *

(١) في (ر): «ذكور».

(٢) في (ر): «أو لا ينتفع».

(٢٦) ـ ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِيٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِيٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ﴾: أي: هـمَّ بقتل بموسى، فمنعَه مَن منعَه مِن ذلك، فقال: دعوني أُمْضِ رأيي في موسى بقتله.

أي: ولا يهولنَّكم ما يذكُره مِن أمر ربه، وأنه يستجيب دعاءه، ويَصْرِف البلاء عنه.

﴿وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ﴾؛ أي: وليفعل ما يقول، فإنه لا حقيقةَ له، وأنا الرب الأعلى.

وقولُه تعالى: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ﴾: إنْ لم أقتُلْه أنْ يكثُرَ مُستَجِيبوه بسِحْره وتمويهه، فيَغلبَ دينُه على دينكم.

﴿أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ﴾: قرأ حمزة والكسائي وعاصم[(١)]: ﴿أَوْ أَن يُظْهِرَ﴾؛ أي: أخافُ أحد أمرين: إما غلبَتهم عليكم في الدين، فيُصيِّروا أهل الأرض كلِّها على دينه، وإما التعارض بين الفريقين والتَّحارُب والتَّقاتُل، وهو الفساد.

وقرأ الباقون: ﴿وأَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾[(٢)]: أي: وأخاف تبديل الدِّين، ووقوع الاختلاف بين الناس، وهو الفساد.

وقيل: هو فساد القلوبِ، وقطعِ الأرحام.

* * *

(١) في (ر): «وعاصم في رواية أبي بكر»، والصواب المثبت، إذ هي قراءة عاصم من روايتيه في المشهور عنه.

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٦٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١٩١).

(٢٧) - ﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم﴾: أي: ولمَّا سمع موسى قولَ فرعون هذا أو بلَغَه منه ذلك قال لقوم فرعون: إني استعذْتُ بالله الذي هو ربي وربكم، لا كما تقولون: إن فرعون ربكم.

وقولُه تعالى: ﴿مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾: وفرعون كذلك، فأعوذ بالله منه.

وعمَّ بقوله: ﴿مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ﴾ استعاذة منه، ومِن آلِهِ، ومِن كل عدوٍّ يكون في وقته أو بعده.

وفيه بيانُ أنَّ الواجب على العبد أنْ يستعيذَ بالله مِن كلِّ عدوٍّ، ويستعينَ به في دَرْك كل مَرْجُوٍّ.

***

(٢٨) - ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِالْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾.

قولُه تعالى: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُۥٓ﴾: قال ابن إسحاق رحمه الله: اسمه حبيب(١)، وقيل: سمعان(٢).

وقال الضحاك: هو خربيل(٣).

---

(١) ذكره عنه الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ١٥٢)، وروى الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٣١١) عنه أن اسمه: خبرك.

(٢) ذكره الواحدي في «البسيط» (١٧/ ٣٦٣). ووقع في (ف) و(أ): «شمعان».

(٣) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ١٢٧)، وابن الأثير في «الكامل في التاريخ» (١/ ١٥٩) من غير =

وقال وهب: خربيال[١].

وكان خازنَ فرعون مئة سنة.

﴿مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾: قيل: مِن أهل بيته.

وقيل: ابن عمه، وهو قول مقاتل[٢].

وقيل: هو مِن آل موسى.

فأما قوله: ﴿مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾، فهو مؤخَّر، معناه: يكتُمُ إيمانه مِن آل فرعون.

وقال وهب رحمه الله: امرأتُه ماشطةُ بناتِ فرعون أظهرت الإيمان فقتلَها فرعون، وذبحَ أولادها قبل قتلها على وجهها، فتكلَّمَتْ أوداجُهم: يا أماه[٣]! أبشِري بجنة ربكِ، فاصبري إنكِ على الحق، واعلمي أنَّ عذاب ربك أشدُّ مِن عذاب فرعون وقومه[٤].

ثم أظهرت آسيةُ إيمانها، فقتلَها بعدما[٥] قتلَ الماشطة، وأظهر خربيل إيمانَه، وجادل فرعون وقومَه بعد كتمان إيمانه مدةً، وقتله فرعون مع السَّحَرة.

= نسبة، وقال الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٢٧٣): هو قول ابن عباس وأكثر العلماء.

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٢٧٣)، وروى الطبري في «تاريخه» (١/ ٤٠٧) عن وهب أن اسمه: حبرك.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٣١١) عن السدي، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٢٧٣)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ١٠) عنه وعن مقاتل.

(٣) في (أ): «بآية» وفي (ر): «يا أمة».

(٤) قصة الماشطة رواها الإمام أحمد في «مسنده» (٢٨٢١)، وابن حبان في «صحيحه» (٢٩٠٤) وغيرهما من حديث ابن عباس رضي الله عنهما. وفيه أن المتكلم صبي لها مرضَع وتكلم قبل إلقائه في النار، فلذا جاء في آخر الخبر: قال ابنُ عباس: تَكَلَّم أربعةٌ صغارٌ: عيسى ابنُ مريمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وصاحبُ جُرَيْجٍ، وشاهدُ يوسف، وابنُ ماشطَةِ ابنةِ فرعون.

(٥) في (أ) و(ف): «بعد».

﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ﴾: أي: بأنْ يقول، وهذا القول لا يُوجب القتل.

﴿وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ﴾: أي: بالحُجَج والمعجزات.

والحُجَج: ما ذُكِر في قوله: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء: ٢٣] الآيات، وأما المعجزات: فهي اليد والعصا ونحو ذلك.

﴿وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ﴾: أي: وَبالُ كذِبه.

قيل: أي: يُقتل إذا تبيَّنَ كذِبُه، فأما قبل التَّبيُّن فلا تقتلوه.

﴿وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ﴾: قيل: أي: كلُ الذي يعِدُكم؛ كما قال تعالى: ﴿وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾ [الزخرف: ٦٣]: أي: كلَّه، وهو كقول الشاعر:

قد يُدرِك المُتأنِّي بعضَ حاجتِه ... وقد يكون مِن المستعجِلِ الزَّلَلُ[1]

وقال لَبيد:

تَرَّاكُ أمكنةٍ إذا لم أَرْضَها ... أوْ يعتلِقْ بعضَ النُّفوس حِمامُها[2]

أي: كلَّ النُّفوس.

وقد جاء كلٌّ في إرادة البعض؛ كما في قوله تعالى: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ﴾، وقال: ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾.

وقيل: كان موسى عليه السلام قال: إن العذاب على مَن كذَّب وتولَّى، وهذا

(١) البيت لعمير بن شييم القطامي يمدح عبد الواحد بن الحارث. انظر: «ديوانه» (ص: ١٩٣)، و«جمهرة أشعار العرب» لأبي زيد القرشي (ص: ٧٤)، و«تهذيب اللغة» للأزهري (١/ ٣١٠).

(٢) انظر: «ديوان لبيد بن ربيعة» (ص: ١١٣)، وهو من معلقته المشهورة.

عامٌّ، والذين خاطبهم خربيل ومَن آمن معه كانوا بعضَ الكل، فما يُصيبهم يكون بعضَ ما يُصيب الكل.

وقيل: ﴿يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ﴾: في الدنيا، وكمالُه في الآخرة، وهذا تخويفٌ لهم بالعاجل.

وقيل: كان يعِدُهم العذابَ إنْ كذَّبوه، والثوابَ إنْ صدَّقوه، فكان العذابُ بعضَ ما كان يعِدُهم، والوعدُ يقع على النوعين، قال تعالى: ﴿ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [الحج: ٧٢].

وقيل: ﴿يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ﴾: عاجلاً إذا قتلتُموه، ثم يترادف عليكم العذاب حتى يُصيبَكم كلُّ ما يعِدُكم.

وقيل: هو ترقيق الكلام؛ أي: إذا أصابكم البعض مما يقول ففيه كِفايةٌ، فلا تقومون له.

وقولُه تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾: يتَّصِل بقوله: ﴿وَإِن يَكُ كَـٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ﴾؛ أي: يتبيَّنُ كذِبُه بالامتحان، إنَّ الله لا يهدي إلى الصواب مَن هو مُسْرِفٌ مُتَعَدٍّ لحدوده بالافتراء عليه والكذبِ فيما يُضيفه إليه.

* * *

(٢٩) ـ ﴿يَـٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَـٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ۚ قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿يَـٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَـٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا﴾: أي: أنتم اليوم ملوك هذه البلاد، لكم الغلَبةُ على أهلها، تُصرِّفونهم على ما تريدون، ويُطيعونكم فيما تأمرونهم، فهل فيكم وفيمَن تملكونهم مِن الناس

مانعٌ مِن عذاب الله إنْ جاءنا؟! أي: إنْ كان موسى صادقاً، فأصابنا ما وعدَنا، وهو قولُه:

﴿مِنۢ بَأۡسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا﴾: أي: فإذا لم يكن لكم ناصر، فلا معنى للتعرُّض لِمَا لا يُمكننا دَفْعُه.

هذا الرجلُ كتَمَ إيمانه مدةً حين خاف على نفْسه، فدلَّ ذلك على أنه يُباح إخفاءُ الإسلام وإظهارُ كلمة الكفر عند خوف الهلاك على نفْسِه[1].

وحين رأى قَصْدَهم قَتْلَ موسى أظهرَ الله ذلك وحاجَّهم؛ لأنه رجا أنْ يكون في ذلك نجاةُ موسى وإنْ كان فيه هلاكُ نفْسِه، وذاك واجب، وهو السَّعْي في دفع الهلاك عن الأنبياء.

وقولُه تعالى: ﴿قَالَ فِرۡعَوۡنُ مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ﴾: أي: ما أُبصِّرُكم[2] صوابَ قَتْلِ موسى إلا وهو صوابٌ عندي في رأيي.

وقيل: أي: ما أختارُ لكم إلا ما أختارُ لنفْسي.

وقولُه تعالى: ﴿وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾: وهو ما أقول مِن قَتْل موسى، وكَذَبَ عدوُّ الله، فإنه لم يختَرْ لهم ما يختارُ لنفْسه، فإنه اختار لنفْسِه أنْ يكون معبوداً لهم، واختار لهم أنْ يكونوا عابدين له، وهداهم سبيلَ الضلال دون سبيل الرَّشاد، قال تعالى: ﴿وَأَضَلَّ فِرۡعَوۡنُ قَوۡمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ﴾ [طه: ٧٩].

* * *

---

(١) في هذا الكلام نظر، فكتمان الإيمان لا يعني بالضرورة إظهار كلمة الكفر، بل حتى لا دليل على أن كتمانه كان خوفاً على نفسه، فلعله كتمه حكمةً ليكون نصحه مقبولاً عندهم على اعتبار أنه منهم.

(٢) في (ر): «ما أبصره لكم».

(٣٠ ـ ٣١) ـ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ﴾.

وقولـه تعالـى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ﴾: أي: يوماً ينـزِلُ عليكم فيه العذابُ المستأصِل بتكذيبكم رسولَه، مثلَ يوم الكفار الذين تحزَّبوا على الأنبياء وتجمَّعوا عليهم بالتكذيب.

﴿مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ﴾: أي: مِثْلَ سُنَّة الله في هؤلاء بإنزال العذاب عليهم لَمَّا كذَّبوا رسلَه.

﴿وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾: مِثْلَ قوم لوطٍ وقوم شعيبٍ والأُمَم بعدهم.

﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ﴾: أي: وما يريد الله أنْ يظلِمَ عباده، فيُعذِّبَهم بغير ذنب، وهذه الآية في عذاب الدنيا.

* * *

(٣٢) ـ ﴿وَيَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ﴾.

ثم قال: ﴿وَيَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ﴾: أي: وأخاف عليكم ـ إنْ أصررتُم على الكفر ومتُّم عليه ـ عذابَ يوم الآخرة.

و﴿يَوْمَ ٱلتَّنَادِ﴾: يوم التَّنادي، وهو مِن النِّداء، وحُذِفَت الياء تخفيفاً؛ كما في ﴿ٱلتَّلَاقِ﴾ [غافر: ١٥] و﴿ٱلدَّاعِ﴾ [البقرة: ١٨٦].

وقرأ الحسن: ﴿يوم التنادي﴾: بالياء على الأصل(١).

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٢٠/ ٣١٩)، وذكر ابن مجاهد في «السبعة» (ص: ٥٦٨)، والداني في «التيسير» (ص: ١٩٢) أنها قراءة ابن كثير وصلاً ووقفاً، ورواية ورش في الوصل، ولقالون الوجهان. وورش وقالون هما الراويان لقراءة نافع.

وقرأ ابن عباس والضحاك: ﴿يوم التَّنادِّ﴾ بالتشديد[(١)]، قال السُّدِّي: أي: يومَ التنافر[(٢)]، وقد ندَّ نُدوداً؛ أي: نفَرَ، وهو كقوله: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ﴾ الآية [عبس: ٣٤].

وقال الضحاك: إذا سمعوا زفير النار ندُّوا هِراباً[(٣)].

وقراءةُ العامة: ﴿يَوْمَ ٱلتَّنَادِ﴾ بغير تشديد، وهو مِن النِّداء، ولهذا النِّداء وجوه:

منها: الاستغاثة: كما في قوله: ﴿فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُواْ لَنَآ﴾ الآية [الأعراف: ٥٣]، وقولِه تعالى: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا﴾ الآية [فاطر: ٣٧]، ﴿دَعَوْاْ هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾ [الفرقان: ١٣] الآيات، ﴿يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا﴾ [يس: ٥٢]، ﴿يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ﴾ الآية [الكهف: ٤٩].

ومنها: تَنادِي أهل الجنة وأهل النار: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ﴾ [الأعراف: ٤٤]، ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾ [الأعراف: ٥٠]، ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ﴾ [الأعراف: ٤٨]، ﴿هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ﴾ [الحاقة: ١٩].

ومنها: نداء الدُّعاء: ﴿يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسِۭ﴾ [الإسراء: ٧١]، ﴿مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ﴾ [القمر: ٨]، ﴿يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ﴾ [ق: ٤١]، ﴿وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ﴾ [القلم: ٤٢].

* * *

(٣٣) ـ ﴿يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ﴾: قيل: يوم تلتمِسون الفِرارَ

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٣٧٣)، و«تفسير الثعلبي» (٨/ ٢٧٥) ونسبها لابن عباس والضحاك، و«الكامل في القراءات» للهذلي (ص: ٦٣١)، وفيه: أنها قراءة الزعفراني وابن مقسم أيضاً.

(٢) روى نحوه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٣١٦) عن الضحاك والسدي.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٣١٨)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٢٧٥) واللفظ له.

مما تُعاينون مِن العذاب، فلا تجدون مِن عذاب الله مانعاً، وهو كقوله: ﴿يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ۝١٠ كَلَّا لَا وَزَرَ﴾ [القيامة: ١٠]، ﴿فَٱنفُذُوا۟ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ﴾ [الرحمن: ٣٣].

وقيل: يوم تنصرفون مِن الحساب مُدْبِرين عنه إلى النار، لا يعصِمُكم مِن عذابها عاصم.

﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾: قيل: مَن يُضلِلْه عن الدِّين فلا مُرْشِدَ له إليه.

وقيل: ومَن يُهْلِكْه فما له مِن مُخَلِّص.

* * *

(٣٤) ـ ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾: أي: وقال هذا المؤمن: ولقد أتاكم يوسفُ النَّبيُّ عليه السلام مِن قَبْلِ موسى بالبينات؛ أي: بالآيات مِن عند الله الدالَّة على أنَّ دِين بني إسرائيل هو الحقُّ دون دين القِبْط.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: وهو تعبير الرُّؤيا، وقدُّ القميص[1].

﴿فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ﴾: أي: فبَقِيَ أسلافُكم طُولَ مدةِ يوسف في شك مما جاء به، يتوهَّمون أنَّ ذلك ليس مِن عند الله، مع علمهم بقُصور قوى البشر عنه؛ لعَجْزهم عن الإتيان بمثله.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ﴾: أي: فلما مات يوسف ﴿قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا﴾؛ أي: مَن يدَّعي الرسالة؛ لأنه لا يأتي أحدٌ بمِثْل ما أتى به يوسفُ مِن

---

(١) ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» (٧/ ٢٢١) عن ابن السائب الكلبي، فلعله مما روي من طريق الكلبي عن ابن عباس.

الشُّبَه والمخاريق، وقد استرحنا مِن مُدَّعي الرِّسالات[1]، فقد أعرضتُم عن الاستدلال وقبول الحق، وأسرفتُم في التَّمادي، وأصررتم على العِناد، فأدَّى ذلك منكم إلى قَصْد قتْلِ موسى الآن.

﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٞ مُّرْتَابٌ﴾: أي: يَخذُلُ مَن أسرف وارتاب، ولا يوفِّقُه إذا علِمَ منه اختيار الضلالة ولُزومَ الجَهالة.

وقيل: ﴿قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولٗا﴾: كان تمنِّياً منهم بعثَ رسولٍ، وتأسُّفاً على فَوْت يوسف عليه السلام، يقول: فأنتم الآن كذلك تفعلون بموسى عليه السلام، ولعلكم تتمنَّونه بعد فَوْته.

ويؤكِّدُ هذا التأويلَ قراءةُ ابن مسعود رضي الله عنه: (قلتُم ألن يبعث الله) بألف الاستفهام[2].

* * *

(٣٥) ـ ﴿ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٖ جَبَّارٖ﴾.

قولُه تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ﴾: قيل: هو ترجمةٌ عن قوله: ﴿مَنْ هُوَ مُسْرِفٞ﴾، وهذا جَمْعٌ، وذاك واحدٌ، لكنه اسمُ جنسٍ، فصلَح للجَمْع معنًى.

وقيل: هو مبتدأ، وللابتداء وجهان:

أحدُهما: أنه كلام ذلك المؤمن.

---

(١) في (ر) و(ف): «النبوات».

(٢) انظر: «تفسير السمعاني» (٥/ ١٩)، و«المحرر الوجيز» (٤/ ٥٥٩)، ونسبت لأبيٍّ أيضاً.

وقيل: هو ابتداءٌ مِن كلام الله تعالى.

﴿بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ﴾: أي: بغير حُجَّةٍ أتتْهم مِن عند الله تعالى.

﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾: أي: مَن كان كذلك فهو مُبْغَضٌ عند الله وعند المؤمنين أشدَّ بُغْض.

﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾: أي: كما فعَلَ بهؤلاء المجادلين يَفعلُ بقلبِ كلِّ مُتعظِّمٍ مُترفِّعٍ لا ينقاد للحق.

وتَرْكُ التنوين على الإضافة[1]، والنَّعتُ بالمتكبِّر والجبَّار لصاحب القلب، والتنوينُ على أنهما مِن نعت القلب، وهو نفورُ القلب عن اعتقاد الحق وقبوله وتصديقه.

والطَّبْع: هو الخَتْم على القلب بالإضلال، وهو مِن الله تعالى في حق مَن علِمَ منه اختياره[2]، وعلى الكفر إصراره.

والتنوينُ قراءةُ أبي عمرو، وتَرْكُ التنوين قراءةُ الباقين[3].

* * *

(٣٦ ـ ٣٧) ـ ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ﴾.

---

(١) في (ر) و(ف): «للإضافة».

(٢) في (ر): «اختياره الضلال».

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٧٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١٩١).

وقولُه تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا﴾: أي: بِناءً عالياً طويلاً على هيئة القَصر؛ أي: قال فرعون ـ حين حاجَّه خربيل بهذه المحاجَّة، وخاف على القوم اتِّباعَه، وأراد تلبيس الأمر على الضَّعَفة ـ لوزيره هامان: ﴿ٱبْنِ لِى صَرْحًا﴾: أي: قصراً عالياً.

﴿لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: ترجمة عنه؛ أي: أبوابَ السماء وطرُقَها الموصِلةَ إليها.

﴿فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾: قرأ عاصم في رواية حفص: ﴿فَأَطَّلِعَ﴾ بالنَّصْب بالفاء في جواب التمني، وقرأ الباقون بالرفع عَطْفاً على قوله: ﴿أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ﴾[1]؛ أي: فأنظر إليه نظَرَ مُشْرِفٍ عليه توَهُّماً منه ـ أوْ إيهاماً ـ أنه جسم تحويه الأماكن، حتى تكونُ بعض الأماكن فوقه، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

إذ كان فرعون موصوفاً بهذا، ويدَّعي مع ذلك إلهيَّةَ نفْسِه، وكان أراد بما أضافه إلى الله تعالى تقريبَ معنى إلهيَّةِ نفْسِه مِن نفوس الجهَلة مِن قومه؛ أي: فإنْ وجدتُّه هناك نظَرْتُ في أمري وأمره، وهل هو كما يصِفُه موسى أم لا؟ وإنْ لم أجِدْه فهو معدوم ليس بموجود؛ لخُلُوِّ السماوات والأرض منه، وكفى خِزْياً للمُجسِّمة أنْ يكون اعتقادهم في الله كاعتقاد فرعون.

وقيل: كان هذا إيهاماً لضَعَفة قومه[2] الذين لا تمييزَ لهم أنه تمكَّنَ مِن صعود السماء ـ وإنْ كان عند نفْسِه عالماً بامتناع ذلك عليه ـ إرادةَ التَّسْكين منهم، فإنْ لم يكن هذا، فقد كان فرعون في غاية الجهل والغِواية والغَباوة.

وقولُه تعالى: ﴿وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا﴾: أي: وإني لأتيقَّنُ بكون موسى كاذباً فيما يدَّعيه، ولكنْ أفعل هذا لإزالة الشُّبهة عمن لا يتيقَّنُ تيقُّني.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٧٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١٧٢).

(٢) في (ر) و(ف): «للضعفة».

قولُه تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: أي: وكالذي ذكَرْناه ﴿زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ﴾: في الشرك والتكذيب والجدال في آيات الله.

﴿وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾: قرأ عاصم وحمزة والكسائي بضم الصاد؛ أي: مُنِعَ، وقرأ الباقون بفتحها؛ أي: أعرَضَ(١).

والسَّبيلُ: هو الطريق الحق إذا أُطلِق؛ لأنه ما يُفْضي بسالكه إلى المقصود، فما لا يُفْضي بسالكه إلى الصواب فليس بسبيل.

﴿وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ﴾: قيل: في بُطلان. وقيل: في خَسار. وقيل: في هلاك. وقيل: في ضلال.

وقال وهب بن مُنبِّه رضي الله عنه: فجمَعَ هامان العمال والفَعَلَة، فلم يترك أحداً بيده مِهْنة مِن عمل البنيان إلا جمَعَ لذلك الصَّرْح، حتى اجتمع فيه خمسون ألف بنَّاء يبنون، سوى مَن يطبُخُ الآجُرَّ والجَصَّ، وينجُرُ الخشب، ويُصوِّر الأبواب، ويضرِبُ المسامير، فأولئك عِدَّةٌ لا يُحصيها إلا الله، فلم يزَلْ كذلك، ويرفع الله بُنيانه، ويُملي له ويستدرجه، حتى إذا ارتفع بُنيانه على ما أراد ارتفاعاً لم يبلُغْه بُنْيانُ أحدٍ منذُ يومِ خَلَق الله السماوات والأرض، لا يزداد بُنْيانه إلا شدةً وارتفاعاً في السماء(٢)، ولا يأمرُ فيه بأمر ولا يُشارُ عليه فيه بأمر إلا أمضاه الله تعالى له، يَكيدُه بذلك ويستدرجُه وهو لا يشعُرُ، وكلما همَّ موسى بجهاده أوحى الله تعالى إليه: أنْ دَعْه وما يريد، فإني أوشك أنْ أفجعَه في ساعة واحدة، وأُبطِلَ كل شيء عمِلَه، فكفَّ موسى ينتظر أمرَ الله ووحيَه، حتى إذا كان يومٌ مِن الأيام، وقد بلَغ الصَّرْح مبلغاً لم يبلُغْه بُنْيانٌ قطُّ، كان إذا

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٧١)، و«التيسير» للداني (ص: ١٣٣).

(٢) في (ر): «الهواء».

طلَع قَرْن الشمس ضرَبَ ظِلُّ ذلك الصَّرْح مَيْلاً نحو المغرب، وإذا غرَبت ضرَب ظِلُّه ميلاً نحو المشرق، وكان أساسه على جبل، فزلزل الله تعالى ذلك الجبل والصَّرْح مِن قواعده، والناس في أعلاه وأسفلِه وأوسطِه وحولَه، فانهدم بهم مِن غير وَهْن ولا ضَعْف في عمله، فدمر الله تعالى أهلَه، حتى لم يُبْقِ منهم أحداً إلا أهلكَه، فلم يَبْقَ أحد مِن خَلْق الله عمِلَ فيه عملاً بشيء مِن أرض مصر إلا أصابه موت أو حريق أو عاهة، فأما مَن كان مِن نجّار أو حدَّاد فيَبِست أيديهم، وأما الذين يطبُخون الآجُرَّ والجَصَّ فاحترقوا، وأما القَهارمة(1) والعُمَّال فماتوا، فدمر الله تعالى ذلك كله فيما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، وكانوا يعملون فيه بالنهار، والليل بالسُّرُج لا يفتُرون، حتى أهلكهم الله تعالى على شرِّ حال(2).

***

(٣٨ ـ ٣٩) ـ ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴾: أي: قال ذلك هذا الذي آمنَ مِن آل فرعون.

﴿يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ ﴾: أي: لا يغُرَّنكم ما أنتم فيه مِن المُلْك في الدنيا، والظُّهور في الأرض، فيَشغلكم ذلك عن تدبر آيات الله، فإن الله تعالى خلَقَ الدنيا دار نُقْلة يُتمتَّع بها قليلاً ثم تنقضي.

---

(١) القهارمة: مفرده: قهرمان، وهو الحفيظ على من تحت يده، وأصله فارسي. انظر: «المحكم» لابن سيده (٤/ ٤٥٩).

(٢) ذكره مختصراً من سياق آخر: الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ٢٥٠)، والبغوي في «تفسيره» (٦/ ٢٠٨).

﴿وَإِنَّ ٱلْآخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلْقَرَارِ﴾: قال قتادة: استقرت الجنة بأهلها والنار بأهلها[1].

وقيل: أي: الدنيا لا ثباتَ لها، والآخرةُ دار الثبوت والخلود، مَن استقرَّ أمرُه فيها على شيء خُلِّدَ فيه ودام له.

* * *

(٤٠) ـ ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا﴾: أي: بالسيئة، وقال تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ [الشورى: ٤٠].

﴿عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾: وهذا واحد بظاهره.

ثم قال: ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ﴾: على الجَمْع؛ لأنه جنس، فصلَح للجَمْع معنىً.

﴿يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾: أي: بلا تقديرٍ عليهم ولا تقتير، وله وجوهٌ أُخَر مرَّ بيانها مرات.

وقيل: يُجزى بالسيئة الواحدة مِثْلَها، وبالحسنة الكثيرَ الذي لا يحصرُه حساب.

* * *

(٤١ ـ ٤٢) ـ ﴿۞ وَيَٰقَوْمِ مَا لِىٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِىٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونَنِى لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ﴾.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٣٣٠)، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٢٨٩) إلى عبد بن حميد.

وقولُه تعالى: ﴿وَيَٰقَوۡمِ مَا لِيٓ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ﴾: بقولي[1]: ﴿اتبعوني أهدكم سبيل الرشاد﴾.

﴿وَتَدۡعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ﴾: وهو قول فرعون: ﴿ما أريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد﴾، وكان ذلك دعاءً إلى الكفر.

﴿تَدۡعُونَنِي لِأَكۡفُرَ بِٱللَّهِ﴾: هو تفسير قوله: ﴿وَتَدۡعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ﴾، وليس شيئاً آخر؛ لأنه لا عاطِفَ بينهما.

﴿وَأُشۡرِكَ بِهِۦ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞ﴾: أي: لا علم لي بأن له شريكاً، بل أنا عالم أنه لا شريك له.

﴿وَأَنَا۠ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡغَفَّٰرِ﴾: أي: إلى دين الله ﴿ٱلۡعَزِيزِ﴾: المنيع الذي لا يُغالَب إذا عاقب الكفار ﴿ٱلۡغَفَّٰرِ﴾: الذي يغفر للمؤمنين بالتوبة والاستغفار.

وقيل: ﴿ٱلۡعَزِيزِ﴾: الغنيُّ بعِزَّته عن الشركاء والأنداد ﴿ٱلۡغَفَّٰرِ﴾: المُتفضِّلِ بعفوه ومغفرته على العباد.

* * *

(٤٣) ـ ﴿لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِ لَيۡسَ لَهُۥ دَعۡوَةٞ فِي ٱلدُّنۡيَا وَلَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾.

﴿لَا جَرَمَ﴾: كلمة تحقيق، وقد مرَّ تفسيرها في سورة النحل بوجوهها.

﴿أَنَّمَا تَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِ﴾: إلى عبادته مِن دون الله.

﴿لَيۡسَ لَهُۥ دَعۡوَةٞ فِي ٱلدُّنۡيَا وَلَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ﴾: أي: لا يُنتفع بها في الدنيا ولا في الآخرة،

---

(١) في (أ): «بقول».

فوجودها كعدمها، وهو كقوله: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ ﴾ [المائدة: ٦٨].

وقال السُّدِّي وقتادة: أي: الصَّنم لا يستجيب لأحد في الدنيا ولا في الآخرة[1].

وقال الزجَّاج: أي: ليس له استجابةُ دعوةٍ[2].

﴿وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾: أي: مَرْجِعَنا إلى جزائه.

﴿وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾: المُجاوزين حدودَ الشرع[3] بتكذيب الأنبياء، والجدال في آيات الله، ودعاءِ الناس إلى عبادة غير الله.

﴿هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾: الدائمون فيها.

* * *

(٤٤) ـ ﴿ فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ ۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾.

﴿ فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ ﴾: إذا رُدِدْنا إلى الله. وقيل: في الدنيا.

﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾: أي: أُسَلِّمُ أموري كلَّها إلى الله[4] الآن، إني توكَّلْتُ عليه، وقطعتُ الرَّجاء عمن دونه.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾: بما يُظهرونه وما يُضمرونه.

* * *

(٤٥) ـ ﴿ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ ۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ ﴾: أي: حفِظَه الله تعالى عن مكاره

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٣٣٣) عن مجاهد وقتادة والسدي، واللفظ للسدي.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٣٧٦)، وفيه: أي: وجب بطلان دعوته.

(٣) في (ف): «الله».

(٤) في (ر) و(ف): «إليه».

مَكْرِ فرعون وقومه، فلم ينفُذْ عزمُهم في قتل أبناء الذين آمنوا معه واسترقاقِ بناتهم.

وظاهرُه يدلُّ على أنهم لم يَقْدِروا على قتل هذا المؤمن.

قال الضحاك: أرادوا قتله، فتراءى له جبل فصعِده، فكان مَن يأتيه مِن جنود فرعون تأكله السِّباع، أو يرجع عنه، حتى مات خربيل هناك(١).

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: بعَثَ في طلَبه قريباً مِن ألف، فمنهم مَن أكلَتْه السِّباع، ومنهم مَن رجع إلى فرعون فصلَبه(٢).

وقد رَوَيْنا عن وهْب أنهم قتلوه مع السَّحَرة، وعلى هذا يكون قوله: ﴿فَوَقَىٰهُ﴾ إشارةً إلى موسى عليه السلام، وهو تحقيق قوله: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ الآية [غافر: ٥١].

وقولُه تعالى: ﴿وَحَاقَ بِئَالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ﴾: أي: نزل وأحاط بأشياع فرعون مع فرعون مكروهُ عذابِ الله تعالى وشِدَّتُه، وما يَسوءُ منه.

***

(٤٦) ـ ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾: قال ابن عباس رضي الله عنهما: تُعرَضُ أرواحُهم على النار(٣).

---

(١) ذكر نحوه السمعاني في «تفسيره» (٥/ ٢٣). وهو إلى الخرافة أقرب، فإن سنة الله في المؤمنين أمثاله هي المحن والابتلاء، وكلما كان الإيمان أقوى كان البلاء أشد، فلا حاجة لاجتلاب قصص لم ترد في قرآن ولا سنة.

(٢) ذكر نحوه عن ابن عباس: أبو حيان في «البحر المحيط» (١٨/ ٤٣٢)، والماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ١٥٩) من غير نسبة.

(٣) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٢٠٨) عن ابن عباس وقتادة ومجاهد.

﴿غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾: قَدْرَ الغُدُوِّ وقَدْرَ العَشِيِّ في الدنيا، وهذا في القبر.

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: أرواحُهم في صُوَرِ طير سُودٍ يرَون منازلهم منها غُدْوةً وعَشِيَّةً[1].

وقولُه تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾: قُرِئ بقطع الألف، وهو مِن الإدخال؛ أي: يُقال للملائكة: أَدْخِلوا فرعونَ وآلَه أشدَّ العذاب.

وقُرِئ: ﴿ٱدْخُلوا﴾: بضم الألف مِن الدخول[2]؛ أي: ويُقال لفرعون وآله: ادْخُلوا آلَ فرعون؛ أي: يا آلَ فرعون.

﴿أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾: أي: أغلظَه وأشقَّه، وإنما استحقوا ذلك لشِدَّة عِنادهم ومُكابرتهم بعد ظهور الآيات الحِسِّيَّة، وزوال الشُّبَه بالكُلِّيَّة.

* * *

(٤٧) ـ ﴿وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِى ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَـٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِى ٱلنَّارِ﴾: أي: يُقال لآل فرعون[3] ذلك يوم القيامة، وحين يتخاصم أهل النار فيها.

---

(١) رواه عنه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٦٨٠)، وذكره السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٢٠٨)، والماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ١٥٩)، ولفظ عبد الرزاق: (... في صدر طير...).

وروى نحوه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٣٣٧ـ٣٣٨) عن الهزيل بن شرحبيل والسدي والأوزاعي.

(٢) قرأ نافع وحمزة والكسائي وحفص عن عاصم بقطع الهمزة وفتحها مع كسر الخاء، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وشعبة عن عاصم بوصل الهمزة وضم الخاء. انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٧٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١٩٢).

(٣) في (أ): «يقال للذين هم آل فرعون».

﴿فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾: جمعُ تابع؛ كالخَدَم: جمعُ خادم، والسَّلَف: جمعُ سالف، والغَيَب: جمعُ غائب.

أي: كنَّا أتباعاً لكم فيما دعوتُمونا إليه مِن الشرك وتكذيب الأنبياء لاستضعافِكم إيانا.

وقولُه: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ﴾: أي: مُتحمِّلون عنا مِقْداراً مِن النار التي نحن فيها، فيلحقَنا تخفيفٌ مِن جِهتكم؛ إذ لا أحدَ أحقُّ بالتحمُّل عنا منكم؛ لأنكم كنتم سببَ دخولنا النارَ بقولكم: ﴿ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ﴾ [العنكبوت: ١٢]، والغَناءُ: الكفايةُ.

* * *

(٤٨ ـ ٤٩) ـ ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ ﴿٤٨﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ﴾.

وقولُـه تعالـى: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ﴾: أي: إنَّـا مَجموعـون جميعـاً في النار بحُكْـم الله، لا يَجري لنا على أنفسـنا ولا عليكـم حُكْمٌ.

وقولُه: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ﴾: أي: إذا يئسوا مِن كُبرائهم طلَبوا الفَرَجَ مِن عند خزَنَة جهنم؛ ظنًّا منهم أنهم يرقُّون لهم لِمَا يرون مِن قِلَّة صبرهم وشدة جزَعِهم، وقالوا لهم: سَلُوا ربكم أنْ يُخفِّفَ عنا؛ أي: يُزيلَ العذاب عنا مقدارَ يومٍ مِن أيام الدنيا لنستريحَ في مقدار هذه المدة.

* * *

(٥٠) ـ ﴿قَالُوٓاْ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ قَالُواْ بَلَىٰ ۚ قَالُواْ فَٱدْعُواْ ۗ وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾.

﴿قَالُوٓاْ أَوَلَمۡ تَكُ تَأۡتِيكُمۡ رُسُلُكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ قَالُواْ بَلَىٰ﴾: اعترفوا بمجيئهم، وزاد في آية أخرى: ﴿قَالُواْ بَلَىٰ قَدۡ جَآءَنَا نَذِيرٞ فَكَذَّبۡنَا وَقُلۡنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٍ﴾ [الملك: ٩].

﴿قَالُواْ فَٱدۡعُواْ﴾: أي: فادْعوا أنتم إذاً، فقد لزِمَتْكم الحُجَّة، ووقَعَ الإعذار، وحقَّتْ كلمة العذاب، ولا تبديلَ لكلمات الله، ولن ندعوَ لكم؛ إذ لا سبيلَ لنا إلى الشفاعة إلا بإذن الله، واللهُ لا يأذَن لنا بالدعاء لكم، فادعوا أنتم لأنفسكم.

وقولُه تعالى: ﴿وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ﴾: أي: وما دعاء الكافرين لأنفسهم في الآخرة بتخفيف العذاب عنهم إلا في بُطْلانٍ ومَيْلٍ عن الصواب، وهو في مُقابلة قولهم للأنبياء في الدنيا: ﴿إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ كَبِيرٖ﴾ [الملك: ٩].

وقولُه تعالى: ﴿فَٱدۡعُواْ﴾: ليس بأمرٍ حقيقةً، لكن معناه: إنْ دعوتم لنْ ينفعَكم، وهو كقوله: ﴿فَٱصۡبِرُوٓاْ أَوۡ لَا تَصۡبِرُواْ﴾ [الطور: ١٦].

* * *

(٥١) - ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾: ذكَرَ نصْرَ موسى عليه السلام ومؤمنِ آلِ فرعون على فرعون وآله، وأخبَرَ أنه ينصر أيضاً جميعَ رسُلِه، وجميعَ المؤمنين.

والنَّصْرُ: المَعونةُ على العدو بالاستعلاء عليه، وهو على وجوه:

نصرٌ بالحُجَّة[1]، ونصرٌ بالغلَبَة والمُحاربة، ونصرٌ بعِقاب العدو، ونصرٌ بإكرام الولي بالثواب.

---

(١) في (أ): «أحدها: الحجة» بدل: «نصر بالحجة».

وقد نصَرَ الله الأنبياء بإنجائهم وإهلاك أعدائهم[(١)]، وما جرى على زكريا ويحيى وبعضِ الأنبياء مِن القتل، فقد نصرَهم الله تعالى بعد قتلهم بالانتقام منهم على يد بُخْتَ نَصَّرَ، فهذا كله نصرٌ؛ لأنه إِعانةٌ[(٢)] وانتقامٌ ومعونةٌ.

وقال تعالى: ﴿فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ [غافر: ٧٧]؛ أي: فنحن ننتقم لكَ منهم إذا رجعوا إلينا، وقال: ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ﴾ [الغاشية: ٢٢ ـ ٢٤].

وقولُه تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾: وهو جَمْع شهيد؛ كشريف وأشراف.

وقيل: جَمْعُ شاهد؛ كصاحب وأصحاب.

وقيل: هو جمعُ جمعٍ: شاهدٌ، وشُهَّدٌ، وأشهاد.

وقال مجاهد: هم الملائكة[(٣)].

وقال قتادة: هم الأنبياء[(٤)].

وقيل: هم الخوارج.

وقيل: هم أهل الموقف، شهِدوه قائمين لرب العالمين، ونصرتُهم يومئذ للمؤمنين بالتمييز بين المُحِقِّ والمُبْطل[(٥)] والوليِّ والعدوِّ بالثواب والعقاب.

---

(١) في (ر): «عدوهم».

(٢) في (ف): «إغاثة».

(٣) رواه عنه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٣٤٧)، وهو في «تفسير مجاهد» (ص: ٣٨٦)، ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٦٨٣) عن قتادة.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٣٤٦) بلفظ: من ملائكة الله وأنبيائه والمؤمنين به، وذكره السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ١٤٤)، والثعلبي في «تفسيره» (٥/ ١٦٣) عن الضحاك.

(٥) في (أ): «الحق والباطل».

وقيل: يلعن أهلُ الموقف الكفارَ، قال تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَـٰدُ هَـٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [هود: ١٨].

* * *

(٥٢ ـ ٥٣) ـ ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّـٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ۖ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَـٰبَ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّـٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ﴾: لأنها باطلة، ولأنه لا يُؤْذَنُ لهم فيعتذرون ﴿وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾: وهي جهنم.

وقولُه تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْهُدَىٰ﴾: وهو مِن النُّصْرة؛ أي: الرُّشْد في كل أموره.

﴿وَأَوْرَثْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَـٰبَ﴾: أي: التوراةَ، وجعلناهم يتوارثونها، فتنتقِلُ مِن سلَف إلى خلَف(١).

وقيل: ﴿ٱلْهُدَىٰ﴾: الإنجاءُ مِن البحر، قال خبراً عنهم: ﴿إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء: ٦١ ـ ٦٢].

وقيل: وأورثناها: أي: بقَّيْناها لهم.

* * *

(٥٤ ـ ٥٥) ـ ﴿هُدًى وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿٥٤﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَـٰرِ﴾.

﴿هُدًى﴾: يهتدون به في أديانهم ﴿وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾: أي: ويتذكَّرون به وَعْدَ الله ووعيدَه.

---

(١) في (أ): «من خلف إلى خلف».

﴿ فَاصْبِرْ ﴾: يا محمَّدُ على الدعاء للدِّين، وعلى أذى المشركين.

﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ﴾: بنَصْرِ[1] الأنبياء والمؤمنين.

﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ ﴾: أي: وإنْ خطَرَ بقلبك مِن وَسْواس الشيطان استبطاءُ النَّصْر[2] لتأخُّره عنكَ، فاستغفرِ الله تعالى مِن ذلك.

وقيل: إذا أتاكَ النَّصْر وخطَرَ بقلبكَ أنه بقوةٍ منكَ، فاستغفرْ مِن ذلك.

وقولُه تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾: أي: ودُمْ على التسبيح لله في الصلوات وخارج الصلوات بالغَدَوات والعَشَايا، فتنقطِعَ وساوس الشيطان عنكَ.

والعَشِيُّ: مِن زوال الشمس إلى الليل، والإبكار: مِن طلوع الفجر؛ أي: إلى طلوع الشمس.

* * *

(٥٦) ـ ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ ﴾: أي: إنَّ هؤلاء المشركين الذين يُخاصِمون في آيات الله بالتكذيب والرَّدِّ بغير حُجَّة عندهم أَتَتْهم مِن عند الله في عَقْل أو كتاب، ليس جدالُهم لأمرٍ وضَحَ عندهم يُجادلون لذلك، بل للحسَد والتَّعَظُّم الذي في صدورهم مِن التكبُّر عن الانقياد للحق، وما هُم ببالغي هذا الكِبْر الذي في صدورهم.

---

(١) في (أ): «بنصرة».

(٢) في (أ): «النصرة».

أي: إنَّ هذا لا يتِمُّ لهم على ما يُضمِرونه، بل أُعْلِيكَ عليهم، فينقادوا لكَ أو أبيدَهم بسيفكَ.

وقيل: أي: يتوهَّمون أنهم إذا أصرُّوا عليه نالوا به الرِّفْعة، واستداموا به الرِّياسة، وما هُم ببالغي ذلك، بل أُعْلِيكَ عليهم وأُصيِّرُهم إلى الهَوان في الدنيا والآخرة.

وقيل: أي: في قلوبهم حسَدٌ لكَ على نبوتكَ، وما هُم ببالغي النبوة، إنما يُؤتيها الله تعالى مَن يشاء، والكِبْرُ على هذا التأويل أمرٌ كبيرٌ؛ كما قال: ﴿وَالَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ﴾ [النور: ١١].

وقيل: (في صدورهم كِبْرٌ)؛ أي: أمر كبير، وهو قصدُهم قَتْلَكَ، ﴿مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ﴾ بل لا يُميتُكَ الله[1].

وقيل: هو تمنِّيهم موتَكَ قَبْل أنْ يُكمِلَ الله بكَ الدِّين، قال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ﴾ [الطور: ٣٠]، ﴿مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ﴾، بل لا يُميتكَ الله حتى يُكمِلَ بكَ الدِّين، ويقمَعَ بكَ المشركين.

وقولُه تعالى: ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾: أي: فاستعذ مِن شرِّهم بالله، إنه هو السميع بما يقولون، والبصير بما يعملون.

* * *

(٥٧) ـ ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ﴾: أي: إنَّ المشركين مُقِرُّون بأن الله خلَقَ السماوات والأرض على كِبَرِهما وعِظَمِهما

---

(١) «بل لا يميتك الله» ليس من (أ) و(ف).

والعجائب التي فيهما، وذلك أعظم شأناً مِن خَلْق الناس، فكيف وصفوني بالقُدْرة على خَلْقهما وعجَّزوني عن القُدْرة على خَلْق الناس بعد موتهم؟!

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾: لا يتدبَّرون، ولا يستدلُّون بالآيات فيعلموا ذلك.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾: هُمُ اليهود يُخاصمون في القرآن بغير حُجَّة ولا عُذْر أتاهم مِن الله، ﴿إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ﴾: أي: ما في صدورهم إلا الكبر ﴿مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ﴾ يعني: بنائِلي ذلك الكِبْر الذي في قلوبهم، وهم اليهود قالوا: يخرُجُ الدجال، ويخوض في البحر، وتسير معه الأنهار، وتطلُعُ الشمس فوقه إلى مغربها، ويرُدُّ إلينا المُلْك، فردَّ الله عليهم فقال: ما هُم ببالغي ما قالوا، ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾ مِن فتنة الدجال ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لأقوالهم، ﴿ٱلْبَصِيرُ﴾ بأعمالهم[1].

وقال مقاتل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: اليهود، قالوا للنبي ﷺ: إنَّ صاحبنا ـ يَعْنون: الدجال ـ يخرُجُ في آخر الزمان وله السلطان، ماءُ البحر إلى ركبته، والسَّحابُ دونه، وما هم ببالغي ذلك، ثم قال: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ﴾ يعني: الدجال[2].

* * *

---

(١) لم أقف عليه عن ابن عباس، وقد عزاه السيوطي بمعناه في «الدر المنثور» (٧/ ٢٩٤) إلى عبد بن حميد وابن أبي حاتم ـ وصححه ـ عن أبي العالية، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٣/ ٢١٦) (ط: دار التفسير) عن المفسرين.

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٧١٧).

(٥٨) ـ ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ﴾: أي: مَن عمِيَ عن رؤية الآيات والاستدلالِ بها ومَن أبصرَها فاستدلَّ بها، ولا يستوي الذين آمنوا والذين كفروا.

والمسيءُ: هو الكافر؛ لأنَّ المؤمن مُحْسِنٌ، وهو واحد لفظاً وجمع معنًى، و(لا) زائدة في قوله: ﴿وَلَا الْمُسِيءُ﴾.

وقيل: معناه: ولا يُساوي المؤمنُ الكافرَ، ولا الكافرُ المؤمنَ، وقد شرحناه بأتَمَّ مِن هذا في سورة الملائكة.

وقولُه: ﴿قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ﴾: أي: لا تتذكَّرون أصلاً، وهو كقولك: فلانٌ قليلُ الحياء؛ أي: لا حياءَ له.

* * *

(٥٩) ـ ﴿إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ﴾: أي: إنَّ القيامة لَقائمة ﴿لَّا رَيْبَ فِيهَا﴾: أي: لا شكَّ في إتيانها، وله ثلاثةُ أوجهٍ ذكَرْناها في أول سورة البقرة.

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾: أي: لا يُصدِّقون بكونها، وفيها تمييزٌ بين هذين الفريقين.

* * *

(٦٠) ـ ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾: قال الضحاك: أي: أُعبُدوني[1]؛ كما قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [الأعراف: ١٩٤]، ويدلُّ عليه قوله: ﴿يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾.

وقال الكلبي: وحِّدوني[2].

وقال مقاتل: هو نفْسُ الدعاء[3].

﴿أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾: في سؤال المغفرة؛ لأن الإيمان طلَبُ المغفرة.

فإذا حُمِل الدعاء على التوحيد، كانت الاستجابة مغفرةً وتحقيقاً لقوله: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾، وإنْ حُمِل على نفْس الدعاء، فالاستجابةُ هي الإجابة إلى ما سأَل.

والحاصل: أنَّ الآية إنْ حُمِلت على خطاب الكفار، فمعناها: وحِّدوني وأجيبوني في الدعاء إليه، أستجِبْ لكم في سؤالكم مغفرةَ ما قد سلَفَ.

---

(١) عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٣٠١) للطبري وابن المنذر وأبي الشيخ في «العظمة» عن ابن عباس رضي الله عنهما، وذكره عنه الواحدي في «الوسيط» (٤/ ١٩)، ونقله الزمخشري في «الكشاف» (٤/ ١٧٥) عن مجاهد، وهو اختيار الطبري كما في «تفسيره» (٢١/ ٤٠٦).
ورواه الحاكم في «مستدركه» (٣٠٨٦) عن جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه.

(٢) ذكره عنه السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٢١١)، ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٣٥٢) من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما، وأبو الشيخ في «العظمة» (١٦٧) من طريق آخر عنه.

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٦٩٣).
وذكره الماتريدي في «تفسيره» (٤/ ٤٦١)، والسمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٢١١)، والثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٢٨٠) من غير نسبة.

وإنْ حُمِلت على العصاة، فمعناها: أُدْعُوني بالتوبة والاستغفار، أستجِبْ لكم في قَبول التوبة، والعَفْو عن الجِناية.

وإنْ حُمِلتْ على المُطيعين، فمعناها: سَلوني بحوائجكم أُعْطِكم ما سألتم.

وقولُه تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾: أي: يتعظَّمون عن توحيدي ﴿سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ﴾: للخُلود فيها ﴿دَاخِرِينَ﴾: صاغرين، هذا على الأول.

وعلى الثاني: إن الذين يمتنعون عن التوبة وعن دعاء الله ـ تفسُّقاً لا استحلالاً واستخفافاً ـ سيدخلون النار للتعذيب فيها مدةً إنْ لمْ يَعْفُ الله عنهم بفضله.

ثم إجابةُ الدعوة؛ قيل: هي قولُ الله: لبَّيْكَ، لعبدِه إذا قال: يا ربِّ! وهذا لكل داعٍ، فأما إعطاء المراد فذاكَ مُعلَّق بالمشيئة، قال تعالى: ﴿فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ﴾ [الأنعام: ٤١]، وهو موعود أيضاً بشرائطَ مِن العبد:

منها: إجابتُه اللهَ تعالى فيما دعا إليه؛ قال تعالى: ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي﴾ [البقرة: ١٨٦].

ومنها: أكلُ الحلال: قال النبي ﷺ: «إنَّ الرجل لَيرفع يديه، فيقول: يا ربِّ يا ربِّ! ومَطْعَمُه حرامٌ، ومَشْرَبُه حرامٌ، ومَلْبَسُه حرامٌ، فأنى يُستجاب لذلك»[1].

وفي الحديث: «إنَّ الداعي لا يخلو عن إحدى ثلاث: إما أنْ يُعَجَّل له ما سأل، وإما أنْ يُدَّخَرَ له في الجنة ما هو خير منه، وإما أنْ يُصْرَفَ عنه مِن السوء ما هو أعظمُ منه»[2].

---

(١) رواه مسلم (١٠١٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (١١١٣٣)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٧١٠) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، بلفظ: «ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث: إما أن تعجل له دعوته، وإما أن يدخرها له في الآخرة، وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها».

وقيل: أُدْعُوني بلا غَفْلة، أستجِبْ لكم بلا مُهْلة.

وقال الإمام القُشَيري رحمه الله: أُدْعُوني بالسؤال، أستجِبْ لكم بالنَّوال، أُدْعُوني بالتنصُّل، أستجِبْ لكم بالتفضُّل، أُدْعُوني بحسب الطاقة، أستجِبْ لكم بكشفِ الفاقة(١).

***

(٦١) ـ ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾: مرَّ تفسيرُها مرات، وهي مِن الآيات التي تدلُّ على وحدانية الله تعالى، ذكرَها بعد الأمر بالتوحيد، وهو مِن النِّعَم التي يجب الشكر عليها، فحثَّ على الشكر بعدها، وهو **قوله تعالى:** ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾.

***

(٦٢ ـ ٦٣) ـ ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٦٢﴾ كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ﴾: الذي خلَقَ الليل والنهار لكم هو مُربِّيكم ومُصْلِحُ أموركم.

وقولُه تعالى: ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾: لا يستحِقُّ العبادةَ غيرُه.

وقولُه تعالى: ﴿فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾: أي: فمِن أين تُصْرَفون عن توحيده؟!

﴿كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾: أي: كما انصرفتم عن الحقِّ

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٣/ ٣١٣).

مع وضوحه، صُرِفَ مَن قبلكم مِن الأمم الجاحدة عن ذلك، ولم يكن ذلك لقُصور الأدلة، بل لِمَا في صدورهم مِن الكِبْر الذي ليسوا ببالغيه.

* * *

(٦٤) ـ ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا ﴾: أي: مُستقرًّا ﴿وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً ﴾؛ أي: مَبْنيَّةً مرفوعةً فوقكم لمصالحكم وحوائجكم.

﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ﴾: أي: الأغذيةِ الشَّهِيَّة مِن الأطعمة والأشربة.

وقولُه تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾: أي: جلَّ اللهُ، ودامَتْ بركاتُه، وتتابعتْ خيراتُه، وهو حَثٌّ على وصفه به.

* * *

(٦٥) ـ ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾.

﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ ﴾: الذي لا يموت أبداً بحياةٍ أزَليَّةٍ.

﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ﴾: أي: فاعبُدوه ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾؛ أي: العبادة والطاعة.

وقولُه: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾: أي: المُستحِقُّ للحمد هو.

ويجوز أنْ يكون حمِدَ نفْسَه تعليماً للخَلْق.

ويجوز أنْ يكون أمراً به، وقد شرَحْناه في أول الفاتحة.

* * *

(٦٦) ـ ﴿ ۞ قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِيَ ٱلْبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِيَ ٱلْبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: أي: قل يا محمَّدُ للمشركين: نهاني اللهُ تعالى أنْ أعبُدَ الأصنام التي تعبدونها مِن دون الله لما جاءتني الدَّلائل[١] الواضحة على وحدانيَّة الله تعالى، وأمرني[٢] أنْ أنقادَ لأمره، وأُخْلِصَ له في عبادتي، وأُسْلِمَ إليه نفْسي وأموري؛ إذ هو ربُّ العالمين، فلن أوافقكم على ما تدعونني إليه.

وقال مقاتل: دعا كفارُ مكةَ رسولَ الله إلى دينهم، وقالوا له: ما يحمِلُكَ على ما تتعاطاه مِن مُخالفة آبائك وأشراف قريش إلا الحاجةُ وقِلَّةُ المال، فنحن نجمَعُ لكَ ما يكفيكَ دهرَكَ، فأنزل الله هذه الآية[٣].

***

(٦٧) ـ ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ۖ وَلِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾: أي: أطفالاً، وقد فسَّرْنا هذه الآية مرات.

---

(١) في (ف): «البينات».

(٢) في (أ): «وأمرت».

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٦٧٢)، وروى مقاتل أيضاً أن هذه الحادثة نزلت في قوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا﴾. انظر: «تفسير مقاتل» (١/ ٥٥٢).

﴿ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْ﴾: أي: ثـم يُرَبِّيكـم لتبلغـوا تَمـامَ القـوة، فتَصْلُحـوا للتكليـف والتعبُّـد.

﴿ثُمَّ لِتَكُونُواْ شُيُوخًا﴾: ثم يُدْرِجُكم إلى أنْ تصيروا شيوخاً.

﴿وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ﴾: أي: يُقبَضُ بالموت ﴿مِن قَبْلُ﴾؛ أي: قَبلَ الشَّيْخُوخَة، وقبل[1] بلوغ الأشُدِّ، وقبل الخروج مِن بطن أمه طفلاً.

وقولُه تعالى: ﴿وَلِتَبْلُغُوٓاْ أَجَلًا مُّسَمًّى﴾ فعَل ذلك، هذا مُضْمَرٌ في آخره؛ أي: ولِيَبْلُغَ كل منكم أجَلاً قد سماه الله تعالى له.

﴿وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾: أي: ولِتَعْقِلوا ذلك، وتستعملوا عقولكم في معرفة ذلك، والعملِ بما خلقتُكم لذلك.

* * *

(٦٨ ـ ٦٩) ـ ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَـٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا﴾: أي: قدَّر شيئاً وأراد كونَه ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾؛ أي: كوَّنه سريعاً، فهو المُستحِقُّ للعبادة.

وقولُـه تعالـى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَـٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ﴾: أي: كيـف ومِـن أيـن يُعـدَلُ بهـم عـن الحـق؟! أي: فهـل يُصْرَفـون إلـى شـيء أوضـحَ دلالةً وأحسـنَ عاقبـةً منه؟!

* * *

---

(١) في (ر): «وقيل» هنا وفي الموضع الآتي.

(٧٠ ـ ٧٢) ـ ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا﴾: هو صفة المُجادلين.

﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ﴾: أي: فسيعلمون بُطْلانَ ما هم فيه وسُوءَ عاقبته إذا أُدخِلوا[1] النارَ، وغُلَّتْ أيديهم إلى أعناقهم، وجُعِلَتْ فيها السلاسِل.

﴿يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ﴾: أي: تجرُّهم خزَنة جهنم في الماء الذي تناهى حَرُّه.

وقال مقاتل: في حَرِّ النار[2].

﴿ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ﴾: أي: يُطْرَحون فيها، فيكونون وُقوداً لها.

وسجَرَ التَّنُّورَ: أحماه بإيقاد الوُقود.

والجَرُّ إلى الحميم: هو ترديدُهم بين النار والماء الحارِّ، وهو كقوله: ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ﴾ [الرحمن: ٤٤]، وقوله: ﴿يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ﴾ [الحج: ١٩ ـ ٢٠]، وقوله: ﴿خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ﴾ [الدخان: ٤٧].

* * *

(٧٣ ـ ٧٤) ـ ﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُوا۟ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

---

(١) في (أ) و(ر): «دخلوا» بدل من «أدخلوا في».

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٧٢٠)، وذكره عنه السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٢١٣).

وقولُه تعالى: ﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾: يُوَبَّخون في هذه الحالة زيادةً في إيلامهم: أين الأصنامُ التي كنتم تُشركون بالله رَجاءَ شفاعتهم؟!

﴿قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا﴾: أي: هلكوا وضاعوا.

﴿بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُوا۟ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا﴾: أي: ما كنا نعبد شيئاً ينبغي أنْ يُعْبَدَ ويُدعى ويُرجى، بل كنا نرجو النَّفْع مما لا نَفْعَ فيه، وهو اعترافٌ منهم بأنهم لم يكونوا على شيء، وليس بإنكارٍ لعبادة الأصنام، بل اعترافٌ أنه لم يكن شيئاً يُعتبَر، وهو كقوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾.

﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾: أي: كما أضلَّ هؤلاء المُجادلين يُضِلُّ سائر الكافرين الذين علِمَ منهم اختيار الضلالة عن الدِّين.

* * *

(٧٥ ـ ٧٦) ـ ﴿ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾: أي: ذلك العذاب إنما نالَكم بسبب إظهاركم في الدنيا السُّرورَ بالشرك وبالباطل.

﴿وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ﴾: أي: بِمَرَحِكم؛ أي: بَطَرِكم وخُيَلائكم وتِيهِكم.

﴿ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ﴾: أي: يُقال لهم يوم القيامة: اُدْخُلوا أبواب جهنم؛ أي: يدخُل كلُّ فريق البابَ الذي جُعِلَ له، قال تعالى: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾ [الحجر: ٤٤].

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾: أي: في جهنم.

﴿فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴾: الذين تعظَّموا عن قبول الحق، وجادلوا بالباطل.

(٧٧) ـ ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۚ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ﴾: يا محمَّدُ، على أذى الكفار وجِدالهم ﴿إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾؛ أي: بنَصْرِ الرسل والمؤمنين في الدنيا والآخرة.

وقولُه تعالى: ﴿فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾: أي: أنتقِمُ لكَ منهم في الدنيا، وإنْ توفَّيْتُكَ قَبْل ذلك فإليَّ مَرْجِعُهم في الآخرة، فأُعذِّبُهم فيها وأُظْهِرُكَ عليهم به.

وظهر به[1] أنَّ النَّصْر المذكور في قوله: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾ [غافر: ٥١] منه ما يقع في الدنيا بالإعلاء والإظهار، ومنه ما يقع في الآخرة بالانتقام والعذاب.

وقال مقاتل: كان النبي ﷺ أخبرَ كفار مكة أنَّ العذاب نازلٌ بهم فكذَّبوه، فأمرَه الله تعالى بالصبر؛ أي: اصبرْ على تكذيبهم، إنَّ العذاب نازل بهم؛ يعني: ببَدْرٍ[2].

***

(٧٨) ـ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ فَإِذَا جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ قُضِىَ بِٱلْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾: وإنَّ كلَّهم قد أتوا أُمَمَهم بآياتٍ أجراها الله على أيديهم حُجَجاً لهم على صدقهم.

---

(١) في (أ): «له»، وليست في (ر).

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٧٢١).

وقولُه تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾: أي: فلم يكن مِن أولئك الرسل أحدٌ أتى قومه بآية مِن قِبَل نفْسه، بل إنما أتى بما آتاه الله وأجراه على يده، فكذا أنتَ مع قومك إنما تأتيهم بالآيات مِن عند الله، ولا معنى لجدالهم إياكَ في الآيات التي تأتي بها أنْ يقولوا: هي سِحْرٌ، وهي كذا، و﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا﴾[1] [الإسراء: ٩٠]، وكذا وكذا، ويطلبون منكَ الآيات المُقترَحات.

وقولُه تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾: قيل: أي: جاء بما تسألونه اقتراحاً.

﴿قُضِيَ بِٱلْحَقِّ﴾: بينكَ وبينهم؛ أي: كان ذلك فَضْلاً لا بَقِيَّةَ بعده، إنْ[2] كذَّبوا به استُؤْصِلوا؛ لأنهم مُبْطِلون.

وقولُه تعالى: ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾: قيل: معناه: ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ وقد جئتَهم بما أذِنَ الله تعالى لكَ فيه بما فيه كفايةٌ ومَقْنَعٌ، ﴿فَإِذَا جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ بإقامة القيامة قضى بالواجب فيها، فأَدخَلْتُكَ وأتباعَكَ الجنةَ، وأَدخلْتُ الكفارَ النَّارَ ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ﴾ مَن كان على الباطل.

* * *

(٧٩) ـ ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمَ لِتَرْكَبُوا۟ مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَلِتَبْلُغُوا۟ عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمَ لِتَرْكَبُوا۟ مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾: أي: بعضها.

---

(١) في (أ): «لن نؤمن لرقيك» بدل من: «﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا﴾».

(٢) في (ر): «وإن».

﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ﴾: غير الركوب والأكل؛ مِن صُوفٍ ووَبَرٍ وشَعْرٍ وجِلْدٍ ولَبَنٍ ونحو ذلك.

﴿وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ﴾: مِن قَطْعِ المسافات البعيدة؛ كما قال: ﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ﴾ [النحل: ٧].

﴿وَعَلَيْهَا﴾: في البرِّ.

﴿وَعَلَى الْفُلْكِ﴾: في البحر ﴿تُحْمَلُونَ﴾.

ويتَّصِلُ هذا بالآيات التي مرَّتْ في آيات الوَحْدانيَّة وأنواع النِّعَم مِن قول الله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا﴾ [غافر: ٦٤]، و﴿جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ﴾ [غافر: ٦١]، و﴿خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾ الآية [غافر: ٦٧].

* * *

(٨١ - ٨٢) - ﴿وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ (٨١) أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.

﴿وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ﴾: أي: هذه الأشياءَ وغيرَها.

﴿فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ﴾: مِن هذه الآيات، الاستفهامُ بمعنى التَّوْبيخ.

وقولُه تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ﴾: فسَّرْناها في هذه السورة مرَّةً.

﴿فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾: أي: فما نفعَهم ولا دَفَعَ عنهم العذابَ كَسْبُهم الأموالَ والرِّجالَ، ونَصْبُهم الآثارَ مِن القُصور والبُيوت والحُصون في الجبال وغيرها.

(٨٣) ـ ﴿ فَلَمَّا جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴾.

وقولُه: ﴿ فَلَمَّا جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ ﴾: أي: أُعجِبوا بما كان عندهم مِن تقليد آبائهم في الشرك، وقالوا في معجزات الأنبياء: هي تخابيل[1]، وذلك جهلٌ في الحقيقة توهَّموه عِلْماً، وتمسَّكوا به مُغْتَبِطين بذلك.

وقيل: بما عندهم مِن عِلْم أمور الدنيا مِن الصناعات، ولم يُقْبِلوا على علوم الدِّين.

وقيل: هو في أهل الكتاب، فرحوا بما عندهم في كتابهم، فلم يَقْبَلوا غيره مِن الكتاب المُنْزَل، وخبَر النبي المُرْسَل.

وقولُه تعالى: ﴿وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴾: يعني: ونزَلَ بهم ما كانوا يستهزئون به مِن العذاب الذي كان يتوعَّدُهم به.

وقيل: أي: نزَلَ بهم ضرَرُ استهزائِهم بالرسل والآيات.

* * *

(٨٤ ـ ٨٥) ـ ﴿ فَلَمَّا رَأَوۡاْ بَأۡسَنَا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥ وَكَفَرۡنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشۡرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمۡ يَكُ يَنفَعُهُمۡ إِيمَٰنُهُمۡ لَمَّا رَأَوۡاْ بَأۡسَنَاۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدۡ خَلَتۡ فِي عِبَادِهِۦۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿ فَلَمَّا رَأَوۡاْ بَأۡسَنَا ﴾: أي: عذابَنا ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥ وَكَفَرۡنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشۡرِكِينَ ﴾: أي: تبرَّأنا مِن الشرك.

وقيل: أي: مِن الأوثان التي أشركناها بالله.

---

(١) في (ف): «تخاييل».

﴿فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا﴾: أي: فكان حُكْمي فيهم ألَّا ينتفعوا بالإيمان حالةَ البأس؛ لأنه حالَ زوالِ الغَيْب، وفواتِ الاختيار، وتحقُّقِ الاضطرار.

﴿سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ﴾: أي: كسُنَّةِ الله تعالى في الكفار الذين مضَوا قبلهم أنَّ إيمانهم حالةَ البأس لم ينفعْهم، ولم يقبَلْه الله تعالى منهم؛ كما قال في حقِّ فرعون: ﴿إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ الآية [يونس: ٩٠]، وغير ذلك.

﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾: أي: هلكوا حينئذ.

وقيل: ﴿لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا﴾: أي: العذابَ في القبر.

وقال مقاتل: ﴿سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ﴾: في الأمم الخالية أنَّ الإيمان لا ينفعُهم عند مُعايَنة العذاب(١).

وقال الكلبي: سُنَّة الله أنَّ مَن كفَرَ بالله عذَّبه الله.

نعوذُ بالله مِن الكُفْر والكُفْران، ومِن اكتساب الذُّنوب والعِصْيان، ومِن الفُرْقة والهِجْران، والغَفْلة والنِّسْيان، والذِّلَّة والهَوَان، والخِزْية والخُسْران، ونسألُه المغفرة والرِّضْوان، وعُلُوَّ الرُّتْبة والجِنان، والحُور والقُصور والوِلْدان والغِلْمان(٢).

* * *

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٧٢٣)، وذكره عنه السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٢١٦).
وروى الطبري نحوه في «تفسيره» (٢٠/ ٣٧٤) عن قتادة.

(٢) في (أ): «والحمد لله» بدل قوله: «نعوذ بالله...» إلى هنا.

سُورَةُ فُصِّلَتْ

سُورَةُ فُصِّلَتْ(1)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

باسم اللهِ مُفَصِّلِ الآيات، الرَّحمنِ مُقَدِّرِ الأقوات، الرَّحيمِ مُنَزِّلِ البِشارات.

روى أبي بن كعب رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «مَن قرأ: حم السجدة أُعْطِيَ بكلِّ حرف عشرَ حسناتٍ، ومُحي عنه عشرُ سيئات»(2).

وهذه السُّورة مكِّيَّةٌ، وهي أربعٌ وخمسون آيةً، وقيل: ثلاثٌ، والاختلافُ في قوله: ﴿مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾.

وكلماتُها: سبعُ مئة وأربعٌ وتسعون.

وحروفُها: ثلاثةُ آلاف ومئتان وخمسةٌ وثمانون.

وانتظامُ أول هذه السورة بآخر تلك السورة: أنه ذُكِرَ في آخر تلك السورة خُسْرانُ الكافرين، وذُكِرَ في أول هذه السورة سببُ خُسْرانهم، وهو الإعراض عن تفهُّمِ الكتاب المبين.

وانتظامُ السورتين: أنهما في ذِكْر المؤمنين ومواعيدهم، والكفار ووَعيدهم.

---

(1) في (ف): «سورة حم السجدة».

(2) رواه الثعلبي في «تفسيره» (23/ 248) (ط: دار التفسير)، والواحدي في «تفسيره» (4/ 24)، وليس فيه قوله: «ومحي عنه عشر سيئات»، وهو قطعة من الحديث الموضوع في فضائل السور. انظر: «الفتح السماوي» للمناوي (3/ 978). وقد تقدم الكلام عليه مراراً.

(١ ـ ٢) ـ ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿حمٓ ﴾: ذكَرْنا الأقاويل فيه.

﴿تَنزِيلٌ ﴾: مبتدأٌ ﴿مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾: خبرُه.

وقيل: ﴿حمٓ ﴾: مبتدأ، و﴿تَنزِيلٌ ﴾: خبرُه؛ أي: هذه السورة مُنَزَّلةٌ مِن الله تعالى، مصدرٌ في معنى المفعول.

* * *

(٣) ـ ﴿كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾.

﴿كِتَٰبٌ ﴾: أي: هو كتاب ﴿فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ ﴾؛ أي: بُيِّنَتْ.

وقيل: أي: جُعِلَتْ فُصولاً في معاني مُنْقَسِمةٍ؛ مِـن الأمر والنَّهي، والوَعْد والوَعيد، والحلال والحرام، ونحو ذلك.

وقيل: أي: فُرِّقَتْ في النُّزول، فلم تَنْزِلْ جُمْلةً؛ تثبيتاً في القلوب، وتمكيناً مِن تدبُّرها بالعقول.

وقولُه تعالى: ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا ﴾: أي: مُنَزَّلاً بلسان العرب، ونصبُه مِن وجوه:

منها: فُصِّلَتْ قرآناً عربياً؛ أي: وقَعَ تفصيلُه بلسان عربي.

وقيل: نصبٌ على المدح.

وقيل: نصبٌ على القَطْع؛ لأنه نكرةٌ نُعِتَ به معرفةٌ.

وقولُه تعالى: ﴿لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾: لسانَ العرب، أو يُتَرْجَمُ لهم؛ أي: التَّفْصيل لهم.

يعني: لم يُكَلَّفْ فَهْمَه مَن لم يُعْطَ عِلْمَه.

* * *

(٤) ـ ﴿ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾: نعتُ قولِه: ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾؛ أي: فيه بشارةُ المُطيعين، وإنذارُ العاصين.

﴿فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ﴾: عن قبوله وتدبُّره مع تفْصيله وعلمهم بوجوه فَهْمِه.

﴿فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾: أي: ينفِرون عن سماعه؛ كما قال: ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْءَانِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَىٰ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا﴾ [الإسراء: ٤٦]، ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْءَانِ﴾ [فصلت: ٢٦].

وقيل: أي: لا يَقْبَلون.

وقيل: أي: لا يُطيعون.

وقيل: أي: يتصامُّون ولا يُفكِّرون فيه، كأنهم لم يسمعوه.

وقيل: لا يسمعون حقيقةً؛ لإعراضهم عن التالي[1].

* * *

(٥) ـ ﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ﴾.

﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ ﴾: قال مجاهد والسُّدِّي: أي: في أَغْطِيَةٍ[2]، جَمْع: كِنان.

---

(١) في (ف): «التأني».

(٢) رواه عنهما الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٣٧٧)، وعن مجاهد عبدُ الرزاق في «تفسيره» (٢٦٨٨)، ولفظه فيهما: كالجَعْبة للنَّبل.

قولُه: ﴿وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ﴾: أي: صَمَمٌ، وقَرَه اللهُ؛ أي: أصَمَّه، مِن باب: ضَرَبَ، ووَقِرَ يَوْقَرُ؛ أي: صُمَّ، مِن باب عَلِمَ.

وقولُه تعالى: ﴿وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾: فلا نُبْصِرُكَ.

وقيل: أي: ساتِرٌ مِن جهة اختلاف الدِّين والتَّباين في العبادة، فلا تَطْمَعَنَّ في استماعنا منكَ(١).

وقولُه تعالى: ﴿فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ﴾: أي: فاعمل عمَلَكَ، فإنا نعمَلُ عملَنا، قالوا ذلك لِيُؤَيِّسُوه عن إيمانهم به واتباعهم له.

وقيل: ﴿فَٱعْمَلْ﴾ في هلاكنا، ﴿إِنَّنَا عَٰمِلُونَ﴾ في هلاكِكَ. قاله الفراء(٢).

وقيل: أي: دعْ دعاءَنا إلى دينكَ، فإنا قد ترَكْنا دعاءكَ إلى ديننا.

* * *

(٦ ـ ٧) ـ ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۝٦ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾: أي: فلا تدَعْ لذلك دُعاءهم، وقل لهم: إني بشر مثلُكم مُناسبٌ لكم في الخِلْقَة، وذلك مما يُوجب الإشفاقَ، كأنه قال: ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ أُريدُ الخير بكم، ولستُ أدَّعِي أني ملَكٌ أو ملِكٌ لِتنفِروا مني لِتَعَظُّمي عليكم، يوحي إليَّ اللهُ ـ الذي تُقِرُّون أنه خالقُكم ـ أنَّه إله واحد لا شريك له.

وقولُه تعالى: ﴿فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ﴾: أي: وجِّهوا وجوهكم بالعبادة والدعاء

(١) في (أ) و(ف): «عنك».

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٢).

والمسألة[1] والإخلاص إليه، ولا تَعْدِلوا عنه إلى غيره، وهو كقولك: استقِمْ إلى منزلك؛ أي: لا تُعَرِّجْ في طريقك على شيء غيرِ القَصْد والمُضِيِّ إليه.

﴿وَٱسْتَغْفِرُوهُ﴾: أي: سَلُوه أنْ يغفِرَ لكم ما سلف مِن ذنوبكم.

وقيل: أي: آمنوا به، فإن الله تعالى وعَدَ عليه مغفرةَ ما قد سلَفَ، فكان الإتيان به سؤالاً لِما وَعَدَ عليه.

﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۝٦ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾: أي: لا يَقْبلونها.

وقيل: أي: لا يُعْطُون مِن أنفسهم الطَّهارةَ؛ فإن الزكاة هي الطهارةُ، قال تعالى: ﴿خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً﴾ [الكهف: ٨١]؛ وذلك بالتَّنَقِّي عن دَنَس[2] الكفر، قال تعالى: ﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ﴾ [النازعات: ١٨]، وقال: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ [التوبة: ٢٨].

﴿وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ﴾: أي: جاحدون.

* * *

(٨) ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾: أي: غيرُ مَقْطوع.

وقيل: غيرُ مَنْقوص، وهو ثواب الآخرة.

وقيل: غيرُ مَقْطوع عنهم في مرضهم وضعفهم وهرَمهم.

وقيل: أي: بعد موتهم أيضاً.

وقيل: أي: غيرُ ممنون عليهم به، فيتكدَّرَ بالمِنَّة.

---

(١) في (أ) و(ف): «والتأله».

(٢) في (ر): «دين».

وقال الأخفش: ﴿وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٌ﴾: (مِن) للتوكيد، وهي زائدةٌ[١].

وقال الحسن: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثۡلُكُمۡ﴾: علَّمَه التواضعَ[٢].

وقال السُّدِّي: ﴿فَٱسۡتَقِيمُوٓاْ إِلَيۡهِ﴾: يعني: بالتوحيد، ﴿وَٱسۡتَغۡفِرُوهُ﴾: يعني: مِن الشرك[٣].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾: أي: لا يقولون: لا إله إلا الله، محمد رسول الله[٤]، وهي زكاة الأَنْفُس.

وقال الضحاك: أي: لا يُنفقون في الطاعة[٥].

وقال ابن كيسان: لا يرون إيتاءها خيراً[٦].

* * *

(٩) ـ ﴿۞ قُلۡ أَئِنَّكُمۡ لَتَكۡفُرُونَ بِٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ فِي يَوۡمَيۡنِ وَتَجۡعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿قُلۡ أَئِنَّكُمۡ لَتَكۡفُرُونَ بِٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ فِي يَوۡمَيۡنِ﴾: استفهام بمعنى التَّوْبيخ؛ أي: أَتُنْكِرون وحدانية الله تعالى وقد خلَقَ الأرضَ؟!

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للأخفش (٢/ ٥٠٤).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٢٨٦)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ١٦٤).

(٣) وقاله مقاتل في «تفسيره» (٣/ ٧٣٦).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٣٧٩) ورجحه، والطبراني في «الدعاء» (١٥٣٨)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٢٠٥)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٢٨٦)، والواحدي في «تفسيره» (٤/ ٢٥)، وليس في المصادر قوله: «محمد رسول الله».

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٢٨٦)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ١٦٤) عن الضحاك ومقاتل.

(٦) ذكر نحوه الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٢٨٦)، والواحدي في «تفسيره» (٤/ ٢٥)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ١٦٤) عن الحسن وقتادة، بلفظ: ولا يرون إتيانها واجباً.

أو: أَتُنْكِرون قُدْرة الله على البعث وقد خلَقَ الله الأرض على سَعَتها وبُعْدِ أطرافها؟!

أو: أتكفرون بنِعَم الله وتتركون الشكرَ لله تعالى وقد أنعَمَ عليكم بخَلْق السماء والأرض، وتهيئة الأسباب بينهما؟!

﴿فِي يَوْمَيْنِ﴾ قيل: مِن أيام الدنيا.

وقيل: مِن أيام الآخرة، كلُّ يوم ألفُ سنة، وهو قول الكلبي رحمه الله(١).

وكذلك الأيام المذكورة بعدها على هذا الاختلاف.

وكان قادراً على أنْ يخلُقَ السماء والأرض وأضعافَ ذلك في لحظة، لكن علَّمَ الناسَ تَرْكَ الاستعجال، والتثبُّتَ في الأفعال.

وقولُه تعالى: ﴿وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا﴾: أي: أَشْباهاً وأَشْكالاً، وهي الأصنام.

وقولُه تعالى: ﴿ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: أي: الذي خلَقَ الأرض في يومين هو مالِكُ الخَلْق ومُرَبِّيهم ومُصْلِحُهم.

* * *

(١٠) - ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا﴾: أي: جبالاً ثوابتَ لاستقرارها.

﴿وَبَٰرَكَ فِيهَا﴾: قيل: في الرَّواسي بالمياه والأشجار والثِّمار والذهب والفضة وما يكون في الجبال.

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٣٢٨) عن كعب والضحاك، ونقله ابن الجوزي في «زاد المسير» (٢/ ١٢٧) عن ابن عباس وكعب ومجاهد والضحاك.

وقيل: في الأرض بنباتها وأشجارها، وما يخرُجُ منها مِن الأغذية والمعادن وغيرها.

﴿وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا﴾: قال قتادة: أي: أرزاقها[١]، ومعناه: الأرزاقَ التي فيها، أو: أرزاقَ أهلِها.

وقال مجاهد: أقواتَها مِن المطر[٢].

وقال عكرمة: في هذه الأرض ما ليس في هذه مِن معاشها.

وعنه أيضاً قال: كلُّ قريةٍ فيها عمَلٌ لا يصلُحُ في الأخرى[٣].

وقال حيَّان: قال الكلبي: قدَّرَ الخُبْز لأهل قُطْر، والتَّمْرَ لأهل قُطْر، والذُّرَة لأهل قُطْر، والسمك لأهل قُطْر، وكذلك أخواتُها[٤].

وعلى هذا معناه: أسبابَ أقواتِها.

وقولُه تعالى: ﴿فِيٓ أَرۡبَعَةِ أَيَّامٖ﴾: أي: في يومين آخَرين مع اليومين الأوَّلَين، كان نَصْبُ الرَّاسِيات وتقديرُ الأقوات وإتمامُ العِمارات في يومين بعد خَلْق الأرض في يومين.

وفي الخبر: خلَقَ الله الأرضَ يوم الأحد ويوم الاثنين، وخلَقَ الجبالَ يوم الثلاثاء، وخلَقَ الشَّجَرَ والماء والعِمْران والخَراب يوم الأربعاء، وخلَقَ يوم الخميس السماء، وخلَقَ يوم الجمعة النجومَ والشمسَ والقمرَ والملائكةَ وآدمَ[٥].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٣٨٥ ـ ٣٨٦) عن الحسن وابن زيد، وروى عن قتادة أن معنى: أقواتها: صلاحها، أو جبالها ودوابها وأنهارها وبحارها.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٣٨٦)، وهو في «تفسير مجاهد» (ص: ٥٨٥).

(٣) روى الأثرين عنه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٣٨٧).

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٢٨٧)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ١٦٥).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٣٨٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

﴿سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ﴾: قرأ يعقوبُ: ﴿سواءٍ﴾، بالخفض نعتاً لأربعة أيام؛ أي: مُستَوِياتٍ.

وقرأ أبو جعفر: ﴿سواءٌ﴾، بالرفع؛ أي: هن سواءٌ؛ أي: مُستوياتٌ.

وقراءةُ العامة: ﴿سَوَآءً﴾، بالنصب على المصدر، وتقديرُه: استوَتْ استواءً للسائلين(١).

قال قتادة والسُّدِّي: هو سؤالُ الاستخبار(٢).

وقال ابن زيد: هو سؤال الاستعطاء؛ أي: الخبر هكذا على الصِّدْق لِمَن سأل، والأقوات مَبذولةٌ على الوجه لِمَن استبدلَ(٣).

* * *

(١١) ـ ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾: هو مَجازٌ عن إيجاد الله تعالى السماءَ على ما أراد، مِن قول العرب: فعَلَ فلان كذا ثم استوى إلى عمَلٍ كذا، يُريدون به أنه أكمَلَ الأول، ثم ابتدأ الثاني، فقرَّرَ الله تعالى هذا في أفهام الخَلْق أنه أكملَ خَلْق الأرض ثم رتَّبَ عليه خَلْق السماء.

ولا يُفْهَم منه ما يُفْهَمُ مِن ترتيب فعل البشر أنَّ الأول ينقضي ثم الثاني يأتي؛ لأنَّ فِعْل الله تعالى أزَلِيٌّ أبَدِيٌّ، لكنْ رتَّبَ ذِكْرَ الأشياء لترتُّبِ ظُهور الآثار في الأعيان.

---

(١) انظر: «النشر» لابن الجزري (٢/ ٣٦٦).

(٢) رواه عنهما الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٣٨٩)، ولفظه: من سأل عن ذلك وجده كما قال الله تعالى.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٣٩٠) بلفظ: قدَّر ذلك على قدْر مسائلهم، يعلم ذلك أنه لا يكون من مسائلهم شيء إلا شيء قد علمه قبل أن يكون.

ويُفهَمُ مِن ظاهر هذه الآية أنَّ خَلْق السماء كان بعد خَلْق الأرض، وبه قال ابن عباس رضي الله عنه[١].

وقولُه: ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ﴾ يدلُّ على أنَّ خَلْق الأرض كان بعد خَلْق السماء، وبه قال قتادة والسُّدِّي[٢].

وقولُه تعالى: ﴿ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾: يدلُّ على خَلْقهما معاً، وبه قال قوم.

وقد شرَحْنا الأقاويل الثلاثة بدلائلها في سورة البقرة.

﴿وَهِىَ دُخَانٌ﴾: قال ابن عباس: أوَّلُ ما خلَقَ الله تعالى جَوْهَرةً طولُها وعرضُها مَسِيرةَ ألف سنة في مَسيرة عشرة آلاف سنة، فنظَرَ إليها بالهَيْبة فذابَتْ واضطربَتْ، ثم ثارَ منها دُخان فارتفع، واجتمع زبَدٌ فقام فوق الماء، فجعَلَ الزَّبَدَ أرضاً والدُّخانَ سماءً[٣].

﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾: قال مجاهد: قال: يا سماءُ، أَبْرِزي شمسَكِ وقمرَكِ ونجومَكِ، ويا أرضُ، أَخْرِجي نباتَكِ، وكذا[٤].

---

(١) علقه البخاري جزماً قبل الحديث (٤٨١٦)، ووصله الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٩٢)، والطبراني في «الكبير» (١٠٥٩٤)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٨٠٩). ووقع في بعض نسخ البخاري ذكر سنده في آخر الرواية، فعلى هذا يكون موصولاً. انظر: «تغليق التعليق» (٤/ ٣٠٠ ـ ٣٠١)، و«فتح الباري» (٨/ ٥٥٩).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ١٤٥)، و(١/ ٤٦٢) عن السدي.

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٤/ ١٣٣) عن وهب، وأورده عن ابن عباس أبو البركات النسفي في «تفسيره» (٣/ ٢٢٨)، ولعله لا يصح عن ابن عباس، وإنما هو مما أخذه وهب عن الإسرائيليات.

(٤) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٢٢٠) عن مجاهد، ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٣٩١) عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما، والحاكم في «المستدرك» (٧٣) وصححه، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٨١٤) عن طاوس عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وقيل: هو كقوله: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾: أي: إذا أراد تكوينَ شيءٍ كوَّنَه، وهو عبارة عن سرعة الإيجاد ونُفوذِ الإرادة في المراد.

﴿قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ﴾: أي: أتينا مع أهلنا، ولذلك جُمِعَ مع سَبْق ذِكْر التَّثْنية؛ لأن الأهل مُضْمَر فيه، فصار الكلُّ جَمْعاً.

وقيل: هو ظهورُهما على ما أراد مِن غير امتناع، لا على حقيقة القول، وهو كقول القائل:

امتلأَ الحوضُ وقال: قَطْني   مَهْلاً رُوَيْداً قد ملأْتَ بَطْني[1]

* * *

(١٢) ـ ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ فِي يَوۡمَيۡنِ وَأَوۡحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمۡرَهَاۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفۡظٗاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ فِي يَوۡمَيۡنِ﴾: أي: فأتمَّ خَلْقَهُنَّ سَبعاً طِباقاً بعضُها فوق بعضها في يومين بعد تلك الأربعة الأيام، فتمَّ في ستة أيام؛ كما قال: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ﴾ [ق: ٣٨].

وقولُه تعالى: ﴿وَأَوۡحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمۡرَهَا﴾: قال السُّدِّي: أي: فعَلَ فيها ما أرادَه مِن مَلَك وغيره[2].

وقال قتادة: أي: خلَقَ فيها شمسَها وقمرَها ونجومَها وصلاحَها[3].

---

(١) البيت ذكره ابن الأنباري في «الزاهر» (٢/ ٣٢٣) من رجز أبي النجم العجلي، وهو دون نسبة في «إصلاح المنطق» (ص: ٥٠)، و«مجالس ثعلب» (ص: ٣٥)، و«معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٤٧).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٣٩٣)، بلفظ: خلق في كل سماء خلقها من الملائكة والخلق الذي فيه من البحار وجبال البرد وما لا يُعلم.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٣٩٣).

وقيل: أي: وأمرَ أهلَ كلِّ سماء بما أَمَرَ.

والأول على مجازِ قولِه: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا﴾ الآية [يس: ٨٢]، فذلك على التكوين، فكذا في هذه الآية.

وقيل: الإيحاءُ في الأصل: هو الإلقاء، فكان مَجازًا عن إظهار ما أرادَ في كل سماء.

﴿وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا﴾: أي: التي تدنو مِن أهل الأرض.

﴿بِمَصَٰبِيحَ﴾: أي: بسُرُجٍ، وهي النجوم.

﴿وَحِفۡظٗا﴾: أي: وحفِظْناها عن السُّقوط، وقيل: عن استراق السمع بالرُّجوم.

﴿ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ﴾: أي: ما ذُكِرَ مِن خَلْق السموات والأرضين وغير ذلك تقديرٌ منه على ما عَلِمَ فيه اتِّصالَه بمصالح عباده ومنافعهم، أمضاه على ما أرادَ؛ لأنه عزيز مَنيع لا يُغالَبُ ولا يُنازَعُ، عليمٌ بالعواقب ومَقادير الأمور وحوائج الخَلْق.

وقال مقاتل بن حَيَّان: نزلت هذه الآيات في أبي جهل وأبي سفيان وعُتْبة وشَيْبة ابنَي ربيعةَ، اجتمعوا في دار أبي طالب، وخاصموا رسول الله ﷺ، فأنزل الله تعالى هذه الآيات[1].

***

(١٣) ـ ﴿فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَقُلۡ أَنذَرۡتُكُمۡ صَٰعِقَةٗ مِّثۡلَ صَٰعِقَةِ عَادٖ وَثَمُودَ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَقُلۡ أَنذَرۡتُكُمۡ صَٰعِقَةٗ مِّثۡلَ صَٰعِقَةِ عَادٖ وَثَمُودَ﴾: أي: فإنْ تولَّوا عن التوحيد مع قيام هذه الأيام فقل يا محمد: ﴿أَنذَرۡتُكُمۡ﴾؛ أي: خوَّفْتُكم ﴿صَٰعِقَةٗ﴾؛ أي: عذاباً مُهلِكاً هائِلاً يُزيلُ العقول قبل زُهوق الرُّوح.

﴿مِّثۡلَ صَٰعِقَةِ عَادٖ وَثَمُودَ﴾: أي: مِثْلَ عذابٍ على هذه الصفة حَلَّ بعاد وثمود.

(١) لم أقف عليه.

(١٤) ـ ﴿إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ قَالُوا۟ لَوْ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَـٰٓئِكَةً فَإِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَـٰفِرُونَ﴾.

﴿إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ﴾: أي: جاء عاداً هودٌ النَّبيُّ، وثمودَ صالحٌ النبيُّ، عليهما السلام، وكلُّ رسول يُخبر بسائر الرسل، فمجيئُه مجيءُ الرسل معنًى، وكذلك قال: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: ١٠٥]، وما جاءهم ظاهراً إلا نوحٌ عليه السلام وحدَه، وكذا قال: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: ١٢٣]، وقال: ﴿وَتِلْكَ عَادٌ ۖ جَحَدُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا۟ رُسُلَهُۥ﴾ [هود: ٥٩].

وقيل: ﴿إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾: أي: جاءهم بيانُ حَقِّيَّةِ أمرِ[1] الرسل مِن كل جِهة حين أحاطَ بهم البَيانُ مِن كل جانب، فحيثما انصرفوا[2] وجدوا بيانَهم قائماً لهم.

وقيل: ﴿مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾: الرسل المبعوثون في آبائهم ﴿وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾: الذين بعد أولئك الرسل.

وقيل: ﴿مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾: أي: مُنذِرين بعذاب الدنيا والآخرة، وهو كقوله: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وقيل: أي: داعين إلى العمل في الدنيا، والإيمان بالآخرة.

﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ﴾: أي: إذ جاءتهم الرسل بألا تعبدوا إلا الله تعالى وحده لا شريك له، ولا تشركوا به شيئاً.

وقولُه تعالى: ﴿قَالُوا۟ لَوْ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَـٰٓئِكَةً فَإِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَـٰفِرُونَ﴾: أي: لو أراد الله

---

(١) في (ر): «جاءهم بيان حقيقة»، وفي (ف): «جاءتهم حقيقة أمر».

(٢) في (أ) و(ف): «تصرفوا».

تعالى أنْ يُرسلَ رسولاً إلى عباده لَأنزلَ عليهم الملائكة رسلاً مِن عنده؛ إذ هم سُكَّان السماوات التي منها يَنزل الوحيُ، دون أنْ يجعلَهم مِن أهل الأرض، فإنا لهذا جاحدون لِمَا ادَّعيتم مِن الرسالة، وهذا جهل منهم بمواقع الحكمة على ما بيَّنَّاه في قوله: ﴿وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ﴾.

ثم بيَّنَ ما ذَكَرَ مِن صاعقة عاد وثمود، فقال:

***

(١٥) ـ ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُواْ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ﴾.

﴿فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾: أي: فتعظَّموا على نبيهم، وأفسدوا في بلادهم بغيرِ أنْ حُقَّ لهم ذلك.

﴿وَقَالُواْ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾: استفهام بمعنى النفي؛ أي: لا أقوى منا في الأجسام والعدد.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾: أي: أوَلَمْ يعلموا عِلْماً يقوم مَقامَ العِيان أنَّ الله هو أوسعُ منهم قُدْرةً؛ لأنه قادرٌ على كل شيء بقُدْرة نفْسِه، وهم قادرون على بعض الأشياء بإِقْدار الله تعالى إياهم، ولو شاء لَسَلَبهم ذلك؟ وهو استفهام بمعنى التوبيخ.

﴿وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ﴾: يتَّصِلُ بقوله: ﴿وَقَالُواْ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾.

***

(١٦) ـ ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ﴾.

قولُه تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا﴾: أي: باردةً مُهْلِكةً ببَرْدِها.

وقيل: شديدةَ الهُبوب.

وقيل: شديدةَ الصَّوت.

وقولُه تعالى: ﴿فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ﴾: أي: مشؤومات. وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو: ﴿نَحْسات﴾: بتسكين الحاء، والباقون بكسرها[1]، وكلاهما نعت، وهي ما قال: ﴿سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ﴾ [الحاقة: ٧].

ونُحوسَتُها: دوامُ تلك الريح فيها على حالة واحدة لا تفتُرُ.

﴿لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ﴾: أي: الفضيحة ﴿فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾.

﴿وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَخْزَىٰ﴾: أي: أشدُّ فضيحةً ﴿وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ﴾: أي: لا يُدْفَعُ عنهم عذابُ الآخرة.

وعن محمد بن كعب القُرَظي: أنَّ عُتْبة بن ربيعة بن عبد شمس قال ذاتَ يوم وهو جالس في نادي قريش: ألا أقومُ إلى هذا الرجل فأكلِّمَه فأعرضَ عليه أموراً لعلَّه يقبلُ منها[2] بعضَها، فنعطيَه أيَّها شاء ويكُفَّ عنا، وذلك حين رأوا أصحاب محمد رسول الله ﷺ يزيدون ويكثُرون، قالوا: بلى يا أبا الوليد، فقام عُتْبة حتى جلس إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا ابن أخي، إنكَ مِنَّا حيث قد علِمْتَ مِن المكان في النَّسَب، وإنكَ قد أتيتَ قومكَ بأمر عظيم، فرَّقْتَ جماعتَهم، وعِبْتَ آلهتَهم ودِينَهم، وكفَّرْتَ مَن مضى مِن آبائهم، فإنْ كنتَ إنما تريد بما جئتَ به مالاً جمَعْنا لكَ مِن أموالنا حتى تكونَ أكثرَنا مالاً، وإنْ كنتَ تريد شرفاً شرَّفْناكَ علينا حتى لا نقطعَ أمراً دونك، وإنْ

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٧٦)، و«التيسير» للداني (ص: ١٩٣).

(٢) في (ر) و(ف): «منا».

كنتَ تريد به مُلْكاً ملَّكْناكَ علينا، وإنْ كان هذا الذي يأتيك رِئْياً تراه -يعني: جنيًّا- لا تستطيع أنْ تردَّه عن نفسِكَ طلَبْنا لكَ الطبَّ، وبذَلْنا فيه أموالَنا حتى نُبْرِئَكَ منه، فإنه ربما غلَبَ التابعُ على الرجل حتى يُداوى منه، فلما فرَغَ منه قال رسول الله ﷺ: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم، حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ إلى قوله: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ الآية، فقام عُتْبة إلى أصحابه[1]، فقال بعضهم لبعض: باللهِ لقد جاءكم أبو الوليد بغير وجهه الذي ذهب به، فلما جلس إليهم قالوا: ما وراءَكَ؟ قال: سمعتُ قولاً ما سمِعْتُ بمِثْلِه قطُّ، واللهِ ما هو بشِعْرٍ ولا سِحْرٍ ولا كَهانةٍ، يا مَعْشَرَ قريش، أطيعوني وخَلُّوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه، فقالوا: واللهِ سحَرَكَ بلسانه، فقال: هذا رأيي لكم، فاصنعوا ما بدا لكم[2].

وعن جابر بن عبد الله: أنَّ أبا جهل والملأَ مِن قريش بعثوا عُتْبة بن ربيعة إلى النبي ﷺ، فقال له: أنتَ يا محمد خيرٌ أم هاشمٌ؟! أنتَ خيرٌ أم عبد المطلب؟! فبِمَ تَشْتِمُ آلهتنا وتُضَلِّلُ آباءنا؟! فإنْ كنتَ تريد الرياسة عقَدْنا لكَ فكنتَ رأساً ما بقِيتَ، وإنْ كنتَ تريد الباءةَ زوَّجْناكَ عشرَ نِسْوةٍ تختارها مِن أيِّ بنات قريش شئتَ، وإنْ كنتَ تريد المال جمعنا لكَ مِن أموالنا ما تستغني[3] به أنتَ وعقِبُكَ مِن بعدكَ، فلما فرَغَ قال رسول الله ﷺ: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم، حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ إلى قوله: ﴿فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً﴾ الآية، فأمسَكَ عُتْبة على فيه وناشدَه بالرَّحِمِ أنْ يكُفَّ، فرجَعَ إلى أهله ولم يخرُجْ إلى قريش، واحتبَسَ عنهم، فقال أبو جهل: يا

---

(١) في (ر): «قومه».

(٢) رواه ابن إسحاق في «السيرة» (ص: ٢٠٨)، وأبو نعيم في «دلائل النبوة» (١٨٥)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ٢٠٥).

(٣) في (ف): «تستعين».

مَعْشَرَ قريش، واللهِ ما نرى عتبة إلا وقد صبأَ، فأتوه، فقال أبو جهل: واللهِ يا عُتْبةِ ما حبَسَكَ عنا إلا وأنَّكَ قد صَبَوْتَ إلى محمد وأعجبَكَ أمرُه، فغضِبَ وأقسَمَ ألا يُكلِّمَ محمداً أبداً، وقال: إني أتيتُه فقصَصْتُ عليه القصة، فأجابني واللهِ بقولٍ ليس بشِعْرٍ ولا بسِحْرٍ ولا كَهانةٍ، فأمسكْتُ على فيه وناشدتُه بالرَّحِمِ على أنْ يكُفَّ، وقد علِمْتُم أنَّ محمداً إذا قال شيئاً لم يكذبْ، فخِفْتُ أنْ يَنْزِلَ بكم العذاب[1].

وقال الكلبي: إنَّ قريشاً قالت لعُتْبة بن ربيعة ـ وكان مِن أحسن الناس حديثاً ـ: إئتِ محمداً فكلِّمْه، وانظرْ ماذا يردُّ عليكَ فأعلِمْنا به، فأتاه وهو في الحَطِيم، فلم يترُكْ شيئاً إلا قال له، ثم أجابه النبي ﷺ، وقرأ عليه: ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ حتى انتهى إلى قوله: ﴿فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ﴾ الآية، فوثَبَ عُتْبة فَزِعاً مَخافةَ أنْ يُصَبَّ عليه العذابُ الذي خوَّفَه به، فأتى قومه مَذْعوراً، فأخبرَهم بما قال لمحمد ﷺ، وبما ردَّ عليه محمد، فقالوا له: فما فهِمْتَ منه كلمةً واحدةً؟ قال: لا، ولم أَهْتَدِ لجوابه، قال عثمان بن مَظْعون: ذلك واللهِ لتعلَموا أنه مِن رب العالمين، فلا تستطيعون جوابَه، وتابعَه رجالٌ مِن المسلمين على ذلك حين عَلَتْ أصواتُهم، ثم تفرَّقوا يلعَنُ بعضهم بعضاً، فقال الحارث بنُ عَلْقمة بنِ عبد الدار بنِ قصي بنِ كِلاب عند ذلك: لقد أفسدَ هذا الرجل ـ يعني: محمداً ـ ذاتَ بينِنا، وفرَّقَ كلمتَنا، وايمُ اللهِ، لئِنْ بَقِيَ وبقِيتُم لَيكونَنَّ بطنُ الأرض خيراً لكم مِن ظَهْرها، وإنما يتبيَّنُ لكم ذلك إذا خرَجَ مِن عندكم فانتهى إلى غيركم، فعند ذلك تنقطِعُ سبيلُ غزاتكم[2]، فذروه ما ترَكَكم.

***

---

(١) رواه السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٢٢١)، والثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٢٨٩)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ٢٠٣).

(٢) في (ف): «غيراتكم».

(١٧) ـ ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ﴾: أي: فبيَّنا لهم الرُّشْد ودلائله.

﴿فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾: أي: فآثروا الضلال على الرَّشاد.

﴿فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾: أي: فنزَل بهم العذاب المُهْلِكُ المُهين بكَسْبهم، وهو شركُهم ومعاصيهم.

والهُوْن: الهوان، وهو مصدر أُريدَ به النعت، أو هو بدل عن الأول؛ لأن العذابَ هو الهُون، والهُونُ هو العذاب، وتقديرُه: صاعقةُ العذابِ صاعقةُ الهُونِ.

وإضافةُ الصاعقة إلى العذاب إضافةُ النَّوع إلى الجنس على تقدير إضمار: مِن؛ أي: الصاعقة مِن العذاب.

* * *

(١٨ ـ ١٩) ـ ﴿وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (١٨) وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾: الكفرَ والمعاصيَ.

وقولُه تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ﴾(١): قرأ نافع: ﴿نحشر﴾ بالنون، ﴿أعداءَ﴾ بالنصب، إخباراً مِن الله تعالى عن نفْسِه أنه يفعل ذلك، وقرأ الباقون: ﴿يُحْشَرُ﴾ بالياء مضمومةً وفتْحِ الشين، ﴿أَعْدَاءُ اللَّهِ﴾ بالرفع على ما لم يُسَمَّ فاعلُه(٢)، ذكَرَ عذابَهم في الدنيا، ثم عذابهم في الآخرة.

---

(١) في (ف): «ويوم نحشر...».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٧٦)، و«التيسير» للداني (ص: ١٩٣).

ونصَبَ ﴿يومَ﴾ على إضمار: واذكُرْ يومَ يُجْمَعُ[١] أعداءُ الله، وهم هؤلاء وسائرُ الكفار، ويُساقون إلى النار.

﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾: قال الكسائي[٢]: أي: يُدْفَعون[٣].

وقيل: أي: يُحبَسُ أوَّلُهم على آخرهم، وقد وَزَعْتُ الجيش.

وقيل: أصلُه الكَفُّ، قالت عائشة رضي الله عنها: ما يزَعُ السُّلطانُ أكثرُ مما يزَعُ القرآنُ[٤].

وفي الخبر: لا بُدَّ للناس مِن وَزَعةٍ[٥]؛ أي: وُلاةٍ يكُفُّونهم عن التَّظالُم[٦].

يعني: أنَّهم يُدَعُّون إلى نار جهنم دَعًّا باستعجال، فينقطع أوَّلُهم عن آخرهم، فيُحْبَسُ الأوَّلون لِيلحقَ بهم الآخِرون.

* * *

(١) في (ف): «نجمع».

(٢) «قال الكسائي» ليست من (ف).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ١٢٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وهو قول أبي عبيدة في «مجاز القرآن» (٢/ ١٩٧) له.

(٤) رواه ابن شبة في «تاريخ المدينة» (٣/ ٩٨٨) من قول عثمان رضي الله عنه، والخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (٥/ ١٧٢) من قول عمر رضي الله عنه، وذكره ابن السكيت في «إصلاح المنطق» (ص: ١٨٥)، وابن قتيبة في «أدب الكاتب» (ص: ٣٤٦)، والثعلبي في «تفسيره» (٧/ ١٩٥) مرفوعًا من غير إسناد.

(٥) لم أقف عليه مسنداً، وقد ذكره أبو عبيد في «غريب الحديث» (٣/ ٢٢٨)، وابن قتيبة في «تأويل مختلف الحديث» (ص: ٢٣٢)، والمبرد في «الكامل في اللغة» (ص: ١/ ٢١٤» عن الحسن.

(٦) في (ر): «المظالم».

(٢٠) ـ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيۡهِمۡ سَمۡعُهُمۡ وَأَبۡصَٰرُهُمۡ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾.

وقولـه تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا﴾: أي: النـار ﴿شَهِدَ عَلَيۡهِمۡ سَمۡعُهُمۡ﴾؛ أي: آذانُهم، ووحَّدَ لأنـه مصدر.

﴿وَأَبۡصَٰرُهُمۡ﴾: أي: عيونُهم ﴿وَجُلُودُهُم﴾؛ أي: التي على سائر الأعضاء بسائر المعاصي.

وقيل: هي كناية عن الفُرُوج؛ أي: تشهد فروجُهم بزِناهم.

﴿بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ بهذه الأعضاء، وذلك إذا جحَدوا بألسنتهم وقالوا: ﴿مَا كُنَّا مُشۡرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣]، وقالوا: ﴿مَا كُنَّا نَعۡمَلُ مِن سُوٓءِۭ﴾ [النحل: ٢٨].

* * *

(٢١) ـ ﴿وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمۡ لِمَ شَهِدتُّمۡ عَلَيۡنَاۖ قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنطَقَ كُلَّ شَيۡءٖۚ وَهُوَ خَلَقَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمۡ لِمَ شَهِدتُّمۡ عَلَيۡنَاۖ قَالُوٓاْ﴾: أي: الجُلود ﴿أَنطَقَنَا ٱللَّهُ﴾؛ أي: بالشهادة عليكم ﴿ٱلَّذِيٓ أَنطَقَ كُلَّ شَيۡءٖ﴾؛ أي: كلَّ شيءٍ ناطقٍ.

﴿وَهُوَ خَلَقَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖ﴾: نُطْفةً ثم عَلَقةً ثم مُضْغةً ثم كذا وكذا حتى صِرْتُم ناساً ناطقين.

﴿وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾: أي: ثم أنتم الآن راجعون إلى حُكْمه لا امتناعَ لكم منه، فمَن قدِرَ على هذا كلِّه قدِرَ على إنطاقنا.

* * *

(٢٢) ـ ﴿وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَتِرُونَ أَن يَشۡهَدَ عَلَيۡكُمۡ سَمۡعُكُمۡ وَلَآ أَبۡصَٰرُكُمۡ وَلَا جُلُودُكُمۡ وَلَٰكِن ظَنَنتُمۡ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعۡلَمُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَعۡمَلُونَ﴾.

﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ﴾: قيل: هو خطابُ اللهِ لهم حينئذٍ.

وقيل: هو مِن كلام الجوارح في خطابهم؛ أي: وما كنتم تتَّقون شهادةَ الجوارحِ عليكم.

وقيل: ما كنتم تَسْتَخْفون مِن أنفسكم حذَراً مِن أن تشهدَ عليكم الجوارح، أو لئلا تشهدَ عليكم الجوارحُ.

والاستخفاءُ مِن الأنفُس: هو تَرْكُ الذنوبِ أصلاً؛ كما يُقال: استَحْيِ مِن نفْسِك.

وقيل: معناه: ما كنتم لِتستتروا فتعملوا بغير مَشْهَد مِن جوارحكم؛ أي: هذا مما لا يُمكن، تستَّرْتُم عن الناس ولم[1] يمكنْكُمُ التستُّرُ عن الجوارح، فهي شهودٌ[2] عليكم لا يُمكنُكم تكذيبُها.

﴿وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾: كانت طائفةٌ مِن الكفار بلَغَ جهلُهم أنْ ظنُّوا أنَّ الله يعلم بعض الأمور ويخفَى عليه بعضُها.

قال ابن مسعود رضي الله عنه: اجتمَعَ صَفْوانُ بن أمية وربيعةُ وعبدُ يَالِيلَ الثَّقَفيان في الحَطِيم، فقال أحدهم: أترى أنَّ الله يسمَعُ ما نقول؟ فقال الآخر: إذا رُفِعَتِ الأصواتُ سَمِعَ، وإذا خَفَضْنا لم يسمعْ، فقال الثالث: لئن كان يسمع النَّجْوى لقد يسمع السِّرَّ، فأنزل الله تعالى هذه الآية[3].

---

(١) في (أ): «إذ لم»، وفي (ر): «ولا».

(٢) في (أ): «فهي شهد شهود».

(٣) رواه البخاري (٤٨١٦)، ومسلم (٢٧٧٥)، وليس فيهما أسماء المتحاورين، وهي زيادة رواها الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٢٩١)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ١٧٠).

وقولُه تعالى: ﴿كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾؛ أي: كلَّ ما تعملون، وهو كقوله: ﴿يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِي يَعِدُكُمْ﴾ [غافر: ٢٨]؛ أي: كلُّه.

وقيل: معناه: ولكنْ عمِلتُم الذنوب[1] عمَلَ مَن ظنَّ أنَّ الله لا يعلم ما يَعمل، وهو كقوله: ﴿فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ١٧٥]؛ أي: فما أعمَلَهم بعمَل مَن يصبر على النار.

* * *

(٢٣ ـ ٢٤) ـ ﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن يَصْبِرُوا۟ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ۖ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا۟ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ﴾.

﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ﴾: أي: أهلككم؛ يعني: سهَّلَ عليكم المعاصي فعمِلْتُموها وهلَكْتُم بها.

﴿فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾: ويجوز أنْ يكون نفسُ الظنِّ هو المُهلِكَ، فإنَّ ظنَّه أنَّ الله لا يعلم ما عمِلَه كفرٌ منه، وهو مُهْلِكٌ.

وقولُه تعالى: ﴿فَإِن يَصْبِرُوا۟ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ۖ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا۟ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ﴾: أي: إنْ صبَروا أو لم يصبِروا فلا مَخْلَصَ لهم منها، فإن قوله: ﴿وَإِن يَسْتَعْتِبُوا۟﴾: معناه: وإنْ لم يصبروا واستَعْتَبوا، وهو كقوله: ﴿فَٱصْبِرُوٓا۟ أَوْ لَا تَصْبِرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ﴾ [الطور: ١٦].

وقيل: هو على قوله: ﴿وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ﴾ [ص: ٦] ﴿وَإِن يَسْتَعْتِبُوا۟ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ﴾؛ أي: لو التَمَسوا الكَفَّ عنهم وإزالةَ ما هم فيه بمسألة العُتْبى ـ وهو إظهار الرِّضا بأنْ يضمَنوا أنْ لا يعودوا إلى ما كانوا عليه ـ لم يُعْتَبوا؛ أي: لم يُجابوا إلى ذلك، وقد استعتبتُه فأعتبَني؛ أي: استرضيتُه فأرضاني.

---

(١) في (أ): «للذنوب».

وقرأ عمرو بن عبيد: (وإنْ يُسْتَعْتَبوا) على ما لم يُسَمَّ فاعلُه، (فما هم مِن المعتِبين): بكسر التاء[1]؛ أي: إنْ سُئِلوا بأنْ يعملوا بما يُرْضون به ربَّهم لم يفعلوا؛ أي: لم يُمكنهم ذلك ولم يَقْدِروا عليه؛ لأنهم فارَقوا دار المِحْنَة والعمل.

ويُقال: عتِبَ على فلان؛ أي: وجَدَ عليه مَوْجِدَةً، فعاتبَه؛ أي: خاطبَه بإظهار المَوْجِدَةِ، فاستعتبَه؛ أي: استرضاه، فأعتبَه؛ أي: أرضاه، والعُتْبى: الرِّضى إذا زال سببُ المَوْجِدَةِ.

***

(٢٥) ـ ﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُوا۟ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ﴾: وهذا قَبْل إنزالِ العذاب المستأصِلِ.

أي: قدَّرْنا. وقيل: هيَّأْنا. وقيل: سلَّطْنا. وقيل: أبدَلْنا.

﴿قُرَنَآءَ﴾: جَمْعُ قرين، وهم مِن الشياطين؛ كما قال: ﴿نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾ [الزخرف: ٣٦]؛ أي: اختاروا الضلالة فسلَّطْنا عليهم شياطين يُضِلُّونهم ويُزِلُّونهم.

﴿فَزَيَّنُوا۟ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾: أي: زيَّنوا لهم ارتكابَ المعاصي والملاذِّ المحظورة، فهوَّنوا عليهم أمرَ الآخرة والحساب والجزاء، فقيل: ﴿مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾: الآخرة؛ لأنهم يأتونها، ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾: الدنيا؛ لأنهم يتركونها.

وقيل: هو على القلب، ﴿مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾: الدنيا؛ لأنها حاضِرةٌ لهم؛ كما يُقال: قدَّمْتُ المائدةَ بين يديه، ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾: الآخرة؛ لأنها مِن بَعد هذا تأتيهم.

---

(١) ذكرها ابن جني في «المحتسب» (٢/ ٢٤٥)، وابن عطية في «المحرر الوجيز» (٥/ ١٢) عن الحسن وعمرو بن عبيد وموسى الأسواري.

وقيل: ﴿فَزَيَّنُوا لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾: مِن أعمالٍ عمِلوها فصوَّبوها لهم، ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾: ما يترُكون مِن آثارهم بَعْدَهم.

وقيل: ﴿مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾: حسَّنوا إليهم[1] أعمالَ الذين كانوا مِن قبلهم، ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾: أعمالَ الذين حدَثوا معهم أو بعدهم.

وقولُه تعالى: ﴿وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾: قيل: هو ما قال إبليس: ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ﴾ [النساء: ١١٩] وسائرُ ما قال أنه يفعل ببني آدمَ.

وقيل: هو ما قال الله تعالى: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص: ٨٥]؛ أي: تحقَّقَ هذا الوعيدُ فيهم.

وقولُه تعالى: ﴿فِي أُمَمٍ﴾: أي: مع أُمَمٍ ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ﴾: أي: عَمَّهم جميعاً في العقاب؛ لعُمومهم في الارتكاب، فهم جميعاً خاسرون، ترَكوا قُرناءَ الخير وهم الدُّعاة إلى الحق والدِّين، فعُوقبوا بالقُرَناء مِن الشياطين وذلك هو الخُسْران المُبين.

وقال الإمام القُشَيري رحمه الله: ﴿فَزَيَّنُوا لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾: مِن طُول الأمَل، ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾: مِن نسيان الزَّلَل[2].

* * *

(٢٦) ـ ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ﴾: وذكَر بعد قَبائحِ أولئك قبائحَ مُشركي عصرِ النبي ﷺ فقال: وقال مُشْركو قريش: لا تُصْغَوا إلى ما يقرؤه عليكم محمد مِن الكتاب الذي يزعُمُ أنه مُنَزَّلٌ عليه مِن ربه.

---

(١) في (ر): «لهم».

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٣/ ٣٢٦).

﴿وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ﴾: أي: ائتوا فيه باللَّغْو مِن الكلام ـ وهو الباطل الذي ليس له معنًى مُفيدٌ ـ لِيختلِطَ عليه ما يقرأ، فلا يتمكَّنُ مِن قراءته، ولا يتمكَّنُ أصحابُه مِن سماعه.

﴿لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ﴾: أي: لِتغلِبوه على القراءة فيَتْرُكَ، أو يتشوَّشَ عليه فيعجِزَ، أو يخفى[1] على السامع فلا يظهر.

قال ابن عباس رضي الله عنه في قوله: ﴿وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ﴾: كان يُوصي بعضهم إلى بعض: إذا رأيتم محمداً فعارِضوه بالرَّجَز والأشعار[2].

وقال مقاتل: ارفعوا أصواتَكم بالأشعار والكلام في وجهِه حتى تُلَبِّسوا عليه قوله فيسكُتَ[3].

وقال مجاهد: بالمُكاء والصفير[4].

وقال الضحاك: أكثِروا الكلامَ، فيختلِطَ عليه ما يقولُ[5].

وقال السُّدِّي: صِيحُوا في وجهه[6].

وقال أبو العالية: اطعَنوا فيه وعِيْبوه[7].

---

(١) في (ف): «فيخفى» بدل: «فيعجز أو يخفى».

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٢٩٢).

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٧٤١)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٢٩٣).

(٤) في (ر): «بالمكاء والتصدية»، وفي (ف): «بالمكاء والتصدية والصفير». والخبر رواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٤١٨)، وهو في «تفسير مجاهد» (ص: ٥٨٦)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٢٩٢).

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٢٩٢)، والبغوي في «تفسيره» (٤/ ١٣١).

(٦) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٢٩٢)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ١٧١).

(٧) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٢٩٣).

وقال مقاتل: قاله أبو جهل لقريش(١).

وقرأ عيسى بن عمرو: (وَالْغُوْا فِيهِ) بضمِّ الغين مِن باب: دخَلَ(٢).

وقال الأخفش: مَن فتحَ الغين كان مِن باب: صنَعَ(٣).

وفي «ديوان الأدب» جعلَه مِن باب: علِمَ(٤).

* * *

(٢٧ ـ ٢٨) ـ ﴿فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا﴾: قيل: في الدنيا، وكان ذلك يومَ بدر.

وقولُه تعالى: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: في الآخرة، فقد حبِطَ ما كان في صُورة الحسنات، وبقِيَت السيئات.

وقيل: كلاهما في الآخرة.

﴿ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ﴾: أي: ذلك الجزاءُ جزاءُ الكفار الذين هم أعداءُ الله.

﴿النَّارُ﴾: ترجمة عن قوله: ﴿جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ﴾.

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٧٤١).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للنحاس (٦/ ٢٦٢)، عن عيسى بن عمر وابن أبي إسحاق، و«المحتسب» (٢/ ٢٤٦)، وذكر أنها قراءة بكر بن حبيب السهمي.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للأخفش (٢/ ٥٠٦)، ولفظه: لأنها مِن: لَغَوْتُ يَلْغَى، مثل: مَحَوْتُ يَمْحَا. وانظر كذلك: «تفسير الثعلبي» (٨/ ٢٩٢)، و«المحرر الوجيز» لابن عطية (٥/ ١٣).

(٤) انظر: «ديوان الأدب» للفارابي (٤/ ٩٤).

﴿لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ﴾: أي: لهم في النار مَسْكَنُ الخُلود.

﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾: في الدنيا، وهي آيات القرآن التي لغَوا فيها.

* * *

(٢٩) ـ ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: أي: ويقول هؤلاء الكفار إذا صاروا في النار:

﴿رَبَّنَا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ﴾: أي: كانا سبباً لضلالنا حتى وقَعْنا في هذا العذاب لذلك.

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: يعني: إبليسَ الأبالسة، وابنَ آدم الذي قتلَ أخاه[١]. وإنما خُصَّا بالذِّكْر لأنهما سَنَّا الضَّلال والقَتْل[٢].

وقولُه تعالى: ﴿نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ﴾: أي: في الدَّرْكِ الأسفلِ مِن النار الذي أهلُه أشدُّ[٣] عذاباً.

وقيل: ﴿الَّذَيْنِ أَضَلَّانَا﴾: قرينٌ مِن الأنس، وقرينٌ مِن الجن، وهو ما قال **تعالى**: ﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ﴾ [فصلت: ٢٥]، يقولُ كلُّ كافرٍ ذلك، يُريد قرِينَيْه هذين.

والآثارُ على القول الأول.

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٧٧٥٨)، والطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٤٢٠)، والحاكم في «المستدرك» (٣٦٤٧) وصححه.

(٢) في (ر) و(ف): «لأنهما سببا الضلال والقتل».

(٣) في (أ): «الذي أهلها أشد أهلها» بدل من: «الذي أهله أشد».

(٣٠) - ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾: أي: نطقوا بالتوحيد.

﴿ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾: أي: أخلَصوا الإقرارَ لله بالرُّبوبية، ولم يعدِلوا عنه إلى غيره، ولا استبدَلوا به دِيناً سواه، ولا عمِلوا ما يخرجُ به عنه.

ذكرَ المؤمنين المُستقيمين وثوابَهم بعد ما ذكَرَ الكفارَ وعقابَهم.

وعن أنس رضي الله عنه أنَّ النبي ﷺ قال لَمَّا نزلت هذه الآية: «أمَّتي وربِّ الكعبة، استقاموا وثبَتوا على: لا إله إلا الله»(١).

وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: استقاموا فِعْلاً كما استقاموا قَوْلاً(٢).

وعنه في رواية أخرى أنه قال لأصحابه: ما تقولون في هذه الآية؟ قالوا: لم يُذنبوا، فقال: حمَلْتُم الأمر على أشَدِّه، قالوا له: فما تقول؟ قال معناه: لم يرجعوا إلى عبادة الأوثان(٣).

---

(١) ذكره التستري في «تفسيره» (ص: ١٣٧) مرفوعاً، والثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٢٩٤) عن ثابت عن أنس يرفعه.

ورواه الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» (٤/ ٢٠٧) عن الحسن مرسلاً.

وليس في جميع هذه الروايات قوله: «استقاموا وثبَتوا على: لا إله إلا الله».

(٢) ذكره عن أبي بكر رضي الله عنه الزمخشري في «الكشاف» (٤/ ١٩٨). وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٢٩٤)، والماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ١٧٩) من غير نسبة.

(٣) رواه إسحاق بن راهويه كما في «المطالب العالية» (٣٥٩٧)، واللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (١٩٩٩)، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٣٢٢) إلى ابن راهويه وعبد بن حميد والحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» وابن جرير والحاكم وصححه وابن مردويه وأبو نعيم في «الحلية».

وروى زيد بن أسلم عن عمر رضي الله عنه: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَقَـٰمُواْ﴾: لم يرُوغوا رَوَغانَ الثَّعالب[١]؛ يعني: لم يُنافقوا.

وقال عثمان رضي الله عنه: ﴿ٱسۡتَقَـٰمُواْ﴾: أخلَصوا العمل لله تعالى[٢].

وقال علي بن أبي طالب: ﴿ٱسۡتَقَـٰمُواْ﴾: أدَّوا الفرائضَ[٣].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَقَـٰمُواْ﴾: على ما افترض الله عليهم[٤].

وقال مجاهد: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَقَـٰمُواْ﴾: لم يُشْركوا بعد الإيمان حتى ماتوا[٥].

وقال الحسن وابن سيرين: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَقَـٰمُواْ﴾: أي: لم يَعْوَجُّوا[٦].

وقال سفيان الثوري رحمه الله: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَقَـٰمُواْ﴾: أي: عمِلوا على وِفاق ما قالوا.

---

(١) رواه ابن المبارك في «الزهد» (٣٢٥)، والإمام أحمد في «الزهد» (٦٠١)، والطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٤٢٥)، والحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» (٤/ ٢٠٧)، والثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٢٩٣) عن الزهري عن عمر رضي الله عنه.

(٢) ذكره عنه الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٢٩٣)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ١٧٢)، والزمخشري في «الكشاف» (٤/ ١٩٩).

(٣) انظر المصادر السابقة.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٤٢٥)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٢٩٣)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ١٧٢)، والزمخشري في «الكشاف» (٤/ ١٩٩).

(٥) رواه عن مجاهد الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٤٢٤)، والطبراني في «الدعاء» (١٥٩٢).

وروى نحوه الطبري أيضا في «تفسيره» (٢٠/ ٤٢٢)، وأبو داود في «الزهد» (٣٩)، والثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٢٩٣)، عن أبي بكر رضي الله عنه.

(٦) في (ر): «يعرجوا». وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٢٩٤) عن ابن سيرين.

وقال الفُضيل بن عياض رحمه الله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ﴾: زهِدوا في الفانية، ورغِبوا في الباقية[١].

وقال مقاتل بن سليمان رحمه الله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ﴾: على المعرفة ولم يرتدُّوا[٢].

وقال مقاتل بن حيان رحمه الله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ﴾: على أنَّ اللهَ ربُّهم[٣].

وقال الرَّبيع بن أنس: ﴿ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ﴾: أي: أعرَضوا عما سوى الله مِن الأوثان وغيرها[٤].

وقال القُشَيري رحمه الله: ﴿ثُمَّ﴾: تقتضي التراخي؛ أي: أقرُّوا بوحدانية الله تعالى للحال، ﴿ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ﴾: استداموا ذلك إلى المآل.

وقال أيضاً: لم يكتفوا بالمقالة دون صَفاء الحالة.

وقال: المُستقيمون قسمان:

مُستقيمٌ في أصل التوحيد والمعرفة، وهذه صفةُ جميعِ المؤمنين.

ومستقيمٌ في الفروع مِن غير معصية، وهو للأقلِّين.

ثم الاستقامة لهم على حسَبِ أحوالهم: فمُسْتقيمٌ في عَقْده، ومُستقيمٌ في

---

(١) ذكر الأثرين الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٢٩٤).

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٧٤٢)، وذكره الواحدي في «البسيط» (٢٠/ ١٧٥)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ١٧٢) عنه، والثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٢٩٤) عن مقاتل بن حيان.

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٢٩٤) عن مقاتل بن سليمان، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ١٧٩) عن أبي بكر رضي الله عنه ومجاهد، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ٣٢) عن أبي بكر رضي الله عنه.

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٢٩٤)، وابن عطية في «المحرر الوجيز» (٥/ ١٥).

عَهْده، ومُستقيمٌ في جُهْده ومُراعاةِ حدِّه، ومُستقيمٌ في قَصْده، ومُستقيمٌ في وُدِّه.

وقال أيضاً: ﴿ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟﴾: في تصفية العَقْد، ثم في تَوْفية العَهْد، ثم في صحَّة القَصْد.

وقال أيضاً: ﴿ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟﴾: بأقوالهم، ثم بأعمالهم، ثم بأحوالهم.

وقال أيضاً: أقاموا على طاعته، فاستقاموا في معرفته، وهاموا في محبَّتِه، وقاموا بشرائط خِدْمَتِه.

وقال أيضاً: استقامةُ الزاهِد: أنْ لا يرجعَ إلى الدنيا، واستقامةُ العابِد: أنْ لا يعودَ إلى الفَتْرة واتِّباعِ الشَّهوة، ولا يتداخلَ عملَه رياءٌ وسُمْعةٌ، واستقامةُ العارفِ: أنْ لا يشوبَ معرفتَه حظٌّ في الدارين، فيحجِبَه عن مولاه، واستقامةُ المُحبِّ ألا يكونَ له أَرَبٌ مِن محبوبه، يكتفي مِن جُوده بوجوده، ومِن عطائه ببقائه[1].

وقولُه تعالى: ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ﴾: أي: عند الموت بالبشارة مُترادِفين.

وقولُه تعالى: ﴿أَلَّا تَخَافُوا۟﴾: أي: بألَّا تخافوا؛ أي: ينزلون بهذه البشارة: لا تخافوا ما بين أيديكم مِن هَوْل المَطْلِع، والمُسائلةِ في القبر، والأَفْزاعِ يوم القيامة.

﴿وَلَا تَحْزَنُوا۟﴾: أي: ولا تهتمُّوا، فلا يفوتكم[2] ما أُمِّلْتُم[3].

وقيل: لا تخافوا ما أنتم قادمون عليه، فلن تروا مَكْروهاً، ولا تحزنوا على ما خلَّفْتُموه مِن أهلٍ وولدٍ، فإنَّ الله يخلُفُكم عليهم بخير.

وقيل: لا تخافوا ما أمامكم، فإنكم ستُكْفَون هَوْلَه، ولا تحزنوا على ما تركتموه

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٣/ ٣٢٧ـ٣٢٨).

(٢) في (ر) و(ف): «يغرنكم».

(٣) بعدها في (أ): «وقيل: لا تخافوا ما أملتم».

وراءكم في الدنيا مِن نعيمٍ وأهلٍ وولدٍ، فإنَّ الله يُعطيكم في الجنة أكثرَ مِن ذلك وأحسنَ، ويجمَعُ الله بينكم وبين أهاليكم وأولادكم المسلمين في الجنة.

وقال عطاء بن أبي رباح: لا تخافوا ولا تحزنوا على ذنوبكم، فإني أغفِرُها لكم(١).

وقيل: لا تخافوا الوقوعَ في العُقوبة، ولا تحزنوا فلن تفوتَكم المثُوبة.

وقولُه تعالى: ﴿وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾: في الدنيا، فإنكم ستَصيرون إليها.

وقال حاتم الأصَمُّ: إنما يُقال عند الموت: لا تخَفْ ولا تحزَنْ، للخائف الحَزين، فأما الفرِحُ الآمِنُ فإنه يُقال له: خَفْ واحزَنْ(٢).

وقال أبو بكر الورَّاق: ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ﴾ ملائكةُ الرِّعاية: ﴿أَلَّا تَخَافُواْ﴾ عَزْلَ الوِلاية، ﴿وَلَا تَحْزَنُواْ﴾ على ما مضى مِن الجناية، ﴿وَأَبْشِرُواْ﴾ بصدق العِناية ﴿بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾: في البداية(٣).

وقال محمد بن علي التِّرمِذيُّ: ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ﴾ ملائكةُ الرحمن عند مُفارقةِ الأرواحِ الأبدانَ، ﴿أَلَّا تَخَافُواْ﴾: سَلْبَ الإيمان ﴿وَلَا تَحْزَنُواْ﴾ على ما كان مِن العِصْيان ﴿وَأَبْشِرُواْ﴾: بدُخول الجِنان ﴿ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ في سالف الأزمان(٤).

وقال الإمام القُشَيريُّ رحمه الله: لا تخافوا مِن العذاب، ولا تحزنوا على ما خلَّفْتُم مِن الأسباب، وأبشروا بحُسْن المآب وجزيلِ الثَّواب.

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٢٩٤)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ١٧٣).

(٢) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٢٢٦) عن بعض المتأخرين.

(٣) ذكره القشيري في «لطائف الإشارات» (٣/ ٣٢٩) من غير نسبة.

(٤) ذكره أبو البركات النسفي في «تفسيره» (٣/ ٢٣٥)، وابن عجيبة في «البحر المديد» (٥/ ١٧٦).

وقال أيضاً: لا تخافوا مِن الذِّلَّة، ولا تحزَنوا بالزَّلَّة، وأبشروا بدوام الوُصْلَة[١].

وقال وكيع بن الجراح: هذه البُشْرى تكون في ثلاثة مواطن: عند الموت، وفي القبر، وفي البعث[٢].

وقال قتادة: ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾: إذا قاموا مِن قبورهم[٣].

وقال الحسن[٤]: تستقبلُهم إذا خرجوا مِن قبورهم في الموقف[٥].

وقال مقاتل: إنَّ المؤمن إذا خرج مِن قبره رأى ملَكاً قائماً على رأسه، فيقول له: أنا الذي كنتُ أرفعُ عملَكَ الصالح، فلا تخَفْ ولا تحزَنْ وأبشِرْ بالجنة[٦].

وهذا يدلُّ على أنَّ الملائكة المذكورين في الآية هم الحَفَظة، وبه قال جماعةٌ، منهم عكرمةُ[٧]، وذلك قولُه:

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٣/ ٣٢٩).

(٢) ذكره عنه الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٢٩٤)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ١٧٣).

ورواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٥٢٥٦) عن وكيع عن سفيان عن زيد بن أسلم، وذكره السمعاني في «تفسيره» (٥/ ٥٠) عن أبي العالية الرياحي.

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٢٩٤)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ٣٤)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ١٧٣) عن قتادة ومقاتل.

(٤) في (ر) و(ف): «الحسن البصري».

(٥) ذكره الثمالي في «تفسيره» (ص: ٢٩٢)، والطوسي في «التبيان» (٩/ ١٢٣) وهو من مفسري الشيعة الإمامية.

(٦) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٧٤٢).

(٧) هو قول مقاتل كما في «تفسيره» (٣/ ٧٤٢)، ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٤٢٨) عن السدي، وذكره عنه الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٢٩٥)، والماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ١٨٠).

(٣١) - ﴿نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾.

﴿نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: أي: نحفَظُ الأعمال.

وقيل: ملائكةُ قَبْضِ الأرواح يقولون لهم: ﴿نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾[1]: أي: الآن إلى أنْ تخرُجوا مِن الدنيا نُعينُكم ونُقوِّيكم، وندفعُ الشيطانَ عنكم.

وقيل: الملائكة أنواع، وهم مُوَكَّلون بالبشر مِن وقت تصوير الإنسان في الرَّحِم إلى الموت، وبعده إلى الجنة، وفيها إلى الأبد يقومون بأمورهم، وهو قولهم: ﴿نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾.

وقيل على تفسيرهم بالحفَظة: نحن أولياؤكم تولَّيْنا كتابةَ أعمالِكم، ونشهدُ بها في القيامة لكم.

ثم ذكْرُ الملائكةِ في هذه الآية بمقابلةِ ذِكرِ الشياطين في الآية المتقدمة: ﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ﴾، فالشياطينُ قُرناءُ الكفار في الدنيا والآخرة، والملائكةُ أولياءُ المؤمنين في الدنيا والآخرة.

وقيل: هذا خطاب الله تعالى: ﴿نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ﴾؛ كما قال: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [البقرة: ٢٥٧]، وهو في مُقابلة ما قال في الكفار: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ﴾[2] [فصلت: ١٩].

وقولُه تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا﴾: أي: في الجنة.

﴿مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ﴾: ما تنزِعُ إليه شهواتُكم مِن الطَّيِّبات والملاذِّ.

---

(١) بعدها في (ر): «أي نحفظ الأعمال».

(٢) في (ف): «ويوم نحشر...»، وهما قراءتان تقدم ذكرهما.

﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾: أي: ما دعوتُم به؛ أي: ما التمستُموه.

وقيل: أي: ما أضفتُموه إلى أنفسكم.

وقيل: أي: ما تمنَّيْتُموه بدَلاً عما خلَّفْتُم في الدنيا مِن القليل المُنْقَطِع الفاني.

* * *

(٣٢ ـ ٣٣) ـ ﴿نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾.

وقولُه: ﴿نُزُلًا﴾: أي: رِزْقاً أقامَه الله تعالى لكم لإنزالِكم[1] الجنةَ.

وقولُه: ﴿مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾: أي: ممَّن غفَرَ لكم ورحِمَكم.

وقولُه تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾: استفهامٌ بمعنى النفي، وهو تعجيب مِن المشركين الذين لغَوا في قراءة النبي ﷺ وهو يدعو إلى الله تعالى ويعملُ صالحاً، ويقولُ: ﴿إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾.

يقول: كيف يجوزُ لكم مَعاشِرَ قريشٍ مع ادِّعائِكم رَجاحةَ العُقول أنْ تتواصَوا باللَّغْو في قراءة النبي ﷺ؟! وأيُّ قولٍ أحسَنُ مِن قوله؟! وأيُّ قائلٍ أحسنُ قولاً منه وهو يدعو إلى الله تعالى ولا تُهْمةَ فيه؟! فإنه يعملُ بما يقول، ويُظهِرُ دينَ الإسلام الذي هو دينُ أبيكم إبراهيم عليه السلام.

وتتَّصِلُ هذه الآية أيضاً بقوله: ﴿قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾، وقولُه تعالى: ﴿إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ هو كقوله: ﴿رَبُّنَا اللَّهُ﴾، وقولُه تعالى: ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ هو كقوله: ﴿ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾.

---

(١) في (ر) و(ف): «لإنزاله إياكم».

وقالت عائشة رضي الله عنها: ما أُراها إلَّا نزلَتْ في المؤذِّنين(١). وبه قال مجاهد(٢).

وقال أبو أمامة الباهلي رضي الله عنه: ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾: صلَّى السُّنَّةَ والتَّطوُّعَ بعد الأذان(٣).

وقال مقاتل: جميعُ الأئمة والدُّعاة إلى الله تعالى(٤)؛ نظيرُه قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ [السجدة: ٢٤].

وقال الإمام القُشَيري رحمه الله: الدَّاعي إلى الله هو الذي يدعو الناس إلى الاكتفاءِ بالله، وترْكِ طلَبِ العِوَض مِن الله، بأنْ يكِلَ أمرَه إلى الله، ويرضى مِن الله بقِسْمة الله.

وقولُه تعالى: ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾: أي: كما يدعو إلى الله، فلا يتخلَّفُ هو عن الله.

ويُقال: هم الذين عرَفوا طريقَ الله، ثم سلكوا طريقَ الله، ثم دعوا الناسَ إلى الله(٥).

* * *

(٣٤) - ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ﴾: أي: لا يستوي ما أنتَ عليه يا

---

(١) رواه عنها ابن وهب في «تفسيره» (١١٨)، والفضل بن دكين في «الصلاة» (١٩١) وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٢٣٤٧)، والثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٢٩٧).

(٢) ذكره عنه السمعاني في «تفسيره» (٥/ ٥١)، ونقله ابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ٥٢) عن عائشة ومجاهد وعكرمة.

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٢٩٦)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ١٧٤).

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٢٩٦).

(٥) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٣/ ٣٣١).

محمد مِن التوحيد والاستقامة والدعاء إلى الله تعالى، وما عليه المشركون مِن الشِّرْك بالله، والصَّدِّ عن سبيل الله، والتَّواصي بتَرْك الاستماع لكلام الله تعالى.

أي: فأنتَ على حقٍّ وهم على باطل، وأنتَ في حِكْمة وهم في سفَهٍ، فاعملْ بما يَليقُ بمحَلِّكَ، ودعْهم وما يليقُ بمحَلِّهم.

وتكرارُ: ﴿وَلَا﴾ ذكَرْنا معناه.

وقيل: لأن كل واحدة منها تصلُحُ أنْ يلِيَها (لا) لو ابتُدِئَ بها.

وقولُه تعالى: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾: أي: اِدفَعْ بحقِّكَ باطِلَهم، وبحِلْمِكَ[1] سفهَهم.

﴿فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾: أي: فإذا استعملْتَ هذا لانَتْ لكَ جوانبُ أعدائِكَ المشركين، ومالتْ قلوبُهم إليكَ بالمودَّة، فأقبَلوا على ما تدعوهم إليه، واستمعوا له، ورُجِيَ بذلك أنْ يستجيبوا لكَ، ويصيرَ مَن يُعاديكَ منهم بالكُفْر بإسلامه كالوليِّ القَريب.

وحميمُكَ: قريبُكَ الذي يهتَمُّ لأمرِكَ.

حثَّه على مُلاطفتِهم ومُجادلتِهم بالأحسن، ثمَّ ليس هذا بقَطْعِ القول على أنهم يؤمنون إذا فعَلَ ذلك بهم، فقد فعَلَ، لكنَّه تنبيهٌ على أنهم يَلينون له، فيستمعون ويتدبَّرون، ثم بعد ذلك يقعُ له الرَّجاءُ في إسلامهم، لكنْ يُنْصِفُ بعضٌ فيُسْلِمُ، ويُعانِدُ بعضٌ فيُصِرُّ على كفره، وهو إطماعٌ له كما في قوله: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه: ٤٤]، هذا لإطماعِ موسى وهارون، لا لتحقيق وجودِ الإيمان مِن فرعون.

---

(١) في (ف) و(أ): «وبحكمتك».

(٣٥) ـ ﴿ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ ﴾: أي: وما يُعطى هذه الخَصْلَةَ، وهي دَفْعُ السيئة بالحسنة، وما يُوَفَّقُ لتلَقِّيها؛ أي: قبولِها واستقبالِها وأَخْذِها.

وقيل: أي: الموعظة.

وقيل: أي: الكلمة.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ﴾: ووطَّنوا أنفسَهم على الصبر لله على المَكاره.

﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾: أي: ذو نصيبٍ وافرٍ مِن العقل والعلم.

قال قتادة: أي: ذو حَظٍّ عظيمٍ مِن ثواب الله[1].

وقيل: هي مِن قولهم: رجلٌ مُلَقًّى؛ إذا كان تكثُرُ عليه المكارهُ؛ أي: لا يَحْمِلُ هذا الحِمْلَ إلا كذا.

***

(٣٦) ـ ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ ﴾: (إنْ) شرطٌ، و(ما) صِلَةٌ، والنون توكيدٌ وقَسَمٌ؛ أي: وإنْ يُخطِرِ الشيطانُ بقلبكَ وسوسةً، ويصدَّكَ بها عن تلَقِّي هذه الموعظة ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾: يسمعُ استعاذتَكَ، ويَعلمُ إرادةَ الشيطان استزلالَكَ، ويَعلمُ ما يربطُ به جأشَكَ.

والنَّزْغُ: الإفسادُ.

---

(١) روى عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٧١٤)، والطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٤٣٤) عن قتادة: أن الحظ العظيم هو الجنة.

وقيل: نزلت هذه الآيات في إيذاء أبي جهل ـ لعنَه الله ـ رسولَ الله ﷺ، أمرَه بمُداراته، ثم أمرَه بقِتاله[١].

وقال قتادة: ﴿كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾: يعني: أبا سفيان بنَ حَرْب، صار وليًّا بعد ما كان عدوًّا[٢].

* * *

(٣٧) ـ ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ﴾: أي: العلاماتِ الدَّالَّةِ على وحدانيَّته.

﴿ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾: خلَقَها لمنافع خَلْقِه ومصالحِ عِبادِه.

﴿لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ﴾: فإنهما مخلوقان.

﴿وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ﴾: أي: خلَقَ النَّهارَ واللَّيلَ والشَّمسَ والقمرَ.

﴿إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾: لأنَّ شرطَ عبادةِ الله تعالى ألَّا نسجدَ لِمَن دونه، فمَن عبَدَ معه غيرَه لم يكن له عابداً.

قال السُّدِّي رحمه الله: ولما نزل هذا قال المشركون: لا نسجُدُ إلا للَّاتِ والعُزَّى[٣]، فنزلَ قولُه:

(٣٨) ـ ﴿فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ۩﴾.

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٧٤٣)، ورواه عن مقاتل البيهقيُّ في «السنن الكبرى» (١٣٢٩٨)، وذكره السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٢٢٧)، والماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ١٨٢) من غير نسبة.

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٢٩٧)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ١٧٤) عن مقاتل.

(٣) ذكره مقاتل في «تفسيره» (٣/ ٧٤٤).

﴿فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا﴾: أي: هؤلاء المشركون عن إخلاص العبادة لله، فليس ذلك بمُقَلِّلٍ عددَ مَن يُخْلِصُ لله العبادةَ.

وقولُه: ﴿فَالَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾: أي: الملائكةُ الذين هم سُكَّان السماوات، ومُقرَّبون عند الله بالدَّرجات والكرامات.

﴿يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾: أي: يُنَزِّهونه.

وقيل: يسجدون[1] ويسبحون فيه.

وقيل: ﴿يُسَبِّحُونَ﴾: أي: يُصَلُّون، وفيها السجودُ وغيرُه.

وقولُه تعالى: ﴿وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ﴾: أي: لا يمَلُّون ولا يفتُرون، وهم أكثرُ عدداً ممَّن في الأرض، فلا يُخْطِرَنَّ الشيطانُ بقلبك أنَّ في الموحدين لله قِلَّةً.

* * *

(٣٩) ـ ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ﴾: أي: ومِن علاماته الدَّالَّة على كمال قُدْرته.

﴿أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً﴾: قال ابن عباس رضي الله عنهما: أي: مَيِّتَةً[2].

وقال الضحاك: أي: ذَليلةً[3].

وقال قتادة: أي: غَبْراءَ مُتَفَتِّتَةً[4].

---

(١) «يسجدون» ليست في (أ).

(٢) ذكره الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (٩/ ٨٥) دون عزو، وذكر الواحدي في «الوسيط» (٤/ ٣٧) عن ابن عباس قوله: مقشعرة.

(٣) لم أقف عليه عن الضحاك.

(٤) في (ر): «متقشفة»، وفي (ف): «متشققة». والخبر رواه عنه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٧١٥)، =

وقال مقاتل: غَبْراءَ مُتَهَشِّمَةً لا نباتَ بها[1].

وأصلُ الخشوعِ: السُّكونُ والخُضوعُ، قال تعالى: ﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ﴾ [طه: ١٠٨]، وقال تعالى: ﴿خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ﴾، وهذا كقوله: ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً﴾.

وقولُه تعالى: ﴿فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ﴾: أي: تحرَّكَتْ بالنبات ﴿وَرَبَتْ﴾؛ أي: ازدادتْ وانتفخَتْ بنُمُوِّ النبات في جَوْفها إلى أنْ يخرُجَ منها بانصداعها عنه.

وقيل: اهتزازُها: تحرُّكُ نباتِها، وكذا رُبُوُّها: رُبُوُّ نباتِها.

وقيل: هو مِن قولكَ: اهتزَّ فلانٌ بِبِشارةِ كذا؛ أي: استبشرَ، وهذا مجازٌ عن تزيُّنِ الأرض في الربيع، ولذلك يُقال: ضحِكَتِ الأرضُ ببُكاءِ السَّماء.

﴿إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ﴾: لا فَرْقَ بين الموتين والحَياتين في التدبُّرِ.

﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾: مِن هذا وغيرِه.

وقال الإمام القُشَيري رحمه الله في الآيتين: إنَّ الشمسَ وإنْ علَتْ، والقمرَ وإنْ حسُنَ، فلأجلكم خلَقْناهما، فلا تسجدوا لهما واسجُدوا لنا.

وقال أيضاً: خلَقَ الملائكة وقرَّبَهم ورفعَ منزلتَهم، ثم أمرَهم بالسجود لأبيكم آدم، فامتنَعَ أحدُهم، فلُعِنَ على الأبد.

وقال لكم: يا أولادَ آدمَ، لا تسجدوا للشمس ولا للقمر والملائكةِ ولا لشيءٍ دُوني.

وقال: أمرَكَ بصِيانة وجهِكَ عن الشمس والقمر والملائكة والبَشَر، ثم تبذُلُ وجهَكَ لكل خسيسٍ لأجلِ حظٍّ خَسيسٍ؟!

= والطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٤٣٨) بلفظ: غبراء متهشمة.

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٧٤٤). وانظر التعليق السابق.

وقال في الآية الثانية: الأرضُ إذا صحِبَتْها جُدُوبةُ الشتاء، ففي وقت الربيع إذا أُنْزِلَ عليها المطرُ اهتزَّتْ بالنبات واخضَرَّتْ؛ كذلك القلوبُ إذا خشَعَتْ وتماوتَتْ بما ألمَّتْ به مِن الذُّنوب، ونظَرَ إليها الحقُّ سبحانه، فاهتزَّتْ وتحرَّكَتْ للنَّدَم، يُعْفى عنها ما قصَّرَتْ في صِدْق القَدَم، وكذلك إذا وقعَ للعبد فَتْرةٌ في مُعاملتِه، وغَيبةٌ عن بِساط خِدْمَتِه، فإذا تعهَّدَه الحقُّ سبحانه بما أدخَلَ عليه مِن التَّذَكُّر عادَ عُودُ رَشادِه غضًّا طَرِيًّا، وشجَرُ وِفاقِه بعد ما أَجْدَبَ بماء العِنايةِ مَسْقِيًّا[1].

***

(٤٠) ـ ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخۡفَوۡنَ عَلَيۡنَآۗ أَفَمَن يُلۡقَىٰ فِي ٱلنَّارِ خَيۡرٌ أَم مَّن يَأۡتِيٓ ءَامِنٗا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخۡفَوۡنَ عَلَيۡنَآ ﴾: أي: إنَّ الذين يَميلون عن الحق في آياتنا، فيقولون: ﴿لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ﴾، ويكفُرون بالقرآن، ويزعُمون أنه ليس مِن عند الله، وأنَّ محمداً تَقوَّلَه على الله، وأنه أساطيرُ الأولين، ويُعرِضون عن تدبُّره.

وقيل: أي: الذين يُلحِدون في آيات وحدانيَّتِنا مما سبَقَ ذِكْرُه: ﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيۡلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ ﴾، ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلۡأَرۡضَ خَٰشِعَةٗ﴾ بتركِ تدبُّرِها والاستدلالِ بها على ما هي علامةٌ دالَّةٌ عليه.

﴿لَا يَخۡفَوۡنَ عَلَيۡنَآ﴾: بل نعلَمُ بهم، فنُجازيهم على وَفْقِ أعمالِهم، وهو تهديدٌ بليغٌ.

وقيل: إنَّ المُنجِّمين داخلين في هذا الوعيد؛ لأنهم يُلْحِدون في هذه الآيات، فإن الشمس والقمر والنجوم جعلَها الله تعالى دلائلَ على وحدانيَّته، وهم يجعلونها دلائلَ على السَّعادة والشَّقاء والغِنى والفقر ونحوِ ذلك.

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٣/ ٣٣٣ ـ ٣٣٤).

وقولُه تعالى: ﴿أَفَمَن يُلْقَىٰ فِي ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِيٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾: قيل: هاهنا مُضْمَرٌ: فلا يخفون علينا وقد أعدَدْنا لهم الجزاءَ، وهو إلقاؤُهم في النار، أفهؤلاء خيرٌ أم مَن لم يُلْحِدْ في آياتنا، فيأتي آمناً يوم القيامة مِن هذا؟!

وهذا استفهامٌ بمعنى التَّوْبيخ؛ لأنَّ جوابَه: بل مَن يأتي آمناً يوم القيامة، فكان هذا تقريراً لهم على قُبْحِ أعمالِهم.

وقولُه تعالى: ﴿ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ﴾: أي: فلْيختَرِ امرؤٌ لنفْسِه ما شاء مِن هذين، وهما الوُقوعُ في النار، والأمنُ منها، وليعمَلْ ما يراه، فإنه إنْ عمِلَ بعمَلِ أهلِ النار أُلقِيَ فيها، وإنْ عمِلَ غيرَ ذلك أَمِنَها.

وهي كلمةُ زَجْرٍ وتهديدٍ، وعُرِفَ بما بعده وما قَبْله أنه زَجْرٌ لا أَمْرٌ.

وقولُه تعالى: ﴿إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾: فيَجزي كلَّ عاملٍ جزاءَ عمَلِه.

* * *

(٤١) ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَـٰبٌ عَزِيزٌ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ﴾: أي: بالقرآن؛ لأنَّ فيه ذِكْرَ جميع[1] ما يُحتاجُ إليه، وجوابُه محذوفٌ، وهو ثابتٌ تقديراً[2]: هلَكوا به وشَقُوا به.

وقيل: خبرُه: ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَـٰبٌ عَزِيزٌ﴾: أي: لا يَقْدِرُ أحدٌ مِن العِباد بمِثْلِه.

وقيل: أي: كريمٌ، مِن حَقِّه أنْ يُعَزَّ وأنْ يُجَلَّ، فلا يُلْغى فيه ولا يُعْرَضَ عنه ولا يُلْحَدَ في آياته.

---

(١) «جميع» ليست من (أ).

(٢) في (ر): «تقديره».

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿عَزِيزٌ﴾: أي: كريم على الله[١].

وقيل: ﴿عَزِيزٌ﴾: لا يوجد مِثْلُه في نَظْمه وكثرة فوائدِه.

وقال مقاتل: مَنيعٌ أنْ يُبْطِلَه مُبْطِلٌ[٢].

وقال السُّدِّي: أي: غيرُ مخلوق[٣].

وقيل: أي: غالبٌ لِشُبَهِ المُبتدعين والكافرين، مِن قولهم: مَن عَزَّ بَزَّ[٤].

وقال الإمام القُشَيري رحمه الله: ﴿عَزِيزٌ﴾: لأنه كلامُ ربٍّ عزيزٍ إلى رسولٍ عزيزٍ بسَفارةِ ملَكٍ عزيزٍ إلى أُمَّةٍ عَزيزةٍ.

وقيل: عزيزٌ على المؤمنين لأنه كتابُ حبيبِهم، وكتابُ الحبيبِ إلى الحبيبِ عزيزٌ[٥].

* * *

(٤٢) ـ ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ﴾: أي: لا يعترِضُ عليه الباطلُ مِن شيءٍ أُنْزِلَ مِن الكُتُبِ قبله، ولا ينزِلُ كتابٌ بَعْدَه، بل هو الحُجَّةُ إلى قيام الساعة.

وقيل: أي: لا يقع فيه الكذِبُ مِن أخبار ما كان، ولا مِن أخبار ما يكون.

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٢٩٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ١٧٦) عن الكلبي عنه، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ٣٨) عن الكلبي.

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٧٤٤)، وذكره عنه السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٢٢٩)، والثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٢٩٨)، وابن عطية في «المحرر الوجيز» (٥/ ١٩).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٢٩٨)، وابن عطية في «المحرر الوجيز» (٥/ ١٩).

(٤) انظر: «الأمثال» لأبي عبيد (ص: ١١٣)، و«الكامل» للمبرد (٤/ ٣٤).

(٥) انظر: «لطائف الإشارات» (٣/ ٣٣٥).

وقيل: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ﴾: أي: المُبْطِل، وأنشَدوا فيه:

كِلِيني لهَمٍّ يا أُميمةُ ناصبِ ... وليلٍ أُقاسيه بَطِيءِ الكواكبِ[1]

أي: مُنْصِب.

وقيل ـ وهو قولُ الكلبي ومقاتل رحمهما الله ـ: لا يأتيه التَّكذيبُ مِن الكِتَاب الذي قَبْلَه، ولا يجيءُ مِن بعده كتابٌ يُكَذِّبُه[2].

وقال قتادة: أي لا يستطيع الشيطان أنْ يُبطِلَ منه حقًّا، أو يزيدَ فيه باطلاً[3].

ومجازُ هذا: أنَّ ما بين يدَي الشيء هو ما حضرَه، والحقُّ في القرآن كذلك، وما خَلْفَ الشيء ما ليس فيه، وكذلك الباطلُ ليس في القرآن.

ووجهٌ آخرُ: أنَّ الحقَّ مِن حَقِّه أنْ يُقدَّمَ، والباطلَ مِن حَقِّه أنْ يُخلَّفَ.

وقيل: مجازُه: أنَّه مُمتنِعٌ مِن أنْ يلحقَه تحريفٌ أو تبديلٌ أو زيادةٌ أو نُقْصانٌ أو إبطالٌ بجِهةٍ مِن الجهات.

وقولُه تعالى: ﴿تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ﴾: مصدر بمعنى المفعول؛ أي: هو مُنَزَّلٌ مِن ربٍّ حكيمٍ مُصيبٍ في أقواله وأفعاله.

﴿حَمِيدٍ﴾: محمودٍ بكل صفاته، مُستَحِقٍّ لحَمْد خَلْقِه.

---

(١) البيت للنابغة. انظر: «ديوان النابغة الذبياني» (ص: ٤٥)، و«تفسير الطبري» (١٤/ ٤٤)، و«تفسير الثعلبي» (٥/ ٣٣٧).

(٢) ذكره عنهما السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٢٢٩)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ٣٨).

(٣) رواه عنه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٧١٩)، والمحاسبي في «فهم القرآن» (ص: ٢٨٤)، والدارمي في «الرد على الجهمية» (٣٢٢)، وابن الضريس في «فضائل القرآن» (١٢٢)، والطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٤٤٤).

(٤٣) ـ ﴿مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ﴾: أي: كفَرَ المشركون بهذا الكتاب، وألحَدوا في آياته، ونسَبُوكَ إلى افترائه، ولكنْ ما قالوا لكَ إلا وقد قالت الأممُ السَّالفةُ لأنبيائهم كذلك، فاصبِرْ كما صبَروا تَظْفَرْ كما ظَفِروا، وهو معنى قولِ قتادة والسُّدِّي[1].

وقيل: يعني: ما يُوحى إليك إلا ما أُوحِيَ إلى الرسل المُتقدِّمين مِن إخلاص العبادة لله.

وقيل: قولُه تعالى: ﴿مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ﴾، وهو قولُه: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ﴾: للمؤمنين، ﴿وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ﴾: للكافرين.

* * *

(٤٤) ـ ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ءَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا﴾: العَجَميُّ: المنسوبُ إلى العجَمِ، وهم غيرُ العرب، فصيحاً كان أو غير فصيح، والأعجميُّ المنسوبُ إلى الأَعْجَم، وهو الذي لا يُفْصِحُ عربيًّا كان أو غيرَ عربيٍّ.

وقولُه تعالى: ﴿لَّقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ﴾: أي: هلَّا بُيِّنَتْ[2] آياتُه: ﴿ءَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ﴾؟!

---

(١) رواه عن قتادة عبدُ الرزاق في «تفسيره» (٢٧٢٠)، وعنهما الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٤٤٦)، ولفظ قتادة: يعزي نبيه كما تسمعون، ولفظ السدي: ما يقولون إلا ما قد قال المشركون للرسل من قبلك.

(٢) في (ر): «تبينت».

أي: أيكونُ كتابٌ أعجميٌّ ورسولٌ عربيٌّ؟!

يقولُ: لو أنزَلْنا هذا الذِّكْرَ قرآناً؛ أي: كتاباً يُقرأ ﴿أَعْجَمِيًّا﴾؛ أي: بلُغةٍ غيرِ فَصيحةٍ مِن لُغات الأعاجم، ﴿لَقَالُواْ﴾: أي: لقالَ هؤلاء المشركون: هلَّا بُيِّنَتْ آياتُه باللغة الفَصيحة، فيتحقَّقَ لنا فَهْمُها، ويقرُبَ مِن قلوبنا وعقولنا الوقوفُ على المراد بها.

﴿ءَاْعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ﴾: أي: فكيف يكون هذا أنْ يكون كتابٌ أعجميٌّ ورسولٌ عربيٌّ وإنما أُرْسِلَ بالكِتاب ليكون بياناً لقومه وآيةً له على صِدْق دعواه؟!

وكيف يكون[1] آيةً على قوم وهو شيءٌ لا يعرِفونه ولا يقِفون[2] على جنسه لِيمتحِنوا قُواهم في مُعارضته، حتى إذا عجِزوا علِموا أنه سماويٌّ خارجٌ عن قوى البشر؟!

وقولُه تعالى: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدًى﴾: أي: مُرْشِدٌ مِن الضلالة ﴿وَشِفَآءٌ﴾؛ أي: شافٍ مِن الجَهالة.

وقولُه تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ﴾: أي: ثِقْلٌ وصَمَمٌ عن سماعه وفَهْمه.

﴿وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾: أي: عمًى لقلوبهم لتركِهم تدبُّرَه.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾: أي: هم كمن يُنادى مِن مسافةٍ بعيدةٍ، فينقطعُ صوتُ المُنادي عنه فلا يسمعُه.

وقال مجاهد: لبُعْدِه عن قلوبهم[3].

---

(١) في (ف): «يكون له».

(٢) في (ف): «يفقهون».

(٣) رواه عنه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٤٥١)، وذكره السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٢٣١).

وقال الضحاك: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ﴾: في القيامة؛ أي: كما يُنادى المُبعَدون عن الكرامة بأقبح الأسماء(١).

وقرأ ابن عباس: (وهو عليهم عمٍ) بكسر الميم؛ أي: مُلْتَبِسٌ(٢).

* * *

(٤٥) - ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ فَٱخۡتُلِفَ فِيهِۗ وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۚ وَإِنَّهُمۡ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُ مُرِيبٖ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ﴾: أي: التوراةَ؛ كما آتيناكَ القرآن.

﴿فَٱخۡتُلِفَ فِيهِ﴾: أي: اختلَفوا في كتابه، فقالوا: سِحْرٌ، ونحوَ ذلك؛ كما اختلَفَ المشركون عليكَ في كتابكَ، فقالوا ما قالوا.

﴿وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيۡنَهُمۡ﴾: أي: وليس تأخيري العذابَ عنهم لعَجْزٍ، ولا لتَسْويةٍ بين المُحِقِّ والمُبْطِلِ، ولا لإهمالِ الفريقين، ولكنْ سبَقَ قولي أنِّي لا أُعاجِلُ هذه الأمةَ بالعذاب المستأصِل؛ لِعِلْمِي بمَن يخرُجُ مِن المؤمنين مِن أصلابهم.

﴿وَإِنَّهُمۡ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُ مُرِيبٖ﴾: أي: وإنَّ الكفار لا يكفُرون به لتيقُّنِهم ببُطْلانه، لكن يشُكُّون فيه لترْكِهم التأمُّلَ في الدلائل.

﴿مُرِيبٖ﴾: مُوقِعٍ للرِّيبَة؛ أي: التُّهمة.

---

(١) رواه عنه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٤٥١)، وذكره السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٢٣١)، والماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ١٨٧).

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (٢٠/ ٤٥٠)، و«تفسير الثعلبي» (٨/ ٢٩٩) ورواها عن ابن عباس ومعاوية وعمرو بن العاص.

(٤٦) ـ ﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ﴾: أي: فلنفْسِه نَفْعُه ﴿وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا﴾: أي: فعليها ضرَرُ إساءتِه.

وقولُه تعالى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾: أي: لا يُعَذِّبُ أحداً بغير ذنب، ولا يُنْقِصُ أحداً ثوابَ طاعتِه، ولا يزيدُ في العذاب على معصيته.

أي: يقضي بين هؤلاء المُخْتلِفين في القيامة على هذا.

***

(٤٧) ـ ﴿ ۞ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ۚ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِى قَالُوٓا۟ ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ ﴾.

ولَمَّا سألوا عن وقت القيامة قال: ﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾: أي: لا يَعْلَمُ متى تقوم الساعةُ غيرُه، وكلُّ عبدٍ سُئِلَ عنها ردَّ عِلْمَها إليه؛ كما قال لنبيه: ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى﴾ [الأعراف: ١٨٧](١).

وقولُه تعالى: ﴿**وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَةٍ مِنْ أَكْمَامِهَا**﴾: جَمْعُ: كُمٍّ، وهو غِلافُ الثَّمر.

وقرأ نافعٌ وابنُ عامرٍ وعاصمٌ في رواية حفص: ﴿مِن ثَمَرَٰتٍ﴾: على الجمع، وقرأ الباقون: ﴿من ثَمَرَةٍ﴾: على التوحيد(٢).

﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ﴾: ﴿مِن﴾ للتأكيد.

﴿وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ﴾: أي: كلُّ ذلك بعِلْم الله وتقديرِه، يجري ذلك كلُّه على

(١) ذكره مقاتل في «تفسيره» (٣/ ٧٤٧)، والثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٢٩٩).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٧٧)، و«التيسير» للداني (ص: ١٩٤).

عِلْمِه وقُدْرتِه، وكذلك الساعةُ، وهو كقوله: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ﴾ [الرعد: ٦] إلى أن قال: ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ [الرعد: ٨].

وقولُه تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِي﴾: أي: وفي هذا اليوم يُخاطِبُ الله هؤلاء، فيقول: أين الذين كنتم تُشْرِكونهم بي، ويقولون: هؤلاء شفعاؤُنا، وإنما نعبُدهم ليُقَرِّبونا إلى الله زُلْفى.

وقولُه تعالى: ﴿قَالُوا آذَنَّاكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ﴾: قيل: أي: يقول المشركون: نُؤذِنُكَ ـ أي: نُعْلِمُكَ ـ ما مِنَّا مِن أحدٍ يشهَدُ[1] بأنَّ لك شَريكاً، أو بأنه كان لكَ شريكٌ.

ماضٍ بمعنى المستقبل؛ لأنه مِن أمور الآخرة، وهو كائنٌ لا محالةَ فأُلْحِقَ بالموجود.

ويَحتملُ أنَّهم كانوا قالوا ذلك قَبْل هذا الخطاب، فقد أخبَرَ أنهم يتبرَّؤون مِن ذلك يومَ القيامة، فيكون قوله: ﴿آذَنَّاكَ﴾: أي: قلنا قبل هذا: ﴿مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ﴾.

ثم هذا الإعلامُ لا يجوز أنْ يُفْهَمَ منه إيقاعُ العِلْم، لكنْ طريقُه طريقُ قولِه: ﴿أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ﴾ [البقرة: ٣١]، وقد فسَّرْناه في تلك الآية.

وقال القُتَبيُّ: هذا قول المعبودين، يقولون: ما مِنَّا مِن شهيد للمشركين على ما قالوا[2].

***

(٤٨ ـ ٤٩) ـ ﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَدْعُونَ مِن قَبْلُ وَظَنُّوا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٤٨﴾ لَّا يَسْأَمُ الْإِنسَانُ مِن دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ﴾.

---

(١) في (أ): «شهيد».

(٢) انظر: «غريب القرآن» لابن قتيبة (ص: ٣٩٠).

وقولُه تعالى: ﴿وَضَلَّ عَنْهُم﴾: أي: بطَلَ ﴿مَّا كَانُوا۟ يَدْعُونَ مِن قَبْلُ﴾؛ أي: في الدنيا.

﴿وَظَنُّوا۟﴾: أي: علِموا وأيقَنوا ﴿مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ﴾: أي: مَعْدِلٍ مِن النار.

ويجوز أنْ يكون الظنُّ على غلَبة الظنِّ، فإنهم يطمَعون في الخروج، ولذلك يسألونه.

وقولُه تعالى: ﴿لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَـٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ﴾: قال مقاتل: نزلت في أبي حُذيفة بن المُغيرة(١).

يقول: لا يمَلُّ هذا المشركُ الجاحدُ بالقيامة مِن مسألة الله الذي هو مُقِرٌّ بأنه خالقُه ورازقُه السَّعَةَ في المال، والسَّلامةَ في النَّفْس، والظَّفَرَ بكل محبوب.

﴿وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ﴾: أي: نالَه المكروه.

﴿فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ﴾: أي: ييْأَسُ مِن زوال ما به، ويظُنُّ أنْ يدومَ عليه، ويقنَطُ مِن رحمة الله.

* * *

(٥٠) ـ ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَـٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَـٰذَا لِى وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ ۚ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾.

﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَـٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا﴾: أي: نِعْمةً.

---

(١) لم أقف عليه، وقد اختلف فيمن نزلت، فذكر السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٢٣٢) عن الضحاك أنها نزلت في النضر بن الحارث. وذكر مكي بن أبي طالب في «الهداية» (١٠/ ٦٥٤٤) أن الآية نزلت في الوليد بن المغيرة، أو: في عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأمية بن خلف. وليس التعيين هنا بمهم، فإن الآية عامة في كل من هذه صفته.

﴿مِنۢ بَعۡدِ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُ﴾: أي: شِدَّةٍ أصابَتْه.

﴿لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي﴾: أي: أنا أهلُه ومُسْتَحِقُّه.

وقيل: أي: بسببِ خيرٍ عندي.

وقيل: أي: بعملي(١).

وقولُه تعالى: ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً﴾: أي: وما أحسَبُ القيامةَ كائنةً.

﴿وَلَئِن رُّجِعۡتُ إِلَىٰ رَبِّيٓ﴾: أي: ولئن كان ما يقول محمد وأصحابُه حقًّا مِن قيام الساعة.

﴿إِنَّ لِي عِندَهُۥ لَلۡحُسۡنَىٰ﴾: يعني: الجنَّةَ وكلَّ حالةٍ حسنةٍ، ولا يُعذِّبُني الله؛ لأنه إنما يُعَذِّبُ مَن يَهونُ عليه، لا مَن يَكْرُمُ عليه، وأنا كريم عليه، فقد أكرمَني بالنِّعَم في الدنيا.

﴿فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِمَا عَمِلُواْ﴾: وأُجازيهم عليه، فيعلمون أنَّ الساعةَ قائمةٌ، وأنَّ الحُسْنى لغيرهم.

﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنۡ عَذَابٍ غَلِيظٖ﴾: شديدٍ دائمٍ.

* * *

(٥١) ـ ﴿وَإِذَآ أَنۡعَمۡنَا عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ أَعۡرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٖ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿وَإِذَآ أَنۡعَمۡنَا عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ﴾: أي: على هذا الكافر.

﴿أَعۡرَضَ﴾: أي: عن ذِكْرنا والتدبُّرِ في آياتنا.

وقال مقاتل: أعرَضَ عن الدعاء(٢).

---

(١) في (ر): «بعلمي».

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٧٤٨).

وقال الكلبي: عن الإيمان(١).

﴿وَنَـَا بِجَانِبِهِۦ﴾: أي: بعُدَ وولّى جانبَه.

وقال أبو عَوْسجَةَ: تباعدَ عما أُمِرَ به(٢)؛ أي: تكبَّر، وهو كتصعير الخَدِّ، وهو إمالتُه.

وقال نِفْطَوَيْهِ: ﴿وَنَـَا بِجَانِبِهِۦ﴾: أي: امتنَعَ بقوَّتِه وحالِه(٣).

وقولُه تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ﴾: أي: فهو ذو دُعاءٍ كثيرٍ.

والطُّولُ والعَرْضُ يُستعملُ في الكَثْرة والكِبَر مجازاً.

وقيل: العريضُ أبلَغُ مِن الطويل؛ إذ العَرْضُ يدلُّ على الطُّول، والطُّول لا يدلُّ على العَرْض؛ إذ قد يصِحُّ طويلٌ ولا عَرْضَ له، ولا يصِحُّ عريضٌ ولا طُولَ له؛ لأنَّ العَرْضَ انبساطٌ في خِلاف جِهة الطُّول، والطُّولَ امتدادٌ في أيِّ جِهةٍ كانت.

* * *

(٥٢) ـ ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ﴾: أي: قل يا محمد: إنْ كان ما يُخبِرُ به محمد مِن الوَعْد والوَعيد صِدْقاً مِن عند الله ثم كذَّبْتُموه في ذلك، كنتم مُشاقِّين لله؛ أي: مُعادِين له مُخالِفين.

---

(١) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٢٣٣)، وأورده الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ١٨٨) من غير نسبة.

(٢) في (أ): «أمرته». والخبر ذكره عنه الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (٩/ ٩٧).

(٣) ذكره عنه أبو عبيد في «الغريبين» (ص: ٣٧٣)، وهو من غير نسبة في «شرح السنة» للبغوي (١٤/ ٢٥٢).

وقولُه تعالى: ﴿مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾: أي: خِلافٍ بعيدٍ عن الوِفاق، ومُعاداةٍ بعيدةٍ عن الموالاة، استفهامٌ بمعنى النفي.

***

(٥٣) - ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْأَفَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْأَفَاقِ﴾: يعني: علاماتِ عذابِنا في البلاد، وهو ما كان نزَلَ بعادٍ وثمودَ وقومِ لوطٍ، وهم يَرون ذلك إذا سافروا.

وقولُه تعالى: ﴿وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾: يُبْتَلون في أنفسهم بالبَلايا.

ويُقال: قَتْل أصحابِهم مِن الكفار في الحروب.

﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾: الذي قلْتَ هو الحق[1]، فيُصدِّقونك.

وقال مجاهد: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْأَفَاقِ﴾: يعني: ما يفتَحُ اللهُ على محمد مِن القُرى، ﴿وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾: فتحُ مكةَ[2].

وقال الضحاك: إنَّ أبا جهل ـ لعنَه الله ـ قال للنبي ﷺ: ائتنا بعلامة، فأشارَ إلى القمر، فانشَقَّ نِصْفَين، فقال أبو جهل: يا مَعْشَرَ قُرَيشٍ، إنَّ محمداً قد سحَرَ القمر، وجِّهوا رسُلَكم في الآفاق: هل عايَنوا القمرَ كذلك؟ فإنْ عايَنوه كذلك فهو آيةٌ، وإلَّا

---

(١) في (ر): «الصدق».

(٢) رواه عنه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٧٢٣)، وروى نحوه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٤٦١) عن السدي، وذكره الواحدي في «الوسيط» (٤/ ٤٠)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ١٧٩) عن مجاهد والسدي والحسن.

فهو سِحْرٌ، فوجَّهوا فإذا أهلُ الآفاق تحدَّثوا بانشقاق القمر، فقال أبو جهل لعنَه الله: ﴿وَيَقُولُواْ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ [القمر: ٢]، فنزلَتِ هذه الآيةُ[١].

وقيل: معناه: ﴿سَنُرِيهِمْ﴾ آياتِ وحدانيَّتِنا، ﴿فِي ٱلْآفَاقِ﴾: مِن سَيْرِ النُّجوم وجَرَيان الشمس والقمر بحُسْنِ التَّدبير، وكذلك ما في الأرض، ﴿وَفِيٓ أَنفُسِهِمْ﴾: ما يُشاهدون فيها مِن آثار الحدَثِ والتَّنقُّلِ مِن حالٍ إلى حالٍ، ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾؛ أي: يظهَرَ لهم البيانُ الذي ينقطِعُ به العُذْرُ.

وقولُه تعالى: ﴿أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾؛ أي: أنَّ اللهَ هو المعبودُ الحقُّ الذي لا شريكَ له، وأنَّ البعثَ حقٌّ لا شُبْهةَ فيه، فإنَّ مَن قدِرَ على ذلك قدِرَ على إحياء الموتى.

وقولُه تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾: أي: شاهدٌ، ويشهد أنَّ القرآنَ مِن عند الله، وأنَّكَ رسولُه.

وقيل: يشهدُ بهذا كلِّه.

قال الكلبي: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ﴾ أنه أخبرَهم بذلك وشهِدَ به لِيعلموا[٢] وإنْ لم يُسافروا في الآفاق[٣].

وقيل: أي: عالمٌ بِفعْلِكَ يا محمد وبأفعالهم، فيَجزي كُلًّا على وَفْق عمَلِه، وهو مِن قوله: ﴿عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ﴾ [الأنعام: ٧٣].

***

---

(١) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٢٣٣).

(٢) بعدها في (ر) و(ف): «أنه».

(٣) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٢٣٣).

(٥٤) ـ ﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ فِي مِرۡيَةٖ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمۡۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطُۢ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ فِي مِرۡيَةٖ﴾: أي: شَكٍّ ﴿مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمۡ﴾: مِن مَجيء القيامة، وحسابِ اللهِ[1] الخَلْقَ، والجزاءِ.

وقولُه تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطُۢ﴾: أي: عالمٌ بالأشياء كلِّها، قاهرٌ لها، لا يُعجِزُه هاربٌ، ولا يفوتُه مطلوبٌ.

* * *

(١) لفظ الجلالة «الله» من (أ).

سُورَةُ الشُّورَىٰ

سُورَةُ الشُّورَىٰ[1]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

باسم الله الذي ليس كمِثْلِه شيءٌ وهو السميع البصير، الرَّحمنِ الذي وعَدَ المؤمنين روضاتِ الجَنَّات لهم ما يشاءون عند ربهم ذلك هو الفَضْل الكبير، الرَّحيمِ الذي لا يُؤاخذُنا إلا بما كسبنا[2] ويعفو عن كثير.

روى أبيُّ بن كعب رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «مَن قرأ سورة ﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ﴾ كان ممن تُصَلِّي عليه الملائكةُ ويَسْتَرْحِمون له»[3].

وهذه السُّورة مكِّيَّةٌ.

وهي ثلاثٌ وخمسون آيةً، وقيل: خمسون، الاختلافُ في: ﴿حمٓ﴾ و﴿عٓسٓقٓ﴾، وفي: ﴿ٱلۡبَحۡرِ كَٱلۡأَعۡلَٰمِ﴾.

وكلماتُها: ثماني مئةٍ وستون.

وحروفُها: ثلاثةُ آلافٍ وأربعُ مئةٍ وأربعون.

---

(١) في (ف): «حم عسق».

(٢) في (أ): «إلا بكسبنا».

(٣) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٣٠١)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ٤٢)، وهو قطعة من حديث طويل موضوع، وقد تقدم الكلام عليه مراراً. انظر: «الفتح السماوي» للمناوي (٣/ ٩٧٩).

وانتظامُ أوَّلِ هذه السُّورة بآخر تلك السُّورة: أنَّ خَتْمَ تلك السُّورة باسم مِن أسماء الله تعالى، وكذلك افتتاحُ هذه السُّورة.

وانتظامُ السُّورتين: أنهما في ذِكْر الكفار وشِرْكِهم، وإقامةِ الدَّلائل على جهلهم، وإبطالِ قولِهم، وما يتَّصِلُ بوعيدهم ووعيدِ غيرِهم.

***

(١ ـ ٢) ـ ﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿حمٓ﴾: مرَّتِ الأقاويلُ فيه.

﴿عٓسٓقٓ﴾: هذه الحروف الخمسة اسمُ هذه السُّورة.

وقال الضحاك: ﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ﴾؛ أي: قُضِيَ عذابٌ واقعٌ، وأرجو أنْ يكون قد مضى يوم بدر والسِّنونَ التي أصابَتْ أهلَ مكَّةَ[١].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: السِّينُ في ﴿عٓسٓقٓ﴾ كلُّ فِرْقةٍ تكون، والقافُ كلُّ جماعةٍ تكون، وبها كان يَعْلَمُ عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه حسابَ الفِتَنِ[٢].

وعنه أنه قال: ليس مِن نبيٍّ صاحبِ شَرْعٍ أو صاحبِ كتابٍ إلا وقد أُوحِيَ إليه: ﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ﴾، يُبيِّنُ ذلك قولُه تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ ٱللَّهُ﴾[٣].

وقال السُّدِّي: ﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ﴾: يعني: العذابَ، أوحى الله تعالى إلى الرسل

---

(١) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٢٣٥).

(٢) ذكره الفراء في «معاني القرآن» (٣/ ٢١)، والطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٤٦٥)، والماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (٩/ ١٠٠)، والثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٣٠٢)، ومكي في «الهداية» (١٠/ ٦٥٥٥). وعندهم جميعاً: (حم سق)، وأن ابن عباس قرأها كذلك دون عين.

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٣٠٣)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ١٨٤).

أنَّ العذاب نازلٌ بأُمَمِهم كما أوحى إلى النبي ﷺ شأنَ يومِ بدرٍ وغيرِه(١).

وقال عكرمة: سأل نافع بن الأزرقُ ابنَ عباس عن قوله: ﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ﴾، فقال: حاءٌ حِلْمُه، ميمٌ مَجْدُه، عَينٌ عِلْمُه، سينٌ سَناؤُه، قافٌ قُدْرَتُه، أقسمَ الله بها(٢).

وفي رواية أبي الجَوْزاء: أنَّ ابن عباس رضي الله عنهما قال لنافع: عَينٌ عذابٌ، سينٌ مَسْخٌ، قافٌ قَذْفٌ(٣).

ورُوِي أنَّ النبي ﷺ لَمَّا نزلت هذه الآية عُرِفَتِ الكآبةُ في وجهه، فقيل له في ذلك، فقال: «أُخْبِرْتُ ببلاءٍ ينزلُ بأُمَّتي مِن مَسْخٍ وخَسْفٍ وقَذْفٍ، ونارٍ تحشُرُهم، وريحٍ تقذِفُ بهم في اليمِّ، وآياتٍ مُتتابعاتٍ مُتَّصِلةٍ بنزول عيسى وخروج الدَّجَّال»(٤).

وقال شَهْر بن حَوْشَب: حاءٌ: حربٌ يَعِزُّ فيها الذَّليل، ويَذِلُّ فيها العزيز في قريش، ثم تُفْضِي إلى العرب، ثم تُفْضِي إلى العجم، ثم تمتَدُّ إلى خروج الدَّجَّال(٥).

وقال عطاء بن أبي رباح: حاءٌ: حربٌ في أهل مكة تُجْحِفُ بهم حتى يأكلوا

---

(١) ذكر نحوه مقاتل في «تفسيره» (٣/ ٧٦٣).

وأما السدي فقد ذكر عنه السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٢٣٥) أنه قال: الحاء حلمه، والميم ملكه، والعين عظمته، والسن سناؤه، والقاف قدرته، والثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٣٠٣) أنه قال: العين من العزيز، والسين من السلام، والقاف من القادر.

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٣٠٢)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ٤٢)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ١٨٠).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٣٠٢)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٧/ ٢٧١).

(٤) ذكره بهذا السياق الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٣٠٢)، وأصل الحديث دون ذكر الآية ثابت بأسانيد صحيحة، فقد رواه مسلم (٢٩٠١)، والترمذي (٢١٨٣)، والإمام أحمد في «مسنده» (١٦١٤٣) عن حذيفة بن أسيد رضي الله عنه.

(٥) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٢٣٥)، والثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٣٠٣).

الجِيَفَ وعِظامَ الموتى، ميمٌ: مُلْكٌ يتحوَّلُ مِن قوم إلى قوم، عَينٌ: عدُوٌّ لقريش يقصِدُهم، سينٌ: سَبْيٌ يكون فيهم، قافٌ: قُدْرةُ اللهِ النَّافذةُ في خَلْقِه[1].

وقال بكرُ بن عبد الله المُزنيُّ: الحاءُ: حربٌ تكون بين قريش والموالي، فتكون الغلَبةُ لقريش على الموالي، ميمٌ: مُلْكُ بني أُمَيَّةَ، عينٌ: عُلُوٌّ بني العباس، سينٌ: سَناءُ المهدي، قافٌ: قُدْرةُ عيسى حين ينزِلُ، فيقتُلُ النصارى، ويُخَرِّبُ البِيَعَ[2].

وقال محمد بن كعب: أقسَمَ الله تعالى بحِلْمِه[3] ومَجْدِه وعُلُوِّه وسَنائِه وقُدْرته ألَّا يُعذِّبَ مَن عاد إليه بلا إله إلا الله، مُخْلِصاً مِن قلبه[4].

وقال سعيد بن جُبير وجعفرٌ الصادقُ رضي الله عنهما: حاءٌ مِن رحمن، ميمٌ مِن مَجيد، عَينٌ مِن عالِم، سينٌ مِن قُدُّوس، قافٌ مِن قاهر[5].

* * *

(٣) ـ ﴿كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ﴾: أي: كالذي أوحَى إليكَ في هذه السورة يُوحِي إليكَ في سائر السُّوَر، وكذلك أوحى إلى الأنبياء المُتقدِّمين.

وقولُه تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ﴾: الذي لا يحتاجُ إلى شريك يتعزَّزُ به.

﴿ٱلۡحَكِيمُ﴾: المُصيبُ في أقواله وأفعاله، المُحْكِمُ دلائلَه، المُتْقِنُ خَلْقَه.

---

(١) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٢٣٥)، والثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٣٠٣).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٣٠٣).

(٣) في (ف): «بحكمه».

(٤) ذكره عن محمد بن كعب الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٣٠٣)، وذكره السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٢٣٥) عن ابن عباس.

(٥) ذكره عنهما الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٣٠٣).

(٤) ـ ﴿ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾.

﴿ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾: مِلْكاً ومُلْكاً.

﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ﴾: المُمْتَنِعُ بعُلُوِّه أنْ يُغالَبَ.

﴿ٱلْعَظِيمُ ﴾: الجليلُ سُلْطانُه أنْ يُعارَض.

وقيل: ﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ ﴾: أي: هي وجميعُ حروفِ التَّهَجِّي مما أوحى الله بها كُتُبَه إلى أنبيائِه؛ أي: بها كان نَظْمُها.

وقيل: ﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ ﴾: سِرٌّ لم يَطَّلِعْ عليه غيرُ محمد، وكذا كان وَحْيُ اللهِ تعالى إلى أنبيائه، كان في بعض الكتب[1] سِرٌّ تفرَّدَ به الرسول[2].

* * *

(٥) ـ ﴿ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ ۚ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ ﴾: قرأ أبو عمرو وعاصمٌ في رواية أبي بكر: ﴿ تَكَادُ ﴾ بتاء التأنيث، (يَنْفَطِرْن) بالنون مِن الانفطار، وهو الانشقاق.

وقرأ ابنُ كثيرٍ وابنُ عامرٍ وحمزةُ وعاصمٌ في رواية حفص: ﴿ تَكَادُ ﴾ بتاء التأنيث، ﴿يَتَفَطَّرْنَ ﴾ مِن التَّفطُّر، وهو التَّشقُّق.

وقرأ نافعٌ والكسائيُّ: ﴿يكاد﴾ بياء التذكير، ﴿يَتَفَطَّرْنَ ﴾: مِن التَّفطُّر[3].

قيل: تكاد السماوات تتشقَّقْنَ لِعظمة الله وهَيْبَته.

---

(١) في (أ) و(ف): «الكتاب».

(٢) في (أ): «تفرد به رسول الله عليه السلام».

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٨٠)، و«التيسير» للداني (ص: ٥٨٠).

وقيل: معناه: تُقارِبُ السماوات أنْ تتشقَّقْنَ فوق الأرَضين.

وقيل: ﴿مِن فَوْقِهِنَّ﴾: أي: مِن أعلى سماءٍ منها[١]، فلا تبقى سماءٌ إلا وقد سقَطَتْ على الأخرى كالسَّقْفِ فوق السَّقْف؛ خَشْيةً لله لو كُنَّ يَعْقِلْنَ، وإجلالاً له، وانقطاعاً إليه بالرَّهْبة والرَّغْبة؛ كما قال: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ [الحشر: ٢١].

وقيل: تتشقَّقْنَ لِفَظاعةِ قولِ المشركين؛ كما قال: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا﴾[٢] [مريم: ٩٠ ـ ٩١].

وقيل: تتشقَّقْنَ لِكَثْرة ما على السماوات مِن الملائكة، قال النبي ﷺ: «أطَّتِ[٣] السماء وحُقَّ لها أنْ تَئِطَّ، ما فيها موضِعُ قدَمٍ إلا وعليه ملَكٌ قائمٌ أو راكعٌ أو ساجدٌ»[٤].

وقيل: تكاد السماوات يَنْفَطِرْنَ لقيام القيامة[٥] لِتعجيلِ عقابِ هؤلاء المشركين، فإنَّ انفطارَ السماء وانشِقاقَها لِقيام يوم القيامة، قال تعالى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ﴾ [الانفطار: ١]، ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾ [الانشقاق: ١].

---

(١) في (أ) و(ف): «فيها».

(٢) في (أ) و(ف): «ينفطرن».

(٣) الأطيط: صوت الأقتاب، وأطيط الإبل: أصواتها وحنينها؛ أي: أن كثرة ما في السماء من الملائكة قد أثقلها حتى أطت، وهذا مثَل وإيذانٌ بكثرة الملائكة وإن لم يكن ثَمَّ أطيط، وإنما هو كلام تقريب أريد به تقرير عظمة الله تعالى. انظر: «النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير (مادة: أطط).

(٤) رواه الترمذي (٢٣١٢) وحسنه، وابن ماجه (٤١٩٠)، والإمام أحمد في «مسنده» (٢١٥١٦)، والحاكم في «مستدركه» (٨٧٢٦) وصححه، من حديث أبي ذر رضي الله عنه.
ورواه البزار في «مسنده» (٣٢٠٨) من حديث حكيم بن حزام رضي الله عنه، والمروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (٢٥٥) من حديث العلاء بن سعد رضي الله عنه، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ٢٦٩) من حديث أنس رضي الله عنه، واللفظ له.

(٥) في (ر): «الساعة».

وقيل: يَنْفَطِرْنَ للسُّقوط على الكفار؛ كما قال: ﴿إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [سبأ: ٩].

﴿وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾: يُنزِّهونه ويحمَدونه بمَحامِده.

﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾: مِن المؤمنين ﴿أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ لهم.

وقيل: يستغفرون لكلِّ مَن في الأرض، يسألون تَرْكَ مُعاجلَتِهم بالعذاب؛ لِأجْل مَن فيها مِن أهل الإيمان.

* * *

(٦) ـ ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ﴾: أي: أصناماً يتولَّونها.

﴿ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ﴾: أي: يحفَظُ عليهم أعمالَهم وأقوالَهم وعقائدَهم، ويُوفِّيهم يوم القيامة.

﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾: أي: بمُسَلَّطٍ عليهم تُدخِلُهم في الإيمان جَبْراً، ولا بمَنْصوب عليهم بحفظ أعمالهم ومُجازاتهم عليها شرًّا، إنما عليك البلاغُ فبَلِّغْ، ولا تضِقْ بنُفورهم صَدْراً.

* * *

(٧) ـ ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾: بلسانِ قومِكَ؛ كما أرسَلْنا كلَّ رسول بلسان قومه.

﴿لِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ﴾: لِتُخوِّفَ أهلَ مكَّةَ التي هي أصْلُ كلِّ بَلْدةٍ، فإنَّ الأرضَ منها دُحِيَتْ.

﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾: مِن بلاد العرب؛ لِيكونوا أعواناً لكَ على غيرهم.

وقيل: سُمِّيَتْ أمَّ القرى لأنها أجلُّها شَأْناً؛ لِكون الكعبةِ فيها، ومناسكِ الحجِّ.

ويُقال للقصيدة المُختارة: هذه مِن أُمَّهاتِ قصائدِ فلانٍ، وعِظامُ المسائل تُدعى: أُمَّهاتِ المسائل؛ لكونها أصولاً لأحكامٍ مُرَتَّبةٍ عليها مُتَشعِّبةٍ منها.

وقولُه تعالى: ﴿وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ﴾: أي: ولِتُخَوِّفَ بيوم القيامة الذي هو يومُ جَمْعِ الخلائق مِن الأوَّلين والآخِرين للحساب والجزاء.

﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾: أي: لا شَكَّ في كونه ومجيئه.

﴿فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ﴾: أي: وإذا جُمِعوا ليوم الحساب، فمنهم فريقٌ يدخُلون الجنة، وهم الذين خافوا بتخويفِكَ فآمَنوا، ومنهم فريقٌ يدخُلون النار، وهم الذين لم يُجيبوكَ وكذَّبوكَ.

* * *

(٨) ـ ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾: مُجْتَمعين على الإيمان، مُسْتَحِقِّين للجِنان.

وقيل: أي: فريقاً واحداً: إما ضالِّين مِن أهل السَّعِير، وإما مُهْتَدين مِن أهل الجنة.

وقولُه تعالى: ﴿وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ﴾: أي: يهدي مَن عَلِمَ منه اختيارَ الهُدى، فيُدخلُه بذلك في الجنة.

﴿وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾: أي: والواضعون الأمرَ غيرَ موضعِه، والظالمون أنفسَهم الذين علِمَ منهم اختيارَ الضَّلالِ، يُضِلُّهم ويجعلُهم بذلك مِن أهل النار، فما لهم أحدٌ يتولَّى أمورَهم فيُعينَهم، ولا مَن ينصرُهم فيدفعَ العذابَ عنهم.

* * *

(٩) ـ ﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَۖ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٞ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَۖ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِيُّ﴾: قيل: ﴿أَمِ﴾ بمعنى ألف الاستفهام، وهو للتَّوْبيخ.

وقيل: ألفُ الاستفهام مُقَدَّرةٌ أوَّلاً، وهذا عطفٌ على ذلك بـ(أم)؛ كأنه قال: قد عرَّفْناهم أنَّ الظالمين لا وليَّ لهم، أفيؤمنون بهذا أم قد اتَّخذوا عند أنفسهم أولياءَ مِن دونه يمنعونهم مِن عذاب الله؟! وليس كذلك، فاللهُ هو الوليُّ يومئذٍ لا ولايةَ لغيره، قال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٞ لِّنَفْسٖ شَيْـٔٗاۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٖ لِّلَّهِ﴾ [الانفطار: ١٩].

﴿وَهُوَ يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾: يومَ القيامة للحساب والجزاء.

﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٞ﴾: مِن التَّنْعيم والتَّعْذيب وغيرِ ذلك.

* * *

(١٠) ـ ﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٖ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾.

﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٖ﴾: أي: اليومَ مِن أَمْرِ الدِّين يا معاشرَ المسلمين والمشركين.

﴿فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾: يومَ الدِّين، فإنه يَفْصِلُ[1] بالجزاء بين المختلِفين.

---

(١) في (ر): «يقبل»، وفي (ف): «قائم يفصل».

وقيل: ﴿فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾؛ أي: إلى كتابِه اليومَ، وسنَّةِ نبيِّه، وإجماعِ الأُمَّة، والقياسِ، فإنها قوانينُ الشرع، ومأخذُها مِن كتاب الله، وقد قال الله تعالى: ﴿فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩].

﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّى﴾: أي: قل يا محمد: هذا الموصوف بهذه الصِّفاتِ ربِّي.

﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾: أي: اعتمدتُّ في أموري كلِّها.

﴿وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾: أي: أرجعُ في أحوالي كلِّها[١].

قال مقاتل بن سليمان: نزل قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ﴾ في خُزاعة، قالوا: الملائكةُ بناتُ اللهِ، وعبَدوها مِن دون الله[٢].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: يعني: مُشْرِكي العربِ، وعبدةَ الأصنامِ[٣].

وكذلك قولُه: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ﴾: على القولين.

* * *

(١١) - ﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا ۖ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: أي: ذلكم اللهُ ربي خالِقُ السماواتِ والأرضِ مُبْتدِئاً مِن غير شيء.

﴿جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا﴾: أي: زوجاتٍ مِن الإنس، وهو مِن قوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [الأعراف: ١٨٩].

---

(١) في (ر): «أي: أرجعُ إليه؛ أي: على ربِّي في أحوالي كلِّها». وسقطت الجملة من (ف).

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٧٦٤).

(٣) لم أقف عليه.

﴿وَمِنَ ٱلْأَنْعَـٰمِ أَزْوَٰجًا﴾: أي: ذُكوراً وإناثاً لتتناسلَ[١] فتبقى، فيقومَ بها مصالحُ الخَلْقِ[٢] مِن الحَرْث والحَمْل والرُّكوب في الأَسْفار، والضَّرْب في الأمصار لمُخْتَلَف الأقطار.

﴿يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ﴾: أي: يخلُقُكم مِن هذه الأزواج[٣] نَسْلاً بعد نَسْلٍ.

وقيل: أي: في زمان التَّزاوُج.

وقيل: أي: يذرؤُكم في العالَم.

وقال القُتَبيُّ: أي: في الرَّحِم[٤].

وقيل: في البَطْن.

وقيل: ﴿يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ﴾؛ أي: بـه؛ أي: بالتَّزاوج؛ كما يُقال: الـزَّرعُ ينمو في الغَيْث؛ أي: بالغَيْث.

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾: قال الزَّجَّاج: الكاف زائدةٌ مُؤَكِّدةٌ، وتقديرُه: ليس مِثْلَه شيءٌ[٥].

وهو كما قال أَوْسُ بنُ حُجْرٍ:

وقتلى كمِثْلِ جُذوعِ النَّخِيلِ تَغَشَّاهُمُ سَبَلٌ مُنْهَمِرْ[٦]

---

(١) في (ر): «أي: للتناسل»، بدل: «لتتناسل».

(٢) في (ر): «خلقه».

(٣) في (أ): «في هذا الأزواج»، وفي (ف): «في هذه الازدواج».

(٤) انظر: «غريب القرآن» لابن قتيبة (ص: ٣٩١).

(٥) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٣٩٥).

(٦) انظر: «ديوان أوس بن حجر» (ص: ٣٠)، و«تفسير الطبري» (٢٠/ ٤٧٧)، وفيهما: «تغشاهم =

وقال آخر:

سـعدُ بـنُ زيـدٍ إذا أبـصَرْتَ فَضْلَهُـمُ ... مـا إنْ كمِثْلِهِـمُ في الناس مِـن أحدِ[١]

وقال القُتَبيُّ: المِثْلُ صِلَةٌ، معناه: ليس كهو، وهو كما يقول الرجل: لا يُقال هذا لِمِثْلي؛ أي: لي[٢].

وهو وجهٌ لا يجوزُ في العقل غيرُه؛ لأنه لو حُمِلَ هذا على ظاهرِه ونُفِيَ التَّشبيهُ عن مِثْله لا عنه، كان في تصحيحه إبطالُه؛ لأنه لو كان له مِثْلٌ لكان لِمِثْله مِثْلٌ، وهوَ هوَ، فلم يصِحَّ نَفْيُ التَّشبيه، فدلَّ على أنه لِحقيقةِ نَفْيِ المِثْلِ عنه جلَّ جلاله.

وهذه الآية أقوى عُدَّةٍ لأهل السُّنَّة والجماعة على أهل الأهواء والبِدَع؛ لأنه إذا نُفِيَ التَّشْبيهُ بطَلَ قولُ المُجَسِّمَةِ والمكانيَّةِ، والقائلين بالجوارحِ وحُلولِ الحوادث في الذَّاتِ، وكثيرٌ مِن قواعدهم الفاسدة، وبالله العِصْمَةُ.

﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾: كلَّ المسموعات بسَمْعٍ أزَليٍّ، لا بجارحةٍ.

﴿ٱلْبَصِيرُ﴾: بكل المُبْصَراتِ ببَصَرٍ أزَليٍّ، لا بجارحةٍ[٣].

* * *

(١٢) ـ ﴿لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾.

= مسبل»، والمثبت من (ف)، وهو الموافق لما في «الأضداد» لابن الأنباري (ص: ٤١). وفي (أ) و(ر): «يغشاهم سيل».

(١) ذكره دون نسبة الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٤٧٧)، والثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٣٠٦)، والماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ١٩٥).

(٢) انظر: «غريب القرآن» لابن قتيبة (ص: ٣٩١)، وهو قول الأخفش؛ كما في «معاني القرآن» له (١/ ١٩٧).

(٣) وقد تقدم مراراً بيان مذاهب السلف والخلف في آيات الصفات، وأنها تدور بين قولي التسليم والتأويل، وأن التسليم هو مذهب السلف، وهو الأسلم، كما قال الإمام النووي رحمه الله وغيره من جمهور علماء الأمة.

﴿ لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾: أي: بيده مفاتيحُ الأرزاقِ التي تَنْزِلُ مِن السماء مِن المطر وغيرِه، وما يخرُجُ مِن الأرض مِن النبات، وهو المالكُ كلَّ ذلك، وهو عنده كالشيء المَخْزون.

﴿يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ﴾: أي: يُوَسِّعُ على مَن يشاء مِن عباده، ويُضَيِّقُ على مَن يشاء.

﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾: مِن المصالح والعَواقب وغيرِ ذلك.

قال ابن عباس رضي الله عنهما ومقاتل: المقاليدُ: المفاتيح(١). وقد فسَّرْناه وكشَفْنا عن حقيقته في سورة الزُّمَر.

وقال مقاتل بن حيان ومجاهد والسُّدِّي: يعني: خزائنَ السماوات والأرض(٢).

وقال الضحاك رحمه الله: أي: القضاء في ذلك كلِّه إلى الله تعالى(٣).

وروى عثمان بن عفان رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «هي سبحانَ الله، والحمدُ لله، ولا إله إلا الله، واللهُ أكبرُ، ولا حولَ ولا قوَّةَ إلا بالله العليِّ العظيمِ، فإنها مِن كنوز الجنة».

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٧٦٥)، ورواه عن ابن عباس الطبريُّ في «تفسيره» (٢٠/ ٢٤٢)، وابن أبي حاتم وابن المنذر كما في «الدر المنثور» (٧/ ٢٤٣).

(٢) رواه عن السدي الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٤٧٩)، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ١٩٥).

أما مجاهد، فروى عنه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٤٧٨) أنها المفاتيح بالفارسية، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ١٩٥). ولم أقف عليه عن مقاتل.

(٣) لم أجده عن الضحاك، وذكر عنه الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ١٩٥) أنه فسرها بالمفاتيح، والواحدي في «الوسيط» (٣/ ٥٩٢)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ٢٥) عنه أنها الخزائن.

وفي رواية زاد في آخِره: «الأوَّلُ، الآخِرُ، الظاهِرُ، الباطِنُ، بيده الخيرُ، وهو على كلِّ شيء قديرٌ، مَن قالها حين أصبَحَ عشر مرات أُعْطِيَ ستَّ خِصالٍ، أُولاهنَّ: يُحرَسُ عن إبليسَ وجنودِه، والثانية: يُعطى قِنْطاراً مِن الأجر، والثالثة: تُرْفَعُ له درجةٌ في الجنة، والرابعة: يُزَوَّجُ مِن الحُور العِين، والخامسة: تستغفر له الملائكةُ، والسادسة: يُعطى مِن الأجر كمَن قرأ القرآنَ مِن أوَّلِه إلى آخره»[1].

***

(١٣) ـ ﴿۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾:

يقول: شرَعَ اللهُ لكم مِن الدِّين ما شرَعَ لقوم نوح وقوم إبراهيم وموسى وعيسى،

---

(١) رواه يوسف القاضي في «سننه» وابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» (٧/ ٢٤٤)، والعقيلي في «الضعفاء» (٤/ ٢٣١)، والدينوري في «المجالسة» (٢٩٢٣)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٧٣)، والطبراني في «الدعاء» (١٧٠٠)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (١٩)، والثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٣٢٥٤) وغيرهم.

قال ابن كثير في «تفسيره» (٧/ ١١٢): غريب جدًّا، وفي صحته نظر.

وقال البوصيري في «إتحاف الخيرة المهرة» (٦٠٨٨): رواه ابن أبي عاصم وابن السني ـ وهو أصلحهم إسناداً ـ وغيرهم، قال الحافظ المنذري: فيه نكارة، وقد قيل فيه: موضوع، وليس ببعيد.

ونقل ابن عراق عن ابن حجر في «تنزيه الشريعة» (١/ ١٩٢) قوله: عندي أنه منكر من جميع طرقه، وأما الجزم بكونه موضوعاً فأتوقف عنه؛ إذ لم أر في رواته من وصف بالكذب.

ووصَّاهم بلُزومه وإلزامِه قومَهم، وهو الذي أوحى إليكَ ووصَّاكَ به، وجُمْلتُه الثَّباتُ على الطاعة لله تعالى بالإخلاص، وبالانقياد له، والعملِ بما أمَرَ به، والتَّآلُفِ على هذا، وتَرْكِ التَّفَرُّقِ فيه، فإنَّ الأمر إذا انتظمَ على هذا زالَ الفسادُ، وظهَرَ العَدْلُ، وتَكافَّ الناس عن التَّظالُم، فتفرَّغوا لعِمارة دنياهم، وتبلَّغوا بها إلى إقامة دينهم، فاجتباهم اللهُ تعالى حينئذٍ إليه، واستخلَصَهم لعبوديته، وهداهم إلى الازدياد مما هم فيه.

ومعنى ﴿شَرَعَ﴾: بيَّنَ المَسْلَكَ، وفتَحَ الطريق إلى مرضاته.

و﴿ٱلدِّينِ﴾: هو الطاعة والانقياد.

وإقامةُ الدِّين: الدَّوامُ عليه بإحياء شروطه وحدوده.

وقيل: هو تقويمُه، وهو التوحيد والإخلاص.

وتخصيصُ نوح وإبراهيم وموسى وعيسى هاهنا بالذِّكْر؛ لِمَا أنهم أصحابُ الشرائع.

وقولُه تعالى: ﴿كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾؛ أي: شَقَّ عليهم دعاؤُك يا محمد إلى التوحيدِ، وتَرْكِ ما هم فيه مِن الشِّرْك.

والاجتباءُ: الاختيار، وأصلُه: الضمُّ، ومنه: جِبايةُ الخَرَاج، وجِبايةُ الماءِ في الحوض.

وقد وصلَه بـ(إلى)، فقال: ﴿يَجْتَبِيٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ﴾، فدلَّ على إرادة هذا الأصل؛ أي: يضُمُّه ويُقَرِّبُه إلى كنَفِه، وكذلك قولُه: ﴿وَيَهْدِيٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾، وهو كقول النبي ﷺ خبراً عن الله تعالى: «مَن تقرَّبَ إليَّ شِبْراً تقرَّبْتُ إليه ذراعاً» الحديث(١).

---

(١) رواه بتمامه البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(١٤) ـ ﴿وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى لَّقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُ مُرِيبٖ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡ﴾: أي: وما كان تَفَرُّقُ هؤلاء المشركين ـ وقيل: يعني: أهلَ الكتابِ ـ في الدِّين لِقُصور البيان وخَفاء الحق، فقد جاءهم البيانُ وحصَلَ به العلمُ، لكنهم حسَدوا محمداً وتطاولوا، فلم يُتابعوه ولم يُصدِّقوه، فاستحقُّوا به العذابَ.

وقولُه تعالى: ﴿وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى﴾: أي: ولولا ما سبَقَ مِن حُكْمِه بتوقيت[1] عذابهم بأجلٍ مُسَمًّى، وهو قد يكون في الدنيا، وقد يكون يوم القيامة.

﴿لَّقُضِيَ بَيۡنَهُمۡ﴾: قيل: بالتميز بين المُحِقِّ والمُبْطِلِ بالثواب والعقاب.

وقيل: أي: لَأُتِمَّ هَلاكُهم.

﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ﴾: أي: مِن بعد نوح وإبراهيم وقومهما، وهذا على تأويل مَن حمَلَ المُتفرِّقين على مُشْركي العرب.

ومَن قال: هم المُتفرِّقون مِن الأمم الماضية، فقولُه: ﴿مِنۢ بَعۡدِهِمۡ﴾: أي: مِن بَعْد الذين تفرَّقوا، و﴿ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ﴾: هم اليهود والنصارى.

﴿لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُ﴾: أي: ممَّا وصَّيْنا به نوحاً وإبراهيمَ. وكذا:

﴿مُرِيبٖ﴾: مُوقِعٍ في الرِّيبة؛ أي: التُّهمة.

وقيل: المُتفرِّقون هُمُ اليهود والنصارى، و﴿ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ﴾: العربُ أُنْزِلَ القرآنُ على نبيِّهم.

---

(١) في (أ): «بتوقيف».

وقال أبو العالية: ﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ﴾: يعني: شهادةَ أنْ لا إلهَ إلا الله[1].

وقال قتادة: ﴿كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾: قولُكم: لا إله إلا الله[2].

وقيل: كبُرَ على المشركين أنَّكَ رسولُ الله.

وقولُه تعالى: ﴿اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ﴾: أي: يختار لرسالته ﴿وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾: مَن علِمَ أنه يرجعُ إليه.

***

(١٥) ـ ﴿فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿فَلِذَلِكَ فَادْعُ﴾: أي: فإلى ما شرَعه الله لكم فادْعُ الخَلْقَ، واللامُ بمعنى إلى؛ كما في قوله: ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا﴾ [الزلزلة: ٥].

﴿وَاسْتَقِمْ﴾: أنتَ عليه ﴿كَمَا أُمِرْتَ﴾.

﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾: أي: ولا تنظُرْ إلى خِلافِ مَن خالفَ ذلك بهواه مِن أهل الكتاب والعرب.

﴿وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ﴾: على الأنبياء قَبْلي وعليَّ؛ لأنَّ كلَّه مِن عند الله، وكلَّه حقٌّ.

---

(١) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٢٣٩) بلفظ: هو الإخلاص لله في عبادته، لا شريك له.

(٢) بعدها في (ر) و(ف): «وأنك رسول الله» والمثبت من (أ)، وهو الموافق للمصادر. والخبر رواه عنه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٤٨٢)، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ١٩٧)، وابن عطية في «تفسيره» (٥/ ٢٩).

﴿وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ﴾: أي: لأنْ أعدِلَ؛ كما قال: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ [النساء: ٢٦]؛ أي: أنْ يُبيِّنَ لكم.

أي: أُسَوِّيَ[١] بين شريفكم ووَضِيعكم، فلا أُحابيَ أحداً، ولا أُخُصَّ البعضَ بأمرٍ أو نهيٍ، فإنَّ الدَّعوةَ واحدةٌ، والدِّينَ واحدٌ.

﴿ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾: ونحن كلُّنا عبيدُه.

﴿لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ﴾: أي: يُؤاخَذُ كلٌّ منا بعمَل نفْسِه دون عمَلِ غيرِه.

﴿لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ﴾: أي: لا مُحاجَّةَ؛ أي: لم تبقَ خُصومةٌ بَعْد ظُهور الحق، فالحُجَّةُ لنا عليكم لِظُهورها، وليست بيننا بالاشتباه والالتباس.

وقيل: المُحاجَّةُ إنما تنفعُ إذا كان قَصْدُ المتجادلِين طلَبَ[٢] الحق، فإذا كانت مخاصمَتُكم للحسَد والبَغْي لم تنجَعْ فيكم الحُجَّة، فلم يَبْقَ إلا انتظارُ أمرِ الله، وذلك إمَّا في الدنيا وإمَّا في الآخرة.

وقولُه تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا﴾: في القيامة ﴿وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾: أي: إلى جزائِه المَرْجِعُ.

وقيل في قوله: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ﴾: أي: فلِمَا أوحيتُ إليكَ وعرَّفْتُكَ مِن اتِّفاقِ الشرائعِ فادعُ؛ أي: مِن أجْل ذلك.

وقيل: أي: مِن أجل[٣] ما أعلمتُكَ مِن تفرُّقِ أهل الكتاب، فادْعُهم إلى الاستقامة، واستقِمْ أنتَ.

---

(١) في (ر): «أن أسوي»، وفي (ف): «أن أسوي بينكم».

(٢) في (ر) و(ف): «في طلب».

(٣) في (ف): «مما».

(١٦) - ﴿وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ٱسۡتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمۡ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ وَلَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٌ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ﴾: أي: يُخاصِمون في دين الله.

قيل: هم أهل الكتاب؛ كانوا يقولون: دينُنا أقدَمُ، ونحن أولادُ الأنبياء.

وقيل: هم المشركون؛ كما قال: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ خَيۡرٞ مَّقَامٗا وَأَحۡسَنُ نَدِيّٗا﴾ [مريم: ٧٣].

﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا ٱسۡتُجِيبَ لَهُۥ﴾: أي: يُحاجُّون مَن استجابَ لله[1]، فدخَل في الإسلام.

﴿حُجَّتُهُمۡ دَاحِضَةٌ﴾: أي: شُبهَتُهم باطلةٌ، سمَّاها حُجَّةً لِزَعْمِهم أنها حُجَّةٌ.

والدَّاحِضَةُ: المُزالَةُ الزَّائِلة.

﴿عِندَ رَبِّهِمۡ﴾: فإنه يُبيِّنُ بُطْلانَها؛ كما قال: ﴿أَمۡ تَقُولُونَ إِنَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ﴾[2] الآية [البقرة: ١٤٠].

﴿وَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ وَلَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٌ﴾: في الدنيا والآخرة.

وذِكْرُ الغَضَبِ في حقِّ اليهود والنصارى في القرآن كثيرٌ.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿لِأَعۡدِلَ بَيۡنَكُمُ﴾: أي: لِأُسَوِّيَ بينكم بـ(لا إله إلا الله)[3]، قال تعالى: ﴿تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ﴾ [آل عمران: ٦٤].

---

(١) في (أ): «أي يخاصمون من استجابه الله».

(٢) في (ر): «يقولون»، وهي قراءة ابن كثير ونافع وأبي عمرو وعاصم في رواية أبي بكر. انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ١٧١)، و«التيسير» للداني (ص: ٧٧).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٣٠٧) بلفظ: لأسوي بينكم في الدين، وأومن بكل كتاب وكل رسول. =

وقال أبو العالية في قوله: ﴿لِأَعۡدِلَ بَيۡنَكُمُ﴾: أي: لأومِنَ بكلِّ كتابٍ وكلِّ رسولٍ[١]، هذا هو العَدْلُ، والإيمانُ بالبعض والكفرُ بالبعض جَوْرٌ.

وقال ابن حيان: ﴿لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ﴾: نسخَتْها آيةُ القتال[٢].

وقال مجاهد: ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا ٱسۡتُجِيبَ لَهُۥ﴾: يعني: مِن بَعْد ما أسلَمَ الناسُ[٣].

وقال الحسن[٤]: أي: مِن بعد ما أقرُّوا بالميثاق، وقبِلوا عهدَه على الطاعة، فأجابوا اللهَ فيما دعاهم إليه.

وقال الفراء: ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا ٱسۡتُجِيبَ لَهُۥ﴾: يعني: النبيَّ ﷺ؛ وذلك أنَّ اللهَ تعالى استجابَ له دعاءَه في أهل بدر فعذَّبهم[٥].

* * *

(١٧) - ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ وَٱلۡمِيزَانَۗ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٞ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ وَٱلۡمِيزَانَ﴾: أي: اللهُ هو الذي أنزلَ

= وذكر عنه الواحدي في «الوسيط» (٤/ ٤٧)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ١٨٨) قوله: أمرت أن لا أحيف عليكم بأكثر مما افترض الله عليكم في الأحكام.

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٣/ ٣٣٨) (ط: دار التفسير) عن ابن عباس رضي الله عنهما وأبي العالية.

(٢) هو قول مقاتل بن سليمان كما في «تفسيره» (٣/ ٧٦٧)، ونقله ابن الجوزي في «ناسخ القرآن ومنسوخه» (ص: ١٩٠) عن الأكثرين، وذكره عن ابن عباس ومجاهد والسدي.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٤٨٨).

(٤) في (ف): «الحسين»، ولم أقف عليه.

(٥) لم أقف عليه عن الفراء، وذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٤/ ٥٣)، والزمخشري في «الكشاف» (٤/ ٢١٧).

هذه الكتبَ كلَّها بالحق؛ أي: ببيان[١] ما يجِبُ على الناس في دينهم، وأنزل الميزان؛ أي: العَدْلَ. قالَه مجاهد وقتادة[٢].

وهو في المُعاملات والأَخْذ والإِعْطاء أكثرُ ذلك في الكَيْلِيِّ والوَزْنِيِّ.

والوَزْنُ أصلٌ؛ لأنَّ المكاييلَ مُسَوَّاةٌ بالوَزْن، ثم اتَّسَعَ الكلام حتى سُمِّيَ كلُّ عَدْلٍ ميزاناً.

والمُقَدَّراتُ كلُّها موزونةٌ، قال تعالى: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف: ١٠٥]، وقال: ﴿وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْزُونٍ﴾ [الحجر: ١٩]، ومَرْجِعُ هذه الآية إلى قوله: ﴿وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَـٰبٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ﴾ [الشورى: ١٥].

﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾: وهي[٣] يومُ الوَزْنِ، والجزاءُ على العَدْلِ والجَوْرِ في هذا الوَزْن.

* * *

(١٨) ـ ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِى ٱلسَّاعَةِ لَفِى ضَلَـٰلٍۭ بَعِيدٍ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا﴾: ويقولون: ﴿أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا﴾ [الاعراف: ١٨٧]، ويقولون: ﴿مَتَىٰ هَـٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾ [يونس: ٤٨]، يقولون ذلك هُزُواً.

﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا﴾: أي: خائفون؛ لِعِلْمِهم بما يكون فيها مِن الحساب والجزاء.

---

(١) في (أ): «ببيان الحق».

(٢) رواه عنهما الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٤٩٠)، ورواه عن قتادة عبدُ الرزاق في «تفسيره» (٢٧٣٤)، وذكره الواحدي في «الوسيط» (٤/ ٤٨)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ١٨٨) عن قتادة ومجاهد ومقاتل.

(٣) في (ف): «وهو».

﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ﴾: أي: الصِّدْقُ الذي لا كَذِبَ فيه، والقضاءُ يقع فيها بالحق الذي لا باطلَ فيه.

﴿أَلَآ إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ﴾: أي: يُجادلون فيها ﴿لَفِي ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ﴾ عن الرَّشاد.

***

(١٩) ـ ﴿اللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿اللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ﴾: أي: رحيمٌ بهم، حسَنُ النَّظَرِ لهم.

وقولُه تعالى: ﴿بِعِبَادِهِۦ﴾: أي: بعباده المؤمنين.

﴿يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ﴾: أي: يُكَثِّرُ له الرِّزْقَ، ويُوَسِّعُ عليه في دنياه إذا رأى مَصْلَحَتَه فيه؛ قال النبي ﷺ: «يقول الله تعالى: إنَّ مِن عبادي مَن لا يُصْلِحُه إلا الغِنى، ولو أفقرْتُه لأفسَدَه ذلك، وإنَّ مِن عبادي مَن لا يُصْلِحُه إلا الفقرُ، ولو أغنيتُه لأفسده ذلك، أُدَبِّرُ أمورَ عبادي بعلمي فيهم»[(١)].

---

(١) رواه مطولًا ابن أبي الدنيا في «الأولياء» (١)، والحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» (٢/ ٢٣٢)، والثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٣١٨)، وأبو نعيم في «الحلية» (٨/ ٣١٨)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٢٣١)، والديلمي في «الفردوس» (٨١٠٠)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ١٩٤)، وفي «شرح السنة» (١٢٤٩)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٧/ ٩٥) من طريق الحسن بن يحيى الخشني، عن صدقة بن عبد الله الدمشقي، عن هشام الكناني، عن أنس رضي الله عنه يرفعه.
قال ابن رجب في «جامع العلوم والحكم» (٢/ ٣٣٣): الخشني وصدقة ضعيفان، وهشام لا يعرف.
ورواه الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (٦/ ٥٠٣) ـ ومن طريقه ابن الجوزي في «العلل المتناهية» (٢٦) ـ، والديلمي في «الفردوس» (٨٠٩٨) عن عمر رضي الله عنه. قال ابن الجوزي: لا يصح، فيه يحيى بن عيسى الرملي، قال يحيى: ما هو بشيء، وقال ابن حبان: ساء حفظه فكثر وهمه، فبطل الاحتجاج به.

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ الآية [الشورى: ٢٧].

وقيل: ﴿لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ﴾: أي: عالمٌ بغوامض أمورهم التي تعودُ إليها عواقِبُ أحوالِهم، فلا يخفى عليه شيء مِن مصالحهم، فيُوَسِّعُ على مَن يشاء إذا رأى صلاحَه فيه.

﴿وَهُوَ ٱلْقَوِىُّ﴾: القادرُ على أنْ يرزُقَ مَن يشاء ما يشاء؛ أي: يُكَثِّرَ له الرِّزْقَ.

﴿ٱلْعَزِيزُ﴾: المنيعُ فلا يُغالَبُ فيما يُؤتيه عبادَه وفيما يمنعُهم.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ﴾: أي: حَفِيٌّ بهم[1]؛ أي: بارٌّ بهم.

وقال مقاتل: ﴿لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ﴾: البَرِّ منهم والفاجر، حيث لم يقتُلْهم جُوعاً بمعاصيهم[2].

وقال محمد بن كعب القُرَظي: ﴿لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ﴾: في العَرْض والمُحاسبة[3]، وهو فيما رُوِيَ: «أنَّ الله تعالى يقول للعبد: سترتُها عليكَ في الدنيا، وأنا أغفِرُها لكَ اليوم»[4].

وقيل: اللَّطيفُ: هو الذي يُوَفِّقُ ويُثيبُ ويَقْبَلُ ثم يشكُرُكَ عليه.

وقال جعفرٌ الصادق: ﴿لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ﴾: في الرزق؛ مِن وَجْهَين:

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٣٠٨)، والبغوي في «تفسيره» (٤/ ١٤٢).

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٧٦٨)، وذكره عنه الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٣٠٨)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ٤٨)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ١٨٩).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٣٠٨).

(٤) رواه البخاري (٢٤٤١)، ومسلم (٢٧٦٨) من حديث ابن عمر رضي الله عنه.

أحدُهما: أنْ جعَلَ رِزْقَكَ مِن الطَّيِّبات، ورِزْقَ غيرِكَ بخِلافه.

والثاني: أنه لم يَدْفَعْ إليكَ رِزْقَكَ بمرَّة واحدة[١].

وقال ابنُ حَبيبٍ رحمه الله: الحِكْمةُ في ذلك مِن وجوه:

أحدُها: أنه لو دفَعَ إليكَ رزقكَ جُمْلةً لفسَدَ عملُكَ[٢].

والثاني: أنه لو كان كذلكَ فقد يسرِقُه سارقٌ، ويغصِبُه غاصب، فتبقى بلا شيء.

والآخر: حتى إذا احتجْتَ إليه رجعْتَ إليه فدعوتَه وسألتَه.

والآخر: أنه لو أجملَ رزقكَ لوقَفْتَ على مُدَّة عُمركَ، فيُنَغَّصُ عليكَ عيشُكَ[٣]، فاستأثرَ اللهُ تعالى بهذا العِلْم دون خَلْقِه.

وقال الحُسين بن الفَضْل رحمه الله: ﴿لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ﴾: في تيسير القرآن[٤].

وذلك مِن وجوه:

أحدُها: اختصارُه.

والثاني: سهولتُه في القراءة بخِلاف سائر الكتب.

والثالثُ: تيسيرُ الشرائع فيه.

وقال علي بن موسى الرضا: ﴿لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ﴾: بأمة محمد في الإضعاف[٥].

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٣٠٨)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ١٨٩).

(٢) في (ر) و(ف): «علمك».

(٣) في (ر) و(ف): «فيتنغض عليك حياتك وعيشك».

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٣٠٨).

(٥) انظر: «تفسير الثعلبي» (٨/ ٣٠٨)، وفيه: (وقيل: الرضا بالتضعيف)، ولعل صوابه: (وقال: الرضا...). فمعنى الإضعاف والله أعلم: تضعيف الحسنات.

وسُئِلَ جُنَيدٌ ـ رحِمَه الله ـ عن اللطيف، فقال: لطَفَ بأوليائه حتى عرَفوه فعبَدوه، ولو لطَفَ بأعدائه كما لطَفَ بأوليائه لَمَا جَحَدوه[١].

وقال ابن المبارك: اللطيف الذي لا تخفى عليه خافيةٌ[٢].

وقال محمد بن علي الكَتَّاني: معنى اللطيف: أنَّ العبد إذا أَيِسَ مِن خَلْقِه فلجأَ إليه قَبِلَه وأقبلَ عليه[٣].

وقيل: اللطيف: هو الذي يُعْطِي فوق الكِفاية، ويُكَلِّفُ العبدَ دونَ الطَّاقة.

وقيل: مِن لُطْفِه بالعبد عِلْمُ العبد بأنه لطيف، ولولا لُطْفُه لَمَا عرَفَ أنه لطيف.

وقيل: مِن لُطْفِه إبهامُ عاقبةِ العبد عليه؛ لأنه لو علِمَ سعادتَه لاتَّكَلَ عليه وتعطَّل، ولو علِمَ شقاوتَه لترَكَ العملَ وتبَطَّل.

وقيل: مِن لُطْفِه بالعبد خفاءُ أجَلِه عليه، لئلا يستوحِشَ مِن قُرْب أجلِه.

وقيل: مِن لُطْفِه بالعبد أنه يُنسيه في الجنة ما عمِلَه في الدنيا مِن الزَّلَّة؛ لئلَّا يتنغَّصَ عليه عَيْشُه.

* * *

(٢٠) ـ ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْءَاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْءَاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ﴾: قيل: يتَّصِلُ بقوله: ﴿يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ ﴾؛ أي: مَن طلَبَ بما رزقناه مِن المال ووسَّعْنا عليه في الحال حَرْثاً

---

(١) رواه عنه الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٣٠٨)، وذكره ابن عطية في «تفسيره» (٥/ ٣٢).

(٢) لم أقف عليه.

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٣٠٨).

لآخرته؛ أي: تقديمَ ما يجعلُه ذُخْراً ليوم الجزاء، فيُؤدِّي حقوقَ الله تعالى مِن ماله، فإنا نُعطيه زيادةً على ما أعطاه مِن ماله، بأنْ نُضاعِفَ له نفقتَه بالواحدة عشراً إلى سبع مئة وأكثرَ، كأنَّه حرَثَ شيئاً وحرَثَ له غيرُه أشياءَ زائدةً عليه، وقد مثَّل اللهُ النَّفَقةَ في سبيله بمَن بذَرَ حبَّةً، فأنبتتْ سبعَ سنابل، في كلِّ سُنْبُلةٍ مئةُ حبَّةٍ، واللهُ يُضاعف لمَن يشاء.

﴿وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا﴾: أي: ومَن كان طلَبُه بما رُزِقَ مِن المال رياءَ الناس، والمُكاثرةَ به، والتَّوسُّعَ في الملاذِّ المحظورة، فإنما نُؤْتِه منها؛ أي: لا نحرِمُه الرزقَ أصلاً، بل نُعطِيه ما قدَّرْناه له ﴿وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾، وهو كقوله: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ﴾ [الإسراء: ١٨].

وقيل: الآيةُ في قوم كانوا يُجاهدون مع رسول الله ﷺ، فبيَّنَ أنَّ مَن كان منهم يُريدُ الآخرةَ بذلك ونعيمَها يُعطى زيادةً على ما يستحِقُّه بعمَلِه، ومَن أراد به الدنيا ومَنافِعَها مِن الغنائم نُؤْتِه منها، ولكنْ لا نَصيبَ له في الآخرة.

وقيل: عُنِيَ به المنافقون.

وقال قتادة: ﴿وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ﴾: هم اليهود والنصارى، قالوا: أُنْزِلَ كتابنُا قَبْلَ كتابِكم، ونبيُّنا قَبْلَ نبيِّكم، فنحن أَولى بالله منكم، فنزَلَ: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْءَاخِرَةِ﴾ الآية(١).

ومعناه: أنَّ المَنْزِلَةَ عند الله تعالى ليست بتقديمِ كتابٍ ولا نبيٍّ، إنما هي على الأعمال الصالحة، فمَن طلَبَ بما أُوتي مِن الكتابِ المُتقدِّمِ والنبيِّ المُتقدِّمِ رياسةَ

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٧٣٣)، والطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٤٨٩)، وليس فيهما أن قوله هذا سبب لنزول قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْءَاخِرَةِ﴾.

الدنيا، حتى أدَّاه ذلك إلى أكل السُّحْتِ وتحريف الكلِمِ، لم يكن له في الآخرة نصيبٌ، ومَن طلَبَ بذلك ما عند الله، وأقامَ شرائعَ الكتابِ، وبيَّنَ للناس أحكامَه، أجزَلَ اللهُ تعالى إكرامَه.

قال القُتَبيُّ: الحَرْثُ: هو الكَسْبُ(١).

قال عبد الله بن عمرو بن العاص: احرِثْ لدُنياكَ كأنك تعيشُ أبداً، واعملْ(٢) لآخرتكَ كأنك تموت غداً(٣).

***

(٢١) ـ ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ﴾: ﴿ أَمْ ﴾ بمعنى ألف الاستفهام، وهي للتَّوبيخ.

أي: ألهؤلاء المشركين شركاءُ ـ أي: آلهةٌ ـ شرَعوا لهم الشرك الذي لم يأذنِ اللهُ تعالى به؟!

---

(١) انظر: «غريب القرآن» (ص: ٣٩٢)، و«غريب الحديث» (١/ ٢٨٦) كلاهما لابن قتيبة.

(٢) في (أ) و(ف): «واحرث».

(٣) رواه عنه بهذا اللفظ ابن قتيبة في «غريب الحديث» (ص: ٢٨٦)، و«عيون الأخبار» (١/ ٣٥١)، والحارث في «مسنده ـ زوائد الهيثمي» (١٠٩٣).

ورواه ابن المبارك في «الزهد» (١٣٣٤)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٣٦٠٣) وفي «السنن الكبرى» (٤٧٤٤) عن ابن عمرو رضي الله عنه، بلفظ: واعمل عمل امرئ يظن أن لا يموت إلا هرماً، واحذر حذر امرئ يخشى أن يموت غداً.

والأثر ضعفه السخاوي في «الأجوبة المرضية» (ص: ١٢)، والمناوي في «فيض القدير» (٢/ ١٢).

يعني: ليس كذلك، وإذا كان شركاؤُهم هؤلاء لا يعقلون فيَشْرَعوا، وكان الله تعالى لم يَشْرَعِ الشركَ، فمِن أين يَدينون به؟! وكيف جعلوه لأنفسهم شريعةً مِن غير أنْ يرجعوا في ذلك إلى مَن يجوز أنْ يكون حُجَّةً وعُذْراً في اعتقاده؟!

وقولُه تعالى: ﴿وَلَوۡلَا كَلِمَةُ ٱلۡفَصۡلِ لَقُضِيَ بَيۡنَهُمۡ﴾: أي: ولولا القولُ السابق مِن الله الذي قطَعَ الحُكْمَ به ـ وهو صِدْقٌ لا تبديلَ له ولا رجوع عنه ـ أنه لا ينزِلُ بهم العذاب الذي استحقُّوه بشركهم إلا في الآخرة لَقُضِيَ بينهم به في الدنيا.

والفَصْلُ: قَطْعُ الحُكْمِ، قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡفَٰصِلِينَ﴾ [الأنعام: ٥٧].

والفَصْلُ: القولُ الحقُّ، قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلٞ فَصۡلٞ﴾ [الطارق: ١٣].

وقولُه تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: أي: المشركين ﴿لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾: في الآخرة، وإنْ أُخِّرَ عنهم في الدنيا.

* * *

(٢٢) ـ ﴿تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ مُشۡفِقِينَ مِمَّا كَسَبُواْ وَهُوَ وَاقِعُۢ بِهِمۡۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي رَوۡضَاتِ ٱلۡجَنَّاتِۖ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمۡۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: في الآخرة ﴿مُشۡفِقِينَ﴾: خائفين ﴿مِمَّا كَسَبُواْ وَهُوَ وَاقِعُۢ بِهِمۡ﴾؛ أي: نازِلٌ بهم.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي رَوۡضَاتِ ٱلۡجَنَّاتِ﴾: قال الكسائي: الرَّوْضةُ: العُشْبُ حولَ الغدير[1].

وقيل: هي الأرض الخَضِرَةُ الحسَنةُ النبات.

---

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٩/ ١٢٠).

وقولُه تعالى: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ﴾: في الجنة.

﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ﴾: مِن الله تعالى لهم؛ إذ آتاهم على العملِ القليلِ المُنقطِعِ الجزاءَ الكثيرَ الدائمَ.

وقيل: ﴿فِي رَوْضَاتِ ٱلْجَنَّاتِ﴾: أي: في الرِّياض التي تحُفُّ بها البساتينُ، وذلك أحسَنُ ما يكون وأجْمَعُه للنُّزْهة؛ لأنه يجمَعُ الثِّمار والزَّهْر والرَّياحين، فيحصُلُ لصاحبه غِذاءُ البَدَن بالطُّعْم، وغِذاءُ الرُّوح بطِيب الرائحة، ونُزْهَةُ العَينِ بألوان الزَّهر.

* * *

(٢٣) - ﴿ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ۗ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ﴾: قرأ ابن كثير وأبو عمرو: (يَبْشُر) بالتخفيف بضمِّ الشين، وهي قراءةُ حمزةَ والكسائيِّ، والباقون بالتَّشديد[١].

قال أبو معاذ: بالتخفيف مِن قولكَ: بشَرْتُ الأديمَ أَبْشُرُه؛ معناه: يُنَوِّرُ اللهُ وجوهَهم، وبالتشديد مِن البُشْرى[٢].

وعن أبي عمرو أنه قال: إنما قرأتُ هاهنا بالتخفيف دون سائرِ المواضع؛ لأنه ليس فيه: يبشر الله به، ليكون مِن البِشارة[٣].

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٠٥)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٧).

(٢) انظر: «الصحاح» (مادة: بشر)، و«مقاييس اللغة» (١/ ٢٥١).

(٣) انظر: «المحكم» لابن سيده (٨/ ٦٠).

وقال غيره[١]: (به) مُضْمَرٌ؛ كما في قوله: ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ﴾: أي: تُؤمَرُ به؛ أي: ذلك الفَضْلُ الكبيرُ وما تقدَّمَ ذِكْرُه يُبَشِّرُ اللهُ به عبادَه.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِۗ﴾: لِيتَعَجَّلوا السُّرورَ به.

﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا﴾: قيل: على الدِّين.

وقيل: على الكتاب.

وقيل: على الفَضْل الكبير.

وقيل: على التَّبْشير.

وقيل: على التَّبْليغ.

وبعضُ ذلك مَذْكورٌ، وبعضُه مَدْلولٌ.

وقولُه تعالى: ﴿إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾: قيل: أي: لا أطلُبُ منكم أجراً، لكنْ أَصِلُ أرحامَكم بدُعائكم إلى السَّعادة في الدَّارين، وهو ردٌّ لِمَا قالوا: إنَّه جاء بقَطْع الأرحام، يُفَرِّقُ بين مَن آمنَ به وبين أرحامه.

وقيل: إلا أنْ تَوَدُّوني لِقَرابتي فيكم، فقد كان له في كلِّ قبيلة مِن قبائل العرب وُصْلَةُ نسبٍ بالأم أو الأب.

وقال الضَّحاك: أي: إلا أنْ تصِلُوا رَحِمي، وتنصُروني على عدوِّي[٢].

وقال الزجاج: هذا استثناءٌ مُنقطِعٌ بمعنى: (لكن)؛ أي: ولكنْ أُذَكِّرُكم المودَّةَ في القربى[٣].

---

(١) كالزمخشري في «الكشاف» (٤/ ٢١٩)، والباقولي في «إعراب القرآن» (٢/ ٤٨٠).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٤٩٧).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٣٩٨).

وقيل: أي: إنْ لم تترُكوا إيذائي لنُبُوَّتي فاتركُوه لحَقِّ قَرابتي.

وقيل: أي: إلَّا أنْ تتوادُّوا فيما بينكم لِقَرابةِ بعضِكم مِن بعض، فتجتمعوا على الإيمان وتتواصلوا، فأنا أعتدُّ ذلك كالأجر تُعْطونني، وكالمال تَصِلُونني به.

وقال الحسن: أي: إلا أنْ تَتَوَدَّدُوا إلى الله[1] بما يُقَرِّبُكم منه[2].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: أي: إلا أنْ توَدُّوا قرابتي وأهلَ بيتي[3].

وقال الضحاك: لَمَّا نزلَتْ هذه الآيةُ وقَعَ في قلوب القوم منها شيء، فقال جبريل عليه السلام: يا رسولَ الله، إنَّ القومَ اتَّهموكَ، فأنزل الله قوله: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ﴾ [سبأ: ٤٧]، فنزلَ قولُه: ﴿إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾[4].

وقال مقاتل بن حيان: ﴿إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾: إلا أنْ تُصدِّقوني وتمنعوني مِن العرب حتى أُبَلِّغَ رسالةَ ربي، فلما أبَوا ذلك، وقطَعوا رحِمَه، وهاجَرَ إلى المدينة، وآواه الأنصارُ ونصَروه، أنزلَ الله تعالى قوله تعالى: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ﴾[5].

---

(١) في (أ): «الإيمان».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٥٠١)، وذكره السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٢٤٢)، والسمعاني في «تفسيره» (٥/ ٧٣).

(٣) رواه البخاري (٣٤٩٧)، والترمذي (٣٢٥١)، والنسائي (١١٤١٠)، ورواه أيضاً الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٤٩٥) بأسانيد وألفاظ مختلفة.

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٣١٥)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ١٩٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٥) ذكره ابن الجوزي في «نواسخ القرآن» (٢/ ٥٦٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما ومقاتل.
ورواه النحاس في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٦٥٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما.
وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٣١٣)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ١٩١) عن الضحاك والحسين بن الفضل.

﴿وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً﴾: أي: يكتسِبْ فِعْلَةً جميلةً مَوَدَّةً في القُرْبى أو غيرَ ذلك.

﴿نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا﴾: التَّضعيفُ في الثواب عشراً، وسبعَ مئةٍ، وبغير حساب.

وقيل: التوفيقُ لِمثْلِها أو أكثرَ منها.

وقال الإمام القُشَيري رحمه الله: ﴿وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً﴾: هي مِن الوظائف، ﴿نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا﴾: هي مِن اللَّطائف[١].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾: للذُّنوب الكثيرة ﴿شَكُورٌ﴾: للأعمال اليَسيرة.

* * *

(٢٤) ـ ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۖ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ ۗ وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾: أي: أَيَقْبلون ما تُبَلِّغُه إليهم ولا تسألُ[٢] عليه أجراً، أم يقولون: إن محمداً اختلَقَ على الله زُوراً بدعواه أنَّ ما يتلُوه هو مِمَّا أنزَلَ اللهُ عليه؟!

وقولُه تعالى: ﴿فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾: قال قتادة: أي: يُنَسِّيكَ القرآن[٣]، فلا تُبَلِّغُه، فلا يُكذِّبونكَ.

وقال مقاتل: أي: يختِمْ بالصَّبر، حتى لا تجد غُصَّةَ التَّكذيب[٤].

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٣/ ٣٥١).

(٢) في (ر) و(ف): «لا تسألهم» بدل: «ولا تسأل».

(٣) روى نحوه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٧٣٧)، والطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٥٠٤).

وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٣١٤)، والماوردي في «تفسيره» (٥/ ٢٠٢)، والبغوي في «تفسيره» (٤/ ١٤٥).

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٧٦٩)، ولفظه: يربط على قلبك، فلا يدخل في قلبك المشقة من قولهم بأن محمدا كذاب مفتر. =

وقيل: أي: يُغْلِقْ قلبَكَ فلا تضبِطُ شيئاً، ولا تتكلَّمُ به، فيدُلُّ على افترائكَ لو كنتَ مُفْتَرِياً كما يقولون.

وقيل: الخَتْمُ على القلب هو الإماتةُ؛ لأنَّ القلبَ إذا انسَدَّ فلم يَتَخَلَّلْه شيءٌ مات صاحبُه، ويكون في معنى قوله: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ﴾ [الحاقة: ٤٤].

﴿وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ﴾: حُذِفَ الواوُ في المصاحف تخفيفاً؛ كما في قوله: ﴿سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ﴾ [العلق: ١٨]، لا للجَزْم؛ فإنه غيرُ مُعَلَّق بالشرط، بل هو مُطْلَق، ومعناه: أي: يُذْهِبُ اللهُ الباطلَ ويُزيلُه، فلا يدَعُه يفتري.

﴿وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓ﴾: أي: ويُبَيِّنُ حقيقةَ الحقِّ وصِحَّتَه بوحيه إلى أنبيائه.

﴿إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾: أي: بضمائر القلوب، ولو علِمَ مِن محمدٍ إضمارَ افتراءٍ لَعاجلَه بالعُقوبة، فكيف لو افترى؟!

* * *

(٢٥) ـ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ﴾: قال ابن عباس رضي الله عنهما: هي عامَّةٌ للمؤمن والكافر، والوليِّ والعَدُوِّ، ومَن تاب منهم قَبِلَ اللهُ توبتَه[1].

فتتَّصِلُ مِن هذا الوجه بكل آيةٍ قَبْلَها في هذه السورة، وتكون دُعاءً لكلِّ فريقٍ منهم إلى الرُّجوع عن القَبيح الذي هو فيه.

= وذكر نحوه ابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ٦٥) عن مقاتل والزجاج.

(١) لم أقف عليه. بل ذكر عنه الواحدي في «الوسيط» (٤/ ٥٣) عكسه، وهو قوله: يريد أولياءه، وأهل طاعته.

وقولُه تعالى: ﴿وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾: بالتوبة.

﴿وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾(١): قرأ حمزةُ والكسائيُّ وحفصٌ عن عاصم بتاء المُخاطبة، وقرأ الباقون بياء المُغَايَبة(٢)، واختار أبو عبيد(٣) هذه القراءة لأنها أوفقُ لما قبلها وما بعدها(٤).

أي: ويعلمُ الصادقَ في التوبة فمنه يَقْبَلُ، والكاذبَ فيها فلا يقبَلُها منه.

وقيل: يعلَمُ مَن يثبُتُ عليها ومَن يعودُ إلى الذَّنب، ومع ذلك يقبَلُ إذا كان حقيقةً للحال.

وقيل: هذا في حق الذي لا يتوبُ، وهو وعيدٌ، وما قبله وَعْدٌ للتائبين.

***

(٢٦) ـ ﴿وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦۚ وَٱلْكَٰفِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾: أي: ويستجيب اللهُ منهم؛ أي: يقبَلُ طاعاتِهم؛ كما قال: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]؛ أي: اعبُدوني أَتقبَّلْها منكم.

وقيل: أي: يستجيبُ دعاءَهم، وقد تُذْكَرُ الاستجابةُ بدون اللام؛ كما قال الشاعر:

---

(١) في (أ): «يفعلون».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٨٠)، و«التيسير» للداني (ص: ١٩٥).

(٣) في (ر) و(ف): «أبو عبيدة».

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٣١٦)، ولفظه: وهي اختيار أبي عبيد، قال: لأنّه بين خبرين عن قوم؛ قال قبله: ﴿عَنْ عِبَادِهِۦ﴾، وقال بعده: ﴿وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾.

فلَـمْ يَسـتجِبْهُ عنـد ذاك مُجيـبُ[1]

وقال سعيد بن جبير رحمه الله: ﴿وَيَسْتَجِيبُ﴾: هذا فِعْلُ الذين آمنوا[2]، وهو رفعٌ، ومعناه: والمؤمنون استجابوا لله حين دعاهم إلى دار الإسلام، وإلى الجنة والمغفرة والإيمان والطاعة.

﴿وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾: بالإضعاف.

وقيل: هي رؤيةُ اللهِ؛ كما قال: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦].

﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾: في النار.

***

(٢٧) - ﴿ ۞ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: لَمَّا ذكَرَ: ﴿وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾ في حقِّ المؤمنين في الآخرة، ورأوا حِرْمانَ فَضْلِ المال في حقِّ بعضِهم في الدنيا، وخفِيَ عليهم وجْهُ الحِكْمة مِن الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟﴾؛ أي: لتظالموا.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: أي: لطَغَوا[3].

---

(١) عجز بيت لكعب بن سعد الغنوي، كما في «الأصمعيات» للأصمعي (ص: ٩٦)، و«التعازي» للمبرد (ص: ٥٩)، وصدره:

وداعٍ دعـا يـا مَـن يجيبُ إلـى النَّـدى

(٢) ذكره عنه الزمخشري في «الكشاف» (٤/ ٢٢٣).

(٣) لم أقف عليه عن ابن عباس بهذا اللفظ، وسيأتي قوله الآخر.

وقال شقيق: لو رزقَهم مِن غير كسْبٍ لتفرَّغوا، فتفاسَدوا، فشغلَهم بالكسْب[١].

﴿وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ﴾: أي: بمِقْدار ﴿إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ﴾: عالِمٌ بمصالحهم ﴿بَصِيرٌ﴾: بأعمالهم.

وقال عمرو بن حُرَيث: نزلت هذه الآية في أصحاب الصُّفَّة؛ وذلك أنهم قالوا: لو أنَّ لنا، فتمنَّوا[٢].

وقال خَبَّاب بن الأَرَتِّ: فينا نزلَتْ، وذلك أنا نظَرْنا إلى أموال بني قُرَيْظَة وبني النَّضِير وبني قَيْنُقَاع، فتمنَّيْناها فنزلت[٣].

وقال ابن عباس: ﴿لَبَغَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: أي: لطلَبوا مَنْزِلاً بعد مَنْزِل، ودابَّةً بعد دابَّةٍ، ومَلْبَساً بعد مَلْبَس[٤].

***

(٢٨) ـ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُواْ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُواْ﴾: أي: المطرَ بعد يأس الناس عنه لتأخُّرِ نزوله.

---

(١) رواه عنه السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٢٤٤). وشقيق هو ابن إبراهيم البلخي كما صرح به السمرقندي، وهو الإمام الزاهد، شيخ خراسان، صحب إبراهيم بن أدهم، وكان قليل الرواية، قتل في إحدى المعارك سنة أربع وتسعين ومئة. انظر: «حلية الأولياء» لأبي نعيم (٨/ ٥٨)، و«سير أعلام النبلاء» للذهبي (٩/ ٣١٣).

(٢) رواه ابن المبارك في «الزهد» (٥٥٤)، والطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٥٠٩)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٩٨٤٩)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٩٠).

(٣) ذكره الثعلبي في «٨/ ٣١٧»، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ٥٤)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ١٩٤).

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٣١٧)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ١٩٤).

وقولُه تعالى: ﴿وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ﴾: أي: يعُمُّ خَلْقَه بنعمته التي تكون مِن الغيث، فمَن قَدِرَ على ذلك فهو قادر على أنْ يعُمَّ جميعَ عبادِه بسَعَة الرزق، فليس تضييقُه على بعض لِعَجْزِه، وكيف يَعْجِزُ عن ذلك مَن قَدِرَ على خَلْق السماوات والأرض وما بينهما ومَن فيهما مِن الخَلْق؟!

﴿وَهُوَ ٱلْوَلِيُّ﴾: أي: يلِي أمورَ خَلْقِه بما يعلَمُ ذلك صلاحاً لِمَن أراد به الصلاح.

﴿ٱلْحَمِيدُ﴾: أي: الذي يستحِقُّ الحمدَ على كل حال، وأنْ يُستسلَمَ له بالرضا كيف ما صرَّفَ بهم الأحوال مِن الإكثار والإقلال.

* * *

(٢٩) ـ ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: أي: ومِن علامات قُدْرَتِه على كل شيء خَلْقُهما ﴿وَ﴾خلْقُ ﴿مَا بَثَّ فِيهِمَا﴾: أي: نشَرَ وفرَّقَ ﴿مِن دَآبَّةٍ﴾: أي: حيوانٍ يَدِبُّ؛ أي: يتحرَّكُ بالحياة مِن الملائكة والجن والإنس والبَهائم والحَشَرات.

وقولُه تعالى: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ﴾: في القيامة ﴿إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ﴾: أي: قادر.

* * *

(٣٠) ـ ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ﴾: أي: بَلِيَّةٍ ونُقْصانٍ في مال أو أهل أو ولد أو قريب أو صديق.

﴿فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾: أي: بشُؤْمِ ذنوبِكم، وأضاف الكَسْبَ إلى اليد لأنَّ أكثرَ أعمالِ الخَلْق بالأيدي.

﴿وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾: فلا يُعاقِبُ عليه في الدنيا.

وقال الحسن: لما نزلَتْ هذه الآية قال النبي ﷺ: «والذي نفْسُ محمدٍ بيده، ما مِن خَدْشِ عُودٍ، ولا عَثْرَةِ قدَمٍ، ولا اختلاجِ عِرْقٍ، إلا بذنب، وما يعفو اللهُ عنه أكثر»[١].

وعن الحسن قال: هي الحدود في الدنيا[٢].

وقال الضحاك: أي: الشَّوْكةُ فما فوقها.

وقال السُّدِّي: الجَدْبُ وما تُصابون به في أنفسكم[٣].

وقال علي رضي الله عنه: هي أرجى آيةٍ في القرآن[٤].

ورُوِيَ عن النبي ﷺ ما رواه الحسن، وزاد عليه في آخره: «وما عاقبَ اللهُ عبدَه في الدنيا بذنب فاللهُ أرحمُ مِن أنْ يُثَنِّيَ عليه عُقوبتَه في الآخرة، وما عفا اللهُ تعالى عن

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٧٤٢)، وهناد في «الزهد» (٤٣١)، والثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٣١٩). وهو مرسل.

ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٥١٣)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٩٣٥٨) عن قتادة عن النبي ﷺ، وهو مرسل أيضاً. رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٧٤١) من طريق قتادة عن الحسن قال: (بلغنا أنه ليس من أحد...) فذكره.

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٧٤٠)، والطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٥١٤).

(٣) لم أقف عليهما عن الضحاك والسدي.

(٤) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٢٤٤)، والزمخشري في «الكشاف» (٤/ ٢٢٦).

وروى الإمام أحمد في «مسنده» (٦٤٩)، وأبو يعلى في «مسنده» (٤٥٣)، والدولابي في «الكنى والأسماء» (٢/ ٥٧٤)، والثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٣١٩) ـ ومن طريقه البغوي في «تفسيره» (٧/ ١٩٥) ـ عن علي رضي الله عنه أنه قال: (ألا أخبركم بأفضل آية في كتاب الله تعالى حدثنا بها رسول الله ﷺ: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾...) الحديث. قال =

عبده في الدنيا مِن ذنب، فاللهُ تعالى أكرمُ مِن أنْ يعودَ فيما قد عفَى عنه»[١].

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: وقد تُصيب المصيبةُ مَن لا يستحِقُّ العقوبةَ: إمَّا لِيعلَمَ المصابُ أنَّ سلامتَه فَضْلٌ مِن الله، أو ليُعوِّضَه في الآخرة، ﴿وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ﴾: ما مِن مصيبة إلا ويُحتَمَلُ الزِّيادةُ عليها، فيعفو تلك الزِّيادةَ، وقد يعفو عن كثير مِن الذنوب، فلا يُعاقِبُ عليه[٢].

* * *

(٣١ ـ ٣٢) ـ ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ٣١ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلۡجَوَارِ فِي ٱلۡبَحۡرِ كَٱلۡأَعۡلَٰمِ﴾.

﴿وَمَآ أَنتُم﴾: يا مَعْشَرَ الكفار ﴿بِمُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾؛ أي: بفائتين أَخْذَ اللهِ، فليس تأخيرُ العذابِ عنكم لقوَّتِكم.

﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ﴾: يتولَّى عَوْنَكم ﴿وَلَا نَصِيرٖ﴾: يدفعُ العذابَ عنكم إذا أنزله بكم.

وقولُه تعالى: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلۡجَوَارِ﴾: أي: ومِن العلامات الدالَّةِ على قُدْرة الله تعالى على بَسْطِ الرزق وكلِّ شيءٍ السُّفُنُ الجاريةُ في البحر، جَمْعُ جاريةٍ، وهي السفينة، قال الله تعالى: ﴿حَمَلۡنَٰكُمۡ فِي ٱلۡجَارِيَةِ﴾ [الحاقة: ١١].

= الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٠٣): فيه أزهر بن راشد، وهو ضعيف.

(١) رواه الترمذي (٢٦٢٦)، وابن ماجه (٢٦٠٦)، والإمام أحمد في «مسنده» (٧٧٥) من حديث علي رضي الله عنه.

قال ابن كثير: سئل الحافظ الدارقطني عن هذا الحديث فقال: روي مرفوعاً وموقوفاً، ورفعه صحيح. انظر: «تفسير ابن كثير» (٣/ ١٠١)، و«العلل» للدارقطني (٣/ ١٢٨).

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٩/ ١٢٨ ـ ١٢٩).

﴿فِي الْبَحْرِ﴾: اسمُ جنسٍ يصلُحُ للواحد والجمع.

﴿كَالْأَعْلَامِ﴾: قيل: كالجبال.

وقال قُطْرُب: وقد يكون العلَمُ القَصْرَ[1].

وقال الخليل: كلُّ مُرْتفِعٍ عند العرب فهو علَمٌ، قالت الخَنْساءُ:

وإنَّ صَخْراً لَتَأْتَمُّ الهُداةُ بِه ... كأنه علَمٌ في رأسه نارُ[2]

شبَّهَ السُّفُنَ بالجبال أو بالقُصور في عِظَمها، خلَقَها الله تعالى لِمعايش العِباد ومصالحهم، يَقْطَعون بها البحار، ويضربون بها في الأمصار، ويَقْضون بها الأَوْطار، وسخَّرَ الرِّيحَ لإجرائها.

***

(٣٣) - ﴿إِن يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿إِن يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِ﴾: أي: فيَبْقَينَ واقفاتٍ على ظَهْره؛ أي: ظَهْرِ البحر.

والرُّكودُ: السُّكونُ والوقوفُ، ومنه الخبر: نهى عن البول في الماء الراكد[3].

وقولُه تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾: قيل: لكلِّ مؤمنٍ مُستكْمِلٍ في خِصال الإيمان؛ لأنَّ مَرْجِعَ كلِّها إلى الصبر والشكر.

وخصَّه بإضافة الآيات إليه لأنه هو المُنتفِعُ بها.

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٣٢١)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ١٩٦) عن مجاهد.

(٢) انظر: «ديوان الخنساء» (ص: ٤٦)، وذكر قول الخليل الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٣٢١)، والبغوي «تفسيره» (٧/ ١٩٦).

(٣) رواه مسلم (٢٨١) من حديث جابر رضي الله عنه.

وقيل: التَّقييدُ بهذين الوَصْفين يُشيرُ إلى ما قلنا مِن حديث توسيع الرزق وتضييقه؛ يقول: مَن قدِرَ على هذا قدِرَ على توسيع الرزق على الكل، لكنْ يُوَسِّعُ على بعضٍ يمتحِنُه بالشكر، ويُضَيِّقُ على بعض يمتحِنه بالصبر.

***

(٣٤ ـ ٣٥) ـ ﴿أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ (٣٤) وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا﴾: أي: يُهْلِكْهُنَّ في البحر بذُنوبهم، جُزِمَ بالعطف على ﴿يُسْكِنِ﴾، وذلك جُزِمَ لأنه جزاءُ الشَّرْط.

وفي إهلاكِ السُّفُنِ إهلاكُ مَن فيها وما فيها.

﴿وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ﴾: أي: لا يُهْلِكُ بعضَهم بالغرَق فَضْلاً منه.

﴿وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا﴾: نُصِبَ على الظَّرْف؛ لأنه غيرُ معطوف على المجزوم، فإنه على التَّحْقيق لا على التَّعْليق.

أي: وسيَعْلَمُ المشركون المُجادلون في آيات الله ﴿مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ﴾: أي: مَعْدِلٍ عما أنزلَ اللهُ تعالى، فيُخْلِصون لله العبادةَ، ويَمحَضون[1] له الطاعةَ.

***

(٣٦) ـ ﴿فَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿فَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ﴾: أي: أُعطيتُم مِن سَعَةٍ في الرزق ﴿فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ

(١) في (أ) و(ف): «ويمحصون».

﴿ٱلدُّنْيَا﴾؛ أي: شيءٌ قليلٌ يُتَمَتَّعُ به في الدنيا قليلاً ثم يزولُ، فما ينبغي له أنْ يُوثَقَ به ويُطْمَأَنَّ إليه.

﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ﴾: مِن نعيم الآخرة ﴿خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ مِن نعيم الدنيا.

﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾: أي: ذلك للمؤمنين ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾؛ أي: يُفَوِّضون الأمورَ إليه[1]، ويَرْضَون بما قسَمَ لهم مِن الرزق.

* * *

(٣٧) - ﴿وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ﴾: أي: وذلك النَّعيم أيضاً للذين يَتَوَقَّوْنَ عن الذنوب الكثيرة والأعمال الفاحشة.

وقد ذكَرْنا الأقاويلَ في الكبائر في قوله: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ [النساء: ٣١].

وفسَّرْنا الفاحشةَ والفَحْشاءَ في قوله: ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ﴾ [البقرة: ١٦٩].

وظاهِرُ تفسيرِ الفاحشةِ: القبيحةُ.

وقيل: هي المُفرِطةُ في القُبْح.

وفي الجَمْع بينهما هاهنا وجوه:

قيل: الفواحش فوق الكبائر.

وقيل: هما وَصْفان لعَظائم الذنوب، والعطفُ بالواو لِتَغايُرِ المعنيين والموصوفُ واحدٌ، كأنه قال: يجتنبون المعاصي وهي عظيمةٌ عند الله تعالى في الوِزْرِ، وقَبيحةٌ في العقل والشَّرْع.

---

(١) في (ر) و(ف): «لديه».

وقولُه تعالى: ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾: أي: وإذا غضِبوا بإيذاء أحَدٍ إياهم غفَروا لِمَن أغضَبَهم، وكظَموا غَيْظَهم.

وزيادةُ ﴿هُمْ﴾ في هذا الفعل إشارةٌ إلى أنهم يَعْفُون عنهم مِن عند أنفسهم مِن غير أنْ يحمِلَهم عليه شَفيعٌ أو سائلٌ.

***

(٣٨) ـ ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ﴾: وهذا مِن صفاتهم أيضاً؛ أي: أطاعوا اللهَ فيما أمرَهم به، وأجابوا إلى ما دَعاهم إليه.

﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾: أي: أداموا الصلاة في أوقاتها بشُروطها.

﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾: أي: يتآلفون على نَصْر الدِّين وإحياء الحقِّ، فيَتَّفِقون على التَّشاوُر في الأمور لِيَقعَ إمضاؤُها على اتِّفاقهم، فلا يختلفون ولا يتنازعون، وهو يرجِعُ إلى الآيات المتقدِّمة التي فيها الأمرُ بالتآلُفِ والنَّهْيُ عن التَّفرُّقِ.

﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾: في وُجوه الحقِّ فَرْضاً ونَفْلاً.

***

(٣٩) ـ ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ﴾: قيل: إذا نالَهُمُ البَغْيُ مِن الكفار ينتصِرون بالجهاد؛ كما قال: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا﴾ الآية [الحج: ٣٩].

وقيل: هو في كلِّ ظالمٍ.

والانتصارُ: الانتِصافُ مِن غير مَزِيد، وهو مُطْلَقٌ.

وقيل: هو الأمرُ بالمعروف، والنَّهْيُ عن المنكر، وإقامةُ الحدود، والتَّعزيرُ على الجاني، وهو إقامةُ الدِّين كما أمَرَ بها في الآيات المُتقدِّمة.

وقيل: ﴿يَنتَصِرُونَ﴾: أي: يَتناصرون فيما بينهم، فيَنْصُرُ بعضُهم بعضاً، يُقال: تناصَرَ القومُ وانتصروا؛ كما يُقال: تقاتلوا واقتتلوا.

* * *

(٤٠) ـ ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَا﴾: قيل: الأوَّلُ ـ وهو قوله: ﴿يَنتَصِرُونَ﴾ ـ في جهاد الكفار، وهذا في مُعاملةِ أهلِ الإسلام؛ أي: وما جرى بينكم مَعاشِرَ المسلمين في عُدْوان بعضِكم على بعض في شيءٍ مِن نفْسٍ أو مال، فله أنْ يَجزِيَه بمِثْلِ ذلك لا يَزيدُ عليها.

والأولى سَيِّئةٌ؛ لأنها معصيةٌ، والجزاءُ ليس بمعصية؛ لأنه بإذن الله، لكنْ سمَّاه سَيِّئةً للمُقابلة، وكذلك قوله: ﴿فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ﴾ [البقرة: ١٩٤].

وتسميةُ الجزاءِ بالأول في القرآن كثيرٌ: ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمۡ﴾ [التوبة: ٦٧]، ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ﴾ [النساء: ١٤٢]، ﴿مُسۡتَهۡزِءُونَ ۝١٤ ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ﴾ [البقرة: ١٤ ـ ١٥]، ﴿وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُ﴾ [الأنفال: ٣٠]، ﴿فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦ﴾ [النحل: ١٢٦].

وقيل: معناه: مَن ساءَكم بجِناية في نفْسٍ أو مالٍ فسُوؤُوه بمِثْله اقتصاصاً.

ثم ندَبَ إلى الأَولى فقال:

﴿فَمَنۡ عَفَا﴾: أي: ترَكَ الانتصارَ والمُجازاةَ ﴿وَأَصۡلَحَ﴾؛ أي: الجزاءُ يُورِثُ العداوةَ بين الفريقين والوَحْشةَ، فمَن أصلحَ بينهم[1].

---

(١) في (ف): «فمن عفى وأصلح بينكم»، وفي (ر): «فمن عفى وأصلح بينهم».

وقيل: ﴿وَأَصْلَحَ﴾: أي: سألَ اللهَ تعالى أنْ يرضى عن الجاني كما رضِيَ هو، فإنه بجِنايته آذى اللهَ تعالى وآذى المؤمنَ، فإذا رضِيَ المؤمنُ بقِيَ حقُّ اللهِ تعالى، فإذا شفَعَ له عن صِدْقٍ رضي الله عنه، فصلَحَتْ حالَتُه.

﴿فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾: أي: فثوابُ ذلك عند الله تعالى، وقد وعَدَ بذلك وعداً مُؤكَّداً، فهو ينالُه لا محالةَ.

﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: قيل: يتَّصِلُ بقوله: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَا﴾، والظالمُ مَن يَزيدُ على جزائها، أو يبتدئُ بها.

***

(٤١ ـ ٤٢) ـ ﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعۡدَ ظُلۡمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيۡهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظۡلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾.

قولُه تعالى: ﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعۡدَ ظُلۡمِهِۦ﴾: أي: انتصَفَ بعد وُقوع[1] الظُّلْم عليه.

قيل: هو في الانتصار مِن الكفار، والذين أَخرَجوا المسلمين عن الدِّيار.

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيۡهِم مِّن سَبِيلٍ﴾: بالمَلامة وغيرِ ذلك.

﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظۡلِمُونَ ٱلنَّاسَ﴾: أي: على المشركين الذين يَظْلِمون الناسَ بإخراجهم وأَخْذِ أموالِهم.

﴿وَيَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ﴾: بمَنْعِ المسلمين عن إخلاص العبادة لله، ومُجاوزة الحَدِّ في الفساد.

وقولُه تعالى: ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾: بإظهار الكفر، وإيذاء المسلمين.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾: في الدنيا والآخرة.

---

(١) في (ر): «انتصر بعد» بدل: «انتصف بعد وقوع».

(٤٣) ـ ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ﴾: أي: على ما نالَه مِن الظُّلْم مِن جِهَة أخيه المسلم ﴿وَغَفَرَ﴾ لِظالِمه ذنبَه.

﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾: أي: مما ينبغي أنْ يُوجِبَه العاقلُ على نفْسِه، ولا يترَخَّصَ في تَرْكِه.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: أي: مِن حَزْم الأمور[1].

وقال الضحاك: أي: الجِدِّ[2].

وقال مقاتل بن حيان: أي: مِن البَصَر بالأمور كلِّها.

وقال ابن كيسان: يعني: التَّيقُّنَ بالخَلَف والثواب.

وقال السُّدِّي: ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ﴾: نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وذلك أن رجلاً من المشركين أقبل عليه يشتمه وجعل أبو بكر لا يشتغل به إلى أن ضجر، فلما ضجر ردَّ عليه، فقام رسول الله ﷺ، فقال أبو بكر: فداك أبي وأمي يا رسول الله ما دام يشتمني لم تقم فلما رددتُ عليه قمتَ؟ فقال: «لأني رأيت بينك وبينه ملكاً يردُّ عليه ما قال، فلما رددتَ عليه قام الملك فذهب فقمت أنا أيضاً»[3].

---

(١) ذكره عنه الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ٣١٤)، وهو في «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٨/ ٣٠٧) من غير نسبة.

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٢٤)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٢٧١).

(٣) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٩٦٢٤)، والبيهقي في «الكبرى» (٢١٠٩٦)، والبغوي في «شرح السنة» (٣٥٨٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٣٦٩٨): رجال أحمد رجال الصحيح.

ولم أقف عليه عن السدي، ولا أن الحديث كان سبباً لنزول قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ﴾.

وقـال قتـادة: ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ نزلت في عمر بـن الخطاب رضي الله عنه حين أوذي وشُتم بمكة، فأغضى عنهم ولم يشتغل بهم(١).

* * *

(٤٤) ـ ﴿وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن وَلِيٍّ مِّن بَعْدِهِ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن وَلِيٍّ مِّن بَعْدِهِ﴾: أي: ومَن يُغْوِهِ اللهُ ويَخْلُقْ فيه فعلَ الضلال لعلمه باختياره ذلك، فليس له مَن يَلِي إرشادَه ومَعونَته ومَنْعَ العذابِ عنه.

وقولُه تعالى: ﴿وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ﴾: أي: يوم القيامة ﴿يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ﴾: يتمنَّون الرَّجْعةَ إلى الدنيا، ويقولون: هل لنا سبيلٌ إلى ذلك ووصولٌ، فنُؤمنَ ولا نُشركَ، ونُطيعَ ولا نَعصِيَ.

* * *

(٤٥) ـ ﴿وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ﴾.

﴿وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾: أي: على النار، والعذابُ المذكورُ قَبْلَه كنايةٌ عنها.

﴿خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ﴾: نصبٌ على الحال؛ أي: ساكتين مُنكَسِرين مِن الخِزْيِ والهَوان.

---

(١) ذكره مقاتل في «تفسيره» (٣/ ٧٧٢)، والواحدي في «البسيط» (١٩/ ٤٩٦) (ط: العبيكان)، كلاهما من غير نسبة.

﴿يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾: قال ابن عباس رضي الله عنهما: أي: ذليلٍ[١].

وقال الحسن وقتادة رحمهما الله: يُسارِقون النَّظْرة[٢].

وقيل: لا يُمكِنُهم أنْ ينظروا إلى النار بجميع أبصارهم؛ لِمَا يرون مِن هَوْلِها.

وقيل: أي: لا يرفعون أبصارَهم للنَّظَر رفعاً تاماً؛ لأنهم ناكِسو رؤوسهم، وعلى هذه الوجوه تكاد عيونُهم[٣] تخفى.

وقيل: ينظرون إلى النار بقلوبهم وهي خَفِيَّةٌ؛ لأنهم حُشِروا عُمْياً.

وقولُه تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾: أي: الخُسْرانُ في الحقيقة لهؤلاء الذين حُرِمُوا منافعَ أنفسِهم وأهليهم، أو أهلَكوها وأهاليَهم بالإغواء، أو حُرِموا الحُورَ العِين بترك الإيمان، يقولون ذلك بطريق الشكر على حالة أنفسهم.

وقولُه تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ﴾: أي: إن المشركين في عذاب مقيم؛ أي: دائمٍ، ويجوز أنْ يكون هذا مِن قول المؤمنين، ويجوز أنْ يكون مِن الله تعالى.

* * *

(٤٦ ـ ٤٧) ـ ﴿وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَاءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن سَبِيلٍ (٤٦) اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ ۚ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ﴾.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٥٣٢) عنه وعن مجاهد.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٥٣٣) عن قتادة والسدي، وزاد الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٣٢٤) عن مجاهد والقرظي.

(٣) في (ر): «وجوههم».

وقولُه تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَهُم﴾: أي: لهؤلاء الكفار ﴿مِّنْ أَوْلِيَاءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ﴾: يتولَّون معونتَهم، ويدفعون عنهم العذابَ.

﴿وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن سَبِيلٍ﴾: أي: وصولٍ إلى الخَلاص.

وقيل: أي: مِن حُجَّة.

وقيل: أي: مِن حِيلة.

وقولُه تعالى: ﴿اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُم﴾: أي: أجيبوه إلى ما دعاكم، وهو الإيمان.

﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ﴾: أي: قبل أنْ يأتِيَ مِن الله يومٌ لا مَدْفَعَ له، وهو يوم القيامة.

وقيل: أي: لا مَرَدَّ إلى الدنيا للكافر(١) فيه مِن الله تعالى إذا سأَل الرَّجْعة.

﴿مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ﴾: أي: حِصْنٍ(٢) ﴿يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ﴾؛ أي: قُدْرةٍ على تغيير، وهو كقوله: ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ [الحج: ٤٤]، قال تعالى: ﴿قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا﴾ [النمل: ٤١]؛ أي: غيِّروه.

وقيل: أي: ما يجدون مَن يُنْكِرُ ما نزَلَ بهم؛ أي: يستنكِرُه؛ لأنَّ الخلائقَ علِموا أنه نزَلَ ذلك بهم عن استحقاق.

* * *

(٤٨) ـ ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنسَانَ كَفُورٌ﴾.

---

(١) في (ر): «لا مرد للكافرين إلى الدنيا».

(٢) «أي: حصن» زيادة من (ر).

وقولُه تعالى: ﴿ فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ ﴾: فلم يستجيبوا ﴿فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظًاۖ ﴾؛ أي: حافظاً لأعمالهم حتى تكون أنت المُحاسِبَ لهم بها.

وقيل: أي: مُوَكَّلاً بهم لا تُفارِقُهم دون أنْ يؤمنوا.

وقولُه: ﴿إِنۡ عَلَيۡكَ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُۗ ﴾: أي: ما عليك إلا تبليغُ الرسالة.

﴿وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِنَّا رَحۡمَةٗ فَرِحَ بِهَاۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ فَإِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ كَفُورٞ ﴾: عرَّفَهم أنَّ إعراضَهم عن الاستجابة لاغترارهم بما وسَّعَ اللهُ تعالى عليهم مِن الدنيا، وساقَ إليهم مِن النِّعْمة، ورزَقَهم مِن الأَتْباع والأولاد.

وقال: إنَّا إذا أنعَمْنا على الكافر بَطِرَ بالنِّعْمة وطغى وتكبَّرَ عن الانقياد للحق، وقدَّرَ أنَّ النِّعْمة إنما جاءته لفَضْلٍ له واستحقاقٍ منه، فلم يشكرْ لله تعالى، واستعانَ بنعمته على معصيته، وإذا أصابَتْه بَلِيَّةٌ ترَكَ الصَّبرَ والتَّسليمَ لله، وسخِطَ قضاءَ اللهِ، فكفَرَ به وبنعمته.

وقولُـه تعالى: ﴿فَرِحَ بِهَاۖ﴾: وُحِّـدَ على اللفظ، وقولـه تعالى: ﴿وَإِن تُصِبۡهُمۡ﴾: جُمِعَ علـى المعنى.

* * *

(٤٩) ـ ﴿ لِّلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثٗا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿ لِّلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾: ومَن ملَكَ ذلك لم يَعْجِزْ عن مُعاجَلةِ الكافر بالعقوبة.

﴿يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثٗا ﴾: أي: بناتٍ؛ كما وهَبَ لِلُوطٍ.

﴿وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴾: أي: البنين؛ كما وهَبَ لإبراهيم.

(٥٠) ـ ﴿ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾.

﴿ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ﴾: أو يقْرِنُ لهم بنين وبناتٍ؛ كما فعَلَ بمحمد ﷺ.

﴿وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ﴾: أي: لا يُولَدُ له ولدٌ؛ كما كان لعيسى ويحيى عليهما السلام.

﴿إِنَّهُۥ عَلِيمٌ ﴾: بذات الصدور؛ أي: بكلِّ شيء[1].

﴿قَدِيرٌ ﴾: على كلِّ شيء، فكان إعطاءُ الأموالِ والأولادِ والأملاكِ والأَشْياع مِن الله تعالى لِمَن شاء كما شاء.

ثم قولُه: ﴿وَإِنَٰثًا ﴾ على التنكير، وقولُه: ﴿ٱلذُّكُورَ﴾ على التعريف، وقولُه تعالى: ﴿ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا﴾ على التنكير فيهما؛ لِمَا أنَّ[2] الجنسين معهودان معروفان في الجملة، فيجوز على هذا الحَذْفُ والإدخالُ جميعاً في كل واحد منهما، والإدخالُ لكونهما مَعْهُودَين، والحذفُ لكونهما غيرَ موجودَين، فلما كان المَعْنَيانِ مُتقاربَين جازَ كلُّ واحد منهما في الجنسين، وجازَ الجَمْعُ في آية واحدة[3] بين الوجهين؛ كالجمع بين اللغتين: ﴿فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا﴾ [الطارق: ١٧]، ﴿قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا ۖ قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [التحريم: ٣].

ولأنَّ المعنى: يهَبُ لِمَن يشاء أولاداً إناثاً، وهو كذِكْرِ النَّعْت وإضمارِ المنعوت، ونكَّرَ في الأول، ثم أعادَ ذلك ثانياً، فصار معرفةً، وصار تقديرُه:

---

(١) «بذات الصدور، أي: بكل شيء» ليس في (أ). ولعل قوله: «بذات الصدور» سهو، وإنما هو في آيات أخرى.

(٢) في (ف): «لأن» بدل: «لما أن».

(٣) في (ر) و(ف): «أخرى».

ويهب لِمَن يشاء الأولادَ الذُّكور، وهو كقوله: ﴿أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ۝١٥ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ﴾ [المزمل: ١٥ ـ ١٦].

فأما قولُه: ﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا﴾: فلا يجوز فيه إلا التَّنْكير؛ لأنَّ قولَه: ﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ﴾ ـ أي: يجمَعُ الأولادَ ـ ثم قولَه: ﴿ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا﴾ تفسيرٌ له، فلا يجوز إلا بالتنكير؛ كقولك: جمعتُهم رجالاً ونساءً، لا يجوز: الرجالَ والنساءَ، بعد ذِكْرِ الكِناية.

وقال: ﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ﴾: ولم يقل: ويُزَوِّجُهم؛ لئلا يُوهِمَ أنه للمذكور أولاً، فإنَّ ذلك للإفراد، فلا يصِحُّ معه الجمع.

* * *

(٥١) ـ ﴿۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾: يتَّصِلُ بقوله: ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾، فإنك رسولٌ، وإرسالُ الرسلِ كان بأحد هذه الوجوه.

﴿إِلَّا وَحْيًا﴾: أي: إيماءً وإشارةً يقع العلمُ بذلك؛ كالإلهام في القلب، والرُّؤيا في المنام:

والأوَّلُ: كما رُوِيَ: «نفثَ في رُوعِي»(١).

---

(١) رواه بهذا اللفظ ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٤٣٣٢)، والشهاب القضاعي في «مسنده» (١١٥١)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٩٨٩١)، والبغوي في «تفسيره» (٦/ ٢٥٤) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

ورواه الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» (٢/ ٢٨٨)، والبزار في «مسنده» (٢٩١٤) عن حذيفة رضي الله عنه.

=

والثاني: ما كان مِن حال النبي ﷺ ستة أشهر قَبْل نزول جبريل صلوات الله عليه، وقال النبي ﷺ: «رؤيا الأنبياء وَحْيٌ»[(١)]، ومِن ذلك رؤيا إبراهيمَ عليه السلام الأمرَ بذَبْح الولد.

وقولُه تعالى: ﴿أَوْ مِن وَرَآيِ حِجَابٍ﴾: أي: يسمع كلاماً مِن الله **تعالى**؛ كما سمِعَ موسى مِن وراء حِجاب.

ليس المرادُ به حِجابَ الله تعالى؛ لأن الله تعالى لا يجوزُ عليه ما يجوزُ على الأجسام مِن الحِجاب، بل المرادُ به أنَّ السامعَ محجوبٌ عن الرُّؤية في الدنيا.

وقيل: إنَّ المرادَ به أنَّ الرسول يختَصُّ بالسَّماع، ولا يسمَعُ معه غيرُه، فيُحْجَبون عنه.

وقولُه تعالى: ﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا﴾: قرأ ابنُ عامرٍ ونافعٌ: ﴿أو يرسلُ﴾ رفعاً؛ أي: أو هو يرسلُ، وقرأ الباقون: ﴿أَوْ يُرْسِلَ﴾، أي: أو أنْ يُرسِلَ[(٢)]، فتكون (أنْ) مع الفعل

= ورواه أبو نعيم في «الحلية» (١٠/ ٢٦) عن أبي أمامة رضي الله عنه.
ورواه البيهقي في «الأسماء والصفات» (٤٢٧) عن المطلب بن حنطب.
والرُّوع: النَّفْس، يقال: وقع كذا في رُوعي؛ أي: في خلدي ونفسي. انظر: «غريب الحديث» لابن قتيبة (١/ ٣١٣).

(١) عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ١٠٤) إلى ابن أبي حاتم مرفوعاً من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.
ورواه الطبراني في «الكبير» (١٢٣٠٢)، والحاكم في «المستدرك» (٣٦١٣) وصححه، عن ابن عباس رضي الله عنهما موقوفاً.
ورواه البخاري (٨٥٩)، والطبري في «تفسيره» (١٩/ ٥٨٢)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٤٢٠)، من قول عبيد بن عمير.

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٨٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١٩٥).

مصدراً، ويكون تقديرُه: إلَّا وَحْياً، أو إِسْماعاً وراءَ حِجاب، أو إرسالاً إليه رسولاً.

أي: يُرسِلُ ملكاً بالوحي إليه؛ كما أرسَلَ جبريلُ عليه السلام إلى محمد ﷺ.

﴿فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ﴾: أي: فيُبلِّغَ بإذن الله ما يشاء.

﴿إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾: أي: قاهرٌ فلا يُمانَعُ، مُصيبٌ في أقواله وأفعاله فلا يُعارَضُ.

* * *

(٥٢) ـ ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾: أي: كما أوحينا إلى سائر الأنبياء أوحينا إليك قرآناً هو حياةٌ مِن موتِ الجَهْل.

وقيل: أي: أنزلنا إليكَ جبريلَ، وهو الرُّوحُ الأمينُ.

وقولُه تعالى: ﴿مِّنْ أَمْرِنَا﴾؛ أي: بأمرنا.

﴿مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ﴾: هو كقوله: ﴿وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓا۟ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ [القصص: ٨٦].

﴿وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾: بذلك بالكتاب[1]، وإذا كان لا يعلَمُ[2] أنَّ الكتابَ ينزِلُ عليه لم يكن عالِماً أنه يلزمُه الإيمانُ بذلك الكتاب.

وقيل: ﴿وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾: أي: شرائعُ الدِّين على التفصيل الذي لا يُدرَكُ إلا بالسمع.

---

(١) في (ر): «أي: بأمرنا بالكتاب»، وفي (ف): «بالكتاب»، بدل: «بذلك الكتاب».

(٢) في (ف): «وإذا لم يعلم».

وقيل: ولا الدعاءُ إلى الإيمان.

قال الضحاك: يعني: معالمَ الدِّين[١].

قال أبو العالية: يعني: الدَّعوةَ إلى الإيمان[٢].

وقيل: ﴿وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾: لِمَن يكون مِن عَشيرته.

وقال الحُسين بن الفضل: كان يُقَدِّرُ أنَّ أبا طالب يُؤمنُ به لبِرِّه به، وأنَّ العباس لا يُؤمنُ لمُنابذته إياه، فكان على القَلْب[٣]، ونزلَ عليه: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص: ٥٦].

وقال ﷺ: «أَرَدْنا إسلامَ أبي طالب وأراد اللهُ إسلامَ العباس، فكان ما أرادَه اللهُ دون ما أردنا»[٤].

وقولُه تعالى: ﴿وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا﴾: أي: جعَلْنا الوحيَ، وقيل: أي: الكتابَ.

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٣٢٦) من غير نسبة.

(٢) ذكره عنه الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٣٢٦).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٣٢٦)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ٦١)، والسمعاني في «تفسيره» (٥/ ٨٨) بلفظ: يعني: أهل الإيمان، من يؤمن ومن لا يؤمن.

ونقل القرطبي في «تفسيره» (١٨/ ٥١٥ نحو هذا، وزاد: أي: من الذي يؤمن؟ أبو طالب أو العباس أو غيرهما.

وروى ابن أبي حاتم فيما عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٤٢٨) أن قتادة قال في قوله تعالى: ﴿لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾: يعني: أبا طالب، ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾: العباس.

وقوله: على القلب، أي: أن العباس قد أسلم وبقي أبو طالب على غير ذلك، خلاف ما كان يقدره النبي ﷺ.

(٤) لم أقف عليه.

وقيل: سبَقَ ذِكْرُ الكتابِ والإيمانِ، ولكنْ أمرُهما واحدٌ، فجازَ التوحيدُ في الكناية وتسميتُهما جميعاً باسم واحد، وهو النُّور؛ كما في قوله: ﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً﴾ [المؤمنون: ٥٠].

﴿نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾: أي: نُعطِيه صِفةَ الاهتداء.

﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾: أي: تُرشِدُ إلى دين الإسلام، وهو الطريق المستقيم المُفضِي بسالكه إلى مرضاة الله تعالى.

* * *

(٥٣) ـ ﴿صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾.

﴿صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾: بدَلٌ وترجمةٌ عن الصراط الأول.

﴿أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾: أي: ترجِعُ إليه في الدنيا والآخرة.

والحمدُ لله رب العالمين

* * *

سُورَةُ الزُّخْرُفِ

سورة الزخرف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

باسم اللهِ الذي سخَّرَ لنا الفُلْكَ والأنعامَ، الرَّحمنِ الذي قسَمَ المعيشة بين الأنام، الرَّحيمِ الذي أمَرَ بالصَّفْح والسَّلام.

روى أبي بن كعب رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «مَن قرأ ﴿حمٓ﴾ الزُّخْرُف كان ممَّنْ يُقالُ له يوم القيامة: ﴿يَٰعِبَادِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ﴾ [الزخرف: ٦٨]»(١).

وهذه السورة مكِّيَّةٌ.

وهي ثمان وثمانون آيةً، وقيل: تسعٌ وثمانون آيةً، الاختلافُ في قوله: ﴿هو مهين﴾.

وكلماتُها: ثمان مئة وثلاثون.

وحروفُها: ثلاثة آلاف وخمس مئة وعشرون.

وانتظامُ أوَّلِ هذه السورة بآخر تلك السورة: أنَّ خَتْمَ تلك السورة بذِكْرِ وَحْيِ القرآن، وأنَّ اللهَ يهدي به، والرَّسولَ يدعو إليه، وأولَّ هذه السورة في صفة القرآن

---

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٣٢٧)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ٦٣)، وهو قطعة من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه الموضوع، وقد تقدم الكلام عليه مراراً. انظر: «الفتح السماوي» للمناوي (٣/ ٩٨٥).

والقَسَمِ به، وذِكْرِ أُمِّ الكتاب الذي كان القرآن مكتوباً فيه.

وانتظامُ السورتين: أنَّهما في مُخاطبات المشركين ومُحاجَّتهم وترغيبِهم وترهيبِهم، وتسليةِ الرسول الأمين، وتثبيت المؤمنين.

* * *

(١ ـ ٤) ـ ﴿حمٓ ۝١ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٣ وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿حمٓ ۝١ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾: مرَّ تفسيرُه.

﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾: أي: أنزَلْناه بلُغَتِكم معاشرَ العربِ.

﴿لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾: لِتَعقلوه وتفهَموه وتنتفعوا به.

﴿وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ﴾: أي: اللَّوحِ المحفوظِ الذي ننسَخُ منه الكتبَ، فهو كالأصل لها.

وقولُه تعالى: ﴿لَدَيْنَا﴾: أي: محفوظٌ عندنا.

﴿لَعَلِىٌّ﴾: أي: عالي القَدْرِ، رفيعُ الشَّأنِ.

﴿حَكِيمٌ﴾: أي: مُحْكَمٌ لا اختلافَ فيه، ولا تناقُضَ، ولا ناسِخَ له، ولا مُعارِضَ.

* * *

(٥) ـ ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ﴾: أي: أَنُمْسِكُ عنكم إنزالَ القرآن، والتَّذكيرَ بالوعد والوعيد ﴿صَفْحًا﴾؛ أي: إعراضاً عن تنبيهكم؟! وهو كأنه مصدرُ قولِه: ﴿أَفَنَضْرِبُ﴾ مِن خِلاف لفظِه ﴿أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ﴾: بأنْ كنتُم قوماً

مُفْرِطين في الجهالة، مُجاوِزين الحدَّ في الضلالة؟! استفهامٌ بمعنى الإنكار؛ أي: لا نفعلُ كذلك.

وقيل: ﴿صَفۡحًا﴾: أي: جانباً، وصفحةُ الوجهِ جانبُه.

وقيل: هو استعارة، فإنَّ مَن أرادَ صَرْفَ مَرْكَبِه عن جِهَتِه ضَرَبَ صفحَتَه بسَوطه، فحوَّلَه عن وجهه.

و﴿ٱلذِّكۡرَ﴾: قيل: هو القرآن.

وقيل: هو التَّذْكير.

وقيل: هو أنْ يُذَكَّروا بالعقوبة؛ أي: يُعاقَبوا.

وقيل: ضَرْبُ الذِّكْرِ صَفْحاً هو رَفْعُ القرآنِ مِن بين أظهرهم بعد إنزاله فيهم.

وقال الإمام القُشَيري رحمه الله: أي: أفنقطَعُ عنكم خِطابَنا وتعريفَنا بإسرافكم في خلافكم؟! أي: لا نقطَعُ الكلامَ عنكم وإنْ أسرَفْتم، والإشارةُ فيه أنه لا يَقْطَعُ خطابَه اليوم عمَّن تمادى في عِصْيانه، وأسرَفَ في طُغْيانه، نرجو[1] أنَّ مَن لم يُقصِّرْ في إيمانه ـ وإنْ تلَطَّخَ بعِصْيانه ـ ولم يدخُلْ خلَلٌ في عِرْفانه، أنْ لا يَمنَعَ عنه لطائفَ غُفْرانِه، وعوارفَ إحسانِه[2].

***

(٦ ـ ٧) ـ ﴿وَكَمۡ أَرۡسَلۡنَا مِن نَّبِيّٖ فِي ٱلۡأَوَّلِينَ ۝٦ وَمَا يَأۡتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾.

---

(١) في «لطائف الإشارات»: (فأحرى).

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٣/ ٣٦١).

وقولُه تعالى: ﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ ۝٦ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ﴾: أي: وما كان يأتيهم مِن نبيٍّ.

﴿إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾: كقومِكَ يا محمَّدُ، ولمْ يمنَعْنا ذلك مِن مُتابعة الرسل إليهم تأكيداً للإعذار، وحَسْماً للاعتذار[1].

* * *

(٨) ـ ﴿فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ الْأَوَّلِينَ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا﴾: أي: أهلَكْنا مَن كان أقوى مِن هؤلاء المشركين في أبدانهم، وأكثرَ منهم في أتباعهم وأنصارهم.

﴿وَمَضَىٰ مَثَلُ الْأَوَّلِينَ﴾: أي: خبرُ ما نزَلَ بالأولين مِن وقائعِ اللهِ تعالى.

أي: فليس هؤلاء إلا كأولئك في استحقاق العِقاب.

وقيل: صار عذابُ الأوَّلين عِظَةً للآخِرين.

وقيل: مضتْ سُنَّةُ الأولين.

* * *

(٩ ـ ١٠) ـ ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ۝٩ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم﴾: أي: هؤلاء المُشركين المُسرفين: ﴿مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾؛ أي: اللهُ المَنيعُ بسُلْطانه[2] فلا يُغالَبُ، العليمُ بكل شيء.

---

(١) في (ف): «للأعذار».

(٢) في)ر): «سلطانه».

وقولُه: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ﴾: صفةُ ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ﴾.

﴿مَهْدًا﴾[١]: أي: موضِعَ قرارٍ.

وقرأ ابنُ كثيرٍ ونافعٌ وأبو عمرو[٢]: ﴿مِهاداً﴾؛ أي: بِساطاً، وقيل: هو جَمْعُ مَهْد.

وقرأ الباقون: ﴿مَهْدًا﴾[٣]: أي: مَوْضِعاً مُمَهَّداً كمَهْد الصَّبِيِّ.

وقيل: هما واحدٌ؛ كالفِراشِ والفَرْش.

وقولُه تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾: أي: طُرُقاً ﴿لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾: مِن بلد إلى بلد.

وقيل: تستدِلُّون بها، فتهتدون إلى الرُّشْد والإسلام.

* * *

(١١ ـ ١٢) ـ ﴿وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١١﴾ وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾: صفةٌ له ﴿مَآءً﴾: أي: المطر.

﴿بِقَدَرٍ﴾: أي: على قَدْرِ حاجةِ الخَلْق إليه.

﴿فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا﴾: أي: فأَحْيينا به بلدةً ميتاً، رُجوعٌ عن المُغايبة إلى الإخبار عن نفْسِه، وهو مِن تلوين الكلام، وذلك مِن أقسام البلاغة.

﴿بَلْدَةً مَّيْتًا﴾: أي: يابسةً مُقْفِرةً مِن النبات.

---

(١) في (ر) و(ف): «مهاداً».

(٢) وهي قراءة ابن عامر أيضاً.

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤١٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١٥١).

وقولُه تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾: مِن قُبوركم حين تُعادُون أحياءً بعد موتكم.

وقولُه تعالى: ﴿وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا﴾: صفةٌ له أيضاً.

و﴿ٱلْأَزْوَٰجَ﴾: يحتملُ أنه أراد به أصنافَ النبات؛ كما قال: ﴿وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ﴾ [ق: ٧]، و﴿مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ [الشعراء: ٧]، ويحتملُ أنه أراد به أصنافَ كلِّ الأشياء؛ كما قال: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يس: ٣٦].

﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ﴾: أي: السُّفُن ﴿وَٱلْأَنْعَٰمِ﴾؛ أي: الإبلِ وغيرِها ﴿مَا تَرْكَبُونَ﴾ في الأسفارِ، والضَّرْبِ في الأمصار؛ لِقضاء الأَوْطار.

* * *

(١٣) ـ ﴿لِتَسْتَوُۥا عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ﴾.

﴿لِتَسْتَوُۥا﴾: أي: لِتَركبوا مُسْتَوِين ﴿عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ﴾: ولم يقُلْ: (ظُهُورِها)؛ ذهاباً إلى الجنس، ولم يقُلْ: (ظَهْرِها)؛ ذهاباً إلى الجمْع.

قال الأخفش: إنما قال: ﴿عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ﴾؛ لأن الذي سبَقَ ذِكْرُه هو قولُه: ﴿مَا تَرْكَبُونَ﴾، وهو كقولك: عندي مِن النساء ما يسُرُّكَ ويُوافِقُكَ[1].

﴿ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ﴾: بقُلوبكم.

﴿إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ﴾: أي: على ما سبقَ ذِكْرُه.

﴿وَتَقُولُوا﴾: أي: بألسنتكم:

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للأخفش (٢/ ٥١٣).

﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا﴾: أي: ذلَّلَهُ وليَّنَه لنا.

﴿وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾: أي: مُطيقِين[1].

وقيل: ضابِطين؛ يعني: لِكِبَرِ أجسامِها، وصُعوبةِ أخلاقِها، وأَمْرُ السُّفُنِ أعجبُ منه وأهيبُ، والله تعالى يقول: ﴿إِن يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ﴾ [الشورى: ٣٣]، ويقول: ﴿أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا﴾ [الشورى: ٣٤].

***

(١٤) - ﴿وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾: أي: لَراجعون إلى جزائه؛ يعني: لم يُسَخِّرْ لنا هذه المراكبَ إلا لِيَسْتَأْدِيَ شُكْرَنا عليها وعلى سائر نِعَمِه، ويُحاسِبَنا على ذلك يومَ القيامةِ، ويجزيَنا على وَفْقِ أعمالِنا.

ثمَّ الكلامُ إلى هذا الموضع يتَّصِلُ بقوله: ﴿الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ صفةً له، وليس هو على معنى حكايةِ لفظ الكفار المسؤولين عمَّن خلقَهم؛ لأن قوله: ﴿فَأَنشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا﴾ لا يَليقُ بذلك، وإنما قولُهم إذا سُئِلوا عن هذا: مَن خلَقَ السموات والأرض؟ قالوا: اللهُ، فيكون هذا اعترافاً منهم لله تعالى بالخَلْق، وفي ذلك ما يَكفي لِتَبْيينِ جَهْلِهم في الإشراك به ما لا يَقْدِرُ على شيء.

ثم لَمَّا كان الله تعالى موصوفاً بهذه الصفات المذكورة في الآيات[2] أتبَعَ ذِكْرَ اعترافِهم بهذه الصفات؛ كأنه قال تعالى: ولئن سألتَهم عن ذلك لَأضافوا ذلك إلى الله الذي هو موصوف بهذه الصفات.

---

(١) في (ف): «مطيعين».

(٢) في (ر) و(ف): «في القرآن والآيات».

(١٥) ـ ﴿ وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنسَانَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿ وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا ﴾: أي: ومِن جَهْلِهم أنَّهم مع اعترافِهم أنَّه خالقُ السماوات والأرض يجعلون له مِن خَلْقِه ولَداً؛ لأنَّ الولدَ جزءٌ مِن الوالد.

وقولُه تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴾: أي: إنَّ الكافرَ بالله الجاهلَ به كفورٌ نِعَمَه، ظاهِرُ الكُفْران، مُجاهِرٌ بالشرك.

وقال الإمام أبو منصور رحمه الله: قالت الثَّنَوِيَّةُ: إنَّ الله تعالى خالِقُ الخَيْراتِ، وخالِقُ الشُّرورِ غيرُه، فيَحتَمِلُ أنْ يكون المرادُ أنَّهم جعلوا لله جُزْءاً مِن الخَلْق لا كُلَّه، وكذلك مُشْرِكو العرب كانوا يجعلون مِن الحَرْث والأنعام لله جُزْءاً، ولآلهتهم جُزْءاً[١].

وقيل: معنى قوله: ﴿ وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا ﴾؛ أي: مِثْلاً وشَبَهاً، ومجازُه: أنَّهم عبَدوا عِبادَه كما عبَدوه.

* * *

(١٦) ـ ﴿ أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُم بِالْبَنِينَ ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿ أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ ﴾: استفهامٌ بمعنى الإنكار والتَّوْبيخ.

و﴿ أَمِ ﴾: يُعطَفُ بها على ألف الاستفهام، وتقديرُه: أتقولون أنَّ الله ولَدَ ولَداً أم اتَّخَذَ مِن خَلْقِه بناتٍ؟!

وقولُه تعالى: ﴿وَأَصْفَاكُم ﴾: أي: خَصَّكم ﴿بِالْبَنِينَ ﴾: وهو كقوله: ﴿ أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ ﴾ [النجم: ٢١]، وقوله: ﴿ فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ ﴾ [الصافات: ١٤٩] الآيات، وقد فسَّرْناها هناك.

---

(١) انظر: «تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٩/ ١٥٤).

يقول: جمَعْتُم في هذا الوصف نوعين مِن الجَهالة:

أحدُهما: وصفُ اللهِ جل جلاله باتِّخاذِ الأولاد.

والثاني: وصفُه باتِّخاذِ وَضْعِ الجنسين، ولو أنَّ الواحدَ منكم فعَلَ هذا لَنسبتموه إلى سوء الاختيار.

* * *

(١٧ ـ ١٨) ـ ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾ أَوَمَن يُنَشَّؤُا۟ فِى ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾: أي: بقِيَ في كلِّ يومه مُتغيِّرَ اللَّونِ، ظاهِراً عليه أثَرُ المُساءَةِ والكآبة.

﴿ وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾: أي: مَمْلوءٌ غمًّا وغَيْظاً.

وقولُه تعالى: ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُا۟ فِى ٱلْحِلْيَةِ﴾: قرأ حمزةُ والكسائيُّ وعاصمٌ في رواية حفصٍ بضم الياء وتشديد الشين؛ أي: يُرَبَّى، وقرأ الباقون بفتح الياء وتخفيف الشين؛ أي: يَتَرَبَّى[1].

يُقال: أَنْشَأَه اللهُ ونَشَّأَه فنَشَأَ؛ كما يُقال: أَنْبَتَه اللهُ ونبَّتَه فنبَتَ، قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً﴾ [الواقعة: ٣٥]، وأصلُ الكلمةِ مِن الظُّهور والطُّلوع؛ يُقال: نشَأَتِ السَّحابةُ؛ إذا ظهَرَتْ وطلَعَتْ.

وقولُه تعالى: ﴿فِى ٱلْحِلْيَةِ﴾؛ أي: في الزِّينة؛ أي: يُنَفَّقُ مما يُحَلَّى به مِن الذهب والفضة واللُّؤْلُؤ.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٨٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١٩٦).

وقولُه تعالى: ﴿وَهُوَ فِي ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾: أي: المُخاصَمة.

وقيل: هو جَمْع (خَصْمٍ)؛ أي: بين الخُصوم.

﴿غَيْرُ مُبِينٍ﴾: أي: للكلام على وَجْهٍ تقومُ به حُجَّتُه.

والمُرادُ به: البنتُ، وإنما لم يُؤَنِّثِ الفِعْلَ والكِنايةَ؛ لأنه بدأَ بكلمة (مَن)، وبنى الفعلَ والكنايةَ عليه.

وقيل: أرادَ به الصَّنَمَ؛ لأنهم كانوا يُحَلُّون الأصنامَ.

وفي أول هذه الآية مُضْمَرٌ، وتقديرُه: ويَنسبون إليه مَن يُنَشَّأُ، أو يُشركون به مَن يُنَشَّأُ.

* * *

(١٩) ـ ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَـٰدُ ٱلرَّحْمَـٰنِ إِنَـٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَـٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَـٰدُ ٱلرَّحْمَـٰنِ إِنَـٰثًا﴾: قرأ ابنُ كثيرٍ ونافعٌ وابنُ عامرٍ: ﴿عند الرحمن﴾ بالنون، مِن قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾ [الأعراف: ٢٠٦]، وهو بيانُ قُرْبِ المنزلةِ والكرامة.

وقرأ الباقون: ﴿عِبَـٰدُ ٱلرَّحْمَـٰنِ﴾ بالباء والألف، وهو جمع: (عَبْد)، وهو كقوله: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦][١].

يقول: ومِن جَهْلِهم أيضاً أنهم جعلوا الملائكةَ شُرَكاءَ لنا آلهةً معنا، وسمَّوْهم إناثاً.

---

(١) انظر المصدرين السابقين.

قولُه تعالى: ﴿ أَشَهِدُواْ خَلْقَهُمْ ﴾: قرأ نافع: ﴿أَأُشْهِدُوا﴾؛ كما في قوله: ﴿مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ ﴾ [الكهف: ٥١].

وقرأ الباقون: ﴿ أَشَهِدُواْ ﴾؛ كما في قوله: ﴿ أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ شَٰهِدُونَ ﴾ [الصافات: ١٥٠][1].

وهو استفهامٌ بمعنى النَّفْيِ، أبطَلَ مقالتَهم بكل الوجوه.

﴿ أَشَهِدُواْ خَلْقَهُمْ ﴾؛ أي: أقالوا هذا عن مُشاهدة أنهم شاهَدوا خَلْقَ اللهِ إياهم إناثاً؟! ولا مُشاهدةَ لهم على هذا، ولو ادَّعَوا ذلكَ لكابروا.

﴿سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ ﴾: أي: على الملائكة بالزُّورِ ﴿وَيُسْـَٔلُونَ﴾: عنها، فلا يَجدون مَخْرَجاً عنها، فيُعاقَبون.

وقيل: ستُكْتَبُ دَعْواهم أنهم شهِدوا خَلْقَهم.

* * *

(٢٠ ـ ٢١) ـ ﴿ وَقَالُواْ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم ۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ ﴾: أي: مِن قَبْل قولِهم هذا.

وقيل: أي: مِن قَبْل القرآن، فقد سبَقَ ذِكْرُه: ﴿إنا جعلناه قرآناً عربياً﴾.

﴿فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ ﴾: أي: أم قالوا ذلك بحُجَّةِ سَمْعٍ أتاهم مِن عند الله مِن كتابٍ أنزلَه اللهُ؟! وليس لهم ذلك، وإذا لم يكن لهم سَمْعٌ ولا عَقْلٌ ولا مُشاهدةٌ بطَلَ قولُهم.

---

(١) انظر المصدرين السابقين.

وقولُه تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم﴾: ادَّعَوا أنَّ اللهَ أمرَهم بعبادة الملائكة، وقالوا: لو شاء ألَّا نعبُدَها لنهانا عنها، فإذْ لم يَنْهَنا عنها فقد أمَرَنا بها.

وقيل: معناه: لو شاء الله ألَّا نعبُدَهم لمنَعَنا عن عبادتها مَنْعَ قَهْرٍ واضطرارٍ، وإذا لم يفعلْ ذلك فقد أباحَ لنا.

وقولُه تعالى: ﴿مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾: أي: يَكْذِبون؛ أي: هذا القولُ منهم ليس لهم عليه حُجَّةٌ، وهو جَهْلٌ منهم وكَذِبٌ.

وقيل: إنهم قالوا هذا القولَ استهزاءً بقول أهل الحق: إنَّ الكائناتِ كلَّها بمشيئة الله تعالى؛ لا اعتقاداً منهم ذلك، فأكذبَهم اللهُ فيه وجهَّلَهم حيث لم يقولوه عن اعتقاد؛ كما قال مُخْبِراً عنهم: ﴿أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ﴾ [يس: ٤٧]، وهذا حقٌّ في الأصل، ولكنْ قالوا ذلك استهزاءً، فأكذَبهم اللهُ بقوله: ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [يس: ٤٧]، وكذلك قوله: ﴿قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾، ثم قال: ﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ [المنافقون: ١]؛ لأنهم لم يقولوه اعتقاداً.

وقولُه تعالى: ﴿ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ ﴾: فسَّرْناه؛ لأنه مُتَّصِلٌ بالأول ومُقَدَّمٌ في المعنى، وإنْ كان مُؤَخَّراً في النَّظْم.

***

(٢٢ ـ ٢٣) ـ ﴿ بَلْ قَالُوٓا۟ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿ بَلْ قَالُوٓا۟ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ ﴾: أي: طريقةٍ. وقيل: مِلَّةٍ. وقيل: دِينٍ.

يعني: لم يقولوا هذا القولَ عن مُشاهدةٍ، ولا حُجَّةٍ عقليَّةٍ، ولا حُجَّةٍ سمعيَّةٍ، بل تقليداً لآبائهم الضالين، وقالوا: ﴿وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ﴾؛ أي: أمرٍ مُجتمَعٍ عليه ﴿وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ﴾: راشدون.

وقولُه تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ﴾: أي: في بَلْدةٍ مِن رسول.

﴿إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ﴾: أي: جبابرتُها ومُتنعِّمُوها مِثْلَ[1] هذا القول.

﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾: أي: مُتَّبِعون؛ أي: التَّقليدُ لأهل الجهل أمرٌ مُتقادِمٌ.

* * *

(٢٤) ـ ﴿۞ قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ ۖ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿قُلْ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ﴾: أي: قل يا محمد لهؤلاء المُقلِّدين: أرأيتم لو جئتُكم بما هو أرشدُ وأقومُ طريقةً مما وجدتُم عليه آباءَكم، وبانَ لكم ذلك، أتُقيمون على تقليدكم أم تترُكُونه بهذا الاهتداء؟

فإنْ كانوا عُقلاء قالوا: نترُكُ التقليدَ، فإذا قالوا ذلك فقل لهم: هلُمُّوا أُرِكُمْ[2] آيةً أهدى، فإنِ امتنعوا فقد حادوا[3] ولم يُنْصِفوا، وإنْ أجابوا صاروا إلى النَّظَر، فحينئذٍ يبطُلُ التَّقْليد لوضوح حُجَجِ الله.

وقرأ عاصمٌ في رواية حفصٍ: ﴿قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم﴾[4]، ومعناه: قال كلُّ نذيرٍ ذلك لقومه.

---

(١) «مثل» ليس من (أ).

(٢) في (أ): «فهلموا أريكم» بدل من «فقل لهم: هلموا أركم».

(٣) في (ر) و(ف): «جادلوا».

(٤) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٨٥)، و«التيسير» للداني (ص: ١٩٥)، وهي قراءة ابن عامر أيضاً.

﴿قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾: هذا تمامُ كلامِ الكفار، ويتَّصِلُ بقوله: ﴿وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ﴾، ﴿إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾، ولما اعترَضَ كلامٌ آخرُ زِيدَ: ﴿قَالُوٓاْ﴾.

* * *

(٢٥ ـ ٢٦) ـ ﴿فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ۝٢٥ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٞ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ﴾.

﴿فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ﴾: عاقَبْناهم بما استحقُّوه على إصرارهم.

﴿فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ﴾ وأنذِرْ قومَكَ مِثْلَه لِيَرْتَدعوا.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: نزلَتِ الآياتُ في أبي جهلٍ والوليدِ وعُتْبَةَ وشَيْبَةَ لعنَهم الله[1].

وقولُه تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ﴾: أي: واذكُرْ إذ قال ﴿إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٞ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ﴾؛ أي: بَريءٌ مِن أصنامكم، مصدرٌ أُقيمَ مقام النَّعْت، ويَستوي فيه الواحدُ والتَّثْنيةُ والجَمْعُ والذَّكر والأنثى؛ كالعدل والرضا.

أخبَرَ أنَّ إبراهيم كان على الإسلام والإخلاص، ووَرَّثَ ذلك عَقِبَه، وهُم هؤلاء، لكنَّهم خالفوه، وقومُ إبراهيمَ عليه السلام أجابوه أيضاً بمِثْل جواب هؤلاء المُقلِّدين لكَ[2]: ﴿قَالُواْ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ۝٥٣ قَالَ لَقَدۡ كُنتُمۡ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ [الأنبياء: ٥٣ ـ ٥٤].

* * *

---

(١) هو قول مقاتل، كما في «تفسيره» (٣/ ٧٩٢)، ونقله عنه الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٢٢١)، ولم أقف عليه عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) في (ر): «ذلك».

(٢٧ ـ ٢٨) ـ ﴿إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ﴾: قيل: كان في قومه مَن يعبُدُ اللهَ ويعبُدُ معه غيرَه، فصَحَّ الاستثناءُ بقوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ مِن قوله: ﴿مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾ لذلك.

وقيل: الاستثناءُ مُنقَطِعٌ بمعنى (لكنْ)، و﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾ مُقْتَصِرٌ على الأصنام، ومعناه: لكنِ الذي خلَقَني أعبُدُه.

﴿فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ﴾: أي: سيُثَبِّتُني على الرُّشْد.

وقولُه تعالى: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ﴾: أي: جعَلَ إبراهيمُ كلمةَ التوحيدِ باقيةً في ولَدِه وولَدِ ولَدِه، فتوارثوا البراءةَ عن الأصنام، والتَّديُّنَ بالإسلام، وتواصَوا به.

﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾: أي: لِيَرجِعَ المشركون مِن قومهم إلى طاعة ربهم مِن كفرهم وشركهم.

وقيل: أي: جعلَها اللهُ باقيةً في عقِبِ إبراهيمَ؛ أي: شرَعها فيهم لِيَرْجِعَ إليها كلُّ مَن كان على غيرها مِن عقِبِه؛ إذ علِموا أنَّ الله تعالى ألزمَهمُ التَّديُّنَ بها.

وقال قتادة: هي التوحيدُ والإخلاصُ، لا يزالُ في ذُرِّيَّته ونَسْله مَن يُوحِّدُ اللهَ ويعبدُه[1].

* * *

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٧٦١)، والطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٥٧٧)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٢٠٩).

(٢٩ ـ ٣٠) ـ ﴿ بَلْ مَتَّعْتُ هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿٢٩﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿ بَلْ مَتَّعْتُ هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ﴾: ﴿ بَلْ ﴾: لِرَدِّ ما قبلَه؛ يعني: ليس شركُ هؤلاء ولا شركُ آبائِهم لِقُصور البيان مِن جهة الرسل، بل أمهلتُ هؤلاء وآباءَهم، وأخَّرْتُ العذابَ عنهم، فاغترُّوا بذلك، وظنُّوا أنهم على حقٍّ، فقلَّدوا الآباءَ حتى جاءهم رسولُ محمَّدٍ[1] بالحقِّ، وهو الإسلامُ والتوحيدُ الذي هو دينُ إبراهيمَ.

وقولُه تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ ﴾: أي: ولَمَّا جاءَهم القرآنُ قالوا باهِتين: ﴿هَٰذَا سِحْرٌ ﴾، وقالوا مُعانِدين ومُكابِرين: ﴿وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴾.

* * *

(٣١) ـ ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾.

﴿ وَقَالُوا۟ ﴾: مُتحكِّمين بالباطل: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾: أي: على رجلٍ عظيمِ الرِّياسة بالمال والأتباع مِن هاتين البلْدتينِ: مكَّةَ والطَّائفِ.

أي: كيف خُصَّ محمَّدٌ بهذه الفضيلة التي تُوجِبُ انقيادَ العُظماءِ له مع فَقْره وضَعْفِ حاله في أسباب الدنيا.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: يَعْنون بالعظيم مِن القريتين: الوليدُ بنُ المغيرة القُرشيُّ، وحبيبُ بنُ عمرو بنِ عُمَيرٍ الثَّقفيُّ[2].

---

(١) كذا في جميع النسخ، ولعل الصواب: رسولنا محمد.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٥٨٠)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٣٣٢)، والماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٢٢٣).

وقال مجاهد: عُتْبةُ بن ربيعةَ مِن أهل مكة، وابنُ عبدِ يَاليِلَ مِن أهل الطائف[١].

وقال قتادة: الوليدُ بن المُغيرة مِن أهل مكة، وعُرْوةُ بن مسعود الثَّقَفِيُّ مِن أهل الطائف[٢]، وهو جَدُّ المختارِ.

وقال السُّدِّي: مِن الطائف كِنانةُ بن عبدِ بن عمرٍو[٣].

***

(٣٢) - ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾.

فعرَّفهم اللهُ تعالى جهلَهم في هذا، فقال: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾: أي: النُّبُوَّةَ، استفهامٌ بمعنى الإنكار والتوبيخ.

﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾: أي: نحن قسَمْنا أرزاقَهم فيما بينهم وهو أدنى مِن الرسالة، فلم أترُكِ اختيارَها إليهم، فكيف يكون لهم اختيارُ ما هو أفضلُ وأعظم من ذلك، وهو الرسالة؟!

وقولُه تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ﴾: فجعَلْنا منهم مالِكاً ومملوكاً، ورئيساً ومَرْؤوساً، وصاحِبَ صَنْعَةٍ رئيسةٍ رفيعةٍ وصاحِبَ صنعةٍ[٤] خَسيسةٍ.

﴿لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾: أي: لِينتفِعَ كلُّ طبَقةٍ منهم بالطَّبَقة الأخرى بأنْ

---

(١) المصادر السابقة.

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٧٦٢)، والطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٥٨١).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٥٨٢)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٣٣٢)، والماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٢٢٣).

(٤) في (أ): «مهنة».

يستعملَه فيما يَحتاجُ إليه بما يتعلَّقُ بصنعته، وينتفِعَ العاملُ بما يأخذُه مِن أجره، فيتعيَّشَ كلُّ واحدٍ منهما بصاحبه.

وفي «ديوان الأدب»: ﴿سُخْرِيًّا﴾: ما كان مِن السُّخْرة فهو مضموم، وما كان مِن الهُزْء فهو مكسور[١].

وقولُه تعالى: ﴿وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾: أي: النبوةُ خيرٌ مِن الأموال المجموعة، وإذا كانت قِسْمةُ هؤلاء إلى الله تعالى دون خَلْقِه، فالأوَّلُ أولى بذلك.

وقيل: ﴿وَرَحْمَتُ رَبِّكَ﴾؛ أي: النبوةُ يا محمد[٢] ﴿خَيْرٌ مِّمَّا﴾ كانوا[٣] ﴿يَجْمَعُونَ﴾ مِن الأموال التي هي لهؤلاء، فليس لهم فضيلةٌ عليه، بل له عليهم.

وقيل: ورحمةُ اللهِ عبادَه بالإسلام خيرٌ مما يجمعون مِن الأموال، فلا ينبغي لهم أنْ يتعظَّموا بها، بل يلزَمُهم الانقيادُ لِمَن خصَّه الله بالنبوةِ، والإيمانُ به لِيَنالوا رحمةَ اللهِ.

* * *

(٣٣) ـ ﴿وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾.

ثم ذكَرَ قِلَّةَ خطَرِ الأموال، فقال: ﴿وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾: أي: ولولا أنْ يرغَبَ الناسُ في الكفر إذا رأوا الكفار في سَعَةٍ.

وقال الحسن رحمه الله: لولا أنْ يتتابعُوا في الكفر[٤].

---

(١) انظر: «ديوان الأدب» للفارابي (١/ ١٧٦).

(٢) في (أ): «بمحمد»، وفي (ر): «لمحمد» بدل: «يا محمد».

(٣) «كانوا» ليست في (أ).

(٤) ذكره عنه بهذا اللفظ السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٢٥٧). ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٥٨٧)

﴿لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَٰنِ﴾: أي: يكفرُ بنا ﴿لِبُيُوتِهِمْ﴾: قال الزَّجَّاج: يجوزُ أنْ يكون تَكرارُ اللام على البدل، وتقديرُه: لَجعَلْنا لبيوت مَن يكفرُ بالرحمن.

ويصلُحُ أنْ تكون اللام الثانية بمعنى (على)؛ أي: لَجعَلْنا لِمَن يكفرُ على بيوتهم[(١)].

﴿سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ﴾: قرأ ابنُ كثيرٍ وأبو عمرو: ﴿سَقْفاً﴾ بفتح السين وتسكين القاف، وهو سماءُ البيتِ، وهو واحد بمعنى الجَمْع، أو على إرادة أنْ يكون لكلِّ بيتٍ سَقْفٌ؛ كما في قوله: ﴿ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ [غافر: ٦٧] على الوجهين، وقرأ الباقون: ﴿سُقُفًا﴾ بالضم[(٢)]، وهو جَمْعٌ؛ كالرَّهْن والرُّهُن. قاله قُطْرُب[(٣)].

وقيل: هو جَمْعُ (سَقيفة).

وقيل: هو جَمْعُ الجَمْعِ: سَقْفٌ وسُقُوفٌ وسُقُفٌ؛ كقولهم: رَهْنٌ ورُهُونٌ ورُهُنٌ، لأنها مُضافةٌ إلى الجَمْع، وهي البيوت.

وقولُه تعالى: ﴿وَمَعَارِجَ﴾: أي: مَراقِيَ ﴿عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾: أي: يَعْلُونَ على السُّقوف؛ كما قال: ﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ﴾ [الكهف: ٩٧].

* * *

(٣٤ ـ ٣٥) ـ ﴿وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا ۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَالْآخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

بلفظ: لولا أن يكون الناس كفاراً أجمعون يميلون إلى الدنيا لجعل الله تبارك وتعالى الذي قال.

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٤١٢).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٨٥)، و«التيسير» للداني (ص: ١٩٦).

(٣) ذكره الأخفش في «معاني القرآن» (١/ ٢٠٦) عن أبي عمرو بن العلاء، وهو قول الزجاج كما في «معاني القرآن» (٤/ ٤١٠)، وأبي عبيدة في «مجاز القرآن» (٢/ ٢٠٣) وغيرهما.

﴿وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا﴾: أي: وجعَلْنا لبيوتهم أبواباً مِن فضة ﴿وَسُرُرًا﴾: مِن فضة ﴿عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ﴾.

﴿وَزُخْرُفًا﴾: قيل: ذهباً، وقيل: زينةً. أي: وجعَلَ لهم تَزْيِيناتٍ تُزَيِّنُ بها البيوتُ مِن الذهب والفضة.

وقيل: هي[1] الأواني.

وقيل: أي: ثِياباً وفُرُشاً تُزَيِّنُ بها البيوتُ[2].

وقيل: ذهباً مِن الدَّنانير ونحوِها يحصُلُ له بها الغِنى.

وقولُه تعالى: ﴿وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾: قرأ عاصمٌ وحمزةُ وابنُ عامرٍ: ﴿لَمَّا﴾ بالتشديد بمعنى (إلَّا)؛ أي: وما كلُّ ذلك إلَّا متاعُ الحياة الدنيا.

وقرأ الباقون بالتخفيف[3]، و(ما) صِلةٌ زائدةٌ، وتقديرُه: وإنْ كلُّ ذلك لَمتاعُ الحياةِ الدنيا، وله وجهان:

أحدُهما: أنَّ (إنْ) للتَّأكيد، واللامَ كذلك.

والثاني: أنَّ (إنْ) للنَّفي، واللامَ بمعنى (إلَّا)، فيَصيرُ كقراءة التشديد.

وقولُه تعالى: ﴿وَٱلْأَخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾: وهو ترغيبٌ في العُقْبى، وترهيبٌ في الدنيا.

* * *

(١) في (ف): «من».

(٢) «تزين بها البيوت» ليس في (ف).

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٨٦)، و«التيسير» للداني (ص: ١٩٦)، ورواية هشام عن ابن عامر موافقة لقراءة البقية، ورواه عنه ابن ذكوان بالتخفيف.

(٣٦) ـ ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴾.

﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ ﴾: يتَّصِلُ بقوله: ﴿ أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا ﴾.

قال قتادة والسُّدِّي: أي: يُعْرِضْ عن القرآن(١).

وقال أبو عُبيدة: ومَن يُظْلِمْ بصرُه(٢)، يُقال: عَشَوْتُ بالليل في الظُّلْمة إلى نارٍ مِن بعيد، قال الشاعر:

متى تأتِه تَعْشو إلى ضوءِ نارِه ... تجِدْ خيرَ نارٍ عندها خيرُ مُوقِدِ(٣)

فإذا كان قولك: (عَشَوْتُ إليه) نظَراً إليه، كان قولُك: (عَشَوْتُ عنه) صَرْفاً للنَّظَر عنه.

وقولُه تعالى: ﴿نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾: أي: نُهَيِّئْ.

وقيل: أي: نُسَلِّطْ.

وقيل: أي: نُقَدِّرْ شيطاناً يُزِلُّه ويُضِلُّه.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: أي: نُسَلِّطْه عليه ﴿فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾: فهو معه في الدنيا والآخرة(٤).

---

(١) رواه عنهما الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٥٩٦)، وذكره عن قتادة الماورديُّ في «النكت والعيون» (٥/ ٢٢٥)، والسمعاني في «تفسيره» (٥/ ١٠٢)، وقال الواحدي في «البسيط» (٢٠/ ٤٣): هو قول قتادة، وروي ذلك عن ابن عباس، وهو اختيار الفراء وأبي إسحاق.

(٢) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (٢/ ٢٠٤)، و«غريب القرآن» لابن قتيبة (ص: ٣٩٧).

(٣) البيت للحُطيئة جرول بن أوس. انظر: «ديوانه» (ص: ٧٠)، و«العين» للخليل (٢/ ١٨٧)، و«مجاز القرآن» لأبي عبيدة (٢/ ٢٠٤)، و«إصلاح المنطق» لابن السكيت (ص: ١٤٨).

(٤) انظر: «تفسير السمرقندي» (٣/ ٢٥٨)، و«تفسير الثعلبي» (٨/ ٣٣٥)، و«تفسير البغوي» (٧/ ٢١٣).

وقال مُقاتلٌ: أي: نضُمُّ إليه شيطانَه إذا بعَثناه(١).

وقال أبو سعيد الخُدْريُّ رضي الله عنه: إذا بُعِثَ الكافرُ زُوِّجَ بقَرينه مِن الشياطين، فلا يُفارِقُه(٢).

وقال عطاء: في قوله: ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتۡ﴾ [التكوير: ٧]؛ أي: قُرِنَتْ نُفوسُ المؤمنين بالحُورِ العِين، ونُفوسُ الكفار بالشياطين(٣).

وقال سفيان بن عُيَيْنة: ما مِن مثَلٍ للعرب إلا وهو في القرآن؛ كقولهم: أعطِ أخاك تمرةً، فإنْ أبى فجَمْرةً، هو في هذه الآية(٤).

* * *

(٣٧ ـ ٣٨) ـ ﴿وَإِنَّهُمۡ لَيَصُدُّونَهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُم مُّهۡتَدُونَ ٣٧ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيۡتَ بَيۡنِي وَبَيۡنَكَ بُعۡدَ ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ فَبِئۡسَ ٱلۡقَرِينُ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿وَإِنَّهُمۡ لَيَصُدُّونَهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾: أي: وإنَّ الشياطين يَصْرِفون العاشِينَ عن الذِّكْر وعن السبيل المستقيم بالخُدَع.

﴿و﴾ العاشون ﴿يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ﴾: جُمِعَ في هذه الآية وهو مُوَحَّدٌ في الآية الأولى؛ لأنه قال: ﴿وَمَن﴾، وهو اسمُ جنسٍ، فكان واحداً بلفظه جَمْعاً بمعناه، وهو دليل على التَّقْييض في الدنيا، ثم في الآخرة لا يُفارِقُه.

---

(١) لم أقف عليه عن مقاتل، وروى معناه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٧٦٧) عن سعيد الجريري.

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٣٣٥)، والماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٢٢٦)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٢١٤).

(٣) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٤/ ٤٢٩)، والبغوي في «تفسيره» (٨/ ٣٤٧).

(٤) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٢٥٨).

قولُـه تعالـى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا ﴾: يـومَ القيامـة هذا العاشـي، وَحَّدَ لأنـه ردَّه إلى أول الكلام.

وقرأ ابنُ كثيرٍ ونافعٌ وعاصمٌ في رواية أبي بكر: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَانَا﴾ على التَّثْنية(١)؛ أي: العاشي وشيطانُه، وأُدْخِلا النارَ.

﴿قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴾: أي: قال هذا العاشي: ليتني لم أكنْ صَحِبْتُكَ ولا عرَفْتُكَ، ولا كانت بيني وبينكَ وُصْلَةٌ ولا تقاربٌ، حتى كنا في التَّباعد كأنَّ أحدَنا بالمشرق والآخرَ بالمغرب، لا يلتقيان ولا يتقاربان.

وجعلُهما مَشْرِقَينِ على الازدواج؛ كالقمَرين وسُنَّةِ العُمَرين.

وقيل: هما مَشْرِقُ الشتاء، ومَشْرِقُ الصيف؛ كما قال تعالى: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴾ [الرحمن: ١٧].

وقولُـه تعالـى: ﴿فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴾: كنـتَ لـي فـي الدنيـا، أضلَلْتَني عن السـبيل، وأَوْرَدتَنـي ونفسَـكَ عـذابَ الجحيم.

وقيل: أي: ﴿فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴾: أنتَ لي الآنَ.

* * *

(٣٩ ـ ٤٠) ـ ﴿ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَمَن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴾: أي: إنَّ اشتراكَكم في العذاب الذي استوجبْتُموه بشِرْكِكم لنْ يُخَفِّفَ عنكم شيئاً، ولا

---

(١) انظـر: «السـبعة» لابـن مجاهـد (ص: ٥٨٦)، و«التيسـير» للدانـي (ص: ١٩٦)، والتثنية قـراءة ابن عامـر أيضا.

يقعُ به التَّسلِّي حتى[1]؛ كما يكون في الدنيا يَنْزِلُ بالجُملة فيقعُ به بعضُ[2] السَّلْوَةُ.

وقولُه تعالى: ﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَمَن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾: استفهام بمعنى النَّفْي؛ يعني: إنَّكَ يا محمد لستَ بقادرٍ على أنْ تُسْمِعَ مَن أصمَمْناه، وتُبْصِرَ مَن أعميناه، وتُرْشِدَ مَن أغويناه، آيَسَه عن إيمان قومٍ علِمَ أنهم لا يُؤمنون أبداً.

***

(٤١ ـ ٤٢) ـ ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ۝٤١ أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى وَعَدْنَٰهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ﴾.

ثم طيَّبَ قلبَه فقال: ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ﴾: (إما) كلمتان: (إنْ) للشرط، و(ما) للتأكيد، والنونُ للقسَم.

يقول: إنْ ذهَبْنا بكَ عن الدنيا، فإنا ننتقِمُ لكَ ممَّنْ آذاكَ وأساءَ إليكَ وجَفاكَ.

﴿أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى وَعَدْنَٰهُمْ﴾: عاقَبْناهم في حياتكَ.

﴿فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ﴾: قادرون على ذلك وعلى كل شيء.

وقال الإمام القُشَيري: أثبتَه على حدِّ الخوف والرجاء، ووقَفَه على وصف الإبهام والإخفاء؛ لانفرادِه سبحانه بعلم الغيب، وكذلك الواجبُ على كلِّ عبدٍ أنْ يكونَ مِن نظَّارة التَّقدير، ويفعلُ اللهُ ما يُريد[3].

***

(٤٣ ـ ٤٤) ـ ﴿فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٤٣ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ﴾.

---

(١) «حتى» من (أ).

(٢) في (ر) و(ف): «فيقع للبعض بالبعض».

(٣) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٣/ ٣٦٨).

وقولُه تعالى: ﴿ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ﴾: أي: فتمسَّكْ بالقرآن الذي أُنْزِلَ عليك، والتزِمْ أحكامَه، وادْعُ الناسَ إلى اتِّباعه.

﴿ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾: أي: طريقٍ سَوِيٍّ يُفْضي بكَ إلى رضا الله وثوابه.

﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ﴾: أي: وإنَّ هذا القرآنَ الذي أُوحِيَ إليكَ بيانٌ لكم جميعاً لكلِّ ما تحتاجون إليه، ووَعْظٌ وتنبيهٌ لكم جميعاً.

﴿وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴾: عما أُلْزِمْتُم[1] به أنتَ وقومُكَ، قال تعالى: ﴿ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [الأعراف: ٦].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: وإنه لشَرَفٌ لكَ ولقومكَ[2]؛ إذ هو بلسانهم، ﴿وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴾: عن شكره[3].

❋ ❋ ❋

(٤٥) ـ ﴿ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾: أي: لستَ تَدْعوهم إلى دينٍ ابتدَعْتَه، بل به أرسَلْنا رسلَنا، فإنْ لم يُصَدِّقوكَ فاستَشْهِدْ بعلماء أمم الأنبياء مِن أهل الكتاب، فإنهم مع مُخالفتِهم إياكَ يَشْهدون لكَ على أنبيائهم بالموافقة في الدعاء إلى عبادة الله وحدَه وخَلْعِ الأنداد، سوى مَن يشهَدُ على ذلك مِن مُؤمنيهم بكَ.

---

(١) في (أ): «التزمتم»، وفي (ر): «ألزمكم».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٦٠٣)، وابن أبي عاصم في «السنة» (١٤٩٨)، والطبراني في «الكبير» (١٣٠٣٠)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٣٣١).

(٣) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٠/ ٥١) عن الكلبي.

فكان معنى: ﴿ وَسْئَلْ ﴾؛ أي: استَشْهِدْ، وتقديرُ الآية على هذا: واسأَلْ مَن أرسَلْنا إليهم مِن قبلك رسلاً مِن رسلنا، و﴿مَنْ أَرْسَلْنَا ﴾: هم المُرْسَل إليهم، وهم أممُ المرسلين مِن أهل الكتاب كاليهود والنصارى، والصِّلَةُ محذوفةٌ؛ كما في قوله: ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ ﴾ [الحجر: ٩٤]، و﴿ذَٰلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ ﴾ [الشورى: ٢٣]، ونظيرُه قوله: ﴿ فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ ﴾ [يونس: ٩٤]، وقال: ﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ ﴾ [النحل: ٤٣].

وكان استشهادُ النبي ﷺ بهؤلاء حُجَّةً على المشركين؛ لأنهم كانوا يرجِعون إليهم، ويعتمدون على قولهم، فإذا سألهم وقالوا: لم يجعَلِ اللهُ تعالى للخَلْق آلهةً يعبدونهم، لزِمَتْهم الحُجَّةُ.

وقيل: تقديرُه: واسأل أتباعَ مَن أرسلنا، على الإضمار.

وقيل: تقديرُه: واسأَلْ عمَّنْ أرسَلْنا، فحُذِفَ (عن)؛ أي: سَلْ أُمَمَهم عنهم، وهو كقوله: ﴿إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴾ [الإسراء: ٣٤]؛ أي: مسؤولاً عنه، فحُذِفَتِ الصِّلَةُ.

ثم السؤالُ يكون لرَفْعِ الإشكال، ولم يكن رسولُ الله ﷺ يشُكُّ في ذلك، وإنما الخِطابُ له والمرادُ غيرُه.

وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: لَمَّا نزلَتْ هذه الآية قال النبي ﷺ: «ما أنا بالذي أشُكُّ، وما أنا بالذي أسأَلُ»(١).

وللآية وجهٌ آخرُ على ظاهرِها مِن غير إضمار:

---

(١) لم أقف عليه في هذه الآية، وتقدم نحوه عند تفسير قوله تعالى: ﴿ فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ ﴾ [يونس: ٩٤].

قال سعيد بن جُبير رضي الله عنه: إن النبي ﷺ لَمَّا أُسْرِيَ به إلى بيت المَقْدِس جُمِعَ له الأنبياءُ ببيت المقدس، فقيل له: سَلْ هؤلاءِ[1].

* * *

(٤٦ ـ ٤٧) ـ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا جَاءَهُم بِآيَاتِنَا إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾: أي: أرسَلْناه كما أرسلناكَ، فكذَّبوه كما كذَّبوكَ، فجُعِلَتِ العاقبةُ له، وإنا نجعلُها لكَ، وانتقَمْنا له منهم، ونحن ننتقِمُ مِن هؤلاء لكَ.

﴿فَلَمَّا جَاءَهُم بِآيَاتِنَا﴾: أي: بالمُعجزات مِن عندنا.

﴿إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ﴾: استهزاءً وإيماءً[2] لأتباعهم أنَّ ذلك تمويهٌ.

* * *

(٤٨) ـ ﴿وَمَا نُرِيهِم مِّنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.

﴿وَمَا نُرِيهِم مِّنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا﴾: أي: وما أَريناهم؛ أي: وما كنا

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٣٣٧) عن سعيد بن جبير وابن زيد، وروى نحوه عن الزهري.
ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٦٠٥) عن ابن زيد، وهو مروي عن ابن عباس كما في «تفسير السمعاني» (٥/ ١٠٥).
وذكره الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (٩/ ١٧٠)، والسمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٢٥٩) من غير نسبة.

(٢) في (أ) و(ر): «إيهاما».

نُريهم مِن معجزةٍ إلَّا هي أعظمُ مِن صاحبَتِها في نَقْضِ العادة، وأكبرُ في الأُعْجُوبة، وأَبْلَغُ في لُزوم الحُجَّة.

والأُخْتُ: استعارةٌ مِن ذلك، ومَجازٌ عن المُشاكلة، وهو كما حُكِيَ: أنَّ بعضَ الشعراء سُئِلَ عن نفْسِه وعن شاعر آخر، فقال: أنا أقول البيتَ وأخاه، وهو يقول البيتَ وابنَ عمِّه[1]، وكان هذا مجازاً عن التَّقارُبِ والتَّباعُدِ في التَّشاكُلِ، ونظيرُه قولُه تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا﴾ [الأعراف: ٣٨].

ثم ظاهرُ النَّظْم يدلُّ على أنَّ اللاحِقةَ أعظمُ مِن السابقة، وحقيقةُ ذلك: أنَّ الآيتَينِ مُتساويتان في نَقْضِ العادة وإيضاح الحُجَّة، لكنَّ الأُولى يذهَبُ هولُها على مَن رآها، فتزيد الثانيةُ عظَمةً عند الرائي لحُضورها.

وقيل: هو تعظيمُ شأنِهما جميعاً؛ كقولك: هُما أخوان، كلُّ واحدٍ منهما أكرمُ مِن الآخر.

وقيل: كانت آيةُ اليدِ أعظمَ مِن آية العصا؛ لأنَّ السحَرةَ أَمْكَنَهم التَّمْويهُ في العصا، ولم يُمْكِنْهم ذلك في اليد.

وقولُه تعالى: ﴿وَأَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾: هو ما قال: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ﴾ [الأعراف: ١٣٠]، وقولُه: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ﴾ الآية [الأعراف: ١٣٣].

* * *

(٤٩) ـ ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَ السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ﴾.

---

(١) القائل هو عمر بن لَجَأ أحد الشعراء الأمويين. انظر: «البيان والتبيين» للجاحظ (ص: ١٧٩)، و«الشعر والشعراء» لابن قتيبة (ص: ٩٠)، و«الكامل» للمبرد (٢/ ١١٩).

وقولُه تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ يَـٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ﴾: قال ابن عباس رضي الله عنهما: أي: يا أيُّها العالِمُ[١]، والساحرُ عندهم مَن بلَغَ في العِلْم نهايتَه.

وقيل: إنما قالوا ذلك؛ لأنَّ السِّحْرَ عندهم كان عِلْماً جليلاً، فقالوه له على أنَّه مَدْحٌ له.

وقيل: معناه: يا أيها الغالِبُ بآياته السَّحَرَةَ؛ مِن قولهم: ساحَرْتُه فسَحَرْتُه.

وقولُه تعالى: ﴿ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾: أي: سَلْ لنا ربكَ كَشْفَ العذابِ.

﴿بِمَا عَهِدَ عِندَكَ﴾: قيل: هو قسَمٌ؛ أي: بحقِّ ما أرسلَكَ به.

وقيل: أي: بما وعدَكَ به مِن إجابة الدَّعْوة.

وقيل: بما عهِدَ أنه يكشِفُ عنا إذا رجَعْنا، فنحن نرجِعُ عمَّا كنا فيه.

﴿إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ﴾: أي: إنْ أُجيبَ لنا اهتدَيْنا بالإيمان بكَ.

وقيل: إنَّا لَعالِمون أنه لا يكشِفُ عنا العذابَ بدُعائك إلا دِلالةً[٢] على نبوَّتِكَ، فدعا موسى اللهَ فكشَفَ عنهم.

* * *

(٥٠ ـ ٥١) ـ ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ۝٥٠ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِۦ قَالَ يَـٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَـٰذِهِ ٱلْأَنْهَـٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾.

---

(١) ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ٨٠) عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما.
وأورده السمعاني في «تفسيره» (٥/ ١٠٧) عن الكلبي وغيره.
وذكره الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٦١٥)، والثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٣٣٨) من غير نسبة.

(٢) في (أ): «دالة»، وفي (ر): «دلة».

وقولُه تعالى: ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ﴾: أي: ينقُضُون عهدَهم بالإيمان؛ أي: كانوا قالوا له: نؤمنُ بكَ، فلم يُؤمنوا.

قولُه تعالى: ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ﴾: قيل: خطَبَ.

وقيل: نادى في الناس بالاجتماع، فلما اجتمَعوا عنده.

﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾: استفهامٌ بمعنى التَّقْرير.

أي: إنَّ لي مُلْكُ مصرَ، أملِكُ أهلَها وأُصرِّفُهم على ما أشاءُ مِن حُكْمي، وهذه الأنهار ـ أي: نيلُ مصرَ وسائرُ الأنهار المُتَشَعِّبَة منه ـ تجري مِن تحتي، فمصرُ على عِظَمِها كالبُسْتان لي، أفلا ترون ما ذكرتُه لكم؟! فكيف تنحرِفون عني إلى موسى وهو لا يملِكُ شيئاً؟!

وقولُه تعالى: ﴿لِي مُلْكُ مِصْرَ﴾: هي أربعون فَرْسَخاً في أربعين فَرْسَخاً.

وقولُه تعالى: ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِي﴾؛ أي: حولَ قُصوري.

وقيل: أي: تحت يدي.

وقيل: كانت الأنهارُ أربعةً: نهرُ دِمْياطَ، ونهرُ تِنِّيسَ[1]، ونهرُ طُولُونَ، ونهرُ الملكِ.

وقيل: خمسةً: نهرُ الفَيُّومِ، ونهرُ دِمْياطَ، ونهرُ البَرَلُّسِ، ونهرُ رَشيدٍ، ونهر الإِسْكَنْدَرِيَّة.

وهذه الأنهار تنشَقُّ مِن النِّيل، وكان فرعونُ يخرُجُ مِن الفَيُّوم إلى دِمْياطَ مَسيرةَ خمسةَ عشَرَ يوماً لا تُصيبُه الشَّمسُ مِن التفافِ الشَّجَر.

---

(١) في النسخ الثلاث: «التفليس»، والمثبت موافق لما في «تفسير الثعلبي» (٨/ ٣٣٩)، و«الكشاف» للزمخشري (٤/ ٢٥٧).

وتِنِّيسُ: جزيرة في بحر مصر قريبة من البر، ما بين الفرما ودمياط. انظر: «معجم البلدان» (٢/ ٥١).

(٥٢) ـ ﴿ أَمۡ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٞ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿ أَمۡ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٞ ﴾: قيل: أي: بل أنا خيرٌ.

وقيل: تقديرُه: أهذا خيرٌ أم أنا خيرٌ مِن هذا؟!

وقيل: ﴿ أَمۡ ﴾ عطفٌ على قوله: ﴿أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴾: أم تُبْصِرون وتعلَمون أني خيرٌ مِن هذا؟! يعني: موسى.

﴿هُوَ مَهِينٞ ﴾ قال قتادة: أي: ضعيفٌ[1].

وقيل: فقيرٌ.

وقيل: يَمْتَهِنُ نفْسَه في حوائجه، ليس له مَن يَكْفِيه.

وقولُه تعالى: ﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴾: أي: لا يُبِينُ عن نفْسِه ما يُرِيدُ بكلامه.

وقيل: أرادَ ما كان بلِسانه مِن عُقْدةٍ، وهو ما قال: ﴿وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي﴾ [طه: ٢٧].

أي: فكيف يكونُ مِثْلُه رسولاً مِن الله إلى خَلْقِه، ولا مالَ له ولا أَتْباعَ، ولا فَصاحةَ له ولا بَيانَ؟!

قالوا: والعُقْدةُ التي كانت به في الابتداء زالَتْ[2] بدُعائه: ﴿وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي﴾، وكان في غاية البَيان في حال مُخاطبةِ فرعونَ ومَلَئِه، لكنه وصفَه بما كان عرَفَه به في الابتداء؛ تَمْويهاً على الضَّعَفة بما كانوا علِموه منه قبل ذلك.

* * *

(٥٣) ـ ﴿ فَلَوۡلَآ أُلۡقِيَ عَلَيۡهِ أَسۡوِرَةٞ مِّن ذَهَبٍ أَوۡ جَآءَ مَعَهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ مُقۡتَرِنِينَ ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿ فَلَوۡلَآ أُلۡقِيَ عَلَيۡهِ أَسۡوِرَةٞ مِّن ذَهَبٍ ﴾: قرأ عاصمٌ في رواية حفصٍ:

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٦١٣) عن قتادة والسدي.

(٢) في (أ): «كانت زالت».

﴿أَسْوِرَةٌ﴾، وهي جَمْع: سِوارٍ، وقرأ الباقون: ﴿أساوِرة﴾، وهي جَمْع الجَمْع[(١)].

أي: فهلَّا أَلْقى إليه ربُّه أساورةً مِن ذهب؛ تنبيهاً على محلِّه؛ كالملِكِ يُطَوِّقُ مَن يُريدُ إكرامَه بطَوْقٍ ذهبٍ، ويُسَوِّرُه بسِوارِ ذهبٍ.

وقيل: إنَّ زينةَ الملوكِ كان هو التَّحَلِّي بالأَسْوِرة، فكأنه قال: فهلَّا أرسَلَ إلينا ملِكاً مِن الملوك رسولاً.

وقولُه تعالى: ﴿أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ﴾: أو هلَّا ضَمَّ إليه ملائكةً، فيكونون معه مُتَتابِعِين؛ كالملِك يضُمُّ إلى رسوله أتباعاً يتكثَّرُ بهم ويتجمَّلُ، ويُصَرِّفُهم في أوامره ونواهيه.

ظنَّ اللَّعِينُ أنَّ ما قاله أهيبُ، وأنَّ رسلَ اللهِ بالجنود يَقْوَون[(٢)]، ولم يُفكِّرْ في أنَّ هَيْبةَ موسى بعَصاه كانت أكبرَ منها بجنود الأرض كلِّهم أنْ لو جُمِعوا له، وهذا فوق التَّطْويقِ والتَّسْويرِ بالذهب، ولا يخفى على عاقل أنَّ اثنين إذا التقَيا في مَحْفلٍ، وعلى أحدهما ثيابٌ رَثَّةٌ وله عِلْمٌ وأدَبٌ، والآخر في ملابسَ فاخِرةٍ وبه جهلٌ وسفَهٌ، فالأَوَّلُ أهيبُ في نفوسهم مِن الثاني.

واللَّعينُ قصَدَ بهذا التَّمْوِيهَ على الضَّعَفة، وكان شَبيهَ هذا قولُ مُشْركي قريش في حقِّ النبي ﷺ: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: ٣١].

ثم قولُ اللَّعينِ: هلَّا أَلْقَى عليه ربُّه كذا، وهلَّا أرسَلَ معه الملائكةَ، ليس لإقراره بالله وملائكته ورسله، لكنْ بناهُ على قول موسى؛ يعني: إنْ كان الأمرُ على ما يقولُ[(٣)]، فهلَّا ضمَّ إليه ملائكتَه، وهلَّا أظهَرَ عليه تشريفَه وكرامتَه.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٨٧)، و«التيسير» للداني (ص: ١٩٧).

(٢) في (ر): «يقومون».

(٣) في (ر): «إن كان الأمر كما قال موسى».

(٥٤) ـ ﴿ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴾.

وقولُـه تعالـى: ﴿ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ﴾: أي: عمِـلَ هـذا التَّمْويـه في قومه فأطاعوه.

والاستخفافُ[1]: الحَمْلُ على الخِفَّة؛ أي: حَمَلَهم بتَمْويهِه على أنْ خَفُّوا لأمره غيرَ مُسْتَثْقِلين له.

وقولُه تعالى: ﴿فَأَطَاعُوهُ﴾؛ أي: في تكذيب موسى ومُخالفته، وجَمْعِ الجُموع لِمُحاربته.

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴾: خارِجيـن عـن طاعـة الله تعالـى، مُتَمَرِّديـن عليـه مُجاهِريـن بمعاصيـه.

* * *

(٥٥ـ٥٦) ـ ﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ﴾: أي: أغضبونا[2] بهذا ﴿ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ ﴾؛ أي: عاقَبْناهم ﴿فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ في البحر.

﴿فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا ﴾: مُتَقَدِّمين إلى النار: جَمْعُ سالف؛ كالخلَف جَمْعُ خالِف، والخدَم جَمْعُ خادم، وقرأ حمزةُ والكسائيُّ: ﴿سُلُفاً﴾ بضم السين واللام[3]، وهو جَمْعُ (سَلِيف)، وهو بمعناه.

---

(١) في (ر): «والتمويه والاستخفاف».

(٢) في (ر) و(ف): «عصونا».

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٨٧)، و«التيسير» للداني (ص: ١٩٧).

وقولُه تعالى: ﴿وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ﴾: أي: عِبْرةً؛ لأنه مِثالٌ يُتَمَثَّل به، ويثبُتُ به تشابُهُ الجُزْأَين بتشابُه الفِعْلَين، والمَثَلُ: الشَّبَهُ.

وقولُه: ﴿لِّلْآخِرِينَ﴾؛ أي: في السَّلَف والمَثَل جميعاً؛ أي: سلَفاً للآخِرين إذا ماتوا، ومَثَلاً لهم قبْلَ أنْ يموتوا.

* * *

(٥٧) ـ ﴿۞ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾: لَمَّا نزَلَ قولُه: ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ﴾ قال المشركون: إنَّ النصارى يقولون: إنَّ عيسى إلهٌ يُعبَدُ مع الله، فرَدَّ اللهُ قولَهم عليهم بهذه الآيات: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا﴾[١].

أي: ولَمَّا جُعِلَ عيسى ابنُ مريم شَبَهاً لله تعالى؛ أي: قالت النصارى: إنَّه ابنُ اللهِ وثالثُ ثلاثةٍ ﴿إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾؛ أي: جعَلَ قومُكَ يا محمد ـ وهُمْ قريشٌ ـ منه يصُدُّون؛ أي: مِن أجلِه عن التوحيد يُعْرِضون، وهذا على قراءةِ ضمِّ الصاد، وهي قراءةُ نافعٍ والكسائيِّ، ومَن قرأ ﴿يَصِدُّونَ﴾ بكسرها، وهي قراءةُ الباقين[٢]، فمعناه: يضِجُّون سُروراً منهم بوُجود مَن يُوافِقُهم في عبادة غير الله تعالى.

---

(١) روى نحوه الإمام أحمد في «مسنده» (٢٩١٨)، والطبراني في «الكبير» (١٢٧٤٠)، عن ابن عباس رضي الله عنهما. وانظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٧٩٨)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ٣٧٦).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٨٧)، و«التيسير» للداني (ص: ١٩٧)، ووافق ابنُ عامر نافعاً والكسائيَّ في ضم الصاد.

وقال الكسائي: هما لُغتان في الإِعْراض؛ كقولهم: (يَعْرِشُ ويَعْرُش)، و(يَعْكِفُ ويَعْكُفُ)، و(يَعْتِلُ ويَعْتُلُ)[(١)]، و(يَدِرُّ ويَدُرُّ)[(٢)].

* * *

(٥٨) ـ ﴿ وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيۡرٌ أَمۡ هُوَۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢاۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿ وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيۡرٌ ﴾: أي: الملائكةُ الذين نعبُدهم ﴿أَمۡ هُوَ﴾: يَعْنون عيسى ابنَ مريمَ عليه السلام، وهو استفهامٌ بمعنى التَّقْرير منهم.

أي: الملائكةُ مِن أهل السماء، وعيسى أَرْضِيٌّ، فكان عندهم الملائكةُ خيراً مِن البَشَر، فإذا جازَتْ عبادةُ مَن في الأرض جازَتْ عبادةُ مَن في السماء، ولَمَّا جازَ لهم أنْ يجعلوا الأَرْضِيَّ ولَداً لله تعالى، جازَ لنا أنْ نجعلَ أهلَ السماءِ بناتٍ لله تعالى.

وقولُه تعالى: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢاۚ ﴾: أي: لم يضرِبوا لكَ هذا المثَلَ إلا إظهاراً للغلَبة في المُجادلة دون طلَبِ الحقِّ بالمُباحثة، وليسوا بأهل الجدَلِ في هذا وحدَه ﴿بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ ﴾: مُجادِلون في كل شيء.

* * *

(٥٩ ـ ٦٠) ـ ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا عَبۡدٌ أَنۡعَمۡنَا عَلَيۡهِ وَجَعَلۡنَٰهُ مَثَلٗا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ۝٥٩ وَلَوۡ نَشَآءُ لَجَعَلۡنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَخۡلُفُونَ ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا عَبۡدٌ أَنۡعَمۡنَا عَلَيۡهِ ﴾: أي: ما عيسى إلَّا عبدٌ أكرَمْناه بالنُّبوَّةِ.

---

(١) في (أ): «ويقتل ويقتل». وعتَله يعتِله ويعتُله: جره عنيفاً. انظر: «القاموس» (مادة: عتل).

(٢) ذكره النحاس في «معاني القرآن» (٤٦)، والثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٣٤٠)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٢١٨)، وابن عطية في «تفسيره» (٥/ ٦٠).

﴿وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾: أي: عِبْـرَةً وآيـةً يُتَمَثَّـلُ بها في الاسـتدلال على قُـدْرة الله تعالى.

وقولُه تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ﴾: له وجوه:

أحدُها: ولو نشاءُ لجعَلْنا مِن الإنس ملائكةً بأنْ نخلُقَهم على صُورة الإنس ـ وإنْ كان خِلافَ العادة؛ كخَلْقِ عيسى مِن غير أبٍ خِلافَ العادةِ ـ في الأرض يَخْلُفُ بعضُهم بعضاً.

والثاني: لو نشاءُ لقَلَبْنا بعضَكم أو جميعَكم ملائكةً يخلُفُونكم في الأرض؛ كما جعَلْنا هؤلاء الملائكةَ الذين تعبدونهم سُكَّانَ السماوات، فليس إِسْكانُهم في السماء يُوجِبُ لهم إِلَهِيَّةً.

والثالثُ: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم﴾؛ أي: بدَلَكم ﴿مَّلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ﴾: يخلُفُونكم.

* * *

(٦١ ـ ٦٢) ـ ﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ (٦١) وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾: قيل: إنَّ محمداً يُعْلَمُ به قيامُ الساعة؛ لأنه نبيُّ آخرِ الزَّمان.

وقيل: إن عيسى إذا نزل من السماء يعلم[1] به قيامُ الساعةِ.

وقُرِئَ: (لعَلَم) بفتح العين واللام[2]؛ أي: علامةٌ.

---

(١) في (ر) و(ف): «وقيل إن عيسى إنما نزل من السماء ليعلم».

(٢) نسبت لابن عباس وأبي هريرة وقتادة ومالك بن دينار والضحاك كما في «تفسير الثعلبي» (٨/ ٣٤١)، وعزاها الهذلي في «الكامل» (ص: ٦٣٤) إلى ابن مقسم وابن محيصن وحميد وقتادة.

﴿فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا﴾: أي: لا تَشُكُّنَّ في قيام الساعة.

﴿وَاتَّبِعُونِ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾: يعني: الإسلامَ.

﴿وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ﴾: أي: عن الحقِّ بإيراد هذه الشُّبَه.

﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾: ظاهِرُ العَداوةِ.

* * *

(٦٣ ـ ٦٤) ـ ﴿وَلَمَّا جَاءَ عِيسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (٦٣) إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ عِيسَىٰ﴾: بني إسرائيلَ ﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾: قيل: أي: بالمُعْجِزات؛ كما قال: ﴿قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ﴾ الآية [آل عمران: ٤٩].

وقيل: أي: بأحكام الإنجيل.

وقولُه تعالى: ﴿قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِالْحِكْمَةِ﴾: أي: بوَضْعِ الأمور مَواضِعَها ﴿ولأبين لكم﴾: وجئتكم لأُبيِّنَ لكم ﴿بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾:

قيل: كانوا يختلفون في أمور الدنيا والدِّين، فقال: أُبيِّنُ لكم أمورَ الدِّين، وهي بعضُ تلك الأمورِ.

وقيل: ﴿بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾؛ أي: كلَّ الذي؛ كما قال: ﴿يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ﴾ [غافر: ٢٨]، وهذا ترقيقٌ[1] في الكلام.

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (٦٣) إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ﴾: وحِّدُوه وأطيعُوه.

---

(١) في (أ) و(ف): «توفيق».

﴿هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾: هكذا[1] كان يقولُ عيسى، فهو الحقُّ، دون ما تقولُ النصارى.

* * *

(٦٥) - ﴿فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ﴾: قيل: (مِن) زائدةٌ، ومعناه: بينهم.

وقيل: أي: مِن جُمْلة بني إسرائيلَ، وقد بيَّنَّا ذلك في سورة مريم على الاستقصاء.

﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾: أي: وضَعوا الأمرَ غيرَ مَوْضِعه.

﴿مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾: أي: أليمِ العذابِ؛ كقوله: ﴿فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾ [إبراهيم: ١٨]؛ أي: عاصِفِ الرِّيحِ.

وقد نزلَتْ هذه الآياتُ حين قرأ النبيُّ ﷺ: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء: ٩٨]، فعارَضوه بأمر عيسى، وقد بيَّنَّا القصَّةَ في آخر سورة الأنبياء، ونزلت هذه الآياتُ أيضاً[2].

* * *

(٦٦ - ٦٧) - ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٦﴾ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾.

﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً﴾: أي: ما ينتظِرُ هؤلاء الأحزابُ إلا القيامةَ أنْ تأتيَهم بَغْتَةً؛ أي: فُجاءةً.

﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾: فيَقْضي بينهم فيما اختلَفوا فيه.

---

(١) في (ر): «هذا الذي» بدل من «هكذا».

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٧٩٨)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ٣٧٦).

وقولُه تعالى: ﴿ٱلۡأَخِلَّآءُ يَوۡمَئِذِۭ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ﴾: أي: أعداءٌ يتبرَّأُ بعضُهم مِن بعض، ويلعَنُ بعضُهم بعضاً، وهم المُتحَزِّبون على الباطل.

﴿إِلَّا ٱلۡمُتَّقِينَ﴾: أي: إلا الذين تخالُّوا على تقوى الله، وإظهارِ دين الله.

وقيل: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ﴾: في حقِّ مُشْركي العربِ[1]، ويتَّصِلُ بقوله: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢا﴾؛ أي: ﴿ٱلۡأَخِلَّآءُ يَوۡمَئِذِۭ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ﴾: الذين يتخالُّون على مُخالَفة الرسول، ويتمنَّى بعضُهم لبعض النبوةَ، ويقول: ﴿لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: ٣١].

* * *

(٦٨ ـ ٧٠) ـ ﴿يَٰعِبَادِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ٦٨ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ مُسۡلِمِينَ ٦٩ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ أَنتُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ تُحۡبَرُونَ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿يَٰعِبَادِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ﴾: أي: يقولُ اللهُ تعالى هذا للمتقين.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ مُسۡلِمِينَ﴾: أي: صدَّقوا بالقرآن، وكانوا مُسْتَسْلِمين لله تعالى، مُنْقادِين لله، مُسْلِمين أنفسَهم لحُكْمِه.

﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ أَنتُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ﴾: لِيَجْتمِعَ شَمْلُكم ﴿تُحۡبَرُونَ﴾: أي: تُسَرُّون.

وقيل: هذا[2] بالسَّماع[3]؛ كما قال: ﴿فَهُمۡ فِي رَوۡضَةٖ يُحۡبَرُونَ﴾ [الروم: ١٥]،

---

(١) في (ف) و(ر): «قريش».

(٢) في (ر) و(ف): «هو».

(٣) روي في هذا أخبار منها ما رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٧٨٦) عن مَعمَرٍ، عن يحيى بنِ أبي كَثيرٍ في قوله تعالى: ﴿أَنتُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ تُحۡبَرُونَ﴾ [الزخرف: ٧٠] قال: قيل: يا رسولَ الله ما الحَبرُ؟ قال: «اللَّذَّةُ والسَّماعُ بما شاء اللهُ مِن ذِكرِه»

وهو للحال؛ كقوله: ﴿وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورٗا﴾ [الانشقاق: ٩]، ولو كان جزاءً لَجُزِمَ وحُذِفَت النون.

ويجوز أنْ يكونَ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ ابتداءً، ويكونَ في أول هذه الآية مُضْمَرٌ: يُقال لهم: ادخُلوا الجنة.

وقولُه تعالى: ﴿أَنتُمۡ﴾: يصلُحُ أنْ يكون ضميرَ ﴿ٱدۡخُلُواْ﴾، و﴿وَأَزۡوَٰجُكُمۡ﴾ عطفاً عليه، ويجوزُ أنْ يكون: ﴿أَنتُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ﴾ ابتداءً، و﴿تُحۡبَرُونَ﴾ خبراً له.

* * *

(٧١) - ﴿يُطَافُ عَلَيۡهِم بِصِحَافٖ مِّن ذَهَبٖ وَأَكۡوَابٖۖ وَفِيهَا مَا تَشۡتَهِيهِ ٱلۡأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلۡأَعۡيُنُۖ وَأَنتُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيۡهِم بِصِحَافٖ مِّن ذَهَبٖ﴾: أي: قِصاعٍ، جَمْعُ: صَحْفَةٍ.

﴿وَأَكۡوَابٖ﴾: أي: أَباريقَ لا عُرَى لها، واحدُها: كُوبٌ، وفي الصِّحافِ الأطعمةُ، وفي الأكوابِ الأشربةُ.

﴿**وَفِيهَا مَا تَشْتَهِي الْأَنفُسُ**﴾: قرأ نافعٌ وابنُ عامرٍ وحفصٌ عن عاصمٍ: ﴿مَا تَشۡتَهِيهِ ٱلۡأَنفُسُ﴾، والباقون: ﴿ما تشتهي الأنفس﴾(١).

﴿وَتَلَذُّ ٱلۡأَعۡيُنُ﴾: أي: وفي الجنة وراءَ هذه الأطعمةِ والأشربةِ مِن أصناف النِّعَم ما تشتهيه النُّفوسُ وتستلِذُّه العُيونُ؛ لإفراط حُسْنِه في المَرائي.

﴿وَأَنتُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾: لا تموتون فيها، ولا تُخْرَجون منها.

وقال القُتَبيُّ: جمعَ في قوله: ﴿مَا تَشۡتَهِيهِ ٱلۡأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلۡأَعۡيُنُ﴾ ما لو اجتمعَ

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٨٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١٩٧).

الخَلْقُ كلُّهم على وَصْفِ ما فيها على التَّفْصيل لم يخرُجوا عما تَنْتَظِمُه هاتان اللفظتان(١).

* * *

(٧٢ ـ ٧٦) ـ ﴿ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾: هذا كلُّه لأولياء الله تعالى.

ثم ذكَرَ حالَ الأعداءِ، فقال:

﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ ﴾: أي: المشركين الذين اكتسبوا سَخَطَ اللهِ تعالى ﴿فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴾.

﴿لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ﴾: أي: لا يُخَفَّفُ عنهم ذلك العذابُ ﴿وَهُمْ فِيهِ ﴾: أي: في العذاب ﴿مُبْلِسُونَ﴾: أي: آيسون.

﴿ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ﴾: أنفسَهم بإيرادها مَوْرِدَ الهلاكِ والخَسارِ.

* * *

(٧٧ ـ ٧٨) ـ ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ جِئْنَاكُم بِالْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾.

﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾: أي: ولما أَيِسُوا مِن فُتور العذاب عنهم نادوا مالكاً، وهو خازنُ النارِ، وقالوا: لِيُمِتْنا ربُّك.

---

(١) ذكر نحوه الواحدي في «الوسيط» (٤/ ٨١) من غير نسبة، والكرماني في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠٦٧) عن القفال.

﴿قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾: أي: إنكم في العذاب أبداً لابِثون، يُجيبُهم بهذا بعد ألف سنةٍ. كذا قاله ابن عباس رضي الله عنهما[1].

﴿لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ﴾: قيل: هو من تمامِ قولِ[2] مالك.

وقيل ـ وهو الأوجهُ ـ: هو ابتداءُ خطابٍ مِن الله تعالى لمُشْركي العرب مِن[3] قريش.

ومعناه: لقد أورَدْنا عليكم الحُجَجَ، فأخبَرْناكم بما أنتم صائرون إليه يوم القيامة ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ﴾: مُسْتَثْقِلون للنَّظَرِ والتأمُّلِ فيها.

هذا وصفُ أكثرِهم، والباقون مُقلِّدون لهم.

* * *

(٧٩ ـ ٨٠) ـ ﴿أَمْ أَبْرَمُوٓاْ أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٩﴾ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾.

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٧٩٠)، وابن أبي الدنيا في «صفة النار» (٨٥)، والطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٦٤٩)، والدولابي في «الأسماء والكنى» (٨٢٢)، والحاكم في «المستدرك» (٣٦٧٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

ورواه الترمذي (٢٥٨٦)، والفسوي في «مشيخته» (١٥١)، ومن طريقه البيهقي في «البعث والنشور» (٥٤٧) عن أبي الدرداء رضي الله عنه مرفوعاً، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ١٢٣) عنه موقوفاً.

قال الترمذي: إنما نعرف هذا الحديث عن شمر بن عطية، عن شهر بن حوشب، عن أم الدرداء، عن أبي الدرداء قوله، وليس بمرفوع.

ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٦٥٠) عن السدي.

(٢) في (ف): «كلام».

(٣) «العرب من» ليس في (أ) و(ف).

وقولُه تعالى: ﴿أَمْ أَبْرَمُوٓاْ أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ﴾: أي: أبرَمَ هؤلاء الذين هُم للحق كارهون أَمْراً يُقدِّرون به أنهم يَكيدون الحقَّ فيُبْطِلونه بالجدَل، فإنا مُبْرِمون أَمْرَنا في إبطال كيدهم لإظهار الحق، أم أبرَموا تدبيراً في ردِّ ما نريدُ إنزالَه بهم مِن العذاب؟! فإنا مُبْرِمون أمرَنا في إنزاله بهم على وجهٍ لا يُمكنُهم رَدُّه، والإبرامُ: الإِحْكامُ.

وقيل: ﴿أَمْ أَبْرَمُوٓاْ﴾: عطفٌ على قوله: ﴿أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ﴾، أم هُم عالمون بهذا إلا أنهم أبرَموا أمراً في شركهم يتحرَّزون به مِن عذابنا؟! فإنا مُبْرِمون.

قولُه تعالى: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم﴾: ﴿سِرَّهُمْ﴾: هو ما أَسَرُّوه في أنفسهم مِن تدبير ﴿وَنَجْوَىٰهُم﴾: وهو ما تشاوروا فيه فيما بينهم مما يُخْفُونه عن غيرهم.

﴿بَلَىٰ﴾: أي: ليس كما يتوهَّمون، بل نسمَعُ كلَّ ذلك ونعلَمُه.

﴿وَرُسُلُنَا﴾: أي: الحفَظَةُ ﴿لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾: ما يكون منهم.

* * *

(٨١) ـ ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ﴾.

﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ﴾: يتَّصِلُ بقوله: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا﴾.

قال الكلبي: معناه: قل: إنْ كان للرحمن ولدٌ على زعمكم، فأنا أول الآنِفين مِن هذا الكلام أنْ يُقال: إنَّ لله ولداً على زعمكم[1].

---

(١) «على زعمكم» من (ر). وهذا القول ذكره عن الكلبي السمرقنديُّ في «تفسيره» (٣/ ٢٦٥)، وذكره الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٦٥٦) من غير نسبة، والثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٣٤٦) عن قوم من أهل المعاني، ونقله الواحدي في «البسيط» (٢٠/ ٨١) عن أبي عبيدة والمبرد. وسيأتي عن أبي عبيدة لاحقاً.

وقال أبو عبيدة: أي: أولُ مَن يَعْبَدُ مِن ذلك؛ أي: يجحدُه ويستنكرُه وينتفي منه، قال الفَرَزْدَقُ:

أولئك أَكْفائي[1] فجِيئوا بمِثْلِهم وأعبَدُ أنْ أهجو كُلَيباً بدارِمِ[2]

والفعل مِن باب: (علِمَ).

وقال القُتَبي: إنْ كان هذا مِن زعمكم ولم تُوحِّدوه، فأنا أوَّلُ الموحِّدين[3].

وقيل: ﴿إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ﴾؛ أي: ما كان للرحمن ولدٌ، (إنْ) للنفي، فأنا أوَّلُ الموحِّدين.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لَمَّا نزلت هذه الآيةُ فرِحَ المشركون، وظنُّوا أنَّ النبيَّ ﷺ تابعَهم على رأيهم، فقال النَّضْرُ بنُ الحارث: لقد وافقَنا محمد فيما نقولُ، وفطِنَ له عبد الله بن الزِّبعْرَى، فقال: إنه يقول: ما كان للرحمن ولدٌ[4].

---

(١) في (ر): «آبائي».

(٢) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (٢/ ٢٠٦).

وصدر البيت في «مجاز القرآن» و«تهذيب اللغة» (٢/ ١٤١)، و«جمهرة الأمثال» للعسكري (١/ ٥١٢)، برواية:

أولئك قوم إن هجوني هجوتهم

وذكره ابن السكيت في «إصلاح المنطق» (ص: ٤٥)، والجوهري في «الصحاح» (٢/ ٥٠٣)، برواية:

أولئك أحلاسي فجئني بمثلهم

وذكره المعافى بن زكريا في «الجليس الصالح الكافي» (ص: ١٨٥)، برواية:

أولئك أكفائي فجئني بمثلهم

(٣) انظر: «تأويل مشكل القرآن» لابن قتيبة (ص: ٢١٧).

(٤) ذكره عنه الثعلبي في «تفسيره» (٤/ ٣٥١)، وذكره الزمخشري في «الكشاف» (٤/ ٢٦٦) من غير =

(٨٢ ـ ٨٣) ـ ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴾.

﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾: أي: تنزيهاً لله تعالى مِن قول هؤلاء.

وقولُه تعالى: ﴿ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴾: أي: فدَعْهم ـ يا محمد ـ وخَوْضَهم في الباطل، ولَعِبَهم في الدِّين بالجدال بما لا حقيقةَ له، واشتغالَهم بالدنيا التي هي لعِبٌ، حتى يجيئوا يوم القيامة فيَلْقَوا ما يوعدون فيه.

* * *

(٨٤ ـ ٨٥) ـ ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾ وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ﴾: أي: وهو المُسْتحِقُّ للعِبادة في السماء، لا مُسْتَحِقَّ لها في السماء غيرُه، ولا أحدَ يستحقُّ صفةَ الإلهيَّةِ سواه، فلا ولدَ له في السماء ولا شريكَ، وهو في الأرض إلهٌ، ولا ولدَ له في الأرض ولا شريكَ له، وهو إبطالُ قولِ القائلين بأنَّ الملائكةَ في السماء بناتُه، والمسيحَ في الأرض ابنُه، وإبطالُ قولِ عبَدَةِ الشمس والقمر والنجوم.

وقولُه تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ﴾: في أقواله وأفعاله ﴿ ٱلْعَلِيمُ ﴾ بما كان، وما يكون، وما لم يكن ـ ولا يكونُ ـ أنْ لو كان كيف كان يكون.

= نسبة، وفيهما أن القائل له ذلك الوليد بن المغيرة، وليس عبد الله بن الزبعرى.

وذكر نحوه مقاتل في «تفسيره» (٣/ ٨٠٥)، ونقله عنه السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٢٦٥).

وقولُه تعالى: ﴿وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾: وهذا ظاهرٌ.

***

(٨٦) ـ ﴿وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾: أي: هؤلاء يعبُدون الشياطينَ والجنَّ، ويقولون: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ١٨]، ولا شفاعةَ إلا لِمَن شهِدَ بالحق بكلمة التوحيد.

وقولُه تعالى: ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾: أي: يعتقدون ذلك عن عِلْمٍ.

و﴿شَهِدَ﴾: على الواحد؛ للَفْظِ (مَن)، و﴿يَعْلَمُونَ﴾: على الجَمْع؛ لأنه جنسٌ.

أي: الشفاعةُ تكون ممَّن أقرَّ واعتقدَ عن عِلْم، لا ممَّن كان كافراً بالله تعالى.

وقيل: أي: الملائكةُ الذين يعبُدونهم هؤلاء لا يشفعون إلا لِمَن شهِدَ بالحقِّ وعَلِمَه؛ أي: للمؤمنين بإذن الله.

***

(٨٧ ـ ٨٩) ـ ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾ وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾: أي: ولئن سألْتَ هؤلاء المشركين: مَن خلقَهم؟ لأقروا أنَّ اللهَ تعالى خلقَهم، لا الملائكةَ ولا الأصنامَ.

﴿فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾: أي: فكيف ومِن أين يُصْرَفون عن التوحيد مع هذا الإقرار؟!

وقولُه تعالى: ﴿ وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ ﴾: قرأ حمزةُ وعاصمٌ في رواية حفص: ﴿ وَقِيلِهِۦ ﴾ بالخفض، عطفاً على قوله: ﴿ وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ﴾، وعنده عِلْمُ قيلِه.

وقرأ الباقون: ﴿وقيلَه﴾ بالنصب[1]، عطفاً على قوله: ﴿نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم﴾.

وقيل: على إضمار الفعل؛ أي: وقال الرسولُ قِيلَه: يا رب.

﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾: شكا إلى الله تعالى تَرْكَهم الإيمانَ، فقال اللهُ له:

﴿ فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ ﴾: أي: فأعرِضْ عن مُؤاخذتهم بسُوء أفعالِهم.

﴿وَقُلْ سَلَٰمٌ﴾: أي: سلامةٌ لكم عن قتالي إلى أنْ أومَرَ به.

﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾: عاقبةَ أمرِهم.

والحمدُ لله رب العالمين

* * *

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٨٩)، و«التيسير» للداني (ص: ١٩٧)، وقراءة عاصم من روايتيه بالجر، سوى ما رواه المفضل عنه.

سُورَةُ الدُّخَانِ

سُورَةُ الدُّخَانِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

باسم اللهِ مُنَزِلِ الكتاب المُبين، الرَّحمنِ مُرسِلِ الرسول الأمين، الرَّحيمِ مُوصِلِ المتقين إلى الجنات والحُور العِين.

وروى أبيٌّ بن كعب رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «مَن قرأ سورة ﴿حمٓ﴾ الدُّخان في ليلة جُمُعةٍ غفَرَ اللهُ تعالى له»(١).

---

(١) رواه المستغفري في «فضائل القرآن» (١٢١١)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ٨٥)، وهو قطعة من حديث أبيٍّ في فضائل السور الذي ذكر مقطعاً في هذا الكتاب عند كل سورة، وقد حكم عليه العلماء بالوضع، وتقدم الكلام عليه مراراً لكن ذكر للحديث شواهد مرفوعة ضعيفة وأخرى مرسلة.

فقد رواه الترمذي (٢٨٨٩)، وابن الضريس في «فضائل القرآن» (٢٢١)، وأبو يعلى في «مسنده» (٦٢٣٢)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٦٧٩)، والثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٣٤٨)، والمستغفري في «فضائل القرآن» (٨٩٢)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢٢٤٧) من طريق الحسن عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً.

قال الترمذي: هذا حديث لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وهشام أبو المقدام يضعف، ولم يسمع الحسن من أبي هريرة.

ورواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٢٢٤٨) من طريق هشام بن زياد عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ، وقال: تفرد به هشام، وهو هكذا ضعيف.

أما المرسل فمنه ما رواه المستغفري في «فضائل القرآن» (٨٩٥) عن رجل من أهل البصرة يكنى أبا الحارث حدثهم يرفعه إلى النبي ﷺ قال: «من قرأ حم الدخان ليلة الجمعة أصبح مغفوراً له». =

وسورةُ الدُّخانِ مكِّيَّةٌ.

وهي تسعٌ وخمسون آيةً. وقيل: سبعٌ وخمسون، والاختلافُ في: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَيَقُولُونَ﴾، ﴿أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ﴾، ﴿كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ﴾.

وكلماتُها: ثلاثُ مئةٍ وستٌّ وأربعون.

وحروفُها: ألفٌ وأربعُ مئةٍ وتسعةٌ وثلاثون.

وانتظامُ أوَّلِ هذه السورة بآخر تلك السورة: أنَّ قوله: ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ وعيدٌ، و﴿إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ أيضاً وعيدٌ وتهديدٌ.

وانتظامُ السورتين: أنَّهما في مُحاجَّةِ المشركين ووعيدِهم، ومَدْحِ المؤمنين ومَواعيدهم.

***

= ورواه الدارمي في «سننه» (٣٤٦٣) عن عبد الله بن عيسى قال: (أُخبِرتُ أنه مَن قرأ حم الدُّخان ليلةَ الجمعةِ إيمانًا وتصديقًا بها، أصبحَ مغفورًا له).

ورواه ابن الضريس في «فضائل القرآن» (٢٢٢) عن الحسن، وفي (٢٢٣) عن إسحاق بن عبد الله نفيع بن رافع بن أبي فروة.

ورواه الدارمي في «سننه» (٣٤٢١)، والمروزي في «مختصر قيام الليل» (ص: ١٦٩)، عن أبي رافع قال: (مَن قرأ حم الدخان في ليلة الجمعة، أصبحَ مغفورًا له، وزوج من الحور العين). أبو رافع هو نفيع الصائغ وهو تابعي ثقة يروي عن عمر وعثمان، من رجال «التهذيب».

وروى الطبراني في «الكبير» (٨٠٢٦)، والثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٣٤٨)، وقوام السنة في «الترغيب والترهيب» (٩٤٥) عن أبي أمامة رضي الله عنه مرفوعاً: «من قرأ حم الدّخان في ليلة الجمعة ـ أو يومَ الجمعة ـ بنى الله له بيتاً في الجنّة». قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣٠١٧): فيه فضال بن جبير، وهو ضعيف جداً.

(١ ـ ٣) ـ ﴿حمٓ ۝١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾.

قولُه تعالى: ﴿حمٓ ۝١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ﴾: مرَّ تفسيرُه مرَّاتٍ.

﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ﴾: أي: أنزَلْنا هذا الكتابَ ﴿فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍ﴾: قال قتادة وابن زيد وجماعة: هي ليلةُ القَدْر[1].

والبركةُ: كثرةُ الخيرِ ونماؤُه ودوامُه، وهي أعظم الليالي قَدْراً، وخيرٌ مِن ألف شهر نصًّا، وفيها نزولُ الخيرات والبركات، وتَضاعُفُ أجورِ الطاعات، وقضاءُ الحاجات، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ﴾، وهي في شهر رمضان، وقد قال الله تعالى: ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ﴾ [البقرة: ١٨٥].

ورُوي: أنَّ القرآن أُنزِلَ جُمْلةً إلى السماء الدنيا في هذه الليلة، ثم أُنْزِلَ على رسول الله ﷺ نجوماً بعد ذلك على حسَبِ اتِّفاقِ الأسباب[2].

وقيل: ابتداءُ إنزالِه في هذه الليلة.

وقيل: هي ليلةُ النِّصْف مِن شعبان، وممَّن قال به عكرمةُ[3].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٥ ـ ٦) عن قتادة وابن زيد، وذكره عنهما الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٣٤٩).

وهو قول ابن عباس فيما رواه الطبراني في «الكبير» (١٢٠٩٥)، والحاكم في «المستدرك» (٣٦٧٨)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٣٣٨٨)، وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

قال ابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ٨٧): وهو قول الأكثرين.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ١٩٠) عن ابن عباس رضي الله عنهما والسدي وسعيد بن جبير والشعبي وغيرهم.

(٣) رواه عنه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٩)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٣٤٩)، والماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٢٤٤).

=

وقولُه: ﴿إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾: أي: مُخَوِّفين بالكتابِ والرسولِ الخَلْقَ بالعذاب؛ رَدْعاً عن الكفر والمعصية، وشَوْقاً إلى الإيمان والطاعة.

* * *

(٤) ـ ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾.

= وقد رد العلماء هذا القول وأثبتوا أنها ليلة القدر، فقال ابنُ العربيِّ: وجمهورُ العلماءِ على أنَّها ليلةُ القَدْرِ، ومنهم مَن قال: إنَّها ليلةُ النِّصْفِ مِن شَعْبَانَ؛ وهو باطِلٌ؛ لأنَّ اللهَ تعالى قال في كتابه الصَّادِقِ القاطِعِ: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ فَنَصَّ على أنَّ ميقاتَ نُزُولِهِ رمضانُ، ثُمَّ عَبَّرَ عن زَمَانِيَّةِ الليلِ هاهنا بقولِهِ: ﴿فِى لَيْلَةٍ مُّبَـٰرَكَةٍ﴾ فَمَن زَعَمَ أنه في غَيْرِه فقد أَعْظَمَ الفِرْيَةَ على الله. انظر: «أحكام القرآن» لابن العربي (٤/ ١١٧).

وقال المُبارَكْفوري: «اعْلَمْ أنَّ المرادَ مِن ﴿لَيْلَةٍ مُّبَـٰرَكَةٍ﴾ في قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَـٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ عندَ الجمهورِ هي ليلةُ القَدْرِ، وقيل: هي ليلةُ النِّصفِ مِن شعبانَ، وقولُ الجمهورِ هو الحقُّ، قال الحافظُ ابنُ كثيرٍ: مَن قال: إنَّها ليلةُ النِّصْفِ مِن شعبانَ، فقد أَبْعَدَ النُّجْعَةَ، فإنَّ نصَّ القُرآنِ أنَّها في رمضان». انظر: «تحفة الأحوذي» (٣/ ٣٦٧). وكلام ابن كثير في «تفسيره» في أول تفسير سورة الدخان.

وقال الملا علي القاري «المرقاة»: «قال جماعةٌ مِن السَّلفِ: إنَّ المرادَ في الآيةِ هي ليلةُ النِّصْفِ مِن شَعْبانَ، إلَّا أنَّ ظاهرَ القرآنِ ـ بل صريحُه ـ يَرُدُّه؛ لإفادَتِهِ في آيةٍ أَنَّهُ نَزَلَ في رمضانَ، وفي أُخرى أَنَّهُ نَزَلَ ليلةَ القَدْرِ، ولا تَخالُفَ بينَهُما؛ لأنَّ ليلةَ القَدْرِ مِن جُملةِ رمضانَ... وإذا ثَبَتَ أنَّ هذا النُّزولَ ليلةَ القَدْرِ ثَبَتَ أنَّ اللَّيلةَ التي يُفْرَقُ فيها كلُّ أمرٍ حَكيمٍ في الآيةِ هي ليلةُ القَدْرِ، لا ليلةُ النِّصْفِ مِن شعبانَ...». انظر: «مرقاة المفاتيح» (٣/ ٩٧٤).

وللملا علي القاري رسالة في فضل ليلة القدر وليلة النصف من شعبان سماها: «التِّبيانُ في بيانِ فَضْلِ ليلةِ النِّصفِ من شَعبانَ وليلةِ القَدْرِ من رَمَضانَ» وفيها خالف ما قاله في «المرقاة» فجَعَلَ الأوَّلَ قولَ الجُمهور، مُخالِفاً بذلك قولَ أئمَّةِ التَّفسير؛ كابنِ العربيِّ والقُرْطُبيِّ والنَّسَفيِّ وابنِ كَثِير، وهي مطبوعة في (دار اللباب) ضمن «مجموع رسائله» الذي منَّ الله علينا بالمشاركة في تحقيقه، وما نقلناه هنا هو بعض ما قدمنا به لتلك الرسالة. (ماهر).

﴿فِيهَا يُفْرَقُ﴾: أي: في هذه الليلة يُبيَّنُ ويُفَصَّلُ ﴿كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾: مُحْكَمٍ في قِسْمة الآجال والأرزاق والأحوال المُتَصرِّفة بالخَلْق، وهو كقوله: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ﴾: أي: بيَّنَّاه وفصَّلْناه.

والحكيمُ في معنى المُحْكَم؛ كالبَديع بمعنى المُبْدَع.

وقيل: الأمرُ الحكيم؛ أي: الأمر الصواب، وهو مِن الحكمة.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: تُقضى الأَقْضِيَةُ كلُّها ليلةَ النصف مِن شعبان، وتُسَلَّمُ إلى أربابها ليلةَ السابع والعشرين مِن شهر رمضان(١).

وقال الضحاك وعكرمة: يُرفَعُ فيها أمْرُ السنة الماضية، ويُفَصَّلُ للسنة المُقْبِلة(٢).

وقال أبو العالية: يُقضى أمْرُ السنةِ في ليلة القدر مِن خَلْقٍ ورزقٍ وحياةٍ وموتٍ(٣).

وقال محمد بن كعب القُرَظي: يُكْتَبُ الحاجُّ بأسمائهم وأسماء آبائهم لا يُغادَرُ منهم أحدٌ(٤).

* * *

(٥ ـ ٧) ـ ﴿أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ۝٥ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٦ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ﴾: أي: يُفْرَقُ بأمْرٍ منا.

---

(١) ذكره عنه الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٢٤٨)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٢٢٨).

(٢) لم أقف عليه.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٧) عن الحسن وأبي مالك، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٣٤٩) عن الحسن ومجاهد وقتادة.

(٤) رواه ابن أبي الدنيا في «فضائل رمضان» (٧)، والطبري في «تفسيره» (٢١/ ٩)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٣٤٩) عن عكرمة.

وقولـه تعالـى: ﴿إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾: قيـل: أي: الملائكـةَ فـي تلـك الليلـة إلـى الأرض[١]؛ للسـلام علـى المؤمنيـن، ولإيصـال الكرامـات إلـى المُسْـتَحِقِّين.

وقيل: أي: الأنبياءَ إلى أُمَمهم في زمانهم.

وقولُه تعالى: ﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾: أي: إنما نُرسِلُهم رحمةً منا للخَلْق.

﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾: أي: السَّامعُ أقوالَهم، العالمُ ضمائرَهم وأحوالَهم.

وقولُه تعالى: ﴿رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ﴾: صفةٌ لقوله: ﴿مِّن رَّبِّكَ﴾ على قراءة الخَفْض، وهي قراءةُ عاصمٍ وحمزةَ والكسائيِّ، وصفةٌ لقوله: ﴿ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ على قراءة الرَّفع، وهي قراءة الباقين[٢].

﴿إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾: أي: فوحِّدُوه بأنه ربُّ السماوات والأرض، فإنَّ الإيقانَ بذلك يُوجِبُ الإيمانَ.

***

(٨ ـ ١٠) ـ ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٨ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ يَلْعَبُونَ ۝٩ فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾.

وقولُه: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ﴾: أي: يُحييهم بعد أنْ كانوا أمواتاً، ثم يُميتهم عند[٣] انقضاء آجالهم، وإذا قَدِرَ على هذا قَدِرَ على إحيائهم وبَعْثهم بعد موتهم.

وقولُه تعالى: ﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾: أي: المالكُ والمُصرِّفُ والمُدبِّرُ للكل.

---

(١) «إلى الأرض» زيادة من (أ).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٩٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١٩٨).

(٣) في (ف): «بعد».

وقولُه تعالى: ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ﴾: أي: ليسو بمُوقنين، بل هُم مُقلِّدون شاكُّون.

﴿يَلْعَبُونَ﴾: في دينهم، يَدينون بما لا دليلَ على صِحَّته، ولا يتأمَّلون في عاقبته؛ كالصَّبيِّ يلعبُ فيفعل ما لا يَدري كيف عاقبتُه، ولعلَّه يُؤَدِّيه إلى مكروه.

وقولُه تعالى: ﴿فَارْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ﴾: أي: فانتظِرْ يا محمد.

﴿يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾: قال ابن مسعود رضي الله عنه والضحاك: الدُّخانُ: الظُّلْمةُ التي كانت تغشى أبصارَ المشركين مِن قريش لشدَّةِ الجوع حين دعا عليهم النبي ﷺ، فقال: «اللهم اجعلْ سِنينَ كسِنِي يوسف»(١).

أي: انتظرْ بهم(٢) نزولَ هذا العذابِ، فإنه كائن.

* * *

(١١) ـ ﴿يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

﴿يَغْشَى النَّاسَ﴾: أي: يَلْبَسُهم ويَعُمُّهم.

﴿هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: أي: قرُبَ منكم هذا العذابُ الوجيعُ؛ كما يُقالُ: هذا الشتاء؛ أي: قرُبَ مجيئُه.

وقالوا: إنَّ يُبْسَ الأرضِ يثورُ منه في الهواء شِبْهُ الدُّخان مِن الغُبار المُتكدِّر الذي يَشُوبُه ظُلْمَةٌ، والعرب تُسَمِّي سَنَةَ المَجاعةِ غَبَراً، وسمَّوا السَّنَةَ التي كان فيها قَحْطٌ في زمن عمر رضي الله عنه عامَ الرَّمادة.

---

(١) رواه مطولاً البخاري (١٠٠٧)، ومسلم (٢٧٩٨)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (٢٨٠٣)، والطبري في «تفسيره» (٢١/ ١٤) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

وذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ٨٩) عن مجاهد وأبي العالية والضحاك وابن السائب ومقاتل.

(٢) في (أ): «انتظرهم».

ومعنى: ﴿يَوۡمَ تَأۡتِي﴾؛ أي: زمانَ تأتي[1]، فإنه يمتدُّ ولا يقتصِرُ على يوم، وهذا الاسم مُستعمَلٌ في مُطْلَق الوقت.

* * *

(١٢) ـ ﴿رَّبَّنَا ٱكۡشِفۡ عَنَّا ٱلۡعَذَابَ إِنَّا مُؤۡمِنُونَ﴾.

﴿رَّبَّنَا ٱكۡشِفۡ عَنَّا ٱلۡعَذَابَ﴾: أي: يقول هؤلاء عند نزول العذاب: يا ربَّنا اكشِفْ عنا.

﴿إِنَّا مُؤۡمِنُونَ﴾: أي: نُؤمِنُ إنْ كشَفْتَه عنا.

وقيل: أي: نحن مُصَدِّقون في الحال أنَّكَ القادرُ على كَشْفِه، وعلى كَشْفِ كلِّ شيء، ولا يكشِفُ مِثْلَه إلا أنتَ.

وقيل: إِضْمارُ القولِ قَبْلَ قولِه: ﴿هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾؛ أي: المشركون يقولون ذلك، ويَصِلون به قولَهم: ﴿رَّبَّنَا ٱكۡشِفۡ عَنَّا ٱلۡعَذَابَ﴾.

* * *

(١٣ ـ ١٤) ـ ﴿أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكۡرَىٰ وَقَدۡ جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مُّبِينٞ ۝١٣ ثُمَّ تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَقَالُواْ مُعَلَّمٞ مَّجۡنُونٌ﴾.

﴿أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكۡرَىٰ﴾: أي: مِن أين لهم أنْ يتذَكَّروا؟! وكيف يتذَكَّرون ولم يتذَكَّروا بالرسول الذي جاءَهم؟! وهو قولُه:

﴿وَقَدۡ جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مُّبِينٞ﴾: أي: محمد.

﴿ثُمَّ تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ﴾: أي: أَعْرَضوا عن تصديقه ومُتابعته.

﴿وَقَالُواْ مُعَلَّمٞ﴾: علَّمَته الشياطينُ ما يقول أنه قرآنٌ مُنَزَّلٌ مِن الله تعالى؛ كما تعلِّمُ الكَهَنَةَ.

---

(١) بعدها في (ر): «فيه» مستدركة بالهامش.

وقيل: يُعَلِّمُه جَبْرٌ ويَسارٌ أبو فُكَيْهَةَ(١)؛ كما قال: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ﴾ [النحل: ١٠٣].

﴿مَّجْنُونٌ﴾: لا عَقْلَ له، فإذا لم يتَّعِظوا بالقرآن، وبما كان مِن رسول الله تعالى مِن البيان والبُرْهان، فكيف بالدُّخان؟!

* * *

(١٥ ـ ١٦) ـ ﴿إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا ۚ إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ﴿١٥﴾ يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا﴾: أي: بعضَ هذا العذابِ نمتَحِنُهم بالشكر والوفاء بالعَهْد، أو: نكشِفُه مدةً قليلةً.

وقولُه تعالى: ﴿إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ﴾: أي: تَعودون إلى الكفر الذي كنتم فيه، ثم قال: ﴿نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾: وفيه اختصارٌ وتقديمٌ وتأخيرٌ؛ أي: فإذا عُدتُم فإنا مُنتَقِمون منكم ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾؛ أي: يوم نأخُذُكم الأَخْذَةَ العُظْمى؛ أي: بعذابٍ هو أكبرُ مِن الأول.

* * *

(١٧) ـ ﴿۞ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ﴾: هكذا؛ كما قال: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَآ

---

(١) روى الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٣٦٧) عن عبد الله بن مسلم الحضرمي: أنه كان لهم عبدان من أهل عير اليمن، وكانا طفلين، وكان يقال لأحدهما يسار، والآخر جبر، فكانا يقرآن التوراة، وكان رسول الله ﷺ ربما جلس إليهما، فقال كفار قريش: إنما يجلس إليهما يتعلم منهما. وانظر ما تقدم عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الفرقان: ٥]، وقوله: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ﴾ [النحل: ١٠٣].

ءَالَ فِرۡعَوۡنَ بِٱلسِّنِينَ﴾ [الأعراف: ١٣٠]، فقالوا لموسى: ﴿ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفۡتَ عَنَّا ٱلرِّجۡزَ لَنُؤۡمِنَنَّ لَكَ﴾ [الأعراف: ١٣٤] ﴿فَلَمَّا كَشَفۡنَا عَنۡهُمُ ٱلرِّجۡزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمۡ يَنكُثُونَ ١٣٥ فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّ﴾ [الأعراف: ١٣٥ - ١٣٦]، فكذلك كان حالُ قُريشٍ، وكان الانتقامُ منهم بعد ذلك بالقَتْل يومَ بدرٍ، وهو البَطْشَةُ الكبرى، وعلى هذا أكثرُ المفسِّرين.

وقال الضحاك: كان رسول الله ﷺ بمكة، فأصابَ المُشركين دُخانٌ عظيمٌ، ونالَ المؤمنين منه كالزُّكَام، و﴿ٱلۡبَطۡشَةَ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ﴾: يوم بدرٍ[1].

وفي الآية قولٌ آخرُ:

قال ابن عباس والحسن وجماعة: هو مِن أشراط الساعة[2]، فيكون في آخر الزمان؛ كالدَّجَّال، والدَّابَّة، وطُلوع الشمس مِن مغربها، و﴿ٱلۡبَطۡشَةَ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ﴾: عذابُ النارِ يومَ القيامة.

وقال قتادة: كنا نُحدَّثُ أنَّ مَثَلَ الأرضِ يومئذ كمَثَلِ بيتٍ أُوقِدَتْ فيه نارٌ، فصار أهلُها كالشيءِ الحَنيذ؛ أي: المَشْوِيِّ[3].

وقال الضحاك: يأخذُ المؤمنَ كالزُّكام، ويدخُلُ في مَسامع الكفار والمنافقين وفي جُلودهم، وإنَّ التوبةَ مقبولةٌ.

وقال عبد الله بن عمرو بن العاص: يجيءُ الدُّخانُ، فيأخُذُ المؤمنَ كهيئة الزُّكام، وينفُخُ في الكافر حتى يتَّقِدَ[4].

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٢٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما وعكرمة وقتادة والحسن.

(٣) ذكر نحوه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ١٩)، والماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (٩/ ١٩٩)، والثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٣٥٠) من غير نسبة.

(٤) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٨٠٤) عن علي رضي الله عنه، والطبري في «تفسيره» (٢١/ ١٨) =

وقال الحسن: الدُّخانُ لم يَمْضِ[١]، وإنما هو[٢] مِن أشراطِ الساعة والبَطْشَةِ الكبرى يوم القيامة.

وعن علي رضي الله عنه قال: لم يَمْضِ الدُّخان، وإنه يكون يوم القيامة يُفَرِّقُ به بين المؤمن والكافر[٣].

وعلى هذا معنى الآيات: فانتظِرْ يا محمد، ودَعْهُم ولَعِبَهم، فإنَّ بين أيديهم يوماً يأتيهم فيه العذابُ فيتوبون فلا تُقْبَلُ توبتُهم، وذلك إذا أتى الدُّخانُ، فيقولون: ﴿رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾، ولا يُقبَلُ إيمانُهم؛ لأنه حالَ بَأْسٍ ﴿أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ كما قال: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ [الفجر: ٢٣] ﴿إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا﴾؛ أي: يزولُ هذا الدُّخانُ، وينكشِفُ عنهم العذابُ مُدَّةً ﴿إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ﴾ إلى عذابٍ أكبرَ منه ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾: يومَ القيامة.

وأكثرُ أهلِ العلم على هذا، والأوَّلُ قولُ ابن مسعود رضي الله عنه.

وقد روى الأَعْمَشُ عن مسلمٍ عن مسروقٍ قال: كان رجلٌ في المسجد يُحَدِّثُ، فقال فيما يقول: ﴿يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾؛ إذا كان يومُ القيامة يكون دخانٌ يأخذُ[٤] بأسماع المنافقين[٥] وأبصارِهم، ويأخذُ المؤمنين منه كهيئة الزُّكام، قال:

= عن ابن عمر رضي الله عنه.

وعزاه الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (٩/ ١٩٩) إلى علي وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهما والحسن.

(١) رواه عنه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ١٩).

(٢) في (أ): «وإنه».

(٣) لم أقف عليه.

(٤) في (أ) و(ف): «آخذ».

(٥) في (ر) و(ف): «الكافرين والمنافقين».

فقُمْنا ودخَلْنا على عبد الله بن مسعود وهو في بيته، فأخبَرْناه، وكان مُتَّكِئاً فجلَس، ثم قال: أيُّها الناس، مَن علِمَ عِلْماً فليقُلْ به، ومَن لم يَعْلَمْ فليقُلْ: اللهُ أعلمُ، وسأُخبِرُكم عن الدخان: إنَّ قريشاً لَمَّا استعْصَتْ على النبي ﷺ قال: «اللَّهُمَّ أَعِنِّي عليهم بسَبْعٍ كسَبْعِ يوسفَ»، فأصابَتْهم سنَةٌ، حتى كانوا يأكُلون الجِيَفَ، حتى إنَّ أحدَهم كان يَرى ما بينه وبين السماء كهيئة الدخان مِن الجوع، وكان الرجلُ يُحَدِّثُ الرجلَ، فيسمَعُ كلامَه ولا يراه مِن الدخان، فدَعَوا، فكُشِفَ ذلك عنهم، ثم قال: «أرَأيتُم لو كان هذا يوم القيامة: أكان يُكشَفُ عنهم؟»، فأُخِّرُوا إلى يوم بدر، وهو يوم البَطْشَة الكبرى[1].

وقولُه تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ﴾: أي: امتَحَنَّا بالإيمان والطاعة قَبْلَ هؤلاء المشركين قومَ فرعونَ.

﴿وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ﴾: على الله، قد اصطفاه لرسالته.

***

(١٨ ـ ٢٠) ـ ﴿أَنْ أَدُّوٓاْ إِلَيَّ عِبَادَ ٱللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٨﴾ وَأَن لَّا تَعْلُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِنِّيٓ ءَاتِيكُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٩﴾ وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ﴾.

﴿أَنْ أَدُّوٓاْ إِلَيَّ عِبَادَ ٱللَّهِ﴾: أي: بأنْ أدُّوا؛ أي: أرسِلوا بني إسرائيل، فإنهم عبادُ اللهِ لا عبادُكم، فلا تستعبِدوهم، ولا تُسَخِّروهم، ولا تَمْتَهِنُوهم[2] في الأعمال الخَسيسة.

وقيل: أدُّوا حقَّ اللهِ يا عبادَ اللهِ، نصبٌ على النداء.

---

(١) رواه البخاري (١٠٠٧)، ومسلم (٢٧٩٨)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (٢٨٠٣)، والطبري في «تفسيره» (٢١/ ١٤).

(٢) في (أ): «تمتحنوهم».

﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾: مُؤتَمَنٌ غيرُ مُتَّهَمٍ في النُّصْح لكم.

﴿وَأَن لَّا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ﴾: أي: لا تترفَّعوا عن طاعة الله، وطاعةِ مَن ألزمَكُم طاعتَه.

﴿إِنِّي آتِيكُم بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾: أي: حُجَّةٍ بيِّنةٍ على ما أدَّعِيه.

﴿وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ﴾: أي: تقتُلوني بالحجارة. قاله قتادة[(١)]، وكانوا اعتادوا ذلك فيمَن أرادوا إهلاكَه.

وقال ابن عباس وأبو صالح: أي: تشتِموني[(٢)].

***

(٢١ ـ ٢٣) ـ ﴿وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُونِ (٢١) فَدَعَا رَبَّهُ أَنَّ هَٰؤُلَاءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ (٢٢) فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ﴾.

﴿وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُونِ﴾: أي: إنْ لم تُصَدِّقوني فيما أقولُ ففارِقُوني وكونوا بمَعْزِلٍ مني إلى أنْ يحكُمَ اللهُ بيننا.

وقولُه تعالى: ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنَّ هَٰؤُلَاءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ﴾: أي: مُشرِكون مُصِرُّون على الكفر، لم يُرْسِلوا بني إسرائيل، وعلَوا على الله.

وقولُه تعالى: ﴿فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا﴾: أي: فدعا ربَّه بالنُّصْرة والنَّجاة، فأجَبْنا دعاءَه، وقلنا له: اذهبْ ببني إسرائيل الذين آمنوا بكَ ليلاً.

﴿إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ﴾: أي: يتَّبِعُكم فرعونُ وقومُه، فاجعلوا ذلك ليلاً؛ لِيكونَ أَهْوَلَ عليهم، وأشغَلَ عن الاستعداد، وأبطَأَ للَّحاقِ[(٣)].

---

(١) رواه عنه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٨١٢)، والطبري في «تفسيره» (٢١/ ٣٢).

(٢) رواه عنهما الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٣١ ـ ٣٢)، وذكره ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٥/ ٧١).

(٣) في (ف): «للحوق».

(٢٤) ـ ﴿وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا ۖ إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا﴾: قال أبو عُبيدةَ وقُطْرُبٌ: أي: ساكناً(١).

وكان أُمِرَ أنْ يَضرِبَ البحرَ بعَصاه حتى انفلَقَ طُرُقاً، وقامَ في الهواء، فلما عبرَ خاف أنْ يَدْخُلَه فرعونُ وقومُه، ويعبُروا كما عبرَ هو وبنو إسرائيل، فقال الله تعالى له: امضِ أنتَ واترُكْهُ كذلك، فإنهم يدخلُون لكنْ يَغْرَقون ولا يعبُرون، وذلك قولُه: ﴿إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ﴾.

وقيل: الرَّهْوُ: الواسعُ المُنفَرِجُ؛ أي: اُتْرُكْه كذلك.

وقال الكسائيُّ: يُقالُ: جاءت الإبلُ رَهْواً؛ أي: يتبَعُ بعضُها بعضاً(٢).

يقول: اُتْرُكِ البحرَ يدخُلْ فيه فرعونُ وقومُه مُتَتابِعين ثم يغرَقون.

والجُندُ جمعٌ بمعناه؛ فلذلك قال: ﴿مُّغْرَقُونَ﴾، وفردٌ بلفظِه؛ فلذلك قال: ﴿جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ﴾ [ص: ١١].

* * *

(٢٥ ـ ٢٨) ـ ﴿كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ ۖ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾: أي: ففعَلَ، ودخلَ البحرَ فرعونُ وقومُه، فأُغرِقوا، وترَكوا بساتينَ كثيرةً فيها أشجارٌ مُظِلَّةٌ وعيونٌ نابِعةٌ بالمياه.

---

(١) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (٢/ ٢٠٨)، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٢٥٠) عن الكلبي والأخفش وقطرب.

(٢) انظر: «غريب الحديث» للحربي (٢/ ٦٨٠)، و«تهذيب اللغة» للأزهري (٦/ ٢١٣).

﴿ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴾: يعني: محافلَ الاجتماعاتِ للتدبُّرِ في الأمور والتَّشاوُرِ فيها، وهو كقوله: ﴿أَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا﴾ [مريم: ٧٣].

﴿ وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴾: أي: تَنَعُّمٍ في عيش كانوا يتقلَّبُون فيه لاعِبين لاهِين.

﴿ كَذَٰلِكَ ﴾: أي: كذلك كان أمرُهم.

﴿وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ﴾: هم بنو إسرائيلَ؛ أي: نقَلْناها إليهم بعدَهم نَقْلَ الميراثِ.

فإنْ قيل[1]: كيف كانت أموالُهم باقيةً حتى ورِثُوها وقد دعا موسى ربَّه فقال: ﴿رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ﴾ [يونس: ٨٨]، وقال الله تعالى: ﴿قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا﴾ [يونس: ٨٩]؟!

قُلنا: يحتملُ أنْ يكون طَمْساً على ما سوى الجِنان والعُيون والزُّروع والمَقام الكريم، فجرى الإرثُ في ذلك.

* * *

(٢٩) ـ ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ ﴾: كان الكبيرُ في العرب إذا مات قالوا: بكَتْ له السماءُ والأرضُ، يَعْنون به أنَّ المصيبة به[2] عمَّتِ الخَلْقَ، فبكى له الكلُّ؛ أي: لو جازَ أنْ يوجدَ مِن السماء والأرض بُكاءٌ على ميِّتٍ لَوُجِدَ منهما عليه.

وأرادَ به: أنَّه لم يظهَرْ بَعْدَهم مِن آثار المُصيبة بهم ما يَظْهَرُ في مَصائبِ ذوي الأَقْدار والأَخْطار؛ أي: ما بكى عليهم أهلُ السماء وأهلُ الأرض، فأُضمِرَ الأهلُ كما أُضْمِرَ في قوله: ﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ﴾ [يوسف: ٨٢].

---

(١) في (أ): «قالوا».

(٢) في (ف): «قد».

روى أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال في هذه الآية: «ما مِن مسلمٍ إلا وله بابانِ في السماء: بابٌ يَصْعَدُ فيه عمَلُه، وبابٌ ينزِلُ منه رزقُه، فإذا مات المؤمنُ بكى عليه باباه»[١].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: إذا مات المؤمن بكى عليه مُصلَّاه وبابُه الذي يصعَدُ فيه عملُه في السماء[٢].

فعلى هذا لم يكن للكافر[٣] في الأرض مَوْضِعُ عبادةٍ، ولا في السماء مَصْعَدُ طاعةٍ، فلم تبكِ عليه السماءُ والأرضُ.

وقولُه تعالى: ﴿وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ﴾: أي: مُمْهَلين بعد حُلول وقتِ هلاكِهم.

* * *

(٣٠ ـ ٣١) ـ ﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَاءِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿٣٠﴾ مِن فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا مِّنَ الْمُسْرِفِينَ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَاءِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿٣٠﴾ مِن فِرْعَوْنَ﴾: وهو استعبادُ فرعونَ وقومِه إياهم، واستعمالُهم في الأعمال الخَسيسة، وذَبْحُ الأبناءِ، واسترقاقُ البناتِ.

---

(١) رواه الترمذي (٣٢٥٥)، وأبو يعلى في «مسنده» (٤١٣٣)، والثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٣٥٣)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ٩٠)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٢٣٢).

قال الترمذي: حديث غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وموسى بن عبيدة ويزيد بن أبان الرقاشي يضعفان في الحديث.

(٢) رواه المروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (٣٢٨)، والطبري في «تفسيره» (٢١/ ٤٢)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٣٠١٨).

(٣) في (أ) و(ف): «لهم».

﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا﴾: أي: مُتَغَلِّباً[1] قاهراً للعباد.

﴿مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾: أي: المُجاوزين حدودَ اللهِ، المُفْرِطين في معاصيه.

* * *

(٣٢) ـ ﴿وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَـٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَـٰهُمْ﴾: أي: بني إسرائيلَ.

﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾: أي: على عِلْمِنا بصلاحهم لذلك، وقيامِهم بشكره.

﴿عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾: أي: على عالَمِي زمانِهم، بأنْ جعَلْنا فيهم الكتابَ والحِكْمةَ[2] والنبوةَ والمُلْكَ.

وقيل: ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾؛ أي: على عِلْمٍ آتيناهم وأحوَجْنا إليهم غيرَهم.

وهذا الاختيارُ يجوزُ أنْ يكون خاصًّا لِمَن جعَلَ اللهُ فيه النبوةَ منهم، ويكون كقوله: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٢٤]، ويجوزُ أنْ يكون عاماً لبني إسرائيل الذين كانوا مع موسى، اختارَهم بالإِنْجاء وإغراقِ الأعداءِ؛ لعِلْمِه بأنَّ فيهم الأنبياءَ وأتباعَ الأنبياءِ.

* * *

(٣٣ ـ ٣٥) ـ ﴿وَءَاتَيْنَـٰهُم مِّنَ ٱلْـَٔايَـٰتِ مَا فِيهِ بَلَـٰٓؤٌا۟ مُّبِينٌ ﴿٣٣﴾ إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾ إِنْ هِىَ إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ﴾.

قولُه تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَـٰهُم مِّنَ ٱلْـَٔايَـٰتِ﴾: أي: أعطينا بني إسرائيلَ مِن العلاماتِ

---

(١) في (ر): «متعلياً».

(٢) «والحكمة» ليست في (أ) و(ف).

الدالَّةِ على إنعامي عليهم؛ مِثْلَ فلَقِ البحر، وتَظْليلِ الغَمام، وإنزالِ المنِّ والسَّلْوى ﴿مَا فِيهِ بَلَـٰٓؤٌاْ مُّبِينٌ﴾؛ أي: ما يُعْلَمُ به إنعامي عليهم ظاهراً.

وقولُه تعالى: ﴿إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ﴾: أي: إنَّ هؤلاء المشركين ﴿لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾ إِنْ هِىَ إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ﴾؛ أي: لا موتَ سوى موتتِنا الواحدةِ التي يموتُها[1] الناس.

﴿وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ﴾: أي: بمبعوثين بعدها.

وذِكْرُ الأولى ليس لإثبات الثانية منهم، بل أرادوا نَفْيَ مَوْتَةٍ أخرى بعدها.

* * *

(٣٦) ـ ﴿فَأْتُواْ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾.

﴿فَأْتُواْ بِـَٔابَآئِنَآ﴾: أي: ائتوا بآبائنا الذين ماتوا أحياءً ﴿إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ أنَّ بَعْدَ الموتِ حياةً؛ لِنَعرِفَ ذلك بالمشاهدة، وهذا مبنيٌّ منهم على جهل، فإنَّ اللهَ قادرٌ على إحيائهم بعد الموت في الدنيا كما فعَلَ ذلك بكثير مِن الماضين، لكنَّه لا يفعلُه لغير الوقت الذي حكَمَ بإحيائهم فيه، وقد أقامَ الدِّلالةَ على قُدْرَته على ذلك بما اعترَفوا به مِن قُدْرَته على الابتداء، وهو أعجبُ مِن الإعادة.

ومعنى قولِه: ﴿فَأْتُواْ بِـَٔابَآئِنَآ﴾: أي: فادْعوا ربَّكم يُحْيِهم.

ورُوِيَ أنَّ أبا جهل ـ لعنةُ اللهِ عليه ـ قال للنبي ﷺ: أَحيِ لنا جدَّكَ قُصَيَّ بن كِلابٍ، فإنه كان صادقاً، فنسألَه عنكَ وعن صِدْقِ ما[2] تقولُ، وعن البعث بعد الموت، فنزلت الآية[3].

---

(١) في (ر) و(ف): «يموت بها».

(٢) في (ف): «وعن صدقك وما» وفي (ر): «وعن ما».

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٢٥٥)، والسمعاني في «تفسيره» (٥/ ١٢٩).

وقيل ـ وهو قولُ الفراء ـ: ﴿فَأْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ﴾ خاطَبوا به النبيَّ خاصَّةً[١]؛ أي: ادعُ اللهَ تعالى أنْ يُحيِيَهم لنا.

* * *

(٣٧) ـ ﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَـٰهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَـٰهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ﴾: استفهامٌ بمعنى النفي؛ أي: ليس قُرَيشٌ بأقوى وأكثرَ عُدَّةً مِن قوم تُبَّعٍ والمُتقدِّمين، وقد أهلَكْناهم بجُرْمِهم، وهؤلاء مُجرمون أيضاً، فنفعلُ بهم كذلك.

وتُبَّعٌ: مَلِكُ اليَمَنِ.

قال الكلبي: إنما ذُكِرَ قومُ تُبَّعٍ؛ لأنهم أقربُ إلى أهل مكة في الهلاك مِن غيرهم، وسُمِّيَ تُبَّعاً لكَثْرة أتباعِه، وتُبَّعٌ ليس باسم المَلِكِ خاصٌّ، بل هو اسمٌ لمَلِكِ اليمن؛ ككِسْرى لفارسَ، وقَيْصَرَ للرُّوم، والنَّجاشيِّ للحَبَشة، والخاقانَ للتُّرْك[٢].

وقال أبو عُبيدة: كلُّ مَلِكٍ لليمن يُسَمَّى تُبَّعاً؛ لأنه يَتْبَعُ صاحبَه، ومَوْضِعُ تُبَّعٍ في الجاهلية كمَوْضِعِ الخليفة في الإسلام[٣].

وقال قُطْرُبٌ: أهلُ اليَمَنِ يفتخرون بهذه الآية؛ إذ جعلَ قومَ تُبَّعٍ خيراً مِن قُرَيشٍ.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: تُبَّعٌ لقَبٌ كفرعون وهامان، واسمه: أسعدُ بن مَلْكا كَرِب[٤].

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٤٢).

(٢) ذكر نحوه عن الكلبي الواحديُّ في «البسيط» (٢٠/ ١١٥).

(٣) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (٢/ ٢٠٩).

(٤) في (أ): «ملكا كيرب». والخبر ذكره البغوي في «تفسيره» (٧/ ٢٣٣) عن عكرمة عن ابن =

وقال قتادة: ذُكِرَ لنا أنَّ تُبَّعاً كان رجلاً مِن حِمْيَرَ، سارَ بالجنود حتى حَيَّرَ الحِيرةَ[1]، ثم أتى سَمَرْقَنْدَ فبناها[2].

وكانت عائشة رضي الله عنها تقول: لا تسبُّوا تُبَّعاً، فإنه كان رجلاً صالحاً[3]، أسلَمَ، فخالَفوه، فأهلَكَهم الله تعالى.

قال كعب: ذمَّ اللهُ قومَه ولم يَذُمَّه[4].

وقال سعيد بن جُبير: إنَّ تُبَّعاً كسا الكعبةَ سبعةَ أثوابٍ، وهو أوَّلُ مَن كساها[5].

= عباس رضي الله عنهما، واسم تبع فيه: أسعد أبو كرب بن مليك. وانظر: «المعارف» لابن قتيبة (ص: ٦٣١)، و«معجم البلدان» (٢/ ١٢٦)، و«تاريخ ابن خلون» (٢/ ٢٩٢)، وفيها: (كليكرب).

(١) أي: بناها ونظم أمرها. انظر: «روح المعاني» (٢٤/ ٤٧٧).

(٢) رواه عنه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٤٩)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٣٥٤)، والماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٢٥٥)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٢٣٣).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٤٩)، والحاكم في «المستدرك» (٣٦٨١) وصححه وزاد: (ألا ترى أن الله ذمَّ اللهُ قومَه ولم يَذُمَّه).

وروى الإمام أحمد في «مسنده» (٢٢٨٨٠)، والروياني في «مسنده» (١١١٣)، والطبراني في «الأوسط» (٣٢٩٠)، والثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٣٥٤)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٢٣٤)، عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه يرفعه: «لا تسبوا تبعاً، فإنه كان قد أسلم».

ورواه الطبراني في «الأوسط» (١٤١٩) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

قال الهيثمي عن حديث سهل: فيه عمرو بن جابر، وهو كذاب، وعن حديث ابن عباس: فيه أحمد بن أبي بزة المكي لم أعرفه، وبقية رجاله ثقات. انظر: «مجمع الزوائد» للهيثمي (٨/ ٧٦).

(٤) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٨١٩)، والطبري في «تفسيره» (٢١/ ٤٩)، وذكره السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٢٧٢)، والثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٣٥٤). وورد عن عائشة. انظر التعليق السابق.

(٥) روى نحوه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٨٢٠)، والطبري في «تفسيره» (٢١/ ٥٠)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٣٥٤)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٢٣٤).

وذكَرَ محمد بن إسحاق له قصةً عجيبةً في هذا، ونحن كتَبْنا تمامَ القصة في بعض تصانيفِنا، وفيها: أنه مِن الخمسة الذين ملكوا الدنيا كلَّها، وأنه خرجَ إلى مكَّةَ في مئةِ ألفٍ وثلاثةٍ وثلاثين ألفاً مِن الفُرْسان، ومئةِ ألفٍ وثلاثةَ عشرَ ألفاً مِن الرَّجَّالة، واجتمَعَ عنده أربعةُ آلافِ رجلٍ مِن الحكماء، وأتى يَثْرِبَ وهي يومئذ بُقْعةٌ فيها عينُ ماءٍ ليس بها بُنْيانٌ، وقعَدَ منهم أربعُ مئةِ حكيمٍ في هذا المكان، وقالوا: إنه مكانُ نبيٍّ آخرِ الزمان، وإنه يخرُجُ عن قريب، فلا نبرَحُ منها إلى أنْ يخرُجَ فنلقاه، فبنى الملِكُ لهم أربعَ مئةِ دارٍ لسُكْناهم، وزوَّجهم، وهيَّأ أسبابَهم، وكتَبَ كتاباً وختَمَه بالذهب، وأمرَهم أنْ يُبلِّغوه إلى رسول الله ﷺ إذا خرَجَ، ذُكِرَ فيه: أنه آمنَ به، والتمَسَ فيه شفاعتَه له يوم القيامة، وكان مِن ذلك اليومِ إلى أنْ خرَجَ النبي عليه الصلاة والسلام ألفُ سنةٍ، وبلَّغه كتابَه الأنصارُ، وهم مِن نوافل أولئك، فقال عليه الصلاة والسلام: «مرحباً بالأخ الصالح» ثلاثَ مرَّاتٍ، وكانت دارُ أبي أيوب الأنصاريِّ رضي الله عنه التي نزَلَ بها رسولُ الله ﷺ مِن خِطَّة أولئك[1].

❋ ❋ ❋

(٣٨ ـ ٣٩) ـ ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ﴾: أي: عابِثين لغير شيء.

﴿مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾: قيل: أي: بأمرٍ هو حَقٌّ.

وقيل: أي: للحقِّ، وهو ما يتصرَّفُ في عباده، فهو حقٌّ.

---

(١) رواه مطولاً الأزرقي في «أخبار مكة» (١/ ١٣٢)، ومن طريقه الخركوشي في «شرف المصطفى» (١/ ٩٣)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١١/ ١٣). وعزاه العيني في «عمدة القاري» (٤/ ١٧٦) لكتاب «المبتدأ» لابن إسحاق.

وقيل: أي: للعِبْرة.

وقيل: أي: للأمر والنهي والترهيب والترغيب.

وقولُه تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾: لا ينتفعون بعلومهم.

وقيل: أي: لا يتأمَّلون فيَعْلَموا.

وقيل: أكثرُهم مُقلِّدون بغير علم، وأقلُّهم عالِمون مُعانِدون.

* * *

(٤٠ ـ ٤٢) ـ ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ (٤٠) يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ (٤١) إِلَّا مَن رَّحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾: أي: إنَّ يومَ القيامة وقتُ جَمْعِ كلِّ هؤلاء للحِساب والجَزاء، وهو يومُ التَّمييز بين المُحْسِن والمُسِيء بالثواب والعقاب، ويومُ فَصْلِ القَضاءِ بينهم، ويومُ الفَصْلِ والتَّفْريق بين الوالد والولد[1] والزَّوج والأهل والمُتآلِفين في الدنيا على اختلاف الصِّفات.

وقولُه تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْئًا﴾: أي: لا ينفَعُ قريباً قريبٌ.

والمولى: ابنُ العمِّ، والمولى: الوليُّ.

﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾: أي: لا يُمْنَعون مِن عذاب الله تعالى.

﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ اللَّهُ﴾: أي: إلَّا المؤمنون الذين رَحِمَهم اللهُ، فإنهم يَشفعون للمُذنبين.

وقيل: إلَّا مَن رَحِمَه اللهُ، فيُشفَّعُ فيه، و(إلَّا) بمعنى (لكنْ) على هذا القول.

---

(١) في (ف): «والوالدة».

وقيل: هذا[١] مُنْقَطِعٌ عن الأول، ومعناه: لكنْ مَن رَحِمَه الله، فإنه لا يَحتاجُ إلى قريب ينفَعُه، ولا إلى ناصر يمنَعُه.

وقولُه تعالى: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾: أي: المنيع[٢] فلا يُغالَبُ إذا أَنْزَلَ العذابَ بأعدائه، الرحيمُ فلا يَمْنَعُ رحمتَه مِن أوليائه.

* * *

(٤٣ ـ ٤٦) ـ ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِي فِي ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْيِ ٱلْحَمِيمِ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿إِنَّ إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ﴾: أي: الكافرِ المُرْتَكِب للمَآثم.

وقيل: نزلَتْ في أبي جهل لعنَه الله[٣].

وقيل: في الوليد بن المُغِيرة[٤].

﴿كَٱلْمُهْلِ﴾: هو ما يُذابُ بالنار؛ كالفضة والرَّصاص ونحوِهما، وسُمِّيَ به لأنَّه يُمْهَلُ في النار حتى يذوبَ.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: هو دُرْدِيُّ الزَّيتِ[٥].

---

(١) في (ف): «هو».

(٢) في (ف): «الممتنع».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٥٥٢، ٢١/ ٥٤) عن السدي وابن زيد، وهو قول مقاتل كما في «تفسيره» (٣/ ٨٢٤).

(٤) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٢٧٣).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٥٥)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٦/ ١٦٧)، والماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٣٠٣)، والبغوي في «تفسيره» (٥/ ١٦٨). =

وفي روايةٍ عنه، وهو قولُ ابن مسعود رضي الله عنه: ما أُذِيبَ بالنار كالفضة[١].

وقولُه تعالى: ﴿يَغْلِي فِي ٱلْبُطُونِ﴾: قرأ ابنُ كثيرٍ وابنُ عامرٍ بياء التذكير؛ صَرْفاً له إلى المُهْل، وقرأ الباقون بتاء التأنيث؛ ردًّا إلى الشجرة[٢].

﴿كَغَلْيِ ٱلْحَمِيمِ﴾: أي: الماءِ الحارِّ الذي انتهى حَرُّه.

أي: الزَّقُّومُ يَغْلي في بطن الكافر غَلَيانَ الماءِ الحارِّ بالنار.

***

(٤٧) ـ ﴿خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿خُذُوهُ﴾: أي: يُقال للزَّبانية: خُذوه ﴿فَٱعْتِلُوهُ﴾: قيل: سُوقُوه وادْفعُوه.

وقال مقاتل: أوقِعوه على وجهه[٣].

وقال القُتَبيُّ: أي: قُودُوه بالعُنْف[٤].

قرأ ابنُ كثيرٍ ونافعٌ وابنُ عامرٍ بضم التاء، وقرأ الباقون بكسرها، وهما لُغتان[٥].

= ودُرْدِيُّ الزيت وغيرِه: ما يبقى في أسفله. انظر: «الصحاح» للجوهري (٢/ ٤٧٠).

(١) رواه عنهما الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٥٥ ـ ٥٦)، ورواه عن ابن مسعود رضي الله عنه الثعلبي في «تفسيره» (٦/ ١٦٧)، وذكره عنه الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٣٠٣)، والواحدي في «الوسيط» (٣/ ١٤٦).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٩٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١٩٨)، وفيهما قراءة الياء لابن كثير وحفص، والباقون ـ ومنهم ابن عامر ـ بالتاء.

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٨٢٥)، وذكره عنه السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٢٧٣)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ٩٢).

(٤) انظر: «غريب القرآن» لابن قتيبة (ص: ٤٠٣)، و«زاد المسير» (٤/ ٩٤).

(٥) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٩٢)، و«التيسير» للداني (ص: ١٩٨).

والعَتْلُ: زَعْزَعَةُ البدنِ بالجَفاء والغِلْظة للإهانة.

وقيل: هو الدَّفْعُ.

وقيل: هو الجَرُّ.

وقولُه تعالى: ﴿إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ﴾: أي: وسَطِها.

* * *

(٤٨ ـ ٤٩) ـ ﴿ثُمَّ صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ﴾.

﴿ثُمَّ صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ﴾: فالحَميمُ يأخذُ جميعَ خارجِ بدَنِه، والزَّقُّومُ جميعَ باطنِه.

﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ﴾: يقولون له: ذُقْ هذا العذابَ، فما دفَعَ العذابُ عنكَ عِزَّكَ في نفْسِكَ، وكرَمَكَ على قومكَ.

وقيل: هو على القَلْب؛ أي: إنَّكَ أنتَ الذَّليلُ المُهانُ في الحقيقة، وإنْ كنتَ عزيزاً كريماً عند نفْسِكَ، وهذا كقول قوم شُعَيبٍ لشُعَيب: ﴿إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ﴾ [هود: ٨٧]؛ أي: السَّفِيهُ الغَوِيُّ.

وقيل: معناه: إنَّكَ أنتَ المُتعَزِّزُ المُتكَرِّمُ.

وقيل: يُقالُ هذا لأبي جهل لعنَه الله، وكان قال في الدنيا: أنا أعَزُّ أهلِ هذا الوادي وأكرَمُهم(١).

* * *

(١) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٢٧٣)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٢٣٦).

(٥٠ ـ ٥١) ـ ﴿إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمۡتَرُونَ ۝٥٠ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٖ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمۡتَرُونَ﴾: أي: تشُكُّون فيه.

وقيل: أي: تُجادلون في دَفْعه.

وقرأ الكسائيُّ: ﴿ذُقْ أَنَّكَ﴾ بفتح الألف[١]؛ أي: بأَنَّكَ، أو: لِأَنَّكَ، ومعنى الكسرِ: فإنَّكَ.

وقولُه تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ﴾: ذكَرَ حالَ المؤمنين بعد ذِكْرِ حالِ الكافرين؛ أي: إنَّ الذين اتَّقَوا الشركَ والمعاصيَ في مقام.

قرأ نافعٌ وابنُ عامرٍ: ﴿في مُقام﴾ بضم الميم؛ أي: مَوْضِعِ إقامةٍ، والباقون بالفتح؛ أي: في مكان[٢].

﴿أَمِينٖ﴾: ذي أَمْنٍ يَأمنون فيه الخوفَ والحُزْنَ والآفةَ والعِلَّةَ والمكارهَ.

***

(٥٢ ـ ٥٤) ـ ﴿فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ ۝٥٢ يَلۡبَسُونَ مِن سُندُسٖ وَإِسۡتَبۡرَقٖ مُّتَقَٰبِلِينَ ۝٥٣ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجۡنَٰهُم بِحُورٍ عِينٖ﴾.

﴿فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ﴾: ترجمةٌ عن الأول؛ أي: بساتينِ نُزْهَةٍ، وعُيونٍ جاريةٍ.

﴿يَلۡبَسُونَ مِن سُندُسٖ وَإِسۡتَبۡرَقٖ﴾: مما رَقَّ مِن الدِّيباج وما غلُظَ منه ظِهارةً وبِطانةً[٣]، لُبْساً وافتراشاً.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٩٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١٩٨).

(٢) انظر: المصدرين السابقين.

(٣) الظِّهارة: ما علا وظهر ولم يل الجسد، والبِطانة: ما ولي منه الجسد وكان داخلًا. انظر: «تهذيب اللغة» للأزهري (٦/ ١٣٧).

﴿مُتَقَٰبِلِينَ﴾: أي: مُتواجِهين في المجالس؛ كما قال: ﴿عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَٰبِلِينَ﴾ [الحجر: ٤٧]، وهو أَتمُّ للأُنْس.

﴿كَذَٰلِكَ﴾: أي: كذا يكون أمْرُهم في الجنة.

﴿وَزَوَّجْنَٰهُم﴾: أي: نَقرنُهم.

﴿بِحُورٍ﴾: جَمْعُ حَوْراء، وهي الشديدةُ سَوادِ العينِ والشَّديدةُ بياضِها.

﴿عِينٖ﴾: جَمْعُ عَيْناء، وهي الواسعةُ العَين.

* * *

(٥٥ ـ ٥٦) ـ ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ۝٥٥ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾.

﴿يَدْعُونَ فِيهَا﴾: أي: يتحَكَّمُون في الجنة.

﴿بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ﴾: ويأمُرون بإِحْضارها.

﴿ءَامِنِينَ﴾: أي: مِن انقطاعها.

وقيل: أي: مِن أنْ ينالَهم بأَكْلِها أذًى أو مكروهٌ.

وقيل: ﴿ءَامِنِينَ﴾ مِن كل خَوْفٍ.

وقيل: ﴿ءَامِنِينَ﴾ مِن عذاب أهل النار.

وقولُه تعالى: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ﴾: أي: في الجنة ﴿إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾: قيل: أي: سِوى المَوْتَةِ التي كانت في الدنيا عند انقضاءِ آجالِهم. قالَه الفراء.

وقال: هو كقوله: ﴿وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ الآية [النساء: ٢٢][1].

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٤٤).

وقيل: أي: بعد الموتةِ الأولى في الدنيا.

وقيل: أي: لكنِ الموتةَ الأولى قد ذاقُوها.

﴿وَوَقَـٰهُمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ﴾: أي: حَفِظَهم عما فيه أهلُ النار مِن العذاب.

***

(٥٧ ـ ٥٩) ـ ﴿فَضۡلٗا مِّن رَّبِّكَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٥٧﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرۡنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ فَٱرۡتَقِبۡ إِنَّهُم مُّرۡتَقِبُونَ﴾.

﴿فَضۡلٗا مِّن رَّبِّكَ﴾: أي: تَفَضُّلاً عليهم مِن غير استحقاقٍ لأحدٍ، فإنَّ العبدَ لا يستحِقُّ على الله شيئاً.

﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾: أي: الظَّفَرُ العظيمُ بكل محبوبٍ، والخَلاصُ العظيمُ مِن كل مكروهٍ.

وقولُه تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرۡنَٰهُ بِلِسَانِكَ﴾: أي: يَسَّرْناهُ على لسانك، فتقرَؤُه مِن غير كتابةٍ ولا نظَرٍ في مكتوبٍ.

وقيل: أي: أنزَلْناهُ مُيَسَّراً بلسانكَ ولسانِ قومكَ، وهو العربيَّةُ.

وقولُه تعالى: ﴿لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ﴾: أي: لِيَتَذَكَّروا ويَتَّعِظوا به ويفهموا معانِيَه.

و﴿يَسَّرۡنَٰهُ﴾: ترجعُ الكِنايةُ فيه إلى الكتاب المذكور في أول السورة.

﴿فَٱرۡتَقِبۡ إِنَّهُم مُّرۡتَقِبُونَ﴾: أي: فانتظِرْ ما وعَدْناكَ مِن النَّصرِ والظَّفَرِ والعُلُوِّ في الدنيا والآخرة، فإنهم مُنْتَظِرون ما أَوْعَدْناهم به مِن العذاب في الدنيا والآخرة؛ أي: صائرون إلى ذلك وإنْ لم يعتقِدوه فينْتَظِروه.

وقيل: فارتقِبْ ما يُؤتيكَ اللهُ مِن الظَّفَر والنَّصْر، فإنهم يرتقبون بكَ دوائرَ الدَّهرِ، قال تعالى خبراً عنهم: ﴿نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ﴾ [الطور: ٣٠].

وقيل: فارتقِبْ يومَ الفَصْلِ، فإنَّكَ ستَصِلُ فيه إلى ما وعدتُكَ مِن الفَضْل، إنهم مُرْتَقِبون ذلك لأنفسهم، فيقولون: لو صِرْنا إلى الآخرة لكان لنا ذلك، قال تعالى خبَراً عن ذلك الكافر: ﴿وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ﴾ [فصلت: ٥٠]، فسترى كيف يتحقَّقُ أمَلُكَ وتَخِيبُ آمالُهم.

وقيل: نزلَتْ في مُشْركي مكةَ، ومعناه: فانتظِرْ هلاكَهم يومَ بدرٍ، فإنهم مُنْتَظِرون موتَكَ.

وقيل: نُسِخَتِ الآيةُ بآية القتال.

* * *

سُورَةُ الجَاثِيَةِ

سُورَةُ الجَاثِيَةِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

باسمِ الله العزيز الحكيم، الرَّحمنِ الذي رزَقَنا طيِّباتِ النَّعيم، الرَّحيمِ الذي بشَّرَنا بالنَّعيم المُقيم.

وروى أبيٌّ بن كعب رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «مَن قرأ سورةَ ﴿حمٓ﴾ الجاثية سكَّنَ اللهُ رَوْعَه، وسترَ عَوْرَتَه عند الحساب»(١).

وهي مَكِّيَّةٌ، وآياتُها سبعٌ وثلاثون. وقيل: ستٌّ وثلاثون.

وكلماتُها: أربعُ مئةٍ وثمانٍ وثمانون.

وحروفُها: ألفان واثنان وثلاثون.

وانتظامُ افتتاحِ هذه باختتام تلك: أنهما في ذِكْرِ القرآن.

وانتظامُ السورتين: أنهما في ذِكْرِ أهل الكفر وأهل الإيمان.

* * *

(١ ـ ٢) ـ ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾.

قولُه تعالى: ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾: ﴿حمٓ﴾: مرَّ تفسيرُه.

و﴿تَنزِيلُ﴾: مُبتدأٌ، و﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾: خبرُه.

---

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٣٥٨)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ٩٤)، وهو قطعة من حديث أبيٍّ الموضوع، وقد تقدم الكلام عليه مراراً. انظر: «الفتح السماوي» للبيضاوي (٣/ ٩٩٠).

﴿الْعَزِيزِ﴾: المنيعِ بجلاله، ﴿الْحَكِيمِ﴾: المُصيبِ في أقواله وأفعاله.

ويجوز أنْ يكون تقديرُه: تنزيلُ الكتابِ العزيزِ الحكيمِ مِن الله، فيكونان صِفتَينِ للكتاب.

ومعنى ﴿الْعَزِيزِ﴾: ما مرَّ في قوله: ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ﴾ [فصلت: ٤١]، و﴿الْحَكِيمِ﴾: هو المُحْكِمُ، أو الحاكِمُ، أو ذو الحِكْمة.

* * *

(٣ ـ ٥) ـ ﴿إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ (٣) وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ (٤) وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ (٣) وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ (٤) وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾:

قرأ حمزةُ والكسائيُّ: ﴿آياتٍ﴾ بالكسر في الجميع على أنها كلَّها عمِلَتْ فيها كلمةُ ﴿إِنَّ﴾، وقرأ الباقون بالرفع في الثاني والثالث[١] على أنه خبرُ قولِه تعالى: ﴿وَمَا يَبُثُّ﴾؛ أي: وفيما يبُثُّ؛ أي: يُفَرِّقُ وينشُرُ في الأرض.

وقولُه تعالى: ﴿وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾: أي: وفي اختلافِ الليل والنهار.

﴿وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ﴾: أي: وفي تصريف الرياح، وهو تَقْلِيبُها شمالاً وجنوباً وصَباً ودَبُوراً.

ومعنى الآيات: أنَّ مَن تدبَّر خَلْقَ السماوات والأرض في عِظَمِ خَلْقِهما وما

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٩٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١٩٨).

فيهما مِن العَجائب، وتدبَّرَ خَلْقَ نفْسِه وخَلْقَ غيرِه في تعاقُبِ الأحوال[1] المُتضادَّة عليه مِن حين ابتدائِه في بطن أُمِّه إلى انفصالِه منه إلى بلوغه ما بلَغَه[2]، وتدبَّرَ ما بثَّ في الأرض[3] مِن أصنافِ الدَّوابِّ في كل الأوقات على اختلافها في هَيْئاتها وتركيباتها، وما في كلِّ واحدٍ منها مِن المضارِّ والمنافع، وتدبَّرَ اختلافَ الليلِ والنهارِ، وتناوُبَهما على المقادير المُتَّفقة في الأزمنة، وما اقترن بهما مِن مصالح المعاش وأسباب الحياة بهما، وتدبَّرَ ما أنزلَ اللهُ مِن السماء مِن المطر الذي جعلَه سبباً لأرزاقِ العِباد، فأحيا به الأرضَ بعد موتها بأنْ أخرَجَ منها أصنافَ النَّباتِ بعد أنْ كانت كالميتةِ الهامِدة لا نباتَ فيها ولا حَراكَ، وتدبَّرَ تصريفَ الرياحِ في الجهات لاقِحاً وعَقيماً، وما يوجدُ فيها مِن رحمةٍ وعذابٍ، علِمَ بعَقْلِه أنها مَرْبُوبَةٌ مُدَبَّرَةٌ مُسَخَّرَةٌ مُصرَّفةٌ، وأنَّ لها رَبًّا مُدبِّراً مُسَخِّراً مُصرِّفاً لا يُشْبِهُها، مُنَزَّهاً عن صفاتها، وما بها مِن سِمات الحدَثِ وعلاماتِ النَّقْصِ والذُّلِّ والفَقْرِ والحاجةِ إلى مَن يُقِيمُها، واحداً لا يجوزُ أنْ يكون له شريكٌ في سُلْطانه، أو نَظيرٌ في أوصافِه يُعارِضُه في الرُّبوبِيَّة، أو يُنازِعُه في الألوهيَّة، وأنَّه عزَّ وجلَّ لم يخلُقْ للخَلْقِ أسبابَ معاشِهم مِن الأَقْوات التي أخرَجَها لهم مِن الأرض بالأمطار التي أنزَلَها، والرِّياحِ التي أَهَبَّها، والشمسِ والقمرِ اللَّذَينِ سخَّرَهما للطُّلوع والغُروب، ولم يجعلْ فيما بثَّ في الأرض مِن الدَّوابِّ مُؤْلِماً ضارًّا أو مُلِذًّا نافعاً إلَّا لِيَسْتَعْمِرَهم في الأرض لِضُروبٍ مِن الحِكْمة التي تفرَّدَ بها، ولِيُمَيِّزوا بين المُلِذِّ والمُؤْلِم، ويتحقَّقوا الوَعْدَ والوَعيدَ، وذلك لا يكونُ إلَّا بالطاعة والمعصية والإحسان والإساءة، على ما حكَمَ به سبحانه

---

(١) في (أ): «الأفعال».

(٢) في (ر): «مبلغه» بدل: «ما بلغه».

(٣) في (ر): «خلق الله» بدل: «بث في الأرض».

مِن التَّمييز بين المُحِقِّ والمُبْطِلِ والمُسِيء والمُحْسِن، ولن يكونَ هذا إلَّا مُتَعَلِّقاً بالأمر والنهي، وفي هذا وجوبُ مجيءِ الأنبياءِ، وفي عدمِ تحقيقِ الوَعْدِ والوعيدِ في الدنيا في كثيرٍ مِن الناس ما يَقتضي داراً غيرَ دارِ الأمرِ والنهيِ تَحْقيقاً للوعد والوعيد، فمتى تدبَّرَ العبدُ في ذلك ووفَّاه حَقَّه[1] رقَّاهُ إلى الدرجةِ التي صحَّ له القولُ بالحقِّ، ووضَحَ له بُطْلانُ الشركِ، وبالله المَعونَةُ.

وأبانَ بما قال: ﴿لَآيَٰتٖ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ﴾، و﴿لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ﴾، و﴿لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾ أنَّ هذه الآياتِ إنما تُدْرَكُ بهذه الثلاثة:

فالإيمانُ: هو التَّصديقُ بالغَيبِ الذي معناه راجعٌ إلى ما تقومُ عليه أدلَّةُ العُقولِ.

والإيقانُ: هو زوالُ الشَّكِّ فيما يشهدُ له دلائلُ العقلِ.

والذين يعقلون: هم الذين يستعملون عقولَهم في تدبُّر ما يُدْعَون إليه مِن الحقِّ.

وفيه تنبيهٌ أنَّ الإيمانَ لا يتِمُّ إلا بالإيقان، والإيقانَ لا يحصُلُ للعبد إلا بتأمُّلِ دلائل العقل.

* * *

(٦ ـ ٧) ـ ﴿تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتۡلُوهَا عَلَيۡكَ بِٱلۡحَقِّۖ فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعۡدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤۡمِنُونَ ٦ وَيۡلٞ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٖ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ﴾: أي: هذه الآياتُ هي آياتُ اللهِ ﴿نَتۡلُوهَا عَلَيۡكَ بِٱلۡحَقِّ﴾: أي: نُوحِيها إليكَ.

وقيل: أي: يَتْلوها عليكَ جبريلُ بأمرِنا.

﴿بِٱلۡحَقِّۖ فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعۡدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤۡمِنُونَ﴾: قرأ ابنُ عامرٍ وحمزةُ والكسائيُّ

---

(١) في (أ): «وفاه الله حقه».

وعاصمٌ في رواية أبي بكر: ﴿تُؤْمِنُونَ﴾ بتاء المُخاطبة(١)، والباقون بياء المُغايبة(٢).

قال مُقاتلٌ: أي: إنْ لم تُؤمنوا بهذا القرآن، فبأيِّ حديثٍ(٣) بعدَ توحيدِ الله تعالى وبعدَ القرآنِ تُصَدِّقون.

وقولُه تعالى: ﴿وَيْلٌ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾: أي: وعيدٌ بشِدَّةِ عذابٍ لكلِّ كذَّابٍ مُرْتكِبٍ للمآثِم.

* * *

(٨) ـ ﴿يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾.

﴿يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ﴾: أي: يسمَعُ القرآنَ يُقْرَأُ عليه ﴿ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا﴾؛ أي: يدومُ على جَهْلِه وضَلالِه مُتَعظِّماً عن الانقياد لِمَن جاءَ بها؛ بسبَبِ أموالِه وأتباعِه.

﴿كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا﴾: أي: الآياتِ.

﴿فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾: أي: فأَخْبِرْه بأنَّ له عذاباً وَجيعاً في الدنيا والآخرة.

* * *

(٩) ـ ﴿وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾.

﴿وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا﴾: أي: وإذا سمِعَ مِن آياتِ القرآن شيئاً فعَلِمَه وحَفِظَه سخِرَ منه، وصوَّرَ ذلك عند أتباعه بصُورة الباطل، وهو كفِعْلِ أبي جهل ـ لعنَه اللهُ ـ حيث سمِعَ الوعيدَ بالزَّقُّوم، أمَرَ جاريةً له فقدَّمَتْ رُطَباً وزُبداً، وقال لأصحابه: هذا الذي نعرِفُه زقُّوماً، ويُخَوِّفُنا محمدٌ به، فكُلُوه(٤).

---

(١) في (ر) و(ف): «الخطاب».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٩٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١٩٨).

(٣) في (أ) و(ر): «كلام».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٦٥٠) عن قتادة. وانظر ما تقدم عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ﴾ [الإسراء: ٦٠].

وكما قال النَّضْرُ بن الحارث حين سمِعَ: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ [المدثر: ٣٠]: أنا أكفيكُمُ العشرةَ، فاكْفُوني التِّسعةَ(١).

وقولُه تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾: بدأ بالواحد وختَمَ بالجَمْع؛ لأنه قال: ﴿لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾، وهي كلمةُ عُمومٍ، وقال: ﴿شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا﴾، ولم يقل: اتَّخَذَه؛ لوجوه:

أحدُها: أنَّ ذلك الشيءَ آيةٌ.

والثاني: أنَّ الهُزْءَ بشيء منه هُزْءٌ بالجميع.

والثالثُ: أنَّه كان إذا وجَدَ شُبْهةً في شيء جعلَه وسيلةً إلى الهُزْء بكل الآيات، ويقول: إذا ثبَتَ لكم بُطْلانُ هذا ثبَتَ بُطْلانُ الكلِّ.

وقيل: نزلَتِ الآيةُ في النَّضْر بن الحارث، وكان يُعارِضُ آياتِ القرآن بأحاديثِ مُلوكِ الفُرْسِ(٢).

* * *

(١٠) - ﴿مِّن وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ ۖ وَلَا يُغْنِي عَنْهُم مَّا كَسَبُوا شَيْئًا وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿مِّن وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ﴾: أي: أمامِهم، والاسمُ للخَلْفِ والقُدَّام جميعاً؛ لأنه اسمٌ لِمَا وراءَكَ، وهو يَشْمَلُهما.

---

(١) ذكر مقاتل في «تفسيره» (٤/ ٤٩٧) أنها نزلت في أبي الأشدين أسيد بن كلدة الجمحي، وهو عند الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٧٤) أبو الأشدين كلدة بن خلف، وذكره السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٥١٧) عن الوليد بن المغيرة.

(٢) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٢٧٦)، والسمعاني في «تفسيره» (٥/ ١٣٦)، وهو قول مقاتل، كما في «تفسيره» (٣/ ٨٣٦).

﴿ وَلَا يُغْنِي عَنْهُم مَّا كَسَبُوا شَيْئًا ﴾: أي: ولا ينفعُهم ما كسَبوا في الدنيا مِن مالٍ وولدٍ.

﴿ وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ ﴾: أي: ولا ما عبَدوه في الدنيا مِن الأصنام والأَوْها ورجَوا نُصرَتَها مِن دون الله.

﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾: في جهنم.

* * *

(١١) ـ ﴿ هَٰذَا هُدًى ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿ هَٰذَا هُدًى ﴾: أي: هذا القرآنُ إرشادٌ لكم[1] إلى الحقِّ.

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ ﴾: أي: جحَدوها.

﴿ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴾: قرأ ابنُ كثيرٍ وعاصمٌ في رواية حفص: ﴿ أَلِيمٌ ﴾ بالرفع؛ نَعْتاً لقوله: ﴿ عَذَابٌ ﴾، وقرأ الباقون خَفْضاً؛ نَعْتاً لقوله: ﴿ مِّن رِّجْزٍ ﴾[2].

والرِّجزُ: المكروهُ المُؤذِي الشَّاقُّ.

* * *

(١٢ ـ ١٣) ـ ﴿ اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿ اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾: ﴿ سَخَّرَ ﴾: أي: ذلَّلَ، و﴿ الْفُلْكُ ﴾: السَّفينةُ، وقد يكون جَمْعاً، ﴿ بِأَمْرِهِ ﴾؛ أي: بتَسْخيره، و﴿ فَضْلِهِ ﴾: رزقه.

﴿ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾؛ أي: لِتَشكروا؛ أي: يلزَمُكم شُكْرُه.

---

(١) في (أ): «راشد» بدل: «إرشاد لكم».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٩٤)، و«التيسير» للداني (ص: ١٨٠).

وقولُه تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾: مِن الشمس والقمر والنُّجوم والجبال والنبات والبهائم؛ أي: ذلك كلُّه لِمَنافعِكم.

وقولُه تعالى: ﴿مِّنْهُ﴾: أي: كلُّ ذلك مِن عند الله[1] وبأمره، لا يَقْدِرُ عليه غيرُه.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾: أي: لَعلاماتٍ دالَّةٍ على قُدْرَته لِمَن تدبَّرَ فيها.

وحُكِيَ عن عليِّ بن الحُسينِ بن واقدٍ المَرْوَزِيِّ[2] أنَّه حضرَ مَجْلِسَ الرَّشيد، وكان نصرانيٌّ يحتجُّ بقول الله تعالى: ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [النساء: ١٧١] أنَّ عيسى ولَدُ اللهِ؛ لأنَّ (مِن) دِلالةُ البَعْضِيَّة، فألزمَه عليُّ بن الحُسين بن واقدٍ بهذه الآية، وقال: إنْ كان جَميعُ ما في السماوات وما في الأرض أَبْعاضاً لله بهذه الكلمة صحَّ قولُه: عيسى ولَدُ اللهِ، بهذه الكلمة[3]، وإلَّا فلا، فانقطَعَ[4].

* * *

(١٤) ـ ﴿قُل لِّلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾: قرأ حمزةُ والكسائيُّ وابنُ عامرٍ: ﴿لِنَجْزِيَ﴾ بالنون، وقرأ الباقون بالياء[5]؛ أي: لِيَجْزِيَ اللهُ.

---

(١) في (ف): «أي كل ذلك من عنده»، وفي (ر): «أي: كل ذلك منه، أي: من عنده».

(٢) إمام، محدث، صدوق، مولى لفاتح خراسان عبد الله بن عامر بن كريز، ولد في سنة ثلاثين ومئة، وروى عن أبيه وغيره، وحدث عنه ابن راهويه وغيره، كان حسن الحديث، كبير القدر. انظر ترجمته في: «تهذيب الكمال» للمزي (١٠/ ٢١١)، و«سير أعلام النبلاء» للذهبي (١٠/ ٢١٢).

(٣) «بهذه الكلمة» زيادة من (أ).

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣/ ٤١٩).

(٥) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٩٥)، و«التيسير» للداني (ص: ١٩٨).

أي: قل يا محمد للمؤمنين يتجاوزوا عن الكفار الذين لا يخافون وقائِعَ اللهِ تعالى بأعدائه.

وقيل: لا يأمُلون نُصْرةَ اللهِ لأوليائه.

وقيل: أي: لا يخافون عذابَ الآخرةِ.

وقيل: لا يأمُلون ثوابَها.

فلا يتعرَّضون لهم، ولا يُجاهِدوهم، ويَكِلُوهم إلى جزاء الله؛ لِيَجْزِيَ قوماً بما كانوا يكسبون؛ وذلك قولُه تعالى:

* * *

(١٥) ـ ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾.

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِۦ﴾: يعني: فله نَفْعُه ﴿وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا﴾: أي: فعليه ضُرُّه(١).

﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾: أي: إلى جزائه، ونُسِخَ هذا بآية الأمرِ بالقتال.

وقال: ﴿لِيَجْزِيَ قَوْمًا﴾، ولم يقُلْ: (القومَ)؛ لأنه أرادَ كلَّ قومٍ مِن الفريقين.

وقيل: قد علِمَ أنَّ بعضَ هؤلاء يُسْلِمُ، فكان الوعيدُ لقومٍ بقُوا منهم على الكفر وهم مُنْكِرون.

وقيل: أرادَ به ثوابَ مَن غفَرَ لهم، وذلك بعضُهم.

وقد قال بعضُ المفسِّرين: إنَّ الآيةَ في أمرٍ كان بين عمرَ بن الخطاب رضي الله عنه وبين المشركين(٢).

---

(١) في (ر): «ضرره».

(٢) وذلك أن عمر بن الخطاب شتمه رجل من كفار مكة، فهمَّ عمر أن يبطش به، فأنزل الله الآية. انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٧٧٢)، وذكره السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٢٧٧) عن مقاتل والكلبي.

وروى الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٣٥٦) أن يهودياً بالمدينة يقال له فنحاص قال: احتاج رب محمد، =

قال سعيد بن المسيب رحمه الله: كنا بين يدي عمرَ بن الخطاب، فقرأ قارئٌ هذه الآيةَ، فقال عمرُ: لِيَجْزِيَ عمرَ بما صنَعَ[(١)].

وقال محمد بن كعب والسُّدِّي: نزلَتِ الآيةُ في ناسٍ مِن أصحاب رسول الله ﷺ مِن أهل مكة، وكانوا في أذًى شديدٍ مِن المشركين قبل أنْ يُؤمَروا بالقتال، فشكَوا ذلك إلى رسول الله ﷺ، فأنزلَ اللهُ هذه الآية.

وقالا في معنى قوله: ﴿لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ﴾: يعني: لا يخافون العذابَ الذي أنزلَه اللهُ بقوم نوح وعاد وثمود، ثم أذِنَ اللهُ في قتالهم، ونُسِخَتِ الآيةُ[(٢)].

* * *

(١٦) - ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ﴾: وهذه تسليةٌ للنبي في تكذيب قومِه إياه مع وُفُورِ البيان، وتمثيلٌ لأمره بما قد كان، يقول: ولقد أعطينا بني إسرائيل التوراةَ والإنجيلَ، و﴿الْكِتَابَ﴾ اسمُ جنسٍ، فصلَحَ لهما ولكلِّ كتاب أُنْزِلَ على رسولٍ.

أي: أعطينا ذلك أنبياءَهم المبعوثين منهم، وذلك إعطاءٌ لهم.

﴿وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ﴾: أي: وأعطيناهم الحُكْمَ على الناس والقضاءَ بينهم والنبوةَ؛ لِمَا جعلنا فيهم مِن الأنبياء مِن حين يوسف إلى عيسى عليهم السلام.

= فلما سمع بذلك عمر بن الخطاب اشتمل على سيفه، وخرج في طلبه، فجاء جبريل إلى النبي ﷺ، ونزلت هذه الآية.

(١) ذكره الزمخشري في «الكشاف» (٤/ ٢٨٨).

(٢) ذكره عنهما الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٣٦٠)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٢٤٢).

﴿وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ﴾: المَنِّ والسَّلْوى في التِّيهِ، والأقواتِ والأطعمةِ والثِّمارِ التي كانت في بلاد الشام.

﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾: أي: عالَمِي زمانِهم؛ إذ كانوا حُكَّاماً ومُلوكاً عليهم، والرُّجوعُ إليهم في عِلْمِ الأديان.

* * *

(١٧) ـ ﴿وَآتَيْنَاهُم بَيِّنَاتٍ مِّنَ الْأَمْرِ ۖ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾.

﴿وَآتَيْنَاهُم بَيِّنَاتٍ مِّنَ الْأَمْرِ﴾: أي: شرائعَ واضحاتٍ مِن أمر الدِّين، وأيضاً حُجَجاً لائحةً مما[1] هو مِن أمرنا الذي لا يَقْدِرُ عليه غيرُنا، وهي مُعْجزاتُ موسى وعيسى.

﴿فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾: أي: فلم يختلِفْ بنو إسرائيلَ إلا مِن بعد ما جاءهم البَيانُ التَّامُّ، ولكنهم تباغوا بينَهم؛ أي: طلَبَ بعضُهم الفَضْلَ على بعضٍ والرِّياسةَ، وأنْ يكونَ كلُّ عالمٍ هو الرئيسَ المتبوعَ حسَداً واتِّباعاً للهوى، فصاروا إلى التَّعادي والتَّحارُبِ وقَتْلِ الأنبياءِ، وكذا المشركون مِن قومك يا محمد.

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾: في الفَصْل بين المُحِقِّ والمُبْطِلِ، فيَفْضَحُ المُبْطِلين، ويُكْرِمُ المُحِقِّين.

* * *

(١٨ ـ ١٩) ـ ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا

---

(١) في (أ): «بما».

يَعۡلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمۡ لَن يُغۡنُواْ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۖ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾.

قولُه تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلۡنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ﴾: أي: على مِنْهاجٍ واضحٍ مِن أمر الدِّين[1] بعد بني إسرائيل.

﴿فَٱتَّبِعۡهَا﴾: أي: هذه الشريعةَ ﴿وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾: أي: المشركين وأهلِ الكتابِ.

﴿إِنَّهُمۡ لَن يُغۡنُواْ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗا﴾: أي: لا ينفعونكَ ولا يَدْفعون عذابَ اللهِ عنكَ.

﴿وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖ﴾: يتوالَون على مُعاداتك، ويتعاونون على الباطل.

﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾: أي: مُحِبُّ مَن اتَّقى الشركَ والمعاصيَ وناصرُه ومُتولي كفايتِه، وهو أنتَ ومَن اتَّبعكَ.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: إنَّ كفارَ قريشٍ سألوا النبي ﷺ أنْ يرجعَ إلى دين آبائه، فنزلت هذه الآيةُ[2].

* * *

(٢٠ ـ ٢١) ـ ﴿هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾ أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجۡتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجۡعَلَهُمۡ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءٗ مَّحۡيَاهُمۡ وَمَمَاتُهُمۡۚ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ﴾: أي: هذا القرآنُ دلائلُ للناس في أمور دينهم، يُبْصِرون بها مواضعَ رُشْدِهم.

---

(١) في (ف): «من الأمر الذي».

(٢) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٠/ ١٤٢) عن الكلبي، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ٩٩) عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما، وهو قول مقاتل كما في «تفسيره» (٣/ ٨٣٨).

﴿وَهُدًى﴾: أي: رُشْدٌ وطريقٌ مُؤَدٍّ إلى الله لِمَن سلَكَه.

﴿وَرَحْمَةٌ﴾: أي: نِعْمةٌ مِن الله عليهم.

﴿لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾: للسَّامعين الذين يَنْفُون[1] الشُّكوكَ ووساوسَ الشيطانِ عن أنفسهم.

وقولُه تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ﴾: قيل: (أم) كلمةٌ بمعنى ألف الاستفهام؛ أي: أَظَنَّ الذين اكتَسَبوا المعاصي، وارتكَبوا المآثِمَ، وأشركوا بالله، وكذَّبوا أنبياءَ اللهِ، وجحَدوا آياتَ اللهِ ﴿أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾: أي: الحسناتِ والطاعاتِ.

﴿سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ﴾: قرأ حمزةُ والكسائيُّ وعاصمٌ في روايةِ حفصٍ: ﴿سَوَاءً﴾ بالنَّصب؛ لِوُقوع الجَعْلِ عليه، ﴿مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ﴾ رفعٌ بالفعل المدلول في قوله: ﴿سَوَاءً﴾؛ لأنَّ تقديرَه: مُسْتَوِياً، ونظيرُه: رأيتُ رجلاً حسناً وجهُه.

وقرأ الباقون: ﴿سواءٌ﴾ بالرَّفْع على الابتداء، و﴿مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ﴾ خبرُه[2]؛ أي: نجعَلُهم يستوي مَحْياهم ومماتُهم.

﴿سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾: بئس الحُكْمُ هذا الحُكْمُ منهم، وهذا استفهامٌ بمعنى النفي؛ كقوله: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ﴾ [السجدة: ١٨].

وقيل: هو في ردِّ مَن قال: ﴿وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِندَهُ لَلْحُسْنَىٰ﴾ [فصلت: ٥٠]، ومَن قال: ﴿لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا﴾ [مريم: ٧٧] الآيات، ونظائرها.

والتَّفْرقةُ بينهم في المَحْيا والممات: أنَّ هؤلاء لهمُ النَّصْرُ، وهؤلاء لهمُ القَهْرُ،

---

(١) في (ر) و(ف): «يتقون».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٩٥)، و«التيسير» للداني (ص: ١٩٨).

وهؤلاء في الآخرة لهمُ الثَّوابُ، وهؤلاء لهم العِقابُ، وعند الموت: هؤلاء ﴿تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ﴾ [النحل: ٣٢]، وهؤلاء ﴿تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ الآية [النحل: ٢٨].

وقيل في أوَّلِ هذه الآية: إنَّ (أمْ) للعطف على ألف الاستفهام، وتقديرُه ها هنا: والله وليُّ المتقين، أفيعلَمُ المشركون هذا، أم يحسَبون أنَّا نتولَّاهم كما نتولَّى المتقين فنُسَوِّيَ بين الفريقين في المَحْيا والممات، فنُؤْتيَ المُسيءَ في الآخرة مِن نعيمها كما نُؤتيه في الدنيا مِن نعيمها؟!

ولن نفعلَ ذلك، بل نخُصُّ المُحْسِنَ بنعيم الآخرة وإنْ عمَمْنا الفريقين بنعيم الدنيا، وهو كقوله: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الأعراف: ٣٢].

* * *

(٢٢) ـ ﴿وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾: أي: بالأمرِ الحقِّ، وله وُجوهٌ أُخَرُ مرَّ ذِكْرُها مرَّاتٍ.

﴿وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾: أي: مِن خير وشر ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾.

* * *

(٢٣) ـ ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾.

ثمَّ آيَسَ رسولَ الله ﷺ عن إيمانِ مَن عَلِمَ منهم أنهم لا يؤمنون، فقال:

﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ

﴿غِشَٰوَةٗ فَمَن يَهۡدِيهِ مِنۢ بَعۡدِ ٱللَّهِۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾: يقول: أفرأيتَ ـ يا محمد ـ هؤلاء المشركين الذين اتخذوا أهواءَهم[1] آلهةً يعبُدونها ويُطيعون أمرَها، ولا يتَّبِعون كتابَ الله، قد أضلَّهم اللهُ وخذلَهم على عِلْم؛ أي: قد علِمَ أنهم يَختارون الضَّلالةَ، وطبَعَ على قلبه، فلا يعتقِدُ حقًّا، ﴿وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمۡعِهِۦ﴾، فلا يقبَلُ وَعْظاً ﴿وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةٗ﴾ فلا يُبْصِرُ عِبْرةً.

﴿فَمَن يَهۡدِيهِ﴾: استفهامٌ بمعنى النفي ﴿مِنۢ بَعۡدِ ٱللَّهِ﴾ قيل: مِن بعد إضلالِ الله.

وقيل: ﴿مِنۢ بَعۡدِ ٱللَّهِ﴾: أي: سوى اللهِ.

﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾: بعُقولكم ذلك.

وروى أبو أمامة الباهليُّ رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «ما عُبِدَ إلهٌ تحت ظلِّ السماء أبغضُ إلى الله مِن هوًى»[2].

وقيل في قوله: ﴿أَفَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾: كانوا في الجاهلية يعبُدون ما يَسْتَحْسِنُونه، فإذا استحسَنوا غيرَه ترَكوا الأولَ وعبَدوا الثاني، فإنما كان يعبُدُ ما يَهْواه.

وعلى هذا يكون الهوى مصدرٌ بمعنى المفعول؛ أي: يجعلُ إلهه[3] مَهْوِيَّه؛ كقولك: فلانٌ رجائي؛ أي: مَرْجُوِّي، وهذا شَهْوَتي؛ أي: مُشْتَهاي.

---

(١) في (أ): «هواهم».

(٢) رواه ابن أبي عاصم في «السنة» (٣)، والخرائطي في «اعتلال القلوب» (٨٧)، والطبراني في «الكبير» (٨/ ١٠٣)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ٩٩)، وابن الجوزي في «الموضوعات» (٣/ ١٣٩) وقال: هذا حديث موضوع على رسول الله ﷺ، وفيه جماعة ضعاف، والحسن بن دينار والخصيب كذابان عند علماء النقل.

(٣) في (ف): «الآلهة».

وقال الكلبي: نزلَ قولُه: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ﴾ في عليٍّ وحمزةَ وعُبيدةَ بن الحارث رضي الله عنهم، وفي عُتْبَةَ وشَيْبَةَ والوليدِ بنِ عُتْبَةَ لعنهم الله، وهُمُ ﴿الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ﴾، قالوا للمؤمنين: ما أنتم على شيء، وإن كان ما تقولون حقًّا لَنُفَضَّلَنَّ عليكم في الآخرة كما فُضِّلْنا عليكم في الدنيا، فنزلت الآيةُ[١].

وقيل: إنَّ أبا لهبٍ لعنه الله قال: لئن كان ما يقولُ ابنُ أخي حقًّا لَأُوتَيَنَّ في الآخرة مالاً وولداً، فأفتدي نفسي بمالي وولدي، فأنزلَ اللهُ: ﴿مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾[٢]؛ يعني: ولدَه.

وقال السُّدِّي: إنَّ كفارَ بني عبد شمسٍ قالوا لبني هاشم وبني عبد المطلب: إنْ كان الأمر كما تقولون فإنَّا لا نَنْحَطُّ[٣] عنكم في الآخرة عند الدرجات، فأنزلَ اللهُ هذه الآيات[٤].

* * *

(٢٤) ـ ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾: أي: قالوا بأهوائهم التي عبَدوها وأطاعوها: ليس ما يقولُه المؤمنون مِن الإحياء بعد الموت حقًّا، وما الحياةُ

---

(١) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ١٦٥)، والماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٢٦٤)، والواحدي في «الوسيط» (٢٠/ ١٤٣).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٣٢٥)، والبغوي في «تفسيره» (٨/ ٣٨٢)، والواحدي في «البسيط» (٢٤/ ٤١١)، عن ابن مسعود رضي الله عنه.

(٣) في (أ): «نحط».

(٤) ذكر نحوه مقاتل في «تفسيره» (٣/ ٨٣٩).

إلا حياتُنا القُرْبى؛ أي: هذه التي نحن عليها ﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾؛ أي: يموتُ بعضُنا ويحيَى بعضُنا، ثم يموتُ أولئك ويحيى آخرون على ما هو موجود في المُشاهدة، لا يتغيَّرُ الأمرُ عن ذلك، ولا تنقضي الدنيا، ولا تَفْنى ولا يحيَى مَن مات.

﴿وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾: أي: وما يُهْلِكُ الناسَ إِلَّا طولُ العمُرِ وكَرُّ الدَّهْرِ، فذلك هو الذي يُفْنِينا، دون مَن تَذْكُرونه مِن الله الذي يُحيي ويُميت.

وهذا جُحودٌ للصانع، وأهلُ الجاهليَّةِ كانوا أصنافاً: منهم هؤلاء، ومنهم مَن يُثْبِتُ الصَّانِعَ ويُنْكِرُ البعثَ والثَّوابَ والعقابَ، ومنهم مَن يشُكُّ في البعث ولا يقولُ بالإنكار قَطْعاً.

وقيل: ﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾؛ أي: نموتُ بأنفُسِنا، ونحيى بأخلافنا[1] وآثارنا، فتأخيرُ ذِكْرِ الحياة عن ذِكْر الممات لهذا: أنه الحياةُ معنًى بعد الموت حقيقةً ببقاء[2] الذِّكْر، يقولون: لا حياةَ بعد الموتِ إلا هذا.

وقيل: أرادوا نحيى ونموتُ إذا انتهَتْ أعمارُنا، والواوُ للجَمْعِ لا للتَّرْتيب.

وقيل: القائلون بهذا كانوا قائِلين بالتَّناسُخِ، وأرادوا: يموت الرجل منَّا، فتُجْعَلُ روحُه في مَواتٍ فيحيَى.

وقولُه تعالى: ﴿وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾: أي: هو قولٌ يقولونه بأهوائهم ظنًّا لا عِلْماً.

* * *

(٢٥ ـ ٢٦) ـ ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

---

(١) في (ر) و(ف): «بأخلاقنا».

(٢) في (ر) و(ف): «البقاء».

وقولُه تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ﴾: أي: وإذا تُقْرَأُ على هؤلاء آياتُ اللهِ[1] التي فيها ذِكْرُ البَعْثِ وإقامةُ الحُجَّةِ عليهم[2].

﴿مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾: أي: لم يكن لهم حُجَّةٌ في دَفْعِها إلا قولُهم: عَجِّلوا لنا هذا البعثَ، وأقيموا الساعةَ الآنَ، وهذا غَيٌّ وجَهْلٌ؛ لِمَا مرَّ في سورة الدُّخان.

وقولُه تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ﴾: أي: في الدنيا ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾: عند انتهاء أعمارِكم.

﴿ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾: أي: يَبْعَثُكم يومَ القيامة جميعاً، ولا شكَّ فيه.

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾: أي: لا يتأمَّلون في الدَّلائل فيعلَموا.

* * *

(٢٧) ـ ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: فلا يُعْجِزُه شيءٌ مِن البعثِ وغيرِه.

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾: أي: يَهلِكُ.

وقيل: أي: يَظْهَرُ له ضَياعُ سَعْيِه في عبادةِ غيرِ الله، ويَظْهَرُ له أنَّا لم نُسَوِّ بينهم محياهم ومماتهم.

* * *

(٢٨) ـ ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَتَرَىٰ﴾: يا محمد ﴿كُلَّ أُمَّةٍ﴾: مِن الأُمَم.

﴿جَاثِيَةً﴾: قيل: مُجْتَمِعةً، كلُّ أُمَّةٍ لا تختلِطُ بأُمَّةٍ أخرى.

---

(١) في (ر) و(ف): «القرآن».

(٢) في (أ) و(ف): «عليه».

والجُثْوَةُ: الشَّيءُ المجتمِعُ، وعلى هذا قيل في قوله: ﴿حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾ [مريم: ٦٨]؛ أي: مُجْتَمِعين.

وقيل: جاثيةً[1] على الرُّكَبِ للحساب والسؤال؛ كما يكون للخُصوم في الدنيا.

﴿كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا﴾: قيل: إلى الكتابِ المُنزَلِ على نبيِّها: هل عَمِلَ به أو خالفَه؟

والأظهرُ: إلى كتابِ عمَلِه الذي كتبَتْهُ الحفَظةُ؛ كما قال: ﴿ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: ١٤].

﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: في الدنيا، ويَظْهَرُ مَكْتوباً في كتابكم.

* * *

(٢٩) - ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ﴾: أي: هذا الكتابُ الذي كُتِبَ عليكم بأمرنا يُبيِّنُ ما عَمِلْتُم.

والنُّطْقُ مَجازٌ؛ كما قال: ﴿أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا۟ بِهِۦ يُشْرِكُونَ﴾ [الروم: ٣٥].

وأضافَ الكتابَ إلى العبد في قوله: ﴿ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ﴾ لأنَّه عمَلُه[2]، وأضافَه إلى نفْسِه في قوله: ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا﴾ لأنه بأمره.

﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ﴾: أي: نأمُرُ الحفَظَةَ بالنَّسْخِ، وسينُ الاستفعالِ قد تكونُ للطَّلَب والسؤال.

---

(١) في (أ): «جاثين».

(٢) في (أ): «لأنه عليه الآية»، وفي (ف): «لأنه عليه».

وقيل: أي: ننسخ، وهو كقولهم: (عَجِلَ واستعجلَ)، و(نَكِرَ واستنكرَ)؛ أي: تنسَخُ ملائكتُنا بأمرنا، وفِعْلُ المأمورِ يُضافُ إلى الآمرِ.

وقولُه تعالى: ﴿مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: ونَسْخُ ذلك كتابتُه وإثباتُه، وأصلُه وإنْ كان للنَّقْل عن أصلٍ، ولكن قد يُسْتَعمَلُ للابتداء.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: ألستُمْ قوماً عُرْباً، هل يكون النَّسْخُ إلا مِن كتاب[1]؟! وهو يَحْمِلُ هذا على النَّسخِ مِن اللَّوح المحفوظ.

وفي الخبر: أنَّ الملائكة إذا كتبوا أعمالَ العبادِ وصعِدوا بها إلى السماء، أُمِروا أنْ يَعْرِضوها باللوح المحفوظ، فيوجدُ كذلك، يقول: إنَّ الملائكة كانوا يكتُبون عليكم بأمرنا مِن كتابٍ عندنا كُتِبَ قَبْلَ خَلْقِكم وقَبْلَ عمَلِكم، فلن يخفى علينا شيءٌ منها، ولا يجري على الحفَظَة فيها خطأٌ[2]، وعلى هذا قوله: ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا﴾ إشارةٌ إلى اللوح المحفوظ.

وقيل: مِن قوله: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ﴾ إلى ها هنا خطابُ الملائكةِ يومئذٍ للعِباد، وثَمَّ مُضْمَرٌ: تقول لهم الملائكة: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ﴾، و﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا﴾، و﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ﴾.

***

(٣٠ ـ ٣١) ـ ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٠﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾.

---

(١) رواه أبو عبيد في «الناسخ والمنسوخ» (١٩)، والطبري في «تفسيره» (٢١/ ١٠٤)، وابن بطة في «الإبانة الكبرى» (١٣٧٣)، والبيهقي في «القضاء والقدر» (٢٤٢).

(٢) لم أقف عليه بهذا اللفظ، وذكر نحوه الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (٩/ ٢٣١)، ومكي بن أبي طالب في «الهداية» (١٠/ ٦٧٩٤).

وقولُه تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِى رَحْمَتِهِۦ﴾: قيل: أي: في جنَّتِه، سمَّاها رحمةً لأنها تُنالُ برحمته، فأُعِدَّتْ لأهل رحمته.

﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ﴾: أي: الفلاحُ الظَّاهر.

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾: أي: فيُقالُ لهم: أفلم تكن آياتي تُتْلى عليكم ﴿فَٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾: أي: فتعَظَّمْتُم عن قبولها، والانقيادِ لِمَن أتى بها.

﴿وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾: أي: مُكْتَسِبين الآثامَ.

وقيل: أي: مُشركين، وقد ذُكِرَ في مُقابلةِ المسلمين في القرآن، فدلَّ على هذا، قال: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [القلم: ٣٥].

* * *

(٣٢) ـ ﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ﴾.

﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾: أي: وكنتم إذا قيل لكم: ﴿إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾؛ أي: بالبعث والجزاء بالثواب والعقاب.

﴿وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا﴾: أي: القيامةُ لا شكَّ فيها.

قرأ حمزة: ﴿والساعةَ﴾[١] نَصْباً عَطْفاً على قوله: ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ﴾، وقرأ الباقون رَفْعاً على الابتداء لِتَباعُدِها عن ﴿إنَّ﴾[٢].

﴿قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ﴾: أي: لا نعلمُ ما القيامةُ.

﴿إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا﴾: أي: ما نظُنُّ ذلك إلا ظنًّا ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ﴾ بذلك.

---

(١) في (أ): «والكسائي»، وهو تصحيف.

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٩٥)، و«التيسير» للداني (ص: ١٩٩).

(٣٣ ـ ٣٤) ـ ﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٣٣) وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾.

﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا﴾: أي: ظهَرَ لهم عند الوقوع[1] في العذاب أنَّ ما عمِلوه مِن الشرك والمعاصي كانت سيئاتٍ.

﴿وَحَاقَ بِهِم﴾: أي: نزَلَ بهم، وقيل: أحاطَ بهم.

﴿مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾: أي: العذابُ الذي كانوا يُوعَدون به، فلا يُصدِّقونه، ويستهزؤون بقائله، ويقولون: متى هذا الوعد؟! ويُنْغِضُون إليكَ رؤوسَهم ويقولون: متى هو؟!

﴿وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ﴾: أي: تقولُ لهم الملائكة بأمرنا: اليومَ نترُكُكم في النار تَرْكَ النَّسْيِ المَنْسِيِّ ﴿كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾: أي: تركْتُم ذِكْرَه والاستعدادَ له.

﴿وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾: أي: مانعين عنكم العذابَ.

* * *

(٣٥) ـ ﴿ذَلِكُم بِأَنَّكُمُ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾.

﴿ذَلِكُم بِأَنَّكُمُ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا﴾: أي: هذا العذابُ بأنكم في الدنيا جعلتُم ما يُتلى عليكم مِن آيات كتاب الله مَحَلَّ الـهُزْءِ الذي لا ينبغي الإقبالُ عليه ولا التَّفَكُّرُ فيه.

﴿وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾: أي: اغْتَرَرْتُم بها.

﴿فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا﴾: ليس مُتَّصِلاً بالكلام الأوَّل الذي كان مِن خِطاب الملائكة لهم، بل هو ابتداءُ إخبارٍ مِن الله أنهم لا يُخرجون مِن النار أبداً.

---

(١) في (أ): «الرجوع».

﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾: أي: يُسْتَرْضَون؛ يعني: لا يُطالَبون بإرضاء الله تعالى بالتوبةِ عن الشرك والمعاصي، والعملِ بالإيمان والطاعة؛ إذ هُم في دار الجزاء الذي لا تُقْبَلُ فيها توبةٌ، ولا تُقالُ فيها عَثْرةٌ.

* * *

(٣٦ ـ ٣٧) ـ ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٣٦) وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

قولُه تعالى: ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾: ختَمَ السورةَ بما علَّمَ عِبادَه مِن الثناء الذي يُخْرِجُ قائِلَها ومُعْتَقِدَها عن الشرك الذي ذُمَّ به أهلُه في هذه السورة، وأُوعِدوا عليه بالنار.

وهو أيضاً إخبارٌ أنَّ المُسْتَحِقَّ للثناء والمدح والشكر على النِّعَم هو اللهُ الذي خلَقَ السماوات والأرض وما فيهما وما بينهما، وهو حافظُهما والقائمُ بتدبيرهما، وهو مُدَبِّرُ العالَمين مِن الجن والإنس والملائكة وكُلِّ الحيوانات، ومالِكُها وحافِظُها وناصِرُها[1] ومُصرِّفُها على ما أراد.

﴿وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: أي: العَظَمةُ والجلالُ والقُدْرةُ والكمال.

﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾: المنيعُ بسلطانه وجلاله.

﴿الْحَكِيمُ﴾: المُصِيبُ في أقواله وأفعاله.

* * *

---

(١) «وناصرها» ليس من (أ).

سُورَةُ الأَحْقَافِ

سُورَةُ الأَحْقَافِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

باسمِ اللهِ الذي ما خلَقَ السماواتِ والأرضَ وما بينها إلا بالحق، الرَّحمنِ الذي جعَلَ المسلمين التائبين مِن أصحاب الجنةِ وَعْدَ الصِّدْق، الرَّحيمِ الذي لا يُهْلِكُ إلا أهلَ الفِسْق.

وروى أُبيُّ بن كعب رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «مَن قرأ سورةَ الأحقافِ كتبَ اللهُ له بكل رَمَلٍ في الدنيا عشرَ حسناتٍ»(١).

وهذه السورةُ مَكِّيَّةٌ إلَّا قولَه: ﴿وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ﴾ الآيتين، فإنهما نزَلَتا بالمدينة.

وآياتُها: خمسٌ وثلاثون. وقيل: ستٌّ(٢).

وكلماتُها: ستُّ مئةٍ وثلاثٌ وأربعون.

وحروفُها: ألفان وستُّ مئةٍ وستةَ عشرَ.

وانتظامُ(٣) آخرِ تلك السورةِ بأوَّلِ هذه السورة: أنهما جميعاً في ذِكْرِ اسمِ الله تعالى.

---

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٥)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ١٠٢)، وتتمته: «ومحي عنه عشر سيئات، ويرفع له عشر درجات»، وهو قطعة من الموضوع في فضائل السور. انظر: «الفتح السماوي» للمناوي (٣/ ٩٩١).

(٢) «وقيل: ست» ليس في (أ)، وقد ذكر الداني أن الخلاف في عدد آيات السورة هو بين كونها خمساً وثلاثين آية أو أربعاً وثلاثين. انظر: «البيان في عد آي القرآن» للداني (ص: ٢٢٧).

(٣) في (أ): «ونظم».

وانتظامُ السورتين: أنهما جميعاً في ذِكْر الكفر والإيمان، والطاعة والعِصْيان، والعُقوبة والغُفْران.

* * *

(١ ـ ٣) ـ ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ﴾.

قولُه تعالى: ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾: مرَّ تفسيرُه.

وقولُه تعالى: ﴿خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾:

قيل: لِلْحَقِّ الذي له على خَلْقه، ولِأَجَلٍ يَنْتَهي إليه، وهو يوم القيامة، وهو مُسَمًّى معلومٌ عنده وإنْ أخفاه على خَلْقه.

وقيل: ﴿إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: أي: مَقْروناً بالحق، وهو التَّكليفُ بالأمر والنهي، ثم يَجْزِي يومَ القيامة بالثواب والعقاب، ومَقْروناً بأجَلٍ مُسَمًّى، وهو ما بيَّنَّا.

وقولُه تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ﴾: أي: وكُفارُ مكةَ عمَّا خُوِّفوا به مُعْرِضون، لا يتفكَّرون فيه ولا يُؤمِنون به.

* * *

(٤) ـ ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ۖ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾: أي: ما تعبُدون مِن دون الله؛ أي: مِن الأصنام.

وقال القُتَبيُّ: ﴿ما﴾ ها هنا للجَمْع بمعنى (الذين) بدليل ما بعده[1].

---

(١) انظر: «تفسير السمرقندي» (٣/ ٢٨٤).

﴿أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ﴾: أي: أخبِروني أيَّ شيءٍ خلَقوا مما في الأرض إنْ كانوا آلهةً كالذي خلَقَ اللهُ تعالى؟!

﴿أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ﴾: أي: أَلَهم نصيبٌ يَدَّعونه في السماوات؛ أي: في خَلْق السماوات.

﴿ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا﴾: أي: مِن قَبْل القرآن.

﴿أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ﴾: أي: روايةٍ تروونها مِن العلماء والأنبياء.

﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾: أنَّ اللهَ أمرَكم بعبادة الأوثان.

قال عكرمة ومُقاتل: ﴿أَوْ أَثَارَةٍ﴾: أي: رِوايةٍ عن الأنبياء(١)، وقد أثَرَ الحديثَ يأثُرُه، فهو مأثورٌ.

وقال أبو بكر بنُ عياش: ﴿أَوْ أَثَارَةٍ﴾: أي: بَقِيَّةِ عِلْمٍ(٢)، وأثَرُ الشَّيءِ: بقيَّتُه.

وقيل: أرادَ بالأثارة ما كانت العربُ تعرِفُ بعضَ الأشياء به؛ مِن العِيافة والزَّجْر والخَطِّ والطَّرْق(٣)..

(١) ذكره عنهما الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٦)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٢٤٩). وانظر قول مقاتل في «تفسيره» (٤/ ١٥)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ١٠٣).

(٢) رواه عنه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ١١٥)، وذكره مكي بن أبي طالب في «الهداية» (١١/ ٦٨١١)، والماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٢٧١).

وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٦)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٢٤٩) عن الكلبي، وهو قول الفراء كما في «معاني القرآن» (٣/ ٥٠)، وأبي عبيدة كما في «مجاز القرآن» (٢/ ٢١٢).

(٣) العيافة: زجر الطير، وهو أن يرى طائراً أو غراباً فيتطير، وإن لم ير شيئاً فقال بالحدس كان عيافة أيضاً.

وقريب منه الزَّجْر: وهو التيمن بسنوح الطير وغيرها، والتشاؤم ببروحها. انظر: «تهذيب اللغة» (٣/ ١٤٧، ١٠/ ٣١٨). =

مما كانوا يَأْثُرونه عن أسلافهم، ويدَّعون وقوعَ العلمِ بها وإن لم يكن لها حقيقةٌ.

يقول: بأيِّ حُجَّةٍ تُشركون بالله الذي تُقِرُّون أنه خالقُكم ورازقُكم غيرَه؟! ثم لن يجوزَ أنْ يُشْرِكَ به في العبادة إلا مَن شاركَه في السَّبَب الذي يستحِقُّ به العبادةَ، فهل خلَقَتِ الأصنامُ شيئاً مِن الأرض أم لهم شِرْكٌ في مُلْكِ السماوات؟! ولن تستطيعوا أنْ تَدَّعوا هذا، فمِن أي وجهٍ[1] استجزتُم إشراكَها بالله تعالى؟! ثم إنِ ادَّعوا لآلهتهم شُركاءَ في الخَلْق فليُثْبِتوا ذلك بخبَرٍ؛ إذ لا مُشاهدة، وهو كتابٌ أو طريقٌ آخرُ يُعْلَمُ به، وإذا عُدِمَ هذا كلُّه فاعلموا أنكم كاذبون؛ إذ الصِّدْقُ لا يثبُتُ إلا ببُرْهان.

* * *

(٥) ـ ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ﴾: استفهامٌ بمعنى النفي؛ أي: لا أضلُّ ممن يعبُدُ مِن دون الله ويدعو بحاجته شيئاً لو دعاه إلى يوم القيامة لم يستجبْ له دعاءَه، ولا يكون عنده مَعونةٌ.

﴿وَهُمْ﴾؛ أي: المعبودون ﴿عَن دُعَآئِهِمْ﴾؛ أي: دُعاءِ العابدين ﴿غَٰفِلُونَ﴾: لا يعلمون به؛ لأنها جمادٌ، جَمَع مع إفرادِ أوَّلِ الكلام؛ لأنَّ (ما) للعُموم معنًى، فإنْ كان هذا في الأصنام، فالجَمْعُ مع الواو[2] والنون لِمَا أنها وُصِفَتْ بصفات العُقلاء،

= وأما الخط: فهو أن يخط بإصبعه في الرمل ويزجر، والطَّرْق: الضرب بالحصى، وهو نوع من التكهن. انظر: «الصحاح» (مادة: خطط وطرق).

(١) في (أ): «شيء».

(٢) في (ر): «بالواو».

وإنْ كان هذا في الملائكة والجن والشياطين، فمعنى ﴿عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ﴾: أنَّهم لا يَعْلَمون ما فيه هؤلاء المشركون، والملائكةُ مَشْغولون بالعبادة لا يخطُرُ ببالهم غيرُ ذلك، والجنُّ والشياطينُ لا عِلْمَ لهم بما غابَ عنهم.

* * *

(٦ ـ ٧) ـ ﴿وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ۝٦ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾.

﴿وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ﴾: أي: بُعثوا يوم القيامة وجُمِعوا.

﴿كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً﴾: أي: كان عبَدَةُ الأصنامِ للأصنام أعداءً؛ لِمَا ظهَرَ لهم مِن العُقوبة بسبب عبادتها، وإنْ كان هذا في عبَدةِ الملائكة، فمعناه: كانت الملائكة ﴿لَهُمْ﴾؛ أي: للعابدين ﴿أَعْدَآءً﴾ يقولون: ﴿سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم﴾ الآية [سبأ: ٤١].

﴿وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ﴾: أي: مُتبرِّئين أنْ يكونوا أمَرُوهم بها أو رضُوا بها، وكذلك الجنُّ والشياطينُ إذا اجتمَعوا في النار يكفُرُ بعضُهم ببعض ويلعَنُ بعضُهم بعضاً.

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ﴾: أي: آياتُ القرآنِ واضحاتِ المعاني ظاهراتِ الإعجازِ.

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾: وهو تلبيسٌ منهم على الضَّعفَة، وتنفيرٌ لهم عن السماع والقَبول.

* * *

(٨) ـ ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَلَا تَمْلِكُونَ لِى مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ ۖ كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۖ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾: أي: أيقولون هذا أم يقولون: اختلَقَه محمد مِن عند نفْسِه؟!

﴿قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ﴾: فذاك معصيةٌ، واللهُ تعالى قادرٌ على أنْ يُعاقِبَني عليها.

﴿فَلَا تَمْلِكُونَ لِى مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾: أي: فلا تَقْدِرون أنتم على دَفْعِ عذابِ اللهِ عنِّي.

﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ﴾: أي: بالكلام الذي تخوضون فيه مِن هذا الوجه.

﴿كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ﴾: أي: شاهِداً بأنه أرْسَلَني إليكم وأمرَني بتبليغ وَحْيِه إليكم.

﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ﴾: لِمَن تابَ ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾: أي: الحليمُ، فلا يُعاجِلُ بالعقاب.

* * *

(٩) ـ ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾: أي: بَديعاً؛ أي: لستُ بأوَّلِ رسولٍ، فقد أرسلَ الله تعالى قَبْلي رسلاً إلى أُمَمِهم، وقد كان في الأنبياء مَن يَسْلَمُ مِن المِحَن، ومنهم مَن يُمْتَحَنُ بالهجرة عن الوطن، ومنهم مَن يُبْتلى بأنواع الفِتَن، والأممُ منهم مَن أُهْلِكَ بالخَسْف، ومنهم مَن كان هلاكُه بالقَذْف، وكذا بالمَسْخ والرَّجْف، والرِّيح والصَّيْحة والغَرَق وغيرِ ذلك.

﴿وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ﴾: مِن هذه الوجوه.

﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ﴾: أي: ما أَتَّبعُ.

﴿وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾: مُخَوِّفٌ ظاهرٌ، وهذا كان في أمر الدنيا، ثم أوحى إليه بما تكون عاقبةُ أمرِه وأمرِهم، فأمَرَه بالهجرة، ووعدَه العِصْمَةَ مِن الناس، وحثَّه على الجهاد، وأخبرَه أنه يُظْهِرُ دينَه على الدِّين كلِّه، ويُسَلِّطُه على عدوه، ويستأصِلُهم بسيفه.

وقال ابن عباس ومُقاتل: ﴿وَمَآ أَدۡرِي مَا يُفۡعَلُ بِي وَلَا بِكُمۡ﴾؛ أي: في الدنيا[1].

---

(١) كذا ذكر المؤلف عن ابن عباس ومقاتل، ولم أجده عن أي منهما، بل ما نقل عنهما يخالف هذا، وهو أن المراد بالآية الآخرةُ والمعادُ، وأن الله تعالى بيَّن له بعد ذلك عاقبته وأنه في الجنة، ونسخ هذه الآية بقوله تعالى: ﴿لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٢]، هذا ما قاله مقاتل في «تفسيره» (٤/ ١٧). ورواه أبو داود في «ناسخه» من طريق عكرمة عن ابن عباس رضي الله عَنْهُمَا أنه قال في قوله: ﴿وَمَآ أَدۡرِي مَا يُفۡعَلُ بِي وَلَا بِكُمۡ﴾: نسختها هذه الآية التي في الفتح، فخرج إلى النَّاس فبشرهم بالذي غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخّر..، الحديث. وروى معناه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ١٢١) من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: ﴿وَمَآ أَدۡرِي مَا يُفۡعَلُ بِي وَلَا بِكُمۡ﴾ فأنزل الله بعد هذا: ﴿لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾.

وهذا القول بكونها في المعاد وبالنسخ لم يرتضه أكثر العلماء، قال ابن الجوزي: والقول بنسخها لا يصح؛ لأنه إذا خفي عليه علم شيء ثم أعلم به لم يدخل ذلك في ناسخ ولا منسوخ، وقال النحاس: محال أن يقول رسول الله للمشركين: ما أدري ما يفعل بي وبكم في الآخرة، ولم يزل يخبِر أن من مات على الكفر يخلد في النار ومن مات على الإيمان فهو في الجنة، فقد دَرَى ما يفعل به وبهم في الآخرة، والصحيح في معنى الآية قول الحسن: وما أدري ما يفعل بي ولا بكم في الدنيا. انظر: «نواسخ القرآن» لابن الجوزي (ص: ٢٢٧)، و«الناسخ والمنسوخ» للنحاس (ص: ٦٦٥).

وقال أبو حيان: هذا القول ليس بظاهر، بل قد أعلم الله تعالى نبيه عليه الصلاة والسلام من أول الرسالة بحاله وحال المؤمن وحال الكافر في الآخرة.

وقال الإمام الرازي: أكثر المحققين استبعدوا هذا القول واحتجوا بأن النبي لا بد أن يعلم من نفسه كونه نبيا ومتى علم ذلك علم أنه لا يصدر عنه الكبائر وأنه مغفور وإذا كان كذلك امتنع كونه شاكاً في أنه هل هو مغفور له أم لا، وبأنه لا شك أن الأنبياء أرفع حالاً من الأولياء، وقد قال الله تعالى فيهم: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢] فكيف يعتقد بقاء الرسول وهو رئيس الأنبياء وقدوة الأولياء شاكاً في أنه هل هو من المغفورين أم لا. انظر: «تفسير الرازي» (٢٨/ ١٠)، و«روح المعاني» (٢٥/ ٦٥).

وسيأتي مزيد كلام فيه لاحقاً.

وقال الحسن: في المعاد[1].

وقال أنس رضي الله عنه: لَمَّا نزلَتْ هذه الآيةُ فرِحَ المشركون فرَحاً شديداً،

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ١٢١) عن عكرمة والحسن مثل حديث ابن عباس الذي رواه أبو داود في «ناسخه» وذكرناه في التعليق السابق.

لكن روي عن الحسن خلافه، وهو أن المراد بالآية: في الدنيا، رواه مطولاً ومختصراً الطبري في «تفسيره» (٢١/ ١٢٢)، والنحاس في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٦٦٥) واستحسنه كما تقدم وسيأتي، والثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٨)، وذكره السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٢٨٦)، والماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٢٧٢)، والسمعاني في «تفسيره» (٥/ ١٥٠)، والزمخشري في «الكشاف» (٤/ ٢٩٨).

وهذا القول هو المرجح عن أكثر العلماء، وقد ذكرنا بعض ذلك في السابق، وهو الذي اختاره الطبري فقال: (وأولى الأقوال في ذلك بالصحة وأشبهها بما دلّ عليه التنزيل، القول الذي قاله الحسن البصري) ثم أفاض في تعليل سبب اختياره لذلك.

وكذلك النحاس استحسنه كما تقدم، ومما قال فيه زيادة على ما ذكرنا: وهذا أصحُّ قولٍ وأحسنُه لا يَدْري ﷺ ما يَلْحقُه وإيَّاهم من مرضٍ وصحةٍ ورُخصٍ وغلاءٍ وغنًى وفقرٍ، ومثلُه ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُ﴾ [الأعراف: ١٨٨].

وفي كون معنى هذه الآية في الدنيا وجوه ذكرها ابن الفرس في «أحكام القرآن» (٣/ ٤٨٧) فقال: (وذهب الحسن بن أبي الحسن وغيره إلى أن معنى الآية: ما أدري ما يفعل بي ولا بكم في الدنيا من أن أنصر عليكم أو تنصروا علي. وذكر بعضهم عن الحسن أن معناها: ما أدري ما يفعل بي ولا بكم في الدنيا من غلاء أو رخص أو مرض أو غير ذلك من الأحداث. وقال قوم المعنى: ما يفعل بي ولا بكم من الأوامر والنواهي وما يلزم الشريعة من أغراضها. وقال بعضهم: نزلت الآية في أمر كان النبي ﷺ ينتظره من الله تعالى في غير الثواب والعقاب. وروي عن ابن عباس أنه لما تأخر خروج رسول الله ﷺ من مكة حين رأى في النوم أنه يهاجر إلى أرض ذات نخل وسبخة قلق المسلمون لتأخره فنزلت الآية. فالآية في هذه الأقوال كلها إنما هي في أمور الدنيا. ولا خلاف على ذلك بأن الآية محكمة). وما ذكره آخراً عن ابن عباس سيأتي قريباً تخريجه.

وقالوا: واللَّاتِ والعُزَّى ما أمرُنا وأمرُ محمَّدٍ عند الله إلا واحدٌ، وما له علينا مِن مزيَّةٍ وفضلٍ، فأنزلَ الله تعالى: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾[(١)].

وقال قتادة: قد بيَّنَ له ما يُفْعَلُ به بقوله: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾[(٢)].

وقال السُّدِّي: لَمَّا نزلَتْ هذه الآيةُ اغتَمَّ لها رسولُ اللهِ ﷺ والمؤمنون، فلما نزلَتْ: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾، قالت الصحابة: طوبى لكَ[(٣)] يا رسولَ اللهِ، فقد بيَّنَ اللهُ ما يَفْعَلُ بكَ، وأمرُنا على خطَرٍ، فأنزلَ اللهُ تعالى ما فرَّحَ به قلوبَهم، فقال: ﴿لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ﴾ الآية[(٤)].

وقال الضحاك: ﴿وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ﴾: ما تُؤمَرون به، وما تُنْهَون عنه[(٥)].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: إنَّ رسولَ الله ﷺ حين اشتدَّ البلاءُ بأصحابه مِن المشركين رأى رؤيا، فأخبرَ بها أصحابَه، فقال: «رأيتُ أرْضاً أَخْرُجُ إليها مِن مكَّةَ ذاتَ نَخْلٍ لو كانت بأرض شَنُوءةَ نخيلٌ لقلتُ: إنها هي»، فقالت الصحابة: فمتى يكون ذلك؟ ومتى نخرُجُ مِن هذه الشدة؟ فأنزل الله هذه الآيةَ: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٧)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٢٥٣) عن أنس وقتادة والحسن وعكرمة، ونقله أيضاً ابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ١٠٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما من رواية علي بن أبي طلحة.

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٨٤٤)، والطبري في «تفسيره» (٢١/ ١٢١).

(٣) في (أ): «طوباك».

(٤) لم أقف عليه.

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٨)، والماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٢٧٣).

﴿ٱلرُّسُلِ﴾[1]؛ يعني: أنَّهم تجرَّعوا مِن البلايا والغُصَص ما شاء الله، ﴿وَمَآ أَدۡرِي مَا يُفۡعَلُ بِي وَلَا بِكُمۡۖ﴾: في المستقبل أَتُحقَّقُ رُؤْيايَ أم لا؟

* * *

(١٠) ـ ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كَانَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرۡتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثۡلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كَانَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ﴾: أي: قل لهؤلاء المشركين: أرأيتم إنْ كان هذا القرآنُ الذي جئتُكم به كلاماً لله تعالى جاء مِن عنده.

﴿وَكَفَرۡتُم بِهِۦ﴾: أنتُم، وقلتُم: ليس هو مِن عند الله، وقلتُم: هو سِحْرٌ مُبينٌ.

﴿وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾: أي: نبيٌّ مِن أنبياء بني إسرائيل، وهو موسى عليه السلام.

﴿عَلَىٰ مِثۡلِهِۦ﴾: أي: على مِثْل ما قلتُه لكم: أنه مِن عند الله.

﴿فَـَٔامَنَ﴾: به[2] هذا النبيُّ مع محله.

﴿وَٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ﴾: أنتم، وجوابُه محذوفٌ ها هنا؛ قال الزجاج: هو: أتؤمنون؟[3].

وقيل: أفما تَهلِكون؟!

وقيل: أفلا تكونون ظالمين؟! يدلُّ عليه ما بعده:

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٨)، والماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٢٧٢)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٢٥٣)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٨٠)، والقرطبي في «تفسيره» (١٩/ ١٨٦). وهو من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس.

(٢) في (أ): «بي».

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٤٤٠). ووقع في (ف): «هلا تأمنون» بدل: «هو أتؤمنون».

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: أي: ما داموا على ظُلْمهم.

والحَمْلُ على موسى عليه السلام عن مسروق والشَّعبي، وقالا: السورةُ مَكِّيَّةٌ[١].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وقتادة والحسن والضحاك وعوف بن مالك الأَشْجَعِيُّ وابن زيد وعامَّةُ المفسرين: هو عبد الله بن سَلَامٍ[٢].

وقال الضحاك في رواية: نزولُها في ابن يامين؛ شهِدَ على مِثْلِ شهادةِ عبد الله بن سلَام، وشهِدَ ابنُ سلام على مِثْل شهادةِ ابن يامين[٣].

وقال السُّدِّي: كان عبد الله بن سلَام غائباً بالشام، فقدِمَ مِن غَيْبَتِه ليلاً، فأتى

---

(١) رواه عنهما الطبري في «تفسيره» (٢١/ ١٢٥ ـ ١٢٦)، والسمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٢٨٦).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ١٢٧) عن سعد بن أبي وقاص، وعبد الله بن سلام، وابن عباس، ومجاهد، وقتادة، والضحاك، والحسن، وابن زيد، وعوف بن مالك.

ورواية ابن عباس رضي الله عنهما عزاها السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٤٣٨) إلى الطبري وابن أبي حاتم وابن مردويه.

ورواه عن مجاهد أيضاً ابنُ سعد في «الطبقات الكبرى» (٢/ ٣٥٣).

ورواه عن قتادة أيضاً عبدُ الرزاق في «تفسيره» (٢٨٤٣).

ورواه عن الحسن أيضاً الحارثُ بن أبي أسامة في «مسنده» (١٠٢٧).

ورواه عن الضحاك أيضاً ابنُ شبة في «تاريخ المدينة» (٤/ ١١٨٢)، والحاكم في «المستدرك» (٥٧٥٤).

ورواه عن سعد بن أبي وقاص أيضاً البخاريُّ (٣٨١٢)، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٣٣١)، وغيرهما.

(٣) ذكره الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (٩/ ٢٤٣)، والثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٠)، والسمعاني في «تفسيره» (٥/ ١٥٢) من غير نسبة، والماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٢٧٣) عن السدي، وهو قول مقاتل في «تفسيره» (٤/ ١٨).

النبيَّ عليه السلام، وتأمَّلَه وتحقَّقَ(١) عنده أنه نبيٌّ، ثم قال له: إذا كان الغدُ فأَخْبِئْني في بيتٍ، وادعُ رؤساءَ اليهودِ وسَلْهم عني، فإنهم يُثْنُون عليَّ ويُحْسِنون فيَّ القولَ، ثم قل لهم: إنْ آمنَ بي عبدُ الله أتؤمنون بي؟ فإنهم يقولون: إنْ أمَرَنا عبدُ الله بالخروج عن أهالينا وأولادِنا خرَجْنا، ثم أَخْرُجُ أنا فأشهَدُ بشاهدة الحق، لعلَّ اللهَ يرزقُهم الإيمانَ، فلما كان مِن الغد اختبأَ في بيتٍ، ودعاهم رسولُ الله ﷺ، وسألَهم عنه فأحسنوا فيه القولَ، ثم خرَجَ عبدُ الله، وشهِدَ بشهادة الحق، وقال لهم: يا مَعْشَرَ اليهودِ، أتعلمون(٢) أنَّ موسى عليه السلام بشَّرَنا بهذا الرسول، وقال لآبائنا: إنْ أدركتُموه فاقرؤوا عليه سلامي، وقولوا له: طُوبى لكَ(٣)، وطُوبى لأُمَّتكَ؟ فتحيَّرَتِ اليهودُ، وقالت لعبد الله: كنا نَعُدُّكَ لمِثْل هذا اليوم لِتَنْصُرَنا وتنصُرَ دينَ الله، فإذا نحن بكَ وقد صَبَأْتَ، وما نرى ذلك إلا لخَرَفِكَ وهرَمِكَ(٤).

وعلى القول الأول معناه: أنَّ المشركين كانوا يرجعون إلى علماء بني إسرائيل في كثير مِن الأمور، ويعتمدون على قولهم، ولو سألوهم أخبروهم أنَّ في كتابهم ذلك، وأنَّ موسى شهِدَ بذلك، وأخبَرَ به قومَه(٥).

* * *

(١١) ـ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ ۚ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾.

---

(١) في (ر): «فنظر إلى وجهه وتحقق» بدل: «وتأمله وتحقق».

(٢) في (ف): «ألم تعلموا».

(٣) في (ف): «طوباك».

(٤) لم أقف عليه هكذا، لكن أصل القصة رواها البخاري (٣٣٢٩) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٥) في (ر): «قومه بذلك» بدل من «به قومه».

وقولُه تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾: أي: المشركون ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ﴾؛ أي: لو كان هذا الكتابُ خيراً مما نحن فيه مِن التَّدَيُّنِ بعبادة الأوثان(١) ما سبَقَنا إليه هؤلاء؛ إذ هُم سفلَتُنا.

﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُواْ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾: أي: وإذ لم يتدبَّرِ الرُّؤَساءُ هذا القرآنَ استثقالاً منهم للنَّظَر، واستكباراً عن الانقياد للمَرْؤُوسين عندهم، كابَروا فقالوا: ﴿هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾؛ أي: كذِبٌ مُتقادِمٌ، وهو كقولهم: أساطيرُ الأولين.

* * *

(١٢) ـ ﴿وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ﴾.

﴿وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ﴾: أي: قَبْلَ القرآنِ كتابُ موسى، وهو التوراةُ، وهو مُصَدِّقٌ له، ومُبَشِّرٌ به وبمحمد الذي يجيءُ به، فكيف يكون إِفْكاً؟!

﴿إِمَامًا﴾: أي: قُدْوةً، نُصِبَ لأنه نكرةٌ نُعِتَ به معرفةٌ، فكان قَطْعاً.

﴿وَرَحْمَةً﴾: لِمَن اتَّبعه واهتدى به.

﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ﴾: أي: القرآنُ مُصَدِّقٌ لكتاب موسى.

﴿لِّسَانًا عَرَبِيًّا﴾: أي: هو بلسانٍ عربيٍّ لا يُشْكِلُ على هؤلاء.

﴿لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾: قرأ ابنُ كثير في روايةٍ: ﴿لِتُنْذِرَ﴾ بتاء المخاطبة للنبيِّ عليه السلام، وقرأ الباقون بياء المُغايبة؛ أي: القرآنُ(٢).

---

(١) في (ف): «الأصنام».

(٢) قرأ نافع وابن عامر والبزي عن ابن كثير بخلف عنه بالتاء، والباقون بالياء. انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٩٦)، و«التيسير» للداني (ص: ١٩٨).

﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾؛ أي: أشركوا وعصوا.

﴿وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ﴾: المؤمنين المُطيعين.

ويجوز في ﴿وَبُشْرَىٰ﴾ الرَّفعُ عَطْفاً على ﴿مُّصَدِّقٌ﴾، ويجوز النَّصْبُ عَطفاً على ﴿لِّيُنذِرَ﴾، وتقديرُه: إنذاراً وتبشيراً، وهو كقولك: جئتُكَ لِأزوركَ وكرامةً لكَ.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: يعني: ناساً مِن مكة قالوا: نحن أعزُّ وأكرمُ مِن غيرنا، ولو كان ما جاء به محمد خيراً ما سبَقَنا إليه خَبَّابٌ وصُهَيبٌ وبلالٌ، وعدُّوا جماعةً مِن الفقراء[1].

وروى الكلبيُّ عن أبي صالحٍ عن ابن عباس: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا﴾: يعني: أسداً وغَطَفانَ وحَنْظَلَةَ، ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾: يعني: جُهَيْنَةَ ومُزَيْنَةَ، ﴿لَوْ كَانَ﴾ ما جاء به محمد ﴿خَيْرًا﴾ ما سبَقَنا إليه رعاءُ الغنمِ ورُذَالُ الناسِ[2]، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِۦ﴾ كما اهتدَتْ به جُهَيْنَةُ ومُزَيْنَةُ، ﴿فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾: أي: كذبٌ قدِمَ العهدُ به وبمِثْله في سالِف الدُّهور.

***

(١٣ ـ ١٥) ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُولَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا

---

(١) روى نحوه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ١٣٢)، وذكره السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٢٨٧) عن قتادة، وابن كثير في «تفسيره» (٧/ ٢٧٨) من غير نسبة.

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٠)، والماوردي في «تفسيره» (٥/ ٢٧٤)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٢٥٦) عن الكلبي.

وذكره الفراء في «معاني القرآن» (٣/ ٥١)، والزجاج في «معاني القرآن» (٤/ ٤٤٠)، والزمخشري في «الكشاف» (٤/ ٣٠٠) من غير نسبة. وجاء في (أ): «ورذالة الناس».

حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ ﴾: فسَّرْناه في ﴿حمٓ﴾ السجدة.

﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾: وهم خِلافُ الطَّبَقةِ الأولى.

وقولُه تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ﴾(١): قرأ عاصمٌ وحمزةُ والكسائيُّ: ﴿إِحْسَٰنًا ﴾، وقرأ الباقون: ﴿حُسْناً﴾(٢).

عرَّفَ اللهُ تعالى بهذه الآية والتي بعدها اختلافَ أحوالِ الناس في التَّمرُّدِ والعُتُوِّ والإصرارِ على الشرك، وفي الإِصْغاء إلى النَّصيحةِ، وقبولِ الدَّعوةِ إلى الإيمان مِن الأبوين، فإذا(٣) كان كذلك في الوالدين والولدِ لم يَبْعُدْ في النبي عليه السلام وقومِه.

يقول: أمَرْنا الإنسانَ في حقِّ والديه بالإحسان، ثمَّ بيَّنَ السَّببَ فقال:

﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ﴾: قرأ ابنُ كثيرٍ ونافعٌ وأبو عمرو بفتح الكاف، والباقون بالضم(٤)، وكلاهما لغةٌ، ومعناهما: المَشَقَّةُ.

﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ﴾: أي: مُدَّةُ حَمْلِه ومُدَّةُ فِطامِه ثلاثون شهراً، وقد قال في آيةٍ أخرى: ﴿وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ ﴾، فبقِيَ للحَمْلِ ستةُ أشهرٍ، وهي أدنى مُدَّةٍ يُتَصَوَّرُ فيها وَضْعُ الولدِ.

---

(١) في (ر) و(ف): «حسناً»، وهما قراءاتان متواترتان.

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٣١)، و«التيسير» للداني (ص: ١٩٩).

(٣) في (ف): «وإن».

(٤) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٩٦)، و«التيسير» للداني (ص: ١٩٩).

هذا بيانُ مَشَقَّةِ الأمِّ، والأبُ يلحقُه مَشَقَّةُ النَّفَقَةِ والقيامِ بأسبابِها التي بها يُمْكِنُها ذلك، ومعاونتِها[1] على التربية.

ورُوِيَ أنَّ امرأةً ولَدَتْ لستةِ أشهرٍ، فرُفِعَ ذلك لعُمرَ رضي الله عنه، فهَمَّ برَجْمِها، فبلَغَ ذلك عليًّا رضي الله عنه فقال: لا رَجْمَ عليها، فبلَغَ عمرُ رضي الله عنه قولَ عليٍّ، فأرسلَ إليه فسألَه عن ذلك، فقال: قال الله تعالى: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ [البقرة: ٢٣٣]، وقال: ﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾، فستةُ أشهرٍ وحَوْلان ثلاثون شهراً، قال: فخلَّى سبيلَها[2].

ورُوِيَ أنَّ رجلاً تزوَّجَ امرأةً، فولَدَتْ لستةِ أشهرٍ، فجيءَ بها إلى عثمان رضي الله عنه، فتشاوَرَ في رَجْمِها، فقال ابن عباس: إنْ خاصَمْتُكم بكتاب الله تعالى خصَمْتُكم، قالوا: كيف؟ قال: إنَّ اللهَ تعالى قال: ﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾، وقال: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾، فحَمْلُها ستةُ أشهرٍ وفصالُه حولان، فتركَها[3].

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ﴾: أي: حتى إذا بلغَ الولدُ ﴿أَشُدَّهُۥ﴾: كمالَ قُوَّتِه، وهو حالُ البُلوغِ.

---

(١) «ومعاونتها» معطوف على «النفقة»؛ أي: (ومشقة النفقة ومشقة معاونتها...).

(٢) رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (١٣٤٤٤)، والبيهقي في «الكبرى» (١٥٥٤٩)، وفي «معرفة السنن والآثار» (١٥٣٥٤)، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم» (١٧٤٦).

(٣) رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (١٣٤٤٩)، وسعيد بن منصور في «سننه» (٢٠٧٥)، وابن شبة في «تاريخ المدينة» (٣/ ٩٧٧ ـ ٩٧٨)، وابن منده في «التوحيد» (١٠١).

قال ابن عبد البر في «الاستذكار» (٧/ ٤٩١) بعد أن ذكر روايات القصة: لا أعلم خلافاً بين أهل العلم فيما قاله علي وابن عباس في أقل الحمل، وهو أصل وإجماع.

وقال الحسن: أي: قِيامَ الحُجَّةِ عليه[١].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: أي: ثلاثاً وثلاثين سنةً[٢].

﴿وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾: يقولُ: اختلَفَتْ أحوالُ الأولادِ، فمنهم مَن أسلَمَ أبواه ودعواه إلى الإسلام فأسلَمَ، وكان يبرُّهما إلى أنْ ﴿بَلَغَ أَشُدَّهُۥ﴾ شبابَه ﴿وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾: كُهولَتَه.

﴿قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ﴾: أي: أَلْهِمْني ﴿أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ﴾: وهي الإسلامُ.

﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ﴾: أي: وأَلْهِمْني أنْ أعملَ أيضاً في المستأنَفِ مِن الأعمال الصالحة[٣] ما ترضى به.

﴿وَأَصْلِحْ لِى﴾: أي: أُموري ﴿فِى ذُرِّيَّتِىٓ﴾؛ أي: أولادي حتى يَنْشَؤوا في الصَّلاح.

﴿إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ﴾: مِن كل ذنبٍ أذنَبْتُه.

﴿وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾: المُنْقادين لِدينِكَ وأمرِكَ ونهيِكَ.

* * *

(١٦) ـ ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ﴾.

---

(١) ذكره عنه الجصاص في «أحكام القرآن» (٣/ ٥١٧)، وابن فورك في «تفسيره» (١/ ٣٣٥).

(٢) رواه عنه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ١٣٩)، وابن منده في «التوحيد» (١٠٢).
وذكره السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٦٠١)، والثعلبي في «تفسيره» (٧/ ٢٣٩)، والبغوي في «تفسيره» (٦/ ١٩٦).

(٣) في (أ): «المستأنفة».

وقولـه تعالـى: ﴿أولئـك الذيـن يُتَقبَّـلُ عنهـم أَحْسـنُ ما عَمِلـوا ويُتَجـاوَزُ عن سَيِّئاتهم﴾:

قرأ حمزةُ والكسائيُّ وعاصمٌ في رواية حفص بالنون فيهما، والباقون بالياء على ما لم يُسَمَّ فاعلُه[1]، و﴿أحسنُ﴾ رُفِعَ لأنه اسمُ ما لم يُسَمَّ فاعلُه؛ أي: يُتَقَبَّلُ عن هؤلاء الأولادِ البرَرَةِ حسناتُهم، ويُتجاوَزُ عن سيئاتهم.

﴿فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَنَّةِ﴾: أي: كما هو حُكْمُنا في أصحاب الجنة.

﴿وَعۡدَ ٱلصِّدۡقِ﴾: أي: وعَدْناهم بذلك وَعْداً صِدْقاً، وهو إضافةُ الشيءِ إلى نَعْتِه.

﴿ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ﴾: ودلَّتْ صيغةُ الجَمْعِ في آخره أنَّ الآيةَ في كل الأولادِ البرَرَةِ.

* * *

(١٧) - ﴿وَٱلَّذِي قَالَ لِوَٰلِدَيۡهِ أُفّٖ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِيٓ أَنۡ أُخۡرَجَ وَقَدۡ خَلَتِ ٱلۡقُرُونُ مِن قَبۡلِي وَهُمَا يَسۡتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيۡلَكَ ءَامِنۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾.

﴿وَٱلَّذِي قَالَ لِوَٰلِدَيۡهِ أُفّٖ لَّكُمَآ﴾: وهذا في حقِّ الأولادِ العاقِّين الأشرارِ.

﴿أُفّٖ لَّكُمَآ﴾: أي: قَذَراً لكما.

﴿أَتَعِدَانِنِيٓ أَنۡ أُخۡرَجَ﴾: أي: مِن قبري بعد أنْ صِرْتُ رَميماً، وتَدْعُوانِني إلى الإيمان به.

﴿وَقَدۡ خَلَتِ ٱلۡقُرُونُ مِن قَبۡلِي﴾: أي: تَفانَوا، فلم يَرْجِعْ أحدٌ منهم إلى الدنيا.

﴿وَهُمَا يَسۡتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيۡلَكَ ءَامِنۡ﴾: أي: والوالدان يسألان اللهَ لهذا الولدِ السَّوءِ الهُدى، ويقولان لهذا الولد: ﴿وَيۡلَكَ ءَامِنۡ﴾: أي: صَدِّقْ بالبعثِ ﴿إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ﴾؛ أي: إنَّ وَعْدَ اللهِ بالإحياء صِدْقٌ.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٥٩٧)، و«التيسير» للداني (ص: ١٩٩).

﴿فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾: أي: أباطيلُ كتبَها الأوَّلون.

* * *

(١٨ ـ ١٩) ـ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ خَٰسِرِينَ ١٨ وَلِكُلّٖ دَرَجَٰتٞ مِّمَّا عَمِلُواْۖ وَلِيُوَفِّيَهُمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ﴾: أي: هؤلاء الأولادِ الأشرارِ الذين وجَبَ عليهم ﴿ٱلۡقَوۡلُ﴾؛ أي: الوعيدُ ﴿فِيٓ أُمَمٖ﴾؛ أي: مع أُمَمٍ.

﴿خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ خَٰسِرِينَ﴾: أي: هالِكين.

وقيل: مَغْبُونين بفَوْتِ الثواب، وحُلولِ العقاب.

وقولُه تعالى: ﴿وَلِكُلّٖ﴾: أي: ولِكُلٍّ مِن الأبرارِ والفُجَّارِ.

﴿دَرَجَٰتٞ مِّمَّا عَمِلُواْ﴾: مراتبُ[1] في الطاعة والمعصية، والثواب والعقاب.

﴿وَلِيُوَفِّيَهُمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾: فيه مُضمَرٌ؛ أي: ففعَلْنا ذلك لِنُوفِّيَهم جزاءَ أعمالِهم.

﴿وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾: بالعُقوبة مِن غير ذنبٍ، ولا نُقصانِ أجرٍ على طاعة.

وقال السُّدِّي والضحاك: ﴿وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ﴾: نزلَتْ في سعد بن أبي وقَّاص[2]، وقد بيَّنَّا القِصَّةَ في سورة العنكبوت وفي سورة لقمان[3].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما ومقاتلٌ: هو أبو بكر الصديق رضي الله عنهم[4].

---

(١) في (ف): «مراتب مما عملوا».

(٢) ذكره عنهما الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٢).

(٣) انظر ما تقدم عند تفسير الآية (٨) من سورة العنكبوت، والآية (١٤) من سورة لقمان.

(٤) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٠/ ٣٣٨) من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس. وقاله مقاتل في «تفسيره» (٤/ ٢٠). والكلبي ومقاتل متروكان.

وقال محمد بن إسحاق: هو أبو بكر بنُ أبي قُحافةَ، واسمُ أبي قحافة عثمانُ بنُ عمرو، واسمُ أمِّ أبي بكر أمُّ الخير بنتُ صَخْرِ بنِ عمرو بنِ عامر مِن بني تميم[١] بنِ مُرَّة، حمَلَتْه في البطن تسعةَ أشهرٍ، وفصَلَتْه مِن اللَّبَن لأحدٍ وعشرين شهراً، فذلك ثلاثون شهراً، فلما بلَغَ أبو بكر أربعين سنة صدَّقَ النبيَّ ﷺ وقال لربه: ﴿إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾[٢].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ﴾: هو عبد الرحمن بن أبي بكر، دعاه أبواه إلى الإسلام، فقال لهما: ﴿أُفٍّ لَكُمَا أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي﴾ مثلُ عامر بن كعب، وعبد الله بن جُدْعان، ولا أرى أحداً منهم حتى أسألَهم عن صِدْقِ ما تقولون[٣].

وقال مجاهد: هو عبد الله بن أبي بكر[٤]، قال له أبواه: أَسْلِم، فقال: أحيُوا لي مشايخَ قُرَيشٍ حتى أسألَهم عما تقولون.

---

(١) في (ف): «تيم».

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» (٩/ ١٢).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٣)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٢٥٨)، دون نسبة، وهو قول مقاتل كما في «تفسيره» (٤/ ٢١).

وهذا القول مردود لا يصح عن ابن عباس، فإن عبد الرحمن بن أبي بكر قد أسلم وكان من أجلاء الصحابة، وإنما ينزل مثل هذا فيمن مات على كفره كأبي لهب والوليد بن المغيرة، وقد أنكرت عائشة رضي الله عنها هذا القول، وقالت: ما أنزل الله فينا شيئاً من القرآن إلا أن الله أنزل عذري. رواه البخاري (٤٨٢٧).

وقال الحافظ ابن كثير في «تفسيره» عند هذه الآية: ومن زعم أنها نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر ـ رضي الله عنهما ـ فقوله ضعيف؛ لأن عبد الرحمن بن أبي بكر ـ رضي الله عنهما ـ أسلم بعد ذلك وحسن إسلامه وكان من خيار أهل زمانه.

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٣)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٢٤٨) عن ابن عباس والسدي ومجاهد وأبي العالية.

وقال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾: أي: هؤلاء الذين أشارَ عليهم عبدُ الرحمن وقال: أَحْيُوهم لي، منهم عامرُ بن كعبٍ وعبد الله ابن جُدْعانَ وذووهما الذين حقَّ عليهم القولُ، فأما عبد الرحمن بن أبي بكر فقد أجابَ اللهُ فيه دُعاءَ أبيه في قوله: ﴿وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي﴾، فأسلَمَ وحسُنَ إسلامُه[1].

وقال محمد بن زياد: كتبَ معاوية رضي الله عنه إلى مروانَ حتى يأخُذَ البيعةَ مِن الناس لِيَزيدَ، فقال عبد الرحمن بن أبي بكر: لقد جئتُم بها هِرَقْلِيَّةً، أتُبايعون لأبنائكم؟ فقال مروان: هذا[2] الذي يقول اللهُ فيه: ﴿وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا﴾، فسمِعَتْ بذلك عائشةُ رضي الله عنها، فغضِبَتْ وقالتْ: واللهِ ما هو به، ولو شئتَ لسَمَّيْتُه، ولكنَّ اللهَ لعَنَ أباكَ وأنتَ في صُلْبِه، وأنتَ فَضَضٌ مِن لَعْنَةِ اللهِ[3]؛ أي: قِطْعةٌ.

* * *

(٢٠) ـ ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ﴾.

﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ﴾: أي: يُحْضَرون قَبْل أنْ يُلْقَوا فيها، فيُقالُ لهم:

﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ﴾: أَمْضَيْتُم شهواتِكم، واستوْفَيْتُم نَهماتِكم.

﴿فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا﴾: أي: القُرْبى.

﴿وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا﴾: أي: الملاذِّ.

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٣).

(٢) في (أ): «هو».

(٣) رواه النسائي (١١٤٢٧)، والبزار في «مسنده» (٢٢٧٣)، والحاكم في «المستدرك» (٨٤٨٣)، وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

قال الذهبي في «التلخيص» (١١١٥): فيه انقطاع، محمد لم يسمع من عائشة رضي الله عنه.

﴿فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ﴾: أي: الذُّلِّ ﴿بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: تتعظَّمون عن قَبول الحق، والانقياد لِمَن نهاكم عن ذلك.

﴿بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾: مِن غير أنْ يكون لكم استحقاقُ ذلك.

﴿وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ﴾: تُجاهِرون بالمعاصي.

* * *

(٢١) - ﴿۞ وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ﴾: يا محمد ﴿أَخَا عَادٍ﴾: أي: هوداً نَسيبَ عادٍ؛ أي: واذكرْ لقومكَ هذه القصةَ؛ لِيَعْتَبِروا ويخافوا مثلَ حالِهم.

وقيل: أي: واذكرْ في نفْسِكَ؛ لِتَتَسلَّى بما ينالُكَ مِن أذى قومِكَ.

﴿إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ﴾: أي: بهذه المواضع، كانوا يسكنون الأَحْقافَ.

قال محمد بن إسحاق: هي رِمالٌ فيما بين عُمَانَ إلى حَضْرَمَوْتَ(١).

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: وادٍ بين عُمَانَ ومَهَرَةَ(٢).

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ١٥١)، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٢٨٢)، والسمعاني في «تفسيره» (٥/ ١٥٨).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ١٥١)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٦)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٢٦٢).

والمهَرة: بلاد تنسب إليها الإبل، بينها وبين عمان نحو شهر، وكذلك بينها وبين حضرموت. انظر: «معجم البلدان» (٥/ ٢٣٤).

وقال قتادة: هي رمالٌ مُشْرِفةٌ على البحر بالشِّحْر(١) مِن اليمن(٢).

وقال الضحاك: هي جبل بالشام(٣).

وقال الحسن: أرضٌ خلالها رمالٌ(٤).

وقال ابن زيد: الحِقْفُ: الرَّمْلُ كهيئة الجبل(٥).

وقيل: الحِقْفُ: الرَّمْلُ المستطيلُ العظيمُ لا يبلُغُ أنْ يكون جبلاً.

﴿وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ﴾: وهذا كلامٌ مُعْتَرِضٌ؛ أي: كما جاء هودٌ عاداً نذيراً مضَتِ الرسُلُ نُذُراً لقومهم قَبْلَ هودٍ ومِن بعده.

وقيل: فيه إضمارٌ: وقد خلَتِ النُّذُرُ مِن بين يديه، وأنتَ مِن خَلْفهم.

﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ﴾: أي: خاطبَهم هودٌ بهذا: أنْ لا تعبُدوا إلا اللهَ وحدَه ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾: إنْ أصرَرْتُم على شرككم.

---

(١) في (أ): «بالسحر». وفي (ف): «بالشجر»، وهي كذلك في المطبوع من «مصنف عبد الرزاق».
والشِّحْر: هي منطقة على ساحل بحر الهند من ناحية اليمن ما بين عدن وعمان. انظر: «معجم البلدان» (٣/ ٣٢٧).

(٢) رواه عنه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٨٥٥)، والطبري في «تفسيره» (٢١/ ١٥٢)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٦)، وابن عطية في «المحرر الوجيز» (٥/ ١٠١).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ١٥١) عن ابن عباس رضي الله عنهما والضحاك، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٦)، والماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٢٨٢) عن الضحاك.

(٤) لم أقف عليه عن الحسن، ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٨٥٤) عن الكلبي، والطبري في «تفسيره» (٢١/ ١٥٢) عن مجاهد.

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ١٥٣)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٦)، والماوردي في «تفسيره» (٥/ ٢٨٢)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٢٦٢).

(٢٢ ـ ٢٣) ـ ﴿ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَأۡفِكَنَا عَنۡ ءَالِهَتِنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٢﴾ قَالَ إِنَّمَا ٱلۡعِلۡمُ عِندَ ٱللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرۡسِلۡتُ بِهِۦ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ ﴾.

قولُه تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَأۡفِكَنَا عَنۡ ءَالِهَتِنَا ﴾: أي: لِتَصْرِفَنا عن عبادتها؛ أي: فهذا لا نُجِيبُكَ إليه، ولا نخافُ ما تُنْذِرُنا به.

﴿فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ ﴾: مِن العذاب ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾: في إنذارِكَ.

﴿ قَالَ إِنَّمَا ٱلۡعِلۡمُ عِندَ ٱللَّهِ ﴾: أي: العِلْمُ بوقتِ نزولِ العذاب عند الله.

﴿وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرۡسِلۡتُ بِهِۦ ﴾: وإنما أنا مُبَلِّغٌ، وقد بلَّغْتُ.

﴿وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ ﴾: أي: في ظَنِّكم أنكم تَنْجُون مع[1] تكذيبِكم إيَّايَ.

* * *

(٢٤ ـ ٢٥) ـ ﴿فَلَمَّا رَأَوۡهُ عَارِضٗا مُّسۡتَقۡبِلَ أَوۡدِيَتِهِمۡ قَالُواْ هَٰذَا عَارِضٞ مُّمۡطِرُنَاۚ بَلۡ هُوَ مَا ٱسۡتَعۡجَلۡتُم بِهِۦۖ رِيحٞ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيۡءِۭ بِأَمۡرِ رَبِّهَا فَأَصۡبَحُواْ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمۡۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴾.

﴿فَلَمَّا رَأَوۡهُ عَارِضٗا ﴾: أي: سحاباً ﴿مُّسۡتَقۡبِلَ أَوۡدِيَتِهِمۡ ﴾ وكان المطرُ احتبَسَ عنهم، وبَعَثوا قوماً إلى الكعبة للاستسقاء، وقد مرَّتْ قصَّتُه في سورة الأعراف، فلما رأوا هذا العارض:

﴿قَالُواْ هَٰذَا عَارِضٞ مُّمۡطِرُنَا﴾: أي: سحابٌ يأتينا بالمطر، فأظهَروا بذلك فرَحاً، فقال لهم هودٌ:

﴿بَلۡ هُوَ مَا ٱسۡتَعۡجَلۡتُم بِهِۦ﴾: مِن العذاب الذي أَنْذَرْتُكُموه.

---

(١) في (ر) و(ف): «من».

﴿رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٢٤ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾: أي: تُهْلِكُ وتستأصِلُ لِشِدَّة عُصوفِها.

وقيل: هو رَمْيُ شيءٍ على شيء وإهلاكُه به.

وقوله: ﴿كُلَّ شَيْءٍ﴾: للتَّفْخيم، لا على حقيقة التَّعميم.

وقيل: ﴿كُلَّ شَيْءٍ﴾ أُمِرَتْ بتدميره.

﴿فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ﴾: وفيه مُضْمَرٌ: فجاءَتْهم الرِّيحُ فدمَّرَتْهم، فلم يَبْقَ منهم أحدٌ، وصاروا تحت الرِّمال، ﴿فَأَصْبَحُوا﴾؛ أي: صاروا، ﴿لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ﴾ لأنها كانت قائمةً.

﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾: أي: كلَّ مَن أجرَمَ مِثْلَ جُرْمِهم، وهو تخويفٌ لأهل مكَّةَ.

* * *

(٢٦) ـ ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِن مَّكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُم مِّن شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ﴾: أي: أعطَيْناهم مِن المَكِنَة[1] والمكانة.

﴿فِيمَا إِن مَّكَّنَّاكُمْ فِيهِ﴾: ﴿إِن﴾: للنَّفْي؛ أي: فيما لم نُمَكِّنْكُمْ في مِثْلِه، ثم هُم لم يُمْكِنْهُمُ التَّحرُّزُ عنه، فكيف أنتم؟!

﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً﴾: أي: آلاتٍ وحواسَّ يُمكِنُهم التَّدبُّرُ بها ليعلموا بُطْلانَ الشرك.

---

(١) المَكِنَة: التمكن، تقول العرب: إن بني فلان لذو مَكِنَة من السلطان؛ أي: ذو تمكن. انظر: «تهذيب اللغة» (١٠/ ١٦٢).

﴿فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُمۡ سَمۡعُهُمۡ وَلَآ أَبۡصَٰرُهُمۡ وَلَآ أَفۡـِٔدَتُهُم مِّن شَيۡءٍ﴾: أي: ما نفعَهم شيءٌ مِن ذلك، ولا رفَعَ عنهم العذابَ.

﴿إِذۡ كَانُواْ يَجۡحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم﴾: نزَلَ بهم وأحاطَ بهم.

﴿مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾: مِن العذاب، فيقولون: ائتِنا بما تَعِدُنا.

* * *

(٢٧ ـ ٢٨) ـ ﴿وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَا مَا حَوۡلَكُم مِّنَ ٱلۡقُرَىٰ وَصَرَّفۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿٢٧﴾ فَلَوۡلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرۡبَانًا ءَالِهَةَۢۖ بَلۡ ضَلُّواْ عَنۡهُمۡۚ وَذَٰلِكَ إِفۡكُهُمۡ وَمَا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَا مَا حَوۡلَكُم﴾: خِطابٌ للمسلمين.

﴿مِّنَ ٱلۡقُرَىٰ﴾: كحِجْرِ ثمودَ وقُريَّاتِ لوطٍ، وهي بجوار بلاد الحجاز.

﴿وَصَرَّفۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ﴾: بتكرير ذِكْرِها ﴿لَعَلَّهُمۡ﴾؛ أي: لعلَّ المشركين ﴿يَرۡجِعُونَ﴾ عن شركهم.

﴿فَلَوۡلَا نَصَرَهُمُ﴾: أي: فهلَّا مَنَعَ العذابَ عن هؤلاء الذين أهلَكْناهم.

﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾: أي: الأصنامُ التي اتَّخذوها مِن دون الله ﴿قُرۡبَانًا﴾ يَتقَرَّبون بها، ويقولون: إنما نعبُدهم لِيُقرِّبونا إلى الله زُلْفى.

﴿ءَالِهَةَۢ﴾: أي: اتَّخذوها آلهةً لهم يعبُدونها.

﴿بَلۡ ضَلُّواْ عَنۡهُمۡ﴾: أي: هلكوا فلم يجِدوهم عند حاجتِهم إليهم.

﴿وَذَٰلِكَ إِفۡكُهُمۡ﴾: أي: وذلك جزاءُ إِفْكِهم؛ أي: كَذِبهم في أنها آلهةٌ.

﴿وَمَا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ﴾: أي: افتراؤُهم.

* * *

(٢٩) ـ ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾: عَطْفٌ على قوله: ﴿وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ﴾، وهو في تَوْبيخ المشركين؛ أي: إنَّ الجنَّ استمَعوا فقبِلوا وآمنوا بمَرَّةٍ، وأنتم مُصِرُّون على شرككم على طُول الزمان، وهؤلاء هم المذكورون في سورة الجن.

﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا﴾: يحتَمِلُ أنهم أُلْهِموا المَسِيرَ إلى رسول الله ﷺ، ويحتَمِلُ أنهم أُمِروا بذلك في كُتُبهم، يدلُّ عليه قولُه: ﴿سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ﴾ [الأحقاف: ٣٠].

وقيل: لَمَّا طُرِدوا مِن السماء ورُمُوا بالشُّهُب قالوا: هذا لأمرٍ حادثٍ، فتتبَّعوا ذلك، فأتوا النبيَّ ﷺ.

وقيل: أتَوْه ببطْنِ نَخْلَةٍ(١).

وقيل: بالحَجُون(٢).

وقيل: كانوا سبعةَ نفرٍ مِن جنِّ نَصِيبين(٣).

---

(١) رواه البخاري (٤٩٢١)، ومسلم (٤٤٩)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما وفيه أن الجن أتَوْه ﷺ بنخلة وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر.
النَّخْل: موضع على ليلة من مكة، وهي التي ينسب إليها بطن نخلة، وهما نخلة الشامية، ونخلة اليمانية، كلاهما واديان. انظر: «معجم ما استعجم» للبكري (٤/ ١٣٠٤).

(٢) انظر ما سيأتي عند تفسير سورة الجن. والحَجون: جبل بأعلى مكة بحذاء مسجد البيعة، وفيه مقبرة شهيرة دفن بها كبار الصحابة والتابعين والعلماء. انظر: «معجم البلدان» (٢/ ٢٢٥).

(٣) انظر ما سيأتي عند تفسير سورة الجن. ونَصِيبين: مدينة عامرة من بلاد الجزيرة على جادة القوافل من الموصل إلى الشام، ونصيبين أيضاً مدينة على شاطئ الفرات كبيرة تعرف بنصيبين الروم، وتقع في جنوب تركيا حالياً. انظر: «معجم البلدان» (٥/ ٢٨٨).

وقيل: كانوا سبعين، ووافَقوه في البَطْحَاءِ[١].

وقال السُّدِّي: لَقِيَهم بنَخْلَةٍ وهو مُقْبِلٌ مِن الطائف[٢].

وقال ابن جريج: كانوا تسعةً: حسَا، وبسَا[٣]، وشاصر، وناصر، وأَذَدْ، وأَبْيَن، وأحْقب، وشَبَتْ، وزوبعة[٤].

وقال الزُّبَيرُ بن العَوَّام: أتوه بنَخْلَةَ وهو عليه السلام قائم في صلاة العشاء[٥]، فركِبَ بعضُهم بعضاً مِن شدَّةِ حِرْصِهم على استماع القرآن.

وقال سعيد بن جُبير: لما بُعِثَ النبيُّ ﷺ حُرِسَتِ السماءُ، فقالت الشياطينُ: ما حُرِسَت إلَّا لأمرٍ حدَثَ في الأرض، فبعثَ إبليسُ سراياه في الأرض، فوجدوا النبيَّ عليه السلام بنَخْلَةَ في صلاة الفجر[٦]، وذكَرَ حديثَ عبد الله بن مسعود في كونه مع النبي ﷺ في هذه الليلة[٧].

---

(١) انظر ما سيأتي عند تفسير سورة الجن. والبَطْحاء: أصله المسيل الواسع في دقاق الحصى، ومنه بطحاء مكة، وبطحاء ذي الحليفة. انظر: «معجم البلدان» للحموي (١/ ٤٤٦).

(٢) لم أقف عليه عن السدي.

(٣) في (ف) و(ر): «ونسا».

(٤) رواه ابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» (٧/ ٤٥٣) عن ابن جريج عن مجاهد.
ورواه الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٢٢) عن ابن جريج قال: أخبرني وهب بن سليمان، عن شعيب الجبائي.

(٥) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٣٥٧)، والإمام أحمد في «مسنده» (١٤٣٥)، والفاكهي في «أخبار مكة» (٢٩٠٥). ورواية الصحيحين أنهم أتَوْه ﷺ بنخلة وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر. كما تقدم قريباً.

(٦) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٨٥٧)، والطبري في «تفسيره» (٢١/ ١٦٤).

(٧) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٨٥٨)، والطبري في «تفسيره» (٢١/ ١٦٦) من حديث قتادة. وسيأتي هذا كله في سورة الجن.

وقولُه تعالى: ﴿يَسْتَمِعُونَ الْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا أَنصِتُوا﴾: أي: قال ذلك بعضُهم لبعضٍ احتراماً للقرآن، ووُصولاً إلى البَيان.

﴿فَلَمَّا قُضِىَ﴾: أي: فُرِغَ مِن القراءة ﴿وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ﴾: أي: فَهِموا وحفِظوا ورَجَعوا فأنذروا قومَهم مُخالفةَ القرآنِ.

* * *

(٣٠ ـ ٣١) ـ ﴿قَالُوا يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا دَاعِىَ اللَّهِ وَءَامِنُوا بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾.

﴿قَالُوا يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا﴾: أي: القرآنَ ﴿أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾؛ أي: التوراةِ ﴿يَهْدِىٓ إِلَى الْحَقِّ﴾؛ أي: يُرْشِدُ ﴿وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾: إلى الإسلام.

وقوله تعالى: ﴿يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا دَاعِىَ اللَّهِ﴾: أي: محمداً رسولَ اللهِ ﴿وَءَامِنُوا بِهِۦ﴾: أي: بالله.

﴿يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾: ﴿مِّن﴾: صِلةٌ زائدةٌ ﴿وَيُجِرْكُم﴾: أي: يُؤَمِّنْكُم ﴿مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾: توقَّفَ أبو حنيفةَ رحمه الله في ثواب الجنِّ في الجنة ونعيمِها، وقال: لا استحقاقَ للعبد على الله، وإنما يُنالُ بالوعد، ولا وَعْدَ في حق الجن إلا هذا، وقولُه تعالى: ﴿يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾: فهذا يُقْطَعُ القولُ به، فأما نعيمُ الجنَّةِ فموقوفٌ على قيام الدليل(١).

* * *

(١) انظر: «تفسير الثعلبي» (٩/ ٢٣)، و«تفسير البغوي» (٧/ ٢٧٠)، و«الكشاف» للزمخشري (٤/ ٣١٢).

(٣٢ ـ ٣٣) ـ ﴿وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٣٢) أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ﴾: أي: بفائتٍ أخذَ اللهِ.

﴿وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءُ﴾: يتولَّون معونتَه.

﴿أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾: جُمِعَ لِعُموم كلمة ﴿وَمَن﴾.

وقولُه تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾: يتَّصِلُ بقوله: ﴿أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ﴾ في إلزام حُجَّةِ البعْث.

﴿وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ﴾: وهو كقوله: ﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ [ق: ٣٨]، وقد (عَيِيَ) و(أَعْيى): إذا لغَبَ.

﴿بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ﴾: الباءُ زائدةٌ، وإنما أُدْخِلَتْ لأنَّ معنى قولِه: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾: أوَليسَ، وذاكَ تدخُلُ فيه الباء، وإذا قَدِرَ على الإنشاء قَدِرَ على الإعادة.

وقولُه تعالى: ﴿بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: وفي قراءة عبد الله: (قادر على أنْ يُحْيِيَ الموتى) بغير الباء[1].

وقرأ يعقوب: (يَقْدِرُ) بصيغة[2] الفعل[3].

وقال مقاتل: نزلت في أُبيِّ بن خلَفٍ الجُمَحِيِّ حين أخذَ العَظْمَ ففتَّه[4].

---

(١) انظر: «تفسير الثعلبي» (٩/ ٢٤)، و«تفسير البغوي» (٧/ ٢٧١)، و«الكشاف» للزمخشري (٤/ ٣١٣).

(٢) في (ر) و(ف): «على صيغة».

(٣) انظر: «النشر» لابن الجزري (٢/ ٣٥٥).

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٣٠)، وذكره عنه الواحدي في «البسيط» (٢٠/ ٢٠٢).

(٣٤ ـ ٣٥) ـ ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (٣٤) فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ﴾: يعني: هو قادرٌ يومَ العَرْضِ.

﴿أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ﴾: أي: تقولُ لهم الملائكةُ ذلك.

﴿قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾: أي: بكُفْرِكم في الدنيا.

﴿فَاصْبِرْ﴾: أي: على أذى الكفار وتكذيبِهم.

﴿كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾: قال ابن عباس رضي الله عنهما: أي: أولو الحَزْم.

وقال الضحاك: أي: أولو الجِدِّ والصَّبْر[1].

وقال محمد بن كعب: أولو الرَّأْيِ الصَّوابِ[2].

وقيل: هُم الذين يَمْضُون على ما أُمِروا[3]، لا يمنعُهم عنه مانعٌ مِن مِحْنَةٍ ونحوِها.

ثمَّ مِن المفسِّرين مَن جعل قوله: ﴿مِنَ الرُّسُلِ﴾ للتَّبْعِيض، وخَصَّ أولي العَزْمِ منهم.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: هُم أربعةٌ: نوحٌ، وإبراهيمُ، وموسى، وعيسى صلوات الله عليهم[4].

---

(١) ذكره عن الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٢٤)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٢٧١).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٢٤).

(٣) في (ر) و(ف): «أمر الله» بدل من «ما أمروا».

(٤) رواه ابن أبي حاتم وابن مردويه كما في «الدر المنثور» (٧/ ٤٥٤)، وذكره الماوردي في «النكت =

وقال أبو العالية: هُم ثلاثةٌ: هودٌ، وصالحٌ، وشُعَيبٌ، ورابعُهم محمد(١).

وقال الضحاك والحسن: هُم: نوحٌ، وهودٌ، وإبراهيمُ(٢).

وقال الكلبيُّ: هُم الذين أُمِروا بالقتال(٣)، وهم خمسةٌ: نوحٌ، وإبراهيمُ، وصالحٌ، وهودٌ، وشعيبٌ.

وقال مقاتل: ﴿أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ﴾: إبراهيمُ صبرَ على النار، وإسحاقُ على الذَّبْح، ويعقوبُ صبرَ على فَقْدِ يوسفَ، ويوسفُ صبرَ في السِّجْن والجُبِّ، وأيوبُ صبرَ على الضُّرِّ، ونوحٌ على الأذى(٤).

= والعيون» (٥/ ٢٨٨)، وزاد الواحديُّ في «الوسيط» (٤/ ١١٦)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٢٧٢) نسبته لقتادة.

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٢٦)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٩٢٥٦)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٧٤/ ٨٩).

وذكره السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٢٩٤)، والماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٢٨٨)، وفي جميعها أن الثلاثة هم: إبراهيم وهود ونوح.

(٢) لم أقف عليه عنهما، وهو مروي عن أبي العالية. انظر التعليق السابق.

وذكر الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٢٦)، والواحدي في «البسيط» (٢٠/ ٢٠٤) عن الحسن: هم أربعة: إبراهيم، وموسى، وداود، وعيسى.

وذكر الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٢٨٨)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ١١٤) عنه: كل من لم تصبه فتنة من الأنبياء فهو من أولي العزم.

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٢٨٨) عن السدي والكلبي، وذكره البغوي في «تفسيره» (٧/ ٢٧٢)، والواحدي في «البسيط» (٢٠/ ٢٠٥)، والسمعاني في «تفسيره» (٥/ ١٦٥) عن الكلبي.

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٣١)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٢٥)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ١١٦)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٢٧٢).

وقال الحُسين بن الفَضْل: هُم سبعةَ عشرَ[١]، وهُم المذكورون في سورة الإنعام: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ﴾ [الأنعام: ٨٣] الآيات، فإنه قال في آخرها: ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠]، وقال هنا: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾، والمذكورون في هذه الآيات ثمانيةَ عشرَ، لكنَّ يونسَ خرَجَ مِن بين قومه، فلم يَصْبِر، فلم يكن فيهم.

وقال بعضهم: آدمُ كذلك؛ لأنَّ اللهَ تعالى قال: ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾ [طه: ١١٥].

لكنَّ الصَّحيحَ أنَّ أولي العزم كلُّ الرسل، وقولُه تعالى: ﴿مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾: للتَّجْنيس لا للتَّبْعيض، ومعنى قولِه: ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾: أي: قَصْداً إلى الخِلاف، ويونسُ لم يكن خروجُه تَرْكَ صَبْرٍ، لكنْ تَوَقِّياً عن نزول العذاب.

وقولُه تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾: أي: ولا تدعُ عليهم بتعجيل العذاب.

﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ﴾: أي: فهُم إذا رأوا العذابَ يوم القيامة ظنوا أنهم لم يَلْبثوا في الدنيا أو في قبورهم إلا ساعةً مِن نهارٍ، وأنَّ العذابَ عُجِّلَ لهم قريباً مِن تكذيبهم.

﴿بَلَٰغٌ﴾: أي: هذا بلاغٌ؛ أي: مَبْلَغُ[٢] الكِفايةِ في العِظَة.

﴿فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾: أي: فهل يُهْلَكُ بعد هذا البلاغِ بعذاب الله إلَّا مَن فسَقَ، فأعلَنَ الاستخفافَ بأمر الدِّين، ولم يكن همُّه طلَبَ الحقِّ المبين.

والحمدُ لله ربِّ العالمين

* * *

---

(١) ذكره عنه الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٢٥)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ١١٤)، وفيهما أن عددهم ثمانية عشر.

(٢) في (ر) و(ف): «تبليغ».

سُورَةُ مُحَمَّدٍ

سُورَةُ مُحَمَّدٍ[1]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

باسمِ اللهِ الذي أذلَّ الكفارَ وأضلَّ أعمالَهم، الرَّحمنِ الذي هدى المؤمنين وأصلَحَ بالَهم، الرَّحيمِ الذي يُدْخِلُهم الجنةَ عرَّفَها لهم.

وروى أبيٌّ بن كعب رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «مَن قرأ سورة محمد كان حقًّا على الله تعالى أنْ يَسْقِيَه مِن أنهار الجنة»[2].

وهذه السُّورةُ مكِّيَّةٌ، ويُقال: مدنيَّةٌ، وهو الصَّحيحُ.

وهي ثمانٍ وثلاثون آيةً. وقيل: تسعٌ. وقيل: أربعون، الاختلافُ في قوله: ﴿حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾، وقوله: ﴿لَذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ﴾.

وهي خمسُ مئةٍ وتسعٌ وثلاثون كلمةً، وألفان وثلاثُ مئةٍ وستةٌ وثمانون حرفاً.

وانتظامُ أوَّلِ هذه السورة بآخر تلك السورة: أنَّ خَتْمَ تلك بالفاسقين، وافتتاحَ هذه السورةِ بالكافرين، وذلك فِسْقُ كُفْرٍ[3].

---

(١) في (أ): «القتال».

(٢) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٢٨)، والمستغفري في «فضائل القرآن» (١٢١٤)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ١١٨)، وهو قطعة من الحديث الموضوع المروي عن أبي بن كعب رضي الله عنه. انظر: «الفتح السماوي» للمناوي (٣/ ٩٩٣).

(٣) في (ر): «فسق وكفر».

وانتظامُ السورتين: أنَّهما في التَّمييزِ بين الأولياء والأعداء، والترغيب والترهيب بالجزاء، وفي هذه السورة خُصوصُ الأمرِ بالجهاد، والإنفاقِ في سبيل الله.

* * *

(١) ـ ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾.

قولُه تعالى: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾: أي: الذين كفروا بالله، ومنَعوا غيرَهم عن سلوك سبيل رضا الله تعالى ـ وهو الإسلامُ ـ ، جعلَ اللهُ تعالى فِعْلَهم ضلالاً عن الرُّشْد.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: أبطَلَ حسناتِهم[١]؛ أي: ما كان مِن جِنْسِ ما يكون مِن المؤمنين حسنةً؛ كالإطعام، وصِلَةِ الأرحام، وبِرِّ الأيتام، وقِرَى الأضياف، وتَقْوِيَةِ الضِّعاف؛ لأنَّه لا يُعْتَبَرُ شيءٌ مِن ذلك بغير إسلام.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: هُم المُطْعِمون ببدرٍ أهلُ الثَّرْوة منهم والقُوَّةِ والمَيْسَرةِ، وهم: عُتْبَةُ وشَيْبَةُ ابنا ربيعةَ، ونُبَيْهٌ ومُنَبِّهٌ ابنا الحجاج، وأبو جهل والحارثُ ابنا هشام لعنَهم اللهُ، فهؤلاء ستةٌ[٢].

وقال مقاتل: كانوا اثني عشر: هؤلاء الستة، والباقون: عامرُ بن نَوْفَلٍ، وحكيمُ بن حِزامٍ، وزَمْعَةُ بن الأسود، وأبو سفيانَ بن حَرْب، وصَفْوانُ بن أُمَيَّةَ، والعباسُ بن

---

(١) ذكره الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (٩/ ٢٦٢)، والسمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٢٩٦) من غير نسبة، والواحدي في «البسيط» (٧/ ٤٢٥) عن الكلبي، وهو عن ابن عباس رضي الله عنه في «تنوير المقباس» للفيروزآبادي (ص: ٤٢٧). ولعله من رواية الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس.

(٢) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٢٩٦) عن الكلبي، وذكره عن ابن عباس رضي الله عنه مختصراً الزمخشري في «الكشاف» (٤/ ٣١٤). ولعله من رواية الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس.

عبد المطلب[١]، أطعَمَ كلُّ واحدٍ منهم يوماً الأحابيشَ والجنودَ، يَسْتَظْهِرون بهم على عداوة النبي ﷺ، وهُم المذكورون في قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ الآية [الأنفال: ٣٦].

وقال الضحاك: ﴿أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ﴾: أي: أبطَلَ كَيْدَهم ومَكْرَهم بالنبي[٢].

***

(٢) - ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾: أي: والمؤمنون الذين خالَفوا هؤلاء محا اللهُ وستَرَ ذنوبَهم التي كانت قَبْلَ الإيمان.

﴿وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾: قال ابن عباس رضي الله عنهما: أي: حالَهم[٣].

وقال مجاهد: شأنَهم[٤].

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٣٧).

(٢) ذكره عنه الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٢٨)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٢٧٤).

(٣) رواه الواحدي في «البسيط» (٢٠/ ٢١٣) عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما.
ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٨٦٣)، والطبري في «تفسيره» (٢١/ ١٨١)، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٢٩١)، وابن عطية في «المحرر الوجيز» (٥/ ١٠٩) جميعهم عن قتادة.
وروى الطبري في «تفسيره» (٢١/ ١٨١)، وذكره مكي بن أبي طالب في «الهداية» (١١/ ٦٨٧٨)، والماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٢٩١)، وابن عطية في «المحرر الوجيز» (٥/ ١٠٩) عن ابن عباس رضي الله عنه أنه فسرها بقوله: أَمْرَهم.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ١٨١)، وذكره السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٢٩٦)، والماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٢٩١)، والواحدي في «البسيط» (٢٠/ ٢١٣).

وقال مقاتل بن حيان: عملَهم ونيَّاتِهم[١].

وقال ابن كيسان: أثبَتَ أعمالَهم، ولم يُبْطِلْها كما أبطلَ أعمالَ الكفار.

* * *

(٣) ـ ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ﴾.

﴿ذَٰلِكَ﴾: أي: ذلك التَّمييزُ بالجزاء للفريقين ﴿بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ﴾: فاستحَقَّ أولئك العقابَ، وهؤلاء الثوابَ.

وقولُه تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ﴾: قيل: أي: كذلك يصِفُ لكلِّ عاملٍ مِن الناس جزاءَ عملِه بما يُماثِلُه، فيُجازي المُحْسِنَ بإحسانه بالحُسْنى، والمُسِيءَ بإساءته بالسُّوأى[٢].

وقيل: أي: فكذلك يصِفُ اللهُ للناس عواقبَ أمورِهم التي يَصيرون بها أمثالاً لِمَن سِواهم.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أنَّ الآيةَ الأولى في كفار مكة، صدُّوا عن المسجد الحرام وعن الدخول في الإسلام، والآيةَ الثانيةَ في المسلمين مِن أهل المدينة، وهُم الأنصارُ، آمَنوا بمحمد لَمَّا جاءهم[٣]، فذكَرَ جزاءَ الفريقين، ثم قال: ﴿كَذَٰلِكَ

---

(١) «ونياتهم» ليس من (أ)، وذكره عن مقاتل دون هذه اللفظة السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٢٩٦)، وذكره دون قوله: «عملهم» مكي بن أبي طالب في «الهداية» (١١/ ٦٨٧٩)، والماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٢٩١)، عن النقاش.

(٢) قوله: «فيُجازي المُحْسِنَ بإحسانه بالحُسْنى، والمُسِيءَ بإساءته بالسُّوأى» معناه: فيُجازي المُحْسِنَ بالحُسْنى بسبب إحسانه، والمُسِيءَ بالسُّوأى بسبب إساءته.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ١٨٠)، والحاكم في «المستدرك» (٣٧٠٣) وقال: صحيح =

﴿يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَـٰلَهُمْ﴾؛ أي: كذلك يفعَلُ اللهُ تعالى بالناس كلِّهم كما يفعلُ بهؤلاء.

* * *

(٤) ـ ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَـٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَـٰلَهُمْ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾: أي: فإذا لَقِيتُم ـ مَعاشِرَ المسلمين ـ هؤلاء الكافرين في مواطن الجهاد.

﴿فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ﴾: أي: فاضرِبوا رِقابَهم، نصبٌ على الإغراء.

وقيل: أي: فافعلوا ضَرْبَ الرِّقابِ[1]، نصبٌ بإضمار الفعل.

والألفُ واللامُ في ﴿ٱلرِّقَابِ﴾ بدلٌ عن الإضافة.

وقولُه تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ﴾: وأَصْلُ الإِثْخانِ: الغلَبَةُ، يُقالُ: أثخَنَ الصَّيدَ: إذا غلَبَه؛ أي: أكثَرْتُم القتلَ في البعض، وأعجَزْتُم الباقين عن الفَوات.

﴿فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ﴾: أي: فشُدُّوا وَثاقَهم، والألفُ واللامُ بدلٌ عن الإضافة ها هنا أيضاً.

وقولُه تعالى: ﴿فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ﴾: أي: فإما أنْ تمُنُّوا بعد ذلك بالإطلاق مَجَّاناً ﴿وَإِمَّا فِدَآءً﴾؛ أي: وإمَّا أنْ تَفْدُوا بعضَهم فتأخُذوا منهم فِداءً وتُطْلِقُوهم.

= الإسناد، وذكره السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٢٩٦)، والثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٢٩)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٢٧٤).

(١) في (ر): «الأعناق».

وقد ذُكِرَ القتلُ قَبْلَه، فكان الإمامُ مُخَيَّراً في ذلك، يَختارُ ما يرى فيه المصلحةَ على حسَبِ ما يَقتضيه الحالُ.

وقولُه تعالى: ﴿حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾: قيل: أي: حتى تنقضِيَ الحربُ.

والأوزارُ: الأسلحةُ، جَمْعُ (وِزْرٍ)، وهو الحِمْلُ والثِّقَلُ في الأصل، والإِثْمُ سُمِّيَ وِزْراً لذلك، وهو استعارةٌ، وتقديرُه: حتى يتفرَّقَ الكفارُ، ويأمَنَ المسلمون فيَضعوا أسلحتَهم، وفيه مُضْمَرٌ: حتى يضَعَ أهلُ الحربِ أوزارَهم.

وقيل: ﴿ٱلْحَرْبُ﴾: المُحارِبون، قال الشاعر:

وكانـوا لنـا سِـلْماً فصاروا لنـا حَرْبـاً[١]

وقال الحسن وقتادة: أي: افعلوا هذا بأعدائكم إلى أنْ تستغنوا عن مُحاربتهم بدخولهم في الإسلام أو قَتْلِهم جميعاً[٢]،..................................

---

(١) عجز بيت نسبه ابن بري كما في «اللسان» (مادة: ملح) لأبي عُيَيْنَةَ محمدِ بن أَبي صُفْرة في مطلع قصيدةٍ له، وصدره:

تَجَنَّـى عَلَيْنَـا أهـلُ مَكتومـةَ الذَّنْبـا

وهو من غير نسبة في «لطائف الإشارات» للقشيري (١/ ٤٣)، وصدره فيه:

أشـاعوا لنـا فـي الحـي أشـنع قصـة

وجاء في «ديوان عمر بن أبي ربيعة» (ص: ٧٧)، بيت برواية:

ورجـا مصالحـة فـكان لكـم سـلما وكنـت تريـنه حربـا

(٢) رواه عـن الحسـن ابن المنـذر فيما عزاه إليه السيوطي في «الـدر المنثـور» (٧/ ٤٥٩) بلفظ: حتى يعبد الله ولا يشـرك به.

وعن قتادة رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٨٧٢)، والطبري في «تفسيره» (٢١/ ١٨٨) بلفظ: حتى لا يكون شرك.

وذكره عنه السمعاني في «تفسيره» (٥/ ١٦٩) بلفظ: حتى لا يبقى إلا مسلم أو مسالم، وابن عطية =

وهو كقوله: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ﴾ [الأنفال: ٣٩].

وقال النبي ﷺ: «ينزِلُ عيسى ابنُ مريمَ حَكَماً عَدْلاً، يَكْسِرُ الصَّليبَ، ويقتُلُ الخنزيرَ، وتضَعُ الحربُ أوزارَها»[1]؛ أي: ويُسْلِمُ الناسُ حتى لا يبقى في الأرض مشركٌ.

وقولُه تعالى: ﴿ذَٰلِكَ﴾: أي: هذا الذي ذكَرْناه هو حقٌّ.

﴿وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ﴾: أي: لانتقَمَ منهم بغير قتالٍ منكم.

﴿وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَاْ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ﴾: أي: ولكنْ أمرَكم بالجهاد لِيُظْهِرَ منكم ما علِمَ في الأزَل مِن الائتمارِ بالأمر وتَرْكِه.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: لِنَخْتَبِرَ المؤمنَ بالمُشْرِكِ، والمُعافى بالمُبْتلى، والصَّحيحَ بالسَّقيمِ[2].

﴿وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: أي: استُشْهِدوا، ومَن قرأ: ﴿قاتَلوا﴾ فمعناه: جاهَدوا[3].

﴿فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ﴾: أي: فلن يُضَيِّعَ ولن يُبْطِلَ أعمالهم كما أضلَّ أعمالَ الكفارِ، بل يُثِيبُهم عليها أعظمَ الثوابِ.

= في «المحرر الوجيز» (٥/ ١١١) بلفظ: حتى يسلم الجميع، فتضع الحرب أوزارها.

وذكر نحوه الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (٩/ ٢٦٥)، وهو الأقرب لنص المصنف رحمه الله.

(١) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٩٣٢٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وإسناده صحيح، ورواه البخاري (٢٢٢٢)، ومسلم (١٥٥)، دون قوله: «وتضع الحرب أوزارها».

وورد ضمن حديث طويل رواه ابن ماجه (٤٠٧٧) عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه.

(٢) لم أقف عليه. وفي (ف): «المؤمن من المشرك والمعافى من المبتلى والصحيح من السقيم».

(٣) قرأ أبو عمرو وحفص: ﴿قُتِلُواْ﴾، والباقون: ﴿قَٰتَلُواْ﴾. انظر: «السبعة» (ص: ٦٠٠)، و«التيسير» (ص: ٢٠٠).

(٥ ـ ٦) ـ ﴿ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ۝٥ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴾.

﴿ سَيَهْدِيهِمْ ﴾: أي: المُجاهدين، يُثبِّتُهم على الرُّشد، وفي حقِّ المقتولين سيَهديهم إلى طريق الجنة في الآخرة.

﴿وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴾: أي: شأنهم، وهو ما(١) بيَّنَّاه.

وقيل: أي: لا يُخْطِرُ ببالهم فيها إلا ما يَفْرَحون به.

﴿وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴾: قيل: طيَّبها لهم؛ مِن العَرْفِ بالفتح.

وقيل: مِن المعرفة؛ أي: إذا دخَلوها عرَفوا منازلَهم واهتدَوا إليها، على ما رُوِيَ: إنَّ أحدَهم لَأَعْرَفُ بمنازله في الآخرة منه بمَنازله في الدنيا(٢).

وقيل: أَعْلَمَها لهم في الدنيا، وعرَّفَهم نعيمَها.

* * *

(٧ ـ ٨) ـ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ۝٧ وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ ﴾: أي: دِينَ الله ﴿يَنْصُرْكُمْ ﴾: على أعداءكم في الدنيا ﴿وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾: أي: يُشجِّعْكم، فتَثْبُتوا لهم.

وقيل: ﴿يَنْصُرْكُمْ ﴾: في الآخرة، ﴿وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾: في مَواطِنِ الحساب وعلى الصِّراط؛ كما قال: ﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

---

(١) في (أ): «وهو لما»، وفي (ر): «وما» بدل: «وهو ما».

(٢) رواه البخاري (٢٤٤٠) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعاً، ولفظه: «فوالذي نفس محمد بيده، لأحدهم بمسكنه في الجنة أدل بمنزله كان في الدنيا».

وقولُه تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَتَعْسًا لَّهُمْ﴾: أي: سُقوطاً على وجوههم.

وقيل: تقديرُه: فأَتْعَسَهم اللهُ، فقد قال بعدَه:

﴿وَأَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ﴾: أي: أَبْطَلَها.

* * *

(٩ ـ ١٠) ـ ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ۝٩ ۞ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۖ وَلِلْكَٰفِرِينَ أَمْثَٰلُهَا﴾.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾: أي: ذلك التَّعْسُ لهم بسبب أنهم استَثْقَلُوا ما أنزلَ اللهُ في كتابه على نبيِّه مِن الأمر والنهي.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾: وكرَّرَ ذِكْرَ إِضْلالِ العملِ وإِحْباط العمل؛ ليكونوا كلَّما ذُكِروا يتَّصِلُ ذِكْرُهم بالذَّمِّ والتَّحْقير والإخبار بسُوء الحال عند الله؛ كالمعهود في ذِكْرِ الأخيار، كلَّما أُعيدَ ذِكْرُهم وُصِلَ به رَحْمَةُ اللهِ، وفي حقِّ الصحابة رضي الله عنهم، وفي حقِّ النبي ﷺ.

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾: أي: أفلم يَسِرْ هؤلاء المشركون؟! استفهامٌ بمعنى التقرير؛ أي: لقد ساروا في الأرض التي تُجاوِرُ بلادَهم مِن أرض عادٍ وثمودَ وقومِ لوطٍ وقومِ شعيبٍ وغيرهم، فينظروا إلى سُوء عَواقبِ الأُمَم التي كفَرَتْ[1] بالله، وكرِهَتْ ما أنزلَ الله.

﴿دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾: أي: أهلَكَهم واستأصَلَهم.

﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ أَمْثَٰلُهَا﴾: أي: أمثالُ تلك العُقوبات، وهي غيرُ مَذْكورةٍ، لكنَّها مدلولةٌ بذِكْرِ الدَّمار.

---

(١) في (أ): «كذبت».

(١١ ـ ١٢) ـ ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَأَنَّ ٱلْكَـٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿١١﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَـٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَأَنَّ ٱلْكَـٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾: أي: ذلك المذكور مِن نَصْرِ المؤمنين وسُوء عِقابِ[1] الكافرين إنما هو لأنَّ اللهَ ناصِرُ المؤمنين والذَّابُّ عنهم والمُتَوَلِّي لأمورهم، والكافرون ليس لهم ناصِرٌ يُعينُهم ويمنعُهم ويدفعُ العذابَ عنهم، وكذلك في الآخرة حالُ الفريقين.

وقولُه تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ﴾: هذا لأحد الفريقين. وأما الفريقُ الآخَرُ، فقد قال:

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ﴾: بنعيم الدنيا ﴿وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَـٰمُ﴾: يقْضُون الشَّهواتِ، ولا يُفكِّرون في الآيات، ويختارون الرَّاحات ولا يَتْعَبون بالعبادات، فهُم كالأنعام التي لا عُقولَ لها.

﴿وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾: في الآخرة؛ أي: مُقامٌ بدَلَ الجنةِ للمؤمنين.

* * *

(١٣) ـ ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِىَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَـٰهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ﴾.

﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ﴾: أي: كم مِن أهل بَلْدَةٍ ﴿هِىَ أَشَدُّ قُوَّةً﴾؛ أي: هُم أقوى ﴿مِّن قَرْيَتِكَ﴾؛ أي: مِن أهل بلدتك مكةَ.

﴿ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَتْكَ﴾: أي: مكروا بكَ في دار النَّدْوة، وقصدوا أنْ يُثْبِتُوكَ[2] أو يَقْتُلوكَ أو يُخْرِجوك، فاضطُرِرْتَ إلى الخروج منها.

(١) في (ر) و(ف): «عواقب».

(٢) في (ر): «يفتنوك».

﴿أَهْلَكْنَٰهُمْ﴾: أي: أهلَ تلك القُرى.

﴿فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ﴾: أي: لا مانعَ لهم بدَفْعِ العذاب عنهم، وله وجهان:

أحدُهما: أي: فما كان لهم ناصِرٌ حين نزَلَ بهم العذابُ.

والثاني: فلا ناصِرَ لهم الآن في قبورهم يَدْفَعُ عذابَ القبرِ عنهم.

* * *

(١٤) ـ ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُم﴾.

وقولُه تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾: قال عكرمة: أي: على حُجَّةٍ وبَصيرةٍ[١].

وقال مقاتل: أي: على (لا إله إلا الله)[٢].

وقال ابن عباس: أي: على دِينٍ مِن ربه[٣].

وقولُه تعالى: ﴿كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ﴾: استفهامٌ بمعنى النفي؛ أي: ليسا سواءً.

﴿وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُم﴾: جُمِعَ وإنْ أُفْرِدَ ﴿زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ﴾؛ لأنَّ (مَن) فَرْدٌ لفظاً، جَمْعٌ معنًى.

قال ابن عباس: ﴿كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ﴾: أبو جهل[٤].

---

(١) لم أقف عليه عن عكرمة، وذكره الطبري في «تفسيره» (٢١/ ١٩٩)، والزمخشري في «الكشاف» (٤/ ٣٢٠) من غير نسبة.

(٢) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٠/ ٢٣٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما ومقاتل والكلبي بلفظ: على بيان من ربه ويقين من دينه، وهو محمد ﷺ على شهادة أن لا إله إلا الله.

(٣) ذكره الواحدي في «البسيط» (١١/ ٣٧٠) عن الكلبي.

(٤) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٣٠٠) عن مقاتل والكلبي، والواحدي في «البسيط» (٢٠/ ٢٣٣) عنهما وعن ابن عباس رضي الله عنهما، وهو من غير نسبة في «تفسير الثعلبي» (٩/ ٣٢)، و«النكت والعيون» للماوردي (٤/ ٤٦٣)، و«تفسير السمعاني» (٥/ ١٧٣)، و«تفسير البغوي» (٧/ ٢٨٢).

وقال مقاتل: هو أبو جهل وأبو حُذيفة بنُ المُغِيرة ونحوُهما لعنَهم الله(١).

***

(١٥) ـ ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ﴾: أي: فيما يُتْلى عليكم صفةُ الجنةِ.

وقيل: أي: صفةُ الجنةِ التي وُعِدَ المتقون(٢).

﴿فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ﴾: أي: غيرِ مُتَغيِّر الرائحة.

قال قتادة: الآسِنُ: المُنْتِنُ(٣)، والفِعْلُ مِن باب (دخَلَ) و(ضرَبَ) و(عَلِمَ).

أي: لا يتغيَّرُ ماءُ الجنة كما يتغيَّرُ ماءُ الدنيا بطُول المُكْث في منافعها وفي أوانيها.

﴿وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ﴾: كما يتغيَّرُ في الدنيا، فيَصيرَ حامِضاً وقارِصاً وغيرَ ذلك.

﴿وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ﴾: أي: لذيذةٍ. والفِعلُ مِن باب (علِمَ)، والنَّعْتُ: (لَذٌّ) و(لذيذٌ)، والهاءُ للتأنيث.

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٤٦).

(٢) يعني قوله: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ﴾ مبتدأ وخبره هو قوله تعالى: ﴿فِيهَا أَنْهَارٌ﴾ إلخ، على معنى: مثل الجنة وصفتها مضمون هذا الكلام ولا يحتاج مثل هذا الخير إلى رابط. وعلى القول الأول ـ وهو قول سيبويه ـ هو مبتدأ خبره محذوف تقديره: فيما يتلى عليكم، أو فيما قصصنا عليك، وهذا قول سيبويه، ويقدر مقدماً، و﴿فِيهَا أَنْهَارٌ﴾ إلخ على هذا بيان لذلك المثل. وقيل في المقدر غير هذا، وعلى كل هو مبتدأ باتفاق المعربين. انظر: «روح المعاني» (٢٥/ ١٤٥).

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٨٧٩)، والطبري في «تفسيره» (٢١/ ٢٠٠).

وقولُه تعالى: ﴿لِّلشَّٰرِبِينَ﴾: أي: لذيذةِ الطَّعْم، طَيِّبَةِ الشُّرْب، لا يكرَهُها الشَّارِبون كما في الدنيا، ولا يكون فيها مِن الأذى كما يكون في خَمْر الدنيا.

وقولُه تعالى: ﴿وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى﴾: لم يخرُجْ مِن بُطونِ النَّحْل مُخْتَلِطاً بالشَّمْع والقَذى، خلَقَه اللهُ مُصفًّى، لا أنْ كان مُخْتَلِطاً فصُفِّيَ.

وقولُه تعالى: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾: للأكل، والأنهارُ للشُّرْب.

وقولُه تعالى: ﴿وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾: أي: ولهم مع ذلك عَفْوٌ لِمَا كان منهم مِن الذنوب، وقد نسُوها، فلا يتذكَّرونها؛ لئلا يتنغَّصَ الحالُ عليهم.

وقولُه تعالى: ﴿كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ﴾: وها هنا مُضْمَرٌ؛ أي: أفمَن هو صائِرٌ إلى هذا وهو خالدٌ فيه كمَن هو خالدٌ في النار؟! كما قال في الآية الأولى: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ الآية.

وقولُه تعالى: ﴿وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا﴾: أي: ويُسْقَون؛ لأنَّ ما كان في الآخرة فهو كائنٌ لا محالةَ، فأُلْحِقَ بالمُتَحَقِّق، وجُمِعَ مع إفراد قوله: ﴿كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ﴾ بكلمة (مَن) الذي هو فَرْدٌ لفظاً، جَمْعٌ معنًى.

﴿فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ﴾: جَمْعُ (مِعًى).

* * *

(١٦) ـ ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾: أي: ومِن هؤلاء الذي يتمتَّعون ويأكلون كما تأكلُ الأنعام، وزُيِّنَ لهم سوءُ أعمالِهم، واتَّبَعوا أهواءَهم: قومٌ يحضُرُ الواحدُ

منهم مَجْلِسَكَ الذي تتلو فيه القرآنَ وتُبيِّنُ معانيه ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾: باللهِ وكتابِه ودِينِه مِن أصحابِكَ.

﴿مَاذَا قَالَ ءَانِفًا﴾: أي: أيُّ شيءٍ قال محمد الآنَ؟

ولهذا الكلام وجهان:

أحدُهما: أنْ يسمعَ الإنسانُ ولا يفهَمَ؛ لِشُغْلِ قلبِه بشيءٍ آخرَ.

والثاني ـ وهو أشبَهُ ـ: أنْ يُقال على سبيل التَّهاوُنِ بما سَمِعَ والاستهزاءِ به.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾: جُمِعَ هذا مع[1] توحيد أوَّلِ الكلام؛ لِمَا مرَّ أنه ذَكَرَ كلمةَ (مَن).

﴿وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ﴾: كذلك؛ أي: لا يَخْلُصُ فَهْمُ القرآن إلى قلوبهم؛ لأنَّ الله تعالى ختَمَ عليها لِعِلْمِه باختيارهم ذلك، ولاتِّباعهم أهواءَهم دون الحق.

ويجوزُ أنْ يكون هذا في المشركين، ويجوزُ أنْ يكون هذا في المنافقين.

* * *

(١٧ ـ ١٨) ـ ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً ۖ فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا ۚ فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ﴾.

ثم ذَكَرَ الذين يُخالِفونهم، فقال:

﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟﴾: بالقرآن ﴿زَادَهُمْ هُدًى﴾: أي: زادَهم اللهُ تعالى؛ أي: أدامَهم اللهُ تعالى على الهدى.

وقيل: والذين اهتدوا بالإيمان زادَهم القرآنُ رَشَداً وبَصيرةً في دينهم.

---

(١) في (ف): «على».

﴿وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ﴾: أي: أَلهَمَهم اللهُ تَقْواهم.

وقيل: أي: أعطاهم ثوابَ تقواهم. قالَه سعيد بن جُبير[(١)].

وقولُه تعالى: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً﴾: أي: ما ينتظرُ هؤلاء بإيمانهم؛ أي: بتأخيرهم الإيمانَ إلا الساعةَ، فإنْ كانوا ينتظرونها فهي لا تأتيهم إلا فَجْأَةً، فإنَّ اللهَ تعالى طَوى عِلْمَها عن الخَلْق، فإذا أَتَتْهم بَغْتةً لم يُغْنِ الإيمانُ حينئذٍ، وإنْ أرادوا الإيمانَ عند دُنُوِّها لِيَنفعَهم فهذا وقتُه.

﴿فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا﴾: أي: علاماتُها، فقد عُلِمَ دنوُّها فما ينتظرون؟

قال ابن عباس: ﴿أَشْرَاطُهَا﴾؛ أي: علاماتُها[(٢)]، انشقاقُ القمرِ والدُّخانُ[(٣)].

وقال محمد بن كعب: كان رسولُ الله ﷺ مِن أشراط الساعة؛ لأنَّ صِفتَه في الكتب أنَّه آخِرُ الأنبياء[(٤)].

وقال النبي ﷺ: «بُعِثْتُ أنا والساعةُ كهاتين، إنْ كادتْ لَتَسْبِقُني»[(٥)].

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٣٣)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٢٨٣)، والواحدي في «البسيط» (٢٠/ ٢٤١).

(٢) رواه عنه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٢٠٧)، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٢٩٩) بلفظ: أوائلها، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ١٢٤) بلفظ: معالمها.

(٣) هو قول مقاتل كما في «تفسيره» (٤/ ٤٨)، وذكره عنه الواحدي في «الوسيط» (٤/ ١٢٤).

(٤) رواه ابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» (٧/ ٤٦٧). وذكره الواحدي في «البسيط» (٢٠/ ٢٤٤) عن الحسن.

وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٢٩٩) عن الضحاك، وابن عطية في «المحرر الوجيز» (٥/ ١١٦) من غير نسبة.

(٥) رواه البخاري (٦٥٠٤)، ومسلم (٢٩٥١) من حديث أنس رضي الله عنه.

ورواه الإمام أحمد في «مسنده» (٢٢٩٤٧) من حديث بريدة الأسلمي رضي الله عنه، واللفظ له.

وقولُه تعالى: ﴿فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ﴾: أي: فكيف ومِن أين لهم أنْ يتذكَّروا إذا جاءتهم الساعةُ؟! قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ وَأَنَّىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ﴾ [الفجر: ٢٣].

* * *

(١٩) - ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ﴾: أي: فاثبُتْ على هذا.

وقال الكِنانيُّ[1]: كان يضيقُ صدرُه بأذى الكفار، فقال له: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ﴾، لا تُعَلِّقْ قلبَكَ بأقاربِكَ، واعلمْ أنه لا كاشِفَ لِما في قلبِكَ سوى الله[2].

ويُقال: قيل له: ﴿فَاعْلَمْ﴾، ولم يقل له: (عَلِمْتُ)، وإبراهيم قيل له: ﴿أَسْلِمْ﴾، ﴿قَالَ أَسْلَمْتُ﴾، وجوابُه مِن وجوه:

منها: أنَّ إبراهيم قال: ﴿أَسْلَمْتُ﴾، فابتُلِيَ، ومحمد ﷺ لم يقل: (عَلِمْتُ)، فعُوفِيَ.

وقيل: إنَّ إبراهيم سبَقَ، فذُكِرَ جوابُه في الكتاب المُنَزَّل بعده، ولم يَنْزِلْ بعد القرآن كتابٌ آخرُ يذكُرُ فيه جوابَ محمد.

---

(١) في النسخ الثلاث: «الكتاني»، وهو تصحيف، والمثبت موافق للمصادر الآتية.
وهو عبد العزيز بن يحيى بن عبد العزيز الكناني المكي، صاحب كتاب «الحيدة»، تفقه للشافعي واشتهر بصحبته، وخرج معه إلى اليمن، قدم بغداد وجرى بينه وبين بشر المريسي مناظرة مشهورة في القرآن. انظر ترجمته في: «تاريخ بغداد» للخطيب (١٢/ ٢١٢)، و«تهذيب الكمال» للمزي (١٨/ ٢٢١).

(٢) ذكره عنه الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٣٤).

وقيـل: التَّسـليمُ مُتَناهٍ، فيُمكِـنُ الإخبـارُ عنـه، والعِلْـمُ لا يتناهـى، فـلا يُمكنُ الإخبـارُ عنه.

وقيل: إنَّ إبراهيم هو قال بنفْسِه: ﴿أَسْلَمْتُ﴾، واللهُ تعالى أخبَرَ عن محمد ﷺ: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ﴾، وهو إخبارٌ عن عِلْمه وزيادةٌ، وإخبارُ اللهِ تعالى عنه أعلى مِن جوابه بنفْسِه.

﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾: أي: لِتَقْصِيرِكَ، فلن يخلوَ العبدُ عنه.

وقيل: أي: لِمَا يُتَصَوَّرُ عندك أنه تقصيرٌ، فإنه يُزيلُ عن قلبكَ ما تَسْتَشْعِرُه مِن ذلك، قال النبي ﷺ: «إنه لَيُغانُ على قلبي، فأستغفرُ اللهَ تعالى في اليوم سبعين مرةً»[١].

وقولُه تعالى: ﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾: أي: لِأُمَّتِكَ، وهي أرجى آيةٍ في القرآن، فإنه لا شك أنه ائتمَرَ بهذا الأمر، ولا شكَّ أنَّ الله تعالى أجابَه فيه، فإنه لو لم يُرِدْ إجابتَه فيه لَمَا أمرَه به.

﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ﴾: مُتَصَرَّفَكم في الدنيا، ومُقامَكم في الآخرة؛ أي: فلن يَخْفى عليه حالُكم ومآلُكم، وهذا تأويلُ ابن عباس رضي الله عنهما[٢].

وقيل: مُتَقَلَّبَكُم بالنهار، ومثواكم بالليل.

***

(١) رواه البخاري (٦٣٠٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه، ومسلم (٢٧٠٢) عن الأغر المزني رضي الله عنه.

(٢) رواه عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم؛ كما في «الدر المنثور» (٧/ ٤٩٦).
وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٣٤)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٢٨٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما والضحاك.

(٢٠) ـ ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلَى لَهُمْ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ﴾: أي: يستعجلُ المؤمنون بنُزول سورة في الجهاد والحثِّ عليه؛ لِحِرْصِهم في نُصْرة الدِّين وقَمْعِ الكافرين.

﴿فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ﴾: ناسِخةٌ لِما قَبْلَها مِن الحُكْم.

وقيل: مُؤَكَّدةٌ في الأمر والنهي.

وقيل: مُعْجِزةٌ بنَظْمِها ومعناها، يُعْلَمُ أنها مِن الله تعالى.

﴿وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ﴾: أي: فُرِضَ الجهادُ.

﴿رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾: أي: شكٌّ ونفاقٌ.

﴿يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾: أي: مِن حُضور أسباب الموت مِن آثار الجُبْن والفَزَع؛ مِن تغيُّرِ الوجه وانقلابِ حَلْقَةِ العين ودورانها.

وقيل: ﴿مِنَ الْمَوْتِ﴾؛ أي: مِن خوف الموت في القتال.

﴿فَأَوْلَى لَهُمْ﴾: أي: فويلٌ لهم؛ كما قال: ﴿أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى﴾ [القيامة: ٣٤].

* * *

(٢١) ـ ﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾.

﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ﴾: أي: كانوا يقولون: مِنَّا طاعةٌ، وهذا قولٌ معروفٌ؛ أي: حسَنٌ في العقل والشَّرع.

وقولُه تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ﴾: أي: جَدَّ الأمرُ بالقتال، وأتَتِ العَزيمةُ فيه، كرِهوا ذلك، هذا مُضمَرٌ، وقيل: المُضْمَرُ: لم يُصَدِّقوا اللهَ.

وقولُه تعالى: ﴿فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ﴾: أي: كصِدْقِ المؤمنين.

﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾: أي: أَنْفعَ لهم في دِينهم ودنياهم.

***

(٢٢) - ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾: أي: فهل تريدون إذا تركتم دِينَ محمد أنْ تعودوا إلى مِثْلِ ما كنتم عليه مِن التَّقاتُل والتَّقاطُع.

وقيل: أي: فلعلَّكم إذا أعرضتُم عن القرآن والإيمان رجعتم إلى الإفساد في الأرض وقَطيعةِ الأرحام؛ أي: تظنُّون أنْ تُهمَلوا في ذلك؛ أي: ليس كذلك.

وقيل: أي: إنْ وُلِّيتُم أَمْرَ هذه الأُمَّةِ.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: قد كان هذا، وهُم بنو أميَّةَ فعَلوا ما ذُكِرَ في الآية(١).

وقيل: إنَّ الآية في المنافقين، تولَّوا عن رسول الله ﷺ، وسعَوا في الأرض بالفساد.

وقيل: هي في الحَرُوريَّة.

---

(١) ذكره الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (٩/ ٢٧٩).

وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٣٥)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٢٨٧) عن المسيب بن شريك والفراء.

قلت: لم أقف عليه في «معاني القرآن» للفراء.

وقال ابن عاشور في «التحرير والتنوير» (٢٦/ ١١٢): ومنهم من جعلها ـ أي: الآية ـ فيما يحدث بين بني أمية وبني هاشم على عادة أهل التشيع والأهواء من تحميل كتاب الله ما لا يتحمله، ومِن قصرِ عموماته على بعض ما يراد منها.

(٢٣) ـ ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ﴾: أي: هؤلاء الذين يفعلون هذا.

﴿فَأَصَمَّهُمْ﴾: عن سماع الحقِّ ﴿وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ﴾: عن رُؤية الحقِّ.

وقيل: ﴿عَزَمَ الْأَمْرُ﴾: في الآخرة.

وقيل في قوله: ﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾ أقاويلُ أُخَرُ:

قال الضحاك: أي: فهلَّا طاعةٌ لله، وقولٌ معروفٌ لرسوله[1].

وقال الحسن: ﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾ خيرٌ لهم مِن الكراهة والفَزَع[2].

وقال مجاهد: أي: قولوا: طاعةٌ وقولٌ معروفٌ[3].

وقيل: تقولون: طاعةٌ، أيها المنافقون، وهذا قولٌ معروفٌ منكم لا تعمَلون به.

***

(٢٤ ـ ٢٥) ـ ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا (٢٤) إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى ۙ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾: استفهامٌ بمعنى الأمر ﴿أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾: أي: بل على قلوبِ طائفةٍ منهم أقفالُها، استعارةٌ عن الخَتْم والطَّبْع.

أي: أقفلَ اللهُ على قلوبهم فلا يفهمون شيئاً، عَلِمَ اللهُ تعالى منهم اختيارَ ذلك، ففعَلَ بهم ذلك.

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) ذكره بنحوه الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٣٠١) ولفظه: من أن يجزعوا من فرض الجهاد عليهم.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٢١٢).

وقولُه تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَـٰرِهِم﴾: قيل: رجَعوا عن طاعة الله تعالى في الجهاد، فهُم هؤلاء المنافقون.

﴿مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى﴾: أي: حَقِّيَّةُ الإسلامِ.

﴿ٱلشَّيْطَـٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ﴾: أي: زيَّنَ لهم أعمالَهم.

﴿وَأَمْلَىٰ لَهُمْ﴾: أي: أطالَ لهم الثَّباتَ فيه، وهو كقوله: ﴿وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِى ٱلْغَىِّ﴾ [الأعراف: ٢٠٢].

وقرأ أبو عمرو: ﴿وأُمْلِيَ لهم﴾ على ما لم يُسَمَّ فاعلُه[1]؛ أي: أمهلَهم اللهُ.

* * *

(٢٦) ـ ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ كَرِهُوا۟ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ ۖ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ كَرِهُوا۟ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ﴾: أي: قال المنافقون للمشركين الذين كرِهوا ما نزَّلَ اللهُ، فقد قال في هذه السورة: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَتَعْسًا لَّهُمْ﴾ إلى أنْ قال: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾.

﴿سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ﴾: أي: في بعض ما تُدَبِّرونه على المسلمين مِن المَهالِكِ، والمرادُ بالبعض: السِّرُّ، لا الجَهْرُ.

وقولُه تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ﴾: قرأ حمزةُ والكسائيُّ وعاصمٌ في رواية حفصٍ: ﴿إِسْرَارَهُمْ﴾ بكسر الألف، وهو مصدرٌ، والباقون بفتحها[2]، وهي جَمْعُ: (سِرٍّ).

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٠٠)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠١).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٠١)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠١).

(٢٧ ـ ٢٨) ـ ﴿ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ ﴿٢٧﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ ﴾: أي: فكيف يَدْفَعون العذابَ إذا جاءتهم الملائكةُ لِقَبْضِ الأرواح.

﴿يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ ﴾: أي: أمامَهم وخَلْفَهم.

﴿ ذَلِكَ ﴾: أي: ذلك العذابُ.

﴿بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ﴾: مِن مُظاهرةِ المشركين.

﴿وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ ﴾: أي: ما يَرْضاه اللهُ تعالى مِن مُعاونَة المؤمنين.

﴿فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴾: أي: أبطَلَ ما كان قُرْبَةً عندهم بنِفاقهم.

* * *

(٢٩ ـ ٣٠) ـ ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ ﴾: أي: أَظَنَّ الذين في قلوبهم نفاقٌ أنْ لن يُظْهِرَ اللهُ أحقادهم على المؤمنين؟! أي: ليس كذلك، بل يُظْهِرُها.

﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ﴾: أي: عاجلاً ﴿فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ﴾: بآثار وجوههم مِن تغيُّرِها.

﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ﴾: الآنَ قَبلَ تغييرِ صُوَرِهم ﴿فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾: أي: في مَخارجِ ألفاظِهم في مُخاطباتِهم لكَ.

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ ﴾: مؤمِنكم وكافِركم، ومُخْلِصكم ومُنافِقكم.

(٣١) ـ ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾: ولَنَختَبِرَنَّكم بالأمر والنهي؛ أي: أُعامِلُكم مُعاملةَ المُخْتَبِرِ؛ لِيَظْهَرَ منكم ما سبَقَ في عِلْمِي منكم، وذلك قولُه:

﴿حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ﴾.

وقيل: أي: حتى أَعْلَمَهم موجودين كما كنتُ عَلِمْتُهم أنهم يوجدون.

وقولُه تعالى: ﴿وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ﴾: أي: وحتى نَكْشِفَها؛ كما قال: ﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ﴾، وقد فعَلَ ذلك بما مرَّ في سورة براءة.

وقرأ عاصمٌ في رواية أبي بكر: ﴿وليَبْلُوَنَّكم﴾ ﴿ويَبْلوَ أخباركم﴾[1] بياء المغايبة رَدًّا على قوله: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ﴾، وقرأ الباقون بالنون[2] رَدًّا على قوله: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ﴾.

وقال أنس بن مالك رضي الله عنه: ما خَفِيَ على رسول الله ﷺ بعد نزول هذه الآية أحدٌ مِن المنافقين، وكان يعرِفُهم بسِيماهم، ولقد كُنَّا معه في غزوةٍ وفيها سبعةٌ مِن المنافقين، فشكاهم الناسُ، فناموا ذات ليلة، فأصبحوا وعلى جَبْهةِ كلِّ واحدٍ منهم مكتوبٌ: هذا منافقٌ، فذلك قولُه: ﴿بِسِيمَٰهُمْ﴾[3].

* * *

(٣٢) ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَشَآقُّوا۟ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَىٰ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾.

---

(١) وكذلك قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ﴾.

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٠١)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠١).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٣٧)، والزمخشري في «الكشاف» (٤/ ٣٢٧) هكذا من غير إسناد. قال الزيلعي في «تخريج أحاديث الكشاف» (٣/ ٢٩٨): غريب.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَشَآقُّواْ ٱلرَّسُولَ﴾: أي: عادَوه وخالَفوه.

﴿بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَىٰ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيْـًٔا﴾: أي: لن يضُرُّوا رسولَه والمؤمنين بكَيْدٍ ولا حِيلَةٍ، ولا يُنْقِصُوا مِن مُلْكِ الله تعالى شيئاً.

وقولُه تعالى: ﴿وَسَيُحْبِطُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾: مرَّ تفسيرُه مرَّاتٍ.

ويجوزُ أنْ يكون في المنافقين، ويجوزُ أنْ يكون في المشركين، وقد قال هؤلاء لهؤلاء: ﴿سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ﴾، فأخبرَ أنَّ كيد هؤلاء وهؤلاء لا يضُرُّ أولياءَ اللهِ شيئاً.

* * *

(٣٣) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَٰلَكُمْ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَٰلَكُمْ﴾: بتَرْكِ طاعةِ الله وطاعةِ رسوله، قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ﴾ [الحجرات: ٢].

قال مقاتل: إنَّ أسداً وخُزيمةَ أتوا النبيَّ ﷺ، فأسلموا، وقالوا: أتيناكَ بأولادنا[١]، وترَكْنا أموالَنا وعشائرَنا، فإنَّ العربَ لم يُؤمنوا بكَ إلا مِن بعد ما قاتلوك ولم نُقاتِلْكَ، فلنا عليكَ مِنَّةٌ، فنزلَتْ: ﴿وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَٰلَكُمْ﴾ بالمَنِّ[٢].

---

(١) في (أ) و(ر): «بالأولاد».

(٢) انظر: «تفسير مقاتل بن سليمان» (٤/ ٥١).

ورواه المروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (٥٩٠) عن مقاتل بن حيان.

ورواه النسائي في «الكبرى» (١١٤٥٥)، والبزار في «مسنده» (٥١٤١)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وذكره دون عزو الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٩٦)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٣٤٩)، جميعهم في نزول قوله تعالى: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُواْ﴾ [الحجرات: ١٧]. =

وقال الإمام القُشَيري: ﴿وَلَا تُبْطِلُوٓا۟ أَعْمَٰلَكُمْ﴾: بالرِّياء والعُجْب والملاحظة.

وقيل: أي: بالسُّكون إليها.

وقيل: أي: بطلَبِ الأَعْواضِ عليها.

وقيل: أي: بأنْ تتوهَّموا أنَّه يجب بها شيءٌ بدون فَضْلِ الله[1].

* * *

(٣٤ ـ ٣٥) ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ﴿٣٤﴾ فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾: وهو كما قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾ [النساء: ٤٨].

وقال مقاتل: هي في رُؤَساء مكَّةَ الذين قُتِلوا ببدرٍ[2].

وقولُه تعالى: ﴿فَلَا تَهِنُوا۟﴾: أي: فلا تَضْعُفوا ﴿وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ﴾: أي: لا تَجبُنوا عن قتالهم، ولا تَدْعوهم إلى الصُّلح، فأنتم الأَعْلَون قَدْراً ويَداً.

﴿وَٱللَّهُ مَعَكُمْ﴾: أي: حافظُكم وناصرُكم ﴿وَلَن يَتِرَكُمْ﴾؛ أي: ولن يَنْقُصَكم ﴿أَعْمَٰلَكُمْ﴾؛ أي: أُجورَ أعمالِكم.

* * *

= وقد تقدم على أنه سبب نزول قوله تعالى: ﴿لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ﴾ [الحج: ١٣].

(١) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٣/ ٤١٥).

(٢) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٣٠٦) عن الكلبي.

وذكر الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٣٨)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٢٩٠)، والزمخشري في «الكشاف» (٤/ ٣٢٩) من غير نسبة أنها نزلت في أهل القليب ببدر.

(٣٦) ـ ﴿إِنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٌ وَلَهۡوٌۚ وَإِن تُؤۡمِنُواْ وَتَتَّقُواْ يُؤۡتِكُمۡ أُجُورَكُمۡ وَلَا يَسۡـَٔلۡكُمۡ أَمۡوَٰلَكُمۡ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٌ وَلَهۡوٌ﴾: تَضْمَحِلُّ عن قريبٍ، فلا يحصُلُ الإنسانُ منها إلَّا على ما يحصُلُ مِن اللَّعِب واللَّهْو، فلا يَحْمِلَنَّكم حبُّها على أنْ تبخلوا بأنفسكم وأموالكم عن الجهاد في إحياء الدِّين، والدُّعاءِ إلى الإيمان والتقوى.

وقولُه تعالى: ﴿وَإِن تُؤۡمِنُواْ وَتَتَّقُواْ﴾: أي: تَثْبُتوا على الإيمان، وتتَّقوا العِصْيان ﴿يُؤۡتِكُمۡ أُجُورَكُمۡ﴾: وهي أكبرُ مِن الحياة الدنيا وما فيها، فإنَّ ﴿مَا عِندَكُمۡ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ﴾ [النحل: ٩٦].

﴿وَلَا يَسۡـَٔلۡكُمۡ﴾: أي: اللهُ. وقيل: رسولُ اللهِ ﴿أَمۡوَٰلَكُمۡ﴾: أي: كلَّها، بل خمسةً مِن مئتين، ونصفَ دينارٍ مِن عشرين ديناراً، وقليلاً من كثير.

وقال سفيان بن عُيَيْنَة: غَيْضاً مِن فَيْضٍ، فطِيبوا بها أنفُساً[1].

وقيل: ليستْ أموالَكم، بل هي أموالُ اللهِ.

* * *

(٣٧ ـ ٣٨) ـ ﴿إِن يَسۡـَٔلۡكُمُوهَا فَيُحۡفِكُمۡ تَبۡخَلُواْ وَيُخۡرِجۡ أَضۡغَٰنَكُمۡ ٣٧ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ تُدۡعَوۡنَ لِتُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبۡخَلُۖ وَمَن يَبۡخَلۡ فَإِنَّمَا يَبۡخَلُ عَن نَّفۡسِهِۦۚ وَٱللَّهُ ٱلۡغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُۚ وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ يَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمۡثَٰلَكُم﴾.

﴿إِن يَسۡـَٔلۡكُمُوهَا فَيُحۡفِكُمۡ﴾: الإِحْفاءُ: هو الإلحاحُ والاستِقْصاءُ.

﴿تَبۡخَلُواْ وَيُخۡرِجۡ﴾: أي: اللهُ. وقيل: البُخْلُ.

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٣٩)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٢٩١)، وابن عطية في «المحرر الوجيز» (٥/ ١٢٣).

﴿أَضْغَٰنَكُمْ﴾: جَمْعُ ضِغْنٍ، وهو الحِقْدُ؛ أي: كراهتكم.

﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ﴾: أي: يا هؤلاء ﴿تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: أي: إلى أنْ تُنْفِقوا.

﴿فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ۖ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ﴾: أي: على نفسِه، فإنَّ ضررَه على نفْسِه، والحِرْمانَ راجعٌ إليه.

وقيل: ﴿عَن نَّفْسِهِۦ﴾؛ أي: عن بُخْلِ نفسِه، ولو كان جواداً لم يَبْخَلْ.

وقولُه تعالى: ﴿وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ﴾: عن نفقاتكم ﴿وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ﴾: إلى ثواب الله[1].

﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا۟﴾: عن الإنفاق في سبيل الله ﴿يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾: أي: يُهْلِكْكُمُ اللهُ، ويأتِ بقومٍ آخرين ﴿ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم﴾: في البُخْل والإمساك.

روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه سُئِلَ عن هذه الآية: مَن هؤلاء؟ فأشار إلى سَلْمانَ، وقال: «هذا وقومُه»[2].

---

(١) في (ر) و(ف): «ذلك».

(٢) رواه الترمذي (٣٢٦٠)، والطبري في «تفسيره» (٢١/ ٢٣٣)، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٢١٣٤)، وابن حبان في «صحيحه» (٧١٢٣)، والطبراني في «الأوسط» (٨٨٣٨)، والحاكم في «المستدرك» (٣٧٠٩)، والثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٣٩)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ١٣١)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٢٩٢)، والجوزقاني في «الأباطيل والمناكير» (٦٦١)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

قال الترمذي: هذا حديث غريب في إسناده مقال. وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه.

وقال الجوزقاني: حديث صحيح، ورجاله ثقات.

ورواه البخاري (٤٨٩٧)، ومسلم (٢٥٤٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، لكن في قوله تعالى: ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ﴾ [الجمعة: ٣].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: هُم كِنْدَةُ والنَّخَعُ[١].

وقال عكرمة: هُم فارسُ والرُّومُ[٢].

وقال الحسن: هُم العَجَمُ[٣].

وقال محمد بن كعب: هُم الفُرْسُ[٤].

والحمدُ لله ربِّ العالمين

***

---

(١) ذكره عنه الزمخشري في «الكشاف» (٤/ ٣٣١)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٣٩)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٢٩١) عن الكلبي.

(٢) ذكره عنه الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٣٩)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٢٩١)، والزمخشري في «الكشاف» (٤/ ٣٣١).

(٣) انظر المصادر السابقة.

(٤) لم أقف عليه عن محمد بن كعب، وقد تقدم الحديث المرفوع المروي عن أبي هريرة رضي الله عنه.

سُورَةُ الفَتحِ

سُورَةُ الفَتْح

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

باسمِ اللهِ الذي غفَرَ لرسوله ما تقدَّمَ مِن ذَنْبه وما تأخَّر، وأتمَّ نعمتَه عليه، وهداه صراطاً مستقيماً، الرَّحمنِ الذي له مُلْكُ السماوات والأرض، يغفِرُ لمن يشاء ويُعذِّبُ مَن يشاء، وكان الله غفوراً رحيماً، الرَّحيمِ الذي وعَدَ الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرةً وأجراً عظيماً.

وروى أبيُّ بن كعب رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «مَن قرأ سورةَ الفَتْحِ كان له مِن الأجر كأنما كان مِمَّن بايعَ محمداً تحت الشجرة»(١).

وهذه السورة مدنيَّةٌ، وهي تسعٌ وعشرون آيةً، وخمسُ مئةٍ وستون كلمةً، وألفان وأربعُ مئةٍ وأحدٌ وعشرون حرفاً.

وانتظامُ آخرِ تلك السورة بأوَّل هذه السورة: أنَّه حثَّ في آخر تلك المؤمنين على الجهاد والإنفاق في ذلك، وافتتَحَ هذه السورةَ بذِكْر ما يَتْبَعُه مِن الفُتوح، وما يتَّصِلُ به مِن الكرامات لرسوله والمؤمنين بذلك.

وانتظامُ السورتين: أنَّ تلك في ذِكْر الذين كفروا وصَدُّوا عن سبيل الله، وهذه

---

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٣١٨)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ١٤٩) بلفظ: «فكأنما شهد مع محمد فتح مكة»، والمستغفري في «فضائل القرآن» (١٢١٥) واللفظ له، وهو قطعة من الحديث الموضوع المروي عن أبي بن كعب رضي الله عنه. انظر: «الفتح السماوي» للمناوي (٣/ ٩٩٩).

السورةُ في بيان صَدِّهم رسولَ اللهِ ﷺ والمؤمنين عامَ الحُدَيْبِيَةِ عن المسجد الحرام، وما نزَلَ فيه مِن المواعيد على رسول الله ﷺ.

* * *

(١) ـ ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾.

قولُه تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾: ذُكِرَ أنَّ رسول الله ﷺ خرَجَ سنة ستٍّ مِن الهجرة في ذي القَعْدة يُريدُ العمرةَ ولا يُريدُ حَرْباً، وخرَجَ معه المهاجرون والأنصار وكثيرٌ مِن قبائل العرب، وساقَ معه الهَدْيَ، وأحرَمَ مِن ذي الحُلَيْفة[١] لِيُعْلِمَ الناسَ أنه ما خرجَ مُحارباً، وإنما خرَجَ زائراً للبيت ومُعَظِّماً له، فلما انتهى إلى ثَنِيَّةِ مُرَارٍ[٢] التي يُهْبَطُ منها على الحُدَيْبِيَةِ، برَكَتْ ناقةُ رسولِ الله ﷺ، فقال الناس: خَلأَتِ العَضْباءُ[٣]، خلأَتِ العَضْباءُ وبرَكَتْ، فقال: «واللهِ ما خلأَتْ، وما ذلك لها بخُلُقٍ، ولكنْ حبَسَها حابِسُ الفيل عن البيت، واللهِ لا تسألُني قريشٌ خُطَّةً فيها تعظيمُ البيت إلا أَجَبْتُهم إليها، فلما قال هذا القولَ انبعثَتِ[٤] العَضْباءُ، ونزَلَ بالحُدَيْبِيَةِ[٥].

---

(١) ذو الحُلَيفة: قرية قرب المدينة، ومنها ميقات أهلها ومن حاذاها، تسمى حالياً بأبيار علي. انظر: «معجم البلدان» (٢/ ٢٩٥).

(٢) كذا ضبطها أبو إسحاق الحربي فيما نقله عنه البكري في «معجم ما استعجم» (٤/ ١٢٠٥).

(٣) الخِلاء في الإبل كالحِران في الدواب، يقال: خلأت الناقة تخلأ؛ إذا بركت ولم تبرح مكانها. انظر: «تهذيب اللغة» (٧/ ٢٣٦).

والعَضْباء: اسم ناقة النبي ﷺ، وهو علم منقول من قولهم: ناقة عَضْباء؛ أي: مشقوقة الأذن. انظر: «النهاية» لابن الأثير (مادة: عضب).

(٤) في (ر): «انتهضت».

(٥) رواه البخاري مطولًا (٢٧٣١)، والطبري في «تفسيره» (٢١/ ٢٩٦)، من حديث المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم.

وقيل: لما كان بعُسْفانَ[١] لَقِيَه بشرُ بن سفيانَ الكَعْبِيُّ، فقال: يا رسولَ الله، هذه قريش قد سمِعَتْ بمَسيرِكَ، فخرجوا ومعهم العُوذُ المَطافيلُ[٢]، وقد لبِسوا لك جُلودَ النَّمِر، يُعاهدون اللهَ تعالى لا تدخُلُها عليهم أبداً، وهذا خالد بن الوليد في خَيْله قد قدَّموه إلى كُراع الغَميم[٣]، فقال رسول الله ﷺ: «يا وَيْحَ قريشٍ، ماذا عليهم لو ماددتُهم مُدَّةً وخلَّوا بيني وبين سائر العرب، فإنْ هم أصابوني كان ما أرادوا، وإنْ أظهرَني الله عليهم دخلوا في الإسلام وافرين، وإنْ لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوةٌ، فما تظنُّ قريشٌ؟! فوَ اللهِ لا أزال أُجاهدُهم[٤] على الأمر الذي بعثَني به حتى يُظْهِرَه الله».

ثم قال: «مَن يسلُكُ بنا غير طريقهم؟»، فسَلَكَ بهم رجلٌ مِن أسلَمَ طريقاً وَعِراً أخرجهم على[٥] مَهْبَطِ الحُدَيْبِيَةِ، فنزَلَ بَطْنَ الحُدَيْبِيَة، ثم قال للناس: «انزلوا»، فقيل: يا رسولَ الله، ما بالوادي ماءٌ ينزِلُ عليه الناسُ، فأخرجَ سَهْماً مِن كِنانته، فأعطاه رجلاً مِن أصحابه، فنزلَ في قَليبٍ[٦]..............................

---

(١) عسفان: منهلة يستقى منها الماء ما بين الجحفة ومكة، سميت بذلك لتعسف السيل فيها. انظر: «معجم البلدان» (٤/ ١٢١).

(٢) جمع المُطْفِل: هي الناقة القريبة العهد بالنتاج معها طفلها، والعُوذ: جمع عائذ، وهي الناقة إذا وضعت، والمقصود: أنهم جاؤوا بأجمعهم كبارهم وصغارهم. انظر: «النهاية» لابن الأثير (مادة: عوذ وطفل).

(٣) موضع بين مكة والمدينة، وقيل: قرب المدينة بين رابغ والجحفة، له ذكر كثير في الحديث والمغازي. انظر: «معجم البلدان» (٤/ ٢١٤).

(٤) في (أ): «أقاتلهم».

(٥) في (ف): «عن».

(٦) القليب: هو البئر التي لم تطو، ويذكر ويؤنث. انظر: «النهاية» لابن الأثير (٤/ ٩٨).

مِن تلك القُلَب، فغَرَزَه فيه، فجاشَ[١] بالرِّواء[٢] حتى ضرَبَ الناسُ عليه بعَطَنٍ[٣].

فلما اطمأنَّ رسولُ الله ﷺ أتاه بُدَيْلُ بن الوَرْقاء في رجال مِن خُزاعةَ، وكلَّموه، وسألوه: ما الذي جاء به؟ فقال: «إنما لم نأتِ نريد حَرْباً، وإنما جئنا زائرين لهذا البيت، ثم قال لهم نحواً مما قاله لبِشْر بن سفيان، فرجعوا إلى قريش، فقالوا لهم: إنكم تَعْجَلون على محمد، إنَّ محمداً لم يأتِ لقتال، إنما جاء زائراً لهذا البيت، فنَهْنَهُوهم[٤] وتجهَّموهم[٥]، فقالوا: واللهِ لا يدخُلُ علينا عَنْوةً أبداً، ولا تَحدَّثُ العربُ أنَّا أُخِذْنا ضُغْطَةً[٦]، فبعثوا إليه مِكْرَزَ[٧] بنَ حفصِ بن الأَخْيَفِ، فلما رآه رسول الله ﷺ كلَّمه وقال له نحواً مما كلَّمَ به بُدَيْلاً، فرجعَ إلى قريش فأخبرَهم بما قال، فبعَثوا إليه الحُلَيْسَ بن عَلْقَمة َوكان سيِّدَ الأحابيش، فلما رآه رسول الله ﷺ قال: «إنَّ هذا مِن قومٍ يتألَّهون ـ التألُّه: التعبد، يتألَّهون: يتعبدون ويتنسكون ـ فابعثوا الهَدْيَ في وجهه حتى يراه»، فلما رأى الهَدْيَ يَسيلُ عليه مِن عُرْض الوادي[٨] في

---

(١) جاش: الجيم والياء والشين أصل واحد، وهو الثوران والغليان، يقال: جاشت نفسه؛ كأنها غلت. انظر: «مقاييس اللغة» لابن فارس (١/ ٤٩٩).

(٢) الرِّواء: الماء الكثير، وقيل: العذب الذي فيه للواردين ري.

(٣) العَطَن: مبركُ الإبل حول الماء، وقد عطَنَتْ الإبل على الماء؛ إذا سقيت ثم أنحيت في عطنها لتعود فتشرب. انظر: «تهذيب اللغة» (٢/ ١٠٣).

(٤) في (ر): «فتنهوهم». النَّهْنَهة: الكف، تقول: نهنهتُ فلاناً؛ إذا زجرته ونهيته. انظر: «العين» للخليل (٢/ ٣١٠).

(٥) الذي في المصادر: «فاتهموهم وجبهوهم».

(٦) الضغطة بالضم: الإكراه. انظر: «القاموس» (مادة: ضغط).

(٧) في النسخ الثلاث: «بكر»، والمثبت من المصادر.

(٨) أي: جانبه. انظر: «معجم ديوان الأدب» للفارابي (١/ ١٨٦).

قَلائده، رجَعَ إلى قريش، ولم يَصِلْ إلى رسول الله إعظاماً لِما رأى، وقال: يا مَعْشَرَ قريش، إني قد رأيتُ ما لا يحِلُّ صدُّه: الهَدْيَ في قلائده، قالوا له: اجلسْ، فإنما أنت أعرابيٌّ لا عِلْمَ لكَ.

ثم بعَثوا إلى رسول الله ﷺ عُرْوَةَ بنَ مسعود الثَّقَفيَّ، فقال: يا مَعْشَرَ قريشٍ، إني قد رأيتُ ما لَقِيَ منكم مَن بعثتم إلى محمد مِن التَّعنيف، وأنتم تعلمون نُصْحي لكم، فقالوا: ما أنتَ عندنا بمُتَّهَمٍ، فخرجَ حتى أتى النبي ﷺ، فجلس بين يديه، ثم قال: يا محمد، أَجَمَعْتَ أَوْباشَ الناسِ، ثم جئتَ بهم إلى بيضتكَ[1] لِتَفُضَّها بهم؟! فهل رأيتَ أحداً استأصلَ أهلَه قَبْلَكَ؟! ثم إني أرى أَوْباشاً حولكَ خَليقٌ بهم أنْ يفِرُّوا عنكَ ويدَعوكَ.

فقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه وهو قاعدٌ خَلْفَ رسولِ الله ﷺ: اُمْصُصْ بظرَ اللَّاتِ، أنحن نفِرُّ عنه وندَعُه؟! فقال: مَن هذا يا محمد؟ فقال: هذا ابنُ أبي قُحافة، فقال: أما واللهِ لولا يدٌ كانت لكَ عندي لكافأْتُكَ ولكنْ هذه بهذه، ثم جعلَ يُكَلِّمُ رسولَ الله ﷺ ويتناولُ لِحْيَته.

قال: والمغيرةُ بنُ شُعْبَةَ واقفٌ على رسول الله ﷺ في الحديد، فجعل يَقْرَعُ يدَه إذا تناول لِحْيَةَ رسولِ الله ﷺ، ويقول له: نَحِّ يدَكَ عن وجه رسول الله ﷺ قبلَ أنْ لا تَصِلَ إليكَ، فيقول عُرْوةُ: وَيْحَكَ ما أَفظَّكَ وما أَغْلَظَكَ! فتبسَّمَ رسول الله ﷺ، فقال له عُرْوة: مَن هذا؟ قال: هذا ابنُ أخيك[2] المغيرةُ بن شعبة، فقال: أيْ غُدَرُ، هل سعيتُ[3]

(١) البيضة: أصل القوم ومجمعهم. انظر: «العين» للخليل (٧/ ٦٩).

(٢) في (ف): «أختك».

(٣) في (أ): «سقيت».

في غَدْرَتِكَ إلا بالأمس[١]؟! فكلَّمه رسولُ الله ﷺ بنحو ما كلَّمَ به أصحابَه، وأخبرَه أنه لم يأتِ يُريدُ حَرْباً.

فقام مِن عند رسول الله ﷺ وقد رأى ما يصنَعُ أصحابُه، لا يتوضَّأُ إلا ابتدَروا وَضوءَه، ولا يبصُقُ بُصاقاً إلا ابتدَروه ودلَكوا به وجوهَهم، ولا سقَطَ مِن شَعْره شيءٌ إلا أخذوه، فرجع إلى قريش، فقال: يا مَعْشَرَ قريشٍ، إني قد جئتُ كسرى في مُلْكه، والنَّجاشيَّ في مُلْكه، وقَيْصَرَ في مُلْكه، وإني واللهِ ما رأيتُ مَلِكاً في قوم قطُّ مِثْلَ محمد في أصحابه، ولقد رأيتُ قوماً لا يُسْلِمونه لشيءٍ أبداً، وقد عرَضَ عليكم خُطَّةَ رُشْدٍ فاقبلوها منه.

وكانت قريشٌ بعثوا أربعين رجلاً أو خمسين، وأمَرُوهم أنْ يُطِيفوا بعسكر رسول الله ﷺ لعلَّهم يُصيبون مِن أصحابه أحداً، فأُخِذوا وأُتِيَ بهم رسولُ الله ﷺ، فعفى عنهم، وخلَّى سبيلَهم، وقد كانوا رَمَوا في عسكر رسول الله ﷺ بالحجارة والنَّبْل.

ثم دعا عمرَ بن الخطاب رضي الله عنه لِيَبْعثَه إلى مكة، فيُبلِّغَ عنه أشرافَ قريشٍ ما جاء له، فقال: يا رسولَ الله، إني أخافُ قريشاً على نفْسي، وليس بمكَّةَ أحدٌ مِن بني عَدِيِّ بن كعب يمنعُني منهم، وقد عرَفَتْ قريشٌ عَداوتي لهم وغِلْظَتي عليهم، ولكنْ أدلُّكَ على رجل هو أَعَزُّ بها مني، عثمانَ بن عفان، فدعا رسولُ الله ﷺ عثمانَ، فبعثَه إلى أبي سفيانَ وأشرافِ قريشٍ يُخبِرُهم أنه لم يأتِ لحربٍ، وإنما جاء زائراً لهذا البيت، فخرَجَ عثمان رضي الله عنه إلى مكة، فلَقِيَه أَبانُ بنُ سعيدِ بن

---

(١) وذلك أن المغيرة بن شعبة قبل إسلامه قتل ثلاثة عشر رجلاً من بني مالك من ثقيف، فتهايج الحيان من ثقيف، فودى عروة المقتولين ثلاث عشرة دية، وأصلح ذلك الأمر. انظر: «سيرة ابن هشام» (٢/ ٣١٠).

العاصِ حين دخَلَ مكةَ أو قَبْلَ أنْ يدخُلَها، فنزلَ عن دابَّته، وحمَلَه بين يديه، ثم رَدِفَه وأجارَه حتى بلَّغَ رسالةَ رسولِ الله ﷺ، فقال لعثمانَ حين فرَغَ مِن رسالة رسول الله ﷺ إليهم: إنْ شئتَ أنْ تطوفَ بالبيت فطُفْ به، قال: ما كنتُ لِأفعلَ حتى يطوفَ به رسولُ الله ﷺ، واحتبَسَتْه قريشٌ عندها، فبلَغَ رسولَ الله ﷺ والمؤمنين أنَّ عثمانَ قد قُتِلَ، فقال رسول الله ﷺ حين بلَغه ذلك: «لا نبرَحُ حتى نُناجِزَ القومَ»، ودعا الناسَ إلى البَيْعة، فكانت بَيْعةُ الرِّضوان تحت الشجرة.

وكان الناس يقولون: بايعَهم رسولُ الله ﷺ على الموت.

وكان جابر بن عبد الله يقول: إنما بايعَنا على أنْ لا نَفِرَّ.

فبايعَ رسول الله ﷺ [الناس]، ولم يتخلَّفْ عنه أحدٌ مِن المسلمين إلا الجَدَّ بن قيس، ثم بلَغَ رسولَ الله ﷺ أنَّ ما ذُكِرَ له مِن أمرِ عثمانَ باطلٌ، ثم بعثَتْ قريشٌ إلى رسول الله ﷺ سُهيلَ بن عمرو، فقالوا له: ائتِ محمداً فصالِحْه، ولا يكونُ في صُلْحِه إلَّا أنْ يرجِعَ عنا عامَه هذا، فواللهِ لا تَحَدَّثُ العربُ أنه دخلَها علينا عَنْوةً أبداً.

قال: فأقبلَ سُهَيلٌ، فلما رآه رسولُ الله ﷺ قال: «قد سَهُلَ عليكم أمرُكم، وما أرادَ القومُ إلا صُلْحاً»، فلما انتهى سُهَيلٌ إلى رسول الله ﷺ تكلَّمَ، فأطالَ الكلامَ، وتراجعا، ثم جرى بينهما الصُّلْحُ، فلما التَأَمَ الأمرُ دعا رسولُ الله ﷺ عليَّ بنَ أبي طالب رضي الله عنه لِيَكْتُبَ كتابَ الصُّلْحِ(١)، فكتب: «بسم الله الرحمن الرحيم»، فقال سُهيلٌ: إنا لا نعرِفُ الرَّحمنَ، فاكتُبْ ما نعرِفُ، اكتُبْ: (باسمكَ اللَّهُمَّ)، فقال رسول الله ﷺ: «اكتُبْ: باسمكَ اللَّهُمَّ»، قال: فكتبتُها، ثم قال: «اكتُبْ هذا ما صالحَ عليه رسولُ اللهِ سُهيلَ بنَ عمرو»، فقال سُهيلٌ: لو عَلِمْنا أنَّكَ رسولُ اللهِ ما صَدَدْناكَ

---

(١) في (ر) و(ف): «الكتاب بالصلح».

عن البيت، ولكن اكتُبِ اسمكَ واسمَ أبيكَ، فقال رسول الله ﷺ: «اكتُبْ هذا ما صالحَ عليه محمَّدُ بنُ عبدِ اللهِ سهيلَ بنَ عمرو على أنَّ الحربَ موضوعةٌ بين الناس عشرَ سنين، يَأْمَنُ فيه الناسُ، ويَكُفُّ بعضُهم عن بعض، على أنَّ مَن أتى رسولَ اللهِ ﷺ مِن قريشٍ ردَّه عليهم، ومَن جاء قريشاً ممَّن مع رسول الله ﷺ لم يَرُدُّوه عليه، وأنَّ بيننا عَيْبةً مَكْفُوفةً[1]، وأنَّه لا إِسْلالَ ولا إِغْلالَ[2]، ومَن أحبَّ أنْ يدخُلَ في عَقْدِ قريشٍ وعَهْدِهم دخَلَ فيه، ومَن أحَبَّ أنْ يدخُلَ في عَقْد رسولِ الله ﷺ وعَهْدِه دخَلَ فيه، وأنَّكَ ترجِعُ عنا عامَكَ هذا، فلا تدخُلُ علينا مكةَ، وأنَّه إذا كان العامُ القابلُ خَرَجْنا عنها فدخَلْتَها بأصحابكَ، فأقَمْتَ بها ثلاثاً ومعكَ سلاحُ الرَّاكبِ، والسُّيوفُ في القُرَب، لا تدخلُها بغيرها.

فبينا رسولُ اللهِ ﷺ يكتُبُ الكتابَ وسهيلَ بنَ عمرو إذْ أقبَلَ أبو جَنْدَلِ بن سُهيلِ ابن عمرو يرسُفُ[3] في قيوده، قد انفلَتَ إلى رسول الله ﷺ، فلما رآه سُهيلٌ قامَ إليه، وضرَبَ وجهَه، وأخذ بِلَبَّتِه، وقال: يا محمد، هذا أَوَّلُ العهدِ، ورسولُ اللهِ ﷺ يقول: «إنا لم نختِمِ الكتابَ بعدُ، فأَجِزْ لي هذا الواحدَ»، فقال: واللهِ لا أفعَلُ، فردَّه رسولُ اللهِ ﷺ، فجعل أبوه يَجُرُّه معه، وجعلَ أبو جَنْدَلٍ يصرَخُ بأعلى صوته: يا مَعْشَرَ المسلمين، أُرَدُّ إلى المشركين يَفْتِنوني عن ديني؟! فقال رسولُ الله ﷺ: «أبا جَنْدَلٍ، احتسِبْ،

---

(١) أي: بينهم صدر نقي من الغل والخداع، مطوي على الوفاء بالصلح، وقيل: أراد أن بينهم موادعة ومكافة عن الحرب، تجريان مجرى المودة التي تكون بين المتصافين الذين يثق بعضهم إلى بعض. انظر: «النهاية» لابن الأثير (٣/ ٣٢٧)

(٢) يقال: غلَّ فلان كذا؛ إذا اقتطعه ودسه في متاعه؛ وسلَّ البعيرَ في جوف الليل؛ إذا انتزعه من بين الإبل؛ وهما كناية عن الخيانة والسرقة، وقيل: الإغلال: لبس الدروع، والإسلال: سل السيوف. انظر: «الفائق» للزمخشري (٣/ ٧١).

(٣) الرَّسَفان: مشيُ المقيَّدِ. انظر: «الصحاح» للجوهري (٤/ ١٣٦٤).

فإنَّ اللهَ جاعلٌ لكَ ولِمَن معكَ مِن المُسْتَضْعَفين فرَجاً ومَخْرَجاً، إنَّا قد عقَدْنا بيننا وبين القوم صُلْحاً، وأعطيناهم على ذلك كِتاباً، وأعطَونا عَهْداً، وإنا لا نَغْدِرُ بهم».

ورُوِيَ أنَّ عمر رضي الله عنه قام إلى أبي جَنْدَلٍ وجعل يمشي معه ويقول له: اصبرْ يا أبا جَنْدَلٍ، فإنما هُم المشركون، وإنما دمُ أحدِهم مِثْلُ دمِ الكلب، قال: وجعَلَ يُدْني إليه قائمةَ سيفِه رجاءَ أنْ يأخُذَ منه السَّيفَ، فيَضْرِبَ به أباه، قال: فضَنَّ الرجلُ بأبيه.

فلما قضى الكتابَ، وأشهدَ على الصُّلْح رجالاً مِن المسلمين ورجالاً مِن المشركين، وانصرفَ رسولُ الله ﷺ مُتوَجِّهاً إلى المدينة بعدما أمرَ الناسَ بأنْ يُحِلُّوا، جاء عمرُ إلى أبي بكر رضي الله عنهما، فقال: أليس رسولَ اللهِ ﷺ؟ قال: بلى، فقال: ألسنا مِن المسلمين؟ قال: بلى، فقال: ألسنا على الحقِّ وهُم على الباطل؟ قال: نعم، فقال: فعلامَ نُعطِي الدَّنِيَّةَ في دِيننا؟ قال أبو بكر: يا عمرُ، إنه رسولُ اللهِ ﷺ، وإنه يفعلُ ما يُؤْمَرُ، فالزَمْ غَرْزَه.

قال: ثم أتى عمرُ رسولَ الله ﷺ، فقال: يا رسولَ اللهِ، ألستَ رسولَ اللهِ؟ قال: «بلى»، قال: ألسنا على الحقِّ وهُم على الباطل؟ قال: بلى، قال: فعلامَ نُعطِي الدَّنيَّةَ في دِيننا؟ فقال: أنا عبدُ اللهِ ورسولُه، وإني أفعلُ ما أومَرُ، ولن يُضَيِّعَني اللهُ، قال: فكان عمرُ يقول: ما زلتُ أصومُ وأتصدَّقُ وأُعْتِقُ وأُصَلِّي مِن الذي صَنَعْتُ يومئذٍ مَخافةَ كلامي الذي تكلَّمْتُ به، وعَلِمْتُ يومئذٍ فَضْلَ عِلْمِ أبي بكر على عِلْمي.

قال: فلما انصرفَ رسولُ الله ﷺ قافلاً نحو المدينة حتى إذا كان بين مكةَ والمدينةِ نزلَتْ سورةُ الفتحِ، فما كان في الإسلام فتحٌ قَبْلَه أعظمَ منه، إنما كان القتالُ

حيث التقى الناسُ، فلما كانت الهُدْنَةُ، ووَضَعَتِ الحربُ أوزارَها، وأمنَ الناسُ، والتقَوا، وتفاوضوا الحديثَ، فلم يُكَلَّمْ أحدٌ بالإسلام يعقِلُ إلا دخَلَ فيه، ودخَلَ في السِّنين في الإسلام مثلُ مَن كان في الإسلام قَبْلَ ذلك أو أكثرُ(١).

وبعثَ رسولُ اللهِ ﷺ في هذه المدة دُعاةً، فوجَّهَ دِحْيَةَ الكلبيَّ إلى هِرَقْلَ وغيرِه، وقرأ رسولُ الله ﷺ بالحُدَيْبِيَةِ على أصحابه هذه السورةَ، وفيها بشارةٌ للنبيِّ ﷺ ثم للمؤمنين، ثم وعيدُ المشركين والمنافقين، ثم وَعْدٌ بالمَغانم والفُتوحِ للمسلمين، وبدخول مكةَ آمِنين، وأنجزَ(٢) اللهُ تعالى ذلك، فدخلوه في العام القابل سنةَ سبعٍ، ثم فُتِحَتْ مكةُ سنةَ ثمانٍ، وحجَّ أبو بكرٍ سنةَ تسعٍ، ثم حجَّ النبيُّ ﷺ سنةَ عشرٍ، ونزلَ يومَ عرفةَ وهو بعرفاتٍ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾؛ تحقيقاً لمواعيد هذه السورة.

ولَمَّا قرأَ عليهم هذه السورةَ قالوا: أَفَتْحٌ هو؟ قال: «نعم»، يعني: كان في الظَّاهر صَدًّا عن المسجد الحرام، وانغِلاقاً لِمَا أرادوه، لكنه كان فَتْحاً معنًى؛ لأنه كان سبباً لِتَتابُعِ الفُتوح عليهم، وانفتاحِ الطُّرُق على مَن كان لا يَصِلُ إليه، ووُفودِ رسلِ الملوك مِن أقطار الأرض، ثم تتابعَتِ الفتوحُ بعده على ما وعَدَ، وأثابَهم فتحاً قريباً: فَدَكَ، وخَيْبَرَ، وفتحَ مكَّةَ، وما ذكَرَ في قوله: ﴿سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ [الفتح: ١٦] في عصر الصحابة، ثم تتابَعَ فتوح البلاد.

---

(١) ذكر قصة صلح الحديبية الواقدي في «مغازيه» (٢/ ٥٧١)، وابن إسحاق كما في «السيرة النبوية» لابن هشام (٢/ ٣١٠) وعنه نقل المؤلف، والطبري في «تاريخه» (٢/ ٦٢٠)، وفي «تفسيره» (٢١/ ٢٩٦)، وابن حبان في «السيرة النبوية وأخبار الخلفاء» (١/ ٢٨٠).

والحديث بطوله رواه بنحو ما ذكر البخاري (٢٧٣١)، والإمام أحمد في «مسنده» (١٨٩٢٨)، من حديث المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم.

(٢) في (أ): «وأجر».

قولُه تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ﴾: قال أنس رضي الله عنه: أي: قضينا لك[1]؛ وهو كما قال: ﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ﴾ [الأعراف: ٨٩].

﴿فَتْحًا مُبِينًا﴾: أي: قضاءً بَيِّناً تَظهرُ آثارُه إذا أمضيناه وأبرزنا مَكْنونَه، وهو ما ألهمناكَ مِن هذا الصُّلْح الذي هو سببٌ لانفتاح أمور يظهرُ به الدِّين، وتكثُرُ بعده الفُتوحُ على المسلمين؛ لِتَقِفَ على إنعامنا، وتشكُرَ لنا، فتستحِقَّ به المغفرةَ وإتمامَ النِّعمة وإدامةَ الهدايةِ والنَّصْرِ والعِزَّةِ، وذلك قولُه: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ﴾ الآيات.

وقال الكلبي ومقاتل رحمهما الله: أرادَ به فتحَ الحُدَيْبِيَةِ[2].

وقال الشَّعبي: نزلت يومَ الحُدَيْبِيَةِ، وبايعَه المسلمون بها بَيْعَةَ الرِّضْوان، وأُطْعِموا نخيلَ خيبرَ، وظهَرَت الرُّومُ على فارسَ، وفَرِحَ به المسلمون[3].

وقال عَطِيَّة: أراد به فَتْحَ خَيْبَرَ[4].

وقال سعيد بن جُبير: لبِثَ رسولُ الله ﷺ في غزوة الحُدَيْبِيَةِ خمسةً وأربعين يوماً، وفيها كانت بيعةُ الرِّضْوان تحت الشجرة[5].

---

(١) ذكره البغوي في «تفسيره» (٧/ ٢٩٦) عن قتادة عن أنس رضي الله عنه.
ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣/ ٢١٠)، والطبري في «تفسيره» (٢١/ ٢٣٨) عن قتادة.
وهو قول مقاتل كما في «تفسيره» (٤/ ٦٥).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٤٣) عن الكلبي، والواحدي في «البسيط» (٢٠/ ٢٧٩) عن الكلبي عن ابن عباس رضي الله عنهما. وانظر قول مقاتل في «تفسيره» (٤/ ٦٥).

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣/ ٢١٠)، والطبري في «تفسيره» (٢١/ ٢٤٤).
وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٤٢)، والماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٣٠٩)، والواحدي في «البسيط» (٢٠/ ٢٨٠).

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٤١)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ١٢٧) عن مجاهد وعطية العوفي.

(٥) لم أقف عليه.

وقيل: أي: إنا نفتَحُ، ماضٍ بمعنى المستقبل؛ لأنه كائنٌ، وهو كقوله: ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾: أي: يأتي.

وقيل: أي: فتَحْنا لكَ أبوابَ العلوم والخيرات.

وقال ابن عباس: الفتحُ المُبين هو فتحٌ مِن غير قتالٍ[1].

* * *

(٢) ـ ﴿لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَيَهۡدِيَكَ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا﴾.

وقولُه تعالى: ﴿لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ﴾: قيل: اللامُ على ظاهره، واتِّصالُه بالأوَّل بما ذكَرْنا؛ أي: لِتشكرَ اللهَ تعالى على هذا، فيَغْفِرَ اللهُ لكَ بذلك، وتقديرُه: لِيغفِرَ لكَ اللهُ إذا شكَرْتَ هذه النِّعمةَ.

وقال أبو حاتمٍ سَهْلُ بن محمد: اللامُ لامُ القسَمِ، ولكنْ لَمَّا حُذِفَتِ النُّونُ مِن فِعلِه كُسِرَتْ اللامُ ونُصِبَ فعلُها تشبيهاً لها بلام (كي)، وتقديرُه: لَيَغْفِرَنَّ اللهُ لكَ، وكذا ما بعده[2].

وقال بعضهم: كان وعَدَ اللهُ الفَتْحَ والمغفرةَ، فلما أنجزَ وعدَه بالفتح ذكَرَ له أمرَ المغفرةِ أيضاً باللام، وكان الفتحُ علامةً لها لا عِلَّةً.

---

(١) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٠/ ٢٧٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما من رواية الكلبي.

وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٤٢)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٢٩٧)، والواحدي في «البسيط» (٢٠/ ٢٨٠) عن الضحاك.

(٢) ذكره عنه النحاس في «معاني القرآن» (٦/ ٤٩٥)، والثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٤٢)، والواحدي في «البسيط» (٢٠/ ٢٨٢).

وقال الحسين بن الفَضْل رحمه الله: لا يجوز أنْ يكون الفتحُ عِلَّةً للمغفرة، واللامُ للتعليل، فلم يكن اتِّصالُه لذلك، لكنْ يتَّصِلُ هذا بقوله: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ... لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ الآيات[١].

وقال مقاتل: إنَّ الله تعالى أنزلَ عليه وهو بمكة قولَه: ﴿وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ﴾، ففرِحَ بذلك أهلُ مكَّةَ، وقالوا: ما أمرُنا وأمرُه عند إلهه الذي يعبُدُه إلا واحدٌ، ولولا أنَّه ابتدعَ هذا الأمر عن هواه لكان ربُّه يُخبِرُه بما يفعل به، وشَقَّ ذلك على المؤمنين، فلمَّا قدِمَ المدينةَ قال عبد الله بن أُبَيٍّ: كيف تتَّبعون رجلاً لا يدري ما يُفعَلُ به، ولا يدري ما يُفعَلُ بأصحابه، فلما رأى اللهُ فرَحَ المشركين وحُزْنَ المؤمنين، أنزلَ عليه بعدما رجع مِن الحُدَيْبِيَةِ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ﴾؛ أي: قبل المَبْعَثِ، ﴿وَمَا تَأَخَّرَ﴾: أي بعد المَبْعَثِ[٢].

فأخبرَ رسولُ الله ﷺ أصحابَه بذلك، وقال: لقد نزلت عليَّ سورةٌ ما يسُرُّني بها حُمْرُ النَّعَم»[٣]، ثم قرأها عليهم فقالوا: طوباكَ يا رسولَ الله، فأنزل الله تعالى الآيةَ التي في الأحزاب: ﴿ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٤٧].

وقولُه تعالى: ﴿مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾: أي: مِن زلَّتِكَ، ولا نبحثُ عن ذلك

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٤٢)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٢٩٧).

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٦٥).

وذكره عنه مختصراً السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٣٠٨)، والثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٤٢)، والواحدي في «البسيط» (٢٠/ ٢٨١).

(٣) ذكره مقاتل في «تفسيره» (٤/ ٦٦) بلفظ: «لهي أحب إلي مما بين السماء والأرض»، والثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٤٢) واللفظ له، ولم يذكرا له إسناداً.

والحديث رواه البخاري (٤١٧٢)، ومسلم (١٧٨٦) من حديث أنس رضي الله عنه.

بتعيينه؛ لأنه طلَبُ النَّقْصِ فيه، وهو باطلٌ، ويُعْلَمُ أنَّ اللهَ تعالى عاتبَه على شيء ثم غفَرَه له، ولا حاجةَ بنا إلى معرفة ذلك بعينه.

وقيل: هو غُفْرانُ عِصْمَةٍ.

وقيل: ﴿مَا تَقَدَّمَ﴾: زلَّةُ آدمَ عليه السلام، ﴿وَمَا تَأَخَّرَ﴾: ذُنوبُ أمَّتِه. قاله عطاء بن أبي مُسْلم الخُراسانيُّ رحمه الله[1].

وقولُه تعالى: ﴿وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ﴾: قيل: بإظهار الدِّين.

وقيل: بإعطاء الشفاعة.

وقيل: بالقسَمِ بقوله: ﴿لَعَمْرُكَ﴾.

وقيل: بالمعراج.

وقيل: برُؤْيَةِ اللهِ غداً، وحقَّقَ ذلك بقوله: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى﴾ [المائدة: ٣].

وقولُه تعالى: ﴿وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾: أي: ويُثَبِّتَكَ على الصواب والسَّداد.

* * *

(٣) ـ ﴿وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾.

وقولُه تعالى: ﴿وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ﴾: أي: يُعِينَكَ على أعدائك ﴿نَصْرًا عَزِيزًا﴾؛ أي: مُعِزًّا يُعِزُّ[2] ذلك النَّصْرُ مَن آمنَ بكَ.

قالوا: ولَمَّا نزلَتْ هذه الآياتُ قالوا: يا رسولَ اللهِ، طُوباكَ، هذا لكَ، فما لنا؟ فأنزل الله تعالى ﴿لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ﴾ الآية [الفتح: ٥].

---

(١) ذكره عنه الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٤٢)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٢٩٨).

(٢) في (أ): «بعد».

وفي حقِّ النُّصْرَةِ: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧].

وفي حقِّ إتمامِ النِّعْمَةِ: ﴿وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى﴾ [المائدة: ٣].

وفي حقِّ الهداية: ﴿وَكَفَّ أَيْدِىَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ [الفتح: ٢٠].

* * *

(٤) - ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾.

وقولُه تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ﴾: أي: الطُّمَأْنينة ﴿فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾: أي: يقيناً مع يقينهم.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: السَّكينةُ: الطُّمأْنينةُ في قلوبهم يوم صَدَّ المشركون رسولَ الله ﷺ وأصحابَه عن دخول مكة، فأذهبَ عنهم الحَمِيَّةَ واطمأنُّوا ﴿لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾؛ أي: تصديقاً مع تصديقهم(١).

وقال أيضاً: بعَثَ اللهُ تعالى نبيَّه بشهادةِ أنْ لا إله إلا الله، فلمَّا صدَّقوه فيها زادَهم اللهُ تعالى الصلاةَ، فلما صدَّقوه زادَهم اللهُ الزكاةَ، فلما صدَّقوه زادَهم اللهُ الصيامَ، فلما صدَّقوه زادَهم اللهُ الحجَّ، فلما صدَّقوه زادَهم الجهادَ، ثم أكمَلَ لهم دِينَهم، فقال: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى﴾(٢).

---

(١) ذكره مختصراً الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٤٣)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٢٩٨).

(٢) رواه المروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (٣٥٣)، والطبري في «تفسيره» (٢١/ ٢٤٥)، والآجري في «الشريعة» (٢/ ٥٥٢)، والطبراني في «١٢/ ٢٥٥)، وابن بطة في «الإبانة» (٨١٥).

وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٤٣)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٢٩٨).

وقولُه تعالى: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: أي: لو أرادَ اللهُ إِهلاكَ المشركين الصَّادِّين رسولَ اللهِ والمؤمنين عن البيت لم يُعْجِزْه ذلك.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا﴾: أي: بما كان، وبما يكون ﴿حَكِيمًا﴾: أي: فيما يفعلُه به وبكم.

* * *

(٥) ـ ﴿لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا﴾.

وقولُه تعالى: ﴿لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾: أي: لِيكون ازديادُ تصديقِهم ويقينِهم سبباً لإدخالِهم الجنةَ.

﴿وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾: عطْفٌ عليه.

﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ﴾: أي: في حُكْمِ الله، وقيل: في الآخرة.

﴿فَوْزًا عَظِيمًا﴾: ظفراً بكل مَحبوبٍ، وأَمْناً مِن كل مَرْهوبٍ.

* * *

(٦) ـ ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾.

قولُه تعالى: ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ﴾: أي: ولِيُعذِّبَهم في الدنيا بإيصال الأحزان بهم بعُلُوِّ المؤمنين، وتَسليطِ النَّبيِّ عليهم قَتْلاً وأَسْراً واستِرْقاقاً.

﴿ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ﴾: وهو ما توهَّموه أنَّ اللهَ يَخْذُلُ رسولَه والمؤمنين، وهو ما قال بَعْدَ هذا: ﴿بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا﴾.

﴿عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾: قرأ ابنُ كثيرٍ وأبو عمرو بضَمِّ السين، وهو مصدرٌ، والباقون بالفتح[1]، وهو نَعْتٌ.

والدَّائرةُ: الرَّاجِعةُ بخيرٍ أو بشَرٍّ، وها هنا أُضِيفَ إلى السَّوء، فأُريدَ بها: دائرةُ الأمر السَّوء.

أي: أكذَبَ اللهُ ظنَّهم، وجعلَ دائرةَ السَّوءِ[2] عليهم، فدخلَ النبيُّ العامَ القابلَ مكةَ، وأجلى عنها مَن امتنعَ عن الإسلام، وقهرَ أهلَها على ما أراد منهم مِن الإسلام أو الجَلاء.

وقولُه تعالى: ﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾: وهذا كلُّه في حقِّ مَن مات منهم أو قُتِلَ على شركه أو نفاقه.

* * *

(٧) ـ ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾.

وقولُه تعالى: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: أعاد هذا؛ لأنَّ الأوَّلَ في معنى التَّهديد للمشركين الصَّادِّين رسولَ اللهِ والمؤمنين عن مكة، وهذا في حقِّ كلِّ المنافقين والمشركين.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا﴾: أي: مَنيعاً لا يُرَدُّ بأسُه ﴿حَكِيمًا﴾: يضَعُ الإمهال مَوْضِعَه[3]، وقد بيَّنَ حِكْمَةَ ذلك بقوله في هذه السورة: ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ﴾ الآية.

وقال مقاتل بن حيان: لَمَّا نزل قوله: ﴿لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ﴾، قال عبد الله بن

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٠٣)، و«التيسير» للداني (١١٩).

(٢) في (ر) و(ف): «الشر».

(٣) في (ر): «الأشياء موضعها».

أُبَيٍّ: ما نحن وهم ـ يعني: الصَّحابةَ ـ إلا في منزلةٍ واحدةٍ، فأنزل الله: ﴿وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ﴾[(١)].

* * *

(٨) ـ ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾.

وقولُه تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾: فسَّرْناه في سورة الأحزاب.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا﴾؛ أي: بعثناكَ إلى أُمَّتِكَ شاهداً بالبلاغ إليهم ﴿وَمُبَشِّرًا﴾ بالقرآن المؤمنين بالجنة ﴿وَنَذِيرًا﴾[(٢)] بالقرآن الجاحدين بالنار[(٣)].

وقيل: ﴿شَاهِدًا﴾: على الرسل والكتب بالصِّدق ﴿وَمُبَشِّرًا﴾ للمُصدِّق بهم وبها وبكتابك بالجنة ﴿وَنَذِيرًا﴾: ومُخَوِّفاً لِمَن جحَدَ ذلك بالنار.

* * *

(٩) ـ ﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾.

وقولُه تعالى: ﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ﴾: قرأ ابنُ كثيرٍ وأبو عمرو كلَّه بياء المُغايبة؛ أي: بعثناكَ إليهم ليفعلوا ذلك كلَّه، وقرأ الباقون بتاء المخاطبة للمُرْسَل إليهم[(٤)].

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل بن سليمان» (٤/ ٦٨)، وذكره عنه ابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ١٢٩).

(٢) في (أ): «ومنظراً». وفي (ف): «ومنذراً».

(٣) رواه عنه الطبراني في «الدعاء» (١٦٠٥)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٤/ ٥١٣)، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٦٢٤) أيضا إلى ابن أبي حاتم وابن مردويه وابن عساكر.

(٤) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٠٣)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠١).

وقال أبو حاتم: يجوز أنْ يكون التَّعْزيرُ والتَّوقيرُ لله مع التسبيح[1]، وهو أَوْفَقُ للنَّظْمِ، والتَّعزيرُ هو النَّصْرُ.

وقال الزَّجَّاج: هو النَّصرُ مَرَّةً بعد أخرى، وهو نصرُ دينِ الله ورسوله، والتَّوقيرُ: التَّعظيمُ، والتَّسبيحُ: التَّنزيهُ له[2].

وقال أبو حاتم: ويجوزُ أنْ يكون التَّعزيرُ والتَّوقيرُ لرسول الله، وأما التَّسبيحُ فلا يجوز إلا لله.

وفي قراءة عبد الله بن مسعود: (وتُسَبِّحوا اللهَ بُكْرةً وأصيلاً)[3].

وتعزيرُ الرَّسولِ: المنعُ له، والحمايةُ له، والقتالُ دونه.

وتوقيرُه: تعظيمُه في مُخاطباته، وتعظيمُ أمرِه.

وقال الضحاك: ﴿تعزروه﴾: تُنَصِّروه، ﴿وَتُوَقِّرُوهُ﴾: تُفَخِّموه[4].

وقال زيد بن أَسْلَمَ: تُشَرِّفوه[5].

---

(١) ذكره مكي بن أبي طالب في «الهداية» (١١/ ٦٩٤٢)، والماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٣١٣)، وابن عطية في «المحرر الوجيز» (٥/ ١٢٩) من غير نسبة، واختاره الزمخشري في «الكشاف» (٤/ ٣٣٥).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٢١).

(٣) روى القراءة عنه أبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص: ٣١٢)، وذكرها الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٢٥٣) من غير نسبة.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٢٥١) عن قتادة، وروى عن الضحاك قوله: كل هذا تعظيم وإجلال.

(٥) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٠/ ٢٩٠) عن مقاتل بن حيان، والنحاس في «إعراب القرآن» (٤/ ١٣١) من غير نسبة.

وقال مقاتل: ﴿تعزروه﴾: تُعِينوه[١].

﴿بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾: قيل: نهاراً وليلاً.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿بُكْرَةً﴾: صلاة الفجر، ﴿وَأَصِيلًا﴾: سائر الصلوات[٢].

***

(١٠) ـ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

وقولُه تعالى: ﴿الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾: قال جابر بن عبد الله: بايَعْنا رسولَ اللهِ ﷺ تحت الشَّجرةِ السَّمُرةِ ـ وهي بيعةُ الرِّضْوان ـ على الموت، وعلى أنْ لا نَفِرَّ، فما نكَثَ أحدٌ منا البيعةَ إلا جَدُّ بنِ قيسٍ، وكان مُنافقاً، اختبأَ تحت إِبطِ بعيرِه، ولم يَسِرْ مع القوم[٣].

وقال ابن عباس: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾: بالوفاء[٤].

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٧٠).

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٤٠٩)، والبغوي في «تفسيره» (٦/ ٣٦٠)، والواحدي في «البسيط» (١٨/ ٢٦٣)، عن الكلبي.

(٣) ذكره هكذا الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٤٥) من غير إسناد، ورواه بنحوه مسلم (١٨٥٦)، وفيه: أن جابراً رضي الله عنه سئل: كم كانوا يوم الحديبية؟ فقال: كنا أربع عشرة مئة، فبايعناه وعمرُ آخذ بيده تحت الشجرة، وهي سمرة، فبايعناه غيرَ جد بن قيس، اختبأ تحت بطن بعيره.

(٤) ذكره عنه الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٤٥)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٣٠٠)، وهو في «معاني القرآن» للفراء (٥/ ٢٢)، و«معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٢٢)، و«تفسير السمعاني» (٥/ ١٩٤) من غير نسبة.

وقال السُّدِّي: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡ﴾: وذلك أنهم كانوا يأخذون بيدِ رسولِ الله ﷺ ويُبايعونه، و﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡ﴾ عند المُبايعة بالنُّصْرة والتوفيق(١).

وقال الكلبي: اليدُ ها هنا بمعنى النِّعْمة؛ أي: نِعْمةُ اللهِ عليهم فوق ما صنعوا مِن البيعة(٢).

وقيل: أي: قوَّةُ اللهِ في نُصْرة نبيِّه(٣) فوق نُصْرَتِهم إياه.

وقيل: يدُ اللهِ بالمِنَّة في الهداية فوق أيديهم بالطاعة.

وقيل: إنَّ اللهَ أَقْدَرُ على الوفاء منهم، وأملى بما يُرادُ بهذه البيعة مِن الثوابِ لِمَن وفَّى بها، والعقابِ لِمَن نقَضَها؛ لأنَّ مَن وفَّى بها أثابَه اللهُ جناتِ النَّعيم، ومنهم مَن بذَلَ النُّفوسَ والأموال التي هي عطاءُ اللهِ لهم وعواريه عندهم، وهي قليلةٌ فانيةٌ، وما يُعطيه اللهُ تعالى فهو كثيرٌ باقٍ.

﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ﴾: أي: فمَن نقَضَ ذلك فإنما ضررُ نَقْضِه راجعٌ إليه.

﴿وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيۡهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾: وهو ما ذكَرْنا.

وقيل: مُبايعةُ اللهِ تعالى هي ما ذُكِرَ في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم﴾ الآية [التوبة: ١١١].

* * *

(١) في (ف): «بالنصر والتوفيق»، وفي (أ): «يعني: النصر والتوفيق». والخبر ذكره عنه الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٤٥)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٣٠٠).

(٢) ذكره عنه الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٤٥)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٣٠٠)، والواحدي في «البسيط» (٢٠/ ٢٩١).

(٣) في (ف): «نصر دينه».

(١١) ـ ﴿ سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا ۚ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًۢا ۚ بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًۢا ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿ سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ ﴾: قال ابن عباس: هم غِفَارٌ ومُزَيْنَةُ وأَشْجَعُ وجُهَيْنَةُ وأَسْلَمُ والدُّئِلُ(١).

وقال مجاهد: هُم أعرابُ أهلِ المدينة وجُهَيْنَةُ ومُزَيْنَةُ، استتبَعَهم رسولُ الله ﷺ بالخروج إلى مكة معه، فقال بعضُهم لبعض: نذهبُ معه إلى قوم أخرَجوه؟ فاعتَلُّوا بالشُّغْل(٢).

وقال الكلبي: خرج رسول الله ﷺ إلى الحُدَيْبِيَةِ، وتخلَّفَ عنه عامةُ الأعرابِ، وخافوا أنْ يكونَ قتالٌ، فلما رجع رسول الله ﷺ وقد وعدَه اللهُ تعالى خيبرَ، أتَوْه ليعتذروا إليه، ولِيَغزوا معه خيبرَ رجاءَ الغَنيمةِ(٣).

وقال مقاتل: لَمَّا استنفرَهم رسولُ الله ﷺ معه قالوا: إنَّ محمداً وأصحابَه أَكَلَةُ رَأْسٍ في جَنْبِ أهل مكة ـ يَعْنون: هُم قليلٌ ـ، وقالوا: لا يرجعُ هو وأصحابُه، فأين

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٤٥)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٣٠٠) عن ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد.

وذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ١٣٠) عن ابن عباس رضي الله عنهما من رواية أبي صالح.

وفي المصادر: «الدِّيل»، قال يونس النحوي فيما نقله ابن الجوزي: الدِّيل في عبد القيس ساكن الياء، والدُّول من حنيفة ساكن الواو، والدُّئل في كنانة رهط أبي الأسود الدؤلي.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٢٥٧)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٤/ ١٦٤).

(٣) لم أقف عليه عن الكلبي، ورواه البيهقي في «دلائل النبوة» (٤/ ١٦٤) عن مجاهد، وهو تتمة الأثر السابق.

تذهبون؟ انتظِروا ما يكون مِن أمره، فأنزل الله: ﴿بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا﴾[1].

وقولُه تعالى: ﴿ٱلْمُخَلَّفُونَ﴾: أي: المتروكون خَلْفَ الخارجين.

وقولُه تعالى: ﴿شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا﴾: أي: لم يكن لنا مَن يَخْلُفُنا في أموالنا وأهلينا، فخِفْنا الضَّياعَ عليها وعليهم.

﴿فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا﴾: أي: وإنْ كان هذا عُذْراً عند أنفسنا، فإنا نسألُكَ أنْ تسألَ اللهَ أنْ يغفِرَ لنا تخلُّفَنا عنكَ؛ إذ كنا حِراصاً على الخروج معكَ، وإنما مُنِعْنا عنه بعُذْرٍ.

﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ﴾: أي: لم يكن تخلُّفُهم لِما يقولون، بل كان في قلوبهم الخوفُ على أنفسهم.

﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًۢا﴾: تَخلَّفْتُم أو خرَجْتم.

﴿بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًۢا﴾: أي: عالِماً.

* * *

(١٢) ـ ﴿بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا﴾.

وقولُه تعالى: ﴿ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ﴾: أي: توهَّمْتم أنهم يُقْتَلون[2] أو يُهْزَمون، فيتبدَّدون في البلاد النائية، فلا يرجعون إلى المدينة، وقَوِيَ هذا التَّوَهُّمُ في قلوبكم.

﴿وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ﴾: أي: ظَنًّا يسوءُ المؤمنين تحقُّقُه.

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٧١).

(٢) في (ر): «يغلبون».

وقيل: يسوؤُكم حيث[١] تُعاقَبون عليه.

وقيل: هو سُوءٌ في نفْسِه؛ لأنَّه علُوُّ الكفرِ وانتشارُ الفسادِ في الأرض.

﴿وَكُنتُمْ قَوْمًا بُورًا﴾: قال قتادة: أي: فاسدين[٢].

وقال مجاهد: هالكين[٣].

وأصلُه مصدرٌ، وإذا نُعِتَ به استوى فيه الذَّكَرُ والأنثى، والواحدُ والتَّثنيةُ والجَمْعُ.

وقال السُّدِّي: ﴿وَكُنتُمْ قَوْمًا بُورًا﴾: أي: غيرَ مُتَّقِين ولا مُحْسِنين[٤].

وقال عكرمة: البُورُ في لغة أهل عُمانَ: الفاسدُ[٥]، وفي كلام العرب: لا شيءَ، تقول العربُ: أصبحت أعمالُهم بوراً؛ أي: مُبْطَلَةً، وأصبحت منازلُهم بوراً؛ أي: خَرِبَةً.

* * *

(١) في (ر): «حين».

(٢) رواه عنه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٢٥٩)، وذكره الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (٨/ ١٦)، والماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٣١٤).

(٣) علقه البخاري (٦/ ١٣٤)، ورواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٢٦٠)، وذكره النحاس في «معاني القرآن» (٥/ ١٤)، والماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٣١٤).

(٤) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٥٣٢)، والسمعاني في «تفسيره» (٥/ ١٩٦)، من غير نسبة.

(٥) رواه الطستي فيما عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٢٤٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما في قصة سؤالات نافع بن الأزرق.

ورواه الفراء في «معاني القرآن» (٣/ ٦٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما من رواية الكلبي عن أبي صالح.

وذكره ابن قتيبة في «غريب القرآن» (١/ ٤١٢)، والسمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٣١٥)، والواحدي في «البسيط» (٢٠/ ٢٩٦).

وذكره الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (٨/ ١٦) عن قتادة.

(١٣ ـ ١٤) ـ ﴿ وَمَن لَّمْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿ وَمَن لَّمْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا ﴾: أخبرَ أنَّ هؤلاء كافرون بالله ورسوله، وأنَّ مصيرَهم إلى النار.

وقولُه تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: أي: النبيُّ ﷺ مُسْتَغْنٍ عن هؤلاء المنافقين وعن الاعتضاد بهم، وإنما يأمرُهم بالجهاد وسائر العبادات ابتلاءً، فمَن أطاعَه رَحِمَه، ومَن عصاه عذَّبَه، فذلك قولُه:

﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾: وفيه تحريكٌ للمنافقين على التوبة، ووعدٌ مِن الله قَبولَها منهم، وفيه دِلالةٌ على صِحَّةِ نُبُوَّةِ نبيِّنا، حيث أخبرَ أنهم سيقولون كذا، وكان كما أخبرَ، فدلَّ أنه علِمَ ذلك مِن عند الله تعالى.

وفي تسميتهم[1] مُخَلَّفين بتخلُّفهم دليلُ أهلِ السنة والجماعة على خَلْقِ أفعال العِباد، وأنَّ تخلُّفَهم كان بتخليف اللهِ إياهم؛ لمَّا علِمَ منهم في الأزل اختيارَ ذلك.

* * *

(١٥) ـ ﴿ سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِن قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿ سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ﴾: وهُم المذكورون مِن قبلُ، وجعلَ اللهُ مَغانِمَ خيبرَ لأهل الحُدَيْبِيَةِ خاصَّةً؛ مَن غاب منهم ومَن حضَرَ.

---

(١) في (ر): «نسبتهم».

قالوا: ولم يَغِبْ عنها أحدٌ إلا جابرَ بنَ عبدِ الله، فقسَمَ له رسولُ اللهِ ﷺ كَسَهْمِ مَن حضَرَ، وانصرفَ رسول الله ﷺ مِن الحُدَيْبِيَةِ في ذي الحِجَّة، وأقامَ بالمدينة بَقِيَّةَ ذي الحِجَّة وبعضَ المُحَرَّم، ثم خرَجَ في بَقِيَّةِ المُحَرَّم إلى خيبرَ، وخرجَ معه مَن شَهِدَ الحُدَيْبِيَةَ، فلما سمِعَ هؤلاء المنافقون بهذا الوعد قالوا لهم حين قصَدوا خيبر:

﴿ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ﴾: فإنا قد أَوْضَحْنا عُذْرَنا في التَّخَلُّف عن الحُدَيْبِيَةِ، فمنعَهم النبيُّ بأمرٍ مِن الله تعالى:

﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾: قرأ حمزةُ: ﴿كَلِمَ اللهِ﴾، وقرأ الباقون: ﴿كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾[1]؛ أي: يريدون أنْ يُغيِّروا كلامَ الله، حيث قال لرسوله: لا تأذَنْ لهم بالخروج إلى غزوةٍ أخرى معكَ.

﴿قُل لَّن تَتَّبِعُونَا﴾: أي: في المَسِير إلى خيبرَ إلَّا مُتطَوِّعين مِن غير أنْ يكونَ لكم[2] شِرْكةٌ في الغنيمة[3].

﴿كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ﴾: أنَّهم لا يَتَّبِعونكم، وقيل: أنَّ خيبرَ لكم خاصَّةً.

﴿فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا﴾: أي: على الغنيمة، فتُريدون أنْ تنفردوا بها.

﴿بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾: ولو فقِهوا لَكَفُّوا عن مَسْأَلَتِكم الإذنَ لهم بعد إخبارِكم إياهم أنَّ اللهَ قد خصَّكم بغنائمِ[4] خيبرَ.

وقيل: لا يَفْقَهون أنَّ الرسولَ والصحابةَ لا يُحْسَدون، واستثنى القليلَ منهم؛ لِمَا أنَّ بعضَهم أَخْلَصَ بعد ذلك.

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٦٠٤)، و«التيسير» (ص: ٢٠١)، عن حمزة والكسائي.

(٢) في (أ): «من غير أن لهم».

(٣) في (ر): «المغنم».

(٤) في (أ): «مغانم».

(١٦) - ﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ۖ فَإِن تُطِيعُوا۟ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾.

وقولُه تعالى: ﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ﴾: وهُم هؤلاء الذين مُنِعوا عن الخروج إلى خيبرَ في حياة النبي ﷺ.

﴿سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾: أي: أولي قُوَّةٍ في الحرب؛ أي: بعد وفاة النبي ﷺ.

﴿تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ﴾: وفي مصحف أُبيٍّ: (أو يُسْلِموا)(١)، ومعناه: حتى يُسْلِموا، وحَذفَ النُّونَ للنَّصْب، وقراءةُ العامَّةِ: ﴿أَوْ يُسْلِمُونَ﴾ على معنى: أو هُم يُسْلِمون.

﴿فَإِن تُطِيعُوا۟﴾: أي: تُخْلِصوا في تلك الحرب، وتُطِيعوا الواليَ الذي دعاكم إليه.

﴿يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا﴾: الغَنيمةَ في الدنيا بدلَ ما فاتَكم مِن غنائمِ خيبرَ، والثوابَ في الآخرة.

﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا۟﴾: عن الإجابة ﴿كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ﴾ عن إجابة النبي ﷺ يومَ الحُدَيْبِيَةِ ﴿يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ في الدنيا والآخرة.

واختُلِفَ في هؤلاء القوم الذين وُصِفوا بالبأس الشديد:

قال أكثرُ أهلِ التفسير: هُم بنو حَنيفةَ، وهُم أهلُ اليَمامة، رأسُهم مُسَيْلِمَةُ الكذَّابُ(٢)، قاتلَهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه.

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٢١/ ٢٦٩)، و«معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٢٤)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٤/ ١٣٣)، و«تفسير الثعلبي» (٩/ ٤٦).

(٢) رواه الإمام أحمد في «فضائل الصحابة» (١٥١٧)، والطبري في «تفسيره» (٢١/ ٢٦٨) عن الزهري، وهو قول مقاتل كما في «تفسيره» (٤/ ٧٢)، وذكره عنه الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٤٦). وذكره الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (٩/ ٣٠٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما ومقاتل، وعزاه الواحدي في «الوسيط» (٤/ ١٣٨) إلى أكثر المفسرين.

وقال مجاهد رحمه الله: هُم أهلُ فارسَ[١]، قاتلَهم عمرُ رضي الله عنه.

وقال الحسن: هُم فارسُ والرُّومُ[٢].

ودلَّتِ الآيةُ على صحَّةِ خِلافة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، حيث أوجبَ اللهُ تعالى طاعةَ مَن يَدْعو إلى قتال هؤلاء.

وقال ابن عباس وسعيد بن جُبير وعكرمة: هُم أهلُ حُنَينٍ وثَقيفٌ وهوازنُ[٣]، وعلى هذا تكون الدَّعوةُ إليه في حياة النبي ﷺ أيضاً، وكان المُخَلَّفون ممنوعين عن خيبرَ، مَدْعُوِّين إلى قتال أهل حُنينٍ.

* * *

(١٧) ـ ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا﴾.

وقولُه تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾: لَمَّا نزَلَ

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٢٦٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما وابن أبي ليلى والحسن ومجاهد وابن زيد، وهو أحد قولي مجاهد كما ذكر السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٣١٦)، والآخر: أنهم أهل الأوثان.

وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٤٦) عن مجاهد، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٣٠٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وعطاء.

(٢) رواه عنه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٢٦٦)، وذكره الماتريدي في «تفسيره» (٩/ ٣٠٤)، والسمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٣١٦)، والثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٤٦).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٢٦٧) عن سعيد بن جبير وعكرمة وقتادة، ورواه الطبراني في «مسند الشاميين» (٤/ ٢٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وذكره السمعاني في «تفسيره» (٥/ ١٩٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما من رواية الضحاك.

وعيدُ المُتَخلِّفين عن الغزو، اهتَمَّ الزَّمْنى لذلك، فنزَلَ هذا في عُذْرِهم[١] عن التَّخلُّف عنه لِعَجْزِهم.

وقولُه تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾: أي: في الجهاد وغيرِ ذلك.

﴿يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَن يَتَوَلَّ﴾: أي: عن طاعة الله ورسوله.

﴿يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا﴾: في الدنيا والآخرة.

***

(١٨) - ﴿ ۞ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾.

وقولُه تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾: وهي شجرةُ سَمُرَةٍ بالحُدَيْبِيَةِ.

ورُوِيَ: أنَّها عُمِّيَتْ عليهم مِن قابلٍ، فلم يَدْروا أين ذهبَتْ.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: أثنى اللهُ على الذين بايعوا رسولَه تحت الشجرة يومَ الحُدَيْبِيَةِ، وهي بيعةُ الرِّضْوان، وكانوا ألفاً وخمسَ مئةِ رجلٍ، وكانت الشجرةُ سمُرَةً، وأوَّلُ مَن بايعه أبو سنان الأسديُّ، بايعوه على ألَّا يفِرُّوا وعلى الموت[٢].

---

(١) في (ف): «لعذرهم» بدل من «في عذرهم».

(٢) رواه مختصراً الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٢٧٧)، وكونهم يومئذ ألفاً وخمس مئة رواه البخاري (٤١٥٣) ومسلم (١٨٥٦/ ٧٢ و٧٣). وروي في الصحيحين أيضاً أنهم كانوا ألفاً وأربع مئة، رواه البخاري (٤١٥٤) ومسلم (١٨٥٦/ ٦٧). وروى مسلم (١٨٥٧) والبخاري تعليقاً (٤١٥٥) من حديث عبد الله بن أبي أو في أنهم كانوا ألفاً وثلاث مئة.

قال الآلوسي في «روح المعاني» (٢٥/ ٢٧٢) بعد أن ذكر ما تقدم من روايات: وعند ابن أبي شيبة من حديث سلمة بن الأكوع أنهم كانوا ألفاً وسبع مئة، وجزم موسى بن عقبة بأنهم كانوا ألفاً وستَّ =

﴿فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾: قال ابن عباس رضي الله عنهما: مِن صِدْق البَيْعة[1].

وقال مقاتل: مِن كراهية الصُّلْح[2].

﴿فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ﴾: أي: الطُّمَأْنينةَ على طاعة الرسول.

ورُوِيَ أنهم كانوا يُبايعون رسولَ الله ﷺ على الموت، فقال رسول الله ﷺ: «بل على ما استطعتم»[3].

وقيل: قال: «بل على أنْ لا تَفِرُّوا»[4].

وقال سلَمةُ بنُ الأَكْوَع: بينا نحن قائلون، نادى مُنادِي رسولِ الله ﷺ: البيعةَ البيعةَ، نزلَ رُوحُ القُدُسِ، فثُرْنا إلى رسول الله ﷺ وهو تحت شجرةِ سَمُرَةٍ، فبايعناه[5].

= مئة، وحكى ابن سعد أنهم ألفٌ وخمسُ مئة وخمسة وعشرون.

قال: وجمع بين الروايات بأنها بناء على عد الجميع، أو ترك الأصاغر والأتباع والأوساط أو نحو ذلك، وأما قول ابن إسحاق: إنهم كانوا سبع مئة، فلم يوافقه أحد عليه؛ لأنه قاله استنباطاً من قول جابر: ننحر البدنة عن عشرة، وكانوا نحروا سبعين بدنة، وهذا لا يدل على أنهم ما كانوا نحروا غير البدن، مع أن بعضهم كأبي قتادة لم يكن أحرم أصلاً.

(١) ذكره عنه السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٣١٧)، والواحدي في «البسيط» (٢٠/ ٣٠٥).

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٧٣)، وذكره عنه السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٣١٧)، والماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٣١٦)، والواحدي في «البسيط» (٢٠/ ٣٠٥)، بلفظ: من الكراهية للبيعة على أن يقاتلوا ولا يفروا في أمر البيعة.

(٣) رواه البخاري (٢٠٢ ٧)، ومسلم (١٨٦٧) من حديث ابن عمر رضي الله عنه.

ورواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٢٧٥)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٤٧)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٣٠٥) عن بكير بن الأشج.

(٤) تقدم تخريجه.

(٥) رواه عنه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٦٨٥٢)، والطبري في «تفسيره» (٢١/ ٢٧٣).

وقال عبد الله بن المُغَفَّل: كنتُ قائماً على رأس رسول الله ﷺ ذلك اليوم، وبِيَدي غُصْنٌ مِن الشَّجرةِ أَذُبُّ عنه وهو يُبايعُ النَّاسَ[1]، وكانوا ألفاً وأربعَ مئةٍ[2].

وقال عطاءُ بن مسلمٍ الخُراسانيُّ وقتادةُ: بايعوا النبيَّ عليه السلام يومئذٍ، وكانوا ألفاً وأربعَ مئةٍ[3].

وكان عثمانُ إذ ذاك غائباً بمكة، فقال النبي ﷺ: «إنَّ عثمانَ في حاجةِ الله وحاجةِ رسوله وحاجة المؤمنين»، ووضَعَ النبيُّ ﷺ إحدى يديه على الأخرى، وقال: «هذه بيعةُ عثمانَ، ويدُ اللهِ خيرٌ مِن أيديكم»[4].

﴿وَأَثَٰبَهُمۡ فَتۡحٗا قَرِيبٗا﴾: قال قتادة وابن أبي ليلى: يعني: خيبرَ[5].

* * *

---

(١) رواه النسائي (١١٤٤٧). وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٥٤)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٣١٣).

(٢) ذكرنا قريباً الرواية بهذا، والخلاف في عددهم يومئذ، وتأويل ذلك.

(٣) قد ذكر الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٤٨)، والواحدي في «البسيط» (٢٠/ ٣٠٥) أن قتادة قال: كانوا خمسة عشر ومائة. ولم أقف عن عطاء على شيء فيه.

(٤) رواه الترمذي (٣٧٠٢)، وابن شاهين في «شرح مذاهب أهل السنة» (١١٤)، وأبو نعيم في «تثبيت الإمامة» (١٠٣) عن أنس رضي الله عنه، وقال الترمذي: حسن صحيح غريب.

وروى نحوه مطولاً الإمام أحمد في «فضائل الصحابة» (٧٨٤) من حديث سالم بن عبد الله بن عمر مرسلاً.

(٥) رواه عنهما الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٢٧٨).

ورواه عن قتادة: عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٩٠٥)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٥٣)، والماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٣١٦).

ورواه عن ابن أبي ليلى: يحيى بنُ آدم في «الخراج» (٨٨)، وذكره النحاس في «معاني القرآن» (٦/ ٥٠٦).

(١٩) ـ ﴿وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾.

﴿وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا﴾: قيل: لَمَّا سمِعَ أهلُ القرى المجاورةِ لِخيبرَ ما جرى عليها، صالَحوا رسولَ الله ﷺ على الشَّطْرِ مِن قُراهم، وفَدَكُ في جُمْلَتها، فهي مِن المغانم الكثيرة.

﴿وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا﴾: أي: مَنيعاً لا يُغالَبُ ﴿حَكِيمًا﴾: فيما يَحكُمُ به، فلا يُعارَض.

* * *

(٢٠) ـ ﴿وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا﴾.

قولُه تعالى: ﴿وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا﴾: أي: بعد خيبرَ، وقد فُتِحَ عليه بعد ذلك حُنَينٌ وأَوْطاسٌ وفارسُ والرُّومُ.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: هو كلُّ فتحٍ يكون إلى يوم القيامة[1].

وقولُه تعالى: ﴿فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ﴾: أي: خيبرَ ﴿وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنكُمْ﴾: قيل: أي: حُلفاءِ خيبرَ ـ وهم أسدٌ وغَطَفانُ ـ جاؤوا لِنُصرةِ أهل خيبرَ، فقذفَ اللهُ في قلوبهم الرُّعْبَ فانصرفوا، وكان عليهم مالك بن عوف النَّصْريُّ وعُيَيْنَةُ بنُ حُصْنِ بن بدرٍ الفَزارِيُّ، هابوا فانصرَفوا.

﴿وَلِتَكُونَ آيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾: أي: لِتكونَ هزيمتُهم مِن غير قتال عِبْرةً للمؤمنين، ودِلالةً على حُسْنِ صُنْعِ الله تعالى بالمسلمين.

﴿وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا﴾: أي: ولِتَسْلُكوا في كلِّ أحوالكم هذه الطريقةَ المستقيمةَ في الثِّقة بالله تعالى على مواعيده.

---

(١) ذكره عنه السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٣١٧)، وقال الواحدي في «الوسيط» (٢٠/ ٣٠٦): هو قول الجميع.

(٢١) ـ ﴿وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُواْ عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا﴾.

وقولُه تعالى: ﴿وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُواْ عَلَيْهَا﴾: أي: ووعدَكم أخرى، وهي مكَّةُ، لم تَقْدِروا على دخولها العامَ بصدِّ المشركين.

﴿قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا﴾: أي: قد أعدَّها لكم وحبَسَها عليكم، فهي لكم كالشيء قد أُحِيطَ به مِن كل جانبٍ، فهو مَحْصورٌ، لا يُفْلِتُ ولا يمتنعُ عن المُحيطين به، يَحوزونه متى أرادوا، وهذا بلاغةٌ عجيبةٌ.

وقيل: ﴿وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُواْ عَلَيْهَا﴾: فارسُ والرُّومُ، ﴿قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا﴾: أي: قد علِمَ أنها ستكون لكم.

وقيل: هي هوازِنُ وغَطَفانُ.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا﴾: أي: مِن فَتْحِ هذه القُرى، وإنجازِ هذه المواعيد، وكلِّ شيء.

* * *

(٢٢ ـ ٢٣) ـ ﴿وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوَلَّوُاْ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ۝٢٢ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾.

وقولُه تعالى: ﴿وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوَلَّوُاْ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾: يعني: الذين صَدُّوهم عن المسجد الحرام، وهو إيناسٌ لهم عن الوَحْشة التي اعترَتْ بعضَهم بانصرافهم، وتشجيعٌ لقلوبهم على كلِّ جهادٍ.

﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ﴾: أي: سَنَّ اللهُ تعالى هذه السُّنَّةَ؛ أي: هكذا أجرى الله تعالى العادةَ في الأُمَم الخالية أنَّ الكافرين لا يجدون ولياً ولا نصيراً، فهُم مخذولون وإنْ أُمْهِلوا إلى حينٍ.

﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾: أي: ولن تجدَ لهذه السُّنَّةِ تغييراً.

* * *

(٢٤) - ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾.

وقولُه تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ﴾: أي: أيدي أهلِ مكَّةَ ﴿وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم﴾؛ أي: عن أهلِ مكَّةَ ﴿وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم﴾؛ أي: بالحُدَيْبِيَةِ، وقيل: وادي مكة.

﴿بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾: أي: أَقْدَرَكم وسَلَّطكم.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾: وهو ما ذَكَرْنا في أول القصة: أنَّ خيلاً طافوا بعَسْكَرِ رسول الله ﷺ لِيُصيبوا منهم غِرَّةً، فأُخِذوا، وخلَّى عنهم رسولُ الله ﷺ.

وفي حديث سَلَمةَ بن الأَكْوع قال: لَمَّا تواعَدوا الصُّلْحَ وتوادَعوا، كان في المسلمين ناسٌ مِن المشركين، وفي المشركين ناسٌ مِن المسلمين، فتنكَّرَ أبو سفيانَ، فإذا الوادي يَسِيلُ بالرجال والسِّلاح، قال سلَمةُ: فجئتُ بستَّةٍ مِن المشركين أَسوقُهم مُتَسَلِّحين، لا يملكون لأنفسهم نَفْعاً ولا ضراً، فأتيتُ بهم النَّبيَّ ﷺ، فعفا عنهم، وشدَدْنا على مَن في أيدي المشركين، فما ترَكْنا في أيديهم مِنَّا رجلاً إلا استنقَذْناه، وغلَبْنا على مَن في أيدينا منهم، ونزَلَتْ هذه الآيةُ[1].

وروى الزُّهريُّ عن القاسم بن محمد قال: لَمَّا كُتِبَ في الصُّلْحِ بِرَدِّ مَن جاء إلى رسول الله ﷺ إلى أهل مكَّةَ، وجاء أبو بَصيرٍ وأصحابُه فردَّهم رسولُ الله ﷺ،

---

(١) في (ف): «فنزلت فيه هذه الآية».

رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٦٨٥١)، وابن زنجويه في «الأموال» (٦٥٣)، والطبري في «تفسيره» (٢١/ ٢٩٣)، وفي «تاريخه» (٢/ ٦٢٩).

لَحِقَ أبو بَصيرٍ بالسَّاحلِ، واجتمَعَ إليه مَن فرَّ مِن المسلمين، وجعَلوا يَقْطعون الطَّريقَ على كلِّ مَن يَحْمِلُ المِيرةَ(١) إلى مكَّةَ، حتى وقعَ فيهم القَحْطُ، فلما رأى ذلك كُفَّارُ قريشٍ، ركِبَ نفرٌ منهم إلى رسول الله ﷺ، فقالوا له: إنَّ هذا الصُّلْحَ لا يُغْني شيئاً، وإنا نُقْتَلُ وتُنْهَبُ أموالُنا، فنسألُكَ بالرَّحِم الذي بيننا وبينك أنْ تردَّهم إلى حَضْرَتِكَ، وتكَفَّ عنا أيديَهم(٢)، فقبِلَ رسول الله ﷺ ذلك، فنزلَتْ هذه الآيةُ(٣).

وقال سعيد بن جُبير رضي الله عنه: لَمَّا خرجَ رسول الله ﷺ إلى الحُدَيْبِيَةِ، فساقَ الهَدْيَ، نزلَ بذي الحُلَيْفَةِ، فقال له عمر بن الخطاب رضي الله عنه: تأتي قوماً حَرْباً لكَ ليس معك سِلاحٌ ولا كُراعٌ(٤)! فبعثَ إلى المدينة، فأتوه بكل سلاحٍ وكُراعٍ كان فيها، فلما نزلَ رسول الله عليه السلام بمنى أتاه عينُه(٥)، فأخبرَه أنَّ عِكْرِمةَ بن أبي جهل خرجَ إليكَ في خمس مئةِ فارسٍ، فقال عليه السلام لخالد بن الوليد: «هذا ابنُ عمِّكَ أتاكَ في خمس مئة فارس»، فقال خالد: أنا سيفُ اللهِ وسيفُ رسولِه، فيومئذٍ سُمِّيَ سيفَ اللهِ، فقال: يا رسولَ اللهِ، ارمِ بي حيث شئتَ، فوجَّهَه على خَيْلٍ(٦)، فأتى

(١) في حاشية (ر): الميرة ـ بالكسر والفتح ـ: الطعام الذي يأتي من أطراف المصر إليه.

(٢) في (ف): «أذيتهم».

(٣) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (١٨٩٢٩)، والطبري في «تفسيره» (٢١/ ٣٠٣).

وأصل الحديث رواه مطولاً عبد الرزاق في «مصنفه» (٩٧٢٠)، والبخاري (٢٧٣١)، وأبو داود (٢٧٦٥)، والطبري في «تاريخه» (٢/ ٦٣٨) وغيرهم، من حديث المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم.

(٤) الكُراع: اسم يجمع الخيل والسلاح إذا ذكر مع السلاح، والكُراع: الخيل نفسها. انظر: «تهذيب اللغة» (١/ ٢٠٢).

(٥) في (أ): «عتبة»، وفي (ف) و(ر): «عيينة»، والمثبت موافق لمصادر التخريج الآتية.

(٦) في (أ): «جبل».

عِكْرِمةَ بن أبي جهلٍ، فهزَمه حتى أدخلَه مكةَ، ثم عاد فهزمَه حتى أدخلَه جوفَ مكةَ، فنزلت هذه الآيةُ(١).

وقال أنس: اطَّلَعَ قومٌ على النبي ﷺ مِن قِبَلِ التَّنْعيم ليأْخُذوه، فأخذَهم رسولُ الله ﷺ، فخلَّى سبيلَهم، فأنزلَ اللهُ(٢) هذه الآيةَ(٣).

***

(٢٥) - ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥۚ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍۖ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ لَوْ تَزَيَّلُواْ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾.

﴿هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْىَ﴾: أي: وصَدُّوا الهَدْيَ.

﴿مَعْكُوفًا﴾: أي: مَوْقوفاً مَمْنوعاً.

﴿أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ﴾: أي: عن أنْ يبلُغَ المَوْضِعَ الذي يحِلُّ فيه ذَبْحُه، وهو الحَرَمُ.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٢٩١)، وفي «تاريخه» (٢/ ٦٢٢) عن ابن أبزى.
قال ابن كثير في «تفسيره» (٧/ ٣٤٣): ورواه ابن أبي حاتم عن ابن أبزى بنحوه، وهذا السياق فيه نظر، فإنه لا يجوز أن يكون عام الحديبية؛ لأن خالداً لم يكن أسلم، بل قد كان طليعة المشركين يومئذ، كما ثبت في الصحيح، ولا يجوز أن يكون في عمرة القضاء؛ لأنهم قاضوه على أن يأتي من العام المقبل فيعتمر ويقيم ثلاثة أيام، فلما قدم لم يمانعوه، ولا حاربوه ولا قاتلوه، فإن قيل: فيكون يوم الفتح؟ فالجواب: لا يجوز أن يكون يوم الفتح؛ لأنه لم يسق عام الفتح هدياً، وإنما جاء محارباً مقاتلاً في جيش عرمرم، فهذا السياق فيه خلل، قد وقع فيه شيء، فليتأمل.

(٢) في (ر): «فنزلت».

(٣) رواه عنه الإمام أحمد في «مسنده» (١٢٢٢٧)، ومسلم (١٨٠٨)، وأبو داود (٣/ ٦١)، والترمذي (٣٢٦٤)، والنسائي (٨٦١٤)، والطبري في «تفسيره» (٢١/ ٢٩٠).

أي: هُم مع هذه الأفعال القبيحة كانوا مُسْتَحِقِّين القتالَ والقَتْلَ، وإنما أمَرْناكم بالرُّجوع لِحِكْمةٍ، وهي ما ذكَرَ بعده:

﴿وَلَوۡلَا رِجَالٞ مُّؤۡمِنُونَ وَنِسَآءٞ مُّؤۡمِنَٰتٞ﴾: أي: مِن بين(١) أهل مكةَ.

﴿لَّمۡ تَعۡلَمُوهُمۡ﴾: أي: لم تَعْلَموا أنتم بإيمانهم.

﴿أَن تَطَـُٔوهُمۡ﴾: أي: لولا أنْ تَطَؤُوهم بِخَيْلِكم إذا دخلتم مكةَ وأنتم لا تَعْلَمون بإيمانهم، وهو كقوله: ﴿أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ﴾: أي: أحسَنَ خَلْقَ كلِّ شيءٍ، على البدَل والترجمة، وهو كقولك: لولا زيدٌ حقُّه وحُرْمَتُه لَفَعَلْتُ كذا؛ أي: لولا حقُّ زيدٍ.

وقيل: ﴿أَن تَطَـُٔوهُمۡ﴾: بأقدامكم.

وقيل: أنْ تُصيبوهم بسيوفكم، وهو مَجازٌ واستعارةٌ.

﴿فَتُصِيبَكُم مِّنۡهُم﴾: أي: فتَنالَكُم مِن جهة المَوْطُوئين بغير قصدٍ ﴿مَّعَرَّةُۢ﴾: قيل: مَساءَةٌ.

وقيل: عَيْبٌ وشَيْنٌ؛ مِن (العُرَّة)(٢)، وهي القَذَرُ، ومِن (العُرِّ)، وهو القُروحُ في مَشافِرِ الإبل(٣) وقوائمِها، ومعناه: تلزمُكم الدِّيَةُ بقتلهم.

وقيل: يَعِيبُكم الكفارُ بقتلِكم أهلَ دينِكم.

﴿بِغَيۡرِ عِلۡمٖ﴾: أي: بإيمانهم.

﴿لِّيُدۡخِلَ ٱللَّهُ فِي رَحۡمَتِهِۦ﴾: أي: آمَنَ هؤلاء رجاءَ أنْ يُدْخِلَهم اللهُ جنَّته.

﴿مَن يَشَآءُ﴾: هُمُ المؤمنون.

---

(١) في (ف): «من»، وفي (ر): «بين»، بدل: «من بين».

(٢) في (ر): «المعرة».

(٣) المِشْفَر للبعير كالشَّفَة للإنسان. انظر: «المحكم» لابن سيده (٨/ ٤٦).

﴿لَوۡ تَزَيَّلُواْ﴾: أي: لو زايلَ هؤلاء المؤمنون الكافرين.

﴿لَعَذَّبۡنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ﴾: هو لِتَمييزِ هؤلاء الكفار مِن سائر الكفار؛ كما جاء في آخر هذه السورة: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم﴾؛ هو لتمييزهم مِن سائر المؤمنين.

﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾: أي: لَعَذَّبْنا الكفارَ بسيوفكم في الدنيا، وبالنار في الآخرة.

وقولُه تعالى: ﴿لَعَذَّبۡنَا﴾ جوابٌ لقوله: ﴿وَلَوۡلَا رِجَالٌ﴾، ولقوله: ﴿لَوۡ تَزَيَّلُواْ﴾ جميعاً.

وبيَّنَ بهذه الآية أنَّ الحِكْمةَ في صَرْفِ المؤمنين عن دخول مكة كانت لِسَلامةِ هؤلاء المؤمنين المُسْتَضْعَفين المَغْمُورين(١) بمكةَ، وفيه بيانُ قَدْرِ ضُعَفاءِ(٢) المؤمنين عند الله.

***

(٢٦) ـ ﴿إِذۡ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَأَلۡزَمَهُمۡ كَلِمَةَ ٱلتَّقۡوَىٰ وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهۡلَهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمًا﴾.

وقولُه تعالى: ﴿إِذۡ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡحَمِيَّةَ﴾: أي: لَعَذَّبْنا هؤلاء بسيوفكم حين جعل هؤلاء المشركون الصَّادُّون في قلوبهم الحَمِيَّةَ؛ أي: الأَنَفَةَ.

﴿حَمِيَّةَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ﴾: ترجمةٌ عنه.

والجاهليَّةُ: حالةُ الكفرِ والجهلِ بالله، قالوا: قتَلَ محمَّدٌ آباءَنا وإخوانَنا، ثم أتانا يدخُلُ علينا في منازلنا، واللهِ لا يدخُلُ علينا.

---

(١) في (ر): «المقهورين».

(٢) في (ر): «الضعفاء من».

ومِن هذه الحَمِيَّةِ ما مرَّ في ذِكْرِ الصُّلْح مِن مَنْعِه أنْ يكتُبَ: بسم الله الرحمن الرحيم، ويكتُبَ: صالَحَ محمدٌ رسولُ اللهِ، وشَرْطِ أنْ لا يَرُدُّوا مَن جاءَهم مِن المسلمين، ويَرُدَّ المسلمون مَن جاءهم منهم، ونحو ذلك.

﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: حتى اطمَأَنُّوا، فلم يضطَرِبوا.

﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾: قال عليُّ بن أبي طالب، وابنُ عباس، وقتادةُ، ومجاهدٌ، وسلَمةُ بن كُهَيلٍ، وعُبيدُ بن عُميرٍ[1]، وعكرمةُ، وطلحةُ بن مُصَرِّف، والسُّدِّيُّ، والرَّبيعُ بن أنس رضي الله عنهم: هي[2] قولُ: لا إله إلا الله[3]، وهي

(١) في (أ): «عمر».

(٢) في (أ): «أي».

(٣) رواه عن علي رضي الله عنه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٣١٠)، والطبراني في «الدعاء» (١٦٠٧)، والحاكم في «مستدركه» (٣٧١٧) وصححه، والثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٦٣)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (١٩٧).

ورواه عن ابن عباس رضي الله عنهما الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٣١١)، والطبراني في «الدعاء» (١٦١١)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (١٩٩).

ورواه عن قتادة عبدُ الرزاق في «تفسيره» (٢٩١٨)، والطبري في «تفسيره» (٢١/ ٣١٢).

ورواه عن مجاهد البخاريُّ قبل الحديث (٦٦٨١) معلقاً، والطبريُّ في «تفسيره» (٢١/ ٣١٢)، والطبراني في «الدعاء» (١٦٢٠).

ورواه عن سلمة بن كهيل عن عباية بن ربعي عن علي رضي الله عنه الطبريُّ في «تفسيره» (٢١/ ٣١٠)، وذكره عنه الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٦٣).

ورواه عن عكرمة الترقفيُّ في «حديثه» (١٢١)، والطبري في «تفسيره» (٢١/ ٣١٢)، والطبراني في «الدعاء» (١٦٢١)، وابن البنا في «فضل التهليل» (٣٧).

وذكره عن عبيد بن عمير وطلحة بن مصرف والسدي الثعلبيُّ في «تفسيره» (٩/ ٦٣).

ورُوي مرفوعاً لكن بإسناد ضعيف؛ رواه الترمذي (٣٢٦٥) من حديث أُبيٍّ رضي الله عنه وقال: =

أصلُ التَّقْوى، فإنها التَّقْوى مِن الشرك، وبها يُتَوَقَّى أيضاً مِن النار.

وقال الزُّهْري: هي: بسم الله الرحمن الرحيم[١]، هي شِعارُ هذه الأمة، والإلزامُ هو التَّثْبيتُ عليها.

وقولُه تعالى: ﴿وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا﴾: أي: أولى بها مِن غيرهم.

وقيل: ﴿وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا﴾ في عِلْم الله مِن كفار مكةَ.

﴿وَأَهْلَهَا﴾: أي: مُسْتَحِقِّين بها.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾: بِمَن كان أهلاً للإيمان باختياره ذلك، وبكل شيءٍ.

* * *

(٢٧) ـ ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُواْ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾.

وقولُه تعالى: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ﴾: أي: أراهُ ما أراهُ في المنام صِدْقاً لا خُلْفَ فيه، وكان رأى في المنام ما تأويلُه دخولُ مكةَ، فأخبرَ أصحابَه، ولَمَّا صُدُّوا عن المسجد الحرام وأمرَهم رسولُ الله ﷺ بالتَّحَلُّلِ والانصراف، قالوا: ألستَ كنتَ تَعِدُنا أنْ نأتيَ البيتَ فنَطوفَ به، فقال: «هل أخبرتكم أنَّا نأتيه هذا العامَ؟»، فقالوا: لا، فقال: «إنك ستأتيه وتطوفُ به»، قالَه لرجلٍ قال له ذلك[٢].

= غريب لا نعرفه مرفوعاً إلا من حديث الحسن بن قزعة. قال: وسألت أبا زرعة عن هذا الحديث فلم يعرفه مرفوعاً إلا من هذا الوجه.

(١) رواه عنه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٣١٤)، والثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٦٣)، والمستغفري في «فضائل القرآن» (٥٥٤).

(٢) روى نحوه مختصراً: الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٣١٧) عن ابن زيد. وبينت رواية البخاري =

وقولُه تعالى: ﴿بِٱلۡحَقِّ﴾: أي: بتحقيق ما أَراه.

﴿لَتَدۡخُلُنَّ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ﴾: وهذا قسَمٌ، ورُؤْيا الأنبياءِ وحيٌ[1] لا خَطَأَ فيه، وخبَرٌ لا كَذِبَ فيه، والقسَمُ تأكيدٌ لا وَهْنَ[2] فيه.

ثم قال: ﴿إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾: وهو في كلامِنا يُذْكَرُ فيما يكون ولا يكون، فما معناه مع ما سبق؟ وجوابُه من وجوه:

أحدُها: أنَّ مَلَكَ الرُّؤْيا خاطبَه في الرُّؤْيا بذلك إِطْماعاً، فنزَلَ الكتابُ بذلك إسماعاً.

والثَّاني: أنه تحقيقٌ لا تعليقٌ، وتقديرُه: لَتَدْخُلُنَّه بإدخال الله، وهو بمشيئتِه وإرادتِه، لا مُعْتَرِضَ عليه، ولا مُنازِعَ له، ولا مانِعَ دونه.

والثَّالثُ: أنَّ اللهَ علِمَ أنَّ بعضَهم يموتُ قَبْلَ ذلك.

والرَّابعُ: أنَّه على قوله: ﴿ءَامِنِينَ﴾، لا على قوله: ﴿لَتَدۡخُلُنَّ﴾، فكان الدُّخولُ مَوْعوداً مُتَحَقِّقاً، وكان الأمانُ عند ذلك مَوْعوداً مُعَلَّقاً.

والخامسُ: أنَّ معناه: إذ شاء اللهُ؛ كما قال: ﴿وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾: أي: إذ كنتم.

﴿مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمۡ وَمُقَصِّرِينَ﴾: أي: تَدْخُلونه مُحْرِمين بالعمرة، ثم تَحْلِقون رؤوسَكم للتَّحلُّل، ويُقَصِّرُ بعضُكم.

والتَّشديدُ للتَّكْثير، وهو تكثيرُ مَحالِّ الحَلْقِ، وهي الرُّؤوسُ، والتَّقْصيرُ: قَطْعُ أطرافِ الشُّعور.

= (٢٧٣١) أن السائل هو عمر رضي الله عنه.

(١) في (أ): «حق».

(٢) في (أ): «وهي».

وقولُه تعالى: ﴿لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا﴾: مِن الحكمة في تأخير الرُّؤيا إلى العام القابل، وهو ما مَرَّ.

﴿فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾: فَتْحَ خيبرَ.

***

(٢٨) ـ ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾.

وقولُه تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى﴾: أي: بالتوحيد ﴿وَدِينِ الْحَقِّ﴾؛ أي: بالإسلام ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾؛ أي: لِيُعْلِيَه على الأديان كلِّها.

﴿وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾: أي: شاهِداً على صِدْقِ رسولِه بإقامة حُجَجِه[1].

***

(٢٩) ـ ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾.

﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ﴾: مُبتدأٌ وخبرٌ، وهو وقفٌ تامٌّ، وما بعده مُبتدأٌ وخبرٌ أيضاً.

وقال أبو حاتمٍ: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ﴾: مبتدأٌ، وما بعده معطوفٌ عليه، وخبرُ الكلِّ: ﴿ذلك مثلهم في التوراة﴾[2].

﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾: أي: مِن الصحابة ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ﴾؛ أي: غِلاظٌ عليهم ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾؛ أي: عاطِفون على أهل الإسلام.

---

(١) في (ف): «الحجة».

(٢) انظر: «القطع والائتناف» للنحاس (ص: ٦٧٢).

ومِن الشِّدَّةِ على الكفار: حِرْصُهم على دخول مكةَ بالسيف، وأَنَفتُهم مِن إعطاء الدَّنِيَّةِ.

ومِن رحمتِهم بينهم: أنه شَقَّ عليهم قَبولُ الشَّرطِ في رَدِّ مَن أتاهم مُسْلِماً إليهم.

ثم شِدَّتُهم على الكفار في كلِّ مَوْطِنٍ وعَطْفُهم على المسلمين في كلِّ مَوْضعٍ مما لا يَخفى.

﴿تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا﴾: مع جهادهم في سبيل الله كانوا مُجْتَهِدين في العبادة لله تعالى.

﴿يَبْتَغُونَ﴾: بذلك ﴿فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ﴾: بتَضْعيفِ الحسنات ﴿وَرِضْوَٰنًا﴾: بعَفْوِ السيئات.

وقولُه تعالى: ﴿سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾: أي: علامتُهم.

قيل: هي صُفْرَةُ[1] الوُجوهِ بكثرة التَّهَجُّد.

وقيل: هي إشراقُ وجوهِهم مِن أَثَرِ السُّجود، قال ﷺ: «مَن كثُرَتْ صلاتُه بالليل حَسُنَ وجهُه بالنهار»[2].

وقيل: هي ما يَظْهَرُ عليها مِن النور يوم القيامة.

---

(١) في (أ): «من صفوة» بدل: «هي صفرة».

(٢) رواه ابن ماجه (١٣٣٣)، والمروزي في «مختصر قيام الليل» (ص: ٨٥)، والعقيلي في «الضعفاء الكبير» (١/ ١٧٦)، وابن أبي حاتم في «علل الحديث» (٢/ ٣٦)، وغيرهم من طريق ثابت بن موسى، عن شريك، عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر رضي الله عنه يرفعه.
وقد اتفقت آراء المحدثين على أن الحديث بهذا الإسناد موضوع عن غير قصد، وأنه من كلام شريك؛ قال السخاوي: واتفق أئمة الحديث ابن عدي والدارقطني والعقيلي وابن حبان والحاكم على أنه من قول شريك قاله لثابت لما دخل عليه. انظر: «المقاصد الحسنة» للسخاوي (ص: ٦٦٦).
وانظر تفصيل الكلام عليه في هذا الكتاب عند تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ﴾ [الصف: ١٤].

وقولُه تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾: أي: صِفتُهم؛ كما قال: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ﴾ [محمد: ١٥]، وقال: ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [الروم: ٢٧].

أي: ذُكِروا في التوراة أنهم أشَدُّ على الكفار... إلى آخره.

وقولُه تعالى: ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ﴾: هذا على حقيقة المَثَل.

﴿كَزَرْعٍ﴾: أي: مَثَلُهم في توادِّهم وتراحُمِهم فيما بينهم، وتآلُفِهم على الجهاد في سبيل الله، ونُصْرَةِ دِين الله؛ كزَرْعٍ.

﴿أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ﴾: قال الأخفشُ: أي: فِراخه[1]. وقيل: قوائمَه. وقيل: سُنْبُلَه.

وقال الفراء: هو أنْ يُنْبِتَ سبعاً وثمانياً وعشراً[2].

قرأ ابنُ كثيرٍ وابنُ عامرٍ بنصب الشين والطاء، والباقون بتسكين الطاء[3]، وهما واحدٌ.

وقولُه تعالى: ﴿فَـَٔازَرَهُۥ﴾: أي: قوَّى الشَّطْءُ أَصْلَ الزَّرعِ بالتفافِه عليه وتكاثُفِه.

﴿فَٱسْتَغْلَظَ﴾: أي: فغلُظَ قَصَبُ الزَّرع.

﴿فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ﴾: جَمْعُ ساق.

﴿يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ﴾: أي: يروقُ هذا الزَّرْعُ الزَّارِعَ.

تمثيلُ إعجابِ النَّبيِّ عليه السلام بأصحابه، وتوافُقِهم على الطاعة، وتظاهُرِهم

---

(١) ذكره عنه الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٣٢٣)، وهو قول أبي عبيدة في «مجاز القرآن» (٢/ ٢١٨).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٦٩).

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٠٤)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٢).

على نُصْرَةِ الدِّين، فيتعجَّبُ الأنبياءُ منهم يومَ القيامة؛ لِمَا يَرَوْنَ مِن فضلِهم على كل الأُمَم، فالزُّرَّاعُ مَثَلُ الأنبياءِ.

﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾: أي: قد جعَلَهم اللهُ كذلك لِيُكْمِدَ بتآلُفِهم قلوبَ الكفار، وتنقَطِعَ بذلك أطماعُهم في الظُّهور عليهم، قال تعالى: ﴿وَإِذَا خَلَوْا۟ عَضُّوا۟ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُوا۟ بِغَيْظِكُمْ﴾ [آل عمران: ١١٩].

وقال عكرمة: ﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾: أبو بكر كان معه في كلِّ حَضَرٍ وسفَرٍ، ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ﴾: عمرُ بن الخطاب، ﴿رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾: عثمانُ بن عفان، ﴿تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا﴾: عليُّ بن أبي طالب، ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا﴾: عامَّةُ الصحابةِ رِضْوان الله عنهم(١).

﴿سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾:

---

(١) رواه الداني في «المكتفى» (ص: ٢٠١) عن موسى الكاظم، عن جعفر الصادق عن آبائه.
ورواه ابن مردويه، والقلطي، والقاضي أحمد بن محمد الزهري في «فضائل الخلفاء الأربعة» والشيرازي في «الألقاب» فيما عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٥٤٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما.
وذكره السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٣٢٠)، والقشيري في «لطائف الإشارات» (٤/ ٤٣٣)، والكرماني في «غرائب التفسير» (٢/ ١١١٨) من غير نسبة.
وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٦٦)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٣٢٥) عن الحسن، والسمعاني في «تفسيره» (٥/ ٢١٠) عن جعفر الصادق.
قال ابن المظفر الرازي في «مباحث التفسير» (ص: ٢٨١) بعد أن ضعف هذا القول: فحمله على عامة الصحابة أولى لفظاً ومعنى، وهو أقرب إلى الإنصاف، وترك التعصب والاعتساف، ولا فيه من إعطاء كل واحد من الصحابة حظه من هذه الفضيلة دون الحرمان، فإن كلهم كانوا أعلام الإسلام، وأيمان الإيمان!

قال ابن عباس رضي الله عنهما: أَثَرُ السَّهرِ(١).

وقال مجاهد: أَثَرُ الخُشوعِ(٢).

وقال أبو العالية: يسجدون على التُّراب لا على الأثواب(٣).

وقال عطاء بن أبي رباحٍ: استنارتْ وجوهُهم مِن طُول ما صَلَّوا(٤).

وقال منصور: سألتُ مُجاهداً عن قوله: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم﴾: أهو الأَثَرُ يكون بين عَيْنَيِ الرجل؟ قال: ربما يكون بين عَيْنَيِ الرجل ذلك الأَثَرُ وهو أقسى قَلْباً مِن الحَجَر، ولكنه نورٌ في وجوههم مِن الخُشوع(٥).

---

(١) انظر: «تنوير المقباس» للفيروزآبادي (ص ٤٣٤).

ورواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٣٢٥) عن شمر بن عطية، وكذا ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٦٥).

ورواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٥٤٦٤)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣/ ٣٣٤)، عن عكرمة.

وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٣٢٣)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ١٤٦)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٣٢٤)، عن الضحاك، وابن عطية في «تفسيره» (٥/ ١٤١) عن الحسن بن أبي الحسن وشمر بن عطية، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ١٣٩) عن سعيد بن جبير.

(٢) رواه عنه ابن المبارك في «الزهد» (١٧٣)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (٢٩١٣)، والطبري في «تفسيره» (٢١/ ٣٢٤)، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (١/ ٢٨٢)، والدينوري في «المجالسة» (١٨٩٨)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣/ ٢٨٢).

(٣) ذكره عنه الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٦٥)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ١٤٦)، وابن عطية في «المحرر الوجيز» (٥/ ١٤١). وجاء في (ف) و(ر): «لا على النبات والأثواب».

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٦٥)، وابن عطية في «المحرر الوجيز» (٥/ ١٤١)، عن عطاء والربيع بن أنس.

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٣٢٤)، والبيهقي في «الكبرى» (٣٥٦٠).

وذكره السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٣٢٠)، والثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٦٥)، وابن عطية في «المحرر الوجيز» (٥/ ١٤١).

وقال ابن جُريجٍ: هو الوَقارُ والبَهاءُ[١].

وقال الزُّهْري: يكون ذلك يوم القيامة[٢].

وقال شَهْرُ بن حَوْشَبٍ: تكون مواضِعُ السجود مِن وجوههم كالقمر ليلةَ البدرِ يومَ القيامة[٣].

وقولُه تعالى: ﴿وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ﴾: قيل: هو محمد عليه السلام، ﴿أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ﴾: هو أبو بكر، ﴿فَـَٔازَرَهُۥ﴾: هو عمر أعانَه على كفار مكة، ﴿فَٱسۡتَوَىٰ﴾: هو عثمان سَوَّاهم وقوَّاهم بنفقته، ﴿عَلَىٰ سُوقِهِۦ﴾: هو عليُّ بن أبي طالب قام بنَصْرِ الدِّين وقَهْرِ الكافرين، ﴿يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ﴾: جميعَ المؤمنين، ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَ﴾: جميعَ المشركين.

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَٰتِ مِنۡهُم﴾: هو لِتَمييز الجنس، لا للتَّبْعيض.

وقيل: أي: مِن هؤلاء الصحابة.

﴿مَّغۡفِرَةً﴾: عفْواً عن السيئات.

﴿وَأَجۡرًا عَظِيمًۢا﴾: في الجنة بما لا ينقطِعُ مِن الكرامات.

وقال أبو العالية: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَٰتِ﴾: أي: أَحَبُّوا أصحاب رسولِ الله ﷺ، فعُرِضَ هذا القول على الحسن، فاستحسَنه[٤].

والحمدُ لله ربِّ العالمين

---

(١) ذكره عنه الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٦٥).

(٢) ذكره عنه الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٦٥)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ١٤٦)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ١٣٩).

(٣) ذكره عنه الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٦٥).

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٦٧).

سُورَةُ الحُجُرَاتِ

سُورَةُ الحُجُرَاتِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

باسمِ اللهِ الذي أمرَنا بمُتابعة السُّنَّة والقرآن، الرَّحمنِ الذي كرَّهَ إلينا الكفرَ والفُسوقَ والعِصْيان، الرَّحيمِ الذي مَنَّ علينا أنْ هدانا للإيمان.

وروى أُبيُّ بن كعب رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «مَن قرأ سورةَ الحُجُراتِ أُعْطِيَ عشرَ حسناتٍ بعدَدِ مَن أطاعَ اللهَ وعصاه»(١).

وهذه السُّورةُ مَدَنِيَّةٌ، وهي ثماني عشرةَ آيةً، وثلاثُ مئةٍ وسبعٌ وأربعون كلمةً، وألفٌ وأربعُ مئةٍ وثلاثةٌ وستون حرفاً.

وانتظامُ خَتْمِ تلك السُّورةِ بافتتاح هذه السُّورة: أنَّ خَتْمَ تلك السُّورةِ في ذِكْرِ النبي ﷺ ومُوافِقيه ومُخالِفيه، وافتتاحَ هذه بذلك أيضاً.

وانتظامُ السُّورتين: أنَّ تلك السُّورةَ في أصول الدِّين مِن الإيمان والإيقان والبيعة والجهاد في سبيل الله تبارك وتعالى، ومُؤازرةِ رسولِ الله ﷺ، وهذه في فروع الدِّين، ومَكارم الأخلاق، وجَلائل الآداب، والمُجاملة في المُعاملة.

* * *

---

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٦٩)، والمستغفري في «فضائل القرآن» (١٢١٦)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ١٤٩)، وهو قطعة من الحديث الطويل الموضوع المروي عن أبي بن كعب رضي الله عنه. انظر: «الفتح السماوي» للمناوي (٣/ ١٠٠٦).

(١) ـ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

وقولـه تعالـى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾: قـرأ الضَّحَّـاكُ ويعقـوبُ الحَضْرَمِـيُّ ـ رحِمَهمـا اللهُ ـ بفتـح التاء والقـاف والدال مِـن التَّقَدُّم، وقرأ العامَّـةُ بضـم التـاء وفتـح القاف وكسـر الـدال مِـن التَّقْدِيم[١].

قال الفراء رحِمَه اللهُ: هما واحدٌ؛ كقولك: علَّقْتُ الشَّيءَ وتَعَلَّقْتُه[٢].

وعلى ظاهر اللُّغة معنى قراءةِ العامَّة: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ﴾ قولاً ولا فعلاً على قولِ رسول الله ﷺ وفعلِه فيما سبيلُه أنْ يُؤخَذَ عنه مِن أَمْرِ الدِّين، بل انتظروا حُكْمَ رسولِ الله ﷺ فيه، فإنَّ حُكْمَه حُكْمُ اللهِ تعالى؛ لأنه[٣] لا يَقْضي إلا بأمر الله تعالى، وهو معنى ذِكْرِ اللهِ قَبْلَ ذِكْرِ رسولِه عليه الصلاة والسلام، وهو قولُه: ﴿بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾؛ إذ التَّقَدُّمُ على رسوله تَقَدُّمٌ عليه تعالى؛ كما قال تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾، وهذا التأويل يأتي على أكثر أقاويل المفسِّرين فيه.

ومعنى قراءةِ الضَّحَّاكِ ويعقوبَ: لا تقولوا قَبْلَه ولا تفعلوا قَبْلَه شيئاً، بل كونوا تابِعين له قولاً وفعلاً.

و﴿بَيْنَ يَدَىْ﴾: مجازٌ واستعارةٌ عن مُطْلَقِ التَّقَدُّمِ؛ كما في قوله: ﴿بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ﴾.

وقيل: التَّقَدُّمُ بين يَدَيِ الله مُخالفَةُ كتابِه، والتَّقَدُّمُ على رسوله مُخالَفَةُ سُنَّتِه.

---

(١) انظر: «المحتسب» لابن جني (٢/ ٢٧٨)، و«تفسير الثعلبي» (٩/ ٦٩). وقراءة يعقوب من العشرة. انظر: «النشر» (٢/ ٣٧٥).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٦٩)، ولفظه: ولو قرأ قارئ: (لا تَقَدَّموا) لكان صواباً، يقال: قدَّمت في كذا وكذا وتقدَّمت.

(٣) «لأنه» ليس من (أ) و(ف).

وقال الحسن البصري: إنَّ قوماً ذبَحوا قبل أنْ يُصَلِّيَ النبيُّ ﷺ يومَ النَّحْرِ صلاةَ العيدِ، فأمَرهم النبيُّ ﷺ أنْ يذبَحوا ذَبْحاً آخرَ، ونزلت الآيةُ(١).

وقال مسروقٌ: كنا عند عائشةَ رضي الله عنها يومَ الشَّكِّ، فأُتِيَ بلَبَنٍ، فقلتُ: إني صائمٌ، فقالت عائشة رضي الله عنها: نهى عن هذا، وتلَتْ هذه الآيةَ، وقالت: هذه في الصوم وغيرِه(٢).

وقال الحسن: أي: لا تعمَلوا بخِلاف الكتاب والسُّنَّة(٣).

وقال مقاتل: نزلت في ثلاثة نفَرٍ، وذلك أنَّ النبيَّ ﷺ بعَثَ سَرِيَّةً وأمَّرَ عليهم المنذرَ بن عمرو، فخرج بنو عامر بن صَعْصَعَةَ عند بئر مَعُونةَ، فرَصَدُوهم على الطريق وقتلوهم، فرجعَ ثلاثةٌ منهم(٤)، فلما دنوا إلى المدينة خرَجَ رجلان مِن بني سُلَيم صالَحا رسولَ اللهِ ﷺ، وقد كان أعطاهما وكساهما، فقالا: نحن مِن بني عامر؛ لأنَّ بني عامرٍ كانوا أقربَ إلى المدينة، فقتلوهما وأخذوا ثيابَهما، وجاؤوا إلى رسول الله ﷺ، فنزلت هذه الآيةُ(٥).

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٩٢٣)، والطبري في «تفسيره» (٢١/ ٣٣٦). وذكره عنه الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (٩/ ٣٢٢)، والسمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٣٢٢)، والثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٧٠).

(٢) رواه الطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٣٣٩)، والطبراني في «الأوسط» (٢٧١٣)، والدارقطني في «المؤتلف والمختلف» (٢/ ٥٩٧). وذكره الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (٩/ ٣٢٢)، والسمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٣٢٢)، والثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٧٠).

(٣) ذكره عن الحسن السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٣٢٢).

ورواه المروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (٧١٥)، والطبري في «تفسيره» (٢١/ ٣٣٥)، وأبو نعيم في «الحلية» (١٠/ ٣٩٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) في (أ): «ثلاثة نفر».

(٥) انظر: «تفسير مقاتل بن سليمان» (١/ ٤٥٩)، وذكره عنه السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٣٢٢). =

وعن عبد الله بن الزُّبَير قال: قَدِمَ وَفْدَ تميمٍ سبعون رجلاً أو ثمانون رجلاً، فقال أبو بكر الصِّدِّيقُ رضي الله عنه لرسول الله ﷺ: أَمِّرْ عليهم القَعْقَاعَ بن حكيم، وقال عمر: لا، بل أَمِّرْ عليهم الأَقْرَعَ بن حابسٍ، فقال أبو بكر: ما أردتَ إلا خِلافي، فقال عمر: ما أردتُ خلافَكَ، فترادًّا وارتفعَتْ أصواتُهما، فنزلت هذه الآيةُ(١).

ورُوِيَ أنهما كانا لا يُكَلِّمان بعد ذلك رسولَ الله ﷺ إلا كأَخِي سِرارٍ(٢).

وقولُه تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾: أي: في التَّقَدُّم بين يَدَيِ الله ورسوله ﷺ.

﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾: لِما تقولونه ﴿عَلِيمٌ﴾: بما تفعلونه.

***

(٢) - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾: أي: في مُخاطباتِه.

﴿وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ﴾: أي: عليه؛ كقولك: سقَطَ لِفِيه؛ أي: على فِيه.

﴿كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾: أي: لا تستعملوا في خِطاب النبيِّ ﷺ التَّصريحَ بالاسم كما يُصَرِّحُ بعضُكم لبعض، فيقول: يا محمَّدُ، يا أبا القاسِم، بل خاطِبوه بالنُّبُوَّةِ والرِّسالة: يا نبيَّ اللهِ، يا رسولَ اللهِ، فإنَّ الأَوَّلَ تَرْكٌ للحُرْمَةِ، وتَسْوِيَةٌ بينه وبين الأُمَّةِ.

= ورواه البيهقي في «شعب الإيمان» (١٤٣٠) عن مقاتل بن حيان.

(١) رواه البخاري (٤٣٦٧)، والنسائي (٥٩٠٣)، والنحاس في «إعراب القرآن» (٤/ ١٣٨)، والثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٧٠)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٣٣٤).

(٢) رواه البخاري (٧٣٠٢)، والإمام أحمد (١٦١٣٣)، والمروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (٧٢٩).

قال ابن حجر في «فتح الباري» (١٣/ ٢٧٩): والسِّرار: الكلام السر، ومنه: المسارَرة، وأما قوله: «كأخي سرار»، فقال ابن الأثير: كصاحب السرار.

﴿أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ﴾: أي: لئـلا يَبْطُلَ ثوابُ أعمالِكـم التي هي طاعاتٌ وقُرُباتٌ بالاسـتخفاف بحـقِّ رسـولِ الله ﷺ، وهـو كقولـه: ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ أَن تَضِلُّواْ﴾: أي: لئلَّا تَضِلُّوا.

قال جابر بن عبد الله: جاءت بنو تميمٍ وهم سبعون أو ثمانون، وفيهم الأَقْرَعُ بنُ حابسٍ، والزِّبْرِقانُ بنُ بدرٍ، وعُطاردُ بنُ حاجبٍ، فنادَوا على الباب: يا محمَّدُ، اخرُجْ علينا، فإنَّ مَدْحَنا زَيْنٌ، وإنَّ ذمَّنا شَيْنٌ، قال: فسَمِعَها رسولُ الله ﷺ، فخرَجَ عليهم وهو يقول: «إنما ذلكم اللهُ الذي مَدْحُه زَيْنٌ وذَمُّه شَيْنٌ»، قالوا: نحن ناسٌ مِن بني تميمٍ جئنا بشاعرِنا وخطيبِنا لِنُشاعِرَكَ ونُفاخِرَكَ، فقال رسول الله ﷺ: «ما بالشِّعْرِ بُعِثْتُ، ولا بالفَخارِ أُمِرْتُ، ولكنْ هاتوا»، فقال الزِّبْرِقانُ بنُ بدرٍ لشابٍّ مِن شُبَّانهم: قُمْ واذكُرْ فَضْلَكَ وفَضْلَ قومِكَ، فقام فقال: الحمدُ لله الذي جعلَنا خيرَ خَلْقِه، وآتانا أموالاً نفعلُ بها ما نشاءُ، فنحن مِن خير أهلِ الأرض، مِن أكثرِهم عُدَّةً ومالاً وسلاحاً، فمَن أنكرَ علينا قولَنا، فليأتِ بقولٍ أحسنَ مِن قولنا، وبفِعالٍ هو خيرٌ مِن فِعالِنا.

قال: فقال رسول الله ﷺ لثابتِ بنِ قيسِ بنِ شَمَّاسٍ، وكان خطيبَ رسولِ الله ﷺ: «قُمْ فأجِبْهُ»، فقام، فقال: الحمدُ لله أحمَدُه، وأستعينُه وأومِنُ به وأتوكَّلُ عليه، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، دعا المهاجرين مِن بني عمِّه أحسنَ الناسِ وُجوهاً، وأعظمَهم أحلاماً(١)، فأجابوه، الحمدُ لله الذي جعلَنا أنصارَ دينِه ووُزَراءَ رسولِه وعِزًّا لدِينه، فنحن نُقاتِلُ الناسَ حتى يشهدوا أنْ لا إلهَ إلا اللهُ، فمَن قالَها مُنِعَ مِنَّا مالُه ونفْسُه، ومَن أباها قاتَلْناه، وكان زعمُه في الله هَيِّناً، أقولُ قولي هذا، وأستغفِرُ اللهَ للمؤمنين والمؤمنات.

---

(١) في (ف): «أخلاقاً».

فقال الزِّبْرِقانُ بنُ بدرٍ لشابٍّ مِن شُبَّانِهم: قُمْ يا فلانٌ، فقل أبياتاً تذكُرُ فيها فَضْلَكَ وفَضْلَ قومِك، فقام الشابُّ فقال:

نحـن الكـرامُ فـلا حَـيٌّ يُعادِلُنـا ... فينـا الـرُّؤوسُ وفينـا يُقْسَـمُ الرُّبُعُ[1]

ونُطْعِـمُ النـاسَ عنـد القَحْـطِ كلَّهُـمُ ... مِـن السَّـديفِ إذا لم يُؤْنَـسِ القَـزَعُ[2]

إنَّـا أَبَيْنـا ولا يأبـى[3] لنـا أحـدٌ ... إنـا كذلـك عنـد الفَخْـرِ نَرْتَفِـعُ

فأرسلَ رسولُ الله ﷺ إلى حسان بن ثابتٍ، فانطلَقَ إليه الرسولُ، فقال: وما يريدُ مني وكنتُ عنده آنفاً؟ قال: جاءت بنو تميمٍ بشاعرهم وخطيبهم، وأمرَ رسولُ الله ﷺ ثابتاً فأجابه، وتكلَّمَ شاعرُهم، فأرسلَ إليكَ لِتُجِيبَه، وذكَرَ له قولَ شاعرِهم، قال: فجاء حسان، فأمرَه رسولُ الله ﷺ أنْ يُجيبَه، فقال: يا رسولَ اللهِ، فليُسْمِعْني ما قال، فقال رسول الله ﷺ: «أَسْمِعْه ما قلتَ»، فأنشدَ ما قال، فقال حسان رضي الله عنه:

إنَّ الذَّوائِـبَ[4] مِـن فِهْـرٍ وإخوتِهـم ... قـد شرَّعـوا سُـنَّةً للنـاس تُتَّبَـعُ

يَـرضى بهـا كلُّ مَـن كانـت سريرتُـه ... تقـوى الإلـهِ وكلُّ الخـيرِ يُصْطَنَـعُ

ثم قال حسان:

---

(١) المِرْباع: شيء كانوا في الجاهلية يغزو بعضهم بعضاً، فإذا غنموا أخذ الرئيس ربع الغنيمة، فكان خالصا له دون أصحابه. انظر: «تهذيب اللغة» للأزهري (٢/ ٢٢٣).

(٢) السَّدِيف: شحم السنام، والقَزَع: السحاب، وقوله: (لم يؤنس القزع) كناية عن القحط وانحسار المطر عن الهطول، أي: إننا نُطعِمُ الشحم عند المَحْل والقحط. انظر: «النهاية» لابن الأثير (٢/ ٣٥٥).

(٣) في (أ) و(ر): «إنا أتينا ولا يأتي».

(٤) ذُؤابةُ الرأس أعلاه، وذؤابة العز والشرف أرفعُه، وهو في ذؤابة قومه؛ أي: في أعلاهم، والجمع: ذوائب. انظر: «المحكم» لابن سيده (١٠/ ١٠٢).

نَصَرْنـا رسـولَ اللهِ والدِّيـنَ عَنْـوَةً على رَغْمِ عاتٍ[١] مِن مَعَدٍّ وحاضِرِ
بِـضَرْبٍ كإيزاغ المَخاضِ مُشاشُـه[٢] وطَعْـنٍ كأفـواه اللِّقَـاحِ المَصـادرِ[٣]
وسَـلْ أُحُـداً يـوم اسـتقلَّتْ جُموعُهم بِضَرْبٍ لنـا مِثْـلَ اللُّيوثِ الخَـوادرِ[٤]
أَلَسْنا نخوضُ الموتَ في حَوْمَة الوَغا إذا طـابَ وِرْدُ المـوتِ بـين العسـاكرِ
ونَـضْرِبُ هـامَ الدَّارِعـين وننتمـي إلى حسَـبٍ مِن جِـذْمِ غسَّـانَ[٥] قاهرِ
فلـولا حيـاءُ اللهِ قلنـا تَكَرُّمـاً على الناس بالخَيْفَينِ[٦]: هل مِن مُنافرِ؟
فأحياؤُنـا مِـن خـيرِ مَن وطِـئَ الحَصا وأمواتُنـا مِـن خـيرِ أهـل المقابـرِ[٧]

قال: فقام الأَقْرَعُ بنُ حابسٍ، فقال: إني واللهِ يا محمَّدُ لقد جئتُ لأمرٍ ما جاء له هؤلاء، وإني قد قلتُ شعراً فاسْمَعْه، فقال: «هاتِ»، فقال:

---

(١) في النسخ الثلاث: «غاب»، والمثبت موافق لما في «ديوان حسان» (٢/ ٤٨٧) ولمصادر التخريج الآتية.

(٢) هو قذف الإبل بأبوالها، وذلك إذا كانت حوامل، شبه الضرب به. انظر: «غريب الحديث» لأبي عبيد (٢/ ٢٧).

(٣) كذا في النسخ الثلاث، والذي في مصادر التخريج: «الصوادر».

(٤) يقال: خدر الأسد في عرينه؛ إذا لم يكد يخرج، فهو خادر مُخْدِر كثير الخدور. انظر: «تهذيب اللغة» للأزهري (٧/ ١١٩).

(٥) جذم القوم: أصلهم. انظر: «تهذيب اللغة» للأزهري (١١/ ١٤).

(٦) في (أ): «بالخيفى». وفي (ف): «بالجفى»، وفي (ر): «بالتحقيق»، وكلها تصحيف، والمثبت من الديوان والمصادر.

والخَيْفُ: ما انحدر عن غلظ الجبل وارتفع عن مسيل الماء، ومنه سمي مسجد الخيف بمنى. انظر: «الصحاح» (٤/ ١٣٥٩).

(٧) انظر: «ديوان حسان» (٢/ ٤٨٧).

أتينـاكَ كيمـا يعـرفَ النـاسُ فَضْلَنـا ... إذا خالَفُونـا عنـد ذِكْـرِ المَـكارمِ
وأنَّـا رؤوسُ النـاس فـي كلِّ مَعْشَـرٍ ... وأنْ ليسَ فـي أرض الحجـازِ كَدَارمِ
وأنَّ لنـا المِرْبـاعَ فـي كل غـارةٍ ... تكـون بنجـدٍ أو بـأرض التَّهائِـمِ(١)

فقال رسول الله ﷺ: «يا حسانُ، قُمْ فأَجِبْه»، فقام حسان فقال:

بنـي دارمٍ لا تَفْخَـروا إنَّ فَخْرَكـم ... يعـودُ وبـالاً عنـد ذِكْـرِ المـكارمِ
هَبِلْتُـم علينـا(٢) تفخَـرون وأنتـمُ ... لنـا خَـوَلٌ مِـن بيـن ظِئْـرٍ وخـادمِ(٣)

فقال رسول الله ﷺ: «لقد كنت غَنِيًّا يا أخا بني دارمٍ أنْ يُذْكَرَ منكَ ما قد ظننتَ أنَّ الناس قد نسُوه»، قال: فكان قولُ رسولِ الله ﷺ أشدَّ عليهم مِن قول حسان، ثم رجَعَ حسان إلى شِعْرِه، فقال:

وأفضـلُ مـا نِلْتُـم مِن المجـد والعُلا ... رِدافَتُنـا مِـن بعـد ذِكْـرِ الأكارمِ
فـإنْ كنتُـمُ جئتُـمْ لِحَقْـنِ دمائِكـم ... وأموالِكـم أنْ تُقْسَـموا في المقاسِـمِ

---

(١) عزاها ابن هشام في «السيرة النبوية» (٢/ ٥٦٥ ـ ٥٦٦) للزبرقان، وفي روايته اختلاف يسير عما هنا. ودارم من بني تميم. والمرباع أخذ الربع من الغنيمة يريد أنهم رؤساء. انظر: «الإملاء المختصر في شرح غريب السير» (ص: ٤٣٤).

(٢) أصل الهبَل: الثَّكَل، يقال: هبِلته أمه؛ إذا ثكلته، ثم استعير لفقد العقل مما يصيب. انظر: «اللسان» (مادة: هبل).

(٣) ذكرها ابن هشام في «السيرة النبوية» (٢/ ٥٦٦). الوبال: الثقل. وقوله: (هبلتم)؛ أي: فقدتم، وأصل الهبَل: الثَّكل، يقال: هبِلته أمه؛ إذا ثكلته، ثم استعير لفقد العقل مما يصيب. والظئر التي ترضع ولد غيرها، وقد تأخذ على ذلك أجراً، وأصله الناقة تعطف على ولد غيرها. انظر: «الإملاء المختصر في شرح غريب السير» (ص: ٤٣٥)، و«اللسان» (مادة: هبل).

فــلا تجعلــوا للــه نِــدًّا وأَسْــلِموا ولا تَفْخَــروا عنــد النَّبِــيِّ بــدَارمِ
وإلَّا وربِّ البيــتِ مالَــتْ أَكُفُّنــا على هامِكـم بالمُرْهَفَاتِ الصَّوارمِ[١]

قال: فقامَ الأَقْرَعُ بنُ حابسٍ، فقال: إنَّ محمداً لَمُؤْتًى له، واللهِ ما أدري ما هذا الأمرُ، تكلَّمَ خطيبُنا، فكان خطيبُهم أرفعَ[٢] صوتاً وأحسنَ قولاً، وتكلَّمَ شاعرُنا، فكان شاعرُهم أَشْعَرَ وأحسَنَ قولاً، ثم دنا مِن النبي ﷺ، فقال: أشهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ، وأشهدُ أنَّكَ رسولُ الله، فقال له رسول الله ﷺ: «لا يَضُرُّكَ ما كان قَبْلَ هذا»، ثم أعطاهم رسولُ الله ﷺ وكساهم، وقد كان تخلَّفَ في رِكابهم عمرو بن الأَهْتَمِ ـ وهو الذي أخذَ شِقَّ شَعَرِ رسولِ الله ﷺ حين حلَقَه في حِجَّة الوَداعِ، وغيرُه مِن الناس قَسَموا الشِّقَّ الآخرَ، فأعطاه رسولُ اللهِ مثلَ ما أعطى القومَ[٣] ـ وكان قيس بن عاصمٍ يُبْغِضُه لِحَداثةِ سِنِّه، فأزرى به قيسٌ، وقال فيه قيسٌ أبياتَ شعرٍ، وارتفعَتِ الأصواتُ، وكثُرَ اللَّغَطُ عند رسول الله ﷺ، فأنزل الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ﴾ إلى قوله: ﴿أَجۡرٌ عَظِيمٌ﴾[٤]: يعني: جزاءً وافراً، وهو الجنة.

* * *

(١) جمع الصارم: وهو السيف القاطع. انظر: «الصحاح» (مادة: رهف وصرم).

(٢) في (ر): «أسمع».

(٣) ما بين معترضتين زيادة من (أ)، وهي ليست من ضمن سياق الحادثة.

(٤) روى القصة بطولها وتمامها الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٧٣)، والحنائي في «فوائده» (٢/ ١١٠٦)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٩٠)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٢/ ٤٠٨).
وفي إسناده معلى بن عبد الرحمن الواسطي، قال عنه الدارقطني: ضعيف كذاب. انظر: «تهذيب الكمال» للمزي (٢٨/ ٢٨٨).

(٣) ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾.

قولُه تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾: أي: يَخْفِضونه احتراماً له.

﴿أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ﴾: أي: اختبرَهم بما تعبَّدَهم به مِن هذه العبادة؛ لِيُظْهِرَ للعباد طاعتَهم له باتِّقائِهم رُكوبَ ما نهاهُمُ اللهُ عنه، فخلَصوا على الاختبار، وظهرَ منهم التقوى، وانتفَتْ عنهم الشُّكوكُ؛ كما يُمْتَحَنُ الذَّهبُ بالنار فيَخْلُصُ.

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ﴿ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ﴾ يعني: ذهَبَ بالشَّهوات عن قلوبهم[١].

﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾: وهذا ثَناءٌ عَجيبٌ وثوابٌ عظيمٌ، وقد كان منهم أبو بكرٍ وعمرُ رضي الله عنهما على ما روَّينا[٢].

وقيل: نزلت[٣] في ثابتِ بن قيسِ بن شَمَّاسٍ، وكان جَهِيرَ الصَّوتِ، ويرفَعُ صوتَه عند رسول الله ﷺ، فلما نزلت هذه الآيةُ جلَسَ يبكي في بيته، ويقول: أخاف أنْ يكون قد حَبِطَ عملي، فبلغ ذلك رسولَ الله ﷺ، فدعاه وبشَّرَه بالجنَّة[٤].

وقال الزُّهريُّ: إنَّ ثابتَ بنَ قيسِ بنِ شَمَّاسٍ أتى رسولَ الله ﷺ، فقال: يا رسولَ اللهِ،

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «الجوع» (١٤٥)، وأبو نعيم في «الحلية» (٩/ ٢٦٨)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٥٣٣٧).

وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٧٣)، ومكي بن أبي طالب في «الهداية» (١١/ ٦٩٩٢).

(٢) تقدمت قصتهما في أول السورة.

(٣) في (ف): «هي».

(٤) سيأتي تخريجه لاحقاً.

هلَكْتُ، فقال: «بِمَ هلَكْتَ يا ثابتُ؟»، قال: يا رسولَ الله، إنَّ اللهَ نهانا أنْ نرفَعَ أصواتَنا فوق صَوْتِكَ، وأنا امرؤٌ جَهِيرَ الصوت، ونهانا اللهُ عن الخُيَلاء، وإني أُحِبُّ الجَمالَ حتى إني لَأُحِبُّه في شِسْعِ نَعْلِي[1] وجِلازِ[2] سَوْطي، ونهانا أنْ يُحِبَّ المرءُ أنْ يُحْمَدَ بما لم يفعل، وأنا واللهِ أَجِدُني أُحِبُّ الحَمْدَ، فقال رسول الله ﷺ: «يا ثابتُ، إنَّ اللهَ جميلٌ يُحِبُّ الجَمالَ، وليس ذلك بالكِبْرِ، إنما الكِبْرُ أنْ تُسَفِّهَ الحقَّ، وتَغْمِصَ الناسَ في عينيكَ، أفلا ترضى أنْ تعيشَ حَميداً، وتذهَبَ فقيراً، وتُقْتَلَ شهيداً؟»، فقال: بلى، قد رَضِيتُ يا رسولَ الله، فعاشَ حَميداً، وذهَبَ فقيراً، وقُتِلَ شهيداً يومَ مُسَيْلَمَةَ الكَذَّابِ لعنَه الله[3].

قال أنس: فكُنَّا نَنظرُ إلى رجلٍ مِن أهل الجنة يمشي بين أيدينا، فلما كان يومُ اليَمامة وانهزمَ المسلمون، قال ثابتٌ لسالمٍ مولى أبي حُذيفةَ: ما كنا نقاتلُ أعداءَ الله مع رسول الله مِثْلَ هذا، فثبَتا حتى قُتِلا، وعلى ثابتٍ يومئذ دِرْعٌ، فرآه رجلٌ مِن الصحابة بعد موته في المنام إذ قال له ثابتُ: اعلَمْ أنَّ فلاناً مِن المسلمين نزَعَ دِرْعي فذهب

---

(١) الشِّسْع: أحد سيور النعل، وهو الذي يدخل بين الأصبعين، ويدخل طرفه في الثقب الذي في صدر النعل المشدود في الزمام. انظر: «النهاية» (مادة: شسع).

(٢) الجِلاز: كل عقد عقدته حتى يستدير فقد جلزته، وهو جلز وجلاز. انظر: «جمهرة اللغة» لابن دريد (١/ ٤٧١).

(٣) رواه مختصراً الإمام مالك في «الموطأ» (٩٤٦)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (٣/ ٢١٩)، والطبري في «تفسيره» (٢١/ ٣٤١)، وابن حبان في «صحيحه» (٧١٦٧)، والطبراني في «الكبير» (١٣١٠) وغيرهم، وليس فيه قوله: «إن الله جميل يُحِبُّ الجَمالَ، وليس ذلك بالكِبْرِ، إنما الكِبْرُ أنْ تُسَفِّهَ الحقَّ، وتَغْمِصَ الناسَ في عينيكَ». وروي دون هذه الزيادة أيضاً قطعة من حديث بنت ثابت بن قيس، وسيأتي قريباً تخريج حديثها. وهذه الزيادة رواها عن ثابت الرويانيُّ في «مسنده» (١٠٠٣)، وورد نحوها في «صحيح مسلم» (٩١) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

بها، وهي في ناحيةٍ مِن العسكر، وعنده فرس يَسْتَنُّ في طِوَلِه[١]، وقد وضَعَ على دِرْعي بُرْمةً، فأتِ خالدَ بن الوليد فأخبره حتى يَسْتَرِدَّ دِرْعي، وائتِ خليفةَ رسول الله ﷺ فقل له: إنَّ عَليَّ ديناً حتى يَقضيَ دَيني، وفلانٌ مِن رقيقي حُرٌّ، وإياك أنْ تقول: هذا حُلُمٌ، فتُلْغِيَه، فأخبرَ الرجلُ خالدَ بن الوليد، فوجدَ دِرْعَه حيث قال، فاستردَّها، فلما رجَعوا أخبرَ خالدُ بن الوليد أبا بكر بذلك، فأجازَ وصيَّتَه[٢].

قال مالك بن أنسٍ: لا أعلَمُ وصيَّةً أُجيزَتْ بعد موت صاحبِها إلا هذه الوصيةَ[٣].

***

(٤) ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾: قرأ أبو جعفرٍ بفتح الجيم[٤]، وهي جَمْعُ جَمْعٍ: (حُجْرَةٌ)، و(حُجَرٌ)، و(حُجَراتٌ)، وهي

---

(١) أي: يمرح بنشاط، والطِّوَل: الحبل الذي تشد به الدابة، ويمسك طرفه، ويرسل في المرعى. انظر: «فتح الباري» (٦/ ٥).

(٢) ذكره عن أنس رضي الله عنه: الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٧٢)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٣٣٦)، وبنحوه ابن عبد البر في «الاستيعاب» (١/ ٢٠٠ ـ ٢٠١).

ورواه أبو يعلى كما في «المطالب العالية» (٤٠٨٢)، والطبراني في «الكبير» (١٣٢٠)، والحاكم في «مستدركه» (٥٠٣٦)، وابن عبد البر في «الاستيعاب» (١/ ٢٠١ ـ ٢٠٣)، من حديث بنت ثابت بن قيس. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩/ ٣٢٢): بنت ثابت بن قيس لم أعرفها، وبقية رجاله رجال الصحيح، والظاهر أن بنته صحابية.

(٣) ذكره عنه الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٧٢)، وابن عبد البر في «الاستيعاب» (١/ ٢٠٣)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٣٣٦).

(٤) انظر: «النشر» لابن الجزري (٢/ ٣٧٥).

مأخوذةٌ مِن التَّحَجُّر، وهي أنْ يتَّخِذَ المرءُ لنفْسِه مَنْزِلاً يسكُنُه يمنَعُ غيرَه مِن مُشاركتِه فيه، والحَجْرُ: المَنْعُ.

أي: إنَّ الذين يَصيحون بك خارجَ منزلكَ وأنتَ في منزلكَ، ولا ينتظرون خروجَكَ إلى الناس مِن قومٍ الغالبُ عليهم الجَفاءُ والجهلُ لِخُلُوِّهم مِن عِلْم الدِّين، وفيه ذَمُّ هذه الفِرْقَةِ، وتسخيفٌ لعقولهم بهذه المُعاملة، وتسليةٌ للنبي ﷺ بما لَحِقه مِن الأَذِيَّة أنَّهم كالمجانين الذين لا عُقولَ لهم، فليَهُونَنَّ عليكَ ذلك.

قال مجاهد: هُم أعرابُ بني تميمٍ[1].

ورُوِيَ: أنَّ الأَقْرَعَ بنَ حابسٍ هو الذي نادى رسولَ الله ﷺ مِن وراء الحُجُرات[2].

وقال: ﴿أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾: ولم يَقُلْ: (كلُّهم)؛ لأنَّ المُناديَ بعضُهم، ولعلَّ فيهم مَن يَعْقِلُ.

* * *

(٥) - ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

وقولـه تعالـى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾: أي: أنفعَ وأصلحَ في دِينهم ودنياهم.

﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾: أي: إنْ تابوا غفَرَ لهم ورَحِمَهم.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: بعثَ رسولُ الله ﷺ سَرِيَّةً إلى حيٍّ بني العَنْبَر، وأمَّرَ عليهم عُيَيْنَةَ بنَ حِصنٍ، فلما عِلموا أنَّه توجَّهَ نحوَهم هرَبوا، فتركوا

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٣٤٦)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٤٢٩).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «مسنده» (٧٠٢)، والإمام أحمد في «مسنده» (١٥٩٩١)، والطبري في «تفسيره» (٢١/ ٣٤٦)، والطبراني في «الكبير» (٨٧٨).

عِيالاتِهم، فسَباهم عُيَيْنَةُ، وقدِمَ بهم على رسول الله ﷺ، فجاء بعد ذلك رجالُهم يَفْدون الذَّراري، فقَدِموا وقتَ الظَّهيرةِ، ووافقوا رسولَ الله ﷺ في أهله قائلاً، فلما رأَتْهم الذَّراري أجهَشوا إلى آبائهم يَبكون، وكان لكلِّ امرأةٍ مِن نساء رسول الله ﷺ بيتٌ وحُجْرَةٌ، فجعلوا يُنادون: يا محمَّدُ، اخْرُجْ إلينا، حتى أيقَظوه مِن نومه، فخرَجَ إليهم، فقال لهم رسولُ اللهِ ﷺ: «أَتَرْضَون أنْ يكونَ بيني وبينكم سَبْرَةُ بنُ عمرو وهو على دينكم؟»، قالوا: نعم، قال سَبْرةُ: أنا لا أحكُمُ بينهم وعمي شاهدٌ، وهو الأعورُ بنُ بَشامةَ بنِ ضِرارٍ، فقال الأعورُ: فأنا أرى أنْ يُفادى نصفُهم ويُعْتَقَ نصفُهم، فقال عليه الصلاة السلام: «مَن كان عليه مُحَرَّرٌ مِن ولد إسماعيل فليُعْتِقْ بعضَهم»، فنزلت هذه الآيةُ[1].

وقال الكلبي: نزلت الآيةُ في بني تميمٍ وفي بني عنبر[2] حين قدِموا، فجاؤوا إلى حُجُراتِ النبي ﷺ، فجعلوا يقولون: اخْرُجْ إلينا، ما لنا نُسْبى وتُسْبى ذرارينا ولم ندَعْ لكَ مِن طاعة؟! فحكَّمَ بينه وبينهم الأعورَ بنَ بَشامةَ.

وقال في قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا۟ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ﴾: فتُطْلِقَهم كلَّهم بلا فِداءٍ كان خيراً لهم[3].

وقال مقاتلٌ: نزلت في تسعةِ نفرٍ من بني تميمٍ: الأقرعِ بنِ حابسٍ، وقيسِ ابنِ عاصمٍ، والزِّبْرقانِ بنِ بدرٍ، وخالدِ بنِ مالكٍ وسُوَيْدِ بنِ هاشمٍ النَّهْشَلِيَّيْنِ،

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٧٦)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٣٣٧)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ١٤٥).

(٢) في (ر): «عبس».

(٣) لم أقف عليه.

والقَعْقَاعِ بنِ مَعْبَدٍ، وعُطارِدِ بنِ حاجبٍ، ووكيعِ بنِ وكيعٍ الدَّارِميِّ، وعُيَيْنَةَ بنِ حِصْنٍ الفَزارِيِّ[1].

وقال الزُّهْري: ناداه رجلٌ واحدٌ[2].

***

(٦) - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾: قال ابنُ إسحاقَ: إنَّ رسولَ الله ﷺ بعَثَ الوليدَ بنَ عُقْبَةَ بنِ أبي مُعَيْطٍ إلى بني المُصْطَلِقِ، وكان بينه وبينهم إِحْنَةٌ[3]، فلما سمِعوا به ركِبوا إليه، فلما سمِعَ بهم خافَهم، فرجَعَ إلى رسول الله ﷺ، فأخبرَه أنَّ القومَ قد همُّوا بقَتْلِه ومنَعوا صدقاتِهم فأكثَرَ المسلمون في [ذكر] غزوهم حتى همَّ رسولُ الله ﷺ أنْ يغزوَهم، فبينما هُم في ذلك قدِمَ وَفْدُهم على رسول الله ﷺ، فقالوا: يا رسولَ اللهِ، سمِعْنا برسولكَ حين بعثْتَه إلينا، فخَرَجْنا إليه لِنُكْرِمَه ونُؤَدِّيَ إليه ما قبِلْنا مِن الصدقات، فاستمرَّ راجعاً، فبلَغَنا أنه يزعمُ لرسول الله أنا خرَجْنا إليه لِنُقاتِلَه، واللهِ ما جئنا لذلك، فأنزل الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾[4].

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٨١).

(٢) ذكره ابن قتيبة في «تأويل مشكل القرآن» (ص: ١٧٣) عن قتادة.

(٣) الإِحْنة: الحقد في الصدر. انظر: «مقاييس اللغة» لابن فارس (١/ ٦٧).

(٤) انظر: «السيرة النبوية» لابن هشام (٢/ ٢٩٦)، وما بين معكوفتين منه. ورواه بنحوه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٣٥٠) عن ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وقتادة وابن أبي ليلى ويزيد بن رومان.

وذكر ابن عبد البر في «الاستيعاب» (٤/ ١٥٥٣) إجماع العلماء على أنها نزلت في الوليد بن عقبة.

قرأ حمزةُ والكسائيُّ: ﴿فتثبَّتوا﴾ مِن التَّثبُّتِ[١]، وهو التَّأنِّي وتَرْكُ التَّسرُّعِ مِن الثَّباتِ على الشيء، وقرأ الباقون: ﴿فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ مِن التَّبيُّن[٢]، وهو النَّظرُ في الشيء إلى أنْ يتبيَّنَ ويتحقَّقَ ذلك، وهما قريبان.

﴿أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ﴾: أي: لِئلَّا تُصيبوا قوماً بقول ذلك الفاسقِ على جهلٍ بحاله[٣]، وتقديرُ الآية: إنْ جاءكم فاسقٌ بخبرٍ فتأنَّوا ولا تَعْجَلوا إلى أنْ يتَّضِحَ صِدْقُه؛ لئلَّا تُصيبوا إنْ عجِلْتم القضاءَ به قوماً في نُفوسِهم وذراريهم وأموالِهم بجهلٍ منكم بحالهم في استحقاق[٤] ما تُصيبونهم به.

﴿فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ﴾: وهو دليلٌ على أنَّ شهادةَ الفاسقِ شهادةٌ، فإنَّ اللهَ تعالى أمَرَ بالتَّأنِّي في قَبوله لا بِردِّه.

***

(٧) - ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِ﴾: أي: فاتَّقوا أنْ تقولوا الباطل عنده وتَكذِبوا، فإنه يتثبَّتُ ويكشِفُ اللهُ له الصِّدْقَ[٥]، فينْهَتِكُ سِتْرُ الكاذبِ[٦].

---

(١) في (أ) و(ف): «فتثبتوا من التثبت» بدل من «فثبتوا من التثبيت».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٢٣٦)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٢).

(٣) قوله: «بحاله» الضمير يعود على القوم، أي: على جهل بحال أولئك القوم، وإفراد الضمير هنا جائز؛ لأن القوم مفرد لفظاً، ولو قال: (بحالهم) كان أوضح، وهكذا سيأتي قريباً.

(٤) في (ر): «استحقاقهم».

(٥) في (ف): «الستر».

(٦) في (ر): «الفاسق».

﴿لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ﴾: لو عَمِلَ بقولكم، وبعَثَ إليهم مَن يُقاتِلُهم.

﴿لَعَنِتُّمۡ﴾: أي: لَأَثِمْتُم، وقيل: أي: لَهلَكْتُم.

وقال أبو سعيدٍ الخُدْريُّ: هذا نبيُّكم وخِيارُ أُمَّتِكم، لو يُطيعُهُم في كثيرٍ مِن الأمر لَعَنِتُوا، فكيف بكم اليومَ[1]؟!

﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ﴾: أي: حسَّنَه.

﴿وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَ﴾: فأنتم لذلك أطَعْتُم رسولَ الله، ولم تُقاتِلوهم، ولم تَعْجَلوا في أمرِهم.

ورُوِيَ أنَّ النبيَّ ﷺ وجَّهَ[2] إليهم خالدَ بنَ الوليد، وقال له: «أَخْفِ قُدومَكَ، وادخُلْها ليلاً، وتحسَّسْ، هل ترى أَثَرَ الإسلامِ؟»ـ ففعلَ، فسَمِعَ النِّداءَ، ورأى تهجُّدَهم بالليل، وأصبحَ معهم في جَماعتهم، ثم قال لهم: أرسَلَني رسولُ اللهِ في صَدَقاتِكم، فدفَعوها إليه[3].

وهذا لا يُخالِفُ ما رَوَيْنا مِن مجيءِ وَفْدِهم إلى رسول الله ﷺ؛ لأنَّ الجَمْعَ مُمْكِنٌ، وهو أنْ يكونوا بعثوا وَفْداً، وقَبْلَ وصولِهم بعثَ إليهم رسولُ اللهِ خالدَ بنَ الوليدِ.

ودلَّت الآيةُ على خَلْقِ أفعالِ العبادِ.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ﴾: فرجَعَ الكلامُ مِن المُخاطَبة إلى المُغايَبة لِيَعُمَّ المُخاطَبين وغيرَهم.

---

(١) رواه الترمذي (٣٢٦٩)، والمروزي في «السنة» (١)، وذكره السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٣٢٥).

(٢) في (ف): «أرسل».

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٩٢٩)، والطبري في «تفسيره» (٢١/ ٣٥١) عن قتادة، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٧٧)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٣٣٩) من غير نسبة.

أي: الذين حبَّبَ اللهُ إليهم الإيمانَ وكرَّهَ إليهم الكفرَ والفُسوقَ والعِصْيانَ منكم ومِن غيركم هُم المهتدون، وهو كقوله تعالى: ﴿ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ﴾ [الروم: ٣٩]؛ أي: فالمُريدون وَجْهَ اللهِ منكم ومِن غيركم هُم المُضْعِفون، فأريدوا وَجْهَ اللهِ.

***

(٨ ـ ٩) ـ ﴿فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝٨ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾.

﴿فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً﴾: وهذا يُبْطِلُ قولَ القائلين بالأَصْلَحِ، فإنه لو وجبَ ذلك على الله لم يكن ذلك فَضْلاً مِن الله ونِعْمَةً.

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾: عليمٌ بِمَن يُحِبُّ الإيمانَ ومَن يَكْرَهُه منكم، حكيمٌ في تَدْبير أمورِ خَلْقِه.

وقولُه تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟﴾: ولم يقُلْ: (اقتَتَلَتا)؛ لأنَّ كلَّ طائفةٍ جَمْعٌ، فهما جَمْعان؛ أي: قاتلَتْ إحداهما الأخرى.

﴿فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا﴾: ثنَّى على ظاهرِ تَثْنِيَةِ الطائفتين.

﴿فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ﴾: أي: استطالَتْ طائفةٌ منهما على الطائفة الأخرى.

﴿فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾: أي: تَرْجعَ إلى الصُّلْحِ، وتَرْكِ البَغْيِ.

﴿فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟﴾: أي: اعدِلوا.

ورُوِيَتْ في نزول هذه الآيات رواياتٌ كلُّها مُجْتَمِعَةٌ على أنها نزلت في خلافٍ[1] وقعَ بين نفَرَينِ مِن الأنصار تعصَّبَ لكلِّ واحدٍ منهما قومُه، حتى خرَجوا إلى القتال بالجَريدِ والعِصِيِّ والأيدي والنِّعالِ، ويَحتمِلُ أنْ تكون كلُّها صحيحةً، ونزولُ الآيةِ كانت عَقِيبَ جميعِها.

وانتظامُ هذه الآيةِ بما قبلَها: أنهم أُمِروا بترك التَّقَدُّمِ على رسول الله ﷺ بالقول والفعل وبإجلالِه[2]، ونُهُوا عن إيذائه.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: مرَّ رسولُ اللهِ ﷺ يوماً على ملأٍ مِن الأنصار فيهم عبدُ اللهِ بنُ أُبَيٍّ، ورسولُ اللهِ ﷺ على حِماره، فوقَفَ عليهم يَعِظُهم، فبالَ حِمارُه أو راثَ، فأمسكَ عبدُ الله بنُ أُبَيٍّ ـ لعنَه اللهُ ـ بأنفه، وقال: نَحِّ[3] عنا نَتْنَ حِمارِكَ فقد آذيْتَنا بنَتَنِ حِماركَ، فمَن جاءكَ مِنَّا فعِظْهُ، فسَمِعَ ذلك عبدُ اللهِ بنُ رواحةَ، فقال: أَلِحِمارِ رسولِ اللهِ ﷺ تقول هذا؟! واللهِ إنَّ بولَ حمارِ رسولِ اللهِ أطيبُ مِن رائحتِكَ، فمرَّ رسولُ اللهِ ﷺ، وطالَ الكلامُ بين عبد الله بن أُبَيٍّ المنافق وبين عبد الله بن رواحة، حتى استبَّا وتجالَدا، وجاء قومُ عبد الله بن رواحة، وهُم الأَوْسُ، وقومُ عبد الله بن أُبَيٍّ، وهُم الخَزْرَجُ، وتجالَدوا بالعِصِيِّ[4].

---

(١) في (أ) و(ف): «اختلاف».

(٢) في (ر): «وبالإجلال له».

(٣) في (ر): «ول».

(٤) رواه البخاري (٢٦٩١)، ومسلم (١٧٩٩) من حديث أنس رضي الله عنه باختلاف يسير.

وذكره الزمخشري في «الكشاف» (٤/ ٣٦٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وقال الزيلعي في «تخريج الكشاف» (٣/ ٣٣٥): غريب من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

وقال السُّدِّي: تجالَدوا بالنِّعالِ والأيدي[١].

وقال الضحاك: بالأيدي والنِّعال والسُّعُف، فرجعَ إليهم رسولُ الله ﷺ، وأصلحَ بينهم، ونزلت الآيةُ[٢].

وقال قتادة: ذُكِرَ لنا أنَّ الآيةَ نزلَتْ في رجلين كانت بينهما مُخاصَمَةٌ، فقال أحدُهما للآخر: لَآخُذَنَّ حَقِّي منكَ عَنْوَةً؛ لِكَثْرَةِ عَشيرتِه، وأبى الآخرُ ذلك، وحمَلَه على إتيان رسول الله ﷺ لِيَحْكُمَ بينهما، فأبى صاحبُه، فاختصما، فنزلت الآيةُ[٣].

وقال الكلبي: نزلَتْ في حاطِبٍ وسُمَيرٍ، وكان سُمَيرٌ قتَلَ حاطِباً، فجعلوا يقتتلون في الجاهلية إلى أنْ أتاهم النبيُّ ﷺ، فأنزلَ اللهُ تعالى هذه الآيَةَ[٤].

وعلى الأوَّلِ: إنَّ عبدَ اللهِ بنَ أُبَيٍّ كان مُنافقاً، والآيةُ في طائفتين مِن المؤمنين، لكنْ يرجِعُ ذلك إلى أصحاب عبد الله بن أُبَيٍّ وعَشيرته، ولم يكونوا كلُّهم مُنافقين، فالآيةُ تتناولُ المؤمنين منهم.

وجُمْلةُ ذلك: أنَّ طائفتين مِن المؤمنين إذا تنازَعوا، وأدَّى بهم ذلك إلى التَّقاتُلِ، نظر الإمامُ أو نائبه في ذلك، وحمَلَهما على حُكْمِ الشَّرع، فإنْ عمِلا بذلك وتصالَحا، وإلا منَعَ الباغي منهما مِن ذلك بالكلام والعمل، وحَبَسَ إنْ احتاجَ إلى ذلك، فإنْ كانت الطائفتان مُمْتَنِعَتَين قاتلَ الطائفةَ الباغِيَةَ إلى أنْ ترجِعَ إلى حُكْم الشَّرع.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٣٦٠)، وذكره السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٣٢٦)، والثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٧٩)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٣٤٠).

(٢) لم أقف عليه عن الضحاك.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٦٢٣). وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٧٨)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٣٤٠)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ١٤٧).

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٧٩).

وقولُه تعالى: ﴿وَأَقْسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾: أي: اعدلوا في الإصلاح بينهما. ويحتَمِلُ: أَقْسِطوا أيها الناسُ جميعاً، فلا تتمانَعوا الحُقوقَ.

* * *

(١٠) ـ ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.

قولُه تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾: أي: مُتَآخُون على الإسلام بعضُهم أولياءُ بعضٍ، والإيمانُ أشرفُ أنسابِهم، وقد قطَعَ اللهُ الوِلايةَ بينهم وبين مَن خالَفَ دِينَهم مِن عشائرهم.

﴿فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾: وهو أقلُّ مَن يقَعُ بينهم القتالُ، وإذا أُمِروا بهذا في الأقلِّ، تنبَّهوا[1] به على الأكثر.

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾: فلا تُمانِعوا الحُقوقَ، فيُؤَدِّيكم ذلك إلى الاقتتال.

﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾: أي: لِتُرْحَموا بذلك.

* * *

(١١) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّۖ وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ﴾: قد بيَّنَّا أنَّ السُّورةَ في الأمر بمَكارم الأخلاق، وكان مُعْتاداً في أكثر العرب في النُّظَراء التَّفاخرُ بالأنساب، والاستهزاءُ والسُّخْرِيَةُ والاستخفافُ، وكان أكثرُ مشركي العرب[2] يترفَّعون على فُقراء المسلمين

(١) في (ر): «نبهوا».

(٢) في (ر): «المشركين».

وضُعَفائهم، فنزلت السُّورةُ نَهْياً لهم عن مَساوئِ الأخلاق، وافتتحَتْ بالواجب مِن ذلك في مَعاشرِ الرُّؤساء، ثم أَتبَعَ بالمرؤوسين مِن النُّظَراء والأَكْفاء، وقد كان مِن أفاضل الصَّحابة مَن يَبْدُرُ منهم البادرةُ في هذا الباب.

كما رُوِيَ في سبب نزول هذه الآية: أنَّ خالدَ بنَ الوليد رضي الله عنه ذكَرَ عمَّارَ ابن ياسرٍ فنالَ منه[١].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: نزلَتْ في ثابتِ بنِ قيسِ بنِ شَمَّاسٍ، وذلك أنَّه كان في أُذُنِه ثِقَلٌ، فكان إذا أتى رسولَ اللهِ ﷺ وقد سبَقوه في المجلس أوسَعوا له، ففاتَتْه ذاتَ يومٍ ركعةٌ مِن الفجر، ثم أتى فجعَلَ يَتَخَطَّى النَّاسَ وهو يقول: تَفَسَّحوا، حتى انتهى إلى رسول الله ﷺ بينه وبينه رجلٌ، فقال له: تفسَّحْ أو تَنَحَّ، فقال الرجل: أصبتَ مَجْلِساً فاجلِسْ، فجلسَ ثابتٌ خَلْفَ الرجل مُغْضَباً، فلما انجلَتِ الظُّلْمَةُ غمزَ ثابتٌ الرجلَ، فقال: مَن هذا؟ فقال: أنا فلانٌ، فقال له: ابنُ فُلانةَ، ذكَرَ أُمًّا له كان يُعَيَّرُ بها، فنكَسَ الرجلُ رأسَه، واستحيى، فأنزل الله تعالى هذه الآيةَ[٢].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: يعني: ﴿لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ﴾: في المَعيشة والخِسَّة، يقول الرجلُ للرجل: أنتَ فقيرٌ، وأنتَ دَنيءٌ[٣].

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٨٠)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٣٤٢)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٩٣)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ١٤٨).

(٣) ذكر مقاتل نحوه في «تفسيره» (٤/ ٩٤)، وذكره عنه الواحدي في «البسيط» (٢٠/ ٣٥٦)، وبنحوه قال مجاهد، كما في «تفسير الطبري» (٢١/ ٣٦٥).

﴿عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾: أي: أوفرَ نصيباً منهم في الآخرة، فقال ثابتٌ بعد نُزول هذه الآية: لا أَفْخَرُ على أحدٍ في النَّسَب[1] بعد هذا أبداً.

وقال مقاتلٌ: نزلت في أبي مالكٍ وعبد الله بن أبي حَدْرَدٍ، وذلك أنَّ عبدَ الله قال لأبي مالكٍ: يا أعرابيُّ، وهو كما يقول الرجلُ مِن أهل البلد: يا رُسْتاقي[2]، فقال له أبو مالكٍ: يا يهوديُّ، فقال النبي ﷺ لهما: «لا تدخُلا عليَّ حتى يُبَيِّنَ اللهُ توبتكما»، فأوثَقا أنفسَهما إلى ساريةِ المسجد، فأنزل الله تعالى هذه الآيةَ[3].

وقال الضحاك: فأما الذين استهزَؤوا فقومٌ مِن بني تميمٍ، استهزؤوا مِن بلالٍ وخَبَّابٍ وعمارٍ وصُهَيبٍ وأبي ذرٍّ وسالمٍ مولى أبي حُذيفة[4].

وقال أبو جَبيرةَ: نزلت الآيةُ فينا بني سَلِمَةَ، وذلك أنَّ النَّبيَّ ﷺ قدِمَ المدينة ولم يكن منا رجلٌ إلا وله اسمان أو ثلاثةٌ، فكان الرجل يُدْعى بأحد أسمائه، فيكرَهُه، فأنزل الله تعالى هذه الآيةَ[5].

---

(١) في (ر) و(ف): «الحسب».

(٢) الرُّستاق: فارسي معرب، وهي السواد، ويطلق كذلك على البيوت المجتمعة. انظر: «لسان العرب» لابن منظور (١٠/ ١١٦).

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٩٣)، وذكره عنه الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٣٣٣). ورواه مختصراً ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٧/ ٣٤٣).

(٤) رواه ابن أبي حاتم عن مقاتل فيما عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٥٦٣).
وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٧٩)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٣٤٣)، والزمخشري في «الكشاف» (٤/ ٣٧٠) عن الضحاك.

(٥) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (١٨٢٨٨)، وأبو داود (٤٩٦٢)، والترمذي (٣٢٦٨)، والطبري في «تفسيره» (٢١/ ٣٦٨)، والطبراني في «الكبير» (٩٦٨)، والحاكم في «المستدرك» (٧٧٥٥). قال الترمذي: حسن صحيح. =

وقال عطاءٌ الخُراسانيُّ: كان الرجل يُعَيَّرُ بِخَلَّةٍ كانت فيه[1] في الجاهلية وقد رجَعَ عنها وأسلَمَ.

ورُوِيَ: أنَّ أبا ذرٍّ دعا رجلاً مِن أصحاب رسول الله ﷺ بأُمٍّ كانت له في الجاهلية، فقال له النبيُّ ﷺ: «إنَّ فيك لَجاهليَّةً»، فقال: يا نبيَّ اللهِ، أَجاهِلِيَّةُ الإسلامِ أم جاهِلِيَّةُ الكفرِ؟ فقال: «بل جاهليةُ كفرٍ»، ثم قال له: «ما بها أَسْودُ ولا أحمرُ أنتَ خيرٌ منه حتى يرضى عنكَ صاحِبُكَ»، فخرَجَ أبو ذرٍّ رضي الله عنه يبتغي صاحبَه، فبصُرَ به الذي استطالَ عليه، فجاء الرجلُ، فاستغفرَ له رسولُ الله ﷺ، فقال له أبو ذرٍّ: إنما جئتُكَ يا أخي لِأُسَلِّمَ عليك، فذُكِرَ ذلك لرسول الله ﷺ فقال: «سبقَكَ الرجلُ يا أبا ذرٍّ»، فقال أبو ذرٍّ: فاستغفِرْ لي يا رسولَ الله، فقال رسولُ الله ﷺ: «يغفِرُ اللهُ لِصاحبِكَ»، فأعادَ عليه: استغفِرْ لي يا رسولَ الله، فاستغفَرَ لصاحبِه ثلاث مرات، ثم استغفَرَ لأبي ذر، ثم قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ الغضبَ طُغْيانٌ مِن الشيطان، فإنما ينفُخُ فيها في جَمْرةٍ، ألا ترونه تَحْمَارُّ عيناه، وتدِرُّ[2] أوداجُه»[3].

= قلنا: إسناده صحيح إن صحت صحبة أبي جبيرة بن الضحاك، فقد قال السندي كما في حاشية «المسند»: أبو جَبيرة، بفتح أوله: ابن الضَّحَّاك، لا يُعرف اسمه، قيل: له صحبة، وقيل: لا صحبة له، ومال الحافظ في «الإصابة» إلى الأول بحديث: نزلت فينا هذه الآية: ﴿وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ﴾ بناءً على أن هذا الحديث رواه أصحاب السنن عن أبي جبيرة بلا ذكر العمومة في السند، لكن إذا نظرنا إلى ذكر العمومة، كما في «المسند» سقط الاستدلال، كما لا يخفى.

قلت: يشير إلى ما رواه الإمام أحمد في «المسند» (١٦٦٤٢) من طريق أبي جبيرة عن عمومة له.

(١) في (ف): «له».

(٢) في (ف): «وتدور».

(٣) رواه إلى قوله: «أنت امرؤ فيك جاهلية» البخاري (٦٠٥٠)، ومسلم (١٦٦١).

ورواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٩٩) بزيادة يسيرة.

وقوله: ﴿قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ﴾: أي: رجالٌ مِن رجال، قال الشاعر:

وما أدري وسوف إِخالُ أدري ... أقومٌ آلُ حِصْنٍ أم نساءُ[(١)]

وقولُه تعالى: ﴿وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ﴾: يدلُّ على ما قُلْنا أنَّ القومَ هُم الرجالُ.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: نزلت في امرأتين مِن أزواج النبيِّ ﷺ سخِرَتا مِن أُمِّ سلَمةَ، وذلك أنَّ أُمَّ سلَمةَ ربَطَتْ حَقْوَيْها بسَبِيبةٍ[(٢)]، وهي ثوبٌ[(٣)] أبيضُ، وسدَلَتْ طرفَها خَلْفَها، وكانت تجرُّه، فقالت عائشةُ لِحَفْصَةَ رضي الله عنهما: انظُري ما تجُرُّ خَلْفَها، كأنَّها لسانُ كلبٍ، فكان هذا سُخْرِيَتَهما[(٤)].

وروى عكرمةُ عن ابن عباس أنَّ صَفِيَّةَ بنتَ حُيَيِّ بنِ أَخْطَبَ أَتَتْ رسولَ الله ﷺ، فقالت: إنَّ عائشة تُعَيِّرُني وتقول: يا يهوديةُ، فقال لها رسولُ الله ﷺ: «هلَّا

= وروى معمر بن راشد في «جامعه» (٢١٠٢٢) تتمة القصة دون قوله ﷺ: «إن الغضب طغيان» عن زيد بن أسلم، ثم روى هذه الزيادة معمر أيضاً (٢٠٢٨٨) عن زيد أيضاً.

وروى القطعة الأخيرة منه الطيالسي في «مسنده» (٢٢٧٠)، والحميدي في «مسنده» (٧٦٩)، والإمام أحمد في «مسنده» (١٧/ ٢٢٨)، والترمذي (٢١٩١) وحسنه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(١) البيت لزهير بن أبي سلمى، كما في «ديوانه» رواية الشنتمري (ص: ١٣٦).

(٢) السَّبيبة: شقة كتان رقيقة. انظر: «الصحاح» (مادة: سبب). والحَقْوان: الخاصرتان. انظر: «العين» للخليل (٣/ ٢٥٤).

(٣) في (أ) و(ف): «بثوب» بدل من «بسبية وهو ثوب».

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٨١)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٩٣) من غير إسناد.

وذكره الزمخشري في «الكشاف» (٤/ ٣٧٠)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ١٤٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وفيه ما لا يليق نسبته لأمهات المؤمنين.

قلتِ: إنَّ أبي هارونُ، وإنَّ عمي موسى، وإنَّ زوجي محمد»، فنزلت هذه الآيةُ[١].

ورُوِيَ أنَّ عائشة رضي الله عنها كانت تَسْخَرُ مِن زينبَ بنتِ خُزيمةَ الهلاليَّةِ، وكانت امرأةً قَصيرةً تُسَمَّى أُمَّ المساكين، وكانت تقوم على ضَيْفِ رسول الله ﷺ، فجعلَتْ عائشةُ رضي الله عنها تَسْخَرُ منها لِقِصَرِها، فأنزل اللهُ تعالى هذه[٢] الآيةَ[٣].

﴿عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّ﴾: أي: عند الله في المَنْزِلة كما قُلْنا في الرجال.

وقيل فيهما: عسى أنْ يكونوا بعد هذا في الدنيا خيراً منهم، وعسى أنْ يكُنَّ بعد هذا في الدنيا خيراً منهن.

يعني: إنْ كانت السُّخْرِيَةُ بفَقْرٍ أو ضَعْفٍ أو عِلَّةٍ، فعسى تزولُ مِن ذلك ويُبْتَلى به السَّاخِرُ، فنبَّهَ اللهُ على أنه قادرٌ على أنْ يُزيلَه مِن ذلك، ويجعلَه في هذا.

وقيل: هذا قد يكون في التَّعيير بذَنْبٍ يكون الإنسان فيه، فنُدِبوا على[٤] أنْ يستُروا على الناس ولا يُعَيِّروهم، ويروا فَضْلَ اللهِ على أنفسهم بالعِصْمَة، ويخافوا أنْ يَصيروا مِثْلَهم.

---

(١) رواه بهذا اللفظ الترمذي (٣٨٩٢)، وقال: حديث غريب، وليس إسناده بذاك، والطبراني في «الكبير» (١٩٦)، والحاكم في «المستدرك» (٦٧٩٠) من حديث صفية رضي الله عنها.

وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٨١)، والزمخشري في «الكشاف» (٤/ ٣٧٠)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٩٣)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ١٤٩) عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) في (أ): «فنزلت» بدل من «فأنزل الله تعالى هذه».

(٣) ذكره الزمخشري في «الكشاف» (٤/ ٣٧٠) في سبب نزول هذه الآية.

ورواه الإمام أحمد في «مسنده» (٢٥٠٤٩) وغيره مطلقا من غير ذكر أم سلمة، ولا في سبب نزول الآية.

(٤) في (ر): «إلى».

﴿وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾: هو العَيْبُ والطَّعْنُ مِن باب (دخَلَ) و(ضرَبَ) جميعاً، وقرأ يعقوبُ بضم الميم، والعامَّةُ بالكسر[١].

أي: لا يَعِبْ بعضُكم بعضاً ولا يطعَنْ، وهو كقوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ [النساء: ٢٩]، وقوله: ﴿فَسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ [النور: ٦١].

وقيل: لا تَعيبوا أهلَ دينِكم، فإنَّ المسلمين كنَفْسٍ واحدةٍ.

﴿وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِ﴾: النَّبْزُ: التَّلْقِيبُ بتسكين[٢] الباء، والنَّبَزُ: اللَّقَبُ بفتحها، والتَّنابُزُ: التَّداعي بها.

وقال الضحاك: هو كلُّ اسمٍ أو صِفَةٍ يكرَه الرجلُ أنْ يُدْعَى به.

وقال قتادة: أي: لا تقُلْ لأخيكَ المسلمِ: يا فاسِقُ، يا مُنافِقُ[٣].

وقال الحسن: كان اليهوديُّ والنَّصْرانيُّ يُسْلِمُ فيُلَقَّبُ، فيقال: يا يهوديُّ، يا نصرانيُّ، فنُهُوا عن ذلك[٤].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: أي: لا تَدْعُ أخاك بما يَكْرَه مِن الأسماء، ولكنِ ادْعُه بما يُحِبُّ، فإنَّ ذلكَ أَعْطَفُ لبعضكم على بعض، وأَحَبُّ إلى الله تعالى[٥].

---

(١) انظر: «النشر» لابن الجزري (٢/ ٢٧٩ ـ ٢٠).

(٢) في (ر): «بسكون».

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٩٣٣)، والطبري في «تفسيره» (٢١/ ٣٧٠).

وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٨١) عن قتادة وعكرمة، والواحدي في «البسيط» (٢٠/ ٣٥٧) عن عكرمة والحسن ومجاهد وقتادة.

(٤) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٩٣٤)، والطبري في «تفسيره» (٢١/ ٣٧٠). وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٨١)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٣٤٣).

(٥) لم أقف عليه.

وعن العلاء بن سفيان عن أبي[(١)] مريم الغساني أنَّ رجالاً مِن الجُنْدِ خرَجوا يَنْتَضِلون وفيهم سعيدُ بنُ عامرٍ، فبينما هُم كذلك أصابَهم الحَرُّ، فوضَعَ سعيدٌ قَلَنْسُوَتَه عن رأسِه، وكان أَصْلَعَ، فلما رمى سعيدٌ صاحَ به رجلٌ: يا أَصْلَعُ، وهو لا يعرِفُه، فقال له سعيد: قد كنتَ لَغَنِيًّا عن أنْ تلعنَكَ الملائكةُ، فقال رجلٌ منهم: وعن ماذا تلعنُه الملائكةُ؟ فقال: مَن دعا امرأً بغير اسمِه لعنَتْه الملائكةُ[(٢)].

قولُه تعالى: ﴿بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ﴾: قالوا: كان[(٣)] اليهوديُّ أو النَّصْرانيُّ يُسْلِمُ، فيكون مِن صالِحي المسلمين، فيغضَبُ عليه الرجلُ مِن المسلمين، فيدعوه باسمه الأول، فيُحْتَقَرُ[(٤)] بذلك، فنهى اللهُ عن ذلك، فقال: ﴿بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ﴾: قولُه: يا يهوديُّ، بعد إسلامِه.

وقيل: هو تعظيمٌ لهذه الجِناية، يقول: بئس هذا الاسمُ الذي تُسَمِّيه به بعد ما آمنَ.

وقيل: معناه: مَن سَخِرَ به أو لَمَزَه أو لقَّبَه[(٥)] فقد فسَقَ، وبئس الاسمُ له هذا مع إيمانه.

---

(١) في (أ) و(ر): «العلاء بن شقيق بن أبي»، وفي (ف): «العلاء بن شقيق وأبي»، والمثبت من مصادر التخريج.

(٢) رواه ابن المبارك في «الزهد» (٦٨٣)، ومن طريقه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢١/ ١٦٥).
وروى ابن قانع في «معجم الصحابة» (٢/ ٢٣١)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٣٩٤)، والديلمي في «الفردوس» (٥٧٢٧)، وابن الجوزي في «العلل المتناهية» (١٢٤٨) عن عمير بن سعد عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «مَن دعا رَجُلا بِغَيْرِ اسْمِهِ لَعَنَتْهُ الْمَلائِكَةُ». قال ابن الجوزي: قال النسائي: هذا حديث منكر.

(٣) في (ر): «قال كان هذا في».

(٤) في (ر) و(ف): «ويحتقره».

(٥) في (أ): «من سخرية أو لمزة وعيبة» بدل: «من سخر به أو لمزه أو لقبه».

وقولُه تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾: أي: ومَن لم يتُبْ عن هذه الأشياء التي نهى اللهُ تعالى عنها، فقد وضَعَ الشيءَ في غير مَوْضِعِه وظلَمَ نفْسَه.

وجمَعَ قولَه: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ﴾ مع(١) توحيد قولِه: ﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ﴾؛ لأنَّه اسمُ جِنْسٍ، فكان واحداً بلفظه، جَمْعاً بمعناه.

* * *

(١٢) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ﴾: وهو أنْ يَظُنَّ بالمؤمن سوءاً مِن حيث لم يتحقَّقْ عليه، ولم يُوجَدْ منه مِن إعلان المعاصي ما يُخرِجُه مِن حُسْنِ الظَّنِّ به.

﴿إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾: وهو هذا.

﴿وَلَا تَجَسَّسُوا۟﴾: أي: ولا يتَّبِعْ بعضُكم عيبَ بعضٍ(٢)، ولا يبحَثْ عن سرائره(٣).

والتَّجسُّسُ: التَّبَحُّثُ، ومنه: جَسُّ الشَّاةِ، وجَسُّ العِرْقِ، وهو التَّبَحُّثُ عن سِمَنِ الشَّاةِ وهُزالِها، وعن قوَّةِ حركَةِ العِرْقِ وضَعْفِها، ومنه الجاسوسُ: وهو الذي يبحَثُ عن الأخبار.

﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾: أي: ولا يذكُرْ أحدٌ منكم غيرَه بظَهْرِ الغَيبِ بما لو كان حاضراً فشافهَه به كَرِهَه؛ صِدْقاً كان ذلك أو كَذِباً، وقال النبي ﷺ: «إذا

---

(١) في (ر) و(ف): «بعد».

(٢) في (أ): «لا يتبع بعضكم بعضاً بعيبه».

(٣) في (أ): «سر أمره».

ذكَرْتَ أخاكَ بما فيه فقد اغتَبْتَه، فإنْ لم يكن فيه فقد بهتَّه»[١].

﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾: أي: فإنكم لا تُحِبُّون ذلك، وإذ كنتم لا تُحِبُّونه فالغِيبةُ له وهو حيٌّ مِثْلُ أكلِ لحمِه وهو ميِّتٌ، فلا تُحِبُّوه أيضاً.

ولعلَّ معناه: أنَّ الميِّتَ لا يشعُرُ بما يُؤكَلُ مِن لحمِه، وليس[٢] به انتصارٌ فيدفعَ عن نفْسِه، فأكلُ لحمِه لُؤْمٌ، فكذلك الغائبُ لا يشعُرُ بما يُغْتابُ به، وليس به حينئذٍ انتصارٌ، فذِكْرُه بالسُّوء لُؤْمٌ، والميِّتُ أيضاً لا ينالُ آكلَ لحمِه بسُوءٍ، فلم يحسُنْ أنْ يُنالَ منه، فكذلك الغائبُ لا يَنالُ مَن يغتابُه في حين اغتيابه بسُوءٍ، فلم يَحسُنْ أنْ ينالَ منه.

﴿فَكَرِهْتُمُوهُ﴾: أي: فقد كَرِهْتم في طِباعكم وعُقولِكم أكْلَ لحمِ أخيكم ميِّتاً، فاكرَهوا اغتيابَه، فإنه مِثْلُ أكلِ لحمِه.

وقيل: أي: فكَرِهْتُم أنْ تُغتابوا، فلا تَغتابوا غيرَكم.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾: عطفٌ على ﴿اجْتَنِبُوا﴾، ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾، ﴿وَلَا يَغْتَب﴾.

﴿إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾: يقبَلُ توبةَ مَن تابَ، ويرحمُ مَن أنابَ إليه.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: نزلت في رجلين مِن أصحاب رسول الله ﷺ ظنَّا برَفيقٍ لهما، وذلك أنَّ رسول الله ﷺ ضمَّ إليهما سلمانَ يخدِمُهما ويخِفُّ لهما في حوائجهما، ويتقدَّمُ إلى المنزل فيُهَيِّئُ لهما ما يُصْلِحُهما[٣] مِن الطعام والشراب،

---

(١) رواه مسلم (٢٥٨٩)، وأبو داود (٤٨٧٤)، والترمذي (١٩٣٤)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) في (أ): «ولا».

(٣) في (أ): «يصلح لهما».

فتقدَّمَهما سلمانُ ذاتَ يومٍ إلى المنزل، فغَلَبَتْه عيناه فلم يُهَيِّئْ لهما شيئاً، فهجَما عليه، وقالا: ما أَصْلَحْتَ لنا شيئاً؟! قال: غلَبَتْني عيناي، فنمتُ عن شأْني، فبعثاه إلى رسول الله ﷺ يبتغي لهما إداماً، فلم يجِدْ عنده شيئاً، وكان أسامةُ بنُ زيدٍ خازنُ رسولِ الله ﷺ على رَحْلِه، فوجَّهَه رسول الله ﷺ إلى أسامةَ، وقال له: «قل له: إنْ كان عنده فَضْلٌ فليُعْطِ»، فأتى سلمانُ أسامةَ، فأخبرَه بذلك، فقال: ما عندي شيءٌ، فرجَعَ إليهما سلمانُ فأخبرَهما، فعند ذلك قالا: لو بعَثْناه إلى بئر سُمَيحةَ[1] لغارَ ماؤُها، فكان هذا غَيْبَتَهما، فلما رجَعا[2] إلى رسول الله ﷺ قال لهما: «ما لي أرى حُمْرَةَ اللَّحمِ في أفواهكما؟!»، فقالا: ما تناوَلْنا لَحْماً، فقال لهما: «إنكما اغتبْتُما» ـ والغِيبةُ: أنْ يذكُرَ الرجلُ مَن خَلْفَه بما يكرَهُه إذا سمِعَه، وهو يعدِلُ أكلَ لحمِه ميتاً ـ فقالا لرسول الله ﷺ: ما عَلِمْنا أنه حرامٌ علينا، ونحن نكرَهُ ذلك أيضاً، فقال عليه الصلاة والسلام: «فكما كرِهْتُما أنْ تأكُلا لحمَ أخيكُما ميتاً، فلا تغتاباه»، ونزلت الآية[3].

وقيل: إنهما كانا[4] يتجَسَّسان رَحْلَ أُسامةَ، فنزلَت فيهما: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾.

وهذه الخِلالُ الثلاثُ؛ أي: الظَّنُّ السُّوءُ، والتَّجَسُّسُ، والاغتيابُ، بمرتبةٍ في الفعل، فإنَّ مَن أساءَ الظَّنَّ بأخيه المسلم تجسَّسَ ما ظنَّه، فإذا تحقَّقَ ذلك عنده اغتابَه.

---

(١) سُميحة: موضع، وقيل: بئر بالمدينة، وقيل: بئر بناحية قديد، وقيل: عين معروفة، وقيل: بئر قديمة بالمدينة غزيرة الماء. انظر: «معجم البلدان» (٣/ ٢٥٥).

(٢) في (أ) و(ف): «راحوا».

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٨٢)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٣٤٤)، والزمخشري في «الكشاف» (٤/ ٣٧٤) من غير إسناد.

ورواه الأصبهاني بنحوه في «الترغيب والترهيب» (٢٢٣١) عن عبد الرحمن بن أبي ليلى.

(٤) في (ر) و(ف): «قاما».

يقولُ: ﴿اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ﴾ فإنْ ظننتُم فقد أسأتُم، فلا تجسَّسوا فتزدادوا إثماً، فإنْ تجسَّسْتم فقد أسأتُم، فلا تغتابوا فتزدادوا إثماً.

وروى زيدُ بنُ أَسْلَمَ أنَّ عُمَرَ بنَ الخطابِ رضي الله عنه خرجَ ذاتَ ليلةٍ ومعه عبدُ الرحمن بنُ عوفٍ رضي الله عنهما يعُسَّان، إذ شَبَّ لهما نارٌ، فأَتَيا البابَ فاستَأْذَنا، ففُتِحَ البابُ لهما ودخلا، فإذا رجلٌ وامرأةٌ تُغَنِّي، وعلى يد الرجل قَدَحٌ، فقال عمر رضي الله عنه: وأنتَ بهذا يا فلان؟ فقال: وأنتَ بهذا يا أميرَ المؤمنين؟ فقال له عمر رضي الله عنه: فمَن هذه منكَ؟ قال: امرأتي، قال: وما في القَدَح؟ قال: ماءٌ زُلالٌ، فقال للمرأة: وماذا تُغَنِّين؟ قالت: أقول:

تطاولَ هذا الليلُ واسودَّ جانِبُه ... وأرَّقَني ألَّا حبيبٌ أُلاعِبُهْ
فواللهِ لولا خشيةُ اللهِ والتُّقى ... لَزُعْزِعَ مِن هذا السَّريرِ جوانِبُهْ
ولكنَّ عَقْلِيَ والحياءَ يَكُفُّني ... وأُكْرِمُ بَعْلِي أنْ تُنالَ مراكبُهْ

ثم قال الرجلُ: يا أميرَ المؤمنين، ما بهذا أُمِرْنا، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾، فقال عمر رضي الله عنه: صَدَقْتَ، وانصرفَ[1].

وقيل لعبد الله بن مسعود رضي الله عنه: هل لكَ في الوليد بن عُقْبَةَ تقطُرُ لِحْيَتُه خَمْراً؟ فقال عبد الله: إنا قد نُهِينا عن التَّجَسُّس إلَّا أنْ يظهَرَ لنا[2].

---

(١) ذكره بهذا السياق الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٨٣).

(٢) رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (١٨٩٤٥)، وابن أبي شيبة (٢٦٥٦٨)، وأبو داود (٤٨٩٠)، والطبراني في «الكبير» (٩٧٤١)، والثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٨٤).
قال النووي في «رياض الصالحين» (ص: ٤٤٦): رواه أبو داود بإسناد على شرط البخاري ومسلم.

وقال ﷺ: «مَن تتبَّعَ عورةَ أخيه المسلمِ تتبَّعَ اللهُ عورتَه، ومَن تتبَّعَ اللهُ عورتَه فضَحَه ولو في جَوْفِ بيته»(١).

وقال الإمام القُشَيريُّ: العارفُ لا يتفرَّغُ مِن شُهود الحقِّ إلى شُهود الخَلْق، فكيف يتفرَّغُ إلى التَّجسُّسِ؟! ومَن اشتغَلَ بالحقِّ لا يتفرَّغُ إلى نفسه، ومَن اشتغلَ بنفْسِه(٢) لا يتفرَّغُ إلى الخَلْق.

وقال: غَيْبَةُ الخَلْقِ لا تكون إلا مِن الغَيْبَةِ عن الحَقِّ(٣).

***

(١٣) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾: وهذا تأكيدُ جميعِ ما مضى في هذه السُّورة، وإعلامٌ أنَّه لا يصِلُ إلى ذلك كلِّه إلا بالتقوى، فإنَّ مَن سَخِرَ بغيره أو

---

(١) حديث صحيح بطرقه وشواهده، رواه الترمذي (٢٠٣٢)، وابن حبان في «صحيحه» (٥٧٦٣)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما. قال الترمذي: حسن غريب.
ورواه الطبراني في «الكبير» (١١٤٤٤) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ٩٤): رواه الطبراني، ورجاله ثقات.
ورواه أبو يعلى في «مسنده» (١٦٧٥)، والروياني في «مسنده» (٣٠٥)، وتمام في «فوائده» (٢٤٢٩)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٦٨٢) من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه.
ورواه الإمام أحمد (١٩٨٠١)، وأبو داود (٤٨٨٠)، والدارقطني في «العلل» (٦/ ٣٠٩)، والخرائطي في «مساوئ الأخلاق» (١٩٠) من حديث أبي برزة رضي الله عنه. وإسناده حسن.
ورواه الإمام أحمد في «مسنده» (٢٢٤٠٢) من حديث ثوبان رضي الله عنه. وإسناده حسن.

(٢) في (أ) و(ف): «إلى نفسه».

(٣) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٣/ ٤٤٣).

طعَنَ عليه أو ظَنَّ به سوءاً أو اغتابَه، فذلك راجعٌ إلى إزْرائِه به، ولا يُزري بغيره إلا لِفَضْلٍ يُقَدِّرُه لِنفْسِه عليه، فبيَّنَ لهم أنَّهم مُتساوون في الأصل، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾: وهذا نداءٌ عامٌّ، ﴿إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾: وهما آدمُ وحَوَّاءُ، فكُلُّكم أولادُ أبٍ واحدٍ وأُمٍّ واحدةٍ.

﴿وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا﴾: جَمْعُ شَعْبٍ، ﴿وَقَبَآئِلَ﴾: جَمْعُ قَبيلةٍ.

قال الزُّبيرُ بن بَكَّارٍ: العربُ على ستِّ طبَقاتٍ: شَعبٌ، وقَبيلةٌ، وعِمارةٌ، وبَطْنٌ، وفَخْذٌ، وفَصيلةٌ، فالشَّعْبُ يجمعُ القبائلَ، والقَبيلةُ تَجْمَعُ العَمائر، والعِمارةُ تجمَعُ البُطونَ، والبطنُ يجمَعُ الأَفْخاذَ، والفَخْذُ يجمَعُ الفصائلَ، فمُضَرُ شَعْبٌ، وربيعةُ شَعْبٌ، ومَذْحِجٌ شَعْبٌ، وحِمْيَرُ شَعْبٌ، وسُمِّيَت شُعوباً لأنَّ القبائلَ انشَعَبَتْ منها، فكِنانةُ قَبيلةٌ، وقُرَيْشٌ عِمارةٌ، وقُصَيٌّ بَطْنٌ، وهاشمٌ فَخْذٌ، والعبَّاسُ فَصيلةٌ[١].

﴿لِتَعَارَفُوٓاْ﴾: أي: فعَلْنا كذلك لِتَقَعَ المعرفةُ بذلك، لا لِتُفاخِروا بها، فإنْ أردتُّم ذلك فهو بالتَّقْوى، وهو قوله تعالى:

﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾: لا تخفى عليه ظواهرُكم وبواطنُكم.

وقال ابنُ عمرَ رضي الله عنه: قال النبي ﷺ في خُطْبَتِه يومَ الفَتْح: «إنَّ اللهَ تعالى أذهَبَ عنكم عُبِّيَّةَ[٢]..

---

(١) انظر: «المؤتلف والمختلف» للدارقطني (٣/ ١٥٥٤)، و«غريب الحديث» للخطابي (٢/ ٤٦٠)، و«الأنساب» للسمعاني (١/ ١٨)، و«كشف المشكل» لابن الجوزي (٤/ ٢٠٧)، و«المفهم» لأبي العباس القرطبي (٧/ ٢٨٦).

(٢) يعني: الكبر، وتضم عينها وتكسر، وهي «فُعُّولة» أو «فِعِّيلَة»، فإن كانت الأول فهي من التعبية؛ لأن المتكبر ذو تكلف وتعبية، وإن كانت الثانية، فهي من عُباب الماء، وهو أوله وارتفاعه. انظر: «النهاية» لابن الأثير (٣/ ١٦٩).

الجاهليَّةِ وتكبُّرَها(١)، إنما الناسُ رجلان: بَرٌّ تقِيٌّ كريمٌ على الله تعالى، وفاجِرٌ شَقِيٌّ هَيِّنٌ على الله تعالى»، ثم تلا هذه الآيةَ(٢).

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: نزلت في ثابتِ بنِ قَيسِ بن شَمَّاسٍ حيث قال للرجل الذي لم يتفسَّحْ له: إنه ابنُ فُلانة، فقال النبي ﷺ: «مَن الذاكرُ فُلانة؟»، فقام ثابت فقال: أنا يا رسولَ اللهِ، فقال: «انظُرْ في وجوه القوم»، فنظَرَ في وجوههم فقال: «ما رأيتَ يا ثابتُ؟»، فقال: رأيتُ أبيضَ وأسودَ وأحمرَ، قال: «فإنك لا تَفْضُلُهم في شيءٍ إلَّا في الدِّين والتقوى»، فأنزلَ اللهُ هذه الآيةَ، وأنزل في الذي لم يتفسَّحْ له: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ ﴾ الآية(٣).

وقال مقاتل رحمه الله: لَمَّا كان يومُ فتحِ مكَّةَ، وأمرَ رسولُ الله ﷺ بلالاً حتى أذَّنَ، قال عَتَّابُ بنُ أَسيدِ بنِ أبي العِيْصِ: الحمدُ لله الذي قبَضَ أبي حتى لم يرَ هذا اليوم، وقال الحارثُ بنُ هشامٍ: أوَما وجدَ محمد غيرَ هذا الغُرابِ الأسودِ مُؤَذِّناً؟! وقال سُهَيلُ بنُ عمرو: إنْ يُرِدِ اللهُ شيئاً يُغيِّرْه، وقال أبو سُفيانَ بنُ حَرْبٍ: إني لا أقول شيئاً أخافُ أنْ يُخْبِرَ به ربُّ السماوات والأرض، فأتى جبريلُ رسولَ الله ﷺ

---

(١) في (ف): «وتكثرها».

(٢) رواه الترمذي (٣٢٧٠)، وابن حبان في «صحيحه» (٣٨٢٨)، والثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٨٨)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٤٧٦٧)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٣٤٨) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

وروواه الإمام أحمد في «مسنده» (٨٧٣٦)، والترمذي (٥٣٩٥٥)، وأبو داود (٥١١٦)، والبيهقي في «الآداب» (٣٣٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه، وقال الترمذي: حديث حسن.

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٨٦)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٣٤٧)، والواحدي في «البسيط» (٢٠/ ٣٦٣)، وفي «أسباب النزول» (ص: ٣٩٤).

فأخبرَه بما قالوا، فدعاهم رسولُ الله ﷺ وقال لِعَتَّابٍ: «ما الذي قُلْتَ؟»، قال: قلتُ: الحمدُ لله الذي قبَضَ أبي حتى لم يرَ هذا اليوم، قال: «صدَقْتَ»، قال: «فما الذي قلتَ يا حارثُ»، قال: قلتُ: أوَ ما وجدَ محمد غيرَ هذا الغُراب الأسود مُؤَذِّناً؟! قال: «صَدَقْتَ»، قال: «فما قلتَ يا سهيلَ بنَ عمرو؟»، قال: قلتُ: إنْ يُرِدِ اللهُ شيئاً يُغَيِّرْه، قال: «صَدَقْتَ»، قال: «ما الذي قلتَ يا أبا سفيان؟»، قال: قلتُ: إني لا أقولُ شيئاً أخاف أنْ يُخْبِرَ به ربُّ السماوات والأرض، قال: «صَدَقْتَ»، فأنزل الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ﴾ الآية[١]، فإنْ صَحَّتْ هذه القصةُ فالآيةُ مَكِّيَّةٌ، والسُّورةُ مَدَنِيَّةٌ.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: كرَمُ الدنيا الغِنى، وكرَمُ الآخرةِ التقوى[٢].

وقال أبو هريرة رضي الله عنه: يُنادي مُنادٍ يومَ القيامة مِن بُطْنانِ العرشِ[٣]: يا أُمَّةَ أحمدَ[٤]، إنَّ اللهَ تعالى يقول: إني وضَعْتُ لكم فيكم نسَباً ولي نسَباً، فرفَعْتُم أنسابَكم

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٩٧)، وذكره عنه الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٨٦)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٣٤٧)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٩٤).
ورواه ابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في «الدلائل» كما في «الدر المنثور» (٧/ ٥٧٨) عن ابن أبي مليكة مختصراً، وكذا رواه عنه الأزرقي في «أخبار مكة» (١/ ٢٧٤).

(٢) رواه الديلمي في «الفردوس» (٤٨٩٣)، والخطيب البغدادي في «تلخيص المتشابه» (١/ ٣٣٠) عن ابن عباس رضي الله عنهما.
وذكره عنه الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٨٨)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٣٤٨)، والزمخشري في «الكشاف» (٤/ ٣٧٥).

(٣) أي: من وسطه، وقيل: من أصله، وقيل: البُطْنان: جمع بطن، وهو الغامض من الأرض، يريد: من دواخل العرش. انظر: «النهاية» لابن الأثير (١/ ١٣٧).

(٤) في (ف): «يا محمد، يا أمة محمد».

ووضَعْتُم نسَبي، فأنا اليومَ أرفعُ نسَبي وأضَعُ أنسابَكم، ألَا فليَقُمِ المُتَّقون(١).

وقال الإمام القُشَيري رحمه الله: إذا كانت الأصولُ تُرْبةً ونُطْفةً وعَلَقةً، فالتَّفاخرُ بماذا؟ أَبِتُرْبٍ مَسْنونٍ، أو بنُطْفَةٍ في قَرارٍ مَكينٍ، أو بماءٍ يَنْطوي عليه ظاهرُكَ، أو بأفعالكَ التي هي بالرِّياء مَشُوبةٌ، أو بأحوالكَ التي هي بالإعجاب مَصْحُوبةٌ، أو بمُعاملَتِكَ التي كلُّها خيانةٌ؟!

قولُه تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾: فـ﴿أَتْقَاكُمْ﴾(٢) أبعدُكم مِن نفْسِه، وذلك أقربُكم مِن ربه(٣).

***

(١٤) ـ ﴿۞ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَٰكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا﴾: وهذا مُتَّصِلٌ بما مَرَّ في ذِكْرِ جَفاءِ الأعراب في أخلاقهم وعقائدهم ورُؤْيَتِهم الفَضْلَ بأنسابهم وعشائرهم.

---

(١) رواه المعافى بن عمران في «الزهد» (١٣٣)، والحارث في «مسنده» (٨٥٦)، والطبراني في «الصغير» (٦٤٢)، والحاكم في «المستدرك» (٣٧٢٦)، والثعلبي في «تفسيره» (٤/ ٥٩)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٤٧٧٥)، والواحدي في «الوسيط (٤/ ١٥٩). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ٨٤): فيه طلحة بن عمرو، وهو متروك.

ورواه من طريق آخر الحاكم في «المستدرك» (٣٧٢٥)، وقال: هذا حديث عال غريب الإسناد والمتن، ولم يخرجاه. وقال الذهبي: فيه المخزومي بن زبالة: ساقط.

(٢) في (أ): «هم»، وفي (ف): «فأتقاهم».

(٣) في (ف): «وأتقاهم أبعدهم من نفسه فذاك أقربهم من ربه» بدل من «فأتقاكم أبعدكم من نفسه وذلك أقربكم من ربه». وانظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٣/ ٤٤٣).

وقولُه تعالى: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ﴾: أي: قالت طائفةٌ منهم: ﴿ءَامَنَّا﴾.

واختُلِفَ فيهم، والأظهرُ أنهم كانوا مُنافقين قالوا: ﴿ءَامَنَّا﴾ لِيُلْحِقَهم رسولُ اللهِ ﷺ بمراتبِ المؤمنين المُخْلِصين، فأَطْلَعَ اللهُ نبيَّه عليهم[١]، فقال:

﴿قُل﴾ لهم: ﴿لَّمْ تُؤْمِنُوا۟﴾: أي: لم تُصدِّقوا بقلوبكم ﴿وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا﴾؛ أي: استَسْلَمْتم لِخوفِ القتل، فقولوا: ﴿أَسْلَمْنَا﴾؛ أي: خَضَعْنا وانْقَدْنا.

﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ﴾: أي: ولم يدخُلْ، و(ما) صِلَةٌ.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: نزلت الآيةُ في نفرٍ مِن بني أَسَدِ بنِ خُزيمةَ، قدِموا على رسول الله ﷺ المدينةَ في سَنَةٍ جَدْبَةٍ، فأَظْهَروا شهادةَ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ، ولم يكونوا مؤمنين في السِّرِّ، فأفسَدوا طُرُقَ المدينة بالعَذِراتِ، فأَغْلَوا أسعارَهم، وكانوا يَغْدُون ويَرُوحون على رسول الله ﷺ، ويقولون: أَتَتْكَ العربُ بأنفسها على ظُهور رواحِلها، وجئناكَ بالأثقال والذَّراري، فيُريدون الصَّدَقَةَ، ويقولون: أَعْطِنا، ويَمُنُّون على رسول الله ﷺ، فأنزل اللهُ تعالى هذه الآيةَ[٢].

وقال قتادةُ: واللهِ ما عَمَّتِ الأعرابَ؛ لأنَّ مِن العَرَبِ مَن يؤمِنُ بالله واليوم الآخر، ولكنْ كانوا حيًّا مِن أحياء العرب يَمُنُّونَ بإسلامهم على رسول الله ﷺ، فقالوا: آمنَّا ولم نُقاتِلْكَ كما قاتلَكَ بنو فُلانٍ وبنو فُلانٍ، فأنزل اللهُ هذه الآيةَ[٣].

وقال السُّدِّي: نزلَتْ في الأعراب الذي ذكرَهم اللهُ في سورة الفتحِ، وهُم

---

(١) في (أ): «على غيبتهم»، وفي (ف): «على عيبهم».

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٨٩)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٣٤٩)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ١٥٩)، والزمخشري في «الكشاف» (٤/ ٣٧٧).

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٩٤٣)، والمروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (٥٨٩)، والطبري في «تفسيره» (٢١/ ٣٩١).

أعرابُ مُزَيْنَةَ وجُهَيْنَةَ وأَسْلَمَ وأَشْجَعَ وغِفارٍ، كانوا يقولون: آمنا بالله؛ لِيأْمَنوا على أنفسهم وأموالهم، فلما استُنْفِروا إلى الحُدَيْبِيَةِ تخلَّفوا[١].

وقولُه تعالى: ﴿وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾: أي: تُخْلِصوا وتتوبوا مِن النِّفاق.

﴿لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَـٰلِكُمْ شَيْـًٔا﴾: أي: لا يَنْقُصْكم مِن ثواب أعمالِكم شيئاً، مِن (لاتَ يَلِيتُ).

وقال قُطْرُبٌ: ويجوزُ أنْ يكون مِن (وَلَتَ يَلِتُ)، وهو في معناه[٢].

وقرأ أبو عمروٍ: ﴿ولا يَالِتْكُم﴾ بالألف وتَلْيين الهمزة[٣] كما هو طريقُه في المهموزات[٤]، وهو في معناه أيضاً، وقد (أَلَته يَأْلِتُه)؛ أي: نقَصَه، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَلَتْنَـٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ﴾ [الطور: ٢١].

وقال قُطْرُبٌ: يُقال: (أَلَته بيمينٍ يَأْلِتُه)؛ أي: غلَّظَ عليه[٥].

ورُوِيَ أنَّ رجلاً قام إلى عمرَ فوعظَه، فقال له رجل: لا تَأْلِتْ يا أميرَ المؤمنين[٦]؛ أي: لا تُغَلِّظْ عليه.

---

(١) ذكره عنه الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٨٩)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٣٥٠)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ١٥٤).

(٢) انظر: «غرائب التفسير» للكرماني (٢/ ١١٢٥)، و«الكتاب الفريد» للمنتجب الهمذاني (٥/ ٦٦٧).

(٣) في (أ): «بالألف وبتبيين الهمز»، وكلاهما ينسب لأبي عمرو، يعني التليين والتبيين، انظر التعليق الآتي.

(٤) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٠٦)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٢). قال الداني: قرأ أبو عَمْرو: ﴿يألتكم﴾ بهمزة ساكنة بعد الياء، وإذا خفف أبدلها ألفًا، والباقون بغير همز ولا ألف.

(٥) انظر: «المحتسب» لابن جني (٢/ ٢٩٠).

(٦) رواه ابن شبة في «تاريخ المدينة» (٢/ ٧٧٣) عن الحسن، وذكره أبو حيان التوحيدي في «البصائر والذخائر» (١/ ١٩).

وقال هارون القارئُ على هذا: (لا يَأْلِتْكم)؛ أي: لا يُغَلَّظْ عليكم، وتحقيقُه: ﴿وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ بالأعمال بعد تصحيحِ الاعتقاد بالقلب، والإقرارِ باللِّسان، لا يُغَلِّظْ عليكم شيئاً مِن الأعمال؛ أي: الشَّرائعُ كلُّها سَهْلَةٌ سَمْحَةٌ لا غِلَظَ فيها.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: يغفِرُ ما كان مِن الذُّنوب قبلَ[1] التوبة والإخلاص.

* * *

(١٥ ـ ١٦) ـ ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ۝١٥ قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾.

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾: أي: صدَّقوا بقلوبهم، وأقرُّوا بألسِنَتِهم.

﴿ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟﴾: أي: لم يَشُكُّوا.

﴿وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: أي: أعداءَ الله.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾: المُحقِّقون دَعْواهم، المُسْتكْمِلون معناهم.

ولَمَّا نزلَتْ هذه الآيةُ جاؤوا وحلَفوا أنَّهم مُخْلِصون، فنزلَ قولُه تعالى:

﴿قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ﴾: التَّعليمُ هو الإعلامُ؛ كالتَّعْظيمِ هو الإعظامُ، استفهامٌ بمعنى التَّوبيخِ والإنكارِ.

﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾: مِن الإخلاصِ والنِّفاقِ وغيرِ ذلك.

* * *

---

(١) في (ر): «بعد»، والمثبت من باقي النسخ، والمعنى واحد على أن تعلق (بعد) بـ«يغفر»، أو تعلق (قبل) بحال من «الذنوب».

(١٧ ـ ١٨) ـ ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾.

قولُه تعالى: ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا ﴾: وهو بما حَكَيْنا عنهم.

﴿قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾: ليس هذا بتحقيق الإيمان لهم، بل معناه على الشَّرْط المذكور في آخره: ولو كنتُم آمَنْتُم كما ادَّعَيْتُم فصدَّقْتُموني سِرًّا وعَلانِيَةً، لكانت المِنَّةُ لله عليكم بأنْ هداكم.

قولُه تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾: قرأ ابنُ كثيرٍ وعاصمٌ في روايةٍ[1] بياء المُغايبة رَدًّا على قوله: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ﴾، وقرأ الباقون بتاء المخاطبة رَدًّا على قوله: ﴿يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ﴾[2].

واللهُ تعالى أعلَمُ، وله الحمدُ والمِنَّةُ[3]

* * *

(١) في (ر): «في رواية أبي بكر»، وفي (ف): «في رواية حفص»، ورواية الياء جاءت في رواية عن حفص عن عاصم ذكرها الهذلي في «الكامل» (ص: ٦٣٩)، لكنها خلاف المشهور عن حفص. انظر التعليق الآتي.

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٠٧)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٢)، كلاهما عن ابن كثير وحده.

(٣) في (ف): «والحمد لله رب العالمين» بدل: «واللهُ تعالى أعلَمُ وله الحمدُ والمِنَّةُ».

التيسير
في
التفسير

تأليف الإمام

أبي حفص النسفي

نجم الدين عمر بن محمد بن أحمد النسفي الحنفي

٤٦١ - ٥٣٧هـ

يطبع أول مرة محققاً على ثلاث نسخ خطية

تحقيق وتعليق

سارية فايز عجلوني   جمال عبد الرحيم الفارس

المجلد الرابع عشر

دار اللباب

بسم الله الرحمن الرحيم

التيسير في التفسير

(١٤)

حُقوق الطّبع محفُوظَة

الطبعة الأولى
١٤٤٠هـ-٢٠١٩م

يُمنع طباعةُ هذا الكتاب أو ترجمته أو تصويرُه ورقياً أو إلكترونياً
إلا بإذن خطي من الدار الناشرة
تحت المُساءلة الدُّنيوية والأُخروية

9 786052 279311

دار اللُّباب
للدِّراسات وتحقيق التُّراث
DAR-ALLOBAB
Lubab Yazma Eserleri İhya ve İlmi Araştırma Yayınları

بيروت - لبنان
009615813966
0096170112990
Www.allobab.com

اسطنبول - تركيا
00905454729850
00902125255551
info@allobab.com

İskenderpaşa mh. Kıztaşı cd. No:7 D:5 Fatih (Özel Fatih Hastanesi Karşısı)

سُورَةُ ق

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

باسمِ اللهِ مُنَزِّلِ القرآنِ المَجيد، الرَّحمنِ مُقَدِّمِ الوعدِ والوعيد، الرَّحيمِ المُبَشِّرِ بالجنة والمزيد.

وروى أُبَيُّ بن كعب رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «مَن قرأ سُورةَ ق هوَّنَ اللهُ عليه تاراتِ الموت وسَكَراتِه»(١).

وهذه السُّورةُ مَكِّيَّةٌ، وهي خمسٌ وأربعون آيةً، وثلاثُ مئةٍ وثلاثٌ وسبعون كلمةً، وألفٌ وأربعُ مئةٍ وأحدٌ وثمانون حرفاً.

وافتتاحُ هذه السُّورةِ واختتامُ السُّورةِ التي قبلها باسم الله تعالى، وهو وجهُ انتظامِها.

---

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٩٢)، والمستغفري في «فضائل القرآن» (١٢١٧)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ١٦٢)، وهو قطعة من الحديث الطويل الموضوع المروي عن أبي بن كعب رضي الله عنه. انظر: «الفتح السماوي» للمناوي (٣/ ١٠٠٨).
لكن قد ورد في فضلها كثير من الأحاديث الصحيحة، فقد كان ﷺ كثيراً ما يقرؤها في صلاة الفجر كما روى مسلم (٤٥٨) عن جابر بن سمرة، وفي حديث قطبة بن مالك أنه عليه الصلاة والسلام كان يقرؤها في الركعة الأولى من صلاة الفجر، رواه مسلم أيضا (٤٥٧). وروى مسلم أيضاً (٨٩١) عن أبي واقد الليثي أنه ﷺ كان يقرأ في العيد بقاف واقتربت. وروى مسلم أيضا (٨٧٣) عن أم هشام ابنة حارثة قالت: ما أخذت ﴿قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ﴾ الا من في رسول الله ﷺ، كان يقرأ بها في كل جمعة على المنبر إذا خطب الناس.

وانتظامُ السُّورتين: أنَّ الأولى في تعليم آدابِ الشَّرْع وثوابِ عاملِها وعقابِ تاركِها في الآخرة، وهذه في مُحاجَّةِ مُنْكِري البعثِ، وبيانِ أحوالِهم في الآخرة.

***

(١) ـ ﴿قٓۚ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ﴾.

قولُه تعالى: ﴿قٓ﴾: قال ابن عباس رضي الله عنهما: هو قسَمٌ، وهو اسمٌ مِن أسماء الله تعالى[١].

وقال محمد بن كعب القُرَظِيُّ: هو افتتاحُ أسماءِ الله تعالى: قادر، وقدير، وقديم، وقاهر، وقهَّار، وقريب، وقاضٍ، وقابض[٢].

وقال قتادة: هو اسمٌ مِن أسماء القرآن[٣].

وقيل: هو اسمُ هذه السُّورةِ، وتقديرُه: هذه سُورةُ (ق).

وقال الضحاك: (ق) جبلٌ مُحيطٌ بالأرض[٤].

وقال عكرمة: (ق) جبلٌ أخضرُ مُحيطٌ بالأرض، والأرَضون السَّبْعُ على عاتِقِ ملَكٍ، والملَكُ على الياقوتة، والياقوتةُ على الثَّور، والثَّورُ على ظَهْرِ الحوت، وبين كلِّ أرَضين بحرٌ، ولولا ذلك البحرُ لأَحْرَقَتْ جهنَّمُ كلَّ شيءٍ فيها إلى مُنتهى

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٤٠٠)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ١٧٦)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٣٥٢).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٩٢)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٣٥٢)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ١٥٧).

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٩٤٤)، والطبري في «تفسيره» (٢١/ ٤٠٠).

(٤) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٣٣١) عن قتادة. ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٩٤٥) عن مجاهد.

الكرسيِّ، ثم أنبتَ اللهُ مِن الياقوتة جبلاً، فأحاطَ بالأرَضين السَّبع، ثم أنبَتَ اللهُ هذه الجبالَ كلَّها على وجه الأرض في بَرِّها وبحرِها مِن ذلك الجبل، فهي عروقُه[1].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: (ق) جبلٌ مُحيطٌ بالأرَضين مِن زَبَرْجَدَةٍ خَضْراءَ[2]، فخُضْرَةُ السماءِ منه، فليست مدينةٌ مِن المدائن إلا وفيها عِرْقٌ مِن عُروقه وملَكٌ مُوكَّلٌ به واضِعٌ يديه على تلك العُروق، فإذا أرادَ اللهُ بقوم هلاكاً، أوحى اللهُ إلى ذلك الملَكِ، فحرَّكَ منها عِرْقاً، فخسَفَ بأهلها، فالشياطينُ ينطلقون إلى ذلك الزَّبَرْجَدِ، فيأخذون منه، فيَبُثُّونه في الناس، فمِن ثمَّةَ هو قليلٌ[3].

وقيل: معناه: قُل يا محمدُ: ﴿وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ﴾.

وقال أبو بكر الوراق: معناه: قِفْ يا محمد[4] عند أَمْرِنا ونَهْيِنا ولا تتعدَّاهما[5]، والعربُ قد تقتصِرُ مِن الكلمة على حرفٍ، قال قائلُهم:

---

(١) لم أقف عليه وهو من خرافات الإسرائيليات.

(٢) في (ر): «زبرجد أخضر».

(٣) رواه بنحوه ابن أبي الدنيا في «العقوبات» (٢٢)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٤/ ١٤٨٤ و١٤٨٩).
وهو كسابقه من خرافات الإسرائيليات، ولعله لا يصح عن ابن عباس، وقد ذهب القرافي إلى أن جبل قاف لا وجود له، وبرهن عليه بما برهن ثم قال: ولا يجوز اعتقاد ما لا دليل عليه.
ذكر ذلك الآلوسي في «روح المعاني» (٢٥/ ٤١٢)، ثم أورد تعقب ابن حجر الهيتمي على القرافي وأعقبه بقوله: والذي أذهب إليه ما ذهب إليه القرافي من أنه لا وجود لهذا الجبل بشهادة الحس، فقد قطعوا هذه الأرض برها وبحرها على مدار السرطان مرات فلم يشاهدوا ذلك، والطعن في صحة هذه الأخبار أهون من تكذيب الحس، وليس ذلك من باب نفي الوجود لعدم الوجدان كما لا يخفى على ذوي العرفان، وأمر الزلزلة لا يتوقف على ذلك الجبل، بل هي من الأبخرة وطلبِها الخروج مع صلابة الأرض، وإنكار ذلك مكابرة عند من له أدنى عرق من الإنصاف، والله تعالى أعلم.

(٤) في (أ): «قف»، بدل: «معناه قف يا محمد».

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٩٣)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ١٥٧).

قلـــتُ لهـــا قِفـــي فقالـــتْ قِ[1]

وقال الفرَّاءُ: قيل: معناه: قضى ما هو كائنٌ[2].

قولُه تعالى: ﴿وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ﴾: أقسَمَ بالقرآن تَعْظيماً له.

و﴿ٱلْمَجِيدِ﴾: الشريفُ، وقيل: الكريمُ.

واختُلِفَ في جواب هذا القسَمِ، وأصلُه: أنَّ جوابَه بأحدِ خمسةِ أشياءَ:

(إنَّ) المُشَدَّدة؛ كما قال: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾ [الفجر: ١٤].

و(ما) النَّافية: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ﴾ [الضحى: ٣].

واللَّامُ المفتوحةُ: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر: ٩٢].

و(إنْ) الخفيفةُ بمعنى (ما): ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: ٩٧].

و(لا): ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَىٰ﴾ [النحل: ٣٨].

وزاد البَعْلِيُّ على هذا:

(قد)؛ كقوله: ﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا... قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾.

و(بل)؛ كما في قوله في هذه السورة: ﴿قٓ وَٱلْقُرْءَانِ... بَلْ عَجِبُوٓا۟﴾.

وقيل: إنَّ جوابَ هذا القسَمِ: ﴿قَدْ عَلِمْنَا﴾، وتقديرُه: ﴿قَدْ عَلِمْنَا﴾؛ كما في قوله: ﴿وَٱلشَّمْسِ﴾، ثم قال: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾: أي: لقد أفلَحَ.

---

(١) ذكره الفراء في «معاني القرآن» (٣/ ٧٥)، وابن قتيبة في «تأويل مشكل القرآن» (ص: ١٨٩)، والطبري في «تفسيره» (٢١/ ٤٠١)، والأزهري في «تهذيب اللغة» (١٥/ ٤٨٨)، وابن جني في «المحتسب» (٢/ ٢٠٤) من غير نسبة.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٧٥).

وقيل: حُذِفَتِ اللَّامُ على نِيَّةِ تقديمِ جوابِ القسَمِ، وتقديرُه: قد علِمْنا ما تنقُصُ الأرضُ منهم، والقرآنِ المجيدِ.

وقال ابنُ كَيْسانَ: جوابُه: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ﴾[1].

والصَّحيحُ: أنَّ جوابَه محذوفٌ، ودليلُ ذلك قولُه: ﴿بَلْ﴾؛ لأنه لِنَفْيِ ما قَبْلَه، فدلَّ على مَنْفِيٍّ[2] مُضْمَرٍ، وتقديرُه: أُقْسِمُ بجبَلِ (ق) الذي به بقاءُ دنياكم، وبالقرآنِ المجيدِ الذي به بقاءُ دينِكم، ما كذَّبوك لِمعرفتِهم بكَذِبِكَ.

***

(٢ ـ ٣) ـ ﴿بَلْ عَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَـٰفِرُونَ هَـٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ۖ ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ﴾.

﴿بَلْ عَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَـٰفِرُونَ هَـٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ﴾: وهو كقوله: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا﴾ [يونس: ٢]، ولم يقل: (فقالوا)، بل قال: ﴿فَقَالَ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ تقبيحاً لهم ووَصْفاً لهم بما هو أسوأُ صفاتِهم ـ وهو مِن فَرْطِ جهالتِهم ـ أنْ تَعَجَّبوا وأنكروا أنْ يكونَ مَن مِثْلُهم نبيًّا مبعوثاً، واستجازوا أنْ يكون الصَّنَمُ الذي هو دونَهم إلهاً مَعْبوداً.

﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا﴾: أي: وقالوا أيضاً هذا: أئذا مِتْنا وبَلِينا وصِرْنا تُراباً أنُبْعَثُ؟! فهذا مُضْمَرٌ.

﴿ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ﴾: أي: رَدٌّ بعيدٌ عن العقل؛ أي: قولُه: إنا نُردُّ بعد الموت إلى الحياة، مُحالٌ لا يقبَلُه العقلُ، وهو كقولهم: ﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ﴾ [المؤمنون: ٣٦]، والرَّجْعُ مُتَعَدٍّ، والرُّجوعُ لازمٌ.

---

(١) ذكره عنه الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٩٣)، وابن عطية في «تفسيره» (٥/ ١٥٥).

(٢) في (ر): «قسم».

قال مقاتل: نزلت في أُبيٍّ وأُميَّةَ ابني خلفٍ الجُمَحِيَّين، ونُبيْهٍ ومُنبِّهٍ ابني الحَجَّاج السَّهْمِيَّين، وأسيدُ بنُ كَلَدَةَ أبي الأَشَدَّين لعنَهم الله[1].

* * *

(٤) ـ ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ﴾: أي: ما تأكلُه الأرضُ بعد موتهم مِن أجسادهم لَحْمِها وعَظْمِها وشَعْرِها وبَشَرِها وكلِّ ما فيها، ما يَغيبُ شيءٌ منها عن عِلْمِنا، ولا يتعذَّرُ إعادتُها علينا.

﴿وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ﴾: أي: وعندنا في السماء كتابٌ حافظٌ لذلك كلِّه؛ أي: هو مُثْبَتٌ فيه، فكأنَّه حافِظٌ له، وهو فَعيلٌ بمعنى فاعلٍ؛ كـ(السَّميعِ) بمعنى (السَّامِعِ).

وقيل: هو بمعنى مفعول، وهو كقوله: ﴿فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ﴾: أي: نحفَظُ نحن فلا نُضَيِّعُ.

وقيل: يعني: عندنا كتابٌ حفيظٌ لأعمالِ بني آدم خيرِها وشَرِّها ولأسمائِهم وعَدَدِهم لِنُحْضِرَهم ونَجْزِيَهم يومَ البَعْثِ.

وقال الحسن: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ﴾: مِن هؤلاء الكفار بالقَتْلِ والموت والانتقال مِن الكفر، ﴿وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ﴾: فيه أعمالُهم وما وعدتُّكَ مِن النَّصْر، وهو كقوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾، وهو في وَعْدِ النبي ﷺ بالنَّصْر والظَّفَر عليهم[2].

* * *

(٥) ـ ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ﴾.

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ١١٠).

(٢) لم أقف عليه.

قولُه تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ﴾: قيل: يرجِعُ إلى قوله: ﴿بَلْ عَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ﴾، وليس عَجَبُهم لاستحالتِه، بل لِتكذيبِهم للحقِّ عِناداً، وهو الرَّسولُ.

﴿فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَّرِيجٍ﴾: قال مجاهد: أي: مُلْتَبِسٍ مُخْتَلِطٍ[1].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: أي: فاسدٍ[2].

وقال الضحاك: في لَبْسٍ وضلالٍ[3].

ومعنى الاختلاطِ: أنهم مَرَّةً قالوا: هو مجنونٌ، ومَرَّةً قالوا: هو ساحِرٌ، ومَرَّةً قالوا: هو كاهِنٌ، ومَرَّةً قالوا: هو شاعِرٌ، ومَرَّةً قالوا: هو كاذِبٌ، ومَرَّةً قالوا: هو مُفْتَرٍ.

---

(١) رواه عنه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٤٠٧). وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٩٤)، ومكي بن أبي طالب (١١/ ٧٠٣١)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٣٥٦)، عنه وعن سعيد بن جبير. وذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٤/ ١٤٧) عنه وعن قتادة.

(٢) ذكر هذا القول بهذا اللفظ الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٣٤١) لكن عن أبي هريرة رضي الله عنه. وروى الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٤٠٦ ـ ٤٠٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما ثلاث روايات في المريج:
الأولى: الشيء المنكر.
والثانية: مختلف.
والثالثة: هم في أمر ضلالة.
وروى عنه ابن الأنباري في «المكتفى في إيضاح الوقف والابتدا» (ص: ٦٤) رابعاً، وهو قوله: مختلط، ألم تسمع إلى قول الشاعر:

فجالَتْ والتمسَتُ به حشاها ... فخر كأنه خُوطٌ مَرِيج

(٣) ذكر عنه النحاس في «إعراب القرآن» (٤/ ١٤٧) قوله: مختلط. ووقع في (ر): «في لبس جديد وضلال».

وقيل: هذا[١] يرجعُ إلى إنكار البَعْثِ، وتقديرُه: ما أنكَروه لِجَهْلِهم فإنَّهم مُقِرُّون بقُدْرة اللهِ (بل كذَّبوا بـ)هذا الخبرِ (الحقِّ) لَمَّا جاءهم، (فهُم في أمرٍ مَريجٍ): مُلْتَبِسٍ مِن حديث البَعْثِ، فمنهم مَن يقول: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾ [الأنعام: ٢٩]، ومنهم مَن يقول: ﴿وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِندَهُ لَلْحُسْنَىٰ﴾ [فصلت: ٥٠]، ومنهم مَن يقول: ﴿مَّا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا﴾ [الجاثية: ٣٢]، وقال تعالى: ﴿بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ﴾ [النمل: ٦٦].

وقيل: ﴿فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَّرِيجٍ﴾؛ أي: جوابٍ مُتَناقِضٍ، فإنهم يُقِرُّون[٢] بالقُدْرةِ على الإنشاء، ويُنْكِرون القُدْرةَ على الإعادة، وهو تناقُضٌ.

* * *

(٦ ـ ٧) ـ ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ۝٦ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا﴾: أي: أيُّ عُذْرٍ لهم في إنكار البَعْثِ؟! أمَا يَنْظُرون بأبصار قلوبِهم إلى أصناف ما خَلَقْتُه مِن السماء والأرض وما بينهما؟! فيتنبَّهوا بذلك على قُدْرَتي على إعادة الموتى؛ إذ قد رأوا بأبصار رؤوسِهم السماءَ كيف جعلناها[٣] كالبِناءِ المُظِلِّ فوقهم ﴿وَزَيَّنَّاهَا﴾ بالكواكب والشمس والقمر ﴿وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾؛ أي: شُقوقٍ.

﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا﴾: أي: بَسَطْناها ﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ﴾؛ أي: جبالاً ثوابتَ ﴿وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾؛ أي: مِن كلِّ نوعٍ حَسَنٍ مِن النبات.

---

(١) في (ف): «هو».

(٢) في (أ): «يقولون».

(٣) في (أ) و(ف): «خلقتها».

(٨ ـ ٩) ـ ﴿ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ۝٨ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ﴾.

﴿ تَبْصِرَةً ﴾: أي: تعريفاً لِمَن نظَرَ إليها وتدبَّر خَلْقَها أني أنا خالِقُها؛ إذ لا يتهَيَّأُ ذلك لأحدٍ مِن المخلوقين، ولا يُتَصَوَّرُ تكوُّنُها مِن غير تكوينِ مُكَوِّنٍ كوَّنَها لا يُشْبِهُها، قادرٍ عالمٍ واحد.

﴿وَذِكْرَىٰ ﴾: أي: تذكيراً للعباد يتذكَّرون بها قُدْرتي ووحدانِيَّتي.

﴿لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴾: أي: جعَلْتُ هذا التَّبْصيرَ والتَّذْكيرَ لكلِّ عبدٍ أقبلَ إليَّ بإرادتِه ونِيَّتِه، وعلَّقَ قلبَه بالتَّفكُّر في أصناف خَليقَتي، فهو الذي أُوَفِّقُه لِلتَّذْكار والاستبصار.

وقولُه تعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا ﴾: أي: مطراً كثيرَ الخيرِ والبرَكةِ.

ثم ذكَرَ بعضَ تلك البركاتِ، فقال:

﴿فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ ﴾: أي: بساتينَ مُشْتَمِلَةً على الأنهار[1] والثِّمار.

﴿وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ﴾: أي: الزَّرْعِ، واحدٌ بمعنى الجَمْع؛ لأنه جنسٌ، وأضاف الحَبَّ إلى الحَصيدِ لأنَّ الحَصيدَ هو المحصودُ، وهو السُّنْبُلُ، وهو الجوابُ الصَّحيحُ عن هذا السؤال أنَّه: لماذا أُضِيفَ إليه؟

وقال[2] الفرَّاء: الحَبُّ هو الحَصيدُ، فأُضِيفَ إلى نفْسِه؛ كقولكَ: (حَقُّ اليقينِ)، و(مسجدُ الجامعِ)، و(صلاةُ الأولى)[3].

(١) في (ر) و(ف): «الأزهار».

(٢) في (ر) و(ف): «وقد قال».

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٧٦). وتعقب هذا القول الآلوسي ذاكرًا نحو كلام المؤلف السابق له، فقال: ﴿وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ﴾؛ أي: حب الزرع الذي من شأنه أن يحصد من البر والشعير وأمثالهما، =

(١٠ ـ ١١) ـ ﴿وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ﴾.

قولُه تعالى: ﴿وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ﴾: أي: وأنبَتْنا النَّخْلَ، وهو[1] جَمْعُ نَخْلَةٍ.

﴿بَاسِقَٰتٍ﴾: قال ابنُ عباسٍ ومجاهدٌ: أي: طِوالاً[2].

وقيل: الباسِقُ: العالي بذهابه في[3] جِهَةِ الارتفاع.

﴿لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ﴾: قال مجاهدٌ وقتادةُ: نُضِدَ بعضُه على بعضٍ[4]، فعيلٌ بمعنى مفعولٍ.

وقيل: النَّضيدُ: المُتَرَاكِبُ، والطَّلْعُ: الكُفُرَّى[5]، وهو نَضيدٌ ما دام في وعائه.

وقيل: الطَّلْعُ: التَّمْرُ، وهو نضيدٌ؛ أي: مُتراكِبٌ في رؤوس النَّخْلِ، ليس كسائر الأشجار التي تتفرَّقُ ثمارُها.

= فالإضافة لما بينهما من الملابسة، و﴿ٱلْحَصِيدِ﴾ بمعنى المحصود صفةٌ لموصوف مقدر كما أشرنا إليه، فليس من قبيل: مسجد الجامع. انظر: «روح المعاني» (٢٥/ ٤٢٢).

(١) في (ر) و(ف): «وهي».

(٢) رواه عنهما الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٤١٢ ـ ٤١٣)، وذكره عنهما الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٣٤٣)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٩٥)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٣٥٧) عن مجاهد وعكرمة وقتادة، وعلقه البخاري قبل الحديث (٤٨٤٨) عن مجاهد.

(٣) في (ر): «إلى».

(٤) رواه عنهما الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٤١٤)، ورواه عن قتادة عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٩٥٠).

(٥) الكُفُرَّى: وعاء الطلع وقشره الأعلى، وكذلك كافوره، وقيل: هو الطلع حين ينشق. انظر: «النهاية» لابن الأثير (٤/ ١٨٩). وفي البخاري قبل الحديث (٤٨٤٨): ﴿نَّضِيدٌ﴾: الكُفُرَّى ما دام في أكمامه، ومعناه: منضودٌ بعضُه على بعضٍ، فإذا خرج من أكمامِه فليس بنَضيدٍ.

﴿رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ﴾: أي: أنبَتْنا هذه الأشـياءَ عَطِيَّةً منا وقُوتـاً دارًّا للعباد، ولـم نخلُقْها لأنفسنا.

﴿وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ﴾: أي: بالماء المبارك ﴿بَلْدَةً مَّيْتًا﴾؛ أي: أرضاً يابسةً قد ذهَبَ نباتُها.

﴿كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ﴾: مِن قبوركم يومَ البَعْثِ بعد إذ كنتم أمواتاً.

* * *

(١٢ ـ ١٤) ـ ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ﴾: أي: قبلَ هؤلاء المشركين ﴿قَوْمُ نُوحٍ﴾.

﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلرَّسِّ﴾: نبيَّهم ﴿وَثَمُودُ﴾: صالحاً ﴿وَعَادٌ﴾: هوداً.

﴿وَفِرْعَوْنُ﴾: موسى وهارونَ.

﴿وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ﴾: أي: قومُ لوطٍ وأنسباؤُه[1] لوطاً.

﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ﴾: أي: الغَيْضَةِ شُعيباً.

﴿وَقَوْمُ تُبَّعٍ﴾: رسولَهم.

﴿كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ﴾: أي: كلُّ واحدٍ كذَّبَ رسولَه.

وقيل: كلُّ واحدٍ كذَّبَ جميعَ الرُّسُل؛ لأنَّ تكذيبَ الواحدِ تكذيبُ الكلِّ؛ لأنَّ كلَّ واحدٍ مِن الرسل يدعو إلى تصديق الكُلِّ.

﴿فَحَقَّ وَعِيدِ﴾: أي: وجَبَ عليهم ما كنتُ توَعَّدتُهم به، وقد مَرَّ ذِكْرُ كلِّ قِصَّةٍ فيما تقدَّمَ.

---

(١) في (أ): «وأنسابه».

وأصحابُ الرَّسِّ ذكَرْناهم في سورة الفرقان.

قال ابن عباس: كانوا أصحابَ آبارٍ[١].

وقال الضحاك: كانوا بناحية أَذَرْبيجانَ[٢].

وقال عكرمة: كان لهم نبيٌّ رَسُّوه في بئرٍ[٣].

وقال مقاتل: الرَّسُّ بئرٌ، قيل: أُلْقِيَ فيها حبيبٌ النَّجَّارُ صاحبُ ياسين[٤].

وقال سعيدُ بنُ جُبير: هُم قتَلوا نبيَّهم، ورَسُّوه في بئر ببَطْنِ فَلَجٍ نحوَ اليمامة، واسمُ نبيِّهم حَنْظَلَةُ بنُ صفوان[٥].

وقال عكرمة: كانوا قوماً مِن بُطون إسماعيل وأولادِه.

وقال وَهْبٌ: كانوا أهلَ بئرٍ قعوداً عليها وأصحابَ مَواشٍ، وكانوا يعبدون الأصنامَ، فوجَّهَ إليهم شعيبٌ النبيُّ عليه السلام نبيًّا يَدْعوهم إلى الإسلام، فأتاهم وأقام عندهم بُرْهَةً يدعوهم فيأْبَون، وهو يُلاطِفُهم إلى أنْ تمادَوا في أذاه، فحذَّرَهم

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ١٣٣)، وذكر الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٣٤٤) عنه: أنهم أهل بئر بأذربيجان.

(٢) ذُكر هذا القول عن ابن عباس كما في التعليق السابق. أما الضحاك فروى عنه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٤١٥) قوله: الرس: بئر قتل فيها صاحب يس، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٣٤٤)، وابن عطية في «المحرر الوجيز» (٥/ ١٥٨).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٤٥٢)، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ١٤٥)، والبغوي في «تفسيره» (٦/ ٨٤).

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ١١١).

(٥) ذكره مطولاً بنحوه الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ١٣٤) عن سعيد بن جبير وابن الكلبي والخليل. وذكره عن سعيد أيضاً الكرماني في «غرائب التفسير» (٢/ ٨١٦)، والبغوي في «تفسيره» (٦/ ٨٤)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٣/ ٣٢١).

عِقابَ اللهِ وبأسَه، فبينما هُم حولَ البئر في منازلهم انهارَتِ البئرُ، وانخسَفَتْ بهم، وانخسَفَتْ رِباعُهم ودُورُهم، وهلَكوا جميعاً[١].

وأما تُبَّعٌ، فقد ذكَرْنا فيه الأقاويلَ والأحاديثَ في سورة الدُّخان.

وقال الحسن: لم أسمَعْ مِن أصحاب رسول الله ﷺ يذكُرون مِن تُبَّعٍ أكثرَ ممَّا ذكَرَه اللهُ تعالى في كتابه، وقد كذَّبَ قومُه رسولَهم.

وقال وَهْبٌ ومحمدُ بنُ إسحاقَ والواقديُّ: هُم قومٌ مِن حِمْيَرَ، وكان تُبَّعٌ مُسْلِماً، وسُمِّيَ تُبَّعاً لكثرة مَن تَبِعَه، وكان تُبَّعٌ أعجبَه غِلْمانٌ مِن فَدَكَ كانوا يختلفون إليه، فقالوا: قد أكرَمَنا هذا الرجلُ، وإنا نراه يعبُدُ ناراً لا تُغْني عنه شيئاً، أفلا نَدْعُوه إلى أمرِنا ونخبرُه أنَّ اللهَ بعَثَ رسولاً، يَعْنون به موسى، وأنزَلَ عليه التَّوراةَ فيها الحلالُ والحرامُ والأمرُ والنَّهْيُ؟! فقال بعضُهم: نخافُ أنْ يقتُلَنا، وقال أَصْغَرُهم: أنا أقولُ له ذلك، فإن قال شيئاً قلتم: هو أصغرُنا وأحدَثُنا سِنًّا، فلما خلا بهم ذكَرَ أمرَ موسى، فقال تُبَّعٌ للآخرين: ما يقول هذا الفتى؟ فقالوا: صدَقَ، فإنْ شئتَ عرَضْنا عليك أمرَنا، قال: فافعلوا، فعرَضوا عليه أمرَهم، فقَبِلَه وتابعَهم، ثم عرَضوا على حاشِيَتِه وخاصَّتِه فقَبِلوه، وفشا في الناس ذلك، وقالوا: إنَّ الملِكَ ترَكَ دِينَه، فصاروا إليه، فقالوا: بلَغَنا أنكَ ترَكْتَ دِينكَ، فإنْ كنتَ فعلتَ ذلك لم تكن بعد هذا علينا مَلِكاً، وإنْ لم تفعلْ ذلك فادفَعْ إلينا هؤلاء الغِلْمانَ، وكانت لهم نارٌ في أسفَلِ جبلٍ يُقال لها: نِدًّا، يتحاكمون إليها، فتَحْرِقُ الظالمَ، فتحاكَموا إليها، فجاء الفَدَكِيُّون بالتوراة، وجاء الحِمْيَرِيُّون بأصنامهم، فخرجَتْ نارٌ، فأحرقَتِ الحِمْيَرِيِّينَ، ولم تَحرِقْ أحداً مِن أصحاب التوراة، فهُم قومُ تُبَّعٍ[٢].

---

(١) ذكره عنه الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ١٣٣)، والواحدي في «الوسيط» (٣/ ٣٤١)، والبغوي في «تفسيره» (٦/ ٨٤).

(٢) ذكره الغزالي في «مقامات العلماء» (ص: ٢٠) عن وهب ومحمد بن إسحاق.

وقال سعيدُ بنُ المُسَيِّب: سأل أبو مِجْلَزٍ لاحِقُ بنُ حُمَيدٍ ابنَ عباسٍ عن قومِ تُبَّعٍ، فقال سألتُ عبدَ اللهِ بنَ سَلامٍ، فقال: تُبَّعٌ كان رجلاً مِن العرب، وإنه ظهَرَ على الناس، وسبى فِتْيَةً مِن الأحبار، فتابعَهم، وإنَّ قومَه استنكَروا[1] ذلك، وقالوا: بَدَّلَ دِينَه، فقال للفِتْيَةِ: ما ترون؟ قالوا: بيننا وبينهم النَّارُ، فينجو الصادقُ، ويحترِقُ الكاذبُ، فعمَدوا إلى النار، فأمرَ تُبَّعٌ الفِتْيَةَ أنْ يدخُلوها، ففعَلوا ومصاحفُهم[2] في أعناقهم، فلما أرادوا دُخولَها سفَعَتِ النارُ وجوهَهم فنكَصوا، فقال تُبَّعٌ: لَتَدْخُلُنَّ، فدخَلوها، فانفرَجَتْ عنهم حتى قطَعوها، ثم قال لقومه: ادخُلوها، فلما أرادوا دخولَها سفَعَتِ النارُ وجوهَهم، فنكَصوا، فقال تُبَّعٌ: لَتَدْخُلُنَّ، فدخَلوها، فانفرجَتْ عنهم، حتى إذا توسَّطوها أحاطَتْ بهم، فأحرَقَتْهم عن آخرهم، فأسلَمَ تُبَّعٌ عند ذلك[3].

❊ ❊ ❊

(١٥) - ﴿أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ﴾: أي: أَفَعَجِزْنا عن الخَلْق الأول؟! استفهامٌ بمعنى النَّفْي.

قال الحسن: الخَلْقُ الأولُ آدمُ[4]، وقد كانوا يُقِرُّون به وأنهم مِن ولَدِه.

---

(١) في (ر): «أنكروا».

(٢) في (ر): «فعلقوا مصاحفهم» بدل: «ففعلوا ومصاحفهم».

(٣) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣١٩٢٢)، والطبري في «تفسيره» (٢١/ ٤١٦)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١١/ ٧).

(٤) ذكره عنه يحيى بن سلام في «تفسيره» (٢/ ٦٥٠)، وابن أبي زمنين في «تفسيره» (٤/ ٢٧١)، وابن عطية في «المحرر الوجيز» (٥/ ١٥٩).

وذكره الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (٩/ ٣٥٠) من غير نسبة.

وقيل: هو الإنشاءُ، وهو احتجاجٌ عليهم أنَّ مَن قَدِرَ على الإنشاء قَدِرَ على الإعادة.

﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ﴾: أي: ما عَيِينا، ﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ﴾: أي: لبَّسَ الشيطان عليهم وموَّه، فأعرَضوا عن التَّدبُّر؛ أي: لا يُنْكِرون البعثَ عن دليلٍ، بل عن تقليدٍ بجَهْلٍ.

﴿مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾: أي: البعثِ والتَّجديدِ بعد البِلى، وهو كما قالوا: ﴿أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ [الإسراء: ٤٩].

* * *

(١٦) ـ ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾.

قولُه تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ﴾: الوسوسةُ: حديثُ النَّفْسِ في خفاءٍ، ومنها وسوسةُ الشيطانِ؛ أي: لا يخفى علينا ما يخطُرُ بباله.

﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾: قال ابن عباس ومجاهد: هو عِرْقٌ في الحَلْقِ(١)، وهما الوَريدان في العُنُقِ عن يمينٍ وشمالٍ، ويَرِدُ إليهما ما يَنْصَبُّ مِن الرأس.

وقيل: هو العِرْقُ الذي بين الحُلْقُوم والعِلْبَاوَينِ(٢).

وقال الفراء: الحَبْلُ هو الوَريدُ، وأُضِيفَ إليه لاختلاف اللَّفْظَين(٣).

وقال الأخفش: أُضِيفَ إليه كما أُضِيفَ إلى العاتِقِ.

وقيل: الحَبْلُ: العِرْقُ، وهو اسمُ جنسٍ، وأُضِيفَ إلى نوعه كما يُقالُ: (عِرْقُ

---

(١) رواه عنهما الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٤٢٢). ورواه أبو حاتم الرازي في «الزهد» (٤٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما. وذكره عنه النحاس في «إعراب القرآن» (٤/ ١٤٩)، والماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٣٤٦).

(٢) العِلْباوان: جمع (عِلْب)، وهو عصب العنق الغليظ خاصة. انظر: «تهذيب اللغة» للأزهري (٢/ ٢٤٧).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٧٦).

النَّسا)، ومعنى هذا الكلامِ: ونحن أقرَبُ إلى ضميرِه مِن هذا العِرْقِ إلى بدَنِه، ولا يُرادُ به قُرْبُ المكانِ جلَّ اللهُ تعالى عن ذلك، بل يُرادُ به أنه عالِمٌ به، لا يخفى عليه منه شيءٌ.

* * *

(١٧ ـ ١٨) ـ ﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾.

قولُه تعالى: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ﴾: قيل: أي: أُذْكُرْ إذ يتلَقَّى.

وقيل: أي: نَعْلَمُ منه ما يكونُ منه إذ يتلَقَّى الملَكانِ المُوَكَّلانِ به عمَلَه[1]، فيكتبان ذلك عليه؛ كمَن يُمْلِي على آخرَ شيئاً، فيَتَلَقَّاه المُمْلَى عليه فيكتُبُه.

والتَّلَقِّي: هو الأَخْذُ والقَبولُ، قال تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾ [البقرة: ٣٧].

﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾: أي: أحدُ الملَكين قَعيدٌ له عن يمينه، والآخَرُ عن شماله، كأنَّهما جَليسان قاعدان في مَجْلِسٍ واحدٍ، والإفرادُ لهذا التَّقْدير.

﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ﴾: أي: ما يَتكلَّمُ، وأصلُه: الرَّمْيُ.

﴿إِلَّا لَدَيْهِ﴾: أي: عنده، ويجوز أنْ يكون كِنايةً عن الإنسان، ويجوز أنْ يكونَ كِنايةً عما يَلْفِظُ.

﴿رَقِيبٌ﴾: أي: حافِظٌ، وهو الملَكُ الكاتِبُ ﴿عَتِيدٌ﴾؛ أي: مُعَدٌّ.

وقال الزَّجَّاجُ: أي: ثابتٌ لازمٌ[2].

وهذه الآيةُ في كتابة الأقوال، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الانفطار: ١٠ ـ ١٢]، وهذا في كتابة الأفعال.

---

(١) في (ر): «بعمله».

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٤٥).

وهذه حالةُ الحَياة، ثم ذكَرَ حالةَ الموت، فقال:

(١٩ ـ ٢٠) ـ ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ۝١٩ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ﴾.

﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ﴾: أي: تجيءُ شِدَّةُ الموتِ التي تَغْلِبُ على فَهْمِ الإنسان حتى تغمُرَه كَسَكْرَةِ الشَّراب.

﴿بِٱلْحَقِّ﴾: أي: بأمر الله الذي هو حَقٌّ.

وقيل: أي: تأتي بالموت الذي هو كائنٌ.

وقيل: أي: ببيان[1] ما يَصيرُ إليه مِن جنة أو نار، فإنه يظهَرُ له ذلك عند الموت.

﴿ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾: أي: ويُقالُ له: هذا الذي كنتَ تَنْفِرُ منه وتكرَه لقاءَه.

والحَيْدُ: المَيْلُ والرَّوَغانُ.

﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ﴾: أي: يُنْفَخُ فيه نَفْخَةُ البَعْثِ، ويُبْعَثُ الإنسانُ.

﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ﴾: أي: ذلك اليومُ الذي أُوعِدُ به الناسَ لِيَرْغَبوا في الطاعات، ويَجْتَنِبوا السَّيِّئاتِ[2].

❋ ❋ ❋

(٢١) ـ ﴿وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ﴾.

﴿وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ﴾: أي: تجيءُ كلُّ نفْسٍ يومئذٍ.

﴿مَّعَهَا سَآئِقٌ﴾: يسوقُها إلى مَوْقِفِ الحساب.

﴿وَشَهِيدٌ﴾: يَشْهَدُ عليها بما عَمِلَتْ مِن خيرٍ أو شرٍّ.

---

(١) في (أ): «بنيل».

(٢) في (ف): «عن السيئات».

فلا مَهْرَبَ مِن ذلك الأمرِ ومعه السَّائِقُ، ولا جُحودَ ومعه الشَّاهِدُ، واختُلِفَ فيهما:

فقيل: السَّائِقُ ملَكٌ، والشَّاهِدُ كذلك.

وقيل: السَّائِقُ إلى الجنة وإلى النار؛ كما قال: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ [الزمر: ٧١]، ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ﴾ [الزمر: ٧٣].

وقال القُتَبِيُّ: السَّائِقُ: قرينُه مِن الشياطين، والشَّهيدُ: الملَكُ(١).

وقيل: الشَّهيدُ: كاتِبُ عمَلِه.

وقيل: هو الرَّسولُ، قال تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١].

وقيل: أعضاءُ الإنسانِ.

وقيل: اللَّيلُ والنَّهارُ.

وقيل: البِقاعُ التي عَمِلَ فيها الإنسانُ.

وقال الضَّحَّاكُ: السَّائِقُ: كاتبُ السَّيِّئاتِ، والشَّهيدُ: كاتِبُ الحسَناتِ(٢).

وقال أبو هريرة: السَّائِقُ: الملَكُ، والشَّهيدُ: العمَلُ(٣).

وقال القُرَظِيُّ: السَّائِقُ والشَّهيدُ: الملَكان المُتَلَقِّيان.

---

(١) انظر: «تأويل مشكل القرآن» (ص: ٢٣٨).

(٢) روى عنه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٤٣١) قوله: السائق من الملائكة، والشاهد من أنفسهم: الأيدي والأرجل، والملائكة أيضاً شهداء عليهم. وكذا ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٠١)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٣٦٠).

(٣) رواه الدولابي في «الكنى والأسماء» (٧٥٥)، وابن ماسي في «فوائده» (٣٦)، والحاكم في «الأسامي والكنى» (١١٣٤). وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٠١)، وابن عطية في «المحرر الوجيز» (٥/ ١٦١)،

(٢٢) ـ ﴿لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾.

قولُه تعالى: ﴿لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا﴾: أي: يُقالُ له: ﴿لَقَدْ كُنتَ﴾ في الدنيا، ﴿فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا﴾: لا تتفكَّرُ فيه.

﴿فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا﴾: أَوْضَحْنا لكَ ما كان مَخْفِيًّا عنكَ.

﴿فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾: أي: فعِلْمُكَ اليومَ ثاقبٌ نافذٌ، وهو مَجازٌ واستعارةٌ.

وقال الكلبي: ﴿فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ﴾: يعني: الحياةَ بعد الموتِ[١].

وقال مجاهد: ﴿فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾؛ أي[٢]: نظَرُكَ إلى لسانِ ميزانِكَ حتى تَرى حسناتِكَ وسيِّئاتِكَ[٣].

وقال السُّدِّيُّ: الآيةُ في الكافر[٤].

وقيل: أي: في كُلِّ بَرٍّ وفاجِر.

* * *

(٢٣ ـ ٢٤) ـ ﴿وَقَالَ قَرِينُهُ هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ (٢٣) أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾.

﴿وَقَالَ قَرِينُهُ﴾: أي: قرينُ هذا الإنسانِ، وهو الملَكُ الكاتِبُ عمَلَه.

﴿هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ﴾: أي: الذي كتبتُه عليه عندي مُعَدٌّ، فإنْ كانت الآيةُ في الكافر على ما قال بعضُهم، فالقَرينُ هو كاتِبُ السَّيِّئاتِ، وليس له كاتِبُ الحسَناتِ، فلذلك وُحِّدَ.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٤٣٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) في (أ): «يعني».

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٠١)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٣٦٠).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٤٣٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وسفيان.

وقولُه تعالى: ﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾: أي: ويُقالُ للزَّبانِيَةِ: أَلْقُوا، والتَّثْنِيَةُ على عُرْفِ العرب، فإنَّ أكثرَ مُخاطباتِهم بالنداء والأمرُ على التَّثْنِيَةِ؛ لأنَّ أعدَلَ الرِّفْقَةِ ثلاثةٌ، فيُخاطِبُ أحدُهم صاحِبَيْهِ بذلك، وصار الأكثرُ على هذا الأغلَبِ، ولذلك قال امرؤ القيس:

قِفَا نَبْكِ مِن ذكرى حبيبٍ ومَنْزِلِ[1]

وقال المُبَرِّدُ: هذا خِطابُ الشَّاهِدِ للسائقِ[2]، والتَّثْنِيَةُ بمعنى التكرير بمعنى: أَلْقِ أَلْقِ، ونُقِلَ إلى التَّثْنِيَةِ[3]، وعلى هذا قال الشاعرُ:

فقلتُ لصاحبي لا تَحْبِسانا[4]

قولُه تعالى: ﴿كُلَّ كَفَّارٍ﴾: مُبالغَةٌ للكافر، ﴿عَنِيدٍ﴾: أي: عادلٍ عن الصواب.

---

(١) انظر: «ديوان امرئ القيس» (ص: ٢١)، وعجزه:

بِسِقْطِ اللِّوى بينَ الدَّخولِ فحَوْمَلِ

(٢) في (أ): «السائق».

(٣) ذكره عنه السمعاني في «تفسيره» (٥/ ٢٤٢)، والتبريزي في «شرح القصائد العشر» (ص: ٣)، وابن عطية في «المحرر الوجيز» (٥/ ١٦٣).

(٤) في (أ): «تحسبانا». وفي (ف): «حبسانا».

نسبه الجوهري في «الصحاح» (٣/ ٨٦٨) ليزيد بن الطثرية، وقال ابن بري: ليس هو ليزيد، وزاد الصاغاني: وإنما هو لمضرس بن ربعي الأسدي، انظر: «التكملة» للصاغاني، و«تاج العروس» للزبيدي (مادة: جزز).

وأورده الفراء في «معاني القرآن» (٣/ ٧٨)، والطبري في «تفسيره» (٢١/ ٤٣٧)، وابن جني في «سر صناعة الإعراب» (ص: ١٩٨) من غير نسبة، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ١٤٥) عن الأعشى، إلا أن فيه: (لا تعجلانا) بدل من (لا تحبسانا). وعجز البيت:

بنزعِ أُصولِهِ واجْتَزَّ شيحاً

وقيل: ذاهِبٍ عن الحقِّ.

وقيل: جاحِدٍ مع[1] المعرفة.

* * *

(٢٥ ـ ٢٧) ـ ﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ ۞ قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَٰكِن كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾.

﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ﴾: بخيلٍ بالمال، وقيل: بما ينفعُ النَّاسَ.

﴿مُعْتَدٍ﴾: مُجاوزٍ حُدودَ الشَّرْعِ[2].

﴿مُّرِيبٍ﴾: صاحبِ رِيبَةٍ، وهي التُّهمَةُ.

﴿الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ﴾: أي: أشرَكَ به غيرَه.

﴿فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ﴾: عذابِ النَّارِ.

﴿قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ﴾: هو الشَّيطانُ الذي قُرِنَ به، قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ [الزخرف: ٣٦].

أي: يُلْقَى الكافرُ في النار مع قَرينِه، فيَلْعَنُ[3] قرينَه، ويقول: هو أَضَلَّني، فيقول: ما أطغيتُه أنا.

﴿وَلَٰكِن كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾: طغى باختياره، وضلَّ ضلالاً بعيداً عن الحق بإرادتِه.

* * *

---

(١) في (ف): «عن».

(٢) في (ر) و(ف): «الله».

(٣) في (أ): «فيلقى».

(٢٨ ـ ٣٠) ـ ﴿قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ (٢٨) مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ (٢٩) يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾.

﴿قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ﴾: يقول اللهُ تعالى للكفار وقُرنائِهم مِن الشياطين: لا تَخْتَصِموا عندي ﴿وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم﴾: الكتابَ والرَّسولَ ﴿بِالْوَعِيدِ﴾ بهذا.

﴿مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ﴾: أي: لا يُغيِّرُ قولُ السَّائِقِ أني أُخَلِّدُ الكافرَ في النار.

﴿وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾: لا أُعذِّبُ عبداً بغير ذَنْبٍ.

قولُه تعالى: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾: أي: نَمْلَؤُها مِن الجِنَّةِ والناسِ أجمعين كما كنا وعدنا[1]، ثم نقول لها: ﴿هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾: فإني أَحْتَمِلُه، وهذا على طلَبِ المزيدِ؛ إظهاراً للتَّغيُّظِ على الكفار.

وقيل: أي: لا مَوْضِعَ للزِّيادة فِيَّ، وهو كقول النبي ﷺ: «وهل تركَ لنا عقيلٌ مِن دار»[2]؛ أي: وما ترك، وكقول الشاعر:

ألا هــل أخــو عَيْــشٍ لذيــذٍ بدائــمِ[3]

---

(١) في (ف): «كما وعدناهم».

(٢) رواه البخاري (٣٠٥٨)، ومسلم (١٣٥١)، من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما.

(٣) ذكره الفراء في «معاني القرآن» (ص: ١٦٤)، والطبري في «تفسيره» (٤/ ٤٤٤)، والأزهري في «تهذيب اللغة» (٥/ ٢٣٨) من غير نسبة.

وعزاه ابن الحداد في «الأفعال» (٢/ ٨٠)، والصغاني في «التكملة» (٦/ ٤٩٦) للفرزدق. وصدر البيت:

يقــولُ إذا اقلولــى عليهــا وأقــردَتْ

وللفرزدق قصيدة مطلعها:

وَدَّ جريــرُ اللــؤمِ لــو كان عــانيــاً ... ولم يَــدْنُ مِــنْ زأرِ الأسـودِ الضرّاغِـمِ =

وقيل: هو طلَبُ الزِّيادةِ في سَعَتِها.

وقيل: مَن حَمَلَ على طلَبِ الزِّيادة فعند دُخولِ البعض، ومَن حَمَلَ على نَفْيِ احتمالِ الزِّيادة فعند[1] دُخولِ الكل.

وقيل: هذا الخِطابُ لِجَهَنَّمَ، وجوابُها على الحقيقة، ويُنْطِقُها اللهُ تعالى بذلك كما يُنْطِقُ الجوارح.

وقيل: هذا الخِطابُ لِخَزَنةِ جهنَّمَ، والجوابُ منهم، وهو على الإضمار، وتقديرُه: يومَ نقولُ لخَزَنَةِ جهنَّمَ.

وقيل: هو على التَّمْثيلِ؛ أي: تصيرُ بحيث لو قيل لها ذلك وهي ناطِقَةٌ لَقالَتْ ذلك، وهو كقول الشاعر:

امتَلأَ الحَوْضُ وقالَ: قَطْني   مَهْلاً رُوَيْداً قد مَلأْتَ بَطْني[2]

وقرأ نافعٌ وعاصمٌ في رواية أبي بكرٍ: ﴿يومَ يقولُ﴾ بالياء؛ أي: يقولُ اللهُ تعالى، والباقون بالنُّون[3]؛ أي: نقول نحن، وهو خبرٌ مِن الله تعالى عن نفْسِه بخِطاب الملوك جَمْعاً.

= قال أبو عبيدة في «شرح نقائض جرير والفرزدق» (٣/ ٨٧٥): (وزعم خالد بن جبلة وسعيد بن خالد أن فيها قوله...) فذكر أبياتاً منها هذا البيت.

(١) في (ر) و(ف): «فبعد».

(٢) ذكره ابن السكيت في «إصلاح المنطق» (ص: ٥٠)، والطبري في «تفسيره» (٢/ ٤٦٩)، والزجاج في «معاني القرآن» (١/ ١٩٩)، والأزهري في «تهذيب اللغة» (٨/ ٢١٦) من غير نسبة.
ونسبه أبو بكر الأنباري في «الزاهر» (٢/ ٣٢٣)، والصحاري في «الإبانة» (٤/ ٢٦) إلى أبي النجم الراجز.

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٠٧)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٢).

(٣١ ـ ٣٢) ـ ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ﴾.

وهذه الآياتُ في الكفار، ثم قال في المؤمنين:

﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾: أي: قُرِّبَتْ ورأَوْها مِن قُرْبٍ إذا فرغوا مِن الحساب.

والمُتَّقون: الذين اتَّقوا الشركَ والمعاصي.

﴿غَيْرَ بَعِيدٍ﴾: أي: دخولُهم فيها، وهو نَصْبٌ على الحال.

والإِزْلَافُ: تَقْريبُ الرُّؤْيةِ، و﴿غَيْرَ بَعِيدٍ﴾: تقريبُ الدُّخول.

وقيل: ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ عن العاصين.

﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ﴾: رَجَّاعٍ إلى الله بالطَّاعات.

﴿حَفِيظٍ﴾: حافظٍ للحُدود والعُهود، مُحافِظٍ على الخيرات، ذاكرٍ لِمَا سلَفَ مِن السَّيِّئاتِ لِيَسْتَغْفِرَ منها.

وقيل: حافظٍ لِحَواسِّه وأنفاسِه.

* * *

(٣٣ ـ ٣٤) ـ ﴿مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ﴾: أي: في دار الغَيْبِ.

وقيل: في الغَيْبَةِ عن شُهودِ الخَلْقِ.

وقيل: بالقلب.

وقال الضَّحَّاك: ﴿بِٱلْغَيْبِ﴾: حين لا يَراهُ أَحَدٌ.

وقال السُّدِّيُّ: في الخَلْوة.

وقال الحسن: إذا أُرْخِيَ السِّتْرُ، وأُغْلِقُ البابُ(١).

---

(١) ذكر كُلاًّ من الآثار الثلاثة: الثعلبيُّ في «تفسيره» (٩/ ١٠٥)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٣٦٣)، =

﴿وَجَآءَ بِقَلۡبٖ مُّنِيبٍ﴾: أي: مُقْبِلٍ على الله بطاعته، راجعٍ إليه بعَمَلِه وأَمَلِه.

﴿ٱدۡخُلُوهَا﴾: أي: ويُقالُ لهم، وجُمِعَ لأنَّ (مَن) كلمةُ جنسٍ.

﴿بِسَلَٰمٖ﴾: أي: بسلامةٍ مِن كلِّ مكروهٍ.

﴿ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡخُلُودِ﴾: لأهل الجنة في الجنة، ولأهل النار في النار.

* * *

(٣٥) ـ ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيۡنَا مَزِيدٞ﴾.

﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا﴾: أي: في الجنة.

وقال الإمام القشيري: يُقال لهم: قد قُلْتُم في الدنيا: ما شاءَ اللهُ كان، فاليومَ ما شئتُم كان، و﴿هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ﴾ [الرحمن: ٦٠][1].

﴿وَلَدَيۡنَا مَزِيدٞ﴾: قال عِكْرمةُ: أي: على ما يشاؤون مِمَّا لم يَخْطُرْ ببالِهم[2].

وقال الرَّقَاشِيُّ: ما يسُرُّني بحَظِّي مِن المزيدِ الدنيا وما فيها.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: وذلك حين يجتمعون إلى ربِّهم كلَّ يومِ جمعةٍ في أرضٍ كُثْبانُها المِسْكُ، فلا يسألونه شيئاً إلَّا أعطاه إياهم، ثم يرجعون إلى منازِلِهم، فتأتيهم الملائكةُ مِن كلِّ بابٍ معهم الأطعمةُ والأشربةُ والكِسْوةُ، فيقولون: سلامٌ عليكم، هذه هَدِيَّةٌ مِن ربكم، ولكم في كلِّ جمعةٍ مِثْلُ هذا، وهو المزيدُ مِن الله تعالى.

= والواحدي في «البسيط» (٢٠/ ٤١٠).

(١) انظر: «لطائف الإشارات» (٣/ ٤٥٤).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٠٥)، والواحدي في «الوجيز» (ص: ١٠٢٥)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٣٦٣)، من غير نسبة.

وقال محمدُ بنُ كعبٍ في قوله: ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾: يعني: لأهل الجنة، إنَّ أدنى أهلِ الجنة مَنْزِلَةً لو نزَلَ به أهلُ الجنة لَوَسِعَهم[١].

وقال الرَّبيعُ بنُ أنسٍ: يُزادُون كلَّ ساعةٍ نعيماً وسروراً؛ كما يُزادُ لأهل النارِ العذابُ، قال تعالى: ﴿فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾.

وقال جابرُ بنُ عبد الله: ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾: يتجلَّى لهم ربُّهم بلا كَيْفٍ[٢].

وعن معاذِ بنِ جبلٍ قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ الرجلَ مِن أهل الجنَّةِ لَيُنَعَّمُ في تُكَأَةٍ واحدةٍ سبعين عاماً، فتُناديه أبهى منها وأجملُ مِن غُرْفةٍ أخرى، تقول: ما ينالُنا منكَ دَوْلَةٌ بعدُ؟ قال: فيَلْتَفِتُ إليها، فيقول: مَن أنتِ؟ فتقول: أنا مِن التي قال الله تعالى: ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾، فيتحوَّلُ إليها، فيَتَنَعَّمُ معها سبعين عاماً في تُكَأَةٍ واحدةٍ»[٣].

* * *

(٣٦) ـ ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُواْ فِى ٱلْبِلَـٰدِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ﴾: عاد القَوْلُ إلى تَذْكِيرهم ووَعْظِهم.

---

(١) رواه سعيد بن منصور وابن المنذر كما في «الدر المنثور» (٧/ ٦٠٨).

(٢) رواه الدارمي في «الرد على الجهمية» (١٩٨)، وابن أبي الدنيا في «صفة الجنة» (٩٤)، وعبد الله بن أحمد في «السنة» (١٢٢٦)، والبزار في «مسنده» (٧٥٢٨) من حديث أنس رضي الله عنه بزيادة: «كل يوم جمعة».

ورواه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (٨٥٢)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ١٦٩) من حديث علي رضي الله عنه.

ولم أقف على رواية جابر، ولا زيادة: «بلا كيف».

(٣) رواه يحيى بن سلام في «تفسيره» (١/ ١٨٥)، ومن طريقه ابن أبي زمنين في «تفسيره» (٤/ ٢٩٦). وورد ضمن حديث طويل رواه الحارث بن أبي أسامة في «مسنده» (٦٣٢ ـ زوائد) عن أنس رضي الله عنه.

يقول: كثيراً ما أهلَكْنا قَبْلَ هؤلاء المشركين مِن أُمَّةٍ مِن الأُمَم السَّالِفة ﴿هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا﴾: أي: تَجَبُّراً وسَطْوَةً على الناس؛ كقومِ نوحٍ وعادٍ وثمودَ وقومِ لُوطٍ.

﴿فَنَقَّبُواْ فِى ٱلْبِلَـٰدِ﴾: قال مجاهد: ضرَبوا في البلاد[1].

وقيل: طافُوا فيها وساروا في أقاصيها لِلتِّجارات وغيرِها، وقال امرؤُ القيسِ:

لقــد نقَّبْــتُ في الآفــاق حتــى رَضِيــتُ مِــن الغَنِيمــة بالإِيــابِ[2]

﴿هَلْ مِن مَّحِيصٍ﴾: قال الفراء: أي: هل كان لهم مَحيصٌ[3]؛ أي: مَهْرَبٌ عن الهلاك؛ أي: لم يكنْ.

وقيل: ﴿فَنَقَّبُواْ﴾: أي: طافَ هؤلاء المشركون ﴿فِى ٱلْبِلَـٰدِ﴾؛ أي: بلادِ أولئكَ[4]، وشاهَدوا آثارَ أولئكَ، ﴿هَلْ مِن مَّحِيصٍ﴾: هل لهؤلاءِ مِن مَحيصٍ عمَّا حَلَّ بأولئكَ.

* * *

(٣٧) ـ ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ﴾: أي: فيما ذُكِرَ في هذه السُّورة مِن البَعْثِ وأحوالِ يومِ[5] القيامة وإِهْلاكِ القُرونِ لِعِظَة.

---

(١) رواه عنه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٤٦٠)، وروى عقبه عن مجاهد أيضاً قوله: عملوا في البلاد، ذاك النقبُ.

وعلقه البخاري (٦/ ١٣٨)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٠٥).

(٢) انظر: «ديوان امرئ القيس» (ص: ٩٥)، وفيه: «وقد طوفت» بدل من «لقد نقبت».

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٧٩).

(٤) في (ر): «في كل البلاد» بدل: «بلاد أولئك».

(٥) في (ف): «وأهوال» بدل: «وأحوال يوم».

﴿لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ﴾: قال الفراء وجماعةٌ: أي: عَقْلٌ[(١)].

وقيل: أي: قَلْبٌ مُتَدَبِّرٌ.

﴿أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ﴾: أي: استمعَ لِكتابِ الله ﴿وَهُوَ شَهِيدٌ﴾: حاضِرُ القلبِ فيَفْهَمُ، أشارَ إلى أنَّ التَّنْبِيهَ يقعُ بالعَقْلِ والسَّمْعِ.

وقال قتادة: ﴿لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ﴾: مِن هذه الأُمَّة، ﴿أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ﴾: رجلٌ مِن أهل الكتاب سَمِعَ القرآنَ، ﴿وَهُوَ شَهِيدٌ﴾: فصَدَّقه لِمَا في كتابه مِن بَيانه[(٢)].

* * *

(٣٨) ـ ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾: أي: أَهْلَكْنا القرونَ بذُنوبهم، ولم نُعاجِلْ إِهْلاكَ هؤلاء مع استحقاقهم؛ لِحِكْمَةٍ، كما خلَقْنا السماواتِ والأرضَ وما بينهما في ستَّةِ أيَّامٍ، ولم نُعاجِلْ خَلْقَها مع القُدْرة على ذلك لِحِكْمَةٍ، وقد بيَّنَّا ذلك في سورة الأعراف و(حم)[(٣)] الدُّخان.

﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾: أي: إعياءٍ، والفعلُ مِن باب (دخَلَ).

قال سعيدُ بنُ جُبير: ﴿مِن لُّغُوبٍ﴾: أي: كَلالٍ[(٤)].

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٨٠)، و«تأويلات أهل السنة» للماتريدي (٩/ ٣٦٦)، «وتفسير السمرقندي» (٣/ ٣٣٨)، و«تفسير الثعلبي» (٩/ ١٠٦).

(٢) رواه عنه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٩٦٣)، والطبري في «تفسيره» (٢١/ ٤٦٢).
وذكره السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٣٣٨).

(٣) في (ر): «وسورة».

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ١١٢) من غير نسبة.

وقال الثَّوْريُّ: مِن سَآمَةٍ[1].

وقال يَمانُ بنُ رِئابٍ: مِن تعَبٍ[2].

وقال مجاهد: مِن نَصَبٍ[3].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: إنَّ اليهودَ أَتَتِ النَّبيَّ ﷺ، فسألَتْه عن خَلْق السماوات والأرض، فقال: «خلَقَ اللهُ الأرضَ يومَ الأحدِ والإثنين، وخلَقَ الجبالَ وما فيها مِن المَنافع يومَ الثُّلاثاءِ، وخلَقَ الشَّجَرَ والماءَ والمَدائِنَ والعُمْرانَ والخرابَ يومَ الأربعاء، وخلَقَ السَّماءَ يومَ الخميس، وخلَقَ الشمسَ والقمرَ والنُّجومَ والملائكةَ يومَ الجمعة»، فقالت اليهودُ: ثُمَّ ماذا يا محمدُ؟ قال: «ثم استوى على العرش»، قالوا: قد أصَبْتَ، لو أَتْمَمْتَ، قال: «وما هو؟» قالوا: ثم استراحَ يوم السَّبْتِ، فغَضِبَ النبيُّ ﷺ غضَباً شديداً، فأنزلَ اللهُ تعالى هذه الآيةَ[4].

* * *

(٣٩ ـ ٤٠) ـ ﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ﴾.

---

(١) رواه عنه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٤٦٥).

(٢) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٤/ ١٥٤)، والماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٣٥٦)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ١٧٠) من غير نسبة.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٤٦٦)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٧٦٦).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٣٨٢)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٤/ ١٣٦٢)، والحاكم في «المستدرك» (٣٩٩٧)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٩٧). من طريق أبي سعد البقال عن عكرمة عن ابن عباس. وصححه الحاكم فتعقبه الذهبي بقوله: أبو سعد البقال قال ابن معين: لا يكتب حديثه. قلت: وأبو سعد البقال هو سعيد بن المرزبان العبسي مولاهم، الكوفي الأعور. قال عنه الحافظ في «التقريب»: ضعيف مدلس.

﴿فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾: مِن الشِّرْكِ والتَّشبيهِ والتَّكْذيبِ.

﴿وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ﴾: أي: وصَلِّ شُكْراً لله، وقيل: بأمرِ ربِّكَ.

﴿قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ﴾: صلاةِ الفجرِ.

﴿وَقَبۡلَ ٱلۡغُرُوبِ﴾: أي: غُروبِها: صلاةِ الظُّهر وصلاةِ العَصْرِ.

﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ﴾: صلاةِ المغربِ والعشاءِ.

﴿وَأَدۡبَٰرَ ٱلسُّجُودِ﴾: قرأ نافعٌ وابنُ كثيرٍ وحمزةُ بكسر الألف، وهو الانقضاءُ، وقرأ الباقون بفَتْحِها[1]، وهي جَمْعُ (الدُّبُر)، وهو عَقِيبُ الشَّيءِ.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما موقوفاً عليه ومرفوعاً: هو الرَّكعتان بعد المغرب، أكَّدَ اللهُ النَّدْبَ إليهما، وهو قولُ عمرَ وعليٍّ والحسنِ بنِ عليٍّ وأبي هريرةَ وعِدَّةٍ مِن التابعين رضي الله عنهم[2].

والسُّجودُ: هو الصَّلاةُ، سُمِّيَتْ به لأنَّه فيها؛ كما تُسَمَّى تَسْبيحاً لذلك.

وقيل: هو التَّنَفُّلُ بعد كلِّ فرضٍ ورَدَ فيه نَفْلٌ.

وقيل: هو نَفْسُ التَّسْبيحِ بعد الصلوات، يقول: رَوِّحْ قلبَكَ إذا آذَوْكَ بالصلاة لله ومُناجاتِه.

* * *

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٠٧)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٢).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٤٦٩ ـ ٤٧٢) عن علي، والحسن بن علي، وأبي هريرة، والشعبي، ومجاهد، وإبراهيم النخعي، وابن عباس، وجبير بن نفير، والحسن، والأوزاعي، وقتادة.
وأما رواية ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعة، فقد رواها الترمذي (٣٢٧٥)، والطبري في «تفسيره» (٢١/ ٤٧١)، والطبراني في «الأوسط» (٧٤٥٨)، والثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٠٧) بلفظ: «إدبار النجوم الركعتان قبل الفجر، وإدبار السجود الركعتان بعد المغرب».

(٤١) ـ ﴿وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾.

﴿وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ﴾: أي: واستَمِعْ يا محمدُ صَيْحَةَ يومِ القيامة، فإنها قريبةٌ تأتيهم غيرَ مُبْطِئَةٍ.

﴿مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾: قال ابن عباس رضي الله عنهما: هي النَّفْخَةُ الأخيرةُ، يقومُ إسرافيلُ على صَخْرَةِ بيتِ المَقْدِسِ ـ وهي أقرَبُ الأرض إلى السماء باثني عشر مِيلاً، وهو المكانُ القريبُ ـ يُنادي: أَيَّتُها العِظامُ النَّخِرَةُ، واللُّحومُ المُتَمَزِّقَةُ، والأوصالُ الباليَةُ، والعُروقُ المُنْبَتَّةُ، قوموا إلى مُحاسبةِ ربِّ العزة، فيخرُجون، فينتشِرون على وجه الأرض(١).

وقال عكرمة: ﴿مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾: كأنه مِن تحت أقدامِهم(٢).

وقال الضَّحَّاك: يُسْمِعُ البعيدَ كما يُسْمِعُ القَريبَ(٣).

وقيل: ﴿مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾: عندكم في الدنيا.

ثم الاستماعُ لا يقَعُ على اليوم، وإنما يقَعُ في اليوم، وأما ما يقع عليه:

فقيل: هو نِداءُ المُنادي، وهو مُضْمَرٌ.

وقيل: هو الصَّيْحَةُ.

وقيل: هو دُعاءُ الكافرين بالوَيلِ والثُّبورِ.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٤٧٥) عن كعب.
ورواه مختصرا ابن أبي الدنيا في «الأهوال» (٧٦) عن قتادة.

(٢) ذكره السمعاني في «تفسيره» (٥/ ٢٤٨)، والزمخشري في «الكشاف» (٤/ ٣٩٣)، من غير نسبة.
وذكره الواحدي في «البسيط» (٢٠/ ٤١٩) عن عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) ذكر نحوه الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٣٥٨) عن ابن جريج.

(٤٢ ـ ٤٥) ـ ﴿ يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴾.

قولُه تعالى: ﴿ يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ ﴾: قال الضَّحَّاكُ: صيحةَ إسرافيلَ صلواتُ اللهِ عليه[1].

﴿بِٱلْحَقِّ ﴾: أي: بأمر الله الذي هو حَقٌّ.

﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴾: أي: مِن القُبور.

﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ ﴾: أي: مَصِيرُهم.

﴿ يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ ﴾: أي: تَصدَّعُ عنهم فيَخرجون ﴿سِرَاعًا ﴾: إلى دَعْوَةِ المُنادي.

﴿ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴾: أي: هَيِّنٌ.

قولُه تعالى: ﴿ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ ﴾: أي: بقولِ هؤلاء المشركين مِن تَكْذيبِكَ، والافتراءِ على ربِّكَ، وإنكارِ البَعْثِ.

﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ ﴾: أي: بِمُسَلَّطٍ تُجْبِرُهم على الإسلام، إنما عليك الدَّعْوَةُ.

قال الحسن: وما أنتَ عليهم بربٍّ تُجازيهم على أعمالهم[2].

وقيل: بفَظٍّ غليظٍ، فأعرِضْ عنهم، ولا تَنْتَقِمْ منهم إلى أنْ تُؤْمَرَ بقتالهم.

﴿فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴾: خَصَّ الخائفَ به لأنه هو المُنْتَفِعُ به.

والله المُوَفِّقُ

---

(١) هو قول مقاتل كما في «تفسيره» (٤/ ١١٦)، وذكره السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٣٣٩) من غير نسبة.

(٢) ذكره عنه الطوسي في «التبيان» (٩/ ٣٧٦).

سُورَةُ الذَّارِيَاتِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

باسمِ الله الذي مدَحَ المُتَّقين بقِلَّةِ الهُجوع، الرَّحمنِ الذي أهلَكَ العاتين مع كثرة الجُموع، الرَّحيمِ الذي أمَرَنا بالفِرار إليه والرُّجوع.

وروى أبيُّ بنُ كعبٍ رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «مَن قرأ سورة ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ﴾ أُعْطِيَ عشرَ حسناتٍ بعدد كلِّ رِيحٍ هبَّتْ وجرَتْ في الدنيا»(١).

وهذه السُّورةُ مَكِّيَّةٌ، وهي ستُّون آيةً، وكلماتُها ثلاثُ مئةٍ وستون كلمةً، وألفٌ وخمسُ مئةٍ وعشرون حرفاً.

وانتظامُ خَتْمِ تلك السُّورةِ بافتتاح هذه السُّورةِ: أنَّه خَتَمَ تلك السُّورةَ بالوَعيد، وافتتَحَ هذه السُّورةَ بالقسَمِ على صِدْقِ ذلك الوعيد.

وانتظامُ السُّورتين: أنهما في ذِكْرِ المؤمنين والكافرين الأوَّلين والآخِرين، ووَعْدِهم ووَعيدِهم في الدُّنيا ويومِ الدِّين.

* * *

(١ ـ ٥) ـ ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا ۝١ فَٱلۡحَٰمِلَٰتِ وِقۡرٗا ۝٢ فَٱلۡجَٰرِيَٰتِ يُسۡرٗا ۝٣ فَٱلۡمُقَسِّمَٰتِ أَمۡرًا ۝٤ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٞ﴾.

---

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٠٩)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ١٧٣)، وهو قطعة من حديث أبيٍّ ـ رضي الله عنه ـ الموضوع. انظر: «الفتح السماوي» للمناوي (٣/ ١٠٠٩).

قولُـه تعالـى: ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا﴾: قال ابن عبـاس رضي الله عنهما: أقسـمَ بالرِّياح التي تَذْرُو بالأشـياء التي تَسْـعى بها.

﴿فَٱلۡحَٰمِلَٰتِ وِقۡرٗا﴾: أقسَمَ بالسَّحابِ الثِّقالِ[1] المُوقَرَةِ بالماء.

﴿فَٱلۡجَٰرِيَٰتِ يُسۡرٗا﴾: أقسَمَ بالسُّفنِ جَرَتْ بالسَّيْر على الماء.

﴿فَٱلۡمُقَسِّمَٰتِ أَمۡرًا﴾: قال: أربعةٌ مِن الملائكة: جِبْرِيلُ، ومِيكائيلُ، وإِسْرافيلُ، وعِزْرائِيلُ، صلواتُ اللهِ عليهم، لكلِّ واحدٍ منهم أمرٌ مَقْسومٌ، وهُم المُدَبِّراتُ أَمْراً، أقسَمَ الله بهؤلاء الأشياءِ.

﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ﴾: مِن قِيامِ السَّاعةِ ﴿لَصَادِقٞ﴾[2].

وعن أبي الطُّفَيل قال: شَهِدتُّ عَلِيًّا رضي الله عنه وهو يخطُبُ ويقولُ: سَلوني عن كتاب الله تعالى، فوَاللهِ ما مِن آيةٍ إلا وأنا أعلمُ بليلٍ أُنْزِلَتْ أمْ بنهارٍ، فسألَه ابنُ الكَوَّاءِ، فقال: ما الذَّارياتُ ذَرْواً؟ قال: الرِّياحُ، قال: وما الحامِلاتُ وِقْراً؟ قال: السَّحابُ، قال: وما الجارياتُ يُسْراً؟ قال: السُّفُنُ، قال: وما المُقَسِّماتُ أَمْراً؟ قال: الملائكةُ[3].

---

(١) «الثقال» ليست في (أ) و(ف).

(٢) ذكر الخبر بتمامه عن ابن عباس رضي الله عنهما: أبو الليث السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٣٤١). ورواه بنحوه الثعلبي في «تفسيره» (٢٤/ ٥١١) من طريق الحارث بن عبد الله الأعور عن علي رضي الله عنه، والحارث كذبه الشعبي وقال الحافظ في «التقريب»: في حديثه ضعف. وقوله في ﴿فَٱلۡمُقَسِّمَٰتِ﴾ ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٠/ ٤٢٦) عن الكلبي ومقاتل.

(٣) رواه بتمامه ومختصراً عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٩٧٠)، وابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٢/ ٣٣٨)، والبلاذري في «أنساب الأشراف» (٢/ ٩٩)، والطبري في «تفسيره» (٢١/ ٤٨٠)، والحاكم في «المستدرك» (٣٧٣٦) وصححه، والبيهقي في «الفقيه والمتفقه» (٢/ ٣٥٢)، والضياء في «المختارة» (٤٩٤).

وابن الكواء اسمه: عبد الله، قال الحافظ في «اللسان»: له أخبار كثيرة مع علي، وكان يلزمه ويعييه في =

وكذا قال مجاهدٌ وجماعةٌ[١].

وقالوا: الغرَضُ بالقسَمِ تأكيدُ المَحْلُوفِ عليه، وتعظيمُ المَحْلُوف به، وذِكْرُ هذه الأشياءِ تَذْكِيرٌ مِن الله تعالى بأنها نِعَمٌ عظيمةٌ.

وقال جَعْفَرٌ الصَّادِقُ: أضمَرَ في هذه الأشياءِ اسمَ اللهِ تعالى، وتقديرُها: وَرَبِّ الذَّاريات ذَرْواً..، إلى آخرها[٢]، وهو قسَمٌ بنفسِه، وتعظيمٌ بحالِ ما أَقْسَمَ عليه.

وقيل: هذه الأشياءُ كلُّها الرِّياحُ، والعَطْفُ بالفاء دليلُ الاتِّحادِ وتعاقُبِ هذه الصفات على ذاتٍ واحدةٍ، فتَذْروا، وتَحْمِلُ السَّحابَ المُوقَرَةَ بالماء، وتَجْري بتيسير الله تعالى لها، وتعُمُّ وتُقسِّمُ[٣] الأمطارَ في الأقطار على ما جرَتْ به الأقدارُ.

وقيل: بل هي أربعةُ أشياءَ، والعطفُ بالفاء دليلُ الاتِّصالِ، فالرِّياحُ تَذْرو ذَرْواً، وتُنْشِئُ السَّحابَ الحاملاتِ وِقْراً، وتُسَيِّرُ السُّفُنَ الجارياتِ يُسْراً، والملائكةُ تعمَلُ فيها إذا أمرَها اللهُ تعالى بذلك أَمْراً.

وقيل: الفاءُ لاتِّصالِ الكُلِّ بعضِه ببعضٍ لِتحقيقِ ما أقسَمَ اللهُ تعالى عليه، وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ﴾: أي: مَصْدُوقٌ فيه؛ كما يُقال: (ليلٌ نائمٌ).

وقيل: أي: ذو صِدْقٍ؛ كقوله: ﴿فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ [القارعة: ٧].

* * *

= الأسئلة، وقد رجع عن مذهب الخوارج وعاود صحبة علي رضي الله عنه.

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٤٨٤).

(٢) ذكره الزجاج في «معاني القرآن» (٥/ ٥١)، والسمعاني في «تفسيره» (٥/ ٢٥١)، والواحدي في «البسيط» (٢٠/ ٤٢٥) دون نسبة.

(٣) في (أ): «وتعم وتقسم». وفي (ف): «لها وبقسم».

(٦ ـ ٨) ـ ﴿وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ ۝٦ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ ۝٧ إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ﴾.

﴿وَإِنَّ الدِّينَ﴾: أي: الجزاءَ. وقيل: الحسابَ. وقيل: القضاءَ.

﴿لَوَاقِعٌ﴾: أي: لَكائنٌ.

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ﴾: أي: الطَّرائقِ، جَمْعُ حَبِيكةٍ وحِباكٍ.

وقال الكلبيُّ والضَّحَّاكُ ومُقاتلٌ: ذاتِ الإتقان والإِحكام(١).

وقال عليُّ بنُ أبي طالبٍ وعكرمةُ: ذاتِ الخَلْقِ الحسَنِ(٢).

وقيل: ذاتِ الاستواءِ والارتفاعِ.

واللُّغَةُ أَتَتْ بذلك كُلِّه، والسَّماءُ تُوصَفُ بذلك كلِّه، يُقال للطَّرائقِ في الماء بهُبوب الرِّيحِ ولِطَرائقِ الرَّمْلِ بذلك: (حبك)، وكذلك الشُّعورُ بالتجعيد يظهرُ فيها: (حبك)، وحبَكَه بالسيفِ: إذا قطعَه فصار في لَحْمِه طرائقُ، وفرَسٌ مَحْبُوكُ المَتَنِ(٣)، مَحْبوكُ الكَفَلِ: إذا كان في ذلك استواءٌ وارتفاعٌ، وحَبَكَ الثَّوْبَ مِن حدِّ (ضَرَبَ)؛ أي: أجادَ نَسْجَه، واحتبَكَ؛ أي: شَدَّ الإِزارَ وأَوْثَقَه، والسَّماءُ شديدةُ الخَلْقِ، وثيقةٌ مُزَيَّنَةٌ بالكواكب، ذاتُ طرائقَ، أقسَمَ بها على قوله:

﴿إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ﴾: أي: إنكم مَعاشِرَ المسلمين والكافرين بين مُصَدِّقٍ بالقرآن ومُكَذِّبٍ به.

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ١٢٧)، وذكره عنهم البغوي في «تفسيره» (٧/ ٣٧١)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ١٧٤) بلفظ: ذات الطرائق، ولم يذكر الواحديُّ الضحاكَ.

(٢) ذكره عن علي رضي الله عنه السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٣٤٢). ورواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٤٨٦ ـ ٤٨٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وسعيد بن جبير، والحسن، وعكرمة، والربيع بن أنس، وقتادة.

(٣) في (ر): «البطن».

(٩) ـ ﴿يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ﴾.

﴿يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ﴾: أي: يُصْرَفُ عن الإيمان به[١] مَن صُرِفَ عن كلِّ خيرٍ وسعادةٍ.

وقيل ـ وهو قولُ الحسينِ بنِ الفَضْل ـ: يُصْرَفُ عن الإيمان به الآنَ مَن صُرِفَ عنه في سابقِ الحُكْمِ[٢].

وقيل: ﴿إِنَّكُمْ﴾: مَعاشِرَ الكفارِ في القرآن، ﴿لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ﴾: مَرَّةً تقولون: هو سِحْرٌ، ومَرَّةً تقولون: هو شِعْرٌ، ومَرَّةً: هو كَهانةٌ، ومَرَّةً: هو أساطيرُ الأوَّلين، وهو معلومُ المُراد وإنْ لم يَسْبِقْ ذِكْرُه.

وقيل: ليس هو في القرآن خاصَّةً، بل كلُّ قولٍ لهم فإنه باطلٌ مُتناقِضٌ؛ كقول اليهود بالتَّشْبيه، وقولِ النصارى بالصَّاحِبَة والولد، وقولِ المشركين بالأنداد، مع إقرارهم بأنَّ اللهَ هو الخالقُ والرَّازقُ بالانفراد، ﴿يُؤْفَكُ عَنْهُ﴾: أي: يُصْرَفُ عن التوحيد مَن صُرِفَ.

وقيل: القولُ المختلِفُ في البعث، فمنهم مَن يُنْكِرُه، ومنهم مَن يَشُكُّ فيه، ومنهم مَن يُثْبِتُه ويَدَّعِي لنفسِه فيه كلَّ خيرٍ.

وقيل: ﴿إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ﴾ في البعث حيث أقرَرْتُم بالقُدْرة على الإبداء، ثم أنكَرْتم الإعادةَ.

* * *

(١٠ ـ ١٢) ـ ﴿قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ ۝١٠ الَّذِينَ هُمْ فِى غَمْرَةٍ سَاهُونَ ۝١١ يَسْـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ﴾.

---

(١) في (ر): «الآن».

(٢) ذكر نحوه مكي بن أبي طالب في «الهداية» (١١/ ٧٠٧٤) عن الحسن.

وقولُه تعالى: ﴿قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ﴾: قيل: أي: لُعِنَ الكذَّابون؛ لأنَّ المَقْتولَ تفوتُه الحياةُ وكلُّ نِعْمَةٍ، وكذا الملعون[1] تفوتُه كلُّ سعادةٍ وكرامةٍ.

وقيل: هو أَمْرٌ مِن الله تعالى بالدعاء على الكذَّابين على الله وعلى رسُلِه[2] بأن يقتُلَهم اللهُ ويُهْلِكَهم بأيدي المؤمنين، أو بعذابٍ مِن عنده.

وقال الحسن: ﴿ٱلْخَرَّٰصُونَ﴾: الكَذَّابون[3].

وقال مُجاهدٌ وغيرُه: القائلون بالظَّنِّ[4]، وهو ما ذَكَرْنا مِن قولِهم في القرآن، وقولِهم في البعث بعد الموت.

وأصلُ الخَرْصِ: الحَزْرُ في النَّخْلِ والكَرْمِ والعَدَدِ والكَيْلِ.

﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِى غَمْرَةٍ سَاهُونَ﴾: أي: في غَمْرَةِ الجَهْلِ وهو غلَبَتُه، غافلون عن الحقِّ، مُتَمادُونَ في الباطل.

﴿يَسْـَٔلُونَ﴾: أي: النَّبيَّ ﷺ والمؤمنين.

﴿يَسْـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾: أي: متى هذا اليومُ الذي حلَفَ ربُّكم بالذَّارياتِ وغيرِها أنه واقعٌ يُدانُ فيه العبادُ بأعمالهم؛ أي: يُجازَون ويُحاسَبون بها، يقولون ذلك تَعَنُّتاً واستهزاءً.

* * *

(١٣ - ١٦) - ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ ﴿١٣﴾ ذُوقُوا۟ فِتْنَتَكُمْ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ﴾.

---

(١) في (ر) و(ف): «الكذاب».

(٢) في (أ): «رسوله».

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٩٧٣)، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٣٦٣).

(٤) رواه الطبريُّ في «تفسيره» (٢١/ ٤٩٢) عن مجاهد وقتادة وابن زيد.

قولُه تعالى: ﴿يَوۡمَ هُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ يُفۡتَنُونَ﴾: أي: يومُ الدِّين هو اليومُ الذي فيه بالنار يُعَذَّبون، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [البروج: ١٠]؛ أي: عذَّبوهم.

وقيل: ﴿يُفۡتَنُونَ﴾: أي: يُحْرَقون، وقد فَتَنْتُ الذَّهَبَ والفِضَّةَ بالنار؛ أي: أَذَبْتُهما بها.

﴿ذُوقُواْ فِتۡنَتَكُمۡ﴾: أي: يُقال لهم: ذوقوا عذابَكم ﴿هَٰذَا ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تَسۡتَعۡجِلُونَ﴾: أي: هذا العذابُ الذي كنتم تستعجلونه في الدنيا؛ أي: تسألون تَعْجِيلَه استهزاءً.

ثم ذكَرَ حالَ مَن يُخالِفُه، فقال:

﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾: أي: الذين يَتَّقون الشركَ والمعاصِيَ.

﴿فِي جَنَّٰتٖ﴾: أي: بساتين.

﴿وَعُيُونٍ﴾: جاريةٍ فيها.

﴿ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ﴾: أي: واصلين إلى ما أعطاهم ربُّهم؛ أي: وعَدَهم ذلك في الدنيا، وأَوْصَلَه إليهم في العُقْبى.

﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَبۡلَ ذَٰلِكَ﴾: أي: قبلَ يومِ الدِّين.

﴿مُحۡسِنِينَ﴾: في الدنيا، مُطِيعين يُحْسِنون الأعمالَ، ويُحْسِنون بذلك إلى أنفسهم.

* * *

(١٧ ـ ١٩) ـ ﴿كَانُواْ قَلِيلٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ ١٧ وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ١٨ وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ﴾.

﴿كَانُواْ قَلِيلٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ﴾: أي: ينامون، و(ما) مع الفعل مَصْدَرٌ، وتقديرُه: قليلاً هُجوعُهم.

ووجهٌ آخرُ: كانوا يَهْجَعون قليلاً مِن الليل، و(ما) صِلَةٌ.

﴿وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾: أي: لِتَقْصيرهم في قيام اللَّيل مع جُهْدِهم في إحسانهم.

﴿وَفِيٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ﴾: وهو صِفَةُ المُتَّقين أيضاً، ومنهم مَن حَمَلَ هذا الحقَّ على الزكاة.

وقيل: السُّورةُ مَكِّيَّةٌ، والزكاةُ فُرِضَتْ بالمدينة، فهي على الصَّدَقةِ النَّفْلِ، ويدلُّ عليه أوَّلُ الآيةِ، فإنها في مدح المتقين بإحياء الليل بنوافل العبادات، وكان هذا مدحاً لهم بإمضاءِ[1] النهار بنوافل الصَّدَقات، ومعنى[2]: ﴿وَفِيٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ﴾: أي: جعَلوا على أنفسهم ذلك حقاً لازماً يَقْسِمونه[3] لا محالةَ للسائل والمحروم.

وقال الشَّعْبيُّ: لقد سألتُ عن المحروم منذ سبعين سنةً، فما أنا اليومَ بأعلمَ به مني مِن يومئذٍ[4].

وعن الحسن بنِ محمد بنِ عليٍّ: أنَّ النبيَّ ﷺ بعَثَ سَرِيَّةً، فغَنِموا، فجاء قومٌ لم يَشْهَدوا الغَنيمةَ، فنزلت: ﴿وَفِيٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ﴾[5].

وقيل: هو الذي ذهَبَ مالُه بسَيْلٍ أو جائحةٍ، فلم يبقَ له شيءٌ؛ كما قال الله تعالى في قصة أصحاب الجنة: ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾، وقال في الواقعة: ﴿لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا﴾ إلى قوله: ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾.

---

(١) في (ر) و(ف): «بإحياء».

(٢) في (ف): «وقال».

(٣) في (ر) و(ف): «يقيمونه».

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١١٢)، وابن عطية في «المحرر الوجيز» (٥/ ٣٦٨).

(٥) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٣٢٢٨)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (٣/ ٢٣٨)، والطبري في «تفسيره» (٢١/ ٥١٥).

وذكره السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٤٩٦)، والثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١١٢)، والماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٣٦٦).

وقيل: هو الذي لا سَهْمَ له في الفَيْءِ فيستغنيَ به، وهو قولُ إبراهيمَ النَّخَعِيِّ ومُجاهِدٍ والرَّبيعِ بنِ أنسٍ[١].

وقيل: هو الذي لا يَنْمِي له مالٌ، فكلما أصابَ شيئاً ذهبَ منه، قالَه الزَّجَّاجُ[٢].

وقيل: هو المُحارَفُ الذي انحرَفَ عنه الرِّزقُ.

والأشبَهُ: أنَّ السائلَ هو الذي يَتعَرَّضُ فيسأَل، والمحرومَ هو الذي يَتعفَّفُ فلا يَسأَل، ولا يُعْلَمُ حالُه، والغالِبُ في حَقِّه الحِرْمانُ.

***

(٢٠ ـ ٢١) ـ ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ (٢٠) وَفِي أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾.

﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ﴾: أي: علاماتٌ دالَّةٌ على قُدْرَةِ الله تعالى ووَحْدَانِيَّتِه، وخَصَّ المُوقنين لأنَّ الانتفاعَ لهم.

﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ﴾: آياتٌ أيضاً على ما مرَّ شَرْحُه في آخر سورة ﴿حم﴾ السجدة.

﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾: أي: كلَّ هذه الآياتِ، استفهامٌ بمعنى الأمر.

وقيل: ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ أنفسَكم مع قُرْبِها منكم، فمَن قرأَ كتُبَ علماءِ الأطباء في تشريح البدَنِ، عَلِمَ بذلك عجائبَ صُنْعِ الله تعالى في نفْسِه.

وقال ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ﴾ فيمَن أَهلكتُ قبلكم مِن

---

(١) ذكره عنهم السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٣٤٣). ورواه عن النخعي عبدُ الرزاق في «تفسيره» (٢٩٨٣)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٣٢٣٢)، والطبريُّ في «تفسيره» (٢١/ ٥١٦).

(٢) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٥٣).

ورواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٥١٧) عن عكرمة، وذكره مكي بن أبي طالب في «الهداية» (١٢/ ٧٧١٦)، والزمخشري في «الكشاف» (٤/ ٣٩٩) من غير نسبة.

الأُمَم ينظرون إذا سافروا إلى منازلهم، وما في الأرض مِن الجبال والبحار والأشجار والأنهار والنبات والثِّمار والليل والنهار، ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ﴾: يعني: البلايا والأمراض[١].

وقال عبدُ اللهِ بنُ الزُّبَير: ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ﴾: مَخْرَجُ الغائطِ والبولِ[٢].

وقال الضَّحَّاكُ: يأكُلُ ويشربُ مِن مكانٍ واحدٍ، ويُخْرِجُ مِن مكانين[٣].

وقال أبو بكرٍ الوَرَّاقُ: يعني: في تحويل الحالاتِ، وضَعْفِ القُوَّةِ، وعَجْزِ الأركانِ، وفَسْخِ الصَّريمةِ[٤].

وقيل: في الأحوال مِن غنًى وفَقْرٍ، وقُوَّةٍ وضَعْفٍ، وقُدْرَةٍ وعَجْزٍ، ومرضٍ وصحةٍ، وحياةٍ وموتٍ، فيَعْتَبِرون ويعرفون مُحَوِّلَ الأحوالِ.

❊ ❊ ❊

(٢٢ ـ ٢٣) ـ ﴿وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾.

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٩٨٧)، وابن أبي الدنيا في «التواضع والخمول» (٢١٢)، والطبري في «تفسيره» (٢١/ ٥١٩)، والثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١١٣)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٧٨٥٩).

وذكره مكي بن أبي طالب في «الهداية» (١١/ ٧٠٨٨)، والماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٣٦٧)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ١٧٥).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١١٣) عن المسيب بن شريك، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ٥٧) عن ابن زيد.

(٤) ذكره الثعلبيُّ في «تفسيره» (٩/ ١١٣). وجاء في (ر) و(ف): «العزيمة»، والمعنى واحد فإن الصريمة: هي العزيمة على الشيء. انظر: «الصحاح» (مادة: صرم).

وقوله تعالى: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ﴾: المطرُ والثَّلْجُ، وبهما نباتُ الأَقْواتِ.

﴿وَمَا تُوعَدُونَ﴾: يجوزُ مِن الوَعْد، ويجوزُ مِن الوعيد، وقد سبَقَ ذِكْرُهما في أوَّلِ هذه السُّورةِ.

وقال مجاهدٌ والضَّحَّاكُ: يعني: الجنَّةَ والنارَ[1].

قولُه تعالى: ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقّٞ مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ﴾: أقسَمَ بنفْسِه على أنَّ كلَّ ما أخبَرَ به في هذه السُّورةِ مِن الوعد والوعيد حَقٌّ.

وقيل: أي: الرِّزق، وعن النبي ﷺ أنه قال: «أبى ابنُ آدمَ أنْ يُصَدِّقَ ربَّه حتى أقسَمَ له، فقال: ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقّٞ مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ﴾»[2].

قرأ حمزةُ والكسائيُّ وعاصمٌ في رواية أبي بكرٍ: ﴿مِثْلُ﴾ بالرَّفْع نعتاً لقوله: ﴿لَحَقٌّ﴾، وقرأ الباقون بالنَّصْب على أنه يُسلَكُ به مَسْلَكَ الأدواتِ، وهي على الفَتْحِ[3].

وقيل: هي على حَذْفِ الكافِ.

وقيل: تقديرُه: قد حَقَّ حَقًّا مِثْلَ، ومعناه: هو حَقٌّ ككَونِ النُّطْق منكم حَقٌّ.

وقيل: معناه: إنَّ اللهَ رازقُكم، هذا القولُ حقٌّ كما أنَّكم إذا سُئِلْتُم: مَن خالِقُكم؟ قلتم: اللهُ، ذلك حقٌّ، فهذا أيضاً حقٌّ.

---

(١) ذكره عنهما السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٣٤٣)، وعن مجاهد الواحدي في «البسيط» (٢٠/ ٤٤٣). ورواه عن الضحاك الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٥٢٢)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٤/ ١٢٦١). وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١١٤)، والماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٣٦٨).

(٢) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٣٤٤) من غير إسناد. وروى الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٥٢٣) عن الحسن في قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقّٞ مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ﴾ قال: بلغني أن رسول الله ﷺ قال: «قاتل الله أقواماً أقسم لهم ربهم بنفسه فلم يصدِّقوه».

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٠٩)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٣).

وقيل: معناه: كما أنكم تنطِقون به ـ وهو قولُكم: لا إلهَ إلا اللهُ حقٌّ ـ فهذا أيضاً حقٌّ.

وقيل: أي: كما أنَّ نُطْقَكَ لا يتكلَّمُ به غيرُك، ورزقُكَ لا يأكلُه غيرُكَ.

وقيل: معناه: كما أنك تَنْطِقُ، والحروفُ تَأْتَلِفُ[1] ولا تدري كيف تَأْتَلِفُ، وكذلك الرِّزْقُ يجتمِعُ عندك ولا تدري كيف يجتمِعُ.

وقيل: فائدةُ إحالةِ الرِّزق إلى السماء ولا سبيلَ لكَ إلى العُروج إليه: لِتَشْتَغِلَ بما كلَّفَكَ، ولا تَتَعَنَّى في طلَبِ ما لا تَصِلُ إليه.

وقيل: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ﴾: وإليها يُرْفَعُ عمَلُكم، فإنْ أردتَّ أنْ ينزِلَ عليكَ رِزْقُكَ فليَصْعَدْ إلى السماء عمَلُكَ، ولهذا قالوا: الصلاةُ مِفْتاحُ بابِ الرِّزْقِ، قال الله تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ﴾ [طه: ١٣٢].

***

(٢٤) ـ ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ﴾: وانتظامُها بما قبلَها: أنه قال: ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ﴾، وقال في هذه القصة في آخرها: ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً﴾.

أي: يقولُ: ومِن الآيات في الأرض ما بَقِيَ مِن آثارِ قومِ لُوطٍ الذين أهلَكْناهم، وكانت بدايةُ ذلك مجيءَ الملائكةِ إبراهيمَ.

وقولُه: ﴿وَهَلْ﴾: استفهامٌ بمعنى التَّقْرير؛ أي: قد أتاكَ.

وقيل: أي: إنْ لم يَأْتِكَ فها نحن نُخبِرُكَ.

والضَّيْفُ معناه: الأَضيافُ؛ لأنه مَصْدَرٌ فصلَحَ للجَمْع، وهمُ الملائكةُ، سمَّاهم ضَيْفاً لأنَّهم جاؤوا مَجيءَ الأضياف.

---

(١) في (ف): «تتآلف»، وكذا في الموضع الذي يليه.

﴿ٱلْمُكْرَمِينَ﴾: نعتٌ للأَضْياف، أكرَمَهم إبراهيمُ، وقامَ لهم بنفْسِه، وكان لا يقومُ لسائر الأضياف.

وقال مجاهدٌ: أكرَمَهم إبراهيمُ؛ أي: خدمَهم بنفْسِه، وجاء بعِجْلٍ(١).

وقيل: هو مِن قوله: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾: أي: عند الله.

وقيل: إكرامُهم مِن إبراهيمَ كان بأنْ لم يتكلَّفْه لهم، ولم يَعْتَذِرْ إليهم، فلم يُكَلِّفْهم مُؤْنَةً أو مِنَّةً.

* * *

(٢٥) ـ ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾.

﴿إِذْ دَخَلُوا﴾: أي: دخَلَ هؤلاءِ الأضيافُ وهمُ الملائكةُ، وقد بيَّنَّا ذلك في سورة هودٍ.

﴿عَلَيْهِ﴾: أي: على إبراهيمَ.

﴿فَقَالُوا سَلَٰمًا﴾: أي: نِلْتَ سَلاماً، أو اسْلَمْ سلاماً؛ أي: سلامةً مِن كلِّ مكروهٍ.

﴿قَالَ سَلَٰمٌ﴾: أي: ولكم سلامٌ، أو: عليكم سلامٌ أيضاً.

﴿قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾: أي: لا أعرِفُهم؛ كما قال: ﴿فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾ [يوسف: ٥٨].

قيل: قال ذلك في نفْسِه.

وقيل: أي: قال لهم: لا أعرِفُكم، فمَن أنتم؟

---

(١) روى القطعة الأولى منه: ابنُ أبي الدنيا في «قرى الضيف» (٨)، والطبريُّ في «تفسيره» (٢١/ ٥٢٥)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٩١٨٨)، وقوام السنة في «الترغيب والترهيب» (٢٠٢٤).
وذكر الثانية الثعلبيُّ في «تفسيره» (٩/ ١١٧)، والماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٣٦٩)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٣٧٦).

وقيل: أَنْكَرَهم؛ لأنهم كانوا على غيرِ هَيْئَةِ أهلِ بلَدِه.

وقيل: لأنهم سلَّموا عليه، ولم يكن ذلك مَعْهوداً لهم.

وقرأ حمزةُ والكسائيُّ: ﴿قال: سِلْمٌ﴾[1]؛ أي: بيني وبينكم سِلْمٌ؛ أي: صُلْحٌ، فلا تُرَوِّعُوني.

* * *

(٢٦ ـ ٢٩) ـ ﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا۟ لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾.

﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ﴾: أي: فرجَعَ إليهم في خُفْيَةٍ.

﴿فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾: أي: وقد شواهُ.

﴿فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ﴾: وها هنا مُضْمَرٌ: فأمسَكوا عن تناوُلِه ﴿قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾: أي: فكُلوا، فلم يأكلوا.

﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾: أي: أضمَرَ خوفاً؛ إذ لم يَتحَرَّموا بطعامه، فمَن لم يَتحَرَّمْ بطعام إنسانٍ لم يَأْمَنْه.

﴿قَالُوا۟ لَا تَخَفْ﴾: وقَفوا على خوفِه، فأمَّنوه وأعلَموه أنهم ملائكةٌ.

﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ﴾: بولَدٍ ذكرٍ يصيرُ عالِماً إذا بلَغَ أوانَه، وهو إسحاقُ عليه السَّلامُ.

﴿فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ﴾: أي: زوجتُه سارةُ في صَيْحَةٍ[2]، وقيل: في رَنَّةٍ تعَجُّباً مِن ذلك.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٣٣٧)، و«التيسير» للداني (ص: ١٢٥).

(٢) في (ر) و(ف): «ضجة».

﴿فَصَكَّتْ وَجْهَهَا﴾: أي: ضرَبَتْ جَبْهَتَها ـ قالَه السُّدِّيُّ ومُجاهدٌ وسُفيانُ ـ تعَجُّباً واستعظاماً على ما هو عادةُ النِّساءِ[1].

﴿وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾: أي: عاقِرٌ لم تلِدْ قطُّ، فكيف يكونُ لها ولَدٌ؟!

* * *

(٣٠) ـ ﴿قَالُوا كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُۥ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾.

﴿قَالُوا كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ﴾: أي: كما أخبَرْناكِ به قال لنا ربُّكِ، وعنه نُخبِرُكِ، فلا تَشُكِّي فيه.

﴿إِنَّهُۥ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾: أي: لا يجوزُ عليه الخطَأُ في قولٍ ولا فعلٍ، ولا يخفى عليه شيءٌ مِن ظاهرٍ أو باطنٍ.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿فَأَقْبَلَتِ﴾: لم تُقْبِلْ مِن مكانٍ إلى مكانٍ، لكن جعلَتْ تصيحُ، ﴿فَصَكَّتْ وَجْهَهَا﴾؛ أي: جمَعَتْ أطرافَ أصابعِها، فضربَتْ جَبْهَتَها، وقالت: كيف يكون مِنِّي ولدٌ وأنا عجوزٌ عقيمٌ؟! وكانت يومئذٍ بنتَ ثمانٍ وتسعين سنةً، وإبراهيمُ يومئذٍ ابنَ تسعٍ وتسعين سنةً[2].

وقيل: لَمَّا تَعَجَّبَتْ قال لها جبريلُ: انْظُري إلى سَقْفِ بَيْتِكِ، فنظَرَتْ، وكانت جُذوعُه مِن النَّخْلِ اليابسةِ، فإذا هي مُورِقَةٌ مُثْمِرَةٌ[3]، فقال لها: أَتَعْجَبِين مِن أمرِ الله تعالى، ومِثْلُ هذا يكونُ بأمرِ الله تعالى؟!

* * *

---

(١) رواه عنهم الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٥٣٠).

(٢) لم أقف عليه.

(٣) ذكره الزمخشري في «الكشاف» (٤/ ٤٠٢).

(٣١ ـ ٣٤) ـ ﴿۞ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ﴾: أي: فما شأنُكم؟

﴿قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ﴾: مُكْتَسِبين لأنفُسِهم الهلاكَ بأعمالِهم السَّيِّئةِ مِن تكذيبِ رسولِهم وفواحِشِهم.

﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ﴾: وهي الآجُرُّ، وهو المُسَمَّى سِجِّيلاً في آيةٍ أخرى.

وقيل: هي حِجارةُ الأرضِ، وأصلُها طِينٌ، فصارت حَجَراً بإِحْماءِ الشمس على مَرِّ الدُّهور.

﴿مُّسَوَّمَةً﴾: أي: مُعلَّمَةً فيها خُطوطٌ سُودٌ وبِيضٌ.

وقيل: سُودٌ وحُمْرٌ.

وقيل: أي: مكتوبةٌ عليها أسماءُ المَرْجومين بها.

﴿عِندَ رَبِّكَ﴾: أي: مُعَلَّمَةً عند الله تعالى.

وقيل: أي: مُعَدَّةً في خزانةِ الله تعالى.

﴿لِلْمُسْرِفِينَ﴾: أي: المُجاوِزين الحَدَّ في ارتكابِ المعاصي.

وقيل: ﴿مُّسَوَّمَةً﴾: أي: مُرْسَلَةً؛ مِن تَسْويمِ المواشي.

***

(٣٥ ـ ٣٧) ـ ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾ وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾.

﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: أمَرْنا لُوطاً بأنْ يخرُجَ مع مَن كان معه مِن المؤمنين قبلَ نُزولِ العذاب بقومه.

وقوله: ﴿فِيهَا﴾: أي: في القرية، وهي مَفْهومةٌ غيرُ مَذْكورة؛ لأنَّ القومَ كانوا فيها.

﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ﴾: وهو بيتُ لوطٍ، وذُكِرَ أنَّهم لوطٌ وابنتاه، فأما امرأتُه فكانت كافرةً.

﴿مِّنَ الْمُسْلِمِينَ﴾: دليلٌ على أنَّ الإيمانَ والإسلامَ واحدٌ.

﴿وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً﴾: أي: علامةً. والآيةُ نَفْسُ القريةِ، وقد جُعِلَتْ أعلاها أسفلَها.

وقيل: الآيةُ: ما فيها مِن الحِجارةِ المُلْقاةِ المَنْضُودةِ التي رُجِموا بها.

﴿لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾: أي: هُمُ الذين ينتفعون بالنَّظَرِ في هذه الآية.

والقصَّةُ قد مرَّتْ بسياقِها في سورة الأعراف، وبعضُها في سورة هود.

وقال السُّدِّيُّ ومُقاتلٌ: كانوا ستَّ مئةِ ألفٍ، وأدخلَ جبريلُ جناحَه تحت الأرض، فاقتلَعَها ورفَعَها حتى سمِعَ أهلُ السَّماءِ أصواتَهم، ثم قلَبَها، ثم أرسَلَ عليهم الحجارةَ، ثم تتبَّعَتِ الحجارةُ شُذَّاذَهم ومُسافريهم، وأصبَحَ إبراهيمُ جالساً في مسجده فرأى الدُّخانَ ساطِعاً، وبين إبراهيمَ وبينهم أربعةُ فراسِخَ، فلما رأى الدُّخانَ عَلِمَ أنَّ العذابَ نزَلَ بهم(١).

* * *

(٣٨ ـ ٣٩) ـ ﴿وَفِي مُوسَىٰ إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (٣٨) فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِ وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿وَفِي مُوسَىٰ﴾: أي: وفيه أيضاً آيةٌ.

﴿إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾: بحُجَّةٍ ظاهرةٍ.

---

(١) رواه بنحوه عن السدي الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٥٣٤)، ولم أقف عليه عن مقاتل.

﴿فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ﴾: أي: أعرَضَ فرعونُ عن قَبولِ الحقِّ مع مَن كان رُكْناً له يَعْتَمِدُ عليهم، ويتقوَّى بهم، ويركَنُ إلى نُصْرَتِهم، وهُم مَلَؤُه وقومُه، وهو كقوله: ﴿أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ [هود: ٨٠].

والباءُ بمعنى (مع)؛ كما يُقالُ: خرَجَ الأميرُ بحَشَمِه[١].

وقيل: تولَّى برُكْنِه؛ أي: بقُوَّتِه في نفْسِه. قالَه نِفْطَوَيْهِ[٢].

وقيل: أي: أعرَضَ بجانبِه؛ كقوله: ﴿وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ﴾ [الإسراء: ٨٣].

﴿وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾: أي: قال فرعونُ: هو ساحرٌ بما يُري مِن العصا واليد، أو مجنونٌ فيما يَدَّعي ولا يُفكِّرُ في عاقِبَتِه كالذي لا يَعْقِلُ.

وقال أبو عبيدة: أي: ساحرٌ ومجنون، و(أو) بمعنى الواو في القرآن كثيرٌ[٣].

* * *

(٤٠ ـ ٤١) ـ ﴿فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٤٠﴾ وَفِى عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ﴾.

قولُه تعالى: ﴿فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ﴾: الذين هُم رُكْنُه.

﴿فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ﴾: أي: ألقَيْناهم في البحر، وهو نيلُ مِصْرَ.

﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾: أي أتى بما يُلامُ عليه.

---

(١) في (ر): «بجيشه».

(٢) نسبه الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٣٧٢) إلى ابن عباس رضي الله عنهما. ومكي بن أبي طالب في «الهداية» (١١/ ٧٠٩٨)، والسمعاني في «تفسيره» (٥/ ٢٦٠) إلى قتادة. وهو قول الفراء في «معاني القرآن» (٣/ ٨٧). وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١١٨) من غير نسبة.

(٣) انظر: «مجاز القرآن» (٢/ ٢٢٧).

وقولُه تعالى: ﴿وَفِي عَادٍ﴾: أي: وفيهم أيضاً آيةٌ.

﴿إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾: أي: الرِّيحَ التي لا تُنْبِتُ، ولا تُلْقِحُ شجراً، ولا تُنْشِئُ سحاباً مُمْطِراً؛ كالمرأةِ العَقيمِ التي لا تَلِدُ.

* * *

(٤٢) ـ ﴿مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ﴾.

﴿مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ﴾: أي: لا تدَعُ هذه الرِّيحُ شيئاً، و﴿مِن﴾ لِتأكيدِ النَّفْيِ وتعميمِه؛ أي: مما أُمِرَتْ بإهلاكِه.

﴿إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ﴾: أي: كالعَظْمِ البالي.

قال ابن عباس: كانت تلك الرِّيحُ هي الدَّبُورَ[1].

وقال عليٌّ رضي الله عنه[2]: هي النَّكْباءُ[3].

وقال سعيدُ بنُ المُسَيِّب: هي الجَنوبُ[4].

---

(١) ذكره عنه الزمخشري في «الكشاف» (٤/ ٤٠٣). وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٣٧٣) عن مقاتل.

وذكره الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (٩/ ٣٨٩)، والسمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٣٤٦)، من غير نسبة.

والدَّبور: ريح تهب من نحو المغرب. انظر: «تهذيب اللغة» للأزهري (١٤/ ٨٠).

(٢) في (ر): «عكرمة». وانظر التعليق الآتي.

(٣) ذكره عن علي رضي الله عنه مكيُّ بن أبي طالب في «الهداية» (١١/ ٧١٠١)، والسمعاني في «تفسيره» (٥/ ٢٦٠)، والزمخشري في «الكشاف» (٤/ ٤٠٣).

وذكره الواحدي في «الوسيط» (٢٠/ ٤٥٦) عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما.

والنَّكْباء: الريح الناكبة التي تنكب عن مهاب الرياح القوم. انظر: «الصحاح» (مادة: نوب).

(٤) رواه ابن وهب في «جامعه» (٦٢)، وابن أبي الدنيا في «المطر» (١٦٨)، والطبري في «تفسيره» =

والصَّحيحُ الأوَّلُ، قال النَّبيُّ ﷺ: «نُصِرْتُ بالصَّبا، وأُهْلِكَتْ عادٌ بالدَّبُور»[1].

وقال ابن عباس: كانت الرِّيحُ تحمِلُ البعيرَ والشَّاةَ والعبدَ والأَمَةَ، فتُلْقِيه بالوادي، ولم تضر غريباً ليس منهم، وكانت العَمالِقَةُ بجَنبَتَيِ الوادي ينظُرون إليهم، فلم تَضُرَّهمْ شيئاً[2].

وقال عُبيدُ بنُ عُمَير: الرِّيحُ العقيمُ في الأرض الرَّابعةِ، ولم يُرْسَلْ منها على عادٍ إلا بِقَدْرِ مَنْخرِ ثَوْرٍ[3].

وقال ابن عباس: ﴿جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ﴾: أي كالعَظْم البالي الذي إذا فُتَّ يتفتَّتُ[4].

وقيل: ﴿كَالرَّمِيمِ﴾: أي: كالتُّراب المَدْقُوق، وقد مرَّ سياقُ القصة في سورة الأعراف.

***

(٤٣ ـ ٤٤) ـ ﴿وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٣﴾ فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ﴾.

قولُه تعالى: ﴿وَفِي ثَمُودَ﴾: أي: وفي ثمودَ آيةٌ أيضاً.

﴿إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ﴾: قيل: هو قولُه: ﴿تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾ [هود: ٦٥] بعد ما عقروا النَّاقةَ.

= (٢١/ ٥٣٨)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٤/ ١٣٣٩). وذكره السمعاني في «تفسيره» (٥/ ٢٦٠)، والواحدي في «البسيط» (٢٠/ ٤٥٦)، والزمخشري في «الكشاف» (٤/ ٤٠٣).

(١) رواه البخاري (١٠٣٥)، ومسلم (٩٠٠) من حديث ابن عباس رضي الله عنه.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) ذكره عنه مكي بن أبي طالب في «الهداية» (١١/ ٧١٠١)، والواحدي في «البسيط» (٢٠/ ٤٥٦).

(٤) ذكره عنه الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١١٨) بلفظ: كالشيء الهالك، والماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٣٧٣) عن مجاهد.

وقيل: ﴿إِذْ قِيلَ لَهُمْ﴾[(١)]: إنْ لم تَعْقِروا الناقةَ تمَتَّعْتُم إلى زمانٍ مَديدٍ، فعقَروها، فعُجِّلَتْ عُقوبَتُهم، وهو قولُه تعالى:

﴿فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾: أي: تَرفَّعُوا عن قَبول الأمر به.

﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ﴾: أي: العذابُ المُهْلِكُ.

﴿وَهُمْ يَنظُرُونَ﴾: أي: كانوا أَيْقاظاً وفي نهارٍ، لم يكونوا نِياماً[(٢)] ولا بِلَيْلٍ، فكانوا يُبْصِرونه.

وقيل: أي: وهُم ينتظُرون العذاب[(٣)] حين قيل لهم: ﴿تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾.

* * *

(٤٥ ـ ٤٦) ـ ﴿فَمَا اسْتَطَاعُوا مِن قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنتَصِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾.

﴿فَمَا اسْتَطَاعُوا مِن قِيَامٍ﴾: أي: صَرَعَتْهم الصَّاعقةُ فلم يَقْدِروا أنْ يقوموا.

وقال قَتادةُ وجماعةٌ: أي: ما قَدِروا أنْ يقوموا لعذاب الله تعالى، فيَدْفَعوه عن أنفسهم[(٤)].

﴿وَمَا كَانُوا مُنتَصِرِينَ﴾: أي: وما قَدِروا على الانتقام لِمَن أحلَّ بهم الصَّاعقةَ.

وقيل: أي: مُمْتَنِعين عن العذاب بمانِعٍ، والنُّصْرَةُ: المَنْعُ، والانتصارُ: الامتناعُ بقُوَّةِ مانعٍ.

---

(١) في (ر) و(ف): «أي قيل لهم».

(٢) في (ر): «بياتا».

(٣) في (أ): «وهم ينتظرونه أي العذاب»، وفي (ر) و(ف): «وهو ينظرون العذاب».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٥٤٣)، وذكره بنحو الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١١٨)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٣٧٩).

قولُه تعالى: ﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ ﴾: قرأ أبو عمرو وحمزةُ والكسائيُّ: ﴿وقومِ نوحٍ﴾ بالخفض عطفاً على المذكورات قبلَه: ﴿ وَفِي عَادٍ ﴾ ﴿وَفِي ثَمُودَ ﴾.

وقرأ الباقون: ﴿ وَقَوْمَ ﴾: بالنصب[1]؛ أي: وأخَذَ اللهُ قومَ نوحٍ، أو[2]: واذكُرْ قومَ نوحٍ، والصَّحيحُ هو الأوَّلُ؛ لأنَّ قوله: ﴿مِّن قَبْلُ﴾ يقتضي وقوعَ فعلٍ بهم مُتقدِّماً على هلاكِ هؤلاء.

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾: مُسْتَحِقِّين لذلك.

* * *

(٤٥ ـ ٤٦) ـ ﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ ﴾.

﴿ وَالسَّمَاءَ ﴾: أي: ومِن الآيات الدَّالَّةِ على قُدْرَةِ الله تعالى بعد الآيات بهذه القِصَصِ خَلْقُ السَّماءِ.

﴿بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾: أي: بقُوَّةٍ، ونَصْبُ السماءِ بإضمارِ فعلٍ: (بَنَيْنا)، ودلَّ عليه إعادتُه بعدَه.

﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾: أي: لنا سَعَةُ خَلْقِها، وخَلْقُ مِثْلِها، وخَلْقُ ما شِئْنا.

وقيل: أي: ﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ ما أَرَدْنا إيساعَه؛ كما أوسَعْنا السماءَ فجعلناها واسعةً.

وقيل: المُوسِعُ: الغَنِيُّ؛ كما قال: ﴿عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ﴾ [البقرة: ٢٣٦]؛ أي: لنا غنًى عنها وعن كلِّ خَلْقٍ.

﴿وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا ﴾: أي: بسَطْناها، ونَصْبُه كنَصْبِ ﴿السماءَ﴾.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٠٩)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٣).

(٢) في (ف): «أي»، وسقطت من (أ) و(ر). والصواب المثبت.

﴿فَنِعْمَ ٱلْمَـٰهِدُونَ﴾: أي: الباسِطون، فلا نطلُبُ منهم عِوَضاً على ذلك، وجعلنا[١] ذلك لمنافعهم لا لِحاجةٍ بنا.

* * *

(٤٩) ـ ﴿وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.

﴿وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾: أي: وخلَقْنا[٢] مِن كلِّ شيءٍ لونين يكون أحدُهما مُزاوِجاً للآخَر: إما مِن شَكْلِه، وإما مِن خلافه؛ كالليل والنهار، والنُّور والظُّلْمة، والذَّكَر والأنثى، والشتاء والصيف، والجن والإنس، والبُكْرَةُ والعَشِيُّ، والبَرُّ والبحر، والشمس والقمر، والسهل والجبل، وكذا الألوان والطُّعوم والأَرايِح والأصوات والملموسات؛ لِيَسْتَدِلُّوا بذلك على كمال قُدْرَتِنا أَنَّا نفعَلُ ذلك باختيارِنا، وليس ذلك كالذي يَظْهَرُ مِن الشيء المُسَخَّر بطَبْعِه أنه نوعٌ واحدٌ؛ كالنارِ شأنُها التَّسْخين، والثَّلْجِ شأنُه التَّبريد، والماءِ شأنُه التَّرْطيب.

﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾: أي: لِتَتَفكَّروا وتَعْلَموا ذلك، وتَسْتَدِلُّوا به على قُدْرَتِنا على البعث بعد الموت.

* * *

(٥٠) ـ ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾: أي: فانقَطِعوا إليه بطاعتِكم، فهو الواحدُ الخالقُ مِن كلِّ شيءٍ زوجين، وهو الواحدُ الفَرْدُ لا زوجَ له.

---

(١) في (ر) و(ف): «وفعلنا».

(٢) في (ر): «وجعلنا».

وقال ذو النُّون: أظهَرَ اللهُ معنى الرُّبوبيَّةِ والوَحْدانِيَّةِ بأنْ خلَقَ الأزواجَ؛ لِتَخْلُصَ له الفَرْدانِيَّةُ[1].

وقال ابن عباس: فِرُّوا مِن الله إليه، واعمَلوا بطاعته[2].

﴿إِنِّي لَكُم مِّنْهُ﴾: أي: مِن الله إنْ لم تَفِرُّوا إليه.

﴿نَذِيرٌ﴾: مُخَوِّفٌ.

﴿مُّبِينٌ﴾: مُظْهِرٌ لكم مِن الله.

وقال أبو بكرٍ الورَّاقُ: فِرُّوا مِن عِقاب الله إلى رحمته، ومِن طاعةِ الشيطان إلى طاعة الله.

وقال الحُسين بنُ الفضل: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾: أي: احتَرِزوا مِن كلِّ شيءٍ دونَه، فمَن فَرَّ إلى غيره لم يمتنع منه.

وقال الجُنيدُ: الشيطانُ داعٍ إلى الباطل، ففِرُّوا إلى الله يَمْنَعْكم منه.

وقال ذو النُّون: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾: أي: مِن الجهل إلى العلم به، ومِن الكُفْران إلى الشُّكْر له.

وقال الواسطيُّ: فِرُّوا إلى ما سبَقَ لكم مِن الله، ولا تعتمِدوا على حركاتِكم وسكَناتِكم.

وقال عُرْوةُ بنُ عثمان: فِرُّوا مِن أنفسكم إلى ربكم[3].

وقال الإمامُ القُشَيريُّ: مَن صَحَّ فرارُه إلى الله صَحَّ قَرارُه مع الله[4].

---

(١) ذكره السلمي في «تفسيره» (٢/ ٢٧٦)، والبقلي في «عرائس البيان» (٣/ ٣٤٦)، عن أبي سعيد الخراز.

(٢) ذكره عنه الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١١٩)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٣٧٩).

(٣) ذكر جميع هذه الأقوال الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١١٩ ـ ١٢٠).

(٤) انظر: «لطائف الإشارات» (٣/ ٤٦٩).

(٥١ ـ ٥٣) ـ ﴿وَلَا تَجْعَلُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾ كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا۟ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوْا۟ بِهِۦ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾.

﴿وَلَا تَجْعَلُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾: وهذا ظاهِرٌ.

وقولُه تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم﴾: أي: مِن قَبْلِ هؤلاء المشركين الذين يقولون لكَ: أنتَ ساحرٌ ومجنونٌ.

﴿مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا۟﴾ لرسولهم ﴿سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾: أي: هو ساحِرٌ، أو قالوا: هو مجنونٌ، مِثْلَ هذه الأُمَمِ التي ذَكَرْنا، قال فرعونُ لموسى ذلك، وكذلك سائرُ الكفار.

﴿أَتَوَاصَوْا۟ بِهِۦ﴾: أي: أَتَوافَقوا على ذلك؟ وهو أنْ أوصى بعضُهم لبعضٍ بذلك.

﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾: أي: لم يتواصَوا بذلك، بل اجتماعُهم على هذا القول لِرسُلهم لمعنًى جامعٍ جمعَهم على ذلك، وهو طُغيانُهم وعُتُوُّهم على الله، لم يَنْقادوا له، ولم يُتابِعوا(١) رسُلَه، ولم يتركوا رياسَتهم، فكابَروا وواجَهوا الرسلَ بما قالوا.

وقيل: ﴿أَتَوَاصَوْا۟ بِهِۦ﴾: هُم قريشٌ، يعني: أوصاهم بذلك آباؤُهم، ثم قال: بل يفعلون ذلك لِطُغيانِ أنفسِهم، والأوَّلُ أَعَمُّ.

* * *

(٥٤ ـ ٥٥) ـ ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ ﴿٥٤﴾ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾: أي: تَوَلَّ عن مُكافاتِهم ومُبادَأَتِهم بالقتال.

﴿فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ﴾: أي: فما قصَّرْتَ فيما أمَرْناكَ به مِن الدَّعوة.

﴿وَذَكِّرْ﴾: وَعِظْ ﴿فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: أي: العِظَةَ تنفعُ المؤمنين، فلا تترُكْها لامتناعِ الكفار عن قَبولِها.

---

(١) في (ف): «يبايعوا».

ورُوِيَ عن عليٍّ رضي الله عنه أنه قال: لَمَّا نزلَ: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ﴾ لم يَبْقَ أحدٌ منا إلا أيقَنَ بالهلَكَةِ؛ إذ أُمِرَ النبيُّ ﷺ أنْ يتولَّ عنهم، حتى نزل: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾: فطابَتْ أنفسُنا[1].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: لَمَّا نزلَتْ هذه الآيةُ حَزِنَ رسولُ الله ﷺ مَخافةَ أنْ يَنْزِلَ بقومه العذابُ، وشَقَّ على أصحابه مَخافةَ أنْ يكون قد انقطَعَ عنهم الوحيُ، فنسَخَتْها آيةُ القتالِ[2].

وقال الإمامُ القُشَيريُّ: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾: ذَكِّرِ العاصِين عُقوبَتي لِيَرْجِعوا عن مُخالفَةِ أمري، وذكِّرِ المُطِيعين جزيلَ ثوابي لِيَزدادوا طاعةً وعبادةً لي، وذَكِّرِ العارفين ما صَرَفْتُ عنهم مِن بلائي، وذَكِّرِ الأغنياءَ ما أبحتُ لهم مِن إحساني وعَطائي، وذَكِّرِ الفقراءَ ما أوجبْتُ لهم بصَرْفِ الدنيا عنهم، وأعددتُ لهم مِن لقائي[3].

* * *

(٥٦) - ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾: قال ابنُ عباس رضي الله عنهما: إلا لِيُقِرُّوا لي بالعُبوديَّةِ طَوْعاً أو كَرْهاً[4].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٥٥٢)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ١٨١)، والبيهقي في «الكبرى» (١١٦٥٠)، والضياء المقدسي في «المختارة» (٢/ ٣٣٦).

(٢) ذكره مختصرا الواحدي في «الوسيط» (٤/ ١٨٠)، وفي «البسيط» (٢٠/ ٤٦٤).

(٣) انظر: «لطائف الإشارات» (٣/ ٤٦٩).

(٤) رواه عنه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٥٥٤). وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٢٠)، ومكي بن أبي طالب في «الهداية» (١١/ ٧١١٠)، والماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ١٧٣).

يعني: أنَّ المؤمنين يُقِرُّون له طَوْعاً، والكافرون يُقِرُّون له بما جبَلَهم عليه مِن الخِلْقَة الدَّالَّة على وحدانيَّةِ الله تعالى، وانفرادِه بالخَلْقِ، واستحقاقِ العبادةِ دون غيرِه، فالخَلْقُ كلُّهم بهذا له عابِدون، وعلى هذا قولُه: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الرعد: ١٥]، وقولُه تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾ [الإسراء: ٤٤]، وقولُه: ﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾ على معنى: ما يُوجَدُ منهم مِن دلائلِ الحُدوثِ المُوجِبَةِ لكونها مَرْبُوبةً مَخْلُوقةً مُسَخَّرةً.

وقال مجاهد: ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾: أي: إلا لِيَعْرِفون[١]، وكلُّ الجنِّ والإنسِ يَعْرِفون اللهَ اضطراراً، لا يكفُرُ به إلا مُعانِدٌ، فهم مَخْلُوقون لِيَعْبُدُوه؛ أي: لِيَعْرِفوه، وقد عرَفوه، ومَن أظهَرَ غيرَ ذلك فهو كاذِبٌ[٢] على نفْسِه.

وقال بعضُهم: ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾: في فِطْرَتِهم؛ لأنَّ ذلك فِطْرَتُهم إلَّا أنْ يَبْعُدوا[٣] عنه بالشُّبَهِ[٤] والتَّلْبيسِ.

وقال عليٌّ رضي الله عنه: ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾: أي: إلَّا لآمُرَهم أنْ يَعْبُدون[٥]، ويُؤَيِّدُه قولُه تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾ [التوبة: ٣١]، وقولُه تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: ٥].

---

(١) رواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم» (١٥٠٦). وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٢٠)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٣٨٠).

(٢) في (ف): «كافر كاذب».

(٣) في (أ) و(ف): «إلى أن ينقلوا» بدل: «إلا أن يبعدوا».

(٤) في (ر): «بالتشبيه».

(٥) ذكره عنه الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٢٠)، ومكي بن أبي طالب في «الهداية» (١١/ ٧١٠٩)، والواحدي في «البسيط» (٢٠/ ٤٦٦)، والسمعاني في «تفسيره» (٥/ ٢٦٤)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٣٨٠)، وغيرهم. ووقع في النسخ: «الا أن آمرهم...»، والمثبت من المصادر.

وقال الحُسينُ بنُ الفَضل: أي: إلَّا لِأَسْتَعْبِدَهم؛ أي: أُكَلِّفَهم العبادةَ(١)، وقد كلَّفَهم.

وقريبٌ منه قولُ بعضِهم: إلَّا لِأُلْزِمَهم عبادتي.

وقال الضَّحَّاكُ: هذا أمرٌ خاصٌّ لأهل طاعتِه(٢).

ودليلُ الخُصوصِ: أنه قال قبلَه: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ﴾؛ أي: مِن المؤمنين(٣)، ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾، فأمَّا الكفارُ فقد قال في حقِّهم: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾.

والحاصِلُ: أنَّ اللهَ خلَقَ كلَّ شيءٍ لِمَا عَلِمَ أنه يكون منه؛ إذ لو قيلَ غيرُ ذلك لأدَّى ذلك إلى إثبات العَجْزِ أو الجهل لله تعالى، ويتعالى الله عن ذلك عُلُوًّا كبيراً.

وقال الإمامُ القُشَيريُّ: الذين اصْطَفيْتُهم في آزالي، وخصَصْتُهم اليومَ بحُسْنِ إقبالي، ووعدتُ لهم جزيلَ إِفْضالي، ما خلقتُهم إلَّا ليعبدون، والذين سخِطتُ عليهم في آزالي، ورَبَطتُهم اليومَ بالخُذْلان فيما كلَّفْتُهم مِن أعمالي، وخلَقْتُ النارَ لهم بحُكْم إلهيَّتي وجلالي، ما خلقْتُهم إلا لِعَذابي وأنْكالي، ولِمَا(٤) أعددتُ لهم مِن سَلاسِلي وأَغْلالي.

***

---

(١) ذكره الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (٥/ ٩٦) من غير نسبة.

(٢) في (ف): «عبادته».

ذكره عن الضحاك الثعلبيُّ في «تفسيره» (٩/ ١٢٠) والواحدي في «الوسيط» (٤/ ١٨١)، والسمعاني في «تفسيره» (٥/ ٢٦٤)، وزاد الثعلبي: عن سفيان، والواحدي: عن الكلبي.

(٣) كذا قراءة أبي بن كعب رضي الله عنه فيما رواه عنه ابن عباس رضي الله عنهما.

انظر: «الوسيط» للواحدي (٤/ ١٨١)، و«تفسير الثعلبي» (٩/ ١٢٠)، و«تفسير البغوي» (٧/ ٣٨٠).

(٤) في (أ): «مما».

(٥٧ ـ ٥٨) ـ ﴿مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ ۝٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ﴾.

﴿مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ﴾: أي: أنْ يَرْزُقوا أنفسَهم.

﴿وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ﴾: أي: يُطْعِموا عبادي، وهو إضافةُ تَخْصِيصٍ؛ كقوله عليه الصلاة والسلام خبَراً عن الله تعالى: «مَن أهانَ لي وليًّا فقد بارَزَني بالمُحاربة»[1].

وقال النبي ﷺ أيضاً خبَراً عن الله تعالى: «مَن أكرَمَ مؤمناً فقد أكرَمَني، ومَن آذى مؤمناً فقد آذاني»[2].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ﴾: أي: لكلِّ خَلْقِه.

﴿ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ﴾: أي: شديدُ القُوَّةِ.

* * *

---

(١) الحديث بهذا اللفظ رواه ابن أبي الدنيا في «الأولياء» (١)، والحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» (٢/ ٢٣٢)، والطبراني في «الأوسط» (٦٠٩)، وأبو نعيم في «الحلية» (٨/ ٣١٨)، والقضاعي في «مسنده» (١٤٥٦)، والبغوي في «شرح السنة» (٥/ ٢٢) من حديث أنس رضي الله عنه.
ومعناه مروي في الصحيح، فقد روى البخاري (٦٥٠٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب».

(٢) لم أقف عليه مسنداً، وذكره أبو البركات النسفي في «تفسيره» (٣/ ٣٨١) من غير إسناد.
ويغني عنه في الاستدلال على المراد بأوضح صورة ما رواه مسلم (٢٥٦٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «إن الله عز وجل يقول يوم القيامة: يا ابنَ آدمَ مَرِضْتُ فلمْ تَعُدْني، قال: يا ربِّ كيف أَعُودُك؟ وأنت ربُّ العالَمين، قال: أمَا عَلِمْتَ أنَّ عبدي فلانًا مَرِضَ فلَمْ تَعُدْه، أمَا عَلِمْتَ أنك لو عُدْتَه لوجَدْتَني عنده؟ يا ابنَ آدمَ استطعَمْتُك فلمْ تُطْعِمني، قال: يا ربِّ وكيف أُطْعِمُك وأنت ربُّ العالَمين؟ قال: أمَا عَلِمْتَ أنه استَطْعَمك عبدي فلانٌ، فلَمْ تُطْعِمْه؟ أمَا عَلِمْتَ أنَّك لو أَطعمْتَه لوَجدْتَ ذلك عندي... » الحديث.

(٥٩ ـ ٦٠) ـ ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ ۝٥٩ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾.

﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ﴾: أي: ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ مِن[1] قومِكَ يا محمد ﴿ذَنُوبًا﴾: أي: حظًّا[2] ونَصيباً مِن العذاب ﴿مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ﴾؛ أي: مِثْلَ نَصيبِ أصحابِهِم مِن الأُمَمِ التي ظلَمَتْ فوضَعَتِ العبادةَ في غير مَوْضِعِها.

وأصلُ الذَّنُوبِ: الدَّلْوُ العظيمُ المَلْأَى ماءً، قال الراجزُ[3]:

إنَّا إذا نازَعَنا شَريبُ لنا ذَنوبٌ وله ذَنوبُ[4]

وقيل: عذاباً في إِثْرِ عذابٍ كذَنُوبِ البئرِ يَتْبَعُ بعضُه بعضاً.

وقيل: إنَّ لهؤلاء الكفار حَظًّا مِن التَّمَتُّعِ بالدنيا إلى أنْ ينتهيَ مَدَدُهم.

﴿فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ﴾: فإنه كائنٌ.

﴿فَوَيْلٌ﴾: أي: شِدَّةُ عذابٍ.

وقيل: وادٍ في جهنم.

﴿لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾: وهو يومُ القيامةِ.

وقيل: يومُ بدرٍ استُؤْصِلُوا فيه.

والحمدُ لله ربِّ العالمين

---

(١) في (أ): «مثل».

(٢) في (أ): «حقاً».

(٣) في (ر): «الشاعر».

(٤) ذكره ابن قتيبة في «تأويل مشكل القرآن» (ص: ٩٧)، والبندنيجي في «التقفية» (ص: ١٩٥)، وكراع النمل في «المنجد» (ص: ٢٠٧)، والخطابي في «غريب الحديث» (١/ ١٢٣)، والعسكري في «الفروق اللغوية» (ص: ٣١٤) من غير نسبة.

سُورَةُ الطُّورِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

بسمِ الله الذي بشَّرَ المُتَّقين المؤمنين بجَنَّات النَّعيم، الرَّحمنِ الذي وقاهم عذابَ الجحيمِ، الرَّحيمِ الذي وعَدَ المؤمنين في الجنة بشَرابٍ لا لَغْوٌ فيه ولا تأثيم.

وروى أبيُّ بنُ كعب رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «مَن قرأَ سُورةَ ﴿وَٱلطُّورِ﴾ كان حقًّا على الله تعالى أنْ يُؤَمِّنَه مِن عذابه، ويُنَعِّمَه في جنَّته»[1].

وهذه السُّورةُ مكِّيَّةٌ، وهي سبعٌ وأربعون آيةً، وقيل: تسعٌ، والاختلافُ في ﴿وَٱلطُّورِ﴾، ﴿إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا﴾.

وكلماتُها: ثلاثُ مئةٍ واثنتا عشرة كلمةً.

وحروفُها: ألفٌ وثلاثُ مئةٍ.

وانتظامُ خَتْمِ تلك السُّورةِ بافتتاح هذه السُّورةِ: أنَّ خَتْمَ تلك بالوعيد بالعذاب، وافتتاحَ هذه بالقسَمِ على ذلك العذاب.

وانتظامُ السُّورتين: أنهما في مُحاجَّة المشركين، وفي الأولى زيادةُ تقريرٍ بقِصص الأوَّلين.

---

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٢٣)، والمستغفري في «فضائل القرآن» (١٢١٩)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ١٨٣)، وهو قطعة من الحديث الطويل الموضوع في فضائل السور. انظر: «الفتح السماوي» للمناوي (٣/ ١٠١٢).

(١) ـ ﴿وَالطُّورِ﴾.

قولُه تعالى: ﴿وَالطُّورِ﴾: قال ابنُ عباسٍ والضَّحَّاكُ: هو الجبلُ الذي تجلَّى اللهُ تعالى له حين كان موسى عليه السلام عليه، وكلَّمَه ربُّه، فسألَ الرُّؤيةَ[١].

وقال مُقاتلٌ: هما طُورانِ: أحدُهما: طُور سيناء[٢]، والآخرُ طورُ زَيْتا، أحدُهما يُنْبِتُ التِّينَ، والآخرُ يُنْبِتُ الزيتونَ[٣]، وهما ما قال الله تعالى: ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ﴾.

وقيل: الطُّورُ بمَدْينَ، واسمُه زَبيرٌ.

وقيل: هو كلُّ جبلٍ.

وقال مجاهدٌ: هو الجبلُ بالسُّرْيانيَّةِ[٤].

وقال أبو عبيدةَ والخليلُ وأبو عمرو والنَّضْرُ بنُ شُمَيْلٍ والأصمعيُّ وأبو عبيدٍ وأبو حاتِمٍ: هو عربيَّةٌ صحيحةٌ، وليس في القرآن سوى العربيِّ المَحْضِ، فإنْ وقَعَ فيه شيءٌ موافقٌ لبعض اللُّغات فهو وِفاقٌ وقَعَ بين اللُّغَتين.

* * *

(٢ ـ ٣) ـ ﴿وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ۝٢ فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ﴾.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٥٠) عن الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) في (ف): «تينا»، وهما لغتان.

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٢٣) عن مقاتل بن حيان.

(٤) رواه عنه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٥٦٠)، وذكره مكي بن أبي طالب في «الهداية» (١١/ ٧١١٤)، والماوردي في «النكت والعيون» (١/ ١٣٤)، والسمعاني في «تفسيره» (٥/ ٢٦٦)، والبغوي في «تفسيره» (١/ ١٠٣).

وتعقبه ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٥/ ١٨٥) بقوله: وهذا ضعيف، لأن ما حكاه في العربية يقضي على هذا، ولا خلاف أن في الشام جبلاً يسمى بالطور وهو طور سيناء.

قولُه تعالى: ﴿وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ﴾: أي: مكتوبٍ.

﴿فِى رَقٍّ﴾: أي: جِلْدٍ رقيقٍ مُهَيَّأٍ للكتابة.

وقال أبو عبيدة: الرَّقُّ: الوَرَقُ[1].

﴿مَّنشُورٍ﴾: يُنْشَرُ للقراءة.

قيل: هو قسَمٌ بالقرآن يكتُبُه المؤمنون وينشُرونه للقراءة.

وقيل: هو مكتوبٌ عند الله تعالى في رَقٍّ تقرَؤُه ملائكتُه، قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ﴾ [الواقعة: ٧٧ ـ ٧٨].

وقيل: هو الكتابُ الأَوَّلُ: التَّوراةُ، والإنجيلُ، والزَّبُورُ، والصُّحُفُ المُنَزَلَةُ على الأنبياء، وكان ذلك مكتوباً في رَقٍّ ينشُرُه أهلُه لقراءته.

وقيل: هو الذي كتبَه اللهُ لموسى عليه السلام.

وقيل: هو كتابٌ عند الله كتبَه لملائكتِه في السماء يقرؤونه.

وقيل: هو اللَّوْحُ المحفوظُ.

وقيل: هو صُحُفُ الأعمالِ التي تُخرَجُ يوم القيامة، فيُعْطَون بالأيمان أو بالشَّمائل[2]، وهذا عن البراء بنِ عازِبٍ[3].

---

(١) انظر: «مجاز القرآن» (٢/ ٢٣٠). وذكره عنه الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (٩/ ٤٠١)، والماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٣٧٧)، والواحدي في «البسيط» (٢٠/ ٤٧٦).

(٢) في (ر) و(ف): «والشمائل».

(٣) ذكره الفراء في «معاني القرآن» (٣/ ٩١)، والثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٢٣)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٣٨٢) من غير نسبة. ولم أقف عليه عن البراء.

(٤) ـ ﴿وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ﴾.

قولُه تعالى: ﴿وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ﴾: أي: الذي يُعْمَرُ بكثرة الزُّوَّار، والمُتَرَدِّدِين إليه مِن الأقطار.

قال الحسن: هو الكعبةُ[١]، أقسَمَ اللهُ به لِعِظَمِ[٢] قَدْرِه؛ إذ هو أوَّلُ بيتٍ وُضِعَ للناس، وهو بيتُ اللهِ وقِبْلَةُ خَلْقِه.

وروى أنسٌ وصَعْصَعَةُ وجماعةٌ عن النبي ﷺ أنه[٣]: «بيتٌ في السَّماءِ الرَّابعةِ بِحِيال الكعبة مِن الأرض يدخُلُه كلَّ يومٍ سبعون ألفَ ملَكٍ، ثم لا يعودون إليه أبداً، فهو مَعْمُورٌ بالملائكة»[٤].

وقال عليٌّ لأصحابه: ما تقولون في البيت المعمور؟ قالوا: هو البيتُ الحرامُ، قال: بل هو بيتٌ في السماء يُقالُ له: الضُّراحُ ـ يُروى بالصاد والضاد جميعاً ـ بِحِيال هذا البيت، حُرْمَتُه في السماء كَحُرْمَةِ هذا في الأرض[٥].

---

(١) رواه عنه الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٢٤). وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٣٧٨)، والواحدي في «البسيط» (٢٠/ ٤٧٧)، والكرماني في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٤٦)، وابن عطية في «المحرر الوجيز» (٥/ ١٨٦).

(٢) في (ف): «به ليعظم» بدل: «الله به لعظم».

(٣) في (ر): «أنه قال».

(٤) رواه البخاري (٣٢٠٧) من حديث مالك بن صعصعة رضي الله عنه، ومسلم (١٦٢) من حديث أنس رضي الله عنه في حديث المعراج الطويل، وسياق الحديث يدل على أن البيت المعمور في السماء السابعة، وعليه أكثر الروايات.
وأما كونه في السماء الرابعة، فقد رواه عبد بن حميد في «مسنده» (١٢١٠) من حديث أنس رضي الله عنه. وروى نحوه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٥٦٢ ـ ٥٦٤) عن علي وابن عباس وعكرمة وقتادة وغيرهم.

(٥) رواه الحارث في «مسنده» (٣٨٨ ـ زوائد الهيثمي)، وإسحاق بن راهويه كما في «المطالب العالية» =

وقال ابن عباس: في السماء السادسة[١].

وقال مُقاتلٌ: في السماء الدنيا[٢].

ورُوِيَ أنَّ كعبَ الأحبارِ دخَلَ على ابن عباس، فقال له: أرأيتَ البيتَ المعمورَ أين هو؟ قال: هو بيتٌ في السماء يدخُلُه كلَّ يومٍ سبعون ألفَ ملَكٍ لم يدخُلُوه قطُّ قَبْلَه، ولا يدخُلُون حتى تقومَ الساعة، فقال ابن عباس: سبحانَ اللهِ! ما أكثَرَ خَلْقَ ربي! فقال: يا ابنَ عباس، والذي نفسي بيده، لَلملائكةُ التي في السماء أكثرُ مِن عدَدِ التُّراب في الأرض، وما في السماوات مَوْضِعُ قَدَمٍ إلا وفيه ملَكٌ يُسَبِّحُ اللهَ ويُقَدِّسُه، وإنَّ تحت العرش لَملائكةً ما زالوا خاضِعين رقابَهم ما ينظُرون إلى العرش مِن مَخافَةِ اللهِ تعالى[٣].

= (٤٢١٩)، الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٥٦٣)، والحاكم في «المستدرك» (١٦٨٤)، والبيهقي في «الشعب» (٣٩٩١).

(١) انظر: «تنوير المقباس» للفيروزآبادي (ص: ٤٤٣).
ورواه ابن وهب في «جامعه» (١٥٢)، والأزرقي في «أخبار مكة» (١/ ٤٩)، والطبري في «تفسيره» (٢١/ ٥٦٣) عن علي رضي الله عنه.
وذكره عن علي مكي بن أبي طالب في «الهداية» (١١/ ٧١١٦)، والسمعاني في «تفسيره» (٥/ ٢٦٧).
وذكره السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٣٥٠)، وابن عطية في «المحرر الوجيز» (٥/ ١٨٦) من غير نسبة.

(٢) ذكره مقاتل في «تفسيره» (٤/ ١٤٣)مقدماً له بصيغة قيل.

(٣) لم أقف عليه، وقوله: «لَلملائكةُ التي في السماء أكثرُ مِن عدَدِ التُّراب في الأرض» رواه أبو الشيخ في «العظمة» (٢/ ٧٤٢) عن كعب.
وقوله: «هو بيتٌ في السماء يدخُلُه كلَّ يومٍ سبعون ألفَ ملَكٍ لم يدخُلُوه قطُّ قَبْلَه، ولا يدخُلُون حتى تقومَ الساعة» له شاهد من حديث مالك بن صعصعة رضي الله عنه عند مسلم (١٦٤/ ٢٦٤)، وآخر من حديث أنس عند مسلم أيضاً (١٦٢/ ٢٥٩).

وعن ابن عباس أنه قال: هو البيتُ الذي بناه آدمُ في الأرض، فرُفِعَ أيَّامَ الطُّوفان، ووُضِعَ حِيالَ الكعبةِ(١).

وقال مُقاتل: يُصَلِّي فيه ما يشاءُ اللهُ كلَّ يومٍ صِنْفٌ مِن الملائكة يُقالُ لهم: الجِنُّ، كان منهم إبليسُ، فإذا فرَغوا نزَلوا إلى الأرض، وطافوا بالبيت الحرام، ثم يَصْعَدون إلى السماء ولا يَهْبِطون أبداً(٢).

* * *

(٥ ـ ٦) ـ ﴿وَٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ ۝٥ وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ﴾.

قولُه تعالى: ﴿وَٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ﴾: هو السَّماءُ، رُفِعَ فوق كلِّ شيء، وفيها الملائكةُ، ومنها نزولُ الوحيِ ونزولُ المطرِ.

﴿وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ﴾: قال الفرَّاء: أي: المَمْلُوء(٣).

وقال عليٌّ: أي: المُوقَد(٤)، و(قد سَجَرْتُ التَّنُّورَ)؛ أي: أَوْقَدتُّه.

وقال كعبٌ: هو البحرُ يُسْجَرُ فيكون جهنَّمَ(٥).

---

(١) رواه الأزرقي في «أخبار مكة» (١/ ٣٦). وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١/ ٢٧٤)، والبغوي في «تفسيره» (١/ ١٥٠).

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ١٤٣).

(٣) انظر: «معاني القرآن» (٣/ ٩١).

(٤) رواه معناه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٥٦٧ ـ ٥٦٨)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٩٣١)، والبيهقي في «البعث» (٤٩٥). ورواه بلفظه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٥٦٨) عن مجاهد وابن زيد. وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٢٤) عن مجاهد والضحاك وشمر بن عطية ومحمد بن كعب والأخفش. وسيأتي عن الضحاك قريباً.

(٥) رواه أبو الشيخ في «العظمة» (٤/ ١٤٠٩)، وأبو نعيم في «الحلية» (٥/ ٣٧٥).

وقيل: يُحْمى فيكون شرابَ أهلِ النار.

وقيل: ﴿ٱلْمَسْجُورِ﴾: أي: المَفْجُور، قال: ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ [التكوير: ٦]، وقال: ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾ [الانفطار: ٣].

وقال ابن عباس: البحرُ المَسْجورُ: المُرْسَلُ[1]؛ كما قال: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾ [الفرقان: ٥٣].

وقال ابن كيسان: ﴿ٱلْمَسْجُورِ﴾: المجموع[2]، ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾، ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾[3]: أي: جُمِعَتْ حتى صارت بحراً واحداً.

وقال الضَّحَّاكُ: ﴿ٱلْمَسْجُورِ﴾: المُوقَدُ[4].

ثم رُوِي أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «لا يَرْكَبَنَّ البحرَ إلَّا حاجٌّ أو مُعْتَمِرٌ أو مُجاهدٌ في سبيل الله، فإنَّ تحت البحرِ ناراً، وتحت النار بحراً، وتحت البحر ناراً»[5].

فهذه الأقاويلُ على أنَّ البحرَ هو على بحار الدنيا.

---

(١) رواه ابن المنذر كما في «الدر المنثور» (٧/ ٦٢٩). وذكره السمعاني في «تفسيره» (٥/ ٢٦٨)، والكرماني في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٤٦). وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٣٧٩) عن سعيد بن جبير.

(٢) ذكره عنه الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٢٥). وقد تقدمت نسبته لعلي قريباً.

(٣) «﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾» ليس من (أ) و(ف).

(٤) ذكره عنه الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٢٤)، والواحدي في «البسيط» (٢٠/ ٤٨٠)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٣٨٦).

(٥) رواه سعيد بن منصور في «سننه» (٢٣٩٣)، وأبو داود (٢٤٨٩)، والطبراني في «الكبير» (١٤٤٩٩)، والبيهقي في «الكبرى» (٨٦٦٢)، والخطيب في «تلخيص المتشابه» (١/ ١٥٦)، من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

قال ابن عبد البر في «التمهيد» (١/ ٢٤٠): هو حديث ضعيف مظلم الإسناد، لا يصححه أهل العلم بالحديث؛ لأن رواته مجهولون لا يعرفون.

وقال عكرمةُ: هو بحرٌ تحت العرش[(١)].

***

(٧ ـ ٨) ـ ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ۝٧ مَا لَهُۥ مِن دَافِعٍ﴾.

﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾: أقسَمَ بهذه الأشياء أنَّ العذابَ واقِعٌ بالكفار لا محالةَ.

﴿مَا لَهُۥ مِن دَافِعٍ﴾: عنهم إذا نزَلَ بهم، وذلك في اليوم الذي هُم به مُكَذِّبون.

وعن جُبَيْرِ بنِ مُطْعِمٍ قال: أتيتُ النَّبيَّ ﷺ أُكَلِّمُه في أُسارى بدرٍ، فألفيتُه في صلاة الفجر يقرأُ سورة ﴿وَالطُّورِ﴾، فلما بلَغَ قولَه: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾ أَسْلَمْتُ؛ خوفاً مِن أنْ يَنْزِلَ بي العذابُ[(٢)].

وقال الإمام القُشَيريُّ: أقسَمَ بالطُّور؛ لأنه مَحَلُّ قَدَمِ الأحبابِ وقتَ سَماعِ الخِطاب، وسَمِعَ هناك موسى ذِكْرَ محمَّدٍ وأُمَّتِه حتى نادانا مِن أصلاب آبائنا: أعطيتُكم قبلَ أنْ تسألوني.

و﴿وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ﴾: ما كتَبَ على نفْسِه مِن الرَّحمة لعباده، وما كتَبَ مِن قولِه: «سبقَتْ رحْمَتي غضَبي»، وما قال: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٥٧٠) عن علي وعبد الله بن عمرو وأبي صالح.
ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٠٠١) عن أبي صالح مولى أم هانئ.
ورواه الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٢٥) عن علي رضي الله عنه.

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٢٦)، والماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٣٧٩).
ورواه مختصراً ابن حبان في «صحيحه» (٥/ ١٤٢)، والطبراني في «الكبير» (١٤٩٨).
وأصله في «الصحيحين» أن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ قرأ في المغرب بالطور. رواه البخاري (٧٦٥)، ومسلم (٤٦٣).

قولُه تعالى: ﴿وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ﴾: قلوبُ العارفين عُمِّرَتْ بمَحَبَّتِه ومعرفتِه.

وقيل: هو مواضِعُ عباداتِهم، ومجالِسُ خَلَواتِهم.

﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ﴾: عذابُه في الظَّاهرِ هو ما توعَّدَ به عبادَه العاصين، وفي الباطن الحِجابُ بعد الحُضور، والسَّتْرُ بعد الكَشْف، والرَّدُّ بعد القَبول.

قولُه تعالى: ﴿مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ﴾: إذا رَدَّ عَبْداً أُبْرِمَ القضاءُ بِرَدِّه، فلا قَبولَ له مِن بعده(1).

* * *

(٩ ـ ١٠) ـ ﴿يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا ۝٩ وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا﴾.

وقولُه تعالى: ﴿يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا﴾: أي: العذابُ واقِعٌ في يوم تمورُ السماءُ.

وقال مُجاهدٌ: أي: تدورُ، وهو يومُ القيامة(2).

وقال الفراء: تدورُ بما فيها(3).

وقال القُتَبيُّ: يدورُ أهلُها فيها(4).

وقال الضَّحَّاكُ: أي: يموجُ أهلُها بعضُهم في بعضٍ(5).

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» (٣/ ٤٧١ ـ ٤٧٢).

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في «الأهوال» (٣٥)، وابن قتيبة في «تأويل مختلف الحديث» (ص: ١٣١)، والطبري في «تفسيره» (٢١/ ٥٧٢)، والدينوري في «المجالسة» (٢٦٢٥)، وأبو الشيخ في «ذكر الأقران» (٤٣٥)، والخطيب في «الكفاية» (ص: ٣٨٣).

(٣) انظر: «معاني القرآن» (٣/ ٩١).

(٤) انظر: «غريب القرآن» (ص: ٤٢٣).

(٥) رواه عنه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٥٧٣). وذكره مكي بن أبي طالب في «الهداية» (١١/ ٧١١٨)، والماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٣٧٩).

وقال الأخفش: تَكَفَّأُ[1]، وأنشدَ بيتَ الأعشى:

كأنَّ مِشْـيَتَها مِـن بيـتِ جارتِهـا مَـوْرُ السَّـحابةِ لا رَيْـثٌ ولا عَجَلُ[2]

وهو: التَّكَفُّؤُ في المشي.

وقيل: أي: تَضطربُ.

وهذا كلُّه بيانُ حالِ السماء حالَ زوالِها وتشقُّقِها.

وقولُه تعالى: ﴿وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا﴾: فإنَّ الله تعالى يُسَيِّرُها، فتصيرُ الأرضُ قاعاً صَفْصَفاً.

* * *

(١١ ـ ١٤) ـ ﴿فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴿١٣﴾ هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾.

﴿فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾: أي: بالبعث والجزاء.

﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِى خَوْضٍ يَلْعَبُونَ﴾: أي: في اضطرابٍ وتَرَدُّدٍ في الباطل، يقولون[3] ما يعرِضُ لهم مِن غير حُجَّةٍ، بل بهوًى وشَهْوَةٍ.

وقيل: أي: في خَوْضٍ في أسبابِ الدنيا يلعبون فيها، لا يُفكِّرون في حسابٍ ولا جَزاءٍ.

﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا﴾: أي: يُدْفَعون إليها بعُنْفٍ وشِدَّةٍ.

﴿هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾: أي: يُقالُ لهم ذلك.

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٢٦).

(٢) انظر: «ديوان الأعشى» (ص: ٥٥)، وفيه: «مر السحابة»، وهو بيت من معلقته المشهورة.

(٣) في (ف): «يقول».

﴿ ٱصۡلَوۡهَا ﴾: أي: أُدْخُلوها وقاسُوا حَرَّها، هذا إلى آخِرِ الآيةِ مُقَدَّمٌ في المعنى، وهذا المُعْتَرِضُ(١) مُؤَخَّرٌ، وهو قولُه تعالى:

* * *

(١٥ ـ ١٦) ـ ﴿أَفَسِحۡرٌ هَٰذَآ أَمۡ أَنتُمۡ لَا تُبۡصِرُونَ ١٥ ٱصۡلَوۡهَا فَٱصۡبِرُوٓاْ أَوۡ لَا تَصۡبِرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡكُمۡۖ إِنَّمَا تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾.

﴿أَفَسِحۡرٌ هَٰذَآ﴾: يُقالُ لهم: أَفَتَخْيِيلٌ هذا العذاب الذي ترونه؟!

﴿أَمۡ أَنتُمۡ لَا تُبۡصِرُونَ﴾: ليسَتْ لكم أَعْيُنٌ تُبْصِرون بها هذا؟!

وهذا تقريعٌ لهم، فقد كانوا يقولون في الدنيا في الآيات: إنَّها سِحْرٌ وتَخْيِيلٌ، ولا يُتَيَقَّنُ بصِحَّتِها، فيُقالُ لهم عند رُؤية العذابِ: أَفَتَتَوَهَّمون هذا تَخْيِيلاً أم ليست لكم عُيونٌ باصِرَةٌ ترونه بها ـ والخَفاءُ يكون بهذين الطَّريقين ـ أم تتيقَّنون أنه عذابٌ؟!

﴿ ٱصۡلَوۡهَا فَٱصۡبِرُوٓاْ أَوۡ لَا تَصۡبِرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡكُمۡ ﴾: أي: صَبْرُكم وجَزَعُكم سواءٌ، فلا يُخَفَّفُ عنكم، ولا تُرْحَمون فتُخرَجوا منها، وكانوا يقولون في الدنيا: ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡنَآ أَوَعَظۡتَ أَمۡ لَمۡ تَكُن مِّنَ ٱلۡوَٰعِظِينَ﴾ [الشعراء: ١٣٦]، فيُقالُ لهم في النار: سواءٌ عليكم أَصَبَرْتُم أم جَزِعْتُم، فلا فرَجَ لكم مِن العذاب المُهين، وهم يقولون أيضاً لأنفسهم: ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡنَآ أَجَزِعۡنَآ أَمۡ صَبَرۡنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ﴾.

﴿إِنَّمَا تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾: أنتم جَلَبْتُم إلى أنفسكم هذا.

* * *

(١٧ ـ ١٩) ـ ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَعِيمٖ ١٧ فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ وَوَقَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ١٨ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾.

---

(١) في (أ): «الغرض»، وفي (ر): «معترض».

وقولُه تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ﴾: وهذا بيانُ حالِ الذين يُخالِفونهم، وهُم الذين اتَّقوا الشركَ والمعاصيَ، وهُم في بساتينِ الفِرْدَوسِ ونَعيمِها.

﴿فَٰكِهِينَ﴾: قال الفراء: أي: مُعْجَبين[1].

وقال القُتَبيُّ ونِفْطَوَيْه: ناعِمين[2].

وقيل: مُتَوَسِّعين فيما يَشْتَهونه مِن الفواكه وغيرِها.

وقيل: طَيِّبين.

﴿بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ﴾: أي: أعطاهم.

﴿وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾: أي: حَفِظَهم.

﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا﴾: أي: يُقال لهم: ﴿كُلُوا۟﴾: مِن أَطْعِمَتِها، ﴿وَٱشْرَبُوا۟﴾: مِن أَشْرِبَتِها، ﴿هَنِيٓـًٔا﴾: سائِغاً طَيِّباً لا أذى فيها.

﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: أي: جزاءً لكم بطاعتِكم في الدنيا، يُقالُ لهم هذا في مُقابلَةِ ما قيل لأولئك: ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

و﴿هَنِيٓـًٔا﴾: يجوزُ نعتاً للمصدر المحذوف، ويجوزُ دُعاءً؛ كما يُقالُ: هَنَّاكُمُ اللهُ سَقْياً ورَعْياً.

* * *

(٢٠ ـ ٢١) ـ ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ ۖ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ ۚ كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» (٣/ ٩١).

(٢) انظر: «غريب القرآن» (ص: ٤٢٥).

وذكره السمعاني في «تفسيره» (٥/ ٢٧١) عن نفطويه.

﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ﴾: جَمْعُ سَرِيرٍ.

وقال الكلبيُّ: صُفَّ بعضُها إلى بعض[١]، طولُها مئةُ ذِراعٍ في السماء، يتقابلون عليها في الزِّيارة، وإذا أراد أحدُهم القُعودَ عليها تطامَنَتْ واتَّضَعَتْ، وإذا قعَدَ عليها ارتفعَتْ[٢].

﴿وَزَوَّجْنَـٰهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾: أي: قَرَنَّاهم بحُورٍ؛ أي: سُودِ الأعيُنِ واسعاتِها.

وقال ابن عباس: يعني: أَتَوْنا فُرادى، فجعلناهم أزواجاً بالحُور العِين[٣].

وقولُه تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَـٰنٍ﴾: قرأ أبو عمرو: ﴿وأَتْبعناهم﴾ بالألف والنون ﴿ذرِّيّاتِهم﴾ على الجمع، ﴿أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّاتِهم﴾ على الجَمْعِ أيضاً، وقرأ الباقون: ﴿وَٱتَّبَعَتْهُمْ﴾.

وقرأ نافعٌ: ﴿ذُرِّيَّتُهُم﴾ في الأول على التوحيد بالرفع، والثاني ﴿ذُرِّيَّاتِهم﴾ على الجمع بالألف.

وقرأ حمزةُ والكسائيُّ وعاصمٌ وابنُ كثيرٍ كليهما على التوحيد، والأولى رَفْعٌ، والثانيةُ نَصْبٌ.

وقرأ ابنُ عامرٍ: ﴿وَٱتَّبَعَتْهُمْ﴾ بالتاء[٤]، ﴿ذُرِّيَّاتُهم﴾ على الجمع رفعاً، ﴿ألحقنا بهم ذرياتِهم﴾ على الجمع نصباً[٥].

---

(١) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٣٥٢)، والثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٢٧) من غير نسبة.

(٢) ذكره عنه بنحوه الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٢٠٣)، وفيه أن طول كل سرير ثلاث مئة ذراع.

(٣) لم أقف عليه.

(٤) في (أ): «واتبعتهم» بدل من «وتبعتهم بالتاء».

(٥) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦١٢)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٣).

وهذا مِن تَكْميلِ النِّعَمِ عليهم في الجنة، يقول: وهؤلاء المُتَّقون الذين آمَنوا وآمَنَ أولادُهم كما آمَن آباؤُهم أَلْحَقْنا الذُّرِّيَّةَ ـ وهُم الأولادُ ـ بالآباء في الجنة في درجةٍ واحدةٍ.

يقول: وأرفَعُ الجميعَ إليها لِتَقَرَّ أعينُهم بالاجتماع في الجنة كما كان كذلكَ في الدنيا، فلا يَتَنَغَّصُ عليهم الحالُ بتَفَرُّقِ الشَّمْلِ.

ثم قيل: هذا في أولادٍ هم أقلُّ حسناتٍ مِن الآباء، يتفضَّلُ اللهُ على الآباء فيُثِيبُ[1] الأبناءَ مثلَ ثوابِ الآباء، ويتجاوزُ عن تقصير الأبناء.

وقيل: هذا في أولادٍ لم يُقَصِّروا في العمل، لكنْ كان عُمُرُهم أقصرَ مِن أعمار الآباء، فيُثِيبَ الأولادَ مثلَ ثوابِ الآباء؛ لأنه على الأعمال لا على الأعمار، فلم يَنْتَقِصْ بنُقْصانِ العُمُر.

﴿وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٖ﴾: أي: ما نَقَصْناهم ـ أي: الأبناءَ ـ مِن ثواب أعمالهم بقِصَرِ أعمارهم.

وقيل: ما نَقَصْناهم مِن ثواب الآباء بسبب إلحاق الأبناءِ بهم، مع أنَّهم أقلُّ عملاً[2] مِن الآباء، وهو كما يُروى: «مَن فطَّرَ صائماً فله مِثْلُ أَجْرِه مِن غير أنْ يَنْقُصَ مِن أجرِه شيءٌ»[3].

وقال الرَّبيعُ بنُ أنسٍ: ﴿وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ﴾: أي: بإيمانِ آبائِهم، ﴿أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ﴾: أي: أعطيناهم مِن الثواب ما أعطينا الآباءَ[4].

---

(١) في (ف): «ثم يثيب».

(٢) في (ر): «أعمالا».

(٣) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (١٧٠٣٣)، والترمذي (٨٠٧) وقال: حسن صحيح، والنسائي (٣٣١٧)، وابن ماجه (١٧٤٦)، من حديث زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٥٨٣).

وقال ابن عباس: مَن أدرَكَ العملَ وعمِلَ صالحاً أُلْحِقَ بآبائِه بعمَلِهم، ومَن كان صغيراً أُلْحِقَ بآبائِه بإيمانِ آبائِه(١).

وقال أبو مِجْلَزٍ: تُجْمَعُ له ذُرِّيَّتُه في الجنة كما كان يُحِبُّ في الدنيا أنْ يجتمعوا إليه(٢).

وقال سعيدُ بنُ المسيِّب(٣): بلَغَني أنَّ الرجل مِن أهل الجنَّة يرى درجةً أرفعَ مِن درجتِه، فيقول: أنَّى لي هذا ولم يَبْلُغْه عملي؟ فيُقال: نشأَ لكَ ولدٌ صالحٌ مِن بعدكَ، فدعا لكَ(٤).

وقال خارجةُ بن مُصْعَبٍ السَّرَخْسِيُّ: يُلْحِقُ اللهُ تعالى الذُّرِّيَّةَ الصِّغارَ بآبائهم في الدرجات، ولم يكن للذُّرِّيَّةِ أعمالٌ يَبْلُغون بها درجاتِ آبائِهم، فبلَّغَهم اللهُ تعالى تلك الدَّرَجاتِ بأعمال آبائِهم(٥).

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٠٠٩)، والطبري في «تفسيره» (٢١/ ٥٨٠)، والحاكم في «المستدرك» (٣٧٤٤)، والبيهقي في «الكبرى» (١٠/ ٤٥٣).
وذكره السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٣٥٢)، والثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٢٧)، والماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٣٨١).

(٢) رواه ابن المنذر كما في «الدر المنثور» (٧/ ٦٣٣).

(٣) في (ف): «جبير».

(٤) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٢٩٧٤٠)، والإمام أحمد في «مسنده» (١٠٦١٠)، والبزار في «مسنده» (٩٠٢٤)، والطبراني في «الدعاء» (١٢٤٩)، والبيهقي في «الكبرى» (١٣٤٥٩)، مرفوعاً من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
ورواه أبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٢٥٥) موقوفاً على أبي هريرة رضي الله عنه.
ورواه الطبراني في «الأوسط» (١٨٩٤) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٥) لم أقف عليه.

وقولُه تعالى: ﴿كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾: قال ابنُ عباس: أي: مَجْزِيٌّ بكَسْبه[1].

***

(٢٢ ـ ٢٣) ـ ﴿وَأَمْدَدْنَاهُم بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ (٢٢) يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿وَأَمْدَدْنَاهُم بِفَاكِهَةٍ﴾: أي: أَتْبَعْنا ما أعطيناهم فاكهةً كثيرةً لا تَنْقَطِعُ، كُلَّما أكلوا ثمرةً عادَ مكانَها مِثْلُها.

قولُه تعالى: ﴿وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾: أي: وأَمْدَدْناهم بهذا أيضاً.

﴿يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا﴾: أي: يَتَعاطَون ويتداولون في الجنة قَدَحاً فيه شرابٌ، ولا يُسَمَّى كأساً حتى يكونَ فيها شرابٌ؛ كما لا تُسَمَّى مائدةً حتى يكونَ عليها طعامٌ.

﴿لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ﴾: قرأ ابنُ كثيرٍ كليهما بالفتح مِن غيرِ تنوينٍ، وقرأ الباقون بالرفع والتنوين[2]؛ أي: لا يَذْهَبُ هذا الشَّرابُ بعقولِهم فيتكلَّموا باللغو ـ وهو الكلامُ الباطلُ ـ فيأْثَموا به.

وقيل: اللَّغْوُ في القول، والتَّأْثيمُ في الفعل.

وقيل: أي: هو مُباحٌ لهم، لا تأثيمَ فيه بالتحريم.

***

(٢٤ ـ ٢٥) ـ ﴿۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ (٢٤) وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾.

---

(١) لم أجده بهذا اللفظ، وذكره عنه الواحدي في «البسيط» (٢٠/ ٤٩١) بلفظ: (﴿كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾: ارتهن أهل جهنم بأعمالهم).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦١٢)، و«التيسير» للداني (ص: ٨٢)، ووافق أبو عمرو ابنَ كثير في قراءته.

﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ﴾: أي: لِلخِدْمَة.

﴿غِلْمَانٌ لَّهُمْ﴾: خُلِقوا في الجنة.

﴿كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ﴾: أي: مَصُونٌ لِلَطافَتِهم وصَفْوَتِهم، وقال في الجواري: ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾، وهو معَ صفائِه ولَطافَتِه مأكولٌ، فأشارَ بذلكَ أنَّ الجواريَ يُتَمَتَّعُ بهن نَظَراً وتناوُلاً، والغِلْمانَ للنَّظَر دون التَّناوُل، وجمَعَتْ هذه الآيةُ نهايةَ ما يُشْتَهى، وكمالَ ما يُبْتَغى، وليس وراءَه مُنْتَهى.

﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾: وهو مِن المُفاوضة التي يتِمُّ بها الاستئناسُ.

أي: أقبَلَ بعضُ أهلِ الجنة على بعضٍ يتساءلون عن أعمالهم في الدنيا التي بها وصَلوا إلى هذه النِّعَمِ بوعد الله تعالى.

* * *

(٢٦ ـ ٢٧) ـ ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِيٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ﴾.

﴿قَالُوٓاْ﴾: أي: قال المسؤولون:

﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلُ﴾: أي: قبلَ هذا ﴿فِيٓ أَهْلِنَا﴾: أي: مع أهلنا ﴿مُشْفِقِينَ﴾: أي: خائِفين.

وهؤلاء كانوا مِن أهل التقوى والطاعة، أَدَّوا فرائضَ اللهِ تعالى، واجتنبَوا مَحارِمَه، إلَّا أنهم استَصْغَروا أنفسَهم، واستَقْصَروا[1] أعمالَهم، فكانوا مُشفقين أنْ يُؤْخَذوا بتقصيرهم.

﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا﴾: بقَبولِ الطاعات مع تقصيرِها، وعفا عن السيئات مع توفيرِها.

﴿وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ﴾: أي: حَفِظَنا مِن عذاب السَّموم؛ أي: الحَرُور.

---

(١) في (ر): «واستحقروا».

(٢٨) - ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ﴾.

﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ﴾: أي: في الدُّنيا ﴿نَدْعُوهُ﴾ أنْ يمُنَّ علينا، ويَقِينا عذابَ السَّموم.

قال ابن عباس: أي: حرَّ النارِ[١].

وقيل: ﴿ٱلسَّمُومِ﴾: الحرُّ الذي يدخُلُ مَسامَّ البدَنِ فيؤلِمُه.

﴿إِنَّهُۥ هُوَ﴾: قرأَ نافعٌ والكسائيُّ: ﴿إِنَّهُۥ﴾ بفتح الألف؛ أي: نَدْعُوه بأنه، وقرأَ الباقون بالكسر على الاستئنافِ[٢].

﴿ٱلْبَرُّ﴾: البَارُّ اللَّطيفُ.

وقال الضَّحَّاكُ: أي: الصَّادِقُ فيما وعَدَ[٣].

﴿ٱلرَّحِيمُ﴾: الرَّؤوفُ العَطوفُ.

وقال ابن عباس: ﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾: خائفين مِن عذاب الله[٤].

وقال الضَّحَّاكُ: خائفين أنْ يُنْزَعَ منا الإيمانُ[٥].

وقال الإمامُ القُشَيريُّ: لولا أنهم قالوا: ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا﴾، لكانوا قد لاحَظوا

---

(١) ذكره الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (٩/ ٤٩٧)، والواحدي في «البسيط» (٢١/ ٢٣٩)، دون نسبة.

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦١٣)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٣).

(٣) ذكره عنه الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٣٠)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٣٩١).

(٤) ذكره الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٥٩٠)، والسمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٣٥٣)، والثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٣٠)، والواحدي في «الوجيز» (ص: ١٠٣٥)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٣٩٠)، دون نسبة.

(٥) لم أقف عليه.

إشفاقَهم، ولكنَّ الحقَّ اختطَفَهم عن شُهودِ إشفاقِهم، حيث أشهَدَهم مِنَّتَه عليهم حتى قالوا: ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ﴾، وقالوا: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡبَرُّ ٱلرَّحِيمُ﴾.

* * *

(٢٩ ـ ٣٠) ـ ﴿فَذَكِّرۡ فَمَآ أَنتَ بِنِعۡمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٖ وَلَا مَجۡنُونٍ ٢٩ أَمۡ يَقُولُونَ شَاعِرٞ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيۡبَ ٱلۡمَنُونِ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿فَذَكِّرۡ فَمَآ أَنتَ بِنِعۡمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٖ وَلَا مَجۡنُونٍ﴾: أي: فَدُمْ على تذكيرِهم بهذا كلِّه، ولا تَلْتَفِتْ إلى قولِهم لكَ: إنك كاهنٌ أو مجنونٌ، فما أنتَ كذلك ﴿بِنِعۡمَتِ رَبِّكَ﴾؛ أي: قد أنعَمَ اللهُ عليكَ بكمال العقلِ، وبرَّأَكَ مِمَّا وصفَكَ به أهلُ الجهلِ.

﴿أَمۡ يَقُولُونَ شَاعِرٞ﴾: وهذه مُحاجَّةٌ للمشركين، يقولُ: أتقولون: إنَّ محمداً شاعرٌ ﴿نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيۡبَ ٱلۡمَنُونِ﴾؛ أي: ننتظِرُ به الموتَ فنستريحُ منه؛ كما ماتَ شاعرُ بني فُلانٍ فاستراحَ الناسُ مِن لسانِه وشَتْمِه.

و﴿ٱلۡمَنُونِ﴾: عند الكسائيِّ والأخفشِ والفرَّاءِ: الدَّهْرُ[1]، و﴿رَيۡبَ ٱلۡمَنُونِ﴾: حوادثُ الدَّهرِ.

والخليلُ يقولُ: ﴿ٱلۡمَنُونِ﴾: الموتُ[2]، وهي مُؤَنَّثةٌ سماعاً، ورَيْبُها: أوجاعُها[3]، وسُمِّيَ الدهرُ مَنوناً؛ لأنه يذهَبُ بـمُنَّةِ الإنسان؛ أي: قُوَّتِه، وسُمِّيَ الموتُ مَنوناً لأنه

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٩٣). وذكره الواحدي في «البسيط» (٢٠/ ٥٠٠) عن الفراء، والأصمعي، والكسائي. وذكره ابن قتيبة في «غريب القرآن» (ص: ٤٢٦) عن الكسائي.

(٢) انظر: «العين» (٨/ ٣٧٥).

(٣) في (أ): «إرجاعها».

يَقْطَعُ العُمُرَ، والمَنُّ: القَطْعُ، و﴿أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ [فصلت: ٨]؛ أي: غيرُ مَقْطوعٍ.

***

(٣١ ـ ٣٢) ـ ﴿قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُتَرَبِّصِينَ (٣١) أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُم بِهَٰذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ (٣٢) أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ﴾.

قولُه تعالى: ﴿قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُتَرَبِّصِينَ﴾: هو تهديدٌ لا أَمْرٌ؛ أي: أنتم تتربَّصون موتي، وأنا أتربَّصُ أنْ يُظْفِرَني اللهُ عليكم فتنقادوا إليَّ بالإسلام[1]، أو يَقْتُلَكم اللهُ بيَدِي وأيدي أصحابي، أو تموتوا على الكفر على الذُّلِّ والقَهْرِ.

وقولُه تعالى: ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُم بِهَٰذَا﴾: أي: إنَّهم يدَّعون أنهم أصحابُ عُقولٍ، ويفتخرون بها، أَفَعُقُولُهم تَدْعُوهم إلى الكذب عليكَ، وتَسْمِيَتِكَ بهذه الأسماء القبيحة، والعُقولُ تدُلُّ على براءَتِكَ عن هذه الصِّفات؟

﴿أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾: أي: بل يفعلون[2] ذلك لِطُغْيانِهم.

﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ﴾: أي: اختلَقَه؛ أي: القرآنَ.

﴿بَل لَّا يُؤْمِنُونَ﴾: أي: بل هُم لا يُصدِّقون بما يأتيهم مِن الحقِّ.

***

(٣٤ ـ ٣٥) ـ ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ (٣٤) أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾.

﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ﴾: أي: فليأتوا بمِثْلِ هذا القرآنِ مُتَقَوَّلاً إنْ كانوا صادقين أنَّ محمداً تقوَّلَه، فإنهم مِثْلُ محمَّدٍ في اللِّسانِ، ومعرفةِ ضُروبِ الكلام.

---

(١) في (ف): «فتنقادوا إلى الإسلام».

(٢) في (ر) و(ف): «يقولون».

﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴾: أي: أم يقولون: إنَّهم خُلِقوا مِن غير خالِقٍ، أم يَدَّعون أنهم خَلَقوا أنفُسَهم؟

يعني: فإذا كانوا لا يَدَّعون واحداً مِن هذين، بل يُقِرُّون أنَّ لهم صانِعاً غيرَه، فما الذي يمنَعُهم عن إفرادِه بالعِبادةِ، وعن إثباتِ القُدْرةِ له على الإعادة؟

وقيل: أم خُلِقُوا مِن غير تُرابٍ ولا نُطْفَةٍ؟ فليسوا يدَّعون هذا، بل يُقِرُّون أنَّ آدمَ خُلِقَ مِن تُرابٍ، وهُم خُلِقُوا مِن ماءٍ مَهينٍ، فما يمنَعُهم أنْ يُقِرُّوا أنهم يُخْلَقُون مَرَّةً أخرى مِن عظامٍ رَميمٍ؟

وقيل: أم خُلِقُوا مِن غيرِ آباءٍ وأُمَّهاتٍ، فهُم كالجَماد لا يعقلون ما يُذَكَّرون به، أم هُم الخالِقون هذا الخلقَ، فكذلك لا يأْتَمِرون ولا ينتهون؛ لأنَّ الأمرَ والنَّهْيَ للخالق.

وقيل: معناه: أم خُلِقُوا مِن غيرِ حسابٍ ولا ثوابٍ وعقابٍ ـ وتقديرُه: لغير شيءٍ؛ كقولكَ: فعلْتُ هذا مِن غير شيءٍ ـ فبئس ما يَظُنُّون.

وقال ابنُ كَيْسَانَ: ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ ﴾؛ أي: بغير شيءٍ؛ أي: تُرِكوا سُدًى، لا يُؤْمَرون ولا يُنْهَون.

وقال أيضاً: أَخُلِقوا عبثاً، وتُرِكوا سُدًى[1]؟ قال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾ [القيامة: ٣٦]، ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا ﴾ [المؤمنون: ١١٥].

* * *

(٣٦ ـ ٣٧) ـ ﴿ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ (٣٦) أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ ﴾.

---

(١) ذكره عنه الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٣١)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ١٨٩)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٣٩٢).

قولُـه تعالـى: ﴿أَمْ خَلَقُواْ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾: أي: أم يَدَّعـون خَلْقَهمـا، فـإذا لـم يدَّعـوا خَلْـقَ البعـضِ ولا خَلْـقَ الـكُلِّ، واعترَفوا بـأنَّ خالقَ الـكُلِّ هو اللهُ تعالـى، فلِمَ امتناعُهـم عـن توحيدِه، ونَفْـيِ الشُّـرَكاءِ عنه؟

﴿بَل لَّا يُوقِنُونَ﴾: أي: ليس تكذيبُهم الرُّسُلَ وجُحودُهم البعثَ عن دليلٍ يَتَيـقَّنون به.

وقيل: ﴿بَل لَّا يُوقِنُونَ﴾ بوعيد اللهِ بتَرْكِ النَّظَرِ والإصرارِ على الكفر.

وقيل: أي: لا يجحدون البعثَ مُوقِنين باستحالتِه، بل شَاكِّينَ في كونه.

قولُه تعالى: ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ﴾: قيل: أم يقولون: ﴿عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ﴾ مِن عِلْمِ الغَيبِ، فعَلِموا بذلك أنه كاذبٌ، وأنَّ البعثَ غيرُ كائنٍ؟

وقال عكرمةُ: ﴿خَزَآئِنُ رَبِّكَ﴾: أي: النُّبُوَّةُ[1].

وقيل: ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ﴾: مِن أرزاقِه وعَطائِه، فهُم يَمْلِكون الضُّرَّ والنَّفْعَ لأنفُسِهم ولغيرهم، فيستغنون بذلك عن ربهم؟

﴿أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ﴾: أي: أم ليس شيءٌ مِن هذا بل هُم يتمرَّدون ويتسلَّطون عليكَ جهلاً؟

وقيل: ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ﴾ فهُم المالِكون أرزاقَ العبادِ، أم هُم المُسَلَّطون على الناس، المالِكون تَصْرِيفَهم كيف أرادوا؟

أي: فإذا كانوا غيرَ مالِكين ذلك، بل يُقِرُّون أنَّ اللهَ مالِكُ ذلك كُلِّه، فهل يجوزُ أنْ يكونَ عاجزاً عن البعث، أو عاجزاً عن إبانة الصَّادقِ مِن الكاذب بالدليل؟

---

(١) ذكره عنه الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٣١)، والواحدي في «البسيط» (٢٠/ ٥٠٦)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٣٩٢)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ١٨٠).

وقـال أبـو عبيدةَ والأخفـشُ: ﴿أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ﴾: أي: الأربابُ، يُقالُ: سَـيْطَرَ فلانٌ علـيَّ؛ أي: اتَّخذَني مِـن خَوَلِه[1].

وقيل: أم هُم المُتَسَلِّطون بالغَلَبة بحُجَّةٍ أو عُدَّةٍ؟!

* * *

(٣٨ ـ ٣٩) ـ ﴿أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ﴾.

﴿أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ﴾: أي: أم يَدَّعون أنَّ لهم سُلَّماً يتوصَّلون بصُعوده إلى السماء فيَسْتَمعون الأخبارَ بها، ويَصِلون بذلك إلى أخبار السماء كما يَصِلُ محمَّدٌ إليه، فيستمعون بذلك أنَّ ما هُم فيه حقٌّ، فهُم كذلك مُتَمَسِّكون به.

﴿فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾: أي: فلْيأْتِ مَن يَدَّعي سَماعَ ذلك بحُجَّةٍ بَيِّنَةٍ على سَماعِه، وذلك أنْ يُخبِرَ بغَيبٍ، فيَظْهَرَ كما أَخْبَرَ.

﴿لَهُ ٱلْبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ﴾: أي: هُـم مِـن ضَعْـفِ العُقـول بهـذه المرتبـة يُضِيفون إلـى الله تعالـى البنـاتِ مـع أَنَفَتِهـم منهـنَّ، ومَن كان مِـن قِلَّـةِ التَّمييز بهـذه المنزلة، كيـف تَنْجَعُ فيـه الحُجَّـةُ والموعظةُ؟

وقيل: معناه: أم قد تَقَرَّرَ عندكم أنَّ ربَّكم له البناتُ، واختارَهنَّ أولاداً لنفْسِه وأَصْفاكم بالبَنينَ، فاستَدْلَلْتُم بذلكَ على كرامتِكم عليه، فقلتم: يَتْرُكنا سُدًى لا حِسابَ علينا ولا جَزاءَ؟ فلذلك لا تُبالون بشِرْكِكم ومَعاصيكم، كلَّا ما هذا كذا.

* * *

(١) انظر: «مجاز القرآن» (٢/ ٢٣٣).

(٤٠ ـ ٤٣) ـ ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٠﴾ أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤١﴾ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا ۖ فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

قولُه: ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا﴾: أي: جُعْلاً لكَ مِن أموالهم على الإيمان بكَ.

﴿فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ﴾: فلذلك لا يُؤمنون بك.

﴿أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾: أي: أم يَدَّعون أنَّ عندهم عِلْمَ الغَيبِ، فهم يكتبون مِن ذلك مِثْلَ ما تأتيهم به، فيُعارِضونكَ به؟

﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا﴾: أي: إنْ يَمْكُروا بكَ بتَنْفِيرِ الناس عنكَ، وتَأْلِيبِهم عليك احتيالاً لِقَتْلِكَ أو لِغَلَبَتِكَ ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ﴾؛ أي: بل ضَرَرُ كيدِهم يعودُ عليهم، فيُغْلَبون ويُخْزَون ويُهْلَكون، وهذه بشارةٌ لهم.

﴿أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ﴾: يَعْتَضِدون به، ويَلْتَجِئون إليه مما نُريدُ إنزالَه بهم مِن العذاب؛ كما قال: ﴿أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا﴾ [الأنبياء: ٤٣].

﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾: أي: هو مُنَزَّهٌ عن ذلكَ.

وقال مُقاتلٌ رحِمَه الله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ﴾: نزَلَتْ في أبي جهلٍ، والنَّضْرِ بن الحارثِ، وعُقْبَةَ، والحارثِ بنِ قيسٍ، ومُطْعِمِ بنِ عَدِيٍّ، ﴿نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ﴾: تُوُفِّيَ أبوه شاباً، ونحن نرجو أنْ يكونَ موتُه كَمَوْتِ أبيه[1].

وقال الحسن: ﴿الْمَنُونِ﴾: الموتُ[2].

وقال ابن عباس: الدَّهْرُ[3]، وأنشدَ:

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ١٤٧).

(٢) لم أقف عليه عن الحسن، ورواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٥٩٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) ذكره عنه الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٣١). =

تَرَبَّـصْ بهـا رَيْـبَ المَنـونِ لعلَّهـا　　　تُطَلَّـقُ يومـاً أو يمـوتُ حليلُهـا[1]

وقال في قوله: ﴿فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ﴾: أي: لِنُزولِ العذابِ بكم، فعُذِّبوا يومَ بدرٍ.

***

(٤٤ ـ ٤٥) ـ ﴿وَإِن يَرَوْاْ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُواْ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴿٤٤﴾ فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾.

قولُه تعالى: ﴿وَإِن يَرَوْاْ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُواْ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ﴾: أي: وإنْ يرَ هؤلاء المشركون قِطْعةً مِن السماء ساقطاً يَسْقُطُ عليهم وهُم يُعايِنُونها بإنزال الله ذلك حُجَّةً لكَ عليهم؛ كما سألوكَ تَعنُّتاً فقالوا: ﴿أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا﴾، لَأَدْخَلوا على أنفسهم التَّمْويهَ، وقالوا: إنه سحابٌ مَرْكومٌ؛ يعني: رُكِمَ بعضُه على بعضٍ؛ أي: جُمِعَ، فسَقَطَ علينا، وليس بسماءٍ، وهو كقوله: ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا﴾: وهذا قد يكون مِن المُعاند

= وروى عنه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٥٩٣) أنه الموت.

(١) ذكره الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٥٩٤)، والثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٣١)، والواحدي في «البسيط» (٧/ ١٥٦)، وابن عطية في «المحرر الوجيز» (٥/ ١٩١) من غير نسبة.
والشطر الثاني عند الطبري هكذا: سيهلك عنها بعلها أو تسرح.
ورواه المعافى بن زكريا في «الجليس الصالح» (ص: ١٢٣)، والسراج في «مصارع العشاق» (٢/ ١٥٩) عن حمدان البرتي.
ونسبه المرزباني في «معجم الشعراء» (ص: ٣١٩)، والحاتمي في «حلية المحاضرة» (ص: ٣٩)، والراغب الأصفهاني في «محاضرات الأدباء» (٢/ ٢٣٠)، والمستعصمي في «الدر الفريد» (٥/ ٣١٤)، إلى فرَّاص بن عتبة الأزدي.

بعد التَّيقُّنِ والمعرفةِ، وقد يكون مِمَّنِ استولى عليه الإِلْفُ والتَّمادي في تَرْكِ النَّظَرِ لِلحَمِيَّةِ والعَصَبِيَّةِ، فكُلُّ ما ورَدَ عليه مِن الحُجَجِ الباهرةِ أَدْخَلَ على نفْسِه التَّلبيسَ، وتَرْكَ النَّظَرِ والتَّفْتيش.

قولُه تعالى: ﴿فَذَرْهُمْ﴾: أي: أَعْرِضْ عنهم، ولا تَحْرِصْ على أنْ يُعاجَلوا بالعذاب.

﴿حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾: أي: يُهْلَكون بالصَّاعقة، وهي العذابُ المُهْلِكُ.

وقيل: هي عند النَّفْخَةِ الأولى، قال تعالى: ﴿فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الزمر: ٦٨].

* * *

(٤٦ ـ ٤٧) ـ ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿يَوْمَ لَا يُغْنِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا﴾: أي: يومَ القيامةِ.

﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾: لا يَمْنَعُهم مِن عذابِ اللهِ مانِعٌ.

قرأ عاصِمٌ وابنُ عامرٍ: ﴿يُصْعَقُونَ﴾ بضَمِّ الياء، والباقون بفتحها[1].

(صُعِقَ) بضم الصاد: أُنْزِلَتْ به الصاعقةُ، و(صَعِقَ) بالفتح: وقَعَ في الصاعقة.

﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾: أي: أَشْرَكوا، فوضَعوا العِبادةَ في غير مَوْضِعِها.

﴿عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ﴾: أي: قَبْلَ اليومِ الذي فيه يُصْعَقون، وهو ما نالَهم مِن القَحْطِ والسَّبْيِ والقَتْلِ يومَ بدرٍ.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦١٣)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٤).

وقال ابنُ زيدٍ: مَصائب الدُّنيا في الأموال والأولاد[١].

وقيل: هو عذابُ القبرِ. قالَه ابنُ عباسٍ والبراءُ وزاذانُ[٢].

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾: أي: يَغْفُلون عنه.

* * *

(٤٨ ـ ٤٩) ـ ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ﴾.

﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾: يا محمد؛ أي: لِمَا حُكِمَ عليكَ مِن تبليغِ الرِّسالة، وتَحَمُّلِ أذى أهلِ الضَّلالة.

﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾: أي: بمَرْأًى مِنَّا، فنحن نحفَظُكَ[٣] ونَدْفَعُ عنكَ، ولا يَخْفى علينا صَنيعُكَ وصَنيعُهم، فنَجْزي كُلًّا على وَفْقِ عَمَلِه.

﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾: أي: صَلِّ لِربِّكَ حامِداً له.

﴿حِينَ تَقُومُ﴾: مِن مَنامِكَ[٤] باللَّيل: الحمدُ لله الذي أحياني بعد ما أماتني، وإليه النُّشُورُ[٥]، وذلك صلاةُ الغَداةِ.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٦٠٤).

(٢) رواه عن ابن عباس رضي الله عنهما عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٠١٦)، والطبري في «تفسيره» (٢١/ ٦٠٣).

ورواه عن البراء رضي الله عنه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٦٠٣)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٣٢)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٣٩٤). ورواه عن زاذان عبدُ الرزاق في «تفسيره» (٣٠١٤)، والآجري في «الشريعة» (٨٥٥)، وأبو نعيم في «الحلية» (٤/ ٢٠٠)، والبيهقي في «إثبات عذاب القبر» (٦٩).

(٣) في (ف): «نحوطك».

(٤) في (أ) و(ر): «مقامك».

(٥) «الحمد لله الذي أحياني بعد ما أماتني وإليه النشور» زيادة من (ف).

وقيل: هو أنْ يقولَ إذا قام إلى الصلاة: سُبحانكَ اللَّهُمَّ وبحمدِكَ. قالَه الضَّحَّاكُ والرَّبيعُ بن أنسٍ[١].

وقيل: تقومُ مِن القَيْلُولةِ، وهي صلاةُ الظُّهرِ.

﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ﴾: أي: فصَلِّ لِرَبِّكَ أيضاً باللَّيلِ، وهي صلاةُ المغربِ والعشاءِ.

﴿وَإِدۡبَٰرَ ٱلنُّجُومِ﴾: قال عمرُ، وعليٌّ، وابنُ عبَّاسٍ، وأبو هريرةَ، والحسنُ، وقتادةُ، وعكرمةُ، ومُجاهدٌ، والشَّعْبِيُّ، وزاذانُ: أي: الرَّكعتين قبل الصُّبح[٢].

---

(١) رواه عن الضحاك ابنُ أبي شيبة في «مصنفه» (٢٤٠٢)، والطبريُّ في «تفسيره» (٢١/ ٦٠٦)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٣٣)، والماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٣٨٧)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٣٩٥).

وذكره عن الربيع الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٣٣)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٣٩٥).

(٢) رواه عن عمر رضي الله عنه ابنُ أبي شيبة في «مصنفه» (٨٧٥٤)، والمروزيُّ في «مختصر قيام الليل» (ص: ٧٨).

ورواه عن علي وابن عباس رضي الله عنهما الطبريُّ في «تفسيره» (٢١/ ٦٠٨).

ورواه عن أبي هريرة رضي الله عنه ابن مردويه كما في «الدر المنثور» (٧/ ٦٣٨)، وذكره الثعلبيُّ في «تفسيره» (٩/ ١٠٧)، وابن عطية في «المحرر الوجيز» (٥/ ١٩٤).

ورواه عن الحسن بن علي رضي الله عنه عبدُ الرزاق في «تفسيره» (٢٩٦٨)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٠٧) عن الحسن بن علي، والحسن البصري.

ورواه عن قتادة عبدُ الرزاق في «تفسيره» (٣٠١٩)، والطبري في «تفسيره» (٢١/ ٦٠٩).

وذكره الجصاصُ في «أحكام القرآن» (٣/ ٥٤٤) عن عليٍّ وعمرَ والحسن بن عليٍّ وابن عباسٍ والحسن البصريِّ ومجاهد والنَّخَعيِّ والشَّعبيِّ.

وذكره عن الشعبي أيضاً الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٠٧)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٣٦٥).

ورواه عن زاذان ابنُ أبي شيبة في «مصنفه» (٨٧٥١).

ولم أقف عليه عن عكرمة.

وقال الحسنُ: هو أَمْرٌ بالمُواظبة على الصلوات مَفْروضِها ومَسْنُونِها.

وقيل: هي صلاةُ الفجرِ، والأمرُ للفريضة.

وقيل: التَّسبيحُ: هو الذِّكْرُ باللِّسان إذا قام مِن فراشِه إلى أنْ يدخُلَ في الصلاة. قاله عوف بن مالك[1].

وقيل: هو في حَقِّ مَن قامَ مِن مَجْلِسِه. وهو قولُ مجاهد، وعطاء، وأبي الأَحْوَصِ[2].

وعن النبي ﷺ أنه كفَّارةُ المجلسِ[3].

والحمدُ للهِ الواحدِ الأحدِ، ونشكُرُه على جميع ما وعَدَ.

* * *

---

(١) رواه عنه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٦٠٥) أنه قول: سبحان الله وبحمده، وذكر نحوه الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٣٣)، وابن عطية في «المحرر الوجيز» (٥/ ١٩٤).

(٢) انظر: «تفسير مجاهد» (ص: ٦٢٤)، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٦٣٧) إلى الفريابي وابن المنذر.

وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٣٣)، والواحدي في «البسيط» (٢٠/ ٥١٣)، وابن عطية في «المحرر الوجيز» (٥/ ١٩٤) عن عطاء وأبي الأحوص.

(٣) روى الإمام أحمد في «مسنده» (٨٨١٨) واللفظ له، والترمذي (٣٤٣٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «كفارة المجالس أن يقول العبد: سبحانك اللهم وبحمدك، أستغفرك وأتوب إليك».

وروى النسائي نحوه (١٠١٨٧) من حديث أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه وغيره.

سُورَةُ النَّجْمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

بسمِ اللهِ الذي أوحى إلى عبْدِه ما أوحى، الرَّحمنِ الذي أَغْنى وأَقْنى، الرَّحيمِ الذي إليه المُنْتَهى.

وروى أبيُّ بنُ كعبٍ رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «مَن قرأَ سُورةَ ﴿وَالنَّجْمِ﴾ أُعْطِيَ عشرَ حسناتٍ بعدَدِ مَن صَدَّقَ بمحمد وجحَدَ به بمَكَّةَ»[1].

وهذه السُّورةُ مَكِّيَّةٌ، وهي اثنتان وستون آيةً، وقيل: إحدى وستون، والاختلافُ في قوله: ﴿إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾.

وكلماتُها: ثلاثُ مئةٍ وستون كلمةً.

وحروفُها: ألفٌ وثلاثُ مئةٍ وستةٌ وثمانون.

وانتظامُ خَتْمِ تلك السُّورةِ بافتتاح هذه السورة: أنَّ تلك في ذِكْرِ النُّجوم، وهذه في ذِكْرِ النَّجْمِ.

وانتظامُ السُّورتين: أنَّهما في مُحاجَّة المشركين، وفي هذه زيادةُ كرامةٍ لِسَيِّدِ المرسَلين، وبيانُ قِصَصِ الأوَّلين.

---

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٣٤)، والمستغفري في «فضائل القرآن» (١٢٢٠)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ١٩٢)، وهو قطعة من الحديث الطويل الموضوع المروي عن أبي بن كعب رضي الله عنه، وانظر: «الفتح السماوي» (٣/ ١٠١٦).

(١) ـ ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ﴾.

قولُه تعالى: ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ﴾: قال ابن عباس: أقسَمَ اللهُ **تعالى** بالقرآن إذا نَزَلَ نُجوماً[١]، قال تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ [الواقعة: ٧٥].

وقال مجاهد: أقسَمَ اللهُ تعالى بالثُّرَيَّا إذا غابَتْ[٢]، والعربُ تُسَمِّي الثُّرَيَّا نَجْماً.

ويُقالُ: المرادُ به: جِنْسُ النُّجومِ، وهَوِيُّها: غروبُها.

وقيل: هَوِيُّها: انقضَاضُها لِرَجْمِ الشياطين، وهو قولُ[٣] ابنِ عباس أيضاً[٤].

وقيل: هو إِسْراعُها في السَّيْرِ، لا تَفْتُرُ طالِعةً وغارِبةً.

وقال جعفرٌ الصَّادقُ: هو القسَمُ بالنَّبيِّ ﷺ إذا نزَلَ ليلةَ المِعْراجِ مِن السماء[٥].

وقيل: هو قسَمٌ بالعالِم إذا وُضِعَ في قَبْرِه؛ قال النبيُّ ﷺ: «عُلَماءُ أُمَّتي كالنُّجوم، بها يُهْتَدى في البَرِّ والبحر»[٦].

---

(١) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٣٥٨)، ومكي في «الهداية» (١١/ ٧١٣٩)، والواحدي في «البسيط» (٢١/ ٧).

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٠٢٢)، والطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٥).

وذكره ابن قتيبة في «غريب القرآن» (ص: ٤٢٧)، والماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (٩/ ٤١٦)، والسمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٣٥٨)، والثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٣٤)،

(٣) في (ف): «عن».

(٤) ذكر نحوه الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٣٥)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ١٩٢)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٣٩٧) عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٥) ذكره عنه الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٣٥)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٣٩٧).

(٦) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (١٢٦٠٠)، والرامهرمزي في «أمثال الحديث» (ص: ٨٧)، والخطيب في «الفقيه والمتفقه» (٢/ ١٣٨)، من حديث أنس رضي الله عنه، بلفظ: «إن مثل العلماء في الأرض، كمثل النجوم في السماء، يهتدى بها في ظلمات البر والبحر، فإذا انطمست النجوم =

وقيل: هو قسَمٌ بنُورِ المعرفة إذا وقَعَ في القلب، قال تعالى: ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ [النور: ٣٥].

وقيل: هو قسَمٌ بالنَّبْتِ الضَّعيفِ إذا سَقطَ، قال تعالى: ﴿وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ [الرحمن: ٦]، وتخصيصُه بالذِّكْرِ تأكيدٌ لِتَقْوِيَةِ قُلوبِ الضُّعفاء.

وقيل: هو قسَمٌ بربِّ النَّجْمِ؛ كما مَرَّ في الذَّارِياتِ.

* * *

(٢ ـ ٣) ـ ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ﴾.

قولُه تعالى: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾: هو جوابُ القسَمِ؛ أي: ما عدَلَ عن الصَّوابِ المبعوثِ به إليكم رَسُولاً، وما جَهِلَ ما خُوطِبَ به.

وقيل: ما خابَ مِمَّا طلَبَ مِن رضى اللهِ ورحمتِه.

وقيل: أي: ﴿مَا ضَلَّ﴾: في دِينِه الذي يَدْعوكم إليه، ﴿وَمَا غَوَىٰ﴾: أي: ما خرَجَ عن الرُّشْدِ في أسباب نفْسِه مِن أُمور دنياه ومُعاملاتِه، عرَّفَهم ما لم يَزَلْ معروفاً به مِن الأمانة والسَّداد، وكان يُسَمَّى: الأمين، ويُتَحاكَمُ إليه في عَظائِمِ الأمور.

وقيل: ما ضلَّ قَبْلَ الوحيِ، ولا غوى بعد الوحيِ، فلم يَزَلْ كان يعبُدُ ربَّه ويُوَحِّدُه، لا يُطاوِعُ نفْسَه في شهواتِها، ويَتَوَقَّى مُسْتَقْبَحاتِ الأمور والأفعال ومُسْتَشْنَعاتِها.

﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ﴾: أي: بهوى نفْسِه بغير ما أُوحِيَ إليه.

و(عن) بمعنى الباء؛ كما يُقال: (رمى عن قوسِه).

* * *

= أوشك أن تضل الهداة». قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ١٢١): رواه أحمد، وفيه رشدين بن سعد، واختلف في الاحتجاج به، وأبو حفص صاحب أنس مجهول.

(٤) ـ ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾.

قولُه تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾: أي: ما هو إلا وحيٌ يُوحِيه اللهُ تعالى إليه.

ولَمَّا قال مُشْرِكو[1] قريشٍ: ضلَّ محمدٌ عن دين آبائِه، أجابَ اللهُ بهذا، وسائرُ الناس كانوا يُجِيبون بأنفسهم، قال قومُ نوحٍ لنوحٍ: ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي ضَلَٰلٍ﴾ [الأعراف: ٦٠]، ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَٰلَةٌ﴾ [الأعراف: ٦١]، وقال عادٌ لِهُودٍ: ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي سَفَاهَةٍ﴾ [الأعراف: ٦٦]، ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ﴾ [الأعراف: ٦٧]، وقال فرعونُ لموسى: ﴿إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا﴾ [الإسراء: ١٠١]، قال له: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾ [الإسراء: ١٠٢].

واللهُ تعالى تولَّى جوابَ ما قالوا للمصطفى ﷺ: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾، ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ﴾ [التكوير: ٢٢]، ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الحاقة: ٤١ ـ ٤٢]، ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ﴾ [يس: ٦٩]، ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ﴾ [النجم: ٣].

وخُصُوصِيَّةٌ أخرى: قال لداود عليه السلام: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [ص: ٢٦]، وقال للمصطفى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ﴾ [النجم: ٣]، وقال لآدم: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾ [طه: ١٢١]، وقال للمصطفى: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾.

ورُوِيَ عن عُرْوةَ بنِ الزُّبير أنه قال: أرادَ عُتْبَةُ بنُ أبي لَهَبٍ الخُروجَ إلى الشَّام، فقال: لآتِيَنَّ محمداً ولأُوذِيَنَّه، فأتاه فقال: يا محمدُ، كفَرْتُ بالنَّجْم إذا هوى، والذي دنا فتدلَّى، فقال النبيُّ ﷺ: «اللَّهُمَّ سَلِّطْ عليه كَلْباً مِن كلابِكَ»، وكان أبو طالبٍ حاضِراً، فوجَمَ لها وقال: لقد أغناكَ اللهُ يا ابنَ أخي عن هذه الدَّعوة، خَوْفاً على ابن أخيه، فرجَعَ عُتْبَةُ إلى أبيه فأخبَرَه، ثم خرَجَ إلى الشام، فنزَلوا مَنْزِلاً، فأشرَفَ

---

(١) في (ف): «المشركون من».

عليهم راهِبٌ مِن الدَّيْرِ، فقال لهم: إنَّ هذه أرضٌ مُسْبِعَةٌ؛ أي: ذاتُ سِباعٍ[١]، قال عُتْبَةُ لأصحابه: أَعِينُوني هذه اللَّيْلَةَ، فإني أخافُ دعوةَ محمدٍ، فجمَعوا جِمالَهم، فأناخوها حولهم، وأَحْدَقوا بعُتْبَةَ، وفرَشوا له وَسَطَهم، وناموا، فجاء الأسدُ يتَشَمَّمُ وُجوهَهم، ثم دنا منه، فخَدَشَه وضرَبَه حتى قتَلَه، فقال في ذلك حسانُ بنُ ثابتٍ رضي الله عنه:

سائِلْ بني الأَشْعَرِ إنْ جئتَهم ... ما كان أنباءُ أبي واسِعِ؟
لا وسَّعَ اللهُ له قَبْرَه ... بل ضيَّقَ اللهُ على القاطِعِ
رَحِمَ نبيٍّ جَدُّه جَدُّه ... يدعو إلى نورٍ له ساطعِ
رمى رسولَ اللهِ مِن بينهم ... دُونَ قُرَيشٍ رَمْيَةَ القارعِ
أَسْبَلَ بالحِجْرِ لِتكْذِيبِه ... دُونَ قُرَيشٍ نُهْزَةُ[٢] القادِعِ
فاستوجَبَ الدَّعوةَ منه بما ... بَيَّنَ للنَّاظِرِ والسَّامعِ[٣]
أنْ سَلَّطَ اللهُ به كَلْبَه ... يمشي الهُوَيْنا مِشْيَةَ الخادِعِ
حتى أتاه وَسْطَ أصحابِه ... وقد عَلَتْهُمْ سِنَةُ الهاجِعِ
فالتقَمَ الرأسَ بِيَافوخِهِ[٤] ... والنَّحْرَ منه فَغْرَةَ الجائعِ
ثم علا بعدُ بأنيابِه ... مُنْعَفِراً وَسْطَ دمٍ ناقِعِ

---

(١) «أي ذات سباع» زيادة من (ف).

(٢) النهزة كالفرصة وزناً ومعنًى. وانظر التعليق الآتي.

(٣) جاء في (أ) بعد هذا البيت ما يعدُّ شرحاً لما قبله، ولعل موضعه في الحاشية دون المتن، وهو: «أي: أسبل ثيابه في حجر الكعبة ليكذب محمداً، وهو ـ أي عتبة ـ فرصةُ المفحش؛ أي: من أراد شتمه وجده أهلاً له».

(٤) بيافوخه: اليافوخ: حيث التقاء عظم مقدم الرأس وعظم مؤخره. انظر: «المحكم» لابن سيده (٥/ ٢٣٩).

قـد كان هـذا لكـمُ عِـبْرَةً للسَّـيِّدِ المَتْبـوعِ والتَّابـعِ
مَـن يرجِـعُ العـامَ إلى أهلِـه فمـا أكيـلُ السَّـبْعِ بالرَّاجـعِ[1]

***

(٤ ـ ٦) ـ ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ (٤) عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ (٥) ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ﴾.

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ (٤) عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾: أي: عَلَّمَ محمداً ﷺ جبريلُ وحيَ اللهِ، وهو شديدُ القُوى. قالَه[2] ابنُ عباس وقتادة والرَّبيع[3]؛ أي: في نفْسِه وعِلْمِه، وهو كما قال في موضعٍ آخَرَ: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (١٩) ذِى قُوَّةٍ﴾.

ومِن قُوَّتِه ما ذكَرْنا في قصة لوطٍ مِن رَفْعِه القريَّاتِ إلى السماء ثم تَقْلِيبِها، ومِن قُوَّتِه ما رُوِيَ أنه ضرَبَ بجناحِه إبليسَ على عَقِبِه[4] بمكَّةَ فألقاه بالهند.

وقولُه: ﴿ذُو مِرَّةٍ﴾: أي: ذو إِحْكامٍ كالحَبْلِ المُمَرِّ المُوثَقِ بالفَتْلِ.

وقيل: ﴿شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾: في أوامرِ اللهِ تعالى ﴿ذُو مِرَّةٍ﴾؛ أي: ذو قُوَّةٍ في جِسْمه.

---

(١) روى الحادثة بتمامها مع الشعر باختلاف يسير: الدولابيُّ في «الذرية الطاهرة» (٧٧)، وأبو نعيم في «دلائل النبوة» (ص: ٤٥٤) إلى قوله: (فغرة الجائع)، وقوام الدين الأصبهاني في «دلائل النبوة» (ص: ٢٢٠)، وذكرها الثعلبيُّ في «تفسيره» (٩/ ١٣٥)، والطيبي في «فتوح الغيب» (١٥/ ٧٣) وقال: وأثر الصنعة ظاهر في هذه الأبيات.

(٢) في جميع النسخ الخطية: (قال)، والصواب المثبت.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٩) عن قتادة والربيع. وذكره المجاشعي في «النكت» (ص: ٤٦٨)، والأصبهاني في «إعراب القرآن» (ص: ٤٠٥) عن ابن عباس وقتادة والربيع.

(٤) في (ر): «عنقه».

وقيل: أي: ذو خَلْقٍ حسَنٍ.

وقال قتادة: أي: ذو خَلْقٍ طويلٍ حسَنٍ[١].

وقيل: ﴿ذُو مِرَّةٍ﴾: أي: ذو استمرارٍ ومُرورٍ في الجوِّ في انحدارِه وصُعودِه سريعاً في ذلك.

وقال نِفْطَوَيْهِ: أي: ذو رأيٍ مُحْكَمٍ.

وصَرْفُ هذه الصِّفَةِ[٢] إلى جبريل عليه السلام قولُ مُجاهدٍ وقتادةَ وأبي العالية وجماعةٍ[٣]، وسياقُ هذه الآيةِ على قولهم.

﴿فَٱسْتَوَىٰ﴾[٤]: أي: جبريلُ واقِفاً في الهواء بعد أنْ كان ينزِلُ مُسْرِعاً في كلِّ مَرَّةٍ.

***

(٧ ـ ٩) ـ ﴿وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾.

﴿وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾: مِن الهواء قريباً مِن السماء.

وقيل في ذلك: إنه كان بمَطْلَعِ الشمس. قالَه قتادةُ[٥]، والأُفُقُ: النَّاحِيَةُ، وجمعُه: الآفاقُ.

---

(١) رواه عنه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ١٠). وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٣٧)، ومكي في «الهداية» (١١/ ٧١٤٢).

(٢) في (ف): «القصة».

(٣) رواه الطبريُّ في «تفسيره» (٢٢/ ٩ ـ ١١) عن قتادة ومجاهد والربيع.

وذكره السمعاني في «تفسيره» (٥/ ٢٨٥) عن ابن مسعود وابن عباس ومجاهد وقتادة وعلقمة وقرة بن شراحيل وأكثر أهل التفسير.

وقال القرطبي في «تفسيره» (٢٠/ ١١): هو قول سائر المفسرين سوى الحسن، فإنه قال: هو الله عز وجل. وسيأتي قوله قريباً.

(٤) بعدها في (ر): «سريعاً في ذلك».

(٥) ذكره الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ١١)، والسمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٣٥٩)، والثعلبي في =

﴿ثُمَّ دَنَا﴾: جبريلُ مِن الأرض.

﴿فَتَدَلَّىٰ﴾: أي: فاسترسَلَ إلى محمد ﷺ.

وقيل: نكَسَ رأسَه لِتَبْليغِ وحيِ الله تعالى إلى محمد ﷺ.

﴿فَكَانَ﴾: قُرْبُ ما بينهما ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ﴾: أي: قَدْرَ قوسين.

وقيل ـ وهو قول ابن عباس ـ: أي: قَدْرَ ذِراعين[1]، ويُسَمَّى الذِّراعُ قوساً؛ لأنَّه يُقاسُ به المَذْروعُ؛ أي: يُقَدَّرُ.

﴿أَوْ أَدْنَىٰ﴾: قيل: بل أدنى مِن ذلك، فلم يكن بالقَريبِ المُلاصِقِ، ولا بالبعيد المانع مِن التَّمَكُّنِ مِن النَّظَر إليه، وهو المقدارُ المعقولُ مِن مَجالسِ الخَواصِّ مِن العُظَماء في الدنيا، وهو يَجْمَعُ تقريباً مِن العَظيم للمُجالس، وتعظيماً مِن المُجالِسِ له[2].

***

(١٠ ـ ١١) ـ ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ۝١٠ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾.

﴿فَأَوْحَىٰٓ﴾: أي: بلغ جبريلُ الوحي.

﴿إِلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾: أي: إلى عبد الله.

﴿مَآ أَوْحَىٰ﴾: أي: ما أوحى اللهُ تعالى إلى جبريل، وأمرَه أنْ يُبَلِّغَه إلى المصطفى ﷺ.

= «تفسيره» (٩/ ١٣٧) من غير نسبة. وذكره الماوردي في «تفسيره» (٥/ ٣٩٢) عن مجاهد.
ورواه عن قتادة عبدُ الرزاق في «تفسيره» (٣٥٢١) في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ﴾.

(١) رواه عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه كما في «الدر المنثور» (٧/ ٦٤٥).
وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٣٨).

(٢) في (أ): «تقريباً من العظيم للجالس وتعظيماً من الجالس» وفي (ف): «تقريباً من العظماء للجالس وتعظيماً من الجالس له».

﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾: قرأ ابنُ عامرٍ[١]: ﴿ما كذَّب﴾: بالتشديد، والباقون بالتخفيف[٢].

﴿ٱلْفُؤَادُ﴾: أي: فؤادُه، بالألف واللَّامِ بدلٌ عن الإضافة؛ كقوله: ﴿فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِيَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٤١]؛ أي: مأواه.

ومعنى التَّخفيفِ: ما كذَبَ فؤادُه فيما رأى محمدٌ بعينه جبريلَ، وفيما وعى مِن عِلْمِه، وبالتَّشديدِ: لم يوجَدْ مِن قلبِه التَّكذيبُ لِمَا رآه بعينه، ولا إنكارُه.

* * *

(١٢) ـ ﴿أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ﴾.

﴿أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ﴾: قرأ حمزةُ والكسائيُّ: ﴿أَفَتَمْرُونَه﴾، ومعناه: أَفَتَجْحَدُونه أيُّها المشركون؟

وقرأ الباقون: ﴿أَفَتُمَٰرُونَهُۥ﴾[٣]: أي: أَفَتُجَادِلونه على ما يرى؟ فتقولون: إنه لم يرَ جبريلَ عليه السلام، وإنما رأى شيطاناً؛ كما ترى[٤] الكهَنةُ الشياطينَ.

وإنما قال: ﴿يَرَىٰ﴾، ولم يقل: (رأى)؛ لأنه كان يراه في كلِّ نُزولٍ، فهو على الفعلِ الدَّائمِ.

قالت عائشةُ رضي الله عنها: قال النبي ﷺ: «رأيتُ جبريلَ مُنْهَبِطاً قد ملأَ ما بين السماء والأرض، عليه ثِيابُ سُنْدُسٍ مُعَلَّقٌ بها اللُّؤْلُؤُ والياقوتُ»[٥].

---

(١) في (ف): «عباس».

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦١٤)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٤)، وقراءة التشديد رواها هشام بن عمار عن ابن عامر. وقرأ ابن عامر في رواية ابن ذكوان بالتخفيف كباقي السبعة.

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦١٤)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٤).

(٤) في (أ): «رأى».

(٥) رواه ابن راهويه في «مسنده» (١٤٢٨)، والإمام أحمد في «مسنده» (٢٤٨٨٥)، وأبو العباس =

وعنها أيضاً: أنَّ النَّبيَّ ﷺ خرَجَ ذاتَ يومٍ، فإذا هو بجبريل عليه السلام على الشمس، له جَناحٌ بالمشرق، وآخَرُ بالمغرب[(١)].

ورُوِيَ: أنَّ حمزةَ بنَ عبد المُطَّلِب قال: يا رسولَ اللهِ، أَرِني جبريلَ في صُورتِه، فقال: «إنَّكَ لا تستطيعُ أنْ تنظُرَ إليه»، قال: بلى يا رسولَ اللهِ أَرِنيه، فقعَدَ ونزَلَ جبريلُ على خَشَبَةٍ في الكعبة كان المشركون يَضَعون عليها ثيابَهم إذا طافوا، فقال النبيُّ ﷺ: «ارفَعْ طَرْفَكَ يا حمزةُ، فانْظُرْ»، فرفَعَ عينيه، فإذا قدَماه كالزَّبَرْجَدِ الأخضرِ، فخَرَّ مَغْشِيًّا عليه[(٢)].

ورُوِيَ: أنَّ النبيَّ ﷺ سأل جبريلَ أنْ يراه على صورته، فقال: إنَّ الأرضَ لا تَسَعُني، ولكنِ انظُرْ إلى السماء، فرآه على صُورته، ثم دنا منه، فكُلَّما دنا منه انتقَصَ[(٣)]، فلما قرُبَ منه مقدارَ قوسين رآه على صُورته التي كان يراه عليها في كلِّ مَرَّةٍ[(٤)].

ورُوِيَ: أنَّه رآه على فرَسٍ والدُّنيا كلُّها بين كَلْكَلِه[(٥)]، وفي وجْهِه أُخْدُودٌ مِن البُكاء، لو أُلْقِيَتِ السُّفُنُ فيها لَجرَتْ، فقال في هذه الحادثة في سُورةٍ أخرى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ﴾[(٦)].

= السراج في «حديثه» (١٤١٠)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٢/ ٧٦٨).

(١) رواه مطولاً الطيالسي في «مسنده» (١٦٤٣)، وابن راهويه في «مسنده» (١٦٨٩)، من طريق رجل عن عائشة. ورواه الحارث في «مسنده» (٩٢٨) فسمى المبهم وهو يزيد بن بابنوس، لكن شيخ الحارث فيه داود بن المحبر وهو متروك كما في «التقريب».

(٢) رواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٣/ ١٢)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٧/ ٨١) وقال: هكذا روي هذا عن عمار بن أبي عمار، وهو مرسل.

(٣) في (ر): «انتقض».

(٤) ذكره الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (١٠/ ٤٣٨) من غير إسناد.

(٥) الكَلْكَلُ: الصدر. انظر: «تهذيب اللغة» للأزهري (٩/ ٣٣٣).

(٦) لم أقف عليه.

(١٣ ـ ١٥) ـ ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ﴾.

﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾: أي: رأى جبريلَ أيضاً مَرَّةً أخرى ليلةَ المعراجِ.

﴿عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾: في السماوات.

﴿عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ﴾: أي رآه على صُورته مَرَّةً في الدنيا، ومَرَّةً عند سِدْرَة المُنْتهى، على هذا بعضُ المُفَسِّرين.

وقال الحسنُ البَصْريُّ وجماعةٌ: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾: أي: علَّمَه اللهُ[1]، وهو وصفٌ مِن الله تعالى نفْسَه بكمال القُوَّةِ والقُدْرة، وهو كقوله: ﴿شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [غافر: ٢٢]، وقولِه: ﴿وَهُوَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْعَزِيزُ﴾ [الشورى: ١٩].

﴿ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ﴾: أي: ذو إحكامٍ للأمور والقضايا، قال الله تعالى: ﴿أَمْ أَبْرَمُوٓا۟ أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ﴾ [الزخرف: ٧٩]، وبَيَّنَ المكانَ الذي فيه عَلَّمَه بلا واسطةٍ فقال: ﴿فَٱسْتَوَىٰ﴾: أي: محمدٌ، ﴿وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾: أي: فوقَ السماوات، ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾: هو بيانُ قُرْبِ الكرامةِ لمحمد ﷺ مِن ربِّه.

والإسراءُ برسولِه ﷺ في اليقظة بجِسْمه ليلاً مِن المسجد الحرام إلى بيت المَقْدِس، ثم منه إلى السماء، ثم منه إلى سِدْرَةِ المنتهى، ثم منه إلى ما شاء الله تعالى= حَقٌّ صِدْقٌ، ذكَرَه اللهُ تعالى في أَوَّلِ سورة بني إسرائيل، وفي هذه السورة، وقد وردَتْ أحاديثُ كثيرةٌ أَشَرْنا إلى بعضِها في أَوَّلِ سورة بني إسرائيل، وقد أورَدْناها في كتابٍ جَمَعْناه في ذلك[2]، وقد قال به أهلُ السُّنَّةِ والجماعة، وأنكَرَه أهلُ الضَّلالةِ والبِدْعَةِ.

---

(١) ذكره السمعاني في «تفسيره» (٥/ ٢٨٥)، وابن عطية في «المحرر الوجيز» (٥/ ١٩٧) عن الحسن البصري.

(٢) لعله: «كتاب ما ورد من الأخبار في ذكر معراج النبي المختار وفوائده ولطائفه»، ذكره المؤلف في أول الإسراء.

واختلَفَتِ الرواياتُ في تعيين تلك الليلة:

قيل: كانت ليلةَ السَّابعِ والعشرين مِن رجَبٍ.

وقيل: كانت ليلةَ السَّادسَ عشرَ مِن شهر رمضانَ.

وقيل: كانت ليلةَ الثاني عشرَ مِن شهر ربيعٍ الأوَّلِ.

وقيل: كانت ليلةَ السبتِ.

وقيل: كانت ليلةَ الإثنينِ.

وقيل: كانت بعد المَبْعَثِ بسنتين.

وقيل: بثلاث سنين.

وقيل: كانت قبلَ الهجرةِ بثمانيةَ عشرَ شهراً، أتاه جبريلُ عليه السلام ومعه خمسون ألفَ ملَكٍ لهم زَجَلٌ بالتَّسْبيح، ورسولُ اللهِ ﷺ في بيتِ أمِّ هانئٍ ومعه ميكائيلُ، فقال: قُم يا محمَّدُ، فإنَّ الجَبَّارَ يَدْعوكَ إلى حَضْرَتِه[1]، فخرَجَ فإذا بالبُراقِ.

قال الواقديُّ: وهي دابَّةٌ فوق الحمار ودُونَ البَغْلِ، جسَدُها مِن ياقوتةٍ حمراءَ، وعنقُها مِن زُمُرُّدٍ أخضَرَ، وأُذُناها بَيْضاوانِ، وذنَبُها كذَنَبِ البَقَرِ، وعيناها مِثْلُ الزُّمُرُّدَةِ.

وقال محمد بنُ إسحاقَ: كانت خضراءَ، وعُنُقُها حمراءُ.

وقيل: كان رأسُها مِن زَعْفَرَانٍ، وصَدْرُها مِن ياقوتٍ، ويداها مِن لُؤْلُؤٍ، ورجلاها مِن زَبَرْجَدٍ، ووَجْهُها كوجه الإنسان، وعُرْفُها كعُرْفِ الفرَسِ، وأُذُناها كأُذُنِ الفِيلِ، وعُنُقُها كعُنُقِ البعير، وصَدْرُها كصَدْرِ البغال[2]، وقوائِمُها كقوائمِ البقَرِ، وبَطْنُها بالألوان المختلفة[3].

---

(١) «إلى حضرته» من (أ).

(٢) في (ر): «الإبل».

(٣) لم يرد في هذه الأوصاف ما يحتج به، والمعتمد فيه رواية الصحيحين، انظر التعليق الآتي.

قال: «فرَكِبْتُها، فكانت إنْ ترَكْتُها سارَتْ، وإنْ حرَّكْتُها طارتْ، خَطْوُها مَدُّ البَصَرِ، والملائكةُ أمامي وخلفي وعن يميني وعن شمالي»[١].

ثم كان في الطَّريقِ أعاجيبُ، وفي بيت المَقْدِس رأى النبيين وأمَّهم، وبَشَّروه في أُمَّتِه بكل خيرٍ، ثم صَعِدَ إلى السماء، ورأى في كلِّ سماءٍ أعاجيبَ وجماعةً مِن الرسل، ورقَّاه اللهُ إلى ما رَقَّاه، ولَقَّاه ما لَقَّاه، وأراه ما أراه، وخَصَّه بقُرْبٍ لم يكن لأحدٍ قَبْلَه، ولا يكونُ لأحدٍ بَعْدَه، وهو قولُه تعالى: ﴿فَٱسْتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾، أي: على طرف الكون.

﴿ثُمَّ دَنَا﴾: قيل: أي: دنا مِن كرامةِ الله، ولم يُرِدْ به قُرْبَ المكانِ، فإنَّ اللهَ تعالى مُنَزَّهٌ عن المكان، خلَقَ كلَّ مكانٍ، ولا حاجةَ له إلى مكانٍ، وإنما هو قُرْبُ المَنْزِلَةِ والدَّرَجة والكرامة والزُّلْفَة.

﴿فَتَدَلَّىٰ﴾: أي: سجَدَ للهِ تعالى؛ لأنه قال: «وجدتُ ما وجدتُ بالخِدْمة فأزيدُ في الخِدْمة، وفي السَّجْدة وعدُ القُرْبةِ، فأزدادُ قُرْباً على قُرْبٍ، وحُبًّا إلى حُبٍّ»[٢].

فانتهى إلى مكانٍ لم يَدْرِ الكونُ أين قدَمُه، ولم تَدْرِ قدمُه[٣] أين نفْسُه، ولم تَدْرِ نفْسُه أين قلبُه، ولم يَدْرِ قلبُه أين روحُه، ولم تَدْرِ روحُه أين سِرُّه، فكأنَّ الكونَ يطلُبُ قَدَمَه، وقَدَمَه تطلُبُ نفْسَه، ونفْسَه تطلُبُ قلبَه، وقلبَه يطلُبُ رُوحَه، ورُوحَه تطلُبُ سِرَّه.

---

(١) لم أقف عليه، لكن قوله: «خطوها مد البصر» رواه بلفظه الحميدي في «مسنده» (٤٤٨)، والبزار في «مسنده» (٢٩١٥)، من حديث حذيفة رضي الله عنه. وروى معناه البخاري (٣٨٨٧)، ومسلم (١٦٤)، من حديث مالك بن صعصة: «.. ثُم أُتيتُ بدابَّة أبيضَ، يقالُ له: البُرَاقُ، فوق الحمار، ودون البغل، يقعُ خَطْوُه عند أَقْصَى طَرْفه..».

(٢) لم أقف عليه.

(٣) في (ف): «القدم».

قالوا: ﴿ثُمَّ دَنَا﴾: إشارةٌ إلى مَقامِ نفْسِه، ﴿فَتَدَلَّىٰ﴾: إشارةٌ إلى مَقامِ قلبِه، ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ﴾: إشارةٌ إلى مقامِ رُوحِه، ﴿أَوْ أَدْنَىٰ﴾: إشارةٌ إلى مَقامِ سِرِّه، فكانت نفْسُه في مَقامِ الخِدْمة، وقلبُه في مَقامِ المَحبَّة، ورُوحُه في مَقامِ القُرْبة، وسِرُّه في مَقامِ المُشاهدة، وكانت حياةُ نفْسِه بالخدمة، وبقاءُ قلبِه بالمحبَّة، وقيامُ رُوحِه بالقُرْبة، وغذاءُ سِرِّه بالمشاهدة، ولو نظَرَتْ نفْسُه إلى الكون لَبَقِيَتْ بلا خِدْمةٍ، ولو نظَرَ قلبُه إلى نفْسِه لَبَقِيَ بلا مَحبَّةٍ، ولو نظَرَ رُوحُه إلى قلبه لَبَقِيَ بلا قُرْبَةٍ، ولو نظَرَ سِرُّه إلى رُوحه لَبَقِيَ بلا مُشاهدةٍ.

وسُئِلَ أبو الحسين النُّورِيُّ عن هذا المقام، فقال: لم يَسْعَ فيه جبريلُ، فمَن النُّوريُّ؟!

ثم قال: ﴿دَنَا﴾: يكونُ في أفهامنا بَعْدَ البُعْدِ ولا بُعْدَ ثَمَّ، ﴿فَتَدَلَّىٰ﴾: يكونُ في مكانٍ ولا مَكانَ ثَمَّ، ﴿فَكَانَ﴾: عبارةٌ عن زمانٍ ولا عِبارةَ ثَمَّ ولا زمانَ، ﴿قَابَ﴾: إشارةٌ إلى مِقْدارٍ ولا إشارةَ ثَمَّ، ﴿قَوْسَيْنِ﴾: مِثالٌ ولا مِثالَ ثَمَّ، ﴿أَوْ﴾: كلمةُ شَكٍّ ولا شَكَّ ثَمَّ، ﴿أَدْنَىٰ﴾: مُبالغةٌ في أنه أدنى مِن دانٍ آخَرَ ولا دانٍ معه ثَمَّةَ، فقد قصُرَتْ عنه العلوم، وطاشَتْ عنده الفُهوم، ولم يكنْ لأهلِ المعرفة أنْ يذكُروا فيه شيئاً إلا أنْ قالوا: معناه: دنا عبداً فتدلى فَرْداً، دنا مَكِّيًّا فتدَلَّى مَلَكِيًّا، دنا قُرَشِيًّا فتدَلَّى عَرْشِيًّا، دنا مُجاهِداً فتدَلَّى مُشاهِداً، دنا طَالِباً فتدلَّى واصِلاً، دنا ومعه الزَّحْمَةُ فتدلَّى ومعه الرَّحْمةُ، دنا افتقاراً فتدلَّى افتخاراً، دنا مُنادِياً فتدَلَّى مُناجِياً، دنا مادِحاً فتدَلَّى مَمْدوحاً، دنا شاكِراً فتدَلَّى مَشْكوراً.

وقيل: أحدُهما صفةُ اللهِ تعالى، والآخَرُ صفةُ محمد، ومعناه: كان هو يتقرَّبُ واللهُ يُقَرِّبُه، وكان هو يتكلَّمُ واللهُ يَسْمَعُه، وكان هو يسألُ اللهَ واللهُ يُعطِيه، وكان هو يَشْفَعُ واللهُ يُشَفِّعُه، وكان هو ينظُرُ في آياتِ الله واللهُ ينظُرُ في آدابِ رسولِ الله.

﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾: قد مَرَّ بعضُ الشَّرحِ فيه، وهو تقريرُ خاصِّيَّةٍ كانت له في تقريبِ المَنْزِلَةِ في الأفهام، وتأكيدُ حُرْمَةٍ وقعَتْ له مُصَوَّرَةً في الأوهام، مُمَثَّلَةً بما يتسارَعُ(١) إليه عُقولُ الأنام، فكانت عُظَماءُ العرب إذا أرادوا تأكيدَ عهدٍ وتوثيقَ عَقْدٍ لا يُنْقَضُ ولا يُرْفَض، أحضَرَ المتعاقدان قَوْسَيْهما، فجَمَعا بينهما، وقَبَضا عليهما، ونزَعاهما جميعاً، ورَمَيا عنهما سَهْماً واحداً، يُشِيران بذلك إلى الاتِّحادِ الكُلِّيِّ، والاجتماعِ(٢) الأصليِّ، فكان بعدَ ذلك رِضا أحدِهما رضا الآخَرِ، وسَخَطُ أحدِهما سَخَطَ الآخَرِ، فكأنَّه قال: أَكَّدْنا المحبَّةَ، وأَبْرَمْنا القُرْبَةَ، فمَقْبُولُه مَقبولي، ومَرْدُودُه مَرْدودي، وأبانَ ذلك في آياتٍ: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ﴾ [المنافقون: ٨]، ﴿آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [الحجرات: ١٥]، ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾ [النساء: ١٣٦]، ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [النور: ٥٢]، ﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [النساء: ١٤]، ﴿اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾ [الأنفال: ٢٤]، ﴿وَمَن يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [الأنفال: ١٣]، ﴿وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [الحشر: ٨]، ﴿إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [التوبة: ٩١]، ﴿فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [البقرة: ٢٧٩]، ﴿يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [الأحزاب: ٥٧]، ﴿بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [التوبة: ١]، ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾ [التوبة: ٦٢]، ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ [المائدة: ٥٥]، ﴿فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ﴾ [التوبة: ١٠٥]، ﴿لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [الحجرات: ١]، ﴿مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [النساء: ١٠٠]، فما هوَ له فهو لي، وما هو لي فهو له، وهذا مَقامٌ ليس فوقَه مَقامٌ.

وقيل: ﴿فَتَدَلَّىٰ﴾: أي: أرسَلَ نفْسَه في هذا المكان، فقال: أنا لا أرجِعُ عن هذا المكان، فإني لا أَصْبِرُ عنه، فقيل له: إنَّ الذي أحضَرَكَ هذا المقامَ قادِرٌ على أنْ

(١) في (ف): «لا يتسارع».

(٢) في (أ): «والإجماع».

يُحْضِرَكَ هذا المكانَ وأنتَ في الدنيا، فارجِعْ فادْعُ إلينا الهاربين، فإذا استَوْحَشْتَ مِن الخَلْقِ، واشتَقْتَ إلى هذا المكان، فتُحْرِمُ للصلاة نُقَرِّبُكَ ونُبَلِّغُكَ هذا المقامَ؛ ولذلك كان يقول: «أَرِحْنا يا بلالُ»[1]، وكان يقولُ: «وجُعِلَتْ قُرَّةُ عيني في الصلاة»[2].

وقال الإمامُ القُشَيريُّ: أدناه حتى لا دُنُوَّ، وأخذَه عنه حتى لا غير، وأَصْحاهُ لَمَّا مَحاهُ عنه، وقال له ما قال، ولم يُطْلِعْ أحداً على ما بينهما مِن السِّرِّ، وأخبرَ أنه ما يَنْطِقُ عن الهوى، ومتى يَنطِقُ عن الهوى مَن هو في مَحَلِّ النَّجْوى، وظاهرُه مَزْمُومٌ بزِمام التَّقوى، وفي السِّرِّ هو في إيواء المولى؟! مُصَفًّى عن كُدُوراتِ البَشَرِيَّةِ، مُرَقًّى إلى شُهودِ الأَحَدِيَّةِ، مُكاشَفٌ بجَلالِ الصَّمَدِيَّةِ، مُخْتَطَفٌ عنه بالكُلِّيَّةِ، لم تَبْقَ فيه إلا للحقِّ بالحقِّ بَقِيَّةٌ، فمَن كان هذا صِفَتُه أنَّى يَنْطِقُ عن الهوى؟![3]

وقولُه تعالى: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾: أي: أوحى اللهُ في ذلك المقامِ ما أوحى، فأخفى كلَّ شيءٍ نسَبَه إليه؛ إشعاراً بأنه الحبيبُ الأَخَصُّ، فقال في مَقامه: ﴿أَوْ أَدْنَىٰ﴾، وقال في نثاره: ﴿إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ﴾، وقال فيما رآه: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾، وقال في الوحيِ: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾.

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «مسنده» (٩٤٠)، وأبو داود (٤٩٨٥)، والطبراني في «الكبير» (٦٢١٤) من حديث رجل من خزاعة.
ورواه الإمام أحمد في «مسنده» (٢٣٠٨٨)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٤/ ٣٥٩)، والطبراني في «الكبير» (٦٢١٥) من حديث رجل من أسلم.
قال الزيلعي في «تخريج أحاديث الكشاف» (١/ ٦٢): رواه أبو داود، وسنده رجال الصحيحين، إلا شيخه مسددا، فانفرد عنه البخاري.

(٢) رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (٧٩٣٩)، والإمام أحمد في «مسنده» (١٤٠٣٧)، والبزار في «مسنده» (٦٨٧٩)، والنسائي (٣٩٤٠)، من حديث أنس رضي الله عنه.

(٣) انظر: «لطائف الإشارات» (٣/ ٤٨١ ـ ٤٨٢).

وكذلك أحوالُ الأحبابِ، وتكلَّموا فيه:

فقيل: الأقربُ إلى الأدبِ السُّكوتُ، فإنه ما أخفاه ليكون لكلِّ أحدٍ إظهارُه.

وقيل: قَدَّرَ ما وقَفَ عليه بخَبَرٍ أو أثَرٍ أو استدلالٍ، فلا بأسَ بذِكْرِه.

وقيل: أوحى إليه قولَه تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ﴾ [البقرة: ٢٨٥] إلى آخره، كان ذلك وحياً إليه في ذلك المقامِ بغير واسطة جبريل.

وقال ابن عباس: قال اللهُ تعالى له: عَبَدْتَنا في الخَلْوةِ، فاشْفَعْ لِأُمَّتِكَ في الخَلْوَةِ[١].

وقالت عائشةُ: سألتُ رسولَ الله ﷺ عن ذلك فقال: «هو قولُ اللهِ تعالى: لولا العِتابُ ما كان معَ أُمَّتِكَ الحِسابُ»[٢].

ورُوِيَ: أنَّ اللهَ تعالى قال له: «قل لأُمَّتِكَ: إنْ أَحْبَبْتُم أحداً لإحسانه إليكم فأنا أولى به منكم لِكَثْرَةِ نِعمتي عليكم، وإنْ أنتم خِفْتُم أحداً مِن أهل السماء والأرض فأنا أولى بذلك لِكَمال قُدْرتي، وإنْ أنتم رَجَوْتُم أحداً فأنا أولى بذلك لأنِّي أُحِبُّ عِبادي، وإنْ أنتم استحيَيْتُم مِن أحد لِجَفائِكم إياه فأنا أولى بذلك لأنَّ منكم الجَفاءَ ومني الوَفاء، وإنْ أنتم آثَرْتم أحداً بأموالكم وأنفسكم فأنا أولى بذلك لأني مَعْبودُكم، وإنْ صَدَّقْتُم أحداً في وعده فأنا أولى بذلك لأني أنا الصَّادقُ»[٣].

وقال سعيدُ بنُ جُبيرٍ: أوحى اللهُ إليه: أَلَمْ أَجِدْكَ يتيماً فآوَيْتُكَ، ووجدتُكَ ضالًّا

---

(١) ذكره الصفوري في «نزهة المجالس» (٢/ ١١٩)، ولعله نقله عنه المصنف.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) لم أقف عليه.

فهدَيْتُكَ، ووجدتُكَ عائِلاً فأَغْنَيْتُكَ، ألم أشرَحْ لكَ صدرَكَ، ألم أَضَعْ عنكَ وِزْرَكَ، ألم أرفَعْ لكَ ذِكْرَكَ[١]؟!

وقيل: أوحى اللهُ إليه: إنَّكَ القاسِمُ بين الجنة والنار.

وقيل: أوحى إليه: إنَّ الجنَّةَ مُحَرَّمَةٌ على الأنبياء حتى تَدْخُلَها أنتَ، وعلى الأُمَمِ حتى تَدْخُلَها أُمَّتُكَ.

وقيل: أوحى إليه: خصَصْتُكَ بحوضِ الكوثر، فكلُّ أهلِ الجنَّةِ أضيافُكَ بالماء، فلهم الخَمْرُ واللَّبَنُ والعَسَلُ.

وقيل: أوحى اللهُ إليه: إنِّي ضَمِنْتُ الرزقَ لعبادي وأُمَّتُكَ لا يَثِقون بذلك، وخلقْتُ[٢] النارَ لأعدائي وهُم يجتهدون أنْ يدخلُوها، وأنا لم أُطالِبْهم بعمَلِ الغدِ وهُم يَطْلُبون مني رِزْقَ الغدِ، وأنا لا أُعْطِي رِزْقَهم غيرَهم وهُم يُؤَدُّون طاعتي لِرؤية غيري، وأنا المُعِزُّ والمُذِلُّ وهُم يَرْجُون ويخافون غيري، وأنا المُنْعِمُ عليهم وهم يشكُرون لغيري.

يُروى هذا عن فاطمةَ رضي الله عنها: أنها سألَتْ رسولَ الله ﷺ عن هذا، فقال هو هذا[٣].

---

(١) رواه الطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٣٩٦٦)، والطبراني في «الأوسط» (٣٦٥١)، والحاكم في «المستدرك» (٣٩٤٤)، والثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٢٢٥)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ٥١١)، والبيهقي في «الدلائل» (٧/ ٦٣) والبغوي في «تفسيره» (٨/ ٤٥٥) عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما. وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

وذكره القرطبي في «تفسيره» (١٧/ ٩٢) عن سعيد بن جبير، والقشيري في «لطائف الإشارات» (٣/ ٤٨٢) من غير نسبة.

(٢) في (أ) و(ر): «وجعلت».

(٣) لم أقف عليه.

وقيل: أوحى إليه: وَهَبْتُ لكَ ثُلُثَ أُمَّتِكَ الليلةَ، وأَهَبُ لكَ الثُّلثين يومَ القيامة.

وقيل: أوحى اللهُ إليه: يا محمدُ، لم أُكْثِرْ مالَ أُمَّتِكَ لئلا يكثُرَ[١] في القيامة حِسابُهم، ولم أُطِلْ أعمارَهم لِئلَّا تقسوَ قلوبُهم، ولم أُفاجِئْهم بالموت لِئلَّا يكونَ بدون التوحيد خروجُهم مِن الدنيا[٢]، وأخَّرْتُهم في الدنيا عن الآخرين لِئلَّا يطولَ في القبور حَبْسُهم.

وقيل: أوحى اللهُ إليه: إنَّ أُمَّتَكَ يُطيعون ويَعْصون، وطاعتُهم برِضَائي، ومعصيتُهم بقضائي، فما كان برضائي أَقْبَلُه فأنا كريمٌ، وما كان بقضائي أغفِرُه فإني رحيمٌ.

وقيل: أوحى اللهُ إليه: «عِشْ ما شِئْتَ فإنكَ مَيِّتٌ، وأحبِبْ ما شِئْتَ فإنكَ مُفارِقُه، واعمَلْ ما شئتَ فإنك مَجْزِيٌّ به»[٣].

وقيل: أوحى إليه: كُنْ آيِساً مِن الخَلْق فليس بأيديهم شيءٌ، واجعل صُحْبَتَكَ معي فإنَّ مَرْجِعَكَ إليَّ، ولا تجعلْ قلبَكَ مُتعَلِّقاً[٤] بالدنيا فما خَلَقْتُكَ لها.

وقولُه تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ﴾: أي: ولقد رأى محمدٌ جبريلَ.

---

(١) في (ف): «ليطول» بدل: «لئلا يكثر»

(٢) في (ر): «لئلا يكون بدون التوبة في الدنيا خروجهم»، وفي (ف) مثله لكن تحرفت: «التوبة» إلى: «الموت».

(٣) رواه الطيالسي في «مسنده» (١٨٦٢)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٠٥٧) من حديث جابر رضي الله عنه.

والطبراني في «الأوسط» (٤٢٧٨)، والحاكم في «المستدرك» (٧٩٢١)، وأبو نعيم في «الحلية» (٣/ ٢٥٣)، والقضاعي في «مسنده» (٧٤٦) من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه.

قال الحاكم: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٤) في (ف): «معلقاً».

﴿نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ﴾: قيل: مَرَّةً أخرى، و﴿نَزۡلَةً﴾: مَرَّةٌ مِن النزول؛ أي: نزَلَ بسِدْرَةِ المنتهى ليلةَ المعراج، فرآه بها على صورته.

قال ﷺ: «رأيتُه عند سِدْرةِ المنتهى، عليه سِتُّ مئةِ جَناحٍ، يتناثَرُ منها الدُّرُّ والياقوتُ»(١).

وسِدْرَةُ المُنْتَهى: شجرةُ نَبِقٍ، ولها حُسْنُ المَنْظَرِ، وطِيبُ الرائحةِ، وحلاوةُ الثَّمرِ، وورقُها كآذانِ الفِيلَةِ في الكِبَر، وثمَرُها كقِلالِ هَجَرٍ(٢)، وهي مقامُ جبريلَ، وأَمَّ فيها رسولُ الله ﷺ ملائكةَ السماء في الوِتْر، فكان إمامَ الأنبياءِ في بيت المَقْدِس، وإمامَ الملائكةِ عند سِدْرَةِ المنتهى، فظهَرَ بذلك فَضْلُه على أهل الأرض والسماء.

وسُمِّيَتْ سِدْرَةَ المنتهى عند كعبٍ؛ لأنَّ رؤيةَ الملائكةِ تنتهي إليها، لا تَرى ملائكةُ السماوات ما فوقَها، وهي في السماء السابعة(٣).

وقال ابن مسعود والضحاك: ينتهي إليها ما يعرُجُ إلى السماء(٤).

---

(١) رؤيته له عليه سِتُّ مئةِ جَناحٍ متفق عليه، فقد رواه البخاري (٣٢٣٢)، ومسلم (١٧٤) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.
والحديث بتمامه رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٣٩١٥)، وأبو يعلى الموصلي في «مسنده» (٥٣٦٠)، وابن خزيمة في «التوحيد» (٢/ ٥٠٠)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٣/ ٩٧٨) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه أيضاً.

(٢) هَجَر: قرية قريبة من المدينة، كانت تعمل بها القِلال، تأخذ الواحدة منها مزادة من الماء، سميت قلة لأنها تُقَلُّ؛ أي: ترفع وتحمل. انظر: «النهاية» لابن الأثير (مادة: قلل).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٣٣). وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٤٢)، والماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٣٩٥)، والبغوي في «تفسيره» (٤/ ٣٠٦).

(٤) رواه عن ابن مسعود: مسلمٌ (١٧٣)، والترمذيُّ (٣٢٧٦)، والطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٣٤).
ورواه عن الضحاك: الطبريُّ في «تفسيره» (٢٤/ ٢٠٩).

وقيل: تنتهي إليها أرواحُ الشُّهداءِ.

وقال ابن عباس: إليها ينتهي عِلْمُ العُلَماءِ، ولا يَعْلَمَ ما وراءَها إلا الله[١].

وقيل: إليها ينتهي ما يَهْبِطُ مِن فوقها، وإليها ينتهي ما يَصْعَدُ مِن تحتها.

وقيل: إليها تنتهي كرامةُ اللهِ لأوليائه.

وقولُه تعالى: ﴿عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ﴾: وهي جنَّةُ الخُلْدِ.

وقيل: أوى إليها آدمَ وحوَّاء.

وقيل: تأوي إليها أرواحُ الشُّهداءِ.

وقيل: يأوي إليها أهلُها يوم القيامة.

* * *

(١٦) ـ ﴿إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ﴾: أي: يُغَطِّيها.

قيل: النُّورُ والبهاءُ والحُسْنُ والصَّفاءُ الذي يروقُ الأبصارَ.

وقيل: العجائبُ الدَّالَّةُ على قُدْرةِ الله تعالى وعظيمِ سُلْطانِه.

وقيل: غَشِيَها ملائكةُ اللهِ الصَّاعدون إليها مِن ملائكة السماوات، والنَّازِلون إليها مِن ملائكة العرش للقاء النبيِّ ﷺ.

وقيل: طولُها مَسيرةُ خمسين سنةً، وغَشِيَها مِن الملائكة ما غطَّاها كُلَّها، وهُم على صورة الجراد مِن الذَّهَبِ.

---

(١) رواه عبد بن حميد وابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» (٧/ ٦٤٩)، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٣٩٥).

وقال قتادة: استأذنوا للقاءِ النَّبيِّ ﷺ فأذِنَ لهم، وقيل لهم: لا تأتُوه بغير نِثَارٍ، فجاء كلُّ واحدٍ منهم بطَبَقٍ مِن أطباقِ الجنة عليه مِن اللَّطائفِ ما لا يُحصَى، فنَثَروه بين يديه تَقَرُّباً إليه.

وقال مُقاتلٌ: فلو أنَّ رجلاً ركِبَ حِقَّةً، وطافَ على ساقِها حتى أدركَه الهرَمُ، ما وصَلَ إلى المكان الذي رَكِبَ منه[1]. تَحْمِلُ لأهل الجنة الحُلِيَّ والحُلَلَ وجميعَ ألوانِ الثِّمار.

ويُقالُ: هي عن يمينِ العرشِ تخرُجُ أنهارُ الجنة مِن أَصْلِها.

***

(١٧) ـ ﴿ مَازَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿ مَازَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴾: أي: ما مالَ[2] بصَرُ محمد عما رأى، وما جاوزَه إلى غيره، يعني: ما عدَلَ عن رؤيتِه قبلَ إحاطةِ عِلْمِه به، وما تعدَّى عن رؤيتِه إلى غيره رَغْبَةً عنه وفي حقِّ النَّظَرِ، فتيقَّنَ بما أبصرَ؛ كما قال: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴾.

وقيل: ما زاغَ بصرُه حين عُرِضَتْ عليه الدنيا رَغْبَةً فيها، وما طغى حين عرِضَتْ عليه الآخرةُ تَعَلُّقاً بها، بل ترَكَ ذلك كلَّه مُكْتَفِياً بالمولى.

وقيل: ﴿ مَازَاغَ ﴾: أي: ما مالَ يميناً ولا شمالاً، ولا طغى ولا تقدَّمَ؛ أي: وقَفَ حيث وُقِّفَ، وتصَرَّفَ على ما صُرِّفَ.

***

(١٨) ـ ﴿ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَـٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴾.

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ١٦٠)، وذكره عنه الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٤٣).

(٢) في (أ): «زاغ».

وقولُه تعالى: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾: أي: العُـظْمى، وهـي عظائِمُ[١] السماوات، وطوائفُ الملائكةِ، وسِدْرَةُ المنتهى، وجنَّةُ المأوى، وما في الجِنان لأهل الإيمان، وما في النِّيران لأهل الطُّغْيان، والحُجُبُ والبحار، والظُّلَمُ والأنوار، وما تعجِزُ عنه الأفكار، وتحارُ فيه الأبصار.

وقال محمَّدُ بنُ كعبٍ القُرَظِيُّ والرَّبيعُ بنُ أنسٍ: سُئِلَ رسولُ اللهِ ﷺ: هل رأيتَ ربَّكَ؟ قال: «رأيتُه بفؤادي، ولم أرَه بعيني»[٢].

وقال ابن عباس: رآه ببصَرِه بلا كَيْفٍ. وهو قولُ أنسٍ وكعبٍ وأسماءَ[٣].

وقالت عائشة: مَن قال: إنَّ النَّبيَّ ﷺ رأى ربَّه ليلةَ المعراجِ ببَصَرِه فقد أعظَمَ الفِرْيَةَ، ومَن قال: إنه كان يَعْلَمُ ما في غدٍ فقد أعظَمَ الفِرْيَةَ، ومَن زعَمَ أنه كتَمَ شيئاً مما أنزلَه اللهُ تعالى عليه فقد أعظَمَ الفِرْيَةَ، وإنما رآه بقلبه[٤].

---

(١) في (ر) و(ف): «عجائب».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ١٩)، والثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٤٠) عن محمد بن كعب عن بعض أصحاب النبي ﷺ.

وذكره عنهما السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٣٥٩)، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٣٩٤) عن القرظي.

(٣) رواه عن ابن عباس الترمذي (٣٠٦٨) وحسنه، والنسائي في «السنن الكبرى» (١١٤٧٥)، وإسناده صحيح كما قال ابن حجر في «فتح الباري» (٨/ ٦٠٨). وليس فيه قوله: (بلا كيف).

وذكره عن أنس السمعانيُّ في «تفسيره» (٥/ ٢٩٠)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٤٠٣)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ١٨٦).

ورواه عن كعب الترمذيُّ (٣٢٧٨)، والطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٣١)، وابن خزيمة في «التوحيد» (٢/ ٤٩٦)، والدارقطني في «رؤية الله» (٢٢٥).

وذكره عن أسماء أبو نعيم في «الحلية» (١٠/ ٣٣٧) نقلا عن محمد بن سعيد القرشي.

(٤) رواه الترمذي (٣٠٦٨)، وابن خزيمة في «التوحيد» (٢/ ٥٥٤)، والنحاس في «إعراب القرآن» =

وهو قولُ الحسن(١)، وأبي صالحٍ، وأبي العاليةِ، وإبراهيمَ التَّيْمِيِّ، ومسروقٍ، وهو الصَّحيحُ، وتقديرُ قولِه: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾: لقد رأى آياتٍ مِن آياتِ ربِّه الكبرى.

ووجهٌ آخَرُ: لقد رأى الكبرى مِن آياتِ ربِّه.

وقصَّةُ المعراجِ أورَدْناها بطُرُقِها مُستوفاةً في كتاب: «**ما ورَدَ مِن الأخبار في معراجِ النبيِّ المختار**»، وهو قريبٌ مِن دَفْترٍ.

* * *

(١٩ ـ ٢٠) ـ ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۝١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۝١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ﴾: كلمةُ استفهامٍ، ومعناها: أَخْبِروني عن هذه الأصنام التي تعبُدونها وتعتقِدونها آلهةً: هل فَعَلَتْ ما فعَلَ اللهُ تعالى مِمَّا مَرَّ ذِكْرُه في هذه السُّورة مِن الإسراء بمحمدٍ ﷺ إلى السماء، وإيحائِه إليه؟! فهذا هو المُضْمَرُ.

وقيل: المُضْمَرُ: أَنفعَتْكم عبادتُها؟!

وهذه أصنامٌ كانت مِن حجارةٍ، وكانت في جَوْفِ الكعبة.

وقيل: العُزَّى: شجرةٌ كانوا يعبُدونها، وكانت لِغَطَفانَ، بعَثَ إليها رسولُ الله ﷺ خالدَ بنَ الوليد فقطَعَها، فخرَجَتْ منها شيطانةٌ ناشِرةٌ شَعْرَها، داعِيَةٌ وَيْلَها، واضِعَةٌ

= (٤/ ١٨٢)، وابن حبان في «صحيحه» (٦٠). وقال الترمذي: حسن صحيح.
ورواه بنحوه البخاري (٤٨٥٥)، ومسلم (١٧٧).

(١) رواه عبد الرزاق في «التفسير» (٣٠٣٣) عن المبارك بنِ فَضَالَةَ، قال: كان الحسنُ يَحْلفُ بالله ثلاثةً لقد رأى محمدٌ ربَّه.

يدَها على رأسِها، فجعَلَ خالدٌ يضرِبُها بالسيف حتى قتَلَها، وهو يقول:

كُفْرانَكِ اليومَ ولا سُبحانَكْ ... إني رأيتُ اللهَ قد أهانَكْ

ثم رجعَ خالدٌ فأخبرَ النبيَّ ﷺ بذلك، فقال: «تلك العُزَّى، ولن تُعْبَدَ أبداً»[1].

وكان وضعَها لِغَطَفانَ سعدُ بنُ ظالمٍ الغَطَفانيُّ، وذلك أنَّه قدِمَ مكَّةَ فرأى الصَّفا والمروةَ، ورأى أهلَ مكَّةَ يطوفون بهما، فعاد إلى بَطْنِ نَخْلَةَ، وقال لقومه: إنَّ لأهلِ مكَّةَ الصَّفا والمروةَ وليست لكم، ولهم إلهٌ يعبُدونه وليس لكم ذلك، قالوا: فما تأمُرُنا؟ قال: أصنَعُ لكم كذلك، فأخَذَ حجَراً مِن الصَّفا، وحجَراً مِن المروة، ونقَلَهما إلى نَخْلَةَ، فوضَعَ الذي أخذَ مِن الصَّفا، فقال: هذا مِن الصَّفا، ووضَعَ الذي أخذَه مِن المروة، وقال: هذا مِن المروة، ثم أخَذَ ثلاثةَ أحجارٍ، فأسنَدَها إلى شجرةٍ، فقال: هذا ربُّكم، فجعَلوا يطوفون بين الحَجَرين، ويعبُدون الحِجارةَ، حتى افتتَحَ رسولُ اللهِ مكَّةَ، فأمَرَ برفع[2] الحجارة، وبعَثَ خالدَ بنَ الوليدِ إلى العُزَّى فقطَعَها[3].

---

(١) رواه الأزرقي في «أخبار مكة» (١/ ١٢٧) عن سعيد بن عمرو الهذلي.
ورواه الفراء في «معاني القرآن» (٣/ ٩٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما.
ورواه ابن إسحاق في «سيرته» (ص: ١٩٣) عن العيزار بن حريث.
ورواه النسائي في «الكبرى» (١١٤٨٣)، وأبو نعيم في «دلائل النبوة» (٤٦٣)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ٧٧) عن أبي الطفيل.
وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٤٥)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٤٠٨)، والزمخشري في «الكشاف» (١/ ٣٢٦) عن مجاهد.

(٢) في (أ): «فرفعت».

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٤٥)، والواحدي في «البسيط» (٢١/ ٤٣)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٤٠٨) عن الضحاك.

وقال مُقاتلٌ: كانت مناة حجَراً يُعْبَدُ[1] بأرضِ هُذَيلٍ على الساحل[2].

وقال قتادة: اللَّاتُ كانت بالطَّائفِ، والعُزَّى بشِعْبِ بَطْنِ نَخْلَةَ، ومَناةُ بقُدَيد[3].

وقيل: كانت العُزَّى لقريشٍ، ومَناةُ للأنصارِ.

و﴿ٱللَّتَ﴾ كان الكسائيُّ يقِفُ عليها بالهاء[4].

وقال الزَّجَّاجُ: الأجودُ الوقفُ بالتَّاءِ على ﴿ٱللَّتَ﴾، أرادوا: (اللَّاهة)، فأسقَطوا الهاءَ تخفيفاً، وبَقِيَتْ هاء التأنيث[5].

وكان مُجاهدٌ يقرأ: (اللاتَّ) بتشديد التاء، وقال: كان رجلٌ يَلُتُّ السَّوِيقَ، فمات، فاتُّخِذَ قبرُه مُصَلًّى[6].

وعن ابن عباس قال: (اللَّاتُّ): رجلٌ يلُتُّ السَّوِيقَ يَسْقِيه الحاجَّ[7].

وقال أبو الجَوْزاءِ: (اللاتُّ): حجَرٌ كان يُلَتُّ عليه السَّوِيقُ، فسُمِّيَ (اللَّاتَّ)[8].

---

(١) في (ف): «يعبدونها».

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٤٧٠).

(٣) رواه الطبراني في «الأوسط» (٥٤٣٩)، وابن مردويه فيما عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٦٥٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١١٥): رواه الطبراني، وفيه أبو شيبة، وهو ضعيف.

(٤) انظر: «التيسير» للداني (ص: ٦٠)، و«النشر» لابن الجزري (٢/ ١٣٢).

(٥) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٧٣).

(٦) انظر القراءة في: «تفسير الطبري» (٢٢/ ٤٧)، و«تفسير الثعلبي» (٩/ ١٤٥) عن ابن عباس ومجاهد وأبي صالح.
والأثر رواه عن مجاهد الطبريُّ في «تفسيره» (٢٢/ ٤٧)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٤٥)، والماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٣٩٧).

(٧) رواه عنه البخاري (٤٨٥٩)، والطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٤٨).

(٨) رواه عبد بن حميد كما في «الدر المنثور» (٧/ ٦٥٣).

وقال أبو صالحٍ: (اللاتُّ) رجلٌ كان يقوم على آلهتِهم، وكان يلُتُّ لهم السَّوِيقَ[١].

و﴿وَمَنَوٰةَ﴾: قرأ ابنُ كثيرٍ بالمدِّ والهمزِ، والباقون بالقَصْر[٢].

قيل: سُمِّيَ بها؛ لِمَا يُمْنَى عندها مِن الدِّماء؛ أي: يُهَرَاقُ؛ كما تُسَمَّى (مِنًى)؛ لأنه مَذْبَحُ الهدايا والضَّحايا.

﴿وَٱلْعُزَّىٰ﴾: تأنيثُ الأعَزِّ.

قولُه تعالى: ﴿وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾: قال الخليل: لا يُقالُ للثالثة: الأخرى، إنما يُقالُ ذلك للثانية، ولكنْ تقديرُ الآيةِ: أفرأيتُم اللَّاتَ والعُزَّى الأُخْرى ومَناةَ الثالثةَ، لكنْ أَخَّرَ ﴿ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ في الذِّكْر؛ لِتَتَّفِقَ الفواصِلُ[٣].

وقيل: بل هي على نَظْمِها، وسُمِّيَتْ (أخرى)؛ لأنهم كانوا يُؤَخِّرُونها في الذِّكْرِ.

وقيل: هذا جائزٌ، ويُرادُ بها الغَيْرِيَّةُ، ألا ترى أنَّ رجلاً لو أعطى رجلاً درهماً، فقال له: هاتِ آخرَ، فأعطاه، فقال له: هاتِ آخَرَ، جاز وهو ثالثٌ، فكذلك ما بعده.

* * *

(٢١ ـ ٢٢) ـ ﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ۝٢١ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ﴾.

قولُه تعالى: ﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ﴾: قيل: كانوا يقولون: الأصنامُ بناتُ اللهِ، فرَدَّ اللهُ عليهم بهذا.

وقيل: هذا في قولِهم: الملائكةُ بناتُ اللهِ.

---

(١) رواه عنه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٤٨).

(٢) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦١٥)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٤).

(٣) انظر: «تفسير الثعلبي» (٩/ ١٤٦)، و«تفسير البغوي» (٧/ ٤٠٩).

﴿تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ﴾: أي: جائِرَةٌ، وهي على وزن (فُعْلَى) بضم الفاء، فكُسِرَتِ للياءُ، وقد ضازَ يَضيزُ: إذا جارَ.

ورُوِيَ عن محمد بنِ كعب القُرَظِيِّ أنه قال: جلس رسول الله ﷺ ذات يوم في ناد من أندية قريش، فأنزل الله تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ حتى إذا بلغ هذه الآية: ﴿وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ﴾ ألقى الشيطان في قراءته[1]: تلك الغرانيق العلى منها الشفاعةُ تُرتجى، ثم ختم تلك رسول الله ﷺ السورة وسجد وسجد المشركون، وكان الوليد بن المغيرة شيخاً كبيراً فلم يسجد وأخذ كفاً من تراب ووضع جبهته عليه، وقال: يا محمد، إنَّا لنعلم أن الله يخلق ويرزق ويحيي ويميت، ولكنا نقول: إن آلهتنا شفعاء لنا عنده، فأما إذا جعلتَ لها نصيباً في الشفاعة فنحن معك[2].

وقد ذكرنا القصة وتأويلها في سورة الحج[3].

***

(٢٣) ـ ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَىٰ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿إِنْ هِيَ﴾: أي: ما هذه الأصنامُ اللّاتُ والعُزَّى ومَناةُ.

﴿إِلَّا أَسْمَاءٌ﴾: مُسَمَّياتٌ ﴿سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ﴾: تَقْليداً ﴿وَآبَاؤُكُمْ﴾: جَهْلاً، لا معانيَ لها، ولا حقائِقَ، ولا أُلُوهِيَّةَ للّاتِ، ولا عِزَّةَ لِلعُزَّى، ولا يُمْنَى لَمَناةَ؛ أي: لا تَقْدِرُ شيئاً.

---

(١) في (أ): «أمنيته».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٦٠٤) دون كلام الوليد بن المغيرة. وانظر التعليق الآتي.

(٣) انظر ما تقدم عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّىٰ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾ [الحج: ٥٢] وذكرنا هناك أن قصة الغرانيق لا يصح فيها شيء، وقد تكلم المؤلف وغيره من العلماء في توهين ما روي في هذه القصة وردها عقلاً ونقلاً فلتراجع ثمة.

﴿مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍ﴾: أي: مِن حُجَّةٍ.

﴿إِن يَتَّبِعُونَ﴾: أي: ما يتَّبِعون ﴿إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾: أنَّ آباءَهم لم يَعْبُدوها إلَّا لاستحقاقِها، وإلا ظَنًّا أنها تَشْفَعُ لهم وتُقَرِّبُهم إلى الله.

﴿وَمَا تَهۡوَى ٱلۡأَنفُسُ﴾: عَطْفٌ على ﴿ٱلظَّنَّ﴾؛ أي: وما يَتَّبِعون إلَّا ما تهواه أنفسُهم مِن تعظيمِ قَدْرِ الآباء وتصويبِهم.

وقيل: أي: إلَّا ما تهواه أنفسُهم مِن عبادةِ ما يَسْتَحْسِنُونه.

﴿وَلَقَدۡ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلۡهُدَىٰٓ﴾: أي: البيانُ، ولكنَّهم مُقَلِّدون.

* * *

(٢٤ ـ ٢٦) ـ ﴿أَمۡ لِلۡإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ ۝٢٤ فَلِلَّهِ ٱلۡأٓخِرَةُ وَٱلۡأُولَىٰ ۝٢٥ ۞ وَكَم مِّن مَّلَكٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ﴾.

﴿أَمۡ لِلۡإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ﴾: ﴿أَمۡ﴾: تَقْتَضِي ألفَ الاستفهامِ قَبْلَه، وتقديرُه: أتفعلون هذا بحُجَّةٍ أم للإنسان أنْ يَتمَنَّى ما شاءَ، فيعبُدَ ما شاءَ، ويُعْطِيَ العِزَّةَ مَن يشاءُ، ويجعلَ للهِ البناتِ، ولنفْسِه البنينَ؟! ولله العزة ولرسوله[1].

﴿فَلِلَّهِ ٱلۡأٓخِرَةُ وَٱلۡأُولَىٰ﴾: أي: فليس للإنسان أنْ يتمنَّى على الله، إنَّما له ما يجعلُه اللهُ له؛ إذ له الدنيا والآخرةُ ومَن فيهما وما فيهما.

وقيل: معناه: أَلِلإنسانِ ما تمنَّى مِن شفاعة الأصنام والملائكة؟! ﴿فَلِلَّهِ ٱلۡأٓخِرَةُ وَٱلۡأُولَىٰ﴾: بل لله الأمرُ جميعاً، والحُكْمُ في أمرِ[2] الدنيا والآخرة.

وقولُه تعالى: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي﴾: أي: لا تَنْفَعُ.

---

(١) «ولله العزة ولرسوله» ليس في (أ) و(ف).

(٢) في (ف): «أهل».

﴿شَفَٰعَتُهُمْ﴾: جُمِعَ مع سَبْقِ ذِكْرِ الملَكِ وهو واحدٌ؛ لأنَّ (كَمْ) للتكثير، فصار جَمْعاً، وليس معناه أنهم يَشْفَعون ولا تَنْفَعُ شفاعتُهم، بل معناه: أنهم لا يَشْفَعون؛ لأنَّه لا يُؤْذَنُ لهم.

قولُه تعالى: ﴿إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ﴾: أي: مِن الملائكة لِتَشْفَعَ.

وقيل: أي: مِن البشَرِ لِتَشْفَعَ الملائكةُ له.

﴿وَيَرْضَىٰٓ﴾: أي: يرضى بشفاعةٍ مِن الملائكة.

وقيل: يرضى بالشَّفاعةِ له مِن البَشَر.

* * *

(٢٧ ـ ٢٩) ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢٧﴾ وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴿٢٨﴾ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ﴾: وهُم مُشْركو العربِ.

﴿لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ﴾: أي: يقولون: هُم بناتُ اللهِ؛ كما تقول عبَدَةُ الأصنامِ في الأصنام.

﴿وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ﴾: مِن جِهَةِ رسولِ اللهِ ﷺ، أو كتابٍ.

﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾: ما يُتَخَيَّلُ في ظُنونِهم، لا عن مُشاهدةٍ وخبرٍ صحيحٍ.

﴿وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾: أي: لا ينوبُ الظَّنُّ مَنابَ الحقِّ، ولا ينفَعُ صاحبَه، ولا يُنَزِّلُه مَنْزِلَةَ المُحِقِّ.

﴿فَأَعْرِضْ﴾: يا محمد ﴿عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا﴾: عن كتابِنا ووَعْظِنا، فلم يُصَدِّقْه ولم يَقْبَلْه.

﴿وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾: أي: ومالَ إليها.

وقيل: ﴿عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا﴾: عن الثَّناء علينا، والدُّعاء لنا، وذلك مما يُجْتَلَبُ به الثَّوابُ في الآخرة، واقتصَرَ على عَرَضِ الدنيا، ورَضِيَ به ثواباً لنفْسِه.

***

(٣٠) - ﴿ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾.

﴿ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ﴾: وهو العمَلُ لثواب الدنيا، وهو مَبْلَغٌ خَسِيسٌ لا يرضى به عاقلٌ، وهو مِن طَبْعِ[1] البهائمِ التي لا تَرْغَبُ إلا في الحاضِرِ التَّافِهِ.

وقيل: ﴿ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ﴾: أنْ يقولوا: الملائكةُ بناتُ اللهِ، وهو جهْلٌ مَحْضٌ تَصَوَّرَ عندهم بصُورةِ العلم.

والأظهَرُ هو الأوَّلُ، فقد كان النبيُّ ﷺ يقول: «اللَّهُمَّ لا تجعَلِ الدنيا أكبرَ هَمِّنا، ولا مَبْلَغَ عِلْمِنا»[2].

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾: فيجْزِي كُلًّا على وَفْقِ عمَلِه، فأَعْرِضْ أنتَ عنهم.

***

(٣١) - ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى﴾.

---

(١) في (ر): «ظن».

(٢) رواه ابن المبارك في «الزهد» (٤٣١)، وابن أبي الدنيا في «اليقين» (٢)، والترمذي (٣٥٠٢)، وقال: حسن غريب، والبزار في «مسنده» (٥٩٨٩)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٤٠١)، والدينوري في «المجالسة» (٧٢٥)، والطبراني في «الدعاء» (١٩١١)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٤٤٦)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾: أي: مُلْكاً ومِلْكاً وخَلْقاً خلقهم وتعبَّدَهم.

﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾: فيُميِّز بين الضَّالِّ والمُهتَدي، والمُسيءِ والمُحسِنِ، فيَجزِيَ المُسيءَ المُشرِكَ في الدنيا بالسَّبْيِ والقتلِ والهوان، وفي الآخرة بالخُلود في النِّيران، ويَجزِيَ المؤمنَ المُحْسِنَ في الدنيا بالنَّصْر والظَّفَر والإمْكان، وفي الآخرة بالخُلودِ في الجِنان.

***

(٣٢) - ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾.

وقولُه تعالى: ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ﴾: هو نَعتٌ لـ﴿الَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾.

وقرأ ابنُ كثيرٍ: ﴿كَبِيرَ الإثمِ﴾: وهو الكفرُ، وقرأ الباقون: ﴿كَبَائِرَ الْإِثْمِ﴾[1]: وهي عَظائِمُ الذُّنوبِ، ﴿وَالْفَوَاحِشَ﴾: القبائحُ.

وقيل: ﴿كَبَائِرَ﴾: ما أوعَدَ اللهُ عليها بالنار، ﴿وَالْفَوَاحِشَ﴾: ما شرَعَ فيه الحُدودَ، وقد ذَكَرْنا الأقاويلَ في الكبائر في سورة النساء.

قولُه تعالى: ﴿إِلَّا اللَّمَمَ﴾: هو استثناءٌ مُنْقَطِعٌ؛ لأنه ليس مِن الكبائر والفواحش.

قال ابن عباس وابن زيد[2]: معناه: لكنِ الذين أَلَمُّوا به قبلَ الإسلامِ قد غفرَ اللهُ لهم ذلك[3].

وقيل: اللَّممُ: أنْ لا يُصِرَّ على ما ارتكبَه، بل يُبادِرُ بالتوبة عنه، مِن قولهم: (ما

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦١٥)، و«التيسير» للداني (ص: ١٩٥)، عن حمزة والكسائي، أما ابن كثير فقد وافق باقي السبعة في قراءة: ﴿كَبَائِرَ﴾.

(٢) في (أ): «وابن زيد وهو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم».

(٣) رواه عنهما الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٦٠)، وذكره ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٥/ ٢٠٤).

يأتينا فُلانٌ إلا لِماماً»؛ أي: في الحِين بعد الحِين، واللَّمَمُ: ما يقَعُ فيه حِيناً بعد حِينٍ، لا يدومُ عليه، ولا يعتادُه.

وقيل: اللَّمَمُ: الصَّغائِرُ.

وقيل: اللَّمَمُ: ما يُقارِبُ الإثمَ.

وقيل: اللَّمَمُ: الهَمُّ بالخَطيئةِ، وحديثُ النَّفْسِ بها مِن غير مُواقَعَةٍ[١].

وقال الحسن: هو اللَّمَّةُ مِن الزِّنا والسَّرقةِ وشُربِ الخمر، ثم لا يعودُ[٢].

وقال قتادة: وهو أنْ يقعَ الوَقْعَةَ ثم ينتهي[٣].

وقال أبو سعيدٍ الخُدْريُّ: هي النَّظْرَةُ والغَمْزةُ[٤] والقُبْلةُ[٥]، فإذا مسَّ الخِتانُ الختانَ فقد زنى[٦].

وقال أبو الجَوْزاءِ: سألتُ ابنَ عبَّاسٍ عن اللَّمَمِ، فقال: لم أرَ شيئاً أشبَهَ به مِن قولِ أبي هريرة: «كُتِبَ على ابنِ آدمَ حَظُّه مِن الزِّنا، أدرَكَ ذلك لا محالةَ، وزنا العَينِ النَّظَرُ، وزنا اليدِ البَطْشُ، وزنا اللِّسانِ النُّطْقُ، وزنا الرِّجْلِ المشيُ، وتصديقُ ذلك كلِّه الفَرْجُ»[٧].

---

(١) في (ف): «موافقة».

(٢) رواه ابن المبارك في «الزهد» (١٠٩٥)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (٣٠٥٥)، والطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٦٤).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٦٦) عن قتادة عن الحسن.

(٤) في (ر): «واللمزة».

(٥) ذكره الزمخشري في «الكشاف» (٤/ ٤٢٦) عن الخدري، والثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٤٨) من غير نسبة.

(٦) رواه الطبري بتمامه في «تفسيره» (٢٢/ ٦٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٧) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٠٣٧)، والبخاري (٦٢٤٣)، ومسلم (٢٦٥٧) عن طاوس عن ابن =

ثم هذا ليس بتَرْخِيصٍ في هذه الأشياء، ولكنْ بيانُ أنها ليست مِن الكبائر والفواحش إذا لم يَتَهاوَنْ بها.

وقد روى أبو بكرٍ الصِّدِّيقُ عن النبي ﷺ أنه قال: «لا صغيرةَ مع الإصرار، ولا كبيرةَ مع الاستغفار»[١].

وقيل: نزلت الآيةُ في نَبْهانَ التَّمَّارِ، وذلك أنَّ امرأةً أَتَتْه تريدُ تمراً، فقال لها: أُدْخُلي الحانوتَ، فإنَّ فيه تَمْراً جَيِّداً، فدخلَتْ، فراودَها عن نفْسِها، فأَبَتْ، فضرَبَ عَجِيزَتَها بيده، فقالت المرأةُ: واللهِ ما نِلْتَ مِنِّي حَظًّا، وما حَفِظْتَ غَيْبَ أخيكَ، فنَدِمَ نَبْهانُ، فأتى النبيَّ ﷺ فأخبرَه، فقال: ويحكَ، فلعلَّها امرأةُ غازٍ في سبيل الله، ثم لَقِيَ عمرَ فأخبرَه، فصَرَعه عمرُ، ووَطِئَه برِجْلِه، ثم أتى النبيَّ ﷺ، فقال: إخوانُنا غُزاةٌ في سبيل الله تُكْسَرُ الرِّماحُ في صُدورهم، يَخْلُفُ هذا ونحوُه في أهاليهم، دعني يا رسولَ اللهِ أَضْرِبْ عُنُقَه، فضَحِكَ رسولُ اللهِ ﷺ، وقال: أَرْسِلْه يا عمرُ فليَتُبْ، فأنزلَ اللهُ تعالى قولَه: ﴿إِلَّا ٱللَّمَمَ﴾: يعني: ضَرْبَه بيدِه عَجِيزَتَها[٢].

= عباس، عن أبي هريرة رضي الله عنه يرفعه.

(١) رواه الطبراني في «مسند الشاميين» (٣٦٠٦)، وابن شاهين في «الترغيب» (١٨٧)، والشهاب القضاعي في «مسنده» (١١٩٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه يرفعه.
ورواه ابن أبي الدنيا في «التوبة» (١٧٣)، والشهاب القضاعي في «مسنده» (٨٥٣) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما يرفعه.
ورواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٦٥١)، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (١٩١٩)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٩/ ٤٠٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما موقوفاً.
وقد ضعف رفعه ابن رجب في «جامع العلوم والحكم» (ص: ٤٤٩).

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ١٦٤)، ورواه أبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٦٤٧٣) في سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً﴾، وقوله: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ﴾ عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وقولُه تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلۡمَغۡفِرَةِ﴾: فلِسَعَةِ مغفِرَتِه يغفِرُ ما تِيبَ عنه، ويغفِرُ اللَّمَمَ، ويغفِرُ ما سلَفَ في الجاهلية، ويغفِرُ ما شاءَ مِن الذُّنوب مِن غير توبةٍ.

وقال عطاءُ بنُ أبي رَباحٍ: اللَّمَمُ: الذي تُحَدِّثُ به نفْسَكَ مِن الشَّرِّ أنْ تفعلَه، ثم يصرِفُكَ اللهُ عنه، فلا تفعلُه(١).

وقولُه تعالى: ﴿هُوَ أَعۡلَمُ بِكُمۡ﴾: أي: بضَعْفِكم وغلَبَةِ الهوى عليكم.

﴿إِذۡ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ﴾: أي: أنشأَ أباكم مِن الأرض آدمَ، عَلِمَ حينئذٍ أحوالَكم مِن الضَّعْفِ، واستيلاءِ الشَّهْوةِ عليكم.

﴿وَإِذۡ أَنتُمۡ أَجِنَّةٞ﴾: جَمْعُ جَنينٍ، وهو الولدُ المُجْتَنُّ في البُطون في أرحام الأُمَّهاتِ، وهو قولُه تعالى:

﴿فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡۖ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾: فلا تَرْفَعوها فوق قَدْرِها وحالُكم هذه في استيلاءِ الهوى عليكم، حتى لا يَخْلُوْ أحدُكم عن اللَّمَمِ.

﴿هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾: منكم مِمَّن لم يَتَّقِ، فلا حاجةَ بكم إلى تَزْكِيَةِ أنفسكم؛ لأنكم تَعْمَلون له، وعِلْمُه كافٍ لكم.

وقيل: تمَّ الكلامُ عند قوله: ﴿وَٰسِعُ ٱلۡمَغۡفِرَةِ﴾، وما بعده مُبْتَدأٌ: ﴿هُوَ أَعۡلَمُ بِكُمۡ﴾: بسرائرِكم وظواهرِكم وأوائلِكم وأواخرِكم، وأنتم تَنْسَون وتخفى عليكم الحقائقُ، واللهُ لا ينسى ولا يخفى عليه شيء ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾: بما ليس فيها، أو بما تفعلونه بما لا تَقِفون على حقيقته عند الله تعالى، فهو أعلمُ بمَنِ اتَّقى، فاكتفُوا بعِلْمِه عن عِلْمِ الناس، وبجزائِه عن ثَناء الناس.

نزلَتْ في ناسٍ كانوا يعملون أعمالاً حسنةً ثم يذكُرونها.

---

(١) ذكره عنه السمعاني في «تفسيره» (٥/ ٢٩٨).

وقيل: بل نزلَتْ في قومٍ يُخْبِرون عن أنفسِهم بخلافِ ما هم فيه.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كانت اليهودُ إذا هلَكَ لهم صبيٌّ قالوا: هذا[1] صِدِّيقٌ، فبلَغَ ذلك النَّبيَّ ﷺ فقال: «كذَبوا، ما مِن نَسَمةٍ يخلُقُها اللهُ في بَطْنِ أُمِّها إلا شَقِيٌّ أو سعيدٌ»، فأنزلَ اللهُ تعالى: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾[2].

ورُوِيَ عن عبد الله بنِ مسعودٍ أنه قال لأصحابه: السَّعيدُ مَن سَعِدَ في بَطْنِ أُمِّه، والشَّقِيُّ مَن شَقِيَ في بَطْنِ أُمِّه، فأنكَروا عليه، فقال: أين تذهبون عن عِلْمِ الله تعالى، ثم تلا قولَه: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾[3].

* * *

(٣٣) ـ ﴿أَفَرَءَيْتَ الَّذِي تَوَلَّىٰ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ الَّذِي تَوَلَّىٰ﴾: ذكَرَ اللهُ تعالى جَهْلَ المشركين بأمور الآخرة، ثم عيَّنَ جَهْلَ واحدٍ منهم، فقال: ﴿أَفَرَءَيْتَ الَّذِي تَوَلَّىٰ﴾: وهذا تعجيبٌ مِن حاله.

---

(١) في (أ) و(ر): «هو».

(٢) رواه الطبراني في «الكبير» (١٣٦٨)، وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» (١٣٦٢)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٩٨) من حديث ثابت بن الحارث الأنصاري.

(٣) رواه أبو عوانة في «مستخرجه» (١١٥٨٠)، والطبراني في «الأوسط» (٢٦٣١).

وروى القطعة الأولى منه الطبرانيُّ في «الأوسط» (٨٤٦٥)، والبيهقي في «الاعتقاد» (ص: ١٣٩) مرفوعا من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ورواه بتمامه من حديثه مرفوعاً: ابن بطة في «الإبانة» (١٤١٣)، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (٤/ ٦٥٨).

وليس في جميع هذه الروايات أن الراوي تلا الآية المذكورة.

رُوِيَ: أنَّ الوليدَ بنَ المُغيرة كان أرادَ الدُّخولَ في الإسلام، فعاتبَه بعضُ المشركين، وقال له: إنْ أعطَيْتَني شيئاً مِن مالكَ، ورجَعْتَ إلى شِرْكِكَ ودينِ آبائِكَ، ضَمِنْتُ لكَ أنْ أتحمَّلَ خطاياكَ وعذابَ الآخرةِ على شركِكَ، فأجابَه الوليدُ إلى ذلك، وأعطاه بعضَ ما كان ضَمِنَ له به، ومنَعَه البعضَ[1].

وقيل: إنَّ هذا رجلٌ أسلَمَ، فلَقِيَه بعضُ مَن عيَّرَه فقال: ترَكْتَ دِينَ الأشياخ وضلَّلْتَهم، وزعَمْتَ أنهم في النار، وكان ينبغي لكَ أنْ تنصُرَهم، فكيف تفعلُ بآبائكَ؟! فقال: إني خشِيتُ عذابَ اللهِ، فقال: أَعْطِني شيئاً وأنا أَحْمِلُ كلَّ عذابٍ كان عليكَ عنكَ، فأعطاه شيئاً، فقال: زِدْنا، فتعاسَرا حتى أعطاه شيئاً، وكتَبَ له كتاباً، وأشهَدَ له بذلك، فذلك قولُه تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ ﴾[2]: أي: أعرَضَ عن الإيمان بالله ورسوله.

***

(٣٤) ـ ﴿ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ ﴾.

﴿ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا ﴾: مِن المال على أنْ يتحَمَّلَ عنه ما يَسْتَحِقُّه مِن العذاب بكفره وتَوَلِّيه، ثم قطَعَ إعطاءَه، فلم تَسْنَحْ نفْسُه ببَذْلِ مالِه على تحمُّلِ العذاب عنه، فجمَعَ جَهْلاً وبُخْلاً، وذلك قولُه:

---

(١) ذكره الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٧١)، ومكي بن أبي طالب في «الهداية» (١١/ ٧١٦٧)، وابن عطية في «المحرر الوجيز» (٥/ ٢٠٥) من غير نسبة.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٧٢) عن ابن زيد.

وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٥١)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٩٩)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ١٩١) عن مجاهد وابن زيد.

﴿وَأَكْدَىٰٓ﴾: قال الكسائيُّ: يُقالُ: (أكدى)؛ أي: بلَغَ المكانَ الذي لا يستطيعُ أنْ يَحْفِرَ، وهو الكُدْيَةُ، فامتنعَ[١].

وقال الأخفشُ: (أكدى)؛ أي: قطَعَ[٢]، أُشْتُقَّتْ مِن كُدْيَةِ الرَّكِيَّةِ[٣].

وقال الفرَّاءُ: (أكدى)؛ أي: أمسَكَ عن العَطِيَّةِ وقطَعَ[٤].

وقال قُطْرُبُ: الكُدْيَةُ: الصَّفاةُ الغَليظةُ[٥]، ﴿وَأَكْدَىٰٓ﴾: أي: بلَغَ مجهودَه، فلم يَحْصُلْ على شيءٍ[٦].

وقال القُتَبِيُّ: الكُدْيَةُ: صلابةُ الرَّكِيَّةِ[٧]، فإذا بلَغَها الحافرُ يَئِسَ، فقيل لكُلِّ مَن طلَبَ شيئاً فلم يَبْلُغْ آخِرَه أو أعطى فلم يُتِمَّ: أكدى[٨].

وقيل: معناه: وأعطى قليلاً مِن الإيمان بما عزَمَ عليه منه[٩]، ثم لَحِقَه الخُذْلانُ فأكدى؛ أي: قطَعَ به فيه.

---

(١) انظر: «تفسير الثعلبي» (٩/ ١٥١).

(٢) ذكره عنه الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٤٠٣).

(٣) كُدْيَة الرَّكِيَّة: هو أن يحفر حتى ييأس من الماء. انظر: «تفسير الطبري» (٢٢/ ٧١).

(٤) انظر: «معاني القرآن» (٣/ ١٠١). وذكره عنه الأزهري في «تهذيب اللغة» (١٠/ ١٧٧)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ٢٠٣).

(٥) ذكره ابن سيده في «المحكم» (٧/ ١٠٣) من غير نسبة. والصَّفاة: هي الصخرة الملساء. انظر: «الصحاح» (مادة: صفا).

(٦) ذكر الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٤٠٣) عن قطرب أنه فسر قوله تعالى: ﴿وَأَكْدَىٰٓ﴾ بقوله: منَعَ.

(٧) في (ر): «الكدية».

(٨) انظر: «غريب القرآن» (ص: ٤٢٩).

(٩) في (ف): «بما عزم فيه».

وقال مُجاهدٌ: كان الوليدُ بنُ المُغيرة يأتي النَّبيَّ ﷺ وأبا بكرٍ فيَسْمَعُ ما يقولان، فذلك ما أعطى مِن نفْسِه؛ أي: أعطى الاستماعَ، ﴿وَأَكْدَىٰٓ﴾: انقطَعَ عطاؤُه ذلك[1] وترَكَه.

* * *

(٣٥) ـ ﴿أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ﴾.

﴿أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ﴾: أي: أَعِنْدَ هذا المُعْطي المُكْدِي عِلْمَ الغيبِ ﴿فَهُوَ يَرَىٰٓ﴾: أي: يَعْلَمُ عِلْمَ الآخرةِ وما غابَ عنه مِن أمرِه، فيَعْلَمُ أنَّ مَن ضَمِنَ له يَحْمِلُ أوزارَه عنه.

وهذا العِلْمُ يكون على أحد وجهين:

أحدُهما: أنه يَفِي له به، فيُخَلِّصه عنه[2].

والثاني: أنْ يجعَلَ نفْسَه فِداءً عنه.

فليس عنده عِلْمٌ بواحد مِن هذين، فما اعتمادُه عليه إلا غايةُ جَهْلٍ منه.

وقال ابن عباس: كان رجلٌ مِن قريشٍ له أموالٌ يتصدَّقُ بها، فقال له عبدُ اللهِ بنُ سعدِ بنِ أبي سَرْحٍ: ما هذا الذي تصنَعُ؟ يوشِكُ ألا يبقى لكَ شيءٌ، فقال له الرجلُ: إنَّ لي ذُنوباً وخطايا، وإني أطلُبُ بما أصنَعُ رضى اللهِ تعالى، فقال له عبدُ اللهِ: أَعْطِني ناقتَكَ هذه بزِمامِها، وأنا أتحمَّلُ عنكَ ذُنوبَكَ وخطاياكَ، ففعَلَ، ثم أقْصَرَ عن النَّفَقَةِ والصَّدَقة، فنزلَتْ: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ﴾[3]: يعني: عن الحقِّ والصَّدَقةِ.

---

(١) رواه عنه مختصراً الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٧٣)، وعزاه السيوطي بتمامه في «الدر المنثور» (٧/ ٦٥٩) إلى الفريابي وعبد بن حميد والطبري وابن المنذر وابن ابي حاتم.

(٢) في (ر): «فيتحمله».

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٥٠)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٩٨) عن ابن عباس، والسدي، والكلبي، والمسيب بن شريك من غير إسناد، والمتصدق في هذا الخبر هو عثمان بن عفان رضي الله عنه. ولا يصح مثل هذا، فإن مقام الصحابة ينزه عن مثل هذا السخف، فكيف =

وقال عطاءُ بنُ يسارٍ: نزلت في رجلٍ قال لأهله: جَهِّزوني أنْطَلِقْ إلى هذا الرجل، يعني: إلى النَّبيِّ ﷺ، فتجهَّزَ وخرَجَ، فلَقِيَه رجلٌ مِن الكفار، فقال له: أين تُريدُ؟ فقال محمداً: لعلِّي أُصِيبُ مِن خيرِه، فقال له الرجل: أعطِني جَهازَكَ، وأَحْمِلُ عنكَ إثْمَكَ، وفيه أنزَلَ اللهُ هذه الآيةَ(١).

وقال محمدُ بنُ كعبٍ: نزلت في أبي جهلٍ، وذلك أنه قال: واللهِ ما يأمُرُنا محمَّدٌ إلا بمَكارمِ الأخلاقِ، وذلك قولُه: ﴿ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ ﴾: أي: لم يؤمنْ به(٢).

وروى عليُّ بنُ إسحاقَ في «المُشافَهات» عن الكلبيِّ أنها نزلت في عثمانَ، عاتبَه ربُّه فيه كما عاتَبَ أكرَمَ البَرِيَّةِ عليه في ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾، وكان عثمان مُعْطِياً جَواداً، فقال له مولاه عبدُ اللهِ بنُ سعدِ بنِ أبي سَرْحٍ، وقيل: كان أخاه مِن الرَّضاعة: أراكَ قد أسرَعْتَ في مالِكَ، ولا تدري على ما أنتَ عليه مِن أمرِ هذا الرجل أَيْتِمُّ أَمْرَه أم لا؟ فهل لكَ أنْ تُعْطِيَني هذه الرَّاحِلَةَ بما عليها، وأتحمَّلُ عنكَ كلَّ خطيئةٍ عَمِلْتَها؟ فقال: هي لكَ، وكَفَّ عن بعضِ عطاياه، فنزلَتْ فيه: ﴿ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ ﴾: عمَّا كان يُعْطِي، ﴿ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا ﴾: يقول: فلو أنَّ رجلاً أعطى اللهَ الدنيا وما فيها كان قليلاً فيما يرجو، ﴿وَأَكْدَىٰٓ﴾: أي: قطَعَ عطاياه(٣).

= بصحابي جليل من العشرة المبشرين، وثالث الخلفاء الراشدين؟ وسيأتي مزيد كلام عليه قريباً.

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٥١) من رواية موسى بن عبيدة عن عطاء بن يسار.

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٥١)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٤١٤)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ١٩١).

(٣) تقدم تخريجه قريباً من الثعلبي والواحدي عن الكلبي وغيره من غير إسناد. وتعقبه ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٥/ ٢٠٥) بقوله: ذلك عندي باطل، وعثمان رضي الله عنه منزه عن مثله.

قلت: بل هو من أبطل الباطل، ولا شك أنه من وضع الزنادقة للطعن على الصحابة، فكيف يظن بعثمان أن يشك بدعوة النبي ﷺ وبنصر الله له لكلمة سمعها من ابن أبي سرح، وحتى لو صحت =

وقال السُّدِّيُّ: نزلَتِ الآيةُ في العاصِ بنِ وائلٍ السَّهْمِيِّ[1]، وهو الذي أنزَلَ اللهُ فيه: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾.

قولُه تعالى: ﴿أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ﴾ هو كقوله: ﴿أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ﴾ [مريم: ٧٨] وهو فيه.

***

(٣٦ ـ ٣٧) ـ ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ﴾.

﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ﴾: أي: ألم يُنبَّأْ هذا المَضْمونُ له[2] ـ وهو استفهامٌ بمعنى التَّقْرير ـ بما سبَقَ مِن حُكْمِ اللهِ تعالى على أَلْسِنة أنبيائِه المتقدِّمين أنه لا يُقْبَلُ أحدٌ بَدَلاً عن غيره فيما يستحِقُّه مِن العذاب على ذَنْبِه، ولا يَحْمِلُ عن أحدٍ عقاباً يستحِقُّه غيرُه؟

وقولُه تعالى: ﴿بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ﴾؛ أي: وفي صُحُفِ إبراهيم الذي وفَّى؛ أي: وفَّى بعُهودِ الله تعالى.

وقيل: أي: أتمَّ كلَّ ما أُمِرَ به؛ كما قال: ﴿فَأَتَمَّهُنَّ﴾ [البقرة: ١٢٤].

وقيل: أي: أدَّى جميعَ ما أُرْسِلَ به، وهو التَّبْليغُ.

وعن النبي ﷺ أنه قال: «﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ﴾: أي: وفَّى عمَلَ يومِه بأربعِ ركَعاتٍ مِن أول النهار»[3].

= نسبته للكلبي فهو كذاب متروك لا تصح أخباره، وإنما العجب من هؤلاء المفسرين الذين همهم التقاط أي خبر دون التمعن في حقيقته أو معرفة بسنده!

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٥١)، والماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٤٠٢)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٤١٤)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ١٩١). ورواه ابن مردويه فيما عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٦٥٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) في (أ): «أي لم ينبأ هذا المضمون الذي له».

(٣) رواه حفصُ بن عمر في «قراءات النبي» (١٠٩)، والطبري في «تفسيره» (٢/ ٥٠٧)، والثعلبي في =

(٣٨ ـ ٣٩) ـ ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾.

﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾: أي: لا تحمِلُ نفْسٌ حامِلَةٌ حِمْلَ نفْسٍ أخرى.

وبهذه الآيةُ رَدَّت عائشةُ رضي الله عنها على مَن روى أنَّ الميِّتَ يُعذَّبُ ببُكاءِ أهلِه عليه(١).

فأما ما رُوِيَ عن النبي ﷺ: «مَن سَنَّ سُنَّةً سيِّئةً فعليه وِزْرُها ووِزْرُ مَن عمِلَ بها بعدَه إلى يوم القيامة»(٢)، وقوله ﷺ: «ما سَفَكَ أحدٌ دماً حراماً إلا كان على ابنِ آدمَ الأوَّلِ كِفْلٌ مِن ذلك»(٣)، فليس في ذلك حَمْلُ ذنْبِ غيرِه عليه، بل الأوَّلُ استوجَبَ ذلك بفعل نفْسِه، لا أنه حُمِلَ عليه ذنْبُ غيرِه.

فأما تحمُّلُ العاقلةِ الدِّيَةَ عن القاتل خطَأً، فذلك مُواساةٌ منهم له، وتخفيفٌ عنه.

وقولُه تعالى: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾: أي: ثوابُ طاعتِه، وعِقابُ معصيتِه.

***

= «تفسيره» (٩/ ١٥٢)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٤١٥)، من حديث أبي أمامة رضي الله عنه، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٦٦٠) إلى سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن أبي حاتم وابن مردويه والشيرازي في «الألقاب» وضعفه.

قال الطبري: لو صح عن رسول الله ﷺ لم نَعْدُ القول به إلى غيره، ولكن في إسناده نظر يجب التثبت من أجله.

(١) رواه البخاري (١٢٨٨)، ومسلم (٩٢٩).

(٢) رواه مسلم (١٠١٧) من حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه.

(٣) رواه البخاري (٣٣٣٥)، ومسلم (١٦٧٧) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه بلفظ: «لا تقتل نفس ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها؛ لأنه أول من سن القتل».

(٤٠ ـ ٤٢) ـ ﴿وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ۝٤٠ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ۝٤١ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾.

﴿وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ﴾: أي: هو يراه في الآخرة؛ أي: يرى جزاءه؛ كما قال: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾، ويراه أهلُ الموقِفِ أيضاً والملائكةُ، وهو تشريفٌ للمُطيعِ، وإِخْزاءٌ للعاصي.

﴿ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ﴾: الهاءُ راجعٌ[1] على السَّعْيِ، وهو خبَرُ ما لم يُسَمَّ فاعِلُه، ويُقالُ: (جزاه عملَه) كما يُقالُ: (جزاه بعَمِله) و(على عمَلِه).

و﴿ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ﴾: الأَتَمُّ.

﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾: أي: إلى جزاء اللهِ مَرْجِعُ الخَلْقِ.

* * *

(٤٣) ـ ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ﴾.

﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ﴾: وهو دليلُ خَلْقِ اللهِ تعالى أفعالَ العِبادِ.

قيل: أضحَكَ المسرورين، وأبكى المحزونين.

وقيل: أضحَكَ الرَّاجين، وأبكى الخائفين[2].

وقيل: أضحَكَ اللَّوْحَ بما أثبَتَ فيه مِن أحكامِه في العِباد، وأبكى القلَمَ بما أجرى على سِنِّه مِن المِداد.

وقيل: أضحَكَ العرشَ بإضافته إليه، وأبكاه لافتراء المُجسِّمَةِ عليه.

وقيل: أضحَكَ الجنَّةَ بالنَّعيم، وأبكى النَّارَ بالحَميم.

---

(١) في (ف): «واقع».

(٢) في (ر): «أضحك الناجين وأبكى الجاهلين».

وقيل: أضحَكَ أهلَ الجنَّةِ بتمام الحُبور، وأبكى أهلَ النار بدوام الثُّبور، قال تعالى: ﴿فَٱلۡيَوۡمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلۡكُفَّارِ يَضۡحَكُونَ﴾ [المطففين: ٣٤]، وقال: ﴿وَهُمۡ يَصۡطَرِخُونَ فِيهَا﴾ [فاطر: ٣٧].

وقيل: أضحَكَ السَّماءَ[١] بعُروج النبيِّ ﷺ إليها، وأبكاها بنُزولِه عنها.

وقيل: أضحَكَ الملائكةَ حيث شغَلَهم بخِدْمَتِه، وأبكاهم حين أصابَ إبليسَ منهم بلَعْنَتِه.

وقيل: أضحَكَ الأرضَ بالأنوار، وأبكى السَّماءَ بالأمطار.

وقيل: أضحَكَ الأرضَ بولادة الرسول، وأبكاها بوفاة الرسول.

وقيل: أضحَكَ الأرضَ بما يُعْمَلُ عليها مِن الحسنات، وأبكاها بما يُرْتَكَبُ عليها مِن السيئات.

وقيل: أضحَكَ آدمَ بإدخالِه دارَ الجنَّةِ، وأبكاه بإِهْباطِه إلى دار المِحْنَة.

وقيل: أضحَكَ آدمَ بالرَّحمة، وأبكى إبليسَ باللَّعْنة.

وقيل: أضحَكَ نوحاً بإجابة دعوتِه، وأبكاه بإهلاكِ بعضِ ذُرِّيَّتِه.

وقيل: أضحَكَ سارَةَ حين بشَّرَها بإسحاقَ، وأبكاها حين أوقَعَ بينها وبين إبراهيمَ بوفاته الفِراقَ.

وقيل: أضحَكَ يعقوبَ بولادة يوسفَ، وأبكاه بغَيْبَةِ يوسفَ.

وقيل: أضحَكَ موسى بإعطاء الكلام والقُرْبَة، وأبكاه بمَنْعِ اللِّقاء والرُّؤية.

وقيل: أضحَكَ عيسى، وأبكى يحيى[٢].

---

(١) في (ف): «أصحاب السماء».

(٢) في (ف): «أضحك يحيى وأبكى عيسى».

وقيل: أضحَكَ الوالدين عند ولادةِ الولدِ، وأبكى الولدَ.

وقيل: أبكى أصحابَ السَّعادةِ الذين لا يُؤَدُّون زكاةَ أموالِهم في الدنيا، وأضحَكَ الذين يُؤَدُّون الزَّكاةَ في العُقْبى.

وقيل: أضحَكَ المُفْسِدَ في الدنيا وأبكاه في العُقْبى، قال ﷺ: «مَن أذنَبَ وهو يضحَكُ، دخَلَ النَّارَ وهو يبكي»[1].

وقيل: أضحَكَ المُذْنِبَ، وأبكى التَّائِبَ.

وقيل: أضحَكَ قوماً عند الموت بإسماع: ﴿وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ﴾ [فصلت: ٣٠]، وأبكى قوماً بإسماع: ﴿لَا بُشْرَىٰ﴾ [الفرقان: ٢٢].

وقيل: أضحَكَ المُتوفَّى على السَّعادة، وأبكى أهلَه بالمُصِيبة.

* * *

(٤٤ ـ ٤٧) ـ ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٦﴾ وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾: أي: أماتَ الأحياءَ وأحيى الأمواتَ، وأماتَ الكفارَ وأحيى المؤمنين، وأماتَ الجُهَّالَ وأحيى العالِمين[2].

﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ﴾: أي: مِن أولادِ آدمَ.

---

(١) رواه أبو نعيم في «الحلية» (٤/ ٩٦)، والديلمي في «الفردوس» (٥٨١٠) من حديث ابن عباس رضي الله عنه. قال المناوي في «فيض القدير» (٦/ ٤٨): فيه عمر بن أيوب، قال الذهبي في «الضعفاء»: جرحه ابن حبان. ورواه أبو نعيم في «الحلية» (٦/ ١٨٥) مقطوعا من كلام بكر بن عبد الله المزني.

(٢) في (ر): «العلماء».

﴿مِن نُّطْفَةٍ﴾: أي: مَنِيٍّ.

﴿إِذَا تُمْنَىٰ﴾: أي يُمْنِيها الرَّجُلُ والمرأةُ؛ أي: يُريقانِها، وهو فِعْلُ ما لم يُسَمَّ فاعِلُه؛ مِن الإمناء.

وقيل: هو مِن (مَنى يَمْنِي)، و(مَنا يَمْنو)؛ أي: قَدَّر؛ أي: يُقَدَّرُ أنْ يكون منها الولدُ.

قولُه تعالى: ﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ﴾: وفي قراءةِ ابنِ كثيرٍ وأبي عمرو بالمَدِّ على ميزان (الفَعالَة) كـ(البَراءَة)، والباقون على (الفَعْلَة)[1]، وهما بمعنًى واحدٍ؛ مِن الإنشاء.

والنَّشْأَةُ الأولى مِن النُّطْفة، والنَّشْأَةُ الأخرى البعثُ بعد ما ماتوا وصاروا رُفاتاً ورَميماً.

ومعنى ﴿عَلَيْهِ﴾: أنه فاعِلُه لا محالةَ بما وعَدَ ذلك مِن نفْسِه وَعْداً حَتْماً.

* * *

(٤٨) ـ ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ﴾: أي: أغنى مَن شاءَ مِن خَلْقِه.

﴿وَأَقْنَىٰ﴾: أي: أعطى ما يُقْتَنى؛ أي: يُتَّخَذُ أصلَ مالٍ يُسْتَثْمَرُ ويُسْتَنْمَى.

وقيل: ﴿أَغْنَىٰ﴾: أعطى المالَ، ﴿وَأَقْنَىٰ﴾: أعطى الخَدَمَ.

وقيل: ﴿أَغْنَىٰ﴾: مَوَّلَ، ﴿وَأَقْنَىٰ﴾: قَنَّعَ.

وقيل: ﴿أَغْنَىٰ﴾: بالذهب والفضة، والملابس والمساكِنِ، ﴿وَأَقْنَىٰ﴾: بالإبل والبقر والغنم.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٤٩٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١٧٣).

وقيل: ﴿أَغْنَىٰ﴾: أكثَرَ، ﴿وَأَقْنَىٰ﴾: أقَلَّ.

وقيـل: ﴿أَغْنَىٰ﴾: أعطـى مـا يَكْفِـي ويُغْنِي عـن الغَيـر، ﴿وَأَقْنَىٰ﴾؛ أي: جعَلَ بعد الغِنـى زيـادةً على الكِفايةِ مـالاً يَبْقـى أَصْلُه ويَنْمِـي فَرْعُه.

وقيل: ﴿أَغْنَىٰ﴾: بالمال، ﴿وَأَقْنَىٰ﴾: بالقَناعة.

* * *

(٤٩) ـ ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ﴾.

قولُه تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ﴾: هُما شِعْرَيان نَجْمَان أحدُهما يُسَمَّى: الغُمَيْصَاء، والآخر: العَبُور، يعبُرُ المَجَرَّة وحدَه مِن بين الكواكب.

وكان بعضُ أهلِ الجاهليَّةِ يعبُدُها ـ وقيل: هو أبو كَبْشَةَ الخُزَاعِيُّ ـ ويقول: له ما ليس لسائر النُّجوم مِن عُبورِه المَجَرَّةَ.

وفي الشِّعْرَيَيْنِ يقولُ الفَرَزْدَقُ:

إذا اغْرَوْرَقَـتْ عينـايَ أسـبَلَ منهمـا ... إلى أنْ تَغيـبَ الشِّـعْرَيانِ بُكَائِيـا(١)

واتَّبَعَتْ خُزاعةُ وبنو مُلَيْحٍ أبا كَبْشَةَ في عِبادة الشِّعْرى، ولَمَّا خرَجَ رسولُ اللهِ ﷺ على خِلاف العربِ ونابَذَهم، شبَّهَتْه العربُ في خِلافِه إيَّاهم بأبي كَبْشَةَ، فقالتْ: ما لَقِينا مِن ابنِ أبي كَبْشةَ! فسَمَّوه بذلكَ لِخلافِه إياهم كخِلاف أبي كَبْشَةَ العربَ في عِبادةِ الشِّعْرى.

* * *

---

(١) انظر: «ديوان الفرزدق» (ص: ٦٥٤). وذكره أبو عبيدة في «شرح نقائض جرير والفرزدق» (١/ ٣٤١)، وأبو الفرج الأصبهاني في «الأغاني» (١١/ ٢٧٧).

(٥٠) ـ ﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ﴾.

﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ﴾: قرأ أبو عمرو ونافعٌ: ﴿عاداً لُّولا﴾ بتشديد اللام الأولى، وحَذْفِ الهمزة، وإدغامِ التَّنوين في اللام[1].

و﴿عَادًا ٱلْأُولَىٰ﴾: هُم عادُ بنُ إِرَمَ بنِ عَوْصِ بنِ سامِ بنِ نُوحٍ قومُ هُودٍ، أهلَكَهم اللهُ بريحٍ صَرْصَرٍ عاتيَةٍ.

وعاداً الآخرة: بنو لُقَيْمِ بنِ هزَّال بن هزيل بن عُتَيل بن صُدِّ بن عادٍ الأَكْبر، لم يكونوا مع الأوَّلين، وكانوا بحَضْرَمَوْتَ، وتفانَوا بالقَتْلِ.

وقيل: الآخرةُ كانت في زمَنِ فارسَ الأولى.

ومِن أهل العلم مَن قالَ: إنَّ قولَه: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ﴾ يَتِمُّ عند قوله: ﴿ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ﴾، وما بعدَه في حُكْمِ المبتدأ، وما فيه مِن إعادة: (وأَنَّ) و(أَنَّ)، و(أَنَّ) بالفتح للإِتْباعِ نَظْماً، لا للوَصْلِ معنًى؛ كما في سورة الجنِّ: فتَحَ الكُلَّ بعضُ القُرَّاء، وبعضُها ليس مِن كلام الجِنِّ، وكذا قولُه: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ﴾، يتِمُّ عند قوله: ﴿وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾، وما بعدَه ليس في الصُّحُفِ، وذَكَرَ (أَنَّ) و(أَنَّ) لإيقاع قولِه: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ﴾ عليها، وهو إِنْباءٌ آخَرُ سِوى ما في الصُّحُفِ.

ومنهم مَن قال: يجوزُ أنْ يكون إلى قولِه: ﴿مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ﴾ في مُحاجَّةِ الوليد؛ لأنه كان يُنْكِرُ البعثَ، ويقولُ بكلِّ أقاويل المشركين.

ويجوز أنْ يكون كلُّ ذلك في الصُّحُفِ أيضاً، وهو الإخبارُ بإهلاكِ مَن مضى، وإهلاكِ مَن يجيءُ.

* * *

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦١٥)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٤).

(٥١ ـ ٥٣) ـ ﴿وَثَمُودَا فَمَآ أَبْقَىٰ ۝٥١ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ۝٥٢ وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿وَثَمُودَا فَمَآ أَبْقَىٰ﴾: أي: وأهلَكَ ثموداً فما أبقى منهم أحداً.

وقرأ حمزةُ وعاصمٌ في روايةِ حفصٍ: ﴿وَثَمُودَا﴾ بغير تنوين، والباقون: ﴿وثموداً﴾ بالتنوين(١).

وقال أبو عبيد: تُقْرأُ بالتَّنوين لِمَكان الألفِ الثانية في المصحف.

﴿وَقَوْمَ نُوحٍ﴾: عطفٌ على الأوَّلِ.

﴿مِّن قَبْلُ﴾: أي: مِن قبلِ عادٍ وثمودَ.

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ﴾: مِن عادٍ وثمودَ؛ لأنهم أصرُّوا على الكفر وإيذاءِ نوحٍ ألفَ سنةٍ إلا خمسين عاماً، ولم يَسْلَمْ منهم إلا نفرٌ يسيرٌ.

﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ﴾: أي: وأهلَكَ قريَّاتِ لوطٍ المُنْقَلِبَةِ بأهلها.

﴿أَهْوَىٰ﴾: أي: أسْقَطَها في النار.

وقيل: أي: أسْقَطَها مِن السماء.

وقيل: خسَفَ بها في الأرض.

* * *

(٥٤ ـ ٥٦) ـ ﴿فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ۝٥٤ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ۝٥٥ هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ﴾.

﴿فَغَشَّىٰهَا﴾: أي: المُؤْتَفِكَةَ.

﴿مَا غَشَّىٰ﴾: أي: الحِجارة، وغشَّاها: جلَّلَها.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦١٦)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٥).

وقيل: هو في حَقِّ كلِّ مَن تقدَّم ذِكْرُه، وأَبْهَمَ لأنهم أُهْلِكوا بأنواعٍ مُخْتَلِفَةٍ.

قولُه تعالى: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ﴾: أي: بأيِّ نِعَمِ ربِّكَ تشُكُّ أيها الإنسانُ؟

وقيل: أي: تَجْحَدُ.

وقيل: أي: تُجادِلُ مع وُضوحِها.

والنِّعَمُ: هي الحُجَجُ الباهِرَةُ، والمواعِظُ الزَّاهِرَةُ.

وقيل: الخِطابُ للنَّبيِّ ﷺ، والمرادُ غيرُه؛ كما عُرِفَ في قوله: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ [البقرة: ١٤٧].

قولُه تعالى: ﴿هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ﴾: أي: محمدٌ رسولُ اللهِ مُنْذِرٌ مِن النُّذُر ﴿ٱلْأُولَىٰٓ﴾؛ أي: المرسلين الأوَّلين.

وقيل: ﴿هَٰذَا نَذِيرٌ﴾؛ أي: اقتصاصُ هذه القِصَصِ تخويفٌ مِن التَّخْويفات الماضية.

* * *

(٥٧ ـ ٦٠) ـ ﴿أَزِفَتِ ٱلْأَزِفَةُ ﴿٥٧﴾ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾ أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ﴾.

قولُه تعالى: ﴿أَزِفَتِ ٱلْأَزِفَةُ﴾: أي: قَرُبَتِ القيامةُ، والأُزوفُ: الدُّنُوُّ، و﴿الآزفة﴾: مِن أسماء القيامة.

﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾: أي: ليس لها من غير[1] الله كشفٌ؛ أي: بيانُ الوقت، وهو[2] كقوله: ﴿لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [الأعراف: ١٨٧].

وقال الفرّاء والكسائي رحمهما الله: هي مصدر كالباقية واللاغية[3].

---

(١) في (ر): «دون».

(٢) في (ر): «وهذا».

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٠٣).

وقال قطربٌ: هي نعتٌ والهاءُ للمبالغة، أو هي صفةٌ للنفس أو للجماعة.

﴿أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾: أي: من القرآن، استفهامٌ بمعنى التوبيخ.

﴿تَعْجَبُونَ﴾: إنكاراً ﴿وَتَضْحَكُونَ﴾: استهزاء ﴿وَلَا تَبْكُونَ﴾: تدبُّراً[1] بوعيده.

* * *

(٦١ ـ ٦٢) ـ ﴿وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴿٦١﴾ فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ۩﴾.

﴿وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ﴾: قال الخليل: أي: ساهون غافلون[2].

وقال قطربٌ: لاعبون.

وقيل: مغنُّون، وكانوا يعارضون القرآن بالغناء.

وقيل: أي: قائمون حيَارى.

وقيل: معرِضون طامحون بأبصاركم ناكسون رؤوسكم.

وقيل: السامد: المطرِق الحزين، ويكون صلةً لقوله: ﴿وَلَا تَبْكُونَ﴾؛ أي: لا تبكون مطرِقين محزونين.

﴿فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ﴾: قيل: هي سجدة تلاوة، وقيل: هي سجدة الصلاة.

﴿وَٱعْبُدُوا۟﴾: أي: وحِّدوه، وقيل: وأطيعوه.

وقال الشعبي رضي الله عنه: سجَد رسول الله ﷺ في النجم وسجَد معه المؤمنون والمشركون والجنُّ والإنس[3].

والله الموفِّق

---

(١) في (ر) و(ف): «تذكراً».

(٢) انظر: «العين» (٧/ ٢٣٥).

(٣) ذكره عن الشعبي السمرقندي «تفسيره» (٣/ ٣٦٨). ورواه البخاري (١٠٧١) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

سُورَةُ القَمَرِ(1)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

باسمِ اللهِ الذي شَقَّ القمَر، الرَّحمنِ الذي خلَقَ كلَّ شيءٍ بقَدَر، الرَّحيمِ الذي وعَدَ المُتَّقين بجنَّاتٍ ونَهر.

وروى أبيُّ بنُ كعبٍ رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «مَن قرأ ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ﴾ غِبًّا، بعثَه اللهُ يومَ القيامةِ ووجهُه مِثْلُ القمَرِ ليلةَ البَدْرِ، ومَن قرأَها في كل ليلةٍ فهو أفضلُ إنْ شاء اللهُ»(2).

وهي مَكِّيَّةٌ، وآياتُها: خمسٌ وخمسون.

وكلماتُها: ثلاثُ مئةِ كلمةٍ واثنان وأربعون.

وحروفُها: ألفٌ وأربعُ مئةٍ وتسعةٌ(3) وأربعون.

وانتظامُ آخرِ تلك السُّورة بأوَّلِ هذه السورة: بذِكْرِ القيامةِ وقُرْبِها، قال هناك: ﴿أَزِفَتِ ٱلْأَزِفَةُ﴾، وقال هنا: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ﴾.

وانتظامُ السُّورتين: أنَّهما في مُحاجَّةِ المشركين، وتنبيهِهم بقِصَصِ الأوَّلين.

---

(1) في (ر): «سورة اقتربت الساعة».

(2) رواه الثعلبي في «تفسيره» (9/ 160)، والمستغفري في «فضائل القرآن» (1221)، والواحدي في «الوسيط» (4/ 206)، وهو قطعة من الحديث الموضوع في فضائل السور. انظر: «الفتح السماوي» للمناوي (3/ 1019).

(3) في (ر): «وسبعة».

(١) ـ ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾.

قولُه تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ﴾: أي: دنَتِ القيامةُ.

﴿وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾: أي: وقد انشَقَّ القمرُ نِصْفَين، وفي قراءة حُذيفة بنِ اليَمان كذلك: (وقد انشَقَّ القمرُ)(١).

قال أنسٌ: وذلك أنَّ المشركين سألوا رسولَ اللهِ ﷺ آيةً ـ وقيل: قد عَيَّنوا هذا ـ فأشارَ إليه، فانشَقَّ نِصْفَينِ(٢).

وهو عند عامَّةِ الصَّحابة ومَن بَعْدَهم على أنه قد كان، والحسنُ البصريُّ يحمِلُه على أنه مما يكون إذا قامَتِ القيامةُ(٣).

والصَّحيحُ هو الأوَّلُ، وقد رواه عبدُ الله بنُ مسعودٍ، وأنسُ بنُ مالكٍ، وعبدُ الله بنُ عمر، وحُذَيفةُ بنُ اليَمان، وعبدُ اللهِ بنُ عباس، وجُبَيْرُ بنُ مُطْعِمٍ، ومُجاهدٌ، وإبراهيمُ(٤).

قال عبدُ اللهِ بنُ مسعودٍ: لقد رأيتُ حِراءَ بين فِلْقَتَي القمر، فتعجَّبَ أهلُ مكَّةَ مِن ذلك، وقالوا: سِحْرٌ مَصْنوعٌ سيَذْهَبُ، فأنزلَ اللهُ هذه الآياتِ(٥).

---

(١) انظر: «المحتسب» لابن جني (٢/ ٢٩٧)، و«تفسير الثعلبي» (٩/ ١٦٠). وروى القراءة عنه ابن المنذر كما في «الدر المنثور» (٧/ ٦٧٢).

(٢) رواه البخاري (٤٨٦٧)، ومسلم (٢٨٠٢) عن أنس رضي الله عنه قال: سَأَل أهلُ مكةَ أن يُرِيَهم آيةً فأَراهُم انشقاقَ القمر.

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٤٠٩)، والكرماني في «غرائب التفسير» (٢/ ١١٦١).

(٤) رواه عنهم الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ١٠٤). وحديث أنس في الصحيحين كما تقدم، وكذا حديث ابن مسعود وابن عباس كما سيأتي، وحديث ابن عمر رواه مسلم (٢٨٠١).

(٥) رواه عنه الزجاج في «معاني القرآن» (٥/ ٨٢)، وذكره السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٣٦٩). وانظر التعليق الآتي.

وقال ابنُ مسعودٍ في روايةٍ: قال النبيُّ ﷺ: «اشهَدُوا شهدوا»، فقال المشركون: سحَرَ محمدٌ القمَرَ[١].

وقال ابن عباس: إنَّ المشركين قالوا لَمَّا انشَقَّ القمرُ: سحَرَ محمدٌ القمرَ، فنَسْتَخْبِرُ السُّفَّارَ والقادمين، فكلَّما قدِموا سألوهم، فأخبَروهم أنَّهم قد رأوا ذلك، فتعجَّبوا منه[٢].

***

(٢) ـ ﴿وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً﴾: أي: مِثْلَ ما رأوا مِن انشقاق القمر.

﴿يُعْرِضُوا۟﴾: أي: عن الإيمان بها.

﴿وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾: أي: ويُلَبِّسوا على الضَّعَفة، ويقولون: هذا تخييلٌ قَوِيٌّ، فعَلَه حاذِقٌ بالسِّحر، فيَتَصَوَّرُ بصُورة الانشقاق وهو بحاله لم يَنْشَقَّ، وهو مأخوذٌ مِن إمرار الحَبْل، وهو إحكامُ فَتْلِه.

وقال الأخفش: ﴿مُّسْتَمِرٌّ﴾: شديدٌ[٣]، والمِرَّةُ: القُوَّةُ والشِّدَّةُ.

---

(١) رواه البخاري (٤٨٦٤) و(٤٨٦٥)، ومسلم (٢٨٠٠)، دون قوله: «فقال المشركون: سحَرَ محمدٌ القمَرَ»، ولفظ مسلم: بينما نحن مع رسول الله ﷺ بمنى إذا انفق القمر فلقتين، فكانت فلقة وراء الجبل، وفلقة دونه، فقال لنا رسول الله ﷺ: «اشهدوا».

(٢) رواه الطيالسي في «مسنده» (٢٩٣)، والطبري في «تفسيره» (٢٢/ ١٠٦)، والشاشي في «مسنده» (٤٠٤)، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (١٤٦٠)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٤٠٠)، والبيهقي في «الاعتقاد» (ص: ٢٦٩) عن ابن مسعود رضي الله عنه.

وقد روى البخاري (٣٦٣٨)، ومسلم (٢٨٠٣) عن ابن عباس رضي الله عنه: (أن القمر انشق في زمان النبي ﷺ).

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٤١٠) عن الأخفش والفراء. =

وقال الكسائي والفراء: أي: يستمِرُّ ويذهبُ عن قليلٍ[1]؛ لأنه لا حَقيقةَ له؛ مِن المُرور.

وقيل: ﴿مُّسْتَمِرٌّ﴾: أي: يُشْبِهُ أفعالُ محمدٍ بعضُها بعضاً؛ كما يقول الفقهاء: (قياسٌ مُسْتَمِرٌّ)؛ أي: يجري على وجهٍ واحدٍ.

وقيل: أرادوا أنه سحرٌ مستمِرٌّ في الدُّهور قبل محمد؛ أي: هذا شيءٌ كان يفعلُه أمثالُ محمدٍ في الأُمَمِ الماضية.

وقيل: ﴿مُّسْتَمِرٌّ﴾: أي: مُمْتَدٌّ مِن الأرض إلى السماء، وكان قبلَ هذا سَحَرَةٌ في الأرض، فصار الآنَ سِحْرٌ في السماء.

* * *

(٣) ـ ﴿وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ﴾.

﴿وَكَذَّبُوا﴾: أي: محمداً فيما جاء به مِن هذه الآيةِ وغيرِها.

﴿وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾: أي: فعلوا ذلك بالشَّهَوات والأهواء، لا بالحُجَّة.

وقولُه تعالى: ﴿وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ﴾: أي: وكلُّ أمرٍ مِن الخير والشَّرِّ، والحَقِّ والباطل، والهوى والحُجَّة، يستقِرُّ يوماً قرارُه، ويتناهى نهايتَه، فتخرُجُ حقيقته، وتزولُ شُبْهَتُه، وعند العواقب تظهَرُ الحقائقُ.

وهذا وعيدٌ للمشركين، ووعدٌ وبِشارةٌ للرسول والمؤمنين، وهو كقوله:

= وذكره الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ١١٣) عن بعض البصريين.

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٠٤). وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٦٢)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ١٩٧) عن مجاهد، وقتادة، والفراء، والكسائي.

﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾: أي: إنَّ مُدَّتَه وإنْ طالَتْ فلا بُدَّ مِن أنْ يستقِرَّ قرارُه، وتنكشِفُ حقيقتُه مِن حقٍّ وباطل.

* * *

(٤ ـ ٥) ـ ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴿٤﴾ حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ﴾: أي: مِن أخبار الأُمَم الماضية التي هي غُيوبٌ، ولا يعلَمُها محمدٌ إلا بوحيٍ.

﴿مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾: أي: زَجْرٌ ومَنْعٌ، وقد زجَرَه وازْدَجَرَه، وهو للمصدر ها هنا كالازدجار؛ كالمُصْطَبَر يُستعمَلُ في معنى الاصطبار.

﴿حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ﴾: قيل: هو ترجمةٌ عن الأوَّلِ ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم﴾؛ أي: حِكْمةٌ.

وقيل: إنها ترجمةٌ وبدلٌ عن قوله: ﴿مُزْدَجَرٌ﴾.

وقيل: أُضْمِرَ ابتداؤُه، وهذا خبرٌ عنه؛ أي: هذه ﴿حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ﴾: أي: بالِغَةٌ نهايةَ الإحكامِ.

﴿فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ﴾: يجوز أنْ يكون نَفْياً، ويجوز أنْ يكون استفهاماً بمعنى التَّوْبيخ؛ أي: فما يُغْنِي النَّذِيرُ بعد النَّذير لِمَن أعرَضَ عنه ولم يتأمَّلْه وعانَدَ؟!

وقيل: فما يُغْنِي الأنبياءُ عن هؤلاء الكفار شيئاً مِن العذاب وما يَصْرِفُونه عنهم وهم لم يَقْبَلوا إنذارَهم؟!

* * *

(٦) ـ ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾: أي: أَعْرِضْ عن مُكَافأَتِهم الآنَ، إنَّ لهم يوماً يُجازَون فيه.

﴿يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ﴾: قيل: تقديرُه: فتولَّ عنهم لِيومِ يَدْعُ الدَّاعِ.

وقيل: تمَّ الكلامُ عند قولِه: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾، وقولُه: ﴿يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ﴾ يتعلَّقُ بقوله: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ﴾.

وقيل: ﴿يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ﴾: ظرفٌ لقوله: ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ﴾ ﴿يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ﴾؛ كما قال: ﴿وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ﴾ [ق: ٤١]، وهو إسرافيلُ في النَّفْخَة الثانية.

﴿إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ﴾: أي: هائلٍ مُنْكَرٍ لا يُطاقُ، ويُسَمَّى (نُكراً)؛ لِغِلَظِه على النَّفْس.

وقيل: لأنهم لم يروا مِثْلَه قَطُّ، فيُنْكِرونه استعظاماً له.

وقيل: أي: إلى شيءٍ كانوا يَجْحَدونه في الدنيا، ويُنْكِرونه في الدنيا، ولا يؤمنون به.

* * *

(٧) ـ ﴿خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ﴾.

قولُه تعالى: ﴿خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ﴾[١]: قرأ أبو عمرو وحمزةُ والكسائيُّ: ﴿خاشِعاً أبصارُهم﴾، وتقدُّمُ الصِّفة كتقدُّمِ الفعل، فيجوزُ تذكيرُه وتوحيدُه، قال الشاعر:

وشَبابٍ حَسَنٍ أَوْجُهُهم ... مِن إيادِ بنِ نزارِ بنِ مَعَدّْ[٢]

---

(١) في (ف): «خاشعاً أبصارهم»، وهما قراءتان متواترتان كما سيأتي.

(٢) نسبه أبو العلاء المعري في «رسالة الملائكة» (ص: ١٥٣)، وابن رشيق في «العمدة» (٢/ ٨٣) إلى أبي دؤاد الإيادي، وهو في ديوانه (ص: ٩٢)، إلا أن مطلعه: (وفُتُوٍّ). =

وقرأ الباقون: ﴿خُشَّعًا أَبْصَـٰرُهُمْ﴾ على الجَمْع[1]؛ لأنها نَعْتٌ لـ(أبصار) حقيقةً، وهي جَمْعٌ.

ونصبُه على الحال مِن: ﴿يَخْرُجُونَ﴾.

وقيل: نُصِبَ لأنه مفعولٌ به مِن قوله: ﴿يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ﴾: أي: قوماً هُم كذا.

ومعناه: خاضِعين أَذِلَّةً لأمرِ الله.

وأضافَ الخُشوعَ إلى الأبصار؛ لأنَّ ذِلَّة الذَّليلِ وعِزَّةَ العزيزِ يَظْهَران في النَّظَر.

وقيل: هو دليلُ الخوفِ والحياء، فيُنَكِّسُ رأسَه، ويَخْفِضُ بصرَه.

﴿يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ﴾: أي: القُبورِ.

﴿كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾: وحَّدَ اللَّفْظَةَ، ومعناه: خاضعين كأنَّهم جرادٌ مُنْتَشِرٌ في كَثْرَتِهم وتفرُّقِهم في كلِّ جِهَةٍ.

وقيل: أي: يخرُجون فَزِعين لا يَهْتَدون، مُتَحَيِّرين لا جِهَةَ لأحدٍ منهم يَقْصِدُها.

* * *

(٨ ـ ١٠) ـ ﴿مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ يَقُولُ ٱلْكَـٰفِرُونَ هَـٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴿٨﴾ ۞ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ﴿٩﴾ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ﴾.

﴿مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ﴾: قيل: مُسْرِعين.

وقيل: رافِعين أبصارَهم إليه.

= وذكره دون نسبة الفراء في «معاني القرآن» (٣/ ١٠٥)، والطبري في «تفسيره» (٢٢/ ١١٨)، والزجاج في «معاني القرآن» (٥/ ٨٦)، وابن خالويه في «الحجة» (ص: ٣٣٨)، والأزهري في «معاني القراءات» (٣/ ٤٢)، والثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٦٣).

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦١٨)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٥).

وقيل: مُدِيمين النَّظَرَ إليه.

﴿يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾: أي: شديدٌ عَسيرٌ.

وقولُه تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ﴾: أي: رسولَهم نوحاً.

﴿فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ﴾: أي: هو مجنونٌ.

﴿وَازْدُجِرَ﴾: أي: زجَروه عن تبليغِ الرِّسالة بالتَّهديد والشَّتْم، و(ازدَجَر) مُتعَدٍّ كـ(زجَرَ)، وهو كما قالوا: ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾ [الشعراء: ١١٦].

﴿فَدَعَا رَبَّهُ﴾: أي: لَمَّا أَيِسَ مِن إيمانهم:

﴿أَنِّي مَغْلُوبٌ﴾: أي: غلَبَني قومي بتمَرُّدِهم، ومنَعُوني عن الدُّعاء إليكَ.

﴿فَانتَصِرْ﴾: أي: فانتَقِمْ لي منهم.

وعن عاصمٍ: (إني مَغْلوبٌ) بكسر الألف[1]؛ أي: دعا فقال: إني، والفتحُ لِوُقوعِ الفعلِ ـ وهو الدُّعاءِ ـ عليه.

* * *

(١١ ـ ١٢) ـ ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ (١١) وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾.

﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ﴾: أي: فأجَبْناه وأمَرْناه باتِّخاذ السَّفينة، ثم لَمَّا بلَغَ الكتابُ أجَلَه فتَحْنا أبوابَ السَّماءِ فوقهم.

﴿بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ﴾: أي: كثيرٍ مُنْصَبٍّ خارجاً عن المُعْتاد.

---

(١) ذكر القراءة ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٥/ ٢١٤) عن عاصم، وابن أبي إسحاق، وعيسى. وعزاها الزجاج في «معاني القرآن» (٥/ ٨٧)، والنحاس في «إعراب القرآن» (٤/ ١٩٤)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ١٩٩) إلى عيسى بن عمر النحوي.

وقيل: هو الكثيرُ السَّريعُ الانصِبابِ.

﴿وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا﴾: أي: سَيَّلْنا عُيونَ الأرضِ مِن تحتهم.

﴿فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ﴾: أي: اجتمَعَ ماءُ السَّماءِ وماءُ الأرضِ، ولم يُثَنَّ لأنه اسمُ جِنْسٍ، وبالاجتماعِ يجوزُ أنْ يُقالَ: هذا ماءٌ واحدٌ.

﴿عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾: أي: قدَّرَه اللهُ، وعَلِمَ مِقْدارَه ومَبْلَغَه، وقَدَّرَ في أُمِّ الكتاب هلاكَ القومِ به، فلم يَزِدْهم على ما سبَقَ عِلْمُه به، ولم يَنْقُصْ[1] عنه.

وقيل: أي: التقى الماءانِ على مِقْدارٍ واحدٍ، فكان ماءُ السَّماءِ بقَدْرِ ماءِ الأرض، لا يزيدُ أحدُهما على الآخَرِ.

***

(١٣ ـ ١٤) ـ ﴿وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ﴾.

﴿وَحَمَلْنَٰهُ﴾: أي: حَمَلْنا نوحاً.

﴿عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ﴾: أي: على سفينةٍ ذاتِ صَفائِحَ مِن الخَشَبِ التي تُؤَلَّفُ منها السَّفينةُ.

﴿وَدُسُرٍ﴾: جَمْعُ دِسارٍ.

وقال قُطْرُبٌ: هي المِسْمارُ.

وقال الخليل: الدِّسارُ: خَيْطٌ مِن لِيفٍ تُشَدُّ به ألواحُ السُّفُنِ[2].

وقال الفرَّاء: الدُّسُرُ: مساميرُ السفينة وشُرُطُها التي تُشَدُّ بها[3]، واحدتُها: دَسِيرة.

---

(١) في (ر): «ينتقص».

(٢) انظر: «العين» (٧/ ٢٢٥).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٠٦).

وقال مُجاهد: الدُّسُرُ: أَضْلاعُ السَّفينةِ[١].

وقال الضَّحَّاكُ: طرَفاها وأَصْلُها[٢].

وقال نِفطَوَيْهِ: الدُّسُرُ: السُّفُنُ نفسُها تُدَسِّرُ الماءَ بصَدْرِها؛ أي: تَدْفَعُه.

﴿تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا﴾: أي: بمرأى مِنَّا، نحن نراها ونحفَظُها.

﴿جَزَآءٗ لِّمَن كَانَ كُفِرَ﴾: أي: فعَلْنا ذلك جزاءً لنوحٍ بصَبْره على أذى قومِه وكُفْرِهم به، وتَرْكِهم الشُّكْرَ له على دعائه إياهم إلى ما فيه نَجاتُهم.

* * *

(١٥ ـ ١٦) ـ ﴿وَلَقَد تَّرَكۡنَٰهَآ ءَايَةٗ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ١٥ فَكَيۡفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿وَلَقَد تَّرَكۡنَٰهَآ ءَايَةٗ﴾: أي: ولقد تركْنا السَّفينةَ علامةً على قُدْرَةِ اللهِ تعالى، ولُطْفِه بأهل ولايته، وتمييزِه بين أهل الإيمان وأهل الكفر، والكنايةُ راجعةٌ إلى ﴿ذَاتِ أَلۡوَٰحٖ﴾.

وقيل: أي: تركْنا هذه الفِعْلَةَ آيةً للعالمين، يَعْتَبِرُ بها كلُّ مَن بلَغَه هذا الخبَرُ.

وقال قتادة: أبقى اللهُ سفينةَ نوحٍ على الجُوديِّ حتى أدرَكَها أوائلُ هذه الأُمَّةِ[٣].

وعن ابن عباسٍ مِثْلُه[٤].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ١٢٦). وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٦٤)، ومكي بن أبي طالب في «الهداية» (١١/ ٧١٨٩)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٤٢٨).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ١٢٥). وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٦٤)، والماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٤١٢)، والبغوي في «تفسيره» (٤/ ٣٢٣).

(٣) رواه عنه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٠٦٢)، والطبري في «تفسيره» (٢٢/ ١٢٨).

(٤) لم أقف عليه عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وقولُه تعالى: ﴿وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ﴾: أي: بَقَّيْناها؛ كما قال: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْآخِرِينَ﴾.

﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾: أي: مُتَّعِظٍ منكم مَعاشِرَ المشركين؟

﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ﴾: أي: إنذاري؛ أي: ألم يكن عذابي شديداً مُهْلِكاً، أوَلم يكن إنذاري صِدْقاً واقِعاً؟

***

(١٧ ـ ١٨) ـ ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ﴾.

قولُه: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾: قال ابن عباس: هوَّنَّا قراءةَ القرآنِ لِيَتَّعِظَ المُتَّعِظُ به، ولولا أنَّ اللهَ تعالى يسَّرَه ما استطاعَ أحدٌ أنْ يتكلَّمَ بكلام الله تعالى[1].

وقال سعيد بن جُبيرٍ: يسَّرْناه للحفظ ظاهِراً، وليس مِن كُتُبِ اللهِ تعالى يُقْرَأُ ظاهِراً إلا القرآنُ[2].

وقال الحسن: ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾: أي: خائفٍ مِثْلَ عُقوبَتِهم[3].

وقيل: يسَّرَ قراءتَه على ألسنةِ قومٍ، وعلَّمَه على قلوبِ قومٍ، وفهَّمَه على قلوب قومٍ، وحَفِظَه على قلوبِ قومٍ، وكلُّهم أهلُ القرآنِ، وكلُّهم أهلُ اللهِ وخاصَّتُه.

---

(١) رواه مختصراً عنه البيهقي في «الأسماء والصفات» (٥٧٢)، وذكره البغوي في «شرح السنة» (١/ ١٨٢).

وهو قول مقاتل كما في «تفسيره» (٤/ ١٨٠)، وذكره عنه الواحدي في «البسيط» (٢١/ ١٠٣).

(٢) ذكره عنه الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٦٥)، والواحدي في «البسيط» (٢١/ ١٠٢)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٤٣٢)، وابن عطية في «المحرر الوجيز» (٥/ ٢١٥).

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٠٦٧).

وقولُه: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ﴾: أي: رسولَهم هوداً.

﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي﴾: أي: بالرِّيحِ العَقيم.

﴿وَنُذُرِ﴾: أي: إنذاري على لسان رسولي، أليس كان العذابُ أليماً شديداً، والإنذارُ حقًّا وصِدْقاً؟

***

(١٩ ـ ٢٠) ـ ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِى يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ﴾.

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا﴾: يعني: شديدةً باردةً، ذاتَ بَرْقٍ وصوتٍ هائلٍ.

﴿فِى يَوْمِ نَحْسٍ﴾: أي: في يومٍ كان مَشْؤوماً عليهم.

﴿مُّسْتَمِرٍّ﴾: استمَرَّ بهم العذابُ حتى أهلَكَهم.

وقال قتادة: استمَرَّ عليهم شَرُّه؛ أي: دام إلى أن صاروا في نار جهنَّمَ(١).

وقال الفَرَّاءُ: أي: استمَرَّ عليهم بنُحُوسَته(٢)؛ أي: قَوِيَ واشتَدَّ.

وقال الكسائيُّ: هو مِن المرارة، وقد استمَرَّ الشيءُ وأَمَرَّ(٣).

وقال نِفْطَوَيْهِ: في يوم شُؤْمٍ مُسْتَحْكِمٍ، بكسر الكاف(٤).

قولُه تعالى: ﴿تَنزِعُ ٱلنَّاسَ﴾: أي: تَقْلَعُهم مِن مواضِعهم.

---

(١) رواه عنه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ١٣٥). وذكره مكي بن أبي طالب في «الهداية» (١١/ ٧١٩١)، والواحدي في «البسيط» (٢١/ ١٠٤)، وابن عطية في «المحرر الوجيز» (٥/ ٢١٦).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٠٨)، وذكره عنه الواحدي في «البسيط» (٢١/ ١٠٤).

(٣) ذكره عنه القرطبي في «تفسيره» (١٧/ ١٣٥).

(٤) «بكسر الكاف» ليس في (أ) و(ف).

قيل: كانت تأتيهم مِن تحت أقدامِهم فتَقْلَعُهُم كما تَنْقَعِرُ النَّخْلَةُ مِن أَصْلِها.

وقيل: كانت تَقْتَلِعُ الناسَ فتَرْمِي بهم على رؤوسهم، فتَدُقُّ رقابَهم، وتَبِينُ مِن أجسادِهم، فشُبِّهوا بأُصول النَّخْلِ لهذا.

وقيل: بل أَحْرَقَتْهم فقَطَّعَتْهم الرِّيحُ قِطَعاً، فكان كلُّ عُضْوٍ منهم كعَجُزِ النَّخْلِ المُنْقَعِرِ، فذلك قولُه:

﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ﴾: والأعجازُ: جَمْعُ عَجُزٍ، وهو أَصْلُ النَّخْلَةِ.

والمُنْقَعِرُ: المُنْقَلِعُ مِن أصلِه.

والنَّخْلُ يؤنَّثُ إذا أُريدَ بها جَمْعُ نَخْلَةٍ، وعلى ذلك قولُه: ﴿أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٧]، ويُذَكَّرُ إذا أُريدَ به الواحدُ، ويجوز أَنْ يكون جَمْعاً هاهنا وذَكَّرَ نَعْتَه للفظه، والأَولى أَنْ تكون جَمْعاً؛ لأنه شبَّه بها الجماعةَ.

وقيل: كأنهم حفَروا حُفَراً دَخَلوا فيها، فكانت الرِّيحُ تَنْزِعُهم؛ أي: تُخْرِجُهم منها، فتكْسِرُهم، فتبقى تلك الحُفَرُ كأنها أصولُ نخلٍ قد هلَكَ ما كان قائماً فيها، فبَقِيَ موضعُها مُنْقَعِراً، وهو الشيءُ الذي له قَعْرٌ.

وقال الأخفش: ﴿أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ﴾: أي: أَسافِلُ نَخْلٍ مُنْقَلِعٍ(١).

* * *

(٢١ ـ ٢٤) ـ ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٢١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٢٢﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوا أَبَشَرًا مِّنَّا وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُ إِنَّا إِذًا لَّفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ﴾.

﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾: فسَّرْناه.

---

(١) وهو قول الفراء في «معاني القرآن» (٣/ ١٠٨)، وأبي عبيدة في «مجاز القرآن» (٢/ ٢٤١).

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾: فسَّرْناه مَرَّةً، وكرَّرَه لأنَّ معناه: سَهَّلْنا سبيلَ التَّذَكُّرِ والاتِّعاظ به لمَّا وصَّلْنا به القولَ مِن قِصَصِ الأوَّلين تَنْبيهاً للآخِرين.

وقولُه تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ﴾: قيل: بالإنذار، وهو واحدٌ.

وقيل: بالآيات التي هي نُذُرٌ، جَمْعُ نذيرٍ.

وقيل: بصالحٍ ومَن تقدَّمَه مِن الرُّسُل، جَمْعُ نذيرٍ، وهو الرسولُ المُنْذِرُ.

قولُه تعالى: ﴿فَقَالُوا أَبَشَرًا مِّنَّا وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُ﴾: أي: استنْكَروا أنْ يَلْزَمَهم الانقيادُ لِبَشَرٍ هو واحدٌ منهم؛ أي: مِن جِنْسِهم وجُمْلَتِهم يأكُلُ الطَّعامَ، ويمشي في الأسواق.

﴿إِنَّا إِذًا﴾: لو اتَّبَعناه.

﴿لَّفِي ضَلَالٍ﴾: أي: ذهابٍ عن الحقِّ.

﴿وَسُعُرٍ﴾: أي: جنونٍ، وهو قولُ القُتَبِيِّ، قال: هو مِن تَسَعُّرِ النارِ، ويُقالُ: ناقةٌ مَسْعورةٌ؛ كأنها مجنونةٌ مِن النَّشاط[1].

وقال قتادة: أي: عذابٍ وعَناءٍ[2].

وقال الأخفش: هو مِن الاستعار[3]؛ أي: الالتهاب؛ أي: في تعَبٍ شديدٍ يَلْتَهِبُ مِن التَّمادي فيه، ومَن حمَلَه على الجُنون، فإنَّ الجُنونَ يُحَرِّكُ صاحبَه ويُلْهِبُه.

وقيل: أي: في أمرٍ يُسْعِرُ مِثْلُه؛ أي: يُلْهِبُ صاحبَه ويُحَرِّكُه حتى يُحميَه فيأنَفَ منه.

***

---

(١) انظر: «غريب القرآن» (ص: ٤٣٣).

(٢) رواه عنه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٠٧١) بلفظ: ضلال وعمى، والطبري في «تفسيره» (٢٢/ ١٤٠).

(٣) في (ر): «السعارة»، وفي (ف): «الاستعارة». وذكره عن الأخفش السمعاني في «تفسيره» (٥/ ٣١٨).

(٢٥ ـ ٢٦) ـ ﴿ أَءُلْقِيَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ ﴾.

﴿ أَءُلْقِيَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا ﴾: أي: الوحيُ، وذكْرُ ما بالناس إليه حاجةٌ مِن أمور الدِّين والدنيا وفينا مَن هو أكثرُ مالاً وأعلى حَسَباً منه؟!

﴿بَلْ هُوَ كَذَّابٌ ﴾: أي: ليس كما يقول أنَّ الوحيَ أُنْزِلَ عليه مِن بيننا، بل هو كذَّابٌ في ذلك.

﴿أَشِرٌ ﴾: لَجُوجٌ[١] يلتمِسُ التَّجبُّر والتَّكبُّر علينا مِن غير استحقاقٍ.

﴿ سَيَعْلَمُونَ غَدًا ﴾: أي: يومَ القيامةِ ﴿مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ ﴾.

وقيل: ﴿غَدًا ﴾: أي: يومَ يَنْزِلُ بهم العذابُ المُسْتَأْصِلُ في الدنيا.

وقال الحسَنُ: قرَّبَ اللهُ تعالى الآخرةَ مِن الدنيا كقُرْبِ الغَدِ مِن اليوم[٢].

***

(٢٧ ـ ٢٨) ـ ﴿ إِنَّا مُرْسِلُوا۟ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَٱرْتَقِبْهُمْ وَٱصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾ وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ ﴾.

﴿ إِنَّا مُرْسِلُوا۟ ٱلنَّاقَةِ ﴾: أي: لَمَّا كذَّبوه سألوه آيةً، وهو أنْ يُخْرِجَ لهم ناقةً مِن الجبل، فقال الله تعالى: ﴿ إِنَّا مُرْسِلُوا۟ ٱلنَّاقَةِ ﴾: أي: مُخْرِجُوها وباعِثُوها.

﴿فِتْنَةً لَّهُمْ ﴾: أي: اختباراً وامتحاناً حتى يَظْهَرَ للعباد ما نحن عالِمون بما يكون منهم.

---

(١) في (أ) و(ر): «الحوح».

(٢) لم أقف عليه عن الحسن.

وقيل: أي: تشديداً للتَّعَبُّد عليهم بما يَلْزَمُهم مِن الصَّبر على ضِيق الماء والكلأِ بخُروج الناقة لحاجَتِها إلى الكثير منها مع فَصيلِها.

﴿فَٱرۡتَقِبۡهُمۡ﴾: أي: فانتظِرْهم، وتَبَصَّرْ ما يكون منهم، ﴿وَٱصۡطَبِرۡ﴾ على ارتقابِهم، ولا تَعْجَلْ إلى أنْ يؤمنوا، أو يَهْلِكوا.

وقولُه تعالى: ﴿وَنَبِّئۡهُمۡ﴾: أي: خَبِّرْهم ﴿أَنَّ ٱلۡمَآءَ قِسۡمَةُۢ بَيۡنَهُمۡ﴾: أي: مَقْسومٌ بين القوم وبين الناقة، والقِسْمَةُ ما ذُكِرَ في سورةٍ أخرى: ﴿لَّهَا شِرۡبٞ وَلَكُمۡ شِرۡبُ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ﴾ [الشعراء: ١٥٥].

﴿كُلُّ شِرۡبٖ مُّحۡتَضَرٞ﴾: أي: كلُّ نصيبٍ مِن الماء يُحْضِرُه صاحبُه في يومه.

* * *

(٢٩) ـ ﴿فَنَادَوۡاْ صَاحِبَهُمۡ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ﴾.

قولُه تعالى: ﴿فَنَادَوۡاْ صَاحِبَهُمۡ﴾: رُوِيَ أنَّ الأمرَ لما طالَ بهم في الناقة، غلَبَ عليهم الشَّقاءُ، فائتَمَرَ تسعةُ نفرٍ منهم، وهُم المذكورون في قوله: ﴿وَكَانَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ تِسۡعَةُ رَهۡطٖ﴾ [النمل: ٤٨] منهم قُدارُ بنُ سالِف، ائتمَروا بها، فلما أَجْمَعوا على قَتْلِها قال بعضُهم لبعضٍ: أيُّكم يَكْمُنُ للناقة حين تمُرُّ إذا صدَرَتْ عن الماء، فتحاماها القومُ، وكمَنَ لها قُدارُ بنُ سالِفٍ لِيَقْتُلَها، وصاح بها بَقِيَّةُ الرَّهْطِ وهي على الماء، فقتلَها قُدارُ بنُ سالِفٍ، فكان معنى قولِه: ﴿فَنَادَوۡاْ صَاحِبَهُمۡ﴾: أي: فنبَّهوه على مَجيئِها وقُرْبِها مِن مَكْمَنِه، ودَعَوْه إلى قَتْلِها.

وقيل: لَمَّا ائتمَروا بها قال أحدُهم: أنا أَكْفِيكُمُوها، فلما هَمَّ بها هابَها، فناداه أصحابُه فشَجَّعوه.

﴿فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ﴾: أي: فتناوَلَ ما دَعَوْه إليها فقتَلَها.

وقيل: رماها رجلٌ منهم فأصابَ عَضَلَةَ ساقِها، ثم صاحَ: دونَكَ يا قُدارُ، فهي هذه تمُرُّ عليك، فمَرَّتْ بقُدار، فضرَبَ ساقَها الأخرى فصُرِعَتْ لِجَنْبِها، ثم وجَأَ بالسيف في لَبَّتِها حتى فرَغَ منها.

وقيل: عقَرَها قُدارٌ؛ أي: جَرَحَها، فلما صرَعَها مالوا[1] جميعاً عليها فقتَلوها.

وقيل: بل عقَرَها هو وقتَلَها، والعَقْرُ: هو القَتْلُ، قال ﷺ: «مَن عُقِرَ جوادُه» الحديث[2].

***

(٣٠ ـ ٣١) ـ ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٠﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَكَانُواْ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ﴾.

﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾: فسَّرْناه.

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾: أي: صاعِقَةً، فأهلَكَتْهم جميعاً.

﴿فَكَانُواْ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ﴾: أي: فصاروا بعد غَضارَتِهم وحُسْنِهم كيَبْسِ الشَّجَر والنبات الذي يَجْمَعُه صاحبُه ويَحْتَظِرُه لمواشيه؛ أي: يَتَّخِذُ لها حَظِيرةً يَجمَعُها، وذلك مُتَكَسِّرٌ مُتفَتِّتٌ، وذلك يحتمِلُ معانيَ ثلاثةً:

أحدُها: أنْ يكون صاحِبُ الحَظِيرةِ قد احتَظَرَ لِغَنَمِه، ثم لم يَجْمَعْ فيها الهَشِيمَ مِن النَّبات للغنم لِتَأْكُلَه.

والثاني: أنْ يكون المُحْتَظِرُ اتَّخَذَ الحَظِيرةَ للنبات اليابس.

---

(١) في (ر): «قاموا».

(٢) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٦٧٩٢) من حديث عبد الله بن عمرو، وجابر، وعمرو بن عبسة رضي الله عنهم، ولفظ جابر: «قالوا: يا رسول الله، أي الجهاد أفضل؟ قال: مَن عُقر جواده، وأُهريق دمه».

والثالثُ: أنْ يَحْتَظِرَ النَّباتَ الرَّطْبَ، فيَيْبَسَ ويَسْقُطَ ويصيرَ هَشيماً بوَطْءِ الناس والبهائم.

وقرأ الحسَنُ: (المُحْتَظَر) بفتح الظاء[1]، وله وجهان:

أحدُهما: أن يكون المُحْتَظَرُ هو الهَشِيمُ، وأُضِيفَ إلى نفْسِه.

والثاني: أن يكون المُحْتَظَرُ هو الحَظِيرةُ، والهَشِيمُ مُضافٌ إليها.

***

(٣٢ ـ ٣٥) ـ ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٣٢﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ ﴿٣٣﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُم بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾ نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي مَن شَكَرَ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾: وقد مَرَّ سِياقُ القصة في سورة الأعراف.

قولُه تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ﴾: فسَّرْنا النُّذُرَ بثلاثة أوجهٍ في هذه السورة في قوله: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ﴾.

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا﴾: أي: سَحاباً حَصَبَهم؛ أي: رماهم بالحِجارة والحَصى.

﴿إِلَّا آلَ لُوطٍ﴾: أي: لوطاً ومَن آمَنَ به.

﴿نَّجَّيْنَاهُم بِسَحَرٍ﴾: أي: أمَرْناه حتى خرَجَ بهم بِقِطْعٍ مِن الليل، وجاء العذابُ قومَه الصُّبْحَ.

﴿نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾: أي: إنعاماً مِنَّا على لوطٍ وأهلِه.

﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِي مَن شَكَرَ﴾: بإنعامنا، فآمَنَ ولم يُكَذِّبْ.

---

(١) انظر: «المحتسب» لابن جني (٢/ ٢٩٢)، و«الكامل» للهذلي (ص: ٦٤٢).

قال الفرَّاءُ والكسائيُّ: إذا قُلْتَ: (خرَجْتُ بسَحَرٍ) أجْرَيْتَه بجَعْلِه نكرةً، وإذا حذَفْتَ الباءَ لم تُجْرِه(١).

***

(٣٦ ـ ٣٧) ـ ﴿وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا۟ بِٱلنُّذُرِ ۝٣٦ وَلَقَدْ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ﴾.

﴿وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا﴾: أي: كان خوَّفَهم بأَخْذِنا إيَّاهم إذا أقاموا على كفرهم وتكذيبهم.

وخرَجَ الكلامُ مَخْرَجَ المَرَّةِ الواحدةِ؛ لأنهم لم يَبْقَوا بعد تلك البَطْشَةِ الواحدةِ.

﴿فَتَمَارَوْا۟ بِٱلنُّذُرِ﴾: أي: فشَكُّوا فيما أَنْذَرَهم به، وجادَلوه فيه وجَحَدوه، وقالوا: كيف يَتهَيَّأُ له إهْلاكُنا وهو واحدٌ مِنَّا؟!

﴿وَلَقَدْ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ﴾: أي: طالَبوه بتسليم أضيافِه إليهم، وهُم الملائكةُ الذين رأوهم على صورة الغِلْمان، وظَنُّوهم مِن البَشَر، وقَصَدوا منهم ما اعتادوه مِن خَبائِثِهم(٢).

﴿فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ﴾: قيل: فأَعْمَيْناهم؛ رُوِيَ: أنَّ جبريلَ مسَحَ وجوهَهم بجناحِه فأَعْماهم، فجعَلوا يجولون لا يَدْرون كيف يَتوَجَّهون.

وقيل: صُيِّرَتْ أعينُهم كسائر الوجه لا شِقَّ لها؛ كما تَطْمِسُ الرِّيحُ الأعلامَ بالرَّمْلِ والتراب.

وقيل: بل أعماهم مع بقاءِ صُوَرِ أعيُنِهم.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٠٩).

(٢) في (ر): «خيانتهم».

﴿فَذُوقُواْ عَذَابِى وَنُذُرِ﴾: أي: وقيل لهم ذلك.

وقيل: معناه: أَذَقْناهم ذلك؛ كما قال: ﴿سِيرُواْ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ﴾ [سبأ: ١٨]؛ أي: سَيَّرْناهم كذلك.

* * *

(٣٨ ـ ٤٠) ـ ﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ (٣٨) فَذُوقُواْ عَذَابِى وَنُذُرِ (٣٩) وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾.

قولُه تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُم﴾: أي: جاءهم صباحاً؛ كما قال: ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ﴾ [هود: ٨١].

﴿بُكْرَةً﴾: أوَّلَ النَّهارِ حين يَطْلُعُ الفجرُ.

﴿عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ﴾: أي: ثابتٌ مُسْتَقِرٌّ فيهم إلى أنْ هلكوا جميعاً، لم يكن كالشيء الذي يمُرُّ بالشيء فيأخُذُ بَعْضاً ويترُكُ بَعْضاً.

وقيل: أي: يَسْتَقِرُّ بهم إلى أنْ يُوافُوا جهنَّمَ.

﴿فَذُوقُواْ عَذَابِى وَنُذُرِ﴾: فسَّرْناه.

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾: فسَّرْناه أيضاً، وهو سِياقُ القصَّةِ في سورة الأعراف وغيرِها.

* * *

(٤١ ـ ٤٢) ـ ﴿وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ (٤١) كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ﴾.

﴿وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ﴾: أي: الآياتُ التي أُنْذِروا بها؛ كالضَّفادعِ، والدَّمِ، والطُّوفان، والجرادِ، والقُمَّلِ، والسِّنين، واليدِ، والعصا.

ويَحْتَمِلُ أنْ يكون النُّذُرُ هُمُ الرُّسُلُ، فقد جاءهم يوسُفُ وبنوه إلى أنْ جاء موسى وهارونُ.

﴿كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا كُلِّهَا﴾: أي: الأعلامِ الدَّالَّةِ على صِدْقِ الرُّسل.

ويَحْتَمِلُ أن يكون أرادَ به آلَ فرعونَ، ويَحْتَمِلُ أن يكون أرادَ به كلَّ الأُمَمِ الذين ذكرَهم في هذه السورة.

﴿فَأَخَذْنَـٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ﴾: أي: عاقَبْناهم مُعاقَبَةَ مَن لا يتهيَّأُ الاعتراضُ عليه، ولا مَنَعَةَ لِعِزِّه وسُلْطانِه ومعاقبِه، قادرٌ على كل شيءٍ، لا يفوتُه هارِبٌ، ولا يُعْجِزُه غالِبٌ.

* * *

(٤٣ ـ ٤٤) ـ ﴿أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُو۟لَـٰٓئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٤٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ﴾.

قولُه تعالى: ﴿أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ﴾: يُخاطِبُ مُشْركي قريشٍ.

﴿مِّنْ أُو۟لَـٰٓئِكُمْ﴾: أي: الأُمَمِ الماضية؛ أي: ليسوا كذلك، بل كلُّكم[1] سواءٌ؛ لأنَّ الكلَّ كفارٌ مُكَذِّبون، فإذا شارَكْتُموهم في الجِنايةِ، تُشارِكونهم في العُقوبة.

﴿أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِى ٱلزُّبُرِ﴾: أي: أم تدَّعون أنَّ لكم براءةً مِن الله في الكُتُبِ المُنَزَّلة على أنبيائه بالسَّلامة مِن العُقوبة، وخروجِكم بذلك من الجُمْلَة؟!

﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ﴾: أي: مُنْتصِرون مُجْتَمِعون مُمْتَنِعون، فلا يَنالُنا أحدٌ بمكروهٍ، ولا يَقْدِرُ علينا.

ووحَّدَ المُنْتَصِرَ لأنه نعتَ به قولَه: ﴿جَمِيعٌ﴾، ولفظُه لفظُ الواحدِ؛ كـ(السَّميع) و(البديع).

(٤٥) ـ ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾.

﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ﴾: فلا ينفعُهم الاجتماعُ.

﴿وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾: أي: الأَدْبارَ، وهو اسمُ جِنْسٍ يصلُحُ للجَمْع.

---

(١) في (أ) و(ر): «كلهم».

وحُقِّقَ ذلك يومَ بدرٍ، ودلَّتِ الآيةُ على صدقِ نُبُوَّةِ رسولِ الله ﷺ حيث أَخْبَرَ فكان كما أخبَرَ، فدلَّ أنه قال ذلك بوَحْيِ اللهِ تعالى، وهذا كلُّه توبيخٌ، يقولُ لهم: لم تُقاوِموا عبادَ اللهِ، فكيف تُقاوِمون عذابَ اللهِ؟!

﴿أَكُفَّارُكُمْ﴾ قيل: معناه: أفأنتم.

وقيل: ﴿أَكُفَّارُكُمْ﴾ أيَّتُها الأُمَّةُ.

وقيل: ﴿أَكُفَّارُكُمْ﴾ خطابٌ لقومٍ أَسْلَمَ بعضُهم، وهذا خِطابٌ، ثم قال: ﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾: على المُغايَبَة، وهو مِن تلوينِ الكلام وأقسامِ البلاغة.

* * *

(٤٦) ـ ﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ﴾.

﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ﴾: أي: القيامةُ، فلا نَقْتَصِرُ بعذاب الدنيا، بل نُدِيمُ عليهم العقابَ في العُقْبى.

﴿وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ﴾: أي: أعظَمُ وأنكرُ.

﴿وَأَمَرُّ﴾: قيل: أشدُّ.

وقيل: أمرُّ مَذاقاً.

وقيل: نزل قولُه: ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ﴾ في أبي جهلٍ، وذلك أنه كان عنده فرَسٌ كُمَيْتٌ[1] يَعْلِفُها كلَّ يومٍ فَرَقاً من ذرةٍ، ويَحْلِفُ باللَّاتِ والعُزَّى لَيَقْتُلَنَّ عليه محمداً، فلما كان يومُ بدرٍ رَكِبَه وجعلَ يُطارِدُ ويقول: نحن اليومَ جميعٌ مُنْتَصِرٌ ممَّن عادانا، فقتَلَه عبدُ اللهِ بنُ مسعودٍ يومَ بدرٍ، وأخبَرَ رسولَ الله ﷺ بذلك، وقال: رأيتُ النَّارَ تَلْتَهِبُ مِن جسَدِه، فقال النبيُّ ﷺ: «ذلك ضَرْبُ الملائكةِ يا عبدَ الله، فإذا كان

(١) الكميت: مشتق من الكمتة، وهو لون بين السواد والحمرة يكون في الخيل والإبل ونحوها. انظر: «المحكم» (٦/ ٧٨١).

يومُ القيامةِ وأُدْخِلَ النَّارَ قيل له: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ﴾ [الصافات: ٢٥]»[١].

وعن عمر أنه قال: لَمَّا نزَلَ قولُه: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾: كنت لا أدري أيَّ جَمْعٍ يُهْزَمُ، فلما كان يومُ بدرٍ رأيتُ النَّبيَّ ﷺ يَثِبُ في دِرْعِه، ويقول: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾[٢].

* * *

(٤٧ ـ ٤٨) ـ ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ (٤٧) يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾.

﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ﴾: أي: إنَّ المشركين في ضَلالٍ عن الحقِّ في الدنيا، وفي نيرانٍ تَسْتَعِرُ فيهم في العُقْبى، وهي جَمْعُ سَعيرٍ.

وقيل: هو على مُقابَلَةِ قولِهم: ﴿إِنَّا إِذًا لَفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ﴾.

﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ﴾: أي: يُجَرُّون في نارِ جهنَّم بعد دخولِهم فيها، تَجُرُّهم الزَّبانِيَةُ.

وقرأ ابن مسعود: (يوم يُسْحَبون إلى النار)[٣]، وذلك يكون قَبْلَ الإِدْخال.

---

(١) ذكره مختصراً مقاتل في «تفسيره» (٤/ ١٨٤). وأما قول النبي ﷺ: «ذلك ضرب الملائكة»، فقد رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٢٣٠) مرسلا عن الحسن، وذكره عنه الثعلبي في «تفسيره» (٤/ ٣٦٧)، والواحدي في «البسيط» (١٠/ ١٩٦)، وابن عطية في «المحرر الوجيز» (٢/ ٥٤٠).

(٢) رواه عنه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٠٦٩)، والطبري في «تفسيره» (٢٢/ ١٥٧)، والطبراني في «الأوسط» (٣٨٢٩) و(٩١٢١). وقصة قراءة النبي ﷺ لها رواها البخاري (٤٨٧٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١١٠)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٤/ ٢٠١) و«تفسير الطبري» (٢٢/ ١٥٩).

و﴿عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾: دِلالةُ نهايةِ الإذلال، وبيانُ أنَّهم لا يُجَرُّون على أَقْفِيَتِهم بل على وُجوهِهم.

وقُرِئَتِ الآيةُ بين يدَيِ الفُضَيْلِ، فبكى حتى خَنَقَتْهُ العَبْرةُ، فقال: واللهِ لو سُحِبوا على الخَزِّ والحريرِ لكان شديداً، فكيف إذا سُحِبوا على النار؟!

﴿ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾: أي: يُقالُ لهم هذا، وسَقَرُ مِن أسماء جهنَّم، ولا تُصْرَفُ لأنَّها مؤنثةٌ مَعْرِفَةٌ، وهي مِن سَقَرَتْهُ الشَّمْسُ؛ أي: أَحْمَتْه.

* * *

(٤٩) - ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾: قال أبو هريرةَ: جاء مُشْرِكو قُرَيْشٍ إلى النبي ﷺ يُخاصِمونه في القدَرِ، فنزلَتْ هذه الآيةُ[1].

وقال أنس: سمعتُ عمرَ يَحْلِفُ أنها نزلَتْ في القَدَرِيَّة[2].

وقال ابن عباس: إنَّ أصحابَ هذه الآيةِ ما كانوا، وليكونُنَّ بعدُ[3].

وقال كعبُ الأحبارِ: ويلٌ لأهلِ القَدَرِ! إنها لَمَكْتوبةٌ في التوراة: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِي

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٠٧٤)، والإمام أحمد في «مسنده» (٩٧٣٦)، ومسلم (٢٦٥٦)، والطبري في «تفسيره» (٢٢/ ١٦١).

(٢) رواه الواحدي في «الوسيط» (٤/ ٢١٤)، وابن الجوزي في «المسلسلات» مرفوعا من حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه مسلسلا بقوله: (أشهد الله).

ورواه الطبراني في «الكبير» (١١١٦٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١١٧): رواه الطبراني، وفيه عبد الوهاب بن مجاهد، وهو ضعيف.

(٣) رواه ابن سعد في «الطبقات» (٧٧)، والخلدي في «الفوائد والزهد» (٤٨)، والسلفي في «الطيوريات» (٢/ ٥٢٨)، وابن المحب في «صفات رب العالمين» (٧٥٠)، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٦٨٣) إلى سعيد بن منصور وابن المنذر.

﴿ضَلَٰلٖ وَسُعُرٖ﴾ إلى قوله: ﴿خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ﴾(١)؛ أي: بتقديرٍ سبَقَ في عِلْمِنا وإرادتِنا.

ونُصِبَ: ﴿كُلَّ شَيۡءٍ﴾: بتقدير: إنا خلَقْنا كلَّ شيءٍ بقَدَرٍ.

وقيل: يتَّصِلُ بقوله: ﴿سَيُهۡزَمُ ٱلۡجَمۡعُ﴾: لكن عند الوقتِ المقدَّر، ﴿وَٱلسَّاعَةُ أَدۡهَىٰ وَأَمَرُّ﴾ والتَّأْخيرُ إليها بما سبَقَ مِن القَدَر.

* * *

(٥٠ ـ ٥٢) ـ ﴿وَمَآ أَمۡرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٞ كَلَمۡحِۭ بِٱلۡبَصَرِ ۝٥٠ وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَآ أَشۡيَاعَكُمۡ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ۝٥١ وَكُلُّ شَيۡءٖ فَعَلُوهُ فِي ٱلزُّبُرِ﴾.

﴿وَمَآ أَمۡرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٞ﴾: أي: قولةٌ واحدةٌ، وأمْرةٌ(٢) واحدةً؛ أي: وما أَمْرُنا لشيءٍ إذا أرَدْنا تكوينَه إلا أنْ نقولَ له: كُنْ فيكون.

﴿كَلَمۡحِۭ بِٱلۡبَصَرِ﴾: منكم، لا يُبْطِئُ ولا يتأخَّرُ ولا يَتعذَّرُ، فلو أرَدْنا قِيامَ الساعةِ أو أرَدْنا استئصالَكم لكانَ، وإنما التَّأْخيرُ لِتقديرٍ قد سبَقَ.

﴿وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَآ أَشۡيَاعَكُمۡ﴾: أي: مَن تابَعَكم على الكفر والتكذيب مِن هذه الأُمَمِ التي ذكَرْنا ﴿فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ﴾: أي: مُتَّعِظٍ؛ أي: فيتذَكَّر.

﴿وَكُلُّ شَيۡءٖ فَعَلُوهُ فِي ٱلزُّبُرِ﴾: أي: فعَلَه أشياعُكم هو في الزُّبُرِ؛ أي: في الكُتُبِ التي عنده، وهي أمُّ الكتاب.

وقيل: في كُتُبِ الحَفَظَةِ.

* * *

(٥٣ ـ ٥٥) ـ ﴿وَكُلُّ صَغِيرٖ وَكَبِيرٖ مُّسۡتَطَرٌ ۝٥٣ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَهَرٖ ۝٥٤ فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۭ﴾.

---

(١) رواه عنه مختصرا الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٧٢)، وذكره الواحدي في «البسيط» (٢١/ ١٢٥).

(٢) في (ر) و(ف): «أو مرة».

﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ﴾: مِن عَمَلٍ ﴿مُّسْتَطَرٌ﴾: أي: مكتوبٌ، وكلُّ كبيرٍ كذلكَ؛ ولذلك وحَّدَ النَّعْتَ؛ أي: محفوظٌ لا يُنْسَى، فيُجازَى عليه يومَ القيامة.

وقال أبو العالية: ﴿مُّسْتَطَرٌ﴾: أي: مَحْصِيٌّ ذلك في كتابِ أجَلِه ورِزْقِه واسمِه وشَقِيٍّ وسعيدٍ.

وقولُه تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾: وهُم على خِلاف المُجرمين.

﴿فِى جَنَّٰتٍ﴾: أي: بساتين.

﴿وَنَهَرٍ﴾: أي: أنهارٍ، نابَ الواحدُ عن الجَمْعِ لأنه جِنْسٌ؛ كما قال: ﴿وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾ [القمر: ٤٥].

وقيل: أي: في ضِياءٍ وسَعَةٍ؛ لأنَّ الجنَّةَ لا ليلَ فيها. وهو قولُ الأخفشِ والكسائيِّ والفرَّاء[١]، ومنه اشتقاقُ النَّهارِ.

﴿فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾: أي: مَجْلِسِ حَقٍّ لا لغوٌ فيه ولا تأثيمٌ.

وقيل: أي: موضِعٍ حسَنٍ؛ كما يُقالُ: ثوبُ صِدْقٍ.

وقال الأشعريُّ: هو منابرُ مِن الدُّرِّ والياقوتِ والذَّهَبِ والفِضَّةِ[٢].

وقال الإمام القُشَيريُّ: ﴿مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾: مكانِ أهلِ صِدْقٍ، والصادِقُ: مَن يعبُدُ اللهَ لا على مُلاحظَةِ الأعواضِ[٣].

﴿عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾: وهو قُرْبُ الكرامة، لا قُرْبُ المكانِ والمُقامَة.

والحمدُ للهِ ربِّ العالمين

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١١١).

(٢) رواه الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» مرفوعا (٢/ ٩٠)، والثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٧٤)، من قول عبد الله بن بريدة.

(٣) انظر: «لطائف الإشارات» (٣/ ٥٠١).

سُورَةُ الرَّحْمَنِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

باسمِ اللهِ الذي خلَقَ الإنسان، الرَّحمنِ الذي علَّمَ القرآن، الرَّحيمِ الذي جعلَ جزاءَ الإحسانِ الإحسانَ.

وروى أبيُّ بنُ كعبٍ رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «مَن قرأَ سُورةَ الرَّحمنِ رَحِمَ اللهُ ضَعْفَه، وأدَّى شُكْرَ ما أنعَمَ اللهُ عليه»(١).

وهذه السُّورةُ مَكِّيَّةٌ، ويُقال: مدنيَّةٌ، والأوَّلُ قولُ ابنِ عباسٍ والضَّحَّاكِ، والثاني قولُ مُقاتلِ بنِ حيَّانَ والواقديِّ(٢).

وهي ستٌّ وسبعون آيةً، ويُقال: سبعٌ، ويقال: ثمانٍ(٣)، الاختلافُ في خمسٍ:

---

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٧٦)، والمستغفري في «فضائل القرآن» (١٢٢٢)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ٢١٧)، وهو قطعة من الحديث الطويل الموضوع في فضلئل السور. انظر: «الفتح السماوي» للمناوي (٣/ ١٠٢١).

(٢) ذكر الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٤٢٢) عن ابن عباس، والحسن، وعكرمة، وجابر، أنها مكية كلها، إلا أن ابن عباس استثنى قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾، وأن ابن مسعود ومقاتل قالا: هي مدنية كلها.

وذكر ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٥/ ٢٢٣) أنها مكية في قول الجمهور من الصحابة والتابعين، سوى نافع بن أبي نعيم، وعطاء، وقتادة، وكريب، وعطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) بعدها في (ف): «وقيل تسع»، وهو مخالف لباقي النسخ، ولما ذكره الثعلبي في «تفسيره» مطلعَ هذه السورة، والداني في «البيان في عد آي القرآن» (ص: ٢٣٧) حيث قال: (وهي سبعون وستٌّ =

﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾، ﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ﴾، ﴿وَضَعَهَا لِلۡأَنَامِ﴾، ﴿شُوَاظٞ مِّن نَّارٖ﴾، ﴿يُكَذِّبُ بِهَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ﴾.

وكلماتُها: ثلاثُ مئةٍ وإحدى وخمسون.

وحروفُها: ألفٌ وخمسُ مئةٍ وخمسون.

وانتظامُ خَتْمِ تلك السُّورةِ بافتتاح هذه السُّورةِ: أنَّ تلك خُتِمَتْ باسمٍ مِن أسماءِ الله تعالى، وهذه أيضاً افتُتِحَتْ باسمٍ مِن أسماءِ الله.

وانتظامُ السُّورتين: أنَّ تلك السُّورةَ في جزاء أهلِ التَّكذيب، وهذه السُّورةُ في تَقْريعِ الجنِّ والإنسِ على التَّكْذيب، قال في تلك: ﴿وَكَذَّبُواْ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُمۡ﴾ [القمر: ٣]، ﴿كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ﴾ [القمر: ٩]، ﴿كَذَّبَتۡ عَادٞ﴾ [القمر: ١٨]، ﴿كَذَّبَتۡ ثَمُودُ﴾ [القمر: ٢٣]، ﴿كَذَّبَتۡ قَوۡمُ لُوطِۭ﴾ [القمر: ٣٣]، ﴿كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا﴾ [القمر: ٤٢]، وقال في هذه السُّورة: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ مُكرَّراً، ﴿يُكَذِّبُ بِهَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ﴾.

وقيل: هذه السُّورةُ في ذِكْر الدنيا وأحوالِها، والقيامةِ وأهوالِها، والنارِ ودركاتِها، والجنَّةِ ودرجاتِها.

وقيل: هذه السُّورةُ في ذِكْرِ الآلاءِ والنَّعْماءِ، وهي نِعَمُ الدنيا والدِّين، وذِكْرِ يومِ الدِّين، وما فيه للكفار والمؤمنين.

وعن ابن عباسٍ أنه قال: كان رسول الله ﷺ يكتُبُ في بَدْءِ الإسلام: (باسمِكَ اللَّهُمَّ)، كما كانت قريش تكتُبُ، حتى نزلَتْ: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرٜىٰهَا وَمُرۡسَىٰهَآ﴾، فكتَبَ حَوْلاً: (باسمِ اللهِ) حتى نزلَتْ: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَ﴾، فكان يكتُبُ (بسم الله الرحمن الرحيم)، فقالت قريشٌ: يا محمدُ، كنتَ إلى الآن تعبُدُ إلهاً واحداً، وأنتَ

= بَصْري، وسبعٌ مدنيان ومكي، وثمانٍ كُوفي وشامي).

الآن تعبُدُ إلهين؟! فبَيِّنْ لنا: أنعبُدُ اللهَ أم نعبُدُ الرَّحمنَ؟! فنزلَتْ: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾، ثم نزلَتْ هذه السُّورةُ[١].

والمعنى: الرَّحمنُ الذي يكفُرُ به أهلُ مكَّةَ هو الذي علَّمَ محمداً القرآنَ.

وقال الضَّحَّاكُ: قال أهلُ مكَّةَ: ما نعرِفُ الرَّحمنَ إلا صاحِبَ اليَمامةِ[٢]، فنزلَتْ هذه السُّورةُ.

وقال الشَّعبيُّ: قالت اليهودُ لرسول الله ﷺ: إنا لَنراكَ تُكثِرُ ذِكْرَ اللهِ وتُقِلُّ ذِكْرَ الرحمن، فما بالُكَ؟ فأنزلَ اللهُ تعالى هذه السُّورةَ[٣].

وقال عطاءٌ: لَمَّا نزلَتْ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ [الفرقان: ٦٠]، فأنزلَ اللهُ تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ﴾[٤].

وعن هشامِ بنِ عُرْوةَ عن أبيه قال: كان أوَّلَ مَن جهَرَ بالقرآن بمكَّةَ بعد رسولِ الله ﷺ عبدُ اللهِ بنُ مسعودٍ، وذلك أنَّ أصحابَ رسولِ الله ﷺ اجتمَعوا، فقالوا: ما سَمِعَتْ قريشٌ القرآنَ يُجْهَرُ به، فمَن رجلٌ يُسَمِّعُهم؟ فقال عبد الله بن مسعود: أنا، فقالوا:

---

(١) متنه مركب من خبرين، فإلى قوله: (بسم الله الرحمن الرحيم) مروي عن الشعبي، رواه بنحوه عنه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢١٥٨)، وأبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص: ٢١٦)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٥٨٩٠).

والقطعة الأخيرة منه رواها الطبري في «تفسيره» (١٥/ ١٢٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وذكره عنه الثعلبي في «تفسيره» (٦/ ١٤١)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٢٩٤).

(٢) رواه ابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» (٦/ ٢٦٨) عن عطاء، وذكره السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٣٧٨) من غير نسبة، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٣/ ٦٠) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) لم أقف عليه.

(٤) رواه ابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» (٦/ ٢٦٨).

إنَّا نخشى عليكَ منهم، وإنَّا نريدُ رجلاً له عشيرةٌ يمنعونه، فقال: دَعُوني، فإنَّ اللهَ سيمنعُني، ثم قام عند المقام، فقال: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ رافِعاً بها صوتَه وقريشٌ في أَنْدِيَتِها، فقال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ﴾، فتأمَّلوا وقالوا: ما يقولُ ابنُ أُمِّ عبدٍ؟ ثم قاموا إليه، فجعَلوا يضربونه وهو يقرأُ حتى بلَغَ منها إلى ما شاءَ اللهُ تعالى، ثم انصرَفَ إلى أصحابه وقد أثَّروا في وجهه، فقالوا: هذا الذي خَشِينا عليكَ[1].

* * *

(١ ـ ٤) ـ ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ﴾.

قولُه تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ﴾: قد ذكَرْنا الأقاويلَ في تفسيرِ ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ في أوَّلِ هذا الكتاب.

﴿عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ﴾: أي: محمداً، وقيل: هذه الأُمَّةَ.

﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ﴾: أي: آدمَ، وقيل: جِنْسَ الإنسِ.

﴿عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ﴾: أي: الكلامَ الذي يَتبَيَّنُ به ما في قلبه، وما يحتاجُ إليه مِن أُمورِ دُنْياه ودِينه، ويدخُلُ في البيان: الكتابةُ، والإشارةُ، وما يقَعُ به الدِّلالةُ، وهو امتنانٌ منه على العباد بتعليم اللُّغاتِ المُخْتَلِفَة، ووجوهِ الكلامِ المُتفرِّقَة.

وقيل: ﴿ٱلْبَيَانَ﴾: إخراجُ شيءٍ عن حيِّزِ الإشْكال[2] إلى حَيِّزِ التَّجلِّي.

---

(١) ذكره من الطريق المذكور الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٧٦). ورواه ابن إسحاق في «السيرة» (ص: ١٨٦)، والإمام أحمد في «فضائل الصحابة» (١٥٣٥) من طريق يحيى بن عروة بن الزبير عن أبيه، وهو مرسل من كلا الطريقين.

(٢) في (ر): «الإمكان». والمثبت من باقي النسخ وهو الموافق لما في كتب الأصول وغيرها. وجاء في «الإشارات الإلهية إلى المباحث الأصولية» للطوفي (ص: ٦١٤): (من حيز الخفاء)، ولعله شرح لكلمة (الإشكال).

وقيل: هو ما كَشَفَ عن الضَّمير، وأبرَزَ المستورَ.

وقال مُجاهدٌ: ﴿عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ﴾: الحلالَ والحرامَ(١).

وقال قتادةُ: يعني: بيانَ الدُّنيا والآخرةِ(٢).

وقال يمانُ بنُ رِئاب: علَّمَه الكتابةَ والخَطَّ والقلَمَ(٣).

وقيل: لَمَّا قال أهلُ مكَّةَ: ﴿إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ﴾: يعنون: جَبْراً، ويَساراً، وعابِساً، كذَّبَهم اللهُ تعالى، فقال: أنا علَّمْتُه(٤).

وقال ابن كيسان: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ﴾: يعني: محمداً ﷺ، ﴿عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ﴾: يعني: بيانَ ما كان وما يكون؛ لأنه كان يُبينُ عن الأوَّلين والآخِرين، وعن يوم الدِّين(٥).

وقال الإمام القُشَيريُّ: علَّمَ آدمَ الأسماءَ، وقال له: نَبِّئْ بها الملائكةَ، وعلَّمَ هذه الأُمَّةَ القرآنَ، وقال: صلُّوا لي وناجوني فيها بما علَّمْتُكم.

وقال في قوله: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ﴾: علَّمَ كلَّ قومٍ لِسانَهم الذي

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٧٧)، ومكي بن أبي طالب في «الهداية» (١١/ ٧٢١٢)، والماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٤٢٣)، وابن عطية في «المحرر الوجيز» (٥/ ٢٢٣) عن قتادة.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ١٦٩).

(٣) ذكره عنه الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٧٧)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ٢٠٦).

(٤) انظر: «تفسير مجاهد» (١/ ٤٢٥)، وروى نحوه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٣٦٧)، والبيهقي في «الشعب» (١٣٨)، عن عبد الله بن مسلم الحضرمي: (أنه كان لهم عبدان من أهل عين التمر، وكانا صيقلين، وكان يُقال لأحدهما يسار، والآخر جبر...). وذكره السمرقندي في «تفسيره» (٢/ ٢٩٢)، والثعلبي في «تفسيره» (٦/ ٤٤)، وليس فيها ارتباط الحادثة بقوله تعالى: ﴿عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ﴾.

(٥) ذكره عنه الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٧٧)، والواحدي في «البسيط» (٢١/ ١٣٤)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٤٣٨).

يُخاطَبون به، والبيانُ الذي خَصَّ به الإنسانَ للأغيار، حتى عُلِّموا كيف يُخاطِبون أمثالَهم وأشكالَهم، وأما أهلُ الإيمانِ والمعرفةِ فعلَّمَهم كيف يُخاطِبون مولاهم، وبيانُ العَبْدِ مع الحقِّ مُخْتَلِفٌ، فقومٌ يُخاطِبونه بلسانهم، وقومٌ بقلوبهم، وقومٌ بأنفاسِهم، وقومٌ بدُموعهم، وأنشدَ:

دموعُ الفتى عما يُجِنُّ[1] تُتَرْجِمُ ... وأنفاسُه تُبْدِين ما القومَ يَكْتُمُ[2]

وقومٌ بحنينِهم وأنينِهم:

قل لي بألسنة التَّنَفْـ ... ـفُسِ كيف أنتَ وكيف حالك[3]

***

(٥) ـ ﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾: قيل: هو جَمْعُ حِسابٍ؛ كالشِّهاب والشُّهْبان.

وقيل: هو مصدرٌ؛ كالكُفْران والنُّقْصان.

قيل: القمرُ يقطَعُ بروجَ السَّماءِ في ثمانيةٍ وعشرين يوماً، والشَّمسُ تقطَعُ البُروجَ في ثلاثِ مئةٍ وخمسةٍ وستين يوماً وشيءٍ.

وقال السُّدِّيُّ: عليهما حسابٌ وأجَلٌ كآجالِ الناس، فإذا جاء أجلُهما هلَكا[4]،

---

(١) في (ر): «يحس».

(٢) الشطر الثاني من البيت ليس من (أ) و(ر)، وهو في «لطائف الإشارات» برواية: وأشواقه تبدين ما هو يكتم.

(٣) انظر: «لطائف الإشارات» (٣/ ٥٠٣ ـ ٥٠٤).

(٤) ذكره عنه الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٧٧)، والماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٤٢٣)، =

فالشَّمسُ تُكَوَّرُ، والقمرُ يُخْسَفُ.

وقال ابن كيسان: يعني بهما: بحسَبِ السِّنونَ والأزمانِ والأعمارِ والآجالِ[١].

وقال يمانُ بنُ رِئاب: يَجْريان بأجَلِ الدُّنيا وفنائِها[٢].

وقيل: بيَّنَ بهذه الآياتِ أصنافَ خَليقَتِه العُلْويَّةِ والسُّفْليَّةِ التي إنما خَلَقَها لِعِباده، ودَلَّهم بها على وَحْدانِيَّتِه وقُدْرَتِه، فقال: ﴿ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ﴾: أي: بحِسابٍ معلومٍ يَجْريان به، لا يَخْتَلِفُ جَرْيُهما، أخبَرَ أنهما مُسَخَّرانِ مَرْبُوبانِ ليسا بإلَهَينِ مُسْتَحِقَّينِ للعبادة كما يعبُدُهما عَبَدَةُ الشمس والقمر، بل المُسْتَحِقُّ للعبادة خالِقُهما ومُسَخِّرُهما.

وقيل: أي: يَجْريان بحسابٍ يُتَوَصَّلُ به[٣] إلى عِلْمٍ كثيرٍ مِن أسباب الدنيا والدِّين، وذلك أحدُ ما علَّمَ اللهُ خَلْقَه مِن البَيان.

***

(٦) ـ ﴿وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ﴾.

﴿وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ﴾: قيل: النَّجْمُ: النَّبْتُ الذي لا ساقَ له، مأخوذٌ مِن نَجَمَ؛ أي: طلَعَ.

﴿وَٱلشَّجَرُ﴾: ما له ساقٌ وأغصانٌ، مأخوذٌ مِن الاشتِجار، وهو تداخُلُ الأَغْصانِ بعضِها في بعضٍ.

= والسمعاني في «تفسيره» (٥/ ٣٢٣). ورواه عبد بن حميد وابن المنذر فيما عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٦٩١) عن أبي مالك رضي الله عنه.

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٧٧)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٤٤٢) عن ابن زيد وابن كيسان.

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٧٧).

(٣) في (ف): «بهما».

و﴿يَسْجُدَانِ﴾: أي: يَخْضَعانِ لله بالشَّهادة على أنفُسِهما بأنهما مُسَخَّرانِ مَرْبُوبان، ويدُلَّانِ على أُلُوهِيَّةِ خالِقِهما، وعلى وَحْدانِيَّتِه وكَمالِ قُدْرَتِه.

وقيل: أرادَ[1] به نَجْمَ السَّماءِ وشَجَرَ الأرضِ، والنَّجْمُ: زِينَةُ السَّماءِ، والشَّجَرُ: زِينَةُ الأرضِ، فأخبَرَ أنَّ النَّوْعَينِ جميعاً لله تعالى ساجدان، وعلى وحدانيَّةِ اللهِ تعالى شاهدان.

وقيل: إنَّ الصَّابِئين يعبُدون النَّجْمَ، وبعضَ الأعاجِمِ عبَدوا الشَّجَرَ؛ كما أنَّ كثيراً مِن المشركين عبَدوا الشَّمْسَ والقمَرَ، فأخبَرَ أنَّ هذه الأشياءَ الأربعةَ ساجِدَةٌ لله تعالى، شاهِدَةٌ على الله تعالى، فلا تسجُدوا لها، واسجُدوا لِمَن خَلَقَها وسَخَّرَها.

* * *

(٧) ـ ﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ﴾.

قولُه تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا﴾: أي: خلَقَها رَفِيعةً، وأنزَلَ منها البَرَكاتِ والوَحْيَ والكراماتِ.

وقيل: أي: رفَعَ قَدْرَها، وأخرَجَ الخَلْقَ إلى ما يَنْزِلُ عليهم منها.

﴿وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ﴾: أي: وضَعَ في الأرض الميزانَ الذي يتناصَفون به في مُعاملاتِهم، ويزولُ به التَّنازُعُ الذي هو سبَبُ فسادِهم، مَنَّ به على خَلْقِه إذ هداهم لِصَنْعَتِه، وأَلْهَمَهم الوَزْنَ به، ولولا ذلك لم يَدْروا كيف يَسْتَوْفون الحُقوقَ، وكيف يُوَفُّونها، فكان يقَعُ بينهم التَّظالُمُ والتَّقاطُعُ.

ولا ينبغي أنْ ينظُرَ إلى خِلْقَتِه، بل إلى المَصْلَحَةِ التي لا قِوامَ للدنيا إلا بها، وسببُ ذلك أنَّ الناسَ لَمَّا كانوا مَطْبوعين على الضِّنِّ بأملاكِهم، وكان بعضُهم مُحتاجاً

---

(١) في (ر): «ويجوز أن يريد» بدل: «وقيل: أراد».

إلى بعض فيما يأخُذُه منه ويُعطِيه إياه، وكان التَّنازُعُ غيرَ مأمونٍ عليهم، جعَلَ اللهُ لهم آلةً يَعْلَمُ بها كلٌّ منهم ما يأخُذُ وما يُعْطِي، وأيُّ شيءٍ أجَلُّ مِن هذا؟!

ولهذا ذكَرَه اللهُ في آيةٍ أخرى مَقْروناً بالكتاب، فقال: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ ﴾ [الشورى: ١٧]؛ لأنَّ الكتابَ يَهْدِي النَّاسَ إلى مَصالحِ دِينِهم، والميزانَ يتَضَمَّنُ مَصالِحَ دُنياهم.

* * *

(٨ ـ ٩) ـ ﴿ أَلَّا تَطْغَوْاْ فِى ٱلْمِيزَانِ ۝٨ وَأَقِيمُواْ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُواْ ٱلْمِيزَانَ ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿ أَلَّا تَطْغَوْاْ فِى ٱلْمِيزَانِ ﴾: أي: لِئَلَّا تَطْغَوا في الميزان.

والطُّغْيانُ: هو مُجاوزَةُ الحَدِّ الذي جُعِلَ هو آلةً لذلك، وهو العَدْلُ.

وقال الفَرَّاءُ: هو على النَّهْيِ، يدُلُّ عليه أنه قال بعدَه: ﴿ وَأَقِيمُواْ ﴾، وهذا للأمر(١).

وقولُه تعالى: ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ ﴾: قيل: أي: قَوِّمُوا وسَوُّوا.

وقيل: أي: ائتُوا به على القِسْطِ؛ أي: العَدْلِ.

﴿وَلَا تُخْسِرُواْ ٱلْمِيزَانَ ﴾: أي: ولا تُنْقِصوا ما تُوَفُّون به مِن الحُقوق، ولا تزدادوا فيما تَسْتَوْفُون به.

وقال مجاهدٌ وسعيدُ بنُ جبيرٍ: ﴿ٱلْمِيزَانَ ﴾: أُريدَ به العَدْلُ(٢)، وعلى هذا (وضَعَ) بمعنى: شَرَعَ وبَيَّنَ، وهو كوَضْعِ كتابٍ، ووَضْعِ رَسْمٍ.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» (٣/ ١١٣).

(٢) رواه عن مجاهد الطبريُّ في «تفسيره» (٢٢/ ١٧٧)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٧٨)، والماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٤٢٤)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٤٤٢). وانظر ما تقدم عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ﴾ [الأعراف: ٨].

وقيل: ﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا﴾: لِنُزولِ أرزاقِكم منها في الدنيا، ووضَعَ مِيزانَ وزنِ الأعمال لِتُوزَنَ به أعمالُكم في العُقْبى؛ لِئلَّا تَطْغَوا في الميزان الموضوع بينكم في الدنيا، فتَظْلِموا النَّاسَ، فتَخِفَّ موازينُكم يومَ القيامةِ.

وقال الحُسينُ بنُ الفَضْل: ﴿وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ﴾: يعني: القرآنَ[1].

وقال سُفيانُ بنُ عُيَيْنَةَ: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ﴾: قال: الإِقامةُ باليد، والقِسْطُ بالقلب[2].

وقال أبو الدَّرْداءِ: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ﴾: يعني: أَقِيموا اللِّسانَ بالحقِّ[3].

* * *

(١٠ ـ ١١) ـ ﴿وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ۝١٠ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾: أي: للخَلْقِ، والأنامُ لا واحدَ له مِن لَفْظِه.

قال الخليل: ما على وجهِ الأرضِ مِن جميع الخَلْقِ[4].

وقال الضَّحَّاكُ: كلُّ شيءٍ يَدِبُّ على وجه الأرض فهو مِن الأنام[5]، يقولُ: وضَعَها لِمَنافِعِ الخَلْقِ ومَصالِحهم.

﴿فِيهَا فَٰكِهَةٌ﴾: أي: ما يَتَفكَّه به الإنسانُ مِن المأكول؛ أي: يَتَعَلَّلُ وراءَ القُوتِ.

---

(١) ذكره عنه الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٧٨).

(٢) ذكره عنه الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٧٨)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٤٤٢).

(٣) انظر: المصدرين السابقين.

(٤) انظر: «العين» (٨/ ٣٨٨).

(٥) رواه عنه ابن المنذر فيما عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٦٩٣).

﴿وَٱلنَّخۡلُ﴾: جَمْعُ نَخْلَةٍ.

﴿ذَاتُ ٱلۡأَكۡمَامِ﴾: جَمْعُ كِمٍّ بكسر الكاف.

وقال الحسنُ وقتادةُ: ذاتُ اللِّيفِ[1].

وقال عبدُ الرحمن بنُ زيدٍ: ذاتُ الطَّلْعِ[2].

وقيل: ذاتُ الغُلُفِ، جَمْعُ غِلافٍ؛ لأنَّه يَتكَمَّمُ به؛ أي: يَتَغَطَّى، ومنه: (كُمُّ القميصِ)؛ لِتَغْطِيَةِ يدِه، و(الكُمَّةُ): القَلَنْسُوَةُ تُغَطِّي الرَّأسَ، وقد يكون اللِّيفُ يُغَطِّي النَّخْلَةَ، وقد يكون الطَّلْعُ يُغَطِّيها، وقد يكون غِلافُ التَّمْرِ[3] يُغَطِّيه.

وقيل: خَصَّ النَّخْلَةَ بالذِّكْرِ لِعَجيبِ خَلْقِها وشَبَهِها بالإنسان، فَلِيفُها في رأسِها كشَعرِ الإنسان، ولها قلبٌ كقلب الإنسان يموتُ بإخراجِه وبإصابةِ البَرْدِ إيَّاه، وإذا قُطِعَ رأسُها لم تُنبِتُ، ولا تُثْمِرُ إلَّا باللِّقَاحِ، وطَلْعُها تشْبِهُ رائحتُه رائحةَ المَنِيِّ.

وقيل على هذا: ﴿فِيهَا فَٰكِهَةٞ﴾: تقَعُ على كلِّ الثمار عُموماً، وهذا في النَّخْلَةِ خُصوصاً.

* * *

(١٢) ـ ﴿وَٱلۡحَبُّ ذُو ٱلۡعَصۡفِ وَٱلرَّيۡحَانُ﴾.

---

(١) رواه عن الحسن الطبريُّ في «تفسيره» (٢٢/ ١٨١)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٧٩)، والماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٤٢٥)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٤٤٢).
ورواه عن قتادة الطبريُّ في «تفسيره» (٢٢/ ١٨١)، وذكره مكي في «الهداية» (١١/ ٧٢١٥)، والواحدي في «البسيط» (٢١/ ١٤١).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ١٨٢)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٧٩)، والماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٤٢٥)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٤٤٢).

(٣) في (ف): «الثمر» بدل: «غلاف التمر».

﴿وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ وَٱلرَّيْحَانُ﴾: الحَبُّ: اسمُ جِنْسٍ يقَعُ على الحِنْطَةِ والشَّعِيرِ وكُلِّ حَبٍّ.

﴿ذُو ٱلْعَصْفِ﴾: قال الفرَّاءُ: هو بَقْلُ الزَّرعِ[1].

وقال أبو سعيدٍ الضَّريرُ: هو ورَقُ الزَّرعِ، ولَفائِفُ الحَبِّ.

وقال قتادةُ والضَّحَّاكُ: هو التِّبْنُ[2].

﴿وَٱلرَّيْحَانُ﴾: قرأ ابنُ عامرٍ بالنَّصْبِ عَطْفاً على قولِه: ﴿وَٱلْأَرْضَ﴾، وقرأ حمزةُ والكسائيُّ بالخفض عطفاً على ﴿ٱلْعَصْفِ﴾، وقرأ الباقون بالرفع عطفاً على قولِه: ﴿وَٱلْحَبُّ﴾[3].

﴿وَٱلرَّيْحَانُ﴾: الرِّزْق؛ أي: الزَّرْعُ يكون أوَّلاً عَصْفاً، ثم يصيرُ أُكُلاً إذا سَنْبَلَ.

وقيل: ﴿ٱلْعَصْفِ﴾: للأنعامِ، ﴿وَٱلرَّيْحَانُ﴾: هو طعامُ الإنسانِ، وهو كما قال: ﴿مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ﴾ [النازعات: ٣٣].

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١١٣).

(٢) في النسخ الثلاث: «التين»، وأكثر المروي والمأثور على ما أثبته: فقد رواه عنهما الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ١٨٤)، وذكره مكي بن أبي طالب في «الهداية» (١١/ ٧٢١٥)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٤٤٣) بلفظ: «التبن».

وذكره عن الضحاك السمرقنديُّ في «تفسيره» (٣/ ٣٧٩)، والثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٧٩) بلفظ: «التبن».

ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٠٨٠) عن قتادة، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٣٤٤) عن سعيد بن جبير والحسن، ووقع في مطبوعيهما: «التين».

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦١٩)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٦).

وقيل: هو الريحان المشموم، قال ذلك ابنُ عباسٍ والحسَنِ[١]؛ أي: في الأرض ما يُؤْكَلُ وما يُشَمُّ.

* * *

(١٢) ـ ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

قولُه تعالى: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾: أي: فبِأَيِّ نَعْماءِ ربِّكما مِن هذه النِّعَمِ التي ذكَرْنا مِن تعليم البَيانِ والقرآنِ، ورَفْعِ السماء، ووضع الأرض، وما بيَّنَّا[٢] مِن النِّعَمِ والألوانِ[٣] أيُّها الجنُّ والأنس تَجْحدانِ؟

ودليـلُ أنَّ الخِطـابَ لهمـا: مـا ذُكِـرَ بعـده: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ﴾، ﴿وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ﴾، ﴿يَـٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾، ﴿أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾، وسـبَقَ ذِكْرُهمـا أيضـاً فـي عمـوم قولِـه: ﴿لِلْأَنَامِ﴾؛ أي: للخَلْـقِ.

وقيل: التَّثْنِيَةُ على مَذاهبِ العربِ في خِطاب الواحد بلفظ الاثنين، وعلى ذلك قولُه: ﴿أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ﴾ [ق: ٢٤]، ومَرَّتْ هنالك نظائرُ مِن كلام العرب، والأوَّلُ أصَحُّ.

وروى جابرٌ عن النبي ﷺ أنه قرأ سورةَ الرحمنِ ـ أو قُرِئَتْ عنده ـ فقال: «ما لي أَسْمَعُ الجِنَّ أحسنَ جواباً لها منكم؟!»، قالوا: وما ذاك يا رسولَ اللهِ؟ قال: «ما أتيتُ

---

(١) رواه عن الحسن الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ١٨٧)، والثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٧٩). وروى الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ١٨٦)عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنه الريح. وكذا ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٧٩).

وذكر مكي بن أبي طالب في «الهداية» (١١/ ٧٢١٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما والحسن وابن زيد: كل ريحان في القرآن فهو رزق.

(٢) في (ف): «الميزان وما بينهما» بدل: «الأرض وما بينا».

(٣) في (ر): «ذات الألوان».

على قول الله: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ إلَّا قالتِ الجنُّ: ما مِن شيءٍ مِن آلائِكَ ربَّنا نُكَذِّبُ، فلكَ الحمدُ»[1].

***

(١٤ ـ ١٥) ـ ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ۝١٤ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ﴾: أي: آدمَ.

﴿مِن صَلْصَٰلٍ﴾: قال قتادة: أي: مِن طينٍ يابِسٍ يُسْمَعُ له صَلْصَلَةٌ[2].

﴿كَٱلْفَخَّارِ﴾: هو الطِّينُ الذي طُبِعَ بالنَّارِ، وهو الخَزَفُ.

وقيل: الصَّلْصالُ: الطِّينُ المُنْتِنُ؛ مِن قولهم: صَلَّ اللحمُ وأَصَلَّ؛ أي: أنتَنَ. قالَه[3] الكلبيُّ.

---

(١) رواه الترمذي (٣٢٩١)، وابن أبي الدنيا في «الشكر» (٦٩)، والعقيلي في «الضعفاء» (٢/ ٣٣٥)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٥/ ١٦٦٦)، وابن عدي في «الكامل» (٤/ ١٧٩)، وأبو نعيم في «طبقات المحدثين بأصبهان» (٣/ ٩٠)، والإسماعيلي في «معجمه» (١/ ٣٤٣)، والحاكم في «المستدرك» (٣٧٦٦) وصححه، والثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٧٩)، والمستغفري في «فضائل القرآن» (٩٣٣)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢٢٦٤)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ٢١٩)، والديلمي في «الفردوس» (٦٢٤٩) من حديث جابر رضي الله عنه.

قال ابن عدي: هذا لا يعرف إلا بهشام بن عمار، ويقال: إن يحيى بن معين كتبه عن هشام بن عمار، وقد سرقه جماعة من الضعفاء، فحدثوا به عن الوليد.

ورواه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (٦٨)، والبزار في «مسنده» (٥٨٥٣)، والطبري في «تفسيره» (٢٢/ ١٩٠)، والمستغفري في «فضائل القرآن» (٩٣٥)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٤/ ٣٠١)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما. وصحح إسناده السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٦٩٠).

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٤٤٨)، والطبري في «تفسيره» (١٤/ ٥٧).

(٣) في (أ): «قال».

وتَشبيهُه بالفَخَّارِ لِصَوتِه باليَبْسِ، وقيل: لأنه أَجْوَفُ.

قولُه تعالى: ﴿ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾: قال الحسنُ: الجانُّ أبو الجنِّ[١]، خُلِقَ مِن لهَبِ النارِ، وآدمُ أبو الإنسِ خُلِقَ مِن صَلْصَالٍ كالفخَّار.

وقال مجاهد: ﴿مَّارِجٍ﴾: مُخْتَلِطٌ أحمرُ وأسودُ وأبيضُ مِن نارٍ[٢].

وقال الأخفش: ﴿مِن مَّارِجٍ﴾: مِن خَلْطٍ مِن نارٍ[٣].

وقال القُتَبِيُّ: هو لهَبُ النَّارِ، يُقالُ: مرَجَ الشَّيءُ؛ إذا اضطرَبَ ولم يَسْتَقِرَّ[٤].

وقال الفَرَّاءُ: المارجُ: نارٌ دون الحِجابِ، منها هذه الصَّواعِقُ[٥].

وقال أبو سعيدٍ الضَّريرُ: المارِجُ: لسانُ النارِ[٦].

وقال الخليلُ: المارِجُ مِن النَّار: الشُّعْلَةُ[٧].

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ١٥٨) عن الكلبي وابن عباس رضي الله عنهما، وحكاه الواحدي في «الوسيط» (٣/ ٤٤) عن عامة المفسرين. وورد في «تأويلات أهل السنة» (٦/ ٤٣٦)، و«تفسير السمعاني» (٣/ ١٣٧) دون نسبة.
أما الحسن، فقد ذكر عنه الماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ١٥٨)، والواحدي في «الوسيط» (٣/ ٤٤)، والسمعاني في «تفسيره» (٥/ ٣٢٤): أنه إبليس.

(٢) رواه عنه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ١٩٦) بلفظ: (اللهب الأصفر والأخضر الذي يعلو النار إذا أوقدت)، وفي رواية: (والأحمر)، وذكره بنحوه الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٨١)، ومكي بن أبي طالب في «الهداية» (١١/ ٧٢١٩)، والماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٤٢٨).

(٣) وهو قول أبي عبيدة في «مجاز القرآن» (٢/ ٢٤٣).

(٤) انظر: «غريب القرآن» لابن قتيبة (ص: ٤٣٨).

(٥) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١١٥).

(٦) ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ١٩٥)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٨١)، ومكي بن أبي طالب في «الهداية» (١١/ ٧٢١٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٧) انظر: «العين» (٦/ ١٢١).

وأوَّلُ ما خُلِقَ منه الإنسانُ، كان تُراباً، ثم بالماء صار طِيناً، ثم بمُرورِ الزَّمان صار حَمَأً مَسْنوناً، ثم باليَبْسِ صار صَلْصالاً، ثم بشِدَّةِ اليَبْسِ والصَّوْتِ صار كالفخَّارِ.

واختلافُ هذه الأسماءِ لاختلاف الأطوار، وفائدةُ ذِكْرِه هذه الأصولَ تعريفُنا قَدْرَنا لئلا نَعْدُوَ أطوارَنا.

***

(١٦ ـ ١٧) ـ ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٦﴾ رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴾.

﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾: أي: فبِأَيِّ نَعْماءِ إلهكُما تَجْحَدانِ: أتخليقَه مِن هذه الأصول، أم تكميلَه وتفضيلَه بالعلوم والعقول؟!

﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴾: هو ربُّ المَشْرِقين: مَشْرِقِ الشتاءِ، ومَشْرِقِ الصيف، وربُّ مَغْرِبِ الشتاء، وربُّ مَغْرِبِ الصيف، وفي تدبير الفصول قِوامُ العالَمِ ومَصالِحُ العِباد.

وقال محمد بن كعب: مَشْرِقُ الصَّيفِ أطولُ يومٍ في السَّنَةِ، وهو خمسَ عشرةَ ساعةً، ومَشْرِقُ الشتاءِ أقصرُ يومٍ في السَّنَةِ، وهو تسعُ ساعاتٍ، والمَغْرِبان على ذلك، والمشارقُ والمغاربُ: مَشْرِقُ كلِّ يومٍ ومَغْرِبُ كلِّ يومٍ، والمَشْرِقُ والمَغْرِبُ جهةُ الشُّروق وجهةُ الغُروب[1].

***

(١٨ ـ ١٩) ـ ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٨﴾ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴾.

﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾: فسَّرْناه.

﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴾: قال ابنُ عبَّاسٍ: أي: أَرْسَلَهما وخَلَّاهما[2].

---

(١) لم أقف عليه عن محمد بن كعب، وقريب منه قول مقاتل في «تفسيره» (٤/ ١٩٧).

(٢) رواه عنه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ١٩٩).

وقيل: خلَطَ طَرَفَيْهِ عند التقائِهما مِن غيرِ أنْ يَخْتَلِطَ جملتُهما.

والبَحْران: بحرُ فارسٍ والرُّومِ، عند الحسن وقتادة[١].

وقيل: بحرُ السَّماءِ والأرضِ يلتقيان كلَّ عامٍ. قاله ابنُ عبَّاسٍ[٢].

وقيل: العَذْبُ والمالِحُ.

***

(٢٠) ـ ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ﴾.

﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ﴾: أي: حاجز.

﴿لَّا يَبْغِيَانِ﴾: لا يَخْتَلِطان. قالَه مجاهدٌ[٣].

وقيل: ﴿لَّا يَبْغِيَانِ﴾: على الناس، قالَه قتادةُ[٤].

وقيل: لا يبغي أحدُهما على الآخرِ بأنْ يَقْلِبَه إلى مِثْلِ حالِه في المُلُوحة أو العُذُوبة.

وقال القَفَّالُ: ذكَرَ بعضَ مَنافِعِ البحرِ وعجائبِه، ودلَّ بذلك على لُطْفِه وقُدْرَتِه، فعَدَّ ثلاثةَ أشياءَ:

أحدُها: قولُه: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ﴾: أي: خَلَّاهما، يُقالُ: هُم في هَرْجٍ ومَرْجٍ؛ أي:

---

(١) رواه عنهما عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٠٨٣)، والطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٢٠٠).

(٢) رواه عنه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٢٠٠).

(٣) رواه عنه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٢٠٣)، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٦٩٥) إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

(٤) ذكره عنه الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٨١)، ومكي بن أبي طالب في «الهداية» (١١/ ٧٢٢١)، وابن عطية في «المحرر الوجيز» (٥/ ٢٢٨).

ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٢٠٢) بلفظ: حجز المالح عن العذب، والعذب عن المالح، والماء عن اليبس، واليبس عن الماء، فلا يبغي بعضه على بعض بقوته ولطفه وقدرته.

هُم في فتنةٍ وإمهالٍ، يقول: خلَقَ البَحْرَينِ المِلْحَ والعَذْبَ، وذلك في البحرِ الواحِدِ، بعضُه عَذْبٌ وبعضُه مِلْحٌ، فهُما ﴿يَلۡتَقِيَانِ﴾؛ أي: يجتمعان وهما مائعان سائلان، ثم جعَلَ بينهما حاجِزاً؛ قيل: هو الجزائرُ، وقيل: هو قُدْرَةُ اللهِ تعالى، ﴿لَّا يَبۡغِيَانِ﴾: لا يغلِبُ أحدُهما على الآخر فيُغَيِّرَه إلى صفةِ نفْسِه، وفيه تنبيهٌ على كمال قُدْرَةِ الله تعالى أنَّه لا يُعْجِزُه ما أرادَ مِن إحياء الموتى وغيرِه.

وقيل في البَرْزَخِ: هو مُدَّةُ ما بين الدنيا والآخرة، فهذه المُدَّةُ تَمْنَعُ الاختلاطَ، فإذا انقضَتِ الدُّنيا بغى البحران فصارا شيئاً واحداً، وهو معنى قولِه: ﴿وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ فُجِّرَتۡ﴾ [الانفطار: ٣]، وهذا معنى قولِ عَطاءٍ الخُراسَانِيِّ.

* * *

(٢١ ـ ٢٢) ـ ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٢١ يَخۡرُجُ مِنۡهُمَا ٱللُّؤۡلُؤُ وَٱلۡمَرۡجَانُ﴾.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾: فَسَّرْناه.

ثم ذكرَ المِنَّةَ الثَّانيةَ، فقال:

﴿يَخۡرُجُ مِنۡهُمَا﴾: قرأ نافعٌ وأبو عمرو: ﴿يُخْرَجُ﴾ بضم الياء وفتح الراء على ما لم يُسَمَّ فاعِلُه، والباقون على الفعل الظاهر[1].

﴿ٱللُّؤۡلُؤُ وَٱلۡمَرۡجَانُ﴾: قال ابنُ عبَّاسٍ والحسنُ والضَّحَّاكُ وقتادةُ: ﴿ٱللُّؤۡلُؤُ﴾: كِبارُ الدُّرِّ، ﴿وَٱلۡمَرۡجَانُ﴾: صغارُه[2].

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦١٩)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٦).

(٢) رواه الطبريُّ في «تفسيره» (٢٢/ ٢٠٥ ـ ٢٠٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة والضحاك.

ورواه عن قتادة أيضا عبدُ الرزاق في «تفسيره» (٣٠٨٤).

وذكره عن الحسن الماتريديُّ في «تأويلات أهل السنة» (٩/ ٤٧٠)، والواحدي في «البسيط» (٢١/ ١٥٦)، وعزاهُ السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٦٩٧) إلى الطبري وعبد بن حميد، ولم أجده =

وقيل: المَرْجانُ: نوعٌ مِن الجواهر كالقُضْبان.

يقول: يُخْرِجُ اللهُ لكم مِن الماء لؤلؤاً ومَرْجاناً؛ كما أخرَجَ مِن التُّراب حَبًّا ونباتاً، وأخرَجَ مِن الصَّلْصَالِ إنساناً، وخُصوصاً فإنَّ الماءَ المِلْحَ يُفسدُ ما صار فيه، ثم هو منه يَخْرجُ اللولؤُ والمَرْجان، وهذا مِمَّا لا تُدْرِكُه قُوى البشر، ولا تهتدي لكيفيَّةِ كونِه العقولُ، وإنما هو بقُدْرَةِ الواحدِ القادرِ الذي لا يُعْجِزُه شيءٌ، فكيف يُعْجِزُه بَعْثُ الموتى؟ لولا جَهْلُ المشركين وكفرُهم آلاءَ اللهِ بتركِ التدبُّرِ فيها.

ثم قولُه: ﴿مِنْهُمَا﴾ مع أنَّ خُروجَ اللُّؤْلُؤِ والمَرْجان يكونُ مِن المِلْحِ دون العَذْبِ؛ لأنَّ العَذْبَ والـمِلْحَ يلتقيان، فيكون العَذْبُ كاللِّقَاحِ للمالح؛ كما يُقال: يَخْرُجُ الولدُ مِن الذَّكَر والأنثى ـ وإنما تَلِدُ الأنثى ـ لهذا.

وقيل: مِن عادة العرب أنَّها تجمَعُ شيئين لأحدهما فِعْلٌ، فتجعَلُ الفعلَ لهما، وهو كقوله: ﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾ [الكهف: ٦١]، وكان النَّاسي صاحِبَ موسى وحدَه، وقولِه تعالى: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾ [الأنعام: ١٣٠]، والرُّسُلُ مِن الإنس دون الجنِّ.

* * *

(٢٣ ـ ٢٤) ـ ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٣﴾ وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ﴾.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾: فَسَّرْناه.

ثم ذكَرَ النِّعْمَةَ الثالثةَ، فقال:

﴿وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ﴾: قرأ حمزةُ وعاصمٌ في رواية أبي بكرٍ بكسر الشين،

= في «تفسير الطبري».

ومعناها: السُّفُنُ المُبْتَدِئاتُ في الجَرْيِ، والفعلُ لهن، وإنشاءُ الفعلِ(١): ابتداؤُه، وقرأ الباقون: ﴿ٱلْمُنشَـَٔاتُ﴾ بفتح الشين، وهو المفعولُ بفعلِ الملّاحين.

وإنشاؤُها عند مجاهدٍ: رَفْعُ شِراعِها وتسييرُها في البحر(٢).

﴿كَٱلْأَعْلَٰمِ﴾: أي: كالجبال.

أخبرَ أنه خَلَقَ لهم ما اتَّخذوا منه السُّفُنَ التي رَكِبوا بها البحرَ ابتغاءَ فَضْلِ الله، وقَطَعوا بها المسافاتِ البعيدةَ، وعلَّمَهم اتِّخاذَها بأنْ أَلْهَمَهم ذلك، وسَخَّرَ لهم البحرَ على عِظَمِه، وشبَّهَ السُّفُنَ في كِبَرِها بالجبال، وقرَّرَهم بهذه النعم، فقال:

***

(٢٥ ـ ٢٧) ـ ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٢٥) كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٦) وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾: فسَّرْناه.

وقولُه تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾: أي: كلُّ مَن على الأرضِ فانٍ مُنْقَطِعٌ عنهم البقاءُ والحياةُ.

﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾: أي: المُسْتَحِقُّ للإجلال والتَّعظيمِ مِن خَلْقِه، والمُسْتَحِقُّ للإكرامِ منهم إيَّاه بطاعتِه وعبادته.

وقيل: هو موصوفٌ بالجَلالِ القائمِ بذاته، وبالإكرام منه لأوليائه.

وقيل: هو أهلٌ أنْ يُجِلَّ المؤمنين، ويُكْرِمَ المُطِيعين.

---

(١) في (أ): «الله».

(٢) رواه عنه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٢١٠)، وذكره مكي بن أبي طالب في «الهداية» (١١/ ٧٢٢٣)، والواحدي في «البسيط» (٢١/ ١٥٨)، وابن عطية في «المحرر الوجيز» (٥/ ٢٢٩).

وقيل: هو أهلٌ أنْ يُجلَّه العبادُ بطاعتِه، فيُكْرِمَهم برحمته.

وقيل: هو أهلٌ أنْ يُجِلَّ قَدْرَ العِبادِ بتوحيده، وأهلٌ أنْ يُكْرِموه؛ أي: يُنزِّهوه عمَّا لا يَلِيقُ بجلاله.

ومعنى: ﴿وَجْهُ رَبِّكَ﴾: ذاتُ ربِّكَ؛ كقولِهم: هذا وَجْهُ الأمرِ، ووَجْهُ الصَّوابِ، ووَجْهُ التَّدْبير.

وقيل: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾: أي: كلُّ عمَلٍ يُتَقَرَّبُ به إليه، ويُبْتَغى به وَجْهُه؛ أي: رضاه؛ كما قال: ﴿إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ﴾ [الليل: ٢٠]؛ أي: يَهْلِكُ الجنُّ والإنسُ ولا يَبْقى لهم إلَّا ما توجَّهوا به إليه.

❊ ❊ ❊

(٢٨ ـ ٢٩) ـ ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٨﴾ يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾: ووجهُ النِّعْمَةِ: التَّسْوِيَةُ بين الخَلْقِ في الفَناء والهَلَكةِ، والدِّلالةُ على ما يَبْقى لهم نَفْعُه في الآخرة.

قولُه تعالى: ﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: أي: هو مَفْزعُ السائلين، ومَقْصِدُ الرَّاغبين، ومَلْجَأُ البائِسين(١).

فإنْ قالوا: إنَّ كثيراً مِن المُعَطِّلَةِ وغيرِهم لا يعتقدونه، فلا يسألونه.

قلنا: معناه: هو المُسْتَحِقُّ أنْ يَسْأَلوه وإنْ ضلَّ قومٌ عنه؛ لأنَّهم إذا سأَلوا أحداً سأَلوه به؛ لأنه هو القادِرُ على ذلك، واللهُ تعالى هو القادِرُ على كلِّ شيءٍ على الحقيقة، وكان ذلك سؤالَه في الحاصِلِ، ولأنَّه تعريفٌ أنَّ الكُلَّ لا غِنى بهم عنه،

(١) في (ر): «التائبين».

ولأنَّ المُرادَ هُم أهلُ المعرفة به، فهذا عامٌّ أُرِيدَ به الخُصوصُ.

وقال ابن عباس: أهلُ السَّماواتِ يسألونه المغفرةَ، وأهلُ الأرضِ يسألونه الرِّزْقَ والمغفرة(١)، ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾: يُحيي ويُميتُ ويُعيدُ، ويُغيثُ ويُطْعِمُ جائعاً، ويَفُكُّ أسيراً، ويُجِيبُ داعياً، ويُولِدُ مولوداً، ويُعْدِمُ موجوداً(٢).

وقال قتادة: ﴿يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: يعني: لا يَسْتَغْني عنه أهلُ السماوات والأرض(٣).

﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾: يُرَبِّي صغيراً، ويُفْنِي كبيراً، ويَفُكُّ أسيراً.

ورُوِيَ أنَّ أحبارَ اليهود قالوا: إنَّ اللهَ تعالى لا يَفْعَلُ يومَ السَّبْتِ شيئاً، هو في استراحةٍ، فأنزَلَ اللهُ تعالى: ﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ [ق: ٣٨]، وأنزَلَ: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾(٤).

---

(١) ذكره عنه الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٨٣)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٤٤٥). ورواه عبد بن حميد وابن المنذر كما في «الدر المنثور» (٧/ ٦٩٩) عن أبي صالح.

(٢) لم أجده هكذا، وروى عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٠٨٨)، والطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٢١٥)، والطبراني في «الكبير» (١٠٦٠٥)، والثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٨٤)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٣٢٥)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ٤٦٣)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٨٢٨)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٤٤٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾: إن الله خلق لوحاً محفوظاً من درة بيضاء، دفتاه ياقوتة حمراء، قلمه نور، وكتابه نور، عرضه ما بين السماء والأرض، ينظر فيه كل يوم ثلاث مئة وستين نظرة، يخلق بكل نظرة، ويحيي ويميت، ويعز ويذل، ويفعل ما يشاء.

قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٩١): رواه الطبراني من طريقين، ورجال هذه ثقات.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٢١٢)، وذكره الواحدي في «الوسيط» (٤/ ٢٢١)، والسمعاني في «تفسيره» (٥/ ٣٢٨)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٤٤٥).

(٤) ذكره مقاتل في «تفسيره» (٤/ ١٩٨)، والماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (٩/ ٤٧٣)، =

وسُئِلَ رسولُ اللهِ ﷺ عن قوله: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾، فقال: «مِن شأنِه أنْ يَغْفِرَ ذَنْباً، ويَكْشِفَ كَرْباً، ويُعِزَّ قوماً، ويُذِلَّ قوماً، ويَرْفَعَ قوماً، ويَضَعَ آخَرين»[1].

وقال عُبَيْدُ بنُ عُمَيْرٍ: مِن شأنِه أنْ يُجِيبَ داعياً، ويَفُكَّ عانياً، ويُعْطِيَ سائلاً[2].

وقال الحسنُ: ﴿يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: كلٌّ إليه فقيرٌ يسألُه ويَتَضَرَّعُ إليه بحاجته، ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾: يَقْضِي به في خَلْقِه، يُغْني فقيراً، ويُفْقِرُ غَنِيًّا، ويُعافِي مُبْتَلًى، ويَبْتَلِي مُعافًى، ويَصْنَعُ في خَلْقِه ما يشاءُ[3].

= والسمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٣٨٢)، والثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٨٤).

(١) رواه ابن أبي عاصم في «السنة» (٢٣١٦)، والطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٢١٤)، والطبراني في «الأوسط» (٦٦١٩)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٢/ ٤٨١)، والثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٨٤) من حديث عبد الله الأزدي رضي الله عنه.

ورواه ابن ماجه (٢٠٢)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٣٠١)، والبزار في «مسنده» (٤١٠٠)، وابن حبان في «صحيحه» (٦٨٩)، والطبراني في «الأوسط» (٣١٤٠)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٢/ ٤٧٩)، وأبو نعيم في «الحلية» (٥/ ٢٥٢)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ٢٢١)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (١٢٩)، من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه.

وعلقه البخاري قبل الحديث (٤٨٧٨) بصيغة الجزم موقوفاً عليه.

قال ابن الجوزي في «العلل المتناهية» (١/ ٢٨) عن الرواية المرفوعة: هذا حديث لا يصح، قال ابن عدي: عبد الرحمن بن يحيى يحدث بالمناكير، قال الدارقطني: وقد روي موقوفاً، وهو الصواب.

ورواه البزار في «مسنده» (٦١٧٤) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٢١٣) عن مجاهد.

(٢) رواه عنه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٠٨٧)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٤٩٩٩)، والقاسم بن موسى الأشيب في «جزئه» (٥٤)، والطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٢١٣)، وأبو نعيم في «الحلية» (٣/ ٢٧٢)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٦٨).

(٣) انظر: «الكشاف» (٤/ ٤٤٧ ـ ٤٤٨).

وقال سُفيانُ بنُ عُيَيْنَةَ: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾: في الدنيا، الاختبارُ بالأمرِ والنَّهْيِ، والإحياء والإماتة، والإعطاء والمنع، وفي الآخرة الجزاءُ والحساب، والثَّوابُ والعِقاب[١].

وقيل: هو في سَوْق المقاديرِ التي سبقَتْ في عِلْمِه إلى مَواقيتِها.

* * *

(٣٠ ـ ٣١) ـ ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٣٠ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾: مِن هذه النِّعَمِ.

وقولُه تعالى: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ﴾: قال ابنُ عبَّاسٍ: سنُحاسِبُكم[٢]. وكذلك قُطْرُبٌ.

وقال الضَّحَّاكُ: هذا وعيدٌ، واللهُ تعالى لا يَشْغَلُه شأنٌ عن شأنٍ.

والحاصِلُ: أنه استعارةٌ بليغةٌ، فإنَّ الواحدَ إذا قُصِدَ لأمرٍ مُهِمٍّ يُمْضِيه[٣] لا محالةَ، ويُتِمُّه مِن غير نُقْصانٍ، يقولُ: أتفرَّغُ لذلك الأمرِ، فخاطَبَ اللهُ تعالى بذلك عِبادَه فيما[٤] يتفاهَمونه، يعلمون أنَّه مِن المُهِمِّ الذي لا يُتْرَكُ، ومِن المفعول الذي لا يُغْفَلُ.

---

(١) ذكره عنه الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٨٤)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٤٤٦)، والزمخشري في «الكشاف» (٤/ ٤٤٧).

(٢) علقه البخاري قبل الحديث (٤٨٧٨) بصيغة الجزم.

وروى الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٢١٦)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (١٠٢٧) قوله: وعيد من الله للعباد، وليس بالله شغل، وهو فارغ. وبنحوه ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٨٥)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٤٤٧)،

(٣) في (أ): «يصيبه».

(٤) في (أ): «وهم».

يقول: سنُحاسِبُكم بَعْدَ طُولِ الإمهال على ما كان منكم مِن الأعمال، ونَجْزِيكم على ذلك على كل حالٍ.

﴿أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾: أي: الجِنُّ والإنسُ، سُمِّيا بذلك لأنَّ الثِّقْلَ ما له وَزْنٌ وقَدْرٌ، ولهما زيادةُ قَدْرٍ على غيرِهما لِمَا خُصُّوا بالعقل والتَّمييز، وتحميلِ الأمانةِ والتَّكْليف.

وقيل: لأنَّهما حِمْلانِ على الأرض، قال تعالى: ﴿وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾: أي: أَحْمالَها.

وقولُ النَّبيِّ ﷺ: «إني تاركٌ فيكم الثَّقَلَينِ: كتابَ اللهِ، وعترتي»[1]: إشارةٌ منه إلى قَدْرِهما ووَزْنِهما.

وقال: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ﴾: جميعاً، ثم قال: ﴿أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾: تثنيةٌ؛ لأنَّهما جَمْعانِ، فصارا كقوله: ﴿فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ﴾.

* * *

(١) رواه ابن سعد في «الطبقات» (٢/ ١٩٤)، والإمام أحمد في «المسند» (١١١٠٤)، وابنُ أبي عاصم في «السنة» (١٥٥٤)، وأبو يعلى في «مسنده» (١٠٢٧)، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وإسناده ضعيف لضعف عطية العوفي الراوي عن أبي سعيد. وله شاهد من حديث زيد بن أرقم عند مسلم (٢٤٠٨)، والنسائي (٨١٧٥)، بلفظ: «وأنا تارك فيكم ثقلين، أولهما كتابُ الله، فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله، واستمسكوا به»، فحث على كتاب الله ورغب فيه، ثم قال: «وأهلُ بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي»، وفيه التصريح بأن المراد من قوله ﷺ: «وعترتي» هو وجوب مراعاتهم ومحبتهم، واجتناب ما يسوؤهم، والاحتراز عما يؤذيهم، وأما ما ورد مما يفهم منه وجوب الاقتداء بهم، والأخذ بأقوالهم والعمل بها، مثل قوله: «لن تضلوا بعدهما»، أو: «لن تضلوا إن اتبعتموهما»، فأسانيده ضعيفة لا يصلح الاحتجاج بها كما جاء في حاشية «المسند».

(٣٢ ـ ٣٣) ـ ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٣٢) يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ﴾.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾: حين تُحاسَبانِ بالآلاءِ.

﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: إنْ قَدَرْتُم أنْ تَجُوزوا أطرافَ السماوات والأرض فتَفُوتوا ربَّكم ولا يَقْدِرَ عليكم.

﴿فَٱنفُذُوا۟﴾: أي: فافْعَلوا ذلك.

﴿لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ﴾: أي: لا تَقْدِرون على ذلك إلَّا بقُدْرَةٍ يُعْطِيكُمُوها اللهُ تعالى على ذلك، ولا يُعْطِيكم، وهذا في مُحاسَبَةِ يومِ القيامة.

وقيل: أي: يُقالُ لهم ذلك يومئذٍ.

وقيل: بل خاطَبَهم اللهُ اليومَ أنَّكم كذلكَ يومئذٍ.

وقيل: خاطبَهم للحال إنْ قَدَرْتُم أنْ تَفْعَلوا ذلك في الدنيا، فلا تُؤْخَذوا بالموت، ولا تُبْعَثوا للحساب والجزاء يومَ القيامة، فافْعَلوا، ولنْ تَقْدِروا على ذلك، وهو أمرُ إعجازٍ.

وقيل: ﴿إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ﴾: أي: حيثما ذهبتُم فأنتم في سُلْطانِ اللهِ، فيأخُذُكم بالموت.

* * *

(٣٤ ـ ٣٥) ـ ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٣٤) يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ﴾.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾: فسَّرْناه.

﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا﴾: أي: على مَن أشرَكَ منكما وكذَّبَ.

﴿شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ﴾: قال ابنُ عبَّاسٍ ومُجاهدٌ وقتادةُ: أي: لهَبٌ[1].

(١) رواه عنهم الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٢٢٢ ـ ٢٢٣).

وقرأ ابنُ كثيرٍ: ﴿شِواظٌ﴾ بكسر الشين، والباقون بضمها، وهما لغتان[1].

وقال الأخفش: الشُّواظُ: هي النَّارُ التي تتأجَّجُ[2] ولا دُخانَ لها.

﴿وَنُحَاسٌ﴾: قيل: هو المعروف الذي يُتَّخَذُ منه الأواني؛ أي: كأنَّ النُّحاسَ يُذابُ ويُصَبُّ على رؤوسِهم.

وقيل: هو الدُّخان.

وقرأ ابنُ كثيرٍ وأبو عمرو: ﴿ونحاسٍ﴾ بالخَفْضِ عطفاً على قولِه: ﴿مِّن نَّارٍ﴾، والباقون بالرفع عطفاً على قوله: ﴿شواظ﴾[3].

﴿فَلَا تَنتَصِرَانِ﴾: أي: فلا تَمْتَنِعان عن ذلك بمانعٍ يمنَعُكُما مِن عذاب الله تعالى.

* * *

(٣٦ ـ ٣٧) ـ ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٦﴾ فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ﴾.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾: والتَّحْذيرُ نِعْمَةٌ لِيَحْذَرَ به، فيقَعَ الأمنُ منه.

قولُه تعالى: ﴿فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ﴾: أي: انصَدَعَتْ للانتقاضِ يومَ القيامةِ.

﴿فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ﴾: أي: مُحْمَرَّةً على لون الوَرْدِ حينَ تغيضُ البحارُ في نار جهنَّمَ، ويرتفِعُ نارُها، فتَقَعُ في السماء، فتذيبُها فتصيرُ مُحْمَرَّةً وتَصِيرُ كالدِّهانِ ـ جَمْعُ دُهْن ـ حين ذابَتْ ورَقَّتْ.

وقيل: الدِّهانُ إذا صُبَّ بعضُها على بعضٍ يَتَلَوَّنُ ألواناً، فكذلك السَّماءُ حينئذٍ.

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٢١)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٦).

(٢) في (ف): «تخرج».

(٣) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٢١)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٦).

وقيل: إنَّ عَصِيرَ الزَّيْتِ يتغيَّرُ في الساعة ألواناً.

وقال الحسَنُ: كصَبِيبِ الدُّهْنِ[١] إذا صبَبْتَه ورأيتَ فيه ألواناً.

وقال الفرَّاءُ وثَعْلَبُ والقُتَبِيُّ: ﴿فَكَانَتْ وَرْدَةً﴾: أي: كالفَرَسِ الوَرْدَةِ؛ لأنَّها تكونُ في الرَّبيع صَفْراء، فإذا اشتَدَّ البَرْدُ كانت حمراءَ، فإذا كانتْ بعد ذلك صارت غَبْراء[٢].

وروى عمرو[٣] عن الحسَنِ: السَّماءُ أوَّلَ ما تَنْشَقُّ تَحْمَرُّ، ثم تَخْضَرُّ، ثم تتلوَّنُ ألواناً، فشبَّهَها بالأدهانِ.

وقال الكسائيُّ والفرَّاءُ وقُطْرُبٌ: الدِّهانُ: الأديمُ الأحمرُ[٤]، وجَمْعُه (أَدْهِنَةٌ) و(دُهْنٌ).

***

(٣٨ ـ ٣٩) ـ ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٣٨ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ﴾.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾: فسَّرْناه.

﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ﴾: لِيُعْرَفَ أنَّه مِن أهلِ الجنَّة أم مِن أهل

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٨٧) عن الحسين بن الفضل.
ورواه عن الحسن الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٢٢٩)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٨٥) بلفظ: كالدهن. وذكر عنه الواحدي في «البسيط» (٢١/ ١٧٦) قوله: تلون ألوانا.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١١٧)، و«غريب القرآن» لابن قتيبة (ص: ٤٣٩)، وزاد الفراء: فشبه تلوّن السماء بتلون الوردة من الخيل، وشبهت الوردة فِي اختلاف ألوانها بالدهن واختلاف ألوانه.

(٣) في (أ) و(ف): «عمر». والمثبت من (ر)، ولعله عمرو بن عبيد فإن له رواية عن الحسن في التفسير، لكن لم أقف على الخبر.

(٤) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١١٧).

النَّار، بل يُعْرَفُ بهيئتِه، فلا يُسْأَلون على[1] هذا الوجه، بل يُسْأَلون سؤالَ المُحاسَبَةِ تَقْرِيعاً لهم وتَوْبِيخاً.

وقال مجاهدٌ: يَعْرِفُونَهم بسِيماهم، فلا يُسْأَلون[2].

وقال ابنُ عبَّاسٍ: لا يُسْأَلون: هل عَمِلْتُم كذا وكذا؟ بل يُسْأَلون: لِمَ عَمِلْتُم كذا وكذا[3]؟ وهو التَّوفيقُ بين قولِه: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ﴾ [الحجر: ٩٢]، وبين هذه الآيةِ.

وقيل: يُسْأَلون للمُحاسَبة، ثم يُخْتَمُ على أفواهم فلا يُسْأَلون، وتشهَدُ عليهم جوارِحُهم.

وقيل: هي مواقفُ، يُسْأَلون في بعضِها، ولا يُسْأَلون في بعضها.

وقيل: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ﴾: أي: عن ذَنْبِ الإنسان، ﴿إِنسٌ﴾: غيرَه، ﴿وَلَا جَآنٌّ﴾: غيرَه، بل هو المحاسَبُ عليه، والمسؤولُ عنه، والمُجازَى به.

وعلى هذا تكون الكنايةُ في ﴿ذَنۢبِهِۦٓ﴾ راجعةٌ إلى الإنسان المذكور في أوَّلِ السُّورَةِ، وهو قولُه: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ﴾.

* * *

(٤٠ ـ ٤١) ـ ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٠﴾ يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ﴾.

---

(١) في (ف): «عن».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٢٣٠)، والبيهقي في «الشعب» (٢٧٣)، بلفظ: لا يسأل الملائكة عن المجرم يُعرفون بسيماهم.

(٣) رواه عنه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٢٣٠)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢٧٠).

وذكره مكي بن أبي طالب في «الهداية» (٦/ ٣٩٣٤)، والثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٣٥٤)، والماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٤٣٦)، والواحدي في «البسيط» (١٢/ ٦٦٨)، والبغوي في «تفسيره» (٤/ ٣٩٤).

﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾: فسَّرْناه.

﴿يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ﴾: سوادِ الوُجوهِ، وزُرْقَةِ العُيونِ.

﴿فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي﴾: جَمْعُ ناصِيَةٍ، وهو شَعْرُ مُقَدَّمِ الرأس، وأصلُه(١): الاتِّصالُ؛ قال الشَّاعِرُ:

قِـــيٌّ تُنَاصِيهـــا بِـــلَادٌ قِـــيُّ(٢)

أي: يتَّصِلُ بها.

﴿وَالْأَقْدَامِ﴾: جَمْعُ قَدَمٍ، يقولُ: إنَّ الملائكةَ إذا أُمِروا بأَخْذِ المجرمين؛ أي: المشركين، لا يحتاجُون إلى أنْ يَسْأَلوا عنهم، بل يَعْرِفونهم بعلاماتِهم، فيأخُذونهم بنواصيهم وأقدامِهم، ويَسْحَبونهم إلى النار.

* * *

(٤٢ ـ ٤٤) ـ ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٤٢) هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ (٤٣) يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ﴾.

﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾: فسَّرْناه.

﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ﴾: قيل: أي: يُقالُ لهم حينئذٍ: هذه جهنَّمُ التي كنتم تُكَذِّبون بها.

---

(١) في (ر): «وهو».

(٢) الرجز للعجاج، وقبله:

وبلـــدةٍ نِياطُهـــا نَطِـــيُّ.

انظر: «ديوانه» رواية الأصمعي (١/ ٤٩٥)، ونسبه إليه الخليل في «العين» (٥/ ٢٣٧)، وأبو عبيد في «غريب الحديث» (٤/ ١٣٣)، وأبو علي القالي في «البارع» (ص: ٥٢١)، وأبو بكر الأنباري في «الزاهر» (٢/ ٣٩٠)، والجوهري في «الصحاح» (٦/ ٢٤٧٠)، وهو من غير نسبة في «تهذيب اللغة» للأزهري (٩/ ٢٧٥). والقِيُّ: القفر الذي لا أنيس له، وتناصيها: تواصلها.

وقيل: هذا خطابٌ مِن الله تعالى في الدنيا لِنبيِّه ﷺ: هذه جهنَّمُ التي يُكَذِّبُ بها قومُكَ مِن قُرَيْشٍ.

﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ﴾: أي: بين النَّارِ التي ذابَتِ السَّماواتُ مِن حَرِّها، وبين ماءٍ حارٍّ قد انتهى حَرُّه، فهو في غايةِ الحَرارَةِ.

وقيل: تكون النَّارُ طعامَهم، والحميمُ شرابَهم، و﴿يَطُوفُونَ﴾ في معنى: يَتَرَدَّدُون؛ أي: يَسْتَغِيثُون إذا جاعوا يَسْأَلون الطَّعامَ، فإذا طَعِموا النَّارَ استغاثوا فاسْتَسْقَوا فيُسْقَوْنَ الحميمَ.

والـ ﴿ءَانٍ﴾: صَرْفُه: (أَنَى يَأْنِي)؛ أي: حانَ يَحِينُ، وبَلَغَ أَناه؛ أي: أَدْرَكَ وانتهى مُنْتَهاه، قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ الآية [الحديد: ١٦]، وقال: ﴿غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

* * *

(٤٥) ـ ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾: وفي الآية التَّمْييزُ بين الكافر والمؤمن، والإخبارُ عن ذلك اليوم لِيَنْتَبِهوا(١).

وقال كعبُ الأحبارِ: ﴿ءَانٍ﴾ وادٍ مِن أودِيَةِ جهنَّمَ يُجْمَعُ فيه صَديدُ أهلِ جهنَّمَ، ثم يُنْطَلَقُ بهم وهُم في الأَغْلال، فيُغْمَسون في ذلك الوادي حتى تَنْخَلِعَ أَوْصالُهم، ثم يُخْرَجون منها وقد أَحْدَثَ اللهُ تعالى لهم خَلْقاً جديداً فيُلْقَون في النار، فذلك قولُه تعالى: ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ﴾(٢).

---

(١) في (ف): «لينتهوا».

(٢) ذكره عنه الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٨٨).

وقال مُقاتِلٌ: يَطُوفون بين حَمِيمٍ شَوْطاً، وبين جهنَّمَ شَوْطاً، لا يَسْتَرِيحون، يُطافُ بهم في ألوان العذاب، وذلك قولُه: ﴿ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ﴾: يعني: مِن الزَّقُّومِ والحَمِيم، فيُنْطَلَقُ بهم مَرَّةً إلى الجَحِيمِ، ومَرَّةً إلى الحَمِيمِ، ثمَّ إلى منازِلِهم مِن جهنَّمَ، وكذلك في هذه الآية[1].

وقال السُّدِّيُّ في قولِه: ﴿فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ﴾: يُجْمَعُ بين ناصِيَةِ الكافرِ وقَدَمَيْهِ مِن وراء ظَهْرِه، فيُشَدُّ وَثاقُه[2].

وقال الضَّحَّاكُ: يُجْمَعُ بين ناصِيَةِ الكافر[3] وقَدَمَيْهِ في النَّارِ، فيُكْسَرُ صُلْبُه حتى تَلْحَقَ ناصِيَتُه بعَقِبَيْهِ[4]، هذا جزاءُ المجرمين.

***

(٤٦) ـ ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾.

ثم ذكَرَ جزاءَ الذين يُخالِفونهم، وهُمُ الخائِفون مِن المؤمنين، فقال:

﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾: أي: ولِمَنْ تَرَكَ المعاصِيَ خوفاً مِن مَقامِه بين يدي الله تعالى للعَرْضِ والحسابِ والسُّؤالِ.

وأُضِيفَ المقامُ إلى الله تعالى، وإنما هو مَقامُ العَبْدِ بين يدي الله تعالى؛ كما أُضِيفَ الأجلُ إلى الله تعالى في قولِه: ﴿فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ﴾ [العنكبوت: ٥]، وهو أجَلُ العبدِ، حتى قال: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ﴾ [الأعراف: ٣٤]؛ لأنَّ التَّأْجيلَ مِن اللهِ للعبد، وكذلك

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٢٠١).

(٢) ذكره عنه ابن كثير في «تفسيره» (٧/ ٤٩٩) بمعناه.

(٣) في (أ): «ناصيته».

(٤) رواه عنه مختصراً هناد في «الزهد» (٢٦٨) بلفظ: يجمع بين ناصيته وقدمه في سلسلة من وراء ظهره. وذكره الزمخشري في «الكشاف» (٤/ ٤٥١).

المَقامُ للعبد، لكنْ لِمُحاسبةِ الله تعالى، وهو كقولِه تعالى: ﴿يَدْخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ﴾ [النصر: ٢]، وقولِه تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣]؛ لأنَّ اللهَ تعالى شرَعه للعبد، وقولِه: ﴿سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا﴾ [الإسراء: ٧٧]، وقولِه: ﴿وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٧]؛ لأنَّ اللهَ تعالى سَنَّهُ لهم، وعلى هذا قولُه: ﴿وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ﴾ [النور: ٣٣]، وقولُه: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً﴾ [التوبة: ١٠٣].

وقال الأعمش: يعني: ولِمَن عَلِمَ أنَّ اللهَ تعالى قائِمٌ على كلِّ نَفْسٍ بما كسَبَتْ، فأطاعَ اللهَ تعالى ولم يَعْصِهِ[1].

﴿جَنَّتَانِ﴾: أي: بُسْتانان.

قيل: إحداهُما داخِلَ قَصْرِه، والأخرى خارجَ قَصْرِه، وهذا لكلِّ خائفٍ، وطُبِعَ الإنسانُ على اشتهاءِ مِثْلِه.

وقيل: هما جنَّةُ النَّعيمِ وجنَّةُ عَدْنٍ لجميع أهل الجنَّةِ.

قولُه تعالى: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾: جَنَّةُ الفِرْدَوْسِ، وجَنَّةُ المأوى، فهي بجُمْلَتِها أربعُ جِنانٍ لكلِّ أَهْلِها، وفي كُلِّ جَنَّةٍ مِن الجِنان ما لا يُحْصَى[2]، وهي كأَرْبَعِ بلادٍ كِبارٍ فيها مَحَالٌّ، وفي المَحَالِّ مَنازِلُ.

وقالوا: بأنَّ أهلَ عَصْرِ النَّبيِّ ﷺ كانوا على قِسْمَينِ، وكذا أهلُ الدُّنيا في كلِّ عَصْرٍ:

أهلُ الأَمْصارِ: وهُمُ اعتادوا الجِنانَ المُلْتَفَّةَ، والمياهَ الجارِيَةَ، والمَنازِلَ المُتَلازِقَةَ، والسُّرُرَ الموضوعةَ.

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) في (ف): «يخفى».

وأهلُ البَوادي: هُمُ اعتادوا البَرارِيَ[(١)] الواسعةَ، والعُيونَ المُمْتَلِئَةَ، والخِيامَ المَنْصُوبةَ، والخُضْرَةَ النَّاضِرَةَ.

فكلٌّ يَشْتاقُ إلى ما اعتاد، ويأنَسُ بما أَلِفَه، فجعَلَ اللهُ الجَنَّتَينِ الأُولَيينِ على مُعْتَادِ أهلِ الأمصار، والأُخرَيَينِ على مُعْتَادِ أهلِ البَوادي[(٢)]، ووعَدَ الكُلَّ للكُلِّ[(٣)]؛ لِيَسْتَنْزِهَ كلُّ واحدٍ بما يَروقُه، ويترَوَّحُ فيما يَشوقُه، ويتبيَّنُ ذلك بالتَّأَمُّلِ في المذكور في كلِّ نوعٍ.

وقال الحسنُ: أتى رجلٌ رسولَ اللهِ ﷺ فقال: يا رسولَ اللهِ، ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ ما هما؟ فقال ﷺ: «هي مئةُ درجةٍ مِن فِضَّةٍ كلُّها، دُورُها وقُصورُها وأبوابُها وأغلاقُها، ومِن دونهما مئةُ درجةٍ مِن ذهَبٍ كلُّها، دُورُها وقُصورها وأبوابها وبُيوتها وأغلاقها وسُرُرها»[(٤)].

وقال ابنُ عبَّاسٍ: ﴿جَنَّتَانِ﴾: بُسْتانان، كلُّ بُسْتانٍ منهما مَسِيرةُ مئةِ سنَةٍ، في وسَطِ كلِّ بُسْتانٍ دارٌ مِن نُورٍ[(٥)].

---

(١) في (ف): «البوادي».

(٢) في (ر): «البراري».

(٣) في (أ): «الكل».

(٤) لم أقف عليه بهذا اللفظ، وروى أبو نعيم في «صفة الجنة» (٢/ ٧١) عن سليم بن عامر الخبائري مرسلا قال ﷺ: «الجنة مئة درجة، فأولها درجة من فضة، أرضها فضة، ومساكنها فضة، وآنيتها فضة، وترابها مسك، والثانية أرضها ذهب، ومساكنها ذهب، وترابها مسك» الحديث.
وروى البخاري (٤٨٧٨)، ومسلم (١٨٠)، من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «جنَّتان من فِضَّةٍ، آنِيَتُهُما وما فيهما، وجنَّتان من ذَهَبٍ، آنِيَتُهُما وما فيهما...» الحديث.

(٥) رواه مقاتل في «تفسيره» (٤/ ٢٠٢) عن ابن عباس مرفوعاً، وفيه: «مسيرة خمس مئة عام». =

وقـال أبـو موسـى الأشـعريُّ: جَنَّتَانِ مِـن ذهـبٍ للسَّـابِقين، وجنَّتانِ مِـن فِضَّةٍ للتَّابِعين(١).

وقـال مُقاتِـلٌ: ﴿جَنَّتَانِ﴾: يعنـي: جنَّـةَ عَـدْنٍ، وجنَّـةَ النَّعيـمِ، وهمـا للشُّـهَداءِ والصِّدِّيقيـن(٢).

وقال الضَّحَّاكُ: ﴿جَنَّتَانِ﴾: يتلَقَّى كلَّ مؤمنٍ ملَكٌ، فيأخُذُ بيده فيَنْتَهي به إلى قَصْرٍ مِن فضَّةٍ مُشَرَّفٍ بالذهب(٣)، حولَه جِنانٌ وأنهارٌ، بين كلِّ شُرْفتَينِ غُلامٌ يُنادي: مَرْحباً بسَيِّدنا ومولانا، فيُدْخِلُه القَصْرَ فيُرِيه ما أعدَّ اللهُ تعالى له، ثم ينطلِقُ إلى قصرٍ مِن ذهبٍ مُشَرَّفٍ باللُّؤْلُؤِ، حوله جِنانٌ وأنهارٌ، بين كُلِّ شُرْفتَينِ غُلامٌ يُنادي: مرحباً بسيِّدِنا ومولانا، فيُدْخِلُه القصرَ فيُرِيه ما أعدَّ اللهُ له، ثم ينتهي به إلى قصرٍ مِن ياقوتٍ مُشرَّفٍ بالزَّبَرْجَدِ، حولَه أنهارٌ وجنَّاتٌ، بين كلِّ شُرْفتَينِ غُلامٌ يُنادي: مرحباً بسيِّدنا ومولانا، فيُدْخِلُه القصرَ ويُرِيه ما أعدَّ اللهُ له، ثم يقول له الملَكُ: يا وليَّ اللهِ، كلُّ هذا لكَ، فيقول: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ﴾ [الزمر: ٧٤]، فقيل للضَّحَّاكِ: كم بين أقصاها وأدناها؟ قال: كما بين بَلْخَ ومَكَّةَ(٤).

= وذكره مرفوعا أيضا بلفظ المصنف مكي في «الهداية» (١١/ ٧٢٣٣)، والقرطبي في «تفسيره» (٢٠/ ١٤٩).

(١) رواه عنه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٤٨١٤)، والدينوري في «المجالسة» (١٤١٤)، والحاكم في «المستدرك» (٢٨٢)، والبيهقي في «البعث والنشور» (٢١٨)، وقال الحاكم: هذا إسناد صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه هكذا. ورواه أبو نعيم في «صفة الجنة» (٤٣٦) من حديث أبي موسى رضي الله عنه مرفوعاً. وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٨٩)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٤٥٦).

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٢٠٢).

(٣) قوله: «مشرف بالذهب»، لعل المراد أن شُرَفه ـ جمع شُرفة ـ من الذهب، قال في «القاموس»: شرَّف فلان بيته: جعل له شُرَفاً.

(٤) رواه عنه مطولًا أبو نعيم في «صفة الجنة» (٤٤٣).

(٤٧ ـ ٥٠) ـ ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

﴿ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ﴾: ﴿ذَوَاتَآ﴾: تَثْنِيَةُ (ذاتٍ)، وهما نعتُ قولِه: ﴿جَنَّتَانِ﴾.

﴿أَفْنَانٍ﴾: قال مُجاهِدٌ: أي: أغصانٍ[1]؛ جَمْعُ (فَنَنٍ)، وهي صِفَةٌ لها بالالتفاف[2].

وقال الضَّحَّاكُ: أي: ذواتا ألوانٍ مِن الفواكه[3]، وهي جَمْعُ (فَنٍّ).

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

قولُه تعالى: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾: أي: لا تَنْقَطِعانِ.

قال الحسنُ: تَجْريانِ بالماءِ الزُّلالِ، أحدُهما: التَّسْنِيمُ، والأخرى: السَّلْسَبِيلُ[4].

وقال عَطِيَّةُ: مِن ماءٍ غيرِ آسِنٍ، ومِن خَمْرٍ لَذَّةٍ للشَّارِبين[5].

---

(١) رواه عنه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٢٤١). وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٨٩)، ومكي بن أبي طالب في «الهداية» (١١/ ٧٢٣٤)، والبغوي في «تفسيره». (٧/ ٤٥٢).
وذكره الواحدي في «الوسيط» (٤/ ٢٢٦) عن مجاهد، وعكرمة، وعطية، والكلبي.

(٢) في (أ) و(ر): «بالالتفات».

(٣) رواه عنه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٢٤٠)، وهناد في «الزهد» (٤٣). وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٨٩)، ومكي بن أبي طالب في «الهداية» (١١/ ٧٢٣٤)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ٢٢٦)، والماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٤٣٨).

(٤) ذكره عنه الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٨٩)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ٢٢٦)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٤٥٢)، والزمخشري في «الكشاف» (٤/ ٤٥٢).

(٥) ذكره عنه الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٩٠)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٤٥٢)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ٢١٣).

وقال مُرَّةُ الهَمْدَانِيُّ: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾: مِثْلَ الدُّنيا أَضْعافاً مُضاعَفَةً، حصباؤُهُما الياقوتُ الأحمرُ والزَّبَرْجَدُ الأخضرُ، وتُرابُهُما: الكافورُ، وحَمأتُهما المِسْكُ الأَذْفَرُ، وحافَّتاهُما الزَّعْفَرَانُ[1].

وقال ابنُ عبَّاسٍ: تَجْرِيانِ بالكرامة على أهل الجنة والزِّيادةِ[2].

وقال أبو بكرٍ الوَرَّاقُ: في الجنَّةِ عَيْنَانِ تَجْرِيانِ لِمَن كانت له في الدنيا عينان بالبُكاءِ والدُّموعِ تجريان[3].

* * *

(٥١ ـ ٥٢) ـ ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ﴾.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

قولُه تعالى: ﴿فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ﴾: أي: ضَرْبانِ مُتشاكِلانِ؛ كَتَشاكُلِ الذَّكَرِ والأنثى، وذلك كالرُّطْبِ واليابسِ مِن العِنَبِ والزَّبيبِ، وكالتِّينِ الرَّطْبِ واليابسِ، وكذا سائرُ الأنواعِ لا يَقْصُرُ يابِسُه عن رَطْبِه في الفَضْلِ والطِّيبِ.

وقيل: هو تفضيلُ هاتَينِ الجنَّتَينِ عن الأُخرَيَينِ، فإنه قال هاهنا: ﴿مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ﴾، وقال هناك: ﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾، فثنَّى هاهنا وعَمَّمَ، وأفرَدَ هناك وخَصَّصَ.

* * *

(٥٣ ـ ٥٤) ـ ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾.

---

(١) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢١/ ١٨٥) عن عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) ذكره عنه الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٩٠)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٤٥٢).

(٣) ذكره عنه الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٩٠)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ٢١٣).

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

﴿مُتَّكِـِٔينَ﴾: نصبٌ على الحال، وهو لِمَن سبَقَ ذِكْرُه: ﴿وَلِمَنْ خَافَ﴾، وذاك فَرْدٌ في اللَّفْظِ جَمْعٌ في المعنى؛ لأنه جِنْسٌ.

والاتِّكاءُ: الاستنادُ للتَّكَرُّمِ والتَّنَعُّمِ، وذلك على السَّريرِ.

﴿عَلَىٰ فُرُشٍۭ﴾: جَمْعُ فِراشٍ.

﴿بَطَآئِنُهَا﴾: جَمْـعُ بِطانَـةٍ، وهـي الصَّفِيحَةُ[1] الدَّاخِلَـةُ المُقابِلَـةُ للظِّهارةِ، وهي الصَّفِيحَـةُ الخارِجةُ.

﴿مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾: قيل: هو مِن (اسْتَفْعَل) مِن البَرِيقِ، وهو الإضاءةُ.

وقيل: مِن البُرْقَةِ، وهي اجتماعُ ألوانٍ، وجُعِلَ اسماً، فأُعْرِبَ بإعرابه وأُجْرِيَ مَجْراه.

وقال الفرَّاءُ وجماعةٌ: هو الدِّيباجُ الغَلِيظُ[2]، وأصلُه فارسيَّةٌ: (إِسْتَبر)، فعُرِّبَ.

وقـال الأخفـشُ: المتاعُ الصِّينـيُّ[3] الذي فـي صَفاقَةِ الدِّيبـاج، وخِفَّـةِ الفِرِنْدِ، يُسَمَّى إِسْـتَبْرَقاً[4].

---

(١) في (ف): «الصفحة» في الموضعين.

(٢) انظر: «معاني القرآن» (٣/ ١١٨). ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٢٤٢) عن سالم بن عبد الله، وعكرمة.

(٣) في (أ): «الصبيء».

(٤) لم أقف عليه عن الأخفش، وهو قول أبي عبيدة في «مجاز القرآن» (٢/ ٢٤٥)، لكن فيه: (يسمّى المتاع الصيني الذي ليس له صفاقة الديباج ولا خفّة الفرند إستبرقا)، وكذا نقله الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٢٤٢)، لكن فيه: (العرقة) بدل: (الفرند).

وقيل: إنَّ قولَه: ﴿عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ﴾: يدُلُّ على أنَّ البَطائِنَ إِسْتَبْرَقٌ، والظَّهائِرَ سُنْدُسٌ.

وقال مُرَّةُ الهَمْدانيُّ: ﴿بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾: وهو الخَزُّ المُوشَّى، وليس في الأرض أحدٌ يَعْرِفُ ما الظَّهائِرُ[1].

وقال ابنُ عبَّاسٍ: هذه البَطائِنُ، فما الظَّهائِرُ[2]؟! أي: فمَن يَعْرِفُ ذلك؟!

وقولُه تعالى: ﴿وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾: أي: قريبٌ.

قال ﷺ: «أَصْلُها الذَّهَبُ، وفَرْعُها الدُّرُّ، وطَلْعُها كَثَدْيِ الأبكارِ، أَلْيَنُ مِن الزُّبدِ، وأحلى مِن العَسَلِ، كلَّما أُخِذَ منها شيءٌ عادَ، يَنالُها القاعِدُ والقائِمُ والنَّائِمُ»[3].

وقال قتادة: ﴿وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾: يعني: ثمارُها قريبةٌ لا يَردُّ أيديَهم عنها شَوْكٌ ولا بُعْدٌ[4].

---

(١) ذكره مكي بن أبي طالب في «الهداية» (١١/ ٧٢٣٥)، والسمعاني في «تفسيره» (٥/ ١٣٢) من غير نسبة.

(٢) روى نحوه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٢٤٣) عن هبيرة، وسعيد بن جبير.
وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٩٠) عن ابن مسعود وأبي هريرة رضي الله عنهما، ومكي بن أبي طالب في «الهداية» (١١/ ٧٢٣٦) عن ابن جبير، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ٢٢٦) عن ابن مسعود، وأبي هريرة، وابن جبير.

(٣) رواه ابن عدي في «الكامل» (٢/ ٣٩٠) من حديث أنس رضي الله عنه مرفوعاً.
ورواه الطبراني في «الأوسط» (٣١٧١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه موقوفاً. ورواه في «الكبير» (٦١٧٦) من حديث سلمان الفارسي رضي الله عنه مرفوعاً. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٨٩ـ ٩٠) عن رواية أبي هريرة: فيه سليمان بن أبي كريمة، وهو ضعيف، وعن رواية سلمان: فيه محمد بن عدي عن سلمان، ولم أعرفه، وجماعة ضعفاء وثقوا.

(٤) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٠٩٨)، والطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٢٤٤).

وقال الحسن: إنْ شاؤُوا أَتَوْها، وإنْ شاؤُوا أَتَتْهُم وهُم جُلُوسٌ ونِيامٌ، فيَتَناولونه على فُرُشِهم[١].

***

(٥٣ ـ ٥٤) ـ ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

قولُه تعالى: ﴿فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾: أي: في الفُرُشِ.

قيل: أي: في الجِنانِ التي تَشْتَمِلُ عليها الجَنَّتانِ زوجاتٌ قد قَصَرْنَ عُيونَهُنَّ على أزواجهنَّ فلا يُرِدْنَ غيرَهم، وهذا مِن أَفْضَلِ خِصالِ النِّساءِ، وأَبْلَغُ وَصْفٍ لها في حُبِّها زوجَها، وهي أشهى ما يكونُ إلى الزَّوجِ، ووَحَّدَ الطَّرْفَ لأنَّه في الأصل مَصْدَرٌ، وقد طرَفَتْ عينُه طَرْفاً.

وقال الإمامُ القُشَيريُّ: ﴿قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾: لِمَن قصَرَ يدَه عن الحرامِ والشُّبْهَةِ، وبصَرَه عن الحرامِ والرِّيبَةِ.

وقال: إذا قَصَرْنَ[٢] طَرْفَهُنَّ عن غيرِكَ، فأولى بالعبد أنْ يَقْصُرَ طَرْفَه عن المَحْظوراتِ، بل عن المكنوناتِ[٣]، إذا كان يرجو لقاءَ ربِّه إلى أنْ يَلْقاه[٤].

قولُه تعالى: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ﴾: قال ابنُ عبَّاسٍ: لم يُدْمِهِنَّ بالنِّكاح[٥]، وأُرِيدَ به الافتضاضُ.

---

(١) ذكره ابن أبي زمنين في «تفسيره» (٤/ ٣٣٤).

(٢) في (ف): «قصرت».

(٣) في (أ): «المكونات».

(٤) انظر: «لطائف الإشارات» (٣/ ٥١٢).

(٥) رواه عنه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٢٤٧)، وذكره مكي بن أبي طالب في «الهداية» (١١/ ٧٢٣٩).

وقرأ الكسائيُّ هاهنا: ﴿لَمۡ يَطۡمِثۡهُنَّ﴾ بضم الميم، وقرأ الثَّانيةَ بكسرها، والباقون قرؤوهما بالكسر[١].

وذَكرَ في «ديوان الأدب»: (طمَثَ يَطْمِثُ) بكسر الميم؛ أي: بالافتضاض، وبضمِّها: الحيضُ[٢]، وامرأةٌ طامِثٌ؛ أي: حائِضٌ.

قولُه تعالى: ﴿إِنسٌ قَبۡلَهُمۡ﴾: أي: قَبْلَ الأزواجِ ﴿وَلَا جَآنٌّ﴾: قال ضَمْرَةُ بنُ حبيبٍ: إنما نفى الجانَّ؛ لأنَّ للمؤمنين منهم أزواجاً مِن الحُورِ العين[٣].

وقيل: هُنَّ الحُورُ العِينُ المخلوقاتُ في الجنة لم يَتَبَدَّلْنَ ولم يُمْسَسْنَ.

وقال الحسن: هُنَّ المؤمناتُ مِن نساء الدنيا[٤]، ومعناه: لم يَطْمِثْهُنَّ بعد النَّشْأَةِ الثانيةِ أحدٌ.

وقيل: هُنَّ نساءُ الإنسِ ونساءُ الجِنِّ؛ أي: ليس لِإنْسِيَّةٍ بعد النَّشْأَةِ الثانية إِنْسٌ، والجِنِّيَّةِ جانٌّ.

وقيل: هو على التَّبْعيدِ؛ أي: لم يَمَسَّهُنَّ ماسٌّ.

وقال أبو عُبَيدٍ: هو مُطْلَقُ المَسِّ، يُقالُ: هذه ناقَةٌ صَعْبَةٌ لم يَطْمِثْها حَبَلٌ.

وقيل على هذا: لم يَمْسَسْهُنَّ إنسٌ بِرِيبَةٍ ولا جانٌّ بآفَةٍ.

* * *

---

(١) انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٢١)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٧).

(٢) انظر: «معجم ديوان الأدب» للفارابي (٢/ ١٠٢).

(٣) ذكره بهذا اللفظ الثعلبي في «تفسيره» (٢٥/ ٣٦٢) (ط: دار التفسير)، ورواه بنحوه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٢٤٨)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٥/ ١٦٩٦).

(٤) ذكره عنه السمعاني في «تفسيره» (٥/ ٣٣٦).

(٥٧ ـ ٥٨) ـ ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾: قيل: كأنَّهُنَّ في صَفائِهِنَّ كالياقوت الذي يُرى السِّلْكُ الذي فيه مِن ورائِه، فكذلك يُرى مُخُّ ساقِهِنَّ مِن وراء أجسامِهِنَّ، وكالمَرْجانِ في اللَّطافةِ.

وقيل: في اللَّونِ؛ لأنَّ المَرْجانَ صِغارُ اللُّؤْلُؤِ، وهُنَّ بِيْضٌ مُتَلأْلِئةٌ.

وقيل: هي في الحُمْرَةِ كالياقوتِ، وفي البَياضِ كاللُّؤْلُؤِ.

* * *

(٥٩ ـ ٦٠) ـ ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾: أي: ما جزاءُ مَن أَحْسَنَ إلَّا أنْ يُحْسَنَ إليه، استفهامٌ بمعنى النَّفْيِ، وإحسانُهم خوفُهم مقامَ ربِّهم، والإحسانُ إليهم إكرامُهم بنَعيمِ الجنة جزاءً على خوفِهم.

وقال مُقاتِلُ بنُ حيَّان: هل جزاءُ العمَلِ الصَّالِحِ إلا الثَّوابُ في الجنة[١].

وقال السُّدِّيُّ: هل جزاءُ الذين أطاعُوه في الدنيا إلا الكرامةُ في الآخرةِ[٢]؟!

وقال ابنُ عبَّاسٍ: هل جزاءُ مَن عَمِلَ في الدُّنيا حُسْناً، وقال: (لا إلهَ إلَّا اللهُ) إلا الجنَّةُ في الآخرة[٣]؟!

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) ذكره عنه الثعلبي في «تفسيره» ط: التفسير (٩/ ١٩٢)، والواحدي في «٢١/ ١٩٢».

(٣) رواه عنه عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه كما في «الدر المنثور» (٧/ ٧١٤). =

وقيل: الإحسانُ الأوَّلُ مِن الله تعالى أيضاً.

وقال أنسُ بنُ مالكٍ رضي الله عنه: قال النَّبيُّ ﷺ: معناه: «هل جزاءُ مَن أنعَمْنا عليه بالتَّوحيدِ إلا الجنَّةُ؟!»(١).

وفي روايةٍ: قال ﷺ: «معناه: إنَّ اللهَ تعالى يقولُ: هل جزاءُ مَن أَنْعَمْتُ عليه بمعرفتي إلَّا أنْ أُسْكِنَه في جَنَّتي وحَظِيرَةِ قُدْسي»(٢).

وقُرِئَتْ هذه الآيةُ بين يَدَي الجُنَيدِ، فقال: سبقَتِ العِنايَةُ في البداية، وظهَرَتِ الولايةُ في النِّهاية(٣).

وذُكرتْ أقاويلُ على القول الأوَّلِ:

قال الحسنُ: الإحسانُ أنْ يَعُمَّ ولا يَخُصَّ، فيكون كالمَطَرِ والرِّيحِ والشَّمسِ(٤).

وقال سفيان: الإحسانُ أنْ تُحْسِنَ إلى مَن أساءَ إليكَ، فأمَّا الإحسانُ إلى المُحْسِنِ فنَقْدُ السُّوقِ، خُذْ مِنِّي وهاتِ(٥).

= وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٩٢)، والماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٤٤٠)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ٢٢٧)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٤٥٥).

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٩٢)، وأبو نعيم في «تاريخ أصبهان» (١/ ٢٨٠)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ٢٢٧)، والديلمي في «الفردوس» (٤/ ٣٣٧) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٩٢) من حديث ابن عمر وابن عباس رضي الله عنهما. وفيه بشر بن عبيد وهو منكر الحديث. ورواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٤٢٥) عن ابن عمر رضي الله عنه باختلاف يسير في الألفاظ، وقال: تفرد به إبراهيم بن محمد الكوفي، وهو منكر.

(٣) ذكره عنه الثعلبي في «تفسيره» (٦/ ٣١٠).

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣/ ١٦٧).

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣/ ١٦٧)، والواحدي في «البسيط» (٥/ ٥٩٩).

وقال الفُضَيلُ: الإحسانُ أنْ تَنْصِفَ ولا تَنْتَصِفَ[1].

وقال السُّدِّيُّ: الإحسانُ تَرْكُ رُؤْيَةِ الإحسانِ.

وقال الجُنَيدُ: الإحسانُ نِسْيانُ الإحسانِ.

* * *

(٦١) - ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾: يعني: بابتداءِ الإحسانِ أم بانتهاء الإحسانِ؟

وقال الإمامُ القُشَيْرِيُّ: يجوزُ أنْ يكونَ الإحساناتِ مِن الله تعالى، وأنْ يكونا مِن العبد، وأنْ يكونَ الأوَّلُ مِن الله تعالى، والثاني مِن العبد، وأنَّ الأوَّلَ مِن العبد، والثانيَ مِن الله تعالى.

فأما رجوعُهما إلى الله تعالى يعني: هل جزاءُ مَن أَحْسَنَّا إليه في الابتداء إلَّا أنْ نُحْسِنَ إليه في الانتهاء؟! وهل جزاءُ مَن فاتَحْناهُ باللُّطْفِ إلَّا أنْ نُرَبِّيَ ذلك بالفَضْلِ والعَطْفِ؟

وأما رجوعُهما إلى العبد، فعلى معنى: هل جزاءُ مَن آمَنَ بنا إلا أنْ يَثْبُتَ في المستقبل على إيمانِه؟ وهل جزاءُ مَن عقَدَ معنا عَقْدَ الوفاءِ إلَّا أنْ لا نَنْقُضَه بالجَفاءِ؟ وهل جزاءُ مَن فَنِيَ عن نفْسِه إلا أنْ يَبْقَى بنا؟

وأمَّا رجوعُ الأوَّلِ إلى الله تعالى والثاني إلى العبد، فعلى معنى: هل جزاءُ مَن أَحْسَنَّا إليه بالنِّعْمَةِ إلَّا أنْ يُحْسِنَ لنا بالخِدْمَةِ؟ وهل جزاءُ مَن أَحْسَنَّا إليه بالوَلاءِ إلَّا أنْ يُحْسِنَ لنا بالوفاء؟

وأمَّا رجوعُ الأوَّلِ إلى العبد والثاني إلى الله تعالى، فعلى معنى: هل جزاءُ مَن

(١) ذكره القشيري في «رسالته» (٢/ ٣٨١) عن الحارث المحاسبي.

أحسَنَ إلينا مِن حيث الطَّاعةُ إلَّا أنْ نُحْسِنَ إليه مِن حيث القَبولُ والثَّوابُ؟ وهل جزاءُ مَن أحسَنَ إلينا مِن حيث الخِدْمَةُ إلَّا أنْ نُحْسِنَ إليه مِن حيث النِّعْمَةُ؟

وهل جزاءُ مَن بعُدَ عن نفْسِه إلا أنْ نُقَرِّبَه مِنَّا؟ وهل جزاءُ مَن رفَعَ لنا خَطْوَةً إلَّا أنْ نُكافِئَه بكلِّ خَطْوَةٍ ألفَ خَطْوَةٍ؟ وهل جزاءُ مَن حَفِظَ لنا طَرْفَه إلَّا أنْ نُكْرِمَه بلقائِنا[١]؟

* * *

(٦٢) ـ ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾.

قولُه تعالى: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾: أي: ومِن دون الجنَّتَينِ اللَّتَين وَعَدْناهما للخائفين، وعلى قول مَن جعَلَ تلك للسابقين وهاتين للتابعين، فـ(دُونَ) بمعنى: الأدنى، ومَن جعَلَ الجِنانَ الأربعَ كلَّ الجِنانِ لكلِّ أهلِ الجنَّةِ، فـ(دُونَ) بمعنى (غير)؛ أي: وسوى الجنَّتَينِ المذكورتين جنَّتانِ أُخريان.

وأهلُ التَّفْسيرِ يختلفون في تلك:

قال ابن عبَّاسٍ: تانِكَ للمُقَرَّبين، وهاتان لأصحاب اليمين[٢].

وقال أبو معاذٍ والكسائيُّ: ﴿وَمِن دُونِهِمَا﴾: أي: غيرَهما[٣]، لا أنَّهما دُونَ الأُولَيَينِ.

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» (٣/ ٥١٣ ـ ٥١٤).

(٢) ذكره عنه الحليمي في «المنهاج في شعب الإيمان» (١/ ٤٧٥)، والقرطبي في «تفسيره» (٢٠/ ١٥٩) من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس.

(٣) ذكره عن أبي معاذ الثعلبيُّ في «تفسيره» (٩/ ١٩٣). وذكر الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٩٣)، والواحدي في «البسيط» (٢١/ ١٩٣)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٤٥٦) عن الكسائي قوله: أمامهما وقبلهما.

وقال الضَّحَّاكُ: الجنَّتانِ الأُولَيانِ مِن ذهبٍ وفضَّةٍ، والأُخْرَيَانِ مِن ياقوتٍ وزُمُرُّدٍ، وهُما أفضلُ مِن الأُولَيينِ[١].

***

(٦٣ ـ ٦٦) ـ ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾ مُدْهَآمَّتَانِ ﴿٦٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٥﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ﴾.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

قولُه تعالى: ﴿مُدْهَآمَّتَانِ﴾: قال ابنُ عبَّاسٍ: خَضْراوان قد علاهُما سَوادٌ مِن الرِّيِّ[٢].

وقال الخليلُ: الدُّهْمَةُ: السَّوادُ[٣].

وقال القُتَبِيُّ: سوداوان[٤].

وقال مجاهدٌ: مُسْوادَّتان[٥]، والخُضْرَةُ إذا اشتَدَّتْ ضرَبَتْ إلى السَّوادِ.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

قولُه تعالى: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ﴾: أي: فوَّارَتانِ، كلَّما رُفِعَ شيءٌ فارَ آخَرُ، وليستا جارِيَتَينِ.

---

(١) ذكره عنه الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٩٣)، والواحدي في «البسيط» (٢١/ ١٩٣)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٤٥٧).

(٢) رواه عنه ابن المبارك في «الزهد» (١٥٣١)، وابن أبي شيبة (٣٤٠٤٩)، والطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٢٥٥)، والبيهقي في «البعث والنشور» (٢٨٠).

(٣) انظر: «العين» (٤/ ٣١).

(٤) انظر: «غريب القرآن» (ص: ٤٤٢).

(٥) رواه عنه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٢٥٧)، والبيهقي في «البعث والنشور» (٢٨٢).

وقال ابن عباس: فيَّاضَتانِ[1]، والنَّضْخُ أكثرُ مِن النَّضْحِ؛ لأنَّ النَّضْحَ كالرَّشِّ، والنَّضْخ فوقه.

و﴿نَضَّاخَتَانِ﴾: بالتشديد للمُبالَغَةِ والكَثْرَةِ.

وقال ابن عباس: تَنْضَخانِ بالخير والبَرَكة على أهل الجنة[2].

وقال ابن مسعود: تَنْضَخانِ على أولياء الله تعالى بالمِسْكِ والكافور[3].

وقال أنسٌ: بالمسكِ والعَنْبَرِ؛ كما يُنْضَخُ بالمطر على دُورِ أهل الدنيا[4].

وقال الخليلُ: النَّضْخُ: اللَّطْخُ بما يَبْقَى له أثَرٌ[5].

***

(٦٧ ـ ٦٨) ـ ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٧﴾ فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

---

(١) رواه عنه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٢٥٩)، والبيهقي في «البعث والنشور» (٢٨١)، وعلقه البخاري (٤/ ١١٦) بصيغة الجزم.

(٢) ذكره عنه الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٩٣)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٤٥٧)، وذكره الواحدي في «البسيط» (٢١/ ١٩٦) عن الكلبي، وقتادة، ومقاتل، والضحاك.

(٣) ذكره عنه الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٩٣)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٤٥٧)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ٢١٥)، وذكره الواحدي في «البسيط» (٢١/ ١٩٥) عن ابن عباس وابن مسعود وأنس.

(٤) رواه عنه ابن أبي الدنيا في «صفة الجنة» (٦٨)، وأبو نعيم في «صفة الجنة» (٢٠٣). وذكره الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (٩/ ٤٨٣)، والثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٩٣)، والماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٤٤١)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ٢٢٨)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٤٥٧).

(٥) انظر: «العين» (٣/ ١٠٦).

قولُه تعالى: ﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخۡلٌ وَرُمَّانٌ﴾: قال ابنُ عبَّاسٍ: الرُّمَّانُ ليس مِن الفاكهة(١)، وهو يُقَوِّي مذهبَ أبي حنيفةَ أنَّ الرُّطَبَ والعِنَبَ والرُّمانَ ليس بفاكهةٍ، والعطفُ بالواو يدُلُّ على التَّغايُرِ.

وقال أبو يوسُفَ ومحمَّدٌ: هذا يدُلُّ على التَّفْضِيلِ(٢)؛ كما في قوله: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾ [البقرة: ٩٨].

وقال سعيدُ بنُ جُبَيْرٍ: نخلُ الجنَّةِ جُذوعُها مِن فضة، وأغصانُها مِن ذهب، وأوراقُها مِن زُمُرُّدٍ، وسَعَفُها كِسْوَةٌ لأهل الجنة، ورُطَبُها كالدِّلاءِ أشدُّ بياضاً مِن اللَّبَن، وأَلْيَنُ مِن الزُّبْد، وأحلى مِن العسل، ليس له عَجَمٌ(٣).

***

(٦٩ ـ ٧٠) ـ ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٦٩ فِيهِنَّ خَيۡرَٰتٌ حِسَانٌ﴾.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

قولُه تعالى: ﴿فِيهِنَّ﴾: أي: في الجِنانِ الأربَعِ.

﴿خَيۡرَٰتٌ﴾: قال الزَّجَّاجُ: أصلُه: (خَيِّراتٌ) بالتشديد، فخُفِّفَ(٤)؛ كما في الهَيِّن واللَّيِّن.

﴿حِسَانٌ﴾: أي: خَيِّراتُ الأخلاقِ والسِّيَر، حِسانُ الهَيْئاتِ والصُّوَر.

وقال جريرُ بنُ عبدِ الله: ﴿خَيۡرَٰتٌ﴾: مُخْتاراتٌ(٥).

---

(١) ذكره عنه السمعاني في «تفسيره» (٥/ ٣٣٧).

(٢) انظر: «المبسوط» لمحمد بن الحسن (٣/ ٢٩٠)، و«التجريد» للقدوري (١٢/ ٦٤٥٩).

(٣) رواه عنه معمر بن راشد في «جامعه» (٢٠٨٧٠)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (٣١٠٤)، والطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٢٦١).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ١٠٤).

(٥) ذكره عنه الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٩٥)، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٤٤٢) من غير نسبة.

وقال عبدُ الرَّحمنِ بنُ زيدٍ: لا دَفِراتٌ ولا بَخِراتٌ(١).

وقال أسامةُ بنُ زيدٍ: لا مُتطَلِّعاتٌ، ولا مُتَشَوِّفاتٌ، ولا طَمَّاحاتٌ(٢).

وقال حسانُ بنُ عَطِيَّةَ: لا ذَرِباتٌ، لا يَغرْنَ، ولا يُؤْذِينَ(٣).

* * *

(٧١ ـ ٧٢) ـ ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ﴾.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

قولُه تعالى: ﴿حُورٌ﴾: جَمْعُ حَوْراء، وهي شِديدةُ بياضِ العَينِ، وشديدُ سَوادِها.

وقال قتادة: بِيضُ الألوانِ، صُفْرُ الحُلِيِّ، خُضْرُ الثِّياب، يَقُلْنَ: نحن الرَّاضِياتُ فلا نَسْخَطُ، ونحن الخالِداتُ فلا نَبِيدُ، ونحن النَّاعِماتُ فلا نَبْأَسُ، طوبى لِمَن كان لنا وكُنَّا له(٤).

---

(١) ورد هذا ضمن خبر رواه ابن المبارك في «الرقائق» (٢٣٨)، وابن أبي الدنيا في «صفة الجنة» (٣١٧) موقوفاً على ابن مسعود ـ وله حكم المرفوع ـ: «لكل مؤمن خيرة، ولكل خيرة خيمة، ولكل خيمة أربعة أبواب، تدخل عليه كل يوم من ربه تحفة وكرامة وهدية له، لم تكن قبل ذلك، لا بخرات، ولا دفرات، ولا مرحات، ولا طماحات، ولا يَغَرْن، ولا يُغَرْن، حور عين كأنهن بيض مكنون». وروى الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٢٦٢) عن ابن زيد قوله: الحور العين.

(٢) رواه عنه ابن أبي الدنيا في «صفة الجنة» (٣٣٠). وذكر نحوه الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٩٥) من غير نسبة.

(٣) رواه ابن المبارك في «الزهد» (١٥٣٩) عن الأوزاعي.

(٤) ذكر الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٩٥) عن قتادة عن عقبة بن عبد الغفار نحوه. وهو قطعة من حديث طويل رواه الطبراني في «الكبير» (٢٣/ ٣٦٨)، و«الأوسط» (٣١٤١)، عن أم سلمة رضي الله عنها مرفوعاً. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٤١٨): وفي إسنادهما سليمان بن أبي كريمة وهو ضعيف. =

وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: إنَّ الحُورَ إذا قُلْنَ هذا، قالت المؤمناتُ: نحن المُصلِّياتُ وما صَلَّيْتُنَّ، ونحن المُتَوضِّئاتُ وما تَوَضَّأْتُنَّ، ونحن المُتَصدِّقاتُ وما تَصَدَّقْتُنَّ، ونحن الصَّائماتُ وما صُمْتُنَّ، فتَغْلِبُهُنَّ واللهِ(١).

قولُه تعالى: ﴿مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ﴾: أي: مَحْبوساتٌ في الحجال، قاله ابن عباس وأبو العالية ومحمد بن كعب والضحاك والحسن.

وقيل: هو كَخِيامِ الدُّنيا، والخيمةُ: بيتٌ مِن الثِّيابِ على الأعمدة والأوتاد، وقد قُلْنا: إنَّها لأهل البوادي.

وقال عبدُ اللهِ بنُ مسعودٍ: دُرَّةٌ مُجَوَّفَةٌ على هَيْئَةِ البيت(٢).

وقال ابنُ عبَّاسٍ: بيوتُ اللُّؤْلُؤِ(٣).

= وروى ابن المبارك في «الزهد» (١٤٨٧)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٣٩٧١)، والإمام أحمد (١٣٤٣)، والترمذي (٢٥٦٤)، وابن أبي الدنيا في «صفة الجنة» (٢٥٢)، والبزار في «مسنده» (٧٠٣)، وأبو يعلى في «مسنده» (٢٦٨)، وتمام في «فوائده» (٣٧٩)، وأبو نعيم في «صفة الجنة» (٤١٨)، والبيهقي في «البعث والنشور» (٣٧٦)، والبغوي في «تفسيره» (١/ ٧٦)، وابن الجوزي في «الموضوعات» (٣/ ٢٥٦) نحوه عن علي رضي الله عنه مرفوعاً.

وقال ابن الجوزي: هذا حديث لا يصح، والمتهم به عبد الرحمن بن إسحاق، وهو أبو شيبة الواسطي، قال أحمد: ليس بشيء، منكر الحديث، وقال يحيى: متروك.

وروى نحوه أبو الشيخ في «العظمة» (٦٠٣)، وأبو نعيم في «صفة الجنة» (٣٧٨) من حديث ابن أبي أوفى رضي الله عنه مرفوعاً.

(١) ذكره عنها الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٩٥)، والقشيري في «لطائف الإشارات» (٣/ ٥١٥).

(٢) رواه عنه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٤٠٦١)، والطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٢٦٨).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٢٦٨)، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٧١٨) إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

وقال أيضاً: الخَيْمَةُ دُرَّةٌ مُجَوَّفَةٌ، فَرْسَخٌ في فَرْسَخٍ، لها أربعةُ آلافِ بابٍ، مِصْراعٌ مِن ذهبٍ، ومِصْرَاعٍ مِن فضةٍ(١).

وقال أبو موسى الأشعريُّ: دُرَّةٌ مُجَوَّفَةٌ طولُها في السماء سِتُّون مِيلاً، في كلِّ زاويةٍ منها أهلٌ للمؤمن لا يراهم الآخرون(٢).

وقيل: هذه الخِيامُ مِن دُرٍّ وياقوتٍ تُضْرَبُ على شُطوطِ أنهارِ هذه الجِنانِ.

وقال مُسْلِمٌ البَطِينُ: لكلِّ خَيْرَةٍ منهن خَيْمَةٌ، ولكلِّ خيمةٍ أربعُ مئةِ بابٍ(٣)، يدخُلُ عليها مِقْدارَ كلِّ يومٍ مِن أيام الدنيا تُحْفَةٌ وكرامةٌ مِن الله عزَّ وجلَّ لا تَنْقَطِعُ أبداً(٤).

وقال محمدُ بنُ كعبٍ القُرَظِيُّ: يُرى ظاهِرُها مِن باطنها، وباطِنُها مِن ظاهِرِها(٥).

* * *

(١) رواه عنه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣١٠٧)، والطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٢٧١). وقوله: «ومصراع من فضة» زيادة من (أ)، وليست في مصادر التخريج.

(٢) رواه البخاري (٣٢٤٣)، ومسلم (٢٨٣٨) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

(٣) في (أ): «أربعون باباً».

(٤) روى نحوه مختصراً ابن المبارك في «الزهد» (٢/ ٦٩)، وابن أبي الدنيا في «صفة الجنة» (٣١٧)، موقوفاً على عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٥) رواه معمر بن راشد في «جامعه» (٢٠٨٨٣)، والإمام أحمد في «مسنده» (٢٢٩٠٥)، وابن خزيمة في «صحيحه» (٢١٣٧)، والخرائطي في «مكارم الأخلاق» (١٥٥)، وابن حبان في «صحيحه» (٥٠٩)، والطبراني في «الكبير» (٣٤٦٦)، والبغوي في «تفسيره» (٦/ ٣٠٦) من حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه مرفوعاً بلفظ: «إن في الجنة غرفاً يرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها» الحديث.

ورواه الإمام أحمد في «مسنده» (٦٦١٥)، والطبراني في «الكبير» (١٠٣)، والحاكم في «المستدرك» (٢٧٠) من حديث عبد الله بن عمرو مرفوعاً، وروي من طرق مرفوعة أخرى.

(٧٣ ـ ٧٦) ـ ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٧٣) لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ (٧٤) فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٧٥) مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ (٧٤) فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾: فسَّرْناه.

﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ﴾: أي: مُسْتَنِدين في خِيامِهم على فُرُشٍ، وهو قولُ أبي عُبيدةَ[١]، و﴿رَفْرَفٍ﴾: جَمْعُ رَفْرَفةٍ؛ ولذلك قال: ﴿خُضْرٍ﴾.

وقال الخليل: الرَّفْرَفُ: كِسْرُ الخِباءِ، وهو أيضاً ضَرْبٌ مِن الثيابِ يُبْسَطُ[٢].

وقال نِفْطُوَيْهِ: هو كلُّ ما فضَلَ فثُنِيَ.

وقيل: هو الفِراشُ المُرْتَفِعُ، ورَفْرَفَ الطَّائِرُ: إذا حرَّكَ جناحَيْهِ ورَفَعَهما.

وقال ابنُ عبَّاسٍ وقتادةُ والضَّحَّاكُ: هي المَحابِسُ، والمَحْبِسُ: ما يُبْسَطُ على البِساطِ[٣].

وقال الحسن: هي المرافِقُ[٤].

وقيل: الوسائدُ.

وقولُه تعالى: ﴿خُضْرٍ﴾: نَعتُها.

---

(١) انظر: «مجاز القرآن» (٢/ ٢٤٦)، وذكره عنه ابن قتيبة في «غريب القرآن» (ص: ٣٨٣)، والسمعاني في «تفسيره» (٥/ ٣٣٨).

(٢) انظر: «العين» (٨/ ٢٥٥).

(٣) رواه عنهم الطبريُّ في «تفسيره» (٢٢/ ٢٧٤)، ورواه عن قتادة أيضاً عبد الرزاق في «تفسيره» (٣١١٢)، وعن الضحاك ابن المبارك في «الزهد» (٢/ ٧٦).

(٤) رواه عنه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٢٧٦).

وقولُه: ﴿وَعَبْقَرِيٍّ﴾: جَمْعُ عَبْقَرِيَّةٍ، وهي الطِّنْفِسَةُ، ولذلك قال: ﴿حِسَانٍ﴾.

وقال الفرَّاءُ: هي الطَّنافِسُ الثِّخانُ[1].

وقال أبو عُبَيدةَ وقُطْرُبٌ: يُقال لكلِّ بِساطٍ حسَنٍ: عَبْقَرِيٌّ[2]، و(عَبْقر): بَلَدٌ يُنْسَجُ به الأنماطُ، واسمُ ما يُنْسَجُ به: عَبْقَرِيٌّ، وكذا ما كان مِن جِنْسِه وإنْ نُسِجَ في غيره.

وذكَرَ ذلك لأنهم تعارفوه بساطاً جَيِّداً، فخُوطِبوا على ما تعارفوا.

وقال أبو سعيدٍ الضَّريرُ: كلُّ حسَنٍ يُتَعَجَّبُ منه فهو عَبْقَرِيٌّ، قال النبيُّ ﷺ: «فلم أرَ عَبْقَرِيًّا يَفْري فَرِيَّه»[3].

وقيل: العَبْقَرِيُّ: الوَشْيُ.

وقال ابنُ عبَّاسٍ وسعيدُ بنُ جُبَيرٍ والحسَنُ وقتادةُ وابنُ زيدٍ: هي الطَّنافِسُ[4]، وهو كقوله تعالى: ﴿وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾ [الغاشية: ١٦].

وقال أبو خيرة[5]: هي الطَّنافِسُ الجِيادُ العِتاقُ.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٢٠).

(٢) انظر: «مجاز القرآن» (٢/ ٢٤٦)، وذكره عنه الماتريديُّ في «تأويلات أهل السنة» (٩/ ٤٨٤)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ٢٣٠).

(٣) رواه البخاري (٣٦٨٢) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٢٧٦) عن ابن عباس، وسعيد بن جبير، وقتادة، وابن زيد.
ورواه عن الحسن ابنُ أبي شيبة في «مصنفه» (٣٤٠٧٣)، وعبد بن حميد وابن المنذر كما في «الدر المنثور» (٧/ ٧٢٢). وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٩٧) عن الحسن بلفظ: الدرانيك، والماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٤٤٣) عنه أنها الطنافس المخملية، والسمعاني في «تفسيره» (٥/ ٣٣٩) أنها الوسائد.

(٥) في (أ) و(ر): «حيرة».

وقال مُجاهِدٌ: العَبْقَرِيُّ: الدِّيباجُ(١).

وقيل: (عَبْقَر) بلَدٌ مِن بلاد الجنِّ، وقال لَبيدُ بنُ ربيعة:

ومَـن كان مِـن أخوالِهـم وبَنِيهـمُ   كُهُـولٌ وشُـبَّانٌ كجِنَّـةِ عَبْقَـرِ(٢)

وعَبْقَرِيٌّ: منسوبٌ إليه.

وقال ذو الرُّمَّة:

حتـى كأن ريـاض القُـفِّ ألبَسَـها   مِـن وَشْيِ عَبْقَـرَ تَجْلِيـلٌ وتَنْجِيـدُ(٣)

ومَن تكلَّفَ وقرأ: (عَبَاقِرِيّ) بالياء(٤) ـ لِيَصِحَّ وَصْفُها بالحِسان جَمْعاً ـ لم يَنْفَعْه

---

(١) رواه عنه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٢٧٧).

(٢) انظر: «ديوان لبيد بن ربيعة» (ص: ٤٦)، ومطلعه هكذا: «ومن فاد من إخوانهم».

(٣) انظر: «ديوان ذي الرمة» (ص: ١٣٦٦). قال شارحه: القف: ما غلظ من الأرض ولم يبلغ أن يكون جبلاً في ارتفاعه. والتنجيد: التزيين. ومنه: نجد فلان بيته؛ إذا زينه، فشبه الزهر بوشي عبقر.

(٤) ذكر القراءة الزجاج في «معاني القرآن» ولم ينسبها، وذكرها ابن جني في «المحتسب» (٢/ ٣٠٥) عن النبي ﷺ وعثمان ونصر بن علي والجحدري وأبي الجلد ومالك بن دينار وأبي طعمة وابن محيصن وزهير الفرقبي، وعزاها ابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ٢١٧) إلى عثمان بن عفان وعاصم الجحدري وابن محيصن بفتح الياء من غير تنوين، وإلى الضحاك وأبي العالية وأبي عمران مجرورة بالتنوين.

ورواها حفص بن عمر في «جزء قراءات النبي» (١١٤)، والبزار في «مسنده ـ كشف الأستار» (٣/ ٩٢) عن أبي بكرة رضي الله عنه يرفعه.

ورواها القاسم بن سلام في «فضائل القرآن» (ص: ٣١٣) عن أبي طعمة بتنوين الجر، وقال: وهذا الحرف يروى مرفوعاً، والمحدثون يحدثونه بالإجراء، ولا أدري أمحفوظ هو أم لا، إلا أنه في العربية على ترك الإجراء.

قال الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٢٧٧): وذكر عن النبي ﷺ خبر غير محفوظ، ولا صحيح السند: =

ذلك؛ لأنَّ المكانَ يَصيرُ جَمْعاً، فأمَّا المنسوبُ إليه فيبقى واحداً كـ«الجَوَالِقِيِّ»، إلَّا أنْ يُقْرَأَ: (عَبَاقِرٍ) بدون الياء، فيصيرُ جَمْعاً، ولا ضَرورةَ إليه، فإنا قلنا: إنَّ العَبْقَرِيَّ جَمْعٌ، وواحدتُها: عَبْقَرِيَّةٌ.

* * *

(٧٧ ـ ٧٨) ـ ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٧٧ تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾.

قولُه تعالى: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾: قال القُتَبِيُّ: إنَّ اللهَ تعالى عدَّدَ في هذه السُّورةِ نَعْماءَه على عِبادِه، ثم أتبَعَ ذِكْرَ كلِّ نِعْمَةٍ بهذا الكلام تقريراً وتذكيراً، وجعله فاصلاً بين كلِّ نِعْمَتَينِ لِيُفَهِّمَهم النِّعَمَ، وهو كقولِكَ لِمَن أحسَنْتَ إليه دَهْرَكَ وتابَعتْ لديه أياديكَ، وهو في جميع ذلك يَكْفُرُكَ ولا يَشْكُرُكَ: ألم تكن فقيراً فأغنيتُكَ؟! أفتُنْكِرُ هذا؟! ألم تكن ضالًّا فهَدَيْتُكَ؟! أفتُنْكِرُ هذا؟! ألم تكن عُرْياناً فكسوتُكَ؟! أفتُنْكِرُ هذا؟! ألم تكن خامِلاً فرَفَعْتُكَ؟! أفتُنْكِرُ هذا؟! وما أشبَه هذا، ومِثْلِ تكرارِ: ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾، ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾[١].

وقولُه تعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾: قال الحسن: أي: تقدَّسَ[٢].

وقال ابنُ عبَّاسٍ: تعالى[٣].

وقال الضَّحَّاكُ: تَعظَّمَ[٤].

= «على رفارف خضر وعباقري» بالألف والإجراء.

(١) انظر: «تأويل مشكل القرآن» (ص: ١٥١).

(٢) لم أقف عليه.

(٣) ذكره عنه الواحدي في «البسيط» (١٦/ ٤٠٠). وروى عنه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٢٧٨) قوله: ذو العظمة والكبرياء.

(٤) ذكره عنه الثعلبي في «تفسيره» (٤/ ٢٤٠).

وقال الحُسينُ بنُ الفَضْلِ: تباركَ اللهُ في ذاتِه، وبارك فيمَن شاءَ مِن خَلْقِه[1].

واللهُ المُوَفِّقُ للسَّدادِ، وعلى فَضْلِه الاعتمادُ.

والحمدُ للهِ ربِّ العالمين

* * *

(١) ذكره عنه الثعلبي في «تفسيره» (٤/ ٢٤٠).

سُورَةُ الوَاقِعَةِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

بسم الله الَّذي أوعدَ أصحابَ المشأمةِ بالنِّيران، الرَّحمنِ الَّذي وعدَ أصحابَ الميمنةِ بالجنان، الرَّحيمِ الَّذي بشَّر المقرَّبين برَوْحٍ ورَيحان.

وروى أبيُّ بنُ كعبٍ رضي الله عنه، عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «مَنْ قرأ سورةَ الواقعةِ لم يُكْتَبْ مِنَ الغافلِيْن»[1].

وروى ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه، عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قالَ: «مَنْ قرأَ سُورةَ الواقعةِ في كلِّ ليلةٍ لم تصبْهُ فاقةٌ أبدًا»، وكانَ عبدُ اللهِ بنُ مسعودٍ رضي الله عنه يأمرُ بناتِه حتَّى يقرأنها كلَّ ليلةٍ[2].

---

(١) رواه الواحدي في «الوسيط» (٤/ ٢٣١). قال ابن الجوزي في «الموضوعات» (٤/ ٣٤٤): مصنوع بلا شك. وقال ابن كثير في «تفسيره»: حديث منكر من سائر طرقه. وانظر: «الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة» للشوكاني (ص: ٢٩٦).

(٢) رواه أبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص: ٢٥٧)، والإمام أحمد في «فضائل الصحابة» (١٢٤٧)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٦٨٠)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢٢٧٠). قال الزيلعي في «تخريج أحاديث الكشاف» (٣/ ٤١٣ ـ ٤١٤): قد تبين ضعف هذا الحديث من وجوه:

أحدهما: الانقطاع، كما ذكره الدارقطني وابن أبي حاتم في «علله» نقلًا عن أبيه.

والثاني: نكارة متنه، كما قال أحمد.

والثالث: ضعف رواته، كما ذكره ابن الجوزي.

والرابع: الاضطراب، فمنهم من يقول: أبو طيبة بالطاء المهملة بعدها ياء آخر الحروف كما ذكره =

وهي مكيَّةٌ غيرَ قوله: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الواقعة: ١٣]، وقوله: ﴿أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ﴾ [الواقعة: ٨١]، فإنَّهما نزلَتا في سفرِه إلى المدينة.

وهي سِتٌّ وتسعون آية، وقيل: سبع، وقيل: تسع.

وكلماتُها ثلاثُ مئةٍ وتسعٌ وخمسونَ كلمةً، وحروفُها ألفٌ وسبعُ مئة واثنا عشر حرفًا.

وانتظام آخر تلك السُّورة بأوَّل هذه السُّورة: أنَّه ختمَ تلكَ السُّورةَ بما يعطي المؤمنين من الكرامة، وبدأ بهذه السُّورة بذِكْرِ ذلك اليوم، وهو يوم القيامة.

وانتظامُ السُّورتين: أنَّهما في ذِكْرِ أهلِ الجنَّة والنَّار، وهم المؤمنون والكفَّار.

***

(١ ـ ٣) ـ ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ۝١ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ۝٢ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ﴾: أي: واذكرْ إذا قامتِ القيامةُ،والواقعةُ مِن أسماء القيامة.

قوله: ﴿لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ﴾: أي: ليس لوقوعِها كذبٌ، مصدرٌ على وزن الفاعِلَة، كالجاثية والطَّاغية، وهو كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ۝٥ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٌ﴾ [الذاريات: ٥ ـ ٦].

وقيل: ﴿إِذَا﴾ زائدة، وتقديرُه: وقعتِ الواقعةُ، كقوله: ﴿أَزِفَتِ ٱلْأَزِفَةُ﴾ [النجم: ٥٧]، و﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ﴾ [القمر: ١]، و﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ١]، وهو بيانُ قربِها.

= الدارقطني، ومنهم من يقول بظاء معجمه بعدها باء موحدة، ومنهم من يقول: أبو فاطمة كما ذكرهما البيهقي، ومنهم من يقول: شجاع، ومنهم من يقول: عن أبي شجاع، وقد اجتمع على ضعفه الإمام أحمد وأبو حاتم وابنه والدارقطني والبيهقي وابن الجوزي تلويحًا وتصريحًا.

﴿خَافِضَةٌ﴾: أي: هي خافضةٌ قومًا كانوا أعزَّة في الدُّنيا، فجعلَهم في أسفلِ السَّافلِيْن.

﴿رَّافِعَةٌ﴾: أي: هي رافعةٌ قومًا كانوا أذلَّةً في الدُّنيا، فتجعلُهم في أعلى علِّيين.

وقيل: الواقعةُ: صيحةُ القيامةِ، وهي ﴿خَافِضَةٌ﴾؛ أي: مخفوضةٌ تُسْمِعُ الأدنى، ﴿رَّافِعَةٌ﴾؛ أي: مرفوعةٌ تُسْمِعُ الأقصى؛ أي: تعمُّ الجميع.

وقال الإمامُ القشيريُّ رحمَه الله:

﴿خَافِضَةٌ﴾ لأهلِ الشِّقاق ﴿رَّافِعَةٌ﴾ لأهل الوِفاق.

﴿خَافِضَةٌ﴾ لأهل الدَّعاوي ﴿رَّافِعَةٌ﴾ لأهل المعاني.

﴿خَافِضَةٌ﴾ للنُّفوسِ ﴿رَّافِعَةٌ﴾ للقلوب.

﴿خَافِضَةٌ﴾ لأهل الشَّهوة ﴿رَّافِعَةٌ﴾ لأهل الصَّفوة.

﴿خَافِضَةٌ﴾ لمن جحد ﴿رَّافِعَةٌ﴾ لمن وحَّد[1].

* * *

(٤ ـ ٦) ـ ﴿إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا﴾.

قوله تعالى: ﴿إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا﴾: قال ابنُ عبَّاس ومجاهدٌ وقتادةُ: أي: زُلْزِلَتْ زِلزالًا[2].

والرَّجُّ: التَّحريكُ باضْطِرابٍ؛ أي: يكون الخفضُ والرَّفع إذا رُجَّتِ[3] الأرضُ وزُلْزِلَتْ، فلم يبقَ عليها بِناءٌ، أو يكون وقوع الواقعة حينئذ.

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٣/ ٥١٧).

(٢) رواه عنهم الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٢٨٢).

(٣) في (أ) و(ف): «حركت».

قولـه تعالـى: ﴿وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا﴾: قـال ابـنُ عبَّـاسٍ ومجاهدٌ وأبـو صالحٍ والسُّـدِّيُّ: أي: فُتِّتَـتْ فتًّا، وصـارَتْ كالدَّقيقِ المَبْسُـوسِ ـ أي: المبلول ـ والسَّـوِيق كذلك[١].

﴿فَكَانَتْ هَبَآءً﴾: أي: غبارًا يدخل في الكوَّة مِن شُعاع الشَّمس، ﴿مُّنۢبَثًّا﴾؛ أي: متفرِّقًا، وذلك ممَّا لا يمكنُ أنْ يُحَسَّ أو يُمَسَّ باليد.

وقال الخليلُ: هو غبارٌ ساطعٌ في الهواءِ كأنَّه دخانٌ[٢].

وقال القتبيُّ: الهباءُ المنبثُّ: ما يسطعُ مِن سنابكِ الخيل[٣].

ثَمَّ مِن آثارِ القيامةِ في الجبالِ: النَّسْفُ أوَّلًا، ثمَّ الدَّكُّ، ثمَّ تصير كثيبًا مهيلًا، ثمَّ هباءً منبثًّا، ثمَّ كالعِهْنِ المنفوشِ[٤]، ثمَّ تمرُّ مَرَّ السَّحاب.

فإذا أثَّرَ في الجبالِ الصُّمِّ الشَّواهِقِ هذا، وليس لها خطابٌ وعتابٌ[٥]، فكيفَ حالُ الضُّعفاءِ الذين لهم الخطابُ، ولهم الثَّواب والعقاب؟

وقرأ إبراهيمُ النَّخعي رحمَه الله: (منبتًّا) بتاءٍ معجمة فوقها بنقطتين[٦]، ومعناه: منقطعًا.

* * *

(١) رواه عنهم الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٢٨٣ ـ ٢٨٤).

(٢) انظر: «العين» للخليل (٤/ ٨٩ و ٩٧).

(٣) انظر: «غريب القرآن» لابن قتيبة (ص: ٤٤٥)، والسنابك: جمع سنبك، وهو طرف مقدم الحافر. انظر: «الصحاح» (مادة: سبك).

(٤) في (ر): «كالفراش المبثوث».

(٥) في (ر): «ولا عقاب».

(٦) وهي قراءة شاذة، ذكرها الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٢٠١)، وابن عطية في «المحرر الوجيز» (٥/ ٢٣٩).

(٧ ـ ٩) ـ ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ﴿٧﴾ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً﴾: أي: أصنافًا ثلاثة.

﴿فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ﴾: أحدُ الأصنافِ الثَّلاثة هؤلاء ﴿مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ﴾؛ أي: أيُّ شيءٍ أصحابُ الميمنةِ، ويُذْكَرُ هذا للتَّعجيب مِن حالهم؛ أي: ما أعظمَ شأنِهم! وهو كقولك: زيد، وما زيدٌ!

﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ﴾: هم الصِّنفُ الثَّاني ﴿مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ﴾: تهويلٌ بحالِهم، وهؤلاء أهلُ النَّار، والأوَّلون أهلُ الجنَّة.

و﴿ٱلْمَيْمَنَةِ﴾: مِن اليُمْنِ، و﴿ٱلْمَشْـَٔمَةِ﴾: مِن الشُّؤمِ، أولئكَ في يُمْنِ الإيمانِ والطَّاعةِ، وهؤلاء في شُؤْمِ الكُفْرِ والمعصية.

وقيل: هو مِن اليمين التي هي اليد اليُمنى، و﴿ٱلْمَشْـَٔمَةِ﴾: هي اليُسرى، واليَمنُ عن يمينِ القِبْلَةِ، والشَّأمُ عن يسارِها، فأولئك أصحابُ اليمين، وهؤلاء أصحابُ الشِّمال، ولذلك سُمُّوا في هذه السُّورة.

واختلف في معناه؛ قيل: كان أولئك عن يمين آدمَ في أخذِ الميثاقِ، وهم نورٌ، وهؤلاءِ عن شمالِه وهم ظُلْمَة.

وقيل: أولئك يُعْطَون كُتُبَهم[١] في القيامةِ بأيمانِهم، وهؤلاءِ عن شمائِلِهم.

وقيل: أولئك يُسَارُ بهم عن يمين الطَّريق إلى الجنَّة، وهؤلاء يُسَارُ بهم عن

---

(١) في (أ): «كتابهم».

الشِّمال إلى النَّارِ عندَ مَفرَقِ الطَّريق، وامتيازِ(١) الفريقُ مِنَ الفريقِ(٢)؛ قال تعالى: ﴿فَرِيقٌ فِي ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي ٱلسَّعِيرِ﴾ [الشورى: ٧].

* * *

(١٠ ـ ١١) ـ ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾.

﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ﴾: هم الصِّنْفُ الثَّالثُ، وهم أشرافُ أصحابِ الميمنةِ، وعُظماءُ أهلِ الجنَّةِ.

ومعنى التَّكرير: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ﴾؛ أي: السَّابقون في الدُّنيا إلى الإيمان والطَّاعة هم السَّابقون في الآخرة إلى الجنَّة والكرامة.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾: أي: على كرامةِ اللهِ تعالى وتخصيصه، وهو قُرْبُ المنزلَةِ لا المنزلِ، وقُرْبُ المكانةِ لا المكان.

* * *

(١٢ ـ ١٤) ـ ﴿فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾.

﴿فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾: قال الخليل: أي: جماعة عظيمة(٣).

﴿وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾: أي: مِن السَّابقِيْن.

عددٌ كثيرٌ مِنَ الماضِيْنَ؛ لأنَّ الأنبياءَ المتقدِّمِيْن لكثرتهم كَثُرَ السَّابقون إلى الإيمان بهم وإجابة دعوتهم، فزادوا على عدد السَّابقين مِن هذه الأمَّة إلى التَّصديق لنبيِّنا محمَّدٍ ﷺ.

---

(١) في (ر): «وامتاز».

(٢) «من الفريق» ليس في (أ).

(٣) انظر: «العين» للخليل (٨/ ٢١٦).

ورُوِيَ أنَّه لَمَّا نزلَتْ هذه الآيةُ شَقَّ ذلكَ على أصحابِ رسولِ اللهِ ﷺ، فنزلَ: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ ۝١٣ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلۡأٓخِرِينَ﴾[1].

وقال سعيدُ بنُ المسيَّب: لَمَّا نزلَ: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلۡأٓخِرِينَ﴾ ما زالَ رسولُ الله ﷺ يراجِعُ ربَّهُ حتَّى نزل: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ ۝١٣ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلۡأٓخِرِينَ﴾، فجعل السَّابقين مِن هذه الأمَّة كالسَّابقين مِن الأممِ الماضيةِ في العدد.

وقيل: بل قوله: ﴿وَكُنتُمۡ أَزۡوَٰجٗا ثَلَٰثَةٗ﴾ في حقِّ هذه الأمَّة، و﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾: جماعةٌ مِن السَّابِقِيْن الأوَّلِيْن مِن هذه الأمَّة ﴿وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلۡأٓخِرِينَ﴾: يلحقون بهم بالسَّبق إلى الطَّاعات، فأمَّا ﴿ثلة من الأولين وثلة من الآخرين﴾ فهما في حقِّ أصحاب اليمين، وهم كثير من الأوَّلين والآخرين.

وتكلَّموا في السَّابقين:

قال أبو موسى الأشعري وغيره: ﴿ٱلسَّٰبِقُونَ﴾: المهاجرون الأوَّلون، ومَن صلَّى إلى القِبْلَتَيْن، ﴿وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ﴾: هم التَّابعون لهم ممَّن لم تتقدَّم هجرتُهم[2].

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٩٠٨٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٣٠)، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٣٥٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٤٠٨): رواه أحمد من حديث محمد بياع الملاء عن أبيه، ولم أعرفهما، وبقية رجاله ثقات. انتهى. قلت: أما محمد بياع الملاء فهو أبو عمرو، محمد بن عبد الرحمن بن خالد بن ميسرة، روى له النسائي، وذكره ابن حبان في «الثقات». انظر: «تهذيب الكمال» للمزي (٢٥/ ٦٠٩).
وأبوه عبد الرحمن بن خالد بن ميسرة، قال عنه الذهبي: تابعي ما روى عنه إلا ابنه محمد، مجهول. انظر: «المغني في الضعفاء» (٣٥٥٧)، و«ديوان الضعفاء» (٢٤٤٠) كلاهما للذهبي.

(٢) قول أبي موسى في السابقين رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٦٣٩) في تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ﴾ [التوبة: ١٠٠]. ورواه (٢٢/ ٢٩٠) عن ابن سيرين في تفسير هذه الآية.

وقال ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ﴾؛ أي: السَّابقون إلى الهجرة هم السَّابقون في الآخرة[1].

وقال الضَّحَّاكُ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ﴾؛ أي: إلى الغزو والجهاد[2].

وقال عليٌّ رضي الله عنه: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ﴾ إلى الصَّلوات الخمس.

وقال عكرمةُ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ﴾ إلى الإسلام.

وقال محمَّد بن كعب: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ﴾؛ أي: إلى كل خير[3].

وقال محمَّد بن كعب أيضًا في قوله: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾: هم الذين كانوا على عهد رسولِ اللهِ ﷺ، ﴿وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ﴾: هم الذين قال فيهم: «أتدرون من إخواني» الحديث.

وقال الإمامُ القشيريُّ رحمَه الله: قال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾، ولم يقلْ: المتقرِّبون؛ ليُعلمَ أنَّهم وجدوا ذلك بتقريبِ اللهِ تعالى إيَّاهم، لا بتقريبِهم بأنفسِهم[4].

* * *

(١٥ ـ ١٦) ـ ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ۝١٥ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَٰبِلِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ﴾: ﴿سُرُرٍ﴾: جمعُ سريرٍ، ﴿مَّوْضُونَةٍ﴾؛ أي: منسوجة متداخلة بعضُها في بعضٍ.

وقال ابنُ عبَّاسٍ ومجاهدٌ: مَرمولةٍ بالذَّهب.

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٢٠٢)، وانظر: «تنوير المقباس» للفيروزابادي (ص: ٤٥٣).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٢٠٢)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٩).

(٣) ذكر الأخبار الثلاثة الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٢٠٢)، والواحدي في «البسيط» (٢١/ ٢١٨ـ٢١٩).

(٤) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٣/ ٥١٨).

وقال عكرمةُ: مشبَّكةٍ بالدُّرِّ والياقوت.

وقال ابنُ عبَّاس في روايةٍ: مصفوفةٍ.

وقال قتادة: المرمولةُ أوثر الأسِرَّة(١).

وقال الخليل: الموضونةُ بالسُّيور والدُّرِّ والجوهر ألينُ وأوطأُ مِن المعمول مِن الخشبِ ونحوه(٢).

﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا﴾: نصب على الحال ﴿مُتَقَـٰبِلِينَ﴾ كذلك.

قال ابن عبَّاس رضي الله عنهما ومجاهدٌ رحمَه الله: أي: مُتواجِهيْنَ، لا ينظرُ بعضُهم إلى قفا بعض(٣).

***

(١٧) ـ ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ﴾.

﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ﴾؛ أي: في الخدمة ﴿وِلْدَٰنٌ﴾ روى يزيدُ الرَّقاشيُّ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «الأطفالُ خَدمُ أهلِ الجنَّةِ»(٤).

---

(١) في (أ) و(ر): «أوثق الأسرة». وروى هذه الأقوال الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٢٩٢ ـ ٢٩٤).

(٢) انظر: «العين» للخليل (٧/ ٦١).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٢٩٤) عن مجاهد. ورواه ابن المنذر وابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنهما، كما في «الدر المنثور» للسيوطي (٥/ ٨٥).

(٤) رواه أبو داود الطيالسي في «مسنده» (٢٢٢٥)، وابن أبي الدنيا في «النفقة على العيال» (٢٠٦)، وأبو يعلى في «مسنده» (٤٠٩٠) من طريق يزيد الرقاشي عن أنس رضي الله عنه مرفوعًا.

ورواه البزار في «مسنده» (٧٤٦٦)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٥٣٥٥)، من طريق علي بن زيد عن أنس رضي الله عنه مرفوعًا بلفظ: «أطفال المشركين خدم أهل الجنة».

ورواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٢٩٩٦)، من طريق مقاتل بن سليمان عن قتادة عن أنس =

وعن سلمان قال: أطفالُ المشركين خدمُ أهلِ الجنَّةِ[١].

وقال الحسنُ رحمه الله: لم يكن لهم حسنات يُجْزَونَ بها، ولا سيِّئات يُعاقَبونَ عليها، فوُضِعوا هذه المواضع[٢].

وتوقَّف أبو حنيفة رحمه الله في الأطفال، قال: لأنَّ الثَّوابَ بفضْلِ اللهِ وبوعدِه، لا بالفعلِ، ولا نصَّ فيهم[٣].

وقيل: هم خدمٌ خُلِقوا في الجنَّةِ على صورة الغِلمان، وهم للخِدمةِ لا غير، والحورُ العين للخدمةِ والمتعةِ.

﴿مُخَلَّدُونَ﴾: قال الفرَّاء؛ أي: على سِنٍّ واحدٍ لا يتغيَّرون[٤]. وهو قول الحسن أيضًا[٥].

وقيل: خالدون في الجنَّة مع أهلِها. وهو قول مجاهد رحمه الله[٦].

= رضي الله عنه مرفوعًا بلفظ: «أولاد المشركين خدم أهل الجنة»، وقال: لم يروه عن قتادة إلا مقاتل. قلت: يزيد الرقاشي وعلي بن زيد ضعيفان، ومقاتل بن سليمان قال عنه ابن حجر في «التقريب»: كذبوه وهجروه. ورواه البزار في «مسنده» (٤٥١٦)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٢٠٤٥)، من حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه مرفوعًا.

والحديثان ضعفهما ابن حجر في «فتح الباري» (٣/ ٢٤٦).

(١) رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (٢٠٠٧٩)، والبيهقي في «القضاء والقدر» (٦٣٠).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٢٠٤)، والبغوي في «تفسيره» (٨/ ١٠)، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٩) إلى عبد بن حميد.

(٣) انظر: «الكسب» لمحمد بن الحسن (ص: ٥٤)، و«تبيين الحقائق» للزيلعي (٣/ ٢٩٢)، و«حاشية ابن عابدين» (٢/ ١٩١).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٢٢).

(٥) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٤٥٠).

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٢٩٥).

وقال نفطويه: قال قومٌ: هم الـمُقَرَّطونَ مِنَ القِرْطِ[1].

وقيل: مُسوَّرون، مِن السِّوار.

وقيل: مُقلَّدون، مِن القِلادَة.

وقيل: مُحلَّون، مِن الحِلْية، وأنشدني مَن أثِقُ به:

ومخلَّـــداتٌ باللُّجَيْـــنِ كأنَّمـــا أعجازُهُـــنَّ أقَـــاوِزُ الكُثْبـــانِ[2]

قال: ويُقالُ للحِلْيةِ: الخَلَدَةُ.

وقيل: المُخلَّدُ: المُحلَّى باللُّؤلؤِ؛ لأنَّه يبقى على حسنِه أكثر ممَّا يبقى غيرُه.

***

(١٨) ـ ﴿بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ﴾.

وقوله تعالى: ﴿بِأَكْوَابٍ﴾: جمعُ كوبٍ، وهو الإبريقُ الواسعُ الرَّأس لا خُرطومَ له.

﴿وَأَبَارِيقَ﴾: والإبريقُ: هو الَّذي له عُروةٌ وخُرطوم. قاله قتادةُ ومقاتلٌ[3]، وكذا قال أهل اللُّغة.

وقال في موضع آخر: ﴿قَوَارِيرَا۟ مِن فِضَّةٍ﴾؛ أي: لها بياضُ الفضَّة وصفاءُ القوارير.

---

(١) ذكره الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٢٩٥) دون نسبة، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٢٠٤) عن سعيد بن جبير.

(٢) البيت لبعض شعراء بني حمير كما في «تفسير الطبري» (٢٣/ ٥٦٥) واستشهد به الطبري على أن معنى ﴿مُخَلَّدُونَ﴾: مسورون بلغة حمير. وكذا ذكره شاهداً على أن المعنى مسورون ابن الأنباري في «الزاهر» (٢/ ٨٣)، والماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ١٧١)، واستشهد به ابن قتيبة في «غريب القرآن» (ص: ٤٤٧)، والثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٢٠٤) على أن المعنى مقرطون.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٢٩٦ ـ ٢٩٧) عن قتادة، وانظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٢١٧).

قوله تعالى: ﴿وَكَأْسٍ﴾: وهو القَدَحُ إذا كان فيه شرابٌ ﴿مِّن مَّعِينٍ﴾؛ أي: مِن خمرٍ جاريةٍ، كالماءِ المعين، وهو الظَّاهر الجاري.

وقيل: هو فَعِيلٌ بمعنى: الإمعان، وهو الإسراعُ، وأُرِيدَ به: سرعة الجري.

وقيل: هو مفعولٌ مِن العين؛ أي: تراه العيون ظاهرة.

أخبرَ أنَّ خمرَ الآخرة ليسَتْ كخمرِ الدُّنيا تُستَخرجُ بتكلُّف وعلاجٍ وتكون في أوعية، بل هي جارية كثيرة، كما قال: ﴿وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ﴾ [محمد: ١٥].

* * *

(١٩) ـ ﴿لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا﴾؛ أي: لا ينالُهم بشربِها صُداعٌ كما ينالُهم ذلك مِن خمرِ الدُّنيا.

﴿وَلَا يُنزِفُونَ﴾: قرأ حمزة والكسائيُّ وعاصمٌ[١] بكسر الزَّاي، ومعناه: لا تفنَى خمورُهم، يقال: أَنْزَفَ القومُ: إذا فنيَ زادُهم.

وقرأ الباقون بفتح الزَّاي[٢]، ومعناه: لا تذهبُ عقولُهم، يُقال: نَزَفَ الرَّجل: إذا ذهبَ عقلُه، وإذا ذهبَ دمُه.

فنفى بهذا جميعَ عيوبِ خمرِ الدُّنيا: مِن عُدْمِ العَقلِ بها بالسُّكرِ، وذهابِ المال، ونفادِ الشُّرابِ.

---

(١) في (أ) و(ر): «وعاصم في رواية أبي بكر»، والمثبت هو الموافق لما في «السبعة» و«التيسير» و«النشر».

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٥٤٧)، و«التيسير» (ص: ٢٠٧)، و«النشر» (٢/ ٣٥٧).

وقال الأخفش: ﴿وَلَا يُنزِفُونَ﴾؛ أي: لا يسكرون[١].

وقيل في قوله: ﴿لَّا يُصَدَّعُونَ﴾: أي: لا يفرَّقون بما ينفد مِن شرابهم، وقد تَصَدَّعَ القومُ؛ أي: تفرَّقوا، وصدَّعَهم كذا؛ أي: فرَّقَهم.

* * *

(٢٠ ـ ٢٢) ـ ﴿وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ۝٢٠ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ۝٢١ وَحُورٌ عِينٌ﴾.

ثمَّ ذكرَ اتِّساعَهم في الفاكهةِ فقال: ﴿وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ﴾ يحتمل: وفاكهةٍ كثيرة يتخيَّرون منها ما شاؤوا لكثرَتِها.

ويحتمل: وفاكهة مِن الفواكه التي يتخيَّرونها؛ أي: فاكهةٍ متخيَّرةٍ تُتخيَّر كلُّها[٢].

ثمَّ ذَكرَ اللَّحمَ الذي هو سيِّد الإدام، وكانت العربُ يتوسَّعون بلحمان[٣] الإبل، ويعزُّ عندهم لحمُ الطُّيور، ويسمعون بها عندَ الملوكِ، فوُعِدوا بها، فقيل:

﴿وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾: أي: ممَّا هو شهيٌّ[٤] عندَهم.

وقيل: ممَّا يشتهونَه مِن جملةِ الأجناسِ التي[٥] يعطيهمُ اللهُ في الجنَّة، وإنْ كانَ كلُّها مشتهًى لفضلِه وحسنِه.

وقيل: ﴿مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾؛ أي: يأكلون عن شهوةٍ، لا عن جوعٍ ولا عن سآمةٍ.

---

(١) لم أقف عليه عن الأخفش، وذكره أبو عبيدة في «مجاز القرآن» (٢/ ٢٤٩)، والزجاج في «معاني القرآن» (٤/ ٣٠٣) وغيرهما.

(٢) في (ر) و(ف): «يتخير أكلها»، والمثبت من (أ)، والمعنى عليه والله أعلم: فاكهة متخيرة لأجلهم مرضية كلها عندهم.

(٣) في (ر): «بلحم».

(٤) في (ر): «أشهى».

(٥) في (ر): «من جملة أجناسه أي» وفي (ف): «من جملة أجناسه التي».

ثمَّ وصفَ الأزواجَ فقالَ: ﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾: قرأ حمزةُ والكسائيُّ: ﴿وحورٍ عينٍ﴾ خفضًا[1]؛ ليتَّفق إعراب الكلمات المذكورة بعضِها على إثرِ بعضٍ، ويكون خفضُه على الجوارِ كما في قولِهم: جحرُ ضبٍّ خربٍ، و: ماءُ شنٍّ باردٍ، أو على إضمارِ فعلٍ آخر يلائمُه، وهو: ويُكْرَمُونَ بحورٍ عينٍ.

وكذا قالوا في قولِه: ﴿وَفَٰكِهَةٍ﴾ ﴿وَلَحْمِ طَيْرٍ﴾؛ لأنَّه قَلَّ ما يُطافُ بها، وإنْ تُصُوِّرَ فيهما، ولا يكون ذلك في حورٍ عينٍ، ولا وجهَ إلَّا ما قُلنا.

والحورُ: جمع حَوراء، وهي الشَّديدةُ بياضِ العين، والشَّديدةُ سوادِها.

والعِيْنُ: جمع عَيناء، وهي الواسعةُ العينِ، الحسنةُ العين.

***

(٢٣ ـ ٢٦) ـ ﴿كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا﴾.

﴿كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ﴾: أي: المصون.

قالت أمُّ سلمة رضي الله عنها: يا رسولَ اللهِ، أخبرْني عن قولِ اللهِ تعالى: ﴿كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ﴾ فقال: «كصفاءِ الدُّرِّ في الأصدافِ قبلَ أنْ تمسَّهُ الأيدي»[2].

قالوا: وذلك قبلَ أن يقع عليه الغُبارُ أحسنُ ما يكون في بياضِ لونِه وصفائِه ونورِه.

﴿جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾: أي: في الدُّنيا مِن الصَّالحات، فما جزاءُ الإحسانِ إلَّا الإحسان.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ٦٢٢)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٧).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٣٠٤)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٣/ ٣٦٨). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١١٩): فيه سليمان بن أبي كريمة ضعفه أبو حاتم وابن عدي.

﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا﴾: أي: باطلًا مِن القول، لا فائدةَ في سماعِه، وهو ما ليسَ بكذبٍ ولا فحشٍ، لكنَّه كلامٌ لا معنى له.

﴿وَلَا تَأْثِيمًا﴾: أي: ما يؤثِّمهم من الكلام، وهو الكذبُ والفحشُ.

﴿إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا﴾: وهو استثناءٌ منقطعٌ بمعنى: لكن؛ أي: لكن يسمعونَ قولَ بعضِهم لبعضٍ سلامًا سلامًا؛ أي: سلمْتَ سلامًا؛ أي: سلامةً، أو لقيْتَ تحيَّةً وسلامًا.

وقيل: هو سلامُ الملائكةِ.

وقيل: ﴿سَلَامًا﴾: نعتٌ لقولِه: ﴿قِيلًا﴾؛ أي: قولًا صوابًا سالمًا عن اللَّغو والتَّأثيم.

قال الأخفش: ﴿وَلَا تَأْثِيمًا﴾؛ أي: ولا يفعلون تأثيمًا؛ أي: ما يؤثِّمُهم، فالأوَّل للقولِ، والثَّاني للفعل، ويُضْمَرُ فيه، وهو كقولِ مَن يقول: أكلْتُ خبزًا ولبنًا؛ أي: أكلْتُ خبزًا وشربْتُ لبنًا(١).

* * *

(٢٧ ـ ٢٨) ـ ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ (٢٧) فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ﴾.

﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾: ثم ذكر التابعين للسابقين فقال: ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾.

﴿مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾: أي: ماذا أُعِدَّ لهم مِنَ الخيرِ؟ وهي لفظةُ تعظيمٍ وتفخيمٍ، كقولكَ: زيدٌ، وما زيدٌ؟

﴿فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ﴾: أي: نَبْق، وكانوا يستلذُّونَه ويروقُهم شجرُه، وقد ذكرَ اللهُ تعالى سدرةَ المنتهى ورفعَ شأنها.

---

(١) ذكر نحوه أبو عبيدة في «مجاز القرآن» (٢/ ٢٤٩)، وحكاه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٣٠٥) عن بعض أهل العلم بكلام العرب من أهل البصرة.

وقوله تعالى: ﴿مَخْضُودٍ﴾؛ أي: مقطوع الشَّوك.

وقال الخليل: الخَضْدُ: نَزْعُ الشَّوكِ مِن الشَّجرِ[١].

وقال ابن عبَّاس رضي الله عنهما وعكرمة وقتادة ومجاهد والضَّحَّاك: لا شوكَ فيه[٢]، ومعناه: أنَّه خُلِقَ بلا شوك، لا أنَّه نُزِعَ عنه بعدَ أنْ كانَ فيه.

وقيل: الخَضْدُ: عطفُ العُودِ اللَّين، ومعناه: أنَّه قد انثنى مِن كثرةِ حملِه.

وقيل: الخَضْدُ: الكسرُ بلا إبانةٍ، وقد خضدْتُه فانخَضَد.

فقيل على هذا[٣]: هو مُوَقَّرٌ يكادُ ينكسِرُ مِن ثِقَلِ حملِهِ.

ورُويَ: أنَّه لمَّا نزلَ: ﴿فِي سِدْرٍ﴾ قال أهلُ الطَّائفِ: هو مِثْلُ سِدْرِنا، فنزل: ﴿مَخْضُودٍ﴾[٤].

* * *

(٢٩) - ﴿وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ﴾.

﴿وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ﴾: قال عليٌّ وابنُ عبَّاس وأبو سعيدٍ وقَسامة بن زهير والحسن والضَّحَّاك وقتادة وسعيد بن جبير وعطاء: هو الموز[٥].

وقال زيد بن أسلم: اللهُ أعلمُ به، إلَّا أنَّ أهلَ اليمنِ يُسمُّون الموزَ: الطَّلح[٦].

---

(١) انظر: «العين» للخليل (٤/ ١٧٥).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٣٠٦-٣٠٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما وعكرمة وقتادة وأبي الأحوص والسفر بن نسير وقسامة بن زهير.

(٣) في (ر) و(ف): «وقيل فعلى هذا».

(٤) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٣٩٣).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٣١٠ - ٣١٢) عن علي وابن عباس رضي الله عنهم ومجاهد وعطاء وقسامة وقتادة.

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٣١٢).

وقال أهلُ اللُّغةِ: الطَّلحُ شجرٌ عظيمٌ كثيرُ الشَّوك. هذا لفظ أبي عبيدة[١].

وقال الزَّجَّاج: هو شجرُ أمِّ غَيْلان[٢].

و﴿مَّنضُودٍ﴾: نُضِدَ بعضُه على بعضٍ.

قيل: قِنْو الموز منضودٌ بعضُه على بعضٍ.

وقيل: أرادَ إنَّ ثمرَه كثيرٌ مِن أوَّلِه إلى آخرِه.

وقيل: المنضودُ: المتراكِمُ، فإنْ أُرِيْدَ به الموزُ فهو ثمرٌ، وفضلُه على موزِ الدُّنيا في الجنَّة كفضلِ سائرِ الثِّمارِ، وإنْ أُرِيْدَ به الطَّلح الذي لا يُؤْكَلُ منه شيءٌ في الدُّنيا فقد يكون مِن أشجار الجنَّة على ما يخلقُه اللهُ تعالى عليه مِن الحسن والخضرة والطَّراوة والنُّضرة.

وعن ابنِ عبَّاس رضي الله عنهما أنَّه قالَ: هو زينةُ الجنَّة، وقد يكون في بساتين الدُّنيا ما يكون للنُّزهة والزِّينة دون الأكلِ[٣].

وعن مجاهد قال: كان لأهلِ الطَّائف وادٍ مُعْجِبٌ، فيه الطَّلح والسِّدر، فقالوا: ليت لنا في الجنة مثلَ هذا الوادي، فنزلَتْ هذه الآية[٤]. وقد قال الله تعالى: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ﴾ [الزخرف: ٧١]، فذكَرَ لكلِّ قومٍ ما يعجبُهم.

وعن عتبة بن عبدٍ[٥] السُّلَمي قال: كنْتُ جالسًا مع رسول الله ﷺ، فجاء أعرابيٌّ

---

(١) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (٢/ ٢٥٠).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ١١٢).

(٣) لم أجده عن ابن عباس، وذكر نحوه الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٤٥٤).

(٤) رواه البيهقي في «البعث والنشور» (٢٧٧) عن عطاء ومجاهد، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ١٢) إلى سعيد بن منصور وابن المنذر والبيهقي.

(٥) في (أ) و(ر): «عبد الله»، وفي (ف): «عبد الرحمن»، والمثبت من مصادر التخريج.

فقال: يا رسول الله، أسمعُكَ تذكرُ في الجنَّة شجرةً لا أعلم شجرةً أكثرَ شوكًا منها! يعني الطَّلح، فقال رسول الله ﷺ: «فإنَّ اللهَ تعالى يفعلُ مكانَ كلِّ شوكةٍ منها ثمرةً فيها سبعون لونًا من الطَّعام، لا يشبهُ لونُ الواحدِ منها لونَ الآخر»(١).

وعن عليٍّ رضي الله عنه أنَّه كان يقول: هو في معنى: وطلع منضود، فقد قال: ﴿لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ﴾ [ق: ١٠]، وهو ثمر النَّخل(٢).

* * *

(٣٠ ـ ٣١) ـ ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ (٣٠) وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾: أي: دائمٍ لا تنسخُه الشَّمس، وفي الخبر: «إنَّ في الجنَّةِ شجرةً، يسيرُ الرَّاكِبُ في ظلِّها مئةَ عامٍ لا يقطعُها، اقرؤوا إنْ شئِتُم: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾»(٣).

وقال نضر بن شُميل: أي: لا ينقصُ كما ينقص ظلُّ الدُّنيا.

وقال الرَّبيع بن أنس: أي: ظلّ العرش(٤).

وقوله تعالى: ﴿وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ﴾: أي: مَصْبوب.

وقال سفيان: أي: يجري في غيرِ أُخدودٍ(٥).

---

(١) رواه ابن أبي داود في «البعث» (٧٠)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٧/ ١٣٠)، وفي «مسند الشاميين» (٤٩٢)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ١٠٣)، وأبو نعيم الأصفهاني في «صفة الجنة» (٣٤٧). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٤١٤): رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٣٠٩)، وابن الأنباري في «المصاحف» كما في «تفسير القرطبي» (٢٠/ ١٩٥)، والثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٢٠٧).

(٣) رواه البخاري (٣٢٥٢)، ومسلم (٢٨٢٦)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٦/ ٢٠٧).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٣١٨).

وقيل: أي: مَصبوب على الخمرِ لِيُشرَبَ بالـمِزاج.

وقيل: ينصَبُّ مِن ساقِ العرش.

وقيل: ينصَبُّ مِن مكانٍ بعيدٍ؛ أي[١]: عالٍ فيُسْمَعُ خريرُه، ويُرَى صفاؤُه، وهو أصفى ما يكون، وأعجب في مَرأى العيون.

وقال عبد العزيز بن يحيى الكِنَانيُّ: إنَّ الماءَ يخرجُ مِن العُيونِ، فيتسنَّم، ثمَّ ينصَبُّ عليهم انصبابًا.

* * *

(٣٢ ـ ٣٤) ـ ﴿وَفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ ۝٣٢ لَّا مَقۡطُوعَةٖ وَلَا مَمۡنُوعَةٖ ۝٣٣ وَفُرُشٖ مَّرۡفُوعَةٍ﴾.

﴿وَفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ ۝٣٢ لَّا مَقۡطُوعَةٖ﴾: كما تنقطعُ فواكهُ الدُّنيا في الشِّتاء، وفي أوقاتٍ مخصوصةٍ.

﴿وَلَا مَمۡنُوعَةٖ﴾: بِبُعْدِ مُتناوَلٍ أو شوكٍ يؤذي كما يكون في الدُّنيا.

وقيل: ﴿لَّا مَقۡطُوعَةٖ﴾ لا تنقطع بأخذِها، بل ينبتُ مكانَها مثلُها.

وقال قتادة: ﴿وَلَا مَمۡنُوعَةٖ﴾؛ أي: لا يمنعُهم شوكٌ ولا بُعدٌ[٢].

وقال القتبيُّ: ﴿وَلَا مَمۡنُوعَةٖ﴾؛ أي: لا يحظرُ عليها بِحظارٍ، كما يحظرُ على بساتينِ الدُّنيا[٣].

وقيل: فيه دليلٌ على أنَّه لا نومَ في الجنَّةِ؛ لأنَّهم لو ناموا صاروا ممنوعين عن الفواكهِ حالَ نومِهم.

---

(١) «بعيد أي» من (ف).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٣١٨).

(٣) انظر: «غريب القرآن» لابن قتيبة (ص: ٤٤٩).

﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾: جمع فِراشٍ؛ أي: بعضُها فوقَ بعضٍ، عاليةٍ طويلة؛ كما يُقال: هذا بناء مرفوع.

قال أبو أمامة الباهليُّ: لو طُرِحَ فراشٌ مِن أعلاها إلى أسفلِها لم يستقرَّ إلَّا بعدَ سبعين خريفًا[(١)].

وقيل: أرادَ بالفِراشِ: النِّساء، فإنَّ المرأةَ فِراشُ الرَّجلِ لأنَّه يستفرشُها.

وقيل: كلُّ واحدٍ مِن الزَّوجَيْنِ فراشٌ للآخرِ كما هو لباسٌ له؛ قال تعالى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ [البقرة: ١٨٧].

﴿مَّرْفُوعَةٍ﴾؛ أي: مرتفِعاتِ الأقدار، ودليلُ أنَّ المرادَ ذلك أنَّه قال بعدَه: ﴿إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً﴾.

وقيل: الفُرُشُ على ظاهرِها، و﴿إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ﴾ يرجعُ إلى قوله: ﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾. قاله أبو عبيدة[(٢)].

وقيل: ذِكْرُ الفُرُشِ ذِكْرٌ لهنَّ؛ لأنَّهنَّ يتكِئْنَ مع الرِّجالِ عليها.

وقال الأخفشُ: أضمرَهُنَّ، ولم يذكرْهُنَّ قبلَ ذلِكَ[(٣)].

* * *

(١) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٤٠٨٢)، وهناد في «الزهد» (٧٩)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٢٠٩).

ورواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٧٩٤٧) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه مرفوعًا. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٢٠): رواه الطبراني وفيه جعفر بن الزبير الحنفي وهو ضعيف.

(٢) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (٢/ ٢٥١).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للأخفش (٢/ ٥٣٢).

(٣٥ ـ ٣٦) ـ ﴿إِنَّآ أَنشَأۡنَٰهُنَّ إِنشَآءٗ ٣٥ فَجَعَلۡنَٰهُنَّ أَبۡكَارًا﴾.

﴿إِنَّآ أَنشَأۡنَٰهُنَّ إِنشَآءٗ﴾: أي: ابتدأْنا خلقَهُنَّ في الجنَّةِ، ولم يولَدْنَ في الدُّنيا، ولم ينتقلْنَ مِن طفولةٍ إلى ما فوقَها.

﴿فَجَعَلۡنَٰهُنَّ أَبۡكَارًا﴾: أي: خلقناهُنَّ على البكارةِ، وهذا على قولِ مَن يقولُ: الحورُ العينُ غيرُ نساءِ الدُّنيا، فأمَّا على قولِ مَن يقول: إنَّهنَّ المؤمنات، فمعناه: ﴿إِنَّآ أَنشَأۡنَٰهُنَّ﴾ النَّشأةَ الثَّانية في الآخرةِ، ﴿فَجَعَلۡنَٰهُنَّ أَبۡكَارًا﴾ بعدَما كُنَّ ثيباتٍ.

قال الحسنُ: هي العجوزُ الكبيرةُ يحوِّلُها اللهُ شابَّةً(١).

وقال مجاهدٌ: دخلَتْ عجوزٌ مِن بني عامرٍ على عائشةَ رضي الله عنها، ودخلَ رسولُ اللهِ ﷺ فقال: «ما هذه العجوزُ يا عائشة؟»، فقالَت: إحدى خالاتي يا رسول الله، قال: «أَمَا إنَّ الجنَّةَ لا تدخلُها عجوزٌ»، قال: فأخذَ العجوزَ ما أخذَها، فقال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ اللهَ تعالى ينشئُهُنَّ خَلقًا غيرَ خلقِهِنَّ»(٢).

---

(١) رواه الترمذي في «الشمائل» (٢٤١)، والثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٢١٠) من طريق الحسن عن النبي ﷺ مرسلاً بنحو الحديث الآتي.

(٢) رواه أبو الشيخ في «أخلاق النبي» (١٨٥)، والثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٢٠٩)، وهو مرسل أيضاً. وروي الحديث من طريق أخرى متصلاً، فقد رواه الطبراني في «الأوسط» (٥٥٤٥) من طريق مسعدة بن اليسع عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن سعيد بن المسيب عن عائشة رضي الله عنها، وهذا إسناد متصل لكن مسعدة ضعيف كما قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٤١٩). قلت: ومسعدة هذا قال عنه الذهبي في «الميزان»: (هالك، كذبه أبو داود، وقال أحمد: حرقنا حديثه منذ دهر)، وقد رواه هناد بن السري في «الزهد» (٢٤) عن عبدة عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن سعيد بن المسيب مرسلا، وعبدة هو ابن سليمان الكلابي، وهو ثقة ثبت كما في «التقريب»، فهذا وإن كان مرسلاً لكن رجاله كلهم ثقات رجال الصحيح.

وعن أنسٍ رضي الله عنه أنَّ النَّبيَّ ﷺ قرأ: ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً﴾ قال: «هُنَّ اللَّاتي كُنَّ في دارِ[1] الدُّنيا عجائزَ عُمْشًا رُمْصًا»[2].

وقال الحسنُ: مَن كان مِن ذكورِ أولادِ المشركين فإنَّ اللهَ تعالى ينشِئُهم ويجعلُهم خدمَ أهلِ الجنَّة، ومَن كان مِن الإناثِ فإنَّ اللهَ ينشئُهنَّ حُورًا عينًا أزواجًا لأهل الجنَّة، ومَن كان مِن أولادِ المسلمين فإنَّه يبعثُه على الحالةِ الَّتي ماتَ عليها، فيكونون مع آبائِهم وأمَّهاتهم، وأمَّا العجائزُ فإنَّ اللهَ تعالى ينشئُهنَّ[3].

* * *

(٣٧) ـ ﴿عُرُبًا أَتْرَابًا﴾.

قوله تعالى: ﴿عُرُبًا﴾: والعُرُبُ: جمعُ عَرُوْبٍ، وهنَّ المتحبِّبات إلى أزواجهنَّ.

وقال الكسائيُّ: العُرُبُ: المتحبِّباتُ، ذواتُ الغُنْجِ واللَّعِبِ والضَّحكِ[4].

وقال قطربٌ: العَرُوبُ: العاشقةُ لزوجِها[5].

وقيل: المداعِبة.

وقال أبو سعيدٍ الضَّرير: الملاعِبة.

وقال الخليلُ: أي: الضَّحَّاكةُ الطَّيبةُ النَّفس[6].

---

(١) «دار» من (أ) و(ف).

(٢) رواه الترمذي (٣٢٩٦)، وقال: حديث غريب، لا نعرفه مرفوعاً إلا من حديث موسى بن عبيدة، وموسى بن عبيدة ويزيد بن أبان الرقاشي يضعفان في الحديث.

(٣) لم أقف عليه.

(٤) رواه الطبري نحوه في «تفسيره» (٢٢/ ٣٢٤ ـ ٣٢٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وعكرمة، وابن بريدة.

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٣٢٥ ـ ٣٢٧) عن مجاهد وعكرمة ويحيى.

(٦) انظر: «العين» للخليل (٢/ ١٢٨).

وقال أبو معاذٍ: هي الَّتي تكلِّم زوجَها بما ينشِّطه في المباشرة.

هذه أقاويل أئمَّةُ اللُّغة، وقد جاء عن أهل التَّفسير نحو ذلك.

قال الضَّحَّاك: ﴿عُرُبًا﴾: متعشِّقاتٍ لأزواجهنَّ[١].

وقال السُّدِّيّ رحمه الله: حَسناتِ التَّبعُّل لأزواجهنَّ[٢].

وقال نضر بن شُميل: راضياتٌ مرضيَّات.

وقال عطاء وعكرمة والرَّبيع: غَنِجات[٣].

وقال يمان بن رئاب: طاهراتٌ مِن الأدناس.

وقال محمد بن كعب: متطيِّبات.

وقال أبو عبيدة: غير فواحش، وأنشدوا:

وفي الحُدُوجِ عَروبٌ غَيْرُ فاحشةٍ ... ريَّا الرَّوادفِ يَعْشَى دونَها البَصَرُ[٤]

قوله تعالى: ﴿أَتْرَابًا﴾: أي: على ميلادٍ واحدٍ، جمعُ تِرْبٍ، وهي اللِّدَةُ.

وفي بعض الرِّوايات: الرِّجالُ والنِّساءُ على سنِّ ثلاثٍ وثلاثينَ سنة[٥]. وهو عند انتهاءِ الشَّبابِ واجتماعِ العقل.

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٣٢).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٣٢٥)، والثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٢٠٩) عن تميم بن حذلم.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٣٢٤) عن عكرمة وابن بريدة.

(٤) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (٢/ ٢٥١)، والبيت للبيد. انظر: «ديوانه» (ص: ٥٦).

(٥) حديث حسن رواه الإمام أحمد في «المسند» (٧٩٣٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، ورواه الترمذي (٢٥٤٥) من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه، وقال: هذا حديث حسن غريب، وبعض أصحاب قتادة رووا هذا عن قتادة، مرسلًا ولم يسندوه.

وقال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: ﴿أَتْرَابًا﴾: مستوياتٍ[١] على سنٍّ واحدٍ[٢].

* * *

(٣٨ ـ ٤٠) ـ ﴿لِأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ۝٣٨ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٣٩ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾.

﴿لِأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾: قال الفرَّاء: أي: هذا كلُّه لأصحاب اليمين، وهم الذين يَلُون السَّابقين[٣].

وقيل: ﴿أَتْرَابًا ۝٣٧ لِأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾؛ أي: هذه النِّساء على ميلادِ الرِّجال.

قوله تعالى: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾: أي: أصحابُ اليمين جماعةٌ عظيمة في الآخرة من الأممِ المتقدِّمة.

﴿وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾: أي: جماعةٌ عظيمة في الآخرة منهم مِن هذه الأمَّة.

وروى ابن مسعود رضي الله عنه أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «إنِّي لأرجو أن تكونوا رُبُعَ أهل الجنَّة»، فكبَّر أصحابُه، ثمَّ قال: «إنِّي لأرجو أنْ تكونوا ثُلُثَ أهلِ الجنَّةِ»، فكبَّرَ أصحابُه[٤]، ثمَّ قال: «إنِّي لأرجو أنْ تكونوا شَطْرَ أهلِ الجنَّة»، ثمَّ قال: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٣٩ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾ الآيات[٥].

وروى عروةُ بنُ رُوَيْمٍ اللَّخمِيُّ: أنَّ رسولَ الله ﷺ حين أُنْزِلَ عليه صَدْرُ سُورة

---

(١) في (ف): «مسنونات».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٣٢٩).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٢٦).

(٤) «ثم قال إني لأرجو أن يكونوا ثلث أهل الجنة فكبر أصحابه» ليس في (ف).

(٥) رواه أبو داود الطيالسي في «مسنده» (٤٠٤)، وابن أبي شيبة في «مسنده» (٤٠١)، وأبو يعلى في «مسنده» (٥٣٣٩)، وابن حبان في «صحيحه» (٦٤٣١)، والحاكم في «المستدرك» (٨٧٢١) وصححه. وأصله عند البخاري (٦٥٢٨)، ومسلم (٢٢١) دون ذكر الآية.

الواقعة، قرأه على مَن حضرَه مِن المهاجرين والأنصار، حتَّى إذا بلغَ: (ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَقَلِيلٌ مِنَ الآخِرين) تكلَّم عمرُ رضي الله عنه فقال: يا رسولَ اللهِ، ثلَّةٌ مِن الأَوَّلِيْن، وقليلٌ منَّا! حتَّى إذا أنزلَ اللهُ تعالى بقيَّةَ السُّورة، وجعلَه: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾ دعا رسولُ اللهِ ﷺ عمرَ رضي الله عنه فقال: «يا ابن الخطَّاب، قد أنزلَ اللهُ تعالى فيما قلْتَ، فجعل: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾»، فقالَ عمرُ رضي الله عنه: رضيْنا عنِ اللهِ تعالى، ونصدِّقُ نبيَّنا، ثمَّ قال ﷺ: «مِن آدمَ إليَّ ثُلَّةٌ، ومنِّي ثُلَّةٌ، ولن نستكملَ ثلتَّنا[1] حتَّى نستعين بِرِعاءِ الإبلِ السُّودان ممَّن يقولُ منهم: لا إله إلَّا الله»[2].

* * *

(٤١ ـ ٤٤) ـ ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ﴾: وهم الصِّنْفُ الثَّالثُ مِنَ الأزواجِ الثَّلاثةِ.

﴿فِى سَمُومٍ﴾: هي الرِّيحُ الحارَّةُ الَّتي تدخلُ في مسامِّ البدنِ، وهي خروقُه، ومنه: السُّمُّ؛ لأنَّه يسري في المسامِّ.

﴿وَحَمِيمٍ﴾: الحميمُ: الماءُ الحارُّ الَّذي اشتدَّ حرُّه، يعني: إذا نالَهم حرُّ النَّارِ، وأحرقَ أكبادَهُم وأجسادَهُم، فزعوا منه إلى الماءِ، فإذا هو شديدُ الحرارةِ قد انتهى غليانُه، فلا يصلُ إلى رَوحٍ ولا إلى بردٍ، بل مِن حرٍّ إلى ما هو أشدُّ منه.

---

(١) في جميع النسخ: «ولا تتم ثلة»، والمثبت من المصادر، وستأتي.

(٢) رواه الطبراني في «مسند الشاميين» (٥٢٠)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٠/ ٢٢٩) من طريق عروة بن رويم عن جابر رضي الله عنه. قال ابن كثير عند هذه الآية: في إسناده نظر.
وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٨) إلى ابن أبي حاتم عن عروة بن رويم مرسلًا.

﴿وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ﴾: قال ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: أي: مِن دُخانٍ أسودَ شديدِ السَّواد[١]. وكذا قال أبو مالك ومجاهد وقتادة وابن زيد[٢].

﴿لَّا بَارِدٍ﴾: كَبْردِ ظِلالِ الشَّمس فيُتروَّحَ به ﴿وَلَا كَرِيمٍ﴾: فيه خيرٌ يُنْتَفعُ به، وهو كقوله: ﴿ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ ۝٣٠ لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ﴾ [المرسلات: ٢٨ ـ ٣١]، وقوله تعالى: ﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾ [الزمر: ١٦].

وقال أبو سعيد الضَّرير: ﴿مِّن يَحْمُومٍ﴾: من ظلمة، ﴿وَلَا كَرِيمٍ﴾: الكريمُ: ما كُرِّمَ على غيرِه لانتفاعِه به.

وقال قتادة رحمه الله: لا باردِ المنزلِ، ولا كريمِ المنظر[٣].

وقال ابن جريج: لا باردِ المنظرِ، ولا كريمِ المدخل[٤].

وقال ابن بريدة[٥]: ﴿وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ﴾ قال: جبلٌ في جهنَّم يُدعى يحموم، يستغيثُ إلى ظلِّه أهلُ النَّارِ، فإذا أُذِنَ لهم أنْ يأتوه لم يجدوه باردًا ولا كريمًا، فكان ما لقوا فيه مِن العذابِ أشدَّ ممَّا كانوا فيه.

* * *

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٣٣٤ ـ ٣٣٥).

(٢) رواه عنهم الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٣٣٥ ـ ٣٣٧) وزاد عليهم عكرمة.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٣٣٧).

(٤) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٤٥٦)، وفيه: (لا بارد المدخل)، بدل «لا بارد المنظر».

(٥) في (أ): «يزيد» وهو محرف عن (زيد) كما سيأتي، فقد ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٥/ ٤٨٦) (طبعة دار التفسير)، والقرطبي في «تفسيره» (٢٠/ ٢٠٢) عن ابن زيد. وجاء في «تفسير الثعلبي» (٩/ ٢١٣) (طبعة دار إحياء التراث العربي)، و«تفسير السمعاني» (٥/ ٣٥٢): ابن بريدة، وجاء في «المحرر الوجيز» (٥/ ٢٤٦): (وقال ابن بريدة وابن زيد أيضاً في كتاب الثعلبي...) وذكره.

(٤٥ ـ ٤٦) ـ ﴿ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ۝ وَكَانُواْ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴾: أي: إنَّ هؤلاء كانوا قبلَ أنْ يصيروا إلى ما صاروا إليه متنعِّمين في خلافِ ما أحلَّ اللهُ لهم، قد أطلقوا أنفسَهم يعملون ما يشتهون، ولا يُكِدُّون أنفسَهم في عبادةِ اللهِ تعالى والعملِ بطاعتِه، ولا ينزعون عمَّا حظَرَه اللهُ عليهم.

وقال ابن عبَّاس: ﴿مُتْرَفِينَ﴾: منعَّمين[1]. والتَّرفُّه: النِّعمة.

﴿ وَكَانُواْ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ ﴾: أي: يقيمون ويديمون على الإثمِ العظيمِ، وهو الشِّركُ. قاله قتادة والضَّحَّاك والكلبيُّ وابن زيد والحسن[2].

وقال مجاهدٌ: هو الذَّنب العظيم[3]. وهو قول قطرب والخليل[4].

وقد بلغَ الغلامُ الحِنْثَ؛ أي: حدَّ البلوغِ، الذي يأثم بما فعلَه مِن الذَّنب.

وقال الشَّعبيُّ: هو اليمين الغموس[5].

وقيل: يُسمَّى الشِّركُ حِنثًا لأنَّه نقضُ اليمين التي حلفوا بها، وهو قوله تعالى: ﴿ وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ ﴾ [فاطر: ٤٢].

وقيل: هو إثمهم بيمينهم الكاذبة: ﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ﴾ [النحل: ٣٨].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٣٣٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٣٣).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٣٣٩ ـ ٣٤٠) عن الضحاك وقتادة وابن زيد.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٣٣٩). ولم يفرق الطبري بين هذا القول وبين ما سبقه من قول قتادة والضحاك وابن زيد، فقد قدم للجميع بقوله: يعني على الذنب العظيم وهو الشرك بالله.

(٤) انظر: «العين» للخليل (٣/ ٢٠٦).

(٥) انظر: «النكت والعيون» للماوردي (٥/ ٤٥٧)، و«البسيط» (٢١/ ٢٤٢).

(٤٧ ـ ٥٤) ـ ﴿ وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَـٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَـٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَـَٔاكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَـٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴾.

﴿ وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَـٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴾: أي: كانوا ينكرون البعثَ بعدَ الموتِ، استفهامٌ بمعنى النَّفي.

﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْـَٔاخِرِينَ ﴾: أي: الأمم المتقدِّمة، وهذه الأمَّة ﴿ لَمَجْمُوعُونَ ﴾ قيل: أي: في الدُّنيا.

وقيل: أي: في القبور. وهذا قول الحسن(١).

﴿إِلَىٰ مِيقَـٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴾: عندَ اللهِ، وهو يوم القيامة، و﴿إِلَىٰ ﴾ غاية على هذا.

وقيل: ﴿ لَمَجْمُوعُونَ ﴾: لمحشورون يومَ القيامة، و﴿إِلَىٰ ﴾ بمعنى اللَّام أو بمعنى (في) على هذا.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَـَٔاكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ﴾: بدل ما يأكلُه أهل الجنَّة مِن الفواكه ولحوم الطير.

﴿فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴾: أي: مِن شجر الزَّقوم، وهي جمعُ شجرةٍ، فلذلك أنَّث.

﴿ فَشَـٰرِبُونَ عَلَيْهِ ﴾: أي: على الأكل، وقيل: أي: على الزَّقوم ﴿مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴾؛ أي: الماء الحار، إذا جاعوا فاستطعمُوا أُطعِموا الزَّقُّوم، وإذا عطشوا فاستسقَوا سُقوا الحميم.

* * *

(٥٥) ـ ﴿ فَشَـٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ ﴾.

---

(١) ذكره الماوردي في «تفسيره» (٩/ ٤٩٨) دون نسبة.

﴿فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ﴾: قرأ نافعٌ وعاصمٌ وحمزةُ بضمِّ الشِّين، والباقون بفتحها[١]، وهما للمصدر هاهنا.

و﴿شُرْبَ﴾ بنصب الباء لنزعِ الخافض الكاف[٢]؛ أي: كشربِ الهيم.

وهي جمعُ الأَهْيَم والهَيْماء مِن الإبل، وهي التي أخذَها الهُيَام، وهو داءٌ مِن العطشِ، يَشربُ فلا يَروَى، ولا يزالُ يشربُ حتَّى يتلف.

وقال الفرَّاء والكسائيُّ رحمهما الله: هي الرَّمْلُ[٣]. وعن ابن عبَّاس رضي الله عنهما كذلك[٤].

وقال ابن عيينة: هي الرَّمل، أَلَا ترى أنَّك تصبُّ عليه الماءَ فلا ترى أثرَه[٥].

وقال قائلون: شجرُ الزَّقُّوم: ثمرُها كرؤوسِ الشَّياطين، مملوءةٌ مِن السُّمِّ، فإذا أكلوها استغاثوا، فيُغاثون بماء كالمهلِ.

وقال مقاتلٌ: الزَّقُّومُ: شجرٌ نابتٌ في أصل الجحيم، فإذا طُرِحوا فيها هووا فيها أربعين خريفًا حتَّى يأتوها، فيأكلون منها، فتمتلِئ بطونُهم، ثمَّ تصعدُ بهم النَّارُ إلى أعلاها، ثمَّ يهوون إلى الشَّجرة، ثمَّ تصعدُ بهم، فهذا دأبُهم ودأبُها.

وقال جابرُ بنُ عبدِ اللهِ: يُلقَى على أهل النَّار الجوع، فينادون ألفَ سنةٍ: واجُوعاه،

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ٦٢٣)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٧).

(٢) «الكاف» ليس في (أ)، «الخافض» ليس في (ف).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٢٨).

(٤) رواه هناد بن السري في «الزهد» (٢٩٥). وذكره الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٣٤٣) دون نسبة. فقال: «ويقال: إن الهيم: الرمل، بمعنى أن أهل النار يشربون الحميم شرب الرمل الماءَ».

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٢١٤).

ثمَّ يُنطَلَقُ بهم إلى الزَّقُّوم، فإذا أكلوه غَصُّوا به، فيُنَادُون ألفَ سنةٍ: واعطشاه، ثمَّ يُنْطَلَقُ بهم إلى الحميم، فذلك قوله: ﴿فَشَٰرِبُونَ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡحَمِيمِ﴾؛ أي: على الجوعِ[1].

ويُقال: على الأكل.

وقال السُّدِّيُّ: بلغني أنَّ أهلَ النَّارِ إذا أكلوا الزَّقُّوم غصُّوا، فذكروا أنَّهم كانوا في الدُّنيا إذا أكلوا فغَصُّوا سوَّغوه بالماء، فيُنْطَلَقُ بهم إلى الحميم ليشربوا، فإذا رفعَ أحدُهم الماءَ إلى فيه سقطَ لحمُه في الإناءِ، ثمَّ يعيدُه اللهُ تعالى[2].

* * *

(٥٦ ـ ٥٩) ـ ﴿هَٰذَا نُزُلُهُمۡ يَوۡمَ ٱلدِّينِ ٥٦ نَحۡنُ خَلَقۡنَٰكُمۡ فَلَوۡلَا تُصَدِّقُونَ ٥٧ أَفَرَءَيۡتُم مَّا تُمۡنُونَ ٥٨ ءَأَنتُمۡ تَخۡلُقُونَهُۥٓ أَمۡ نَحۡنُ ٱلۡخَٰلِقُونَ﴾.

﴿هَٰذَا نُزُلُهُمۡ يَوۡمَ ٱلدِّينِ﴾: أي: طعامُهم وشرابُهم يومَ الجزاء والحساب.

﴿نَحۡنُ خَلَقۡنَٰكُمۡ﴾: وأنتم بهذا مقرُّون ﴿فَلَوۡلَا تُصَدِّقُونَ﴾؛ أي: فهلَّا تصدِّقون بالبعث بعدَ الموت، وهو كابتداء الإنشاء، وهذا خطابٌ لمشركي مكَّة.

قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيۡتُم مَّا تُمۡنُونَ﴾: أي: أخبروني عمَّا تُلقون مِن المنيِّ في أرحام نسائِكم.

---

(١) لم أقف عليه على جابر، لكن روي معناه من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه مرفوعاً وموقوفاً، فالمرفوع رواه الترمذي (٢٥٨٦) ولفظه: «يلقى على أهل النار الجوع فيَعدل ما هم فيه من العذاب، فيستغيثون فيغاثون بطعام من ضريع لا يسمن ولا يغني من جوع، فيستغيثون بالطعام فيغاثون بطعام ذي غصة، فيذكرون أنهم كانوا يجيزون الغَصَص في الدنيا بالشراب فيستغيثون بالشراب فيرفع إليهم الحميم بكلاليب الحديد، فإذا دنت من وجوههم شوت وجوههم، فإذا دخلت بطونهم قطعت ما في بطونهم..» الحديث. وقد تقدم بتمامه مع تخريجه وبيان حاله عند قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون: ١٠٨].

(٢) لم أقف عليه. وانظر حديث أبي الدرداء السابق.

﴿ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ﴾: أي: تجعلونه[١] إنسانًا، وقيل: أأنتم تصوِّرُونه.

﴿أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾: استفهامٌ بمعنى التَّوبيخ؛ أي: وإذا كانَ اللهُ قادرًا على أنْ ينقلَ المنيَّ إلى هذه الصُّورة العجيبة فهو قادرٌ على إحيائِه بعدَ موتِه.

* * *

(٦٠ ـ ٦١) ـ ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ۝٦٠ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ﴾: بعدَ أنْ خلقناكم مِنَ النُّطفةِ.

قال مجاهدٌ: قدَّرنا بالتَّعجيل والتَّأخير[٢]؛ أي: نعجِّلُ بعضًا ونؤخِّرُ بعضًا، على ما علمْنا وأرَدْنا لا يُعْتَرَضُ علينا فيه.

﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ۝٦٠ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ﴾: أي: لا يفوتُنا أحدٌ، ولا يغلبنا أحدٌ أنْ نبدِّلَ أمثالَكم.

قال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ﴾؛ أي: الأعمارَ إلى الموتِ، فمنكم مَن يعيشُ إلى أنْ يبلغَ الهرمَ، ومنكم مَن يموتُ شابًّا وصبيًّا وصغيرًا ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾؛ أي: عاجزين على أنْ نهلِككم ونأتِ بخلقٍ خيرٍ[٣] منكم وأطوعَ[٤].

وقال السُّدِّيُّ وسعيدُ بنُ المسيَّبِ: ﴿وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾؛ يعني: في حواصلِ طيرٍ سُودٍ، تكون ببرَهوت كأنَّها الخطاطيف[٥].

---

(١) في (أ): «تخلقونه».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٣٤٥).

(٣) في (ر): «وأن نخلق خيرًا».

(٤) انظر: «تنوير المقباس» للفيروزآبادي (ص: ٤٥٤ ـ ٤٥٥).

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٢١٥) عن سعيد بن المسيب.

وبرهوتُ وادٍ باليمنِ.

وقال الحسنُ رحمَه الله: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾؛ أي: بمغلوبِيْنَ على أنْ نخلُقَ خَلقًا سواكم[1].

نظيرُه: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [فاطر: ١٦].

وقيل: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ (٦٠) عَلَىٰ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ﴾؛ أي: نُفنيكم، ونأتِيَ بقومٍ آخرين، وناسٍ مثلِكم مِن جنسكم ﴿وَنُنشِئَكُمْ﴾: نبتدئكم، ونبدِّل خلقَكم، وننقل صوَركم عمَّا أنتم عليه الآن إلى صورةٍ غيرها أنتم غيرُ عالمين بها، حتَّى نمسخَكم قردةً وخنازير، وممَّا شئنا ممَّا نعلمه نحن ولا تعلمونه أنتم؛ لأنَّ مَن قدرَ على أنْ يخلقَ مِن المنيِّ إنسانًا فينتقلَ المنيُّ إلى صورةِ الإنسان قدرَ على أنْ يخلقَ مثلَه أو ينقلَ صورَتَه إلى غيرها.

وقيل: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ تمامُ الكلام؛ أي: لا يفوتنا أحدٌ، ولا يسبقنا إذا أردنا إماتته ﴿عَلَىٰ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ﴾ هذا متَّصلٌ بقوله: ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ﴾؛ أي: لنبدِّل بعدكم أمثالكم؛ أي: بعد إماتتكم قرنًا بعد قرنٍ[2] إلى انقضاء الدُّنيا ﴿وَنُنشِئَكُمْ﴾ بعد فناء الدُّنيا في الآخرة؛ أي: يبعثكم بعدَ الموت خَلْقًا جديدًا فيما لا تعلمون من الصُّور والهيئات[3]؛ لأنَّ السُّعداء يُبعَثون على أحسنِ الصُّور، والأشقياء على أقبحِها، وهم لا يعلمون بذلك اليوم.

* * *

(١) ذكره الزجاج في «معاني القرآن» (٥/ ١٤٤) دون نسبة، وذكر الواحدي في «البسيط» (٢١/ ٢٤٨) عن الحسن قال: (نبدل صفاتكم ونجعلكم قردة وخنازير كما فعلنا بمن كان قبلكم).

(٢) في (أ): «آخرين إلى وقت» بدل: «بعد قرن».

(٣) في (ر): «والصفات».

(٦٢ ـ ٦٤) ـ ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ﴾: قال مقاتلٌ رحمَه الله: أي: الخلقَ الأوَّل، وهو خلقُ آدم، لا تسألُ أحدًا مِنَ النَّاس إلَّا أنبأكَ أنَّ اللهَ خلقَ آدمَ مِن ترابٍ[1].

وقال مقاتل: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ﴾: أنَّ اللهَ خلقَكم نطفةً، ثمَّ علقةً، ثمَّ مضغةً[2].

قال الحسنُ رحمه الله: ولقد علمْتُم أنَّا خلقناكم ولم تكونوا شيئًا، ثم جعلناكم لحمًا ودمًا وعظمًا وروحًا[3].

﴿فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾: فهَلَّا تتأمَّلون فيه، فتعلَموا وتتَّعظوا.

وقوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ﴾: حاجَّهم بأمرٍ آخرَ فقال: أخبروني عمَّا تحرثون مِن أراضيكم، فتطرحون فيها البَذْر.

﴿ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ﴾: أي: تنبتونه وتجعلونه[4] زرعًا يكون فيه الحبُّ والسُّنبل.

﴿أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾: أي: أم نحن نفعلُ ذلك؛ أي: أنتم مقرُّون لو جهدْتُم وجهدَ جميعُ العالم لم يتهيَّأْ لكم ولهم إنباتُ ذلك وإخراجُه، فقد علمْتُم أنَّ اللهَ تعالى يفعلُ ذلك، ومَن قدرَ على هذا كيف أحلْتُم قدرَتَه على إخراجِ الموتى مِن الأرضِ أحياءً بعدَ أنْ صاروا رَميمًا.

* * *

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٣٤٧) عن قتادة.

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٢٢٢).

(٣) ذكره مقاتل في «تفسيره» (٤/ ٢٢٢) دون نسبة.

(٤) في (أ): «وتخلقونه».

(٦٥ ـ ٦٧) ـ ﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ (٦٥) إِنَّا لَمُغْرَمُونَ (٦٦) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾.

﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا﴾؛ أي: هشيمًا بآفَةٍ، فلا يُنتفعُ به في مَطعَمٍ.

وقال مرَّةُ الهمذاني: أي: تبنًا[١] لا قمحَ فيه[٢].

والحَطْمُ: الكَسْرُ، والحُطَامُ: ما كسَرَتْهُ الأرجُلُ.

﴿فَظَلْتُمْ﴾: أي: فَظَلْتُم النَّهارَ كلَّهُ، أُسقِطَتْ إحداهُما تخفيفًا، كما يُقال: أحَسْتُ بالشَّيء؛ أي: أحسسْتُ به.

﴿تَفَكَّهُونَ﴾: قال الخليلُ: أي: تتعجَّبون[٣].

وقال قطرب: أي: تندمون. وهو قول الحسن وقتادة[٤].

﴿إِنَّا لَمُغْرَمُونَ﴾: أي: يقولون: إنَّا لمعذَّبون، والغرامُ: اللُّزوم، والـمُغرَم: الذي أُلزِمَ العذاب.

وقيل: المُغـرَمُ: الـذي ذهبَ مالُـه بغيرِ عِـوضٍ[٥]. وهو غـرام: مـا أنفقوا ولم يحصلـوا منه على شـيءٍ.

قوله تعالى: ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾: أي: لم يصبْنا ذلك عقوبةً على جُرْمِنا، بل هو بحرمانِنا وعدم جدِّنا.

---

(١) في (ر): «نبتاً».

(٢) في (أ): «لا حب قمح فيه»، والمثبت موافق لما ذكره الثعلبي عن مرة الهمداني في «تفسيره» (٩/ ٢١٥).

(٣) انظر: «العين» للخليل (٣/ ٣٨١).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٣٥٠).

(٥) بعدها في (أ): «منه».

يقول اللهُ تعالى: لم أفعلْ هذا بكلِّ زروعِكُم، بل أُنبتُها بعدما كانت باليةً في الأرض، فلا تُنكروا قدرتي على إخراجِكُم مِن الأرضِ بعدَ بلائِكُم فيها.

وروى أنسُ بنُ مالكٍ رضي الله عنه، عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه مَرَّ بأرضٍ للأنصارِ فقال: «ما يمنعُكُم مِنَ الحَرْثِ؟»، قالوا: الجُدُوْبَةُ، قال: «فلا تفعلوا؛ فإنَّ الله تعالى قال: أنا الزَّارع، إنْ شئْتُ زرعْتُ بالماءِ، وإنْ شئْتُ زرعْتُ[1] بالرِّيحِ، وإنْ شئْتُ زرعْتُ بالبَذْرِ»، ثمَّ تلا هذه الآية[2].

* * *

(٦٨ ـ ٧٠) ـ ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ﴾: ثمَّ حاجَّهم بحجَّة أخرى فقال: أخبروني عن الماءِ الذي تشربونه لتُحيوا به أنفسَكم، وتُسكِّنوا به عطشَكم ﴿ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ﴾؛ أي: السَّحاب، وقيل: هو السَّحابُ الأبيض.

﴿أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ﴾: وأنتم معترفون بعجزكم عن إنزالِه منه، وبقدرتي عليه.

﴿لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا﴾: أي: مِلْحًا مرًّا، لا تنتفعون به في شُرْبٍ[3] ولا زرعٍ ولا غرسٍ.

وقال الأخفشُ: والأُجاجُ: أشدُّ الماءِ مُلوحة[4].

---

(١) «زرعت» ليس في (أ).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٢١٦)، والقرطبي في «تفسيره» (٢٠/ ٢١٣) ولم أجده مسنداً.

(٣) في (أ): «مشرب».

(٤) وذكر نحوه الفراء في «معاني القرآن» (٣/ ١٢٩)، وأبو عبيدة في «مجاز القرآن» (٢/ ٢٥٢).

﴿فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾: أي: فَهلَّا تشكرون لي بإخلاصِ العبادةِ، فَلِمَ تنكرون قدرتي على إحياء الموتى؟

* * *

(٧١ ـ ٧٢) ـ ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ (٧١) ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ﴾.

﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ﴾: وهذه محاجَّة أخرى في تقريرِهم بنعمِه وتنبيهِهم على قدرَته.

يقول: أخبروني عن النَّار الَّتي تورونَ تُظْهِرونها بالقَدْحِ مِن الشَّجرِ الرَّطْبِ ﴿ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ﴾؛ أي: خلقْتُم الشَّجرة الَّتي تستخرجونَ منها النَّار ﴿أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ﴾؛ أي: الخالقون.

وقد وَرَى الزَّنْدُ ـ أي: خرجَتْ نارُه ـ وَرْيًا، وأَوْراها القادِحُ يُوْرِي إيراءً؛ أي: أخرجَها.

وشجرُ النَّارِ كانت معروفةً عندهم، وكانوا يقولون: في كلِّ شجرٍ نارٌ، واسْتَمْجَدَ المَرْخُ والعفَارُ[(١)].

وقال ابنُ عبَّاس رضي الله عنهما: ما مِن شجرٍ ولا عودٍ إلَّا وفيه النَّار، سوى العُنَّاب، فإنَّ عودَه لا نارَ فيه؛ قال الله تعالى: ﴿جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ﴾ [يس: ٨٠][(٢)].

---

(١) انظر: «الأمثال» لأبي عبيد (ص: ١٣٦)، و«الكامل» للمبرد (١/ ١٧٢)، و«المستقصى في أمثال العرب» (٢/ ١٨٣ ـ ١٨٤)، وفيه: المرخ والعفار: هما شجرتان من أسرع الشجر خروج نار، والاستمجاد: الاستكثار من المجد، وهو كثرة الشرف، ومعناه: أنهما أخذا الفضل وذهبا بالمجد. يضرب في تفضيل بعض القوم على بعض إذا كانوا كلهم ذوي خير، ولبعضهم مزية وتقدُّم ليس للآخرين.

(٢) ذكره الواحدي في «البسيط» (١٨/ ٥٢٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما، والثعلبي في «تفسيره» =

(٧٣) ـ ﴿نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ﴾.

قوله تعالى: ﴿نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً﴾؛ أي: تذكِّركم نارَ جهنَّم فتتَّقونها، فإن من آذاهُ أكلُ الطَّعامِ الحارِّ، وعجزَ عن طولِ الـمُكْثِ في الحمَّام الذي اتَّخذَه للاسترواحِ والاستطهارِ لِمَا أنَّه سُخِّنَ بالنَّار، كيفَ يصبرُ على طولِ الـمُكْثِ في عينِ النَّارِ.

﴿وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ﴾: قال ابنُ عبَّاس رضي الله عنهما ومجاهد وقتادة والضَّحَّاك: أي: المسافرين[1].

وقد أقوى؛ أي: نزلَ القِيَّ، وهو القَفْرُ، وأَقْوَتِ الدَّارُ؛ أي: خَلَتْ عن أهلِها.

ومعناه: يتمتَّعونَ بها اصطلاءً مِن البرد، واستضاءةً مِن الظُّلمة، وإنضاجًا للطَّعام، وتجفيفًا للثِّياب، واستئناسًا بنورِها بلقاء الأصحاب.

وقدَّمَ التَّذكرة على المتاع لأنَّه أهمُّ، وقد غفلَ النَّاسُ عنها.

وإنَّما خصَّ المسافرين بالذِّكْرِ مع أنَّ المقيمين متمتِّعون بها أيضًا؛ لأنَّ حاجةَ المسافر إليها أمسُّ[2]، فدخلَ المقيمُ فيها بطريقِ الأولى.

وقيل: هو مِن بابِ الاكتفاءِ بذكْرِ أحدِ الشَّيئين والمرادُ كلاهما، وهو كقوله: ﴿سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ﴾ [النحل: ٨١]؛ أي: الحرَّ والبردَ، فاكتفى بذِكْرِ أحدهما.

= (٨/ ١٣٧)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٢٩)، عن للحكماء، وعزاه الماوردي في «تفسيره» (٥/ ٣٤) للكلبي. فلعله مما روي عن الكلبي عن ابن عباس.

والعناب: شجر شائك من الفصيلة السدريَّة، يبلغ ارتفاعه ستَّة أمتار ويُطلق العنَّاب على ثمره أيضًا، وهو أحمر حُلو لذيذ الطَّعم على شكل ثمرة النَّبق. انظر: «المعجم الوسيط» (مادة: عنب).

(١) رواه عنهم الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٣٥٦).

(٢) في (أ): «أمس به».

وقيل: ﴿لِلْمُقْوِينَ﴾: المُقوِي: ذو القوَّة؛ أي: للمطيقين ذلك مِن المسافرين والمقيمين، فكانَ الاسمُ للكلِّ على هذا.

* * *

(٧٤ ـ ٧٧) ـ ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ (٧٤) ۞ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ (٧٥) وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ (٧٦) إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾: أي: فنزِّهِ اللهَ يا محمَّدُ عمَّا أضافه المشركون إليه مِن الأندادِ، ومِن العَجْزِ عن إحياء الموتى يومَ المعادِ، بذِكْرِك إيَّاه باسم العظيم(١)، وكلُّ أسمائِه عظيمة.

وقوله تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾: قال الفرَّاء: (لا): نفيٌ؛ أي: ليس الأمرُ كما تقولونَ، ثمَّ قال: ﴿أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾(٢).

وقال ابنُ عبَّاسٍ ومجاهد: وهو قسمٌ بنزولِ القرآن نجومًا، كلُّ نجمٍ في أمرٍ وحادثةٍ في سنينَ كثيرة(٣).

﴿وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾: أي: إنه لقسم عظيمٌ؛ لأنَّ الـمُقْسَم به عَظيمٌ، لو تَعلَمون ذلك لانتفعْتُم به، هذا مُضمَر.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾: أقسمَ بالقرآنِ على القرآنِ أنَّه كريمٌ.

وقال قتادة، ومجاهدٌ في رواية: (مواقع النجوم): مغاربُها، أقسمَ اللهُ بها لِعظم منافعِها للعباد في مصالح العالم المتعلِّقة بها(٤).

---

(١) في (ف): «بالاسم الأعظم»، وفي (أ): «بالاسم العظيم».

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٠٧)، و«تفسير القرطبي» (٢٠/ ٢١٧ ـ ٢١٨).

(٣) رواه عنهما الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٣٥٩ ـ ٣٦٠).

(٤) روى نحوه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٣٦٠ ـ ٣٦١).

وقال الحسنُ رحمَه الله: (مواقع النجوم): مساقطُها إذا انتثرَتْ لقيام السَّاعة تعظيمًا لذلك اليوم، وتنبيهًا على قدرة الله تعالى، وتذكيرًا بذلك اليوم(١).

وقيل: (مواقع النجوم): مواقعُ نفعِها منَّا بالاهتداء بها في ظلمات البرِّ والبحر، ومعرفةِ مقادير السَّاعات في اللَّيل والنَّهار، وأوقات النُّجعة وأنواء الأمطار، مِن قولهم: لهذا عندي موقع.

وفي قراءة حمزة والكسائيِّ: ﴿بموقعِ النُّجومِ﴾(٢)، وهو يؤدِّي عن الجمع في مثله.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ﴾: أي: عندَ اللهِ؛ لأنَّه كلامُه ووحيُه، وكريمٌ على رسولِه؛ لأنَّه مِن عندِ ربِّه، وكريمٌ على المؤمنين؛ لأنَّ فيه شفاءَهم وهداهم وبشارتهم، وكريمٌ في نفسِه؛ لأنَّه كثيرُ الخيرِ، شريفٌ جليلٌ نافعٌ معجِزٌ، ومِن حقِّه أنْ يُكْرَمَ ويُعظَّمَ ويُستفادَ ويُغتَنَمَ ويُعمَلَ به ويُعْلَمَ.

وقال ابنُ حبيبٍ: الكريمُ مِن العبادِ: الصَّفوح المساهل، والقرآنُ كريمٌ لغلبَةِ يُسْرِه على عُسْرِه.

* * *

(٧٨ ـ ٧٩) ـ ﴿فِي كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ۝٧٨ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾.

﴿فِي كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ﴾: أي: كتابٍ عندَ الله تعالى مَصُونٍ ومخزونٍ عن أنْ ينالَه ما ينالُ كُتبَ العِباد من الأذى والقَذَر والقذَى، وهذا الكتابُ المكنونُ هو اللَّوح المحفوظ؛ قال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝٢١ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ [البروج: ٢١ ـ ٢٢] وهو أمُّ الكتاب؛ قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا﴾ [الزخرف: ٤].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٣٦١).

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ٦٢٤)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٧).

وقيل: ﴿مَّكْنُونٍ﴾: مخزونٍ عن البشرِ، لا يعلَمُهُ اللهُ تعالى إلَّا لملائكتِه، ثمَّ أَطْلَعَ اللهُ عليه مَن شاءَ مِن رسلِه.

وقيل: ﴿مَّكْنُونٍ﴾: لا يصلُ إليه مِن الملائكةِ إلَّا مَن أذنَ اللهُ له في المصيرِ إلى موضعِه، وقالوا: إنَّ إسرافيلَ هو الموكَّل بذلك.

قوله تعالى: ﴿يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾: قيل: هو صفةُ الكتابِ الذي عندَ الله؛ أي: لا يمسُّه إلَّا ملائكتُه المطهَّرون مِن أدناسِ الخطايا.

وقيل: هو صفةُ القرآن؛ أي: لا يُنزلُه إلَّا الملائكة المطهَّرون، ولا يصل إليه في الإنزالِ الشَّياطينُ النَّجسون(١).

وقال قتادةُ: لا يمسُّ القرآنَ عندَ اللهِ تعالى إلَّا المطهَّرون مِن الملائكةِ، فأمَّا عندكم فيمسُّه المشرك والمنافق(٢).

وقيل: هو على الحُكم؛ أي: ولا ينبغي أنْ يمسَّه إلَّا المطهَّرون مِنَ الأحداث والجنابة والحيض والنِّفاس.

وفي كتاب النَّبيِّ ﷺ لِعَمرِو بنِ حزمٍ إلى أهل اليمن: «لا يمسُّ القرآنَ إلَّا طاهرٌ»(٣).

---

(١) في (ر) و(ف): «المنجسون».

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣١٤٨)، والطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٣٦٦).

(٣) رواه الإمام مالك في «الموطأ» (١/ ١٩٩)، ومن طريقه أبو داود في «المراسيل» (٩٣) عن عبد الله بنِ أبي بكرِ بن حَزْمٍ: (أنَّ في الكتاب الذي كَتَبَه رسولُ اللهِ ﷺ لعَمْرِو بنِ حَزْمٍ...) فذكره، وأخرجه أبو داود في «المراسيل» (٩٢) (٩٤) من طرق أخرى مرسلا وقال: روي هذا الحديث مسنداً ولا يصح.

وهو جزء من كتاب كتبه الرسول ﷺ إلى أقيال اليمن، ورواه بطوله موصولاً ابن حبان في «صحيحه» (٦٥٥٩)، والحاكم في «المستدرك» (١٤٤٧) وصححه، عن أبي بكرِ بن محمدِ بن عَمْرِو بن حَزْمٍ، =

وعن علقمة والأسود قالا: أتينا سلمانَ لنقرأَ عليه وقد جاءَ مِنَ الغائط، فقلْنا له: توضَّأْ لنقرأَ عليك، فقال: اقرؤوا؛ فإنِّي لسْتُ أمسُّه، إنَّه لا يمسُّه إلَّا المطهَّرون(١).

وقال الكلبيُّ رحمَه اللهُ: لا يقرؤُه إلَّا الموحِّدون(٢).

وقال الفرَّاءُ: لا يجدُ طعمَه ونفعَه إلَّا مَن آمنَ به(٣).

= عن أبيه، عن جدِّه: أن رسول الله ﷺ كتب إلى أهل اليمنِ بكتابٍ فيه الفرائضُ والسُّنن والدِّيَات، وبَعَث به مع عمرو بن حزم، فقُرِئَتْ على أهلِ اليمن، وهذه نُسختُها...) الحديث. وفيه سليمان بن أرقم، وهو متروك الحديث. وقد أخطأ بعض الرواة فسماه سليمان بن داود، ينظر تفصيل ذلك في «الجوهر النقي» لابن التركماني (٤/ ٨٩).

قال ابن عبد البر في «الاستذكار» (٢/ ٤٧١): وكتابُ عمرو بن حَزْمٍ هذا قد تَلقَّاه العلماءُ بالقَبولِ والعملِ وهو عندهم أشهرُ وأظهرُ من الإسنادِ الواحدِ المتَّصل.

وقال في «التمهيد» (١٧/ ٣٩٧): والدليل على صحة كتاب عمرو بن حزم تلقي جمهور العلماء له بالقبول ولم يختلف فقهاء الأمصار بالمدينة والعراق والشام أن المصحف لا يمسه إلا الطاهر على وضوء.

قلت: وله شاهد من حديث ابن عمر رضي الله عنهما رواه الطبراني في «الكبير» (١٣٢١٧)، و«الصغير» (١١٦٢)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ٢٧٦): رجاله موثقون. وقال الحافظ في «التلخيص الحبير» (١/ ١٣١): إسناده لا بأس به، وذكر الأثرم أن أحمد احتج به.

(١) رواه عبد الرزاق في «المصنف» (١٣٢٥)، والدارقطني في «سننه» (٤٤٢)، والحاكم في «المستدرك» (٦٥١)، وابن حزم في «المحلى» (١/ ٨٣)، جميعهم عن علقمة وحده. وروي من طريق علقمة والأسود مختصراً بلفظ: أن سلمان قرأ عليهما بعد الحدث. رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (١١٠١)، والدارقطني في «سننه» (٤٤٦). ورواه الدارقطني أيضاً من طريق آخر وقال: كلها صحاح.

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٢١٩)، والماوردي في «تفسيره» (٥/ ٤٦٤).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٣٠).

وقال الحسينُ بنُ الفضل: أي: لا يعرفُ تفسيرَه وتأويلَه إلَّا مَن طهَّره اللهُ تعالى مِن الشِّركِ والنِّفاقِ[١].

وقال أبو بكر الورَّاقُ: لا يوفَّقُ للعملِ به إلَّا السُّعداء[٢].

* * *

(٨٠ ـ ٨١) ـ ﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٨٠ أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: أي: هو مُنزَّلٌ مِن مالكِ الخلائقِ أجمعين.

قوله تعالى: ﴿أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ﴾: أي: أفبهذا القرآن أنتم كافرون، مدافعون الإيمان به بالعلل الكاذبة مِن غير بيانٍ ولا برهانٍ، بل إلفًا للعادةِ، وإعراضًا عن النَّظر.

والادِّهان: اللِّين والمصانعة.

وقال قطرب: المُدْهِنُ: المصانع[٣].

وقال أبو سعيد: المُدْهِنُ: ذو الوجهَيْن.

وقال الأصمُّ: المُدْهِنُ: الذي لا يفعلُ ما يحقُّ عليه، ويدفعُه بالعللِ، طلبًا لمرضاةِ جارٍ أو قريبٍ أو نحو ذلك.

والخطاب لمشركي العرب، ولا يَبعُد أنْ يكون فيهم مَن يجاهر بالكفر، ومنهم مَن يداهن ويعلِّل.

يقول: أفبهذا القرآنِ مع وضوحِ إعجازِه واشتمالِه على أنباءِ الغيبِ تداهنون المؤمنين، وتؤخِّرون الإيمان؟ عجبًا لكم ولِمَا تفعلون! استفهامٌ بمعنى التَّوبيخ.

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٢١٩).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٢١٩).

(٣) في (ف): «الصانع الحاذق الرقيق اليدين».

(٨٢) ـ ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾: أي: وتجعلونَ ما رزقَكُم اللهُ مِن العلمِ الذي أنزلَه إليكم في القرآنِ تكذيبًا لربوبيَّته وقدرتِهِ على البعثِ بعدَ الموتِ، هذا معنى قولِ الحسن، فإنَّه قال: خسرَ قومٌ لا يكون حظُّهم مِن كتابِ اللهِ تعالى إلَّا التَّكذيب[1].

وتقديرُه: وتجعلون حظَّكم مِن القرآنِ التَّكذيبَ.

وقيل: معناه: وتجعلون شكري على رزقي إيَّاكم تكذيبَكم بقدرتي على مثلِ ما رُزِقْتموه.

وقال الفرَّاءُ: هو كقولك: جعلْتَ زيارتي إيَّاكَ أنَّك استخففْتَ بي، وتقديرُ قولِه: ﴿رِزْقَكُمْ﴾؛ أي: رزقي إيَّاكم، والشُّكرُ مضمَرٌ[2].

وروي أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال يومًا وقد مُطِروا مِن ليلتِهم: «يقولُ اللهُ تعالى: أصبحَ مِن عبادي مؤمنٌ بي كافرٌ بالكوكبِ، وكافرٌ بي مؤمنٌ بالكوكبِ، أمَّا مَن قالَ: مُطِرْنا بفضلِ اللهِ ورحمتِه، فذلكَ مؤمنٌ بي كافرٌ بالكوكب، وأمَّا مَن قال: مُطِرنا بِنَوءِ كذا، فذلكَ كافرٌ بي مؤمنٌ بالكوكب»[3].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٣٧٢).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٣٠). وقوله: «الشكر مضمر» ليس من كلام الفراء، ولا يظهر له وجه، ولعل ذكره هنا سهو أو سبق نظر، فإن الظاهر أن يذكر عقب القول السابق: «وتجعلون شكري على رزقي إيَّاكم...».

(٣) رواه البخاري (٨٤٦)، ومسلم (٧١)، من حديث زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه. وجاء في (أ): «بالكواكب» في المواضع الأربعة السابقة.

وقال عليٌّ رضي الله عنه: نزلَتِ الآية في هذا: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ﴾؛ أي: شكرَكُم، فيقولون: مُطِرْنا بنوء كذا[1].

ورُوِيَ: أنَّ النَّبيَّ ﷺ خرجَ في بعضِ أسفارِه، فعطشَ أصحابُه، واحتاجوا إلى الماءِ، وذكروا ذلك للنَّبيِّ ﷺ فقال: «أرأيْتُم إنْ دعوْتُ فسُقِيْتُم فلعلَّكُم تقولون: سُقِيْنا بِنَوءِ كذا»، قالوا: يا رسولَ اللهِ، ما هذا بحينِ الأنواءِ، فصلَّى ركعتَيْنِ ودعا ربَّه، فهاجَتْ ريحٌ، ثمَّ هاجَتْ سحابةٌ، ومُطِروا حتَّى سالَت الأوديةُ، وملؤوا الأسقيةَ، ثمَّ ركبَ رسولُ اللهِ ﷺ، فمرَّ برجلٍ يغرِفُ بقدحٍ له، وهو يقول: سُقِيْنا بِنَوْءِ كذا، فأنزل اللهُ تعالى هذه الآية[2].

وقال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه: سمعْتُ النَّبيَّ ﷺ يقولُ: «لو حبسَ اللهُ القَطْرَ عن أمَّتي عشر سنين، ثمَّ أنزلَ الماءَ، لأصبحَتْ طائفةٌ منهم يقولون: سُقِيْنا بِنَوْءِ كذا»[3].

---

(١) رواه الترمذي (٣٢٩٥) مرفوعًا، وقال: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه مرفوعًا إلاَّ من حديث إسرائيل، ورواه سفيان الثوري، عن عبد الأعلى، عن أبي عبد الرحمن السلمي، عن عليٍّ نحوه ولم يرفعه.

قلت: ونزول الآية في هذا السبب رواه مسلم (٧٣) عن ابن عباس قال: مطر الناس على عهد النبي ﷺ، فقال النبي ﷺ: «أصبح من الناس شاكر ومنهم كافر، قالوا: هذه رحمة الله، وقال بعضهم: لقد صدق نوء كذا وكذا»، قال: فنزلت هذه الآية: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ ـ حتى بلغ ـ ﴿رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾.

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٢٢١)، والقرطبي في «تفسيره» (٢٠/ ٢٢٦) بلا إسناد.

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١١٠٤٢)، والنسائي (١٥٢٦)، وابن حبان في «صحيحه» (٦١٣٠)، إلا أنه في رواية أحمد وابن حبان: «سبع سنين»، وفي رواية النسائي: «خمس سنين»، ورواه بلفظ: «عشر سنين» الدارمي في «سننه» (٢٨٠٤).

(٨٣ ـ ٨٦) ـ ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ﴾: أي: فهلَّا إذا بلغَتِ النَّفس ـ أي: الرُّوحُ ـ الحلقومَ ترجعونها.

ذكرَ ﴿فَلَوْلَآ﴾ مرَّتين، ثمَّ قال: ﴿تَرْجِعُونَهَآ﴾، فكانَ جوابًا لهما، كما في قوله: ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ﴾، وقوله: ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا۟﴾، ثمَّ قالَ: ﴿لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [الفتح: ٢٥]، فكان جوابًا لهما.

﴿وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ﴾: خطابٌ للَّذين حضروا مَن يموتُ.

﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ﴾: لأنَّ قربكُم بمسافةٍ، وقربُ اللهِ لا بمسافةٍ.

﴿فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ﴾: أي: غيرَ محاسَبين.

وقيل: أي: غير مَجْزيِّين، وهو مفعولٌ مِن الدِّين، وهو الجزاءُ والحسابُ أيضًا.

وقيل: أي: غير مَقهورِيْن مملوكين، وقد دانه؛ أي: قهرَه، وقال: ﴿فِى دِينِ ٱلْمَلِكِ﴾ [يوسف: ٧٦]؛ أي: مُلْكِه وسُلْطانِه.

* * *

(٨٧ ـ ٨٩) ـ ﴿تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾.

﴿تَرْجِعُونَهَآ﴾: أي: ترجعونَ النَّفسَ ـ أي: الرُّوح ـ إلى البدنِ، فلا تخرجُ ولا يموتُ.

﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾: وتقديرُ الآيات: وإنْ كانَ الأمرُ على ما يتوهَّمون مِنْ أنَّ النَّاسَ يموتون بانقضاءِ أعمارِهم، لا بأنْ يميتَهُم اللهُ تعالى فينقُلَهم إلى دارِ الجزاءِ، ويبعثَهم للحسابِ، فهلَّا إذا بلغَتْ نفسُ أحدِكُم الحلقومَ عندَ شِدَّةِ النَّزْعِ وأنتم حينئذٍ

حضورٌ له تنظرونَ إليه وتشاهدون حالَه، لا تردُّونَ[١] روحَه في جسدِه، مع عِزَّةِ فَقْدِهِ عليكم، وحرصِكُم على بقائِه، فإذا كنتم على ذلك غيرَ قادرين فاستدِلُّوا به على أنَّ خروجَ روحِه بإخراجِ اللهِ تعالى إيَّاها، وأنَّه إنَّما يفعلُه ليبعَثه يومَ الحسابِ، ويجازيَه بالثَّواب والعِقاب.

﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ﴾: أي: فأمَّا إنْ كانَ الَّذي تقبضُ الملائكةُ روحَه مِن السَّابقين المقرَّبين ﴿فَرَوۡحٞ وَرَيۡحَانٞ﴾: فلَهُ رَوحٌ وريحان.

قال ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: ﴿فَرَوۡحٞ﴾؛ أي: راحةٌ في القبر، ﴿وَرَيۡحَانٞ﴾؛ أي: رزقٌ في الجنَّة[٢].

وقال أبو العالية: ﴿وَرَيۡحَانٞ﴾ عندَ الموتِ، يُؤتَى به مِنَ الجنَّةِ، فيشمُّه ثمَّ يموت[٣].

وقال الزَّجَّاجُ: ريحانٌ: أصلُه رَيِّحَان بتشديد الياء، لأنَّه مِن الرَّوح[٤]، وخُفِّفَ للزِّيادة الَّتي لحقتْهُ مِن الألف والنُّون[٥].

وقال عطاءٌ: الرَّوح: الفرجُ مِن غُموم الدُّنيا، والرَّيحانُ: الرِّزقُ في الجنَّة.

---

(١) قوله: «لا تردون» كذا في النسخ، ولعل المعنى على حذف «لا»، لأن الكلام صدر بـ«هلا»، فالمعنى: (فهلا إذا كان كذا وكذا تردون)، ولا لزوم لـ(لا) بل هي تقلب المعنى.

(٢) روى نحوه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٣٧٧) عن مجاهد، وانظر: «تنوير المقباس» للفيروزابادي (ص: ٤٥٥).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٣٧٨).

(٤) قوله: «من الروح» كذا في النسخ، والذي في «معاني القرآن» للزجاج وغيره: «رَيْوِحان» على وزن: فيعلان. انظر: «مشكل إعراب القرآن» لمكي (٢/ ٧٠٥)، و«البسيط» للواحدي (٢١/ ١٤٤)، و«المحرر الوجيز» لابن عطية (٥/ ٢٢٦)، و«التبيان في إعراب القرآن» للعكبري (٢/ ١٢٠٦)، وغيرها.

(٥) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ١١٧ ـ ١١٨).

وقال أبو بكر الورَّاق: الرَّوحُ: النَّجاةُ مِن النَّارِ، والرَّيحانُ: دخولُ دارِ القَرار(١).

وقال الجُنيدُ رحمَه اللهُ: الرَّوح لقلوبِهم، والرَّيحانُ لنفوسِهم(٢).

وقيل: كلاهما في الجنَّة؛ قال تعالى خبرًا عنهم أنَّهم يقولون: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ﴾ [فاطر: ٣٤] فهو الرَّوح، وقال: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم: ٦٢] فهو الرَّيحان.

وقيل: الرَّوحُ: الرَّحمةُ؛ قال تعالى: ﴿وَلَا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٧]، والرَّيحانُ: التَّحيَّةُ، والتَّحيَّةُ بالرَّيحانِ معهودةٌ بينَ الخليقةِ.

﴿وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾: للمقرَّبين أيضًا.

* * *

(٩٠ ـ ٩٢) ـ ﴿وَأَمَّا إِن كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا إِن كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾: هذا الذي تُقْبَضُ روحُهُ.

﴿فَسَلَامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾: أي: فسلامةٌ لكَ وسرورٌ وخيرٌ منهم يا محمَّد؛ أي: إنَّك تُسَرُّ لِمَا تراهُ مِن ثوابِهم في الجنَّةِ.

وقيل: ﴿فَسَلَامٌ لَّكَ﴾؛ أي: أنتَ سالمٌ مِن الاغتمامِ(٣) لهم، فقد نجَوا.

وقيل: معناه: فإنهم يسلِّمونَ عليك ويصلُّون، وأنا مبلِّغٌ إليك سلامَهم يا محمَّد.

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٢٢٤).

(٢) ذكره الماوردي في «تفسيره» (٥/ ٤٦٧)، والقشيري في «لطائف الإشارات» (٣/ ٥٢٨) بلا نسبة. وعزاه السلمي في «تفسيره» (٢/ ٣٠٣) إلى للسلامي.

(٣) في (ر): «الاهتمام».

وقيل: معناه: فيُقالُ لهذا المقبوضِ عند الموت: فسلامٌ لَكَ إنَّك مِن أصحاب اليمين؛ أي: سلامةٌ لكَ ممَّا تَخاف.

وقيل؛ أي: فسلامٌ عليك، وهو سلامُ الملائكةِ عليه حينئذٍ.

وقيل: هو بشارةٌ له بالسَّلامِ مِن الملائكةِ في الجنَّة، وسلامِ اللهِ فيها بلا واسطةٍ.

قوله تعالى: ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ﴾: وهمُ الصِّنفُ الثَّالثُ، وهم أصحاب المشأمة، وهم الَّذين قيل لهم في هذه السُّورة: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ﴾ [الواقعة: ٥١].

﴿فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ﴾: أي: فرزقُه الَّذي يُعَدُّ له(١) وطعامُه الَّذي يُعطاهُ مِن حَميمٍ، وهو الماءُ الحارُّ الَّذي فسَّرناه.

***

(٩٤ ـ ٩٥) ـ ﴿وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾.

﴿وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ﴾: أي: إدخالٌ فيها.

ورُوي عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «مَن أحبَّ لقاءَ اللهِ أحبَّ اللهُ لقاءَهُ، ومَن كرِهَ لقاءَ اللهِ كرِهَ اللهُ لقاءَهُ»، فأنشأ القومُ يبكون، فقال: «ما يبكيكُم؟»، فقالوا: يا رسولَ اللهِ، ما منَّا أحدٌ إلَّا وهو يبغضُ الموتَ، فقال: «إنِّي لسْتُ ذلك أعني، ولكن يقولُ اللهُ تعالى: ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ﴾ إلى قوله: ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ فهذا في الدُّنيا، ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾، فإذا بُشِّرَ بذلكَ أحبَّ لقاءَ اللهِ، واللهُ تعالى للقائِهِ أحبُّ، فما يسرُّهُ أنَّ له الدُّنيا بما فيها وأنَّه يُردُّ إليها، ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ الآية، فإذا بُشِّرَ بالنَّار أبغضَ لقاءَ اللهِ، واللهُ للقائِهِ أبغضُ»(٢).

---

(١) في (ر) و(ف): «أعده له».

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١٨٢٨٣) من حديث عبد الرحمن بن أبي ليلى عن رجل سمع =

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾: أي: هذا الَّذي أخبرْتُكُم به مِن أوَّلِ هذه السُّورة، وهو في بيان أحوالهم في الآخرة، إلى آخرها وهو في بيان حال[1] خروجِهم من الدُّنيا = هو الحقُّ الَّذي لا باطلَ فيه، وهو اليقينُ من الخبر الَّذي لا شكَّ فيه، فثقْ به يا محمَّد.

و﴿حَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾ إضافةُ الشَّيءِ إلى نفسِه، كقولِ الشَّاعر:

ولــو أَقْــوَتْ عليْــكَ دِيــارُ عَبْــسٍ ... عَرَفْــتَ الــدَّارَ عِرْفــانَ اليقــينِ[2]

وقال الأخفشُ: هو إضافةُ الشَّيء إلى صفتِه، كقولهم: صلاة الأولى، وبارحةَ الأولى، ومسجد الجامع[3].

وقيل: بل[4] هو كقولهم: نفس الحائط؛ أي: النَّفس الَّتي هي الحائط.

***

= النبي ﷺ. وصحح إسناده البوصيري في «الإتحاف» (٢/ ٢٩٧).

(١) «حال» من (أ) و(ف).

(٢) ذكره الفراء فقال: أنشدني بعضهم. انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٥٦)، والبيت بلا نسبة أيضاً في: «تفسير الطبري» (١٣/ ٣٨١)، و«تفسير الثعلبي» (٥/ ٢٦٤).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للأخفش (٢/ ٥٣٤)، وقال فيه: «وقال: ﴿حَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾ فأضاف الى اليقين، كما قال ﴿دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾؛ أي: ذلك دين الملة القيمة، وذلك حق الأمر اليقين. وأما: هذا رجل السوء، فلا يكون فيه: هذا الرجل السوء، كما يكون في (الحق اليقين)؛ لأن (السوء) ليس بـ(الرجل) واليقين هو الحق». فهذا كلامه، والذي يظهر من كلام القرطبي أنه خلاف ما نسبه إليه المؤلف، فإن نسب ما قال المؤلف للكوفيين، وما قاله الأخفش للبصريين. انظر: «تفسير القرطبي» (٢٠/ ٢٣٤)، وذكر نحوه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٣٨٢).

(٤) «بل» من (ف).

(٩٦) ـ ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾.

﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾: أي: إنَّ مَن صَدَّقَكَ صار إلى ما أُعِدَّ له، وكذا مَن كَذَّبَكَ صار إلى ما أُعِدَّ له، وقد بيَّنَّا لك ذلك كلَّه، فلا يشقَّنَّ عليك ما يفعلونه، فافزَعْ أنت إلى تنزيه ربِّك عمَّا أضافه إليك المكذِّبون الضَّالُّون، واجعل تنزيهَكَ إيَّاه تسميتَكَ له بأسمائه الحسنى التي علَّمَكَها، فاذكرْهُ بها معتقدًا حقائقَها، فإنَّ اللهَ هو ربُّك؛ أي: القيِّم بمصالحك، العظيم في سلطانِه، الذي يفعلُ ما يشاءُ ويحكمُ ما يريدُ.

وقيل: المراد بالتَّسبيح: الصَّلاة.

ورُوي أنَّه لَمَّا نزلَتْ هذه الآية قال النَّبيُّ ﷺ: «اجعلوها في ركوعِكُم: سبحان ربِّي العظيم»، ولَمَّا نزل قوله: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١]، قال: «اجعلوها في سجودِكُم: سبحان ربِّي الأعلى»(١).

والحمد لله ربِّ العالمين

* * *

(١) رواه أبو داود (٨٦٩)، وابن ماجه (٨٨٧)، من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه.

سُورَةُ الحَدِيدِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

بسم الله الَّذي يسبِّحُ له ما في السَّماوات والأرض وهو العزيز الحكيم الرَّحمنِ الَّذي وعدَ المصدِّقين والمتصدِّقين بالمضاعفة والأجر الكريم، الرحيمِ الَّذي بيده الفضلُ يؤتيه مَن يشاء والله ذو الفضل العظيم.

وروى أبيُّ بنُ كعبٍ رضي الله عنه عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «مَنْ قرأَ سورةَ الحديد كُتِبَ مِن الَّذين آمنوا باللهِ ورُسُلِه، أولئك هم الصِّدِّيقون والشُّهداء عند ربِّهم»(١).

وهذه السُّورة مدنيَّة.

وهي تسعٌ وعشرون آية، وقيل: ثمان وعشرون، والاختلاف في قوله: ﴿مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ﴾ [الحديد: ١٣]، ﴿وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْإِنجِيلَ﴾ [الحديد: ٢٧].

وهي خمسُ مئة وثلاثٌ وسبعون كلمة، وألفان وأربعُ مئة وسبعون حرفًا(٢).

وانتظامُ ختمِ تلك السُّورة بافتتاح هذه السُّورة: أنَّهما في التَّسبيح.

---

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٢٧٧)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ٢٣١). قال ابن الجوزي في «الموضوعات» (٤/ ٣٤٤): مصنوع بلا شك. وقال ابن كثير في «تفسيره»: حديث منكر من سائر طرقه. وانظر: «الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة» للشوكاني (ص: ٢٩٦).

(٢) في (أ) و(ف): «وتسعون حرفا». وفي «البيان في عد آي القرآن» (ص: ٢٤١): كلمها خمس مئة وأربع وأربعون كلمة، وحروفها ألفان وأربع مئة وستَّة وسبعون حرفا.

وانتظامُ السُّورتَيْن: أنَّ تلك السُّورة في ذِكْرِ السَّابقين وأصحابِ اليمين والمكذِّبين الضَّالين، وهذه السُّورة في حثِّ السَّابقين وأصحاب اليمين على جهاد المكذِّبين الضَّالين، والإنفاق فيه على المجاهدين.

وافتُتِحَتِ السُّورة بذِكْرِ أنَّ جميعَ مَن في السَّماوات والأرض وما فيهما مُلْكُه، وهو سبحانَه غنيٌّ عنهم، وإنَّما أمرَ بجهادِ الكفَّار لا لعجزِه عن إهلاكِهم، لكن امتحانًا لهم ليتميَّز صادقُهم من كاذبهم.

* * *

(١) ـ ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾: يحتمِلُ أنَّه أرادَ أنَّ جميعَ ما في السَّماوات والأرض[1] مِن أصنافِ الخلائقِ ـ حيوانِه ومواتِه، ونامِيه وجمادِه، وجواهرِه وأعراضِه = دليلٌ على اللهِ تعالى وحدَه، وعلى أنَّه عزيزٌ حكيمٌ، مالكٌ لأصنافِ الخلائقِ كلِّها، قادرٌ على إحياءِ مَوتاها وإماتةِ أحيائِها، وعلى كلِّ شيءٍ يريدُه، فهي بما فيها من آثار الصَّنعة وشواهدِ الحدوث تنزِّهُهُ ـ جلَّ جلالُه ـ عمَّا يضيفُه إليه المشركون مِن الشُّركاء والأنداد، ويحرِّفون مِن صفاته أهلُ الإلحاد، ويشهدُ بأنَّه ﴿الْعَزِيزُ﴾؛ أي: المنيعُ بسلطانِه وجلالِه، ﴿الْحَكِيمُ﴾: المصيبُ في أقوالِه وأفعالِه.

وقال ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: يقول: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ﴾: صلَّى لله ﴿مَا فِي السَّمَاوَاتِ﴾: مِن الملائكةِ والشَّمس والقمرِ والنُّجوم، ﴿وَالْأَرْضِ﴾: مِن الجبال والأنهار والأشجارِ والطَّير والدَّوابِ، ﴿وَمَا بَيْنَهُمَا﴾: مِن الرِّياح والسَّحاب، وما فيه روحٌ

(١) في (ر): «وما فيها ملكه».

ومـا لا روحَ فيـه، ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾: المنيـع بالنِّقمة ممَّن يشـاء(١)، ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾: فـي أمره(٢).

وقال ابن كيسان: التَّسبيحُ: التَّحميدُ والتَّقديسُ مِن الخلقِ لله تعالى، وهو على وجهَيْن:

أحدهمـا: عبادتُـه وتعظيمُـه بمـا هـو أهلُه مِـن قولٍ وعمـلٍ ممَّن هـو مِن أهلِ الاختيار.

والآخرُ: أنَّ الله تعالى فطرَ الخلقَ على فطرةٍ تشهدُ لخالقِها أنَّه لا شريكَ له في خلقِها، وأنَّه ليس كمثلِها.

فكلُّ شيءٍ ـ على هذا ـ لله تعالى يسبِّح، قال تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾ [الإسراء: ٤٤]؛ أي: يشهدُ أنَّه لا شريكَ له، ونظيرُه قولُه: ﴿وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ [آل عمران: ٨٣].

* * *

(٢) ـ ﴿لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.

قوله تعالى: ﴿لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾: قال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: خزائنُ السَّماوات والأرض مِن المطرِ والنَّبات وغير ذلك، ﴿يُحْىِۦ﴾ عندَ البعث، ﴿وَيُمِيتُ﴾ في الدُّنيا(٣).

وقال ابن كيسان: أي: هو مليكُهُما، لا خالقَ لهما سواه، يحيى الميِّت من النُّطفة والأرضِ والأشجارِ بعد موتها، ويميتُ الحيَّ منها.

---

(١) في (ر) و(ف): «بالنعمة ممن يشاء»، وفي «تنوير المقباس»: (بالنقمة لمن لا يؤمن به).

(٢) انظر: «تنوير المقباس» للفيروزآبادي (ص: ٤٥٦).

(٣) انظر: «تنوير المقباس» للفيروزآبادي (ص: ٤٥٦).

وقال عليُّ بنُ أبي طالبٍ رضي الله عنه: يحيي بالطَّاعة ويميْتُ بالمعصيةِ.

وقال مقاتل بن حيان: يحيي بالفضلِ، ويميْتُ بالعدلِ.

وقال أبو بكر الورَّاق: يحيي بالعلم، ويميْتُ بالجهل.

وقال قتادة: يحيي بالإيمان والطَّاعة، ويميْتُ بالكفر والمعصية(١).

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ﴾ من هذا وغيره ﴿قَدِيرٌ﴾.

* * *

(٣) ـ ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾: ﴿الْأَوَّلُ﴾: السَّابق قبل كلِّ شيءٍ، ﴿وَالْآخِرُ﴾: الباقي بعد كلِّ شيء، ﴿وَالظَّاهِرُ﴾ لوضوح الدَّلائل على وجودِه، ﴿وَالْبَاطِنُ﴾ فلا يُرَى في دار التَّكليف.

﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾: لا يخفَى عليه شيءٌ.

وقال ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: ﴿الْأَوَّلُ﴾: قبلَ كلِّ شيءٍ، ﴿وَالْآخِرُ﴾: بعدَ كلِّ شيءٍ، ﴿وَالظَّاهِرُ﴾: الغالبُ على كلِّ شيءٍ، ﴿وَالْبَاطِنُ﴾: العالمُ بكلِّ شيءٍ، ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾؛ يعني: سواءٌ عليه الظَّاهر والباطن(٢).

وقال الضَّحَّاك رحمَه اللهُ: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ﴾: الذي أوَّلُ الأوائل، ﴿وَالْآخِرُ﴾: الذي آخرُ الأواخر، ﴿وَالظَّاهِرُ﴾: الذي أظهرُ الظَّواهر، ﴿وَالْبَاطِنُ﴾: الذي أبطنُ البواطن(٣).

وقال ابن كيسان: ﴿الْأَوَّلُ﴾: قبلَ كلِّ كائنٍ، ﴿وَالْآخِرُ﴾: بعدَ كلِّ كائنٍ،

---

(١) لم أقف على هذه الآثار.

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٢٢٧)، وانظر: «تنوير المقباس» للفيروزابادي (ص: ٤٥٦).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٢٢٨).

﴿وَٱلظَّٰهِرُ﴾: الـذي أظهـرَ لخلقِـه أنَّـه الخالقُ مِـن غيـرِ أنْ يجاهروه، وظهـرَ عليهم بالقـدرةِ بحكـم ما يشـاءُ فيهـم، فلا يمتنعـون من تدبيـره فيهـم، ﴿وَٱلْبَاطِنُ﴾: الخبيرُ بـكلِّ خلـقٍ منهـم، وبـكلِّ ما يعملـون فـي ظاهرهـم وباطنهم.

وقال مجاهد رحمه الله: ﴿ٱلْأَوَّلُ﴾ بلا تأويلِ أحدٍ، ﴿وَٱلْآخِرُ﴾ بلا تأخير أحدٍ، ﴿وَٱلظَّٰهِرُ﴾ بلا إظهارِ أحدٍ، ﴿وَٱلْبَاطِنُ﴾ بلا إبطانِ أحدٍ(١).

وقيل: ﴿ٱلْأَوَّلُ﴾ بلا ابتداءٍ، ﴿وَٱلْآخِرُ﴾ بلا انتهاءٍ، ﴿وَٱلظَّٰهِرُ﴾ بلا اختفاءٍ، ﴿وَٱلْبَاطِنُ﴾ بلا احتواء.

وقال سعيد بن المسيَّب رحمه الله: ﴿ٱلْأَوَّلُ﴾ بالقدرة، قال تعالى: ﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ﴾ [المرسلات: ٢٣]، ﴿وَٱلْآخِرُ﴾ بالقدرة؛ قال تعالى: ﴿وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١٨]، ﴿وَٱلظَّٰهِرُ﴾ بالقـدرة؛ قـال تـعـالى ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾ الآيـة [الأنعام: ٦٥]، ﴿وَٱلْبَاطِنُ﴾ بالقدرة؛ قال تعالى: ﴿مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ [الأنعام: ٦٥].

وقال سفيان(٢): ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ﴾ بالخلق، ﴿وَٱلْآخِرُ﴾ بالرِّزق، ﴿وَٱلظَّٰهِرُ﴾ بالإحياء، ﴿وَٱلْبَاطِنُ﴾ بالإماتة(٣).

وقال عليُّ بنُ موسى الرِّضا: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ﴾ ببرِّه(٤) إذ عرَّفك توحيدَه، ﴿وَٱلْآخِرُ﴾ بوجوده إذ عرّفك التَّوبة، ﴿وَٱلظَّٰهِرُ﴾ بكرمه إذ وفَّقك للسُّجود له، ﴿وَٱلْبَاطِنُ﴾ بستره إذ عصيتَه فسترَ عليك(٥).

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٢٢٨) عن مقاتل بن حيان.

(٢) في (أ) و(ف): «شقيق».

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٢٢٨) عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(٤) في (أ): «بسره».

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٢٢٨) عن السدي.

وقال الحسين بن الفضل رحمه الله: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ﴾ بلا ابتداء، ﴿وَٱلْآخِرُ﴾ بلا انتهاء، ﴿وَٱلظَّٰهِرُ﴾ بلا اقتراب، ﴿وَٱلْبَاطِنُ﴾ بلا احتجاب.

وقال أبو بكر الورَّاق: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ﴾ بالأزليَّة، ﴿وَٱلْآخِرُ﴾ بالأبديَّة، ﴿وَٱلظَّٰهِرُ﴾ بالأحديَّة، ﴿وَٱلْبَاطِنُ﴾ بالصمديَّة.

وقال محمد بن عليٍّ التِّرمذيُّ رحمه الله: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ﴾ بالتَّأليف، ﴿وَٱلْآخِرُ﴾ بالتَّكليف، ﴿وَٱلظَّٰهِرُ﴾ بالتَّصريف، ﴿وَٱلْبَاطِنُ﴾ بالتَّعريف[١].

وقيل: ﴿ٱلْأَوَّلُ﴾ بالعناية، ﴿وَٱلْآخِرُ﴾ بالهداية[٢]، ﴿وَٱلظَّٰهِرُ﴾ بالرِّعاية، ﴿وَٱلْبَاطِنُ﴾ بالولاية.

وقيل: ﴿ٱلْأَوَّلُ﴾ بالإعلام، ﴿وَٱلْآخِرُ﴾ بالإلزام[٣]، ﴿وَٱلظَّٰهِرُ﴾ بالإنعام، ﴿وَٱلْبَاطِنُ﴾ بالإكرام.

وقال عبدُ العزيز بن يحيى رحمه الله: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ﴾ لم يزلْ قبلَ الأشياء لا عن ابتداءٍ في الأزل، ﴿وَٱلْآخِرُ﴾ بعدَ الأشياء لا إلى انتهاءٍ في أبد، ﴿وَٱلظَّٰهِرُ﴾ المتجلِّي للعقول بما دلَّ على نفسِه من أصنافِ خلقِه، ﴿وَٱلْبَاطِنُ﴾ الَّذي لا تدركُه الأبصارُ لتعاليه في ذاته[٤].

وقال بسَّام بن عبد الله: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ﴾ بالتَّكوين، ﴿وَٱلْآخِرُ﴾ بالتَّلقين، ﴿وَٱلظَّٰهِرُ﴾ بالتَّبيين، ﴿وَٱلْبَاطِنُ﴾ بالتَّزيين.

---

(١) ذكر هذه الأقوال الثلاثة الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٢٢٨ ـ ٢٢٩).

(٢) في (ف): «بالنهاية».

(٣) في (ر): «بالإكرام».

(٤) لم أقف عليه، ولعبد العزيز بن يحيى قول آخر في «تفسير الثعلبي» (٩/ ٢٢٨).

بيان التَّكوين في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]، وبيان التَّلقين في قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧]، وبيان التَّبيين في قوله تعالى: ﴿لِيُبَيِّنَ لَكُمۡ﴾ [النساء: ٢٦]، وبيان التَّزيين في قوله تعالى: ﴿وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ﴾ [الحجرات: ٧][1].

وقيل: ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ﴾ الذي لا تسبقُه[2] الأدوار، ﴿وَٱلۡأٓخِرُ﴾ الَّذي لا تلحقه الأطوار، ﴿وَٱلظَّٰهِرُ﴾ الَّذي لا تخفى عليه الأسرار، ﴿وَٱلۡبَاطِنُ﴾ الَّذي لا تدركُه الأبصار.

وقيل: ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ﴾ الَّذي يستحقُّ الوصف بالقِدم، ﴿وَٱلۡأٓخِرُ﴾ الَّذي يستحيلُ عليه الوصف بالعَدم، ﴿وَٱلظَّٰهِرُ﴾ بالعلوِّ والرِّفعة، ﴿وَٱلۡبَاطِنُ﴾ بالعلم والحكمة.

وقيل: ﴿ٱلۡأَوَّلُ﴾ فلا افتتاحَ لوجودِه، ﴿وَٱلۡأٓخِرُ﴾ فلا انقطاعَ لثبوتِه، ﴿وَٱلظَّٰهِرُ﴾ فلا خفاءَ لجلالِ عزِّه، ﴿وَٱلۡبَاطِنُ﴾ فلا سبيلَ إلى إدراكِه.

وقيل: مَن كانَ الغالبُ على قلبِه اسمَه الأوَّلَ كانت فكرتُه في سابقتِه بماذا سمَّاه مولاه، وما الذي جرى له في سابق حكمِه، أأسعدَه أم أشقاهُ؟

ومَن كان الغالبُ على قلبِه اسمَه الآخِرَ كانت فكرتُه في أنَّه بماذا يُختَم له حاله، وإلى ماذا يصير مآلُه، أعلى التَّوحيد يخرجُ مِن دنياه، أم في النَّار الكبرى غدًا مثواه؟

وَمن كان الغالبُ على قلبِه اسمَه الظَّاهرَ فاشتغالُه بشكرِ ما يجري في الحالِ مِن توفيقِ الإحسانِ، وتحقيقِ الإيمانِ، وجميلِ الكفاية، وحسنِ الرِّعاية.

ومَن كان الغالبُ على قلبِه اسمَه الباطنَ كانت فكرتُه في استبهامِ أمرِه عليه، فليس يدري أفضلٌ ما يعاملُه به ربُّه، أم مكرٌ يستدرجُه به ربُّه؟

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٢٢٩) بلا نسبة.

(٢) في (أ): «يسعه».

وقيل: ﴿الْأَوَّلُ﴾ علِمَ ما يفعلُه عبادُه فلم يمنعْه علمُه من تعريفهم، ﴿وَالْآخِرُ﴾ رأى ما عملوا فلم يمنعْه مِن غفرانِهم، ﴿وَالظَّاهِرُ﴾ ليسَ يخفَى عليه شيءٌ مِن شأنِهم، وليسَ يدعُ شيئًا من إحسانِهم، ﴿وَالْبَاطِنُ﴾ يعلمُ ما ليسَ لهم به علمٌ مِن خسرانِهم ونقصانِهم، فيدفعُ عنهم فنونَ محنِهم وأحزانِهم.

* * *

(٤ ـ ٦) ـ ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٤) لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (٥) يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾: فسَّرناه في (سورة الأعراف).

﴿مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾: فسَّرناه في (سورة سبأ).

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾: أي: عالمٌ بكم، لا يخفى عليه شيءٌ من أحوالِكم وأفعالِكم وأقوالِكم.

﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾: وهو على مجازاتِكُم على وفقِ عملِكُم قديرٌ.

﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾: فسَّرنا هذا كلَّه مرَّات.

﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾: فسَّرناه في (سورة آل عمران) وغيرها.

﴿وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾: أي: بخفيَّات الصُّدور، ومَن قدرَ على هذه الأشياءِ، وعلم بالأشياءِ، فلن يعجزَهُ[1] إهلاكُ مَن كفرَ به، فلا تتوهَّموا معاشرَ المسلمين أنَّ

---

(١) في (أ): «فلم يعجز»، وفي (ر): «لم يعجزه».

إمهالَ الكفَّارِ لعجزٍ، وأنَّ أمري إيَّاكم بجهادهم لحاجةٍ، لكنْ لأبتليكم به، وأعوضَكم عليه النَّعيم المقيم الذي خلقْتُكُم له وخلقْتُه لكم، وهو وجهُ انتظامِ هذا بما بعدَه.

* * *

(٧) ـ ﴿ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾: أي: أوضحْتُ الدَّلائل على أنَّه لا يستحقُّ العبادةَ غيري، فاعبدوني وآمنوا بي، وصدِّقوا رسولي فيما يخبرُكُم به عنِّي، وهذا في حقِّ المؤمنين أمرٌ بالدَّوام على إيمانهم، وفي حقِّ الكفَّار أمرٌ بابتدائِه.

قوله تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾؛ أي: مِن المالِ الَّذي هو لله، وقد أعطاكُم بعدما كان عند غيركم، وقد جعلكم فيه خلفاء عن الماضين، فأنفقوا في جهادِ أعداءِ اللهِ مالَ اللهِ، مع الجهادِ بأنفسِكُم الَّتي هي لله.

﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟﴾ في سبيلِه بأمرِه طلبًا لمرضاتِه ﴿لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾؛ أي: ثواب عظيم في الآخرة.

* * *

(٨) ـ ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۙ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَٰقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۙ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَٰقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾: قرأ أبو عَمرو: ﴿وقد أُخِذَ﴾ بالضَّم ﴿ميثاقُكُم﴾ بالرَّفع، على ما لم يُسمَّ فاعله، وقرأ الباقون: ﴿أَخَذَ مِيثَٰقَكُمْ﴾ على الفعل الظَّاهر[١].

(١) انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ٦٢٥)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٨).

وهذا الكلامُ خرجَ مخرجَ الاستبطاءِ والإخبارِ بزوال المانع؛ أي: أيُّ عذرٍ لكم في تركِ الإيمانِ باللهِ، وقد أقيمَتْ البراهينُ على ما تُؤمَرون به سمعًا وعقلًا:

أمَّا العقلُ: ما دلَّ دلائلُ العقلِ على صدقِ الرَّسول في دعوى النُّبوَّة، بما أظهرَه اللهُ تعالى على يدِه من المعجزات التي هي خارجةٌ عن قِوى البشر، وذلك أخذُ الميثاقِ منهم به.

وأمَّا السَّمع: فهو ما يدعوهم إليه الرَّسول من الإيمان بمَن هو ربُّهم، دونَ مَن هو مربوبٌ مثلُهم.

﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾؛ أي: إنْ كنتُم ممَّنْ همُّكُم التَّصديق بما يقومُ البرهان على صحَّتِه، فقد قام ذلك سمعًا وعقلًا.

وهذا إذا جُعل هذا خطابًا للمشركين.

وإنْ جُعل خطابًا للمؤمنين فمعناه: أيُّ سببٍ يزيلُكُم عن الإيمانِ والرَّسولُ بينَ أظهرِكُم يدعوكُم إلى الثَّبات عليه، وقد أخذ هو عليه ميثاقكم ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾: موقنين بشرائطِ الإيمان، وهو كقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ﴿١٠٠﴾ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ...﴾ الآية [آل عمران: ١٠٠ ـ ١٠١].

وعلى التَّأويل الأوَّل: أَخْذُ الميثاقِ مِنَ اللهِ تعالى على عبادِه، وهو ميثاقُ الخِلْقَةِ.

وقيل: هو أخذُ ميثاقِ الذُّرِّيَّةِ.

***

(٩ ـ ١٠) ـ ﴿هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۚ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٩﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ لَا يَسْتَوِي مِنكُم

مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَـٰتَلَ أُوْلَـٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعْدُ وَقَـٰتَلُواْ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَـٰتٍۭ بَيِّنَـٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾: أخبرَ بأنَّ الرَّسول إنَّما لزمَتْ دعوته لِمَا أيَّده اللهُ تعالى به مِن المعجزات التي أظهرها على يديه تخليصًا للنَّاسِ من ظلماتِ الكُفْرِ إلى نورِ الإيمانِ.

ويحتملُ أنْ تكون الآياتُ آياتِ القرآنِ، وهو لإعجازِه مِنَ المعجزاتِ أيضًا.

﴿ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾: لرأفتِه ورحمتِه لم يُخلِّكُم فيما تَعبَّدَكم به من مواصلةِ الحُججِ.

وقوله تعالى: ﴿لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: أي: وأيُّ عذرٍ لكم في تركِ الإنفاقِ مِن أموالِكُم في سبيلِه وقد علمتم أنَّ هذه الأموال تزولُ عن أيديكم إلى غيركم كما زالَتْ عن غيركم إليكم فصرْتُم مستخلَفِيْن فيها، ثمَّ هكذا يكون قرنًا بعدَ قرنٍ إلى أنْ تصيرَ لا مالِكَ لها مِنَ البشر[1]، ويرِثُها اللهُ تعالى وهو خير الوارثين؛ أي: لا يبقى لها مَن يدَّعيها، ويخلص مضافًا إلى الله تعالى؛ أي: كيفَ تبخلونَ بأموالٍ هذه حالُها، وبإنفاقِها في سبيل الله يكون لكم في الآخرة منالها[2].

وقوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَـٰتَلَ﴾ قال زيد بن أسلم وقتادة رحمهما الله: أي: قبل فتح مكَّة[3].

وقال عامر: أي: فتح الحديبية[4].

---

(١) «من البشر» ليس في (أ).

(٢) في (ر): «مثالها».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٣٩٣).

(٤) المصدر السابق.

وهاهنا اختصارٌ، وتقديرُه: ومَنْ أنفقَ وقاتَلَ بعدَ الفتحِ، وهذا كما في قوله: ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ﴾ [الزمر: ١٩]، وإنَّما صحَّ ذلك لوضوح المراد، يقولُ: لا يستوي في الفضْلِ مَن أنفقَ في سبيلِ اللهِ وجاهدَ أعداءَ اللهِ قبلَ فتحِ مكَّة ومَن فعلَ ذلكَ بعدُ.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعْدُ﴾: أي: مِن بعدِ الفتح(١) ﴿وَقَٰتَلُواْ﴾ لعزَّة الإسلام وأهلِه، وشدَّة الحاجة إلى مَن ينصرُه؛ أي: فبادِروا إلى تحصيلِ هذه الفضيلةِ.

قال الكلبيُّ رحمه الله: نزلَتْ في أبي بكرٍ الصِّدِّيق رضي الله عنه: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً﴾؛ يعني: أبا بكرٍ وأصحابَه ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُواْ﴾(٢).

﴿وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾: أي: فكلَّ واحدٍ مِن هذين الفريقَيْن له وعدُ الجنَّة؛ لأنَّهم جميعًا مطيعون لله، عاملون بأمرِه، لكنَّ الدَّرجات في الجنَّة متفاوتة.

﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾: أي: بأعمالِكم ومقاديرِها؛ أي: ويجازي كُلًّا على وفقِ عملِه.

* * *

(١١) - ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾: أي: مَن ذا الَّذي ينفقُ في سبيلِ الله إنفاقًا حسنًا، مضمونًا بدلُه على الله بالأضعافِ الكثيرة بوعدِه الصَّادقِ والكائنِ لا محالةَ، وهو قوله:

﴿فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ﴾: قرأ ابن كثير: ﴿فيضعِّفُه له﴾ بالتَّشديد لِلْعين ورفع الفاء، ومثله

---

(١) في (ر): «فتح مكة».

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٢٣٢).

ابن عامر لكن بنصب الفاء، وقرأ عاصم: ﴿فَيُضَٰعِفَهُۥ﴾ بالألف ونصب الفاء، ومثله الباقون إلَّا أنَّهم رفعوا الفاء[1].

والمضاعفةُ والتَّضعيف واحدٌ، وهو الزِّيادة على الشَّيء مثلَه أو زيادة.

والنَّصب على أنَّه جوابُ الاستفهام بالفاء، والرَّفع على العطف على ﴿يُقْرِضُ﴾.

والقرض الحسنُ يكون بمعانٍ: بالإخلاصِ، وبطيبِ النَّفسِ باختيارِ الأعزِّ الأنفَسِ مِن مالِه للإنفاقِ، وبالإخفاءِ، وبقَبول المنَّةِ مِن الله تعالى بالأمر به، وبخوفِ الرَّدِّ، وبرجاءِ القَبول، وبترك الاعتماد عليه، وبترك ملاحظة العِوَضِ، وغير ذلك.

والأضعافُ الكثيرةُ ما ذُكِرَ في قولِه: ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ﴾ [البقرة: ٢٦١].

﴿وَلَهُۥٓ أَجۡرٞ كَرِيمٞ﴾: أي: ثوابٌ خطير[2].

قال ابنُ عبَّاس رضي الله عنهما: نزلَتْ في أبي الدَّحداح[3]. وقد ذكرنا قصَّته في سورة البقرة.

* * *

(١٢) ـ ﴿يَوۡمَ تَرَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَسۡعَىٰ نُورُهُم بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِم بُشۡرَىٰكُمُ ٱلۡيَوۡمَ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ٦٢٥)، و«التيسير» للداني (ص: ٨١).

(٢) في (ف): «عظيم».

(٣) انظر: «تنوير المقباس» للفيروزابادي (ص: ٤٥٧).

وقد رواه سعيد بن منصور في «سننه ـ التفسير» (٤١٧)، والبزار في «مسنده» (٢٠٣٣)، وأبو يعلى في «مسنده» (٤٩٨٦)، والطبري في «تفسيره» (٤/ ٤٣٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٣٨)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٢/ ٣٠١)، كلهم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم﴾: أي: يحصلُ هذا الأجرُ الكريمُ إليهم يومَ القيامة، وهو يوم يسعى للمؤمنين من الرِّجال والنِّساء نورٌ مِن بين أيديهم إلى الجنَّة وبأيمانهم.

قيل: لأنَّ اليمين طريقُ الجنَّة.

وقيل: بأيمانهم؛ أي: تكونُ كتبُهم التي يُعطونها بأيمانهم فيها نورٌ، ثمَّ إذا توجَّهوا إلى الجنَّة صارَ بينَ أيديهم.

﴿بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ﴾: أي: يُقال لهم: لكم البُشرى اليوم ﴿جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾؛ أي: الخلاص عن كلِّ مرهوبٍ، والظَّفرُ بكلِّ محبوب.

قال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: هو النُّور يكون على الصِّراط[1].

وقيل: في عَرْصَةِ القيامة، ولا نورَ هناك إلَّا نورُ الإيمان والطَّاعة، وكلٌّ يُعطَى نورًا على قدر عملِه.

* * *

(١٣) ـ ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾: أي: ويكون هذا للمؤمنين في اليوم الَّذي يتوجَّه المؤمنون والمنافقون جميعًا من القبور إلى حيث أُمِروا، وللمؤمنين نورٌ، والمنافقون يمشون في نورِهم تَبعًا لهم[2]، فيُسرِعُ المؤمنون

---

(١) ذكره الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (٣/ ٣٩٥)، والواحدي في «البسيط» (٢١/ ٣١٩)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٨/ ١٧٩).

(٢) «لهم» ليس في (أ).

بقوَّة إيمانِهم، فيتباعدُ المنافقون عنهم بالتَّخلُّف، فينقطع نورُهم عنهم، فيقولون:

﴿ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾: أي: انتظرونا نأخذْ حظًّا من نورِكُم.

﴿قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ﴾: قال بعضُهم: تقول لهم الملائكةُ.

وقال بعضُهم: يقول ذلك المؤمنون: ارجعوا خلفَكُم.

﴿فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا﴾: أي: فاطلبوا لأنفسِكُم نورًا ثَمَّ، فإنَّا حملناه مِن ثَمَّ[1]، فيظنُّ المنافقون أنَّهم أخذوا النُّور مِن موضعٍ هناك، ولا يعلمون أنَّهم يريدون أنَّا حملنا هذا النُّور مِن الدُّنيا بالإيمانِ والطَّاعة، ويريدون بقولهم: ﴿ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ﴾ التَّوبيخَ دون التَّحقيق للأمر بالرُّجوع، فيلتفِتُ المنافقون نظرًا[2] إلى موضع النُّور في زعمِهم.

﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ﴾ قيل: أي: جُعل بينَ الفريقَيْن حائط، وقيل: هو حاجز، وقيل: هو الأعراف.

﴿لَّهُۥ بَابٌۢ﴾ قيل: هو بابٌ حقيقةً، وقيل: طريق[3].

﴿بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ﴾: أي: مما يلي المؤمنين الجنَّة.

﴿وَظَـٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ﴾: أي: ومما يلي المنافقين النَّار.

***

(١٤) ـ ﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَـٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾.

﴿يُنَادُونَهُمْ﴾: أي: ينادي المنافقون المؤمنين: ﴿أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ﴾ في الدُّنيا في

---

(١) في (ف): «ثمة» في الموضعين.

(٢) في (ر): «ينظر»، وليست في (أ).

(٣) «قيل هو باب حقيقة. وقيل طريق» ليس في (أ).

المنازلِ والمساجدِ، نصلِّي كما تصلُّون، ونصوم كما تصومون.

﴿قَالُواْ بَلَىٰ﴾: كنتُم معنا في الظَّاهر دون الباطن ﴿وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ قيل[1]: أهلكْتُم، وقيل: أثمْتُم.

﴿وَتَرَبَّصْتُمْ﴾: أي: انتظرْتُم بالنَّبيِّ ﷺ وبالمؤمنين الدَّوائر، كما قالوا: ﴿نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ﴾ [الطور: ٣٠].

وقيل: ﴿وَتَرَبَّصْتُمْ﴾؛ أي: دافعْتُم الأنام[2] بالإيمان بالله ورسوله على الإخلاص.

وقيل: أخَّرْتُم التَّوبة.

﴿وَٱرْتَبْتُمْ﴾: قيل: أي: شككْتُم في البعث، وقيل: أي: في حقيقة[3] الإسلام.

وقيل: حملكم شؤمُ العصيان وتأخيرُ التَّوبة إلى أنْ شككْتُم في اللهِ وكفرْتُم بعدَ الإسلام.

﴿وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ﴾: أي: اغتررْتُم بأمانيِّكم الكاذبةِ ﴿حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾: أي: بالموت ﴿وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ وقد كانَ غرَّكُم الشَّيطانُ الغَرورُ بالله، بأنْ أطمعَكُم في النَّجاةِ والدَّرجات، كما أخبرَ اللهُ عن بعضِهم: ﴿وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى﴾ الآية [الكهف: ٣٦]، ﴿وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ﴾ الآية [فصلت: ٥٠].

***

(١٥) - ﴿فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾.

---

(١) «قيل» من (ف).

(٢) في (أ): «رافعتم الأيام».

(٣) في (ر): «حقية».

﴿فَٱلۡيَوۡمَ لَا يُؤۡخَذُ مِنكُمۡ فِدۡيَةٞ﴾: أي: لا تكون، لا أنْ تُعطوا فلا يُؤخَذ، لكن لا يُؤخَذ لِمَا أنَّه لا يكون.

﴿وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ معلنين.

﴿مَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ﴾؛ أي: مصيرُكم ﴿هِيَ مَوۡلَىٰكُمۡ﴾؛ أي: أولى بكم ﴿وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ النَّار.

وقيل: إعطاء النُّور في الابتداءِ، وسلبُه في الانتهاء، هو جزاءُ نفاقِهم، وتحقيقُ قوله الله تعالى فيهم: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ﴾ [النساء: ١٤٢]؛ أي: يجازيهم بمثله.

* * *

(١٦) - ﴿۞أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلُ فَطَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَمَدُ فَقَسَتۡ قُلُوبُهُمۡۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾: أي: ألم يَحِنْ، وقد أَنَى يأني إنًى.

قيل: هو خطابٌ للَّذين آمنوا مِن أهل الكتاب بكتابِهم ورسولِهم، يقول: ألم يأنِ لهم أنْ تخشعَ قلوبُهم؛ أي: تلينَ لذكر اللهِ؛ أي: لوعظِ الله.

﴿وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ﴾: أي: القرآن على محمَّدٍ ﷺ

﴿وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلُ﴾ في العهدِ الأوَّل ﴿فَطَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَمَدُ﴾؛ أي: الزَّمان بينَهم وبينَ نبيِّهم.

وقيل: أي: وقتُ الجزاء.

وقيل: أي: مجيءُ القيامة.

﴿فَقَسَتۡ قُلُوبُهُمۡ﴾؛ أي: غلظَتْ ويبسَتْ.

﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾: خارجون عن طاعة الله تعالى.

وقوله تعالى في أوَّل الآية: ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ ليس للإيمان المطلَقِ الصَّحيح، بل إيمانهم بكتابهم ونبيِّهم لا غير، وعلى هذا ما ذَكَرَ في آخر السُّورة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ﴾ [الحديد: ٢٨].

وهو معنى قول الكلبيِّ: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ في العلانية ﴿أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾[١].

ولها وجوهٌ ذكرَها المفسرون:

قال مقاتلٌ: كان المنافقون لا تَرِقُّ قلوبُهم لذكرِ اللهِ والقرآن، فقسَتْ قلوبُهم فلم تَلِنْ[٢]، إلَّا قليلٌ منها أخلصوا بعدَ نفاقِهم[٣].

وقال ابنُ مسعودٍ رضي الله تعالى عنه: مَلَّ أصحابُ رسولِ اللهِ ﷺ مَلَّةً، فقالوا: يا رسولَ الله، لو قصصْتَ علينا قصَّةً، فأنزل الله تعالى قوله: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾ [يوسف: ٣]، فقالوا: يا رسول الله، لو ذكَّرْتَنا ووعظْتَنا، فأنزل الله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ الآية[٤].

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٤٧٧).

(٢) في (ر) و(ف): «يكن».

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٢٤١).

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٢٤٠).

ورواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٨)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤/ ٢٤٨) عن عون بن عبد الله، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٣٨) عن القاسم.

رواه البزار في «مسنده» (١١٥٣)، وأبو يعلى في «مسنده» (٧٤٠)، وابن حبان في «صحيحه» (٦٢٠٩)، والضياء في «المختارة» (١٠٦٩)، من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه. وحسنه الحافظ ابن حجر في «المطالب العالية» (٣٦٣٤).

وقال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: إنَّ الله تعالى استبطأَ قلوبَ المؤمنين، فعاتبَهم على رأسِ ثلاثَ عشرةَ سنةً مِن نزولِ القرآن، فقال: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟...﴾ الآية[١].

وقال ابن مسعود: ما كان بينَ إسلامِنا وبينَ أنْ عوتِبْنا بهذه الآيةِ إلَّا أربعُ سنينٍ، فجعل المؤمنون يعاتب بعضُهم بعضًا[٢].

وقال الحسنُ: أَمَا واللهِ لقد استبطأهم وإنَّهم خيرُ أهلِ الأرضِ وأحبُّهم إليه، وقد استبطأهم وهم يقرؤون من القرآن أقلَّ مما تقرؤون، فانظروا في طول ما قرأتم منه، وما ظهرَ فيكم من القسوة[٣]، ﴿فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ لِمَا أُعْطوا مِن النِّعَم وأُلْبِسوا مِن العافية.

وروي أنَّه كان في جماعةٍ منهم مزاحٌ، فعُوتبوا عليه، فبكَوا، وأَعْتَبوا ربّهم[٤].

وقال محمَّدُ بنُ كعبٍ: كانوا بمكَّة مجدِّيْنَ، فلمَّا هاجروا أصابوا النِّعمة، ففتروا عمَّا كانوا فيه، فقسَتْ قلوبُهم، فينبغي للمؤمنين أن يزدادوا يقينًا وإخلاصًا وخشوعًا في صحبة الكتاب[٥].

وقال ابن كيسان: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ هذا لبعض المؤمنين، فقد وصف الله تعالى قومًا فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٧]، وقال: ﴿وَأَخْبَتُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ [هود: ٢٣]، وكان فيهم مقصِّرون، فاستعتبهم الله بهذه الآية.

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٣٨).

(٢) رواه مسلم (٣٠٢٧).

(٣) ذكره الزمخشري في «الكشاف» (٤/ ٤٧٧).

(٤) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٣٨) عن مقاتل بن حيان، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٥٧١٥) عن عبد العزيز بن أبي رواد. وقوله: «وأعتبوا ربهم»؛ أي: أعطوه العتبى، تقولُ: اسْتَعْتَبه فأَعتبَه؛ أي: استرضاه فأرضاه.

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٢٤١)، والواحدي في «البسيط» (٢١/ ٢٩٢).

ورُوِيَ أنَّ أبا بكرٍ الصِّدِّيق رضي الله عنه قُرِئ بينَ يديهِ هذه الآية وعندَه قومٌ مِن اليمنِ، فبكوا بكاءً شديدًا، فنظرَ إليهم أبو بكر فقال: هكذا كنَّا حتَّى قسَتِ القلوبُ(١).

وكان فضيلُ بنُ عياض مِن أبناءِ الدُّنيا وأهلِ الدَّعارة كما قيل، فمرَّ ذات يومٍ برجلٍ فقرأ هذه الآية، فقال: بلى آن، وجاوز الحدَّ، وكان ذلك سببَ توبتِهِ(٢).

***

(١٧ ـ ١٨) ـ ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾: قال ابن عبَّاس: يعني: يُلِيْنُ القلوبَ بعدَ قساوتِها(٣). وهو وجهُ النَّظم.

وقيل: هو يُحيي الأرضَ بعد موتِها، فيُحيي الخلقَ بعدَ موتِهم، فيجزي كلًّا بعملِه، ولا يسوِّي بينَ الخاشعِ والقاسي.

وقيل: هو تعريفُ الكفَّارِ إحياءَ الخلْقِ بعدَ الموت.

وقيل: هو حثُّ أهلِ الكتاب على تدبُّر القرآنِ لتحيا قلوبُهم.

﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾: أي: ليتدبَّروا فيعرفوا.

---

(١) رواه أبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص: ١٣٥)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٥٥٢٤)، والثعلبي في «تفسيره» (٤/ ١٠٠)، لكن دون تعيين الآيات التي قرئت عليهم.

(٢) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٢٤٢)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٦٩٣٥)، والقشيري في «الرسالة» (ص: ٢٥). وانظر: «وفيات الأعيان» لابن خلكان (٤/ ٤٧)، و«تهذيب الكمال» للمزي (٢٣/ ٢٨١ ـ ٢٨٦)، و«سير أعلام النبلاء» للذهبي (٨/ ٤٢٣).

(٣) رواه ابن المبارك عن ابن عباس رضي الله عنهما، كما في «الدر المنثور» (٨/ ٥٧)، وهو في «الزهد» لابن المبارك (٢٦١)، لكن عن صالح المري.

﴿إِنَّ ٱلۡمُصَّدِّقِينَ وَٱلۡمُصَّدِّقَٰتِ﴾: قرأ ابن كثير وعاصم في رواية أبي بكر بتخفيفِ الصَّاد، وهو من التَّصديق، وقرأ الباقون بتشديد الصَّاد، وهو من التَّصدُّق بإدغام التَّاء في الصَّاد[1].

قوله تعالى: ﴿وَأَقۡرَضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا﴾: عطَفَ الفعلَ على الاسمِ لأنَّ تقديرَه: إنَّ الَّذين تَصَدَّقوا ـ أو: صَدَّقوا ـ اللهَ ورسولَه، وأقرضوا الله قرضًا حسنًا.

وعلى قراءة التَّشديد الصَّدقة على الفرائض، والإقراض على النَّوافل.

وقيل: القرضُ في كلِّ فعلٍ حسنٍ؛ قال الشَّاعرُ:

وإذا جوزيْتَ قرضًا فاجْزِه إنَّما يَجْزِي الفتى ليسَ الجمل[2]

﴿يُضَٰعَفُ لَهُمۡ وَلَهُمۡ أَجۡرٞ كَرِيمٞ﴾: فسَّرناه في هذه السُّورة.

* * *

(١٩) ـ ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمۡ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ وَنُورُهُمۡۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمۡ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ وَنُورُهُمۡ﴾: إنْ جُعِلَ هذا في أهل الكتاب كما مرَّ في الآية الأولى فمعناه: أولئك المبالِغون في الصِّدْقِ صدَّقوا بالكتاب الأوَّل والرَّسول الأوَّل، وبهذا الكتاب وبهذا

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ٦٢٦)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٨). قال ابن زنجلة في «حجة القراءات» (ص: ٧٠١): وحجة من خفَّف هي أنَّ التَّخفيف في قوله: ﴿المصَدِّقين﴾ أعم من التشديد، ألا ترى أن ﴿ٱلۡمُصَّدِّقِينَ﴾ بالتشديد مقصورةٌ على الصدقة، و﴿المصَدِّقين﴾ بالتَّخفيف يعم التَّصديق والصَّدقة؛ لأن الصَّدقة من الإيمان، فهو أوجب في باب المدح.

(٢) البيت للبيد بن ربيعة. انظر: «ديوانه» (ص: ٩١).

الرَّسول، ﴿وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمۡ﴾: يومَ القيامةِ، من قوله: ﴿لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣].

وإنْ حُمِلَ على كلِّ مؤمنٍ فهو مِنَ الصِّدِّيقين أيضًا بصدقٍ[1] ظاهرِه وباطنِه وقولِه وعملِه، وهو مِن شهداء الآخرة أيضًا؛ لأنَّه مِن هذه الأمَّة، وقد قال: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣].

وقيل: عند قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ﴾ وقفٌ وبعده ابتداء: ﴿وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمۡ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ وَنُورُهُمۡ﴾؛ أي: الشهداء في سبيل الله لهم يوم القيامة أجرهم ونورهم.

وقيل: هما موصولان، والشَّهادة صفةُ الكلِّ.

قال الحسنُ رحمَه الله: ما سأَل اللهَ عبدٌ الشَّهادة مخلصًا مِن قلبِه فماتَ على فراشِهِ إلَّا كان شهيدًا، ثمَّ تلا هذه الآية[2].

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ﴾: هم الذين خالفوا الأوَّلين في الصِّفة، فخالفوهم في الجزاء.

* * *

(٢٠) ـ ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ

---

(١) في (أ): «لصدق».

(٢) روى نحوه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٤١٤)، والحاكم في «المستدرك» (٢٥٢٦)، والثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٢٤٤) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

وروى معناه مسلم (١٩٠٩) عن سهل بن أبي أمامة بن سهل بن حنيف، عن أبيه، عن جده، أن النبي ﷺ قال: «من سأل الله الشهادة بصدق، بلَّغه الله منازل الشهداء، وإن مات على فراشه».

وبمعناه رواه أيضاً مسلم (١٩٠٨) عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من طلب الشهادة صادقًا، أعطيها، ولو لم تصبه».

وَٱلْأَوْلَٰدِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا وَفِي ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرُۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ﴾: وهو في الحثِّ على الجهادِ بالنَّفس والمالِ كما تقدَّمَ، فإنَّ التَّقاعدَ عنه لا يكون إلَّا لحبِّ الحياة الدُّنيا.

وقيل: هي في خطابِ المشركين المكذِّبين رسولَ اللهِ ﷺ ميلًا منهم إلى بقاء الرِّئاسة لهم على أتباعهم، وتعزُّزًا بهم، وتكثُّرًا بأموالِهم، وتفاخُرًا بأحوالهم، فبيَّنَ أنَّ ذلك كلَّه لعبٌ ولهوٌ لا حقيقةَ له.

وقيل: ﴿لَعِبٌ﴾ كلعبِ الصِّبيان، ﴿وَلَهْوٌ﴾ كلهو الفتيان، ﴿وَزِينَةٌ﴾ كزينة النِّسوان، ﴿وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ﴾ كتفاخر الأقران، ﴿وَتَكَاثُرٌ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ﴾ كتكاثر الدَّهْقان.

وقيل: هذه أحوالٌ مترادفةٌ للإنسان إلى أربعين سنة، كلُّ صفةٍ لثمانِ سنين، ﴿لَعِبٌ﴾ ثمان سنين، ﴿وَلَهْوٌ﴾ ثمان سنين، ﴿وَزِينَةٌ﴾ ثمان سنين، ﴿وَتَفَاخُرُۢ﴾ ثمان سنين، ﴿وَتَكَاثُرٌ﴾ ثمان سنين.

فإنْ تأمَّلَ وتنبَّه وصلح عند كمال عقلِه وتزوَّد لمعاده، وإلَّا فقد خسر خسرانًا مبينًا، وضلَّ ضلالًا بعيدًا.

وقوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ﴾: أي: مطر ﴿أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ﴾؛ أي: راقَ الزُّرَّاع، جمع كافر، وهو الزَّارع، سُمِّيَ به لأنَّه يَكْفُرُ البذرَ في الأرض؛ أي: يَسترُه.

وقيل: خصَّ الكفَّارَ لأنَّهم ينكرون الآخرةَ، فلا يعرفون إلَّا العاجلة، فهم بها أعلقُ، وهي لهم أَرْوَقُ.

﴿نَبَاتُهُۥ﴾: أي: النَّبات الحاصل بالغيث ﴿ثُمَّ يَهِيجُ﴾؛ أي: ييبس ﴿فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا﴾: هشيمًا متكسِّرًا، هذه عاقبة الدُّنيا لأهلِها، ومثال أحوالها.

﴿وَفِي ٱلْأَخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾: لمن رغبَ في الحياة الدُّنيا فشغلَه ذلك عن الآخرة.

﴿وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ﴾: لمن تزوَّد منها للآخرة.

﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ﴾: لمن يركَنُ إليها ﴿إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾: متعةٌ يَتمتَّع بها، ويَهلَكُ المغترُّ بها.

* * *

(٢١) - ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ﴾: إذا علمْتُم حالةَ الدُّنيا، فلا تركَنوا إليها، وإذا أُخبِرْتم أنَّ الآخرة لمن له المغفرة، فبادروا إلى طلبِها بفعلِ ما وُعْدَتِ المغفرةَ عليه.

قوله تعالى: ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾: وإلى طلبِ جنَّة عرضُها؛ أي: سعتُها كسعَةِ السَّماء والأرض.

قال الحسنُ: أي: كسعةِ جميعِ السَّماوات والأرضِ[1] كلِّها إذا بُسِطَتْ كلُّ واحدةٍ إلى صاحبتِها[2].

وقيل: هذا عرضُها، ولا شكَّ أنَّ طولَها أزيدُ منها هاهنا[3].

---

(١) في (ف): «وجميع الأرض».

(٢) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٠/ ٢٦٢). وانظر التعليق الآتي.

(٣) تقدم هذا عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾

وقيل: هو وصفٌ لها بغايةِ ما يُتوهَّمُ مِن السَّعةِ؛ تقريرًا لذلك في أفهامِهم، وتكثيرًا في أوهامِهم، وبسطًا مِن أملِهم ومرامِهم.

﴿أُعِدَّتْ﴾: أي: هُيِّئَتْ هذه الجنَّة ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾؛ أي: جميعهم ولم يفرِّقوا بينَهم كاليهود والنصارى.

﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ﴾: أي: عطاءُ هذه الجنَّةِ بفضلٍ مِن اللهِ تعالى ﴿يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ﴾ وهم المؤمنون كما أَخبر ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾.

***

(٢٢ - ٢٣) - ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا ءَاتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾.

وقوله تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا﴾: وهذا مِن الحثِّ على الجهادِ أيضًا كما مرَّ.

يقول: ما أصابَكُم مِن مصيبةٍ في الأرضِ مِن الجدْبِ ونقصانِ الثَّمرِ وذهابِ الأموال، وفي أنفسِكُم بالموتِ والأسقامِ، إلَّا وهو ممَّا قضى اللهُ به، وأثبتَه عندَه في كتابٍ.

قيل: هو اللَّوح المحفوظ.

قوله: ﴿مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا﴾؛ أي: من[1] قبلِ خلقِ الأرض والأنفس.

﴿إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾: أي: سهلٌ لا يَتعذَّرُ على اللهِ شيءٌ، ولا يردُّ هذا القضاءَ حيلةُ محتالٍ، ولا تحرُّزُ متحرِّزٍ، فلا تتخلَّفوا عن الجهاد.

[آل عمران: ١٣٣] عن ابن عباس والحسن، وانظر تخريجه ثمة.

(١) «من» من (ر).

وقوله تعالى: ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ﴾: أي: فعلْتُ ذلك وأخبرْتُكم به لكي لا تحزنوا على ما فاتكم.

﴿وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾: ولأنْ لا تُسَرُّوا على ما أعطاكم، ولا يحملَكُم الحزنُ على الفائتِ على الشَّكوى مِن الله تعالى، ولا الفرحُ بالنِّعمة على الاستكثارِ منها فتقعوا في الطُّغيان.

﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾: الذي يتعظَّم على الفقراء ويفخر بالنَّعماء.

* * *

(٢٤) - ﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾.

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ﴾: جمعَ بعدَ التَّوحيد؛ لأنَّ ذاك عامٌّ معنًى بدخول ﴿كُلَّ﴾ عليه.

﴿وَمَن يَتَوَلَّ﴾: أي: عن الجهادِ والإنفاقِ في سبيل الله ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ﴾ عنه وعن كلِّ خلقِه ﴿الْحَمِيدُ﴾: المُستَحِقُّ للحمد؛ أي: ليس أمرُه بالجهاد والإنفاقِ لحاجةٍ، بل للابتلاءِ، ولإكرامِ العبدِ بحسنِ الجزاء.

وقال سعيدُ بنُ جبيرٍ رضي الله عنه: كتبَ اللهُ قبلَ أنْ يخلقَ الخلقَ والأرضَ ما يصيبُ النَّاسَ فيها مِن خيرٍ وشرٍّ؛ امتحانًا منه لهم، ليعلموا بتغيُّرِ الأحوالِ وتعاقُبِ المحنة والمنحة أنَّها غيرُ دائمةٍ، فلا تحزنوا على ما فاتَكُم مِن حظٍّ، ولا تفرحوا بما آتاكم مِن فائدةٍ، فمَن لم يعلمْ أنَّ كلَّ شيءٍ يُعطاه يُرْتَجعُ، وأنَّ كلَّ حزنٍ يصيبُه زائلٌ، فذلك مختالٌ فخورٌ، واللهُ لا يحبُّ المختالَ الفخور(١).

وعن ابن مسعودٍ رضي الله عنه أنَّه قال: لَأنْ ألحسَ جمرةً أحرقَتْ ما أحرقَتْ

(١) روى نحوه الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٢٤٥).

وأبقَتْ ما أبقَتْ أحبُّ إليَّ مِن أنْ أقولَ لشيءٍ كان: ليتَهُ لم يكنْ، أو لشيء لم يكن: ليتَهُ كان[١].

وقال قتيبة بن سعيد: دخلْتُ بعضَ أحياءِ العرب، فإذا أنا بفضاءٍ في الأرض مملوءٍ من جِيَف الإبل الموتى بحيث لا أحصي عددَهم، فسألْتُ عجوزًا: لِمَنْ كانَتْ هذه الإبل؟ فأشارَتْ إلى شيخٍ على تلٍّ يغزلُ الصُّوفَ، فقلْتُ: يا شيخُ، ألكَ كانَتْ هذه الإبل؟ قال: كانت باسمي، قلْتُ: فما أصابها؟ قالَ: ارتجعها الَّذي أعطاها، قلْتُ: وهل قلْتَ فيه شيئًا؟ قال: نعم:

لا والَّـذي أنـا عبـدٌ مِـن خلائقِـهِ ... والمرءُ في الدَّهْرِ نصبَ الرُّزْءِ والمحِنِ
مـا سَـرَّني أنَّ إبْلِـي فـي مَبارِكِهـا ... وما جـرى مِن قضـاءِ اللهِ لـم يَكُنِ[٢]

وقال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: ﴿ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ﴾ ابتداءً، ونزلَتْ في شأنِ اليهودِ، يكتمون بيانَ صفةِ محمَّدٍ ﷺ في التَّوراةِ، ﴿وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ﴾ يعني: قومَهم بذلك مخافةَ أنْ تذهبَ مأكلتهم من[٣] السَّفلةِ ﴿وَمَن يَتَوَلَّ﴾: يُعْرِضْ عن الإيمان ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ﴾ عن العبادِ ﴿ٱلۡحَمِيدُ﴾ في أفعالِه[٤].

وقال الحسنُ رحمه الله: اليهودُ بخلوا بحقِّ الله تعالى في أموالِهم، ﴿وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ﴾ بذلك: أهلَ دينِهم، ﴿وَمَن يَتَوَلَّ﴾ عن اللهِ ورسولِه فيما دعاهم إليه، فإنَّ اللهَ

(١) رواه ابن المبارك في «الزهد» (٢/ ٣١)، وأبو داود في «الزهد» (١٢٨)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٩١٧١)، وابن بطة في «الإبانة» (١٥٩٥).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٢٤٦)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٨/ ١٧٣).

(٣) في (أ): «في».

(٤) رواه بنحوه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٢٧٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٩٥٢).

غنيٌّ عن عبادِه لم يكلِّفْهم لحاجته إليهم، حميد عندَ خلقِه فيما يعطيهم مِن نِعمِه[١].

وقال سعيدُ بنُ جبيرٍ رضي الله عنه: ﴿ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ﴾ بالعلمِ، لا يعلِّمونه النَّاس، ﴿وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ﴾ بذلك[٢].

وقال عبد الله بن المبارك: لا تبخلوا بالعلمِ، فإنَّه مَن بخلَ بعلمِه ابْتُلِيَ بثلاثٍ: بذهابِ كُتبِهِ، أو سقمٍ في جسدِه، أو يغلبُه السُّلطان[٣].

***

(٢٥) ـ ﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَأَنزَلۡنَا ٱلۡحَدِيدَ فِيهِ بَأۡسٞ شَدِيدٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ﴾.

وقوله تعالى: ﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾: أي: بالشَّرائع الواضحة.

﴿وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ﴾: أي: الكتب، فيها بيانُ أصول الشَّرع.

﴿وَٱلۡمِيزَانَ﴾: أي: وآلةَ التَّعامل الَّتي يقع بها التَّناصف.

﴿لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ﴾ في معاملاتهم ﴿بِٱلۡقِسۡطِ﴾؛ أي: بالعدل، وفي ذلك تمامُ المصالحِ، فالكتاب لمصالح الدِّين، والميزانُ لمصالح الدُّنيا.

---

(١) ذكره الواحدي في «البسيط» (٦/ ٥١٠) من رواية عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما، وذكره أيضًا عن عطاء ومجاهد.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٢٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٩٥١).

(٣) في (أ): «أو يبتليه بالسلطان»، وفي (ف): «أو ببلية سلطان». والخبر رواه ابن المقرئ في «معجمه» (٥٦٦)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ١٦٥)، والبيهقي في «المدخل إلى السنن الكبرى» (٥٨٦)، والخطيب البغدادي في «الجامع لأخلاق الراوي» (٧٢١).

﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ﴾؛ أي: وخلقْتُ الحديدَ آلةً للقتالِ، وإقامةً للسِّياسةِ؛ ليكفَّ به المجاوز لقسطِه عن ظلمِه.

وقيل: أنزلَ اللهُ تعالى مع آدمَ عليه السلام العَلَاةَ والكَلْبَتانِ[1] والـمِطْرَقة.

والمنافع في الحديد سوى إمكان القتال به: أنَّه لا بُدَّ منه في كلِّ شيءٍ مِن الصِّناعات حتَّى صناعةِ الحديد، وذلك قوله تعالى:

﴿فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾: وهو القتال ﴿وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾: وهو ما قلْنا، وهو مُتَّصلٌ بما مرَّ مِن الحثِّ على الجهاد.

﴿وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ﴾: وليُظهِرَ اللهُ للعبادِ مَن ينصرُ دينَ اللهِ تعالى للقتال عنه.

وقيل: ليَعلمَ أولياءُ اللهِ.

وقيل: ليعلمَ اللهُ موجودًا ما علمَهُ في الأزلِ أنَّه يُوْجَدُ.

قوله: ﴿بِٱلْغَيْبِ﴾: أي: تصديقًا بما وُعِدَ[2] عليه بالغيب.

وقيل: بغيبةِ مَن يراه؛ أي: يفعله عن إخلاص، لا كالمنافق يفعلُه إذا رآه النَّاس، ولا يفعلُه إذا غابَ عنهم.

والواو في: ﴿وَلِيَعْلَمَ﴾ إمَّا أنْ تُجعَلَ مُقحَمةً، أو يزاد في آخرِه: وليعلمَ اللهُ ذلك فعَل ذلك.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾: أي: ﴿قَوِيٌّ﴾ على مُجازاةِ مَن أخلصَ منهم ومَن نافقَ، ﴿عَزِيزٌ﴾: منيعٌ لا يُغالَب ولا يعارَض فيما يريدُه مِن ذلك.

---

(١) العلاة: السندان الذي يضرب عليه الحداد حديده، والكلبتان: ما يأخذ به الحداد الحديد المحمى.

(٢) في (ر): «وجد».

(٢٦) - ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾: وهذا تفصيلُ بعضِ الإجمال، وشرحُ هذا التَّفصيل في (سورة الأنعام) في قوله: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ﴾ [الأنعام: ٨٣] الآيات.

وقوله: ﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾؛ أي: وجعلْنا بعضَهم أنبياء، وبعضَهم أممًا يتلون الكتاب.

﴿فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ﴾: أي: فاهتدى بعضُهم، وثبتَ على دينه ﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾: خارجون عن الطَّاعة.

* * *

(٢٧) - ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾.

﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِرُسُلِنَا﴾: أي: أتبعنا مَن بعدَهم واحدًا بعدَ واحدٍ مِن الرُّسل.

﴿وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾: أتيْنا به بعدَهم.

﴿وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ﴾: أي: أعطيْناه وأوحيْنا إليه.

﴿وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ﴾: أي: آمنوا به وصدَّقوه من أمَّته.

﴿رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾: قيل: أي: أمروا في الإنجيل بالصَّفح والإعراض عن مكافأة النَّاس على الأذى، وقيل لهم: مَن لطمَ خدَّكَ الأيسر فولِّهِ خدَّكَ الأيمن، ومَن أرادَ

أنْ يسلبَ رداءَك فأعطِه قميصَك، ولم يكنْ قِصاصٌ على جنايةٍ في نفسٍ أو طرفٍ، فاتَّبَعوا هذه الأوامر، وأطاعوا الله، وكانوا متوادِّيْن متراحِمِيْن متعاطِفِيْن.

وقوله تعالى: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا﴾: ليس هذا بعطفٍ على ما مضى، بل هو استئنافٌ، ومعناه: ابتدعوا رهبانيَّة ولزومَ صوامعَ، وتشديدًا على أنفسِهم.

﴿مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ﴾: أي: ما أوحيْنا عليهم تلك الرَّهبانيَّة.

﴿إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ﴾ هذا استثناء منقطع، بمعنى: لكن؛ أي: لكن كنَّا أمرناهم بأنْ يبتغوا رضوانَ اللهِ.

وقيل: أي: ما ابتدعوها إلَّا مبتغين بذلك رضوان الله.

﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾: أي: ما حفظوا تلك الرَّهبانية حقَّ حفظِها، وما ثبتوا عليها، بل تنصَّرَ كثيرٌ منهم، وتركوا الحقَّ، وثبتَ بعضُهم على الحقِّ.

﴿فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ﴾: أي: الَّذين ثبتوا على الإيمان والحقِّ.

﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾: خارجون عن طاعة الله.

ففيه دليلٌ على أنَّ الشُّروع في نفلِ العبادة ملزِمٌ، فإنَّ مَن شرعَ فيما ليس عليه ثمَّ تركَه استحقَّ اسمَ الفسقِ والوعيد.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: كنْتُ رديفَ رسولِ اللهِ ﷺ على حمارٍ، فقال لي: «يا ابن أمِّ عبدٍ، هل تدري مِنْ أينَ اتَّخذَتْ بنو إسرائيل الرَّهبانيَّة؟»، قلْتُ: اللهُ ورسولُه أعلم، قال: «ظهرت عليهم الجبابرة بعدَ عيسى عليه السلام يعملون بمعاصي الله عزَّ وجلَّ، فغضِبَ أهلُ الإيمانِ فقاتلوهم، فهُزِمَ أهلُ الإيمانِ ثلاثَ مرَّاتٍ، فلم يبقَ منهم إلَّا القليل، فقالوا: إنْ ظهرَ علينا هؤلاء أفنَونا، ولم يبقَ للدِّين أحدٌ يدعو إليه، فتعالَوا حتَّى نتفرَّق في الأرضِ إلى أنْ يبعثَ اللهُ النَّبيَّ الَّذي وعدَنا

عيسى ـ يعنون: محمَّدًا ﷺ ـ فتفرَّقوا في الجبال، وأحدثوا بها رهبانيَّةً، فمنهم مَنْ تمسَّكَ بدينِه، ومنهم مَنْ كفرَ»، ثمَّ تلا هذه الآيات: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا﴾، وقال النَّبيُّ ﷺ: «يا ابنَ أمِّ عبدٍ، هل تدري ما رهبانيَّةُ أمَّتي؟»، قلْتُ: اللهُ ورسولُه أعلم، قال: «الهجرةُ والجهادُ والصَّلاةُ والصَّومُ والحجُّ والعمرةُ والتَّكبيرُ على التِّلاع»(١).

* * *

(٢٨) ـ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ﴾: أي: يا أيُّها الَّذين آمنوا بموسى وعيسى ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ﴾ محمَّدٍ، وهذا عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما(٢).

﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾: قال ابنُ عبَّاس: أي: أجرَيْنِ بإيمانِكُم بمحمَّدٍ وبِمَن تقدَّمَ مِن الرُّسلِ(٣)، والكِفْلُ: الحظُّ.

﴿وَيَجْعَل لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾: أي: يومَ القيامةِ يسعى بينَ أيديهِم إلى الجنَّةِ.

﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾: ذنوبَكُم السَّالفةَ قبلَ الإيمانِ بمحمَّدٍ ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

وقيل: يجعل لكم نورًا في الدُّنيا باتِّباع القرآنِ تمشونَ به في النَّاس، تدعونهم إلى الإسلامِ، وتكونون رؤساءَ أئمَّةً في الإسلام، ولا تفوتُكُم(٤) تلك الرِّئاسة الَّتي كنتُم تخافون فوتها.

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٢٤٧ ـ ٢٤٨) بلا إسناد.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٤٣٤).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٤٣٥).

(٤) في (أ): «يغرنكم».

وروى أبو موسى الأشعريُّ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «ثلاثةٌ يُؤتَونَ أجرَهُم مرَّتين: رجلٌ آمنَ بالكتابِ الأوَّل والكتاب الآخِر، ورجلٌ كانت له أَمَةٌ فأدَّبَها وأحسنَ أدبَها ثُمَّ أعتقَها وتزوَّجَها، وعبدٌ مملوكٌ أحسنَ عبادةَ ربِّه وأطاع سيِّدَه»[1].

وقال الكلبيُّ رحمَه اللهُ: هؤلاء أربعةٌ وعشرون رجلًا، قدِموا من اليمن على رسول الله ﷺ وهو بمكَّة، لم يكونوا يهوداً ولا نصارى، وكانوا على دين الأنبياء فأسلموا، فقال لهم أبو جهل لعنه الله: بئس القوم أنتم والوفد لقومكم، فردُّوا عليه: وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحقِّ، فجعلَ الله لهم أجرين؛ أجرًا بكتابهم الأوَّل، وأجرًا بإيمانهم بمحمَّد ﷺ.

فلمَّا بلغَ ذلك عبدَ الله بن سلام وأصحابَه قالوا: نحن أيضًا أهل الكتاب، أفليس لنا أجران مثلَ ما لهم[2]؟ قالوا: بلى، فجعلوا يفخرون على أصحاب رسول الله ﷺ، وقالوا: نحن أفضلُ منكم، لنا أجران ولكم أجر واحد، فأنزل الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾[3].

يقول: أطيعوا الله ﴿وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ﴾ محمَّد ﴿يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ﴾ يعني: أجرين، ﴿وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورٗا تَمۡشُونَ بِهِۦ﴾ على الصراط ﴿وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ﴾ الآية.

وكتبَ عمرُ رضي الله عنه إلى أسقفٍّ يسأله عن الكفل عندهم في كتابهم، فكتب: هو عندنا ثلاث مئة وخمسون ضعفًا، فقال عمر: الله أكبر، لقد فضَّلنا اللهُ عليكم بكفلٍ[4].

---

(١) رواه البخاري (٣٠١١)، ومسلم (١٥٤).

(٢) في (أ): «أفليس لنا أجر مثل أجرهم».

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٢٥٠).

(٤) لم أقف عليه.

(٢٩) - ﴿لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾: (لا) جحدٌ، قُدِّمَ عن موضعِه فأُعِيدَ بعدَه في موضعه: ﴿أَلَّا يَقْدِرُونَ﴾، فصار تقديرُه: ليعلمَ أهلُ الكتاب.

قيل: إنَّ أهل الكتاب كانوا يفضِّلون أنفسَهم على سائر أهل الأديان بسبب الكتاب، فأعلم الله هؤلاء الذين خاطبهم بقوله: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ﴾: إنَّكم إذا آمنتم بمحمَّد آتاكم الله في الآخرة ضعفَ ما يؤتي المؤمنين بموسى وعيسى إذا ماتوا قبل تبديل ذلك الدِّين الحقِّ بالنَّصرانيَّة واليهوديَّة، ولم يدركوا محمَّدًا ﷺ فيؤمنون به، ليعلم أهلُ الكتاب أنَّ مَن اجتمع له الإيمان بالكتابين أفضلُ عند الله ممَّن انفرد بالإيمان بكتابٍ واحدٍ.

ويكون تقديرُه: يؤتِكُم كفلَيْنِ مِن رحمتِه ليعلمَ أهلُ الكتابِ أنَّه لا قدرةَ لهم على شيءٍ من فضلِ اللهِ تعالى حتَّى يخصُّوا أنفسَهم بذلك، ويفضِّلُوا أنفسَهم على غيرهم.

وقال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: لَمَّا نزل في النَّصارى الذين أسلموا: ﴿أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ﴾، شقَّ ذلك على المسلمين، وقالوا: يا رسول الله، إن كان القوم أدركوا الكتاب الأوَّل والكتاب الآخِر، ولم ندركه، أفلهم أجران، ولنا أجر واحد؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية[1].

يقول: إنَّ الأجرين لهم لا لأنَّهم أفضُل منكم، ولكن فضل منِّي، وأوتي فضلي مَن أشاء، والله ذو الفضل العظيم.

---

(١) انظر: «تنوير المقباس» للفيروزآبادي (ص: ٤٥٩).

سُورَةُ المُجَادَلَةِ(١)

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

بسمِ الله سامعِ البثِّ والشَّكوى، الرَّحمنِ عالمِ السِّرِّ والنَّجوى، الرحيمِ شارعِ البِرِّ والتقوى.

وروى أبيُّ بن كعب رضي الله عنه عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «مَن قرأ: ﴿قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ﴾ كان يومَ القيامة مِن حزب الله»(٢).

وهذه السُّورة مدنيَّة إلَّا قولَه: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ﴾ الآية، فإنَّ هذه الآية مكيَّة.

وهي عشرون آيةً وأربعُ آيات وأربع مئة وخمس وأربعون كلمة، وألفٌ وتسعُ مئة وخمسة عشر حرفًا.

وانتظامُ ختمِ تلك السُّورة بافتتاح هذه السُّورة: أنَّهما جميعًا بذكر الثَّناء على الله بفضلِه على عباده.

وانتظامُ السُّورتين: أنَّ تلك السُّورة في أمر المؤمنين بجهاد الكافرين، والإنفاقِ

---

(١) في (ر): «قد سمع».

(٢) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٢٥٢)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ٢٥٨). وهو قطعة من الحديث الموضوع في فضائل السور. وانظر: «الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة» للشوكاني (ص: ٢٩٦).

على المجاهدين، وهذه السُّورة في تخفيف الأحكام على المؤمنين، وتشديد الوعيد على الكفَّار والمنافقين.

* * *

(١) - ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾: قال مقاتلٌ رحمه الله: هي خولة بنت ثعلبة بن قيس بن مالك بن حرام بن الخزرج من بني عمرو بن عوف، امرأة أوس بن الصَّامت بن قيس بن أصرم الأنصاري، كانت تحتَه، وكانت حسنة الجسم، فرأها أوسٌ ساجدةً في صلاتها، فنظر إلى عجزها فأعجبَتْه، فلمَّا انصرفَتْ من الصَّلاة أرادها فأبَتْ عليه، فغضب عليها، وقال لها: أنتِ عليَّ كظهر أمِّي، فأتَتِ النَّبيَّ ﷺ، فشكَتْ إليه زوجَها، وقالَتْ: هل من شيءٍ يجمعُني وإيَّاه؟ وكان الإيلاءُ والظِّهار من طلاق الجاهليَّة، وكان شيخًا كبيرًا محتاجًا ذا عيالٍ، فأتَتْ امرأتُه إلى النَّبيِّ ﷺ فطلبَتِ الرُّخصةَ[١].

وفي روايةٍ قالت: إنَّ أوسًا تزوَّجني وأنا شابةٌ مرغوبٌ فيَّ، فلمَّا كبر سنِّي، وضعفَتْ حيلتي[٢]، جعلني عليه كأمِّه، فقال لها رسول الله ﷺ: «أخشى أنَّكِ قد حَرُمْتِ عليه»[٣].

وفي رواية قال: «أنتِ كما قال».

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٢٥٧).

(٢) «حيلتي» من (ف).

(٣) قطعة من خبر طويل رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٤٤٦ - ٢٤٧)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٧/ ٣٨٤ - ٣٨٥)، عن أبي العالية.

وفي رواية قال: «لم أؤمر فيك بشيء»[١].

فعادَتْ إلى مثل قولها مرارًا، وقالت: إنَّ لي صِبيةً صغارًا، إنْ ضممْتُهم إليَّ جاعوا، وإنْ ضممْتُهم إليه ضاعوا، وقالت: اللَّهمَّ إنِّي أشكو إليك ما لقيْتُ من زوجي[٢].

وفي رواية محمَّد بن كعبٍ القُرظيِّ: كان هذا أوَّل ظهار في الإسلام، فلمَّا قال لها: أنتِ عليَّ كظهر أمِّي؛ ندمَ على ذلك، وقال لها: ما أُراكِ إلَّا حرمْتِ عليَّ، وإنِّي لأستحيي أن آتيَ رسول الله ﷺ وأسأله عن هذا، فائتِه، فقالت: إنَّ أوسَ بن الصَّامت أبو ولدي، وابن عمِّي، وأَحَبُّ النَّاس إليَّ، ظاهر منِّي، وما ذكر طلاقًا. فقال لها النَّبيُّ ﷺ: «ما أراكِ إلَّا وقد حرمْتِ عليه»، قالت: لا تقلْ ذلك يا رسول الله، فأعادَتْ عليه مرارًا قولها، ثم قالت: اللَّهم أشكو إليك وحشتي، وفراق زوجي، ووَجْدي به، فأنزل الله تعالى هذه الآيات[٣].

وفي رواية ابن عبَّاس رضي الله عنهما: قالت: يا رسول الله، لَمَّا كبرَ سنِّي، ورقَّ عظمي، واقتربَ أجلي، وبادَ أهلي، ظاهرَ منِّي[٤].

---

(١) قطعة من خبر طويل رواه البزار (١٥١٣ ـ كشف)، والطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٤٤٨ ـ ٤٤٩)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٧/ ٣٨٢)، عن ابن عباس رضي الله عنهما. وهو حديث منكر كما قال البزار عقبه. ورواه مطولاً أيضاً الطبري (٢٢/ ٤٤٩ ـ ٤٥٠) من طريق آخر عن ابن عباس، وإسناده ضعيف لضعف بعض رواته ومنهم عطية العوفي الراوي عن ابن عباس.

(٢) روى نحو هذه القصة الإمام أحمد في «المسند» (٢٧٣١٩)، وأبو داود (٢٢١٤)، والطبراني في «الكبير» (٦١٦)، من حديث خولة بنت ثعلبة رضي الله عنها.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٤٥١).

(٤) رواه بنحوه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٤٥٥)، وورد نحوه ضمن حديث عائشة الآتي.

وقالت عروة: كان امرأً به لممٌ، فإذا اشتدَّ لممُه ظاهرَ من امرأتِه[١].

وعن عائشة رضي الله عنها أنَّها قالَتْ: تبارك الَّذي وسِعَ سمعُه الأصواتَ، إنِّي لأسمَعُ كلامَ خولةَ بنت ثعلبة، ويخفى عليَّ بعضُه، وهي تشتكي زوجَها إلى رسول الله ﷺ، وهي تقول: يا رسول الله، أكلَ شبابي، ونثرت له بطني، حتى إذا كبرَتْ سنِّي، وانقطعَ ولدي، ظاهر منِّي، اللَّهم إنِّي أشكو إليك، قالَتْ: فما برحَتْ حتَّى نزل جبريلُ صلوات الله عليه بهذه الآيات[٢].

واختلفت الرِّويات[٣] في اسمها ونسبها:

قيل: خولة بنت ثعلبة.

وقيل: خولة بنت خويلد.

وقيل: خولة بنت الصَّامت.

وقال أبو العالية: خولة بنت دليج[٤].

---

(١) رواه أبو داود (٢٢١٩) عن هشام بن عروة، و(٢٢٢٠) عن هشام بن عروة عن عروة عن عائشة رضي الله عنها، وإسناده صحيح.
قال الخطابي في «معالم السنن» (٣/ ٢٥٣): معنى اللَّمم هاهنا: الإلمام بالنساء وشدة الحرص والتوقان إليهن، يدلُّ على ذلك قوله في هذا الحديث من الرواية الأولى: (كنت امرأً أصيب من النساء ما لا يصيب غيري)، وليس معنى اللمم هاهنا: الخبل والجنون، ولو كان به ذلك ثم ظاهر في تلك الحالة لم يكن يلزمه شيء من كفارة ولا غيرها، والله أعلم.

(٢) رواه النسائي (٣٤٦٠)، وابن ماجه (٢٠٦٣)، والطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٤٤٦). وعلقه البخاري قبل حديث (٧٣٨٦).

(٣) في (ف): «الرواة».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٤٤٦). وفيه: «خويلة بنت دليج».

وقال الشَّعبي: أمُّ خولة معاذة[١].

وقيل: جميلة.

وقوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾؛ أي: قد سمع اللهُ كلامَ المرأة التي تخاصمُك في زوجها؛ أي: فيما تريد أن لا تحرمَ على زوجها، كقوله: ﴿يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ﴾ [هود: ٧٤]؛ أي: فيما يريد من ألَّا ينزلَ بهم العذاب.

كانت تقول: انظر في شأني يا رسول الله، انظر في شأني، جعلني الله فداك.

﴿وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ﴾ الوجدَ الذي في قلبِها بسبب هذه الحادثة.

﴿وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا﴾: أي: تراجعكما الكلامَ، خطابٌ للرَّسول ﷺ ولتلك المرأة؛ أي: لا يخفى على الله شيءٌ من ذلك، وإن كان على السِّرار.

﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾: لا يخفى عليه من شيء من المسموعات والمرئيَّات.

قال الإمام القشيريُّ رحمه الله: لَمَّا صدَقَتْ في شكواها إلى الله تعالى، وأيسَتْ من كشفِ ضرِّها من غير الله، أنزلَ الله تعالى في شأنها: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ﴾.

تضرَّعَتْ إلى الله تعالى، ورفعَتْ قصَّتها إلى الله، وبثَّتْ غُصَّتها بينَ يَدَي الله تعالى، فنظر الله إليها وقال: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ﴾.

وصارَتْ واقعتُها فَرَجًا ورُخْصةً للمسلمين في مسألة الظِّهار إلى يوم القيامة؛ ليعلمَ العالمون أنَّ أحدًا لا يخسر على الله تعالى[٢].

---

(١) في (أ) و(ر): «أم خولة بنت معاذة»، والخبر رواه ابن مردويه كما في «الدر المنثور» (٨/ ٧٣)، ولفظه: (المرأة التي جادلت في زوجها خولة بنت ثعلبة وأمها معاذة التي أنزل الله فيها: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ﴾ [النور: ٣٣]).

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٣/ ٥٤٨).

(٢) ـ ﴿ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْۖ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔي وَلَدْنَهُمْۚ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم﴾: قرأ عاصمٌ برفع الياء وتخفيف الظَّاء من المظاهرة، وقرأ عبد الله بن كثير وأبو عَمرو ونافع: ﴿يَظَّهَّرون﴾ بفتح الياء وتشديد الظاء من غير الألف، وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائيُّ: ﴿يَظَّاهَرون﴾ بتشديد الظاء وزيادة الألف بفتح الياء[1]، وهي لغاتٌ في معنًى واحد؛ أي: الذين يقولون لزوجاتهم، يقول الواحد منهم لامرأتِه: أنتِ عليَّ كظهر أمِّي، فيشبِّهها بظهرِ أمِّه في التَّحريم.

﴿مِنكُم﴾؛ أي: من جماعتكم أيُّها المؤمنون.

﴿مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ﴾: أي: لسن[2] أمَّهاتٍ لكم، ولا يَصِرْنَ أمَّهاتٍ لكم بهذا القول.

﴿إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔي وَلَدْنَهُمْ﴾: أي: ما أمُّ الرَّجل إلَّا التي ولدته.

﴿وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا﴾: أي: المظاهرون يقولون كلامًا ينكره الشَّرع ولا يرضى به، و(زورًا)؛ أي: كذبًا وباطلًا.

﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ﴾: أي: عن ذنوبِ عباده إذا تابوا منها.

﴿غَفُورٌ﴾: يسترُها عليهم بعد التَّوبة، فلا يفضحُهم بها، ولا يعاقبُهم عليها.

* * *

(٣) ـ ﴿وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّاۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ٦٢٨)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٨).

(٢) في جميع النسخ: «ليس»، والصواب المثبت.

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمۡ﴾: أي: منكوحاتهم الحرائرِ والإماء.

﴿ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ﴾: اختُلِفَ في معنى العَود منها؛ لتعلُّق وجوب الكفَّارة به:

قال قتادة رحمه الله: هو العزمُ على غشيانها(١).

وقال ابن عبَّاس: هو أن يريد جماعها(٢).

وقال الزُّهري وطاوسٌ رحمهما الله: هو أن يطأَها(٣).

وقال الشَّافعيُّ: هو أن يمسكها بعد الظِّهار، ولا يحرِّمها للحال بطلاقٍ بائنٍ(٤).

وقيل: هو أن يظاهرَ في الإسلام بعدما كانوا يظاهرون في الجاهليَّة. وهو قول طاوس، فعنده يجب بنفس التكلُّم(٥) بكلمة الظِّهار، ولا يسقطُ شيءٌ، ولا يحتاج إلى قرينةٍ للوجوب(٦).

وقال داود بن عليٍّ الأصفهاني(٧): هو تكرار كلمة الظِّهار، فلا تجب بدونه عنده(٨).

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٤٥٨).

(٢) رواه بمعناه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٤٦٠).

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣١٦٨) عن طاوس، وذكره عنهما الواحدي في «البسيط» (٢١/ ٣٣٢).

(٤) انظر: «الأم» للشافعي (٥/ ٢٩٦)، و«أحكام القرآن للشافعي» للبيهقي (١/ ٢٣٤).

(٥) في (ر): «ومعناه تجب بنفس الكلام».

(٦) رواه ابن المنذر كما في «الدر المنثور» (٨/ ٧٥) بلفظ: (إذا تكلم الرجل بالظهار المنكر والزور فقد وجبت عليه الكفارة حنث أم لم يحنث).

(٧) في (ف): «الأصبهاني».

(٨) ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» (٨/ ١٨٤)، وانظر: «المحلى» لابن حزم (٩/ ١٩٣) فقد نصر هذا القول، وقال: (روي عن بكير بن الأشج، ويحيى بن زياد الفراء، وقد روي نحوه عن عطاء). =

وقال: هو المفهوم من الكلمة ظاهرًا.

واحتجَّ الشَّافعي رحمه الله بأنْ قال: العودُ للشَّيء ليس هو إعادةً، بل ذلك عودٌ فيه، أو عودٌ إليه، بل العودُ له: إبطالُ الحكمِ والإتيانُ بما يضادُّه؛ قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ﴾ [الأنعام: ٢٨]؛ أي: لخالفوا النَّهي، والظِّهارُ سببُ الفراق، والعودُ له: إمساكُها، الذي يضادُّه.

وقال أصحابُنا رحمهم الله: العودُ هو العزم على جماعِها، فمتى عزمَ على ذلك لم يحلَّ له حتى يكفِّر، ولو ماتَتْ هي بعدَ مدَّة قبل أن يكفِّر سقطَتْ عنه الكفَّارة؛ لفوْتِ العزمِ على جماعِها.

قال الشَّافعيُّ رحمه الله: إنَّ العودَ للشَّيء الإتيانُ بما يضادُّه، لكن ليس حكم الظِّهار تركَ المرأة وفراقَها ليكون ضدُّه إمساكَها، بل حكمُه الامتناعُ عن وطئِها، فضدُّه العزمُ على وطئها.

وقد رُوي عن سلمة بن صخرٍ أنَّه جاء إلى النَّبيِّ ﷺ وقال: يا رسول الله، إنِّي

= واستدلَّ له بالحديث الذي رواه أبو داود (٢٢٢٠) من طريق هشام بن عروة عن عروة عن عائشة رضي الله عنها الذي فيه ذكر أن المظاهر كان به لمم، وقد تقدم قريباً، قال: هذا يقتضي التَّكرارَ ولا بدَّ، ولا يَصحُّ في الظِّهارِ إلَّا هذا الخبرُ وحده، إلَّا خبرًا نذكرُه بعدَ هذا إنْ شاءَ الله عز وجل، وكلُّ ما عدا ذلك فساقطٌ: إمَّا مرسلٌ، وإمَّا مِن روايةِ مَن لا خيرَ فيه.

وقد رد القول بالتكرار ابن العربي في «أحكام القرآن» (٤/ ١٩٢) فقال: (فأما القول بأنه العود إلى لفظ الظهار فهو باطل قطعًا لا يصح عن بكير، وإنما يشبه أن يكون من جهالة داود وأشياعه، وقد رويت قصص المتظاهرين وليس في ذكر الكفارة عليهم ذكر لعود القول منهم، وأيضاً فإن المعنى ينقضه لأن الله تعالى وصفه بأنه منكر من القول وزور فكيف يقال له: إذا أعدت القول المحرم والسبب المحظور وجبت عليك الكفارة، وهذا لا يعقل، ألا ترى أن كل سبب يوجب الكفارة لا تشترط فيه الإعادة من قتل ووطء في صوم ونحوه).

ظاهرْتُ من امرأتي، ثم رأيتُها في ليلةٍ قمراءَ عليها خلخالان، فأعجبتْني فواقعْتُها، فقال النَّبيُّ ﷺ: «استغفرِ اللهَ، ولا تعدْ حتَّى تكفِّر»(١).

فثبَتَ بالعودِ المذكور في هذا الحديث أنَّ المرادَ به في الآية هذا.

وقوله تعالى: ﴿فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ﴾؛ أي: فعليه إعتاق رقبة ﴿مِّن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّا﴾؛ أي: يتلاقيا بالجماع، وتحرم الدَّواعي أيضًا.

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمۡ تُوعَظُونَ بِهِۦۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾: أي: هذا شيء تُؤمرون به، والله خبير بأعمالكم، وفَّيتم به أو خالفتم.

***

(٤) - ﴿فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ شَهۡرَيۡنِ مُتَتَابِعَيۡنِ مِن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّاۖ فَمَن لَّمۡ يَسۡتَطِعۡ فَإِطۡعَامُ سِتِّينَ مِسۡكِينٗاۚ ذَٰلِكَ لِتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۗ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

﴿فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ﴾: أي: فمن لم يملكْ ما يشتري به رقبةً ﴿فَصِيَامُ شَهۡرَيۡنِ مُتَتَابِعَيۡنِ﴾؛ أي: فعليه صيام شهرين متواصلين.

﴿مِن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّا﴾ فسَّرناه.

﴿فَمَن لَّمۡ يَسۡتَطِعۡ﴾ الصِّيام بمرض أو نحوه ﴿فَإِطۡعَامُ سِتِّينَ مِسۡكِينٗا﴾؛ أي: فعليه

---

(١) رواه أبو داود (٢٢٢٣)، والترمذي (١١٩٩)، والنسائي (٣٤٥٧) من طريق عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما، بإبهام الرجل الذي ظاهر. وقال الترمذي: حديث حسن صحيح غريب.
ورواه أبو داود (٢٢٢٢)، والنسائي (٣٤٥٨) و(٣٤٥٩) عن عكرمة مرسلاً، وقال النسائي: المرسل أولى بالصواب من المسند.
ورواه بنحوه أبو داود (٢٢١٣)، الترمذي (١٢٠٠)، وابن ماجه (٢٠٦٢) من حديث سلمة بن صخر البياضي رضي الله عنه.

أن يطعم ستِّين مسكينًا، كلَّ مسكين نصفَ صاعٍ من حنطة، أو صاعًا من شعير، أو صاعًا من تمر.

﴿ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾: أي: هذا البيان لتصدِّقوا اللهَ ورسولَه، وتقبلوا هذا الأمر منه.

﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾: أي: هذه الأحكام معالم شرائع الله فاحفظوها.

﴿وَلِلْكَافِرِينَ﴾: أي: وللذين لا يقبلون أحكام الشَّرع ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾؛ أي: وجيع دائم في النَّار في الآخرة.

وعن أبي العالية قال: لَمَّا قال له: «اعتق رقبة»، قال: ما عندي رقبة، قال: «فصم شهرين متتابعين»، فقال: إنْ لم آكلْ في النَّهار ثلاثَ أكلاتٍ[1] خشيْتُ أنْ يعشوَ بصري، قال: «فأَطْعِم ستِّين مسكينًا»، قال: فأعنِّي يا رسول الله، فأعانه رسول الله ﷺ[2].

وعن عكرمة: قال: يا نبيَّ الله، والله ما أجدُ رقبةً، فقال النَّبيُّ ﷺ: «ما أنا بزائدك»، فأنزل الله تعالى: ﴿فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ﴾ [المجادلة: ٤]، قال: واللهِ يا نبيَّ اللهِ ما أطيق الصَّوم، إنِّي إذا لم آكل في اليوم كذا وكذا أكلةً لقيْتُ ولقيْتُ، فجعلَ يشكو له، فقال: «ما أنا بزائدك»، فأنزل الله تعالى: ﴿فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا﴾[3].

***

(١) في (ف): «مرات».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٤٤٦)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٧/ ٣٨٤ ـ ٣٨٥)، وقال: مرسل لكن له شواهد.

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣١٦٦)، والطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٤٥٢).

(٥) ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُواْ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ وَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾.

قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾: أي: يخالفونه ويتعدَّون حدود الله.

﴿كُبِتُواْ﴾: قال قتادة رحمه الله: أُخزوا[١].

وقيل: أُذِلُّوا، وقيل: صُرِعوا، وقيل: قُهِروا.

﴿كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾: أي: كما فُعِلَ بالكفَّار الماضين بسبب المخالفة والمعاداة للنَّبيِّين.

وقال الفرَّاء: ﴿كُبِتُواْ﴾: أغيظوا وأحزنوا.

وقال أبو[٢] سعيد: كُبُّوا على وجوهِهم[٣].

وقال الخليل: صُرِعوا[٤].

وقال أبو عبيدة[٥]: أُهلكوا[٦].

وقال أبو عبيدة: ﴿كُبِتُواْ﴾: هو في الأصل: كبدوا؛ أي: ضربوا على أكبادهم[٧].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٤٦٦).

(٢) «أبو» ليس في (ف).

(٣) لم أقف عليه.

(٤) انظر: «العين» للخليل (٥/ ٣٤٢).

(٥) في (أ) و(ف): «عبيد».

(٦) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (٢/ ٢٥٥).

(٧) ذكره عن أبي عبيدة ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٥/ ٢٧٥)، وعزاه ابن قتيبة في «غريب القرآن» (ص: ١١٠) لأهل النظر.

ومعنى الكلمة: يُكبتون، لكن ذكر بصيغة الماضي تقريبًا للمخبَر عنه، كما يُقال: بلغْنا المنزلَ وأتاك[1] الجبل، ونحو ذلك.

وهذا بشارةٌ للمؤمنين بنصرهم وإهلاك الكافرين.

وقوله تعالى: ﴿وَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍ بَيِّنَٰتٍ﴾: أي: وقد أوضحْنا الأدلَّة والعلامات على ذلك بما اقتصَصْنا من وقائعنا بالماضيين.

وقيل: ﴿وَقَدْ أَنزَلْنَآ﴾ في القرآن ﴿ءَايَٰتٍ بَيِّنَٰتٍ﴾ فيها حدود الله تعالى وأحكامه، فالزموها ولا تتعدَّوها.

وقيل: ﴿كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ يكبَتُ هؤلاء يوم بدر. وقيل: يوم الخندق[2].

﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾: قيل: ولجاحدي هذه الآيات. وقيل: لكفَّار كلِّ عصر.

* * *

(٦) - ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾.

﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا﴾: أي: يعذِّبُهم هذا العذاب يومَ يُنشرهم من قبورهم جميعًا الرِّجال والنِّساء. وقيل: الأوَّلين والآخرين.

وقيل: المحادِّين اللهَ ورسولَه في هذا العصر، وفي الأعصار الخالية.

﴿فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟﴾؛ أي: فيخبرهم بما عملوا من محادَّة الله ورسوله.

﴿أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ﴾: أي: حفظَه اللهُ، يعني: صغيرَ أعمالهم وكبيرَها، ودقيقَها وجليلها؛ ليجازيهم بها.

---

(١) في (أ) و(ف): «وأتاك».

(٢) «وقيل يوم الخندق» ليس في (أ).

﴿وَنَسُوهُ﴾: أي: ونسُوا هم[1] ذلك لجحودهم بالبعث والحساب.

وقال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: أحصى اللهُ أعمالَهم الخبيثة، ﴿وَنَسُوهُ﴾؛ أي: تركوه استخفافًا به لم يحافظوا إحصاء الله وحفظه[2].

﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ شَهِيدٌ﴾: لا يخفَى عليه شيءٌ، فهو شاهدٌ عليه ليجزيَهم بها، وهذا وعيد شديد.

***

(٧) ـ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُواۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾: يعني: ألم تعلم علمًا يقومُ مَقامَ العِيان، استفهامٌ بمعنى التَّقرير؛ أي: قد علمْتَ أنَّ اللهَ يعلمُ ما في السَّماوات وما في الأرض، لا يخفى عليه شيءٌ من ذلك.

﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾: أي: هو سامعٌ نجواهم، ولا يغيب ذلك عنه.

﴿وَلَا خَمْسَةٍ﴾: أي: ولا نجوى خمسة، وهو تناجيهم ومسارَّتُهم ﴿إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ﴾ يستمعُ نجواهم.

﴿وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ﴾: أي: ولا أقلَّ من ذلك، وهو نجوى اثنين ﴿وَلَآ أَكْثَرَ﴾ من خمسة.

---

(١) في النسخ: «ونسوهم»، والصواب المثبت.

(٢) انظر: «تنوير المقباس» للفيروزابادي (ص: ٤٦١).

وقرأ يعقوب: ﴿ولا أكثرُ﴾ بالرَّفع(١)، وعلى هذا: ﴿وَلَآ أَدْنَىٰ﴾ يكون رفعًا أيضًا، وتقديرُه: ولا يكون أدنى.

﴿إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ﴾: أي: علمًا وسماعًا، لا مكانًا، فإنَّ الله تعالى يتعالى عن ذلك علوًّا كبيرًا.

وقيل: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ﴾: هي الرُّوح والقلب والنَّفس، ﴿وَلَا خَمْسَةٍ﴾: هي الحواسُّ الخمس، ﴿وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ﴾: هو القلبُ وحدَه، ﴿وَلَآ أَكْثَرَ﴾ من ذلك: هي الأعضاء السَّبعة(٢)؛ أي: ما تكون أنت في شيء إلَّا أنا شاهدُك، وعالمٌ بظاهرِك وباطنِك.

﴿أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم﴾: أي: يخبرهم ﴿بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾: قيل: هذه الآية متَّصلة بالتي بعدها، على ما نبيِّن بعد هذا إن شاء الله تعالى.

وقيل: نزلَتْ في صفوان ورجلين من ثقيف، وقد بيَّنَّا القصَّة في (سورة حم السجدة).

* * *

(٨) ـ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُوا۟ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَيَتَنَٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾.

---

(١) انظر: «النشر» لابن الجزري (٢/ ٣٨٥).

(٢) بعدها في (ف): «التي جوارح العبادة». ولعل المراد بالأعضاء السبعة: الأعضاء التي يسجد عليها الإنسان، وهي الجبهة واليدان والركبتان والقدمان.

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَىٰ﴾: أي: ألم ترَ يا محمَّد إلى الذين نُهوا عن النَّجوى[1]، أكثر المفسِّرين على أنَّهم اليهود.

روي عن عائشة رضي الله عنها: أنَّ اليهود دخلوا على النَّبيِّ ﷺ، فقالوا: السَّام عليك، ففطنَتْ لهم عائشة فقالَتْ: عليكم السَّام واللَّعنة يا إخوة القردة والخنازير، فقال: «مَهْ يا عائشة، إنِّي لم أُبعَثْ فحَّاشًا، وإنَّ اللهَ لا يحبُّ الفُحْشَ ولا التَّفحُّش»، قالت: يا رسول الله، ألم تسمع ما قالوا؟ فقال رسول الله ﷺ: «ألم تسمعي أنِّي ردَدْتُ عليهم فقلْتُ: وعليكم، وإنَّما نُجابُ عليهم ولا يجابون علينا»، فأنزل الله تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ﴾ [المجادلة: ٨][2].

وقيل: كان المنافقون يتناجون بينَهم، وينظرون إلى الرَّجل من المسلمين؛ ليظنَّ أنَّ مناجاتهم في أمرِه، وأنَّهم قد أَخبروا رسول الله ﷺ عنه بسوء.

وقيل: كان المنافقون واليهود إذا رأوا رجلًا قد غزا له حميمٌ في بعض السَّرايا تناجى الاثنان منهم، ونظروا إلى المسلم ليقعَ في قلبه أنَّ صاحبه الغازيَ قد قُتِل أو أُسِر، وكذلك كانوا يفعلون إذا خرجوا من عند رسول الله ﷺ وأصحابه، يتناجون[3] فيظنُّ المسلم أنَّه قد بلغَهم فيه شيءٌ، فلمَّا طالَ ذلك على المسلمين شكوا إلى رسول الله ﷺ، فأمرَهم ألَّا يتناجوا فيما بينهم دون المسلمين، فلم ينتهوا، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

وقيل: كانوا يتناجون حيث يشاهدهم المؤمنون بسوءِ التَّدبير على النَّبيِّ ﷺ

---

(١) «أي ألم تر يا محمد إلى الذين نهوا عن النجوى» ليس في (ف).

(٢) روى نحوه البخاري (٦٠٣٠)، ومسلم (٢١٦٥)، دون سبب النزول، وروى نحوه مع سبب النزول النسائي (١١٥٠٧).

(٣) «وأصحابه يتناجون» ليس في (أ) و(ف).

وأصحابه، فنُهوا عنه، فلم ينتهوا، فنزلت الآية: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَىٰ﴾.

﴿ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾: فيخالفونه ويأتون بما نُهوا عنه.

﴿وَيَتَنَاجَوْنَ﴾: أي: فيما بينهم ﴿بِالْإِثْمِ﴾؛ أي: بما يؤثِّمُهم من إدخال الغمِّ على المؤمنين.

﴿وَالْعُدْوَانِ﴾: أي: الظُّلم ومجاوزة الحقِّ.

﴿وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ﴾: أي: بمعصيتِهم الرَّسولَ ومخالفتِهم إيَّاه وتدبيرهم فيه، كما دبَّروا في قتله حين خرج إليهم مستعيناً بهم في حَمالة، على ما بيَّناه في (سورة المائدة) عند قوله: ﴿فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ﴾ [المائدة: ١١].

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ﴾: لأنَّ الله تعالى حيَّاه بالسَّلام، وهؤلاء حيَّوه بالسَّام وهو الموت، فكأنَّهم قالوا: الموتُ عليك.

﴿وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ﴾: أي: هلَّا يعذِّبُنا بتحيَّتنا هذه له إنْ كان رسولًا.

وقيل: أرادوا أنَّه يقول لنا[1]: «عليكم»، فيدعو علينا بالموت، فَلِمَ لا يُستجابُ دعاؤُه فينا إنْ كان نبيًّا، فأجابَهم اللهُ تعالى عن هذا فقال:

﴿حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا﴾: أي: إن لم يجازهم على إيذائهم رسولَه في الدُّنيا ولم يهلكْهم بدعاءِ الرَّسول عليهم عاجلًا، فقد أعددْنا لهم جهنَّم، وهي حسبُهم، فلا عذابَ أشدُّ من عذابهم بها.

﴿يَصْلَوْنَهَا﴾: أي: يدخلونها ﴿فَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾.

* * *

---

(١) في (ر): «لهم».

(٩) ـ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَنَٰجَيۡتُمۡ فَلَا تَتَنَٰجَوۡاْ بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَمَعۡصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوۡاْ بِٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَنَٰجَيۡتُمۡ فَلَا تَتَنَٰجَوۡاْ بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَمَعۡصِيَتِ ٱلرَّسُولِ ﴾: وهذا نهيٌ للمؤمنين عن الاقتداءِ باليهود والمنافقين بالتَّناجي.

﴿وَتَنَٰجَوۡاْ بِٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰ﴾: وهذا أمرٌ بالتَّناجي فيما يؤُول إلى الطَّاعة وترك المعصية، ونفعِ المسلمين ودفع الضَّرر عن المؤمنين، وهو كما قال: ﴿لَّا خَيۡرَ فِي كَثِيرٖ مِّن نَّجۡوَىٰهُمۡ إِلَّا مَنۡ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ﴾ الآية [النساء: ١١٤].

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ﴾: أي: للحسابِ، فيجازيكم بما تتناجون به من خيرٍ أو شرٍّ.

* * *

(١٠) ـ ﴿ إِنَّمَا ٱلنَّجۡوَىٰ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ لِيَحۡزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيۡسَ بِضَآرِّهِمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾.

قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلنَّجۡوَىٰ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ لِيَحۡزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾: أي: يأمر الشيطان بذلك ليُدخل به غمًّا في قلوب المسلمين من الوجهِ الذي قلْنا.

وقال الحسنُ: كان الرَّجل يأتي إلى رسول الله ﷺ فيستخليه لحاجةٍ، فكان الشَّيطان يوقع في قلوب المسلمين الخوف أنَّ هذا إنَّما خلا برسول الله ﷺ لينقصكم عنده(١).

وفي حديث عبد الرَّحمن بن زيدٍ رحمه الله: وكان الشَّيطان يأتي القوم فيقول

---

(١) في (أ): «ليبغضكم عنده»، وفي (ر): «لينعتكم عنده».

لهم: إنَّما يتناجَون في أمورٍ حضرَتْ، وجموعٍ قد جُمِعَتْ لكم وأشياء، فنزلت: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ الآية[1].

﴿وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾: أي: إنَّما يضرُّهم بما أذن الله فيه أن يكون ضارًّا لهم، فأمَّا الشَّيطانُ فلا يقدر لهم على ضرٍّ بنفسِه، وكذلك هؤلاء المتناجون من اليهود والمنافقين.

وقيل: ﴿وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: إلَّا بتخلية اللهِ إيَّاه، ولو شاءَ لأهلكَه وقطعَ ضررَه، إلَّا أنَّه خلَّاه امتحانًا للعباد.

وقيل: ﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: بعلمِ الله؛ يعني: ما ينال المؤمن من الحزن والكراهة فذلك بعلم الله تعالى، وسيجزيه الله تعالى بذلك.

وقيل: ﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: ما كان من مناجاة بعضِهم رسولَ الله ﷺ في انتقاصِ المؤمنين لا يضرُّهم ذلك، ولا يعتقدُ رسولُ الله ﷺ فيهم نقصًا إلَّا بإذن الله تعالى؛ أي: إلَّا بأن يُعْلِمَه الله تعالى به إن كان، ويأذنَ له في قَبوله، وهو ضررُ إقامة الحدود والتَّعزير والغرامة.

﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾: فلا تهتمُّوا بما يقول هؤلاء المتناجون.

* * *

(١١) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا۟ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُوا۟ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُوا۟ فَٱنشُزُوا۟ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجْلِسِ﴾ قرأ

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٤٧٤).

عاصم: ﴿فِي ٱلْمَجَٰلِسِ﴾ جمعًا، والباقون: ﴿في الـمَجْلِسِ﴾ على الواحد[(١)].

قال مجاهد وقتادة والضَّحَّاك وابن زيد: هو مجلس النَّبيِّ ﷺ[(٢)]. وهو متَّصل بما قبله: ﴿وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوۡكَ بِمَا لَمۡ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ﴾ الآية.

ذمَّهم بترك احترامِه، وأمَرَ المسلمين بأن يستعملوا في مجلسه ما يعود إلى تبجيله وإعظامه، وإلى معاملة أهل مجلسه بالمجاملة، وبما يدلُّ على سَعَةِ النَّفس وطيب الخلق عند المزاحمة، قال: ﴿وإذا قيل لكم تفسحوا في المجلس﴾؛ أي: توسَّعوا، والفُسحة: الوسعة[(٣)]، والفسيحُ: الواسع.

﴿فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡ﴾: أي: وسِّعوا المكان لمن حضرَ بعدكم يوسِّعِ اللهُ لكم منازلكم في الجنَّة.

وقيل: أي: يوسِّعْ أخلاقكم.

﴿وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ﴾: أي: وإذا قيل لكم: ارتفعوا، أو قوموا للتَّوسعة على مَن بَعُدَ موضعُه عن النَّبيِّ ﷺ، فارتفعوا ولا تتثاقلوا.

وقرأ نافع وابن عامر وحفص عن عاصم بضم الشين فيهما، وقرأ الباقون بالكسر فيهما[(٤)]، وهما لغتان، كما في قوله: ﴿يَعۡرِشُونَ﴾، و﴿يَعۡكُفُونَ﴾[(٥)].

---

(١) «الباقون في المجلس على الواحد» ليس في (أ). انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ٦٢٨)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٩).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٤٧٦ ـ ٤٧٧).

(٣) في (ر): «والتفسيح التوسع».

(٤) انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ٦٢٩)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٩).

(٥) قرأ: ﴿يعرشون﴾ بالضم أبو بكر عن عاصمٍ وابنُ عامر، والباقون بالكسر.
وقرأ: ﴿يعكفون﴾ بالكسر حمزة والكسائي، والباقون بالضم. انظر: «التيسير» للداني (ص: ١١٣).

﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا۟ الْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾: أي: يرفعِ الله درجاتِ مَن فعَل ذلك في الجنَّة، وإنَّما ذكر الإيمان والعلم في هذا لأن التَّفسُّح والنُّشوز لمن جاء بعد التَّمكُّن والطُّمأنينة، واحتمالُ هذا التَّعب إنَّما يكون ممَّن يتوفَّر حظُّه من الإيمان والعلم؛ لأنَّه يفعل ذلك تعظيمًا لأخيه المؤمن، وتعطُّفًا عليه، وإشراكًا له في الخير والاستماع من رسول الله ﷺ.

﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾: من التَّفسُّح والنُّشوز للإخوة من المؤمنين فيثيبُكم عليه.

وقيل في قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا۟﴾: أي: ارتفعوا منه في بيتِه وقوموا وارجعوا؛ فإنَّه له حاجة، وكان كلُّ واحدٍ منهم يحبُّ أن يكون آخرَهم عهدًا بالنَّبيِّ ﷺ، فأُمِروا بالتَّخفيف، وعلى هذا يكون قوله: ﴿تَفَسَّحُوا۟﴾ ما دام يحدِّث، و﴿انشُزُوا۟﴾ إذا فرغ من الكلام.

وقيل: إذا قال النَّبيُّ ﷺ لبعضكم: ﴿انشُزُوا۟﴾؛ أي: ارتفعوا في المجلس؛ أي: اقتربوا منِّي إكرامًا، فلا تباعَدوا واقتربوا قَبولًا لكرامته، فإنَّه لا يقرِّبُ إلَّا الأفاضل في الإيمان والعلم، ولا يُنزلُ كلَّ إنسانٍ إلَّا منزلةَ استحقاقِه بعلمِه(١) وإيمانِه، وذلك معنى وصل الإيمان والعلم بهذا الكلام؛ لأنَّ معناه: إذا رفعَ رسولُ الله ﷺ أحدَكم فليرتفعْ؛ فإنَّه إنَّما يفعل ذلك بأمر الله تعالى بيانًا لدرجة علمِه وإيمانِه.

وقيل: ﴿إِذَا قِيلَ لَكُمْ﴾ في مجلس رسول الله ﷺ بعد سماع العلم: ﴿انشُزُوا۟﴾ وارتفعوا لغزوٍ أو خيرٍ آخر(٢)، فبادِروا، ولا تتثاقلوا اعتلالًا بالضِّنِّ بمجلس رسول الله ﷺ؛ فإنَّ العلم والإيمان يوجب المسارعةَ إلى الائتمار.

---

(١) في (أ): «بعمله».

(٢) «آخر» من (أ) و(ف).

وقيل: الخطاب لقومٍ من أهل الشَّرف سبقوا إلى مجلس رسول الله ﷺ، ثمَّ يحضر الفقراء، فكرهوا أن يزاحموهم، فنُدبوا إلى التَّوسعة لهم، وأُخبروا أنَّ الرِّفعة بالعلم والإيمان، لا بالشَّرف والمال.

ومَن قرأ: ﴿فِي ٱلْمَجَٰلِسِ﴾ فهي للمجالس المختلفة؛ من مجلس الذِّكر والوعظ، ومجلس القتال، ومجلس الصَّلاة؛ أي: تفسَّحوا في أيِّ مجلسٍ كان من ذلك.

وقيل: أريد به مجلس كلِّ واحدٍ في نفسه، وهم في مجلس واحد، أو مسجد واحد.

قال ابنُ عبَّاس رضي الله عنهما: نزلت الآيةُ في ثابت بن قيس بن شماس؛ أقبلَ نحوَ رسول الله ﷺ يتخطَّى رقاب النَّاس، والمجلسُ غاصٌّ بأهله، وهو يقول: توسَّعوا وتفسَّحوا، وكان في أذنه وَقرٌ، وأحبَّ أن يدنوَ من رسول الله ﷺ، حتى انتهى إلى رجلٍ أمامَ النَّبيِّ ﷺ، فلم يفسح له، فذكر أمَّه، فنزل في الرَّجل الذي لم يفسح له هذه الآية، فندم الرَّجل وندم ثابت(١).

وقال مقاتلُ بن حيَّان: إنَّ النَّبيَّ ﷺ كان في الصُّفَّة في مكانٍ ضيِّقٍ، وكان يكرمُ أهلَ بدرٍ من المهاجرين والأنصار، فجاء أناس من أهل بدرٍ يومئذ وقد سُبقوا إلى المجلس، فقاموا حيال النَّبيِّ ﷺ، فقالوا: السَّلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته، فردَّ النَّبيُّ ﷺ عليهم، ثم سلَّموا على القوم بعد ذلك، فردُّوا عليهم، فقاموا على أرجلهم ينظرون إلى أن يوسِّعوا لهم، وعرف النَّبيُّ ﷺ ما يحملِهم على القيام، فلم يُفسَح لهم، فشقَّ ذلك على النَّبيِّ ﷺ، فقال لمن حوله من المهاجرين والأنصار

---

(١) ذكر نحوه الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٨٦).

من غير أهل بدر: «قمْ يا فلان، وأنت يا فلان، وأنت يا فلان فقُم»، حتى أقام عدَّةً من النَّاس، فشقَّ ذلك على مَن أُقيم من مجلسِه، وعرف النَّبيُّ ﷺ الكراهةَ في وجوهِهم، فقال المنافقون لأصحاب النَّبيِّ ﷺ: ألسْتُم تزعمون أنَّ صاحبكم هذا ـ يعنون النَّبيَّ ﷺ ـ يعدلُ بين النَّاس؟ قالوا: بلى، قال المنافقون: والله ما رأيناه عدلَ على هؤلاء، قومٌ أَخذُوا مجالسَهم، وأحبُّوا القُرْبَ من نبيِّهم، فأقامَهم وأجلسَ مَن أبطأ عنه مكانَهم. وكان ذلك يومَ الجمعة، فقال النَّبيُّ ﷺ بعد ذلك: «رحمَ الله رجلًا تفسَّح لأخيه»، فكانوا يقومون بعدَ ذلك سِراعًا، وتفسَّح القوم لإخوانهم، فأنزل الله تعالى هذه الآية[1].

وقال الحسنُ: بلغني أنَّ رسول الله ﷺ كان إذا قاتلَ المشركين وصفَّ أصحابَه للقتال، تشاحُّوا في الصَّفِّ الأوَّل؛ ليكونوا في أوَّل القوم، فكان الرَّجل منهم يجيء إلى الصَّفِّ الأوَّل فيقول لإخوانه: توسَّعوا لنلقى العدوَّ ونُصيبَ الشَّهادة، فلا يوسِّعون له رغبةً منهم في الجهاد والشَّهادة أن يصيبوها، فأنزل الله تعالى هذه الآية[2].

وقال الحكم بن عتيبة في قوله: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ قال: يرفع الله العالمَ على الذي لا يَعلم سبعين درجةً، الله أعلم بما بينَ كلِّ درجتين، وإنَّ العالم يستغفرُ له كلُّ شيءٍ حتَّى الحوت في البحر، والطَّير في جو السماء[3].

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٢٦٢).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٢٥٩).

(٣) لم أجده عن الحكم، لكن روي معناه مرفوعاً، فقد روى أبو داود (٣٦٤١ ـ ٣٦٤٢)، والترمذي (٢٦٨٢)، وابن ماجه (٢٢٣)، وابن حبان في «صحيحه» (٨٨)، وغيرهم من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه مرفوعاً بلفظ فيه: «وإن العالم ليستغفر له من في السماوات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء...»، وفيه: «إن العلماء ورثة الأنبياء...»، الحديث.

(١٢) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ وَأَطۡهَرُۚ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗ﴾، ثمَّ إنَّ اللهَ تعالى أرادَ أن يقطعَ المنافقين عن مناجاة النَّبيِّ ﷺ، فيزول ما كان الشَّيطانُ يحزنُ به المؤمنين منها، بأن يعظِّمَ المؤمنون رسولَ الله ﷺ، فلا يناجوه إلَّا في مهمٍّ من أمور الدِّين، فأوجبَ على مَن أرادَ منهم مناجاته تقديمَ صدقة، فقال: ﴿إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ﴾؛ أي: إذا أردْتُم مناجاته ﴿فَقَدِّمُواْ﴾ قبل مناجاتكم إيَّاه ﴿صَدَقَةٗ﴾.

﴿ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ﴾: في دينِكم لِمَا تنالونه من الثَّواب.

﴿وَأَطۡهَرُ﴾: لكم من الذُّنوب، ويكون كتقديم الوضوء على الصَّلاة.

﴿فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ﴾: ما تتصدَّقون به ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾ لا يكلِّفكم شططًا، فناجوه في المهمِّ من أمر الدِّين من غير تقديم صدقة.

* * *

(١٣) ـ ﴿ءَأَشۡفَقۡتُمۡ أَن تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَٰتٖۚ فَإِذۡ لَمۡ تَفۡعَلُواْ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿ءَأَشۡفَقۡتُمۡ أَن تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَٰتٖ﴾؛ أي: أشقَّ عليكم أن تقدِّموا طهرةً بين يدي مناجاتكم رسولَ الله ﷺ.

والإشفاق كالخوف من المكروه، فيحتمل[1] أن يكونوا أشفقوا[2] مِن أن يقصِّروا في تقديم الصَّدقة في بعض حوائجهم التي يحتاجون فيها إلى مناجاته

(١) في (ر) و(ف): «ويحتمل».

(٢) في (أ): «أن تكونوا أشفقتم».

فيأثموا، أو تكثر حوائجهم فلا يمكنهم رفع كثير منها إليه إذا لم يجدوا ما يقدِّموا له، وخافوا ذلك على بعضِهم، فرحمَهم الله تعالى وخفَّف عنهم.

﴿فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾: أي: خفَّف عنكم وأزال عنكم هذا الفرض.

﴿فَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ﴾: أي: دوموا عليهما ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ في سائر الأوامر والنَّواهي.

وحقيقة ﴿وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ في هذه المواضع: أزالَ عنكم المؤاخَذة بترك تقديم الصَّدقة على المناجاة، كزوال المؤاخذة بالذَّنب على التَّائب عنه.

﴿وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ وهذا وعد ووعيد.

وقيل: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ فلا تتناجَوا بالإثم والعدوان ومعصية الرَّسول وتناجوا بالبر والتقوى.

قال الكلبيُّ: ما كانت إلَّا ساعةً من نهارٍ حتَّى نُسِخَتْ[1].

وقال مقاتل بن حيَّان: كانت عشرَ ليالٍ ثمَّ نُسِخَتْ[2].

وقال عليٌّ رضي الله عنه: هذه آيةٌ من كتاب الله تعالى ما عملَ بها أحدٌ من قبلي ولا بعدي، وكان لي دينار، فبعتُه بعشر دراهم، وتصدَّقْتُ بها، وسألْتُ رسول الله ﷺ عشرَ مسائلَ، فأجابني عنها، قلْتُ: يا رسول الله، ما الوفاء[3]؟ قال: «التَّوحيدُ وشهادةُ أن لا إله إلَّا الله، قال الله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي﴾ [البقرة: ٤٠]»، قلْتُ: وما الفساد؟ فقال: «الكفر والشِّرك بالله تعالى»، قلْتُ: وما الحقُّ؟ قالَ: «الإسلام والقرآن والولاية إذا

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣١٧٨) عن الكلبي وقتادة.

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٢٦٢).

(٣) في (ر): «الصلاح».

انتهَتْ إليك»، قلْتُ: وما الحيلة؟ قال: «ترك الحيلة»، قلْتُ: وما عَلَيَّ؟ قال: «طاعة الله وطاعة رسوله»، قلْتُ: كيف أدعو الله؟ قال: «بالصِّدقِ واليقين»، قلْتُ: وماذا أسأل الله تعالى، قال: «العافية»، قلْتُ: وما أصنع لنجاة نفسي؟ قال: «كُلْ حلالًا، وقُلْ صِدقًا»، قلْتُ: وما السُّرور؟ قال: «الجنَّة»، قلْتُ: وما الرَّاحة؟ قال: «لقاء الله تعالى»، فلمَّا فرغْتُ منها نزل نسخُها[1].

وقال ابن عمر رضي الله عنهما: كان لعليٍّ رضي الله عنه ثلاثٌ، لو كانت لي واحدةٌ منهنَّ كانت أحبَّ إليَّ من حمر النَّعم: تزويجَه[2] فاطمة، وإعطاء الرَّاية يوم خيبر، وآية النَّجوى[3].

***

(١) ذكره بلا إسناد: أبو البركات النسفي في «مدارك التنزيل» (٣/ ٤٥٠)، والسيوطي في «معترك الأقران» (٣/ ٣٦٠)، ورواه مختصرًا دون ذكر الأسئلة أبو عبيد في «الناسخ والمنسوخ» (٤٧٣)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٢١٢٥)، والطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٤٨٢)، والحاكم في «المستدرك» (٣٧٩٤)، وصححه.

ولفظ الحاكم: «قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: إن في كتاب الله لآية ما عمل بها أحد ولا يعمل بها أحد بعدي آية النجوى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗ﴾ الآية، قال: كان عندي دينار فبعته بعشرة دراهم، فناجيت النبي ﷺ، فكنت كلما ناجيت النبي ﷺ، قدمت بين يدي نجواي درهمًا، ثم نسخت فلم يعمل بها أحد، فنزلت: ﴿ءَأَشۡفَقۡتُمۡ أَن تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَٰتٖ﴾ الآية».

(٢) في النسخ: «تزوج»، والمثبت من «تفسير الثعلبي».

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٢٦٢). ورواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٢٠٩٩) بلفظ: «لقد أوتي علي بن أبي طالب ثلاث خصال لأن تكون لي واحدة منهن أحب إلي من حمر النعم: زوَّجه ابنته فولدت له، وسد الأبواب إلا بابه، وأعطاه الحربة يوم خيبر».

(١٤ ـ ١٥) ـ ﴿ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم﴾: ﴿ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟﴾: هم المنافقون، ﴿قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم﴾: هم اليهود.

﴿مَّا هُم﴾: أي: المنافقون ﴿مِّنكُمْ﴾ مسلمين ﴿وَلَا مِنْهُمْ﴾؛ أي: من اليهود، لا يؤمنون بكتاب.

﴿وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ﴾ للمؤمنين إذا لقُوهم أنَّهم منهم، ولليهود إذا لقوهم أنَّهم منهم.

﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أنَّهم كاذبون؛ لأنَّهم لا يعتقدون إسلامًا ولا يهوديَّة، وهذا نهاية الخبث وسوءِ الدِّيانة.

﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾: أي: في النَّار ﴿إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ بذلك استحقُّوها.

* * *

(١٦) ـ ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾.

﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: أي: يجتهدون في صدِّ النَّاس عن طاعة الله والإيمان به والجهاد في سبيله بالأراجيف ووجوه التَّخويف، فإذا ظهر ذلك منهم فعوتبوا حلفوا كاذبين أنَّهم ما فعلوا ذلك، يدفعون بها عن أنفسهم ما يتوجَّه عليهم من عقوبات الدُّنيا.

﴿فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾: في الدُّنيا والآخرة، وهو ما قال: ﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾ إلى قوله: ﴿وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا﴾ [الأحزاب: ٦١].

وقال السُّدِّيُّ رحمه الله: نزلَتْ في عبد الله بن نَبتل المنافق من بني عَمرو بن

عوف، كان يأتي رسولَ الله ﷺ فيجلسُ معه، ثم يرفع حديثه إلى اليهود، فبينما رسول الله ﷺ جالسٌ ذات يوم في حجرة من الحجرات قال: «يَطْلُعُ عليكم من هذه الحجرة الآن رجلٌ قلبُه قلبُ جبَّار، وينظر بعيني شيطان»، فأتى عبد الله بن نبتل، فمُنع من أن يدخل من الباب، فصعد فوق الحجرة، فاطَّلع على النَّبيِّ ﷺ، فقال له النَّبيُّ ﷺ: «أنت الذي تسبُّني وفلان وفلان»، فحلف بالله ما فعل، وحلف النَّبيُّ ﷺ لقد قلْتَ[1]، ثمَّ انطلق فجاء بهم، فحلفوا له ما سبُّوه، فأنزل الله تعالى هذه الآية[2].

* * *

(١٧ ـ ١٩) ـ ﴿لَّن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٨﴾ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾.

---

(١) في (ف): «فعلت».

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٢٦٣).

وروى نحوه الإمام أحمد في «مسنده» (٢١٤٧) (٢٤٠٧) (٣٢٧٧)، والبزار في «مسنده» (٥٠١٠)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٢٣٠٧)، والحاكم في «المستدرك» (٣٧٩٥) من حديث ابن عباس رضي الله عنه، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٢٢): رواه أحمد والبزار، ورجال الجميع رجال الصحيح.

ولفظ الإمام أحمد: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ جالسًا في ظل حجرته فقال لأصحابه: «يجيئكم رجل ينظر إليكم بعين شيطان، فإذا رأيتموه فلا تكلموه»، فجاء رجل أزرق، فلمَّا رآه النبي ﷺ دعاه، فقال: «علامَ تشتمني أنت وأصحابك؟» قال: كما أنت حتى آتيك بهم، قال: فذهب، فجاء بهم، فجعلوا يحلفون بالله ما قالوا، وما فعلوا، وأنزل الله عز وجل: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ﴾ إلى آخر الآية.

وقوله تعالى: ﴿لَّن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾: أي: يحلفون كاذبين ليدفعوا القتلَ عن أنفسِهم وأولادِهم والاستغنامَ عن[1] أموالهم، ولن تغني عنهم أموالهم وأولادهم يوم القيامة شيئًا إذا دخلوا النَّار.

قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٧﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا﴾: أي: دخول النَّار[2] يوم يحشرهم الله تعالى من قبورهم فيحاسبهم ويجازيهم بأعمالهم.

﴿فَيَحْلِفُونَ لَهُ﴾ يوم القيامة: ما كانوا مشركين ﴿كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ﴾ في الدُّنيا أنَّهم ليسوا بمنافقين.

﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾: ويظنُّون في الدُّنيا أنَّهم على صوابٍ من دينِهم ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ في الدُّنيا[3].

قوله تعالى: ﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ﴾: أي: غلب فاستولى عليهم ﴿فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ﴾ فهم يرتكبون المعاصيَ غير ذاكرين اللهَ، ومقامَهم بين يديه، ومحاسبتَه إيَّاهم عليها.

﴿أُولَٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ﴾: المتحزِّبون له، المتعصِّبون لأوليائه، المنقادون حيث يقودهم.

﴿أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾: أي: الهالكون المغبونون.

* * *

(٢٠ ـ ٢١) ـ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾ كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾.

---

(١) في (أ): «فاستغنام» بدل: «والاستغنام عن».

(٢) في (ف): «دخولهم النار»، وليست في (ر).

(٣) «في الدنيا» من (أ).

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾: أي: يخالفون، وقيل: يعادُون.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلْأَذَلِّينَ﴾: لا أذلَّ منهم؛ أي: إلى الذُّلِّ يصير أمرهم: بالسَّبي والقتل في الدُّنيا، وعذاب النَّار في الآخرة.

﴿كَتَبَ ٱللَّهُ﴾: أي: في اللَّوح المحفوظ، وقيل: أي: قضى وقدَّر.

﴿لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓ﴾: لأنَّ العاقبة المحمودة لهم في الدُّنيا والآخرة، وهم المنصورون بالحجَّة.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾ تعالى ﴿قَوِيٌّ﴾: لا يُغلَب ﴿عَزِيزٌ﴾: لا يمانع[1].

وروي أنَّ المسلمين لَمَّا رأوا ما يُفتَح عليهم من القرى قالوا: واللهِ ليفتحَنَّ اللهُ علينا الرُّوم وفارس، فقال المنافقون: هيهات، الرُّومُ وفارس ليست كهذه القرى. فنزلَتْ هذه الآية[2].

* * *

(٢٢) - ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾.

وقوله: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾: أي: مَن خالفَ وعادى الله ورسوله ﴿وَلَوْ كَانُوٓاْ﴾: يرجع إلى ﴿مَنْ﴾، وهو بمعنى الجمع لأنَّه جنس ﴿ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾:

---

(١) في (أ): «﴿قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ لا يغالب ولا يمانع».

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٢٦٥)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٢٦٤) دون نسبة.

﴿لَا تَجِدُ﴾: إخبارٌ بمعنى التَّقرير؛ أي: ولو وجدتهم على غير هذا فليسوا بمؤمنين؛ لأنَّ شرطَ الإيمانِ بالله محبَّة اللهِ، وتحقيقُ محبَّة الله بمعاداة أعدائه.

قال ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه: ﴿وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ﴾ كأبي عبيدة بن الجراح، قَتَلَ أباه يومَ أحدٍ، وهو عبد الله بن الجرَّاح ﴿أَوْ أَبْنَآءَهُمْ﴾ كأبي بكر الصِّدِّيق، دعاه ابنُه يوم بدر إلى البِراز، فقال: يا رسول الله، دعني أكنْ في الرَّعْلة[1] الأولى، فقال له رسولُ الله ﷺ: «متِّعنا بنفسِكَ يا أبا بكر، أمَا تعلمُ أنَّك عندي بمنزلة سمعي وبصري» ﴿أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ﴾ كمصعب بن عمير، قتلَ أخاه يوم أحد عبيد بن عمير ﴿أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ كعمر وحمزة وعلي وعبيدة بن الحارث؛ قتلَ عمرُ خالَه العاص بن هشام بن المغيرة يوم بدر، وقتل عليٌّ وحمزة وعبيدة بن الحارث عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة[2].

وروي أنَّ رسول الله ﷺ شربَ الماءَ، فقال عبد الله بن عبد الله بن أبيٍّ: يا رسول الله، أبقِ فَضلةً من شرابِكَ، قال: «وما تصنع به؟»، قال: أسقي بها[3] أبي لعلَّ الله تعالى يطهِّرُ بها قلبَه، ففعل، فأتى بها أباه، فقال: ما هذا؟ قال: فَضلةٌ مِن شراب رسول الله ﷺ جئتُكَ بها لتشربَها لعلَّ اللهَ يطهِّرُ قلبَك، فقال أبوه: هلَّا جئتَني ببول أمِّك، فرجعَ إلى النَّبيِّ ﷺ، فقال: يا رسول الله، ائذنْ لي في قتل أبي، فقال رسول الله ﷺ: «بل ترفُقُ به وتحسِنُ إليه»[4].

---

(١) الرعلة: القطعة من الخيل والفرسان. انظر: «مجمع الغرائب» للفارسي (مادة: رعل). أو الجماعة المتقدمة من الخيل. انظر: «أساس البلاغة» للزمخشري (١/ ٣٦٣).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٢٦٤ ـ ٢٦٥)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٤١٥) والبغوي في «تفسيره» (٨/ ٦٣)، من طريق مقاتل بن حيّان، عن مرّة الهمذاني، عن عبد الله بن مسعود. وذكره الواحدي في «البسيط» (٢١/ ٢٥٨) من طريق عطاء عن ابن عباس.

(٣) في (أ): «أبتغي بها»، وفي (ر): «أشفي به».

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٢٦٤) عن السدي.

وقال ابن جريج: حُدِّثْتُ أنَّ أبا قُحافةَ سَبَّ النَّبيَّ ﷺ، فصكَّهُ أبو بكر رضي الله عنه صَكَّةً سقطَ منها، ثمَّ ذكرَ ذلك للنَّبيِّ ﷺ، فقال: «أوفعلتَه؟»، قال: نعم، قال: «فلا تعدْ إليه»، فقال أبو بكر رضي الله عنه: «واللهِ لو كان السَّيفُ قريبًا منِّي لقتلتُه»، فأنزل الله تعالى هذه الآية[1].

وقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ﴾: أي: أثبتَه فرسخَ فيها حتَّى استبصروا فيه، فهجروا له الأوطان، ونابذوا العشائر والخلان.

﴿وَأَيَّدَهُم﴾؛ أي: قوَّاهم ﴿بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾؛ أي: بكتابٍ أنزلَه فيه حياةٌ لهم.

وقيل: أي: ببرهانٍ منه ونورٍ وهدًى.

وقيل: أي: نصرهم جبريلُ على كثيرٍ ممَّن حاربَهم.

﴿وَيُدْخِلُهُمْ﴾: أي: في الآخرة ﴿جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾؛ أي: رضي عنهم بقَبول أعمالهم ﴿وَرَضُواْ عَنْهُ﴾؛ أي: بما أعطاهم من الثَّواب على أعمالهم.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ﴾: المتحزِّبون لنصر دينِه، وموالاة أوليائه، ومعاداة أعدائه.

﴿أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾: الفائزون بكلِّ محبوبٍ، الآمنون من كلِّ مرهوب.

والحمدُ لله ربِّ العالمين

---

(١) رواه ابن المنذر في «تفسيره» كما في «الدر المنثور» (٨/ ٨٦)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٢٦٤)، والماوردي في «تفسيره» (٥/ ٤٩٧)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٤١٤).
قال الواحدي في «البسيط» (٢١/ ٢٥٧): الأكثرون على أن هذه الآية نزلت في حاطب بن أبي بلتعة وإخباره أهل مكة بمسير النبي ﷺ إليهم لما أراد فتح مكة، وتلك القصة معروفة، وهذا قول مقاتل واختيار الفراء والزجاج.

سُورَةُ الحَشْرِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

بسم الله مُخزي الفاسقين والكفَّار، الرحمنِ مُعلِي المهاجرين والأنصار، الرحيمِ مُميِّزِ أصحاب الجنَّة من أصحاب النَّار.

روى أبيُّ بنُ كعبٍ رضي الله عنه، عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «مَن قرأ سورةَ الحشرِ لم يبقَ جنَّة ولا نارٌ ولا عرشٌ ولا كرسيٌّ ولا الحُجُب ولا السَّماوات السَّبع ولا الأرضون السَّبع ولا الهواء ولا الرِّيح ولا الطَّير والنُّجوم والشَّجر والجبال والشَّمس والقمر ولا الملائكة إلَّا صلَّوا عليه واستغفروا له، فإنْ هو ماتَ يوم تلاها أو ليلة تلاها ماتَ شهيدًا»(١).

وهذه السُّورة مدنيَّة.

وهي أربع وعشرون آية، وأربعُ مئة وخمس وأربعون كلمة، وألفٌ وتسعُ مئة وخمسة عشر حرفًا.

وانتظام آخر تلك السُّورة بأول هذه السُّورة: أنَّ آخر تلك السُّورة في ذكر حزب الله، وأوَّلَ هذه في تسبيح كلِّ الخلق لله(٢).

---

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٢٦٦)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ٢٦٩). قال ابن الجوزي في «الموضوعات» (٤/ ٣٤٤): مصنوع بلا شك. وانظر: «الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة» للشوكاني (ص: ٢٩٦).

(٢) في (ر) و(ف): «في تسبيح كل الخلائق».

وانتظامُ السُّورتين: أنَّ تلك أوَّلها في تخفيف الأحكام على المؤمنين، وأوَّل هذه في التَّشديد في الدُّنيا والآخرة على الكافرين.

وبقيَّة تلك في ذكر المخلصين والمنافقين، وبقيَّة هذه في ذكر تقسيم المخلصين وذكر أحوال المنافقين.

وختمُ تلك في مدح أولياء الله تعالى، وختمُ هذه في بيان أسماء الله تعالى.

* * *

(١ ـ ٢) ـ ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ﴾.

قوله تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾: هو على ما فسَّرناه في أوَّل (سورة الحديد).

قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ﴾: هذا بيانُ قصَّة بني النَّضير وإجلائهم.

ذكرَ أصحابُ المغازي: أنَّ عَمرو بن أميَّة قتلَ رجلين من المشركين من بني عامر بن صعصعة كان وادعَهما رسول الله ﷺ وهو لا يعلم، فلمَّا أخبرَ رسولَ الله ﷺ بذلك قال: «بئسما صنعْتَ، قد كان لهما منَّا أمان»، قال: ما شعرْتُ، فأرسلَ عامرُ بن الطُّفيل إلى رسول الله ﷺ يلتمس منه ديتَهما، فخرج رسولُ الله ﷺ إلى بني النَّضير ـ وكانوا حلفاء لبني عامر ـ يستعين بهم في ديتهما، فتآمر بنو النَّضير في اغتياله، وكان قاعدًا في نفرٍ من أصحابه تحت ظلِّ جدارٍ، فأراد اليهود أن يطرحوا عليه صخرةً،

فعلم بذلك رسولُ الله ﷺ، وتوجَّه إلى المدينة من غير أن يخبرهم بذلك، ونهضَ كأنَّه يريد حاجةً، فلمَّا أبطأ عليهم تبعوه فلم يلحقوه إلَّا بالمدينة، فأخبرهم بذلك.

ودعا محمَّدَ بن مسلمة وقال: «اذهب إلى يهود بني النَّضير، وقل لهم: اخرجوا من بلدي»، فأبوا واستعدُّوا له، فحاصرهم رسول الله ﷺ خمسة عشر يومًا، وأرسل لهم المنافقون: إنَّا معكم إنْ قُوتِلْتُم، وعلينا لكم النَّصر، فلم يمكِّنهم رسول الله ﷺ من القتال[1] في دورهم وحصونهم، وأمر بالأدنى فالأدنى من دورهم وحصونهم أنْ تُهدَم، وبالنَّخيل أن تُقطَع وتُحرَّق، وألقى الله في قلوبهم الرُّعب.

وكانوا في حصارهم يخربون بيوتهم ممَّا يليهم[2]، والمسلمون يخربون ممَّا يليهم، حتى وقعَ الصُّلح، وأجلاهم رسولُ الله ﷺ على أن يحملوا من أموالهم ما استقلَّت الإبل، حتَّى كان الرَّجل يهدمُ بابَ دارِه ليُحمل على بعيره.

فمنهم مَن خرج إلى خيبر، ومنهم مَن خرج إلى الشَّام وإلى أذرعات، وحملوا النِّساء والصِّبيان والأموال سوى السِّلاح، وشقُّوا سوق المدينة في ستِّ مئة بعير متزيِّنين، يضربون بالدُّفوف والمزامير، يُظهرون[3] التَّجلُّد، وقبضَ رسولُ الله ﷺ أموالهم وسلاحهم[4].

وقيل: لَمَّا دخل رسول الله ﷺ المدينة صالحَ بني النَّضير على أن لا يقاتلوه ولا يقاتلهم ولا يقاتلوا معه، فلمَّا غزا رسول الله ﷺ بدرًا وظهر على المشركين قالت

---

(١) في (ر): «بالقتال» بدل: «من القتال».

(٢) بعدها في (ر): «بأيديهم».

(٣) في (ر): «وأهل المدينة يظهرون».

(٤) انظر: «مغازي الواقدي» (١/ ٣٦٤ ـ ٣٧٦)، و«سيرة ابن هشام» (٢/ ١٩٠ ـ ١٩٣)، و«السيرة النبوية» لابن حبان (١/ ٢٣٤).

بنو النَّضير: إنَّه والله للنَّبي الذي سمعنا به، ووجدنا نعته في التَّوراة، لا يردُّ له راية، فلمَّا غزا رسول الله ﷺ من قابلٍ أحداً وهُزم المسلمون ارتابوا، وأظهروا العداوة لله ولرسوله وللمؤمنين، ونقضوا العهد.

فركب كعب بن الأشرف في أربعين راكبًا من اليهود إلى مكَّة، فأتوا قريشًا، فحالفوهم على أن تكون كلمتهم واحدة على محمَّد ﷺ، ثم رجع كعب بن الأشرف وأصحابه لعنهم الله إلى المدينة، ونزل جبريل صلوات الله عليه على النَّبيِّ ﷺ وأخبره بذلك، وأمرَه الله تعالى بقتل كعب بن الأشرف، فقال عليه الصلاة والسلام لأصحابه: «أمرني الله تعالى بقتل كعب بن الأشرف فاقتلوه».

وانتدبَ قومٌ فيهم محمَّد بن مسلمة، فذهبوا وقتلوه ليلًا، وله قصَّة، فأصبح رسول الله ﷺ وأمر النَّاس بالمسير إلى بني النَّضير، فجاء وحاصروهم في رواية إحدى وعشرين ليلة(١).

وقال محمَّد بن إسحاق: جلاء بني النَّضير كان مرجعَ النَّبيِّ ﷺ من أُحُد، وكان فتحُ بني قريظة مرجعَه من الأحزاب، وبينهما سنتان.

وأجلاهم رسول الله ﷺ على أن يحمل كلُّ ثلاثةِ أهلِ أبياتٍ على بعيرٍ واحد ما شاؤوا، وما تركوا فلرسول الله ﷺ وأصحابه، فذلك قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾: أي: سلَّط رسولَه عليه السلام والمؤمنين على إخراجهم ﴿مِن دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ﴾: قيل: إنَّ النَّاس يُحشرون في الآخرة إلى أرض الشَّام، فكان حشر اليهود إليها الآن أوَّل الحشر.

---

(١) انظر: «سيرة ابن إسحاق» (ص: ٣١٧)، و«السيرة النبوية» لابن حبان (١/ ٢١٤). وقصة قتل كعب بن الأشرف عند البخاري (٤٠٣٧).

وقيل: هم أوَّل مَن حُشَر وأُخرج من جزيرة العرب.

وقال مرَّة الهمداني: كان أوَّلُ الحشر من المدينة، والحشرُ الثَّاني من خيبر إلى أريحا وأذرعات على يدي عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه[1].

قوله تعالى: ﴿مَا ظَنَنتُمْ﴾: ما كنتم تظنُّون أيُّها المسلمون ﴿أَن يَخْرُجُواْ﴾؛ أي: أن يضطرَّ هؤلاء إلى الخروج؛ لمنَعَتهم وعِدَّتهم وكثرةِ حلفائهم وأعوانهم.

﴿وَظَنُّوٓاْ﴾: أي: هؤلاء اليهود ﴿أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: تمنعهم وتدفع عنهم حصونهم من رسول الله ﷺ وأولياءِ الله.

﴿فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُواْ﴾: أي: أتاهم عذاب الله، أو أتاهم الله بعذابه من حيث لم يتوهَّموا.

﴿وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ﴾: أي: الخوفَ من النَّبيِّ ﷺ أن يأخذَهم، فيقتلَهم ويسبيَ ذراريهم ويَغنم أموالهم.

وقيل: قذفُ الرُّعب كان بسبب قتل كعب بن الأشرف، وكانوا لا يقدِّرون ذلك في أنفسهم ولا يصوِّرونه.

وقوله تعالى: ﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: قرأ أبو عَمرو: ﴿يُخَرِّبونَ﴾ بالتَّشديد، والباقون بالتَّخفيف[2].

قيل: هما لغتان، كما يقال: أمهلَ ومهَّل، وأخبر وخبَّر.

وقيل: التَّخريب: الهدم، والإخراب: تركه لا ساكن فيه والانتقالُ عنه، قاله الفرَّاء، وحكاه عن أبي عمرو[3].

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٢٦٨).

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ٦٣٢)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٠٩).

(٣) انظر: «معاني القراء» للفراء (٣/ ١٤٣)، وليس فيه أنه عن أبي عمرو.

ومعنى الآية عند بعضهم: أنَّ اليهود كانوا ينقضون ما أعجبهم من أبنية دورِهم، وخشبِها من الأبواب والعُمُد ونحوها ليحملوه معهم، فكان هذا تخريبًا منهم بأيديهم، وكان المؤمنون يخربون الأوَّل فالأوَّل، ليتمكَّنوا من مواضع الحرب، هو معنى قول الزُّهري وابن إسحاق والواقدي وابن زيد(١).

وقال عكرمة: كانت بيوتهم مزخرفةً، فحسدوا أن يسكنها المسلمون، فجعلوا يخربونها من داخل، والمؤمنون من خارج(٢).

قوله تعالى: ﴿فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾: أي: تأمَّلوا يا أولي البصائر ما نزلَ بهؤلاء، والسَّببَ الذي استحقُّوا به ذلك، فاحذروا أن تفعلوا مثلَ فعلهم فتُعاقبوا بمثل عقوبتهم.

* * *

(٣ ـ ٤) ـ ﴿وَلَوۡلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ۝٣ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَلَوۡلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡجَلَآءَ﴾: ولولا أنْ قضى الله وكتبَ في أمِّ الكتاب وأَخبر أنَّه سيُجليهم عن ديارهم لِمَا علمَ أنَّ منهم مَن يؤمنُ أو يلدُ مؤمنًا ﴿لَعَذَّبَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا﴾ بأن يأمرَكم بقتلهم وأسرهم واسترقاقهم.

﴿وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ﴾ الذي هو لا أشدَّ منه، فليس تأخير العذاب عنهم للعجز، لكنَّ العذاب مُعَدٌّ لهم في الآخرة بأشدِّ ما يكون.

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣١٨٥) عن الزهري، ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٥٠١ ـ ٥٠٢) عن الزهري وابن زيد.

(٢) ذكره الماوردي في «تفسيره» (٥/ ٥٠٠).

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾: أي: هذه العذابُ بأنَّهم خالفوا اللهَ وعادَوه، ورسولَه أيضًا.

﴿وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾: هي سُنَّته في جميع الكفرة.

* * *

(٥) ـ ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾.

﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ﴾: قال ابن عبَّاس وقتادة: هي كلُّ نخلةٍ لينةٍ سوى العجوةِ[١].

وقال سفيان: هي كرام النَّخل[٢].

وأصلها الواو، وواحدها: اللَّوْن[٣].

﴿أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا﴾: لم تقطعوها.

﴿فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾: أي: فذلك بإطلاق الله تعالى، لم يمنعْكُم عنه ولم يحرِّمْه عليكم.

﴿وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾: أي: ولإخزاء اليهود ـ أي: إذلالهم وغيظهم ـ أذِن بذلك.

وقال الواقديُّ: كان رسول الله ﷺ قد استعمل على قطعِ نخيلهم أبا ليلى المازنيَّ وعبد الله بن سلام، وكان أبو ليلى يقطع العجوة، وكان ابن سلام يقطع اللَّون، فقال لهم بنو النَّضير: أنتم مسلمون، ما يحلُّ لكم قطع النَّخيل.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٥٠٧ ـ ٥٠٨) عن ابن عباس وقتادة وعكرمة والزهري ويزيد بن رومان. ولعل الأحسن في عبارة المصنف حذف «هي» أو «لينة»، كما يظهر من الأخبار المذكورة.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٥٠٩).

(٣) كذا قال، وفي كتب اللغة العكس؛ أي: اللون جمع واحدته لينة. انظر: «الصحاح» و«النهاية» و«القاموس» (مادة: لون).

فاختلف أصحابُ رسول الله ﷺ؛ فقال بعضهم: نقطع، وبعضهم: لا نقطع، فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ﴾: ألوان النخيل سوى العجوة ﴿أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا﴾ قال: العجوة ﴿فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ﴾ يقول: يغيظهم ما قطع من النخيل[1].

وقال مقاتل: كان النَّبيُّ ﷺ أمَر بقطع النَّخيل وتحريقها إلَّا ضربًا منها يُقال لها: العجوة، شديدَ الصُّفرة، يُرى نواه من اللِّحاء، من أجود التَّمر، يغيب فيه الضِّرس، النَّخلةُ منها أحبُّ إليهم من وَصيف، فجزع أعداء الله عند القطع، فقالوا: يا محمَّد، أوجدْتَ فيما أُنزل عليك الفساد في الأرض أو الصَّلاح؟ فأكثروا فيه القول، وأكثرَ المسلمون ندامةً[2] على قطعهم خشية أن يكون فسادًا، فأنزل الله تعالى الآية[3]، واستصوبَ ذلك كلَّه منهم لحسن نيَّتهم في ذلك، فمَن ترَك العجوة وهي أجود التَّمر فلتبقى للمسلمين، ومَن قطعها فلزيادة غيظ على الكافرين.

* * *

(٦) ـ ﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ﴾: أي: ما غنمْتُم. والفيءُ: الغنيمةُ تفيء إلى المسلمين؛ أي: ترجع.

﴿مِنْهُمْ﴾؛ أي: من هؤلاء اليهود.

﴿فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾: فلم يكن ذلك بإيجافِ خيلٍ أو ركاب

---

(١) انظر: «مغازي الواقدي» (١/ ٣٨١).

(٢) في «تفسير مقاتل»: «ووجد المسلمون ذمامة».

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٢٧٧).

منكم على ذلك. والإيجافُ: تعدية الوجيف، وقد وجفَ البعيرُ يَجِفُ وَجِيفًا؛ أي: سارَ بتحرُّكٍ واضطرابٍ، وأوجفَه راكبُه.

ومعناه: فما أزعجْتُم عليه خيلًا ولا ركابًا، ولا أزعجتُم إليه شيئًا من ذلك؛ أي: لم يحصل ذلك بسعيكم وعملكم ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ﴾ أشار إلى أنَّ الله تعالى يسلِّط رسلَه عليهم، بأن ألقى رعبَه في قلوبِهم، فهابُوه وأذعنوا للجلاء وتركِ الأموال، فجرى سلطان الرَّسول عليهم بتسليط الله تعالى، وذلك سُنَّته في رسله الماضين، كان يسلِّطهم على مَن يشاء.

﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: من هذا وغيره.

وقال الواقديُّ: كانت أموال بني النَّضير للنَّبيِّ ﷺ خاصَّة، لم يخمسها[1]، أعطى منها المهاجرين، ولم يعطِ منها الأنصار، إلَّا رجلين محتاجَين: سهل بن حنيف وأبا دجانة، ونفَّل سعد بن معاذ سيف بن أبي الحُقَيق، وكان سيفًا له ذكرٌ عندهم.

وقال عمر رضي الله عنه للنَّبيِّ ﷺ: ألا تخمِّسُ يا رسولَ الله ما أصبْتَ من بني النَّضير كما خمَّسْتَ ما أصبْتَ مِن بدر؟ فقال ﷺ: «لا أجعلُ شيئًا جعلَه الله لي دون المؤمنين»، لقوله: ﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ﴾[2].

***

(٧) - ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾.

---

(١) في (ر): «يقسمها».

(٢) انظر: «مغازي الواقدي» (١/ ٣٧٩).

وقوله تعالى: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰ﴾: قيل: هي فَدَك وبنو النَّضير وبنو قريظةَ وخيبر.

﴿فَلِلَّهِ﴾: أي: فهي للهِ، يأمركم فيها بما أحبَّ.

وقال الزُّهريُّ: كانت بنو النَّضير للنَّبيِّ ﷺ خالصةً لم يفتتحوها عنوةً، ولكن افتتحوها على صلحٍ، فقسمَها بين المهاجرين(١).

﴿وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾؛ يعني: قرابةَ رسول الله ﷺ ﴿وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ﴾.

وقال عمر رضي الله عنه: كان لرسول الله ﷺ ثلاثُ صفايا: بنو النضير وفدكٌ وخيبرُ؛ فأمَّا بنو النَّضير فكانت حبسًا لنوائبه، وأمَّا فَدَكٌ فكانت لابن السَّبيل، وأمَّا خيبرُ فجزَّأها ثلاثة أجزاء، فقسم جزأين بين المسلمين، وحبَسَ جزءًا للنَّفقة، فما فضلَ عن أهلِه ردَّه على فقراء المسلمين(٢).

وعلى هذا القول: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ﴾ موصولٌ بالأوَّل، وإن لم يكن فيه واو العطف، كما يقال: هذا المال لزيد لعمرو ولبكر.

وقال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: هذا مبتدأ، وهو في غنائم كلِّ قرية تفتح وتُؤخَذ بقوَّة الغزاة(٣)، وفي الآيةِ بيانُ مصرفِ خُمسِها.

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣١٨٩)، والطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٥١٣).

(٢) رواه أبو داود (٢٩٦٧).

(٣) لم أجده عن ابن عباس، وهو اختيار ابن العربي في «أحكام القرآن» (٤/ ٢١٤) قال: (قوله تعالى: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ وهذا كلامٌ مُبتدأٌ غيرُ الأولِ لمستحِقٍّ غيرِ الأولِ...) إلى آخر ما قال، واستحسنه القرطبي في «تفسيره» (٢٠/ ٢٥٠).

وقولـه تعالـى: ﴿فَلِلَّهِ﴾: هـو للتَّبـرُّك باسـمه، وقيـل: سـهم الله تعالـى يصرف إلـى أسـلحة الغزاة.

﴿وَلِلرَّسُولِ﴾: له خمس الخمس.

﴿وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾: وقد سقط سهمهم بإجماع الصَّحابة.

﴿وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾: هم مصارف الخمس، وأربعة أخماسها للغانمين، ولم يذكره في هذه الآية، وقد ذُكِرَ مثل ذلك في (سورة الأنفال)، وهو قوله: ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ﴾ [الأنفال: ٤١]، وإذا بيَّنَ مصرف الخمس تعيَّنَ الباقي للغانمين، كما في قوله تعالى: ﴿وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ﴾ [النساء: ١١] فلمَّا بيَّنَ نصيبَ الأمِّ تعيَّنَ الباقي للأب، فكذا هاهنا.

وقولـه تعالـى: ﴿كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ﴾: أي: متـداولًا؛ أي: تولَّـى اللهُ قسـمةَ ذلـك لئلَّا يختـصَّ بأخـذه الأغنيـاء يتداولونه بينهـم دون الفقـراء ومصارف الخمس.

قوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾: أي: وما أعطاكم من الغنيمة فاقبلوه ﴿وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ﴾؛ أي: عن أخذه ﴿فَٱنتَهُوا۟﴾.

وعـن ابـن عبَّاس رضـي الله عنهما والحسـن رحمـه الله: ﴿وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ﴾: هو الغُلول[1].

وقيل: هو عامٌّ في كلِّ ما أتى به النَّبيُّ ﷺ من الأحكام: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ﴾؛ أي: ما أتاكم به، كما قال: ﴿ءَاتِنَا غَدَآءَنَا﴾ [الكهف: ٦٢]؛ أي: ائتنا بغذائنا.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٥٢٢) عن الحسن. وذكره الواحدي في «البسيط» (٢١/ ٣٧٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وعن ابن عبَّاس وابن مسعود والحسن أنَّهم حملوا على[١] هذا العموم[٢].

قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ﴾: لمن عصاه، ولا اتَّقاه.

***

(٨) ـ ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ﴾: قيل: هو معطوف[٣] على الأوَّل بغيرِ واوٍ، وقد مرَّ أنَّه جائز.

وقيل: تقديره: كي لا يكون دُولةً بين الأغنياء منكم ويكونَ للفقراء المهاجرين.

وقيل: هو ترجمة عن قوله: ﴿وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ﴾ دليلٌ لأصحابنا في أنَّ الكفَّار يملكون أموال المسلمين بالاستيلاء عليها، فإنَّ الله تعالى سمَّى المهاجرين فقراء ـ مع أنَّه كانت لهم ديارٌ وأموالٌ ـ بعدما أُخرجوا من ديارهم وأموالهم واستولَى عليها الكفَّار.

---

(١) «وابن مسعود والحسن أنهم حملوا على» ليس في (أ).

(٢) رواه عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: البخاري (٥٩٣٩)، ومسلم (٢١٢٥)، ولفظ البخاري: عن علقمة قال: لعن عبد الله الواشمات والمتنمصات، والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله، فقالت أم يعقوب: ما هذا؟ قال عبد الله: وما لي لا ألعن من لعن رسول الله، وفي كتاب الله؟ قالت: والله لقد قرأت ما بين اللوحين فما وجدته، قال: والله لئن قرأتيه لقد وجدتيه: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾.

(٣) في (أ): «عطف».

قوله تعالى: ﴿يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: يطلبون بهجرتهم فضلًا من الله وثوابَ الآخرة ﴿وَرِضۡوَٰنٗا﴾: رضًا عنهم، فلا يؤاخذُهم بالتَّقصير.

وقيل: ﴿فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ﴾: غنيمةً في الدُّنيا ﴿وَرِضۡوَٰنٗا﴾: في العُقبى.

﴿وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾: أي: ينصرون دين الله، ويُعِينون رسول الله.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾: المحقِّقون أقوالَهم بأفعالهم.

***

(٩) - ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةٗ مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾: قيل: هو عطف على قوله: ﴿لِلۡفُقَرَآءِ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ﴾ في استحقاق الغنيمة.

وقيل: هو مبتدأ، وتقديرُه: الفيء لكذا وللمهاجرين، والأنصار لا يحسدونهم على هذا الاستحقاق، وذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةٗ مِّمَّآ أُوتُواْ﴾.

وقوله تعالى: ﴿تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ﴾؛ أي: اتَّخذوا المدينة مسكنًا، نزلها الأنصار قبل المهاجرين.

﴿وَٱلۡإِيمَٰنَ﴾؛ أي: وتبوَّؤوا الإيمان بالمدينة.

﴿مِن قَبۡلِهِمۡ﴾؛ أي: آمنوا قبل هجرة النَّبيِّ ﷺ وأصحابه إليهم، فقد روي: قَلَّتْ دار بالمدينة إلَّا كان الإسلام دخلَها قبلَ قدوم النَّبيِّ ﷺ، وكانوا قد صلَّوا صلاة الجمعة قبلَ قدومهم.

ومعنى قوله: (تبوءوا الإيمان)؛ أي: تمكَّنوا منه، واستقرُّوا فيه كما يستقرُّ

الإنسانُ في المكان إذا تبوَّأَهُ، ومعنى: ﴿مِن قَبۡلِهِمۡ﴾؛ أي: من قبل قدومِهم، لا من قبل إيمانهم.

﴿يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ﴾: من أهل مكَّة وغيرهم، ومن محبَّتهم إيَّاهم أن نزلوا لهم عن نسائهم، وشاطروهم في أموالهم ومساكنهم.

﴿وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةٗ مِّمَّآ أُوتُواْ﴾: ولا يجدُ الأنصارُ في قلوبهم حسدًا ممَّا أوتيَ المهاجرون من الفيء.

والحاجة: الشرك، والحسدُ في القلب يعمل عملَها في الجسد.

وقيل: أي: احتياجًا إليه حتى يحملَهم ذلك على الضِّنِّ به.

﴿وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ﴾: أي: يختارون على أنفسهم المهاجرين ﴿وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ﴾؛ أي: فقر وحاجة.

وروي أنَّ النَّبيَّ ﷺ لَمَّا غَنِم بني النَّضير دعا ثابت بن قيس بن الشَّمَّاس فقال: «ادعُ لي قومك»، قال: الخزرجُ يا رسول الله؟ قال: «الأنصار كلَّها»، فدعا له الأوس والخزرج، فتكلَّم رسول الله ﷺ، فحمد الله، وأثنى عليه بما هو أهله، وذكر الأنصار وما صنعوا بالمهاجرين، وإنزالَهم إيَّاهم في منازلهم وأموالهم، ثم قال: «إنْ أحببْتُم قسمْتُ بينكم وبين المهاجرين ما أفاء الله عليَّ من بني النَّضير، فكان المهاجرون على ما هم عليه من السُّكنى في مساكنكم وأموالكم[١]، وإن أحببْتُم أعطيْتُهم وخرجوا من دورِكُم».

فتكلَّم سعدُ بن عبادة وسعدُ بن معاذ رضي الله عنهما فقالوا: يا رسول الله، بل يُقسَم بين المهاجرين، ويكونون في دورنا، فنادَتِ الأنصارُ: رضيْنا وسلَّمنا يا رسول الله،

(١) في (أ) و(ر): «مساكنهم وأموالهم».

فقال رسول الله ﷺ: «اللَّهم ارحمِ الأنصارَ، وأبناءَ الأنصارِ»، فأعطى رسولُ اللهِ ﷺ المهاجرين، ولم يعطِ الأنصارَ، إلَّا ما أعطى أبا دجانة وسهل بن حنيف وسعد بن معاذ[1].

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ﴾: أي: ومَن وقاه اللهُ بخلَ نفسِه، فلم يَضَنَّ بعَرَضِ الدُّنيا وبذَلَهُ لأولياءِ الله تعالى ﴿فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ جمع مع إفراد قوله: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ﴾؛ لأنَّه جنسٌ، فكان واحدًا لفظًا جمعًا معنى.

وقيل: في قوله: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ﴾: لم يقلْ: (ومَن يتق)؛ تنبيهًا على أنَّ هذا أمرٌ لا يتأتَّى بالتَّكلُّف[2].

وقيل: الشُّحُّ: اجتماعُ البخل والحرص والشَّره.

وقيل: هو أن لا يكون فيه نفعٌ لأحدٍ، من قولهم: زَندٌ شَحاحٌ: إذا كان لا يُوْرِي نارًا.

وقال ابنُ مسعود رضي الله عنه: مَن أعطى في النَّائبة وقَرَى الضَّيفَ فقد وُقي شُحَّ نفسِه.

وعن أبي المتوكِّل النَّاجي: أنَّ رجلًا من المسلمين غَبَرَ[3] ثلاثةَ أيَّامٍ صائمًا، يمسي فلا يجدُ ما يفطر عليه فيصبح صائمًا، حتى فطنَ به رجلٌ من الأنصار، يُقال له: ثابت بن قيس بن الشَّمَّاس، فقال لأهله: إنِّي أجيء الليلة بضيفٍ، فإذا وضعْتُم طعامَكم فلْيَقُمْ أحدُكم إلى السِّراج كأنَّه يصلِحُه فلْيُطفئْه، ثم اضربوا بأيديكم إلى الطَّعام كأنَّكم تأكلون، فلا تأكلوا، حتَّى يشبعَ ضيفُنا، فلمَّا أمسى ذهبَ به، فوضعوا

---

(١) رواه الواقدي في «المغازي» (١/ ٣٢٠) من حديث أم العلاء رضي الله عنها.

(٢) في (ر) و(ف): «بالتكليف».

(٣) غبر: بقي. انظر: «معجم مقاييس اللغة» لابن فارس (مادة: غبر).

طعامَهم، فقامت امرأتُه إلى السِّراج كأنَّها تصلحُه فأطفأته، وجعلوا يضربون بأيديهم إلى الطَّعام كأنهم يأكلون ولا يأكلون، فلمَّا أصبحَ ثابتٌ غدا إلى النَّبيِّ ﷺ، فقال له نبيُّ الله: «لقد عجِبَ اللهُ البارحةَ من صنيعكم»؛ أي: رضي غاية الرِّضا، ونزل فيهم هذه الآية(١).

وقال أنس: أُهدي لبعض الصَّحابة رأسُ شاةٍ مشويٍّ، وكان مجهودًا، فوجَّهَ به إلى جارٍ له، فتداوَلَتْهُ تسعة أنفسٍ، ثم عاد إلى الأوَّل، فأنزل الله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾(٢).

***

(١٠) ـ ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾: هم التَّابعون بإحسان.

﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا﴾: أي: الصَّحابةِ ﴿ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ لسَبْق زمانهم.

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «قرى الضيف» (١١)، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ١٠٦) إلى مسدد في «مسنده» وابن المنذر.
وروى البخاري (٤٨٨٩)، ومسلم (٢٠٥٤) نحو هذه القصة من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، بإبهام الرجل المضيف.
قال ابن حجر في «فتح الباري» (٧/ ١١٩): (زعم ابن التين أنه ثابت بن قيس بن شماس، وقد أورد ذلك ابن بشكوال من طريق أبي جعفر بن النحاس بسند له عن أبي المتوكل الناجي مرسلًا، ورواه إسماعيل القاضي في «أحكام القرآن» ولكن سياقه يشعر بأنها قصة أخرى)، ثم قال: (وهذا لا يمنع التعدد في الصنيع مع الضيف وفي نزول الآية).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٢٧٩)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٨/ ٢١٥).

﴿وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا﴾: أي: حقدًا ﴿لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾؛ أي: الصَّحابةِ.

﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾: قال قتادة: إنما أُمرتم أن تستغفروا لأصحاب محمَّد، ولم تُؤمَروا بسبِّهم(١).

قالوا: علمَ اللهُ تعالى أنَّه يقعُ بين الصَّحابة أشياءُ، ثم يُذكَر ذلك لمن بعدهم، وربَّما يقعُ في قلوبِ بعضِهم كراهةٌ(٢) بعض ذلك، فتتغيَّرُ عليهم قلوبُهم، فأمر الله تعالى بالاستغفار لهم، ونبَّههم على أن ذلك ممَّا يرجى عفو الله عنه، ويجبُ على مَن بعدَهم حُسنُ الاعتقاد فيهم، وحسنُ الدُّعاء لهم.

وقيل لسعيد بن المسيِّب: ما تقولُ في عثمانَ وعليٍّ وطلحةَ والزُّبير؟ قال: أقول ما قوَّلنيه الله تعالى، وتلا هذه الآية(٣).

وسمعَ ابنُ عمرَ رجلًا يتناول بعض المهاجرين، فقرأ عليه: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ﴾ الآية، وقال: هؤلاء المهاجرون أفيهم أنت؟ قال: لا، ثمَّ تلا عليه: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ﴾ الآية، وقال: هؤلاء الأنصار أفيهم أنت؟ قال: لا، ثم قرأ عليه: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ الآية، ثمَّ قال: أمِن هؤلاء أنت؟ قال: أرجو، قال: ليس من هؤلاء مَن يسبُّ هؤلاء(٤).

وكان عمر رضي الله عنه يجعلُ الفيء لكلِّ هؤلاء الأصناف، ويجعل بعضها معطوفًا على البعض؛ روي عن مالك بن أوسِ بن الحَدَثان قال: قرأ عمرُ رضي الله عنه: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ﴾ الآية، وقال: هذه لهؤلاء، ثمَّ قرأ: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم

---

(١) رواه عبد بن حميد وابن المنذر، كما في «الدر المنثور» للسيوطي (٨/ ١٠٥).

(٢) في (ف): «كراهية».

(٣) ذكره الأزهري في «تهذيب اللغة» (٩/ ٢٣١)، والزمخشري في «الفائق» (٣/ ٢٣٥).

(٤) رواه ابن مردويه، كما في «الدر المنثور» للسيوطي (٨/ ١١٣).

﴿مِن شَيْءٍ﴾ الآية [الأنفال: ٤١]، ثم قال: هذه لهؤلاء، ثم قرأ: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾ إلى قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ﴾، ثم قال: هذه استوعبَتِ المسلمين عامَّة، فلئِنْ عشْتُ ليأتينَّ الرَّاعي وهو بِسَرْوِ حِمْيَرَ نصيبَهُ منها، لم يعرق فيه جبينُه(١).

وبهذه الآيات أيضًا احتجَّ في وضع الخراج في سواد العراق، وترك قسمَتها بين الغانمين، وإنْ كان بلال وأصحابه يجادلونه في ذلك، وقال لهم: إنِّي وجدْتُ في كتاب الله تعالى ما يغنيني عن موافقتكم، وقرأ هذه الآيات، وجعلها خراجيَّة؛ ليصل ذلك إلى جميع المسلمين قرنًا بعد قرن(٢).

* * *

(١١) - ﴿۞ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخۡوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَئِنۡ أُخۡرِجۡتُمۡ لَنَخۡرُجَنَّ مَعَكُمۡ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمۡ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلۡتُمۡ لَنَنصُرَنَّكُمۡ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخۡوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَئِنۡ أُخۡرِجۡتُمۡ لَنَخۡرُجَنَّ مَعَكُمۡ﴾: هو ما ذكرنا من قول عبد الله بن أبيٍّ المنافق وأصحابه لعنهم الله لبني النَّضير: لئن أُخرجتم عن أرضكم لنخرجنَّ معكم، ولا نفترق في سفر ولا حضر.

﴿وَلَا نُطِيعُ فِيكُمۡ﴾: أي: في خذلانكم ﴿أَحَدًا﴾ سألَنا ذلك ﴿أَبَدًا﴾.

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣١٩٠)، وأبو عبيد في «الأموال» (٥٢٦)، وابن زنجويه في «الأموال» (٨٤)، والطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٥١٦). وبنحوه البخاري (٣٠٩٤)، ومسلم (١٧٥٧).

(٢) انظر: «شرح صحيح البخاري» لابن بطال (٥/ ٢٨٢)، و«الاستذكار» لابن عبد البر (٧/ ٣٨).

وعَدُوهم الموافقةَ على الجلاء إنْ رأوا الصَّواب لأنفسهم في ذلك بترك[١] قتالهم المسلمين.

﴿وَإِن قُوتِلْتُمْ﴾: أي: وإنْ رأيْتُم الصَّواب لأنفسكم في قتال محمَّدٍ وأصحابه ﴿لَنَنصُرَنَّكُمْ﴾؛ أي: لنعيننَّكم على قتاله.

﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾: أي: في هذا الوعد.

* * *

(١٢) ـ ﴿لَئِنْ أُخْرِجُوا۟ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا۟ لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾.

﴿لَئِنْ أُخْرِجُوا۟ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ﴾: بل يَثبتون في أوطانهم، ويُظهرون للمؤمنين أنهم معهم.

﴿وَلَئِن قُوتِلُوا۟ لَا يَنصُرُونَهُمْ﴾: بل يخذلونهم.

﴿وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ﴾: أي: لينهزمُنَّ فلا يقومون للمؤمنين.

﴿ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾: وهذا دلالة على صدقِ رسول الله ﷺ في دعوى النُّبوَّة؛ فإنَّه أخبرَ عمَّا لم يكن بعدُ فخرجَ على ما أخبرَ، فعُلِمَ أنَّه بالله علِم ذلك، أُخرج[٢] بنو النضير فلم يخرجوا معهم، وقُوتل بنو قريظة فلم ينصروهم.

ثم قوله: ﴿وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ﴾ وهذا إخبارٌ عمَّا لم يكن أنَّه لو كان كيف كان يكون، كما في قوله: ﴿وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ﴾ [الأنعام: ٢٨]، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾ [الأنعام: ١١١].

---

(١) في (أ) و(ر): «ترك».

(٢) في (ر): «ثم أخرجوا».

(١٣ ـ ١٤) ـ ﴿لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ﴾: أي: إنَّكم يا معشرَ المخلِصين في قلوب المنافقين أهيَبُ مِن الله تعالى، فكيف يثبتون لكم؟

وهذا تثبيتٌ من الله تعالى للمؤمنين، وبشارةٌ من الله تعالى بانهزامِ هؤلاء المنافقين لو قاتلوهم.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ لسوءِ تمييزهم، ولو ميَّزوا الأمور بعقولهم لعلموا أنَّ الله تعالى أحقُّ بأنْ يُهاب.

قوله تعالى: ﴿لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا﴾: أي: هؤلاء المنافقون والكفَّار وإن كانوا مجتمعين ﴿إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ﴾ بالحيطان والأسوار والدُّروب والأبواب؛ لجبنهم، يقدِّرون أنَّها تمنعُهم منكم، كما توهَّم بنو النَّضير أنَّ حصونَهم مانعتُهم من الله.

﴿أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍ﴾: أي: أو من خلفِ حيطان، جمع جدار، يستترون بها، يرمونكم بِنَبْلٍ أو حجارةٍ.

وهذا تقويةٌ من الله تعالى للمؤمنين، وبيانٌ أنَّ هؤلاء ليسوا كالمشركين الذين قاتلوكم ببدر مُصْحرين(١)، وقد نصركم الله على أولئك، فكيف بهؤلاء؟

﴿بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ﴾: قيل: أي: إذا لم يكن يَلْقَوا العدوَّ وصفوا أنفسهم بالشِّدة؛ أي: بأسهُم عند أنفسِهم شديد.

---

(١) مصحرين: بارزين في الصحراء. انظر: «أساس البلاغة» للزمخشري (مادة: صحر).

وقال مجاهد: ﴿بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ﴾ بالكلام بالوعيد: لنفعلنَّ كذا، ولنفعلنَّ كذا[(١)].

وقيل: معناه: عداوتُهم بعضَهم بعضًا فيما بينَهم شديدةٌ، كما يُقال: ألقى اللهُ بأسَهم بينَهم، وهذا تهويلٌ من الله لأمرِهم؛ لأنَّهم إذا كانوا متعادِين حرَّض بعضُهم على هلاكِ بعضٍ، فلم يتعاونوا على غيرهم.

﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا﴾: أي: مجتمعين على رأيٍ واحد ﴿وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾؛ أي: ضمائرهم مختلفة؛ لاختلافِ أهوائهم وأهواء المنافقين، فلا يبالِي المنافقون بهلاكِ الكفَّار، ولا الكفَّارُ بهلاك المنافقين[(٢)].

وقيل: قلوب المنافقين شتَّى لأنَّه ليس لهم دينٌ جامع.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾: أي: لا يستعملون عقولَهم في التَّوحيد والنُّبوة، فيتَّفقون على دينٍ واحد.

وقيل: ﴿لَّا يَعْقِلُونَ﴾ ما فيه حظُّهم ممَّا فيه نقصهم.

* * *

(١٥ ـ ١٦) ـ ﴿كَمَثَلِ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٥) كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾.

قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا﴾: أي: مَثَلُ هؤلاء في خيبة ظنونهم وجلائهم عن أوطانهم كمثَل الذين من قبلهم قريبًا منهم، وهم يهود بني قينقاع، وقد مرَّت قصَّتهم في (سورة آل عمران)، كذا فسَّره ابن عبَّاس والواقديُّ ومحمَّد بن إسحاق[(٣)].

---

(١) ذكره الماوردي في «تفسيره» (٥/ ٥٠٨)، والواحدي في «البسيط» (٢١/ ٣٨٨).

(٢) في (أ) و(ف): «فلا يبالي المنافق بهلاك الكتابي ولا الكتابي بهلاك المنافق».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٥٣٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما. وانظر: «المغازي» للواقدي (١/ ٣٨٣)، و«سيرة ابن هشام» (٢/ ١٩٥).

﴿ذَاقُواْ وَبَالَ أَمْرِهِمْ﴾: يعني: بنو النَّضير ذاقوا وبال بغيهم على النَّبيِّ ﷺ، والتَّكثُّر بجمعهم وأموالهم.

وقال مجاهد: هم الذين قُتلوا ببدر[1].

وقيل: أي: مَثَل هؤلاء في الاعتماد على المنافقين والاغترارِ بهم كمَثَل مشركي قريش في اغترارهم بالشَّيطان إذ قال لهم: ﴿لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ﴾ الآية [الأنفال: ٤٨].

وقيل: أي: مَثَل هؤلاء كمَثَل الأمم الذين من قبلهم، كذَّبوا أنبياءَهم، وتمرَّدوا على ربِّهم، ممَّن كان قريبًا إهلاكُ الله إيَّاهم لم يَبْعدْ عنهم. هذا معنى قول الحسن.

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ في الآخرة.

و﴿قَرِيبًا﴾ صلةُ ﴿ذَاقُواْ﴾ على هذا القول، وهو قربُ الزَّمان من هؤلاء على الأقاويل المتقدمة.

ومعنى: ﴿ذَاقُواْ وَبَالَ أَمْرِهِمْ﴾؛ أي: قاسوا ضرر معصيتهم.

وقيل: الآية في شأن بني قريظة، وتشبيهِ حالهم ببني النَّضير.

قال الكلبيُّ رحمه الله: لَمَّا سار أبو سفيان إلى رسول الله ﷺ في الأحزاب غدر بنو قريظة بنبيِّ اللهِ، ونقضوا العهد، فلمَّا هُزِمَ الأحزابُ أمرَ الله نبيَّه بقتال بني قريظة، فأرسل المنافقون إليهم وقالوا: إنْ أرادَ محمَّدٌ أن يخرجَكم كما أخرج بني النَّضير فلا تخرجوا، فوالله إنْ أخرجْتُم لنخرجنَّ معكم، وإنْ قوتلْتُم لننصرنَّكم، فغرَّهم ذلك، ولزموا حصنهم، وقاتلوا رسول الله ﷺ قريبًا من شهرٍ، ﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ﴾ [الحشر: ٢]؛ أي: في قلوب المنافقين فلم ينصروهم، فلمَّا رأى اليهودُ

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٥٤٠)، ولفظه: «كفار قريش».

ذلك وأيسوا من نصر المنافقين نزلوا على حكم سعد بن معاذ، فحكم بقتل مُقاتلتهم وسبي ذراريهم، وقسم أموالهم بين المهاجرين والأنصار، فقال الله تعالى: ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ قَرِيبًا﴾ وهم بنو النَّضير؛ لأنَّه كان بينَ الأمرين سنتان، وكانوا جميعًا بالمدينة(١).

***

(١٦ - ١٧) - ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ إِذۡ قَالَ لِلۡإِنسَٰنِ ٱكۡفُرۡ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِي ٱلنَّارِ خَٰلِدَيۡنِ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾: قيل: معناه: وكمثل الشَّيطان، كما قلنا في قوله: ﴿لِلۡفُقَرَآءِ﴾: إنَّ معناه: وللفقراء.

وفي قراءة عبد الله: (أو كَمَثَلِ الشَّيطانِ)(٢).

وقيل: معناه: ذاقوا وبال أمرهم كمثل الشَّيطان.

وقيل: معناه: اغترار هؤلاء بالمنافقين كاغترار الإنسان بالشَّيطان.

﴿إِذۡ قَالَ لِلۡإِنسَٰنِ ٱكۡفُرۡ﴾: قيل: هو للجنس، والمراد منه كلُّ كافر.

﴿فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾: وهو كقوله: ﴿وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ﴾ إلى قوله: ﴿إِنِّي كَفَرۡتُ بِمَآ أَشۡرَكۡتُمُونِ مِن قَبۡلُ﴾ [إبراهيم: ٢٢].

﴿فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِي ٱلنَّارِ خَٰلِدَيۡنِ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ قال مجاهدٌ رحمه الله: هي عامَّة للنَّاس(٣).

---

(١) ذكر نحوه مختصرًا الماوردي في «تفسيره» (٩/ ٥٩٧)، والثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٢٨٤) دون نسبة.

(٢) لم أجدها.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٥٤٤).

وقيل: هو إنسان بعينه، واختلفت الرِّوايات فيه:

قال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: كان هذا الإنسان راهبًا في بني إسرائيل يعبدُ الله تعالى، ويُحْسِن عبادَتَه، وكان يُؤتَى من كلِّ أرضٍ فيُسأَلَ عن الفقه، وكان عالمًا، وإنَّ ثلاثة إخوةٍ كانت لهم أختٌ حسناء من أحسن النَّاس[١]، وإنَّهم أرادوا أن يسافروا، وكبر عليهم أن يذَروها[٢] ضائعة، فجعلوا يأتمرون ما يفعلون، فقال أحدهم: أنا أدلُّكم على مَن تتركونها عنده، فقالوا: مَن؟ قال: راهبُ بني إسرائيل، إن ماتَتْ قام عليها، وإن عاشَتْ حفظها حتَّى ترجعوا إليه، فعمدوا إليه، فقالوا: إنَّا نريد السَّفر، ولن نجدَ أحدًا أوثقَ في أنفسِنا ولا أحفظَ لها منك؛ لِمَا جعل الله عندك، فإن رأيْتَ ذلك خلَّفْنا[٣] أختنا عندك، فإنها ضائعة شديدة الوجع، فإن ماتَتْ فقم عليها، وإن عاشَتْ فأصلح إليها حتى نرجع، فقال: أكفيكم إن شاء الله، وإنهم انطلقوا، فقام عليها فداواها حتى برأت، وعاد إليها حسنها، وإنَّه اطَّلع عليها فوجدها متصنِّعة، فلم يزل به الشَّيطان يزيِّن له حتى واقعَها، فحملَتْ، ثم ندَّمه الشَّيطان، فزيَّن له قتلَها، وقال: إنْ لم تفعل افتضحْتَ وعُرف شبهُك[٤] فلم يكن لك معذرةٌ، فلم يزلْ به حتى قتلَها، فلمَّا قدمَ إخوتها سألوه: ما فعلَتْ فلانة؟ قال: ماتَتْ فدفنتُها، قالوا: قد أحسنْتَ، فجعلوا يرون في المنام يُخبَرون أنَّ الرَّاهب قد قتلَها، وأنَّها تحت شجرة كذا وكذا، وأنَّهم عمدوا إلى الشَّجرة فوجدوها قد قُتلَتْ، فعمدوا إليه فأخذوه، فقال الشَّيطان: أنا الذي زيَّنْتُ لك الزِّنى، وزيَّنْتُ لك قتلَها بعد الزِّنى، فهل لك أن أنجيَك

---

(١) في (ف): «النساء».

(٢) في (أ): «يضعوها».

(٣) في (ر): «جعلنا».

(٤) في (أ): «شأنك». وفي مصادر التخريج: «شبهك في الولد».

فتطيعَني؟ فقال: نعم، قال: فاسجد لي سجدةً واحدة، فسجدَ له، ثم قُتِلَ كافرًا، فذلك قوله: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ إِذۡ قَالَ لِلۡإِنسَٰنِ ٱكۡفُرۡ﴾ الآية(١).

وعن طاوس: أنَّ امرأةً جُنَّتْ، فجيء بها إليه فداواها(٢).

وعن ابن عبَّاس رضي الله عنهما في رواية: أنَّ الإخوة كانوا أربعة، وذكَر الدَّفن في رملٍ، وصلَبه الملك، وسجد للشَّيطان بالإشارة على الصَّليب(٣).

وفي رواية مقاتل بن حيَّان: دفنها في صومعته، وظهر بعض ثيابها في موضع دفنها، واستخرجوها(٤).

وفي رواية وهب: هو برصيصا، وعَبَد الله أربعَ مئة سنة، والحادثة في بنت الملك، وقد جُنَّتْ.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه: أنَّه عابد في غارٍ، عبد أربعين سنة، والحادثة في جارية لها سبعة إخوة(٥).

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٥٤٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٤٨)، وروى الحاكم في «المستدرك» (٣٨٠١) نحوه من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وصححه.

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣١٩١)، والطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٥٤٤).

(٣) لم أجده.

(٤) قال ابن كثير في «تفسيره» (٨/ ٧٦): «وكذا روي عن ابن عباس، وطاوس، ومقاتل بن حيان، نحو ذلك. واشتهر عند كثير من الناس أن هذا العابد هو برصيصا».

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٥٤٢) عن ابن مسعود، لكن فيه اختلاف عما ذكره هنا، فلفظه: (قال: كانت امرأة ترعى الغنم، وكان لها أربعة إخوة، وكانت تأوي بالليل إلى صومعة راهب، قال: فنزل الراهب ففجر بها، فحملت، فأتاه الشيطان، فقال له: اقتلها ثم ادفنها، فإنك رجل مصدق يسمع كلامك، فقتلها ثم دفنها؛ قال: فأتى الشيطان إخوتها في المنام، فقال لهم: إن الراهب صاحب الصومعة فجر بأختكم؛ فلما أحبلها قتلها، ثم دفنها في مكان كذا وكذا...). وباقيه شبيه بخبر ابن عباس.

(١٨) ـ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾: أي: يا أيُّها الذين آمنوا بالله وجميع رسله ولم يفرِّقوا بينهم تفريقَ اليهود بين هؤلاء ونحوهم، ولم يكفروا كفرَ هؤلاء المنافقين، اتَّقوا الله في أوامره فلا تخالفوها، وفي نواهيه فلا ترتكبوها.

﴿وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾: أي: ولينظرْ كلُّ واحد منكم ما قدَّم ليوم القيامة.

سمَّاه غدًا لأنَّه مستقبلٌ ولأنَّه قريب، والعرب تقول: إن غدًا لناظره قريبٌ.

وقال قتادة: ما زال ربكم يقرِّبُ السَّاعة حتى جعلها كغد.

وقال ابن زيد: أمس: الدُّنيا؛ ﴿كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ﴾ [يونس: ٢٤]، وغدٌ: الآخرة؛ ﴿وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾(١).

قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾: التَّكرير للتَّأكيد.

وقيل: الأوَّل لما قلنا، والثَّاني: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾؛ أي: لا تنظروا ما قدمتم لغد.

وقيل: الثَّاني: واتَّقوا أن تعتمدوا على أن تتَّقوا.

﴿إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾: من خيرٍ وشرٍّ.

* * *

(١٩ ـ ٢٠) ـ ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (١٩) لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾.

---

(١) رواهما عن قتادة وابن زيد: الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٥٤٧).

﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ ﴾: ومنهم هؤلاء اليهود والمنافقون، تركوا توحيد الله وطاعته.

﴿فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾: أي: خذلهم وأذهلهم عن صلاح أنفسهم.

وقيل: أي: أنزل بهم من العذاب ما شغلهم عن كلِّ شيء، كالرجل يقول: أنا بحيث لا أذكر نفسي.

وقال مقاتل بن حيان: ﴿فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾ حتَّى يعملوا في فكاكها.

وقيل: هم هؤلاء اليهود والمنافقون.

﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾: أي: الخارجون عن طاعة الله.

﴿ لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ﴾: وهم هؤلاء.

﴿وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ ﴾: وهم المخلصون.

﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾: النَّاجون النَّائلون كل خير.

* * *

(٢١) ـ ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ۚ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴾: قيل: أي: لو خوطب بهذا القرآن الجبالُ ـ وهي ممَّن يحتمل الخطاب ـ لانقادَتْ لمواعظِه، وأشفقَتْ من الوعيد المذكور فيه، فهؤلاء الكفار أسوء حالًا من الجماد الذي لا يعقل، وأقسى قلوبًا من الصَّخر.

وقيل: هو تمثيل لقوله تعالى: ﴿ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ﴾ الآية [مريم: ٩٠].

وقيل: أي: لو وضع الله في الجبال الفهم، وأنزل عليها هذا القرآن، لخشع وتصدَّع من هيبة ذلك، وهو كقوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ﴾ الآية [الأحزاب: ٧٢].

وقال الحسن: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ﴾ فكلَّفناه ما كلَّفناكم من الطَّاعة، وجعلنا له من الثَّواب ما جعلناه لكم عليها، وحذَّرناه من المعصية ما حذَّرناكم، وجعلنا له من العقاب ما جعلناه لكم عليها = لرأيت ذلك الجبل ذليلًا بما كلَّفه الله تعالى وحمَّله من طاعته، متصدِّعًا من خشية الله(١).

﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ﴾: أي: نبيِّنها(٢) ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

* * *

(٢٢ ـ ٢٣) ـ ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾: ما غابَ عن حسِّ العباد وما شاهدوه.

﴿هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾: فسَّرناهما في أوَّل الكتاب في (التَّسمية).

﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ﴾: الذي لا يزول ملكُه.

﴿ٱلْقُدُّوسُ﴾: الطَّاهر عن كلِّ عيب ونقص.

﴿ٱلسَّلَٰمُ﴾: المنزَّه عن كلِّ ذمٍّ، والمسلِّم لعباده، والمسلِّم على عباده.

﴿ٱلْمُؤْمِنُ﴾: الشَّاهد بوحدانيته لنفسه، المصدِّق على عبده إيمانَه، المعطي الأمان لأوليائه.

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) «أي نبينها» من (أ).

﴿ٱلْمُهَيْمِنُ﴾: الشَّهيد الأمين.

﴿ٱلْعَزِيزُ﴾: المنيعُ الغالبُ المعِزُّ الشَّديدُ البطش، الذي لا يوجَد مثله.

﴿ٱلْجَبَّارُ﴾: القهَّار ذو الجبروت، الجابرُ كسورَ العباد.

﴿ٱلْمُتَكَبِّرُ﴾: ذو الكبرياء الجليل العظيم المتعظِّم عن أن يظلمَ عباده.

﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾: تنزيهًا لله عمَّا يصفُه به المشركون.

* * *

(٢٤) ـ ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾.

﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ﴾: المقدِّر.

﴿ٱلْبَارِئُ﴾: الموجِد.

﴿ٱلْمُصَوِّرُ﴾: المؤلِّف الخالق للنَّفس(١) من ترابٍ، الباريُ من النُّطفة في أصلاب الآباء، المصوِّر في أرحام الأمَّهات.

﴿لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾: الدَّالة على الصِّفات العُلى.

﴿يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾: فسَّرناه في أوَّل (سورة الحديد).

وختم السُّورة بهذه الأسماء ليعتقدَ المؤمنون معانيها تحقيقًا لإيمانهم، وخلافًا لأعدائهم.

والله الموفِّق والمعين

* * *

سُورَةُ المُمْتَحَنَةِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

بسم الله الذي نهانا عن موالاة الكافرين، الرحمنِ الذي لم ينهنا عن برِّ غير المحاربين، الرحيمِ الذي وعد على الاستغفار مغفرةً للمؤمنين(1).

روي عن أبيِّ بن كعب رضي الله عنه، عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «مَنْ قرأَ الممتحنةَ كان له المؤمنون والمؤمنات شفعاءَ يومَ القيامة»(2).

وهي مدنيَّة.

وهي ثلاث عشرة آية. وثلاثَ مئةٍ وثمانٍ وأربعون كلمة، وألفٌ وخمسُ مئة وثمانيةَ عشر حرفًا.

وانتظامُ ختمِ تلك السُّورة بافتتاح هذه السُّورة: أنَّ ختم تلك السُّورة في مَدْحِ مَن مَدَحَ اللهَ تعالى ونزَّهه، وافتتاحَ هذه في ذمِّ مَن أساءَ القول في الله بغير ما يليق به وصفه.

وانتظام السُّورتين: أنَّ تلك في عقوبات الكافرين، وذكرِ درجات المؤمنين،

---

(1) في (أ) و(ر): «المؤمنين».

(2) رواه الثعلبي في «تفسيره» (9/ 290)، والواحدي في «الوسيط» (4/ 281). قال ابن الجوزي في «الموضوعات» (4/ 344): مصنوع بلا شك. وقال ابن كثير في «تفسيره»: حديث منكر من سائر طرقه. وانظر: «الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة» للشوكاني (ص: 296).

والتَّمييز بين المخلصين والمنافقين، وهذه في قطع الولاية بين المؤمنين والكافرين، وذكرِ المهاجرات إلى دار الإسلام والمسلمين.

***

(١) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾: نزلَتْ في حاطب بن أبي بلتعة ومكاتبته قريشًا بما كان من عَزْمِ رسول الله ﷺ على غزوهم، وكان يعمِّي في ذلك حتى يفاجئهم، فكتب إليهم حاطبُ يخبرهم بعزم رسول الله ﷺ إتيانهم، وكان قصدُه بذلك أن يتَّخذَ عندهم يدًا؛ ليَحْموا بذلك أقرباءَه بمكَّة، إذ كان حاطبٌ من أهل اليمن من الأزد، فكان له حِلْفٌ بمكَّة في بني أسد بن عبد العزَّى رهط الزُّبير بن العوَّام.

فقدمَتْ من مكَّة امرأة يقال لها: سارة، مولاة أبي عَمرو بن صيفيٍّ بن هاشمِ بن عبد مناف، قدمت المدينة، فلمَّا رآها النَّبيُّ ﷺ قال لها: «أمهاجرةً جئْتِ يا سارة؟» قالت: لا، قال: «فما جاء بك؟»، قالت: كنتم الأهل والموالي والأصل، وقد ذهب مواليَّ واحتجْتُ فجئْتُكم، قال: «فأين أنتِ من شباب أهل مكَّة؟»، وكانت مغنِّية نائحة، قالت: ما طُلِبَ منِّي شيءٌ بعد وقعة بدر، فحثَّ النَّبيُّ ﷺ بني عبد المطَّلب، فحملوها وكسَوها، وأعطَوها نفقة، فخرجَتْ إلى مكَّة.

فأتاها حاطب، وقال لها: أعطيْكِ عشرةَ دنانير وبُردًا على أن تبلغي هذا الكتاب

إلى أهل مكَّة، فقالت: نعم، فأتاها بالكتاب. وفيه: إنَّ رسول الله ﷺ يريد أن يأتيَكم، فخذوا حذركم.

فأَطْلَعَ اللهُ نبيَّه على ذلك، فدعا عليًّا والزُّبير بن العوَّام وأبا مَرثد الغنوي، وفي رواية: عليًّا والزُّبير فحسب، وفي رواية معهما المقداد، وفي رواية: عليًّا وعمَّار بن ياسر.

وقال: «انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ؛ فإنَّ بها ظعينةً معها كتابٌ، فخذوه منها»، فلحقوها، فأنكرَتِ الكتاب[1]، فأرادوا تفتشيها، فلمَّا رأت الجدَّ منهم أخرجَتْه من عقاصها.

وفي رواية: من حِجرها.

وفي رواية: شهرَ عليٌّ رضي الله عنه سيفَه وقال: واللهِ ما كذبَ رسولُ الله ﷺ[2]، ولا كذبْتُ، لتخرجِنَّ الكتابَ أو لأضربَنَّ عنقَكِ.

فأخرجَتْه من عقاصها، فجاؤوا بالكتاب إلى رسول الله ﷺ، فقال النَّبيُّ ﷺ: «ما هذا يا حاطب؟»، فقال: لا تعجلْ عليَّ يا رسول الله، فوالله ما ارتددْتُ بعدما أسلمْتُ، ولكنِّي كنْتُ امرأً ملصقًا في قريش، ولم أكن من أنفسهم، وكلُّ مَن معك من المهاجرين لهم قرابات بمكَّة يحمون قراباتهم وأهليهم، ولم يكن لي قرابةٌ أحمي بها أهلي وقرابتي، وقد عرفْتُ أنَّ ذلك لن يغنيَ عنهم شيئًا.

فقال عمر رضي الله عنه: ائذَنْ لي يا رسولَ الله أضربْ عنق هذا المنافق.

فقال النَّبيُّ ﷺ: «مهلًا يا عمرُ، وما يدريك لعلَّ اللهَ قد اطَّلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئْتُم فقد غفرْتُ لكم».

---

(١) «الكتاب» من (أ).

(٢) في (ف): «والله ما كذبت».

وأنزل فيه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾(١).

وفيه دليلٌ على أنَّ الكبيرة لا تسلُبُ اسمَ الإيمان.

يقول: لا تتَّخذوا المشركين الذين هم أعدائي وأعداؤكم أولياء تنصروهم وينصرونكم.

والعدوُّ جمعٌ، كما في قوله: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ﴾ [الشعراء: ٧٧]، وقوله تعالى: ﴿هُمُ ٱلْعَدُوُّ﴾ [المنافقون: ٤].

﴿تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾: أي: تلقون مودَّتكم إليهم.

قال الكسائيُّ والأخفش والفرَّاء: ألقيتُ كذا وبكذا، لغتان فصيحتان(٢).

قال أبو تمَّام فيها:

وأروعَ لا يُلقي المقاليدَ لامرئٍ وكلُّ امرئٍ يُلقي له بالمقالِدِ(٣)

و﴿تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾ صلة قوله: ﴿أَوْلِيَآءَ﴾.

﴿وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ﴾: أي: كيف تتولَّونهم وهم كفروا بما جاءكم من عند الله من الدِّين الحقِّ وعادَوكم عليه.

﴿يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ﴾: للمعاداة من أوطانكم.

﴿أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ﴾: أي: من أجلِ أنكم آمنتم بربِّكم؛ أي: كيف ترجُون استصلاحهم وقد تأكَّدتْ بينكم العداوة وظهرَت آثارها.

---

(١) روى خبر حاطب بن أبي بلتعة عامة كتب التفسير والحديث بألفاظ متقاربة، ورواه البخاري (٤٢٧٤)، ومسلم (٢٤٩٤) من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(٢) انظر: «معاني القرآن للفراء» (٣/ ١٤٧).

(٣) انظر: «ديوان أبي تمام» (ص: ٥٩).

قوله تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى﴾: هذا متَّصل بقوله: ﴿لَا تَتَّخِذُوا﴾.

يقول: إن كنتم إنَّما خرجتم من أوطانكم، وهاجرتم إلى حيث أمرتُكم؛ لتجاهدوا أعدائي في سبيلي وإقامة ديني، ولتبتغوا مرضاتي بطاعتي = فلا تفعلوا هذا؛ فإنَّه لا يليق بهذا.

وقد علم الله تعالى أنَّهم خرجوا لذلك، ولكنَّ المعنى: أنَّ هذا يوجِبُ تركَ موالاتهم، فاتركوا ذلك.

﴿تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾: تخفون ذلك.

﴿وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ﴾: أي: أعلم ما أخفيْتُم، والباء زائدة.

وقيل: أنا أعلم منكم بما أخفيتُم وبما أعلنتم؛ لأنَّكم قد تنسون بعضه، وقد تجهلونه، وأنا لا أنسى ولا أجهل.

﴿وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ﴾: أي: اتِّخاذهم أولياء ﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾؛ أي: عدلَ عن وسطِ طريق الحقِّ.

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: ﴿لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ قال النَّبيُّ ﷺ: «أَعْدَى عدوِّكَ نفسُك التي بين جنبَيْكَ»(١)، وأوحى الله تعالى إلى داود عليه السَّلام: عادِ نفسَكَ، فليسَ لي في المملكة منازِعٌ غيرَها.

---

(١) رواه الخرائطي في «اعتلال القلوب» (٣٢) من حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه.

ورواه البيهقي في «الزهد الكبير» (٣٤٣) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

قال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (ص: ٨٧٨): أخرجه البيهقي في كتاب الزهد من حديث ابن عباس، وفيه محمد بن عبد الرحمن بن غزوان أحد الوضاعين.

فمَن عادى نفسَه فقد قام بحقِّ الآية.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنَا۠ أَعۡلَمُ بِمَآ أَخۡفَيۡتُمۡ﴾ من دقائق التَّصنُّع وخفيَّات الرِّياء ﴿وَمَآ أَعۡلَنتُمۡ﴾ من التَّزيُّن للنَّاس.

﴿بِمَآ أَخۡفَيۡتُمۡ﴾ من الاستسرار بالزَّلَّة، ﴿وَمَآ أَعۡلَنتُمۡ﴾ من البرِّ والطَّاعة.

﴿بِمَآ أَخۡفَيۡتُمۡ﴾ من الخيانة، ﴿وَمَآ أَعۡلَنتُمۡ﴾ من الأمانة.

﴿بِمَآ أَخۡفَيۡتُمۡ﴾ من الغلِّ والغش، ﴿وَمَآ أَعۡلَنتُمۡ﴾ من النُّصح.

﴿بِمَآ أَخۡفَيۡتُمۡ﴾ من ارتكاب المحظورات، ﴿وَمَآ أَعۡلَنتُمۡ﴾ من الأمر بالمعروف.

﴿بِمَآ أَخۡفَيۡتُمۡ﴾ من ترك الحشمة منِّي وقلَّة المبالاة باطِّلاعي، ﴿وَمَآ أَعۡلَنتُمۡ﴾ من تعليم النَّاس ووعظهم[1].

* * *

(٢ ـ ٣) ـ ﴿إِن يَثۡقَفُوكُمۡ يَكُونُواْ لَكُمۡ أَعۡدَآءٗ وَيَبۡسُطُوٓاْ إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ وَأَلۡسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ ۝٢ لَن تَنفَعَكُمۡ أَرۡحَامُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡۚ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَفۡصِلُ بَيۡنَكُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِن يَثۡقَفُوكُمۡ﴾: أي: يصادفوكم ويأخذوكم ﴿يَكُونُواْ لَكُمۡ أَعۡدَآءٗ﴾؛ أي: يُظهروا العداوة التي يضمرونها، ولا يرعوا لكم ما تقربَّتم به إليهم من إلقاء المودَّة.

﴿وَيَبۡسُطُوٓاْ إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ وَأَلۡسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ﴾: أي: يمـدُّوا أيديهم بالعقوبة، وألسـنتَهم بالشَّتيمة.

﴿وَوَدُّواْ﴾؛ أي: ويودُّوا، إنْ عُطف على ﴿يَكُونُواْ﴾ و﴿وَيَبۡسُطُوٓاْ﴾.

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٣/ ٥٧٠ ـ ٥٧١).

ويجوز أن يكون عطفًا على قوله: ﴿وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ﴾... ﴿وَوَدُّواْ﴾: تمنَّوا ﴿لَوْ تَكْفُرُونَ﴾: أن تكفروا أنتم أيضًا.

وعطفُ الماضي على المستقبل جائز؛ لأنَّ إخراج الأوَّل بلفظ الماضي هنا جائز: إن يثقفوكم كانوا لكم أعداءً؛ لأنَّ الماضي المعلَّق بالشرط مستقبلٌ معنًى.

﴿لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ﴾: الذين هم أقرب أرحامكم، وأولى مَن اعتضدتم به ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ وإنما ينفع يومئذ الإيمان والعمل الصالح؛ قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٨ ـ ٨٩].

﴿يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ﴾: قرأ ابن كثير ونافع وأبو عَمرو مضمومةَ الياء مخفَّفةً، وقرأ عاصم بفتح الياء مخفَّفة، وقرأ ابن عامر بضم الياء مشدَّدة مفتوحة الصَّاد، وقرأ حمزة والكسائي مشدَّدة مكسورة الصَّاد(١).

والمخفَّف من الفَصْل، وهو الأصل، والمشدَّد من التَّفصيل، وهو للتَّكثير والتَّكرير، والفتح على ما لم يُسمَّ فاعلُه، والكسر على الفعل الظَّاهر، والفاعل هو الله تعالى.

والتَّفصيل: التَّفريق؛ أي: يفرِّق بين الأرحام ويميِّز، فيصير المؤمنون إلى الجنَّة، والكفَّار إلى النَّار، والفصل كذلك.

وقال الضَّحَّاك: هو الحكم هاهنا، أن يحكم بينكم.

﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾: من الخير والشَّرِّ، وهذا وعدٌ ووعيدٌ.

* * *

(١) انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ٦٣٣)، و«التيسير» للداني (ص: ٢١٠).

(٤) - ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾.

قوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾: قرأ عاصم: ﴿أُسْوَةٌ﴾ بضمِّ الألف، والباقون بكسرها[١]، وهما لغتان، ومعناهما واحد، وهو القدوة.

﴿فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾: يقول: إنَّ إبراهيم كان أباكم، وبه نلتُم الشَّرف والفخر على مَن سواكم، ولكم اقتداء حسنٌ به وبالذين على دينه.

قال ابن زيد: وهم سائر الأنبياء[٢].

وقيل: مَن تابعه من المؤمنين من قومه. وهو قول الضَّحَّاك[٣].

﴿إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾: أي: الأصنام.

﴿كَفَرْنَا بِكُمْ﴾: أي: أنكرنا أن تكونوا على حقٍّ.

﴿وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا﴾: أي: ظهر، ولم يقل: (وبدت) لتقدُّم الفعل مع الحائل. والعداوةُ ظاهرةٌ، والبغضاءُ باطنة؛ فإنَّ العداوة ما يتَّصل بالتَّعدي، والبغضاء ما يتمكَّن في القلب.

﴿حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾: أي: هذه العداوة قائمة بيننا إلى أن تؤمنوا.

﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ﴾: قيل: لم يكن بينهم وبين قومهم الكفَّارِ مودَّةً إلَّا ما قال إبراهيم لأبيه أزر: ﴿لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾؛ أي: لأسألنَّ الله تعالى أن يغفر لك ﴿وَمَا أَمْلِكُ لَكَ

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ٦٣٣)، و«التيسير» للداني (ص: ١٧٨).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٥٦٦).

(٣) ذكره الماوردي في «تفسيره» (٥/ ٥١٨)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ٢٨٤)، دون نسبة.

﴿مِنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍۖ﴾؛ أي: وليس مغفرتُك بيدي، ثم بيَّن أنَّه لم يكن ذلك الاستغفارُ لأبيه عن موالاة الكافر، ولكن لِما قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱسۡتِغۡفَارُ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوۡعِدَةٖ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوّٞ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنۡهُۚ﴾ [التوبة: ١١٤] وقد شرحناها ثمَّة على الوجه.

وقيل: الاستثناء من قوله: لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة إلَّا في هذا، فإنَّه لا أسوة لكم في هذا، كما قال: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ﴾ الآية [التوبة: ١١٣].

وقيل: هو استثناء منقطع، وتقريره: لكن قولُ إبراهيم لأبيه: (لأستغفرنَّ لك) كان لموعدةٍ وعدَها إياه[1]، فظنَّ أنَّه قد أنجزها، فلمَّا تبيَّن له إصرارُه على الشِّرك تبرَّأ منه، ولا يحلُّ لكم أن تستغفروا للمشركين مع علمكم بشركهم، ولا يجوز لكم أن توالوهم.

وقوله تعالى: ﴿رَّبَّنَا عَلَيۡكَ تَوَكَّلۡنَا﴾: قال الضَّحَّاك: هذا قول إبراهيم ومَن معه[2].

وقيل: هو تعليم الله عباده أن يقولوه؛ يعني: أظهِروا لهم العداوة، ولا يهولنَّكم كثرة عددهم.

وقوله تعالى: ﴿رَّبَّنَا عَلَيۡكَ تَوَكَّلۡنَا﴾؛ أي: اعتمدنا.

﴿وَإِلَيۡكَ أَنَبۡنَا﴾: أي: رجعنا بالاعتراف عن ذنوبنا.

﴿وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾: أي: المرجع في الآخرة.

---

(١) في (ر): «أبوه».

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٢٩٣) بلا نسبة، والواحدي في «البسيط» (٢١/ ٤١٠) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٥ ـ ٦) ـ ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝٥ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾.

﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا﴾: أي: لا تُظْهِرْ عدوَّنا[1] علينا فيُفْتَتَنَ بنا الكفَّار، فيرَوا أنَّهم على حقٍّ، ونحن على باطل.

وقيل: اصرف عنا شدائد الدُّنيا، ولا تُنزل بنا ما يشمِتْ بنا الكفَّار، فيظنُّوا أنَّه إنَّما نالنا ذلك بسوءِ منزلتنا عندك، فيكون ذلك فتنة لهم من هذا الوجه. وهذا معنى قول مجاهد وقتادة وعكرمة.

وقال الضَّحَّاك: أي: لا تسلِّط علينا عدوَّنا، فيفتنونا عن ديننا[2].

وعلى هذا الفتنة مصدر بمعنى المفعول.

﴿وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾: هذا ظاهر[3].

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾: التَّكرير للتَّأكيد والتَّقرير؛ لأنَّ الأوَّل في التَّبرُّؤ عن الكفَّار، والثَّانيَ في التَّقرب بهذه الدَّعوات.

ولأنَّ الأوَّل حثٌّ على الاقتداء بهم، والثَّانيَ بيانٌ أن هذا النَّفعَ يقع ﴿لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾.

ولأنَّ الأوَّل نزل في وقتٍ، والثَّانيَ في وقتٍ آخر، فلم يكن تكرارًا كتكرار القصص، والأمرِ بإقامة الصَّلاة وإيتاء الزَّكاة في سُورٍ وآيات.

ثم قوله: ﴿لَكُمْ﴾، مع قوله: ﴿لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ﴾ لا يتنافيان؛ لوجهين:

---

(١) في (ر): «لا يظهر أعداؤنا».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٥٦٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة ومجاهد.

(٣) «هذا ظاهر» ليس في (أ).

أحدهما: أنَّ معناه: لكم أسوةٌ، وهذه الأسوة حسنةٌ لمن كان منكم يرجو الله.

والثَّاني: أنَّ تقديرَه: لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة لمن كان منكم يرجو الله واليوم الآخر؛ أي: يرجو الله أن يثيبَه به، فيدخلَه الجنَّة يوم القيامة.

قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ﴾ عن الاقتداء بهم، ووالى الكفَّار ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ﴾؛ أي: غنيٌّ عنه وعن نصرته وعن معونته، بل هو وليُّ دينه وناصر حزبه.

﴿ٱلْحَمِيدُ﴾: هو المستحقُّ للحمد.

* * *

(٧) - ﴿ ۞ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً ۚ وَٱللَّهُ قَدِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾.

قوله تعالى: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً﴾: أطمعَهم - مع الأمر بمعاداتهم - في تحوُّل الحال إلى خلافه، وقال: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم﴾ من أهل مكَّة من قراباتكم ﴿مَّوَدَّةً﴾ بأن يوفِّقهم للإيمان.

﴿وَٱللَّهُ قَدِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: أي: فإنَّ الله على ذلك وعلى كلِّ شيء قدير، وهو رحيم بعباده، غفور لِمَا سلَفَ من كفرهم إذا أسلموا.

وفي هذا تأكيدٌ لِما أمرهم به من ترك موالاتهم ما داموا كفَّارًا، وتعريفٌ لهم أنَّهم إذا فعلوا ذلك بالغوا في جهادهم، فأدَّى ذلك إلى إيمانهم الموجِب لودادهم، وقد كان هذا بأن فُتحَتْ مكَّة على أيديهم، وأسلم كثيرٌ منهم.

و(عسى) من الله تعالى واجب.

وقوله: ﴿أَن يَجْعَلَ﴾ دليلٌ على خلقِ اللهِ أفعالَ العباد، ظاهرَها وباطنَها.

وقال مقاتل: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً﴾ يعني: أبا سفيان

والحارث بن هشام وسهيل بن عمرو وحكيم بن حزام، وأبو سفيان صارت ابنته أمُّ حبيبة زوجة رسول الله ﷺ، وهو صهر رسول الله ﷺ[(١)].

* * *

(٨) - ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾: عرَّفهم اللهُ أنَّه ليس برُّ الرَّجل قرينَه الذي لم يقاتله على الدِّين ممَّا دخل فيما نهاهم عنه من موالاة المشركين.

وقوله تعالى: ﴿أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾: ﴿أَنْ تَبَرُّوهُمْ﴾: بالقول، وحسن المعاشرة، والصِّلة بالمال، ﴿وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ﴾؛ أي: تعدلوا؛ لأنَّهم إذا لم يُخرجوكم من دياركم ولم يؤذوكم فهذا برٌّ منهم، فالعدل معهم أن تبرُّوهم أنتم أيضًا.

وقيل: ﴿وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ﴾ مِن القسط، وهو الحظُّ؛ أي: تجعلوا لهم حظًّا من أموالكم ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾: الذين يجعلون لجيرانهم وقراباتهم حظًّا من طعامهم وما كان لهم.

وعن عائشة رضي الله عنها: أنَّها نزلت في أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما، وكانت أمُّها في الجاهليَّة يُقال لها: قُتَيْلَةُ بنت عبد العزَّى، جاءتها بهدايا، فقالت: لا أقبل حتَّى يأذنَ لي رسول الله ﷺ، ولا تدخلُ عليَّ، فذكرَتْ ذلك عائشةُ رضي الله عنها للنَّبيِّ ﷺ، فأنزل الله تعالى هاتين الآيتين[(٢)].

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٣٠٢)، وليس فيه ذكر للحارث بن هشام وسهيل بن عمرو وحكيم بن حزام. وذكر نحوه الواحدي في «البسيط» (٢١/ ٤١٢ ـ ٤١٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما ومقاتل. وذكره في «الوسيط» (٤/ ٢٨٤) مثل لفظ المؤلف لكن دون ذكر زواج النبي ﷺ من أم حبيبة.

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١٦١١١)، والطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٥٧٢)، وابن أبي حاتم =

وعن الحسن رحمه الله: أنَّ المسلمين استأمروا النَّبيَّ ﷺ في أقربائهم من المشركين أن يَصِلوهم، فنزلت(١).

* * *

(٩) ـ ﴿إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾: أي: عن موالاتهم.

﴿وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ﴾: أي: عاوَنوا.

﴿أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾: أي: الواضعون التَّولِّيَ في غير موضعِه.

عرَّفَهم أنَّه لم يُرِد بما أمرهم به قصدًا لقطع الأرحام، لكنْ تشديدًا عليهم؛ ليكون ذلك سببًا لإجابتهم إلى الإسلام.

= في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٤٩)، والحاكم في «المستدرك» (٣٨٠٤) من حديث الزبير رضي الله عنه. وصححه الحاكم. وأصل الحديث رواه مسلم (١٠٠٣)، وعلقه البخاري (٥٩٧٩) جزماً، من حديث أسماء رضي الله عنها.

(١) لم أجده، وقال ابن الجوزي في «زاد المسير» (٢/ ٣٥٦): اختلفوا فيمن نزلت على خمسة أقوال:

أحدها: أنها في أسماء بنت أبي بكر. وذكر الخبر.

والثاني: أنها نزلت في خزاعة وبني مدلج...، وعزاه لابن عباس والحسن، وسيأتي عن ابن عباس قريباً.

والثالث: نزلت في قوم من بني هاشم منهم العباس، قاله عطيّة العوفيّ ومرّة الهمداني.

والرابع: أنها عامة في الكفار، وهي منسوخة بقوله تعالى: ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥] قاله قتادة. وسيأتي.

والخامس: نزلت في النساء والصبيان، حكاه الزجاج.

وهذا لا يمنع حسن المعاشرة في موضعه، والبرَّ بالقرابة ممَّن لا يظهر عداوةً للحقِّ وأهله.

وقال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: نزلت الآية في خزاعة منهم هلال بن عويمر وخزيمة وبنو مدلج، كانوا صالحوا النَّبيَّ ﷺ قبل أُحُد بسنةٍ على ألَّا يقاتلوه ولا يخرجوه ولا يعاونوا على إخراجه أحدًا، فأنزل الله تعالى في هؤلاء هذه الآية[1].

قال قتادة: نسختها آية القتال[2].

***

(١٠) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُواْ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ وَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقُواْ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ﴾ الآية: وهي قطع موالاة الكفَّار أيضًا، يقول: إذا جاءكم النِّساء من دار الكفر مظهِراتٍ للإيمان والهجرة.

﴿فَٱمْتَحِنُوهُنَّ﴾: أي: فاختبروهنَّ وفتشوهنَّ بالكشف عمَّا دعاهنَّ إلى ترك ديارهنَّ وإتيانكم.

﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ﴾: أي: بحقيقة اعتقادهن.

﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ﴾: أي: فإن انكشف لكم بالامتحان أنهنَّ مؤمناتٌ كما ظهر منهنَّ ذلك بإظهارهنَّ.

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٢٩٤).

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٢٠٠)، والطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٥٧٣).

﴿فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ﴾: أي: فلا تردوهنَّ إلى الكفَّار.

﴿لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾: نفي الحلِّ من الجانبين إذا أسلمَتِ المرأة والزَّوجُ كافر.

ثم الإيمانُ ذكر في هذه الآية على ثلاثة أوجه:

الأوَّل: إيمانٌ بدلالة الحال؛ ﴿إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ﴾، وهو بنفس هجرتهنَّ إلينا، فإنَّ ذلك إظهار الإيمان منهنَّ.

والثَّاني: بالنُّطق والأمارات عليه، وهو قوله تعالى: ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ﴾.

والثَّالث: الحقيقة والاعتقاد، وهو قوله: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ﴾.

وذُكر أنَّ هذه الآية نزلَتْ في صلح الحديبية، وكان فيه: أنَّ مَن جاءنا منهم ردَدْناه عليهم، فأمرَ اللهُ تعالى في النِّساء أن لا يُردَدْنَ إليهم، وفي الرِّجال أنْ يُرَدُّوا إليهم، وذلك لضعف النِّساء على الدَّفع عن أنفسهنَّ، والعجزِ عن الصَّبر عن الفتنة.

وسئل ابنُ عبَّاس رضي الله عنهما: كيف كان النَّبيُّ ﷺ يمتحِنُ النِّساء؟ قال: كان يقول: «بالله ما خرجْتِ من بغضٍ لزوجك؟ بالله ما خرجْتِ التماسَ دنيا[1]؟ بالله ما خرجْتِ رغبةً إلى أرض؟ بالله ما خرجْتِ إلَّا حبًّا لله تعالى ولرسوله؟»[2].

وقالت عائشة رضي الله عنها: ما كان النَّبيُّ ﷺ يمتحن إلَّا بالآية التي قال: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ﴾ الآية[3].

---

(١) في (أ): «ذنبًا».

(٢) رواه البزار (٢٢٧٢ ـ كشف الأستار)، والحارث بن أبي أسامة في «مسنده» (٧٢٢)، والطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٥٧٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٥٠). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٢٣): فيه قيس بن الربيع وثقه شعبة والثوري وضعفه غيرهما، وبقية رجاله ثقات.

(٣) رواه البخاري (٢٧١٣)، ومسلم (١٨٦٦).

وروى عطيَّة عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما قال: كان امتحانهنَّ أنْ يشهدْنَ أنْ لا إله إلَّا الله، وأنَّ محمَّدًا عبدُه ورسولُه، فإذا علموا أنَّ ذلك حقٌّ منهنَّ لم يرجعوهنَّ إلى الكفَّار(١).

﴿وَءَاتُوهُم﴾: أي: أعطُوا الكفَّار الذين هم أزواجهنَّ ﴿مَّآ أَنفَقُواْ﴾؛ أي: ما أعطَوهنَّ من المهور. كذا قال ابن عبَّاس وقتادة والزُّهري ومجاهد والضَّحاك(٢).

وقال مقاتل: إذ تزوَّجها أحدٌ من المسلمين دفعَ مهرَها إلى الزَّوج، وإن لم يتزوَّجها أحدٌ من المسلمين فليس لزوجها الكافر شيء(٣).

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾: دلَّ هذا على صحَّة قول أبي حنيفة رحمه الله: إنَّ المهاجرة لا عدَّة عليها؛ فإنَّ الله تعالى أباح نكاحَها للحال(٤).

﴿إِذَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾: أي: التزمْتُم مهورهنَّ، ولم يُرِد به حقيقةَ الأداء؛ كما في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩]؛ أي: يلتزموها.

﴿وَلَا تُمۡسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلۡكَوَافِرِ﴾: قرأ أبو عَمرو بضمِّ التَّاء وتشديد السِّين كما في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلۡكِتَٰبِ﴾ [الأعراف: ١٧٠](٥)، وعنه في رواية بفتح التَّاء والسِّين، من

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٥٧٦). وعطية ضعيف.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٥٨٠ ـ ٥٨١) عن مجاهد وقتادة والزهري والضحاك وابن زيد وبكير بن الأشج.

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٣٠٣).

(٤) انظر: «شرح مختصر الطحاوي» (٥/ ٢٥٠)، و«المبسوط» للسرخسي (٥/ ٥٧)، و«الهداية» للمرغيناني (٢/ ٢٧٧).

(٥) أي: ﴿تُمَسِّكوا﴾. انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ٦٣٤)، و«التيسير» للداني (ص: ٢١٠).

التَّمسُّك[١]، وقرأ الباقون بضم التَّاء وتسكين الميم وتخفيف السين وكسرها[٢]، من الإمساك، وهذا كذلك؛ فإن التَّمسُّك والتَّمسيك[٣] والإمساك والاستمساك واحدٌ، وهو التعلُّق، ومعناه: ولا تتعلَّقوا بعقد الكوافر؛ أي: لا تتزوَّجوهنَّ إذا كنَّ حربيَّات.

وقيل: هذا في حقِّ المرتدة إذا ارتدَّتْ ولحقَتْ بدار الحرب[٤]، فلا تتعلَّقوا بعقدتها؛ فإنَّها قد حرمَتْ.

وقيل: إذا ارتدَّتْ ولحقَتْ بدار الحرب بعد الردَّة زالت عصمتها بالكليَّة، فحلَّ للزَّوج تزوُّج أختها وأربعٍ سواها.

﴿وَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقْتُمْ﴾: أي: إذا ارتدَّتْ امرأة أحدكم، ولحقَتْ بدار الحرب، فاسألوا مهرها ممَّن تزوَّجها.

﴿وَلْيَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقُوا۟﴾: أي: وليسأل كلُّ حربيٍّ أسلمَتْ امرأتُه وهاجرَتْ إلينا مهرَها ممَّنْ تزوَّجها منا[٥].

﴿ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾: فكان هذا الحكمُ حالَ قيام العهد، ثم نُسِخَ ذلك بآية القتال، فلم يبقَ سؤال المهر لا منَّا ولا منهم.

وهذه الآية فيمَن خرجَتْ إلينا من نسائهم، فأمَّا مَن ارتدت من نسائنا ـ والعياذ بالله ـ وذهبَتْ إليهم فحكمُها في الآية التي تليها، وهي قوله تعالى:

---

(١) أي: (تَمَسَّكوا). انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٥٦)، وفيه: معاذ عن أبي عمرو، والحسن.

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ٦٣٤)، و«التيسير» للداني (ص: ٢١٠).

(٣) «والتمسيك» من (أ).

(٤) «ولحقت بدار الحرب» ليس في (أ) و(ف).

(٥) في (ر): «منكم».

(١١) ـ ﴿وَإِن فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُم مِّثْلَ مَا أَنفَقُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾.

﴿وَإِن فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ﴾: أي: أحدٌ من زوجاتكم بالردَّة واللُّحوق بهم، وفي قراءة عبد الله: (وإنْ فاتَكُم أحدٌ)[١]، وفي اللُّغة هو كذلك، قال الشَّاعر:

وأقسِمُ لو شيءٌ أتانا رسولُه سواكَ ولكن لم نجدْ لك مدفعا[٢]

﴿فَعَاقَبْتُمْ﴾: قال الفرَّاء: أي: فأصبتُم غنيمةً[٣].

وقال الأخفشُ: أصبتُم عقبَى منهم[٤].

وقال الكسائيُّ: أي: فخَلَفْتُم مِن بعدِهم فغَنِمتُم؛ أي: صار إليكم مالهم، وهو من العَقِب[٥].

وقال قطرب: عاقب الرَّجل شيئًا؛ أي: أخذ[٦].

وقيل: أي: حاربتُم الكفَّار معاقِبين لهم، وغنمتُم مضمَر.

وقال مجاهد: اقتصصْتُم[٧].

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٥١)، و«المحرر الوجيز» (٥/ ٢٩٨). وهي محمولة على التفسير لمخالفتها سواد المصحف الذي أجمعت عليه الأمة وفي مقدمتها ابن مسعود رضي الله عنه.

(٢) البيت لامرئ القيس. انظر: «ديوانه» (ص: ١٢٦).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٥١).

(٤) ذكر مثله أبو عبيدة في «مجاز القرآن» (٢/ ٢٥٧)، وابن قتيبة في «غريب القرآن» (ص: ٤٦٢).

(٥) لعلها من قولهم: جاء فلان عَقِب فلان؛ أي: بعده، وفلان يسعى عقب آل فلان؛ أي: بعدهم. انظر: «مختار الصحاح» (مادة: عقب).

(٦) انظر: «المحتسب» لابن جني (٢/ ٣٢٠).

(٧) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٥٩١ ـ ٥٩٢) بلفظ: ﴿فَعَاقَبْتُمْ﴾: أصبتم مغنمًا من قريش أو غيرهم =

وقال ابن زيد: خرجَتِ امرأةٌ من المسلمين إلى المشركين، وأتَت امرأةٌ من المشركين، فقال القوم: هذه عقبتُكم[1] قد أتتْكم، فأنزل الله تعالى: ﴿وَإِن فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ﴾[2].

﴿فَآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُم مِّثْلَ مَا أَنفَقُوا﴾: أي: فأعطوا المسلمين الذين ارتدَّتْ زوجاتهم ولحقْنَ بدار الحرب مهورَ زوجاتهم مِن هذه الغنيمة.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾: ثم نسخ هذا الحكم بآية القتال أيضًا.

وروي: أن الآية الأولى نزلَتْ في عام الحديبية؛ لَمَّا صالح النَّبيُّ ﷺ أهلَ مكَّة، وكتبَ في العهد: إنَّ مَن أتى المسلمين مسلمًا رُدَّ عليهم، خرجَتْ يومئذ سبيعة بنت الحارث مسلمةً، وجاء زوجُها يستردُّها، ويقول: ردَّها عليَّ يا محمَّدُ؛ فإنَّه في الشَّرط، وإنَّ طينة الكتاب لم تجفَّ، فنزلت الآية[3][4].

وقال الواقديُّ: لا نعلم قرشيَّة خرجَتْ من أبويها مسلمةً مهاجرةً إلى الله تعالى إلَّا أمَّ كلثوم بنت عقبة بن أبي مُعَيْط، كانت تحدِّث تقول: كنْتُ أخرج إلى باديةٍ لنا بها

= ﴿فَآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُم مِّثْلَ مَا أَنفَقُوا﴾ صدقاتهن عوضًا.

(١) في (ف): «عقيبتكم»، والمثبت من باقي النسخ، وهو الموافق لما في «تفسير الطبري».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٥٩٣).

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٣٠٣). وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٢٩٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وذكره الماوردي في «تفسيره» (٥/ ٥٢١) عن الكلبي.

(٤) ذكر الخبر عند تفسير هذه الآية مقاتل والفراء وأبو الليث السمرقندي والثعلبي والبغوي والزمخشري وابن عطية وابن الجوزي في تفاسيرهم، وهبة الله بن سلامة في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ١٧٧ ـ ١٧٨). وعزاه الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٤٢٤)، وكذا شيخه الثعلبي وتلميذه البغوي لابن عباس لكن دون إسناد. وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٥٢١) عن الكلبي. فلعله كغيره من الأخبار التي رويت من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس.

أهلٌ، وأقيم فيهم الثَّلاث والأربع، وهي ناحيةَ التَّنعيم ـ وهي مسجد عائشة رضي الله عنها ـ ثم أرجعُ إلى أهلي، فلا ينكرون ذهابي، حتى أجمعْتُ المسير، فخرجْتُ يومًا من مكَّة كأنِّي أريد البادية التي كنْتُ بها، فلمَّا رجع مَن معي خرجْتُ حتى انتهيْتُ إلى الطَّريق، فإذا رجلٌ من خزاعة، فلمَّا ذكر خزاعة اطمأننْتُ إليه؛ لدخول خزاعة في عهد محمَّد ﷺ، وقلْتُ: إنِّي امرأة من قريش أريد اللُّحوق برسول الله ﷺ، ولا علم لي بالطَّريق، فقال: أنا صاحبُكِ حتَّى أُورِدَكِ المدينة، ثم جاءني ببعيرٍ فركبتُه، فكان يقودُ بي البعير، لا والله ما كلَّمني كلمةً حتى أناخَ بي البعير وقيَّده في الشَّجرة، وتنحَّى إلى شجرة، حتَّى إذا كان الرَّواح أخرج البعير وقرَّبه، وولَّى عنِّي، فإذا ركبْتُ أخذ برأس البعير، فلم يلتفِتْ وراءَه حتى ننزل، فلم يزل كذلك حتى قدم المدينة[1].

* * *

(١٢) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ ۙ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ﴾: أي: لا يستلحقْنَ ولدًا من غير أزواجهنَّ، فيُلحقْنَه بأزواجهنَّ.

وذكر الأيدي والأرجل كنايةٌ عن التقاط المولود وعن الولاد[2]، فالأيدي

(١) انظر: «مغازي الواقدي» (٢/ ٦٣٠).

(٢) في (أ): «الأولاد».

للالتقاط[١]، والأرجل للولاد؛ لأنَّها إذا التقطت بيديها وأضافت إلى ولادتها[٢] فقد أَتَتْ ببهتانٍ بين يديها ورجليها.

وقال الضَّحَّاك: أي: لا تقذفْنَ رجلًا ولا امرأة بالزِّنى[٣].

ومجاز ذلك: أنَّها إذا قذفَتِ امرأةً فقد بهتَتْ ما بين يدي المقذوفة ورجليها، أو نفَتْ عنها ولدًا قد ولدتْهُ، وألحقت بها ولدًا لم تلده.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾: أي: ولا يخالفْنَكَ في طاعةٍ تأمر بها. وهي عامَّة في كلِّ الطَّاعات.

وعن أم عطيَّة وأم سلمة: أنه النَّوح[٤]. وهي بعض ما عمَّته الكلمة.

﴿فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: كما تبايعُ الرِّجالَ وتستغفر لهم.

ثمَّ اختلف فيمَن فيه هذه الآية:

قالت عائشة رضي الله عنها: إنَّ المهاجرات كُنَّ إذا قدمْنَ قعدْنَ عند النَّبيِّ ﷺ، فيقول لهنَّ: «أبايعكُنَّ على ألَّا تشركْنَ بالله شيئًا»، ويتلو عليهنَّ الآية إلى آخرها، فإذا أقررْنَ بذلك قال: «بايعْتكنَّ، فارتفِعْنَ»، لا والذي بعثَ محمَّدًا بالحقِّ، ما مسَّتْ يدُه امرأةً قطُّ، إلَّا امرأة أحلَّها الله له أو من قرابته، قالت: وكنَّ إذا أقررْنَ بهذا الكلام فهي الممتحنة[٥].

---

(١) في (ر): «فالأيدي لالتقاط المولود».

(٢) في (أ): «أولادها».

(٣) ذكر مثله مقاتل في «تفسيره» (٩/ ٢٩٧).

(٤) رواه الترمذي (٣٣٠٧) عن أم سلمة رضي الله عنها مرفوعًا. وقال: حديث حسن غريب. ورواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٢١٠٠)، والطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٦٠١) عن أم عطية. ورواه الإمام أحمد في «مسنده» (٢٠٧٩٦)، والبخاري (١٣٠٦)، ومسلم (٩٣٦)، عن أم عطية.

(٥) روى نحوه البخاري (٥٢٨٨)، ومسلم (١٨٦٦).

وقال الضَّحَّاك: يعني به نساء أهل مكَّة، وليس بالنِّساء اللَّاتي أُمِرَ أنْ يمتحِنَهنَّ.

وروَتْ أُميمةُ بنت رُقَيقة أيضًا أنَّ النَّبيَّ ﷺ لم يصافِحْهُنَّ(١).

وعن إبراهيم النَّخعي والشَّعبي: أنَّ النَّبيَّ ﷺ بايع النِّساء وعلى يده ثوبه(٢).

وعن عَمرو بن شعيب عن أبيه عن جدِّه أنَّه دعا بقدح من ماء، فغمسَ يدَه فيه، ثم أمرَ النِّساء فغمسْنَ إيديَهُنَّ فيه(٣).

وقال مقاتل بن حيَّان رحمه الله: لَمَّا كان يومُ فتح مكَّة، وفرغ رسول الله ﷺ من بيعة الرِّجال، والنَّبيُّ ﷺ على الصَّفا، وعمر رضي الله عنه قاعدٌ أسفل منه يبايع النِّساءَ للنَّبيِّ ﷺ، فقال لعمرَ: بايعهُنَّ على ألَّا يشركْنَ بالله شيئًا، وهند بنت عتبةَ بن ربيعةَ منتقِبةٌ فيما بين النِّساء، فرفعَتْ رأسَها وقالت: والله لقد عبدْنا الأصنام دون الله تعالى، ثم قالت للنَّبيِّ ﷺ: والله إنَّك لتأخذُ علينا أمرًا ما رأيناك أخذْتَه على الرِّجال، وبايَعَ الرِّجال إذ ذاك على الإسلام والجهاد في سبيل الله.

فبايعَ عمرُ النِّساء ﴿عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشۡرِكۡنَ بِٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَلَا يَسۡرِقۡنَ﴾، فقالت هند: إنَّ أبا سفيان رجلٌ شحيحٌ، وإنَّه لا يعطيني ما يكفي ولدي إلَّا ما أخذْتُ منه سرًّا، فقال

---

(١) رواه الإمام مالك في «الموطأ» (٢/ ٩٨٢)، والإمام أحمد في «المسند» (٢٧٠٠٦)، والترمذي (١٥٩٧)، والنسائي (٤١٨١)، وابن ماجه (٢٨٧٤)، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح لا نعرفه إلا من حديث محمد بن المنكدر.

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٢٠٢) عن إبراهيم النخعي. ورواه ابن سعد في «الطبقات» (٨/ ٥)، وسعيد بن منصور كما في «الدر المنثور» (٨/ ١٤٠)، وابن سعد عن الشعبي.

(٣) رواه ابن سعد في «الطبقات» (٨/ ١١)، وفيه شيخه الواقدي، وهو متروك. ورواه الطبراني في «الكبير» (١٧/ ١٤٩) عن عروة بن مسعود الثقفي، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦/ ٣٩): فيه عبد الله بن حكيم، أبو بكر الداهري، وهو ضعيف.

رسول الله ﷺ: «إنَّك لهند»، قالت: نعم، والإسلام يجُبُّ ما قبلَه، فقال: «خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف».

ثم قال: ﴿وَلَا يَزْنِينَ﴾، فقالت هند: أفٍّ، وهل تزني الحرَّة قط، فقال عمر رضي الله عنه: لو كان قلب نساء العرب على قلب هند ما زنَتْ امرأةٌ منهنَّ قط.

ثم قال: ﴿وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ﴾، فقالت هند: ربَّيناهم صغارًا، فقتلتُموهم يوم بدر كبارًا، قال فضحك عمرُ رضي الله عنه حتى استلقى.

ثم قال: ﴿وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ﴾، قالت: والله إنَّ البهتان لأمر قبيح، وما يأمرنا رسول الله إلَّا بالرُّشد ومكارم الأخلاق.

ثم قال: ﴿وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾، فقالت هند: والله ما جلسنا مجلسًا منك وفي أنفسنا أن نعصيَك.

فبايعهن عمر للنَّبيِّ ﷺ، واستغفر لهنَّ النَّبيُّ ﷺ[1].

قال الزُّهريُّ: كان هذا بالحديبية، وهذه البيعة يوم فتح مكَّة[2].

وقال الكلبيُّ وسعيد بن المسيَّب وزيد بن أسلم وقتادة: ﴿وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾: النَّوح، وتمزيق الثِّياب، وحلق الشُّعور، وشقُّ الجيوب، وخمش الوجوه، ولا يحدِّثْنَ الرِّجال، ولا تخلو امرأة برجل غيرِ مَحْرَمٍ، ولا يسافرْنَ فوق ثلاثة أيَّام بغير محرم[3].

---

(١) ذكره ابن أبي حاتم مختصرًا في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٥١) عن مقاتل بن حيان. وذكره مقاتل بن سليمان في «تفسيره» (٤/ ٣٠٦)، ورواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٨/ ١٨٨ ـ ١٨٩) عن ميمون بن مهران، ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٥٩٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) لم أقف عليه، وقال الآلوسي في «روح المعاني» (٢٧/ ٩٤): والمبايعة وقعت غير مرة ووقعت في مكة بعد الفتح وفي المدينة.

(٣) ذكره عنهم عدا قتادة الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٢٩٨)، وذكره الواحدي في «البسيط» (٢١/ ٤٢٤) =

(١٣) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوْاْ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُواْ مِنَ ٱلْأٓخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوْاْ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾: ختمَ السُّورة بما بدأ بها، وهم المشركون.

﴿قَدْ يَئِسُواْ مِنَ ٱلْأٓخِرَةِ﴾؛ أي: من كونها، والثَّوابِ والعقاب فيها، فلذلك لا يؤمنون بها.

﴿كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ﴾: أي: هم ﴿مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ﴾ أن يرجعوا إليهم.

وقيل: أي: كما يئس أسلافهم الكفَّار الذين هم في القبور من الآخرة أيضًا؛ أي: هؤلاء في الكفر كسلفهم.

وقيل: أي: كما يئس هؤلاء الكفَّار من برِّ أصحاب القبور ونفعهم.

وقيل: ﴿لَا تَتَوَلَّوْاْ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾: هم اليهود، وهم المخصوصون بذكر الغضب في آيات الله، ﴿قَدْ يَئِسُواْ مِنَ ٱلْأٓخِرَةِ﴾؛ أي: من ثواب الآخرة، ومن رحمة الله ومغفرته لهم في الآخرة، ﴿كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ﴾ المشركون المقبورون، فهم[١] مع أنَّهم من أهل الكتاب في هذا كعبدة الأصنام.

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: هم اليهود والنَّصارى، يقولون: لا نعيم في الجنَّة من المآكل والمشارب والمناكح والملاذِّ، كالكفَّار لا يقرُّون بالجنَّة والنَّار أصلًا[٢].

= عن الكلبي والمقاتلين. ورواه ابن عبد البر في «التمهيد» (١٢/ ٢٣٨) عن زيد بن أسلم، وذكره عنه ابن الجوزي في «زاد المسير» (٨/ ٢٤٧).

(١) في (ر): «منهم».

(٢) ذكره عنه الماوردي في «تفسيره» (٥/ ٥٢٦).

وقال مقاتل: الآية في المنافقين ﴿كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ﴾: إذا دخلوها بشَّرتهم الملائكة بالنَّار، فيئسوا من كلِّ خير[1].

***

= ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٢٠٧) عن قتادة، ورواه عبد الرزاق أيضاً في «تفسيره» (٣٢٠٨)، والطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٦٠٤) عن الكلبي.

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٣٠٧ ـ ٣٠٨).

سُورَةُ الصَّفِّ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

بسم الله الذي يحب المقاتلين، الرحمنِ الذي يُظهر دينَه على كلِّ دين، الرحيمِ الذي يبشِّر المؤمنين.

روى أبيُّ بن كعبٍ رضي الله عنه عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «مَن قرأ سورة الصَّفِّ كان عيسى ابن مريم صلوات الله عليه مصلِّيًا عليه، ويستغفر له ما دام في الدُّنيا، وكان رفيقَه يوم القيامة»[1].

وهذه السُّورة مكيَّة عند عكرمة والحسن وقتادة، مدنيَّة عند عامَّة المفسِّرين[2].

وهي أربعَةَ آيةً، ومئتان وإحدى وعشرون كلمة، وتسعُ مئة وواحدٌ وخمسون حرفًا.

وانتظام آخر تلك السُّورة بأول هذه السُّورة: أنَّ آخر تلك في ذكر الكفَّار الذين عليهم غضبُ الله، وأوَّل هذه السُّورة في ذكر المسبِّحين الذين لهم رضا الله تعالى.

---

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٣٠١)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ٢٩٠)، كلاهما بلفظ: «من قرأ سورة عيسى عليه السلام كان عيسى مصليًا...». قال ابن الجوزي في «الموضوعات» (٤/ ٣٤٤): مصنوع بلا شك. وقال ابن كثير في «تفسيره»: حديث منكر من سائر طرقه. وانظر: «الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة» للشوكاني (ص: ٢٩٦).

(٢) انظر: «البيان في عد آي القرآن» (ص: ٢٤٥)، وفيه: مدنية في قول قتادة، وقال ابن عباس ومجاهد وعطاء: هي مكِّيَّة.

وانتظامُ السُّورتين: أنَّ تلك في قطع موالاة أعداء الله، وهذه في الجهاد الذي هو تحقيق معاداة أعداء الله.

* * *

(١ ـ ٢) ـ ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾: وهذا التَّسبيح شهادةٌ لله تعالى بالرُّبوبيَّة والوحدانيَّة والقدرة والملكة[1] والغنى عن معونة الخليقة؛ بما[2] فيهم من دلائل الصَّنعة، وأعلام الذِّلة.

﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾: الذي لا يمتنع عليه ما يريد.

﴿ٱلْحَكِيمُ﴾: الذي لحكمته تعبَّد خلقَه بالجهاد في إقامة دينه؛ ليعوِّضهم بذلك النَّفعَ الذي لا يعدِلُه نفع، ويعطيَهم النَّعيم الذي لا يبلغُه نعيم، ولو شاء لهداهم أجمعين، ولو شاء لأهلكهم بما شاء من غير مُعين.

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾: روي أنهم تذاكروا أيُّ الأعمال أحبُّ إلى الله تعالى، فأنزل الله تعالى آيةَ الجهاد، فتباطأ بعضُهم، فنزلت الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾[3].

* * *

(٣) ـ ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾.

---

(١) في (ر) و(ف): «والمملكة».

(٢) في (ر) و(ف): «لما».

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٣١٥). وروى نحوه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٦٠٧) عن أبي صالح.

﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾: أي: بُغضًا، وهو كقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓا۟ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ الآية [النساء: ٧٧].

ودلَّت الآية أنَّ صاحب الكبيرة مؤمنٌ رغمًا للمعتزلة؛ لأنَّ ما استَحق عليه العبدُ مقتَ الله ـ وهو أشدُّ البغض ـ فهو كبيرةٌ، ومع ذلك خوطبوا بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾.

قال نجم الدِّين(١): ولنا حديث مُسلسلٌ في هذا، مُسنَدٌ إلى عبد الله بن سلام، قال: خرجْنا نتذاكرُ، فقلْنا: أيُّكم يأتي رسولَ الله فيسألَه: أيُّ الأعمال أحبُّ إلى الله تعالى؟ ثم تفرَّقنا، وَهِبْنا أن يأتيَه أحدٌ منَّا، فأرسل إلينا رسولُ الله ﷺ وجمعَنا، فجعل يومئ بعضُنا إلى بعض، فقرأ علينا: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ السُّورة إلى آخرها، وكذا قرأ كلُّ راوٍ السُّورة عند رواية هذا الحديث إلى شيخنا(٢).

قيل: إنَّما قرأها كلَّها لأنَّ في أوَّلها: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا﴾ [الصف: ٤]، وفي آخرها: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم﴾ إلى آخر الآية.

وقال مجاهد: نزلَتْ في نفرٍ من الأنصار منهم عبد الله بن رواحة، كانوا في مجلسٍ فقالوا: لو علمنا أيَّ الأعمال أحبَّ إلى الله تعالى لعملناه حتى نموت، فأنزل الله تعالى السُّورة، فقال عبد الله بن رواحة: لا أبرح حبيسًا في سبيل الله تعالى حتَّى أموت أو أقتل شهيدًا، وكان على ذلك حتى قتل في غزوة مؤتة شهيدًا(٣).

وروي أنَّ النَّبيَّ ﷺ بعثَهم في غزوة مؤتة، وأمَّر عليهم زيد بن حارثة وقال: «إنْ قُتِلَ زيدٌ فأميرُكم جعفرُ بن أبي طالب، فإنْ قُتِلَ جعفرٌ فأميرُكم عبدُ الله بن رواحة...

---

(١) يعني: المؤلف، وقوله: «قال نجم الدين» ليس في (أ) و(ف).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢٣٧٨٩)، والترمذي (٣٣٠٩). قال ابن حجر في «فتح الباري» (٨/ ٦٤١): إسناده صحيح قل أن وقع في المسلسلات مثله مع مزيد علوه.

(٣) رواه ابن المبارك في «الجهاد» (٣)، والطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٦٠٧).

فأخذ زيدٌ الرَّاية فقتل، ثمَّ أخذها جعفرُ فقُتِلَ، وقطعَتْ يداه ورجلاه، فجعل الله له جناحَيْن يطير بهما مع الملائكة، ثمَّ أخذَ عبدُ الله بن رواحة الرَّاية، فكأنَّه تلكَّأ قليلًا، ثم حمل عليهم حتى استُشْهِد»[1].

***

(٤) - ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٌ مَّرۡصُوصٌ﴾.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا﴾: أي: مصطفِّين على نسقٍ واحد.

﴿كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٌ مَّرۡصُوصٌ﴾: أي: ملزَقٌ بعضُه ببعضٍ، لا فُرْجةَ فيه، يقال: رَصَّهُ يرصُّهُ رَصًّا: إذا ألزق بعضَه ببعضٍ التزاقًا محكمًا شديدًا، ورجلٌ أرصُّ: متلازقُ الأسنان.

وهذا التَّمثيل يقع على حسن المقام، حتى إنْ دَلَفوا إلى العدوِّ دَلَفوا[2] صفًّا، وإنْ وقفوا وقفوا صفًّا، وهذا أيضًا أهيبُ وأبعدُ من طمع العدوِّ من هزيمتهم، وهذا أيضًا أشبهُ بصفوف الصَّلاة التي خُصَّتْ بها هذه الأمَّة.

ويكون التَّمثيل أيضًا بالبنيان على جهة الثَّبات للقتال كالبناء المرصوص.

والبنيانُ واحد كالبناء، ولذلك قال: ﴿مَّرۡصُوصٌ﴾، ولم يقل: مرصوصة.

---

(١) رواه البخاري مختصرًا (١٢٤٦) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، ولفظه: «أخذ الراية زيد فأصيب، ثم أخذها جعفر فأصيب، ثم أخذها عبد الله بن رواحة فأصيب - وإن عيني رسول الله ﷺ لتذرفان - ثم أخذها خالد بن الوليد من غير إمرة ففتح له».

ورواه بنحوه الإمام أحمد في «المسند» (٢٢٥٦٦)، وابن حبان في «صحيحه» (٧٠٤٨) من حديث أبي قتادة رضي الله عنه.

(٢) في (أ): «إذا دلفوا إلى أحد ودلفوا»، وفي (ف): «إذا دلقوا إلى العدو لقوًا»، وفي (ر): «إن ذلقوا إلى العدو ذلقًا»، ولعل الصواب المثبت.

ودلَّ على أنَّ النُّزول أفضلُ من الرُّكوب، فإنَّ التَّراصَّ فيه أمكنُ.

وقال إبراهيم النَّخعيُّ: ثلاث آيات منعَتْني أن أقصَّ على النَّاس: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾ [البقرة: ٤٤]، ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ﴾ [هود: ٨٨]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ الآية(١).

فدلَّ أنَّ الآية عامَّة، وليست بمقتصرةٍ على القتال.

***

(٥) ـ ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى﴾ الآية: أَتبعَ الأمرَ بالجهادِ قصَّة موسى وعيسى عليهما السلام، واختلافَ قومهما عليهما فيما أمراهم به من نصر دين الله، وما كان من النَّصر والظَّفر لمن وافقهما على ذلك.

وقوله تعالى: ﴿لِمَ تُؤْذُونَنِى﴾ يحتملُ ما قال: ﴿لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟﴾ [الأحزاب: ٦٩]، وقد بيَّنا في تلك الآية.

وقيل: هو ما دسَّ قارون إلى امرأةٍ تدَّعي على موسى أنَّه زنى بها، وقد بيَّنا ذلك في تلك القصَّة.

وقيل: هو قولهم: اجعل لنا إلهًا كما لهم آلهةٌ.

وقيل: هو قولهم: ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾ [المائدة: ٢٤].

---

(١) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٠/ ٤٣٦). وروى نحوه البيهقي في «الشعب» (٧٥٦٩) عن ابن عباس في قصة أنه وعظ بهن رجلاً جاءه يريد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وقيل: هو قول اليهود: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾ [آل عمران: ١٨١]، وقولهم: ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة: ٦٤].

قوله تعالى: ﴿وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾: أي: لمَ تؤذونني مع معرفتكم أنِّي رسول الله إليكم، أَخبر أنَّ الذَّنب في إيذائه مع معرفتهم بنبوَّته أعظمُ؛ فإنَّ العلم بتحريم الشَّيء هو أحدُ الزَّواجر عنه، فكلَّما كانت الزَّواجر أكثر كان الإثم في ارتكابه أكبر.

﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ﴾: أي: مالوا إلى الباطل ﴿أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾؛ أي: خذلهم وحرمَهم توفيق اتِّباع الحقِّ.

ودلَّ ذلك على أنَّ الله تعالى خالقُ أفعالِ العباد، حسَنِها وقبيحِها، ظاهرِها وباطنِها، وأنَّ اللهَ يُضِلُّ مَن علم منه اختيارَ الضَّلال، ويهدي مَن علم منه اختيار الاهتداء.

﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ﴾: ما داموا مختارين للفسق، ثابتين عليه.

***

(٦) ـ ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ قَالُواْ هَـٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾.

﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾: ﴿مُّصَدِّقًا﴾ نصب على القطع؛ لأنه نكرة نُعِتَ به معرفةٌ، وكذا قوله: ﴿وَمُبَشِّرًۢا﴾.

يقول: أنا موافِق لِمَا نزل قبلي من التَّوراة، وفيها صفتي، ولم أتكلَّم بشيء يكذِّب التَّوراة فتنفروا عنِّي.

﴿وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾: لتؤمنوا به، فتستكمِلوا الثَّواب بإيمانكم بمن كان قبلي وبي وبمن يكون بعدي.

﴿فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾؛ أي: بالمعجزات، من إحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص، ونحو ذلك ﴿قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾؛ أي: ظاهر، وليس من الله.

وقيل: أي: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُم﴾؛ أي: جاء بقيَّةَ بني إسرائيل محمَّدٌ ﷺ بالقرآن وسائر المعجزات ﴿قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ مع تقدُّم الدَّلائل والبشارات به.

* * *

(٧ ـ ٨) ـ ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰ إِلَى الْإِسْلَامِ ۚ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٧﴾ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾: فجعل آياته البيِّنات سحرًا.

﴿وَهُوَ يُدْعَىٰ إِلَى الْإِسْلَامِ﴾: أي: يُدْعى على لسان رسول الله ﷺ إلى دين الله تعالى، لا يدعو إلى شيء يردُّه العقل، وهو الدِّين الذي لا يَقبلُ الله دينًا غيره، فمَن دُعِيَ إلى ما لا يَقبلُ الله دينًا غيره، وقد أتاه داعيهِ بالبيِّنات، فردَّه وجعلَ ما أتى به سحرًا، فلا أظلم منه.

﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾: أي: ما داموا مختارين لذلك.

وقوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ﴾: أي: يريد هؤلاء الفاسقون الظَّالمون أن يُذْهِبوا نورَ اللهِ الذي أرسلَه على محمَّدٍ ﷺ، وهو ما هدى به عبادَه من دينه وكتابه.

﴿بِأَفْوَاهِهِمْ﴾: أي: بقولهم بأفواههم[1]: إنَّه سحرٌ، لا يزيدون على ذلك، ولا يجدون عليه حُجَّة، وهذا شيء لا أوهى منه.

﴿وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ﴾: قرأ ابن كثير وحمزة والكسائيُّ وعاصم في رواية حفص على الإضافة.

---

(١) «بأفواههم» ليس في (أ).

والباقون: ﴿متمٌّ﴾ بالتَّنوين ﴿نورَه﴾ بالنَّصب[1]، يقول: قد أتمَّ نورَه للحال، ويُديمه في الاستقبال، حتى يعمَّ الآفاق، ويظهرَ في البلاد، ويهتدي به العباد.

﴿وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾: اليهود والنَّصارى وسائر الكفَّار.

* * *

(٩ ـ ١١) ـ ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ (٩) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (١٠) تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى﴾: أي: بالرَّشاد ﴿وَدِينِ الْحَقِّ﴾ الذي لا يشوبُه باطلٌ من شرٍّ، أو تفريقٌ بينَ الرُّسل، أو تشبيهٌ ونحوه.

﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾: أي: ليُعليَه[2] على الأديان كلِّها بالحُجج وبالغَلَبة، وعند نزول عيسى عليه السَّلام بألَّا يبقَى دينٌ غيرُه.

وقيل: ﴿لِيُظْهِرَهُ﴾؛ أي: ليُطْلِعَ محمَّدًا ﷺ على علم الدِّين كله، وهو كقوله: ﴿وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾ [التحريم: ٣].

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾: هو استفهامٌ على معنى الحثِّ والعرض، كقولك: هل أنت ساكت؟ و: هل أنت آكلٌ معي؟

ولَمَّا نزلت هذه الآية لم ينزل معها ما بعدَها، وكانوا في شوقٍ إلى معرفتِه ليعملوا به، فبقُوا على ذلك ستَّة عشر شهرًا، ثم نزل:

﴿تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ **الآية**: وهو تفسيرُ تلك التِّجارة.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ٦٣٥)، و«التيسير» للداني (ص: ٢١٠).

(٢) في (ر): «ليغلبه».

وهذا الحثُّ بمعنى الأمر، بدليل أنَّه قال في جوابه: ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ﴾ بالجزم، وتقديرُه: آمنوا به وبرسوله؛ أي: دُوموا عليه.

﴿وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ﴾: أي: جاهدوا.

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾: أي: أنفعُ لكم دينًا ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ التِّجارةَ وما فيها من الرِّبح والزِّيادة، وجعل هذا تجارةً كما جعلَه بيعًا وشراء في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم﴾ الآية [التوبة: ١١١]؛ لأنَّه بذلُ(١) الأنفس والأموال على عوضِ الجنَّة كالمعاوضات.

* * *

(١٢ ـ ١٣) ـ ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾: جزمَ ـ على قول الفرَّاء ـ بـ(هل)(٢)؛ لأنَّ فيه معنى الأمر على ما مرَّ.

وقال الزَّجَّاج: وهو جوابُ: ﴿تُؤْمِنُونَ﴾ و﴿وَتُجَٰهِدُونَ﴾ لأنَّهما في معنى: آمنوا وجاهدوا.

وقال: قولُ مَن قال: إنَّه جواب ﴿هَلْ﴾ غلطٌ؛ لأنَّه ليس إذا دلَّهم على ما ينفعُهم غفرَ الله لهم، إنَّما يغفر لهم إذا آمنوا وجاهدوا(٣).

وقوله تعالى: ﴿وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا﴾: أي: ولكم خصلةٌ أخرى على جهادكم في الدُّنيا قبل المصير إلى الجنَّة، تحبُّون تلك الخصلة: ﴿نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾: وهي نصرةٌ على الأعداء ﴿وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾ لبلادهم.

---

(١) في (أ): «بذل له».

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٥٤).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ١٦٦).

وقيل: ﴿وَأُخْرَىٰ﴾؛ أي: وتجارةٌ أخرى.

﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ بهذا الوعد.

***

(١٤) - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّـۧنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ ۖ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ﴾: قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو: ﴿أنصارًا﴾ بالتَّنوين ﴿لله﴾ باللَّام، وقرأ الباقون: ﴿أَنصَارَ ٱللَّهِ﴾ على الإضافة[(١)]؛ أي: انصروا دين الله ورسوله.

قوله تعالى: ﴿كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّـۧنَ﴾: أي: لأصفياءِ أصحابه.

﴿مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾: قيل: أي: مع الله؛ أي: مع نصرته، كقولهم: الذَّود إلى الذَّود إبلٌ[(٢)].

وقيل: أي: ﴿مَنْ أَنصَارِىٓ﴾ تقرُّبًا إلى الله تعالى.

وقيل: ﴿مَنْ أَنصَارِىٓ﴾ أيَّام حياتي إلى أن أصير إلى الله تعالى؛ أي: يقبضني إلى حيث يشاء.

قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾: أي: أنصار نبيِّه ودينه.

وقد ذكرنا الأقاويل في الحواريِّين في (سورة آل عمران).

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ٦٣٥)، و«التيسير» للداني (ص: ٢١٠).

(٢) قولهم الذود إلى الذود إبل: يراد أن القليل إذا جمع إلى القليل كثر، والذود ما بين الثلاث إلى العشر من إناث الإبل ويجمع أذوادًا. انظر: «مجمع الأمثال» للميداني (١/ ٤٦٢).

﴿فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ بعيسى عليه السَّلام ﴿وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ﴾.

﴿فَأَيَّدۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾: أي: قوَّيناهم ﴿عَلَىٰ عَدُوِّهِمۡ﴾؛ أي: أعدائهم.

﴿فَأَصۡبَحُواْ ظَٰهِرِينَ﴾: أي: عالين غالبين، فكذلك أنتم يا أصحاب محمَّدٍ ـ ﷺ ـ يكون لكم الظُّهور على مَن خالفكم.

قيل: ﴿فَأَصۡبَحُواْ ظَٰهِرِينَ﴾ بقتال الحواريِّين على موافقة عيسى عليه السلام.

وقيل: قاتلوهم بعد رفع عيسى.

وقيل: لم يكن منه قتال ولا بعدَه من أصحابه، وإنَّما ظهروا بالحُجَّة.

وقيل: ظهروا بعد خروج محمَّد ﷺ، فإنَّه أظهرَ دينَ الحقِّ، وأبطل دين الكفَّار.

وقال قتادة رحمه الله: دعا الله تعالى إلى أن يكون لرسوله حواريُّون من أمَّته كما كان لعيسى عليه السلام، وقد كان ذلك عند العقبة، وهم كلُّهم من قريش: أبو بكر وعمر وعثمان وعليٌّ وحمزة وجعفر وأبو عبيدة بن الجراح وعبد الرَّحمن بن عوف وسعد بن أبي وقَّاص وطلحة بن عبيد الله والزُّبير بن العوَّام وعثمان بن مظعون رضي الله عنهم أجمعين، وبايعه ليلة العقبة اثنان وسبعون من الأنصار، بايعوه على أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئًا، وعلى أن يمنعوا رسول الله ﷺ ممَّا يمنعون به أنفسهم وأبناءهم، ولهم النَّصر في الدُّنيا، والجنَّة في الآخرة(١).

والحمد لله كثيرًا

* * *

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٢١١) بذكر أصحاب البيعة فقط، ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٦٢٠ ـ ٦٢١) مقطعاً.

سُورَةُ الجُمُعَةِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

بسم الله الملك القدُّوس العزيز الحكيم، الرحمنِ الذي يؤتي فضلَه من يشاء والله ذو الفضل العظيم، الرحيمِ الذي زهَّدَ في اللَّهو واللَّعب[1] والتِّجارة بما عندَه من الكرامة والنَّعيم.

روى أبيُّ بنُ كعبٍ رضي الله عنه عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «مَن قرأ سورةَ الجُمُعَة كتبَ اللهُ له عشرَ حسناتٍ، بعدد مَن ذهبَ إلى الجمعةِ في مِصْرٍ مِن أمصارِ المسلمين، وبعدد مَن لم يذهَبْ»[2].

وهذه السُّورة مدنيَّة.

وهي إحدى عشرةَ آية، ومئةٌ وخمسٌ وسبعون كلمةً، وسبعُ مئة وستَّةٌ وخمسون حرفًا.

وانتظامُ ختم تلك السُّورة بأوَّل هذه السُّورة: أنَّ ختم تلك السُّورة بذكر مَن آمن بعيسى ومَن كفرَ به، وأوَّلَ هذه السُّورة بذكر مَن آمنَ بمحمَّد ﷺ ومَن كفرَ به.

---

(١) «واللعب» من (ر).

(٢) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٣٠٥)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ٢٩٤). قال ابن الجوزي في «الموضوعات» (٤/ ٣٤٤): مصنوع بلا شك. وقال ابن كثير في «تفسيره»: حديث منكر من سائر طرقه. وانظر: «الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة» للشوكاني (ص: ٢٩٦).

وانتظام السُّورتين: أنَّ تلك السُّورة في إيذاءِ أهلِ الكتاب موسى وعيسى عليهما السلام بما قالوا، وهذه السُّورة في إيذائهم محمَّدًا ﷺ والمؤمنين بما قالوا.

***

(١ ـ ٢) ـ ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (١) هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾.

وقوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾: ذُكِرَ أنَّ أهلَ الكتاب قالوا للعرب: نحن أهل الكتاب وأنتم أُمِّيُّون لا كتاب لكم، ونحن أبناءُ الله وأحبَّاؤه وأنتم رعاة البَهْم، ولنا السَّبتُ ولا سبتَ لكم.

فردَّ الله تعالى طعنَهم بهذه الأشياء الثَّلاثة في هذه السُّورة.

وكان في عهدهم: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣]، فنقضوا، وأساؤوا القول فيهم.

وقالوا في الله ما هو أفظع من كلِّ شيء: عزيرٌ ابنُ الله، والمسيحُ ابنُ الله.

فنـزَّه الله تعالى نفسَه عمَّا قالوا فيه، وذبَّ عن المؤمنين ما قالوا فيهم، فقال في الأوَّل: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ﴾ الآية، وهو تنزيهُ الخلائق كلِّها تنزيهَ الفطرة على ما مرَّ غير مرَّة.

قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ﴾: أي: في العرب الذين لا يقرؤون ولا يكتبون.

﴿رَسُولًا مِنْهُمْ﴾: وهو محمَّدٌ ﷺ، أميًا لا يكتبُ ولا يقرأ من كتاب؛ دلالةً له أنَّه من الله تعالى يُخبرُ، لا عن كتابٍ يأخذ.

﴿يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ﴾: أي: على الأمِّيِّين ﴿ءَايَٰتِهِۦ﴾؛ أي: آياتِ اللهِ التي أُنزِلَتْ عليه[1]، وهي القرآن.

﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾: أي: يطهِّرهم من دنس الكفر.

﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾: أي: القرآن، فيصير لهم كتاب يَعرفون فيه أقاصيص الأولين.

﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾: أي: ويعلِّمهم مع ذلك ما شرعَه له ممَّا لم يذكرْه في كتابه.

وقيل: ويعلِّمهم وجه الاستنباط.

﴿وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾: قد ذكرنا في مثلِه أنَّه على معنَيْين:

وقد كانوا من قبل في ضلال مبين.

وما كانوا من قبل إلَّا في ضلال مبين.

* * *

(٣) - ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُواْ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ﴾: عطفٌ على قوله: ﴿فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ﴾، وله وجهان:

أحدهما: ﴿وَءَاخَرِينَ﴾ من العرب ﴿لَمَّا يَلْحَقُواْ بِهِمْ﴾؛ أي: لم يلحقوا، و(ما) زائدة مؤكِّدة؛ أي: لم يسلموا بعدُ، وسيسلمون.

وقيل: لم يبلَّغوا، وسيُبلَّغون ويخاطبون فيسلِمون.

وقيل: لم يجيئوا بعدُ وسيجيئون[2]، وهو للعرب كلِّهم إلى قيام السَّاعة[3]، وهو في بيان شرف العرب كلِّهم إلى قيام السَّاعة.

---

(١) في (أ): «أنزلها عليهم»، وفي (ف): «أنزلها عليه».

(٢) في (ر): «لم يجيبوا بعد وسيجيبون».

(٣) في (أ): «إلى يوم القيامة».

وقال عكرمة: هم التَّابعون[١].

ووجه آخر: ﴿وَءَاخَرِينَ﴾ من العجم ﴿مِنْهُمْ﴾؛ أي: ممَّن يؤمن به.

وقيل: من الأمِّيين؛ فإنَّ من العجم أمِّيين، كالتُّرك ونحوهم.

وقيل: ﴿وَءَاخَرِينَ﴾ عطف[٢] على قوله: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ﴾؛ أي: ويعلِّمهم ويعلِّم آخرين منهم.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كنَّا عندَ رسولِ اللهِ ﷺ حين أُنزِلَتْ سورةُ الجمعة، فتلاها، فلمَّا بلغ: ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ﴾ قال له رجلٌ: يا رسول الله، مَن هؤلاء الذين لم يلحقوا بنا؟ قال: وسلمانُ فينا، فوضع رسول الله ﷺ يده على سلمانَ وقال: «والَّذي نفسُ محمَّدٍ بيدِه، لو كان الإيمانُ عند الثُّريَّا لتناولَه رجالٌ من هؤلاء»[٣].

وروى سهلُ بنُ سعدٍ: أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «إنَّ في أصلابِ أصلابِ أصلابِ رجالٍ مِن أمَّتي رجالًا ونساءً يدخلون الجنَّة بغير حساب»، ثمَّ تلا هذه الآية[٤].

﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾: فلا يُعترض عليه فيما يفعل ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾: المصيبُ فيما يفعل.

***

(٤ ـ ٥) ـ ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ۝٤ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٢٢٣).

(٢) في (أ): «عطف» مكررة.

(٣) رواه البخاري (٤٨٩٧)، ومسلم (٢٥٤٦).

(٤) رواه ابن أبي عاصم في «السنة» (٣٠٩)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٦٠٠٥). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٤٠٨): إسناده جيد.

﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾: أي: تعليم الكتاب والحكمة والاختصاص بالنُّبوَّة.

﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾: وهو حُجَّتنا على المعتزلة في أنَّ الله لا يلزمه لعباده شيء، وهو متفضِّل فيما يعطي.

﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ﴾: أي: اليهودِ الذين أُلزموا أحكام التَّوراة والتَّصديق بما فيها.

﴿ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا﴾: أي: لم يلتزموها وكذَّبوا بها[1] بتكذيب محمَّد ﷺ، ففيها البشارة به والإخبار عنه.

﴿كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢا﴾: أي: كتبًا، جمع سِفْرٍ، وقد سَفَرَ؛ أي: كَتَبَ، وسَفَرَ: إذا كَشَفَ، وهو يكشِفُ عن المعنى الذي فيه، والسَّفَرة: الكَتَبة.

يقول: الحمارُ يحمل على ظهره كتبًا فيها العلوم، ولا علم له بما يحمل ولا نفع، فكذا هؤلاء إذ لم ينتفعوا بالتَّوراة فعلمُهم بها وعدمُه[2] سواء.

قوله تعالى: ﴿بِئۡسَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾: بتكذيبِ محمَّدٍ ﷺ؛ أي: بئس القومُ قومٌ هذا مثلُهم.

﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: أي: ما داموا على اختيارِ ظلمِهم.

ومنهم مَن حمل هذا على اليهود والنَّصارى، والأظهر أنَّه على اليهود؛ لأنَّه قال بعده: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ﴾.

ثم إلى هذا الموضع ردُّ طعنهم في أنَّهم أهل الكتاب والعربُ لا كتاب لهم، ثمَّ قال في ردِّ طعنهم الثَّاني:

---

(١) بعدها في (ر) و(ف): «وهو».

(٢) في (أ) و(ف): «ولا علم».

(٦ ـ ٧) ـ ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ۝٦ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾.

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾: يقول: يا أيُّها اليهود، إن قلْتُم ظانِّين: إنَّكم أولياء الله من دون الأميِّين وغيرهم ممَّن ليس من بني إسرائيل، فإنَّ لأولياء الله عند الله كرامةً ومنزلة، ﴿فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ﴾ لتصيروا إلى الآخرة، فتنالوا ذلك ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ في دعواكم أنَّكم أولياء الله.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾: أي: ولا يتمنَّونَ الموتَ قطُّ بما عملوا من السَّيِّئات وقدَّموها، واستحقُّوا بها مَقْتَ الله دون ولايته.

﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾: وما قدَّموه من الظُّلم والمعاصي.

وفيه دلالةُ صحَّة نبوَّة محمَّد ﷺ؛ حيث أخبر، فكان كما أخبر، وهو باطنٌ، فدلَّ أنَّه بالله عَلِم ذلك.

وقال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: ﴿فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ﴾؛ أي: قولوا: اللَّهم أمِتْنا[(١)].

وقال النَّبيُّ ﷺ: «والذي نفسي بيدِه لا يقولها أحدٌ منهم إلَّا غصَّ بريقِه ومات مكانَه»[(٢)].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٢٧٢) في تفسير قوله تعالى: ﴿فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ٩٤].

(٢) رواه البيهقي في «دلائل النبوة» (٦/ ٢٧٤) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ: «لا يقولها رجل منكم...»، وهو من طريق محمد بن مروان عن الكلبي عن أبي صالح، وتسمى سلسلة الكذب. لكن رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ١٧٧) عن ابن عباس موقوفاً بلفظ: «لو تمنوا الموت لشرق أحدهم بريقه»، وإسناده صحيح كما قال ابن كثير عند تفسير الآية.

وروى الإمام أحمد في «المسند» (٢٢٢٥)، والبزار في «مسنده» (٤٨١٤)، والنسائي في «السنن =

(٨) ـ ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾.

قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ﴾: أي: لا ينفعكم الفرار عنه، بل هو آتيكم فيلقاكم وتلقونه، والملاقاة من الجانبين.

﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ﴾ بعد الموت ﴿إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾؛ أي: إلى جزاء الله الذي يعلم السِّرَّ والعلانية ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾؛ أي: يخبركم به ويجازيكم عليه.

وقال مقاتل: إنَّ النَّبيَّ ﷺ كتبَ إلى يهود المدينة يدعوهم إلى دين الإسلام، فكتب يهودُ المدينة إلى يهود خيبر: إنَّ محمَّدًا يزعم أنَّه نبيٌّ، فإنَّه يدعونا وإيَّاكم إلى دينه، فإن كنتم تريدون متابعته فاكتبوا إلينا كتابًا ببيان ذلك، وإنَّما نحن وأنتم على أمر واحد، ولا نؤمن به ولا نتَّبعه. فكتب يهود خيبر إليهم: إنَّ إبراهيم كان صدِّيقًا نبيًّا، وإنَّ إسحاق بعده كان صدِّيقًا نبيًّا، ويعقوب بعد إسحاق كان صدِّيقًا نبيًّا، وولد ليعقوب اثنا عشر ذكرًا، فكان لكلِّ واحد منهم أمَّة من النَّاس، ثم كان موسى يقرأ التَّوراة من الألواح، وعُزير يقرؤها ظاهرًا، ولولا أنَّه كان ولدَ الله ونبيَّه وصفيَّه لم يقرأ ظاهرًا، فنحن وأنتم من سبط مَن كلَّمه الله تكليمًا، واتَّخذه الله خليلًا، فنحن أحقُّ بالنُّبوَّة والرِّسالة، ومنَّا كانت الأنبياء في جزائر العرب، وما سمعنا قط كان من العرب إلَّا هذا الرَّجل، على أنَّا[1] نجد نعتَه وصفته في التَّوراة، فإن تبعتُموه صغَّركم الله

= الكبرى» (١٠٩٩٥)، وأبو يعلى في «مسنده» (٢٦٠٤) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا: «لو أن اليهود تمنوا الموت لماتوا»، وجود إسناده السيوطي في «مناهل الصفا في تخريج أحاديث الشفا» (ص: ١١٦).

(١) في (ر): «لا نجد»، والمثبت من باقي النسخ و«تفسير مقاتل».

ووضعكم، فنحن أبناء الله وأحبَّاؤه، فقال الله تعالى لنبيِّه: قل لهم: ﴿إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ﴾ الآية [الجمعة: ٦](١).

* * *

(٩) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُوا۟ ٱلْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ﴾: وهذا ردُّ طعنِهم الثَّالث: لنا السَّبت(٢) ولا سبتَ لكم.

فجعل الله لنا يوم الجمعة، وهو أفضل الأيَّام، وسيِّد الأيَّام، وفرض فيه صلاة الجمعة، وأمرنا بالسَّعي إليها، فقال: ﴿إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ﴾؛ أي: أُذِّن للصَّلاة ﴿مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ﴾ هي صلاة الجمعة، فقولك: ضُربَ من زيد، وضُرب زيد، واحد.

﴿فَٱسْعَوْا۟﴾: أي: امضُوا، ولم يُرِدْ به الإسراع، فقد قال النَّبيُّ ﷺ: «إذا خرجْتَ إلى الجُمُعةِ فامشِ على هِينَتِكَ»(٣).

وقال عليه الصَّلاة والسَّلام: «إذا أتيتُم الصَّلاة فأتوها وأنتم تمشون، ولا تأتوها وأنتم تسعَون»(٤).

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٣٢١).

(٢) في (ر): «سبت».

(٣) رواه الشافعي في «مسنده» (٣٩٨)، والبيهقي في «معرفة السنن» (٦٦٠٤) من حديث جابر بن عتيك رضي الله عنه.

(٤) رواه البخاري (٩٠٨)، ومسلم (٦٠٢)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، ولفظ البخاري: «إذا أقيمت الصلاة، فلا تأتوها تسعون، وأتوها تمشون عليكم السكينة، فما أدركتم فصلوا، وما فاتكم فأتموا».

وقيل: أراد به السَّعي بالقلب، وهو الإسراع إليها تبكيرًا.

وقال الفرَّاء: السَّعيُ والمضيُّ والذَّهابُ واحدٌ[١].

﴿إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ هو الخُطبة.

وقال سعيد بن المسيَّب: هو موعظة الإمام[٢].

﴿وَذَرُوا۟ ٱلْبَيْعَ﴾؛ أي: دعوا البيع والشِّراء.

وقال الفرَّاء: إذا أمركَ بترك البيع فقد أمرك بترك الشِّراء؛ لأنَّ البيع يقع عليهما[٣].

والنِّداء الذي يُنْهَى عنده عن البيع، هو الأذان الذي يكون بعد[٤] خروج الإمام.

وعند مالكٍ رحمه الله: البيعُ في تلك الحالة فاسدٌ للنَّهي، وعندنا النَّهي[٥] لغيره، وهو تأخير السَّعي، فيبقى مشروعًا في نفسِه فصحَّ[٦].

وعن محمد بن النَّضر الحارثي: أنَّه سئل عن الجمعة مع هؤلاء الأمراء، فقال: إنَّ الله تعالى أمرنا بالسَّعي إلى الجمعة، وهو يعلم مَن يصلِّي بنا إلى يوم القيامة، فنحن نسعى كما أمرنا الله تعالى[٧].

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٥٦).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٦٤٢).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٥٧).

(٤) في (ف): «عند».

(٥) «النهي» ليس في (أ).

(٦) انظر: «الأصل» لمحمد بن الحسن (٤/ ٤٢٧)، و«بدائع الصنائع» للكاساني (١/ ٢٧٠)، و«الجامع لمسائل المدونة» لابن يونس (٣/ ٨٩١)، وهذا الذي ذكره عن مالك هو ما في «المدونة»، وورد عنه أيضاً أن البيع ماض، وفي المسألة أقوال أخرى في المذهب. انظر: «التبصرة» لأبي الحسن اللخمي (٢/ ٥٧٣).

(٧) ذكره ابن المنذر في «الأوسط» (٤/ ١١٤).

﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ أي: السَّعي إلى الجمعة وترك الاشتغال عنها بالبيع وغير ذلك أنفعُ لكم من فعل ما يمنعكم عن ذلك.

﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: بمنافع الأمور ومضارِّها.

* * *

(١٠) - ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ﴾: أي: فُرِغ منها ﴿فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: فتفرَّقوا في أرض الله ﴿وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: طالبين المعاشَ الذي به قِوامُكم.

وفضل الله: رزقُ الله الذي تفضَّل به على عباده، وأباحه بالبيع والتِّجارات المشروعة.

وتُستحبُّ العقود في هذه السَّاعة؛ لندب الله تعالى إلى ذلك، وتسميته فضلًا.

وعن سعيد بن جبير رحمه الله قال: إذا انصرفْتَ من الجمعة فاخرج من المسجد فساوم بالشَّيء[١] وإن لم تشترِه[٢].

وعن ابن محيريزٍ قال: إنَّه ليعجبني أن تكون لي الحاجة يوم الجمعة، فأقضيها بعد الانصراف[٣].

وروى أنسٌ عن النَّبيِّ ﷺ في هذه الآية أنَّه قال: «ليس بطلبِ دنيا، ولكن عيادة مريضٍ، وحضور جنازة، وزيارة أخٍ في الله تعالى»[٤].

---

(١) في (أ): «بالبيع».

(٢) رواه ابن المنذر كما في «الدر المنثور» للسيوطي (٨/ ١٦٤).

(٣) ذكره السمعاني في «تفسيره» (٥/ ٤٣٥). وذكره علاء الدين البخاري في «كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام» (١/ ١٨٣) عن ابن سيرين.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٦٤٤). وفي سنده أبو عامر الصائغ، قال الذهبي في «المغني في =

﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾ قيل: واشكروا له واحمدوه على ما أنعم عليكم من التَّوفيق لأدائها.

وقيل: أي: في الأسواق التي تبتغون فيها فضل الله.

يقول: اتركوا التِّجارات لِذكري، وإذا رجعتم إلى التِّجارات فلا تتركوا ذكري أيضًا، وهو دلالة على دوام الذِّكر.

﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾؛ أي: تظفرون بكلِّ مطلوب، وتأمنون كلَّ مرهوب.

* * *

(١١) - ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا﴾: أي: وإذا علموا تجارةً تُحمَل من[1] موضع آخر، ﴿أَوْ لَهْوًا﴾: أو شيئًا يُلهي مثلُه ممَّا يَصحب غير التِّجارة، من طبلٍ ونحوه يُؤْذِنون النَّاس بقدومهم ﴿انْفَضُّوا﴾؛ أي: تفرَّقوا عنك ﴿إِلَيْهَا﴾؛ أي: إلى تلك التِّجارة.

ولم يقل: (إليهما) وقد ذكر شيئين: اللَّهو والتِّجارة؛ لأنَّ التِّجارة كانت أصلًا واللَّهوَ تبَعًا، فصرف الكناية إلى الأصل المقصود.

﴿وَتَرَكُوكَ﴾ يا محمَّد ﴿قَائِمًا﴾ على المنبر تخطب.

﴿قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ﴾: من الثَّواب في الآخرة وإدرارِ الرِّزق في الدُّنيا لمن اتَّقى من حيث لا يحتسب ﴿خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ﴾؛ أي: أنفع دينًا ودنيا.

= الضعفاء» (٢/ ٧٩٤): (أبو عامر الصائغ عن أبي خلف عن أنس، قال الأزدي: كان يضع الحديث).

(١) في (أ) و(ف): «عن».

﴿وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾: أي: المعطين.

قال جابر بن عبد الله الأنصاري: كان رسول الله ﷺ قائمًا يخطب يوم الجمعة، فقدمَتْ عِيْرٌ تحملُ الطَّعام من الشَّام، فانفتلَ النَّاس إليها حتَّى لم يبقَ معه إلا اثنا عشر رجلًا فيهم أبو بكر وعمر[١]، فنزلَت الآية[٢].

وفي حديث ابن عبَّاس رضي الله عنهما: قدم دِحْيَةُ الكلبيُّ فما بقيَ في المسجد إلَّا نفر[٣].

وفي رواية الحسن: أنَّ أهل المدينة أصابهم جوع وغلاءُ سعرٍ، فقدم عيرٌ والنبي ﷺ يخطب يوم الجمعة فخرجوا إليها[٤].

وفي روايةٍ قال النَّبيُّ ﷺ: «لو خرجَ هؤلاء الباقون لاضطرمَ الوادي عليهم نارًا»[٥].

والله الموفِّق

* * *

(١) في (ر): «وعثمان رضي الله عنهم».

(٢) رواه البخاري (٩٣٦)، ومسلم (٨٦٣)، والترمذي (٣٣١١)، وليس في الصحيحين ذكر أبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

(٣) رواه البزار (٢٢٧٣)، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ١٦٥) بلفظ قريب إلى عبد بن حميد. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٢٤): رواه البزار عن شيخه عبد الله بن شبيب وهو ضعيف. ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٦٤٥) عن الكلبي وأبي مالك وقرة.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٦٤٦).

(٥) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٢٢١) عن الحسن، وهو تتمة الخبر السابق، ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٦٤٧) عن قتادة.

سُورَةُ المُنَافِقُونَ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

بسم الله الذي هتك ستر المنافقين، الرحمنِ الذي له العزَّة ولرسوله وللمؤمنين، الرحيمِ الذي هو خبير بعمل العاملين.

روى أبيُّ بن كعب رضي الله عنه عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «مَنْ قرأ سُورةَ ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ﴾ بَرِئَ مِنَ النِّفاقِ»(1).

وهذه السُّورة مدنيَّة.

وهي إحدى عشرةَ آيةً، ومئةٌ وثمانون كلمة، وسبعُ مئة وثمانون حرفًا(2).

وختم تلك السُّورة في ذهاب الخاطئين، وافتتاح هذه السُّورة في مجيء المنافقين.

وانتظام السُّورتين: أنَّ تلك في قبائح أعداء الله تعالى المجاهرين(3)، وهذه في فضائح أعداء الله المنافقين.

* * *

---

(1) رواه الثعلبي في «تفسيره» (9/ 319)، والواحدي في «الوسيط» (4/ 302). وهو قطعة من الحديث الموضوع في فضائل السور.

(2) في (أ) و(ر): «واثنان وثمانون حرفاً». وانظر: «البيان في عد آي القرآن» للداني (ص: 247)، و«تفسير الثعلبي» (9/ 319)، وفيهما: (وهي سبع مئة وستة وسبعون حرفاً).

(3) في (ر): «الكافرين».

(١) ـ ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾: كسرُ ﴿إِنَّكَ﴾ لمكان اللَّام في قوله: ﴿لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾؛ أي: يقولون كما يقول المخلصون.

﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ﴾: كما تلفَّظ به المنافقون.

﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾: أي: يضمِرون خلافَ ما يُظهرون؛ لأنهم لا يعتقدون أنَّك رسول الله، والشَّهادةُ: الإخبارُ عن علم، وعندهم أنَّهم لا يعلمونه رسولَ الله، ولأنَّ الشَّهادة قولٌ عن تحقيق، وهم لا يحقِّقون ذلك.

وقيل: كاذبون في أنَّهم أرادوا الإيمان به.

* * *

(٢) ـ ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً﴾: أي: كلَّما اطَّلع منهم على شيء من النِّفاق حلفوا أنَّهم لم يقولوه، فيتستَّروا به كما يُتستَّر بالجُنَّة، وهو كما قال: ﴿يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ﴾ [التوبة: ٩٦]، ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟﴾ [التوبة: ٧٤].

ثم معنى الجُنَّة: أنَّه سُترة لِمَا يضمرونه.

وقال الحسنُ وقتادة ومجاهد: أي: جُنَّةً لأموالهم ودمائهم، يعصمونهما بها[1].

قوله تعالى: ﴿فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: قيل: أي: فمنعوا[2] المؤمنين بأيمانهم عن إقامة حكم الله تعالى، فـ(سبيل الله) هاهنا: هو طريق الدِّين وحكم الشَّرع.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٦٥١) عن قتادة.

(٢) في (أ): «قيل أي» وفي (ر): «أي: فيمنعوا»، بدل: «قيل أي فمنعوا».

وقيل: أي: بما يستروا بإظهار الشَّهادة والحلِف على الكذب اختلطوا بالمسلمين، فاستزلُّوا كثيرًا من ضعَفتهم.

وقيل: أي: فصدُّوا عن الجهاد في سبيل الله، وكانوا يثبِّطون[1] عنه.

وقيل: فصدُّوا اليهود والمشركين عن الدُّخول في الإسلام بقولهم: نحن كافرون بهم، وقد ألحقونا بجملتهم بما نُظهره، ولو كان محمَّدٌ محقًّا لاطَّلع على ما نُضمره، فأعلم الله تعالى المنافقين أنَّه عالم بهم، وأطلعَ رسولَه على حالهم.

﴿إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: الآن وفي سالف الزَّمان.

* * *

(٣) ـ ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا﴾: أي: في الظَّاهر ﴿ثُمَّ كَفَرُوا﴾؛ أي: في الباطن.

﴿فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾: أي: ختم الله عليها وخذلهم، فلا يفهمون ما يُخاطَبون به من الزَّجر عن النِّفاق والوعيد عليه.

وقيل: أي: لا يتدبَّرون فيه.

وقيل: أي: يعملون عملَ مَن لا يفهم.

وقال الرَّبيع بن أنس وقتادة: آمنوا بألسنتهم، وكفروا بقلوبهم[2].

وقيل: هذا في قومٍ كانوا آمنوا، ثم شكُّوا فنافقوا.

ونزول هذه السُّورة[3] في عبد الله بن أبيٍّ ابنِ سَلُولَ وسائر المنافقين، لعنهم الله.

---

(١) في (ر) و(ف): «يتبطؤون».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٦٥٢) عن قتادة.

(٣) في (أ): «الآية».

قال زيدُ بن أرقم: كنتُ مع عمّي، فسمعتُ ابنَ أُبيٍّ يقول لأصحابه: ﴿لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾ الآية [المنافقون: ٧]، و﴿لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ﴾ الآية [المنافقون: ٨]، فذكرْتُ ذلك لعمّي، فذكرَهُ لرسول الله ﷺ، فدعاني النَّبيُّ ﷺ، فحدَّثْتُه، فأرسل رسولُ الله ﷺ إلى عبد الله بن أُبيٍّ ابنِ سَلُولَ وأصحابه، فحلفوا ما قالوا، فكذَّبني النَّبيُّ ﷺ وصدَّقه، فأصابني همٌّ لم يصبْني قطُّ مثلَه، فأنزل الله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾ الآيات، فبعثَ إليَّ رسولُ الله ﷺ، فقرأهنَّ عليَّ، ثم قال: «إنَّ الله تعالى صدَّقك»[١].

* * *

(٤) ـ ﴿ ۞ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا۟ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾: أي: مناظرُهم، وكلُّ واحد منهم مَنظَرٌ بلا مَخبَرٍ.

﴿وَإِن يَقُولُوا۟ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ﴾: لأنَّهم يقولون قولَ المحِقِّ الصَّادِق تلبيسًا وتزويرًا.

وروي أنَّ ابن أُبيٍّ كان رجلًا جميلًا[٢] لَسِنًا فصيحًا، فإذا قالَ سمعَ النَّبيُّ ﷺ قولَه[٣].

وقيل: هذا الخطاب ليس للنَّبيِّ ﷺ على الخصوص، ومعناه: أنَّ مَن سمع كلامَهم أعجبه، وهو كقولك: أحسب أنَّ فلانًا كذا؛ أي: مَن نظر إليه يحسب أنَّه كذا.

---

(١) رواه البخاري (٤٩٠٠) واللفظ له، ومسلم (٢٧٧٢).

(٢) في (ر): «محيلاً»، وفي مصدري التخريج: «جسيمًا».

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٣٣٧). وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٣٢٠) عن ابن عباس رضي الله عنهما. ونقل الواحدي في «البسيط» (٢١/ ٤٦٩) عن الكلبي قال: (يعني عبد الله بن أبي ومعتب بن قشير كانت لهم أجسام ومنظر).

وقال الضَّحَّاك: نزلت في وَدَاعةَ ومعتِّبِ بن قُشيرٍ وجَدِّ بن قيس وأوسِ بن قَيْظيٍّ وطُعمةَ بن أُبيرِقَ وعبد الله بن نَبْتلٍ ومجمِّع بنِ جارية لعنهم الله، وكانت لهم ألسنٌ وأجسام.

وقوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ﴾: وهي جمع خَشْبَة، كالثُّمُر جمع ثَـمَرة.

و﴿مُّسَنَّدَةٌ﴾: التَّسنيد[1] تكثير الإسناد لكثرة[2] المحالِّ؛ أي: كأنَّها أسندَت إلى مواضع.

ولهذا التَّشبيه وجوه:

أحدها: هي كالجماد أشباحٌ وصُوَرٌ، لا تهتزُّ للتَّدبر[3] في آيات الله، ولا تتحرَّك للتَّفكُّر فيما يورده عليهم رسولُ الله ﷺ من حُجج الله تعالى، كالخُشُب المسنَّدة التي هي قائمة لا حراك فيها، ولا علم ولا عقل.

والثَّاني: هم كخُشُب نَخِرَة، قد سُنِدَتْ إلى مواضعَ تُمسِكها، فهي بإمساكها إيَّاها تَتَصوَّر للنَّاظر بصورة ما يُنتَفع به، وهي في الحقيقة لا منفعةَ لها لمن عرفها واختبرها، فكذلك هؤلاء المنافقون إذا انكشفَتْ ضمائرُهم هانَتْ على أولي الألباب ظواهرُهم.

والثَّالث: أنَّ قلوبهم لا تعي خيرًا، ولا تضمر صدقًا، كالخُشُب ليس لها باطنٌ يتضمَّن معنًى ويثمر نفعًا.

قوله تعالى: ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ﴾: وهو وصفٌ لهم بالجبن؛ أي[4]:

---

(١) في (أ): «التسند».

(٢) في (ر) و(ف): «بكثرة».

(٣) في (أ): «للنذير».

(٤) في (ر): «أو».

لجبنهم يحسبون أنَّ كلَّ مَن صاح فإنما يصيح عليهم، وهم المقصودون بها، فأخذ جرير هذا المعنى فقال:

مـا زلْـتَ تحسَـبُ كلَّ شيءٍ بعدَهُـمُ خيـلًا تَكُـرُّ عليهـمُ ورجـالًا[١]

وقال عبيد بن أيُّوب:

لقـدْ خِفْـتُ حتَّـى لـو تمـرُّ حمامـةٌ لَقُلْـتُ عَـدوٌّ أو طليعـةُ مَعْـشَرِ[٢]

وقال ابن جريج: أي: كلَّما نزل القرآن خشوا[٣] أن يكون فيهم وعليهم؛ بما قد علموا من الغشِّ والعداوة للنَّبيِّ ﷺ[٤].

وقيل: كلَّما تفلَّتَتْ دابَّة في العسكر، أو سمعوا نداءً، أو أمرَ النَّبيُّ ﷺ بقتالٍ، ظنُّوا أنَّهم مرادون بذلك، وهو كقول القائل:

يروِّعُـهُ الـسِّرارُ بـكلِّ أمـرٍ مخافـةَ أنْ يكـونَ بـه الـسِّرارُ[٥]

وقوله تعالى: ﴿هُمُ الْعَدُوُّ﴾: أي: الأعداء لك ولأهل دينك ﴿فَاحْذَرْهُمْ﴾؛ أي: لأنَّهم ينقلون الأسرار إلى الكفَّار، ويجبِّنون مَن قدروا عليه من أهل الإيمان.

---

(١) انظر: «ديوان جرير» (١/ ٥٣).

(٢) انظر: «الحيوان» للجاحظ (٥/ ١٣٢)، و«العزلة» للخطابي (ص: ٥٦)، و«التذكرة الحمدونية» (٩/ ٢٠٠)، و«الحماسة البصرية» (١/ ١١١).

(٣) في (ر): «حسبوا».

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١/ ١٦٥) عن قتادة. وأشار إليه الطبري في «تفسيره» (١/ ٣٧٧) عن قتادة وابن جريج عند تفسير قوله تعالى: ﴿يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ﴾ [البقرة: ١٩].

(٥) البيت لبشار بن برد كما في «ديوانه» (١/ ٢٤٩).

﴿قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ﴾: أي: أهلكهم الله، وقيل: لعنهم الله.

﴿أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾؛ أي: كيف ومن أين يصرفون عن الحقِّ مع وضوح دلائله.

* * *

(٥) ـ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ﴾: قرأ نافع: ﴿لَوَوا﴾ بالتَّخفيف على أصل الفعل، والباقون بالتَّشديد للتَّكثير[١]؛ لكثرة المحالِّ وهي الرُّؤوس.

ولَمَّا نزلَتْ هذه الآيات، وكُشِفَ حالُ ابنِ أبيٍّ قيل له: قد نزلَتْ فيك آياتٌ شِدادٌ، فاذهبْ إلى رسول الله ﷺ يستغفر[٢] لك، فلوَّى رأسَه وقال: أمرتموني أن أؤمن فآمنْتُ، وأمرتموني أن أعطي زكاة مالي فقد أعطيْتُ، فما بقي إلَّا أنْ أسجدَ لمحمَّد. فنزلت الآية[٣].

﴿وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ﴾: أي: يعرضون عمَّا دُعوا إليه.

﴿وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾: عن المصير إلى رسول الله ﷺ.

ويجوز أن يكون هذا حالًا على تقدير: يصدُّون مستكبرين، ويجوز أن يكونا وصفَيْن مقصودَيْن.

* * *

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ٦٣٦)، و«التيسير» للداني (ص: ٢١١).

(٢) في (ف): «ليستغفر».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٦٥٧) عن بشير بن مسلم.

(٦) ـ ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ أَسۡتَغۡفَرۡتَ لَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ لَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾.

﴿سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ أَسۡتَغۡفَرۡتَ لَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ لَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡ﴾: لأنَّهم كفار، وهو إخبار عن موتهم على الكفر.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾؛ أي: ما داموا على فسقهم مختارين لذلك.

قال عطاءُ بن أبي مسلم: كان النَّبيُّ ﷺ إذا أراد مقامًا لخطبة يسبقه[1] عبد الله بن أبيٍّ إلى المقام، فيقول للنَّاس: هذا رسولُ الله أكرمَكم اللهُ به، فأعِزُّوه وانصروه ووقِّروه، فقال يومًا في مقامٍ نحو هذا، فجبهه المسلمون من كلِّ وجه، وقال له عمر: اقعد أيُّها المنافق[2]، وقام بسيفه متوجِّهًا نحوه، فقال له رسول الله ﷺ: «أين تريد؟»، قال: إنِّي[3] أريد هذا المنافق لأقتله، فقال: «بل نحسنُ جوارَه حتَّى يفارَقنا»، فرجع عبدُ الله ولم يدخل المسجد، فاستقبلَه بنو عمِّه فقالوا له: ما أخرجَك؟ قال: أتيْتُ لأسدِّد أمرَه فجبهني أصحابُه، وقال لي عمر ما قال، فقالوا: ارجع إلى رسول الله ﷺ فاستغفرِ الله يستغفر لك رسولُ الله ﷺ، فقال: ما أبالي أستغفرَ لي أم لم يستغفر لي، فأنزل الله تعالى: ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ أَسۡتَغۡفَرۡتَ لَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ﴾ الآية[4].

* * *

(٧) ـ ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَفۡقَهُونَ﴾.

---

(١) في (أ): «يخطبه سبقه».

(٢) في (أ) و(ف): «الكافر».

(٣) في (أ) و(ف): «فقال» بدل: «قال إني».

(٤) ذكره الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (١٠/ ٢٣).

وقوله تعالى: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْ﴾: أي: يتفرَّقوا، وهم لم يقولوا: ﴿عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾ لأنَّهم كانوا لا يعتقدونه رسولَ الله، وإنَّما قالوا: (على مَن عند محمَّد)، لكنَّ الله تعالى لَمَّا أخبر عنهم ذكرَه باسم كرامته[1]؛ تعظيمًا له، وتنبيهًا لعبادِه على منزلتِه عنده.

﴿وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: فلو شاء لأغنى المؤمنين عن المنافقين وسائر الكفَّار، ولكنَّه تعبَّد المؤمنين بالصَّبر على الضِّيق، وكلَّف المنافقين الإنفاق عليهم؛ إرغامًا لهم وتشديدًا عليهم.

قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾: وجوهَ الحِكَم الإلهيَّة.

* * *

(٨) ـ ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ﴾: قيل: معناه: ويقولون، وحذفُ واوِ العطف جائزٌ كما مرَّ في قوله: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ﴾ [الحشر: ٨].

﴿لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾: وهذا كان من ابن أُبيٍّ المنافق في غزوة المريسيع، وهي غزوة بني المصطلق، وكان خرج فيها مع النَّبيِّ ﷺ بشرٌ كثير من المنافقين، لم يخرجوا في غزاة قطُّ مثلَها، ليس بهم[2] رغبةٌ في الجهاد، بل إصابة عرَض الدنيا.

قال الواقديُّ: بينما المسلمون على ماء المريسيع، وقد انقطعَت الحربُ، وهو ماءٌ قليلٌ، إنَّما يخرج في الدلوِ نصفُها، أقبل سِنان بن وبرة الجهني، وهو حليف

(١) في (ر): «باسمه كرامة».

(٢) في (ف): «لهم».

بني سالم بن عوف بن الخزرج، ومعه فتيان من بني سالم يستَقُون، فوجدوا على الماء جمعًا من العسكر من المهاجرين والأنصار، وكان جَهْجَاه بن سعيد الغفاري أجيرًا لعمر بن الخطاب، فأدلى سنان، وأدلى جهجاه، وكان جهجاهٌ أقربَ السُّقاة إلى سنان، فخرجت إحدى الدَّلوين[١] ولم تخرج الأخرى، فقال سنان: هي دلوي، وقال جهجاه: والله ما هي إلَّا دلوي، فتنازعا إلى أن رفع جهجاه يدَه فضرب سنانًا، فسال الدَّم، فنادى: يا آل الخزرج، فثارت الرِّجال، وهرب جهجاه، وجعل ينادي في العسكر[٢]: يا آل قريش، يا آل كنانة، فأقبلَتْ إليه قريش سراعًا، فنادى سنان: يا آل الأنصار، فأقبلت الأوس والخزرج، وشهروا السِّلاح، حتى خيف فتنة[٣] عظيمة، وترك جهجاه خصومته.

وكان ابنُ أُبيٍّ جالسًا في عشرةٍ من المنافقين، هو ومالك وداعِسٌ وسُويد وأوس بن قيظيٍّ ومعتِّب بن قُشير وزيد بن اللَّصيْتِ، وعبد الله بن نبتل، وفي القوم زيدُ بن أرقم، غلامٌ لم يبلغْ أو قد بلغ، فغضب ابنُ أُبيٍّ غضبًا شديدًا، وكان ممَّا يُسمَع منه أن قال: والله ما رأيْتُ كاليوم قطُّ مذلَّة، والله إنْ كنْتُ لكارهًا لوجهي هذا، ولكنَّ قومي غلبوني، قد فعلوها، قد نافرونا وكاثرونا في بلدنا، وأنكروا ملَّتنا، والله ما صرْنا وهم إلَّا كما قال القائل: سمِّنْ[٤] كلبَك يأكلْك، والله لقد ظننْتُ أنِّي سأموتُ قبلَ أنْ أسمعَ هاتفًا يهتفُ بما هتفَ به جهجاه وأنا حاضر، لا يكون لذلك منِّي غِيَرٌ، واللهِ لئن رجعْنا إلى المدينة ليخرجَنَّ الأعزُّ منها الأذلَّ.

---

(١) في (ر): «الذنوب».

(٢) في (أ): «الناس».

(٣) في (أ): «خفقت» بدل «خيف فتنة».

(٤) في (ر): «لا تسمن».

ثم أقبلَ على مَن حضر من قومه فقال: إنَّما فعلتم بأنفسكم، أحلَلْتُموهم بلادكم، فنزلوا منازلكم، واستهمتُموهم في أموالكم حتَّى استغنَوا، أمَا والله لو أمسكتم ما بأيديكم لتحوَّلوا إلى غير بلادكم، ثم لم يرضَوا بما فعلْتُم حتى جعلْتُم أنفسكم أغراضًا للمنايا، فقُتلْتُم دونَه، وأيتمْتُم أولادكم، وقَلِلْتُم وكَثُروا.

فقام زيد بن أرقم بهذا الحديث كلِّه إلى رسول الله ﷺ وعندَه نفرٌ من أصحابه من المهاجرين والأنصار: أبو بكر الصِّديق وعثمان بن عفَّان وسعد بن أبي وقَّاص ومحمَّد بن مسلمة وأوس بن خَوْلي وعبَّاد بن بشر رضي الله عنهم أجمعين، فأخبره الخبر، فكره رسولُ اللهِ ﷺ خبرَه وتغيَّر وجهَه، ثم قال له: «غضبْتَ عليه؟»، قال: لا واللهِ، لقد سمعْتُ منه يا رسول الله.

وشاع في العسكر ما قالَ، فليس للنَّاس حديثٌ إلا ما قالَ ابنُ أُبيٍّ، وجعل الرَّهْط من الأنصار يؤنِّبون الغلام ويلومونه، يقولون: عمدْتَ إلى سيِّد قومِكَ تقول عليه ما لم يقل، لقد ظلمْتَ وقطعْتَ الرَّحم.

فقال زيدٌ: والله لقد سمعْتُ منه ما قال، والله ما كان في الخزرج رجلٌ واحدٌ أحبَّ إليَّ من عبد الله بن أُبيٍّ، واللهِ لو سمعْتُ هذه المقالة من أَبي لنقلْتُها إلى رسول الله، وإنِّي لأرجو أن يُنزِلَ الله على نبيِّه ﷺ حتَّى يعلموا أنا كاذبٌ أم غيري[1]، أو يرى رسولُ الله ﷺ تصديقَ قولي.

وجعل زيد بن أرقم يقول: اللَّهم أنزل على نبيِّك ما يصدِّق حديثي، فقال قائلٌ: يا رسول الله، مُرْ عبَّاد بن بِشْرٍ فليأتِكَ برأسِهِ، فكرِهَ رسولُ الله ﷺ هذه المقالة.

ويُقال: قيل: قُلْ لمحمَّد بن مسلمة يأتيك برأسه.

---

(١) في (ر): «أني كاذب أم صادق».

فقال النَّبيُّ ﷺ: «لا يتحدَّث النَّاسُ أنَّ محمَّدًا يقتل أصحابه».

وقام النَّفر من الأنصار الذين سمعوا قول النَّبي ﷺ وردَّه على الغلام، فجاؤوا إلى ابن أُبيٍّ فأخبروه، فقال أوس بن خَوْلي: يا أبا الحُبَاب، إنْ كنْتَ قلْتَه فأخبرِ النَّبيَّ ﷺ فليستغفرْ لك، ولا تجحدْ فينزلَ فيك ما يكذِّبُك، وإنْ كنْتَ لم تقلْهُ فأتِ رسولَ الله ﷺ فاعتذر إليه، واحلفْ لرسولِ الله ﷺ ما قلْتَه.

فحلف بالله العظيم ما قال من ذلك شيئًا، ثم مشى ابنُ أبيٍّ إلى رسول الله ﷺ، فقال له رسولُ الله ﷺ: «يا ابنَ أُبيٍّ، إنْ كانت سلفَتْ منك مَقالة فتُبْ[1]»، فجعل يحلِفُ بالله: ما قلْتُ ما قال زيدٌ، وما تكلَّمْتُ به.

وفي حديث عمر: أذِنَ رسولُ الله ﷺ بالرَّحيل حين بلغَه هذا الكلام، وكانوا في حرٍّ شديدٍ، وكان لا يَرُوْحُ حتى يُبْرِدَ، ولَمَّا ركب ناقته القصواء كان أوَّل مَن لقيه سعد بن عبادة، فقال: السَّلام عليك أيُّها النَّبيُّ ورحمة الله وبركاته، قال رسول الله ﷺ: «وعليك السلام»، قال: يا رسول الله، لقد رحلْتَ في ساعة منكرة، لم تكن ترحل فيها.

وقيل: لقيه أُسَيْدُ بنُ حضير ـ وهو أثبتُ ـ فقال رسولُ الله ﷺ: «ألم يبلغْكَ ما قال صاحبُكم ابنُ أُبيٍّ، زعمَ أنَّه إنْ رجعَ إلى المدينة أخرجَ الأعزُّ منها الأذلَّ»، قال: فأنت يا رسول الله تخرجُه إنْ شئْتَ، فهو الأذلُّ، وأنت الأعزُّ، والعزَّةُ لله ولرسوله وللمؤمنين، ثم قال: ارفقْ به يا رسول الله، فوالله لقد جاءَ اللهُ بك، وإنَّ قومه لَيَنْظُمون له الخرز ليتوِّجوه به، فجاء الله بك على هذا الحديث، فلا يرى إلَّا أن قد سلبْتَه ملْكَه.

قالوا: فبينا رسول الله ﷺ يسير من يومِه ذلك وزيد بن أرقم يعارض النَّبيَّ ﷺ

---

(١) في (أ): «فتب إلى الله».

براحلته يريه وجهَه، ورسول الله يستحثُّ راحلتَه: حل حل؛ إذ نزلَ عليه الوحيُ.

قال زيدُ بن أرقم: فما هو إلَّا أن رأيْتُ النَّبيَّ ﷺ تأخذه البُرَحاء، ويعرق جبينُه، وتثقلُ به راحلته حتى ما تكاد تُقلُّه، عرفْتُ أنَّ رسولَ الله ﷺ يُوحَى إليه، فسُرِّيَ عن رسول الله ﷺ وأخذ بأذني وأنا على راحلتي، حتى ارتفعْتُ عن مقعدي يرفعُها إلى السَّماء، وهو يقول: «وَفَتْ أُذُنُكَ يا غلام، لقد صدَّقَ اللهُ حديثَكَ»، وأنزل الله تعالى في ابنِ أُبيٍّ السُّورة من أوَّلها إلى آخرها: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾[1].

قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ﴾: بذاته، ﴿وَلِرَسُولِهِۦ﴾ بإعزازه، ﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ لأنَّهم أتباع رسولِه ﷺ ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ مواضعَ العزَّة.

وقال بعض أهل العلم: عِزُّ اللهِ: عِزُّ الملك والبقاء، وعِزُّ العظمة والكبرياء، وعِزُّ البذل والعطاء، وعِزُّ الرِّفعة والسَّناء، وعِزُّ الجلال والبهاء.

وعِزُّ الرَّسول: عِزُّ السَّبق والابتداء، وعزُّ الاختيار والاصطفاء، وعِزُّ الأذان والنِّداء، وعِزُّ قَدَم الصِّدق على الأنبياء، وعِزُّ الظُّهور على الأعداء.

وعِزُّ المؤمنين: عِزُّ التَّأخير، وعِزُّ التَّيسير، وعِزُّ التَّبشير، وعِزُّ التَّوفيق، وعِزُّ التَّكثير[2].

وقال عليه الصَّلاة والسَّلام: «نحن الآخِرون الأوَّلون»[3]، ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ﴾ [القمر: ١٧]، ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٧]، ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ﴾ الآية [البقرة: ٢٦١]، «تناكحوا توالدوا[4] تكثروا»[5]،

---

(١) انظر: «مغازي الواقدي» (٢/ ٤١٦ ـ ٤٢٠).

(٢) في (أ): «التوفير وعز التكبير»، وفي (ر): «التوقير وعز التكبير».

(٣) رواه مسلم (٨٥٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) «توالدوا» من (ف).

(٥) رواه الشافعي في «الأم» (٥/ ١٤٤) عن النبي ﷺ بلاغاً وزاد: «فإني أباهي بكم الأمم يوم القيامة =

«يصفُّ[١] النَّاسُ يومَ القيامة مئة وعشرين صفًّا، ثمانون منها هذه الأمَّة»[٢].

* * *

(٩) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾: أي: لا يشغلكم كما يشغلُ هؤلاء المنافقين، فحمَلَهم الشُّحُّ على أن قالوا: ﴿لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْ﴾، ودعاهم التَّعزُّز بأموالهم وأولادهم وعشيرتهم إلى أن قالوا: ﴿لَيُخۡرِجَنَّ ٱلۡأَعَزُّ مِنۡهَا ٱلۡأَذَلَّ﴾.

قوله: ﴿عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: عن أن تذكروا الله الذي رزقَكُم الأموالَ والأولادَ، وله خزائن السَّماوات والأرض، وله العزَّةُ ولرسوله.

﴿وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ﴾؛ أي: ومَن يشتغل بذكر الأموال والأولاد عن ذكر الله؛ أي: عن أن يذكر قدرة الله وسلطانَه وعزته.

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾؛ أي: المغبونون في الآخرة والهالكون، وجمع لأنَّ (مَنْ) اسم جنس، وهو جمعٌ معنًى.

= حتى بالسقط»، ورواه أبو بكر بن مردويه في «تفسيره» من حديث ابن عمر رضي الله عنهما دون قوله: «حتى بالسقط» وإسناده ضعيف، كما قال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (١/ ٣٦٩). وله شاهد من حديث معقل بن يسار رضي الله عنه، رواه أبو داود (٢٠٥٠)، والنسائي (٣٢٢٧)، بلفظ: «تَزَوَّجُوا الوَدُودَ الوَلُودَ فإنِّي مُكَاثِرٌ بكم الأُمَمَ».

(١) في (ر) و(ف): «يصبح».

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢٢٩٤٠)، والترمذي (٢٥٤٦) وحسنه، وابن حبان في «صحيحه» (٧٤٥٩)، والحاكم في «المستدرك» (٢٧٣) وصححه، من حديث بريدة رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «أهلُ الجَنَّةِ عشرونَ ومئةُ صفٍّ، منهم ثمانونَ من هذه الأُمَّة».

وقال الضَّحَّاك: ذكرُ الله الصَّلاة[١].

***

(١٠) ـ ﴿وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَـٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾.

﴿وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَـٰكُم﴾؛ أي: أخرجوا من أموالكم في الوجوه التي أُمرتم بإخراجِها فيها، فإنَّها عطيَّةٌ من الله لكم، فلا تبخلوا بعطيَّته عن أداء فروضِه فيها.

قال ابن عبَّاس رضي الله عنهما والحسن والضَّحَّاك: هذا في الزَّكاة[٢].

وقال الحسن: لم يكن الله ليتوعَّد أحدًا بالنَّار إلَّا بترك المفروض.

﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ﴾: أي: مقدِّماتُ الموت.

﴿رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾: أي: هلَّا أبقيتني في الدُّنيا مدَّة.

﴿فَأَصَّدَّقَ﴾: أي: فأتصدَّق.

﴿وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾: قرأ أبو عمرو: ﴿وأكونَ﴾ عطفًا على قوله: ﴿فَأَصَّدَّقَ﴾، وقرأ الباقون: ﴿وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾[٣]؛ اتِّباعًا لخط مصحف الإمام، وهو عطف على الأوَّل معنًى وتقديرًا، فإنَّ ﴿لَوْلَآ﴾ تمنٍّ، ومعناه: إنْ يؤخِّرْني أتصدَّقْ وأكنْ من الصَّالحين بإخراج الحقوق الواجبة في المال من حجٍّ وجهادٍ وقِرَى ضيفٍ وصلةِ رحمٍ ونحوها.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٦٧٠).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٦٧١ - ٦٧٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما والضحاك وسفيان.

(٣) انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ٦٣٧)، و«التيسير» للداني (ص: ٢١١).

وقال ابنُ عبَّاس رضي الله عنهما: مَن كان له مالٌ يبلِّغه حجَّ بيت ربِّه، أو يجب[١] عليه فيه زكاةٌ، ثم لم يفعل، سأَلَ اللهَ تعالى الرَّجعة عند الموت. فقال رجلٌ من القوم: اتَّقِ اللهَ تعالى يا ابنَ عبَّاسٍ، إنَّما يسأَلُ الكافرُ الرَّجعةَ! فقال: أقرأ عليك؟ فقرأ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ الآيات[٢].

* * *

(١١) - ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا﴾: أي: قدَّر اللهُ مدَّة كلِّ أحدٍ إلى حينه، فإذا جاء لم يُقدَّم ولم يُؤخَّر.

﴿وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾: فليس يضيعُ عندَه ما تنفقون.

قرأ عاصم في رواية أبي بكر بياء المغايبة[٣]؛ ردًّا على معنى قوله: ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا﴾ فإنَّه للجمع معنًى، والباقون بتاء المخاطبة ردًّا على قوله: ﴿لَا تُلْهِكُمْ﴾، ﴿وَأَنفِقُواْ﴾، و﴿أَحَدَكُمُ﴾.

* * *

---

(١) في (ف): «يوجب».

(٢) رواه الترمذي (٣٣١٦) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، موقوفًا عليه ومرفوعًا. وقال: الموقوف أصح.

وقال عن المرفوع: فيه أبو جناب القصَّاب، اسمه: يحيى بن أبي حية وليس هو بالقوي في الحديث.

(٣) انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ٦٣٧)، و«التيسير» للداني (ص: ٢١١).

سورة التغابن

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الذي هو على كلِّ شيءٍ قدير، الرحمنِ الذي هو بأعمال العباد بصير، الرحيمِ الذي إليه المرجعُ والمصير.

روى أبيٌّ بن كعبٍ رضي الله عنه عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «مَنْ قرأ سورةَ التَّغابُنِ دفعَ اللهُ تعالى عنه موتَ الفَجأة»[1].

وهذه السُّورة مكيَّة إلَّا قولَه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ﴾ الآيتين، فإنَّهما نزلتا بالمدينة[2].

وقال عكرمة: السُّورة مدنيَّة[3].

---

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٣٢٥)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ٣٠٦)، قال ابن الجوزي في «الموضوعات» (٤/ ٣٤٤): مصنوع بلا شك. وانظر: «الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة» للشوكاني (ص: ٢٩٦).

(٢) في (أ) و(ف): «مدنية» بدل من «نزلتا بالمدينة».

(٣) ذكره عنه ابن الجوزي في «زاد المسير» (٨/ ٢٧٩) ونسبه للجمهور، منهم كما قال: ابن عباس، والحسن، ومجاهد، وعكرمة، وقتادة. والقول بأنها مكية عزاه للضحاك، وذكر عن عطاء بن يسار: هي مكية إلا ثلاث آيات منها نزلت بالمدينة.

وهي ثماني عشرةَ آية، ومئتان وإحدى وأربعون كلمة، وألفٌ وأربعةٌ[١] وسبعون حرفًا.

ووجه الانتظام: أنَّ ختم تلك السُّورة باسم الله، وافتتاحَ هذه السُّورة بأسماء من أسماء الله تعالى.

وانتظام السُّورتين: أنَّ تلك في ذمِّ المنافقين، وآخرُها وعظ المؤمنين، وهذه في ذمِّ الكافرين، وآخرها وعظ المؤمنين.

* * *

(١ ـ ٣) ـ ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: فسَّرناه في أوَّل (سورة الحديد).

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾: أي: أوجدكم.

﴿فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾: قدَّم ذكر الكفَّار لأنَّهم أكثر، ودلَّ أنَّه لا منزلة بين المنزلتين.

وقال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: ليس بين الجنَّة والنَّار منزلة، وليس بين الطَّاعة والمعصية عمل، وليس بين الكفر والإيمان اسم[٢].

---

(١) في (أ) و(ف): «وأربع مئة». وانظر: «البيان في عد آي القرآن» (ص: ٢٤٨)، وفيه: وحروفها ألف وسبعون حرفا.

(٢) لم أقف عليه.

وقيل: فمنكم كافرٌ في علم الله تعالى في الأزل، ومنكم مؤمنٌ في علم الله في الأزل.

وقيل: فمنكم مَن يكفر بالله إذا عقل[1]، ومنكم من يؤمن بالله إذا عقل.

﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾: فيجزي كلًّا على وفق عمله.

﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾: أي: بحقه[2]، وقيل: للحقِّ.

﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾: فالإنسان على أحسن صورة.

﴿وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾: أي: إلى جزاء الله مرجع الخلق.

* * *

(٤ ـ ٦) ـ ﴿يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝٤ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ فَذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا۟ وَتَوَلَّوا۟ وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾.

﴿يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: لا يخفى عليه شيء.

﴿وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾: أي: بضمائر الصُّدور.

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ﴾: يخاطب مشركي قريش يقول: ألم يأتكم خبر الذين كفروا من قبلكم من الأمم الماضية ﴿فَذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ﴾؛ أي: نالهم ضرر كفرهم ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ في الآخرة.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾: بالمعجزات الواضحة ﴿فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا﴾؛

---

(١) في (أ): «غفل».

(٢) في (ر): «لحقه».

أي: تعجَّبوا وأنكروا أن يكون الله يرسلُ إلى خلقه بشرًا منهم حتى يكون مَلَكًا.

﴿فَكَفَرُوا﴾: فجحدوا ذلك ﴿وَتَوَلَّوا﴾؛ أي: أعرضوا عن طاعة الله تعالى وطاعة رسوله.

﴿وَاسْتَغْنَى اللَّهُ﴾: وكان الله غنيًّا عن إيمانهم، فلم[1] يَنقصوا بكفرهم ومعاصيهم من ملك الله شيئًا

﴿وَاللَّهُ غَنِيٌّ﴾ عن عباده ﴿حَمِيدٌ﴾: مستحِقٌّ للحمد من جميع خلقه، وحميد بحمد الملائكة والرُّسل والمؤمنين.

والبشر يصلح للواحد والجمع، وهاهنا للجمع حتى قال: ﴿يَهْدُونَنَا﴾.

***

(٧) ـ ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: أي: قالوا كاذبين.

قال شريح: (زعم) كُنيَةُ الكذب[2].

وعن هانئ بن عروة أنَّه قال لابنه: هب لي اثنتين: زعموا وسوف، لا يكونان في كلامك[3].

---

(١) من قوله: «تعجبوا...» إلى هنا ليس في (أ).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٢٥٧٩٦).

(٣) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٢٥٧٩٥)، وعبد الله بن الإمام أحمد في زوائده على «الزهد» لأبيه (١١٩٦). قلت: وما ذكر في ذم الزعم هو في القرآن كذلك، فإنه كما قال الراغب في «مفرداته» (مادة: زعم): (جاء في القرآن في كلّ موضع ذمّ القائلون به). لكنه في غير القرآن ليس معناه مقتصراً على ما الذم كما ذكر بعض العلماء، قال الحافظ في «الفتح» (١/ ١٥٢): الزعم يطلق على القول المحقق أيضاً كما نقله أبو عمر الزاهد في «شرح فصيح» شيخه ثعلب، وأكثر سيبويه من قوله: =

وقال النَّبيُّ ﷺ: «بئس مطيَّة القوم[١] زعموا»[٢].

وقوله تعالى: ﴿أَن لَّن يُبْعَثُوا﴾؛ أي: بعد الموت يوم القيامة.

﴿قُلْ بَلَىٰ﴾: هو ردٌّ لقولهم ﴿وَرَبِّي﴾؛ أي: وحقِّ ربي ﴿لَتُبْعَثُنَّ﴾ يوم القيامة ﴿ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ﴾؛ أي: لتخبرنَّ به للجزاء عليه.

﴿وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾: أي: وبعثهم سهلٌ عليه كابتدائهم.

***

(٨ ـ ٩) ـ ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ ۗ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

= زعم الخليل، في مقام الاحتجاج. وقال النووي في «شرح مسلم» (١/ ٤٥): وقد كثر الزعم بمعنى القول، وفي الحديث عن النبي ﷺ: «زعم جبريل» وفي حديث ضمام بن ثعلبة رضي الله عنه: زعم رسولك، وقد أكثر سيبويه في «كتابه» المشهور من قوله: زعم الخليل كذا، في أشياء يرتضيها سيبويه، فمعنى زعم في كل هذا: قال.

وحديث ضمام رواه مسلم (١٢) من حديث أنس رضي الله عنه. وحديث «زعم جبريل» ورد في حديث أبي قتادة، رواه عبد بن حميد في «مسنده» (١٩٢) عن أبي قتادة رضي الله عنه.

(١) في (أ) و(ف): «المسلم».

(٢) رواه أبو داود (٤٩٧٢) من طريق أبي قلابة عن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه، بلفظ: «بئس مطية الرجل زعموا»، وإسناده ضعيف لانقطاعه، أبو قلابة ـ وهو عبد الله بن زيد الجَرْمي ـ لم يدرك أبا مسعود البدري، ونبه على انقطاعه الحافظ في «الفتح» (١٠/ ٥٥١)، وانظر: «المقاصد الحسنة» للسخاوي (ص: ٢٤٣، ٢٤٤). قال ابن الأثير في «جامع الأصول» (١١/ ٧٤٢): «معنى قوله: «بئس مَطِيَّةُ الرجل زعموا» أن الرجل إذا أراد المسير إلى بلد، والظَّعن في حاجة، ركب مَطِيَّتَهُ، وسار حتى يقضيَ حاجته، فشبَّه النبيُّ ـ ﷺ ـ ما يُقَدِّمه الرجل أمام كلامه، ويتوصل به إلى حاجته من قوله: «زعموا» بالمطيَّة التي يتوصل بها إلى الموضع الذي يقصده».

﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا﴾: أي: القرآن؛ ليستضاءَ به من ظُلمة الضَّلال، ويُهتدَى به لمصالح الدِّين؛ لئلا تذوقوا وبال أمركم، وفي الآخرة العذاب الأليم.

قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾: أي: عالم به يجازيكم عليه.

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ﴾: أي: ليوم القيامة؛ لجمع الله فيه الأوَّلين والآخرين، الجنَّ والإنس، والحيوانات كلِّها.

وقيل: أي: يجمع أهل السَّماوات وأهل الأرض.

وقيل: أي: يجمع أهل الجنَّة وأهل النَّار.

وقيل: أي: يجمع الخصوم، فينصف للظَّالم من المظلوم[1]، ويقتصُّ للجمَّاء من القَرناء.

﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ﴾: أي: يومُ تفاوت الأجزيَة، وذلك لأن أهل[2] الجنَّة وأهل النَّار كِلا الفريقَيْن كانا في الدُّنيا متمكِّنَين من الأعمال، مُعطَين سلامة الآلات، فاستعملَ أحدُهما قوَّته فيما استجلبَ به الجنان، واستعملها الآخر فيما اكتسبَ به النِّيران، فغبَنَ الأوَّلُ الثَّاني، كما يخرج الرَّجلان في سفر لتجارةٍ، فيبيع أحدُهما بوكس وخسران، أو يشتري بماله ما يُطلب منه بنقصان، ويربح الآخر، فيقول الخاسر للرَّابح: لقد غبَنْتَني، فكانَ التَّغابن هو النَّظر أيُّهما المغبون وأيُّهما الغابن.

وقال أهل الرِّواية والنَّقل: ما مِن أحدٍ إلَّا وله منزلٌ في الجنَّة ومنزلٌ في النَّار[3]،

---

(١) في (أ): «فينصف من الظالم المظلوم».

(٢) في (ر) و(ف): «وذلك لأهل».

(٣) يشير إلى حديث أنس رضي الله عنه في سؤال الملكين، وفيه: «فيقال له: انظر إلى مقعدك من النار، قد أبدلك الله به مقعدًا من الجنة، فيراهما جميعًا». رواه البخاري (١٣٧٤)، ومسلم (٢٨٧٠).

فإنْ كان من أهل الجنَّة صُيِّر منزلُه في النَّار لغيره من أهل النَّار، وإنْ كان من أهل النَّار صُيِّر منزلُه في الجنَّة لغيره من أهل الجنَّة، وعلى هذا حمَل أكثر أهل الرِّواية قولَه: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ [البقرة: ٢٧]، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡفِرۡدَوۡسَ﴾ [المؤمنون: ١٠ ـ ١١] على هذا.

وعند أهل التَّحقيق: ليس هو على ظاهرِ أن يكون هو له ثم يصيرَ لغيره، لكنْ بعددِ كلِّ عبد منزل في الجنَّة؛ إن آمن كان له، وإن لم يؤمن لم يكن له، وبعدد كلِّ عبدٍ بيتٌ في النَّار، إن كفر كان له، وإن لم يكفر لم يكن له، والله تعالى عالم في الأزل مَن يؤمن ومن يكفر، لا تبدُّل على علمه، ولا تغيُّر على حكمه، وإنَّما الاشتباه على خلقه.

وقيل: الدُّنيا متجر، ويظهر الرِّبح والخسران في الآخرة، وهو ما ذكر بعده.

قوله تعالى: ﴿وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾: لهؤلاء الرِّبح.

* * *

(١٠) ـ ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾: لهؤلاء الخسران.

وقيل: أشدُّ النَّاس غُبنًا يوم القيامة ثلاثة نفرٍ[1]:

عالمٌ علَّم النَّاس، فعملوا بعلمه، وخالف هو علمَه، فدخل غيرُه الجنَّة بعلمِه، ودخل هو النَّار بعمله.

---

(١) «نفر» ليست في (أ).

وعبدٌ أطاعَ اللهَ بقوَّة مال سيِّده، وعصى سيِّدُه اللهَ تعالى، فدخل العبدُ الجنَّة بقوَّة مال مالكِه، ودخلَ مالكُه النَّار بمعصيته.

وولدٌ[1] ورثَ مالًا من أبيه، وأبوه شحَّ به، وعصى الله فيه، فدخل أبوه النَّار ببخلِه، ودخل هو الجنَّة بإنفاقِه في الخير.

* * *

(١١) - ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ﴾ يحتمِل أنَّه توهَّم بعضُ المشركين أنَّ الإيمان لو كان حقًّا لسلِم المسلمون من المصائب في أبدانهم وأموالهم، فقال الله تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ﴾ العباد ﴿مِن مُّصِيبَةٍ﴾.

﴿إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾[2]: أي: بعلم الله، وقيل: أي: بتخليقه، وقيل: بقضائه، وقيل: بمشيئته، ولو شاء لسلِمَ منها صاحبها، ولكن قد يصيب المؤمنين بالمصائب استصلاحًا لهم، وامتحانًا لصبرهم، وتكثيرًا لمثوباتهم.

﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾: إلى ما هو صلاحٌ له.

وقيل: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ﴾: بأنَّ المصيبة من عند الله ﴿يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ للاسترجاع، وقيل: للصَّبر والرِّضا.

﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾: بما يُصلح عبادَه ويردعُهم عن معاصيه.

وقيل: بإيمان كلِّ مؤمن عليمٌ.

---

(١) في (ر): «ووارث».

(٢) في (ر): «إلا بإذن الله وتتصل هذه بالآية».

وقال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: ﴿يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ لليقين، فيعلم أنَّ ما أصابَه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه[١].

وقال مجاهدٌ: ﴿يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ إذا ابتليَ صبرَ، وإذا أُنعِم عليه شكرَ، وإذا ظُلِمَ غفر[٢].

وقيل: الآية في الممتنعين عن الجهاد خوفًا من القتل والجرح والنَّكبة، فأخبرَ أنَّه لا تصيب عبدًا مصيبةٌ من ذلك إلَّا بقضاء الله تعالى، ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ للعلم بأنَّ[٣] في ثوابِ الله عوضًا من ذلك كلِّه.

وقيل: هي في قوم أرادوا الهجرة، وخافوا على أولادهم وأهاليهم ببعد المسافة وإصابة الآفَة، فأَخبر أنَّ ذلك لا يكون إلَّا بإذن الله، وتتَّصل هذه بالآية التي بعدها: ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ﴾ على ما نبيِّن.

وقال أبو عثمان النَّيسابوريُّ[٤]: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ﴾؛ أي: يصحِّحْ إيمانَه ﴿يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ لاتِّباع السُّنَّة[٥].

وقيل: ﴿يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ حتى يهتديَ إليه في السَّراء والضَّرَّاء بما يَلزمُه فيهما[٦].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ١٢).

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٢٣)، وابن الجوزي في «تفسيره» (٨/ ٢٨٣) عن الكلبي.

(٣) في (ف): «بالعلم بأن» وفي (ر): «فيعلم أن».

(٤) أبو عثمان سعيد بن إسماعيل بن سعيد بن منصور الحيري النيسابوري، أصله من الرِّي، صحب قديمًا يحيى بن معاذ الرَّازي وشاه بن شجاع الكرماني، ثم رحل إلى نيسابور إلى أبي حفص وصحبه وأخذ عنه طريقته، وهو في وقته من أوحد المشايخ في سيرته، ومنه انتشر طريقة التَّصوُّف بنيسابور. توفي سنة (٢٩٨هـ). انظر: «طبقات الصوفية» للسلمي (ص: ١٤٠).

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٣٢٩)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٨/ ٢٨٣).

(٦) أي: في السراء للشكر، وفي الضراء للصبر، وهما لازمان للمؤمن لينال رضا ربه. وهذا معنى جزئي، والآية عامة تحتمله وغيره من كل ما ذكر ومن غيره من أنواع الهداية.

وقيل: ﴿يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ للأخلاق السَّنيَّة، والتَّوقِّي[1] عن شحِّ النَّفس.

* * *

(١٢ ـ ١٣) ـ ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٢﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ﴾: في كلِّ أمرٍ ونهيٍ من الإيمان والجهاد والهجرة.

﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ﴾: أي: أعرضتُم عن قبول[2] ذلك ﴿فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ وقد بلَّغكم ذلك، وأعذر إليكم.

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾: المستَحِقُّ للإيمان به ولعبادته.

﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾: وليهاجروا ولا يخافوا ضياع أهاليهم وأولادهم.

* * *

(١٤) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُوا۟ وَتَصْفَحُوا۟ وَتَغْفِرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ﴾: أي: مَن يعملُ بكم عملَ العدوِّ من المنع عن الخير وهو الجهاد والهجرة؛ تخويفًا لكم عن ضياعهم، ومنعًا لكم بالبكاء ونحوه.

﴿فَٱحْذَرُوهُمْ﴾: أن تُفتَتَنوا بهم.

---

(١) في (أ): «والتنقي».

(٢) في (ر): «فعل». وفي (ف): «قبول فعل».

قال مقاتل بن حيَّان: نزلت الآية في شأن الهجرة، جعل المرأة والولد يقولان للرَّجل: أين تذهب وتدع عشيرتك وأهلك ومالك، وتصير إلى المدينة إلى غير أهل ومال؟ فيثبِّطونهم(١) عن الهجرة، فكان الرَّجل يقول لهم: إنْ جمعنا الله وإيَّاكم في دار الهجرة لا تصيبون منَّا خيرًا، فحذَّرهم الله تعالى أن يطيعوا نساءهم وأولادهم في ترك الهجرة، فلمَّا جمعهم الله تعالى وأولادهم في دار الهجرة منعوهم ما ينتفعون به، فوعظهم الله تعالى: ﴿وَإِن تَعْفُوا۟ وَتَصْفَحُوا۟ وَتَغْفِرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ فأمرَهم اللهُ بالعفو عنهم(٢).

وقال عكرمة: إنَّ قومًا أسلموا بمكَّة، فلمَّا أرادوا أن يخرجوا إلى المدينة منعتهم(٣) أزواجُهم وأولادهم، فلمَّا قدموا على النَّبيِّ ﷺ المدينةَ رأوا النَّاس وقد تفقَّهوا في الدِّين، فأرادوا أن يعاقبوا أزواجهم وأولادهم، فأنزل الله تعالى هذه الآية(٤).

وقال عطاء بن أبي مسلم الخراسانيُّ: نزلت الآية في شأن عوف بن مالك الأشجعيِّ، كان أهله وولده يبطِّئونه عن الجهاد والهجرة(٥).

وقيل: الآية في أزواجٍ وأولادٍ كفَّار، وهم عدوٌّ له للمخالفة في الدِّين، ولذلك قال: ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ﴾ بكلمة (مِن)، وهي للتَّبعيض، والمؤمنون خارجون عن هذا الوصف.

---

(١) في (أ) و(ف): «فيبطئونهم».

(٢) نحوه في «تفسير مقاتل بن سليمان» (٤/ ٣٥٣).

(٣) في (ف): «فأرادوا أن يخرجوا إلى المدينة فمنعهم».

(٤) رواه الترمذي (٣٣١٧) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وقال: حديث حسن صحيح. ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ١٤) عن عكرمة.

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٣٣٠) عن عطاء بن يسار وعطاء الخراساني.

(١٥) ـ ﴿إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ﴾: أي: في دينكم، يمنعكم الأولاد عن إنفاقها في الواجب في الدِّين.

والفتنة: تشديد المحنة.

ومَن أراد الامتناع عن مطاوعة الأهل والولد، وأراد صيانة ماله عن أن يدخله نقصان مع أداء الحقوق الواجبة[1] فيه، احتاج في ذلك إلى ضبطٍ للنَّفس شديد، وجهاد للشَّيطان كبير.

قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ﴾: فاعصُوا النَّفس والأهل والولد في الشُّحِّ بالمال والضِّنِّ بالنَّفس عن الجهاد.

قال عطاء بن يسار: نزلت هذه السورة كلُّها بمكَّة إلَّا هؤلاء الآيات: ﴿إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ﴾، نزلت في عوف بن مالك، كان ذا أهل وولد، فكان إذا أراد الغزو بكوا ورقَّقوه، وقالوا: إلى مَن تدعنا؟ فيرقُّ ويقيم، فنزلت هذه الآية[2].

وقيل: هي عامَّة في كلِّ ما يُلجِئُ الرَّجلَ إلى ارتكاب محرَّم أو إلى الإخلال بترك واجب بسببهم.

ورُوي عن بريدة أنَّه قال: رأيتُ النَّبيَّ ﷺ يخطب، فجاء الحسنُ والحسين رضي الله عنهما، عليهما قميصان، يعثران ويقومان، فنزل رسول الله ﷺ فأخذهما فرفعهما، ثم قال: «صدق الله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ﴾، رأيْتُ هذين الغلامَيْن، فلم أصبر حتَّى أخذْتُهما»، ثم أخذ في خطبته[3].

---

(١) في (ر): «الحق الواجب».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ١٥).

(٣) رواه أبو داود (١١٠٩)، والترمذي (٣٧٧٤)، والنسائي (١٤١٣)، وابن ماجه (٣٦٠٠). وقال =

(١٦) ـ ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ وَٱسۡمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيۡرًا لِّأَنفُسِكُمۡۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ﴾: قال قتادة: لَمَّا نزل قوله تعالى: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، وفسَّره النَّبيُّ ﷺ، وهو أنْ يُطاعَ فلا يُعصى، ويُذكَرَ فلا يُنسى، ويُشكَر فلا يُكفَر، شقَّ ذلك على المسلمين مشقَّة شديدة، وخافوا التَّقصير في ذلك، فنزلَتْ هذه الآية[١]: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ﴾، فصارت بيانًا أنَّ ذلك الأمر كان بما في استطاعة العبد، وعليها بايع النَّبيُّ ﷺ أصحابَه، فقال: «على السَّمع والطَّاعة فيما استطعتم»[٢].

واتِّصالها بما قبلَها: ﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ١٥ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ﴾ تُحرِزوا ذلك الأجرَ العظيم.

قوله تعالى: ﴿وَٱسۡمَعُواْ وَأَطِيعُواْ﴾: اقبَلوا أمرَ الله وأمرَ رسوله، واعملوا بذلك ما استطعتم.

﴿وَأَنفِقُواْ﴾ في سبيل الله ﴿خَيۡرًا لِّأَنفُسِكُمۡ﴾؛ أي: يكن أنفعَ لكم من الشُّحِّ.

﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ﴾: أي: يَقِهِ الله عنه[٣] ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾.

* * *

= الترمذي: حسن غريب.

(١) في (أ): «فنزل قوله»، وفي (ر): «فنزلت في هذه الليلة».

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٢٢٩)، والطبري في «تفسيره» (٢٣/ ١٩). ورواية عبد الرزاق مختصرة. والمرفوع رواه البخاري (٧٢٠٢) عن عبدِ الله بن عمرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قال: كُنَّا إذا بايَعْنا رسولَ اللهِ ﷺ على السمع والطَّاعة، يقولُ لنا: «فيما استطَعْتُم»

(٣) في (أ): «منه».

(١٧ ـ ١٨) ـ ﴿إِن تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

﴿إِن تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾: أي: إن تنفقوا في طاعة الله محتسِبين متقرِّبين[١] به إليه، مخلصين فيه.

﴿يُضَاعِفْهُ لَكُمْ﴾: أي: يجزِ لكم[٢] بالواحد أضعافَه.

﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾: أي: ذنوبَكم.

﴿وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾: يقبل اليسير، ويعفو الكثير[٣].

﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾: أي: السِّرِّ والعلانية.

﴿الْعَزِيزُ﴾: فلا يُمانَع في معاقبةٍ ولا إثابة[٤] ﴿الْحَكِيمُ﴾: فكلُّ أفعاله وأقواله على الإصابة.

والحمد لله رب العالمين[٥]

* * *

---

(١) في (أ): «محسنين مقتربين».

(٢) في (ف): «يجزكم».

(٣) في (أ) و(ف): «ويغفر الكبير» بدل: «ويعفوا الكثير».

(٤) في (ر): «في معاقبته ولا إثابته».

(٥) في (ر): «والله الموفق للسداد»، وليست في (أ).

سُورَةُ الطَّلَاقِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

بسم الله الذي جعل لكلِّ شيءٍ قَدْرًا، الرحمنِ الذي يُعْظِمُ للمتَّقين أجرًا، الرحيمِ الذي يجعل بعد عسرٍ يسرًا.

وروى أبيُّ بنُ كعب رضي الله عنه عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «مَن قرأ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ ماتَ على سُنَّةِ رسولِ الله ﷺ»(١).

وهذه السُّورة مدنيَّة.

وهي إحدى عشرةَ آية، وقيل: اثنتا عشرة آية، الاختلاف في قوله: ﴿يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا﴾.

وهي مئتان وسبع وثمانون كلمة، وألفٌ ومئةٌ وأربعةٌ وسبعون حرفًا.

وخَتْمُ تلك السُّورة بمدح الله وثنائه، وافتتاحُ هذه السُّورة بخطاب الرَّسول وندائه.

وانتظام السُّورتين: أنَّ تلك السُّورةَ في الدُّعاء إلى التَّوحيد، وختم تلك السُّورة بالأمر بالتَّقوى والطَّاعة والنَّفقة التي هي سبب بقاء التَّوحيد، وهذه السُّورةُ في بيان

---

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٣٣١)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ٣١٠)، قال ابن الجوزي في «الموضوعات» (٤/ ٣٤٤): مصنوع بلا شك. وانظر: «الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة» للشوكاني (ص: ٢٩٦).

أحكام الرِّجال والنِّساء المشروعة في حقِّ أهل التَّوحيد، وختمها في دلائل التَّوحيد.

***

(١) - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحۡصُواْ ٱلۡعِدَّةَۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمۡۖ لَا تُخۡرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخۡرُجۡنَ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدۡ ظَلَمَ نَفۡسَهُۥۚ لَا تَدۡرِي لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحۡدِثُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ أَمۡرٗا﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾: أي: يا أيُّها النَّبيُّ وأمَّته.

وقيل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾ خطابٌ للنَّبيِّ ﷺ، وقوله: ﴿إِذَا طَلَّقۡتُمُ﴾ خطابٌ لأمَّتِه.

وقيل: معناه: يا أيُّها النَّبيُّ قلْ لأمَّتك: إذا طلقتم النِّساء.

ومعناه: إذا أردْتُم تطليقهُنَّ، وهو كقوله: ﴿إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ [المائدة: ٦]، وقوله: ﴿فَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ﴾ [النحل: ٩٨].

والمراد من ﴿ٱلنِّسَآءَ﴾: هي النِّساء المدخولُ بهنَّ.

﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾: أي: للوقت المعدود لطلاقهنَّ المشروع، وهو طهرٌ لم يجامِعْها فيه، كذا فسَّرها النَّبيُّ ﷺ حيث قال لابن عمر رضي الله عنه حين طلَّقَ امرأته في حالة(١) الحيض: «ما هكذا أمرَكَ اللهُ تعالى، إنَّ مِنَ السُّنَّةِ أنْ تطلِّقَها في طهرٍ لا جماعَ فيه؛ فتلك العِدَّة الَّتي أمر الله تعالى أنْ يُطلَّقَ لها النِّساء»(٢).

---

(١) «حالة» من (ف).

(٢) رواه البخاري (٤٩٠٨)، ومسلم (١٤٧١)، ولفظ مسلم: عن ابن عمر، أنه طلق امرأته وهي حائض، في عهد رسول الله ﷺ، فسأل عمر بن الخطاب رسول الله ﷺ عن ذلك، فقال له رسول الله ﷺ: «مره فليراجعها، ثم ليتركها حتى تطهر، ثم تحيض، ثم تطهر، ثم إن شاء أمسك بعد، وإن شاء طلق قبل أن يمس، فتلك العدة التي أمر الله عز وجل أن يطلق لها النساء».

﴿وَأَحْصُوا۟ ٱلْعِدَّةَ﴾؛ أي: عُدُّوا فصولَ عِدَّتها واحفظوها بالأقراء كانت أو بالأشهر؛ لمعرفة وقت المراجعة ووجوبِ النَّفقة وزوالِ الأحكام المتعلِّقة بقيامها إذا انقضَتْ.

وعن أنسٍ رضي الله عنه قال: طلَّقَ النَّبيُّ ﷺ حفصةَ، فأَتَتْ أهلَها، فأنزل الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ الآيةَ، وقيل له: راجعْهَا؛ فإنَّها صَوامةٌ قوَّامةٌ، وهي من أزواجك في الجنَّةِ[1].

وعن ابن عبَّاس رضي الله عنهما: أنَّ النَّبيَّ ﷺ غضبَ على حفصةَ فيما أسرَّ إليها، فطلَّقها، فأنزل الله تعالى هذه الآية[2].

وقال السُّدِّيُّ: نزلت الآية في عبد الله بن عمر حين طلَّق امرأته حائضًا، فأمَرَه رسولُ الله ﷺ أن يراجعَها[3].

وقال مقاتل بن حيَّان: نزلَت الآية في عبد الله بن عمرو بن العاص، والطُّفيل بن الحارث، وعمرو بن سعيد بن العاص، وعتبة بن غزوان رضي الله عنهم[4].

وقوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ ۖ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ﴾: أي: في العدَّة من بيوتٍ كُنَّ يسكُنَّ فيها مع الأزواج حالةَ النِّكاح، أضيفَتْ إليهنَّ لسكناهنَّ، وهو

(١) رواه الطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (١٢/ ٢٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٥٩)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (١٥١)، والحاكم في «المستدرك» (٦٧٥٤). وقال ابن كثير في «تفسيره» عند تفسير هذه الآية: وقد ورد من غير وجه أن رسول الله ﷺ طلق حفصة ثم راجعها.

(٢) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٤٥٩) عن الكلبي.

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٣٣٢).

(٤) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢١/ ٤٩٤).

دليل صحَّة قول أصحابنا في الحنث بدخول دار يسكنها فلان بغير مِلْكٍ، وقد حلفَ لا يدخل داره.

﴿وَلَا يَخْرُجْنَ﴾: بأنفسهنَّ أيضًا.

﴿إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾ قال الحسن والضَّحَّاك وحمَّاد وسعيد بن المسيِّب وعطاء بن أبي رباح وعبد الرَّحمن بن زيد ومجاهد والشَّعبي وأبو صالح والسُّدِّيُّ وهو مروي عن ابن عمر: هي الزِّنى، فتُخرج للرَّجم(١).

وقالت عائشة رضي الله عنها والأسود وسعيد بن المسيِّب في رواية وابن عبَّاس: هي أن تبذو على أحمائها، فتُخرج إلى موضع آخر(٢).

روي أنَّ فاطمة بنت قيس كان في لسانها ذَرَب، فاستطالَتْ على أحمائها في عدَّتها، فأمرها رسولُ الله ﷺ أن تعتدَّ في بيت ابن أمِّ مكتوم(٣).

وعن ابن عمر في رواية وعن الشَّعبي والسُّدِّي رحمهما الله: أنَّ الفاحشة هي نفس الخروج(٤).

ومعنى هذا: ألَّا تُخرَجَ أصلًا إلَّا أنْ تخرُجَ بنفسها، فتكون قد أتت بفاحشة؛ أي: فعلة قبيحة في الشَّرع.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٣٢ ـ ٣٣) عن الحسن والشعبي ومجاهد وابن زيد. وذكره عن ابن عمر الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٢٩). وعن السدي الواحدي في «البسيط» (٢١/ ٥٠٢).

(٢) رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (١١٠٢٢)، والطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٣٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) رواه أبو داود (٢٢٩٦)، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٣/ ٦٩)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٧/ ٤٣٣)، عن سعيد بن المسيب.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٣٥) عن ابن عمر رضي الله عنهما والسدي.

قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾: أي: وهذه المذكورات معالم شرع الله.

﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ﴾: أي: يتجاوزها ﴿فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ حيث أوردها موارد الهلاك.

﴿لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾: أي: أَحْصُوا العدَّة، فعسى الله أن يُحدث لكم رغبةً في المراجعة بعد الطَّلاق، كذا فسَّره الحسن وقتادة والضَّحاك والشَّعبي والنَّخعي والسُّدِّي وعكرمة وابن زيد[1].

و﴿لَا تَدْرِي﴾ خطاب للنبي ﷺ، وقيل: خطاب للمطلِّق، وقوله: ﴿يُحْدِثُ﴾ دليل على خلق الأفعال، وهو رغبته فيها وميله إليها[2].

* * *

(٢) - ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾: أي: قاربْنَ انقضاء عدتهنَّ.

﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾: هو الرُّجعة ﴿أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾: هو التَّرك حتى تنقضي العدَّة من غير إضرار.

﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾: أي: على الرَّجعة، وهو للاستحباب عندنا، وللإيجاب عند الشَّافعي رحمه الله.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٣٨) عن قتادة والحسن وعكرمة والضحاك والسدي وابن زيد وسفيان.

(٢) أي: الأمر الذي لعل الله يحدثه هو رغبة المطلِّق في مطلقته وميله إليها.

﴿وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ﴾: أمرٌ للشُّهود بإقامتها لله، لا للنَّاس؛ فإنَّها إذا كانت للنَّاس تُرِكَتْ في بعض الأحوال لرضًا أو غضبٍ، وإذا كانت لله أقيمَتْ على كلِّ حال[1].

﴿ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾: أي: إنَّما ينتفع به هؤلاء.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ﴾: فائتَمَرَ بأوامرِه وانتهى بنواهيه.

﴿يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾: أي: لا يَضيقُ عليه بتقواه أمرٌ كان يتَّسع عليه لو لم يتَّقِ.

***

(٣) ـ ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾.

﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾: أي: إذا ترك شيئًا طاعةً لله عوَّضه الله تعالى خيرًا منه من حيث لا يظنُّ.

وهذا في إقامة الشَّهادة، وفي مراعاة أحكام الطَّلاق، والإمساك بالمعروف، والتَّسريح بالإحسان، جميعًا.

وعن مسروق: ﴿يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ قال: هو أن يَعلم أنَّ الله هو يرزقه، وهو يعطيه، وهو يمنعه[2].

وقال قتادة: ﴿يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ من شبهات الدُّنيا، والكَرْبِ عند الموت، والأفزاعِ يوم القيامة، ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ في الدُّنيا، فاتَّقوا الله، فإنَّ فيها الرِّزق في الدُّنيا والثَّوابَ في الآخرة[3].

---

(١) في (أ) و(ف): «أقيمت للوجه».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٤٦).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٤٦).

وقال ابن كيسان: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ﴾ فيما أَمر به من طلاق السُّنَّة وحسنِ الصُّحبة ﴿يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾ في الدِّين والدُّنيا ﴿وَيَرْزُقْهُ﴾ إن أطاع الله في أمره أهلًا مكان أهل، ومالًا مكان مال، من حيث لا ينتظره.

وقال أبو بكر الورَّاق: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ﴾ في الائتمار بما أمره، والانزجار عمَّا زجره ﴿يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾ من عقوبة تاركي الأمر ومرتكبي النَّهي ﴿وَيَرْزُقْهُ﴾ الثَّواب والجنَّة(١) ﴿مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾.

﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ﴾ في الصَّبر على الرَّزايا والنَّوائب ﴿يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾ من عقوبة الجازعين ﴿وَيَرْزُقْهُ﴾ الأجر بغير حساب ﴿مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾.

﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ﴾ في الشُّكر على العطايا والمواهب ﴿يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾ من عقوبةِ مَن كفر النِّعمة ﴿وَيَرْزُقْهُ﴾ الزِّيادة ﴿مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾.

﴿وَمَن يَتَّقِ﴾ في الرِّضا بمحتوم قدره ﴿يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾ من عقوبة السَّاخطين ﴿وَيَرْزُقْهُ﴾ رضاه ﴿مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾.

وقال الإمام القشيريُّ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾: يُخرجه من ظلمات تدبيره، وينقله إلى شهود تقديره، فجرَّده عن كلِّ شغل، وكفاه كلَّ أمر(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾: أي: مَن فوَّض أمرَه إلى الله، ووثِقَ بما يدبِّره من الأحوال، فالله حَسْبُهُ مدبِّرًا لأمره.

وفي ذلك ما يدعو إلى إقامة الشَّهادات لله، فلا يخافُ غيرَ الله فيها.

وقيل: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ وجانبَ معاصيَه، فله فيما يعطيه الله تعالى في

(١) في (ف): «في الجنة».

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٣/ ٦٠٠).

الآخرة من ثوابه وكرامته كفايةٌ، ولم يَعنِ بذلك في الدُّنيا؛ لأنَّ المتوكِّل قد يضام في الدُّنيا وينالُه فيها ما يكرهُه.

وقال الحسن رحمه الله: التَّوكُّلُ على الله: الرِّضا بكلِّ ما[1] قضى الله[2].

وقال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾: ومن يتَّقِ بالله دون خلقِه، صابرًا محتسبًا، يعلم أن الله يَقْدِر على ما يريد، مستيقنًا بذلك ﴿فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ يقول: فالله كافيه[3].

وقال الرَّبيع بن خُثَيم: إنَّ الله تعالى قضى على نفسِه أنَّ مَن توكَّلَ على الله كفاه، ومَن آمَنَ به هداه، ومَن أقرضه جازاه، ومَن وثقَ به أنجاه، ومَن دعاه لبَّاه، وتصديق ذلك كلِّه في كتاب الله[4].

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: قوله: ﴿فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ من عجيب الاختصار، ولأنَّه يجزئ عن قول القائل: فهو يرزقه، ويعافيه، وينصره، ولا يُشمت به أعداءه، ويفعل به ويفعل، إلى سائر ما يجوز أن يُقال[5].

وهذه الآية نزلت في عوف بن مالك الأشجعي، وذلك أن المشركين أَسَرُوا ابنًا له، اسمه: سالم، فأتى النَّبيَّ ﷺ فقال: يا رسول الله، إنَّ العدوَّ أسروا ابني، فقال له

---

(١) في (ف): «الرضا بما».

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في «التوكل» (١٧).

(٣) انظر: «تنوير المقباس» للفيروزآبادي (ص: ٤٧٥).

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٣٣٨).

(٥) لم أقف على كلام القشيري في المطبوع من «لطائف الإشارات» وقال القشيري في «لطائف الإشارات» (٣/ ٦٠٠) في تفسير ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾: لم يقل: ومن يتوكل على الله فتوكُّله حسبه، بل قال: فهو حسبه؛ أي: فالله حسبه؛ أي: كافيه».

النَّبيُّ ﷺ: «استكثِرْ من قول: لا إله إلا الله، ولا حولَ ولا قوَّة إلا بالله» ـ وفي رواية قال: «اتِّقِ الله واصبر ولا تستعجل» ـ ففعل[١]، فبينما هو في بيته، فقَرع ابنه الباب، فخرج فرآه ومعه مئة من الإبل. في رواية الكلبي[٢] ـ وقال مقاتل بن حيَّان: ومعه أغنام ـ فأتى عوفٌ النَّبيَّ ﷺ، وقال: إنَّ ابني عاد بكذا وكذا، فهل يحلُّ لنا أن نتناول منه؟ قال: «نعم»، وكان عوفٌ رجلًا فقيرًا، فأنزل الله فيه: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ﴾ كما اتَّقى عوفٌ ﴿يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾ من شدائد الدُّينا، وسكرات الموت، وأهوال يوم القيامة، ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ كما رزق عوفَ بن مالك وابنه[٣].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَـٰلِغُ أَمْرِهِۦ﴾: أي: منفِذُ أمره، ممضٍ له، لا مانع له منه، ولا معترِض عليه.

﴿قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾: أي: مقدارًا، هو بالغٌ أمرَه إليه.

وقيل: أي: قد جعل لكلِّ شيءٍ أجلًا ينتهي إليه، بلا تأخير ولا تقديم.

وقيل: هو راجعٌ إلى كلِّ ما ذُكِرَ مِن أوَّل السُّورة إلى هاهنا، من حدود الطَّلاق والعدَّة، أخبر أنَّ لكلٍّ مِن ذلك ـ من شرائعه وأحكامه ـ عنده مقدارًا؛ أي: حدًّا فالزموه ولا تتعدَّوه.

* * *

(٤) ـ ﴿ وَٱلَّـٰٓـِٔى يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَـٰثَةُ أَشْهُرٍ وَٱلَّـٰٓـِٔى لَمْ يَحِضْنَ ۚ وَأُو۟لَـٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ﴾.

---

(١) «ففعل» ليس في (أ).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٣٣٦).

(٣) المرجع السابق.

وقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسۡنَ مِنَ ٱلۡمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمۡ ﴾؛ أي: اللَّائي انقطع رجاؤهنَّ لكبرهنَّ من أن يريْنَ دمًا من زوجاتكم المدخول بهنَّ.

﴿إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ ﴾: أي: شككْتُم في حكم عدتهنَّ أنهنَّ[١] بماذا يعتددْنَ؟

﴿فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشۡهُرٖ﴾: مُقام ثلاثة قروء في التي تحيض.

﴿وَٱلَّٰٓـِٔي لَمۡ يَحِضۡنَ﴾: من الصِّغار اللَّاتي لم يبلغْنَ، واللَّائي بلغْنَ بغير الحيض، كذلك يعتددْنَ بثلاثة أشهر.

﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلۡأَحۡمَالِ﴾: أي: والمطلَّقات الحوامل.

﴿أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّ﴾: وهو اسمٌ لكلِّ ما في البطن من الولد، واحدًا كان أو أكثر، تنقضي عدَّتها كذلك.

قال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: لَمَّا نزل قوله: ﴿ وَٱلۡمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٖ ﴾ [البقرة: ٢٢٨] قال معاذ بن جبل رضي الله عنه: يا رسول الله، لو كانت المرأة آيسة لا تحيض، كيف تعتدُّ؟ فنزل: ﴿ وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسۡنَ مِنَ ٱلۡمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمۡ ﴾ الآية، فقام رجل آخر فقال: لو كانت صغيرة فكيف عدَّتها؟ فنزل: ﴿ وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسۡنَ مِنَ ٱلۡمَحِيضِ ﴾، فقام آخر وقال: لو كانت حاملًا فكيف عدَّتها؟ فنزل: ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلۡأَحۡمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّ﴾[٢].

فأمَّا الحامل المتوفَّى عنها زوجها فكذلك تنقضي عدَّتها بوضع حملها؛ لِمَا رُوي أنَّ سبيعة بنت الحارث وضعَتْ بعد وفاة زوجها بعشرين يومًا، فمرَّ بها أبو السَّنابل بن بَعْكَك، فقال لها: أتريدين أن تتزوَّجي؟ قالت: نعم، قال: لا، حتى يأتيَ

(١) «أنهن» ليس في (أ).

(٢) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٤٦٢)، وذكره مختصرًا الواحدي في «البسيط» (٢١/ ٥٠٩).

عليك أربعة أشهر وعشرًا، فأتت النَّبيَّ ﷺ فقال لها: «قد حللْتِ»[١].

وعن عليٍّ رضي الله عنه أنَّه كان يقول: تعتدُّ أبعدَ الأجلَيْن؛ لأنَّ قول الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ [البقرة: ٢٣٤] يقتضي الاعتداد بالأشهر في الحامل وغير الحامل، وآية هذه السُّورة تقتضي انقضاءَ عدتها بوضع الحمل في الطَّلاق والوفاة، فيُجمع بينهما احتياطًا[٢].

وعن عمر وابن عمر وابن مسعود وجماعةٍ من الصَّحابة: أنَّ عدَّتها تنقضي بوضع الحمل.

قال عمر رضي الله عنه: لو وضعَتْ ما في بطنها وزوجُها على سريره قبل أن يُدلَّى في حفرته لانقضَتْ عدَّتها وحلَّت للأزواج[٣].

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: مَن شاء باهلْتُه عند الحجر الأسود أنَّ سورة النِّساء القُصرى نزلت بعد الآية التي في سورة البقرة، فكانت ناسخةً لذلك[٤].

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا﴾؛ أي: ومَن يَلزم طاعة الله فيما أمره به ونهاه عنه، فذلك وإن ثقل عليه في الحال فإنَّه يجد له يُسرًا في عاقبته؛ لِمَا يأمن من عقوبة المعصية، وينال من ثواب الطَّاعة، ولذا سمَّى الله الطَّاعة اليسرى، والمعصية العسرى، بقوله: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ﴾ [الليل: ٧]، وقوله: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾ [الليل: ١٠].

---

(١) رواه البخاري (٣٩٩١)، ومسلم (١٤٨٤)، من حديث أبي سلمة رضي الله عنه.

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٧١٠٢، ١٧١٠٣)، وانظر: «الأم» للشافعي (٧/ ٢٦٤).

(٣) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٧٠٩٨).

(٤) رواه البخاري (٤٩١٠)، ولفظه: «أتجعلون عليها التغليظ، ولا تجعلون عليها الرخصة، لنزلت سورة النساء القصرى بعد الطولى»، ورواه أبو داود (٢٣٠٧) بلفظ قريب من لفظ المصنف، ولفظه: «من شاء لاعنته لأنزلت سورة النساء القصرى بعد الأربعة الأشهر وعشرًا».

(٥ ـ ٦) ـ ﴿ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا ﴿٥﴾ أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا۟ عَلَيْهِنَّ ۚ وَإِن كُنَّ أُو۟لَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا۟ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۖ وَأْتَمِرُوا۟ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ ۖ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ﴾.

﴿ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ﴾: أي: هذا كلُّه من أوَّل السُّورة إلى هاهنا أمرٌ أمركم الله تعالى به، وأنزله في القرآن على رسوله.

﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا﴾: وهذا يعمُّ هذا الأمر وغيره.

وقوله تعالى: ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم﴾: أي: أسكنوا المعتدَّات في مساكنكم.

و﴿مِنْ﴾ للتَّبعيض؛ أي: موضعًا من المواضع التي تسكنونها، فأنفقوا عليهنَّ في العِدَّة.

﴿مِّن وُجْدِكُمْ﴾: أي: من وسعكم وطاقتكم؛ أي: من سَعتكم وغناكم.

والوُجْد والجِدَة، الغنى، والواجدُ: الغنيُّ.

﴿وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ﴾: أي: ولا تؤذوهنَّ؛ أي: في السُّكنى والنَّفقة ﴿لِتُضَيِّقُوا۟ عَلَيْهِنَّ﴾.

﴿وَإِن كُنَّ أُو۟لَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا۟ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾: فتنقضيَ عِدَّتهنَّ.

﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ﴾: أي: أرضعَتِ المطلَّقات أولادكم.

﴿فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾: إذا لم يتطوَّعْنَ بذلك، فإنَّه من النَّفقة، والنَّفقة على الأب.

﴿وَأْتَمِرُوا۟﴾؛ أي: تشاوروا بجميل في حقِّ الصَّبي ﴿بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ﴾؛ أي: اتَّفقوا فيما بينكم ـ يعني: الأزواجَ والزَّوجاتِ ـ بمعروف؛ أي: في أمر الإرضاع على شيءٍ مستحسَنٍ عقلًا وشرعًا.

﴿وَإِن تَعَاسَرْتُمْ﴾: أي: وإن تضايقْتُم، وهو أن يأبى الرَّجل أن يعطيَ المرأة أجرَ

إرضاعها، وأبتِ المرأة أن ترضعَه بغير أجرٍ[1]، أو هي طلبَتِ الكثير وهو يعطي القليل.

﴿فَسَتُرْضِعُ لَهُۥ﴾: أي: للزَّوج ﴿أُخْرَىٰ﴾؛ أي: امرأةٌ أخرى؛ أي: يطلب إرضاعَ الولد من امرأة أخرى بأجرٍ أو بغير أجرٍ على ما يتَّفق.

* * *

(٧ ـ ٨) ـ ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ۝٧ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ﴾: أي: الزَّوج الذي هو والد الرَّضيع، ويحتمِل أن ينفق[2] الزَّوج على معتدَّته[3]، فقد سبق ذكر الكلِّ.

قوله تعالى: ﴿وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ﴾: أي: ضُيِّقَ عليه ﴿فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ﴾؛ أي: على قَدْر ما أعطاه الله.

﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا﴾: أي: قَدْر ما أعطاها.

﴿سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾: وهذا وعدٌ لذي العُسْرِ باليسر.

وقوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا﴾: ذكَرَ حدودًا في هذه السُّورة، ونهى عن تعدِّيها، ثمَّ ذكر الذين تعدَّوا حدود الله من الماضين وما صنع بهم، وخوَّف هؤلاء مثلَه، وقال: وكم من أهل قرية عتَوا؛ أي: عصَوا وأبَوا.

---

(١) في (ف): «وأبت المرضعة أن ترضعه».

(٢) «أن ينفق» ليس في (أ).

(٣) في (أ): «المعتدة».

وقيل: العتوُّ: الخروج إلى فاحش الفساد.

وقيل: هي من مجاوزة الحدِّ في المعصية.

وقال قتادة: هو المخالفة[1].

﴿وَرُسُلِهِۦ﴾؛ أي: عتَتْ عن أمر رسلِه أيضًا.

﴿فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا﴾: أي: جازيناها بذنوبها كلِّها في الدُّنيا ﴿وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا﴾ في الدُّنيا.

* * *

(٩) ـ ﴿فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا﴾.

﴿فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا﴾ في الدُّنيا ﴿وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا﴾ في الآخرة.

وقيل: ﴿وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا﴾؛ أي: منكرًا غليظًا مستعظمًا كالخسف والقذف والمسخ والغرق والرِّيح العاتية ﴿فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا﴾؛ أي: قاسَتْ ضرر عصيانها، لم يعاقبْها الله تعالى إلَّا بذنوبها، ﴿وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا﴾: هلاكًا، وقيل: خسرانًا، حيث باعوا نعيم الآخرة بالعذاب.

* * *

(١٠ ـ ١١) ـ ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ رَّسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا﴾.

---

(١) روى نحوه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٧١) عن السدي، ولفظه: (﴿عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا﴾: غيرت وعصت)، وعن ابن زيد (٢٣/ ٧٢)، ولفظه: (﴿عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا﴾: تركته ولم تقبله).

﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾: في الآخرة، وهو بيانُ هذا الخسر.

وقيل: ﴿فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا﴾ في الآخرة، ﴿وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا﴾ في الدُّنيا.

وقيل: ﴿فَحَاسَبْنَٰهَا﴾ ﴿وَعَذَّبْنَٰهَا﴾ كلاهما في الآخرة، وقوله تعالى: ﴿فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا﴾ عند الموت، ﴿وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا﴾ خسروا في الدُّنيا والآخرة.

قوله تعالى: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾: أن تعصُوه وتتعدَّوا حدودَه، فيفعلَ بكم ما فعل بهم.

﴿قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ۝١٠ رَّسُولًا﴾: قال ابن كيسان: أي: كتابَه الذي ذَكر فيه ما أَحَلَّ بالأمم من قبلكم، وما الخلقُ صائرون إليه في المعاد.

قال مجاهد رحمه الله: ﴿ذِكْرًا﴾؛ أي: شرفًا وحديثًا، وهما الرَّسول والقرآن[1].

وقيل: ﴿ذِكْرًا ۝١٠ رَّسُولًا﴾؛ أي: أنزل الله ذكرَه رسولًا، مفعول بالذِّكر؛ أي: قرآنًا يُذكَر فيه الرَّسول.

وقيل: ﴿ذِكْرًا﴾؛ أي: لذكرٍ؛ أي: لتذكيرٍ وعظة، و﴿رَّسُولًا﴾ مفعول بقوله: ﴿أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾، أو لذكر منه ما تحتاجون إليه، والإنزال بمعنى الإرسال.

وقيل: أضمر هاهنا فعلًا آخر، وتقديره: ﴿قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا﴾؛ أي: قرآنًا، وأرسل إليكم رسولًا، قاله أبو حاتم، كما قال الشاعر:

وَزَجَّجْـنَ الحواجِـبَ والعُيُوْنـا[2]

---

(١) ذكره دون نسبة السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٤٤٢)، والثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٣٤٢).

(٢) عجز بيت للراعي النميري. وصدره:

إذا مـا الغانيـات بـرزن يومًـا

انظر: «ديوان الراعي النميري» (ص: ١٥٠).

أي: وكحَّلْنَ العيونَ.

وقوله تعالى: ﴿يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَـٰتٍ﴾: وهي القرآن.

﴿لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ﴾: أي: الضَّلالات ﴿إِلَى ٱلنُّورِ﴾؛ أي: الهدى.

والإخراجُ: هو النَّقل من الكفر إلى الإيمان في حقِّ مَن آمنَ بعدَ كفرِه، والحفظُ عن الوقوع في الكفر في حقِّ مَن كان مؤمنًا.

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَـٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا﴾: أي: في الجنَّة رزقًا واسعًا طيِّبًا هنيئًا مأمونًا من التَّغيير والانقطاع.

* * *

(١٢) ـ ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَـٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا﴾.

وقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَـٰوَٰتٍ﴾: ذكر ملكَه وسلطانَه وقدرتَه تأكيدًا لِمَا سبق من الوعد والوعيد.

﴿وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾: أي: سبعًا.

قال الضَّحَّاك: هي منطبِقة، لا سكانَ لها، إلَّا الأرضَ التي نحن عليها(١).

قال ابنُ عبَّاس رضي الله عنهما: في كلِّ أرض سكانٌ؛ إمَّا ملائكة، وإمَّا جِنٌّ(٢).

---

(١) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢١/ ٦٣).

(٢) روى الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٧٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير الآية قال: «في كل أرض مثل إبراهيم ونحو ما على الأرض من الخلق».

وقال قتادة والحسن: في كلِّ أرض خلقٌ من خلقه[١].

وقال كعب: السَّماوات سبعٌ، بعضُها فوق بعض: الأولى سماء الدُّنيا، والثَّانية رتقًا، والثَّالثة فيلون[٢]، والرَّابعة رقيعًا، والخامسة ديكون[٣]، والسَّادسة عريبا، والسَّابعة إسحاقابيل.

وقال وهبٌ: والأرضون سبع: الأولى البسيطة[٤]، والثَّانية جلدة، والثَّالثة غرقة، والرَّابعة جربا[٥]، والخامسة ملتا، والسَّادسة يالنجين[٦]، والسَّابعة عجيبا.

وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾؛ أي: ومن الأرضين.

﴿يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾: قيل: ينزل أمر الله تعالى[٧] بين السَّماوات والأرض، يُنزل إلى كلِّ سماء من أمره[٨] ما يريد على مَن فيها من الملائكة، وكذلك أنزل أمره إلى الأرض بما يريد أن يتعبَّد به الجنَّ[٩] والإنس.

ومعنى نزول الأمر: نزولُ الملائكة بتبليغ الأمر.

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٢٤٠)، والطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٨٠).

(٢) في (ر): «غيلون».

(٣) في (أ): «ديلون»، وفي (ف): «ملقا».

(٤) في (ف): «بسيط».

(٥) في (أ): «حربا».

(٦) في (أ): «يالنجين». وفي (ف): «بلنجين».

(٧) في (ر): «ينزل الله تعالى أمرًا».

(٨) بعدها في (أ): «على».

(٩) في (ر): «الملك والجن».

وقال مجاهد رحمه الله: ﴿يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾؛ أي: بين السَّماء السَّابعة والأرض السَّابعة[١].

﴿لِتَعْلَمُوٓاْ﴾ أنِّي خلقْتُ هذه الخليقة، وأخبرتكم بها؛ لِيُستدلَّ بها على قدرتي وسلطاني فتعلموا ﴿أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا﴾: علِمَ كلَّ شيء، فلا يخفى عليه شيء، سبحانه وتعالى.

والله المستعان

* * *

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٨١).

سُورَةُ التَّحْرِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بسم الله الذي فرض للمؤمنين تحلَّة أيمانهم، الرحمنِ الذي يعطيهم يومَ القيامة نورًا يسعى بين أيديهم وبأيمانهم، الرحيمِ الذي شرَّفَهم بطاعتهم وإيمانهم.

روى أبيُّ بن كعب رضي الله عنه عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «مَن قرأ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ أعطاه الله تعالى توبة نصوحًا»(1).

وهذه السُّورة مدنيَّة.

وهي اثنتا عشرة آية، ومئتان وتسعُ كلمات، وألفٌ وثمانيةٌ وثمانون حرفًا.

وختمُ تلك السُّورة بثناء الله، وافتتاحُ هذه السُّورة بنداء رسول الله ﷺ.

والسُّورتان في ذكر الأزواج والزَّوجات.

وختمُهما في بيان دلائل التَّوحيد، والحثِّ على الإيمان والطَّاعات.

* * *

(1) - ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ﴾: أي: على نفسك ﴿مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ من ملاذِّ

---

(1) رواه الثعلبي في «تفسيره» (9/ 343)، والواحدي في «الوسيط» (4/ 317)، قال ابن الجوزي في «الموضوعات» (4/ 344): مصنوع بلا شك. وانظر: «الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة» للشوكاني (ص: 296).

الدُّنيا ﴿تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَ﴾: لطلب رضا زوجاتك؛ أي: هنَّ أحقُّ بابتغاء رضاك منك بابتغاء رضاهنَّ، فإنَّما فضيلتهنَّ بك.

﴿وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾: لا يُلزمك ما ألزمْتَ نفسَك من تحريم الحلال عليك، بل يبيح ذلك لك، ويجعل لك منه المخرج.

واختلف فيما حرَّمه على نفسه:

قيل: هو مارية القِبطيَّة. قال ابن إسحاق: إنَّ النَّبيَّ ﷺ أصابَ جاريته القبطيَّة أمَّ إبراهيم في بيت حفصة وفي يومها[١]، وكانت الجارية قد ثقلَتْ على عائشة وعلى نسائه رضي الله عنهنَّ، فعثرَتْ حفصةُ على ذلك وهو معها، فقالت: يا رسول الله، لقد جئْتَ إليَّ شيئًا ما جئْتَ إلى أحد من نسائك، أوَفي بيتي وعلى فراشي وفي يومي[٢]؟ قال: «أيرضيْكِ أنْ أحرِّمَها على نفسي، فلا أمسَّها؟»، قالَتْ: نعم. فحرَّمها على نفسه، وقال: «لا تذكريه لأحدٍ من النِّساء»، قالَتْ: أفعل، وكانت حفصة لا تكتم على عائشة شيئًا، فلمَّا خرج النَّبيُّ ﷺ ذهبَتْ إلى عائشة رضي الله عنها فأخبرتها، فأنزل الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ﴾ إلى قوله: ﴿تَحِلَّةَ أَيۡمَٰنِكُمۡ﴾، قال: فكفَّرَ رسول الله ﷺ بيمينه، وأصاب الجارية[٣].

---

(١) في (ف): «نوبتها».

(٢) في (ف): «وفي نوبتي»

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٨٨). ورواه الدارقطني في «سننه» (٤٠١٣) من حديث عمر رضي الله عنه، دون قوله في آخره: (فكفَّرَ رسول الله ﷺ بيمينه، وأصاب الجارية).
قال الشهاب الخفاجي في «الحاشية على البيضاوي» (٨/ ٢١٠): اختلف في سبب النزول فقيل: قصة مارية، وقيل: قصة العسل، وقال في شرح مسلم الصحيح أنها في قصة العسل، لا في قصة مارية المروية في غير الصحيحين، ولم تأت قصة مارية من طريق صحيح. وانظر: «شرح مسلم» للنووي (١٠/ ٧٧).

وقيل: بل حرَّم على نفسه شرابًا، وكان يشربه عند بعض نسائه، فغار سائرهنَّ، فحرَّم ذلك على نفسه، فاختلفت الرِّوايات في المرأة التي كان ذلك عندها:

فقيل: زينب بنت جحش.

وقيل: سودة بنت زمعة.

وقيل: حفصة بنت عمر[1].

قال عبيد بن عمير عن عائشة رضي الله عنها: إنَّ النَّبيَّ ﷺ كان يمكُثُ عند زينبَ بنتِ جحشٍ، ويشرب عندها عسلًا، فتواصيْتُ أنا وحفصة أنَّ أيَّتَنا دخلَ عليها النَّبيُّ ﷺ فلتقُلْ: إنِّي أجدُ منكَ ريحَ مغافيرَ[2]، أكلْتَ مغافيرَ؟ فدخل على إحداهما، فقالَتْ له ذلك، فقال: «لا، بل شربْتُ عسلًا عند زينبَ بنتِ جحشٍ، ولنْ أعودَ إليه»، فنزلَتِ الآيةُ[3].

وقال عروةُ عن عائشة رضي الله عنها: كان النَّبيُّ ﷺ يحبُّ الحلواءَ والعسلَ، وكان إذا صلَّى العصرَ دارَ على نسائه، فيدنو منهنَّ، فدخلَ على حفصةَ، فجلس عندها أكثرَ ممَّا كان يجلسُ، فسألْتُ عن ذلك، فقيل لي: أهدَتْ إليها امرأةٌ من قومِها عُكَّةَ عسلٍ، فسقَتْ رسولَ اللهِ ﷺ، فقلْتُ: والله لنحتالَنَّ له، فذكرْتُ ذلك لِسَوْدَةَ، فقلْتُ: إذا دخلَ عليك فإنَّه سيدنو منك، فقولي له: يا رسول الله، أكلْتَ مغافير؟ فإنَّه

---

(١) ستأتي الروايات بهذه الأقوال لاحقاً. وانظر طريق الجمع أو الترجيح بينها في «فتح الباري» (٩/ ٣٧٦).

(٢) المغافير: شيء ينضجه العرفط، حلو كالناطف وله ريح كريهة.

والعرفط: جمع عرفطة، وهو شجر من العضاه زهرته مدحرجة، والعضاه: كل شجر يعظم وله شوك كالطلح والسمر والسلم ونحو ذلك. وفي الرواية الآتية: (جرست نحلُه العرفط)؛ أي: أكلته.

انظر: «جامع الأصول» لابن الأثير (٢/ ٣٩٧).

(٣) رواه البخاري (٥٢٦٧)، ومسلم (١٤٧٤/ ٢٠).

سيقول لك: لا، فتقولين: فما هذه الرِّيح، فكان رسولُ الله ﷺ يشتدُّ عليه أنْ تُوْجَدَ منه ريحٌ كريهةٌ، فإنَّه سيقول لك: سقتني حفصةُ شربةً مِنَ العسلِ، فقولي: جرسَتْ نحلُهُ العُرْفُطَ، وسأقول ذلك، وقوليه يا صفيَّة.

فلمَّا دخل على سودةَ فقالَتْ: والله الَّذي لا إله إلَّا هو، لقدْ كدْتُ أباديه بالذي قلْتِ لي، وإنَّه على الباب فَرَقًا منكِ، فلمَّا دنا رسولُ الله ﷺ منِّي قلْتُ: يا رسول الله، أكلْتَ مغافير؟ قال: «لا»، قلْتُ: ما هذه الرِّيح؟ قال: «سقَتْني حفصةُ شربةَ عسلٍ» قلْتُ: جرسَتْ نحلُه العُرْفُطَ.

قالَتْ: فلمَّا دخلَ عليَّ قلْتُ له مثل ذلك، فلمَّا دخل على حفصةَ قالَتْ: يا رسول الله، ألا أسقيْكَ منه؟ قال: «لا حاجةَ لي به».

قالَتْ: تقول سودةُ: سبحانَ الله! لقد حرَّمناه عليه. قالَتْ: قلْتُ لها: اسكتي[(١)].

وروى ابن أبي مليكة، عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما قال: كانت لسودةَ بنتِ زمعة خؤولة باليمن، فبُعِثَ إليها بعسلٍ، وكان النَّبيُّ ﷺ يصيبُ الطَّعام فيدخل عليها فيشرب من ذلك العسل، وكانت عائشة وحفصة متواخيتين[(٢)] على جميع نساء النَّبيِّ ﷺ، فقالت عائشة: إنَّ هذا يأتي هذه، وهي تسقيه من عسلِها، فإذا هو دخلَ عليك فقولي: إنِّي لأجد منك ريحًا، فإذا دخل عليَّ قلْتُ له مثلَ ذلك، فلمَّا خرج من عند سودةَ دخل عليها، فأمسكَتْ بأنفِها، فقالَتْ: ما هذه الرِّيح؟ إنِّي لأجد منك ريحًا. قال: «أيُّ ريح؟» قالَتْ: كأنِّي أجُد منكَ ريح المغافير! فقال: «قد قالَتْ ذلك فلانة، إنَّما هو عسلٌ شربْتُ مِن عند سودة، لا جرمَ لا أذوقه»، فقال: فنزل قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ﴾ الآية[(٣)].

---

(١) رواه البخاري (٥٢٦٨)، ومسلم (١٤٧٤/ ٢١).

(٢) في (أ) و(ف): «متواتيتين»، وفي (ر): «متواسيتين»، والمثبت من «أسباب النزول» للواحدي.

(٣) رواه الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٤٤٠).

(٢) ـ ﴿قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْ وَٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْ﴾: أي: قدَّر اللهُ لكم ما تحلِّلون به أيمانكم وهي الكفَّارة.

وقيل: قد أوجبَ عليكم، فقد جعل الله تحريم الحلال يمينًا، وقد أوجب فيه الكفَّارة، وهو مذهبنا.

وكذلك كان قول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وطاوسٌ والحسن والثَّوري وأهل الكوفة.

و﴿لَكُمْ﴾ في معنى: (عليكم)، كقوله: ﴿وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ [الإسراء: ٧]؛ أي: فعليها.

فمَن لم يجعل تحريمَ الحلال يمينًا ـ وهو قول مالك والشَّافعي وجماعةٍ ـ فإنَّه يقول في تأويل قوله: ﴿قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْ﴾: قد بيَّن لكم تحليل ما ملكت أيمانكم، كما قال: ﴿فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ﴾ [الأحزاب: ٣٨]؛ أي: بيَّنه له؛ أي: بيَّن أنَّ إماءكم حلالٌ عليكم، ولا تحرُم عليكم بيمينكم.

وعن جعفر بن بَرْقان قال: قلْتُ لميمون بن مِهْرانَ: أرأيْتَ قوله: ﴿تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْ﴾، أتقول: قد أحللْتُ لكم ما ملكَتْ أيمانُكم، أم تقول: قد فرضْتُ عليكم

= ورواه مختصرًا الطبراني في «المعجم الكبير» (١١٢٢٧). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٢٧): رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح.

وعزاه ابن حجر في «فتح الباري» (١٢/ ٣٤٣) إلى الطبراني وابن مردويه من طريق أبي عامر الخزاز عن ابن أبي مليكة عن ابن عباس رضي الله عنهما، وقال: ورواته موثقون إلا أن أبا عامر وهم في قوله: سودة، وذكر فيه حديث عائشة.

وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٢١٣) إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه.

تحلَّةَ اليمين تكفِّرون بها عن أيمانكم؟ قال ميمون: سمعْتُ[١] كلَّ ذلك في هذا، والكفَّارة جُعِلَتْ تحلَّةَ اليمين؛ لأنَّها تُحلُّ ما حرَّمته اليمين[٢]، على معنى أنَّه إذا حنث وكفَّرها صار كأنَّه لم يحلف[٣].

﴿وَٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ﴾: أي: وليُّكم ومتولِّي مصالحِ دينكم ودنياكم.

﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ﴾: بمصالحكم ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾: فيما يفرضُه عليكم ويَشرَعُه لكم[٤].

***

(٣) ـ ﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِىُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِىُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا﴾: أي: إلى حفصة حديثَ مارية.

قال العوفيُّ عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما: إنَّ حفصة لَمَّا قالت للنَّبيِّ ﷺ: قد رأيْتُ مَن كانت عندك ـ يعني مارية ـ والله لقد سُؤْتَني، فقال النبي ﷺ: «والله[٥] لأرضينَّكِ، وإنِّي مُسِرٌّ إليك سرًّا فاحفظيه»، قالت: وما هو؟ قال: «اشهدي أنَّ سريَّتي هذه حرامٌ عليَّ رضًا لك»، وكانت عائشة وحفصة رضي الله عنهما تَظاهَران على سائر أزواج النَّبيِّ ﷺ، فانطلقَتْ حفصةُ فأسرَّتْ إلى عائشة: أنْ أبشري، إنَّ محمَّدًا ﷺ قد حرَّم فتاته، فلمَّا أخبرَتْ بسرِّ النَّبيِّ ﷺ أظهرَ الله تعالى النَّبيَّ ﷺ عليه، وأنزل فيه الآية[٦].

---

(١) «سمعت» ليس في (أ).

(٢) في (ر): «حرمه الله».

(٣) رواه مختصراً عبد بن حميد، كما في «الدر المنثور» للسيوطي (٨/ ٢١٨).

(٤) في (ف): «ويشرعه فيكم»، وفي (ر): «وشرعه لكم».

(٥) «والله» من (ف).

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٣٠٢)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٥٠٧٥).

وفي حديث عُبيد بن عمير عن عائشة رضي الله عنها: هو حديث العسل[١].

وقال الكلبيُّ: أسرَّ إليها أنَّ أباكِ وأبا عائشة يكونان خليفتَيْن على أمَّتي بعدي[٢].

وقال في قوله: ﴿عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ﴾ أنَّه قال: يا حفصة، ألم أكُ أمرْتك أن تكتمي سرِّي ولا تبديه[٣] لأحد؟ فذكر بعضَ الذي قالت، وأعرض عن بعضٍ فلم يبده لها[٤].

وقيل: ﴿عَرَّفَ بَعْضَهُۥ﴾؛ أي: جازاها على بعض ذلك، وغضب عليها، ﴿وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ﴾، فلم يجازها عليه، فوصفَه جلَّ جلالُه بالإغماض وتركِ التَّقصِّي واستعمالِ الحِلم؛ إذْ لم يجازها بكلِّ ما تستحقُّه على إفشاء سرِّه وعصيانها إيَّاه.

﴿فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ﴾: أي: أخبرَتْ بالحديث ﴿وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ﴾؛ أي: وأعلم الله نبيَّه ﷺ أنَّ حفصة قد أفشَتْ سرَّه.

﴿عَرَفَ بَعْضَهُۥ﴾: قرأ الكسائيُّ بالتَّخفيف، وقال الفرَّاء: معناه: غضبَ عليها به، وجازاها عليه، وهو كقولك لمن أساء إليك: لأَعْرِفنَّ ذلك لك[٥].

---

(١) تقدم قريبًا.

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٣٤٥)، والواحدي في «البسيط» (٢٢/ ١٣) عن الكلبي. ورواه الدارقطني في «سننه» (٤٣٠٢) من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما. ورواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٢٦٤٠) من طريق الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما. قال ابن كثير في «تفسيره»: إسناده فيه نظر. وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥/ ١٧٨): فيه إسماعيل البجلي وهو ضعيف، والضحاك لم يسمع من ابن عباس.

(٣) في (أ): «تبدي منه».

(٤) ذكره ابن أبي زمنين في «تفسيره» (٥/ ٦) عن الكلبي. ورواه الدارقطني في «سننه» (٤٣٠٢) من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٥) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٦٦).

وقرأ الباقون بالتَّشديد(١)؛ أي: أعلم حفصةَ بعضَ ذلك.

﴿وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ﴾: أي: سكتَ عنه، وكانت ذكرَتْ لعائشة أنَّه أصابَ مارية، وأنَّه حرَّمَها على نفسِه، والنَّبيُّ عليه الصلاة والسَّلام قال لها: إنَّك قد ذكرْتِ كذا، وذكرَ بعضَ ذلك دون الكلِّ، وهو من معاملة الكرام، وهو تركُ الاستقصاء في الملام.

﴿فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا﴾: جمعَ بينَ اللُّغتين، وهو أنبأ ونبَّأ.

ظنَّتْ أنَّ صاحبتَها أخبرَتْهُ بذلك، فقالَتْ: ﴿مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا﴾.

﴿قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾: ﴿العليم﴾ اللهُ العالمُ بكلِّ شيءٍ، ﴿ٱلْخَبِيرُ﴾ ببواطن الأشياء.

* * *

(٤) ـ ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾.

قوله تعالى: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾: خاطب عائشةَ وحفصةَ بذلك ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ۖ﴾: أي: مالَتْ عن الحقِّ؛ يعني: فقد كان منكما ما يوجب التَّوبة؛ إذ قد مالَتْ قلوبُكُما عن الحقِّ الواجب لله ولرسوله عليكما.

وقيل: أي: مالَتْ إلى محبَّةِ ما كرهَه رسولُ اللهِ ﷺ.

والصَّغو: الميل، وفي صرفِه وجهان:

صغَا يصغُو من باب دخَل يدخُلُ، وعلى هذه اللُّغة ما في هذه الآية.

وصغِيَ يصغَى من باب علِمَ يعلَمُ، وعلى هذه اللُّغة قوله: ﴿وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ﴾ [الأنعام: ١١٣].

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ٦٤٠)، و«التيسير» للداني (ص: ٢١٢).

ولا نعرفه من باب منع.

و﴿قُلُوبُكُمَا﴾ على الجمع مع إضافتها إلى الاثنين هو الاستعمال الغالب في اللُّغة فيما كان في الإنسان من الأعضاء فردًا غيرَ مثنًّى.

وفيه وجهان آخران: الإفراد والتَّثنية، قال الشَّاعر:

كأنَّـــهُ وَجْـــهُ تُرْكِيَّـــيْنِ قَـــدْ غَضِبَـــا   مُسْـــتَهْدِفٌ لِطِعَـــانٍ غَـــيْرُ تَذْبِيْـــبِ[1]

وقال آخر في التَّثنية والجمع:

ظهراهمـــا مثـــلُ ظُهـــورِ التُّرسَـــيْنِ[2]

قوله تعالى: ﴿وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ﴾: أصله: تتظاهرا؛ أي: تتعاونا على إيذائه.

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوۡلَىٰهُ﴾: أي: حافظُه ودافعُ الضَّرر عنه، ورادٌّ كيدَ مَن أراده بسوء.

﴿وَجِبۡرِيلُ﴾ عليه السَّلام أيضًا ينصره.

﴿وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾: إنْ أريد به الفرد فقد قيل: هو عمر رضي الله عنه، فقد روي

---

(١) البيت للفرزدق، كما في «ديوانه» (ص: ٣٧١)، وفيه: «منحجر» بدل «تذبيب»، وهو من قصيدة رائية، والمصنف تابع فيه الفراء كما في «معاني القرآن» (١/ ٣٠٨). والبيت من قصيدة للفرزدق هجا بها جريرًا تهكَّم به وجعله امرأة. وقوله: (كأنه وَجه تركيين) المُراد بالضمير الفرج، شبه كل فلقة منه بوجه تركي، والأتراك غلاظ الوجوه عراضها حمرها. وجملة: (قد غَضبا) حَالٌ من (تركيين) على طرز قوله تعالى: ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا﴾ [الحجرات: ١٢]، و(مستهدف) صفة لـ(وجه)، وهو اسم فاعل من استهدف؛ أي: انتصب، والطعان بالكسرِ: مصدر طعنه بالرُّمحِ طَعناً وطعاناً. و(غير) بالرفع صفة لـ(مستهدف). انظر: «خزانة الأدب» للبغدادي (٧/ ٥٤٢ ـ ٥٤٣).

(٢) الرجز لخطام المجاشعي، كما في «الكتاب» لسيبويه (٢/ ٤٨)، و«خزانة الأدب» (٢/ ٣١٤). ولهميان بن قحافة، كما في «الكتاب» لسيبويه (٣/ ٦٢٢)، و«أمالي ابن الشجري» (٢/ ٤٩٦).

أنَّه قال لحفصةَ: والله لو أمرني رسولُ اللهِ بضربِ عنقُكِ لضربْتُ عنقَكِ(١).

وإنْ أريد به الجمعُ فهم خيار المؤمنين، منهم أبو بكر وعمر أبواهما وغيرهما.

﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾؛ أي: ظُهَراءُ، وهم الأعوان، وأفرد لأنَّه أُخرِجَ مخرجَ الاسم، كقوله: ﴿وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩]، وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ﴾ [الشعراء: ٧٧]، وقال الشَّاعر:

إنَّ العــواذِلَ ليــسَ لي بأمــيرِ(٢)

روي: أنَّ تظاهرهما عليه كان في التَّحكُّم عليه في النَّفقة.

وقيل: في مارية.

وقيل: في حديث العسل.

وروي: أنَّه آلى منهنَّ شهرًا.

وروي: أنَّه طلَّق حفصة رضي الله عنها.

وعن عمر رضي الله عنه أنَّه قال لها: لو كان في آل الخطَّاب خيرٌ لَمَا طلَّقَكِ رسولُ اللهِ ﷺ، فجاء جبريل فقال: يا محمَّد، إنَّ الله تعالى يقول لك: راجعْها فإنَّها صوَّامة قوَّامة(٣).

---

(١) ذكره السمعاني في «تفسيره» (٥/ ٤٧٤).

(٢) البيت بلا نسبة في «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (٢/ ٢٦١)، و«معاني القرآن» للأخفش (٢/ ٤٦٠)، و«تفسير الثعلبي» (٧/ ٨). وصدره كما في «معاني القرآن» للأخفش:

يـا عاذلاتــي لا تــردن ملامتــي

(٣) ذكر أوله الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٣٤٥) بلا نسبة. وهو في «تفسير مقاتل بن سليمان» (٤/ ٣٧٧). وقصة طلاق حفصة وأمره بمراجعتها لأنها صوامة قوامة تقدمت قريباً في أول سورة الطلاق.

وقال مقاتل بن حيَّان: همَّ بطلاقِها، فقال جبريل عليه السَّلام: لا تطلِّقْها؛ فإنَّها صوَّامة قوَّامة، فترك ذلك[1].

وعن عمر رضي الله عنه قال: كنَّا معشر قريش قومًا نغلبُ النِّساءَ، فلمَّا قدمْنا المدينة وجدنا قومًا يغلبهم النِّساءُ، فطفقَتْ نساؤنا يتعلَّمْنَ مِن نسائهم، وكان منزلي في بني أميَّة بن زيد في العوالي، فغضبْتُ يومًا على امرأتي، فإذا هي تراجعُني، فأنكرْتُ أنْ تراجعني، فقالت: ما تنكرُ أنْ أراجعَكَ؟ والله إنَّ أزواجَ النَّبيِّ ﷺ ليراجعْنَهُ، وتهجرُهُ إحداهنَّ اليومَ إلى اللَّيل. فانطلقْتُ فدخلْتُ على حفصة، فقلْتُ: أتراجعين رسولَ اللهِ ﷺ؟ فقالَتْ: نعم. فقلْتُ: وتهجرُهُ إحداكُنَّ اليومَ إلى اللَّيل؟ قالَتْ: نعم. قلْتُ: قد خابَ مَن فعلَ هذا منكنَّ وخسرَتْ؛ أفتأمَنُ إحداكُنَّ أنْ يغضبَ الله عليها لغضبِ رسولِ اللهِ ﷺ فإذا هي قد هلكَتْ؟ لا تراجعي رسولَ اللهِ ﷺ ولا تسأليه شيئًا، وسليني ما بدا لَكِ، ولا يغرنَّكِ أنْ كانَتْ جارتُكِ هي أوسَمَ وأحبَّ إلى رسول الله ﷺ منك، يريد عائشة.

قال: وكان لي جارٌ من الأنصار، وكنَّا نتناوب النُّزول إلى رسول الله ﷺ، فينزلُ يومًا وأنزلُ يومًا، فيأتيني بخبر الوحي وغيره، وآتيه بمثل ذلك، وكنَّا نتحدَّثُ أنَّ غسَّانَ تُنْعِلُ الخيلَ لتغزوَنا، فنزل صاحبي يومًا، ثم أتاني عشاءً، فضرَبَ بابي، ثمَّ ناداني، فخرجْتُ إليه، فقال: حدَثَ أمرٌ عظيم! قلْتُ: ماذا؟ أجاءَت غسَّان؟ قال: لا، بل أعظم من ذلك وأطم[2]؛ طلَّق النَّبيُّ ﷺ نساءَه. قلْتُ: قد خابت حفصةُ وخسرَتْ، قد كنْتُ أظنُّ هذا، فلمَّا صلَّيْتُ الصُّبحَ شددْتُ عليَّ ثيابي، ثم نزلْتُ فدخلْتُ على

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٣٤٥) عن مقاتل بن حيان، ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٣٠) عن قتادة.

(٢) في (ر) و(ف): «وأهم». وهي في الصحيحين: «وأطول»، وفي رواية للبخاري: «وأهول».

حفصةَ وهي تبكي، فقلْتُ: أطلَّقَكِ رسولُ اللهِ؟ فقالَتْ: لا أدري، ها هو ذا يعتزل في هذه الـمَشْرُبة.

فأتيْتُ غلامًا له أسودَ، فقلْتُ: استأذِنْ لعمرَ، فدخل الغلام ثمَّ خرجَ إليَّ، قال: قد ذكرْتُكَ له فصَمَتَ، فانطلقْتُ حتَّى أتيْتُ المنبر، فإذا عندَه رهطٌ جلوسٌ، يبكي بعضُهم، فجلسْتُ قليلًا، ثمَّ غلبني ما أجدُ، فأتيْتُ الغلامَ، فقلْتُ: استأذن لعمر، فدخل، ثمَّ خرج إليَّ فقال: قد ذكرْتُكَ له فصمَتَ، فرجعْتُ فجلسْتُ إلى المنبر، ثمَّ غلبني ما أجد، فأتيْتُ الغلامَ فقلْتُ: استأذن لعمر، فدخل ثمَّ خرج إليَّ فقال: قد ذكرْتُكَ له فصَمَتَ، فولَّيْتُ مُدْبِرًا، فإذا الغلام يَدعوني، فقال: ادخلْ فقد أذن لك، فدخلْتُ فسلَّمْتُ على رسول الله ﷺ، فإذا هو متَّكِئٌ على رَمْلِ حصيرٍ قد أثَّر في جنبِهِ، فقلْتُ: أطلَّقْتَ يا رسول الله نساءَكَ، فرفع رأسَه إليَّ فقال: «لا»، فقلْتُ: الله أكبر، لو رأيتَنا يا رسولَ اللهِ وكنَّا معشَرَ قريشٍ قومًا نغلِبُ النِّساء، فلمَّا قدمنا المدينة وجدْنا قومًا تغلبُهم نساؤُهم، وطفقَتْ نساؤنا يتعلَّمْنَ من نسائهم، قال: فغضبْتُ على امرأتي يومًا، فإذا هي تراجعني، فأنكرْتُ أن تراجعني، فقالت: ما تنكر أن أراجعَك، فوَالله إنَّ أزواج رسول الله ﷺ ليراجعْنَه وتهجره إحداهنَّ اليوم إلى اللَّيل. فقلْتُ: قد خاب مَن فعل هذا منهنَّ وخسرَتْ، أفتأمَنُ إحداهنَّ أنْ يغضبَ اللهُ عليها بغضب رسول الله ﷺ فإذا هي قد هلكَتْ؟ فتبسَّم رسول الله ﷺ.

فقلْتُ: يا رسول الله[1]، فدخلْتُ على حفصةَ فقلْتُ: لا يغرَّنَّكِ أنْ كانت جارتُكِ هي أوسمَ وأحبَّ إلى رسول الله ﷺ منك، فتبسم أخرى.

فقلْتُ: أستأنِسُ، يا رسول الله، قال: «نعم»، فجلسْتُ فرفعْتُ رأسي في البيت، فوالله ما رأيْتُ فيه شيئًا يردُّ البصرَ إلَّا أَهَبًا ثلاثةً، فقلْتُ: يا رسولَ اللهِ، ادْعُ اللهَ أنْ

(١) «فقلت يا رسول الله» ليس في (أ).

يوسِّعَ على أمَّتِكَ، فقد وسَّعَ اللهُ على فارسَ والرُّومِ، وهم لا يعبدون الله، فاستوى جالسًا ثمَّ قال: «أفي شكٍّ أنتَ يا ابن الخطَّاب؟ أولئك قومٌ قد عُجِّلَتْ لهم طيِّباتُهم في الحياة الدُّنيا».

فقلْتُ: استغفر لي يا رسول الله، وكان قد أقسم ألَّا يدخُلَ عليهنَّ شهرًا مِن شِدَّةِ مَوْجِدَتِهِ عليهِنَّ، حتَّى عاتبَهُ اللهُ تعالى[1].

وقالت عائشة: فلمَّا مضَتْ تسع وعشرون ليلة[2] دخل عليَّ رسولُ اللهِ ﷺ، فقلْتُ: يا رسولَ اللهِ، إنَّكَ كنْتَ أقسمْتَ أنْ لا تدخلَ علينا شهرًا، فإنَّكَ قد دخلْتَ مِن تسعٍ وعشرين أعدُّهنَّ؟ فقال: «إنَّ الشَّهر تسعٌ وعشرون يومًا»، ثمَّ قالَ: «يا عائشة، إنِّي ذاكرٌ لكِ أمرًا، فلا عليك ألَّا تعجلي فيه حتَّى تستأمري فيه أبوَيْكِ...»، وذكرَتْ قصَّة التَّخيير[3].

***

(٥) ـ ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ﴾: قيل: في الدُّنيا؛ قالوا: لأنَّه لو طلقهنَّ في هذه الحالة لطلقهنَّ لإلجائهنَّ إيَّاه إلى طلاقهنَّ بإلحاحهنَّ عليه بالأذى والمعصية، فإذا فعلْنَ ذلك استوجبْنَ عداوةَ اللهِ، وخرجْنَ من ولايته،

(١) رواه البخاري (٥١٩١)، ومسلم (١٤٧٩) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) في (أ): «يومًا».

(٣) قطعة من الحديث السابق، وقصة التخيير رواها مسلم (١٤٧٥)، وذكرها البخاري (٤٧٨٦) تعليقا بصيغة الجزم.

فكان المستورات من النِّساء المؤمنات خيرًا منهنَّ، وليس المعنى: أنَّه كان في نساء الأمَّة نساءٌ أفضل منهنَّ قبل إلجائهنَّ إيَّاه إلى الطَّلاق.

وقيل: معناه: ﴿أَن يُبۡدِلَهُۥٓ أَزۡوَٰجًا خَيۡرٗا مِّنكُنَّ﴾ في الجنَّة.

﴿مُسۡلِمَٰتٖ﴾: أي: خاضعات لله بالطَّاعة.

﴿مُّؤۡمِنَٰتٖ﴾: أي: مصدِّقات لله ورسوله.

﴿قَٰنِتَٰتٖ﴾: أي: مطيعات دائمات على الطَّاعة.

وقال الحسن رحمه الله: مصلِّيات[١].

﴿تَٰٓئِبَٰتٍ﴾: أي: لا يصررْنَ على صغيرة.

وقيل: راجعاتٍ إلى ما يحبُّه الله تعالى منهنَّ.

﴿عَٰبِدَٰتٖ﴾: أي: كثيرات العبادة بالنَّوافل.

﴿سَٰٓئِحَٰتٖ﴾: قال عكرمة وابن عبَّاس وأبو هريرة وقتادة والضَّحَّاك وأبو مالك وأبو العالية والنَّخعيُّ والحسن ومقاتل بن حيَّان رضي الله عنهم: أي: صائمات[٢].

وقال زيد بن أسلم وابنه عبد الرَّحمن: أي: مهاجراتٍ[٣].

﴿ثَيِّبَٰتٖ وَأَبۡكَارٗا﴾: أي: فيهنَّ بِكْرٌ، وفيهنَّ ثيِّبٌ، كما فيكنَّ[٤] الآن، إلى أيِّها مال النَّبيُّ ﷺ.

---

(١) ذكره دون نسبة الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٣٤٩)، والبغوي في «تفسيره» (٨/ ١٦٨).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ١٠١) عن ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة والضحاك. وعزاه الماوردي في «تفسيره» (٦/ ٤٢) إلى ابن عباس والحسن وابن جبير.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ١٠٢).

(٤) في (ر): «فيكن ثيب».

وعن عمر رضي الله عنه أنَّه قال: كان بينَ رسولِ اللهِ وبينَ بعضِ أزواجِه كلامٌ، فاستقريتهُنَّ امرأة امرأة، فقلْتُ: لتكفُّنَّ عن أذى رسول الله صلى الله عليه وسم أو ليبدلنَّه الله بكنَّ أزواجًا خيرًا منكنَّ...، الآية، فنزلَتْ[١].

***

(٦) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾: ولَمَّا عاتبَ الله نساءَ النَّبيِّ ﷺ ودلَّهُنَّ على رشدهِنَّ أمرَ النَّاس جميعًا أن يُحسنوا القيام على أنفسهم وعلى أزواجهم وعلى أولادهم بالتَّأديب والتَّعليم والدِّلالة على الأعمال الصَّالحات، فقال: ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾؛ أي: اجعلوا لأنفسكم وأهليكم وقايةً تستركم من نار جهنَّم.

قال قتادة: أي: مُروهم بطاعة الله تعالى، وانْهَوهم عن معصيته[٢].

وقال مجاهد: أي: أوصوهم بتقوى الله تعالى[٣].

ويقال[٤]: أدِّبوهم وعلِّموهم خيرًا تقُوهم بذلك النَّار.

وقيل: دلُّوهم على السُّنَّة والجماعة.

---

(١) رواه ابن وهب في «جامعه ـ التفسير» (٢/ ٢٠)، والطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٩٩ ـ ١٠٠)، ورواه بنحوه البخاري (٤٤٨٣) من حديث أنس عن عمر رضي الله عنهما.

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٢٥٢)، والطبري في «تفسيره» (٢٣/ ١٠٤).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ١٠٤).

(٤) «ويقال» من (ف).

وقيل: علِّموهم الأخلاق الحسان.

وقيل: أظهروا من أنفسكم العبادات؛ ليتعلَّموا منكم، ويعتادوا بعبادتكم.

وقال عكرمة: أدِّبوهم، رحم الله رجلًا يدعو: يا أهلاه صلاتَكم، صيامَكم، مساكينكم، جيرانكم، أيتامَكم[(١)].

روي أنَّ النَّبيَّ ﷺ كان يمرُّ على بيت فاطمة رضي الله عنها فيقول: «الصَّلاةَ الصَّلاةَ، ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ الآية»[(٢)].

وكان إذا دخل العشر الأواخر من شهر رمضان أيقظَ أهلَه[(٣)].

وقال عليه الصَّلاة والسَّلام: «رحم الله امرأً أيقظَ أهلَه للصَّلاة؛ فإنْ أبَتْ نضحَ الماءَ في وجهِها، ورحم الله امرأةً أيقظَتْ زوجَها للصَّلاة، فإنْ أبى نضحَتِ الماء في وجهه»[(٤)].

وقال عليه الصَّلاة والسَّلام: «علِّقِ السَّوط حيث يراه أهلُ البيت»[(٥)].

---

(١) ذكره الزجاج في «معاني القرآن» (٥/ ١٩٤) بلا نسبة، والزمخشري في «الكشاف» (٤/ ٥٦٨) وصدَّره بقوله: (وفي الحديث). وقال الزيلعي في «تخريج أحاديث الكشاف» (٤/ ٦٦): غريب. وقال ابن حجر في «الكاف الشاف» (ص: ١٧٦): لم أجده.

(٢) رواه الترمذي (٣٢٠٦) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، وقال: حديث حسن غريب من هذا الوجه. وروى البخاري (١١٢٧)، ومسلم (٧٧٥)، عن الحسين بن علي، حدثه عن علي بن أبي طالب، أن النبي ﷺ طرقه وفاطمة، فقال: «ألا تصلون؟» فقلت: يا رسول الله إنما أنفسنا بيد الله، فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا، فانصرف رسول الله ﷺ حين قلت له ذلك، ثم سمعته وهو مدبر، يضرب فخذه، ويقول: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ [الكهف: ٥٤].

(٣) رواه البخاري (٢٠٢٤)، ومسلم (١١٤٧)، من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٤) رواه أبو داود (١٣٠٨) و(١٤٥٠)، والنسائي (١٦١٠)، وابن ماجه (١٣٣٦)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وصحح إسناده النووي في «خلاصة الأحكام» (١/ ٥٨٧).

(٥) رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (١٧٩٦٣)، والبزار في «مسنده» (٥٢٤٤)، والطبراني في «المعجم =

وقال ﷺ: «لا يلقى اللهَ العبدُ بشيءٍ يوم القيامة أشدَّ عليه من جهالة أهله»(١).

وقال: «كلُّكم راعٍ، وكلُّكم مسؤولٌ عن رعيَّته، فالرَّجل راعٍ على أهله وولده، وهو مسؤولٌ عنهم»(٢).

وعن ابن عبَّاس رضي الله عنهما أنَّه قال: إذا كان الرَّجل راعيَ خير لأهلِه ناداه أهلُه يوم القيامة بين يدي الله تعالى: جزاك الله من قيِّم عنَّا خيرًا، فنِعْمَ القيِّمُ كنْتَ أنتَ، تعلِّمُنا وتؤدِّبُنا، فأنجيْتَ نفسَكَ وأنجيْتَنا، وإذا كان راعيَ سوء قالوا له: لا جزاكَ اللهُ خيرًا، فبِئْسَ القيِّمُ كنْتَ(٣)، لم تعلِّمْنا ولم تؤدِّبْنا، فأهلكْتَ نفسَكَ وأهلكْتَنا(٤).

﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾؛ أي: حطبُها الكفَّار والحجارة؛ أي: حجارة الكبريت.

﴿عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ﴾: أي: غلاظ القول والفعل ﴿شِدَادٌ﴾: أي: أقوياء الأنفس.

﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ﴾: من تعذيبهم ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ من ذلك.

* * *

= الكبير» (١٠٦٦٩)، وابن عدي في «الكامل» (٣/ ٥٥٧)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما. ورواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٧/ ٣٣٢) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما. ورواه ابن عدي في «الكامل» (٥/ ٥٤٢) و(٦/ ٤٢) من حديث جابر رضي الله عنه. قال في «أسنى المطالب» (ص: ١٨٤): طرقه ضعيفة.

(١) قال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (ص: ٤٦٩): «ذكره صاحب الفردوس من حديث أبي سعيد، ولم يجده ولده أبو منصور في مسنده».

(٢) رواه البخاري (٨٩٣)، ومسلم (١٨٢٩)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٣) في (ف): «أنت».

(٤) لم أقف عليه.

(٧ ـ ٨) ـ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٧) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ﴾: أي: يُقال لهم ذلك يوم القيامة، وهو تنبيهٌ لهم اليوم ليتوبوا ويعتذروا، فهو اليومَ نافع[1].

﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: في الدُّنيا.

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ﴾: أي: من ذنوبكم.

﴿تَوْبَةً نَصُوحًا﴾؛ أي: خالصة، يُقال: نصح الشَّيءُ: إذا خَلَص، والنَّصيحةُ: إخلاص القول.

وقيل: هو توثيق العزم على ألَّا تعود لمثله، والنُّصحُ: الخياطة الوثيقة، والنَّاصحُ: الخيَّاط، والنِّصاحُ: الخيط.

وقيل: ﴿نَصُوحًا﴾؛ أي: تنصحون فيها لله؛ أي: تصدِّقونه فيها، ولا تُدْهِنون.

وقال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: التَّوبة النَّصوح: النَّدم بالقلب، والاستغفار باللِّسان، والإقلاع باليد، والإضمار على ألَّا يعود[2].

وعن عليٍّ رضي الله عنه: أنَّه دخل المسجد، فسمع أعرابيًا يقول: اللَّهم إنِّي أستغفرك وأتوب إليك، فقال: يا هذا، إنَّ سرعة اللِّسان بالتَّوبة توبة الكذَّابين، فقال الأعرابيُّ: فما التَّوبة؟ قال: يجمعُها ستَّة أشياء، قال: وما هي؟ قال عليٌّ رضي الله

---

(١) في (ف): «في الدنيا» بدل من «ويعتذروا فهو اليوم نافع».

(٢) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٤٤٨).

عنه: للماضي من الذُّنوب النَّدامةُ، وللفرائض الإعادةُ، وردُّ المظالم، واستحلالُ الخصوم، وأن تُذِيبَ نفسَكَ في الطَّاعة كما أَذْأبتها[1] في المعصية، وأن تذيقَها مرارة الطَّاعات كما أذقْتَها حلاوة المعاصي[2].

وقال الفضيل: التَّوبة النَّصوح: أن يكون الذَّنب نُصْبَ عينيك، ولا تزال كأنَّك تنظر إليه.

وقال الواسطيُّ: التَّوبة النَّصوح: هي أن تكون لا لعوضٍ، لأنَّ مَن أذنبَ في الدُّنيا لرفاهة نفسه، وتاب طلبًا لرفاهَتها في الآخرة، فتوبتُه على حظِّ نفسِه، لا لله تعالى.

وقال أبو بكر الورَّاق: التَّوبة النَّصوح: أن تضيقَ عليك الأرضُ بما رحبَتْ، وتضيقَ عليك نفسُك، كما ذكر الله تعالى في الثَّلاثة الذين خُلِّفوا.

وقال رُوَيمٌ المصريُّ: التَّوبة النَّصوح: أن تكون لله تعالى وجهًا بلا قفًا، كما كنْتَ له عند المعصية قفًا بلا وجه[3].

وقالت رابعة: هي التَّوبة التي لا تحتاج فيها إلى التَّوبة منها، ثم قالت: إنَّ توبتنا تحتاج إلى التَّوبة منها، واستغفارنا يحتاج إلى الاستغفار منه[4].

وروى ابن مسعود رضي الله عنه أنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ: «أتدرون مَن التَّائب؟»، قالوا: لا، قال: «إذا تاب العبدُ ولم يُرْضِ الخُصَماءَ فليس بتائب، ومَن تاب فلم يتعلَّمِ العلم فليس بتائب، ومَن تاب ولم يزدَدْ في العبادة فليس بتائب، ومَن تاب ولم

---

(١) في (أ) و(ف): «ربيتها».

(٢) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٣١٥).

(٣) ذكر هذه الأقوال الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٣٥٠).

(٤) ذكره الغزالي في «إحياء علوم الدين» (١/ ٣١٣)، والإمام النووي في «الأذكار» (ص: ٦٢٢).

يغيِّر لباسه فليس بتائب، ومن تاب ولم يغير مجالسته فليس بتائب، ومَن تاب ولم يغيِّر فراشه وبساطه فليس بتائب، ومَن تاب ولم يفتح قلبه ولم يوسعه فليس بتائب، ومَن تاب ولم يقصِّر أمله فليس بتائب، ومَن تاب ولم يحفظ لسانه فليس بتائب، ومَن تاب ولم يقدِّم فضله فليس بتائب، ومَن تاب ولم يغيِّر طعامه فليس بتائب، وإذا استبان على العبد هذه الخصال فذاك التَّائب حقًّا حقًّا حقًّا»[١].

قوله تعالى: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾: أي: بتوبتكم ﴿وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ وكان لمن يخالفهم نارٌ وَقودها النَّاس والأحجار.

﴿يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ﴾: أي: لا يُخْجِل ﴿ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ﴾ ولم يُردْ به وقوعَ إيمانهم مع النَّبيِّ ﷺ معًا، بل يراد به وجود الإيمان منهم لوجوده من النَّبيِّ ﷺ.

وقيل: ﴿مَعَهُۥ﴾ صلةُ قوله: ﴿لَا يُخْزِى ٱللَّهُ﴾؛ أي: لا يخزي النَّبيَّ والمؤمنين معًا.

قوله تعالى: ﴿نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾: أي: يهتدون به إلى الجنَّة[٢].

﴿وَبِأَيْمَٰنِهِمْ﴾: نورُ كتبِ طاعتهم.

﴿يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا﴾: أي: أبقِه لنا إلى الجنَّة ﴿وَٱغْفِرْ لَنَآ﴾ ذنوبنا.

﴿إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾: مِن إتمام النُّور، ومغفرةِ الذُّنوب، وتبليغ الجنَّة، وكلِّ شيء.

وقال الضَّحَّاك: يُعطَى يومئذ كلُّ مؤمن ومنافق نورًا يمشي به مع محمَّد، فبينما هم يمشون إذ بعث الله ريحًا وظلمة، فأطفأ الله تعالى بتلك الرِّيح نورَ كلِّ منافق،

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) في (أ): «يهتدون به إلى الله» وفي (ر): «يهتدون بها إلى الجنة».

وهو قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٢]، فلمَّا أطفأ الله تعالى نورَهم أشفقَ المؤمنون أنْ يُسلبوا[١] نورَهم، فقالوا: ﴿رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا﴾ الآية[٢].

***

(٩) - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾: دعا إلى التَّوبة المؤمنين، وأمر بالجهاد في حقِّ الكفَّار والمنافقين دعوةٍ للكلِّ[٣] إلى الحقِّ المبين ﴿جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ﴾ بالسَّيف ﴿وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ باللِّسان.

وقيل: تذكير وعيد الآخرة والدُّنيا أيضًا، كما قال: ﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾ الآية [الأحزاب: ٦٠].

وقال قتادة رحمه الله: جاهد المنافقين بإقامة الحدود عليهم[٤]. وكذا قال الحسن[٥].

وكان أكثر مَن يصيب الحدود حينئذ المنافقون.

﴿وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾: في إقامة الحدود، كما قال: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ﴾ [النور: ٢].

---

(١) في (ر): «يطفأ».

(٢) ذكره الماوردي في «تفسيره» (٥/ ٤٧٣).

(٣) في (ر): «ودعوة الكل».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ١١٠).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٥٦٧).

وقيل: ﴿وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ في حقِّ الكفَّار والمنافقين جميعًا، وكان أمرَه بملايَنتهم في الابتداء بقوله: ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]، ثم بعدما أصرُّوا وعاندوا أمرَه بالإغلاظ عليهم.

﴿وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ﴾: أي: في الآخرة ﴿وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾؛ أي: المرجع.

* * *

(١٠) - ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ﴾: أي: بيَّنَ الله تعالى للكافرين شبهًا: أنَّه لا تنفعهم الوُصلة بالنِّكاح وغيره مع اختلاف الدِّين[1]، وفيه نوعُ تنبيهٍ لأزواج النَّبيِّ ﷺ أنَّ وُصلتهُنَّ مع النَّبيِّ ﷺ لا تغني عنهنَّ[2] من الله شيئًا إذا عصيْن وخالفْنَ الأمر.

﴿كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ﴾: أي: في نكاح عبدين ﴿مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ﴾: استصلحناهما للرِّسالة والنُّبوَّة.

﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾: أي: في الدِّين؛ أي: كفرتا ولم تسلِما ولم تنصحا للرَّسولين للمساعدة على الإسلام.

وقيل: كانتا منافقتين.

---

(١) في (أ) و(ف): «الدينين».

(٢) في (أ): «لا تغنيهن».

وقال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾؛ أي: بالنفاق، ولم تفجرِ امرأةُ نبيٍّ قطُّ[1].

وقيل: كانت خيانة امرأة نوح أنَّها كانت تقول للنَّاس: إنَّه مجنون، وخيانة امرأة لوط أنَّها دلَّتْ على الأضياف ليرتكبوا منهم الفاحشة.

﴿فَلَمْ يُغْنِيَا﴾: أي: العَبْدان نوح ولوط ﴿عَنْهُمَا﴾: عن المرأتين ﴿مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾؛ أي: لم يدفعا عنهما من عذاب الله شيئًا.

﴿وَقِيلَ﴾ لهما[2]؛ أي: للمرأتين؛ أي: يُقال لهما يوم القيامة: ﴿ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾ من الكفَّار.

* * *

(١١) ـ ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ﴾: أي: لا يضرُّ المؤمنين كفرُ مَن قرُب منهم، كما لم يضرَّ كفرُ فرعون امرأتَه آسية.

﴿إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ﴾: اشتاقَتْ إلى الجنَّة، وملَّتْ صحبة فرعون فسألَتْ ذلك.

﴿وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ﴾: أي: كفره ومعاصيه، وقيل: من تعذيبه.

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٢٣٤)، والطبري في «تفسيره» (١٢/ ٤٣٠)، وليس فيه: «ولم تفجر امرأةُ نبيٍّ قطُّ». وهذه العبارة رواها عنه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٢٣٣)، والطبري في «تفسيره» (١٢/ ٤٢٩).

(٢) «لهما» ليس في (أ) و(ف).

ولَمَّا علم فرعون بإيمانها وَتَدها بأربعة أوتاد في الشَّمس يعذِّبها.

وقال سلمان: كانت تُعذَّب في الشَّمس، فإذا انصرفوا عنها أظلَّتها الملائكة بأجنحتها، وكانت ترى منزلها في الجنَّة[١].

وقال الضَّحَّاك: أمرَ بأنْ يُلْقَى عليها حجرٌ وهي في الأوتاد، فقالت: ﴿رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ﴾، فما وصل الحجر إليها حتى رفع[٢] روحها إلى الجنَّة[٣].

﴿وَنَجِّنِي مِن فِرۡعَوۡنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: فرِّقْ بيني وبينهم بإهلاكهم.

* * *

(١٢) - ﴿وَمَرۡيَمَ ٱبۡنَتَ عِمۡرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتۡ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتۡ مِنَ ٱلۡقَٰنِتِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَمَرۡيَمَ ٱبۡنَتَ عِمۡرَٰنَ﴾ عطف على قوله: ﴿ٱمۡرَأَتَ فِرۡعَوۡنَ﴾.

﴿ٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا﴾: أي: جيب مِدْرعتها حين أتاها جبريل يبشِّرها بالولد وهي لا تعلمه.

﴿فَنَفَخۡنَا فِيهِ﴾: أي: نفخ جبريل بأمرنا فيه؛ أي: في جيب مِدْرعتها.

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «مصفنه» (٣٤٦٥٦)، والطبري في «تفسيره» (٢٣/ ١١٥)، والحاكم في «المستدرك» (٣٨٣٤) وصححه.

(٢) في (أ): «وصل».

(٣) روى نحوه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ١١٥) عن القاسم بن أبي بزة، ولفظه: (كانت امرأة فرعون تسأل: من غلب؟ فيقال: غلب موسى وهارون. فتقول: آمنت برب موسى وهارون؛ فأرسل إليها فرعون، فقال: انظروا أعظم صخرة تجدونها، فإن مضت على قولها فألقوها عليها، وإن رجعت عن قولها فهي امرأته؛ فلما أتوها رفعت بصرها إلى السماء، فأبصرت بيتها في السماء، فمضت على قولها، فانتزع الله روحها، وألقيت الصخرة على جسد ليس فيه روح».

﴿مِن رُّوحِنَا﴾: أي: من روحٍ خلقناه لعيسى عليه السلام على الخصوص[١].

﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا﴾: قولِ جبريل: ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ﴾ [مريم: ١٩] الآيات.

وقيل: أي: بعيسى، فهو روح الله وكلمتُه.

﴿وَكُتُبِهِۦ﴾: التَّوراةِ والإنجيل والزَّبور والصُّحف.

ومَن قرأ: ﴿وكتابه﴾، فالكلماتُ التَّوراة، والكتابُ الإنجيل[٢].

﴿وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ﴾: أي: المطيعين لله تعالى.

والحمد لله ربِّ العالمين

* * *

(١) في (أ): «الخلوص».

(٢) قرأ أبو عمرو وحفص: ﴿وَكُتُبِهِۦ﴾ على الجمع، والباقون على التوحيد. انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ٦٤١)، و«التيسير» للداني (ص: ٢١٢).

سورة الملك

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

بسم الله الذي بيده الملك وهو على كلِّ شيء قدير، الرحمنِ الذي وعد مَن خشيَه بالغيب بمغفرةٍ وأجر كبير، الرحيم الذي هو بكلِّ شيء بصير.

روى أبيُّ بن كعب رضي الله عنه عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «مَن قرأ سورةَ ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ﴾[1] فكأنَّما أحيا ليلة القدر»[2].

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: كنَّا نسمِّي ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ﴾ على عهد رسول الله ﷺ المنجية، وهي في التَّوراة سورة الملك[3].

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: يُؤْتَى الرَّجل في قبرِه من قبل رجلَيْهِ، فيُقال: ليس لكم عليه سبيل إنَّه كانه يقرأ سورة الملك، فيُؤْتَى من قبل جوفه، فيُقال: ليس لكم عليه سبيل إنَّه وعى سورة الملك في جوفه[4]، وهي المنجية من عذاب الله تعالى، مَن قرأها في ليلة فقد أكثرَ وأَطْيَبَ[5].

---

(١) في (أ): «من قرأ سورة الملك».

(٢) رواه الواحدي في «الوسيط» (٤/ ٣٢٥)، قال ابن الجوزي في «الموضوعات» (٤/ ٣٤٤): مصنوع بلا شك. وانظر: «الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة» للشوكاني (ص: ٢٩٦).

(٣) لم أقف عليه بهذا اللفظ، وقوله: «وهي في التوراة سورة الملك» ورد في بعض روايات الخبر الآتي.

(٤) «في جوفه» ليس في (أ).

(٥) رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (٦٠٢٥)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٨٦٥١)، والحاكم =

وعن جابر بن عبد الله: أنَّ النَّبيَّ ﷺ كان لا ينام حتى يقرأ سورة الملك و﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ﴾ السَّجدة[1].

وهذه السُّورة مكيَّة.

وهي ثلاثون آية، وثلاثُ مئة وثلاثة وثلاثون كلمة، وألفٌ وثلاثُ مئة وأحدٌ وعشرون حرفًا.

وانتظام آخر تلك السُّورة بأوَّل هذه السُّورة: أنْ ختمَ تلك السُّورة بأنَّ مريم كانت من القانتين لله تعالى، وافتتاحَ هذه أنَّ الملك بيد الله[2]، وأهل السَّماوات وأهل الأرض كلُّهم قانتون لله، قال عزَّ وعلا: ﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ كُلّٞ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾ [الروم: ٢٦].

= في «المستدرك» (٣٨٣٩)، وصححه، وأبو نعيم في «الحلية» (٧/ ٢٤)، والثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٣٥٤)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٧/ ٤١)، وفي «إثبات عذاب القبر» (ص: ١٤٩). وزاد أكثرهم فيه: (وهي في التوراة سورة الملك).

وله شاهد من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، رواه الترمذي (٢٨٩٠)، وقال: حديث غريب من هذا الوجه، ولفظه: عن ابن عباس، قال: ضرب بعض أصحاب النبي ﷺ خباءه على قبر وهو لا يحسب أنه قبر، فإذا فيه إنسان يقرأ سورة ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ﴾ حتى ختمها، فأتى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله إني ضربت خبائي على قبر وأنا لا أحسب أنه قبر، فإذا فيه إنسان يقرأ سورة تبارك الملك حتى ختمها. فقال رسول الله ﷺ: «هي المانعة، هي المنجية، تنجيه من عذاب القبر».

وروى أبو داود (١٤٠٠)، والترمذي (٢٨٩١) وحسنه، وابن ماجه (٣٧٨٦)، عن أبي هريرة، رضي الله عنه مرفوعا: «إن سورة من القرآن ثلاثون آية شفعت لرجل حتى غفر له، وهي سورة ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ﴾».

(١) رواه الترمذي (٢٨٩٢)، وقد عده ابن حجر في «فتح الباري» (١١/ ١٢٥) من الأحاديث الصحيحة التي وردت قراءتها عند النوم.

(٢) في (أ) و(ف): «أن الملك لله».

وانتظام السُّورتين: أنَّهما في ذمِّ العاصين ومدح المطيعين.

* * *

(١) ـ ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿تَبَٰرَكَ﴾: قيل: أي: تعالى.

وقيل: أي: تعاظَم.

وقيل: أي: دام.

وقيل: أي: دام برُّه، وثبت خيرُه.

وقيل: أي: كثرت بركاتُ أسمائه.

وقيل: أي: وصلَتْ بركاتُ نعمِه إلى خلقِه.

﴿ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ﴾؛ أي: هو المتصرِّف في كلِّ العالم، وهو ملك كلِّ شيء، ومالك كلِّ شيء.

﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾: أي: لا يعجزه شيء.

* * *

(٢) ـ ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفُورُ﴾.

﴿ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ﴾: أي: موتَ كلِّ ميِّت، وحياةَ كلِّ حيٍّ، فهو خالق الأعيان والصِّفات.

وقال الحسن: هو خلَق النُّطفةَ، ثمَّ جعَلها علقةً، ثم مضغةً، ثم أحياها[1].

---

(١) ذكره الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (١٠/ ١٠٣) عن أبي بكر الأصم، ونحوه في «تفسير مقاتل» (٤/ ٣٨٩).

وقيل: هو موت انقضاء الآجال، وحياة أهل الدُّنيا؛ فإنَّه قال: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾، والابتلاء يتعلَّق بهما لا بالموت قبل الحياة، وإنَّما قدَّم ذكر الموت ترهيبًا وتقريعًا(١).

وقال الأخفش: ﴿خَلَقَ الْمَوْتَ﴾؛ أي: الدُّنيا التي هي لموت أهلها، ﴿وَالْحَيَوٰةَ﴾؛ أي: الآخرة التي هي لحياة أهلها(٢).

وقال ابن عبَّاس: الموتُ كبش أملح، لا يمرُّ بشيءٍ ولا يجد ريحه إلَّا مات، والحياة فرس جبريل لا تمرُّ بشيء ولا يجدُ ريحَها إلَّا حَيي، ويُذبَح الموتُ بين الجنَّة والنَّار يوم القيامة، ويُقال: يا أهل الجنَّة، ويا أهل النَّار، خلود بلا موت، وفرس الحياة تركبُها الأنبياء(٣).

﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾؛ أي: ليتعبَّدكم فيمتحنكم بأمره ونهيه، فيظهرَ منكم ما علم أنَّه يكون منكم، فيجازيَكم على عملكم، لا على علمِه بكم.

وقيل: تقديره: خلق الموت ليبعثكم فيجزيكم، والحياة ليبلوكم بما به يتعبَّدُكم.

﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾: ولم يقل: أيُّكم أكثر عملًا.

---

(١) في (أ) و(ف): «وتقريبًا».

(٢) لم أقف عليه عن الأخفش، وقد ورد نحوه عن قتادة، رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٢٥٩)، والطبري في «تفسيره» (٢٣/ ١١٨)، ولفظه: «أذل الله ابن آدم بالموت، وجعل الدنيا دار فناء، وجعل الآخرة دار جزاء وبقاء».

(٣) ذكره دون قصة ذبح الموت الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٣٥٥)، والواحدي في «البسيط» (٢٢/ ٣٧). وصرح الواحدي بأنه من طريق الكلبي عن ابن عباس، والكلبي متهم بالكذب فالخبر لا يصح، وبعضهم ذكره عن الكلبي كما في «تفسير أبي الليث السمرقندي» (٣/ ٤٥١). وذكره الآلوسي في «روح المعاني» (٢٧/ ٢٨٣) وقال: هو أشبه شيء بكلام الصوفية لا يعقل ظاهره.
وأما حديث ذبح الموت فمتفق عليه، رواه البخاري (٤٧٣٠)، ومسلم (٢٨٤٩) من حديث أبي سعيد رضي الله عنه.

وقال الفضيل: أي: أيُّكم أخلص عملًا وأصوبُه؛ لأنَّ العملَ إذا كان خالصًا ولم يكن صوابًا لم يقبل، وإذا كان صوابًا ولم يكن خالصًا لم يُقبل[1].

وقال الحسن: ﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾؛ أي: أزهده في الدُّنيا وأترك لها[2].

وقال أبو قتادة الأنصاريُّ: قلْتُ لرسول الله ﷺ: أرأيْتَ قولَ اللهِ تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾، ما عُني به؟ قال: «يقول: أيُّكم أتمُّ عملًا وأشدُّ خوفًا، وأحسنُكم فيما أمر الله تعالى به أو نهى عنه نظرًا، وأورعُكم عن محارم الله، وأسرعكم في طاعته»[3].

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾: أي: المنيع فلا يُغالَب إذا عاقب المذنب، الغفورُ الذي يستر ذنوب التَّائب.

* * *

(٣) ـ ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ﴾.

﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا﴾: بعضُها فوق بعض.

ويجوز أن يكون جمع طَبَق، كجِمال جمع جَمَلٍ، ويجوز أن يكون مصدرًا بمعنى المطابقة.

---

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٣٥٦).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٣٥٦).

(٣) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٣٥٥). وروى نحوه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٣٣٥) عن ابن عمر رضي الله عنهما. وانظر: «تخريج أحاديث الكشاف» للزيلعي (٢/ ١٤٥)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٤/ ٤٠٤).

﴿مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ﴾: أي: اختلافٍ واضطراب وتباعُد، كأنَّه يفوت بعضه بعضًا فلا يتساوى.

وقيل: ﴿مِن تَفَٰوُتٍ﴾ في الدِّلالة على قدرة صانعها وحكمته.

وقرأ حمزة والكسائي: ﴿من تفوُّت﴾[1]، وهما لغتان كالتَّعاهد والتَّعهُّد.

وقال الفرَّاء: التَّفوُّت: الاعوجاج، والتَّفاوت: الاختلاف[2].

وقوله تعالى: ﴿فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ﴾: أي: إلى رؤية السَّماء ﴿هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾؛ أي: شقوق، والفَطْرُ: الشَّقُّ.

وقال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: مِنْ وَهْيٍ[3].

وقال قتادة رحمه الله: مِنْ خَلَلٍ[4].

***

(٤) ـ ﴿ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾.

﴿ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ﴾: أي: دفعتين، ولم يُردْ به الاقتصار على مرَّتين، بل أراد به التَّكرار مرَّة بعد مرَّة[5]، تقول لآخر: قد قلْتُ لك مرَّةً بعد مرَّةٍ، ولعلَّكَ قلْتَ ذلك له مرارًا كثيرًا.

وقال الحسن رحمه الله: لو كرَّرْتَه مرَّة بعد مرَّة إلى يوم القيامة لم ترَ فيه فطوراً.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ٦٤٤)، و«التيسير» للداني (ص: ٢١٢).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٧٠)، وليس فيه: «التفوت: الاعوجاج».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ١٢٠).

(٤) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٢٦٢)، والطبري في «تفسيره» (٢٣/ ١٢٠).

(٥) في (أ): «أخرى».

﴿يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا﴾: قال ابن عبَّاس: ذليلًا[١].

﴿وَهُوَ حَسِيرٌ﴾: قال قتادة: كالٌّ مُعْيٍ[٢].

وهو فعيل بمعنى الفاعل، يُقال: حسَرَ البصرُ: إذا انقطع نظرُه من طول مدًى، ويجوز أن يكون بمعنى مفعول، من قولهم: حسرْتُ البعير؛ أي: سرْتُ عليه حتى انقطع، فهو محسورٌ وحَسير.

وقال كعبٌ: خلق سبع سماوات[٣] طباقًا بعضُها فوق بعض، بين كلِّ سماءين مسيرةُ خمس مئة عام، السَّماء الدُّنيا موج مكفوف، والثَّانية مرمرةٌ بيضاء، والثَّالثة حديدة، والرَّابعة نحاسٌ ـ أو قال: صُفرٌ ـ والخامسة فضَّة، والسَّادسة ذهب، والسَّابعة ياقوتة حمراء[٤].

* * *

(٥ ـ ٧) ـ ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ۝٥ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ۝٦ إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ﴾: أي: كواكبَ كأنَّها السُّرُج.

﴿وَجَعَلْنَٰهَا﴾: أي: المصابيحَ ﴿رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾: جمع رَجْم؛ أي: يُرْجَم بها مَن يَسترِق السَّمع من الشَّياطين.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ١٢١).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ١٢٢).

(٣) في (ف): «السماوات» بدل من «سبع سماوات».

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٣٥٧) عن الربيع عن كعب. وروى نحوه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٧٩) عن الربيع بن أنس.

وقيل: جمع راجم، كالسُّجود جمع ساجد.

﴿وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ﴾: أي: للشَّياطين ﴿عَذَابَ السَّعِيرِ﴾؛ أي: عذاب جهنَّم الموقَدةِ.

﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ﴾: من الإنس والجنِّ ﴿عَذَابُ جَهَنَّمَ﴾ كذلك ﴿وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾؛ أي: المرجعُ.

﴿إِذَا أُلْقُوا فِيهَا﴾: أي: في جهنَّم ﴿سَمِعُوا لَهَا﴾؛ أي: لجهنَّم ﴿شَهِيقًا﴾؛ أي: صوتًا من اللَّهب كصوت الحمار، وقد ذكرنا فيه الأقاويل عند قوله: ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾ [هود: ١٠٦].

﴿وَهِيَ تَفُورُ﴾: أي: تتعالى وتغلي بهم كما يفور القِدْر.

وقال ابنُ مسعود رضي الله عنه: تفور بأهلها كما تفور القِدر بعُراقها[1].

❊ ❊ ❊

(٨ ـ ١٠) ـ ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ (٨) قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ (٩) وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾.

﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ﴾: أي: تتميَّز، قال ابن عبَّاس والضَّحَّاك وابن زيد: أي: تتفرَّق[2].

﴿مِنَ الْغَيْظِ﴾: أي: على الكفَّار، وهو عبارة عن غاية التغيُّظ عليهم، وتقول: لأنتقمَنَّ اليوم ممَّنْ أكل رزق الله وعبدَ غيرَه.

﴿كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ﴾: أي: جماعة من الكفَّار ﴿سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا﴾: وهم الزَّبانية توبيخًا لهم: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾: رسولٌ مخوِّف مِن هذا.

---

(١) روى نحوه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ١٢٤) عن مجاهد، ولفظه: «تغلي كما يغلي القدر».
والعراق: العظم بلحمه، أو بلا لحم. انظر: «القاموس» (مادة: عرق).

(٢) رواه عنهم الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ١٢٤ ـ ١٢٥).

﴿قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ﴾: أريد به الجمع؛ أي: أتانا الرُّسل.

﴿فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ﴾: أي: ممَّا تقولون من وعدٍ ووعيد وغيرِ ذلك.

﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ﴾: أي: ما أنتم أيها المُدَّعون للرِّسالة إلَّا في ضلال كبير؛ أي: خطأ عظيم.

﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾: أي: قال الكفَّار: ولو كنَّا نقبَل ما أتانا من السَّمعيَّات ونتفكَّر في العقليَّات ما وقعنا في جهنَّم، دلَّ على أنَّ كلَّ واحد منهما حجَّة ملزِمة وهو السَّمع والعقل.

***

(١١ ـ ١٣) ـ ﴿فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَابِ السَّعِيرِ ۝١١ إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ۝١٢ وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾.

﴿فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ﴾: أي: بذنوبهم، وحَّد لأنَّه جنس، وهو كقوله: خرج بعطاءِ النَّاس؛ أي: أَعْطِيَتِهم.

﴿فَسُحْقًا لِّأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾: أي: بُعدًا عن الرَّحمة والكرامة.

وقيل: هو تحقيق.

وقيل: هو على الدُّعاء، وهو تعليمٌ من الله تعالى لعباده أن يَدْعو عليهم به.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ﴾؛ أي: يؤمنون به ويصدِّقونه في الدُّنيا بما غاب عنهم ممَّا يكون في الآخرة.

وقيل: أي: يخافونه عند المعصية وقد غاب عنهم الخلقُ.

﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ﴾: أي: للذُّنوب ﴿وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾: أي: ثوابٌ عظيمٌ في الآخرة.

﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ﴾: أمرُ تهديدٍ لا أمرُ تكليف، يقول: ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ﴾

في الله وفي رسوله وفي آيات الله ﴿أَوِ اجْهَرُوا بِهِ﴾؛ أي: إنْ شئْتُم فنافقوا، وإنْ شئْتُم فصرِّحوا بالكفر وأعلنوه.

﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾: أي: بضمائر القلوب، لا يخفى عليه شيء[1] إنْ أسررْتُم، ولا يزيده وضوحًا إن أعلنْتُم، وهو كقوله: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [فصلت: ٤٠].

***

(١٤) ـ ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾.

﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾: أي: ما خلقَ، ودلَّ على أنَّ اللهَ خالقُ أفعال العباد ظاهرِها وباطنِها، وإذا حُمِل على (ما) صار مفعولًا، والفاعل هو قوله: ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ﴾، ولو قُدِّر ﴿مَنْ﴾ على حقيقته، فقوله: ﴿مَنْ خَلَقَ﴾ هو الخالق، والمخلوق يكون مضمرًا، ويكون ﴿مَنْ خَلَقَ﴾ فاعلًا، وتقديره: ألا يعلم الخالقُ مخلوقَه، ويدلُّ على ما قلنا أيضًا.

﴿وَهُوَ اللَّطِيفُ﴾: أي: العالم بدقائق الأشياء ﴿الْخَبِيرُ﴾؛ أي: العالم بحقائق الأشياء.

وقال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: نزلَتْ في مشركي مكَّة، كانوا ينالون من رسول الله ﷺ، فيخبره جبريل عمَّا[2] قالوا، فيقول بعضُهم لبعضٍ: أسرُّوا قولكم لا يسمع إلهُ[3] محمَّد، فأنزل الله تعالى: ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ﴾[4] علانيةً ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾: بما في القلوب من السِّرِّ، ﴿أَلَا يَعْلَمُ﴾ سرَّ القلوب ﴿مَنْ خَلَقَ﴾ السِّرَّ والقلوب.

---

(١) «شيء» من (ف).

(٢) في (ف): «بما».

(٣) في (أ): «به».

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٣٥٩)، والواحدي في «البسيط» (٢٢/ ٥١).

وعـن أنـس رضـي الله عنه قـال: بينما رجل يسـير بيـن جبلين إذ قال فـي قلبه: لـو عرضَـتْ لـي فاحشـة لقضيتهـا، فنـودي لـه: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ فارتجَّ الـوادي[(١)].

***

(١٥ ـ ١٦) ـ ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴿١٥﴾ أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾.

قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا﴾: أي: ليِّنة منقادة.

﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا﴾: قال قتادة ومجاهد والفرَّاء: فسيروا في جوانبها وأطرافها[(٢)].

والمناكب من النَّاس: أطرافهم وجوانبهم، وإذا مشَوا في أطرافها فقد أحاطوا بها، فحصل لهم الانتفاع بجميع ما فيها.

وعـن ابـن عبَّـاس رضـي الله عنهمـا والضَّحَّـاك: في جبالهـا[(٣)]. وهـي مرتفعة كالمناكب.

وعن مجاهد في رواية: ﴿فِي مَنَاكِبِهَا﴾؛ أي: في فِجاجها[(٤)].

﴿وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ﴾: أي: من رزق الله فيها.

---

(١) لم أقف عليه عن أنس رضي الله عنه، وفي «الزواجر» للهيتمي (١/ ٣٩) نحو هذه القصة بلا نسبة.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٧١)، ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ١٢٨ ـ ١٢٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد، وروى عن قتادة قال: (إن بشير بن كعب العدوي، قرأ هذه الآية ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا﴾ فقال لجاريته: إن أخبرتني ما مناكبها فأنت حرة، فقالت: نواحيها...).

(٣) رواه عن ابن عباس رضي الله عنهما الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ١٢٨).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ١٢٩).

﴿وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾: أي: إلى جزاء الله المرجعُ بعد البعث، فامشوا فيها طاعة وكلوا منها حلالًا.

﴿ءَأَمِنتُم﴾ أيُّها المشركون ﴿مَّن فِي السَّمَاءِ﴾؛ أي: الله الذي في السَّماء سلطانه، وهو كقوله: ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ٣].

وحقيقته: أأمنتم خالقَ السَّماء وملكَها.

﴿أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ﴾: كما خَسف بقارون ﴿فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾؛ أي: تدور.

والمورَان: الدَّوران والاضطراب بالذَّهاب والمجيء.

* * *

(١٧ ـ ١٨) ـ ﴿أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾.

﴿أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾: قال ابن عبَّاس: أي: حجارة من فوقِكُم كما فُعِلَ بقوم لوط[١].

وقيل؛ أي: ريحًا فيها حجارةٌ وحصباء فيهلككم بذلك.

وقال نفطويه: أي: ريحًا تقتلع الحصباء لشدَّتها وقوَّتها.

وقيل؛ أي: سحابًا فيه حجارة.

أي: أجُعِل[٢] لكم من هذين أمان، وإذ لا أمان لكم منهما[٣] فما معنى تماديكم في شرككم؟ وهذا وعيدٌ عظيمٌ.

---

(١) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٢/ ٥٦).

(٢) في (ر): «فهل»، وفي (ف): «جعل».

(٣) في (أ) و(ف): «فيها».

﴿فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ﴾: أي: كيف عاقبةُ إنذاري، بأن أحقِّقَه لكم فتعلمون أنَّه لا خُلف لخيري، ولا مانع لعذابي.

﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾: أي: من قبل هؤلاء المشركين.

﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾: أي: إنكاري عليهم وتغييري بالعذاب.

* * *

(١٩ ـ ٢٠) ـ ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ (١٩) أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ الرَّحْمَنِ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ﴾.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ﴾: الطَّير: جمع طائر.

﴿وَيَقْبِضْنَ﴾: أي: تصفُّ أجنحتها للطَّيران وتقبضُ مرَّة حتى يتمَّ لها الطَّيران بهذا التَّدبير، كما تتهيَّأ السِّباحةُ في الماء بقبض اليدين وبسطِهما، والهواءُ للطَّائر كالماء للسَّابح.

﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ﴾: أي: في الهواء حين تطير ﴿إِلَّا الرَّحْمَنُ﴾.

﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ﴾: هيَّأ للطَّير هذا، كما هيَّأ للنَّاس الأرض ذلولًا، والذي هيَّأ لكلٍّ ما يصلحه لم يفعل ذلك عبثًا بل ليكون دلالة على الخالق ﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ﴾؛ أي: عالم بما يصلحه ويُقيمه.

وعطف ﴿وَيَقْبِضْنَ﴾ على قوله: ﴿صَافَّاتٍ﴾ لأنَّ الأوَّل دلالةٌ على الفعل، ومعناه: يبسطْنَ أجنحتهنَّ في حالٍ، ويقبضْنَ في حال.

﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُندٌ لَّكُمْ﴾: عطف على ﴿أَأَمِنتُم﴾؛ أي: فمَن هذا الذي هو شيعةٌ لكم وأنصار تمتنعون بهم ﴿يَنصُرُكُم﴾ من عذاب الله ﴿مِّن دُونِ الرَّحْمَنِ﴾؛ أي: ممَّن سواه.

﴿إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ﴾: أي: ما هم إلا في غرور

(٢١ ـ ٢٢) ـ ﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ ۚ بَل لَّجُّوا۟ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾ أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ﴾: أي: اللهُ تعالى ﴿رِزْقَهُۥ﴾ الذي خَلق لكم في الأرض، التي جعلَها لكم ذلولًا.

﴿بَل لَّجُّوا۟ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ﴾: أي: ليس اغترارُهم للجهل بأنَّ الله تعالى هو الخالق الرَّازق الضَّارُّ النَّافع، لكنْ تمادَوا في تمرُّدهم[١] ونفورهم عن الحقِّ.

﴿أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ﴾: أكبَّ[٢] على وجهه لازم، وكبَّه متعدٍّ، وهو كقولهم: أَنْعَش ـ أي: قام ـ لازم، ونعَّشه متعدٍّ، وهذا من النَّوادر، أَفْعَلَ لازم، وفَعَّلَ متعدٍّ.

وقريب من هذا: أضرَّ به وضرَّه.

ثمَّ ضرب مَثَلَ الكافر والمؤمن فقال: ﴿أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ﴾؛ أي: منكِّسًا رأسَه، ناظرًا إلى الأرض، لا يبصر ما بين يديه، ولا ما عن يمينه، ولا ما عن شماله، ولا يدري ما يستقبله أو يلقاه من هذه الجهات، فهو على خطر.

﴿أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا﴾: أي: مستويًا منتصبًا، يُبصر مِن كلِّ الجهات[٣].

﴿عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾: ولا شكَّ أنَّ الماشي مستقيمًا منتصبًا أهدى.

يقول: فهكذا فكونوا أيُّها النَّاس.

قال قتادة: هذا الكافر أكبَّ على معاصي الله تعالى في الدُّنيا، فحشره الله يوم القيامة على وجهه، والمؤمن استقام على أمر الله تعالى في الدُّنيا فبعثه الله تعالى عليه

---

(١) في (ر): «غرورهم».

(٢) في (أ): «أي» بدل من «أكب».

(٣) في (أ): «جهاته».

يوم القيامة، وقيل للنَّبيِّ ﷺ: وكيف يمشون على وجوههم؟ قال: «إنَّ الذي أمشاهم على أقدامِهم قادرٌ على أنْ يمشيَهم على وجوهِهم»(١).

وقال مقاتل: ﴿مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ﴾: ضالًّا أعمى في الظُّلمة، يعني: أبا جهل بن هشام ﴿أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا﴾ هو عبد الله بن مسعود رضي الله عنه(٢).

وقيل: النَّبيُّ ﷺ.

وقيل: هي عامَّة المسلمين(٣).

* * *

(٢٣ ـ ٢٦) ـ ﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ﴾: ابتدأ خلقكم ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ﴾ وهي آلات العلم والمعرفة، ثم أنتم ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ هذه النِّعم؛ لأنَّكم تشركون بالله، ولا تخلصون له العبادة.

قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: أي: خلقكم ﴿وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾؛ أي: تُبعثون وتُجمَعون للحساب والجزاء.

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٢٦٨)، والطبري في «تفسيره» (٢٣/ ١٣٣). والمرفوع منه رواه البخاري (٤٧٦٠)، ومسلم (٢٨٠٦)، من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٣٩٣)، وفيه: «أمن يمشي سويًّا؛ يعني النبي ﷺ».

ولم أقف على من ذكر أن المقصود في الآية هو عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وذكر الواحدي عن ابن عباس أنه حمزة، وعن عكرمة أنه عمار بن ياسر. انظر: «البسيط» (٢٢/ ٦٠ ـ ٦١).

(٣) «المسلمين» من (أ).

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾: يقولون ذلك استهزاء.

﴿قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ﴾: أي: علمُ وقته ﴿وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾؛ أي: مخوِّف ظاهر، وعليَّ الإنذار الذي أُمِرْتُ به دون الإعلام عن وقته الذي لم يُعْلِمْني الله به.

* * *

(٢٧ ـ ٢٨) ـ ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ﴿٢٧﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِىَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِىَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾.

﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾: أي: وإذا رأوا العذابَ الذي وُعِدوه في الحشر قريبًا منهم ﴿سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ﴾؛ أي: وردَ عليهم منه ما ساءَهم؛ أي: أحزنَهم، وهو خلاف سَرَّهم.

وخصَّ الوجوه بالذِّكر لأنَّ الوجه هو الذي يظهر عليه أثر المسرَّة والمساءة.

﴿وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ﴾: أي: وتقول لهم الملائكة والأنبياء والمؤمنون: ﴿هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ﴾؛ أي: تجتمعون على الدُّعاء به، كما في قوله: ﴿فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال: ٣٢]، ﴿عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا﴾ [ص: ١٦]، والادِّعاء كالتَّداعي، كالاقتتال هو كالتَّقاتل.

وقال الأخفش: دعا وادَّعى واحدٌ[١].

وقال مجاهدٌ: أراد به العذاب في الدُّنيا، وهو ما رأوه ببدر[٢].

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِىَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِىَ أَوْ رَحِمَنَا﴾: أي: قل يا محمَّد للذين يقولون فيك: ﴿نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ﴾ [الطور: ٣٠]: إنْ أماتني الله تعالى، كما قال: ﴿إِنِ

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للأخفش (٢/ ٥٤٦).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ٣٦١).

﴿ٱمۡرُؤٌاْ هَلَكَ﴾ [النساء: ١٧٦]؛ أي: مات، ﴿وَمَن مَّعِيَ﴾ من الأصحاب، ﴿أَوۡ رَحِمَنَا﴾ وأخَّر في آجالنا.

﴿فَمَن يُجِيرُ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾: أي: ينجيهم ويؤمِّنهم ﴿مِنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ﴾؛ أي: لا فرَج لكم في موتنا ولا نجاة لكم به من العذاب، إنَّما ذلك بالإيمان.

* * *

(٢٩ ـ ٣٠) ـ ﴿قُلۡ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيۡهِ تَوَكَّلۡنَاۖ فَسَتَعۡلَمُونَ مَنۡ هُوَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٢٩﴾ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِنۡ أَصۡبَحَ مَآؤُكُمۡ غَوۡرٗا فَمَن يَأۡتِيكُم بِمَآءٖ مَّعِينِۭ﴾.

﴿قُلۡ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾: ذو الرَّحمة بخلقه ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ﴾: صدَّقناه ﴿وَعَلَيۡهِ تَوَكَّلۡنَا﴾ لعِلْمنا أنَّه لا يفعل بنا إلَّا ما هو صلاحنا من إحياءٍ وإماتة.

﴿فَسَتَعۡلَمُونَ﴾: إذا نزل بكم العذاب ﴿مَنۡ هُوَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ منَّا ومنكم.

وقرأ الكسائيُّ: ﴿فسيعلمون﴾ بياء المغايبة؛ ردًّا على قوله: ﴿فَمَن يُجِيرُ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾(١).

وقال ابن كيسان: ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِنۡ أَهۡلَكَنِيَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِيَ أَوۡ رَحِمَنَا﴾؛ أي: أخذنا بزلَّاتنا مع إيماننا وإخلاصنا(٢)، وفيه هلاكنا، فمَن يؤمِّنكم من عذابه أيُّها الجاحدون المعاندون.

قوله تعالى: ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِنۡ أَصۡبَحَ مَآؤُكُمۡ غَوۡرٗا﴾: أي: غائرًا في الأرض ذاهبًا.

﴿فَمَن يَأۡتِيكُم بِمَآءٖ مَّعِينِۭ﴾: جارٍ على وجه الأرض، تراه العيون، وتقديره مفعول.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ٦٤٤)، و«التيسير» للداني (ص: ٢١٢).

(٢) في (أ): «إبرائنا وإخلاصنا» وفي (ر): «إيماننا وأخلاقنا».

وقيل: ﴿مَعِينٍ﴾: مسرِع في الجري، وهو فعيل؛ أي: بمعنى مُفعِل[١].

فسيقولون: لا يأتينا به غير الله. فقل لهم: فلِمَ أشركْتُم به مَن لا يقدر على ذلك؟

وقرئ هذا على ملحِدٍ فقال: المِعْوَل والمُعِين، فسقطَتْ عيناه بقدرة الله تعالى[٢].

والحمد لله ربِّ العالمين فهو المهوِّن والمعين

***

---

(١) «بمعنى مفعل» ليس في (أ) و(ف).

(٢) «بقدرة الله تعالى» ليس في (أ) و(ف).

سُورَةُ
ن والقلم

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

بسم الله الذي أقسم بالنُّون والقلم، الرحمنِ الذي مدح رسوله بالخُلُق الأعظم، الرحيمِ الذي وعد المتَّقين بالجنان والنِّعَم[١].

روى أبيُّ بنُ كعبٍ رضي الله عنه عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «مَن قرأ سورةَ ﴿نٓ وَٱلۡقَلَمِ﴾ كان له ثوابُ الَّذين أحسنَ الله أخلاقَهم»[٢].

وهي مكيَّة، وآياتها اثنتان وخمسون، وكلماتها ثلاثُ مئة، وحروفها ألف ومئتان وسبعون.

وانتظام ختم تلك السُّورة بافتتاح هذه السُّورة: أنَّ ختم تلك في خطاب الرَّسول، وافتتاحَ هذه في ثناء[٣] الرَّسول.

وانتظامهما: أنَّ تلك السُّورة في ثناء الله وذمِّ مَن جحده ومدحِ مَن وحَّده، وهذه في ثناء رسول الله ﷺ ومدحِ مَن اتَّبعه وذمِّ مَن عاداه وحسده.

* * *

---

(١) في (أ): «بالجنات والنعيم» وفي (ف): «الجنات والنعم».

(٢) رواه الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٥)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ٣٣٢)، قال ابن الجوزي في «الموضوعات» (٤/ ٣٤٤): مصنوع بلا شك. وانظر: «الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة» للشوكاني (ص: ٢٩٦).

(٣) في (ر): «ثناء الله وثناء».

(١) ـ ﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ﴾ قال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: نون اسمٌ من أسماء الله تعالى[١].

وقال عطاء: افتتاح اسم الله تعالى: نورٌ وناصر ونصير[٢].

وقال جعفر بن محمَّد الصَّادق: هو اسم نهر في الجنَّة[٣].

وقال الكلبيُّ: النُّون: السَّمكة التي تحمل الأرض على ظهرها، وهي في الماء، وتحتها ثور، وتحت الثَّور صخرة، وتحت الصَّخرة الثَّرى، ولا يعلم ما تحتَه إلَّا الله.

وقال الكلبيُّ ومقاتل: اسم السَّمكة: بهموت[٤].

وقال الواقديُّ وأبو اليقظان: اسمه ليوثا[٥].

وقال عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه: اسمُه يلهوت[٦].

وقال عكرمةُ: أقسم الله تعالى بالحوت؛ لأنَّ نمرود لعنه الله لَمَّا رمى بالسَّهم نحو السَّماء عاد السَّهم مختضبًا بدم سمكة في بحر معلَّق بالهواء، فأكرم الله تعالى ذلك الحوت بأن أقسم به، وأحلَّ جنسَه من غير ذكاة[٧].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٤٠٠).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٦).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٧).

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٥).

(٥) في (ر): «لبونا». ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٥).

(٦) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٥). والاسم مضطرب في المصادر، ولا طائل من البحث فيه.

(٧) لم أجده هكذا، وذكر البغوي في «تفسيره» (٤/ ٣٦١) عن عكرمة قال: (كان معه في التابوت غلام قد حمل معه القوس والنشاب فرمى بسهم فعاد إليه السهم متلطخًا بدم سمكة قذفت نفسها من بحر في الهواء). وكلاهما من خرافات الإسرائيليات.

وقيل: هو آخر حرف من حروف (الرَّحمن)؛ فإنَّك إذا جمعت بين ﴿الٓر﴾ و﴿حمٓ﴾ و﴿نٓ﴾ صارَ: الرَّحمن.

وقيل: هو اسم هذه السُّورة.

وقيل: هو اسم القرآن.

وقيل: هو الدَّواة.

وقيل: هو المداد الذي تَكتب به الملائكة.

وقيل: هو اللَّوح المحفوظ، والقلم هو القلم الذي كتب به على اللوح المحفوظ.

وعن ابن عبَّاس رضي الله عنهما قال: أوَّل ما خلق الله تعالى القلم، فقال له: اكتب، فقال: يا ربِّ، ما أكتبُ؟ قال: اكتب القدر، قال: فجرى بما يكون من ذلك الوقت إلى أن تقوم السَّاعة، ثم ارتفع بخار الماء فخلق منه السَّماوات، ثم خلق منه[1] النُّون الذي عليه قرار الأرض، فبسط الأرض من فوقه، فتحرَّك النُّون، فمادَتِ الأرض، فأُثْبِتَتْ بالجبال[2].

وقال مجاهد: هو قلم من نور طوله مسيرة مئة عام[3].

---

(١) «منه» من (أ).

(٢) رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (٣٢٧٣)، والطبري في «تفسيره» (٢٣/ ١٤٠).

(٣) ذكره ابن كثير في «تفسيره» عن ابن جريج.

وروى أبو الشيخ في «العظمة» (٢/ ٥٩٠)، والثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٣٦٧)، من طريق مجاهد عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «أول شيء خلق الله القلم من نور مسيرة خمس مئة عام». وفيه عثمان بن عبد الله الشامي، قال ابن عدي: له موضوعات. انظر: «الضعفاء» للذهبي (٢/ ٤٢٦).

وقال ابن عبَّاس رضي الله عنهما ومقاتل: طوله ما بين السَّماء والأرض[١].

وعن ابن عبَّاس في رواية: هو قلم الملائكة.

قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾: وما يكتبون من أعمال الخلق.

وقال قتادة: والقلم نعمة من الله عظيمة، لولا القلم ما قام دينٌ، ولم يَصلح عيش، والله أعلم بما يُصلح خلْقَه[٢].

وهذا دليل على أنَّه كان يقول: إنَّ المراد بالقلم هو قلم النَّاس.

وأقسم به لِمَا فيه من الحكمة والأعجوبة؛ إذ جُعل آلةَ التَّفاهم، وقام مقام اللِّسان في الإفهام والبيان.

وقيل: هو كلُّ قلم يُكتَب به في السَّماء والأرض، ويدل عليه قوله: ﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ٤ ـ ٥].

﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾؛ أي: وما يكتبون؛ أي: الحلف[٣] بالقلم.

والحاصل:

أنَّ بعضهم قال: هو قسم بالحوت الذي هو تحت الأرضين، وبالقلم الذي هو فوق السَّماوات، وهو ينتظِم ما بينهما.

وبعضهم حملها على اللَّوح المحفوظ والقلم.

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٤٠٣). ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٢١٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما، لكنه في عرض اللوح المحفوظ، ولفظه: (إن الله خلق لوحاً محفوظاً من درة بيضاء، دفتاه ياقوتة حمراء، قلمه نور، وكتابه نور، عرضه ما بين السماء والأرض).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٥٢٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٤٥٠).

(٣) في (ر): «يحلف».

وبعضهم على قلم الملائكة ومدادِهم وكتابة الأعمال.

وبعضهم على الدَّواة والقلم في الدُّنيا وما يكتبون بهما.

وقيل: هو قسم من الله بنفسِه، وتقديره: وخالقِ القلم، ﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ يجوز أن يكون للمصدر، ويجوز أن يكون للمفعول.

* * *

(٢ ـ ٤) ـ ﴿مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ ۝٢ وَإِنَّ لَكَ لَأَجۡرًا غَيۡرَ مَمۡنُونٖ ۝٣ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ﴾.

﴿مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ﴾: هو المقسَم عليه؛ أي: لسْتَ يا محمَّد مجنونًا كما يقول مشركو مكَّة بهتانًا وعدوانًا؛ إذ كان الله أنعم عليك بوفور العقل واستكمال خصال الخير ما لم ينعم على أحد من خَلْقه بمثله.

وهو كقوله: ما أنت بحمد الله جاهلًا.

﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجۡرًا غَيۡرَ مَمۡنُونٖ﴾: أي: غير مقطوع، وقيل: غير منقوص، وقيل: غير ممتنٍّ به عليك.

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ﴾: ولا مدحَ فوقَه، فما وصَفه الله بالعظم مَن يدري نهايته؟

وهو تنزيهٌ له عن كلِّ عيبٍ يكون في الأخلاق، ووصفٌ بالتَّحلِّي بكلِّ محاسن الأخلاق.

وسُئلَتْ عائشة رضي الله عنها: كيف كان خُلُقُ رسول الله ﷺ؟ قالت: «كان خلقه القرآن»[1].

تعني: ما أدَّبه به القرآن، وأمَرَ اللهُ فيه به أهلَ الإيمان، من الاجتهاد في طاعة الله

---

(١) رواه مسلم (٧٤٦).

تعالى، والخضوع له، والانقياد لأمره، والتشدُّد على أعدائه، والتذلُّل لأوليائه، ومواساةِ عباده، وإرادةِ الخير لهم، والحرصِ على ما ينجيهم، والاحتمالِ لأذاهم، والقيامِ بمصالحهم، وإرشادِهم إلى ما يجمع لهم خير الدَّارين، والتَّعفُّفِ عن أموالهم، والحلمِ عن جهَّالهم، وخفضِ الجناح لهم، لم يتغيَّر عن ذلك في حالٍ من الأحوال، ولا زمنٍ من الأزمان.

ولَمَّا مدح الله تعالى الأنبياء ووصفَ كلَّ نبيٍّ بصفة قال له: ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠] ففعل، فصار مستجمِعًا لكلِّ خصال الخير، وكان كلُّ واحد منهم مخصوصًا بخصلة، مثلَ نوحٍ بالشُّكر، وإبراهيم بالحِلم، وموسى بالإخلاص، وإسماعيلَ بصدق الوعد، ويعقوبَ وأيُّوب بالصَّبر، وداوُد بالاعتذار(١)، وسليمان بالتَّواضع، وعيسى بالزُّهد، فلمَّا اقتدى بهم اجتمع له الكلُّ.

ولَمَّا نزل جبريل بقوله تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩] قال: لقد أتيتك بمكارم الأخلاق؛ صِلْ مَن قطعَكَ، وأعطِ مَن حرمَكَ، واعفُ عمَّنْ ظلمَكَ، وأحسِنْ إلى من أساءَ إليك(٢). فأخذَ بذلك كلِّه.

وكانت خديجة رضي الله عنها تقول له في أوَّل ما نزل به جبريل وخاف ذلك،

---

(١) في (ر): «بالاعتداد».

(٢) رواه بنحوه ابن مردويه من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، كما في «الدر المنثور» (٣/ ٦٢٨). ورواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٦٤٣) من طريق سفيان بن عيينة عن رجل قد سماه، ومن طريق سفيان عن أُميٍّ الصيرفي، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦٣٨) من طريق سفيان عن أميٍّ عن الشعبي، وكل هذه مرسلات كما قال ابن كثير عند تفسير الآية، وزاد: «وقد روي له شواهد من وجوه أُخر». قلت: له شاهد من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه عند أحمد (١٧٤٥٢).

قالت له: كلَّا؛ إنَّك لتحمل الكَلَّ، وتَقْري الضَّيف، وتَكْسِب المعدوم، وتصل الرَّحم، وتُعين على نوائب الحقِّ[(١)].

وأعلى ذلك كلِّه ما كان منه ليلة المعراج من غضِّ البصر عن الكونين، حتى قال الله تعالى فيه له: ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾ [النجم: ١٧].

لم ينحرف بالبلاء، ولم ينصرف بالعطاء، وغدًا يقولُ كلُّ رسولٍ: نفسي نفسي، وهو يقول: «أمَّتي أمَّتي»[(٢)]، فهذا خُلقُه.

* * *

(٥ ـ ٦) ـ ﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ۝٥ بِأَيِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ﴾: وهذا وعدٌ له ووعيدٌ لأعدائه، يقول: فسترى أنت وسيرى هؤلاء الذين يجحدون نبوَّتك، وينسبونك إلى الجنون.

﴿بِأَيِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ﴾: والباء زائدة، وتقديره: أيّكم المفتون؛ أي: المُبتلَى بالجنون، وأنَّه الذي لا يفكِّر في عاقبة أمره، ولا يُحسن النَّظر لنفسه، وسيَظهر في العاقبة أن هذه الصِّفة لهم لا لك.

وقال أبو عبيدة والأخفش والقتبي: الباء زائدة، كما في قوله: ﴿تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ﴾ [المؤمنون: ٢٠][(٣)].

وقال الشَّاعر:

---

(١) رواه البخاري (٣)، ومسلم (١٦٠) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) رواه البخاري (٧٥١٠)، ومسلم (١٩٣) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٣) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (٢/ ٢٦٤)، و«غريب القرآن» لابن قتيبة (ص: ٤٧٧)، و«معاني القرآن» للأخفش (٢/ ٥٤٧).

هُــنَّ الحرائِــرُ لا رَبَّــاتُ أحمــرةٍ سـودُ المحاجِرِ لا يقـرأْنَ بالسُّـوَرِ[١]

وقال آخر:

نضـرِبُ بالسَّـيفِ ونرجـو بالفـرجْ[٢]

وقال الفرَّاء: الباء مقرَّرة، لكن ﴿الْمَفْتُونُ﴾ مصدرٌ[٣] بمعنى الفَتْن والفُتُون؛ كالمعقول والمجلود[٤]، والميسور والمعسور، تقديره: بأيكم الفَتْن.

وقال محمد بن جرير الطَّبري والزَّجَّاج: الباء بمعنى: (في)، كقولك: كنت ببلد كذا، أو في بلد كذا، وتقديره: في أيكم المفتون؛ أي: في أيِّ الفريقين منكم، فريق الإسلام أو فريق الكفر[٥].

---

(١) البيت للراعي النميري. انظر: «ديوانه» (ص: ١٢٢).

(٢) الرجز للنابغة الجعدي. انظر: «ديوانه» (ص: ٢١٦)، وفيه: نضرب بالبيض، وقبله:

نحـن بنـو جعـدة أصحـاب الفلـج

(٣) في (ر) و(ف): «الباء مقرَّرة لكون المفتون مصدراً».

(٤) في (أ): «كالمعقول والمجهول»، وفي (ر): «كالمفعول والمجهود» وفي (ف): «كالمعقول والمجهود». والصواب المثبت، يقال: ما لفلان معقول ولا مجلود؛ أي: ما له عقل ولا جلادة، ومثله أيضاً المعقود، يقال: ليس له معقول ولا معقود؛ أي: ليس له عقل ولا عقد رأي. انظر: «غريب القرآن» لابن قتيبة، و«تفسير الطبري»، و«معاني القرآن» للزجاج، و«تفسير الثعلبي»، و«البسيط» للواحدي، وغيرها، عند تفسير هذه الآية.

ولفظ الفراء في «معاني القرآن» (٣/ ١٧٣): المفتون هاهنا بمعنى: الجنون، وهو في مذهبِ الفتون، كما قالوا: ليس له معقول رأي، وإن شئت جعلته ﴿بِأَييِّكُمُ﴾: في أيكم؛ أي: في أي الفريقين المجنون، فهو حينئذ اسم ليس بمصدر.

(٥) انظر: «تفسير الطبري» (٢٣/ ٥٣٠، ٥٣٢)، و«معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٢٠٥)، وأجازه الفراء أيضاً. انظر التعليق السابق.

وقيل: ﴿ٱلْمَفْتُونُ﴾: الشَّيطان؛ لأنَّه مفتون في دينه، ومعناه: بأيِّكم الشَّيطان الذي يكون منه مسُّ الجنون.

***

(٧ ـ ٩) ـ ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ۝٧ فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ۝٨ وَدُّواْ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾: وينكشف لكم أيضًا في العاقبة الضَّالُّ من المهتدي من الفريقين.

وقوله تعالى: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾: قال مقاتل: أي: المكذبين بالبعث والحساب، وذلك حين دعوا رسول الله ﷺ إلى دين آبائه، فنزلت في بني المغيرة بن عبد الله بن عَمرو بن مخزوم، منهم الوليد بن المغيرة، وعبد الله بن أبي أميَّة بن المغيرة، وعبد الله بن عمرو بن مخزوم، وعثمان ونوفل ابنا عبد الله بن المغيرة، وأبو حذيفة بن المغيرة[١].

﴿وَدُّواْ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾: قال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: أي: لو تلين فيَلينون[٢].

وقال الضَّحَّاك وهو رواية عن ابن عبَّاس: أي: لو تكفر فيكفرون[٣].

وقيل: ودُّوا لو لِنْتَ لهم في دينهم بإجابتك إلى إعظام آلهتهم، فيلينون لك في عبادة الله تعالى.

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٤٠٣ ـ ٤٠٥).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ١٥٦).

(٣) رواه عنهما الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ١٥٦).

وأصله من الدُّهْنِ[1]، وهو راجع إلى المداراة والمقاربة والملاينة، فنهاه الله تعالى عن ذلك وأمره بالتصلُّب والجدِّ في أمر الله تعالى.

* * *

(١٠ ـ ١١) ـ ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝١٠ هَمَّازٍ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ﴾.

﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ﴾: ثم نهاه عن طاعة بعضهم خصوصًا لاختصاصه بخصال السُّوء وأسباب التَّمرُّد.

وقال مجاهد: هو الأسودُ بن عبد يغوث[2].

وقال الكلبيُّ: هو الأخنس بن شَرِيقٍ الثَّقفي[3].

وقال مقاتل: هو الوليد بن المغيرة[4]. وعليه أكثر المفسِّرين.

﴿كُلَّ حَلَّافٍ﴾: كثير الحَلِف بالأصنام والآباء.

﴿مَّهِينٍ﴾: دنيء ضعيف حقير، وقال الشَّاعر:

لا يَكْذبُ المرءُ إلَّا مِن مهانَتِهِ ... أو عادةِ السُّوء أو مِن قلَّةِ الأدبِ[5]

---

(١) يعني: شُبِّه التليين في القول بتليين الدهن. انظر: «تفسير الطبري» (٢٣/ ١٥٧).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٦٤).

(٣) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٢/ ٨١) عن الكلبي والسدي، وعن ابن عباس رضي الله عنهما من رواية عطاء، ورواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٥٧٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٦٤) عن السدي.

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٤٠٤).

(٥) البيت بلا نسبة في «الموشى» لأبي الطيب الوشاء (ص: ٤١)، و«التمثيل والمحاضرة» للثعالبي (ص: ٤٤٨)، و«محاضرات الأدباء» للراغب الأصفهاني (١/ ١٥٥). وبعده كما في «الموشى»:

لجيفة الكلب عندي خير رائحة ... من كذبة المرء في جد وفي لعب

وقال الحسن وقتادة: ﴿مَّهِينٍ﴾: مكثارٍ في الشَّرِّ(١).

من المهنة، وهي السَّعي في أسباب البيت والخدمة، فعيل بمعنى فاعل.

﴿هَمَّازٍ﴾: غيَّاب(٢) وقَّاع في النَّاس.

وقال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: مغتاب(٣).

﴿مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ﴾: كثيرِ المشي بالنَّميمة.

وقال الفرَّاء: النَّميم والنَّميمة لغتان في المصدر(٤).

وهي التَّضريب بين النَّاس بنقل الكلام الذي يُغلظ قلوبَ بعضهم على بعض، ويوقع الفساد والقطيعة بينهم.

* * *

(١٢ ـ ١٣) ـ ﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ﴾.

﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ﴾: كثير المنعِ نفعَه عن غيرِه، وقيل: بخيلٍ بالطَّعام.

وقال الخارجة: كان الوليد بن المغيرة إذا كانت أيَّام منًى أمرَ مناديًا ينادي: ألَا لا يوقدنَّ أحدٌ تحتَ بُرْمَةٍ، ألَا ومَن أرادَ الحَيْسَ فليأتِ الوليد بن المغيرة، فيطعم أهل منًى حيسًا ثلاثة أيَّام ما أكلوا، ويتقدَّم إليه المسكين فيسأله فلا يعطيه شيئًا، فنزلت فيه: ﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ﴾، كان ينفق في الحجَّة الواحدة عشرين ألفًا أو أكثر، ولا يعطي المسكين درهمًا(٥).

---

(١) رواه الطبري عنهما في «تفسيره» (٢٣/ ١٥٨).

(٢) في (أ): «عياب».

(٣) في (أ): «عياب». ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ١٥٩) بلفظ: «يعني: الاغتياب».

(٤) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ١٧٣).

(٥) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢١/ ١٥٥)، ولم يعزه لأحد. والحيس: تمر يخلط بسمن أو أقط. =

وقيل: كان يمنع بني عمِّه أنْ يتَّبعوا محمَّدًا ﷺ.

وقوله تعالى: ﴿مُعْتَدٍ﴾: أي: ظالم متجاوزٍ حدودَ الله في معاملاته.

﴿أَثِيمٍ﴾: أي: مرتكبٍ للإثم فيما بينه وبين الله.

وقال قتادة: ﴿مُعْتَدٍ﴾ في عمله ﴿أَثِيمٍ﴾ بربِّه[١].

﴿عُتُلٍّ﴾: جافٍ غليظ.

وقال الكسائيُّ: العُتُلّ: الشَّديد[٢].

وقال الخليل: هو الأكول المنُوع[٣].

وقال الفرَّاء: هو الخصيم بالباطل[٤].

وقال أبو عبيدة: هو الفظُّ الكافر[٥].

وقال أبو سعيد الضَّرير: هو السَّريع إلى الشَّرِّ.

وقال نفطويه: هو الفظُّ الغليظُ الذي لا ينقادُ إلى خير.

وقال بعض البصريِّين: هو الأكول الرَّحيب الجوف، الذي همَّته بطنُه.

وقال مجاهد: ﴿عُتُلٍّ﴾؛ أي: أكول شروب ظلوم غشوم[٦].

= وقوله: «الخارجة» لعله خارجة بن مصعب فإن المؤلف ينقل عنه.

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ١٦٠).

(٢) ذكره عنه أبو عبيد في «الغريب المصنف» (١/ ٣٦٦).

(٣) انظر: «العين» للخليل (٢/ ٦٩).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٧٣).

(٥) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (٢/ ٢٦٤).

(٦) ذكره مقاتل في «تفسيره» (٤/ ٤٠٤). وروى معناه الإمام أحمد في «المسند» (١٧٩٩١) من طريق =

وقال زيد بن أسلم: فاحش الخُلُق[١].

وقال يمان بن رئاب: قاسٍ لئيم العِشْرة[٢].

﴿بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ﴾: أي: مع ذلك، كما قال: ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ﴾ [النازعات: ٣٠].

وقيل: أي: نخبركم بعد هذا أنَّه زنيم.

قال عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه: الزَّنيم: الذي لا أصلَ له[٣].

وقال الفرَّاء والكسائيُّ: هو الملصَقُ بالقوم ليس منهم[٤].

وقال ابن عبَّاس رضي الله عنهما وأبو سعيد الخدريُّ وعكرمة وسعيد بن المسيب وعطاء ومجاهد والخليل والقتبيُّ: هو الدَّعيُّ[٥].

وقال حسان بن ثابت:

وأنتَ زنيمٌ نِيْطَ في آلِ هاشمٍ ... كما نِيْطَ خَلْفَ الرَّاكِبِ القَدَحُ الفَرْدُ[٦]

= شَهْرِ بن حَوْشَبٍ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ غَنْمٍ، قال: سُئِلَ رسولُ اللهِ ﷺ عن العُتُلِّ الزَّنِيم، فقال: «هو الشَّديدُ الخَلْقِ المُصَحَّحُ، الأَكولُ الشَّروبُ، الواجِدُ لِلطعامِ والشَّرابِ، الظَّلُومُ للناسِ، رَحِيبُ الجَوفِ». لكن إسناده ضعيف لضعف شهر بن حوشب، وعبد الرحمن بن غنم مختلف في صحبته كما ذكر الحافظ في «التقريب».

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ١٦٢) عن الحسن.

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ١٢).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ١٣).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٧٣).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ١٦٤ ـ ١٦٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما وابن المسيب وعكرمة. وعزاه الواحدي في «البسيط» (٢٢/ ٨٦) إلى مجاهد. وانظر: «العين» للخليل (٧/ ٣٧٥)، و«غريب القرآن» لابن قتيبة (ص: ٤٧٨).

(٦) انظر: «ديوان حسان» (ص: ٨٩).

وقال آخر:

زنيـــمٌ ليــسَ يُعْـرَفُ مَـنْ أبــوهُ   بغـــيُّ الأمِّ ذو حَســـبٍ لئيـــمِ[١]

وقال أبو سعيد الضَّرير: معلَّم باللُّؤم، له زَنَمةٌ يُعرَف بها، والتَّيس له زَنَمتان في أذنيه كأنَّهما قرطان[٢].

قال مرَّة الهمذانيُّ: أي: ادَّعاه أبوه بعد ثماني عشرة سنة[٣].

وقيل: كان نسبُه من أبيه ظاهرًا، لكن هذا إخبارٌ من الله تعالى عن حقيقة حاله عنده أنَّه لغير رِشْدَةٍ.

وقد روي: أنَّه دخل على أمِّه شاهرًا سيفَه، وقال: إنَّ محمَّدًا ذمَّني بعشر صفات، ووجدْتُ تسعةً في نفسي، فأمَّا الزنيم فلا علم لي به، فإنْ أخبرتِني بحقيقته وإلَّا ضربْتُ عنقَكِ. فقالت: اسكُنْ ولأَصْدُقنَّكَ، وتأمَّل إنْ نفعتُكَ بما فعلْتُ[٤]، وإلَّا فعاتبني[٥]، اعلم أنَّ أباك كان عنِّينًا[٦]، وخفْتُ أن يموتَ فينقطعَ ذِكْرُه، ويتفرَّقَ مالُه في غير ولدِه، فدعوْتُ راعيًا إلى نفسي، فأنت من ذلك الرَّاعي[٧].

---

(١) البيت بلا نسبة في «تفسير الطبري» (٢٣/ ١٦٤)، و«تأويلات أهل السنة» (١٠/ ١٤٢)، و«تفسير الثعلبي» (١٠/ ١٣).

(٢) ذكر نحوه الواحدي في «البسيط» (٢٢/ ٨٧) عن عكرمة. وروى البخاري (٤٩١٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ﴿عُتُلٍّ بَعۡدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ﴾: «رجل من قريش له زنَمة مثل زنمة الشاة».

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ١٣)، والواحدي في «البسيط» (٢٢/ ٨٧).

(٤) في (ر) و(ف): «قلت».

(٥) في (أ) و(ف): «فعاقبني».

(٦) في (أ): «كان غنيًا».

(٧) ذكره النسفي في «تفسيره» (٤/ ٢٦٩).

قال أهل العلم: إنَّ الوليد الملعون عابَ رسول الله ﷺ بما ليس فيه، وسمَّاه باسمٍ واحدٍ قبيحٍ كاذبًا، وهو المجنون، فأجاب الله عنه، وسمَّاه بعشرة أسماء صادقًا، وهي مذمومة، فإن كان من عدل الله أن يجزي المسيء إلى رسوله بعشرٍ، كان من فضل الله تعالى أنَّ مَن صلَّى عليه واحدة صلَّى الله عليه بها عشرًا.

***

(١٤ ـ ١٦) ـ ﴿أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾ سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ﴾: قرأ حمزة وعاصم في رواية أبي بكر: ﴿أأنْ كانَ ذَا﴾ بهمزتين، وهو استفهام بمعنى التَّوبيخ، وقرأ ابن عامر بالمدِّ، وهو كذلك.

وقرأ الباقون بهمزة واحدة[١]، ومعناه: ولا تطعْهُ بأن كان، أو لأن كان.

وقوله تعالى: ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾: ويجوز على الوجهين اتِّصاله بقوله: ﴿أَن كَانَ﴾، ويجوز أن يكون هذا ابتداءً، وقوله: ﴿أَن كَانَ﴾ متَّصلًا بقوله: ﴿فَلَا تُطِعِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ﴾: قال السُّدِّيُّ رحمه الله: أي: على الأنف. وكذا قال الرَّبيع بن أنس[٢].

وقال أبو سعيد الضَّرير: الخرطوم: الفم وطرف الأنف، قاله[٣] نفطويه.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ٦٤٦)، و«التيسير» للداني (ص: ٢١٣).

(٢) ذكره ابن كثير في «تفسيره» (٨/ ١٩٥) عن السدي، ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٢٨٨)، والطبري في «تفسيره» (٢٣/ ١٧٠) عن قتادة.

(٣) في (ف): «وقال»، وفي (ر): «وكذا».

فإنْ قيل: أليس يسوَّد وجهُ الكافر، فما بالُ ذِكر الأنف خاصَّة؟

فالجواب: أنَّ العرب خُوطبت بما[1] تتكلَّم، فيقولون: أرغمْتُ أنفه، واحتززْتُ أنفَه، وقدْتُه بخزامته، ويقولون: شمَخ بأنفِه، فينسبون الكِبْر إلى الأنف، وهكذا ذكرُ الأنف بالوَسم، وإن كان السَّواد في سائر وجهه، قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران: ١٠٦].

وقيل: هو على مجاز كلام العرب إذا شانوا الرَّجل بما يبقى عاره، قالوا: وسَمْتُه وكويته، قال جرير:

لَمَّا وضعْتُ على الفرزدقِ مِيْسَمي وعلى البَعِيْثِ جدعْتُ أنفَ الأخطلِ[2]

والتَّأويل: سنسم هذا الكافر بسِمَةٍ لا تفارقُه أبدًا؛ أي: سنُلحق به عارًا لا يفارقُه في الدُّنيا والآخرة.

وقد فعل ذلك لَمَّا أنزل في القرآن من ذكر خصاله هذه، فعرفه بها الأوَّلون والآخرون، فصار ذلك شَينًا باقيًا عليه.

وخَصَّ ذكرَ الخرطوم لأنَّ ذلك ممَّا لا يَنكتِم كما ينكتم إذا كان في سائر البدن.

* * *

(١٧ ـ ١٩) ـ ﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ (١٧) وَلَا يَسْتَثْنُونَ (١٨) فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ﴾.

وقول تعالى: ﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ﴾: أي: اختبرنا هؤلاء المشركين المانعين الخيرَ بالأولاد والأموال ليشكروا، لا ليطغَوا ويمنعوا خيره[3].

(١) في (أ) و(ف): «كما».

(٢) انظر: «ديوان جرير» (٢/ ٩٤٠).

(٣) في (ر): «ليشكروا لطفه أو يمنعوا خيره».

﴿كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَـٰبَ ٱلْجَنَّةِ﴾: أي: البستان، وكان بأرض اليمن في قرية يُقال لها: ضروان، على فراسخَ من صنعاء، وكانت بالقُرْب من أهل مكَّة، وقد عرفوا ذلك، وكانت لرجلٍ يؤدِّي حقَّ الله منها، ويواسي عبادَه منها، فلمَّا مات صارَتْ إلى ولدِه، فمنعوا النَّاس خيرَها، وبخلوا بحقِّ الله تعالى فيها، فأهلكها الله تعالى، فكذلك هؤلاء.

﴿إِذْ أَقْسَمُوا۟﴾: أي: حين حلفوا ﴿لَيَصْرِمُنَّهَا﴾؛ أي: ليقطعُنَّ ثمارها، ويجوز في النَّخيل والأعناب والزُّروع.

﴿مُصْبِحِينَ﴾: داخلين في أوَّل صباح النَّهار[1] قبل انتشار المساكين.

﴿وَلَا يَسْتَثْنُونَ﴾: أي: ما قالوا: إن شاء الله[2].

---

(١) في (أ): «داخلين في الصباح».

(٢) كذا قال المؤلف في معناها، وهو قول كثير من المفسرين، لم يفسروها بغيره، وقال الواحدي في «البسيط» (٢٢/ ٩٦): وهو قول جماعة المفسرين، والظاهر على هذا كما قال الآلوسي في «روح المعاني» (٢٧/ ٣٤٧): عطفه على ﴿أَقْسَمُوا۟﴾، قال: فمقتضى الظاهر: وما استثنوا، وكأنه إنما عدل عنه إليه استحضاراً للصورة لما فيها من نوع غرابة؛ لأن اللائق في الحلف على ما يلزم منه ترك طاعةٍ الاستثناءُ.

قلت: لكن لعل في ظاهر هذا القول بعداً عن المعنى المراد؛ لأن الذي ينطلق ليمنع خيراً عن الناس وهو مصر على هذا المنع بل وأقسم عليه، لا يوصف بعدم الاستثناء، ولا يذم به، بل بفعله الذي هو مقدم عليه، لكن لعل فيما قاله ابن عاشور في «التحرير والتنوير» (٢٩/ ٨١) في تعليل هذا القول ما يقربه للمعنى المراد، حيث قال: وعلى هذا التفسير يكونُ قوله: ﴿وَلَا يَسْتَثْنُونَ﴾ مِن قَبِيل الإدماج؛ أَي: لمَبْلَغ غرورهم بقوة أنفسهم صاروا إذا عزموا على فِعلِ شيءٍ لا يَتوقَّعون له عائقًا.

وهو تعليل حسن، لكن ذكر العلماء في معنى الآية أقوالاً أخر لعلها أقرب، فابن عاشور نفسه قد أخر القول السابق وقدم عليه قوله: ومعنى ﴿وَلَا يَسْتَثْنُونَ﴾: أَنَّهم لا يستثنون من الثَّمَرة شيئًا للمساكين، أي: أقسموا لَيَصْرِمُنَّ جميعَ الثَّمَر ولا يتركون منه شيئًا.

والآلوسي أيضاً قد ذكر نحو هذا وقبِله، فقال: وقيل: المعنى: ولا يستثنون حصة المساكين كما كان =

﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ﴾: أي: أتى هذه الجنَّة أمرٌ من أمر الله تعالى ليلًا فاستأصلها.

﴿وَهُمْ نَآئِمُونَ﴾: أي: في حال نومِهم.

***

(٢٠ ـ ٢٤) ـ ﴿فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ (٢٠) فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ (٢١) أَنِ اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ (٢٢) فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ (٢٣) أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ﴾.

﴿فَأَصْبَحَتْ﴾: أي: الجنَّة ﴿كَالصَّرِيمِ﴾ قال الكسائيُّ: أي: كالمصروم[١].

وإنَّما قال: ﴿فَأَصْبَحَتْ﴾، وقد طاف الطَّائف ليلًا؛ لأنَّ معناه: فنظروا إليها صباحًا، فصارَت لهم كجنَّة قد صُرِمَتْ ثمارها، وكأرضٍ قد حُصِدَ زرعُها.

وكذلك قال قتادة: ﴿كَالصَّرِيمِ﴾: كأنَّها صُرِمَتْ[٢].

وقال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: ﴿كَالصَّرِيمِ﴾؛ أي: سوداء محترقة كاللَّيل[٣].

وأنشد أبو عمرو بن العلاء:

تطاولَ ليلُكَ الجَوْنُ البَهيمُ فما ينجابُ عنْ صُبْحٍ صَريمُ

= يخرج أبوهم، وعليه هو معطوف على قوله تعالى: ﴿لَيَصْرِمُنَّهَا﴾ ومقسم عليه، أو على قوله سبحانه: ﴿مُصْبِحِينَ﴾ الحال، وهو معنًى لا غبار عليه.

قلت: وهذا القول مروي عن السلف، فقد عزاه الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٦٧) لعكرمة. ومما قيل في معناها أيضاً ما ذكره ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٥/ ٣٤٩): ﴿وَلَا يَسْتَثْنُونَ﴾: ولا يتوقفون في ذلك، أو: ولا ينثنون عن رأي منع المساكين.

(١) ذكره البخاري قبل حديث رقم (٤٩١٧)، والماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٦٨)، والواحدي في «البسيط» (٢٢/ ٩٨ ـ ٩٩) وحمل عليه كلام قتادة الآتي.

(٢) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٢/ ٩٨).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ١٧٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٦٦).

إذا مـا قلْـتَ أقشـعَ أو تناهـا   جـرَتْ مِـنْ كُلِّ ناحيـةٍ غيـومُ(١)

﴿فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ﴾: أي: لَمَّا أصبح أصحابُ الجنَّة نادى بعضهم بعضًا: ﴿أَنِ اغْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ﴾؛ أي: امضوا لصِرام بستانكم ﴿إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ﴾؛ أي: إن كنتم مريدين صرامَه.

﴿فَانطَلَقُوا﴾: أي: ذهبوا في هذا الوقت ﴿وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ﴾؛ أي: يخفضون أصواتهم في الكلام، ويتسارُّون بهذا الحديث.

﴿أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ﴾: وله وجهان:

أسرِعوا قبل أن يحضر المساكين.

والثَّاني: إذا حضروا فلا تدعونهم يدخلونها، ولا تعطوهم شيئًا.

* * *

(٢٥ ـ ٢٧) ـ ﴿وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ قَادِرِينَ (٢٥) فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ (٢٦) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ قَادِرِينَ﴾: أي: قصدٍ قادرين عندَ أنفسِهم.

وقيل: على منعٍ.

وقال نفطويه: على حدٍّ في المنع، قادرين عند أنفسهم على المنع.

وقيل: أي: مع القدرة على الإعطاء، ومع السَّعة التي لا عذر معها في المنع.

وقال الحسن وقتادة: على فقرٍ وفاقة إليها(٢)، من قولهم: حاردَتِ السَّنةُ: إذا منعَتْ قطرَها، وحاردَتِ النَّاقةُ: إذا منعَتْ لبنَها.

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٢٣/ ١٧٤)، و«النكت والعيون» (٦/ ٦٨). الجون: الأسود المشرب حمرة. انظر: «اللسان» (مادة: جوب).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ١٧٨) عن الحسن. ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٢٨٤) عن قتادة بلفظ: (على جهد من أمرهم).

﴿قَٰدِرِينَ﴾ على المنع عند أنفسهم.

وقال سفيان: ﴿عَلَىٰ حَرۡدٖ﴾؛ أي: على غضب وحقد على المساكين(١).

﴿فَلَمَّا رَأَوۡهَا﴾: أي: فلمَّا أتوا الجنَّة ورأوها محترقة ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا لَضَآلُّونَ﴾؛ أي: قال بعضهم لبعض: إنَّا ضللنا طريقنا(٢)، فليسَتْ هذه هي.

وقيل: بل أرادوا: إنَّا لضالُّون عن الصَّواب؛ أي: في غدوِّنا على نيَّة منع المساكين، فلذلك عوقبنا بهلاكها.

﴿بَلۡ نَحۡنُ مَحۡرُومُونَ﴾: أي: تنبَّهوا أنَّهم ما أخطؤوا طريق بستانهم، وقالوا: ما ضللنا الطَّريق، لكنَّ الله تعالى حرمَنا ثمارَها بسوء نيَّتنا، ويكون هذا اعترافًا بالذَّنب.

وقيل: بل أرادوا به: إنَّا مجارَفون(٣)، كالرَّجل يريد الشَّيء فلا يناله، فيقول: هذا من حرماني، لا يعترف بعقوبةٍ على جناية، بل يضيفه إلى عدم الجدِّ وحرمان الحظِّ.

* * *

(٢٨ ـ ٣٠) ـ ﴿قَالَ أَوۡسَطُهُمۡ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ لَوۡلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُواْ سُبۡحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَلَٰوَمُونَ﴾.

قوله: ﴿قَالَ أَوۡسَطُهُمۡ﴾: أي: أعدَلُهم وأنبلهم: ﴿أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ لَوۡلَا تُسَبِّحُونَ﴾ قيل: هلَّا تعظِّمون الله تعالى بتفويض الأمر إليه، والتَّبرِّي من الحول والقوَّة والتَّعليقِ بالاستثناء.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ١٧٨) بلفظ: «على حنق».

(٢) في (ف): «طريق جنتنا».

(٣) في (ف): «محارفون»، وفي (ر): «محارمون». والمثبت من (أ)، يقال: رجلٌ مُجَارَفٌ بفتح الراء: لا يَكْسِبُ خيراً، ولا يُنَمِّي مالَه، كالمُحَارَف، بالحاء. انظر: «التاج» (مادة: جرف)

وقال مجاهد: كان التَّسبيح منهم استثناء[١].

أشار إلى أنَّ هذا الأوسط كان أمرهم بذلك أوَّلًا فامتنعوا، وبنوا الأمر على قدرتهم.

﴿قَالُواْ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾: اشتغلوا بالتَّسبيح، واعترفوا بالذَّنب، وهو نيَّة المنع أو ترك الاستثناء.

﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ﴾: أي: يلوم كلُّ واحدٍ منهم صاحبَه على ترك نهيه عنه.

وقال الكلبيُّ: أي: يقول: أنت أشرْتَ علينا بذلك[٢].

* * *

(٣١ ـ ٣٣) ـ ﴿قَالُواْ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ وَلَعَذَابُ ٱلْأَخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾.

﴿قَالُواْ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ﴾: مفرِطين في المعصية، مجاوِزين لحدِّ الطَّاعة.

ثم انقطعوا بآمالهم إلى الله تعالى فقالوا:

﴿عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ﴾: قال الحسنُ رحمه الله: لا أدري أكان ذلك إيمانًا منهم أم ما يكون من المشرك عند البلاء.

﴿كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ﴾: أي: كذلك نعذِّب مَن فعل فعلَهم بما به عذَّبناهم.

﴿وَلَعَذَابُ ٱلْأَخِرَةِ أَكْبَرُ﴾: أي: للمشركين ﴿لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾: يتفكَّرون[٣] في العواقب فيعلمون ذلك.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ١٨٢).

(٢) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٢/ ١٠٧).

(٣) في (ر): «ينظرون».

قال أبو معاذ: قال خارجةُ: حُدِّثْتُ أنَّ هذه الجنَّة كانت قريبةً من صنعاء في الفترة، وكان أهلها مسلمين على دين عيسى، وكان الفقراء يعملون في تلك الجنَّة ستَّ سنين، والنَّفقة على الأغنياء، فإذا كانت السَّنةُ السَّابعةُ كان للفقراء ثمرُها وخيرها، غيرَ أنَّ الرِّقاب لأربابها الأغنياء، فكانوا كذلك ما شاء الله، ثمَّ دخلهم ما يدخل النَّاس من الأمر الطبيعي، فغدَوا ليَحرموا المساكين في سنَتهم السَّابعة، فابتلاهم الله تعالى بما ذكَرَ، فتاب اللهُ عليهم، فلمَّا كان في السَّنة الثَّامنة عمَروها من أموالهم ونفقاتهم، فدفعوها إلى الفقراء، فتاب الله عليهم.

وعن ابن عبَّاس رضي الله عنهما: أنَّ الله تعالى ابتلى أهل مكَّة بالقحط بعد تعزُّزهم بالأموال، كما كان لأهل تلك الجنَّة[١].

وقال الكلبيُّ: بلغَنا أنَّهم كانوا أبناء قوم صالحين، وأنَّ أباهم قد جعل للمساكين حظًّا من جنَّته عند الحصاد ما أخطأ[٢] المنجلُ، وعند القطاف ما أخطأ القاطف[٣]، ومن النَّخل ما انتثر منها، فلمَّا مات شيخُهم قال بنوه: إنَّ في هذا الفضل لطعامٌ كثيرٌ، وغدوا وقت السُّدْفة[٤]، وتقاسموا ألَّا يُطعموا مسكينًا شيئًا، فأصابهم ما ذكر الله تعالى[٥].

---

(١) ذكر نحوه بلا نسبة: الزجاج في «تفسيره» (٥/ ٢٠٩)، والماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (١٠/ ١٤٤)، والثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ١٦).

(٢) في (أ): «أخطؤوا».

(٣) في (أ): «القاطفة».

(٤) في (ر): «السرمة»، وفي (ف): «الشدفة». والسُّدفة: الظلمة، والشدفة بمعناها. انظر: «القاموس المحيط» (مادة: سدف وشدف).

(٥) روى نحوه الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ١٦) من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما.

قال قتادة: ذُكِر لنا أنَّ شيخًا من بني إسرائيل كان له جنَّة وبنون، فجعل الشَّيخ ينظر قَدْرَ ما يكفيه وولده وأهله، فيمسكه ويتصدَّق بالباقي، وجعل بنوه يقولون له: لئِنْ لم تنتهِ لنفعلَنَّ ولنفعلَنَّ، فأبى أن يعطيَهم، فمات الشَّيخ، وورثه بنوه، ومنعوا الحقَّ عن المساكين، فأصبحت جنَّتهم كالصَّريم(١).

وقال عكرمة: هم ناسٌ من الحبشة كانت لأبيهم جنَّة، وكان يطعم المساكين منها، فمات أبوهم، فقال بنوه: كانوا أبونا أحمقَ حين يُطعم المساكين، فأجمَعوا ليَصرمنَّها مصبحين... القصَّة(٢).

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: بلغني أنَّ القوم أخلصوا، وعلم الله منهم الصِّدق، فأبدلهم بها جنَّة يُقال لها: الحيوان، فيها عنب يحمل البغلُ منها عنقودًا(٣).

***

(٣٤ ـ ٣٨) ـ ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٣٤﴾ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾: ذكر أوَّلًا: ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ﴾ وذلك للمشركين، وذكر بعد ذلك ما يكون للمتَّقين أنَّهم لم يتعزَّزوا بجنَّات الدُّنيا ونعيمها، ولم يمنعوا حقَّ المساكين منها، وأعطاهم الله تعالى جنَّات النَّعيم في الآخرة.

﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ﴾: استفهام بمعنى النَّفي؛ أي: لا نسوِّي بينهم.

---

(١) ذكره الماوردي في «تفسيره» (٦/ ٦٧).

(٢) ذكره مختصرًا الماوردي في «تفسيره» (٦/ ٦٧) دون نسبة.

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ١٨).

﴿مَا لَكُمْ﴾: أي: ما اعترَض في عقولكم حتَّى سوَّيتم بينهم، بل قدَّمتم أولئك على هؤلاء.

﴿كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾: بهذا ﴿أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ﴾.

﴿إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ﴾: كسَر (إنَّ) لِمَا ذُكر بعدها مِن اللَّام، ولولاها لفتحت لوقوع الفعل السَّابق عليه.

وذكر ﴿فِيهِ﴾ مرَّتين، وذكر الكسائيُّ أنَّ الأوَّل يجوز أن يكون كنايةً عن الكتاب، والثَّاني عن الحكم، ويجوز على عكسه.

وهو ردٌّ لقولهم: ﴿لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا﴾ [مريم: ٧٧]، ﴿وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِندَهُ لَلْحُسْنَىٰ﴾ [فصلت: ٥٠].

***

(٣٩ ـ ٤١) ـ ﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ (٣٩) سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ (٤٠) أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِن كَانُوا صَادِقِينَ﴾.

﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ﴾: وكسر ﴿إِنَّ﴾ للَّام أيضًا في هذا، ومعناه: أم لكم علينا أيمان حلفنا بها لكم أنَّا نعطيكم إلى يوم القيامة جميعَ ما تحكمون علينا لأنفسكم في الدُّنيا، حتَّى لا نزيل عنكم مع كفركم نعمةً.

والآية الأولى من نعم الآخرة، فتتَّصل لهم نِعمُ الدُّنيا والآخرة بتحكُّمهم.

قوله تعالى: ﴿سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ﴾: أي: سَلْ هؤلاء المشركين يا محمَّد أيُّهم الضَّامن لهم من الله بهذا.

وقيل: سلهم أيُّهم يقوم بتصحيح هذه الدَّعوى.

﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ﴾ في هذا القول يشهدون[١] لهم بصحَّته[٢].

﴿فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾: أنَّ لهم شهداء.

وقيل: معناه: ﴿أَمْ لَهُمْ﴾ آلهةٌ أشركوها بالله فهي لهم ﴿شُرَكَاءُ﴾؛ أي: عندهم ينزلونهم يوم القيامة منازلَ المتَّقين، ﴿فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ﴾ هؤلاء ليفعلوا بهم يوم القيامة ذلك ﴿إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾.

* * *

(٤٢) ـ ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾.

وقوله: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾: أي: فليأتوا بهم في هذا اليوم الذي يُكشَف فيه عن أهوال وشدائدَ، والعرب تقول للأمر إذا اشتدَّ: قام على[٣] ساق. وقال الشاعر:

قد سنَّ أقوامك ضربَ الأعناقْ وقامتِ الحربُ بنا على ساقْ[٤]

وقال آخر:

---

(١) في (أ): «ليشهدوا».

(٢) في (ف): «بتصحيح هذه الدعوة».

(٣) في (أ): «عن».

(٤) الرجز نسبه البلاذري في «أنساب الأشراف» (١٢/ ٣٨٤) لأبي البلاد خليفة بن بلاد، وذكره الراغب في «محاضرات الأدباء» (١/ ٢١٢) وقال: الأبيات لرؤبة قالها وقد تولى طراد الطير عن زرع له. ونسب لرؤبة أيضاً في «محاضرات الأدباء» للأصفهاني (١/ ٢١٢)، و«التذكرة الحمدونية» (٣/ ٢٢٣)، و«باهر البرهان في معاني مشكلات القرآن» لبيان الحق الغزنوي (٣/ ١٥٣٥). وهو دون نسبة في «غريب الحديث» لابن قتيبة (١/ ٢٦٣)، و«الزاهر» لابن الأنباري (٢/ ٣٧١)، و«البصائر والذخائر» للتوحيدي (٩/ ١١٤)، و«تفسير الثعلبي» (١٠/ ١٩)، و«اللامع العزيزي شرح ديوان المتنبي» للمعري (ص: ١٢٩٩). وجاء في المصادر: (ومن طرادي الطير...).

عجبْتُ مِـنْ نفسِـي ومِـنْ إشـفاقِها ... ومِـنْ ذيـادي الطَّيـرَ عَـنْ أرزاقِهـا
فـي سَـنَةٍ قـد كشـفَتْ عـن سـاقِها ... حمـراءَ تُبدي اللحـمَ عـن عُراقِها(١)

وقال القتبي: وأصل هذا: أنَّ الرجل إذا وقع في أمر عظيم يحتاج إلى معاناة وجدٍّ فيه شمَّر عن ساقه، فاستعير السَّاق في موضع الشِّدة(٢).

وقال دريد بن الصِّمَّة:

كَمِيْشُ الإزارِ خـارجٌ نصـفُ سـاقِهِ ... صَبـورٌ عـلى الجـلَّاءِ طـلَّاعُ أنجـدِ(٣)

وقال الهذلي:

وكنْـتُ إذا جـاري دعـا لِـمَضُوفَةٍ ... أشـمِّرُ حتَّى يَنْصُفَ السَّاقُ مِئزَرِي(٤)

والحملُ في هذه الآية على ظهور شدائد الأمور قولُ ابن عبَّاس وعكرمة ومجاهد وجماعة(٥).

---

(١) الرجز أنشده ابن عباس رضي الله عنهما في شرح الآية، قال: (يكشف عن أمر عظيم، ألا تسمع العرب تقول: وقامَتِ الحَرْبُ...) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ١٨٧). وروى ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٦٦) من طريق عكرمة عنه أنه سئل عن هذه الآية فقال: إذا خفي عليكم شيء من القرآن فابتغوه في الشعر فإنه ديوان العرب، أما سمعتم قول الشاعر:

اصبِـرْ عَنَـاقِ إنَّـه شَـرٌّ باق ... قـد سَـنَّ لـي قـومـك...

(٢) انظر: «تأويل مشكل القرآن» لابن قتيبة (ص: ٨٩).

(٣) انظر: «ديوان دريد بن الصمة» (ص: ٤٩).

(٤) انظر: «ديوان الهذليين» (٣/ ٩٢).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ١٨٧ ـ ١٨٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وسعيد بن جبير وقتادة.

وقال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: هو أشد ساعةٍ في يوم القيامة[١].

وقوله تعالى: ﴿وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ﴾: أي: ويدعى هؤلاء المشركون إلى السُّجود ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ ذلك.

***

(٤٣) ـ ﴿خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ﴾.

﴿خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ﴾: أي: ذليلةً ﴿تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾؛ أي: تغشاهم ﴿وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ﴾؛ أي: في الدُّنيا ﴿وَهُمْ سَٰلِمُونَ﴾؛ أي: ولهم سلامة الآلات ولا يسجدون.

وقوله تعالى: ﴿يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ﴾ ليس هذا بدعاءِ أمر ونداء، بل معناه: يُحملون على قصد السُّجود، وذلك إذا رأوا المؤمنين يسجدون لله تعالى يومئذ ويقدرون، فيقصد المنافقون والمشركون، فيصير ظهورهم طبقًا واحدًا، وفي رواية: كسفافيد[٢] الحديد، فلا تنحني، فيبقون قيامًا كذلك[٣].

﴿وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ﴾ في الدُّنيا، قيل: هو نداء المؤذِّن إلى الصَّلاة.

قال كعبُ الأحبار: والله ما نزلت هذه الآية إلَّا في المتخلِّفين عن الجماعات[٤].

***

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ١٨٨).

(٢) جمع السَّفُّود: وهو حديدة يُشْوَى عليها اللحمُ. انظر: «اللسان» (مادة: سفد).

(٣) روى البخاري (٤٩١٩)، ومسلم (١٨٣) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «يكشف ربنا عن ساقه، فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة، فيبقى كل مَن كان يسجد في الدنيا رياء وسمعة، فيذهب ليسجد، فيعود ظهره طبقا واحدًا».

(٤) عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٢٥٦) إلى ابن مردويه.

(٤٤) ـ ﴿فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾: أي: فكِلْ يا محمَّد هؤلاء المكذِّبين بهذا القرآن إليَّ.

﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم﴾: أي: سنُدْنيهم من عذابنا ونقمتنا بالإمهال قليلًا قليلًا، كما يرقَى الرَّاقي موضعًا عاليًا، فيتدرج إليه درجة درجة، وشيئًا شيئًا، حتى يصل إليه بالـمَهَل.

﴿مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾: أي: من حيث يغترُّون بطول الإمهال ولا يدرون تقريبي إيَّاهم من العذاب والنَّكال.

وقال زيد بن أسلم: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم﴾؛ أي: نُسبغ عليهم النِّعم ونُنسيهم الشُّكر[(١)].

وعن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «إذا رأيتَ اللهَ تعالى ينعمُ على عبدٍ وهو مقيمٌ على معصيتِه، فاعلم أنَّه مستدرَجٌ»، وتلا قوله: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾[(٢)].

وعن عمر رضي الله عنه لَمَّا حُمل إليه كنوز كسرى وملؤوا منها المسجد بكى وقال: أخشى أن أكون مستدرجًا، وتلا هذه الآية[(٣)].

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (١١٦)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٧/ ٧)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (١٠٢٤)، عن سفيان الثوري.

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١٧٣١١)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٧/ ٣٣٠)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٤٢٢٠)، من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه. قال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (ص: ١٤٧٧): رواه أحمد والطبراني والبيهقي في «الشعب» بسند حسن.
لكن الآية المتلوة عندهم هي قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: ٤٤ ـ ٤٥].

(٣) ذكره الإمام الشافعي في «الأم» (٤/ ١٥٧) عن غير واحد من أهل العلم، ومن طريقه البيهقي في =

وقال أبو روق: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم﴾: كلَّما أحدثوا خطيئةً جدَّدنا لهم نعمةً وأنسيناهم الاستغفار(١).

* * *

(٤٥ ـ ٤٧) ـ ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ (٤٥) أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ (٤٦) أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾.

قوله ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾؛ أي: أمهلهم ولا أعاجلهم بالعذاب.

والإملاء: إطالة الملاوة(٢) ـ بفتح الميم وضمِّها وكسرها ـ وهي المدَّة من الدَّهر.

﴿إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾؛ أي: أخذي بالعذاب شديدٌ قويٌّ.

نزلَتْ في المستهزئين من قريش، وقتلَهم اللهُ تعالى في ليلةٍ، وقد مرَّت قصتُهم آخِر (سورة الحجر).

قوله تعالى: ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا﴾: معطوف على ما مرَّ: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ﴾.

﴿فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ﴾: استفهام بمعنى النَّفي؛ أي: لستَ تطمع في شيء من أموالهم في تبليغ الوحي فيثقلَ عليهم فيمتنعوا لذلك.

قوله تعالى: ﴿أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾: قيل: أم عندهم اللَّوح المحفوظ وهم

= «السنن الكبرى» (١٢٨١٢).

(١) ذكره عن أبي روق الرازي في «التفسير الكبير» (٢٠/ ٨٥). ورواه الدينوري في «المجالسة» (٣٤٠٨) من طريق أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما. ورواه السلمي في «تفسيره» (٢/ ٣٤٦) عن ابن عطاء.

(٢) في (ر): «الملاومة».

يكتبون منه ما هو كائن، فيجادلونك به ويزعمون أنَّهم على كفرهم أفضلُ منك عند الله، وأنَّه لا ينزل بهم عذابٌ مستأصِل، أو فيه أنَّ البعث غير كائن.

* * *

(٤٨ ـ ٤٩) ـ ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ لَّوْلَا أَن تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾: أي: لِمَا حكم عليك مِن تبليغ[1] الرِّسالة باحتمال أذى قومك، ولا تَضِقْ به صدرًا، واترك معاجلتهم بالعذاب.

﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ﴾: أي: كيونس عليه السَّلام؛ إذ لم يصبر على أذى قومه وخرج مغاضبًا، فضيَّق الله عليه، فالتقمَه الحوتُ.

﴿إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾: قال الحسين بن الفضل: ﴿إِذْ نَادَىٰ﴾ لا يرجع إلى قوله: ﴿وَلَا تَكُن﴾؛ إذ النِّداء طاعة فلا يُنهى عنها، لكن معناه: واذكره إذ نادى وهو مكظوم؛ أي: مملوءٌ حزنًا وغضبًا.

﴿لَّوْلَا أَن تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِ﴾: أي: لو لا أنَّ الله تعالى أنعمَ عليه بإجابة دعائه وقَبول عذره.

﴿لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ﴾: أي: لألقي بالأرض العارية عن النَّبات والبناء ﴿وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾ بزلَّته.

وقد مرَّ في آية أخرى: ﴿فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ﴾ [الصافات: ١٤٥]؛ أي: ألقاه الحوت.

ولا تختلف الآيتان لوجهين:

أحدهما: أنَّ الأوَّل ليس بمطلَق النبذ، بل لنبذِه مذمومًا ولم يكن كذلك، وفي الثَّاني نبذَه بالعراء وقد كان محمودًا، وأرسله إلى مئة ألف أو يزيدون.

---

(١) في (أ): «بتبليغ» بدل من «من تبليغ».

والثَّاني: ﴿لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ﴾؛ أي: لبقي في بطن حوته إلى يوم القيامة، ثم ألقي في عراءِ عرصة القيامة، حين يحشر النَّاس، ولكنْ منَّ الله تعالى عليه فنبذَه بعراء الدُّنيا، وهو كقوله: ﴿لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الصافات: ١٤٤].

***

(٥٠ ـ ٥١) ـ ﴿فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ (٥٠) وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ﴾.

﴿فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ﴾: أي: اصطفاه لدعائه وعذَره.

﴿فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾: أي: من المرسلين إلى مئة ألف أو يزيدون؛ فإنَّ الصَّالحين اسمُ الرُّسل.

وقيل: أي: بنبوَّته، وعذَره جعَلَه صالحًا، لم تبقَ له زلَّة، بل هو مستكمِل[١] لصفات الصَّلاح.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ﴾: وقد مرَّ مرَّات أنَّ (إنْ) الخفيفة وبعدها اللَّام لذلك وجهان:

أحدهما: أنَّ (إنْ) نفيٌ، واللَّام بمعنى (إلَّا).

ووجه آخر: أنَّهما للتَّأكيد.

وقرأ حمزة: ﴿لَيَزْلِقُونَكَ بأبصارِهم﴾ بفتح الياء من زَلِقَ، والباقون بضمِّها من أَزْلَقَ[٢].

---

(١) في (ف): «بل هو مستمسك» وفي (ر): «وهو مستكمل».

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٦٤٧)، و«التيسير» (ص: ٢١٣). والقراءة فيهما عن نافع لا عن حمزة. ووافقه أبو جعفر. انظر: «النشر» لابن الجزري (٢/ ٣٨٩).

وزَلِق: إذا سقط، وأَزْلَق: إذا أَسْقط.

يقول: يكاد هؤلاء المشركون يسقطونك بعيونهم لشدَّة نظرهم بها إليك بغضًا لك وغيظًا عليك ﴿لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ﴾؛ أي: حين يسمعون القرآنَ؛ لِمَا فيه مِن سبِّهم، وتسفيه أحلامِهم، وعجزهم عن معارضته.

﴿وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ﴾: أي: إنَّ محمَّدًا لمجنون، وكلامه كلام مجنون.

* * *

(٥٢) ـ ﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾.

فردَّ الله تعالى قولَهم فقال: ﴿وَمَا هُوَ﴾: أي: وما كلامه والذي يقرؤه[1] كلام مجنون.

﴿إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ أي: ما هذا القرآن إلَّا ذكر؛ أي: تذكير للعالمين كلِّهم.

وقال النَّضر بن شميل: ﴿لَيُزْلِقُونَكَ﴾؛ أي: ليَعينونك؛ أي: يُصيبونك بأعينهم. وكذا قال الأخفش[2].

وقال الحسن: ﴿لَيُزْلِقُونَكَ﴾؛ أي: ليقتلونك بإصابة العين[3].

وقد عانه يَعينه عينًا، فهو عائن، والآخر معيون، على الأصل.

قال الشَّاعر:

قَد كان قومُكَ يحسِبُونَكَ سَيِّدًا ... وإخالُ أنَّك سيِّد مَعيون[4]

---

(١) في (ر): «يقوله».

(٢) ذكره عنهما الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٢٤).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٢٤) عن الحسن وابن كيسان.

(٤) البيت لعباس بن مرداس، كما في: «الألفاظ» لابن السكيت (ص: ٤٠٣)، و«جمهرة اللغة» لابن =

وقـال الحسـنُ: دواء إصابـة العيـن أن يقـرأ الإنسـان: ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾... الآية(١).

وقـال الحسـين بـن الفضل: جـواب قولهـم: ﴿وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ﴾ فـي أوَّل هذه السـورة: ﴿مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾.

والحمدُ للهِ أوَّلًا وآخرًا وظاهرًا وباطنًا

* * *

= دريد (٢/ ٩٥٦)، و«الأغاني» للأصبهاني (٦/ ٣٥٨).

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٢٤).

سُورَةُ الحَاقَّةِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

بسم الله الذي أخذ الطَّاغين أخذةً رابِيَة، الرحمنِ الذي لا يخفَى عليه خافِيَة، الرحيمِ الذي وعد المؤمنين بجنَّةٍ عالية.

وروى أبيُّ بنُ كعبٍ رضي الله عنه عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «مَنْ قرأَ سورةَ الحاقَّة حاسبَه اللهُ تعالى حسابًا يسيرًا»(١).

وهذه السُّورة مكيَّة.

وهي إحدى وخمسون آية، ومئتان وثمانٍ وخمسون كلمة، وألفٌ ومئةٌ وعشرة أحرف.

وانتظامُ ختم تلك السُّورة بافتتاح هذه السُّورة: أنَّه قال في ختم تلك: ﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾؛ أي: عِظَةٌ، وأعظم العِظَات ذكرُ يوم القيامة، وما فيها في القسَم على حال رسول الله ﷺ، وما فيها من العقوبات(٢).

وافتتح هذه السُّورة بذلك.

---

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٢٥)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ٣٤٣)، قال ابن الجوزي في «الموضوعات» (٤/ ٣٤٤): مصنوع بلا شك. وانظر: «الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة» للشوكاني (ص: ٢٩٦).

(٢) في (ر) و(ف): «من الصعوبات» وقوله: «في القسم على حال رسول الله ﷺ وما فيها» ليس فسي (ف).

وانتظام السُّورتين: أنَّ تلك أوَّلُها في القسَم على خُلُق[١] رسول الله ﷺ، وباقيها في[٢] أجزية موافقيه ومخالفيه أيضًا في الدُّنيا والآخرة، وهذه آخرُها في القسَم على ذلك، وباقيها في[٣] أجزية موافقيه ومخالفيه أيضًا في الدُّنيا والآخرة.

***

(١) ـ ﴿ٱلْحَآقَّةُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ٱلْحَآقَّةُ﴾: أي: القيامة.

قال الخليل: ﴿ٱلْحَآقَّةُ﴾؛ أي: النَّازلة التي حقَّتْ فلا كاذبةَ لها[٤].

وهذا لأنَّ أخبار الله تعالى في الدُّنيا متتابعةٌ في كتبه وعلى ألسنة رسله، يذكرها مع خفاء وقتها، فإذا قامت قيل: هي الحاقَّة؛ أي: قد حقَّتْ كما كانت تُذكَر.

وتسمَّى الآن حاقَّة على أنَّها واقعةٌ لا محالة، كما سُمِّيَتْ الواقعةَ لوقوعها لا محالة.

وقيل: سُمِّيت بها لأنَّها تَحُقُّ كلَّ إنسان بعمله من خير أو شر؛ أي: تجعله حقيقًا[٥].

وقيل: سُمِّيت بها لأنَّها تَحِقُّ فيها الأمور، فيَظهَرُ إحسان المحسن وإساءةُ المسيء، ويظهر ما يجب له وعليه من ثواب أو عقاب، فهي حاقَّة على معنى أنَّ الحقَّ فيها، كما يُقال: ليل نائم؛ لِمَا أنَّ النَّوم يكون فيه.

وقال قتادة: سُمِّيت بها لأنَّه حقَّت فيه لكلِّ قوم أعمالهم[٦]؛ أي: صحَّت.

---

(١) في (أ) و(ف): «حال».

(٢) في (ف): «وما فيها من» بدل من «وباقيها في».

(٣) في (ف): «وما فيها من» بدل من «وباقيها في».

(٤) انظر: «العين» للخليل (٣/ ٧).

(٥) في (أ): «حقيقة».

(٦) رواه عبد الرزاق في «المصنف» (٣٢٩٨)، والطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٢٠٦).

وقيل: هي من حَقَّ الشَّيء يَحِقُّ حقوقًا؛ أي: وجب، وهي واجبة؛ أي: كائنة لا محالة.

وقال الحسن البصري رحمه الله: ﴿ٱلْحَآقَّةُ﴾ معناها: أنَّه تَحِقُّ فيها لأقوامٍ الجنَّةُ بأعمالهم، وتَحِقُّ لأقوامٍ النَّارُ بأعمالهم.

* * *

(٢ ـ ٥) ـ ﴿مَا ٱلْحَآقَّةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ ۝٣ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ ۝٤ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ﴾.

﴿مَا ٱلْحَآقَّةُ﴾: استفهام بمعنى التَّعجُّب، وهو تفخيم لشأنها، كقولك: زيدٌ، وما زيدٌ؟

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ﴾: أي: وما أعلمَكَ يا محمَّد أيَّ شيءٍ فيها من الأهوال وشدائد الأحوال، وهو تفخيم آخر، وهو كقوله: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ﴾ [المدثر: ٢٧]، ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ﴾ [الهمزة: ٥].

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ﴾: أي: بالقيامة، وسُمِّيَتْ بها لأنَّه تقرعُ قلوب العباد لهجومها عليهم.

وقيل: تَقْرع أعداء الله بالعذاب.

وقيل: هي الدَّاهية؛ أي: كذَّبَ الأوائل بالقيامة، فلم يؤمنوا بالله ورسله، فأهلكناهم في الدُّنيا، وصيَّرناهم إلى عذاب الآخرة، فكذلك حال مشركي زمانك كذَّبوا بالقيامة، فلم يؤمنوا بي وبكتابي ورسولي، فعاقبتهم لذلك.

﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ﴾: أي: بالصَّيحة المتجاوِزة حدَّ الصَّيحات في الهول، حتَّى لم تحتملها قلوب القوم، وهو كما قال: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾ [القمر: ٣١].

فـ(الطَّاغية) وصفٌ لتلك الصَّيحة؛ لمجاوزتها القَدْر المعتاد، كما قال: ﴿لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ﴾ [الحاقة: ١١]؛ أي: لَمَّا[1] جاوزَ القَدْرَ في الكثرة.

وقيل: معناه: فأهلكوا بطغيانهم.

والطَّاغيةُ: مصدر كالكاذبة والباقية والخاطئة، والألف واللَّام بدل الإضافة.

وقيل: الطَّاغية: نعتٌ للفِرْقة؛ أي: بسببِ[2] فرقةٍ طاغيةٍ منهم، وهم قُدارٌ وأصحابه الذين عقروا النَّاقة.

ويجوز أن تكون الطَّاغية هو قُدار وحدَه، والهاء للمبالغة، كما يُقال: علَّامة ونسَّابة وراوية للشِّعر.

***

(٦ ـ ٧) ـ ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۝٦ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ﴾: أي: باردةٍ، من الصِّرِّ.

وقيل: شديدةِ الصَّوت، من الصَّرير.

﴿عَاتِيَةٍ﴾؛ أي: مجاوزةٍ للقَدْر في شدَّة العُصوف.

وقيل: عتت على خُزَّانها فلم يضبطوها.

وقيل عتت عليهم فقهرتهم[3] وأهلكتهم، والعاتي الذي لا يُتَّقى ولا يُراقب.

---

(١) «لما» من (أ).

(٢) في (ر): «نعت».

(٣) في (أ): «ففرقتهم»، وفي (ف): «فغيرتهم».

قوله تعالى: ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ﴾: أي: اللهُ تعالى أدامَها عليهم منقادةً لأمرِه فيهم، لا تَفْتُر.

﴿سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾: أي: متتابعةً لا تنقطع.

قال الفرَّاء: أُخذَ من حَسْم النَّار: إذا كُوي صاحبُه بها؛ لأنَّ المكواة تُحمَّى بالنَّار ويكوى بها، ويتابَع ذلك عليه[1].

وقال يونس: لا أعرف واحدَها.

وقال أبو الجرَّاح الأعرابيُّ: ليلةٌ حسامُ الحرِّ، ويومٌ حسامُ الحرِّ[2]، والجمع: الحُسُوم.

وقيل: ﴿حُسُومًا﴾؛ أي تَحسِم كلَّ شيءٍ تأتي عليه؛ أي: تقطَعه وتستأصلُه، وعلى هذا يكون قوله: ﴿حُسُومًا﴾ صفةً للرِّيح، لا للَّيالي والأيَّام.

وقيل: هو مصدر، ومعناه: سخَّرها عليهم حَسْمًا لهم؛ أي: إهلاكًا واستئصالًا.

وقال أبو معاذ: هو جمع حَسْم، كقولك: زرعتُ زروعًا؛ أي: ضروبًا منه.

وقيل: ﴿حُسُومًا﴾؛ أي: شؤمًا لا خير فيه، يُقال: هذه أيَّام الحسوم؛ أي: الشُّؤم وقطعِ الخيراتِ عن أهلها.

قوله: ﴿فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ﴾: وهو خطاب السَّامع، ومعناه: يراهم مَن يراهم في هذه اللَّيالي والأيام مصرَّعين.

والصَّرعى: جمع صريع، كالأسرى جمع أسير.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٨٠)، ولفظه: أُخذ ـ والله أعلم ـ من حسم الداء إذا كُوي صاحبه؛ لأنَّه يُكوَى بمكواةٍ، ثم يُتابَع ذلك عليه.

(٢) «ويوم حسام الحر» ليس في (أ).

﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ﴾؛ أي: أصول نخل، وهي جمع نخلة.

﴿خَاوِيَةٍ﴾: أي: خالية الأجواف، وهذه صفةٌ لهم بعِظَم الخِلْقة.

وقيل: معناه: أنَّ الرِّيح قطعتهم حتَّى صاروا قطعًا ضخامًا كأصول النَّخل.

والوصف بالخَواء: أنَّ الرِّيح كانت تدخل أجوافهم فتصرعُهم كالنَّخلة الخاوية.

وقيل: أراد بها البالية؛ لأنَّها إذا بليَتْ خَلَتْ أجوافُها، يقول: أبلتْهُم الرِّيح فصاروا كالنَّخيل البالية.

* * *

(٨) ـ ﴿فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ﴾.

﴿فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ﴾: قيل: أي: مِن نفسٍ باقية.

وقيل: أي: مِن بقاء، على المصدر، كالكاذبة والخاطئة؛ أي: فهل ترى أنت أو أحدٌ من النَّاس أحدًا بقيَ مِن نسلِ أولئك؟ أليس قد بادوا فما بقيَ أحدٌ منهم ولا مِن نسلهم؟

قال ابن جُريج: كانوا سبع ليال وثمانية أيَّام أحياءً في عذاب الله تعالى من الرِّيح، فلمَّا أمسَوا اليومَ الثَّامن ماتوا، فاحتملتْهم الرِّيح فألقتهم في البحر، فذلك قول الله تعالى: ﴿فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ﴾، وقوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحُوا۟ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ﴾ [الأحقاف: ٢٥].

قال: وأُخبِرْتُ أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «عذَّبهم بُكرةً، وكشف عنهم العذاب في اليوم الثَّامن حين كان اللَّيل»[1].

---

(١) رواه ابن المنذر، كما في «الدر المنثور» للسيوطي (٨/ ٢٦٦). وإلى قوله: «مساكنهم» ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٨/ ٢٦١).

وهذه الأيَّام تُسمَّى أيَّام العجوز، وتكون باردةً ذات رياح.

قال وهبٌ: نسبَتِ الأيَّام إليها لأنَّ عجوزًا دخلت سربًا فتبعتها الرِّيح فقتلتها في اليوم الثَّامن من نزول العذاب[1].

وقال ابن حبيب: أسماء هذه الأيام مذكورة [2] فيما قال الشَّاعر:

كُسِـعَ الشِّـتاءُ بسـبعةٍ غُبْـرِ ... أيَّـامِ شَـهْلَتِنا مِـنَ الشَّـهْرِ

فـإذا مضَـتْ أيَّـامُ شَـهْلَتِنا ... بالصِّـنِّ والصِّنَّبْـرِ والوَبْـرِ

وبآمِـرٍ وأخيـهِ مُؤْتَمِـرٍ ... ومُعَلِّـلٍ ومُطْفِـئِ الجَمْـرِ

ذهـبَ الشِّـتاءُ موليًـا هَرَبـا ... وأتتْـكَ واقـدةٌ مِـنَ النَّجْـرِ[3]

* * *

(٩ ـ ١١) ـ ﴿وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ بِٱلْخَاطِئَةِ ﴿٩﴾ فَعَصَوْا۟ رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً ﴿١٠﴾ إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ﴾.

وقولـه تعالـى: ﴿وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ﴾: قـرأ أبـو عمرو والكسـائيُّ بكسـر القاف وفتـح البـاء؛ أي: ومَن عنـده ومَن معـه، والباقون بفتـح القاف وتسـكين الباء؛ أي: ومَـن تقدَّمه[4].

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٢٦).

(٢) «مذكورة» ليس في (ف).

(٣) نسبت الأبيات لابن أحمر، كما في «ملحق ديوانه» (ص: ١٨٣)، و«الصحاح» للجوهري (مادة: عجز). ونسبت لأبي شبل عصم بن وهب بن عصمة التميمي ثم البرجمي بصري كان في أيام المأمون، كما في «معجم الشعراء» للمرزباني (ص: ٣٩)، ولأبي شبل الأعرابي كما «لسان العرب» (مادة: كسع).وفي «معجم الأدباء» (٣/ ١٢٤٨) نسبت لخرقة بن نباتة. النجر: الحر. الشهلة: العجوز. الكسع: شدة الـمَرِّ. انظر: «اللسان» (مادة نجر وشهل وكسع).

(٤) انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ٦٤٨)، و«التيسير» للداني (ص: ٢١٣).

﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ بِٱلْخَاطِئَةِ﴾: أي: وقرى قوم لوط المنقلِبةَ بأهلها.

﴿بِٱلْخَاطِئَةِ﴾: أي: الخطيئة؛ أي: جاؤوا بالخطيئة.

وفسَّرها فقال: ﴿فَعَصَوْاْ رَسُولَ رَبِّهِمْ﴾؛ أي: خالفوه وكذَّبوه ﴿فَأَخَذَهُمْ﴾: أي: ربُّهم ﴿أَخْذَةً رَّابِيَةً﴾: أي: بالغةً زائدةً على القَدْر المعروف عند النَّاس في العذاب.

﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ﴾ يعني: تجاوز الحدَّ المعروف في العِظَم حتَّى غرَّق الأرض إلَّا مَن شاء الله، وهو ماء الطُّوفان في زمن نوح عليه السَّلام.

قال ابن عبَّاس ومجاهد: ﴿طغى﴾: كثر[1].

وقال قتادة رحمه الله: ارتفع على كلِّ شيء خمسة عشر ذراعًا[2].

﴿حَمَلْنَٰكُمْ﴾: أي: حملنا أجدادكم، وهم نوح عليه السلام والمسلمون من ولده وزوجاتهم.

﴿فِى ٱلْجَارِيَةِ﴾: أي: في السَّفينة التي اتَّخذها نوح عليه السلام بأمرنا.

* * *

(١٢ ـ ١٣) ـ ﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ ﴿١٢﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾.

﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً﴾؛ أي: عِظَة، فقد أنجينا بها المؤمنين، وأغرقنا الكافرين؛ لتقتدوا أنتم بالفرقة النَّاجية دون الهالكة.

﴿وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾: أي: ولِتحفظَ هذه التذكرةَ أُذُنٌ حافظة، وتكونَ مودَعة في صدورهم.

---

(١) رواه عنهما الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٢١٩ ـ ٢٢٠).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٢١٩).

وقال قتادة رحمه الله: ﴿تَذْكِرَةً﴾؛ أي: عبرةً وآية، أبقاها الله تعالى حتى نظرَتْ إليها هذه الأمَّة ـ أي: ألواح السَّفينة ـ وكم من سفينةٍ كانت بعد سفينة نوح عليه السَّلام تلاشَتْ فلم يبقَ لها أثر[١].

وقيل: ﴿لِنَجْعَلَهَا﴾؛ أي: لنجعل فعلَتنا لكم تذكرةً.

وقال الفرَّاء رحمه الله: ﴿وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾؛ أي: كلُّ أذنٍ، ومعناها يحفظُها صاحبُ كلِّ أذنٍ واعيةٍ، ثمَّ يؤدِّيها إلى غيره[٢].

وعن عليِّ بن أبي طالب رضي الله عنه أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال له: «إنِّي سألْتُ الله تعالى أنْ يجعلَها أذنَكَ»[٣].

وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾: وهي النَّفخة الأولى حتَّى لا يبقى حيوان إلَّا مات.

* * *

(١٤) ـ ﴿وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً﴾.

﴿وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ﴾: أي: رفعتا عن موضعهما ﴿فَدُكَّتَا﴾ ثنَّى لأنَّ الجبال ذُكرَتْ[٤] جملةً، فصارت شيئًا واحدًا، وهو كقوله: ﴿أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا﴾ [الأنبياء: ٣٠].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٢٢١).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٨١).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٢٢٢)، وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٣٤٥) عن مكحول مرسلًا.

(٤) في (ف): «دكت».

ومعنى قوله: ﴿فَدُكَّتَا﴾ قال الفرَّاء رحمه الله: أي: زُلزلتا[١]، كما قال: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ [الزلزلة: ١].

وقال غيره: (دكتا)؛ أي: دُقَّتا وكُسِّرَتا؛ أي: ضُرِبَ بعضُها ببعض، فصارتا كسرًا كسرًا، ثم كثيبًا مهيلًا، ثم كالعهن المنفوش، ثم هباء منبثًا، ثم هباءً منثورًا، ثم تمرُّ مرَّ السَّحاب.

﴿دَكَّةً وَاحِدَةً﴾: تقدَّم تفسيره[٢].

* * *

(١٥ ـ ١٧) ـ ﴿فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ (١٥) وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ (١٦) وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾.

﴿فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾: أي: تقع صيحة القيامة وتقوم السَّاعة، وذلك من النَّفخة الأخرى.

﴿وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ﴾: أي: انصدعت ﴿فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾ قال الأخفش: أي: منخَّرة[٣]، قال جرير:

نَدِمْتَ على يوم السِّباقَيْنِ بعدما ... وهيْتَ فلم يُوْجَدْ لِوَهْيِكَ راقِعُ[٤]

وقيل: ﴿وَاهِيَةٌ﴾؛ أي: شديدة الضَّعف بانتقاض تركيبها وعدمِ استمساكها.

وقيل: أي: صارت إلى ضعفٍ ولينٍ بعد صلابتها وشدَّتها؛ قال الله تعالى: ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾ [القارعة: ٥].

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٨١).

(٢) «﴿دَكَّةً وَاحِدَةً﴾ تقدَّم تفسيره» ليس في (أ) و(ف).

(٣) في (ف): «منخرمة».

(٤) انظر: «ديوان جرير» (٢/ ٩٢٦).

﴿وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا﴾: أي: والملائكة حينئذ على أطرافها ونواحيها.

والواحد: رجاً، بالقصر؛ أي: إذا ضعفت عن الاستمساك والحمل صاروا إلى حدودها.

وقيل: أي: تشقَّقت فصاروا على أطراف شقوقها.

﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾: أي: ينزل العرشُ إلى عرصة القيامة لفصل القضاء بين الخلق.

وقال عليه الصَّلاة والسَّلام: «حَمَلَةُ العرش[1] اليومَ أربعة، فإذا كان يوم القيامة ضُمَّ إليها أربعة، فصاروا ثمانية»[2].

---

(١) «حملة العرش» من (أ) و(ف).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٢٢٩)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٢/ ٤٦٨) من طريق ابن إسحاق عن النبي ﷺ بلاغاً، ورواه الطبري أيضاً من طريق ابن زيد عن النبي ﷺ، وكلاهما معضل.
وجاء في حديث الصور الطويل، وفيه: «والملائكة تحمل عرشه يومئذ ثمانية وهم اليوم أربعة».
رواه إسحاق بن راهويه في «مسنده» (١٠)، والمروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (٢٧٣)، والبيهقي في «البعث والنشور» (٦٠٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. قال ابن كثير: هذا حديث مشهور، وهو غريب جدًّا، ولبعضه شواهد في الأحاديث المتفرقة، ووفي بعض ألفاظه نكارة، تفرد به إسماعيل بن رافع قاص أهل المدينة، وقد اختلف فيه، فمنهم من وثقه، ومنهم من ضعفه، ونص على نكارة حديثه غير واحد من الأئمة، كأحمد بن حنبل، وأبي حاتم الرازي، وعمرو بن علي الفلاس، ومنهم من قال فيه: هو متروك. وقال ابن عدي: أحاديثه كلها فيها نظر إلا أنه يكتب حديثه في جملة الضعفاء.
قلت ـ القائل ابن كثير ـ: وقد اختلف عليه في إسناد هذا الحديث على وجوه كثيرة، قد أفردتها في جزء على حدة. وأما سياقه، فغريب جداً، ويقال: إنه جمعه من أحاديث كثيرة، وجعله سياقاً واحداً، فأنكر عليه بسبب ذلك.

وقال محمَّد بن إسحاق: هم ثمانية أملاك، ما منهم مَلَك إلَّا رجلاه في الأرض السُّفلى ورأسُه في السَّماء السَّابعة[١].

وقال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: هم ثمانية صفوف من الملائكة[٢].

وقال الحسن رحمه الله: الله أعلم كم هم: ثمانية، أم ثمان مئة، أم ثمانية آلاف[٣]؟

وقال أبو العالية: هم ثمانية أملاك، أو ثماني زمرٍ، أو ثمانية صفوف.

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: يحمل العرش اليوم[٤] أربعة أملاك، ويحملونه على أكتافهم، لكل واحد منهم أربعة أجنحة، جناحان على وجهه يَقِيَانه أن ينظر إلى العرش فيَصْعَق، وجناحان يضربُ بهما، ليس لهم كلام إلَّا أن يقولوا: سبحان الله ملأت عظمتُه السَّماوات والأرض[٥].

وفي حديث ابن عبَّاس رضي الله عنهما: لكلِّ مَلَك منهم أربعة أوجه؛ وجه إنسان فهو يسأل الله تعالى للنَّاس الرِّزق، ووجه أسد وهو يسأل الله للسِّباع الرِّزق، ووجه ثور وهو يسأل الله للبهائم الرِّزق، ووجه نسر وهو يسأل الله للطِّيور الرِّزق[٦].

---

(١) روى نحوه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٢٢٩) عن ابن زيد. وروى نحوه أيضًا عبد بن حميد وابن المنذر عن ميسرة كما في «الدر المنثور» للسيوطي (٨/ ٢٧٠).
وروى الطبراني في «المعجم الأوسط» (٦٥٠٣) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعاً: «أذن لي أن أحدث عن ملك من حملة العرش رجلاه في الأرض السفلى وعلى قرنه العرش وبين شحمة أذنه وعاتقه خفقان الطير سبع مئة سنة يقول الملك: سبحانك حيث كنت»، وقال الطبراني: تفرد به عبد الله بن المنكدر عن أبيه. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ٨٠): هو وأبوه ضعيفان.

(٢) رواه أبو جعفر ابن أبي شيبة في «العرش» (٣٣)، والطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٢٢٨).

(٣) ذكره الزمخشري في «الكشاف» (٤/ ٦٠٢)، والقرطبي في «تفسيره» (٢١/ ٢٠٢).

(٤) في (أ): «يومئذ».

(٥) روى نحوه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٣١٣)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٤٠) عن وهب بن منبه.

(٦) رواه بنحو هذا السياق أبو الشيخ في «العظمة» (٤٠) عن وهب بن منبه. =

(١٨ ـ ١٩) ـ ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ﴾؛ أي: للحساب ﴿لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾: أي: لا تخفى فعلةٌ أو خصلةٌ منكم على الله، ويحتمل لا تُخْفِي نفسٌ خافيةً[1] منكم يومئذ على الله تعالى مع كثرتكم.

قرأ عاصم والكسائيُّ: ﴿لا يَخْفَى﴾ بياء التَّذكير؛ لتقدُّم الفعل. وقرأ الباقون بتاء التَّأنيث؛ لتأنيث اللَّفظ في الخافية[2].

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ﴾: أي: فهو من أهل الجنَّة، فقد غُفرت سيِّئاته، فإذا وقف على ذلك استبشر وقال: ﴿هَاؤُمُ﴾.

قال ابن زيد: أي: تعالَوا[3].

وقيل: أي: تناولوا وخذوا.

= ورواه أبو جعفر ابن أبي شيبة في «العرش» (٣٨)، وعبد الله بن الإمام أحمد في «السنة» (٢١٧)، والآجري في «الشريعة» (١٠٣٤)، وابن الجوزي في «العلل» (٢٠)، عن ابن عباس بلفظ: «يحمله أربعة من الملائكة، ملك في صورة رجل، وملك في صورة ثور، وملك في صورة أسد، وملك في صورة نسر». قال ابن الجوزي: هذا حديث لا يصح.

وقال أبو حيان في «البحر» عند هذه الآية: ذكروا في صفات هؤلاء الثمانية أشكالاً متكاذبة ضربنا عن ذكرها صفحاً.

(١) كذا ضبطناها، وتحتمل: (لا تخفَى نفسٌ خافيةٌ).

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٦٤٨)، و«التيسير» (ص: ٢١٣)، عن حمزة والكسائي، أما قراءة عاصم فيهما فبالتاء.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٢٣١).

ويُقال: هاكُم(١)، وللواحد: هاءَ، وللاثنين: هاؤُما، وللجمع: هاؤم، وهاؤموا، وهاكم(٢)، وللمرأة: هاءِ بالمد بغير ياء بعدها، ولجمع النِّساء: هاؤنَّ، بالتَّشديد.

وقوله: ﴿ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ﴾ لأنَّه ليس فيه ما يكرهه أو يستحيي منه. والهاء للاستراحة والوقف.

* * *

(٢٠ ـ ٢٤) ـ ﴿إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ﴾.

﴿إِنِّى ظَنَنتُ﴾: أي: علمْتُ وأيقنْتُ واعتقدْتُ ﴿أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ﴾: الهاء للاستراحة أيضًا؛ أي: علمتُ أنَّ الله تعالى سيحاسبني واجتهدْتُ في الطَّاعات، وجانبْتُ السَّيِّئات.

وقيل: ﴿ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ﴾؛ أي: حسبْتُ أنَّ الله تعالى يؤاخذني بسيِّئاتي.

﴿فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾: أي: مَرْضيَّة، كقوله: ﴿مِن مَّآءٍ دَافِقٍ﴾ [الطارق: ٦]؛ أي: مدفوق.

وقيل: ﴿رَّاضِيَةٍ﴾؛ أي: ذات رضاً، وهي صفةٌ جامعة لكلِّ خير.

﴿فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾: أي: رفيعة ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾؛ أي: ثمارها قريبةُ التَّناول.

﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟﴾: أي: يقال لهم فيها: كلوا واشربوا ﴿هَنِيٓـًٔا﴾؛ أي: سائغًا لا مكروهَ فيه ولا أذًى.

---

(١) في (ف): «هاؤكم». ولم أجد (هاؤكم) في كتب اللغة أو غيرها، إلا ما جاء في «حروف المعاني» للزجاجي (ص: ٧٣) من قوله: (وفيه لغات والأصل: هاؤكم)، ولعلها من خطأ النساخ.

(٢) في (ف): «وهاؤكم»، وليست في (ر).

﴿بِمَآ أَسۡلَفۡتُمۡ﴾: أي: جزاءً لكم بما قدَّمتم من الأعمال الصَّالحة ﴿فِي ٱلۡأَيَّامِ ٱلۡخَالِيَةِ﴾؛ أي: الماضية في الدُّنيا.

وقال ابن عبَّاس: هو في الصَّائمين خاصَّة[1].

وقيل: هو على العموم.

وإنَّما جمع بقوله[2]: ﴿كُلُواْ﴾، وأوَّلُ الآية في الواحد: ﴿فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ﴾؛ لأنَّ ﴿مَنۡ﴾ للجنس، فكان واحدًا لفظًا، جمعًا معنًى.

وعن ابن عبَّاس رضي الله عنهما قال: بلغنا أنَّ الله تعالى يقول لأوليائه يوم القيامة: طال ما رأيتكم في الدُّنيا وقد غارت أعينُكم، وقلصَتْ شفاهكم عن الأشربة، وجفَّتْ بطونُكم، فتعاطَوا الكأس فيما بينكم، وكلوا واشربوا هنيئًا بما أسلفتم في الأيام الخالية[3].

* * *

(٢٥ ـ ٢٨) ـ ﴿وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُوتَ كِتَٰبِيَهۡ ﴿٢٥﴾ وَلَمۡ أَدۡرِ مَا حِسَابِيَهۡ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيۡتَهَا كَانَتِ ٱلۡقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغۡنَىٰ عَنِّي مَالِيَهۡۜ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُوتَ كِتَٰبِيَهۡ﴾: أي: الكافر الذي يُعطَى كتابه بشماله، وفيه سيِّئات كلُّها.

---

(١) رواه ابن عدي في «الكامل» (٢/ ٣١٢)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٣٩٤٩) عن عبد العزيز بن رفيع، ورواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٧/ ٣٣١) عن الحسن بن صالح. ورواه الجرجاني في «الأمالي» (٢/ ١٢٧) عن أبي جعفر. وذكره الزمخشري في «الكشاف» (٤/ ٦٠٣) عن مجاهد.

(٢) «بقوله» من (أ).

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في «الأولياء» (ص: ٢٤) عن لقمان الحنفي ويوسف بن يعقوب، ورواه الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٣٠) عن يوسف بن يعقوب.

﴿فَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُوتَ كِتَٰبِيَهۡ﴾: هذا الكتاب، والهاء للاستراحة.

﴿وَلَمۡ أَدۡرِ مَا حِسَابِيَهۡ﴾ أي: وليتني لم أعلم ما حسابي، أهو خير أم شرٌّ؟

﴿يَٰلَيۡتَهَا كَانَتِ ٱلۡقَاضِيَةَ﴾: أي: المهلِكةَ القاطعة؛ أي: يا ليْتَ الموتة التي كانت في الدُّنيا لم يكن بعدها بعثٌ ولا حسابٌ.

ويحتمِل على هذا أن يكون قوله: ﴿لَمۡ أُوتَ كِتَٰبِيَهۡ ﴿٢٥﴾ وَلَمۡ أَدۡرِ مَا حِسَابِيَهۡ﴾ يعني: يا ليتني لم أُبعَث، ولم أشعرْ بكتابٍ ولا حساب.

وقيل: ﴿يَٰلَيۡتَهَا كَانَتِ ٱلۡقَاضِيَةَ﴾: يتمنَّى حينئذ أن يموت؛ لِمَا يَرى من سيِّئاته ويخافُ من عقوباته.

قال قتادة: يتمنَّى الموت، ولم يكن عنده شيء في الدُّنيا أكرهَ منه(١).

﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنِّي مَالِيَهۡ﴾: قيل: أي: ما نفعني ما جمعتُه؛ إذ لم أُحشر معه؛ قال تعالى: ﴿وَيَأۡتِينَا فَرۡدٗا﴾ [مريم: ٨٠]، وقال: ﴿وَلَقَدۡ جِئۡتُمُونَا فُرَٰدَىٰ﴾ [الأنعام: ٩٤].

وقيل: ما نفعني ما جمعتُه وأنفقتُه في وجوه الخير والبرِّ في الدُّنيا؛ إذ أحبطه شركي.

وقيل: ما نفعني ما جمعته إذا لم أنفقه في سبيل الله ووجوه مرضاته(٢).

* * *

(٢٩ - ٣١) - ﴿هَلَكَ عَنِّي سُلۡطَٰنِيَهۡ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلۡجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾.

﴿هَلَكَ عَنِّي سُلۡطَٰنِيَهۡ﴾: والهاء للاستراحة أيضًا، ومعناه عند بعضهم: ذهبَتْ عنِّي حجَّتي.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٢٣٥).

(٢) في (أ) و(ف): «مرضات الله تعالى».

وقيل: ذهب عني عذري.

وقيل: أي: ذهب عنِّي سلطاني على نفسي.

قال الحسن: لقد كان مسلَّطًا على نفسه وماله في الدُّنيا[١].

وقيل: أي: ذهب عنِّي سلطان الدُّنيا وملكها وعزُّها.

وقوله تعالى: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ﴾: أي: يُقال للزَّبانية: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ﴾؛ أي: شدُّوه بالأغلال.

﴿ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾: أي: أدخلوه مغلولًا.

* * *

(٣٢) ـ ﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾.

﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا﴾: أي: ثم اجعلوه في سلسلةٍ من سلاسل النَّار.

وقيل: ﴿فَاسْلُكُوهُ﴾؛ أي: فأدخِلوه في سلسلة.

ثم قد رُوي أنَّ سلسلتَه تدخل في فيه فتخرج من دبره[٢]، فعلى هذا معناه: ثمَّ اسلكوا فيه السِّلسلة، قال الفرَّاء رحمه الله: وهو على القلب، كقولهم: أدخلْتُ رأسي في القلنسوة، وأدخلْتُ القلنسوة في رأسي، والخاتم في أصبعي، وأصبعي في خاتمي[٣]، قال الأعشى:

إذا مــا الــسَّرابُ ارْتَــدَى بالأَكَــمْ[٤]

---

(١) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٢/ ١٧٦).

(٢) روى نحوه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٢٣٨ ـ ٢٣٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما والضحاك.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٨٢).

(٤) صدره:

أي: إذا ما الأكَم ارتدَت بالسَّراب.

وعن يزيد الرَّقاشي قال: إنَّ رسول الله ﷺ تلا هذه الآية: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ﴾، قال: «غلٌّ واللهِ ابنِ آدم ليس بمفكوكٍ حتَّى يُرضي الله، ولا يَرضى حتَّى يُطاع، والله ما الطَّاعةُ إلَّا في دار الدُّنيا، ألا وإنَّ الطَّاعة تنفعكم»[1].

وعن كعبِ الأحبارِ قال: إنَّ الله تعالى لينظر إلى عبده يوم القيامة وهو غضبان، فيقول: خذوه، فيأخذه مئة ألف ملك أو يزيدون، فيجمعون ما بين ناصيته وبين قدميه غضبًا لغضب الله تعالى، فيسحبونه على وجهه إلى النَّار، فالنَّار عليه أشدُّ غضبًا من غضبهم سبعين ضعفًا، فيستغيث بشربة، فيُسْقى شربة يسقط منها لحمه وعصبه، ثم يركس في النَّار، فويل له من النَّار[2].

وعن سفيان عن نُسَيرِ بن ذُعْلوقٍ: أنَّه سمع [نوفًا] في قوله: ﴿ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ﴾ يقول: كلُّ ذراعٍ سبعون باعًا، كلُّ باعٍ أبعدُ ممَّا بين الكوفة ومكَّة[3].

= غضــوب مـــن الســـوط زيَّافـــة

انظر: «ديوان الأعشى» (ص: ٣٧)، و«المنتخب من كلام العرب» لكراع النمل (ص: ٦٢٨)، و«تفسير الطبري» (٢٣/ ٢٣٩). ورواية الديوان:

إذا ما ارتدى بالسراب الأكَم

(١) لم أقف عليه.

(٢) رواه ابن المبارك في «الزهد» (٢/ ٨٣)، وابن أبي الدنيا في «صفة النار» (٢٣٩).

(٣) رواه ابن المبارك في «الزهد» (٢/ ٨٣)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (٣٣١٦)، وهناد بن السري في «الزهد» (٢٦٩)، وابن أبي الدنيا في «صفة النار» (١٣٨)، والطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٢٣٧). وما بين معكوفتين من المصادر.

وعن كعب: أنَّ حَلْقة من تلك السِّلسلة مثلُ جميع حديد أهل الدُّنيا[١].

وعن الحسن: لو أنَّ حلقة منها[٢] وضعت على ذروة جبل لذاب الجبل كما يذوب الرَّصاص، فكيف يا ابن آدم وهي عليك وحدك[٣]؟

وروى عبد الله بن عَمرو عن رسول الله ﷺ قال: «لو أنَّ رصاصة مثلَ هذه أُرسِلَتْ من السَّماء إلى الأرض وهي مسيرة خمس مئة عام لبلَغَتِ الأرض قبل اللَّيل، ولو أنَّها أُرسِلَتْ من رأس السِّلسلة لسارت[٤] أربعين خريفًا قبلَ أن تبلغه»[٥].

***

(٣٣ ـ ٣٦) ـ ﴿إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾ فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ﴾.

﴿إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ﴾: أي: يعذَّب بهذا العذاب لكفره.

﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾: أي: كان مع كفره لا يحرِّض غيره من أهله وغيرهم على إطعام المحتاجين.

وعن أبي الدَّرداء رضي الله عنه: أنَّه قال لامرأته: يا أمَّ الدَّرداء، إنَّ للهِ سلسلة

---

(١) رواه ابن المبارك في «الزهد» (٢/ ٨٣)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (٣٣٠٤)، وابن أبي الدنيا في «صفة النار» (١٣٧).

(٢) في (ف): «من تلك السلسلة».

(٣) رواه الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٣١) عن سويد بن يحيى، وهو في «تفسير مقاتل» (٤/ ٥٢٣) مرفوعًا من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(٤) في (ر) و(ف): «لسالت من».

(٥) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٦٨٥٦)، والترمذي (٢٥٨٨)، وقال: إسناده حسن.

لم تزَل تغلي بها مراجلُ النَّار مُذْ خلقَ اللهُ جهنَّم إلى يوم تُلْقى في أعناق النَّاس، فقد نجَّانا اللهُ تعالى من نِصفِها بإيمانِنا بالله العليِّ العظيم، فحُضي على طعام المسكين يا أمَّ الدَّرداء»[1].

والحضُّ: الحثُّ.

﴿فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ﴾: أي: قريبٌ يَرِقُّ لِمَا ناله ويدفعه عنه أو يخفِّفه عليه.

﴿وَلَا طَعَامٌ﴾: أي: فليس له طعام ﴿إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ﴾: قيل: هو ما يسيل من صديد أهل النَّار وقيحهم، وكأنَّه غُسالة أجسادهم.

وقال الأخفشُ: هو فِعْلِين من الغِسْل، وهو ما يخرج من الجرح من الدَّم عند الغَسْل[2].

***

(٣٧ ـ ٤٠) ـ ﴿لَا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ ﴿٣٧﴾ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾.

قوله تعالى: ﴿لَا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ﴾: أي: المذنبون الذين لا يستحقُّون المغفرة.

وقوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ﴾: ثمَّ بعدما ذكر من أهوال يوم القيامة دعاهم إلى تأمُّل ما ذكره ليعلموا أنَّه من عند الله منزَّل على رسول الله ﷺ، فقال: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ﴾.

---

(١) رواه أبو عبيد في «الأموال» (٩٠٢)، وابن زنجويه في «الأموال» (١٣١٤)، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٢٧٤) إلى عبيد بن حميد وابن المنذر.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للأخفش (٢/ ٥٤٨)، ولفظه: «وقال: ﴿إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ﴾ جعله ـ والله أعلم ـ من الغسل، وزاد الياء والنون بمنزلة: عفرين وكفرين».

وفيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أنَّ (لا) صلة مؤكِّدة، وهو قول البصريِّين.

والثَّاني: أنَّها ردُّ كلام الكفرة؛ أي: ليس الأمر كما يقولون. وهو قول الفرَّاء[1].

والثَّالث: أنَّها نفي القسم؛ لأنه لا يحتاج إليه لوضوح الحقِّ في أنَّه تبليغ رسول كريم عن الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿بِمَا تُبْصِرُونَ﴾؛ أي: من عجائب خلق الله ﴿وَمَا لَا تُبْصِرُونَ﴾ من ذلك، وهو قسمٌ بكلِّ شيءٍ.

﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾: أي: تلاوةُ رسول كريم أكرمه الله تعالى بالرِّسالة، وهو محمَّد ﷺ. قاله الحسن[2].

وقيل: هو جبريل، كما قال في سورة ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾.

والأظهر أنَّه هاهنا محمَّدٌ ﷺ.

* * *

(٤١ ـ ٤٤) ـ ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ﴾.

﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ﴾: أي: ليس هذا القرآن قولًا من رجل شاعر؛ لأنَّ هذا القول[3] مُباينٌ لصنوف الشِّعر كلِّها.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٠٧).

(٢) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٢/ ١٨٧).

(٣) في (ف): «القرآن».

﴿قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ﴾: أي: ليس لكم هَمُّ الإيمان أصلًا، فلذلك تُعرِضون عن التدبُّر فيه ولو تدبَّرتم فيه عرفتُم أنَّه ليس بقول شاعر.

﴿وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ﴾؛ أي: وليس هو بقول كاهن تأتيه الشَّياطين، ويلقون إليه ما سمعوه من أخبار السَّماء.

﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾: أي: ليس لكم هَمُّ التَّذكير لِمَا يُتلى عليكم، ولو تذكَّرتم علمْتُم أنَّه ليس بقول كاهنٍ.

وطريقه طريق قولهم: هذه أرض قلَّ ما تنبت؛ أي: لا تنبت أصلًا.

وقيل: هو على حقيقته لأنَّهم كانوا يؤمنون بأنَّ الله خالقهم ورازقهم، ثم يشركون به، ويجحدون أنبياءه، وكذا كانوا يتذكَّرون بعض التَّذكُّر، ثم يتركون ذلك، كما قال: ﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ﴾ [المدثر: ١٨].

وقرأ ابن كثير: ﴿قليلًا ما يؤمنون﴾، و﴿قليلًا ما يذكرون﴾ بياء المغايبة فيهما[1]؛ ردًّا على قوله: ﴿لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ﴾.

والباقون بتاء المخاطبة[2]؛ ردًّا على قوله: ﴿بِمَا تُبْصِرُونَ ۝٣٨ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ﴾، وكذا ما بعده إلى آخر السُّورة.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ﴾: أي: ولو تكلَّف علينا محمَّدٌ[3] قولًا تقوَّله علينا لم نقله كذبًا وزورًا.

* * *

(١) وكذا قرأ ابن عامر في رواية هشام.

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٦٤٨)، و«التيسير» (ص: ٢١٤).

(٣) «محمد» ليس في (ر).

(٤٥ ـ ٤٧) ـ ﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ﴾.

﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ﴾: أي: لأخذنا بيده اليمنى لإقامة العقوبة عليه، كما يُؤخَذ بيمينِ مَن يريد السُّلطان عقوبته، فيُقام ليُمضَى به إلى الموضع الذي يُقام عليه العقوبة.

وقيل: أي: لأخذناه بقوَّتنا؛ قال الشَّاعر:

إذا ما رايةٌ رُفِعَتْ لِمَجْدٍ تلقَّاها عَرَابَةُ باليمينِ[1]

وقيل: لأخذنا قوَّته، ومنعناه عن ذلك.

وقال الحسنُ رحمه الله: أي: لقطعنا يده اليمنى[2].

﴿ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ﴾: قال ابن عبَّاس وسعيد بن جبير: هو نِيَاط القلب[3].

وقال مجاهد وقتادة والضَّحَّاك: هو عرقٌ في القلب متَّصل بالظَّهر، إذا قُطع ذلك مات الإنسان[4].

وقيل: أي: لأَمَتْناه، فصار كمَن قُطع وتينُه.

﴿فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ﴾: أي: ولو عاقبناه لم يكن أحدٌ منكم يتهيَّأ له أن يحجزنا عنه؛ أي: يمنعنا.

وقال الفرَّاء: (أحد) يكون للجميع وللواحد؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «لم تحلَّ

---

(١) البيت للشماخ. انظر: «ديوانه» (ص: ٣٣٦).

(٢) ذكره الماوردي في «تفسيره» (٦/ ٨٦)، والواحدي في «البسيط» (٢٢/ ١٩٠).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٢٤٣ ـ ٢٤٤).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٢٤٤ ـ ٢٤٥).

الغنائمُ لأحدٍ سوَّدَ الرُّؤوسَ قبلكم»(١)، وقال تعالى: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٥](٢).

* * *

(٤٨ ـ ٥٢) ـ ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾.

﴿وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾: أي: وإن القرآن العظيم لعظةٌ لمن همُّه التَّقوى.

﴿وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ﴾: أي: به، وذلك لا يُخرجه من أن يكون تذكرة.

﴿وَإِنَّهُۥ لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾: أي: وإنَّ القرآن حسرةٌ على الكفَّار إذ لم يؤمنوا به، فيتخلَّصون يومئذ.

وقيل: وإنَّ التَّكذيب لحسرةٌ، وقد دلَّ عليه قوله: ﴿مُّكَذِّبِينَ﴾.

﴿وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾: أضيف الحقُّ إلى اليقين لِمَا مرَّ في آخر سورة الواقعة؛ أي: هو من الله تعالى حقًّا يقينًا.

﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾: أي: فنزِّه الله تعالى يا محمَّد عمَّا يصفه به المشركون، واذكره بأسمائه العظام كما يقوله المخلصون.

والحمد لله ربِّ العالمين

* * *

---

(١) رواه الترمذي (٣٠٨٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٨٣).

التيسير في التفسير

تأليف الإمام

أبي حفص النسفي

نجم الدين عمر بن محمد بن أحمد النسفي الحنفي

٤٦١-٥٣٧هـ

يطبع أول مرة محققاً على ثلاث نسخ خطية

تحقيق وتعليق

ماهر أديب حبوش   جمال عبد الرحيم الفارس

المجلد الخامس عشر

دار اللباب

بسم الله الرحمن الرحيم

التيسير في التفسير

(١٥)

حُقوق الطّبع محفُوظَة

الطبعَة الأولىٰ

١٤٤٠هـ-٢٠١٩م

يُمنع طباعةُ هذا الكتاب أو ترجمته أو تصويرُه ورقياً أو إلكترونياً

إلا بإذن خطي من الدار الناشرة

تحت المُساءلة الدُّنيوية والأُخروية

9 786052 279311

دار اللُّباب

للدِّرَاسَاتِ وَتحقِيقِ التُّرَاثِ

DAR-ALLOBAB

Lubab Yazma Eserleri İhya ve İlmi Araştırma Yayınları

بيروت - لبنان

009615813966

0096170112990

Www.allobab.com

اسطنبول - تركيا

00905454729850

00902125255551

info@allobab.com

İskenderpaşa mh. Kıztaşı cd. No:7 D:5 Fatih (Özel Fatih Hastanesi Karşısı)

سُورَةُ المَعَارِج[1]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

بسم الله الذي جعل العذاب الواقع للكافرين، الرحمنِ الذي أَعدَّ الجنَّة للمؤمنين المطيعين، الرحيمِ الذي جعل خشوعَ البصر والذلَّةَ يوم القيامة للمشركين.

روى أبيُّ بنُ كعبٍ رضي الله عنه عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «مَنْ قرأ سورةَ ﴿سَأَلَ سَآئِلٌ﴾ أعطاه اللهُ تعالى ثوابَ الذين هم لأماناتِهم وعهدهم راعون»[2].

وهذه السُّورة مكيَّة.

وهي ثلاث وأربعون آية، ومئتان وسبعَ عشرةَ كلمة، وتسعُ مئة[3] وسبعةٌ وخمسون حرفًا.

وانتظام[4] ختم تلك السُّورة بافتتاح هذه السُّورة: أنَّه ذكر في ختم تلك السُّورة حسرة للكافرين، وفي افتتاح هذه عذاب الكافرين.

---

(١) في (ر): «سورة سأل سائل».

(٢) رواه الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٣٤)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ٣٥٠)، قال ابن الجوزي في «الموضوعات» (٤/ ٣٤٤): مصنوع بلا شك. وانظر: «الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة» للشوكاني (ص: ٢٩٦).

(٣) في (ر): «وسبع مئة». وفي «البيان في عد آي القرآن» للداني (ص: ٣٥٤): وحروفها ثماني مئة وأحد وستُّون حرفاً.

(٤) في (أ) و(ر): «ونظم».

وانتظام السُّورتين أنَّهما في ذكر يوم القيامة، وما فيه لأهل الكفر والإيمان من العقوبة والكرامة.

* * *

(١ ـ ٢) ـ ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ ۝١ لِّلۡكَٰفِرِينَ لَيۡسَ لَهُۥ دَافِعٞ﴾.

وقوله تعالى: ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ ۝١ لِّلۡكَٰفِرِينَ﴾ قيل: أي: دعا داعٍ بعذابٍ واقعٍ للكافرين؛ أي: بعذابٍ لا محالة هو واقع بالكفَّار يوم القيامة.

وقيل: هذا الدَّاعي هو النَّضر بن الحارث بن كَلَدةَ بن عبد الدَّار بن قصي حين قال: ﴿إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلۡحَقَّ مِنۡ عِندِكَ فَأَمۡطِرۡ عَلَيۡنَا حِجَارَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئۡتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٖ﴾ [الأنفال: ٣٢][1].

والباء في قوله: ﴿بِعَذَابٖ﴾ يجوز إدخاله في الدُّعاء، يقال: دعا بكذا.

وقيل: الباء زائدة، وتقديرُه: سأل سائل عذابًا واقعًا؛ أي: طلب طالبٌ عذابًا هو واقعٌ بالكافرين لا محالة، وهو منهم فسيقع به، وهو كقوله: ﴿تَنۢبُتُ بِٱلدُّهۡنِ﴾ [المؤمنون ٢٠].

وقال الكسائيُّ: الباء بمعنى (عن)، كما في قوله: ﴿فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ خَبِيرٗا﴾ [الفرقان: ٥٩]، ومعناه: سأل هذا الكافر عن العذاب بمن يقع؟ فقال الله تعالى: للكافرين.

وقيل: ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ﴾؛ أي[2]: دعا داعٍ، لكن الدَّاعيَ رسول الله ﷺ؛ أي: دعا رسول الله ﷺ بالعذاب أن يوقعه اللهُ تعالى بالكافرين، وهو واقعٌ بهم لا محالة.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ١٤٥) عن عطاء والسدي. ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٧٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) في (أ): «بمعنى».

وقيل: ﴿لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ بمعنى: على الكافرين، كما في قوله: ﴿وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ [الإسراء: ٧]؛ أي: فعليها.

وقرئ: ﴿سالَ سائلٌ﴾ بغير همز، وهو قراءة نافع وابن عامر[١]، وله وجهان:

أحدهما: تليين الهمزة بالتَّخفيف[٢].

والثَّاني: أنَّه من السَّيلان، ومعناه: جرى وادٍ في جهنَّم بعذاب يقع بالكفَّار يوم القيامة.

﴿لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ﴾: أي: ليس لهذا العذاب مَن يدفعه عن هؤلاء الكفَّار.

* * *

(٣ ـ ٤) ـ ﴿مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ۝٣ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾.

﴿مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ﴾: أي: هذا العذاب من الله تعالى ذي المعارج: جمعُ مَعْرَج بفتح الميم والرَّاء[٣]، وهو المصعد، والعروج: الصُّعود.

والمعارجُ: الدَّرجات، ولها معانٍ:

قال قتادة رحمه الله تعالى: ﴿ذِى ٱلْمَعَارِجِ﴾؛ أي: ذي الفواضل والنِّعم[٤].

وقال ابن عبَّاس؛ أي: ذي المعارج[٥].

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ٦٥٠)، و«التيسير» للداني (ص: ٢١٤).

(٢) في (أ) و(ف): «للتخفيف».

(٣) «والراء» ليس في (أ).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٢٥٠).

(٥) في (ف): «المعاني»، والمثبت من (أ) و(ر)، ولعل في الكلام سقطاً، فقد روى الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٢٥٠ ـ ٢٥١) روايتان عن ابن عباس رضي الله عنهما، الأولى: «﴿ذِى ٱلْمَعَارِجِ﴾: العلو والفواضل»، والثانية: «﴿ذِى ٱلْمَعَارِجِ﴾: ذي الدرجات».

وقيل: هي درجات أوليائه في الجنَّة.

وقيل: هي غرف بالجنَّة[١].

والأظهر: أنَّها معارج السَّماء التي تعرج فيها الملائكة، وقد ذكرها في الآية: ﴿تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ وهو قول مجاهد وغيره[٢].

﴿وَٱلرُّوحُ﴾: قال الحسن رحمه الله: هو جبريل صلوات الله عليه[٣].

وقال بعضهم: هو ملَكٌ آخر.

﴿إِلَيۡهِ﴾: أي: إلى الله تعالى، ومعناه: إلى حيث أمرَ الله، وهو كقوله: ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهۡدِينِ﴾ [الصافات: ٩٩].

﴿فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ﴾: قال مجاهد: أي: من أسفل الأرضين السَّبع إلى ما فوق السَّماوات السَّبع مسيرةُ خمسين ألفَ سنة لعروج غيرهم، وهم يعرجون في مدَّة قليلة[٤].

وقال الزَّجَّاج: يصعدون في مقدار يوم واحد[٥].

---

(١) في (ف): «هي غرف أهل الجنة».

(٢) رواه عن مجاهد الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٢٥٠)، وعبد بن حميد وابن المنذر كما في «الدر المنثور» (٨/ ٢٧٨)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٣/ ١٠٤٧)، بلفظ: معارج السَّماء. وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٣٥) بلفظ: معارج الملائكة.

(٣) رواه ابن المنذر عن الضحاك، كما في «الدر المنثور» للسيوطي (٨/ ٥٦٩) في تفسير سورة القدر. وذكره بلا نسبة: الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٢٥١)، والثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٣٦)، والماوردي في «تفسيره» (٦/ ٩٠).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٢٥١).

(٥) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٢١٩).

فأمَّا قوله في سورة السَّجدة: ﴿ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ﴾[السجدة: ٥]، فهذا ما بين سماء الدُّنيا والأرض في الصُّعود والنُّزول ألفُ سنة؛ خمسُ مئة سنة صعودًا، وخمسُ مئة سنة نزولًا.

وقيل: هذا اليوم يوم القيامة، ومقداره خمسون ألف سنةٍ على اعتبار أيَّام الدُّنيا.

وقيل: إنَّ الله تعالى يفعل في هذا اليوم في محاسبة عباده، وإيصال أهل الجنَّة إلى الجنَّة، وأهل النَّار إلى النَّار، ما لا يكون مثله إلَّا في خمسين ألف سنة لو وليَه العباد، ثم هو جلَّ جلالُه يفعله في مدَّة يسيرة من هذا اليوم(١).

وقيل: يفعل ذلك في قَدْرِ يوم من أيَّام الدُّنيا.

وقيل: في نصفِ يوم.

* * *

(٥ ـ ١٠) ـ ﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾ يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ﴿٨﴾ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ﴿٩﴾ وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾.

﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾: أي: على تبليغ الرِّسالة، وعلى أذى الكفَّار صبرًا لا شكوى فيه.

﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا﴾: أي: تعتقده الكفَّار غيرَ كائن، كما يقال: هذا بعيد عن الصَّواب؛ أي: هو خطأ لا صواب فيه.

﴿وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا﴾: أي: نعلَمه كائنًا، وكلُّ آتٍ قريبٌ.

---

(١) وهذا قول مردود لأن الله سبحانه لا تقدير لمدة فعله؛ لأن أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون، ومردود أيضاً لأن فعل المخلوقات لا يقارن بفعل الله مهما كان الفرق كبيراً، والأولى الإعراض عن أمثال هذه الأقوال التي لا تكون الغاية من ذكرها سوى الإكثار من تعداد الأقوال والوجوه، ولا طائل منها.

﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ﴾: روي عن ابن مسعود رضي الله عنه: أنَّه أذابَ نفاية الدَّراهم، وقال: من سرَّه أن ينظر إلى المهل فلينظر إلى هذا[1].

وقال الحسن رحمه الله: مثل الفضَّة إذا أذيبَتْ[2].

وقالوا: هذا يدلُّ على صحَّة ما يُروى أنَّ السَّماء الدُّنيا من حديد.

وقال ابن عبَّاس وعكرمة وسعيد بن جبير والأعمش والسُّدِّيُّ ومجاهد والثَّوريُّ: هو دُرْديُّ الزَّيت[3].

وقال الضَّحَّاك: المهل: الشَّيء الأسود[4].

وقال سعيد: هو أشدُّ ما يكون حرًّا[5].

وقيل: هو الصَّديد والقيح.

﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ﴾: أي: الصُّوفِ الملوَّن؛ أي: يلين من صلابتها ويصير كذلك.

﴿وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾: قال الفرَّاءُ: أي: لا يسأل ذو قرابة عن قرابته: ما حاله؟

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٥٦) في قوله: ﴿كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ﴾ [الكهف: ٢٩] قال: دخل عبد الله بيت المال، فأخرج بقايا كانت فيه، فأوقد عليها النار حتى تلألأت قال: «أين السائل عن المهل؟ هذا المهل».

(٢) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٢/ ٢١٣).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٢٤٩) عن مجاهد وابن عباس رضي الله عنهما، و(٢١/ ٥٧) عن سعيد.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٢٤٩)، ولفظه: ﴿بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ﴾ ماء جهنم أسود، وهي سوداء، وشجرها أسود، وأهلها سود.

(٥) رواه عبد بن حميد، كما في «الدر المنثور» للسيوطي (٥/ ٣٨٦).

لأنَّهم يُعرَّفونهم ساعة، ثم لا تَعارفَ بعد تلك السَّاعة(١).

وقيل: لا يَسأل للمعرفة؛ فإنَّ الله تعالى بصَّرهم أهلَ النَّار وأهل الجنَّة بالعلامات والصِّفات، فاستغنَوا عن السُّؤال.

وقيل: لا يسألونهم: أين صاروا؟ فإنَّهم يرونهم أين صاروا.

* * *

(١١ ـ ١٦) ـ ﴿يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ (١١) وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ (١٢) وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ (١٣) وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ (١٤) كَلَّا إِنَّهَا لَظَى (١٥) نَزَّاعَةً لِلشَّوَى﴾.

﴿يُبَصَّرُونَهُمْ﴾؛ أي: يعرَّفونهم، حتَّى يصير كلُّ إنسان بصيرًا بصاحبه.

ثم ذكر هذه الكلمة على الجمع وما سبق واحد؛ لأنَّه في معنى الجمع، والمراد كلُّ القرابات.

وقيل: ﴿يُبَصَّرُونَهُمْ﴾؛ أي: يُرونهم، ولكن لا يسألونهم لانشغالهم بأنفسهم.

وقيل: ﴿يُبَصَّرُونَهُمْ﴾: هو رؤية الأتباع للسَّادات والتَّبرِّي منهم، كما قال: ﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ [البقرة: ١٦٥]، وقوله: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ﴾ [البقرة: ١٦٦] الآيات.

وقيل: تبصَّر الملائكةُ بحال النَّاس، فيسوقون(٢) كلَّ فريق إلى ما أُمروا به.

﴿يَوَدُّ الْمُجْرِمُ﴾: أي: يتمنَّى المشرك ﴿لَوْ يَفْتَدِي﴾؛ أي: لو أَمْكنه أن يبذل عن نفسه بذلًا يتخلَّص به(٣) ﴿مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ (١١) وَصَاحِبَتِهِ﴾؛ أي: امرأته ﴿وَأَخِيهِ

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٨٤).

(٢) في (أ): «فيستوفون».

(٣) بعدها في (ف): «من عذاب الله».

﴿وَفَصِيلَتِهِ﴾؛ أي: أقربِ قبيلته التي ينتمي إليها ﴿ٱلَّتِي تُـْٔوِيهِ﴾؛ أي: تضمُّه إلى رحلها، وتُنزله فيه لقُرب قرابته.

﴿وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾: من النَّاس بعُدوا أو قربوا.

﴿ثُمَّ يُنجِيهِ﴾: أي: يخلِّصه الافتداء.

﴿كَلَّآ﴾: أي: لا ينجيه الافتداء من عذاب الله.

﴿إِنَّهَا لَظَىٰ﴾: أي: هي جهنَّم المتلظِّية نيرانُها؛ أي: الملتهبة.

﴿نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ﴾: قرئ بالرَّفع على معنى: هي نزاعةٌ، وقُرئ بالنَّصب على القطع؛ لأنَّه نكرة نُعت بها معرفة[1].

ومعناه: تنزع بشدَّة تلظِّيها جلدة الرَّأس وأطرافَ البدن كلِّها من الأيدي والأرجل ونحوهما.

وقيل: الشَّوى: ما سوى المقتل من كلِّ حيوان، يُقال: رمى فأشوى؛ أي: أصاب غيرَ المقتل.

والشَّوى هاهنا: جمعُ شَوَاةٍ.

* * *

(١٧ ـ ١٩) ـ ﴿تَدْعُوا۟ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ (١٧) وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ (١٨) ۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾.

﴿تَدْعُوا۟ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ﴾: أي: تدعو لظًى إلى نفسِها مَن أدبرَ في الدُّنيا عن طاعة الله تعالى، وتولَّى عن الإيمان بالله تعالى.

﴿وَجَمَعَ﴾: أي: الأموال ﴿فَأَوْعَىٰٓ﴾؛ أي: جعلها في وعاء حابسًا حقَّ الله تعالى؛ أي: كفر بالله تعالى، وبخل بما كان له على عباد الله تعالى.

---

(١) قرأ حفص بالنصب، والباقي بالرفع. انظر: «السبعة» لابن مجاهد (ص: ٦٥٠، ٦٥١)، و«التيسير» للداني (ص: ٢١٤).

وقيل: أدبر عن الإيمان، وتولَّى عن الشَّرائع، كما قال: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ﴾ [القيامة: ٣١].

واختُلف في قوله: ﴿تَدْعُواْ﴾:

قيل: تقول: يا كافر، يا منافق، يا يهودي، يا نصراني، يا مجوسي، يا فاسق، يا ظالم، إليَّ إليَّ. وهو كنطق الجلود ونحوِه في نقض العادة.

وقيل: زبانيَتها تدعو الكفَّار إليها، كخزنة الجنَّة على أبوابها لأهل الجنَّة.

وقيل: هو استعارة، ومعناه: أنَّهم لا يفوتونها، فكأنَّها تدعوهم فيجيبونها كرهًا، وهو كقول الشَّاعر:

دعاني إلى عُمَرٍ جودُهُ   وقولُ العشيرةِ بحرٌ خِضَمْ[1]

وقيل: هو خروج لسانٍ منها وجرُّ أهلها إليها.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾: أريد به الجنس والجمع، ولذلك استثنى منه بقوله: ﴿إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ﴾.

قال الفرَّاء: الهَلُوعُ: الضَّجور[2].

وقال الأخفشُ: تفسيرُه ما ذكر بعده: ﴿إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ۝٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا﴾.

وقال قطرب: هو الجزوع الضَّجور.

وقال الخليل: الهلعُ: شدَّة الحرص[3].

---

(١) البيت لبشار بن برد يمدح عمرو بن العلاء. انظر: «ديوانه» (٤/ ١٥٩).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٨٥).

(٣) انظر: «العين» للخليل (١/ ١٠٧).

وقال القتبيُّ: هو أسوأ الجزع[١].

وقيل: هو شدَّة الحزن، والهُلَاعُ كالهَلَع.

وقال الخليل: ناقة هِلْواعةٌ؛ أي: شديدةٌ حَديدةٌ[٢].

وقيل: الهلوع: البخيل.

* * *

(٢٠ ـ ٢٥) ـ ﴿إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا (٢٠) وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا (٢١) إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ (٢٢) ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ (٢٣) وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ (٢٤) لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ﴾.

﴿إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ﴾: أي: أصابه المكروه ﴿جَزُوعًا﴾.

﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ﴾: أي: أصابه الغنى ﴿مَنُوعًا﴾ وهذا طبعُه، وهو مأمور بمخالفة طبعه، وموافقةِ شرعه.

﴿إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ (٢٢) ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ﴾: أي: صلواتهم الخمس ﴿دَآئِمُونَ﴾؛ أي: محافظون عليها في أوقاتها. وهو تفسير ابن مسعود رضي الله عنه[٣].

وقال عقبة بن عامر وسئل: أهم الذين يصلُّون أبدًا؟ قال: لا، ولكنَّه مَن إذا صلَّى لم يلتفِتْ عن يمينِه وعن شمالِه، ولا خلفه[٤].

وقيل: هم الذين لا يتركون فرضهَا، ولا يقطعون[٥] ما اعتادوا من نفلِها.

---

(١) انظر: «غريب القرآن» لابن قتيبة (ص: ٤٨٦).

(٢) انظر: «العين» للخليل (١/ ١٠٧).

(٣) رواه ابن أبي شيبة في «مصفنه» (٣٢١١)، والمروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (٦٢)، والطبري في «تفسيره» (١٥/ ٥٦٩)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٨٩٤٠).

(٤) رواه ابن المبارك في «الزهد» (١١٨٩)، والمروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (٦٧)، والطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٢٦٨).

(٥) في (ف): «لا يقطعون فرضها ولا يتركون» بدل من «لا يتركون فرضها ولا يقطعون».

وفي الخبر: «أحبُّ الأعمالِ إلى اللهِ تعالى أدومُها وإنْ قلَّ»[١].

﴿وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ﴾: قيل: هي الزَّكاة.

وقيل: هي الزَّكاة وسائر الواجبات.

وقيل: النَّوافل.

سُئل عليُّ بن الحسين عن هذا فقال: هو الشَّيء تخرجه من مالك لا تحسُبُه[٢] من صدقتك ولا من زكاتك، قال: فما هو؟ قال: تَقري به ضيفًا، وتحمل به كَلًّا، وتؤدي به نائبةً، وتَصِل به رَحِمًا، وتَبَرُّ به أخًا[٣].

والسَّائل والمحروم فسَّرناهما في الذَّاريات.

* * *

(٢٦ ـ ٣١) ـ ﴿وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ﴾

﴿وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ﴾: أي: يوم الجزاء، ويوم الحساب، ويوم القضاء، وهو يوم القيامة، وإذا صدَّقوا به استعدُّوا له.

﴿وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ﴾: أي: خائفون، فإذا خافوه لم يَعْصوه.

﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ﴾: لأن المغفرة في حقِّ المؤمن معلَّقة بالمشيئة.

---

(١) رواه البخاري (٦٤٦٤)، ومسلم (٧٨٣)، من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) بضم السين من باب نصر؛ أي: لا تَعُدُّه.

(٣) لم أقف عليه.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٢٩) إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ﴾: أي: نسائهم ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾؛ أي: إماؤهم ﴿فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾: على ترك التَّحفُّظ عنها.

﴿فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ﴾: أي: طلب الاستمتاع وراء النِّكاح وملك اليمين، وذلك في معنى: ذينِكَ، أو معناه: ذلك المذكورِ، وهو كقوله: ﴿عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ﴾ [البقرة: ٦٨]، وهو في معنى الجمع؛ لأنَّ (مِن) للجنس.

﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾: أي: المتعدُّون حدَّ الشَّرع، ودخل في هذا تحريمُ وطءِ الذُّكران والبهائم.

وقيل: يدخل الاستمناء فيه باليد[1].

وروي أنَّ العرب كانوا يَستمنون في الأسفار، فنزلت الآية.

* * *

(٣٢ ـ ٣٤) ـ ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ (٣٢) وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ (٣٣) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ﴾: ويدخل فيه أمانات الشَّرع وأمانات العباد.

﴿وَعَهْدِهِمْ﴾: أي: وعهودهم، ويدخل فيه عهود الخلق والنُّذور والأيمان.

﴿رَاعُونَ﴾: أي: حافظون.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ﴾: أي: يقيمون شهاداتهم لله تعالى، لا يحابُون، ولا يكتمون، ولا يغيِّرون.

وهذه الخصلة تدل على الصَّلابة في الدِّين، والرَّغبة في إحياء حقوق العالمين.

---

(١) «باليد» من (ف).

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾: والمحافظة عليها: تركُ تضييعها؛ كأنَّك تحفظُها وهي تحفظُك.

وذكر في الأوَّل: ﴿عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾:

فقيل: الدَّوام عليها: الاستكثارُ منها، والمحافظة عليها: أن لا تضيع عن مواقيتها.

وقيل: الدَّوام عليها: أداؤها في أوقاتها، والمحافظة عليها: حفظ أركانها وواجباتها وسننها وآدابها.

وقيل: الدَّوام على التَّطوُّعات، والمحافظة على المكتوبات.

* * *

(٣٥ ـ ٣٨) ـ ﴿أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾ فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ ﴿٣٦﴾ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾ أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ﴾.

﴿أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ﴾: هذا بيان مرجعهم.

﴿مُّكْرَمُونَ﴾: قال زيد بن أسلم: أي: بثوابٍ لم تره عينٌ، ولا تسمعُ به أذنٌ، ولا يخطر على قلب[1].

وقوله تعالى: ﴿فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ﴾: قال أبو عبيدة: أي: مسرعين[2].

---

(١) في (ر) و(ف): «قلب لبشر». وروى البخاري (٤٧٨٠)، ومسلم (٢٨٢٤)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «قال الله عز وجل: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، مصداق ذلك في كتاب الله: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾».

(٢) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (٢/ ٢٧٠).

وقال الحسن رحمه الله: أي: منطلِقين[١].

وقال ابن زيد: أي: شاخِصين[٢].

وقال الزَّجَّاج: المهطِعُ: المقبِلُ ببصره على الشَّي لا يُزايله، وذلك من نظر العدو[٣].

قوله تعالى: ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ﴾: أي: جماعات في تَفرِقة، واحدتُهم: عِزَةٌ، وأصله: عِزْوة، وهي جماعة يُعْزَون إلى أبٍ واحد؛ أي: ينتسِبون.

قال الحسن: أنكر عليهم الإسراع إليه ليأخذوا الحديث عنه ثم يتفرَّقوا[٤].

وقيل: أسرَعوا إليه لطلب عيبٍ به.

وقيل: معناه: فما لهؤلاء المشركين الذين هم خالُون عن خصال الخير التي وصفنا بها المؤمنين قد أسرعوا نحوك، وأداموا النَّظر إليك، وجلسوا يمينك وشمالك حلقًا حلقًا، لا يعملون شيئًا ممَّا تأمرهم به عن الله تعالى.

وقيل: ﴿عِزِينَ﴾: متفرِّقين حلقًا حلقًا لأنفسهم، لا يحضرون كلامك، ولا يستمعونه، ولا يقبلونه، ولا يعملون به.

﴿أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ﴾ مع هذا ﴿أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ﴾ كالمؤمنين الذين وصفناهم بهذه الأعمال.

---

(١) رواه ابن وهب كما في التفسير من «جامعه» (٣٢١)، والطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٢٧٨)، وعبد بن حميد كما في «الدر المنثور» (٨/ ٢٨٥). ووقع في النسخ: «متطلعين»، والمثبت من المصادر.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٢٧٨).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٢٢٣).

(٤) رواه ابن وهب كما في التفسير من «جامعه» (٣٢١) بلفظ: (متفرقين). وعبد بن حميد كما في «الدر المنثور» للسيوطي (٨/ ٢٨٥)، ولفظه: متفرقين يأخذون يميناً وشمالاً يقولون: ما يقول هذا الرجل.

(٣٩ ـ ٤١) ـ ﴿كَلَّآ إِنَّا خَلَقۡنَٰهُم مِّمَّا يَعۡلَمُونَ ۝٣٩ فَلَآ أُقۡسِمُ بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ۝٤٠ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيۡرًا مِّنۡهُمۡ وَمَا نَحۡنُ بِمَسۡبُوقِينَ﴾

﴿كَلَّآ إِنَّا خَلَقۡنَٰهُم مِّمَّا يَعۡلَمُونَ﴾: قال الحسن: أي: من النُّطفة[١].

وقال قتادة: إنَّما خُلقْتَ مِن قذرٍ يا ابن آدم، فاتَّقِ الله[٢].

وقيل: أي: خلقناهم من ماء مهينٍ لا قَدْر له في نفسه، وإنَّما القَدْر بالإيمان بالله تعالى، والطَّاعة لله تعالى، فلِمَ يطمعُ كلُّ امرئٍ منهم ليس بمؤمنٍ مطيعٍ أن يُدْخَلَ جنَّة نعيمٍ ولها قَدْرٌ عظيم.

﴿فَلَآ أُقۡسِمُ﴾: له ثلاثة أوجه، كما مرَّ في السُّورة التي قبلها.

﴿بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ﴾: وهي مطالعُ الشَّمس[٣] ومغاربُها في السَّنة.

﴿إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ۝٤٠ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيۡرًا مِّنۡهُمۡ﴾: على أن نَذهب بهم ونجيءَ بخيرٍ منهم في الفضل والمال وغير ذلك.

﴿وَمَا نَحۡنُ بِمَسۡبُوقِينَ﴾: أي: ما يفوتُنا ما نريد منهم وبهم من خيرٍ وشرٍّ، فليس تأخيرنا معاقبتَهم لعجزنا، بل لحكمةٍ.

وهذا وعدٌ للنَّبيِّ ﷺ، ووعيدٌ لأعدائه.

* * *

(٤٢ ـ ٤٤) ـ ﴿فَذَرۡهُمۡ يَخُوضُواْ وَيَلۡعَبُواْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوۡمَهُمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ ۝٤٢ يَوۡمَ يَخۡرُجُونَ مِنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ سِرَاعٗا كَأَنَّهُمۡ إِلَىٰ نُصُبٖ يُوفِضُونَ ۝٤٣ خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۚ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمُ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ﴾.

---

(١) رواه ابن المنذر عن الضحاك، كما في «الدر المنثور» للسيوطي (٨/ ٢٨٦).

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٣٣٢)، والطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٢٨٢).

(٣) في (أ): «المشرق».

﴿فَذَرْهُمْ﴾: أي: فدعهم يا محمَّد ﴿يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾؛ أي: فيما هم فيه، فإنَّه اشتغالٌ بالباطل الذي لا يأتي بنفع، بل بضرٍّ وتعبٍ، يتصرَّف فيه صاحبه عن غير عاقبة حميدة، وعن قريب يلاقون يومَهم هذا الذي يوعدون به، وهو يوم تكون السَّماء كالمهل، وكذا وكذا.

﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ﴾: أي: القبور ﴿سِرَاعًا﴾ متبادرين إلى موقف الحساب.

﴿كَأَنَّهُمْ﴾ في سرعتهم ﴿إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ﴾: قرأ ابن عامر وعاصم في رواية حفص: ﴿نُصُبٍ﴾ بضمَّتين[1]، وقرأ الباقون بفتح النُّون وتسكين الصَّاد[2].

وبالضَّمَّتين قيل: هو الصَّنم الذي يُنصَب فيُعبَد، وجمعه: الأنصاب.

وقيل: هو جمع، وواحده: النِّصاب، يعني: كأنهم يتبادرون إلى أصنام أو صنم أيُّهم يستلمه أو يستلمها.

والنَّصْب بالفتح: العلَم المنصوب؛ أي: كأنَّهم في سرعتهم قد نُصِبَ لهم عَلَمٌ، فهم يسعون إليه ليبلغوه، فيتبادرون إليه بالسَّبق.

وقيل: النَّصْب بالفتح: واحدٌ، وجمعه النُّصُب بالضَّمِّ، كالرَّهْن والرُّهُن.

وقيل: بالضَّم: جمع نَصِيبة، وهي علامة تُنْصَب للقوم أيَّ علامةٍ كانت.

﴿يُوفِضُونَ﴾؛ أي: يسرعون.

﴿خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ﴾: أي: ذليلةً، نصبٌ على الحال.

﴿تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾: أي: يغشاهم هوان المذنبين.

﴿ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾: فيكذِّبون به، فيقولون: متى هذا العذاب الواقع؟

والحمد لله[3]

---

(١) في (ف): «بضم النون والصاد».

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ٦٥١)، و«التيسير» للداني (ص: ٢١٤).

(٣) «والحمد لله» من (ف) وليس فيها: «فيكذبون به فيقولون متى هذا العذاب الواقع».

سورة نوح[1]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

بسم الله الذي خلَقَنا أطوارًا، الرحمنِ الذي يرسل السَّماء علينا مدرارًا، الرحيمِ الذي يغفر للمؤمنين والمؤمنات إنَّه كان غفَّارًا.

روى أبيُّ بنُ كعبٍ رضي الله عنه[2]، عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «مَنْ قرأ سورةَ ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا﴾[3] كان من المؤمنين الذي تدركُهم دعوةُ نوحٍ عليه السَّلام»[4].

وهذه السُّورة مكيَّة.

وهي ثمان وعشرون آية، ومئتان وستٌّ وعشرون كلمة، وتسعُ مئة وثمانية وثلاثون حرفًا.

وانتظامُ ختم تلك السُّورة بافتتاح هذه السُّورة: أنَّ ختم تلك في وعيد النَّبيِّ ﷺ قومَه، وافتتاح هذه السُّورة في إنذار نوح.

وانتظام السُّورتين: أنَّهما في وعيد الكافرين ووعد المؤمنين.

---

(١) في (ر): «سورة إنا أرسلنا».

(٢) في (أ): «روي» بدل: «روى أبي بن كعب رضي الله عنه».

(٣) في (أ): «من قرأ سورة نوح».

(٤) رواه الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٤٣)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ٣٥٦)، قال ابن الجوزي في «الموضوعات» (٤/ ٣٤٤): مصنوع بلا شك. وانظر: «الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة» للشوكاني (ص: ٢٩٦).

(١ ـ ٣) ـ ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝١ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٢ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ﴾: قيل[1]؛ أي: أمرناه أن أنذر قومك، والإرسال يدلُّ عليه.

وقيل: أي: أرسلناه بأن أنذر قومك؛ أي: خوِّف قومَك.

﴿مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: أي: وجيع.

﴿قَالَ يَٰقَوْمِ﴾: أي: يا قومي، أضافهم إلى نفسه إظهارًا للشَّفقة ولأنَّه لا يريد بهم إلَّا الخير.

﴿إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾: أي: مخوِّفٌ لكم عذابًا أليمًا ينزل بكم إنْ أصرَرْتم على كفركم.

﴿مُّبِينٌ﴾: مظهِرٌ بلسانٍ تعرفونه

﴿أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾: يقع البيان على ﴿أَنِ﴾، وقوله: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾؛ أي: وحِّدوه.

﴿وَٱتَّقُوهُ﴾: ولا تخالفوا أمرَه ولا نهيَه.

﴿وَأَطِيعُونِ﴾: فيما أبيِّنُه لكم.

* * *

(٤) ـ ﴿يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

﴿يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾: ﴿مِّن﴾ زائدة، ومعناه: ذنوبَكم.

(١) «قيل» ليست في (أ).

وقال الزَّجَّاج: ﴿مِّن﴾ لتخليص الذُّنوب من سائر الأشياء، كقوله: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَـٰنِ﴾ [الحج: ٣٠][1].

وقيل: ﴿يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ ما أَوْعَدكم العقوبة عليه.

﴿وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: قال مقاتل: أي: إلى منتهَى آجالكم في الدُّنيا في عافية، فلا يعاقبكم بالغرق ولا بغيره.

﴿إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ﴾: أي: الوقتَ الذي أجَّله لعذابكم ﴿لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أحكامَ الله في خلقِه.

فلم يتوبوا، فحبسَ الله عنهم المطرَ، وأعقم أرحام نسائهم أربعين سنة، ثم عوقبوا لتمام أربعين سنة ليس فيهم صبيٌّ.

***

(٥ ـ ٧) ـ ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا ۝٥ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا ۝٦ وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَـٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا﴾: أي: بلَّغهم ما أُرسلَ[2] به إليهم فعصَوه وكذَّبوه، وقال: يا ربِّ إنِّي دعوت قومي إلى ما أمَرْتني به أن أدعوَهم إليه من عبادتك وتقواك ليلًا ونهارًا مواصلةً كلَّما أَمْكنني.

﴿فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا﴾: أي: لم يزدادوا عند دعائي إلَّا فرارًا عن إجابتي، كما قال: ﴿أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَـٰذِهِۦٓ إِيمَـٰنًا﴾ [التوبة: ١٢٤].

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٢٢٨). ولفظه: ودخلت ﴿مِّنَ﴾ تختص الذنوب من سائر الأشياء، لم تدخل لتبْعيض الذنُوب، ومثله قوله: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَـٰنِ﴾ معناه اجتنبوا الرجس الذي هو الأوثان ليس الرجس ههنا بعض الأوثان.

(٢) في (ر): «بلغتهم ما أرسلت».

قال قتادة: بلغني أنَّهم كانوا يذهب الرَّجل بابنه إلى نوح، ويقول لابنه: احذر هذا لا يغرَّنَّكَ، فإنَّ أبي قد ذهب بي إليه وأنا مثلُك، فحذَّرني كما حذَّرتك[1].

﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ﴾: أي: إلى أن تغفرَ لهم، يعني: إلى أن يفعلوا ما يستحقُّون به غفران الذُّنوب السَّالفة[2].

﴿جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ﴾: لئلَّا يسمعوا كلامي.

﴿وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ﴾: أي: تغطَّوا بثيابهم، وجعلوا رؤوسهم فيها؛ لئلَّا يروا وجهي، ولئلَّا يقع عليهم بصري، مظهِرين أنَّهم غيرُ قابلين وعظي.

﴿وَأَصَرُّوا﴾: أي: أقاموا على شركهم.

﴿وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا﴾: أي: تعظَّموا عن إجابتي تعظُّمًا، وذكر المصدر لتأكيد الفعل.

* * *

(٨ ـ ١٠) ـ ﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا (٨) ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا (٩) فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾.

﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا﴾: أي: مجاهرةً على رؤوس الملأ في المحافل.

﴿ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾: أي: دعوتُهم فيما بيني وبينهم سرًّا وعلانية، وهو أن يخلوَ بالواحد فالواحد منهم، فيسرَّ إليه الدَّعوة.

وقيل: قوله: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا﴾ في إسرار الدَّعوة، وقوله: ﴿ثُمَّ

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٣٣٥)، والطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٢٩١).

(٢) في (أ) و(ف): «غفران ما سلف من ذنوبهم».

﴿إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا﴾ في جهار الدَّعوة، وقوله: ﴿ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾ في الإسرار والإعلان بالدَّعوة، وهو ما ذُكِرَ بعدَه.

﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾: أي: آمنوا بالله واسألوه مغفرةَ ذنوبكم، إنَّه لم يزل غفَّارًا للذُّنوب لمن ينيب إليه ويتوب.

* * *

(١١ ـ ١٢) ـ ﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا (١١) وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا﴾.

﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾: أي: كثيرَ الدُّرور، وهو الانصباب، وقد دَرَّ يَدُرُّ بالضَّم.

وعن ابن عبَّاس رضي الله عنهما: ﴿مِّدْرَارًا﴾: يَتْبعُ بعضُه بعضًا[١].

وقال هارون التَّيميُّ: ﴿مِّدْرَارًا﴾: هو المطر لإبَّانه[٢]؛ أي: لوقته.

﴿وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ﴾: أي: يَزِدْ في أموالِكم وبنيكم من المدد.

﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ﴾: أي: بساتين في الدُّنيا.

﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا﴾: أي: جاريةً لمنافعكم فيها وفي غيرها لمزارعكم وأشجاركم.

وقيل: كانوا يحبُّون الأموال والأولاد، فحُرِّكوا بهذا على الإيمان.

وقيل: كانوا قُحطوا ومُنعوا القَطْرَ، وعُقِمَ النِّساء، فوعدهم إن هم تابوا أن يرفع ذلك عنهم.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٤٤٤).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١٢٦٤).

ورُوي أنَّ عمر رضي الله عنه خرج يستسقي، فما زال على المنبر يستغفر حتَّى نزل، فقالوا: يا أمير المؤمنين، ما سمعناك استسقيْتَ، فقال: لقد طلبْتُ الغيثَ بمجاديح السَّماء، ثم قرأ هذه الآيات(١).

وعن الرَّبيع بن صَبِيْح: أنَّ رجلًا أتى الحسنَ فشكا إليه الجُدوبة، فقال له الحسن: استغفر الله، وأتاه آخر فشكى إليه الفقر، فقال: استغفر الله، وأتاه آخر، فقال: ادعُ اللهَ أن يرزقني ابنًا، فقال له: استغفر الله، وآتاه آخر فشكى إليه جفاف بساتينه، فقال له: استغفر الله.

قال الرَّبيع: فقلْنا له: أتاك رجالٌ يسألون أبوابًا من الجدوبة والفقر وغير ذلك، فأمرتهم كلَّهم بالاستغفار! فقال: ما قلْتُ ذلك من ذات نفسي، إنَّما اعتبرْتُ فيه قولَ الله تعالى خبرًا عن نوح عليه السلام أنَّه قال لقومه: ﴿ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ⑩ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ⑪ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّـٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَـٰرًا﴾(٢).

***

---

(١) رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (٤٩٠٢)، وأبو عبيد في «غريب الحديث» (٣/ ٢٥٩)، وسعيد بن منصور في «سننه ـ التفسير» (١٠٩٥)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٨٣٤٣)، والطبراني في «الدعاء» (٩٦٤). قال النووي في «خلاصة الأحكام» (٢/ ٨٨٠): رواه سعيد بن منصور، والبيهقي بإسناد صحيح، لكنه مرسل، لم يدرك الشعبي عمر.

وله طريق آخر رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٨٣٤٢).

والمَجَاديحُ واحدها مِجْدح ومُجْدح، وهو نَجْم من النُّجوم كانت العرب تزعم أنه يُمطَر به كقولهم في الأَنْواء، والذي يُراد من الحديث أنه جعل الاستغفار استسْقَاء، يتأَوَّلُ قَوله تعالى: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ⑩ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ﴾ الآية، وأراد عُمَرُ إبطال الأنواء والتكذيبَ بها، لأنه جعل الاستغفار هو الذي يُسْتَسْقَى به لا المَجَاديحَ والأنواء التي كانوا يَسْتَسقُون بها. قاله أبو عبيد.

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٤٤)، والزمخشري في «الكشاف» (٤/ ٦١٧).

(١٣ ـ ١٤) ـ ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا (١٣) وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾: أي: ما لكم يا قوم لا تخافون لله عظمة وقدرةً أن يأخذَكم على إصراركم واستكباركم فلا تقدرون على دفع ذلك؟

والرَّجاء يكون للطَّمع والخوف، وهاهنا للخوف.

وقال الفرَّاء رحمه الله: إنما يوضع الرَّجاء موضع الخوف مع الجحد[1]؛ لأنَّ مع الرَّجاء طرفًا من الخوف من اليأس.

﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾: أي: تاراتٍ وكرَّاتٍ؛ نطفةً ثم علقةً ثم مضغةً، ثم كذا وكذا إلى أنْ تمَّ الواحد منكم إنسانًا.

وقيل: ﴿أَطْوَارًا﴾؛ أي: أنواعًا مختلفين، صحيحًا وسقيمًا، وبصيرًا وضريرًا، وغنيًّا وفقيرًا، وكذا وكذا؛ لتعلموا أنَّ الله قدير على كلِّ ما يريد بكم.

* * *

(١٥ ـ ١٦) ـ ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا (١٥) وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا﴾: أي: بعضُها فوق بعض، وقد بيَّنَّا في سورة الملك له وجهَيْن.

﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا﴾: أي: جعل القمر نورًا يهتدي به أهل الأرض في اللَّيل، وجعل الشَّمس سراجًا يضيء لهم في نهارهم ليتوصَّلوا به إلى التَّصرُّف في معايشهم، يُجري ذلك كلَّه على نظام واحد معروف، يدلُّ على أنَّهما

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٢٨٦).

مسخَّران لقادرٍ عالمٍ حيٍّ[(١)] مريدٍ مختارٍ، لا يشبه شيئًا من المخلوقات.

ثم قوله تعالى: ﴿فِيهِنَّ﴾ مع أنَّ القمر في واحدةٍ منهنَّ له وجوهٌ:

أحدها: أنَّ تلك الواحدة بعضها، فيجوز الإضافة إليها إذا كان في بعضها، كما في قوله: ﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾ [الحج: ٢٨]، وذلك يكون في بعضها، وكما يقال: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ في شهر رمضان، وكما في قوله: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ﴾ [الأنعام: ١٣٠]، وإنَّما أَتَوا من الإنس.

والثَّاني: أن قوله ﴿فِيهِنَّ﴾؛ أي: معهنَّ؛ أي: خلق القمر مع خلق السَّماوات، وهو كقوله: ﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي﴾ [الفجر: ٢٩]؛ أي: مع عبادي.

والثَّالث: أنَّ القمر في سماء واحدٍ، والنُّور في كلِّ سماء؛ لأنَّ السَّماوات لطيفة لا تحجب نوره، فهو نورٌ في كلِّها.

* * *

(١٧ ـ ٢٠) ـ ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا (١٧) ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا (١٨) وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا (١٩) لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾: أي: أخرج أباكم من الأرض لأنَّه خلقَه من طينها، وأنتم منه، فكان إنباتًا لكم.

وقوله تعالى: ﴿نَبَاتًا﴾؛ أي: فنبتُّم نباتًا.

وقيل: تدخل مصادر بعض الأبواب في بعضٍ إذا كان الأصل واحد، كما قال: ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ [المزمل: ٨]، ولم يقل: تبتُّلًا.

---

(١) في (أ): «عليهم» بدل من «عالم حي».

وعلى الأوَّل قالوا: تقديره: وتبتَّل إليه وبتِّل نفسَك تبتيلًا.

﴿ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا﴾: أي: في الأرض بعد الموت ﴿وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾ منها بعد البعث.

﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا﴾: كما قال: ﴿فِرَاشًا﴾ [البقرة: ٢٢]، وكما قال: ﴿مِهَادٌ﴾ [الأعراف: ٤١]؛ أي: بسطها لكم ﴿لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا﴾؛ أي: طرقًا واسعة لتتصرَّفوا فيها.

قال الفرَّاء والخليل: الفجُّ: الطَّريق الواسع[١]. فكان قوله: ﴿فِجَاجًا﴾ جاريًا مجرى النَّعت.

وقال الأخفش: الفجُّ: الطَّريق[٢]. فكان ذكره بعد السُّبُل إتْباعًا، والعرب تُتْبع أحدَ الاسمين الاسم الآخر، وعلى هذا قوله: ﴿سُبُلًا فِجَاجًا﴾.

* * *

(٢١ - ٢٢) - ﴿قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا (٢١) وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا﴾.

﴿قَالَ نُوحٌ رَبِّ﴾: أعاد قوله: ﴿رَبِّ﴾ لطول الكلام.

﴿إِنَّهُمْ عَصَوْنِي﴾؛ أي: خالفوا أمري، ولم يجيبوني، ولم يتَّبعوني.

﴿وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا﴾: ﴿مَنْ﴾ جنس، والمراد به الجمع، وهم الكُبراء والأغنياء[٣].

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٨٨)، و«العين» للخليل (٦/ ٢٤).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للأخفش (٢/ ٥٥٠).

(٣) في (ر): «والأشقياء».

قوله: ﴿لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ﴾؛ أي: لم يزددْ بسبب ماله وولده ﴿إِلَّا خَسَارًا﴾؛ أي: في أمر الآخرة بترك صرفه إلى وجوه الخيرات.

و﴿وُلْده﴾: قرأ ابن كثير وأبو عمرو وحمزة والكسائي بضم الواو، وعن أبي عمرو أنَّه فسَّره بالعشيرة[1].

وقرأ الباقون بفتح الواو واللَّام[2]، وهو المولود[3]، وأريد به الجمع والجنس هاهنا.

﴿وَمَكَرُواْ﴾: أي: القوم، عطفٌ على قوله: ﴿وَٱتَّبَعُواْ﴾، ويجوز أن يكون صفةَ ﴿مَن لَّمْ يَزِدْهُ﴾؛ لأنَّه جنس بمعنى الجمع، والمكر منهم غالبًا؛ أي: من الكبراء.

﴿مَكْرًا كُبَّارًا﴾: أي: كبيرًا؛ أي: احتالوا لصدِّ النَّاس عنِّي.

* * *

(٢٣) ـ ﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾.

﴿وَقَالُواْ﴾: أي: الرُّؤساء لأتباعهم: ﴿لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ﴾؛ أي: أصنامكم على العموم.

﴿وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾: هذه الأصنام الخمسة على الخصوص، وهو كقوله: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ [البقرة: ٢٣٨]، وقوله ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ﴾ [الأحزاب: ٧].

قال ابن عبَّاس: كان الشَّيطان حمل قوم نوح على أن نحتوا خمسة أصنام وعبدوها، وهي هذه الخمسة، فلمَّا كانت أيام الغرق، دُفِنَتْ تلك الأصنام، فلم

---

(١) ذكره ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٥/ ٣٧٥).

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ٦٥٢)، و«التيسير» للداني (ص: ٢١٥).

(٣) في (ر): «وهو الولد المولود».

تزل مدفونة حتى أخرجها الشَّيطان لمشركي العرب، فاتَّخذت قُضاعةُ وَدًّا فعبدوها بدُومةِ الجندل، ثم صارت إلى كَلْبٍ، ويَعوقُ كان لكَهْلانَ، ثم صار إلى هَمْدانَ، ونسرٌ كان لخَثْعَمٍ، وسواعٌ كان لذي الكَلَاع، ويغوثُ كان لمرادٍ من طيِّئٍ[1].

قال قتادة: ودٌّ لكَلْبٍ، وسواعٌ لهَمْدانَ، ويغوثُ لـمَذْحِجٍ، ويعوقُ لكنانةَ، ونسرٌ لحِمْيَرَ.

وقال مقاتل: أمَّا ودٌّ فكان لدُومة الجندل، وأمَّا سواعٌ فلهُذَيلٍ، وأمَّا يغوثُ فلبني غطيفٍ حيٍّ من مراد، وأمَّا يعوقُ فلهَمْدانَ، وأمَّا نسرٌ فلذي الكَلَاع من حِميرَ، هذه مواريثُ قوم نوح للعرب.

وأمَّا اللَّات فلثقيفٍ، وأمَّا العُزَّى فلسُليمٍ وغَطَفانَ وجُشَمَ[2] ونصرٍ وسعدِ بن بكرٍ، وأمَّا مناةُ فبقُدَيدٍ، وأمَّا أسافٌ ونائلةُ وهُبَل فلأهل مكَّة؛ أسافٌ حيالَ الحجر الأسود، ونائلةُ حيالَ الرُّكن اليماني، وهُبَل في جوف الكعبة ثمانيةَ عشر ذراعًا[3].

وذكر الواقديُّ: أنَّ ودًّا كان على صورة رجل، وسواعاً على صورة امرأة، ويغوثَ على صورة أسد، ويعوقَ على صورة فرس، ونسراً على صورة طير[4].

وقال قيس بن مخرمة: هذه الأصنام الخمسة أصلُها وأسماؤها من رجالٍ صالحين، كان لهم أتباع على دينهم واجتهادهم، فتوفَّاهم الله تعالى، فأسف عليهم أصحابهم وقالوا: لو صوَّرنا أجسادَهم كان أشدَّ لعبادتنا، فصوَّروهم، ثم نشأ خَلَفٌ[5]

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٤٦) بلفظ قريب، وأصله رواه البخاري (٤٩٢٠).

(٢) في (ر): «ولجهم».

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٤٧) عن عطاء وقتادة والثمالي والمسيب. وروى أوله الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٣٠٤) عن قتادة.

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٤٧).

(٥) في (أ): «خلق».

بعدهم فعبدوهم، وهو في الفترة التي كانت بين آدم ونوح، فبُعث إليهم نوحٌ فدعاهم إلى الإسلام[١].

وقال مجاهد رحمه الله: كانوا رجالًا صالحين من قوم نوح، فلمَّا ماتوا وسوس الشَّيطان إلى قومهم: أن انصبوهم في مجالسهم التي كانوا يتعبَّدون فيها، وسمُّوهم بأسمائهم حتى يذكروهم، فلم تُعبَد حتى هلك أولئك، وعُبدَت بعد ذلك[٢].

* * *

(٢٤) ـ ﴿وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا﴾: أي: صاروا سببًا لضلال كثير من النَّاس، وجمع بالواو لأنَّهم وُصفوا بصفاتِ مَن يعقل، كما في قوله: ﴿رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ [يوسف: ٤].

وقال في آية: ﴿إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ﴾ [إبراهيم: ٣٦] ردًّا إلى لفظ الأصنام، وهي جمع.

وقيل: ﴿وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا﴾ راجع إلى رؤسائهم.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا﴾: دلَّ هذا على أنَّ أفعال العباد مخلوقةٌ لله تعالى، وهذا السُّؤال كسؤال موسى عليه السَّلام: ﴿وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا﴾ [يونس: ٨٨].

وقال الحسن: لم يدعُ نوحٌ بهذا الدُّعاء إلَّا حين أيسَ من إيمانهم بقوله تعالى: ﴿أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ﴾ [هود: ٣٦][٣].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٣٠٣) عن محمد بن قيس. ولعله محمد بن قيس بن مخرمة، وهو ممن روى عنه الطبري في «تفسيره».

(٢) روى نحوه البخاري (٤٩٢٠) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٤/ ٤١٧) إلى أحمد في «الزهد» وابن المنذر وأبو الشيخ، =

(٢٥) ـ ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمۡ أُغۡرِقُواْ فَأُدۡخِلُواْ نَارٗا فَلَمۡ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارٗا﴾.

﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمۡ﴾: قرأ أبو عمرو: ﴿ممَّا خَطاياهم﴾، وقرأ الباقون: ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمۡ﴾[1]، وهما جمع خطيئة.

و﴿مِّمَّا﴾ كلمتان: (مِن) و(ما)، و(ما) صلةٌ زائدة.

وتقديره: من خطيئاتهم ﴿أُغۡرِقُواْ﴾؛ أي: بسبب ذنوبهم وإصرارهم عليها أغرقوا بالطُّوفان.

﴿فَأُدۡخِلُواْ نَارٗا﴾: أي: صُيِّروا في عذاب النَّار، وهو دليل على عذاب القبر، وهو كقوله تعالى: ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗا﴾ الآية [غافر: ٤٦].

﴿فَلَمۡ يَجِدُواْ لَهُم﴾: أي: لأنفسهم، وهو كقوله: ﴿كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبٗا﴾ [الإسراء: ١٤]؛ أي: على نفسك.

﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾: أي: من غير الله ﴿أَنصَارٗا﴾ يعينونهم ويمنعونهم من عذاب الله؛ أي: ممَّا كانوا يُعِدُّونه لذلك من الأولاد والأتباع.

وقيل: ﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: غير الله؛ أي: لو نصرهم أحدٌ لنصرهم الله تعالى، فلا ناصر غيره، وهو كقوله: ﴿لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ﴾ [هود: ٤٣]؛ أي: إلا اللهُ الرَّاحم، فلا راحم في الحقيقة غيره ولا عاصم.

* * *

(٢٦ ـ ٢٧) ـ ﴿وَقَالَ نُوحٞ رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ٢٦ إِنَّكَ إِن تَذَرۡهُمۡ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرٗا كَفَّارٗا﴾.

= ورواه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٣٩١) عن قتادة والضحاك.

(١) انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ٦٥٣)، و«التيسير» للداني (ص: ٢١٥).

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾: أي: أحداً يدور في الأرض بالذَّهاب والمجيء.

وقيل: ﴿دَيَّارًا﴾؛ أي: صاحبَ دار، وأصله: دَيْوَارٌ على وزن فَيْعالٍ، كالقيَّام هو فَيْعالٌ، ولو كان فعَّالًا لكان دوَّارًا وقوَّامًا.

﴿إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ﴾: فيكون منهم الإفساد دون الإصلاح.

﴿وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾: أي: إلَّا مَن إذا بلغَ فجَر وكفَر، وهو كقوله: ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ﴾ [الصافات: ١٠١]، و﴿بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ﴾ [الحجر: ٥٣]؛ أي: إذا بلَغ مبلغَ العلم والحلم صار موصوفًا بهما.

وإنَّما قال ذلك لأنَّ الله تعالى أخبره بقوله: ﴿أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ﴾ [هود: ٣٦].

ثمَّ معنى خطابه الله تعالى بهذا الكلام مع أنَّ الله تعالى هو الذي كان أخبره به: أنَّه اعترافٌ منه وتصديقٌ بما أخبرَه اللهُ تعالى به.

* * *

(٢٨) - ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا﴾.

﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا﴾: قال ابن عبَّاس: وكان أبواه مسلمين[1]. لَمْك بنُ مَتُّوشَلَخ وسَمْحا بنتُ أنوش.

﴿وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾: قال ابن عبَّاس: عامَّة المؤمنين والمؤمنات[2].

---

(١) ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» (٨/ ٣٧٥) عن الحسن. وهو في «تفسير مقاتل» (٤/ ٤٥٢).

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٣٤٣)، والطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٣٠٨) عن قتادة، وذكره =

وقال الكلبيُّ: أي: أمَّة محمَّد ﷺ[١].

ونظيره قول إبراهيم عليه السَّلام: ﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ﴾ [إبراهيم: ٤١].

﴿وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا﴾؛ أي: مسجدي. قاله الضَّحَّاك[٢].

قالوا: وكانت بيوت الأنبياء مساجدَهم؛ أي: لأصحابي الذين أجابوني وصلَّوا معي.

وقال قتادة: ﴿بَيْتِيَ﴾؛ أي: سفينتي[٣].

وقال مقاتل بن حيَّان: وحمل نوح في السَّفينة معه ثمانين نفسًا؛ أربعين رجلًا، وأربعين امرأة، وفيهم أولاده الثَّلاثة[٤].

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: أي: المشركين ﴿إِلَّا تَبَارًا﴾؛ أي: هلاكًا.

وقيل: أراد به قومَه.

وقيل: أراد به كلَّ المشركين إلى قيام السَّاعة.

روى أنسٌ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «إنَّ الدَّاعي للمؤمنين والمؤمنات يُغفَرُ له بعددِ كلِّ مؤمنٍ في الأرض حيٍّ أو ميِّت، ويَرُدُّ عليه مثلَ الذي دعا لهم كلُّ المؤمنين في الأرض»[٥].

= الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ١٠٦) عن الضحاك.

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٤٨).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٣٠٨).

(٣) ذكره بلا نسبة: الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (١٠/ ٢٣٦)، والثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٤٨).

(٤) انظر: «تفسير مقاتل بن سليمان» (٤/ ٤٥٢)، وروى الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٤١٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ: «حمل نوح معه في السفينة ثمانين إنسانًا».

(٥) رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (٣١٢٣)، بلفظ: «ما من عبد يدعو للمؤمنين والمؤمنات إلا رد الله =

وعن أنسٍ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «إنَّ الدَّاعي للمؤمنين والمؤمنات يُقام يوم القيامة، فيُثْني الله تعالى عليه في الأوَّلين والآخِرين خيرًا بدعائه لهم، فيأجُرُه الله تعالى مثلَ أجورهم أجمعين، ولا يَنقص من أجورهم شيء، ويأمر الله الأوَّلين والآخرين فيشفعون له»[(١)].

وعن أبي بكرة[(٢)] عن النَّبيّ ﷺ أنَّه قال: «مَن رأى في المنام[(٣)] أنَّه غرق فهو في النَّار»، ثم تلا هذه الآية: ﴿أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا﴾[(٤)].

***

= عليه عن كل مؤمن ومؤمنة مضى أو هو كائن إلى يوم القيامة بمثل ما دعا به». وهو في «مسند الفردوس» (٥٧٢٦).

(١) لم أقف عليه.

(٢) في (أ): «بكر».

(٣) في (أ): «من رأى رؤيا».

(٤) رواه ابن عدي في «الكامل» (٢/ ٤٩٣)، وفيه الحكم بن ظهير الفزاري، قال ابن عدي: عامة أحاديثه غير محفوظة. وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٨٣): رواه الطبراني، وفيه الحكم بن ظهير وهو متروك.

سُورَةُ الجِنِّ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

بسم الله الذي ما اتَّخذ صاحبة ولا ولدًا، الرحمنِ الذي لن تجدَ من دونه ملتَحَدًا، الرحيمِ الذي أحصى كلَّ شيءٍ عددًا.

روى أبيُّ بن كعبٍ رضي الله عنه عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «مَنْ قرأ سورة الجنِّ كان له من الأجر بعدد كلِّ جنِّيٍّ صدَّق بمحمَّد ﷺ، وأعتق الله تعالى رقبته من النَّار»(١).

وهذه السُّورة مكيَّة.

وهي ثمان وعشرون آية، ومئتان وستٌّ وثمانون كلمة، وألفٌ وثمانيةٌ وثمانون(٢) حرفًا.

وانتظام ختم تلك السُّورة بافتتاح هذه السُّورة: أنَّ نوحًا دعا للمؤمنين والمؤمنات من أمَّة محمَّد ﷺ ومنهم مؤمنو الجنِّ، قال تعالى خبرًا عنهم: ﴿فَـَٔامَنَّا بِهِۦ﴾.

---

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٤٩)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ٤٦١)، قال ابن الجوزي في «الموضوعات» (٤/ ٣٤٤): مصنوع بلا شك. وانظر: «الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة» للشوكاني (ص: ٢٩٦).

(٢) في (ر): «وثلاثون». وفي «البيان في عد آي القرآن» (ص: ٢٥٦): (كلمها مئتان وخمس وثمانون كلمة ككلم المزمل، وحروفها سبع مئة وتسعة وخمسون حرفاً). وفي «تفسير الثعلبي» (١٠/ ٤٩): (هي ثمان مئة وسبعون حرفاً).

وانتظام السُّورتين في المعنى(١): أنَّهما في الدَّعوة إلى التَّوحيد، ونجاةِ مَن أجاب إليه، وهلاكِ مَن لم يُجب.

* * *

(١) ـ ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ﴾ قال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: انطلق رسول الله ﷺ في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ، وقد حيل بين الشَّياطين وبين خبر السَّماء، وأُرسلَتْ عليهم الشُّهب، فرجعَتِ الشَّياطين إلى قومهم فقالوا: ما لكم؟ قالوا: حيل بيننا وبين خبر السَّماء، وأرسلَتْ علينا الشُّهب، قالوا: ما حيل بيننا وبين خبر السَّماء إلَّا من حدثٍ! فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها، فانظروا ما هذا الذي حال بينكم وبينه؟ فانطلقوا، وانصرف أولئك النَّفر الذين توجَّهوا نحو تِهَامة إلى رسول الله ﷺ وهو بنخلةَ عامدًا إلى سوق عكاظ، وهو يصلِّي بأصحابه صلاة الفجر، فلمَّا سمعوا القرآن استمعوا له، فقالوا: هذا والله الذي حال بينكم وبين خبر السَّماء، فهنالك رجعوا إلى قومهم، فقالوا: يا قومنا ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا (١) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ﴾ فأنزل الله تعالى هذه السُّورة(٢).

ففي هذه الرِّواية أنَّه ما قرأ على الجنِّ ولا دعاهم(٣).

وروى عاصم عن زرٍّ قال: قدم رهطُ زوبعةَ وأصحابِه مكَّة على النَّبيِّ ﷺ، فسمعوا قراءة النَّبيِّ ﷺ ثم انصرفوا، فذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا﴾ [الأحقاف: ٢٩] الآيات، وكانوا تسعةً(٤).

---

(١) «في المعنى» ليس في (أ).

(٢) رواه البخاري (٧٧٣)، ومسلم (٤٤٩).

(٣) في (أ) و(ف): «رآهم».

(٤) رواه البزار في «مسنده» (١٨٤٦). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٠٦): (رواه البزار، =

وعـن ابن مسـعود رضـي الله عنـه: أنَّ النَّبيَّ ﷺ أمرنـا بالمصيـر[1] إليهم؛ ليقرأ القـرآن عليهم.

وقيل: إنَّ الجنَّ أتَوا رسولَ الله ﷺ دفعَتين.

وروى ابن جريج في «تفسيره» عن رجل عن أبي عبيدة عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنِّي أُمِرْتُ أنْ أتلوَ القرآنَ على الجنِّ، فمَن يذهبُ معي؟». فسكتوا، ثم الثَّانيةَ فسكتوا، ثم الثَّالثة، فقال عبد الله بن مسعود: أنا أذهب معك يا رسول الله. فقال: «أنت تذهب معي»، فانطلق حتى إذا جاء الحَجُون عند شعب أبي دُبّ خَطَّ عليَّ خَطًّا، فقال: «لا تجاوِزْه»، ثم مضى إلى الحَجُون، فانحدروا عليه أمثال الحَجَلِ، يَحدُرون الحجارة بأقدامهم، يمشون يقرعون في دفوفهم كما تَقرع النِّسوة في دفوفها، حتى غشَوْه فلا أراه، فقمْتُ، فأومَأ إليَّ بيده أن اجلِسْ، فتلا القرآن فلم يزل صوتُه يرتفع، ولصقوا بالأرض حتى ما أراهم، ثم انفتل إليَّ فقال: «أردتَ أن تأتيَني؟». فقلت: نعم يا رسول الله. قال: «ما كان ذلك لك، هؤلاء الجنُّ أتَوا يستمعون القرآن، ثم ولَّوا إلى قومهم منذرين، فسألوني الزَّاد، فزوَّدتهم العظم والبعر، فلا يستطيبنَّ أحدكم[2] ببعرٍ ولا عظم».

= ورجاله ثقات). ورواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ١٦٥)، و(٢١/ ١٦٥)، و(٢٣/ ٣١١) بألفاظ مختلفة. ورواه الحاكم في «المستدرك» (٣٧٠١) وصححه، والبيهقي في «الدلائل» (٢/ ٢٢٨)، عن عاصم عن زر عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه. وعزاه الحافظ في «الإصابة» (٢/ ٥٨١) للحاكم ولابن أبي شيبة وأحمد بن منيع في مسنديهما، وقال: إسناده جيد.

وذكر الاختلاف عليه الدارقطني في «العلل» (٥/ ٥٤)، فرواه عن عاصم عن زر، وعن عاصم عن زر عن ابن مسعود، ولم يرجح بينهما. وجاء في أكثر المصادر: (سبعة) بدل «تسعة».

(١) في (ف): «بالمسير».

(٢) في (ر): «أحد».

قاله ابن جريج[١].

وأما مجاهد فقد قال: قال ابن مسعود: انطلق بي النَّبيُّ ﷺ حتى إذا جئنا المسجد الذي عند حائط عوف خطَّ لي خطًا، فأتاه نفرٌ منهم، فقال أصحابنا: كأنَّهم رجال الزُّطِّ، وكأن وجوههم المكاكيُّ.

قال مجاهد: قالوا: ما أنت؟ قال: «أنا نبيُّ الله»، قالوا: فمَن يشهدُ لك على ذلك؟ قال: «هذه الشجرة»، فقال: «تعالَي يا شجرة»، فجاءت تجرُّ عروقُها الحجارةَ لها فَقَاقع، حتى انتصبَتْ بين يديه، فقال: «على ماذا تشهدين؟»، قالت: أشهد أنَّك رسول الله، قال: «اذهبي»، فرجعَتْ كما جاءَتْ تجر بعروقها الحجارة لها فَقَاقع، حتى عادَتْ حيث كانت، فسألوه الزَّاد، فزوَّدهم العظم والرَّوث[٢].

وزعم غير واحد أنَّ النَّبيَّ ﷺ وضعَ رأسَه ليلتئذٍ على فخذ ابنِ مسعودٍ، فرقد ثم استيقظ للصُّبح، فقال: «هل من وضوء؟»، فقال: لا، إلَّا أنَّ معي إداوة فيها نبيذٌ، فقال: «هل هو إلَّا تمرٌ وماء»، فتوضَّأ به[٣].

---

(١) رواه الفاكهي في «أخبار مكة» (٢٣١٩).

(٢) ذكره الفاكهي في «أخبار مكة» عقب خبر ابن جريج السابق.

(٣) رواه أبو داود (٨٤)، والترمذي (٨٨)، وابن ماجه (٣٨٤) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، دون قوله: «وضعَ رأسَه ليلتذٍ على فخذ ابنِ مسعودٍ، فرقد ثم استيقظ للصُّبح».

قال الترمذي: وإنما روي هذا الحديث عن أبي زيد، عن عبد الله، عن النبي ﷺ، وأبو زيد رجل مجهول عند أهل الحديث لا تعرف له رواية غير هذا الحديث، وقد رأى بعض أهل العلم الوضوء بالنبيذ منهم: سفيان، وغيره. وقال بعض أهل العلم: لا يتوضأ بالنبيذ، وهو قول الشافعي، وأحمد، وإسحاق، وقال إسحاق: إن ابتلي رجل بهذا فتوضأ بالنبيذ وتيمم أحب إلي. وقول من يقول: لا يتوضأ بالنبيذ، أقرب إلى الكتاب وأشبه، لأن الله تعالى قال: ﴿فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ [المائدة: ٦].

ثم قال[١]: فذكرْتُ ذلك لعمر بن عبد العزيز فقال: هذا مستفيضٌ بالمدينة، أمَّا الجنُّ الذي لقُوه بنخلة فجنُّ نِيْنوى، وأمَّا الذين لقُوه بمكَّة فجنُّ نَصِيبين[٢].

وقد روى ابن مروان، عن ليث، عن أبي فَزارة، عن أبي زيد مولى عَمرو بن حريث، عن ابن مسعود في هذه السُّورة قال: لَمَّا أَتَوا رسولَ الله ﷺ بمكَّة بقومِهم أتتْهُ شجرة من شجر الحرم، فآذنَتْه بهم، فقالت: يا رسول الله، إنَّ نفرًا من الجنِّ بالحَجُون، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: «إنِّي خارجٌ إليهم، فليقُم معي مَن أحبَّ، ولا يخرجَنَّ معي إليهم منكم رجلٌ في قلبه مثقال حبَّة من خردل من شكٍّ».

قال: فخرج معه ابنُ مسعود رضي الله عنه، فلمَّا أَتَوا الحَجُون خَطَّ على ابن مسعود خطًّا، ثم قال: «إيَّاك أن تعدوَ هذا الخطَّ، فإنَّك إنْ فعلْتَ لم ترني ولم أرَكَ أبدًا»، ثم انطلق رسول الله ﷺ، ولم أزل قائمًا في ذلك الخطِّ ليلي كلَّه، حتى إذا كان في وجه السَّحَر أتاني، فقال: «ما زلْتَ قائمًا؟»، قلْتُ: نعم، قال: «فهل معك ماء»، وذكر التَّوضُّؤ بنبيذ التَّمر.

ثم نادى: الصَّلاة، فإذا رجلان من الجنِّ قد أجابا النِّداء، فقاما خلفَه وصلَّيا معه، فلمَّا انصرف رسول الله ﷺ من الصَّلاة قال لهما: «ألم اقضِ حاجتكما؟»، قالا: بلى يا رسول الله، ولكنَّا سمعنا النِّداء بالصَّلاة، فجئنا لنصلِّي معك، فقال لهما رسول الله ﷺ: «قد أفلحْتُما، وأفلح مَن أنتما منه»، أو: «قد أفلحتما، وأفلح قومُكما»، ثم ذكر سؤالهما الزَّاد[٣].

---

(١) أي: ابن جريج. كما في «أخبار مكة». وكلمة «ثم» ليست في (ر) و(ف).

(٢) ذكره الفاكهي في «أخبار مكة» عقب خبر ابن جريج السابق.

(٣) رواه بلفظ قريب الإمام أحمد في «المسند» (٤٣٨١)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٩٩٦٢)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٢٧). وإسناده ضعيف لجهالة أبي زيد مولى عمرو بن حريث المخزومي. وانظر: «الدراية في تخريج الهداية» لابن حجر (١/ ٦٦). وذكره مقاتل في «تفسيره» (٤/ ٢٩).

وفي «المشافهات»[١] عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما قال: إنَّا لقُعودٌ مع رسول الله ﷺ فقال: «إنِّي قد أمرْتُ أن آتي الجنَّ، فمَن يصاحبُني منكم؟»، فسكتوا، حتَّى قالها ثلاثًا فسكتوا، فقام فذهب وحده حتى بلغ البطحاء، فنظر وراءه، فإذا هو بابن مسعود رضي الله عنه، فقام قائمًا حتى جاء، فقال: «مه؟»، فقال: إنَّه ما حملتني الأرض حتى اتَّبعتُكَ، قال: «إنِّي قد أُمرْتُ وراء هذا الجبل بوادٍ فجٍّ[٢] إذا انحدرْتُ فيه، فإنِّي سأخطُّ لك خطًّا فادخلْهُ ولا تخرجَنَّ منه، فإنْ خرجْتَ منه لم ترني إلى يوم القيامة»، فانحدر[٣] في الوادي، فخطَّ وقال: «ادخلْهُ وأقبِلْ على قراءتك وصلواتك، فإنَّك ترى أشياء، ولا يخلصون إليك حتى تراني»، فصعد في أعلى الوادي[٤]، فاستفتح سورة الجنَّ، واجتمعت الجنُّ حتى امتلأ الوادي والجبال، وقرأ في الصَّلاة، فلمَّا صلَّى ركعتين انصرف، فسلَّموا عليه وقالوا: جئناك لخصومة قتيلٍ بيننا، فقضى فيه، فقالوا: رضينا بقضائك وآمنَّا بك. ثم ذكر حديث نبيذ التَّمر، وحديث الزَّاد، وكانوا جنَّ نصيبين، وأرضُهم بعيدة، وسألوا الزَّاد لذلك[٥].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ﴾؛ أي: قلْ يا محمَّد لأمَّتك: أوحَى الله تعالى إليَّ أنَّه استمع ـ أي: إلى قراءتي ـ نفرٌ من الجنِّ.

---

(١) في (ف): «وفي كتاب تفسير المتشابهات» بدل من «وفي كتاب تفسير المشاهدات». وكتاب: «المشافهات» لعلي بن إسحاق بن إبراهيم الحنظلي السمرقندي، وسماه بذلك لأنه زَعَم أنَّ ما ذُكِرَ من التفسير كلُّه مسندٌ إلى رسولِ الله ﷺ فكأنَّه شافهه به، وقد تقدم ذكره وترجمة مؤلفه عند قوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الأعراف: ٥٠].

(٢) بعدها في (ف): «حتى».

(٣) في (أ): «فأَندَرَّ» كذا وقعت مضبوطة.

(٤) في (ف): «الجبل».

(٥) لم أقف عليه.

قال القتبيُّ رحمه الله ونفطويه: النَّفرُ: الجماعة من الثَّلاثة إلى العشرة[١].

وقال أبو زيد: هو الرَّهط ما دون العشرة[٢].

ودلَّت الآية أنَّه لم يعلم باستماعهم إلى قراءته حتَّى أُوحي إليه.

قوله تعالى: ﴿فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبٗا﴾: أي: عجيبًا في نظمِه معجِزًا لا يُقدَر على مثله، وعجيبًا لاشتماله على الأخبار عمَّا كان وعمَّا يكون، وعجيبًا لِمَا فيه من بيان كلِّ شيء مع قلَّة ألفاظه.

* * *

(٢ ـ ٣) ـ ﴿يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلرُّشۡدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦۖ وَلَن نُّشۡرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدٗا ٢ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةٗ وَلَا وَلَدٗا﴾.

﴿يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلرُّشۡدِ﴾: أي: يدلُّ مَن تدبَّره على السَّداد.

﴿فَـَٔامَنَّا بِهِۦ﴾: أي: صدَّقنا أنَّه من عند الله.

﴿وَلَن نُّشۡرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدٗا﴾: من خلقه.

﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةٗ وَلَا وَلَدٗا﴾: قرأ ابن كثير وأبو عمرو: ﴿قُلۡ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ﴾، ﴿وَأَلَّوِ ٱسۡتَقَٰمُواْ﴾ ﴿وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ﴾ ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبۡدُ ٱللَّهِ﴾ هذه الأربعة بالفتح، والباقي بالكسر.

وقرأ نافع وعاصم في رواية أبي بكر كذلك، إلَّا قوله: ﴿وإنَّه لمَّا قام عبدُ الله﴾ بالكسر.

وقرأ الباقون كلَّ ذلك بالفتح، إلَّا ما جاء بعد قولٍ أو فاءِ جزاء[٣].

---

(١) انظر: «غريب القرآن» لابن قتيبة (ص: ٤٩١).

(٢) ذكره عنه أبو عبيد في «الغريب المصنف» (١/ ٣٨١).

(٣) انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ٦٥٦)، و«التيسير» للداني (ص: ٢١٥).

ووجهُ الفتح في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ﴾ ومثلِه: وآمنا أنه تعالى جدُّ ربنا، وكذلك ما بعده، أو يُقدَّر فعلٌ يليق به ينتصِب بوقوعه عليه.

وقال أبو عبيدة: ﴿تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾؛ أي: سلطانه وملكه(١).

وقال الأخفش: أي: عظمة ربنا(٢).

وقال الحسن: غِنَى ربِّنا(٣).

وقال الفرَّاء: جلالةُ ربِّنا(٤).

وعن أنس رضي الله عنه قال: كان الرَّجل إذا حفظ البقرة وآل عمران جدَّ فينا؛ أي: عَظُمَ في عيوننا(٥).

﴿مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً﴾: أي: زوجة ﴿وَلَا وَلَدًا﴾ كما يقوله المبطلون.

***

(٤ ـ ٦) ـ ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا ﴿٤﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿٥﴾ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾.

﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ﴾: أي: جاهلنا؛ أي: الخفيفُ القَدْر والوزن والعقل.

---

(١) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (٢/ ٢٧٢).

(٢) ذكر عنه الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٥٠) قوله في تفسير الآية: علا ملك ربنا.
وروى الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٣١٤) عن قتادة قوله: (تعالى أمر ربنا تعالت عظمته». ورجحه مبيناً سبب ترجيحه، فليراجع ثمة.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٣١٤ ـ ٣١٥).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٩٢)، ورواه بسنده عن مجاهد.

(٥) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١٢٢١٥). وانظر: «تخريج أحاديث الكشاف» للزيلعي (١/ ٥١).

وقال مجاهد وقتادة: هو إبليس عليه اللَّعنة[1].

﴿عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا﴾: أي: قولًا جائرًا[2] يجور فيه عن الحقِّ والصَّواب، وهو أنَّه لا يَبعث أحدًا، وأنَّ له صاحبة وولدًا وشريكًا[3]، وكلُّ ما ذكر في السُّورة فإنَّ إبليس يحسِّنه عند أتباعه ويضيفه على الله تعالى كذبًا.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾: أي: كنَّا نظنُّ قبل أن نسمع القرآن أنَّ إبليس وغيره من الجنِّ والإنس لا يَجْترِئون[4] على الكذب على الله تعالى، وأنَّ سفيهَنا صادقٌ فيما كان يكذب على الله تعالى، إلى أن سمعنا القرآن، فعلمنا أنَّه وسائرَ مَن اتَّبعه وأطاعه كاذبون على الله تعالى، فرجعنا عنه.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾: أخبر عن طائفة من العرب أنَّهم كانوا يستجيرون بالجنِّ، يقول: كان رجال من الإنس يلتجئون في أسفارهم إذا نزلوا واديًا مُقْفِرًا موحشًا يخافون فيه على أنفسهم من الجنِّ أن يتخبَّطوهم أو ينالوهم بسوء، فيقولون: نعوذ بسيِّد هذا الوادي من سفهائه[5]. على هذا أكثر المفسِّرين.

قال مقاتل: أوَّل مَن تعوَّذ بالجنِّ قومٌ من أهل اليمن، ثم بنو حنيفة، ثم فشا ذلك في العرب[6].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٣٢٠).

(٢) «جائراً» ليس في (أ) و(ف).

(٣) في (أ) و(ف): «وشركاء».

(٤) في (ر): «يخبرون»، وفي (أ): «يجرؤون».

(٥) في (أ): «يعوذ سيد هذا الوادي بسفهائه».

(٦) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٤٦٢).

﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾: يعني: أنَّ الإنس زادوا الجنَّ غيًّا لتعوُّذهم بهم.

وقيل: ﴿رَهَقًا﴾: فسادًا وجهلًا.

وقال الأخفش: سفهًا وطغيانًا[١].

وقال القتبيُّ: طغيانًا وإثمًا[٢].

وقال الأصمعيُّ: الرَّهق: غشيان المحارم[٣].

وقال أبو سعيد: هو مُقارَفة الإثم[٤].

وقال قطرب: هو الخفَّة والطَّيش[٥].

وذلك أن الجنَّ اجترؤوا عليهم، وتعزَّزوا[٦] في أنفسهم، وقالوا: قد سُدْنا الجنَّ والإنس، فطغَوا بذلك في كفرهم.

وقيل: بل معناه: زاد الجنُّ كفَّارَ الإنس بذلك طغيانًا في الكفر، كأنَّهم كانوا إذا عاذوا بهم فأَمِنوا في منزلهم ظنُّوا أن ذلك من الجنِّ، فازدادوا رغبةً في طاعة الشَّياطين وقَبول وساوسهم.

وقال مجاهد: زادوا الكافرين به طغيانًا[٧].

---

(١) وكذا قال أبو عبيدة في «مجاز القرآن» (٢/ ٢٧٢).

(٢) انظر: «غريب القرآن» لابن قتيبة (ص: ٤٨٩).

(٣) انظر: «الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي» (ص: ١٢٧)، و«تهذيب اللغة» (مادة: رهق) (٥/ ٢٥٩) كلاهما للأزهري، و«الصحاح» للجوهري (٤/ ١٤٨٧).

(٤) روى الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٣٢٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة ﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ قال: إثمًا.

(٥) قال نحوه الخليل في «العين» (٣/ ٣٦٦)، ولفظه: الرَّهَقُ: جهلٌ في الإنسان، وخفّةٌ في عقله.

(٦) في (ر): «وتقرروا»، وفي (أ): «تعزوا».

(٧) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٣٢٥).

وقيل: زاد الجنُّ الإنسَ[1] رهقًا؛ أي: صاروا سببًا لذلك، وتحقيقُه: أنَّ الإنس ازدادوا كفرًا وطغيانًا بما فعلوه من العَوذ بالجنِّ دون العَوذ بالله.

* * *

(٧ ـ ٨) ـ ﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا ۝٧ وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا﴾.

﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنتُمْ﴾: يقول الله تعالى: وأنَّ هؤلاء الجنَّ ظنُّوا كما ظننتم معاشر الإنس ﴿أَن لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا﴾؛ أي: رسولًا إلى خلقه.

وقيل: أي: لن يبعث الله أحدًا بعد الموت للحساب والجزاء.

يقول: إنَّ هؤلاء الجنَّ كانوا ينكرون المعادَ كإنكاركم، ثم بسماع القرآن اهتدَوا، فأقرُّوا بالرُّسل وبالمعاد، فاعملوا أنتم معاشرَ العرب كذلك.

وقال مقاتل رحمه الله: لَمَّا رجع مؤمنو الجنِّ إلى قومهم منذرين كذَّبوهم، وقال مؤمنو الجنِّ لكفارهم: ﴿وَأَنَّهُمْ﴾ يعنون كفَّار الإنس ﴿ظَنُّوا كَمَا ظَنَنتُمْ﴾ يا معشر الجنِّ ﴿أَن لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا﴾؛ يعني: محمَّدًا رسولًا بعد عيسى[2].

﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ﴾: قيل: أي: التَمَسْناها وطلبناها، وأردناها لاستراقِ السَّمع منها.

وقيل: أي: مسِسْنا السَّماء، وفي الخبر: أنَّ الشَّيطان يقفز قفزة فيَلْطأُ بالسَّماء[3]؛ أي: يلصَق.

---

(١) في (ر): «زاد الجن والإنس»، وفي (ف): «زادوا الجن والإنس».

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٤٦٢).

(٣) لم أقف عليه.

﴿فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا﴾: أي: حفَظَةً، جمعُ حارس، كالسَّلَف جمع سالف.

﴿شَدِيدًا﴾: أي: شِدادًا، ووحَّد لأنَّ ظاهر لفظه لفظُ الواحد، وهو كقولهم: سلَفٌ صالحٌ؛ أي: أسلافٌ صالحون.

وقيل: الحرسُ مصدرٌ، كالطَّلَب والجَلَب.

وقيل: ﴿شَدِيدًا﴾ نعتُ مصدرٍ محذوف[1]؛ أي: ملئَتْ ملأً شديدًا من الحرس، كما يُقال: ضَربَ شديدًا؛ أي: ضرب ضربًا شديدًا.

﴿وَشُهُبًا﴾: أي: كواكب مضيئة كشهب النَّار تُرجَم بها الشَّياطين.

وقيل: هي نار غير[2] الكواكب، وهي الحرس في قولٍ، والملائكة في قولٍ.

***

(٩ ـ ١٠) ـ ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا (٩) وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾.

﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا﴾: أي: من السَّماء قبل هذا ﴿مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ﴾؛ أي: لاستماع أخبار السَّماء.

﴿فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ﴾؛ أي: يُرِدِ الاستماع ﴿يَجِدْ لَهُ﴾؛ أي: لنفسه ﴿شِهَابًا رَّصَدًا﴾؛ أي: معدًّا لرجمه.

﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ﴾: إذ حُرسَتِ السَّماء من ذلك.

﴿أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾: أي: خيرًا وصلاحًا.

قيل: هو قول الجنِّ بعضِهم لبعض قبل مجيئهم إلى النَّبيِّ ﷺ وقد حيل بينهم

---

(١) في (ر) و(ف): «ملئت».

(٢) في (ر): «عين».

وبين خبر(١) السَّماء، ولم يَدْروا سبب ذلك، فقالوا: لا ندري أراد اللهُ به عذاب أهل الأرض بكفرهم ومعاصيهم، أو بَعْثَ رسولٍ فيهم.

وقيل: قالوا ذلك بعد رؤية النَّبيِّ ﷺ، ومعناه: لا ندري أيكفر أهل الأرض به فيُعذَّبون، أو يؤمنون به فيَرْشدون.

واختلفوا في الرَّمي والرُّجوم(٢) وانقضاضِ الكواكب متى ظهر:

قال ابن إسحاق وقتادةُ: ظهر حين قرب نزول الوحي على رسولنا محمَّد ﷺ؛ لئلَّا يشاكل الوحيَ شيءٌ من خبر السَّماء، فيلتبسَ على أهل الأرض ما جاءهم من الله بخبر الرَّسول ممَّا قال الكُهَّان من قول الشَّياطين ممَّا استرَقُوه من قولِ أهل السَّماء(٣).

وقال أبيٌّ بن كعب والكلبيُّ وغيرهما: كان ذلك موجودًا قبل عيسى وبعده إلى أن رُفع، فلم يرمَ بعده بالنُّجوم إلى مبعث النَّبيِّ ﷺ(٤).

وقالوا: إنَّ شعراء الجاهليَّة يذكرون ذلك في أبياتهم.

وقال مَعْمَر: قلْتُ للزُّهريِّ: أكان يُرمى بها في الجاهليَّة؟ قال: نعم، قلت: يقول الله تعالى خبرًا عنهم: ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْآنَ﴾ قال: غُلِّظَتْ وشُدِّد أمرها بعد مبعث النَّبيِّ ﷺ(٥).

وقال الجاحظ وجماعة: بل لم يكن قبل زمن النَّبيِّ ﷺ(٦).

---

(١) «خبر» ليست في (أ) و(ف).

(٢) في (أ) و(ف): «والنجوم».

(٣) انظر: «سيرة ابن إسحاق» (ص: ١١١ ـ ١١٢)، وروى الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٣٢٨) عن قتادة قال: (كانت الجن تسمع سمع السماء؛ فلما بعث الله نبيه حرست السماء).

(٤) عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٣٠٣) إلى الواقدي وأبي نعيم عن أبي بن كعب رضي الله عنه.

(٥) رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (٣٣٤٩)،

(٦) انظر: «الحيوان» للجاحظ (٦/ ٢٧٢) وما بعدها، وقد رد على من استشهد بالشعر وأطال الكلام فيه.

وظاهر الآية يدلُّ عليه، أمَّا لو ثبت شيء قبل مبعثه ولكن في زمانه فهو لإيناس[(١)] أمره، فكان مختصًّا به.

* * *

(١١ ـ ١٢) ـ ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ۝١١ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعۡجِزَ ٱللَّهَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَن نُّعۡجِزَهُۥ هَرَبًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ﴾: أي: قالت الجنُّ: كان منَّا قبل استماع القرآن مؤمنون بالأنبياء المتقدِّمين، صالحون في الإيمان، متقدِّمون في عمل الخير.

﴿وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ﴾: أي: مؤمنون دون الطَّبقة الأولى.

﴿كُنَّا طَرَآئِقَ﴾: طريقة: جماعة[(٢)].

﴿قِدَدًا﴾: أي: فرقًا قطعًا مختلفين كفَّارًا ومؤمنين، وكاملين في الإيمان ما أحدثنا في إيماننا ما لم يكن في جنسنا.

ويدلُّ عليه أنَّه كان في زمن موسى وعيسى منهم مؤمنون، حتى قالوا: ﴿إِنَّا سَمِعۡنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰ﴾ [الأحقاف: ٣٠].

وهذا ترغيب منهم لمن رجعوا إليهم منذرين في الإيمان.

والقِدَدُ: جمع قِدَّة، وهي القطعة، من قَدَدْتُ السير؛ أي[(٣)]: قطَعْتُه.

والمفسِّرون فسَّروا ذلك على اختلاف الأهواء، وبعضهم على اختلاف الملل.

﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ﴾: أي: قد علمنا ﴿أَن لَّن نُّعۡجِزَ ٱللَّهَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾؛ أي: لن نفوته في

---

(١) في (ر) و(ف): «لأساس».

(٢) «طريقة جماعة» من (أ).

(٣) في (ر): «من قددت الشيء».

الأرض إن أقمنا فيها ﴿وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا﴾: ولن نفوته ولو هربنا إلى البحار أو إلى السَّماء، وهو تحريك للأصحاب على الإيمان خوفًا عن المؤاخذة.

* * *

(١٣ ـ ١٤) ـ ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ ۖ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾ وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا﴾.

﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ﴾: أي: القرآنَ الدَّال على الرُّشد ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ﴾؛ أي: صدَّقنا به.

﴿فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا﴾: أي: نقصًا من الثَّواب ﴿وَلَا رَهَقًا﴾؛ أي: فوتَ الثَّواب وبطلانَه أصلًا، فإنَّ الرَّهَق له وجوه، ومنها الفساد.

وقيل: ﴿رَهَقًا﴾؛ أي: مؤاخذةً من غير ذنبٍ، أو بذنبِ غيرِه.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ﴾: أي: بعد استماع القرآن.

والقاسطون: الكافرون الجائرون عن الحقِّ.

﴿فَمَنْ أَسْلَمَ﴾ وهو اسم للجنس فصار للجمع ﴿فَأُو۟لَـٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟﴾؛ أي: قصدوا، وقيل: طلبوا، وقيل: اتَّبعوا.

﴿رَشَدًا﴾: أي: هدًى.

* * *

(١٥ ـ ١٧) ـ ﴿وَأَمَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَـٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾.

﴿وَأَمَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾: أي: صاروا في حكم الله تعالى وقودًا لجهنَّم، يُلقَون فيها ويُحرَّقون بها.

﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَـٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ﴾: انقطع كلام الجنِّ، وهذا ابتداءُ كلام من الله تعالى، يقول: لو استقام القاسطون على طريقة الإسلام ﴿لَأَسْقَيْنَـٰهُم مَّآءً غَدَقًا﴾: قيل: عذبًا كثيرًا.

وقيل: نافعًا كثيرًا.

﴿لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾: أي: لنمتحنهم فيه بالشُّكر؛ أي: لوسَّعنا عليهم في الدُّنيا، وبسطنا لهم في الرِّزق لنتعبَّدهم بالشُّكر فيه.

﴿وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ﴾: عن ذكر إنعامه ﴿يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾؛ أي: يُدخله عذابًا شاقًّا شديدًا، وقد تصعَّد الشَّيء؛ أي: شقَّ.

وقيل: ﴿عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ﴾؛ أي: عن وعظِ ربِّه فلم يقبله.

وقيل: أي: عن كتابه فلم يَتَّبِعْه.

والصَّعَد: نعتٌ على فَعَلٍ، كقولهم: نيةٌ قَذَفٌ؛ أي: بعيدة[1]، وأمرٌ كَثَبٌ[2]؛ أي: قريب.

وقرأ عاصم وحمزة والكسائيُّ: ﴿يَسْلُكْهُ﴾ بياء المغايبة ردًّا على قوله: ﴿عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ﴾، والباقون ﴿نَسْلُكْهُ﴾ بالنُّون[3]؛ خبرًا من الله تعالى عن نفسه بخطاب الملوك جمعًا.

وحمل قوله: ﴿عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ﴾؛ أي: على الطَّريقة الحقِّ، وهي الإسلام، قول الضَّحَّاك وقتادة وعبيد بن عمير وعطيَّة وسعيد بن المسيب ومقاتل بن سليمان

---

(١) في (أ): «مسافة بعيدة»، والمثبت من باقي النسخ، وهو الموافق لما في «ديوان الأدب» للفارابي (١/ ٢٢١). وقالوا: شطت بهم نيةٌ قذف، أي: رحلة بعيدة، وليس بمأخوذ من (نأيت) في اللفظ، ولكنه مثله في المعنى، قاله المبرد في «الكامل» (١/ ٧٠).

(٢) في النسخ: «كتب»، والصواب المثبت، والكَثَب بالتحريك: القرب.

(٣) انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ٦٥٦)، و«التيسير» للداني (ص: ٢١٥).

وعطاء والحسن، وذلك كقوله: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا﴾ الآية [الأعراف: ٩٦]، ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ﴾ الآية [المائدة: ٦٦]، ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾ [نوح: ١٠] الآيات. وقوله: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧][١].

وقال الحسن: كان أصحابُ رسول الله ﷺ سامعين لله مطيعين، ففُتحَت عليهم كنوز كسرى وقيصر[٢].

وقال الكلبيُّ والرَّبيع بن أنس وزيد بن أسلم: أي: لو استقاموا على طريقة الكفر لأعطيناهم سَعةً في الدُّنيا لنستدرجهم بذلك ليزدادوا إثمًا وفتنة، وهو كقوله: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ﴾ [المؤمنون ٥٥] الآيات، وقولِهِ تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ٤٤]، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ الآية [الزخرف: ٣٣][٣].

* * *

(١٨ ـ ١٩) ـ ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا (١٨) وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ﴾: أي: وأُوحيَ إليَّ أنَّ المساجد، وهي البيوت المبنيَّة للصَّلاة فيها لله تعالى، وهو[٤] المستحِقُّ للعبادة فيها.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٣٣٥ ـ ٣٣٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وسعيد بن جبير وقتادة والضحاك. وذكره الثعلبي (٢٣/ ٥٣) عن سعيد بن المسيب وعطاء بن أبي رياح والضحاك وقتادة وعبيد بن عمير وعطية ومقاتل والحسن.

(٢) رواه عبد بن حميد، كما في «الدر المنثور» للسيوطي (٨/ ٣٠٥).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٢٣٨) عن أبي مجلز. وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٥٣) عن الربيع بن أنس وزيد بن أسلم والكلبي والثمالي ويمان بن رئاب وابن كيسان وأبي مجلز.

(٤) في (أ) و(ر): «وهي».

﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾: أي: لا تعبدوا.

وقيل: أي: لا تدعوا غيره إلهًا.

وقيل: أي: لا تدعوا في الحوائج غيره.

وعن سعيد بن جبير أنَّ الجنَّ قالوا: يا رسول الله، كيف نأتي المساجد معك ونحن ناؤون عنك؟ فنزلَتْ[1]. أي: كلُّ المساجد لله، فأخلِصوا العبادة لله؛ أي: في أيِّ مسجد قدرتُم عليه.

وقال الحسن: من السُّنَّة إذا دخل أحد المسجد أن يقول: لا إله إلَّا الله لا أدعو مع الله أحدًا[2].

وقيل: ﴿الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ﴾؛ أي: السَّجداتِ لله، جمع مسجد الذي هو المصدر؛ أي: الله هو المستحِقُّ لسجود الخلق له.

وقال الحسن: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ﴾؛ أي: الصَّلوات لله[3].

وقيل: ﴿الْمَسَاجِدَ﴾؛ أي: الأعضاءَ التي يسجد عليها ﴿لِلَّهِ﴾.

﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ﴾: أي: أُوحي إليَّ أنَّه لَمَّا قام عبد الله؛ أي: محمَّد رسول الله.

﴿يَدْعُوهُ﴾: أي: يعبد الله ويصلِّي له.

﴿كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾: أي: قاربَتِ الجنُّ أن يكونوا على رسول الله ﷺ

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٣٤١).

(٢) ذكره الرازي في «التفسير الكبير» (٣٠/ ١٤٤). وذكر الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٥٤) عن الحسن قوله: (أراد بها البقاع كلها وذلك أن الأرض جعلت للنبي ﷺ مسجدًا، وكان المسلمون بعد نزول هذه الآية إذا دخل أحدهم المسجد قال: أشهد أن لا إله إلا الله، والسلام على رسول الله).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٥٥).

متراكبين؛ شهوةً لِمَا سمعوه منه، وحرصًا على التَّمكُّن منه. على هذا أكثر المفسِّرين.

وقيل: هو قول الجنِّ حين رجعوا إلى قومهم، قالوا: لَمَّا قام رسولُ الله ﷺ يصلِّي كاد أصحابُه يكونون عليه لبدًا تعظيمًا له.

وقال الكسائيُّ: ﴿لِبَدًا﴾؛ أي: ركامًا[1].

وقال الأخفش: أي: جماعات. واللِّبْدَةُ: الجماعةُ[2].

وقال القتبيُّ: كادوا يلبدون به[3]؛ أي: يلصقون به.

وقيل: أي: ولَمَّا قام عبد الله يدعو إلى الله.

* * *

(٢٠ - ٢٢) - ﴿قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا (٢٠) قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا (٢١) قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾.

﴿قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي﴾: أي: قل يا محمَّد للمشركين: إنَّما أعبد[4] خالقي ﴿وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا﴾ مِن خلقِه.

وهذه قراءة حمزة[5] وعاصم، وقرأ الباقون: ﴿قَالَ﴾[6]؛ عطفًا على قوله: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ﴾.

﴿قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا﴾: أي: كفرًا؛ فإنَّه ضارٌّ ﴿وَلَا رَشَدًا﴾؛ أي: إيمانًا، فإنَّه

(١) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٢/ ٣٢١).

(٢) وذكره أيضًا أبو عبيدة في «مجاز القرآن» (٢/ ٢٧٢).

(٣) انظر: «غريب القرآن» لابن قتيبة (ص: ٤٩١).

(٤) في (أ): «أدعو».

(٥) في (ف): «حمزة قل إنما».

(٦) انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ٦٥٧)، و«التيسير» للداني (ص: ٢١٥).

هدًى؛ أي: لا أملك إدخالَكم في الكفر أو الإيمان، إنَّما ذلك إلى الله تعالى.

وقيل: الضُّرُّ هو عقوبتهم على الكفر في الدُّنيا والآخرة، والرُّشد: ما يزيلُه عنهم من ذلك بإيمانهم.

﴿قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ﴾: أي: لن يدفع عنِّي عذابَه أحدٌ ﴿وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾؛ أي: ملجأً.

وقيل: ﴿مُلْتَحَدًا﴾؛ أي: مَعْدِلًا أعدِلُ عن الله تعالى إليه.

* * *

(٢٣ ـ ٢٤) ـ ﴿إِلَّا بَلَاغًا مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ ۚ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا (٢٣) حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا﴾.

﴿إِلَّا بَلَاغًا مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ﴾: أي: لا أجد شيئًا ينجيني منه إلَّا أن أبلِّغ ما يأتيني من الله ومن رسالاته التي أمرني بأدائها.

وقيل: ﴿إِلَّا بَلَاغًا مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ﴾؛ أي: إلا أن أبلِّغ عن الله وأعملَ برسالاته.

وقيل: أي: لا أملك لكم إلا أن أبلِّغكم ما يأتيني من الله ومن رسالاته.

وقال الفرَّاء رحمه الله: أي: لا أملك لكم إلَّا هذه الرِّسالات التي أرسلني الله تعالى بها إليكم، وإلا أن أبلِّغكم إيَّاها بعد إرسال الله تعالى إيَّاها إليَّ[(١)].

﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾: أي: ردَّ أمرِ الله ورسوله ﴿فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ﴾ وهذا واحدٌ؛ للفظةِ (مَن) ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾: وهذا جمع؛ لمعنى (مَن) لأنَّه جنس.

﴿حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ﴾: أي: هذه النَّارَ يوم القيامة ﴿فَسَيَعْلَمُونَ﴾ حينئذ ﴿مَنْ

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٩٥)، ولفظه: ﴿إِلَّا بَلَاغًا مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ﴾ يكون استثناء من قوله: ﴿لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾ إلا أن أبلِّغكم ما أُرسِلْتُ به. ثم ذكر وجهاً آخر ينظر ثمة.

﴿أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا﴾؛ أي: أهُم أم المؤمنون؟ أي: الكافر لا ناصر له يومئذ، والمؤمن ينصرُه الله تعالى وملائكته وأنبياؤه.

والأنصار يقع على الأعوان، والعَددُ على العشيرة[١].

وقال ابن كيسان: أي: فسيعلم الكفَّار يوم القيامة أنَّ الذين نصروهم في الدُّنيا وظاهروهم على رسل الله يخذلونهم، فيتبرَّؤون منهم ويلعنونهم.

***

(٢٥ ـ ٢٨) ـ ﴿قُلْ إِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ مَا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا (٢٥) عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا (٢٦) إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا (٢٧) لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾.

﴿قُلْ إِنْ أَدْرِي﴾: أي: ما أدري ﴿أَقَرِيبٌ مَا تُوعَدُونَ﴾ من إدخال النَّار ﴿أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا﴾؛ أي: غايةً بعيدة.

﴿عَالِمُ الْغَيْبِ﴾: أي: ربِّي ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ﴾؛ أي: ما غاب عن الخلق ﴿فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾؛ أي: لا يُطْلِع.

﴿إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ﴾: أي: إلَّا مَن اختاره الله تعالى لرسالته.

﴿فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾: أي: يُدخل بين يدي الرَّسول ومِن خلفه ملائكةٌ حفَظةً له، يحرسونه عن أن يَقْرَبه الشَّيطان عند إنزال الوحي، فيُلقيَ في وحيه غيرَ الوحي.

وقيل: يحفظونه عند نزول الوحي من أن يصل إليه الشَّيطان فيسمعَه فيلقيَه إلى الكهنة، فيخبرون به قبل إخبار[٢] الرَّسول.

---

(١) في (أ): «العشرة».

(٢) في (أ): «إرسال».

وقيل: الرَّسول في هذا: جبريل ونحوه، إذا أطْلعه الله على غيبه وأمره بتبليغه إلى رسول البشر أصحبَه ملائكة يحفظونه حتى يبلِّغه إلى رسول[1] البشر من غير تغيير، كما رُوي في تشييع الملائكة جبريل في سورة الأنعام.

﴿لِيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ﴾: أي: ليَظْهرَ إبلاغُ الرُّسلِ قومَهم ما أُمروا بإبلاغه محفوظًا عن التَّغيير، والعلم كنايةٌ عن الظُّهور.

وقيل: أي: ليَعلم الله ذلك موجودًا حال وجوده، كما كان يعلم ذلك قبل وجوده أنَّه يُوجَد، وقد مرَّت نظائرُه.

﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ﴾: على القول الأوَّل: وليَظهر ما عَلِم الله بما عند الأنبياء من الوفاء بما حمِّلوا ﴿وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًۢا﴾: وليظهر أنَّ الله قد علم بعددِ كلِّ ذي علم، ولم يَخْفَ عليه شيء.

وقيل: ليعلم الرَّسول أنَّ الملائكة قد بلَّغوا إليه رسالات ربِّهم على الوجه.

وقيل: أي: ليعلم رسولُنا محمَّد ﷺ أنَّ سائر الرُّسل قد أبلغوا رسالات ربِّهم إلى أممهم كما بلَّغ هو إلى أمَّته، وقد سبق ذكره على الخصوص في قوله: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ﴾.

وقيل: أي: ليعلم إبليس، وهو غير مذكور صريحًا، لكن دلَّ عليه قوله: ﴿رَصَدًا﴾؛ لأنَّهم يُرصدون عنه؛ أي: ليعلم هو أنَّ رسل الله قد أبلغوا رسالات ربِّهم، ﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ﴾؛ أي: حرس الرَّبُّ ما عندهم، ﴿وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًۢا﴾؛ أي: علم كلَّ شيء بوجوهه ومقاديره.

---

(١) في (ف): «رسول الله إلى».

وقال ابن كيسان: أي: ليَعلم الخلقُ أنَّ الرُّسل صادقةٌ فيما بلَّغت عن الله تعالى.

وقال محمَّد بن كعب: إذا بعث الله رسولًا جعل حوله ملائكةً، فإذا جاء الشَّيطان في صورة مَلَك قالوا: هذا شيطانٌ فاحذروه، وإذا جاء مَلَك قالوا: هذا رسولُ ربكم[١].

وقيل: إذا بعث الله ملكًا إلى نبيٍّ جعل معه حرسًا من الملائكة يَزجرون[٢] الشَّيطان، فإذا نزل جبريل من السَّماء انحدر معه أهلُ كلِّ سماء إلى التي تليها، إلى أن ينتهي إلى النَّبيِّ ﷺ، فيحيطون به حتى يفرغ من أدائه، فيرويه النَّبيُّ ﷺ كما سمعَه، ويكون أوَّلَ مَن تكلَّم به.

والحمد لله ربِّ العالمين

* * *

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٥٦) عن مقاتل وغيره.

(٢) في (أ) و(ف): «يدحرون».

سُورَةُ المُزَّمِّلِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

بسم الله الذي ألقى على رسوله قولًا ثقيلًا، الرَّحمنِ الذي أخذ عدوَّه أخذًا وبيلًا، الرحيمِ الذي يتولَّى مَن اتَّخذ إليه سبيلًا.

روى أبيُّ بنُ كعبٍ رضي الله عنه عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «مَن قرأ سُورةَ المزمِّل دفع الله عنه العسرَ في الدُّنيا والآخرة»(١).

وهي مكيَّة إلَّا قولَه: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعۡلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ﴾ إلى آخر السُّورة فإنَّها مدنيَّة.

وهي ثماني عشر آية، ومئةٌ وتسعٌ وتسعون كلمة، وثمانِ مئةٍ وأربعةٌ وعشرون حرفًا.

وانتظام آخر تلك السُّورة بأوَّل هذه السُّورة: أنَّ آخر تلك في إرسال كلِّ الرُّسل(٢)، وأوَّل هذه في إرسال محمَّد المصطفى ﷺ.

وانتظام السُّورتين: أنَّ تلك في دعوة الجنِّ، ووعدِ مَن أجاب منهم، ووعيدِ مَن لم يُجِبْ، وهذه في دعوة الإنس، ووعدِ مَن أجاب منهم، ووعيد مَن لم يُجِبْ.

* * *

---

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٥٨)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ٣٧١)، قال ابن الجوزي في «الموضوعات» (٤/ ٣٤٤): مصنوع بلا شك. وانظر: «الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة» للشوكاني (ص: ٢٩٦).

(٢) في (أ) و(ف): «الأنبياء».

(١) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ﴾.

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ﴾: أصله المتزمِّل، فأُدغِمَتِ التَّاء في الزَّاي، وهو الملتفُّ بثيابه.

وقيل: كان نائمًا متزمِّلًا في ثيابه، فأُمِرَ بالقيام للصَّلاة.

وقيل: كان قائمًا متهيِّئاً للصَّلاة ملتفًّا بثيابه.

وقيل: كان هذا في أوَّل ما أُوحي إليه، لَمَّا سمع صوت الملَك ونظر إليه أخذتْهُ الرِّعدة والحمَّى، فأتى أهلَه وقال: «زمِّلوني دثِّروني».

ونَروي الأحاديث فيه في أوَّل (سورة المدثِّر) إن شاء الله تعالى.

قالوا: كان نداؤه في أول حاله بـ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ﴾ وبـ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾، فلمَّا تحمَّل المشاقَّ نُودي بـ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ﴾، وبـ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ﴾

وقيل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ﴾: يا أيُّها المتحمِّل[1] بلباس الرِّسالة، المتحمِّل[2] لأعباء الأمانة.

* * *

(٢ ـ ٤) ـ ﴿قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾.

﴿قُمِ ٱلَّيْلَ﴾: أي: تهجَّدْ باللَّيل واسهرْ للصَّلاة فيه ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ من اللَّيل تستريح فيه.

قيل: هو الثُّلث الأخير، وتقديره: قم ثُلُثي اللَّيل.

وقوله تعالى: ﴿نِّصْفَهُۥٓ﴾: يعني: أو قم نصفَه.

---

(١) كذا في النسخ، ولعلها: «المتجمل».

(٢) «بلباس الرسالة المتحمل» ليس في (ف).

﴿أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا﴾: أي: من النِّصف.

﴿أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ﴾: أي: على النِّصف، وهو كقولك: أعطني درهمين، درهمًا، نصفَ درهم؛ أي: أعطني أيَّ ذلك شئْتَ، فيُفهَم التَّخيير وإنْ لم تذكر لفظة التَّخيير، فكذا هنا.

وقيل: قوله: ﴿نِّصۡفَهُۥٓ﴾ تفسير قوله: ﴿قُمِ ٱلَّيۡلَ﴾، وتقديره: قم نصف اللَّيل، كقولك: ضربْتُ زيدًا رأسَه، ومعناه: ضربْتُ رأسَ زيد.

فكان الأمر أوَّلًا بقيام نصف اللَّيل، ثم قال: ﴿أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا﴾ وهو ما دون النِّصف، ثم قال ﴿أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ﴾؛ أي: على النِّصف.

وكان هذا[1] فرضَ قيام اللَّيل عليه وعلى المؤمنين، وكانوا مخيَّرين في النصف وما دونه وما فوقه، وكان النَّبيُّ ﷺ يَشُقُّ عليه مراعاةُ هذه المقادير، فقام سنةً ـ في رواية ـ لم ينم في شيءٍ منها ليلًا، وفي رواية: سنتين، وفي رواية[2]: حتَّى تورَّمَتْ قدماه، فأنزل الله تعالى التَّخفيف له وللمؤمنين: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعۡلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ﴾ الآية، فسقطت عنهم فَرْضيَّة القيام ليلًا، وبقيَتِ الفضيلة[3]، وروي ذلك عن ابن عبَّاس والحسن والكلبيِّ[4].

---

(١) في (ر): «ومعناه».

(٢) «. وفي رواية» ليس في (أ) و(ف).

(٣) روى بعض هذا مسلم (٧٤٦) عن عائشة رضي الله عنها قالت: (فإنَّ الله عزَّ وجلَّ افْتَرَض قيامَ الليلِ في أول هذه السورة، فقام نبيُّ الله ﷺ وأصحابُه حولًا، وأمسَكَ اللهُ خاتِمَتَها اثنَيْ عَشَرَ شهرًا في السماء، حتى أَنزلَ اللهُ في آخِرِ هذه السُّورةِ التخفيفَ، فصار قيامُ الليلِ تطوُّعًا بعدَ فريضةٍ).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٣٦٠ ـ ٣٦١) عن ابن عباس بنحو حديث عائشة السابق، وسيأتي قول الحسن. ورواه أيضاً عن قتادة.

قال الحسنُ: إنَّ الله تعالى افترضَ على النَّبيِّ ﷺ والمؤمنين[١] قيام اللَّيل، فكان قيامُ ثلث اللَّيل فريضةً عليهم، فكانوا كذلك سنةً حتى انتفخت أقدامُهم، وعلموا أنَّهم لا يطيقون ذلك، فرحمهم الله تعالى ووضعه عنهم، فأنزل: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ﴾ الآية[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾: أي: في صلاة اللَّيل.

قال الفرَّاء: أي: اقرأه على هِيْنَتك[٣].

وقال أبو سعيد: أي: فصِّلْه، وهو أن يسكت على الآية، فيتأمَّلَها.

وقيل: التَّرتيل: أداء الحروف وحفظُ الوقوف.

وقال قطربٌ: أي: ليِّنه، وهو خفض الصَّوت وتحزين القراءة، والرَّتل: اللِّين.

والأقاويل المتقدِّمة من قولهم: ثَغْرٌ رَتَلٌ ورَتِل؛ أي: مُفَلَّج مُبيَّن حَسَنُ النَّظْم.

***

(٥) ـ ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾: قيل: هو افتراض قيام اللَّيل؛ فإنَّه يَصْعب على الأنفس العمل به لأنَّه للنَّوم والاستراحة عادةً.

وقيل: معناه: إنَّا سنوحي إليك قرآنًا يَثقل العملُ بشرائعه وأحكامه.

وقيل: أي: قرآنًا ثقيلًا على الكفَّار؛ لِمَا فيه من الاحتجاج عليهم وبيانِ[٤] ضلالتهم، وسبِّ آلهتهم، وتسفيهِ أحلامهم، وعلى أهل الكتاب لبيان تحريفهم.

---

(١) في (ف): «افترض على المؤمنين والمؤمنات».

(٢) رواه بنحوه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٣٦٢).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٩٧).

(٤) في (أ): «في بيان».

وقيل: أي: قرآنًا ذا قَدْرٍ ووزنٍ؛ لِحُسْنِ نَظْمه ومعانيه، ليس بالسَّخيف ولا بالضَّعيف.

وقيل: قرآنا ثقيلًا عليك ظهورُ آثار وحيه.

وقال زيد بن ثابت: كنْتُ أكتبُ لرسول الله ﷺ: (لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله)، فجاء ابنُ أمِّ مكتوم، فقال: يا رسول الله، إنَّ بي مِن الضُّرِّ ما ترى. قال زيد: فثقلَتْ فخذُ رسولِ الله ﷺ على فخذي حتَّى خشيْتُ أنْ ترضَّها، فنزلَتْ: ﴿غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ﴾ [النساء: ٩٥](١).

وروي أنَّ النَّبيَّ ﷺ كان إذا أوحي إليه وهو على ناقته وضعت جِرَانها، فما تستطيع أن تتحرَّك(٢).

وقالت عائشة رضي الله عنها: لقد رأيْتُه في اليوم الشَّديد البردِ أُنزل عليه الوحي وإنَّ جبينه ليتفصَّد عرقًا(٣).

* * *

(٦) ـ ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡـٔٗا وَأَقۡوَمُ قِيلًا﴾.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ﴾: أي: ساعاتِ اللَّيل التي تنشأُ شيئًا بعد شيء؛ أي: تُقْبِل وتبتدي، وقد أنشأها الله تعالى فنشأتْ، وهي نعتٌ. وهذا قول الأخفش والقتبيُّ(٤).

---

(١) رواه البخاري (٤٥٩٢).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢٤٨٦٨)، والحاكم في «المستدرك» (٣٨٦٥) وصححه، من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣) رواه البخاري (٢).

(٤) انظر: «غريب القرآن» لابن قتيبة (ص: ٤٩٣)،

وقيل: ﴿نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ﴾؛ أي: قيامَ اللَّيل، فاعلةٌ بمعنى المصدر، كالخاطئة والكاذبة، وهي ما نشأ منك؛ أي: حدَث من القيام.

قال ابن عبَّاس وابن مسعود وغيرهما: ﴿نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ﴾: قيام الليل[١].

وقال الخليل والكسائيُّ: ﴿نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ﴾: أوَّل اللَّيل، والنَّاشئ: المبتدي[٢].

وقوله تعالى: ﴿هِيَ أَشَدُّ وَطۡـٔٗا﴾: قرأ أبو عمرو وابن عامر[٣]: ﴿وِطَاءً﴾ بكسر الواو ومدِّ الألف، من المواطأة، وهي الموافَقة، وقد واطأتُه مواطأةً ووِطاءً، كما يقال: مارَيتُه مماراةً ومِراء.

وقرأ الباقون: ﴿وَطۡـٔٗا﴾ بفتحِ الواوِ وقصرِ الألف[٤]، مِن الوَطْء بالقدم؛ أي: قيامُ اللَّيل للصَّلاة أشدُّ ثقلًا على الإنسان، وهو أعظم للثَّواب، وهو من قولهم: اشتدَّتْ وطأة السُّلطان على الرَّعيَّة: إذا ثَقُلَ عليهم ما يحمِّلهم من المؤن.

وقيل: ﴿أَشَدُّ وَطۡـٔٗا﴾؛ أي: أشدُّ ثباتًا من النَّهار، ولأنَّه يخلو باللَّيل عن الاشتغال فيتفرَّغ لهذا من بين سائر الأعمال.

وقال الفرَّاء رحمه الله: ﴿أَشَدُّ وَطۡـٔٗا﴾؛ أي: أثبتُ قيامًا[٥].

وقال أبو سعيد الضَّرير: أي: أثبتُ لقَدمه في الصَّلاة.

ولهذا وجهان:

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٣٦٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما، ورواه الحاكم في «المستدرك» (٣٨٦٦) وصححه عن ابن مسعود رضي الله عنهما.

(٢) انظر: «العين» للخليل (٦/ ٢٨٨)، ونقله عن الكسائيِّ الحربيُّ في «غريب الحديث» (٢/ ٨٧٩).

(٣) في (أ): «أبو عمرو وابن عبَّاس».

(٤) انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ٦٥٨)، و«التيسير» للداني (ص: ٢١٦).

(٥) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٩٧).

أدوم لمن أراد الاستكثار من الصَّلاة.

وأثبتُ ممَّا يصلِّي بالنَّهار لانقطاع الشَّواغل عنه.

وقيل: أي: ساعاتُ اللَّيل أشدُّ وطأً للقائم[١] فيها؛ أي: تطؤه فتسكِّنه، فلا يتحرَّك ولا يلتفِتُ ولا يتمايل.

وعلى قولهم: ﴿نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ﴾: أوَّلَ اللَّيل، فهي أشدُّ وطأً لأنَّه قبل أن يغلبَه النَّوم، ولو قام بعدما نام فعسى يكون خاثر النَّفس، وهو في أوَّل اللَّيل أثبتُ قدمًا وأصبر[٢] قيامًا.

وأمَّا على قراءة كسر الواو والمدِّ في آخره فمعناه: إنَّ ساعات اللَّيل أوفقُ للقيام، وأشدُّ موافقةً له؛ لفراغ قلب المصلي.

وقيل: هو أشدُّ موافقةً للقلب مع اللِّسان، فيقرأ عن تدبُّر؛ لانقطاع الأشغال[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾: أي: القراءةُ باللَّيل أقومُ من القراءة بالنَّهار؛ أي: أشدُّ استقامةً واستمرارًا على الصَّواب؛ لأنَّ الأصوات هادئةٌ، والحركاتِ منقطعةٌ، والشَّواغلَ زائلة.

* * *

(٧ ـ ٨) ـ ﴿إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ۝٧ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا﴾: أي: تصرُّفًا كثيرًا، أو تقلُّبًا في حوائجك وأمور دنياك، ففرِّغ نفسك باللَّيل لعبادة ربِّك.

---

(١) في (أ): «للقيام».

(٢) في (ر) و(ف): «وأحسن».

(٣) في (أ): «الاشتغال عنه».

والسَّبْحُ: الممرُّ السَّهل في الأمر، كالسِّباحة في الماء.

وقيل: هو الجري والدَّوران من السِّباحة، وفرس سابح: حسنُ مدِّ اليدين في الجري، كالسَّابح في الماء.

وقال الخليل: إنَّ لك في النَّهار نومًا بدلَ نوم اللَّيل للاستراحة[١].

وأصله: التَّمدُّد؛ كالسِّباحة في الماء.

﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ﴾: أي: وصلِّ لربِّك باللَّيل والنَّهار، كما قال: ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾ [الأعلى: ١٥].

وقيل: أي: ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ﴾ للشُّروع[٢] في الصَّلاة.

وقيل: ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ﴾: وادْعُ بأسمائه في الدَّعوات.

وقيل: أي: ولتكنْ أسماءُ الله من قلبك على ذُكرٍ لا تنساها.

﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ﴾: أي: وانقطعْ بعبادتك وعملك وطاعاتك وآمالك إليه وحده.

﴿تَبْتِيلًا﴾: بناه على: بتِّل نفسَك تبتيلًا؛ لموافقةِ الفواصل.

* * *

(٩ ـ ١٠) ـ ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا (٩) وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾.

﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾: قرأ ابن عامر وحمزة والكسائيُّ وعاصم في رواية أبي بكر: ﴿ربِّ المشرقِ﴾ بالخفض[٣] وصفًا لقوله: ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ﴾.

---

(١) انظر: «العين» للخليل (٣/ ١٥١).

(٢) في (ر): «قبل الشروع».

(٣) في (أ): «تكررت»، وفي (ف): «بالخفض»، بدل: «رب المشرق بالخفض».

والباقون بالرَّفع على الابتداء(١).

وهو من أسماء الله تعالى التي قال: ﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ﴾.

﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾: أي: قائمًا بأمورك كافيًا لمهِمِّك.

﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾: أي: واصبرْ يا محمَّد على ما يقول هؤلاء المشركون في الله.

وقيل(٢): ولا تمتنع من دعائهم إلى الله تعالى.

﴿وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾: قيل: أي: أَظْهِر عليهم أنَّك واجدٌ عليهم، لكنْ لا تخاصمهم ولا تُسمعهم القبيحَ ولا تَدَعْ دعاءهم إلى الله.

* * *

(١١ ـ ١٢) ـ ﴿وَذَرْنِي وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُولِي ٱلنَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ﴿١١﴾ إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا﴾.

﴿وَذَرْنِي وَٱلْمُكَذِّبِينَ﴾: أي: كِلْ هؤلاء المكذِّبين إليَّ.

﴿أُولِي ٱلنَّعْمَةِ﴾: أي: التنعُّمِ في الدُّنيا.

﴿وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا﴾: أي: أَنْظِرهم.

قالت عائشة رضي الله عنها: ما كان بين نزول هذه الآية ونزول العذاب بهم إلَّا قليلًا، أصابَ الله قريشًا يوم بدر(٣).

وقيل: ﴿وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا﴾ في حقِّ كلِّ الكفَّار مدَّةَ الدُّنيا.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ٦٥٨)، و«التيسير» للداني (ص: ٢١٦).

(٢) في (أ): «في رواية وفيك»، بدل: «في الله وقيل».

(٣) رواه أبو يعلى في «مسنده» (٨/ ٥٦)، والطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٣٨١)، والحاكم في «المستدرك» (٨٧٥٧) وصححه.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا﴾: أي: عندنا في الآخرة قيودًا سودًا من النَّار. كذا قاله المفسِّرون في الأنكال.

وقال أهل اللُّغة: هي جمع نِكْلٍ، وهو ما منع به الإنسان من الحركة من قيدٍ وغيره.

وقال قطرب: النِّكل: هو الغُلُّ والقيد واللِّجام.

وقوله تعالى: ﴿وَجَحِيمًا﴾: أي: نارًا مستعرة.

***

(١٣ ـ ١٤) ـ ﴿وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا﴾.

﴿وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا﴾: أي: يَغُصُّ به آكلُه، يَنْشَبُ في حلقه فلا يَسُوغ.

وقال الحسن: أمَا والله ما قيَّدهم لأنَّهم أعجزوه، ولكن ليُرسيَهم في النَّار[1].

وقال الضَّحَّاك: ذكر لنا أنَّ النَّبيَّ ﷺ قُرئ بين يديه: ﴿إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا﴾ فصَعِقَ[2].

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «صفة النار» (٥٨).

(٢) رواه وكيع في «الزهد» (٢٨)، وأبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص: ١٣٦)، والإمام أحمد في «الزهد» (١٤٦)، والطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٣٨٥) عن حمران بن أعين مرسلاً. ورواه الواحدي في «الوسيط» (١٢٥١) عن حمران بن أعين عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما. ورواه ابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (٢/ ٤٣٦) عن حمران بن أعين عن أبي حرب بن الأسود. وقال: روي هذا الحديث دون ذكر أبي حرب بن أبي الأسود في الإسناد. وذكر الحديث، وهو مع ذكره فيه مرسل. قال الذهبي في «المغني في الضعفاء» (١/ ١٩١): حمران بن أعين الكوفي تابعي يترفض، قال النسائي: ليس بثقة، وقواه أبو حاتم.

وقال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: ﴿إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا﴾؛ أي: إنَّ في الآخرة أغلالًا يُغلُّون أيمانُهم إلى أعناقهم في الحديد والسَّلاسل، ﴿وَجَحِيمًا﴾: معظم النَّار، ﴿وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ﴾: الزَّقوم والضَّريع والغسلين، يستمسك في الحلق فلا يكادون يَسُوغونه(١).

وقال عطاءٌ الخراساني: يُجيعهم حتى يستغيثوا من الجوع، فيُطعَمون الزَّقُّوم والضَّريع والغِسلين، فيغصُّون بها، فيسألون الشَّراب، فيُسْقَون الحميم(٢).

وهذا كلُّه في حقِّ الذين قال تعالى: ﴿وَذَرْنِي وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُو۟لِى ٱلنَّعْمَةِ﴾.

وقال مقاتل بن حيَّان: هم المطعِمون يوم بدر(٣).

وهم عشرة من قريش ذكرناهم في سورة الأنفال(٤).

﴿وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ﴾: أي: هذا العذاب لهم يوم تتحرَّك الأرض والجبال باضطراب شديد، وهي الزَّلزلة.

وقال الأخفش: أي: يقلع أصولها.

﴿وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا﴾: أي: رملًا مجتمعًا، ويُقال للشَّيء المجموع: كُثْبَة.

---

(١) نحوه في «تنوير المقباس» للفيروزآبادي (ص: ٤٩٠).

(٢) روى نحوه الترمذي (٢٥٨٦) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه مرفوعاً. وقال: قال عبد الله بن عبد الرحمن: (والناس لا يرفعون هذا الحديث).

وعبد الله بن عبد الرحمن هو الدارمي صاحب «المسند»، وقال المباركفوري في «تحفة الأحوذي» (٧/ ٢٦٣): (هو وإن كان موقوفاً لكنه في حكم المرفوع فإن أمثال ذلك ليس مما يمكن أن يقال من قبل الرأي).

وقد تقدم الحديث عند تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون: ١٠٨].

(٣) ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» (٨/ ٣٩٢).

(٤) انظر ما تقدم عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ الآية [الأنفال: ٣٦].

وقال الخليلُ: كَثَبْتُ التُّراب؛ أي: نثرته، فانكثَبَ؛ أي: انتثرَ، والكثيبُ: الرَّمل المكثوب؛ أي: المنثور بعضُه على بعضٍ لرخاوته[1].

﴿مَّهِيلًا﴾ قال قطرب: هال الدَّقيقَ ونحوَه يَهيلُ هَيلًا؛ أي: أسالَ، والمفعول منه: مَهِيلًا؛ أي: تصير الجبال رملًا[2] إذا حُرِّكَ أسفلُه يُحرَّك أعلاه فهو لا يتماسك، بعد أن كانت أوتادَ الأرض.

***

(١٥ ـ ١٦) ـ ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا﴾.

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا﴾: وهو محمَّدٌ ﷺ.

﴿شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ﴾: أي: يوم القيامة بإجابةِ مَن أجاب وتكذيب مَن كذَّب.

﴿كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا﴾: وهو موسى عليه السَّلام.

﴿فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ﴾: أي: الذي جعلناه رسولًا إليه، والنَّكرة إذا أُعيدَتْ تعرَّفت.

ومعنى عصاه: ردَّ أمرَه فلم يقبلْه.

﴿فَأَخَذْنَٰهُ﴾: أي: أخذنا فرعون؛ أي: عاقبناه.

﴿أَخْذًا وَبِيلًا﴾: أي: عقوبةً شديدةً، وهو الغرق.

والوبيل: الثَّقيل الشَّديد. وقيل: الوخيم. وقيل: الغليظ. وقيل: الكريه.

وقد وَبُلَ المرتَعُ يَوْبُلُ وَبالًا، فهو وَبيلٌ، من حدِّ (شَرُفَ).

يقول: فاحذروا أن تشاركوهم في المعصية، فتشاركونهم في استحقاق العقوبة.

---

(١) انظر: «العين» للخليل (٥/ ٣٥١).

(٢) «رملًا» ليس في (أ).

(١٧) ـ ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا﴾.

﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا﴾: قال الحسنُ: أي: إن لم تتَّقوا اليوم في الدُّنيا فكيف تتَّقون يومًا يجعل الولدان شيبًا؟ أي: إن لم تتَّقوا اليوم لن ينفعكم الاتِّقاء يوم القيامة.

وقيل: هو استفهامٌ بمعنى التَّقريع؛ أي: كيف تَقُون أنفسكم عذابَ يوم القيامة إن كفرتم بالله.

والاتِّقاء: افتعال من الوقاية، وهو التَّوقِّي.

قوله تعالى: ﴿يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا﴾ صفة اليوم.

والشِّيبُ: جمع أشيب، والشَّيبُ: بياض الشَّعر.

وقيل: هو على حقيقته، تَشيب الولدانُ من هيبته، وذلك إذا قيل لآدم: ابعث بعثَك إلى النَّار، فيقول: كم من كم؟ فيُقال: مِن كلِّ ألفٍ تسعُ مئة وتسعةٌ وتسعون، فحينئذ تَشيب الولدان شيبًا(١).

وقيل: هو مبالغةٌ في وصف شدائد ذلك اليوم، يُقال: هذا أمر يُشيب الوليد، قال الشَّاعر:

دهتْنا أمورٌ تُشيْبُ الوليد ... ويَخذُلُ فيها الصَّديقَ الصَّديق(٢)

---

(١) روى البخاري (٣٣٤٨)، ومسلم (٢٢٢) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: «يقول الله عز وجل: يا آدم، فيقول: لبيك وسعديك والخير في يديك، قال يقول: أخرج بعث النار، قال: وما بعث النار قال: من كل ألف تسع مئة وتسعةً وتسعين، قال: فذاك حين يشيب الصغير وتضع كل ذات حمل حملها...».

(٢) البيت لعلي بن أمية. كما في «عيون الأخبار» لابن قتيبة (١/ ٢١٥)، و«ربيع الأبرار» للزمخشري (٤/ ١٥٨).

(١٨ ـ ١٩) ـ ﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرُۢ بِهِۦۚ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَفۡعُولًا ١٨ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾.

﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرُۢ بِهِۦ﴾؛ أي: منشقٌّ بسبب ذلك اليوم، كما قال: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ﴾ [الانفطار: ١]، وقال: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ﴾ [الانشقاق: ١]، وقال: ﴿وَيَوۡمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلۡغَمَٰمِ﴾ [الفرقان: ٢٥].

وظاهر لفظه لفظُ المذكَّر، ولذلك قال: ﴿مُنفَطِرُۢ﴾، وقال: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ﴾، و: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ﴾ فأنَّث لأنَّها مؤنَّثة سماعًا.

﴿كَانَ وَعۡدُهُۥ مَفۡعُولًا﴾: أي: كان ما وعَد الله من كون هذا اليوم على ما فيه من الشَّدائد ممَّا يفعله الله ويحققه.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞ﴾: أي: إنَّ هذه السُّورة تذكير وعظة.

﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾: أي: فقد سَهُل التَّذكير واتَّضح(١) سبيلُ الآخرة، فمَن شاء أمْكَنه أن يتَّخذ لنفسه سبيلًا إلى نيل رضا الله وثوابه.

* * *

(٢٠) ـ ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعۡلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدۡنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيۡلِ وَنِصۡفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحۡصُوهُ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۖ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرۡضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضۡرِبُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَبۡتَغُونَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنۡهُۚ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقۡرِضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗاۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيۡرٗا وَأَعۡظَمَ أَجۡرٗاۚ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمُۢ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعۡلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدۡنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيۡلِ وَنِصۡفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ﴾: قرأ نافع وأبو عمرو

---

(١) بعدها في (ر) و(ف): «سلوك».

وابن عامر: ﴿ونِصْفِهِ﴾ بالخفض، وكذلك ﴿وَثُلُثِهُ﴾؛ أي: أدنى من ذلك كلِّه.

وقرأ الباقون: ﴿وَنِصْفَهُۥ﴾ بالنَّصب[1]، وكذلك: ﴿وَثُلُثَهُۥ﴾؛ عطفًا على قوله: ﴿أَدْنَىٰ﴾، وهو منصوب بوقوع ﴿تَقُومُ﴾ عليه.

قالت عائشة رضي الله عنها: إنَّ اللهَ افترضَ قيام اللَّيل في أوَّل هذه السُّورة، فقام نبيُّ الله وأصحابُه حولًا حتى انتفخَتْ أقدامَهم، وأمسك الله تعالى خاتمة هذه السُّورة اثني عشر شهرًا في السَّماء، ثم أنزل الله التَّخفيف في آخر هذه السُّورة، فصار قيام اللَّيل تطوُّعًا بعد فرضه[2].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ﴾؛ أي: اللَّيل.

﴿أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ﴾؛ أي: أقلَّ من الثُّلثين.

﴿وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ﴾: على قراءة النَّصب: أي: وتقوم نصفَ اللَّيل وثلثَ اللَّيل.

وعلى قراءة الخفض: تقوم أقلَّ من نصفِ اللَّيل، أو أقلَّ من ثلثِ اللَّيل.

﴿وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ﴾: أي: من أصحابك يفعلون كذلك، وله وجهان:

أحدهما: كانوا ربَّما قاموا كذا، وربما قاموا كذا، وكانوا[3] لا ينقصون عن ثلث اللَّيل، وقد يزيدون عليه، فقد كانوا أُمِروا في أوَّل السُّورة بذلك على التَّخيير، فامتثلوا لِمَا أُمِروا به في ليالٍ مختلفة، كمَن حنث في أيمان، فكفَّرَ في بعضها بالعتق، وبعضها بالكسوة، وفي بعضها بالإطعام.

والثَّاني: أن يكون بعضهم كان يقوم الثُّلث، وبعضهم النِّصف، وبعضهم الثُّلثين، كقومٍ حنثوا في اليمين، فكفَّر كلُّ حالف بنوع.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ٦٥٨)، و«التيسير» للداني (ص: ٢١٦).

(٢) رواه مسلم (٧٤٦).

(٣) في (ف): «كانوا ربما قاموا كذا وقاموا كذا وقاموا كذا».

قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ﴾: أي: هو يزيد وينقص، وهو العالم بمقاديرهما على الحقيقة، وأنتم تعلمون ذلك بالتحرِّي[١] المؤدِّي إلى الخطأ أحيانًا.

﴿عَلِمَ أَن لَّن تُحۡصُوهُ﴾: أي: لن تقدروا على حفظ هذه المقادير.

وقيل: أي: لن تطيقوا قيام اللَّيل على الدَّوام، ثم هذا لم يكن تكليفَ ما ليس في الوسع، لكن كان يَشُقُّ عليهم بعضَ المشقَّة.

قوله تعالى: ﴿فَتَابَ عَلَيۡكُمۡ﴾: أي: رجع بكم من تثقيلٍ إلى تخفيفٍ، ومن تعسيرٍ إلى تيسيرٍ، بأنْ أزالَ عنكم هذا الفَرْض، وأسقط عنكم مؤنة حفظ التَّقدير، وهو كقوله: ﴿عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَخۡتَانُونَ أَنفُسَكُمۡ﴾ [البقرة: ١٨٧].

﴿فَتَابَ عَلَيۡكُمۡ﴾ وهذا الإحصاء كالمذكور في قوله ﷺ: «استقيموا ولن تحصوا»[٢]؛ أي: ولن تطيقوا ذلك بحقِّ الواجب فيه إلَّا بمشقَّة، «فسدِّدوا»؛ أي: الزموا السَّداد «وقاربوا»[٣]؛ أي: كونوا قريبًا من طريق الحقِّ ولا تمايلوا عنه.

والإحصاء يكون عدًّا ويكون استطاعة.

---

(١) في (أ) و(ف): «بالتحري».

(٢) رواه الإمام مالك في «الموطأ» (١/ ٣٤) بلاغًا، وهو قطعة من حديث رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢٢٣٧٨)، وابن ماجه (٢٧٧)، عن ثوبان رضي الله عنه مرفوعاً.

(٣) قوله: «فسددوا وقاربوا» إن كان يقصد المصنف أنها تابعة لحديث: «استقيموا ولن تحصوا» وهو الظاهر من صنيع المصنف، فهو رواية للحديث عند الإمام أحمد في «المسند» (٢٢٤٣٣)، لكن ليس فيه عبارة: «استقيموا ولن تحصوا»؛ أي: أن كل جملة منهما وردت في رواية.

وإن كان يقصد المصنف بقوله: «فسددوا وقاربوا» أنه رواية مستقلة عما قبله، فقد وردت هذه الجملة في عدة أحاديث، منها ما رواه البخاري (٣٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ولفظه: «إن الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا، وأبشروا، واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة».

وقوله تعالى: ﴿فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِۚ﴾:

قال الحسن رحمه الله: أي: فصلُّوا باللَّيل قَدْر ما تيسَّر عليكم(١).

والصَّلاة تُسمَّى قرآنًا لِمَا فيها من القراءة؛ قال تعالى: ﴿وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ﴾ [الإسراء: ٧٨]، وهو كما تُسمَّى تسبيحًا، وتُسمَّى سجودًا، وتُسمَّى ركوعًا؛ لِمَا فيها مِن كلٍّ واحدٍ منها.

وكان الحسن يقول بظاهر هذا: إنَّ قيام اللَّيل واجب ولو قَدْرَ حَلَبِ شاة، وتلا هذه الآية(٢).

وهو قول جماعة من أهل العلم.

وقال عبد الرَّحمن بن زيد وقتادة وجماعة من أهل العلم: انتسخ(٣) فرض قيام اللَّيل أصلًا، قلَّ أو كثر.

وقال الضَّحَّاك ومقاتل: ارتفع عن الأمَّة لا عن النَّبيِّ ﷺ؛ قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ﴾ [الإسراء: ٧٩]؛ أي: زيادة لك على ما فرض على أمَّتك من الصَّلوات الخمس.

وقيل: ﴿فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِۚ﴾ هو على حقيقة القراءة في صلاة الليل.

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٦٥) بلفظ: (﴿فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنۡهُ﴾ قال: يعني في صلاة المغرب والعشاء).

(٢) ذكره ابن بطال في «شرح صحيح البخاري» (٣/ ١٣٢)، والسمعاني في «تفسيره» (٦/ ٨٤)، وابن عطية في «المحرر الوجيز» (٥/ ٣٩٠ ـ ٣٩١). وانظر ما رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٣٩٦) من طريق أبي رجاء عن الحسن. وهذا القول رده النووي بالإجماع والنصوص الصحيحة على أنه لا واجب إلا الصلوات الخمس. انظر: «شرح مسلم» (٦/ ٢٧).

(٣) في (ر): «نسخ».

وقيل: في كلِّ صلاة، ودلَّ إطلاقه على أنَّ قراءة الفاتحة غير متعيِّنة للفرض كما قال أصحابنا رحمهم الله.

وقوله تعالى: ﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ﴾: يَشُقُّ عليهم قيام اللَّيل.

﴿وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾: أي: يسافرون للتِّجارات.

﴿وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: أي: يغزون فيَشقُّ عليهم قيام اللَّيل في السَّفر.

وروي عن عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه أنَّه قال: ما من حال يأتيني عليها الموت بعد الجهاد في سبيل الله أحبَّ إليَّ من أن يأتيني وأنا ألتمس فضل الله، ثم قرأ هذه الآية[1].

وروى علقمة عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «ما مِنْ جالبٍ يجلبُ طعامًا من بلد إلى بلد، فيبيعُه بسعر يومه، إلَّا كانت منزلتُه عندَ اللهِ منزلةَ الشُّهداءِ»، ثمَّ قرأ رسولُ اللهِ ﷺ هذه الآية[2].

وقوله تعالى: ﴿فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾: قال الحسن: ﴿فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ﴾ بيان فرض قيام اللَّيل، وقوله: ﴿فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾ هو للتَّطوُّع منه[3]. وهو فائدة التَّكرار، والقليلُ فرض عنده، والزِّيادة عليه نفل.

وقيل: معنى التكرار[4]: ﴿فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾ في الصَّلاة المفروضة في اللَّيل أيضًا.

---

(١) رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (٢١٠١٨)، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٣٢٣) إلى سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر.

(٢) قال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (ص: ٥١٦): أخرجه ابن مردويه في التَّفسير من حديث ابن مسعود بسند ضعيف. وللحاكم من حديث اليسع بن المغيرة: «إن الجالب إلى سوقنا كالمجاهد في سبيل الله»، وهو مرسل.

(٣) انظر ما رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٣٩٦) من طريق أبي رجاء عن الحسن.

(٤) «والقليل فرض عنده والزيادة عليه نفل، وقيل معنى التكرار» ليس في (أ).

﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: أي: دوموا على إقامة الصَّلوات الخمس.

﴿وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾: المفروضة؛ فإنَّكم إذا دمتم على ذلك أدركْتُم الفائت من أجر قيام اللَّيل.

﴿وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾؛ أي: فتطوَّعوا بما يمكن من وجوه البرِّ بالمال.

وقيل: هو جميع وجوه الخير فعلًا وقولًا، وقد فسَّرناه مرَّات[1] في آيات.

﴿وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ﴾: (ما) كلمة شرط، وهي جازمة، وقد سقطت النُّون كذلك في الشَّرط والجزاء.

﴿تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾: ﴿هُوَ﴾ عماد راجع إلى قوله: ﴿تَجِدُوهُ﴾.

يقول: كلُّ ما قدَّمْتُم في الدُّنيا زادًا لأنفسكم ليوم معادكم من أنواع الخير من الصَّلاة والزَّكاة والصَّوم والاعتكاف والحجِّ والعمرة والجهاد، نفلًا وفرضًا = وجدتُم ثوابه ﴿عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا﴾؛ أي: أكثر نفعًا، ﴿وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾؛ أي: أجزل ثوابًا.

﴿وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ﴾: أي: من السَّيئات والتَّقصير في الحسنات.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌۢ﴾: يستر ذنوبكم، ويرحمكم، ولا يعذِّبكم.

والله الموفِّق

* * *

---

(١) في (أ) و(ف): «وقد فسرنا الحسن منه».

سورة المدثر

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الذي أَمر بإنذارِ مَن عصى، الرحمنِ الذي جُودُه لا يُحصَى[1]، الرحيمِ الذي هو أهل المغفرة والتَّقوى.

روى أبيُّ بنُ كعبٍ رضي الله عنه عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قالَ: «مَن قرأ سورة المدَّثر أعطاه الله تعالى عشر حسنات بعددِ مَن صدَّق بمحمَّد ﷺ وكذَّب به بمكَّة»[2].

وهذه السُّورة مكيَّة.

وهي خمس وخمسون آية، ومئتان وستٌّ وخمسون كلمة، وألف وخمسة أحرف.

وانتظامُ ختم تلك السُّورة بافتتاح هذه السُّورة: أنَّ ختم تلك بالأمر[3] بالاستغفار، وهو يكون عن السَّيئات، وعن التَّقصير في الطَّاعات، وافتتاحُ هذه بالأمر بالإنذار، وهو على السَّيئات والتَّقصير في الطَّاعات.

وانتظام السُّورتين: أنَّهما في ذكر الإيمان وأعمال البرِّ والإحسان، ووعيد أهل

---

(١) في (ر) و(ف): «جنوده لا تحصى».

(٢) رواه الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٦٧)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ٣٧٩)، قال ابن الجوزي في «الموضوعات» (٤/ ٣٤٤): مصنوع بلا شك. وانظر: «الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة» للشوكاني (ص: ٢٩٦).

(٣) في (أ): «بالوعد».

الكفر والكفران، والختم بذكر الغفران، وهذه السُّورة وتلك السُّورة على ذلك كلِّه آتيتان.

***

(١ ـ ٢) ـ ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنْذِرْ﴾.

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنْذِرْ﴾: أي: يا أيُّها المتلفِّف بالدِّثار، قُم إلى الكفَّار، وأنذرهم بالنَّار.

أَمر في السُّورة الأولى رسولَه محمَّدًا ﷺ بالقيام في اللَّيل بالعبادة، وأمر في هذه السُّورة بالقيام في النَّهار بالدَّعوة، كأنَّه قال له: أمضِ ليلك في خدمةِ الحق[١]، ونهارَكَ في الشَّفقة على الخَلْق، فإنَّ الدُّنيا اليومَ مملوءةٌ من الكفَّار، وداعيهم واحدٌ وهو أنت، وعرَصاتُ القيامة غدًا تكون مملوءةً من العصاة، وشافعهم واحدٌ وهو أنت، ومَن كان في قلبه هذان المهمَّان لم يتفرَّغ للاستراحة ليلًا ولا نهارًا، فقم بالنَّهار منذرًا كي يَقبلَ المدبِرون بدعوتك، وقم باللَّيل متنفِّلًا كي ينجوَ الهالكون غدًا بشفاعتك؛ قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩].

وقيل: قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾؛ أي: يا أيُّها المتزيِّن بلباس[٢] النُّبوَّة.

وقال عكرمة: دُثِّرْتَ هذا الأمرَ فقُمْ به[٣].

وقيل: كان هذا في ابتداء الوحي، خاف أن يكون قد اعتراه الشَّيطان بشيء

---

(١) في (ر): «الخلق».

(٢) في (أ): «يا أيها المتدثر بلسان».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٤٠٤).

فاستوحش لذلك، فوجد رِعدةً في بدنه، فجاء إلى خديجة وقال لها: «دثريني، دثريني»، فدثَّرته[١]، فجاءه الوحي بإزالةِ ما كان استوحَش له، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ﴾ فإنَّك رسول الله، أرسلك الله نذيرًا للنَّاس، فامضِ لِمَا أُرسلْتَ له.

قال يحيى بن أبي كثير: سألتُ أبا سلمةَ: أيُّ القرآن أُنزل أوَّلًا؟ فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ﴾، فقلْتُ: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى﴾؟ [فقال أبو سلمة: سألتُ جابرَ بن عبد الله: أيُّ القرآن أُنزل أولُ؟ فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾؟ فقلتُ: أنبئتُ أنه: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾] فقال: لا أخبرك إلَّا بما حدَّثني النَّبيُّ ﷺ؟ قال: «جاورْتُ في حراءٍ، فلمَّا قضيْتُ جِواري هبطْتُ فاستبطنْتُ الوادي، فنُودِيْتُ، فنظرْتُ فوق رأسي، فإذا هو جالس على كرسيٍّ بين السَّماء والأرض، فخشيْتُ منه، فلقيْتُ خديجةَ، فقلْتُ: دثِّروني دثِّروني، وصبُّوا عليَّ ماءً، فأُنزِلَ عليَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ﴾»[٢].

وعن جابر قال وهو يحدِّث عن فترة الوحي: قال النبي ﷺ: «فبينا أنا أمشي سمعْتُ صوتًا من السَّماء، فرفعْتُ بصري فإذا الملَك الذي جاءني بحراءٍ[٣] جالسًا على كرسيٍّ بين السَّماء والأرض، فرُعبْتُ منه، فرجعْتُ فقلْتُ: زمِّلوني، دثِّروني، فأنزل الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾[٤]، ثمَّ حمي الوحي وتتابع»[٥].

وعن جابر: أنَّ المشركين اجتمعوا في دار النَّدوة، فقالوا: سَمُّوا هذا الرَّجل

---

(١) «فدثرته» ليس في (ف).

(٢) رواه البخاري (٤٩٢٤)، ومسلم (١٦١/ ٢٥٧)، وما بين معكوفتين من «البخاري»، ونحوه في «مسلم».

(٣) «بحراء» من (ف).

(٤) في (ر) و(ف): «يا أيها المزمل يا أيها المدثر».

(٥) رواه البخاري (٤٩٢٦)، ومسلم (١٦١/ ٢٥٥).

اسمًا يصدر(١) النَّاس عنه، فقال بعضهم: هو شاعر، وقال بعضهم: هو مجنون، وقال بعضهم: هو كاهن، فقالوا: ليس كذلك، ولكنَّه ساحر يفرِّق بين الحبيب وحبيبه، فبلَغ ذلك النَّبيَّ ﷺ فاشتدَّ عليه، فتزمَّل بثيابه وتدثَّر، فأتاه جبريل صلوات الله عليهما فقال له: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ﴾، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾(٢).

وقال الواقديُّ: كان ممَّن نزل فيه القرآن من أولئك النَّفر الذي آذوا رسول الله ﷺ: أبو لهب، وأبو سفيان، والوليد بن المغيرة، والنَّضر بن الحارث، وأميَّة بن خلف، والعاص بن وائل، ومُطْعِم بن عديٍّ، فقام الوليد بن المغيرة فأدخلهم دارَ النَّدوة، وقد اجتمعت وفود العرب بمكَّة أيَّام الحجِّ يسألون قريشًا عن أمر محمَّد ﷺ.

فلمَّا دخلوا دار النَّدوة قال الوليد بن المغيرة: يا معاشر العرب، إنَّكم قد اختلفتُم، واختلف عليكم أنَّ الرَّجل من العرب يأتيكم فيسألكم عن محمَّد، فيلقاه الرَّجل فيخبره أنَّه مجنون، ويلقاه الآخر فيقول: إنَّه كاهن، ويلقاه الآخر فيقول: إنَّه ساحر، فتعلَم العربُ أنَّ هذا في رجلٍ لم تجتمع قطُّ، فسمُّوا محمَّدًا اسمًا تجتمِعون عليه [و]تسميه العرب [به].

فقام رجلٌ منهم فقال: شاعر، فقال الوليد بن المغيرة: سمعْتُم كلام عَبيد بن الأبرص، وكلام أميَّة بن أبي الصَّلت، ما يشبَّه كلامه بكلام واحدٍ منهما.

---

(١) كذا في النسخ، ولعل الأحسن: (يصد).

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٢٠٩٦)، والبزار كما في «كشف الأستار» (٢٢٧٦)، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٣٠): (وفيه معلى بن عبد الرحمن الواسطي وهو كذاب). وقال البزار: (لا نعلمه بهذا اللفظ إلا عن جابر بهذا الإسناد، ومعلى واسطي، حدَّث بأحاديث لم يتابع عليها، وحدث عنه جماعة من أهل العلم).

وروى نحوه الطبراني في «المعجم الكبير» (١١٢٥٠) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٣١): رواه الطبراني، وفيه إبراهيم بن يزيد الخوزي وهو متروك.

قالوا: هو كاهن، قال: وكيف يكون أمر الكهانة؟ قالوا: يقول فيصدُق ويكذِب، قال الوليد: ما كذبَ محمَّد قطُّ.

فقام آخر فقال: مجنون، فقال: وما يكون من الجنون؟ قال: الذي يُخنق، قال الوليد: وما خُنق محمَّدٌ قط.

ثم قام الوليد فانصرف إلى بيته، فقال النَّاسُ: صبأ الوليد بن المغيرة، قال: فدخل عليه أبو جهل لعنه الله، فقال: ما لكَ يا أبا عبد شمسٍ؟ هذه قريش تجمع لك شيئًا تعطيكَه، زعموا أنَّك قد احتجْتَ وصبأْتَ، فقال الوليد: ما لي إلى ذلك حاجةٌ، ولكنِّي فكَّرْتُ[1] في محمَّد، فقلْتُ: ما يكون من السَّاحر؟ قالوا: يفرِّق بين الأب وابنه، وبين الأخ وأخيه، والمرأة وزوجها.

ثم هاب بنو[2] عبد مناف أن تقول: محمد[3] ساحر.

قال: فآثره عن غيره، قال: فخرجوا فصرَّحوا بمكَّة والنَّاس متوكِّفون[4] ينظرونهم، فقالوا: ما صاحبُكم؟ قالوا: ساحر[5]، فارتجَّ النَّاس بصيحة واحدة يقولون: ساحر.

قال: فرجع رسول الله ﷺ إلى بيته محزونًا فتدثَّر قطيفة، فأنزل الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ﴾، يقول: لا يشقُّ عليك ما يقولون[6].

---

(١) في (أ): «ذكرت».

(٢) في (أ) و(ف): «بني».

(٣) في (ر): «أن يقول أحد».

(٤) توكف الخبر وتوَّقعه وتسقطه: إذا انتظر وَكْفَه ووقوعه وسقوطه، من وكف المطر: إذا وقع، ويدل على أنه منه ما رواه الأصمعي من قولهم: استقطر الخبر واستودقه. انظر: «الفائق» (٤/ ٧٩).

(٥) في (أ): «مجنون».

(٦) انظر: «تفسير القرطبي» (٢١/ ٣٥٦)، وما بين معكوفتين منه.

وقال مقاتل: إنَّ كفَّار مكَّة لَمَّا آذَوا رسولَ الله ﷺ، فانطلق إلى حراء ليتوارى عنهم، فبينما هو يمشي إذ سمع مناديًا فوق رأسه: يا محمَّد، فنظر يمينًا وشمالًا فلم يرَ شيئًا، ثم نُودي ثانيًا: يا محمَّد، فنظر خلفَه فلم يرَ شيئًا، ففزع لذلك، فقال: «لعلَّ هذا شيطان»، فمضى، ثم نودي ثالثًا: يا محمَّد، فنظر إلى السَّماء، فرأى شيئًا مثل السَّرير، عليه جبريل مثلَ النُّور المتوقِّد يتلألأ، فغُشِي عليه ثلاث[1] ساعات، ثم أفاق وله رِعدة، ورجلاه تصطكَّان، حتَّى أتى خديجة، فدعا بماء فَصُبَّ عليه، فقال: «دثِّروني»، فدُثِّر بقطيفة، فلمَّا أفاق قال: «لقد أشفقْتُ على نفسي»، فقالت له خديجة: فأبشرْ، فإنَّ الله لا يريد بك[2] إلَّا خيرًا، إنَّك لتَقْري الضَّيف، وتفكُّ العانيَ، وتعطي في النَّوائب. فأتاه جبريل وهو متدثِّر في قطيفة فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾ بالثِّياب ﴿قُمْ فَأَنذِرْ﴾ كفَّار قريش ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾؛ أي: قل: الله أكبر، فقال: «الله أكبر»، فكبَّرَتْ خديجةُ وفرحَتْ، وأيقنَتْ أنَّه الوحي[3].

وقال قتادة: أنذر عذابَ ربِّك ووقائعَه في الأمم، ونقمتَه إذا انتقم.

***

(٣ ـ ٤) ـ ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾.

﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾: أي: ربَّك الذي هو مقيم بمصالحك فعظِّمه، ولا تشرك به شيئًا[4] ممَّا ليس لك بربٍّ، بل هو مربوبٌ لربِّك.

---

(١) بعدها في (ف): «مرات أي».

(٢) في (أ) و(ر): «يريدك».

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٤٨٩ ـ ٤٩٠).

(٤) في (أ) و(ف): «غيره».

﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ﴾: قال ابن عبَّاس: ونفسك فطهِّر من الإثم، ألا ترى أنَّه يُقال: إنَّه نقيُّ الثِّياب[١].

وقال عكرمة عن ابن عبَّاس: لم يأمرْهُ أنْ ينضحها بالماء، ولكن قال: لا تلبسها على معصية، ولا على غَدرةٍ، أما سمعْتَ قول غيلان:

إنِّي بحمد الله لا ثوبَ غادر لبسْتُ ولا مِنْ غَدْرَةٍ أتقنَّعُ[٢]

وقال الحسن البصريُّ: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ﴾؛ أي: خُلقَكَ فحسِّنْ[٣].

وقال مجاهد: لسْتَ بكاهنٍ ولا ساحرٍ، فأعرض عمَّا قالوا[٤].

وقال يَعْلَى بن عطاء: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ﴾ ممَّا كنْتَ تفكِّر فيه، ولا يَكثرَنَّ[٥] عليك ما أوذِيْتَ به، فإنَّه قليل في جنب[٦] ما يريد الله أن يثيبَكَ[٧].

وقيل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾؛ أي: المتجمِّلُ بثياب[٨] النُّبوَّة، نقِّه طاهرًا عن الجزع والضَّجر والتَّخلُّق بأخلاق المشركين، وعمَّا فيه شينُ الدِّين، فإنَّه لا يليق بلباسك.

وظاهرُه أمرٌ بتطهير الثِّياب، وهو من شرائط جواز الصَّلاة.

﴿وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ﴾: إشارة إلى ما قلنا من تطهير لباس النُّبوة عن الجزع والضَّجر.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٤٠٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٨٢).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٤٠٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٨٢).

(٣) ذكره الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (١٠/ ٣٠١).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٤٠٩).

(٥) في (ف): «يكبرن».

(٦) «جنب» ليس في (أ) و(ف).

(٧) لم أجده.

(٨) في (ف): «بلباس».

وعن ابن عبَّاس رضي الله عنهما في رواية: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾؛ أي: لا تكن ثيابُك التي تَلْبَس من كسبٍ غيرِ طيب(١).

وقال عبد الرَّحمن بن زيد بن أسلم: كان المشركون لا يتطهَّرون، فأُمِرَ أن يتطهَّر ويطهِّر ثيابَه(٢).

وقال الحسن رحمه الله: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ من القَذَر(٣).

وقال ابن سيرين: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾؛ أي: اغسلها بالماء(٤).

وعن زيد بن مرثد: أنَّ النَّبيَّ ﷺ أُلقِيَ عليه سَلَا شاةٍ، فنزلَتْ هذه الآية: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾.

وقال طاوس: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾؛ أي: فقصِّر ولا تطوِّل؛ فتتلوَّثَ بنجاسات الأرض(٥).

وقيل: وأهلك فطهِّر بالوعظ والتَّأديب. والأهل يُسمَّى لباسًا وإزارًا ونحو ذلك.

* * *

(٥ ـ ٦) ـ ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ۝٥ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾: قال ابن عبَّاس رضي الله عنهما ومجاهد وقتادة والزهري وابن زيد والكسائي رحمهم الله: أي: الأصنام(٦).

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٤٠٨).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٤٠٩).

(٣) لم أقف عليه.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٤٠٩).

(٥) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ١٣٧)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ٣٨٠).

(٦) رواه عنهم ـ عدا الكسائي ـ الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٤١٠ ـ ٤١١).

وقال إبراهيم والضَّحَّاك والكلبيُّ: أي: الإثم[١].

وقال نفطويه: أي: عبادة الأصنام.

وقال الكسائيُّ: الرُّجز بالضَّم: الوثن، وبالكسر: العذاب؛ أي: اهجر ما يؤدِّي إلى العذاب.

وقال الحسن رحمه الله: الرُّجز: كلُّ معصية[٢].

وقيل: هو وسوسة الشيطان.

وقال القتبيُّ: الرِّجزُ: العذاب، وقال تعالى خبرًا: ﴿لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ﴾ [الأعراف: ١٣٤]؛ أي: العذاب، ثم يُسمَّى كيد الشَّيطان رِجزًا لأنَّه سببُ العذاب؛ قال تعالى: ﴿وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ [الأنفال: ١١]، والوثن يُسمَّى رجزًا؛ لأنَّ عبادته سببُ العذاب[٣].

وقيل: الرُّجز: اسم للقبيح المستقذَر كالرِّجس، فيكون نهيًا عن كلِّ فعلٍ قبيح مستشنع.

﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾: بالرَّفع؛ لأنَّه حالٌ لا جزاء.

وقال الحسن: ولا تمنُنْ على ربِّك بحسناتك لتستكثرَها[٤].

* * *

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٤١١) عن إبراهيم والضحاك.

(٢) ذكره الماتريدي في «تفسيره» (٦/ ١٣٧)، ولفظه: «والذنب فاهجر».

(٣) انظر: «تأويل مشكل القرآن» لابن قتيبة (ص: ٢٥٩ ـ ٢٦٠)، وقال في «غريب القرآن» (ص: ٤٩٥): (﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾ يعني: الأوثان، وأصل الرُّجز: العذاب، فسمِّيت الأوثانُ رُجزًا: لأنها تؤدِّي إلى العذاب). والذي يظهر من كلامه أنه لم يفرق بين (الرِّجز) و(الرُّجز).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٤١٥).

(٧) ـ ﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾.

﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾: أي: على ما فُرِضَ عليك، وعلى ما يقول المشركون.

وقيل: لا تمنُنْ على النَّاس مستكثرًا لِمَا تعلِّمهم من أمر الدِّين، ﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾؛ أي: واجعل صبرك على التَّبليغ والتَّعليم واحتمالِ الأذى منهم احتسابًا لك عند الله وطلبًا لمرضاته.

وقيل: أي: لا تضعُفْ عن الخير أنْ تستكثرَ منه، بل استكثِرْ[1] ما أمكنَك، واصبر على ذلك متقرِّبًا إلى الله تعالى، مبتغيًا به رضاه.

وهو من قولهم: حبلٌ مَنِينٌ؛ أي: ضعيف.

وهذا قول مجاهد، ولفظه: لا تضعُفْ أن تستكثرَ من الخير[2].

وحذفُ (أنْ) هاهنا كالحذف في قوله: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّيٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ﴾ [الزمر: ٦٤].

وفي مصحف عبد الله: (ولا تمنُنْ أنْ تستكثرَ)[3].

وقال كثير من المفسرين: ﴿وَلَا تَمْنُن﴾؛ أي: لا تعطِ[4] لتأخذَ أكثر مما أعطيْتَ؛ قال تعالى: ﴿فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [ص: ٣٩]؛ أي: أعطِ، و﴿تَسْتَكْثِرُ﴾؛ أي: تطلب كثرة المال بذلك.

---

(١) «بل استكثر» من (أ).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٤١٦).

(٣) ذكرها الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٤١٦)، وابن خالويه في «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٦٤)، والثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٧٠)، وهذا محمول على التفسير لمخالفته سواد المصحف الذي أجمعت عليه الأمة وعلى رأسها ابن مسعود وقراء الصحابة.

(٤) في (ف): «ولا تمنن لتعط» بدل من «أي لا تعطه».

وقيل: تستكثرُ الأنصار بذلك؛ أي: لا يكن عطاؤك للنَّاس استنصارًا بهم واستتباعًا لهم، ﴿وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ﴾؛ أي: فاجعل إعطاءك للنَّاس لله تعالى وفي رضاه.

* * *

(٨ ـ ١٠) ـ ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِى ٱلنَّاقُورِ ﴿٨﴾ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾.

﴿فَإِذَا نُقِرَ فِى ٱلنَّاقُورِ﴾: أي: نُفخ في الصُّور، وفي «ديوان الأدب»: النَّقر: الصَّفير[1].

﴿فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ﴾؛ أي: حينئذ.

﴿يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾: أي: صعب في نفسه؛ لِمَا فيه من الشَّدائد والأهوال ومَخُوفِ الأحوال.

﴿عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾: لأنَّهم يُناقَشون في الحساب، وتُسودُّ وجوههم، وتزرقُّ أعينهم، وتتكلَّم جوارحهم، وتظهر على رؤوس الأشهاد فضائحُهم.

ثم قوله: ﴿غَيْرُ يَسِيرٍ﴾ بعد قوله: ﴿عَسِيرٌ﴾ له وجهان:

أحدهما: أنَّه وصَفَه أوَّلًا بالعسر، فاحتمَل أن يكون عسرُه عامًّا للكلِّ، فميَّز الكفَّار باختصاصهم بعُسره.

والثَّاني: أن يكون وصَفَه أوَّلًا بالعسر لأنَّه في نفسه كذلك للجميع، وقد رُوي أن الأنبياء يومئذ يفزعون، والولدان يشيبون، ثم لَمَّا كان عسرُه على المؤمنين ينكشف عنهم ويبقى على الكافرين، بل يزداد، خُصُّوا بالذِّكر، فقيل: ﴿عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾.

وعلى الوجهين جميعًا يحسُنُ الوقوف على قوله: ﴿يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾.

ويحتمِل وجهًا ثالثًا: ﴿فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ هذا متَّصِل، على

---

(١) انظر: «ديوان الأدب» لأبي إبراهيم الفارابي (٢/ ١١٣)، ولفظه: (ونقر به نقرًا؛ أي: صفر، ونقره؛ أي: عابه).

أنَّ المعنى: أنَّ العسر للكفَّار خاصَّة، كما قال: ﴿وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا﴾ [الفرقان: ٢٦]، ثم قوله: ﴿غَيْرُ يَسِيرٍ﴾ تأكيد له بغير لفظه، كقولك: أنا لك وادٌّ غيرُ مبغضٍ، ووليٌّ غيرُ عدوٍّ.

وعلى هذا لا وقف على قوله: ﴿عَسِيرٌ﴾.

وحكي أنَّ علي بن الفضيل بن عياض صلَّى خلف إمام في الفجر، فقرأ الإمام هذه الآية، فغلب الخوف عل قلب عليٍّ فسقط ميتًا(١).

* * *

(١١) ـ ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾: وهذا وعيدٌ للوليد بن المغيرة، وتطييبٌ لقلب النَّبيِّ ﷺ، يقول: كِلْ إليَّ يا محمَّد أمرَ الوليد المشرك، الذي خلقتُه وأخرجتُه من بطن أمه فردًا وحيدًا، لا مال له، ولا ولد له. وهو تفسير مجاهد وقتادة: أنَّ الوحيد صفة للوليد(٢).

ويدل عليه قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ۝١٢ وَبَنِينَ شُهُودًا﴾؛ أي: بعد ذلك.

وقال الحسن: ﴿وَحِيدًا﴾؛ أي: عاريًا(٣).

---

(١) روي نحو هذه القصة عن زرارة بن أوفى. روى ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٧/ ١٥٠)، وابن قتيبة في «عيون الأخبار» (٢/ ٣٩٤)، والحاكم في «المستدرك» (٣٨٧١)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ٢٥٨) عن بهز بن حكيم أن زرارة بن أوفى أمَّهم الفجر في مسجد بني قشير، فقرأ حتى إذا بلغ: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ ۝٨ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ۝٩ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾ خرَّ ميتًا. قال بهز: فكنت فيمن حمله.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٤٢١ ـ ٤٣١) عن ابن عباس ومجاهد وابن زيد والضحاك وعكرمة.

(٣) لم أجده.

وقال بعضهم: ﴿وَحِيدًا﴾؛ أي: خلقتُه منفرداً بخَلْقِه، لم يَشْرَكني فيه أحد. ويكون ﴿وَحِيدًا﴾ صفةً لله تعالى على هذا القول، وقد حمله الكسائيُّ والفرَّاء على الوجهين جميعًا[١].

وقال أبو سعيد الضَّرير: ﴿وَحِيدًا﴾؛ أي: لا أبَ له، وهو في معنى قوله: ﴿زَنِيمٍ﴾؛ أي: دَعِي.

* * *

(١٢ ـ ١٣) ـ ﴿وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا﴾.

﴿وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا﴾: أي: كثيرًا له مدَدٌ.

وقال مجاهد وسعيد رحمهما الله: كان له ألفُ دينار.

وقيل: أربعة آلاف دينار. وهو قول سفيان.

وقال النُّعمان بن سالم: كان له أراضٍ مغلَّةٌ.

وقال عطاء عن عمر: كان له غلَّةُ شهرٍ بشهرٍ[٢].

﴿وَبَنِينَ شُهُودًا﴾: أي: حضورًا، وقال الواقديُّ رحمه الله: كانوا سبعة[٣].

وقال مجاهد: عشرة، وكانوا لا يغيبون عنه[٤]؛ لاستغنائهم بأموالهم وحشَمهم، وهو من نعم الدُّنيا أن يكون للمرء أولادًا لا يُمتحَن بغيبتهم، ويتمتَّع بخدمتهم.

* * *

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٠١)، و«البسيط» للواحدي (٢٢/ ٤١٨).

(٢) روى هذه الأقوال الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٤٢٢ ـ ٤٢٣).

(٣) وقاله مقاتل كما في «تفسيره» (٤/ ٨٣٨)، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ١٤٠) عن الضحاك.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٤٢٤).

(١٤ ـ ١٦) ـ ﴿وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمۡهِيدٗا ١٤ ثُمَّ يَطۡمَعُ أَنۡ أَزِيدَ ١٥ كَلَّآۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِأٓيَٰتِنَا عَنِيدٗا﴾.

﴿وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمۡهِيدٗا﴾: أي: بسَطْتُ له في العيش، ومكّنْتُ له في البلد الذي هو فيه مقبولَ القول، فيُرجَع إلى رأيه، ويُصدَر عنه أمره.

﴿ثُمَّ يَطۡمَعُ أَنۡ أَزِيدَ﴾: أي: في ماله وولده وجاهه ونعمته، من غير شكر.

﴿كَلَّآ﴾: أي: لا يكون هذا.

وقال الحسن: ﴿ثُمَّ يَطۡمَعُ أَنۡ أَزِيدَ﴾؛ أي: أُدخلَه الجنَّة فأعطيَه مالًا وولدًا، كما قال: ﴿أَفَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالٗا وَوَلَدًا﴾ [مريم: ٧٧]: هو في حقِّه[1].

وقيل: ﴿ثُمَّ يَطۡمَعُ أَنۡ أَزِيدَ﴾؛ أي: أتركَ ذلك في عقبه، وذلك أنه كان يقول: إنَّ محمَّدًا أبترُ ينقطع ذِكرُهُ بموتِه، ويبقى ذكري بأولادي، فآيَسه الله تعالى عن ذلك بقوله: ﴿كَلَّآ﴾.

﴿إِنَّهُۥ كَانَ لِأٓيَٰتِنَا عَنِيدٗا﴾: أي: معاندًا مخالفًا، و﴿كَانَ﴾ إخبارٌ عن قديم معاندته.

* * *

(١٧) ـ ﴿سَأُرۡهِقُهُۥ صَعُودًا﴾.

﴿سَأُرۡهِقُهُۥ صَعُودًا﴾: قال أهل اللُّغة: ﴿سَأُرۡهِقُهُۥ﴾؛ أي: سأُغشيهِ مشقَّةً من العذاب.

وقال أهل التَّفسير: هو عقبةٌ في النَّار يكلَّف صعودها.

وفي الخبر: أنَّه جبل في النَّار، يُؤمرون[2] بارتقائه في جهنَّم، فإذا وضع الكافر يده عليه ذابَتْ، فإذا رفعها عادَتْ، وكذلك رجلُه[3].

---

(١) ذكره الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (٧/ ٢٥٦)، والماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ١٤٠).

(٢) في (أ) و(ف): «يؤخذون».

(٣) رواه أسد بن موسى في «الزهد» (٢٠) من قول سعيد بن المسيب.

ورواه ابن المبارك في «الزهد» (٣٣٥ ـ زوائد نعيم)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (٣٣٩٨)، =

وروي: أَنَّه جبلٌ من صخرة ملساء في النَّار، يُكلَّف صعودَه، فيصعدُ حتَّى يبلغ أعلاها في أربعين سنة، يُجذَب من أمامه بسلاسل الحديد، ويُضرَب من خلفه بمقامع الحديد، ولا يُترَك حتَّى يتنفس، فإذا بلغ أعلاه انحدر إلى أسفله، ثم يُكلَّف صعوده، فذلك دأبُه أبدًا[1].

وقال سعيد بن جبير: لم يزل الوليد بن المغيرة بعدَ نزول هذه الآيات في إدبارٍ من الدُّنيا، ومن ماله وولده، وكان أولاده ثلاثة عشر، فنفَق ماله[2] ومات فقيرًا[3].

= وأسد بن موسى في «الزهد» (١٨)، وهناد بن السري في «الزهد» (٢٨١) من طريق عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه موقوفًا.

ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٤٢٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٨٣)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٥٥٧٣) من طريق عطية عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعًا.

قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٣١): فيه عطية العوفي وهو ضعيف.

قلت: وكذلك الموقوف من طريق عطية العوفي.

ورواه الإمام أحمد في «المسند» (١١٧١٢)، والترمذي (٣٣٢٦)، من طريق ابن لهيعة عن دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعًا بلفظ: «الصعود جبل من نار يتصعد فيه الكافر سبعين خريفاً، ثم يهوي به كذلك أبدًا».

وقال الترمذي: (هذا حديث غريب إنما نعرفه مرفوعاً من حديث ابن لهيعة. وقد روي شيء من هذا عن عطية عن أبي سعيد موقوفًا).

وقوله: (إنما نعرفه مرفوعاً من حديث ابن لهيعة) تعقبه ابن كثير في «تفسيره» عند هذه الآية بأن الطبري رواه من طريق عمرو بن حريث عن دراج به. لكنه قال: (فيه غرابة ونكارة).

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٥٤)، والواحدي في «البسيط» (٢٢/ ٤٢٤)، عن الكلبي.

(٢) في (أ) و(ف): «فافتقر» بدل: «فنفق ماله».

(٣) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٨٣). وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٣٢٩) إلى سعيد بن منصور وابن المنذر وابن أبي حاتم.

وروي: أنَّ الصَّعود طوله مسيرةُ سنة، يُصعد به فيه على وجهه، فإذا بلغ أعلاه انحطَّ إلى أسفله، يُكلَّف ذلك مرَّةً بعد أخرى[1]، ويُخرِج الله له من تلك الصَّخرة ريحًا باردةً من فوقها ومن تحتها، تقطع تلك الرِّيحُ لحمَه وجلده أبدَ الآبدين، فكلَّما صعد انحطَّ، فإذا انحطَّ شرب من غير آنية.

***

(١٨ ـ ٢٠) ـ ﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾.

﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ﴾: أي: في أمر النَّبيِّ ﷺ.

﴿وَقَدَّرَ﴾: في نفسه أنَّه يَظفَر بحجَّة يردُّ بها ما جاء به.

﴿فَقُتِلَ﴾: أي: فلزمَتْه الحجَّة، وضاق عليه الاحتيال، وقيل: خُزِيَ ولُعِنَ.

وقال الحسن: هو شتمٌ من الله تعالى لهذا الكافر.

﴿كَيْفَ قَدَّرَ﴾: وذلك لأنَّه إذا قَدَّرَ أن يقول: هو شِعرٌ، وجدَه مخالفًا للشِّعر، وإذا قَدَّر أن يقولَ: هو كَهانة[2]، وجده مخالفًا لها[3]، ولم يتهيَّأ له الصَّدُّ عنه من حيث قدَّر.

﴿ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾: ثم أعاد النَّظر عسى أن يتضح له ما لم يتضح أوَّلًا، فيستقيمَ له ذلك، فلم يتهيَّأ، ﴿فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾؛ أي: فخُذل أيضًا في هذه المرَّة، وخُزِيَ ولُعِنَ ولزمَتْه الحُجَّة.

وقيل: ﴿فَقُتِلَ﴾؛ أي: استحقَّ عقابًا مستأصِلًا، وإنَّما كرَّر لأنَّ عقاب التَّقدير الثَّاني غيرُ عقاب التَّقدير الأوَّل.

---

(١) في (أ): «مرة».

(٢) في (أ): «كاهن».

(٣) في (أ): «للكهانة».

(٢١ ـ ٢٥) ـ ﴿ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾.

﴿ثُمَّ نَظَرَ﴾: أي: أعاد النَّظر ثالثةً استفراغًا لمجهوده.

وقيل: ﴿ثُمَّ نَظَرَ﴾ فإذا هو لا يحصل من تقديره على شيء.

﴿ثُمَّ عَبَسَ﴾؛ أي: قبَض وجهه.

﴿وَبَسَرَ﴾: أي: كرَّه وجهَه إذ لم يحصل له بالتَّفكُّر ما يريد.

﴿ثُمَّ أَدْبَرَ﴾: أي: عمَّا جاء به محمَّد.

﴿وَاسْتَكْبَرَ﴾: أي: تَعظَّم عن الانقياد له معاندًا بعد لزوم الحجَّة وعجزه عن المعارضة.

وقيل: ﴿ثُمَّ نَظَرَ﴾ في وجه محمَّد، ﴿ثُمَّ عَبَسَ﴾؛ أي: تغيَّر وجهه لرؤيته، ﴿وَبَسَرَ﴾؛ أي: نظر إليه بكراهة، ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ﴾ عن محمَّد، ﴿وَاسْتَكْبَرَ﴾ عن الانقياد له، ثم بَسَر.

﴿فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ﴾: أي: يُتعلَّم ويُؤخَذ عن الغير، كما قال: ﴿أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ﴾ [الأحقاف: ٤].

قال الفرَّاء: أي: تعلَّمه من مسيلمةَ الكذَّاب، وقيل: من سحَرة بابل(١).

وقيل: أي: يأثُره محمَّد ـ ﷺ ـ عن غيره؛ أي: ينقله عنه، وليس هو من سحره بنفسه.

وقوله تعالى: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾: أي: ما هذا إلَّا كلام الخلق.

وقال الحسن: يعني: عبدَ ابن الحضرمي(٢).

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٠٢).

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ١٤٣) عن السدي.

وعنى بالسِّحر أنَّه كلام تُختَدَع به القلوب.

وقيل: إنَّما قال: ﴿يُؤْثَرُ﴾ لأنَّه خاف بني هاشم أن يغضبوا بقوله: محمَّد ـ ﷺ ـ ساحر، ويقولوا: إنَّما السِّحر في الأعاجم، فقال: ﴿سِحْرٌ يُؤْثَرُ﴾؛ أي: يأثُره عن غيره.

وقيل: عنى بقوله: ﴿سِحْرٌ يُؤْثَرُ﴾؛ أي: كان قبلَه رجال يدَّعون النُّبوَّة، ويضيفون كلامًا إلى الله تعالى، فهذا كلام منقولٌ، وكلُّه باطل، وهو كقولهم: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الأنعام: ٢٥].

وقال أبو سعيد الضَّرير: ﴿يُؤْثَرُ﴾؛ أي: يُورَث[1].

وروي عنه أنَّه قال: أليس يسار أبو فكيهةَ هو الذي يأتيه من مسيلمة الكذَّاب، وذكرنا قصَّة تسميته بذلك في أوَّل هذه السُّورة، وطريقًا آخر في أوَّل (سورة حم السَّجدة).

* * *

(٢٦ ـ ٣٠) ـ ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ (٢٦) وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ (٢٧) لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ (٢٨) لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ (٢٩) عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾.

﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾: أي: سأدخلُه سقر، وهي درَكةٌ من درَكات النَّار، ولا تُصْرَف[2]؛ لأنَّها من أسماء جهنَّم وجمعَت التَّعريف والتَّأنيث، واشتقاقها من: سقرتْهُ الشَّمسُ: إذا آلـمَتْ دماغه.

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ﴾: مبالغةٌ في وصفها، وتنبيهٌ على شدَّة عذابها.

---

(١) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢١/ ٣٨١).

(٢) في (ف): «ولا تجرى»، والمعنى واحد.

﴿لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ﴾: قال الحسن: لا تُبقي شيئًا من اللَّحم والدَّم والشَّعر والبَشَر[١] إلَّا أحرقته، ولا تذر شيئًا من العذاب إلَّا عذَّبتهم به[٢].

وقيل: ﴿لَا تُبْقِي﴾ أحدًا من مستحقِّي العذاب إلَّا أخذته ﴿وَلَا تَذَرُ﴾ شيئًا من أبدانهم إلَّا أحرقته.

وقال مجاهد: لا تحيي ولا تميت[٣].

وقال السُّدِّيُّ: لا تبقي لهم لحمًا، ولا تَذَر لهم عظمًا[٤].

وقيل: لا تبقي مَن فيها حيًّا ولا تذره ميتًا[٥].

﴿لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ﴾: أي: هي محرِّقة لأبشارهم؛ أي: لجلودهم إحراقًا يسوِّدها.

وقال الفرَّاء رحمه الله: تسوِّد البشرة بإحراقها[٦].

وقال الأخفش: أي: مغيِّرةٌ، يقال: لاحَتْه الشَّمس ولوَّحته؛ أي: غيَّرَتْ لونَه[٧].

والبشَر: جمع بشرة.

---

(١) البشر: ظاهر جلد الإنسان.

(٢) ذكر نحوه السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٥١٧) عن الكلبي.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٤٣٣).

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٧٣).

(٥) انظر قول مجاهد.

(٦) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٠٣).

(٧) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٤٣٤ ـ ٤٣٥) عن مجاهد وأبي رزين وزيد بن أسلم وقتادة وابن زيد والضحاك وابن عباس رضي الله عنهما.

وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ١٤٣) عن مجاهد، وذكر عن الأخفش: أن اللواح شدة العطش، والمعنى أنها معطشة للبشر؛ أي: لأهلها.

وقال الحسن رحمه الله: ﴿لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ﴾؛ أي: تلوِّح لخلق الله تعالى أجمعين حتى يَرَوها[١]. وهو كقوله: ﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ﴾ [النازعات: ٣٦].

﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾: أي: وُكِّلَ بسقرَ تسعةَ عشر ملكًا على بابها، يُلقون فيها أهلها.

قال مجاهد: يسوق أحدهم الأمَّة من الأمم، يحمل جبلًا على رقبته، فيطرحهم في النَّار، ويطرح الجبل فوقهم[٢].

وقال عمرو بن دينار: إن الواحد منهم يدفع بالدَّفعة الواحدة في جهنَّم أكثر من ربيعة ومضر[٣].

وقيل: هؤلاء رؤوس خزنة النَّار، ثم لكلِّ واحد من الأتباع ما لا يُحصَى كثرةً.

وقال الضَّحَّاك: قال أبو الأشدَّين: أنا أكفيكم منهم سبعةَ عشر، عشرةً على ظهري، وسبعةً على بطني، فاكْفُوني أنتم اثنين[٤].

وقيل: هو كَلَدة، وكان من شجعان العرب وأقويائهم، وكان إذا قام على أديم واجتمع جماعة على إزالة رجليه عنه لم يقدروا عليه، فكانوا يمدُّون حتى ينقطع الأديم قطعًا قطعًا، ورجلاه على حالتهما.

* * *

(٣١) - ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا ۙ وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ ۙ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٧٤).

(٢) رواه الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٧٤) عن ابن جريج عن النبي ﷺ مرسلًا.

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٧٤).

(٤) روى نحوه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٨٤) عن السدي. وهو في «تفسير مقاتل» (٤/ ٤٩٧)، و«معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٠٤).

مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ﴾: خزنتَها ﴿إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً﴾؛ أي: لا تُطيقهم البشر لشدَّة أمرهم واستحكام قوَّتهم.

﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ﴾: أي: عددَهم هذا وذكرَهم لهؤلاء ﴿إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾؛ أي: ابتلاءً واختبارًا لينظروا ويتفكَّروا، ويردُّوا الأمر في ذلك إلى أنَّ الله لم يفعل ذلك إلَّا لمعنًى، وضرب تدبير[1]، فيقرُّوا بنفسه؛ أي[2]: بأصله، ويَكِلوا تفسيره إلى الله الحكيم، الذي لا يفعل شيئًا عبثًا.

وقيل: وما جعلنا عدد خزنة جهنَّم ـ وهو قليل عند النَّاس ـ إلَّا تشديدًا في التعبُّد؛ ليستدلُّوا ويعرفوا أنَّ الله قادر على أن يقوِّي هؤلاء التِّسعة عشر على ما لا يقدر عليه من العذاب غيرُهم، وهم كثير، ولا يستخفُّوا بذكرهم لقلَّة عددهم.

وقيل: ﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً﴾؛ أي: وقوعًا في الكفر والتَّشديد والتَّكذيب والاستهزاء؛ عقوبةً لهم على اختيارهم الكفر والعناد بعدَ وضوح الحجَّة.

﴿لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾: أي: ليستيقنوا بنبوَّة محمَّد ﷺ وصِدْقِه؛ لموافقة كتبهم في ذكرهم أنَّهم بهذا العدد، وذلك لا يُعلَم إلَّا بوحي.

﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا﴾: أي: الذين آمنوا بمحمَّد ﷺ من قريش وسائرِ العرب يصدِّقون به كما صدَّقوا بما قبله، ويَكِلوا حكمةَ ذلك إلى الله تعالى.

---

(١) في (أ): «وصرف تدبيره» بدل: «وضرب تدبير».

(٢) «بنفسه أي» من (أ).

وقيل: يزدادون يقينًا؛ لموافقة كتابهم كتابَ أولئك. قاله السُّدِّيُّ[١].

﴿وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾: أي: ولئلَّا يرتاب؛ أي: لا تبقى لهم ريبةٌ؛ أي: شكٌّ في صحَّة نبوَّة محمَّد ﷺ لوضوحِ الدِّلالة عليها.

﴿وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾: أي: المنافقون ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ﴾؛ أي: المشركون:

﴿مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا﴾: أي: وصفًا بأنْ جعلهم بهذا العدد استهزاء منهم.

﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ﴾: أي: كما أضلَّ هؤلاء المنافقين والمشركين حتَّى قالوا ما قالوا استهزاءً، فكذا يضلُّ الله مَن يشاء من عباده، وهو الذي علِم منه اختيار الضَّلالة.

﴿وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾: كما هدى هؤلاء المؤمنين لتصديق هذا ورؤيةِ الحكمة في ذلك، كذلك يهدي مَن يشاء من عباده، وهو الذي علِم منه اختيار الهدى والاهتداء.

ودلَّت الآية على خَلْق الأفعال، وعلى وصف الله بالهداية والإضلال.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾: أي: فيهم كثرةٌ لا يحصيها غير الله، فليس قصرُهم على هذا العدد لقلَّة جنوده.

﴿وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ﴾: أي: وما الجنود إلَّا وعظًا وتذكيرًا للخلق ليتأمَّلوا فيتَّقوا، ولا حاجة بي إليهم، وأنا قادر على تعذيبهم بدونهم.

وقيل: وما سقرُ إلَّا تذكيراً للبشر، أو وما النَّار، فقد ذُكِرَتْ في قوله: ﴿أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ﴾.

* * *

---

(١) روى نحوه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٤٣٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣٢ ـ ٣٦) ـ ﴿كَلَّا وَٱلْقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ ﴿٣٥﴾ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ﴾.

وقوله ﴿كَلَّا وَٱلْقَمَرِ﴾: قال أبو حاتم السِّجستانيُّ: ﴿كَلَّا﴾ هاهنا بمعنى: أَلَا، للتَّنبيه[1].

وقيل: هو رَدٌّ؛ أي: ليس الأمر كما ظنُّوا أنَّهم يقاومون هؤلاء الخزنة ﴿وَٱلْقَمَرِ﴾ أقسم به تنبيهًا على منافعه ومصالحه.

﴿وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ﴾: قرأ نافع وعاصمٌ في رواية حفصٍ وحمزةُ: ﴿إِذْ﴾ بغير ألف ﴿أَدْبَرَ﴾ بزيادة الألف، وقرأ الباقون: ﴿إذا﴾ بألف ﴿دبر﴾ بغير ألف[2].

قال الفرَّاء: كلاهما لغتان، ومعناهما: ولَّى وذهب[3].

ومنه: أمسُ الدَّابِرُ، وعام القابِلُ.

وقيل: أدبرَ: ولَّى ومضى[4]، ودَبَرَ: جاء بعد النَّهار؛ قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً﴾ [الفرقان: ٦٢].

﴿وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ﴾: أي: أضاء.

﴿إِنَّهَا﴾: أي: سقرَ والنَّارَ ﴿لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ﴾: جمع الكبرى؛ أي: الدَّواهي والعظائم.

وقيل: لإحدى الدَّركات السَّبع العظمى.

وقيل: أي: هذه الآية لإحدى الآيات الكبرى.

---

(١) ذكره الواحدي في «البسيط» (١٤/ ٣١٥).

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ٦٥٩)، و«التيسير» للداني (ص: ٢١٦).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٠٤).

(٤) في (ر): «وذهب».

﴿نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ﴾: أي: إنذارًا.

وقيل: أريد به النَّعت، ولم يؤنَّث لأنَّه بمنزلةِ الاسم دون النَّعت، كالوكيل والوصيِّ، ونُصب على القطع؛ لأنَّه نكرة نُعِتَ به معرفةٌ.

وقيل: ﴿نَذِيرًا﴾ وصفٌ لله تعالى؛ أي: وما جعلنا أصحاب النَّار إلَّا ملائكة منذِرًا بذلك للبشر.

* * *

(٣٧) ـ ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾.

﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ﴾: بدل قوله: ﴿لِّلْبَشَرِ﴾، كقوله: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: ٩٧].

﴿أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾: أنْ(١) يفعل شيئًا أو يتركه.

وحُكي أنَّ يزيد كتب إلى مروان وقد تلكَّأ عن بيعته: أمَّا بعد، فإنِّي أراك تقدِّم رجلًا وتؤخِّر أخرى، فاعتمِد على أيَّتهما شئْتَ، والسَّلام(٢). يشير إلى ما قلنا.

وقيل: أنْ يتقدَّم بالإيمان، ويتأخَّر بالكفر، فمن آمن تقدَّم بالدَّرجات، ومَن كفر تأخَّر عن الكرامات(٣).

وقيل: ﴿أَن يَتَقَدَّمَ﴾ إلى سقرَ بمعاصيه، ﴿أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾ عنها بطاعته.

وقيل: ﴿يَتَقَدَّمَ﴾ إلى الجنَّة، ﴿أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾ إلى النَّار.

---

(١) في (أ): «أو»، وفي (ف): «أي».

(٢) انظر: «البيان والتبيين» للجاحظ (١/ ٢٤٩)، و«عيون الأخبار» لابن قتيبة (١/ ٢٩٥)، و«العقد» لابن عبد ربه (٤/ ٢٩٢).

(٣) في (ف): «المكرومات».

ثم قوله تعالى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ﴾ يجوز أن تكون المشيئة للبشر، ويجوز أن تكون المشيئة لله تعالى؛ أي: لمن شاء الله منه أن يتقدَّم أو يتأخَّر إلى ما قلنا وبما قلنا، وقد سبق ذكره: ﴿يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾.

***

(٣٨ ـ ٤٢) ـ ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ۝٣٨ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ۝٣٩ فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ۝٤٠ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ۝٤١ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾: أي: كلُّ خَلْقٍ محتبَسٌ يوم القيامة بالحساب على أعماله، فيتخلَّصُ مَن تَثقلُ موازينُ طاعاته، ويَعلق مَن خفَّتْ موازينُه.

﴿إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ﴾: فإنَّهم في الجنَّات[1] غير محاسَبين.

وقيل: كلُّ خلقٍ مكلَّفٍ هو مرهون في النَّار ﴿إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ﴾ فإنَّهم في الجنان.

وأجملَ أولئك لأنَّهم أكثر، واستثنى منهم المؤمنين الذين يُؤتَون كتبَهم بأيمانهم ويُمضَى بهم إلى اليمين إلى الجنَّة.

وقيل: أي: كلُّ نفس من جنس هؤلاء المشركين مرتـهَنةٌ بالنَّار إلَّا أصحاب اليمين. وهذا استثناء منقطع بمعنى: لكن.

و﴿رَهِينَةٌ﴾: اسم كالضَّحيَّة والنَّسيكة، ولو كان نعتًا لقال: رهينٌ؛ لأنَّ الفعيل الذي هو بمعنى: مفعول، يستوي فيه المذكَّر والمؤنَّث[2]، كالجريح والأسير والقَتيل.

﴿فِى جَنَّٰتٍ﴾: أي: هم مشرفون في جنات، والمجرمون في السُّفل في جهنَّم.

---

(١) «في الجنات» ليس في (أ) و(ف).

(٢) في (أ) و(ف): «الذكر والأنثى» بدل من «المذكر والمؤنث».

﴿يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمۡ فِي سَقَرَ﴾: أي: ما أدخلكم.

وهذا توبيخٌ، كقول الملائكة: ﴿أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَذِيرٞ﴾ [الملك: ٨]، ﴿أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ﴾ [الأنعام: ١٣٠].

* * *

(٤٣ ـ ٤٧) ـ ﴿قَالُواْ لَمۡ نَكُ مِنَ ٱلۡمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمۡ نَكُ نُطۡعِمُ ٱلۡمِسۡكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلۡخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلۡيَقِينُ﴾.

﴿قَالُواْ لَمۡ نَكُ مِنَ ٱلۡمُصَلِّينَ﴾: كما يصلِّي المؤمنون.

﴿وَلَمۡ نَكُ نُطۡعِمُ ٱلۡمِسۡكِينَ﴾: كما يطعم المسلمون.

﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلۡخَآئِضِينَ﴾: أي: نقول الباطل والزُّورَ في آيات الله، ونتَّبعُ كلَّ مَن فعل ذلك. والخوضُ: الشُّروع في الباطل والقبيح.

﴿وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾: أي: لا نصدِّق بيوم الحساب والجزاء.

﴿حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلۡيَقِينُ﴾: أي: الموت على هذه الحالة، وهو كقوله: ﴿حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩]؛ أي: الموت، وسمِّي به لأنَّه يزول به ما كان من الشُّكوك في أمور الآخرة لِمَن كان يشكُّ فيها.

* * *

(٤٨ ـ ٥٠) ـ ﴿فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾ فَمَا لَهُمۡ عَنِ ٱلتَّذۡكِرَةِ مُعۡرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمۡ حُمُرٞ مُّسۡتَنفِرَةٞ﴾.

﴿فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾: لأنَّها للمؤمنين ممَّن دون الكافرين.

وفيها دليلٌ بثبوت الشَّفاعة للمؤمنين، قال النَّبيُّ ﷺ: «إنَّ مِن أمَّتي مَن يدخُلُ الجنَّة بشفاعتِهِ أكثرُ مِن ربيعةَ ومُضَرَ»(١).

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١٧٨٥٩) من حديث أبي برزة رضي الله عنه.

﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ﴾: أي: فما لهؤلاءِ المشركين يُعرضون عن التَّذكرة بالقرآن.

وهو استفهامٌ بمعنى التَّوبيخ.

ونصب ﴿مُعْرِضِينَ﴾ كنصب قولك: ما لك واقفًا؟ وهو نصب على التَّمام.

﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ﴾: قرأ نافع وابن عامر بفتح الفاء على معنى أنَّها مُنفَّرَة، والاستنفار على هذا متعدٍّ.

وقرأ الباقون بكسر الفاء[1]، على معنى أنَّها نافرة، والاستنفار على هذا لازم.

يقول: كأنَّهم ليسوا ببشرٍ ذوي عقول، لكنَّهم حُمُرٌ لا عقولَ لها، فتَنفِر وتهرب راكبةً رؤوسَها، لا فكرَ لها، وعسى يلقاها ما هو أضرُّ لها ممَّا تَفِرُّ عنها، وكذلك هؤلاء المشركون.

* * *

= ورواه الإمام أحمد في «المسند» (٢٢٢١٥)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٨٠٥٨)، من حديث أبي أمامة رضي الله عنه.

وروى الترمذي (٢٤٣٨)، وابن ماجه (٤٣١٦) من حديث عبد الله ابن أبي الجدعاء قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يدخل الجنة بشفاعة رجل من أمتي أكثر من بني تميم»، قيل: يا رسول الله سواك؟ قال: «سواي». وقال الترمذي: «حديث حسن صحيح غريب».

وله شاهد عند مسلم (١٨٣) ضمن حديث طويل، وفيه: «حتى إذا خلص المؤمنون من النار، فوالذي نفسي بيده، ما منكم من أحد بأشد مناشدةً لله في استقصاء الحق من المؤمنين لله يوم القيامة لإخوانهم الذين في النار، يقولون: ربنا، كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون، فيقال لهم: أخرجوا من عرفتم».

(١) انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ٦٦٠)، و«التيسير» للداني (ص: ٢١٦).

(٥١ ـ ٥٢) ـ ﴿فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ (٥١) بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً﴾.

﴿فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ﴾: قال أبو عبيدة: أي: من أَسَدٍ[1]؛ لأنَّه يَقْسِرُ السِّباع؛ أي: يقهَرُها.

وقال الخليل: القسورة: الرَّامي. ويقال: الصياد. ويقال: الرُّماة[2].

وقال أبو هريرة: القسورة: الأسد[3].

وقال سعيد بن جبير: هم القُنَّاص[4].

وقال قتادة: هي النَّبْل[5]؛ أي: السِّهام.

وقيل: هي حِسُّ النَّاس وأصواتهم.

﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً﴾: أي: يتمنَّى كلُّ واحد منهم أن ينزَّل عليه كتابٌ من السَّماء فيه أنَّ محمَّدًا حقٌّ، ودعواه النُّبوَّةَ صدقٌ. وهذا جهلٌ منهم وتحكُّم.

وقيل: يتمنَّى أن يأتيه كتابٌ من الله يخبرُه فيه أنَّ له عنده كلَّ ما يحبُّ.

وقيل: يتمنَّى أن يأتيَه كتابٌ فيه جُرمه وتوبته، وكانوا يقولون: إنَّ بني إسرائيل

---

(١) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (٢/ ٢٧٦).

(٢) انظر: «العين» للخليل (٥/ ٧٤ ـ ٧٥).

(٣) ذكره البخاري عنه قبل الحديث (٤٩٢٢). ورواه البزار في «مسنده» (٨١٧٩)، والطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٤٥٩).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٤٥٧)، ورواه أيضا عن ابن عباس بلفظ: (رجال القنص)، وعن قتادة بلفظ: (الرماة القنَّاص).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٤٥٧).

إذا أذنب أحدهم ذنبًا وجد عند رأسه كتابًا فيه ذلك، فإنْ كنْتَ يا محمَّدُ حقًّا فأتنا بذلك. هذا معنى قول الكلبيِّ والفرَّاء[١].

وقيل: نزلَتْ في عبد الله بن أميَّة حين قال: ﴿وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ﴾ [الإسراء: ٩٣][٢].

* * *

(٥٣ ـ ٥٦) ـ ﴿كَلَّا ۖ بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْءَاخِرَةَ ۝٥٣ كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ ۝٥٤ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ۝٥٥ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾.

﴿كَلَّا﴾: قيل: حقًّا، وقيل: ألَا، وقيل: لا يُعطَون ما يريدون لأنهم لا يخافون الآخرةَ، وقيل: لا يؤمنون لو أوتوا صُحُفًا منشَّرة، ﴿بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْءَاخِرَةَ﴾: بل لا يؤمنون بالآخرة.

﴿كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ﴾: على هذه الوجوه الثَّلاثة.

وقيل: أي: ليس كما قالوا: إنَّه سحر يؤثَر، بل هو تذكرة ووعظ.

﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ﴾: أي: هو ممكَّن[٣] من ذلك.

﴿وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾: وهو مَن علِم منه اختيارَ التَّذكُّر.

﴿هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ﴾: أي: هو أهلٌ أن يَتَّقي عبادُه محارمَه.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٠٦). وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٧٩)، والواحدي في «البسيط» (٢٢/ ٤٦٤)، عن الكلبي.

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (٢/ ٢٣٣).

(٣) في (أ): «أي مما هو متمكن».

﴿وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ﴾: أي: أهلٌ أن يغفرَ لمن اتَّقاه.

وعن النَّبيِّ ﷺ في تفسيره يقول الله تعالى: «أنا أهلٌ أنْ أُتَّقى أنْ يُجعلَ معي إله، وأهلٌ أنْ أغفرَ لمنِ اتَّقاني[1] فلم يَجعل معي إلهًا»[2].

***

---

(١) في (ف): «اتقى».

(٢) رواه الترمذي (٣٣٢٨)، وابن ماجه (٤٢٩٩)، من طريق سُهَيْلِ بنِ عبدِ الله القُطَعيُّ، عن ثابتٍ، عن أنس رضي الله عنه. وقال الترمذي: هذا حديث غريب، وسهيل ليس بالقوي في الحديث، وقد تفرد سهيل بهذا الحديث عن ثابت.

سُورَةُ القِيَامَةِ[1]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

بسم الله الذي أقسم بيوم القيامة، الرحمنِ الذي يجزي فيه أهلَ الهوان وأهل الكرامة، الرحيمِ الذي وعد المؤمنين برؤيته في دار[2] الـمُقامة.

روى أبيُّ بنُ كعبٍ رضي الله عنه عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «مَن قرأَ سُورة ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ شهدْتُ له أنا وجبريل أنَّه مؤمن بيوم القيامة»[3].

وهذه السُّورة مكيَّة.

وهي أربعون آية، ومئة وأربعٌ وستُّون كلمة، وستُّ مئة وستون حرفًا.

وانتظام ختم تلك السُّورة بافتتاح هذه السُّورة: أنَّه حَثَّ في ختم تلك السُّورة على التَّقوى ليغفر بذلك لهم الذُّنوب والأوزار، وينجِّيهم بذلك يوم القيامة من عذاب النَّار، فأنكَروا القيامة، فأقسم الله تعالى عليه في افتتاح هذه السُّورة.

وانتظام السُّورتين: أنَّهما في بيان التَّوحيد، وبطلان الشِّرك، ووعد المؤمنين، ووعيد الكافرين.

---

(١) في (ر): «سورة لا أقسم بيوم القيامة».

(٢) في (ر): «الكرامة المقامة».

(٣) رواه الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٨١)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ٣٩٠)، قال ابن الجوزي في «الموضوعات» (٤/ ٣٤٤): مصنوع بلا شك. وقال ابن كثير في «تفسيره»: حديث منكر من سائر طرقه. وانظر: «الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة» للشوكاني (ص: ٢٩٦).

(١ ـ ٢) ـ ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ۝١ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾: قال سعيد بن جبير: ﴿لَآ﴾ صلة، و﴿أُقۡسِمُ﴾ تأكيد[1]. وهو كقوله: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسۡجُدَ﴾ [الأعراف: ١٢]؛ أي: أن تسجد.

وقيل: ﴿لَآ﴾ ردٌّ كلام الكفار، و﴿أُقۡسِمُ﴾ إثبات.

وقوله تعالى: ﴿وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾: فيه وجهان أيضًا؛ أي: أقسم بالقيامة تحقيقًا لكونها وتعظيمًا لِمَا يكون فيها، وأقسم بالنَّفس اللَّوامة تنبيهًا على الأعجوبة العظيمة في خلقِها، وما تُعبِّدَت به من الأمانات التي أبَتِ السَّماوات والأرضون والجبال أن يحملْنَها وأشفقْنَ منها.

وقيل: هو للتَّنبيه على أنَّها تلوم نفسها يوم القيامة مع إنكارها اليوم ذلك.

واختلف في أنَّها نفسُ المؤمن أو نفسُ الكافر:

قال الحسن: إنَّ المؤمن لا تراه إلا لائمًا لنفسه، وإن الكافر يمضي قُدمًا لا يعاتِبُ نفسَه[2].

وقال عكرمة: تلوم على الخير والشَّرِّ[3]؛ أي: لقلَّة صبرها، واستيلاءِ الجزع عليها، وهو كقوله: ﴿خُلِقَ هَلُوعًا﴾ [المعارج: ١٩].

وقال الكلبيُّ: هو كلُّ نفسٍ برَّةٍ أو فاجرة، تلوم نفسها يوم القيامة؛ إنْ كانت محسِنة ألَا ازدادت[4] إحسانًا للثَّواب، وإنْ كانت مسيئةً لامَتْ نفسها ألَا أحسنَتْ لدفع العذاب[5].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٤٦٦) بلفظ: «﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ قال: أقسم بيوم القيامة».

(٢) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (١٦١٦)، وابن أبي الدنيا في «محاسبة النفس» (٤).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٤٦٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٨٦).

(٤) في (ر) و(ف): «زادت».

(٥) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٥٢٠) عن ابن عباس وعمر رضي الله عنهم، وذكره الماوردي =

وقال مقاتل: يريد به النَّفس الكافرة، تلوم نفسها في الآخرة، فتقول: يا ليتني قدَّمْتُ لحياتي، ويا حسرتَا على ما فرَّطْتُ في جنب الله. نزلَتْ في عديٍّ بن ربيعة بن أبي سلمة الثَّقفي، كفر بالبعث وكان خَتَنًا لأخنس بن شَرِيقٍ[1].

***

(٣ ـ ٤) ـ ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ (٣) بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ﴾.

قوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ﴾: هاهنا موضع القسَم؛ أي: إنَّكم مبعوثون مجموعةً عظامكم بعدَما صارَتْ رميمًا، ثم قال: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ﴾ [القيامة: ٣] بعد ما صارت رميمًا.

ثم قال: ﴿بَلَىٰ﴾ وهو ردٌّ عليهم ﴿قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ﴾؛ أي: نجمعُها قادرين على ذلك.

وقال الضَّحَّاكُ: يعني بـ﴿ٱلْإِنسَٰنُ﴾: أبا جهل بن هشام[2].

وقيل: هو كلُّ كافرٍ منكرٍ للبعث، مقرٍّ بقدرة الله تعالى على الابتداء.

ثمَّ لتسوية البنان وجوه:

قيل: يُقِرُّون على أنَّ الله تعالى قادر على أن يسوِّيَ بنان الإنسان في ابتداء خلقِه، فيجعلَ أصابعَ يديه مستويةً كالشَّيء الواحد، فتكون يدُه ورجلُه كخفِّ البعير وحافر الحمار، فيتناول الأشياء بفيه كالبهائم، إلَّا أنَّه مع قدرته على هذا لم يجعل كذلك،

= في «النكت والعيون» (٦/ ١٥١) عن مجاهد. وذكره الواحدي في «البسيط» (٢٢/ ٤٧٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما. وذكره الفراء في «معاني القرآن» (٣/ ٢٠٨) بلا نسبة.

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٥٠٩).

(٢) لم أقف عليه عن الضحاك، وهو في «تفسير مقاتل» (٤/ ٥١٤)، وذكره الواحدي في «البسيط» (٢٢/ ٤٧٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

بل هيَّأها هيئة يقع التَّناول والمناولة بها؛ تحسينًا لخلقِه، وإكمالًا لآلات منافعه، وإن كنتم معترفين بقدرته على هذا لم يُعجِزْه جمعُ العظام المتفرِّقة.

وقيل: أي: يقدر على إعادته بغير الخلقة، مصوَّرًا بصورة البهائم، فكيف في صورته الأولى؟! وهو كقوله: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ۝٦٠ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الواقعة: ٦٠ ـ ٦١].

وقيل: يقدر على ردِّه على ما كان حيًّا، مستويَ البنان، مستقيمَ الأركان، كما كان.

وقيل: أي: قدرَ على أن يعيدَ السُّلاميَّات على صغرها، ويؤلِّفَ بينها، حتَّى يستويَ البنان، ومَن قدر على هذا قدر على جمع العظام الكبار من البدن.

* * *

(٥ ـ ٦) ـ ﴿بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ ۝٥ يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ﴾: أي: ليس كفره بالبعث لقصور الدَّليل عليه، بل يريد أن يكذِّب بيوم القيامة، وذلك أنَّه إذا كذَّب بها فقد فجَر فيما هو أمامَه؛ أي: في البعث الذي هو قُدَّامَه.

وقيل: ﴿لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ﴾؛ أي: ليركَب رأسَه في الفجور، فيمضيَ قُدُمًا في المعاصي، لا يمنعه تفكُّر في وعيد، والأمامُ: كنايةٌ عن هذا؛ لأنَّ مَن ركب رأسَه مضى أمامَه.

وقيل: يريد أن يفجر في مستقبل عمرِه، وفي أوقاتٍ لعلَّه لا يبلغها، ومع ذلك يَعزم على الفجور فيها.

وقيل: يتعجَّل المعصية، ويسوِّف التَّوبة.

وقال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: يقول: سوف أتوب، سوف أتوب[1].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٤٧٥)، والحاكم في «المستدرك» (٣٨٧٨) وصححه.

وقيل: يطيل الأملَ فينسى الموت والبعث.

وقيل: ﴿لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ﴾؛ أي: قبل يوم القيامة.

وقال يمانُ بن رئابٍ: لا تَلْقَى ابنَ آدم إلَّا وهو يمضي في معصية الله قُدمًا قُدمًا، إلَّا مَن عصَمه الله تعالى[1].

﴿يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ﴾: أي: متى هو؟ على وجه الاستهزاء والتَّكذيب.

* * *

(٧ ـ ٩) ـ ﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ ۝٧ وَخَسَفَ الْقَمَرُ ۝٨ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾.

﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ﴾: قرأ عاصم في رواية أبانٍ ونافعٌ: ﴿بَرَقَ﴾ بفتح الرَّاء، والباقون بكسرها[2].

وبالفتح؛ أي: شَخَصَ ولـمَع، وبالكسر؛ أي: دَهِشَ وفَزِعَ وحارَ.

ودليل الأوَّل قوله: ﴿فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [ق: ٢٢]، وقوله تعالى: ﴿لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ [إبراهيم: ٤٢].

﴿وَخَسَفَ الْقَمَرُ﴾: أي: ذهب ضوؤه، كما يخسفُ في الدُّنيا ثم ينجلي، ويومئذ لا ينجلي.

﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾: قيل: جُمع بينهما في إذهاب ضوئهما.

قال الفرَّاء: هو كما يُقال: هذا يومٌ يستوي فيه الأعمى والبصير؛ أي: لا يُبصِران فيه جميعًا[3].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٤٧٥) عن قتادة.

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ٦٦١)، و«التيسير» للداني (ص: ٢١٦). والمشهور عن عاصم كسر الراء كباقي السبعة.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٠٩).

وقيل: يُجمعان، ويقرنان، ويقرَّبان من النَّاس، فيُلجمهم العرق لشدَّة الحرِّ فيها.

***

(١٠ ـ ١٢) ـ ﴿يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ۝١٠ كَلَّا لَا وَزَرَ ۝١١ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ﴾.

﴿يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ﴾: أي: يقول هذا الإنسان المنكر يوم القيامة: ﴿أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ﴾؟ أي: لا فِرار.

وقيل: أي: إلى أين الفِرار؟

﴿كَلَّا لَا وَزَرَ﴾: أي: ليس كما توهَّموا أنَّ لهم مفرٌّ يهربون إليه، بل ليس لهم ملجأ يأوون إليه. وأصل الوزَر: الجبل، وكانوا إذا نابهم أمرٌ مخُوف تحصَّنوا بالجبال، فأخبر أنَّه لا ملجأ لهم في الآخرة.

﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ﴾: أي: إلى حكم الله ينتهي يومئذ الخلق، لا ينازِعُه منازِعٌ، ولا يغالبُه مغالِبٌ.

قال قتادة رحمه الله: ﴿ٱلْمُسْتَقَرُّ﴾: المنتهى(١).

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: ﴿ٱلْمُسْتَقَرُّ﴾؛ أي: المصير، كما قال: ﴿أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾ [الشورى: ٥٣](٢).

وقال يمان بن رئابٍ: أي: المرجع؛ كما قال: ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ﴾ [العلق: ٨](٣).

وقال ابن زيد: أي: مستقرُّ كلِّ أحدٍ في الآخرة، حيث يجعله الله مأوًى له، فمستقرُّ المؤمن يومئذ الجنَّة؛ قال تعالى: ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا﴾

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٤٨٨).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٨٥).

(٣) المرجع السابق.

[الفرقان: ٢٤]، ومستقرُّ الكافر يومَئذ النَّار؛ قال الله تعالى: ﴿إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ [الفرقان: ٦٦](١).

وعلى هذا معنى قوله: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ﴾؛ أي: بحُكمه(٢) ذلك؛ كما يقال: هذا الأمر إليَّ؛ أي: بحكمي.

***

(١٣) ـ ﴿يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾.

﴿يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾: أي: يُخبَّر يومئذ بما قدَّم من أعماله وأخَّر من آثاره، فاستنُّوا به مِن بعدِه.

قال النَّبيُّ ﷺ: «مَنْ سَنَّ سُنَّةً حسنةً فله أجرُها وأجرُ مَنْ عَمِلَ بها إلى يومِ القيامةِ، ومَنْ سَنَّ سُنَّةً سيِّئةً فعليهِ وِزْرُها ووِزْرُ مَنْ عَمِلَ بها إلى يومِ القيامَةِ»(٣).

قال الله تعالى: ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ﴾ الآية [يس: ١٢].

وقيل: ما قدَّم: من خيرٍ وشرٍّ، وأخَّر: ترَكَ من طاعة الله.

وقيل: ما قدَّمه: من معصية، وأخَّره: من طاعة.

وقيل: ما قدَّم من طاعة الله، وأخَّر من حقوقه التي ضيَّعها.

وقيل: ما قدَّم من طاعة فقدَّمه في الفضيلة، وأخَّر؛ أي: جناه(٤) على نفسه فأخَّره عن الفوز والسَّعادة.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٤٨٨) بلفظ: (استقر أهل الجنة في الجنة، وأهل النار في النار. وقرأ قول الله: ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٤]).

(٢) في (ر): «أي إلى حكمه».

(٣) رواه مسلم (١٠١٧) من حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه.

(٤) في (أ): «أجناه».

وقيل: ما قدَّم وأخَّر من أيِّ عملٍ في أوَّل ما لزمه التَّكليف، وما عمله في آخر عمره؛ أي: بكل أعماله.

وقال زيد بن أسلم: ﴿بِمَا قَدَّمَ﴾ من أمواله لنفسه، ﴿وَأَخَّرَ﴾ خلَّف من أمواله لورثته، ونظيره قوله: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ [الانفطار: ٥][1].

وقال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: ﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ﴾؛ أي: شخَصَ فلا يكاد يَطرُفُ[2].

وذلك إذا أُتي بجهنَّم تُقادُ بسبعين ألفَ زِمام، كلُّ زِمام بيد سبعين ألف مَلَك[3]، لها زفيرٌ وشهيقٌ، فلا يبقى مَلَك مقرَّبٌ، ولا نبيٌّ مرسَلٌ إلَّا قال عند ذلك: نفسي، نفسي، لا تهمُّه إلَّا نفسُه، وتبرق أبصارُ الكفَّار بما يعاينون منها، فلا تكاد تطرُفُ.

وقال مجاهد رحمه الله: ﴿لَا وَزَرَ﴾؛ أي: لا جبل يمنعهم، ولا شجر يواريهم[4].

***

(١٤ ـ ١٥) ـ ﴿بَلِ الْإِنسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ (١٤) وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿بَلِ الْإِنسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾: والهاء في ﴿بَصِيرَةٌ﴾ للمبالغة، كما في علَّامة[5]، ﴿يُنَبَّأُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ من عمله، بل لا يحتاج إلى أن ينبِّئه غيره؛ لأنه

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٨٥)، والواحدي في «البسيط» (٢٢/ ٤٩١).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٤٨٠) عن قتادة. وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما: قوله: ﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ﴾؛ يعني ببرق البصر: الموت، وبروق البصر: هي الساعة.

(٣) رواه مسلم (٢٨٤٢)، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعًا، ولفظه: «يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٤٨٦) بلفظ: (لا ملجأ ولا جبل).

(٥) «والهاء في بصيرة للمبالغة كما في علامة» ليس في (أ) و(ف).

على نفسه حجَّة؛ أي: هو في نفسه حجَّة على نفسه؛ لأنَّ جوارحه تشهد عليه، فصار هو حجَّةً على نفسه.

والبصيرةُ: الحجَّة؛ قال تعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ﴾ [الأنعام: ١٠٤].

قال الأخفشُ: جعله بصيرة، كما يُقال للرَّجل: أنت حجَّة على نفسك[١].

وعلى هذا التَّأويل له معنى آخر: أنَّ الإنسان يعيبُ غيرَه بكفران النِّعمة وفعل المعصية وكذا وكذا، وهو يفعله، فهو حجَّة على نفسه بما يقوله.

وقيل أيضًا: بما فيه من العقل هو[٢] حجَّة على نفسه، لا ينقضي عنها.

﴿وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ﴾: أي: ولو أتى بالأعذار وجادل عن نفسه؛ أي: وإن كان يقول ذلك في الدُّنيا فهو يشهد على نفسه، بخلافِ ذلك في العُقبى.

قال سعيد بن جبير: الإنسان على نفسه شاهدٌ ولو اعتذر[٣].

والمعاذيرُ على هذا: جمع مَعذِرة.

وقال الزَّجَّاج: هو جمع مِعذار، وهو السِّتر[٤]؛ أي: يشهد على نفسه يوم القيامة بسيِّئاته، وإن كان أرخى ستوره وأغلق أبوابه في الدُّنيا حين عملَها احتجابًا عن الخلق.

وقال الضَّحَّاك: ﴿وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ﴾؛ أي: ستوره، وأهل اليمنِ يسمُّون السِّتر: المعذار[٥].

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للأخفش (٢/ ٥٥٧).

(٢) في (ف): «فهو».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٤٩٤).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٢٥٣).

(٥) رواه ابن المنذر كما في «الدر المنثور» (٨/ ٣٤٧)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٨٧)، والماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ١٥٥).

وقال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: ﴿وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ﴾: ألقى عن نفسه في الدُّنيا ما يغطيه للمعصية وقد خلا بها؛ ثقةً بعينيه[1] عن أبصار الخلق، ولا يخفى ذلك منه على الخالق[2].

وقيل: ﴿وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ﴾ هو إحالة بعضِهم على بعض يومئذ، كما قال خبرًا: ﴿إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠﴾ [الأحزاب: ٦٧]، وقولِه: ﴿يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ﴾ الآية [سبأ: ٣١].

وقيل: ﴿بَصِيرَةٌ﴾: تأنيث بصير، والهاء للتَّأنيث هاهنا لمكان الجمع؛ أي: جوارحُه بصيرةٌ بما عمل.

وقيل: هو بمعنى بصير، والهاء للمبالغة، كالعلَّامة والنَّسَّابة.

* * *

(١٦ ـ ١٨) ـ ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ١٦ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ١٧ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾.

وقوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾: روي أنَّ النَّبيَّ ﷺ كان إذا نزل عليه الوحي حرَّك لسانَه مع أداء جبريل عجلًا به لئلا يفوتَه شيء فينساه، حُبًّا منه للقرآن، وحرصًا على ضبطه، فأُمِرَ بترك ذلك، ووُعِدَ أن يُجمَع القرآنُ في صدره فلا ينساه[3].

وهو كقوله: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ﴾ [الأعلى: ٦]، وقولِه: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ﴾ [طه: ١١٤].

---

(١) في (أ): «ثقة لعينيه»، وفي (ف): «ثقة بعينه»، وفي (ر): «معه بعينه».

(٢) لم أقف عليه بهذا اللفظ، وروى الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٤٩٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ﴾ قال: (لو تجرد).

(٣) روى معناه البخاري (٥)، ومسلم (٤٤٨)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

وقولُهُ تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾؛ أي: لا تحرِّكْ بالقرآن لسانك مستعجلًا به قبل استتمامه ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ﴾؛ أي: في قلبك؛ لتحفظه ولا يفوتَك منه شيء.

﴿وَقُرْءَانَهُۥ﴾: أي: أن يقرأه عليك جبريل بأمرنا إلى أن تحفظه على مهلٍ، لا يلحقك فيه مشقَّة.

﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ﴾: أي: قرأه عليك جبريل.

﴿فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾: أي: قراءته؛ أي: فاستمعه وتَلَقَّه.

وقيل: إنَّ علينا جمعَه في صدرك، وإثباته بعد الجمع، حتى يدوم حفظك له فتقرأه متى شئت.

وعلى هذا قوله: ﴿قَرَأْنَٰهُ﴾؛ أي: قراءتَه منك بعد الجمع في صدرك.

وقيل: ﴿وَقُرْءَانَهُۥ﴾؛ أي: نأمر جبريل أن يقرأه عليك في كلِّ سنة حتى لا تنسى منه شيئًا.

وقيل: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ﴾؛ أي: جمعَ فرائضه وحدوده وأحكامه حتى تعرفها كلَّها، ﴿وَقُرْءَانَهُۥ﴾؛ أي: [وأنْ][1] يقرأه جبريل عليك بأمرنا فتحفظَه، ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾؛ أي: فاتَّبع ما يحصل منه مقروءًا عليك فاقرأه حينئذ.

* * *

(١٩) - ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾.

﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾: أي: بيانَ معانيهِ وأحكامه وشرائعه.

وقيل: ﴿ثُمَّ﴾ لترتيب الإخبار، لا لترتيب الوجود؛ أي: ثم نخبرك أنَّا نبيِّن معناه لك كما أنزلناه عليك.

---

(١) زيادة يقتضيها السياق.

وهذا كله معنى ما قال ابن عبَّاس وسعيد بن جبير ومجاهد والكلبيُّ وقتادة والحسن رضي الله عنهم.

قال قتادة: كان النَّبيُّ ﷺ يحرِّك لسانه خوف النِّسيان، فأنزل الله: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾؛ أي: اتَّبع ما فيه، واتَّبع حلاله، واجتنب حرامه، ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾: بيانَ حلاله وحرامه وطاعته ومعصيته[١].

وقال ابن عبَّاس: نزلت الصَّلوات الخمس قبل خروج النَّبيِّ ﷺ من مكَّة إلى المدينة: الظُّهر أربعًا، والعصر أربعًا، والمغرب ثلاثًا، والعشاء أربعًا، والفجر ركعتين، ونزلت عليه الزَّكاة، ثم نزل: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ﴾ [الأعلى: ٦][٢].

قال ابن عبَّاس: فلم ينسَ بعد نزول هذه الآية شيئًا حتى مات[٣].

وقيل ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾: هو ما استنبطه العلماء من الأحكام، وأعظمُهم في ذلك آثارًا أبو حنيفة رضي الله عنه.

* * *

(٢٠ ـ ٢٣) ـ ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ﴿٢١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾.

﴿كَلَّآ﴾: أي: ليس الأمر كما تظنُّون أنَّه لا بعث ولا نشور ولا جزاء ولا حساب.

﴿بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ﴾: أي: الدُّنيا؛ ميلًا إلى دواعي الطِّباع.

﴿وَتَذَرُونَ ٱلْـَٔاخِرَةَ﴾: أي: تَدَعون العمل لها والتَّدبر فيها.

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٤١٢)، (٣٤١٣)، والطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٥٠٠)، (٢٣/ ٥٠٣).

(٢) لم أقف عليه.

(٣) ذكر هذه القطعة القرطبي في «تفسيره» (٢٢/ ٢٢٧) من طريق أبي صالح عن ابن عباس. وذكرها الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ١٨٤) عن مجاهد والكلبي، وعن الكلبي ذكره أيضاً الواحدي في «البسيط» (٢٣/ ٤٤٠)، فلعله مما روي من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس.

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾: وهي وجوه المؤمنين يوم القيامة.

﴿نَّاضِرَةٌ﴾ قال الفراء: أي: مشرقةٌ بالنَّعيم[1].

وقال الأخفش: أي: حسَنة[2].

وقال أبو سعيد الضَّرير: ناعمة متهلِّلة[3].

﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾: وهو حجَّة قاطعة على رؤية المؤمنين اللهَ تعالى، وكذا فسَّره أكثر الصَّحابة ومَن بعدهم من أهل العلم.

وقال زيد بن أسلم: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾: يتجلَّى لهم ربهم فينظرون إليه.

وقال عطيَّة العوفي: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾: ينظرون إلى ربهم يومئذ، فيكرمهم بذلك، والويل لمن حُجِبَ عن الله يومئذ[4].

وعن عمَّار بن ياسر كذلك[5].

وعن الحسن أنَّه سُئل: كيف يرون الله تعالى؟ قال: يرونه بلا كيف.

***

(٢٤ ـ ٢٧) ـ ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ (٢٤) تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ (٢٥) كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ (٢٦) وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ﴾.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢١٢).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للأخفش (٢/ ٥٥٧).

(٣) روى الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٥٠٦) عن ابن زيد قال: الناضرة: الناعمة. ونحوه رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٨٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٥٠٧) بلفظ: «هم ينظرون إلى الله لا تحيط أبصارهم به من عظمته، وبصره محيط بهم، فذلك قوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ [الأنعام: ١٠٣]».

(٥) مما ورد عن عمار بن ياسر رضي الله عنه في هذا، ما رواه النسائي (١٣٠٥) عنه من جملة دعاء يرفعه: «وأسألك لذة النظر إلى وجهك».

﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ﴾: أي: عابسةٌ متكرِّهة، وهي وجوه الكفار.

﴿تَظُنُّ﴾: أي: يتيقَّن أربابها ﴿أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾؛ أي: داهيةٌ كاسرةٌ للفقار.

﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِىَ﴾: ﴿كَلَّآ﴾ له ثلاثة أوجه على ما مرَّ ﴿إِذَا بَلَغَتِ﴾؛ أي: النَّفس، وهي الرُّوح ﴿ٱلتَّرَاقِىَ﴾: جمع تَرْقُوَة، وهي العظمُ بين الصَّدر والعنق. يعني: بلغت الحلقومَ.

وإضمار النَّفس هاهنا كإضمارها في قوله: ﴿إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ﴾ [الواقعة: ٨٣] وهو حالَ حضور الموت.

﴿وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ﴾: قال أبو قلابة والضَّحَّاك وابن زيد وقتادة: مَن الذي يرقيه فيشفيه[1]؟ من الرُّقية، والفعلُ من حدِّ (ضرب).

وقال ابن عبَّاس رضي الله عنهما وأبو الجوزاء: أي: قالت الملائكة: مَن الذي يصعد بروحه[2]؟ ـ من الرُّقي من باب (علم)؛ قال الله تعالى: ﴿أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ﴾ [الإسراء: ٩٣] ـ أي: ملائكة الرَّحمة أم ملائكة العذاب؟

* * *

(٢٨ ـ ٢٩) ـ ﴿وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ﴾.

﴿وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ﴾: أي: أيقن هذا المحتضَر أنَّه فراق الرُّوح والجسد، وفراق الأهل والولد.

﴿وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ﴾: قال الشَّعبيُّ وأبو مالك: الْتَوَت[3] ساقاه عند موته.

وقال الحسن: والتفَّت ساقاه في كفنه.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٥١٢ ـ ٥١٤) عن ابن زيد وعكرمة وأبي قلابة والضحاك وقتادة وابن يزيد.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٥١٤).

(٣) في (ر): «التفت».

وقيل: التفَّت؛ أي: اجتمعت الشدة بالشدة.

وقال ابن عبَّاس ومجاهد: شدَّة أمر الدنيا بأمر الآخرة.

وقال الضَّحَّاك: أهل الدُّنيا يجهِّزون البدن، وأهل الآخرة يجهِّزون الرُّوح.

قال الحسن: حالُ الموت بحالِ الحياة[١].

والسَّاق عبارة عن الشِّدَّة؛ قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ [القلم: ٤٢]، وتقول العرب: قامت الحرب على ساق.

وقيل: لم يُرِدْ به شدَّتين، إنما أراد[٢] به اجتماعَ ضروب الشَّدائد، وهو كقولهم: اتَّصل الخير بالخير، والشَّرُّ بالشَّرِّ، والمطر بالمطر؛ يراد به التَّتابع.

***

(٣٠ ـ ٣٣) ـ ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ۝٣٠ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ۝٣١ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ۝٣٢ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ﴾.

﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ﴾: أي: إلى حيث أَمر الله تعالى سوقَ هذا الميت.

وقيل: أي: إلى حكمه وجزائه.

﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ﴾: هي في حقِّ أبي جهل، وقد ذُكِر في أوَّل السُّورة أنَّه المراد بها.

وقيل: السُّورة في منكري البعث، وأعتاهم أبو جهل؛ أي: ما صدَّق اللهَ ورسولَه هذا الملعون، ولا صلَّى لله معظِّمًا له.

﴿وَلَٰكِن كَذَّبَ﴾ اللهَ ورسولَه ﴿وَتَوَلَّىٰ﴾: أي: أعرض عن الحقِّ.

﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ﴾: قال مجاهد وقتادة: أي: يتبختر[٣].

---

(١) روى هذه الأقوال الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٥١٦ ـ ٥٢١).

(٢) في (أ) و(ف): «عنى».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٥٢٣).

وهو من الـمَطَا، وهو الظَّهر.

وقيل: هو من المطِّ، وهو المدُّ، ويتمطَّى أصله: يتمطَّط؛ أي: يتمدَّد، قُلِبَتْ إحدى الطَّائين ياء، كما في التَّقصِّي والتَّقضِّي.

* * *

(٣٤ ـ ٣٥) ـ ﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ (٣٤) ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ﴾.

قوله تعالى: ﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ (٣٤) ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ﴾: هي كلمةُ تهديد وتذكير مفردًا ومكرَّرًا[1]؛ قال الله تعالى: ﴿فَأَوْلَىٰ لَهُمْ (٢٠) طَاعَةٌ﴾ [محمد: ٢٠ ـ ٢١].

قال زهير:

أولى لكـم ثـمَّ أولى أنْ تصيبَكُـمُ ... منِّـي نواقِـرُ لا تبقـي ولا تَـذَرُ[2]

وقيل: معناه: وَلِيَكَ الشَّرُّ؛ أي: قرُب منك.

وقيل: هي أفعلُ من الويل، وأصله: أَوْيَلُ، ثم قلبت فصار: أولى، وتقديره: ويل لك، ثم ويل لك، ثم ويل لك[3].

وقيل: قال ذلك رسول الله ﷺ له حين رآه، فذكر اللهُ ما كان منه.

وقيل: بل هذا من الله تعالى وعيدًا له.

وقيل: أمَرَ الله تعالى محمَّدًا ﷺ أن يقول له ذلك: ﴿أَوْلَىٰ لَكَ﴾؛ أي: ويل لك يوم تموت، وويل لك في القبر، وويل لك حين تبعث، وويل لك في النَّار.

وقال الحسن: أوحى الله إلى نبيِّه وأمره أن يلقَى أبا جهل فيبلِّغه عن الله تعالى: ﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ﴾، فلقيه رسول الله ﷺ، وقال له: «إنَّ الله أمرني أنْ أبلِّغَك: ﴿أَوْلَىٰ لَكَ

---

(١) في (أ): «تهدد وتذكر مفردًا ومذكرًا».

(٢) انظر: «ديوان زهير» بشرح الشنتمري (ص: ٥٠).

(٣) «ثم ويل لك» الأخيرة من (أ) و(ف).

﴿فَأَوْلَىٰ﴾»، فقال أبو جهل لعنه الله: أتخوِّفني، وما بين لابتَيْها أعزُّ ولا أكرمُ منِّي؟! فنزل: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ﴾ [الدخان: ٤٩](١).

وقال قتادة: ذُكِرَ لنا أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «إنَّ لكلِّ أمَّةٍ فرعون، وفرعون هذه الأمَّة أبو جهل بن هشام»، فأخذه النَّبيُّ ﷺ وقال: ﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ﴾، فقال أبو جهل: ما تستطيع أنت يا محمَّد ولا ربُّك بي شيئًا؛ لأنِّي أعزُّ مَن بينَ جبليها(٢)، فلمَّا كان يوم بدر أشرفَ على الكفَّار فقال: لا يُعبَد الله ـ تعالى ـ بعد هذا اليوم. فضُرِبَ عنقُه، وقتلَه اللهُ شرَّ قتلة(٣).

***

(٣٦ ـ ٤٠) ـ ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾: ﴿ٱلْإِنسَٰنُ﴾ هو أبو جهل هاهنا، ﴿أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾؛ أي: مهملًا لا يُؤمَر ولا يُنهى، ولا يُثاب ولا يُعاقب، وهو استفهامٌ بمعنى التَّوبيخ.

﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ﴾: قرأ ابن عامر وحفص عن عاصم بياء التَّذكير صفةً للمنِّي، والباقون بتاء التَّأنيث صفةً للنُّطفة(٤).

---

(١) ذكره بنحوه عن الحسن ابن أبي زمنين في «تفسيره» (٥/ ٦٦ ـ ٦٧). وروى معناه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٤٣٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وفيه: (فأوحي إلى رسول الله ﷺ أن يأتي أبا جهل، فيأخذه بيده في بطحاء مكة فيقول له: ﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ﴾ فلما فعل ذلك به رسول الله ﷺ قال أبو جهل: والله لا تفعل أنت وربك شيئاً. فأخزاه الله يوم بدر). وسيأتي نحوه عن قتادة أيضاً.

(٢) في (أ): «لابتيها».

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٤١٦)، والطبري في «تفسيره» (٢١/ ٦١) و(٢٣/ ٥٢٥).

(٤) كذا عزا ابن مجاهد في «السبعة في القراءات» (ص: ٦٦٢) القراءة بالياء ﴿يُمْنَىٰ﴾ إلى حفص وابن عامر، وعزاها الداني في «التيسير» (ص: ٢١٧) إلى حفص وحده. وذكر ابن الجزري في «النشر» (٢/ ٣٩٤) أنها قراءة حفص ويعقوب، واختلف فيها عن هشام. وهشام هو أحد راويي ابن عامر.

والنُّطفة: هي ماءٌ قليلٌ منها يكون الولد.

﴿مِّن مَّنِيٍّ﴾ وهو الماء الدَّافق، ﴿تُمْنَىٰ﴾؛ أي: تُلقَى في الرَّحم.

﴿ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً﴾: أي: دمًا منعقدًا شديدَ الحمرة.

﴿فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾: أي: فخلق الله منه بشرًا سويًّا مهيَّئًا صالحًا للتَّكليف.

﴿فَجَعَلَ مِنْهُ﴾: أي: من المنيِّ.

﴿الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ﴾: والذي فعَل هذا لم يفعله ليُهمَل ويعطَّل، بل ليَتعبَّدَ ويُكلَّف ويُجزى على الإحسان والإساءة، وذلك يكون في الدَّار الآخرة.

﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ﴾: ومَن قدر على إنشائه ابتداءً من غير شيء قدرَ على جمع العظام بعدما صار رميمًا، فرجع آخرُ السُّورة إلى أوَّلها.

وروى أبو هريرة وجابر رضي الله عنهما: أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «إذا قرأ أحدُكم ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ﴾ فليقلْ: بلى»(١).

وقال قتادة: ذُكِرَ لنا أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ كان يقول إذا قرأها: «سبحانه وبلى»(٢).

وعن ابن عبَّاس رضي الله عنهما: سبحانك اللَّهم وبلى(٣).

---

(١) رواه أبو داود (٨٨٧)، وإسناده ضعيف لإبهام الراوي عن أبي هريرة. ورواه ابن المنذر وابن مردويه من حديث جابر رضي الله عنه، كما في «الدر المنثور» للسيوطي (٨/ ٣٦٤).

وفي الباب عن موسى بن أبي عائشة، قال: كان رجل يصلي فوق بيته، فكان إذا قرأ: ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ﴾، قال: سبحانك فبلى. فسألوه عن ذلك، قال: سمعته من رسول الله عنه. أخرجه أبو داود (٨٨٤)، ومن طريقه البغوي في «شرح السنة» (٦٢٤)، وموسى هذا ثقة إلا أنه لم يرو عن أحد من الصحابة، وروايته إنما هي عن التابعين.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٥٢٨).

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٦٥٣)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٣١٠).

سورة الإنسان(١)

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

بسم الله الذي خلق الإنسان من نطفة أمشاجٍ يبتليه، الرحمن الذي وعد المؤمنين بملكٍ كبير يعطيه، الرحيمِ الذي بشَّره بشراب طهور يسقيه.

وروى أبي بن كعب رضي الله عنه عن النَّبيّ ﷺ أنَّه قال: «مَن قرأ سُورةَ ﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ﴾ كانَ جزاؤُه على الله جنَّةً وحريرًا»(٢).

وهذه السُّورة مكيَّة.

وهي إحدى وثلاثون آية، ومئتان وثلاثة وأربعون كلمة، وألفٌ وثلاثُ مئة وخمسون حرفًا.

وانتظام آخر تلك السُّورة بأوَّل هذه السُّورة: أنَّهما في ذكر خلق الإنسان وأصله وحكمته.

وانتظام السُّورتين: أنَّهما جميعًا في ذكر البدء والإعادة، ومصير أهل الشَّقاوة والسَّعادة.

---

(١) في (ر): «سورة هل أتى على الإنسان».

(٢) رواه الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٩٣)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ٣٩٨)، قال ابن الجوزي في «الموضوعات» (٤/ ٣٤٤): مصنوع بلا شك. وانظر: «الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة» للشوكاني (ص: ٢٩٦).

(١) ـ ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾: قال الفرَّاءُ: هو استفهام على وجه التَّقرير، بمعنى: قد أتى، كقولك لآخر: هل وعظْتُك؟ هل أعنْتُك[١]؟

وكذا قال الكسائيُّ والأخفش[٢].

ويدلُّ عليه قول أبي بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه: ليتَها كانت تمَّتْ فلم نُبْتَلَ[٣].

واختُلف في هذا الإنسان، وفي الإنسان المذكور في قوله: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ﴾ [الإنسان: ٢]:

قال أكثرهم: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ﴾: هو آدم عليه السَّلام، أتى عليه زمان من الدَّهر لم يكن شيئًا مذكورًا يُذكَر؛ لأنَّه كان طينًا مخلوقًا، يمرُّ به الزَّمان وهو لا يُعرَف ولا يُذكَر، ثم نُفِخَ فيه الرُّوح، فقد كان شيئًا موجودًا ولم يكن مذكورًا، ولو كان غيره موجودًا لم يُوصَف بأنَّه قد أتى عليه حين من الدَّهر.

والحينُ: أربعون سنة في هذه الآية، وقيل: أكثر من ذلك.

قال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ﴾؛ يعني: آدم عليه السَّلام

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢١٣).

(٢) ذكره عنهما الواحدي في «البسيط» (٢٣/ ٦).

(٣) ذكره أبو عبيدة في «مجاز القرآن» (٢/ ٢٧٩)، والواحدي في «البسيط» (٢٣/ ٧)، والقرطبي في «تفسيره» (٢١/ ٤٤٦) وقال: (أي: ليت المدة التي أتت على آدم لم تكن شيئا مذكورًا تمت على ذلك، فلا يَلد ولا يُبتلى أولاده). وروي نحو ذلك عن عمر رضي الله عنه، رواه ابن المبارك في «الزهد» (٢٣٥)، والطبري في «تفسيره» (١/ ٤٩٥). وكذا عن ابن مسعود رضي الله عنه، رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٤٥٥٦).

﴿حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا﴾ في السَّماء ولا في الأرض، وذلك أن آدم كان من طين أربعين سنة، ثم من صلصال أربعين سنة، ثم من حمأ مسنونٍ أربعين سنة، فتمَّ خلقُه بعدَ مئة وعشرين سنة[1].

وعن ابن مسعودٍ أنَّ آدمَ خُلِقَ من ترابٍ، فأقام أربعين سنة، ثم من طين أربعين سنة، ثم من صلصال أربعين سنة، ثم من حمأ مسنون أربعين سنة، فتمَّ خلقُه بعد مئة وستِّين سنة[2].

وقال مقاتل رحمه الله: هو آدم، و﴿حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ﴾ هو ما كان قبل وجود آدم من الزَّمان؛ لأنَّه آخِرُ ما خلق الله تعالى من أهل الأرض من أصناف الخليقة[3].

و﴿لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا﴾ على هذا معناه: لم يكن هو شيئًا؛ لأنَّه لم يكن موجودًا، وإنَّما قيل: أتى عليه حينٌ، وهو غير موجود، على مجازِ قولك للرَّجل: قد كان وقتٌ لم تكن أنت شيئًا، فيكون قولك: (أنت) إشارة إلى الحاضر للتَّعريف له، ويكون المعنى أنَّ هذا الشَّخص الذي هو الآن موجود قد كان وقتًا غيرَ موجود، وكذا قوله: ﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ﴾ إشارة إلى آدم؛ أي: هذا الموجود كان قبل ذلك في زمان كثير غير موجود.

ولا يُستَنكَر هذا المجاز؛ فإنَّ القول الأوَّل فيه المجاز أيضًا؛ لأنَّه كان طينًا، ثم أخبر الله تعالى أنَّه أتى عليه حين من الدَّهر، فإذا جاز أن يُقال: أتى على الإنسان حين من الدَّهر وهو حينئذ ليس بإنسان، مجازًا، جازَ أن يُقال: أتى عليه الدَّهر وهو حينئذ ليس بشيء مجازًا.

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ١٦٢)، والواحدي في «البسيط» (٢٣/ ٨).

(٢) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٣/ ٨).

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٤٢٠)، والطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٥٢٩)، عن قتادة بلفظ: (كان آدم آخر ما خلق من الخلق).

وعلى القول الثَّاني: يقع الاسم على آدم وعلى أولاده أيضًا.

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: معناه: ما أتى على الإنسان حين من الدَّهر لم يكن شيئًا مذكورًا، بل كان[1] مذكورًا لي، كأنَّه يقول: هل غفلْتُ ساعة من حفظِك؟ هل خلَّيتُكَ قَطُّ ونفسَك؟ هل أخليْتُكَ لحظةً من رعاية جديدة، وحماية مزيدة[2]؟

* * *

(٢) ـ ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾: هذا على ولد آدم.

وقيل: الأوَّل هو على ولد آدم أيضًا، وهما واحد، ومعناه: قد أتى على ولد آدم حينٌ من الدَّهر من حين يقع ماء الرَّجل في رحم المرأة؛ أي: إلى أن يُنفَخ فيه الرُّوح، وإلى أن يُولَد لم يكن مذكورًا للنَّاس.

﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾؛ أي: هذا الإنسان ﴿مِن نُّطْفَةٍ﴾ تخرج من بين الصُّلب والتَّرائب.

﴿أَمْشَاجٍ﴾: نعت النُّطفة. وهي جمع مَشِيْجٍ، ومعناه: الأخلاط، والـمَشَجُ بالفتح: الخَلْط، وهو مصدر، وبالكسر[3]: الخِلْط، وهو اسم.

ومعنى وصفها بالأخلاط: أنَّها مجموعُ طبائعَ أربعٍ، وهي: الحرارة والبرودة واليبوسة والرُّطوبة.

---

(١) «شيئًا مذكورًا بل كان» ليس في (أ) و(ف).

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٣/ ٦٦٠).

(٣) أي: بكسر الميم وسكون الشين، ويجوز بفتح الميم وكسر الشين، مثل كتف بلغتيه، قاله في «القاموس» (مادة: مشج).

وقال ابن عبَّاس رضي الله عنهما والحسن والرَّبيع بن أنس ومجاهد: هو اختلاط ماء الرَّجل وماء المرأة[١].

وقال قتادة: الأمشاج: هي الأطوار؛ يكون نطفة، ثم علقة، ثم مضغة، ثم عظامًا، ثم يَتمُّ إنسانًا[٢].

وقال مجاهد: هو ألوان النُّطفة؛ نطفة الرَّجل بيضاء، ونطفة المرأة صفراء[٣].

وقيل: النُّطفة من عروق مختلفة.

وقوله تعالى: ﴿نَّبۡتَلِيهِ﴾؛ أي: لنبتليَه ونتعبَّده، لا لنهملَه ونعطله، كما قال: ﴿لِيَبۡلُوَكُمۡ﴾ [الملك ٢].

﴿فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا﴾: أي يسمع الأصوات ويرى الذَّوات، فيستدلُّ بالمخلوقات على الخالق.

وقيل: ﴿فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا﴾؛ أي: مميِّزًا عاقلًا، ممكَّنًا من قَبول الابتلاء.

وقيل في قوله: ﴿يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ﴾ [مريم: ٤٢]: هو نفي التَّمييز والعقل.

قال الفرَّاء: فيه تقديمٌ وتأخيرٌ، معناه: فجعلناه سميعًا بصيرًا نبتليه؛ أي: لنبتليه[٤].

وقيل: ﴿فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا﴾: تعدادٌ لنعمة السمع والبصر، واستبداءٌ لشكرهما.

***

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٥٣٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما وعكرمة والربيع بن أنس والحسن ومجاهد.

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٤٢١)، والطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٥٣٤).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٥٣٥).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢١٤).

(٣) ـ ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾.

﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ﴾: أي: بيَّنا له الطَّريقة التي يلزمُه سلوكُها، والطَّريقة التي يجب عليه العدول عنها، كما قال: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ [البلد: ١٠].

ووحَّد ﴿ٱلسَّبِيلَ﴾ هاهنا لأنَّه جنس، فيصلح اسماً لهما، ولذلك قال بعده: ﴿إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾: إمَّا سالكًا طريقة أهل الهدى، وإمَّا سالكًا طريقة أهل الضَّلال.

وقيل: أراد بقوله: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ﴾ هو سبيل الرَّشاد، وهو المستحِقُّ لهذا الاسم، وببيانه يتبيَّن الطَّريق الذي لا ينبغي سلوكه.

﴿إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾: أي: إمَّا مؤمنًا سعيدًا، وإمَّا كافرًا شقيًّا[١].

وقال الفرَّاء: هو على سبيل الجزاء[٢]؛ أي: إن شكر أو كفر فقد عرَّفناه عاقبة ذلك[٣].

وقال الأخفشُ: إنَّا هديناه السَّبيل شاكرًا أو كفورًا، نصب على الحال، ومعناه: هديناه السَّبيل في الحالين[٤].

وقال الكسائيُّ: كان شاكرًا أو كفورًا[٥].

---

(١) «أي: إما مؤمنًا سعيدًا وإما كافرًا شقيًا» ليس في (أ) و(ف).

(٢) في (ر): «الخبر».

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢١٤).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للأخفش (٢/ ٥٥٩).

(٥) أي: أنه انتصب قولُه: ﴿شَاكِرًا﴾ و﴿كَفُورًا﴾ بإضمارِ: كان، والتقديرُ: سواءٌ كان شاكرًا أو كان كفورًا. انظر: «تفسير الرازي» (٣٠/ ٧٤٢).

وقيل: ليكون إمَّا شاكرًا وإما كفورا[1]؛ أي: ليَظهر شكرُه مِن كفرِه؛ كما قال: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك ٢].

وقيل: هو على التَّهديد، وتقديره: إنَّا هديناه السَّبيل؛ فإنْ شاء فليكفُرْ، وإنْ شاء فليشْكُرْ؛ فإنَّا أعتدنا للكفَّار كذا، وللأبرار كذا، وطريقُه طريقُ قوله: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ الآية [الكهف: ٢٩].

***

(٤ ـ ٥) ـ ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَا وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا (٤) إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾.

﴿**إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَ**﴾: أي: في جهنَّم يُوثَقون بها.

﴿وَأَغْلَالًا﴾: تُشَدُّ بها أيديهم إلى أعناقهم.

﴿وَسَعِيرًا﴾: أي: نارًا مُوقَدة عليهم.

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وحمزة وحفص عن عاصم: ﴿سلاسل﴾ بغير تنوين، والباقون ﴿سلاسلًا﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ﴾: لَمَّا خلق الله تعالى الخَلْقَ للابتلاء ظهرَ منهم الكفَّار فذكر وعيدَهم، والأبرار فذكر مواعيدهم.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ﴾: جمع بَرٍّ.

قال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: يعني: الصَّادقين في الإيمان[3].

---

(١) في (ف): «وقيل ليكون معناه إما شاكرًا» وسقطت العبارة من (أ) و(ر)، والمثبت من المصدر السابق.

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ٦٦٣)، و«التيسير» للداني (ص: ٢١٧).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٩٥) بلا نسبة. وانظر: «تنوير المقباس» للفيروزآبادي (ص: ٥٠٤).

وقال الحسنُ رحمه الله: البَرُّ الذي لا يؤذي الذَّرَّ، ولا يضمِرُ الشَّرَّ[١].

وقال الثَّوري رحمه الله: هم الذين برُّوا آباءهم وأولادهم[٢].

وقال مقاتل رحمه الله: هم الذين يطيعون الله بالتَّوحيد[٣].

وقال شهر بن حوشب رحمه الله: هم الذين برُّوا النَّاس وأشفقوا عليهم

وقال مجاهد رحمه الله: هم الذين صَدَقوا اللهَ في السِّرِّ والعلانية.

وقال عبد الواحد بن زيد: هم الذين برُّوا أنفسهم بترك المعاصي.

وقال الورَّاق: الأبرار: الذين لا يخالفون معبودهم في أقضيته عليهم.

وقال بعض أهل المعرفة: الأبرار: الذين سمَتْ همَّتهم عن المستحقَرات، وظهرت في قلوبهم ينابيع الحكمة، فأنفوا من[٤] مساكنة الدُّنيا.

وقوله تعالى: ﴿يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ﴾: قال الزَّجَّاج: لا تُسمَّى كأسًا إلا إذا كان فيها شراب[٥]؛ أي: إنَّ أهل الطَّاعة يدخلون الجنَّة، ويُنعَّمون فيها بأنواع النِّعم، منها

---

(١) ورد بتمامه لكن بلا نسبة في «لطائف الإشارات» (٣/ ٦٦١). وروى القطعة الأولى منه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٢٠٦).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (١/ ١٢٥)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٧/ ٨١).
وروي نحوه مرفوعًا، رواه الطرسوسي في «مسند عبد الله بن عمر» (١٦)، والثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ١٤٨)، وابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (٥/ ٥٢٠) من حديث ابن عمر رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «إنما سمَّاهم الله الأبرار لأنهم برُّوا الآباء والأبناء، كما أن لوالدك عليك حقًّا كذلك لولدك عليك حق». وضعفه ابن عدي بعبيد الله بن الوليد الوصافي وقال: (وهو ضعيف جدًّا يتبين ضعفه على حديثه).

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٥٢٤)، وفيه: (﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ﴾ يعني: الشاكرين المطيعين لله تعالى يعني: أبا بكر، وعمر...).

(٤) في (أ): «فاتقوا عن».

(٥) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٣٠٣).

أنَّهم يُسقَون من كأس ﴿كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾؛ أي: مزاج ما فيها من الشَّراب كافورٌ.

قيل: أي: له رائحة تُستلذُّ وتستطاب رائحته، ويُشمُّ منه ريحُ الكافور من غير أن يكون فيه كافور؛ يعني: أنَّ له طعمًا ككافور الدُّنيا.

وقيل: بل يمزج بالكافور نفسه، وكافورُ الجنَّة لا يغيِّر الشَّراب، كما أنَّ خمر الجنَّة لا يُسْكِر.

و(كان) زائدة في قوله تعالى: ﴿كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾.

وقيل: أي: كان في علم الله أنَّ مزاجه لأهل الجنَّة يكون كافورًا.

* * *

(٦) - ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾.

﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ﴾: أي: هذا الشَّراب من عينٍ في الجنَّة يشربُ بها عبادُ الله.

قيل: أي: يشربها، والباء زائدة، كقولهم: تكلَّم كلامًا حسنًا، وبكلامٍ حسنٍ.

وأنشد الفرَّاء وغيره لعنترة:

شـربْتُ بماء الدُّحْرُضَيْـنِ فأصبحَتْ   زوراءَ تَنْفِـرُ عَـنْ حِيـاضِ الدَّيْلَـمِ(١)

وقيل: ﴿يَشْرَبُ بِهَا﴾؛ أي: يُروَى بها.

---

(١) وهو من معلقته. انظر: «ديوان عنترة» (ص: ٢٠١). الدحرضان: ماءان يقال لأحدهما دحرض، وللآخر وسيع، فلما جمعهما غلب أحد الاسمين. والزَّوَر: الميل، والفعل: زَوِرَ يَزْوَرُّ، والنعت: أزور، والأنثى: زوراء. مياه الديلم: مياه معروفة، وقيل: العرب تسمي الأعداء ديلمًا؛ لأن الديلم صنف من أعدائها. يقول: شربت هذه الناقة من مياه هذا الموضع، فأصبحت مائلة نافرة عن مياه الأعداء. انظر: «شرح القصائد السبع» لابن الأنباري (ص: ٣٢٤)، و«شرح المعلقات السبع» للزوزني (ص: ٢٥٣)

وقال القتبيُّ: ﴿يَشْرَبُ بِهَا﴾؛ أي: منها[1].

﴿عِبَادُ اللَّهِ﴾؛ أي: المؤمنون القائمون بشروط العبادة والعبوديَّة.

﴿يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾: أي: يُسِيلونها.

وقال مجاهد: يقودونها حيث شاؤوا[2].

* * *

(٧) - ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾.

﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾: صفة الأبرار، وقيل: صفة عباد الله، وتقديره: الذين يوفون بعهد الله.

وقال الفرَّاء: كانوا يوفون بالنَّذر في الدُّنيا[3].

وهو شامل لكلِّ ما التزمه[4] العبدُ بأيمانه وبعقوده[5] على نفسه في أيمانه؛ قال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي﴾ [البقرة: ٤٠]، وقال: ﴿أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ [المائدة: ١]، وهي تتناول الفرائض والعهود والنُّذور، وقال: ﴿وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ﴾ [الحج: ٢٩].

وقيل: هي مناسك الحج.

﴿وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾: أي: كان في حكم الله أنَّ شرَّه يكون منتشرًا؛ أي: شدائده، وسمَّاها شرًّا لكراهتها على الأنفس، مع أنَّها كلَّها حكمةٌ وصوابٌ،

---

(١) انظر: «تأويل مشكل القرآن» لابن قتيبة (ص: ٣٠١). وعلى هذا القول حمل ابن الأنباري في «شرح القصائد السبع» بيت عنترة. انظر التعليق السابق.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٥٤٠).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢١٦).

(٤) في (أ): «أُلزِمه».

(٥) في (أ): «ولعقوده».

وهـو معاملـة الله تعالـى عبادَه، وانتشـاره: ظهـوره في حقِّ الـكلِّ، وطيـران الطَّائر: انتشارُه.

وقيل: ﴿مُسْتَطِيرًا﴾: في حقِّ العصاة والفجَّار، فأمَّا الأبرار فلا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون.

***

(٨) ـ ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾.

وقولـه تعالـى: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾: يجـوز أن يكـون الإطعـام عبـارةً عن وجوه المواسـاة بـأيِّ شـيءٍ كان، والتَّخصيـصُ به لِمَـا أنَّه أعظم وجوههـا، كإنفـاق المـال فـي أيِّ وجـهٍ كان يُسـمَّى أكلَ الطَّعـام، قـال تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾ [البقـرة: ١٨٨]؛ لِمَـا أنَّـه أعظـم وجـوه الانتفـاع بالمـال.

قوله: ﴿عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾: قيل: على حبِّ الطَّعام.

وقيل: على حبِّ الإطعام.

وقيل: على حبِّ الله وتعظيم أمر الله به.

﴿مِسْكِينًا﴾: عاجزًا عن الاكتساب لزمانةٍ به قد أسكنته عنه.

﴿وَيَتِيمًا﴾: صغيرًا مات أبوه محتاجًا.

﴿وَأَسِيرًا﴾؛ أي: مأسورًا.

وقيل: مملوكًا؛ قال السُّدِّيُّ: الأسير عندهم: المملوك، ما كان يومئذ أسيرٌ(١).

---

(١) ذكره عنه الرازي في «تفسيره» (٣٠/ ٧٤٨). وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ١٦٦) عن عكرمة. ورواه الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٩٦) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعا، وفيه عباد بن أحمد العرزمي عن عمه وهما متروكان.

وقيل: هو الأسير من المشركين[١]، يُؤخَذ منهم طعامه فيكون في بيت مال المسلمين وفي صدقات المسلمين.

وقال الحسن ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير: هو المحبوس من أهل القِبلة[٢].

والاسم يتناول كلَّ ذلك؛ لأنَّ الأسر هو الشَّدُّ والإيثاق.

* * *

(٩) - ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ﴾؛ أي: يقولون ذلك.

وقيل: هو قول باللِّسان.

وقيل: هو قول بالنَّفس؛ أي: يقولون في أنفسهم.

قال سعيد بن جبير: أمَا والله ما قالوه بألسنتهم، لكنَّ الله علم ما في قلوبهم فأثنى به عليهم[٣].

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ﴾؛ أي: للتَّوجُّه إلى الله تعالى والتَّقرُّب به إليه.

﴿لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً﴾: بالمال ولا بالنَّفس ﴿وَلَا شُكُورًا﴾: باللِّسان.

قال ابن عبَّاس: لا نريد منكم هديَّة ولا ثناء[٤].

---

(١) روى أبو عبيد في «غريب الحديث» (٤/ ٣٥٠)، ومن طريقه البيهقي في «شعب الإيمان» (٩١٥٧) عن ابن جريج قال: لم يكن الأسير على عهد رسول الله ﷺ إلا من المشركين. قال أبو عبيد: فأرى أن الله عز وجل قد أثنى على من أحسن إلى أسير المشركين.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٥٤٤) عن مجاهد وسعيد بن جبير وعطاء.

وروى عن الحسن وعكرمة: أن المراد به أسرى المشركين.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٥٤٦).

(٤) انظر: «تنوير المقباس» للفيروزآبادي (ص: ٤٩٥).

ومَن حمله على القول باللِّسان قال: إنما قالوا ذلك لمن أطعموه ليُفْرِغوا قلبَه عن توهُّمِه أنَّهم يريدون منه ذلك.

* * *

(١٠) - ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾.

﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾: أي: نخاف يوم القيامة أن يعاقبَنا الله فيه.

﴿عَبُوسًا﴾؛ أي: شديدًا هائلًا تَعبِسُ فيه وجوه الكفَّار، وهو كقوله: ﴿فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾ [إبراهيم: ١٨]؛ أي: تعصِفُ فيه الرِّيح.

وقيل: هو مجاز؛ لأنَّ السُّلطان إذا عبَسَ خِيْفَ، فيكون اليوم العَبوس هو اليوم الـمَخُوف.

﴿قَمْطَرِيرًا﴾؛ أي: شديدًا، ويُقال: وجهٌ قمطريرٌ؛ أي: منقبِضٌ من العُبُوس.

وقال الأخفشُ: هو أشدُّ ما يكون من الأيَّام، وأطولُه في البلاء[١].

وقال نفطويه: ﴿عَبُوسًا﴾؛ أي: كريهًا، و﴿قَمْطَرِيرًا﴾؛ أي: منقبضًا لا فسحة فيه ولا انبساط.

وقال الخليل: ﴿قَمْطَرِيرًا﴾؛ أي: شديدًا فاشيَ الشَّرِّ[٢].

واختلف النَّاس فيمَن نزلَتْ فيهم الآية، فأجراها أكثرهم على العموم في كلِّ بَرٍّ موصوف بهذه الصِّفات الثَّلاث: ﴿يُوفُونَ﴾، ﴿وَيُطْعِمُونَ﴾، ﴿وَيَخَافُونَ﴾.

وقال مقاتل بن سليمان: نزلت في رجل من الأنصارِ، أطعم في يومٍ واحد مسكينًا ويتيمًا وأسيرًا[٣].

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٩٧).

(٢) انظر: «العين» للخليل (٥/ ٢٥٨).

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٥٢٥)، وسمى الأنصاري: أبا الدحداح. وانظر: «تفسير الثعلبي» (١٠/ ٩٨).

وروى مجاهد عن ابن عبَّاس: أنَّها نزلَتْ في عليٍّ بن أبي طالبٍ رضي الله عنه وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم وجارية لهم يقال لها: فضَّة.

قال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: مرضَ الحسنُ والحسينُ، فعادَهما رسولُ ﷺ وعادَهُما عامَّةُ العربِ، فقالوا: يا أبا الحسن، لو نذرْتَ على ولديك نذرًا، فقال عليٌّ رضي الله عنه: إنْ بَرِئا صمْتُ للهِ تعالى ثلاثةَ أيَّامٍ شكرًا، وقالت فاطمة رضي الله عنها كذلك، وقالت جاريةٌ لهم نوبيَّة يُقال لها: فضَّة كذلك.

فعافاهما الله تعالى، وليس عندَ آل محمَّدٍ قليلٌ ولا كثيرٌ، فانطلقَ عليٌّ رضي الله عنه إلى شمعون اليهوديِّ الخيبري، فاستقرضَ منه ثلاثةَ أصوُعٍ من شعيرٍ، فجاء به فوضعَه في ناحية البيت، فقامت فاطمة رضي الله عنها إلى صاعٍ منها فطحنته واختبزَتْه، وصلَّى عليٌّ رضي الله عنه مع النَّبيِّ ﷺ، ثمَّ أتى المنزلَ، فوُضِع الطَّعام بين يديه، فأتى مسكينٌ فوقف بالباب، فقال: السَّلام عليكم يا أهل بيت محمَّد، مسكين من أولاد المسلمين، أطعموني أطعمَكُم اللهُ على موائد الجنَّة.

فسمعه عليٌّ رضي الله عنه فأنشأ يقول:

فاطمُ ذاتِ الخيرِ واليقينْ ... يا بنتَ خيرِ النَّاسِ أجمعينْ
أَمَا تَرَيْنَ ذا البائِسَ المسكينْ ... قد قامَ بالبابِ له حنينْ
يشكو إلى اللهِ ويستكينْ ... يشكو إلينا جائِعٌ حزينْ
كلُّ امرئٍ بكسبِهِ رَهِيْنْ

فأنشأَتْ فاطمةُ تقول:

أمرُكَ سَمْعٌ لي نِعْمَ وطاعَةْ ... ما بيَ مِنْ لومٍ ولا وَضاعَةْ

أطعِمُـهُ ولا أبالـي السَّـاعَةْ أرجـو لَئِـنْ أُشـبعُ مِـن مجاعـةْ
أنْ ألحـقَ الأخيـارَ والجماعـةْ وأدخـلَ الجنَّـةَ فـي شـفاعةْ

قال: فأعطَوه الطَّعام، ومكثوا يومَهم وليلَتهم لم يذوقوا إلَّا الماء.

فلَمَّا كان اليومُ الثَّاني قامَتْ فاطمةُ رضي الله عنها إلى صاع، فطحنَتْه واختبزَتْه، وصلَّى عليٌّ رضي الله عنه مع النَّبيِّ ﷺ، ثمَّ أتى المنزلَ، فوُضِعَ الطَّعام بين يديه، فأتاهم يتيمٌ وقال: السَّلام عليكم أهلَ بيت الرَّحمة، يتيمٌ مِن أولاد المهاجرين، استُشهد والدي يوم العقبة، أطعموني أطعمَكُم الله. فسمعَه عليٌّ رضي الله عنه فأنشأ يقول:

فاطـمَ بنـتَ السَّـيِّد الكريـمْ بنـتَ نبـيٍّ اللهِ ليـس بالذَّميـمْ
قـد جاءنـا الله بـذا اليتيـمْ مَـن يرحـم اليـومَ فهـو رحيـمْ
قـد حـرَّم الخُلْـد علـى اللَّئيـمْ يـزلُّ فـي النَّـار إلـى الجحيـمْ
شـرابُه الصَّديـد والحميـمْ

فقالت فاطمة رضي الله عنها:

أطعمُـه الآنَ ولا أبالـي وأوثِـرُ اللهَ علـى عيالـي
أمسَـوا جياعًـا وهـم أشـبالي يكفينـي الرَّحمـن ذو الجـلال

قال: فأطعموه الطَّعام، فمكثوا يومين وليلتين لم يذوقوا إلَّا الماء.

فلمَّا كان في اليوم الثَّالث قامَتْ فاطمةُ رضي الله عنها إلى الصَّاع الثَّالث، فطحنته واختبزَتْه، وصلَّى عليٌّ رضي الله عنه مع النَّبيِّ ﷺ، ثم أتى المنزل، فوُضِعَ الطَّعام بين يدَيْه، فأتاهم أسيرٌ فوقف بالباب وقال: السَّلام عليكم يا أهل بيت النُّبوَّة، تأسروننا وتشدُّوننا ولا تطعموننا! أطعموني أطعمكم الله. فأنشأ عليٌّ يقول:

فاطمُ يا بنْتَ النَّبيِّ الأحمدْ بنتَ نبيٍّ سيِّدٍ مسوَّدْ
هذا أسيرٌ للنَّبيِّ المهتدْ مثقَّلٌ في غِلِّهِ مُقيَّدْ
يشكو إلينا الجوعَ قد تمدَّدْ مَنْ يُطْعِمُ اليومَ يجدْهُ في غَدْ
عندَ العليِّ الواحِدِ الموحَّدْ ما يزرعُ الزَّارعُ سوفَ يحصُدْ

فقالت فاطمةُ رضي الله عنها:

لم يبقَ ممَّا جئْتَ غيرُ صاعِ قد دَمِيَتْ كفِّي مع الذِّراعِ
ابنايَ واللهِ مِنَ الجياعِ يا ربِّ لا تتركْهُما ضياعِ
أبوهما في المكرمات ساعِ يصطنِعُ المعروفَ بانتزاعِ
عَبْلُ الذِّراعَيْنِ شديدُ الباعِ

قال: فأعطَوه الطَّعام، ومكثوا ثلاثة أيَّام ولياليها لم يذوقوا إلَّا الماء، فلمَّا كان في اليوم الرابع وقد قضوا نذرَهم، أخذَ عليٌّ رضي الله عنه الحسنَ بيمينه والحسينَ بيساره رضوان الله عليهم، وأقبلَ نحو رسول الله ﷺ وهم يرتعشون كالفِراخِ مِن شدَّة الجوعِ، فلمَّا بصرَ به النَّبيُّ ﷺ قال: «يا أبا الحسن، ما أشدَّ ما يسوؤني ما أرى بكم، انطلق إلى فاطمة».

فانطلقوا وهي في محرابها، فلمَّا بصر بها النَّبيُّ ﷺ قد لصقَ بطنُها بظهرها من شدَّة الجوع، وغارَتْ عيناها، فلمَّا رآها النَّبيُّ ﷺ قال: «واغوثاه بالله، إنَّ أهلَ بيت محمَّدٍ يموتون جوعًا».

فهبط جبريل عليه السَّلام فقال: يا محمَّد خذ ما هنَّأكَ اللهُ في أهل بيتِكَ، فقرأ عليه: ﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ﴾ إلى آخر السُّورة[1].

---

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (١٠ / ٩٨ ـ ١٠٢). وهذا الحديث أفاض ابن تيمية في «منهاج السنة» =

وروى ابنُ جريج عن عطاء عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما قال: أجَّر عليٌّ رضي الله عنه نفسَه ليلةً يسقي الماء على شيء من الشَّعير معلوم، فلمَّا أصبح أتى به فاطمة رضي الله عنها، فحمَلَتْ ثُلُثَهُ، واتَّخذَتْ منه طعامًا يُقال له: الخزيرة(١)، فلمَّا أدرك الطَّعامُ وأرادوا أكلَه أتاهم مسكينٌ فأعطوه الطَّعام، ثم حملت فاطمة ثُلُثًا آخر، فاتخذَتْ خزيرةً، فلَمَّا أدرك وأرادوا أكلَه أتاهم يتيمٌ فسألهم، فأعطوه الطَّعام، ثم حملت فاطمة الثُّلُث الآخر، فصنعَتْ طعامًا، فلمَّا أدرك وأرادوا أكله أتاهم أسيرٌ يشكو الجوع، فأعطوه، فأثنى الله عليهم فأنزل: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ﴾ إلى آخر السُّورة(٢).

* * *

(١١ ـ ١٣) ـ ﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾.

= (٧/ ١٧٥ ـ ١٨٧) في بيان وجوه بطلانه. ونقل السيوطي في «المصنوع في معرفة الحديث الموضوع» (١/ ٣٤١) عن الحكيم الترمذي قال: هذا حديث مفتعل.

وقال المناوي في «إتحاف السائل» (ص: ١٠٧): (هذا حديث كذب موضوع، فقد قال الحكيم الترمذي: هذا من الأحاديث التي تنكرها القلوب، وهو حديث مسروق مفتعل لا يروج إلا على أحمق جاهل غبي. وأورده ابن الجوزي في «الموضوعات» بزيادة على ذلك وقال: هذا لا يشك أحد في وضعه. وممن جزم بوضعه الذهبي، وزين الدين العراقي، والحافظ ابن حجر العسقلاني، وغيرهم ممن كان يؤمن بالله واليوم الآخر، لا يحل لهم نسبة ذلك للمصطفى، ولا إلى فاطمة، ولا إلى علي، وحاشا بلاغتهم من هذه الألفاظ الركيكة، والعبارات المنحطة الوضيعة، والله سبحانه وتعالى أعلم).

(١) في (ر): «الحريرة». والصواب المثبت فإن الحريرة تصنع من اللبن، ففي البخاري قبل الحديث (٥٤٠١): قال النَّضْرُ: الخزيرةُ من النُّخَالة، والحريرةُ من اللَّبَنِ.

(٢) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٤٤٨)، و«الوسيط» (٤/ ٤٠١)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٨/ ٤٣٢).

﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ﴾: أي: حفظهم، ومنع عنهم شرَّ ذلك اليوم العبوس القمطرير.

﴿وَلَقَّىٰهُمْ﴾؛ أي: أعطاهم ﴿نَضْرَةً﴾؛ أي: نعمةً، وحسنَ لونٍ في الوجوه ﴿وَسُرُورًا﴾: في القلوب.

﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟﴾: على الطَّاعة، وعن المعصية. وقيل: على الفقر. وقيل: على الصوم. وقيل: على الجوع.

﴿جَنَّةً﴾: يتنزَّهون فيها ﴿وَحَرِيرًا﴾ يلبسونه.

﴿مُّتَّكِـِٔينَ﴾: نصب على الحال.

﴿فِيهَا﴾: أي: في الجنَّة ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ﴾: جمع أريكة، وهي السَّرير في الحَجَلَة(١).

﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا﴾: أي: في الجنَّة ﴿شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾؛ أي: أذى من حرٍّ ولا بردٍ، كما كانوا يتأذَّون بهما في الدُّنيا. والزَّمهريرُ: البرد الشَّديد.

وقيل: أي: لا يرون صيفًا(٢) ولا شتاءً.

وقال ثعلب: ﴿وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾؛ أي: ولا قمرًا، وهي في لغة طيِّئٍ، قال شاعرهم:

وليلةٍ ظلامُها قد اعْتكَرْ ... قطعْتُها والزَّمْهَرِيْرُ ما زَهَرْ

أي: والقمر ما طلع(٣).

* * *

(١٤) ـ ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾.

---

(١) الحجلة: ساتر كالقبة يزين بالثياب والستور للعروس. انظر: «المعجم الوسيط» (مادة: حجل).

(٢) في (أ) و(ف): «قيظًا».

(٣) رواه عن ثعلب الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٩٨).

﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا﴾: أي: ظـلال الشَّـجر؛ أي: شـجر الجنَّـة قريبـة منهـم حتَّـى صـارت بمنزلـة الـمَظَلَّة عليهـم، وإنْ كان لا شـمسٌ فيهـا لتظلَّهـم منها.

﴿وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾: أي: وسُهِّلَ لهم اجتناء ثمرها كيف شاؤوا؛ متَّكئين وقاعدين وقائمين.

وهذا من عجيب الاختصار؛ لأنَّ فيه نزول العنقود إلى الفم والإنسانُ قاعد[1]، وارتفاعَه إليه وهو قائمٌ، وزوالَ امتناعه عليه في كلِّ حالٍ من أحواله ببُعدٍ أو مانعٍ مِن شوكٍ أو غيره.

والقُطُوف: جمع قِطْف، وهو العنقود.

وقال مجاهد: أرض الجنَّة فضَّة، وترابها مِسْكٌ، وأصول شجرها ذهب وفضَّة، وأفنانها الزَّبرجد والياقوت واللُّؤلؤ، والثَّمر تحت ذلك، فمَن أكل منها قائمًا لم يؤذِه، ومَن أكل منها قاعدًا لم يؤذِه، ومَن أكل منها متكأً لم يؤذِه، فذلك قوله تعالى: ﴿وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾[2].

***

(١٥ ـ ١٦) ـ ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾.

وقولـه تعالـى: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ﴾: أي: وتـدور الخـدم عليهـم ﴿بِآنِيَةٍ﴾: جمـع إنـاء، كالأغطيـة جمـع غطـاء، ﴿مِّن فِضَّةٍ﴾ ممَّـا يكـون فـي الآخـرة علـى مـا اللهُ أعلـمُ بـه مِـن وصفها.

---

(١) في (ر) و(ف): «نائم».

(٢) رواه ابن المبارك في «الزهد» (٢/ ٦٧)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٣٩٥٤)، وأبو نعيم في «صفة الجنة» (٢٠٧).

قال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: ليس في الجنَّة ممَّا في الدُّنيا[١] إلَّا الأسماء[٢].

ومن نفيسِ ما يَشرب فيه أهل الدُّنيا آنية الفضَّة، فرُغِّبوا في حسنها في الآخرة، وذكر الذَّهب في سورة أخرى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ﴾ [الزخرف: ٧١]، وقال هاهنا ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ﴾؛ أي: وبأكوابٍ من فضَّة، وهو جمع كوب، وهو الكوز الذي لا عُروة له، وإنَّما مُيِّزَتْ بالذِّكْرِ لأنَّه ليس كلُّ إناءٍ كوبًا، كما قال: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ﴾ [الأحزاب: ٦]؛ إذ ليس كلُّ المؤمنين مهاجرين.

﴿كَانَتْ قَوَارِيرَا ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا مِن فِضَّةٍ﴾: قرأ نافع والكسائي وعاصم في رواية أبي بكر بالتَّنوين فيهما، وقرأ حمزة وابن عامر بغير التَّنوين ولا ألف[٣] فيهما، وقرأ ابن كثير الأولى بتنوينٍ، والثَّانية بغير تنوين، وقرأ أبو عمرو فيهما بغير تنوين إلَّا أنَّه يقف على الأوَّل بألف[٤].

والقوارير: جمع قارورة، والثَّانية بدل عن الأولى.

والقوارير من فضَّة معناها: أنَّ قواريرَ كلِّ أرض من تربتها، فعلى هذا قوارير الجنَّة من تربة الجَّنة، وهي فضَّة.

---

(١) في (ر): «الأرض».

(٢) رواه هناد بن السري في «الزهد» (٨)، والطبري في «تفسيره» (١/ ٤١٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٦٦).

(٣) في (ر) و(ف): «والألف». وجاء في «السبعة في القراءات»: وقرأ حمزة وابن عامر بغير تنوين، ووقف حمزة بغير ألف فيهما.

(٤) انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ٦٦٣)، و«التيسير» للداني (ص: ٢١٧). لم يذكر رواية حفص، وهو لا ينون في الوصل، ويقف بالألف على الأولى، وعلى الثانية بغير ألف.

وقيل: هي في بياض الفضَّة وصفاء القوارير، وكان معناها[1] كذلك كانت في علم الله تعالى وسابق قضائه في نعيم أهل الجنَّة.

﴿قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾: أي: هي مقدَّرة على مقدار ريِّ الشَّارب، لا يزيد ولا ينقص.

و(قدَّروا) فعلُ الطَّائفين، وصاروا مذكورين بذكر قوله: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم﴾، والهاء والألف في ﴿قَدَّرُوهَا﴾ كنايةٌ عن الآنية والأكواب.

وقيل: أي: على مقدار ما يشتهون حتى يستوفَى على الكمال.

وقيل: أي: قدَّروا الآنية على قَدْر أكفِّهم، لا يزيد فيثقُلَ، ولا يُفرِط في الصِّغر فيُستحقَر.

***

(١٧ ـ ١٨) ـ ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ۝١٧ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا﴾.

﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا﴾: أي: ويُسقَى الأبرار ﴿فِيهَا﴾؛ أي: في الجنَّة.

﴿كَأْسًا﴾؛ أي: خمرًا في إناء ﴿كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا﴾: وذلك أنَّهم كانوا يستلذُّون من الشَّراب ما يُمزَج بالزَّنجبيل الطَّيِّبةِ رائحتُه.

قال المسيَّبُ بنُ عَلَسٍ يصف فم امرأة:

وكأنَّ طَعْمَ الزَّنجبيلِ بِهِ ... إنْ ذُقْتَهُ وسُلافَةَ الخَمْرِ[2]

ثم لزنجبيل الجنَّة من الفضل على زنجبيل الدُّنيا كفضل سائر ما في الجنَّة على ما في الدُّنيا.

وقيل: الزَّنجبيلُ: عينٌ يُمزَج بها شرابُ الأبرار.

---

(١) في (ر): «وكانت هاهنا»، وفي (ف): «وكانت معناها».

(٢) انظر: «الشعر والشعراء» لابن قتيبة (١/ ١٧٣)، وسلافة الخمر: أول ما يخرج من عصرها.

وقوله تعالى: ﴿عَيْنًا فِيهَا﴾: قيل: هو بدل عن قوله: ﴿كَأْسًا﴾؛ لأنَّها هي الشَّراب بعينه.

وقيل: أي: من عين؛ أي: هي جارية لا تنقطع ليس كشراب الدُّنيا.

﴿تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا﴾: عرَّفها الله بهذا الاسم الملائكة وأهل الجنَّة، ولله أنْ يسمِّي ما شاء بما شاء، وأكثرُ أهل اللُّغة أنَّ العرب ما كانت تعرفُه ولا اشتقاقَه.

وقال أبو عبيدة: ماءٌ سلسبيلٌ؛ أي: عَذْبٌ طَيِّب.

وقال مجاهد: هي عينٌ سَلِسَةُ السَّبيل؛ أي: ليِّنةٌ منقادةٌ حديدةُ الجِرْية[١].

***

(١٩) ـ ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا﴾.

﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ﴾؛ أي: يخدمُهم وُصَفاء ﴿مُّخَلَّدُونَ﴾: قال قتادة رحمه الله: لا يموتون[٢].

وقال الحسن رحمه الله: يبقون على هيئة الوُصَفاء لا يشيبون[٣].

وقيل: مُسَوَّرون، على لغة حِمْير.

وقال الفرَّاء رحمه الله: مقرَّطون[٤].

وقال ابن الأعرابيِّ: مُحَلَّون[٥].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٥٦٢) بلفظ: (﴿سَلْسَبِيلًا﴾: حديدة الجرية)، وفي رواية: (﴿سَلْسَبِيلًا﴾: سلسة الجرية). ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٤٣٣) بلفظ: (﴿سَلْسَبِيلًا﴾: شديدة الجرية).

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٤٣٧)، والطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٥٦٤).

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٤٥٠). وذكر نحوه مقاتل في «تفسيره» (٤/ ٥٢٨)، والفراء في «معاني القرآن» (٣/ ١٢٢)، وأبو عبيدة في «مجاز القرآن» (٢/ ٢٤٩).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٢٣).

(٥) ذكر الأزهري في «تهذيب اللغة» (٧/ ١٢٥) (مادة: خلد) عن ابن الأعرابي في قوله: ﴿وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ﴾ =

وقال قتادة: ذُكِر لنا أنَّ عبد الله بن عمرو كان يقول: ما من أهل الجنَّة من إنسان إلَّا ويسعى عليه ألف غلام، كلُّ غلامٍ على عملٍ غيرِ ما عليه صاحبه[١].

﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا﴾: أي: ظننتهم في حُسنهم وصفاء ألوانهم لؤلؤًا منثورًا؛ أي: مبدَّدًا مصبوبًا، ويكون ذلك دليل كثرتهم أيضًا، ودليل اجتماعهم وتفرُّقهم كاللُّؤلؤ إذا نثر.

وقال الثُّوريُّ: وأحسن ما يكون اللُّؤلؤ إذا نثر[٢].

وقال في صفة الحور العين: ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾ [الصافات: ٤٩]، والبيض يُتناول دون اللُّؤلؤ، فدلَّ أن الغلمان في الجنَّة ليسوا للتَّناول.

* * *

(٢٠) ـ ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾.

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾: أي: وراء هذا الفضل نعيمٌ كثيرٌ لا يوصَفُ كثرته وجلاله.

و﴿ثَمَّ﴾: هنالك، وقيل: أي: ما هنالك.

﴿وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾: قال الحسن رحمه الله: هو أن يأتي الرَّسولُ من عند الله بالهدية والكرامة، فلا يدخل على وليِّ الله تعالى حتى يستأذِنَ، فيُؤذَن له، فيدخل عليه بثلاثة أشياء:

أحدها: أن يقول له: إنَّ ربَّك يقرأ عليك السَّلام.

= قال: مقرَّطون بالخَلَدة وهي القرطة.

(١) رواه ابن المبارك في «الزهد» (١٥٨٠)، والطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٦٤٤) و(٢٣/ ٥٦٦).

(٢) روى الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٥٦٦) عن سفيان في قوله تعالى: ﴿حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا﴾ قال: في كثرة اللؤلؤ وبياض اللؤلؤ.

والثَّاني: أن يأتيَه بالهدية من الله تعالى.

والثَّالث: أن يقول له: إنَّ ربَّك راضٍ عنك.

فذلك قوله تعالى: ﴿وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾، ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [التوبة: ٧٢][١].

وقال سعيد بن جبير: ﴿وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾؛ يعني: لا يزولُ، ولا يُزال.

وقال الفضيل: أزليًّا أبديًّا.

وقال أبو بكر الورَّاق: هو مُلك لا يعقبه هُلك[٢].

وقال التِّرمذيُّ[٣]: هو أنَّ ما شاء في الجنَّة كان في الحال من غير مهلة[٤].

* * *

(٢١) ـ ﴿عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾.

﴿عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ﴾: قرأ نافع وعاصم وحمزة في رواية: ﴿عَالِيْهِمْ﴾ بتسكين الياء ـ أي: لباسهم العالي ـ على الابتداء، وقرأ الباقون: ﴿عَالِيَهُمْ﴾ بالنَّصب على الظَّرف[٥]؛ أي: فوقهم.

---

(١) ذكر نحوه يحيى بن سلام في «تفسيره» (٢/ ٨١٦).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ١٠٤).

(٣) في (ر): «الزهري»، والمثبت من (أ) و(ف)، وهو الموافق لما في «تفسير الثعلبي»: «محمد بن علي الترمذي» وهو الحكيم صاحب «نوادر الأصول».

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ١٠٤).

(٥) رواية حفص وشعبة عن عاصم بالفتح، أما الرواية التي ذكرها المصنف عن عاصم فهي في رواية أبان والمفضل، وهي خلاف المشهور عن عاصم. انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ٦٦٤). وانظر: «التيسير» للداني (ص: ٢١٨).

وقيل: أي: هو لباس الخدم.

وقيل: أي: عالي حجالهم لأرائكهم.

وقيل: هو لباس الأبرار.

والسُّندس: الدِّيباج الرَّقيق الفاخر الحسن.

والإستبرق: الدِّيباج الغليظ الذي له بريق.

أي: يتصرَّفون في فاخر اللِّباس ولذيذ الطَّعام والشَّراب.

﴿خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ﴾ قرأهما نافع وحفص عن عاصم بالرَّفع، وقرأ حمزة والكسائيُّ كليهما بالخفض، وقرأ ابن كثير وعاصم في رواية أبي بكر: ﴿خضرٍ﴾ بالخفض، ﴿وَإِسْتَبْرَقٌ﴾ بالرَّفع، وقرأ أبو عمرو وابن عامر: ﴿خُضْرٌ﴾ بالرَّفع، ﴿وإستبرقٍ﴾ بالكسر[1].

فمَن رفعهما فقد قال: ﴿خُضْرٌ﴾ نعت الثِّياب، ﴿وَإِسْتَبْرَقٌ﴾ عطف على ﴿خُضْرٌ﴾[2].

ومَن خفضهما فقد قال: ﴿خضرٍ﴾ نعت لـ﴿سُندُسٍ﴾، ﴿وإستبرقٍ﴾ عطف على ﴿سُندُسٍ﴾.

ومَن خفض ﴿خضرٍ﴾ فقد جعله نعتًا لـ﴿سُندُسٍ﴾، ثم رفع ﴿وَإِسْتَبْرَقٌ﴾ عطفًا على ﴿ثِيَابُ﴾.

ومَن رفع ﴿خُضْرٌ﴾ فقد جعله نعتًا لـ﴿ثِيَابُ﴾، ثم خفَض ﴿وإستبرقٍ﴾ عطفًا على ﴿سُندُسٍ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ﴾ قال سعيد بن المسيِّب: ليس من أهل الجنَّة

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ٦٦٤ ـ ٦٦٥)، و«التيسير» للداني (ص: ٢١٨).

(٢) في (ف): «ثياب».

أحد إلا وفي يده ثلاثة أسورة: واحد من فضة، وآخر من ذهب، والثَّالث من اللُّؤلؤ، فذلك قوله: ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا﴾ [الحج: ٢٣](١).

وقوله تعالى: ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾: قيل: أي: ما يُسقون من عين الكافور وعين الزَّنجبيل شرابٌ طهورٌ؛ أي: نظيفٌ لا قذًى فيه ولا أذًى، ولا شيءَ ممَّا يخالط أشربة الدُّنيا.

وقيل: هو غير تلك الأشربة، وأضافه الله إلى نفسه تشريفًا له وتخصيصًا، وهو بعد سائر الأطعمة والأشربة.

قال إبراهيم: طهَّرهم به من الغلِّ والغِشِّ(٢).

وقال أبو قلابة: إذا أكلوا أُتُوا بالشَّراب الطَّهور، فيشربون فيطهِّرُهم اللهُ، فيصير ما أكلوا جشاءً وريحًا كريح مسكٍ يفيض من جلودهم(٣).

وقال الحسن رحمه الله: طهَّرهم به من كلِّ أذًى وغلٍّ وغشٍّ وخيانة.

وقال مقاتل بن حيَّان: طهَّره من أن يتحوَّل أقذارًا كشراب الدُّنيا، بل يستمرُّ لونُه ويظهر منهم عرَق كريح المسك.

وقال يمان بن رئاب: طيَّبهم للجنَّة.

---

(١) رواه يحيى بن سلام في «تفسيره» (١/ ١٨٤ و٣٦٠)

(٢) قاله مقاتل في «تفسيره» (٤/ ٥٣٢)، وعنه الواحدي في «البسيط» (٢٣/ ٥٦). وروى ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٤٠٢٧)، وهناد بن السري في «الزهد» (٦٠) عن إبراهيم التيمي، قال: بلغني أنه يقسَم للرجل من أهل الجنة شهوة مئة وأكلهم ونهمتهم، فإذا أكل سقي شرابًا طهورًا يخرج من جلده رشحًا كرشح المسك، ثم تعود شهوته.

(٣) رواه ابن المبارك في «الزهد» (٢/ ٧٧)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (٣٤٣٦).

وقال محمد بن علي التِّرمذيُّ: طهَّر قلوبهم مما يخامرها في الدُّنيا من الشَّحناء والبغضاء والبخل(١).

وقال الحسن بن علوية الدَّامغاني: سئل أبو زيد عن قوله: ﴿شَرَابًا طَهُورًا﴾، قال: طهَّرهم به عن محبَّة غيره(٢).

وقيل: إن الملائكة يعرضون عليهم الشَّراب فيأبون قَبوله منهم، ويقولون: لقد طال أخذُنا من الوسائط، فإذا هم بكاسات تلاقي أفواههم بغير أكفٍّ(٣) من غيبٍ إلى عبدٍ.

وقال بعض أهل المعرفة: إنَّه شرابٌ ادَّخرَه اللهُ تعالى لأهل معرفتِه، فإذا شربوا طرِبوا، وإذا طرِبوا قاموا، وإذا قاموا هاموا، وإذا هاموا طاشوا، وإذا طاشوا عاشوا، وإذا عاشوا طاروا، وإذا طاروا طلبوا، وإذا طلبوا وجدوا، وإذا وجدوا نزلوا، وإذا نزلوا قربوا، وإذا قربوا كوشفوا، وإذا كوشفوا شاهدوا، وإذا شاهدوا عاينوا، وإذا عاينوا نسوا، وإذا نسوا(٤) أبصروا.

* * *

(٢٢ ـ ٢٤) ـ ﴿إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا ﴿٢٣﴾ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾.

﴿إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً﴾: أي: على أعمالكم.

﴿وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا﴾: أي: مقبولًا مَرْضيًّا عندنا.

---

(١) في (أ): «والغل». وهي ليست في (ف).

(٢) رواه الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ١٠٥).

(٣) في (أ): «إلف».

(٤) في (أ): «وإذا عاينوا أنسوا وإذا أنسوا».

هم[1] قالوا للمسكين واليتيم والأسير: لا نريد منكم جزاء ولا شكورًا، فيقول الله تعالى لهم: إنْ لم تريدوا ذلك منهم فهما لكم منِّي[2]: ﴿إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا﴾: بما فيه من الوعيد والوعد.

﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾: لِمَا حَكم به عليك ربُّك مِن تبليغ الرِّسالة واحتمال الأذيَّة.

وقيل: ما حكم به من فعل طاعة، وترك معصية، وتحمُّل بليَّة.

وقيل: فاصبر[3] لِمَا وعدَك الله تعالى من الحُكْم على قومك، كما قال: ﴿وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ [يونس: ١٠٩]؛ أي: انتظره فإنَّه آتيك.

﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾: الإثمُ هو الرُّكون للمعاصي، والكفور: الجحود للنِّعمة، وهما صفة واحدة.

وقيل: أراد به أبا جهل لعنه الله.

وقال الفرَّاء: تقديرُه: لا تطيعَنَّ منهم مَن أثم أو كفر، و﴿أو﴾ قريب المعنى من الواو، وهو كقولك: لأعطينَّكَ سألْتَ أو سكَتَّ؛ أي: على كلِّ حال[4].

وقيل: هما غيران، والآثمُ: المنافق، والكفورُ: مُظهِر الكفر.

وقال الكلبيُّ: الآثمُ: هو الوليد بن المغيرة، والكفور: هو عتبة بن ربيعة، وذلك أنَّهما قالا للنَّبيِّ ﷺ: إنْ كان إنَّما بك المال موَّلناك، وإن كان إنَّما بك أن تتزوَّج زوَّجناك[5].

---

(١) في (ر): «مرضياً عند مولاهم».

(٢) في (ف): «عندي».

(٣) «فاصبر» ليس في (أ).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٢٠). وهذا وجه أجازه الفراء، وأجاز آخر سيأتي قريباً.

(٥) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٣/ ٥٨) عن الكلبي ومقاتل، وهو في «تفسير مقاتل» (٤/ ٥٣٣ـ٥٣٤).

وقوله تعالى: ﴿أَوۡ كَفُورٗا﴾ معناه: ولا كفورًا.

قال الفرَّاء رحمه الله: (أو) في الجحد والاستفهام بمعنى: (لا)، قال الشَّاعر:

ولا وَجْدُ ثَكْلَى كما وَجِدْتُ ولا وَجْدُ عَجُولٍ أضلَّهَا رُبَعُ

أو وَجْدُ شيخٍ أَضَلَّ ناقتَهُ يومَ توافَى الحجيجُ فاندفَعوا[1]

أي: ولا وجد شيخ[2].

❋❋❋

(٢٥ ـ ٢٦) ـ ﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ٢٥ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ وَسَبِّحۡهُ لَيۡلٗا طَوِيلًا﴾.

﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا﴾؛ أي: في الصَّلاة له طرفي نهارك وفي غير الصَّلاة بالتَّسبيح ونحوه.

﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ﴾: أي: وتهجَّد باللَّيل تذلُّلًا له.

﴿وَسَبِّحۡهُ لَيۡلٗا طَوِيلًا﴾ ؛ أي: صَلِّ للهِ أكثرَ ليلِكَ، واجعلْ نومَكَ في الأقل منه.

وقيل: ﴿بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا﴾: صلاة الفجر والظُّهر والعصر، ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ﴾: المغرب والعشاء، ﴿وَسَبِّحۡهُ لَيۡلٗا طَوِيلًا﴾: نفل اللَّيل.

---

(١) نسب البيتان لمالك بن حريم، كما في «الأمالي» لأبي علي القالي (٢/ ١٢٤).
ونسبا لمالك بن عمرو العاملي، كما في «أمثال العرب» للضبي (ص: ١٤٣)، و«الفاخر» للمفضل ابن سلمة (ص: ٤٦)، و«مجمع الأمثال» للميداني (١/ ١٢٧). وصدر الثاني فيها: «ولا كبير أضل ناقته»، ولا شاهد فيه.وورد البيت الأول منسوباً لابن رعلاء الغساني. كما في «الإبل» للأصمعي (ص: ٦٥)، و«الكنز اللغوي» لابن السكيت (ص: ٧٩)، و«المذكر والمؤنث» لأبي بكر الأنباري (٢/ ٥٩).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢١٩)، وهذا هو الوجه الثاني للفراء.

(٢٧) ـ ﴿إِنَّ هَٰؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا﴾.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾: أي: إنَّ هؤلاء المشركين المتمرِّدين على الله تعالى بترك الانقياد لك وقَبولِ ما أنزل إليك، يميلون إلى هذه الدُّنيا المعجَّلة.

﴿وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ﴾: أي: أمامَهم، كما قال: ﴿وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ﴾ [الكهف: ٧٩]. قاله الأخفش(١).

وقيل: ويذرون الآخرة وراءَهم؛ أي: خلفَهم وراء ظهورهم، فلا يعملون لها، ولا يسعَون فيما فيه نجاتُهم من عقابها.

﴿يَوْمًا ثَقِيلًا﴾: وهو يوم القيامة؛ لأنَّ شدائدها وأهوالها تثقُل على الكفَّار، قال الله تعالى: ﴿وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا﴾ [الفرقان: ٢٦].

وقيل: لأنَّ ما فيه من الحساب والعَرْض شاقٌّ ثقيلٌ مَخُوفٌ.

وهو ثقيل؛ قال الله تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ [المزمل: ٥]؛ أي: شاقًّا على البدنِ العملُ بما فيه.

* * *

(٢٨) ـ ﴿نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ﴾؛ أي: هؤلاء ﴿وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ﴾: قال الفرَّاء رحمه الله: أي: خلْقَهم(٢).

وقيل: أي: بعد النُّطفة والعلقة والمضغة والعظام والعصب والعروق.

وقال الأخفشُ: يقال للفرس: شديد الأسر؛ أي: شديد الخلق، وكلُّ شيء شددْتَه من قتب وغيره فهو مأسور.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للأخفش (٢/ ٤٠٦).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٢٠).

وقال الخليل: الأسر: قوَّة المفاصل، وشَدَّ اللهُ تعالى أسرَه؛ أي: قوَّى خَلْقَه[١].

وقال المبرِّد: الأسرُ: القوى كلُّها، وأصلُها عند العرب: السَّيْرُ الذي يُشَدُّ به القَتَبُ.

وقيل: ﴿وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ﴾؛ أي: أوثقنا عليهم الميثاق، ويُسمَّى الميثاق عقدًا[٢]، والأسر قريب منه؛ لأنَّه الرَّبط، ومنه الأسير.

﴿وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلًا﴾: قيل: بدلنا أمثالهم في الخلق أضدادًا لهم.

وقيل: ﴿بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ﴾؛ أي: أهلكناهم، وخلقنا أمثالهم في الكفر والتَّمرُّد، ثم لا يزيد[٣] ذلك ولا ينقص من ملكنا.

* * *

(٢٩ ـ ٣١) ـ ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًۢا﴾.

﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ﴾: أي: هذه السُّورة عظة وتذكير؛ أي: مَن فعَل فعلهم أُثِيبَ ثوابهم.

﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾: أي: فمَن شاء أن يتَّخذ إلى طاعة ربِّه سبيلًا ـ أي: طريقًا ـ فهو ممكَّن لا مانع له منه[٤]، ولا شبهة تَعْرِض له، مع هذا التَّذكير البليغ.

﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾: أي: وما تشاؤون اتِّخاذ السَّبيل إلى الله تعالى إلَّا

---

(١) انظر: «العين» للخليل (٧/ ٢٩٣).

(٢) في (ر): «عهدًا».

(٣) في (أ) و(ف): «يضرنا».

(٤) في (أ): «فهو كمن لا مانع منه».

بمشيئة الله، وإنَّما يشاء الله ذلك ممَّن علم منه اختياره[١].

وقيل: هو لعموم المشيئة في كلِّ شيءٍ؛ من الطَّاعة والمعصية، والإيمان والكفر، وهو حجَّة لنا على المعتزلة.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾: عالمًا بمصالح عباده، وبما يكون منهم من اختيار كلِّ شيء، وعمل كلِّ شيء، ﴿حَكِيمًا﴾: مصيبًا في أفعاله وأقواله.

﴿يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ﴾: قيل: في جنَّته؛ لأنَّها برحمته تعالى تُنال.

وقيل: هي كلُّ نعمة يعطيها الله تعالى المؤمنين في الآخرة.

وأشار إلى أنَّ أهل مشيئته لإدخالهم في جنَّته هم المؤمنون، فقد قال: ﴿وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾؛ أي: الكافرين الواضعين العبادةَ في غير موضعِها، الظَّالمين أنفسَهم بإيرادها النَّار.

﴿وَٱلظَّٰلِمِينَ﴾ نُصِبَ لوجهين:

أحدهما: أنَّه على إرادة اللَّام؛ أي: وللظَّالمين، وعرَّف ذلك بقوله: ﴿أَعَدَّ لَهُمْ﴾.

والثَّاني: أنَّهم خارجون عن الوصف، والعذاب واقعٌ بهم، فنُصِبوا على أنَّهم مفعولون، لأنَّهم معذَّبون[٢].

* * *

(١) في (ف): «اختيار ذلك».

(٢) «لأنهم معذبون» ليس في (ف).

سورة المرسلات

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

بسم الله الذي جعلَ الويلَ للمكذِّبين، الرحمنِ الذي أعدَّ الجنَّة للمتَّقين، الرحيمِ الذي يجزي المحسنين.

روى أبيُّ بنُ كعبٍ رضي الله عنه، عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «مَن قرأَ سورةَ والمرسلات كُتِبَ أنَّه ليس من المشركين»(١).

وهذه السُّورة مكيَّة.

وهي خمسون آية، ومئة وإحدى وثمانون كلمة، وثمانُ مئة وأحد وعشرون حرفًا.

وختمُ تلك السُّورةِ بوعيد الظَّالمين، وافتتاحُ هذه السُّورة بالقسَم على وقوع ذلك الوعيد في يوم الدِّين.

وانتظام السُّورتين: أنَّهما في بيان خلق الإنسان، وما خُلِقَ له في الدُّنيا، وما يراه في العُقبى، وفي ذكر المؤمنين والكفَّار، والجنَّة والنَّار.

* * *

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ١٠٨)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ٤٠٧)، قال ابن الجوزي في «الموضوعات» (٤/ ٣٤٤): مصنوع بلا شك. وانظر: «الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة» للشوكاني (ص: ٢٩٦).

(١ ـ ٦) ـ ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ۝١ فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا ۝٢ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا ۝٣ فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا ۝٤ فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا ۝٥ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا﴾: قال ابنُ مسعود وابن عبَّاس رضي الله عنهما ومجاهد وقتادة وأبو صالح: أقسم الله تعالى بالرِّياح أرسلها لواقحَ[١].

قوله ﴿عُرْفًا﴾؛ أي: جاريات بعضُها في أثَرِ بعضٍ، كَعُرْفِ الفرس.

قوله تعالى: ﴿فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا﴾: الرِّياح أيضًا، والعُصُوفُ: شدَّة الهبوب.

والفاء لاتِّصال الهبوب بالإرسال.

﴿وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا﴾: الرِّياح أيضًا، تنشر السَّحاب للغيث، وتبسطه في الهواء.

وقيل: تنشر النَّبات.

وذُكر بالواو دون الفاء؛ لأنَّ النَّشر لا يتَّصل بالإرسال لا محالة، بل يكون الإرسال لغير النَّشر.

﴿فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا﴾: الرِّياح أيضًا، قد تُرْسَل لتعذيب الكفَّار، فتفرِّق بين الحقِّ والباطل.

﴿فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا﴾: الرِّياح أيضًا، قد تُرْسَل لتعذيب الكفَّار للوعظ[٢] لمن تدبَّر فيها.

﴿عُذْرًا أَوْ نُذْرًا﴾: أي: إذا أُرسلَتْ بالرَّحمة كانت إعذارًا، وإنْ أُرسلَتْ بالعذاب كانت إنذارًا.

---

(١) رواه عنهم الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٥٨٠ ـ ٥٨١).

(٢) في (أ): «يلقي الوعظ أيضًا» وفي (ف): «فتفرق بين الحق والباطل فالملقيات ذكرًا الرياح أيضًا تلق الذكر؛ أي: الوعظ» بدل من «قد ترسل لتعذيب الكفار للوعظ».

وفي روايةٍ عن ابن عبَّاس وابن مسعود وأبي صالح ومقاتل: ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ﴾؛ أي: الملائكة أُرْسِلَتْ بالمعروفِ والخير والوحي[(١)].

وقيل: هو على الخصوص في المرسلين بالرَّحمة، فأمَّا المرسلون للعذاب فمنهم مَن قال: هو للعرف أيضًا؛ لأنَّه مقتضى الحكْمة[(٢)].

وقيل: ﴿عُرْفًا﴾؛ أي: تتابعًا كَعُرْف الفرس.

والإرسال لمعانٍ: لإنزال الوحي، وإيصال الأرزاق، وكتابة الأعمال، وحفظ العباد، ودفع الشَّياطين، وزيارة البيت وكذا وكذا، ويومَ القيامة لأمورٍ أُخر.

﴿فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا﴾: هم الملائكة، وعصوفُها شدَّة سيرها في نزولها وعروجها، كما في الآيات.

قال الخليل: ناقةٌ عَصُوف، وهي التي تعصف براكبها، فتمضي به كأنَّها ريح في السُّرعة[(٣)].

﴿وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا﴾؛ أي: الملائكة أيضًا تنشر كتب أعمال بني آدم يوم القيامة؛ قال تعالى: ﴿كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا﴾ [الإسراء: ١٣].

﴿فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا﴾: الملائكة أيضًا تنزل بالفَرْق بين الحقِّ والباطل.

﴿فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا﴾: الملائكة أيضًا تلقي الوحي على الأنبياء من الله تعالى؛

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٥٨٢) عن ابن مسعود رضي الله عنه وأبي صالح. ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٩٢) عن أبي هريرة وابن مسعود رضي الله عنهما. وذكره عن ابن عباس الواحدي في «البسيط» (٢٣/ ١٦٩)، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٣٨٢) إلى ابن المنذر.

(٢) في (ر): «مقتضٍ لحكم».

(٣) انظر: «العين» للخليل (١/ ٣٠٧).

قال الله تعالى: ﴿أَءُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا﴾ [ص: ٨]، وقال: ﴿أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ الْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ [القصص: ٨٦].

﴿عُذْرًا أَوْ نُذْرًا﴾: للبشر.

وقيل: ﴿وَالنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا﴾: الأمطار تنشر النَّبات والزُّروع والأشجار تخرج وتبرز؛ أي: تَحيَى وتَظهر.

﴿فَالْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا﴾: قال قتادة: آيات القرآن تفرِّق بين الحقِّ والباطل[1].

﴿فَالْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا﴾: قال الرَّبيع بن أنس: آيات القرآن.

﴿عُذْرًا أَوْ نُذْرًا﴾: (أو) بمعنى الواو، ومعناه: إعذارًا وإنذارًا.

وقال الفرَّاء: أي: لإعذارٍ وإنذارٍ، وهما مصدران يثقَّلان ويخفَّفان[2].

وقرأ أبو عَمرو وعاصم في رواية حفص خفيفين، وغيرهما مثقَّلين[3].

قال المبرد: هما جمع عَذير ونَذير، وتقديرُه: معذِرين ومنذِرين[4]. قال حاتم الطَّائيُّ:

أماوِيَّ قَـدْ طـالَ التَّجنُّـبُ والهَجْرُ[5] وقَـدْ عَذَرَتْنِي في طِلابكُـمُ العُذْرُ[6]

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٥٨٨).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٢٢). ويعني بالتخفيف والتثقيل ضم الذال وإسكانها.

(٣) قرأ روح: ﴿عذُرًا﴾ بضم الذال، وهي رواية عن أبي بكر عن عاصم في غير المشهور عنه، وباقي العشرة بإسكانها، وقرأ أبو عمرو وحفص وحمزة والكسائي وخلف: ﴿أو نذْرًا﴾ بإسكان الذال، والباقون بضمها. انظر: «السبعة» (ص: ٦٦٦)، و«التيسير» (ص: ٢١٨)، و«النشر» (٢/ ٢١٧).

(٤) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٣/ ٨٠)، والقرطبي في «تفسيره» (٢١/ ٤٩٩).

(٥) في (أ) و(ف): «والضجر».

(٦) انظر: «ديوان حاتم الطائي» (ص: ٤٢).

فأنَّثَ الفعل لأنَّ العُذْرَ جمع.

وإدخالُ الألف والتَّاء في صفة الملائكة على إرادة جمع الجمع: مَلَكٌ مرسَلٌ، وطائفة منهم مرسَلَةٌ، وطوائفُ مُرْسَلات.

***

(٧ - ١٥) - ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ ۝٧ فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ ۝٨ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ ۝٩ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ ۝١٠ وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ ۝١١ لِأَىِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ۝١٢ لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ ۝١٣ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ۝١٤ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ﴾: القسم لهذا؛ أي: الذي توعدون به كائن لا محالة.

ثمَّ بيَّن وقت وقوعه فقال:

﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ﴾: أي: مُحِيَتْ آثارُها؛ أي: أُذْهِبَتْ أنوارُها.

﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ﴾: أي: جُعِلَ لها فروج؛ أي: شُقوق بعدَ أن كان لا فُروج لها؛ قال تعالى: ﴿وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾ [ق: ٦]، وقال تعالى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾ [الانشقاق: ١].

﴿وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ﴾: أي: قُلعَتْ من أصولها؛ قال تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا﴾ [طه: ١٠٥].

﴿وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ﴾: قرأ أبو عَمرو بالواو والباقون بالألف(١).

أي: جُمِعَتْ لميقاتها الذي ضُرِبَ لها في إنزال العقوبة بمن كذَّبهم وجحدهم، وسُئِلَتْ عمَّا أُجيبوا به(٢)، وسُئِلَ الأممُ أيضًا؛ قال تعالى: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الأعراف: ٦].

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ٦٦٦)، و«التيسير» للداني (ص: ٢١٨).

(٢) «به» ليس في (أ).

وقيل: ﴿أُقِّتَتۡ﴾؛ أي: أُجِّلَتْ لوقتِ فواتها، ويدلُّ عليه ما بعده.

والهمزة إبدال عن الواو لوقوعها طرفًا، كما في الوشاح والإشاح.

﴿لِأَيِّ يَوۡمٍ أُجِّلَتۡ﴾: وهو تعجيبٌ مِن هذا اليوم، وتعظيمٌ لأمره؛ أي: أُجِّلَتِ الرُّسل لإحلال العذاب بمن كذَّبهم.

﴿لِيَوۡمِ ٱلۡفَصۡلِ﴾: أي: ليوم القيامة الذي يفصل فيه الحكم، ويفصل فيه بين المحقِّ والمبطل في الجزاء.

﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ﴾: تعجيبٌ آخر، وتعظيمٌ آخر لأمره.

﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ﴾: أي: شدَّة عذابٍ، ووادٍ في جهنَّم للمكذِّبين بالله ورسله.

* * *

(١٦ ـ ٢٤) ـ ﴿أَلَمۡ نُهۡلِكِ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نُتۡبِعُهُمُ ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿١٧﴾ كَذَٰلِكَ نَفۡعَلُ بِٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿١٨﴾ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾ أَلَمۡ نَخۡلُقكُّم مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلۡنَٰهُ فِي قَرَارٖ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٖ مَّعۡلُومٖ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرۡنَا فَنِعۡمَ ٱلۡقَٰدِرُونَ ﴿٢٣﴾ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ﴾.

﴿أَلَمۡ نُهۡلِكِ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾: استفهامٌ بمعنى التَّقرير؛ أي: قد أهلكنا الأوَّلين ممَّن فعلوا فعلَهم.

﴿ثُمَّ نُتۡبِعُهُمُ ٱلۡأٓخِرِينَ﴾: وهم هؤلاء إنْ أصرُّوا على كفرهم وتكذيبهم.

﴿كَذَٰلِكَ نَفۡعَلُ بِٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾: أي: كذلك سُنَّتنا في الذين يكتسبون سبب ذلك.

﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ﴾: قال ابن عبَّاس والضَّحَّاك وسفيان وعطاء وأبو العالية: ﴿وَيۡلٞ﴾: وادٍ في جهنَّم يسيل فيها الصَّديد والقيح(١).

---

(١) رواه ابن المبارك في «الزهد» (٢/ ٩٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ١٥٣) عن عطاء. ورواه أسد بن موسى في «الزهد» (١٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما. ورواه الطبراني في «المعجم الكبير» =

﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ﴾: قال ابنُ عبَّاس رضي الله عنه عنهما: أي: ضعيف[١].

وقيل: حقير، وهو النُّطفة.

﴿فَجَعَلْنَٰهُ﴾: أي: الماء ﴿فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾: وهو رحم المرأة؛ أي: مقرٍّ يتمكَّن فيه الماء.

﴿إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾؛ أي: مقدارٍ علمه الله[٢] لكونه فيه.

﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ﴾؛ يعني: قدَّرنا ـ بالتَّشديد ـ فنِعْمَ المقدِّرون.

بالتَّشديد قرأ نافع وابن عامر[٣]، وهو جمع بين اللُّغتين، حيث قال: ﴿فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ﴾، وأريد به: تقديرُ خلقه، وجوارحه، ومدَّةِ حمله وحياته.

وقيل: ﴿فَقَدَرْنَا﴾ بالتَّخفيف: مِن القُدْرة.

وقال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: فملَكْنا فنِعْمَ المالكون[٤].

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾: فسَّرناه.

* * *

(٢٥ ـ ٢٨) ـ ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا ﴿٢٦﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ شَٰمِخَٰتٍ وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا ﴿٢٧﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾.

= (٩١١٤)، والبيهقي في «البعث والنشور» (٤٦٧) عن ابن مسعود رضي الله عنه. وروي مرفوعًا من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، رواه الترمذي (٣١٦٤)، وقال: هذا حديث غريب، لا نعرفه مرفوعًا إلا من حديث ابن لهيعة.

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٥٩٤).

(٢) في (ف): «مقدار أعلمه» بدل: «مقدار علم الله».

(٣) انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ٦٦٦)، و«التيسير» للداني (ص: ٢١٨).

(٤) رواه ابن المنذر عن ابن جريج، كما في «الدر المنثور» للسيوطي (٨/ ٣٨٤)، ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٥٩٦) عن الضحاك.

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا﴾؛ أي: ضِمامًا ﴿أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا﴾: نصب بوقوع فعل الكَفْت ـ وهو الضَّمُّ ـ عليه؛ أي: تَضُمُّ الأحياءَ في المنازل، والأمواتَ في القبور.

فمن أهل اللُّغة من جعل الكِفات مصدرًا بمعنى النَّعت.

وأبو عبيدة والأخفش وقطربٌ جعلوا الكِفات جمع الكَفْت، وهو الوعاء[1].

وبعضُهم جعله اسمًا لِمَا يقع به الضَّمُّ، كالسِّداد اسمٌ لِمَا يقع به السَّدُّ.

وفي الحديث: «اكفِتُوا صبيانَكُم باللَّيل؛ فإنَّ للشَّياطين انتشارًا»[2]؛ أي: ضُمُّوهم إليكم، واحتبسوهم في البيوت.

وقال الكسائيُّ: يُقال: انكفَتوا إلى منازلهم؛ أي: انقلَبوا، ومعنى الآية: أنَّهم يتقلَّبون فيها، ويُدفنون فيها.

وقال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: ﴿كِفَاتًا﴾؛ أي: منقلَبًا[3].

وقال الرَّازيُّ: ابن[4] آدم خلق من الأرض فهي أمه، وفيها ينشأ فهي عيشه[5]، وإليها يعود فهي كفاتُه، فهي ممر الخلق إلى الجنة أو إلى النار.

﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ﴾: أي: جبالًا ثوابت.

﴿شَامِخَاتٍ﴾: أي: عاليات هي أوتاد الأرض وفيها المنابت والمعادن.

﴿وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا﴾: أي: جعلنا لكم سقيًا صافيًا عذبًا.

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾: أي: يومَ الفصل.

---

(١) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (٢/ ٢٨١).

(٢) رواه البخاري (٣٣١٦)، ومسلم (٢٠١٢)، من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٥٩٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٩٢)، كلاهما بلفظ: «كفاتًا: كنًّا».

(٤) في (ر): «إن».

(٥) في (ف): «عشه».

(٢٩ ـ ٣١) ـ ﴿ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ٢٩ ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلّٖ ذِي ثَلَٰثِ شُعَبٖ ٣٠ لَّا ظَلِيلٖ وَلَا يُغۡنِي مِنَ ٱللَّهَبِ﴾.

﴿ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾: أي: تقول الملائكة للمكذِّبين يوم القيامة انطلقوا إلى النار التي كنتم بها تكذبون؛ أي: سيروا[1].

﴿ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلّٖ﴾: هو دخانُ جهنَّم.

﴿ذِي ثَلَٰثِ شُعَبٖ﴾: قال ابنُ عبَّاس رضي الله عنهما: أي: ثلاث فِرَقٍ، وذلكَ إذا انتهى بهم إلى النَّار خرجَ من النَّار لسانٌ فأحاطَ بهم، ككفَّة الميزانِ، حتَّى يكون عليهم سرادقًا، ثم يخرجُ من ذلك السُّرادِق ثلاث فِرَق، حتى يُظلِّل ذلك السُّرادِقُ عليهم، ويصيبهم من غمِّه وكربه[2].

وقيل: الظِّل عين النَّار، كما قال: ﴿لَهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ ظُلَلٞ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحۡتِهِمۡ ظُلَلٞ﴾ [الزمر: ١٦]، وتتشعَّب أيضًا ثلاث شعب: شعبة فوقه، وشعبة عن يمينه، وشعبة عن شماله، فتحيط به.

وقال القتبيُّ: إنَّ الشَّمس تدنو من رؤوس الخلائق، وليس عليهم يومئذ لباسٌ، ولا لهم كِنان، فتلفحُهم الشَّمس وتَسْفَعُهم وتأخذُ أنفاسَهم كُربُ ذلك اليوم، ثمَّ ينجِّي الله برحمته مَن يشاءُ إلى ظِلٍّ ظَليلٍ، فهنالك يقولون: ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ﴾ [الطور: ٢٧].

---

(١) «أي سيروا» ليس في (أ).

(٢) روى نحوه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٤٤٥) عن الكلبي، ولفظه: «في قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ ظِلّٖ ذِي ثَلَٰثِ شُعَبٖ﴾ قال: هو كقوله تعالى: ﴿نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَا﴾، والسرادق: الدخان، دخان النار قد أحاط بهم سرادقها، ثم تفرق فكان ثلاث شعب، فقال: ﴿ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلّٖ ذِي ثَلَٰثِ شُعَبٖ﴾ شعبة هاهنا، وشعبة هاهنا، وشعبة هاهنا: ﴿لَّا ظَلِيلٖ وَلَا يُغۡنِي مِنَ ٱللَّهَبِ﴾». وروى نحوه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٦٠٠) عن قتادة.

ويُقال للمكذِّبين: ﴿انطَلِقُوا إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾ من عذاب الله تعالى، انطلقوا من ذلك الموضع إلى ظِلٍّ من دخان نار جهنَّم قد سطع ثم افترق ثلاث فِرَق، وكذلك شأن الدُّخان العظيم إذا ارتفع تشعَّب، فيُقال لهم: كونوا فيه إلى يُفرَغ من الحساب، ثم يُؤمَر بكلِّ فريقٍ إلى مستقرِّه من الجنَّة أو النَّار(١).

وقوله تعالى: ﴿لَّا ظَلِيلٍ﴾؛ أي: مُظِلّ من حرِّ ذلك اليوم، وحرِّ النَّار.

﴿وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ﴾: ولا يسترُ ولا يُكِنُّ مِن لهبِ جهنَّم.

وقيل: ﴿من اللهب﴾؛ أي: من العطش، قال قطرب: لَـهِبَ يَلْهَبُ لهبًا: إذا عطش.

ورجلٌ لهبانُ، وامرأة لَهْبَى.

***

(٣٢ ـ ٣٤) ـ ﴿إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ ﴿٣٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾.

﴿إِنَّهَا تَرْمِى﴾: أي: النَّارُ ﴿بِشَرَرٍ﴾: في العِظَم ﴿كالقَصْرِ﴾(٢) المبنيِّ من القصور. وهذا عن ابن عبَّاس ومجاهد(٣).

وعن ابن عبَّاس في رواية أخرى(٤) وقتادة والضَّحَّاك: أنَّ القَصْرَ أصولُ النَّخل، جمع قَصْرَة، كالجَمْرِ جمع جَمْرَة(٥).

---

(١) انظر: «تأويل مشكل القرآن» لابن قتيبة (ص: ١٩٤).

(٢) في (أ): «﴿إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ﴾ من النار ﴿كَٱلْقَصْرِ﴾».

(٣) رواه عنهما الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٦٠١).

(٤) «أخرى» من (ف).

(٥) رواه عنهم الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٦٠٢ ـ ٦٠٣).

وعن ابن عبَّاس أنه قرأ: (كالقَصَرِ) بفتح الصَّاد[١]، جمع قَصَرَة بفتحها، وهي أعناق النَّخل[٢].

﴿كَأَنَّهُۥ﴾: أي: كأنَّ الشَّرَر ﴿جِمَٰلَتٞ صُفۡرٞ﴾: قرأ حمزة والكسائيُّ وعاصم في رواية حفص: ﴿جِمَٰلَتٞ﴾ وهي جمع جَمَل، وقرأ الباقون: ﴿جمالات﴾ وهي جمع الجمع[٣].

قوله: ﴿صُفۡرٞ﴾ قال أكثر أهل اللُّغة: أي: سُوْدٌ، وكذا رُوي عن الحسن وقتادة[٤].

وسواد الإبل يضرب إلى الصُّفرة، وأنشدوا:

تِلْكَ خَيْلِي مِنْهُ وتِلْكَ رِكابي ... هُنَّ صُفْرٌ أولادُها كالزَّبِيْبِ[٥]

أي: سُوْدٌ.

قالوا: معناه: إنَّ الشَّررَ يرتفِعُ فوقَهم كهيئة القُصور ثمَّ ينحطُّ عليهم كالإبل السُّود.

وعن ابن عبَّاس رضي الله عنهما في رواية: (جُمالات) بضم الجيم[٦]. وهي الحبال الغِلاظ.

وعن علي رضي الله عنه أنه قال: هي قطعة النُّحاس[٧].

﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ﴾: فسَّرناه.

---

(١) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» لابن خالويه (ص: ١٦٥).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٦٠٤).

(٣) انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ٦٦٦)، و«التيسير» للداني (ص: ٢١٨).

(٤) رواه عنهما الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٦٠٦).

(٥) البيت للأعشى. انظر: «ديوانه» (ص: ٢٧).

(٦) وهي قراءة شاذة. انظر: «المحتسب» لابن جني (٢/ ٣٤٧).

(٧) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٦٠٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٩٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣٥ ـ ٣٧) ـ ﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾.

﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾: وسئل ابنُ عبَّاسٍ عن هذه الآية، وعن قوله: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ [الزمر: ٣١]، قال: في ذلك اليوم مواقف، في بعضها يختصمون، وفي بعضها لا ينطقون[1].

وقال الحسن: لا ينطقون بحجَّة، وقد ينطقون[2].

وقيل: لا ينطقون إذا قيل لهم: ﴿اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون: ١٠٨] ولا يعتذرون إذا قيل لهم: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ﴾ [التحريم: ٧].

وقيل: أي: لا يكون لهم عُذْرٌ، ولو كان لَأُذِنَ لهم فيه.

وقال الحسن: يتكلَّمون بما يكون عذرًا عندهم، وهو حجَّة عليهم: ﴿إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا﴾ [الأحزاب: ٦٧]، ﴿إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ﴾ [الصافات: ٢٨]، ﴿هَٰؤُلَاءِ أَضَلُّونَا﴾ [الأعراف: ٣٨].

وقوله تعالى: ﴿فَيَعْتَذِرُونَ﴾ ولم يقل: (فيعتذروا)، كما قال: ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا﴾ [فاطر: ٣٦]؛ لأنَّ ذلك جوابٌ، وهذا عطفٌ على قوله: ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ﴾ وليس بجواب.

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾: فسَّرناه.

---

(١) رواه مجاهد في «تفسيره» (ص: ٦٩٢). وذكره البخاري تعليقًا قبل حديث (٤٩٣٠)، ورواه عبد بن حميد كما في «تغليق التعليق» لابن حجر (٤/ ٣٥٧)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٨/ ٣٨٧).
وروى نحوه الحاكم في «المستدرك» (٨٧١٠) عن ابن عباس رضي الله عنهما. وصححه الحاكم وخالفه الذهبي فقال: يحيى بن راشد المازني ضعفه النسائي.

(٢) ذكره عن الحسن الرازي في «تفسيره» (٣٠/ ٧٧٧)، والقرطبي في «تفسيره» (٢١/ ٥١٤). وذكره الواحدي في «البسيط» (١٧/ ٣٠٩) عن الكلبي، و(١٧/ ٤٣٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣٨ ـ ٤٠) ـ ﴿هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ جَمَعْنَٰكُمْ وَٱلْأَوَّلِينَ (٣٨) فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ (٣٩) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾.

﴿هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ﴾: أي: يومٌ يُفْصَل فيه بين المبطل والمحقِّ والمحسن والمسيء بالجزاء.

﴿جَمَعْنَٰكُمْ﴾: معاشر الكفَّار ﴿وَٱلْأَوَّلِينَ﴾ الذين كانوا قبلكم.

﴿فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ﴾: فإنْ كان لكم احتيالٌ في التَّخلُّص من عذابي فاحتالوا؛ أي: ولا حيلة.

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ بذلك.

* * *

(٤١ ـ ٤٥) ـ ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ (٤١) وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ (٤٢) كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٤٣) إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ (٤٤) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾.

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾: وهم الذين يخالفون هذا، فإنَّهم اتَّقَوا الكُفْرَ والمعاصي.

﴿فِى ظِلَٰلٍ﴾: جمع ظِلٍّ، وهو الظِّلُّ الظَّليل في الجنَّة، بخلاف ﴿ظلٍّ ذي ثلاث شعب﴾ للكفَّار.

﴿وَعُيُونٍ﴾: جاريةٍ في الجنَّة.

﴿وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾: لا يتناولونها عن جوعٍ، ولا عن امتلاء، بل عن شهوة.

﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ في الدُّنيا؛ أي: يُقال لهم ذلك.

﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾: فأحسِنوا تُجزَوا بهذا ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾.

* * *

(٤٦ ـ ٥٠) ـ ﴿كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا﴾: خطاب للكفَّار بصيغة الأمر على جهة[1] التَّهديد، كقوله: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾ [فصلت: ٤٠]؛ أي: إن تمتَّعتم ـ وهو قليل ـ فإنَّ عاقبته النَّار.

﴿إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ﴾: وقد قال: ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ﴾ إلى قوله: ﴿كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾.

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾: فسَّرناه.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا﴾: أي: صلُّوا ﴿لَا يَرْكَعُونَ﴾؛ أي: لا يصلُّون.

قال ابن عبَّاس: نزلت في ثقيف حين أمرهم رسولُ الله ﷺ بالصَّلاة، فقالوا: لا نجبِّي ـ أي: لا ننحني للرُّكوع والسُّجود ـ فتعلوا أستاهنا، فقال النَّبيُّ ﷺ: «لا خير في دين لا يكون فيه ركوع ولا سجود»[2].

---

(١) في (ف): «وجه».

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ١١١)، وابن عطية في «المحرر الوجيز» (٥/ ٤٢١) عن مقاتل.
وروي بإسناد رواته ثقات لكن دون ذكر النزول، فقد روى الإمام أحمد في «المسند» (١٧٩١٣)، وأبو داود (٣٠٢٦)، من طريق الحسن عن عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه: أن وَفْدَ ثَقيفٍ لَمَّا قدِموا على رسولِ الله ﷺ أنزلَهم المسجدَ ليكون أرقَّ لقلوبهم، فاشترطوا عليه أن لا يُحْشَروا ولا يُعْشَرُوا ولا يُجَبُّوا، فقال رسولُ الله ﷺ: «لكم أن لا تُحشَروا ولا تُعشَروا، ولا خيرَ في دِين ليس فيه ركوعٌ». ورجاله ثقات، إلا أن في سماع الحسن ـ وهو البصري ـ من عثمان بن أبي العاص اختلافاً، قال عبد الحق الإشبيلي «الأحكام الوسطى» (٣/ ٧٥): ولا يعرف للحسن سماع عن عثمان، والحديث معروف وليس طرقه بقوية.
قلت: ويُثبت سماعه منه ما أورده البخاري في «التاريخ الكبير» (٦/ ٢١٢) عن الحسن قوله: كنا ندخل على عثمان بن أبي العاص.

وقيل: إذا قيل لهم: اخضعوا للحقِّ، لا يخضعون، وهو يعمُّ الصَّلاة وغيرها.

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾: بالآمرين بالصَّلاة.

﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ﴾؛ أي: إذا كان هؤلاء لا يؤمنون بهذا الحديث الذي هو القرآن مع إعجازه ووضوحه فبأي حديث بعد القرآن يريدون أن يؤمنوا[(١)]؟.

والحمد لله ربِّ العالمين

* * *

(١) بعدها في (ر) و(ف): «به».

سُورَةُ النَّبَإِ[1]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

بسم الله الذي جعل للخَلْق بَعثًا وحسابًا، الرحمنِ الذي لا يملكون منه خطابًا، الرحيمِ الذي هدَى مَن[2] اتَّخذ إليه مآبًا.

روى أبيُّ بن كعبٍ رضي الله عنه، عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «من قرأ سورةَ عَمَّ يتساءلون سَقاه الله من بَرْدِ شرابِ الجنَّة»[3].

وهذه السُّورة مكيَّة.

وهي أربعون آية، ومئة وثلاث وسبعون كلمة، وسبعُ مئة وسبعون[4] حرفًا.

وانتظام ختم تلك بافتتاح هذه: أنَّهما في ذكر اسم القرآن الحديث، والنَّبأ العظيم.

وانتظام السُّورتين: أنَّهما في ذكر تهيئة أسباب المعاش، وتمشية أحوال العباد[5].

---

(١) في (ر): «سورة عم يتساءلون».

(٢) في (أ) و(ف): «الرحيم بمن».

(٣) رواه الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ١١٣)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ٤١١)، قال ابن الجوزي في «الموضوعات» (٤/ ٣٤٤): مصنوع بلا شك. وقال ابن كثير في «تفسيره»: حديث منكر من سائر طرقه. وانظر: «الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة» للشوكاني (ص: ٢٩٦).

(٤) في (أ): «وسبعمئة وتسعون»، وفي (ر): «وتسعمئة وسبعين». والمثبت موافق لما ذكره الداني في «البيان في عد آي القرآن» (١/ ٢٦٢).

(٥) في (ر): «وتهيئة أحوال المعاد».

(١ ـ ٢) ـ ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿عَمَّ﴾: أصلُه (عَنْ مَا) أُدغمَت النُّون في الميم، وحذفت الألف تخفيفًا في الاستفهام بكثرة الاستعمال، وهو كقولهم: بِمَ، ولِمَ، وفِيْمَ، ومِمَّ، وإلامَ، وعَلامَ.

وهو استفهامٌ بمعنى التَّوبيخ.

قوله تعالى: ﴿يَتَسَآءَلُونَ﴾: أي: يسألُ بعضُهم بعضًا؛ يعني: المشركين.

﴿عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ﴾ له ثلاثة أوجه:

أحدها: هو إثباتٌ وبيانٌ للنَّبيِّ ﷺ لِمَا عنه يتساءلون، يقول: يتساءلون عن النَّبأ العظيم، وهو كقوله: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾ [غافر: ١٦]: هذا استفهامٌ، ثم قوله: ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦]: إخبارٌ وإثباتٌ.

والثَّاني: أنَّه استفهام آخر، بتقدير ألف الاستفهام فيه؛ أي: أَعَنِ النَّبأ العظيم، وهو كقوله: ﴿أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٤].

والثَّالث: أنَّه متَّصل بالأوَّل. وهو قول الفرَّاء، قال: معناه(١): عَمَّ تتحدَّثُ قريشٌ في القرآن، و﴿عَمَّ﴾ في معنى: لأيِّ شيءٍ(٢).

وقوله تعالى: ﴿عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ﴾:

قال مجاهدٌ: أي: القرآن، كما قال: ﴿قُلْ هُوَ نَبَؤٌا عَظِيمٌ ۝٦٧ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾ [ص: ٦٧](٣).

---

(١) في (أ): «وقوله» وفي (ر): «فإن معناه»، بدل: «قال معناه».

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٢٧).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٦).

وقال قتادة: هو البعث بعد الموت، صاروا فيه مختلفين؛ مصدِّقين ومكذِّبين(١).

وقال الحسن: هو النُّبوَّة، قال: لَمَّا بُعِثَ النَّبيُّ ﷺ جعلوا يتساءلون بينهم: ما هذا الذي حدث؟ فنزل: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾(٢).

يقول: عمَّاذا يسأَلُ بعضُ المشركين بعضًا، فيقول الواحد لصاحبه: ما هذا الذي حدث ممَّا يدَّعيه محمَّدٌ ـ ﷺ ـ من أنَّ الله تعالى بعثَه، وأوجب علينا الانقياد له، وألَّا نعبدَ الأصنام؟!

وهو نبأٌ عظيم في نفسِه؛ لِمَا فيه من خلع الأنداد، وثبوت التَّوحيد بالاعتقاد، والتَّنبيه على سبيل الرَّشاد، ومصالح المعاش والمعاد.

* * *

(٣ ـ ٥) ـ ﴿الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ (٣) كَلَّا سَيَعْلَمُونَ (٤) ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾:

ففي القرآن: قال بعضهم: هو شعر، وقال بعضهم: هو سحر، وقال بعضهم: هو كَهانة، وقال بعضهم: هو مفترًى، وقال بعضهم: هو أساطير الأولين، وكذا وكذا.

وفي البعث: منهم مَن جحدَه، ومنهم مَن شكَّ فيه، ومنهم مَن قال: تشفع لنا فيه الآلهة، ومنهم مَن قال: ﴿وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِندَهُ لَلْحُسْنَىٰ﴾ [فصلت: ٥٠].

وفي النَّبيِّ ﷺ: قال بعضهم: هو مجنون، وقال بعضهم: هو ساحر، وشاعر، وكاهنٌ، وكاذبٌ.

وقوله تعالى: ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾: أي: ليس كما يقولون: إنَّه باطل، بل هو حقٌّ، وسيعلمون ذلك.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٦).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٩٤).

﴿ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾: التَّكريرُ للتَّأكيد والتَّقرير.

وقيل: التَّساؤل كان بين الكفَّار والمؤمنين في وقت القيامة.

فعلى هذا قال الضَّحَّاك: ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾: المؤمنون، ﴿ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾: الكفَّار[1].

وقيل: ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾: أنَّ اللهَ باعثُهم، ﴿ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾: ما الله فاعلٌ بهم.

وقيل: ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾: بنزول العذاب في الدُّنيا، ﴿ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾: بعذاب الآخرة[2].

وقيل: ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾: بنزول عذاب الآخرة، ﴿ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾: بدوامه.

* * *

(٦ ـ ٨) ـ ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا (٦) وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا (٧) وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا﴾.

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا﴾: استفهامٌ بمعنى التَّقرير، وهو تعدادٌ للنِّعَمِ، واستبداءٌ للشُّكر، واستدعاءٌ إلى الإيمان.

يقول: قد خلقنا لكم الأرض بساطًا تتقلَّبون عليها كما يتقلَّب الرَّجل على بساطه.

﴿وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾: أي: للأرض لئلَّا تميد بكم.

﴿وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا﴾: أي: أصنافًا وضروبًا، ذكورًا وإناثًا، أغنياء وفقراء، أصحَّاء ومرضى، أقوياء وضعفاء، حِسانًا وقباحًا، طوالًا وقصارًا، ونحو ذلك؛ لتختلف الأحوال، فيقعَ بهم الاعتبار، ويصحَّ الامتحانُ بالشُّكر والصَّبر، ويُعرَف كلُّ شيءٍ بضدِّه.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٨) بلفظ: (﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾: الكفار ﴿ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ المؤمنون. وكذلك كان يقرؤها). وذكر معناه عن الضحاك الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ١٨٣) بلفظ: (الأول للكفار فيما ينالهم من العذاب في النار، والثاني للمؤمنين فيما ينالهم من الثواب في الجنة).

(٢) في (أ): «بنزول العذاب». وفي (ر): «بعذاب».

(٩ ـ ١٣) ـ ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۝٩ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ۝١٠ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ۝١١ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ۝١٢ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا﴾.

﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾؛ أي: راحةً لأبدانكم.

وقيل: أصلُه التَّمدُّد، ورجلٌ مَسْبُوتُ الخلق: ممدود، وسبتَتِ المرأةُ شعرَها؛ أي: أرسلَتْه، ومن أراد الاستراحة تمدَّدَ، فسُمِّيَتِ الرَّاحةُ سباتًا لذلك.

وقيل: ﴿سُبَاتًا﴾؛ أي: قَطْعًا لأعمالكم، وقد سبَتَ الرَّجلُ رأسَه؛ أي: حلقَ شعرَه، وسبتَ أنفَه؛ أي: قطعَها.

﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا﴾: أي: غطاءً، وقيل: سكنًا.

﴿وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا﴾: أي: وقتًا للتَّعيُّش والاضطراب لطلب الرِّزق، والدُّنيا معاشٌ لأنَّها مكانُ التَّعيُّش، والنَّهارُ معاشٌ لأنَّه زمانُ التَّعيُّش.

﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا﴾: أي: سبع سماوات رفعناها فوقكم كالبناء.

﴿شِدَادًا﴾: جمع شديدة؛ أي: وثيقةً دائمةً كذلك على ممرِّ الزَّمان.

﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا﴾: أي: مصباحًا وقَّادًا؛ يعني: الشَّمس، وقد وهَجَ يَهِجُ وهوجًا ووهَجانًا: إذا توقَّد، من حدِّ (ضرب).

وقال مجاهد وقتادة: ﴿وَهَّاجًا﴾: منيرًا متلألئًا[1].

* * *

(١٤ ـ ١٦) ـ ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ۝١٤ لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ۝١٥ وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا﴾.

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٤٥٢)، والطبري في «تفسيره» (٢٣/ ١١).

﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ﴾: قال ابن عبَّاس ومجاهد وقتادة والحسن: هي الرِّياح[١].

وقال الخليل: يُقال: أعصرت الرِّياح فهي معصراتٌ، والإعصار: الرِّيح التي تثير السَّحاب[٢].

وعلى هذا معنى ﴿مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ﴾؛ أي: من جهتها وبسببها وإثارتها السَّحاب.

وعن ابن عبَّاس ـ في رواية ـ والرَّبيعِ بن أنس: أنَّها السَّحائب[٣].

وبه قال الخليل والفرَّاء ونفطويه والقتبيُّ رحمهم الله، قالوا: هي السَّحاب التي حملَتِ الماء، وقَرُبَ أن تمطرَ، كالجارية التي قاربَتِ المحيض ولم تحض بعدُ[٤].

قال الرَّاجز:

تمشي الهُوَينا مائلًا خمارُها   قد أعصرَتْ أو قد دنا إعصارُها[٥]

ويُقال: هي السَّحاب ذات الأعاصير؛ أي: الرِّياح، جمع إعصار.

﴿مَآءً ثَجَّاجًا﴾: قال ابن عبَّاس رضي الله عنهما ومجاهد: أي: منصبًّا ومتتابعًا[٦].

وقد ثجَّ الماءَ يثُجُّه ثَجًّا؛ أي: سيَّلَهُ، وثَجَّ هو ثُجُوجًا؛ أي: سال، لازم ومتعدٍّ.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ١١ ـ ١٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وابن زيد. وروى الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ١٣) عن الحسن وقتادة: (﴿مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ﴾: من السماء).

(٢) انظر: «العين» للخليل (١/ ٢٩٥).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ١٣).

(٤) انظر: «العين» للخليل (١/ ٢٩٥)، و«غريب القرآن» لابن قتيبة (ص: ٥٠٨)، ونقله ابن قتيبة في «غريب الحديث» (٢/ ٣٦٠) عن الفراء.

(٥) الرجز لنافع بن لقيط أو منظور بن مرثد كما في «لسان العرب» (مادة: سفا). ولأبي النجم في «تفسير الثعلبي» (١٠/ ١١٤).

(٦) رواه عنهما الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ١٤ ـ ١٥).

﴿لِنُخْرِجَ بِهِۦ﴾: أي: بالماء ﴿حَبًّا﴾: وهو واحد الحبوب ﴿وَنَبَاتًا﴾؛ أي: كلأً.

﴿وَجَنَّٰتٍ﴾: أي: بساتينَ ﴿أَلْفَافًا﴾: ملتفَّةَ الأشجار والثِّمار.

وقيل: الألفاف: جمع لِفٍّ ـ بكسر اللَّام ـ وهو المجتمِع.

وقيل: هو جمع لفيف، من قوله: ﴿جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾ [الإسراء: ١٠٤]؛ أي: مختلِطين، وهو كالشَّريف والأشراف، والشَّهيد والأشهاد.

وقال الفرَّاء رحمَه الله: هو جمع الجمع: لَفَّاءُ للواحدة، وجمعُها اللُّف، وجمع اللُّفِّ: الألفاف، كالخُفِّ والأخفاف(١).

واللَّفاء: الشَّجرةُ الملتفة الممتلئة المجتمعة، ويُقال: امرأة لَفَّاء؛ أي: ضخمة الفخذين مكتنِزة.

* * *

(١٧ ـ ١٩) ـ ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَٰتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَٰتًا﴾: أي: وقتًا جُعل لهم يُفصَل فيه بين المحقِّ والمبطِل، والمحسِن والمسيء.

وقال السُّدِّي: ﴿مِيقَٰتًا﴾؛ أي: مجمعًا للرُّسل والأمم(٢).

---

(١) لم أجده عن الفراء، وهو قول أبي عبيدة في «مجاز القرآن» (٢/ ٢٨٢)، وابن قتيبة في «غريب القرآن» (ص: ٥٠٩). قال الآلوسي: واستبعد بأنه لم يجيء في نظائره ذلك فقد جاء خضر جمع خضراء وحمر جمع حمراء ولم يجيء أخضار جمع خضر ولا أحمار جمع حمر وجمع الجمع لا ينقاس ووجود نظيره في المفردات لا يكفي كذا قيل. انظر: «روح المعاني» (٢٨/ ٢١٧).

(٢) لم أقف عليه عن السدي، وروى الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ١٨) معناه عن قتادة، ولفظه: (﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَٰتًا﴾ وهو يوم عظمه الله، يفصل الله فيه بين الأولين والآخرين بأعمالهم).

﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾: أي: جماعات.

قال قتادة وعكرمة: أي: أممًا، كلُّ أمَّة تتلو التي مضَتْ قبلَها[١].

وقيل: كلُّ أمَّة مع رسولها[٢].

﴿وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ﴾: قيل: تفتح لنزول الملائكة. وقيل: تتصدَّع.

﴿فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا﴾: قيل: طرقًا كالأبواب حين تتشقَّقُ[٣] بعد أن كانت شدادًا لا فطورَ فيها.

وهذا أوَّل أحوالها عند قيام السَّاعة، ثم لها أحوال أُخَر بعدها، وهي في آيات: ﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ﴾ [المرسلات: ٩]، و﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾ [الانشقاق: ١]، و﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ﴾ [الانفطار: ١]، ﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ﴾ [التكوير: ١١]، ﴿فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ﴾ [الرحمن: ٣٧]، ﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤].

* * *

(٢٠ ـ ٢٣) ـ ﴿وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا ﴿٢٢﴾ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا﴾.

﴿وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾: قال الحسنُ: فصارت خيالًا[٤] كالسَّراب الذي يَتخيَّل لصاحبه شيئًا وليس بشيء[٥].

ولها أحوال أيضًا: تُنسَفُ، ثم تُدَكُّ، ثم تُبَسُّ، ثم تصير كثيبًا مهيلًا، ثم كالعهن

---

(١) لم أجده.

(٢) هو قول مجاهد. كما رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ١٩).

(٣) في (ر) و(ف): «تنشق».

(٤) في (أ): «الجبال».

(٥) ذكره الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٢٠) بلا نسبة.

المنفوش، ثم هباءً منبثًا، ثم تمرُّ مَرَّ السَّحاب، ثم خيالًا كالسَّراب.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾: أي: طريقًا عليه ممرُّ الخلق، فهي ترصدهم؛ أي: تحفظهم.

﴿لِّلطَّاغِينَ مَآبًا﴾: أي: للمتمرِّدين المتجاوِزين القَدْرَ في المعاصي مرجعًا، وهو كقوله: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ الآيات [مريم: ٧١].

و﴿كَانَتْ﴾ على معنى: أنَّها كانت في علم الله تعالى كذلك.

﴿لَّابِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا﴾: قرأ حمزة: ﴿لَبِثين﴾ بغير ألف[١]، وهما لغتان؛ أي: ماكثين فيها أزمانًا كثيرة.

﴿أَحْقَابًا﴾: جمع حُقْب بضم الحاء، وأمَّا الحِقْب ـ بالكسر ـ فجمعُها: الحِقَب.

والاحتقاب: الارتداف، والإحقاب: الإرداف، فالاسم[٢] على هذا للزَّمان المتتابع المترادف.

وقال الخليل: هو زمانٌ من الدَّهر لا قَدْرَ له[٣].

وعلى هذا معناه: لابثين فيها أزمانًا مترادفة، يتبَعُ بعضُها بعضًا من غير انقطاع.

وقال قتادة: ﴿لَّابِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا﴾: لا انقطاع لها، كلَّما مضى حُقْبٌ جاء حُقْبٌ[٤].

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: لا يعلم عدد الأحقاب إلَّا الله تعالى[٥].

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ٦٦٨)، و«التيسير» للداني (ص: ٢١٩).

(٢) في (ر) و(ف): «فأما الاسم».

(٣) انظر: «العين» للخليل (٣/ ٥٣).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٢٥).

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ١١٦).

وقال بعض أهل اللُّغة: الحُقْبُ: ثمانون سنة[١].

وقال قتادة: ذُكر لنا أنَّ الحُقْب ثمانون سنة من سني الآخرة[٢].

وقال مجاهد: الأحقاب: ثلاثة وأربعون حُقبًا، كلُّ حُقب سبعون خريفًا، كلُّ خريف سبعُ مئة سنة، كلُّ سنة ثلاثُ مئة وستون يومًا، كلُّ يوم ألف سنة[٣].

وقال ابن جريج: سمعْتُ محمَّد بن عجلان يقول: الحقب بضع وثمانون سنة، والسَّنة ثلاثُ مئة وستُّون يومًا، واليوم ألفُ سنة[٤].

وروى أبو أمامة الباهليُّ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «الحقب ألفُ شهرٍ، كلُّ شهر ثلاثون يومًا، فذلك ثلاث وثمانون سنة وأربعة أشهر، كلُّ يوم منها كألف سنة»[٥].

---

(١) ورواه الحاكم في «المستدرك» (٣٨٩٠) عن ابن مسعود رضي الله عنه وصححه.

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٤٥٦)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٢٥).

(٣) لم أجده هكذا، وذكر الثعلبي في «تفسيره» (٦/ ١٨١)، والماوردي في «النكت والعيون» (٣/ ٣٢٢) عن مجاهد: أن الحقب سبعون سنة.

(٤) رواه هناد في «الزهد» (٢١٩)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٢٤)، عن أبي هريرة رضي الله عنه موقوفاً. ورواه البزار في «مسنده» (٩٠٤٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا. وقال: (وهذا الحديث لا نعلم أحدًا رفعه إلا الحجاج بن نصير عن همام وغيره يوقفه). والحجاج بن نصير ضعيف، كما قال البوصيري في «إتحاف المهرة» (٦/ ٢٩٨).

ورواه البزار في «مسنده» (٥٩٨٠)، وابن حبان في «المجروحين» (١/ ٣٣٢)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا. وذكره الذهبي في «الميزان» ترجمة سليمان بن مسلم الخشاب مع حديث آخر، وقال: هما موضوعان في نقدي. وذكره الرازي في «التفسير الكبير» (٣١/ ١٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٥) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٩٥). قال ابن كثير في «تفسيره»: (هذا حديث منكر جدًّا، والقاسم هو والراوي عنه وهو جعفر بن الزبير كلاهما متروك).

وقيل: ماكثين فيها ما دامت الأحقابُ، وهي لا تنقطع، فكان معناه: لابثين فيها أحقابَ الآخرة وهي لا تنقطع[1]، كما لو قيل: أيَّام الآخرة، لكن ذكر الأحقاب أهولُ.

وقيل: إنَّ هذه أحقابٌ منقطعة؛ لأنَّها منكَّرة، ولا تَستغرِق، لكنَّها مدَّةُ ما ذُكِرَ بعدها:

(٢٤ ـ ٢٥) ـ ﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا﴾.

﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا﴾: ثم بعد هذه المدَّة يُعذَّبون بعذاب آخر، وعلى هذا لا وقف عند قوله: ﴿أَحْقَابًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿بَرْدًا﴾، قيل: بردًا يسكِّن عنهم[2] حرَّها.

﴿وَلَا شَرَابًا﴾: يزيل عطشهم ﴿إِلَّا حَمِيمًا﴾؛ أي: لكن ماءً حارًّا ﴿وَغَسَّاقًا﴾: ماءً يسيل من أجساد أهل النَّار.

وقيل: ﴿بَرْدًا﴾؛ أي: راحة، وتبرَّد[3]؛ أي: استراح.

وقيل: أي: نومًا. قاله شَرِيكٌ ومعمَر والكسائيُّ وقطرب والفرَّاء[4].

قال الفرَّاءُ: إنَّ النَّوم يُبْرِدُ صاحبَه، وإنَّ العطشان لينام فينتبه وقد زال حرُّ عطشه[5].

وتقول العرب: منع البردُ البردَ[6].

---

(١) «فكان معناه لابثين فيها أحقاب الآخرة وهي لا تنقطع» ليس في (أ).

(٢) في (ر): «عليهم».

(٣) في (أ): «وبرد».

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ١١٧) عن الكسائي وأبي عبيدة، وذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» (٩/ ٨) عن مجاهد والسدي وأبي عبيدة وابن قتيبة.

(٥) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٢٨).

(٦) انظر: «تفسير الثعلبي» (١٠/ ١١٧)، وشرح معناه بقوله: «أذهب البردُ النوم».

وعن ابن عبَّاس أيضًا رضي الله عنهما: أنَّه النَّوم(١). قال الشَّاعر:

فـإنْ شـئْتُ حرَّمْـتُ النِّسـاءَ سِـواكُمُ وإنْ شِـئْتُ لم أطعَـمْ نُقاخًا ولا بَردًا(٢)

وقيل: الغسَّاق: الزَّمهرير.

وقيل: المنْتِن.

وقيل: أي: لا يذوقون فيها بردًا إلَّا الغسَّاق، ولا شرابًا إلَّا الحميم.

وقرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية حفص: ﴿وَغَسَّاقًا﴾ بالتَّشديد على النَّعت، وقرأ الباقون بالتَّخفيف على الاسم كالشَّراب(٣).

* * *

(٢٦ ـ ٢٧) ـ ﴿جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾.

﴿جَزَآءً وِفَاقًا﴾: أي: جزاهم الله بذلك جزاءً وافقَ أعمالهم(٤) وفاقًا.

وقيل: هو اسم كالوَفْق.

وقال مقاتل: وافق عذابُ الكفَّارِ الشِّركَ، فلا ذنبَ أعظمُ من الشِّرك، ولا عذابَ أعظمُ من النَّار(٥).

---

(١) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٣/ ١٣١)، و«الوسيط» (٤/ ٤١٤). ورواه ابن أبي الدنيا في «صفة النار» (١٨٧) عن الحسن.

(٢) البيت للعرجي كما في «الحيوان» للجاحظ (٥/ ٣٢)، و«الأضداد» لابن الأنباري (ص: ٦٤)، و«الصحاح» (مادة: نقخ)، وهو في «ديوانه» (ص: ١٠٩)، ونسب لعمر بن أبي ربيعة، انظر: «ديوانه» (ص: ٩٥)، وللحارث بن خالد المخزومي، انظر: «ديوانه» (ص: ١١٧).

(٣) انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ٦٦٨)، و«التيسير» للداني (ص: ١٨٨).

(٤) في (أ): «وافق عملهم»، وفي (ف): «يوافق علمهم».

(٥) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٥٦٣).

وقال الحسن رحمه الله: أساؤوا العمل فأساء الله لهم الجزاء(١).

وقال شهر بن حوشب: إنَّ في النَّار واديًا يُقال له: الغسَّاق، فيه ثلاثُ مئة وثلاثون(٢) شعبًا، في كل شعب ثلاثُ مئة وثلاثون بيتًا، في كلِّ بيت أربعُ زوايا، في كل زاوية شجاعٌ كأعظم ما خلق الله تعالى من الخلق، في رأس كلِّ شجاع سمٌّ(٣). والشُّجاع: الحيَّة.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾: أي: لا يخافون.

وقيل: أي: لم يكونوا مؤمنين يأملون حسابًا وثوابًا بعده.

***

(٢٨ ـ ٣٠) ـ ﴿وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ كِتَٰبًا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾.

﴿وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابًا﴾: أي: تكذيبًا. قال الفرَّاء والكسائيُّ: هي لغة يمانية فصيحة(٤).

﴿وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ كِتَٰبًا﴾: أي: حفظناه كتابًا؛ أي: كتبه الملائكة بأمرنا حجَّة عليهم.

﴿فَذُوقُوا۟﴾: أي: فيُقال لهم: فذوقوا ﴿فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾؛ أي: لا يُنقَصون من هذا العذاب، بل يزادون عليه ما هو أشدُّ إيلامًا منه.

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ١١٧).

(٢) في (ر): «وستون».

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ١١٦).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٢٩)، وذكر الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (١٠/ ٣٩٩) عن الكسائي أنه بالتخفيف لغة مضر، وبالتشديد لغة يمانية.

ثم إن الكسائي قرأ بالتخفيف: (لا يسمعون فيها لغوًا ولا كِذَابًا)، والباقي بالتشديد. انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ٦٦٩)، و«التيسير» للداني (ص: ٢١٩).

(٣١ ـ ٣٤) ـ ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا (٣١) حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا (٣٢) وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا (٣٣) وَكَأْسًا دِهَاقًا﴾.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾: أي: مخلَصًا.

﴿حَدَائِقَ﴾: أي: بساتين، وهي بدل عن الأول ﴿وَأَعْنَابًا﴾: عطف عليه.

﴿وَكَوَاعِبَ﴾: قال ابن عبَّاس: أي: نواهد[١]. وهي صفة الحور العين.

﴿أَتْرَابًا﴾: جمع تِرْبٍ، وهي اللِّدَةُ[٢]؛ أي: هُنَّ على سنٍّ واحد.

وقيل: ذلك ثلاثٌ وثلاثون سنة.

﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا﴾: قال قتادة: مترَعةً[٣]. أي: مملوءةً.

وقال مجاهد: أي: متتابِعةً على شاربها[٤].

وقال الخليل: أدهقْتُ الكأس: إذا شددْتَ مَلأَها، وأدهقْتُ الحجارة، وهي شِدَّةُ إلزاقها، بإدخال بعضها في بعض[٥].

* * *

(٣٥ ـ ٣٦) ـ ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا (٣٥) جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا﴾.

﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا﴾: أي: كلامًا لا فائدة فيه ﴿وَلَا كِذَّابًا﴾؛ أي: لا يكذِّبُ بعضُهم بعضًا.

و﴿فِيهَا﴾: ظاهرُه أنَّها كناية عن الحدائق، وقيل: عن الكأس؛ أي: لا يجري في شربهم ما يجري في شربة الدُّنيا من الهَذَيان والصَّخَب والعُدْوان.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٣٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٩٥).

(٢) في النسخ: «اللذة»، والصواب المثبت.

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٤٦١)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤١).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤١).

(٥) انظر: «العين» للخليل (٣/ ٣٦٤).

﴿جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا﴾: أي: كافيًا كثيرًا، يقال: أحسبْتُه؛ أي: أعطيْتُه ما يكفيه وأكثرتُه حتى قال: حسبي، وقالت أمُّ عبَّاس:

ونُقْفِي[1] وَلِيْدَ الحَيِّ إنْ كانَ جَائعًا ونُحْسِبُهُ إنْ كان لَيْسَ بِجائِعِ[2]

وقال الشَّاعر[3]:

فلمَّا حلَلْتُ بـه ضَمَّنـي فأبلَى[4] جميلًا وأعطى حسابًا[5]

وقيل: أي: حسابًا كنْتُ وعدْتُهم به في الدُّنيا، فله عشر أمثالها؛ ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ﴾ [البقرة: ٢٦١].

* * *

(٣٧) ـ ﴿رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا ٱلرَّحۡمَٰنِۖ لَا يَمۡلِكُونَ مِنۡهُ خِطَابٗا﴾.

وقوله: ﴿رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾: قرأ عاصم وابن عامر: ﴿رَّبِّ﴾

---

(١) في (أ): «ونقعي». وفي (ف): «وتقفى».

(٢) البيت لامرأة من قيس يقال لها: أم العباس كما في «التكملة والذيل» للصغاني (١/ ١٠٢)، ولشاعر من بني تميم في «الإبانة» للصحاري (٢/ ٣٩٣)، ولأبي يزيد العقيلي في «سمط اللآلي» لأبي عبيد البكري (١/ ٨٨٥)، ولامرأة من قشير في «التنبيه والإيضاح» لابن بري (١/ ٦٣)، و«لسان العرب» لابن منظور (١/ ٣١٢) (مادة: حسب).

قال السيرافي في «شرح أبيات إصلاح المنطق» (ص: ٤١٦): (نقفي): من القفيَّة، وهو المدخر في البيت من المأكول، تقول إن جاءنا صبي من صبيان الحي جائعاً أطعمناه من القفية، (ونحسبه)؛ أي: نكثر له ونعطيه حتى يقول: حسب.

(٣) «وقال الشاعر» من (أ) و(ف).

(٤) في (أ): «قائلي»، وفي «التفسير البسيط»: «قائلاً»، وفي «التفسير الكبير»: «فأولى».

(٥) البيت بلا نسبة في «التفسير البسيط» للواحدي (٢٣/ ١٤٣)، و«التفسير الكبير» للرازي (٣١/ ٢٠).

بالخفض و﴿الرَّحْمَنِ﴾ كذلك؛ وصفًا لقوله: ﴿جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ﴾، والباقون كلاهما بالرَّفع، على معنى: هو ربُّ السَّماوات والأرض وما بينهما وهو الرَّحمنُ.

وقرأ حمزة والكسائيّ: ﴿رَبِّ﴾ بالخفض نعتًا للأوَّل، ﴿الرَّحْمنُ﴾ رفعًا؛ لأنَّه تباعَدَ عن الأوَّل، فرفع على تقدير: هو الرَّحمن[١].

﴿لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾: أي: لا يقدِرُ أحدٌ أن يخاطبَه بشفاعةٍ لأحد إلَّا بإذنه[٢].

***

(٣٨) ـ ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾.

﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ﴾: قال أكثر المفسِّرين: أي: جبريل.

وقال ابن عبَّاس: ﴿الرُّوحُ﴾: خَلْق عظيم[٣].

﴿وَالْمَلَائِكَةُ﴾: يصفُّون ﴿صَفًّا﴾: كصفِّ بني آدم في الصَّلاة.

وقال الحسن وقتادة: ﴿الرُّوحُ﴾: بنو آدم[٤]. وتقديرُه: ذوو الرُّوح؛ أي: الأرواح.

وروى سعيد بن جبير عن ابن عبَّاس قال: ﴿الرُّوحُ﴾: خَلْق على صورة بني آدم[٥].

وقال مجاهد: لهم أيدٍ وأرجلٌ ورؤوسٌ، يأكلون الطَّعام وليسوا بالملائكة[٦].

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ٦٦٩)، و«التيسير» للداني (ص: ٢١٩).

(٢) في (أ) و(ف): «بإذن منه».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٧) بلفظ: «هو ملك أعظم الملائكة خلقًا».

(٤) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٤٦٦) عن قتادة، ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٩) عن الحسن وقتادة.

(٥) رواه مجاهد عن ابن عباس كما في «تفسير مجاهد» (ص: ٦٩٦)

(٦) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٤٦٩)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٨). ورواه أبو الشيخ في «العظمة» (٤١٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا. وضعفه الرازي مع ما في معناه من الأخبار في «تفسيره» (٢١/ ٣٩٤) فقال: ولم أجِدْ في القرآن ولا في الأخبار الصحيحة شيئاً يمكنُ التمسُّك به بهذا القول.

وقال أبو صالح: يشبِهون النَّاس وليسوا بالنَّاس[١].

وقال ابن مسعود: الروح خلق عظيم أعظم من الجبال في السَّماء الرَّابعة، يسبِّح كلَّ يوم باثني عشر ألف تسبيحة[٢].

وقال عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه: الرُّوح مَلَك، له سبعون وجهًا[٣].

﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا﴾: قيل: صُفوفًا، وقيل: اصطفافًا، يقومون منتصبين ساكتين هيبةً[٤].

﴿لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾: قيل: هذا مُتَّصل بالأوَّل: ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾ فلا يتكلَّمون بالشَّفاعة إلَّا لمن ﴿أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ منهم بالشَّفاعة ﴿وَقَالَ صَوَابًا﴾؛ أي: يشفع لمن يستحقُّه، وهو المؤمن دون الكافر.

وقيل: ﴿صَوَابًا﴾؛ أي: كلمة التَّوحيد في الدنيا؛ أي: لا يكون[٥] الإذن بالشَّفاعة إلَّا للمؤمنين، ولهم شفاعة كما الأنبياء، واعتَرض قولُه: ﴿يوم يقوم الروح والملائكة صفًا﴾؛ أي: سكوتًا؛ أي: هذا يكون ذلك اليوم.

ولم يكن في الآية ذكر شفاعة الملائكة، وهو في موضعٍ آخر.

وقيل: الآية على ظاهر نظمها، وقوله تعالى: ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾ مطلَقٌ بلا

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٩)، وأبو صالح هو مولى أم هانئ.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٦)، والثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ١١٩). وقال ابن كثير عند تفسير هذه الآية: هذا قول غريب جداً.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٧١)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٤٠٨)، وفيهما: «له سبعون ألف وجه».

(٤) في (ر): «من هيبته».

(٥) في (ر): «يملكون».

استثناء، ثم قوله: ﴿لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾؛ أي: الروح والملائكة لا يشفعون إلَّا بإذن الله وبقول[1] الصَّواب، وهو الشَّفاعة لمن يستحقُّها.

* * *

(٣٩ ـ ٤٠) ﴿ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴿٣٩﴾ إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا﴾

﴿ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ﴾: أي: لا باطلَ فيه، فهو يوم العدل والإنصاف.

﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا﴾: أي: مرجعًا بالعمل الصَّالح، فإنَّ ذلك ممكِنٌ له.

﴿إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ﴾: أيُّها الكفَّار ﴿عَذَابًا قَرِيبًا﴾ في الآخرة، فإنَّ قيام السَّاعة قريب.

﴿يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾: أي: يرى، وقيل: يجد.

وقيل: هو عامٌّ للمؤمن والكافر، ثم الكافرُ يتمنَّى إذا رأى حاله أن يكون ترابًا.

وقيل: ﴿يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ﴾؛ أي: المؤمن.

﴿وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ﴾: كلُّ كافرٍ:

﴿يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا﴾: لم أُخلَق، فلم أكلَّف وبقيْتُ ترابًا.

وقيل؛ أي: صرْتُ ترابًا الآن، وذلك حين تُحشَر الوحوش فيُقادُ لبعضها من بعض، ثم تُجعَل كلُّها ترابًا، فيتمنَّى الكافر أن يكون منها فيصيرَ كذلك.

وقيل: ﴿وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ﴾؛ أي: إبليس: ﴿يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا﴾: مخلوقًا من التُّراب كآدم؛ ليثابَ ثوابَ المؤمنين من أولادِه، لا من النَّار، وهو مخلَّدٌ[2] في النَّار.

والحمد لله ربِّ العالمين

---

(١) في (أ): «ويقول».

(٢) في (أ) و(ر): «يخلد».

سُورَةُ النَّازِعَاتِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

بسم الله الذي قصَّ علينا حديث موسى، الرحمنِ الذي أخرج الماء والمرعى، الرحيمِ الذي وعد الجنَّة مَن خاف مقام ربه ونهى النَّفس عن الهوى.

روى أبيُّ بن كعبٍ رضي الله عنه عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «مَن قرأ سُورةَ ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ﴾ كان حبسُهُ في القبرِ وفي القيامة حتَّى يدخلَ الجنَّةَ كَقَدْرِ صلاةٍ مكتوبةٍ»[1].

وهذه السُّورة مكيَّة.

وهي ستٌّ وأربعون آية، ومئة وتسع[2] وسبعون كلمة، وسبعُ مئة وأربعة وسبعون حرفًا.

وختمُ تلك السُّورة وافتتاح هذه السُّورة في ذكر يوم القيامة.

وانتظام السُّورتين: أنَّهما في ذكر قيام السَّاعة، وجزاء أهل المعصية وأهل الطَّاعة.

* * *

(١ ـ ٥) ـ ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا ۝١ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشۡطٗا ۝٢ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبۡحٗا ۝٣ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبۡقٗا ۝٤ فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا﴾.

---

(١) رواه الواحدي في «الوسيط» (٤/ ٤١٨)، قال ابن الجوزي في «الموضوعات» (٤/ ٣٤٤): مصنوع بلا شك. وانظر: «الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة» للشوكاني (ص: ٢٩٦).

(٢) «وتسع» من (أ) و(ف).

قوله تعالى: ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا ۝١ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشۡطٗا ۝٢ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبۡحٗا ۝٣ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبۡقٗا ۝٤ فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا﴾: لله تعالى أن يقسِمَ بما شاء من خلقِه؛ تنبيهًا على عِظَم شأن الـمُقْسَم به.

واختلف في هذه الأشياء:

قال ابن مسعود وابن عبَّاس رضي الله عنهم: هو قسمٌ بالملائكة(١).

ووُصفوا بصفاتٍ شتَّى، فأمَّا ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا﴾: فإنَّها تنزع أرواح بني آدم، فإذا نزعَتْ أرواح الكفَّار، نزعتها بشدَّة.

وهو من قولهم: نزَعَ في القوس فأَغرق(٢)، وتقدير ﴿غَرۡقٗا﴾: إغراقًا، وطريقُه طريق قوله: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا﴾ [البقرة: ٢٤٥]، وقد بيَّنَّا وجه ذلك في (سورة البقرة)، على أنَّه حكَى قطرب عن يونس: غرق في سهمه.

وأمَّا النَّاشطات: فالملائكة تقبضُ روحَ المؤمن بسهولةٍ، كما يُنْشَطُ العِقالُ مِن يدِ البعير.

قال الفرَّاء: تقول العرب: نَشَطْتُ العقال؛ أي: شدَدْتُه، وأنشطْتُه: خلعْتُه(٣).

وقال الخليل: نَشَطْتُه وأنشطْتُه لغتان(٤).

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٥٧).

(٢) أغرق النازع في القوس: إذا شدها، وجاوز الحد في مد القوس، وبلغ النصلُ كبد القوس. وقولهم: (أغرق في النزع)، مثلٌ في الغلو والإفراط.

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٣٠)، وذكره عنه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٦٠).

(٤) انظر: «العين» للخليل (٦/ ٢٣٧)، وفيه: «وأنشطْتُ البَعيرَ: حللت أنشوطته، وأنشطْتُ العقال، إذا مددْتُ أنشوطته فانحلَّت، وكذلك الانتشاطُ، وهو مدُّك شيئًا إليك حتى ينحلَّ».

وقال القتبيُّ رحمه الله: نَشَطْتُ العقال: ربطْتُه[١]، لكنَّه خفيف، ونزع روح المؤمن خفيف كذلك.

وقيل: ﴿وَٱلنَّـٰشِطَـٰتِ﴾: نازعات أرواح الكفَّار بشدَّة، كإثبات العقال. قاله ابن جريج[٢].

وأمَّا السَّابحات: فالملائكة تسبح بين السَّماء والأرض إذا نزلَتْ؛ أي: تُسرع كالسَّابح في الماء.

وقال قطرب: السَّابحات: الملائكةُ تقبض أرواح المؤمنين، يسلُّونها سلًّا رويدًا، ثم يدَعونها حتى تستريح، ثم يسلُّونها سلًّا رقيقًا، ثم يدَعونها تستريح. وكذا قاله الكلبيُّ، والسَّابح في الماء كذلك[٣].

وأمَّا السَّابقات سبقًا: فالملائكة تسبق الجنَّ باستماع الوحي.

وقال أبو روق: سبقَتْ بني آدم إلى العمل الصَّالح[٤].

وقال الحسنُ: سبقَتْ بالإيمان والتَّصديق[٥].

---

(١) انظر: «غريب القرآن» لابن قتيبة (ص: ٥١٢).

(٢) لم أقف عليه عن ابن جريج، وذكر نحوه مقاتل في «تفسيره» (٤/ ٥٧٣).

وذكر نحوه الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ١٢٣) عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ولفظه: (هي الملائكة تنشط أرواح الكفار ما بين الجلد والأظفار حتى تخرجها من أجوافها بالكرب والغم).

وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٤٠٣) عن سعيد بن منصور وابن المنذر.

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ١٢٣) عن الكلبي. وذكره الواحدي في «البسيط» (٢٣/ ١٦٣) وعزاه إلى علي ومقاتل ومسروق وابن عباس في رواية الكلبي.

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ١٢٤).

(٥) ذكره الماوردي في «تفسيره» (٦/ ١٩٣).

وأمَّا المدبِّرات أمرًا: فلأنَّ الله تعالى أقامَهم بتدبير أمورٍ في الرِّياح والأمطار والأرزاق والأعمال.

وقال السُّدِّي: النَّازعات والنَّاشطات أرواح الكفَّار، والسَّابحات والسَّابقات أرواح المؤمنين، تكاد تسبح لتخرج فرحًا بما بشِّرَتْ به من كرامة الله تعالى، وتكاد تَسبق إلى ذلك قبل حينه(١).

وقال الحسن وقتادة: هي النُّجوم تَنزِع من أفقٍ إلى أفقٍ طلوعًا وغروبًا، وتَنْشِط؛ أي: تسير من موضع إلى موضع.

وكذلك قال أبو عبيدة والأخفش(٢).

والثَّور الوحشيُّ ناشطٌ لأخذه في الوجوه، والحمار النَّاشط يَنْشِط من بلد إلى بلد، وطريق ناشطٌ: ينشِط من الطَّريق الأعظم يمنةً ويسرة.

وقال الشَّاعر:

معتزمًــا للطُّــرُقِ النَّواشِــطِ(٣)

---

(١) ذكر بعضه الواحدي في «البسيط» (٢٣/ ١٦٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما، ولفظه: السابحات أرواح المؤمنين تسبح شوقًا إلى لقاء الله، وشوقًا إلى رحمته حين تخرج، وقد عاينوا السرور فهي تسبح مستعجلة. وروى ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٩٧) عن السدي في قوله: ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا﴾ قال: النفس حين تغرق في الصدور، ﴿وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشۡطٗا﴾ قال: الملائكة حين تنشط الروح من الأصابع والقدمين، ﴿وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبۡحٗا﴾: حين تسبح النفس في الجوف تتردد عن الموت. وروى نحوه سعيد بن منصور وابن المنذر كما في «الدر المنثور» للسيوطي (٨/ ٤٠٣) عن عليٍّ رضي الله عنه.

(٢) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (٢/ ٢٨٤)، و«تفسير الثعلبي» (١٠/ ١٢٢ و١٢٣). وقول قتادة بأنها النجوم رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٥٨).

(٣) الرجز لحميد الأرقط، كما في «العين» للخليل (٦/ ٢٣٧)، و«معجم مقاييس اللغة» لابن فارس (٤/ ٣٠٩) (مادة: عزم)، وبعده كما في «لسان العرب» (مادة: عزم):

والنَّظَـرِ الباسِـطِ بَعْـدَ الباسِـطِ

ويسبَحُ؛ أي: يسير؛ قال تعالى: ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٣].

ويسبق بعضها بعضًا في الطُّلوع والغروب والسَّير.

وليس عن المتقدِّمين في المدبِّرات أنَّها النُّجوم، وحمَلها بعضُ المتأخرين عليها، على معنى السَّببيَّة، وأنَّ التَّدابير متعلِّقة بسيرها، من اللَّيل والنَّهار، وفصول السَّنة، والحرِّ والبرد، ونحو ذلك.

وقيل: (النَّازعاتُ غرقًا): القِسِيُّ؛ قاله عطاء، و(النَّاشطاتُ): الأوهاق[١]، و(السابحاتُ): السُّفن، و(السَّابقاتُ): الخيل. و(المدبِّراتُ): الملائكةُ. رواها واصل بن السَّائب عن عطاء[٢].

وكأنَّها قسمٌ بالمجاهدين في سبيل الله، فهذه آلاتهم.

وقال سعيد بن المسيِّب: (النَّاشطاتُ) كلاب النَّار، تَنشِط أكفُّها وأظفارُها في أرواح الكفَّار، و(السَّابقاتُ): الملائكةُ يسبقون بأرواح الكفَّار إلى النَّار[٣].

واختلف في الذي يقع عليه القسم:

قال الفرَّاء: هو محذوفٌ، وهو: لتبعثُنَّ ولتحاسبُنَّ، بدلالة ما بعده[٤].

---

(١) جمع الوهق: الحبل الذي يطرح في أعناق الدواب حتى تُؤخَذ. انظر: «جمهرة اللغة» لابن دريد (٢/ ٩٨٠).

(٢) رواه عنه من الطريق المذكور مقطعاً الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٥٩ و٦١ و٦٣ و٦٤). ولم يذكر قوله في المدبرات، وذكره عنه الماتريدي في «تفسيره» (١٠/ ٤٠٤).

(٣) لم أجده، وقوله في الناشطات روى نحوه ابن مردويه كما في «الدر المنثور» للسيوطي (٨/ ٤٠٥) من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه مرفوعًا، ولفظه: «لا تمزق الناس فتمزقك كلاب النار؛ قال الله: ﴿وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا﴾، أتدري ما هو؟ قلت: يا نبي الله: ما هو؟ قال: كلابٌ في النَّار، تنشط العظم واللحم». وهو جزء من حديث طويل عن معاذ رواه ابن الجوزي في «الموضوعات» (٣/ ١٥٩).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٣١).

وقال غيره: هو قوله[١]: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ﴾ [النازعات: ٢٦].

وقيل: هو قوله: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ﴾ لأنَّه بمعنى: قد أتاك.

وقيل: القسم على قوله: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ﴾: وهو مقدَّم تقديرًا، فجاز من غير كلمات القسم[٢].

***

(٦ ـ ٩) ـ ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ﴿٧﴾ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴿٨﴾ أَبْصَٰرُهَا خَٰشِعَةٌ﴾.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ﴾: أي: يوم يُنفَخ في الصُّور النَّفخة الأولى، فتضطرب لها الدُّنيا وتُزلزَل حتَّى يموت كلُّ من عليها.

﴿تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ﴾؛ أي: النَّفخةُ الثَّانية، فتُبعَث النَّاس للحساب.

و﴿ٱلرَّاجِفَةُ﴾: اسم للزَّلزلة الأولى، و﴿ٱلرَّادِفَةُ﴾[٣]: الزَّلزلة الثَّانية تَردُفُها؛ أي: تتبعُها.

---

(١) «هو قوله» ليس في (ف).

(٢) أي: في الكلام تقديم وتأخير، تقديره: يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ... وَالنَّازِعاتِ غَرْقاً. انظر: «تفسير الثعلبي» (١٠/ ١٢٤). وقول المؤلف: «فجاز من غير كلمات القسم» يعني من غير اقتران بلام القسم، فبعضهم أول حذف اللام بتقدير التقديم والتأخير كما تقدم، وبعضهم لم يحمل الكلام على التقديم والتأخير، وإنما جعل اللام مقدرة، والتقدير: ليوم ترجف الراجفة، فحذفت اللام لأن الكلام قد طال. واستبعده النحاس، قال: لأن اللام ليست مما يحذف لأنها تقع على أكثر الأشياء فلا يعلم من أين حذفت ولو جاز حذفها لجاز والله زيد منطلق، بمعنى اللام. انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (٥/ ٨٩)، و«تفسير القرطبي» (٢٢/ ٤٤).

(٣) «للزلزلة الأولى والرادفة» من (أ) و(ف).

وقيل: ﴿ٱلرَّاجِفَةُ﴾: الأرضُ المتزلزلة أوّلًا، و﴿ٱلرَّادِفَةُ﴾: هي الأرض أيضًا في الكرَّة الثَّانية، تضطربُ لنشور الموتى، كما اضطربَتْ أوّلًا لموت الأحياء.

﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾: أي: شديدةُ الاضطراب، ووجيفُ الفرس والنَّاقة: اضطرابُهما في العَدْو. وهي قلوب أهل النَّار.

﴿أَبْصَٰرُهَا خَٰشِعَةٌ﴾: أي: أبصارُ أصحابِ هذه القلوب خاشعةٌ؛ أي: ذليلةٌ بما علاها من التَّغيُّر والتَّحيُّر(١).

قال عبد الله بن عمرو: ينفخ في الصُّور النفخةُ الأولى من باب إيلياء الشرقي، والنفخة الثانية من بابها الغربي(٢).

* * *

(١٠ ـ ١١) ـ ﴿يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي ٱلْحَافِرَةِ ۝١٠ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً﴾.

﴿يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي ٱلْحَافِرَةِ﴾: استفهامٌ بمعنى الإنكار(٣)؛ أي: أفنُرَدُّ بعد موتنا إلى أوَّل الأمر، فنعودَ أحياء كما كنَّا؟

قال الفرَّاء: تقول العرب: أتيْتُ فلانًا، ثم رجعْتُ إلى حافرتي؛ أي: إلى حيثُ جئْتُ منه، ويُقال: النَّقدُ عند الحافرة؛ أي: عند أوَّل العقد(٤).

وقال الشَّاعر:

أحافـرةً عـلى صَلَـعٍ وشَـيْبٍ   معـاذَ اللهِ مِـن سَـفَهٍ وعَـارِ(٥)

---

(١) في (أ): «عراها من التعير والتحير»، وفي (ر): «علاها من التعبير والتخير».

(٢) رواه عبد بن حميد، كما في «الدر المنثور» للسيوطي (٧/ ٢٥٥) بلفظ: (ينفخ في الصور النفخة الأولى من باب إيلياء الشرقي ـ أو قال: الغربي ـ والنفخة الثَّانية من باب آخر).

(٣) في (أ): «الاستنكار».

(٤) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٣٢٣).

(٥) انظر: «أدب الكاتب» لابن قتيبة (ص: ٤١٥)، و«إصلاح المنطق» لابن السكيت (ص: ٢١٢)، =

أي: أرجوعًا إلى أوَّل حال الشَّباب.

وقال ابن عبَّاس: ﴿ٱلْحَافِرَةِ﴾: الدُّنيا[١].

وحكى الفرَّاء عن بعضهم: الحافرةُ: الأرضُ التي تُحفَرُ فيها قبورُهم، ومعناه: المحفورة، كالماء الدَّافق، بمعنى: المدفوق[٢].

﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً﴾: أي: أنردُّ إلى الحياة بعدَ أن صرنا عظامًا بالية.

قرأ حمزة، والكسائيُّ في رواية، وعاصم في رواية أبي بكر: ﴿ناخِرَةً﴾، والباقون: ﴿نَّخِرَةً﴾[٣].

قيل: هما لُغتان، كقوله: لَبِثين ولابثين، فَكِهين وفاكهين.

وقيل: النَّخرة: البالية، والنَّاخرة: العظم الذي تمرُّ فيه الرِّيح فيَنْخِرُ، ـ من حد (ضرب) ـ نخيرًا؛ أي: يصوِّت.

***

(١٢ ـ ١٤) ـ ﴿قَالُوا۟ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴿١٢﴾ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ﴾.

= و«الأضداد» لابن الأنباري (ص: ١٩٣)، و«الفاخر» للمفضل بن سلمة (ص: ١٤)، و«تفسير الطبري» (٢٤/ ٦٩).

وقال البطليوسي في «الاقتضاب شرح أدب الكتاب» (٣/ ٢٥٧): هذا البيت لا أعلم قائله وأظنه لعمران بن حطان ومعناه: أأرجع إلى ما كنت عليه في شبابي من الغزل والصبا؟ معاذ الله من أن آتي بمثل هذا السفه، ويتحدث به عني.

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٧٠) بلفظ: (الحافرة: الحياة)، وفي رواية أخرى: (﴿أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى ٱلْحَافِرَةِ﴾ يقول: أئنا لنحيا بعد موتنا، ونبعث من مكاننا هذا).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٣٢).

(٣) انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ٦٧٠ ـ ٦٧١)، و«التيسير» للداني (ص: ٢١٩).

﴿قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾: أي: رجعةٌ فيها خَسَار، وهو الهلاك والمصير إلى النَّار.

وقيل: أرادوا أنَّها باطلة، خسر مَن أمَّلها، فهو معنى قول الحسن: ﴿خَاسِرَةٌ﴾: كاذبة غير كائنة(١).

﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾: أي: صيحة واحدة؛ أي: لا يلحَقُ اللهُ تعالى في إحيائهم تعبٌ، إنَّما هو أن يُنفَخ في الصُّور.

﴿فَإِذَا هُم﴾ أحياء ﴿بِالسَّاهِرَةِ﴾: قال الخليل رحمه الله: أي: بوجه الأرض بعد أن كانوا في بطنِها(٢).

وهو قول الأخفش وأبي عبيدة وقطرب وجميع أهل اللُّغة(٣).

وقال الفرَّاء: سُمِّيَتْ بها لأنَّ فيها الحيوان ونومَهم وسهرهم(٤)، ونظيرُه قوله تعالى: ﴿سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ﴾ [النحل: ٨١]؛ أي: الحرَّ والبرد.

وعن قطرب: أنَّها ظهرُ الفلاة، ومعناها: ذات سهرٍ؛ لأنَّه يُسهر فيها خوفًا منها(٥).

وقال أبو سعيد: السَّاهرة: صحراء(٦) على شفير جهنَّم.

---

(١) ذكره الماوردي في «تفسيره» (٦/ ١٩٦) عن يحيى بن سلام. ورواه ابن المنذر عن ابن جريج، وعبدُ بن حميد عن قتادة، كما في «الدر المنثور» للسيوطي (٨/ ٤٠٨).

(٢) انظر: «العين» للخليل (٤/ ٧).

(٣) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (٢/ ٢٨٥)، و«معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٢٧٩).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٣٢).

(٥) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٣/ ١٨٤) بلا نسبة.

(٦) في (ر): «صخرة»، والمثبت من باقي النسخ، وهو الموافق لما في «تفسير القرطبي» (٢٢/ ٥٣)، وقد أورد هذا القول دون نسبة.

وعن ابن عبَّاس رضي الله عنه قال: السَّاهرةُ: أرضٌ من فضَّة بيضاء[١]، لم يُعْصَ الله عليها، خلقَها يومَئذ.

وقال ابن كيسان: ﴿بِٱلسَّاهِرَةِ﴾؛ أي: بالنَّفخة ذات السَّهر[٢]؛ أي: لا نوم معها.

***

(١٥ ـ ٢٠) ـ ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ (١٥) إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى (١٦) ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ (١٧) فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ (١٨) وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ (١٩) فَأَرَىٰهُ ٱلْـَٔايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ﴾.

قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ﴾: وهذا تسلية للنَّبيِّ ﷺ فيما يعامله به قومُه من الجحود وإنكار البعث، ويقول: إنَّ قوم موسى فعلوا كذلك، وقد أهلكْتُهم وهم أشدُّ من قومِكَ شوكةً وعددًا وعُدَّة، فكذلك أفعل بهؤلاء: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ﴾ فإن كان أتاه قبل ذلك فمعناه: أليس قد أتاك؟ وإن كان لم يأته فمعناه: ما أتاك وأنا أُخبرك به.

﴿إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ﴾: أي: المباركِ المطهَّر.

﴿طُوًى﴾: قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو بغير تنوين على أنَّه اسم للبقعة، والباقون منوَّنًا على أنَّه اسمٌ للوادي[٣].

وقال ابن عبَّاس: ﴿طُوًى﴾ بالعبرانيَّة معناه: يا رجل[٤].

---

(١) «بيضاء» من (أ). ولم ترد الكلمة في «تفسير القرطبي» (٢٢/ ٥٢)، وقد أورد هذا القول من طريق الضحاك عن ابن عباس.

(٢) ذكر نحوه الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ١٩٧) بلا نسبة.

(٣) انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ٦٧١)، و«التيسير» للداني (ص: ١٥٠)، ونبه الداني أن من نوَّن كسر وصلًا للساكنين.

(٤) ذكره الرازي في «تفسيره» (٣١/ ٣٦).

﴿اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾؛ أي: قال: اذهب، أُضمِرَ لدلالة النِّداء عليه.

﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ﴾: وهذا[1] القول اللَّين الذي أُمرَ به في (سورة طه)، وهو على صيغة[2] العرض دون الأمر، والتَّرغيب دون التَّرهيب؛ أي: هل لك ميلٌ إلى أن تتطهَّر من دنس الكفر بالإيمان والزَّكاة والطُّهر.

﴿وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾: أي: أدلَّك على ما فيه رضاء ربِّك ﴿فَتَخْشَىٰ﴾؛ أي: تخاف عقابه.

﴿فَأَرَىٰهُ ٱلْءَايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ﴾: أي: المعجزة العظمى، وهي العصا صارت حيَّة، وأمَّا اليد فكانت مجموعة إليها، فكانت آية.

* * *

(٢١ ـ ٢٥) ـ ﴿فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْءَاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ﴾.

﴿فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ﴾: فلم يصدِّق أنَّها من عند الله، وخالَف أمره.

﴿ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ﴾: أي: أعرض عمَّا دعاه إليه موسى بجدٍّ فيه.

وقيل: فأدبر حين رأى العصا حيَّة يعدو خوفًا منها.

﴿فَحَشَرَ﴾: أي: فجمع قومَه ﴿فَنَادَىٰ﴾ فيهم.

﴿فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾؛ أي: كلُّ ربٍّ هو دوني، وكان لهم أصنامٌ يعبدونها.

﴿فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْءَاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ﴾: أي: عاقبه الله تعالى نكالًا له بخطيئته الآخرة، وهو قوله: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾، وبخطيئته الأولى: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾

---

(١) في (أ): «وهو».

(٢) في (أ): «صورة».

[القصص: ٣٨]. وهو قول ابن عبَّاس والشعبي ومجاهد وابن أبي نَجيح والقُرَظي وعكرمةَ والضَّحَّاك(١).

وكان بين الكلامين عشرون سنة، وقيل: ثلاثون سنة، وقيل: أربعون سنة.

وقيل: الأولى: تكذيبه موسى، والآخرة: قوله: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ﴾.

وقيل: الآخرة: عذاب الآخرة(٢)، والأولى: الإغراق في اليم.

* * *

(٢٦ ـ ٢٩) ـ ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ (٢٦) أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ ۚ بَنَاهَا (٢٧) رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا (٢٨) وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا﴾.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ﴾: والعبرة للكلِّ، وإنَّما خصَّ به مَن يخشى لأنَّه هو المنتفِع بها، كما عُرِفَ في نظائره.

وقوله تعالى: ﴿أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ﴾: استفهامٌ بمعنى التَّوبيخ، وهو خطاب لمنكري البعث، ولا شكَّ أنَّ مَن يتفاوت عليه مقدوره أنَّ السَّماء إذا كانت أعظم جثَّة وأوثق تأليفًا(٣) فخلقها أشدُّ، وخلقُ الآدميِّ وهو صغير الجثَّة ضعيف البنية دونه في الوهم، فمَن قدر على خلق السَّماء من غير شيءٍ فهو على خلقكم بعد موتكم أقدَرُ.

ثم قال: ﴿بَنَاهَا﴾: أي: رفع السَّماء فوقكم كالبناء المسقَّف.

﴿رَفَعَ سَمْكَهَا﴾: أي: أعلى سقفَها ﴿فَسَوَّاهَا﴾: فلا تفاوت فيها، وقيل: فلا فطور فيها، وقيل: هيَّأها.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٨٤ ـ ٨٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد والشعبي والضحاك وابن زيد.

(٢) في (ر): «عذاب الله».

(٣) في (ر): «بالبناء».

وقيل: فلا ارتفاع ولا انخفاض فيها، وبه يحتجُّ مَن يقول: إنَّها مسطحة.

﴿وَأَغْطَشَ﴾: أي: أظلمَ، وهو متعدٍّ هاهنا، وقد يجيء لازمًا.

﴿لَيْلَهَا﴾: أي: ليلَ السَّماء، وأضافه إليها لأنَّه يكون بغروب الشَّمس، وهي تضاف إلى السَّماء.

﴿وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا﴾: بإبراز[1] النَّهار، وأضاف الضُّحى إلى السَّماء لأنَّه يكون بطلوع شمسها.

***

(٣٠ ـ ٣٣) ـ ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا (٣٠) أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا (٣١) وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا (٣٢) مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾.

﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾: أي: مَدَّها وبسطها، وقد دَحا يَدْحُو دَحوًا، ودَحَى يَدْحِي دحيًا، بالواو والياء.

وقال الكلبيُّ رحمه الله: دُحِيَتِ الأرض من مكَّة بعد خلق السَّماء بألفي عام[2].

وقال ابن عبَّاس: ﴿بَعْدَ ذَلِكَ﴾؛ أي: مع ذلك. وقد بيَّنا في (سورة البقرة) و(سورة حم السجدة) اختلافَ النَّاس في خلق السَّماء والأرض أيُّهما كان أوَّلًا، مع دلائلهم في ذلك.

وقوله تعالى: ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا﴾؛ أي: من الأرض ﴿مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا (٣١) وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا﴾ قال القتبيُّ رحمه الله: انظر كيف دلَّ بشيئين على جميع ما أخرجه من الأرض قوتًا

---

(١) في (ر): «بإدراك».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٩٣) من طريق عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما، بلفظ: «وضع البيت على الماء على أربعة أركان قبل أن يخلق الدنيا بألفي عام، ثم دحيت الأرض من تحت البيت».

للأنام ومتاعًا للأنعام، من العشب والشَّجر والحَبِّ والثَّمر والعصف والحطب واللِّباس؛ لأنَّ النَّار من العيدان وهي من الماء، والملح من الماء[١].

﴿مَتَٰعٗا لَّكُمۡ وَلِأَنۡعَٰمِكُمۡ﴾: وقال: ﴿كُلُواْ وَٱرۡعَوۡاْ أَنۡعَٰمَكُمۡ﴾ [طه: ٥٤].

* * *

(٣٤ـ٣٦) ـ ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلۡكُبۡرَىٰ ٣٤ يَوۡمَ يَتَذَكَّرُ ٱلۡإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ٣٥ وَبُرِّزَتِ ٱلۡجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلۡكُبۡرَىٰ﴾ قال ابن عبَّاس: أي: القيامة[٢].

وقال الحسن: أي: النَّفخة الثَّانية[٣].

وقال الفرَّاء: هي تَطُمُّ على كلِّ شيء وتَطِمُّ؛ بالضَّم والكسر[٤].

وفي «ديوان الأدب»: طَمَّ السَّيل الرَّكيَّة؛ أي: دفنَها وسوَّاها، وكلُّ شيء كثر حتى يعلو فقد طمَّ، و﴿ٱلطَّآمَّةُ ٱلۡكُبۡرَىٰ﴾؛ أي: الهائلة العظمى التي تفوق كلَّ هائلة[٥].

﴿يَوۡمَ يَتَذَكَّرُ ٱلۡإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ﴾: أي: مجيء الطَّامَّة يكون في اليوم الذي يتذكَّر الإنسان فيه ما عمل في الدُّنيا من خيرٍ وشرٍّ بما وجده في كتابه.

﴿وَبُرِّزَتِ ٱلۡجَحِيمُ﴾: أي: أُظْهِرَتْ ﴿لِمَن يَرَىٰ﴾؛ أي: لكلِّ ذي بصرٍ، وهذا يدلُّ على أنَّ الكلَّ يرونها، ثمَّ الكفَّار يُعذَّبون بها.

---

(١) انظر: «تأويل مشكل القرآن» لابن قتيبة (ص: ١٢).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٩٧) بلفظ: «من أسماء يوم القيامة، عظمه الله وحذره عباده».

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٢٠٠).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٣٤).

(٥) انظر: «معجم ديوان الأدب» لأبي إبراهيم الفارابي (٣/ ٦٠، ١٣٣).

وقيل: ﴿لِمَن يَرَىٰ﴾؛ أي: لمن يدخلها فيراها، أمَّا مَن مَرَّ عليها ناجيًا فقد توقَّى رؤيتها وهيبتها(١).

***

(٣٧ ـ ٤١) ـ ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ۝٣٧ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝٣٨ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ۝٣٩ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾.

﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ﴾: هذا جوابُ قوله: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ﴾.

و﴿طَغَىٰ﴾: جاوزَ الحدَّ فتمرَّد وكذَّب وجحد.

﴿وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾: أي: اختارَها، وأغفل الآخرة فلم يَعمل لها.

﴿فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾: أي: مأواه.

﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾: أي: علم أنَّ له مقامًا يوم القيامة لحساب ربِّه قبلَ ذلك وخافه.

﴿وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ﴾: أي: منع نفسه من اتِّباع هواها.

﴿فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾: أي: مأواه، والألف واللَّام بدل الإضافة في ﴿ٱلْمَأْوَىٰ﴾، ﴿فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾.

قال مقاتل بن سليمان: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ﴾ نزلَتْ في النَّضر بن الحارث وأبيه الحارث ابن علقمة(٢).

---

(١) في (ف): «وهيئتها».

(٢) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٣/ ٢٠٠) عن مقاتل والكلبي. وانظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٥٧٩ ـ ٥٨٠)، وفيه: (نزلت هذه الآية في النضر بن الحارث بن علقمة ابن كلدة، وفي حبيب بن عبد ياليل، وأمية بن خلف الجمحي، وعتبة وعتيبة ابني أبي لهب، فهؤلاء كفار ومعهم مصعب بن عمير وأخوه، وجدوا جزوراً في البرية ضلت من الأعراب، فنحروها واقتسموها، فأبى مصعب أن يأخذ سهمه وسهم =

وقال عطاء عن ابن عبَّاس: هي في أبي عويمر عامر بن عمير بن هشام بن عبد الدَّار، وكان أُسِرَ يوم بدر فأخذتْهُ الأنصار ليلًا، فقالوا له: من أنت؟ فقال: أنا أخو مصعب بن عمير. فأكرموه، فلمَّا أصبحوا أخبروا مصعبًا بأنَّه عندهم، فقال: ما هو لي بأخٍ، ولا كرامة له، أوثِقوه فإنَّ أمَّه أكثر أهل البطحاء مالًا، فأوثقوه حتَّى أرسلَتْ أمُّه في فدائه، وقتله أخوه مصعب بن عمير يوم بدر، ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾ هو أخوه مصعب بن عمير، خاف مقام ربِّه، فأسلم وهاجر وحضر بدرًا ومعه راية النَّبيِّ ﷺ، وشهد أحدًا، ووقَى النَّبيَّ ﷺ بنفسه حين انهزم المسلمون(١) حتى نفذت السِّهام في جوفه، فلمَّا رآه النَّبيُّ ﷺ متشحِّطًا بدمه قال: «[عند الله] أحتسِبُك»، وقال لأصحابه: «قد رأيته بمكَّة وعليه بردان ما تُعرف قيمتهما، وإنَّ شراك نعليه ذهب»(٢).

وكان النَّبيُّ ﷺ إذا أهديَتْ له هديَّة خبأها لمصعب(٣).

ووجَّهه النَّبيُّ ﷺ يوم العقبة قبل الهجرة إلى المدينة يعلِّمهم القرآن، وهو أوَّل مَن جمَّع بهم الصَّلاة، ولَمَّا استشهد يوم أحد وجاءت صفيَّة بثوبين لحمزة ومصعب، صار أقصرهما لمصعب، فكان إذا غُطِّي رأسُه بدَتْ رجلاه، وإذا غُطِّيَتْ رجلاه بدت رأسه، فقال ﷺ: «غطُّوا رأسَه، واجعلوا على رجليه الإذخر»(٤).

= أخيه، فقال له أمية بن خلف: ولم؟ قال: إني أخاف أن يحاسبني الله به. فقال له أمية: هاته وأنا أحمل عنك هذا الوزر عند إلهك في الآخرة، وفشت تلك المقالة في قريش في أمر مصعب فأنزل تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ﴾».

(١) في (أ) و(ف): «المؤمنون».

(٢) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٢/ ٦٤) عن الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما، ونحوه في «تفسير الثعلبي» (٥/ ٨٦) عن ابن إسحاق، وما بين معكوفتين منهما. وذكره الزمخشري في «الكشاف» (٤/ ٦٩٨) مختصراً، وقال الحافظ في «الكاف الشاف» (ص: ١٨١): لم أجده.

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٥/ ٨٦)، وفيه: (طرفة) بدل: «هدية».

(٤) روى نحوه البخاري (٤٠٤٧) من حديث خباب بن الأرت رضي الله عنه.

وفيه نزلت: ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٢٣][١].

* * *

(٤٢ ـ ٤٦) ـ ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا (٤٢) فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا (٤٣) إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَاهَا (٤٤) إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَاهَا (٤٥) كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾

وقوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ﴾: أي: يسألك هؤلاء المشركون عن السَّاعة التي فيها الطَّامة الكبرى: ﴿أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾؛ أي: متى قيامُها؟.

والمرسَى: مصدرٌ كالإرساء ـ وهو الإثباتُ ـ أو وقتٌ له، وفي قيامِها إثباتها.

﴿فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا﴾: كانوا يلحُّون في السُّؤال عن وقتها، ويسأل النَّبيُّ ﷺ الله تعالى عن ذلك، فكان هذا منعًا لهم وله عن السُّؤال؛ أي: فلسْتَ أنت مِن ذكراها وعلمها في شيء، فلا يسألُنَّكَ ولا تسألَنِّي.

قالت عائشة رضي الله عنها: لم يزل رسول الله ﷺ يسألُ عن السَّاعة حتى نزل هذا، فانتهى[٢].

---

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (٤٩٠٥) من حديث أبي ذر رضي الله عنه، وصححه. ورواه الحاكم في «المستدرك» (٢٩٧٧) من طريق عبيد بن عمير عن أبي هريرة رضي الله عنه، وصححه، فتعقبه الذهبي بقوله: أنا أحسبه موضوعًا. ورواه ابن المبارك في «الجهاد» (٩٥)، وابن سعد في «الطبقات الكبرى» لابن سعد (٣/ ١٢١)، عن عبيد بن عمير مرسلاً. وفي جميع هذه الروايات أن النبي ﷺ قد قرأها لما مر على مصعب شهيداً، وليس فيه التصريح بأن ذلك سبب نزولها. وانظر ما تقدم عند تفسير قوله تعالى: ﴿مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾.

(٢) رواه النسائي في «السنن الكبرى» (١١٦٤٥)، وابن راهويه في «مسنده» (٧٧٧)، والبزار في «مسنده» (٢٢٧٩ ـ كشف الأستار)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٩٩)، والحاكم في «المستدرك» (٧) و(٣٨٩٥) وصححه. وانظر ما تقدم عند تفسير قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا =

﴿إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ﴾؛ أي: ينتهي إلى الله تعالى علمُ وقتها.

وقيل: مبتدأُ أمرِها: ذكرُها ووصفُها والإنذارُ بها، ومنتهاها: إقامتُها، وهي إلى الله ولله تعالى.

﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا﴾: خَصَّ مَن يخشى به لأنَّه هو المنتفع بالإنذار، وقد مرَّتْ نظائره.

﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا﴾: أي: السَّاعة ﴿لَمْ يَلْبَثُوٓاْ﴾؛ أي: في الدُّنيا.

﴿إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا﴾: ضحى تلك العشيَّة، أو بعضَ يومٍ، وهو كقوله: ﴿لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ [الكهف: ١٩]، وهو استقلالُ مدَّة الدُّنيا؛ لفناء لذَّاتها وبقاء تَبِعاتها.

والحمد لله ربِّ العالمين

* * *

= عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٧].

سُورَةُ عَبَسَ[1]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

بسم الله الذي له الإنشاء والإنشار، الرحمنِ الذي من عنده الأطعمة والثِّمار، الرحيمِ الذي بوعده الضَّحك في الآخرة والاستبشار.

روى أبيُّ بن كعب رضي الله عنه عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «مَنْ قرأ سورة عبس وتولَّى كان وجهُه يوم القيامة ضاحكًا مستبشرًا»[2].

وهذه السُّورة مكيَّة.

وهي أربعون آية، ومئة وثلاث وثلاثون كلمة، وخمسُ مئة وخمسة وثلاثون حرفًا.

وانتظام ختم تلك السُّورة بافتتاح هذه السُّورة: أنَّ ختم تلك بعتاب النَّبيِّ ﷺ على السُّؤال عن قيام السَّاعة لسؤال الكفَّار، وافتتاحَ هذه بعتابه على تولِّيه عن ابن أمِّ مكتوم باستمالة الكفَّار.

وانتظام السُّورتَيْن: أنَّهما في ذكر الدُّنيا وما أعطانا الله تعالى فيها، وذكر الآخرة وما يكون للأولياء والأعداء فيها.

---

(١) في (ر) و(ف): «سورة عبس وتولى».

(٢) رواه الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ١٣٠)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ٤٢٢)، قال ابن الجوزي في «الموضوعات» (٤/ ٣٤٤): مصنوع بلا شك. وانظر: «الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة» للشوكاني (ص: ٢٩٦).

وافتتاحها بذكر قصَّة ابن أمِّ مكتوم، وذكر ذلك على وجوه:

منها ما رُوي عن ابن عبَّاس: أنَّ رسول الله ﷺ جلس إليه العبَّاس بن عبد المطَّلب وأميَّة بن خلف الجمحي، فهو يناجيهما، ويرجو أنْ يُسْلِما، فأتاه عبدُ الله بن أمِّ مكتومٍ الأعمى، فقال: يا رسولَ اللهِ، علِّمْني ممَّا علَّمَكَ اللهُ، فأعرضَ عنه وعبسَ في وجهِهِ، فنزل: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ﴾، فخرج النَّبيُّ ﷺ في طلبِه وهو يقول: «من رأى الأعمى»، فلمَّا لقيَه عانقَه وقال: «لن تزال في عيال محمَّدٍ ما بقيْتَ»، واستخلفه على المدينة مرَّتين[١].

وفي رواية عروة بن الزَّبير: جاء ابن أمِّ مكتوم إلى النَّبيِّ ﷺ وعنده عتبة بن ربيعة ورجال من قريش القصَّة[٢].

وقال مقاتل: ﴿عَبَسَ﴾؛ أي: كلحَ في وجه عَمرو بن قيس بن زائدة بن الأصم ابن رواحة بن حجر بن عامر بن لؤي بن فهر بن مالك القرشي، وهو ابن أمِّ مكتوم، وأمُّه عاتكة بنت عامر بن عمرو بن مخزوم، وكان ضرير البصر، أتاه فقال: علِّمني ممَّا علمَكَ الله، يعني: الإسلام والقرآن، فأعرض عنه وكلح في وجهه، وأقبل على العَّباس وأميَّة بن خلف، فنزلت الآية[٣].

---

(١) رواه بنحوه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ١٠٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٩٩)، وفيه بدل «فخرج النَّبيُّ ﷺ في طلبه وهو يقول: «من رأى الأعمى...» إلخ: (فلما نزل فيه أكرمه رسول الله ﷺ وكلَّمه، وقال له: «ما حاجتُك، هل تريدُ مِن شيءٍ؟» وإذا ذهب من عنده قال له: «هل لكَ حاجةٌ في شيءٍ؟» وذلك لما أنزل الله: ﴿أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ﴾). قال ابن كثير: فيه غرابة ونكارة، وقد تكلم في إسناده.

(٢) ذكره ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٤/ ٢٠٨).

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٥٨٩).

وقال عطاء: كان عند رسول الله ﷺ عيينة بن حصن بن بدر الفزاريُّ، وهو في الحِجْر، فدخل عليه ابن أمِّ مكتوم... القصَّة.

وقال الحكم بن عتيبة: ما عبس رسول الله ﷺ بعد نزول هذه الآية في وجه فقيرٍ، وما تصدَّى لغنيٍّ حتى لقي الله(١).

وروي أنَّه كان يبسط لابن مكتومٍ رداءَه إذا جاءَه، ويقول: «مرحبًا بمن عاتبني فيه ربِّي»(٢).

وقالوا: إنَّ النَّبيَّ ﷺ كان قصدُه من ذلك إعزازَ الدِّين واستمالةَ قلوب المشركين، وكان الأعمى يقطع عليه كلامه، وهو نوعُ سوءِ أدبٍ، فكان العبوس في موضع التَّأديب، ولكن لَمَّا كان يقع عند الضُّعفاء ظاهرًا أنَّه تقديم الغنيِّ على الفقير، والصَّحيحِ على الضَّرير، فتنكسرُ بذلك قلوبُهم، عاتبَه الله تعالى في ذلك؛ تقويةً للضُّعفاء، وتطييبًا لقلوب الفقراء.

***

(١ ـ ٧) ـ ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ﴿٤﴾ أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ﴿٥﴾ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ﴿٦﴾ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ﴾.

قوله تعالى: ﴿عَبَسَ﴾ أي: كلحَ محمَّدٌ ﴿وَتَوَلَّىٰٓ﴾؛ أي: أعرضَ.

وهذا تشريفٌ للنَّبيِّ ﷺ في ذكرِه على صيغة المغايبة، وهي فوق المخاطبة.

---

(١) في (أ): «لحق بالله» بدل من «لقي الله». ورد في عدة تفاسير دون نسبة ولا عزو. منها: «لطائف الإشارات» للقشيري (٣/ ٦٨٧)، و«الكشاف» للزمخشري (٤/ ٧٠١)، و«مدارك التنزيل» للنسفي (٣/ ٦٠٢).

(٢) أورده مكي بن أبي طالب في تفسيره المسمى «الهداية إلى بلوغ النهاية» (١٢/ ٨٠٥٣) عن سفيان الثوري. وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ١٣١) دون عزو.

﴿أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ﴾؛ أي: بأنْ جاءَه[1] الضَّرير.

﴿وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ﴾: ثم خاطبَه فقال: ﴿وَمَا يُدۡرِيكَ﴾ يا محمَّد ﴿لَعَلَّهُۥ﴾؛ أي: لعلَّ الأعمى ﴿يَزَّكَّىٰٓ﴾ أصلُه: يتزكَّى، أدغمَت التَّاء في الزَّاي، كما في المزَّمِّل.

و﴿يَزَّكَّىٰٓ﴾ معناه: يزداد طهارة بما يتعلَّم منك، ويزول عنه دنس الجهل.

﴿أَوۡ يَذَّكَّرُ﴾: أي: يتَّعظ، وأصله: يتذكر، أُدغمَت التَّاء في الذَّال.

﴿فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ﴾: قرأ عاصم: ﴿فَتَنفَعَهُ﴾ نصباً على جواب (لعلَّ)، والباقون رفعًا عطفًا على ﴿يَذَّكَّرُ﴾[2].

وذكر (لعلَّ) ليس للتَّشكيك، بل للتَّرقيق، كما في قوله: ﴿لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [البقرة: ١٨٩]، ﴿لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٢].

قوله تعالى: ﴿أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ﴾: أي: مَن كان غنيًّا بالمال، وجيهًا في الحال.

﴿فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ﴾: أي: تتعرَّض، من الصَّدد، وهو القرب، ومنه يُقال: داري صَدَدُ دارِه؛ أي: قُبالتها، وأصله: يتصدَّد، فقُلِبَتِ إحدى الدَّالات ياء، كما في التَّمطي والتَّقصي.

﴿وَمَا عَلَيۡكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ﴾: يعني: لا يتزكَّى؛ أي: ليس عليك شيءٌ بألَّا يتطهَّر بالإيمان، ويبقى على نجاسة الكفر.

* * *

(٨ ـ ١٦) ـ ﴿وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسۡعَىٰ ۝٨ وَهُوَ يَخۡشَىٰ ۝٩ فَأَنتَ عَنۡهُ تَلَهَّىٰ ۝١٠ كَلَّآ إِنَّهَا تَذۡكِرَةٞ ۝١١ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ۝١٢ فِي صُحُفٖ مُّكَرَّمَةٖ ۝١٣ مَّرۡفُوعَةٖ مُّطَهَّرَةِۭ ۝١٤ بِأَيۡدِي سَفَرَةٖ ۝١٥ كِرَامِۭ بَرَرَةٖ﴾.

---

(١) في (ف): «أتاه» بدل: «بأن جاءه».

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ٦٧٢)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٢٠).

﴿وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ﴾: أي: يَجدُّ ويَحرص في قُرْبك والاستفادة منك.

﴿وَهُوَ يَخْشَىٰ﴾: أي: يخاف الله تعالى.

وقيل: أي: يزداد في العلم، كما قال: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨].

﴿فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ﴾: أصلُه[1]: تتلهَّى؛ أي: تشتغل، وإلى غيره تُقبِل.

﴿كَلَّآ﴾: قيل: أي: لا تعدْ إلى مثلِه، وقيل: أي: حقًّا.

﴿إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ﴾؛ أي: إنَّ هذه العظةَ.

وقال الفرَّاء: أي: هذه السُّورة[2].

وقال الكسائيُّ: يعني: إنَّ هذه الآية ﴿تَذْكِرَةٌ﴾؛ أي: تذكيرٌ ووعظ.

﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ﴾: أي: فمَن شاء من الخَلْق أَمكنه أن يتَّعظ به لوضوحه.

وقيل: أي: فمَن شاء الله وفَّقه للاتِّعاظ فاتَّعظ به.

وقيل: شاء الله لابن أمِّ مكتوم فذَكَره، ولم يشأْ للكافر فأنكرَه.

ولم يقل: (ذكرها) والأوَّل مؤنَّث؛ لأنَّه يرجع إلى الوحي، أو إلى القرآن، أو إلى المذكور، أو إلى الوعظ، أو إلى التَّذكير.

﴿فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ﴾: أي: هذه التَّذكرة مُثْبتةٌ ﴿فِى صُحُفٍ﴾: جمع صحيفة، وهي ما يكتب فيه الشَّيء ﴿مُّكَرَّمَةٍ﴾؛ أي: عند الملائكة وعند المؤمنين، وإن كان يستخِفُّ بها الكافر.

وقيل: منزَّهة عن الخطأ والباطل.

﴿مَّرْفُوعَةٍ﴾: قيل: هي رفيعة المكان لأنَّها في السماء السابعة.

---

(١) في (أ): «أي».

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٣٦).

وقيل: هي رفيعة[١] القَدْر والمنزلة.

﴿مُّطَهَّرَةٍ﴾؛ أي: في أيدي الملائكة المطهَّرين.

وقيل: لأنَّه لا يحلُّ أن يمسَّها إلَّا المطهَّرون.

﴿بِأَيْدِى سَفَرَةٍ﴾: أي: ملائكةٍ كَتَبَة، وقد سَفَر يَسْفِر؛ أي: كتبَ، والسِّفْر ـ بالكسر ـ: الكتاب.

وقيل: هم سفراء بينَ الله ورسوله بإنزال الوحي.

﴿كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾: أي: كرامٍ عند الله مطيعين لله تعالى.

***

(١٧ ـ ١٩) ـ ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ (١٧) مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ (١٨) مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ﴾.

قوله تعالى: ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ﴾: قيل: هو الإنسان الذي اشتغلَ به النَّبيُّ ﷺ عن ابن أمِّ مكتوم.

وقيل: هو جنس الكافر.

وقال ابن عبَّاس: هو عتبةُ بن أبي لهبٍ[٢].

وقال مجاهد: ﴿قُتِلَ﴾؛ أي: لُعِنَ[٣].

وقيل: أُهْلِكَ.

وقيل: هو خبر.

---

(١) في (ف): «رفعة» في الموضعين.

(٢) ذكره عن ابن عباس رضي الله عنهما الواحدي في «البسيط» (٢٣/ ٢٢١)، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٢٠٥) عن ابن جريج والكلبي. وهو في «تفسير مقاتل» (٤/ ٥٩١).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ١١٠) بلفظ: ما كان في القرآن ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ أو فعل بالإنسان، فإنما عني به الكافر. واللفظ المذكور أعلاه هو من كلام الطبري الذي قدم به لخبر مجاهد.

وقيل: هو دعاء، ومعناه: تعليم الخلق بأن يدعو عليه به.

﴿مَآ أَكۡفَرَهُۥ﴾: قيل: هو على التَّعجُّب؛ أي: ما أشدَّ كفرَه، وهو من الله تعجيب لخلقه منه.

وقيل: هو على الفعل؛ أي: أيُّ شيء حملَه على الكفر، وهو استفهام بمعنى التَّوبيخ.

﴿مِنۡ أَيِّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥ﴾: بيان لأصله على وجه السُّؤال لِمَا بعده من الجواب، والمراد به التَّقرير.

﴿مِن نُّطۡفَةٍ خَلَقَهُۥ﴾: وهو ماء مَهين قذر.

قال الحسن: كيف يتكبَّر مَن خرجَ من سبيل البول مرَّتين[1].

﴿فَقَدَّرَهُۥ﴾؛ أي: فأوجده مقدَّرًا على هذه الهيئة الإنسانيَّة.

* * *

(٢٠ ـ ٢٣) ـ ﴿ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقۡبَرَهُۥ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾ كَلَّا لَمَّا يَقۡضِ مَآ أَمَرَهُۥ﴾.

﴿ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ﴾: قال ابن عبَّاس رضي الله عنهما وقتادة والسُّدِّي: هو خروجُه من بطن أمِّه[2].

وقال ابن زيد: هو سبيل الإسلام[3].

---

(١) ذكره الجصاص في «أحكام القرآن» (٣/ ٤٥٩)، والقرطبي في «تفسيره» (٢٢/ ٧٩). وروى نحوه البيهقي في «شعب الإيمان» (٨٢١٠)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٤/ ٣٢٨) من قول الأحنف بن قيس.

(٢) رواه عنهم الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ١١١ ـ ١١٢).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ١١٣).

وقال الحسن: ﴿يَسَّرَهُۥ﴾؛ أي: بصَّره بطريق الهدى من الضَّلال[1].

وقال مجاهد: سبيل السَّعادة والشَّقاوة[2].

قال النَّبيُّ ﷺ: «كلٌّ ميسَّرٌ لِمَا خُلِقَ له»[3].

﴿ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ﴾: أي: جعل له قبرًا.

وقيل: أمر الأحياء أن يقبروه، وقد قبرَ الحيُّ الميت يَقْبِرُه، من حدِّ (دخل يدخل)؛ أي: دفنَه، وأقبره اللهُ تعالى؛ أي: جعل له ذلك وأمر بذلك.

يقول: جعلَه ممَّن يُقبَر لا يُلقَى للسِّباع والطَّير، فيكونُ مكرَّمًا حيًّا ومَيْتًا.

﴿ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ﴾: أي: يحييه للوقت الذي يشاء.

﴿كَلَّا﴾: قال الحسن: أي: حقًّا[4].

وقيل: هو متَّصل بأوَّل الآية، وهو قوله: ﴿كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ﴾.

﴿لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ﴾: أي: لم يقضِ هذا الإنسان ما أمره الله تعالى به من الإيمان والطَّاعة، فيستحقَّ التَّعظيم والتَّقديم.

و﴿لَمَّا﴾ أصله: (لم)[5]، و(ما) صلة، وأُدغمَت الميم في الميم.

وإنْ أُقرَّتْ هذه الآية على نظمها فمعناه: خلقه الله تعالى فقدَّره، والسَّبيل يسَّره، وكذا وكذا؛ ليوحِّده ويعبده، ثمَّ هو لا يقضي ما عليه.

وقيل: ﴿لَمَّا يَقْضِ﴾؛ أي: لم يفعل، كما قال: ﴿فَاقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ﴾ [طه:٧٢].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ١١٢) بلفظ: «﴿ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ﴾: سبيل الخير».

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣/ ٣٩٣)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ١١٢).

(٣) رواه البخاري (٤٩٤٩)، ومسلم (٢٦٤٧)، من حديث علي رضي الله عنه.

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ١٣٢)، والواحدي في «البسيط» (٢٣/ ٢٢٦).

(٥) في (أ) و(ف): «لم ما»، بدل: «أصله لم».

(٢٤ ـ ٣١) ـ ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَـٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَـٰكِهَةً وَأَبًّا﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَـٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا﴾: قرأ حمزة والكسائيُّ وعاصم بفتح الألف، والباقون بالكسر، والكسر للابتداء، والفتح للبناء[1].

فيقول: فلينظر الإنسان بقلبه نظرَ تدبُّرٍ إلى طعامه كيف حوَّلنا أحواله، كما ذكرنا تحويل أحوال نفسه في الآية الأولى: ﴿أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا﴾.

﴿ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا﴾: أي: فتقناها بالنَّبات ﴿شَقًّا﴾؛ أي: فتقًا.

﴿فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا﴾: هي حبوب الأطعمة.

﴿وَعِنَبًا﴾: وهو ما يكون في الكروم.

﴿وَقَضْبًا﴾: قال أبو عبيدة: رُطبًا[2].

وقال قطرب: علفًا[3].

وقال القتبيُّ: قتًّا، وهو من القَضْب الذي هو القطع[4].

وقال الخليل: ﴿وَقَضْبًا﴾: هو أغصان الشَّجر يُقطَع للسِّهام[5].

﴿وَزَيْتُونًا﴾: هو معروف ﴿وَنَخْلًا﴾.

﴿وَحَدَآئِقَ غُلْبًا﴾: أي: بساتين غلاظ الأشجار.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ٦٧٢)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٢٠).

(٢) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٢/ ٨٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما وزاد: لأنه يُقْضَبُ من النَّخْل: ولأنه ذكر العنب قَبْله.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ١١٦) عن الحسن.

(٤) انظر: «غريب القرآن» لابن قتيبة (ص: ٥١٤).

(٥) انظر: «العين» للخليل (٥/ ٥٣).

والأغلَبُ: الرَّجل الغليظ الرَّقبة، والغلباءُ: المرأة الغليظة الرَّقبة، والغُلْبُ: جمعُها.

وقال أبو عبيدة: نخلةٌ غَلْباءُ؛ أي: عظيمة[١].

﴿وَفَٰكِهَةً﴾: ما يُتفكَّه به من الثِّمار.

﴿وَأَبًّا﴾: قال الفرَّاء: هو ما تأكلُه الأنعام[٢].

وقال أبو عبيدة والأخفش وقطرب: هو المرعى[٣].

وقال الخليل: الكلأ.

وقال نفطويه: الأبُّ للبهائم كالفاكهة للإنسان[٤].

وسئل أبو بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه عن الأَبِّ فقال: أيُّ سماء تظلُّني وأيُّ أرض تقلُّني إذا قلْتُ في كتاب الله ما لا أعلم[٥]؟!

وقرأ أبيٌّ: ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا﴾ فقال الصَّحابة: ما الأَبُّ؟ قال بعضُهم كذا، وبعضهم كذا، فقال عمر رضي الله عنه: آمنَّا به، كُلٌّ من عند ربِّنا[٦].

---

(١) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (٢/ ٢٨٦)، وفيه: «غليظة» بدل «عظيمة».

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢٣٨).

(٣) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (٢/ ٢٨٦).

(٤) ذكره ابن الأثير في «النهاية في غريب الحديث» (مادة: أبب) بلا نسبة.

(٥) رواه أبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص: ٣٧٥)، وسعيد بن منصور في «سننه» (٣٩ـ تفسير)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٠١٠٧).

(٦) رواه الحاكم في «المستدرك» (٣١٤٥) وصححه، إلا أن فيه أن القارئ هو عمر رضي الله عنه نفسه. وروى نحوه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٠١٠٥)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ١٢٠)، والحاكم في «المستدرك» (٣٨٩٧)، ولفظ ابن أبي شيبة: عن أنس: أن عمر قال على المنبر: ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا﴾، ثم قال: هذه الفاكهة قد عرفناها، فما الأب؟ ثم رجع إلى نفسه، فقال: إن هذا لهو التكلف يا عمر.

وقيل: فلينظر الإنسان إلى طعامه حين يدخل جوفَه وحين يخرج منه، كيف تغيَّرت حاله من الطَّيِّب إلى الخبيث؟

ويجوز أن يكون هذا مَثلًا لتحقير الدُّنيا وما يَتفاخَر به أهل الدُّنيا، وتنبيهًا للإنسان على حاله.

وعن ابن عبَّاس: ﴿إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ﴾ يعني: إلى رجيعه؛ ليَعتبر به[1]، ونظيره قوله: ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١].

قال الضَّحَّاك: يعني: مخرج الغائط والبول[2].

* * *

(٣٢ ـ ٣٧) ـ ﴿مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾.

﴿مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ﴾: هي الإبل والبقر والغنم.

﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ﴾: قال الحسن: هي النَّفخة الثَّانية[3].

وقال القتبيُّ: الدَّاهية[4].

وقال الخليل: هي الصَّيحة تصخُّ الآذان؛ أي: تُصمُّها[5].

وقيل: هي يوم القيامة.

---

(١) في (ف): «لتغيره» بدل: «ليعتبر به».

(٢) روى نحو هذين الخبرين ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٤٠١) عن الحسن، بلفظ: (ملك يثني رقبة ابن آدم إذا جلس على الخلاء لينظر ما يخرج منه).

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٢٠٩).

(٤) انظر: «غريب القرآن» لابن قتيبة (ص: ٥١٥).

(٥) انظر: «العين» للخليل (٤/ ١٣٥).

وجواب هذا محذوف؛ لأنَّه معلومُ المراد مكشوف.

﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (٣٥) وَصَاحِبَتِهِ﴾: أي: زوجته ﴿وَبَنِيهِ﴾؛ أي: أولاده.

وقيل: يفرُّ حذرًا من مطالبتهم إيَّاه ممَّا بينهم من التَّبعات.

وقيل: لئلا يرَوه وما به من الهوان.

﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾: أي: شأنٌ في نفسه يغنيه عن غيره.

وقيل: ﴿يُغْنِيهِ﴾؛ أي: يصدُّه عنهم. قاله القتبيُّ ونفطويه[1]. قال النَّابغة:

تقولُ له الظَّعينةُ أَغْنِ عنِّي بعيرَكَ حينَ ليسَ به غَناءُ[2]

وقال مرة الهمدانيُّ: ﴿يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ﴾: هابيل من قابيل، ومحمَّدٌ ﷺ عن أمِّه، وإبراهيم عليه السلام عن أبيه، ولوط عن امرأته، ونوح عن ابنه[3].

وقالت عائشة رضي الله عنها حين قال النَّبيُّ ﷺ: «يُحشَرُ النَّاس[4] حفاةً عراةً بهمًا غرلًا»، قالت: وكيف النِّساء؟ قال: «وكذلك»، قالت: واسوأتاه. قال: «يا هذه ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾»[5].

---

(١) انظر: «غريب القرآن» لابن قتيبة (ص: ٥١٥).

(٢) نسب البيت للنابغة في «الغريبين» لأبي عبيد الهروي (مادة: غنا)، ونسب للحطيئة. انظر: «ديوان الحطيئة» (ص: ١٥) (ط دار المعرفة).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ١٣٥)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ٣٤١)، عن قتادة.

(٤) في (ف): «يوم يحشر الناس جميعًا يوم القيامة» بدل: «يحشر الناس».

(٥) رواه عن عائشة النسائي (٢٠٨٣). ورواه الترمذي (٣٣٣٢) من حديث ابن عباس رضي الله عنه، ولم يسمِّ السائلة. وقال: حسن صحيح.

ورواه البخاري (٦٥٢٧)، ومسلم (٢٨٥٩)، من حديث عائشة رضي الله عنها دون ذكر الآية، وفيه: قال ﷺ: «يا عائشة الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلى بعض».

(٣٨ ـ ٤٢) ـ ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ ﴾.

قوله تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴾: أي: مضيئة، وهي وجوه المؤمنين.

قال ابن عبَّاس: من قيام اللَّيل. وقال الضَّحَّاك: من آثار الوضوء(١).

وعن عطاء قال: من طول ما اغبرَّت في سبيل الله(٢).

﴿ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴾: أي: أصحاب هذه الوجوه ضاحكون مسرورون.

﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ﴾: وهي وجوه المشركين.

﴿عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴾: هي إذا صارت الوحوش(٣) ترابًا ساطعًا غشي ذلك التُّراب وجوه الكفَّار.

﴿ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴾: أي: سواد.

وقيل: ﴿غَبَرَةٌ ﴾: ظُلمة، و﴿قَتَرَةٌ ﴾؛ أي: ذلة.

﴿ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ ﴾: أي: أصحابها الكفَّار والأشرار.

* * *

---

(١) ذكرهما القرطبي في «تفسيره» (٢٢/ ٩١).

(٢) رواه الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ١٣٥)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٥/ ٢٠٠) عن عطاء الخراساني.

(٣) في (أ): «الوجوه».

سورة التكوير (1)

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الذي خوَّفنا مجيءَ يوم عظيم، الرحمنِ الذي أكرمَنا ببَعْثِ رسول كريم، الرحيمِ البَرِّ بمن(2) شاء منَّا أن يستقيم.

روى أبيُّ بن كعبٍ رضي الله عنه عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «مَن قرأ سورةَ ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ أعاذه الله تعالى أن يفضحَه حين تُنْشَرُ صحيفتُه»(3).

وهذه السُّورة مكيَّة.

وهي ثمان وعشرون آية، ومئة وأربع كلمات، وأربعُ مئة وخمسة وعشرون حرفًا.

وانتظام ختم تلك السُّورة بافتتاح هذه السُّورة: أنَّ ختم تلك السُّورة ببيان اختلاف أوصاف الوجوه يوم القيامة، وافتتاح هذه السُّورة بظهور أمورٍ تكون عند وقوع يوم القيامة.

وانتظام السُّورتين: أنَّهما في ذكر الملائكة والقرآن، والكفر والإيمان.

---

(1) في (ر): «سورة إذا الشمس كورت».

(2) في (ر): «الرحيم الذي أكرم من».

(3) رواه الثعلبي في «تفسيره» (10/ 136)، والواحدي في «الوسيط» (4/ 427)، قال ابن الجوزي في «الموضوعات» (4/ 344): مصنوع بلا شك. وانظر: «الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة» للشوكاني (ص: 296).

(١ ـ ٤) ـ ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۝٣ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾.

قوله تعالى: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾: أي: لُفَّتْ وأُلْقِيَتْ وأُذْهِبَ نورُها.

قال أبو عبيدة والأخفش: تُلَفُّ كما تُلَفُّ العمامةُ[١].

وقال أبو صالح: نُكِّسَتْ[٢].

وقال ابن كيسان: سُوِّدَتْ[٣].

وقال محمَّد بن جرير: جمع بعضها إلى بعض، ثم لُفَّتْ فرُمِيَ بها، وإذا فُعِلَ ذلك ذهبَ ضوؤها[٤].

وروى عبد الله بن عمر رضي الله عنه عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «مَن أرادَ أنْ يَنْظرَ إلى يوم القيامةِ كأنَّه رَأْيَ عَيْنٍ فَلْيَقْرَأْ: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾، و﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ﴾، و﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾»[٥].

﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ﴾: أي: انتثرَتْ[٦]، وقال قطرب: انقضَّتْ[٧].

﴿وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾: أي: قُلِعَتْ وبتَّتْ وسُيِّرَتْ[٨] في الهواء.

---

(١) انظر: «مجاز القرآن» (٢/ ٢٨٧)، ونقله الأزهري في «تهذيب اللغة» (مادة: كور) عن الأخفش قال: «تلف فتمحى».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ١٣٠).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ١٢٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ: أظلمت.

(٤) انظر: «تفسير الطبري» (٢٤/ ١٣١).

(٥) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤٨٠٦)، والترمذي (٣٣٣٣).

(٦) في (أ) و(ف): «تناثرت».

(٧) في (ف): «انشقت».

(٨) في (ف): «فلقت وبثت وسيرت»، وفي (ر): «قلعت ونسفت أي سيرت».

﴿وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾: هي جمع عُشَرَاء، كالنِّفاس جمع نُفَسَاء.

والعُشَراءُ: النَّاقة التي قد أتى على حملها عشرةُ أشهر، وهي أنفَس الأموال عند العرب، وكانوا يحبسونها إذا بلغت هذه الحالة، ويعطِّلون ما دونها.

أخبر أنَّ هذه الحوامل على عزَّتها عند أهلها تُعطَّل وتُهمَل؛ لِشدَّة ما يُرَى(1) من الهول النَّازل بالنَّاس يومئذ، وهي كقوله: ﴿تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ﴾ [الحج: ٢].

***

(٥ ـ ٦) ـ ﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝٥ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾.

﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾؛ أي: جُمعَتْ واختلطَتْ بالنَّاس، وبعضها ببعض؛ لهول قيام السَّاعة، وهذا قبل القيامة.

وقال ابن عبَّاس: حشرُها: موتُها(2).

وقيل: هو حشرها وبعثها مع النَّاس يوم القيامة، فيُقْتَصُّ للجمَّاء من القرناء كما روي، ثم يُقال لها: موتي، فتموت وتكون ترابًا، وعند ذلك يقول الكافر: ﴿يَٰلَيْتَنِي كُنتُ تُرَٰبًۢا﴾ [النبأ: ٤٠](3).

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾: قرأ ابن كثير وأبو عمرو: ﴿سُجِرَتْ﴾ خفيفة،

---

(١) في (ف): «يرد».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ١٣٦).

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٧٨٦)، والطبري في «تفسيره» (٩/ ٢٣٥)، والحاكم في «المستدرك» (٣٢٣١) وصححه، عن أبي هريرة رضي الله عنه موقوفًا عليه. ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٥٥) مرفوعًا. وروى بعضه مسلم (٢٥٨٢) مرفوعًا، ولفظه: «لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة، حتى يقاد للشاة الجلحاء، من الشاة القرناء».

وقرأ الباقون مشدَّدة(١)، فالتَّخفيف على أصل الفعل، والتَّشديد لكثرة المحالّ.

والسَّجْر في اللُّغة لشيئين:

ـ لِلْمَلْء؛ قال تعالى: ﴿وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ﴾ [الطور: ٦].

ـ وللإحماءِ؛ يُقال: سجَرْتُ التَّنورَ.

وفي الآية على هذا أقاويل:

قيل: ﴿سُجِّرَتْ﴾؛ أي: يبسَتْ وغارَتْ مياهُها، فلم يبقَ فيها شيءٌ، كما أنَّ الجبال تسير فلا يبقى منها على وجه الأرض شيءٌ، فتستوي الأرض كلُّها، فلا تبقى الجبال ولا البحار.

والتَّنُّور إذا سُجِرَ نشف(٢) ما فيه من الرُّطوبة، فكأنَّها تُوقَد فتذهبُ مياهُها في الأرض.

وقيل: ﴿سُجِّرَتْ﴾؛ أي: فاضَتْ ومُلِئَتْ بأن رفع الله الحاجز، وهو ما قال: ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ﴾ [الرحمن: ٢٠]، فتفجَّرَت المياه فعمَّتِ الأرضَ كلَّها. قاله الكلبيُّ وغيره(٣).

وقال الفرَّاء: ﴿سُجِّرَتْ﴾؛ أي: أفضى بعضها إلى بعض(٤).

وقيل: ﴿سُجِّرَتْ﴾؛ أي: أُوْقِدَتْ، ووجه ذلك: أنَّ طَبَق جهنَّم يُرفَع، فترتفع النَّار، فتفور المياه، فتمتلئ البحار نارًا.

وقيل: تُكوَّر الشَّمس في البحار فتصير نارًا.

قيل: هذه السِّتَّة قبل قيام السَّاعة.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ٦٧٣)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٢٠).

(٢) في (ر): «يبس».

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣/ ٣٩٥)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ١٣٩).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٣٩).

(٧ ـ ٩) ـ ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝٧ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾.

﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾: هذا وما بعدها بعد قيام الساعة.

قيل: ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾: هو قوله ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً﴾ [الواقعة: ٧].

وقيل: ﴿زُوِّجَتْ﴾؛ أي: قُرِنَتْ.

وقال عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه: يُقرَن بين الرَّجلين: الرَّجلِ الصَّالح مع الصَّالح في الجنَّة، والرَّجل السُّوء بالرَّجل السُّوء[١] في النَّار[٢].

وقيل: زُوِّجَتِ الأجساد بالأرواح. وهو قول عكرمة والسُّدِّي[٣].

وقيل: هو أن يُقرَن كلُّ إنسانٍ بمن كان يَلزمُه في الدُّنيا، من مَلَكٍ[٤] أو شيطان، وعلى هذا قوله: ﴿ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ﴾ [الصافات: ٢٢]؛ أي: قرناءهم من الشَّياطين.

﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾: أي: المدفونةُ حيَّة، وكانوا يفعلون ذلك في البنات أَنَفةً منهنَّ، وفرارًا عن تحمُّل مؤنتهنَّ، وخشيةَ الإملاق بسببهنَّ.

وسؤال الموؤودة توبيخٌ لقاتلها، وهو أبلغُ من سؤاله؛ لظهور حالها وحاله، وهو كسؤال عيسى عليه السلام: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [المائدة: ١١٦]، وهو للإلزام للنَّصارى[٥].

---

(١) في (أ): «بالسوء» بدل: «بالرجل السوء».

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٤٤٩٢)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ١٤٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٤٠٦)، وأبو نعيم في «صفة الجنة» (٢٩٦).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ١٤٤) عن عكرمة والشعبي.

(٤) في (ف): «مال».

(٥) في (ر): «للإلزام على النصارى».

وقيل: ﴿سُئِلَتْ﴾؛ أي: سُئِلَتْ عن سبب قتلها، والمسؤول والدها، وهو كقوله: ﴿إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٤]؛ أي: مطلوبًا به. إليه ذهب أبو عبيدةَ وجماعة.

* * *

(١٠ ـ ١١) ـ ﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ۝١٠ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ﴾.

﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾: أي: صحف الأعمال، تُنْشَر[1] فيُعطاها النَّاس منشورة بأيمانهم وشمائلهم.

قرأ ابن كثير وأبو عمرو: ﴿سُجِرَتْ﴾ و﴿سُعِرَتْ﴾ مخففَّتين، و﴿نُشِّرَتْ﴾ مشددة.

وقرأ نافع وابن عامر وعاصم في رواية حفص: ﴿سُجِّرَتْ﴾، و﴿سُعِّرَتْ﴾ مشدَّدتين، و﴿نُشِرَتْ﴾ مخفَّفة.

وقرأ حمزة والكسائي: ﴿سُجِرَتْ﴾ و﴿نُشِّرَتْ﴾ مخفَّفتين، و﴿سُعِّرَتْ﴾ مشدَّدة[2].

والتَّخفيف على الأصل، والتَّشديد للتَّكثير.

﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ﴾: قال مقاتل: أي: كُشِفَتْ عمَّن فيها من الملائكة، ثم طُوِيَتْ[3].

وقيل: قُلِعَتْ كما يُقْلَع السَّقف.

وقال الخليل: الكَشْطُ: رفعك شيئًا عن شيء قد غطَّاه من فوقه، كما يُكْشَطُ الجلد عن السَّنام وعن المسلوخة[4]. وهو قول الفرَّاء[5].

---

(١) «تنشر» ليس في (أ).

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ٦٧٣)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٢٠).

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٦٠٢).

(٤) انظر: «العين» للخليل (٥/ ٢٨٩).

(٥) انظر: «معاني القرآن» (٣/ ٢٤١)، وفيه: ﴿كُشِطَتْ﴾: نزعت وطويت.

وفي «ديوان الأدب»: كشطُ البعيرِ: نزعُ الجلدِ عنه، وكشطُ الطَّبق: رفعُه، وكشطُ الجُلِّ عن الفرس: سَرْوُهُ عنه[١].

وقيل: ﴿كُشِطَتْ﴾: نُزِعَتْ عن أماكنها.

* * *

(١٢ ـ ١٦) ـ ﴿وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ (١٢) وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ (١٣) عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ (١٤) فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ (١٥) الْجَوَارِ الْكُنَّسِ﴾.

﴿وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ﴾؛ أي: أُوْقِدَتْ وزِيدَ في إحمائها.

وقيل: أي: أُتِمَّ إيقادُها.

وفي الخبر: «أُوقِدَ على النَّار ألفُ سنةٍ حتَّى احمرَّتْ، ثم ألفُ سنةٍ حتَّى ابيضَّتْ، ثم ألفُ سنة حتَّى اسودَّتْ، فهي سوداء مظلمة»[٢].

﴿وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ﴾: أي: أُدنيَتْ.

وقال الحسن: أي: أُدْنُوا منها، لا أنَّها تُزال عن موضعِها[٣].

﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ﴾ هذا جوابُ كلِّ ما تقدَّم؛ أي: علمَ كلُّ إنسانٍ ما أحضرَ هناك من الأعمال خيرِها وشرِّها، وذكَر ما كان نسيه، قال الله تعالى: ﴿أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ﴾ [المجادلة: ٦].

وقوله تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ﴾: له ثلاثة أوجهٍ ذكرناها في قوله: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾ [الواقعة: ٧٥].

---

(١) انظر: «معجم ديوان الأدب» لأبي إبراهيم الفارابي (٢/ ١٦٩).

(٢) رواه الترمذي (٢٥٩١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وقال: حديث أبي هريرة في هذا موقوف أصح، ولا أعلم أحدًا رفعه غير يحيى بن أبي بكير عن شريك.

(٣) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٢/ ١٠٧).

قوله: ﴿بِالْخُنَّسِ (١٥) الْجَوَارِ الْكُنَّسِ﴾: قسمٌ بالنُّجوم الخمسة، وهي المريخ وزُحَل وعُطَارِد والـمُشْتري والزُّهَرة.

والخنَّسُ: جمع خانس، وقد خَنَسَ يَخْنُسُ خُنوسًا، من حدِّ (دخل)؛ أي: تأخَّر.

والكنَّسُ: جمع كانس، وقد كَنَسَ يَكْنِسُ كنوسًا، من حدِّ (ضرب)؛ أي: استتر.

سُمِّيَتْ بها لأنَّها ترجع في مجاريها وتستتر فيها.

وقيل: هي بالنَّهار خُنَّس كُنَّس؛ لأنَّها متواريةٌ فيه، مستترةٌ في الفلك وفي بيوتها منه.

وقيل: تَخْنُس؛ أي: تتأخَّر عن مطالعها في كلِّ عام في بعض الأوقات.

وهو قول عليٍّ والحسن وقتادة ومجاهد: أنَّها النُّجوم، والقسَم بها لمنافع العباد تعلَّقَتْ بها[١].

وقال ابن مسعود وإبراهيم: هي بقر الوحش[٢].

وقال ابن عبَّاس وسعيد بن جبير والضَّحَّاك: هي الظِّباء[٣]. إذا رأيْنَ الإنس خنسْنَ؛ أي: انقبضْنَ[٤] وتأخَّرْنَ، وإذا أتين كِناسَهُنَّ كَنَسْنَ؛ أي: دخلْنَ واستتَرْنَ، وهي خلقٌ من خلق الله تعالى، أقسمَ بها كما أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون.

والأوَّل أولى؛ لأنَّ النُّجوم أشبه باللَّيل، وقد ذُكِرَ ذلك بعدَه فقال:

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٥١٣) عن الحسن. ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ١٥٢ ـ ١٥٤) عن علي رضي الله عنه وأبي سعيد الخدري وبكر بن عبد الله ومجاهد وقتادة والحسن وابن زيد.

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٥١٤) عن ابن مسعود رضي الله عنه. ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ١٥٤ ـ ١٥٦) عن ابن مسعود رضي الله عنه، وإبراهيم، وأبي الشعثاء.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ١٥٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما وسعيد بن جبير والضحاك.

(٤) «أي انقبضن» ليس في (أ).

(١٧ ـ ١٩) ـ ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ١٧ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ١٨ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ﴾.

﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ﴾: قيل: أي: أدبر. وقيل: أي: أقبل ظلامُه.

الأوَّل: قول عليٍّ وابن عبَّاس ومجاهد والضَّحَّاك وقتادة وابن زيد[1]، ومن أهل اللُّغة الأخفش والكسائيُّ[2].

والثَّاني: قول الحسن ومجاهد ـ في رواية ـ والفضيل عن عطيَّة[3]، ومن أهل اللُّغة الخليل وقطرب ونفطويه[4].

وقال محمَّد بن جرير: عسعس اللَّيل وسعسع: إذا أدبر فلم يبقَ منه إلَّا اليسير[5].

﴿وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾: أي: انبلج[6].

﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ﴾: أي: الذي ذكره محمَّد من أمر السَّاعة لقولُ رسولٍ كريمٍ، وهو جبريل، أضاف القولَ بالقرآن إليه لأنَّه هو الذي نزَلَ به من عند الله بأمره.

وقيل: ﴿إِنَّهُۥ﴾؛ أي: القرآن، كنَى عن معلومٍ لا مذكورٍ، كما في قوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ﴾ [القدر: ١].

وجبريل كريمٌ على الله لجِدِّه في طاعته ومضيِّه على أمره.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ١٥٩ ـ ١٦١) عن ابن عباس وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم وقتادة والضحاك وابن زيد.

(٢) وقاله الفراء. انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٤٢).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ١٦٠ ـ ١٦١) عن الحسن ومجاهد وعن الفضيل عن عطية،

(٤) انظر: «العين» للخليل (١/ ٧٤). أما قطرب فكان يرى أنه من الأضداد. انظر: «الأضداد» لقطرب (ص: ٢٦٦)، و«تهذيب اللغة» (مادة: عسس).

(٥) انظر: «تفسير الطبري» (٢٤/ ١٦١).

(٦) في (ر): «انسلخ».

(٢٠ ـ ٢٢) ـ ﴿ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ﴾.

﴿ذِي قُوَّةٍ﴾؛ أي: ذي قدرةٍ على ما[1] تكلَّف، لا عجز له ولا ضعف، كما قال: ﴿شَدِيدُ الْقُوَىٰ﴾ [النجم: ٥].

﴿عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾: أي: وجيه، والمكانةُ: الجاه والمنزلة.

﴿مُطَاعٍ﴾: أي: تطيعه ملائكة السَّماوات؛ لعلمهم بمنزلته عند الله.

﴿ثَمَّ﴾: أي: هناك، يعني: في السَّماوات.

﴿أَمِينٍ﴾: أي: مُؤتَمَنٍ على وحي الله تعالى.

﴿وَمَا صَاحِبُكُم﴾: أي: محمَّد ﷺ ﴿بِمَجْنُونٍ﴾: بل هو أعقل العقلاء.

قال عطيَّة: سألَ رسولُ اللهِ ﷺ جبريلَ أن يراه في صورتِه التي يكون عليها في السَّماء، فقال: ما أقدر على ذلك، وما ذاك إليَّ، فاستأذَنَ له[2]، فأُذِنَ له، فأتاه قد سَدَّ الأفق، فلمَّا نظر النَّبيُّ ﷺ خرَّ مغشيًّا عليه، فقال المشركون: مجنون، فنزل قوله: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ إلى آخر السُّورة[3].

* * *

(٢٣ ـ ٢٥) ـ ﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ ﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ﴾: أي: محمَّدٌ ﷺ رأى جبريلَ على صورتِه، فتيقَّن أنَّه رسولُ الله إليه، وأنَّه بُعِثَ إلى الخلق رسولًا.

---

(١) «ما» ليس في (أ).

(٢) «فاستأذن له» من (ف).

(٣) ذكر ذلك الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ١٦٧) دون نسبة.

﴿بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ﴾: أي: بناحية مطلع الشَّمس، وهو مبين؛ أي: من جهته تُرَى الأشياء وتَظهر، فكان البيان واقعًا من جهتِه، فكان مُبِينًا.

﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ﴾ أي: على الوحي ﴿بِضَنِينٍ﴾.

﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ﴾: أي: القرآن، وما أخبر به في هذه السُّورة.

﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾: قرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي بالظَّاء؛ أي: بمتَّهم، والظِنَّةُ: التُّهمة، وهي من الظَّنِّ.

وروَتْ عائشةُ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قرأ بالظَّاء[1].

وقرأ الباقون: ﴿بِضَنِينٍ﴾ بالضَّاد[2]؛ أي: ببخيلٍ فيكتمَه عنكم، وهو نعت محمَّد ﷺ على قول المفسِّرين، ويصلح أن يكون نعتًا لجبريل، وقد سبق ذكرهما.

وقال مقاتل بن حيَّان: رأى رسول الله ﷺ جبريل من قبل المشرق بأجياد وهو بمكَّة قد ملأ الأفقَ بكلكله، رجلاه في الأرض، ورأسه في السَّماء، جناحٌ له بالمشرق، وجناحٌ له بالمغرب، فغُشِيَ عليه فتحوَّل جبريل في صورة بني آدم، فقيل لرسول الله ﷺ لَمَّا رجع: ما رأيناك منذ بُعِثْتَ أحسنَ منك اليوم، فقال: «جاءني جبريل في صورته، فعَلِقني[3] هذا من حسنه»[4].

وروى ابن شهاب: أنَّ النَّبيَّ ﷺ سأل جبريل عليه السَّلام أن يتراءى له في

---

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (٢٩٩٦)، وصححه، وتعقبه الذهبي فقال: إسحاق متروك. وهو إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة.

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ٦٧٣)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٢٠).

(٣) في (ف): «فعلق بي».

(٤) ذكره مقاتل بن سليمان في «تفسيره» (٤/ ٤٠٦).

صورتِه، فقال له جبريل: إنَّك لا تطيق ذلك، فقال: «إنِّي أحُبُّ أنْ تفعلَ»، قال: نعم، قال: «فاخرُجْ إلى بقيع الغرقد»، قال جبريل: لا يسعني ذلك المكان، قال: «فاخرُجْ إلى مكانِ كذا» فسمَّاه الرَّاوي، قال: لا يسعني ذلك، فخرج رسولُ اللهِ ﷺ إلى المصلى في ليلة مقمرة فأتاه جبريل في صورته، فخرَّ مغشيًّا عليه [1]حين رآه، ثم أفاق وجبريل مُسنده واضعٌ إحدى يديه على صدره والأخرى بين كتفيه، فقال رسول الله ﷺ: «سبحان الله! ما كنْتُ أرى أنَّ شيئًا من الخلق هكذا»، فقال جبريل صلوات الرَّحمن عليه: فكيف لو رأيْتَ إسرافيل، إن له لاثني عشر جناحًا، منها جناح في المشرق وجناح في المغرب، وإنَّ العرش لعلى كاهله، وإنه ليتضاءل الأحيان لعظمة الله تعالى، حتى يصير كالوصَع[2] حتى ما يحمل عرشه إلَّا عظمته[3].

***

(٢٦ ـ ٢٩) ـ ﴿فَأَيۡنَ تَذۡهَبُونَ ٢٦ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ٢٧ لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ٢٨ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَأَيۡنَ تَذۡهَبُونَ﴾: أي: معرِضين عن هذا البيان بعد[4] بلوغ الغاية.

﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾: أي: ليس القرآن إلَّا ذكرًا لِمَا به الحاجة إليه لكلِّ الإنس والجنِّ.

---

(١) في (أ) و(ف): «فغشي على رسول» بدل من «فخر مغشيًا عليه».

(٢) في «الزهد» لابن المبارك: الوصع: عصفور صغير.

(٣) رواه ابن المبارك في «الزهد» (٢٢١)، والثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٩٧ ـ ٩٨). قال الزيلعي في «تخريج أحاديث الكشاف» (٣/ ١٤٦): مرسل جيد.

(٤) في (ف): «عند».

وقيل: أي: إلَّا عِظة لهم، فيتَّعظون بما ذُكِّروا أن يتَّعظوا به[١].

﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ﴾: أي: نَفْعُ هذا الذِّكر لمن أراد[٢] أن يستقيم من اعوجاج الكفر.

﴿وَمَا تَشَآءُونَ﴾: أي: الاستقامة[٣].

﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: قال عكرمة: قال أبو جهل لعنه الله: الأمر إلينا؛ إن شئنا استقمنا، وإن شئنا لم نستقم. فنزلَتِ الآية[٤].

* * *

(١) «فيتعظون بما ذكروا أن يتعظوا به» من (ف).

(٢) في (أ): «آثر».

(٣) «أي: الاستقامة» ليس في (أ).

(٤) لم أقف عليه عن عكرمة. ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ١٧٢)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ٤٣٢) عن سليمان بن موسى.

سُورَةُ الانفِطَارِ [1]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

بسم الله الذي خلق الإنسان فعدَلَه، الرحمنِ الذي وعد البِرَّ بنعيمٍ أُعِدَّ له، الرحيمِ الذي له الحكم والأمر، فما أعلمَه وما أعدلَه[2]!

وروى أبيُّ بن كعبٍ رضي الله عنه، عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «مَنْ قرأ سورةَ إذا السَّماء انفطرت كُتِبَ له بعددِ كلِّ قطرةٍ من ماءٍ حسنةٌ، وبعدد كلِّ قبرٍ حسنةٌ، وأصلحَ له شأنَه»[3].

وهذه السُّورة مكيَّة.

وهي تسعَ عشرةَ آية، وثمانون كلمة، وثلاثُ مئة وأربعةٌ وعشرون حرفًا.

وانتظام السُّورتين: أنَّهما في ذكر الأمور التي تكون عند قيام السَّاعة، والجزاء الذي يكون فيها لأهل المعصية ولأهل الطَّاعة.

* * *

---

(١) في (ر): «سورة إذا السماء انفطرت».

(٢) في (أ): «فيما أعلمه وأعد له» وفي (ف): «فما أعدله».

(٣) رواه الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ١٤٥)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ٤٣٣)، قال ابن الجوزي في «الموضوعات» (٤/ ٣٤٤): مصنوع بلا شك. وانظر: «الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة» للشوكاني (ص: ٢٩٦).

(١ ـ ٥) ـ ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ ١ وَإِذَا ٱلۡكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتۡ ٢ وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ فُجِّرَتۡ ٣ وَإِذَا ٱلۡقُبُورُ بُعۡثِرَتۡ ٤ عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ وَأَخَّرَتۡ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ﴾: أي: انشقَّتْ.

﴿وَإِذَا ٱلۡكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتۡ﴾: أي: تساقطَتْ.

﴿وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ فُجِّرَتۡ﴾: أي: سُيِّلَ بعضها في بعضٍ؛ لتزَلْزُل الأرض وتصدُّعِها.

﴿وَإِذَا ٱلۡقُبُورُ بُعۡثِرَتۡ﴾: أي: جُعِلَ أعلاها أسفلَها، وظاهرُها باطنَها، وأخرجَتْ أمواتها.

وقيل: هو إخراج كنوزها. قاله الفرَّاء[1].

﴿عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ وَأَخَّرَتۡ﴾: قال ابن عبَّاس وقتادة: أي: قدَّمَتْ من طاعةٍ وتركَتْ[2].

وقال محمَّد بن كعب القُرظيُّ: أي: ما قدَّمَتْ من عملها وما أَخَّرَتْ من سنَّةٍ سَنَّها[3].

وقيل: ما عملَتْ في أوَّل عمره وآخره، وقد انتهى ذلك، فلا عملَ بعدَه.

وقال قتادة: علمَتْ نفسٌ ما قدَّمَتْ من المعاصي، وسوَّفَتْ من التَّوبة.

وقال عبد العزيز: ما قدَّمت من المال لنفسِه، وما خلَّفَتْ منه لورثته[4].

***

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٤٣).

(٢) رواه عنهما الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ١٧٦).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ١٧٦). وروى نحوه ابن المبارك في «الزهد» (١٤٦٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٤٠٨) عن ابن مسعود رضي الله عنه.

(٤) لم أقف على هذين القولين.

(٦ ـ ٨) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ﴾: أي: يا أيُّها الإنسان المنكِر للبعث الذي ذكرناه، ما الذي صَيَّرَكَ مغترًّا بربِّك مع إقرارك بأنَّه هو ﴿ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ﴾؛ أي: قوَّم أعضاءَك ﴿فَعَدَلَكَ﴾؛ أي: سوَّى مزاجك.

وقرأ حمزة والكسائيُّ وعاصم: ﴿فَعَدَلَكَ﴾ خفيفة، والباقون مشدَّدة[١].

وقيل: هما لغتان بمعنًى واحد، وهو قول قطربٍ والأخفش[٢].

وقال الحسين بن واقد: بالتَّشديد: جَمَّلك وحَسَّنك، وبالتَّخفيف: سوَّى خلقَكَ.

وقال الفرَّاء: بالتَّشديد: جعلك معتدلًا، وبالتَّخفيف: صرَّفك إلى أيِّ صورة شاء[٣].

وقوله تعالى: ﴿فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾؛ أي: مِن حُسنٍ ودَمامةٍ، وطولٍ وقصرٍ، وأنوثةٍ وذكورةٍ، ونحو ذلك.

وقال مجاهد: ﴿فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾: من شَبَهِ أبٍ أو أمٍّ أو خالٍ أو عمٍّ[٤].

* * *

(٩ ـ ١٢) ـ ﴿كَلَّا بَلۡ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ۝٩ وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامٗا كَٰتِبِينَ ۝١١ يَعۡلَمُونَ مَا تَفۡعَلُونَ﴾.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ٦٧٤)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٢٠).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للأخفش (٢/ ٥٧٠).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٤٤).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ١٧٩).

﴿كَلَّا﴾: أي: ليس كما تقولون: لا بعثَ ولا حسابَ ولا جزاء.

وقيل: ليس كما تقولون: إنَّكم محقُّون في عبادة الأصنام.

﴿بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ﴾: أي: بالحساب، وقيل: بالجزاء يومَ القيامة.

﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ﴾: أي: ملائكةً يحفظون أعمالكم ويكتبونها، فتُخرج لكم يوم القيامة، فتحاسبون عليها وتجازَون بها.

﴿كِرَامًا﴾: أي: كرامًا على الله بطاعته ﴿كَاتِبِينَ﴾؛ أي: أعمالكم.

﴿يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾: أي: لا يخفى عليهم شيء من أعمالكم، فيُثْبتونها، والله تعالى أجرى أموره مع عباده على ما يعاملون به فيما بينهم؛ لأنَّ ذلك أبلغ في تقرير المعنى عندهم، فيُخرج لهم يوم القيامة كتابَ أعمالهم، وتشهد عليهم الملائكة بها، ثم جوارحهم، فيُقضَى عليهم بذلك إظهارًا للعدل.

وروى أبو صالح عن ابن عبَّاسٍ: أنَّ الآية نزلت في أبي الأشدِّين[١]: ﴿مَا غَرَّكَ﴾: في كفرك ﴿بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾: المتجاوِز عنك ﴿الَّذِي خَلَقَكَ﴾: من نطفةٍ فسوَّى خلْقَك في بطن أمِّك ﴿فَعَدَلَكَ﴾؛ أي: جعلَكَ معتدلَ القامة.

وقال الضَّحَّاك: إن كلدة ضرب النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم فلم يعاقبه الله تعالى، فبلغ ذلك حمزة فأسلم حميَّة لذلك، ثم أراد كلدة أن يعود لضرب النَّبيِّ ﷺ، فأنزل الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ أراد به: أنَّه لم يعاقبه ﴿الَّذِي خَلَقَكَ﴾ ولم تكُ شيئًا ﴿فَسَوَّاكَ﴾؛ أي: فسوَّى أعضاءك ﴿فَعَدَلَكَ﴾؛ أي: عدل خلقَكَ في العينين والأذنين والرِّجلين واليدين، ولم يجعله عضوًا واحدًا[٢].

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٢٢١)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٣/ ٤٥٨). وقاله مقاتل كما في «تفسيره» (٤/ ٦١٣).

(٢) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٥٣٢) عن مقاتل، وذكره الواحدي في «الوسيط» (٤/ ٤٣٤)، والرازي في «التفسير الكبير» (٣١/ ٧٢) عن مقاتل والكلبي.

وعن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قرأ هذه الآية فقال: «غرَّهُ جهلُهُ»[١].

وقال عمر: غرَّه حمقُه[٢].

وقال الحسن: غرَّه شيطانُه الخبيث[٣].

وقال قتادة: غرَّه إمهاله[٤].

وقيل للفضيل: لو قيل لك يوم القيامة: ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ﴾ ما كنْتَ تقول؟ قال: أقول: غرَّتني ستورك المرخاة[٥].

وقال مقاتل: غرَّه عفو الله تعالى[٦].

وقال السَّرِيُّ بن مغلِّس: غرَّه رفق الله به[٧].

وقال يحيى بن معاذ الرَّازي: لو خُوطِبْتُ به قلْتُ: غرَّني برُّكَ بي سالفًا وآنفًا[٨].

وقال أبو بكر الورَّاق: أقول: غرَّني كرمُكَ[٩].

---

(١) رواه أبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص: ١٥١)، والثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ١٤٦) من طريق صالح بن مسمار عن النبي ﷺ مرسلاً.

(٢) ذكره الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (١٠/ ٤٤٥)، والماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٢٢١). ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٤٠٨) عن عمر رضي الله عنه، بلفظ: «غره والله جهله».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ١٧٨) عن قتادة بلفظ: «شيء ما غر ابن آدم هذا العدو الشيطان».

(٤) لم أجده.

(٥) رواه الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ١٤٦).

(٦) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ١٤٦).

(٧) ذكره السمعاني في «تفسيره» (٦/ ١٧٣).

(٨) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ١٤٦).

(٩) رواه الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ١٤٦).

قال: ولو قال: ما غرَّك بربِّك الجبَّار، أو[1]: القهَّار؟ لكان فيه إخطار، فلمَّا قال: ﴿بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ﴾ فذلك تلقين الجواب[2].

وأنشدوا لبعضهم[3]:

يا كاسبَ الذَّنب أَمَا تستحي ... فاللهُ في الخلوة ثانيكا
غرَّكَ من ربِّك إمهالُه ... وسَتْرُهُ طُوْلَ مَساويكا[4]

وقال آخر:

يقولُ مَولايَ أَمَا تستحي ... ممَّا أرى مِنْ سُوْءِ أفعالِكْ
فقلْتُ يا مولايَ رِفْقًا فقد ... جَرَّأني كَثْرَةُ أفضالِكْ[5]

* * *

(١) في (أ): «أي»، وليست في (ف).

(٢) لم أجد هذه القطعة من كلام الوراق، وهذا التأويل للآية لم يرتضه كثير من العلماء، وعده خروجًا عن معنى وسياق الآية، انظر: «تفسير الرازي» (٣١/ ٧٥). وقال ابن كثير في «تفسيره»: (وهذا الذي تخيله هذا القائل ليس بطائل؛ لأنه إنما أتى باسمه ﴿ٱلۡكَرِيمُ﴾؛ لينبه على أنه لا ينبغي أن يقابل الكريم بالأفعال القبيحة وأعمال السوء).

قلت: وكأن في رد ابن كثير رحمه الله إشارة إلى أن ذكر ﴿ٱلۡكَرِيمُ﴾ إنما هو زيادة في التشنيع على ذلك المغتر، كما تقول لمن أكرمتَه فآذاك: ما دفعك لإيذائي؟ فهذا استنكار لفعله، فإن زدت في كلامك: وقد أكرمتك؟ فهو زيادة في التشنيع عليه بما فعل من إيذائك.

(٣) في (ف): «وأنشد بعضهم فقال».

(٤) البيتان لمحمد بن السماك، كما في «تفسير الثعلبي» (١٠/ ١٤٦)، و«الوسيط» للواحدي (٤/ ٤٣٥).

(٥) للقشيري وهما في تفسيره «لطائف الإشارات» (٣/ ٦٩٧).

(١٣ ـ ١٩) ـ ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ ﴿١٥﴾ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ ﴿١٦﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾: أي: إنَّ المطيعين في نعيم الجنَّة.

﴿وَإِنَّ الْفُجَّارَ﴾: أي: الكفَّار ﴿لَفِي جَحِيمٍ﴾؛ أي: النَّار الموقدة.

﴿يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ﴾: أي: يدخلونها يوم القيامة الذي هو يوم الجزاء ويوم الحساب ويوم القضاء.

﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ﴾: أي: بخارجين، بل هم حاضروها مخلَّدين.

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ﴾: وهذا تهويل وتعظيم لأمره.

﴿ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ﴾: مبالغة وتأكيد له.

﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا﴾: أي: يوم لا يملك فيه أحدٌ لأحدٍ شيئًا يدفع عنه ما يريد الله إنزاله من عذابه.

﴿وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾: أي: هو القاضي فيه دون غيره، وقد كان أعطى في الدُّنيا لخلقه ممالك وأقضيةً وتصرُّفات، وقد قطع يومئذ كلَّ ذلك، فالأمر أمرُه، والحكم حكمُه، والملك ملكُه، لا يقضي بشيء غيرُه، سبحانه وتعالى.

* * *

سُورَةُ المُطَفِّفِين

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

بسم الله الذي جعل الويل للمطفِّفين، الرحمنِ الذي يرفع الأبرار في علِّيِّين، الرحيمِ الذي يعطيهم الجنَّة ونعيمها يوم الدِّين.

روى أبيُّ بن كعبٍ رضي الله عنه عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «مَنْ قرأَ سورةَ المطفِّفين سقاه الله تعالى من رحيقٍ مختومٍ»(١).

وهذه السُّورة مكيَّة، وقيل: مدنيَّة.

قال مقاتل والواقديُّ: تعدُّ مكِّيَّة، ونزلت بعد خروج النَّبيِّ ﷺ من مكَّة قبل دخول المدينة(٢).

وقال السُّدِّيُّ: هي مدنيَّة(٣).

وقال ابن عبَّاس: نزلت بين مكَّة والمدينة في مهاجره، فأضيفت إلى المدينة(٤).

---

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ١٤٩)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ٤٤٠)، قال ابن الجوزي في «الموضوعات» (٤/ ٣٤٤): مصنوع بلا شك. وانظر: «الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة» للشوكاني (ص: ٢٩٦).

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٢٢٥)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٩/ ٥١)، عن الكلبي وجابر بن زيد. والذي في «تفسير مقاتل» (٤/ ٦١٩): سورة المطففين مدنية.

(٣) ذكره ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٥/ ٤٤٩).

(٤) تقدم قريبا ذكره عن جابر بن زيد والكلبي.

وهي ستٌّ وثلاثون آية، ومئة وتسع وستون كلمة، وسبع مئة وتسعة وثلاثون حرفًا.

وانتظام ختم تلك السُّورة بافتتاح هذه: أنَّهما في الوعيد.

وانتظام السُّورتين: أنَّهما في الوعيد والمواعيد لأهل الكفر وأهل التَّوحيد.

* * *

(١) ـ ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾: روى عكرمة عن ابن عبَّاس قال: لَمَّا قدم رسول الله ﷺ إلى المدينة كانوا من أخبث النَّاس كيلًا، فأنزل الله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾، فأحسَنوا الكيل بعد ذلك[1].

وقال محمَّد بن كعب: كان بالمدينة يهود تجَّار يطفِّفون، ففيهم نزلَتْ[2].

وروي أنَّها أوَّل سورة نزلَتْ بالمدينة[3].

ولما نزل النَّبيّ ﷺ المدينة احتاج إلى ابتداء سياستهم، فحملهم على التَّناصف في المعاملات، وكان مدارُ ذلك على الأخذ والإعطاء بالمكيال والميزان، فنزل هذا تقويمًا لهم.

قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ﴾ قال أبو هريرة: هو وادٍ في جهنَّم[4].

---

(١) رواه النسائي في «الكبرى» (١١٥٩٠)، وابن ماجه (٢٢٢٣)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ١٨٦). وصحح إسناده السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٤٤١).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ١٥٠).

(٣) رواه ابن مردويه والبيهقي في «الدلائل» عن ابن عباس رضي الله عنهما، كما في «الدر المنثور» (٨/ ٤٤١).

(٤) رواه ابن المبارك في «الزهد» (٢/ ٩٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ١٥٣) عن عطاء. ورواه =

وقال الضَّحَّاك: هو الشِّدة من العذاب(١).

وقال ابن كيسان: هو كلامُ كلِّ مكروب(٢).

﴿لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾؛ أي: المنقِصين الكيلَ، يُقال: إناء طُفاف: إذا كان ناقصًا عن الامتلاء، ويُقال: هذ(٣) طفُّ المكيالِ وطِفَافُه: إذا قارب مَلْأَه ولم يُملأ.

والمطفِّف: الذي يبلغ الطِّفَاف ولا يملأ. والطَّفيف: القليل.

***

(٢ ـ ٦) ـ ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣ أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾: أي: إذا اكتالوا لأنفسهم على النَّاس؛ أي: ما كان لهم على النَّاس.

وقال الفرَّاء: أي: من النَّاس(٤).

﴿يَسْتَوْفُونَ﴾؛ أي: يستكملون؛ أي: يقبضون على التَّمام.

﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ﴾: أي: كالوا لهم ﴿أَو وَّزَنُوهُمْ﴾؛ أي: وزنوا لهم ﴿يُخْسِرُونَ﴾؛ أي: ينقصون.

= أسد بن موسى في «الزهد» (١٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما. ورواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٩١١٤)، والبيهقي في «البعث والنشور» (٤٦٧) عن ابن مسعود رضي الله عنه. وروي مرفوعًا من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، رواه الترمذي (٣١٦٤)، وقال: هذا حديث غريب، لا نعرفه مرفوعًا إلا من حديث ابن لهيعة.

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١/ ٢٢٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١/ ٢٢٤).

(٣) في (أ) و(ف): «هذا».

(٤) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٤٦).

وقال الفرَّاء: هو كلام أهل الحجاز وقيس: كِلْتُه ووزنْتُه؛ أي: كلْتُ له ووزنْتُ له[١].

وعلى هذا: صدَقْتُه وصدقْتُ له، وكسَبْتُه وكسَبْتُ له، ووهَبْتُه ووهَبْتُ له.

وفي مصحف حفصة رضي الله عنها: (وإذا كالوا لهم)[٢].

وكان يجعل عيسى بنُ عمر: (كالوا) كلمة، ثم (هم) كلمة كنايةً عن الفاعل، ولا وجهَ له؛ لأنَّه ليس في المصحف بينهما ألف الفصل، فثبت أنَّه على الوصل[٣].

﴿أَلَا يَظُنُّ﴾: أي: ألا يوقن ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾؛ أي: المطففون ﴿أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ﴾: يوم القيامة ﴿لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾: وهو يوم القيامة.

﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ﴾: منتصبين ﴿لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: في موضع الحساب.

قال كعب: يقومون ثلاث مئة سنة[٤].

وروى ابن عمر عن النَّبيِّ ﷺ في الآية قال: «يقومُ أحدُهم في رَشْحِهِ إلى أنصافِ أُذُنَيْهِ»[٥].

وقال نافع: كان ابن عمرَ يمرُّ بالبائع فيقول: اتَّقِ اللهَ، وأوفِ الكيل والوزن؛ فإنَّ

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٤٥-٢٤٦).

(٢) لم أجدها.

(٣) انظر: «تفسير البغوي» (٨/ ٣٦٢)، و«تفسير القرطبي» (٢٢/ ١٣٢)، عن أبي عبيد، زاد القرطبي: (قال أبو عبيد: وأحسب قراءة حمزة كذلك) وذكرها عن حمزة ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٥/ ٤٥٠)، وهي خلاف المشهور عنه.

(٤) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٥٣١)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ١٩٢).

(٥) رواه البخاري (٤٩٣٨)، ومسلم (٢٨٦٢).

المطفِّفين يوقَفون يوم القيامة لعظمةِ الرحمن حتى إن العرق يُلجمهم[(١)] إلى أنصاف آذانهم[(٢)].

***

(٧ ـ ٩) ـ ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ۝٧ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ۝٨ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ﴾.

قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ﴾: هو فعِّيل من السَّجن، وهو للمبالغة، ولبيان أنَّ السِّجن فيه للخلود.

وقال ابن عبَّاس ومجاهد وقتادة والضَّحَّاك: هو في الأرض السَّابعة[(٣)].

وفي الخبر: أنَّه جبٌّ في جهنَّم[(٤)].

وقيل: صخرة في الأرض السَّابعة.

يقول: إنَّ أعمال هؤلاء الفجَّار المطفِّفين المنكرين للبعث مُثْبتةٌ في كتاب هو محفوظ عليهم إلى أن يُبعثوا فيُخرَجَ لهم، وهو موضوع في أسفل موضعٍ وأشدِّه عذابًا؛ إعلامًا بسوء حال أصحابه وخساستهم.

روى أبو صالح عن ابن عباس قال: عمَل الكفَّار مكتوب في صخرة تحت الأرض السَّابعة، خضراءَ خُضرةُ السَّماوات منها[(٥)].

---

(١) في (ر) و(ف): «فإن المطففين الوزن يوم القيامة يوقفهم الرحمن حتى يلجمهم العرق».

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ١٥١).

(٣) رواه ابن وهب في «جامعه ـ التفسير» (٢/ ١٠) عن ابن عباس رضي الله عنهما، ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٥٣٥) عن قتادة. ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ١٩٣ ـ ١٩٥) عن عبد الله بن عمرو وابن عباس رضي الله عنهم ومغيث بن سمي وكعب وقتادة ومجاهد والضحاك وابن زيد.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ١٩٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا. قال ابن كثير في «تفسيره» عند هذه الآية: حديث غريب منكر لا يصح.

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ١٥٢) عن الكلبي. فلعله مما روي من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس.

وقال مجاهد: عملهم في الأرض السَّابعة، لا يصعَدُ ولا يُقْبَلُ[١].

وقـال عطـاء بن أبي مسـلم: السِّـجِّينُ: الأرض السَّـابعة، وفيها إبليـس وذرِّيته لعنهم الله[٢].

وقال سعيد بن جبير ومقاتل: ﴿لَفِى سِجِّينٍ﴾؛ يعني: تحت خدِّ إبليس لعنه الله[٣].

وقال عبد الله بن عمرو: ﴿لَفِى سِجِّينٍ﴾: أرواح الكفَّار وأعمالهم[٤].

وقال وهب: إذا قَبضوا روح الكافر دفعوها إلى ملائكة العذاب، فأرَوه ما شاء الله أن يُرُوه من الشَّرِّ، ثم هُبِطَ به إلى الأرض السُّفلى، وهو السِّجين، وهو آخر سلطان إبليس، فأَثبتوا فيها كتابه[٥].

وروى ضمرة بن حبيب عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «إنَّ الملائكةَ يرفعونَ عملَ العبدِ مِن عبادِ الله تعالى، فيكثِّرونه ويزكُّونه، حتى ينتهوا به إلى حيث شاء الله من سلطانه، فيوحي الله إليهم: إنَّكم حفظة على عمل عبدي، وأنا رقيب به على ما في نفسه، وإنَّ عبدي هذا لم يخلِص لي عملَه هذا، فاجعلوه في سجِّين»[٦].

---

(١) روى نحوه ابن المبارك في «الزهد» (١٢٢٢)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ١٩٧)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٤/ ١٣٧٨)، ولفظ الطبري: «سجين: صخرة في الأرض السابعة، فيجعل كتاب الفجار تحتها».

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ١٥٢)، والواحدي في «البسيط» (٢٣/ ٣١٦).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ١٩٦) عن سعيد.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ١٩٤) بلفظ: (هي الأرض السفلى، فيها أرواح الكفار وأعمالهم أعمال السوء).

(٥) قطعة من خبر طويل رواه عبد بن حميد كما في «الدر المنثور» (٨/ ٤٤٨) من كلام كعب الأحبار جواباً عن ابن عباس في سؤاله عن قوله تعالى: ﴿إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ﴾.

(٦) رواه ابن المبارك في «الزهد» (٤٥٢)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٥٢٠)، وابن أبي الدنيا في «الإخلاص» (١٨). =

﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سِجِّينٞ﴾: هذا تهويل له.

﴿كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ﴾: أي: مكتوب، وقيل: مُعلَّم.

وقال قتادة: رُقِم لهم فيه بشرٍّ[1]؛ أي: كتب لهم فيه بإيجاب النَّار.

* * *

(١٠ ـ ١٣) ـ ﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ١٠ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ ١١ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعۡتَدٍ أَثِيمٍ ١٢ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾.

﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ١٠ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ ١١ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعۡتَدٍ﴾: أي: مجاوزٍ للحدِّ.

﴿أَثِيمٍ﴾؛ أي: مكتسِب للإثم.

قال الكلبيُّ: هو الوليد بن المغيرة[2]، كما ذكر في سورة (نٓ).

وقيل: غيره، والصَّحيح أنَّه على العموم؛ لكلمة: ﴿كُلُّ﴾.

﴿إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾: أحاديث المتقدِّمين.

* * *

(١٤ ـ ١٥) ـ ﴿كَلَّاۖ بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ١٤ كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ﴾.

﴿كَلَّاۖ﴾: أي: ليس الأمر كما يقول: إنَّه أساطير الأوَّلين ﴿بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم﴾؛ أي:

= وهو حديث مرسل. وفيه أبو بكر بن عبد الله بن أبي مريم، ضعفوه. انظر: «المغني في الضعفاء» للذهبي (٢/ ٧٧٤).

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ١٩٨).

(٢) ذكره الرازي في «التفسير الكبير» (٣١/ ٨٦). وانظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٤٠٤)، و«معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٢٠٥).

غَطَّى على قلوبهم ﴿مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾؛ أي: متقادمُ اعتدائهم وإثمهم، وجمع لأَنَّه قال: ﴿كُلُّ مُعْتَدٍ﴾.

وقيل: ﴿رَانَ﴾؛ أي: غلَب.

وقيل: أي: طبَع.

وروى أبو هريرة عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «إذا أَذْنَبَ العبدُ كانت نكتةٌ سوداءُ في قلبِه، فإنْ تابَ صُقِلَ قلبُه، وإنْ عادَ زادَتْ، فذلك الرَّان[1]»، ثم قرأ: ﴿كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾[2].

﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾: فإذا كان الكفَّارُ محجوبين عن رؤية الله تعالى كان ذلك دليلَ أنَّ المؤمنين يرونَه جلَّ جلالُه.

وقال الحسين بن الفضل: كما حجبَهم في الدُّنيا عن توحيده حجبَهم في الآخرة عن رؤيته[3].

وسُئل مالك بن أنس عن هذه الآية فقال: لمَّا حجبَ أعداءَه فلم يرَوْه تجلَّى لأوليائِهِ حتى رأوه[4].

وقال الحسن رحمه الله: لو علم الزَّاهدون والعابدون أنَّهم لا يرون ربَّهم في المعاد لزهقَتْ أنفسُهم في الدُّنيا[5].

***

---

(١) في (ف): «الرين».

(٢) رواه الترمذي (٣٣٣٤)، وابن ماجه (٤٢٤٤). وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ١٥٤)، والواحدي في «البسيط» (٢٣/ ٣٢٧).

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ١٥٤)، والواحدي في «البسيط» (٢٣/ ٣٢٧).

(٥) رواه الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ١٥٤).

(١٦ ـ ٢١) ـ ﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ (١٦) ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ (١٧) كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ (١٨) وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ (١٩) كِتَابٌ مَّرْقُومٌ (٢٠) يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ﴾.

﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ﴾: أي: لدَّاخلو النَّارِ الموقدة.

﴿ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ في الدُّنيا.

﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ﴾: أي: المطيعين الذين لا يطفِّفون ويؤمنون بالبعث.

﴿الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ﴾: أي: لفي مراتبَ عاليةٍ، والفعِّيل للمبالغة، والجمع بالواو والنُّون تشبيهًا بما يعقِلُ؛ دلالةَ تعظيمِ شأنِها.

وقيل: هو عُلُوٌّ على عُلُوٍّ.

وقال كعب وقتادة ومجاهد والضَّحَّاك رحمهم الله: هي السَّماء السَّابعة، وفيها أرواح المؤمنين(١).

وقال ابن عبَّاس: هي الجنَّة(٢).

وقال الضَّحَّاك في رواية: هي سِدرة المنتهَى(٣).

وقيل: (عليون): الملائكة، وكأنَّه قال: لفي الملأ الأعلى.

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ (١٩) كِتَابٌ مَّرْقُومٌ (٢٠) يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ﴾:

قال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ﴾؛ أي: الصَّادقين في إيمانهم ﴿لَفِي عِلِّيِّينَ﴾؛ أي: في السَّماء السَّابعة ﴿كِتَابٌ مَّرْقُومٌ﴾ عملُهم مكتوب في لوحٍ من

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٢٠٧) عن قتادة والضحاك وكعب ومجاهد وأسامة بن زيد عن أبيه رضي الله عنهم.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٢٠٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٤٠٩).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٢٠٩).

زَبَرْجَدةٍ خضراء، مُعلَّقٌ تحت العرش، ﴿يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ﴾؛ أي: يشهد عملَ الأبرار مقرَّبو كلِّ سماء إذا رُفِع من[١] الأرض[٢].

وقال مقاتل بن حيَّان: ﴿كِتَابٌ مَرْقُومٌ﴾؛ أي: مكتوبٌ لهم في ساق العرش، ﴿يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ﴾؛ يعني: يشهد ذلك الكتابَ سبعةُ أملاك من مقرَّبي أهلِ كلِّ سماءٍ حتَّى[٣] يُصعَد به إلى السَّماء، من كرامةِ المؤمن على الله تعالى[٤].

* * *

(٢٢ ـ ٢٤) ـ ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (٢٢) عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ (٢٣) تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾.

﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾: أي: في نعيم الجنَّة.

﴿عَلَى الْأَرَائِكِ﴾: قال ابن عبَّاس: أي: السُّررِ في الحِجال[٥].

﴿يَنْظُرُونَ﴾: إلى ما أعطاهم الله تعالى من الملك والكرامة.

وقال مجاهد: الأرائك من اللُّؤلؤ والياقوت[٦].

﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾: أي: البِشْرَ[٧] والفرح بما أُعطُوه.

* * *

---

(١) في (ف): «عن».

(٢) انظر: «تنوير المقباس» للفيروزآبادي (ص: ٥٠٥)، وذكر بعضه الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ١٥٤).

(٣) «حتى» ليس في (أ).

(٤) انظر: «تفسير مقاتل بن سليمان» (٤/ ٦٢٤).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٢١٣).

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٢١٣).

(٧) في (ر): «السرور».

(٢٥ ـ ٢٦) ـ ﴿يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ۝٢٥ خِتَـٰمُهُۥ مِسْكٌۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَـٰفِسُونَ﴾.

﴿يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ﴾: قال أبو عبيدة: الرَّحيقُ: الخمر الصَّافية[١].

وقال الأخفش: ليس فيها غشٌّ[٢].

وقال الخليل: هي أجود الخمر[٣].

﴿خِتَـٰمُهُۥ مِسْكٌ﴾: قرأ الكسائيُّ: ﴿خَاتِمُهُۥ﴾ بالألف قبل التَّاء، والباقون: ﴿خِتَـٰمُهُۥ﴾ بالتاء قبل الألف[٤].

قيل: هذه الخمرة مختومة في الآنية بالمسك بدل الطِّين الذي يُختَم به[٥]، وهو غير الجاري في الأنهار، وهذه أفضل من ذلك.

وقال مجاهد وابن زيد: خُتم إنائه بالمسك بدل الطِّين الذي يُختَم به الشَّراب في الدُّنيا[٦].

وقيل: ﴿خِتَـٰمُهُۥ مِسْكٌ﴾؛ أي: مقطعُه؛ أي: توجد ريح المسك عند خاتمة شربه. وهذا عن ابن عبَّاس والحسن وقتادة والضَّحَّاك[٧].

---

(١) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (٢/ ٢٨٩)، ولفظه: «الرَّحيق: الذي ليس فيه غشٌّ، رحيق معرَّق من مسك أو خمر».

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٢٣٠).

(٣) انظر: «العين» للخليل (٣/ ٤٥)، وفيه: «الرحيق: من أسماء الخمر».

(٤) انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ٦٧٦)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٢١).

(٥) «بدل الطين الذي يختم به» من (ف).

(٦) رواه عنهما الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٢١٨ ـ ٢١٩).

(٧) رواه عنهم الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٢١٧).

وقالت عائشة رضي الله عنها: ﴿خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ﴾؛ أي: خلاطه[١].

وعن الضَّحَّاك قال: يجعل الله فيها من ألوان الطِّيب كلِّه، فآخِر شيء فيه مسك[٢].

وقال أبو الدَّرداء رضي الله عنه: هو شرابٌ أبيضُ مثل الفضَّة، يختِمون به آخِرَ شرابهم، لو أنَّ رجلًا من أهل الدُّنيا أَدخل فيه يدَه ثم أخرجَها لم يبقَ ذو روحٍ إلَّا وجدَ ريحَ طِيبه[٣].

وقال أبو معاذ: بلغَنا أنَّه مختومٌ، ختَم الله عليه يوم خلَقه، فلا يُفَكُّ خاتمه حتى يدخل أهل الجنَّةِ الجنَّةَ، فيُفَكُّ هناك لهم، فيشربون منه[٤].

قوله تعالى: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾؛ أي: فليتبادر المتبادرون[٥].

وقال عطاء: أي: فليَسْتبِق المستبِقون[٦].

وقال مجاهد: فليعمل العاملون[٧].

---

(١) رواه ابن المبارك في «الزهد» (٢٧٧ ـ زوائد نعيم)، وهناد بن السري في «الزهد» (٦٧)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٢١٦)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٩٠٦٢)، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: ليس بخاتمٍ يُختم به، ولكنْ خِلْطُه مسك، ألم تَرَ إلى المرأة من نسائِكُم تقول: خلطه من الطّيب كذا وكذا.

(٢) رواه عنه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٢١٨) بلفظ: (طيب الله لهم الخمر، فوجدوا في آخر شيء منها ريح المسك).

(٣) رواه ابن المبارك في «الزهد» (٢٧٦ ـ زوائد نعيم)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٢١٨)، والبيهقي في «البعث والنشور» (٣٢٩).

(٤) ذكر نحوه الواحدي في «الوسيط» (٤/ ٤٤٨) عن مجاهد.

(٥) في (أ): «فليتبار المتبارون».

(٦) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ١٥٦).

(٧) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ١٥٦).

وقال مقاتل: فليتسارعِ المتسارعون[١].

وقيل: فليرغب الرَّاغبون، من قولهم: نَفِسْتُ عليه نفاسَةً؛ أي: ضَنِنْتُ به[٢]، من حدِّ (عَلِم).

***

(٢٧ ـ ٣٢) ـ ﴿وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ۝٢٧ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝٢٨ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ۝٢٩ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ۝٣٠ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ ۝٣١ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ﴾: أي: ومزاج الرَّحيق من عينٍ في الجنَّة تُسمَّى: تسنيمًا؛ من يتسنَّم الجدار؛ أي: يعلوها. قاله السُّدِّي[٣].

وقيل: لأنَّه أعلى أشربة أهل الجنَّة، من السَّنام.

قوله تعالى: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾: أي: المقرَّبون يشربون التَّسنيم صِرْفًا، والأبرار ـ وهم أصحاب اليمين وهم دونهم ـ يشربونه ممزوجًا بالرَّحيق.

و﴿عَيْنًا﴾: نصبٌ على القطع.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟﴾: أي: أشركوا ﴿كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ﴾: في الدُّنيا استهزاء بهم.

﴿وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ﴾: أي: يشير بعضهم إلى بعض بالعَيْنِ طعنًا فيهم وعيبًا لهم.

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ١٥٦) عن مقاتل بن حيان.

(٢) في (أ): «حسدت عليه»، وفي (ر): «جهدت»، وفي (ف): «جسدت». والمثبت من «البسيط» و«تفسير الرازي» و«تفسير القرطبي»، جميعا عند هذه الآية.

(٣) لم أقف عليه عن السدي، وروى الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٢٢١) نحوه عن مجاهد والكلبي.

﴿وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمُ انْقَلَبُوا فَاكِهِينَ﴾: قرأ عاصم في رواية حفص: ﴿فَكِهِينَ﴾، والباقون: ﴿فاكهين﴾[1]، وهما لغتان، ومعناه: ناعمين مُعجَبين بحالهم.

﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ﴾: أي: رأوا المؤمنين ﴿قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ﴾؛ أي: هم على ضلالٍ، فقد تركوا اللَّذات، وهجروا الشَّهوات، وتحمَّلوا المشاقَّ؛ لِمَا يرجونه في الآخرة من الثَّواب والكرامات، ولا حقيقة لها، فهذا منهم ضلالٌ، وتركُ حقيقةٍ بخيال.

* * *

(٣٣ ـ ٣٦) ـ ﴿وَمَآ أُرۡسِلُواْ عَلَيۡهِمۡ حَٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱلۡيَوۡمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلۡكُفَّارِ يَضۡحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلۡ ثُوِّبَ ٱلۡكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ﴾.

﴿وَمَآ أُرۡسِلُواْ عَلَيۡهِمۡ حَٰفِظِينَ﴾: أي: وما أُرسِل الكفَّار رقباء على المؤمنين يحفظون أموالهم[2] ويَرقبون أعمالَهم، بل أُمِروا بإصلاح أنفسِهم، واشتغالُهم بذلك أولى بهم مِن تتبُّع غيرهم.

قوله تعالى: ﴿فَٱلۡيَوۡمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلۡكُفَّارِ يَضۡحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ﴾: والمؤمنون في الجنَّة، والكفَّار في النَّار.

﴿هَلۡ ثُوِّبَ ٱلۡكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ﴾: أي: هل جُوزوا على سوء أفعالهم جزاءَ أمثالهم. وهو استفهامٌ بمعنى التَّوبيخ.

وقال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: إنَّ الذين أشركوا من أهل مكَّة أبو جهل

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ٦٧٦)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٢١).

(٢) في (ف): «أحوالهم».

والوليد بن المغيرة وعقبة بن أبي معيط وأميَّة وأُبيٌّ ابنا خلف وزمعة بن الأسود والعاص بن وائل السَّهمي لعنهم الله ﴿كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضۡحَكُونَ﴾؛ يعني: العشرة المبشَّرة وخباب بن الأرتِّ والمقداد بن الأسود وعمَّار بن ياسر وصهيب بن سنان وعامر بن فهيرة وسالم مولى أبي حذيفة رضي الله عنهم، ﴿فَٱلۡيَوۡمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلۡكُفَّارِ يَضۡحَكُونَ﴾ وذلك أنَّه يُقال لأهل النَّار: اخرجوا منها، ويفتح لهم باب الجنَّة[1]، فإذا وصلوا إليه وظنُّوا أنَّهم داخلون سُدَّ الباب دونهم، يفعلون ذلك مرارًا، ويضحك المؤمنون، فذلك قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ﴾ [البقرة: ١٥][2].

وقال مقاتل: إنَّ عليَّ بن أبي طالب رضي الله عنه مرَّ في نفرٍ من أصحابه بعبد الله بن أبيٍّ والمنافقين، فتغامزوا فيما بينهم، ونالوا منهم، فإذا كان يوم القيامة دخل عليٌّ رضي الله عنه وأصحابه الجنَّة، وظهرت بين أهل الجنَّة وأهل النَّار كُوًى ينظرون منها إلى النَّار وأهلِها كيف يُعذَّبون، فيضحكون منهم[3].

الحمد لله على ما مضى وأعان بفضله على ما بقي فنِعْم المعين[4]

***

---

(١) في (ف): «ويفتح لهم الباب».

(٢) ذكر نحوه الثعلبي في «تفسيره» (١/ ١٥٧)، ورواه البيهقي في «الأسماء والصفات» (١٠١٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما. وروى نحوه ابن أبي الدنيا في «صفة النار» (٢٤٥)، وابن المنذر كما في «الدر المنثور» للسيوطي (١/ ٧٩)، كلاهما عن أبي صالح.

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٦٢٥). وفي (ف): «ويضحكون» بدل: «فيضحكون منهم».

(٤) «الحمد لله على ما مضى وأعان بفضله على ما بقي فنعم المعين» من (ف).

سُورَةُ الانْشِقَاقِ[1]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

بسم الله الذي جعل مصيرَ الدُّنيا وأهلِها إلى فناء ومَنون، الرَّحمنِ الذي لم يعاجِلْ بأخذه الذين لا يؤمنون، الرحيمِ الذي وعد المؤمنين العاملين الصَّالحات بأجرٍ غيرِ ممنون.

روى أبيُّ بن كعبٍ رضي الله عنه، عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «مَن قرأ سُورةَ ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ﴾ أعاذه اللهُ أن يعطيَه كتابَه وراءَ ظهرِه»[2].

وهذه السُّورة مكيَّة.

وهي ثلاث وعشرون آية، ومئة وسبع كلمات، وأربعُ مئة وستَّة وثلاثون حرفًا.

وانتظام السُّورتين: أنَّهما في ذكر السَّاعة وما فيها.

***

(١ ـ ٥) ـ ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ ۝١ وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ ۝٢ وَإِذَا ٱلۡأَرۡضُ مُدَّتۡ ۝٣ وَأَلۡقَتۡ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتۡ ۝٤ وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ﴾.

---

(١) في (ر): «إذا السماء انشقت».

(٢) رواه الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ١٥٨)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ٤٥١)، قال ابن الجوزي في «الموضوعات» (٤/ ٣٤٤): مصنوع بلا شك. وانظر: «الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة» للشوكاني (ص: ٢٩٦).

قوله تعالى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ﴾: أي: تصدَّعَتْ؛ قيل: لنزول الملائكة، وقيل: للسُّقوط والانتقاض.

﴿وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا﴾: قال ابن عبَّاس: أي: سمعَتْ وأطاعَتْ[1]. من الأُذُنِ السَّامعة. وهو قول سعيد بن جبير ومجاهد وقتادة[2].

أي: لا تمتنع ممَّا أرادَ اللهُ تعالى بها من ذلك، وهو كما قال تعالى: ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلۡأَرۡضِ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهًا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ﴾ [فصلت: ١١].

قوله تعالى: ﴿وَحُقَّتۡ﴾: أي: وحُقَّ لها أن تسمع وتطيع لأمر الله تعالى؛ إذ هي مربوبةٌ مصنوعة لله تعالى، يُقال: فلان محقوقٌ بكذا، قال الشَّاعر:

لمحقوقـةٌ أنْ تسـتجيبي لِـوُدِّهِ وأنْ ... تعلَمِـي أنَّ المُعـانَ مُوفَّـق[3]

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلۡأَرۡضُ مُدَّتۡ﴾؛ أي: بُسِطَتْ باندكاك جبالها وآكامها، حتى تصيرَ قاعًا صفصفًا.

وقيل: أي: زِيْدَ في سعَتِها لوقوف الخلائقِ عليها للحساب.

﴿وَأَلۡقَتۡ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتۡ﴾؛ أي: الكنوزَ والمعادن، وهذا عند قرب السَّاعة.

وقيل: ألقَتْ الأمواتَ، وهذا عند البعث.

﴿وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ﴾: فسَّرناه.

وقيل: جوابُ هذا كلِّه محذوف، ويجوز أن يكون ذلك: إذا كانت هذه الأشياء عَلِمَ المكذِّبون بالبعث ضلالهم.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٢٣١).

(٢) رواه عنهم الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٢٣١).

(٣) البيت للأعشى. انظر: «ديوانه» (ص: ١٢٠)، وفيه: «لصوته» بدل «لوده».

وقيل: فيها تقديم وتأخير، وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ﴾ ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ﴾... إلى آخرها.

وقيل: جوب ﴿إِذَا﴾: ﴿فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ﴾، واعترض بينهما كلامٌ.

وقال الزُّهريُّ: أخبرني علي بن الحسين أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «إذا كان يومُ القيامةِ مَدَّ اللهُ الأرضَ مَدَّ الأديم، حتَّى لا يكونُ لأحدٍ مِنَ البشرِ إلَّا موضِعَ قدمِهِ»(١).

وقال مقاتل بن سليمان: إنَّ عبد الله بن عبد الأسد بن هلال أبا سلمة المخزومي جادلَ أخاه الأسودَ في الإسلام، فأخبره بالبعث، فقال الأسود لأبي سلمة: أكثرْتَ عليَّ ويحَكَ، أتراني مصدِّقًا بأنَّا إذا متنا وكنَّا ترابًا وعظامًا أئنا لمبعوثون، هيهات هيهات لما توعدون.

فقال أبو سلمة: إي والذي خلقَكَ والجِبِلَّة الأوَّلين، ليكونَنَّ هذا، ولتركَبَنَّ الطَّبقة، ولتوافيَنَّ العقبةَ.

فقال الأسود: فأين السَّماء والأرض يومئذ؟ وما حال النَّاس؟

فأخبره الله تعالى فقال: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ﴾ يعني: انفرجَتْ لنزول الملائكة ﴿وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا﴾؛ أي: السَّماء سمعَتْ وأطاعَتْ ﴿وَحُقَّتۡ﴾: وحُقَّ لها ذلك، ﴿وَإِذَا ٱلۡأَرۡضُ

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٥٤٦)، والطبري في «تفسيره» (١٥/ ٤٩) و(٢٤/ ٢٣٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٤٣)، والحاكم في «المستدرك» (٨٧٠٣)، وهو مرسلٌ.
ورواه ابن المبارك في «الزهد» (٢/ ١١١)، والدارمي في «الرد على الجهمية» (١٨٣)، والحاكم في «المستدرك» (٨٧٠٢) عن علي بن الحسين أن رجلًا من أهل العلم أخبره، وذكر الحديث مرفوعًا.
قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (٨/ ٤٠٠): «رجاله ثقات، وهو صحيح إن كان الرجل صحابيًّا». ورواه الحاكم في «المستدرك» (٨٧٠١) عن علي بن الحسين وسمى الرجل: جابر رضي الله عنه. وصححه.

مُدَّتۡ﴾؛ أي: سُوِّيَتْ كمدِّ الأديم كما كانت أوَّل مرَّة، ولا جبل عليها ولا بناء ولا شجر، واستوت ﴿وَأَلۡقَتۡ مَا فِيهَا﴾ من الموتى ﴿وَتَخَلَّتۡ﴾[1].

* * *

(٦) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ﴾: هو خطابٌ[2] للجنس.

﴿إِنَّكَ كَادِحٌ﴾: قال نفطويه: أي: كَادٌّ تَعِبٌ.

وقيل: أي: ساعٍ سعيًا شديدًا، وعاملٌ في دنياك عملًا تصير به ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ فيحاسبُك به، وهو معنى دخول: ﴿إِلَىٰ﴾، وتقديره: عملًا عاقِبتُه الرُّجوعُ إلى الله به، وهي[3] صلةُ السَّعي؛ أي: ساعٍ إلى ربِّك بعملك.

﴿فَمُلَٰقِيهِ﴾: أي: ملاقي كدحِكَ؛ أي: جزائه، أو ملاقي ربِّك، كما قال: ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ﴾ [الكهف: ١١٠]، وقد سبق ذكر كلٍّ واحد منهما؛ أي: فانظر بأيِّ عمل تلقاه؛ أي: فالقَه بعملٍ ينجيك، لا بعمل يُرديك.

وقيل: لقاء الكدح هو لقاء الكتاب الذي فيه كَتْبُ ذلك، يدل عليه أنَّه قال بعده:

(٧ ـ ٩) ـ ﴿فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوۡفَ يُحَاسَبُ حِسَابٗا يَسِيرٗا ۝٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورٗا﴾.

﴿فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ﴾: أي: كتاب أعماله.

﴿فَسَوۡفَ يُحَاسَبُ حِسَابٗا يَسِيرٗا﴾: وهو أن تُعرَض عليه أعماله، حسَنُها وسيِّئُها، فتُقبل منه الحسنات، ويُتجاوز عنه السَّيئات. كذا قاله الحسن[4].

(١) نحوه في «تفسير مقاتل» (٤/ ٦٣٣ ـ ٦٣٤).

(٢) في (ف): «هو الخطاب» وفي (ر): «هذا الخطاب».

(٣) في (ر) و(ف): «أو هي».

(٤) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٢٣٥).

وقالت عائشة رضي الله عنها: قال النَّبيُّ ﷺ: «مَنْ نُوْقِشَ الحساب عُذِّبَ»، قلْتُ: فأين قول الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾؟ قال: «ذلك العَرْضُ»(١).

﴿وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا﴾: قال الحسن: أي: إلى الحور العين فرِحًا بما أعطاه الله تعالى(٢).

وقيل: ﴿إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ﴾: إلى زوجتِه في الدُّنيا.

وقالوا: هذا يدلُّ على سبقِها إلى الجنَّة، وذلك لأنَّه لا كسب على النِّساء، فلا يطول وقوفهُنَّ في القيامة.

* * *

(١٠ ـ ١٣) ـ ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ۝١٠ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ۝١١ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ۝١٢ إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا﴾.

﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ﴾: وقال في (الحاقة): ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ﴾ [الحاقة: ٢٥](٣).

قال مجاهد: تُجعَل شماله من وراء ظهره(٤).

وقال ابن جريج: تُخلَع يدُه فتُجعَل من وراء ظهره، فيقرأ كتابه كذلك(٥).

---

(١) رواه البخاري (١٠٣)، ومسلم (٢٨٧٦).

(٢) روى نحوه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٢٣٩) عن قتادة، ولفظه: «إلى أهل أعد الله لهم الجنة». ورواه ابن المنذر عن مجاهد، كما في «الدر المنثور» للسيوطي (٨/ ٤٥٧)، ولفظه: «إلى أهل له في الجنة».

(٣) «وقال في الحاقة: وأما من أوتي كتابه بشماله» ليس في (أ).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٢٤٠).

(٥) رواه أبو بكر الشافعي في «الغيلانيات» (١١١٩) عن ابن جريج عن مجاهد، بلفظ: (يحول وجهه في موضع قفاه، فيقرأ كتابه كذلك).

وقال الكلبيُّ: تُغَلُّ يمينه إلى عنقه، ثم تلوى يده اليسرى من ورائه، فيُعطَى كتابه(١).

قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا﴾: أي: يقول: يا ثبوراه(٢)، يا هلاكاه، وهو هلاك دائم، من المثابرة وهي المداومة.

﴿وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا﴾: قرأ أبو عمرو وعاصم وحمزة: ﴿وَيَصْلَىٰ﴾ خفيفةً؛ أي: ويَدْخُل، وقرأ الباقون بالتَّشديد(٣)، من التَّصلية وهي الإدخال.

﴿إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾: قيل: منعَّمًا مستريحًا عن التَّعب بأداء العبادات، آمنًا عند نفسه من القيامة والعقوبات.

وقيل: ﴿مَسْرُورًا﴾ بما عليه من الكفر، ثم(٤) يضحك ممَّن آمن بالبعث والحشر، فعاد هذا السرور إلى حزنٍ لا ينقطع، والمؤمن المحزون صار إلى سرورٍ لا ينقطع.

* * *

(١٤ ـ ١٥) ـ ﴿إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾ بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا﴾.

﴿إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ﴾: أي: لن يرجعَ إلى ربِّه، ولن يُبعَث. والحور: الرُّجوع، والمحاورة: مراجعة الكلام.

﴿بَلَىٰٓ﴾: أي: ليحورَنَّ ﴿إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا﴾؛ أي: بما كان يعمل في الدُّنيا.

وقال ابن عبَّاس: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ﴾: نزلَتْ في أبيِّ بن خلف الجُمَحي(٥).

(١) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٣/ ٣٥٨ ـ ٣٥٩).

(٢) في (أ): «وا ثبوراه أي» بدل: «يا ثبوراه».

(٣) انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ٦٧٧)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٢١).

(٤) «ثم» من (أ).

(٥) ذكره الرازي في «التفسير الكبير» (٣١/ ٩٧).

وقال مقاتل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ﴾: يعني: المكذِّبَ بالبعث، وهو الأسود ابن عبد الأسد[١].

وقال محمد بن كعب: نزلت في الحارث بن عمرو القرشيِّ، وكان كثير الصَّوم، شديد الاجتهاد، وفيه نزلت: ﴿فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ﴾[٢].

وقال مقاتل: ﴿فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ﴾ يعني: أبا سلمة بن عبد الأسد، وهو أوَّل من هاجر إلى المدينة، ﴿وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهۡرِهِۦ﴾ يعني: أخاه الأسود، تُخلَع يده اليسرى، فتكون من وراء ظهره، فيُعطَى كتابه[٣].

وقال الإمام القشيري رحمه الله: ﴿فَسَوۡفَ يُحَاسَبُ حِسَابٗا يَسِيرٗا﴾: هو أن يُسمِعَه خطابَه بلا واسطة، فيخفِّفُ عليه سماعُ خطابه ما يلقاه من لطيف عتابه.

وقيل: هو ألَّا يذكِّرَه ذنوبَه، لكن يقول له: ألم أفعل بك كذا؟ ولا يقول له: ألم تفعل كذا؟ يَعُدُّ عليه إحسانه، ولا يذكِّرُه عصيانه[٤].

***

(١٦ ـ ١٨) ـ ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلشَّفَقِ ۝١٦ وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ ۝١٧ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ﴾.

قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلشَّفَقِ﴾: ﴿لَآ﴾: رَدٌّ لقول الكفَّار، و﴿أُقۡسِمُ بِٱلشَّفَقِ﴾؛ أي: الحمرةِ بعد غروب الشَّمس والبياضِ بعدها. هذا قول أكثر المفسرين.

وقال عكرمة ومجاهد: الشَّفقُ: النَّهار[٥]؛ لأنَّ الشَّفق أثرُ الشَّمس، والشَّمسُ للنَّهار.

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٦٣٤).

(٢) لم أقف عليه.

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٦٣٤ ـ ٦٣٩).

(٤) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٣/ ٧٠٦).

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ١٦٠)، والماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٢٣٧)، والواحدي =

﴿وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ﴾؛ أي: وما جَمع اللَّيلُ؛ أي: الحيواناتِ كلها، فسكنَتْ باللَّيل.

وقيل: أي: ما اشتمل عليه اللَّيل، فيقع على كلِّ ما أدركه اللَّيل.

وقال سعيد بن جبير: ما عُمِل فيه[1]. فيتناول تهجُّدَ العباد.

وقال أبو عبيدة: ﴿وَمَا وَسَقَ﴾: وما جَمَع وضمَّ وعلا، فلم يمتنع فيه شيء، وجلَّلَ كلَّ شيء[2]. وكذا قال الأخفش.

﴿وَٱلۡقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ﴾: أي: امتلأ وتمَّ واستوى، وأصله: الاجتماع الذي قلْنا، وسَقْتُه فاستوسَقَ واتَّسق.

أقسم بهذه الأشياء لتعلُّق المصالح والمنافع للعباد بها إظهارًا لقَدْرها.

* * *

(١٩) ـ ﴿لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٖ﴾.

﴿لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٖ﴾: قرأ ابن كثير وحمزة والكسائيُّ بفتح الباء على خطاب الواحد، والباقون بالضَّم على خطاب الجمع[3]؛ أي: لتركبُنَّ أيُّها النَّاس.

والرُّكوبُ: اللُّزوم؛ قال الشَّاعر:

وأركبُ ظهْرَ الشَّرِ حتَّى يملَّني ... إذا لم أجدْ شيئًا سِوى الشَّرِّ مَرْكبًا[4]

= في «البسيط» (٢٣/ ٣٦٣)، وفرقوا بين قوليهما: فقول عكرمة: ما بقي من النهار، وقول مجاهد: النهار كله.

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٢٣٧). وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٤٥٨) إلى عبد بن حميد.

(٢) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (٢/ ٢٩١).

(٣) انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ٦٧٧)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٢١).

(٤) البيت لعبيد الله بن قيس الرقيات. انظر: «ديوانه» (ص: ٥٥)، و«الدر الفريد» للمستعصمي =

والطبقاتُ: الحالات، و﴿عَن﴾: بمعنى بَعْدَ؛ قال الشَّاعر:

مـا زلْـتُ أقطـعُ منهـلًا عـن منهـلٍ حتَّـى نزلْـتُ ببـابِ عبـدِ الواحـد[1]

ووجهه: أن مَن صار عن شيءٍ إلى شيءٍ صار إليه بعده، فصلح (عن) و(بعد)، وله وجوه:

وقال ابن زيد: هما الآخرة بعد الأولى[2].

وقيل: حالًا بعد حالٍ إلى أن يقع[3] الاستقرار في الجنَّة أو النَّار.

وقال عكرمة: أحوال الإنسان: رضيع ثم فطيم وكذا وكذا إلى الموت[4].

وقال الكلبيُّ: حالًا بعد حال، مرَّة يعرفون ومرَّة يجهلون[5].

وقال عطاء: مرَّة فقرٌ، ومرَّة غنى[6].

وقال الحسين بن الفضل: ﴿طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾؛ أي: شدَّةً بعد شدَّةٍ، يقال: وقع فلان في بنات طبق؛ أي: الدَّواهي، وهي البعث، ثم العرض، ثم كذا وكذا[7].

= (١٠/ ٧٨)، و«التذكرة الحمدونية» (٢/ ٤٣٣).

(١) البيت في «تفسير الرازي» (٣١/ ١٠٣).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٢٥٤).

(٣) في (أ): «يبقى».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٢٥٢).

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ١٦١). وروى البخاري (٤٩٤٠) عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله: (حالاً بعد حال، قال: هذا نبيكم ﷺ). قوله: (هذا نبيُّكم ﷺ)؛ أي: الخطابُ له، وهو على قراءة فتح الموحدة. انظر: «فتح الباري» (٨/ ٦٩٨).

(٦) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ١٦١).

(٧) ذكر نحوه الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٢٣٨)، بلفظ: (شدة بعد شدة، حياة ثم موت ثم بعث ثم جزاء)، ثم قال: روى معناه جابر مرفوعًا. =

وقال الأقرع بن حابس:

إنِّي امرؤٌ قد حلبْتُ الدَّهْرَ أَشْطُرَهُ ... وسَاقَنِي طَبَقٌ منهُ إلى طَبَقِ

فلسْتُ أصبو إلى خلٍّ يفارقني ... ولا تقبضَنْ أحشائي من الفَرَقِ[1]

وقال أبو[2] سعيد: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾: كان قوم[3] في الدُّنيا في الرِّفعة فصاروا في القيامة إلى الضَّعَة، أو قوم كانوا في الضَّعَة فصاروا إلى الرِّفعة[4].

وقال أبو عبيدة والأخفش: لتركبُنَّ سُنَّة الأوَّلين في التَّكذيب والمعاصي[5].

وقال مكحول: في كلِّ عشرين عامًا يُحدِثون أمرًا لم يكونوا عليه[6].

وقيل: هو بشارة للمؤمنين؛ أي: لتصيرُنَّ من حال إلى حال في أمر أعدائكم، ثم يكون لكم النَّصر والظَّفر.

ومَن قرأ على خطاب الوحد، فإنَّه يرجع إلى الإنسان المذكور في أول السُّورة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ﴾ ويراد به الجنس.

= وذكر الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ١٦١) عن عمرو بن دينار عن ابن عباس: (الشدائد والأهوال الموت ثم البعث ثم العرض).

(١) البيتان في «تفسير الثعلبي» (١٠/ ١٦٢).

(٢) «أبو» من (ف).

(٣) في (أ): «أي قوم».

(٤) لم أقف عليه.

(٥) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (٢/ ٢٩٢).

(٦) رواه نعيم بن حماد في «الفتن» (٤٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٤١٢) واللفظ له، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٥/ ١٨٤). ولفظ نعيم في «الفتن»: (في كل عشرين سنة تكونون في حال غير الحال التي كنتم عليها).

وقيل: هو خطاب للنَّبيِّ ﷺ، وهو بشارة له بالنَّصر والظَّفر في العاقبة.

وقال ابن عبَّاس وابن مسعود رضي الله عنهم؛ أي: لتركبَن يا محمَّد أطباق السَّماء ليلة الإسراء(١).

وهذا(٢) بشارة بالمعراج، وقال تعالى: ﴿سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا﴾ [الملك: ٣].

* * *

(٢٠ ـ ٢٥) ـ ﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢١﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ ﴿٢٢﴾ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾: استفهام بمعنى التَّوبيخ.

﴿وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ۩﴾: كذلك.

﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ﴾؛ أي: ليس تركهم الإيمان والسُّجودَ لقصور البيان، بل لتقليدهم أباءهم في التَّكذيب.

﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾: أي: ينطوون عليه، وحقيقته: يجمعون في صدورهم، وقد أوعيْتُ الشَّيء في الوعاء؛ أي: جمعتُه فيه.

﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾: أي: ضع لهم الوعيد مكان البشارة.

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٥٥٦)، والحاكم في «المستدرك» (٣٩١٣) عن ابن مسعود رضي الله عنه. ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٢٥٥) عن ابن مسعود والحسن وأبي العالية ومسروق والشعبي. ورواه الطيالسي وعبد بن حميد وابن أبي حاتم والطبراني كما في «الدر المنثور» (٨/ ٤٥٩)، بلفظ: (﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ يا محمد السماء طبقاً بعد طبق). وهو في «المعجم الكبير» (١١١٧٣).

(٢) في (ر): «وهي»، وفي (ف): «وهي هذه».

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍۭ﴾: قيل: أي: غير منقوص.

وقيل: أي: غير مقطوع.

وقال مقاتل: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُكَذِّبُونَ﴾؛ أي: بالبعث والقرآن، نزلت في مسعود وحبيب وربيعة وعبد ياليل بن عمرو بن عمير.

وذلك أنَّ النَّبيَّ ﷺ أتاهم فعرض عليهم الإسلام، فقال له مسعود: والله لا أكلِّمك أبدًا؛ لَئِنْ كنْتُ صادقًا لَأنْتَ خيرٌ من أن أكلِّمَكَ، ولئن كنْتَ كاذبًا لأنْتَ شَرٌّ من أن أكلِّمَكَ.

وقال حبيب: والله لأسرقَنَّ باب[1] الكعبة إن كان اللهُ بعثَكَ نبيًّا.

وقال ربيعة: أَمَا وجدَ اللهُ عبدًا يبعثُه غيرَكَ؟

فأنزل الله: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُكَذِّبُونَ ﴿٢٢﴾ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾ من التَّكذيب في قلوبهم، فأسلم بعد ذلك ربيعة وعبد ياليل، فأنزل الله فيهما واستثناهما فقال: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾؛ أي[2]: صدَّقوا بعد التَّكذيب، ﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾؛ أي: الطَّاعات، ﴿لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍۭ﴾؛ أي: غير منقوصٍ.

فقال النَّبيُّ ﷺ: «الحمد لله الذي جعل في أمَّتي مثلَ الرَّجلين الذي ذُكِرا في الكهف، باع أحدُهما آخرته بدنياه فخسر وخسر، وباع الآخر دنياه بآخرته فربح وربح»[3].

---

(١) في (أ): «كتاب»، وفي (ف): «ثياب حجاب». في «سيرة ابن هشام»: (هو يمرط ثياب الكعبة). يمرطه: أي يَنْزِعهُ ويرمي به.

(٢) في (ف): «يعني».

(٣) لم أجده في «تفسير مقاتل»، وورد بعضه في «سيرة ابن هشام» (١/ ٤١٩)، لكن بسياق مختلف، وليس فيه أن هذه الحادثة سبب نزول هذه الآيات، ولا ذكر إسلام ربيعة وعبد ياليل وما بعده.

سُورَةُ البُرُوجِ[1]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

بسم الله الذي أهلك أصحاب الأخدود، الرحمنِ الذي نبَّهنا بحديث الجنود، الرحيم الذي هو الغفور الودود.

روى أبيُّ بن كعبٍ رضي الله عنه، عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «مَنْ قرأ سورةَ ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡبُرُوجِ﴾ أعطاهُ اللهُ تعالى بعددِ كلِّ يومِ جُمُعةٍ وبعدد[2] كلِّ يومِ عرفَةَ يكونُ في الدُّنيا عَشْرَ حَسَناتٍ»[3].

وهذه السُّورةُ مَكيَّةٌ.

وهي اثنتان وعشرون آية، ومئة وتسع كلمات، وأربعُ مئة واثنان[4] وستُّون حرفًا.

وانتظام السُّورتين: أنَّهما في وعد المؤمنين ووعيد الكافرين.

---

(١) في (ر): «سورة والسماء ذات البروج».

(٢) «بعدد» من (ف).

(٣) رواه الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ١٦٤)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ٤٥٧)، قال ابن الجوزي في «الموضوعات» (٤/ ٣٤٤): مصنوع بلا شك. وانظر: «الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة» للشوكاني (ص: ٢٩٦).

(٤) في (ف): «وستة». وفي «البيان في عد آي القرآن» للداني (ص: ٢٦٩): وحروفها أربع مئة وَثَلاثُونَ حرفاً ككلم الانشقاق وحروفها.

(١ ـ ٢) ـ ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡبُرُوجِ ۝١ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡمَوۡعُودِ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡبُرُوجِ﴾: أقسمَ الله تعالى بالسَّماء ذات البروج، وهي المنازل العالية.

وقيل: القصور، وهي البروج الاثنا عشر المعروفة، تسير الشَّمس في كلِّها في كلِّ سنة، والقمر في كلِّ شهر، وقد تعلَّقَتْ بها مصالح ومنافع للعباد، فالقَسَم بها إظهارًا لقَدْرها.

﴿وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡمَوۡعُودِ﴾: أكثرُ المفسِّرين على أنَّه يوم القيامة، وروى ذلك أبو هريرة رضي الله عنه عن النَّبيِّ ﷺ[١]، وهو قول عليٍّ وابنِ عبَّاس والحسن وابن زيد وقتادة والرَّبيع بن أنس[٢].

وقيل: هو اليوم الموعود لانشقاق السَّماء، وسقوطِ هذه البروج.

***

(٣) ـ ﴿وَشَاهِدٖ وَمَشۡهُودٖ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَشَاهِدٖ وَمَشۡهُودٖ﴾: عن سلف المفسِّرين فيه عشرةُ أقاويل:

أحدها: أنَّ الشَّاهد يوم الجمعة، رُوي ذلك عن أبي هريرة وعن عليٍّ وابن عبَّاس والحسن وقتادة وابن زيد[٣].

---

(١) رواه الترمذي (٣٣٣٩) وقال: هذا حديث لا نعرفه إلا من حديث موسى بن عبيدة، وموسى بن عبيدة يضعف في الحديث؛ ضعفه يحيى بن سعيد وغيره من قبل حفظه. وقال ابن كثير في «تفسيره»: (وهكذا روى هذا الحديث ابن خزيمة، من طرق عن موسى بن عبيدة الربذي ـ وهو ضعيف الحديث ـ وقد روي موقوفًا على أبي هريرة، وهو أشبه). وانظر التعليق الآتي.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٢٦٢ ـ ٢٦٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه موقوفًا ومرفوعًا، وعن الحسن وقتادة وابن زيد.

(٣) رواه عنهم عدا الحسن الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٢٦٤ ـ ٢٦٥).

والثَّاني: أنَّه يوم الأضحى، وهو عن ابن عمر وابن الزُّبير والنَّخعي والثَّوري[١].

والثَّالث: أنَّه يوم عرفة، عن مجاهد عن ابن عبَّاس[٢].

والرَّابع: يوم القيامة، عن الكلبي عن أبي صالح عن جابر[٣].

والخامس: هو الله تعالى، عن علي بن أبي طلحة عن ابن عبَّاس[٤].

والسَّادس: محمَّد ﷺ، عن عكرمة والحسن بن علي وابن المسيِّب والسُّدِّي، وعن ابن عبَّاس أيضًا[٥].

والسَّابع: آدم عليه السَّلام وذرِّيته، عن جويبر عن الضَّحَّاك[٦].

والثَّامن: أنه عيسى عليه السلام، عن مجاهد[٧].

والتَّاسع: الملائكة، عن عطاء الخراساني[٨].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٢٦٩) عن الحسن بن علي وابن عمر وابن الزبير.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٢٦٩).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ١٦٦).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٢٦٩)

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٢٦٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما، والحسن بن علي، و(٢٤/ ٢٦٨) عن عكرمة.

(٦) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ١٦٦) عن عطاء بن يسار، والماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٢٤١) عن مجاهد.

(٧) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ١٦٦) عن أبي مالك، والماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٢٤١) عن ابن أبي نجيح.

(٨) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ١٦٦) عن عكرمة، والماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٢٤١) عن سهل بن عبد الله.

والعاشر: أنه الإنسان، عن كريب عن ابن عبَّاس، وعن عكرمة، وعن مجاهد: أنَّه ابن آدم(١).

وقيل: الشَّاهد أعضاء بني آدم تشهد عليهم يوم القيامة.

وقيل: الشَّاهد هو الحجر الأسود، والمشهود الحاجُّ.

قال عليٌّ رضي الله عنه: إنَّ اللهَ تعالى لَمَّا أخذ الميثاق على بني آدم وأشهدهم على أنفسهم كتب بذلك كتابًا، وألقمَه الحجرَ، فإذا كان يوم القيامة جعل الله له صورة تشهد لمن استلمَه(٢).

وقال الحسن: الشَّاهد: اليومُ واللَّيل، يقول كلَّ يومٍ: أنا خلقٌ جديدٌ، وأنا على ما تعملُ فيَّ شهيدٌ(٣).

وقال محمد بن علي التِّرمذيُّ: الشَّاهدُ: الحفَظة، والمشهودُ: ابن آدم(٤).

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٢٦٧) عن مجاهد وابن أبي نجيح وعكرمة والضحاك.

(٢) قطعة من خبر طويل رواه الحاكم في «المستدرك» (١٦٨٢) وقال: ليس من شرط الشيخين، فإنهما لم يحتجا بأبي هارون عمارة بن جوين العبدي. وقال الذهبي: أبو هارون ساقط.

(٣) رواه عن الحسن ابن أبي الدنيا في «الزهد» (٤٢٤)، وفي «كلام الليالي والأيام» (٢٢)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ١٦٧) بلا نسبة.

وروي نحوه مرفوعًا رواه ابن سمعون في «أماليه» (٢٢٦)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ٣٠٣)، من طريق زيد العمي، عن معاوية بن قرة، عن معقل بن يسار رضي الله عنه مرفوعاً، ولفظ أبي نعيم: «ليس من يوم يأتي على ابن آدم إلا ينادي فيه: يا ابن آدم، أنا خلق جديد، وأنا فيما تعمل عليك غدًا شهيد، فاعمل فيَّ خيرًا أشهد لك به غدًا، فإني لو قد مضيت لم ترني أبدًا، قال: ويقول الليل مثل ذلك»، وقال أبو نعيم: غريب من حديث معاوية تفرد به عنه زيد، ولا أعلمه روي مرفوعًا عن النبي ﷺ إلا بهذا الإسناد.

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ١٦٧).

وقيل: الشَّاهدُ: الأنبياء، والمشهودُ محمَّد ﷺ، وهو في آية[(١)] أخذ ميثاق على الأنبياء: ﴿فَٱشۡهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٨١].

وقيل: الشَّاهد هو الله تعالى والملائكة وأولو العلم، من قوله: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ﴾ [آل عمران: ١٨].

وقال بعض أهل المعرفة: كلُّ جزءٍ من العالم شاهدٌ لمن تدبَّره على أنَّ له خالقًا خلقَه، قال الشَّاعر:

فيا عجبًا كيفَ يُعصَى الإلـه ... أمْ كيفَ يجحدُهُ الجاحِدُ
وفي كلِّ شيءٍ له آيةٌ ... تَدلُّ على أنَّه واحِدُ
ولله في كلِّ تحريكةٍ ... علينا وتسكينةٍ شاهِدُ[(٢)]

وقيل في المشهود: هو يوم القيامة.

وقيل: يوم عرفة.

وقيل: يوم الجمعة.

وقيل: يوم النَّحر.

وقيل: هو الإنسان.

---

(١) في (أ): «وهو في إبداء»، وفي (ر): «وهو أنه».

(٢) نسبت لأبي العتاهية في أغلب المصادر. انظر: «ديوانه» (ص: ١٢٢) دار صادر، و«طبقات الشعراء» لابن المعتز (ص: ٢٠٧)، و«الأغاني» للأصفهاني (٤/ ٣٩)، و«زهر الآداب» للقيرواني (١/ ٣٠٨). ونسبت لأبي نواس، كما في «المحاسن والأضداد» للجاحظ (ص: ١٢٠)، و«الدر الفريد» للمستعصمي (٨/ ١٣١). وللبيد، كما في «محاضرات الأدباء» لأبي القاسم الأصفهاني (٢/ ٤١٠). ولابن المعتز، كما في «تفسير ابن كثير» (١/ ١٣٣). ولمحمود الوراق، كما في «ترتيب الأمالي الخميسية» للشجري (١/ ٤٤).

وممَّا يَصلح دليلًا لبعض هذه الأقاويل قوله تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ [الأنعام: ٧٣]، وقال: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٧٩]، وقال: ﴿ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾ [هود: ١٠٣]، وهو يوم(١) القيامة.

وعن أبي الدَّرداء عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «أكثِروا عليَّ الصَّلاة يوم الجمعة؛ فإنَّه يوم مشهودٌ، تشهده الملائكة»(٢).

وقال تعالى: ﴿لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ﴾ [الحج: ٢٨]، وهذا في أيَّام الحجِّ؛ يوم التَّروية ويوم النَّحر ويوم عرفة.

وقال: ﴿وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١]، وهو النَّبيُّ ﷺ.

وقال: ﴿وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ [ق: ٢١]، فيكون الإنسانُ مشهودًا؛ أي: مشهودًا عليه، كما قال: ﴿إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٤]؛ أي: مسؤولًا عنه.

وقال ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، فهذا يدلُّ على أنَّ الإنسان شاهدٌ.

واختلف في جواب هذا القسم:

قيل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟﴾.

وقيل: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾.

وقيل: ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ﴾ مقدَّم، وقوله: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ﴾ مؤخَّر والقسم عليه.

* * *

(١) في (ر): «في»، وفي (ف): «في يوم».

(٢) رواه ابن ماجه (١٦٣٧)، وقال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (٢/ ٥٩): هذا إسناد رجاله ثقات إلا أنه منقطع في موضعين...). وانظر باقي كلامه ثمة.

(٤) ـ ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ﴾: وهو الشَّقُّ العظيم.

وفي قصَّتهم حثُّ المؤمنين على الصَّبر وتحمُّلِ أذى الكفَّار، فقد كان في الزَّمن الماضي كذلك، وكان المشركون يعذِّبون بلالًا وعمارًا وآخرين، فَنُبِّهوا[1] أنَّ شرط الإيمان هو الصَّبر في الله، وانتظار الفرج في الدُّنيا، والثَّواب في الآخرة.

والرِّواياتُ مختلفة في ذلك جدًّا:

روى صهيب رضي الله عنه أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «كان ملكٌ فيمَنْ كان قبلَكُم، وكان له ساحرٌ، فلمَّا كَبِرَ قال للملِكِ: إنِّي قد كَبِرْتُ، فابعث إليَّ غلامًا أعلِّمُه السِّحْرَ، فبعثَ إليه غلامًا فعلَّمَه، وكان في طريقِهِ راهبٌ يقعُد إليه الغلامُ ويسمَعُ كلامَه، فأعجبَه، وكان إذا أتى السَّاحرَ ضربَه، وإذا رجع من عند السَّاحر قَعَدَ إلى الرَّاهب ويسمَعُ كلامَه، فإذا أتى أهلَه ضربوه، فشكا ذلك إلى الرَّاهب، فقال له: إذا خشيْتَ[2] السَّاحر فقل: حبسني أهلي، وإذا خشيْتَ[3] أهلَكَ فقل: حبسني السَّاحر.

فبينما هو كذلك إذ[4] أتى على دابَّة عظيمة قد حبسَتِ النَّاس، فقال: اليومَ أعلمُ أنَّ الرَّاهِبَ أفضلُ أم السَّاحر، فأخذ حجرًا ثم قال: اللَّهم إن كان أمرُ الرَّاهب أحبَّ إليك من أمر السَّاحر فاقتل هذه الدَّابة حتى يمضيَ النَّاس، فرماها فقتلَها، ومضى النَّاسُ، فأتى الرَّاهبَ فأخبرَه، فقال له الرَّاهبُ: يا بنيَّ أنت اليوم أفضل منِّي، قد بلغ من أمرِكَ ما أرى، وإنَّك ستُبْتلى، وإنِ ابتُلِيْتَ فلا تدلَّنَّ عليَّ.

---

(١) في (ر): «فتنبهوا»، و(ف): «ففهموا».

(٢) في (ر): «جئت إلى»، وفي (ف): «جئت».

(٣) في (ف): «أتيت».

(٤) «إذ» من (ف).

وكان الغلام يبرئ الأكمَهَ والأبرص، ويداوي النَّاس من سائر الأدواء، فسمعَ جليسُ الملِكِ وكان قد عَمِيَ، فأتاه بهدايا كثيرة، فقال: هذه لك أجمَعُ إنْ أنتَ[١] شفيتني، فقال: أنا لا أشفي أحدًا، إنَّما يشفي الله تعالى، فإنْ آمنْتَ بالله دعوْتُ اللهَ تعالى فشفاكَ، فآمَنَ بالله فشفاه، فأتى الملِكَ يمشي، فجلس إليه كما كان يجلس، فقال الملِكُ: مَن رَدَّ عليك بصرَكَ؟ قال: ربِّي، قال: وَلَكَ رَبٌّ غيري؟ قال: ربِّي وربُّك الله، قال: فأخذه فلم يزلْ[٢] يعذِّبُهُ حتَّى دلَّ على الغلام، فجِيْءَ بالغلامِ، فقال له الملِكُ: يا بنيَّ، قد بلغَ مِنْ سِحْرِكَ ما تُبْرِئُ الأكمَهَ والأبرَصَ، وتفعلُ وتفعلُ! قال: أنا لا أَشْفِي أحدًا، إنَّما يشفِي اللهُ.

قال: فأخذَهُ فلم يزَلْ يعذِّبُهُ حتَّى دلَّ على الرَّاهبِ، فجِيْءَ بالرَّاهِبِ، فقيل له: ارجِعْ عن دينِكَ، فأبى، فدعا بالمنشارِ فوضَعَهُ في مَفْرِقِ رأسِه، فشقَّه به[٣] حتَّى وقعَ شِقَّاه، ثم جِيْءَ بجليس الملِكِ، فقيل له: ارجع عن دينِكَ، فأبى فوُضِعَ المنشار في مَفْرِقِ رأسِهِ، فشقَّه به حتَّى وقعَ شِقَّاه.

ثم جِيْءَ بالغلام فقِيْلَ له: ارجعْ عن دينِكَ فأبى، فدفعَه إلى نفرٍ من أصحابِهِ فقال: اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا[٤]، واصعَدُوا به الجبلَ، فإذا بلغْتُم ذروتَه فإنْ رَجَعَ عن دينِهِ وإلَّا فاطرَحُوْهُ، فذهبوا به إلى الجبلِ فقال: اللَّهمَّ اكْفِنِيْهِم بما شِئْتَ، فرَجَفَ بهِمِ الجبلُ فسقَطوا، وجاء يمشي إلى الملِكِ، فقال له الملِكُ: ما فعلَ أصحابُكَ؟ قال: كفانِيْهِمُ اللهُ[٥].

---

(١) في (ف): «إن» بدل من «أجمع إن أنت».

(٢) في (أ): «ربي وربك قال فأخذه»، وفي (ر) و(ف): «ربي وربك واحد فلم يزل».

(٣) «فشقه به» ليس في (أ).

(٤) «وكذا» ليس في (ف).

(٥) في (ف): «أخذهم الله إليه» بدل: «كفانيهم الله».

فدفعَهُ إلى نفرٍ مِنْ أصحابِهِ، فقال: اذهبوا به في قُرْقُورٍ[١] ـ وهي السَّفينة ـ فلجوا به البحرَ[٢]، فإنْ رجعَ عن دينِه وإلَّا فاقذفوه، فذهبوا به، فقال: اللَّهمَّ اكْفِنِيْهِمْ بما شِئْتَ، فانكفَأَتْ بهِم السَّفينةَ، ثمَّ عادَ الغلامُ إلى الملِكِ[٣].

ثمَّ قال للملِكِ: إنَّكَ لسْتَ بقاتلي حتَّى تفعلَ ما آمرُكَ به، قال: وما هو؟ قال: تجمَعُ النَّاسَ في صعيدٍ واحدٍ وتصلُبُني على جذعٍ، ثم تأخذُ سهمًا من كِنانتي، ثم قُلْ: بسمِ اللهِ ربِّ الغُلامِ، ثمَّ ارمِنِي بِهِ، فإنَّكَ إذا فعلْتَ ذلك قتلتَنِي، فجمَعَ النَّاسَ في صعيدٍ واحدٍ، ثمَّ صلبَهُ على جِذْعٍ، ثم أخذَ سَهمًا مِن كنانَتِهِ، ثم وضعَ السَّهمَ في كبدِ قَوْسِهِ، ثمَّ قال: بسمِ اللهِ رَبِّ الغلام، ثمَّ رماهُ، فوقع السَّهمُ في صُدْغِهِ، فوضعَ يدَه عليه فمات، فقال النَّاسُ: آمنَّا بربِّ الغلام.

فقيل للملِكِ: قد واللهِ نزلَ بكَ ما كنْتَ تحذَرُ، وقد آمَنَ النَّاسُ، فأمَرَ بالأُخْدُودِ في أفواهِ السِّكَكِ، فخُدَّتْ، وأُضْرِمَ فيها النَّارُ، وقال: مَن لم يرجعْ فأقحِموه فيها، ففعلوا، حتى جاءَتِ امرأةٌ معها صبيٌّ لها، فتقاعَسَتْ ـ أي: تأخَّرَتْ ـ أنْ تقعَ فيها، فقال لها الصَّبِيُّ: يا أمَّاه، اصبري فإنَّكَ على الحقِّ»[٤].

وتروى هذه القصَّة عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما مع زوائد، قال: كان بنجرانَ ملِكٌ من ملوك حمير يقال له: يوسف ذو نُوَاسِ بنِ شَرَاحيل، في الفترة[٥] قبلَ مولِدِ النَّبيِّ ﷺ بسبعين سنة.

---

(١) في (ر): «إلى قرقورة».

(٢) «البحر» من (ف).

(٣) «ثم عاد الغلام إلى الملك» من (ف).

(٤) رواه مسلم (٣٠٠٥).

(٥) «الفترة» ليس في (أ).

وكان في بلادِهِ غلامٌ يُقال له: عبد الله بن ثامر، وكان أبوه سلَّمه إلى معلِّم يعلِّمُه السِّحر، فكره الغلام ذلك، ولم يجد بُدًّا من ذلك، فجعل يختلف إليه، وكان في طريقه راهِبٌ...

وذكر مثل الأوَّل، وذكر مكان الدَّابة على الطريق الحيَّةَ، وذكر أنَّ المكفوف كان ابنَ عمِّ ذلك الملِكَ، وذكر بعد صَلْبِه أنَّ النَّاس قالوا: لا إله إلَّا إلهَ عبدِ اللهِ بن ثامر، ولا دينَ إلَّا دينُه.

وذكر في آخر قصَّة الأخدود أنَّ تلك المرأة كان لها ثلاثةُ أولادٍ أحدُهم رضيع، فقال لها الملكُ: ارجعي عن دينِكِ وإلَّا ألقيْتُكِ وأولادَكِ في النَّار، فأبَتْ، فأخذ ابنها الأكبر فألقاه في النَّار، ثم قال لها: ارجعي عن دينِك، فأبَتْ، فألقى الثَّاني في النَّار، ثم قال لها: ارجعي عن دينك، فأبَتْ، فأخذ الصَّبيَّ منها ليلقيَه في النَّار، فهمَّتِ المرأةُ بالرُّجوع، فقال الصَّبيُّ: يا أمَّاه، لا ترجعي عن الإسلام، فإنَّك على الحقِّ، ولا بأسَ عليكِ، فأُلقِيَ الصَّبيُّ في النَّارِ وأُلقِيَتْ أمُّه على أثره، فذلك قوله تعالى: ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ﴾[1].

وعن عكرمة قال: تكلَّم في المهد أربعة: عيسى، ويحيى، وصاحب جريج، وصاحب الأخدود[2].

وقال عطاء: خمسة، هؤلاء وابن ماشطة بنت فرعون[3].

وقال الضَّحَّاك: ستَّة، هؤلاء وشاهد يوسف[4].

---

(١) ذكره بتمامه الثعلبي في «تفسيره» (٢٩/ ١٧٤ ـ ١٧٦) (ط: دار التفسير)، والبغوي في «تفسيره» (٨/ ٣٨٥)، من طريق عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) لم أقف عليه.

(٤) ذكره بتمامه الثعلبي في «تفسيره» (٢٩/ ١٦٢) (ط: دار التفسير). وانظر ما تقدم عند تفسير قوله =

وقال مقاتلٌ: إنَّ رجلين مسلمين ممَّن كان يقرأ الإنجيل؛ أحدهما بأرض تهامة، والآخر بنجران اليمن، فآجر أحدهما نفسَه في عملٍ يعمله، وجعل يقرأ الإنجيل، فسمعَتْه ابنةُ المستأجر، فأعجبها ذلك، فذكرتْهُ لأبيها، فلم يزل أبوها بالرَّجل حتى أخبره بالإسلام، فأسلم وتابعه على الإسلام سبعةٌ وثمانون نفرًا، وكان هذا بعدما رُفِعَ عيسى عليه السلام، فسمع بذلك ملكهم يوسف ذو نُوَاسِ بن شراحيل بن تُبَّعِ بن أبي سراح[1] الحميريُّ، فخدَّ لهم في الأرض، وأوقد فيها النَّار، ثم عرضهم على الكفر، فمَن أبى منهم أن يكفر قذفه في النَّار، ومَن كفرَ تركَه، فذلك قوله: ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ﴾[2].

وفي رواية وهب: أحرق ذو رُعَينٍ اثنا عشر ألفًا بنجران في ذلك[3].

وقيل: ذو رُعينٍ شدَّاد بن عادٍ، وإن (رُعين) اسم أول نسوره.

وقال الكلبيُّ: كانوا نصارى، وذلك أن ملكًا بنجران أخذ بها قومًا مؤمنين، فخَدَّ لهم في الأرض سبعة أخاديد، طول كلِّ واحد[4] أربعون ذراعًا، وعرضه اثنا عشر ذراعًا، ثم طرح فيها النِّفط والحطب، ثم عرضهم عليها، فمَن أبى قذفوه في النَّار، فبدأ برجل يُقال له: عَمرو بن زيد، فسأله ملكُهم فقال: مَن علَّمك هذا؟ يعني: التَّوحيد، فأبى أن يخبرَه، فأتى الملِكَ الذي علَّمَه التَّوحيد، فقال: أيُّها الملِكُ، أنَّا

= تعالى: ﴿وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ [مريم: ٣١]، وقد ذكرنا ثمة ما ثبت في الأحاديث في عدة مَن تكلم في المهد.

(١) في (أ): «سراج».

(٢) نحوه في «تفسير مقاتل» (٤/ ٦٤٧).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٩/ ١٧٢) (ط: دار التفسير). وفيه: (ذو نواس) مكان «ذو رعين».

(٤) في (ر): «طول كل أخدود منهم».

علَّمْتُه، واسمه عبد الله بن شمر، فقذفه في النَّار، ثم عرَضَ على النَّار واحدًا واحدًا، حتى إذا أراد أن يُتْبِعَ بقيَّة المؤمنين صنع[١] ملكُهم صنمًا من ذهب، ثم أمَّرَ على كلِّ عشرة من المؤمنين رجلًا يقول لهم: إذا سمعْتُم صوت المزامير فاسجدوا للصَّنم، فمَن لم يسجد ألقوه في النَّار، فلمَّا سمع النَّصارى بذلك سجدوا للصَّنم، وأمَّا المؤمنون فأبَوا، فخدَّ أخدودًا[٢] لهم وألقاهم فيها، فارتفعَتْ النَّار فوقَهم اثني عشر ذراعًا[٣].

وروى عبد خير[٤] عن عليٍّ رضي الله عنه: أنَّه سُئِلَ عن المجوس، فقال: كانوا أهل كتابٍ، وحرِّم عليهم في كتابهم الأخوات والبنات، فسكر ملكهم ذات ليلةٍ فتناول أخته، فلمَّا صحا ندم، وقال: كيف المخرج؟ فقالت أختُه: المخرج أن تخطب النَّاس وتقول: إنَّ الله قد أحلَّ الأخوات، ففعل[٥]، فأبى النَّاس ذلك، فخدَّ لهم الأخدود، وألقاهم في النَّار، فمَن تابعَه خلَّى عنه، ومَن أبى أحرقه، حتى أتى على امرأةٍ معها صبيٌّ رضيع، فكأنَّها نافقَتْ، فقال الصَّبيُّ: يا أمَّاه، امضي ولا تنافقي، فاقتحمَتِ النَّار، فوالله ما كانت إلَّا هُنيهةً حتى أفضَوا إلى رحمة الله تعالى[٦].

---

(١) بعدها في (ف): «لهم»، وليست في المصدر.

(٢) «أخدودًا» من (ف).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ١٦٩ ـ ١٧٠).

(٤) في (ر): «وروى سعيد بن جبير». وعبد خير هو ابن يزيد الهمداني، أبو عمارة الكوفي، مخضرم، لم يصح له صحبة، قاله الحافظ في «التقريب».

(٥) «ففعل» ليس في (أ).

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٢٧٠) من طريق عبد الرحمن بن أبزى عن علي رضي الله عنه دون قصة المرأة والرضيع، وهذه القصة رواه الطبري عقب الخبر السابق من طريق قتادة عن علي رضي الله عنه، لكن السياق قبلها مختلف عن رواية ابن أبزى عنه.

وقوله تعالى: ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ﴾ قيل: أي: لُعِنَ، كما مَرَّ في مثله.

وقال الرَّبيع بن أنس والواقديُّ: قُتِلَ بالنَّار أصحابُ الأخدود، وهم الجبابرة الذي أرادوا قتلَ المؤمنين بالنَّار، فعادَتْ عليهم فقتلَتْهم النَّار(١).

* * *

(٥ ـ ٦) ـ ﴿ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ۝٥ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ﴾.

قوله تعالى: ﴿ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ﴾: بدل عن ﴿ٱلْأُخْدُودِ﴾، وتقديره: قُتِلَ أصحابُ ﴿ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ﴾؛ أي: الحطبِ، وذكرُه دليلٌ على كثرة حطبها.

﴿إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ﴾: قيل: أي: الكفَّارُ قعودٌ على شفيرها، وأنَّث لِذكْرِ النَّار.

وقيل: أي: عندها، كما قال: ﴿وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنۢبٌ﴾ [الشعراء: ١٤]؛ أي: عندي.

وقعودُهم كان لأمر أتباعهم بإلقاء المؤمنين في النَّار.

وقيل: ﴿إِذْ هُمْ﴾؛ أي: المؤمنون على النَّار قعودٌ؛ أي: فيها يُحرَّقون بها قد طُرِحوا فيها.

وقيل: أي: المؤمنون قعودٌ حوالي الأخدود، يُعْرَضون على المحنة.

* * *

(٧ ـ ٩) ـ ﴿وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝٧ وَمَا نَقَمُواْ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝٨ ٱلَّذِي لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ شَهِيدٌ﴾.

﴿وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ﴾: أي: والكفَّار حضورٌ، وهم الجبابرة يرَوْن ما تفعل أتباعُهم بالمؤمنين، لا تأخذُهم رقَّة، وهو غاية القسوة والمبالغة في السَّطوة.

---

(١) رواه عن الربيعِ الطبريُّ في «تفسيره» (٢٤/ ٢٧٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٤١٤). وذكره الواحدي في «الوسيط» (٤/ ٤٦١) عن الربيع بن أنس والكلبي.

﴿وَمَا نَقَمُواْ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ﴾: أي: وما عابَ وما كره الكافرون من المؤمنين إلَّا إيمانُهم باللهِ.

وذكْرُ المستقبلِ مع وجود الإيمان منهم في الماضي؛ لإرادةِ معنى الدَّوام عليه، فإنَّهم ما عذَّبوهم لإيمانهم الماضي، بل لدوامهم عليه.

﴿ٱلْعَزِيزِ﴾: صفة لـ﴿لله﴾ تعالى، وهو المنيعُ الذي لا يُغْلَب، ﴿ٱلْحَمِيدِ﴾ بحمدِ المؤمنين[1]، وفي[2] عقول جميع المكلَّفين، والمستحِقُّ للحمد على الحقيقة.

﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: وأشار بهذا كلِّه إلى أنَّه لو شاءَ لمنعَهم عن ذلك، لكن لم يمنع محنةً لأوليائه.

﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾: لا يخفى عليه شيءٌ، فهو يجازي كلًّا على وفقِ عملِه.

* * *

(١٠ ـ ١١) ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُواْ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ﴾.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾: أي: أحرقوهم، كما قال: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ [الذاريات: ١٣].

﴿ثُمَّ لَمْ يَتُوبُواْ﴾: ماتوا مصرِّين على ذلك، وفيه بيانُ سَعة رحمة الله، أنَّهم لو تابوا لعفا عنهم.

﴿فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ﴾: قال الزَّجَّاج: لهم عذابٌ في جهنَّم لكفرهم، وعذاب بإحراقهم المؤمنين في الأخدود[3].

---

(١) في (ر): «يحمده المؤمنون».

(٢) في (ف): «الثابت في».

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٣٠٨).

وقال الرَّبيع: ﴿فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ﴾ في الآخرة ﴿وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾ بنار الأخدود في الدُّنيا. فقد روينا عنه أنَّ تلك النَّار عادت عليهم فأحرقَتْهم[1].

وقيل: ﴿الْحَرِيقِ﴾ من أسماء النَّار أيضًا كالسَّعير، فجُعِلَ لهم في الآخرة عذابُ جهنَّم وعذابُ الحريق، فيجوز أن يكونا دركتَيْن فيها، أو مكانَيْن فيها.

أو يقال: ﴿عَذَابُ جَهَنَّمَ﴾: عذابٌ بزمهريرها، و﴿عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾: عذابٌ بحرِّها، فيردَّدون بين حرٍّ وبين برد.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾: وهذا في المؤمنين الذين صبروا على ذلك العذاب.

* * *

(١٢ ـ ١٣) ـ ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ﴾.

﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾: أي: أَخْذَه وانتقامه.

﴿إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ﴾: قال الحسن والضَّحَّاك وابن زيد: أي: يَبدأُ الخلقَ، ويعيْدُه بالبعث بعد الموت[2]. وهو معنى المبدئ والمعيد في أسماء الله تعالى.

وقيل: إنَّه هو المبدِئ للعذاب في الدُّنيا، المعيدُ له في العُقْبى[3]. كذا روى العوفيُّ عن ابن عبَّاس: يبدِئُ العذابِ ويعيدُه[4].

وقال محمد بن كعب: ﴿يُبْدِئُ﴾ من التُّراب ﴿وَيُعِيدُ﴾ إلى التُّراب.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٢٧٦). وقد تقدم قريباً.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٢٨٢) عن الضحاك وابن زيد.

(٣) في (ف): «الآخرة».

(٤) في (ر): «مبدئ العذاب ومعيده». رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٢٨٣).

وقال مجاهد: ﴿يُبْدِئُ وَيُعِيدُ﴾ بالسَّعادة والشَّقاوة، وقال تعالى: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ [الأعراف: ٢٩].

وقال ابن كيسان: يُبدؤكم ضعفاء ويعيدكم كذلك.

وقال عبد العزيز بن يحيى: نبدؤكم أفرادًا ونعيدكم كذلك(١).

* * *

(١٤ ـ ١٥) ـ ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ (١٤) ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ﴾.

﴿وَهُوَ الْغَفُورُ﴾: للمؤمنين التَّائبين.

﴿الْوَدُودُ﴾: المتودِّد إلى عباده بغفرانه، وسائرِ وجوه إحسانه.

وقال الحسنُ: ﴿الْوَدُودُ﴾: الذي يتودَّد إلى خلقِه بما يعطيهم من النَّعيم في دينهم ودنياهم(٢).

وقيل: هو فعول بمعنى الفاعل؛ أي: يَوَدُّ المطيعين.

وقيل: هو في معنى المفعول؛ أي: يَوَدُّهُ عبادُه المؤمنون.

﴿ذُو الْعَرْشِ﴾: أي: ذو الـمُلك، وقيل: هو ذو العرش العظيم.

﴿الْمَجِيدُ﴾: قرأ حمزة والكسائي: ﴿المجيدِ﴾؛ خفضًا نعتًا لـ﴿الْعَرْشِ﴾.

وقال ابن عبَّاس: هو الكريم(٣).

وقرأ الباقون رفعًا نعتًا لقوله: ﴿ذُو﴾(٤)، وهو الله تعالى.

---

(١) لم أقف على هذه الأقوال الأربعة.

(٢) ذكره ابن أبي زمنين في «تفسيره» (٥/ ١١٦).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٢٨٤)، وسياقه عند الطبري يشير إلى أن هذا القول على قراءة الرفع الآتية.

(٤) انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ٦٧٨)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٢١).

والمجدُ: الرِّفعةُ والعُلُوُّ والشَّرف[1]، فيجوز أن يُوصَف به الله، ويجوز أن يُوصَف به العرش.

* * *

(١٦ ـ ٢٢) ـ ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ﴿٢٠﴾ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ﴾.

قوله تعالى: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾: لا يمنعُه عنه مانعٌ، ولا يمانعُه فيه ممانِع، يكرم مَن يشاء ويُهين مَن يشاء، ويضلُّ مَن يشاء ويهدي مَن يشاء، ويغفر لمن يشاء ويعذِّب مَن يشاء، له الإرادة والمشيَّة والحكمُ والقضيَّة في كلِّ البريَّة.

قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ﴾: هو استفهامٌ بمعنى التَّقرير؛ أي: قد أتاك حديث الجنود، وما أحلَلْتُ بهم من نقمتي. ثم ذكر بعضهم وقال:

﴿فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ﴾: وفرعون من المتأخِّرين، وثمود من المتقدِّمين، وذكرُهم[2] ذِكرُ أمثالهم من الأوَّلين، وهو وعدٌ للنَّبيِّ ﷺ وللمؤمنين، ووعيد للكافرين.

﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى تَكْذِيبٍ﴾: أي: ليس كفر هؤلاء لقصور البيان ولخفاء حال الجنود عليهم في ماضي الزَّمان، لكن يكذِّبونك عنادًا.

﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ﴾: قيل: أي: والله قادر عليهم، فهم في قبضتِه وقهرِه وقدرتِه.

وقيل: هو إخبارٌ بدنوِّ إهلاكهم، كما قال: ﴿قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا﴾ [الفتح: ٢١]، وقال: ﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ﴾ [يونس: ٢٢].

وقيل: أي: والله قد أحاط بهم علمًا، ولا يخفَى عليه شيء منهم، وسيجزيهم على وفق عملهم.

---

(١) في (أ) و(ر): «الشرف» بلا واو.

(٢) «ذكرهم» ليس في (أ).

﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ﴾: أي: ليس كما يقولون: إنَّه مفترًى، وإنَّه أساطير الأولين، ولكنَّه قرآنٌ عالي القَدْرِ عندَ الله تعالى.

﴿فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾: قرأ نافع: ﴿مَحْفُوظٌ﴾ بالرَّفع نعتًا للقرآن، وقرأ الباقون خفضًا نعتًا للَّوح[1]. وكلُّ واحدٍ منهم محفوظٌ عن التَّبديل والتَّغيير.

وقال مقاتل: ﴿مَّحْفُوظٍ﴾ عن الشَّياطين[2].

وقيل: هو كقوله: ﴿وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا﴾ الآية [الزخرف: ٤].

وقال الحسن: اللَّوحُ: شيء يَلُوح للملائكة فيقرؤونه[3].

وقال ابن عبَّاس: إنَّ الله تعالى خلق لوحًا محفوظًا من درَّة بيضاء، دفتاه ياقوتة حمراء، وعرضه ما بين السَّماء والأرض، ينظر فيه كل يوم ثلاثَ مئة وستين نظرة، يحيي ميتًا، ويميت حيًّا، ويغني فقيرًا، ويُفقر غنيًّا، ويعزُّ ذليلًا، ويذلُّ عزيزًا[4].

وقال أبو روق: أعلاه معقودٌ بالعرشِ، وأسفلُه في حِجْرِ مَلَك كريم، واللَّوح فيه كتابُ كلِّ شيء.

وقال مقاتل: عن يمين العرش[5]. والله تعالى أعلم.

والحمد لله ربِّ العالمين

***

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ٦٧٨)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٢١).

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ١١٠) في تفسير قوله تعالى: ﴿وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ﴾ [ق: ٤].

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٢٤٤) بلا نسبة.

(٤) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٦١٩)، والطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٢١٥). وفيهما بعد كلمة (حمراء): (والدفتان لوحان).

(٥) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٢٢٤).

سُورَةُ الطَّارِقِ(1)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

بسم الله الذي أقسم بالسَّماء والطَّارق، الرحمنِ الذي خلق الإنسان من ماءٍ دافق، الرحيمِ الذي يمهل كلَّ كافر وفاسق.

روى أبيُّ بن كعبٍ رضي الله عنه عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «مَن قرأ سورةَ ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ﴾، أعطاه الله تعالى عشرَ حسنات بعددِ كلِّ نجمٍ في السَّماء يوم القيامة»(2).

وهذه السُّورة مكيَّة.

وهي ستَّةَ عشر آيةً، وإحدى وستُّون كلمةً، ومئتان واثنان وأربعون حرفًا.

وانتظامُ ختم تلك السُّورة بافتتاح هذه السُّورة: أنَّ تلك في ذكر المحفوظ، وهذه في ذكر الحافظ.

وانتظام السُّورتين: أنَّهما في ذكر السَّماء والنُّجوم، والقرآن ونزولِه على النُّجوم، وذكرِ وعيد الكافرين، ووعد المؤمنين.

* * *

---

(1) في (ر) و(ف): «سورة والسماء والطارق».

(2) رواه الثعلبي في «تفسيره» (10/ 177)، والواحدي في «الوسيط» (4/ 464)، قال ابن الجوزي في «الموضوعات» (4/ 344): مصنوع بلا شك. وانظر: «الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة» للشوكاني (ص: 296).

(١ ـ ٣) ـ ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ (٢) النَّجْمُ الثَّاقِبُ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ﴾: أقسم الله تعالى بالسَّماء والطَّارق؛ أي: والآتي[١] ليلًا، وهو مُبهَم، ففسَّره، وقال:

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ (٢) النَّجْمُ الثَّاقِبُ﴾: قال قتادة رحمه الله: الطَّارقُ: النَّجم؛ لظهوره باللَّيل وخفائِه بالنَّهار[٢].

و﴿الثَّاقِبُ﴾: قال الفرَّاء: أي: المضيءُ، والعرب تقول للموقِد: أَثْقِبْ نارَك؛ أي: أَشْعِلْها حتَّى تضيء، وقد ثَقَبَتِ النَّار ثُقوبًا، وأثقَبْتُها أنا إثقابًا.

وقيل: هو زُحَلُ على الخصوص.

وقيل: هو النَّجم المرتفع على سائر النُّجوم، يقال: ثقبَ الطَّير: إذا حلَّق بالسَّماء ارتفاعًا[٣].

وقيل: الثَّاقب: النَّجم الذي تُرْمى به الشَّياطين، فيَثْقُبُ الشَّيطانَ؛ أي: يَنفذ فيه ويحرقُه.

و قيل: هو اسمٌ لكلِّ نجمٍ.

وقيل: هو الثُّريَّا خاصَّة.

وقيل: هو زُحَل، وسُمِّي به لأنَّ نورَه يثقبُ سبع سماوات.

وقال ابن عبَّاس: نزلت في أبي طالبٍ، وذلك أنَّ ليلةً من اللَّيالي انحطَّ نجمٌ، فامتلأَتْ الآفاقُ نارًا، ففزِعَ لذلك أبو طالب، فقال: أيُّ شيءٍ هذا؟ فقال رسول الله

---

(١) في (ر): «أي والذي يأتي».

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٥٦٩)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٢٨٨) بلفظ: (ظهور النجوم، يقول: يطرقك ليلًا).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٥٤).

ﷺ: «هذا نجمٌ رُمِيَ به، وهو آيةٌ من آياتِ اللهِ»، فعجِبَ أبو طالب، فأنزلَ اللهُ تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ﴾ الآيات[1].

***

(٤) ـ ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾.

﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾: القسَمُ واقعٌ على هذا.

وقرأ عاصم وحمزة وابن عامر: ﴿لَّمَّا﴾ مشدَّدة، ومعناه: إلَّا؛ أي: ما كلُّ نفسٍ إلَّا عليها حافظ.

وقيل: ﴿لَّمَّا﴾ أصلُه: لمن ما[2]، واللَّام للتَّأكيد، أو بمعنى إلَّا، و(من) أدغم في (ما).

وقرأ الباقون: ﴿لَمَا﴾ بالتَّخفيف[3]، وله وجهان:

أحدهما: ﴿إِن﴾ للتَّأكيد، واللَّام كذلك.

والثَّاني: ﴿إِن﴾ بمعنى: (ما)، واللَّام بمعنى (إلَّا)، وقد مرَّت نظائره: ﴿إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا﴾ [الإسراء: ١٠٨]، ﴿إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: ٩٧]، ﴿وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ [البقرة: ١٩٨].

---

(١) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٢/ ٢٠٢) من طريق أبي صالح عن ابن عباس. وذكره البغوي في «تفسيره» (٨/ ٣٩١) عن الكلبي، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ١٧٧ ـ ١٧٨)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٤٥٣). ولعله مما روي من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، ولا يصح أمثال هذه الروايات.

(٢) في (أ): «لمما» بدل: «لمن ما». وكلمة (من) على هذا القول هي الجارة في قول الفراء يعني: بكسر الميم، والموصولة أو الموصوفة عند غيره يعني بفتح الميم. انظر ما تقدم عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [هود: ١١١].

(٣) انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ٦٧٨)، و«التسيير» للداني (ص: ٢٢١).

وتقديره على الوجه الأظهر: ما كُلُّ نفسٍ إلَّا عليها حافظ.

قيل: هو كاتبُ عملِه، كما قال[١]: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ﴾ [الانفطار: ١٠].

وقيل: ﴿حَافِظٌ﴾ يحفظُ عملَها ورزقَها وأجلَها، فإذا استوفى الإنسانُ ذلك كلَّه[٢] قبضَه، وهو كقوله: ﴿إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا﴾ [مريم: ٨٤].

وقيل: حافظ يحفظها عن الآفات، كما قال: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الرعد: ١١]؛ أي: بأمر الله. وقد شرحناه في تلك الآية.

وقيل: ﴿حَافِظٌ﴾ هو الله تعالى، وهذا كلُّه بيانُ أنَّ ما خلقَه اللهُ ليهملَه، بل هو متعبَّد بما كلَّفه.

* * *

(٥ ـ ٧) ـ ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ (٥) خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ (٦) يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾.

قوله تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾: أي: فليتدبَّرْ بعقلِه، ولينظر بقلبِه هذا الإنسان المكذِّب بالبعث ﴿مِمَّ خُلِقَ﴾؛ أي: مماذا خُلِقَ[٣]؟

﴿خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ﴾: أي: مَنِيٍّ خارجٍ بسرعةٍ.

والاندفاقُ: السَّير بسرعة[٤]، وأصله: الانصباب، والدَّفْق: الصَّبُّ.

وقال الأخفش وأبو معاذ وجماعة: ﴿دَافِقٍ﴾؛ أي: مدفوق؛ أي: مصبوب.

وقال جماعة[٥]: أي: ذو دَفْق.

---

(١) في (ر): «وتقديره» بدل: «كما قال».

(٢) في (ر) و(ف): «كل ذلك».

(٣) «خلق» من (ف).

(٤) في (أ) و(ف): «في السير السرعة».

(٥) في (ف): «مجاهد».

وقال الخليل وقطرب وأبو سعيد: هو لازم، ﴿دَافِقٍ﴾[١]؛ أي: مُنصَبٌّ مُندَفعٌ بشدَّةِ قوتِه[٢].

﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾: أي: صُلب الرِّجال وترائب المرأة، وهو موضع القلادة من صدر المرأة، جمع تَريبة. قاله ابن عبَّاس[٣].

وكذا فسَّره أبو عبيدة والخليل والأخفش ونفطويه[٤].

وقال الفرَّاء: ﴿مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾؛ أي: من الصُّلب والتَّرائب، وجائز أن يقول: للشَّيئين: ليخرجَنَّ من بين هذين خيرٌ كثيرٌ، ومن هذين خيرٌ كثيرٌ[٥].

* * *

(٨ ـ ١٠) ـ ﴿إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ (٨) يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ (٩) فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ﴾.

﴿إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ﴾: قال عكرمة ومجاهد: أي: على رَدِّ الماء في الصُّلب[٦].

وقال الضَّحَّاك: أي: على رَدِّ الإنسانِ ماءً كما كان[٧].

وقيل: على رَدِّ الماء إلى الإحليل.

وقال الحسن وقتادة: أي: على إعادته حيًّا بالبعث بعد الموت[٨]. وهو الأصح لأنَّ السِّباق والسِّياق له.

---

(١) «دافق» ليس في (ف).

(٢) انظر: «العين» للخليل (٥/ ١٢٠).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٢٩٣).

(٤) انظر: «العين» للخليل (٨/ ١١٧)، و«مجاز القرآن» لأبي عبيدة (٢/ ٢٩٤).

(٥) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٥٥).

(٦) رواه عنهما الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٢٩٧).

(٧) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٢٩٨).

(٨) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٢٩٩) عن قتادة. وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٢٤٧) عن الحسن وعكرمة وقتادة.

وقيل: إنَّه قادرٌ على أنْ يَرُدَّ الإنسان من الكِبَرِ إلى الشباب[١]، ومن الشَّباب إلى الصِّبا، ومن الصِّبا إلى النُّطفة، ومن النُّطفة إلى الإحليل، فكيف لا يقدر على إحيائه بعد موته؟!

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾: أي: تُكْشَف الأسرارُ، وأصلُ الابتلاءِ: الاختبارُ، لكن الاختبار يكون للكشف بالابتداء[٢]، وكذا ابتلاءُ الله تعالى عباده بالأمر والنَّهي هو ليكشف ما علم منهم، فأريدَ الكشف بالابتلاء لذلك.

و﴿السَّرَائِرُ﴾: جميعُ ما كان يسترُه العبد من الخلق من طاعة ومعصية، وخير وشرٍّ.

﴿فَمَا لَهُ﴾: أي: لهذا الإنسان ﴿مِن قُوَّةٍ﴾ على دفع ما حلَّ به من العذاب، و﴿مِن﴾ لعموم النَّفي.

﴿وَلَا نَاصِرٍ﴾: يعينُه ويمنعُه من[٣] الله إن أراد تعذيبَه.

* * *

(١١ ـ ١٢) ـ ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ (١١) وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ﴾.

قوله: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾: أقسمَ بالسَّماء ذات الرَّجع.

قال قطرب والخليل: ﴿الرَّجْعِ﴾: المطر[٤]، والجمع: الرُّجعان. قال الشَّاعر:

أبيضُ كالرَّجْعِ رَسُوبٌ إذا ... ما ثاخَ في مُحتَفَلٍ يَخْتَلي[٥]

(١) في (ر): «إلى الصغر».

(٢) «بالابتداء»: زيادة من (أ).

(٣) في (أ): «عن».

(٤) انظر: «العين» للخليل (١/ ٢٢٧).

(٥) البيت للمتنخل الهذلي في صفة سيف. انظر: «ديوان الهذليين» (٢/ ١٢)، و«مجاز القرآن» لأبي =

وقال الفرَّاء رحمه الله: ﴿ذَاتِ ٱلرَّجْعِ﴾؛ أي: تبتدئ بالمطر، ثم ترجع به في كلِّ عام[1].

وقال أبو عبيدة والأخفش: ذات الماء[2].

وحقيقته: أنَّ الرَّجع ليس باسم للماء، ولا للمطر، لكن أراد به السَّماءَ ذات إعادة النَّفع بالمطر مرَّة بعد مرَّة.

والرَّجع متعدٍّ، والرُّجوع لازم.

﴿وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ﴾: أي: الانشقاق بالنَّبات والأشجار.

وقيل: أي: ذات الطُّرق المشقوقة فيها للسُّلوك.

* * *

(١٣ ـ ١٧) ـ ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ ﴿١٤﴾ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا﴾.

﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ﴾: أي: ما أخبرتُكُم به من البعث بعد الموت وكذا وكذا في هذه السُّورة فصلٌ؛ أي: قاطع للمِراء والتَّنازع، ومنه فصلُ الخصومات.

﴿وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ﴾: أي: باللَّعب، نقيض الجِد.

= عبيدة (٢/ ٢٩٤)، و«الحيوان» للجاحظ (٥/ ١٥٩)، و«المعاني الكبير» لابن قتيبة (٢/ ١٠٧٢)، و«تفسير الطبري» (٢٤/ ٣٠٢).

شبهه بماء المطر من صفائه، قال شارح «ديوان الهذليين»: الرجع: الغدير فيه ماء المطر، والمحتفَل: معظم الشيء، ومحتفَل الوادي: معظمه، وثاخ وساخ واحد؛ أي: غاب. يختلى: يَقطع. والرَّسوب: الَّذي إذا وقع غَمُض مكانُه لسرعة قَطْعِه.

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٥٥).

(٢) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (٢/ ٢٩٤).

وقال أبو عبيدة والأخفش: فصلٌ: جِدٌّ.

وقيل: ﴿إِنَّهُۥ﴾؛ أي: القرآن ﴿لَقَوْلٌ فَصْلٌ﴾؛ أي: فاصل[1] بين الحقِّ والباطل، كما يسمَّى[2] هو فرقانًا؛ لأنَّه فارقٌ بينَ الحقِّ والباطل.

﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾: أي: إنَّ هؤلاء المشركين المكذِّبين بالبعث يحتالون لدفع ما أتيتَهم به يا محمَّد من الحقِّ بالتَّمويه على الضَّعَفة، ويمكرون بك، ويقصدون إهلاكَكَ.

وقال عطاء: هم الذين اقتسموا طُرُقَ مكَّة. على ما مَرَّ في آخر (سورة الحجر).

﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾: أي: وأنا اللهُ أنقضُ عليهم كيدَهم، وأُبطِلُ احتيالهم، ويكون هذا جزاءً لهم على فعلِهم.

ولا يجوز إطلاق هذا الوصف على الله تعالى إلَّا على وجه الجزاء[3]، وهو كقوله: ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة: ٦٧]، وقوله: ﴿يُخَـٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَـٰدِعُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٢]، ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [البقرة: ١٥]، ونظائره.

﴿فَمَهِّلِ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾: أي: فلا تَعْجَل في طلب هلاكِهم.

﴿أَمْهِلْهُمْ﴾: أي: انتظر انتقامي منهم، وإعلائي إيَّاك عليهم.

﴿رُوَيْدًۢا﴾: أي: مدَّةً قليلة، فعن قريبٍ ترى ذلك بهم، وحُقِّقَ ذلك يومَ بدر.

و﴿رُوَيْدًۢا﴾: نعتٌ لمصدرٍ محذوفٍ[4]؛ أي: إمهالًا رويدًا، وهو تصغير رُود

---

(١) في (أ): «قاطع».

(٢) في (ف): «سمي».

(٣) في (أ): «الله».

(٤) في (أ) و(ف): «للمصدر المحذوف».

بالضَّم، وهو المَهَل، وأريد بالتَّصغير التَّقليل، وهو جمعٌ بين اللُّغتين[1]: الإمهال والتَّمهيل؛ توسُّعًا في الكلام، وجمعًا بين الأقسام.

والحمد لله ربِّ العالمين

* * *

سورة الأعلى(١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

بسم الله الذي قدَّر فهدى، الرحمنِ الذي يعلم الجهر وما يخفى، الرحيمِ الذي وعد بالفلاح مَن تزكَّى وذكر اسم ربِّه فصلَّى.

روى أبيُّ بن كعبٍ رضي الله عنه، عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «مَنْ قرأ سُورةَ ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ أعطاه اللهُ عشرَ حسناتٍ بعددِ كلِّ حرفٍ أنزلَه اللهُ تعالى على إبراهيم وموسى ومحمَّد وعلى جميع الأنبياء والمرسلين»(٢).

وهذه السُّورة مكيَّة.

وهي تسعَ عشرةَ آية، واثنتان وسبعون كلمة، ومئتان وستَّة وثمانون حرفًا.

وانتظام ختم تلك السُّورة بافتتاح هذه السُّورة: أنَّ ختْمَ تلكَ في وعيد الكفَّار الذين يَصِفون اللهَ بما لا يليقُ به، وافتتاح هذه بالأمر بمدحِ اللهِ تعالى ووصفِه بما يليقُ به.

وانتظام السُّورتين: أنَّهما في ذكر البدء والإعادة، وجزاءِ أهل السَّعادة وأهل الشَّقاوة.

---

(١) في (ر): «سبح».

(٢) رواه الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ١٨٢)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ٤٦٨)، قال ابن الجوزي في «الموضوعات» (٤/ ٣٤٤): مصنوع بلا شك. وانظر: «الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة» للشوكاني (ص: ٢٩٦).

(١) ـ ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾.

قوله تعالى: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾: وهذا أمرٌ للنَّبيِّ ﷺ.

قيل: معناه: نزِّه اسمَ ربِّك عن أن يُسمَّى به غيرُه.

وقيل: نزِّه اسمَ ربِّك عن تأويله على غير وجهه.

وقيل: أي: مَجِّدِ الله تعالى بأسمائه التي أنزلها عليك، وعلَّمَكَ إيَّاها.

وقيل: أي: صَلِّ لربِّكَ ذاكرًا اسمَه.

وقيل: الاسمُ صلةٌ، ومعناه: سبِّح ربَّك الأعلى؛ أي: نزِّهْه.

وقيل: هو أمرٌ بأن يسبِّحِ اللهَ تعالى بهذا الاسم، فيقولَ: سبحان ربِّي الأعلى.

قال عقبةُ بن عامرٍ: لَمَّا نزل قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الواقعة: ٧٤] قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «اجعلوها[١] في ركوعكم»، ولَمَّا نزل قوله: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ قال: «اجعلوها في سجودكم»[٢].

ذكرَ في تلك الآية: ﴿بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾، وفي هذه الآية: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ﴾.

قال الفرَّاء: هما سواء[٣]؛ كقولك: علمْتُ بأنَّك صادقٌ، وعلمْتُ أنَّك صادقٌ، ونشدْتُكَ بالله، ونشدْتُكَ اللهَ.

وقوله تعالى: ﴿ٱلْأَعْلَى﴾؛ أي: العالي على كلِّ شيءٍ بمُلْكِه وسُلْطانِه وقدرته.

***

(٢ ـ ٣) ـ ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾.

---

(١) في (ر): «اجعلوا هذا».

(٢) رواه أبو داود (٨٦٩)، وابن ماجه (٨٨٧).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٥٦).

﴿ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾: أي: صنع الأشياء على ما أرادَ من الحكمة وحسن التَّدبير، فلا تفاوُتَ فيه.

وقيل: أي: هيَّأ كلَّ شيءٍ على مقداره الذي يَصلح له.

وقيل: أي: خلق الإنسان فسوَّى أعضاءه.

وقيل: أي: فهيَّأه للتَّكليف.

﴿وَٱلَّذِى قَدَّرَ﴾: أي: قدَّر الخلق على الهيئات التي أراد أن يكون عليها، وقدَّر أرزاق العباد وآجالهم وأفعالهم.

﴿فَهَدَىٰ﴾: أي: أرشدَ إلى توحيده وعبادته، ودلَّ بذلك على قدرتِه وإلاهيَّته ووحدانيَّته.

وقيل: أي: خلق كلَّ حيوان وهداه لمصالحه التي بها قِوامُه في مدَّته المقدَّرة له، فكأنَّه قدَّر حياته في الدُّنيا إلى مدَّة، فهداه لِمَا يَتمُّ به بقاؤه إلى مدَّته.

وقيل: هدى الذُّكور إلى إتيان الإناث، حتى يَتمَّ التَّدبيرُ في التَّناسل إلى حين أراد الله تعالى.

وقال مجاهد: هدى الإنسانَ للعبادة، وهدى الأنعام إلى مراتعها(١).

وقرأ الكسائيُّ: ﴿قَدَرَ﴾ مخففًا وهو كالمشدَّدة(٢).

وقيل: ﴿قَدَرَ﴾ بالتَّخفيف؛ أي: مَلَكَ، ﴿فَهَدَىٰ﴾؛ أي: فسخَّر ما ليس بمكلَّف لِمَا خلَقَه له.

* * *

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٣١١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٤٦١).

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ٦٨٠)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٢١).

(٤ ـ ٦) ـ ﴿وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى (٤) فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى (٥) سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى﴾.

﴿وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى﴾: النَّباتَ والزُّروع والثِّمار ممَّا يأكل النَّاس والأنعام.

﴿فَجَعَلَهُ غُثَاءً﴾؛ أي: جعلَه بعد اهتزازه وخضرته ونضرته يابسًا هشيمًا.

﴿أَحْوَى﴾: أي: أسود لاحتراقه، والحُوَّة: السَّواد، والأحوى: الأسود، من حدِّ (علم)، وقد يحملُه السَّيل فيسودُّ بعد اليبْس، وهذا على تقرير النَّظم على حاله.

وقال الفرَّاء: الأحوى: الأسودُ لشدَّة خضرته، كما قال: ﴿مُدْهَامَّتَانِ﴾ [الرحمن: ٦٤]؛ أي: مسوادَّتان لشدَّة خضرتهما.

وعلى هذا القولِ فيه تقديمٌ وتأخيرٌ: والذي أخرج المرعى أحوى فجعله غثاء[١].

وهو كقوله: ﴿أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا (١) قَيِّمًا﴾ [الكهف: ١ ـ ٢]؛ أي: أنزل على عبدِه الكتابَ قيِّمًا، ولم يجعل له عِوجًا، على التَّقديم والتَّأخير.

﴿سَنُقْرِئُكَ﴾: أي: سنجعلُكَ قارئًا للقرآن بإنزال جبريل عليك بالوحي وقراءته عليك.

﴿فَلَا تَنْسَى﴾: أي: تذكُرُه ولا تنساه بحفظِه في قلبِكَ.

* * *

(٧) ـ ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى﴾.

﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾: له وجوهٌ:

أحدُها: ﴿فَلَا تَنْسَى (٦) إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ أن تنساه ممَّا يُنسخُ فيُرفَعُ[٢] فرضُ قراءته

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٥٦).

(٢) في (أ) و(ف): «ينسخه فيرفع» بدل من «ينسخ فيرفع».

عنك وعن أمَّتك، فيزول حفظُه عن القلوب، وإذا[١] نُسِخَ العملُ به وقراءتُه لم يقرؤوه مدَّة فنسوه.

ووجه آخر: ﴿فَلَا تَنسَىٰٓ﴾؛ أي: فلا تتركُ العملَ به ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ فيُنسَخُ العملُ به فيُتْرَكُ لنسخِه.

ووجه آخر: قاله الفرَّاء: لم يشأ الله أن تنسى شيئًا، وهو كقوله: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ [هود: ١٠٧]، وهو لا يشاءُ، وهو كقولك: لأعطينَّكَ كلَّ ما سألْتَ إلَّا أن أشاء أن أمنعَك[٢]، وأنت لا تريدُ أن تمنعَه[٣].

ووجه آخر: فلا تنسى إلَّا أن يريدَ اللهُ إنساءَكَ، فإنَّه قادرٌ على ما يشاء، ثم هو لا ينسيْكَ وإنْ كان قادرًا على إنسائِكَ، كما قال: ﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ [الإسراء: ٨٦]، ونحوِ ذلك، وهو لا يشاءُ، وذكرُ هذا تذكيرُه قدرةَ ربِّه، وأنَّه إذا لم ينسَ فإنَّما ذلك بفضل الله ومَنِّه.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ﴾: أي: رفعَ الصَّوت بالقراءة وإخفاءَ الصَّوت فيها، لا يخفى عليه شيءٌ من ذلك.

* * *

(٨ ـ ١٠) ـ ﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٨﴾ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ﴾.

﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ﴾: أي: نوفِّقُكَ للطَّاعات.

وقيل: أي: نيسِّر لك دخول الجنَّة، وهو بشارةٌ له بها.

---

(١) في (ر): «أو إذا».

(٢) في (ر): «إلا أن يشاء الله أن أمنعك على ما يشاء».

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٥٦).

فعلى الأوَّل: اليسرى: هي الطَّاعاتُ المؤدِّية إلى اليسرى والعاقبةِ المحمودة، وعلى الثَّاني: اسم للجنَّة التي فيها كلُّ راحة ويُسر.

﴿فَذَكِّرْ﴾: أي: عِظْ بالقرآن ﴿إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ﴾: وكان فيمَن يذكِّرهم مَن لا تنفعُه الذِّكرى، فكان الطَّمع منقطِعًا عن تذكيرهم، فقيل له: ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ﴾، وهو كما يقال: ادعُ فلانًا إن أجابَكَ، ومعناه: ولا[1] أراه يجيبُكَ، فكان هذا أمرًا بتذكير مَن تنفعُه الذِّكرى ومَن لا تنفعُه.

﴿سَيَذَّكَّرُ﴾: أي: سيتَّعظ بوعظك ﴿مَن يَخْشَىٰ﴾؛ أي: مَن يخافُ الله تعالى، فإنَّما ينتفعُ به ذلك.

وقيل: ﴿مَن يَخْشَىٰ﴾؛ أي: مَن يعلم بالله، فهو الذي يخشاه، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨].

وقيل: ﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ﴾؛ أي: مَن يخافُ العواقب، ويتأمَّل في العقوبات الَّتي ذكرناها ممَّا يكون في جهنَّم ممَّا لا يقاومُه أحدٌ.

* * *

(١١ ـ ١٢) ـ ﴿وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ﴿١١﴾ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ﴾.

﴿وَيَتَجَنَّبُهَا﴾: أي: يتجنَّب الذِّكرى فلا يقبَلُها ﴿ٱلْأَشْقَى﴾؛ أي: الشَّقيُّ، كما قال: ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧]؛ أي: هيِّن عليه.

وقيل: أي: الـمُفْرط في الشَّقاوة، فإنَّ الأشقياء متفاوتون.

﴿ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ﴾: أي: يدخلها.

---

(١) في (أ) و(ف): «وما».

﴿ٱلْكُبْرَىٰ﴾: قال الحسن: ﴿ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ﴾: هي نار جهنَّم، والنَّار الصُّغرى: هي نار الدُّنيا[١].

وقال الكلبيُّ: ﴿ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ﴾: نار الدَّرك الأسفل، وكلُّ دركٍ أشدُّ عذابًا من الذي فوقه[٢].

* * *

(١٣ ـ ١٥) ـ ﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ﴾.

﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا﴾: فيستريحَ ﴿وَلَا يَحْيَىٰ﴾: فينتفعَ بحياته.

وقيل: إن روح أحدهم في النَّار تصير في حلقةٍ، فلا تخرجُ فيموتَ، ولا ترجعُ إلى موضعها من الجسم فيَحيَى.

وقال الحسن: لا تُسلَّطُ النَّارُ على الفؤاد فلذلك لا يموت، وليس[٣] ينتفع بحياته؛ للعذاب الذي هو فيه[٤].

وقال مقاتل: ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ﴾: نزلت في ابن أمِّ مكتوم، ﴿وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى﴾: نزلت في الوليد بن المغيرة وعتبة بن ربيعة وأميَّة بن خلف لعنهم الله[٥].

---

(١) ذكره ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٥/ ٤٧٠).

(٢) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٣/ ٤٤٤).

(٣) في (ف): «ولا».

(٤) لم أجده.

(٥) لم أقف عليه عن مقاتل، وذكره الواحدي في «البسيط» (٢٣/ ٤٤٣) عن الفراء، وليس في «معاني القرآن» له، وذكر القرطبي في «تفسيره» (٢٢/ ٢٢٩ ـ ٢٣٠) نصفه الأول من طريق أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما، ونصفه الثاني ذكره القرطبي دون عزو، وذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٥/ ١٢٨) عن الحسين بن واقد.

وقوله تعالى: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾: قال ابن عبَّاس: أي: صار زاكيًا وعملَ صالحًا[١].

وقال قتادة: أي: أدَّى زكاة ماله[٢].

وقيل: أي: تطهَّر بالإسلام.

﴿وَذَكَرَ ٱسۡمَ رَبِّهِۦ﴾: أي: لافتتاح الصَّلاة ﴿فَصَلَّىٰ﴾: والفاء للتَّعقيب، فدلَّ أنَّ تكبيرة الإحرام[٣] ليست من أركان الصَّلاة، ودلَّ أنَّه غير مختصٍّ بلفظة التَّكبير، كما قال أبو حنيفة رحمه الله، ويصحُّ الشُّروع بكل ذِكْرٍ.

وروى كثير بن عبد الله المزني عن أبيه عن جدِّه عن النَّبيِّ ﷺ أنَّ هذا في صدقة الفطر وصلاة العيد[٤].

وقيل على هذا: الذِّكْرُ هو التَّكبير في الطَّريق، وهذا عن ابن عبَّاس[٥].

وقد قال هو وأبو سعيد الخدري وأبو العالية والحكم وإبراهيم وعكرمة ومجاهد وعمر بن عبد العزيز والشَّعبي وسعيد بن المسيَّب: إنَّ هذا في زكاة الفطر[٦].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٣١٩) عن ابن عباس رضي الله عنه، بلفظ: «من تزكى من الشرك».
وروى عن الحسن: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾ قال: من كان عمله زاكيًا.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٣٢٠).

(٣) في (ف): «الافتتاح».

(٤) رواه ابن خزيمة في «صحيحه» (٢٤٢٠)، والبزار في «مسنده» (٣٣٨٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٤١٨)، والثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ١٨٥). وكثير بن عبد الله قال عنه الحافظ في «مختصر زوائد مسند البزار» (١/ ٣٩٨): ضعيف جدًّا.

(٥) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٢/ ٢٣٢) عن ابن عباس والضحاك، والزمخشري في «الكشاف» (٤/ ٧٤٠) عن الضحاك.

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٣٢٠) عن أبي العالية. ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٤١٨) عن عطاء وابن سيرين. وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ١٨٥) عن ابن عمر وأبي العالية. =

وقال قتادة: تزكَّى رجلٌ من ماله، وتزكَّى رجلٌ من خلقه[1].

وقال ابن جريج: ﴿تَزَكَّىٰ﴾: من ماله وعمله.

***

(١٦ - ١٩) - ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝١٦ وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۝١٧ إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ۝١٨ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾.

وقوله تعالى: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾: قرأ أبو عمرو بياء المغايبة، ردًّا إلى قوله: ﴿وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى﴾، وهو جنس فيصلح للجمع. وقرأ الباقون بتاء المخاطبة، خطابًا للمشركين[2].

و﴿بَلْ﴾ لردِّ ما قبله؛ أي: لا تطلبون الفلاح في الآخرة، بل تختارون الدُّنيا على الآخرة.

﴿وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ﴾: أي: أنفع ﴿وَأَبْقَىٰٓ﴾؛ أي: أَدْوَمُ.

﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ﴾: جمع صحيفة.

﴿صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾: بدلٌ عن ﴿ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ﴾؛ أي: ما ذكرنا من التَّرغيب

= قال الثعلبي: ولا أدري ما وجه هذا التأويل، لأن هذه السورة مكيّة بالإجماع ولم يكن بمكة عيد، ولا زكاة فطر. قلت: وهذا القول خلاف ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما، فقد روى ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٤١٨) عن عن عطاء رضي الله عنه قال: قلت لابن عباس رضي الله عنهما: أرأيت قوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾ للفطر؟ قال: لم أسمع بذلك، ولكن الزكاة كلها، ثم عاودته فيها فقال لي: والصدقات كلها.

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٣٢٠)، وعبد بن حميد كما في «الدر المنثور» (٨/ ٤٨٦)، ولفظ الطبري: (تزكى رجل من ماله، وأرضى خالقه).

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ٦٨٠)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٢١).

والتَّرهيب في هذه السُّورة فقد ذكرنا ذلك في صحف الأنبياء المتقدِّمين، وهو كقوله: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا﴾ الآية [الشورى: ١٣].

وقيل: هذا المذكور مذكور في تلك الصُّحف، وهو دليل صحَّة قول أبي حنيفة رحمه الله: أنَّ قراءة القرآن بالفارسيَّة في الصَّلاة صحيحة، وهو قرآن بأيِّ لسان قرئ[1]؛ لأنَّه جعل هذا المذكور مذكورًا في تلك الصُّحف، وكذا قال: ﴿وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الشعراء: ١٩٦]، ولا شكَّ أنَّه لم يكن فيها بهذا النَّظم وبهذه اللُّغة، وكان قرآنًا[2].

وقيل: صحف موسى: هي الألواح التي كتب فيها التَّوراة.

وقيل: هي صحفٌ أُنزلَتْ عليه قبل ذلك.

وصحف إبراهيم: كتابٌ أنزل على إبراهيم.

وقيل: كان في صحف إبراهيم: ينبغي للعاقل ما لم يكن مغلوبًا على عقلِه أن يكون حافظًا للسانه، عارفًا بزمانه، مقبلًا على شانه.

وعن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «أُنزِلَتْ صُحُفُ إبراهيمَ في أوَّلِ ليلةٍ من شهر رمضان، وأُنْزلَتِ التَّوراةُ لِستٍّ من شهر رمضان، وأُنزِلَ الزَّبورُ في ثنتي عشرة من شهر

---

(١) من قرأ القرآن بالفارسية عند أبي حنيفة تجوز صلاته سواء كان يحسن العربية أو لا يحسن، وقال أبو يوسف ومحمد: إن كان يحسن العربية لا يجوز، وإن كان لا يحسن يجوز، وعند الشافعي لا يجوز في الحالين جميعًا.
وروى أبو بكر الرازي وغيره رجوع أبي حنيفة رحمه الله إلى قول أبي يوسف ومحمد، وعليه الاعتماد، ولتنزيله منزلة الإجماع، فإن القرآن اسم للنظم والمعنى جميعاً بالإجماع. انظر: «تحفة الفقهاء» للسمرقندي (١/ ١٣٠)، و«البناية شرح الهداية» (٢/ ١٧٩).

(٢) «وكان قرآنًا»: زيادة من (أ) و(ف).

رمضان، وأُنزل الإنجيل في ثمانية عشرة[١] من شهر رمضان، وأنزل القرآن في ليلةِ سبعٍ وعشرين من شهر رمضان»[٢].

وقيل: الكتب المنزَلة من السماء على الأنبياء مئة وأربعة: صُحُف شيث، وهي ستُّون، وصحف إبراهيم، وهي ثلاثون، وصحف موسى قبل التَّوراة، وهي عشرة، والتَّوراة، والإنجيل، والزَّبور، والفرقان.

ومعاني كلِّ الكتب مجموعةٌ في القرآن، ومعاني كلِّ القرآن مجموعةٌ في الفاتحة، ومعاني الفاتحة مجموعة في التَّسمية، ومعاني التسمية مجموعة في باء التَّسمية[٣].

ومعناها: بي كان ما كان، وبي يكون ما يكون، والله أعلم.

والحمد لله رب العالمين

* * *

(١) في (أ): «ثاني عشرة».

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١٦٩٨٤)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٢/ ٧٥)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٤٩٤) من حديث واثلة بن الأسقع.

قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ١٩٧): (رواه أحمد والطبراني في «الكبير» و«الأوسط»، وفيه عمران بن داود القطان، ضعفه يحيى، ووثقه ابن حبان، وقال أحمد: أرجو أن يكون صالح الحديث. وبقية رجاله ثقات).

وفي الحديث علة ثانية، وهي عنعنة قتادة وهو مدلس.

وقال البيهقي: وإنما أراد ـ والله أعلم ـ نزول الملك بالقرآن من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا.

(٣) في (أ): «البسملة».

سُورَةُ الغَاشِيَةِ(١)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

بسم الله الذي ذكَّرنا الغاشية، الرحمنِ الذي خوَّفنا بالنَّار الحامية، الرحيمِ الذي شوَّقنا إلى الجنَّة العالية.

روى أبيُّ بنُ كعبٍ رضي الله عنه عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «مَنْ قرأ ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡغَٰشِيَةِ﴾(٢) حاسبَه اللهُ حسابًا يسيرًا»(٣).

وهذه السُّورة مكيَّة.

وهي ستٌّ وعشرون آية، واثنتان وتسعون كلمة، وثلاثُ مئة وأحدٌ وسبعون حرفًا.

وانتظام السُّورتين: أنَّهما في ذكر المؤمنين والكفَّار، ومصير هؤلاء إلى الجنَّة، ومصير هؤلاء إلى النَّار.

* * *

---

(١) في (ر): «سورة هل أتاك حديث الغاشية».

(٢) في (أ): «من قرأ سورة الغاشية».

(٣) رواه الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ١٨٧)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ٤٧٣)، قال ابن الجوزي في «الموضوعات» (٤/ ٣٤٤): مصنوع بلا شك. وانظر: «الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة» للشوكاني (ص: ٢٩٦).

(١ ـ ٦) ـ ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ (١) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ (٢) عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ (٣) تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً (٤) تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ (٥) لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ﴾.

قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾: استفهامٌ بمعنى التَّقرير؛ أي: قد أتاكَ خبرُ القيامة[1] التي تَغْشَى النَّاس بالأهوال؛ أي: تجلِّلُهم؛ يعني: تَعمُّهم.

وقيل: أي: تأتيهم.

وقيل: ﴿الْغَاشِيَةِ﴾: النَّار بهذه الصِّفة؛ قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ [العنكبوت: ٥٥]، وقال تعالى: ﴿لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾ [الأعراف: ٤١].

وقيل: ﴿الْغَاشِيَةِ﴾: أهلُ النَّار الذين يغشونها؛ أي: يأتونها، والهاء للجماعة.

وقوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ﴾؛ أي: ذليلةٌ لِمَا اعترى أصحابها من الخزي والهوان، خافضةٌ أبصارها؛ قال تعالى: ﴿خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾ [الشورى: ٤٥]، وقال: ﴿خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ﴾ [القمر: ٧].

﴿عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ﴾: قال الحسنُ: أخشعَها اللهُ، وأعمَلَها وأنصبَها بمعالجة السَّلاسل والأغلال في النَّار، وهم قبلَ ذلك أيضًا قيامٌ على أرجلِهم في عَرَصَات القيامة، عُراة ظمأى[2].

وقيل: ﴿خَاشِعَةٌ﴾ يومَئذ ﴿عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ﴾ في الدُّنيا؛ أي: تعِبة.

وقيل: عملَتْ فلم تَنتَفع بعملها يوم القيامة، وتقديرُه: كانت عاملةً ناصبةً في الدُّنيا.

---

(١) في (ف): «الغاشية».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٣٢٨) بلفظ: (لم تعمل لله في الدنيا، فأعملها في النار).

وقيل: إنَّما لم يَذكر (كانت) لأنَّهم يُسمَّون به يومئذ[١]، فيُقال: هم[٢] عاملة ناصبة؛ أي: هم قوم عملوا في الدُّنيا فلم يحصل لهم من ذلك إلَّا نَصَبٌ.

﴿تَصۡلَىٰ﴾: قرأ أبو عمرو وعاصم في رواية أبي بكر: ﴿تُصْلَى﴾ برفع التَّاء، من الإصلاء، وهو الإدخال، والباقون بفتحها[٣]، من الصَّلي وهو الدُّخول، ولهم الوصفان جميعًا، والملائكةُ يُدخلونهم فيَدخلونها.

﴿نَارًا حَامِيَةً﴾: أي: قد أُحْمِيَتْ مُددًا طويلة، فلا حرَّ يعدِلُ حرَّها.

﴿تُسۡقَىٰ مِنۡ عَيۡنٍ ءَانِيَةٖ﴾: أي: من عينِ ماءٍ[٤] قد انتهى حرُّها، فهذا شرابُهم.

والتَّأنيث في هذه الصِّفات والأفعال راجعةٌ إلى الوجوه، والمراد أصحابُها، ولذلك قال بعده:

﴿لَّيۡسَ لَهُمۡ طَعَامٌ﴾: بالهاء والميم اللَّتين هما لجمع العقلاء.

﴿إِلَّا مِن ضَرِيعٖ﴾: إذا دخلوا النَّار وقد اشتدَّ جوعُهم وعطشُهم لطول الموقف وشدَّة الأمر سألوا طعامًا وشرابًا، فيُسْقَون من الحميم الذي يشوي الوجوه، ويقطِّع الأمعاء، ومن الضَّريع الذي يغصُّون به، ويقاسون الشِّدة والعناء.

قال الضَّحَّاك: ﴿ضَرِيعٖ﴾: شجرة في النَّار يأكلون منها[٥].

وقال سعيدٌ: هو الحجارة[٦].

---

(١) «يومئذ» ليس في (أ).

(٢) في (أ): «لهم».

(٣) انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ٦٨١)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٢١).

(٤) «ماء» ليس في (أ).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٣٣٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٣٣٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٤٢١).

وعنه: أنَّه الزَّقوم[١].

وقال الحسن: هو الـمُضرِع[٢]. كالسَّميع بمعنى المسمِع؛ أي: الموقِع في الضَّراعة؛ أي: الذِّلة والتَّضرُّع والمسكنة.

وقال الفرَّاء: هو نبت يُقال لرَطْبه: الشِّبْرِق، وإذا يبس: فهو ضريع، وهو سمٌّ[٣].

وفي حديث ابن عبَّاس: أنَّه كأظفار الهرِّ[٤].

***

(٧ ـ ١١) ـ ﴿لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ ۝٧ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ۝٨ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ۝٩ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝١٠ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً﴾.

وقوله تعالى: ﴿لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ﴾؛ لأنَّ ضريع الدُّنيا الذي هو مرعًى للسَّوائم لا يُسْمِن ولا يُشْبِع، فكيف ضريعُ جهنَّم؟!

ولا يعارض هذه الآيةَ قولُه تعالى: ﴿فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ ۝٣٥ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ﴾ [الحاقة: ٣٥ ـ ٣٦]؛ فإنَّ في[٥] جهنَّم دَرَكَات، وتمضي عليهم أوقاتٌ، ويختصُّ كلُّ وقتٍ وكلُّ موضع بشيء، فالضَّريع يكون في وقتٍ وموضع، والغسلين في وقت آخر وموضع آخر.

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٤٢١).

(٢) ليس هذا قول الحسن بل هو معنى كلام ابن كيسان كما جاء في «تفسير الثعلبي» (١٠/ ١٨٨)، ولفظه: (وقال عمرو بن عبيد: لم يقل الحسن في الضريع شيئًا، إلا أنه قال: هو بعض ما أخفى الله من العذاب، وقال ابن كيسان: هو طعام يضرعون منه ويذلُّون ويتضرَّعون إلى الله سبحانه، وعلى هذا التأويل يكون المعنى: المضرع).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٥٧).

(٤) انظر: «تنوير المقباس» للفيروزآبادي (ص: ٥٠٩).

(٥) «في» ليس في (ف).

وعن أبي الدَّرداء رضي الله عنه قال: يُرْسَل على أهل النَّار الجوع حتى يزيدَ على كلِّ عذاب، فيستغيثون فيُغاثون بالضَّريع، ثم يستغيثون فيغاثون بطعام ذي غُصَّة، فيذكرون أنَّهم كانوا يسيغون الغَصَصَ في الدُّنيا بالشَّراب، فيُدفع إليهم بكلاليب الحديد، فإذا دنا من وجوههم شواها، ودخل بطونهم فقطَّع ما فيها، فيقولون: كلِّموا خزنة النَّار، فذلك قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ الآية [غافر: ٤٩ـ٥٠][1].

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ﴾: ذكر صفة وجوه الكفَّار أوَّلًا، ثم ذكر صفة وجوه المؤمنين، ولم يقل: (ووجوه)؛ لأنَّ الكلام الأوَّل قد طال وانقطع، وصار هذا كالمبتدأ.

ومعناه: وأقوام يومَئذ ناعمون في الجنَّة.

﴿لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ﴾: أي: لمساعيهم في الدُّنيا حامدون في الجنَّة؛ لِمَا نالوا[2] من ثوابها.

وقيل: أي: راضون بثواب سعيهم.

﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾: أي: رفيعةِ المنازلِ، درجاتُها بعضُها فوقَ بعضٍ.

وقيل: أي: عاليةِ القَدْر، بتكامل ما فيها من النَّعيم.

﴿لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةً﴾: قرأ ابن كثير وأبو عمرو بياء التَّذكير مضمومةً[3]، ﴿لاغيةٌ﴾ بالرَّفع، والتَّذكيرُ لتقدُّم الفعل والحائل.

---

(١) رواه الترمذي (٢٥٨٦)، وتقدم عند تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون: ١٠٨].

(٢) في (ر): «نالها».

(٣) «مضمومة» ليس في (أ).

وقرأ نافع: ﴿لا تُسْمَعُ﴾ بتاء التَّأنيث وبضم التَّاء، ﴿لاغيةٌ﴾ بالرَّفع، على ما لم يُسَمَّ فاعلُه.

والباقون بفتح تاء التَّأنيث، ﴿لَٰغِيَةً﴾ بالنَّصب[١]، على أنَّ الفعل للوجوه ظاهرًا، ولأصحابها معنًى.

واللَّاغيةُ: اللَّغو، كالخائنة هي الخيانة، والكاذبة هي[٢] الكذب، وهو كلُّ كلام لا فائدة فيه.

يقول: الجنَّةُ منزَّهةٌ عن جريان اللَّغو فيها بين أهلها؛ لأنَّهم نالوها بالجدِّ والحقِّ، لا باللَّغو والباطل، وكلُّ مجلسٍ من مجالس الدُّنيا يُصان عن هذا، فله جلالُه على غيره.

وقال القتبيُّ ونفطويه: ﴿لَٰغِيَةً﴾؛ أي: قائلةَ لغوٍ[٣].

وقال الأخفش: كلمة لغو[٤].

وقال أبو عبيدة: أي: لغو[٥].

وقال مجاهد: أي: شتم[٦].

وقال قتادة: أي: باطل[٧].

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ٦٨١ ـ ٦٨٢)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٢٢).

(٢) في (ر): «من» في الموضعين.

(٣) انظر: «غريب القرآن» لابن قتيبة (ص: ٥٢٥).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للأخفش (٢/ ٥٧٧).

(٥) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (٢/ ٢٩٦).

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٣٣٥).

(٧) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٥٨٧)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٣٣٥)، بلفظ: «لا تسمع فيها باطلًا ولا إثمًا».

وقال محمَّد بن كعب القُرظيُّ: إثم[١].

وجملته: كلُّ كلامٍ لا فائدةَ فيه، ولا[٢] منفعة فيه.

* * *

(١٢ ـ ١٦) ـ ﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾.

قوله تعالى: ﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾: أي: عين الشَّراب جاريةٌ على وجه الأرض من غير أخدود، تجري لهم حيث أرادوا إجراءها.

قوله تعالى: ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ﴾: أي: في الهواء عاليةً؛ ليرى المؤمنُ إذا جلسَ عليها جميعَ ما أعطاه ربُّه في الجنَّة من الـمُلْك والنَّعيم.

وقال خارجة بن مصعب: بلغَنَا أنَّ بعضَها فوقَ بعضٍ، فترتفع ما شاء الله تعالى، فإذا أراد وليُّ اللهِ أن يجلسَ[٣] عليها تطامنَتْ له، فإذا استوى عليها ارتفعَتْ إلى حيث شاء الله[٤].

﴿وَأَكْوَابٌ﴾: هي كِيْزانٌ لا عُرى لها، جمع كوب.

﴿مَّوْضُوعَةٌ﴾: أي: معدَّةٌ لأهلِها، كالرَّجل يلتمسُ من الرَّجل شيئًا، فيقول: هو هاهنا موضوع؛ أي: مُعَدٌّ.

وقيل: موضوعةٌ على حافة العين الجارية، كلَّما أراد الشُّرب وجدها ملأى من الشَّراب.

---

(١) انظر عبارة قتادة في التعليق السابق.

(٢) «فائدة فيه ولا» ليس في (أ) و(ف).

(٣) في (أ): «فإذا جاء ولي الله ليجلس».

(٤) ذكره الرازي في «التفسير الكبير» (٣١/ ١٤٣).

وقيل: أي: موضوعةٌ بين أيديهم لاستحسانها والتَّلذُّذ بالشُّرب منها.

﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ﴾: قال قتادة: أي: وسائد[١].

وقيل: المرافق المصفوفة: الموضوعةُ بعضُها بجنب بعض، كالشَّيء يُجعَل صفًّا، وكالقوم يقومون صفًّا، يتَّكئون عليها.

وواحدتها نُمْرُقة ونِمْرِقة بالضَّم والكسر.

﴿وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾؛ أي: طنافس متفرِّقة، وهي عبارة عن الكثرة. قاله الفرَّاء[٢].

وقال أبو عبيدة: هي البُسُط[٣]. وقال نفطويه كلاهما.

وهي جمع زِرْبِيَة وزِرْبِي[٤].

ذكر أنَّ لهم وسائدَ يتَّكؤون عليها، وطنافسَ وبُسطاً يمشون عليها ويجلسون عليها إذا أحبُّوا، ثم فيها زينة مجالسهم يتلذَّذون بالنَّظر إليها.

***

(١٧ ـ ٢٠) ـ ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۝١٧ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ۝١٨ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ۝١٩ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۝١٧ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ۝١٨ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ۝١٩ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾: أي: بُسِطَتْ.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٣٣٧).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٥٨).

(٣) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (٢/ ٢٩٦).

(٤) مثلثة الزاي كما ذكر ابن الأثير في «النهاية في غريب الحديث» (مادة: زرب).

لَمَّا أنزلَ اللهُ تعالى هذه الآيات في صفة الجنَّة: ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾، وفسَّرها النَّبيّ ﷺ بأن السَّرير يكون ارتفاعه مسيرة مئة سنة، والأكوابَ الموضوعة تكون كثيرةً ولا تدخل في حساب الخَلْق، والنَّمارقَ يكون طولها كذا، ﴿وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾ يكون عرضُها كذا، فوصف طولًا عظيمًا، وعرضًا عظيمًا، أنكره الكفَّار، وقالوا: إذا أراد الإنسانُ أن يصعدَ السَّرير كيف يفعل؟ وكيف تكثر الأكواب هذه الكثرة، وتطول النَّمارق هذا الطُّول، وتُبْسَط الزَّرابيُّ هذا الانبساط، ولسنا نشاهد ذلك في الدُّنيا؟! = فأنزل اللهُ تعالى هذه الآيات[١]:

فقال: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ طويلةً، ثم تبرُك فترْكَب ويُحْمَل عليها، ثم تقومُ، فكذلك السُّرر[٢].

﴿وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ﴾ ثم نجومُها تكثر هذه الكثرةَ، فلا تدخل في حساب الخَلْق، فكذلك الأكواب.

﴿وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾ تطول هذا الطُّول، فكذلك النَّمارق.

﴿وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾: فهي كلُّها بساطٌ واحدٌ يُبسَطُ من الأفق إلى الأفق، فكذلك الزَّرابيُّ.

وقيل: هي تنبيهٌ على البعث بعد الموت، ومحاجَّةٌ بها مع منكري البعث[٣].

يقول: مَن قدر على خلق هذه الأشياء العجيبة[٤] العظيمة قدرَ على الإعادة بعد الإماتة.

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ١٨٩)، والواحدي في «البسيط» (٢٣/ ٤٧٣) عن قتادة مختصراً بلفظ: (ذكر الله سبحانه ارتفاع سرر الجنة وفرشها، فقالوا: كيف نصعد؟ فأنزل الله سبحانه هذه الآية).

(٢) في (ر): «السرير».

(٣) في (أ): «ومحاجة على منكريه» وفي (ف): «ومحاجة بها مع منكريه».

(٤) «العجيبة» ليس في (أ).

ثم معنى تقديم الإبل على السَّماء والأرض والجبال، وقَصْرِ التَّنبيه على هذه الأشياء الأربعة: أنَّ هذا خطابٌ للعرب، وحَثٌّ على الاستدلال، والمرءُ إنما يستدلُّ بما هو أكثر له مشاهدة، وأوقف على معانيه، والعرب في الغالب تكون في البوادي، وأعزُّ أموالهم إليهم الإبل، وهم لها أكثر استعمالًا منهم لسائر الحيوانات؛ لأن جملتها ترجع إلى الأكولة والحلوبة والركوبة والحمولة، وهي كلُّها تجتمع في الإبل دون غيرها، فإنَّه يُختصُّ سائرُها ببعض ذلك دون بعض، وليس جيل في الدُّنيا تكلَّف في وصف هذا الحيوان ما تكلَّفوه، ولا عرفَ من ظاهرها وباطنها ما عرفوه، ومن أحبَّ ذلك فلينظر في الكتب المؤلَّفة في صفات الإبل وأعراقها وأجناسها وأسنانها ولقاحها ونتاجها وألوانها ووجوه سيرها وأدوائها ومعالجاتها، فإذا كان استعمالهم في الصَّحارى لها، ونظرهم فيها إلى السَّماء والأرض والجبال = حُرِّكوا على تأمُّلها والاستدلال بها على قدرة خالقها ووحدانيَّته وعلمه وحكمته.

ثم من عجائب الإبل بروكُها ونهوضُها بالحمل الثَّقيل، وتناولُها الشَّوك وإدرارها اللَّبن الخالص الغزير، وعظمُ جثتها وانقيادُها للصبيِّ الصغير.

* * *

(٢١ ـ ٢٤) ـ ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ﴾؛ أي: عِظْ يا محمَّد هؤلاء المكذِّبين بالبعث بما توردُه عليهم من الحُجج، ولا يضيقَنَّ صدرُك بإصرارهم على إنكارهم.

﴿إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ﴾: أي: إنَّما اختارك الله تعالى لهذا، فاصبر عليه ودُمْ على ما اختارك له.

﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾: أي: بمسلَّطٍ[1] تحملهم على الإيمان جبرًا، وتدخله في قلوبهم كرهًا، إنَّما عليك التَّذكير والإرشاد والتَّبصير.

وقيل: لست الآن مسلَّطًا عليهم تقاتلهم. وكان هذا قبل الأمر بالقتال، ثم أُمِر به.

﴿إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ﴾: قيل: أي: إلَّا مَن أعرض عن إجابتك، وكفر بربِّك، فتكون مسلَّطًا عليه بما يؤذَنُ لك في قتاله وسَبْيه وقتله.

﴿فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ﴾: بك، وعلى يدك، وبما يصيِّره إلى عذاب النَّار.

وقيل: الاستثناء من قوله: ﴿فَذَكِّرْ﴾؛ أي: فعظ إلَّا مَن لا تطمع في إجابته.

وقيل: هو استثناء منقطع بمعنى: لكن، ومعناه: لست بمسلَّط على أحد في إدخال الإيمان في قلبِه، ولكن مَن تولى وكفر فالله يعذِّبه العذاب الأكبر، وهو عذاب الآخرة؛ قال تعالى: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ﴾ [السجدة: ٢١].

وقيل: هو في العذاب في الدَّرك الأسفل من النَّار.

* * *

(٢٥ ـ ٢٦) ـ ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ۝٢٥ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾

﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ۝٢٥ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾: أي: فنحن نعذِّبه، فإنَّ إلينا رجوعهم في الآخرة؛ أي: إلى حكمنا وجزائنا.

﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾: أي: وإذا رجعوا إلينا حاسبناهم على أعمالهم، وجزيناهم بها جزاء أمثالهم.

---

(١) في (ر): «أي: بمسلط على أحد في إدخال الإيمان؛ أي».

و(على) لتأكيد الوعيد[١]، لا للوجوب، فليس يجب على الله شيء.

وقيل: هو إخبار عن القدرة على حسابهم، وهو كقول القائل:

لِأَمْرٍ عليهم أنْ تَتِمَّ صُدُورُهُ وليسَ عَلَيهم أنْ تَتمَّ عواقبُهْ[٢]

وروى جابر رضي الله عنه أن النَّبيَّ صلى الله علية وسلم قال: «أُمِرْتُ أنْ أقاتِلَ النَّاسَ حتَّى يقولوا: لا إلهَ إلَّا الله، فإذا قالوها عصموا منِّي دماءَهم وأموالَهم إلَّا بحقِّها، وحسابُهم على اللهِ تعالى»، ثم قرأ: ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾[٣].

* * *

(١) في (أ) و(ف): «الوعد».

(٢) البيت لأبي تمام. انظر: «ديوانه» (ص: ٤٤).

(٣) رواه مسلم (٢١/ ٣٥) لكنه ذكر قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾. ورواه دون الآية: البخاري (٢٥)، ومسلم (٢٢)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما. والبخاري (٢٩٤٦)، ومسلم (٢١/ ٣٣)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

سُورَةُ الفَجْرِ(١)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

بسم الله الذي صبَّ على الكفَّار سوطَ عذاب، الرحمنِ الذي ذكَّر المؤمنين بما ذَكَر من أهوال يوم البعث والحساب، الرحيمِ الذي خاطب النَّفس المطمئنة بألطف خطاب.

روى أبيُّ بن كعبٍ رضي الله عنه عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «مَن قرأَ سُورةَ والفجرِ في ليالِ العَشْرِ غَفَرَ اللهُ له، ومَن قرأها في سائرِ الأيَّامِ كانت(٢) له نورًا يومَ القيامَةِ»(٣).

وهذه السُّورة مكيَّة.

وهي اثنتان وثلاثون آية، ومئة وسبعٌ وثلاثون كلمة، وخمسُ مئة وثمانيةٌ وستُّون حرفًا.

وانتظام السُّورتين: أنَّهما في إهانة الأعداء، وكرامة الأولياء.

* * *

---

(١) في (ف): «والفجر».

(٢) في النسخ الثلاث: «كان»، والمثبت من مصدري التخريج.

(٣) رواه الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ١٩١)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ٤٧٨)، قال ابن الجوزي في «الموضوعات» (٤/ ٣٤٤): مصنوع بلا شك. وانظر: «الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة» للشوكاني (ص: ٢٩٦).

(١ ـ ٣) ـ ﴿وَالْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَالْفَجْرِ﴾: أقسمَ اللهُ تعالى بالفجر، واختُلِف فيه:

قيل: هو الصُّبح، وهو كما قال: ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ﴾ [المدثر: ٣٤]، ثم[١] **قيل:** هو فجرُ كلِّ يوم.

وقيل: فجر أوَّل يوم من المحرَّم. وهو قول ابن عبَّاس رضي الله عنهما[٢].

وقيل: فجر أوَّل يوم من ذي الحجَّة.

وقيل: فجر يوم النَّحر.

وقيل: هو صلاة الفجر؛ قال تعالى: ﴿وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء: ٧٨].

وقيل: هو قَسَم بانفجار المطر من السَّحاب.

وقال عكرمة: هو قَسَم بانفجار الماء من الجبال؛ قال: ﴿وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ﴾ [البقرة: ٧٤][٣].

وقيل: هو قَسَم بانفجار الماء من حجر موسى عليه السلام؛ قال تعالى ﴿فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ [البقرة: ٦٠].

وقال قتادة: هو قَسَم بانفجار الماء من بين أصابع رسولنا عليه الصلاة والسلام[٤].

---

(١) «ثم» من (أ).

(٢) ذكره عنه ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٥/ ٤٧٦). وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ١٩١) عن قتادة.

(٣) ذكره دون نسبة الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ١٩١)، وابن عطية في «المحرر الوجيز» (٥/ ٤٧٦).

(٤) ذكره الكرماني في «غرائب التفسير وعجائب التأويل» (٢/ ١٣٣٧)

وقيل: هو قسم بانفجار الطُّوفان من السَّماء والأرض في زمن نوح عليه السلام؛ قال تعالى ﴿ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا ﴾ [القمر: ١٢].

وقال الضَّحَّاك: أقسم بانفجار الدُّموع من عيون العصاة[١].

وقيل: أقسم بانفجار عيون الجنَّة؛ قال تعالى: ﴿يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ [الإنسان: ٦].

﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾: قيل: هو قسم بعشر عاشوراء، وهي افتتاح السَّنة، وهو قول ابن عبَّاس[٢].

وقيل: هو العشر الأواخر من شهر رمضان، وفيها ليلة القدر، وكان[٣] النَّبيُّ ﷺ يجتهد فيها ويقوم في لياليها.

وقيل: هي عشر ذي الحجَّة، وفيها الأيَّام الفاضلة والمناسك.

قوله: ﴿وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ﴾: قال ابن عبَّاس: الشَّفعُ: الخلْقُ، والوتر: الخالق[٤].

وقرأ حمزة والكسائيُّ بكسر الواو، والباقون بفتحها[٥]، وهما لغتان: الفتح لغة أهل الحجاز، والكسر لغة تميم.

وقال الحسن: الشَّفع: الزَّوج، والوتر: الفرد، من كلِّ عدد[٦].

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ١٩١) عن يمان بن رئاب.

(٣) في (أ): «ولأن».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٣٥١) بلفظ: (الله وتر، وأنتم شفع).

(٥) انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ٦٨٣)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٢٢).

(٦) رواه عبد بن حميد كما في «الدر المنثور» (٨/ ٥٠٣) بلفظ: (هو العدد مِنْهُ شفع وَمِنْه وتر)، وهكذا ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ١٩٣)، والماوردي في «تفسيره» (٦/ ٢٦٦)، والواحدي في «البسيط» (٢٣/ ٤٩٤).

وقال ابن عبَّاس وعكرمة والضَّحَّاك: الشَّفع: يوم النَّحر؛ لأنَّ ما بعده للنَّحر أيضًا، والوتر: يوم عرفة(١).

وقال ابن الزُّبير: الشَّفع اليومان الأوَّلان من يوم النَّحر، والوتر: اليوم الثَّالث من ذلك(٢).

وقال عمران بن الحصين: الصَّلوات المكتوبات، منها شفع ومنها وتر(٣).

وقال عكرمة في رواية: الشَّفع: العيدان، والوتر: يوم عرفة.

وقيل: الشَّفع: عشر ذي الحجَّة، والوترُ: أيَّام التَّشريق.

وقيل: الشَّفع: أيَّام الدُّنيا، والوتر: يوم القيامة.

وقيل: الشَّفع: ليالي الدُّنيا، والوتر: ليلة القبر(٤).

وقيل: الشَّفع: كل اللَّيالي، والوتر: ليلة القدر(٥).

وقيل: الشَّفع: قران الحج والعمرة، والوتر: الحجُّ وحده، أو(٦) العمرة وحدها.

وقيل: الشَّفع: زيارة بيت الله وزيارة حضرة(٧) الرَّسول، والوتر: زيارة بيت الله وحده.

---

(١) رواه عنهم الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٣٤٩).

(٢) رواه ابن وهب في «جامعه ـ التفسير» (١٠٧) بلفظ: (الشفع: يومان بعد يوم النحر، والوتر: يوم النفر الآخر، يقول الله: ﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ٢٠٣])، وعزاه بنحو هذا السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٥٠٤) إلى عبد الرزاق وسعيد بن منصور وابن سعد وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٥٩٣).

(٤) في (ر) و(ف): «القدر».

(٥) «وقيل الشفع كل الليالي والوتر ليلة القدر» ليس في (ف).

(٦) في (أ): «و».

(٧) في (أ) و(ر): «حظيرة».

وقيل: الشَّفع: عرفات والمزدلفة، والوتر: الكعبة.

وقيل: الشَّفع: الصَّفا والمروة، والوتر: البيت.

وقيل: الشَّفع: مسجد مكَّة ومسجد المدينة، والوتر: مسجد بيت المقدس.

وقيل: الشَّفع: الخلفاء الأربعة، والوتر: محمَّد ﷺ.

وقيل: الشَّفع أولاد النَّبيِّ ﷺ أربعة بنين وأربع بنات، والوتر: نساؤه التِّسع.

وقيل: الشَّفع: الحسن والحسين، والوتر: علي رضي الله عنه.

وقيل: الشَّفع: ثمانية أبواب الجنَّة، والوتر: سبعة أبواب النَّار.

وقيل: الشَّفع: الرُّوح والبدن، والوتر: القلب وحده.

وقيل: الشَّفع: جمع القلب بين حبِّ الدُّنيا وحبِّ العُقبى[1]، والوتر: انفراده بحبِّ المولى.

وقيل: الشَّفع: النِّيَّة والعمل، والوتر: النِّية وحدَها.

وقال عطاء: الشَّفع: السُّنن اثنتا عشرة ركعة، والوتر: الفرائض سبع عشرة ركعة.

وقيل: الشَّفع: الإيمان والعمل، والوتر: الإيمان وحدَه[2].

وقال جعفر الصَّادق: الشَّفع: العينان والأذنان واليدان والرِّجلان وكل شفع في البدن، والوتر: القلب وحده.

وقال ابن عبَّاس: الوتر آدم، شُفع بحواء[3].

وقال علي: الشَّفع: آدم وحواء، والوتر: ربُّنا تعالى[4].

---

(١) في (ف): «الآخرة».

(٢) «وحده» ليس في (أ) و(ف).

(٣) ذكره ابن قتيبة في «غريب القرآن» (ص: ٥٢٦)، والواحدي في «البسيط» (٢٣/ ٤٩١).

(٤) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٥٧٧) من طريق الحارث عن علي رضي الله عنه.

وقيل: الشَّفع: الزَّوجان، والوتر: العَزب.

وقال الحسن ومقاتل بن حيَّان ومجاهد: الشَّفع: الخلق، ﴿كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ [الذاريات: ٤٩]، والوتر: الله تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ [البقرة: ١٦٣](١).

وقال أبو بكر الورَّاق: الشَّفع: تضادُّ أوصاف المخلوقين؛ العزّ والذُّل، والقدرة والعجز، والقوَّة والضَّعف، والعلم والجهل، والبصر والعمى، والسَّمع والصَّمم، وما أشبهها، والوتر: انفراد صفات الله تعالى؛ عزٌّ بلا ذلٍّ، وقدرةٌ بلا عجز، وقوَّة بلا ضعف، وعلمٌ بلا جهل، وحياةٌ بلا موت(٢).

* * *

(٤ ـ ٧) ـ ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ (٤) هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ (٥) أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (٦) إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ﴾

وقوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾: هو قسمٌ بليلة النَّحر؛ لأنَّه يسري فيه الحاجُّ إلى المزدلفة، ومعناه: يُسْرَى فيه، كما يُقال: ليل نائم؛ أي: يُنام فيه.

وقيل: ﴿يَسْرِ﴾؛ أي: يمضي.

وقيل: هو كلُّ ليلٍ، كما قال: ﴿وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ﴾ [المدثر: ٣٣]، ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ﴾ [التكوير: ١٧].

﴿هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ﴾: أي: عقلٍ، وهو استفهام بمعنى التَّقرير، وجواب هذا القسم: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ﴾: أي: ألم تعلم يا محمَّد علمًا يوازي العيان في الإيقان؟ وهو استفهامٌ بمعنى التَّقرير.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٣٥١) عن مجاهد وأبي صالح.

(٢) رواه الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ١٩٣).

﴿كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾: قالوا: هما عادان: عاد الأولى وعاد الثَّانية، وعاد الأولى هم إرم.

وقوله تعالى: ﴿إِرَمَ﴾: بدلٌ عنه وترجمةٌ له[1].

واختلف في طريقه:

قال قتادة: ﴿إِرَمَ﴾: قبيلة من عاد[2]. فكان في معنى: مررْتُ بقريشٍ بني هاشم منهم.

وقال مجاهد: ﴿إِرَمَ﴾: أمَّة عاد[3].

وقال السُّدِّي: هو أبوهم الأكبر[4].

وقال معمر: يرجع عاد وثمود إلى إرم، فهو أصلُهم جميعًا[5].

وقال الحسن: عاد وإرم اسمان لواحد.

وقال ابن إسحاق: عادُ بن إرَمَ بن عُوصِ بن سَامِ بن نُوح عليه السَّلام[6].

فعلى هذا سُمِّي عاد إرم باسم الأب، كما تقول: مررت ببكر بن وائل؛ أي: ببني بكر بن وائل.

ثم إنَّما لم ينوَّن ﴿إِرَمَ﴾ ولم يُصْرَف، وإن كان في الأصل اسمَ رجل؛ لأنَّه صار اسمَ قبيلة، ولذلك أنّث النَّعت[7] فقال:

---

(١) «له» ليس في (ف).

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣/ ٤٢٤)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٣٦٢).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٣٦٢).

(٤) رواه ابن المنذر، كما في «الدر المنثور» للسيوطي (٨/ ٥٥).

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ١٩٦)، والبغوي في «تفسيره» (٨/ ٤١٨)، عن الكلبي.

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٢٦٨).

(٧) في (أ): «الوصف».

﴿ذَاتِ الْعِمَادِ﴾: قال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: أي: ذات الطَّول[١].

يقال: رجل مُعَمَّدٌ؛ أي: طويل.

وقال قتادة: ﴿ذَاتِ الْعِمَادِ﴾؛ أي: ذات عُمُد لبيوت الوَبر[٢]. وكانوا ينتقلون بها من مكانٍ إلى مكانٍ للانتجاع.

وقال ابن زيد: ذات إحكام البنيان[٣].

وقال الضَّحَّاك: ذات القوى الشِّداد[٤].

وقال الحسن: ذات الأبنية العظام[٥].

وقال الواقديُّ: كانوا يعالجون العماد، فينصبونه، ثم يبنون فوقه القصور، وكانت تُرى من أرض بعيدة، وهو قوله: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ﴾ [الشعراء: ١٢٨].

***

(٨ ـ ٩) ـ ﴿الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ (٨) وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ﴾: قيل: هو وصف عاد؛ أي: لم يُخلَق في سائر البلاد مثلُهم في قوَّتهم وطول قامتهم. وكذا قال الحسن[٦] وقتادة، وقال: قَدُّ أحدهم اثنا عشر ذراعًا وأكثر من ذلك[٧].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٣٦٥).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٣٦٥).

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٢٦٨)، ورواه بمعناه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٣٦٦).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٣٦٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٤٢٦).

(٥) ذكره الزجاج في «معاني القرآن» (٥/ ٣٢٢) بلا نسبة، وعنه الواحدي في «البسيط» (٢٣/ ٥٠٣).

(٦) في (أ): «الأخفش».

(٧) رواه عن قتادة الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٣٦٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٤٢٦). وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٢٦٨) عن الحسن.

وقيل: هو وصف أبنيتهم، والتَّأنيثُ راجع إلى العماد، وهي جمع عَمَد على هذا التَّأويل.

وقوله تعالى: ﴿وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُواْ ٱلصَّخۡرَ﴾: قال مجاهد: أي: قطعوا الجبال بيوتًا[١]؛ كما قال: ﴿وَتَنۡحِتُونَ ٱلۡجِبَالَ بُيُوتًا﴾ [الأعراف: ٧٤].

﴿بِٱلۡوَادِ﴾: قال الكلبيُّ: بوادي القُرى[٢].

وقد جاب يجوب جوبًا، وجاب يَجيب جيبًا؛ أي: قطع.

***

(١٠ ـ ١٤) ـ ﴿وَفِرۡعَوۡنَ ذِي ٱلۡأَوۡتَادِ ١٠ ٱلَّذِينَ طَغَوۡاْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ١١ فَأَكۡثَرُواْ فِيهَا ٱلۡفَسَادَ ١٢ فَصَبَّ عَلَيۡهِمۡ رَبُّكَ سَوۡطَ عَذَابٍ ١٣ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلۡمِرۡصَادِ﴾.

﴿وَفِرۡعَوۡنَ ذِي ٱلۡأَوۡتَادِ﴾: قال ابن عبَّاس: أي: ذي الجنود الذين كانوا يشدُّون أمره[٣].

وقال مجاهد: كان يوتِدُ الأوتاد في أيدي النَّاس[٤].

وقيل: هي أوتادٌ نصبَها للعذاب، يشدُّ النَّاس إليها يعذِّب بها، وكذا فعل بامرأته، مدَّها إلى أربعة أوتاد، وجعل على صدرها رحًى.

وقال قتادة: هي ملاعبُ كان يَلعب له بها، ويضرب تحتها بالأوتاد[٥].

وهو عن ابن عبَّاس في رواية[٦].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٣٦٩).

(٢) ذكره عنه السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٥٧٨)، وذكره الواحدي في «تفسيره» (٢٣/ ٥٠٤) عن مقاتل.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٣٧١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٤٢٦).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٣٧١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٤٢٦).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٣٧١).

(٦) لم أقف عليه.

وقيل: هي أوتاد خيام عسكره، وكانت في غاية الكثرة.

وقيل ﴿ذِى ٱلْأَوْتَادِ﴾؛ أي: ذي الـمُلْك والرِّجال، قال الشَّاعر:

في ظـلِّ مَلِـكٍ راسـخِ الأوتـادِ[1]

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ﴾: صفة عاد وثمود وفرعون؛ أي: تمرَّدوا في بلادهم.

﴿فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ﴾: الكفر والمعاصيَ وظلم النَّاس.

﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾: مجاز عن إيقاع العذاب بهم، قال الشَّاعر:

ومـا صَـبَّ رِجْـلي في حَدِيـدِ مُجاشِـعٍ   مـع القَـدْرِ إلَّا حاجَـةٌ لي أُرِيْدُهـا[2]

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾ هو كقولهم: طريقُكَ عليَّ، وكقول الله تعالى: ﴿إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ﴾ [آل عمران: ٥٥] ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [آل عمران: ٢٨].

والمرصاد والـمَرْصَد: الطَّريق الذي يُرْصَد فيه المارُّ؛ أي: يُرْقَب ويُحْفَظ، ومعناه: أنَّ اللهَ تعالى يحفَظُ كلَّ إنسان وما يعمل، ويجزيه به؛ إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشرٌّ.

وفي ﴿إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ﴾ قولٌ آخر؛ أنَّه اسم مدينة بناها شدَّاد بن عاد، وتقدير الآية على هذا: كيف فعل ربُّك بإرم شدَّاد بن عاد، وهو تسمية شدَّاد باسم أبيه، وذَكَر إرم بدلًا عنه، كقولك: ضربْتُ زيدًا رأسَه.

---

(١) عجز بيت للأسود بن يعفر النهشلي كما «المفضليات» (ص: ٢١٥)، وفيه: (ثابت الأوتاد)، وصدره:

ولقـد غَنُـوا فيهـا بأنعَـمِ عيشـةٍ

(٢) للفرزدق كما في «ديوانه» (١/ ٢١٥).

ودليله قصَّته، وهي ما أخبر به الشَّيخ الإمام الخطيب أبو محمَّد عطاء [بن][1] مالك بن عبد الجبَّار النَّحوي رحمه الله، قال: أخبرنا الشيخ طاهر بن عبد الله الشاشي[2]، قال: أخبرنا الشيخ الإمام أبو القاسم الحسن بن محمَّد بن حبيب قال: أخبرنا أبو عبد الله محمَّد بن عبد الله الصَّفَّار الأصفهاني، قال: أخبرنا أبو جعفر أحمد بن مهدي بن رستم الأصفهاني[3]، قال: أخبرنا عبد الله بن صالح المصري[4]، قال: حدثني ابن لهيعة، عن خالد بن أبي عمران، عن وهب بن منبِّه، عن عبد الله بن قِلَابة[5]: أنَّه خرج في طلب إبلٍ له شردَتْ، فبينما هو في صحارى عدن يطلبُ إبلَه في تلك الفلوات، إذا هو قد وقع على مدينة في تلك الفَلَوات عليها حصنٌ، حول ذلك الحصن قصور كثيرة وأعلام طِوال، فلمَّا دنا منها ظنَّ أنَّ فيها أحدًا يسأله عن

---

(١) ما بين معكوفتين من «لسان الميزان» ترجمة الفضل بن علي بن خلف الألمعي الكاشغري، نقلاً عن السمعاني.

(٢) في (ر): «أبو جعفر أحمد بن مهدي بن رستم الأصفهاني» بدل: «الشيخ طاهر بن عبد الله الشاشي»، ولعله سبق نظر من الناسخ، فإن المذكور سيرد في السند بعد علَمين.

(٣) في (ف): «الأصبهاني».

(٤) في (أ): «الصرمي»، والصواب المثبت، وهو عبد الله بن صالح بن محمد بن مسلم الجهني مولاهم، أبو صالح المِصْري كاتب الليث بن سعد. من رجال «التهذيب».

(٥) هذا الخبر رواه بطوله الثعلبي في «تفسيره» (٢٩/ ٣٢٧) (ط: دار التفسير) عن أبي القاسم الحسن بن محمد به، وأبو الشيخ في «العظمة» (٤/ ١٤٩٣) من طريق عبد الله بن صالح به، وذكره مختصراً الزمخشري في «الكشاف» (٤/ ٧٤٨)، وقال الحافظ في «الكاف الشاف» (ص: ١٨٤): آثار الوضع عليه لائحة. وقال ابن كثير عند هذه الآية: هذه الحكايةُ ليس يَصِحُّ إسنادُها، ولو صحَّ إلى ذلك الأعرابيِّ (يعني عبد الله بن قلابة) فقد يكونُ اختَلَق ذلك، أو أنه أصابه نوعٌ من الهَوَس والخَبَال فاعتَقَد أن ذلك له حقيقةٌ في الخارج، وليس كذلك. وهذا ممَّا يُقْطَع بعَدَم صحته.

إبله، فإذا لا خارج يخرج من باب حصنها ولا داخل يدخل فيها، فلمَّا رأى ذلك نزل عن ناقته وعَقَلَها، ثم استلَّ سيفَه ودخل من باب الحصن.

فلمَّا خلف[(١)] الحصن إذا هو ببابين عظيمين لم يُرَ في الدُّنيا شيءٌ أعظم منهما ولا أطول، وإذا خشبُهما محمَّرٌ، وفي ذينك البابين نجوم[(٢)] من ياقوت أبيض وياقوت أحمر تضيء ذينك البابين فيما بين الحصن والمدينة، فلمَّا رأى ذلك الرَّجل أعجبه وتعاظمه الأمر، ففتح أحد البابين ودخل، فإذا هو بمدينة لم يرَ الرَّاؤون مثلها قطُّ، فإذا هي قصور[(٣)] كلُّ قصر تحتَه أعمدة من زبرجد وياقوت، ومن فوق كلِّ قصر منها غرف، ومن فوق الغرف غرفٌ مبنيَّة بالذَّهب والفضَّة واللُّؤلؤ والياقوت والزَّبرجد، وكلُّ مصاريع تلك القصور وتلك الغرف مثل مصراعي باب المدينة، محمَّرٌ كلها مفصصةٌ بالياقوت الأبيض والياقوت الأحمر، مقابَلٌ بعضها ببعض، يُنوَّر بعضُها من بعض، مفروشةٌ تلك القصور كلُّها باللُّؤلؤ وبنادق المسك والزَّعفران.

فلمَّا عاينَ الرَّجل ذلك، ولم يرَ فيها أحدًا، ولا أَثَرَ أحدٍ، وإنما هو شيءٌ مفروغ منه، لم يسكنه أحد، فهاله ذلك وأفزعه، ثم نظر إلى الأزقَّة، فإذا هو بشجرٍ في كلِّ زقاق منها قد أثمرت تلك الأشجار كلُّها، وإذا تحت الأشجار أنهار مطَّردة يجري ماؤها من قنوات من فضَّة، كلُّ قناة منها أشدُّ بياضًا من الشَّمس، تجري كل[(٤)] تلك القنوات تحت الأشجار.

فقال الرَّجل: والذي بعث محمَّدًا بالحقِّ، ما خلقَ اللهُ تعالى مثل هذه في الدُّنيا،

---

(١) «فلما خلف» كذا في النسخ و«العظمة»، وفي «الثعلبي»: (فلما دخل في).

(٢) في (ر): «وفي ذينك البابين فما بين الحصن تخوم».

(٣) في (ف): «هو بقصور».

(٤) «كل» ليس في (أ) و(ف).

وإنَّ هذه الجنَّة التي وصفَها الله تعالى، وما بقي ممَّا وصفه الله تعالى شيء إلَّا وهو في هذه المدينة، وهذه[١] الجنَّة، الحمد لله الذي أدخلَنيها، فبينما هو على ذلك يؤامر نفسه [ويتدبَّر رأيه إذ دعته نفسه][٢] أن يأخذ من لؤلؤها وياقوتها وزبرجدها، ثم يخرج حتى يأتي بلاده، ثم يرجع إليها، ففعل، فحمل معه من لؤلؤها ومن بنادق المسك والزَّعفران، فلم يقدِرْ أن يقلَعَ من زبرجدها شيئًا ولا من ياقوتها؛ لأنَّها مثبَّتة في أبوابها وجدرانها، وكان ذلك اللُّؤلؤ والبنادق والزَّعفران منثورًا في تلك القصور والغُرَف كلِّها، فأخذ ما أرادَ وخرج حتى أتى ناقتَه وحلَّ عقالها وركبها، ثم سار راجعًا يقفو أثر ناقته، حتى رجع إلى اليمن، وأظهر ما كان معه، وأعلم الناس أمرَه وما كان من قصَّته، وباع بعض تلك[٣] اللُّؤلؤ، وكان ذلك اللُّؤلؤ قد اصفارَّ وتغيَّر من طول كرور اللَّيالي والأيَّام[٤] عليها، فلم يزل أمر ذلك الرَّجل ينمي حتَّى بلغ ذلك[٥] أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان، فأرسل رسولًا وكتب إلى صاحب صنعاء يأمره ببعث الرَّجل ليسأله عمَّا كان من أمرِه، فخرج به رسول معاوية من اليمن حتى قدم به الشام، وكان قد أمر[٦] صاحبُ صنعاء الرَّجلَ أن يأتي معاوية ويَخرج إليه ببعض ما جاء به من متاع تلك المدينة.

فسار الرَّجل ورسول معاوية معه حتى قدم على معاوية، فخلَا به يسائله عمَّا رأى، فقصَّ عليه أمر المدينة وما رأى فيها شيئًا فشيئًا، فأعظم ذلك معاويةُ، وأنكر ما

---

(١) «المدينة وهذه» ليس في (أ).

(٢) ما بين معكوفتين من «العظمة».

(٣) «تلك» من (أ).

(٤) في (أ): «كرور الزمان» وفي (ر): «كروب الليالي والأيام».

(٥) «ذلك» من (أ).

(٦) في (أ) و(ر): «وأمر» بدل: «وكان قد أمر».

حدَّثه به، وقال: ما أظنُّ ما تقول حقًّا، فقال الرَّجل: يا أمير المؤمنين، معي من متاعها الذي هو مفروشٌ في قصورها وغرفها وبيوتها، قال: ما هو؟ قال: اللُّؤلؤ وبنادق المسك والزَّعفران، فقال معاوية: هاتِ حتَّى أراه، فأراه لؤلؤًا أصفر من أعظم ما يكون من اللُّؤلؤ، وأراه تلك البنادق، وشمَّها معاوية، فلم يجد لها ريحًا، فأمر ببندقة منها حتى دُقَّت، فسطع ريحها مسكًا وزعفرانًا، فصدَّقه عند ذلك معاوية، وقال: كيف لي أن أعلم ما اسم هذه المدينة؟ ومَن بناها؟ ولمن[1] كانت؟ فوالله ما أُعطيَ أحدٌ مثل ما أُعطِيَ سليمان بن داود، وما مَلَك سليمان بن داود مثل هذه المدينة.

فقيل له: ما علمُ هذا عند أحدٍ من أهل الدُّنيا في زماننا إلَّا عند كعب الأحبار، ومثلُ هذه المدينة لا يستطيع هذا الرَّجل دخولها إلَّا أن يكون سبق في الكتاب دخولُه إيَّاها، فابعَثْ إلى كعبٍ فإنَّه ليس على وجه الأرض أحدٌ اليوم أعلم منه، ولا شيء مضى في الدَّهر ولا يكون بعد اليوم إلَّا وهو في التَّوراة مفسَّر، فليبعَثْ إليه أمير المؤمنين، فإنَّه سيجد خبرَها عنده.

فأرسل معاويةُ إلى كعبٍ رحمه الله، فلمَّا أتاه قال له: يا أبا إسحاق، إنِّي دعوتُكَ لأمرٍ رجوْتُ أن يكون عندَكَ علمُه، فقال: على الخبير سقطْتَ، فسلني عمَّا بدا لك، فقال: هل بلغَكَ أنَّ في الدُّنيا مدينةٌ مبنيَّةٌ بذهب وفضَّة، وعمدها زبرجدٌ وياقوت، وحصباءُ[2] قصورها وغرفها اللُّؤلؤ، وأنهارها في الأزقَّة تحت الأشجار؟

فقال: والذي نفسُ كعبٍ[3] بيدِه، لقد ظننْتُ أنِّي سأتوسَّد يميني قبل أن يسألني أحدٌ عن تلك المدينة، وما فيها، ولمن هي؟ ولكن أخبرُكَ بها، أَمَا إنِّها حَقٌّ على ما

---

(١) في (أ) و(ر): «وإن».

(٢) في (ف): «وحصى».

(٣) في (أ): «محمد».

بلغَكَ، وأمَّا صاحبُها الذي بناها فشدَّاد بن عاد، وأمَّا المدينة فهي إرم ذات العماد التي وصفَها الله تعالى في كتابه المنزَّل على محمَّد ﷺ: ﴿إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ۝٧ ٱلَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي ٱلْبِلَٰدِ﴾.

فقال معاوية: حدِّثنا بحديثِها رحمَك الله.

فقال: إنَّ عادًا الأولى ليسَ عادَ قومِ هودٍ، ولكنْ عادُ الأولى إنما هود وقوم هود ولدُ ذلك، وكان عادٌ له ابنان: شديد وشدَّاد، فهلك عادٌ، وبقَيا وتجبَّرا ومَلَكا وقَهَرا العباد عنوة، حتى دان لهما جميع النَّاس، ولم يبقَ في المشرق والمغرب أحدٌ إلَّا وهو في طاعتهما، ثمَّ ماتَ شديدٌ، وبقي شدَّاد، فملَكَ وحدَه، ولم ينازِعْه أحدٌ.

وكان مُوْلعًا بقراءة الكتب الأولى الغائبة[1]، وكلَّما مَرَّ فيه بذكر الجنَّة وما سمع ممَّا هو فيها من البنيان والياقوت واللُّؤلؤ دعَتْه نفسُه إلى أن يفعل لنفسه[2] تلك الصِّفة في الدُّنيا؛ عُتُوًّا على الله، فلمَّا وَقَرَ ذلك في قلبِه أمر بصنعةِ تلك المدينة، فأمَّر على صنعتها مئة قهرمان، مع كل قهرمان ألفٌ[3] من الأعوان.

ثم قال: انطلقوا إلى أطيب فلاة في الأرض وأوسعها، واعملوا لي فيها مدينة من ذهبٍ وفضَّة وياقوت وزبرجد ولؤلؤ، تحت المدينة أعمدةٌ من زبرجد، وعلى المدينة قصورٌ، ومن فوق القصور غرفٌ، واغرِسوا تحت تلك القصور في أزقَّتها أصنافَ الثِّمار كلِّها، وأَجْروا فيها الأنهار حتى تكون تحت الأشجار؛ فإنِّي أسمع في الكتب صفة الجنَّة، وإنِّي أحبُّ أن أجعل مثلها في الدُّنيا، وأتعجَّل سكناها.

---

(١) «الغائبة» من (أ) و(ف)، وفي «العظمة»: (الفانية)، وليست عند الثعلبي.

(٢) «لنفسه» من (ف). وفي «العظمة»: (دعته نفسه أن يقلد).

(٣) في (ف): «مئة ألف»، والمثبت من باقي النسخ والمصدرين المذكورين.

فقال له قهارمتُه[١]: فكيف لنا أن نقدر على ما وصفْتَ لنا من الزَّبرجد والياقوت والذَّهب واللُّؤلؤ والفضَّة نبني منه[٢] مدينة من المدائن؟

فقال لهم: ألستم تعلمون أنَّ مُلْكَ الدُّنيا كلَّها بيدي؟ قالوا: بلى.

قال: فانطلقوا إلى كلِّ شيء في الدُّنيا من معادن الزَّبَرجد والياقوت، أو بحر فيه لؤلؤٌ أو معدن ذهبٍ أو فضَّة، ووكِّلوا به من كلِّ قوم رجلًا يُخْرِج لكم ما كان في كلِّ معدن، ثم انطلِقوا فانظروا إلى ما كان[٣] في أيدي النَّاس من ذلك فخذوه، سوى ما يأتيكم به أصحاب المعادن، فإنَّ معادن الدنيا أكثر من ذلك.

فانطلَقوا وكتبوا[٤] فيه إلى كلِّ ملكٍ في الدُّنيا يأمرُه أن يجمع له ما في بلاده من جواهرها، ويحفظ[٥] معادنها، وبعثوا إلى كلِّ ملك كتابًا.

فأخذ كلُّ ملك ما يجدُه في ملكه عشر سنين حتى يبعثَ إلى فَعَلَةِ إرم ذات العماد بما[٦] قِبَله من ذلك، وأخذ الفَعَلَةُ في طلبِهم له مواضعَ كما أرادَ ووصَفَه لهم، وكان تحت يده مئتان وستُّون مَلِكًا.

وخرجَ الفَعَلَة والقهارمة فتبدَّدوا في الصحارى ليجدوا ما يوافِقُه، فلم يجدوا ذلك عشر سنين، حتَّى وقفوا على صحراء عظيمة نقيَّة من الجبال والتِّلال، ذات

---

(١) في (أ): «قادته».

(٢) «منه» من (ف).

(٣) في (أ): «هو».

(٤) كذا في النسخ: «وكتبوا»، وفي المصدرين المذكورين: (وكتب).

(٥) «ويحفظ» ليس في (ف).

(٦) في (أ): «فيما»، وفي (ر): «ما».

عيون[1] مطَّردة، فقالوا: هذه صفة إرم التي أمرنا بها، فعمدوا فأخذوا بقدر الذي أمرهم من العرض والطُّول، ثم جعلوا ذلك حدودًا محدودة، ثم عمدوا إلى مواضع الأزقَّة التي فيها الحدود، فأجروا فيها قنواتٍ لتلك الأنهار، ثم وضعوا [الأساس][2] من صخور الجزَع اليماني، وجعلوا طين ذلك الأساس من مسكٍ وزعفران، فلمَّا فرغوا من الأساس، وأجروا من القنوات، أرسل الملوك إليهم بالزَّبرجد والياقوت واللُّؤلؤ والجواهر والذَّهب والفضَّة، وكلُّ مَلِكٍ عمل ما كان في معدنه، فمنهم مَن بعث بالعُمُد مفروغًا منها، ومنهم من بعث بالذَّهب والفضَّة مصوغًا مفروغًا منه، فأقاموا فيها حتى فرغوا من بنائها في ثلاث مئة سنة، وكان عمره تسعَ مئة سنة، ولَمَّا أتوه وأخبروه بفراغهم من بنائها[3] قال: انطلقوا فاجعلوا عليها حصنًا، واجعلوا حوالي[4] الحصن ألف قصر، عند كلِّ قصر ألفُ عَلَم، يكون في كلِّ قصر من تلك القصور وزرائي، ويكون فوق كلِّ علَم منها ناطور.

قال: فرجعوا فعملوا تلك القصور والأعلام والحُصُن، ثم أتوه وأخبروه بالفراغ ممَّا أمرهم به، فأمر ألف وزير من أهل خاصَّته ومَن يثق به أن يتهيَّؤوا للنّقْلة إلى إرم ذات العماد، فأمر لتلك الأعلام برجال ليَسكنوها ويقيموا فيها ليلهم ونهارهم، وأمر لهم بالعطايا والأرزاق والجهاز إلى تلك الأعلام، وأمر مَن أراد من نسائه وخدمه بالجهاز إلى إرم ذات العماد، وأقاموا في جهازهم إليها عشر سنين، فسار إليها الملك فيمَن أراد، وخلَّف من قومة في عدن أبين والشَّجر أكثر ممَّا سار به.

---

(١) في (أ): «فإذا هم»، وفي (ف): «فإذا هم بعيون»، بدل: «ذات عيون».

(٢) ما بين معكوفتين من «العظمة»، وعند الثعلبي: (أساسها).

(٣) في (أ) و(ف): «منها».

(٤) في (أ): «حول».

فلمَّا استقلَّ وسار اليها ليسكنها وبلغها إلَّا مسيرةَ يوم وليلة، بعثَ اللهُ تعالى عليه وعلى من كان معه صيحة من السَّماء فأهلكتهم جميعًا، ولم يبقَ منهم أحدٌ، ولم يدخل هو إرمَ ولا مَن كان معه، ولم يقدر على [أن يدخلها][1] أحد منهم حتى السَّاعة.

فهذه صفة إرم ذات العماد، وسيدخلها رجل من المسلمين في زمانك هذا يا أمير المؤمنين، ويَرى ما فيها، ويحدِّثُ بما فيها، ولا يُصدَّق.

قال: نعم يا أبا إسحاق، وهل تصفُه لنا؟

قال: نعم، هو رجل أحمر أشقر قصير، على حاجبه خال، وعلى عنقه خال، يخرج ذلك الرَّجل في طلب إبل له في تلك الصَّحارى، فيقع على إرم ذات العماد، فيدخلها ويحمل ممَّا[2] فيها، والرَّجل جالسٌ عندك يا أمير المؤمنين، فالتفَتَ فرأى الرَّجل. فقال: هذا ذاك الرَّجل، قد دخلَها، فسَلْه عمَّا حدَّثتك به.

فقال معاوية رضي الله عنه: يا أبا إسحاق، إنَّ هذا من خدمي ولم يبارحني.

فقال: قد دخلَها، وإلَّا فسيدخُلها، وسيدخلها أهل هذا الدِّين في آخر الزَّمان.

فقال معاوية: لقد فضَّلَكَ اللهُ يا أبا إسحاق على غيرك من العلماء، ولقد أُعطيْتَ من علم الأوَّلين والآخرين مالم يُعْطَ أحدٌ.

قال كعب رضي الله عنه: والذي نفسُ كعبٍ بيده، ما خلقَ الله شيئًا إلَّا فسَّره في التَّوراة لعبده موسى عليه السلام مفسَّرًا[3].

---

(١) ما بين معكوفتين من «العظمة»، ووقع في النسخ: «يقدروا» بدل: (يقدر).

(٢) في (ف): «ويرى ما» بدل: «ويحمل مما».

(٣) هنا آخر الخبر.

وفي بعض التَّفاسير: أنَّ شدَّاد بن عاد مات من الجوع؛ لأنَّه اعتلَّ بعلَّة منعَتْه من الأكل والشُّرب حتى مات.

* * *

(١٥ ـ ١٨) ـ ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾

﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ﴾: قال ابنُ جريج: هو أميَّة بن خلف، قتله بلال يوم بدر.

﴿ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ﴾؛ أي: امتحنه بالإنعام عليه والتَّوسعة في دنياه؛ ليتعبَّده بالشُّكر.

﴿فَأَكْرَمَهُۥ﴾: بالأموال والأولاد ﴿وَنَعَّمَهُۥ﴾: ربَّاه ناعمًا.

﴿فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ﴾: أي: إنَّ لي عنده منزلةً، ولديه كرامة، فلهذا أفضَل[1] عليَّ.

﴿وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ﴾: امتحنه بالضِّيق ﴿فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ﴾؛ أي: ضَيَّقَ عليه ليتعبَّده بالصَّبر.

﴿فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ﴾: أي: هنْتُ على ربِّي فلذلك أذلَّني بالفقر.

أي: هذا حالُ الإنسان الذي لا يَعرف إلَّا الدُّنيا، فيرى الكرامة في وجودِها، والهوانَ في عدمِها.

﴿كَلَّا﴾ أي: ليس كما يقول، بل الكرامة في الطَّاعة، والهوان في المعصية.

﴿بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ﴾: قال الحسن: كلَّا، لم أُهِنْكَ أنْ قَدَرْتُ عليك رزقَكَ، ولكنْ أهنْتُكَ بأنَّك كنْتَ في الدُّنيا لا تكرم اليتيم[2]. وهو للجنس.

---

(١) في (ف): «تفضل».

(٢) رواه عبد بن حميد وابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» (٨/ ٥٠٩).

﴿وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾: أي: لا تحثُّون، ولا تحرِّضون على إطعام المساكين، و﴿ٱلْمِسْكِينِ﴾ جنس.

* * *

(١٩ ـ ٢١) ـ ﴿وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ۝١٩ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ۝٢٠ كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾.

﴿وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا﴾: أي: الميراث[1]، وأصله: الوُرَاث، صُيِّرت الواو تاءً، كما في التُّجَاه والتُّكَأة والتُّهَمة.

ومعناه: يأكلون تراث اليتيم الذي يَلُونه، والمراد من الأكل: إتلافُه في وجوه الحوائج، وخصَّ الأكل لأنَّه هو المقصود الأعظم بالمال.

﴿أَكْلًا لَّمًّا﴾؛ أي: شديدًا، وقيل: أي: كثيرًا.

وأصله الضَّمُّ والجمع؛ أي: يجمعون كلَّه في الأكل.

وقال قطرب: أي: لفًّا.

﴿وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾: أي: كثيرًا، وهو نعت الحبِّ.

وقيل: هو حال ﴿ٱلْمَالَ﴾؛ أي: حالَ[2] كثرته.

وقرأ أبو عمرو: ﴿يكرمون﴾، ﴿ويحضُّون﴾، ﴿ويأكلون﴾، ﴿ويحبون﴾ كلَّهنَّ بياء المغايبة ردًّا إلى قوله: ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ﴾، وهو جنس أريد به الجمع.

وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وحمزة والكسائي كلهنَّ بتاء المخاطبة للمشركين.

---

(١) «أي: الميراث» من (ف).

(٢) في (ر): «بعد».

وقرأ عاصم بالتَّاء أيضًا على الخطاب، و﴿تَحَٰٓضُّونَ﴾ بالألف[1]؛ أي: لا يحضُّ بعضُكم بعضًا على ذلك.

وقوله تعالى: ﴿كَلَّآ﴾: أي: ما ينبغي أن يكون هكذا.

قوله تعالى: ﴿إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكّٗا دَكّٗا﴾: أي: دُقَّتْ. وقيل: أي: سُوِّيَتْ، من قولهم: ناقة دَكَّاءُ؛ أي: مستوية الظَّهر.

﴿دَكّٗا دَكّٗا﴾: التَّكرار للتَّأكيد والتَّقرير.

وقيل: أي: دكًّا بعدَ دَكٍّ، وهو كقوله: ﴿وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةٗ وَٰحِدَةٗ﴾ [الحاقة: ١٤].

وقيل: معناه: تزلزلت[2]؛ لأنَّ الدَّقَّ والتَّسوية يقع بها، وقد قال: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ [الزلزلة: ١].

* * *

(٢٢ ـ ٢٤) ـ ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا ﴿٢٢﴾ وَجِاْيٓءَ يَوْمَئِذِۭ بِجَهَنَّمَۚ يَوْمَئِذٖ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾.

﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾: أي: ملائكة ربك بأمره[3]، وقيل: أي: عذابُ ربك.

﴿وَٱلْمَلَكُ﴾: أي: الملائكة.

﴿صَفّٗا صَفّٗا﴾: أي: صفًّا بعد صفٍّ، أهلُ كلِّ سماءٍ صفٌّ على حِدَة.

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٦٨٥)، و«التيسير» (ص: ٢٢٢). وقرأ حمزة والكسائي مثل عاصم: ﴿تَحَٰٓضُّونَ﴾.

(٢) في (ف): «زلزلت» وفي (ر): «زلزلت الأرض».

(٣) كذا قال، وفيه نظر؛ لأنه ذكر الملائكة بعده، ففي تفسيره بمجيء الملائكة تكرار ينزه عنه كتاب الله.

﴿وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذِۭ بِجَهَنَّمَۚ﴾: قال أبو سعيد الخدريُّ: لَمَّا نزلَتِ الآية تغيَّر لونُ رسولِ الله ﷺ، وعُرِفَ في وجهِهِ حتَّى اشتدَّ على أصحابه ما رأَوا من حالِه، فانطلقوا إلى عليٍّ رضي الله عنه، وقالوا له: قد حدث أمرٌ قد رأيناه في نبيِّ الله ﷺ، فجاء عليٌّ رضي الله عنه، فاحتضنَه من خلفِه، ثم قبَّل ما بين عاتِقَيْه، وقال: بأبي أنت وأمي، ما الذي حدث اليوم؟ فقال: «جاء جبريل فأقرأني هذه الآية: ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذِۭ بِجَهَنَّمَۚ﴾[(١)]»، قال: فكيف يُجاء بها؟ قال: «يجِيءُ بها سبعون ألف مَلَكٍ، يقودونها بسبعين ألف زمام، فتَشْرُدُ شَرْدَةً لو تُركَتْ لأحرَقَتْ أهلَ الجَمْعِ، ثم تَعْرِضُ لي جهنَّم فتقول: يا محمَّد، لقد حرَّم الله لحمك عليَّ[(٢)]، فلا يبقى أحدٌ إلَّا يقول: نفسي نفسي، وإنَّ محمَّدًا يقول: أمَّتي أمَّتي»[(٣)].

﴿يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ﴾: أي: يتَّعظُ هذا ﴿ٱلْإِنسَٰنُ﴾ الذي كان همُّه الدُّنيا.

﴿وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ﴾: أي: ومن أينَ له نفعُ الاتِّعاظ؟

---

(١) في (أ) و(ف): «هذه الآية كلها: إذا دكت الأرض دكًا»، وفي (ر): «هذه الآية: وجيء بجهنم»، والمثبت من «تفسير الثعلبي».

(٢) في (ر): «على النار».

(٣) رواه الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٢٠١ ـ ٢٠٢)، وعنه الواحدي في «الوسيط» (٤/ ٤٨٥)، ورواه ابن أبي حاتم كما في « التخويف من النار» لابن رجب (ص: ٢٢٤)، وقال ابن رجب: عبيد الله بن الوليد الوصافي شيخ صالح لا يَحفظ، فكثرت المناكير في حديثه.

وروى مسلم (٢٨٤٢) من حديث عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها».

وقال الحسن: ﴿يَتَذَكَّرُ﴾؛ أي: يتوب[1]، وفي رواية عنه قال: يؤمن[2].

وقال مقاتل: ﴿يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾: هو أميَّة بن خلف[3].

﴿يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾: أي: يا ليتني قدمت في[4] الدُّنيا التي كانت حياتي فيها منقطعةً فانيةً لحياتي هذه التي هي باقيةٌ دائمة؛ أي: قدَّمْتُ عملًا صالحًا يُنالُ به الثَّواب، ويُخلَص به من العذاب.

وكان قتادة إذا قرأ هذه الآية قال: هناك حياة طويلة فاعملوا لها[5].

***

(٢٥ ـ ٣٠) ـ ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٦﴾ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى﴾.

﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ﴾: قرأ الكسائيُّ: ﴿يُعذَّبُ﴾ بفتح الذَّال ﴿ولا يُوثَقُ وثاقه أحد﴾ بفتح الثَّاء، والباقون بكسرها[6].

ومعنى قراءة الفتح: ﴿لا يُعذَّبُ﴾ أحدٌ في الآخرة كعذاب أميَّة بن خلف، ويجوز أن يكون مخصوصًا بعذابٍ لا يكون ذلك لغيره، ﴿ولا يُوثَقُ﴾ أحدٌ؛ أي: لا يُشَدُّ بالسَّلاسل والأغلال كما يُشَدُّ هو.

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٤٢٩) عن الضحاك. وذكره الواحدي في «البسيط» (٢٠/ ٢٤٥) عن الحسن، لكن في تفسير قوله تعالى: ﴿فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ﴾ [محمد: ١٨]، ثم نقل بعده عن الفراء: ومثله قوله: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ﴾.

(٢) لم أجده.

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٦٩١).

(٤) في (أ): «في حياتي».

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٣٩١).

(٦) انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ٦٨٥)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٢٢).

وقيل: أي: لا يقوم مقامَه أحدٌ في التَّعذيب والتَّقييد فداءً عنه.

وقراءة الكسر: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ﴾ أحدٌ أحدًا عذابَ اللهِ؛ أي: لا يكون التَّعذيب إلَّا منه، وقد انقطعَتْ تصرُّفات ملوك الدُّنيا، والأمر يومئذ لله.

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ﴾: ثم ذكر حالَ مَن يخالف حال المذكور أوَّلًا، وهي النَّفس المطمئنة المنقادة لأمر ربِّها الواثقةُ بوعده.

وقيل: هو أمرٌ بصيغة إخبار بحقيقته، كقولهم: «إذا لم تستحيِ فاصنعْ ما شئْتَ»[1]، وفي القرآن: ﴿سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ﴾ [سبأ: ١٨]، ومعناه: أنَّ النَّفس المطمئنة يكون حالها كذا.

وقيل: هو على حقيقته، ومعناه: أنَّه يُقال لها: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ﴾.

﴿ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ﴾: أي: إلى ثواب ربِّك.

﴿رَاضِيَةً﴾: من الله بما أُعْطِيْتِ.

﴿مَّرْضِيَّةً﴾: عند الله بما عمِلْتِ.

﴿فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى﴾: قال أبو عبيدة: أي: مع عبادي، وبين عبادي[2]، وهم خواصِّي[3]، كما قال خبرًا: ﴿وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النمل: ١٩].

---

(١) رواه البخاري (٦١٢٠) من حديث أبي مسعود البدري، ولفظه: «إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى: إذا لم تستحي فاصنع ما شئت».

(٢) «وبين عبادي» ليس في (ف).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٢٠٤) عن مقاتل والقرظي وأبي عبيدة، ولفظه: «يعني مع عبادي جنّتي، في معنى الآية تقديم وتأخير». وروى ابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» (٨/ ٥١٥) عن السدي: ﴿فِى عِبَٰدِى﴾: مع عبادي.

وقرأ ابن عبَّاس: (فادخلي في عَبْدِي)[١]؛ أي: يا أيَّتها الرُّوح ادخلي في جسد عبدي ﴿وَٱدْخُلِي جَنَّتِي﴾.

وقال مجاهد: ﴿ٱلْمُطْمَئِنَّةُ﴾: المخبتة الموقنة بلقاء الله تعالى[٢].

وقال قتادة: هي التي أعطاها الله تعالى كتابَها بيمينها، وبيَّضَ وجهَها، فاطمأنَّتْ بذلك وآمنَتْ[٣].

وقيل: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ﴾ بذكر الله تعالى، كما قال: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

وقيل: هذا خطاب للرُّوح عند الموت، يخاطبها الله تعالى بذلك، فتخرج على سهولة وراحة.

وروى صالح بن حيَّان عن بريدة قال: يعني نفسَ حمزة بن عبد المطَّلب يوم أُحُد حين استُشهد، فلم تزل عند ربِّ العالمين في كرامة حتى يردَّها إلى جسد حمزة يوم القيامة[٤].

والحمد لله رب العالمين

* * *

---

(١) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» لابن خالويه (ص: ١٧٤)، «المحتسب» لابن جني (٢/ ٣٦٠). ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٣٩٩)، والثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٢٠٤).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٣٩٤ ـ ٣٩٥)، والثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٢٠٥).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٣٩٣) بلفظ: «هو المؤمن اطمأنت نفسه إلى ما وعد الله». وذكر الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٢٠٢) نحوه عن الكلبي وأبي روق، قالا: «هي التي يبيّض الله وجهها ويعطيها كتابها بيمينها فعند ذلك تطمئن».

(٤) رواه مختصراً بذكر نفس حمزةَ: ابنُ المنذر وابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» (٨/ ٥١٤).

سُورَةُ البَلَدِ(1)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

بسم الله الذي خوَّفنا العقبة، الرحمنِ الذي حثَّنا على فكِّ الرَّقبة، الرحيمِ بأهل المتربة والمقرَبة(2).

روى أبيُّ بن كعبٍ رضى الله عنه عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «مَن قرأ سورة لا أقسم بهذا البلد أعطاه الله تعالى الأمانَ من عقوبةِ يوم القيامة»(3).

وهذه السُّورة مكيَّة، وقيل: مدنيَّة.

وهي عشرون آية، واثنتان وثمانون كلمة، وثلاثُ مئة وسبعة وثلاثون حرفًا.

وانتظام السُّورتين: أنَّهما في ذكر الإنسان، وجزاء أهل الإساءة وأهل الإحسان.

* * *

(1 ـ 2) ـ ﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝١ وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ﴾.

وقولة تعالى: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ﴾: ﴿لَآ﴾: ردٌّ؛ أي: ليس هو كما يتوهَّمُه هذا

---

(1) في (ر): «سورة لا أقسم بهذا البلد»، وفي (ف): «سورة لا أقسم».

(2) في (أ): «المسكنة والمتربة» وفي (ف): «المتربة» بدل: «المتربة والمقربة».

(3) رواه الثعلبي في «تفسيره» (10/ 488)، والواحدي في «الوسيط» (4/ 407)، قال ابن الجوزي في «الموضوعات» (4/ 344): مصنوع بلا شك. وانظر: «الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة» للشوكاني (ص: 296).

الإنسان أنَّه لا يقدر عليه أحدٌ، ﴿أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ الذي أنت فيه يا محمَّد، وهو مكَّة.

﴿وَأَنتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾: قال مجاهد: أي: لا تؤاخذ بما عملْتَ فيه، وليس عليك فيه ما على النَّاس، ولعلَّه إشارةٌ إلى ما قاله النَّبيُّ ﷺ: «وإنَّما أُحِلَّتْ لي ساعةً مِن نهارٍ»(١).

وقال شُرَحْبِيلُ بن سعد: أي: ومع حرمة هذا البلد، ومع أنَّ أهلَها لا يستحلُّون فيه شيئًا، يستحلُّون قتلَكَ وإخراجَكَ عنها وأنت حِلٌّ عندهم فيه(٢).

وقيل: ﴿وَأَنتَ حِلٌّ﴾؛ أي: حالٌّ نازلٌ فيه؛ يعني: حرمتُه بسببِ حلولِكَ فيه.

وقال ابن عبَّاس: أي: تَقتل بمكَّة مَن شئْتَ من الكفَّار(٣).

وقال مقاتل: فقتل يوم فتح مكَّة عبد الله بن أسد بن خَطَل ومِقْيَس بن صبَابَةَ وغيرهما(٤).

وقال الضَّحَّاك: يعني: إن شئْتَ فاقتلْ وإنْ شئْتَ فأمسك(٥).

وقال ابن كيسان: أحلَّ اللهُ له فيها ما احتاج إليه من صيدها وشجرها.

---

(١) رواه البخاري (١٣٤٩)، ومسلم (١٣٥٣)، من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

(٢) رواه سعيد بن منصور وابن المنذر كما في «الدر المنثور» للسيوطي (٨/ ٥١٨). وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٢٠٧).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٠٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٤٣٢)، ولفظ الطبري: (﴿وَأَنتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ يعني بذلك: نبي الله ﷺ، أحل الله له يوم دخل مكة أن يقتل من شاء، ويحيي من شاء، فقتل يومئذ ابن خطل صبرا وهو آخذ بأستار الكعبة...).

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٧٠١)، وليس فيه قوله: «عبد الله بن أسد بن خطل»، وتقدم ذكر قتل ابن خطل في خبر ابن عباس السابق. وقد اختلف في اسمه، انظر: «نسب قريش» للزبيري (ص: ٤٣٩)، و«أنساب الأشراف» للبلاذري (١/ ٣٥٩)، و«اللباب في تهذيب الأسماء» لابن الأثير (١/ ٣٧).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٠٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٤٣٢).

وقال قتادة: ﴿وَأَنتَ حِلٌّ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ﴾؛ أي: أنت بَرٌّ تقيٌّ غيرُ آثمٍ(١).

وقال الحسن: يقول الله تعالى: أنت فيه محسِنٌ، وأنا عنك راضٍ، وأنت حِلٌّ من أن تكون عاصيًا لي فيه(٢).

وقالوا: تحقيقه: أنَّ الحِلَّ نعت كالحالِّ، وهو كالحِرْم نعتٌ كالـمُحْرِم، والمحرم: مَن يرتكبُ الحرمة، والحِلُّ مَن لا يرتكبها.

***

(٣ ـ ٤) ـ ﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ۝٣ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ﴾: قال الفرَّاء: أي: ومَن ولد ؛كقوله: ﴿وَمَا بَنَىٰهَا﴾ [الشمس: ٥]؛ أي: ومَن بناها، ﴿فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم﴾ [النساء: ٣]، ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم﴾ [النساء: ٢٢]، ﴿وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ﴾ [الليل: ٣](٣).

وهو قسم بآدمَ وكلِّ أولاده، وقد كرَّمهم الله تعالى وفضَّلهم على كلِّ خلقه.

وقيل: ﴿وَمَا وَلَدَ﴾: هم المؤمنون من أولادِه، والكفَّار سُمُّوا أنعامًا فخرجوا منهم.

وقيل: ﴿وَوَالِدٍ﴾: هو إبراهيم، ﴿وَمَا وَلَدَ﴾: ذرِّيته.

وقيل: المؤمنون من ذريته.

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ﴾: على هذا وقع القَسَم.

وقيل: هو للجنس. وقيل: هو إنسان بعينه(٤).

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٦١١)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٠٤).

(٢) ذكره ابن فورك في «تفسيره» (٣/ ٢٢٢).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٦٣ ـ ٢٦٤).

(٤) زاد في (ف): «وقيل: هو كلدة بن أسيد»، وسيأتي.

والكبدُ: الشِّدَّة والمشقَّة.

قال قتادة: خُلِقَ الإنسانُ حين خُلِقَ في مشقَّةٍ، لا تَلْقَى ابنَ آدمَ إلَّا يكابد عمل الدُّنيا والآخرة(١)؛ أي: يقاسي.

وقال ابن عبَّاس: ﴿فِي كَبَدٍ﴾: حملُه ووِلادُه ونباتُ أسنانه، ورضاعُه وفطامُه، وحياته وموته(٢).

وقال أبو العالية: يكابد مضائق الدُّنيا وشدائد الآخرة(٣).

وقال يمان بن رئاب: لم يَخلق الله تعالى خلقًا يكابد ما يكابد ابنُ آدم(٤).

وقال أبو بكر الورَّاق: ﴿فِي كَبَدٍ﴾: لا يُدرك هواه، ولا يَبلغ مُناه(٥).

وقال عبد العزيز بن يحيى: محاربًا للشَّياطين.

وقال ذو النُّون: مربوطًا بحبل القضاء، مدعوًّا إلى الائتمار والانتهاء(٦).

وقال مقاتل: ﴿فِي كَبَدٍ﴾؛ أي: قائمًا على رجلِه، وخَلَق الدَّوابَّ مكبَّةً(٧).

وقيل: ﴿فِي كَبَدٍ﴾؛ أي: لكبَدٍ، وهي مشقَّة العبادات التي يُتعبَّد بها(٨)، وأمورُ المعاش التي لا بُدَّ منها.

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣/ ٤٢٧)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٠٩).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤١٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٤٣٣)، والحاكم في «المستدرك» (٣٩٣٣) وصححه.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٠٩) عن سعيد بن أبي الحسن. ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٤٣٣) عن الحسن.

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٢٠٧). ورواه الواحدي في «البسيط» (٤/ ٤٨٩) عن الحسن.

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٢٠٧).

(٦) انظر: «مدارك التنزيل» (٤/ ٣٤٠)، و«فتح البيان في مقاصد القرآن» لصديق حسن خان (١٥/ ٢٤٠).

(٧) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٧٠١).

(٨) في (أ): «يتعبدها».

وقال الحسن: يكابد الشُّكر على السَّراء، والصَّبر على الضَّرَّاء، لا يكون أبدًا إلَّا كذلك[١].

وقيل: يكابد في الدَّارين الأطوار إلى أن يستقرَّ في الجنَّة أو في النَّار.

وروى أبو صالح عن ابن عبَّاس: يكابد أمور الدُّنيا وأحوال الآخرة[٢].

وهو كلَدةُ بن أَسيد بنِ خلف أبو الأشدَّين، كان يضع الأديم العكاظيَّ تحت قدمَيْه ويقول: مَن أزالني عنه فله كذا وكذا، فلا يُطاق أن يُنزَعَ من تحت قدمَيْه[٣].

وروى أبو الضُّحى عن ابن عبَّاس: أنَّه نزل في الوليد بن المغيرة[٤].

***

(٥ ـ ٧) ـ ﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ۝٥ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا ۝٦ أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ﴾: الإنسان[٥] ﴿أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾؛ أي: أيظنُّ أنْ لن يقهرَه قاهرٌ، ولن يغلبَه غالبٌ، مع علمِه أنَّه خُلِقَ في كبدٍ، لا يمكنه دفع ضيق الحال وتعبِ العيش عن نفسه، فهو مسخَّر مربوبٌ، بل يقهرُه الله الواحد القهَّار.

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٢٠٧).

(٢) روى الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٥٠٨) من طريق أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ يقول: «في شدة».

(٣) انظر: «أنساب الأشراف» للبلاذري (١٠/ ٢٥٣)، و«معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٣٢٨)، و«تفسير البغوي» (٨/ ٤٣٠)، و«المحرر الوجيز» لابن عطية (٥/ ٤٨٤).

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٢٠٨).

(٥) «الإنسان» من (أ).

وقيل: أي: أيظنُّ مع ما[١] خُلق للامتحان أن لن يقدر على مجازاته بسوء أعماله أحد؟! بل يقدر على ذلك مَن خلقَه، وبالأمر والنَّهي تعبَّده.

﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا﴾: أي: كثيرًا، تلبَّد بعضُه على بعض؛ أي: تراكب، وليس بمعدول، بل هو نعت كالحُطَم والزُّفَر[٢].

وقيل: معناه: يتبجَّح ويقول: أهلكْتُ مالًا كثيرًا في قضاء أوطاري، ودفعْتُ عنِّي أعدائي، فلم يقدر عليَّ أحدٌ من أضدادي، وكذا أنفقُه في قمع مَن يقصد مَساءتي من محمَّد وأصحابِه، فلا يصلُون إليَّ.

﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ﴾: حين فعل ذلك، بل رآه الله تعالى، وسيجزيه على ما فعل إذا أنفقَه في الشَّرِّ دون الخير.

وقيل: أظهر أنَّه أنفق الكثير في عداوة رسول الله ﷺ، وتكثَّر به عند المشركين كاذبًا، فأكذبه الله تعالى بهذا.

* * *

(٨ ـ ١١) ـ ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ﴾.

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ﴾؛ أي: لهذا الإنسان، استفهام بمعنى التَّقرير.

﴿عَيْنَيْنِ﴾: يبصر بهما ﴿وَلِسَانًا﴾: ينطق به ﴿وَشَفَتَيْنِ﴾: يستعين بهما على الإبانة باللِّسان وينتفع بهما في غير ذلك.

﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾: أي: بيَّنا له الطَّريقين؛ روى أبو هريره رضي الله عنه، عن

---

(١) في (ر): «أيظن أنه ما».

(٢) الزفر: الشجاع، والأسد، والبحر، وله معان أخرى كثيرة.

النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «هما النَّجدان؛ نجد الخير، ونجد الشَّرِّ، فلا يكون نجدُ الشَّرِّ أحبَّ إلى أحدكم من نجد الخير»[1].

وهو كقوله: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٣].

وقيل: ﴿ٱلنَّجْدَيْنِ﴾؛ أي: الثَّديين يرضعهما.

والنَّجدُ: الطَّريق المرتفع.

يقول: قد أزحنا العلَّة، وأنلنا الكفاية، وأقمنا الحجَّة، وأظهرنا[2] النِّعمة.

---

(١) رواه إسحاق بن راهويه في «مسنده» (٤٤٧)، وفي إسناده كلثوم بن محمد بن أبي سدرة؛ قال أبو حاتم: كان جندياً بخراسان، لا يصح حديثه. وقال ابن عدي: كلثوم حلبي يحدث عن عطاء الخراساني بمراسيل وعن غيره مما لا يتابع عليه. انظر: «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم (٧/ ١٦٤)، و«ميزان الاعتدال» (٣/ ٤٠٨).

وروي من طريق عطاء الخرساني عن أبي هريرة رضي الله عنه، وهو منقطع. انظر: «ذخيرة الحفاظ» للمقدسي (٥/ ٢٦٣٥)، و«تغليق التعليق» لابن حجر (٣/ ٢٤٥).

ورواه ابن أبي حاتم كما في «تفسير ابن كثير» عند هذه الآية عن أنس رضي الله عنه مرفوعًا. وفي إسناده ضعف.

ورواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٨٠٢٠)، و«المعجم الأوسط» (٢٥٤١)، والقضاعي في «المسند الشهاب» (١٢٦٣) عن أبي أمامة رضي الله عنه مرفوعًا. وفيه فضال بن حبير وهو ضعيف كما في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢٥٦).

ورواه الدولابي في «الكنى والأسماء» (١٦١٩)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤١٦) عن عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه موقوفًا عليه.

ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٦١٨)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤١٧ ـ ٤١٨)، والثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٢٠٩) عن الحسن عن النبي ﷺ مرسلًا.

ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤١٨) عن قتادة عن النبي ﷺ مرسلًا أيضاً.

(٢) في (أ): «بما ظاهرنا»، وفي (ف): «بما أظهرنا».

﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾: أي: لم يعمل ما به يَتجاوَزُ العقبة.

وقيل: أي: أفلا[1] اقتحم العقبة؛ أي: هلَّا أنفَق مالَه فيما فيه اقتحامُ العقبة؟

وحذف حرف الاستفهام، كما قال امرؤ القيس:

تروحُ مِنَ الحيِّ أمْ تَبْتكِرْ ... وماذا عليْكَ بأنْ تَنْتَظِرْ[2]

قال الحسن: عقبةٌ واللهِ شديدةٌ، يريد الرَّجل أن يجاهد نفسَه وهواه والشَّيطان[3].

وقال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: هي عقبة بين الجنَّة والنَّار[4].

وقال كعب الأحبار: هي سبعون دركًا في جهنَّم[5].

وقال مجاهد: ﴿الْعَقَبَةَ﴾: عقاب جهنم[6].

وقال الضَّحَّاك: هو الصِّراط[7].

وقيل: هو كقوله: ﴿سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا﴾ [المدثر: ١٧].

---

(١) في (أ) و(ر): «فلا»، وسقطت الجملة من (ف)، والصواب المثبت. انظر: «تفسير الثعلبي» (١٠/ ٢١٠)، و«تفسير القرطبي» (٢٢/ ٢٩٨).

(٢) انظر: «ديوان امرئ القيس» (ص: ١٠٥).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٢١٠).

(٤) رواه عبد بن حميد، كما في «الدر المنثور» للسيوطي (٨/ ٥٢٣). وذكره الواحدي في «البسيط» (٢٤/ ٢٤) عن الكلبي. وانظر: «تنوير المقباس» للفيروزابادي (ص: ٥١١).

(٥) رواه ابن وهب في «جامعه ـ التفسير» (١/ ١١٧)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٢١).

(٦) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٤٣٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ: «العقبة: النار». ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٢٠) عن الحسن بلفظ: «عقبة في جهنم»، وفي رواية: «العقبة: جهنم».

(٧) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٢١٠) عن مجاهد والضحاك والكلبي.

وقيل: هو عقبة القيامة؛ أي: مشقَّة ورودها.

وقال الكلبيُّ: هو الصِّراط يُضرَبُ على جهنَّم كحدِّ السَّيف مسيرةَ ثلاثة آلاف سنة صعودًا وهبوطًا وسهلًا، وإنَّ بجنبيه لحسكًا وكلاليب، فمِن النَّاس مَن يمرُّ عليه كالبرق الخاطف، ومنهم مَن يمرُّ عليه كالفارس[1] الموضع، ومنهم مَن يمرُّ عليه كالرَّجل يعدو، ومنهم مَن يمرُّ عليه كالرَّجل يسير، ومنهم مَن يزحف زحفًا، ومنهم مَن يُكردَس في النَّار[2]، واقتحامه على المؤمن كما بين صلاة العصر إلى العشي[3].

***

(١٢ ـ ١٦) ـ ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ ١٢ فَكُّ رَقَبَةٍ ١٣ أَوۡ إِطۡعَٰمٞ فِي يَوۡمٖ ذِي مَسۡغَبَةٖ ١٤ يَتِيمٗا ذَا مَقۡرَبَةٍ ١٥ أَوۡ مِسۡكِينٗا ذَا مَتۡرَبَةٖ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ﴾: أي: ما اقتحامُ العقبة؟

﴿فَكُّ رَقَبَةٍ ١٣ أَوۡ إِطۡعَٰمٞ فِي يَوۡمٖ ذِي مَسۡغَبَةٖ﴾: قرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي: ﴿فَكَّ﴾ و﴿أطعَمَ﴾ على الفعل الماضي، كما ذكر فيما قبله: ﴿فَلَا ٱقۡتَحَمَ﴾، وفيما بعده: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ﴾.

وقرأ الباقون: ﴿فَكُّ﴾ بالرَّفع، ﴿أَوۡ إِطۡعَٰمٞ﴾ بالألف والرَّفع[4]؛ تفسيرًا لقوله: ﴿مَا ٱلۡعَقَبَةُ﴾؛ أي: ما اقتحامها؟ هو بهذين الفعلين.

والاقتحام لازم الإقحام، وهو الإلقاء من العُلوِّ في نهر أو وهدةٍ أو نحوِ ذلك بسرعة.

---

(١) بعدها في (ف): «أي: المسرع».

(٢) «في النار» ليس في (أ).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٢١٠).

(٤) انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ٦٨٦)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٢٣).

و﴿فَكُّ رَقَبَةٍ﴾: إخراج المال في فكِّ الرِّقاب بإعطاء المكاتَب ما يؤدِّي به مكاتبَته.

وقال البراء بن عازب رضي الله عنه: جاء أعرابيٌّ إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، دلَّني على عمل يدخلني الجنَّة؟ فقال: «أعتقِ النَّسمَةَ، وفكَّ الرَّقبة»، فقال: يا رسول الله، أليسَتا شيئًا واحدًا؟ قال: «لا، عتق النَّسمة أن تنفردَ بعتقِها، وفكُّ الرَّقبة أن تُعين في بذلها»[1].

يقول: لم ينفق هذا الكافر مالَه فيما أُمِرَ به من وجوه الخير.

﴿أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ﴾: أي: مجاعة، وقد سَغِبَ يَسغَبُ سَغَبًا، فهو ساغب وسَغْبانُ، من حدِّ (علم)، والمسغَبة[2] للمصدر أيضًا.

﴿يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ﴾: أي: قرابةٍ، فتجتمع قُرْبتان.

﴿أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾: أي: فقرٍ شديد، وهي من التُّراب؛ أي: الذي لصِقَ بالتُّراب؛ لقربِه وعدمِ ما يبسطه على الأرض شيئًا[3].

***

(١٧ ـ ٢٠) ـ ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿١٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿١٩﴾ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌۢ﴾.

﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾: أي: مع هذا يكون مؤمنًا، فإنَّه لو كان كافرًا، لم يكن لصدقته قَبول ونفع.

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١٨٦٤٧)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٦٩)، وابن حبان في «صحيحه» (٣٧٤). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤/ ٢٤٠): «رواه أحمد، ورجاله ثقات».

(٢) في (أ) و(ف): «والمفعلة».

(٣) «شيئًا» من (أ).

و﴿ثُمَّ﴾ لترتيب الإخبار عنه، لا لترتيب الوجود؛ أي: ثم أُخبرُكم أنَّ هذا لمن كان مؤمنًا، وهو كقول الشَّاعر:

إنَّ مَــنْ ســادَ ثــمَّ ســادَ أبــوه ثــم قــد ســادَ قبــلَ ذلــكَ جَــدُّه[1]

وقوله تعالى: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾: عطف على قوله: ﴿ءَامَنُوا﴾؛ أي: مَن كان من المؤمنين الذين يوصِي بعضُهم بعضًا بالصَّبر على الطَّاعة وعن المعصية في المحنة.

﴿وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾: أي: بالرَّحمة على خلق الله تعالى.

﴿أُوْلَئِكَ أَصْحَبُ الْمَيْمَنَةِ﴾: أي: اليمن والخير والسَّعادة.

وقيل: أصحاب اليمين الذين يُعطَون كتبَهم بأيمانهم، ويُسلَك بهم طريق اليمين إلى الجنَّة.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَبُ الْمَشْئَمَةِ﴾: أي: الشُّؤم والشَّرِّ والشَّقاوة.

وقيل: هم أصحاب الشِّمال الذين يُعطَون كتبَهم بشمائلهم، ويُسلَكُ بهم شمالًا إلى النَّار.

﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌ﴾: أي: مُطبقة، فلا يَخلُص إليهم رَوحٌ، ولا يخفَّف عنهم كرب.

قرأ حمزة والكسائيُّ وأبو عمرو وعاصم في رواية حفص: ﴿مُّؤْصَدَةٌ﴾ بالهمزة، والباقون بغير همز[2]، وهما لغتان: آصدْتُ الباب وأوصدْتُه، والبابُ إصادٌ ووِصاد.

* * *

(١) البيت لأبي نواس من قصيدة في مدح إبراهيم بن عبيد الله الحجبي. انظر: «ديوانه» (ص: ١٥٤)، و«الأزمنة والأمكنة» للمرزوقي (ص: ٣٦)، و«الهداية» لمكي بن أبي طالب (٣/ ١٩٥٩)، وروايته في هذه المصادر: (قل لمن ساد...).

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» لابن مجاهد (ص: ٦٨٦)، و«التيسير» للداني (ص: ٢٢٣).

سُورَةُ الشَّمْسِ(١)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

بسم الله الذي خلق النفس فسوَّاها، الرحمنِ الذي ألهمها فجورها وتقواها، الرحيمِ الذي وعد بالفلَاح مَن زكَّاها.

روى أبيُّ بن كعبٍ رضى الله عنه، عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «مَن قرأ سورةَ والشَّمس وضحاها فكأنَّما تصدَّقَ بكلِّ شيءٍ طلعَتْ عليه الشَّمسُ والقمر»(٢).

وهذه السُّورة مكيَّة.

وهي سِتَّ عشرة آية، وأربعٌ وخمسون كلمة، ومئتان وخمسون حرفًا.

وانتظام السُّورتين: أنَّهما في ذكر الطَّريقين والفريقين؛ قال في تلك السُّورة: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾، وقال في هذه السُّورة: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾.

* * *

(١ ـ ٨) ـ ﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا (١) وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا (٢) وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا (٣) وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا (٤) وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا (٥) وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا (٦) وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾.

---

(١) في (أ): «سورة والشمس»، وفي (ر): «سورة والشمس وضحاها».

(٢) رواه الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٢١٢)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ٤٩٤)، قال ابن الجوزي في «الموضوعات» (٤/ ٣٤٤): مصنوع بلا شك. وانـظر: «الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة» للشوكاني (ص: ٢٩٦).

قوله تعالى: ﴿وَٱلشَّمۡسِ﴾: أقسم الله تعالى بالشَّمس.

﴿وَضُحَىٰهَا﴾: الضُّحى: ارتفاع النَّهار، وأضاف إلى الشَّمس لأنَّ الضُّحى يكون بارتفاع الشَّمس، فكأنَّه قال: والشمس وما يكون بها من الضُّحى.

وقيل: ﴿وَضُحَىٰهَا﴾[1]؛ أي: ونهارها، سمَّاه باسم جزء منه، وهو كقوله: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ﴾ [الضحى: ١-٢]؛ لَمَّا قابل الضُّحى باللَّيل عُرِفَ أنَّه أراد به النَّهار.

وقال مقاتل: ﴿وَضُحَىٰهَا﴾؛ أي: وحرُّها[2].

﴿وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا﴾: أي: تبعَها؛ لأنَّه ابتدأ بالقسم بشمس النَّهار، ثم ثنَّى بالقمر الذي ينير باللَّيل.

وقيل: تبعها في أخذ النُّور عنها.

وقال قتادة: تبعَها في أوَّل ليلة من الشَّهر، تغرب الشَّمس في أوَّل ليلة من الشَّهر[3] فيُرَى الهلال[4].

﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا﴾: أي: جلَّا الشَّمسَ وأظهرَها؛ لأنَّه بمجيء النَّهار ترتفع الشَّمس وتُرَى.

وقيل: إذا غيَّبَها، مأخوذ[5] من الجلاء عن الوطن بالفتح، لا من جِلاء المرآة بالكسر.

---

(١) في (ر): «وضحيتها».

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٧١١).

(٣) «في أول ليلة من الشهر» من (أ).

(٤) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٦٢٦)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٣٦).

(٥) «مأخوذ» ليس في (أ).

وقد رُوِيَ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال حين وجبت الشَّمس: «هذا حِيْن جَلاها»(١).

وقال الكلبيُّ: ﴿جَلَّىٰهَا﴾؛ أي: جلَّى الظُّلمة(٢).

وقال القتبيُّ: جلَّى الأرض أو الدُّنيا(٣). وهو كناية عن مكنيٍّ معلومٍ غير مذكورٍ، كما في قوله: ﴿مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا﴾ [فاطر: ٤٥].

﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا﴾: أي: يغطِّي الشَّمس بغروبها.

وقال مقاتل: أي: يغشَى الأرض بظلمته(٤).

﴿وَٱلسَّمَآءِ﴾: أقسم الله بالسَّماء ﴿وَمَا بَنَىٰهَا﴾؛ أي: ومَن بناها، وهذا قسم بنفسه جلَّ جلالُه.

وقيل: (ما) مع الفعل مصدر؛ أي: وبنائها.

وقيل: ﴿وَمَا بَنَىٰهَا﴾؛ أي: والذي أبقاها مبنيَّة، وهو القدرة.

﴿وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا﴾: أي: بسطها، وهو على الأوجه الثلاثة التي قبلها في قوله: ﴿وَمَا بَنَىٰهَا﴾، والطحوُ: كالدَّحْوُ.

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا﴾: وهي نفسُ الإنسان ومَن سوَّاها؛ أي: هيَّأها بهذه البنيةِ الصَّالحة للتَّكليف ﴿وَمَا﴾ على هذه الوجوه الثَّلاثة أيضًا.

﴿فَأَلْهَمَهَا﴾: أي: عرَّفها وبيَّنَ لها ﴿فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾: فسادَها وصلاحَها، وهو كقوله: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ [البلد: ١٠]، وكقوله: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ﴾ الآية [الإنسان: ٣].

---

(١) لم أجده.

(٢) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٥٨٥)، والواحدي في «البسيط» (٢٤/ ٥٢).

(٣) انظر: «تأويل مشكل القرآن» لابن قتيبة (ص: ١٤٣).

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٧١).

والإلهام مطلقًا: هو إلقاء الشَّيء في القلب من غير فكرٍ، والمراد هاهنا: الإلقاء في القلب بعد السَّماع والتَّفكُّر.

***

(٩ ـ ١٠) ـ ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾.

قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾: قال قتادة رحمة الله: وقع القسم على هذا[(١)].

وقال النَّحويُّون: تقديره: لقد أفلح؛ لأنَّ جواب القسم باللَّام، وحُذِف لطول الكلام.

وقال الزَّجَّاج: صار طول الكلام عوضًا عن اللَّام[(٢)].

وقيل: ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾ مُقدَّم في المعنى، وقوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا﴾ إلى آخر ما أقسَمَ به مُؤخَّر عنه، فاستغنى عن اللَّام.

وقال الفرَّاء: الجواب محذوف، كأنَّه قال: والشَّمس وكذا وكذا لتحاسَبُنَّ ولتعرَضُنَّ على الله الكريم[(٣)].

ثم معنى قوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾؛ أي: نجا من كلِّ مرهوب ووصل إلى كلِّ محبوب مَن زكَّى النَّفس؛ أي: طهَّرها وأنماها، ورفعها[(٤)] في الطَّاعة.

﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾: أي: يئس من ذلك كلِّه مَن أهمل النَّفس في المعاصي وأخملَها[(٥)]، ودسَّى أصله: دسَّسَ، وهو مبالغة في دسَّ؛ أي: أخفى، قال تعالى: ﴿أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ﴾ [النحل: ٥٩].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٤٤).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٣٣١).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للنحاس (٦/ ٧٦).

(٤) في (ر): «فيرفعها».

(٥) في (ر): «بجهلها»، وسقطت من (ف).

وقال ابن عبَّاس: أي: قد أفلح مَن زكَّى اللهُ نفسَه فهداها، ﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾[١]؛ أي: دسَّى الله نفسَه فأضلَّها.

وقال عكرمة: أفلحَتْ نفسٌ زكَّاها اللهُ، وخابَتْ نفسٌ أغواها اللهُ[٢].

وقال ميمون بن مِهْرانَ: سأل رجلٌ ابن عبَّاس عن قوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ قال: أتقرأ: ﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾؟ قال: نعم، قال: فآمِن بهذه، واعمل بهذه[٣].

يعني: في تلك: أنَّ التَّزكية من الله، وفي هذه: أنَّ التَّزكية من العبد، وهو إثبات التَّخليق مِن الله، والفعل من العبد، كما هو مذهب أهل السُّنَّة والجماعة.

وقال الرَّبيع بن أنس: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾: مَن عمِل خيرًا وزكَّاها بطاعة الله، ﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾: أثَّمها وأفجرها[٤].

وقال مقاتل: أي: قد سُعِد مَن أصلحه اللهُ تعالى وقَنِطَ مَن أغواه الله تعالى[٥].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٤٣ و٤٤٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٤٣٨).

(٢) روى الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٤٣) عن عكرمة في قوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ قال: (من أصلحها). وروى ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٤٣٨) عن عكرمة في قوله: ﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ قال: (من خسرها).

(٣) لم أقف عليه بتمامه، وذكره الزمخشري في «الكشاف» (٤/ ٧٦٠) مختصرا بلفظ: (وسئل ابن عباس عنه فقال: أتقرأ ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾، ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾). وأراد به الاستدلال على أن الضمير المستتر في ﴿زَكَّىٰهَا﴾ عائد إلى ﴿مَن﴾، والبارز إلى النفس، وكذا في ﴿دَسَّىٰهَا﴾، وذلك تأييداً لمذهبه الاعتزالي، وهو خلاف ما ذهب إليه المؤلف في الخبر على ما يأتي، وانظر تعقب الطيبي على الزمخشري في حاشيته على «الكشاف» المسماة: «فتوح الغيب» (١٦/ ٤٦٣).

(٤) رواه عبد بن حميد، كما في «الدر المنثور» للسيوطي (٨/ ٥٣٠)، بلفظ: «أفلح من زكى نفسه بالعمل الصالح وخاب من دسى نفسه بالعمل السيئ».

(٥) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٧١١).

(١١ ـ ١٥) ـ ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَآ ﴿١١﴾ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا﴾.

قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَآ﴾: أي: وممَّن دسَّى نفسَه قومُ صالح كذَّبوا رسولهم بطغيانهم، وهو مجاوزتُهم حدَّ العبوديَّة.

وقال الفرَّاء: الطَّغوى مصدر كالدَّعوى[١].

وقيل: ﴿بِطَغْوَاهَآ﴾؛ أي: بعذابها المجاوزِ حدَّ مثلِه، وهو كقوله: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ ﴿٤﴾ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ﴾ [الحاقة: ٤]، وهو اسمٌ لِمَا أُهْلِكوا به من العذاب.

﴿إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا﴾: أي: نهض وثار أشقى ثمود، وهو عاقر النَّاقة، قُدَار بن سالف.

﴿فَقَالَ لَهُمْ﴾: أي: لثمودَ ﴿رَسُولُ ٱللَّهِ﴾؛ أي: صالح:

﴿نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا﴾: نصب على الإغراء؛ أي: خلُّوا بينها وبين شربها، واحذروا خلاف أمر الله تعالى فيها.

﴿فَكَذَّبُوهُ﴾: أي: فكذَّبوا صالحًا بما توعَّدهم به من العذاب.

﴿فَعَقَرُوهَا﴾: أي: قتلوها، وقيل: عَرْقبوها[٢].

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٦٧)، وعبارته: «أراد بطغيانها إلا أن الطغوى أشكلُ برؤوس الآيات فاختير لذلك».

(٢) عرقب الدابة: قطع عرقوبها، وهو عَقِبٌ موتَّر خلفَ الكعبين. انظر: «أساس البلاغة» للزمخشري (مادة عرقب).

وكان العاقرُ واحدًا، وأضيف إليهم لأنَّه كان برضاهم ومعونتهم، وقال في (سورة القمر): ﴿فَنَادَوْاْ صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ﴾ [القمر: ٢٩]، وكان هو المباشِرَ.

﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم﴾: قال الفرَّاء: أرجف بهم(١).

وعنه أيضًا: فأهلكهم. وهو قول قطرب وجماعة.

وقال أبو سعيد: أي: فصاح بهم.

وقال ابن الأنباري: أصل الدَّمدمةِ: الغضبُ(٢).

﴿بِذَنْبِهِمْ﴾: أي: ما أهلكهم ظالمًا، بل باستحقاقهم ذلك بذنوبهم.

﴿فَسَوَّىٰهَا﴾: أي: فسوَّى الدَّمدمة عليهم جميعًا، فلم يُفلِتْ منهم أحد.

وقيل: فسوَّى الصَّيحة.

وقيل: فسوَّى ثمود كلَّهم في الدَّمدمة.

وقال الفرَّاء: أي: فسوى بينهم(٣).

وقيل: أي: فسوى المنازل في الأرض.

﴿وَلَا يَخَافُ﴾: أي: الله ﴿عُقْبَٰهَا﴾؛ أي: عاقبة هذه الفِعلة؛ أي: فعَل ذلك غيرَ خائف أن يلحقه تَبِعة مِن أحدٍ فيها، فإنَّه فعل ذلك في ملكه، وملكُه لا يُسأل عمَّا يَفعل وهم يُسألون.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٦٩).

(٢) انظر: «الزاهر» لابن الأنباري (١/ ١٨٩).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٦٩). ولفظه: ﴿فَسَوَّىٰهَا﴾: سوَّى الأمَّة، أنزل العذاب بصغيرها وكبيرها بمعنى: سوَّى بينهم.

وقيل: أي: لا يُخاف أن يعقِّب على عقوبته مَن يرفعها أو يغيِّرها، وهو كما قال: ﴿لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ﴾ [الرعد: ٤١].

وقيل: لا يخاف صالح عاقبتَها، ورجوعَ ضررٍ به من جهتها، بعد أن كفاه الله أمره(١).

وقيل: أي: كان عاقر النَّاقة لا يَخاف عاقبتَها. قاله الكسائيُّ(٢).

وقال مقاتل: هو قدار بن سالف بن جدع(٣). رجل أزرق أحمر قصير أشقر، ابن زانية، واسم أمِّه قديرة(٤)، وقد مرَّت القصَّة في (سورة الأعراف).

والحمد لله ربِّ العالمين

***

---

(١) في (أ) و(ف): «أمرها».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٥٢ ـ ٤٥٣) عن الضحاك والسدي.

وذكره الواحدي في «البسيط» (٢٤/ ٧١) عن مقاتل والضحاك والسدي. وانظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٧١٤).

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٣١١).

(٤) ذكره الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٢٨٧) عن المغيرة بن الأخنس.

سورة الليل

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الذي خلق الذَّكر والأنثى، الرحمنِ الذي يسَّر لليسرى، الرحيمِ الذي له الآخرة والأولى.

روى أبيُّ بن كعب رضى الله عنه عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «مَن قرأ سورةَ واللَّيل أعطاهُ اللهُ تعالى حتَّى يرضَى وعافاه من العسر»(1).

وهذه السُّورة مكيَّة.

وهي إحدى وعشرون آية، وإحدى وسبعون كلمة، وثلاثُ مئة وثلاثة أحرف.

وانتظام السُّورتين: أنَّهما في ذكر اللَّيل والنَّهار، والمؤمنين والكفَّار.

* * *

(١ ـ ٤) ـ ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ۝٣ إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّيۡلِ﴾: أقسم الله باللَّيل.

﴿إِذَا يَغۡشَىٰ﴾: أي: يغطي الأشياء بظُلمته.

﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ﴾: أي: أضاء فانكشفَ بضوئه ما كان الليلُ غطاه.

---

(1) رواه الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٢١٦)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ٥٠١)، قال ابن الجوزي في «الموضوعات» (٤/ ٣٤٤): مصنوع بلا شك. وانظر: «الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة» للشوكاني (ص: ٢٩٦).

﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَىٰ﴾: أي: ومَن خلق الذَّكر والأنثى، أقسم بنفسه جلَّ جلالُه.

﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ﴾: القسم على هذا؛ أي: مختلِفٌ متباعِد بعضُه من بعضٍ، لا يستوي سعيُ المؤمن وسعي الكافر، وسعيُ المطيع وسعي العاصي.

وحكى ابن الأنباريِّ عن بعض النَّحويين: أنَّ (شتى) جمع شتيت، كالمرضى جمع مريض(١).

وقال الإمام القشيريُّ: فواحدٌ سعيُه في طلب دنياه، وآخرُ سعيه في شهوة نفسه واتِّباعِ هواه، وآخر في طلب جاهه ومُناه، وآخرُ سعيُه في قيامه بحسن رضاه، وآخرُ في طلب عُقباه، وآخرُ في تصحيح تقواه، وآخرُ في تصفية ذكراه، وآخرُ في قيامه بحسن رضاه، وآخرُ في طلب مولاه، ومنهم من يجمع بين سعي النَّفس بالطَّاعة، وسعي القلب بالإخلاص، وسعي البدن بالقُرَب، وسعي اللِّسان بالذِّكر، ومنهم مَن سعيه في هلاك نفسه، وما فيه خرابُ دينه(٢).

* * *

(٥ ـ ٦) ـ ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ﴾: وهذا بيان اختلاف سعي الفريقين.

والسُّورة نزلت في أبي بكر الصِّدِّيق رضى الله عنه وفي أميَّة بن خلف، وعطاءِ ذلك وبخلِ هذا، ووعدِ ذاك ووعيدِ هذا.

ثم معانيها شاملة لكلِّ النَّاس، وكذا في كلِّ آيةٍ نزلَتْ في قومٍ فعمومُها يشمل الكلَّ.

---

(١) انظر: «شرح القصائد السبع الطوال» لابن الأنباري (ص: ٦٠).

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» للقشيري (٣/ ٧٣٥ ـ ٧٣٦).

قال عروةُ بن الزُّبير رضي الله عنه: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ﴾: نزلَتْ في أبي بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه، وذلك أنَّه أعتق سبعةً[1] كلُّهم يُعذَّب في الله: بلالًا، وعامرَ بن فُهَيرة، وأمَّ كباش النَّهديَّة، وابنتها، وزِنِّيرة، وأمَّ عُبيسٍ، وأَمَةَ بني المؤمِّل.

فأمَّا بلال فاشتراه وهو مدفون في الحجارة، فقالوا له: لو أبيْتَ إلَّا أوقيَّة لبعناك، فقال أبو بكر: لو أبيْتُم إلَّا مئة أوقيَّة لابتعْتُه.

فأمَّا زِنِّيرة كانت روميَّة لبني عبد الدَّار، فلمَّا أسلمَتْ عميَتْ، فقال المشركون: أعمَتْها اللَّات والعُزَّى، فقالت: كفرْتُ باللَّات والعُزَّى، فردَّ اللهُ تعالى بصرَها[2].

وقوله تعالى: ﴿أَعْطَىٰ﴾: يتناول كلَّ وجوه الإنفاق في الخير فرضِها ونفلها.

وقيل: يتناول أيضًا أعطاه من نفسه ما أمره الله تعالى به، كما يُقال: أعطى البيعة، فيقع على الأفعال أيضًا.

﴿وَاتَّقَىٰ﴾: أي: خافَ اللهَ، ولم يخالف أمرَه ولا نهيَه.

﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ﴾: قيل: هي الجنَّة، تأنيث الأحسن.

وقال قتادة: وصدَّق بموعود الله، فعمل لذلك الموعود[3].

---

(١) في (ر): «تسعة». وانظر ما سيأتي في تخريجه.

(٢) رواه ابن إسحاق كما في «السيرة النبوة» لابن هشام (١/ ٣١٨)، ويونس بن بكير في زياداته على «السير والمغازي» لابن إسحاق (ص: ١٩١)، والثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٢١٩).

وقوله: «أم عبيس»، وقع في (أ) و(ف): «أم عمير»، وفي (ر): «أم عميرة»، وفي «تفسير الثعلبي»: (أم عميس)، والمثبت من «السيرة النبوية» و«السير والمغازي»، وهو الصواب. انظر: «الإكمال» (٦/ ٨٠)، و«أسد الغابة» (٧/ ٣٩٩)، و«الإصابة» (٨/ ٢٥٧).

وقوله: «أم كباش» في تسمية النهدية لم أقف عليه، والذي في المصادر: (النهدية وابنتها).

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣/ ٤٣٣)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٦٤).

وقيل: الحسنى: الثَّواب.

وقيل: الخَلَف، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾ [سبأ: ٣٩].

وقيل: الحسنى: لا إله إلا الله، وهو شرط قَبول العطيَّة، كما قال في السُّورة التي مرَّت: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [البلد: ١٧].

وقيل: الحسنى: الفرائض؛ أي: قَبِلَ الشَّرائع.

* * *

(٧ ـ ١١) ـ ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠ وَمَا يُغْنِى عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ﴾.

﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ﴾: أي: فسنسهِّل عليه الطَّاعات التي هي سبب اليسر.

وقيل: أي: العَود إلى الإعطاء.

وقيل: اليسرى تأنيثُها لكونها صفةً للجماعة، وهي الطَّاعات وأعمال الخير.

وقيل: هي صفةُ الخلَّة أو الخصلة أو الفِعلة، فصلح للواحدة(١).

وقيل: اليسرى: ثواب الطَّاعات؛ أي: فسنسهِّل عليه اكتساب الثَّواب.

﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ﴾: فلم يعطِ.

﴿وَٱسْتَغْنَىٰ﴾: أظهر من نفسِه الغنى عن الله تعالى وعن ثوابه.

﴿وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ﴾: ذكرنا الأقاويل فيها من قوله: ﴿وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ﴾.

﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾: أي: للمعاصي.

وقيل: لعقوبات المعاصي؛ أي: ندعه واختيارَها ونسهِّل عليه فعلَها ونخذله فيها؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «كُلٌّ ميسَّرٌ لِمَا خُلِقَ له»(٢).

---

(١) في (ر) و(ف): «فيصلح للواحد».

(٢) رواه البخاري (٧٥٥١)، ومسلم (٢٦٤٩)، من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه.

وهذا في أميَّة بن خلف وبخله.

﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ﴾: أي: هلكَ وماتَ، من الرَّدى وهو الهلاك.

وقيل: أي: إذا أسقط في النَّار، من قوله: ﴿وَالْمُتَرَدِّيَةُ﴾ [المائدة: ٣]، وهي السَّاقطة من الجبل وفي البئر ونحو ذلك.

وقيل: ﴿إِذَا تَرَدَّىٰ﴾؛ أي: سقط في قبره.

قال الكلبيُّ: نزلَتْ الآيةُ في أبي سفيان بن حرب[1].

وقال مقاتل: في الوليد بن المغيرة.

وقال مجاهد ومحمَّد بن كعب: هو أبو جهل بن هشام لعنه الله[2].

وقال ابن مسعود: في أميَّة وأبيٍّ ابني خلف[3].

* * *

(١٢ ـ ١٦) ـ ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ (١٢) وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ (١٣) فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ (١٤) لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى (١٥) الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾.

﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ﴾: أي: منَّا البيان والإرشاد، وأيضًا منَّا إعطاء فعل الاهتداء للعباد.

﴿وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ﴾: أي: فلا يضرُّنا ضلالُ مَن ضلَّ، ولا ينفعنا اهتداءُ مَن اهتدى.

---

(١) انظر: «تفسير الثعلبي» (١٠/ ٢١٨). ورواه عبد بن حميد وابن مردويه وابن عساكر في طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما، كما في «الدر المنثور» للسيوطي (٨/ ٥٣٦). والكلبي متروك، ورواياته عن ابن عباس لا تصح، وكلامه مردود فإن أبا سفيان رضي الله عنه قد أسلم وحسن إسلامه.

(٢) رواه الطستي في مسائله عن ابن عباس رضي الله عنهما، كما في «الدر المنثور» (٨/ ٥٣٦).

(٣) ذكره الماوردي في «تفسيره» (٦/ ٢٨٨).

﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ﴾: أي: تتلهَّب.

﴿لَا يَصْلَىٰهَآ﴾: أي: لا يدخلها فيصلى سعيرها.

﴿إِلَّا ٱلْأَشْقَى﴾: أي: الشَّقي، كقوله: ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧]؛ أي: هيِّن، والشَّقيُّ: الكافر.

﴿ٱلَّذِى كَذَّبَ﴾: بآيات الله ﴿وَتَوَلَّىٰ﴾ عن طاعة الله.

وإذا حمل هذا على الكافر فمعنى قوله: ﴿لَا يَصْلَىٰهَآ﴾؛ أي: للخلود فيها.

وإن حمل على نفس الدُّخول والتَّعذيب مدَّة فمعنى: ﴿كَذَّبَ﴾؛ أي: قصَّر في الأوامر والنَّواهي، فخالفه عملًا لا عقدًا، وهو المعصية، يُقال: لقي فلانٌ العدوَّ فما كذب؛ أي: ما قصَّر وما جبن.

ويدلُّ على دخول الفسَّاق النَّارَ للتَّعذيب مدَّة.

* * *

(١٧ ـ ٢١) ـ ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾

﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى﴾: وهو الأكمل تقوى، وهو صفة أبي بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه. ودلَّ على فضله على جميع الأمَّة؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

﴿ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ﴾: أي: يتطهَّر بذلك ويتزايد خيرًا[(١)].

﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ﴾: أي: لا يُعطي مالَه أحدًا ولا يصطنع بالإعتاق ونحوه لصنيعةٍ عنده لأحد يجزيه بها ﴿إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾؛ أي: لكن طلبًا لرضا الله.

---

(١) في (ر): «جزاء».

﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾: أي: ولسوف يعطيه الله تعالى من الجزاء والكرامة ما يبلغ رضاه ويزيد، وهو كرامة لا يفوقُها كرامة، وهو كقوله لرسول الله ﷺ: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾ [الضحى: ٥].

وعن ابن عبَّاس رضي الله عنهما: أنَّ بلالًا[١] أحدث على الأصنام، وأَخبرَتْ بذلك المشركين امرأةٌ موكَّلة بحفظِها، وكان بلالٌ عبدًا لعبد الله بن جدعان، فشكوه إليه، فوهبه لهم ومئةً من الإبل ينحرونها لإلهتهم، فأخذوه، وجعلوا يعذِّبونه في الرَّمضاء، وهو يقول: أحدٌ أحدٌ، فمرَّ به النَّبيُّ ﷺ، فقال: «ينجيك الأحد»، ثم أَخبر رسول الله ﷺ أبا بكر أنَّ بلالًا يُعذَّبُ في الله، فحمل أبو بكر رطلًا من ذهبٍ فابتاعه به[٢].

وقال مقاتل: مَرَّ أبو بكر ببلالٍ وسيِّدُه أميَّة بن خلف يعذِّبه، فقال: أتعذِّبُ عبدًا على الإيمان؟ فقال أميَّة: لم يفسده عليَّ إلَّا أنت وصاحبُك، فقال: أتبيعُه؟ قال: نعم، قال: بكم؟ قال: بعبدٍ مثله، فاشترى أبو بكر عبدًا مشركًا، فدفعه إليه، وأخذ بلالًا.

فكره ذلك أبو قحافة والد أبي بكر، وقال: لقد أعتقْتَ عبدًا أسود متقلِّص الشَّفتين، ولو كنْتَ ترغبُ في العتقِ لاعتقْتَ مَن له رواءٌ ومنظر، أَمَا علمْتَ أنَّ مولى القوم من أنفسهم[٣]، فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ﴾ الآيات[٤].

والحمد لله رب العالمين

* * *

(١) بعدها في (ف): «لما».

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٢٢٠).

(٣) في (أ): «منهم».

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٧٢٣ ـ ٧٢٤).

سُورَةُ

﴿وَالضُّحَىٰ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

بسم الله الذي رفع قَدْر المصطفى، الرحمنِ الذي ما ودَّع رسولَه وما قلى، الرحيمِ الذي قال له: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾.

روى أبيُّ بنُ كعبٍ رضي الله عنه عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «مَن قرأ سورةَ ﴿وَالضُّحَىٰ﴾ جعلَه اللهُ يوم القيامة فيمَن يرضَى لمحمَّدٍ أنْ يشفعَ له، وكتب له عشر حسناتٍ بعددِ كلِّ يتيمٍ وسائلٍ»(١).

وهذه السُّورة مكيَّة.

وهي إحدى عَشَرَ آية، وأربعون كلمة، ومئةٌ وتسعة وخمسون حرفًا.

وانتظام السُّورتين: أنَّ الأولى في القسَم باللَّيل والنَّهار على شرف أفضل الأمم، ووعدِه أنَّه يبلغ غايةَ الرِّضا، وهذه في القَسَم باللَّيل والنَّهار على شرف أفضل النَّسَم، ووعده أنَّه يبلغ غايةَ الرِّضا.

وسببُ نزول هذه السُّورة ما قال الضَّحَّاكُ: احتبس جبريلُ عليه السلام عن النَّبيِّ ﷺ، فقال كفَّار قريشٍ: وَدَّعَهُ ربُّه وقلاه، فأتاه جبريلُ فقال: اشتدَّ عليك ما قال

---

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٢٢٢)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ٥٠٧)، قال ابن الجوزي في «الموضوعات» (٤/ ٣٤٤): مصنوع بلا شك. وانظر: «الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة» للشوكاني (ص: ٢٩٦).

قومُك لك؟ قال: «نعم»، قال: ما ودَّعَكَ ربُّكَ وما قلاكَ، وإنَّما أنا عبْد، أحتَبِس ما حبسني، وأنزل إذا أنزلني، وأطيعه إذا أمرني[١].

وقال أنسٌ رضي الله عنه: اشتكى رسولُ الله ﷺ شَكاةً، فلم يقم ليلتين أو ثلاثًا، وكان يحبُّ التَّهجُّد، فأتته إحدى عمَّاته فقالت: إنِّي لأرجو أن يكون شيطانُكَ قد تركَكَ، لم أرَه قَرِبَكَ منذ أيَّام، فأنزل الله تعالى هذه السُّورة[٢].

وقال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: إنَّ اليهود سألوا رسولَ اللهِ ﷺ عن ذي القرنين وأصحاب الكهف والرُّوح، فقال: «أجيبُكُم غدًا»، ولم يستثنِ، فاحتبس جبريل عنه خمسة عشر يومًا[٣].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٨٦) مختصراً، ولفظه: (مكث جبريل عن محمد ﷺ، فقال المشركون: قد ودعه ربه وقلاه، فأنزل الله هذه الآية).

(٢) رواه البخاري (٤٩٥٠)، ومسلم (١٧٩٧)، من حديث جندب بن سفيان البجلي رضي الله عنه.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ١٤٢-١٤٣)، لكن في سبب نزول سورة الكهف، وقولهِ تعالى في سورة الإسراء: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥]، وقد تقدم هذا عند تفسير الإسراء والكهف.

قال ابن حجر في «فتح الباري» (٨/ ٧١٠): الحق أن الفترة المذكورة في سبب نزول والضحى غير الفترة المذكورة في ابتداء الوحي، فإن تلك دامت أياماً وهذه لم تكن إلا ليلتين أو ثلاثاً فاختلطتا على بعض الرواة...ووقع في «سيرة ابن إسحاق» في سبب نزول ﴿والضحى﴾ شيء آخر، فإنه ذكر أن المشركين لما سألوا النبي ﷺ عن ذي القرنين والروح وغير ذلك ووعدهم بالجواب ولم يستثن فأبطأ عليه جبريل اثنتي عشرة ليلة أو أكثر فضاق صدره وتكلم المشركون فنزل جبريل بسورة ﴿والضحى﴾ وبجواب ما سألوا وبقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ انتهى، وذكر سورة الضحى هنا بعيد، لكن يجوز أن يكون الزمان في القصتين متقارباً فضم بعض الرواة إحدى القصتين إلى الأخرى وكل منهما لم يكن في ابتداء البعث وإنما كان بعد ذلك بمدة، والله أعلم». =

وقال مقاتل: أربعين يومًا[١].

وقال ابن جريج: اثنا عشر يومًا[٢].

وقيل: خمسة وعشرون يومًا.

وقال مقاتل: لَمَّا نزل جبريل قال له رسول الله ﷺ: ما جئتني حتى اشتقْتُ إليك، فقال جبريل: كنتُ إليك أَشْوَقَ، ولكنِّي عبد مأمور: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾ الآية [مريم: ٦٤][٣].

***

(١ ـ ٢) ـ ﴿وَالضُّحَىٰ ۝١ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَالضُّحَىٰ﴾: قال قتادة: أقسَمَ بصدر النَّهار[٤].

وقيل: بالنَّهار كلِّه، وهو تسمية الكلِّ باسم الجزء، ودليلُه: أنَّه قابلَه باللَّيل، وهو على كلِّه، فقال ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ﴾.

قال أهل اللُّغة: أي: سكَن. وكذا قال قتادة والضَّحَّاك[٥]. وهو عند اجتماعُ ظلمَتِه.

= قلت: رواه ابن إسحاق في «سيرته» (ص: ٢٠١ ـ ٢٠٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما مثل رواية الطبري المتقدمة، وليس فيه ذكر نزول سورة الضحى.

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٧٣١).

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٢٩٢)، والواحدي في «البسيط» (٢٤/ ١٠٣).

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٧٣١).

(٤) ذكره بهذا اللفظ الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٢٩١). ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٦٣٤)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٨١)، بلفظ: (ساعة من ساعات النهار).

(٥) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٦٣٤)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٨٣)، عن قتادة. ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٨٣) عن الضحاك.

وقال مجاهد رحمه الله: استوى(١).

وقال الحسن: ألبسَ الأشياء ظلامَه(٢).

وقال أبو العالية: جَنَّ.

وقال أبو روق: اسودَّ.

وقال ابن عبَّاس: ذهب(٣).

وقال محمد بن كعب: إذا جاء بحنادسه؛ أي: ظلماته.

واختلف في المراد باللَّيل والنَّهار أنَّه على العموم أو على الخصوص:

قيل: هو على العموم؛ لتعلُّق مصالح الخلق ومنافعهم بهما.

وقيل: هو على الخصوص، واختُلف فيه:

قال جعفر بن محمَّد الصَّادق: ﴿وَالضُّحَىٰ﴾: السَّاعة التي كلَّم اللهُ فيها موسى على الطُّور، ﴿وَالَّيْلِ﴾: هي ليلة المعراج التي ناجى الله حبيبَه فيها على بساط النُّور(٤).

وقيل: هو ضحى الأوَّابين، وليلةُ المتهجِّدين.

وقيل: هو نهار دعوة النَّبيِّ ﷺ وليلةُ قيامه، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ﴾ [المدثر: ١-٢]؛ أي: بالنَّهار، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [المزمل: ١-٢].

وقيل: هي ليلة ولادة النَّبيِّ ﷺ ويومُ وفاته.

وقيل: هو يوم نزول الوحي إليه من السَّماء، وليلة العروج به إلى السَّماء.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٨٢).

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٦٣٥)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٨٢).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٨٢).

(٤) ذكره بنحوه القرطبي في «تفسيره» (٢٢/ ٣٣٥) عن قتادة ومقاتل وجعفر الصادق.

وقيل: ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾ ﴿وَٱلَّيۡلِ﴾: اسمان من أسماء النَّبيِّ ﷺ، وقد كان على أوليائه ضحًى منيرًا، وعلى أعدائه ليلًا مظلمًا[(١)].

وقيل: معناه: وربِّ الضُّحى وربِّ[(٢)] اللَّيل إذا سجى.

* * *

(٣ ـ ٤) ـ ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣ وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ﴾.

قوله تعالى: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ﴾: القسم على هذا؛ أي: ما قطع عنك وحيَه قطْعَ التَّارك لك، والوداع والتَّوديع أصله الوَدْع، وهو التَّرْك.

﴿وَمَا قَلَىٰ﴾: أي: وما قلاك، يعني: ما أبغضَكَ، والقلا: البُغْض، من حدِّ (ضرب).

وقال الفرَّاء: إنَّما ترك الكاف من (قلاك) لدلالة الكاف الأُولى ـ وهي: ﴿مَا وَدَّعَكَ﴾ ـ على هذا، وهو كقولك: أكرمتُكَ وأحسنْتُ؛ أي: إليك[(٣)].

﴿وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ﴾: قيل: أي: ما أعدَّ اللهُ لك في الآخرة من المقام المحمود، والحوض المورود، والخير الموعود، خيرٌ لك من نعم الدُّنيا وكرامتها، فليس يقطع عنك كرامةً في الدُّنيا ولا في الآخرة.

وقال محمَّد بن إسحاق: أي: لَمَا عندي في مرجعك إليَّ خيرٌ لكَ ممَّا عجَّلْتُ لك من الكرامة في الدُّنيا[(٤)].

---

(١) مثل هذا القول أقرب لكلام أهل الإشارة، ومع ذلك فكان الأولى أن يقول بدل «اسمان من أسماء النبي»: (صفتان وصف بهما النبي)، فإن أسماءه ﷺ معروفة ولم يذكر مثل هذين فيها، وإن كان وصفه عليه السلام بالليل لا يليق حتى مع الأعداء، فهو عليه السلام نور على الجميع أوليائه وأعدائه، وذلك بما أوتي من الخلق العظيم، والدعوة لتوحيد الرب الكريم.

(٢) «رب» من (ف).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٧٣).

(٤) انظر: «السيرة النبوية» لابن هشام (١/ ٢٤١).

وقيل: أي: وللحالةُ الآخرة خيرٌ لك من الحالة الأولى؛ أي: احتباسُ الوحي منك مدَّة بعد تواتُر الوحي خيرٌ لك، فقد قال الأعداء لك ما قالوا، وقلنا في ردِّهم مؤكِّدًا بالقسم: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى... وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾، وهذا فوق كلِّ كرامة.

* * *

(٥ ـ ٦) ـ ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى (٥) أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى﴾.

﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾[(١)]: أي: الثَّوابَ الجزيل في العُقبى.

وقيل: هو النَّصر والظَّفر على الأعداء في الدُّنيا.

وقيل: هي الشَّفاعة في الآخرة في عصاة الأمة.

وقال الضَّحَّاك: أي: لا يخزيك في أمَّتك، ويؤتيك مرادَكَ فيهم.

وروي أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «لا أرضى وواحدٌ من عصاة أمَّتي في النَّار»[(٢)].

وقال جعفر الصَّادق: دخل رسول الله ﷺ على فاطمة رضي الله عنها وعليها

---

(١) «﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾» من (ف).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٢٢٥)، والواحدي في «البسيط» (٢٤/ ١٠٧).

ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٨٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما موقوفًا عليه، ولفظه: «من رضا محمد ﷺ ألا يدخل أحد من أهل بيته النار».

وذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٢/ ٣٤٢)، وذكَر قبله في هذا المعنى ما رواه مسلم (٢٠٢) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، وهو حديث الشفاعة، وفيه: «فرفع يديه وقال: اللَّهم أمَّتي أمَّتي، وبكى، فقال الله عز وجل: يا جبريل اذهب إلى محمد، وربك أعلم، فسله ما يبكيك؟ فأتاه جبريل عليه الصلاة والسلام، فسأله فأخبره رسول الله ﷺ بما قال، وهو أعلم، فقال الله: يا جبريل، اذهب إلى محمد، فقل: إنا سنرضيك في أمتك، ولا نسوؤك».

كساء من وبر الإبل، وهي تطحن بيديها، وترضع ولدها، فدمعَتْ عينا رسولِ الله ﷺ لَمَّا أبصرها، فقال: «يا ابنتاه، تحمَّلي مرارة الدُّنيا لحلاوة الآخرة، فقد أنزل الله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾»[1].

﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ﴾: استفهام بمعنى التَّقرير؛ أي: قد وجدَكَ؛ أي: علِمَكَ ورآك.

يبيِّن أنَّه قد تولَّاه وكفاه، وكلَّ خير أعطاه، من مبتدأ أمرِه إلى منتهاه، فكيف يكون وَدَعَه وقلاه؟

وكان يتمُهُ: أنَّ أباه عبد الله بن عبد المطَّلب توفِّي ورسول الله ﷺ في بطن أمِّه، وماتَتْ أمُّه وهو رضيع، ومات عبد المطَّلب جدُّه وهو صبيٌّ، فآواه الله تعالى بأبي طالب، وكان يَبرُّه ويحسنُ إليه إلى أن أوحى الله إليه، وكان ينصرُه ويذبُّ عنه.

* * *

(٧ ـ ٨) ـ ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ﴾.

﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا﴾: أي: غير واقفٍ على وظائف العبادة.

﴿فَهَدَىٰ﴾: أي: علَّمك اللهُ تعالى، وبيَّنَ الشَّرائع.

ولا يجوز أن يُفْهَم من هذه اللَّفظة عدولٌ عن حقٍّ، ووقوعٌ في غيٍّ، وقد كان رسول الله ﷺ من أوَّل حاله إلى نزول الوحي إليه معصومًا عمَّا يفعله المشركون من عبادة الأوثان، وقاذورات أهل الفسق والعصيان.

---

(١) ذكره عن الصادق الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٢٢٥).

ورواه العسكري في «المواعظ» وابن مردويه وابن لال وابن النجار عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، كما في «الدر المنثور» للسيوطي (٨/ ٥٤٣). وسنده ضعيف كما قال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (ص: ١٥٨٩).

وقال محمَّد بن إسحاق: نشأ رسول الله ﷺ واللهُ يكلؤه ويحفظه من أقذار الجاهليَّة ومعايبها؛ لِمَا يريد الله تعالى من كرامته، حتى ما كان اسمُه في قومه إلَّا الأمين؛ لِمَا جمعَ اللهُ فيه من الأمور الصَّالحة[١].

وروى هو[٢] عن عليٍّ رضي الله عنه، عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «ما هَمَمْتُ بشيءٍ ممَّا كان أهل الجاهليَّة يفعلونه[٣] غير مرَّتين، كلُّ ذلك يحُول الله بيني وبين ما أريد من ذلك، ثم ما هممْتُ بعدَهما بسوء حتَّى أكرمني الله تعالى برسالته، وإنِّي قد قلْتُ ليلةً لغلامٍ من قريش كان يرعى معي بأعلى مكَّة: لو أنَّك أبصرْتَ لي غنمي حتَّى أدخل مكَّة فأَسْمُرَ بها كما يَسمر الشُّبَّان، فقال: أفعل، فخرجْتُ أريد ذلك، حتى جئْتُ أوَّل دارٍ من دور مكَّة، فسمعْتُ عزفًا بالدُّفوف والمزامير، فقلْتُ: ما هذا؟ فقالوا: فلان بن فلان تزوَّج بفلانة، فجلسْتُ أنظر إليهم، ثم ضرب اللهُ على أذني فنمْتُ، فما أيقظني إلَّا مَسُّ الشَّمس، وليلة أخرى كذلك، ثم ما هممْتُ بعدهما بسوء»[٤].

وقال سعيد بن المسيِّب: إنَّ رسول الله ﷺ خرج مع عمِّه أبي طالب في قافلة مَيْسَرة غلام خديجة، فبينما هو راكبٌ ذاتَ ليلة ظلماءَ[٥] ناقته، وهو نائم، فجاء إبليس فأخذ بزمام النَّاقة، فعدل به عن الطَّريق، فجاء جبريلُ فنفخَ إبليسَ

---

(١) انظر: «سيرة ابن إسحاق» (ص: ٧٨)، و«سيرة ابن هشام» (١/ ١٨٣).

(٢) في (أ): «وروي» بدل: «وروى هو».

(٣) في (أ) و(ف): «يعملون به».

(٤) رواه ابن إسحاق في «سيرته» (ص: ٧٩ ـ ٨٠)، ومن طريقه الفاكهي في «أخبار مكة» (١٧٢١)، والبزار في «مسنده» (٦٤٠)، وابن حبان في «صحيحه» (٦٢٧٢)، والحاكم في «المستدرك» (٧٦١٩)، وصححه.

(٥) بعدها في (ر) و(ف): «وهو على».

نفخةً وقع منها إلى الحبشة، وردَّه إلى القافلة، فمنَّ اللهُ عليه بذلك(١).

وقال عبد العزيز بن يحيى الكنانيُّ: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ﴾؛ أي: مغمورًا بين قومِكَ، لا يدرون مَن أنت، فهداهم الله تعالى إليك؛ أي: عرَّفهم حالك حتى عرفوك، وعلموا ما مَنَّ الله به عليك(٢).

وهو صحيح في اللُّغة، يُقال: ضَلَّ الماءُ في اللَّبن، وقال الله تعالى خبرًا عن الكفَّار: ﴿وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: غِبْنا وخَفِينا.

وقال هشام بن عبد الله: ووجدك لا تدري نفسك مَن أنت، فعرَّفك نفسك وحالك، حتى عرفْتَ أنَّك سيِّد ولد آدم، وخلاصة العالم(٣).

وقال مجاهد: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا﴾؛ أي: محبًّا فهداك؛ أي: علَّمك شرائط المحبَّة، وهو كقول أولاد يعقوب: ﴿إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ﴾ [يوسف: ٩٥]؛ أي: محبَّتك القديمة(٤).

وقوله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ﴾: أي: فقيرًا عن المال فأغناك بمال خديجة.

وقيل: أي: بالفيء والغنائم.

وقيل: أي: بالقناعة.

وقيل: أي: عائلًا عن العلم فأغناك بالإكثار منه.

وقيل: أي: عن الأمَّة فأغناك بإكثارهم.

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٢٢٨).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٢٢٨).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٢٢٨).

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٢٢٨) دون نسبة.

وعن ابن عبَّاس رضي الله عنهما عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «سألْتُ ربِّي مسألةً، وذلك أنِّي قلْتُ ليلة المعراج: قد كان قبلي أنبياء، فسخَّرْتَ لبعضهم النَّار، وسخَّرْتَ لبعضهم الرِّيح، وألَنْتَ لبعضهم الحديد، فقال تعالى: ألم أجدْكَ يتيمًا فآويْتُك؟ ألم أجدْكَ ضالًّا فهديْتُك؟ ألم أجدْكَ عائلًا فأغنيْتُك؟ ألم أشرحْ لك صدرَك؟ ألم أضعْ عنك وزرك؟ ألم أرفع لك ذِكْرَك؟ قلْتُ: بلى، يا ربِّ»(١).

وقال بعضُ أهل الحقيقة في تفسير هذه الآيات في هذا المقام: اليتيمُ من انفردَ عن كلِّ أحد، فمعناه: يا محمَّد كنْتَ بمكَّة بين أصحابك، وببيت المقدس مع الأنبياء، وفي السَّماوات مع الملائكة، والآن انفردْتَ عن الكلِّ في هذا المقام، فآويتك في كنف تخصيصي، ولَمَّا قمْتَ في مقام الهيبة تحيَّرْتَ، فعجزْتَ عن الكلام، فهديْتُكَ، وفتحْتُ عليك باب الثَّناء، حتى قلْتَ: التَّحيَّات لله، والصَّلوات والطَّيبات، وأتيْتَ وأنتَ عائلٌ في حقِّ أمَّتِكَ لقلَّة طاعاتهم، فأغنيْتُك بتضعيف حسناتهم.

وقالوا: يتَّمه عن أبيه وأمِّه لتكون خدمته لله لا لأبيه، وشفقتُه على أمَّتِه لا على أمِّه، ويقول: يا ربِّ، مكان قول غيره: يا أب، ويقول: يا أمَّتاه، مكان قول غيره: يا أمَّاه.

❊ ❊ ❊

(٩ ـ ١١) ـ ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝١٠ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾.

﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾: فاذكر يتمَكَ.

---

(١) رواه الطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (١٠/ ١٢٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٤٤٥)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٢٢٨٩)، و«المعجم الأوسط» (٣٦٥١)، والحاكم في «المستدرك» (٣٩٤٤)، وصححه. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ٢٥٤): (فيه عطاء بن السائب وقد اختلط).

﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ﴾: واذكر عيلتَك، وهذا في حقِّ سائل المال للحاجة.

وقيل: وأمَّا السَّائل عن العلم وطالبَ الفائدة فلا تنهر، واذكر أوَّلَ حالِكَ، فقد كنْتَ لا تدري الشَّرائع حتَّى علَّمْتُك.

﴿وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ﴾: أي: بنعَمِ اللهِ كلِّها فحدِّث النَّاس وانشرها بينهم شاكرًا ذاكرًا.

والنِّعمةُ جنس فصلحَتْ للجمع؛ قال تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ﴾ [النحل: ١٨].

وقال مجاهد: ﴿بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ﴾: القرآن ﴿فَحَدِّثۡ﴾؛ أي: علِّمْهُ النَّاس[١].

وقيل: هي نعمة النُّبوَّة.

وقيل: هي نعمة الشَّفاعة.

والصَّحيح أنَّه يعمُّ جميع نعم الله.

والنَّهر: الانتهار والزَّجر، وهو إغلاظ القول، وتعبيس الوجه.

وروي أنَّ النَّبيَّ ﷺ أهدى إليه عثمان عنقودَ عنبٍ، فجاء سائلٌ فأعطاه، ثم اشتراه عثمانُ بدرهمٍ فقدَّمه إلى رسولِ اللهِ ﷺ، ثم عاد السَّائل فأعطاه، ففعل ذلك ثلاثًا، فقال النَّبيُّ ﷺ ملاطفًا للسَّائل لا متغضبًا: «أسائل أنت يا فلان أم تاجر»، فنزلت الآية: ﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ﴾[٢].

والحمد لله رب العالمين[٣]

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٤٤٤).

(٢) ذكره الرازي في «التفسير الكبير» (٣١/ ١٩٩). والآلوسي في «روح المعاني» (٢٩/ ١٠٦).

(٣) في (أ) و(ر): «والله الموفق».

سُورَةُ
﴿أَلَمْ نَشْرَحْ﴾[1]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

بسمِ الله الذي شرَح لرسوله صدرَه، الرحمنِ الذي وضع عنه وِزرَه، الرحيمِ الذي رفَع له ذكرَه.

روى أبيُّ بن كعب رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «مَن قرأ سورة ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ﴾ أُعطي من الأجر كمَن أحبَّ محمداً ففرِّج به عنه»[2].

وهذه السورة مكيةٌ، وهي ثمان آيات، وسبعٌ وعشرون كلمةً، ومئةُ حرف وحرفان.

وانتظام السورتين: أنهما في تعدادِ نِعَم الله تعالى على رسوله المصطفى.

* * *

(١) ـ ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾.

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾: استفهامٌ بمعنى التقرير؛ أي: قد شرَحْنا لك صدرك، يعني: وسَّعناه بالإيمان والتوحيد؛ قاله مقاتل[3].

---

(١) في (أ): «الانشراح».

(٢) رواه الواحدي في «الوسيط» (٤/ ٥١٥) بلفظ: «ومَن قرأ سورةَ ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ﴾ أُعطِيَ من الأَجْر، كمَن لَقِي محمدًا ﷺ مُغْتمًّا ففرَّج عنه»، وهو قطعة من الحديث الموضوع في فضائل السور. انظر: «الفتح السماوي» للمناوي (٣/ ١١٠٨)، و«الفوائد المجموعة» للشوكاني (ص: ٢٩٦).

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٧٤٢).

ويقال: فتَحناه، ويقال: نوَّرْناه.

وقال الكلبي: أتاه جبريل عليه السلام فشقَّ بطنه وأبدى عن قلبه، ثم جاء بدلوٍ من ماء زمزمَ فغسله وأنقاه مما فيه، ثم جاء بطستٍ من ذهب قد مُلئ علماً وإيماناً فوضعه فيه.

يُذكر هذا حين جاء جبريل بالبراق ليلة المعراج[1]، ويذكر حين كان عند حليمةَ في السنةِ التي أعاده الله تعالى فيها إلى عبد المطلب[2].

وقيل: أي: وسَّعنا لك صدرك لتحملَ أثقال النبوة، فقد كان محتاجاً إلى تبليغ الوحي إلى الجن والإنس، وإلى مُناصبةِ كلِّ أهل الأرض، وفيه ما يَضيقُ به الصدر، فشرح صدره حتى اعتنق ذلك كلَّه على سهولة.

* * *

(٢ ـ ٤) ـ ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ﴾: وهو قوله: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٢]، وهو زلةٌ لا نعرفها نحن بعينها، وهي تركُ الأفضل مع إتيان الفاضل، والأنبياء يعاتَبون بمثلها لعلوِّ مقامهم.

﴿ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ﴾: أي: أثقله حتى جعله نِقْضًا ـ بالكسر ـ؛ أي: مهزولاً.

وقيل: حتى سُمع نقيضُه؛ أي: صوتُ مفاصله، وزلَّاتُ الأنبياء لا تكون بهذه

---

(١) قصة شق بطنه ﷺ ليلة المعراج مروية في الصحيحين من حديث أنس عند البخاري (٧٥١٧)، ومسلم (١٦٢/ ٢٦٢). ومن حديث أنسٍ عن مالك بن صعصعة عند البخاري (٣٢٠٧)، ومسلم (١٦٤). ومن حديث أنس عن أبي ذر عند البخاري (٣٤٩)، ومسلم (١٦٣).

(٢) رواه مسلم (١٦٢/ ٢٦١) من حديث أنسٍ.

الدرجة، لكن اهتمامَهم بذلك وخجلَهم بورود العتاب عليهم في ذلك يُورد عليهم هذه المشقَّة.

وقيل: معناه: عصمناك من الوِزر الذي لولا عصمتُنا ووقعْتَ فيه لأَنقض ظهرك.

وقيل: معنى ﴿وضعنا عنك وزرك﴾؛ أي: حِمْلك، وهو الهمُّ الذي أصاب قلبه ـ وذلك حملٌ ثقيل ـ بالخروج من مكة.

وقيل: هو همُّ(١) تبليغ الوحي إلى كلِّ الخلق، ووضعُه: رفعه عن قلبه وتسهيلُه على طبعه.

وقوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾: أي: ذكَرناك للرسل في كتبهم، ولك المقامُ المحمود ودرجةُ الوسيلةِ والفضيلة على كلِّ البرية.

وقيل: أي: قَرنتُ ذكرَك بذكري، فلا أُذْكر إلا ذُكِرْتَ معي في الشهادة والأذان والإقامة والتشهُّد والخطبة، وقد كُتب ذلك مجموعاً على ساق العرش، وجبهةِ الشمس والقمر، وأبوابِ الجنة وأوراقِ أشجارها وملابسِ أهلها، وكذا وكذا.

* * *

(٥ ـ ٦) ـ ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٥) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٥) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾: عرَّف العسرَ بالألف واللام، وكرَّر قوله: ﴿يُسْرًا﴾ منكَّراً فدلَّ أنهما يسران؛ إذ لو كان الثاني هو الأولَ لعرَّفه؛ لأن النكرة إذا أُعيدت عرِّفت، قال الله تعالى: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا (١٥) فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ﴾ [المزمل: ١٥]، ﴿لَوْلَا جَاءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ﴾ [النور: ١٣].

---

(١) في (ر): «هي هم»، وكلمة «هو» ليست في (أ)، وكلمة «هم» ليست في (ف).

وقال ابن عباس وابن مسعود رضى الله عنهم في هذا: لن يَغْلِب عسرٌ يُسرين[١].

وعلى هذا أهل النحو من أهل الكوفة وأهل البصرة.

وعن النبي ﷺ: أنه خرج على أصحابه ذات يوم فرِحاً مستبشراً وهو يضحك ويقول: «لن يَغلبَ عسرٌ يُسرينِ، لن يغلبَ عسرٌ يُسرين ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾»[٢].

وعلى هذا معناه في حق النبيِّ ﷺ: لك يا محمدُ مع عسرِ الزلَّةِ يُسران: سترُها بغير تعيين، وغفرُها بغيرِ تعيين[٣].

وقيل: ذلك مع عسرِ الخروج من مكة يسران: الحفظُ في الطريق عن قصدهم، والرجوع إلى مكة وفتحُها على رغمهم.

وقيل: لك يا محمد مع عسرِ أداء الوحي يسران: النصرُ على الأعداء في الدنيا، والشفاعةُ في العصاة من العُقبى.

وقيل: لك مع عسر الفقر يُسران: المغانم في الدنيا، والدرجات في العقبى.

وقيل: ﴿إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾؛ أي: بعد العسر.

وقيل: بل يجيء اليُسر ويزيل العسرَ فيلاقيه.

❊ ❊ ❊

---

(١) رواه عبد الرزاق في «التفسير» (٣٦٤٤) من قول ابن مسعود رضي الله عنه. ورواه مالك في «الموطأ» (٢/ ٤٤٦)، وابن المبارك في «الجهاد» (٢١٧)، وابن ابي شيبة في «المصنف» (١٩٤٨٦)، من قول عمر رضي الله عنه.

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٦٤٣)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٩٦)، والحاكم في «المستدرك» (٣٩٥٠)، عن الحسن البصري عن النبي ﷺ مرسلاً.

(٣) في (أ) و(ف): «وعفوها بغير تعيير» بدل: «وغفرها بغير تعيين».

(٧ ـ ٨) ـ ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب﴾.

قوله: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب﴾.

قال قتاده: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ﴾ من الفرائض ﴿فَانصَبْ﴾؛ أي: فاتعب في النوافل ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب﴾؛ أي: ادعُه بحوائجك[1].

وقال مجاهد: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ﴾ من أمور[2] نفسك ﴿فَانصَبْ﴾ في عبادة ربك ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب﴾ في سؤال حوائجك[3].

وقيل: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ﴾ من دعوة الخَلْق إلينا ﴿فَانصَبْ﴾ في عبادتنا ولا تطلبْ راحةَ نفسك ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب﴾: سَلْ حوائجك منا.

وقيل: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ﴾ من مُهمَّاتك ﴿فَانصَبْ﴾ في دعوة الخَلْق ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب﴾ في طلب التوفيق لذلك.

وقيل: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ﴾ من الصلاة ﴿فَانصَبْ﴾ في الذكر والقراءة ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب﴾ في طلب مراداتك.

وقيل: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ﴾ من التعليم ﴿فَانصَبْ﴾ في العمل ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب﴾ في بلوغ الأمل.

والله الموفق

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٦٤٥)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٩٨)، بلفظ: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ﴾ من صلاتك ﴿فَانصَبْ﴾ في الدُّعاء.

(٢) في (ر): «من حوائج».

(٣) ذكره ابن فورك في «تفسيره» (٣/ ٢٤٠) دون قوله: «﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب﴾ في سؤال حوائجك». ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٩٨) بلفظ: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾ قال: إذا فرَغْت من أسباب نفسك فصلِّ ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب﴾ قال: اجعلْ نيتك ورغبتك إلى ربِّك.

سُورَةُ

﴿وَٱلتِّينِ﴾

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

بسمِ الله الذي عرَّفنا قَدْرَ التين والزيتون، الرحمنِ الذي شرَّف محلَّ طور سيناء والبلدِ المأمون، الرحيمِ الذي جعل للمؤمن المصلِح أجراً غيرَ ممنون.

روى أبيٌّ بن كعب رضى الله عنه عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «مَن قرأ سورة ﴿وَٱلتِّينِ﴾ أعطاه الله تعالى خَصلتين: العافيةَ واليقين ما دام يَعقِلُ صلاته، فإنْ خَرِف كتب الله له بعددِ مَن قرأ هذه السورةَ صيامَ يوم»(١).

وهذه السورةُ مكية، وهي ثماني آياتٍ، وأربعٌ وثلاثون كلمةً، ومئة وتسعة وخمسون حرفاً.

وانتظام السورتين: أن تلك في ذكر فضائل النبي ومعانيه(٢)، وهذه السورة في ذكرِ مُواليه ومُعاديه.

* * *

(١ ـ ٣) ـ ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيۡتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ٱلۡأَمِينِ﴾.

---

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٢٣٨) وفيه: (ما دام في دار الدنيا) بدل: «ما دام يعقل صلاته»، وهو قطعة من الحديث الموضوع في فضائل السور. وانظر: «الفتح السماوي» للمناوي (٣/ ١١٠٨)، و«الفوائد المجموعة» للشوكاني (ص: ٢٩٦).

(٢) في (ر) و(ف): «ومعاتبته».

وقوله تعالى: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ﴾ أقسم الله تعالى بالتين والزيتون.

قال ابن عباس: هو تينُكم هـذا وزيتونُكم هذا[1]. يعني: الفاكهتين المأكولتين، وكذا قال مجاهد وسعيد بن جبير والشعبي رحمهم الله: هو التين الذي يؤكل والزيتون الذي منه الزيت[2].

وقال الحسن والضحاك: هما جبلان بالشام يَنبُت بأحدهما التينُ والآخرِ الزيتون[3].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما في روايةٍ: التين: مسجد نوحٍ عليه السلام على الجوديِّ، وفيه شجرُ التين، والزيتون: مسجد بيت المقدس وفيه شجرُ الزيتون[4].

وقال كعبُ الأحبارِ: التين مسجدُ أصحاب الكهف، والزيتون مسجدُ إيلياءَ[5].

قوله تعالى: ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾: قال عطاء بن أبي رباح: جبل ذو أشجار[6].

وقال مقاتل: جبلٌ فيه شجر مثمرٌ، وهو بالنَّبَطية[7].

وقيل: هو جبلُ دمشق.

وقيل: هو الجبل الذي كلَّم الله عليه موسى عليه السلام.

---

(١) رواه ابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» (٨/ ٥٥٥)، والحاكم في «المستدرك» (٣٩٥١) وصححه.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٥٠١ ـ ٥٠٣) عن مجاهد والحسن وعكرمة وإبراهيم والكلبي.

(٣) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٤/ ٥٢٣) عن عكرمة، وهو قول ابن قتيبة في «غريب القرآن» (ص: ٥٣٢) قال: جبلان بالشام؛ يقال لهما: طُورُ تِيْنَا وطُورُ زَيْتَا بالسُّرْيانيَّة. سمِّيا بالتين والزيتون لأنهما يُنبتانهما.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٥٠٤).

(٥) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٣٠١).

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٥٠٧) عن الكلبي.

(٧) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٧٥١)، و«البسيط» (٢٤/ ١٤٩).

وقال الأخفش: ﴿سِينِينَ﴾: جمع سينينة[١]، وهو شجرةٌ مثمرةٌ، وهو كقوله: طور سيناء، وهو الحسَنُ، وزيدت الياء والنون للجمع، وكأنه قال: وطورِ الأشجار الحسنة.

﴿وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ﴾: قال ابن عباس ومجاهد وقتادة وابن زيد وإبراهيم: هو مكة[٢]، ومعناه: ذو الأمن، كما قال: ﴿حَرَمًا ءَامِنًا﴾ [القصص: ٥٧].

وقال قطرب: هو مأمونٌ؛ أي: يأمنُه أهله، وهو كقولهم: سرٌّ كاتم؛ أي: مكتوم.

وقيل: ﴿وَٱلتِّينِ﴾ أبو بكر الصديق، ﴿وَٱلزَّيْتُونِ﴾ عمر الفاروق، ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾ عثمان ذو النورين ﴿ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ﴾ عليٌّ رضوان الله علهم[٣].

* * *

(٤ ـ ٥) ـ ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾: القسَم على هذا.

وقال الأمام أبو منصور: هذا أمرٌ مشاهَدٌ فلا حاجة[٤] إلى تأكيده بالقسم، إنما حاصل القسم على ما يتمُّ به الكلام، وهو قوله: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ﴾؛ أي: إلى جهنم ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ منهم[٥].

و﴿أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾؛ أي: تعديلٍ وتسويةٍ، وهيَّأناه أحسنَ هيئةٍ يَصلح معها التصرُّف

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للأخفش (٢/ ٥٨١).

(٢) رواه عنهم الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٥٠٨ ـ ٥١٠).

(٣) هذا قول مردود، وهو أشبه بقول الباطنية.

(٤) في (ر): «يحتاج».

(٥) انظر: «تأويلات أهل السنة» (١٠/ ٥٧٣).

والعمل في دنياه لإصلاح معاشه، ويصلح للتكليف لكمال حواسِّه، وفيه النطقُ والبيان والتمييز والتدبير.

﴿ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ﴾: قيل: بدَّلناه حالاً بعد حال إلى أن يرجع إلى الهرم ويبلغَ أرذل العمر.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ يعني: في أعدل خَلْق ﴿ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ﴾ يعني: إلى أرذل العمر(١).

وقال عكرمة: ﴿فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ يعني: في أحسن صورةٍ وأعدلها؛ قائماً منتصباً على رجليه يأكل بيده، وكلُّ شيء سواه يمشي على أربعٍ ويأكل بفمه(٢).

وقال عطاء بن أبي رباح: ﴿فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ يعني: أحسنَ الخلق ﴿ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ﴾ يعني: إلى النار ﴿إِلَّا﴾ المؤمنَ.

و﴿ٱلْإِنسَٰنَ﴾ في معنى الناس لأنه جنس، فيصحُّ استثناء المؤمنين منهم، وعلى هذا هو أسفلُ سافلين في النار، وعلى الأول هو أسفلُ طبقة الضعفاء والزَّمْنى، والنكرة على معنى أنه أسفلُ مَن سَفَلَ من الناس؛ أي: عجز عن الاحتيال لنفسه والعمل لمصالحه، فهم في سفولٍ وأضدادُهم من الأصحاء والأقوياء في علوٍّ.

وقيل: هاهنا مضمر وتقديره: ثم ردَدْنا الناس إلى أسفل سافلين، فزالت عقولهم وضعُفت قواهم، وصاروا بحيث لا يُكتب لهم عمل ولا يَكتسبون أجراً.

* * *

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٥٠١١ و٥١٣).

(٢) رواه بنحوه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٥١٢) من طريق عكرمة عن ابن عباس.

(٦ ـ ٨) ـ ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ﴿٧﴾ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾: في شبابهم وقوتهم ﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾؛ أي: غيرُ منقوص.

وقيل: أي: غيرُ مقطوع؛ روى أبو موسى الأشعريُّ عن النبي ﷺ أنه قال: «إن العبد المسلم إذا مرض أو سافر كُتب له مثلُ ما كان يَعمل صحيحاً»[1].

وفي بعض الآثار كذلك في حق الهرم[2].

وروى أبو الضحى عن ابن عباس: أن الإنسان هاهنا كَلَدة بن أسيد[3].

وقال مقاتل بن حيان: أبو جهل[4].

وقال عطاء: هو الوليد بن المغيرة[5].

وقال مقاتل بن سليمان: عتبة وشيبة[6].

---

(١) رواه البخاري (٢٩٩٦).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٥١٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٤٤٩)، والخطيب في «الجامع لأخلاق الراوي» (١٩٢٤)، وابن عبد البر في «التمهيد» (١٢/ ٢٦٩)، عن ابن عباس رضي الله عنه موقوفاً.

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٣٠٢)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٩/ ١٧١).

(٤) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٣٠٢).

(٥) ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» (٩/ ١٧١).

(٦) ذكره الماوردي كما في «زاد المسير» (٩/ ١٧١) وسقط من مطبوع «النكت والعيون». وانظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٧٥٢)، وفيه: (﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ﴾ يقول: ما يكذبك أيها الإنسان، يعني: عدي بن ربيعة). وكذا ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» (٩/ ١٧٤) عن مقاتل.

فعلى قول هؤلاء: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ استثناء منقطع بمعنى: لكن.

وقوله تعالى ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ﴾: أي: فما يحملُك أيها الإنسان أن تكذِّب بعد هذا بالحساب والجزاء وقد علمتَ أن الله خلَقك في هذه الهيئة، ونقلَك من حالٍ إلى حال، ومَن قدِر على ذلك قدِر على الإحياء بعد الموت، ومَن خلق على هذه الهيئة لم يُخْلِ العبد عن تكليفه، وإذا خالفه فلا بد من أن يجزيَه على وَفق عمله.

﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾: أي: بأقضى القاضين، يعذِّب المكذِّبين ويثيب المطيعين[1] المصدِّقين.

والله الموفِّق للسداد

وعلى فضله الاعتماد

* * *

---

(١) «المطيعين» ليست في (ف).

سُورَةُ العَلَق[1]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

بسمِ الله الذي هو[2] الأكرم، الرحمنِ الذي علَّم بالقلم، الرحيمِ الذي علَّم الإنسانَ ما لم يعلم.

روى أبي بن كعب رضى الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «مَن قرأ سورة ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾ أُعطي من الأجر كأنما قرأ المفصَّل كلَّه»[3].

وهذه السورة مكية، وهي ثماني عشرةَ آيةً[4]، واثنتان وسبعون كلمة، ومئتان وثمانون[5] حرفاً.

وانتظام السورتين: أنهما في بيان خلق الإنسان وجزاءِ الإساءة والإحسان.

وهذه أولُ سورة نزلت من القرآن، قالت عائشة رضى الله عنها: أولُ ما بُدئَ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثلَ فلَق

---

(١) في (ر) و(ف): «سورة اقرأ باسم ربك».

(٢) «الذي هو»: ليس في (أ).

(٣) رواه الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٢٤٢)، وهو قطعة من الحديث الموضوع في فضائل السور. وانظر: «الفتح السماوي» للمناوي (٣/ ١١١٠)، و«الفوائد المجموعة» للشوكاني (ص: ٢٩٦).

(٤) انظر: «البيان في عد آي القرآن» للداني (ص: ٢٨٠)، وفيه: (ثماني عشرة آية في الشَّامي، وتسع عشرة في الكوفي والبصري، وعشرون في المدنيين والمكي). وانظر اختلافها ثمة.

(٥) في (ر): «وسبعون». والمثبت من باقي النسخ و«البيان في عد آي القرآن» للداني (ص: ٢٨٠).

الصبح، ثم حبِّب إليه الخلاء فكان يأتي حراءً فيتحنَّث فيه ـ وهو التعبُّدُ ـ الليالي ذواتِ العدد [قبل أن ينزع إلى أهله] ويتزوَّد[1] لذلك، ثم يرجع إلى خديجه فيتزوَّد لمثلها، حتى فَجِئه الحقُّ وهو في غار حراء، فجاءه الملك فقال: اقرأ، قال رسول الله: «فقلت: ما أنا بقارئ» قال: «فأخذني فغطَّني حتى بلغ مني الجهدَ ثم أرسلني فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطَّني الثانية ثم الثالثة حتى بلغ مني الجهدَ ثم أرسلني فقال: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ حتى بلغ ﴿مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾» قال: فرجع بها يرجُفُ فؤاده حتى دخل على خديجة، فقال: «زمِّلوني زمِّلوني» فزمَّلوه حتى ذهب عنه الرَّوعُ، فقال: «يا خديجة! ما لي؟» وأخبرها الخبر وقال: «قد خشيتُ على نفسي» فقالت: كلا، أبشرْ فوالله لا يُخزيك الله أبداً، إنك لتَصِلُ الرَّحِم، وتَصْدُق الحديثَ، وتحمل الكَلَّ، وتَقْري الضيف، وتُعين على نوائب الحق.

ثم انطلقت به خديجه حتى أتت ورقةَ بن نوفلِ بنِ أسد بنِ عبد العُزَّى بن قصي، وهو ابنُ عمِّ خديجه أخو أبيها، وكان امرَأً تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتابَ العربي[2]، ويكتب بالعربية من الإنجيل ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخاً كبيراً قد عَمِي، فقالت له خديجة: أي ابنَ عم! اسمع من ابن أخيك، فقال ورقة بن نوفل: يابن أخي! ما تَرى؟ فأخبره رسول الله ﷺ بما رأى، فقال ورقة: هذا الناموس الذي أُنزل على موسى، [يا ليتني فيها جذعاً] يا ليتني أكون فيها حياً حين يُخرجك قومك، فقال رسول الله ﷺ: «أوَ مُخْرِجِيَّ هم؟!» فقال ورقة: نعم، لم يأت أحدٌ بما جئتَ

---

(١) في النسخ: «فيتزود»، والمثبت من الصحيحين، وما بين معكوفتين منهما، لكن عند مسلم: (يرجع) بدل: (ينزع).

(٢) «العربي» كذا في النسخ و«صحيح مسلم»، وعند البخاري: «العبراني». وكلاهما صحيح كما قال النووي في «شرح مسلم» (٢/ ٢٠٣)، وانظر توجيهه ثمة.

به إلا عُودي[١]، وإن يدركْني يومُك أَنصُرْك نصراً مؤزَّراً[٢].

ثم لم ينشب[٣] ورقةُ أن توفِّي، وفَتَر الوحي فترةً حتى حزن رسول الله ﷺ فيما بلغَنا حزناً غدا منه مراراً حتى يتردَّى من رؤوس شواهق الجبال، فكلما أوفى بذروة جبل لكي يلقيَ نفسَه تبدَّى له جبريل فقال له: يا محمد، إنك لرسول الله حقًّا، فيسكن بذلك جأشه[٤] وتقوَى نفسُه فيرجع، فإذا طالت عليه فترة الوحي غدا لمثلِ ذلك، فكلما أوفى بذروة الجبل تبدَّى له جبريل فقال له مثلَ ذلك[٥].

وعن ابن عباس: أن النبي ﷺ كان لا يزال يسمع الصوت قبل أن يوحَى إليه، فكان يذعر منه، فيشكو ذلك إلى خديجة فتقول له خديجة: إنه والله لا يصنعُ الله بك إلا خيراً، قال: فبينما[٦] رسول الله ﷺ قد خرج ذات يوم فبدأ مع[٧] الناس نحو حراءٍ وقد صنعت له خديجةُ طعاماً، فأرسلت في طلبه فلم تجده، وابتغَتْه عند أعمامه وعند أخواله فلم تجده، إذ أتاها رسول الله ﷺ وهو متغيِّرُ الوجه، فظنت خديجة أنه غبارٌ على وجهه، فجعلت تمسح الغبار عن وجهه فلم يذهب، فإذا هو كسوفٌ قالت: ما لكَ يا ابنَ عبد الله؟! فقال لها: «أرأيتَكِ الذي كنتُ أخبرتُك أني أسمعه، فإني والله لقد رأيتُه اليوم» قال: «بينما أنا قائم على حراء إذا أتاني فقال: أبشِرْ يا محمد، أنا

---

(١) بعدها في (أ) و(ر): «وأوذي» وليست في (ف) والصحيحين.

(٢) رواه البخاري (٦٩٨٢) عن عائشة رضي الله عنها.

(٣) في (ر) و(ف): «يلبث»، والمثبت من (أ) والبخاري.

(٤) في (ر) و(ف): «قلبه»، والمثبت من (أ) والبخاري.

(٥) رواه البخاري (٣)، ومسلم (١٦٠).

(٦) في (أ): «فبينا» بدل: «قال فبينما».

(٧) في (ر) و(ف): «فتدافع» بدل: «فبدأ مع».

جبريل وأنت رسول ربِّ العالمين بُعثتَ إلى[١] هذه الأمة، ثم أخرج إليَّ قطعةَ نَمَطٍ[٢] فقال لي: اقرأه، قلت: والله ما قرأتُ كتاباً قطُّ، وما أرى شيئاً أقرؤه[٣]، وإني لأميٌّ، فغتَّني غتَّةً ثم أقلع عني فقال: اقرأه، قلت: والله ما قرأت كتاباً قط، وما أدري شيئاً أقرؤه، فقال: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ إلى قوله: ﴿عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ ثم قال: انزل، فنزل بي عن[٤] الجبل إلى القرار فأجلسني على دُرْنُوك[٥]، ثم ضرب برجله الأرض ضربةً فخرجت عين ماء، فتوضأ منها فقال لي: توضَّأْ، فتوضَّأْتُ، ثم قام يصلي[٦] وصليتُ معه ركعتين، قال: هكذا الصلاةُ يا محمد»، قال: «وعلى جبريل ثيابٌ خضر، ثم انطلق»، فقالت له خديجة: ألم أُخبِرْك أن ربك لم يصنع بك إلا خيراً؟

قال: ثم لبستْ ثيابها وانطلقت إلى عدَّاسٍ، فقال لها حين رآها: ما لكِ يا سيدة نساء قريش؟ وكانت تسمى بهذا الاسم، فقالت: يا عداس، نَشدتُك الله[٧] هل سمعتَ فيما سمعتَ بجبريل؟ فقال عداس: ما لك وجبريل؟ ولمَ تذكرينه في هذا البلد؟ فذكرت[٨] له، فقال: نعم والله إنه لرسول الله.

ثم انطلقت إلى ورقة بن نوفلِ بن أسد وهو ابن عمِّها[٩]، وقد كان ورقة بن نوفل

---

(١) «رب العالمين بعثت إلى» من (ف).

(٢) النمط: ظهارة فراش، أو ضرب من البسط. انظر: «القاموس» (مادة: نمط).

(٣) «وما أرى شيئاً أقرؤه»: من (ر).

(٤) في (ر): «فنزل من».

(٥) بضم الدال: نوع من البسط له خمل. انظر: «فتح الباري» (١٢/ ٣٥٦).

(٦) في (أ) و(ف): «ثم قام فصلى».

(٧) في (ر): «ننشدك بالله».

(٨) في (أ): «فقالت».

(٩) بعدها في (أ) و(ف): «لحاء»، ولم أجد لها وجهاً هنا فإن اللحاء معناه: قشر الشجر، ويأتي بمعنى المنازعة، وقد ورد في بعض المصادر: ابن عمها حقيقةً، إشارة إلى أن ما جاء في بعض روايات =

طلب الدِّين وخالف دينَ قومه، ودخل في دين النصرانية قبل أن يُبعث النبي ﷺ، فسألته عن جبريل، فقال لها: وما ذاك؟ فذكرتْ له الذي كان من أمر النبي ﷺ، فقال لها: والله لئن كانت رِجْلا جبريلَ عليه السلام استقرَّتا على الأرض فقد نزل على خيرِ خلق الله، أرسلي محمداً إليَّ، فرجعت فأرسلتْه، فأتاه رسول الله فسأله ورقةُ: هل أمرك جبريل بشيء؟ فقال النبي ﷺ: «لا»، قال: هل أمرك أن تدعوَ أحداً إلى الإسلام؟ قال: «لا»، قال: والله لئن بقيتُ إلى دعوتك لأُبْلينَّ[1] لله عذراً في نصرك، فمات ورقة قبل أن يدعوَ النبي ﷺ إلى الإسلام، ولم يدرِكِ النبي ﷺ.

وفشا أمرُ النبي ﷺ، قال: فبينا رسول الله ﷺ يصلي ذات يوم إذ اطَّلع[2] عليٌّ رضى الله عنه عليه، وذلك من بعد ثلاثةِ أيام من إسلام خديجة رضي الله عنها، فقال: يا محمد! ما هذا؟ قال: «هذا دينُ الله تعالى، هل لك فيه؟» قال: إن هذا خلافُ دِين أبي، حتى أنظر، فقال له النبي ﷺ: «فانظر واكتم عليَّ»، فمكث عليٌّ بعضَ يومه ذلك ثم أتاه من يومه ذلك فآمن به وصدَّقه.

وفشا الخبر بمكة فقالوا: والله لجُنَّ محمدٌ! فنزل في ذلك: ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ حتى انتهى إلى آخرِ خمس آيات، وهي الثانية مما نزل، فلم يزل رسول الله ﷺ يصلي ركعتين كما علَّمه جبريل حتى كان قبل خروجه من مكة إلى المدينة بسنةٍ[3] ثم فرضت الصلوات[4].

= مسلم من قولها له: (يا عم) كان احتراما له لكبر سنه ومكانته لا أنه عمها حقيقة. انظر: «شرح مسلم» (٢/ ٢٠٣).

(١) في (ر): «لأبيتن».

(٢) في (أ) و(ف): «طلع».

(٣) «بسنة»: سقط من (أ).

(٤) لم أجده مسنداً.

وقال محمد بن إسحاق رحمه الله: إن جبريل عليه السلام قال للنبي ﷺ في اليوم الذي تبدَّى له فيه: أبشر يا محمد فقد تمت نعمةُ الله عليك وأعطاك الله عشرَ خصال لم يُعطَهُنَّ نبي قط قبلك ولا واحدةً، قال: «ما هن يا جبريل؟» قال: أن الله تعالى لا يُذكر إلا ذُكرت معه، وأن الله تعالى جعل أمَّتك خيرَ أمة أُخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر، وأن الأرض جعلت طهوراً لأمتك، ومَن كان قبلهم من الأمم كان يصيب أحدَهم بولٌ ولا يصيبه ماء فيقطعه بالجلم(١)، وأن أمتك يقرؤون القرآن على ظهور قلوبهم وإن كلَّ أمةٍ لا تقرؤه إلا نظراً في كتابها، وأن الله وملائكته يصلون عليك إلى يوم القيامة، وأن الله يغفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، وأن الله يُظهر دِينك على الدِّين كلِّه ولو كره المشركون.

* * *

(١ ـ ٥) ـ ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾.

وقوله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾: قال أبو عبيدة: أي: اقرأ اسم ربك(٢)، والباء زائدة؛ أي: الاسم الذي نزَّله عليك في كتابه وعلى لسان جبريل.

وقيل: اقرأ ما يوحَى إليك من القرآن بتسميتك لله متبرِّكاً باسمه.

وقوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ﴾ يحتمِل خَلْقَ كلِّ شيء، ويحتمل خصوصَ ما ذكر بعده.

قوله تعالى: ﴿خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾: جمع علقةٍ، وهو الدم الجامد، وجُمع لأن ﴿الْإِنسَانَ﴾ أريدَ به الجنس وهم أولادُ آدم.

---

(١) في (أ): «بالحلم». وفي (ر): «بالحكم».

(٢) انظر: «مجاز القرآن» (٢/ ٣٠٤).

﴿ٱقْرَأْ﴾: كرر للمبالغة ﴿وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ﴾ فإن ربك لا أكرم منه.

﴿ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ﴾: قيل: علَّم الخطَّ بالقلم.

وقيل: علَّم بعلم خطِّ القلم العلومَ التي كانت[1] تُكتب وتقرأ.

﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ بالخط.

وقيل: علَّم سوى[2] الخطِّ علوماً أُخرَ لم يكن يعلمها.

وقيل: علَّم آدم ما لم يعلم، وهو قوله: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: ٣١].

***

(٦ ـ ٨) ـ ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ﴾.

وقوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ﴾: ذكروا[3] أن أول هذه السورة إلى قوله: ﴿مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ نزل أولَ ما أُوحي إلى النبي ﷺ، ثم باقي السورة في أبي جهلٍ لعنه الله، وكان فرعونَ هذه الأمة، وأمرُه متأخرٌ عن ابتداء الوحي، وكان بعده بزمانٍ ونزولُه متأخرٌ، وكثير من سور القرآن كذلك، وقوله تعالى: ﴿كَلَّآ﴾ قال الحسن: أي: حقًّا[4]، وكذا قال بعض أهل اللغة.

وقال أكثر أهل اللغة: هو ردٌّ ما قبله، وتقديره: ما ينبغي للإنسان أن يُنعِم الله عليه بخلقه وتعليمه ثم هو يَطغى بسبب ماله ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ﴾؛ أي: يُفْرِط في المعصية ويتمرَّد ويركب رأسه[5].

---

(١) «كانت»: زيادة من (أ).

(٢) في (أ): «وعلم وسوى».

(٣) في (ف): «ذكر».

(٤) ذكره الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (١٠/ ٤٥٦)، وابن أبي زمنين في «تفسيره» (٥/ ١٤٧)، والثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ١٥١)، والواحدي في «البسيط» (٢٣/ ٢٢٦).

(٥) في (ر): «ويتمرد وتزكيه نفسه».

﴿أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾: أي: رأى نفسه قد كثُر ماله فاستغنى به عن غيره.

وقيل: استغنى بعشيرته وأنصاره.

﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ﴾: أي: الرجوعُ، فهو يحاسبه على طغيانه، ويسأله من أين جمع وفيما أنفق.

وقيل: ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ﴾ لا إلى المال.

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: منهومان لا يشبعان ولا يستويان: طالب علم وطالب دنيا، فأما طالب العلم فيزداد رضا الرحمن، ثم قرأ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨]، وأما طالب الدنيا فيزداد طغياناً، ثم قرأ: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾[1].

* * *

(٩ ـ ١٤) ـ ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴿١٠﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ﴿١٢﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ﴾: وهذا تعجيبٌ من أبي جهل ونهيِه رسولَ الله ﷺ عن الصلاة في الكعبة.

﴿أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ﴾: أي: أرأيت يا محمد إن كان المنهيُّ[2] عن الصلاة مهتدياً بصلاته وتعظيمِه ربَّه[3] وأمرِ غيره بتقوى الله، أيَحْسُنُ منعُه عن الصلاة؟ وهذا تعجيبٌ أيضاً.

---

(١) رواه الدارمي في «سننه» (٣٣٢)، وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» (٨/ ٥٦٤).

(٢) في (ر): «الناهي».

(٣) في (ف): «أمر ربه».

قوله تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾: وهو[١] تعجيبٌ آخرُ أيضاً: أرأيتَ إن كان الناهي عن الصلاة مكذِّباً بالحق[٢] متولِّياً عنه غيرَ قابلٍ له، أيَصْلُح له هذا؟ وهذا[٣] أمر منعكس، وهو أن يأمر ضالٌّ مهتدياً بترك هداه[٤]، فعجَّب الله عباده من أبي جهل في منع رسول الله ﷺ عن الصلاة من ثلاثةِ أوجهٍ، و﴿أَرَءَيْتَ﴾ كلمةُ تعجيب.

وقيل: معناه: أرأيت مَن فعل هذا، ما يكون حاله عند الله، وما يستحِقُّ على سوء فعله من العذاب؟

﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾: وهذا وعيدٌ لأبي جهل؛ أي: ألم يعلم أن الله يرى فعله ويسمعُ قوله فيجازيه على قوله وفعله.

وقيل: لما قال أبو جهل لعنه الله: لأطأن رقبةَ محمد ـ ﷺ ـ إن رأيتُه يصلي، فقال الله تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَم﴾ أبو جهل ﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ﴾ يراه حينئذ فيَحُول بينه وبينه.

قال أبو هريره رضي الله عنه: قال أبو جهل للمشركين: هل يعفِّر محمد وجهه بين أصحابه، قالوا: نعم، فقال: والذي يُحلف به لئن رأيتُه يصلي لأطأنَّ رقبته، فقيل: هو في المسجد ساجدٌ، فأقبل مسرعاً ليطأ رقبته، فما لَبِثَ إن نكص[٥] على عقبيه، فقيل له: ما لك يا أبا الحكم؟ قال: إن بيني وبينه خندقاً من نار! فأنزل الله تعالى هذه الآيات[٦].

---

(١) في (ف): «وهذا».

(٢) في (ر): «للحق».

(٣) في (أ): «وهو».

(٤) في (ر) و(ف): «بترك هذا».

(٥) في (ر): «تنكص».

(٦) رواه مسلم (٢٧٩٧).

وقال سعيد بن المسيب: قال أبو جهل: لئن رأيتُ ابنَ أبي كبشة يصلي في مسجدنا لأطأنَّ عنقه، فأتى جبريل رسول الله ﷺ فقال: إنه قال كذا فانطلِقْ فادخلِ المسجد فاقرأ باسم ربك الذي خلق، فإذا فرغت فخِرَّ ساجداً حتى يأتيَك، فانطلق رسول الله ﷺ ففعل ما قال، فقيل لأبي جهل: فها هو ذا ساجدٌ في الحِجر، فقام مسرعاً حتى أتى الحجر، ثم نكص راجعاً فقالوا له: ما لك لا تتقدم؟ فقال: إن بيني وبينه فحلاً فاغراً فاهُ لو تقدَّمتُ لالْتَقمني، ثم دخل على أهله فزِعاً، فأتى أعرابيٌّ المشركين وهم في المسجد فقال: أَعْدُوني[1] على أبي جهل فلقد ابتاع مني جملاً وليس يؤدي إليَّ حقِّي، فقالوا له: عليك بذاك الفتى، يعنون النبيَّ ﷺ على جهة السخرية، فأتى الأعرابيُّ إلى النبيِّ ﷺ فقال: أَعْدِني على أبي جهل، فلقد ابتاع مني جملاً وحبس عني ثمنه، فقام معه رسول الله ﷺ فأتى باب أبي جهل فقرعه، فخرج إليه مرتاعاً فزعاً، فقال: «هل ابْتَعْتَ من هذا الأعرابيِّ شيئاً؟» فقال: نعم، جملاً! فقال: «وفِّر عليه ثمنه» فوفره عليه، فدخل الأعرابي المسجد مع ثمن الجمل، فظنوا أن أبا جهل أسلم، فقاموا إليه فقالوا: صبأتَ يا أبا الحكم؟! قال: لا والله، قالوا: فما لك أطعْتَه فيما قال؟ فقال: لو لم أفعل لانهدم عليَّ البيت.

❊ ❊ ❊

(١٥ ـ ١٩) ـ ﴿كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب ۩ ﴿١٩﴾﴾.

وقوله تعالى: ﴿كَلَّا﴾: أي: ليس كما يقول أبو جهل أنه يقدر على أن يطأ رقبته.

﴿لَئِن لَّمْ يَنتَهِ﴾ عن هذا القول ﴿لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ﴾؛ أي: لنأخذنَّ بناصيته فنَجُرَّنَّه[2] إلى

---

(١) «أعدوني»؛ أي: انصروني وأعينوني، أمر من أعداه يُعديه: نصره. انظر: «القاموس» (مادة: عدى).

(٢) في (ف): «فنجر به».

النار؛ أي: تفعل ذلك ملائكتنا بأمرنا، وهو كقوله: ﴿فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ﴾ [الرحمن: ٤١].

وقال يزيدُ النحويُّ[١]: فأُخِذَ بناصيته يوم بدرٍ فأُلقي بين يدي رسول الله صلى عليه وسلم قتيلاً.

وقيل: أي: لنسوِّدنَّ وجهه، والناصية: شعر مقدَّم الرأس، وكُني به عن الوجه على هذا القول الثاني.

وقيل: السفع: الضرب. وقيل: هو الاختطاف. وقيل: هو اللَّفْح. وقيل: هو اللَّطْم.

وقيل: أراد به الوَسْمَ هاهنا.

﴿نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾: بدلٌ عن الأول، وإنما نكَّر ذا والأولُ[٢] معرفة لأنها ترجمةٌ عن وصفها لا عنها في نفسها، والوصف بالكاذبة الخاطئة راجعٌ إلى صاحبها؛ كقوله: ﴿ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ﴾ [عبس: ٣٩] ونظائرِها.

قوله تعالى: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ﴾: أي: أهلَ مجلسه، والنَّدِيُّ والنادي: المجلس.

﴿سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ﴾: أي: ملائكةَ العذاب.

وقال ابن عباس: لما نهى أبو جهلٍ رسولَ الله ﷺ عن الصلاة انتهره رسول الله ﷺ، فقال أبو جهل: أتهددني؟! فوالله لأملأنَّ عليك هذا الوادي أهل النادي، فنزلت، قال عكرمة: قال ابن عباس: قال رسول الله ﷺ: «لو فعل أبو جهلٍ لأخذته الملائكة عياناً»[٣].

---

(١) يزيد بن أبي سعيد النحوي، أبو الحسن القرشي مولاهم، المروزي، روى عن عكرمة ومجاهد وسليمان وعبد الله ابني بريدة، كان متقناً من العباد تقيًّا تالياً لكتاب الله تعالى عالماً بما فيه جهده، قتله أبو مسلم لأمره إياه بالمعروف سنة (١٣١هـ)، وسمى ابن حبان أباه عبد الله. من رجال «التهذيب».

(٢) في (أ): «وإنما كرر الأول» وفي (ف): «وإنما نكر والأول».

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣٠٤٤)، والترمذي (٣٣٤٩)، والنسائي في «الكبرى» (١١٦٢٠)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٥٣٧). قال الترمذي: حسن صحيح غريب. وقوله: «لو فعل...» جاء =

وقيل على هذا: كان هذا في الدنيا، وقد فُعل به ذلك يوم بدر.

وقيل: هو في الآخرة، وهو على التقديم والتأخير: سَنَدْعُ الزَّبَانيَة فليَدْعُ نادِيَه لدفعهم، وهو معنى قول الحسن.

وقال الخليل: النادي: المجلس إذا كان فيه أهله[1].

وأما ﴿الزَّبَانِيَةَ﴾ فقد قال مجاهد والحسن والضحاك وقتادة والعوفي عن ابن عباس: هم الملائكة[2].

وقال ابن أبي نجيح: الزبانية: الملائكة الغلاظُ الشداد[3].

وقال ابن جريج: بلغني أن النبي ﷺ قال: «إن الزبانية رؤوسهم في السماء وأرجلهم في الأرض»[4].

وقال شمر بن عطية: الزبانية في الملائكة كالشُّرَط فيكم[5].

= في هذا الحديث من كلام ابن عباس، لكنه ورد مرفوعاً في رواية أخرى نحو المذكورة صحيحة الإسناد كذلك، رواها عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٦٥٦)، وعنه الإمام أحمد في «المسند» (٣٤٨٣)، والترمذي (٣٣٤٨)، والنسائي في «الكبرى» (١١٦٢١)، ورواها الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٥٣٩). وكلا الروايتين من طريق عكرمة عن ابن عباس.

(١) انظر: «العين» (٨/ ٧٦).

(٢) رواه عنهم عدا الحسن الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٥٣٩ ـ ٥٤٠).

(٣) ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» (٩/ ١٧٩) عن عطاء، والقرطبي في «تفسيره» (٢٢/ ٣٨٥) عن ابن عباس، والزجاج في «معاني القرآن» (٥/ ٣٤٦) دون عزو.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٥٤٠) من قول عبد الله بن أبي الهذيل، ورواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٤١٦٤)، والإمام أحمد في «العلل» (٢٢٨٥)، من قول عبد الله بن الحارث.

(٥) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٦٥٨) عن قتادة.

وقال خارجة: سُمُّوا زبانيةً لأنهم يعملون بأرجلهم كما يعملون بأيديهم[١]، والزَّبْن: الرفع.

وقال أبو عبيدة: الزبانية جمعٌ واحدها: زِبْنِيَة[٢]. وقيل: زِبْنيّ، وقيل: لا واحد له.

قوله تعالى: ﴿كَلَّا﴾: أي: ليس كما يقول أبو جهل أنه يقدر على قهرك.

﴿لَا تُطِعْهُ﴾ فيما يأمرك به من ترك الصلاة.

﴿وَاسْجُدْ﴾ لله تعالى ﴿وَاقْتَرِب﴾؛ أي: تقرَّبْ إلى الله تعالى[٣] بما يمكنك من الطاعة.

وقيل: أي: اقترب إلى كرامة الله تعالى بالسجود.

وقال ﷺ: «أقربُ ما يكونُ العبد من ربِّه إذا سجد»[٤].

وقيل: اسجد بنفسك واقترب بقلبك.

وقيل: اسجد يا محمد واقترب يا أبا جهل منه لإيذائه تَرَ جزاءك، وهو وعيد.

والحمد لله رب العالمين

* * *

---

(١) ذكره أبو الليث السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٥٧٥) دون نسبة.

(٢) انظر: «مجاز القرآن» (٢/ ٣٠٤).

(٣) في (ف): «تقرب إليه».

(٤) رواه مسلم (٤٨٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ: «وهو ساجد فأكثروا الدعاء» بدل: «إذا سجد».

سُورَةُ القَدْرِ [1]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

بسمِ الله الذي أنزل القرآنَ في ليلةِ القَدْر، الرحمنِ الذي جعلها خيراً من ألفِ شهر، الرحيمِ الذي يُنزِل الملائكة فيها للسلام على أهل الإسلام إلى مطلَعِ الفجر.

روى أبيٌّ بن كعب رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «مَن قرأ سورةَ ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ﴾ أُعطي من الأجر كمَن صام رمضان وأدرك ليلة القدر»[2].

وقال قتادة: هي مكية[3].

وقال الواقدي: هي أولُ سورة نزلت بالمدينة[4].

---

(١) في (ر): «سورة إنا أنزلناه في ليلة القدر».

(٢) رواه الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٢٤٧)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ٥٣٢)، وهو قطعة من الحديث الموضوع في فضائل السور. وانظر: «الفتح السماوي» للمناوي (٣/ ١١١٢)، و«الفوائد المجموعة» للشوكاني (ص: ٢٩٦).

(٣) ذكره عن الواقديِّ الماورديُّ في «النكت والعيون» (٦/ ٣١١). وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٢٤٧) عن علي بن الحسين بن واقد، والمعروف بلقب الواقدي هو محمد بن عمر صاحب «المغازي»، كما أن ما ذكره الثعلبي يخالف ما رواه الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ١٣) من طريق علي بن الحسين بن واقد عن أبيه عن علي بن الحسين: أن أول سورةٍ نزلتْ بالمدينة: ﴿وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ﴾.

(٤) ذكره عن قتادة الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٢٤٧). وذكر الماورديُّ في «النكت والعيون» (٦/ ٣١١) أنه قول أكثر المفسرين، وحكى الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٢٤٧) عكسه.

وقال آخرون: هي مدنية. بلا تقييد.

وهي ستُّ آيات، وثلاثون كلمةً، ومئةٌ وثلاثةَ عشر حرفاً.

ونظم السورتين: أن تلك في ذكر القرآن، وهذه في ذكر الليلة التي فيها أنـزل القرآن.

***

(١) ـ ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾.

قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ﴾: أي: القرآن وهو كنايةٌ عن معلوم غيرِ مذكور؛ كقوله[1] **تعالى**: ما ﴿تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ﴾ [فاطر: ٤٥].

وكان إنزال القرآن من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا ليلةَ القدر، وهي في شهر رمضان.

وقال: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وقال: ﴿وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾ [الإسراء: ١٠٦]، والتنزيل: التفصيل، ولا تنافيَ بين الآيات، فإن إنزالَ القرآن جملةً إلى السماء الدنيا كان في ليلة القدر، وتلك الليلة في شهر رمضان، وتفصيلَه في ثلاثٍ وعشرين سنةً من لدُنْ مبعثِ النبي ﷺ إلى أن مضى لسبيله ﷺ.

﴿فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾: وليلةُ القدر[2]: ليلةُ التقدير، وهو تقدير الأعمال والأرزاق والآجال، وهو إظهار مقاديرها وإثباتُها في نُسخٍ ودفعُها إلى جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل عليهم السلام، وهو قوله تعالى[3]: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾.

---

(١) في (أ): «كما في قوله».

(٢) في (ف): «أي» بدل: «وليلة القدر».

(٣) في (ف): «كقوله» بدل: «وهو قوله تعالى».

وقيل: ليلة[1] القدر؛ أي: ليلة العظمة؛ قال الله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ [الأنعام: ٩١]؛ أي: ما عظَّموه حقَّ عظمته، وهي ليلةٌ جليلةُ القَدْر عظيمةُ الأمر، فهي خير من ألف شهر.

***

(٢ ـ ٣) ـ ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ﴾: أي: أيُّ ليلة هي في عِظَمها وقَدْرها وفضلها وعجائبِ ما فيها.

﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾: قيل: العمل فيها بطاعة الله أفضلُ من العمل في ألف شهرٍ ليس فيها ليلة القدر.

وعن[2] ابن عباس: يعني: إحياءُ ليلة القدر في الطاعة خيرٌ لك ولأمَّتك من مُلك ألف شهر.

وفي بعض التفاسير: أن مُلك سليمان كان خمسَ مئة شهر، ومُلك ذي القرنين كذلك، وليلةُ القَدْر لهذه الأمة خيرٌ من مُلك ألف شهر[3].

وقال الحسن بن علي: إن رسول الله ﷺ أُري في منامه أن بني أمية يطؤون منبره واحداً بعد واحدٍ ـ وفي رواية: يَنْزُون على منبره نَزْوَ القردة ـ فشقَّ ذلك عليه، فأنزل الله عليه هذه السورة[4].

---

(١) في (أ): «هي ليلة».

(٢) في (ف): «قال» وفي (ر): «كما قال».

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٢٥٧) عن أبي بكر الوراق.

(٤) رواه الترمذي (٣٣٥٠) وضعفه بقوله: حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه... ويوسف بن سعد رجل مجهول. وقال المزي كما ذكر ابن كثير عند تفسير هذه السورة: حديث منكر. =

يقول(١): ﴿خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ يعني ملك بني أمية فإنه كان ألف شهر.

وقيل: وإنما خصَّ ألف شهرٍ بالذكر لأنه لم يكن في السلف يبلغ أحدهم اسمَ العابد ولا يصير مستجابَ الدعوة إلا بعد عبادة ألفِ شهر، وهي ثلاثٌ وثمانون سنة وأربعةُ أشهر، فجعل الله تعالى هذه الليلة لهذه الأمة أفضلَ من ألف شهر للأولين.

وعن ابن عباس قال: ذُكر لرسول الله ﷺ رجلٌ من بني اسرائيل حمل السلاح على عاتقه في سبيل الله ألفَ شهر، فعجب رسول الله ﷺ من ذلك عجباً شديداً، وتمنى أن يكون ذلك من أمته، فدعا ربه فقال: «يا رب جعلتَ أمتي أقصر الأمم أعماراً وأقلَّهم أعمالاً»، فأعطاه الله تعالى ليلةَ القدر فقال: ﴿لَيْلَةِ الْقَدْرِ ۝١ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾(٢).

وقال عبد العزيز بن يحيى الكناني: شكت الصحابة إلى رسول الله ﷺ قصر

= ورواه بنحوه الخطيب في «تاريخ بغداد» (٩/ ٢٠٦)، ومن طريقه ابن الجوزي في «العلل» (٤٧٣)، عن ابن عباس رضي الله عنهما. قال ابن الجوزي: هذا حديث لا يصح.
ورواه الخطيب في «تاريخ بغداد» (٩/ ٤٤) من طريق علي بن زيد عن سعيد بن المسيب مرسلاً، وعلي بن زيد ضعيف، وقال ابن كثير في «البداية والنهاية» (١٢/ ٢٦٩): فيه ضعف وإرسال.
أما الرواية المعترضة فرواها الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٦٤٦) من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه، لكن في نزول قوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ [الإسراء: ٦٠]. وفيه محمد بن الحسن بن زبالة، قال عنه ابن كثير عند تفسير الآية المذكورة: متروك، وشيخه ضعيف جدًّا.
فهذه كلها طرق للحديث ضعيفة منكرة لا يصح منها شيء، بل هي مكذوبة كما قال ابن القيم في «المنار المنيف» (ص: ١١٧): كل حديث في ذم بني أمية فهو كذب.

(١) في (ر) و(ف): «وقوله تعالى».

(٢) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٤/ ١٩٣)، والبغوي في «تفسيره» (٨/ ٤٩٠)، من طريق عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما. وروى نحوه البيهقي في «سننه» (٤/ ٣٠٦) عن مجاهد وقال: هذا مرسل. وذكر نحوه أيضاً الإمام مالك في «الموطأ» (١/ ٣٢١) عمن يثق به من أهل العلم عن النبي ﷺ.

أعمارهم وقلة أعمالهم، فأبدلهم الله تعالى بقصر أعمارهم كلَّ سنة ليلةَ القدر بثمانين سنةً وثلاثِ سنين وأربعةِ أشهر، وبقلة طاعاتهم التضعيفَ من عشرة إلى سبع مئةِ ضعفٍ(١) إلى ما لا يُحصى، ولم يكن الإضعافُ إلا لهذه الأمة.

وقيل: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ﴾؛ أي: بسم الله الرحمن الرحيم.

وقيل: ﴿أَنزَلۡنَٰهُ﴾؛ أي: جبريل.

وقيل: ﴿أَنزَلۡنَٰهُ﴾؛ أي: السلامَ على أهل الإسلام.

* * *

(٤ ـ ٥) ـ ﴿تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمۡرٖ ۝٤ سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ﴾.

قوله تعالى: ﴿تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾: أي: إلى الدنيا، وقيل: إلى سماء الدنيا.

﴿وَٱلرُّوحُ فِيهَا﴾: قيل: أي: جبريل، كما قال: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ﴾ [الشعراء: ١٩٣].

وفي حديث ابن عباس: أن جبريل ينزل في ليلة القدر في كبكبة من الملائكة ومعه لواء أخضر يَرْكزه فوق الكعبة ثم تتفرق الملائكة في الناس حتى يسلِّموا على كلِّ قائم وقاعد، وذاكرٍ وراكع وساجد، إلى أن يطلع الفجر(٢).

وقيل: الروح صنفٌ من الملائكة جُعلوا حفظةً على سائرهم، وإن الملائكة لا يرونهم كما لا نرى نحن الملائكة.

وقيل: الروح خلقٌ تُشبِهُ وجوهُهم وجوهَ بني آدم، وسائرُهم يشبه الملائكة.

---

(١) «ضعف» زيادة من (ف).

(٢) قطعة من خبر طويل رواه الفاكهي في «أخبار مكة» (١٥٧٥) من طريق جويبر عن الضحاك عن ابن عباس، وجويبر متروك. ورواه من طريق آخر عن الضحاك أبو الليث السمرقندي في «تنبيه الغافلين» (٤٥٢)، والبيهقي في «الشعب» (٣٤٢١)، و«فضائل الأوقات» (١٠٩)، وابن الجوزي في «العلل» (٨٨٠)، وقال: لا يصح.

وذكر علي بن اسحاق في «تفسيره»[(١)] عن ابن عباس: تنزل الملائكة ليلةَ القدر إلى[(٢)] الأرض يَقْدمهم جبريلُ وله أربعةُ أجنحة: جناحان أبيضان وجناحان أخضران، فأما الأخضران فلا ينشرهما إلا في كلِّ سنة مرةً في ليلة القدر، إذا نزل نشرهما على أهل الأرض فيهما الرحمةُ والبرُّ والسلامة والبركة للمؤمنين والمؤمنات إلى طلوع الفجر، وينزل الروح في تلك الليلة وهو ملكٌ من تحت العرش ورجلاه في تخوم الأرض[(٣)] السابعة، ورأسُه من[(٤)] تحت عرش الجبار، وله ألفُ رأس كلُّ رأس أعظمُ من الدنيا، وفي كلِّ رأسٍ ألفُ وجه، وفي كلِّ وجه ألفُ فم، وفي كلِّ فم ألفُ لسان، يسبح اللهَ تعالى بكلِّ لسانٍ ألفَ نوع من التسبيح والتحميد والتمجيد، لكل لسان ألفُ لغةٍ، كلُّ[(٥)] لغة لا تشبه الأخرى، فإذا فتح أفواهه بالتسبيح والتحميد والتمجيد خرَّت ملائكة أهل سبع سماوات سُجَّداً مخافةَ أن يحرقهم نورُ أفواهه، وإنما يسبح الله غدوة وعشية، فينزل تلك الليلة فيستغفر للصائمين والصائمات من أمة محمد بتلك الأفواه كلِّها إلى طلوع الفجر.

قوله تعالى: ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِم﴾: أي: بأمر ربهم[(٦)].

---

(١) واسمه: «المشافهات» لعلي بن إسحاق بن إبراهيم الحنظلي السمرقندي، وسماه بذلك لأنه زَعَم أنَّ ما ذُكِرَ من التفسير كلُّه مسندٌ إلى رسولِ الله ﷺ فكأنَّه شافهه به، وقد تقدم ذكره وترجمة مؤلفه عند قوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الأعراف: ٥٠].

(٢) بعدها في (ر): «سماء الدنيا إلى».

(٣) في (أ): «تخوم الثرى» وفي (ر): «نجوم الثرى».

(٤) «من»: من (أ).

(٥) «ألف لغة كل» من (ف).

(٦) في (ر): «بأمر وعلم».

﴿مِّن كُلِّ أَمۡرٖ﴾: أي: بكلِّ أمر؛ كما قال: ﴿يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ﴾ [الرعد: ١١]؛ أي: بأمر الله؛ أي: تنزل الملائكة بكلِّ ما يقضي الله تعالى من أمور العالم في تلك السنة؛ من عملٍ ورزقٍ وحياةٍ وموتٍ، وهو كقوله: ﴿فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدخان: ٤].

ثم قوله: ﴿سَلَٰمٌ هِيَ﴾: أي: ليلةُ القدر سلامةٌ من الشرور والبلايا والآفات، وهو كقوله: ﴿فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ﴾ [الدخان: ٣].

وقيل: ﴿سَلَٰمٌ هِيَ﴾؛ أي: في كلِّ الليلةِ سلامٌ على المؤمنين، وهو كما يقال: إنما فلانٌ حجٌّ وغزوٌ؛ أي: هو أبداً مشغول بهما، فكذا: الليلة سلامٌ؛ أي: هي مستغرَقةٌ بسلام[١] الملائكة على المسلمين[٢].

وقيل: هي متصلة بما قبلها: ﴿مِّن كُلِّ أَمۡرٖ ٤ سَلَٰمٌ هِيَ﴾؛ أي: من كلِّ أمر مَخُوفٍ سلامةٌ هي.

﴿حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ﴾: أي: إلى مطلع الفجر نزولُ الملائكة والسلامُ على أهل الإسلام والسلامةُ من الآفات.

وقرأ الكسائي: ﴿مَطْلِعِ الفجر﴾ بكسر اللام والباقون بفتحها[٣]، وهما لغتان.

واختلفوا في ليلة القدر:

قال بعضهم: رُفعت بعد وفاة النبي ﷺ، وهذا قولٌ مردود.

وعن محمد بن الحنفية: أنها في كلِّ سبع سنين مرةً. وفي ثبوت هذه الرواية عنه نظر.

---

(١) في (أ): «هو مستغرق بسلام»، وفي (ر) و(ف): «هي مستغرقة سلام».

(٢) في (ف): «المؤمنين».

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٦٩٣)، و«التيسير» (ص: ٢٢٤).

وقال أبو رزين العقيلي: هي أول ليلةٍ من شهر رمضان[١].

وعن الحسن وأبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام: هي ليلة سبع عشرة من شهر رمضان، وهي ليلةٌ صبيحتُها يومُ بدر[٢].

وقال ابن مسعود في رواية: هي ليلة تسع عشرة منه.

وقال أبو سعيد الخدري: هي ليلة إحدى وعشرين منه[٣].

وقال عبد الله بن أنيس وعوف بن مالك الأشجعي وأنس في رواية: هي ليلة ثلاث وعشرين[٤]، وكذا قالت عائشة وبلال وابن عباس في رواية[٥].

وقال الحسن بن علي: قبض أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضى الله عنه ليلةَ القدر ليلةَ ثلاثٍ وعشرين من رمضان.

وقال أنس وابن عباس في رواية: إنها ليلة أربع وعشرين[٦].

---

(١) ذكره البغوي في «تفسيره» (٨/ ٤٨٦)، وابن عطية في «المحرر الوجيز» (٥/ ٥٠٥)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٩/ ١٨٨).

(٢) ذكره عن الحسن الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٢٤٩)، والبغوي في «تفسيره» (٨/ ٤٨٦)، وابن عطية في «المحرر الوجيز» (٥/ ٥٠٥). ورواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٨٦٧٩) عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، ورواه سعيد بن منصور في «سننه» (٩٩٦)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٨٦٨٠)، الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٠٢٧)، عن ابن مسعود.

(٣) رواه البخاري (٢٠٢٧)، ومسلم (١١٦٧)، وفيه قصة سجود النبي من صبحها في ماء وطين.

(٤) رواه مسلم (١١٦٨) من حديث عبد الله بن أنيس رضي الله عنه.

(٥) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٨٦٦٦) و(٨٦٨٨) عن ابن عباس، و(٨٦٦٩) عن بلال، و(٨٦٨٧) عن عائشة. ورواه ابن خزيمة في «صحيحه» (٢١٧٩)، وابن حبان في «صحيحه» (٢٥٤٨)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً.

(٦) رواه البخاري عقب الحديث (٢٠٢٢)، من قول ابن عباس رضي الله عنهما.

وقال عمر والعباس وابن عباس رضى الله عنهم في أشهر رواياته وأبيٌّ بن كعب: هي ليلة سبع وعشرين[١]، وأكثرهم على هذا.

وروى عبادة بن الصامت عن النبي ﷺ أنه قال: «التَمِسوها في العشر الأواخر فإنها وترٌ، في إحدى وعشرين، أو ثلاث وعشرين، أو خمس وعشرين، أو سبع وعشرين، أو تسع وعشرين، أو في آخِر ليلةٍ، مَن قامها إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدَّم من ذنبه»[٢].

وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس: أن عمر رضي الله عنه جمع المهاجرين والأنصار فسألهم عن ليلة القدر، قال ابن عباس: فدخلت فيهم، فقال الزبير بن العوام: يا أمير المؤمنين، دعوتَ أبناء المهاجرين فندعوَ بأبنائنا؟ قال: لا، وإنما قلتُ لمكان هذا الغلام، ولعله أعلم بالذي أريدُ أن أسأل عنه منكم، قال: فسألهم عن ليلة القدر، قال[٣]: هل عندكم أيُّ ليلة هي؟ فاجتمع رأيهم على أنها في العشر الأواخر في الوتر منها، فقال: يا ابن عباس، هل عندك علمٌ بليلة القدر شيءٌ سمعتَه أو رأيٌ تراه؟ فقال: يا أمير المؤمنين، إن الله تعالى وترٌ يحبُّ الوتر، وأَحَبُّ الوترِ إلى الله تعالى السبعُ، قال: كيف ذاك لله أبوك؟ قال: خلق الله السماوات سبعاً، وخلق الأرضين

---

(١) رواه مسلم (٧٦٢)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٨٦٦٨)، عن أبيٍّ رضي الله عنه. ورواه البخاري في «التاريخ الكبير» (٣/ ١١٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما. وذكره البغوي في «تفسيره» (٨/ ٤٨٩) عن علي وأبيٍّ وعائشة رضي الله عنهم. وروى ابن أبي شيبة في «المصنف» (٨٦٦٧) عن زر بن حبيش قال: كان عمرُ وحذيفةُ وناسٌ من أصحاب رسولِ الله ﷺ لا يَشُكُّون أنها ليلةُ سبعٍ وعشرين.

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢٢٧١٣).

(٣) «قال»: زيادة من (أ).

سبعاً، وخلق الأيام سبعةً، وخلق الإنسان من سبعٍ، وخلق[1] رزقه من سبعٍ، قال: قد علمتُ أن الله تعالى خلق السماوات سبعاً والأرضينَ سبعاً، فكيف خلق الإنسان من سبع؟ فقرأ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ إلى قوله: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾ [المؤمنون: ١٢، ١٤]، قال: فكيف خلق رزقه من سبع؟ فقرأ: ﴿أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا﴾ [عبس: ٢٥] إلى قوله: ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا﴾ [عبس: ٣١]، فهذا سبعٌ، وأبًّا لأنعامكم فهي[2] الكلأ فهي سابعةُ السبع، فقال عمر: حسبك[3].

وقد زاد أهل العلم من نظائرها فقالوا: الأقاليم سبعة، والأبحر سبعة، والطواف سبعة، والسعي سبعة، والرمي سبع جمار، والأعضاء سبعة، والسجود على سبعة أعظُمٍ، وسبعٌ من النسب يحرُمنَ، وسبع من السبب، وأبواب الجحيم سبعة، وأصحاب الكهف سبعة.

وفي قصة يوسف: ﴿وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ﴾ و﴿سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا﴾ و﴿سَبْعَ بَقَرَٰتٍ﴾ [يوسف: ٤٣]، ولبث في السجن سبع سنين وسبعة أشهر وسبعة أيام وسبع ساعات.

وكذلك أيوب عليه السلام بقي في بلائه كذلك.

وخطرُ أبي بكر الصديق رضي الله عنه كان سبع سنين[4].

وأمان أهل السماوات سبعة أنجم.

و(لا إله إلا الله محمد رسول الله) سبع كلمات.

---

(١) في (ر) و(ف): «وجعل».

(٢) في (أ): «يعني».

(٣) رواه ابن سعد في «الطبقات» (١/ ١٣٩ ـ متمم الصحابة)، وعبد بن حميد كما في «الدر المنثور» (٨/ ٥٧٧).

(٤) تقدمت القصة في أول الروم.

وأُنزل القرآن على سبعة أحرف، وهو سبعة أسباعٍ، والفاتحة سبع آيات، وليس فيها سبعة أحرف: التاء والجيم والخاء والزاي والشين والظاء والفاء.

وأولوا العزم سبع: إبراهيم وإسماعيل وأيوب ويعقوب ويوسف وموسى وعيسى.

والملائكة سبعة أصناف: حملة العرش والمقربون والكَرُوبيون والروحانيون والسَّفَرة والكتبة والبرَرة.

والحيوانات سبعة: الملائكة والجن والإنس والشياطين والبهائم والسباع والطيور والهوام.

ومن أهل العلم مَن قال: إن الله تعالى ذكر ليلة القدر في هذه السورة ثلاثَ مرات، ومبلغُ عدد حروفها سبع وعشرين.

وقال أبو بكر الورَّاق: السورة ثلاثون كلمةً، وشهر رمضان ثلاثون يوماً، والكلمة السابعة والعشرون منها ﴿هِيَ﴾ وتلك إشارة إليها.

وقال بعض أهل العلم: قال تعالى: ﴿فِي لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾ [الدخان: ٣] من أول تلك السورة إلى قوله: ﴿لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾ سبعة وعشرون حرفاً، فدل أنها هي.

وقال السَّلاميُّ: إن عدد اسمها وتر وهي (قدر)، وهي في الشهر التاسع من السنة وهو وتر، وهي في السورة السابعة والتسعين من القرآن وهي وتر، وبعدها سبع عشرة سورة وهي وتر، ولأن النبي ﷺ قال: «التمِسوها في العشر الأواخر في الوتر»[1]، والأوتار في العشر خمسةٌ، والسابعة يتقدَّمها وتر وهي ثلاثة، ويتأخر عنها

(١) رواه البخاري (٢٠١٦) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

وتر وهو واحد؛ كالصلوات الخمس هي في الأصل وتر، والوترُ من الصلوات صلاة المغرب، ويتقدمها وتر، وهي ثلاث، ويتأخر عنها وتر[1] واحد، فهذا[2] كذلك.

والحمد لله رب العالمين

* * *

---

(١) بعدها في (ف): «وهو».

(٢) في (أ): «وهو»، وفي (ف): «وهذا».

سُورَةُ البَيِّنَةِ(1)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

بسم الله الذي أقام البيِّنة الجليَّة، الرحمنِ الذي شَرَع الملَّةَ الرضيَّة، الرحيمِ الذي جعل أهلها خيرَ البَرِيَّة.

روى أبي بن كعب رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «مَن قرأ سورة ﴿لَمْ يَكُنِ﴾ كان له من الأجر كالذي يكون يوم القيامة مع خيرِ البريَّة»(2).

وهذه السورة مدنيةٌ، وهي تسع آيات وأربعٌ وتسعون كلمةً وثلاثُ مئة وثمانيةٌ وتسعون حرفاً.

وانتظام السورتين: أن تلك السورة في ذكر الليلة التي أُنزل فيه القرآن، وفي هذه السورة ذكرُ المصدِّقين والمكذِّبين بالقرآن.

* * *

(1) ـ ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ﴾.

قوله تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾: أي: اليهودُ والنصارى ﴿وَٱلْمُشْرِكِينَ﴾؛ أي: ومِن عبَدةِ الأوثان، و﴿مِنْ﴾ ليس للتبعيض بل للتجنيس.

---

(1) في (ر): «سورة لم يكن».

(2) رواه الثعلبي في «تفسيره» (10/ 260)، والواحدي في «الوسيط» (4/ 538)، بلفظ: «من قرأ سورة لَمْ يَكُنِ كان يوم القيامة مع خير البرية مسافراً أو مقيماً»، وهو قطعة من الحديث الموضوع في فضائل السور. وانظر: «الفتح السماوي» للمناوي (3/ 1113)، و«الفوائد المجموعة» للشوكاني (ص: 296).

﴿مُنفَكِّينَ﴾: قال ابن عباس: أي: غيرَ منتهِينَ عن الكفر[(١)].

﴿حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ﴾: أي: حتى أَتَتْهم، مستقبلٌ بمعنى الماضي.

﴿ٱلْبَيِّنَةُ﴾: الحجةُ الظاهرة، والمراد بها: الرسول عليه السلام هاهنا، فقد قال بعده: ﴿رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ وهو بدلٌ عن ﴿ٱلْبَيِّنَةُ﴾؛ أي: فلما جاءهم اهتدَوا به.

وقيل: أسلم بعضٌ وثبَت على الكفر بعضٌ.

وقال القتبي: ﴿مُنفَكِّينَ﴾؛ أي: زائلين، والانفكاك: الزوال[(٢)].

وقيل: الانفصال، والفكُّ: الفصل[(٣)].

وقيل: أي: لم يكونوا ليُتركوا خالينَ عن حُجج الله تعالى حتى تأتيَهم البينةُ التي تقوم بها الحجة.

وقال الفراء: قال قوم: أي: لم يكن أهل الكتاب ومَن يُرجع إليهم من المشركين تاركين صفة محمد عليه السلام كما هو في التوراة حتى بُعث، فلما بُعث تفرَّقوا واختلفوا فيه[(٤)]، وهو كقوله: ﴿وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ﴾ الآية.

قال: وقيل: ﴿مُنفَكِّينَ﴾؛ أي: متفرِّقين في أمر محمدٍ حتى جاءهم، وانفكاكُ[(٥)] أحد الشيئين من الآخر [من] هذا[(٦)].

---

(١) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٤/ ٥٣٩) من طريق عطاء عن ابن عباس، ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٥٥١) عن مجاهد وقتادة. وروى ابن المنذر عن ابن عبَّاس كما في «الدر المنثور» (٨/ ٥٨٨) قوله: ﴿مُنفَكِّينَ﴾ قال: برِحين.

(٢) انظر: «غريب القرآن» لابن قتيبة (ص: ٥٣٥).

(٣) في (ر): «وانفك انفصل».

(٤) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٨١).

(٥) في (أ) و(ر): «حتى جاز انفكاك»، وفي (ف): «حتى جاءهم والانفكاك». ولعل المثبت هو الصواب.

(٦) لم أجده عن الفراء، وما بين معكوفتين زيادة يقتضيها السياق.

وقيل: لم يكونوا منتهينَ عن كفرهم؛ أي: كان لا يُطمع في إيمانهم بدون رسولٍ يأتيهم، فأتاهم رسول الله، فمَن وفَّقه الله تعالى للإيمان آمَن، ومَن خذله لم يؤمن ولزمتْه الحجة.

وقيل: لم يكونوا منفكِّين؛ أي: خارجين من الدنيا حتى تبيَّن لهم الحق.

* * *

(٢ ـ ٣) ـ ﴿رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾: ترجمةٌ عن البينة، وهو نكرة استؤنفت على النعت؛ كقوله تعالى: ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [البروج: ١٥-١٦] وتقديره: هو رسولٌ من الله.

﴿يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً﴾: هي التي عند الله في أم الكتاب الذي نُسخ منه ما أُنزل على الأنبياء من الكتب، وقد قال: ﴿فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ﴾ [عبس: ١٣، ١٦]، ومعنى المطهرة ما مر في تلك السورة.

﴿فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ﴾: أي: مستقيمة، وهي كتب الأنبياء، والقرآنُ مصدِّقٌ لها كلِّها فكأنها فيه، ولأن كلَّ نوع من البيان فيه كأنه كتابٌ، وكأن كلَّه كتب.

وقيل: ﴿كُتُبٌ قَيِّمَةٌ﴾؛ أي: أحكام عادلة؛ قال الله تعالى: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ﴾ [المجادلة: ٢١]؛ أي: حكَم.

* * *

(٤ ـ ٥) ـ ﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ﴾: للحسد والبغي، لا لقصورِ البيان والوحي.

﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾: أي: أن يعبدوا الله؛ كما قال: ﴿وَأُمِرۡنَا لِنُسۡلِمَ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: ٧١]؛ أي: إلا أن يوحدوا الله ويطيعوه.

﴿مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾: أي: مستقيمين مائلين عن الباطل إلى الحق.

﴿وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾:

قيل: دينُ الملَّة القيِّمة.

وقيل: دين الشريعة القيِّمة، وكأنه إضافةُ الشيء إلى نفسه؛ كقوله: ﴿وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ [يوسف: ١٠٩]، و: مسجد الجامع.

وقال ابن عباس: وذلك دينُ الملائكة القيِّمة[1].

وقيل: أي: دين الكتب القيمة، وقد سبق ذكرها في هذه السورة.

وقال الخليل: الهاء للجمع؛ أي: دين القائمين لله بالتوحيد[2].

* * *

(٦ ـ ٨) ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ شَرُّ ٱلۡبَرِيَّةِ ۝٦ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ۝٧ جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ﴾

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ شَرُّ ٱلۡبَرِيَّةِ﴾: وقرأ ابن عامر: ﴿البريئة﴾ بالهمز، من قولهم: برأ الله الخلقَ يَبرأ بَرءاً، وقرأ الباقون بغير همزٍ[3]، من بَريتُ القلمَ برياً؛ أي: قدَّرتُه.

---

(١) «القيمة» ليست في (ف). والخبر ورد في «تنوير المقباس» (ص: ٥١٦) دون الكلمة المذكورة.

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٢٦١)، والبغوي في «تفسيره» (٨/ ٤٩٦ ـ ٤٩٧).

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٦٩٣)، و«التيسير» (ص: ٢٢٤)، عن نافع وابن ذكوان.

وقيل: من البَرَى وهو التراب.

وقيل: أصله همزٌ ثم تُرك تخفيفاً كما في الذُّرِّيَّة والخابِيَة.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ﴾: أي: الخليقة، ودلت الآية على فضل المؤمنين من البشر على الملائكة.

﴿جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ﴾: أي: بساتينُ إقامة.

﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ﴾: لا يموتون فيها ولا يُخرجون عنها.

﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ﴾: فقبِلَ أعمالهم وأحسنَ جزاءهم.

﴿وَرَضُواْ عَنۡهُۚ﴾: إذ آتاهم أفضلَ مما كان منهم.

﴿ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ﴾: أي: خافه ولم يُعْجَب بعمله، ولم يَـمْنُنْ[1] به على ربه، وهو كقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٠].

* * *

(١) في (أ): «يتمنى»، وفي (ف): «يمتن».

سُورَةُ الزَّلْزَلَةِ[1]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

بسمِ الله الذي خوَّفنا بزلزلة الأرض يومَ المحشر، الرحمنِ الذي جعل على التفاوُت يومئذٍ صدورَ كلِّ مَعْشر، الرحيمِ الذي يجزي على مثاقيلِ الذرِّ من الخير والشر.

روى أبي بن كعب عن النبي ﷺ أنه قال: «مَن قرأ سورة إذا زلزلت أُعطي من الأجر كأنما قرأ سورة البقرة»[2].

وهذه السورة مكية في قول ابن عباس ومجاهد والواقديِّ، مدنيةٌ في قول الآخرين[3].

وهي ثماني آيات، وستٌّ وثلاثون كلمةً، ومئةٌ وخمسةٌ وخمسون حرفاً.

وانتظام السورتين: أنهما في الخِيَار والشِّرار، والمؤمنين والكفار.

* * *

---

(١) في (ر): «سورة إذا زلزلت».

(٢) رواه الواحدي في «الوسيط» (٤/ ٥٤١). وهو قطعة من الحديث الموضوع في فضائل السور. انظر: «الفوائد المجموعة» للشوكاني (ص: ٢٩٦).

(٣) انظر: «البيان في عد آي القرآن» (ص: ٢٨٣)، وفيه: مكية هذا قول ابن عباس ومجاهد وعطاء، وقال قتادة: مدنية، وكذا حكى كريب عن كتاب ابن عباس.

(١ ـ ٣) ـ ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝٢ وَقَالَ ٱلْإِنسَـٰنُ مَا لَهَا﴾.

قوله تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾: أي حرِّكت تحريكاً شديداً، وهو كقوله: ﴿إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا﴾ [الواقعة: ٤] وقوله: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ﴾ [النازعات: ٦].

قال مجاهد: هذا في النفخة الأولى لفناء الدنيا، وتحرَّك ثانية عند البعث لإخراج الموتى.

وقوله تعالى: ﴿زِلْزَالَهَا﴾ ذكَر المصدرَ لتأكيد الفعل، ولم يقل: زلزالاً، بل أضافه إليها لأن المعنى أن القضاء سبق للأرض بالزلزال فذاك لا محالة كائنٌ، وأضيف إليها على معنى: زلزلت الأرض الزلزال الذي يخص لها، وهو كقولك: لأعطينَّك عطاءك؛ أي: ما جعلتُ على نفسي أن أعطيك.

﴿وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾: جمع ثِقْلٍ[1].

قيل: كنوزَها، فهذا قبل[2] قيام الساعة.

وقيل: أي: مَوتاها، وهذا في النفخة الثانية؛ لأن الأرض تثقل بهم، ويسمى[3] الإنس والجن: ثَقَلين؛ لذلك.

﴿وَقَالَ ٱلْإِنسَـٰنُ مَا لَهَا﴾: قيل: هو للجنس، ويقع على المؤمنين والكفار، ويقولون ذلك للهيبة والتعجب.

---

(١) قوله: «جمع ثقل» وقع في (أ) و(ر) بعد قوله الآتي: «وهذا في النفخة الثانية»، وفي (ف) بعد: «قيام الساعة».

(٢) في (ف): «وقيل» بدل: «فهذا قبل».

(٣) في (ف): «وسمي».

وقيل: هو الكافر ـ وهو عن ابن عباس[١] ـ لأنهم كانوا لا يعتقدون ذلك، وكذا يقولون: ﴿مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜ﴾ [يس: ٥٢].

وقال بعض السلف: الكافر أحمقُ الحياة وأحمقُ الموت.

* * *

(٤ ـ ٦) ـ ﴿يَوۡمَئِذٖ تُحَدِّثُ أَخۡبَارَهَا ۝٤ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوۡحَىٰ لَهَا ۝٥ يَوۡمَئِذٖ يَصۡدُرُ ٱلنَّاسُ أَشۡتَاتٗا لِّيُرَوۡاْ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾

﴿يَوۡمَئِذٖ تُحَدِّثُ أَخۡبَارَهَا﴾: روى أبو هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ أنه قرأ هذه الآية فقال: «أتدرون ما أخبارُها؟» قالوا: الله ورسوله أعلم! قال: «فإنَّ أخبارها أن تشهد على كلِّ عبدٍ وأمةٍ بما عمِل على ظهرها، تقول: عمِل كذا وكذا في يوم كذا وكذا، فهذا أخبارها»[٢].

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: مَن سجَد في موضعٍ عند حجرٍ أو شجرٍ شهد له يومَ القيامة[٣].

وقال مقاتل: تخبر بما عُمل عليها، تقول للمؤمن: وحَّدَ الله عليَّ وصلَّى وصام وحجَّ وزكى، وتقول للكافر: كفَر عليَّ وأشرك[٤] وسرق وزنى، حتى ودَّ الكافر أنه سيق إلى النار ولا يسمعُ ذلك[٥].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٥٥٩).

(٢) رواه الترمذي (٣٣٥٣) وقال: حسن صحيح.

(٣) رواه نعيم بن حماد في زوائده على «الزهد» لابن المبارك (٣٨٤).

(٤) «وأشرك»: سقط من (أ).

(٥) «ولا يسمع ذلك»: ليس في (أ) و(ف). وانظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٧٩٠)، وليس فيه: «حتى ودَّ الكافر أنه سيق إلى النار ولا يسمعُ ذلك».

وقيل هو على حقيقة الإخبار، فيضع الله فيها تمييزاً ونطقاً فتتكلَّم به كما تنطق الجوارح.

وقيل: هو الإخبار بظهور الآثار.

﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾: قال القُتبي: أي: أمَرها[١]، وقيل: سخَّرها، و﴿لَهَا﴾ بمعنى: إليها.

﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا﴾: أي: يرجع الناس متفرِّقين.

قيل: هذا[٢] الرجوع من القبور إلى موضع قراءة الكتب ﴿لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ﴾؛ أي: في كتبهم التي نُسخت أعمالهم فيها، فيقرؤونها ويجازَون عليها، و﴿أَشْتَاتًا﴾؛ أي: من أقطار الأرض.

وقيل: أي: يرجعون من موقف[٣] الحساب مختلِفين يميناً وشمالاً إلى الجنة والنار[٤] ليُروا جزاءَ أعمالهم، والجزاءُ مضمر، وقد يسمَّى جزاء العمل باسم العمل؛ يقال لمن عوقب على ذنب: هذا عملك فانظر إليه.

وقيل: في الآية تقديم وتأخير:

قال السدي: ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾ ﴿لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ ثم يَصدرون.

وقال الكلبي ﴿وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ ﴿لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ﴾.

---

(١) انظر: «تأويل مشكل القرآن» (ص: ٢٦٧)، ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٥٦٠ ـ ٥٦١) عن مجاهد. وقال ابن قتيبة في «غريب القرآن» (ص: ٥٣٥): أذن لها في الإخبار بذلك.

(٢) «هذا» ليست في (أ).

(٣) في (ر): «موضع».

(٤) في (ف): «وإلى النار».

وقيل: ﴿أَشْتَاتًا﴾؛ أي: فرقاً، أهلُ كلِّ عمل على حِدَةٍ من الطاعة والمعصية، وجمع الأشتات: شتَّى.

وقيل: أي: يتفرقون إذا رجعوا عن الموقف ولا يجتمعون بعدُ.

* * *

(٧ ـ ٨) ـ ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾.

قوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾: أي: وزنَ نملة صغيرة.

وقيل: هي ذراتُ الهواء في شعاع الشمس ﴿خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾.

وقيل: يرى ذلك مكتوباً في كتابه محصًى عليه.

وقيل: يرى ثوابه وعقابه.

وقيل: ﴿يَرَهُۥ﴾؛ أي: يُصِبْه[1] جزاءُ عمله، وهو من المجاز، يقول الرجل: رأيت الخيرَ والشر؛ أي: أصاباني وأصبتُهما، ولا يختص برؤية العين.

وقال أبو موسى: الشمس فوق الناس يوم القيامة وأعمالهم تظلُّهم أو تُضْحيهم[2].

وعن أبي أيوب الأنصاري قال: كان رسول الله ﷺ وأبو بكر رضي الله عنه

---

(١) في (ف): «يصب».

(٢) رواه هناد في «الزهد» (٣٣١)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٤٨١٥)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٢٦١).

يتغديان إذ نزلت عليه هذه الآية، قال: فأمسك رسول الله ﷺ يده عن الطعام ثم قال: «مَن عَمِل منكم خيراً في الدنيا فجزاؤه[١] في الآخرة، ومَن يعمل منكم شرًّا يرَه في الدنيا مصيباتٍ وأمراضاً، ومَن يكنْ فيه مثقالُ ذرةٍ من خيرٍ يدخلِ الجنة»[٢].

وعن الحسن قال: قدم صعصعة جدُّ الفرزدق على النبي ﷺ فسمعه يقرأ هذه الآية، فقال: حسبي حسبي، لا أبالي أن لا أسمع غيرها[٣].

وقال في رواية: انتهت الموعظة[٤].

وعن زيد بن أسلم: أن النبي ﷺ أمر رجلاً أن يعلم رجلاً القرآن ـ وفي رواية: أمر عليًّا رضي الله عنه بذلك ـ فعلمه سورة ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ فلما بلغ: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ أبى أن يتعلم غيرها وقال: علمت القرآن، فقال النبي ﷺ: «دَعْهُ فقد فَقُهَ الرجل»[٥].

---

(١) في (ف): «ير جزاؤه»، وفي (أ) و(ر): «جزاه»، والمثبت من المصدر.

(٢) رواه ابن مردويه كما في «الدر المنثور» (٨/ ٥٩٤).

(٣) رواه ابن المبارك في «الزهد» (٨٠)، الإمام أحمد في «المسند» (٢٠٥٩٣)، والنسائي في «الكبرى» (١١٦٣٠)، والطبراني في «الكبير» (٧٤١١)، والحاكم في «المستدرك» (٦٥٧١). وجاء عند أحمد والنسائي: (عم الفرزدق)، وعند ابن المبارك: (عم الفرزدق أو جده)، وعند الطبراني والحاكم: (عم الأحنف بن قيس)، وهو ما صوبه ابن الأثير في «أسد الغابة» (٣/ ٢٣)، والمزي في «تهذيب الكمال» (١٣/ ١٧٤ ـ ١٧٥)، والحافظ في «الإصابة» (٣/ ٤٢٩)، وذكروا أنه ليس للفرزدق عم اسمه صعصعة، ولكن جده صعصعة بن ناجية، وهو صحابي.

(٤) رواه ابن المبارك في «الزهد» (٨٢)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (٣٦٦٩). والقصة فيه عن رجل من المسلمين

(٥) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٦٧٠).

وعـن زيـد بن أسـلم أيضـاً: أن رجلاً أتـى النبـي ﷺ فقال: يا نبـي الله ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾؟ فقـال: «نعـم» قـال: فانطلق وهو يقـول: وا سـوأتاه ثلاثاً[1]، فقـال النبي عليه السـلام: «قد آمن الرجـل»[2].

***

(١) في (أ): «وا سوأتاه وا سوأتاه». وفي (ف): «وا سوأتاه».

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٦٧١)، وابن بشكوال في «غوامض الأسماء المبهمة» (١/ ٤٧٢).

سُورَةُ

﴿وَالْعَادِيَاتِ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بسم الله الذي أقسم بخيولِ أهل الجهاد، الرحمنِ الذي يحصِّل ما في الصدور يومَ المعاد، الرحيمِ الذي هو خبيرٌ بأفعال العباد.

روى أبي بن كعب رضى الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «مَن قرأ سورة والعاديات أعطي من الأجر عشرَ حسنات بعددِ مَن بات بالمزدلفة وشهد جمعاً»(١).

وهذه السورة مكية، وهي إحدى عشرةَ آية، وأربعون كلمة، ومئة وسبعة وستون حرفاً.

وانتظام السورتين: أنهما في ذكر الإنسان، وجزاءِ الإساءة والإحسان.

* * *

(١ ـ ٢) ـ ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ۝١ فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا﴾: قال ابن عباس ومجاهد وقتادة وعطاء: أقسم الله تعالى بخيول الغُزاة تشريفاً لهم(٢)، ومعناه: والخيلِ التي تعدو فتَضْبَح ضبحاً، أُضمر الفعلُ ونُصب المصدرُ لتأكيد ذلك الفعل، وهو قول الكوفيين.

---

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٢٦٨)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ٥٤٤)، وهو قطعة من الحديث الموضوع في فضائل السور. وانظر: «الفتح السماوي» للمناوي (٣/ ١١١٧)، و«الفوائد المجموعة» للشوكاني (ص: ٢٩٦). ووقع في (أ) و(ر) بعد كلمة «جمعاً»: «بعرفات»، وليست في المصادر.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٥٧٠ ـ ٥٧٢) عنهم دون ذكر الغزاة.

وقال البصريون: والعادياتِ ضابحةً، ناب المصدر عن النعت، ونصبُه على الحال.

وقال الخليل: تَضْبَح[١]؛ أي: تَسْمعُ من أفواهها صوتاً ليس بصهيلٍ ولا حَمحمة[٢].

وقال أبو سعيد: هو شدة النَّفَس عند العَدْو[٣].

وقيل: هو حمحمة الخيل عند العَدْو.

وقال ابن عباس: ضُبَاحها أح أح[٤].

وقال: ما ضَبَحت دابةُ قط إلا الفرسُ والكلبُ والثعلب[٥].

وقوله تعالى: ﴿فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا﴾: أي: تَقدحُ قدحاً، هي الخيلُ أيضاً تقدح النارَ بحوافرها في شدةِ عَدْوها، يقال[٦]: قدحتُ النارَ من الزناد[٧]؛ أي: استخرجتُها، وورت الزَّنْدُ؛ أي: خرجتْ نارُه، وأَوْرَيْتُها أنا.

وقيل: هذا مجازٌ عن تهييجها الحرب[٨] بين أصحابها؛ كما قال: ﴿كُلَّمَآ أَوۡقَدُواْ نَارٗا لِّلۡحَرۡبِ أَطۡفَأَهَا ٱللَّهُۚ﴾ [المائدة: ٦٤].

---

(١) «تضبح»: ليست في (أ).

(٢) انظر: «العين» (٣/ ١١٠).

(٣) ذكره ابن فورك في «تفسيره» (٣/ ٢٦٠) دون عزو.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٥٧٥)، وابن المنذر كما في «الدر المنثور» (٨/ ٦٠١). وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣٠/ ١٧٢) (ط: دار التفسير).

(٥) ذكره بهذا اللفظ الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٢٦٨). ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٦٧٨)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٥٧٢) دون قوله: والثعلب.

(٦) في (أ) و(ف): «وقد».

(٧) في (أ): «الرماد».

(٨) في (ر): «في الحرب».

وعن عكرمة: أنه مجاز عن المكر بأهلها(١)، يقول الرجل إذا أراد أن يمكر بصاحبه: أمَا واللهِ لأقدحنَّ ثم لأُوْرِيَنَّ.

ويقال: قدح فأورى؛ أي: عمِل فأدرك.

وقيل: هذا المكر يكون بإيقادهم نيراناً كثيرة ليظنَّ العدو أنهم كثيرٌ، وإضافة هذا إلى الخيل كوَصْفهم الخيلَ بطلب الأدبار(٢)، يعنون بذلك أصحابها.

وقيل: ﴿فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا﴾ مجازٌ عن قوله: فالمدركات نُجحاً، وهو من قولهم: ورَتْ بك زنادي؛ أي: أدركتُ بك حاجتي.

وقال مجاهد: ﴿فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا﴾ هي أفكار الرجال(٣).

وقال عكرمة: هي الألسنة(٤).

* * *

(٣ ـ ٥) ـ ﴿فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ۝٣ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ۝٤ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا﴾.

﴿فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا﴾: هي الخيل أيضاً تُغير على عدوِّها صباحاً.

﴿فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا﴾: أي: هيَّجن بالمَغار(٥) ـ أي: موضعِ الغارة ـ غباراً، قاله أبو علي الفسويُّ، وقد صار ذلك مذكوراً بذكر الـمُغيرات.

وقال الكسائي: فأثرن بالعَدْوِ، وقد(٦) صار مذكوراً بذكر العاديات.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٥٧٧) عن ابن عباس ومجاهد بلفظ: مكر الرجال.

(٢) في (ف): «كوصفهم الخيل بطلب الآثار» وفي (ر): «لوصفهم الخيل يطلب الأدبار».

(٣) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٤/ ٢٤٢) بلفظ: (هي أفكار الرجال توري نار المكر والخديعة). وقد تقدم نحو هذا عن مجاهد.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٥٧٧).

(٥) في (ف): «هجن بالمغار»، وفي (ر): «هيجن بالغبار».

(٦) «قد» زيادة من (ف).

وقيل: بالضَّبح، وهو مذكور.

وقيل: بالوادي، وهو مفهوم.

وقال أبو عبيدة وقطرب: النَّقْع: الغبار(١).

وقيل: الغبار المرتفع.

وقال الخليل: الغبار الساطع(٢).

﴿فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا﴾: أي: الخيلُ توسَّطن بالمغار و(٣)الوادي جَمْعَ الأعداء بركبانهن؛ أي: اقتحمت بالغزاة في صفوفِ العُداة، بدون الخوف والمبالاة.

وقال مقاتل: إن رسول الله ﷺ بعث سريَّةً إلى حيٍّ من كنانة وأمَّر عليهم المنذرَ بن عمرٍو أحدَ النقباء، فغابت ولم يأته خبرها، فقال المنافقون: قُتلوا جميعاً، فأخبره الله تعالى عنها بقوله: ﴿وَٱلْعَـٰدِيَـٰتِ ضَبْحًا﴾ يعني: الخيل إذا عدت ضبحت فعلَتْ أنفاسُها من أفواهها ﴿فَٱلْمُورِيَـٰتِ قَدْحًا﴾ تقدَحْن بحوافرهنَّ في الحجارة ناراً كنار أبي حباحب، وكان شيخاً من مُضر في الجاهلية له نُويرةٌ تَقِدُ مرةً وتَخمد أخرى، فشبَّه الله ضوء وَقْعِ حوافرهن في أرضٍ حصبةٍ بنُويرةِ أبي حباحب، وكان ذلك بشارةً له أنها قد قَهرت العدوَّ وغَنمت وسَلمت(٤).

وقال علي وابن مسعود: القسَم بالإبل التي يُحج عليها وهي تغدو من عرفةَ إلى المزدلفة، والضبح صوت مناخرها ومشافرها في تلك الحالة ﴿فَٱلْمُورِيَـٰتِ قَدْحًا﴾ تنسف بمياسمها الحصَى فتخرج منها النار إذا اصطكَّ بعضُها ببعض، ولأن الحاج

---

(١) انظر: «مجاز القرآن» (٢/ ٣٠٧).

(٢) انظر: «العين» (١/ ١٧٢).

(٣) في (أ): «أي».

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٨٠١ ـ ٨٠٢).

إذا جاؤوا المزدلفة أوقدوا بها النيران فأُضيف إيراءُ النار إليها والمراد بها أصحابها ﴿فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا﴾؛ أي: المسرعات صباحاً من المزدلفة إلى منًى، وكانوا يقولون أشرِقْ ثَبِير كيما نُغِير؛ أي: نسرع في الدفع ﴿فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا﴾؛ أي: غباراً بأخفافها في ذلك الموضع ﴿فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا﴾ هو اسم منى[1].

وقال علي رضي الله عنه: هي الإبل، أيضاً لكنْ في الغزو لا في الحج، قال[2]: وهذا في غزوة بدر[3]، ولم يكن يومئذ فرسٌ إلا واحدٌ للمقداد وللناس الإبلُ.

***

(٦ ـ ٨) ـ ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ۝٦ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ۝٧ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ﴾: قيل: هو للجنس، والكَنُود: الكَفُور، والأرض الكنود: التي لا تُنبت شيئاً، وأصله: منعُ الحق والخير؛ أي: طُبع عليه.

﴿وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ﴾: أي: على نفسه شاهدٌ أنه كذلك مُبين من نفسه ذلك.

وقيل: أي: وإن الله شاهد على ذلك من صفة الإنسان.

وقيل: أي: عالم بذلك منه.

﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ﴾: أي: لحب المال ﴿لَشَدِيدٌ﴾؛ أي: لبخيل، والمتشدِّد[4]: البخيل أيضاً؛ قال طرفة:

---

(١) رواه عنهما مختصراً الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٥٧٣ ـ ٥٧٤)، وعن علي رواه أيضا الحاكم في «المستدرك» (٢٥٠٧).

(٢) «قال»: ليست في (أ).

(٣) انظر: «تأويلات أهل السنة» (١٠/ ٦٠٠).

(٤) في (ر): «والشديد»، وكلاهما صواب، يقال للبخيل: شديد ومتشدِّد. انظر: «تفسير القرطبي» (٢٢/ ٤٤٠).

أَرى المـوتَ يَعْتـامُ الكرامَ ويصطفي عقيلـةَ مـال الفاحـشِ المتشـدِّد[١]

قال الفراء: أي: وإنه لشديد الحب للمال[٢].

وقيل: وإنه لحُبِّ المال لقوي[٣]؛ أي: يكثُر به نشاط قلبه وقوةُ بدنه.

وقال ابن عباس: الكنود بلسان بني مالك وكنانةَ: البخيلُ الذي يَمنع رِفدَه ويُجيع عبدَه ولا يعطي النائبةَ في قومه، وبلسان كندة: الكفورُ للنعمة، وبلسان حضرموتَ: العاصي لربِّه، وبلسان مَعَدٍّ كلِّها: الكفور للنعمة[٤].

وقال الحسن: الكفور الذي يَعدُّ المصائبَ وينسى المواهب[٥].

وقيل: الكنود: ذكَّارٌ للمِحن نسَّاءٌ للنِّعم.

---

(١) انظر: «ديوان طرفة» (ص: ٢٦)، و«شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات» لابن الأنباري (ص: ٢٠٠)، و«شرح المعلقات السبع» للزوزني (ص: ١١٠)، و«شرح القصائد العشر» للتبريزي (ص: ٨٦). قال الشراح: يعتام: يختار، يقال: اعتامه واعتماه: إذا اختاره، وعقيلة كل شيء: خِيرتُه وأنفسُه عند أهله، ويصطفي: يختار صفوته، والفاحش: القبيح السيئ الخلق، والمُتشدد: البخيل. يقول: أرى الموت يختار الكرام بالإفناء، ويصطفي كريمة مال البخيل المتشدد بالإبقاء، وقيل: بل معناه: أن الموت يعم الأجواد والبخلاء، فيصطفي الكرام، وكرائم أموال البخلاء؛ يريد أنه لا تخلُّص منه لواحد من الصنفين، فلا يجدي البخل على صاحبه بخير، فالجود أحرى لأنه أحمد.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٨٥). ولفظه: وإنه للخير لشديد الحب.

(٣) في (ر): «يقوى».

(٤) انظر: «تنوير المقباس» (ص: ٥١٧)، وعزاه لابن عباس أيضاً القرطبي في «تفسيره» (٢٢/ ٤٣٧). وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٢٧١)، والماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٣٢٥)، عن الكلبي.

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٥٨٥)، وذكره الفراء في «معاني القرآن» (٣/ ٢٨٥)، والنحاس في «إعراب القرآن» (٥/ ١٧٤)، والثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٢٧١).

وقال ابن سيرين: هو اللوَّام لربه.

وقال الفضيل: الكنود: الذي أنسته الخصلةُ الواحدة من الإساءة الخصالَ الكثيرة من الإحسان.

وقال الواسطي: الكنود: الذي ينفق نِعَم الله تعالى في معاصي الله تعالى(١).

وقال ابن عباس ومقاتل: ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٞ﴾ نزلت في قُرط بن عبد الله ابن عمرو بن نوفل القرشي(٢).

وقال ابن جريج عن عطاء: نزلت في الوليد بن المغيرة المخزومي(٣).

* * *

(٩ ـ ١١) ـ ﴿۞ أَفَلَا يَعۡلَمُ إِذَا بُعۡثِرَ مَا فِي ٱلۡقُبُورِ ٩ وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ ١٠ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّخَبِيرُۢ﴾.

قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَعۡلَمُ﴾: أي: هذا الإنسان.

﴿إِذَا بُعۡثِرَ مَا فِي ٱلۡقُبُورِ﴾: أي: قُلِبَ فاستُخرج ما فيها من الأموات، و﴿مَا﴾ بمعنى: مَن.

﴿وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ﴾: أي: ميِّز فأُبرز ما في القلوب حتى عُلم ذلك علماً حقيقيًّا؛ كالشيء المحصَّل الذي عرف المقصد فيه.

وقال الخليل: الحاصل من كل شيء: ما بقي وثبت وذهب ما سواه(٤).

---

(١) ذكر هذه الأقوال الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٢٧١ ـ ٢٧٢).

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٨٠٣). وذكر الواحدي في «البسيط» (٢٤/ ٢٥٣) من طريق عطاء عن ابن عباس قال: نزلت في قرط بن أبي قرط.

(٣) ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ٤٨١) (ط: دار الكتاب العربي) عن الضحاك.

(٤) انظر: «العين» (٣/ ١١٦).

وقال الحسن: حصِّل ما في صدور الصُّحف، وهو كتحصيلِ الحساب: يذهب مما كان في صور الطاعات ما لم يكن لوجه الله ويبقَى ما هو لوجهه[١].

﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾: العلم[٢] واقع على هذا، وكسر ﴿إِنَّ﴾ لما في جوابه من اللام، يقول: أفلا يعلم الإنسان أن ربهم بهم وبأعمالهم وجزائها خبيرٌ حينئذ.

والحمد لله رب العالمين

***

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) في (ر) و(ف): «القسم». وهو خطأ؛ لأن القسم واقع على قوله: ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾، وقوله: ﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾ قال السمين في «الدر المصون» (١١/ ٩٢): قوله: ﴿إِنَّ رَبَّهُم﴾ العامَّةُ على كسر الهمزة لوجود اللام في خبرها. والظاهرُ أنها معلَّقةٌ لـ﴿يَعْلَمُ﴾ فهي في محلِّ نصب، ولكن لا يَعْمَلُ في ﴿إِذَا﴾ خبرُها؛ بل يُقَدَّرُ له عاملٌ مِن معناه. ويدلُّ على أنها مُعَلِّقَةٌ للعِلْمِ لا مستأنفةٌ قراءةُ أبي السَّمَّال وغيرِه: (أنَّ ربَّهم بهم يؤمئذٍ خبيرٌ) بالفتح وإسقاطِ اللام، فإنَّها في هذه القراءةِ سادَّةٌ مَسَدَّ مفعولَيْها.

سُورَةُ القَارِعَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

بسم الله الذي خوَّفنا بالقارعة الآتية، الرحمنِ الذي وعد المؤمنين بالعِيشة الراضية، الرحيمِ الذي أَوعد أعداءهم بالنار الحامية.

روى أبي بن كعب رضى الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «مَن قرأ سورة القارعة ثقَّل الله بها ميزانه يوم القيامة»[1].

وهذه سورة مكية، وهي إحدى عشر آيةً، وستٌّ وثلاثون كلمة، ومئة وستون حرفاً.

وانتظام السورتين: أنهما في ذكر يوم القيامة وما فيه لأهل الهوان وأهل الكرامة.

* * *

(١ ـ ٤) ـ ﴿ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٣ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ﴾.

قوله تعالى ﴿ٱلْقَارِعَةُ﴾: أي: تأتيكم[2] القارعة وهي القيامة، وهي التي تقرع

---

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٣٠/ ١٩٤) (ط: دار التفسير)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ٥٤٦)، وهو قطعة من الحديث الموضوع في فضائل السور. وانظر: «الفتح السماوي» للمناوي (٣/ ١١١٨)، و«الفوائد المجموعة» للشوكاني (ص: ٢٩٦).

(٢) في (ر): «أتتكم».

القلوبَ بشدةِ المخافة، والحادثةُ العظيمةُ تسمَّى قارعةً، وأصل القرع: الضربُ الشديد، ومنه قرعُ الباب، والـمِقْرعة، والقوارع: الدَّواهي.

وقولـه تعالـى: ﴿مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾: أي: أيُّ شـيءٍ القارعـةُ، ويذكر هـذا للتعجيب والتفخيم؛ كقولـه: ﴿مَا ٱلْحَاقَّةُ﴾.

وقوله: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾: أي: وما أَعْلَمَك بمقدارِ أهوالها حتى تشاهدُها.

﴿يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ﴾: جمع فراشة، وهي طائر ضعيف يقع في السُّرُج. قاله قتادة.

ثم[1] المبثوثُ؛ أي: المفرَّق، من قوله: ﴿وَبَثَّ فِيهَا﴾ [البقرة: ١٦٤] وذكِّر لظاهر اللفظ كما في قوله: ﴿أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ﴾ [القمر: ٢٠]، وقال جرير:

إنَّ الفـرزدق مـا علمـتُ وقومَـه[2] ... مثلَ الفراش غَشِينَ نارَ المصطلي[3]

فأنث وجمع على المعنى.

---

(١) «ثم» ليس من (ف).

(٢) «إن الفرزدق ما علمت وقومه» زيادة من (ف)، وانظر التعليق الآتي.

(٣) انظر: «ديوان جرير» (٢/ ٩٤٣)، و«شرح نقائض جرير والفرزدق» (٢/ ٤٠٠)، وصدره فيهما:

أَزْرى بحِلْمكُـمُ الفِيـاشُ فأنتُـمُ

وبالرواية المثبتة ذكره الزمخشري في «الكشاف» (٤/ ٧٨٩). قوله: (ما علمت)؛ أي: الذي علمته، وهي معترضة، يهجوه وقومه؛ أي: إنهم ضعفاء أذلاء جهلاء أمثال الفراش (غشين)؛ أي: حضرن في غشوة الليل نارَ الذي يصطلي بها الشاعر وهو جرير، وقيل: غشين: اقتحمن. وقيل: (ما) في (ما علمت) مصدرية، والمدة معه مقدرة؛ أي: أن الفرزدق وقومه دوام علمي بهم ضعفاء. انظر: «فتوح الغيب» للطيبي (١٦/ ٥٥٤).

وقال الفراء: يريد كغوغاء الجراد يركب بعضُه بعضاً، كذلك الناس يجول يومئذٍ بعضُهم في بعضٍ[١].

وقال غيره: إنما شبَّههم بالفراش لأن الفراش لا يتَّجه جهةً واحدةً، أراد أنهم إذا بُعثوا فزعوا فاختلفوا[٢] في المقاصد على جهات مختلفة.

* * *

(٥) ـ ﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ﴾: أي: كالصوف في تفرُّقها وصِغَر[٣] أجزائها.

وقال بعضهم: لا يكون عِهْناً إلا أن يكون مصبوغاً.

وقال قطربٌ: العِهْن: الصوف الأبيض والأحمر.

وقال الأخفش: واحدها: عُهْنةٌ، مثلَ: صوفة[٤].

﴿ٱلْمَنفُوشِ﴾؛ أي: المبسوط.

وقال الخليل: النَّفْش مَدُّك الصوفَ حتى ينتشر[٥].

ووحَّد وذكَّر على اللفظ ومعناه جمعٌ كالفراش؛ لأنه مثال الجبال وهي جمع.

وقال الكلبي: تتلوَّن الجبال يومئذ فشبِّهت بالصوف الملوَّن[٦].

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٨٦).

(٢) في (ف): «واختلف».

(٣) في (ف): «وضعف».

(٤) انظر: «معاني القرآن» للأخفش (٢/ ٥٨٣).

(٥) انظر: «العين» (٦/ ٢٦٨).

(٦) انظر: «تأويلات أهل السنة» (١٠/ ٦٠٥).

(٦ ـ ٩) ـ ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ (٦) فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ (٧) وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ (٨) فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ﴾

قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾: أي: وزنُ حسناته.

وقيل: (موازين): جمع موزون؛ أي: رجَحَت حسناته على سيئاته.

﴿فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾: أي مَرْضيَّة؛ كقوله: ﴿مِن مَّآءٍ دَافِقٍ﴾ [الطارق: ٦]؛ أي: مدفوق.

وقال البصريون: ﴿رَّاضِيَةٍ﴾؛ أي: ذاتِ رضًا، والعِيشة هي العَيش؛ كالخِيفة هو الخوف.

﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾: أي: قلَّت حسناته ورجَحت سيئاته على حسناته.

﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ﴾: أي: فمصيرُه جهنم، فهي التي تضمُّه كالأم تضمُّ ولدها، ووُصفت جهنم بـ﴿هَاوِيَةٌ﴾ لأنها تهوي بأهلها من أعلاها إلى أسفلها، وليست من أسمائها(١)، ولو كانت اسماً لكانت معرَّفةً مؤنَّثةً فلم تنصرف، وهذه منوَّنة فعُلم أنها صفة.

وقال عكرمة وقتادة: ﴿فأمه﴾؛ أي: أمُّ رأسه ﴿هَاوِيَةٌ﴾؛ أي: ساقطةٌ في النار(٢).

وقيل: ﴿فَأُمُّهُۥ﴾؛ أي: والدته ﴿هَاوِيَةٌ﴾؛ أي: هالكة، وهو من قول العرب: هوت أمُّه. قال كعب بن سعد الغَنَوي:

---

(١) في (ر): «وليست اسماً».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٥٩٦) بلفظ: يهوي في النار على رأسه، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٢٧٤) عن قتادة وأبي صالح، وذكره عنه عكرمة الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٣٢٩).

هـوت أمُّـه مـا يبعـث الصبـحُ غاديا ... ومـاذا يـؤدِّي الليـلُ حـين يـؤوب[١]

ومن ماتت أمُّه لم يبق له كافلٌ ولا مربٍّ، فهو دعاءُ سوء[٢]، ومعناه: مَن خفَّت موازينُه صار من أهل النار لا راحمَ له ولا شفيق[٣] عليه.

* * *

(١٠ ـ ١١) ـ ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةُۢ﴾

﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ﴾: إن جعلت ﴿هَاوِيَةٞ﴾ صفةً لجهنم فاتِّصال هذا بذلك ظاهر؛ أي: وما يدريك يا محمد ما هي، والهاء الأخيرة هاءُ استراحة[٤]، وهو تهويل لأمرها.

وإن حُمل على هُوِيِّ أمِّ رأسه وهلاكِ أمِّه فذاك بسقوطه في النار، فتصير مفهومةً فصحت الكناية عنها.

﴿نَارٌ حَامِيَةُۢ﴾: أي: هي نار أُطيل إحماؤها.

قال مرةُ الهمدانيُّ وعطاء بن أبي رباح: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ يعني: أبا سلمةَ بنَ عبدِ الأسد ﴿وَأَمَّا مَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ يعني: أخاه الأَسْودُ بن عبد الأسد.

والحمد لله رب العالمين

* * *

---

(١) انظر: «الأصمعيات» (ص: ٩٥)، و«الأمثال» لأبي عبيد (ص: ٧٠)، و«الألفاظ» لابن السكيت (ص: ٤٢٧)، و«تأويل مشكل القرآن» لابن قتيبة (ص: ١٧٠).

(٢) في (ر): «شر».

(٣) في (أ) و(ف): «مشفق».

(٤) في (ف): «الاستراحة».

سُورَةُ التَّكَاثُرِ [1]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

بسم الله الذي خوَّفنا باليوم العظيم، الرحمنِ الذي أنذرنا إراءةَ الجحيم، الرحيمِ الذي يسألنا عن النعيم.

روى أبي بن كعب رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «مَن قرأ سورة ﴿أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾ عفَى الله أن يحاسبه بالنعم التي أنعم بها عليه في دار الدنيا»[2].

وهذه سورةٌ مكية، وهي ثماني آياتٍ وثمان وعشرون كلمةً، ومئة وعشرون حرفاً.

وانتظام السورتين: أنهما في ذكر القيامة وأهوالها ومختلِف أحوالها.

* * *

(١ـ٢) ـ ﴿أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرۡتُمُ ٱلۡمَقَابِرَ﴾

قوله تعالى: ﴿أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾: أي: شغلكم وأغفلكم التباهي بالكثرة[3] في العدد والأموال، وقد لَهِيَ عن الشيء يَلْهَى من حدِّ علِم؛ أي: اشتغل عنه وغفل.

---

(١) في (أ) و(ر): «سورة ألهاكم».

(٢) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٣٠/ ٢٠١) (ط: دار التفسير)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ٥٤٨)، وهو قطعة من الحديث الموضوع في فضائل السور. وانظر: «الفتح السماوي» للمناوي (٣/ ١١١٩)، و«الفوائد المجموعة» للشوكاني (ص: ٢٩٦).

(٣) «بالكثرة» زيادة من (ف).

ثم قيل: هذا على محضِ الخبر.

وقيل: هو على الاستفهام بمعنى التوبيخ؛ أي: ألْـهَاكم[١] ﴿حَتَّىٰ زُرۡتُمُ ٱلۡمَقَابِرَ﴾؛ أي: دام بكم هذا الاشتغال حتى أتاكم الموت وأنتم مصرُّون عليه فـ﴿زُرۡتُمُ ٱلۡمَقَابِرَ﴾؛ أي: دخلتم القبور وأنتم على ذلك.

وقال قتادة رحمه الله: قالوا: نحن أكثر من بني فلان، فألهاهم ذلك حتى ماتوا ضُلَّالاً[٢].

وقيل: ألهاكم التكاثر حتى بلغ بكم إلى أن عدَدْتُم الأموات فقلتُم: مات لنا فلان وفلان، فهذه هي زيارة القبور، وقالوا[٣]: صاروا إلى المقابر فعدُّوها، فمعنى ﴿حَتَّىٰ زُرۡتُمُ ٱلۡمَقَابِرَ﴾؛ أي: حتى أتيتم المقابر فعدَدْتُم موتاها لتُظهروا أنكم أكثرُ عدداً، وتقديره: ألهاكم التكاثر في الأموال والأولاد حتى تجاوزتُم ذلك إلى التكاثر بالآباء والأجداد، ثم ترقَّيتم[٤] من ذلك حتى صرتُم من الأحياء إلى الأموات، وهذا ما لا غاية وراءه في التكاثر.

وقال مقاتل: إن حيين من قريش من بني عبد منافِ بن قصيٍّ وبني سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب، كان بينهم ملاحاةٌ فافتخروا، فعدُّوا السادةَ والأشراف، وقال بنو عبد مناف لبني سهم: نحن أكثر سيداً وأعزُّ عزيزاً وأمنعُ جانباً وأعظم شرفاً وأكثر عدداً، وقال بنو سهم مثلَ ذلك، فذكروا الأحياء فكثَرهم بنو عبد مناف بالأحياء، فقالوا: نعدُّ موتانا، فأتوا القبور فعدُّوها وقالوا: هذا قبر فلان وهذا قبر

---

(١) في (ف): «ألهاكم التكاثر».

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٦٨٧)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٥٩٨)

(٣) في (ف): «وقد».

(٤) في (أ): «توفيتم».

فلان[١]، فكثَرهم بنو سهم بثلاثةٍ من أهل الأبيات، فأنزل الله تعالى في الحيين: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾[٢].

وقيل: هذا وعيدٌ، والمعنى: حتى تزوروا القبور فترَوا ما ينزل بكم من عذاب الله في القبر[٣].

وقال زر بن حبيش: كنتُ أشكُّ في عذاب القبر حتى سمعتُ علي بن أبي طالب يقول: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾ نزلت في عذاب القبر[٤].

وعن مطرِّف بن عبد الله[٥] بن الشِّخِّير عن أبيه قال: انتهيتُ إلى النبي ﷺ وهو يقول: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾ فقال: «يقولُ ابنُ آدم: مالي مالي، وهل لك من مالكَ إلا ما أكلْتَ[٦] فأفنيت، أو لبسْتَ فأَبليت، أو تصدَّقْتَ فأمضيت»[٧].

* * *

(٣ ـ ٥) ـ ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿كَلَّا﴾: أي: ليس الأمرُ على ما أنتم عليه

---

(١) «وهذا قبر فلان» زيادة من (ف).

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٨١٩). وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٢٧٦)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٤٦٤)، عن مقاتل والكلبي. وذكره دون عزو الفراء في «معاني القرآن» (٣/ ٢٨٧)

(٣) «في القبر»: ليس في (أ).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٦٠٠).

(٥) في النسخ: «وعن عبد الله بن المطرف»، والصواب المثبت.

(٦) في (ف): «ملكت».

(٧) رواه مسلم (٢٩٥٨)، والإمام أحمد في «المسند» (١٦٣٠٦). قوله: «فأمضيت»؛ أي: أنفذت عطاءك ولم تتوقف فيه. انظر: «النهاية» (مادة: مضا).

﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾: عند الموت في وقتٍ ما يبشَّر به المحتضَر من جنةٍ أو نار.

﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾: ما تلقَونه من العذاب في الآخرة.

وقيل: الأول في القبر والثاني في يوم الحشر.

﴿كَلَّا﴾: أعاد الكلمة ـ وهي للزجر ـ لأنه[1] عقَّبه في كلِّ موضع بشيءٍ غيرِ ما عقَّبه في الموضع الآخر، كأنه قال: لا تفعلوا كذا فإنكم تستحقُّون به من العذاب كذا، لا تفعلوا كذا فإنكم تستوجبون به ضرباً آخر من العذاب، ثم ثالثاً كذلك.

﴿لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾: أي: علماً يقينيًّا، وهو إضافةُ الشيء إلى نفسه كما في قوله: ﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ﴾ [يوسف: ١٠٩]؛ أي: أن أمامكم حساباً وثواباً وعقاباً[2] لتركتُم التفاخر بالدنيا، والجواب محذوف وهو أبلغُ؛ لأنَّ النفس تذهب فيه كلَّ مذهبٍ، وهو كقوله: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ﴾ [سبأ: ٥١]، ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا﴾ [الأنعام: ٢٧]، ﴿لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الأنبياء: ٣٩]، ونظائرها.

***

(٦ ـ ٨) ـ ﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ (٦) ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ (٧) ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾.

﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾: وهذا علمُ اليقين، وهو قبل دخولها؛ كما قال: ﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى﴾ [النازعات: ٣٦].

﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾: إذا دخلتُموها.

وقيل: لتَرَوُنَّها ثم لتَرَوُنَّها، فإذا تكرَّر في غير مرة وقع عينَ اليقين، ولم يُردْ

---

(١) في (أ): «ثم».

(٢) بعدها في (ر) و(ف): «لو تعلمون».

به الاقتصار على رؤيتين، وهو كقوله: ﴿فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ ۝٣ ثُمَّ ٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ﴾ [الملك: ٣ـ٤]، كأنه قال: إن كنتُم شاكِّين فيها اليوم فلترونَّها رؤيةً دائمةً متصلةً، فـزول عنكم الشكوك.

﴿ثُمَّ لَتُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾: ﴿ثُمَّ﴾ هاهنا لترتيب الإخبار لا للوجود.

ويحتمِل أن يكون هذا على ظاهره، ويكون هذا سؤالَ توبيخ في النار؛ كقوله تعالى: ﴿كُلَّمَآ أُلۡقِيَ فِيهَا فَوۡجٞ سَأَلَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَذِيرٞ﴾ [الملك: ٨] وكقوله: ﴿مَا سَلَكَكُمۡ فِي سَقَرَ﴾ [المدثر: ٤٢]، يقول: لتُسألن يومئذ عن النعيم الذي تكاثرتُم به وألهاكم ذلك عن شكره وطاعةِ الله بقوته، وهذا على عمومِ كلِّ النِّعم.

وما روي في هذا من التخصيص فهو ذكرُ بعض النِّعم وتنبيهٌ على مثله، ومن ذلك ما روي في الحديث الطويل: أن النبي ﷺ دخل على [أبي] الهيثم بن التَّيهان مع جماعة من أصحابه، فقدم إليهم تمراً وماء واتَّخذ لهم شواءً وخبزاً، فقال: «هذا من النعيم الذي تسألون عنه»[(١)].

وروى أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «إن أول ما يُسأل عنه العبد يوم القيامة من النعيم أن يقال له: ألم نصحِّح لك جسمك ونرْوِك من الماء البارد»[(٢)].

وقال محمد بن كعب القرظي: ﴿ثُمَّ لَتُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾ يعني: عما أنعمَ الله عليكم بمحمد ﷺ[(٣)].

---

(١) رواه مسلم (٢٠٣٨)، والترمذي (٢٣٦٩) ـ وقال: حسن صحيح ـ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وليس في رواية مسلم تعيين الرجل، وما بين معكوفتين سقط من النسخ.

(٢) رواه الترمذي (٣٣٥٨)، وابن حبان في «صحيحه» (٧٣٦٤)، والحاكم في «المستدرك» (٧٢٠٠). قال الترمذي: حديث غريب.

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٢٨٢)، والماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٣٣٢).

وقال عكرمة: عن الصحة والفراغ[١].

ونظر وهب إلى رجل أصمَّ أعمى مقعدٍ مجذومٍ مصابٍ، فقيل له: هل بقي على هذا من النعم شيء؟ قال: نعم، أعظمُها: يسوغُ له ما يأكل ويشرب ويسهلُ عليه إذا خرج[٢].

وقال سعيد بن المسيب: ولما نزلت هذه الآية قيل: وأيُّ نعيم نُسأل عنه وقد أُخرجنا من ديارنا وأبنائنا؟! فقال النبي ﷺ: «ظلال المساكن، والماء البارد في اليوم الحار، والأخبية التي تكنُّكم[٣] من الحر والبرد، وصحة الأبدان»[٤].

وقال أنس بن مالك رضى الله عنه: ضاف رسولُ الله ﷺ المقدادَ بن الأسود، فقدم إليه طعاماً فأكله، ثم سقاه ماء بارداً فاستطابه وقال: «ما أبردها[٥] على الكبد!» ثم قال: «إذا شرب أحدكم الماء فليشرب أبردَ ما يقدر عليه» قيل: ولم؟! قال: «لأنه أطفأُ للمِرَّة وأنقعُ للغُلَّة[٦] وأبعثُ على الشكر»[٧].

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٢٨٢)، والبغوي في «تفسيره» (٨/ ٥٢٠).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٢٨٢).

(٣) في (ر): «تقيكم».

(٤) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٤/ ٢٨٨) من طريق عطاء عن ابن عباس: أن عمر رضي الله عنه قال: (وأي نعيم نسأل عنه يا رسول الله، وقد أخرجنا من ديارنا...) فذكره.

(٥) في (ف): «يا بردها».

(٦) في (أ) و(ر): «وأنفع للعلة». والغلة: العطش، وأنقع للغلة؛ أي: أقطع للعطش، يُقالُ: نَقَعَ الماء العطش؛ أي: سكَّنه.

(٧) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٢٧٨).

وقال الحسين بن الفضل: لتسأُلُنَّ عن النعيم: عن تخفيف الشرائع وتيسير القرآن.

اللهمَّ أَجْزِلْ لنا الثوابَ يوم الحساب

آمين والحمد لله رب العالمين

* * *

سُورَةُ

﴿وَالْعَصْرِ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

بسم الله الذي أقسم بالعصر، الرحمن الذي ذكر خُسر أهل الكفر، الرحيمِ بأهل الحق والصبر.

روى أبي بن كعب رضى الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «مَن قرأ سورة والعصر ختم الله له بالصبر، وكان من أهل الحق وأصحابه»(١).

وهذه السورة مكية، وهي ثلاث آيات، وأربعَ عشرةَ كلمةً، وأحد وسبعون حرفاً.

وانتظام السورتين: أنهما في الترغيب والترهيب.

* * *

(١ ـ ٣) ـ ﴿وَالْعَصْرِ ① إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ② إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ﴾: قال ابن عباس رضي الله عنهما والكلبي ومحمد بن كعب رحمهما الله: أقسم الله بالدهر(٢).

---

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٢٨٣)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ٥٥١)، وهو قطعة من الحديث الموضوع في فضائل السور. وانظر: «الفتح السماوي» للمناوي (٣/ ١١٢١)، و«الفوائد المجموعة» للشوكاني (ص: ٢٩٦).

(٢) ذكره عن ابن عباس رضي الله عنهما ابن فورك في «تفسيره» (٣/ ٢٦٩)، والثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٢٨٣)، ومكي بن أبي طالب في «الهداية» (١٢/ ٨٤٢٣)، والواحدي في =

وقال الحسن وقتادة: أقسم بالعَشيِّ[١].

وقال مقاتل رحمه الله: أقسم الله بصلاة العصر[٢]، وهو قولُ علي بن زيد بن جُدعان.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾: القسمُ على هذا، و﴿ٱلْإِنسَـٰنَ﴾ اسم جنس ومعناه الجمع، ولهذا صحَّ الاستثناء منهم.

وقال محمد بن كعب: إن الناس كلَّهم لفي خسر.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ﴾: قيل: هو خسرُ الأعمال وأنهم لا ينتفعون بها.

وقيل: هو قوله: ﴿إِنَّ ٱلْخَـٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ [الزمر: ١٥].

وقال الفراء: ﴿لَفِى خُسْرٍ﴾: لفي عقوبة بذنوبهم[٣].

وقال أبو عبيدة: ﴿لَفِى خُسْرٍ﴾: لفي هلَكةٍ ونُقصان[٤].

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ﴾: إن[٥] حُمل الإنسان على كلِّ بني آدم فالاستثناءُ متصل به، وإن كان على الكفار فالاستثناءُ منقطع بمعنى: لكن.

= «البسيط» (٢٤/ ٢٩٣)، والماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٣٣٣) وزاد نسبته لزيد بن أسلم.

(١) ذكره عنهما ابن فورك في «تفسيره» (٣/ ٢٦٩)، ومكي بن أبي طالب في «الهداية» (١٢/ ٨٤٢٣)، والماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٣٣٣). ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٦٩٢)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٦١٢) عن الحسن.

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٨٢٩).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٨٩).

(٤) انظر: «مجاز القرآن» (٢/ ٣١٠).

(٥) في (أ): «فإن»، وفي (ر): «فلو».

قوله تعالى: ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ﴾: أي: أوصى بعضهم بعضاً باتِّباع الحق.

﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾: على الحق والثبات عليه.

وقيل: هو الصبر على طاعة الله، وعن المعصية، وفي المحنة.

وقال مقاتل: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾ هو أبو لهب(١).

وقال الضحاك: هو أبو جهل(٢).

وقال عكرمة: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾ يعني: جميع الكفار ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ يعني: أبا بكر الصديق ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ يعني: عمر بن الخطاب ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ﴾ يعني: عثمان بن عفان ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾ يعني علي بن أبي طالب رضوان الله عليهم أجمعين(٣).

وروى عطاء عن ابن عباس: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾ يعني: جماعةَ المشركين منهم الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل السهمي والأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى، والأسود بن عبد يغوث(٤)، والحارث بن قيس ﴿لَفِى خُسْرٍ﴾؛ أي: لفي غَبْنٍ ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ يريد: أبا بكر وعمر وعثمان وعليٍّ، وأبا

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٨٢٩).

(٢) لم أجده عن الضحاك، ورواه الثعلبي في «تفسيره» (٣٠/ ٢٤٤) ضمن خبر مرفوع من طريق أبي أمامة عن أبي بن كعب، وفي إسناده مجاهيل، وقال السمعاني في «تفسيره» (٦/ ٢٧٩): خبر غريب. ثم رواه الثعلبي عقبه عن ابن عباس موقوفاً.

(٣) لم أجده عن عكرمة، ورواه الثعلبي في «تفسيره» (٣٠/ ٢٤٤) ضمن مرفوع أبي أمامة عن أبي بن كعب وموقوف ابن عباس السابقين، وفيهما: أبو جهل، بدل: «جميع الكفار». انظر التعليق السابق.

(٤) إلى هنا ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٢/ ٤٦٥) من طريق الضحاك عن ابن عباس.

عبيدةَ بنَ الجراح، وطلحة بن عبيد الله، وعبد الرحمن بن عوف، والزبير بن العوام، وسعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، والمهاجرين والأنصار رضوان الله عليهم أجمعين.

* * *

سُورَةُ الهُمَزَةِ[1]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

بسم الله الذي أَوْعَد مَن جمع مالاً وعدَّده، الرحمنِ الذي خوَّفنا بالنار الموقَدة، الرحيمِ الذي جعلها على غيرِ المؤمنين مُؤْصَدة.

روى أبي بن كعب رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «مَن قرأ سورة ويل لكلِّ همزة أعطاه الله عشر حسنات بعددِ مَن استهزأ بمحمد وأصحابه»[2].

وهذه السورة مكية، وهي تسع آيات وثلاثٌ وثلاثون كلمةً ومئةٌ وثلاثون حرفاً.

وانتظام السورتين: أنهما في وعيد الكفار بالعذاب والخَسَار.

***

(١) ـ ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾:

الهمزة: الكثيرُ الطعن على غيره بغيرِ حق، العائبُ له بما ليس فيه.

واللمزة: المشير إليه بالاستهزاء والضحك.

---

(١) في (ر): «سورة ويل لكل».

(٢) رواه الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٢٨٥)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ٥٥٢)، وهو قطعة من الحديث الموضوع في فضائل السور. وانظر: «الفتح السماوي» للمناوي (٣/ ١١٢٢)، و«الفوائد المجموعة» للشوكاني (ص: ٢٩٦).

وقال ابن عباس: الهمزة: الطعان، واللمزة: المغتاب[1].

وقال الكلبي: الهمزة باللسان، واللمزة بالعين.

وقال مجاهد: الهمزة بالعين واليدين، واللمزة باللسان[2].

وقال قتادة: الهمزة: الذي يأكل لحوم الناس، واللمزة: الذي يطعن عليهم[3].

وقال أبو العالية: الهمزة: الذي يهمز في الوجه، واللمزة: الذي يَلمز من خلفٍ[4].

والفُعَلة بضم الفاء وفتح العين هو نعتُ المبالغة للفاعل، وبتسكين العين للمفعول؛ كالضُّحَكة والضُّحْكة، واللُّعَبة واللُّعْبة، والـهُزَأة والـهُزْأة.

وعن أبي الجوزاء قال: قلت لابن عباس: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ مَن هؤلاء الذين هدَّدهم الله تعالى بالويل؟ فقال: هم المشَّاؤون بالنميمة، المفرِّقون بين الأحبة، الباغون البُرآءَ العنت[5].

وعن ابن عباس: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾[6] نزلت في الأخنس بن شَرِيقٍ الثَّقَفيِّ، كان يقع في الناس ويغتابهم مقبلين ومدبرين[7].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٦١٨).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٦١٨) بلفظ: (الهمزة باليد واللمزة باللسان).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٦١٨). ووقع في (أ) و(ف): «يلعن عليهم»، وفي (ر): «يعيب عليهم»، والمثبت موافق لما في الطبري، ولفظه: (الطعان عليهم).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٦١٨).

(٥) رواه وكيع في «الزهد» (٤٤٧)، وهناد في «الزهد» (١٢١٤)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٦١٦ ـ ٦١٧). ووقع عند الطبري: (العيب) بدل: «العنت». وروى الإمام أحمد في «المسند» (٢٧٥٩٩)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٣٢٣)، من حديث أسماء بنت يزيد رضي الله عنها مرفوعا: «شرار عباد الله المشاؤون...» الحديث.

(٦) في (أ) و(ف): «وعن ابن عباس أنه قال».

(٧) ذكره عنه السمعاني في «تفسيره» (٦/ ٢٨٠)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ٤٨٨) (ط: دار =

وقيل: نزلت في جميل بن عامرٍ الجُحمي(١).

وقال مجاهد: ليست خاصةً لأحد(٢).

***

(٢) ـ ﴿ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ﴾

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ﴾: قرأ حمزة وابن عامر: ﴿جمَّع﴾ بالتشديد، والباقون بالتخفيف(٣).

قال الفراء: بالتخفيف بمعنى: حفظ، وبالتشديد بمعنى: أحصى(٤).

وقال أبو معاذ: بالتشديد على معنى: أنه جمعه من هاهنا ومن هاهنا، ولم يجمعه في يوم ولا يومين ولا شهر ولا شهرين ولا سنة ولا سنتين.

وقوله تعالى: ﴿وَعَدَّدَهُۥ﴾: أي: أحصاه، والتشديد لكثرة المعدود.

وقال السدي: أحصاه(٥).

وقال محمد بن كعب: يقول: هذا لي وهذا لي.

= الكتاب العربي)، وصرح ابن الجوزي أنه من رواية أبي صالح عن ابن عباس، وذكره البغوي في «تفسيره» (٨/ ٥٣٠) عن الكلبي، فتكون رواية ابن عباس من طريق الكلبي عن أبي صالح عنه. ووردت أيضاً من رواية الضحاك عنه كما في «تفسير القرطبي» (٢٢/ ٤٧٠). ورواه ابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» (٨/ ٦٢٣) من قول السدي. وقد روى الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٦٢٠) عن ابن عباس أنها نزلت في مشرك معين لكنه لم يسمه.

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٦١٩) من طريق ابن أبي نجيح عن رجل من أهل الرقة، ومن طريق ورقاء عن يزيد الرقاشي.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٦٢٠).

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٢٩٧)، و«التيسير» (ص: ٢٢٥). وقرأ الكسائي كحمزة وابن عامر.

(٤) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٩٠).

(٥) رواه ابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» (٨/ ٦٢٤).

وقيل: ﴿وَعَدَّدَهُۥ﴾؛ أي: كثَّره؛ يقال: هذا مال له عددٌ؛ أي: كثرةٌ، و: في بني فلان عدد؛ أي: كثرة.

وقال أبو معاذ: ﴿وَعَدَّدَهُۥ﴾؛ أي: هيَّأه للوجود، هذا لكذا وهذا لكذا من العُدة بمعنى: أعدَّه وأرصده

وقال الأخفش: وعدَّده للدهور، وأعدَّ وعدَّد واحد، كقولهم: أَجَدَّ وجَدَّدَ، وأَحَدَّ وحدَّد.

وهذا كلُّه دلالةُ الإمساك، كقوله: ﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ﴾ [المعارج: ١٨].

وقال مقاتل بن حيان: نزلت في الأخنس بن شريقٍ، كان له أربعةُ آلاف دينار يفتخر بها.

* * *

(٣ ـ ٧) ـ ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ۝٣ كَلَّا ۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ۝٤ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ۝٥ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ۝٦ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ﴾.

﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ﴾: أي: أيظن[1] أن ماله هذا قد بقَّاه في الدنيا، وإنما قال: ﴿أَخْلَدَهُۥ﴾ على الماضي دون المستقبل؛ لأن هذا الجاهلَ كان هذا المالُ عنده للحال موصوفاً بهذا؛ كأن ماله حكم له بالخلود، وكأنه قال: يحسب أن ماله آمنه الموت.

﴿كَلَّا﴾: أي: ليس كما يتوهَّمه.

﴿لَيُنۢبَذَنَّ﴾: أي: ليُطرحَنَّ حقًّا.

﴿فِى ٱلْحُطَمَةِ﴾: وهي من أسماء جهنم، سُميت بها لأنها تَحْطِمُ كلَّ ما أُلقي فيها؛ أي: تَدقُّه وتكسره.

---

(١) في (ف): «يظن».

وقال الكلبي: ﴿ٱلْحُطَمَةِ﴾: الباب السادس من النار[١].

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ﴾: وهذا تفخيم لشأنها.

﴿نَارُ ٱللَّهِ﴾: أي: أعدَّها الله تعالى لأهلها ﴿ٱلْمُوقَدَةُ﴾؛ أي: قد أُوقدت منذ سبعة آلاف سنة.

﴿ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ﴾: أي: تُحرقهم حتى تصل إلى أجوافهم، وتُشرفَ على أفئدتهم وتعلوَ عليها، وينالهم بذلك الألمُ الشديد، ولا يموتون لأنها لا[٢] تخالط أفئدتهم، ويصيرُ المعذَّب كما قال الله تعالى: ﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ [طه: ٧٤].

وقال الفراء رحمه الله تعالى: ﴿تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ﴾؛ أي: يبلغ ألمها الأفئدة، ويقال: متى اطَّلعْت أرضنا؛ أي: متى بلَغْتَها[٣].

فالأول مقارَبة وهذا مخالطةٌ.

ويقال: تحرق كلَّ الأعضاء حتى تقاربَ القلب فلا تحرقه، ثم تعاد الأعضاء، وإنما لا يحترق القلب لئلا[٤] ينقطِع الألم والعلمُ بالألم، فيدومُ العذاب.

قال أبو سعيد: أي: أنها تعلم مقدار ما يستحِقُّ كلٌّ منهم من العذاب لِمَا كان في قلبه، من قولك: اطَّلع فلان على أمرنا؛ أي: وقف عليه وعلِمه؛ أي: جعلها الله تعالى تُحرق كلَّ أحد على استحقاقه، لا تزيد ولا تَنقص؛ كأنها وقفت على مَبلغ استحقاقه[٥].

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٣٣٦). وذكر الواحدي في «البسيط» (١٤/ ٣١١) عن الكلبي أيضاً: الحطمة اسم من أسماء النار، وهي الدرجة الثانية من درج النار.

(٢) في (ر): «لم».

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٩٠).

(٤) في (ر): «كي لا».

(٥) ذكره بنحوه دون عزو الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٣٣٧). والقرطبي في «تفسيره» (٢٢/ ٤٧٤).

قال: ولمَّا جاز وصف النار بالتغيُّظ، وبأنها تدعو مَن أدبر وتولَّى، جاز وصفها بهذا.

* * *

(٨ ـ ٩) ـ ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۝٨ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ﴾.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ﴾: أي: إن هذه النارَ على كلِّ همزةٍ لمزةٍ، أو على أصحاب هذه الأفئدة وهم الكفار، مطبَقةٌ لا تنفرج ولا يدخلها رَوحٌ، وبيان القراءة وذكرُ مآخذها مرَّا في سورة البلد.

قوله تعالى: ﴿فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ﴾: قرأ حمزة والكسائي: ﴿في عُمُد﴾ بضمتين، وكذا عاصم في رواية أبي بكر، والباقون بفتحتين[1]، وهما لغتان في جمع عمادٍ وعَمود، والعماد والعُمُد ـ بالضم ـ كالحِمار والحُمُر، وبالفتح كالإهاب والأَهَب، والعمود والعُمُد ـ بالضم ـ كالرسول والرسُل، ومعناه: تُطرح العمدُ على أبوابها وتمدُّ عليهم لاستحكام يأسهم.

وقال الحسن: لجهنم سرادقٌ كما قال: ﴿أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ [الكهف: ٢٩] وللسُّرادق عمدٌ، فإذا مُدَّت تلك العُمد أُطْبقت جهنم على أهلها.

وقيل: ﴿فِي عَمَدٍ﴾؛ أي: بعمدٍ؛ كقولك: فعلت[2] كذا بموضع كذا وفي موضع كذا؛ أي: أُطبقت بها.

* * *

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٢٩٧)، و«التيسير» (ص: ٢٢٥).

(٢) في (أ): «قلت».

سورة الفيل

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الذي أهلك أصحابَ الفيل، الرحمنِ الذي جعل كيدهم في تضليل، الرحيمِ الذي أرسل على قاصدي[1] بيته طيراً أبابيل.

روى أبي عن أبي كعب رضى الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «من قرأ سورة ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ أعاذه[2] الله تعالى أيامَ حياته من القذف والمسخ»[3].

وهذه السورة مكية، وهي خمسُ آيات، وثلاث وعشرون كلمة، وثلاثةٌ وسبعون حرفاً.

وانتظام السورتين: أنهما في عقوبة الكفرة؛ هذه في الدنيا وتلك في الآخرة.

وفي هذه السورة تذكيرُ قريش المنةَ في تنحية الحبشة عن بلادهم، ومنعِهم عن هدم الكعبة التي بها فخرُهم وعزُّهم، وفيها حثٌّ على الإيمان بمحمد ﷺ؛ إذ بسببه جرى ذلك معجزةً له، ودلالةً على مجيء مَن يعظِّم البيت ويُقيم مناسكه.

وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهم: أن أبرهة بن الصباح بنى

---

(١) في (ف): «قصدة».

(٢) في (أ): «الفيل عاذه» بدل من «ألم تر أعاذه».

(٣) رواه الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٢٨٨)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ٥٥٤)، وهو قطعة من الحديث الموضوع في فضائل السور. وانظر: «الفتح السماوي» للمناوي (٣/ ١١٢٣)، و«الفوائد المجموعة» للشوكاني (ص: ٢٩٦).

كنيسةً بصنعاء يقال له: القُلَّيْس، وكتب إلى النجاشي: إني لست منتهياً حتى أصرفَ إليها حجَّ العرب، فسمع بذلك رجل من بني كنانة، فخرج إلى القلَّيس، ودخلها ليلاً فأَحْدَث فيها، فبلغ ذلك أبرهةَ فحلف بالله ليسيرن إلى الكعبة حتى يهدمها، فجمع الأحابيش وجنَّد الأجناد فأكبرت[١] العرب ذلك، فخرج ملك يقال له: ذو نفرٍ، فقاتله فهزمه أبرهة وأخذ ذا نفر أسيراً[٢]، فلما دنا من بلاد خثعم خرج نُفيل بن حبيبٍ بقومه فقاتلوه، فهزمه أبرهة[٣] وأخذ النفيل، حتى إذا مر بالطائف خرج إليه مسعود بن معتبٍ[٤] الثقفي فقال: أيها الملك، ليس بيننا وبينك خلاف، ونحن نبعثُ معك مَن يدلُّك، فبعثوا[٥] رجلاً يقال له: أبو رِغالٍ، فمات أبو رغالٍ.

وبعث أبرهة من المغمّس[٦] ـ وهو موضع بظهر مكة ـ رجلاً يقال له: الأسود ابن مقصود، على مقدِّمة خيله، فجمع إليه أموال الحرم وأصابَ لعبد المطلب جدِّ رسول الله ﷺ مئتي بعيرٍ.

ثم إن أبرهة بعث حُناطةَ الحميريَّ إلى أهل مكة فقال: سل عن شريفها ثم أبلغه ما أُرسلك به، وقل له: إني لم آتِ لقتال، إنما جئت لأهدم الكعبة[٧]، فانطلق حناطةُ حتى أتى مكة، فلقي عبد المطلب فقال: إن الملك أرسلني إليك لأخبرك أنه لم يأت

(١) في (أ): «فأكثرت»، وفي (ر): «فأكرب».

(٢) «أسيراً» زيادة من (ف).

(٣) في (أ): «فهزمهم» بدل من «فهزمه أبرهة».

(٤) في (ر): «مغيث».

(٥) بعدها في (أ): «مكة».

(٦) كمعظَّم ومحدِّث: موضع بطريق الطائف فيه قبر أبي رغال. انظر: «القاموس» (مادة: غمس).

(٧) في (أ): «لأهدم هذه البيت»، وفي (ف): «لهدم الكعبة».

لقتال إنما جاء ليهدم هذا البيت ثم ينصرفَ عنكم، فقال له: ما له عندنا قتالٌ وما لنا به يد، سنخلِّي بينه وبين ما جاء له، فإن خلَّى الله بينه وبين ما أراد فهو بيتُه، قال: فانطلِقْ معي، فأردفه بغلته حتى قدم به المعسكر.

وكان ذو نفرٍ صديقاً لعبد المطلب، فأتاه فقال[1]: يا ذا نفر، هل عندكم من غَناءٍ فيما نزل بنا[2]؟ فقال ذو نفر: ما غناءُ مَن لا يأمَنُ أن يُقتل كلَّ؟! ولكني سأبعثُ لك إلى أنيسٍ سائق[3] الفيل وأسأله أن يُعِينك عند الملك ويُعْظِم خطرك عنده، فأرسل إلى أنيس وقال: أتاك سيد قريش وصاحبُ عِير مكة الذي يُطعم الناس، فاستأذن له على الملك ونبِّهْه على شأنه وشرفه.

وكان عبد المطلب جسيماً وسيماً قسيماً تأخذه العين، فلما رآه أبرهةُ عظَّمه وكرَّمه، فقال له عبد المطلب: أيها الملك، إنك قد أصبتَ مالاً لي فارْدُدْه عليَّ، فقال له الملك: لقد كنتَ أعجَبْتَني حين رأيتُك، ولقد زهدْتُ فيك الآن، قال: ولم؟ قال: جئتُ لأهدم بيتاً هو دِينك ودِين آبائك فلم تكلِّمني فيه وكلَّمتني في مئتي بعير؟! فقال عبد المطلب: أما الأبل فأنا ربُّها، وللبيت ربٌّ سيمنعُه، قال أبرهة: ما كان ليمنعَه مني، فقال عبد المطلب: لقد طلبه تبعٌ وسيفُ ذي يزنَ وكسرى فلم يقدروا عليه، فأنت وذاك، فرد إبله عليه.

ثم خرج عبد المطلب وأخبر قريشاً وأهلَ مكة الخبر، وأمرهم[4] أن يتحرَّزوا،

---

(١) في (أ): «فأتاه». وفي (ر): «فناداه»، بدل: «فأتاه فقال».

(٢) في (أ): «بكم».

(٣) في أكثر المصادر: (سائس).

(٤) في (ر): «أنجزوا أمرهم»، بدل: «الخبر وأمرهم».

فتحرَّزوا(١) في رؤوس الجبال، وأتى عبد المطلب الكعبةَ فأخذ بحَلْقة الباب وجعل يقول(٢):

يارب إن المرء يمـ ـنعُ رحله فامنَعْ حِلَالَك
لا يغلبَنَّ صليبُهم ومحالُهم أبداً مِحَالك
إن كنتَ تاركَهم وكعْـ ـبتنا فأمرٌ مّا بدا لك

وكان أبرهة نصرانياً، فتهيأ لدخول مكة وعبَّأ جيشَه، وقرب فيله وكان يقال له: محمود.

وقال الضحاك: كانت الفيلة ثمانيةً(٣).

وقال مقاتل: كان معهم فيلٌ واحد(٤).

فأقبل نفيلٌ(٥) حتى أخذ بأذن الفيل ثم قال له: ابرك يا محمودُ وارجِعْ راشداً من حيث جئتَ فإنك في بلد الله وفي حرمه، فبرك الفيل، فبعثوه فأبى، فضربوه بالمعول في رأسه فأبى، فأدخلوا محاجنهم تحت أقدامه ومرافقه فأبى، فوجَّهوه نحو اليمن فقام يُهرول، فوجهوه نحو الشام فقام يُهرول، فصرفوه نحو الحرم فبرك وأبى أن يقوم، فلحق نفيلٌ بجبل من تلك الجبال.

---

(١) «فتحرزوا» ليس من (ف).

(٢) في (أ) و(ف): «وقال»، بدل: «وجعل يقول».

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٣٤٠)، والواحدي في «البسيط» (٢٤/ ٣٢٢).

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٨٤٨).

(٥) هو نفيل بن حبيب الخثعمي كما قال ابن إسحاق، وقيل: هو نفَيْل بن عبد الله بن جُزْء بن عامر بن مالك بن واهب بن جليحة بن أكلب بن ربيعة بن عفرس بن جلف بن أفتل، وهو خثعم. انظر: «الرَّوْض الأُنُف» (١/ ٢٦٩ ـ ٢٧٠).

وأرسل الله تعالى طيراً[١] من البحر كالبَلَسان[٢] مع كلِّ طائر ثلاثةُ أحجار: حجران في رجليه وحجرٌ في منقاره، أمثالَ العدس والحمِّص، فلما غشِيتِ القوم أرسلتْها فلم تصب الحجارةُ أحداً إلا أهلكته، وكان عبد المطلب قد قال فيهم قبل ذلك:

يـا ربِّ فاحفَـظْ منهـم حِمـاكَ ... إن عـدوَّ البيـت مَـن عـاداكا

يـا ربِّ لا أرجـو لهـم سـواكا ... امْنَعْهُـمُ أنْ يُخْرِبـوا قُـراكا[٣]

وفي رواية: كانت سوداً صغارَ المناقير خضراً طوالَ الأعناق، مع كل طائر حجر مكتوب عليه اسم صاحبه الذي يُرمَى به.

وقال الربيع: كانت لها أنياب كأنياب السباع[٤].

وقالت عائشة رضي الله عنها: كنَّ أشبهَ شيءٍ بالخطاطيف[٥].

وقال سعيد بن جبير: لم يُرَ قبلَها ولا بعدَها مثلُها[٦].

---

(١) في (ف): «الطير».

(٢) البلسان: ضرب من الطيور. انظر: «الإملاء المختصر في شرح غريب السير» لأبي ذر الخشني (ص: ١٨).

(٣) هذه القصة بهذا السياق مروية عن ابن إسحاق، كما في «السير والمغازي» لابن إسحاق (ص: ٦١ـ٦٤)، و«السيرة النبوية» لابن هشام (١/ ٤٣ـ٥٣)، و«تفسير الطبري» (٢٤/ ٦٣٥ـ٦٤٢). ورواها الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٢٨٨ ـ ٢٩٣) فقال: (قال محمد بن إسحاق: كان من قصة أصحاب الفيل فيما ذكر بعض أهل العلم عن سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس، وعمّن لقي من علماء أهل اليمن وغيرهم...) وذكر القصة بتمامها.

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٢٩٧)، البغوي في «تفسيره» (٨/ ٥٤١).

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٢٩٧)، والماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٣٤٢). الخطاطيف: ضرب من الطيور. انظر: «الإملاء المختصر في شرح غريب السير» لأبي ذر الخشني (ص: ١٨).

(٦) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٣٤٢). وذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٢٩٧) عن عكرمة.

وقال ابن مسعود: لما ألقت بعث الله تعالى ريحاً فضربت الحجارة فزادتها شدةً[١].

وقال مقاتل بن سليمان: خرج فتيةٌ من قريش تجاراً إلى أرض النجاشي، فساروا حتى دنَوا من ساحل البحر، وفي حِقْفٍ من أحقافها بِيعةٌ للنصارى يسمُّونها: الهيكل، فنزلوا وأوقدوا ناراً وشوَوا، ولما ارتحلوا تركوا النار وهو في يوم عاصف، فهاجت الريح واضطرم الهيكلُ ناراً، فانطلق الصَّريخ إلى النجاشي، فأسِف على ذلك، وأتاه أبرهة بن الصَّبَّاح وحُجر بن شراحيل وأبو يكسوم الكِنْديون، فقالوا: أيها الملك، لا تكتئبْ فنحن ننسف أسَّ الكعبة ونُبيح دماءها وننهبُ أموالها، فاعزم إذا أحببت.

فخرج مع كتائبه ومعهم الفيل في جحافل تضيق عنهم الطريق، فلما أشرف على مكة مر بإبل سائمةٍ لعبد المطلب فاستاقها، فركب الراعي حتى أتى مكة فرقى الصفا ثم نادى: يا صباحاه أتتكم السودان معها فيلُها ليهدموا كعبتكم ويبيحوا حماكم، ثم أخبر عبد المطلب بأمر إبله، فركب حتى انتهى إلى[٢] العسكر، فقال أبرهة وحجرٌ وكانا له خلَّين: ارجع إلى قومك فأنذرهم أن هذا جاءكم حميًّا أبيًّا[٣]، فقال: واللات والعزى ما أرجع إلا بإبلي، فقالا له: أيها الملك، ارددْ إليه إبله فإنما هو وقومه لك غداً[٤]، فأحرز عبد المطلب إبله وقال: إن للكعبة ربًّا يمنعها.

وكان أبو مسعودٍ الثقفيُّ ضريرَ البصر نبيهاً يُستشفَى برأيه، فقال عبد المطلب:

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٢٩٨). ورواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٥٠١٤) من قول عبيد بن عمير.

(٢) في (ف): «حتى أتى».

(٣) في (أ): «آبياً»، وفي «تفسير مقاتل»: (آتياً).

(٤) في (ف): «عبداً»، وفي «تفسير مقاتل»: (بالغداة).

ما عندك في هذا؟ فقال: اجعل مئةً من إبلك لله تعالى وقلِّدها ثم سيِّبْها في الحرم، لعل السودان تَعقرها فيغضبَ ربُّ البيت، ففعل فعقروها، فقال أبو مسعود: ما فُعل بإبلك؟ قال: عُقرت، قال: فما تقول في رجل اتَّخذ قلادةً لامرأته فسلبها قومٌ أليس يغار[1] على ذلك؟ قال: نعم، قال: انظر، ماذا ترى من البحر؟ قال: أرى طيراً بيضاً قد نشأت، قال: ارمقها، قال: والله ما أعرفها، وإنها أشباهُ اليَعاسيب، في مناقيرها الحصى، فجاءت حتى حاذت العسكر وألقت ما في مناقيرها ورجعت، ثم قال عبد المطلب: لا أسمع لهم ركزاً، فانحطَّا من الجبل فدخلا العسكر فإذا هم موتى، فجمَعا من الذهب والفضة[2] والجواهر، وحفر كلٌّ واحد منهم حفرةً لنفسه وملأها من المال، فكان ذلك سببَ غناهما، وأنزل الله تعالى يخبر نبيه عليه السلام بذلك فقال: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ﴾[3].

وقال محمد بن إسحاق: بعث الله على أبرهةَ داءً في جسده، وخرج القومُ وصاح[4] بعضهم في بعض[5]: أين نفيل؟ يريدون الطريق، ونفيل ينظر إليهم من فوق الجبل قد هرب منهم، فخرجوا سراعاً يتساقطون ويموتون، وجعل أبرهة تتساقط أناملُه، كلما سقطت أنملةٌ أتبعتْها مِدَّةٌ وقيحٌ ودم، فانتهى إلى اليمن وهو مثلُ فرخ الطير المنتوف فيمَن بقي من أصحابه، وما مات حتى انصدع صدره عن قلبه وهلك[6].

---

(١) في (أ): «بغيار».

(٢) «والفضة» ليس من (أ) و(ف).

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٨٤٧ ـ ٨٥٣)، وذكره عنه الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٢٩٣).

(٤) في (أ): «وصرخ القوم وماج القوم» بدل: «وخرج القوم وصاح».

(٥) في (ف): «لبعض» بدل من «في بعض».

(٦) انظر: «السيرة النبوية» لابن هشام (١/ ٥٣ ـ ٥٤)، و«تفسير الطبري» (٢٤/ ٦٤٢)، و«تفسير الثعلبي» (١٠/ ٢٩٣).

وقال الكلبي ومقاتل وجماعة: إن الملك هو النجاشي، وصاحب الجيش أبرهة، وكان أبو يكسوم من ندمائه ـ وقيل: كان وزيرَه ـ فلما أهلكهم الله تعالى بالحجارة لم يُفلت منهم إلا أبا يكسوم، فسار وطائرٌ يطير فوقه، ولم يشعر به حتى دخل على النجاشي فأخبره بما نالهم[١]، فلما استتم كلامه رماه الطائر فسقط فمات، فأرى الله تعالى النجاشي كيف كان هلاك أصحابه[٢].

قال الواقدي: كان أبرهةُ جدَّ النجاشي الذي كان في زمن النبي ﷺ[٣].

قال مقاتل: كان ذلك قبل مبعثِ النبي ﷺ بأربعين سنة، وفي تلك السنة كانت ولادتُه ﷺ[٤].

***

(١ ـ ٣) ـ ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾: أي: ألم تعلم يا محمد بالأخبار الشائعة[٥] علماً يوازي العِيان في الإيقان؟ وهو استفهام بمعنى التقرير؛ أي: قد علمتَ، والمراد به هو وقريش.

﴿كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ﴾: وهم الحبَشة الذين قصدوا البيت ليخرِّبوه.

---

(١) في (ر): «بمآلهم».

(٢) ذكره عنهما الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٢٩٦)، والماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٣٤١).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٢٩٦).

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٨٥٣)، وذكره عنه الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٢٩٦).

(٥) في (أ): «السايقة».

﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ﴾: استفهام بمعنى التقرير أيضًا؛ أي: قد ضلَّل كيدهم؛ أي: أبطل مكرهم.

﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا﴾: جمع طائر ﴿أَبَابِيلَ﴾؛ أي: جماعاتٍ في تفرقةٍ يَتبعُ بعضُها بعضاً.

قال أبو عبيدة: ولم نر أحداً جعل لها واحداً، ومعناها: جاءت من هاهنا ومن هاهنا[1].

وقال قطرب: ﴿أَبَابِيلَ﴾: متقطِّعةً، يقال: ذهبت الإبل أبابيل. قال زهير:

وبالفوارس من ورقاءَ قد علموا إخوان صدق على جردٍ أبابيل[2]

وقال الخليل: ﴿أَبَابِيلَ﴾؛ أي: إبِّيلاً إبِّيلاً؛ أي: قطيعاً قطيعاً[3].

وقال الفراء: لا واحد لها من لفظها كالعبابيد.

وقيل: واحدها: إبَّالة[4].

وقال الفراء: ولو قيل: إيبالة، كان صواباً؛ كالدينار والدنانير[5].

وقال نفطويه: قيل: واحدها: إبِّيل وإبَّوْل، قياساً لا سماعاً.

* * *

(٤ ـ ٥) ـ ﴿تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾.

---

(١) انظر: «مجاز القرآن» (٢/ ٣١٢).

(٢) انظر: «ديوان زهير» بشرح الأعلم (ص: ٥١).

(٣) انظر: «العين» (٨/ ٣٤٣).

(٤) ذكره الفراء عن الرؤاسي، وهو أبو جعفر الكوفي النحوي أستاذ الكسائي.

(٥) انظر: «معاني القرآن» (٣/ ٢٩٢).

﴿تَرْمِيهِم﴾: أي: ترمي الطيرُ، وقرأ أبو حنيفة رحمه الله: (يرميهم) بالياء؛ لظاهر لفظ الطير.

وقيل: أي: يرميهم الله، وهذه قراءة أشهب العقيليِّ وطلحة بن مصرف[١].

﴿بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ﴾: قال أبو عبيدة: السجيل هو كلُّ شديد[٢].

وقال الخليل: هو من حجر وطين[٣].

وقيل: هو معرب سَنْكَ وَكَلْ[٤].

وقيل: هو ما كتبه الله عليهم في اللوح المحفوظ من السِّجِلِّ وهو الكتاب.

وقيل: ﴿مِّن سِجِّيلٍ﴾؛ أي: مما صبه الله تعالى عليهم، والسَّجْل: الدلو المليء ماء.

وقال الضحاك: ﴿مِّن سِجِّيلٍ﴾؛ أي: من السماء الدنيا[٥].

وقال عكرمة: هو بحر في الهواء[٦].

﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾: قيل: هو ورق الحنطة. وقيل: هو التِّبن.

وقال الحسن: هو الشعير إذا قُضب[٧].

---

(١) ذكرها عنهم الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٢٩٧)، وهي في «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٨٠) عن عيسى وابن يعمر.

(٢) انظر: «مجاز القرآن» (٢/ ٣١٢).

(٣) انظر: «العين» (٦/ ٥٤).

(٤) رواه ابن أبي شيبة (٢٩٩٧٨)، والطبري في «تفسيره» (١٢/ ٥٢٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ٢٠٦٨)، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وزاد بعضهم فيه: (حجر وطين).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٦٣٥) عن ابن زيد وسعيد بن أبي هلال.

(٦) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٣٤٣).

(٧) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٢٩٨).

وقال أبو عبيدة: هو ورق الزرع[(١)].

وقال الكسائي: هو السُّنبل.

وقال الفراء: هو أطراف الزرع قبل أن يدرِك السُّنبلُ[(٢)].

وقال نِفطويه: هو وعاء الزرع.

﴿مَّأْكُولٍۭ﴾: أي: أُكل لبُّه وبقي قشرُه.

وقيل: أي: أكلتهُ البهائم ثم راثَتْه، فيبس وتفرَّقت أجزاؤه؛ أي: تقطعت أوصالهم فصاروا كذلك.

والحمد لله رب العالمين

* * *

---

(١) انظر: «مجاز القرآن» (٢/ ٣١٢).

(٢) انظر: «معاني القرآن» (٣/ ٢٩٢)،وفيه: (...قبل أن يدرك ويسنبل).

سُورَةُ قُرَيْشٍ(1)

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

بسم الله ربِّ البيت الحرام، الرحمنِ مطعِمِ الطعام، الرحيمِ مؤمنِ الأنام.

روى أبي بن كعب رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «مَن قرأ سورة لإيلاف(2) قريش أعطاه الله تعالى عشر حسنات بعددِ مَن طاف حول البيت واعتكف به»(3).

وهذه السورة مكية، وهي أربع آيات وسبعَ عشرةَ كلمة وثلاثةٌ وستون حرفاً.

وانتظام السورتين: أنهما في ذكر البيت الحرام وما له من القَدْر والاحترام.

* * *

(1 ـ 3) ـ ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ١ إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ ٢ فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ ٣﴾.

قوله تعالى: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ﴾: اللام لها ثلاثة أوجه:

قيل: هي لام التعجُّب؛ أي: اعجَبوا من كفر قريشٍ مع إيلافنا إياهم ﴿فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ﴾؛ أي: إلزامنا، وقيل: تهيئتنا.

---

(1) في (ر): «سورة لإيلاف قريش».

(2) «لإيلاف» ليس من (أ).

(3) رواه الثعلبي في «تفسيره» (10/ 299)، والواحدي في «الوسيط» (4/ 555)، وهو قطعة من الحديث الموضوع في فضائل السور. وانظر: «الفتح السماوي» للمناوي (3/ 1124)، و«الفوائد المجموعة» للشوكاني (ص: 296).

وقيل: هي متصلةٌ بالسورة الأولى؛ أي: فعلنا بأصحاب الفيل ذلك لنؤلِّف قريشاً رحلتيها.

وقيل: هي متصلة بما بعدها: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ﴾ لإيلافنا ذلك، والإيلاف: تعدية الإلف؛ أَلِفْتُ الشيءَ؛ أي: لزمتُه، وآلَفني غيرى ذلك.

وقال ابن الأنباري: أَلِفَ الشيء؛ أي: هيَّأه وجهزه.

يقول: فعلت بهم ذلك لأُوْلِف قريشاً رحلتيهم اللتين هما قِوام عيشهم؛ إحداهما في الشتاء والأخرى في الصيف؛ لأن مكة بلدٌ جَدْبٌ لا زرعَ فيه ولا ضرع؛ كما قال: ﴿بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ﴾ [إبراهيم: ٣٧]، فكان أشراف مكة يرتحلون للتجارة هاتين الرحلتين، فيمتارون لأنفسهم ولمن وراءهم من عشيرتهم[١] ببضائعهم ما يكفيهم عامَهم، وكان تمامُ هاتين الرحلتين بأهل[٢] الآفاق من رؤساء الممالك وإيجابهم وتوقيرهم لقريش، وقولهم لهم: هؤلاء جيرانُ بيت الله تعالى وسكانُ حرمه وولاةُ الكعبة، فلو تمَّ لأهل الحبشة ما عزموا عليه من هدم الكعبة لزال عنهم هذا العزُّ، ولبطلت هذه الحرمات، ولصاروا هم وغيرهم سواءً يُتخطَّفون من كل جانب، ويُتعرَّض لهم بالمكاره في النفوس والأموال، فصان الله عليهم جاههم، وزاد بإهلاك أصحاب الفيل عزَّهم، وأدام لهم رحلتيهم.

وقال أبو عبيدة: أَلِفَ وآلَفَ واحدٌ كقولهم: نَكِرَ وأَنْكَرَ[٣]، ومعناه: لتألَفَ قريشٌ[٤] ذلك.

---

(١) في (ف): «عشائرهم».

(٢) في (ف): «لأهل».

(٣) انظر: «مجاز القرآن» (٢/ ٣١٢). وزاد: ومجاز ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ﴾ على: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ. لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ﴾.

(٤) في (أ): «ليألف من قريش».

وقوله تعالى: ﴿إِۦلَٰفِهِمْ﴾: تكريرٌ للتأكيد والتقرير.

﴿رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ﴾: نصبٌ بوقوع الإيلاف عليه، وهو اللزوم أو الإلزام، فعلى الأول: لَزِموا رحلة الشتاء والصيف وداموا عليها، وعلى الثاني: ألزمهم الله رحلةَ الشتاء والصيف وأدامها لهم(١).

﴿فَلْيَعْبُدُوا۟﴾: أي: فلْيوحِّدوا وليطيعوا.

﴿رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ﴾: الذي(٢) نالوا به ما نالوا من الحرمة والنعمة؛ شكراً له على ابتداء(٣) هذه المنَّة.

* * *

(٤) ـ ﴿ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ﴾: أي: بعد جوع؛ قال الشاعر:

مـا زالـتُ أقطـع منهـلاً عـن منهـلٍ ... حتـى أنخـتُ ببـابِ عبـد الواحـد(٤)

أي: بعد منهل.

قوله تعالى: ﴿وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ﴾: أي: بعد خوف.

وقيل: أي: أطعمهم على حاجتهم إليه لجوعهم، وآمنهم في الطرق على خوفهم، يريد أمر الرحلتين على قول بعضهم.

وقيل: ذكرُ الرحلتين كان فيما مضى، ويقول: فليذكروا تلك المشقَّة وأنِّي أزلتُ

---

(١) في (ر) و(ف): «وداموا عليها».

(٢) في (أ): «أي».

(٣) في (ف): «إسداء».

(٤) تقدم عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ﴾ [النور: ٦٣].

ذلك وأطعمتُهم بما فتحتُ عليهم من الفتوح فنُقل إليهم كلُّ شيء، وآمنتُهم من خوف الطرق(١) فكفيتُهم مؤنة الأسفار، وجعلتُ كلَّ شيء يجيء إليهم على إكثار.

وعلى هذا يكون معنى قوله: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ﴾؛ أي: فعلتُ بأصحاب الفيل ذلك لإزالة إيلافِ قريش رحلتيها، وهو كقولك: فعلتُ كذا بك لتكلُّفك(٢) الأسفارَ؛ أي: لأزيل ذلك عنك وأغنيَك عنه.

وقال الكلبي: كانوا تعوَّدوا رحلتين إحداهما في الشتاء إلى اليمن، والأخرى في الصيف إلى فلسطين، فمكثوا بذلك زماناً حتى اشتدَّ ذلك عليهم، فأَخصبت تَبَالةُ وجُرَشُ وأهلُ ساحل البحر، وحمل أهل البرِّ على الإبل، وأهلُ البحر بالسفن لجُدَّة، وامتار أهل مكة ما شاؤوا، وكفاهم الله تعالى الرحلتين(٣).

وقال نفطويه: الإيلاف: العهود التي كانت تأخذها رجال قريش من ملوك العرب إذا خرجوا في التجارات، فيسيرون في ممالكهم فيأمَنون بتلك العهود، وكان لأشراف قريش تجارات، فكان هاشم وعبد شمس والمطلب ونوفل بنو عبد مناف أصحابُ الرحلتين، وكان يتَّجر هاشم بن عبد مناف بالشام، وكان يأخذ الإيلاف من قيصر ومَن يليه من رؤساء قبائل العرب كملوك غسان الذين يتولون الشام، فيسير في أرض الشام ولا يَعْرِض(٤) له أحد، وكان هو الرئيسَ على مَن سلك تلك الطرقَ،

---

(١) في (أ): «الطارق».

(٢) في (أ): «فعلت بكذا كذا لتكلفك» وفي (ر): «فعلت كذا بك لأكلفك».

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٣٠٢) عن أبي صالح، ولعله من رواية الكلبي عنه، وقد تقدم عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ﴾ [التوبة: ٢٨] عن مقاتل نحوه، وفيه: (...فأسلم أهلُ صنعاء وجُدَّةَ وجُرَش، وحملوا الطعام إلى مكة على ظهور الدَّوابِّ...).

(٤) في (أ): «فيسير في الأرض لا يعرضن».

وكان أولَ مَن رحل رحلتين، فيقول الله تعالى: ﴿فَلْيَعْبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ﴾ الذي دفع عنه العدو ﴿ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ﴾: كفاهم أخذ الإيلاف من الملوك وآمَن بلدهم وجعلهم يتفرقون في البلاد كما شاؤوا.

وقيل: ﴿أَطْعَمَهُم... وَءَامَنَهُم﴾[١]؛ أي: بعد سبع سنين في الجدب والقحط حتى أكلوا الجيَف.

وعن علي رضي الله عنه: ﴿وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ﴾ يعني[٢]: آمَنَ قريشاً أن تكون الخلافة إلا فيهم[٣].

وعن سعيد بن جبير قال: مرَّ رسول الله ﷺ بملأ ومعه أبو بكر رضي الله عنه وهم ينشدون:

قل للَّذي طلبَ السماحةَ والنَّدى ... هلَّا مَررْتَ بآلِ عبدِ الدَّارِ
هلَّا مررتَ بهم تريد قِراهُمُ ... منعوكَ من جهدٍ ومن إقتارِ

فقال رسول الله ﷺ لأبي بكر: «أهكذا قال الشاعر؟» قال: لا والذي بعثك بالحق، بل قال:

قل للَّذي طلبَ السماحة والنَّدى ... هلَّا مررتَ بآلِ عبدِ مَنافِ
هلا مررتَ بهم تريدُ قِراهمُ ... منعوك من أسرٍ ومن إكتاف
الرائشينَ وليس يوجدُ رائشٌ ... والقائلين هلمَّ للأضيافِ

---

(١) في (ر) و(ف): «وقيل: ﴿أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ﴾».

(٢) في (أ): «﴿وَءَامَنَهُم﴾ أي».

(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٣٤٩)، وجعله الزمخشري في «الكشاف» (٤/ ٨٠٣) من بدع التفاسير.

والخالطيـــن غنيَّهــم بفقيرهــم ... حتـى يصيـرَ فقيرُهـم كالكافـي
والقائميـن بـكلِّ وعـدٍ صـادقٍ ... والراحليـنَ برحلـةِ الإيـلافِ
عمـرُو الـذي[1] هَشَـم الثَّريـدَ لقومه ... ورجـالُ مكـةَ مسـنِتون عجـافُ
سـفرين سـنَّهما لـه ولقومـه ... سـفرَ الشـتاء ورحلـةَ الأصيـافِ[2]

وقرئ: ﴿لإلَاف قريش﴾ بغير ياء[3]، وهو العهدُ، وقال أبو طالب يوصي أبا لهب برسول الله ﷺ:

ولا تتركَنْـهُ مـا حييـتَ لمعظَـمٍ ... وكُـنْ رجـلاً ذا نجـدةٍ وعفـافِ
تـذودُ العِـدَى عـن عصبـةٍ هاشـميةٍ ... إلَافُهُـمْ فـي النـاس خيـرُ إلافِ[4]

* * *

---

(١) في (ف): «الذي».

(٢) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٣٠/ ٣١٨ ـ ٣٢٠) (ط: دار التفسير).

(٣) هي قراءة ابن عامر. انظر: «السبعة» (ص: ٦٩٨)، و«التيسير» (ص: ٢٢٥).

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٣٠١).

سورة الماعون(١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

بسم الله الذي أوعد المكذِّبين بالدِّين، الرحمنِ الذي عطَف على اليتيم والمسكين، الرحيمِ الذي ذمَّ الغافل والمرائيَ والضَّنين.

روى أبي كعب رضى الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «مَن قرأ سورة أرأيت غفر الله له إن كان مؤدياً للزكاة»(٢).

وهذه السورة مكية عند ابن عباس(٣)، مدنيةٌ عند الواقدي(٤).

وقال مقاتل بن حيان: نصفها الأول مكي ونصفها الثاني(٥) مدني.

وهي سبع آيات، وخمس وعشرون كلمة، ومئة واثنا عشر حرفاً.

وانتظام السورتين: أنهما في ذكر العبادة والعبودة.

* * *

(١) في (أ): «سورة الدين»، وفي (ف): «سورة أرأيت».

(٢) رواه الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٣٠٤)، والواحدي في «الوسيط» (٤/٥٥٨)، وهو قطعة من الحديث الموضوع في فضائل السور. وانظر: «الفتح السماوي» للمناوي (٣/ ١١٢٥)، و«الفوائد المجموعة» للشوكاني (ص: ٢٩٦).

(٣) رواه ابن مردويه كما في «الدر المنثور» (/ ٦٤١).

(٤) وهو قول قتادة، ورواية ثانية عن ابن عباس. انظر: «النكت والعيون» (٦/ ٣٥٠)، و«تفسير القرطبي» (٥٠٩/٢٢).

(٥) في (أ): «الباقي».

(١) ـ ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴾.

قوله تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴾: أي: ﴿أَرَءَيْتَ ﴾ يا محمد ﴿ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴾؛ أي: بالحساب. وقيل: أي: بالجزاء.

وقال ابن عباس: بحكم الله(١).

وقيل: بتوحيد الله.

قال ابن عباس: نزلت في العاص بن وائل(٢).

وقال ابن جريج: في أبي سفيان.

وقيل: في رجل من المنافقين.

وقيل: في الوليد بن المغيرة.

وقال الضحاك: في عمرو بن عائذ(٣).

***

(٢ ـ ٥) ـ ﴿فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝٣ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾.

﴿فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴾: أي: يدفعه بعنفٍ عن نفسه فلا يواسيهِ ولا يطعمه، ويدفعه(٤) عن حقه، قال ابن عباس: يدفع حق اليتيم(٥).

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٦٥٤).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٣٠٤)، والماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٣٥٠)، والواحدي في «الوسيط» (ص: ٤٦٥)، عن مقاتل والكلبي. وانظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٨٧١).

(٣) ذكر هذه الأقوال الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٣٠٤)، والماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٣٥٠)، والواحدي في «الوسيط» (ص: ٤٦٥).

(٤) في (أ): «ولا يطعمه ولا يظلمه ويدفعه»، وفي (ر): «ولا يطعمه وقيل: يظلمه يدفعه».

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٦٥٨).

﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾: أي: لا يحثُّ غيرَه على طعام المحتاج، لا يحسن بنفسه ولا يأمر به غيره، وهو نهاية اللؤم وخساسة الطبع وقساوة القلب.

﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ﴾: أي: للمنافقين الذين هم يُدخلون أنفسهم في جملة المصلين صورةً.

﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾: أي: غافلون لأنهم لا يريدون بذلك قربةً إلى الله تعالى، ولا تأديةً لفرضه، فهم ينخفضون(١) ويرتفعون ولا يدرون ماذا يفعلون.

* * *

(٦ ـ ٧) ـ ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝٦ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ﴾.

﴿ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ﴾: أي: يظهرون للناس أنهم قائمون بفرائض الله مؤدُّون لها متقربون إلى الله تعالى بها.

وقيل: ﴿سَاهُونَ﴾؛ أي: غافلون تاركون إذا خلوا، وإذا كانوا عند الناس يصلون يراؤون.

وروى سعد بن أبي وقاص عن النبي ﷺ أنه قال: «﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ هم الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها»(٢).

---

(١) في (ف): «وهم يتخفضون».

(٢) رواه البزار (٣٩٢ ـ كشف)، وأبو يعلى في «مسنده» (٨٢٢)، الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٦٦٣)، والعقيلي في «الضعفاء» (٣/ ٣٧٧)، وابن المنذر في «الأوسط» (٢/ ٣٨٧)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٢/ ٢١٤ ـ ٢١٥). ورواه موقوفاً أبو يعلى في «مسنده» (٧٠٤) و(٧٠٥)، الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٦٦٠)، والعقيلي في «الضعفاء» (٣/ ٣٧٧)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٢/ ٢١٤). قال البزار: لا نعلم أحداً أسنده إلا عكرمة بن إبراهيم وهو لين الحديث، وقد رواه الثقات الحفاظ عن سعد موقوفاً. وقال العقيلي: الموقوف أولى.

وقال عطاء بن دينار: الحمد لله الذي قال: ﴿عَن صَلَاتِهِمْ﴾ ولم يقل: في صلاتهم[١]. وكذا روي عن أنس[٢]، و﴿عَن صَلَاتِهِمْ﴾؛ أي: عن الصلاة الواجبة عليهم.

وقوله تعالى: ﴿وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ﴾: قال علي وابن عمر والحسن وقتادة والضحاك: أي: الزكاة، قرن ذلك بالصلاة[٣].

وقال ابن عباس وابن مسعود وإبراهيم وأبو مالك وسعيد بن جبير: هو ما يتداولونه بالعارية[٤] من نحو الفأس والقِدْر والدَّلو[٥].

وقال أبو عبيدة: ﴿ٱلْمَاعُونَ﴾: هو كلُّ ما فيه منفعة[٦].

وهو[٧] من المَعْن وهو القليل، قال الشاعر:

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٦٦٤).

(٢) ذكره الزمخشري في «الكشاف» (٤/ ٨٠٥) مثل قول عطاء.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٦٦٦ ـ ٦٧٠) عنهم وعن سعيد بن جبير ومحمد بن الحنفية وابن زيد. ورواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (١٠٦١٧) و(١٠٦٢٧) و(١٠٦٣٣) و(١٠٦٣٧)، ورواه أيضاً ابن أبي شيبة (١٠٦٢٥) عن علي.

(٤) «بالعارية» ليس من (أ).

(٥) رواه عنهم الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٦٧١ ـ ٦٧٧) وابن أبي شيبة في «المصنف» (١٠٦١٩) و(١٠٦٢٨) و(١٠٦٣١) و(١٠٦٣٤) عن علي وابن عمر والضحاك وابن الحنفية.

(٦) انظر: «مجاز القرآن» (٢/ ٣١٣)، وفيه: هو في الجاهلية: كل منفعة وعطيّة، والماعون في الإسلام: الطاعة والزكاة.

(٧) في (ر) و(ف): «وقيل هو».

فـإنَّ هــلاكَ مالــكٍ غــيرُ معــنِ[١]

فالماعون: ما هو قليل القيمة من آلة البيت كالمقدحة والإبرة ونحوِ ذلك.

وقال الزجاج: يقال: ما عنده سَعْنَةٌ ولا مَعْنَة؛ أي: لا قليل ولا كثير[٢]، وقال أبو تمام:

لا تمنعنِّــي وقفــةً أشــفي بهــا　　　داءَ الفــراق فإنهــا ماعــونُ[٣]

وقالت عائشة رضي الله عنها: ﴿ٱلْمَاعُونَ﴾: الماءُ والنار والملح[٤].

وقال سفيان بن عيينة: الماعون الأكبر: الماء والنار، والأصغر: الملح والكلأ.

وقيل: هو المعروف[٥].

وقيل: هو إكرام الضيف.

---

(١) عجز بيت للنمر بن تولب. انظر: «الأمثال» لأبي عبيد (ص: ٣٨٩)، و«جمهرة اللغة» (٢/ ٩٥٢)، و«ديوان الأدب» (١/ ١٣٣)، و«تهذيب اللغة» (٢/ ٦٣)، و«الصحاح» (مادة: معن)، و«مجمع الأمثال» (٢/ ٢٧١)، وصدره:

ولا ضيَّعتُــه فــأُلامَ فيــهِ

(٢) لم أجده عند الزجاج لكن هذا مذكور في كثير من كتب اللغة والأدب. انظر: «الإبل» للأصمعي (ص: ٥٧)، و«الأمثال» لأبي عبيد (ص: ٣٨٨)، و«إصلاح المنطق» (ص: ٢٧٠)، و«جمهرة اللغة» (٢/ ٩٥٣)، و«ديوان الأدب» (١/ ١٤٧)، و«تهذيب اللغة» (٢/ ٦٣) و(٣/ ١٣)، و«الصحاح» (مادة: سعن ومعن)، و«المستقصى في أمثال العرب» للزمخشري (٢/ ٣٣١).

(٣) انظر: «الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري» للآمدي (١/ ٤٣٥).

(٤) ذكره الزمخشري في «الكشاف» (٤/ ٨٠٥). وروي نحوه عن عائشة مرفوعاً، رواه ابن ماجه (٢٤٧٤)، والثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٣٠٦)، وإسناده ضعيف.

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٦٧٨) عن محمد بن كعب.

وقيل: هو الطاعة يقال: أعطتِ الناقة ماعونها؛ أي: طاعتها وانقيادها[١].

وقال إبان بن تغلب: الرَّحى من الماعون.

والحمد لله رب العالمين

* * *

---

(١) انظر: «مجاز القرآن» (٢/ ٣١٣)، وفيه: قال أبو عبيدة: وكانت لي ناقة صفيّة، فقال لي رجل: لو قد نزلنا لقد صنعت بناقتك صنيعاً تعطيك الماعون؛ أي: تنقاد. وحكى مثل هذا الأخفش عن أعرابي فصيح. انظر: «الصحاح» (مادة: معن).

سورة الكوثر (1)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

بسم الله الذي أعطى رسوله الكوثر، الرحمنِ الذي أمرُه أن يصلِّي له ويُنحر، الرحيمِ الذي جعلَ شانئَه هو الأبتر.

روى أبي بن كعب رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «مَن قرأ سورة ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ سقاه الله تعالى من كلِّ نهر في الجنة، وكتب له عشرَ حسنات بعددِ كلِّ قُربانٍ تقرَّب به العباد في يوم النحر»(2).

وهذه السورة مكية، وهي ثلاث آيات وعشرُ كلمات واثنان وأربعون حرفاً.

وانتظام السورتين: أنهما في ذمِّ مَن عادى رسولَ الله ﷺ.

* * *

(1) - ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾.

قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾: روى الكلبيُّ عن أبي صالح عن ابن عباس: أن العاص بن وائل بن هشام السهميَّ رأى رسول الله ﷺ يخرج من المسجد وهو يدخل، فالتقيا عند الباب وتحدَّثا وصناديد قريش في المسجد، فلما دخل

---

(1) في (ر): «سورة إنا أعطيناك الكوثر».

(2) رواه الثعلبي في «تفسيره» (10/ 307)، والواحدي في «الوسيط» (4/ 560)، وهو قطعة من الحديث الموضوع في فضائل السور. وانظر: «الفتح السماوي» للمناوي (3/ 1128)، و«الفوائد المجموعة» للشوكاني (ص: 296).

العاص قالوا له: مَن الذي كنت تحدِّثه؟ قال: ذاك الأبتر، يعني: النبيَّ ﷺ، وإنما سموه أبترَ عند موت بنيه، وكان الرجل إذا مات ولم يخلِّف ولداً ذكراً قالوا: أبتر[1]، فأنزل الله تعالى هذه السورة[2].

وقال الضحاك: إن العاص لقي رسول الله ﷺ في بعض أزقةِ مكة، فقال له: إني لأشنَؤُك لأنك أبترُ، فحزن لذلك رسول الله ﷺ، فأنزل الله هذه السورة.

وقيل: توفي عبد الله بن رسول الله ﷺ من خديجة، فحضر العاصُ تعزيَته، فلما رجع قال له بعض قريشٍ في الطريق: أين كنت؟ قال: كنتُ عند هذا الأبتر، فنزلت هذه السورة.

قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾: هو في اللغة: الخير الكثير.

وقال مجاهد: إنَّا أعطيناك الخير الكثير[3]، والقرآنُ أفضلُه.

وقال عكرمة: الكوثر: النبوة والكتاب[4].

وقال يمانُ بن رئابٍ: الكوثر: الأصحاب والأشياع[5].

وقال الحسين بن الفضل: هو تيسير القرآن وتخفيفُ الشرائع.

---

(١) في (أ): «بتر».

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٣٠٧)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٤٦٦)، وكون الآية نزلت في العاص رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٧٢٠) عن الكلبي، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٦٩٧ ـ ٦٩٩) عن ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد وقتادة.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٦٨٢ ـ ٦٨٤) عن ابن عباس وسعيد بن جبير وعكرمة ومجاهد وقتادة. ورواه عن ابن عباس أيضاً البخاري (٦٥٧٨).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٦٨٤).

(٥) في (ر): «والأتباع».

وقال أبو بكر بن عياش: هو كثرةُ أمته[١]؛ قال عليه السلام: «إني لأرجو أن تكونوا ثلثي أهل الجنة»[٢].

وعن النبي ﷺ أنه سأل جبريل عليه السلام عن الكوثر، فقال: هو نهر أعطاكه الله تعالى في الجنة[٣].

وبه قالت عائشة وابن عمر وابن عباس وأنس وسعيد بن جبير وآخرون[٤].

وقالت عائشة: الكوثر نهر في بُطنان الجنة وهو وسطُها، شاطئه درٌّ مجوَّف فيه من الأكواب والآنية ما لا يعلمه إلا الله تعالى[٥].

وقال ابن عمر رضي الله عنه: حافَتاه ذهبٌ، ومجرى الماءِ على اللؤلؤ والياقوت، وماؤه أشدُّ بياضاً من اللَّبَن وأبردُ من الثلج وأشدُّ حلاوةً من العسل[٦].

وقالت عائشة: مَن أحبَّ أن يسمع خريرَه فليجعلْ أصبعيه في أذنيه[٧].

---

(١) تنظر هذه الأقوال الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٣١٠)، و«النكت والعيون» (٦/ ٣٥٥).

(٢) روى نحوه البخاري (٦٦٤٢)، ومسلم (٢٢١)، من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه. بذكر النصف، وليس فيه ذكر الثلثين. وانظر ما تقدم عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ﴾ [آل عمران: ١٢٤].

(٣) لم أجده بهذا اللفظ، وسيأتي نحوه من حديث أنس قريباً.

(٤) رواه عنهم الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٦٧٩ ـ ٦٨٢). وسيأتي ألفاظ بعضها لاحقاً.

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٦٨٠).

(٦) رواه الحسين المروزي في زوائده على «الزهد» لابن المبارك (١٦١٤)، وهناد في «الزهد» (١٣١)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٦٧٩). ورواه الترمذي (٣٣٦١) من حديث ابن عمر مرفوعاً وقال: حسن صحيح.

(٧) رواه هناد في «الزهد» (١٤١)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٦٨٠ و٦٨١)، والبيهقي في «البعث» (١٤٣).

وروى أنس عن النبي ﷺ أنه قال: «دخلتُ الجنة فإذا نهرٌ حافَتاه خيام اللؤلؤ، فضربتُ يدي إلى مجرى الماء فإذا مسكٌ أذفر، قلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هو الكوثر الذي أعطاك الله تعالى»(١).

وعن أنس قال: كنا مع النبي ﷺ ذات يوم، فأغفى إغفاءةً ثم رفع رأسه فضحك، فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟ قال: «نزلت عليَّ سورة أنفاً»، فقرأها ثم قال: «هذا نهرٌ وعدني ربي في الجنة عليه حوضي، تَرِدُ عليه أمتي يوم القيامة آنيتُه عددُ الكواكب، فإذا بأقوام من أمتي اختلجوا دوني، فأقول: ربِّ أمتي ربِّ أمتي، فقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول: سحقاً سحقاً لمن زلَّ عن سنَّتي»(٢).

وعن النبي ﷺ أنه قال: «ينصب فيه مِزْرابان من الجنة: مزرابٌ من الذهب ومزرابٌ من فضة، مَن شرب منه شربةً لا يظمأ بعدها أبداً»(٣).

ورأى رسول الله ﷺ على حافَتيه قبابَ الدرِّ والخيامَ ليلة المعراج فقال: «ما هذه؟» قال: مساكن أزواجك في الجنة، تنفجر من الكوثر أربعة أنهار لأهل الجنان: الماء واللبن والخمر والعسل(٤).

وقال أنس رضي الله عنه: خرج رسول الله ﷺ في اثني عشر رجلاً من الصحابة

---

(١) رواه البخاري (٦٥٨١).

(٢) رواه مسلم (٤٠٠) دون قوله: «فأقول: سحقاً سحقاً لمن زلَّ عن سنَّتي». وهذا ورد في حديث آخر رواه البخاري (٧٠٥٠)، ومسلم (٢٢٩٠) من حديث أبي سعيد رضي الله عنه بلفظ: «فأقولُ: سُحْقًا سُحْقًا لِمَن بَدَّل بَعْدي».

(٣) رواه بنحوه ابن حبان في «صحيحه» (٦٤٥٨)، واللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٢١١٣) من حديث أبي برزة رضي الله عنه.

(٤) ذكره مقاتل في «تفسيره» (٤/ ٨٧٩).

إلى بقيع الغرقد؛ منهم أبو بكر وعمر وعثمان وعليٌّ وسلمان وأبو ذر وصهيب رضي الله عنهم، فجلسوا معه كأنَّ على رؤوسهم الطير هيبةً لرسول الله ﷺ، قال: فحثى أبو بكر حثوةً من رملةٍ سهلة شِبْهَ الوسادة، فنام رسول الله ﷺ حتى نفخ ثم استوى قاعداً فقال: «هل تدرون ما الكوثر؟» قالوا: الله ورسوله أعلم! قال: «فإن الكوثر نهر أعطانيه الله تعالى في الجنة يقرقرُ في حوضي، وحوضي ما بين صنعاء والأردن مسيرةَ شهر للراكب المسرع، يجري في فيح مسك، أشدُّ بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، وأبردُ من الثلج، وألين من الزُّبد، وآنيتُه من فضة عددَ نجوم السماء، مَن شرب منه شربةً لا يظمأ بعدها أبداً، أولُ وارديه فقراء المهاجرين الدُّنْسُ الثياب الشُّعْثُ الرؤوس، الذين لا يزوَّجون المنعَّمات، ولا تفتح لهم أبوابُ السُّدَد، يموت أحدهم وحاجتُه تتلجلج[1] في صدره، لو أقسم على الله لأبرَّه»[2].

وقال الحسن: الكوثر يخرج من أصل السِّدرة، والسِّدرةُ شجرةٌ نابتة على كثبان المسك والزعفران والكافور، لها سبعةُ أغصان، مكتوبٌ على أوراقها التسبيح، ومقام جبريل في وسطها.

وروى أنس عن النبي ﷺ أنه قال: «إن لحوضي أربعةَ أركان: فأولُ ركن منه في يد أبي بكر، والثاني في يد عمر، والثالث في يد عثمان، والرابع في يد عليٍّ، رضي الله عنهم أجمعين، فمَن أحبَّ أبا بكر وأبغض عمر لم يَسْقِه أبو بكر، ومَن

---

(١) في (ف): «تختلج».

(٢) لم أجده بتمامه، ورواه من قوله: «وحوضي ما بين صنعاء...»، إلى قوله: «...ولا تفتح لهم أبوابُ السدد»: الإمام أحمد في «المسند» (٢٢٣٦٧)، والترمذي (٢٤٤٤)، وابن ماجه (٤٣٠٣)، من حديث ثوبان رضي الله عنه. قال الترمذي: حديث غريب من هذا الوجه.

أحبَّ عمر وأبغض أبا بكر لم يَسْقِه عمر، ومَن أحب عثمان وأبغض عليًّا لم يَسْقِه عثمان، ومَن أحب عليًّا وأبغض عثمان لم يَسْقِه عليٌّ، ومَن أحسنَ القولَ في أبي بكر فقد أقام الدِّين، ومَن أحسنَ القول في عمر فقد أوضحَ السبيل، ومَن أحسنَ القول في عثمان فقد استنار بنور الله، ومَن أحسنَ القول في عليٍّ فقد استمسك بالعروة الوثقى، ومَن أحسنَ القول في أصحابي فهو مؤمن، ومَن أساء القولَ في أصحابي فهو منافق»[1].

***

(٢) ـ ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾.

قوله تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾: أي: فأدِّ شكرَ الله تعالى على هذه النعمة بأنْ تتقرب إليه بما تتقربُ إليه العباد[2] من صلاةٍ ونسك، وهما كانا في كلِّ أمة، والجمع بينهما كما في قوله: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى﴾ [الأنعام: ١٦٢] فالصلاة تقع على كلِّ صلاة.

وقيل: صلِّ صلاةَ الأضحى وانحرِ البُدْن.

وقيل: هو الصلاة في مواقف الحج والنحرُ بها أيضاً.

وعن علي رضي الله عنه: ﴿وَٱنْحَرْ﴾؛ أي: ضع يدك على نحرِك في الصلاة[3].

---

(١) رواه أبو بكر الشافعي في «الغيلانيات» (٦٣)، والثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٣٠٩)، وابن الجوزي في «العلل» (٤٠٨) وقال: هذا حديث لا يصح.

(٢) في (ف): «بما تتقرب العباد إلى الله».

(٣) رواه البخاري في «التاريخ الكبير» (٦/ ٤٣٧)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٦٩١)، والدارقطني في «سننه» (١٠٩٩).

وعن[1] بعض الصحابة: ﴿وَٱنْحَرْ﴾؛ أي: وجه نحرك نحو[2] القبلة. ذكره الكلبي[3].

وقال[4] عطاء: أمر أن يستوي بين السجدتين جالساً حتى يبدو نحره[5].

* * *

(٣) ـ ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾: أي: إن مُبْغضك هو الأبتر لا أنت؛ أي: هو الذي يُبتر ذِكْرُه فلا يُذكرُ في الدنيا ولا في الآخرة بخير، فأما أنت فقد رفعنا لك ذكرك، على ما شرحنا في ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ﴾ [الشرح: ١].

وقال قتادة: ﴿هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ ؛ أي: الأقلُّ الأذلُّ[6].

وهو جواب قول ذلك الملعون لمحمدٍ ﷺ: إنه أبتر لا عقب له فينقطع ذِكره بموته، وأصله: الحمار الأبتر المقطوع الذَّنَب، فأخبر أن له الكوثرَ؛ أي: كثرةَ الأصحاب والشيعة، وكثرةَ الأمة، ودوام الذكر والرفعة، ولأعداء الله[7] الخمول والضَّعَة[8].

---

(١) في (ف): «وقال».

(٢) في (أ) و(ف): «إلى».

(٣) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٤/ ٣٨٠) عن الكلبي والفراء من قولهما، ولم يرفعه لأحد من الصحابة.

(٤) في (أ) و(ف): «وعن».

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٣١٣)، والواحدي في «البسيط» (٢٤/ ٣٨٠).

(٦) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٧٢١)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٦٩٨).

(٧) في (أ) و(ف): «ولأعدائه».

(٨) في (ف): «والضيعة».

سُورَةُ الكَافِرُونَ(1)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

بسم الله الذي أهان الكافرين، الرحمنِ الذي أمر بمخالفتهم المؤمنين، الرحيمِ الذي أكرمهم بخيرِ دين.

روى أُبيٌّ بن كعب رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «مَن قرأ سورة ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ أُعطي من الأجر كأنما قرأ ربعَ القرآن، وتباعَدَ منه(2) الشيطان، وبرئ من الشرك، ويُعافَى من الفزع في النوم»(3).

وهذه السورة مكية، وهي ستُّ آيات، وستٌّ وعشرون كلمةً، وأربعةٌ وتسعون حرفاً.

وانتظام السورتين: أن تلك في ذكر النعمة والشكرِ بالصلاة والنحر، وهذه في التوحيد ومخالفةِ أهل الكفر.

---

(1) في (ر): «سورة قل يا أيها الكافرون».

(2) في (ف): «عنه».

(3) رواه الثعلبي في «تفسيره» (10/ 315)، والواحدي في «الوسيط» (4/ 564)، وذكره الزمخشري في «الكشاف» (4/ 809)، وفيها جميعاً: «ويعافى من الفزع الأكبر». ورواه ابن مردويه في «تفسيره» كما في «تخريج أحاديث الكشاف» للزيلعي (4/ 309) بلفظ: «ويعافى من فزع اليوم». وعلى كل فهو قطعة من الحديث الموضوع في فضائل السور. انظر: «الفتح السماوي» للمناوي (3/ 1129 ـ 1130)، و«الفوائد المجموعة» للشوكاني (ص: 296). والجملة الأولى رواها الترمذي (2895) من حديث أنس رضي الله عنه وقال: حديث حسن.

(١ ـ ٣) ـ ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ﴾.

وروي أن رجلاً قال: يا رسول الله، علِّمني كلاماً أقوله عند منامي، قال: «اقرأ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ عند منامك فإنها براءة من الشرك»[١].

وقال ابن عباس: ليس في القرآن سورةٌ أشدُّ لغيظِ إبليسَ من هذه السورة؛ لأنها توحيد وبراءة من الشرك[٢].

وقال عطاء بن أبي رباح: قال كفار قريش لرسول الله ﷺ: اتَّبعْ ديننا حتى نتَّبعَ دينك فنشتركَ جميعاً، تعبدُ آلهتَنا ونعبد إلهك، فإن كان أمرنا رشيداً[٣] كنتَ قد أخذتَ بحظِّك منه، وإن كان أمرك رشداً كنا قد أخذنا بحظِّنا منه، فتعبد آلهتَنا سنةً، ونعبدُ إلهك سنة، فأنزل الله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾: أي: ما تعبدونه من الأصنام، آيَسهم من نفسه، وأعلمهم استبصارَه في دينه وضعفَ بصائرهم في دينهم[٤].

﴿وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ﴾: أي: ما أعبده؛ يعني: مَن أعبده وهو الله تعالى؛

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢٣٠٧)، وأبو داود (٥٠٥٥)، والترمذي (٣٤٠٣)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٨٠٢)، عن فروة بن نوفل بن معاوية الأشجعي عن أبيه أنه قال: (يا رسول الله علمني...).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٣١٥)، والماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٣٥٨).

(٣) في (ر) و(ف): «فإن كان أمراً رشداً».

(٤) روى نحوه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٧٠٣) عن ابن عباس وسعيد بن مينا مولى البختري، وذكره دون عزو الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٣١٥)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٤٦٧). وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٣٥٧) عن ابن إسحاق.

لأنكم إنما تعبدون ما أعبدُ على هذا الشرط، وأنا لا أُجيبكم إلى هذا الشرط، فعبادتُكم لمن أعبدُه لا تكون إذاً[١].

وقيل: كان هذا خطاباً لأقوام بأعيانهم كان الله علِم منهم أنهم لا يؤمنون، فقال له: قل لهم ذلك.

* * *

(٤ ـ ٥) ـ ﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ﴾.

﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ﴾: قال الفرَّاء: هذا التكرير للتأكيد والتقريرِ لقطع أطماعهم[٢]؛ كقول الرجل: والله لا أفعل ثم لا أفعل هذا.

وقيل: هذا الجواب خرج على مطابقة قول الكفار: تعبد آلهتنا ونعبد إلهك، ثم نعبد آلهتنا وتعبد إلهك[٣]، نجري على هذا هكذا أبداً، فأُجيبوا[٤] عن كلِّ ما قالوه على ضد ذلك.

وقيل: معناه: لا أعبد الساعةَ ما تعبدون، ولا أنتم عابدون الساعةَ مَن أعبدُه، ولا أنا عابد في المستقبل ما عبدتم، ولا أنتم في المستقبل عابدون مَن أعبده، قاله أبو عبيدة وجماعة[٥].

---

(١) في (ف): «أبداً».

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٨٨).

(٣) «ثم نعبد آلهتنا وتعبد إلهك» من (ف).

(٤) في (ر): «فاجتنبوا عن ذلك كله»، بدل: «فأجيبوا».

(٥) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (٢/ ٣١٤). ونسب هذا القول أيضاً للأخفش والمبرد. انظر: «النكت والعيون» (٥/ ٣٥٨)، و«تفسير القرطبي» (٢٢/ ٥٣٦).

وقيل: يحتمل أنهم قالوا: تعبد آلهتنا سنةً ونعبدُ إلهك سنة، فنزلت: ﴿لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ﴾ فقالوا له: فاعبد آلهتنا شهراً ونعبد إلهك سنة، فنزلت: ﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ ۝٤ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ﴾.

قوله تعالى: ﴿لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ﴾: أي: لكم دينكم الباطلُ وما تستحقُّون عليه من عذاب الله، ولي دين الحق وما أستحقُّه عليه بوعد الله تعالى من ثواب؛ كما قال: ﴿لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ﴾ وكان المعنى: إن كنتم رضيتُم بدينكم فنحن أيضاً راضون بديننا، وهي كلمةُ منابذةٍ ومُكافَّة.

وقيل: كان هذا قبل نزول الأمر بالقتال.

وقيل: معناه: ليس عليَّ من دينكم ضررٌ ينالني، بل ضررُه راجع عليكم، وليس لكم من ديني نفعٌ بل نفعُه راجع إلي.

وقيل: معناه: لكم دينكم فلستُم بتاركيه أبداً؛ لأن الله تعالى قد علم أنكم تموتون عليه، ولي ديني لأن الله تعالى قد علم أني لا أنتقلُ عنه أبداً[1].

والحمد لله رب العالمين

***

---

(١) «أبداً» من (ر).

سُورَةُ النَّصْرِ[1]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

بسم الله الذي من عنده النصرُ والفتح، الرحمنِ الذي له يحقُّ الحمدُ والمدح، الرحيمِ الذي للمستغفرين منه العفوُ والصفح.

روى أبي بن كعب رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «مَن قرأ سورة ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ أُعطي من الأجر كمَن شهد مع محمد ﷺ يومَ فتح مكة»[2].

وهذه السورة مدنية، وهي ثلاث آيات، وتسعَ عشرةَ كلمة، وسبعٌ[3] وسبعون حرفاً.

وانتظام السورتين: أنه آيَسه في تلك عن إيمان قوم من الكافرين ووعده في هذه إيمانَ أفواجٍ كثيرة من المؤمنين.

* * *

(١) في (ر): «سورة إذا جاء نصر الله والفتح».

(٢) رواه الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٣١٨)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ٥٦٦)، وهو قطعة من الحديث الموضوع في فضائل السور. وانظر: «الفتح السماوي» للمناوي (٣/ ١١٣٣)، و«الفوائد المجموعة» للشوكاني (ص: ٢٩٦).

(٣) في (أ) و(ف): «وتسعة». والمثبت من (ر) وهو الموافق لما في «البيان في عد آي القرآن» (ص: ٢٩٤)، وزاد: كحروف المسد.

(١ ـ ٣) ـ ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾.

قوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ﴾: أي: إذا أتاك نصرُ الله إياك على قومك.

﴿وَٱلۡفَتۡحُ﴾: وهو فتح مكة.

﴿وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ﴾: وهم قبائل العرب من نزار واليمن.

﴿يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ﴾: وهو[1] الإسلام.

﴿أَفۡوَاجٗا﴾: أي: زمراً زمراً لا واحداً واحداً.

﴿فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ﴾: فاذكر الله شاكراً له بما آتاك.

﴿وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ﴾: واسأل مغفرتَه وعفوه عن تقصيرٍ عسى وقع منك.

﴿إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾: كثيرَ قبول التوبة عن عباده، لم تَزَلْ تلك صفةً له.

وكانت هذه السورةُ نعياً له إلى نفسه، يقول: إذا جاء نصر الله والفتحُ، ودخولُ الناس أفواجاً في دينك، فقد تقارَبَ أجلُك، وإلى دار الكرامة انتقالُك، فاستعدَّ للقاءِ الله تعالى بالمواظَبة على الصلاة والتسبيح والاستغفار حتى تلقَى الله تعالى على غايةِ الطهارة.

قال سعيد بن جبير: إن عمر رضي الله عنه سألهم[2] عن ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ فقالوا: أُمر نبينا إذ رأى مسارعةَ الناس في الإسلام ودخولَهم فيه أن يَحمد الله ويستغفرَه، فقال عمر رضي الله عنه: يا ابن عباس! ما لك لا تكلَّمُ؟ قال:

---

(١) في (أ): «أي».

(٢) في (ف): «سأل الصحابة».

أعلمَه متى يموت، ثم قرأ السورة، فقال عمر: صدق والذي نفسي بيده، ما أعلمُ منها إلا ما علمتَ[١].

وقالت عائشة رضي الله عنها: لما نزلتْ هذه السورة ما رأيتُ رسول الله ﷺ صلى صلاةً إلا قال: «سبحانك اللهم وبحمدك، اللهم اغفر لي»[٢].

وعن أبي العالية قال: لمَّا نزلت هذه السورة ونُعيت إلى رسول الله ﷺ نفسُه كان لا يقوم من مجلس يجلس فيه حتى[٣] يقول: «سبحانك اللهمَّ وبحمدك، أشهدُ أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك»[٤].

وذكر بعض المفسرين أن هذه السورةَ نزلت قبل فتح مكة، فإن قوله: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ يدل عليه؛ لأن (إذا) للمستقبل.

والصحيح: أنها نزلت بعده، على ما نبيِّن من الأحاديث، فـ﴿إِذَا﴾ هاهنا للماضي؛ كما في قوله: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ﴾ [المنافقون: ١]، وقال الشاعر:

وإذا تكـــون كريهـــةٌ أُدعـــى لهـــا ... وإذا يُحـــاسُ الحيسُ يُدْعَـى جُندبُ[٥]

---

(١) رواه بنحوه البخاري (٤٢٩٤).

(٢) رواه البخاري (٤٩٦٧)، ومسلم (٤٨٤).

(٣) في (ر): «إلا».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٧٠١).

(٥) اختلف فيه، فنسب لهني بن أحمر من بني الحارث بن مرة بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة شاعر جاهلي كما في «المؤتلف والمختلف» (ص: ٤٥)، وللزرافة الكاهلي كما في «شرح أبيات سيبويه» للسيرافي (١ / ١٥٩)، ولعمرو بن الغوث بن طيىء كما في «فرحة الأديب» للغندجاني (ص: ٢٥)، وللفرعل الطائي كما في «الحماسة البصرية» (١ / ١٤)، ولضمرة بن ضَمرَة بن جَابر بن قطن بن نهشل بن دارم شَاعِر جاهلي كما في «خزانة الأدب» للبغدادي (٢/ ٣). =

وقال ابن عمر رضي الله عنه: نزلت هذه السورة في أوسط أيام التشريق، فقام رسول الله ﷺ فخطب خطبةَ الوداع[١].

وعن ابن عباس أنه قال: آخرُ سورة نزلت جملة: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾[٢].

وقال الحسن: لمَّا فتح رسول الله ﷺ مكة أقبلتِ العرب[٣] بعضُها على بعض فقالوا: أمَا إذا ظفر محمد ﷺ بأهل الحرم وقد كان الله أجارهم من أصحاب الفيل ومَن أرادهم فليس لكم به يدَان، فكانوا يدخلون في دين الله أفواجاً[٤].

= وقال العيني في «المقاصد النحوية» (٢/ ٧٩٧): قائله هو رجل من مذحج؛ كذا قاله سيبويه في «كتابه» [(٢/ ٢٩٢)]، وذكر أبو رياش أن قائله هو همام بنُ مرة أخو جساس بن مرة قاتل كليب، وزعم ابن الأعرابي أنه لرجل من بني عبد مناف قبل الإسلام بخمس مئة عام، وقال الأصفهاني: هو لضمرة بن ضمرة، ويُشكل عليه نداؤه ضمرةَ في أول بيت من القصيدة كما يأتي الآن، وقال بعضهم: إنه من الشعر القديم جدًّا، وكان لقائل هذا الشعر أخ يسمى جُنْدُباً، وكان أبواه وأهله يؤثرونه عليه ويفضلونه، فأنف من ذلك وقال هذا، وهو من قصيدة بائية، وأولها هو قوله:

يـا ضَمْـرَ أخبرنِـي ولسْـتَ بكاذِبٍ   وأخُـوك نَافِعُـك الـذي لا يَكْـذِبُ

والبيت دون نسبة في «العين» (٣/ ٢٧٣)، و«معاني القرآن» للفراء (١/ ١٢٢)، و«الأمثال» لأبي عبيد (ص: ٢٩٦)، و«عيون الأخبار» لابن قتيبة (٣/ ٢٤).

(١) رواه عبد بن حميد في «مسنده» (٨٥٨)، والبزار (١١٤١ ـ كشف)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٥/ ١٥٢). قال ابن رجب: إسناده ضعيف جدًّا، وموسى بن عبيدة [أحد رواته] قال أحمد: لا تحل الرواية عنه، وعليه إن صح يكون نزولها قريباً جدًّا من زمان وفاته ﷺ، فإن ما بين حجة الوداع وإجابته عليه الصلاة والسلام داعيَ الحق ثلاثة أشهر ونيف. انظر: «روح المعاني» (٢٩/ ٣٩١).

(٢) رواه مسلم (٣٠٢٤).

(٣) في (ر) و(ف): «القرى».

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٣٢٠)، والواحدي في «البسيط» (٢٤/ ٤٠٠)، والبغوي في «تفسيره» (٨/ ٥٧٦).

وقال مقاتل: نزلت هذه السورة بعد فتح الطائف، ﴿وَٱلْفَتْحُ﴾: فتح مكة، و﴿ٱلنَّاسَ﴾: أهل اليمن ﴿أَفْوَاجًا﴾؛ أي: زمراً من كل وجهٍ، القبيلةَ بأسرها والقومَ بأجمعهم، ليسوا بالواحد والاثنين والثلاثة، فكانت هذه السورة آيةَ موته، فقرأها النبي ﷺ على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ففرحا، وسمعها العباس رضي الله عنه فبكى، فقال له النبي ﷺ: «ما يبكيك يا عم؟» فقال: نُعيت إليك نفسك، قال: «إنه لكَما تقول»(1).

وذُكر أنه لما نزلت هذه السورة قام رسول الله ﷺ خطيباً فقال: «إنَّ عبداً خيَّره الله تعالى بين الدنيا وبين لقائه فاختار لقاء الله» فقال أبو بكر رضي الله عنه: فديناك بأنفسنا وآبائنا وأولادنا وأموالنا(2).

وعاش رسول الله ﷺ بعدها(3) حولاً أو حولين، ثم حج من قابل فنزل قوله: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: 3] فعاش بعدها ثمانين يوماً ثم نزلت آية الكلالة وهي آية الصيف، فعاش بعدها خمسين يوماً ثم نزل: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ

---

(1) انظر: «تفسير مقاتل» (4/ 905)، و«تفسير الثعلبي» (10/ 321) واللفظ له، ولفظه في «تفسير مقاتل»: (...فقرأها على أبي بكر وعمر ففرحا، وسمعها عبد الله بن عباس فبكى، فقال له النبي ﷺ: «صدقت» فعاش النبي ﷺ بعدها ثمانين يوماً....).

وعلى كل ففيه نظر، فقد صح كما تقدم أن عمر رضي الله عنه فهم منها ما فهمه ابن عباس، وليس الظن بأبي بكر رضي الله عنه بأقل من هذا، وليس الشيخان بأقل فهماً لكتاب الله واستنباطاً من ابن عباس أو من أبيه، رضي الله عنهم جميعاً.

(2) رواه البخاري (3904)، ومسلم (2382)، من حديث أبي سعيد رضي الله عنه. وليس فيه ذكر نزول السورة.

(3) في (ف): «بعد ذلك».

﴿مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ﴾ [التوبة: ١٢٨] فعاش بعدها خمسة وثلاثين يوماً ثم نزل: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾ فعاش بعدها أحداً وعشرين يوماً، وعن مقاتل رحمه الله: أنه عاش بعدها سبعة أيام[١].

وقال أنس رضي الله عنه: لما نزلت دعا النبيُّ ﷺ فاطمةَ رضى الله عنها وقال: «يا بنتاه أنه نُعي إليَّ نفسي»، فبَكَتْ فقال: «لا تبكي فإنك أولُ أهلي لحوقاً بي»[٢].

حشرنا الله في زمرتِهما آمين والحمدُ لله ربِّ العالمين[٣]

* * *

(١) انظر: «النكت والعيون» (٦/ ٣٦٢)، و«تفسير الرازي» (٣٢/ ٣٤٧)، و«تفسير القرطبي» (٢٢/ ٥٤٣). وجاء في «تفسير مقاتل» (١/ ٢٢٨): (ثُمّ تُوُفّي النَّبِيّ ﷺ بعدها بتسع ليال).

(٢) رواه ابن سعد في «الطبقات» (٢/ ١٩٣)، والدارمي في «سننه» (٧٩)، والبيهقي في «الدلائل» (٧/ ١٦٧)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) «حشرنا الله في زمرتهما آمين والحمد لله رب العالمين» من (ف).

سُورَةُ المَسَدِ[1]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

بسم الله الذي أَوْعَد أبا لهب، الرحمنِ الذي لم يجعل له نفعاً بما كَسَب، الرحيمِ الذي بكفره يَصليه ناراً ذات لهب.

روى أبيُّ بن كعب رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «مَن قرأ سورة ﴿تَبَّتۡ﴾ أرجو ألا يجمَع الله بينه وبين أبي لهب في دارٍ واحدة»[2].

وهذه السورة مكية، وهي خمس آيات، وثلاثٌ وعشرون كلمة، وأحد[3] وثمانون حرفاً.

وانتظام السورتين: أن تلك في ذكر نصر الأنبياء[4]، وهذه في ذكر هلاك الأعداء.

روى سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه قال: لما نزل قوله: ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ

---

(١) في (أ) و(ر): «سورة تبت».

(٢) رواه الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٣٢٣)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ٥٦٨)، وهو قطعة من الحديث الموضوع في فضائل السور. وانظر: «الفتح السماوي» للمناوي (٣/ ١١٣٤)، و«الفوائد المجموعة» للشوكاني (ص: ٢٩٦).

(٣) «وأحد» ليس من (ف). وفي «البيان في عد آي القرآن» (ص: ٢٩٥)، وحروفها سَبعة وسبعون حرفاً كحروف النصر.

(٤) في (أ): «الأولياء».

﴿ٱلۡأَقۡرَبِينَ﴾ أتى رسول الله ﷺ الصفا فصعد عليه ثم نادى: «يا صباحاه»، فاجتمع إليه الناس، فقال رسول الله ﷺ: «يا بني عبد المطَّلب، يا بني فِهْر، يا بني لؤي[١]، أرأيتم لو أخبرتُكم أن خيلاً بسفح هذا الجبل تريد أن تُغير عليكم، صدَّقتُموني؟» قالوا: نعم، قال: «فإني نذيرٌ لكم بين يديْ عذابٍ شديد» فقال أبو لهب: تبًّا لك سائرَ اليوم، أمَا دعَوْتنا إلا لهذا؟ فأنزل الله تعالى: ﴿تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ﴾[٢].

وروي: أنه لما نزلت هذه السورة دعا ابنَه عتبةَ ـ وكانت تحته بنتُ رسول الله ﷺ ـ وقال له: إن أردتَ[٣] رضائي فطلق ابنةَ محمد وأْتِه فأَسمعه، ففعل فأتى رسولَ الله ﷺ فآذاه، فقال عليه السلام: «اللهمَّ سلِّط عليه كلباً من كلابك»[٤]، وقد مرت القصةُ في أول سورة والنجم.

***

(١) ـ ﴿تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ﴾.

قال أهل التفسير وأهل اللغة: ﴿تَبَّتۡ﴾؛ أي: خسرت؛ قال تعالى: ﴿وَمَا زَادُوهُمۡ غَيۡرَ تَتۡبِيبٖ﴾ [هود: ١٠١]، وقال في آية أخرى: ﴿غَيۡرَ تَخۡسِيرٖ﴾ [هود: ٦٣]، ثم الخسران يرجع إلى الضلال والهلاك.

---

(١) «يا بني لؤي» ليس من (ف)، وفي (أ): «يا بني يا بني».

(٢) رواه البخاري (٤٩٧١)، ومسلم (٢٠٨).

(٣) في (ف): «طلبت».

(٤) رواه ابن قانع في «معجم الصحابة» (٣/ ٢٠٧) من حديث هبار بن الأسود، ورواه الحاكم في «المستدرك» (٣٩٨٤) وصححه، البيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ٢١١)، من طريق أبي نوفل بن أبي عقرب عن أبيه، وفيهما أنه لهب بن أبي لهب. قال البيهقي: كذا قال عباس بن الفضل ـ وليس بالقوي ـ : لهب بن أبي لهب، وأهل المغازي يقولون: عتبة بن أبي لهب، وقال بعضهم: عتيبة.

وقوله تعالى: ﴿يَدَآ أَبِي لَهَبٍ﴾: أضاف التَّباب إلى اليد ومعناه: كلُّ بدنه؛ لأن المراد به أنه جزاءُ عمله، والعمل غالباً يقع باليدين، يقال: كَسَبَتْ يداه، وقال تعالى: ﴿مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ﴾ [يس: ٣٦] ولما كان العمل يقع منه الخسران بأنْ لا يحصلَ صاحبه منه على نفعٍ قيل: ﴿تَبَّتْ يَدَآ﴾ على معنى: خسر ما عملَتْ يداه؛ أي: خسر عملَه فهو في ضلال وهلاك.

وأبو لهب عمُّ رسول الله ﷺ، وذكر بالكنية دون الاسم لا تشريفًا له بل إشارةً إلى أنَّ مَرْجِعه إلى لهب النار.

وقيل: لأن اسمه كان عبدَ العزى، وهو كذبٌ، فلم يُذْكر به.

وقيل: كانت كنيتُه أبا عتبة، وكان[1] له خمسةُ بنين: عُتبة وعتيبة وعتَّاب ومعتِّب ومعيتب، وكان يلقَّب بأبي لهبٍ لحمرةِ وجهه.

﴿وَتَبَّ﴾: أي: تَبَّ أبو لهب، ومعنى التكرار: إضافةُ الأول إلى يديه والثاني إليه، عند الفراء وجماعةٍ: أن الأول دعاء والثاني خبر بمعنى: وقد تبَّ، وكذا هو في مصحف عبد الله[2]، وهو كما يقال: أهلكك الله وقد أهلك.

وقيل: إنه كان أراد أن يرمي رسول الله ﷺ بحجرٍ فمنعه الله تعالى من ذلك، وذلك قوله: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ﴾ ثم قال: ﴿وَتَبَّ﴾ وهو إخبار عن عقاب ينزل به بعدُ.

* * *

---

(١) في (أ): «فقد كان». وفي (ف): «وقيل كان».

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٩٨). والقراءة وردت أيضاً في حديث ابن عباس في الصحيحين والذي تقدم في أول هذه السورة، وهي محمولة على التفسير؛ لمخالفتها سواد المصحف الذي أجمعت عليه الأمة.

(٢) ـ ﴿ مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴾.

قوله تعالى: ﴿ مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ ﴾: يصلح للنفي، والاستفهامِ بمعنى تقرير النفي أيضاً، و﴿أَغۡنَىٰ﴾؛ أي: نَفَع ودفع.

﴿وَمَا كَسَبَ ﴾: قيل: هو الولد.

قال النبيُّ عليه السلام: «أطيبُ ما يأكل الرجل من كَسْبه، وإنَّ ولده مِن كسبه»[(١)]؛ أي: ما دفع عنه عذابَ الله مالُه وولده.

وعن أبي الطفيل قال: كنتُ عند ابن عباس يوماً، فجاءه بنو أبي لهب يختصمون في شيء بينهم، فاقتتلوا عنده في البيت فقام يحجز بينهم، فدفعه بعضهم فوقع على الفراش، فغضب ابن عباس رضي الله عنه وقال: أَخْرِجوا عني الكسبَ الخبيث ﴿ مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴾[(٢)].

***

(٣ ـ ٤) ـ ﴿ سَيَصۡلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ سَيَصۡلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴾: أي: سيدخل هو في الآخرة نار جهنم، وهي ذاتُ توقُّدٍ.

﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ ﴾: أي: هو وامرأته، وهي أم جميل بنتُ حربِ بن أمية، أختُ أبي سفيان بن حرب.

---

(١) رواه أبو داود (٣٥٢٨)، والترمذي (١٣٥٨)، والنسائي (٤٤٥١)، وابن ماجه (٢٢٩١)، من حديث عائشة رضي الله عنها. قال الترمذي: حديث حسن.

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٧٣٠) ومن طريقه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٧١٧)، والحاكم في «المستدرك» (٣٩٨٦).

﴿حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ﴾: قرأ عاصم بالنصب وهو على الذم، والباقون بالرفع[١]، وهو على[٢] خبر الابتداء؛ أي: وامرأته كذا.

وفي هذه القصة[٣] أقاويل:

قال ابن عباس رضي الله عنهما والضحاكُ وابن زيد: كانت تحمل الشوك فتطرحُه في طريق النبي ﷺ إذا خرج إلى الصلاة[٤].

وفي «تفسير الفقيه أبي الليث رحمه الله»: فحملت ذات يومٍ حزمةَ شوكٍ لذلك، فوضعتها[٥] على جدار وقد شدتها بحبل من ليفٍ على صدرها، فأتاها جبريل عليه السلام ومدَّها خلف الجدار فاختنقت وماتت[٦].

وقال عكرمة ومجاهد وقتادة: كانت تمشي بالنميمة[٧]، وهو استعارةٌ لأن الحطب يُشعل به النار والنميمةَ توقِع العداوةَ والشحناء وتَهيجُ الفتنة والحربَ، وذلك يسمَّى بهذا[٨]، قال تعالى: ﴿كُلَّمَآ أَوۡقَدُواْ نَارٗا لِّلۡحَرۡبِ أَطۡفَأَهَا ٱللَّهُۚ﴾ [المائدة: ٦٤].

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٧٠٠)، و«التيسير» (ص: ٢٢٥).

(٢) «على» ليست في (ر).

(٣) في (أ) و(ف): «الصفة».

(٤) رواه عنهم الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٧١٩ ـ ٧٢٠).

(٥) في (أ): «فوضعته»، وفي (ر): «فوضعت»، وفي (ف): «وقد وضعت». والمثبت من «تفسير أبي الليث».

(٦) انظر: «تفسير أبي الليث السمرقندي» (٣/ ٦٠٧).

(٧) رواه عنهم الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٧٢٠ ـ ٧٢١).

(٨) في (ر): «بذلك».

وقال قتادة: قال بعضهم: إنها كانت تعيِّر رسول الله ﷺ بالفقر ثم كانت تحتطب للؤمها وبخلها مع كثرة مالها فعيَّرها الله بذلك[١].

* * *

(٥) ـ ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾.

﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾: أي: من ليفٍ لينٍ[٢] من جريد النخل.

وقال القتبي: المسد: كل ما ضُفِر وفُتل، يقال: مَسَدْتُ الحبلَ مَسْداً، ومنه: رجل ممسودُ الخَلْق، إذا كان مجدولاً مفتولاً، وأنشد للراجز:

يا مسدَ الخُوصِ تعوَّذْ منِّي　　إنْ كنتَ[٣] لَدْناً لَيِّناً فإنِّي

ما شئتَ من أشمطَ مُقْسَئِنِّ[٤]

أي: غليظ.

قال: وأراد الله بهذا الحبل: السلسلةَ التي ذرعُها سبعون ذراعاً، ويجوز أن يكون سماها مسداً وإن كانت حديداً أو ناراً أو ما شاء الله لشدة الضَّفر[٥] والفتل[٦].

وقيل: هو حبل من ليف كانت تحتطِبُ به في الدنيا تجعله في عنقها عند حملها إياه.

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٧٣٣) والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٧٢١).

(٢) «لين» من (أ).

(٣) في (أ): «تكن».

(٤) الرجز في «إصلاح المنطق» (ص: ٤٥)، و«البارع» للقالي (ص: ٤٧٨)، و«تهذيب اللغة» (١٢/ ٢٦٤)، و«جمهرة الأمثال» (٢/ ٣٠٧).

(٥) في (ف): «الظفر».

(٦) انظر: «تأويل مشكل القرآن» (ص: ١٠٣ ـ ١٠٤).

وقيل: كانت تعلّق في جيدها[1] قلادةً من ودعٍ وهو خرزاتٌ، فشبَّه ذلك في قبحه وغِلَظه وسماجةِ منظره بالحبل من المسد.

وروى سعيد بن جبير عن أبي بكر رضي الله عنه[2]: لمَّا نزلت هذه السورة جاءت امرأة أبي لهب، فقال أبو بكر: لو تنحيتَ[3] يا رسول الله فإنها امرأة بذيئة، فقال عليه السلام: «سيُحال بيني وبينها» فدخلت فلم تره، فقالت لأبي بكر: هجانا صاحبك، قال: والله ما ينطق بالشعر[4] ولا يقوله، قالت: إنك لمصدَّقٌ، فاندفعت راجعةً، فقال أبو بكر: يا رسول الله! ما رأتك، فقال: «لم يزل بيني وبينها ملكٌ يسترني عنها حتى رجعَتْ»[5].

وفي رواية: قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأَخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾ الآية [الإسراء: ٤٥] فلم تره[6].

ورُوي أنها قالت:

مذمماً أبينا
ودينَه قلَينا
وأمرَه عصَينا

---

(١) في (ر): «صدرها».

(٢) بعدها في (ر): «قال».

(٣) في (ر): «تتجنب».

(٤) في (أ): «ما نطق الشعر».

(٥) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣١٧٦٨)، وهو مرسل، ووصله البزار في «مسنده» (١٥) من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما، وإسناده حسن كما قال البزار عقيبه وابن حجر في «الفتح» (٨/ ٣٧).

(٦) رواه عبد بن حميد في «مسنده» (٣٢٥) من حديث أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها.

ورجعت[١]. فقال النبي ﷺ لأبي بكر: «انظر كيف صرف الله تعالى ذمَّها عن اسمي فلم تقل: محمداً أبينا»[٢].

وروي أنها قالت: يا محمد! علَامَ تهجوني؟ فقال: «إني والله ما هجوتُك، ما هجاك إلا الله تعالى»[٣].

والحمد لله

***

---

(١) قطعة من حديث أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها السابق.

(٢) رواه البخاري (٣٥٣٣) عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «ألا تَعْجبون كيف يَصْرِفُ اللهُ عني شَتْمَ قريشٍ ولَعْنَهم، يَشْتِمون مُذمَّمًا ويَلعنون مُذمَّمًا وأنا محمدٌ».

(٣) رواه الحاكم في «المستدرك» (٣٩٤٥) من حديث زيد بن أرقم.

سُورَةُ الإِخْلَاصِ(١)

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

بسم الله الأحدِ(٢) الصمد، الرحمنِ الذي لم يلد ولم يولد، الرحيمِ الذي لم يكن له كفواً أحد.

وهذه السورة عند ابن عباس ومقاتل والواقدي والحسين بن واقد مكية.

وقال قتادة: هي مدنية(٣).

وهي خمس آيات، وقيل: أربع آيات، والاختلاف في قوله: ﴿لَمْ يَلِدْ﴾.

وهي خمسَ عشرةَ كلمةً، وسبعةٌ وأربعون حرفاً.

وروى أبي بن كعب رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «مَن قرأ سورة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ أُعطي من الأجر كأنما قرأ ثلثَ القرآن، وأعطي من الأجر

---

(١) في (ر): «سورة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾».

(٢) في (ف): «الواحد».

(٣) كذا ذكر المؤلف عن ابن عباس وقتادة قوليهما، وذكر الداني في «البيان في عد آي القرآن» (ص: ٢٩٦) عكسه فقال: مكية هذا قول مجاهد وعطاء وقتادة، وقال ابن عباس: مدنية.
والحقيقة أن الخلاف كما وقع في مكيتها ومدنيتها فقد وقع أيضاً في نسبة القول بكل منهما، فقد قال الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٣٦٩): مكية في قول ابن مسعود والحسن وعطاء وعكرمة وجابر، ومدنية في أحد قولي ابن عباس وقتادة والضحاك والسدي.
وقول ابن عباس بمدنيتها رواه النحاس في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٧٧٥ ـ ٧٧٧).

عشرَ حسنات بعدد مَن آمن بالله تعالى ولم يشرك به شيئاً»(١).

وروى أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «أيعجز أحدكم أن يقرأ في ليلةٍ ثلثَ القرآن» فسكتنا، فقال ذلك ثلاث مرات ونحن نسكت، ثم قال: «مَن قرأ في ليلةٍ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ فقد قرأ ثلث القرآن»(٢).

وروى(٣) عليٌّ كرم الله وجهه عن النبي عليه السلام أنه قال: «مَن قرأ بعد الفجر إحدى عشرةَ مرةً ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ لم يلحقه ذلك اليوم ذنب»(٤).

وقال أنس بن مالك: قال جبريل للنبي ﷺ: ما زلتُ خائفًا على أمتك حتى نزل ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾(٥).

وقال النبي ﷺ لسعد بن معاذ السلمي: «إن سورة الأنعام وسورة الإخلاص أُنزلتا ومعهما سبعون ألفَ ملك، إنَّ قل هو الله أحد خمسَ عشرةَ كلمةً يتبعُها خمسَ عشرةَ بركةً، ما من عبدٍ من أمتي قرأها في يوم وليلةٍ مرةً واحدةً إلا قرأ ثلثَ ما أنزل الله عليَّ، ولا قرأها ثلاثَ مرات إلا بنى الله له قصراً في الجنة»(٦).

---

(١) رواه الواحدي في «الوسيط» (٤/ ٥٧١)، وهو قطعة من الحديث الموضوع في فضائل السور. انظر: «الفوائد المجموعة» للشوكاني (ص: ٢٩٦). لكن أوله صحيح كما سيأتي.

(٢) رواه الترمذي (٢٨٩٦) وقال: حديث حسن. وله شاهد من حديث أبي سعيد رضي الله عنه رواه البخاري (٥٠١٥)، ومسلم (٨١١).

(٣) في (ف): «وروي عن».

(٤) رواه ابن عساكر في «تاريخه» (٥٧/ ٢٨١)، وفي إسناده مروان بن سالم الغفاري وهو متروك.

(٥) ذكره الفيروزآبادي في «بصائر ذوي التمييز» (١/ ٥٥٥) وضعفه، ولم أجده مسنداً.

(٦) لم أقف عليه. وروى الإمام أحمد في «المسند» (١٥٦١٠) من حديث مُعاذِ بنِ أنسٍ الجُهَنِيِّ رضي الله عنه مرفوعاً: «مَن قرأ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ حتى يختمَها عشرَ مراتٍ، بنى الله له قصرًا في الجنة»، وإسناده ضعيف، وقد روي مرسلاً عن سعيد بن المسيب، أخرجه الدارمي في «سننه» =

وقال أبو بكر الورَّاق: هي خمسَ عشرةَ كلمة مَن قرأها واعتقدها نجَّاه الله تعالى من دركات النار وهي سبع، وأدخله الجنان وهي ثمانٍ، وذلك كلُّه خمسَ عشرةَ.

وروى عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن أحبار اليهود أتوا النبي ﷺ فقالوا: صِفْ لنا ربَّك لعلنا نؤمن، فقال النبي ﷺ: «قولوا: لا إله إلا الله» فلم يلتفتوا إليه وقالوا: قل لنا قولاً غيرَ هذا، قال: «وما أقول؟» قالوا: صف لنا ربك أمِن ذهبٍ هو أم من نحاسٍ أم من صُفرٍ أم من فضة أم من حديد؟ هل يأكل ويشرب؟ وممن ورث الدنيا ومَن يورثها؟ فأنزل الله تعالى هذه السورة وهي نسبة الله تعالى خاصة(١).

وقال الربيع بن أنس: قال قتادة: قالت قادة الأحزاب: انسُب لنا ربَّك الذي تدعونا إليه أذهبٌ هو أم فضة؟ فأنزل الله تعالى هذه السورة(٢).

= (٢/ ٤٥٩): أن نبي الله ﷺ قال: «من قرأ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ عشر مرات بني له بها قصر في الجنة، ومَن قرأها عشرين مرة بني له بها قصران في الجنة، ومن قرأها ثلاثين مرة بني له بها ثلاثة قصور في الجنة» وإسناده صحيح إلى سعيد.

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٣) عن الضحاك وقتادة ومقاتل.

(٢) رواه بهذا اللفظ الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٧٢٨) من طريق أبي جعفر الرازي عن الربيع عن أبي العالية. ورواه الطبري (٢٤/ ٧٢٩) من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة بلفظ: (جاء ناس من اليهود الى النبي ﷺ فقالوا: انسب لنا ربّك...).

ورواه الترمذي (٣٣٦٤) من طريق أبي جعفرٍ الرازيِّ، عن الربيع بن أنس، عن أبي العاليَة، عن أبيِّ بن كعب: (أن المشركين قالوا لرسول الله ﷺ: انْسُب لنا ربَّك...) الحديث. ثم رواه الترمذي من طريق أبي جعفرٍ الرازيِّ، عن الربيع، عن أبي العالية: (أن النبيَّ ﷺ ذَكَر آلهتهم فقالوا: انسُب لنا ربَّك...) الحديث. قال الترمذي: هذا أصح. قلنا: وهو ضعيف وكذا كل ما سبق، لضعف أبي جعفر الرازي. وفي الباب عن جابر قال: (قال المشركون: انسب لنا ربك...)، رواه الطبري (٢٤/ ٧٢٨)، وإسناده ضعيف أيضاً.

وروى أبو روق عن الضحاك أنه قال: إنَّ أولَ مَن سأل رسول الله ﷺ عن نسبة الله عامرُ بن الطفيل، وذلك أن المشركين أرسلوه إلى النبي ﷺ فقالوا: قل له: شقَقْتَ عصانا، وخالفتَ دين أبائك، وسبَبْتَ آلهتنا، فإن كنتَ فقيراً أغنيناك، وإن كنتَ مجنوناً داويناك، وإن هَويْتَ امرأة زوَّجناكها، فقال رسول الله ﷺ: «لستُ بفقير ولا مجنون ولا أهوى امرأةً، بل أنا رسول الله إليكم أدعوكم من عبادة الأصنام إلى عبادة الله» فأرسَلوه ثانياً فقالوا: قل له يبيِّنْ لنا جنسَ معبودِه، فأنزل الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ فأرسلوه ثالثاً فقالوا: إن لنا ثلاثَ مئة وستين صنماً لا تقوم بحوائجنا، فكيف يقوم إلهٌ واحدٌ بحوائج الخلق كلِّهم؟! فأنزل الله تعالى: ﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ﴾ [الصافات: ١-٤] يعني: في جميع حوائجكم، فأرسَلوه رابعاً فقالوا: قل له يُبيِّن لنا أفعالَ ربه، فأنزل الله تعالى نيفاً وسبعين آيةً يبين لهم أفاعيلَه، نحو قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ الآية [الأعراف: ٥٤، يونس: ٣] وقوله: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ﴾ الآية [الروم: ٤٠] ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ﴾ [فاطر: ٩] ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ﴾ [الشورى: ١٩] ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ الآية[1] وما ضاهاها من الآيات[2].

وقد مرت قصة عامرٍ هذا وأخيه لأمِّه أربد بن قيس وهلاكِهما في سورة الرعد.

وقال ابن عباس: بعث رسول الله ﷺ سريةً فأمَّر عليهم كلثومَ بنَ الهِدْمِ، وكان يصلي بهم ولا يزيد على ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ فلما انصرف أخبر بذلك رسول الله ﷺ، فقال: «ما حملك على ما صنعت؟» فقال: إنه حُبِّبَ إليَّ هذه السورة،

---

(١) في (أ): «﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾» بدل: «﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ﴾ ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ﴾ ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ الآية».

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٣٧٠).

فأتاه جبريل فقال: «إن الله تعالى يحبُّ كلثوماً لحبه ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾»[١].

وانتظام السورتين: أن تلك في وعيد مَن ترك التوحيد وهذه في تعليم التوحيد.

* * *

(١) ـ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾: أي: قل يا محمدُ لهؤلاء الذين سألوك عن ربِّك: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾؛ أي: الذي سألتم عنه هو المسمَّى باسم الله وهو أحدٌ؛ أي: واحد لا شريك له ولا نظير له، وليس بذي أبعاضٍ وأجزاء، وأنه كان ولا شيء معه غيره.

وقوله تعالى: ﴿أَحَدٌ﴾ يدل على أنه واحدٌ في ذاته لا انقسام له، وأنه واحد في صفاته لا نظير له ولا شبيه له، وأنه واحد في أفعاله[٢] لا شريك له.

وقال أهل اللغة: ﴿أَحَدٌ﴾ أصله: وَحَدٌ، جعلت الواو همزةً لوقوعها طَرَفاً كما في الوشاح والإشاح.

وقال أهل النحو: ﴿هُوَ﴾ مبتدأ و﴿ٱللَّهُ﴾ خبره، وقوله تعالى: ﴿أَحَدٌ﴾؛ أي: وهو أحد، ولا يجوز نعتاً لقوله: ﴿ٱللَّهُ﴾ لأن المعرفة لا تُنعت بالنكرة.

وقيل: ﴿هُوَ ٱللَّهُ﴾ مبتدأٌ و﴿أَحَدٌ﴾ خبرُه.

وقيل: ﴿هُوَ﴾ عماد و﴿ٱللَّهُ﴾ مبتدأ و﴿أَحَدٌ﴾ خبره.

---

(١) رواه البخاري (٧٣٧٥)، ومسلم (٨١٣) من حديث عائشة رضي الله عنها، وليس في تعيين الصحابي، قال الحافظ في «فتح الباري» (١/ ٣٤٤): قيل: هو كلثوم بن الهدم وفيه نظر لأنهم ذكروا أنه مات في أول الهجرة قبل نزول القتال ورأيت بخط الرشيد العطَّار كلثوم بن زَهْدَم وعزاه لـ«صفة التصوف» لابن طاهر.

(٢) في (ف): «فعاله».

(٢) ـ ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾: قال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿ٱلصَّمَدُ﴾: الكبير الذي ليس فوقه أحد(١).

وعنه في رواية: ﴿ٱلصَّمَدُ﴾: المصمود إليه في الحوائج(٢)؛ أي: المقصود.

وعنه أيضًا: ﴿ٱلصَّمَدُ﴾: القادر على الكمال، العليم الذي كمُل في علمه، الحليم الذي كمُل في حِلمه، السيد الذي كمُل في سؤدَدُه، الغني الذي كمُل في غناه: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١](٣).

وقال قتادة: ﴿ٱلصَّمَدُ﴾: الباقي بعد فناء الخلق(٤).

وقال الحسن: ﴿ٱلصَّمَدُ﴾: الدائم الذي لم يَزَلْ ولا يزالُ(٥).

وقال أبي بن كعب: ﴿ٱلصَّمَدُ﴾: الحي الذي لا يموت ولا يُورَث(٦).

وقال مجاهد: هو المصمت الذي لا جوف له(٧)، وهو بمعنى الأحد.

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٥)، والواحدي في «البسيط» (٢٤/ ٤٣٨) والبغوي في «تفسيره» (٨/ ٥٨٨).

(٢) ذكره أبو الليث السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٦٠٨)، والثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٤)، والماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٣٧١)، وذكره الواحدي في «البسيط» (٢٤/ ٤٣٥) من طريق عطاء عن ابن عباس مرفوعاً.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٧٣٦)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٩٨).

(٤) في (أ): «خلقه». والخبر رواه ابن أبي عاصم في «السنة» (٦٧٩)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٧٣٦)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (١٠٤)، جميعهم عن الحسن وقتادة.

(٥) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٣٧١).

(٦) رواه الترمذي (٣٣٦٤)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٦٦٣).

(٧) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٧٣٨)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٦٧٣) و(٦٧٤) و(٦٧٦)، =

وقال الضحاك: ﴿ٱلصَّـمَدُ﴾: السيد الذي قد انتهى سؤدَدُه[(١)].

وقال السدي: ﴿ٱلصَّـمَدُ﴾: المقصودُ إليه في الرغائب، المستغاث[(٢)] به عند المصائب[(٣)].

وقال قتادة رحمه الله: ﴿ٱلصَّـمَدُ﴾: الذي لا يَطْعَم[(٤)].

وقال يمان بن رئاب: ﴿ٱلصَّـمَدُ﴾: الذي لا ينام[(٥)].

وقال محمد بن كعب: ﴿ٱلصَّـمَدُ﴾: الذي ﴿لَمْ يَـلِدْ وَلَـمْ يُولَـدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَـدٌۢ﴾[(٦)].

= والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٧٣١). ورواه ابن أبي عاصم في «السنة» (٦٦٥)، والخطيب في موضح أوهام الجمع والتفريق» (٢/ ٢١٥)، من طريق مجاهد عن ابن عباس. ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٧٣١)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (١٠٠)، من طريق عطية عن ابن عباس. ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٧٣٢ ـ ٧٣٣) عن الحسن وسعيد بن جبير والضحاك وعكرمة. قال البيهقي: ورُوِّينا هذا القول عن سعيد بن المسيِّب وسعيد بنِ جُبيرٍ ومجاهدٍ، والحسن والسُّدِّيِّ والضحَّاكِ وغيرِهم، وروي عن عبد الله بنِ بُريدةَ عن أبيه، يشكُّ راويه في رفعه.
قلت: وهذا الأخير رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٧٣١)، والطبراني في «الكبير» (١١٦٢)، وقال ابن كثير عند تفسير هذه الآية: وهذا غريب جداً، والصحيح أنه موقوف على عبد الله بن بريدة.

(١) رواه ابن أبي عاصم في «السنة» (٦٧٢)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٧٣٥ ـ ٧٣٦)، عن أبي وائل شقيق بن سلمة.

(٢) في (ر): «المستعان».

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٥)، والبغوي في «تفسيره» (٨/ ٥٨٨).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٧٣٢ ـ ٧٣٣) عن الشعبي.

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٥).

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٧٣١)، والخطابي في «غريب الحديث» (٣/ ١٤٦)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (١٠١).

وقال مقاتل بن حيان: ﴿ٱلصَّمَدُ﴾: الذي لا عيب فيه.

وقال الربيع بن أنس: ﴿ٱلصَّمَدُ﴾: الذي لا تعتريه الآفات.

وقال سعيد بن جبير: ﴿ٱلصَّمَدُ﴾: الكامل في جميع صفاته وأفعاله.

وقال أبو مالك: ﴿ٱلصَّمَدُ﴾ الذي لا تأخذه سِنَة ولا نوم.

وقال جعفرٌ الصادق: ﴿ٱلصَّمَدُ﴾: الغالب الذي لا يُغلب.

وقال أبو هريرة رضي الله عنه: هو المستغني عن كلِّ أحد، والمحتاجُ إليه كلُّ أحد.

وقال مرة الهمدانيُّ: ﴿ٱلصَّمَدُ﴾: الذي لا يَبْلَى ولا يَفْنى.

وقال الحسين بن الفضل رحمه الله: ﴿ٱلصَّمَدُ﴾: الذي يَحكم ما يريد، ويفعل ما يشاء، لا معقِّب لحكمه ولا رادَّ لقضائه.

وقال محمد بن علي الترمذي: ﴿ٱلصَّمَدُ﴾: الذي لا تدركه الأبصار، ولا تحويه الأقطار، ولا تبلغه الأفكار، وكل شيء عنده بمقدار[1].

وأما قول أهل اللغة فيه:

قال الخليل: بلغَنا عن الحسن أنه قال: صُمِدت إليه الأمور؛ أي: سلِّمت، فلا يقضي فيه غيرُه ولا يُمضي دونه.

قال: وقال بعضهم: هو السيد المطاع في قومه.

وقال الأسدي:

ألا بكَّـر الناعـي بخـيرَيْ بنـي أسـدْ ... بعمرِو بن مسعودٍ وبالسيِّد الصَّمَدْ[2]

---

(١) ذكر هذه الأقوال جميعاً الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٤ ـ ٣٣٥).

(٢) البيت لسبرة بن عمرو الأسدي يرثي عمرو بن مسعود وخالد بن نضلة؛ كما في «الصحاح» (مادة: =

قال: وقال بعضهم: ﴿ٱلصَّمَدُ﴾ هو من قولهم: صمَده؛ أي[1]: قصده، من حدٍّ دخل، فهو المقصود إليه بالحوائج.

قال: وقال بعضهم: الصمد: المصمَت الذي ليس بأجوفَ، والصُّمدةُ: الصخرة الراسية في الأرض المرتفعةُ منها[2].

وقال[3] بعضهم: يقال: بناءٌ مصمَّدٌ بالتشديد؛ أي: معلًّى، والصَّمْدُ[4]: ما أشرف من الأرض، وقال جرير:

علَوْتُم كلَّ رابيةٍ وصَمْدٍ وغيرُكم المذانبُ والهُجُولُ[5]

جمع هَجْل: وهو ما اطمأنَّ من الأرض.

وقال أبو معاذ: قال الكسائي: تقول العرب: صَمَدْتُ البعيرَ إلى البعير والأسيرَ

= خير)، وعزاه أبو عبيدة في «مجاز القرآن» (٢/ ٣١٦) للأسدي ولم يذكر اسمه. وعزاه ابن هشام في «السيرة النبوية» (١/ ٥٧٢) لهند بنت معبدِ بنِ نَضْلَةَ تبكي عمرَو بنَ مسعودٍ وخالدَ بنَ نَضْلَةَ عَمَّيْها الأسديَّين، اللَّذين قَتَلَهما النعمانُ بنُ المنذِرِ اللَّخْميُّ. وهو دون نسبة في «إصلاح المنطق» (ص: ٤٤)، و«تفسير الطبري» (٢٤/ ٧٣٦)، و«معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٣٧٨). ورواية أبي عبيدة: (بخير بني أسد) بالإفراد.

(١) في (ر): «إذا».

(٢) انظر: «العين» (٧/ ١٠٤).

(٣) في (أ) و(ر): «قال وقال»، ولم أجده عن الخليل.

(٤) بسكون الميم. انظر: «الغريبين» (مادة: صمد).

(٥) انظر: «ديوان جرير» (٢/ ٧١٨). والرواية فيه: (كل رابية وفرع)، فلا شاهد فيه، ولم أقف على رواية المؤلف. والمذانب: المسايل.

إلى الأسير: إذا قرَنْتَه به، فمعنى ﴿ٱلصَّمَدُ﴾: أن الحوائج تُقرنُ[١] بعضُها إلى بعضٍ وتُرفع كلُّها إليه.

وقال أبو زيد البلخيُّ[٢]: الصمد: هو الذي يُصمد إليه[٣] تعظيماً له ورغبةً فيه، ووقوع هذا الاسم على مَن تعظَّم من البشر إنما هو على الاستعارة؛ لأنه ليس أحدٌ من المخلوقين وإنْ عظُم شأنه وعلتْ رتبتُه إلا وهو موصوفٌ بالنقص، عاجزٌ عن إبلاغ مَن يَصمد إليه[٤] غايةَ أمله، فالصمدُ في الحقيقة مَن هو ملجأُ كلِّ مستغيثٍ به في نوازله، ومَن بيده ناصيةُ كلٍّ من خليقته، ومِن أجلِ جلالة هذا الاسم جعله الله تعالى مقروناً بلفظةِ ﴿أَحَدٌ﴾ الدالةِ على حقيقة الوحدانية؛ ليدلَّ بأحد الاسمين على أن الموصوف به هو مَن لا نظيرَ له ولا شبيه له[٥] إذ له الوحدةُ المحضَة، ويدلَّ بالاسم الآخر على أن مِن الواجب إذ كانت الوحدانيةُ بالحقيقة له، وكان مبدعَ الكلِّ وحافظَه ومدبِّره، أن لا يُصمد بالعبادة والتعظيم والرغبة والرهبة غيرُه، فاجتمع في لفظي الأحد والصمد وما يتبعهما[٦] من نفي صفات الحدوث[٧] ووجودِ مثيلٍ له وشبيهٍ

---

(١) في (ر) و(ف): «تقرب».

(٢) أحمد بن سهل، أحد الكبار الأفذاذ من علماء الإسلام، جمع بين الشريعة والفلسفة والأدب والفنون، وقد سبق علماء الإسلام في البلدان كافة إلى استعمال رسم الأرض في كتابه «صور الأقاليم الإسلامية» ومن مؤلفاته أيضاً: «أقسام العلوم»، و«شرائع الأديان»، و«أخلاق الأمم»، و«نظم القرآن». توفي سنة (٣٢٢هـ). انظر: «الأعلام» (١/ ١٣٤).

(٣) في (أ): «له».

(٤) في (أ): «له».

(٥) «له» ليس من (أ).

(٦) في (ر): «معهما».

(٧) في (أ): «الحدوث» وليست في (ر).

له ـ وهو قوله تعالى: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ ـ ما يستحقُّه من صفات الألوهية والربوبية، ومن أجل عظيم شأن هذه الكلمات الموجودة في هذه السورة صارت من أشرف سور القرآن في توحيد الله وتمجيده، ولذلك سميت سورة الإخلاص، كلُّ هذا كلام أبي زيد.

***

(٣ ـ ٤) ـ ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾.

وقوله تعالى: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾: أي: لم يلد أحداً ولم يلده أحدٌ، نفى بهذا عن نفسه صفات المخلوقين من الحدوث وحلولِ الأعراض فيه.

﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾: أي: نظيراً أو شبيهاً.

قرأ حمزة ونافع في روايةٍ بسكون الفاء مهموزاً، وقرأ عاصم في رواية حفص: ﴿كُفُوًا﴾ مثقَّلاً[1] غيرَ مهموز، وقرأ الباقون بضم الفاء مهموزاً[2]، وهي لغاتٌ، والمكافأة بالهمز وغيرِ الهمز: المساواة.

وقيل: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾؛ أي: صاحبةً.

وقيل: لم يكافِئْه بنعمته[3] أحد.

وقيل: الكفار كلُّهم يرجعون في الحاصل إلى ثلاثة أشياء: التعطيلِ والإشراكِ

---

(١) «مثقلا» ليست في (أ). ويعني بالتثقيل ضم الفاء، كما يشار بالتخفيف للتسكين.

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٧٠١ ـ ٧٠٢)، و«التيسير» (ص: ٢٢٦). وفيهما القراءة بسكون الفاء مع الهمز عن حمزة فقط، وهذا في الوصل، فإذا وقف أبدل الهمزة واواً مفتوحة اتِّباعاً للخط.

(٣) في (أ): «لنعمه».

والتشبيه، وقد ذُكرت هذه الثلاثةُ وردُّها في آيات من القرآن، وهذه السورة ردٌّ[1] على الكل على إيجازها، فقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ﴾ ردٌّ للمعطلة، وقوله: ﴿أَحَدٌ﴾ ردٌّ على المشركين، وقوله: ﴿ٱلصَّمَدُ﴾ إلى آخرها ردٌّ على المشبِّهة.

وقال بعض أهل العلم: إن هذه السورةَ يفسِّر بعضُها بعضاً، إذا قيل: مَن هو؟ فجوابه: ﴿ٱللَّهُ﴾، مَن الله؟ ﴿أَحَدٌ﴾ مَن الأحد؟ ﴿ٱلصَّمَدُ﴾ مَن الصمد؟ الذي ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ مَن الذي لم يلد ولم يولد؟ الذي ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾[2].

وقال الإمام القشيري رحمه الله: كاشَفَ الله الأسرارَ بقوله: ﴿هُوَ﴾، وكاشَفَ الأرواحَ بقوله: ﴿ٱللَّهُ﴾ وكاشَفَ القلوب بقوله: ﴿أَحَدٌ﴾ وكاشَفَ ألباب الموحِّدين بباقي السورة.

وقيل: كاشَفَ الوالهين بقوله: ﴿هُوَ﴾ والموحِّدين بقوله: ﴿ٱللَّهُ﴾ والعارفين بقوله: ﴿أَحَدٌ﴾ والعلماء بقوله: ﴿ٱلصَّمَدُ﴾ والعقلاء بقوله: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾

وقيل: خاطب خاصَّ الخاص بقوله: ﴿هُوَ﴾ ثم خاطبَ الخواصَّ بقوله: ﴿ٱللَّهُ﴾، ثم زاد في البيان لمن نزل عنهم[3] فقال: ﴿أَحَدٌ﴾ ثم لمن نزل عنهم بـ﴿ٱلصَّمَدُ﴾، كذلك لمن دونهم.

---

(١) في (ر) و(ف): «وردت».

(٢) في (ر): «إذا قيل: مَن هو؟ فجوابه: ﴿ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ وإذا قيل: مَن اللهُ الأحد؟ فجوابه: ﴿ٱلصَّمَدُ﴾ وإذا قيل: من الصمد؟ فجوابه: الذي ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ وإذا قيل: مَن الذي لم يلد ولم يولد فقل: الذي ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾». والمثبت موافق لما في «لطائف الإشارات» (٣/ ٧٨٣).

(٣) في (ر): «عليهم».

وقال: ولمَّا بسطوا لسان الذم[١] في الله تعالى أمر نبيَّه بالردِّ عليهم، فقال: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ذُبَّ عني ما قالوا لي فإنك أولى بذلك، ولما بسطوا لسان الذم في نبيِّه ﷺ تولَّى الحق سبحانه وتعالى الردَّ عليهم فقال: ﴿نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١ مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾ وقال: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾ فأنا أذب عنك فأنا أولى بذلك منك[٢].

والحمد لله رب العالمين

* * *

---

(١) في (ر): «لما بسطوا ألسنتهم بالذم».

(٢) في (أ): «فأنا أولى بذلك» وفي (ر) و(ف): «فإني أنا أولى بك». والمثبت من «اللطائف». انظر: «لطائف الإشارات» (٣/ ٧٨٣).

سُورَةُ الفَلَق

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

بسم الله ربِّ الفلق، الرحمنِ الدافعِ شرَّ ما خلق، الرحيمِ المعيذِ من شرِّ ذي الحسد والحَنَق.

وهذه السورة(١) مدنية، وهي خمسُ آيات، وثلاثٌ وعشرون كلمةً، وثلاثة(٢) وسبعون حرفاً.

روى أبي بن كعب رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «مَن قرأ سورةَ الفلق وسورةَ ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ أُعطي من الأجر كأنما قرأ جميعَ الكتب التي أنزلها الله تعالى على أنبيائه ورسله»(٣).

وانتظام هذه السورة بالسورة التي قبلها(٤): أنه قال في تلك: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ وهو الذي يُقصد إليه في قضاء الحاجات ودفعِ الآفات، وقال في هذه السورة: استَعِذْ بالله يدفعْ عنك المكاره والبليَّات.

---

(١) في (ر) و(ف): «وسورة الفلق».

(٢) «وثلاثة» ليست في (أ). وفي «البيان في عد آي القرآن» (ص: ٢٩٧): وحروفها تسعة وسبعون كحروف النَّاس.

(٣) رواه الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٧)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ٥٧٢)، وهو قطعة من الحديث الموضوع في فضائل السور. وانظر: «الفتح السماوي» للمناوي (٣/ ١١٤٢)، و«الفوائد المجموعة» للشوكاني (ص: ٢٩٦).

(٤) في (أ): «وانتظام السورتين».

وروي عن عقبة بن عامر الجهني أنه قال: بينا أنا أسير مع رسول الله ﷺ بين الجُحْفة والأبواء إذ غشِيَنا ريحٌ وظُلمة، فجعل رسول الله ﷺ يتعوَّذ بـ﴿أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ و﴿أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ ويقول: «يا عقبة، تعوَّذْ بهما، فما تَعوَّذ [متعوِّذٌ] بمثلهما»، ثم سمعتُه يَؤُمُّنا بهما في الصلوات[1].

وروي أن جبريل عليه السلام أتى النبي ﷺ فقال: إن عفريتاً من الجن يَكيدُك فتعوَّذْ إذا أويتَ إلى فراشك[2] بـ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾[3].

وروى هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت: أُخذ[4] النبيُّ ﷺ عن نسائه، فكبر ذلك على رسول الله ﷺ وهمَّه، قالت: فوالله إنه لمضطجعٌ في بيتي متوسِّد يمينَه في مصلَّاه مهموماً بما أصابه، إذ جلس وهو يضحك، فقلت له: مما تضحك يا رسول الله أضحك الله سنَّك؟ قال: «هل علمتِ يا عائشةُ أن الله تعالى قد دلَّني على ما بي، جاءني جبريل الآن بملَك لم أره قبل اليوم، فأجلسه عند رجلي وجلس جبريل عند رأسي، فقال له جبريل عليه السلام: ما وجعُ الرجل؟ قال: مَطْبوب، قال: ومَن طبَّه؟ قال: لبيد بن أعصم اليهودي، قال: وفيم؟ قال: في مُشْطٍ ومُشاطةٍ، وكَرَبِ نخلةٍ في جُفِّ طلعةٍ في ذي أروان» ـ بئرٌ في بني زريق ـ قالت: فقام

---

(١) رواه أبو داود (١٤٦٣)، وما بين معكوفتين منه.

(٢) في (ر): «بفراشك».

(٣) ذكره بهذا اللفظ الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (١٠/ ٦٥٣). ورواه ابْن أبي الدُّنيا فِي «مَكَائِد الشَّيطان» (٦٧) والدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (٢٨٧٠)، عن الحسن أن النَّبي ﷺ قال: «إن جبريل أتاني فقال: إِن عفريتاً من الجِنِّ يكيدك فإذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكُرْسِيّ»، وهو مرسل.

(٤) في (أ): «اتخذ». وفي (ف): «أخر».

رسول الله ﷺ فأخذ رداءه ثم خرج وخرج معه الناسُ، حتى أتى البئر فاطَّلع فيها فأذهب الله عنه كلَّ ما يجد، قالت: فرجع إليَّ فقلتُ: يا رسول الله! ما رأيتَ فيها؟ قال: «لقد دخلتُها ولكأنَّ رؤوسَ نخلها الشياطين ثم اطَّلعتُ في البئر»، فقلت: ما منعك يا رسول الله أن تستخرجه؟ قال: «خشيت أن يصيب الناسَ منه شيء»[(١)].

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: فلما جاء البئرَ استخرج منها تمثالَ صورةٍ من عجينٍ قد غُرز فيها الإبرة، وشعرةً قد عُقد فيها إحدى عشرةَ عقدةً، فأمره الله تعالى أن يتعوَّذ بـ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ وهما إحدى عشَر آيةً، على كلِّ عقدةٍ آية، يقرأ[(٢)] آيةً ويحلُّ عقدةً، فأذهب الله تعالى عنه كلَّ ما يجد[(٣)].

وعن زيد بن أرقم قال: سَحَر النبيَّ ﷺ رجلٌ من اليهود، فاشتكى لذلك أياماً، فأتاه جبريل فقال: إن رجلاً من اليهود سحرك وعقَد لك عقدًا وجعلها في بئرِ كذا، فأرسِلْ إليها مَن يستخرجُها[(٤)]، فأرسل عليًّا رضي الله عنه فاستخرجها من البئر فجاء بها، قال[(٥)]: فكلَّما حلَّ عقدةً وجد النبيُّ عليه السلام خفَّةً، حتى قام رسولُ الله ﷺ

(١) في (أ): «شره». والحديث لم أقف على لفظه الذي عند المؤلف، لكن رواه بمعناه البخاري (٦٣٩١)، ومسلم (٢١٨٩). وجاء في بعض نسخ مسلم: «جب» بالباء، وهما بمعنى كما قال النووي في «شرح مسلم» (١٤/ ١٧٧). وينظر شرح ألفاظه في شروح الصحيحين.

(٢) «آية يقرأ» ليس من (أ).

(٣) رواه البيهقي في «دلائل النبوة» (٧/ ٩٢ ـ ٩٤) من طريق عمرة عن عائشة رضي الله عنها، وإسناده ضعيف كما ذكر الحافظ ابن حجر في «الفتح» (١٠/ ٢٣٥).

(٤) في (أ): «يستخرج».

(٥) «قال» من (ف).

كأنما نَشَط[١] من عقالٍ، فما ذكر رسولُ الله ﷺ في وجه اليهودي ما صنع به قط ولا أخبره به[٢].

وعن عليٍّ رضي الله عنه أنه قال: قالت اليهود: إنا قد طلبنا ضرَّ محمدٍ بكلِّ شيء فلم نقدر[٣]، فانطلِقوا بنا نتجرع[٤] حتى نتعين له ونستعينَ له بالسحرة والشياطين، فأعلمَ الله تعالى بذلك نبيَّه ﷺ، وأنزل: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾[٥].

ودل هذا على بطلان قول المعتزلة في إنكار تحقُّق السحر وتصوُّره وظهورِ أثره.

***

(١) ـ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾: أي: قل يا محمد: أَمْتنِعُ وأعتصمُ وأحترِزُ بربِّ الصُّبح، وسمِّي به لأنه ينفلقُ عن الظُّلمة؛ أي: ينشقُّ، وعلى هذا أكثرُ المفسرين.

وقال ابن عباس في رواية: الفلق: الخلق انفلقوا عن آبائهم وأمهاتهم[٦].

---

(١) في (أ) و(ف): «أنشط».

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١٩٢٦٧)، والنسائي (٤٠٨٠).

(٣) في (أ) و(ف): «يضره».

(٤) في (ف): «نتوجع».

(٥) لم أجده.

(٦) ذكره بتمامه السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٦١٠) لكنه لم يعزه، ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٧٤٥) لكن دون قوله: «انفلقوا عن آبائهم وأمهاتهم».

وقال كعب: هو بيتٌ في جهنم إذا فُتح صاح جميع أهل النار من شدة حره[١].

وقال وهب: هي صخرة تحت الأرض هي غطاءُ جهنم، فإذا كان عند قيام الساعة رُفعت فسالت البحار في جهنم، وارتفعت النار فملأت البحار، وارتفعت إلى السماء فوقعت فيها تحرقها، فذلك قوله تعالى: ﴿فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾ [الرحمن: ٣٧].

وقال عبد الله بن عمرو رضي الله عنه: الفلق شجرة في النار[٢].

وعن وهب في رواية: هو جبٌّ في النار[٣].

وقال السدي: وادٍ في جهنم[٤].

وقيل: ﴿الْفَلَقِ﴾: الجبال والصخور تنفلِق بالمياه والنبات.

* * *

(٢ ـ ٣) ـ ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾: يحتمِل: من شرِّ ما خلق من الناس والجن والشياطين والسباع والحيات ونحوها من الأشياء الضارة، فإنَّ مضارَّ هذه الأشياء شرورٌ؛ لأنها تؤذي.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٧٤٢ ـ ٧٤٣).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٩).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٧٤٢) عن السدي، ورواه أيضاً من حديث أبي هريرة مرفوعاً، لكن قال ابن كثير في تفسير الآية: إسناده غريب ولا يصح رفعه. ورواه الطبري أيضاً من قول ابن عباس بلفظ: (سجن في جهنم).

(٤) لم أجده عن السدي، وقد مر في التعليق السابق ما روي عنه، وهذا القول ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٩) عن الكلبي. والتستري في «تفسيره» (ص: ٢١٠) عن الضحاك.

ويجوز أن يراد بذلك الأسقامُ والهموم[١]، والأمورُ المؤلمةُ الشاقة، فإن ذلك يسمَّى شرًّا لكونها مكروهةً في الطباع، وهي من الله تعالى حكمةٌ وصواب، وكذلك جميعُ ما خلق الله تعالى من الشرور حكمة وصواب[٢]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ﴾ [الإسراء: ٨٣]، ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ﴾ [الأنبياء: ٣٥].

قوله تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾: قيل: أي: ليلٍ مظلمٍ إذا دخل.

وقال في «ديوان الأدب»: غسَق الليل: إذا أظلم[٣]، من حدِّ ضرب.

ووقب الظلام: إذا أقبل، ويقال: دخل في كلِّ شيء[٤].

هذا هو اللغة، وكذا هو عند أكثر أهل التفسير؛ قال عليٌّ ومجاهد وابن جُريجٍ ومحمد بن كعب والضحَّاك والسديُّ والحسن: ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾؛ أي: من شرِّ ليل مظلم إذا دخل[٥].

وعن عكرمة قال: يرسل في تلك الساعة عفاريت الجن[٦].

وقال عطاء: النهار إذا دخل في الليل[٧].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿إِذَا وَقَبَ﴾؛ أي: أقبلَ[٨]، وفي رواية عنه: إذا أدبر.

---

(١) في (أ): «والغموم» وفي (ر): «والشرور والهموم».

(٢) «حكمة وصواب» ليس من (أ) و(ف).

(٣) انظر: «ديوان الأدب» للفارابي (٢/ ١٧٧).

(٤) انظر: «ديوان الأدب» للفارابي (٣/ ٢٤٩).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٧٤٦ـ ٧٤٧) عن ابن عباس ومجاهد والحسن.

(٦) ذكره مكي في «الهداية» (١٢/ ٨٥١٠).

(٧) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٧٤٦ـ ٧٤٧) عن محمد بن كعب.

(٨) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٧٤٧).

وقال عطية: إذا ذهب، وكذا قال عطاء وقتادة[1].

وعن عائشة: أن النبي ﷺ قال لها: «يا عائشة، أتدرين ما هذا ـ يعني القمر ـ هذا الغاسق إذا وقب، فتعوَّذي بالله من شرِّه»[2].

وقال محمد بن جرير: هو الذي يُظلم فيدخل في ظلامه، فالليل إذا دخل في ظلامه غاسقٌ، والنهار إذا دخل في الليل غاسق، والقمر إذا غاب غاسق[3].

***

(٤ ـ ٥) ـ ﴿ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴾: أي: السَّواحر اللاتي تنفُثْنَ في عُقَد الخيط حين يَرْقِينَ عليه، والنفثُ هو النفخ بالشَّفة ولا ريقٍ معه، وهو من حدِّ ضرب.

وقيل: فعَل[4] برسول الله ذلك بناتُ لَبيدِ بن أَعْصَم.

وقيل: النفاثاتُ في العقد جملةُ النساء، على معنى كيدِهن ومكرِهن. وقال أبو تمام:

السالبـــاتِ امـــرَأً عـزيمـــتَه بالسِّـحْر والنافثـاتِ في عُقَـدِهْ[5]

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٧٤٩) عن قتادة ثم تعقبه بقوله: ولست أعرف ما قال قتادة في ذلك في كلام العرب، بل المعروف من كلامها من معنى وقب: دخل.

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢٥٨٠٢)، والترمذي (٣٣٦٦) وقال: حسن صحيح.

(٣) انظر: «تفسير الطبري» (٢٤/ ٧٤٩).

(٤) في (أ) و(ف): «فعلت».

(٥) «ديوان أبي تمام» (ص: ٤٦).

﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾: لأن الحاسد يعمل الحيَل في الإضرار بالمحسود.

وقيل: هو أمرٌ له بالاستعاذة من حسد اليهود، وقد كانوا موصوفين بشدة الحسد له[1].

وقيل: هو في حسد المشركين له.

والأصح: أنه يعم كل حاسد.

وقال الحسين بن الفضل البجَلي: جمع الله تعالى الشرورَ في هذه السورة وختَمها بالحسد ليُعلم أنه أخسُّ الطبائع.

والحمد لله رب العالمين

* * *

(١) «له» ليست في (ر).

سُورَةُ النَّاسِ[1]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

بسم الله ربِّ الناس، الرحمنِ العاصمِ من الوسواس، الرحيمِ المعيذِ من الخنَّاس.

وهذه السورة مدنية، وهي ستُّ آيات، وعشرون كلمةً، وثمانون حرفاً.

ومن أولِ القرآن إلى آخر هذه السورة: ستةُ آلافٍ ومئتان وسبعٌ وأربعون آيةً.

وكلماته: سبع وسبعون ألفاً وثلاثُ مئةٍ وتسع[2] وثمانون.

وحروفه: ثلاثُ مئةِ ألفٍ وإحدى وعشرون ألفاً وخمسُ مئة وخمسةٌ وثمانون حرفاً.

وألفات القرآن: ثمانيةٌ وأربعون ألفاً وثمان[3] مئةٍ واثنان وعشرون.

وباءاته: عشرةُ آلاف وأربعُ مئة وثمانيةٌ وعشرون.

وتاءاته: عشرةُ آلاف وأربع مئةٍ وستةٌ وسبعون.

وثاءاته: ألف وأربع مئة وأربعةٌ.

وجيماته: ألف وثلاث مئة واثنان وعشرون.

---

(١) في (ر): «سورة قل أعوذ برب الناس».

(٢) في (ر): «وسبع».

(٣) في (ف): «وست».

والحاءات: أربعة آلاف ومئة وثمانية[١] وثلاثون.

والخاءات: ألف وخمس مئة واثنان[٢] وثلاثون.

والدالات: ألف وسبع مئة وثمانيةٌ وتسعون.

والذالات: أربعة آلاف وتسع مئة وثمانيةٌ وسبعون.

والراءات: اثنا عشر ألفاً وسبعون.

والزاءات: ألف وستٌّ مئة وثمانية.

والسين: إحدى عشرَ ألفاً وخمسُ مئة وتسعة وتسعون.

والشين: ألف ومئة وخمسة وعشرون.

والصاد: سبعة آلاف وسبع مئة وثمانيةٌ.

والضاد: خمسة آلاف وثلاث مئة واثنان وثمانون.

والطاء: ألفٌ ومئتان وأربعةٌ وستون.

والظاء: ثمان مئة واثنان وأربعون.

والعين: تسعة آلاف وأربع مئة وتسعةَ عَشَر.

والغين: ألفٌ ومئتان وتسعةَ عشرَ[٣].

والفاء: ثمانية آلافٍ[٤] وأربع مئة وتسع وتسعون[٥].

---

(١) «وثمانية» ليس من (أ).

(٢) في (ف): «وثمان».

(٣) في (ر): «ألفان ومئتان وثمانية».

(٤) في (أ) و(ف): «ألف» بدل من «ثمانية آلاف».

(٥) في (أ) و(ف): «وسبعون.».

والقاف: ستة آلاف وثمانُ مئة وثمانيةٌ وعشرون.

والكاف: عشرة آلاف وخمسُ مئة واثنا عشر.

واللام: أحدٌ وثلاثون ألفاً وخمس مئة واثنان وعشرون.

والميم: ستة وعشرون ألفاً وأربعُ مئة واثنان وعشرون.

والنون: ستة وعشرون ألفاً[1] وخمسة وخمسون.

والواو: خمسة وعشرون ألفاً وخمسُ مئة وستةٌ وثمانون[2].

والهاء: تسعةَ عشرَ ألفاً وسبعون.

ولام ألف: أربعة آلاف وسبعُ مئة وتسعة[3].

والياء: خمسة وعشرون ألفاً وتسعُ مئة وتسعة عشر[4].

وروى عقبة بن عامر رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «لقد أُنزلت عليَّ سورتان ما أُنزل مثلهما: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ وإنك لن تقرأ سورتين أحبَّ ولا أرضى عند[5] الله تعالى منهما[6].

وقال أنس رضي الله عنه: اعتلَّ عثمان رضي الله عنه، فعاده رسول الله ﷺ ثم قال له: «عليك بالمعوِّذتين فما تُعوِّذ بأفضل منهما».

---

(١) قوله: «وأربع مئة واثنان وعشرون والنون ستة وعشرون ألفاً» ليس من (أ).

(٢) بعدها في (أ): «والنون ستة وعشرون ألفاً وخمس مئة».

(٣) في (ف): «وتسعون».

(٤) في (ر): «وتسعة وعشرون».

(٥) في (ر): «عنك».

(٦) رواه مسلم (٨١٤) دون قوله: «وإنك لن تقرأ...»، وهذه القطعة رواها ابن حبان في «صحيحه» (١٨٤٢)، والحاكم في «المستدرك» (٣٩٨٨)، لكن بذكر سورة الفلق فقط.

وقالت عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ إذا أراد النوم جمع يديه فنفث فيهما ثم قرأ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ والمعوِّذتين، ثم مسح بهما وجهَه ورأسه وسائرَ جسده[1].

وانتظام السورتين: أنهما في الاستعاذة.

وانتظام هذه السورة التي هي ختم القرآن بالفاتحة التي هي افتتاحُ القرآن: أن الفاتحة في بيانِ التوحيد وسؤالِ الثبات[2] عليه، وهذه السورة في الاستعاذة من الشيطان لئلا يزيلَك عنه، وكلُّ القرآن في بيان التوحيد ومدحِ أهلها وذكرِ الوعدِ عليها، وفي بيان الكفر والمعاصي وذمِّ أهلها وذكرِ الوعيد عليها.

وسورة الإخلاص في تصحيح التوحيد، والمعوِّذتان في الاستعاذة عمَّن قصد إذلالك وإزالتك عن التوحيد.

***

(١ ـ ٤) ـ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾: أي: قل يا محمد: أعتصم وأمتنع وأستأمن وأستجير بمالك[3] الناس ومدبِّرهم ومربِّيهم ومُصلحهم.

﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ﴾: أي: سيدِهم والمتصرِّف فيهم وقاهِرهم والقادرِ عليهم.

---

(١) رواه البخاري (٥٧٤٨).

(٢) في (ر) و(ف): «الثناء».

(٣) في (أ): «بملك».

﴿ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴾: أي: المستحِقِّ عبادتَهم، والملجأ لهم في شدائدهم[١]، والقادرِ على إيجادهم وإعدامهم.

قوله تعالى: ﴿ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ﴾: أي: الموسوس، والوسواس بفتح الواو للنعت، وبالكسر للمصدر، وهو كالزَّلزال والزِّلزال.

والوسوسة: الدعوة إلى الشر عن خُفية.

وأصل الوسوسة: الصوتُ الخفيُّ، والصوت الجليُّ لا يسمى[٢] وسوسة، وما يلقيه الشيطان في القلب هو تزيين وتسويل عن خُفية، وكذا وسوسة شياطين الإنس هي دعوة إلى الشر أيضًا من حيث يخفى طريقُه، فإنه إراءةُ النصح مع قصد الغش.

قوله تعالى: ﴿ٱلْخَنَّاسِ﴾: نعتُ ﴿ٱلْوَسْوَاسِ﴾، وهو الذي يكثر منه الخُنوس وهو الاختفاء، من حدِّ دَخَل، وأصله: التأخر، وقد يتأخرُ اختفاء فيستعمل مكانه، وهو في صفة الشيطان: الخروج[٣] عن الصدر.

قال ابن عباس: إذا ذكَر العبدُ الله تعالى خنَس الشيطان فخرج من الصدر، وإذا غَفَل وسوس[٤].

وقال سعيد بن جبير: يولد الإنسان والشيطان على قلبه، فإذا ذكر الله خنَس[٥]، وإذا غفَل وسوس[٦].

---

(١) في (ف): «الشدائد».

(٢) في (أ): «والصوت الجلي يسمى» وفي (ر): «وصوت الخفي لا يسمى».

(٣) في (أ): «بالخروج» وفي (ر): «وصوت الخفي لا يسمى».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٧٥٤) بلفظ: (الشيطان جاثم على قلب ابن آدم، فإذا سها وغفل وسوس، وإذا ذكر الله خنس).

(٥) في (أ) و(ف): «الله» بدل من «ربه ولى و».

(٦) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٧٥٠)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٧٥٣)، والحاكم في =

وقال الكلبي: الشيطان جاثم على صدر ابن آدم، فإذا ذكر ربه ولَّى وخنس[١]، وإذا غفل وسوس[٢].

وقال مقاتل رحمه الله: الشيطان في صورة خنزير يجري في الناس مجرى الدم في العروق بتسليط الله تعالى إياه، فإذا سها العبدُ ابتلع[٣] قلبَه فوسوس، وإذا ذكر ربَّه خنَس فخرج من جسده[٤].

وقال ابن كيسان: الخنَّاس: الذي يخنُس فلا يُرى، قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ الآية [الأعراف ٢٧].

***

(٥ ـ ٦) ـ ﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾: له ثلاثة أوجهٍ:

أحدها: من شر الوسواس الخناس الذي هو من الجِنة وهو الشيطان، ومن الناس وهو شيطان الإنس، قال تعالى: ﴿شَيَـٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾ الآية [الأنعام: ١١٢].

= «المستدرك» (٣٩٩١) وصححه، والضياء في «المختارة» (١٧٢)، جميعهم من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(١) في (ر): «فإذا ذكر ربه ولى وخنس».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٧٥٤) عن ابن عباس، وقد ذكرناه قريباً.

(٣) في (ر): «اطلع».

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٩٤٣).

وروي عن أبي ذر رضي الله عنه ذلك، فإنه قال لرجل: هل تعوَّذت بالله من شرِّ شياطين الإنس[١]؟ يشير إلى هذا.

وكذا قال قتادة: ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾: من الجن شياطين ومن الإنس شياطين. وأَمَر بالتعوُّذ[٢] من شرِّ شياطين الإنس والجن[٣].

والثاني: أن معناه: أعوذ من شرِّ الوسواس الخناس الموسوِسِ في صدور الناس، ومن شرَّ الناس، فكان قوله: ﴿وَٱلنَّاسِ﴾ معطوفاً على قوله: ﴿ٱلْوَسْوَاسِ﴾ لا على ﴿ٱلْجِنَّةِ﴾، والتعوُّذُ من الناس[٤] كالتعوُّذ من شرِّ ما خلق.

والثالث: وهو قول الفراء، ويؤيده حديث ابن عباس: أن قوله: ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ بيانُ قوله: ﴿فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ﴾، وتقديره: في صدورِ الناس جنِّهم وإنسهم؛ أي: صدور[٥] الخلق، يعني: أن إبليس يوسوس ويُوْقع خواطرَ السوء في قلوب الجنِّ والإنس جميعاً.

---

(١) ذكره هكذا الزمخشري في «الكشاف» (٤/ ٨٢٤). وروي مرفوعاً: رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٤٩٩) عن أبي ذرٍّ، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «يا أبا ذرٍّ، هل تَعَوَّذْتَ...» الحديث. وفي إسناده مبهم. ورواه الإمام أحمد في «المسند» (٢١٥٤٦)، والنسائي (٥٥٠٧)، وفي إسناده مجهول ومتروك. ورواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ٥٠٠ ـ ٥٠١) عن قتادة بلغه عن أبي ذرٍّ...، فذكره مرفوعاً مرسلاً. وذكر ابن كثير عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢] طرقاً للحديث وقال: ومجموعها يفيد قوته وصحته.

(٢) في (أ) و(ر): «بالمعوذتين». والمثبت من (ف)، وهو الموافق للرواية. انظر التعليق الآتي.

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٧٤٩) بلفظ: (إنَّ مِن الناس شياطين ومِن الجنِّ شياطين، فتَعَوَّذْ بِالله مِن شياطين الإنس والجنِّ).

(٤) في (ف): «الشيطان».

(٥) بعدها في (ر): «الناس».

قال ابن عباس في قوله: ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾: يدخل في الجنيِّ مثلما يدخل في الإنسي فيوسوس[1].

قال الفراء: إن اسم الناس قد يقع على الجن، قال: وقال بعض العرب وهو يحدث: جاء قوم من الجن فوقفوا، فقيل لهم: مَن أنتم؟ قالوا: أُناس من الجن.

وقد قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ [الجن: ٦] فسمى الجنَّ رجالاً كالإنس[2].

[قال رضي الله عنه: تمَّ كتاب «التيسير في علم التفسير» بحمد الله وتوفيقه من جمع محمدِ بن محمد بن أحمدَ بن إسماعيلَ بن محمد بن عليٍّ بن لقمانَ النسفيِّ، طهَّره الله من أوضار الأوزار، وأعتقه ووالديه من النار.

وهذا مِن نَظْمِه في ذكر خَتْمه:

قد فرَغْنا والحمد لله شكراً ... من كتاب «التيسير في التفسير»
وختمناه يومَ ختمِ حياة الـ ... ـمصطفى المجتبَى البشير النذير
في الربيع النديِّ إذ مرَّ خمسا ... هُ ضحى الأربعاء قبل الهجير
لثلاثٍ من السنين وعشريـ ... ـن وخمسِ المئينَ في التقدير
وافتتاحُهْ فكان[3] في يوم عاشو ... را لحولين قبله ويَسير
مرَّ سبعُ المئين في ذاك والسبـ ... ـعون يوماً وذاك جدٌّ قصير

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣٠/ ٥٥٠) (ط: دار التفسير)، والواحدي في «البسيط» (٢٤/ ٤٧٢)، والبغوي في «تفسيره» (٨/ ٥٩٧)، جميعهم عن الكلبي.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٣٠٢).

(٣) في (ر): «كان».

فانتهـى آتيـاً علـى كلِّ علـمٍ　　مـن علـوم القـرآن بالتوقيـر
مـن نـزولٍ وقصـةٍ وأسـامٍ　　ووجـوهِ التفسـير والتبصيـر
وبيـانِ اللغـات والنحـو والإعـ　　راب والمشـكلات بالتنويـر
والقـراءاتِ والمعانـي ووجـهِ النـْ　　ـنَظْم والفقـه والـكلامِ المنيـر
والإشـاراتِ واللطائـفِ والوعـ　　ـظ بحسـنِ التقريـب والتقريـر
هـو للغائصيـن[1] بحـرٌ غزيـر　　فائـقٌ فـوق كلِّ بحـرٍ غزيـر[2]
فاسْـرِحوا فيـه كلَّ قلـب ورُوحٍ　　إنـه خيـرُ روضـةٍ وغديـر
فيـه مـا فـي جميـع مـا جمَّعـوه　　مـن صغيـرٍ فـي علمـه وكبيـر
حسـنٌ موجـزٌ صحيـح المبانـي　　محكَـم النَّظْـم كامـلُ التحبيـر
رائـقٌ كلَّ بـارعٍ وبديـع　　شـائقٌ كلَّ سـامعٍ وبصيـر
يـا إلهـي ضـررتُ نفسـي بذنبـي　　ونفعـتُ الـورى بعلـم كثيـر
وتلوَّثـتُ بالفعـال ولكـنْ　　قـد تنزَّهْـتُ باعتقـاد الضميـر
فاعـفُ عنـي وعافنـي وارضَ عنـي　　وقِنـي سـيدي عـذاب السـعير
واجـزِ بالخيـر مَـن دعـا لـي بخيـرٍ　　بعـد موتـي يـا مَلجئـي ومجيـري

وصلى الله على سيدنا محمدٍ وعلى آله وصحبه وأزواجه وأصهاره وسلَّم تسليماً كثيراً، وحسبنا الله ونعم الوكيل][3].

---

(١) في (ف): «للفائقين».

(٢) في (ر): «فيه من جواهر التحرير» بدل: «غزير».

(٣) ما بين معكوفتين من خاتمة النسخة الخطية (ر).

وجاء بدلاً منه في خاتمة النسخة الخطية (أ): «والحمد لله رب العالمين، والصلاة على رسوله سيد =

= الأولين والآخرين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وحسبنا الله ونعم الوكيل، تم في شهر شوال لسنة ثلاثٍ وسبعين وتسع مئة».

وفي خاتمة النسخة الخطية (ف): «تمت بحمد الله وعونه وحسن توفيقه، قال الشيخ الإمام العالم العلامة أبو حفص عمر النسفي لما فرغ من هذا التفسير: قد فرغنا والحمد لله... ـ الشعر كله ـ فلله الحمد على ما وفق وأعان، ونشكره على نعمة الإيمان. تم كلام الشيخ قدس الله روحه ونور ضريحه في الثاني والعشرين من جمادى الآخرة سنة ستة وثمان مئة، رحم الله مصنفه وغفر لكاتبه وقارئه ومستمعيه والمسلمين آمين والحمد لله رب العالمين».

الفهارس العامّة

فهرس الأحاديث النّبويّة الشّريفة

فهرس الأعلام

فهرس الأشعار

فهرس المصادر والمراجع

فهرس الموضوعات

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

طرف الحديث	اسم الراوي	الجزء والصفحة
﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ هو طلوعُ الشَّمس مِن مغرِبها	أبو هريرة	٦/ ٢٦٥
﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾: صبرٌ لا شكوى فيه		٨/ ٣٤٥
﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ ولا يبالي	أسماء بنت يزيد	١٣/ ٥٦
﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ هم الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها	سعد بن أبي وقاص	١٥/ ٤٩٩
﴿فَلَا تَكُن فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ﴾ لنا غداً ورؤيته لنا		١٢/ ١١٨
أبايعكُنَّ على ألَّا تشركْنَ بالله شيئاً	عائشة	١٤/ ٣٩٧
أبشر بخير يومٍ مرَّ عليك منذ ولدَتْكَ أمُّك	كعب بن مالك	٧/ ٥٠٩
أَبشِر يا عليُّ، فإنَّ اللهَ قد قَبِلها كلَّها		٣/ ٤٠٧
أبشِرا فإن الله يَقبلُكما ـ عكرمة وعمرو بن العاص ـ		٧/ ٢٠٦
أبكي للَّذي كان من أصحابك في أخذهم الفداء		٧/ ٢٤٦
أبى ابنُ آدمَ أنْ يُصَدِّقَ ربَّه حتى أقسَمَ له	الحسن مرسلاً	١٤/ ٤٧
أتاكُم أهلُ اليَمَن، هم ألينُ قلوباً	أبو هريرة	٥/ ٤١٩
أتأمرهم بالنصيحة وتتركها لنفسك	أبو هريرة	١١/ ٤٤٩
أتاني جبريل فأخبرني عن الله عز وجل	عبد الله بن عباس	٤/ ٥٢٧
اتَّبعوني في طلبِ العدوِّ		٤/ ٣٤٥
اتَّخذ الله إبراهيم خليلاً	جابر بن عبد الله الأنصاري	٥/ ٢٠٤

طرف الحديث	اسم الراوي	الجزء والصفحة
اتَّخِذْ دعوةً وادْعُ أُناساً	علي بن أبي طالب	١١/ ٣١٢
أتدرون أيَّ يوم هذا؟	عمران بن حصين	١٠/ ٤٦١
أتدرون لِمَ اتَّخذ الله إبراهيمَ خليلاً	أبو أمامة الباهلي	٥/ ٢٠٤
أتدرون ما أخبارُها	أبو هريرة	١٥/ ٤٤١
أتدرون مَن التَّائب	عبد الله بن مسعود	١٤/ ٤٩٣
اتركوني ما تركتُكم، فإذا أمرتُكم بشيءٍ...	أبو هريرة	٥/ ٥٠٤
اتَّزِري، وعودي إلى مضجعِك	أم سلمة	٣/ ٢١٤
أَتشهدون أنَّ عيسى كلمةٌ مِن الله		٣/ ٥٠٦
أَتُعْطُون أنتم كلمة واحدة تملكون بها العربَ	عبد الله بن عباس	١٢/ ٤٧١
اتَّقِ الله في زوجتك وحليلتِك	ابن عباس	١١/ ٩١
اتَّقوا اللهَ في النِّساءِ	جابر بن عبد الله	٤/ ٤٨٥
اتَّقوا فراسةَ المؤمنِ	أبو سعيد الخدري	٦/ ٢١٠
اثبتوا على مشاعرِكم	يزيد بن شيبان	٣/ ١٣٢
اجتنبوا هذا الكِعابَ		٥/ ٤٧٩
اجعلوها بين آية الدَّين وآية الرِّبا		٣/ ٤٢٢
اجعلوها في ركوعِكُم		١٤/ ٢٨٠
أجل، إنَّها صلاةُ رغبةٍ ورهبة	خباب بن الأرت	٦/ ١٠٣
أجل، هي شجرة أخي يونس		١٢/ ٤٤٦
اجمعوا صدقاتكم		٧/ ٤٢٥
أجيبُكُم غدًا	عبد الله بن عباس	١٥/ ٣٨٤
أحبُّ الأعمالِ إلى اللهِ تعالى أدومُها وإنْ قلَّ	عائشة	١٥/ ١٥

طرف الحديث	اسم الراوي	الجزء والصفحة
الإحسانُ أن تعبدَ الله كأنك تراه	أبو هريرة	٧/ ٤٥١، ٤/ ٢٥٩، ٨/ ٥٠
الإحسانُ: أن تعبدَ اللهَ كأنَّك تراه	عمر بن الخطاب	٢/ ٤٠٣
أَحْفوا الشوارب وأَعْفُوا اللِّحى	عبد الله بن عمر	٦/ ٤٣٨
أحقٌّ ما بَلغني عن زوجكِ وأصحابِه		٥/ ٤٦٩
أُخبِرْتُ ببلاءٍ ينزلُ بأُمَّتي مِن مَسْخٍ وخَسْفٍ وقَذْفٍ	حذيفة بن أسيد	١٣/ ٢٠٧
أخبركم غداً ـ عن الروح ـ	عبد الله بن عباس	٩/ ٤٧٢
أخبروني عَن شجرةٍ مَثَلُها مَثَلُ المؤمنِ	عبد الله بن عمر	٩/ ١٢٨
اخْتِمْ بآمِينَ وأَبْشِرْ	أبو زهير النميري	١/ ١٧٦
اخرج فانظر مَن هو		٤/ ٢٦٧
اخرج يا فلان فأنت منافق	عبد الله بن عباس	٧/ ٤٥٧
اخرجوا إليه واكتُموا	جابر بن عبد الله	٧/ ١٨٣
أخشى أنَّكِ قد حَرُمْتِ عليه	أبو العالية	١٤/ ٣١٦
أَخفِ قُدومَكَ، وادخُلْها ليلاً		١٣/ ٥٠٣
أدرِكا أباكما فرُدَّاه		٥/ ٨٣
أدعوكم إلى الله		١٠/ ١١
إذا أتيتُم الصَّلاةَ فأتوها وأنتم تمشون	أبو هريرة	١٤/ ٤٢٢
إذا أُحِيْلَ أحدُكُمْ على مَلِيءٍ فَلْيَحْتَلْ	أبو هريرة	٨/ ١٦٤
إذا جمع الله الناس يوم القيامة نادى منادٍ...	أسماء بنت يزيد	١٢/ ١١٢
إذا حدَّثكم أهل الكتاب عن كتابهم فلا تصدِّقوهم ولا تكذِّبوهم	أبو هريرة	١١/ ٥١٣
إذا خرجْتَ إلى الجُمُعةِ فامشِ على هِيْنَتِكَ	جابر بن عبد الله	١٤/ ٤٢٢
إذا دخل أحدكم المسجد...	أبو قتادة	٩/ ٤٦٢

طرف الحديث	اسم الراوي	الجزء والصفحة
إذا دخل النورُ القلبَ انفسحَ وانشرحَ	عبد الله بن مسعود	١٣/ ٢٧
إذا دخلَ أهلُ الجنَّةِ الجنَّةَ...	صهيب	٨/ ٥٢
إذا ذكَرْتَ أخاك بما فيه فقد اغتبْتَه	أبو هريرة	١٣/ ٥١٦
إذا رأيتَ الله تعالى أنعَم على عبده...		٧/ ٨٦
إذا رأيتم الرجل يعتادُ المساجد	أبو سعيد الخدري	٧/ ٢٨٨
إذا رُوي لكم عنِّي حديث فاعْرِضوه على كتاب الله		١٢/ ٣٢،
إذا عملْتَ سيِّئةً فأتبِعْها بحسنةٍ	معاذ بن جبل	٩/ ٥٨
إذا غضب الله على قوم سلَّط عليهم شرارَهم		١٢/ ٣٩،
إذا قال الإمامُ: ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾...	عبد الله بن عباس	١/ ١٧٧
إذا قتلْتُم فأَحْسِنوا القِتلةَ	شداد بن أوس	٩/ ٤٠٥
إذا قرأ أحدُكُم ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ﴾	أبو هريرة	١٥/ ١٢٨
إذا كان يومُ القيامةِ مَدَّ اللهُ الأرضَ مَدَّ الأديم	علي بن الحسين زين العابدين	١٥/ ٢٦٧
إذا كان يومُ القيامة يقول الكافر: إنك وعَدْتني أنْ لا تَظْلِمني	أنس بن مالك	١١/ ١١٤
إذا كان يومُ صوم أحدِكم...	أبو هريرة	٣/ ١٣١
إذا لم تستحِ فاصنعْ ما شئتَ	أبو مسعود البدري	١٣/ ١٧
إذا لم تستَحْيِ فاصنعْ ما شئتَ	ابن مسعود	١٠/ ٦٥
إذا لم يَنْهَكَ القرآنُ فلستَ بقارئ	عبد الله بن عمرو	١/ ٢١
إذا نَعَسَ أحدُكم في صلاتِه...	عائشة	٥/ ٣٦
إذا وطِئتَ امرأتَك...	أبو هريرة	٣/ ٢١٩
إذاا رأيْتَ الله تعالى ينعمُ على عبدٍ وهو مقيمٌ على معصيتِه فاعلم أنَّه مستدرَجٌ	عقبة بن عامر	١٤/ ٥٤٦
اذهَبْ فَوارِه	علي بن أبي طالب	٣/ ٥٢٧

طرف الحديث	اسم الراوي	الجزء والصفحة
أرأيتُم إنْ دعوْتُ فسُقِيْتُم		١٤/ ٢٧٤
أربُّ إبلٍ أنت أم ربُّ مالٍ وغنمٍ	مالك بن نضلة الجشمي	١/ ١٠٠
الأربعون ديناراً التي دفعتَ إلى أم الفضل يوم خرجتَ	عكرمة	٧/ ٢٥٠
ارجع فلستَ بمنافقٍ	عمر بن الخطاب	١١/ ١٨٠
ارجعي إلى بيتِك	رجل من الأنصار	٤/ ٤٨٧
أَرِحْنا يا بلالُ		١٤/ ١١٢
أَرَدْنا إسلامَ أبي طالب وأراد اللهُ إسلامَ العباس		١٣/ ٢٥٩
أردنا أمراً، وأراد اللهُ أمراً		٥/ ١٦
أَرْسِلْه يا عمرُ فليَتُبْ	عبد الله بن عباس	١٤/ ١٣٠
ارفَعْ طَرْفَكَ يا حمزةُ	عمار بن أبي عمار	١٤/ ١٠٦،
ارْمِ فداك أبي وأمي	سعد بن أبي وقاص	٤/ ٢٨٣
أَزيد على السبعين فعسى الله أن يغفر لهم	قتادة	٧/ ٤٢٦
استأذِنْ عليها	عطاء بن يسار	١١/ ١٧١
أستغفرُ الله وأتوب إليه	أبو هريرة	٦/ ٥٠٧
استغفرِ اللهَ، ولا تعدْ حتَّى تكفِّر	ابن عباس	١٤/ ٣٢٣
استفتِ قلبَك وإنْ أفتاكَ المفتون	وابصة الأسدي	٦/ ١٩٧
استقيموا ولن تُحصوا	ثوبان	٩/ ١٤٢
استكثِرْ من قول لا إله إلا الله		١٤/ ٤٦٥
استكثِروا من الباقيات الصالحات	أبو سعيد الخدري	١٠/ ٨٧
استوصوا بالنساء خيراً	عمرو بن الأحوص	٣/ ٢٣٢
اسقِ يا زُبير؛ ثمَّ أرسِل الماء إلى جارك	عروة بن الزبير	٥/ ٩١
الإسلامُ يَجُبُّ ما قبله	عمرو بن العاص	٧/ ٢٠٥

طرف الحديث	اسم الراوي	الجزء والصفحة
أسلمتْ أمُّ عيسى...	أبو سعيد الخدري	١٠/ ١٩١
أَسلموا تهتدوا ولا تكبَّروا		٣/ ٥١١
اشتد غضبُ الله على مَن أَدْمى وجه رسول الله	أبو هريرة	٤/ ٢٨٤
اشترطُ لربي أن تعبدوه		٧/ ٤٨٠
اشترطتُ لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا		١٢/ ١٥٢
أشد الناس بلاء الأنبياء	سعد بن أبي وقاص	٧/ ١٦٧ و٥/ ٤٤٠
اشفعوا تؤجروا	أبو موسى الأشعري	٥/ ١٣٣
اشهَدُوا شهدوا	عبد الله بن مسعود	١٤/ ١٥١
أصبتُما إذاً الخيرَ		٢/ ٣٩٧
أصبحَ مِن عبادي مؤمنٌ بي كافرٌ بالكوكبِ	زيد بن خالد الجهني	١٤/ ٢٧٤
أصحابي كالنُّجوم		٥/ ٧٧
أصدقُ كلمةٍ قالَتْها العربُ	أبو هريرة	٤/ ٩٥
أَصْلُها الذَّهَبُ، وفَرْعُها الدُّرُّ	أنس بن مالك	١٤/ ٢١٣
أطَّتِ السماء وحُقَّ لها أنْ تَئِطَّ	أبو ذر	١٣/ ٢١٠
الأطفالُ خدمُ أهلِ الجنَّةِ	أنس بن مالك	١٤/ ٢٣٩
أطيبُ ما يأكل الرجل من كَسْبه	عائشة	١٥/ ٥٢٤
أعتقِ النَّسمَةَ، وفكَّ الرَّقبة	البراء بن عازب	١٥/ ٣٦٤
أعتق رقبة	أبو العالية	١٤/ ٣٢٤
أعددتُ لعبادي الصالحين ما لا عينٌ رأت	أبو هريرة	١٢/ ١١٢
أَعْدَى عدوِّكَ نفسُك التي بين جنبَيْكَ	عبد الله بن عباس	١٤/ ٣٨١
أُعطيتَ يا محمدُ ما لم يُعْطَ نبيٌّ كان قَبْلَك		٣/ ٤٤٦
أعطيتكم قبل أن تسألوني	عمرو بن عبسة	٩/ ٤٤٩

طرف الحديث	اسم الراوي	الجزء والصفحة
اعقِلْها وتوكَّل	أنس بن مالك	٥/ ١٠٢
الأعمالُ بالخواتيم	سهل بن سعد	٦/ ٢٧٠
اعْمَلوا فكلٌّ ميسَّرٌ لِمَا خُلِقَ له	عمران بن حصين	٨/ ٢٨٩
أعوذ بالله من فقرٍ مُربٍّ		١/ ١٠١
أعوذُ بعفوِ الله العظيمِ من عذابِهِ الأليمِ		١/ ٣٨
أعوذُ بعَفْوِكَ مِن عُقوبَتِكَ	عائشة	١/ ٢٣
أَعوذُ بكلماتِ اللهِ التَّامَّاتِ	خولة بنت حكيم	١/ ٤٠
أعيذكَ بالله يا شيبةُ		٧/ ٣٠٤
اغتنم خمسًا قبل خمسٍ	عمرو بن ميمون	٤/ ٢٥٢
اغدُ على امرأةِ هذا		٤/ ٤٦٧
افترقت اليهودُ على إحدى وسبعين فرقةً	عبد الله بن عمرو	٦/ ٢٦٨
أفضلُ الأعمال إيمانٌ لا شكَّ فيه	أبو هريرة	١/ ١٤٠
أفضلُ الصَّدقة أن تؤتيَ المالَ وأنت صحيحٌ	أبو هريرة	٣/ ٦٧
أفضلُ الصدقةِ ما تصدَّقْتَ به وأنت صحيحٌ شحيحٌ	أبو هريرة	٤/ ١٤٧
أفضلُ الصَّلاةِ طولُ القنوت	جابر بن عبد الله	٢/ ٤١٧
أَفَلا أكونَ عبداً شكوراً	المغيرة بن شعبة	١/ ٩٣ و١٠/ ٢٥٨
أفي شكٍّ أنتَ يا ابن الخطَّاب	عبد الله بن عباس	١٤/ ٤٨٧
أقبضتُم قُرَّة عينِ عبدي	أبو موسى الأشعري	٣/ ١٠
اقرأْ وارْقَ	عبد الله بن عمرو	١/ ٢٥٢
أقربُ ما يكونُ العبد من ربِّه إذا سجد	أبو هريرة	١٥/ ٤١٩
اقرؤوا القرآن فَخْماً مُفخَّماً		١/ ١١٧
اقطعْ عنِّي لسانَه		٥/ ٣٩٥

طرف الحديث	اسم الراوي	الجزء والصفحة
اقعدي في بيتك حتى يأتيَ فيك أمرٌ		٤/ ٤٧٨
أَقِلُّوا التَّعَرِّيَ	عبد الله بن عمر	٦/ ٣٢٩
أقول فيه: إنَّه عبدُ سوءٍ ـ الوليد بن المغيرة ـ	عبد الله بن عباس	٩/ ٢٢٩
أكبرُ الكبائر ثلاثةٌ	عبد الله بن عباس	٤/ ٥٢٦
اكتب: لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ		٥/ ١٦٢
اكتبها فهكذا نزلت	عبد الله بن عباس	٦/ ١٥١
أكثرتَ يا عبد الرحمن		٧/ ٤٢٦
أكرموا الإبلَ		٤/ ١٧
أكرهُ أن يقول العرب لمَّا ظفر بأصحابه أقبل يقتلهم	حذيفة بن اليمان	٧/ ٤١٦
اكفِتُوا صبيانكُم باللَّيل	جابر بن عبد الله	١٥/ ١٦٨
ألَا أدلُّك على صدقةٍ هي خير لك من حُمُرِ النَّعم	أبو أيوب الأنصاري	٥/ ١٩١
أَلَا إنَّ الدِّينَ النَّصيحةُ	تميم الداري	٦/ ٣٨٠
ألا إنَّ الزَّمانَ قد استدارَ	أبو بكرة	٣/ ١٣٣
ألا إنَّ القبلةَ حُوِّلَت إلى الكعبة	أنس بن مالك	٢/ ٥٠٩
ألا إنَّ مكَّةَ حرامٌ مِن حرام الله	أبو شريح الخزاعي	٢/ ٤٣٧
أَلَا إنَّ مكَّة كانت حراماً		٢/ ٤٤٣
أَلَا إنِّي أُوتيتُ القرآنَ ومِثْلَه	المقدام بن معدي كرب	١/ ٢٥٣
أَلَا لا تُوطأ الحَبَالى حتى يَضَعْن حملَهنَّ،	أبو سعيد الخدري	٧/ ٣٠٤
ألحِقوا الفرائضَ بأهلِها	عبد الله بن عباس	٤/ ٤٥٧
ألك بيِّنة	وائل بن حجر	٣/ ١٠٧
ألم أعهد إليكم أن لا تبْرحوا المركز		٤/ ٣٤٣
ألم أنذركم؟ ألم أتقدَّم إليكم		٢/ ٤٢٦

طرف الحديث	اسم الراوي	الجزء والصفحة
ألن يكفيَكم أن يمدَّكم ربُّكم بثلاثة آلاف ملَكٍ		٤/ ٢٣٧
إلى ملأ من قريش؛ واعدتُهم رغبةً في إسلامهم		٦/ ٨٦
إليَّ أنا رسول الله ـ غزوة أحد ـ		٤/ ٣٠٥
إليَّ عبادَ الله		٤/ ٣١٩
أليس يُحلُّون لكم ما حرَّم الله عليكم فتستحلُّونه	عدي بن حاتم	٧/ ٣١٩
أمَّا الطاغيةُ فلا خيرَ في دينٍ مع عبادة الأصنام	عبد الله بن عباس	٣/ ٤١٧
أمَّا الله فقد قبلها منك	أنس بن مالك	٤/ ١٤٩
أمَا إنَّ الجنَّةَ لا تدخلُها عجوزٌ	عائشة	١٤/ ٢٥١
أما إن خطيب الأنصار لو قال...		٧/ ٣٠٧
أمَا إن هذا لو خشع قلبه...		١١/ ٨
أمَّا أنا فلا آكل متَّكئاً	أبو جحيفة	٨/ ٣٨١
أمَا إنك لو لم تُعطِه كانت كذبة	عبد الله بن عامر	٧/ ٥١٣
أمَا إنَّه ليسَ مِنْ أهلِ هذه الأديان أحدٌ يذكرُ اللهَ غيرَكم	عبد الله بن مسعود	٤/ ٢١٦
أمَا إنهم لن ينالوا منكم مثلَها	طلحة بن عبيد الله	٤/ ٣٣٥
أمَا لو خَشَعَ قلبُ هذا...	أبو هريرة	١/ ٢٣٩
أمَّا هذا فقد جاءَه اليقين	خارجة بن زيد	٩/ ٢٣٢
الأمة الوسط: العدل		٢/ ٤٩٥
أمتهوِّكون أنتم كما تهوَّكتِ اليهود والنصارى	يحيى بن جعدة	١١/ ٥١٨
أمَّتي أمَّتي	أنس بن مالك	١٤/ ٥٢٥
أمَّتي وربِّ الكعبة	أنس بن مالك	١٣/ ١٧٤
أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله	أبو هريرة	٥/ ٤٢٠
أُمِرْتُ أنْ أقاتِلَ النَّاسَ حتَّى يقولوا: لا إلهَ إلَّا الله	جابر بن عبد الله	١٥/ ٣٢٨

طرف الحديث	اسم الراوي	الجزء والصفحة
آمن شعره، وكفر قلبه	عبد الله بن عباس	٧/ ٧٦
آمين خاتَمُ ربِّ العالَمين	أبو هريرة	١/ ١٧٦
إن اثني عشر رجلاً من المنافقين ائتمَروا بأمر لم ينالوه		٧/ ٤١٧
إِنْ أَحْبَبْتُم أحداً لإحسانه إليكم فأنا أولى به منكم		١٤/ ١١٣
إنْ أخبرْتُكَ أتؤمنُ بي		٨/ ٣٠٦
إن اختار أن يكون معكم دفعته إليكم		١٢/ ١٧٨
أن آدم عليه السلام مشى حتى قام على الصَّفا		٦/ ٣١١
إنَّ أدنى أهل الجنَّة منزلةً	عبد الله بن مسعود	٤/ ٢٥٥
إنَّ أطيبَ ما يأكل الرجل من كَسْبه	عائشة	١١/ ١٧٥
إنَّ الأرض لتقبل مَن هو شرٌّ منه	عبد الله بن عمر	٥/ ١٥٩
إن الأمم قد عُرضت عليَّ	عمران بن حصين	١٠/ ٤٦٢
إن الأنبياء لم يورِّثوا ديناراً	أبو الدرداء	١٠/ ١٦٧
إنَّ الأوَّل سلَّم وأبقى من التَّحيَّة شيئاً		٥/ ١٣٦
إنَّ الجنَّةَ محرَّمَةٌ على الأنبياء حتَّى أدخُلَها أنا	عمر بن الخطاب	٨/ ١٢
إن الحِدَّة لتعترِي خيارَ أمَّتي	عبد الله بن عباس	٧/ ١٠٩
إنَّ الداعي لا يخلو عن إحدى ثلاث...	أبو سعيد الخدري	١٣/ ١٣٣
إنَّ الدَّاعي للمؤمنين والمؤمنات يُغفَرُ له	أنس بن مالك	١٥/ ٣٥
إنَّ الدَّاعي للمؤمنين والمؤمنات يُقام يوم القيامةِ	أنس بن مالك	١٥/ ٣٦
إنَّ الذي أمشاهم على أقدامهم...	عبد الله بن عباس	٩/ ٤٨٢
إنَّ الرجل لَيرفع يديه فيقول: يا ربِّ يا ربِّ ومَطْعَمُه حرامٌ	أبو هريرة	١٣/ ١٣٣
إن الزبانية رؤوسهم في السماء		١٥/ ٣١٨
إنَّ الزمان قد استدارَ كهيئته يومَ خَلْق السماوات والأرض	أبو بكرة	٧/ ٣٣٠، ٣٣٨

طرف الحديث	اسم الراوي	الجزء والصفحة
إنَّ السيف قد صار لي	سعد بن أبي وقاص	٧/ ١٢٢
إنَّ الشَّهر تسعٌ وعشرون يوماً	عائشة	١٤/ ٤٨٧
إن الشيطان لا يُخبِّلُ أحداً في دارٍ فيها فرسٌ عتيق		٧/ ٢٣٤
إنَّ الشيطانَ ليَفرَق مِن حسِّ عمر	بريدة بن الحصيب	٣/ ٥١٩
إنَّ الشيطان ليَهربُ من البيت...	أبو هريرة	١/ ٢١
أن الصدقة تقع في يد الله تعالى قبل أن تقع في يد السائل	أبو هريرة	٧/ ٤٦٤
إن العبد إذا أذنبَ	أبو هريرة	٩/ ٣٧٦
إن العبد المسلم إذا مرض أو سافر كُتب له مثلُ ما كان يَعمل صحيحاً	أبو موسى الأشعري	١٥/ ٤٠٥
إنَّ القلبَ يجزَعُ والعينَ تدمعُ	أنس بن مالك	٨/ ٣٤٧
إن الله تعالى إذا قضى الأمر من السماء ضَربت الملائكة بأجنحتها	أبو هريرة	١٢/ ٢٥٣
إنَّ اللهَ تعالى أذهَبَ عنكم عُبِّيَّةَ الجاهلية	عبد الله بن عمر	١٣/ ٥٢٠
إنَّ الله تعالى اطَّلَع على أهل بدرٍ	علي بن أبي طالب	٤/ ٢٩٤
إنَّ الله تعالى خلقَ ثمانيةَ أزواجٍ		٦/ ٢٤٣
إنَّ اللهَ تعالى خلقَ خلقَهُ في ظلمةٍ	عبد الله بن عمرو بن العاص	٦/ ١١
إنَّ الله تعالى شكرَ لجعفر الطَّيَّار أربعَ خصالٍ		٣/ ١٩٤
إن الله تعالى عفا لأمَّتي عما حدَّثت به أنفُسَها	أبو هريرة	٣/ ٤٣٤
إنَّ اللهَ تعالى فرضَ فرائضَ فلا تُضيِّعوها	أبو ثعلبة الخشني	٥/ ٥٠٥
إنَّ الله تعالى كتب عليكم السعيَ	حبيبة بنت أبي تجراة	٣/ ٢٠
إنَّ الله تعالى ليضاعفُ بالحسنة	أبو هريرة	٣/ ٢٨٩
إنَّ اللهَ تعالى ليعجَبُ مِنَ الشَّابِ ليسَتْ له صَبْوة	عقبة بن عامر	٩/ ٢٠
إن الله تعالى لَيُمْسِكُ الخيرَ الكثيرَ عن عبده	أبو سعيد الخدري	٥/ ٨

طرف الحديث	اسم الراوي	الجزء والصفحة
إن الله تعالى وعدني أن يَفتح لي بدراً	عبد الله بن عباس	٧/ ١٢٣
إنَّ الله تعالى وَهَب لابن آدم ما لا بدَّ له منه		٣/ ٤٩
إن الله تعالى يحبُّ كلثوماً لحبه ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾	عائشة	١٥/ ٥٣٢
إن اللهَ تعالى يَدفعُ بمَن يُصلِّي...	عبد الله بن عباس	٣/ ٣١٨
إن الله تعالى يُنشِر أصحاب الكهف		١٠/ ٣٠
إنَّ اللهَ حَييٌّ كريمٌ	سلمان الفارسي	٢/ ٧
إنَّ اللهَ رفيقٌ، ويحبُّ الرِّفق	عائشة	١/ ٥٥
إن الله عزَّ وجلَّ قال: ﴿فِي بِضْعِ سِنِينَ﴾ والبضع بين الثلاث إلى العشر	الحسن	١٢/ ١٠،
إنَّ الله قد أَثنى عليكم بطُهوركم	جابر بن عبد الله	٧/ ٤٧٢
إن الله كَرِه لكم وَأْدَ البنات	المغيرة بن شعبة	٩/ ٤٠٢
إنَّ اللهَ ليَعجبُ مِن الشابِّ ليست له صَبوةٌ	عقبة بن عامر	٢/ ٨
إنَّ الله يرى مكانهما إن يشأ يُنزل فيهما	جابر بن عبد الله	٤/ ٤٥٤
إن الله يعدُكم إحدى الطائفتين		٧/ ١٣٣
إن اللهَ يَنتصِفُ مِن الظَّالم بالظَّالم		٦/ ٢١٦
إنَّ المُعلِّم إذا قال للصبيِّ: قل: بسم اللهِ...		١/ ٤١
إنَّ الملائكةَ يرفعونَ عملَ العبدِ...	ضمرة بن حبيب	١٥/ ٢٥٤
إنَّ المؤمنَ إذا أَذنَبَ...	أبو هريرة	١/ ٢٨٩
إن المؤمنَ لَيُنْضي شيطانَه	أبو هريرة	١١/ ١٤٣
إنَّ الميِّتَ إذا بُعِثَ...	عبد الله بن مسعود	٦/ ١٦٣
إن النبي ﷺ كان لا ينام حتى يقرأ هاتين السورتين تبارك والسجدة	جابر بن عبد الله	١٢/ ٩٨
أن النبي كانت قبلَتُهُ نحو بيت المقدس	عبد الله بن عباس	٢/ ٤٩١
إن أهل الجنة لا يقرؤون من القرآن إلا يس وطه		١٢/ ٣٣٢

طرف الحديث	اسم الراوي	الجزء والصفحة
إنَّ أهلَ الجنَّةِ يدخلونَ الجنَّةَ بما في صدورِهم مِنَ الشَّحناءِ	أبو أمامة	٩/ ١٩٩
إنْ بَعَث عليهم عذاباً من فوقهم	جابر بن عبد الله	١١/ ٤٧٨
إنَّ بين يدَي السَّاعةِ لهَرْجاً	عبد الله بن عمرو	٦/ ١٠٤
أنْ تأكلَ مِن مالِه بالمعروفِ ـ مال اليتيم ـ		٤/ ٤٤٤
أنْ تَجعل لله نِدًّا وهو خلَقك	عبد الله بن مسعود	١١/ ٢٣٧
إن تُطِعْ قريش صاحب الجمل الأحمر رشَدوا	عكرمة	٧/ ١٤٢
أنْ تعبدَ الله كأنك تَراهُ	أبو هريرة	١/ ١٣٦
إنَّ حرَّها شديد، وقَعرَها بعيد		٩/ ٢٠٠
إنَّ دعوةَ المسلِم لا تُرَدُّ	أبو سعيد الخدري	٣/ ٩٤
إن روح الكافر يُستفتحُ لها في السماء فلا يُفتح	أبو هريرة	٦/ ٣٤٤
إن سورة الأنعام وسورة الإخلاص أُنزلتا ومعهما سبعون ألفَ ملك	سعد بن معاذ	١٥/ ٥٣٠
إنَّ سورةَ المائدةِ من آخر القرآن تنزيلاً	ضمرة بن حبيب	٥/ ٢٨٣
إن شئتُم أُخبركم ما أردتُم	عقبة بن عامر	١٠/ ١٣١
إن عادوا فعد		٩/ ٣٣٨
إنَّ عبداً خيَّره الله تعالى بين الدنيا وبين لقائه	أبو سعيد الخدري	١٥/ ٥١٩
إنَّ عثمانَ في حاجةِ الله وحاجةِ رسوله وحاجة المؤمنين	أنس بن مالك	١٣/ ٤٦٧
إن عسى من الله واجبٌ	عبد الله بن عباس	٧/ ٤٥٩
إن عُظْمَ دارةٍ منه كعرضِ السماء والأرض	أبو هريرة	١١/ ٦٨
إنَّ عِفْريتاً مِن الجن تفلَّتَ عليَّ البارحة ليقطعَ صلاتي	أبو هريرة	١٢/ ٥٠٤
إنَّ فلاناً يَذكرُ فلانة	عائشة	٣/ ٢٦٠
إنَّ في أصلابِ أصلابِ رجالٍ مِن أمَّتي	سهل بن سعد	١٤/ ٤١٨
إنَّ في الجسد مضغةً		٣/ ٤٣٣

طرف الحديث	اسم الراوي	الجزء والصفحة
إنَّ في الجُمُعة لساعةً	أبو هريرة	٣/ ٢٧٠
إنَّ في الجنَّةِ شجرةً	أبو هريرة	١٤/ ٢٤٨
إنَّ في المعاريض لمندوحة عن الكذب	عمران بن حصين	٣/ ٢٥٨
إنَّ في سورةِ الفاتحة سبعين شفاءً		١/ ٨٦
إنَّ فيك لَجاهليَّةً	أبو ذر	١٣/ ٥١٠
إنْ قُتِلَ زيدٌ فأميرُكم جعفرُ بن أبي طالب		١٤/ ٤٠٥
إن كان في عبادك أحدٌ أعلمَ - في سؤال موسى ربه	أبي بن كعب	١٠/ ١٠٣
إنَّ كلَّ ربًا كان في الجاهلية	جابر بن عبد الله	٣/ ٤١٥
إن لحوضي أربعةَ أركان	أنس بن مالك	١٥/ ٥٠٦
إنَّ لكلِّ أمَّةٍ فرعون		١٥/ ١٢٧
إن لكلِّ شيء قلباً، وإنَّ يس قلبُ القرآن	أبي بن كعب	١٢/ ٣٣١
إنَّ للهِ أواني، وهي القلوبُ	أبو أمامة الباهلي	٩/ ٥١
أن محجنَ رسول الله ﷺ كان في يده فسبَّح		٩/ ٤١٥
إن مما أدرك الناس من كلام النبوة	عبد الله بن مسعود	٧/ ٤٦٦
إنَّ مِن أفضلِ الشَّفاعات	أبو رهم	٥/ ١٣٣
إنَّ مِنَ السُّنَّةِ أنْ تطلِّقَها في طهرٍ لا جماعَ فيه	عبد الله بن عمر	١٤/ ٤٥٨
إنَّ مِن السُّنَّة أنْ يُطلِّقَها في كلِّ قُرءٍ تطليقة	عبد الله بن عمر	٣/ ٢٢٨
إنَّ مِنْ عبادِ اللهِ أناسًا ما هُمْ بأنبياءَ	عمر بن الخطاب	٨/ ٩٣
إنَّ مِن عبادي مَن لا يصلحُه إلا الفقر	أنس بن مالك	١١/ ٥٢٣
إنَّ مِن عبادي مَن لا يُصْلِحُه إلا الغِنى	أنس بن مالك	١٣/ ٢٢٦
إنَّ مِن قبلِ المغرب باباً مفتوحاً للتَّوبة	صفوان بن عسال	٦/ ٢٦٥
إنَّ من كان قبلَكم مِن الأُمم	خباب بن الأرت	٣/ ١٧٦

طرف الحديث	اسم الراوي	الجزء والصفحة
إن هؤلاء جاؤونا مسلمين		٧/ ٣٠٥
إنَّ والدي ووالدَيك ووالدَ إبراهيم عليه السلام في النار		٢/ ٤٢٥
إن يأجوج ومأجوج يحفرون السدَّ كلَّ يوم	أبو هريرة	١٠/ ١٥٠
أنْ يُطاعَ فلا يُعصى	عبد الله بن عباس	٤/ ١٨٤
إنَّ يونس كان أوعَدَ قومه العذاب	عبد الله بن مسعود	١٢/ ٤٤٩
أنا ابن الذبيحين		١٢/ ٤٣٨
أنا أحقُّ بإحياء سُنَّةٍ قد أماتوها	البراء بن عازب	٤/ ٤٧٢
أنا أعلمكم بالله واخشاكم لله	عائشة	٢/ ٤٦١ و١٢/ ٣٠٧
أنا أعلمُكم بالله وأخشاكم له	عائشة	١٠/ ٣٤٨
أنا أغنَى الشركاءِ عن الشِّرك	أبو هريرة	١/ ٢٣٩
أنا النبيُّ لا كذب	البراء بن عازب	٧/ ٣٠٣
إنا أمَّةٌ أميةٌ	عبد الله بن عمر	٧/ ٢٤
أنا أولُ الأنبياء خَلقاً	قتادة	١٢/ ١٤١
أنا أولى بكلِّ مؤمنٍ من نفسه	جابر بن عبد الله	١٢/ ١٣٨
أنا دعوةُ أبي إبراهيمَ	العرباض بن سارية	٢/ ٤٥٦
أنا سيدُ ولدِ آدمَ ولا فخرَ	أبو سعيد الخدري	٣/ ٣٢٠
أنا فَرَطُكُم على الحوضِ	عبد الله بن مسعود	٩/ ٢٨٧
أنا قائدُها، وعيسى سائقُها		١/ ٤٠
أنا لا أشكُّ، ولا أسألُ	قتادة	٨/ ١٣٢
إنَّا لا ندخل بيتاً فيه كلب أو صورة	عائشة	١٠/ ٥٦
إنَّا لن نُدْخِلَها عليهم الحرمَ		٣/ ١١٨
أنا نبيُّ الله	عبد الله بن مسعود	١٥/ ٤٠

طرف الحديث	اسم الراوي	الجزء والصفحة
أنبأني به ربي ـ لما همت قريش بقتل النبي ـ		٦/ ٤٤
أنتِ أحقُّ به ما لم تتزوَّجي	عبد الله بن عمرو	٣/ ٢٤٨
أنت ومالُك لأبيك	جابر بن عبد الله	١١/ ١٧٤
انتظِرْ ما يأمرني فيه ربِّي	عبد الله بن عباس	٨/ ٢٨٣
أُنزل القرآنُ على عشَرةٍ	علي بن أبي طالب	١/ ٢٠٩
أُنزِلَ عليَّ سورةُ الأنعام جملةً واحدةً	أبي بن كعب	٦/ ٩
أُنزِلَتْ صُحُفُ إبراهيمَ في أوَّلِ ليلةٍ من شهر رمضان	واثلة بن الأسقع	١٥/ ٣١٤
أَنْزِلوا النَّاسَ على منازلهم		١/ ٢٥٢
انصرفوا أيُّها النَّاس؛ فقد عصَمني الله	أنس بن مالك	٥/ ٤٤٠
انطلقا إلى هذا المسجد الظالم أهله فاهدماه		٧/ ٤٦٩
انظر كيف صرف الله تعالى ذمَّها	أبو هريرة	١٥/ ٥٢٨
انظُرْ مَن تُناجي		١/ ٢٣٧
أنظِروني حتى أنظرَ ما يُحدِث إليَّ فيه ربي		١٠/ ٢٠
إنك إذاً لعريض الوسادة	عدي بن حاتم	٣/ ١٠٣
إنَّك معي في الجنَّة ـ أبو بكر الصديق ـ		٥/ ٩٨
أَنْكِحوا أبا هند وانكِحوا إليه	أبو هريرة	١١/ ١٢٨
إنكم تُدْعون يوم القيامة مفدَّمةً أفواهكم	معاوية بن حيدة	١٢/ ٣٧٤
إنَّكم ستجدون بعدي أَثَرةً فاصبروا	أنس بن مالك	٨/ ١٤٧
إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ ربَّكُمْ	جرير بن عبد الله	٨/ ٥٣
إنَّكم سترونَ ربَّكم كما ترون القمرَ	جرير بن عبد الله	٣/ ٨٣
إنَّكم لم تؤمروا باعتزالهنَّ مِن البيوت		٣/ ٢١٣
إنما أريدهم على كلمة	عبد الله بن عباس	١٢/ ٤٦٤

طرف الحديث	اسم الراوي	الجزء والصفحة
إنما ذلكم اللهُ الذي مَدْحُه زينٌ وذَمُّه شَيْنٌ		١٣/ ٤٩١
إنَّما هو كقوله: ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾	عبد الله بن مسعود	٦/ ١٣٣
إنَّما يُسلَّطُ على ابنِ آدمَ ما يخافُه		٨/ ٣٣٤
إنه تناثر عليه جَرادٌ مِن ذهب حين عوفي	أبو هريرة	١٢/ ٥١٠
إنه قد أُذن لي في الخروج للهجرة	عائشة	٧/ ٣٤٦
أنه لمَّا حضر آدمَ الوفاة دعا بابنه شيث فعَهِدَ إليه عَهْدَه	أبو ذر الغفاري	١١/ ١٥٥
إنه لَيُغانُ على قلبي، فأستغفرُ اللهَ تعالى في اليوم سبعين مرةً	الأغر المزني	١٣/ ٤٢٣
إنها جند من جنود الله تعالى ـ العنكبوت ـ		٧/ ٣٥١
إنَّها نُسِخَت البارحة		٢/ ٣٩٠
إنهم لم يفارقوني في جاهلية ولا إسلام	جبير بن مطعم	٧/ ٢٠٩
أنَّهم هم اليهودُ	عدي بن حاتم	١/ ١٦٤
إني أحبُّ أن أرى القومَ الذين أثنى الله عليهم	عبد الله بن عباس	٧/ ٣٣
إني أدعُوكَ إلى كلمةٍ لو قُلْتَها	عبد الله بن عباس	١/ ١٢٣
إني أُريتُ مصارعَ القوم غداً	عمر بن الخطاب	٧/ ٢١٤
إنِّي أُمِرْتُ أنْ أتلوَ القرآنَ على الجنِّ	عبد الله بن مسعود	١٥/ ٣٩
إنِّي أُمِرْتُ بالصبر	عبد الله بن عباس	٥/ ١١٢
إني تاركٌ فيكم الثَّقلَينِ	أبو سعيد الخدري	٤/ ١٨٦ ١٤/ ١٩٩
إنِّي خارجٌ إليهم، فليقُم معي مَن أحبَّ	عبد الله بن مسعود	١٥/ ٤١
إني رسول الله إلى الناس عامة		١١/ ٣١١
إنِّي سألْتُ الله تعالى أنْ يجعلَها أذنَكَ	علي بن أبي طالب	١٤/ ٥٦١
إنِّي قد أمرْتُ أن آتي الجنَّ	عبد الله بن عباس	١٥/ ٤٢
إني لأرجو أن تكونوا ثُلُثَ أهلِ الجنَّة	عمران بن حصين	٢/ ٢٧٢

طرف الحديث	اسم الراوي	الجزء والصفحة
إني لأرجو أن تكونوا ثلثي أهل الجنة	أبو بكر بن عياش	١٥/ ٥٠٥
إنِّي لأرجو أن تكونوا رُبُعَ أهل الجنَّة	عبد الله بن مسعود	١٤/ ٢٥٤
إنِّي لأعلمُ أوَّلَ مَن سيَّبَ السَّوائبَ	زيد بن أسلم	٥/ ٥٠٩
إني لستُ بشاعرٍ ولا ينبغي لي	أبو بكر الصديق	١٢/ ٣٧٨
إنِّي لستُ كأحدِكم		٥/ ٣١١
إنِّي لم أُبْعَثْ فحَّاشاً	عائشة	١٤/ ٣٢٩
إنِّي لم آمركُم بالقتال في الشَّهرِ الحرام		٣/ ١٨٤
إني مُلْقٍ إليك أمراً	ابن عباس	١٢/ ١٦٦
أهلُ الكُفور هم أهلُ القبور	ثوبان	١/ ٢٧٣
أهلُ المعروفِ في الدُّنيا	أبو عثمان النهدي	٨/ ١٥٨
أو ما علمت أن الله تعالى يغضب للغزاة		٤/ ٢٦٨
أوتيتُ السبعَ الطُّولَ	واثلة بن الأسقع	١/ ٢٠٨
أوتيتُ جوامعَ الكَلِمِ	عبد الله بن عباس	١/ ١٩٨
أُوتيتُ جوامعَ الكَلِم	أبو هريرة	١/ ٢٠٨، ٤١٨
أوَّلُ الوقتِ رضوانُ الله	عبد الله بن عمر	٣/ ٢٠٠
أوَّلُ صدقةٍ بيَّضَتْ وجوهَ الصَّحابةِ	عدي بن حاتم	٤/ ١٩٤
أولُ ما يُرفع من الأرض العلمُ		١/ ١٢
أولُ مَن يُدْعَى إلى الجنة الحامدون		٩/ ٤٥٢
أؤمنُ باللهِ وما أُنزِل إلينا	عبد الله بن عباس	٥/ ٤٢٦
إياكم ولو فإنه من كلام المنافقين		١/ ٤٠٩
أيَّام العيد والتَّشريق أيامُ أكلٍ	خلدة الأنصارية	٣/ ٢٣١
أيرضيْكِ أن أحرِّمَها على نفسي	عمر بن الخطاب	١٤/ ٤٧٦

طرف الحديث	اسم الراوي	الجزء والصفحة
أيسرُّكم أن تكونوا ثُلُثَ أهل الجنَّةِ		٤/ ٢٤٠
أيعجز أحدكم أن يقرأ في ليلةٍ ثلثَ القرآن	أبو أيوب الأنصاري	١٥/ ٥٣٠
أيُّكم أتمُّ عملاً وأشدُّ خوفا	أبو قتادة الأنصاري	١٤/ ٥٠٥
أيُّما قومٍ اتَّخذوا كلباً	عبد الله بن مغفل	٥/ ٣٠٦
الإيمانُ أثبتُ في قلوب المؤمنين مِن الجبال الرَّواسي		٥/ ٩٥
الإيمان بضعٌ وستُّون...	أبو هريرة	١/ ٢٣٢
الإيمان عُرْيان، لباسُه التقوى	عبد الله بن مسعود	٦/ ٣١٤
الإيمانُ نصفانِ: صبرٌ، وشكرٌ	أنس بن مالك	٩/ ٩٩
أين الذهبُ الذي دفعتَه إلى أم الفضل وقتَ خروجك من مكة		٧/ ٢٥٢
أين الملوك؟ لِمَن المُلْك اليوم؟	أبو هريرة	١٣/ ٦٩
أينما أدركتني الصَّلاةُ تيمَّمتُ وصلَّيتُ	عبد الله بن عمرو	٣/ ١٢٩
أيها الناس! اربَعوا على أنفسكم	أبو موسى الأشعري	٦/ ٣٧٠
أيُّها النَّاسُ، إنَّ اللهَ قد حرَّمَ الخمرَ		٥/ ٤٨
باركَ الله لك فيما أمسكتَ		٣/ ٣٧٤
باللهِ ما خرجْتِ من بغضٍ لزوجك؟ ـ كيف كان يمتحِنُ النِّساء ـ	عبد الله بن عباس	١٤/ ٣٩١
بأمر الله قد كانت الأنبياءُ قبلي يأتون بها قومَهم		٢/ ٣٣٧
بحقِّ محمَّدٍ أنْ تغفر لي	عمر بن الخطاب	٢/ ١٢٣
بَدْءُ أسماء، وفواتحُ سورة	أنس بن مالك	١٣/ ٨٥
بعثتُ أنا والساعةُ كهاتين	أنس بن مالك	٧/ ٩٣ و ١٣/ ٤٢١
بُعِثْتُ أنا والسَّاعة كهاتَيْن	عبد الله بن عباس	٩/ ٢٣٩
البقرةُ سنامُ القرآن	معقل بن يسار	٣/ ٣٣٤
بك أقاتل وبك أحاول	صهيب الرومي	٧/ ٢٣٦

طرف الحديث	اسم الراوي	الجزء والصفحة
بكتاب الله والإسلام - ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ﴾ -		٨/ ٨٦
بكتاب ربِّهم وسنَّةِ نبيِّهم	علي بن أبي طالب	٩/ ٤٥١
البكرُ بالبكرِ جلدُ مئةٍ وتغريبُ عامٍ	عبادة بن الصامت	٤/ ٤٧٢
بل أنتم فيها خالدون مخلَّدون		٢/ ٢٩٦
بل ائتَمِروا بالمعروف وتَناهوا عن المنكر		٥/ ٥١٢
بل ترفُقُ به وتحسِنُ إليه	السدي	١٤/ ٣٤٤
بل على ما استطعتم		١٣/ ٤٦٦
بل نحسنُ جوارَه حتَّى يفارَقنا		١٤/ ٤٣٤
بل نحن وأنتم، ولم نُؤت من العلم إلا قليلاً		٩/ ٤٧٤
بيتٌ في السَّماءِ الرابعة بِحِيال الكعبة مِن الأرض	أنس بن مالك	١٤/ ٧٠
بئسَ القومُ قومٌ لا يَأمرون بالمعروف	عبد الله بن مسعود	٣/ ٥٠٩
بئس خطيب القوم أنت	عدي بن حاتم	٧/ ٣٩٥
بئس مطيَّة القوم زعموا	أبو مسعود الأنصاري	١٤/ ٤٤٧
بئسما صنعْتَ، قد كان لهما منَّا أمان		١٤/ ٣٤٨
البيعة البيعةَ، نزلَ رُوحُ القُدُس	سلمة بن الأكوع	١٣/ ٤٦٦
بينا أنا أحدِّثكُم رأيْتُ في الهواء جبريل	عبد الله بن عباس	٩/ ٣١٩
بيني وبينكم التوراة		٣/ ٥١٠
تأخذ حوتاً فتجعله في مكتلٍ	عمرو بن دينار	١٠/ ١٠٣
تباً للذهب والفضة		٧/ ٣٢٦
تَجْزي عنك ولا تجزي أحداً بعدك	أبو جحيفة	٢/ ١٦٠
تحت كلِّ شعرةٍ جنابةٌ	أبو هريرة	١/ ٤٣٦

طرف الحديث	اسم الراوي	الجزء والصفحة
تزوج صغراهما وقضى أوفاهما	أبو ذر	١١/ ٤٣٠
التَّسريح بإحسان	أبو رزين الأسدي	٣/ ٢٣٤
تسوَّموا فإن الملائكة قد تسوَّمَتْ		٤/ ٢٤٢
تَعِسَ عبدُ الدِّينار	أبو هريرة	٩/ ٤٤٣
تعلَّموا الزَّهْراوين	أبو أمامة	٣/ ٤٤٦
تفقَّهوا قبل أن تسوَّدُوا	عمر بن الخطاب	٨/ ٣٧٣
تقدَّم يا مصعب		٤/ ٢٣٩
تَقْلِصُ شفةُ الكافر العُليا حتى تبلغَ وسطَ رأسه	أبو سعيد الخدري	١١/ ٦٩
تقوم الساعة والرجل يَلِيطُ حوضَه ليسقيَ ماشيته	أبو هريرة	١٢/ ٣٦٦
تلك العُزَّى	سعيد بن عمرو الهذلي	١٤/ ١٢١
تلك الملائكة ـ الخيل البلق ـ		٧/ ٣٠٤
التَمِسوها في العشر الأواخر	عبادة بن الصامت	١٥/ ٤٢٩
تناكحوا تكثُروا	عبد الله بن عمر	٣/ ١٠٠
تناكحوا توالدوا تكثروا		١٤/ ٤٣٩،
تنامُ عيناي وقلبي يقظان		٢/ ٣٥٢
تنزيهُ الله عن كلِّ سوءٍ	طلحة بن عبيد الله	٩/ ٣٦١
التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله	علي بن أبي طالب	١٤/ ٣٣٨
ثلاث من علامات المنافق	أبو هريرة	٧/ ٤٢٣
ثلاثٌ مِن علاماتِ النفاق	أبو هريرة	٨/ ٣٤٨
ثلاثةٌ من الصِّبيان تكلَّموا في المهد	عبد الله بن عباس	٨/ ٣٧٦
ثلاثةٌ يؤتَونَ أجرَهُم مرَّتين	أبو موسى الأشعري	١٤/ ٣١٣
ثم مررتُ على ملَكٍ يشبهُ الآدميَّ خَلْقاً	عبد الله بن عباس	١/ ٣٧١

طرف الحديث	اسم الراوي	الجزء والصفحة
ثمنُ الجنَّة لا إله إلا الله	أنس بن مالك	٢/ ٤٠٢
جاءني جبريل في صورته		١٥/ ٢٣٧
الجارُ أحقُّ بِشُفْعَتِهِ	أبو رافع	٩/ ١٨
جاورْتُ في حراءٍ	أبو سلمة	١٥/ ٨٣
جُعِلَت لي الأرضُ مسجداً وطهوراً	جابر بن عبد الله	٢/ ٤١١
جماعُ التقوى في قولِه تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾		١/ ٢٢٣
الجمعة حجُّ المساكين	عبد الله بن عباس	٥/ ١٦٤
جهادُ المرأة حسنُ التَّبعُّل	علي بن أبي طالب	٣/ ٢٣١
جئتُ بالحنيفيةِ دينِ إبراهيم		٧/ ٧٨ و٤٧٠
الجيرانُ ثلاثةٌ	عبد الله بن عمرو	٥/ ٢١
الحاجُّ الشَّعِثُ التَّفِلُ	عبد الله بن عمر	١٠/ ٤٩٤
الحبُّ في اللهِ والبغضُ في اللهِ	عبد الله بن مسعود	٣/ ٣٣٩
الحجُّ المبرورُ ليس له جزاءٌ إلَّا الجنَّة	أبو هريرة	٤/ ١٦٢
الحجُّ عرفة	عبد الرحمن بن يعمر	٣/ ١٣٨، ٧/ ٢٧٠
حدُّ الساحر الضَّربُ بالسَّيف		٢/ ٣٦٨
الحرائرُ صلاحُ البيوت	أبو هريرة	٤/ ٥٠٩
حسبُنا الله ونعم الوكيل		٤/ ٣٦٢
الحسنُ والحسينُ سِبطا رسولِ الله	جابر بن عبد الله	٢/ ٤٧٦
الحُسْنَى الجنَّةُ	أبي بن كعب	٨/ ٥٢
الحسينُ سِبطٌ مِنَ الأسباط	يعلى بن مرة	٢/ ٤٧٥

طرف الحديث	اسم الراوي	الجزء والصفحة
الحقب ألفُ شهرٍ	أبو أمامة الباهلي	١٥/ ١٨٦
الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا	حذيفة بن اليمان	١١/ ٢٢٢
الحمد لله الذي جعل في أمَّتي مثلَ الرَّجلين		١٥/ ٢٧٦
الحمدُ لله الذي جعلَ في أمَّتي مَن أمرَني أن أبدأَهم بالسَّلام		٦/ ٨٦
الحمد لله الذي لم يُمِتْني حتى أمرني أن أَصبِرَ نفسي	سلمان الفارسي	١٠/ ٦١
حمَلةُ العرش اليومَ أربعة	أبو هريرة	١٤/ ٥٦٣
الحَوْرَ بعد الكَوْر	عبد الله بن سَرْجِس	١٣/ ١٢
حياتي خير لكم ومماتي خير لكم	بكر بن عبد الله المزني	١٢/ ٨٠
خَالِطُوا النَّاسَ وزايِلُوْهُم	أبو سعيد الخدري	٨/ ٥٧
خُذْها من أغنيائهم ورُدَّها في فقرائهم	عبد الله بن عباس	٧/ ٣٨٨
خُذهُم، لا باركَ اللهُ لك فيهم		٥/ ٤١٦
خذوا جنَّتكم من النار	أنس بن مالك	١٠/ ٨٧
خذوا عنِّي مناسكَكُم	جابر بن عبد الله	٣/ ١٣٢
خذوا عنِّي، قد جعلَ اللهُ لهنَّ سبيلًا	عبادة بن الصامت	٤/ ٤٦٦
خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف		١٤/ ٣٩٩
خلَقَ اللهُ الأرضَ يومَ الأحدِ	ابن عباس	١٤/ ٣٣
خلَقَ الله تعالى آدمَ ثم مسحَ ظهرَه	عمر بن الخطاب	٧/ ٥٦
خلقَ اللهُ تعالى جنةَ عدن بيده	عبد الله بن عباس	٧/ ٦٠
خمسٌ فواسقُ يُقتلن في الحلِّ والحَرَم	عائشة	٥/ ٤٩٠
خمسٌ لا يعلمُهنَّ إلا الله		١٢/ ٩٢
خمسة تكلموا قبل أوانِ الكلام	أبو هريرة	١٠/ ١٩١
خيرُ الأصحاب أربعةٌ	عبد الله بن عباس	٧/ ٣٠٠

طرف الحديث	اسم الراوي	الجزء والصفحة
خيرُ الصَّدقة ما أبقت غنى		٣/ ٢٠٠
خيرُ الصَّدقةِ ما كان على شهوتها	عبد الله بن عمر	٤/ ١٤٩
خيرُ الناس قَرْني الذي أنا فيه	عمران بن حصين	٤/ ٣٤٨
الخيل مَعْقودٌ بنواصيها الخيرُ	عروة بن الجعد	١٢/ ٤٩٦
الدَّاعي والمؤمِّنُ شريكان	عبد الله بن عمر	١/ ١٧٧
دثِّروني	مقاتل	١٥/ ٨٦
دخلتُ الجنة فإذا نهرٌ حافَتاه خيام اللؤلؤ	أنس بن مالك	١٥/ ٥٠٦
درهمٌ واحدٌ يأخذه السُّلطان ظلماً	أبو أمامة الباهلي	١/ ١٣٢
دَعْهُ فقد فَقُهَ الرجل	زيد بن أسلم	١٥/ ٤٤٤
دعْها فإنها صغيرة		١٢/ ١٦٥
دعوةُ ذي النون ما دعا بها مؤمنٌ إلا استُجيب له	سعد بن أبي وقاص	١٠/ ٤٣٦
دعي الصَّلاةَ أيَّام أقرائكِ	فاطمة بنت حبيش	٣/ ٢٢٨
دمُ النَّضيريِّ وفاءٌ للقُرَظِيِّ		٣/ ٧٣
الدَّينُ قبلَ الوصيَّة	علي بن أبي طالب	٤/ ٤٥٨
ذلك ضَرْبُ الملائكةِ يا عبدَ الله		١٤/ ١٧٠
الذهبُ بالذهبِ مثلٌ بمثلٍ	أبو سعيد الخدري	٣/ ٤٠٨
رآه على طِنْفِسةٍ خضراءَ	عثمان بن أبي سليمان	١٠/ ١١١
رأيتُ أرْضاً أَخْرُجُ إليها مِن مكَّةَ ذاتَ نَخْلٍ	عبد الله بن عباس	١٣/ ٣٧٩
رأيتُ جبريلَ مُنْهَبِطاً قد ملأَ ما بين السماء والأرض	عائشة	١٤/ ١٠٥،
رأيتُ في المنام كأن في يديَّ سوارينِ من ذهبٍ	جابر بن عبد الله	٦/ ١٥٠
رأيتُ في المنام كأني لبستُ درعي الحصينة		٤/ ٢٧٥
رأيتُه بفؤادي		١٤/ ١١٩

طرف الحديث	اسم الراوي	الجزء والصفحة
رأيتُه عندِ سِدْرةِ المنتهى	عبد الله بن مسعود	١٤/ ١١٦
رُبَّ أشعثَ أَغْبرَ ذي طِمْرين لا يؤبَهُ له	أنس بن مالك	٦/ ٤١٤
ربِّ افعَلْ	عبد الله بن عباس	١/ ١٧٥
رب زدني		٦/ ٢٧١
رحمَ الله أخي يوسفَ؛ إذ دُعِيَ إلى الخروج مِن السِّجنِ فلم يفعل	عبد الله بن عباس	٨/ ٤١٥، ٤١٩
رحم الله امرأً أيقظَ أهلَه للصَّلاة	أبو هريرة	١٤/ ٤٩٠
رَحِمَ الله مَن انتَدب حتى يعلمَ المشركون أنَّا لم نُستأصَلْ		٤/ ٣٥٩
ردُّوا عليَّ أبي	عكرمة	٢/ ٤٦٨
الرضاعُ ما أنبتَ اللَّحمَ	عبد الله بن مسعود	٤/ ٤٩١
رغماً لأنوف المشركين		٧/ ٨٣
رفع إدريس إلى السماء الرابعة	أنس بن مالك	١٠/ ٢١١
رُفع عن أمتي الخطأ والنسيان	عبد الله بن عباس	٣/ ٤٤٣
رؤيا الأنبياء وَحيٌ	عبد الله بن عباس	١٣/ ٢٥٧
الرُّؤيا الصَّادقة جزءٌ من ستَّةٍ وأربعين جزءًا...	أبو هريرة	٨/ ٣١٠
الرُّؤيا من اللهِ تعالى والحلمُ مِنَ الشَّيطانِ	أبو قتادة	٨/ ٤٠٨
الزُّبيرُ ابنُ عمَّتي	جابر بن عبد الله	٤/ ٦٤
زد في الخطر		٣/ ١٩٦
الزُّكامُ أمانٌ مِن الجُذام	أنس بن مالك	٣/ ١٢٣
زمِّلوهم بدمائهم		٤/ ٢٨٤
زُوِيتْ لي الأرض فأُرِيتُ مشارقَها ومغاربَها	ثوبان	١٠/ ٤٥٠
سادةُ الناس في الدنيا الأسخياءُ		٤/ ٣٠
سألْتُ ربِّي مسألةً	عبد الله بن عباس	١٥/ ٣٩٢

طرف الحديث	اسم الراوي	الجزء والصفحة
سِبابُ المسلمِ فسوقٌ	عبد الله بن مسعود	٣/ ١٣١
سبحان الذي يُخرج الحيَّ مِن الميتِ		٣/ ٥٢٢
سبحان الله ـ لما نزلت سورة الأنعام ـ		٦/ ٨
سبحانك اللهم وبحمدك	عائشة	١٥/ ٥١٧
سبحانَك ما عبدناكَ حقَّ عبادتِك	جابر بن عبد الله	٤/ ١٨٤
سبحانه وبلى		١٥/ ١٢٨
سبقَ القضاءُ، وجفَّ القلمُ		٦/ ١٩٢
سترتُها عليكَ في الدنيا	عبد الله بن عمر	١٣/ ٢٢٧
ستكونُ لكم فتوحٌ	عقبة بن عامر	٨/ ٣٢٩
سجدَها داود توبةً	عبد الله بن عباس	١٢/ ٤٨٣
السَّلامُ علينا وعلى عبادِ الله الصَّالحين	عبد الله بن مسعود	٢/ ٤٣٥
سلوني، فوالله لا تسألونني عن شيءٍ في مقامي هذا إلَّا لأحدِّثنَّكم	أبو هريرة	٥/ ٥٠٢
السَّمَاحُ رَباحٌ	عبد الله بن عمر	١/ ٣٤٨
سنامُ القرآنِ سورةُ البقرة		١/ ١٨٨
سُنُّوا في المجوس سنَّةَ أهل الكتاب	عبد الرحمن بن عوف	٧/ ٣١٣
سياحة أمتي الصِّيام	عائشة	٧/ ٤٨٥
سيُحال بيني وبينها	أبو بكر الصديق	١٥/ ٥٢٧
سيكونُ في أمَّتي اختلافٌ وفرقةٌ	أنس بن مالك	٥/ ٣٦٤
سينهاه ما تقول	أبو هريرة	١١/ ٥٠٩
شاهت الوجوه	أنس بن مالك	٧/ ٣٠٢
شاهتِ الوجوهُ		٧/ ١٦٤
شغلونا عن الصَّلاة الوسطى عن صلاة العصر	علي بن أبي طالب	٣/ ٢٧٢

طرف الحديث	اسم الراوي	الجزء والصفحة
شفاعتي لأهلِ الكبائر مِن أمَّتي	أنس بن مالك	٢/ ١٦٢
شفاعتي نائلةٌ لأهل الكبائر من أمَّتي	أنس بن مالك	٤/ ٥٢٢
الشُّهداءُ عند الله على منابرَ مِن ياقوت	أبو هريرة	٣/ ٨
شيَّبتني هودٌ والواقعةُ وأخواتهما	عبد الله بن عباس	٧/ ٢٧٩
شيطانٌ يَتْبعُ شيطاناً	أبو هريرة	١/ ٣٣٥
صدق الله تعالى إنما أموالكم فتنة رأيتُ هذين الغلامين...	بريدة	١٤/ ٤٥٤
صدقَ اللهُ وكذَبَ بطنُ أخيْكَ	أبو سعيد الخدري	٩/ ٢٩٤
صدقةٌ تَصدَّق اللهُ بها عليكم	عمر بن الخطاب	٥/ ١٧٢
صلِّ على محمَّد وعلى آلِ محمَّدٍ	أبو حميد الساعدي	٣/ ٨٣
صِلْ مَن قطَعكَ، واعفُ عمَّن ظلَمك	جابر بن عبد الله	٧/ ١٠٥
الصَّلاةَ الصَّلاةَ إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت	أنس بن مالك	١٤/ ٤٩٠
الصلاةُ أمامَك	أسامة بن زيد	٢/ ٢٤٣
الصلاةُ ثانيةُ الإيمان		١/ ٢٤١
صلاةٌ في المسجدِ الحرامِ	جابر بن عبد الله	٤/ ١٦٢
الصَّلاة قربان كل تقيٍّ	علي بن أبي طالب	٥/ ١٦٤
الصلاة يا أهل البيت	أنس بن مالك	١٢/ ١٧١
الصَّلوات الخمسُ الحسناتُ يذهبْنَ السَّيِّئات		٨/ ٢٨٢
الصَّلواتُ كفَّارةُ الخطايا	أبو هريرة	٨/ ٢٨٣
صلَّيتُ هاهنا صلاةَ العشاء والفجر ـ ليلة الإسراء ـ		٩/ ٣٦٥
صماماً واحداً		٣/ ٢١٨
الضَّبع صيدٌ، وفيه كبشٌ إذا قتلَهُ المحرِم	جابر بن عبد الله	٥/ ٤٩٠
الضِّرار في الوصيَّة من الكبائر	عبد الله بن عباس	٤/ ٤٦٢

طرف الحديث	اسم الراوي	الجزء والصفحة
ضعهُ حيث وجدتَه		٥/ ٤٧٧
ضعْهُ في أقربائِكَ	أنس بن مالك	٤/ ١٤٨
ضعوا هذه الآيات في السورة التي يُذكر فيها كذا وكذا		٧/ ٢٦٢
طلحة ممن قضى نحبه	معاوية	١٢/ ١٦٠
طوبى شجرةٌ في الجنَّةِ مسيرةُ مئةِ سنةٍ	أبو سعيد الخدري	٩/ ٦٦
ظلال المساكن والماء البارد... ـ ﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ ـ	عبد الله بن عباس	١٥/ ٤٦٦
عائشة ـ أحب الناس إلى النبي ـ	عمرو بن العاص	١١/ ١٠٢
عبادَ الله! بعد أن هداكم من الضلالة	زيد بن أسلم	٤/ ١٨١
العبَّاسُ صِنْوُ أبي	أم حبيبة	٩/ ١٥
عثمانُ انْطَلَقَ في حاجةِ الله وحاجةِ رسوله		٤/ ٣٣٠
عَجبًا لِأَمْرِ الـمُؤْمِنِ، إنَّ أمرَهُ كلَّهُ خيرٌ؛	صهيب	٩/ ١٢٩
عدَّةُ الأمةِ حيضتان	عائشة	٣/ ٢٣٠
عدلُ ساعةٍ خيرٌ مِن عبادة سنة	أبو هريرة	١٢/ ٥٠٥
عُدلت شهادةُ الزور بالإشراك بالله تعالى	خريم بن فاتك	١٠/ ٤٩٨
عدنٌ دارُ الله التي لم ترَها عينٌ ولم تخطرْ على قلب بشر	أبو الدرداء	٧/ ٤١١
عذَّبهم بُكرةً		١٤/ ٥٥٨
عُرضت عليَّ أمَّتي في صُوَرِها في الطين	عبد الله بن عباس	٤/ ٣٧٤
عِشْ ما شِئْتَ فإنكَ مَيِّتٌ	جابر بن عبد الله	١٤/ ١١٥
عَفَوْتُ لأمَّتي عن صَدَقةِ الخيلِ	علي بن أبي طالب	٣/ ٤٤٤
عفوت لكم عن صدقة الخيل والرقيق	علي بن أبي طالب	٣/ ٩٩ و٥/ ٥٠٥
علِّقِ السَّوط حيث يراه أهلُ البيت	عبد الله بن عباس	١٤/ ٤٩٠

طرف الحديث	اسم الراوي	الجزء والصفحة
عُلَماءُ أُمَّتي كالنُّجوم	أنس بن مالك	١٤/ ٩٨
علماءُ أمَّتي كأنبياءِ بني إسرائيل		١/ ٣٣٥
علِّموا أبناءكم السباحةَ والرميَ	عبد الله بن عمر	٧/ ٢٣٣
علِّموا أرقَّاءَكم سورةَ يوسفَ	أبي بن كعب	٨/ ٢٩٧
على السمع والطاعة فيما استطعتم	عبد الله بن عمر	١٤/ ٤٥٥
على وجهِهِ مَسْحَةُ مَلَكٍ	جرير بن عبد الله البجلي	٤/ ٤٩
عليك بالمعوِّذتين فما تُعوِّذ بأفضل منهما	أنس بن مالك	١٥/ ٥٥٣
عليكم بكتاب الله		٤/ ١٨٦
عمداً فعلتُ كي لا تُحرَجَ أمَّتي	عمر بن الخطاب	٥/ ٣١١
العينانِ وِكاءُ السَّه	علي بن أبي طالب	٥/ ٣١١
غرس شجرةَ طوبى بيده		٧/ ٦٠
غطُّوا رأسَه، واجعلوا على رجليه الإذخر	خباب بن الأرت	١٥/ ٢١٠
غفرَ الله تعالى لك يا أبا بكر		٥/ ٢٠٠
فاتحةُ الكتاب شفاءٌ مِن كلِّ سُمٍّ	أبو سعيد الخدري	١/ ٨٦
فاخرُجْ إلى بقيع الغرقد		١٥/ ٢٣٧
فإذا قالوها عصَموا مني دماءَهم وأموالَهم إلا بحقها	أبو هريرة	٦/ ٣٣٤
فأمسك الله جريةَ الماء	عمرو بن دينار	١٠/ ١٠٨
فإنَّ اللهَ تعالى يفعلُ مكانَ كلِّ شوكةٍ منها ثمرةً فيها سبعون لوناً من الطَّعام		١٤/ ٢٤٨
فإن غمَّ عليكم الهلالُ	عبد الله بن عمر	٣/ ٩٢
فانطلقا يمشيان	عمرو بن دينار	١٠/ ١٠٨
فإنك لا تَفْضُلُهم في شيءٍ إلَّا في الدِّين والتقوى	عبد الله بن عباس	١٣/ ٥٢١

طرف الحديث	اسم الراوي	الجزء والصفحة
فإني نذيرٌ لكم بين يديْ عذابٍ شديد	عبد الله بن عباس	١٥/ ٥٢٢
فبينا أنا أمشي سمعْتُ صوتًا من السَّماء	جابر بن عبد الله	١٥/ ٨٣
الفردوس ربوةُ الجنة	سمرة بن جندب	١١/ ١٤
فرَكِبْتُها، فكانت إنْ ترَكْتُها سارَتْ		١٤/ ١٠٩
فعند ذلك يَشيبُ الصغير	أبو سعيد الخدري	١٠/ ٤٦٢
فكان البحر للحوت سَرَباً	أبي بن كعب	١٠/ ١١٠
فلا تعدْ إليه ـ في نهي الصديق عن أذية والده	ابن جريج	١٤/ ٣٤٥
فلم أرَ عَبْقَرِيًّا يَفْري فَرِيَّه	عبد الله بن عمر	١٤/ ٢٢٧
فلْيُقاتِلْه؛ فإنه شيطانٌ	أبو سعيد الخدري	١/ ٣٣٥
فلْيَنْصرِفْ ولْيَتوَضَّأْ	عائشة	١/ ٤٠٠
فهلمُّوا إلى التوراة بيني وبينكم	عبد الله بن عباس	٣/ ٥٠٩
في الجنةِ بحرُ اللَّبَنِ	معاوية بن حيدة	١/ ٤٣٧
فينظر عن يمينه فلا يرى إلا النار	عدي بن حاتم	١٢/ ٢٠٨
فيها ما لا عينٌ رأَتْ ـ الجنة ـ	أبو هريرة	٨/ ٥٢
قاتِلْ دون مالِكَ حتَّى تمنعَ مالك	مخارق	٥/ ٣٦٥
قتلتُم رجلين من بني سُليم		٥/ ٣٢٤
قتلَهُ وهو مسلمٌ	سعيد بن المسيب	٥/ ١٦٠
قد أعطيتُهم الأمان فأَخْرِجهم من المدينة		١٢/ ١٢٩
قد آمن الرجل	زيد بن أسلم	١٥/ ٤٤٥
قد حللْتِ	أبو سلمة	١٤/ ٤٦٧
قَدَّسَ على العَدَسِ كذا مِن الأنبياء	عبد الرحمن بن دلهم	٢/ ٥٩
قَدَّسَ على العَدَسِ كذا مِن الأنبياء	أبو هريرة	٢/ ٨٧

طرف الحديث	اسم الراوي	الجزء والصفحة
القرآنُ ذلولٌ ذو وجوهٍ	عبد الله بن عباس	١/ ١٤
قَسمتُ الصلاةَ بيني وبين		١/ ٨٧
قصرٌ في الجنة من اللؤلؤ ـ عدن ـ	أبو هريرة	٧/ ٤١١
قل: الله أعلى وأجلُّ	البراء بن عازب	٨/ ٢٤٥
القلب السليم المتبرِّئ من بغضِ أهل بيتي		١١/ ٢٨٣
قليل تؤدِّي شكره خيرٌ من كثيرٍ لا تُطِيقه	أبو أمامة الباهلي	٧/ ٤١٩
قم يا فلان فاخرج من المسجد فإنك منافق	عبد الله بن عباس	١٢/ ٢٠٦
قم يا فلان وأنت يا فلان		١٤/ ٣٣٦
قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد	كعب بن عجرة	١٢/ ٢٠٠
قولوا: لا إله إلا الله	عبد الله بن عباس	١٥/ ٥٣١
قولوا: لا إله إلا الله لتطيعكم العرب		٩/ ٤٢٠
قوموا على مصافِّكم		٤/ ٣١٤
كادت الساعة تَسبقُني	بريدة	٧/ ٩٣
كان العذاب تدلَّى عليهم ـ وفد بني نجران ـ		٤/ ٩١
كان النبي ﷺ يعجبه أن يكون الرجل خفيضَ الصوت	عبد الله بن زحر	١٢/ ٧٠
كان النبيُّ عليه الصَّلاة والسَّلام يُصلِّي على راحلتِه تطوُّعاً	عبد الله بن عمر	٢/ ٤١٤
كان رسول الله ﷺ يستأذُنُنا في نوبةِ إحدانا	عائشة	١٢/ ١٩٣
كان سبأ رجلاً ولد له عشرة من الأولاد	أنس بن مالك	١٢/ ٢٤٠
كان لوحاً من ذهب	أبو ذر	١٠/ ١٢٦
كان ليعقوبَ أخٌ مؤاخٍ له	أنس بن مالك	٨/ ٤٧٣
كان مَثَلُ أخيكِ كمَثَلِ الذي آتاهُ الله آياته فانْسَلخ منها	سعيد بن المسيب	٧/ ٧٧
كان موسى رجلاً حَييًّا ستِّيراً	أبو هريرة	١٢/ ٢١٠

طرف الحديث	اسم الراوي	الجزء والصفحة
كانت إحداكنَّ في الجاهليَّة الجهلاء...	أم سلمة	٣/ ٢٧٧
كانوا عشَّارين يَبخسون الناسَ أموالَهم بأخذ العشر		٦/ ٤٣٠
كتبَ اللهُ تعالى الجمعةَ	أبو هريرة	٣/ ١٧٢
كُتِبَ على ابنِ آدمَ حَظُّه مِن الزِّنا	أبو هريرة	١٤/ ١٢٩
كذب النسَّابون	عبد الله بن عباس	١١/ ٢١٧
كذبْتُما، يمنعُكُما عن الإسلام ثلاثٌ		٤/ ٨٩
كسِّروا قِسِيَّكُم		٥/ ٣٦٤
كصفاءِ الدُّرِّ في الأصدافِ	أم سلمة	١٤/ ٢٤٤
كفارة المجلس	أبو هريرة	١٤/ ٩٥
كفُّوا أيديكم؛ فإنِّي لم أؤمر بقتالهم		٥/ ١١٤
كفى بالموت واعظاً	عمار بن ياسر	٥/ ٥٩
كلُّ ذلك، يأتيني الملك أحياناً في صورة الرجل...	عائشة	١٢/ ٢٥٥
كلُّ شيء يلهو به ابنُ آدم باطلٌ إلا ثلاثاً	عقبة بن عامر	٧/ ٢٣٣
كلُّ عمل ابن آدم الحسنةُ بعشرِ أمثالها		٦/ ٢٧٠
كلُّ مَن أحبَّ أن يُعبد من دون الله فهو مع مَن عبَده	عبد الله بن عباس	١٠/ ٤٤٤، ٤٤٥
كلُّ مولودٍ يولد على الفطرة	أبو هريرة	١٢/ ٣٤،
كلُّ ميسَّرٌ لِمَا خُلِقَ له	علي بن أبي طالب	١٥/ ٢٢٠
كُلٌّ ميسَّرٌ لِمَا خُلِقَ له	عمران بن حصين	١٥/ ٣٧٨
كلُّكم راعٍ	عبد الله بن عمر	٥/ ٧٣ و١٤/ ٤٩١
كلُّهم في الجنة	أسامة بن زيد	١٢/ ٣١٥
كم مِن عِذْقٍ رَدَاح		٣/ ٢٩٣

طرف الحديث	اسم الراوي	الجزء والصفحة
كما صلَّيْتَ وباركْتَ ورحمْتَ على إبراهيم	عبد الله بن مسعود	٨/ ٢٤٠
الكمأةُ مِن المنِّ	سعيد بن زيد	٢/ ١٩٦
كيف تقرأ إذا افتتحتَ الصَّلاةَ		١/ ٨٢
كيف يا رب والغضب		٧/ ١٠٧
كيف يفلح قومٌ فعلوا هذا بعمِّ رسول الله		٤/ ٢٤٧
كيف يفلح قومٌ فعلوا هذا بنبيِّهم	أنس بن مالك	٤/ ٢٤٦
لا أبالي مَن نصرني ومن خَذلني		٥/ ١٣٢
لا أجد ما أحملكم		٧/ ٤٤٢
لا أجعلُ شيئاً جعله الله لي دون المؤمنين	عمر بن الخطاب	١٤/ ٣٥٥
لا أحدَ أحبُّ للمدح مِن الله تعالى		١/ ٩٤
لا أرضى وواحدٌ من عصاة أمَّتي في النَّار	عبد الله بن عباس	١٥/ ٣٨٨
لا أطيقُ ذلك	عبد الله بن عباس	٩/ ٦٨
لا إغْلالَ ولا إسْلال	المسور بن مخرمة	٣/ ١٣٠ و٤/ ٣٤٠
لا بأسَ إذا كان في صمام واحد		٣/ ٢١٧
لا بل شربْتُ عسلًا عند زينبَ	عائشة	١٤/ ٤٧٧
لا تبدؤوا اليهود والنصارى بالسَّلام	أبو هريرة	٥/ ١٣٧
لا تَبْرَحوا مراكزكم ـ غزوة أحد ـ		٤/ ٣١٤
لا تتمنَّوا لقاء العدوِّ	عبد الله بن عمرو	٧/ ٢١٦
لا تجالسوهم ولا تكلِّموهم ـ في المنافقين الذين تخلفوا عن الجهاد ـ		٧/ ٤٤٦
لا تخبَأنَّ من أميرك شيئاً	أبو هريرة	٤/ ٣٤٤
لا تدخُلا عليَّ حتى يُبيِّنَ اللهُ توبتكما		١٣/ ٥٠٩

طرف الحديث	اسم الراوي	الجزء والصفحة
لا تدخلُوا منازلَ الذين ظَلَمُوا أنفسَهم إلَّا أنْ تكونوا باكِيْنَ	عبد الله بن عمر	٩/ ٢١٤
لا تشدُّ الرِّحال إلا إلى ثلاثةِ مساجدَ	أبو هريرة	٩/ ٣٦٢
لا تفضِّلوني على أخي يونس		٣/ ٣٢٠
لا تُقتَلُ نفسٌ ظلماً إلَّا كان على ابنِ آدم كِفْلٌ مِن دمِها	عبد الله بن مسعود	٥/ ٣٦٨
لا تقولوا: جاء رمضان، وذهب رمضان	أبو هريرة	٣/ ٨٨
لا تَقومُ الساعة حتى يكون قبلها عشرُ آيات	حذيفة بن أسيد الغفاري	٦/ ٢٦٥
لا تمكُرْ ولا تُعِنْ ماكراً		١٢/ ٣٢٦
لا تُنزَعُ الرحمةُ إلا مِن شقيٍّ	أبو هريرة	١٠/ ١٩٣
لا تُنكَحُ المرأةُ على عمَّتِها	أبو هريرة	٢/ ٣٠٣
لا صغيرةَ مع الإصرار	أبو بكر الصديق	١٤/ ١٣٠
لا صلاة إلَّا بطَهور	عبد الله بن عمر	٥/ ٣١٢
لا صلاة للعبدِ الآبقِ	أبو أمامة	٥/ ٣٥
لا صلاة لمن لم يُطِع الصلاة	عبد الله بن مسعود	١١/ ٥١٠
لا صيامَ لمن لم يؤرِّضْه من الليل	حفصة	١/ ٣٩٨
لا طاعةَ لمخلوقٍ في معصيةِ الخالق	عمران بن حصين	٥/ ٧٨
لا لعانَ بين أهلِ الكفر وبين أهلِ الإسلام	عبد الله بن عمرو	١١/ ٩٣
لا مهرَ أقلُّ مِنْ عشرةٍ	جابر بن عبد الله	٤/ ٥٠١
لا نَعْشر ولا نَحْشر	عبد الله بن عباس	٩/ ٤٥٧
لا هجرة بعد الفتح	عبد الله بن عباس	٧/ ٢٥٥
لا وصية لوارث	أبو أمامة الباهلي	٣/ ٧٨
لا يبقى برٌّ ولا فاجر إلا دخلها	جابر بن عبد الله	١٠/ ٢٣١
لا يتحدَّث النَّاسُ أنَّ محمَّداً يقتل أصحابه		١٤/ ٤٣٨

طرف الحديث	اسم الراوي	الجزء والصفحة
لا يُتمَ بعد البلوغ	أنس بن مالك	٢/ ٣٠٤
لا يَتمنّى أحدُكم الموتَ	أنس بن مالك	٢/ ٣٤٣
لا يجتمعنَّ مسلم ومشركٌ ـ عرفة ـ		٧/ ٣٣٧
لا يحلُّ بيعُ المغنيات	أبو أمامة	١٢/ ٥٧، ٥/ ٣٧٣
لا يَحِلُّ دمُ امرئٍ مسلمٍ إلا...	عثمان بن عفان	و٦/ ٢٥٣ و٩/ ٤٠٣
لا يدخلُ أحدٌ الجنّةَ إلّا برحمةِ اللهِ	أبو هريرة	٨/ ٢٢٢
لا يرثُ الكافرُ من المسلمِ		٤/ ٣٧٩
لا يَرْكَبَنَّ البحرَ إلّا حاجٌّ أو مُعْتَمِرٌ	عبد الله بن عمرو بن العاص	١٤/ ٧٣
لا يستام الرجلُ على سومِ أخيه		٣/ ٤٠١
لا يَقبلُ اللهُ صلاةً بغير طُهورٍ	عبد الله بن عمر	٣/ ٣٧٨
لا يُقبل منهم إلا الإسلام أو السيف	عبد الله بن عباس	٧/ ٣١٣
لا يَقرأ أهل الجنة من القرآن شيئاً إلا يس وطه	الحسن البصري	١٠/ ٣٦٢
لا يقولنَّ أحدُكم: عبدي وأَمَتي	أبو هريرة	٨/ ٣٧٩
لا يكفيكَ آيةُ الصَّيف التي في آخر سورة النساء	عمر بن الخطاب	٥/ ٢٧٧
لا يلقى اللهَ العبدُ بشيء يوم القيامة أشدَّ عليه من جهالة أهله	أبو سعيد الخدري	١٤/ ٤٩١
لا يمسُّ القرآنَ إلّا طاهرٌ	عبد الله بن أبي بكر بن حزم	١٤/ ٢٧٠
لا يموتنَّ أحدُكم إلّا وهو يحسن الظنَّ بالله	جابر بن عبد الله	٢/ ٤٦٥
لا ينبغي لأحدٍ أنْ يسجدَ لأحدٍ دون الله		٤/ ١٢٥
لا ينبغي لعالمٍ أن يسكت على علمه	جابر بن عبد الله	١٠/ ٣٧٥
لا ينجو أحدٌ إلا برحمةِ الله		٦/ ٣٩٧

طرف الحديث	اسم الراوي	الجزء والصفحة
لا، بل لكم والله، ما أصنع ذلك إلا لأني رأيتُ العرب قد كالبَتْكم		١٢/ ١٤٨
لا، حتَّى تذوقي مِن عُسيلتِه	عائشة	٣/ ٢٣٨
لا، حتَّى يكون مسٌّ		٣/ ٢٣٨
لأَخرجنَّ ولو لم يخرج منكم معي أحدٌ		٤/ ٣٦١
لأستغفرن لك ما لم أنه عنك	المسيب بن حزن	٧/ ٤٩٠
لاضطرم الوادي عليهم نارًا		٤/ ٩١
لأمثِّلنَّ بثلاثينَ منهم	عبد الله بن يزيد الأنصاري	٩/ ٣٥٤
لأني رأيت بينك وبينه ملكاً يردُّ عليه ما قال	أبو هريرة	١٣/ ٢٥٠
لتأخذوا مصافكم		٨/ ٨٤
لتَأمُرُنَّ بالمعروفِ، ولتَنهَوُنَّ عن المنكر	أبو بكر الصديق	٥/ ٥١١
لستُ بفقير ولا مجنون	الضحاك	١٥/ ٥٣٢
لقد أُنزلت عليَّ سورتان	عقبة بن عامر	١٥/ ٥٥٣
لقد حكمتَ بحكم الله تعالى فيهم	عائشة	١٢/ ١٦٢
لقد دخلَ بوجه كافرٍ، وخرج بعَقِبَي غادر ـ الحطم ـ	عبد الله بن عباس	٥/ ٢٩٢
لقد ذهبتُم فيها عريضةً		٤/ ٣٢٩
لقد سمعَ اللهُ ما تقول، فإنْ شاءَ أجابَك		٥/ ٢٠٩
لقد عجِبَ اللهُ البارحةَ من صنيعكم	أبو هريرة	١٤/ ٣٦٢
لقد نزلت عليَّ سورةٌ ما يسُرُّني...	أنس بن مالك	١٣/ ٤٤٩
لقِيَ اللهَ وهو عليه غضبانُ	عبد الله بن مسعود	٢/ ١٥٦
لكلِّ شيء ثمَرةٌ...		١٣/ ٨٢
للمملوك طعامُه وشرابُه وكسوتُه	أبو هريرة	٣/ ٤٤٣
لم أُبعَثْ لعَّاناً	عكرمة	١٠/ ٤٥١

طرف الحديث	اسم الراوي	الجزء والصفحة
لم تحلَّ الغنائمُ لأحدٍ سوَّدَ الرُّؤوسَ قبلكم	أبو هريرة	١٤/ ٥٧٦
لمَ ضربْتَه ـ لطم أبي بكر لليهودي ـ		٤/ ٣٨١
لم يكن في السَّفينة مع نوح غير ثمانية	قتادة	٨/ ٢٠٢
لم يكن يهوديًّا ولا نصرانيًّا، بل كان مسلمًا		٤/ ٩٣
لمَّا أراد الله تعالى حبسَ يونس بن متى في بطن الحوت...	أبو هريرة	١٠/ ٤٣٤
لـمَّا أُهبط آدم عليه السلام من الجنة...	أبو موسى الأشعري	١/ ٤٠٦
لمَّا عُرِجَ بي إلى السماء...	معاذ بن جبل	١٢/ ٥٢٤
لَمَّا قال فرعون: لا إلهَ إلَّا الله...	عبد الله بن عباس	٨/ ١٢٥
لـمَّا وقعَ النَّقصُ مِن بني إسرائيل...	عبد الله بن مسعود	٥/ ٤٥٤
لن يغلب اثنا عشر ألفًا من قِلَّةٍ كلمتُهم واحدة	عبد الله بن عباس	٤/ ٢٨٨
لن يَغلبَ عسرٌ يُسرينِ	الحسن البصري	١٥/ ٣٩٨
اللهُ أكبرُ، كأنِّي بأبيضِ المدائنِ	أنس بن مالك	٣/ ٥١٧
الله المعطِي وأنا القاسمُ	معاوية بن أبي سفيان	٧/ ٣٨١
اللهُ خَليفتي على أمَّتي		٦/ ٥٠٤
لها ثلاث خرجات	حذيفة بن أسيد	١١/ ٣٨٦
اللهم اجعلْ سِنينَ كسِني يوسف	عبد الله بن مسعود	١٣/ ٣١٩
اللَّهم ارحمِ الأنصارَ	ثابت بن قيس بن الشماس	١٤/ ٣٦٠
اللَّهم اشددْ وطأتَك على مضر	أبو هريرة	٩/ ٣٣٨، ٣٤٢ و١١/ ٤٩
اللهم اصْحَبنا بصحبةٍ واقلِبنا بذمَّةٍ	أبو هريرة	١٠/ ٣٩٥
اللَّهمَّ أعمِ بصرَه ـ لأسد بن عبد العزى ـ		٩/ ٢٢٨
اللَّهُمَّ أَعِنِّي عليهم بسَبْعٍ كسَبْعِ يوسفَ	عبد الله بن مسعود	١٣/ ٣٢٤

طرف الحديث	اسم الراوي	الجزء والصفحة
اللهم أَغْنِ المقداد من فضلك	سعيد بن جبير	٧/ ١٩٣
اللهم اكفِنَاه بما شئتَ		٧/ ٣٤٨
اللَّهمَّ العَنْ أبا سفيانَ	عمر بن الخطاب	٤/ ٢٤٦
اللهم إنْ ظهر عليَّ هذه العصابةُ ظهر الشرك		٧/ ١٤٤
اللهم إني أبرأُ إليك مما صنَع خالد	عبد الله بن عمر	١٢/ ١٢٢
اللَّهمَّ إنِّي أعوذ بك مِن الرِّجْسِ النجس	أبو أمامة الباهلي	٨/ ١٣٨
اللهمَّ اهدِ قومي فإنهم لا يعلمون	عبد الله بن عبيد	١١/ ٦٤
اللهمَّ زِدْنا ولا تَنْقُصنا	عمر بن الخطاب	١١/ ٩
اللهمَّ سلِّط عليه كلباً من كلابك	عروة بن الزبير	١٤/ ١٠٠
اللَّهُمَّ سَلِّطْ عليه كَلْباً مِن كلابِكَ	هبار بن الأسود	١٥/ ٥٢٢
اللَّهُمَّ لا تجعَلِ الدنيا أكبرَ هَمِّنا	عبد الله بن عمر	١٤/ ١٢٧
اللَّهمَّ لا تُحِلْ عليه الحولَ حتى يموت	قتادة	٤/ ٢٤٦
اللهمَّ لا تَكِلْني إلى نفسي طَرفةَ عين	أبو بكرة	٩/ ٤٥٩
اللهم هؤلاء أهلُ بيتي فأَذْهِبْ عنهم الرجس	أم سلمة	١٢/ ١٧١
اللهمَّ، هذا قَسمي فيما أملكُ	عائشة	٥/ ٢١٦
لو ابتهلوا لم يبقَ في الدُّنيا نصرانيٌّ		٤/ ٩١
لو أن أحدهم أنفَقَ مثلَ أحدٍ ذهباً	أبو هريرة	٣/ ٣٧٣
لو أنَّ رصاصة مثلَ هذه أُرسِلَتْ من السَّماء إلى الأرض	عبد الله بن عمرو	١٤/ ٥٧١
لو أنزلَ الله تعالى بهؤلاء الذين قالوا		٢/ ٤٢٦
لو تَعلمون ما أَعلمُ لضحِكْتُم قليلاً	أبو هريرة	١/ ١٩٨
لو تعلمون ما أعلم لضحكْتُم قليلًا ولبكيْتُم كثيرًا	عبد الله بن الزبير	٩/ ٢٠٠
لو تموا لِمَا خرجوا له ـ وفد بني نجرن ـ		٤/ ٩١

طرف الحديث	اسم الراوي	الجزء والصفحة
لو حبسَ اللهُ القَطْرَ عن أمَّتي عشر سنين...	أبو سعيد الخدري	١٤/ ٢٧٤
لو خرجَ هؤلاء الباقون لاضطرمَ الوادي عليهم نارًا	الحسن	١٤/ ٤٢٦
لو خَرَجوا وباهَلوا لَغَصُّوا بريقِهم		٤/ ٩١
لو شاء الله لجعلكم أغنياءَ لا فقيرَ فيكم	الحسن	١٢/ ٣٦٥
لو عمَدوا إلى أدنى بقرةٍ لأجزأتهم	أبو هريرة	٢/ ٢٥٦
لو فعل أبو جهلٍ لأخذته الملائكة	عبد الله عباس	١٥/ ٤١٧
لو كان الإيمانُ عند الثُّريَّا	أبو هريرة	١٤/ ٤١٨
لو لم يستعِن بصاحب السجن ما أغلق عليه ـ يوسف ـ	قتادة	٨/ ٤٠٣
لولا الأيمان لكان لي في أمرهما رأي	ابن عباس ومقاتل	١١/ ٩٤
لولا أنْ أشُقَّ على المؤمنين...		٣/ ٨
لولا أنَّ الرُّسلَ لا يُقتَلون لضَربتُ أعناقكما	نعيم بن مسعود	٦/ ١٥٠
لولا أنَّهم استثنَوا...	أبو هريرة	٢/ ٢٥٢
لولا بنو إسرائيل ما دوَّد طعامٌ	أبو هريرة	١٠/ ٣٢٢
لي خمسةُ أسماءٍ	جبير بن مطعم	٤/ ٤٧
ليت شعري ما فعلَ أبواي	محمد بن كعب	٢/ ٤٢٥
ليس أحدٌ من الناس إلا سيَرِدُ النار	عبد الله بن مسعود	٢/ ٢٣٠
ليس المسكينُ الذي تردُّه اللقُّمة واللقمتان	أبو هريرة	٧/ ٣٨٤
ليس بطلبِ دنيا ولكن عيادة مريضٍ	أنس بن مالك	١٤/ ٤٢٤
ليس بعارٍ أنْ يكون عبداً لله		٥/ ٢٧١
ليس من اللَّهوِ مباحٌ إلَّا ثلاثةٌ	عقبة بن عامر	٨/ ٣٢٩
ليس منَّا مَن حلق أو سلق	أبو موسى الأشعري	١٢/ ١٥٥
ليس منَّا مَن لم يَرحمْ صغيرَنا	عبد الله بن عباس	٣/ ٣٠٦

طرف الحديث	اسم الراوي	الجزء والصفحة
لِيَلِجْ عليكِ فإنَّه عمُّكِ	عائشة	٤/ ٤٩٠
ما أُبالي مَن خذلَني ومن نصرني		٥/ ٤٤٠
ما أبردها على الكبد	أنس بن مالك	١٥/ ٤٦٦
ما أُحلَّتِ الغنائم لأحدٍ من سودِ الرؤوس قبلَكم	أبو هريرة	٧/ ٢٤٩
ما أدِّي زكاتُه فليس بكنز	عمر بن الخطاب	٧/ ٣٢٥
ما أَذِنَ اللهُ لشيءٍ	أبو هريرة	١/ ٣٧٤
ما أراكِ إلَّا حرمْتِ عليه	محمد بن كعب القرظي	١٤/ ٣١٧
ما أصرَّ مَن استغفر	أبو بكر الصديق	٧/ ٤٢٨
ما أعطي آدميٌّ بعد النبوة أفضلَ من الشهادة		١١/ ٣٩٠
ما السماوات السبعُ في الكرسيِّ...	أبو ذر	٣/ ٣٢٩
ما السماوات والأرض مع آية الكرسي	أبو ذر	٣/ ٣٣٣
ما أنا بآكلٍ حتى تشهد شهادة الحق		١١/ ٢١٠
ما أنا بالذي أشُكُّ	عائشة	١٣/ ٢٨٨
ما أنا بزائدك	عكرمة	١٤/ ٣٢٤
ما أنا بقارئ	عائشة	١٥/ ٤٠٧
ما أوحى اللهُ إليَّ أنْ أجمعَ المالَ وأكونَ مِن التَّاجرين	أبو مسلم الخولاني	٩/ ٢٣٣
ما بالُ قومٍ يَلعبونَ بِحدود الله	أبو موسى الأشعري	٣/ ٢٤٢
ما بخِلتَ به مِن ولايةِ يهود على عبادةَ فهو لك		٥/ ٤١٤
ما بعثَ اللهُ تعالى بعدَه نبيًّا إلَّا وهو في كثرةٍ ـ لوط ـ	أبو هريرة	٨/ ٢٤٧
ما بعثني الله لعَّانًا		٤/ ٢٤٨
ما بقي من الأنصار في حقِّنا شيءٌ لم يفعلوه		٤/ ٣٢٠
ما تريد، أقتلك أم أفاديكَ	مالك بن عوف	٧/ ٣٠٥

طرف الحديث	اسم الراوي	الجزء والصفحة
ما تشاور قومٌ قطُّ إلا هُدوا لأَرْشدِ أمرهم		٤/ ٣٣٨
ما تَعُدُّون فيكم ابنَ سَلَام		١/ ٣٢٥
ما تقولون في الزنا والسرقة وشرب الخمر	عمران بن حصين	٤/ ٥٢٤
ما تقولون في صاحبيكم هذين؟	عبد الله بن مسعود	٧/ ٢٤٦
ما حملك على ذلك	عبد الله بن عباس	٣/ ٤٠٧
ما خرجَ رجلٌ مِن بيتِهِ يؤمُّ بقعةً يُذكَر اللهُ تعالى فيها	جابر بن عبد الله	٥/ ٣٠
ما خلا يهوديٌّ بمسلم إلَّا همَّ بقتله		٥/ ٤٥٦
ما سَفَكَ أحدٌ دماً حراماً إلا كان على ابنِ آدمَ الأوَّل	عبد الله بن مسعود	١٤/ ١٣٨
ما سَلَكَ عمرُ فجًّا...		٣/ ٥١٩
ما شاءَ اللهُ كان وما لم يَشأ لم يكن		٢/ ٨
ما عالَ امرؤٌ اقتصدَ	عبد الله بن مسعود	٤/ ٤٤٥
ما عُبِدَ إلهٌ تحت ظلِّ السماء أبغضُ إلى الله مِن هوًى	أبو أمامة الباهلي	١٣/ ٣٥٩
ما على هذا ألا يعمل عملاً بعد هذا		٧/ ٣٠١
ما غُزِي قومٌ في عقر دارهم إلَّا ذلُّوا		٥/ ١٠٢
ما كنت جديراً لهذا يا عمر		٣/ ٩٨
ما لي أرى حُمْرَةَ اللَّحمِ في أفواهكما	عبد الله بن عباس	١٠/ ٥١٧
ما لي أَسْمَعُ الجِنَّ أحسنَ جواباً لها منكم	جابر بن عبد الله	١٤/ ١٨٧
ما مدَّ الناس أيديَهم إلى شيء من السلاح...	عبد الله بن عباس	٧/ ٢٣٢
ما من أحدٍ إلا ويكلِّمه ربُّه	عدي بن حاتم	٦/ ٥٢٨
ما مِن خَدْشِ عودٍ...	قتادة	١٣/ ٢٤٢
ما من رجلٍ لا يؤدي زكاة ماله...	أبو هريرة	٧/ ٣٢٨
ما مِن رجلٍ مِنَ المسلمين يُخلِّفُ مِن بعدِه ذُرِّيَّةً...		٢/ ٤٥٢

طرف الحديث	اسم الراوي	الجزء والصفحة
ما من عبدٍ يدعو إلى خير...	أبو هريرة	١١/ ٤٨٨
ما مِن مسلمٍ إلا وله بابانِ في السماء	أنس بن مالك	١٣/ ٣٢٨
ما مِن مولودٍ إلَّا والشيطانُ يمسُّه حين يُولَد	أبو هريرة	٤/ ١٦
ما همَمْتُ بشيءٍ ممَّا كان أهل الجاهليَّة يفعلونه	علي بن أبي طالب	١٥/ ٣٩٠
ما ودَّعَكَ ربُّكَ وما قلاكَ		١٥/ ٣٨٣
ما يبكيك ـ رجل من الأنصار ـ		٥/ ٩٩
ما يمنعُكُم مِنَ الحَرْثِ	أنس بن مالك	١٤/ ٢٦٥
ما يمنعُكما عن الإيمان بي		٩/ ٤٨٨
متِّعنا بنفسِكَ يا أبا بكر	عبد الله بن مسعود	١٤/ ٣٤٤
متِّعها ولو بصاعٍ من تمر	جابر بن عبد الله	٣/ ٢٦٥
متِّعها ولو بقَلنسوتِكَ		٣/ ٢٦٤
مثَلُ الحواميم في القرآن مثَلُ الحِبَرات في الثياب		١٣/ ٨٢
مثَلُ المؤمنين في تراحمِهم...	النعمان بن بشير	٢/ ٣٠٨
مرحباً بالأخ الصالح		١٣/ ٣٣٣
مُرُوا بالمعروف وإنْ لم تَعملوا به كلِّه	أبو هريرة	٢/ ١٥٢
مرِّي فاقْصِدي الأنصار فإن لهم علينا حقوقاً	يزيد بن شجرة	٧/ ٤٧٢
المستغفِرُ من الذَّنب وهو مُصِرٌّ عليه...	عبد الله بن عباس	١/ ٣٤١
المسلمُ مَنْ سَلِمَ المسلمونَ مِن لسانِهِ ويدِهِ	عبد الله بن عمرو	٨/ ٥٠
المسلمون كنفسٍ واحدة		٥/ ٣٧٤
مسيرةُ شهرٍ للغراب	عتبة بن عبد السلمي	١/ ٤٤٠
المعدةُ بيتُ الدَّاء		٦/ ٣٢٩
مفاتحُ الغيب خمسةٌ	عبد الله بن عمر	٦/ ٩٤

طرف الحديث	اسم الراوي	الجزء والصفحة
مفتاح الجنَّة لا إله إلا الله	معاذ بن جبل	٢/ ٤٠٢
مفتاح القرآن التسمية		١/ ٤١
الملائكة شهداء الله في السماء	سلمة بن الأكوع	٧/ ٤٦٥
ملَكٌ مِن الملائكة موكَّلٌ بالسَّحاب	عبد الله بن عباس	٩/ ٣٨
مَن أحبَّ أن ينظر إلى الشيطان فلينظرْ إلى نبتلِ بن الحارث		٧/ ٣٩٣
مَن أحبَّ شيئاً أكثرَ مِن ذِكْره	عائشة	١/ ٥٠، ١١٢
مَن أحبَّ لقاءَ اللهِ	عائشة	٢/ ١٥٦
مَن أحبَّ لقاءَ اللهِ أحبَّ اللهُ لقاءَهُ	عبد الرحمن بن أبي ليلى	١٤/ ٢٧٨
من أحبَّني فقد أحبَّ الله		٥/ ١٢٣
مَن أحصاها دخلَ الجنَّةَ	أبو هريرة	٩/ ١٤٢
مَنْ أذنبَ ذنبًا...	عبد الله بن مسعود	٤/ ٢٦٤
مَن أذنَبَ وهو يضحَكُ دخَلَ النَّارَ وهو يبكي	عبد الله بن مسعود	١٤/ ١٤١
مَن أرادَ أنْ يَنْظرَ إلى يوم القيامةِ	عبد الله بن عمر	١٥/ ٢٢٨
مَن أطاعَني فقد أطاعَ الله	أبو هريرة	٥/ ٧٧
مَن أكرمَ مؤمناً فقد أكرَمَني		١٤/ ٦٥
من الحزم أن تستشيروا ذوي الرأي		٤/ ٣٣٨
مَن أهان لي ولياً...	أبو هريرة	٣/ ٤١٨ و١١/ ٢٢٩
مَن أهانَ لي وليًّا فقد بارَزَني بالمُحاربة	أنس بن مالك	١٤/ ٦٥
مَن بدأ بالدُّعاء قبل الثَّناء...		١/ ١٤٩
مَن برَّت يمينُه	أنس بن مالك	٣/ ٤٧٠

طرف الحديث	اسم الراوي	الجزء والصفحة
مَنْ تابَ قبلَ موتِه بسنةٍ تابَ اللهُ عليه	عبادة بن الصامت	٤/ ٤٧٥
مَن تتبَّعَ عورةَ أخيه المسلمِ تتبَّع اللهُ عورتَه	عبد الله بن عمر	١٣/ ٥١٩
مَن تركَ صلاةً...		١/ ٢٤٤
مَن ترك صلاة متعمِّداً فقد كفر	أنس بن مالك	١٢/ ٣٢
مَن تقرَّبَ إليَّ شِبْراً تقرَّبْتُ إليه ذراعاً	أبو هريرة	١٣/ ٢١٩
مَن توضَّأ فأحسنَ الوضوء...	عثمان بن عفان	٣/ ٢٣
مَن جعلَ همومَهُ همًّا واحداً...	عبد الله بن مسعود	٢/ ٢٦٨
مَن جهَّز غازياً فقد غزا	زيد بن خالد	٥/ ١٣٣
مَنْ حَجَّ هذا البيتَ فلم يرفثْ ولم يفسقْ...	أبو هريرة	٤/ ١٦٢
من حجَّ ولم يرفث ولم يفسق	أبو هريرة	٣/ ١٤٨
مَن حلَفَ على مالِ أخيه فاقتطعه ظلماً...		٤/ ١١٩
مَن حلفَ على يمينٍ...	أبو هريرة	٣/ ٢٢٣ و٥/ ٤٧٢
من دعا لأخيه المسلم بظهر الغيب...	أبو الدرداء	٥/ ١٣٤
مَن دلَّ على خيرٍ فله مثلُ أجرِ مَن عَمِله	أبو مسعود الأنصاري	٧/ ٤٤٢
من رأى الأعمى...	عبد الله بن عباس	١٥/ ٢١٤
مَن رأى شيئاً يعجبُه...	أنس بن مالك	١٠/ ٧٨
مَن رأى في المنام أنَّه غرق فهو في النَّار	أبو بكرة	١٥/ ٣٦
مَن رمَى بسهم في سبيل الله...	مكحول	٧/ ٢٣٣
من ساعةٍ إلى ساعةٍ يَظهر...		٩/ ٤٠١
مَن سرَّه أنْ تقوم له الرجال صُفوناً فليتبوَّأ مقعدَه مِن النار	معاوية	١٢/ ٤٩٥
مَن سَنَّ سُنَّةً حسنةً...	جرير بن عبد الله	٢/ ١٤٣ و٩/ ٢٥٩ و١٥/ ١١٧

طرف الحديث	اسم الراوي	الجزء والصفحة
من سنَّ سنةً سيِّئةً	جرير بن عبد الله	٥/ ٣٧٤ و١٤/ ١٣٨
مَن سُئل عن علمٍ وهو عنده فكتمه	أبو هريرة	٤/ ٣٧٧
مِن شأنِه أنْ يَغْفِرَ ذَنْباً...	عبد الله الأزدي	١٤/ ١٩٧
من صام رمضان وقامه...	أبو هريرة	٧/ ٤٧١
مَن صبر على المصيبة...	علي بن أبي طالب	٣/ ٤٩٠
مَن صنَع كذا فله كذا	عبد الله بن عباس	٧/ ١٢١
من عَرَفَ نفسه فقد عرف ربَّه		٢/ ٤٥٨
مَن عُقِرَ جوادُه...	عبد الله بن عمرو	١٤/ ١٦٥
مَن عَمِل منكم خيراً في الدنيا فجزاؤه في الآخرة	أبو أيوب الأنصاري	١٥/ ٤٤٤
من غصبَ شبراً من أرض...	سعيد بن زيد	٦/ ٥٢
مَن غصَب شبراً من أرضٍ...	عائشة	٤/ ٣٤٤
مَن فاتتهُ العصرُ	عبد الله بن مسعود	٣/ ٢٧٢
مَنْ فارقَ الجماعةَ قيدَ شبرٍ	أبو ذر الغفاري	٤/ ١٨٧
مَن فسَّر القرآنَ برأيه		١/ ١٥
مَن فطَّرَ صائماً فله مِثْلُ أَجْرِه	زيد بن خالد الجهني	١٤/ ٨٠
مَن قاتَلَ لتكون كلمةُ الله هي العُليا...	أبو موسى الأشعري	٣/ ٢٨٥ و٤/ ٣٠٢ و٧/ ٢٢٠
مَن قال كلَّ صباحٍ ومساءٍ	عبد الله بن عمرو	١٠/ ٢٤٣
من قُتِلَ دون مالِه فهو شهيدٌ		٥/ ٣٦٥
مَن قتل قتيلاً فله كذا	أبي بن كعب	٧/ ٢٤١
مَن قرأ (طسم القصص) كان له من الأجر عشرُ حسنات	مكحول	١١/ ٣٩٧

طرف الحديث	اسم الراوي	الجزء والصفحة
من قرأ ﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ﴾ السجدة و﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ فهما القرينان	أبي بن كعب	١٢/ ١٢٤
مَنْ قرأ ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ﴾ حاسبَه اللهُ حسابًا يسيرًا	أبي بن كعب	١٥/ ٣١٧
من قرأ اقتربت الساعة غِبًّا		١٤/ ١٤٩
مَن قرأ القرآنَ فقد كلَّمَ اللهَ تعالى	عبد الله بن عباس	١/ ٢٠٩
من قرأ القرآن كُتب له بكلِّ حرفٍ...	أبي بن كعب	١/ ١١٧
مَن قرأ الممتحنةَ كان له المؤمنون والمؤمنات شفعاءَ يومَ القيامة	أبو أمامة	١٤/ ٣٧٧
من قرأ آية الكرسيِّ...	علي بن أبي طالب	٣/ ٣٣٤
مَن قرأ بعد الفجر إحدى عشرةَ مرةً...	جابر بن عبد الله	١٥/ ٥٣٠
مَنْ قرأ ثلاثَ آياتٍ مِن أوَّل سورةِ الأنعام...	أبي بن كعب	٦/ ٩
مَن قرأ حم الزُّخْرُف كان ممَّنْ يُقالُ له يوم القيامة: ﴿يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾	أبي بن كعب	١٣/ ٢٦٣
مَن قرأ حم المؤمن...	أبي بن كعب	١٣/ ٨١
من قرأ سورة ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ﴾ أعطي عشر حسنات	أبي بن كعب	١٤/ ٣٧
مَن قرأ سُورةَ ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾ أعاذه اللهُ أن يعطيَه كتابَه وراءَ ظهرِه	أبي بن كعب	١٥/ ٢٦٥
مَن قرأ سورةَ ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ أعاذه الله تعالى أن يفضحَه حين تُنْشَرُ صحيفتُه	أبي بن كعب	١٥/ ٢٢٧
مَن قرأ سورة ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾ أعطي من الأجر كمَن شهد مع محمد ﷺ يومَ فتح مكة	أبي بن كعب	١٥/ ٥١٥
مَن قرأ سورة ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾ أُعطي من الأجر كأنما قرأ المفصَّل	أبي بن كعب	١٥/ ٤٠٧
من قرأ سورة ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ أعاذه الله تعالى أيامَ حياته من القذف	أبي بن كعب	١٥/ ٤٧٩
مَن قرأ سورة ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ﴾ أُعطي من الأجر...	أبي بن كعب	١٥/ ٣٩٥
مَن قرأ سورة ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾ عفَا الله أن يحاسبه بالنعم	أبي بن كعب	١٥/ ٤٦١

طرف الحديث	اسم الراوي	الجزء والصفحة
مَنْ قرأ سورةَ ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا﴾ كان من المؤمنين	أبي بن كعب	١٥/ ٢١
من قرأ سورة ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ سقاه الله تعالى من كلِّ نهر في الجنة	أبي بن كعب	١٥/ ٥٠٣
مَن قرأ سورةَ ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ أُعطي من الأجر كمَن صام رمضان	أبي بن كعب	١٥/ ٤٢١
مَن قرأ سورة ﴿تَبَّتْ﴾ أرجو ألا يجمَع الله بينه وبين أبي لهب	أبي بن كعب	١٥/ ٥٢١
مَنْ قرأ سورةَ ﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ﴾ أعطاه الله تعالى ثواب الذين هم لأماناتِهم وعهدهم راعون	أبي بن كعب	١٥/ ٥
مَنْ قرأ سورةَ ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ أعطاه الله عشر حسنات	أبي بن كعب	١٥/ ٣٠٥
مَن قرأ سورة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ أُعطي من الأجر كأنما قرأ ثلثَ القرآن	أبي بن كعب	١٥/ ٥٢٩
مَن قرأ سورة ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ كأنما قرأ ربعَ القرآن	أبي بن كعب وأنس بن مالك	١٥/ ٥١١
مَن قرأ سُورةَ ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ شهدْتُ له أنا وجبريل	أبي بن كعب	١٥/ ١١١
مَن قرأ سورة ﴿لَمْ يَكُنِ﴾ كان له من الأجر كالذي يكون يوم القيامة مع خيرِ البريَّة	أبي بن كعب	١٥/ ٤٣٣
مَن قرأ سُورةَ ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ﴾ كانَ جزاؤُه على الله جنَّةً...	أبي بن كعب	١٥/ ١٢٩
مَن قرأ سورة ﴿وَٱلتِّينِ﴾ أعطاه الله تعالى خَصلتين...	أبي بن كعب	١٥/ ٤٠١
مَنْ قرأ سورةَ ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ﴾ أعطاهُ اللهُ تعالى بعدد كلِّ يومِ عرفَةَ...	أبي بن كعب	١٥/ ٢٧٧
مَن قرأ سورةَ ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ﴾، أعطاه الله تعالى عشرَ حسنات	أبي بن كعب	١٥/ ٢٩٥
مَن قرأ سورةَ ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾ جعلَه اللهُ يوم القيامة فيمَن يرضَى لمحمَّدٍ	أبي بن كعب	١٥/ ٣٨٣
مَن قرأ سُورةَ ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ﴾ كان حبسُهُ في القبرِ	أبي بن كعب	١٥/ ١٩٤
مَن قرأ سُورةَ إبراهيمَ أُعْطِيَ مِنَ الأجرِ عَشرَ حسناتٍ	أبي بن كعب	٩/ ٩٣
مَنْ قرأ سورةَ ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ﴾ كُتِبَ له بعددِ كلِّ قطرةٍ من ماءٍ حسنةٌ	أبي بن كعب	١٥/ ٢٤١

طرف الحديث	اسم الراوي	الجزء والصفحة
مَنْ قرأ سُورةَ ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾ بَرئَ مِنَ النِّفاقِ	أبي بن كعب	١٤/ ٤٢٦
مَن قرأ سورة ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ﴾ أُعطي من الأجر كأنما قرأ سورة البقرة	أبي بن كعب	١٥/ ٤٣٩
مَن قرأ سورة ﴿أَرَءَيْتَ﴾ غفر الله له إن كان مؤدياً للزكاة	أبي بن كعب	١٥/ ٤٩٧
من قرأ سورة آل عمران	عبد الله بن عباس	٣/ ٤٤٩
مَن قرأ سورة آل عمران	أبي بن كعب	٤/ ٤٠٩
مَن قرأ سورة الأحزاب وعلَّمها ملكَ يمينه...	أبي بن كعب	١٢/ ١٢٧
مَن قرأَ سورةَ الأحقافِ كتبَ اللهُ له بكل رَملٍ في الدنيا عشرَ حسناتٍ	أبي بن كعب	١٣/ ٣٧١
من قرأ سورةَ الأعرافِ...	أبي بن كعب	٦/ ٢٧٩
من قرأ سورة الأنبياء حاسبه الله حساباً يسيراً...	أبي بن كعب	١٠/ ٣٦٥
من قرأ سورة الأنفال وبراءة...	أبي بن كعب	٧/ ٢٦١
مَن قرأ سورة الأنفال وبراءةَ فأنا شفيعُه يوم القيامة	أبي بن كعب	٧/ ١١٨
مَنْ قرأ سورةَ التَّغابُنِ دفعَ اللهُ تعالى عنه موتَ الفَجأة	أبي بن كعب	١٤/ ٤٤٣،
مَن قرأ سورةَ الجُمُعَة...	أبي بن كعب	١٤/ ٤١٥
مَن قرأ سورة الجنِّ كان له من الأجر بعدد كلِّ جنِّيٍّ صدَّق بمحمَّد	أبي بن كعب	١٥/ ٣٧
مَنْ قرأ سورة الحاقَّة حاسبَه اللهُ تعالى حساباً يسيراً	أبي بن كعب	١٤/ ٥٥٣
مَن قرأ سورة الحج أُعطي من الأجر بعددِ مَن حج	أبي بن كعب	١٠/ ٤٥٩
مَن قرأ سورة الحِجْرِ كانَ له مِنَ الأجرِ عشرُ حسناتٍ	أبي بن كعب	٩/ ١٦٥
مَن قرأ سورةَ الحُجُراتِ أُعْطِيَ عشرَ حسناتٍ بعدَدِ مَن أطاعَ اللهَ وعصاه		١٣/ ٤٨٧
مَنْ قرأ سورةَ الحديد كُتِبَ مِن الذين آمنوا باللهِ ورُسُلِه	أبي بن كعب	١٤/ ٢٨١
مَن قرأ سورةَ الحشرِ...	أبي بن كعب	١٤/ ٣٤٧
مَن قرأ سُورةَ الرَّحمنِ رَحِمَ اللهُ ضَعْفَه	أبي بن كعب	١٤/ ١٧٥

طرف الحديث	اسم الراوي	الجزء والصفحة
مَنْ قرأ سورة الرَّعد كان له من الأجر وزنَ كلِّ سحابٍ مضى	أبي بن كعب	٩/ ٧
مَن قرأ سورة الروم كان له من الأجر عشرُ حسناتٍ	أبي بن كعب	١٢/ ٧،
مَن قرأ سورة الزُّمَر لم يَقْطَعِ الله رجاءه	أبي بن كعب	١٣/ ٧
مَن قرأ سورة الصَّف كان عيسى بن مريم صلوات الله عليه مصلّيًا عليه	أبي بن كعب	١٤/ ٤٠٣
مَن قرأ سورة العنكبوت كان له من الأجر عشرُ حسنات	أبي بن كعب	١١/ ٤٧٧
مَن قرأ سورةَ الفَتْحِ كان له مِن الأجر كأنما كان مِمَّن بايعَ محمداً	أبي بن كعب	١٣/ ٤٣٧
مَن قرأ سورة الفرقان بعثه الله يوم القيامة وهو موقنٌ	أبي بن كعب	١١/ ١٨٧
مَن قرأ سورةَ الفلق وسورةَ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ أُعطي من الأجر...	أبي بن كعب	١٥/ ٥٤٣
مَن قرأ سورة القارعة ثقَّل الله بها ميزانه	أبي بن كعب	١٥/ ٤٥٥
مَن قرأ سورةَ الكهف فهو معصومٌ	أبي بن كعب	١٠/ ٧
مَن قرأ سورةَ المائدة...	علي بن أبي طالب	٥/ ٢٨٤
مَن قرأ سورةَ المائدةِ شَفِعَ له عيسى عليه السَّلام	أبي بن كعب	٥/ ٥٤٤
مَن قرأ سورة المدَّثر أعطاه الله تعالى عشر حسنات	أبي بن كعب	١٥/ ٨١
مَن قرأ سُورةَ المزمِّل دفع الله عنه العسرَ	أبي بن كعب	١٥/ ٦١
مَنْ قرأ سورةَ المطفِّفين سقاه الله تعالى من رحيقٍ مختومٍ	أبي بن كعب	١٥/ ٢٤٩
مَن قرأ سورة الملائكة دَعَتْه يوم القيامة ثمانيةُ أبوابِ الجنة	أبي بن كعب	١٢/ ٢٨٣
مَن قرأ سورة المؤمنين بشرته الملائكةُ بالرَّوح والريحان	أبي بن كعب	١١/ ٧
مَن قرأ سورةَ النَّحل لم يحاسبْهُ اللهُ يومَ القيامةِ بما أنعمَ عليه	أبي بن كعب	٩/ ٢٣٧
مَن قرأ سورة النساء...	عبد الله بن عباس	٤/ ٤١٦
مَن قرأ سورةَ النِّساء...	أبيُّ بن كعب	٥/ ٢٧٩
مَن قرأ سورة النور كان له عشرُ حسنات بعددِ كلِّ مؤمنٍ	أبيُّ بن كعب	١١/ ٨١

طرف الحديث	اسم الراوي	الجزء والصفحة
مَنْ قرأ سورةَ الواقعةِ في كلِّ ليلةٍ لم تصبْه فاقةٌ أبدًا	أبي بن كعب	١٤/ ٢٣١
مَنْ قرأ سورةَ الواقعةِ لم يُكْتَبْ مِن الغافلِيْن	أبي بن كعب	١٤/ ٢٣١
مَن قرأ سورةَ بني إسرائيل فرقَّ قلبُه عند ذكر الوالدَين...	أبي بن كعب	٩/ ٣٥٩
من قرأ سورة ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ﴾ فكأنَّما أحيا ليلة القدر	أبي بن كعب	١٤/ ٥٠١
من قرأ سورة تنزيل السجدة وتبارك فكأنما أحيَى ليلة القدر	أبي بن كعب	١٢/ ٩٧
مَن قرأ سورةَ حم الجاثية سكَّنَ اللهُ رَوْعَه	أبي بن كعب	١٣/ ٣٤٥
مَن قرأ سورة حم الدخان في ليلة جُمُعةٍ غفرَ اللهُ تعالى له	أبي بن كعب	١٣/ ٣١٣
مَن قرأ سورة ﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ﴾ كان ممن تُصَلِّي عليه الملائكةُ ويَسْتَرْحِمون له	أبو هريرة	١٣/ ٢٠٥
مَن قرأ سورة يس في ليلةٍ ابتغاءَ وجه الله تعالى غَفر الله له تلك الليلة	أبي بن كعب	١٢/ ٣٣٢
مَن قرأ سورة سبأ لم يبق نبي مرسل إلا كان له رفيقاً	أبي بن كعب	١٢/ ٢٢١
مَن قرأ سورة ص كان له بوزن كل جبلٍ سخَّره الله تعالى لداود...	أبي بن كعب	١٢/ ٤٦١
مَن قرأ سورة طسم الشعراء كان له عشرُ حسنات	أبيُّ بن كعب	١١/ ٢٥١
مَن قرأ سورة طه أُعطي يوم القيامة ثواب المهاجرين	أبي بن كعب	١٠/ ٢٥٣
مَنْ قرأ سورة عبس وتولَّى كان وجهُه يوم القيامة ضاحكًا مستبشرًا	أبي بن كعب	١٥/ ٢١٣
من قرأ سورةَ ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ﴾ سَقاه الله من بَرْدِ شرابِ الجنَّة	أبي بن كعب	١٥/ ١٧٧
مَن قرأ سُورةَ ﴿قٓ﴾ هوَّن اللهُ عليه...	أبي بن كعب	١٤/ ٥
مَن قرأ سورة لا أقسم بهذا البلد أعطاه الله تعالى الأمانَ	أبي بن كعب	١٥/ ٣٥٥
مَن قرأ سورة ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ﴾ أعطاه الله تعالى عشر حسنات بعددِ مَن طاف	أبي بن كعب	١٥/ ٤٩١
مَن قرأ سورة لقمان كان لقمانُ له يومَ القيامة رفيقاً	أبي بن كعب	١٢/ ٥٣،
مَن قرأ سورة محمد كان حقًّا على الله تعالى أنْ يَسْقِيَه مِن أنهار الجنة	أبي بن كعب	١٣/ ٤٠٧
مَن قرأ سورةَ مريم أُعطي عشرَ حسناتٍ	أبي بن كعب	١٠/ ١٦١

طرف الحديث	اسم الراوي	الجزء والصفحة
مَن قرأ سورةَ ﴿نٓ وَٱلۡقَلَمِ﴾ كان له ثوابُ الذين أحسنَ الله أخلاقَهم	أبي بن كعب	١٤/ ٥١٩
مَن قرأ سورة هود أُعطِيَ مِن الأجر عشرَ حسناتٍ	أبي بن كعب	٨/ ١٥١
مَن قرأ سورةَ ﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا﴾ فكأنّما تصدَّقَ بكلِّ شيءٍ	أبي بن كعب	١٥/ ٣٦٧
مَنْ قرَأ سورةَ ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ﴾ أُعطيَ مِنَ الأجرِ عشرَ حسناتٍ	أبي بن كعب	١٢/ ٣٨٧
مَن قرأ سُورةَ ﴿وَٱلطُّورِ﴾ كان حقًّا على الله تعالى أنْ يُؤَمِّنَه مِن عذابه	أبي بن كعب	١٤/ ٦٧
مَن قرأ سورة ﴿وَٱلۡعَٰدِيَٰتِ﴾ أعطي من الأجر عشرَ حسنات	أبي بن كعب	١٥/ ٤٤٧
مَن قرأ سورة ﴿وَٱلۡعَصۡرِ﴾ ختم الله له بالصبر	أبي بن كعب	١٥/ ٤٦٩
مَن قرأ سُورةَ ﴿وَٱلۡفَجۡرِ﴾ في ليالِ العَشْرِ غَفَرَ اللهُ له		١٥/ ٣٢٩
مَن قرأ سورةَ ﴿وَٱلَّيۡلِ﴾ أعطاهُ اللهُ تعالى حتَّى يرضَى	أبي بن كعب	١٥/ ٣٧٥
مَن قرأ سُورةَ ﴿وَٱلنَّجۡمِ﴾ أُعْطِيَ عشرَ حسناتٍ	أبي بن كعب	١٤/ ٩٧
مَن قرأ سورة ﴿وَيۡلٞ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ﴾ أعطاه الله عشر حسنات	أبو هريرة	١٥/ ٤٧٣
مَن قرأ سورةَ يس كان كمَن قرأ القرآن عشرَ مرات	أبي بن كعب	١٢/ ٣٣٢
مَنْ قرأ سورةَ يونُسَ أُعْطِيَ مِنَ الأجر عشرَ حسناتٍ	أبي بن كعب	٨/ ٧
من قرأ ﴿طسٓ﴾ سليمان كان له من الأجرِ عشرُ حسنات	عمر بن الخطاب	١١/ ٣٢١
مَن قرأ عند مضجعه آخرَ سورة الكهف..	أبو هريرة	١٠/ ٧
مَن قرأ في ليلةٍ سورة آلِ عمران	أبو هريرة	٣/ ٤٤٩
مَن قرأ في ليلةٍ سورة تنزيل السجدة	أبي بن كعب	١٢/ ٩٨
مَن قرأ ﴿قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ﴾ كان يومَ القيامة مِن حزب الله	أبو هريرة	١٤/ ٣١٥
مَن قرأ هاتين الآيتين...	أبي بن كعب	٣/ ٣٣٣
مَن قرأ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ مات على سنة رسول الله ﷺ	أبي بن كعب	١٤/ ٤٥٧
مَن قرأ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ﴾ أعطاه الله تعالى توبة نصوحًا	عبد الله بن الزبير	١٤/ ٤٧٥
مَن قرأ يس أمام حاجته قُضيت له	أبي بن كعب	١٢/ ٣٣٣

طرف الحديث	اسم الراوي	الجزء والصفحة
مَن قرأ: حم السجدة أُعْطِيَ بكلِّ حرف عشرَ حسناتٍ	صفوان بن سليم	١٣/ ١٤٧
مَن قطعَ ميراثاً فرضَه اللهُ تعالى...	عبد الله بن عمر	٤/ ٤٦٥
مَن قَفَا مسلماً بما ليس فيه...	عبد الله بن عباس	٩/ ٤٠٩
مَن كان عليه مُحَرَّرٌ مِن ولد إسماعيل فليُعْتِقْ بعضَهم	زيد بن أسلم	١٣/ ٤٩٩
مَن كان له مسكنٌ وزوجةٌ وخادمٌ فهو مَلِك	أبو هريرة	٥/ ٣٤٨
من كانت له امرأتان...	جابر بن عبد الله	٥/ ٢١٦
مَنْ كَثُرَتْ صلاتُهُ باللَّيلِ...	جابر بن عبد الله	٤/ ٦٦
مَن كثُرَتْ صلاتُه بالليل حَسُنَ وجهُه بالنهار	أبو موسى الأشعري	١٣/ ٤٧٩
مَن لعبَ بالنَّرد فقد عصى اللهَ ورسولَه		٥/ ٤٨٠
مَن لم يرضَ بقضائي...	سعد بن معاذ	١/ ٩٢
مَن لي بمن يؤذيني...	جابر بن عبد الله	٥/ ١٤١
مَنْ ماتَ في أحدِ الحرمَيْنِ...		٤/ ١٦٩
مَنْ ماتَ ولم يحجَّ حجَّةَ الإسلامِ...	عبد الله بن مسعود	٤/ ١٧٧
مَن منع زكاةَ ماله...		٤/ ٣٧٦
مَن نَسي صلاةً فليصلِّها إذا ذكرها	عائشة	١٠/ ٢٦٨
مَن نُوقِش الحساب عُذِّبَ	عائشة	٣/ ٥٠٤ و١٥/ ٢٦٩
مَن وضعَ الحكمةَ في غيرِ أهلِها	أنس بن مالك	٦/ ٨١
مَن يأخذ هذا السيفَ بحقِّه		٤/ ٢٧٧
مَن يقوم إلى هذا فيقتله؟	علي بن أبي طالب	٧/ ٣٨١
مَهْ يا عمرُ	أبو هريرة	٣/ ٥٢٥
المؤمنُ أَلِفٌ مألوفٌ حَيِيٌّ		١/ ٢٣٠
المؤمنُ تكون له الذُّنوب فيُجازَى بها عندَ موتِهِ	أبو هريرة	٨/ ١٧٤

طرف الحديث	اسم الراوي	الجزء والصفحة
المؤمنُ غِرٌّ كريم، والمنافق خِبٌّ لئيم	أنس بن مالك	٧/ ٣٩٤
المؤمنُ فَطِنٌ حَذِرٌ وقَّافٌ	شريح	١/ ٢٣٠
المؤمنُ مَن أَمِنَ جارُه بَوَائِقَهُ	مكحول	١/ ٢٣٠
المؤمنُ هيْنٌ ليْنٌ	جابر بن عبد الله	١/ ٢٣٠
المؤمنُ واهٍ راقعٌ	عبد الله بن عمر	١/ ٢٣١
المؤمنُ يأكل في معًى واحد	أبو ذر الغفاري	٦/ ٤٨٠
مئةُ ألفٍ وأربعةٌ وعشرون ألفاً ـ عدد الأنبياء ـ		٥/ ٢٦٣
ناسٌ قُتلوا في سبيل الله منَعَهم الجنةَ معصيتُهم آباءَهم	أبو هريرة	٦/ ٣٥٥
نحن الآخِرون الأولون	أبو هريرة	١٤/ ٤٣٩
نحنُ الآخرونَ السَّابقون	عبد الله بن عمر	٨/ ١٢
نحنُ أمّةٌ أُميّةٌ		٤/ ١١٤
نحن نستغفر لهم ـ من مات على الكفر ـ	أنس بن مالك	٧/ ٤٩٠
نزلت عليَّ سورة أنفاً...	عمار بن ياسر	١٥/ ٥٠٦
نَزلَت وعليها حيتانٌ وأرغفة	عبد الله بن عباس	٥/ ٥٣٦
نُصرت بالصَّبا	عبد الله بن عباس	١٤/ ٥٦
نُصِرْتُ بالصَّبا وأُهلكت عادٌ بالدَّبور		٧/ ٢١٨
نصيبي منه لك، فكيف تصنعُ بأنصباء المسلمين	عبد الله بن عباس	٧/ ٣٠٤
نعم، ثم يُميتك ثم يبعثك ثم يدخلك نار جهنم	عكرمة	١٢/ ٣٨١
نعم، كلُّ شيءٍ يؤذي المؤمنَ فهو له مصيبةٌ	عبد الله بن مسعود	٣/ ١٤
نفَثَ في رُوعِي...		١٣/ ٢٥٦
نم في مضجعي وتَسَجَّ ببُرْدي		٧/ ١٩٠
نهاني الله عن طرد هؤلاء	المغيرة بن شعبة	٦/ ٧٩

طرف الحديث	اسم الراوي	الجزء والصفحة
نهى النَّبيُّ ﷺ عن قِيْلٍ وقالٍ		٨/ ٧٧
نَهى عمَّا قتله الصِّرُّ من الجراد		٤/ ٢٢٠
هاكَ بأمانةِ الله تعالى ـ مفتاح الكعبة ـ	سعيد بن جبير	٥/ ٧٤
هذا ابنُ عمِّكَ أتاك في خمس مئة فارس	عبد الله بن عباس	١٣/ ٤٧١
هذا بقيَّة آبائي	أبو هريرة	٢/ ٤٦٧
هذا بيني وبينَ عَبْدي نصفَين		١/ ١٤٢
هذا حِيْن جَلاها	عبد الله بن مسعود	١٥/ ٣٦٩
هذا صراطُ الله مستقيماً		٦/ ٢٥٧
هذا لعبدي ولعبدي ما سأل		١/ ١٤٩
هذا مِنهم ـ الذين لم يلبسوا إيمانهم بظلم ـ	أبو هريرة	٦/ ١٣٣
هذا وقومُه	علي بن أبي طالب	١٣/ ٤٣٣
هذان حرام على ذكور أمتي	أبو هريرة	٢/ ١١٥
هذه أختي ـ قالها إبراهيم عن زوجته أمام الظالم		١١/ ٢٨١
هذه السورةُ لو كانت في التوراة...		١/ ٨٧
هذه أمَّتي بالحقِّ يأخذون ويعطون		٧/ ٨٥
هذه عير قريش فيها أموالُهم		٧/ ١٣٣
هكذا مَن يُوقَ شحَّ نفسه	سعيد بن المسيب	٤/ ٤٢٤
هل ابْتَعْتَ من هذا الأعرابيِّ شيئاً؟	ابن زيد	١٥/ ٤١٦
هل أخبرتكم أنَّا نأتيه هذا العامَ؟	عبد الله بن عباس	١٣/ ٤٧٦
هل أعطاكَ أحدٌ شيئاً؟	جندب بن سفيان	٥/ ٤٢٢
هل أنت إلا إصبعٌ دَميت	عبد الله بن عباس	١/ ٣٧٤
هل تجد فيما أنزلَ اللهُ تعالى أنَّ اللهَ تعالى يُبغِضُ الحبرَ السَّمين؟	أبو هريرة	٦/ ١٤٥

طرف الحديث	اسم الراوي	الجزء والصفحة
هل تدرون أيُّ القرآنِ أعظمُ؟	أنس بن مالك	٣/ ٣٣٤
هل تدرون ما الكوثر؟		١٥/ ٥٠٦
هل تعرفون غلاماً شاباً أبيضَ أمردَ أعور؟		٥/ ٣٩١
هل تعطوني كلمةً إنْ تكلَّمتُم بها ملَكتُم العربَ؟	عبد الله بن عمر	٦/ ١٧٨
هل جزاءُ مَن أَنْعَمْتُ عليه بمعرفتي إلا أنْ أُسْكِنَه في جَنَّتي	أنس بن مالك	١٤/ ٢١٧
هل جزاءُ مَن أنعَمْنا عليه بالتَّوحيدِ إلا الجنَّةُ	عائشة	١٤/ ٢١٧
هل علمتِ يا عائشةُ أن الله تعالى قد دلَّني على ما بي؟		١٥/ ٥٤٤
هل لك في جِلَاد بني الأصفر؟	عبد الله بن مسعود	٧/ ٣٦٧
هل هو إلَّا تمرٌ وماء؟	عبد الله بن عباس	١٥/ ٤٠
هل وجَدْتَ في التوراةِ أن الله تعالى يُبغض الحَبْرَ السَّمين؟	أبي بن كعب	١/ ٢٧٩
هلا جئتني إذ دعوتُك	أسامة بن زيد	٧/ ١٧٤
هلَّا شققت عن قلبه	صفية بنت حيي	٥/ ١٦٠
هلا قلتِ: إنَّ أبي هارونُ...	عبد الله بن عباس	١٣/ ٥١٢
هم الَّذين إذا رُؤوا ذُكِرَ اللهُ ـ أولياء الله ـ	عائشة	٨/ ٩٣
هم الذين يصلون ويزكون	أبو هريرة	١١/ ٤٣
هم الشهداء، وهم متقلِّدو السيوفِ		٤/ ٣٥٧
هم قومُ هذا ـ أبو موسى الأشعري ـ		٥/ ٤١٩
هم قومُ هذا ـ سلمان الفارسي ـ	أبو أمامة	٥/ ٢١٩
هما النَّجدان	أنس بن مالك	١٥/ ٣٦١
هُنَّ اللَّاتي كُنَّ في دارِ الدُّنيا	أبو سعيد الخدري	١٤/ ٢٥٢
هن ناقصاتُ العقلِ والدِّين	أبو الدرداء	١/ ٣٠٩
هنَّ يَحْطُطْنَ الخطايا ـ في عدد من الأذكار ـ	عائشة	١٠/ ٨٧

طرف الحديث	اسم الراوي	الجزء والصفحة
هو أحسنُ خَلْقًا، وأنا أحسنُ خُلُقًا	أبو هريرة	٨/ ٣١٦
هو أن تعبدَ الله كأنَّك تراه	عبد الله بن عباس	٥/ ٢٠٢
هو أنْ يُطاعَ فلا يُعْصَى		١/ ٢٢٤
هو رِزقٌ أخرجهُ اللهُ لكم	عبد الله بن مسعود	٥/ ٤٩٧
هو شافعٌ مشفَّع وماحِلٌ مصدَّق		٩/ ٤١
هو عبدُ الله وابنُ أَمَته	عائشة	٤/ ٨٠
هو قولُ اللهِ تعالى: لولا العِتابُ ما كان معَ أُمَّتِكَ الحِسابُ	أبو سعيد الخدري	١٤/ ١١٣
هو مسجد هذا	أبو سعيد الخدري	٧/ ٤٧١
هو من بهيمة الأنعام	أبو هريرة	٥/ ٢٨٨
هو موتُ العلماءِ	أبو الدرداء	٩/ ٨٦
هي الرُّؤيا الصَّالحة يراها المسلمُ أو تُرى له ـ ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ ـ	أبي بن كعب	٨/ ٩٥
هي السَّبعُ المثاني والقرآنُ العظيمُ ـ الفاتحة ـ	أبو هريرة	٩/ ٢١٩
هي الوجه الحسن	عثمان بن عفان	١٢/ ٢٨٥
هي سبحانَ الله، والحمدُ لله، ولا إله إلا الله، واللهُ أكبرُ	ابن محيريز	١٣/ ٢١٧
هي سبعون درجةً ـ الجنة ـ	أبي بن كعب	٥/ ١٦٤
هي فاتحةُ الكتاب ـ السبع المثاني ـ	الحسن مرسل	٩/ ٢١٨،
هي مئةُ درجةٍ مِن فِضَّةٍ	عبد الله بن عباس	١٤/ ٢٠٨
وإذا أردتَ بقومٍ فتنة...	أبي بن كعب	١١/ ٦٣
واعلم أنَّ ما أصابَكَ لم يكن ليُخطِئَكَ	عبد الله بن مسعود	٣/ ١٢
والذي بعثني بالحق لو قرأها موقنٌ على جبلٍ لذاب	عبد الله بن عباس	١١/ ٧٧
والذي نفسي بيدِه لا يقولها أحدٌ منهم إلَّا غصَّ بريقِه		١٤/ ٤٢٠

طرف الحديث	اسم الراوي	الجزء والصفحة
والذي نفسي بيده ما أعطيكم شيئاً ولا أمنعُكم، إنما أنا خازن	أبو هريرة	٧/ ٣٨١
والذي نفسي بيده لو استثنى لولَدتْ كلُّ واحدة منهن غلاماً	عبد الله بن عباس	١٢/ ٥٠٣
والله لأرضينَّكِ، وإنِّي مُسِرٌّ إليك سرًّا فاحفظيه	المسور بن مخرمة	١٤/ ٤٨٠
واللهِ ما خلأَتْ، وما ذلك لها بخُلُقٍ	علي بن أبي طالب	١٣/ ٤٣٨
وإليك نسعى ونحفِدُ	عبد الله بن عباس	٩/ ٢٩٩
وإنّما أُحِلَّتْ لي ساعةً مِن نهارٍ	الأغر المزني	١٥/ ٣٥٦
وإنه ليغانُ على قلبي	أبو هريرة	٧/ ١٠٩
الواهبُ أحقُّ بهِبَتِه ما لم يُثَبْ منها	أنس بن مالك	٤/ ٣٢١
وجُعِلَتْ قُرَّةُ عيني في الصلاة		١٤/ ١١٢
وَدِدتُ أنَّ ربِّي صَرَفني عن قبلةِ اليهود		٢/ ٤٩٢، ٤٩٣
الوضوءُ على الوضوء نورٌ على نور	عبد الله بن عباس	٥/ ٣١٢
وَعَدني اللهُ ملكَ فارسَ والرومِ	علي بن أبي طالب	٣/ ٥١٦
وعفوت لكم عن صدقة الخيل	عائشة	٣/ ٢٠٠
وعليكم ـ رد الرسول على قول اليهود السام عليك ـ		٥/ ٥٠
وَفَتْ أُذُنُكَ يا غلام	أبو أمامة	١٤/ ٤٣٩،
وفّى عمَلَ يومِه بأربعِ ركَعاتٍ	أبو سعيد الخدري	١٤/ ١٣٧
ولا يموتُ أحدهم حتى يُولد لصُلبه ألفُ رجل		١٠/ ١٤٨
ولدُ الرَّجل كنزُهُ	أبو هريرة	٣/ ١٠١
ولد لنوح سامٌ وحامٌ	خولة بنت حكيم	١٠/ ١٤٨
الولد مَبْخَلَةٌ مَجْنبَنَةٌ مَجْهَلَةٌ	عبد الله بن عباس	١٣/ ٦٣
ولو بشقِّ تمرة		٣/ ١١٨
وما الَّذي قلْتَ لصفوان في الحِجْر	علي بن أبي طالب	٩/ ٣٠

طرف الحديث	اسم الراوي	الجزء والصفحة
وما عاقبَ اللهُ عبدَه في الدنيا بذنب فالله أرحمُ مِن أنْ يُثنِّيَ عليه عُقوبتَه في الآخرة	علي بن أبي طالب	١٣/ ٢٤٣
وما يدريك لعلَّ اللهَ قد اطَّلع على أهل بدر؟		١٤/ ٣٧٨
ومم ذلك؟ ـ في شكوى أن النساء لا يذكرن في القرآن ـ	أبو سعيد الخدري	١٢/ ١٧٥
ومَن يَعدِلْ إن لم أعدلْ	أبو هريرة	٧/ ٣٨٠
ومنهم الموبَقُ بذنوبه	أسامة بن زيد	١٠/ ٩٧
وهل تركَ لنا عقيلٌ مِن دار	عثمان بن عفان	١٤/ ٢٦
الويلُ جبلٌ في النَّار	أبو سعيد الخدري	٢/ ٢٩٠
الويلُ وادٍ في جهنَّم	أبو بكر الصديق	٢/ ٢٩٠
يا أبا بكر، ما ظنُّك باثنين اللهُ ثالثهما	أبو عبيدة بن الجراح	٧/ ٣٥٠
يا أبا عبيدة، قَتَلت بنو إسرائيلَ ثلاثةً وأربعين نبيًّا	أبو هريرة	٣/ ٥٠٧
يا أبا هريرة، مُرْ بالمعروف	عروة بن رويم	١٢/ ٦٨،
يا ابن الخطَّاب، قد أنزلَ اللهُ تعالى فيما قلْتَ...	عبد الله بن مسعود	١٤/ ٢٥٥
يا ابن أمِّ عبد هل تدري مِن أينَ اتَّخذَتْ بنو إسرائيل الرَّهبانيَّة؟	عبد الله بن عباس	١٤/ ٣١١
يا ابن عباس، أما ظاهرُها فالإسلام	جعفر الصادق	١٢/ ٧٠
يا ابنتاه، تحمَّلي مرارة الدُّنيا		١٥/ ٣٨٨
يا أصحاب سورة البقرة	عبد الله بن عباس	١٢/ ٤٤٢
يا آلَ غالبٍ ويا آلَ مرةَ		١١/ ٣١٢
يا بلال، زن لأبي سفيان أربعين أوقية	أنس بن مالك	٧/ ٣٨٦
يا بنتاه إنه نُعي إليَّ نفسي	أبو هريرة	١٥/ ٥٢٠
يا بني عبد المطلب ويا بني عبد مناف	عبد الله بن مسعود	١١/ ٣١١
يا ثابتُ، إنَّ اللهَ جميلٌ يُحِبُّ الجَمالَ	عبد الله بن عباس	١٣/ ٤٩٧

طرف الحديث	اسم الراوي	الجزء والصفحة
يا ثابت، مالكَ ولأهلِك	جابر بن عبد الله	٣/ ٢٣٦
يا جابر، إن الله كلَّم أباك كفاحاً	عبد الله بن عباس	٤/ ٣٥٧
يا جبريل، ما بقاء أمتي على ذلك	عبد الله بن عباس	٦/ ١٠٣
يا جبريل، يكذِّبني قريش		٩/ ٣٦٥
يا حسانُ، قُمْ فأَجِبْه	أنس بن مالك	١٣/ ٤٩٤
يا حمزةُ، أين الرَّوايا	عبد الله بن عباس	٥/ ٤٧٨
يا حويرث؛ مَن يمنعك منِّي الآن	عبد الله بن عباس	٥/ ١٧٨
يا خالد، كفَّ عن عمَّار		٥/ ٧٦
يا داود، إذا رأيت لي طالباً فكن له جسراً	عبد الله بن العباس	٥/ ١٥٧
يا رب جعلتَ أمتي أقصر الأمم أعماراً	عروة بن الزبير	١٥/ ٤٢٤
يا صفيةُ عمةُ رسول الله، يا فاطمة بنتُ محمد	عائشة	١١/ ٣١١
يا عائشة، أتدرين ما هذا؟	عائشة	١٥/ ٥٤٩
يا عائشة، أما والله لقد برَّأك الله	عائشة	١١/ ١٠٠، ١٠٢
يا عائشة، مَن أحبَّ شيئًا أكثرَ ذكرَه		٦/ ٤٤٧
يا عبد الله، هذه مؤمنة	عقبة بن عامر	٣/ ٢١٠
يا عقبة، تعوَّذْ بهما	علي بن أبي طالب	١٥/ ٥٤٤
يا عليُّ، أكثِرْ من قراءة يس		١٢/ ٣٣٣
يا علي، وإذا أتاك طالبُ حاجة فاعلم أنها نعمةٌ		١٢/ ٨١
يا كعب، أيؤذيكَ هوامُّ رأسِك		٣/ ١٢٤
يا محمَّد، قال: لبَّيكَ	قتادة	١/ ٧٤
يا معاشر الأنصار، ما هذا الذي بلغني عنكم	معاوية بن أبي سفيان	٧/ ٣٠٦
يا معاويةُ، أَلِقِ الدواةَ	أبو هريرة	١/ ٤٤

طرف الحديث	اسم الراوي	الجزء والصفحة
يا معشر قريش، أنقذوا أنفسكم من النار		١١/ ٣١١
يا وَيْحَ قريشٍ	جابر بن عبد الله	١٣/ ٤٣٩
يأتيني أحدُكم بماله...	عمر بن الخطاب	٣/ ٢٠١
يأخذ الله السماوات والأرض فيقبِضُها ويبسُطها	أبي بن كعب	١٣/ ٦٩
يأخذ كلَّ سفينةٍ صالحةٍ غصباً	أنس بن مالك	١٠/ ١٢٣
يتجلَّى لهم ربُّهم ـ في قوله تعالى: ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ ـ	أنس بن مالك	٨/ ٥٢
يُجاُء بالكافر يومَ القيامةِ	أبو سعيد الخدري	٤/ ١٤٤
يُجاء بالموت يوم القيامة		١٠/ ١٩٩
يجزيك الثلث		٧/ ٤٦٠
يَجزِيك الثلثُ أن تتصدق به	أبو سعيد الخدري	٧/ ١٨٤
يجِيءُ بها سبعون ألف مَلَكٍ	عبد الله بن عباس	١٥/ ٣٥٠
يحرمُ مِن الرَّضاعِ ما يحرمُ من النَّسبِ		٤/ ٤٩٠
يُحْشَرُ المؤمنُ ووجهُهُ أضوأُ مِنَ القمرِ ليلةَ البدرِ	عائشة	٤/ ١٩٣
يُحشَرُ النَّاس حفاةً عراةً	أسماء بنت يزيد	١٥/ ٢٢٤
يُحشَرُ النَّاسُ في صعيدٍ واحد	أبو هريرة	٥/ ٤٢
يحشرُ صالحٌ على ناقته يوم القيامة		٦/ ٤١١
يخرجُ رجلٌ مِن النَّارِ قد ذهبَ حِبْرُهُ وسِبْرُهُ	أبو هريرة	٥/ ٣٩٩
يخرج عنقٌ من النار	أبو الدرداء	١١/ ٢٥٥
يدخل السابق بالخيرات الجنة بغير حساب		١٢/ ٣١٦
يرزقُنا الله وإياكم من فضله	المطلب بن أبي وداعة	٩/ ٣٩٩
يريدون أن يسحروني	بريدة	٧/ ١٨٨
يصفُّ النَّاسُ يومَ القيامة	أنس بن مالك	١٤/ ٤٤٠،

طرف الحديث	اسم الراوي	الجزء والصفحة
يُقالُ للكافر يوم القيامة...		٥/ ٣٨١
يُقَرَّبُ إليه فيتكرَّهُه ـ شراب الكفار في جهنم ـ	أبو أمامة الباهلي	٩/ ١١٤
يُقرَّب إليه فيكرهه ـ في الماء الذي يشربه أهل النار ـ	عبد الله بن الشخير	١٠/ ٦٧
يقولُ ابنُ آدم: مالي مالي	أبو ذر الغفاري	١٥/ ٤٦٣
يقول الله تعالى: الحسنة عشر أو أزيدُها		٦/ ٢٧١
يقول اللهُ تعالى: الشَّيْب نُوري	أبو هريرة	٢/ ٧
يقول الله تعالى: شتَمني ابن آدم ولم يَنْبغِ له أن يَشتمني	أبو هريرة	١٢/ ٢٠١
يقول اللهُ تعالى: قَسمتُ الصلاةَ	أبو هريرة	١/ ٧٣
يقول الله تعالى: من أهان لي	عدي بن حاتم	٥/ ٣٧٥
يقول الله لهم: ألم أجعلْ لك سمعًا وبصرًا	سعد بن أبي وقاص	٦/ ٢٩٨
يُمتحَنُ الرجل على قَدْر دينه	أنس بن مالك	١١/ ١٠٢
ينادي منادٍ من بُطْنان العرش يوم القيامة		٤/ ٥٢٥
ينتقِضُ الإسلام عروةً عروةً	عبد الله بن عباس	٣/ ٣٣٩
ينجيك الأحد	أبو هريرة	١٥/ ٣٨١
ينزِلُ عيسى ابنُ مريمَ حَكَماً عَدْلاً	أبو هريرة	١٣/ ٤١٣
ينزل عيسى بن مريم فيَكْسر الصَّليبَ		٧/ ٣٢٢
ينشئ اللهُ السَّحاب فينطق أحسنَ النُّطْقِ	أبو برزة	٩/ ٣٦
ينصب فيه مِزْرابان من الجنة		١٥/ ٥٠٦

* * *

فهرس الأعلام

العلم	الجزء والصفحة
أبان بن تغلب	٩/ ٢٧٦، ١٥/ ١١٥، ٥٠٢
إبراهيم التيمي	١٤/ ١٢٠
إبراهيم النخعي	٢/ ١٥١، ٣/ ٦٢، ٣٩٢، ٤/ ٤٨، ٢٦٢، ٢٩٣، ٣٠٠، ٤٤٤، ٥/ ١٩٧، ٣٣٥، ٣٣٦، ٤٩١، ٥١٣ ٦/ ٨٠، ٣٠٤، ٧/ ٣٨٩، ٨/ ١٧٦، ٤٧٧، ٩/ ٣١، ٣٢، ٦٤، ١٨٣، ٢٩٨، ٤٣٥، ١٠/ ٥٥، ١٨٥ ١١/ ٢١٧، ٢٣٦، ٢٤٠، ٤٩٦، ١٣/ ٤٠ ١٤/ ٤٥، ٢٣٤، ٣٩٨، ٤٠٧، ٤٨٨، ١٥/ ٨٩، ١٥٤، ٢٣٤، ٢٧٩، ٣١٢، ٥٠٠
إبراهيم بن أبي عبلة الشامي	١/ ١٠٠
إبراهيم بن جعفر	٢/ ٣٣
إبراهيم بن حاطب	٣/ ٤٩٢
ابن أبي إسحاق	٥/ ٢٤٠
ابن أبي أوفى	٧/ ٢٧٠
ابن أبي مارية مولى عمرو بن العاص	٥/ ٥١٤
ابن أبي مليكة	٤/ ٣٢٩، ١٤/ ٤٧٨
ابن أبي نجيح	٢/ ٥٢٥، ٤/ ٦٤، ٥/ ٥٥، ٧/ ١٢٩، ١٥/ ٢٠٦، ٤١٨
ابن الأعرابي	١/ ٤٢٤، ٦/ ٢٥٤، ٣١٥، ١٥/ ١٥٠

العلم	الجزء والصفحة
ابن الأنباري	١/ ٩١، ٣٠٨، ٢/ ٤٨٢، ١٠/ ٥٢٢، ١٥/ ٣٧٣، ٣٧٦
ابن الريحاني	١/ ٣٧٢
ابن السماك	١١/ ٢١٠
ابن الكواء	١٠/ ١٢٩
ابن اليزيدي	٥/ ٣٥٢
ابن بريدة	١٢/ ٥١٨، ١٤/ ٢٥٦
ابن جريج	١/ ١٥١، ١٥٦، ١٦٤، ٢٠٤، ٢٣٣، ٣٨٤، ٣٨٥، ٤٢٧، ٤٤٢، ٢/ ١٥، ٥٣، ٩٠، ١٠٣، ١٤٠، ١٥٦، ١٩٨، ٢٢٧، ٣٤٠، ٣٤٦، ٤٥٥، ٤٥٥، ٤/ ٦٣، ٧٥، ٩٣، ١١٠، ١٦٥، ٢١٢، ٢١٦، ٢٢٣، ٣٠٩، ٣٢١، ٣٧٢، ٤٠٨، ٥/ ٢٧٣، ٤٨٦، ٥١٤، ٦/ ٣٠٤، ٣١٦، ٤٦٨، ٥٢٢، ٧/ ٢٧، ٥٧، ٥٨، ١٥٩، ٢٧٦، ٢٨١، ٣٧٢، ٨/ ٢٥، ١٢٢، ٢٠١، ٢٩٠، ٩/ ٢٣٩، ٣٠١، ١٠/ ١٦، ١٧، ٤١، ٤٥، ٩٦، ١٢٣، ١٢٥، ١٣٨، ١٧٨، ٢٠٤، ٢١١، ٢١٩، ٣٣٢، ٣٧٤، ٣٧٨، ٣٨٩، ٤٣١، ١١/ ٢٠٣، ٤٨٠، ١٣/ ٣٩٨، ٤٨٣، ١٤/ ٢٥٦، ٣٤٥، ٤٣٢، ٥٥٨، ١٥/ ٣٩، ٤٠، ١٤٥، ١٨٦، ٢٦٩، ٣١٣، ٣٤٧، ٣٨٥، ٤٥٣، ٤٩٨، ٥٤٨
ابن حيان	٥/ ٣٣٤، ٨/ ٢٨٠، ٣٥٣
ابن دريد	٢/ ٤٧٣
ابن ذكوان (القارئ)	١/ ٢٧٨، ٢/ ٣٩٢، ٣/ ٨٥، ٥/ ٤٧٣، ٦/ ٥٤، ٩/ ٤٠٤، ١٢/ ٢٠٩، ٣٧٧
ابن سابط	١٢/ ٤٣٦
ابن عامر (القارئ)	١/ ١١٥، ٢٢٩، ٢٧٨، ٢/ ٣١١، ٣٩٢، ٤٣٨، ٥١٠، ٣/ ٤٢، ٨٥، ٢٨٨، ٣٨٢، ٣٩٥، ٣٩٦، ٤/ ١٥، ٢٥، ٢١٨، ٢٣٦، ٣٥٤، ٤٥٨، ٥/ ١٠، ٢٧، ٣١، ٩٣، ١٦١، ١٦٣، ٢٢٢، ٢٢٥، ٢٩٤، ٤٠١، ٤٣٨، ٤٧٣، ٤٩٣، ٦/ ٣٩، ٤٥، ٤٦، ٥٣، ٥٤، ٨٥، ٨٨، ١٨٤، ١٩٥، ٢٢٩، ٢٣٣، ٢٤١، ٢٥٦، ٣١٦، ٣٤٣، ٣٥١، ٣٦٩، ٣٧٤، ٤٩١، ٧/ ٩، ٢٦، ٤٣، ٩٠، ١٠٨، ١٥٧، ١٦٧، ٢٣١، ٢٨٠، ٤٧٤، ٤٧٧

العلم	الجزء والصفحة
	٨/ ٢٧، ٤١، ٦٣، ١٢٢، ٢٦٨، ٢٧٦، ٣٦٤، ٥١٨، ٩/ ١٦، ١٩، ٩٦، ٢٨٩، ٣٧٢، ٣٨٣، ٤٠٤، ٤٥٤، ١٠/ ٣٦، ٣٧، ٥٩، ٧٦، ١١٨، ١٤٦، ١٨٦، ١٩٤، ٢٠١، ٢٣٤، ٢٤٤، ٢٥٤، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٧٧، ٣٠٢، ٣١٣، ٣٢٧، ٣٩٦، ٥٠٦، ٥٠٧، ١١/ ١٧، ٢٦، ٤٠، ٥٢، ٦٢، ١٢٥، ١٣٣، ١٣٦، ١٤٦، ٢٢٣، ٢٣٨، ٣٠٥، ٤٢١، ٤٣٤، ٤٩٥، ٤٩٨، ١٢/ ٤٣، ١٣٤، ١٤٦، ٢٤٦، ٣٣٦، ٣٥٤، ٣٦١، ٣٦٦، ٣٧٣، ٣٧٦، ٣٧٧، ٣٩٢، ٤٤١، ١٣/ ١٩٥، ٢٥٧، ٢٧٢، ٢٨٢، ٣٠٢، ٣٣٦، ٣٣٨، ٣٤٨، ٣٥٢، ٤٨٠، ١٤/ ٧٩، ٩٢، ١٠٥، ١٨٦، ٢٩٣، ٣٢٠، ٣٣٣، ١٥/ ٦، ٦٦، ٦٨، ٧٥، ١٠٧، ١٢٧، ١٥٣، ١٦٧، ١٩١، ٢٣٢، ٣٤٨
ابن عرفة	٢/ ٥١٥، ٤/ ٣١٨، ٤٣٤، ٥/ ٣٥٢، ٦/ ٣٠٦، ٨/ ٢٣٥
ابن عطاء	٢/ ٣١، ٣٩
ابن غالب	٩/ ٤٧٧
ابن فارس (صاحب المجمل)	١/ ٩
ابن كثير (القارئ)	١/ ١١٥، ١٥٠، ١٦١، ٢٢٩، ٢/ ١٢٦، ٣٠١، ٣١١، ٣١٦، ٣٥١، ٣٨٩، ٤٨٤، ٣/ ٢٥٠، ٢٥٤، ٢٦٥، ٢٨٨، ٣٠٧، ٣٩٤، ٣٩٦، ٤٣١، ٤/ ٢١٨، ٢٢٩، ٢٤١، ٣٠٢، ٣٤٠، ٣٧٩، ٣٨٩، ٤٥٨، ٥/ ٩، ١٠، ٢٧، ٩٣، ٢١٢، ٢٢٥، ٢٩٤، ٤٠١، ٤٧٢، ٥١٨، ٥٢٨، ٦/ ٣٩، ٨٥، ٨٨، ٩١، ١٤٣، ١٦٢، ١٧٤، ١٨١، ١٨٤، ١٩٥، ٢٣٣، ٢٣٧، ٢٤١، ٢٧٢، ٣١٣، ٣٤٣، ٣٥١، ٣٧٤، ٤٦٠، ٧/ ٤٢، ٩٠، ١٥٧، ١٦٨، ٢١٢، ٤٤٨، ٨/ ١٣، ٥٦، ١٨٤، ٢٤٨، ٣٢٩، ٣٤٩، ٣٦٤، ٩/ ١٤، ١٥، ١٩، ٨١، ٢٠٤، ٢٤٠، ٣٧٢، ٤٠٢، ٤١٠، ٤٥٤، ٤٦٠، ١٠/ ٨٣، ١٣٥، ١٣٦، ١٤٢، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٧، ١٨٦، ١٩٦، ٢٢٥، ٢٣٣، ٢٥٤، ٢٦٥، ٢٦٦، ٣٠٨، ٣٢٧، ٣٣٥، ٣٤٦، ٤٨٤، ٥٠٦، ٥٠٧، ٥٢٠، ١١/ ١٢، ٢٤، ٥٢، ٦٢، ٨٢، ١٣٦، ٢٢٣، ٢٣٨، ٢٩٣، ٢٩٥، ٣٤٢، ٣٧٨، ٣٩٤، ٤٣٤، ٤٩٢، ٤٩٥، ٤٩٨، ٥١٧، ٥٢٦،

العلم	الجزء والصفحة
	١٢/ ١٠٣، ١٣٤، ١٤٤، ١٤٦، ١٥١، ١٦٧، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٣٨، ٢٤٦، ٣٣٦، ٣٥٩، ٣٦٥، ٣٧٣، ٣٧٦، ٣٩٢، ٥١٣، ٥١٨، ١٣/ ٣٥، ١٦١، ٢٠٩، ٢٣٣، ٢٦٧، ٢٧٢، ٢٨١، ٢٨٥، ٣٣٦، ٣٥١، ٣٨٣، ٣٨٥، ٤٥٤، ٤٨٠، ٥٢٧، ١٤/ ٣٤، ٧٩، ٨٢، ١٢٨، ١٤٢، ٢٠١، ٣٠١، ٣٢٠، ٣٨٣، ٤٠٩، ٤١٢، ٥٧٤، ١٥/ ٣٠، ٤٣، ١٣٥، ١٤٨، ١٥٣، ٢٠٤، ٢٢٩، ٢٣٢، ٢٣٧، ٢٧٢، ٣٢١، ٣٤٨، ٣٦٣
ابن كيسان	١/ ١٥٦، ١٦٤، ٢٠٤، ٢٣٨، ٢٦٩، ٣٤٣، ٤١٧، ٢/ ٥١٧، ٥٢٣، ٣/ ١٧٢، ٣٢٨، ٣٩٤، ٤٦٣، ٤٦٤، ٤٦٨، ٤/ ٢٢٤، ٥/ ٧١، ١٦٩، ٢٤١، ٤٤٤، ٤٨٥، ٦/ ١٠٢، ٥١٤، ٥١٥، ٧/ ٧٩، ٢١٩، ٢٥١، ٢٥٦، ٢٦٣، ٣٤٥، ٣٧٢، ٣٧٨، ٤١٦، ٤٣٥، ٤٤٧، ٥١٤، ٨/ ٩٢، ٩٤، ٢١٧، ٢٣٢، ٢٧١، ٤٦٥، ٤٨٥، ٩/ ٢٦، ٥٨، ١١٢، ١٠/ ٢٨٢، ٣٧٥، ٥٣٨، ١١/ ٤٣٩، ١٢/ ١٨، ١٢٩، ٢٣٣، ٢٨٥، ٤٠١، ١٣/ ١٥٢، ٢٥٠، ٤١٠، ١٤/ ٩، ٧٣، ١٧٩، ١٨٠، ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٩٩، ٤٦٣، ٤٧١، ٥١٧، ١٥/ ٥٧، ٥٩، ٢٠٤، ٢٢٨، ٢٥١، ٢٩٢، ٣٥٦
ابن لهيعة	١٥/ ٣٣٩
ابن مجاهد	١/ ١٢٥، ٩/ ٤٠٤، ١٢/ ٢٠٩، ٣٧٧
ابن محيريز	١٤/ ٤٢٤
ابن محيصن	٢/ ٣٢٣
ابن مروان	١٥/ ٤١
ابن مقسم أبو بكر العطار	٢/ ٤١٩
أبو أرطاة	٤/ ٦٤
أبو إسحاق	١٠/ ١١٩
أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن هارون	٣/ ٣٤٨
أبو الأحوص، مالك بن عوف	٣/ ٢٨، ٥/ ٥٠٨، ٦/ ٢٤٣

العلم	الجزء والصفحة
أبو الأزور	٥/ ٤٨٦
أبو الأسود الدؤلي	٩/ ٢٨٠
أبو الأشدين، كلدة بن أسيد بن خلف	١٥/ ١٠٠، ٢٤٤، ٣٥٩
أبو البختري	٧/ ٣١٩
أبو الجرَّاح الأعرابي	١٤/ ٥٥٧
أبو الجلاس	٧/ ١٧٢
أبو الجلد	٩/ ٣٧، ١٢/ ٤٣٦
أبو الجوزاء	٧/ ٧٧، ١١/ ٣٨٧، ١٣/ ٢٠٧، ١٤/ ١٢٢، ١٢٩، ١٥/ ٤٧٤
أبو الحجاج	٩/ ٤١٥
أبو الحسن البوشنجي	٧/ ٨٥، ٢/ ١١٠
أبو الحسن القناد	١/ ١٣٧
أبو الحسن الكرخي	٢/ ٤٠
أبو الحسن الوراق	١/ ١٥٨
أبو الحسين النوري	١/ ٤١٠
أبو الحسين محمد بن يحيى البشاغري	٢/ ٩٧، ٨/ ٤٠١، ٤٠٢، ٤٤٩، ٥٠٥، ٥٢٠
أبو الحصين	٣/ ٣٣٥
أبو الدحداح	٣/ ٢١٣، ٢٩٢، ١٤/ ٢٩٣
أبو الدرداء	١/ ١٠٣، ١١٥، ٣/ ٤٧٠، ٥/ ١٣٤، ٣٨٢، ٧/ ٥، ٤١١، ٨/ ٩٥، ٩/ ٣٦٣، ١٠/ ٨٧، ١١/ ٧٠ ١٢/ ٣١٦، ٤٣٦، ١٣/ ٨٣، ١٤/ ١٨٤، ٥٧١، ١٥/ ٢٦٠، ٢٨٢، ٣٢١
أبو السنابل بن بعكك	٧/ ٣٨٦، ١٤/ ٤٦٦
أبو الشعثاء	٥/ ٣٩٥

العلم	الجزء والصفحة
أبو الصديق الناجي	١١/ ٣٣٧
أبو الضحى، مسلم بن صبيح	٣/ ٢٨، ٤/ ٣٥٥، ٦/ ٢٨١، ٩/ ٢٤، ٢٩٨، ١٥/ ٣٥٩، ٤٠٥
أبو الطفيل	١٤/ ٣٨، ١٥/ ٥٢٤
أبو العاص	٣/ ٢٠٨
أبو العالية	١/ ٧٤، ١٥١، ١٩٢، ١٩٤، ٢/ ٧٢، ١٤٠، ١٤٣، ١٨٤، ٢٢٠، ٢٤٣، ٢٦١، ٣١٠، ٣٢٤، ٣٢٧، ٣٢٧، ٣٤٢، ٣٤٧، ٣/ ١٣١، ٣١٢، ٤/ ١٣٤، ١٤٣، ٢٥٩، ٣٧٣، ٤٤٣، ٥/ ١٣٨، ٢٢١، ٢٢٣، ٦/ ١٤٣، ٣٠٦، ٣٤٤، ٣٥٧، ٥٠١، ٥١٧، ٧/ ٥٧، ٥٧، ١١٢، ٣٦٨، ٣٨٩، ٥٢٧، ٨/ ٤٥، ١٥٧، ٢٣٦، ٢٦٩، ٢٨٠، ٤٠٨، ١٠/ ١١١، ١٢٩، ٣٧٥، ١١/ ٩، ١٢/ ٣٣، ٢٣٤، ٢٩٤، ٤٧٥، ١٣/ ٣٨، ٣٩، ٤٤، ٨٩، ١٧١، ٢٢١، ٢٢٤، ٢٥٩، ٣١٧، ٤٠٢، ٤٨٢، ١٤/ ١٢٠، ١٧٤، ٢٧٦، ٣١٨، ٣٢٤، ٤٨٨، ٥٦٤، ١٥/ ١٦٦، ٣١٢، ٣٥٨، ٣٨٦، ٤٧٤، ٥١٧
أبو العباس المبرد	٤/ ٤٢٨، ٦/ ٢١٨
أبو العباس بن عطاء	١/ ١٥٨، ٩/ ٤٥٥
أبو العباس ثعلب	٤/ ٢٩٥، ٧/ ٣٨٣
أبو العتاهية	١٢/ ٣٥
أبو العطاف	٤/ ٤١٠
أبو العلاء الحضرمي	١٠/ ٩٣
أبو الفريع مسعود بن محمد المكفولي	٣/ ٣٥١
أبو القاسم الحكيم	٣/ ١٤٥، ٢١٥
أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب	٣/ ١٩٢، ٤/ ٨٢، ٣٥٤، ٨/ ١٧٧، ٣٠٦، ٩/ ٥٤، ١١/ ٢٨٣، ٣٣٦، ٣٥٤، ٣٩٠، ١٢/ ١١٨، ٢١٢، ١٤/ ٢٦٩، ٥٥٩، ١٥/ ٣٣٩
أبو القاسم علي بن أحمد بن محمد بن إسحاق التركاتي	٣/ ٣٤٨

العلم	الجزء والصفحة
أبو المتوكل الناجي	١٤/ ٣٦١
أبو المظفر طاهر بن الحسين	٣/ ٣٥١
أبو المعتمر	٧/ ٢٣٣
أبو النجم	١٠/ ٢٦٨
أبو النجم العجلي	١/ ١٩٩، ٢/ ٣٦٦، ٦/ ٢٩٨
أبو الهيثم السجزي	٥/ ٣١٠، ٧/ ٥١٤، ٨/ ٤٠٩
أبو اليقظان	١٤/ ٥٢٠،
أبو اليمان	١٢/ ٤٣٦
أبو أمامة الباهلي	١/ ١٣٢، ٣/ ٤٤٦، ٤٧٠، ٤/ ١٧٧، ٧/ ١١٨، ١٢٢، ٨/ ٢٠٢، ٩/ ٦٦، ١٩٩، ٣٦٣، ١٠/ ٦٧، ١٥٥، ١٢/ ٥٧، ١٣/ ١٨٢، ٣٥٩، ١٤/ ٢٥٠، ١٥/ ١٨٦
أبو أمامة بن سهل بن حنيف	٢/ ٣٨٩
أبو أمية	٥/ ٥١١
أبو أيوب الأنصاري	٣/ ٢٧١، ٥/ ١٩١، ٧/ ٣٥٤، ١٥/ ٤٤٣، ٥٣٠
أبو بردة الأسلمي، هلال بن عويمر	٥/ ٣٧٧
أبو برزة الأسلمي	١٠/ ٤٨٥
أبو بكر الأصم	١/ ٣٥٦
أبو بكر الأصم الكيساني	٨/ ١٩
أبو بكر الرازي	٢/ ٤٠، ١٥/ ١٦٨
أبو بكر الرواق	٧/ ٣٢٧
أبو بكر الشبلي	١/ ٢٣٩

العلم	الجزء والصفحة
أبو بكر الصديق	١/ ١١، ٣٨، ١٥١، ١٩٠، ٢٥٠، ٣٣١، ٣٣٢، ٣/ ١٩٦، ٢٢١، ٢٤٠، ٣٩٧، ٤٩٢، ٤/ ٢٩، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٨٣، ٣٠٠، ٣١٦، ٣٨٠، ٣٨١، ٣٨٧، ٤٥٠، ٤٥١، ٥/ ٣٧، ٩٢، ٩٨، ٢٠٠، ٢٣٩، ٢٧٥، ٢٧٨، ٢٩٤، ٣١٦، ٣٢٤، ٣٢٥، ٤٢٠، ٤٢١، ٤٦٨، ٤٧٨، ٤٨٥، ٤٩٦، ٥١١، ٦/ ١٣٣، ٧/ ٣٥، ١٣٥، ١٣٩، ١٤٠، ١٤٤، ١٤٩، ١٩١، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٦، ٢٦٥، ٢٦٦، ٣٣٧، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٥٣، ٣٨٠، ٣٨٧، ٤٢١، ٤٥٣، ٤٥٤، ٥٠٠، ٥١٢، ٥٢٧، ٨/ ٥٣، ٢٨٤، ٣٥٩، ٣٨٦، ٩/ ٧٤، ١٢٨، ١٩٨، ٢٠١، ٣٠٢، ٣٦٣، ٣٦٥، ٣٦٦، ٣٨٩، ٤٣٥، ٤٩٣، ١٠/ ١١، ١٢، ١٨٨، ١١/ ٩٧، ١٠٠، ١١٠، ١١١، ١١٢، ١٢٠، ٤٣١، ٤٧٢، ١٢/ ٩، ١٣٩، ١٦٥، ٣٧٨، ١٣/ ٣٨، ١٧٤، ٢٥٠، ٣٨٩، ٣٩٠، ٤٤١، ٤٨٣، ١٤/ ١٣٠، ٢٩٢، ٣٠٠، ٣٤٤، ٣٤٥، ٤١٣، ٤٨٤، ١٥/ ١٣٠، ٢٢٢، ٣٧٦، ٣٧٧، ٣٨٠، ٣٨١، ٤٠٣، ٤٣٠، ٤٧١، ٤٩٥، ٥٠٧، ٥٠٨، ٥٢٧، ٥٢٨
أبو بكر العياضي	٢/ ٧٩
أبو بكر الفارسي	٨/ ٢٠٧
أبو بكر بن عياش (القارئ)	١/ ٢٢٩، ٢/ ٣١٧، ٣/ ٣٠، ٢١٤، ٢٦٥، ٣٩٥، ٣٩٦، ٣٩٨، ٤١٨، ٤/ ١٥، ١٩، ٢١٨، ٢٨٠، ٣٨٩، ٤٥٨، ٥٢٢، ٥/ ٤٣٨، ٤٧٢، ٥١٨، ٦/ ٣٢، ٣٩، ٨٨، ١٦٧، ١٨١، ١٩٦، ٢٠٧، ٢٠٩، ٢٢٣، ٢٣٤، ٣٤٢، ٤٩١، ٧/ ٩، ٤٣، ٥١، ٩٠، ٩٨، ١٥٤، ١٦٧، ١٨٤، ٢١٣، ٢٣٦، ٨/ ٦٥، ٢٧٦، ٩/ ٢٤٠، ٢٨٩، ٢٩٧، ٣٧٢، ٤٥٤، ٤٦٠، ١٠/ ٣٦، ٤٤، ١٢٥، ١٤٦، ١٨٦، ٢٤٤، ٢٥٤، ٣٠٧، ٣٢٨، ٤٣٩، ٤٩٤، ٥٠٧، ١١/ ١٧، ٢٦، ٣٠، ١٢٦، ١٤٦، ١٦٥، ٢٣٨، ٢٤٦، ٣٠٥، ٣٦٩، ٣٧٣، ٤٣٤، ٤٩٥، ٥١٧، ١٢/ ١٨، ١٤٦، ٢٣١، ٣٣٦، ٣٧٦، ٣٩٢، ١٣/ ٦٣، ٢٠٩، ٢٨٥، ٣٧٣، ١٤/ ٢٧، ٤٧، ١٩٤، ٣٠١، ٤٤٢، ٥٣٣، ١٥/ ٦٨، ١٤٨، ١٥٣، ٢٠٢، ٣١٩، ٤٧٨، ٥٠٥

العلم	الجزء والصفحة
أبو بكر القفال، الشاشي	٢/ ٥٠، ١٦٩، ١٨٢، ١٨٧، ٢٢١، ٢٢٥، ٢٣٤، ٢٤٠، ٢٦٣، ٢٨٠، ٣٠٨، ٣١٣، ٣٣١، ٣٤٥، ٣٦٠، ٤٥٥، ٤٩٧، ٣/ ٢٤، ٣١، ٩٨، ١١٠، ١٤١، ٢٢٠، ٢٤٥، ٣١٧، ٤٩٧، ٥/ ٥٠٤، ٥١٥، ٦/ ٦٢، ٧/ ٥٥، ٢٩٥، ٣٥٨، ٤٠٦، ٤٠٨، ٨/ ١١٣، ٩/ ٤٦٥، ١٠/ ١٦٨، ١٣/ ٥٤، ٥٩، ١٤/ ١٩١
أبو بكر الكيساني	٩/ ١٢٩
أبو بكر النقاش	٢/ ٧٨، ٨٩، ٤٨٤، ٩/ ٤٠٤
أبو بكر الهذلي	٦/ ٥٠٥
أبو بكر الواسطي	٢/ ٧٦
أبو بكر الوراق	١/ ٤٤، ٥٢، ٥٥، ١٣٧، ٣/ ١٣، ٢٧٠، ٥٢٠، ٤/ ٢٩، ٢٥٣، ٥/ ٧٧، ٢٢٤، ٦/ ٥٠٦، ٨/ ٨٦، ٩/ ١٣١، ٣٢١، ٤٥٦، ١٠/ ٢٩٢، ١٣/ ١٧٨، ١٤/ ٧، ٤٦، ٦٠، ٢١١، ٢٧٢، ٢٧٧، ٢٨٤، ٢٨٦، ٤٦٣، ٤٩٣، ١٥/ ١٥٢، ٢٤٥، ٣٣٤، ٣٥٨، ٤٣١، ٥٣١
أبو بكر بن عاصم	٢/ ٣٥١
أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث	١٥/ ٤٢٨
أبو بكر بن عبدش	٣/ ٥٢١، ٦/ ٩٥، ٨/ ٣٥٣
أبو بكر محمد بن أحمد بن إسماعيل	٣/ ٣٤٨
أبو بكرة	١٥/ ٣٦
أبو تمام	١/ ٣٢٧، ٣/ ١١٩، ٦/ ٣١، ١٤/ ٣٨٠
أبو ثعلبة الخشني	٥/ ٥٠٥، ٥١١
أبو جبيرة	١٣/ ٥٠٩
أبو جعفر أحمد بن مهدي بن رستم الأصفهاني	١٥/ ٣٣٩

العلم	الجزء والصفحة
أبو جعفر (القارئ)	١/ ٢٧٧، ٢/ ٢٩٩، ٣٥٧، ٣/ ٤٥، ٨٥، ٤/ ٤٣٢، ٦/ ٥٤، ٨٥، ٨٨، ٩١، ١٥٥، ١٨٤، ١٩٥، ٢٠٧، ٢٣٣، ٩/ ٢٨٧، ٣٨٣، ٤١٠، ٤٦٠، ١٠/ ٣٢١، ١١/ ٣٤٣، ٤٢١، ٤٩٨، ١٢/ ٢٨٧، ٣٧٧، ١٣/ ١٥٥، ٤٩٨
أبو جندل بن سهيل	٥/ ١١١، ٤٨٦، ٩/ ٣٣٨
أبو حاتم	١٢/ ٢٠٩، ١٣/ ٤٤٨، ٤٥٥، ١٤/ ٦٨، ٤٧١
أبو حاتم الأخفش	١/ ١١٨
أبو حاتم السجستاني، سهل بن محمد	٢/ ٣٥٧، ٣/ ٢٩٥، ٥/ ٤٩٤، ٦/ ٣٥١، ٧/ ٣٩٣، ٩/ ١١٧، ٢٤٣، ١٥/ ١٠٣
أبو حازم	٥/ ٧٨
أبو حذيفة	١/ ١٠٥، ٧/ ١٥٠
أبو حذيفة بن المغيرة	٩/ ٥٤
أبو حذيفة بن عتبة	٣/ ١٨١، ١٢/ ١٣٧
أبو حنيفة	٢/ ٢٣٠، ٢٥٤، ٣/ ٢٠، ٢١٣، ٢١٧، ٢٤٩، ٤١١، ٤/ ٤٤٠، ٤٧١، ٥/ ٣٨، ٤٠، ٤٢، ٥٢، ٤٩١، ٤٩٢، ٦/ ١٧٨، ٢٢٠، ٧/ ١٧٩، ٣٨٣، ٨/ ١٢٧، ١٠/ ٤٨٧، ١١/ ١٠٣، ٣٠٦، ٤١٩، ١٣/ ٣٩٩، ١٤/ ٢٤٠، ٣٩٢
أبو حيوة، شريح بن يزيد	١/ ١١٥
أبو خيثمة	٧/ ٤٢٦
أبو خيرة	١٤/ ٢٢٧
أبو دجانة	٤/ ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٨٠، ٢٨٠، ٥/ ٤٧٨، ٧/ ١٤٥، ٣٠٣، ١٤/ ٣٥٥، ٣٦١
أبو دحية الأنصاري	٩/ ٣٦٤
أبو دؤاد	٣/ ١٠٢

العلم	الجزء والصفحة
أبو ذر الغفاري	١/ ٣٨، ٣/ ٣٢٩، ٣٣٣، ٤/ ١٤٩، ٥/ ٢٦٣، ٦/ ٦٥، ٢٧١، ٧/ ٣٢٥، ٩/ ٣٦٣، ١٠/ ٦١، ١١/ ١٥٥، ١٣/ ٥١٠، ١٥/ ٥٥٧
أبو ذؤيب	١/ ٣٦٥، ٤/ ٢١٥، ٨/ ٢٧، ٩/ ٤٦، ١٠/ ٦٨
أبو رافع	٥/ ٣٠٦، ١٠/ ٣٥٨
أبو رجاء العطاردي	٤/ ١٦٥، ٥/ ١٠٦، ٣/ ٥١٤، ٨/ ٣٨٠
أبو رزين الأسدي (مسعود بن مالك)	٢/ ٣٦٥، ٣/ ٢٣٤
أبو رزين العقيلي	١٥/ ٤٢٨
أبو روق	١/ ١٥٥، ١٩٣، ٢٨٠، ٣/ ٢٧٩، ٤/ ١٢، ١٢٩، ١٤٥، ٢٥٣، ٥/ ٩٢، ١٥٦، ١٦٩، ٦/ ١٥، ٢٩، ٤٨، ١٢٢، ١٣٤، ١٤٠، ٢٨١، ٣٠٥، ٣٢٨، ٣٦١، ٤٣٠، ٤٨٥، ٥٠٠، ٧/ ٧١، ٧٤، ٣٤٢، ٤١٧، ٤٩٧، ٨/ ٣٨، ٩١، ٩/ ٣٣٥، ١٠/ ٤١، ١١/ ٢١١، ٢٤٥، ١٤/ ٥٤٧، ١٥/ ١٩٧، ٢٩٤، ٥٣٢
أبو زبيد الطائي	١٠/ ٣٤٣
أبو زرعة	١١/ ٤٤٢
أبو زيد	١/ ٤٤٣، ٢/ ٢٠١، ١٥/ ١٥٥
أبو زيد البلخي	١٥/ ٥٣٨
أبو زيد الرقاشي	١٠/ ٩٨، ٢٦٦
أبو زيد مولى عمرو بن حريث	١٥/ ٤١، ٤٣
أبو سعيد	١٤/ ٢٧٢، ١٥/ ٤٦، ٦٤، ٢٠٣، ٢٧٤، ٤٧٧
أبو سعيد الخدري	١/ ٥١، ٨٦، ٢/ ٢٩٠، ٤٩٥، ٣/ ٩٤، ٢٧١، ٤٠٨، ٤/ ٤٩٦، ٥/ ٢٨٨، ٣٦٤، ٦/ ٢٦٥، ٧/ ١٧٢، ٢٨٨، ٢٨٠، ٤٧١، ٨/ ١١، ٨٥، ٩/ ٦٦، ٢١٨، ٣٦٣، ٢/ ٢٠٧، ١٠/ ٨٧، ١٤٨، ١٩٩، ٢١١، ٣٥٣، ٤٦٢، ١١/ ٤٧٣، ١٢/ ١٠، ٣١٥، ٤٣٦، ١٣/ ٣٩، ٢٨٤، ٥٠٣، ١٤/ ١٢٩، ٢٤٦، ٢٧٤، ٣٢٥، ٥٣١، ١٥/ ٣١٢، ٣٥٠، ٣٧٣، ٤٢٨

العلم	الجزء والصفحة
أبو سعيد الضرير	١٤/ ١٨٦، ١٨٩، ٢٢٧، ٢٥٢، ٢٥٦، ٥٣٢، ٥٣٣، ١٥/ ٦٦، ٩٣، ٩٨، ١٢٣
أبو سفيان بن الحارث	٦/ ٢١٥، ٧/ ٣٠٢، ٣٨٥
أبو سفيان بن حرب	٤/ ٢٢٢، ٢٧٣، ٢٧٥، ٢٧٧، ٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٢، ٣١٠، ٣٢١، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٦٣، ٣٦٥، ٥/ ١٣٢، ٦/ ٤٢، ٤٣، ١٧٨، ٧/ ١٣٣، ١٣٨، ١٨٣، ١٨٨، ٢٢٠، ٢٣٠، ٢٨٠، ٢٨١، ٣٠٦، ٣٨٥، ٣٨٦، ١١/ ٤٨٨، ١٢/ ١٢٨، ١٣٢، ١٤٣، ١٤٥، ١٥١، ١٦٤، ١٣/ ١٥٨، ١٨٥، ٥٢١، ١٤/ ٣٨٧، ٣٨٨، ١٥/ ٨٤، ٣٧٩
أبو سلمة	٤/ ٤٠٧، ٩/ ٣٦٣، ١٣/ ٥١١، ١٥/ ٨٣، ٢٦٧، ٢٧١
أبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد بن عبد ياليل	١٠/ ٨٤
أبو سلمى راعي رسول الله	٩/ ٣٦٣
أبو سليمان الداراني	١/ ١٥٢، ١١/ ٢٨٤
أبو سهل الطالقاني	١/ ٣٣٠، ٢/ ٢٦٢، ٤/ ١١٢
أبو صالح باذام	١/ ٥٥، ٢٠٠، ٣٢٤، ٢/ ١٠٨، ٣٥٢، ٣٨٠، ٤٩١، ٣/ ٤٤، ٤٨٥، ٥١٦، ٤/ ٤٢٥، ٥٢٥، ٥/ ٥٦، ٣٧٧، ٦/ ٢٨١، ٣١٢، ٧/ ٢٤٠، ٤٥٩، ٩/ ٣١، ١٠/ ١٨، ١٩، ٨٣، ١٦٧، ١١/ ١٧٦، ١٢/ ٤٣٦، ١٣/ ٣٢٥، ٣٨٤، ١٤/ ١٢٠، ١٢٣، ٢٣٤، ٤٦٠، ١٥/ ١٦٢، ١٦٣، ١٩٣، ٢٢٨، ٢٤٤، ٢٥٣، ٢٧٩، ٣٥٩، ٥٠٣
أبو طلحة	٤/ ١٤٧، ٣٢٤، ٤٦٨، ٥/ ٤٧٨
أبو عبد الرحمن السلمي	٤/ ٣١٨، ٥/ ١٠٦
أبو عبد الله الأزدي	١١/ ٣٥٨
أبو عبد الله الثلجي	١/ ١١٦

العلم	الجزء والصفحة
أبو عبد الله محمد بن موسى بن داود	٣/ ٣٤٨
أبو عبيد، القاسم بن سلام	٢/ ٦٩، ٤٧٣، ٤/ ١٢٣، ٣٢٤، ٥/ ٣٢٨، ٣٥٤، ٣٦٦، ٤١٠، ٦/ ٣٧٣، ١١/ ٣٩، ٥٢، ١١٦، ١٤/ ٦٨، ١٤٥، ٢١٥
أبو عبيدة بن الجراح	٣/ ٤٥٣، ٥٠٧، ٥٠٨، ٤/ ٢٨٠، ٥/ ٤٧٨، ٤٨٦، ٤٩٦، ٤٩٧، ١٤/ ٤١٣، ١٥/ ٤٧١
أبو عبيدة، معمر بن المثنى	١/ ٥٧، ٤٨، ٩٠، ١١٨، ١٥٠، ١٩٩، ٢٠٤، ٢٦٩، ٤٤١، ٢/ ١٥، ٤٧، ١٠١، ٢٤٨، ٣٣٤، ٣٦٥، ٣٩٢، ٤٩٥، ٥٢٢، ٣/ ٣٩، ٥٤، ٦٢، ١٢٢، ٤٩٦، ٤/ ٢٧، ١٧٩، ٢٨٦، ٥/ ٦١، ١٤٦، ١٧٠، ٣٣١، ٣٦٧، ٦/ ٤٢، ٣١٨، ٤٥٦، ٤٨٢، ٧/ ٢٧٨، ٣٣٦، ٤٩٨، ٨/ ٢٢٣، ٢٤٩، ٤٠٠، ٤١٤، ٩/ ١٠٥، ١٠٦، ٢١٢، ٢٤١، ١٠/ ١٧، ٣٧، ٦٨، ٧١، ٨٠، ٩٠، ١٠٦، ١١٥، ١٢٢، ١٤٢، ١٦٦، ١٧١، ٢١٧، ٢٤٠، ٢٤٩، ٢٧٤، ٢٧٥، ٣٤١، ٤٠٥، ٤١٨، ١١/ ٣٠، ١١٠، ١٣٧، ٢١٧، ٢٧٦، ٢٧٨، ٣٠٢، ٣٦٤، ٥٠١، ٥٠٤، ١٢/ ٨٣، ١٦٧، ١٨٣، ١٩٨، ٢٣٣، ٢٤٣، ٢٧١، ٢٩٨، ٣٩٨، ٤١٨، ٤٧٤، ٤٩٨، ٥٠٦، ٥٠٩، ٥٢١، ١٣/ ١١، ٥٩، ٦٦، ٨٦، ٢٨٣، ٣٠٦، ٣٣١، ١٤/ ٥٤، ٦٨، ٦٩، ٨٩، ٢٢٧، ٢٤٧، ٢٥٣، ٣٢٥، ٥٢٥، ٥٣٠، ١٥/ ١٧، ٣٩، ٤٤، ١٠٨، ١٥٠، ١٦٨، ١٩٨، ٢٠٣، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٨، ٢٣٢، ٢٥٩، ٢٧٤، ٢٩٩، ٣٠١، ٣٠٢، ٣٢٢، ٣٢٤، ٣٥٢، ٤١٢، ٤١٩، ٤٥٠، ٤٧٠، ٤٨٧، ٤٨٨، ٤٨٩، ٤٩٢، ٥٠٠
أبو عثمان الحيري	١/ ١٥٨
أبو عثمان النهدي	٦/ ٣٥٠، ١١/ ٢٤١
أبو عثمان النيسابوري	١٤/ ٤٥١
أبو عصمة نوح بن أبي مريم	٤/ ٣٣٧
أبو عطية	٧/ ٢٦٣، ١١/ ٨١
أبو علي الحسن بن يحيى الجرجاني (صاحب النظم)	١/ ٢٧٧

العلم	الجزء والصفحة
أبو علي الدقاق	٧/ ٤٨٢، ٨/ ١٣، ٤٦٨، ٥٠٥
أبو عمرو الشيباني	١١/ ٤٨
أبو عمرو (القارئ)	١/ ١١٨، ١١٥، ١٦٣، ٢٧٨، ٢٢٨، ٢/ ٨٥، ١٧٦، ٣١١، ٣١٢، ٣٥٧، ٣٨٩، ٤٨٤، ٥١٩، ٣/ ٢٥٠، ٢٦٥، ٢٧٥، ٢٨٨، ٣٠٧، ٣٩٥، ٣٩٦، ٤١٨، ٤٣١، ٤/ ١٧، ١٣١، ٢١٨، ٢٢٩، ٢٤١، ٣٠٢، ٣٤٠، ٣٧٩، ٣٨٩، ٥/ ١٠، ٩٣، ١٠٧، ١١٤، ٢١٢، ٢٢٥، ٢٩٤، ٤٠١، ٤١٦، ٤٢٤، ٤٤٥، ٤٧٢، ٥٢٨، ٦/ ٣٩، ٤٥، ٨٥، ٨٨، ١٠١، ١٤٣، ١٦٢، ١٧٤، ١٨١، ١٨٤، ١٩٥، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٧٢، ٣١٣، ٣٤٣، ٣٦٧، ٣٧٤، ٣٨٠، ٤٥٧، ٧/ ٣٥٤، ٨/ ٢٠، ٦٤، ١١١، ١٨٦، ٢٤٨، ٢٧٦، ٣٤٩، ٤٨٤، ٥١٨، ٩/ ١٤، ١٥، ١٩، ٨١، ٨٨، ١٧٢، ١٧٦، ٢٠٥، ٢٤٠، ٣٦٨، ٣٧٢، ٤١٠، ٤٦٠، ١٠/ ٤٤، ٧٢، ٧٣، ٨٢، ٨٣، ١٢٥، ١٣٥، ١٣٦، ١٤٢، ١٤٢، ١٤٦، ١٤٧، ١٧٩، ١٨٦، ١٩٦، ٢٢٥، ٢٤٤، ٢٥٤، ٢٦٥، ٢٦٦، ٣٠٥، ٣١٠، ٣٢١، ٣٢٧، ٣٢٨، ٣٣٥، ٣٣٩، ٤٨٤، ٥٠٦، ٥٠٧، ٥١٤، ٥٢٠، ١١/ ٢٤، ٣٩، ٥٢، ٥٩، ٦٢، ٨٢، ٨٣، ١٣٦، ١٨٢، ٢٢٣، ٢٩٣، ٢٩٥، ٣٤٢، ٣٧٨، ٣٩٤، ٤٢١، ٤٣٤، ٤٩٢، ٤٩٥، ٤٩٨، ٥٠٧، ١٢/ ١٦، ٧٠، ٨٦، ١٠٣، ١٣٤، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٦، ١٦٧، ١٦٨، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٣٨، ٢٤٣، ٢٥٢، ٢٧٤، ٣٥٩، ٣٦٥، ٣٦٦، ٣٧٣، ٣٧٦، ٣٩٢، ٤٨٣، ٥١٨، ١٣/ ٣٥، ١١٥، ١٦١، ٢٠٩، ٢٣٣، ٢٦٧، ٢٨١، ٤٢٧، ٤٥٤، ٥٢٥، ١٤/ ٥٨، ٦٨، ١٤٢، ١٤٤، ١٥٤، ١٩٢، ٢٠١، ٢٨٩، ٣٢٠، ٣٥١، ٣٨٣، ٣٩٢، ٤١٢، ٤٤١، ٥٥٩، ١٥/ ٣٠، ٣٣، ٤٣، ٦٦، ٧٤، ١٣٥، ١٤٨، ١٥٣، ١٦٤، ١٦٥، ٢٠٤، ٢٢٩، ٢٣٢، ٢٣٧، ٢٧٠، ٣١٣، ٣١٩، ٣٢١، ٣٤٨، ٣٦٣، ٣٦٥، ٥٣٦
أبو عمرو بن أمية	٤/ ٤٨٧
أبو عوسجة	٥/ ٤٢٦، ٦/ ٤٥١، ٤٩٢، ٧/ ٣٩٠، ٤٧٤، ٨/ ٢٢٣، ٢٢٨، ٨/ ٢٢٣، ٢٢٨، ٩/ ٣٨، ١٠/ ٦٢، ١١/ ٣٣٣، ١٣/ ١٩٩
أبو عون	١١/ ٥١٠
أبو عياض	٢/ ٢٩٠

العلم	الجزء والصفحة
أبو فاختة	١/ ١٩٣
أبو فزارة	١٥/ ٤١
أبو فضيل الأشعري	١٠/ ٣٢٣
أبو قتادة الأنصاري	٥/ ٤٩٧، ١٤/ ٥٠٥
أبو قحافة	٦/ ٢١٥، ١٣/ ٣٩٠، ١٤/ ٣٤٥، ١٥/ ٣٨١
أبو قلابة	٦/ ٤٨٢، ٧/ ٥٧، ١٥/ ١٢٤، ١٥٤
أبو قيس	٧/ ٤٦٠
أبو قيس بن الأسلت	٤/ ٤٨٧، ٤٧٨
أبو قيس، صرمة بن أنس	٣/ ١٠٣، ٤/ ٢١٧
أبو كبير الهذلي	٩/ ٢٧٤
أبو لبابة بن عبد المنذر	١/ ٢٠٠، ٧/ ١٨٣، ١٨٤، ٤٥٩، ٤٦٠، ٤٦٣، ٤٦٧
أبو ليلى المازني	١٤/ ٣٥٣
أبو مالك	٢/ ١٠٤، ٣/ ٢٧٩، ٢٨٣، ٥/ ٤٤، ٢٥٥، ٧/ ١٩٥، ١٠/ ١٠٦، ١١٢، ١٣/ ٥٠٩، ١٤/ ٢٥٦، ٤٨٨، ١٥/ ١٢٤، ٥٠٠، ٥٣٦
أبو مجلز	١٢/ ٢٩، ١٤/ ١٨، ٨١
أبو محمد إسماعيل بن محمد النوحي النسفي	١/ ٦١
أبو محمد الحلواني	٣/ ٤٣٥
أبو محمد عطاء بن مالك النحوي	١٥/ ٣٣٩
أبو مخنف	٣/ ٣٤٨
أبو مرثد الغنوي	١٤/ ٣٧٩،
أبو مريم الغساني	١٣/ ٥١٤

العلم	الجزء والصفحة
أبو مسعود الأنصاري	٧/ ٤٤٢
أبو مسلم الخولاني	٧/ ٥٧، ١٠/ ٦٣، ١٢/ ٣١٦
أبو معاذ النحوي، الفضل بن خالد المروزي	٢/ ٣١٢، ٣٣٠، ٥٢٣، ٤/ ٣١٨، ١١/ ٥٢، ١٢/ ٦٧، ٢٢٧، ٢٩٤، ٣٩٤، ١٣/ ٢٣٣، ١٤/ ٢١٩، ٢٥٣، ٥٤٠، ٥٥٧، ١٥/ ٢٦٠، ٢٩٨، ٤٧٥، ٤٧٦، ٥٣٧
أبو مقبل بن نبهان التمار	٤/ ٢٦٨
أبو مقبل عمرو بن قيس التمار	٨/ ٢٨٤
أبو منصور القشيري	١/ ١١٣
أبو منصور الماتريدي	١/ ١٦، ٩٣، ١٠٢، ١٢٠، ١٤٠، ١٤٢، ١٤٨، ١٥٣، ١٦٠، ٢٢٨، ٢٣٤، ٣٠٨، ٣٠٩، ٣٢٢، ٣٥٦، ٣٥٨، ٣٨٨، ٣٩٢، ٤٠٧، ٤٠٩، ٤١٧، ٤٢٩، ٤٣٦، ٢/ ١٣، ٢٠، ٦٢، ٧٧، ٨٧، ١٠٤، ١١١، ١١٢، ١٣٠، ١٣٣، ١٤٠، ١٨٧، ١٩٢، ٢٤٢، ٢٤٦، ٢٥٤، ٢٥٦، ٢٦١، ٢٧٣، ٢٨٠، ٢٩٤، ٢٩٥، ٣٠١، ٣١٦، ٣٢٤، ٣٣٦، ٣٣٨، ٣٤٤، ٣٥٤، ٣٦٧، ٣٧٣، ٣٨٣، ٣٨٧، ٣٩٣، ٣٩٩، ٤٠١، ٤١١، ٤١٣، ٤١٦، ٤١٨، ٤٢٠، ٤٢٧، ٤٣٦، ٤٤٥، ٤٤٦، ٤٥٣، ٤٦٠، ٢٧٧، ٤٧٨، ٤٨٦، ٤٨٩، ٤٩٣، ٤٩٧، ٤٩٩، ٥٠٤، ٥٠٨، ٥١٢، ٥٢٨ ٣/ ١٤، ١٥، ٤١، ٤٨، ٢٠٥، ٣٩٨، ٤٠١، ٤١١، ٤١٢، ٤١٣، ٤١٥، ٤٢٠، ٤٢٩، ٤٣٣، ٤٣٥، ٤٦٠، ٤٩٦ ٤/ ١٥، ٢٦، ٣٤، ٣٥، ٤٢، ٤٥، ٤٧، ٦٨، ٦٩، ٧٤، ٨٥، ٩٥، ٩٩، ١٠٢، ١٠٥، ١٠٧، ١١٢، ١١٤، ١١٨، ١٢٩، ١٣٣، ١٣٦، ١٣٩، ١٤٠، ١٤٦، ١٥٢، ١٦١، ١٧١، ١٧٤، ١٨٢، ١٨٣، ١٩٠، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢١١، ٢١٢، ٢١٤، ٢٢٥، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٤، ٢٤٢، ٢٤٨، ٢٧٣، ٢٨٨، ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩٦، ٣٠٤، ٣٠٨، ٣١٧، ٣٢٤، ٣٢٥، ٣٣١، ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٣٧، ٣٥٤، ٣٥٦، ٣٦٤، ٣٧٠، ٣٧٤، ٣٧٩، ٣٨٢، ٣٩٢، ٣٩٣، ٣٩٦، ٣٩٨، ٤٢٠، ٤٢٥، ٤٢٦، ٤٣٦، ٤٤٠، ٤٤١، ٤٤٣، ٤٥٦، ٤٦٧، ٤٧٠، ٤٧٤، ٤٨٠، ٤٨٢، ٤٨٧، ٤٩٠، ٤٩١، ٤٩٣، ٤٩٥، ٤٩٨، ٥٠٥، ٥٠٨، ٥١٠، ٥١٥، ٥١٦، ٥٢١، ٥٢٤

العلم	الجزء والصفحة
أبو منصور الماتريدي	٥/ ٧، ١٣، ١٧، ١٩، ٢٦، ٢٨، ٣٥، ٣٨، ٣٩، ٤١، ٤٥، ٤٦، ٥١، ٥٢، ٥٥، ٥٨، ٧٢، ٩٩، ١٠٤، ١٠٨، ١٠٩، ١١٠، ١٢٢، ١٥١، ١٥٢، ١٦٦، ١٧٤، ٢٠٧، ٢٤٦، ٢٥٢، ٢٥٧، ٢٦٤، ٢٧٧، ٢٨٩، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣١١، ٣٢٨، ٣٣٧، ٣٤٣، ٣٥٠، ٣٥٤، ٣٦٤، ٣٧٠، ٣٧١، ٣٧٤، ٣٧٩، ٣٨٥، ٣٩٢، ٣٩٥، ٤٠٦، ٤١٢، ٤١٣، ٤٢٠، ٤٣٩، ٤٤٥، ٤٥٩، ٥٠٠، ٥٢٢، ٥٣٧، ٥٣٨ ٦/ ١٧، ١٩، ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٣٤، ٣٦، ٣٧، ٤٨، ٥٣، ٥٥، ٥٩، ٦٠، ٦٣، ٧٥، ٧٩، ٨٠، ٨١، ٨٣، ٨٩، ٩٠، ٩٦، ٩٧، ٩٨، ١٠٢، ١٠٧، ١١٠، ١٢٠، ١٢٤، ١٢٥، ١٣٦، ١٣٨، ١٤١، ١٤٦، ١٤٨، ١٥٧، ١٦٠، ١٦٢، ١٦٤، ١٦٨، ١٧٢، ١٧٥، ١٧٨، ١٧٩، ١٨٥، ١٩٢، ١٩٤، ٢٠٢، ٢٠٤، ٢١٤، ٢١٧، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢١، ٢٢٦، ٢٣٠، ٢٣٢، ٢٤٤، ٢٤٦، ٢٥٣، ٢٥٨، ٢٦١، ٢٦٥، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧٤، ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٩٠، ٢٩٦، ٣٠٠، ٣١٠، ٣١٧، ٣١٩، ٣٢٤، ٣٢٩، ٣٣١، ٣٢٨، ٣٣٥، ٣٤٠، ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٤٩، ٣٥٢، ٣٥٤، ٣٦٦، ٣٦٨، ٣٧١، ٣٧٢، ٣٧٤، ٣٧٨، ٣٨٠، ٣٨١، ٣٨٢، ٣٩١، ٣٩٥، ٣٩٧، ٣٩٨، ٤١٣، ٤١٤، ٤١٥، ٤١٨، ٤٢٥، ٤٣٠، ٤٣١، ٤٣٤، ٤٤٠، ٤٤١، ٤٤٧، ٤٥٠، ٤٥٥، ٤٥٦، ٤٥٨، ٤٦١، ٤٦٤، ٤٦٦، ٤٧٠، ٤٨٠، ٤٨١، ٤٩١، ٤٩٣، ٥٠٢، ٥٠٧، ٥٠٨، ٥١٥، ٥٢٣، ٥٢٤، ٥٢٥، ٥٢٧ ٧/ ٦، ٧، ٨، ١٢، ١٤، ١٩، ٢٢، ٢٥، ٤٠، ٤٥، ٤٨، ٥٤، ٧٣، ٨٠، ٨٢، ٨٣، ٩٠، ٩٣، ٩٤، ٩٥، ٩٩، ١٢٧، ١٣٠، ١٣١، ١٥٤، ١٦٣، ١٦٥، ١٧٥، ١٧٩، ١٨٢، ١٩٩، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢١٥، ٢١٧، ٢٣٥، ٢٣٧، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٧٦، ٢٩٧، ٣٠٧، ٣٠٨، ٣١٥، ٣٢٧، ٣٤٦، ٣٥٣، ٣٥٧، ٣٥٩، ٣٦١، ٣٦٤، ٣٦٥، ٣٧٠، ٣٩٠، ٣٩٧، ٤٠٨، ٤١٤، ٤١٥، ٤٢٢، ٤٢٤، ٤٢٦، ٤٣٦، ٤٤٥، ٤٥٤، ٤٦٢، ٤٦٥، ٤٧٣، ٤٧٨، ٤٩١، ٤٩٣، ٤٩٩، ٥١٢، ٥١٨، ٥٢٠، ٥٢٣

العلم	الجزء والصفحة
أبو منصور الماتريدي	٨/ ١٢، ١٦، ١٩، ٢٤، ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٣٠، ٣٢، ٣٦، ٤١، ٤٦، ٥١، ٦٢، ٦٥، ٦٦، ٦٧، ٦٩، ٧٠، ٧٢، ٧٩، ٨٠، ٨٢، ٨٧، ٨٨، ٨٩، ٩٠، ١٠١، ١٠٥، ١٠٦، ١٠٧، ١٠٩، ١١٠، ١١٢، ١١٦، ١١٨، ١٢٠، ١٢١، ١٢٥، ١٢٨، ١٣٣، ١٣٨، ١٤٠، ١٤١، ١٤٢، ١٤٥، ١٤٦، ١٥٤، ١٥٦، ١٥٨، ١٦٢، ١٦٤، ١٦٧، ١٧٠، ١٧٣، ١٧٩، ١٨٧، ١٩٤، ٢٠٦، ٢١٠، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٦، ٢٢٢، ٢٢٧، ٢٣١، ٢٣٥، ٢٣٧، ٢٤٣، ٢٤٥، ٢٥٣، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٧٥، ٢٧٨، ٢٨٣، ٢٩٩، ٣٠١، ٣٠٨، ٣١٠، ٣١٢، ٣١٥، ٣١٨، ٣٢٢، ٣٣٢، ٣٣٤، ٣٣٩، ٣٤٧، ٣٥٤، ٣٦١، ٣٦٢، ٣٦٥، ٣٦٨، ٣٩٠، ٣٩٧، ٤٠١، ٤١١، ٤٤٩، ٤٧٤، ٤٧٨، ٤٨١، ٥١٠، ٥١٢، ٥١٥، ٥٢٠ ٩/ ١٨، ١٩، ٢٢، ٣٧، ٤٢، ٨٢، ٨٦، ١٠١، ١٠٥، ١٠٦، ١٠٧، ١١٨، ١٢٠، ١٢١، ١٢٢، ١٢٩، ١٤٩، ١٥٩، ١٧٤، ٢٠٧، ٢٠٩، ٢٤٨، ٢٥٠، ٣٥١، ٣٨٤، ٣٨٥، ٤٠٤، ٤١٦، ٤٩٥ ١٠/ ٥١، ٥٢ ١١/ ٢٥٥، ٣٠١، ٣١٦، ٣٣٣، ٣٩٠، ٤٠٢، ٤١٩ ١٢/ ٤٨، ١٠٧، ١٣٣، ١٧٢، ١٨٢، ٢١١، ٢١٦، ٢٩٢، ٢٩٤، ٣٧٤، ٣٨٨، ٤٣٠، ٤٣٨، ٤٤٦، ٤٨٢، ٤٨٦، ٤٩٠، ٤٩٩، ٥٠٤، ٥٠٧ ١٣/ ١٠، ٤٥، ٦٠، ٦١، ٧٠، ٧٢، ٩٠، ٩٣، ٢٤٣
أبو موسى الأشعري	٢/ ٧٢، ٣/ ٢٧٠، ٥/ ٣٦٤، ٤١٣، ٤١٩، ٥١٣، ٦/ ٣٧٠، ٧/ ٤٤٢، ٨/ ٥٣، ٢٢٩، ١٠/ ٤٣١، ١٤/ ١٧٤، ٢٠٩، ٢٢٥، ٢٣٧، ٣١٣، ١٥/ ٤٤٣
أبو ميسرة	١/ ٧٤، ٦/ ٥٦، ١٢/ ٤٣٦
أبو نصر أحمد بن جعفر	٣/ ٣٤٨، ٣٥٢
أبو نصير، دهقان القلزم	٣/ ٣٤٨
أبو نضرة	٥/ ٢٧٩

العلم	الجزء والصفحة
أبو هريرة	١/ ١٠٧، ١١٥، ٢٣٢، ٣/ ٨، ٢٤، ١٧٢، ٢٧١، ٢٨٩، ٣٣٣، ٤٤٩، ٤٨٤، ٤/ ١٦، ٣٣٧، ٣٤٤، ٣٥٧، ٥٠٩، ٥١٥، ٥/ ٦٩، ٧٥، ٧٧، ١٣٧، ٤١٩، ٤٧٢، ٥٠٢، ٥٠٤، ٦/ ٤٨، ٦٥، ٢٦٥، ٢٦٨، ٣٤٤، ٥٢٦، ٧/ ٢٤٩، ٢٧٠، ٤١١، ٨/ ٢٨٣، ٩/ ٦٤، ٨٦، ٢١٨، ٣٦٣، ١٠/ ١٣٠، ١٤٨، ١٥٠، ٣٥٣، ٤٣٤، ١١/ ٣٧، ٣١٠، ٣١١، ٥٠٩، ٥١٠، ١٢/ ٣٤، ٦٨، ٩٨، ١١٢، ١١٣، ٢١٠، ٢٥٣، ٢٨٥، ٣٣٢، ٣٦٦، ٤٣٦، ٥٠٤، ١٣/ ٦٩، ٤٣٣، ٥٢٢، ١٤/ ٢٢، ٩٤، ١٢٩، ١٧٢، ٤١٨، ٤٨٨، ١٥/ ١٠٨، ١٢٨، ٢٥٠، ٢٥٦، ٢٧٨، ٤١٥، ٤٤١، ٤٦٥، ٥٣٦
أبو وائل	٦/ ٢٣١، ١١/ ٨٣
أبو يزيد البسطامي	٤/ ٢٩
أبو يزيد المدني	٦/ ٥٦
أبو يعلى	١١/ ٢٤٠
أبو يوسف	٢/ ٧٩، ٢٥٤، ٣/ ٢١٣، ٢٤٩، ٤٢٦، ٤/ ٤٤٠، ٤٧١، ٤٩١، ٥/ ٣٨، ٤٢، ١٧٥، ٤٩١، ٤٩٢، ٦/ ٢٢٠، ١٠/ ٤٨٧
أبي بن خلف	٧/ ٢٩٠
أبي بن كعب	١/ ١٢، ٧٤، ٨٢، ٨٣، ٩٠، ٢/ ٧٣، ٣/ ٣٤١، ٤٢٢، ٤/ ١٣٥، ١٨٨، ١٩٥، ٢٠٠، ٣١٨، ٣٦٦، ٤١٦، ٥/ ٩٤، ٢٨٤، ٤٧٨، ٦/ ٩، ١٠٣، ٢٧٩، ٧/ ٥٧، ١١٨، ١٧٤، ٢٦١، ٤٥٢، ٤٥٣، ٤٧١، ٥٢٧، ٨/ ٧، ٥٢، ٨٦، ١٥١، ٢٩٧، ٩/ ٧، ٩٣، ١٥٥، ١٦٥، ٢١٨، ٢١٩، ٢٣٧، ٣٥٩، ٣٦٤، ١٠/ ٧، ١٠٣، ١١٠، ١١٦، ١١٧، ١١٩، ١٢٣، ١٦١، ٢٥٣، ٣٦٥، ٤٥٩، ١١/ ٧، ٨١، ١٠٤، ١٣٩، ١٤٠، ١٤٢، ١٨٧، ٢٥١، ٣٢١، ٣٩٧، ٤٧٧، ١٢/ ٧، ٥٣، ٩٧، ١٢٧، ١٣٧، ١٩١، ٢٢١، ٢٨٣، ٣٣١، ٣٨٧، ٤٣٦، ٤٦١، ١٣/ ٧، ٨١، ١٤٧، ٢٠٥، ٢٦٣، ٣١٣، ٣٤٥، ٣٧١، ٤٠٧، ٤٣٧، ٤٦٣، ٤٨٧

العلم	الجزء والصفحة
أبي بن كعب	١٤/ ٥، ٣٧، ٩٧، ١٤٩، ١٧٥، ٢٣١، ٢٨١، ٣١٥، ٣٤٧، ٣٧٧، ٤٠٣، ٤١٥، ٤٢٦، ٤٤٣، ٤٥٧، ٤٧٥، ٥٠١، ٥١٩، ٥٥٣، ١٥/ ٥، ٢١، ٣٧، ٤٩، ٦١، ٨١، ١١١، ١٢٨، ١٦١، ١٧٧، ١٩٥، ٢١٣، ٢٢٢، ٢٢٧، ٢٤١، ٢٦٥، ٢٧٧، ٢٩٥، ٣٠٥، ٣١٧، ٣٢٩، ٣٥٥، ٣٦٧، ٣٧٥، ٣٨٣، ٣٩٥، ٤٠١، ٤٠٧، ٤٢١، ٤٣٣، ٤٣٩، ٤٤٧، ٤٥٥، ٤٦١، ٤٦٩، ٤٧٣، ٤٧٩، ٤٩١، ٥٠٣، ٥١١، ٥١٥، ٥٢١، ٥٢٩، ٥٣٤، ٥٤٣
أحمد بن عاصم	٤/ ٢٩
أحمد بن فارس	٢/ ٤٩٦
أحيحة بن الجلاح	٢/ ٢١٧
أرطأة بن شرحبيل	٧/ ١٧٢
أروى	١١/ ١٠١، ١٣٣
أسامة بن زيد	١/ ٣٨، ٤/ ١٤٩، ٥/ ١٦٠، ٩/ ٣٦٣، ١١/ ٩٧، ٩٨، ١٢/ ٣١٥، ١٤/ ٢٢٣
أسباط	٣/ ٧٦، ١٣/ ٩٣
إسحاق	٦/ ٤٢٨
أسعد بن زرارة	٤/ ٢١٧
أسماء بنت أبي بكر	٣/ ٣٩٩، ١٣/ ٣٠، ١٤/ ٣٨٨، ١٢/ ١٩٤
أسماء بنت عميس	١٢/ ١٧٤
أسماء بنت مرشدة	١١/ ١٧٠
أسماء بنت يزيد	٥/ ٢٨٣، ١٢/ ١١٢، ١٣/ ٥٦
إسماعيل بن عبد الرحمن	٥/ ٤٦٥
أسيد بن حضير	٣/ ٢١٢، ٤/ ٢٨٠، ٥/ ٣١٦، ٤٢٢، ٧/ ٣٠٣، ١١/ ٩٨، ١٤/ ٤٣٨
أعشى بن ثعلبة	٢/ ٩١

العلم	الجزء والصفحة
أكثم بن صيفي	٥/ ١٧١
الأخطل	٢/ ١٩٠، ٤/ ٢٥٨
الأخفش	١/ ٣٩٠، ١٥٥، ٢٠٤، ٣٣٣، ٣٤٢، ٣٥٢، ٢/ ١٤٢، ١٧٦، ١٩٧، ٢١١، ٢١٦، ٢٨٨، ٣٠٢، ٣٠٥، ٣٢٩، ٣/ ٢٥٦، ٢٧٥، ٤٧٦، ٥٠٤، ٤/ ١٢، ١٦٣، ٢٤٢، ٢٨٥، ٥/ ٢٢١، ٢٦٨، ٦/ ٤٢، ٢٥١، ٣٥١، ٧/ ٧٠، ٢١٩، ٣٩٦، ٨/ ٥٦، ١٠٤، ٤٨٤، ٩/ ٢٣، ١١٣، ١٠/ ٥٤، ١٠٦، ٢٢٣، ٢٣٤، ٣١٤، ١١/ ٣٣٩، ١٢/ ١٧، ٢٣٣، ٣٠٤، ٤٧٤، ٥١٨، ١٣/ ٦٦، ١٥٢، ١٧٢، ٢٦٨، ٤٨٠، ١٤/ ١٩، ٧٦، ٨٥، ٨٩، ١٣٤، ١٥١، ١٦٢، ٢٠١، ٢١٢، ٢٤٣، ٢٤٥، ٢٥٠، ٢٦٥، ٢٧٩، ٣٨٠، ٣٩٤، ٥٠٤، ٥١٦، ٥٢٥، ٥٥٠، ٥٦٢، ٥٧٢، ١٥/ ١٣، ٤٤، ٤٦، ٥٥، ٧١، ٩٩، ١١٩، ١٢٣، ١٣٠، ١٣٤، ١٤٢، ١٥٨، ١٦٨، ١٩٨، ٢٠٣، ٢٢٢، ٢٢٨، ٢٣٥، ٢٥٩، ٢٧٤، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠١، ٣٠٢، ٣٢٢، ٤٠٣، ٤٥٧، ٤٧٦
الأزهري	٢/ ٣٣٤، ٤٧٣، ٣/ ٢٨٨، ٤/ ٦٣، ٢٩١، ٥/ ٣٥٢، ٦/ ٢٨٦
الأسدي	١٥/ ٥٣٦
الأسود	١٤/ ٢٧١، ٤٦٠
الأسود بن يعفر	١٢/ ٤٧٢
الأشجعي	١/ ٤٤٣
الأشعث بن سوار	٤/ ٤٨٧
الأشعث بن قيس	٤/ ١١٩، ٥/ ٤١٩
الأصم	٥/ ٤٠٦، ١٤/ ٢٦٢
الأصمعي	١/ ١١٨، ٢/ ٢٩٠، ٥٠١، ٤/ ٢١، ٦/ ٤٥، ٧/ ٤٨١، ٨/ ٣٩٢، ٩/ ٤٤٨، ١٠/ ٥٢٢، ١٢/ ٤٥٤، ١٤/ ٦٨، ١٥/ ٤٦

العلم	الجزء والصفحة
الأعرج	٧/ ٣٧٩
الأعشى	١/ ١٢٣، ٥/ ٣٠٣، ٥٢٧، ٦/ ١٦٦، ٨/ ٢٣٥، ٣٢٣، ٣٨٥، ٩/ ٤٧٦، ١٠/ ٢٢٦، ٣٣٥، ١١/ ١٠٥، ٤٩٥، ١٤/ ٧٦، ٥٦٩
الأعمش	١/ ١١٥، ٢٧٧، ٢/ ٥١٠، ٤/ ٣٥٤، ٥/ ١٠٦، ٢٣٢، ٣٦٨، ٧/ ٤١٠، ٨/ ٢٠١، ١٢/ ٢٥٢، ١٣/ ٣٢٣، ١٤/ ٢٠٧، ١٥/ ١٠
الأقرع بن حابس	٥/ ٥٠٣، ٧/ ٣٠٦، ٣٨٥، ٣٨٦، ١٠/ ٦١، ١٣/ ٤٩٣، ٤٩٥، ٤٩٩، ٥٠٠، ١٥/ ٢٧٤
الأوزاعي	١/ ٢٢٨، ٥/ ٤٣
البخاري	٧/ ٥٠٤
البراء بن عازب	٢/ ٤٨٨، ٣/ ١١٠، ١٢٠، ٣٨٨، ٤٢٢، ٥/ ٢٧٨، ٦/ ١٦٦، ٣٤٤، ٧/ ٢٦٣، ٥٢٨، ١٠/ ١٨٤، ١٤/ ٦٩، ٩٣، ١٥/ ٣٦٤
البراء بن معرور	٤/ ٢١٧
البرجمي، عبد الحميد بن صالح بن عجلان	٦/ ١٦٦، ١٢/ ٢٥٢، ٢٧٤
البزي	١٢/ ٢٣٨
البعلي	١٤/ ٨
الترمذي، الحكيم محمد بن علي	١٥/ ١٥٢
الثعلبي	٢/ ٥٨، ٥٩
الجاحظ	١٥/ ٤٩
الجحدري	١/ ٢٩٥، ٤/ ٤٣٢
الجلاس بن سويد	٤/ ١٣٧، ٣٩٩
الجنيد	١٠/ ٤٤٥، ١١/ ٢٨٣، ١٣/ ٢٢٩، ١٤/ ٦٠، ٢١٨، ٢٧٧

العلم	الجزء والصفحة
الحارث المحاسبي	١/ ٥٢، ٤/ ٥٢٥
الحارث بن الصمة	٤/ ٢٨٠، ٢٨٣
الحارث بن حاطب	٤/ ٣٢٩
الحارث بن حلزة	١٠/ ٧٣
الحارث بن سويد	٤/ ١٣٧
الحارث بن عبد الله الأعور	٩/ ٢٩٤
الحارث بن علقمة	٧/ ١٧٢
الحارث بن هشام	٦/ ٢١٥، ٧/ ٢٢٢، ٢٨١، ٣٠٦، ٣٨٥، ١٢/ ٢٥٥
الحارث بن يزيد	٥/ ١٥٥
الحباب بن المنذر	٤/ ٢٨٠، ٧/ ١٣٩
الحجاج	٤/ ٢٠٣، ٦/ ١٣٧
الحسن البصري	١/ ٤٤٢ ٢/ ٥٠، ٥٣، ٧٨، ٨٣، ٩٠، ١٠٣، ١١٠، ١٤٣، ٢٠٣، ٢٢٠، ٢٢٤، ٢٢٩، ٢٥٠، ٢٧١، ٢٨٤، ٢٩٣، ٢٩٧، ٣٢٤، ٣٤١، ٣٤٨، ٣٧٣، ٣٨١، ٤٠٨، ٤١٤، ٤٣٦، ٤٣٧، ٤٥٤، ٤٥٩، ٤٨٦، ٤٨٨، ٥٢٥ ٣/ ٧، ١٩، ٤٤، ٤٩، ٥٣، ٦٢، ٧٣، ٧٥، ١٠١، ١١١، ١٣٤، ١٤٢، ١٤٤، ١٥٧، ١٦٦، ١٧٢، ٢٤٤، ٢٧١، ٢٨٢، ٣١٧، ٣٣٤، ٣٣٦، ٣٤٦، ٣٥٥، ٣٩٤، ٣٩٥، ٤٣٠، ٤٣٦، ٤٣٨، ٤٥٠، ٤٨١، ٤٨٤، ٥٢٢ ٤/ ٢٢، ٥٠، ٦٣، ٧٥، ٩٣، ١٠٩، ١٣٤، ١٣٩، ١٤٢، ١٥٦، ١٦٥، ١٨٣، ١٩٥، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢١٢، ٢٢٠، ٢٣٠، ٢٣٧، ٢٥٤، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٥، ٢٧١، ٢٩٣، ٣٠٣، ٣٠٦، ٣٠٩، ٣١٨، ٣٣٧، ٣٥٨، ٣٨٩، ٤٣٢، ٤٦٨، ٤٦٩، ٥١٥، ٥١٩، ٥٢٤

العلم	الجزء والصفحة
الحسن البصري	٥/ ٨، ٢٨، ٣٤، ٤٧، ٤٩، ٥٥، ٥٨، ٧٠، ٧١، ٧٧، ٨١، ٨٦، ٨٨، ١٠٦، ١٠٧، ١٣٦، ١٣٧، ١٤٧، ١٤٩، ١٦٩، ١٧٥، ١٩٥، ١٩٧، ١٩٩، ٢٢٣، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٥٥، ٢٧١، ٣٣٣، ٣٣٥، ٣٤٧، ٣٤٨، ٣٦٠، ٣٨٩، ٣٩٤، ٣٩٦، ٤٠٥، ٤٢٠، ٤٣٠، ٤٣٢، ٤٤٧، ٤٩٠، ٥١٣، ٥٣١ ٦/ ١١، ١٥، ٢٧، ٣٧، ٤٠، ٤٣، ٥٥، ٥٧، ٦٥، ٦٩، ٧٢، ٧٣، ٩٦، ١٠١، ١٠٣، ١٠٥، ١٠٦، ١٠٧، ١٠٩، ١١١، ١٢٥، ١٣٤، ١٤٤، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٧، ١٦٣، ١٦٦، ١٧٤، ٢٠٢، ٢١١، ٢١٥، ٢٢٣، ٢٢٨، ٢٣٩، ٢٤٩، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٨٠، ٢٨٢، ٢٩٠، ٢٩٦، ٣٠٥، ٣١١، ٣١٣، ٣١٧، ٣١٨، ٣٢٠، ٣٢٤، ٣٣١، ٣٣٣، ٣٤٦، ٣٦٢، ٣٧١، ٤١٩، ٤٢٩، ٤٤١، ٤٥٤، ٤٥٩، ٤٦٣، ٤٦٥، ٤٧٩، ٤٨٢، ٤٨٧، ٤٨٨، ٤٩٠، ٥٠٥، ٥٠٦، ٥١٦، ٥١٧ ٧/ ٦، ٢٦، ٣٩، ٤٥، ٥٣، ٥٧، ٦٩، ٧٩، ٩٩، ١٢٩، ١٥٣، ١٧٧، ٢٠٣، ٢٠٦، ٢٣٤، ٢٤٨، ٢٥١، ٢٧٢، ٢٧٨، ٢٨٧، ٢٩٥، ٣٠٠، ٣٢٠، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٣٧، ٣٤٥، ٣٥٤، ٣٧٢، ٣٧٣، ٣٧٥، ٣٧٩، ٣٨٣، ٣٨٤، ٣٩٣، ٣٩٨، ٤١١، ٤١٣، ٤٢٣، ٤٣٢، ٤٣٥، ٤٤٢، ٤٤٢، ٤٥٢، ٤٥٣، ٤٥٦، ٤٦٠، ٤٦١، ٤٧٠، ٤٨٠، ٤٨٤، ٤٨٥، ٤٨٨، ٤٩٠، ٤٩٤، ٥٠٠، ٥١١، ٥٢١، ٥٢٢، ٥٢٤ ٨/ ١١، ٣٧، ٣٨، ٤٠، ٤٩، ٥١، ٥٣، ٦٥، ٦٨، ٨٣، ٨٥، ٩٦، ١٢٨، ١٣٤، ١٤٦، ١٤٧، ١٥٣، ١٥٦، ١٦٦، ١٧٧، ١٨٣، ١٩٩، ٢٠٠، ٢١٠، ٢١٩، ٢٣٣، ٢٣٥، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٥٠، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٨٢، ٢٨٢، ٢٨٩، ٢٩٠، ٣٠٢، ٣٢٢، ٣٣٩، ٣٦٤، ٣٦٩، ٣٧٩، ٤٠٩، ٤٤٣، ٤٦٧، ٤٧٠، ٤٧١، ٤٧٧، ٤٨٧، ٤٨٩، ٤٩٤، ٩/ ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٣١، ٣٢، ٤٢، ٥٨، ٧٠، ٨٢، ٨٦، ٩٨، ١٠٠، ١٠٤، ١١١، ١٢٧ ١٢٩، ١٣٧، ١٤١، ١٤٩، ١٥٢، ١٥٧، ١٧٦، ١٨٦، ١٨٩، ٢١٣، ٢٢٣، ٢٣٢، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٦٤، ٢٧٦، ٢٨٠، ٢٨٧، ٢٩١، ٢٩٨، ٣٠٣، ٣١٣، ٣٤٣، ٣٤٩، ٣٥١، ٣٧٤، ٣٨٢، ٣٨٣، ٤٠٦، ٤١٦، ٤٢٢، ٤٢٣، ٤٢٤، ٤٢٩، ٤٣٥، ٤٤١، ٤٦٢، ٤٦٣، ٤٦٤، ٤٧٠، ٤٧٣، ٤٧٩، ٤٨٢، ٤٨٥، ٤٩٢، ٤٩٣

العلم	الجزء والصفحة
	١٠/ ١٤، ١٦، ١٩، ٤٤، ٦١، ٩٧، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٩، ١١٩، ١٢٩، ١٣٠، ١٣٥، ١٣٩، ١٤١، ١٥١، ١٦٧، ١٦٩، ١٧٠، ١٧٨، ١٨٢، ١٨٥، ٢٠٤، ٢٢٩، ٢٥٤، ٢٩٦، ٣١٦، ٣٢٥، ٣٤٠، ٣٤٣، ٣٦٢، ٣٧٤، ٣٧٩، ٣٨٧، ٣٨٩، ٣٩٩، ٤٢٣، ٤٢٩، ٤٣٠، ٤٤٨، ٤٦٢، ٤٦٥، ٤٦٧، ٤٩٢، ٤٩٥، ٥٠٢، ٥٠٣، ٥١٢، ٥٢٣، ٥٤٢
	١١/ ١١، ٢٩، ٤٠، ٤٣، ٤٤، ٥٣، ٧٠، ٨٥، ٩١، ١٣٨، ١٤٠، ١٤٨، ١٩٠، ٢٠٥، ٢٢٥، ٢٢٩، ٢٣٢، ٢٤٠، ٢٥٣، ٢٧٦، ٢٩٠، ٣٠٢، ٣٨٥، ٤٠٢، ٤١٧، ٤٣٧، ٤٦٦، ٤٧٢، ٤٩٧، ٥٠٣، ٥٠٤
	١٢/ ٩، ١١٤، ١١٥، ١٢٢، ١٣٣، ١٣٨، ١٥١، ١٦٣، ١٩٤، ١٩٦، ٢٠٠، ٢١٥، ٢٣٢، ٢٤٤، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٤، ٣١٣، ٣٢٠، ٣٢١، ٣٣٢، ٣٤٠، ٣٥٢، ٣٥٩، ٣٦١، ٣٦٩، ٣٩٠، ٣٩٩، ٤٠١، ٤٠٨، ٤١٠، ٤٣٦، ٤٤٠، ٤٤٧، ٤٥٤، ٤٦٢، ٤٦٥، ٤٩٦، ٥٠٦، ٥٠٩، ٥١٣
	١٣/ ٢١، ٨٣، ١١١، ١٥٢، ١٧٥، ١٧٩، ٢٢٤، ٢٣٥، ٢٤٢، ٢٥٢، ٢٨٠، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٧٧، ٣٨٧، ٣٩٣، ٤٠٢، ٤١٢، ٤٢٦، ٤٣٤، ٤٦٤، ٤٨٩، ٥١٣
الحسن البصري	١٤/ ١٠، ١٧، ١٨، ٢٨، ٣٦، ٤٢، ٧٠، ٩٠، ٩٥، ١٠٧، ١٢٠، ١٢٩، ١٥٠، ١٦٣، ١٨٥، ١٨٧، ١٨٩، ١٩٢، ١٩٧، ٢٠٢، ٢٠٨، ٢١٠، ٢١٤، ٢١٥، ٢١٧، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٢٩، ٢٤٠، ٢٤٦، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٠، ٢٦٩، ٢٩٩، ٣٠٢، ٣٠٤، ٣٠٧، ٣٣١، ٣٣٦، ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٧٤، ٣٨٩، ٤٠٣، ٤٢٦، ٤٢٨، ٤٤١، ٤٦٠، ٤٦٤، ٤٧٩، ٤٨٨، ٤٩٥، ٥٠٣، ٥٠٥، ٥٢٩، ٥٣٧، ٥٣٩، ٥٥٠، ٥٥١، ٥٥٥، ٥٦٤، ٥٦٩، ٥٧١، ٥٧٣، ٥٧٥
	١٥/ ٨، ١٠، ١٨، ١٩، ٢٦، ٣٢، ٤٤، ٥٣، ٥٤، ٦٣، ٦٤، ٧٠، ٧٣، ٧٧، ٧٨، ٨٧، ٨٨، ٨٩، ٩٢، ٩٤، ٩٦، ٩٧، ٩٩، ١٠٠، ١١٢، ١٢٢، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٦، ١٣٣، ١٣٦، ١٤٠، ١٤٢، ١٥٠، ١٥١، ١٥٤، ١٧١، ١٧٢، ١٧٩، ١٨٢، ١٨٤، ١٨٩، ١٩٢، ١٩٧، ١٩٨، ٢٠٣، ٢٠٨، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢٣، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٤٥، ٢٥٦، ٢٥٩، ٢٦٩، ٢٧٨، ٢٨٠، ٢٩١، ٢٩٢، ٢٩٤، ٢٩٩، ٣١١، ٣١٨، ٣٢٠، ٣٣١، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٤٧، ٣٥١، ٣٥٩، ٣٦٢، ٣٨٦، ٤٠٢، ٤١٣، ٤١٨، ٤٢٨، ٤٤٤، ٤٥٢، ٤٥٤، ٤٧٠، ٤٧٨، ٤٨٨، ٥٠٠، ٥٠٧، ٥١٨، ٥٣٤، ٥٣٦، ٥٤٨

العلم	الجزء والصفحة
الحسن بن زياد	١٠/ ٤٨٧
الحسن بن عبد الرحمن بن زيد	١/ ١٥٦
الحسن بن علويه الدامغاني	١٥/ ١٥٥
الحسن بن علي	١/ ١٣، ٣٨، ٣٨، ٢/ ٤٧٦، ٣/ ١٦٠، ٢٦٤، ٣٤١، ٤/ ٨٦، ٦/ ١٣٨، ٨/ ١٧٦، ١٢/ ١٧١، ١٤/ ٤٥٤، ١٥/ ١٤٢، ١٤٤، ٢٧٩، ٣٣٣، ٤٢٣، ٤٢٨
الحسن بن محمد بن علي	١٤/ ٤٤، ٩٤، ١٥٩
الحسين الجعفي	١/ ١٤، ٢٦، ٥٥، ٧١، ١٠١، ١٠٥، ١٢٢، ١٥٧، ١٧٤، ١٩٤، ٣٣٩
الحسين بن الفضل	٣/ ٥١٤، ٥٢٠، ٤/ ٢٦، ٥٢، ٥٧، ٢٦٤، ٣٤٦، ٥٢٦، ٥/ ١٢٢، ٢٣٥، ٢٥٠، ٣٣٨، ٣٧٠، ٣٧١، ٣٧٤، ٤٠٠، ٤٣٨، ٦/ ٢١١، ٣٧٧، ٥١٤، ٥٢٢، ٧/ ١٢٩، ٢٧٦، ٣٥٨، ٥٢٦، ٨/ ٨٦، ٢٢٧، ٢٤٥، ٤١٧، ٩/ ٢٥، ٢٩٤، ٣٧٦، ٤٩٤، ١٠/ ٢٩٢، ٣٠٢، ٣٦٧، ٥٠٥، ١١/ ١٣٢، ٢٨٣، ١٢/ ١٧٢، ٢١٥، ٢١٦، ١٣/ ٥٢، ٢٢٨، ٢٥٩، ٤٠٣، ١٤/ ٤١، ٦٠، ٦٤، ١٨٤، ٢٣٠، ٢٧٢، ٢٨٦، ٥٤٨، ٥٥١، ١٥/ ٢٥٦، ٢٧٣، ٤٦٧، ٥٠٤، ٥٣٦، ٥٥٠
الحسين بن عطاء الفامي	٣/ ٣٥٢
الحسين بن علي	١/ ٣٨، ٢/ ٤٧٥، ٤٧٦، ٤/ ٨٦، ٢٦٠، ٦/ ١٣٨، ٨/ ٢٦، ١٢/ ١٧١، ١٤/ ٤٥٤، ١٥/ ١٤٢، ١٤٤، ٣٣٣
الحسين بن واقد	٤/ ٢٦٤، ١٥/ ٢٤٣، ٥٢٩
الحطيئة	٩/ ٢٨، ١٣/ ٦٥
الحكم	٣/ ٤٨٥، ٦/ ٣٠٤، ٧/ ٣٥٤، ١٠/ ١٤٤، ١٤/ ٣٣٦، ١٥/ ٢١٥، ٣١٢

العلم	الجزء والصفحة
الخليل بن أحمد	١/ ١٢٧، ١٥٥، ١٦١، ٣٣٣، ٣٤٣، ٣٩٠، ٢/ ٧٨، ٢٢٨، ٣/ ١٢٢، ٥١٤، ٥/ ٣٩٤، ٦/ ٤٨١، ٧/ ٨٦، ٨/ ٢٧٠، ١٠/ ٨١، ١٤٥، ٢٤٥، ٢٤٩، ٢٧٥، ٢٨٠، ٣٧٦، ٤٠٥، ٤١٩، ٤٩٣، ٥٠٠، ٥٢٠، ٥٢٢، ١١/ ٣٠١، ٣٣٨، ٤٣٩، ١٢/ ٩، ٢٠٣، ٢٩٧، ٤٢١، ٤٩٨، ٥١١،، ١٣/ ١٥، ٢٤٤، ١٤/ ٦٨، ٨٥، ١٥٧، ١٨٤، ١٨٩، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٦، ٢٣٤، ٢٣٦، ٢٣٩، ٢٤٦، ٢٥٢، ٢٥٧، ٣٢٥، ٥٣٠، ٥٣١، ٥٥٤،، ١٥/ ١٣، ٢٩، ٦٨، ٧٢، ١٠٨، ١٤٢، ١٥٩، ١٨٢، ١٨٥، ١٩٠، ١٩٦، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٣٢، ٢٥٩، ٢٩٩، ٣٠٠، ٤١٨، ٤٤٨، ٤٥٠، ٤٥٣، ٤٥٧، ٤٨٧، ٥٣٦
الخنساء	٨/ ٢١٢، ١٣/ ٢٤٤
الداراني	١١/ ٥٢٧
الدحداح بن عاصم بن عدي بن عجلان	٣/ ٢٤٤
الدريدي (أبو بكر الدوسي)	١/ ٨
الدينوري	٢/ ١٠٣
الراعي	١/ ٢٩٢
الربيع بن أنس	١/ ٧٤، ١٩٢، ٢٧٤، ٢٨٠، ٣٢٦، ٣٤٤، ٣٨٤، ٤٤٢، ٢/ ١٣، ٧٢، ١٠٤، ١٣٦، ١٥٥، ١٥٦، ١٩٠، ١٩٦، ٢٠٠، ٢١٨، ٢٢٠، ٢٦١، ٢٩٦، ٣١٠، ٣٢٠، ٣٤٢، ٣٤٧، ٣٦٤، ٣/ ٥، ٤٤، ٥٣، ١١٣، ٢٠١، ٣٩٢، ٤٥٤، ٤٧٥، ٤/ ٣٥، ٧٥، ٩٣، ١٠٩، ٢١٢، ٢٢٠، ٢٣٠، ٢٤٠، ٤٧٧، ٥/ ١١٦، ٣٥٩، ٦/ ١٣، ١٤٥، ٢٣٧، ٢٦٠، ٢٩٧، ٣٢٤، ٥١٧، ٧/ ٢٠، ٣٢، ٣٣، ٢٠٦، ٥٢٧، ٨/ ١١، ٢٥٠، ٤٥٦، ٤٧١، ٩/ ٢٦، ٦٥، ١١٣، ١٨٧، ٢١٩، ١٠/ ١٤٥، ١١/ ٢٩٠، ١٢/ ٣١٢، ٤٧٢، ١٣/ ١٧٦، ٤٧٥، ١٤/ ٣٠، ٤٥، ٨٠، ٩٤، ١٠٢، ١١٩، ٢٤٨، ٢٥٣، ٤٢٩، ١٥/ ٥٣، ١٣٣، ١٦٤، ٢٨٩، ٢٩١، ٣٧١، ٤٨٣، ٥٣١، ٥٣٦
الربيع بن خثيم	٣/ ٢٧٠، ٤/ ١٥١، ٨/ ٧٧، ٦/ ٢٥٤، ١٤/ ٤٦٤
الربيع بن صبيح	١٥/ ٢٦

العلم	الجزء والصفحة
الرقاشي	١/ ٢٢٨، ١٤/ ٢٩
الزبرقان بن بدر	٧/ ٣٨٦، ١٣/ ٤٩٢، ٥٠٠
الزبير بن العوام	٤/ ٦٤، ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٨٣، ٣٢٩، ٥/ ٨٦، ٩٥، ٤٦٣، ٧/ ١٣٦، ١٧٨، ٩/ ١٩٨، ١٢/ ١٣٩، ١٣/ ٣٩٨، ١٤/ ٣٦٣، ٣٧٩، ٤١٣، ١٥/ ٤٧٢
الزبير بن بكار	١٣/ ٥٢٠
الزبير بن عبد المطلب	٥/ ١٣٤
الزجاج	١/ ١١٨، ١٩٥، ٢١٥، ٣٨٩، ٢/ ١٩، ١٠١، ١٤٠، ٢٠٣، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٢٩، ٣٦٦، ٣٧٨، ٣٨٢، ٣٨٣، ٤٢٤، ٤٢٧، ٤٥٨، ٤٦٦، ٥٢٥، ٣/ ٤٠، ٥٢، ٥٣، ٥٩، ١٥٠، ١٥٨، ١٧٧، ٢٥٦، ٣٨٠، ٣٩٧، ٤٠٤، ٤٥٥، ٤٩٦، ٥١٥، ٤/ ١٢، ٢١، ٥٤، ٧١، ١٤٤، ١٨٣، ١٩٢، ١٩٥، ١٩٦، ٢١١، ٢١٦، ٢٦٩، ٣٤٥، ٣٩٣، ٤٣٩، ٤٤٧، ٥/ ٦٤، ٨٠، ١٠٨، ١٤٣، ١٤٤، ٢٤٨، ٢٥٥، ٢٦٥، ٣٩٠، ٣٩٤، ٤٠٥، ٤٠٨، ٤٤٦، ٤٨٧، ٥١٨، ٦/ ٢٠، ٣٧، ٤٠، ٤٢، ٤٦، ٩١، ١٠٩، ١٤٧، ١٦٦، ١٦٨، ٢٠٦، ٢١١، ٢٢٣، ٢٤١، ٢٥٢، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٩٧، ٣١٩، ٣٣٩، ٤٢١، ٤٣٠، ٤٤٢، ٧/ ٩٤، ١٠٨، ١٥٩، ١٧٣، ٢٣١، ٢٦٨، ٢٧١، ٢٧٨، ٣١٦، ٣٧٩، ٣٩٧، ٨/ ٤٩، ١٠٣، ١٧٦، ١٩٧، ٢٥٧، ٢٧١، ٢٧٧، ٣٤٣، ٣٦٥، ٣٩١، ٣٩٢، ٤٠٠، ٤١٤، ٤٢٤، ٤٣٩، ٩/ ١٩، ٢٤، ٢٨، ٦٥، ١٢٠، ٢٦٤، ٢٨٦، ٣١١، ٤٠٦، ٤٥١،، ١٠/ ٣١، ٣٣، ٧٩، ١٥٣، ١٥٥، ٢٠١، ٥١٠، ٥٣٣، ١١/ ٢٤٣، ٣٤٢، ٣٦٤، ١٢/ ٩، ١١٧، ١٦٨، ١٧٠، ٢٤٣، ٢٧٥، ٤٦٣، ٤٦٧،، ١٣/ ٧٥، ١٢١، ٢٣٤، ٢٨١، ٤٥٥، ١٤/ ٢٠، ٤٥، ١٢٢، ٢٤٧، ٢٧٦، ٤١١، ٥٢٦، ١٥/ ٨، ١٨، ٢٣، ١١٩، ١٣٦، ٣٧٠، ٥٠١
الزهري	٢/ ١٨٤، ٣٧٢، ٣٩٦، ٤٤٤، ٣/ ٧٧، ٤٧٨، ٥٢٢، ٤/ ٤٣٠، ٤٨٢، ٥/ ٤٣، ٣٥٢، ٥١٣، ٦/ ١٤٠، ٢٣٨، ٧/ ١٨٣، ١٨٤، ٢٦٣، ٢٦٦، ٢٧٢، ٣٠٤، ٣٨٣، ٤٥٩، ٨/ ٩٥، ١٣٢، ١٩٩، ٢٧٧، ١٠/ ٢١٩، ٤١٩، ١١/ ٩٥، ٤٧٣، ١٢/ ٩٣، ٣٢٦، ٥٠٠، ١٣/ ٤٧٠، ٤٧٦، ٤٨٣، ٤٩٦، ٥٠١، ١٤/ ٣٢١، ٣٥٢، ٣٩٢، ١٥/ ٤٩، ٢٣٧، ٢٦٧

العلم	الجزء والصفحة
السدوسي	٧/ ١٥٥
السدي	١/ ١٢١، ١٣٦، ١٤٤، ١٥٢، ١٥٦، ١٦٤، ٣٠٩، ٣٢٦، ٣٤٣، ٣٥٣، ٣٥٧ ٢/ ٣٣، ٤٤، ٥١، ١٠٣، ١١٨، ١٢٤، ١٤٣، ١٤٨، ١٦٩، ١٨٤، ١٩٠، ١٩٦، ٢٠١، ٢١٠، ٢٢٠، ٢٢٩، ٢٦١، ٢٦٥، ٢٦٧، ٢٨٠، ٢٩٣، ٢٩٦، ٢٩٨، ٣١١، ٣٢٤، ٣٢٧، ٣٣٠، ٣٤٠، ٣٦٣، ٤٠٨، ٤١٠، ٤٣٩، ٤٨٨، ٥٠٢ ٣/ ٣٩، ٧٦، ١٤٩، ٢١٠، ٢٨٢، ٢٨٣، ٣٠٢، ٣٣٥، ٣٩٢، ٤١٥، ٤٥٨، ٤٨٥، ٤٨٦، ٥٢٦ ٤/ ٥٩، ٦٣، ٦٥، ٩٣، ١٠٣، ١١٩، ١٢٩، ١٢٩، ٢١٢، ٢٢٠، ٢٢٣، ٢٣٠، ٢٤٤، ٢٥٧، ٣٠٩، ٣٧٢، ٣٧٤، ٣٨٠، ٣٨٤، ٣٨٩، ٤٢٦، ٤٣٠، ٤٣٧، ٤٤٤، ٤٥٣، ٤٦٩، ٤٧٨، ٤٧٩، ٤٩٥، ٥١٤ ٥/ ٦، ٢٥، ٤٤، ٥٥، ٦٧، ٨١، ٩٩، ١١٦، ١٤٩، ١٤٩، ١٦٩، ٢٢٢، ٢٣٩، ٢٧٨، ٢٩٨، ٣٣٤، ٣٦١، ٤٢٥، ٥٠١، ٥٠٨، ٥٣٨ ٦/ ٥٦، ٦٠، ٧٨، ١٠٥، ١١١، ١١٥، ١٢٢، ١٤٧، ١٥١، ١٧٧، ١٩٧، ٢١١، ٢٢٨، ٢٣١، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٦٧، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٩٧، ٣٠١، ٣٠٤، ٣١٢، ٣١٦، ٣٢١، ٣٢٣، ٣٣٩، ٣٦٢، ٣٦٣، ٣٧٧، ٣٩٠، ٤١٥، ٤٢٢، ٤٢٨، ٤٧٢، ٤٧٤، ٤٨٦، ٥١٦، ٥٢٦ ٧/ ٣١، ٣٩، ٤٢، ٥٧، ٧٠، ١٥٩، ١٦٢، ١٦٩، ١٧٨، ١٨١، ١٨٤، ١٨٦، ١٨٧، ٢٠٦، ٢١٨، ٢٢٧، ٢٣٤، ٢٥٣، ٢٧٦، ٢٨١، ٢٨٦، ٣٠٠، ٣١٧، ٣٢٠، ٣٢٤، ٣٣٦، ٣٩٥، ٣٩٨ ٨/ ٣٩، ٥٣، ١٢٧، ٢٢٣، ٢٣٣، ٢٤٤، ٣٠٨، ٣٢١، ٣٦٤، ٤٤١، ٤٤٣، ٤٧٠، ٤٨٤، ٤٩٤ ٩/ ٢٣، ٨٢، ٢٤٩، ٢٥٤، ٣٣٥، ٤٧٦، ١٠/ ١٤، ١٧، ٢٢، ٣٢، ٣٤، ٥٢، ٥٤، ٧٣، ٨٠، ٩٠، ٩١، ١٠١، ١٠٨، ١٢٢، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٢، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٦، ١٥٦، ١٦٢، ١٦٧، ١٦٩، ١٧٨، ١٨٨، ٢٠٤، ٢٣٠، ٢٧٦، ٢٩٢، ٣٠٢، ٣٠٤، ٣٠٥، ٤١٤ ١١/ ١٤، ٧٤، ١١٩، ١٤٤، ٢١٠، ٣١١، ٣٧٠، ٣٧٩، ٣٨٥، ٤٢٠، ٤٢٣، ٤٥٤، ٤٦٨، ٤٩٩

العلم	الجزء والصفحة
السدي	١٢/ ١٢٢، ٢٠٢، ٢٣٣، ٢٣٥، ٢٥٤، ٣١٢، ٣٣٨، ٣٤١، ٣٥٢، ٣٨٨، ٤٠٨، ٤٢٤، ٤٣٦، ٤٤٠، ٤٤٦، ٤٦٢، ٤٧٢، ٤٧٤، ٤٩٦، ٤٩٧، ٥٠١، ٥٠٦، ٥٠٧، ٥١٣ ١٣/ ١٥، ١٨، ٣٨، ٥١، ٧٠، ٨٤، ٩٣، ٩٧، ١٢١، ١٤٩، ١٥٢، ١٥٥، ١٥٧، ١٧١، ١٨٥، ١٩٠، ٢٠٦، ٢١٧، ٢٤٢، ٢٥٠، ٢٧٩، ٢٨٣، ٣٥٤، ٣٦٠، ٣٧٩، ٣٨١، ٣٨٩، ٣٩٨، ٤٥٧، ٤٦٠، ٤٧٥، ٥٠٦، ٥٢٤ ١٤/ ٢٣، ٢٨، ٥١، ٥٣، ١٣٧، ١٨٠، ٢٠٦، ٢١٦، ٢١٨، ٢٣٤، ٢٥٣، ٢٦٠، ٢٦١، ٣٤١، ٤٦٠، ٥٣٣ ١٥/ ١٠، ٩٩، ١٠٢، ١٣٩، ١٨٣، ١٩٨، ٢١٩، ٢٣١، ٢٤٩، ٢٦١، ٢٧٩، ٣٣٥، ٤٤٢، ٤٧٥، ٥٣٥، ٥٤٧، ٥٤٨
السري بن مغلس	١/ ٥٣، ٥٤، ١٥/ ٢٤٥
السلامي	١٥/ ٤٣١
الشافعي	١/ ٢٦، ٢٢٨، ٤٣١، ٢/ ٤٩٤، ٣/ ١٩، ٥٩، ٧٥، ٨٥، ١٢١، ١٢٣، ١٢٨، ١٨٩، ٢٢٥، ٢٢٨، ٢٤٤، ٢٤٩، ٢٥٢، ٢٦٧، ٢٧٠، ٤٠٩، ٤٢٦، ٤/ ١٧٣، ١٧٤، ٤٦٧، ٤٧١، ٤٩١، ٥٠٢، ٥٠٨، ٥/ ١٣، ٣٨، ٤٠، ٤٢، ١٥٣، ١٧٦، ٣٠٨، ٣١٣، ٤٧٣، ٤٧٤، ٤٧٥، ٤٩٠، ٤٩١، ٤٩٣، ٤٩٦، ٦/ ١٩٩، ٧/ ٢٥٦، ٣٠٩، ٣١٣، ٣٨٤، ٣٨٨، ١١/ ٩٤، ١٠٣، ١٣١، ١٢/ ١٩٠، ١٤/ ٣٢١، ٣٢٢، ٤٧٩
الشبلي	١/ ٤١٠
الشرقي بن القطامي	٦/ ٣٩٤
الشعبي	١/ ٨٥، ٢/ ٧٩، ١٥٦، ٣٥٥، ٣٦١، ٣٦٢، ٣٧١، ٣/ ١٨، ١٩٧، ٢٦٤، ٣٩٧، ٤/ ٥٩، ١٢٠، ٢٤٠، ٢٧١، ٤١٠، ٤٢٦، ٤٤٢، ٤٤٥، ٥/ ٩٨، ٢٨٨، ٢٩٧، ٦/ ٢٣٣، ٢٣٧، ٢٥٥، ٣٢١، ٧/ ٢٢٢، ٢٣٩، ٤٢٥، ٤٥١، ٨/ ١٩٩، ٣٤٥، ٣٨٠، ٣٩٤، ١٠/ ٩٣، ١٦٧، ١١/ ٢٢٩، ٤٧٩، ١٢/ ١٩١، ٢٤٨، ٣٩٥، ٤٤٦، ٤٨٠، ٥٠٣، ١٣/ ٣٩، ٨٤، ٣٨١، ٤٤٧، ١٤/ ٤٤، ٩٤، ١٤٧، ١٧٧، ٢٥٧، ٣١٩، ٣٩٨، ٤٦٠، ١٥/ ١٢٤، ٢٠٦، ٣١٢

العلم	الجزء والصفحة
الشبلي	٤/ ١٦٨
الشماخ	١٠/ ٢، ٥٠٢، ١٣/ ٦٨
الشموني	١٢/ ٢٧٤
الصالحي	٣/ ٣٥١
الضحاك	١/ ٥٤، ٧٤، ١٠٦، ١٢١، ١٣١، ١٥١، ١٥٦، ١٦٤، ١٩١، ٣٣٤، ٣٥٣، ٣٥٧، ٣٧٠، ٣٨٢، ٣٨٤ ٢/ ٧٢، ٧٢، ١٠١، ١٢١، ١٥٥، ٢٠٠، ٢٠٣، ٢١٠، ٢٧٩، ٢٩٣، ٣٢٠، ٤١٤، ٤٢٦ ٣/ ٧، ٧٣، ١٦٦، ١٩٣، ٢٦٥، ٢٧٣، ٣٣٦، ٤٣٦، ٤٣٨، ٤٨٦، ٤٩١، ٤٩٦، ٥١٢، ٥١٨ ٤/ ١٦، ٢٨، ٤١، ٥٨، ٦٤، ٦٥، ٨٠، ٨٢، ١٠١، ١٠١، ١٠٧، ١١٢، ١١٥، ١٧٧، ١٧٨، ١٩١، ١٩٨، ٢٠٩، ٢٢٠، ٢٢٧، ٢٣٧، ٢٤١، ٢٥٧، ٢٥٩، ٣٤٥، ٣٧٧، ٣٨٠، ٣٨١، ٣٩٠، ٤١٩، ٤٢٦، ٤٣٠، ٤٣١، ٤٤٢، ٤٦٤، ٤٦٩، ٤٨٠، ٥٢٤ ٥/ ٢٢، ٣٦، ٧١، ٧٧، ٨٠، ٨٨، ٩٨، ١٣٧، ١٦٩، ٢٤٠، ٢٤٠، ٣٠٢، ٣٤٥، ٣٤٧، ٣٨٢، ٣٨٧، ٤٠٢، ٤١٥، ٤٢٠، ٤٣٠ ٦/ ١٤، ٥٧، ٨٠، ١٠٢، ١١١، ١١٩، ١٦٦، ٢٠٥، ٢٨٨، ٢٩٧، ٣٢٢، ٤٠٢، ٤٢٨، ٤٤٤، ٤٤٧، ٤٦١ ٧/ ٣٢، ٣٣، ٣٥، ٨٦، ١٠٦، ١٥٨، ١٥٩، ١٧٥، ١٩٥، ١٩٧، ٢٨١، ٣٢٠، ٣٢٢، ٣٥٤، ٣٧٠، ٣٧٧، ٣٨٩، ٤٠٣، ٤٣٦، ٤٤٧، ٤٥٧، ٤٦٧، ٤٩٠، ٤٩٧، ٥١٢، ٥٢٠ ٨/ ٢٣، ٣٥، ٤٥، ٥٣، ٧٣، ٨٥، ٩٥، ١٠٤، ١٢٨، ١٤٧، ١٨٢، ١٨٨، ٢٠٠، ٢٠٤، ٢٠٩، ٢١٢، ٢٢٥، ٢٣٣، ٢٤٤، ٢٤٨، ٢٧٩، ٢٩٠، ٣٦٠، ٣٦١، ٣٨٢، ٣٩٢، ٤٤١، ٤٤٣، ٤٦٥، ٤٦٧، ٤٧٧، ٤٨٨، ٥١١، ٥١٤، ٥١٨ ٩/ ٢٥، ٢٧، ٣١، ٣٥، ٣٦، ٦٤، ٨١، ٨٦، ١٢٦، ١٤١، ١٤٦، ١٥٢، ١٥٨، ١٦٨، ١٧٧، ١٨٣، ٢١٠، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٧، ٢٢٠، ٢٣٢، ٢٣٩، ٢٧٦، ٢٨٠، ٢٨٧، ٣٣٣، ٣٣٥، ٣٨١، ٣٩٤، ٤٢٢، ٤٢٧، ٤٢٩، ٤٤٨، ٤٨٥، ٤٨٦، ٤٩١، ٤٩٣

العلم	الجزء والصفحة
الضحاك	١٠/ ١٤، ٢١، ٨٠، ٨٧، ١١١، ١٢٧، ١٤١، ١٦٧، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢١١، ٢٥٤، ٢٦٣، ٢٩١، ٢٩٧، ٣٢٣، ٣٤٦، ٣٧٥، ٣٨٦، ٣٨٩، ٤٧٤، ٤٧٥، ٥٠٩، ٥١٥ ١١/ ١١، ٢٤، ٣٨، ٤٢، ٤٩، ٦٦، ٨٢، ١١٢، ١٣٩، ١٤٢، ١٤٤، ١٩٧، ٢٠٩، ٢٤١، ٢٤٨، ٢٧٩، ٢٩٤، ٢٩٥، ٤٢٣، ٤٣٤ ١٢/ ١٢٩، ١٥٩، ٢٠٢، ٢١٤، ٢١٥، ٢٣٨، ٢٤٠، ٢٤٤، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٦، ٣٣٤، ٣٤٠، ٣٤١، ٣٤٢، ٤٠١، ٤٠٢، ٤٠٨، ٤٣٦، ٤٤٠، ٤٤٦، ٤٦٢، ٤٧٢، ٤٧٩، ٥٠٦، ٥١٠ ١٣/ ١٨، ٤١، ٤٨، ٥٩، ٨٤، ٨٧، ٩٥، ١٠٦، ١١١، ١٢٢، ١٣٢، ١٥٢، ١٧١، ١٨٦، ١٩٤، ٢٠٠، ٢٠٦، ٢١٧، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٤٢، ٢٥٠، ٢٥٩، ٣١٧، ٣٢٢، ٣٧٩، ٣٨١، ٣٨٩، ٣٩٣، ٤٠١، ٤٠٢، ٤٢٦، ٤٥٥، ٤٨٨، ٥٠٦، ٥٠٩، ٥١٣ ١٤/ ٦، ١١، ١٦، ٢٢، ٢٨، ٣٥، ٣٦، ٤٠، ٤٦، ٤٧، ٦٤، ٦٨، ٧٣، ٧٥، ٨٤، ٩٤، ١١٦، ١٥٨، ١٧٧، ١٨٤، ١٨٦، ١٩٢، ١٩٨، ٢٠٦، ٢٠٩، ٢١٠، ٢٢٠، ٢٢٦، ٢٢٩، ٢٣٨، ٢٤٦، ٢٥٣، ٢٥٧، ٢٨٤، ٣٣٣، ٣٨٣، ٣٨٤، ٣٨٥، ٣٩٢، ٣٩٧، ٣٩٨، ٤٣١، ٤٤١، ٤٦٠، ٤٧٢، ٤٨٨، ٤٩٤، ٤٩٨، ٥٠٨، ٥٢٧، ٥٧٥ ١٥/ ١٠، ٣٥، ٥٢، ٧٠، ٨٩، ١٠٠، ١١٣، ١١٩، ١٢٤، ١٢٥، ١٦٦، ١٧٠، ١٨٠، ٢٠٦، ٢٢٣، ٢٢٥، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٤٤، ٢٥١، ٢٥٣، ٢٥٧، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٧٩، ٢٨٦، ٢٩١، ٢٩٩ ٣١٩، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٣٦، ٣٥٦، ٣٦٢، ٣٨٣، ٣٨٥، ٣٨٨، ٤٠٢، ٤١٨، ٤٢٥، ٤٧١، ٤٨٢، ٤٨٨، ٤٩٨، ٥٠٠، ٥٠٤، ٥٢٥، ٥٣٢، ٥٣٥، ٥٤٨
العباس بن عبد المطلب	٣/ ٤١٥، ٥/ ٧٤، ٧/ ١٣٧، ١٣٨، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٨٧، ٢٩٠، ٢٩١، ٣٠٢، ٩/ ١٥، ٣٦٣، ١٢/ ١٨٨، ٤٣٦، ٤٨٣، ١٣/ ٧٢، ١٥/ ٢١٤، ٥١٩
العباس بن مرداس	٣/ ١٩٤، ٧/ ٣٨٥، ٣٨٦
العبدي	١١/ ٢٧٣
العجاج	٣/ ٣٢٨

العلم	الجزء والصفحة
العرجي	٨/ ٤٧١
العلاء بن حارثة	٧/ ٣٨٥
العلاء بن سفيان	١٣/ ٥١٤
الفراء	١/ ١٢٣، ١٢٧، ٢٠٤، ٣٤٢، ٤٢١
	٢/ ٧١، ١٨١، ٢١٨، ٢٦١، ٣٠٢، ٣٢٩، ٥٠٠، ٥٢٥
	٣/ ٥٣، ١٥٨، ١٧٠، ١٧٤، ١٨٥، ٢٥٦، ٣٥٢، ٤٢٨، ٤٥٥، ٤٧٦، ٤٩٨، ٥١٥
	٤/ ٢١٥، ٣٤٨، ٤٦٣، ٥١٠
	٥/ ١٠٠، ١١٧، ١٦٥، ٢٢١، ٢٩٤، ٤٣٦، ٤٤٢، ٤٩٤
	٦/ ١٠٩، ١١١، ١٣٦، ١٥٤، ١٨١، ٢٣٠، ٢٦٠، ٢٨٢، ٢٩٨، ٣٧٤، ٤٤٢، ٤٥١، ٤٥٦
	٧/ ٩٢، ١١١، ١٨٦
	٨/ ١٠٧، ١٥٧، ١٧٣، ١٧٦، ٢٥٠، ٢٧٦، ٤٣٩
	٩/ ٤٤، ٦٩، ١١٥، ١١٧، ١٦٩، ٢٢٥، ٣٦١
	١٠/ ٣٣، ٥٤، ٨٢، ١٢٢، ٢٤٠، ٢٤٥، ٣٠٩، ٣٦٨، ٣٧٥، ٣٩٨، ٤٠٥، ٤٤٢، ٤٤٨، ٤٨٦، ٤٩٣، ٥٣٩
	١١/ ١١، ٢٢، ٣٩، ٥٩، ١١٨، ١٢٦، ١٣٧، ١٥٣، ٢٩٧، ٣٢٣، ٣٢٦، ٣٥٢، ٣٥٧، ٣٥٩، ٤٣٤، ٤٤١، ٤٤٦، ٤٦٢، ٤٩٣، ٤٩٩
	١٢/ ٩، ٢٤، ٣٩، ١٣٨، ١٤٥، ١٥٥، ١٨٣، ٢٠٥، ٢٣٠، ٢٩٦، ٢٩٨، ٣٠٣، ٣٣٧، ٤٠٣، ٤٢١، ٤٢٥، ٤٣١، ٤٥٤، ٤٦٥، ٤٧٤، ٤٩٨
	١٣/ ٢٥، ٢٢٤، ٣٣١، ٤٨٠، ٤٨٨
	١٤/ ٨، ١٣، ١٩، ٣١، ٧٥، ٨٥، ١٣٤، ١٤٦، ١٥٢، ١٥٧، ١٦٧، ١٨٣، ١٨٩، ٢٠٢، ٢١٢، ٢٢٧، ٢٤٠، ٢٥٤، ٢٥٩، ٢٧١، ٢٧٣، ٣٢٥، ٣٥١، ٣٨٠، ٣٩٤، ٤١١، ٤٢٣، ٤٨١، ٥٠٦، ٥١١، ٥٢٦، ٥٢٩، ٥٣٠، ٥٣١، ٥٥٧، ٥٦١، ٥٦٢، ٥٦٩، ٥٧٥
	١٥/ ١٠، ١٣، ٢٧، ٢٩، ٤٤، ٥٦، ٦٤، ٦٦، ٩٣، ٩٧، ٩٩، ١٠٣، ١٢٣، ١٣٠، ١٣٣، ١٣٤، ١٣٧، ١٣٨، ١٥٠، ١٥٦، ١٥٧، ١٦٤، ١٨٣، ١٨٧، ١٨٩، ١٩٦، ١٩٩، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٨، ٢٣٠، ٢٣٢، ٢٤٣، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٩٩، ٣٠١، ٢٠٦، ٣٠٨، ٣٢٠، ٣٧٠، ٣٧٢، ٣٧٣، ٣٨٧، ٤٣٤، ٤٥٢، ٤٥٧، ٤٧٠، ٤٧٥، ٤٨٧، ٤٨٩، ٥١٣، ٥٥٧

العلم	الجزء والصفحة
الفرزدق	٣/ ١٢٧، ١٤٢، ١٢/ ٢٧، ٢٦٠، ٤١٠، ١٣/ ٣٠٦، ١٤/ ١٤٣، ١٥/ ٤٥٦
الفضل الرقاشي	١/ ١٢٤
الفضيل بن عياض	٢/ ٤٦٥، ٤/ ٢٦٠، ١٣/ ١٧٦، ١٤/ ٢١٨، ٣٠٠، ٤٩٣، ٥٠٥، ١٥/ ١٥٢، ٢٤٥
القاسط بن شريح	٧/ ١٧٢
القاسم	٥/ ٤٩٠
القاسم بن أبي بَزَّةَ	١٠/ ٤٢٩، ١١/ ٢٩٦
القاسم بن محمد	١٣/ ٤٧٠
القاسم بن مخيمرة	٧/ ١١٢
القتَّاد	٢/ ٥٢٧
القتبي	١/ ٤٥، ١٩٤، ٢٦٩، ٢٨٦، ٣٥٣، ٢/ ٢٠٣، ٢٣١، ٣/ ١٩١، ٤٦٩، ٤/ ٨٣، ٨٧، ١١٣، ٥/ ١٧٠، ٣٥١، ٦/ ٦٠، ٢٤٥، ٣١٥، ٣١٩، ٤١٨، ٧/ ٧٢، ٨/ ١٣١، ٢٢٣، ٢٢٧، ٣٨٢، ٤٠٠، ٩/ ١٨٨، ١٠/ ٣١، ٦٣، ٤٩٣، ١١/ ١١٩، ١٢٦، ٢٤٣، ٣٣٤، ٣٥٧، ٣٨٠، ١٢/ ٩، ١٦٨، ٢٦٠، ٤٩٥، ١٣/ ١٩٦، ٢١٦، ٣٠٢، ٣٠٦، ٣٣٦، ٣٧٢، ١٤/ ٢٢، ٧٥، ١٣٤، ١٨٩، ٢٠٢، ٢٢٠، ٢٢٩، ٢٣٤، ٢٤٩، ٥٢٥، ٥٣١، ١٥/ ١٤، ٤٣، ٤٦، ٥٥، ٨٩، ١٣٨، ١٦٩، ١٩٧، ٢٢١، ٢٢٣، ٢٢٤، ٣٢٢، ٣٦٩، ٤٣٤، ٤٤٢، ٥٢٦
القرظي	١٠/ ٢١٤، ٢٥٥، ١٥/ ٢٠٦
القشيري أبو القاسم	١/ ١٥٣، ١٥٧، ٢٣٩، ٢٨٤ ٢/ ١٤، ١٨، ٢٨، ٣٩، ٧٣، ٨٢، ٨٨، ١٠٩، ١١٦، ١٢٥، ١٣٨، ١٤٠، ١٤٦، ١٥٩، ١٧٥، ١٧٨، ١٩٣، ٢٠٠، ٢١٤، ٢٢٦، ٢٦٨، ٢٨١، ٥١٤ ٣/ ٦، ٢٨٥، ٢٨٧، ٢٩٠، ٣١٠، ٣٧٥، ٣٧٨، ٣٨٥، ٣٨٨، ٣٩٠، ٣٩٥، ٤٠٥، ٤٠٧، ٤١٣، ٤١٤، ٤١٧، ٤٢٠، ٤٢٤، ٤٣٦، ٤٣٩، ٤٩٣، ٥٠١، ٥١٣، ٥٢٣

العلم	الجزء والصفحة
القشيري أبو القاسم	٤/ ٦، ٨، ٢٧، ٣٠، ٣٢، ٤٢، ٧٠، ٧٨، ٩٥، ١١٠، ١٢٤، ١٢٥، ١٣١، ١٣٥، ١٤٧، ١٥٢، ١٥٦، ١٥٩، ١٧١، ١٧٤، ١٨٢، ١٨٥، ١٩٦، ٢٠٦، ٢٠٩، ٢١٩، ٢٥٣، ٢٥٩، ٢٦٢، ٢٦٥، ٢٧١، ٢٧٣، ٢٩٧، ٣٠٦، ٣٠٨، ٣٣٣، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤٥، ٤٠٩، ٤١٨، ٤١٩، ٤٥١، ٤٧٥، ٤٨٢، ٤٨٣، ٥١٦، ٥١٨، ٥٢٧ ٥/ ٩، ٢٢، ٢٣، ٣٠، ٣٧، ٤٤، ٤٦، ٥٦، ٥٨، ٦٢، ٦٦، ٧٢، ٩٦، ١٠٩، ١١٥، ١٢٢، ١٢٥، ١٢٦، ١٣٠، ١٣٦، ١٥٧، ١٦٥، ١٦٧، ١٧١، ١٨٠، ١٨١، ١٨٥، ١٨٦، ٢٠١، ٢٠٣، ٢٠٧، ٢١٤، ٢١٦، ٢١٩، ٢٢١، ٢٢٤، ٢٢٨، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٤١، ٢٧٣، ٢٧٨، ٢٨٧، ٢٩٥، ٣٠٢، ٣٠٧، ٣١٨، ٣٢٠، ٣٣٥، ٣٤٢، ٣٤٩، ٣٥٦، ٣٧٩، ٣٨١، ٣٨٦، ٣٩٣، ٤٠١، ٤٠٧، ٤٠٩، ٤١٠، ٤١٢، ٤١٧، ٤٢١، ٤٢٣، ٤٢٥، ٤٣٣، ٤٣٥، ٤٤١، ٤٤٤، ٤٤٧، ٤٥٠، ٤٥١، ٤٥٥، ٤٦٨، ٤٧١، ٤٧٥، ٤٨٣، ٤٨٤، ٤٨٦، ٤٩٥، ٤٩٧، ٥٠٠، ٥٠٢، ٥٠٦، ٥١٠، ٥٢٣، ٥٢٦، ٥٣٨، ٥٤٢، ٥٤٤ ٦/ ١٣، ١٦، ٢٢، ٢٥، ٢٦، ٢٨، ٣٠، ٣١، ٣٤، ٣٨، ٤١، ٤٩، ٥٧، ٥٩، ٦٧، ٦٨، ٧٦، ٨١، ٨٤، ٩٠، ٩٣، ٩٦، ١٠٠، ١٠٥، ١١٢، ١١٥، ١١٧، ١٢٩، ١٣٠، ١٣١، ١٣٢، ١٣٤، ١٣٩، ١٤١، ١٤٩، ١٥٣، ١٥٥، ١٦٠، ١٦٥، ١٦٩، ١٧٢، ١٧٤، ١٨٥، ١٨٨، ١٩٣، ١٩٧، ٢٠٣، ١٩٧، ٢٠٣، ٢٠٦، ٢٠٩، ٢١١، ٢١٥، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٣، ٢٢٧، ٢٣٠، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٩، ٢٤٧، ٢٥١، ٢٥٨، ٢٦١، ٢٦٩، ٢٧١، ٢٧٤، ٢٧٦، ٢٨٣، ٢٨٥، ٢٨٧، ٢٨٨، ٢٩٥، ٢٩٦، ٢٩٨، ٣٠٢، ٣٠٦، ٣٠٨، ٣١٢، ٣١٧، ٣٢١، ٣٢٥، ٣٣٠، ٣٣٢، ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٤٦، ٣٥٨، ٣٦٠، ٣٦٢، ٣٦٤، ٣٦٩، ٣٧١، ٣٧٣، ٣٧٦، ٣٨٢، ٣٩٦، ٤١٣، ٤٢٥، ٤٣٣، ٤٣٦، ٤٣٩، ٤٤١، ٤٤٣، ٤٤٥، ٤٤٧، ٤٥٨، ٤٦٨، ٤٧٠، ٤٨٠، ٤٨١، ٤٨٩، ٥٠٣، ٥٠٩، ٥١٣، ٥٢٤، ٥٢٨

العلم — الجزء والصفحة

٧/ ١٢، ١٣، ١٥، ٢١، ٢٣، ٢٤، ٢٥، ٢٨، ٣٠، ٤٦، ٥٢،
٥٣، ٥٤، ٦٣، ٧٣، ٨٠، ٨٢، ٨٤، ٨٥، ٨٦، ٩٠، ٩٤، ١٠٤،
١٠٨، ١١٤، ١٢٥، ١٢٦، ١٢٩، ١٥٣، ١٥٦، ١٦١، ١٦٦،
١٦٧، ١٧٢، ١٧٦، ١٨٠، ١٨٥، ١٩١، ١٩٣، ١٩٩، ٢٠٢،
٢٠٦، ٢٠٧، ٢١٦، ٢١٧، ٢٢٧، ٢٢٣، ٢٣٦، ٢٥٧، ٢٦٧،
٢٦٩، ٢٧٣، ٢٧٥ ٢٧٧، ٢٧٩، ٢٨٣، ٢٨٥، ٢٨٩، ٢٩١،
٢٩٢، ٢٩٤، ٢٩٦، ٣٠٧، ٣٠٨، ٣١١، ٣٢١، ٣٢٣، ٣٢٨،
٣٣٨، ٣٤١، ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٥١، ٣٥٣، ٣٥٥، ٣٥٧، ٣٦٠،
٣٦١، ٣٦٢، ٣٦٥، ٣٦٨، ٣٧٠، ٣٧٣، ٣٧٤، ٣٧٥، ٣٧٨،
٣٨٢، ٣٨٩، ٤٠٠، ٤٠٣، ٤٠٤، ٤٠٩، ٤١٢، ٤١٣، ٤١٨،
٤٢٨، ٤٣٢، ٤٣٤، ٤٣٥، ٤٣٦، ٤٤٥، ٤٤٨، ٤٤٩، ٤٥٤،
٤٥٨، ٤٦٢، ٤٦٦، ٤٧٣، ٤٨١، ٤٨٤، ٤٨٥، ٤٨٦، ٤٨٧،
٤٨٨، ٤٩٧، ٤٩٨، ٥٠٢، ٥١٤، ٥١٦، ٥١٩، ٥٢٢، ٥٢٣،
٥٢٧
٨/، ٩، ١٣، ١٥، ١٧، ٢١، ٢٢، ٢٦، ٢٩، ٣١، ٣٢، ٣٤،
٣٨، ٤٤، ٤٧، ٥٠، ٥٤، ٥٦، ٦١، ٦٢، ٦٩، ٧١، ٧٣، ٧٥،
٧٦، ٨٠، ٨١، ٨٢، ٨٣، ٨٦، ٩١، ٩٢، ٩٤، ٩٥، ٩٦، ٩٩،
القشيري أبو القاسم
١٠٠، ١٠٧، ١١٠، ١١٦، ١١٨، ١٢٢، ١٢٥، ١٢٩، ١٣٦،
١٣٩، ١٤٥، ١٤٨، ١٥٢، ١٥٩، ١٦٤، ١٦٦، ١٧٥، ١٧٨،
١٨٢، ١٨٤، ١٨٧، ١٨٩، ١٩١، ١٩٥، ٢٠٦، ٢١٨، ٢٤١،
٢٥٦، ٢٦٣، ٢٦٥، ٢٧٩، ٢٨١، ٢٨٥، ٢٨٧، ٢٨٩، ٢٩١،
٢٩٢، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣١٣، ٣١٥، ٣١٩، ٣٢٨، ٣٣٠، ٣٣٤،
٣٣٥، ٣٣٩، ٣٥١، ٣٥٥، ٣٥٩، ٣٦١، ٣٦٨، ٣٧٨، ٣٧٩،
٣٨٦، ٣٨٩، ٣٩١، ٤٠٥، ٤١١، ٤١٦، ٤٢١، ٤٢٦، ٤٤٧،
٤٦٠، ٤٦٧، ٤٦٩، ٤٧١، ٤٧٤، ٤٧٥، ٤٧٨، ٤٨٣، ٤٨٦،
٤٨٨، ٤٨٩، ٤٩٥، ٥٠٤، ٥١١، ٥١٣
٩/ ١٧، ٢٧، ٢٩، ٣٩، ٤٥، ٤٨، ٥٠، ٥٣، ٥٥، ٥٧، ٥٩،
٦١، ٦٢، ٦٣، ٨٤، ٨٧، ٨٨، ٩٥، ١٠٠، ١٠١، ١٠٢، ١٠٩،
١١٨، ١٣٠، ١٣٤، ١٣٩، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٧، ١٥٠، ١٦١،
١٦٦، ١٦٨، ١٧١، ١٨١، ١٨٢، ١٨٧، ١٩٦، ١٩٧، ٢٠٠،
٢٢١، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٣٣، ٢٤٢، ٢٤٩، ٢٩٥، ٣٠١، ٣٠٨،
٣٢٢، ٣٢٦، ٣٢٧، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣١، ٣٣٣، ٣٥٠، ٣٥٦،
٣٦٦، ٣٧٦، ٣٨٣، ٣٨٧، ٣٨٩، ٤١١، ٤٢٨، ٤٤٣، ٤٤٨،
٤٥٣، ٤٥٦، ٤٥٩، ٤٦٧، ٤٩٥

العلم	الجزء والصفحة
القشيري أبو القاسم	١٠/ ١٢، ١٦، ١٩، ٣٤، ٣٦، ٤٢، ٥٦، ٦٠، ٦٤، ٧٠، ١١١، ١٦٣، ١٦٥، ١٨٣، ٢٠٩، ٢٢٤، ٢٥٠، ٢٥٦، ٢٥٨، ٢٦٤، ٢٦٦، ٢٧٣، ٢٧٨، ٢٨٢، ٢٩٣، ٢٩٥، ٣٢٣، ٣٢٩، ٣٣٨، ٣٤٤، ٣٤٧، ٣٥١، ٣٥٩، ٣٦٩، ٣٧٢، ٣٩٩، ٤٠١، ٤٢٩، ٤٤٨، ٤٦٩، ٤٨٥، ٤٩١، ٥٠١، ٥٠٥، ٥٠٧، ٥١٢، ٥٣٤، ٥٤٣ ١١/ ١٠، ١١، ١٢، ١٣، ١٤، ٢٠، ٣١، ٤١، ٤٤، ٤٥، ٤٧، ٥٣، ٥٧، ٦٤، ٨٥، ١٠٢، ١١٢، ١١٥، ١١٧، ١٢٧، ١٣٢، ١٤٤، ١٥٣، ٢٢٢، ٢٣٧، ٢٤٦، ٢٨٤، ٣١٤، ٣٢٤، ٣٧٦، ٤٢٥ ١٢/ ١١٦، ١١٩، ١٢٩، ١٣١، ١٤٣، ٢٣١، ٢٣٦، ٢٨٦، ٢٨٨، ٢٩١، ٣٠٢، ٣١٠، ٣١١، ٣١٥، ٣١٨، ٣٧٢، ٤٧٩، ٥٢٦ ١٣/ ٩، ٢٤، ٢٨، ٣٦، ٥٦، ٥٧، ٧٧، ٩٠، ٩٧، ١٠٠، ١٣٤، ١٧٠، ١٧٦، ١٧٨، ١٨٢، ١٨٧، ١٩٠، ٢٣٦، ٢٦٥، ٢٨٦، ٤٣١، ٥١٩، ٥٢٣ ١٤/ ٢٩، ٦٠، ٦٢، ٦٤، ٧٤، ٨٤، ١٧٤، ١٧٩، ٢١٤، ٢١٨، ٢٣٣، ٢٣٨، ٣١٩، ٣٨١، ٤٦٣، ٤٦٤ ١٥/ ١٣٢، ٢٧١، ٣٧٦، ٥٤٠
القطامي	٥/ ٢٧٦، ٣٣١، ٩/ ٢٨٧، ٤١٨
القعقاع بن معبد	١٣/ ٥٠١
الكسائي	١/ ٣٥، ١٥٥، ١٦١، ٢٠٤، ٢٢٩، ٢٧٨ ٢/ ٢١٨، ٣٠٠، ٣٠١، ٣٠٢، ٣٠٤، ٣١٢، ٣٥١، ٤٦٤، ٥١٠ ٣/ ٦٢، ١٢٢، ٢١٤، ٢٥٦، ٢٦٣، ٢٧٥، ٢٨٨، ٣٥٢، ٣٩٦، ٤١٨، ٤٧٦ ٤/ ٧، ٢٤، ١٦٤، ٢١٨، ٢٨٦، ٣٢٣، ٣٣٣، ٣٥٨، ٤٢١، ٤٥٥، ٤٩٩، ٤٩٩، ٥١٠، ٥١٧ ٥/ ٩، ٢٣، ٣٢، ٤١، ٩٣، ١١٧، ١٦٣، ٢٣٦، ٣١٤، ٣٣٣، ٤٠١، ٤٠٥، ٤٢٤، ٤٤٢، ٤٤٥، ٤٧٢، ٤٩١، ٤٩٤، ٥٢٦، ٥٢٧

العلم	الجزء والصفحة
	٦/ ٣٢، ٣٩، ٥٥، ٨٥، ٨٨، ١٣٥، ١٥٥، ١٥٨، ١٦٨، ١٨١، ١٨٤، ١٩١، ١٩٦، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٣٧، ٢٥٦، ٢٦٧، ٢٨٤، ٣٠٦، ٣١٣، ٣١٩، ٣٤٣، ٣٥٠، ٣٥١، ٤٥٧، ٤٥٨، ٥٢٨ ٧/ ٩، ٤٢، ٩٠، ١٥٧، ١٦٧، ٢٣٩، ٣١٥، ٣٣٣، ٤٤٨، ٤٦٣، ٤٧٩ ٨/ ١٣، ٥٦، ٦٥، ٩٠، ١٢٤، ١٨٤، ١٨٩، ٢٠٢، ٢٣٠، ٢٣٢، ٢٧٣، ٢٧٦، ٣٦٨، ٤١٤، ٤٣٤، ٤٣٧، ٤٣٨، ٤٧١، ٤٨٤، ٥١٧ ٩/ ١٥، ١٩، ٢٣، ٢٨، ٧٦، ١١٨، ١٦٩، ٢٠٥، ٢٤٠، ٢٥٦، ٢٦٨، ٣٧٢، ٤٠٤، ٤٠٦، ٤٥٤، ٤٧٧، ٤٨٧ ١٠/ ٣٧، ٥٤، ٥٧، ٧٣، ٨١، ٨٢، ٩٩، ١١٥، ١١٨، ١٣٧، ١٤٢، ١٤٣، ١٤٦، ١٧١، ١٨٤، ١٨٦، ٢٠٨، ٢٢٥، ٢٣٢، ٢٣٤، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٥٤، ٢٦٦، ٢٩٨، ٣٠٤، ٣٠٧، ٣١٣، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٢٧، ٣٢٨، ٣٣٢، ٣٦٨، ٣٧٠، ٤٠٥، ٤٣٩، ٤٤٧، ٤٦٤، ٤٨٤، ٤٩٣، ٥٠٠، ٥٠٦، ٥٠٧، ٥٢٠ ١١/ ١٣، ٣٩، ٥٢، ٦٩، ٧٣، ٧٥، ٨٩، ١١٤، ١٣٣، ١٣٦، ١٣٧، ١٦٨، ١٩٤، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٣٢، ٢٤٤، ٢٤٦، ٢٧٢، ٢٩٣، ٣٠٥، ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٣٩، ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٦٩، ٣٧٠، ٣٩٣، ٤٣٤، ٤٤٣، ٤٩٥، ٥٠٥، ٥١٧، ٥٢١، ٥٢٦ ١٢/ ٤٤، ٢٢٤، ٢٣٠، ٢٣٩، ٢٩٨، ٤٢٩، ٤٦٥، ٤٧٤، ٤٩٨ ١٣/ ٤٠، ٦٣، ٨٤، ١٠٥، ١١٧، ١٦٥، ٢٠٩، ٢٣٣، ٢٣٨، ٢٧١، ٢٩٥، ٢٩٦، ٢٩٧، ٣١٨، ٣٢٦، ٣٣٨، ٣٤٦، ٣٤٨، ٣٥٢، ٣٥٧، ٣٨٥، ٤٢٧، ٥٠٢ ١٤/ ٤٧، ٥٠، ٥٨، ٧٩، ٨٤، ٨٥، ١٠٥، ١٣٤، ١٤٦، ١٥٢، ١٥٤، ١٦٠، ١٦٧، ١٨٦، ٢٠٢، ٢١٥، ٢١٩، ٢٤٢، ٢٤٤، ٢٥٢، ٢٥٩، ٢٦٩، ٣٢٠، ٣٨٠، ٣٩٤، ٤٠٩، ٤٨١، ٥٠٦، ٥١٧، ٥٣٠، ٥٣١، ٥٣٦، ٥٤٢، ٥٥٩، ٥٦٥ ١٥/ ٥، ٣٠، ٥٢، ٥٥، ٦٨، ٨٩، ٩٣، ١٣٠، ١٣٤، ١٤٨، ١٥٣، ١٦٨، ١٨٨، ١٨٩، ٢٠٢، ٢٢١، ٢٣٢، ٢٣٥، ٢٣٧، ٢٤٣، ٢٥٩، ٢٧٢، ٢٩٢، ٣٠٧، ٣٣١، ٣٤٨، ٣٦٣، ٣٦٥، ٤٢٧، ٤٤٩، ٤٧٨، ٤٨٩، ٥٣٧

العلم	الجزء والصفحة
الكلبي	١/ ٥٥، ٢٠٥، ٢٣٤، ٢٧٩، ٣٢٤، ٣٤٠، ٣٨٢، ٣٨٤ ٢/ ١٠٣، ١٠٧، ١٠٨، ١٧٧، ١٨٦، ١٩٨، ٢١٠، ٢٢١، ٢٦٣، ٢٧٨، ٢٩٠، ٣٢٨، ٣٤٧، ٤١٣، ٤٦٩، ٤٨٤ ٣/ ٥، ١١٣، ١٦٠، ٢٠٤، ٢٠٨، ٢٢٠، ٢٣٥، ٢٦٤، ٢٨١، ٣٠٢، ٣٩٠، ٣٩٧، ٣٩٩، ٤٢٢، ٤٦١، ٤٨٥، ٤٩٥، ٤٩٦، ٥٠٥، ٥١٠، ٥١٢، ٥١٦، ٥٢٣ ٤/ ٩، ١١، ١٣، ١٩، ٣٣، ٥٣، ٥٧، ٥٨، ٧٢، ٨٠، ٩٣، ٩٨، ١٠١، ١٠٤، ١١١، ١١٣، ١٢٣، ١٢٩، ١٣٥، ١٣٦، ١٤٢، ١٥٣، ١٨٧، ١٩٣، ١٩٤، ٢٠٣، ٢٢٧، ٢٢٩، ٢٣٧، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٥٧، ٢٦١، ٢٦٦، ٢٩٢، ٢٩٥، ٣١٩، ٣٢١، ٣٣٢، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٤٩، ٣٥٥، ٣٦٥، ٣٧٣، ٣٨٠، ٣٨٣، ٣٨٥، ٣٩٥، ٤١٩، ٤٢٤، ٤٢٥، ٤٣٦، ٤٣٨، ٤٤٣، ٤٤٦، ٤٦٤، ٤٨٤، ٤٩٤ ٥/ ١٦، ٤٦، ٤٧، ٥٢، ٥٤، ٥٦، ٥٧، ٦٠، ٧١، ٧٥، ٧٩، ٨٠، ٨٦، ٨٧، ٩٥، ١٠٥، ١٠٨، ١١٤، ١١٦، ١٢٠، ١٣٢، ١٣٧، ١٤٢، ١٤٨، ١٤٩، ١٥٤، ١٧١، ١٨٩، ١٩٥، ٢٠٥، ٢٢٦، ٢٣٢، ٢٤٢، ٢٤٩، ٢٥٥، ٢٦٣، ٢٦٥، ٢٦٧، ٢٧٣، ٢٨٨، ٣٢٠، ٣٢٣، ٣٣٢، ٣٣٦، ٣٤٥، ٣٥٠، ٣٥٥، ٣٦٦، ٣٧١، ٣٧٥، ٣٧٧، ٣٨٧، ٣٩٢، ٣٩٥، ٤٠٠، ٤١٥، ٤١٩، ٤٣١، ٤٤٧، ٤٦٨، ٤٨٩، ٥٠١، ٥١٢، ٥٣٧، ٥٤٣ ٦/ ٢٣، ٣٠، ٣٥، ٤٢، ٤٤، ٧٣، ٧٩، ٨٣، ١٠٣، ١١٥، ١٣٠، ١٣٤، ١٨١، ١٨٥، ١٨٧، ١٩٠، ١٩٢، ١٩٧، ١٩٧، ٢٠١، ٢٠٨، ٢١٣، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٨، ٢٣١، ٢٧٥، ٢٨٧، ٣٠٤، ٣٠٦، ٣١٦، ٣٢١، ٣٢٦، ٣٣٣، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤٢، ٣٤٤، ٣٥٥، ٣٥٧، ٣٧١، ٣٧٢، ٣٧٦، ٣٩١، ٣٩٤، ٤١٦، ٤١٧، ٤١٩، ٤٢٠، ٤٢٧، ٤٣٠، ٤٥٦، ٤٦٠، ٤٦٠، ٤٨٥، ٤٩٢، ٥٠١، ٥٠٤ ٧/ ١١، ١٥، ٢٠، ٢٤، ٣١، ٣٥، ٤٧، ٥١، ٥٧، ٥٩، ٦٤، ٧١، ٧٥، ٨١ ٨٧، ٩٤، ٩٥، ٩٨، ١١٠، ١١١، ١٥٣، ١٥٨، ١٧٨، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٨، ١٩٠، ١٩٥، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٥، ٢١٥، ٢٢٢، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٣٨، ٢٤٠، ٢٦٥، ٢٨١، ٣١١، ٣١٤، ٣١٨، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٣٥، ٣٤٠، ٣٦٩، ٣٧٠، ٣٧١، ٣٧٢، ٣٩٨، ٤١١، ٤١٥، ٤٢٥، ٤٥٠، ٤٥٦، ٤٥٩، ٤٦٠، ٤٦١، ٤٨٤، ٤٩١، ٤٩٦، ٥١٧

العلم	الجزء والصفحة

٨/ ١٧، ٢٥، ٢٨، ٣٣، ٣٨، ٥٥، ٥٨، ٥٩، ٧٠، ٧٨، ٨٨، ٩٥، ١٥٧، ١٨٠، ٢٠١، ٢٠٤، ٢٠٨، ٢٦٩، ٦٤٢،
٩/ ١٠، ١٠٤، ١٧٦، ١٧٧، ٢٤٤، ٢٠٦،
١٠/ ١٦، ١٨، ١٩، ٤٠، ٤٩، ٦٢، ٦٦، ٧٦، ٨٠، ٨٣، ٨٩، ٩٦، ١١١، ١١٦، ١١٩، ١٢٤، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٩، ١٦٨، ٢٢٦، ٢٩١، ٤٢٩، ٤٨٣، ٤٩٥، ٥٤٠
١١/ ٩١، ١٣٤، ١٤٨، ٢٢٣، ٣١٥، ٣٥٩
١٢/ ١٢٢، ٢١٤، ٢١٥، ٢٧٠، ٣٦٣، ٤٠٠، ٤١١، ٤٣٣، ٤٣٦، ٤٤٦، ٤٥٢، ٤٨٥، ٤٩٥
١٣/ ٣٠، ٣٨، ٤٦، ٦٨، ١٣٢، ١٤٤، ١٥٤، ١٦٣، ١٩١، ١٩٩، ٢٠١، ٣٠٥، ٣٣١، ٣٦٠، ٣٨٤، ٤٠٢، ٤٤٧، ٤٥٧، ٤٥٨، ٥٠٠، ٥٠٦
١٤/ ٢٣، ٤٠، ٧٩، ١٨٨، ٢٥٧، ٢٧١، ٢٩٢، ٢٩٨، ٣١٣، ٣٣٨، ٣٦٨، ٣٩٩، ٤٦٥، ٤٨١، ٥٢٠، ٥٢٨، ٥٣٩، ٥٤٠
١٥/ ٣٥، ٤٩، ٥٣، ٦٣، ٨٩، ١٠٩، ١١٢، ١٢٢، ١٥٦، ١٩٧، ٢٠٧، ٢٣٠، ٢٥٥، ٢٧٠، ٢٧٣، ٢٧٩، ٢٨٧، ٣١١، ٣٣٧، ٣٦٣، ٣٦٩، ٣٧٩، ٣٩٦، ٤٤٢، ٤٥٧، ٤٦٩، ٤٧٤، ٤٧٧، ٤٨٦، ٤٩٤، ٥٠٣، ٥٠٩

اللحياني ٢/ ٣٣٢

المازني ٤/ ٢١٢، ٨/ ٢٧٧

المبارك بن فضالة ٥/ ٧٧

المبرد ١/ ٤٦، ١١٨، ١٩٦، ٥/ ١٤٦، ١٧٠، ٤٤٢، ٤٤٣، ٥٤٠، ٦/ ٣١٨، ٤١٦، ٤٣٨، ٧/ ١٦٠، ٢٧٨، ٤٧٧، ٨/ ١٠٤، ٩/ ٧١، ٤٧٠، ١١/ ١٢٠، ١٩٧، ١٢/ ٢٩٤، ٤١٨، ٤٧٥، ٤٨٠، ٥٠٩، ١٣/ ٦٥، ٧٥، ١٤/ ٢٤، ١٥/ ١٥٩، ١٦٤

المتنبي ٤/ ٣٨٦

المثقب العبدي ١/ ١٢٣، ٧/ ٤٩٤

المرقش ١٠/ ٦٩،

المسيب بن علس ١٥/ ١٤٩

العلم	الجزء والصفحة
المسيبي	١٠/ ٧٦
المطلب بن وداعة	٥/ ٥١٤
المغيرة بن شعبة	٧/ ٢٧٠، ١٢/ ٣٤٢، ١٣/ ٤٤١
المفضل	١٢/ ٤٢٥،
المفضل الضبي	١/ ٢٩٥، ٤٣٣، ٢/ ٥٨، ١٦٦، ٣٠٠، ٣٠٤، ٤٨٤، ٥/ ٤١، ٦/ ٢٥٤
المقداد بن الأسود	٣/ ١٨٠، ٥/ ٩٥، ١١٤، ١٦٠، ٣٥٦، ٤٦٨، ٧/ ١٣٤، ١٣٥، ١٩٣، ١١/ ٢٤٤
المنذر بن ساوى	٥/ ٥١٢
المنذر بن عمرو	٥/ ٣٢٣، ٥١٢
المؤرج	٥/ ٣٦٧
النابغة الجعدي	٣/ ٩٨، ٦/ ٣٤٥
النابغة الذبياني	١/ ٤١٦، ٣/ ١٢٧، ٤/ ٢١١، ٥/ ١٣٩، ٢٣٤، ٧/ ١٨٩، ٩/ ١٨٣، ١٠/ ٧٣، ١٥/ ٢٢٤
النجاشي	١/ ٣٢٤، ٢/ ٤١٥، ٥/ ٤٣٧، ٤٥٩، ٤٦٠، ٤٦١، ٤٦٢، ٤٦٣، ٤٦٤، ٤٦٥، ٤٦٦، ٧/ ١٥١، ١٥/ ٤٨٦
النضر بن الحارث	٧/ ١٧٢، ١٠/ ٣٩٢، ٤٤٤
النضر بن شميل	١/ ١٠، ٣٣٣، ٦/ ١٢، ٢٠٨، ٣٠٦، ٧/ ٢١٩، ٨/ ١٨٢، ٤٨٥، ١٤/ ٦٨، ٢٤٨، ٢٥٣، ٥٥٠
النعمان بن المنذر	١٠/ ٢٦١
النعمان بن بشير	٧/ ٢٩١
النعمان بن سالم	١٥/ ٩٣
النعمان بن مقرن	٧/ ٤٤١
النقاش	١٢/ ٢٠٩
النمر بن قاسط	١١/ ٢٠٢

العلم	الجزء والصفحة
الهذلي	٦/ ١٢٦، ١٢/ ٢٧٨، ١٤/ ٥٤٤
الهروي، صاحب الغريبين	٥/ ٤٨٠
الهيثم بن عدي	١٠/ ٤٤٢، ١١/ ١٣٥، ١٢/ ٣٣٤
الواحدي	١/ ٧٤
الواسطي	١/ ٢٣١، ٤/ ٤١٩، ١١/ ٥٢٧، ١٤/ ٦٠، ٤٩٣، ١٥/ ٤٥٣
الواقدي	٣/ ١١٨، ١٩٤، ٤/ ٢٣٣، ٢٣٥، ٢٣٧، ٢٤٨، ٢٧٤، ٢٧٩، ٣١٤، ٣٢٩، ٧/ ١٣٣، ١٣٥، ٢٤٣، ٢٩٨، ٣٨٦، ١١/ ٤٨٩، ١٢/ ٦٠، ٢٣٧، ١٤/ ١٧، ١٠٨، ١٧٥، ٣٥٢، ٣٥٣، ٣٥٥، ٣٦٧، ٣٩٥، ٤٣٥، ٥٢٠، ١٥/ ٣١، ٨٤، ٢٤٩، ٢٨٩، ٣٣٦، ٤٢١، ٥٢٩
الوراق	١٥/ ١٣٦
الوليد بن المغيرة	٩/ ٣٣٨
الوليد بن الوليد	٥/ ١١١
الوليد بن ريان	٢/ ١٦٥
الوليد بن عقبة	٤/ ٣٢٩
أم الخير بنت صخر	١٣/ ٣٩٠
أم الدحداح	٣/ ٢٩٢، ٢٩٣
أم الدرداء	١٤/ ٥٧١
أم أيمن	٤/ ٣٢٩
أم حكيم بنت أمية السلمية	٥/ ٤٦٩
أم سعد بنت سعد بن الربيع	٥/ ١١
أم سلمة	٣/ ٢١٧، ٢١٨، ٢٧١، ٤/ ٤٠٠، ٥/ ٥، ٤٦١، ١٠/ ٨٤، ١٢/ ١٧١، ١٧٤، ١٩٣، ٢٠٣، ١٤/ ٢٤٤، ٣٩٧
أم شريك بنت جابر العامري	١٢/ ١٨٩، ١٩١

العلم	الجزء والصفحة
أم عباس	١٥/ ١٩١
أم عبيس	١٥/ ٣٧٧
أم عطية	١٤/ ٣٩٧
أم عمارة	١٢/ ١٧٤
أم كباش النهدية	١٥/ ٣٧٧
أم كلثوم بنت رسول الله	٩/ ٣٦٣
أم كلثوم بنت عقبة	١٢/ ١٧٧، ١٤/ ٣٩٥
أم مسطح	١١/ ٩٦
أم هانئ بنت أبي طالب	٩/ ٣٦١، ٣٦٣، ٣٦٤، ١٢/ ١٨٩، ١٤/ ١٠٨
أمة بني المؤمل	١٥/ ٣٧٧
امرؤ القيس	٣/ ١٠٧، ١٥١، ٢٦٠، ٤/ ١٣٨، ٣١٩، ٥/ ٣١٤، ٦/ ٢٤١، ٨/ ٤٧٠، ٩/ ٣٢٩
أمية بن أبي الصلت	٢/ ٢١٨، ٥/ ١٤٣
أميمة	١١/ ١٣٣
أميمة بنت رقيقة	١٤/ ٣٩٨
أميمة بنت عبد المطلب	٣/ ١٨١، ١٢/ ١٧٦
أنس بن النضر	٤/ ٢٨٢، ٢٩٥، ٢/ ٣٧١، ٤٩١، ٣/ ١٤٤، ٢١٢، ٤٧٠، ٤٩٢، ٥١٧، ٤/ ١٤٤، ١٤٧، ١٤٩، ١٨٣، ٢٤٦، ٢٥٣، ٢٨٢، ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٩٥، ٢٩٥، ٣٢٤، ٤٥٠، ٤٥١، ٥٢٦، ٥/ ١٩٧، ٣٦٤، ٣٨١، ٤٠١، ٤٤٠، ٤٧٨، ٥٠٢، ٦/ ٨٧، ٧/ ٣٠١، ٣٠٣، ٤٧٣، ٨/ ٥٢، ١٤٧، ٤٧٣، ٩/ ١٣٤، ٣٦٣، ٤٣٥، ١٢/ ١٥٩
أنس بن مالك	١٠/ ٢٢، ٧٨، ٨٧، ٢١١، ٣٦٧، ١٢/ ١١١، ١٥٩، ١٦٠، ١٧١، ١٧٩، ١٩٦، ٢٤٠، ١٣/ ٨٥، ١٧٤، ٣٢٨، ٣٧٧، ٤٢٩، ٤٧٢، ٤٩٧، ١٤/ ٧٠، ١٥٠، ١٧٢، ٢١٦، ٢٢١، ٢٥٢، ٢٦٥، ٣٦٢، ٤٢٤، ٤٥٩، ٥١١، ١٥/ ٣٥، ٣٦، ٤٤، ٣٨٤، ٤٢٨، ٤٦٦، ٥٠٥، ٥٠٦، ٥٠٧، ٥٢٠، ٥٣٠، ٥٥٣

العلم	الجزء والصفحة
أنيس	٤/ ٤٦٧
أنيس بن مرثد	٧/ ٣٠١
أوس بن الصامت	١٤/ ٣١٧
أوس بن ثابت	٤/ ٤٤٦، ١٢/ ١٣٩
أوس بن ثعلبة	٧/ ٤٥٩
أوس بن حجر	٨/ ٤٧٠
أوس بن خزام	٧/ ٤٦٠
أوس بن قيظي	٤/ ١٨١، ٣٢٩
أيمن بن عبيد	٧/ ٣٠٣
أيوب السختياني	١/ ١١٦
باذان مولى أم هانئ	٣/ ٣٤٨
بجيد بن وهب	٦/ ٢١٥
بحري بن عمرو	٥/ ٥٨
بديل بن ورقاء	٥/ ٥١٤
بريدة	١٤/ ٤٥٤، ١٥/ ٣٥٣
بريرة	١١/ ٩٨
بسام بن عبد الله العراقي	١/ ٥٤، ١٢/ ٢٣٥، ١٤/ ٢٨٦
بسبس بن عمرو	٧/ ١٣٦
بشر المريسي	٤/ ٤٩٢
بشر بن سفيان الكعبي	١٣/ ٤٣٩
بشير بن أبيرق	٥/ ١٨٣
بكر بن عبد الله المزني	١/ ٥٢، ١٥٢، ٥/ ٧٧، ٢٠٦، ١٠/ ٢٢٩، ٣٥٩، ١٣/ ٢٠٨

العلم	الجزء والصفحة
بلال بن رباح	٤/ ٢٩، ٥/ ٤٢٢، ٦/ ٧٨، ٩/ ٣٦٣، ٣٨٩، ٤٠٠، ٤٠١، ١٠/ ١٧٥، ١١/ ٢٠٢، ١٥/ ٣٤٧، ٣٧٧، ٣٨١، ٤٢٨
بلال بن سعد	٩/ ٣٦٤
بنت الربيع بن خثيم	٨/ ٧٧
تمام الطائي	٦/ ٣٤٥
تميم الداري	٨/ ١٣١
تميم بن أبي مقبل	٩/ ١٧١
تميمة بنت أبي عبيد القرظية	٣/ ٢٣٨
ثابت	٣/ ١٤٤
ثابت بن رفاعة	٣/ ٢٠٤، ٤/ ٤٤٤
ثابت بن قيس	٣/ ٢٣٥، ٥/ ٨٦، ٩٥، ١٠/ ٣٦٧، ١٣/ ٤٩٦، ٥٠٨، ١٤/ ٣٦٠، ٣٦١
ثابت بن وديعة	٤/ ٤٤٤
ثعلب بن حاطب	١/ ٥٦، ٥٨، ٢/ ٤٨٢، ٣/ ١٧٤، ٧/ ٤١٩، ١٢/ ٢٧٥، ١٣/ ٥٩، ١٤/ ٢٠٢، ١٥/ ١٤٦
ثعلبة بن حاطب	٤/ ٣٢٩
ثعلبة بن عثمة	٧/ ٤٤٢، ٤٦٣
ثوبان	٥/ ٩٨
جابر بن زيد	٧/ ٣٨٣، ١١/ ١٢٦
جابر بن عبد الله	١/ ٤٢، ١٥١، ٣/ ٢٠١، ٢١٧، ٢٦٥، ٢٧٠، ٤/ ٣٥٧، ٥/ ٣٠، ٧٧، ١٣٧، ١٧٦، ٢٧٥، ٣٢٦، ٤٩٦، ٤٩٧، ٦/ ١٥٠، ٧/ ١٨٣، ٢٦٥، ٣٨٤، ٤٧٣، ٨/ ٣٠٦، ٩/ ٤٠١، ١٠/ ٢٣١، ٣٧٥، ١١/ ٣٥٩، ١٢/ ٩٨، ٤٣٦، ٤٢٦، ٥٠٢، ١٣/ ١٦٢، ٢٥٦، ٤٩١، ٤٤٣، ١٤/ ٣٠، ١٨٧، ٢٥٩، ١٥/ ٨٣، ١٢٨، ٢٧٩، ٣٢٨

العلم	الجزء والصفحة
جبير بن مطعم	٤/ ٢٧٥، ٦/ ٢١٥، ٧/ ٢٠٩، ١١/ ٢٣٩، ١٤/ ٧٤
جبير بن نفير	٦/ ٧٩، ١١/ ٢٤٤
جبير مولى عامر بن الحضرمي	٩/ ٣٤٨
جد بن قيس	٧/ ٣٧٤، ٣٨٦
جرير بن عبد الله	١/ ٣٤، ٢/ ٥٨، ٣/ ١٤٢، ٦/ ٤١٦، ٨/ ٥٣، ٩٩، ١٠/ ٦٩، ٢١٦، ٤٠٥، ١٤/ ٢٢٢، ٤٣٢، ٥٣٤، ٥٦٢، ١٥/ ٤٥٦
جزة السعدي	٧/ ٢٩٠
جعدة بن هبيرة	٢/ ١٠٣
جعفر الصادق	٣/ ٨، ٤٠، ٤٩٢، ٤٩٨، ٨/ ٣٧١، ١٠/ ٢٥٥، ١٣/ ٢٠٨، ٢٢٧، ١٤/ ٣٩، ٩٨، ٥٢٠، ١٥/ ٣٣٣، ٣٨٦، ٣٨٨، ٥٣٦
جعفر بن أبي طالب	١/ ٣٢٤، ٢/ ٤٢٩، ٣/ ١٩٤، ٥/ ٤٥٩، ٤٦٠، ٤٦١، ٤٦٢، ٤٦٦، ٧/ ١٥١، ١٠/ ١٩٥، ٢٤٨، ١١/ ٤٤٦، ١٢/ ١٧٤، ١٤/ ٤٠٥، ٤٠٦
جعفر بن برقان	٧/ ٢١١، ١٤/ ٤٧٩
جعفر بن محمد	١/ ٢٢، ٣٢، ٤٣، ٥٦، ١٠٥، ١٥٧، ١٧٤، ٣٨٢، ٤/ ٢٧٠، ٦/ ٣٨٦، ٧/ ٤٨١
جمل بن يسار	٣/ ٢٤٥
جميل بثينة	٤/ ١٦٤، ٩/ ٢٩٨
جميلة بنت عبد الله بن أبي أوفى	٣/ ٢٣٥
جندب بن ضمرة	٥/ ١٦٨، ١٧٠
جندع بن ضمرة	٥/ ١٧١
جهم بن صفوان	١/ ٢٢٧
جويبر	٦/ ٣٩٠، ٤٢٨
جويرية بنت الحارث	١٢/ ١٨٨

العلم	الجزء والصفحة
حاتم الأصم	١٣/ ١٧٨
حاتم الطائي	١٥/ ١٦٤
حارثة بن سراقة	٧/ ١٤٧، ١٤٨
حاطب بن أبي بلتعة	٥/ ٨٦، ١٤/ ٣٧٨
حبيب العجمي	١/ ٢٦٦
حبيب بن عوف الثقفي	٣/ ٤١٦
حبيبة بنت زيد بن أبي زهير	٥/ ١٦
حجاج	٥/ ٥١٤
حذيفة بن اليمان	٣/ ٢٠٩، ٣٤٤، ٥/ ٣٠، ٥١١، ٦/ ٣٥٥، ٧/ ٣٨٩، ٤١٦، ٨/ ٥٣، ٩/ ٣٦٣، ١٤/ ١٥٠
حسان بن ثابت	٢/ ٢٨٨، ٤/ ٣٠٢، ٧/ ٤٩، ٨/ ١٠، ٩/ ٧١، ١١/ ١٠١، ٢٥١، ٣١٦، ٤٩٣، ١٢/ ٢٥٦، ٤٢٠، ١٣/ ٤٩٢، ١٤/ ١٠١، ٥٣١
حسان بن عطية	١٠/ ١٤٩، ١٤/ ٢٢٣
حصن بن أبي قيس بن الأسلت	٤/ ٤٧٨
حفص (القارئ)	٢/ ٣٥١، ٣٥٧، ٣/ ٢٧٥، ٣٩٤، ٣٩٦، ٤/ ٧٨، ٢١٨، ٢٨٥، ٣٣٢، ٤٩٩، ٥/ ٣١٤، ٥١٨، ٦/ ٣٩، ٤٥، ٥٤، ٨٨، ١٥٥، ١٨١، ١٩٥، ٣٦٨، ٤٦٠، ٧/ ٤١، ٩٠، ١٦٨، ٢٣١، ٣٣٣، ٤٦٣، ٤٧٧، ٥٠١، ٨/ ٤٣، ١٨٩، ٢٠٠، ٢٠٢، ٢٧٣، ٩/ ١٤، ٢٥٦، ٤٥٤١٠/ ١٣٦، ١٤٦، ١٧١، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٦، ٢٠٨، ٣٠٤، ٣٠٧، ٣١٣، ٣٣١، ٣٧٠، ٤٥٣، ٤٨٧ ١١/ ٢٩، ٦٢، ٨٩، ٩٠، ١٣٣، ١٣٦، ١٣٧، ٣٤٤، ٣٦٩، ٣٩٠، ٤٣٤، ٤٩٥، ٤٩٨، ١٢/ ٢٣، ٤٥، ٤٧، ٧٠، ١٤٦، ١٥٠، ٢٢٥، ٢٣٩، ٢٤٥، ٣٩٢، ٤٤٠، ٥١٨، ١٣/ ١١٦، ١٩٥، ٢٠٩، ٢٣٨، ٢٧١، ٢٧٥، ٢٩٣، ٣٠٢، ٣٠٩، ٣٥١، ٣٥٧، ٣٨٨، ٤٢٧، ١٤/ ١٤٥، ٣٣٣، ٤٠٩، ١٥/ ١٠٣، ١٢٧، ١٣٥، ١٥٣، ١٨٨، ٢٦٢، ٣٦٥، ٥٣٩

العلم	الجزء والصفحة
حفصة أم المؤمنين	٣/ ٢١٧، ٢٧١، ٥/ ٤٨، ٨/ ١٩، ١١/ ٣١١، ١٣/ ٥١١، ١٤/ ٤٧٦، ٤٧٧، ٤٨٠، ٤٨١، ٤٨٢، ٤٨٤، ٤٨٦، ١٥/ ٢٥٢
حكيم بن الأشرف الطائي	٣/ ٢٧٦
حكيم بن حزام	٦/ ٢١٥، ٧/ ٣٨٥
حكيم بن زيد	٧/ ٤٢٦
حماد (القارئ)	٢/ ٣١٧، ٤٨٤، ٥/ ٤٧٢، ٦/ ٣٢، ٨٨، ١٨١، ١٩٦، ٢٠٧، ٢٠٩، ٢٢٣، ٢٣٤، ٩/ ٤٦٠، ١٤/ ٤٦٠
حمزة (القارئ)	١/ ١١٥، ١٥٠، ٢٧٨ ٢/ ١٠٧، ٣٠٤، ٣٥١، ٥١٠ ٣/ ٢١٤، ٢٦٣، ٢٧٥، ٢٨٨، ٣٩٦، ٤١٨، ٤٢٧، ٤٧٦ ٤/ ٢٤، ٢٥، ٢١٨، ٢٧٨، ٣٢٣، ٣٥٤، ٣٧٥، ٣٨١، ٤٢١، ٤٩٩، ٥١٧ ٥/ ٢٣، ٣٢، ٤١، ٩٣، ١٦١، ٢٢٢، ٢٣٦، ٣٣٣، ٤٠١، ٤٢٨، ٤٤٥، ٤٧٢، ٥١٨، ٥٢٦ ٦/ ٣٢، ٣٩، ٤٥، ٨٥، ٨٨، ١١٤، ١٣٥، ١٥٨، ١٦٨، ١٨٤، ١٩١، ١٩٦، ٢٢٤، ٢٣٧، ٢٥٦، ٢٦٧، ٢٨٤، ٣١٣، ٣٤٣، ٣٥١، ٤٥٧، ٤٥٨، ٥٢٨ ٧، ٩، ٤٢، ٨٤، ٩٠، ١٠٨، ١٥٧، ١٦٧، ٢٣١، ٢٤١، ٢٤٢، ٣٣٣، ٤٣٦، ٤٧٧، ٤٧٩، ٥٠١، ٥٢٢ ٨/ ١٣، ٦٥، ٩١، ١٢٤، ١٨٩، ٢٠٢، ٢٦٨، ٢٧٣، ٢٧٦، ٣٦٨، ٤١٤، ٤٣٤، ٤٣٧، ٤٣٨، ٥١٧ ٩/ ١٥، ١٩، ٧٦، ١١٨، ١٢٤، ٢٦٨، ٣٧٢، ٤٠٤، ٤٠٦، ٤٥٤، ٤٧٧ ١٠/ ٣٧، ٤٤، ٥٧، ٨١، ٨٢، ٩٦، ٩٩، ١١٥، ١١٨، ١٣٧، ١٤٢، ١٤٣، ١٤٦، ١٧١، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٦، ٢٠٨، ٢٢٥، ٢٤٤، ٢٥٤، ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٩٨، ٣٠٢، ٣٠٤، ٣٠٧، ٣١٣، ٢١٨، ٣٢١، ٣٢٧، ٣٢٨، ٣٣٢، ٣٧٠، ٤٣٩، ٤٤٧، ٤٤٩، ٤٦٤، ٥٠٠، ٥٠٦، ٥٠٧ ١١/ ١٣، ٣٩، ٥٢، ٦٩، ٧٣، ٧٥، ٨٩، ١١٤، ١٣٣، ١٣٦، ١٦٨، ١٩٤، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٣٢، ٢٤٤، ٢٤٦، ٢٧٢، ٣٠٥، ٣٢٥، ٣٦٩، ٣٧٠، ٣٨٣، ٣٩٠، ٣٩٣، ٤٣٢، ٤٣٤، ٤٣٥، ٤٤٣، ٤٩٥، ٥٢١، ٥٢٦

العلم	الجزء والصفحة
	١٢/ ٤٤، ٤٦، ٥٤، ١٠٣، ١١٨، ١٣٤، ١٣٩، ١٤٦، ١٥٩، ١٦٨، ١٧٧، ٢٣٩، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٩، ٢٥٢، ٢٧٤، ٢٨٧، ٣٥٤، ٣٦٦، ٣٧٣، ٣٧٧، ٣٩٢، ٣٩٣، ٣٩٧، ٤٠٩، ٤٢٥، ٤٢٩، ٤٤٠، ٤٧٤، ٥١٤، ٥١٨، ٥٢٧، ١٣/ ١٨، ٤٠، ٦٣، ١٠٥، ١١٧، ٢٠٩، ٢٣٣، ٢٣٨، ٢٧١، ٢٨٢، ٢٩٥، ٣٠٩، ٣١٨، ٣٤٦، ٣٤٨، ٣٥٢، ٣٥٧، ٣٦٥، ٣٨٥، ٣٨٨، ٤٢٧، ٤٦٢، ٥٠٢، ١٤/ ٣٤، ٤٧، ٥٠، ٥٨، ٧٩، ١٠٥، ١٤٥، ١٥٤، ١٨٦، ١٩٤، ٢٤٢، ٢٤٤، ٢٥٩، ٢٦٩، ٣٢٠، ٤٠٩، ٥٠٦، ٥٣٣، ٥٤٩، ١٥/ ٣٠، ٥٢، ٥٥، ٦٨، ١٠٣، ١٣٥، ١٥٢، ١٥٣، ١٨٨، ٢٠٢، ٢٢١، ٢٣٢، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٧٠، ٢٧٢، ٢٩٢، ٣٣١، ٣٤٨، ٣٦٥، ٤٧٨، ٥٣٩
حمزة بن عبد المطلب	٣/ ١٩٣، ١٩٨، ٥٢٢، ٤/ ٢٤٧، ٢٧٥، ٢٨٠، ٢٨٤، ٢٨٥، ٣٦٨، ٥/ ٤٧٨، ٦/ ٨٧، ١٥٩، ٢٠٢، ٧/ ١٤١، ١٤٣، ١٤٥، ١٤٨، ٢٤١، ٢٤٦، ٩/ ٣٠٢، ٣٥٤، ١٠/ ٤٨٠، ١١/ ٤٥٤، ٤٨١، ١٢/ ١٣٩، ١٥٩، ٤٩٣، ١٣/ ٥٥، ٣٦٠، ١٤/ ١٠٦، ٣٤٤، ٤١٣
حميد الشامي	٢/ ٧٣
حميد بن عبد الرحمن الحميري	١٠/ ١٨٥
حميد بن هلال	١٠/ ٢١٧
حنظلة	٤/ ١٨٨
حويطب بن عبد العزى	٧/ ٣٨٥
حيان	٦/ ٣٠٤، ٧/ ٩٥، ٤٥٩، ١٣/ ١٥٤
خارجة	١٢/ ١٣٩، ١٤/ ٨١، ٥٢٩، ٥٤٠
خارجة بن زيد	٤/ ٣٢٩
خارجة بن عامر	٤/ ٣٢٩
خارجة بن مصعب	١/ ٥٣

العلم	الجزء والصفحة
خالد بن أبي عمران	١٥/ ٣٣٩
خالد بن الوليد	٣/ ٤١٥، ٤/ ٢٧٧، ٣٢٠، ٥/ ٧٥، ٧٦، ٦/ ٢١٥، ٨/ ٣٢، ١٢/ ١٢٢، ١٣/ ٤٧١، ٤٩٨، ٥٠٣، ٥٠٨، ١٤/ ١٢٠، ١٢١
خالد بن بكير	٣/ ١٨١
خالد بن صفوان	١٠/ ١٨٥
خالد بن مالك	١٣/ ٥٠٠
خالد بن معدان	٨/ ٨٥، ١٠/ ٢٣٠
خباب بن الأرت	٢/ ٣٤٣، ٣/ ١٧٦، ٦/ ٧٨، ١٠٣، ٩/ ٤٠٠، ٤١٥، ١٠/ ٦٣، ٢٣٦، ١١/ ٤٨٨، ١٣/ ٢٤٠
خديجة أم المؤمنين	٢/ ١٥٩، ١٥/ ٨٣، ٨٦، ٤٠٨، ٤٠٩، ٥٠٤
خديجة بنت خويلد	١٢/ ١٧٨، ١٤/ ٥٢٤
خريم بن فاتك	١٠/ ٤٩٨
خزيمة بن ثابت	٤/ ١٨٨
خفاف بن ندبة	١/ ٢٠٣
خلف (القارئ)	١/ ٢٧٨، ٢/ ٣٠٤، ٣١٦، ٣٥١، ٥/ ٥٢٦، ٦/ ٣٢، ٨٥، ٨٨، ١٣٥، ١٥٨، ١٦٨، ١٨١، ١٩١، ١٩٦، ٢٢٤، ٢٥٦، ٧/ ٤٦٣، ٩/ ٤٠٤، ٤٠٦، ٤٧٧، ١٠/ ٣٢١، ٣٢٧، ٣٣٢، ١١/ ٥٢١، ١٢/ ٤٧، ٢٣٩، ٢٤٩، ٢٥٢، ٢٧٤، ٣٩٧، ٥١٤، ٥١٨
خنساء جارية حذيفة بن اليمان	٣/ ٢٠٩
خوات بن جبير	١٢/ ٤٣٦
خولة بت خويلد	١٤/ ٣١٨
خولة بنت الصامت	١٤/ ٣١٨
خولة بنت ثعلبة	١٤/ ٣١٦، ٣١٨

العلم	الجزء والصفحة
خولة بنت دليج	١٤/ ٣١٨
خولة بنت قيس	١١/ ٩١
خويلة بنت محمد بن مسلمة	٥/ ٢٠٩، ٢١٢
خيثمة	٧/ ١٣٢، ١١/ ٤٦٣
خير مولى غلام الحضرمي	١١/ ٢٠٢
داود الطائي	١/ ٢٣١
داود بن علي الظاهري	٤/ ٤٩٢، ٥/ ٤٩٠، ٤٩٦، ٦/ ١٩٩، ١٤/ ٣٢١
داود بن أبي هند	٧/ ٥٧
دحية الكلبي	١٢/ ١٦٢
دريد بن الصمة	٧/ ٢٩٩، ١٤/ ٥٤٤
ذو الرمة	٢/ ٢٠٨، ٤٧٣، ٦/ ١٢٧، ٨/ ١١، ١١/ ٣٤٣، ١٤/ ٢٢٨
ذو النون المصري	٦/ ٣٢٠، ٥٢١، ٨/ ٨٦، ١٠/ ٥٧، ٤٤٦، ١٤/ ٦٠، ١٥/ ٣٥٨
رابعة	١٤/ ٤٩٣
رافع بن خديج	٥/ ٢٠٩
ربيعة الرأي	٦/ ٢٥٤
ربيعة بن عوف الثقفي	٣/ ٤١٦
رزين	١٢/ ١٩٣
رفاعة بن المعلى	٤/ ٣٢٩
رفاعة بن النعمان	٥/ ١٨٣
رفاعة بن رافع	٣/ ٢٣٨
رفاعة بن وهب بن عتيك	٣/ ٢٣٨
رؤبة بن العجاج	١/ ٩٩، ٣/ ٤٤٠، ٥/ ٥٢٨، ٦/ ٣٠٧، ١٠/ ٢٤٧

العلم	الجزء والصفحة
روح بن عبادة	٧/ ٢٧
رويس	١١/ ٣٤٣
رويم المصري	١٤/ ٤٩٣
زاذان	١٤/ ٩٣، ٩٤
زبيدة زوجة هارون الرشيد	٤/ ١٥٠
زر بن حبيش	١/ ٣٩، ١٥/ ٣٨، ٤٦٣
زفر	٣/ ٢٤٩، ١١/ ٩٤
زمعة بن الأسود	٧/ ١٤١
زنيرة	١٥/ ٣٧٧
زهير الماوردي	٦/ ١٤٣
زهير بن أبي سلمى	١/ ١٢٢، ١٠/ ٥٧، ١١/ ١٨، ١٠٩، ٢٣٤
زهير بن كعب	٧/ ١٨٩، ٩/ ٤٣٩
زيد الخيل	٧/ ٣٨٦
زيد العمي	٥/ ٢٧٩
زيد بن أرقم	٣/ ٢٧٣، ١٤/ ٤٣٠، ٤٣٧، ٤٣٨، ٤٣٩، ١٥/ ٥٤٥
زيد بن أسلم	٢/ ٣٢٤، ٣/ ٣٤٧، ٤٩١، ٥/ ٢٤٠، ٣١٠، ٣٤٨، ٥٠٩، ٧/ ٧٤، ١١٢، ٤٠٠، ١١/ ١٧١، ٣٥٣، ١٣/ ١٧٥، ٤٥٥، ٥١٨، ١٤/ ٢٤٦، ٢٩١، ٣٩٩، ٤٨٨، ٥٣١، ٥٤٦، ١٥/ ١٧، ٥٣، ١١٨، ١٢٣، ٤٤٤، ٤٤٥
زيد بن ثابت	١/ ١١٥، ٣/ ٢٥٢، ٢٧١، ٤/ ١٨٨، ٥/ ١٤١، ١٦٢، ١٥/ ٦٥
زيد بن حارثة	٤/ ١٤٩، ٤٩٥، ١٠/ ١١، ١٢/ ١٢٨، ١٣٥، ١٣٩، ١٧٦، ١٧٧، ٢٧٨، ١٤/ ٤٠٥
زيد بن علي	٦/ ٣١٦، ١١/ ٤٩٨، ١٢/ ٤٣٦
زيد بن مرثد	١٥/ ٨٨

العلم	الجزء والصفحة
زيد بن وهب	١٠/ ١٨٨
زينب بنت جحش	١٢/ ١٧٦، ١٧٩، ١٨٠، ١٤/ ٤٧٧
زينب بنت خزيمة	١٢/ ١٨٩، ١٩١
زينب بنت رسول الله	٣/ ٢٠٨
سارة بنت هاران بن ناحور	٨/ ٢٣٦
سالم بن أبي الجعد	٧/ ٣٢٦، ١٠/ ٤٣٥
سالم بن عمر	٧/ ٤٤٢
سالم بن عمير	٧/ ٤٤١
سالم بن عوف	٣/ ٣٣٦، ١٤/ ٤٦٤، ٤٦٥
سالم بن معقل	٦/ ٧٨
سالم مولى أبي حذيفة	٤/ ٢٨٤، ٩/ ٤٠٠
سبيعة بنت الحارث	١٤/ ٤٦٦
سراقة بن مالك بن جعشم	٥/ ١٤٨، ٧/ ٣٤٨
سعد بن أبي وقاص	٣/ ١٨٠، ٣٨١، ٤/ ٢٣٩، ٢٧٨، ٢٨٠، ٢٨٣، ٤٦٢، ٥/ ٣٧، ١١٤، ٤٧٦، ٤٨٢، ٧/ ١٢٢، ١٣٦، ٩/ ٣٩٦، ١١/ ٤٨٣، ١٢/ ٦٥، ٦٦، ١٣/ ٣٨٩، ١٤/ ٤١٣، ١٥/ ٤٧٢، ٤٩٩
سعد بن الربيع النقيب	٤/ ٤٥٣، ٥/ ١٦، ١٢/ ١٣٩
سعد بن جبير	١٥/ ٤٢٩
سعد بن خيثمة	٧/ ١٣٢
سعد بن زيد	٤/ ٢٧٧
سعد بن عبادة	٤/ ١٨٨، ٢٨٠، ٥/ ١٤١، ٧/ ٣٠٣، ٣٠٦، ١١/ ٩٨، ١٢/ ١٤٨، ١٤/ ٣٦٠
سعد بن عثمان الزرقي	٤/ ٣٢٩
سعد بن مالك	٦/ ٧٨

العلم	الجزء والصفحة
سعد بن معاذ	٤/ ١٨٨، ١٨٨، ٢٨٠، ٥/ ١٤١، ٣٩٣، ٧/ ١٢٣، ١٣٥، ١٣٩، ١١/ ٩٨، ١٢/ ١٤٨، ١٦٢، ١٤/ ٣٥٥، ٣٦٠، ٣٦١، ١٥/ ٥٣٠
سعدون المجنون	٩/ ٣٩٤
سعيد بن أبي الحسن	١١/ ١٤٨
سعيد بن أبي هلال	١٠/ ٢٣١
سعيد بن المسيب	١/ ١٥٦، ١٩٢، ٢/ ٩٠، ٣/ ٢٣٧، ٢٦٤، ٤/ ١٢٧، ٤٢٦، ٤٤٥، ٤٤٨، ٥١٥، ٥/ ٧٤، ١٦٠، ٢٣٩، ٣٤٣، ٣٧٨، ٥١٣، ٧/ ٧٤، ٢٤٨، ٣٥٤، ٤٩٠، ٨/ ٩٧، ٢٠٢، ٩/ ٢٧٤، ٣٧٤، ٣٩٧، ١٠/ ٨٦، ٤٨٤، ١١/ ٣٧، ٣٨، ٨٧، ٩٥، ١٧٢، ١٧٣، ٤٢٦، ٤٦٤، ١٢/ ٢١٣، ٤٣٦، ٤٨٦، ٥١١، ١٣/ ٣٥٤، ١٤/ ١٨، ٥٥، ٨١، ٢٣٧، ٢٦١، ٢٨٥، ٣٦٣، ٣٩٩، ٤٦٠، ٥٣١، ١٥/ ٥٢، ١٩٩، ٢٧٩، ٣١٢، ٣١٩، ٣٩٠، ٤١٦، ٤٦٦
سعيد بن جبير	١/ ٥٦، ١٠٥، ١٠٦، ١٩١، ٢٠٧، ٢٣٣، ٣٥٣، ٢/ ٧٢، ٨٣، ١٠٣، ١٧٨، ١٨٤، ٢١٠، ٢٤٩، ٢٦٦، ٣٢٤، ٣٢٨، ٤٤١، ٣/ ١٤، ٦٢، ٢١٨، ٢٦٧، ٣٢٥، ٤٣٨، ٤٨٥، ٤٨٥، ٤٩١، ٥٢٠، ٤/ ٢٨، ٤٠، ٥٥، ٥٩، ٦٤، ١٨٣، ٣٨٩، ٤٢٥، ٤٣٠، ٤٤٢، ٤٧٧، ٥/ ٦٢، ١٦٢، ٢٤٠، ٢٥٥، ٢٩٨، ٣١٨، ٣٥٤، ٤٥٩، ٤٩٤، ٥١٣، ٥١٨، ٦/ ٨، ٣٦، ٧٦، ٩٥، ١٧٤، ٢٣٨، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٨١، ٣١٦، ٣٢١، ٣٩٠، ٤٧١، ٤٨٢، ٤٨٧، ٥١٦، ٧/ ٢٦، ٥٧، ٥٨، ٧٠، ١٠٨، ١١٢، ١٩٣، ١٩٨، ٢١٧، ٣٠٤، ٣٤٢، ٣٨٩، ٤٦٠، ٤٩٠، ٨/ ٢٤، ٢٥٩، ٥١٨، ٩/ ٧، ٢٥، ٣١، ٨١، ١٤٨، ٢٨٧، ٢٩٨، ٣١٧، ٣٦٠، ٣٧٤، ٣٩٧، ٤٣٥، ١٠/ ٢٢، ٤٥، ٥٤، ٦٦، ٨٦، ٩٢، ١١٧، ١٢٤، ١٢٥، ١٣٦، ١٦٣، ٢٠٤، ٢٥٦، ٢٧٦، ٢٩٧، ٤٣٢، ٥٠٢، ٥٢٦، ١١/ ١٧٦، ٤٢٤، ١٢/ ١٧، ١٤١، ٤٣٦، ٤٤٥، ٤٤٦، ٤٦٢، ٤٨٦، ١٣/ ٤٥، ٧٠، ٨٤، ٢٠٨، ٢٣٩، ٢٨٩، ٣٣٢، ٣٩٨، ٤٢١، ٤٤٧، ٤٦٤، ٤٧١، ١٤/ ١٦، ٣٢، ١١٣، ١٥٩، ١٨٣، ٢٢٢، ٢٢٧، ٢٤٦، ٣٠٦، ٣٠٨، ٤٢٤، ٥٧٥، ١٥/ ١٠، ٥٤، ٩٣، ٩٥، ١٠٨، ١١٢، ١١٩، ١٢٢، ١٤٠، ١٥٢، ١٩٢، ٢٣٤، ٢٥٤، ٢٦٦، ٢٧٢، ٤٨٠، ٤٨٣، ٤٩٥، ٥٠٠، ٥٠٥، ٥١٦، ٥٢١، ٥٢٧، ٥٣٦، ٥٥٥

العلم	الجزء والصفحة
سعيد بن حريث	١٠/ ٤٨٥
سعيد بن زائدة الخزاعي	١٠/ ٢٦١
سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل	١٥/ ٤٧٢
سعيد بن عامر	١٣/ ٥١٤
سعيد بن عبد العزيز	٤/ ٤٨، ١٠/ ١٤٤
سعيد بن مسروق	٣/ ٢٨
سفيان الثوري	٢/ ١٢٤، ١٣٨، ٣/ ٢٠، ٤/ ٢٩، ٢٦٠، ٥٢٥، ٦/ ٢٧١، ٥٠٥، ٨/ ٢٨٠، ١٠/ ١٣، ١٢/ ٣١٣، ١٣/ ٥١، ١٧٥، ١٤/ ٣٣، ٥١، ٢١٧، ٢٤٨، ٢٨٥، ٣٥٣، ٤٧٩، ٥٣٨، ٥٧٠، ١٥/ ١٠، ١٣٦، ١٥١، ١٦٦، ٢٧٩
سفيان بن الحسين	٦/ ٢٣٣
سفيان بن عيينة	١/ ١٣١، ١٣٦، ٢/ ٣٦٢، ٣/ ١٠٦، ٤/ ٣٣، ٢٠٤، ٥/ ٨، ٦/ ١٦٣، ٥٢١، ٧/ ٢٠٢، ٢٦٢، ٤٨٦، ٨/ ٨٦، ١٩٩، ٤٥٩، ٢٥٩، ٩/ ١٨٦، ١٩٥، ٣٢٢، ٤٤٢، ٤٤٨، ١٠/ ١٠٧، ١٠٨، ١٧٥، ١٧٦، ٤٩٥، ١١/ ١٣١، ١٣/ ٢٨٤، ٤٣٢، ١٤/ ١٨٤، ١٩٨، ٢٥٩، ١٥/ ٥٠١
سلام القارئ	٧/ ٤٥٢
سلامة بن جندل	٢/ ٨٤
سلمان الفارسي	٢/ ٤٥، ٣٠٥، ٥/ ٤٣٧، ٤٥٨، ٤٦٨، ٥٣٢، ٦/ ٧٨، ٨/ ١٣١، ١٠/ ٦١، ١١/ ٢٤٠، ١٤/ ٢٤٠، ٤٩٨
سلمة بن الأكوع	١٣/ ٤٦٦، ٤٧٠
سلمة بن سلامة	٧/ ٣٠٠
سلمة بن صخر	١٤/ ٣٢٢
سلمة بن كُهَيلٍ	١٣/ ٤٧٥
سلمة بن هاشم	٥/ ١١٠، ٩/ ٣٣٨
سليمان بن يزيد العدوي	٦/ ١٦٤

العلم	الجزء والصفحة
سليمان التيمي	٦/ ٤٧٣
سمرة بن جندب	١٠/ ١٣٩، ١١/ ١٤، ١٢٥
سهل (القارئ)	٢/ ٥١٠، ٥/ ٥٢٨، ٦/ ٣٢، ٥٤، ٨٥، ٨٨، ١٦٢، ١٨١، ١٩١، ١٩٥، ٢٠٧، ١٢/ ٢٤٨
سهل بن حنيف	٤/ ٢٨٠، ١٢/ ١٣٩، ١٤/ ٣٥٥، ٣٦١
سهل بن رافع	٧/ ٣١٥، ٣٧٩، ٤٢٦
سهل بن سعد الساعدي	٣/ ١٠٢، ١٤/ ٤١٨
سهل بن عبد الله التستري	١/ ١٥٧، ٢٣١، ٤٣٢، ٢/ ٢٥٣، ٣/ ٢٨٧، ٤/ ٢٣٤، ٢٥٥، ٦/ ١٩٨، ٨/ ٨٦، ٩/ ١٣٢، ٢٤٩، ١١/ ٤٩٨، ٥٢٧
سهيل بن البيضاء القرشي	٣/ ١٨١، ٥/ ٤٧٨، ٧/ ٢٤٥
سهيل بن عمرو	٦/ ٢١٥، ٧/ ١٤٩، ٢٨١، ٣٠٦، ٣٨٥
سواد بن غزية	٤/ ٣٢٩، ٧/ ١٣٩
سودة بنت زمعة	٥/ ٢١٣، ١٤/ ٤٧٧، ٤٧٨
سويد بن هاشم	١٣/ ٥٠٠
سيبويه	١/ ٤٦، ١٩٦، ٣٣٩، ٣٩٠، ٢/ ٢٢٨، ٣/ ١٧٤، ٤٢٨، ٤/ ٣٢٥، ٥١١، ٥/ ١٤٦، ٦/ ٢٠٧، ٢٥١، ٩/ ١١٦، ٩/ ١٩١، ١٠/ ٢٢٦
شبل	٦/ ٣٩
شرحبيل بن سعد	١٥/ ٣٥٦
شريح	٣/ ٢٦٧، ٢٧٠، ٥/ ٥١٣، ١١/ ٤٢٥، ١٢/ ٤٨٠، ١٤/ ٤٤٦
شريك بن السحماء	١١/ ٩١
شعبة	٧/ ٤٣٢، ١٢/ ٢٥٤
شعيب بن الحبحاب	١/ ٣٧٠، ١٠/ ١١٦

العلم	الجزء والصفحة
شعيب بن عبد الله	١٤/ ٣٩٨
شقيق	١٣/ ٢٤٠
شقيق بن إبراهيم	٦/ ٣٠٤
شقيق بن سلمة	١/ ١٢٠، ١٣٤
شمر	١٥/ ٤١٨
شميط بن عجلان	٩/ ٦٥
شهر بن حوشب	١/ ٣٦٩، ٢/ ١٢٧، ٣٥٥، ٥/ ٢٠٦، ٩/ ٣٦، ١٣/ ٢٠٧، ٤٨٣، ١٥/ ١٣٦، ١٨٩
شيبة بن عثمان	١/ ٢٧٧، ٧/ ٢٩٠، ٣٠٤
الخليل بن أحمد	٣/ ٣٩
صالح بن حيان	١٥/ ٣٥٣
صخر بن حرب	٦/ ٢١٥
صخر بن خنساء	٧/ ٤٤٢
صخر بن سلمان	٧/ ٤٤٢
صعصعة	١٤/ ٧٠،
صفوان بن المعطَّلِ	١١/ ٩٦، ١١٧
صفوان بن أمية	٦/ ٢١٥، ٧/ ٣٨٥، ٣٨٦
صفوان بن سليم	٤/ ٤٦٥
صفوان بن عسال	٦/ ٢٦٥، ٩/ ٤٨٨
صفية بنت حيي	٤/ ٤٩٧، ١٢/ ١٨٨، ١٣/ ٥١١
صفية بنت شيبة	١٢/ ٢٠٣
صفية بنت عبد المطلب	١١/ ٣١١

العلم	الجزء والصفحة
صهيب الرومي	١/ ١٨،٣/ ١٥٤،٦/ ٧٨،٨/ ٥٢، ٥٣،٩/ ٤٠٠،١١/ ٢٠٢، ١٥/ ٢٨٣
ضرار بن الخطاب	٥/ ٤٨٦،٦/ ٢١٥
ضمرة بن العيص بن زنباع الخزاعي	٥/ ١٧١
ضمرة بن حبيب	١٤/ ٢١٥،١٥/ ٢٥٤
ضمضم بن عمرو	٥/ ١٧١،٧/ ١٣٧
طاهر بن عبد الله الشاشي	١٥/ ٣٣٩
طاوس	٤/ ١٢٩، ٤٣٠، ٥١٥،٥/ ٢٤،٦/ ٣٢٦،٨/ ٤٩٧،٩/ ٢٩٨، ٤٤٨،١٤/ ٣٢١، ٣٧١، ٤٧٩،،١٥/ ٨٨
طرفة	٢/ ٣٠٢،٨/ ١٠٤،١٢/ ٣٧٨
طعمة بن أبيرق الظفري	٥/ ٣٨٦
طلحة بن عبيد الله	١٤/ ٣٦٣، ٤١٣
طلحة بن الزبير	٤/ ٢٨٠، ٢٨٣، ٣١٠، ٣٢٠،٩/ ١٩٨
طلحة بن شيبة	٧/ ٢٩٠
طلحة بن عبيد الله	٤/ ٢٨٢،٥/ ١١٤،٧/ ٥٠٩،٩/ ٣٦١،١٢/ ١٦٠،١٥/ ٤٧٢
طلحة بن عثمان	٧/ ١٧٢، ٣٠٤
طلحة بن مصرف	١٢/ ٥٢٧،١٣/ ٤٧٥
عاتكة بنت عامر بن عمرو بن مخزوم	١٥/ ٢١٤
عاتكة بنت عبد المطلب	٧/ ١٣٧
عاصم (القارئ)	١/ ١١٨، ٢٢٩، ٢٧٨، ٢٩٥ ٢/ ٣٠١، ٣٠٤، ٣١١، ٣٥١، ٣٥٧، ٤٨٤ ٣/ ٢١٤، ٢٦٥، ٢٨٨، ٣٨٢، ٣٩٤، ٣٩٥، ٣٩٦، ٤١٨ ٤/ ١٥، ١٩، ٥٣، ٧٨، ١٣٢، ٢١٨، ٢٢٩، ٢٤١، ٣٤٠، ٣٥٤، ٣٨٩، ٤٢١، ٤٥٨، ٤٩٩، ٥١٧، ٥٢١

العلم	الجزء والصفحة
عاصم (القارئ)	٥/ ٤١، ٩٣، ١٠٧، ١١٤، ٢٣٦، ٢٩٤، ٣١٤، ٤٠١، ٤٧٢، ٤٩١، ٥١٨ ٦/ ٣٢، ٣٩، ٣٩، ٤٥، ٥٤، ٨٥، ٨٨، ٨٨، ٩١، ١٣٥، ١٥٥، ١٥٨، ١٦٧، ١٨١، ١٨٤، ١٩١، ١٩٦، ٢٠٧، ٢٠٩، ٢٢٣، ٢٣٤، ٢٨٤، ٣١٣، ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٦٨، ٣٧٤، ٤٥٧، ٤٦٠، ٤٩١، ٥٠٥ ٧/ ٩ ٤، ٤٣، ٥١، ٩٠، ٩٠، ٩٨، ١٠٨، ١٤٥، ١٥٠، ١٥١، ١٥٤، ١٥٧، ١٦٧، ١٦٨، ٢١٣، ٢٣١، ٢٣٦، ٢٤٢، ٣١٥، ٣١٦، ٣٣٣، ٤٠١، ٤٢٥، ٤٦٣، ٤٦٨، ٤٧٧، ٥٠١ ٨/ ١٣، ٤٣، ٦٥، ١٨٩، ٢٠٠، ٢٠٢، ٢٦٨، ٢٧٣، ٢٧٦، ٣٦٨، ٤٣٤، ٤٣٨، ٥١٧، ٥١٨ ٩/ ١٤، ١٦، ١٩، ٧٦، ٨١، ١٧٢، ٢٤٠، ٢٥٦، ٢٦٨، ٢٨٩، ٢٩٧، ٣٧٢، ٤٠٦، ٤٥٤، ٤٦٠، ٤٧٧ ١٠/ ٣٦، ٣٧، ٤٤، ٧٢، ٩٩، ١٠٢، ١١٨، ١٢٥، ١٣٦، ١٣٧، ١٤٢، ١٤٣، ١٤٦، ١٧١، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٦، ١٩٤، ٢٠٨، ٢٤٤، ٢٥٤، ٢٦٦، ٢٩٨، ٣٠٢، ٣٠٤، ٣٠٧، ٣١٣، ٣٢٧، ٣٣١، ٣٧٠، ٤٣٩، ٤٤٧، ٤٥٣، ٤٦٨، ٤٨٤، ٤٨٧، ٤٩٤، ٥٠٦، ٥٠٧ ١١/ ٢٦، ٢٩، ٣٠، ٥٢، ٨٩، ٩٠، ٩١، ١٢٥، ١٣٣، ١٣٦، ١٣٧، ١٤٦، ١٦٥، ٢٢٣، ٢٣٨، ٢٤٦، ٣٠٥، ٣٢٥، ٣٤٤، ٣٦٩، ٣٧٠، ٣٧٣، ٣٩٠، ٣٩٣، ٤٣٢، ٤٣٤، ٤٣٥، ٤٤٣، ٤٩٨، ٥٠٨، ٥١٧ ١٢/ ٢٣، ٤٤، ٤٦، ٤٧، ٧٠، ١٠٣، ١٣٩، ١٤٦، ١٥٠، ١٥٨، ١٧٠، ١٧٧، ١٨١، ٢٠٩، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٨، ٢٣١، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٩، ٢٧٤، ٣٣٦، ٣٥٤، ٣٦٦، ٣٧٣، ٣٧٦، ٣٧٧، ٣٩٢، ٣٩٣، ٤٢٥، ٤٤٠، ٥١٨، ٥٢٧ ١٣/ ٦٣، ١٠٥، ١١٦، ١١٧، ١٩٥، ٢٠٩، ٢٣٨، ٢٧١، ٢٧٥، ٢٨٢، ٢٨٥، ٢٩٣، ٣٠٢، ٣٠٩، ٣١٨، ٣٤٩، ٣٥١، ٣٥٧، ٣٨٥، ٣٨٨، ٤٢٧، ٤٢٩، ٥٢٧ ١٤/ ٢٧، ٤٧، ٧٩، ٩٢، ١٤٥، ١٩٤، ٢٤٢، ٢٥٩، ٢٩٣، ٣٠١، ٣٢٠، ٣٣٣، ٣٨٣، ٣٨٤، ٤٠٩، ٤٤٢، ٥٣٣، ٥٦٥ ١٥/ ٣٨، ٥٢، ٥٥، ٦٨، ١٠٣، ١١٥، ١٢٧، ١٣٥، ١٤٨، ١٥٢، ١٥٣، ١٦٤، ١٨٨، ١٩١، ٢٠٢، ٢١٦، ٢٢١، ٢٣٢، ٢٤٣، ٢٦٢، ٢٧٠، ٣١٩، ٣٤٩، ٣٦٥، ٤٧٨، ٥٢٥، ٥٣٩

العلم	الجزء والصفحة
عاصم بن ثابت	٤/ ٢٧٨، ٢٨٠، ٧/ ١٥٠
عاصم بن عدي	٧/ ٤٢٥، ٤٦٨، ١١/ ٩١، ١٢/ ١٣٩
عاصم بن عمر	٥/ ١٨٣
عامر بن الأضبط الأشعري	٥/ ١٥٨
عامر بن ربيعة القرشي	٣/ ١٨١
عامر بن سعد	٨/ ٥٣
عامر بن فهيرة	٧/ ٣٥٠، ١١/ ٢٠٢، ١٥/ ٣٧٧
عامر بن قيس	٧/ ٣٩٥
عائذ بن عمرو	٧/ ٤٤٢
عائشة أم المؤمنين	٢/ ١٥٩، ٣٩٣، ٥٠٨، ٣/ ٧٨، ٢١٤، ٢٢١، ٢٧١، ٤٣٦، ٤/ ٢٣٠، ٤٣٠، ٤٣١، ٤٩٠، ٤٩١، ٤٩٨، ٥/ ١٧٢، ٢١٣، ٢١٦، ٢٣٩، ٢٥٥، ٢٥٩، ٣١٦، ٤٦٣، ٤٧٢، ٦/ ٢٣٤، ٢٦٥، ٤٤٧، ٧/ ٩٣، ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٤٩، ٤٨٥، ٨/ ٢٧٩، ٣١٧، ٥١٦، ٩/ ٣٦٣، ٣٩٧، ٤٩٣، ١٠/ ٤١٤، ٤٤٠، ١١/ ٤٣، ٩٥، ١٠٠، ١٠١، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٧، ١١٣، ١١٤، ١١٦، ١١٧، ١٢٤، ٣١١، ١٢/ ١٣٧، ١٦٢، ١٦٥، ١٦٦، ١٩٣، ١٩٨، ٢٥٥، ٣١٢، ٣٧٨، ١٣/ ١٦٥، ٢٨٨، ٣٣١، ٣٩١، ٤٨٩، ٥١١، ١٣/ ١٨٢، ١٤/ ١٠٥، ١١٣، ١١٩، ١٣٢، ١٣٨، ٢٢٤، ٢٥١، ٣١٨، ٣٢٩، ٣٨٨، ٣٩١، ٣٩٦، ٣٩٧، ٤٦٠، ٤٧٦، ٤٧٧، ٤٧٨، ٤٨١، ٤٨٢، ٤٨٥، ٤٨٧، ٥٢٣، ١٥/ ٦٥، ٦٩، ٧٥، ٢١١، ٢٢٤، ٢٣٧، ٢٦٠، ٢٦٩، ٤٠٧، ٤٢٨، ٤٨٣، ٥٠١، ٥٠٥، ٥١٧، ٥٤٤، ٥٤٩، ٥٥٤
عائشة بنت عبد الرحمن بن عتيك النضرية	٣/ ٢٣٨
عباد بن بشر	٣/ ٢١٢
عبادة بن الصامت	٤/ ٤٦٦، ٤٧٢، ٤٧٥، ٥/ ٤١٤، ٧/ ٧٩، ١٢٢، ٨/ ٥٣، ١٥/ ٤٢٩

العلم	الجزء والصفحة
عباس الدوري	١٠/ ٢٥٤
عبد الرحمن المزني	٦/ ٣٥٥
عبد الرحمن بن أبزى	٧/ ١٩٥، ٣٨٥
عبد الرحمن بن أبي الزناد	٥/ ٢١٣
عبد الرحمن بن أبي بكر	٣/ ٢٢١، ٦/ ١١٥، ١٣/ ٣٩٠، ٣٩١
عبد الرحمن بن أبي بن خلف	٦/ ٢١٥
عبد الرحمن بن أبي ليلى	٨/ ٥٣، ١٣/ ٤٦٧
عبد الرحمن بن زبير القرظي	٣/ ٢٣٨
عبد الرحمن بن زيد	١/ ١٧٦، ١٩٢، ٢/ ٧٢، ٢١٨، ٢٢٠، ٣٢١، ٤١٠، ٣/ ٣٣٥، ٣٩٢، ٤٣٠، ٤/ ٢٢٠، ٢٣٧، ٤٦٩، ٤٨٧، ٥/ ٥٥، ١٠٣، ١٠٦، ٢٣٩، ٤٥٧، ٥١٣، ٥١٨، ٦/ ١٣٣، ٢٣٨، ٢٥٤، ٢٦٠، ٣٠٦، ٣٣٨، ٤٣٠، ٤٧٩، ٤٨٢، ٤٨٧، ٧/ ١٠٧، ١٢٤، ١٦٤، ١٧٠، ١٨٥، ١٩٥، ٢٠٤، ٢٠٦، ٢٣٤، ٢٣٩، ٢٤٨، ٢٥٣، ٢٥٥، ٢٦٨، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٨٥، ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٥٤، ٣٦٣، ٣٧٥، ٨/ ٦٠، ٩٤، ١٧٦، ٤٦٤، ٤٧٧، ٥١٨، ٩/ ١٠٤، ١١١، ١٢٩، ٢١٢، ٢٧٦، ٢٨٠، ٣٧٤، ٣٩١، ٤٦٢، ١٠/ ١٧، ٢٣، ١٠٦، ١٥١، ١٦٩، ٢٤٤، ٢٦٦، ٣٠٤، ٣٢٣، ٣٤٢، ٣٨٧، ٤٩٥، ٤٩٩، ٥١٨، ٥٣٨، ١١/ ٣٧، ٤٠، ٦٦، ٢٤١، ٢٤٧، ٢٩٥، ٣٤٤، ٣٥٦، ٤٤٦، ١٢/ ١٦٤، ٣٦٨، ٤١٠، ٤٣٦، ٤٤٠، ٤٧٤، ١٣/ ٢١، ٩٥، ١٥٥، ٣٩٣، ١٤/ ٩٣، ١٢٨، ١٨٥، ٢٢٣، ٢٢٧، ٢٥٦، ٢٥٧، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٤٦، ٣٥٢، ٣٧٢، ٣٨٤، ٣٩٤، ٤٦٠، ٤٨٨، ٥٠٨، ٥٦٥، ١٥/ ١٨، ٧٧، ٨٨، ١١٦، ١٢٤، ٢١٩، ٢٣٥، ٢٥٩، ٢٧٣، ٢٧٨، ٢٩١، ٣٣٦، ٥٢٥
عبد الرحمن بن سليط	٨/ ٥٣
عبد الرحمن بن عائش	٩/ ٣٦٣
عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك	٧/ ٥٠٤

العلم	الجزء والصفحة
عبد الرحمن بن علي	٩/ ١٩٨
عبد الرحمن بن عوف	٣/ ٢٦٤، ٤/ ٢٨٠، ٥/ ٣٧، ٤٣، ١١٤، ٣١٦، ٤٩٢، ٧/ ٤٢٢، ٤٢٥، ٤٢٦، ١٠/ ٤٩٤، ١٢/ ١٣٩، ١٣/ ٥١٨، ١٤/ ٤١٣، ١٥/ ٤٧٢
عبد الرحمن بن كعب	٧/ ٤٤١
عبد الرحمن بن يربوع	٧/ ٣٨٥
عبد الرحمن بن يزيد	١٣/ ٥٨
عبد الرزاق الصنعاني	١٠/ ٦٤، ٧٦، ٨٩، ١٣١
عبد العزيز بن يحيى الكناني	١/ ١٩٣، ٣/ ٥١٩، ٥/ ٣٦٧، ٦/ ١٤٤، ٢١٤، ٣٥٦، ٧/ ٥٧، ٥٢٥، ٨/ ١٢، ٨٥، ١٣٣، ١٣٧، ١١/ ١٤٢، ١٣/ ٤٢٢، ١٤/ ٢٨٦، ١٥/ ٢٤٢، ٢٩٢، ٣٥٨، ٣٩١، ٤٢٤
عبد الله ابن أم مكتوم	٥/ ١٦٢، ٧/ ٤٤٢، ٩/ ٤٥٦، ١٤/ ٤٦٠، ١٥/ ٦٥، ٢١٤، ٢١٥، ٢١٥، ٣١١
عبد الله ابن رسول الله	١٥/ ٥٠٤
عبد الله المزني	١٥/ ٣١٢
عبد الله بن أبي الهذيل	١٢/ ٤٣٦
عبد الله بن أبي أمية المخزومي	٢/ ٣٩٥
عبد الله بن أبي أوفى	٩/ ٣٦٣، ٣٦٣، ٣٨٧
عبد الله بن أبي بكر	١٣/ ٣٩٠
عبد الله بن أبي حَدْرَد	١٣/ ٥٠٩
عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي	٤/ ٢٧٣
عبد الله بن أسيد الثقفي	٩/ ٣٣٨
عبد الله بن الجراح	١/ ٥٣
عبد الله بن الزبعرى	٩/ ٤٣٦، ١١/ ٢٠٠، ٣١٦

العلم	الجزء والصفحة
عبد الله بن الزبير	٧/ ١٧٨، ٢٧٠، ٢٩٠، ٩/ ٢٩٨، ٣٦٣، ١٣/ ٣٠، ٤٩٠، ١٤/ ٤٦، ١٥/ ٢٧٩، ٣٣٢
عبد الله بن المبارك	١/ ٥٤، ٣/ ٢٨٧، ٤/ ٦٥، ٥/ ٣٠٧، ٥١١، ٩/ ٥٩، ٢٤٩، ١٠/ ٢٤٦، ١٣/ ٢٢٩، ١٤/ ٣٠٨
عبد الله بن المغفل	٧/ ٤٤٢، ١٣/ ٤٦٧
عبد الله بن أنيس	١٥/ ٤٢٨
عبد الله بن جبير	٤/ ٣٤١
عبد الله بن جحش	٣/ ١٨١، ١٨٤، ١٩٠
عبد الله بن حذافة السهمي	٥/ ٥٠٢
عبد الله بن ربيعة	١١/ ٥١١
عبد الله بن رواحة	٣/ ٢٠٤، ٢١٠، ٢٢٠، ٧/ ٤٨٠، ١٠/ ٢٢٩، ١١/ ١٤١، ٢٥١، ٣١٦، ١٤/ ٤٠٥
عبد الله بن زحر	١٢/ ٧٠
عبد الله بن زياد بن سمعان	٦/ ٤٦٥
عبد الله بن سعد بن أبي سرح	٦/ ١٥٠، ١١/ ١٨، ١٤/ ١٣٥، ١٣٦
عبد الله بن سلام	١/ ٣٢٤، ٣٢٥، ٢/ ٣٠٧، ٣٢٦، ٤٥٨، ٣/ ٤٨، ٥٦، ٤٧٠، ٤٧٢، ٤٩٥، ٥١٠، ٤/ ١١١، ١١٣، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢١٦، ٤٧١، ٥/ ٥١، ٥٤، ٢٥٩، ٢٦٠، ٣٣٤، ٤٢٢، ٤٣٧، ٨/ ١٣١، ١١/ ٣٥٩، ٤٤٦، ٥١٤، ١٢/ ٤٣٦، ١٣/ ٣٨١، ١٤/ ١٨، ٣١٣، ٣٥٣، ٤٠٥
عبد الله بن صالح المصري	١٥/ ٣٣٩
عبد الله بن عامر بن ربيعة	٢/ ٤١٤، ٧/ ٥١٣

العلم	الجزء والصفحة
عبد الله بن عباس	١/ ١١، ١٤، ١٥، ٤١، ٥٣، ٥٥، ٧٤، ٧٩، ٨٥، ٩٠، ١٠٠، ١٠٣، ١٠٥، ١٢١، ١٣٠، ١٣١، ١٣٦، ١٥٠، ١٥١، ١٥٦، ١٦٤، ١٧٥، ١٩١، ٢٠٠، ٢٠٤، ٢٠٧، ٢٣٣، ٢٣٨، ٢٦٤، ٢٦٩، ٢٧٤، ٢٧٩، ٢٨٦، ٣١٤، ٣١٥، ٣٢٤، ٣٣٠، ٣٣٤، ٣٣٩، ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٤٦، ٣٥٣، ٣٥٧، ٣٦٧، ٣٦٩، ٣٧٠، ٣٧١، ٣٨٢، ٣٨٤، ٤٠٨، ٤١٧، ٤٢١، ٤٢٧، ٤٣١، ٤٣٢، ٤٣٤، ٤٤١، ٤٤٢ ٢/ ٢٤، ٣٧، ٤٤، ٤٤، ٥٠، ٥٣، ٥٧، ٥٨، ٦١، ٦٨، ٧٠، ٧٢، ٧٨، ٨٠، ٨٣، ٩٠، ٩١، ٩٨، ٩٩، ١٠١، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٨، ١١٨، ١٢١، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٧، ١٣٠، ١٣١، ١٣٤، ١٣٥، ١٣٦، ١٣٧، ١٤٠، ١٤٥، ١٤٨، ١٥٥، ١٥٦، ١٧٨، ١٧٩، ١٨٤، ١٨٥، ١٨٩، ١٩٥، ١٩٦، ١٩٧، ٢٠٢، ٢٠٦، ٢٣٢، ٢٣٨، ٢٤٩، ٢٦١، ٢٦٥، ٢٦٩، ٢٨٢، ٢٨٧، ٢٨٩، ٢٩٣، ٢٩٥، ٣١١، ٣١٤، ٣١٩، ٣٢١، ٣٢٤، ٣٢٧، ٣٣٢، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٥٤، ٣٥٥، ٣٥٩، ٣٦١، ٣٦٥، ٣٦٨، ٣٧١، ٣٨٠، ٣٩٧، ٤٠٨، ٤١٣، ٤١٥، ٤٣٠، ٤٣٣، ٤٣٧، ٤٣٩، ٤٤٠، ٤٤١، ٤٤٦، ٤٥٥، ٤٥٨، ٤٦٣، ٤٧١، ٤٧٤، ٤٧٥، ٤٧٨، ٤٨٣، ٤٨٨، ٤٨٩، ٤٩١، ٥٠٠، ٥١٣، ٥٢٦ ٣/ ٧، ١٨، ٢١، ٢٢، ٤٤، ٤٦، ٤٩، ٥٢، ٥٣، ٧٣، ٧٥، ٧٩، ٨٦، ٩١، ٩٧، ١١٧، ١٣١، ١٣٢، ١٣٦، ١٤٢، ١٧٢، ١٩١، ١٩٤، ١٩٥، ٢٠١، ٢٠٣، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢١٥، ٢١٨، ٢٢١، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٣٥، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٣، ٢٧٩، ٢٧٩، ٢٨١، ٢٨٦، ٢٩٤، ٣٠١، ٣١١، ٣٣٨، ٣٥٣، ٣٨١، ٣٨٥، ٣٩١، ٣٩٢، ٣٩٩، ٤٠٧، ٤١٩، ٤٢١، ٤٢٤، ٤٣٨، ٤٥٥، ٤٦١، ٤٦٧، ٤٦٩، ٤٧٦، ٤٧٧، ٤٩٦، ٥٠٠، ٥١٢، ٥١٣، ٥١٤، ٥١٦ ٤/ ٢١، ٢٦، ٢٨، ٤٤، ٤٥، ٦٥، ٦٧، ٧٥، ٨٨، ٩٠، ١٠٤، ١٢٢، ١٢٨، ١٢٩، ١٣٣، ١٣٤، ١٤٢، ١٤٦، ١٥٧، ١٥٨، ١٦٣، ١٧٠، ١٧١، ١٨٣، ١٨٦، ١٨٩، ١٩٤، ١٩٧، ٢٠٣، ٢١٢، ٢١٦، ٢٢٠، ٢٢٢، ٢٣٠، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٥٤، ٢٥٦، ٢٧٣، ٢٩٩، ٣٣٨، ٣٤١، ٣٤٩، ٣٥٦، ٣٦٠، ٣٦٥، ٣٧٤، ٣٨٥، ٣٨٩، ٣٩٠، ٤٠٩، ٤٢١، ٤٢٥، ٤٣٠، ٤٤٥، ٤٤٩، ٤٥٥، ٤٥٨، ٤٦٢، ٤٦٨، ٤٧٤، ٤٨٢، ٤٨٤، ٤٩١، ٤٩٢، ٤٩٩، ٥٠٢، ٥٠٤، ٥٢٣، ٥٢٤، ٥٢٥، ٥٢٧، ٥٢٨

العلم	الجزء والصفحة
عبد الله بن عباس	٥/ ١٣، ١٤، ٢٠، ٢١، ٢١، ٢٣، ٢٤، ٢٦، ٤١، ٤٤، ٥٣، ٥٦، ٥٨، ٦٥، ٦٨، ٧٥، ٧٧، ٩٨، ١١٠، ١١٢، ١٢٠، ١٤٠، ١٥٦، ١٦١، ١٦٨، ١٧٧، ١٨٢، ١٨٦، ١٨٨، ٢١٥، ٢٢٣، ٢٣٢، ٢٣٩، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٦١، ٢٦٣، ٢٧٩، ٢٩٢، ٢٩٤، ٣٠٠، ٣١١، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٣٣، ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٥، ٣٤٨، ٣٥٠، ٣٥٠، ٣٦٠، ٣٦٨، ٣٧٠، ٣٧٣، ٣٧٧، ٣٨٦، ٣٩٥، ٣٩٦، ٣٩٧، ٤٠٢، ٤٠٥، ٤٠٨، ٤٢٠، ٤٢٢، ٤٢٦، ٤٢٧، ٤٥٣، ٤٥٩، ٤٦٦، ٤٦٩، ٤٧٢، ٤٧٩، ٤٨٨، ٤٨٩، ٤٩٠، ٤٩٢، ٤٩٦، ٤٩٧، ٥٠٣، ٥١٣، ٥١٤، ٥٣٦، ٥٣٩ ٦/ ٧، ١١، ١١، ١٤، ١٥، ١٨، ٢١، ٢٦، ٣١، ٣٢، ٣٣، ٤٠، ٤٢، ٤٤، ٥٦، ٦١، ٦٤، ٦٥، ٨٠، ٩٢، ٩٤، ٩٩، ٩٩، ١٠١، ١٠٦، ١٠٧، ١٠٨، ١١١، ١١٥، ١١٩، ١٢٠، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٩، ١٣٢، ١٤٠، ١٤٥، ١٤٥، ١٥٠، ١٥٧، ١٦٢، ١٦٤، ١٦٦، ١٦٧، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٦، ١٧٧، ١٩٢، ١٩٩، ٢٠١، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٨، ٢١٠، ٢٢٣، ٢٣٣، ٢٣٦، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٥٣، ٢٥٧، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٨، ٢٩٠، ٢٩٧، ٢٩٧، ٣٠٤، ٣٠٥، ٣١٦، ٣١٨، ٣١٩، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٢٨، ٣٣٢، ٣٣٨، ٣٤١، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٤٨، ٣٦٢، ٣٧١، ٣٧٢، ٣٨٤، ٣٨٧، ٣٨٨، ٣٩٤، ٤٢١، ٤٢٧، ٤٢٩، ٤٣٥، ٤٣٧، ٤٣٨، ٤٣٩، ٤٤٠، ٤٤٣، ٤٤٤، ٤٤٥، ٤٤٦، ٤٥١، ٤٦٥، ٤٦٦، ٤٧١، ٤٧٣، ٤٧٥، ٤٧٧، ٤٨٢، ٤٨٤، ٤٩٠، ٥٠٠، ٥٠٢، ٥٢٦ ٧/ ٥، ٧، ١٢، ١٤، ١٦، ١٧، ١٩، ٢٠، ٢٢، ٣١، ٣٣، ٣٥، ٣٨، ٣٩، ٤٠، ٤١، ٤٣، ٤٤، ٤٥، ٤٧، ٥٧، ٥٨، ٥٩، ٦٠، ٦٤، ٧٢، ٧٧، ٨٩، ٩٥، ١٠٦، ١١٠، ١١٢، ١١٣، ١٢١، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٤، ١٣٢، ١٥٥، ١٥٨، ١٦٠، ١٦٩، ١٧٢، ١٧٧، ١٨١، ١٨٧، ١٩٠، ١٩٢، ١٩٥، ١٩٧، ٢٠٣، ٢٠٦، ٢٢٠، ٢٢٢، ٢٣٢، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٨، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٦١، ٢٦٣، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧٢، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٨١، ٢٨٧، ٢٩٣، ٣١١، ٣١٦، ٣٢٢، ٣٢٤، ٣٢٨، ٣٣٠، ٣٣١، ٣٣٦، ٣٤٩، ٣٥٤، ٣٦٠، ٣٧١، ٣٧٤، ٣٧٥، ٣٧٧، ٣٨٣، ٣٨٩، ٣٩٢، ٣٩٦، ٣٩٧، ٤٠٣، ٤٠٥، ٤١٣، ٤١٨، ٤٣٠، ٤٣٢، ٤٣٥، ٤٣٨، ٤٤٣، ٤٤٥، ٤٤٦، ٤٤٩، ٤٥١، ٤٥٦، ٤٥٧، ٤٥٨، ٤٥٩، ٤٦٧، ٤٧٧، ٤٨٤، ٤٩٤، ٤٩٥، ٤٩٨، ٤٩٩، ٥٠٠، ٥١١، ٥١٥، ٥١٦، ٥١٧، ٥٢٠، ٥٢٥

العلم	الجزء والصفحة
عبد الله بن عباس	٨/ ٧، ١١، ١٢، ٢٠، ٢٤، ٣٠، ٣١، ٣٦، ٣٧، ٥١، ٥٣، ٦٠، ٦٣، ٦٤، ٦٩، ٧٣، ٧٤، ٨٢، ٨٥، ٩٠، ٩١، ٩٥، ٩٧، ١٠٤، ١٠٦، ١٠٨، ١١٠، ١١٣، ١١٨، ١٢٠، ١٢١، ١٢٢، ١٢٥، ١٢٧، ١٣٧، ١٤٢، ١٤٤، ١٤٦، ١٤٧، ١٤٨، ١٥٤، ١٥٧، ١٦١، ١٦٦، ١٧٤، ١٧٦، ١٨١، ١٨٤، ١٨٥، ٢٠٧، ١٨٨، ١٨٩، ١٩٧، ١٩٩، ٢٠١، ٢١٠، ٢١١، ٢١٢، ٢١٧، ٢١٩، ٢٢٥، ٢٢٧، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٤٤، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٦٢، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٤، ٢٧٨، ٢٨٠، ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٨٥، ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩٨، ٣٠٢، ٣٠٨، ٣١٤، ٣٢١، ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٤٤، ٣٥٣، ٣٥٧، ٣٦٠، ٣٦١، ٣٧٠، ٣٩٢، ٤٠٠، ٤٠٩، ٤١٤، ٤٢٥، ٤٢٨، ٤٤١، ٤٤٣، ٤٤٤، ٤٤٦، ٤٥٦، ٤٥٨، ٤٦٥، ٤٦٦، ٤٦٩، ٤٧٠، ٤٧١، ٤٧٢، ٤٧٧، ٤٨٣، ٤٨٤، ٤٨٩، ٤٩٦، ٤٩٧، ٤٩٨، ٥٠٧، ٥٠٨، ٥١٢، ٥١٤، ٥١٨ ٩/ ٧، ١٢، ١٤، ٢٢، ٢٤، ٢٥، ٢٧، ٣٢، ٣٣، ٣٥، ٣٦، ٣٨، ٤٢، ٤٤، ٥٥، ٥٦، ٦٤، ٦٨، ٧٠، ٧١، ٧٨، ٨١، ٨٦، ٨٨، ٩٩، ١٠١، ١٠٤، ١١٢، ١١٤، ١٢٩، ١٣٤، ١٣٥، ١٣٨، ١٤١، ١٤٦، ١٤٧، ١٤٨، ١٥٥، ١٥٨، ١٥٩، ١٦٨، ١٧٦، ١٧٧، ١٧٩، ١٨٦، ١٨٨، ١٨٩، ١٩٠، ١٩٥، ١٩٩، ٢١١، ٢١٣، ٢١٩، ٢٢١، ٢٢٣، ٢٢٩، ٢٣٨، ٢٤١، ٢٤٤، ٢٤٦، ٢٥٤، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٨٠، ٢٨٣، ٢٨٦، ٢٩١، ٢٩٧، ٢٩٨، ٣٠٧، ٣١٣، ٣١٧، ٣٢١، ٣٢٤، ٣٣١، ٣٣٥، ٣٤٦، ٣٦٠، ٣٦٣، ٣٦٥، ٣٧٤، ٣٧٦، ٣٧٨، ٣٧٩، ٣٨١، ٣٩١، ٣٩٧، ٣٩٨، ٤٢٢، ٤٢٧، ٤٢٩، ٤٣٥، ٤٣٦، ٤٤٠، ٤٤١، ٤٤٤، ٤٤٨، ٤٥٢، ٤٥٤، ٤٥٥، ٤٥٦، ٤٦٢، ٤٦٤، ٤٦٥، ٤٦٦، ٤٧٠، ٤٧٣، ٤٧٨، ٤٧٩، ٤٨٠، ٤٨٢، ٤٨٥، ٤٨٦، ٤٨٩، ٤٩٠، ٤٩١، ٤٩٢ ١٠/ ٩، ١٥، ١٨، ١٩، ٢١، ٢٢، ٢٦، ٣٨، ٤٠، ٤١، ٤١، ٤٥، ٤٦، ٤٧، ٥١، ٦٥، ٦٦، ٧٣، ٧٩، ٨٣، ٨٤، ٨٦، ٨٨، ٩١، ٩٦، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٦، ١٠٧، ١٠٩، ١١١، ١١٦، ١٢٠، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٥، ١٢٧، ١٣٠، ١٣٥، ١٣٦، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٨، ١٥١، ١٥٢، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٩، ١٧٠، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٧، ١٧٨، ١٨٠، ١٨٥، ١٩٤، ٢٠٥، ٢١٠، ٢١١، ٢١٧، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٤١، ٢٤٤، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٦٣، ٢٦٦، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٥، ٢٨١، ٢٩٦، ٣١٦، ٣٢٣، ٣٤٢، ٣٥٦، ٣٧٥، ٣٧٧، ٣٨٦، ٣٨٧، ٣٨٨، ٤٠٤، ٤١٥، ٤٢٥، ٤٢٩، ٤٣١، ٤٣٢، ٤٤٢، ٤٥١، ٤٦٧، ٤٧١، ٤٧٤، ٤٧٥، ٤٨١، ٤٨٥، ٤٨٩، ٤٩٨، ٥٠٢، ٥٣١، ٥٣٨

العلم	الجزء والصفحة
عبد الله بن عباس	١١/ ٨، ١٠، ١٨، ٢٤، ٣٨، ٦٧، ٧٥، ٨٣، ٨٥، ٨٦، ٩١، ٩٢، ١٠٤، ١٣٨، ١٤٠، ١٤٢، ١٧٠، ١٧١، ١٧٥، ١٧٧، ١٨١، ١٩١، ١٩٢، ١٩٦، ١٩٧، ١٩٨، ٢١٠، ٢١٦، ٢٢٥، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٣٩، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٧٣، ٢٧٦، ٢٩١، ٢٩٤، ٢٩٥، ٢٩٦، ٣٠١، ٣٠٣، ٣١٢، ٣١٤، ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤٢، ٣٥٤، ٣٥٦، ٣٥٩، ٣٦٨، ٣٧٠، ٣٨٢، ٣٨٦، ٤٠٦، ٤١١، ٤١٧، ٤١٨، ٤٢١، ٤٢٣، ٤٢٦، ٤٣٧، ٤٤٥، ٤٤٨، ٤٤٩، ٤٥١، ٤٥٤، ٤٦٥، ٤٦٧، ٤٧١، ٤٧٨، ٤٨٧، ٤٨٩، ٤٩٠، ٤٩٩، ٥٠٠، ٥١٠، ٥١١، ٥١٢، ٥٢٣ ١٢/ ٨، ٢٥، ٣٨، ٥٥، ٥٧، ٧١، ٨٧، ٩٠، ١١٧، ١٢٣، ١٢٩، ١٣٢، ١٤١، ١٤٤، ١٥١، ١٥٢، ١٥٩، ١٧٢، ١٩٠، ١٩٨، ٢٠١، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٥، ٢٣٢، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٧، ٢٣٩، ٢٤١، ٢٤٤، ٢٤٦، ٢٥٤، ٢٧٣، ٢٧٨، ٢٨٥، ٣١٩، ٣٢١، ٣٢٥، ٣٣٤، ٣٤١، ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٥٤، ٣٦٢، ٣٧٠، ٣٧١، ٣٧٤، ٣٨١، ٣٨٢، ٣٨٨، ٤٠١، ٤٠٢، ٤١١، ٤٢٩، ٤٣٣، ٤٣٦، ٤٤٦، ٤٤٨، ٤٦٢، ٤٦٥، ٤٦٧، ٤٧٢، ٤٧٩، ٤٨٤، ٤٩٣، ٥٠٠، ٥٠٦، ٥١٧، ٥٢١ ١٣/ ١٨، ٣٠، ٣٩، ٤٣، ٤٨، ٥٢، ٥٥، ٦٨، ٨٣، ٨٦، ٩٣، ٩٧، ٩٩، ١١١، ١١٣، ١٢٢، ١٣٠، ١٥٢، ١٥٦، ١٧١، ١٧٥، ١٩٠، ١٩٤، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢١٤، ٢١٧، ٢٢٣، ٢٢٧، ٢٣٧، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٥٠، ٢٥٢، ٢٧٦، ٢٧٨، ٢٨٣، ٢٨٧، ٢٩١، ٣٠٤، ٣٠٦، ٣١٧، ٣٢٢، ٣٢٥، ٣٢٨، ٣٣١، ٣٣٥، ٣٥٦، ٣٦٤، ٣٧٦، ٣٧٩، ٣٨١، ٣٨٤، ٣٨٦، ٣٨٧، ٣٨٩، ٣٩١، ٣٩٢، ٤٠١، ٤٠٩، ٤١٠، ٤١٣، ٤١٧، ٤٢١، ٤٢٣، ٤٢٥، ٤٣٤، ٤٤٨، ٤٥٤، ٤٥٦، ٤٦٤، ٤٦٥، ٤٦٦، ٤٦٨، ٤٧٥، ٤٨٢، ٤٩٩، ٥٠٥، ٥٠٨، ٥٠٨، ٥١١، ٥١٣، ٥١٦، ٥٢١، ٥٢٤

العلم	الجزء والصفحة
	١٤/ ٦، ٧، ١١، ١٤، ١٦، ١٨، ١٩، ٢٩، ٣٣، ٣٤، ٣٨، ٤٥، ٥١، ٥٥، ٥٦، ٦٠، ٦٢، ٦٨، ٧١، ٧٢، ٧٣، ٧٩، ٨٠، ٨٢، ٨٤، ٩٠، ٩٣، ٩٨، ١٠٢، ١٠٤، ١١٣، ١١٧، ١١٩، ١٢٢، ١٢٨، ١٣٥، ١٥١، ١٥٨، ١٥٩، ١٧٢، ١٧٥، ١٧٦، ١٨٧، ١٩٠، ١٩٢، ١٩٦، ١٩٨، ٢٠١، ٢٠٣، ٢٠٨، ٢١١، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٦، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٤، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٢٩، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٧، ٢٥٤، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٦١، ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٧٦، ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠٧، ٣١٢، ٣١٤، ٣١٧، ٣٢١، ٣٢٧، ٣٣٥، ٣٥٣، ٣٥٦، ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٦٧، ٣٧٠، ٣٧١، ٣٩٠، ٣٩١، ٣٩٢، ٤٢٠، ٤٢٦، ٤٤١، ٤٤٢، ٤٤٤، ٤٥١، ٤٥٩، ٤٦٠، ٤٦٤، ٤٦٦، ٤٧٢، ٤٧٨، ٤٨٠، ٤٨٨، ٤٩١، ٤٩٢، ٤٩٧، ٥٠٤، ٥٠٦، ٥٠٧، ٥٠٨، ٥١٠، ٥٢٠، ٥٢١، ٥٢٢، ٥٢٧، ٥٢٩، ٥٣١، ٥٣٦، ٥٤٠، ٥٤٤، ٥٤٥، ٥٦٠، ٥٦٤، ٥٦٧، ٥٧٥
عبد الله بن عباس	١٥/ ٧، ١٠، ٢٥، ٣٠، ٣٤، ٣٨، ٤٢، ٦٣، ٦٦، ٧١، ٨٧، ٨٨، ١١٤، ١١٨، ١٢٠، ١٢٢، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٨، ١٣٠، ١٣٣، ١٣٥، ١٤٠، ١٤٢، ١٤٥، ١٤٨، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٦، ١٦٧، ١٦٨، ١٦٩، ١٧٠، ١٧١، ١٧٢، ١٧٤، ١٨٢، ١٨٨، ١٩٠، ١٩١، ١٩٢، ١٩٦، ٢٠٢، ٢٠٤، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢١٠، ٢١٤، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٣، ٢٢٥، ٢٢٩، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٤٢، ٢٤٤، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥٣، ٢٥٧، ٢٥٩، ٢٦٢، ٢٦٦، ٢٧٠، ٢٧٥، ٢٧٨، ٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٨٥، ٢٩١، ٢٩٢، ٢٩٤، ٢٩٦، ٢٩٩، ٣١٢، ٣٢٠، ٣٣٠، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٥٣، ٣٥٦، ٣٥٨، ٣٥٩، ٣٦٢، ٣٧١، ٣٨١، ٣٨٤، ٣٨٦، ٣٩٢، ٣٩٨، ٤٠٢، ٤٠٣، ٤٠٤، ٤٠٥، ٤٠٩، ٤١٧، ٤١٨، ٤٢٣، ٤٢٤، ٤٢٥، ٤٢٦، ٤٢٨، ٤٢٩، ٤٣٤، ٤٣٦، ٤٣٩، ٤٤١، ٤٤٧، ٤٤٨، ٤٥٢، ٤٥٣، ٤٦٩، ٤٧١، ٤٧٤، ٤٧٩، ٤٩٧، ٤٩٨، ٥٠٠، ٥٠٣، ٥٠٥، ٥١٢، ٥١٦، ٥١٨، ٥٢١، ٥٢٤، ٥٢٥، ٥٢٩، ٥٣١، ٥٣٢، ٥٣٤، ٥٤٦، ٥٤٨، ٥٥٥، ٥٥٧، ٥٥٨
عبد الله بن عبد الرحمن	٧/ ٣٩٨
عبد الله بن عبد الله بن أبي	١٤/ ٣٤٤

العلم	الجزء والصفحة
عبد الله بن عبد الوهاب الأحنفي	٣/ ٣٤٨
عبد الله بن عبيد بن عمير	٤/ ٢٦٤
عبد الله بن عمر	١/ ١١٥، ١٧٧، ٣٦٨، ٢/ ٤١٤، ٣/ ١٣٢، ٢٢٨، ٢٦٤، ٢٧٠، ٢٧١، ٤/ ١٤٨، ١٤٨، ١٤٩، ١٧١، ٢٤٦، ٣٢٩، ٤٢٥، ٤٧١، ٥/ ١٧٦، ٣٦٨، ٤٩٦، ٥٣٧، ٦/ ٩٤، ٧/ ١٩٧، ٢٧٠، ٣٢٥، ٤٠٠، ٨/ ٨٥، ٩/ ١٢٨، ٢١٤، ٢١٩، ٣٦٣، ١٠/ ٥٣، ٨٦، ١٣٠، ٣٨٨، ١١/ ١٧، ١٢/ ٣١٩، ٤٣٦، ٥١٧، ١٣/ ٥٢٠، ١٤/ ١٥٠، ٣٣٩، ٣٦٣، ٤٥٨، ٤٦٠، ١٥/ ٢٢٨، ٢٥٢، ٢٧٩، ٥٠٠، ٥٠٥، ٥١٨
عبد الله بن عمرو بن العاص	٣/ ٣٠، ٦/ ١١، ١٠٤، ٢٩١، ٧/ ٧٤، ٤١٠، ١٠/ ١٠٤، ١١/ ٧١، ١٩٨، ٣٨٥، ١٢/ ٢١٤، ٤٣٦، ١٣/ ٢٣١، ٣٢٢، ١٤/ ٣٩٨، ٤٥٩، ٥٧١، ١٥/ ١٥١، ٢٠١، ٢٥٤، ٤٤١، ٥٤٧
عبد الله بن عمرو بن حرام	٤/ ٢٣٤
عبد الله بن قلابة	١٥/ ٣٣٩
عبد الله بن كثير	٧/ ١٨٧
عبد الله بن كعب	٧/ ٤٤٢، ٥٠٤
عبد الله بن محمد بن عقيل	٧/ ٥٠٠
عبد الله بن مسعود	١/ ١٢، ٣٩، ٣٩، ٤٢، ١٢١، ١٥١، ١٩١، ٢٤٨، ٢٩٥، ٣٠٨، ٣١٤، ٣٢٤، ٣٢٦، ٣٣٤، ٣٤٣، ٣٤٦، ٣٦٠، ٤٢٧، ٤٤١، ٤٤٢، ٤٤٥ ٢/ ٥١، ٥٣، ٥٧، ٥٨، ٦١، ٧٤، ٧٨، ٨٣، ٩٠، ٩١، ٩٨، ١٠١، ١٠٣، ١٢٥، ٣٤٩، ٤٣٠، ٤٧٨ ٣/ ٢٣، ٧٣، ١٦٨، ١٩٥، ٢٥٢، ٢٥٢، ٢٧١، ٣٣٢، ٣٣٤، ٣٣٥، ٤١٩، ٤٣٠، ٤٤٠، ٤٦٧، ٤٨٠، ٤٩٢ ٤/ ٢٤، ١٨٣، ١٨٥، ٢٠٠، ٢١٦، ٢٤٨، ٣٠٣، ٣١٥، ٣١٨، ٣٦٥، ٤٠٤، ٥٠٤

العلم	الجزء والصفحة
	٥/ ١٤، ٢١، ٣٠، ٣٥، ٤٤، ٧٣، ٩٥، ١٢٠، ١٧٦، ١٩٧، ٢٣٦، ٢٥٧، ٣٤٨، ٣٩٥، ٤٥٩، ٥١١، ٥٤١ ٦/ ٧٨، ١٣٣، ٢١٠، ٢٣٣، ٢٥٧، ٢٥٩، ٣٥٧، ٣٥٨، ٤٤٤، ٤٧٤ ٧/ ٥٧، ٦٤، ١١٢، ١٢٤، ١٣٩، ١٤٦، ١٥٧، ٢٣٠، ٢٤٥، ٢٧٠، ٤١٠، ٤٨٣، ٤٩٤، ٥١٢ ٨/ ٣٥٩، ٥١٨ ٩/ ١٠٣، ١٠٤، ١٥٥، ٢١٩، ٣١٨، ٣٦٣، ٤٦٢ ١٠/ ٦٦، ٨٦، ١٩٧، ٢١٠، ٢١٧، ٢٣٠، ٢٤٣، ٢٤٦، ٤٢٩ ١١/ ٧٦، ١٢٣، ١٤٨، ٢٠٢، ٢٣٧، ٢٤١، ٢٧١، ٢٩٣، ٤٣٠، ٥١٠ ١٢/ ٩٨، ١٨٢، ٢٥٤، ٣٣٤، ٣٨٨، ٤٣٦، ٤٤١، ٤٤٦، ٤٤٩، ٤٥٠، ٤٧٩ ١٣/ ٣١، ٥٦، ٧٠، ٨٢، ٩٣، ١٢٢، ١٦٧، ٣١٩، ٣٢٣، ٣٢٤، ٣٣١، ٤٠٠، ٤٥٥، ٥١٨ ١٤/ ١١٦، ١٣٢، ١٥٠، ١٥١، ١٧٠، ١٧١، ١٧٧، ٢٢١، ٢٢٤، ٢٣١، ٢٥٤، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠٦، ٣١١، ٣٤٤، ٣٥٨، ٣٦١، ٣٦٩، ٣٧١، ٣٩٤، ٤٠٠، ٤٦٧، ٤٧٩، ٤٩٣، ٥٠١، ٥٠٨، ٥٤١، ٥٦٤ ١٥/ ١٠، ٣٩، ٤٠، ٤١، ٤٢، ١١٦، ١٣١، ١٦٢، ١٦٣، ١٨٥، ١٩٣، ١٩٦، ٢٣٤، ٢٧٥، ٣٧٩، ٤١٤، ٤٢٨، ٤٥٠، ٤٨٤، ٥٠٠، ٥٤٥
عبد الواحد بن زيد	١٥/ ١٣٦
عبد الوهاب بن عطاء بن مسلم	١/ ١٦٣
عبد بن الحضرمي	٦/ ١٥١
عبد خير	١٥/ ٢٨٨
عبد ربه	١٠/ ٤٠
عبد ياليل بن عمرو الثقفي	٣/ ٤١٦، ٧/ ٢٩٩
عبيد الله بن عبد الله بن عتبة	١١/ ٩٥، ١٧٤، ١٧٥
عبيد بن الأبرص	١/ ٢٦٨، ١٢/ ٢٢٧

العلم	الجزء والصفحة
عبيد بن عمير	١/ ١٢٥، ٢/ ١٢٥، ٤/ ٢٣٨، ٥/ ٥٢٧، ٦/ ٢٠٨، ٢٩١، ٩/ ٦٦، ١٢/ ٤٣٦، ١٣/ ٤٧٥، ١٤/ ٥٦، ١٩٧، ٤٧٧، ٤٨١، ١٥/ ٥٢
عبيدة السلماني	٥/ ١٨، ٥١٣
عبيدة بن الحارث	٧/ ١٤٣، ١٤٨، ١٠/ ٤٨٠، ١١/ ٤٨١، ١٢/ ٤٩٣، ١٣/ ٣٦٠، ١٤/ ٣٤٤
عتاب بن أسيد بن أبي العيص	٣/ ٤١٦، ٧/ ٢٩٩
عتبان	١٢/ ١٣٩
عتبة بن عبد السلمي	١٤/ ٢٤٧
عتبة بن غزوان الأسلمي	٣/ ١٨١
عثمان بن أبي سليمان	١٠/ ١١١
عثمان بن حاضر	١٢/ ٤٣٢، ٤٣٦
عثمان بن سعد أبي السرح	١١/ ١٨
عثمان بن سعيد البغدادي أبو عمرو	٣/ ٣٤٨
عثمان بن طلحة	٧/ ٣٠٤
عثمان بن عبد العزيز الحيري	٨/ ٣٥٢
عثمان بن عفان	١/ ٣٨، ١١٥، ٢٥٠، ٢/ ٤٣١، ٢٨٨، ٢٩٠، ٣/ ٢٣، ٣٧٤، ٤١٥، ٤٩٣، ٤/ ٢٥٣، ٣٢٩، ٣٢٩، ٤٥٠، ٤٥١، ٥/ ٣٧، ٧٧، ٣٢٤، ٣٢٥، ٤٢٠، ٤٧٨، ٧/ ٢٦١، ٣٠٣، ٣٨١، ٤٢١، ٤٢٢، ٤٥٤، ٨/ ٢٨٢، ٩/ ٧٤، ٢٠١، ٣٠٢، ٣٦٣، ١٠/ ١١، ٨٦، ٣٠٥، ١٢/ ١٣٩، ٣١٢، ٤٣٦، ١٣/ ١٨، ٤٠، ١٧٥، ٢١٧، ٣٨٦، ٤٦٧، ٤٨١، ١٤/ ٣٦٣، ٤١٣، ١٥/ ٣٩٣، ٤٠٣، ٤٧١، ٥٠٧، ٥٠٨، ٥٥٣
عثمان بن مظعون	٥/ ٤٥٩، ٤٦٨، ٤٦٩، ٤٧١، ٩/ ٢٣٢، ٣٠٢، ٣١٨، ١٠/ ١١، ١٣/ ١٦٣، ١٤/ ٤١٣
عدي بن حاتم الطائي	١/ ١٦٤، ٣/ ١٠٣، ١٠٨، ٥/ ٣٠٤، ٧/ ٣١٩، ٣٨٦

العلم	الجزء والصفحة
عدي بن زيد	١/ ٢٦٨، ٢/ ٢٠٧، ٦/ ١٨١
عرفطة	٤/ ٤٤٦
عروة بن إسحاق	٧/ ٤١٤
عروة بن الزبير	٣/ ٢٣٣، ٥/ ٩١، ٧/ ٢١١، ٢٢٠، ٢٩٧، ٩/ ٢٢٧، ١١/ ٩٥، ٣١١، ١٤/ ١٠٠، ١٧٧، ٤٧٧، ١٤/ ٣١٨، ١٥/ ٢١٤، ٣٧٧، ٥٤٤
عروة بن رويم اللخمي	١٤/ ٢٥٤
عروة بن عثمان	١٤/ ٦٠
عروة بن هشام	٤/ ٤٣٠، ٤٣١
عطاء الخراساني	٦/ ٤٥٨، ٧/ ٣٣٢، ١٢/ ٣١٧، ٤٣٦، ١٣/ ٨٥، ٤٦٧، ٥١٠، ١٤/ ١٩٢، ١٥/ ٧١، ٢٧٩
عطاء بن أبي رباح	١/ ٧٤، ٩٠، ١٠٦، ١٦٤، ٣٥٣، ٣٨٢، ٢/ ٢١٨، ٣٩٠، ٤٣٩، ٤٧٠، ٣/ ١٩، ١٦١، ١٧٢، ١٨٤، ١٨٧، ٢٠٨، ٢٧٩، ٣٠٢، ٣٩٢، ٤١٥، ٤٢٢، ٤٣٠، ٤٣٨، ٤٨٩، ٤٨٩، ٥٢١، ٤/ ٢٠، ٣٣، ٦١، ٦٦، ٧٢، ١١٦، ١٦٩، ١٨٤، ١٩٤، ٢١٦، ٢٥٠، ٢٥٢، ٢٦٨، ٣٣٢، ٣٤٥، ٣٦٢، ٤٠٦، ٤٠٨، ٤٦٨، ٤٩٤، ٤٩٥، ٥١٢، ٦/ ١٥، ٩٤، ١٥٢، ١٩٠، ١٩٧، ٢٢٢، ٢٧٥، ٢٨٠، ٣٠٠، ٣٣٣، ٣٤٢، ٤٢٦، ٤٧١، ٧/ ٢٧، ٤٧، ٤٨، ٥٧، ٦٤، ٧٠، ٧١، ٧٢، ٨٦، ٨٧، ٨٩، ١٠٧، ١١٢، ١٨٧، ١٩٣، ٢١٩، ٢٢٩، ٢٤٠، ٢٨٠، ٢٩٥، ٣٠٠، ٣١١، ٣٦٣، ٣٧٧، ٣٧٩، ٣٩٨، ٤١١، ٤١٣، ٤٢٦، ٤٥٢، ٤٥٣، ٤٥٧، ٤٧٣، ٤٨٥، ٤٨٦، ٥٢١، ٨/ ١١، ٣٠، ٦٣، ١٣٧، ١٨٨، ٢٠٠، ٢٨٨، ٤٩٩، ٥١٢، ٩/ ٧، ١٢، ٤٤، ١٦٠، ٢٤١، ٣٠١، ٣١١، ٣٢١، ٣٩٥، ٤١٦، ٤٢٧، ٤٤١، ٤٤٨، ٤٥٥، ٤٩٠، ١٠/ ٤٦، ٥٤، ١٢٥، ١٤٣، ١٤٥، ١٧٥، ١١/ ١٤٨، ٢٩٠، ٤٧٢، ١٢/ ٥٨، ١١٨، ٣١٢، ٤٤٦، ١٣/ ١٧٨، ٢٠٧، ٢٨٤، ٤٨٢، ١٤/ ١٣١، ١٧٧، ٢٤٦، ٢٥٣، ٢٧٦، ٤٦٠، ٥٣١، ١٥/ ٥٣، ٩٣، ١٤٥، ١٦٦، ١٩٩، ١٩٩، ٢١٠، ٢١٥، ٢٢٥، ٢٦٠، ٢٧٣، ٢٨٦، ٣٠٢، ٣٣٣، ٤٠٤، ٤٠٥، ٤٤٧، ٥٤٨، ٤٥٣، ٤٥٩، ٤٧١، ٥٠٩، ٥٣١

العلم	الجزء والصفحة
عطاء بن أبي مسلم	١٤/ ٤٣٤، ٤٥٣، ١٥/ ٢٥٤
عطاء بن السائب	١/ ٢٠٤، ٥/ ٢٨، ٣٣، ٧٨، ٨١، ١٣٧، ٢٤٥، ٢٦٧، ٢٧٦، ٣٤٧، ٣٦٧، ٣٧٥، ٤١٦، ٤٢٠، ٤٩٠، ٤٩١، ٤٩٤، ٥٠١، ٥٣٩
عطاء بن دينار	١٥/ ٥٠٠
عطاء بن يسار	٧/ ٥٧، ١٠/ ٨٦، ١٤/ ١٣٦، ٤٥٤
عطارد بن حاجب	١٣/ ٥٠١
عطية العوفي	٢/ ١٠٣، ٣٦٨، ٥/ ١٢١، ٤١٤، ٥٣٦، ٦/ ١٩٠، ٢٣٩، ٣٢٨، ٣٣٩، ٧/ ٢٨، ١٩٥، ١٩٧، ٨/ ٧٥، ١٠/ ١٨، ٢٢، ١٠٧، ٢٠٥، ٣٨٧، ١١/ ٢٢٩، ١٣/ ٤٤٧، ١٤/ ٢١٠، ٣٩٢، ٤٨٠، ١٥/ ٥٢، ١٢٣، ٢٣٦، ٤١٨، ٥٤٩
عقبة بن عامر الجهني	٧/ ٢٣٢، ٢٣٣، ١٠/ ١٣١، ١٥/ ١٤، ٣٠٦، ٥٤٤، ٥٥٣
عقبة بن عثمان	٤/ ٣٢٩
عقبة بن عمير	٤/ ٣٢٩
عقيل بن أبي طالب	٧/ ٢٥١، ٢٥٢، ٧/ ٣٠٣
عكاشة بن محصن	٣/ ١٨١، ١٨٣، ٧/ ١٤٧، ١٠/ ٤٦٣
عكرمة	١/ ١٩٤، ٢٠٧، ٤٠٨، ٢/ ١٩٦، ٢٦٦، ٢٩٣، ٢٩٦، ٣/ ١٤، ٢٢، ٤٠، ١٤٤، ٣٠٥، ٣١٣، ٤١٥، ٤٥٠، ٤٨٥، ٥٠٩، ٤/ ١٣، ٢٨، ١٨١، ٢٤٦، ٢٧٣، ٢٧٥، ٣٢٩، ٣٦٤، ٤٣٧، ٤٤٤، ٤٤٧، ٤٤٨، ٤٨٠، ٥١٩، ٥/ ٥، ٦٠، ٦٢، ١٩٧، ٢٥٥، ٤٠٠، ٤١٤، ٤٦٩، ٤٩٨، ٥١٣، ٥١٤، ٦/ ٥٨، ٨٦، ١٥٥، ١٩٤، ١٩٩، ٢١٣، ٣٠٣، ٤٢٨، ٧/ ١٣، ٤٣، ٥٧، ٧٨، ١٢٤، ١٤٢، ١٤٦، ١٩٠، ١٩٥، ٢٠٥، ٢٥٠، ٢٨١، ٤٧٧، ٤٩٠، ٥٢٣، ٨/ ٣٢، ٥٣، ١٦٢، ٢٠٧، ٢٢٣، ٢٣٧، ٢٤٦، ٢٨٨، ٣٦٤، ٣٩٢، ٤٦٥، ٤٧٠، ٤٩٧، ٤٩٩، ٩/ ٢٤، ٦٤، ٨٢، ١٥٨، ١٦٠، ١٨٥، ٢١٧، ٤٠٨، ١٠/ ٢١، ٩٧، ١٤٢، ١٥٦، ١٧٩، ١٨٢، ١٨٤، ٢٥٤، ٣٨٧، ٤٢٩، ٤٥١، ٥١٤، ٥١٨،

العلم	الجزء والصفحة
	١١/ ٧٤، ١١٩، ١٣٣، ١٧٦، ٢١٧، ٢٥٣، ٢٧٨، ٢٨٨، ٢٩٥، ٣١٤، ٤٨٥، ١٢/ ٨، ٦١، ١٦٥، ١٧٤، ٢٣٢، ٢٧٧، ٣١٢، ٣٣٤، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤١، ٣٧١، ٤٣٦، ٤٤٠، ٤٦٢، ١٣/ ٣٩، ٨٤، ١٥٤، ٢٠٧، ٣١٧، ٣٧٣، ٤٣٤، ٤٦٠، ٤٦٤، ٤٧٢، ٤٧٥، ٥١١، ١٤/ ٦، ١٦، ٣٥، ٤٠، ٧٤، ٨٨، ٩٤، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٥٣، ٣٢٤، ٣٥٢، ٤٠٣، ٤١٨، ٤٤٣، ٤٥٣، ٤٦٠، ٤٨٨، ٤٩٠، ٥٢٠، ٥٣١، ٥٤١، ٥٤٤، ١٥/ ١٠، ٨٢، ٨٧، ١١٢، ١٤٠، ١٨٤، ٢٠٦، ٢٣٩، ٢٥٠، ٢٧١، ٢٧٣، ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٨٦، ٣١٢، ٣٣٠، ٣٣٢، ٤٠٤، ٤١٧، ٤٤٩، ٤٥٨، ٤٦٦، ٤٨٨، ٥٠٤، ٥٢٥
عكرمة بن عمرو	٦/ ٢١٥
علباء بن أحمر	٧/ ١١٢
علبة بن زيد	٧/ ٤٤١
علقمة	٨/ ٥١، ١٥/ ٧٨
علقمة بن علاثة	٧/ ٣٨٦
علقمة بن وقاص	١١/ ٩٥، ١٤/ ٢٧١
علي بن أبي طالب	١/ ١٣، ٣٨، ٥١، ٧٤، ١١٥، ١٤٤، ١٥١، ١٩١، ٢٠٩، ٢٥١، ٣٣١، ٣٧٠، ٤٣١، ٢/ ٩٠، ١٠٣، ١٢٢، ١٢٣، ٢٠٢، ٣/ ٧٨، ١٦٠، ٢٥٥، ٢٧٠، ٢٧١، ٣٠٢، ٤٠٧، ٤٩٣، ٥٢٥، ٥٢٧، ٤/ ٧٦، ٨٦، ١٢٩، ١٥٦، ٢٥٣، ٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٨٤، ٣٩٣، ٤٥٠، ٤٥١، ٤٥٨، ٥٢٢، ٥/ ١٨، ١٩، ٢١، ٣٧، ٢٣٢، ٢٩٧، ٣١٨، ٣٢٤، ٣٢٥، ٣٩٦، ٤٢٠، ٤٢١، ٤٦٨، ٤٨٠، ٥٢٠، ٥٤٤، ٦/ ١٣٧، ٢٦١، ٣٤٨، ٤٤٠، ٧/ ١٣٦، ١٤٠، ١٤٣، ١٤٥، ١٤٧، ١٤٨، ١٩٠، ١٩١، ٢٤٦، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٧٠، ٢٧٤، ٢٨٧، ٢٩٠، ٢٩١، ٣٠٣، ٣١١، ٣٣٧، ٣٤٦، ٣٨١، ٤٩٠، ٨/ ٥١، ٢٠٠، ٩/ ٣٧، ٧٤، ٨١، ١٥٥، ١٥٨، ١٩٥، ١٩٨، ٢٠١، ٢١٨، ٢٩٤، ٢٩٦، ٣١٨، ٣٢١، ٣٦٣، ٤٢٠، ٤٥١، ٤٩٣، ٤٥٢،

العلم	الجزء والصفحة
علي بن أبي طالب	١٠/ ١١، ٤٥، ١٢٩، ١٣٠، ٣٧٣، ٤٨٠، ١١/ ٩٧، ٣٨٥، ٤٥٤، ٤٨١، ١٢/ ٩٨، ١١٣، ١٣٩، ١٧١، ٢٠٢، ٣٣٣، ٤٥٨، ٤٨٠، ٤٩٣، ١٣/ ٧٦، ١٧٣، ٢٠٦، ٢٤٢، ٣٢٣، ٣٦٠، ٤٧٥، ٤٨١، ٤٨٣، ١٤/ ٣٨، ٤٠، ٥٥، ٦٢، ٦٣، ٧٠، ٧٢، ٩٤، ٢٣٨، ٢٤٦، ٢٤٨، ٢٧٤، ٢٨٤، ٣٣٨، ٣٤٤، ٣٦٣، ٣٧٩، ٤١٣، ٤٦٧، ٤٩٢، ٥٢٠، ٥٣١، ٥٦١، ١٥/ ١٤٢، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٥، ١٧١، ١٩٣، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٦٣، ٢٧٨، ٢٨٠، ٢٨٨، ٣٣٣، ٣٥٠، ٣٩٠، ٤٠٣، ٤٤٤، ٤٥٠، ٤٥١، ٤٧١، ٤٩٥، ٥٠٠، ٥٠٧، ٥٠٨، ٥٣٠، ٥٤٥، ٥٤٦، ٥٤٨
علي بن أبي طلحة	٤/ ٤٨٢، ٦/ ٢٨٠، ٧/ ١٢٢، ٢٤٩، ١٥/ ٢٧٩
علي بن أحمد المفسر	١/ ٧٤
علي بن إسحاق	١٤/ ١٣٦، ١٥/ ٤٢٦
علي بن الحسين	١١/ ٢٤٠، ١٢/ ١٩١، ٤٣٦، ١٣/ ٣٥٢، ١٥/ ١٥، ٢٦٧
علي بن الحسين بن واقد	١/ ٧٤، ١٠٦، ١٥٧، ٢/ ٦٩، ٥/ ٣٦٨، ٦/ ١١، ٢٧٩، ٣٢٩، ٧/ ٣٣٠
علي بن الفضيل بن عياض	١٥/ ٩٢
علي بن زيد بن جدعان	١٥/ ٤٧٠، ٢/ ١٠٤
علي بن طلحة	١/ ٣٨٢، ٩/ ١٨٦
علي بن عيسى	٤/ ٤٤٧
علي بن موسى الرضا	١٣/ ٢٢٨، ١٤/ ٢٨٥
عمار بن ياسر	١/ ٣٨، ٥/ ٧٥، ٧٦، ٩٥، ٣١٦، ٤٦٨، ٥٣٦، ٦/ ٧٨، ١٥١، ٢٠١، ٧/ ١٣٩، ٣٩٩، ٩/ ٥٤، ٣٣٧، ٣٣٨، ١١/ ٢٠٢، ٤٨٠، ١٣/ ٥٠٨، ١٥/ ١٢٣
عمر بن أبي ربيعة	٤/ ٣٩

العلم	الجزء والصفحة
عمر بن الخطاب	١/ ٣٨، ١٥١، ١٩٠، ٢٥٠، ٣٣١، ٢/ ٣٥٣، ٣٥٤، ٤٠٨، ٤٠٩، ٤٨٢، ٥١٣، ٣/ ١٤، ٧٣، ٩٨، ١٩٧، ١٩٨، ٢٤٠، ٢٥٢، ٣٤٨، ٣٩٧، ٤٩٣، ٤٥٣، ٤٦٧، ٥٢٥، ٤/ ٢٩، ٢٠٥، ٢٦٧، ٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٣، ٤١٠، ٤٢٥، ٤٤٣، ٤٥٠، ٤٥١، ٤٨٥، ٥٠٩، ٥/ ١٨، ٣٥، ٣٧، ٧٧، ٨١، ٨٥، ٩٢، ٩٥، ١٧٢، ٢٧٧، ٢٧٨، ٣٠٢، ٣١١، ٣٢٤، ٣٢٥، ٣٩٦، ٤١٣، ٤٢٠، ٤٦٨، ٤٧٨، ٤٨٦، ٤٩٢، ٤٩٦، ٥٠٣، ٦/ ٨٦، ١٣٣، ١٤٥، ٢٠١، ٢٠٧، ٣٥٠، ٧/ ٥٦، ١٤١، ١٤٩، ٢٣٢، ٢٤٠، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٦٣، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٩١، ٣٠٦، ٣١٥، ٣٢٦، ٣٨٠، ٣٨١، ٣٨٧، ٤٢١، ٤٢٥، ٤٢٦، ٤٢٧، ٤٣٣، ٤٤٥، ٤٥٢، ٤٥٣، ٤٥٤، ٤٧٦، ٥٠٠، ٥١٢، ٥٢٨، ٨/ ٩٣، ٢٨٤، ٣٥٩، ٩/ ٣٠، ٧٤، ٨٣، ١٢٨، ١٥٥، ١٩٨، ٢٠١، ٢٧٤، ٢٧٦، ٣٦٣، ٤٢٥، ٤٣٥، ٤٥٧، ٤٩٣، ١٠/ ١١، ١٢، ٤٨١، ٤٨٦، ١١/ ٩، ٨١، ١٢٩، ١٧٠، ٤٢٨، ٤٣١، ٤٨٨، ١٢/ ١٢٨، ١٣٩ ١٩٧، ٣١١، ٤٣٦، ٤٧١، ١٣/ ٦٩، ١٧٥، ٢٥١، ٣١٩، ٣٥٣، ٣٨٦، ٤٤٢، ٤٤٥، ٤٨١، ٤٨٣، ٤٩٦، ٥١٨، ١٤/ ٩٤، ١٣٠، ١٧١، ٢٥٥، ٣١٣، ٣٤٤، ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٦٣، ٣٧٩، ٣٩٨، ٣٩٩، ٤١٣، ٤٣٤، ٤٣٦، ٤٣٨، ٤٦٧، ٤٨٣، ٤٨٤، ٤٨٥، ٤٨٦، ٤٨٧، ٤٨٩، ٥٤٦، ١٥/ ٢٦، ٧٨، ٩٣، ٢٢٢، ٢٣١، ٢٤٥، ٤٠٣، ٤٢٩، ٤٢٩، ٤٧١، ٥٠٧، ٥٠٨، ٥١٦، ٥١٧
عمر بن عبد العزيز	١/ ١١٥، ٣/ ٤٦٨، ١٠/ ٢١٤، ٢١٨، ١٢/ ٤٣٦، ١٥/ ٤١، ٣١٢
عمر بن عبد الله مولى غفرة	١٠/ ٢١
عمر بن عطاء المديني	٥/ ١٦٨
عمر بن محمد التناوري	٣/ ٣٥٢
عمران بن الحصين	٧/ ٤١١، ٩/ ٣٦٣، ١٥/ ٣٣٢
عمرة	١١/ ١٣٣
عمرة بنت عبد الرحمن الأنصارية	٦/ ٢٣٤
عمرو البكالي	١٠/ ٩٧

العلم	الجزء والصفحة
عمرو بن الجموح الأنصاري	٣/ ١٧٧، ١٩٩
عمرو بن الدحداح البلوي	٣/ ٢١٢
عمرو بن العاص	٥/ ٤٦٠، ٤٦١، ٥١٤، ٦/ ٢١٥، ٧/ ١٣٣، ١٣٧
عمرو بن أم كلثوم	٢/ ١٦٦، ٩/ ٩٨
عمرو بن أميَّة	١٤/ ٣٤٨،
عمرو بن حُرَيث	١٣/ ٢٤٠
عمرو بن حزم	٧/ ٤٤١، ١٤/ ٢٧٠
عمرو بن خزيمة	٧/ ٤٤٢
عمرو بن خيثمة	٧/ ٤٤١
عمرو بن دينار	٧/ ١٤، ١١٢، ٩/ ٤٤٨، ١٠/ ١٠٧، ١٠٨، ١٥/ ١٠٠
عمرو بن شرحبيل	١/ ٧٤، ١٠/ ٨٦
عمرو بن شعيب	٧/ ٢٧٢، ١٤/ ٣٩٨
عمرو بن عبيد	١٣/ ١٦٩، ١٤/ ٢٠٢
عمرو بن عدي	١١/ ٣٦٠
عمرو بن عمير بن عوف الثقفي	٣/ ٤١٦
عمرو بن فائد	١/ ١٢٥، ١٦٤
عمرو بن مرة	٣/ ٤٦٤، ٤٦٦
عمرو بن مرداس	٧/ ٣٨٦
عمرو بن هشام	٧/ ١٣٣
عمير بن وهب	٧/ ٣٨٦، ٩/ ٢٩، ٣٠
عنترة	٦/ ٢٥٤
عوف بن الأحوص الكلابي	٦/ ١١١

العلم	الجزء والصفحة
عوف بن مالك الأشجعي	٦/ ١٦٢، ٧/ ٥٧، ١٠/ ٢٤٦، ١٤/ ٩٥، ٤٦٤، ٤٦٥، ١٥/ ٤٢٨
عون بن عبد الله	٩/ ٣١٣، ١١/ ٥١٥
عويمر	١١/ ٩١
عياش بن أبي ربيعة	٥/ ١١١، ١٥٤، ١٥٥، ٩/ ٣٣٨
عياض الأشعري	٥/ ٤١٣، ٤١٩، ٩/ ٣٦٣
عيدان بن الأشوع الحضرمي	٣/ ١٠٧، ٩/ ٣٢٩
عيسى بن عمر	٧/ ٢٦٨، ١٠/ ٤٤٠، ١٣/ ١٧٢، ١٥/ ٢٥٢
عيينة بن بدر	١٠/ ٦١، ٦٢
عيينة بن حصن	٧/ ٣٨٥، ٣٨٦، ١٣/ ٤٩٩، ٥٠١
غالب بن عبد الله الليثي	٥/ ١٥٩
غالب بن عجرد	١٠/ ٢٤٦
فارس بن عيسى	١/ ٢٣١
فارس، أبو الطيب الصوفي	٢/ ٣١
فارعة بنت أمية	٧/ ٧٥
فاطمة بنت رسول الله	٢/ ١٥٩، ٤/ ٨٦، ٢٨٤، ٧/ ٥٢٥، ٩/ ٢٠١، ٤٩٥، ١١/ ٣١١، ١٢/ ١٧١، ١٤/ ١١٤، ٤٩٠، ١٥/ ١٤٢، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٥، ٣٨٨، ٥٢٠
فاطمة بنت قيس	٣/ ٢٦٥، ١٤/ ٤٦٠
فخر الدين الرازي، صاحب عصمة الأنبياء	٨/ ٤٨٠
فرقد السبخي	٤/ ٥٢٦، ٦/ ٢٨٨
قالون	١/ ٢٧٧، ٦/ ٤٥٧، ١١/ ٤٩٨
قبيصة بن جابر	٥/ ٤٩٢

العلم	الجزء والصفحة
قبيصة بن ذؤيب	٣/ ٢٧٢
قتادة	١/ ٧٤، ٩٩، ١٠٥، ١٢١، ١٩٢، ٢٦٩، ٣٢٦، ٣٤٧، ٣٥٣، ٣٥٧، ٣٦٠، ٣٦٩، ٣٨٥، ٤١٧، ٤٤١، ٤٤٢ ٢/ ١٥، ٤٤، ٦٢، ٧٢، ٨٣، ٨٦، ٩٠، ١٠٣، ١٥٨، ١٩٠، ١٩٦، ٢٠٠، ٢٢٠، ٢٢٤، ٢٢٧، ٢٢٩، ٢٦٩، ٢٩٣، ٢٩٧، ٣٠٦، ٣٢٠، ٣٢٤، ٣٢٦، ٣٢٧، ٣٤٢، ٣٥٥، ٣٦٨، ٣٧١، ٣٧٢، ٣٨٩، ٣٩٦، ٤٠٨، ٤١٣، ٤٤١، ٤٥٤، ٤٨١، ٤٩١ ٣/ ٤٠، ٤٤، ٥٣، ٦٢، ١٥٥، ١٥٧، ٣٣٦، ٣٤٧، ٣٨٩، ٤٣٠، ٤٩١، ٥٢٣ ٤/ ١٢، ٢٨، ٣٥، ٤١، ٥٩، ٦١، ٩٣، ٩٤، ٩٨، ١٢٩، ١٣٤، ١٤٢، ١٧٠، ١٨٣، ١٨٩، ١٩٥، ٢١٢، ٢١٦، ٢٢٠، ٢٣٠، ٢٣٤، ٢٤٠، ٢٤٦، ٢٧١، ٢٧٩، ٢٩٩، ٣٢٢، ٣٤٩، ٣٧٢، ٣٨٠، ٣٨٩، ٤٣٠، ٤٤٣، ٤٤٤، ٤٤٦، ٤٤٧، ٤٦٩ ٥/ ٦، ٧، ٢٢، ٥٣، ١٠٦، ١٤٣، ١٨٣، ٢٣٩، ٢٤٨، ٣٠٩، ٣٢٦، ٣٤٧، ٣٥٠، ٣٥٢، ٣٦٦، ٣٧٠، ٣٩٣، ٣٩٧، ٤٢٠، ٤٣٥، ٤٥٨، ٤٨٢، ٤٩٦، ٥٠٨، ٥١١، ٥١٤ ٦/ ١١، ١٥، ٣٧، ٤٤، ٥٢، ٦٠، ٧٦، ٨٠، ٨٣، ١١١، ١١٩، ١٤٥، ١٦٠، ١٦٣، ١٦٦، ١٦٧، ١٨٧، ١٨٧، ١٩٢، ١٩٧، ٢٠٨، ٢١٦، ٢٢٦، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٦٠، ٢٦٧، ٢٨٢، ٢٩٧، ٣٠٤، ٣٠٩، ٣١٦، ٣٢٣، ٣٣٢، ٣٤٨، ٣٧٧، ٣٨٧، ٤٢١، ٤٢٧، ٤٢٩، ٤٨٥، ٤٨٧، ٥١٧ ٧/ ٧٩، ٨٨، ١١٢، ١٥٥، ١٦٤، ١٧٥، ١٨٠، ٢٠٦، ٢١٨، ٢٢٢، ٢٥٣، ٢٧٨، ٢٩٦، ٣٣١، ٣٣٥، ٣٤٠، ٣٤٤، ٣٦٤، ٣٧٧، ٣٧٩، ٣٨٥، ٣٩٨، ٤١٣، ٤١٤، ٤٣٢، ٤٣٣، ٤٤٢، ٤٥٩، ٤٥٩، ٤٩٤، ٥٠٠، ٥٠٣، ٥١٣، ٥١٦، ٥٢٢ ٨/ ١١، ٣٣، ٤٥، ٤٩، ٨٥، ١٢٨، ١٣٥، ١٤٠، ١٥٣، ١٦٢، ١٧٧، ١٨٣، ٢٠٠، ٢٠٩، ٢١٠، ٢٢٥، ٢٣٢، ٢٣٤، ٢٤١، ٢٤٤، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٧، ٢٥٩، ٢٦٦، ٢٧١، ٢٨٠، ٢٨٢، ٢٨٩، ٢٩٩، ٣٢٢، ٣٥٣، ٣٨٣، ٣٩٣، ٤٠٠، ٤٠٨، ٤٠٩، ٤١٤، ٤٢٤، ٤٣٩، ٤٤١، ٤٤٣، ٤٥٧، ٤٦٦، ٤٦٧، ٤٦٩، ٤٧٠، ٤٧١، ٤٧٧، ٥١٦، ٥١٧

العلم	الجزء والصفحة
قتادة	٩/ ٧ ،١٤ ،٢٢ ،٢٤ ،٣١ ،٣٢ ،٣٥ ،٤٢ ،٤٩ ،٦٣ ،٦٤ ،٧٠، ٧١، ٧٦، ٨١، ٩٨، ١١١، ١١٣، ١٧٦، ١٧٧، ١٨٣، ١٨٥، ١٨٩، ٢١٢، ٢١٧، ٢٤١، ٢٤٧، ٢٤٩، ٢٦٥، ٢٧٦، ٢٨٠، ٢٨٧، ٢٩١، ٢٩٣، ٢٩٦، ٢٩٨، ٣١٠، ٣٤٩، ٣٥١، ٣٧٤، ٣٧٨، ٣٩١، ٣٩٧، ٣٩٨، ٤٠٤، ٤٠٧، ٤٠٩، ٤١٩، ٤٢٣، ٤٢٤، ٤٣٥، ٤٤١، ٤٤٤، ٤٥٩، ٤٦٢، ٤٦٤، ٤٦٥، ٤٧٠، ٤٧٧، ٤٧٨، ٤٩٠، ٤٩٢ ١٠/ ١٣، ٢١، ٤٩، ٦٣، ٧٣، ٧٩، ٨٠، ٩٦، ١٠٣، ١٠٤، ١١٨، ١٢٢، ١٢٥، ١٤٣، ١٦٩، ١٧٢، ١٧٥، ١٧٧، ١٧٨، ١٨٢، ١٨٨، ١٩٣، ١٩٤، ١٩٥، ٢٠٥، ٢٢١، ٢٣٨، ٢٤٤، ٢٥٤، ٢٨٠، ٣٠٢، ٣٠٤، ٣٠٥، ٣٢٣، ٣٥٣، ٣٧٦، ٣٧٧، ٣٧٩، ٣٨٠، ٣٨٦، ٣٨٧، ٤١٥، ٤٣١، ٤٥٤، ٤٧٥، ٤٩٢، ٥٠٢، ٥٠٩، ٥١٥، ٥٢٦، ٥٣٢ ١١/ ٢٤، ٢٩، ٣١، ٣٧، ٤٠، ٨٥، ١٠٧، ١٧٥، ٢٠٥، ٢١٧، ٢٢٧، ٢٢٩، ٢٣٨، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٥٢، ٢٧٦، ٢٩١، ٢٩٣، ٣٥٩، ٣٧١، ٣٨٥، ٤٠٢، ٤٢٠، ٤٢١، ٤٣٢، ٤٣٧، ٤٦٦، ٤٩٠، ٥٠٣، ٥٠٤، ٥٠٥ ١٢/ ٢٦، ٢٨، ٢٩، ٥٨، ٦١، ٩٠، ١٣٣، ١٤٠، ١٥٤، ١٦٣، ١٧٠، ١٧٤، ٢٢٨، ٢٣٠، ٢٣٢، ٢٤٤، ٢٤٦، ٢٨٥، ٣٤١، ٣٤٨، ٣٥٨، ٣٧١، ٣٩٠، ٤٠٨، ٤٣٦، ٤٤٠، ٤٤٤، ٤٤٦، ٤٥٣، ٤٦٢، ٤٧٢، ٤٧٤، ٤٩٦، ٤٩٧، ٥٠١، ٥٠٦، ٥١٧ ١٣/ ٤٨، ٥٥، ٦١، ٧٧، ٨٣، ٨٧، ٩٣، ٩٥، ٩٨، ١١٩، ١٢٦، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٧، ١٨٤، ١٨٥، ١٨٦، ١٩١، ٢٢١، ٢٣١، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٧٧، ٢٧٩، ٢٨٣، ٣٢٢، ٣٣٢، ٣٧٩، ٣٩٣، ٤١٢، ٤١٨، ٤٦٧، ٤٧٥، ٥٠٦، ٥١٣، ٥٢٤ ١٤/ ٦، ١٤، ٣٢، ٥٧، ٩٤، ١٠٢، ١٠٣، ١١٨، ١٢٢، ١٢٩، ١٥٨، ١٦٠، ١٦٢، ١٧٩، ١٨٥، ١٨٦، ١٨٦، ١٨٨، ١٩٢، ١٩٦، ٢٠١، ٢١٣، ٢٢٣، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٣٣، ٢٣٩، ٢٤١، ٢٤٦، ٢٤٩، ٢٥٦، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٦٤، ٢٦٨، ٢٧٠، ٢٨٤، ٢٩١، ٣٢١، ٣٢١، ٣٢٥، ٣٣٣، ٣٥٣، ٣٦٣، ٣٧٢، ٣٨٦، ٣٩٠، ٣٩٢، ٤٠٣، ٤١٣، ٤٢٦، ٤٢٩، ٤٥٥، ٤٦٢، ٤٧٠، ٤٧٣، ٤٨٨، ٤٨٩، ٤٩٥، ٥٠٦، ٥٠٧، ٥١١، ٥١٤، ٥٢٢، ٥٢٩، ٥٣٠، ٥٣٦، ٥٣٧، ٥٤١، ٥٥٤، ٥٦٠، ٥٦١، ٥٦٨، ٥٧٥

العلم	الجزء والصفحة
قتادة	١٥/ ٦، ١٩، ٢٤، ٣١، ٣٥، ٤٥، ٤٩، ٥٢، ٧٧، ٨٦، ٨٨، ٩٢، ١٠٨، ١١٦، ١٢٢، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٧، ١٢٨، ١٣٣، ١٥٠، ١٥١، ١٦٢، ١٦٤، ١٧٠، ١٧١، ١٧٩، ١٨١، ١٨٢، ١٨٤، ١٨٥، ١٨٦، ١٩٠، ١٩٢، ١٩٨، ٢١٩، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٤٢، ٢٤٥، ٢٥٣، ٢٥٥، ٢٥٩، ٢٦٦، ٢٧٨، ٢٩٦، ٢٩٩، ٣١٢، ٣١٣، ٣٢٢، ٣٢٤، ٣٣٠، ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٥١، ٣٥٣، ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٦٨، ٣٧٠، ٣٧٧، ٣٨٥، ٣٨٥، ٤٠٣، ٤١٨، ٤٢١، ٤٤٧، ٤٥٦، ٤٥٨، ٤٦٢، ٤٧٠، ٤٧٤، ٥٠٠، ٥٠٩، ٥٢٥، ٥٢٦، ٥٢٩، ٥٣١، ٥٣٤، ٥٣٥، ٥٤٩، ٥٥٧،
قتادة بن النعمان	٤/ ٢٨٣، ٥/ ١٨٣
قتيبة بن سعيد	٦/ ١٨١، ١٤/ ٣٠٧
قتيلة	١١/ ١٣٣
قدامة بن مظعون	٥/ ١١٤
قرة بن خالد	١٠/ ٢١٨
قسامة بن زهير	١٤/ ٢٤٦
قطرب	١/ ٤٩، ١٩٥، ٢/ ١٩٧، ٢١٨، ٣٠٢، ٥٢٣، ٣/ ٢٥٦، ٤٧٦، ٥/ ٣٩٨، ٤٤٣، ٥٣٨، ٦/ ٥١٤، ٧/ ١٦٠، ٢٣٠، ٣٩٦، ٥١٤، ١٠/ ١٠٦، ١٧٠، ١٨٣، ٢٢٦، ٢٣٤، ٢٤٠، ٢٤٥، ٢٤٧، ٤١٩، ٤٤٢، ١١/ ٥٩، ١١٠، ٢٢٨، ٢٧٨، ٣٦٤، ٤٤٥، ١٢/ ١٥٥، ٢٠٣، ٢٣٢، ٢٦٠، ٢٦٨، ٣٩٧، ٣٩٨، ٤٠٨، ٤٦٦، ٤٧٤، ٥٠٩، ٥١١، ١٣/ ٦٨، ٢٤٤، ٢٨١، ٣٣١، ٥٢٥، ١٤/ ١٣٤، ١٤٧، ١٥٧، ٢٠٢، ٢٢٧، ٢٥٢، ٢٥٧، ٢٦٤، ٢٧٢، ٣٩٤، ١٥/ ١٣، ٤٦، ٦٤، ٧٠، ٧٢، ١٦٨، ١٩٧، ٢٠٣، ٢٢٢، ٣٠٠، ٣٤٨، ٤٠٣، ٤٥٠، ٤٥٧، ٤٨٧
قيس بن حازم	٨/ ٥٣
قيس بن عاصم	١٣/ ٥٠٠
قيس بن عباس	٨/ ١٢٣

العلم	الجزء والصفحة
قيس بن عدي	٧/ ٣٨٦
قيس بن مخرمة	١٥/ ٣١
قيس بن مكشوح	٦/ ١٥٠
كبيشة بنت معن	٤/ ٤٧٨
كثير بن عبد الله المزني	١٥/ ٣١٢
كثير عزة	٢/ ٣٠٣، ٣/ ٤٧٨، ٤/ ٥١٠، ٥/ ٤٧٥، ٨/ ٤٩٧، ١٢/ ٢٤٨، ٤٦٣، ١٣/ ٥٩
كردم	٧/ ٤٦٠
كرز بن علقمة	٣/ ٤٥١
كريب	٦/ ١٦٤، ١٠/ ١٩
كعب الأحبار	١/ ٣٢، ١٠٧، ٣٦٨، ٣/ ٣٠٣، ٤/ ٥٨، ٢٠٦، ٢٨٢، ٥/ ٥٣٦، ٦/ ٨، ٩٥، ٤٩٦، ٥١٩، ٧/ ٣٢، ٣٥، ٤٦٧، ٤٩٥، ٥٠٤، ٥٠٤، ٥٠٥، ٥٠٧، ٥٠٨، ٥٠٩، ٥١٠، ٨/ ١٢٥، ١٢٦، ١٦٥، ٢٩٣، ٣٥١، ٤٠١، ٤٤٠، ٤٥٨، ٤٩١، ٩/ ٣٢، ٢٥٣، ٢٦١، ١٠/ ٥٢، ١٠٣، ١١٨، ١٢٢، ١٤٩، ٢١١، ٢٣٠، ٤١٣، ٤٥٠، ١١/ ٣٧، ٤٣، ٢١٦، ٢٥١، ٣١٦، ٣٨٧، ٤٠٥، ٤٦٥، ١٢/ ٤٠٢، ٤١٧، ٤٧٧، ٥١٧، ١٣/ ٣٣٢، ١٤/ ٧١، ٧٢، ١٧٢، ٢٠٥، ٤٧٣، ٥٠٧، ٥٤٥، ٥٧٠، ٥٧١، ١٥/ ٢٥٢، ٢٥٧، ٣٤٢، ٣٤٦، ٣٦٢، ٤٠٢، ٥٤٧
كعب بن الأشرف	١/ ٢٠٠، ٢/ ٩٨، ١٤٣، ٣٩٦
كعب بن سعد الغنوي	١٥/ ٤٥٨
كعب بن عجرة	٣/ ١٢٤، ٨/ ٥٣، ١٢/ ٢٠٠
كعب بن عمرو الأنصاري، أبو اليسر	٧/ ١٢٣
كلثوم بن الهدم	١٥/ ٥٣٢

العلم	الجزء والصفحة
لبيد بن ربيعة العامري	١/ ٤٨، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٧١، ٢/ ١٤٧، ٢٠٨، ٣/ ٤٨٦، ٤/ ٢٦٩، ٦/ ١٦٣، ٧/ ٤٩، ٨/ ٤٢، ٩/ ٣٤، ٤٠، ٢٨٥، ٢٩٠، ٤٦٤، ١٠/ ١٢٢، ١٣/ ١٠٨، ١٤/ ٢٢٨
لبيد بن سهل	٥/ ١٨٤
لبيد بن عاصم	١١/ ٢٩٧
مارية القبطية	١٤/ ٤٧٦، ٤٨٠، ٤٨٤
ماعز	٤/ ٤٧٢
مالك بن الدخشم	٥/ ٤٦، ٤٧، ٧/ ٤٦٨
مالك بن أنس	١/ ٢٢٨، ٣/ ١٢٨، ١٣٢، ١٣٣، ٢٦٧، ٤٠٩، ٤/ ٤٩٢، ٥/ ٣١٣، ٦/ ٢٥٤، ٧/ ٣٠٩، ١١/ ٩٤، ١٣/ ٤٩٨، ١٤/ ٤٢٣، ٤٧٩، ١٥/ ٢٥٦
مالك بن أوس بن الحدثان	١٤/ ٣٦٣
مالك بن دينار	٦/ ١٨٧، ١٨٧، ٢١٦، ٣١٩، ٧/ ٥٠
مالك بن سلمة	٩/ ٢٠١
مالك بن سليمان	٦/ ٥٧، ٨/ ١٩٨، ١٠/ ٢٢، ١٤٠
مالك بن صعصة	٩/ ٣٦٣
مالك بن عوف	٧/ ٢٩٩، ٣٠٥، ٣٨٥
مالك بن مغول	٤/ ٥٢٥
مجالد بن سعيد	١١/ ٥١٥
مجاهد بن جبر	١/ ٥٢، ٧٥، ٩٠، ١٢١، ١٥٥، ١٧٥، ٢٠٤، ٢٨٦، ٢٩٩، ٣٢٦، ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٧٠، ٣٨٤، ٤٠٨، ٤١٧، ٤٢١، ٤٤١، ٤٤٣ ٢/ ٤٤، ٥٨، ٦١، ٧٢، ١٠١، ١١٨، ١٢٢، ١٤٥، ١٥٦، ١٥٨، ٢٠١، ٢١٨، ٢٢٠، ٢٢٩، ٢٤٠، ٢٥٠، ٢٨٠، ٢٨٧، ٢٩٣، ٢٩٧، ٣٢٤، ٣٢٨، ٣٣٠، ٣٦٨، ٣٩٠، ٤١٤، ٤٣٠، ٤٣٧، ٤٤١، ٤٤٩، ٥١٣، ٥٢٥

العلم	الجزء والصفحة
مجاهد بن جبر	٣/ ١٩، ٤٤، ٥٣، ٦٢، ٧٣، ١٧١، ٢١٥، ٢١٨، ٢٢١، ٢٦٧، ٢٧٣، ٣٠٢، ٣٣٦، ٣٤٤، ٣٥٣، ٣٨٩، ٣٩٢، ٤٠٧، ٤٣٠، ٤٣٨، ٤٦٨، ٤٧٦، ٤٨٤، ٤٩١، ٤٩٢، ٥٢٠ ٤/ ٢٨، ٣٨، ٤١، ١٠٩، ١٢٠، ١٣٤، ١٥٧، ٢٣٠، ٢٤١، ٢٥٠، ٢٧٠، ٢٩٦، ٢٩٩، ٣٠٣، ٣٦٤، ٣٧٢، ٣٧٨، ٤٠٠، ٤٠٥، ٤٢٥، ٤٢٨، ٤٣٠، ٤٣٧، ٤٤٢، ٤٤٨، ٤٧٠، ٥١٤ ٥/ ٥، ٤٣، ٦٦، ٧٧، ٨٠، ٩١، ١٠٥، ١١٦، ١١٧، ١٣٨، ١٤١، ٢٢٤، ٢٣٩، ٢٤٦، ٢٩٩، ٣٢٠، ٣٤٥، ٣٤٨، ٣٦٦، ٣٧١، ٤٠٢، ٤٠٥، ٤٠٨، ٤٤٦، ٤٩٠، ٤٩١، ٤٩٨، ٤٩٩، ٥١٣ ٦/ ٨، ٢٤، ٣٦، ٣٧، ٤٠، ٧٦، ٨٠، ٩٥، ١٠٢، ١١١، ١١٩، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٥، ١٨٤، ١٩٧، ٢٠٨، ٢١٣، ٢٢٤، ٢٢٨، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٥٧، ٢٦٠، ٢٦٨، ٢٨٠، ٢٨٢، ٢٩١، ٢٩٧، ٣٠٣، ٣٠٦، ٣٢١، ٣٢٨، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٣٩، ٣٤٢، ٣٥٥، ٣٦٢، ٣٨٦، ٤١٥، ٤٢١، ٤٢٩، ٤٣٨، ٤٦٥، ٤٧٩، ٤٨٧، ٤٨٨، ٥١٦ ٧/ ٤٣، ٤٨، ٥٧، ٦٤، ٧٠، ١١١، ١١٢، ١٢٤، ١٥٥، ١٥٨، ١٦٤، ١٧٦، ١٨٦، ١٩٧، ٢١٨، ٢٢٠، ٢٢٣، ٢٣٤، ٢٥٣، ٢٧٠، ٢٧٢، ٢٧٧، ٢٨٢، ٢٩١، ٣٤٠، ٣٥٤، ٣٥٧، ٣٦٤، ٣٨٣، ٤١٤، ٤١٥، ٤٢٢، ٤٤١، ٤٤٩، ٤٥٦، ٤٩٠، ٤٩٦، ٥٠٣، ٥٢٠، ٥٢٢ ٨/ ١٤، ٣٩، ٥١، ٥٨، ١١٦، ١١٧، ١٥٣، ١٥٨، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٤ ١٧٦ ١٧٧ ١٨٢ ١٩٩، ٢١٠، ٢١٩، ٢٢٥، ٢٣٢ ٢٣٤ ٢٤٤ ٢٦٦ ٢٨٨ ٢٨٩ ٣٤٤ ٣٦٤ ٣٨١ ٣٨٣ ٤٠٠ ٤٠٨ ٤٠٩ ٤١٤ ٤٥٧ ٤٥٨ ٤٦٢ ٤٦٧ ٤٦٩ ٤٧٠ ٤٧١ ٤٧٧ ٤٨٧ ٤٨٩ ٥١٢ ٥١٨ ٥٢٠ ٩/ ١٠، ١٤، ١٦، ٢٤، ٢٥، ٣١، ٣٢، ٤٤، ٦٢، ٦٣، ٦٤، ٦٥، ٧٠، ٧١، ٧٦، ٨٦، ٩٨، ١٠٥، ١١١، ١١٢، ١٢٩، ١٤٦، ١٥٢، ١٧٧، ١٨٥، ١٨٧، ١٨٩، ١٩٩، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٧، ٢٤٩، ٢٦٥، ٢٧٦، ٢٨٠، ٢٨٧، ٢٩١، ٢٩٣، ٢٩٨، ٣٣٥، ٣٤٨، ٣٦٨، ٣٧٤، ٣٧٨، ٣٩٧، ٣٩٨، ٤٠٢، ٤٠٤، ٤٠٦، ٤٠٨، ٤٢١، ٤٢٢، ٤٣٥، ٤٤٠، ٤٦٢، ٤٦٤، ٤٦٧، ٤٧٧، ٤٧٨، ٤٩٠

العلم	الجزء والصفحة
مجاهد بن جبر	١٠/ ١٦، ١٧، ٣٢، ٣٣، ٣٤، ٤٠، ٥٥، ٥٩، ٦٣، ٦٦، ٦٨، ٧٣، ٨٠، ٨٦، ٩٣، ٩٦، ١٠٤، ١٠٩، ١٢٧، ١٣٠، ١٣٥، ١٣٦، ١٤٠، ١٤١، ١٤٥، ١٥٢، ١٦٧، ١٧٣، ١٨٢، ١٨٨، ٢٠٤، ٢٠٩، ٢١١، ٢١٨، ٢٢٤، ٢٢٧، ٢٣٧، ٢٥٦، ٢٦٦، ٢٧٦، ٢٨١، ٢٩٦، ٣٢٦، ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٥٦، ٣٧٩، ٣٨٠، ٤٢٩، ٤٣١، ٤٧٥، ٤٩١، ٤٩٥، ٤٩٩، ٥٠٢، ٥٠٣، ٥٠٤، ٥٠٩، ٥١٤، ٥١٨، ٥٣٢ ١١/ ١٠، ١٤، ٤٠، ٥٤، ٦٠، ٦٦، ٧٤، ٨٤، ١٢١، ١٤٢، ١٧١، ١٧٧، ١٩٠، ٢٠٥، ٢٠٩، ٢٢٩، ٢٣٣، ٢٣٨، ٢٤٢، ٢٤٥، ٢٤٧، ٢٥٣، ٢٨٩، ٢٩١، ٢٩٤، ٣٣٦، ٣٥٩، ٣٨٠، ٤١٣، ٤٢٣، ٤٢٥، ٤٥٧، ٤٦٣، ٤٦٦، ٤٩٩، ٥٠٥ ١٢/ ٨، ٣٩، ٥٧، ٦١، ١٣٣، ١٧٠، ١٧٤، ٢١٤، ٢٣٢، ٢٣٨، ٢٤٦، ٣٣٧، ٣٧١، ٣٨٠، ٣٨٨، ٤٠٧، ٤٣٦، ٤٤٠، ٤٤٦، ٤٥٣، ٤٦٧، ٤٧٠، ٥٠٦ ١٣/ ٢١، ٣٠، ٣٨، ٤٣، ٨٢، ٨٣، ٩٨، ١٢٦، ١٤٩، ١٥٤، ١٥٦، ١٧١، ١٧٥، ١٩٣، ٢٠٠، ٢١٧، ٢٢٤، ٢٧٩، ٣٩٠، ٤٠٩، ٤٢٦، ٤٥٨، ٤٦٠، ٤٦٤، ٤٧٥، ٤٨٢، ٤٩٩ ١٤/ ١٠، ١٤، ١٩، ٢٣، ٣١، ٣٣، ٣٩، ٤٢، ٤٥، ٤٧، ٤٩، ٥١، ٦٣، ٦٨، ٧٥، ٩٤، ٩٨، ١٢٢، ١٣٥، ١٥٨، ١٧٩، ١٨٣، ١٨٩، ١٩٤، ٢٠١، ٢٠٣، ٢١٠، ٢٢٠، ٢٢٨، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٨، ٢٤٠، ٢٤٧، ٢٥١، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٦١، ٢٦٨، ٢٨٥، ٣٣٣، ٣٦٧، ٣٦٨، ٣٦٩، ٣٨٦، ٣٩٢، ٣٩٤، ٤٠٥، ٤٢٦، ٤٥١، ٤٦٠، ٤٧١، ٤٧٤، ٤٨٩، ٥١١، ٥١٦، ٥٢١، ٥٢٨، ٥٣٠، ٥٣١، ٥٣٩، ٥٤٤، ٥٧٥ ١٥/ ٨، ١٠، ٣٢، ٤٠، ٤٥، ٤٦، ٨٧، ٨٨، ٩٠، ٩٢، ٩٣، ٩٩، ١٠٠، ١١٨، ١٢٢، ١٢٥، ١٣٣، ١٣٦، ١٣٨، ١٤٠، ١٤٢، ١٤٧، ١٥٠، ١٦٢، ١٧٠، ١٧٨، ١٨١، ١٨٢، ١٨٦، ١٩٠، ١٩٢، ٢٠٦، ٢١٨، ٢٢٠، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٤٣، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦٦، ٢٦٩، ٢٧١، ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٩٢، ٢٩٩، ٣٠٧، ٣١٢، ٣٢٢، ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٣٧، ٣٥٣، ٣٥٦، ٣٦٢، ٣٧٩، ٣٨٦، ٣٩١، ٣٩٣، ٣٩٩، ٤٠٢، ٤١٨، ٤٣٩، ٤٤٠، ٤٤٧، ٤٤٩، ٤٧٤، ٤٧٥، ٥٠٤، ٥٢٥، ٥٣٤، ٥٤٨،
محارب بن ثار	٢/ ١٠٣

العلم	الجزء والصفحة
مكحول الشامي	١/ ٤٤
محمد الشيباني	٣/ ٢٤٩، ٤٢٦، ٤/ ٤٤٠، ٤٧١، ٤٩١، ٦/ ٢٢٠
محمد العلوي الكوفي	٧/ ٢٦٢
محمد بن إسحاق	٢/ ٥٣، ٧٨، ٩١، ١٠٤، ٢٨٠، ٣١٣، ٣٦٤، ٣/ ١٩، ١٧١، ٤٥١، ٢١٣، ٤/ ١٣، ٢٣٠، ٢٣٧، ٢٧٠، ٣٤٣، ٣٧٢، ٥/ ٧٤، ١٥٨، ٣٢٨، ٣٤٢، ٣٥٢، ٦/ ٤٣، ١٢٢، ١٣٠، ١٣٣، ٣٩٠، ٣٩٨، ٤١٩، ٤٢٤، ٤٤٦، ٧/ ٣٨، ١٣٢، ١٧٢، ١٨١، ١٨٥، ١٩٤، ١٩٦، ٢٠٦، ٢٢٠، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٤١، ٢٦٥، ٢٧٢، ٢٧٦، ٢٨٧، ٣٦٠، ٣٦٦، ٣٦٧، ٣٩٩، ٤٧٦، ٤٩٥، ٨/ ٣٢٢، ٣٦٤، ٣٩٤، ٤٢١، ٤٢٤، ٤٥٨، ٤٦٢، ٤٦٥، ٤٨٧، ٤٩٥، ٩/ ٢٢٧، ١٠/ ٥٥، ٥٩، ٩٢، ١٠٣، ١٠٤، ١٣١، ٢٨٠، ٤٠٨، ٤٠٩، ٤١٢، ٤١٩، ٤٤٣، ١١/ ٤١١، ٤١٣، ٤١٨، ٤٢١، ٤٢٤، ٤٢٥، ٤٩٧، ١٢/ ٦١، ١٢٢، ١٤٧، ١٥٢، ٢٤٤، ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٩٦، ٤٤١، ٤٧٧، ٥١٤، ١٣/ ١٠٦، ٣٣٣، ٣٩٠، ٣٩٢، ٥٠١، ١٤/ ١٧، ١٠٨، ٣٥٠، ٣٥٢، ٣٦٧، ٤٧٦، ٥٦٤، ١٥/ ٤٩، ٣٣٥، ٣٨٧، ٣٩٠، ٤١٢، ٤٨٥
محمد بن أسلم الطوسي	١٢/ ٣٢
محمد بن الحسن الشيباني	١/ ٢٥، ٥/ ٣٨، ٤٩١، ٤٩٣
محمد بن الحسن بن فورك	٤/ ٤٩٥
محمد بن الحنفية	١/ ٣٩، ٧٤، ١٥١، ٣/ ٣٣٥، ٥/ ٢٥٦، ٦/ ١٦٢، ١١/ ٢٤٢، ٣١٢، ٤٨٨، ١٣/ ٨٣، ١٥/ ٤٢٧
محمد بن الفضل	١/ ١٥٨
محمد بن القاسم المازني	٩/ ٣٨٧
محمد بن النَّضر الحارثي	١٤/ ٤٢٣
محمد بن جريج	٦/ ٢٠٧
محمد بن جرير الطبري	١/ ٢٧٤، ٤/ ٤٨٦، ٦/ ١٣٣، ٧/ ٤٢٣، ١٠/ ٦٣، ٩٥، ١٤١، ١٧٦، ١١/ ١٢٧، ١٤٩، ٢٣٨، ٢٤٢، ١٢/ ٤٨٨، ١٤/ ٥٢٦، ١٥/ ٢٢٨، ٢٣٥، ٤١٨، ٥٤٩

العلم	الجزء والصفحة
محمد بن جعفر بن الزبير	٣/ ٤٥١
محمد بن زياد	١٣/ ٣٩١
محمد بن سيرين	٢/ ٢٦٧، ٢٧١، ٣/ ٢٧٠، ٤٣٨، ٤/ ٤٩٨، ٥/ ٥١٣، ٥١٤، ٦/ ٣٤٥، ٧/ ٢٧١، ١٠/ ٤٨٠، ١١/ ٩، ١٢/ ٢٠٣، ١٣/ ٨٣، ١٧٥، ٤٠١، ١٥/ ٨٨، ٤٥٣
محمد بن عبد الله الصفار الأصفهاني	١٥/ ٣٣٩
محمد بن علي الباقر	٤/ ٣٠، ٨/ ٢٦، ١٢/ ١٩٤، ٤٣٦
محمد بن علي الترمذي	١/ ٥٣، ١٣٧، ١٥٧، ١٥٨، ٢/ ١٠٤، ١٥٣، ٤٣٣، ٤٥٥، ٣/ ١٣، ٤/ ٢٩، ١٦٨، ٥/ ٣٧٢، ٧/ ٣٢٧، ١٣/ ١٧٨، ١٤/ ٢٨٦، ١٥/ ١٥٥، ٢٨٠، ٥٣٦
محمد بن علي الكَتَّاني	١٣/ ٢٢٩
محمد بن قيس	٢/ ١١٧
محمد بن كعب القرظي	١/ ١٢٢، ١٩٣، ٣٥٣، ٢/ ١٠٣، ٤٢٥، ٣/ ١٩٧، ٤/ ٣٩٥، ٥/ ١٤، ٤١٩، ٤٤٠، ٦/ ١٤٥، ٢٨١، ٧/ ١٦٤، ٢٦٥، ٨/ ٤٣، ٢٦٦، ٣٧٠، ٩/ ٨٢، ١١٣، ١٥٨، ٢٥٤، ٤٤٨، ٤٥٢، ٤٨٦، ١٠/ ٨٦، ١٠٤، ١٦٣، ١١/ ٧٢، ١٤٤، ٢٥٣، ٣٣٣، ٣٦٥، ٤٥٤، ٤٧٢، ١٢/ ١٠٨، ٤٣٦، ٤٦٢، ٥١٨، ١٣/ ٨٤، ٩٣، ١٦١، ٢٠٨، ٢٢٧، ٣١٧، ٣٥٤، ٤٢١، ٤٣٤، ١٤/ ٦، ٢٢، ٣٠، ١١٩، ١٢٤، ١٣٦، ١٩٠، ٢٢٥، ٢٣٨، ٢٥٣، ٢٩٩، ٣١٧، ١٥/ ٥٩، ٢٤٢، ٢٥٠، ٢٩١، ٣٢٣، ٣٨٦، ٤٦٥، ٤٦٩، ٤٧٠، ٤٧٥، ٥٣٥، ٥٤٨
محمد بن مسلم الطائفي	١/ ٣٧٠
محمد بن مسلمة	٤/ ٢١٧، ٥/ ١٤١، ١٤/ ٣٤٩، ٤٣٧
محمد بن نصر الوتار	٣/ ٣٥١
محمد بن يزيد	٥/ ١٦٥
محمود بن سلمة	٤/ ٢١٧
مخرمة بن نوفل الزهري	٧/ ١٣٣، ٣٨٦

العلم	الجزء والصفحة
مدلج بن عمرو	١١/ ١٧٠
مرارة بن الربيع الزبيدي	٧/ ٤٦٧، ٥٠٤، ٥٠٦
مرة الهمداني	٧/ ٢٩١، ٣٥٤، ٣٦٣، ١٤/ ٢١١، ٢١٣، ٢٦٤، ٥٣٢، ١٥/ ٢٢٤، ٤٥٩، ٥٣٦
مرثد بن أبي مرثد	٣/ ٢٠٨
مرثد بن زيد الغطفاني	٤/ ٤٥٢
مرثد بن سعد	٦/ ٤٠٣
مرثد بن مرثد	٥/ ١١٠
مرحب بن زيد	٥/ ٥٨
مرداس بن عمرو بن نهيك العبسي	٥/ ١٥٩، ١٦٠، ٧/ ٤٦٠
مروان بن الحكم	٢/ ٥٢٣، ١٣/ ٣٩١
مسافع	٧/ ١٧٢
مسروق بن الأجدع الهمداني	٣/ ٥٩، ٣٣٥، ٣٣٦، ٤/ ٣٧٨، ٤١٠، ٥/ ٣٩٥، ٩/ ٤٣٥، ١٠/ ٨٦، ١٢/ ٢٥٤، ٤٣٦، ١٣/ ٣٢٣، ٣٨١، ٤٨٩، ١٤/ ١٢٠، ٤٦٢
مسطح بن أثاثة	٣/ ٢٢١، ١١/ ٩٧، ١٠٠، ١٠١، ١١١
مسعر بن كدام	٣/ ٤٦٤
مسعود بن عوف الثقفي	٣/ ٤١٦
مسلم البطين	١٤/ ٢٢٥
مسلمة بن عبد الملك بن مروان	٥/ ٧٨
مسيكة	١١/ ١٣٣
مصعب بن عمير	٤/ ٢٣٩، ٢٧٩، ٢٨٠، ١٢/ ١٥٩، ١٥/ ٢١٠
مطر الوراق	١/ ٥٥
مطرف بن عبد الله بن الشخير	١٥/ ٤٦٣

العلم	الجزء والصفحة
معاذ بن جبل	١/ ٤٣٢، ٢/ ٣٢٧، ٣/ ١٠٨، ١٩٨، ٤٨٤، ٤/ ١٨٨، ٧/ ٢٩٩، ٩/ ٥٨، ١٤/ ٣٠، ٤٦٦
معاذ بن عمرو بن الجموح	٧/ ١٤٥، ١٤٦
معاذة	١١/ ١٣٣
معاذة العدوية	١٢/ ١٩٣
معاوية بن أبي سفيان	١/ ٤٤، ٧/ ٣٢٥، ١٢/ ٤٣٦، ١٣/ ٣٩١، ١٥/ ٣٤١، ٣٤٢، ٣٤٣
معاوية بن قرة	٤/ ٤٣٨
معبد بن أبي معبد الخزاعي	٤/ ٣٦١، ٣٦٢
معتب بن قشير	٧/ ٤٢٦
معتمر بن سليمان	٨/ ٣٩٢
معقل بن مقرن	٧/ ٤٤١
معقل بن يسار	٣/ ٢٤٤، ٣٣٤، ٧/ ٤٤٢
معمر بن راشد	١/ ٣٦٨، ٤/ ٤٨٢، ٥/ ٥٢، ٥١٤، ٧/ ٥٧، ٣٨٥، ٥٠٠، ١٠/ ٦٦، ١٧٤، ٤٣١، ١٥/ ٤٩، ٣٣٥
معن بن عدي	٧/ ٤٦٨
مقاتل بن حيان	٢/ ١٣١، ٤٩٢، ٣/ ١٤، ١٨٦، ١٩٧، ٢٠٩، ٢١٣، ٢٢١، ٢٧٦، ٢٧٩، ٣٠٩، ٤٧٠، ٤/ ٤٤٦، ٤٥٢، ٥/ ٦، ١٤٨، ٣١٧، ٣٩٤، ٣٩٨، ٤٨٩، ٦/ ١٦٧، ٤٣٨، ٧/ ٢٤١، ٣٩٩، ٨/ ٤١، ٢١٧، ٣٧١، ٤٩٧، ٤٩٨، ٩/ ٢٧، ٥٥، ١٦٨، ١٨٦، ٢٢٤، ٢٣٩، ٣٤٩، ٣٨٢، ٤٩٣، ١٠/ ١٦، ٢٥٥، ٤٩٠، ٤٩٧، ١١/ ١٧٠، ٢٨٣، ٣٤٠، ٣٨٥، ٤٤٢، ١٢/ ٩، ٢٦، ١٧٤، ٢١٢، ٢١٥، ٣١٣، ٤٤٦، ٤٥٢، ٤٧٢، ١٣/ ١٥٨، ١٧٦، ٢١٧، ٢٢٤، ٢٣٥، ٢٥٠، ٤١٠، ١٤/ ١٧٥، ٢١٦، ٢٨٤، ٣٣٥، ٣٧١، ٣٧٢، ٣٩٨، ٤٥٣، ٤٥٩، ٤٦٥، ٤٨٥، ٤٨٨، ١٥/ ٣٥، ٧١، ١٥٤، ٢٣٧، ٢٥٨، ٣٣٤، ٤٠٥، ٤٧٦، ٤٩٧، ٥٣٦

العلم	الجزء والصفحة
مقاتل بن سليمان	١/ ٥٣، ٧٤، ١٠٥، ١٠٦، ١٢١، ١٣٦، ١٤٤، ١٥١، ١٥٦، ١٦٤، ٢٠٤، ٢٨٠، ٢٩٩، ٣٠٢، ٣٠٨، ٣١٥، ٣٣٠، ٣٥٣، ٣٥٧، ٣٨٢ ٢/ ٧٢، ٩٠، ١٠٣، ١٧٨، ١٨٦، ٢٠١، ٢٨٣، ٣٠٥، ٣٤٠، ٣٤٨، ٤٠٨، ٤١٠، ٤١٣، ٤٢٦، ٤٥٤، ٤٧٢، ٤٩٢ ٣/ ٥، ٤٠، ٤٤، ١٣٥، ١٧١، ١٨٤، ٢٠٤، ٢٠٦، ٢١٢، ٢٤٤، ٢٨١، ٣٠٤، ٣٠٥، ٣٠٩، ٣١٢، ٣٣٦، ٣٥٣، ٣٩٠، ٤١٦، ٤٧٦، ٤٨١، ٤٩٥، ٥١١، ٥١٢، ٥١٢، ٥٢٣ ٤/ ٢١، ٣٥، ٥٤، ٦٠، ٦١، ٧٢، ٨٠، ٨٧، ١٠١، ١٠١، ١٠٤، ١٠٦، ١١٢، ١١٣، ١١٤، ١٢٣، ١٢٩، ١٣٦، ١٤٥، ١٥٩، ١٨٧، ٢٠٤، ٢١٦، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٤، ٢٢٧، ٢٣٠، ٢٤٧، ٢٦٣، ٣٤٣، ٣٧٣، ٤٠٨، ٤٢٤، ٤٤٢، ٤٤٧ ٥/ ١٦، ٤٣، ٦٦، ٦٧، ٧٥، ٧٨، ٩٥، ٩٩، ١٠٦، ١٢٣، ١٣٤، ١٥٩، ١٦٧، ١٨٣، ١٩٣، ٢٤٢، ٢٤٥، ٢٥٣، ٢٥٥، ٢٦٠، ٢٧٦، ٣٠٤، ٣٢٨، ٣٤٥، ٣٤٧، ٣٥٨، ٣٧٥، ٣٩١، ٤٠٠، ٤٠٢، ٤٠٨، ٤١١، ٤١٣، ٤٤٧، ٤٥٨، ٤٨٥، ٥٠٧، ٥٠٩، ٥٤٣ ٦/ ١٧، ١٩، ٢٦، ٣٦، ٤٠، ٥٧، ٦١، ٦٢، ٧٦، ٧٨، ١٢٣، ١٥٠، ١٥٦، ١٦٠، ١٩٠، ٢٠١، ٢٠٥، ٢٠٩، ٢٢٢، ٢٣٩، ٢٦٧، ٣٠٠، ٣٣٦، ٣٤١، ٣٤٩، ٣٩٠، ٣٩١، ٣٩٤، ٤١٥، ٤١٧، ٤٤٢، ٤٤٤، ٤٦٨، ٤٦٨، ٤٨٦، ٥٢٢ ٧/ ١٩، ٢٠، ٥٧، ٥٩، ٦٤، ٦٥، ٧١، ٨١، ٨٣، ١٠١، ١٠٧، ١٣٣، ١٥٩، ١٨٨، ١٩٨، ٢٠١، ٢٢٤، ٢٢٨، ٢٤٠، ٢٦٧، ٢٧٦، ٢٨١، ٢٩٤، ٣١٠، ٣١٦، ٣٦٠، ٣٩٣، ٣٩٨، ٤٠٨، ٤١١، ٤٢٦، ٤٣١، ٤٣٥، ٤٤١، ٤٤٥، ٤٤٧، ٤٥٥، ٤٥٦، ٤٧٣ ٨/ ٢١، ٢٣، ٢٥، ٢٨، ٣٤، ٤١، ٥٣، ٥٨، ٦٤، ٧٠، ٧٤، ٧٥، ٧٦، ٨٩، ٩٤، ٩٧، ١١٣، ١٣٦، ١٥٧، ١٦٦، ١٧٠، ١٧١، ١٧٧، ١٨٩، ١٩٣، ١٩٧، ١٩٩، ٢١٨، ٢٣٧، ٢٤٤، ٢٦٩، ٢٨٤، ٢٨٩، ٣٠٨، ٣١٤، ٣٢٠، ٣٢١، ٣٢٧، ٣٣٤، ٣٧٠، ٣٧١، ٣٧٦، ٣٨٠، ٤٦٨، ٤٦٩، ٥١٤ ٩/ ١٢، ٢٧، ٣٧، ٦٠، ٦٣، ٦٥، ٦٧، ٧٨، ٨٩، ١٠٤، ١١٢، ١١٨، ١٢٢، ١٢٣، ١٣٦، ١٤٧، ١٤٨، ١٥٢، ١٥٥، ١٦٨، ١٧٦، ١٨٥، ٢٢٣، ٢٢٩، ٢٣١، ٢٦١، ٣٠٢، ٣٢١، ٣٢٤، ٣٤٨، ٣٦٤، ٤٢٢، ٤٢٩، ٤٤٨، ٤٧٠، ٤٨٣، ٤٩٠، ٤٩٢

العلم	الجزء والصفحة
مقاتل بن سليمان	١٠/ ١١، ١١٦، ١٥٣، ١٦٤، ٢١٨، ٢٢٧، ٢٣٤، ٢٩٥، ٣٦٧، ٣٧٧، ٤٨٣، ٤٨٥، ٥٢٨ ١١/ ١١، ٩١، ١٢٠، ١٣٣، ١٥٣، ١٦٧، ٢٠٢، ٢١٠، ٢٥٦، ٣١٢، ٣٣٥، ٣٤٠، ٣٤٢، ٣٧٠، ٣٨٤، ٣٩٢، ٤٠٤، ٤٢٣، ٤٣٤، ٤٧٠، ٤٧٢، ٤٧٩ ١٢/ ٨، ٣٣، ٥٧، ١٥١، ١٥٢، ١٥٩، ١٧٤، ٢٠٢، ٢٢٥، ٢٣٧، ٢٧٨، ٢٧٩، ٢٩٨، ٣٤١، ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٦٤، ٣٧٨، ٣٩٢، ٣٩٦، ٤٤٦، ٤٤٧، ٤٧٢، ٤٨٤، ٤٨٥، ٤٩٣، ٤٩٥، ٥٠١، ٥٠٣، ٥٠٧، ٥١٠، ٥١٣، ٥٢١ ١٣/ ١٨، ٢٧، ٣٦، ٤٠، ٤٣، ٥١، ٥٥، ٩٣، ٩٧، ١٣٠، ١٣٢، ١٣٦، ١٣٨، ١٤٠، ١٤٤، ١٧١، ١٧٢، ١٧٦، ١٧٩، ١٨٢، ١٨٧، ١٩٠، ١٩١، ١٩٧، ١٩٨، ٢١٤، ٢٢٧، ٢٣٦، ٢٨٤، ٣٣٦، ٣٤٩، ٣٧٧، ٣٨٩، ٤٠٠، ٤٠٢، ٤٠٨، ٤١٧، ٤١٨، ٤٣٠، ٤٣١، ٤٤٩، ٤٥٦، ٤٥٨، ٤٦٦، ٤٨٩، ٥٠٠، ٥٠٨، ٥٢١ ١٤/ ١٠، ١٦، ٤٠، ٥٣، ٦٨، ٧١، ٧٢، ٩٠، ١١٨، ١٢٢، ١٧٥، ٢٠٦، ٢٠٩، ٢٤١، ٢٥٩، ٢٦٣، ٢٩٨، ٣١٦، ٣٥٤، ٣٨٧، ٣٩٢، ٤٠١، ٤٢١، ٥١٥، ٥٢٠، ٥٢٧، ٥٢٨ ١٥/ ٢٣، ٣١، ٤٥، ٤٧، ٥٢، ٧٧، ٨٦، ١١٣، ١٣١، ١٣٦، ١٤١، ١٦٣، ١٨٨، ٢٠٩، ٢١٤، ٢٣٢، ٢٤٥، ٢٤٩، ٢٥٤، ٢٦١، ٢٦٣، ٢٦٧، ٢٧١، ٢٧٦، ٢٨٧، ٢٩٤، ٣١١، ٣٥١، ٣٥٦، ٣٥٨، ٣٦٨، ٣٦٩، ٣٧١، ٣٧٤، ٣٧٩، ٣٨١، ٣٨٥، ٣٩٥، ٤٠٢، ٤٠٥، ٤٤١، ٤٥٠، ٤٥٣، ٤٦٢، ٤٧٠، ٤٧١، ٤٨٢، ٤٨٤، ٤٨٦، ٥١٩، ٥٢٠، ٥٢٩، ٥٥٦
مقسم	٤/ ٤٨٠
مكحول	٤/ ٤٤٤، ٥/ ٤٧٢، ٦/ ٤٨، ٧/ ١٢، ٢٣٣، ١٢/ ١٢٤، ١٥/ ٢٧٤
منبه بن الحجاج	٧/ ١٣٩
منصور بن عمار	٨/ ٥٤
مهجع مولى عمر	٦/ ٧٨، ٩/ ٤٠٠، ١١/ ٢٠٢
ميمون بن مهران	٧/ ٣٨٩، ١٥/ ٣٧١

العلم	الجزء والصفحة
ميمون بن مِهْرانَ	١٤/ ٤٧٩، ٤٨٠
ميمونة بنت الحارث	٣/ ١١٦، ١٢/ ١٩٠
نافع (القارئ)	١/ ١١٥، ١٥٠، ٢٧٧ ٢/ ٢٩٩، ٣١١، ٣١٦، ٣٤٥، ٣٥٧، ٤٢٤، ٤٣٨، ٤٨٤ ٣/ ٤٢، ٨٥، ٢٥٠، ٢٦٥، ٢٨٨، ٢٩٥، ٣٠٧، ٣٩٤، ٣٩٥، ٣٩٦، ٤٧٩ ٤/ ٥٣، ١٤٨، ٢١٨، ٢٢٩، ٣٠٢، ٥٢١ ٥/ ٢٧، ٣١، ٩٣، ١٦١، ١٦٣، ٣١٤، ٤٠١، ٤٣٨، ٤٧٢، ٤٩٣ ٦/ ٣٩، ٥٤، ٥٥، ٨٥، ٨٨، ٩١، ١٥٥، ١٨٤، ١٩٥، ٢٠٧، ٢٣٧، ٢٧٢، ٣١٣، ٣١٦، ٣٣١، ٣٤٣، ٣٧٤، ٤٥٧، ٤٦٠ ٧/ ٤٣، ٩٠، ٩٨، ١٠١، ١٠٨، ١٥٤، ١٥٧، ١٦٨، ٢١٣، ٤٧٤ ٨/ ٦٣، ٦٤، ١٠٢، ٢٣٠، ٣٤٩ ٩/ ١٥، ١٩، ٩٦، ٢٠٤، ٢٨٧، ٢٨٩، ٣٧٢، ٤١٠، ٤٥٤، ٤٦٠ ١٠/ ٣٦، ٧٦، ٧٧، ٨٣، ١٢٥، ١٣٥، ١٣٦، ١٤٦، ١٤٧، ١٧٩، ١٨٤، ١٨٦، ١٩٦، ٢٣٤، ٢٤٤، ٢٥٤، ٢٦٦، ٣٠٧، ٣٢٧، ٤٨٤، ٥٠٦، ٥٠٧، ٥٢٨ ١١/ ٢٤، ٢٦، ٥٢، ٨٩، ١٣٦، ١٣٧، ٢٢٣، ٤٣٤، ٤٩٥، ٤٩٨، ٥٢٠ ١٢/ ٦٦، ٧٠، ١٠٣، ١٣٤، ١٤٦، ١٥١، ١٧٠، ٢٢٨، ٢٤٦، ٣٣٦، ٣٥٩، ٣٦١، ٣٦٦، ٣٧٣، ٣٧٦، ٣٧٧، ٣٩٢، ٤٤١، ٤٦٢، ٥١٣ ١٣/ ١٨، ١٦١، ١٦٤، ١٩٥، ٢٠٩، ٢٥٧، ٢٦٧، ٢٧٢، ٢٨٥، ٢٩٦، ٣٠٢، ٣٣٦، ٣٣٨، ٣٨٥ ١٤/ ٢٧، ٣٤، ٧٩، ٨٤، ١٤٤، ١٩٢، ٢٥٩، ٣٢٠، ٣٣٣، ٣٨٣، ٤١٢، ٤٣٣ ١٥/ ٦، ٧٤، ١٠٣، ١٠٧، ١١٥، ١٤٨، ١٥٢، ١٥٣، ١٦٧، ٢٠٤، ٢٣٢، ٢٥٢، ٣٢٢، ٣٤٨، ٥٣٩
نافع بن الأزرق	١٠/ ٢٢٨، ٢٢٩، ١١/ ٣٣٩
نسيبة بنت كعب	١٢/ ١٧٤
نسير بن ذعلوق	١٤/ ٥٧٠
نصر بن عاصم	٨/ ٣٦٤

العلم	الجزء والصفحة
نصر بن علقمة	١١/ ٨٥
نصير	٦/ ١٨١
نعمان بن أوفى	٥/ ٥٨
نعيم بن مسعود الأشجعي	٤/ ٢٠٢، ٥/ ١٤٩
نفطويه	٣/ ١٢٧، ٣٢٤، ١٠/ ٤٩، ٩٧، ١٥١، ١٧١، ١٧٧، ٢١٦، ٤٠١، ٤٩٣، ١١/ ٢٦١، ٤٤٥، ١٢/ ٢٧١، ١٣/ ١٩٩، ١٤/ ٥٤، ١٠٣، ١٥٨، ١٦٠، ٢٢٦، ٢٤١، ٥١٢، ٥٣٠، ٥٣٣، ٥٣٧، ١٥/ ٨٩، ١٤٢، ٢٢٢، ٢٢٤، ٢٦٨، ٢٩٩، ٣٢٤، ٤٨٧، ٤٨٩، ٤٩٤
نوف البكالي	١٠/ ١٦٩، ١٨٤، ١٤/ ٥٧٠
نوفل بن أبي عقرب	٨/ ٤٠٩
نوفل بن الحارث	٧/ ٢٥٢
هارون التيمي	١٥/ ٢٥
هارون الرشيد	٦/ ٣٢٩
هارون القارئ	١٣/ ٥٢٦
هارون بن موسى	١/ ٩٩، ٤٤٢
هانئ بن عروة	١٤/ ٤٤٦
هبار بن الأسود	٦/ ٢١٥
هبيرة بن أبي المغيرة	٩/ ٣٦٤
هشام الرازي	٤/ ٤٩٥
هشام بن عروة	٣/ ٢٣٣، ٤/ ٤٣١، ١٤/ ١٧٧، ١٥/ ٥٤٤
هشام بن عمرو	٧/ ٣٨٦
هشام بن محمد	٣/ ٣٤٨
هلال بن أمية	٧/ ٤٦٧، ٥٠٤، ٥٠٦، ٥٠٨

العلم	الجزء والصفحة
هلال بن سياف	٣/ ٢٨٣
هلال بن عويمر الأسلمي	٥/ ١٤١، ١٤٨
همام بن الحارث	٥/ ٦٦
هند بنت الوليد بن عتبة	١٢/ ١٣٧
هند بنت عتبة	٤/ ٢٧٥، ٢٧٨، ٢٧٩، ٧/ ١٥١، ١٤/ ٣٩٨، ٣٩٩
واصل بن السائب	١٥/ ١٩٩
واقد بن عبد الله الحنظلي	٣/ ١٨١، ١٨٣
وحشي	٥/ ٥٦، ٦/ ٨٧، ١٥٩، ١١/ ٢٣٩، ١٣/ ٥٥
وديعة بن ثعلبة	٧/ ٤٦٠
وديعة بن حزام	٧/ ٤٥٩
ورش (القارئ)	٣/ ٣٩٤، ٨/ ٦٤، ٩/ ٢٨٧، ١٠/ ٧٧
وكيع بن الجراح	١/ ٥٦، ١٥٦، ٣/ ٣٠، ١٢/ ١٨، ١٣/ ١٧٩
وكيع بن وكيع الدارمي	١٣/ ٥٠١
وهب بن منبه	١/ ١٠٦، ٣٦٧، ٣٦٨، ٢/ ٨١، ٨٨، ٩٨، ١٩٦، ٣/ ٤١، ٣٠٢، ٣٠٤، ٣٥٣، ٤/ ٤٥، ٧٣، ٧٥، ١٥٨، ٦/ ١٢، ١١٨، ٣٨٣، ٤٠٣، ٤٢٨، ٤٣١، ٤٣٥، ٤٤٨، ٤٥١، ٤٦١، ٤٦٥، ٤٧١، ٤٧٢، ٤٧٦، ٤٨٦، ٤٨٨، ٤٩١، ٤٩٦، ٥٠٤، ٥٠٦، ٥١٧، ٥١٩، ٥٢٦، ٧/ ١٨، ٣٢، ٣٥، ٦٦، ٦٩، ١٧٩، ٨/ ١٢٣، ١٣٥، ٢٣٧، ٣٠٦، ٣٤١، ٣٥١، ٣٥٦، ٣٧٥، ٣٨٠، ٣٨٢، ٣٨٣، ٣٨٦، ٣٨٧، ٣٩٣، ٣٩٨، ٤٠٠، ٤١٠، ٤١٥، ٤٢٤، ٤٢٥، ٤٢٧، ٤٢٩، ٤٣٠، ٤٣٨، ٤٤٠، ٤٤٣، ٤٤٤، ٤٤٧، ٤٥٠، ٤٥٨، ٤٦١، ٤٦٢، ٤٦٦، ٤٧٢، ٤٧٥، ٤٧٧، ٤٧٩، ٤٨٦، ٤٩١، ٤٩٢، ٤٩٦، ٥٠٠، ٥٠١، ٥٠٧، ٥٠٨، ٥٠٩، ٩/ ١٤، ١٠/ ٢٣، ٣٠، ١١٢، ١١٤، ١١٧، ١١٩، ١٢٠، ١٢٧، ١٢٨، ١٢٩، ١٣٠، ١٣٢، ١٣٨، ١٤٠، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٩، ١٧٨، ٢١١، ٢١٨، ٢٦٤، ٢٧٢، ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٨٨، ٣٠٥، ٣٣٣، ٣٣٧، ٤١٢، ٤١٣، ٤٢٤، ٤٢٩، ٤٤٩،

العلم	الجزء والصفحة
وهب بن منبه	١١/ ٣٣٦، ٣٤٢، ٣٥٠، ٣٥٣، ٣٥٦، ٣٦٠، ٣٦٢، ٣٦٤، ٣٨٥، ٣٨٧، ٤٠٤، ٤٠٥، ٤٠٦، ٤٠٨، ٤٠٩، ٤١٠، ٤١٩، ٤٢٤، ٤٢٤، ٤٢٧، ٤٣٠، ٤٤٢، ٤٦٥، ٤٦٨، ٤٨٩، ١٢/ ٦١، ٢٣٥، ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٤٥، ٤٣٠، ٤٣٣، ٤٣٤، ٤٣٦، ١٣/ ١٠٧، ١١٧، ١٢٢، ١٤/ ١٦، ١٧، ٣٧١، ٤٧٣، ٥٥٩، ١٥/ ٢٨٧، ٣٣٩، ٥٤٧
يحيى القارئ	٢/ ٣٥١
يحيى بن أبي كثير	١/ ٤٤١، ٦/ ٣٠٧، ٧/ ٣٨٥، ١٥/ ٨٣
يحيى بن جعدة	٤/ ١٦٩، ٧/ ٥٢٨
يحيى بن زيد	٦/ ٢٥٤
يحيى بن سعيد	١/ ٤٤٣، ٥/ ٤٧٢
يحيى بن معاذ	١/ ٥٢، ٦/ ٣١٩
يحيى بن معاذ الرازي	١٠/ ٢٩٣، ١٣/ ٩١، ١٥/ ٢٤٥
يحيى بن وثاب	٢/ ٢١٧، ٤/ ٢٩٣، ٨/ ٣٦٤
يحيى بن يعمر	٢/ ٤٦٨، ٤/ ٢٩٣، ٦/ ١٣٧، ٢٥٤، ٧/ ٩٧، ٨/ ٣٦٤
يزيد	٢/ ٤٨٤
يزيد الرقاشي	١٤/ ٥٧٠
يزيد النحوي	١٥/ ٤١٧
يزيد بن رومان	٩/ ٢٢٧، ١٢/ ١٦٤
يزيد بن سفيان	٧/ ٣٨٦
يزيد بن شجرة	٨/ ٥٤، ٩/ ٦٦
يعقوب	٢/ ٣٠٤، ٣١٧، ٥١٠، ٤/ ١٥، ٥/ ٥٢٨، ٦/ ٣٢، ٥٤، ٨٥، ٨٨، ١٣٥، ١٦٢، ١٨١، ١٩١، ١٩٥، ٧/ ٣١٥، ٣٧٩، ٤٥٢، ٩/ ٤١٠، ٤٧٧، ١٠/ ٧٢، ١١/ ٣٤٣، ٤٩٨، ١٢/ ٢٢٥، ٢٤٨، ٣٧٧، ١٣/ ٤٠٠، ٤٨٨، ١٤/ ٣٢٨

العلم	الجزء والصفحة
يعقوب الحضرمي	٤/ ٢٨٦
يعلى بن أمية	٥/ ١٧٢
يعلى بن حكيم	٥/ ٢٤٠
يعلى بن عطاء	١٥/ ٨٧
يمان بن رئاب	١/ ١٢٣، ٢٠٤، ٣٥٣، ٣/ ٤٨٦، ٤/ ٢٢٢، ٢٤٥، ٢٥٣، ٥/ ١٦٩، ٣٦٧، ٤٣٢، ٦/ ١٨٤، ٢٠١، ٧/ ٢٦، ٧١، ١٦٠، ٢١٩، ٣٥٤، ٤٤٧، ٤٤٨، ٥١٢، ٥٢٣، ٨/ ١٢، ٩/ ٤٤٨، ١٤/ ٣٣، ١٧٩، ١٨١، ٢٥٣، ٥٣١،، ١٥/ ١١٥، ١١٦، ١٥٤، ٣٥٨، ٥٠٤، ٥٣٥
يونس البصري	١/ ٣٤٢، ٧/ ٣٨٣، ١٤/ ٥٥٧
يونس بن عبد الأعلى	١٠/ ١٨٣
يونس، أبو عبد الرحمن الضبي	٢/ ٤٥٧

* * *

فهرس الأشعار

الكلمة	اسم الشاعر	رقم الصفحة
	(ء)	
الثَّناءُ		٨/ ٤٨٣
سواءُ	حسان بن ثابت	١١/ ٤٩٣
غَناءُ	النابغة	١٥/ ٢٢٤
الفداءُ	حسان بن ثابت	١٢/ ٢٥٦
ماؤه		٧/ ٤٦٦
نساءُ	زهير بن أبي سلمى	١٣/ ٥١١
وتَنْكَؤُهَا	ابن هرمة	٩/ ١١
الأحياءِ	عدي بن رعلاء الغساني	٢/ ١٩٤
أسمائي		٩/ ٢٣٣
بُكَائِيا	الفرزدق	١٤/ ١٤٣
صمَّاءِ	بشار بن برد	١/ ٣٦١
	(ب)	
الأحبابا		٢/ ١١٧
تسلُبَنِّيا		١١/ ١٠٢
تصعَّبا		٧/ ٥٢٣، ٨/ ٩١
تَؤوبا	بنت عتيبة بن الحارث اليربوعي	١/ ٢٩، ٦/ ٤٧٤

الكلمة	اسم الشاعر	رقم الصفحة
حَرْباً	محمد بن أبي صفر	٦/ ٥٨، ٧/ ٢٦٩، ١٣/ ٤١٢
حسابًا		١٥/ ١٩١
الخُطَبا	أبو النجم	١٠/ ٢٦٩
دَبيبا		١٢/ ٢٥١
ذيبَا مغلوبا		٦/ ٨٢، ٧/ ٣٥٨
رُكُوبا		٣/ ١٣٠
غضبا	الأخطل	١/ ٣١٠
كِلاباً	جرير	٣/ ٣٨٧
مَرْكبًا	عبيد الله بن قيس	١٥/ ٢٧٢
نَصِيبًا	العباس بن الأحنف	٤/ ٢٠٦
وَاصِبًا	أبو الأسود الدؤلي	٩/ ٢٨٠
أجربُ	النابغة	٥/ ١٣٩
الأريبُ	عبيد بن الأبرص	١/ ٢٦٨
أشهَبُ		٦/ ١٠٠
أكتبُ		٣/ ٥٠٣
أُلاعِبُهْ جوانِبُهْ مراكبُه		١٣/ ٥١٨
تعذيبُ	عبيد بن الأبرص	١٢/ ٢٢٧
تغيْبُ	الحلاج	٨/ ١٧
تَكْذبُ		١١/ ٥٧
تَنُوبُ		٣/ ٣٣٠

الكلمة	اسم الشاعر	رقم الصفحة
جُندبُ	هني بن أحمر	١٥/ ٥١٧
ذنوبٌ	مختلف النسبة	٨/ ٤٦٠
ذَنوبُ		١٤/ ٦٦
ذُنوبُ		٦/ ٤٣٢
سارِبُ	الأخنس بن شهاب التغلبي	٩/ ٢٨
شرَّابُ الصَّابُ	أبو نواس	٩/ ٤٥٠
ضارِبُ		٤/ ١٣٨
طِلابُها	أبو ذؤيب	٤/ ٢١٥
عَذْبٌ	أبو إسحاق الصابئ	٩/ ١٠٩
عواقبُه	أبو تمام	١٥/ ٣٢٨
فتَصوَّبوا	النابغة	١٠/ ٣٩٠
فصَلِيبُ	الراعي	١/ ٢٩٢
قَرِيْبُ	هدبة بن خشرم	٩/ ١١٣
لغريبُ	ضابئ بن الحارث البرجمي	٥/ ٤٤٣
مجيبُ	كعب بن سعد الغنوي	٣/ ٩٥ ١٣/ ٢٣٩
مَذْهَبُ	النابغة الذبياني	٢/ ٣٣٤ ٤/ ٢١٢
مُغتابُ عابُو	الحسن بن هانئ	٢/ ٥٧
ملاعبُه	ذو الرمة	٢/ ٢٠٩
الملتمس		١/ ٢١٥
واهِبُ	أبو فراس الحمداني	٩/ ١٩٧

الكلمة	اسم الشاعر	رقم الصفحة
يتذبذبُ	النابغة الذبياني	١/ ٤١٦، ٢/ ٣٩٢، ٥/ ٢٣٤
يَصُوبُ	علقمة بن عبدة	١/ ٣٦٥، ٨/ ٣٨٤
يَغيبُ		٧/ ٣٢٣
يؤوب	كعب بن سعد الغَنَوي	١٥/ ٤٥٨
الأجربِ	لبيد	٧/ ٤٩
الأدبِ		١٤/ ٥٢٨
الألباب		٥/ ٤٠٥
بالإيابِ	امرؤ القيس	١٤/ ٣١
بالعذْبِ الغَرْبِ	ابن الكوني، أبو الحسن بن عبد الجبار	٩/ ٣٣
بإيَابه		٧/ ٢٩٣
بتأديبها		١٣/ ١٠٠
بريبِ	الهذلي	١٢/ ٢٧٨
به	أبو العتاهية	٩/ ١٤٠
به		٦/ ٣٦٠
بهوبِ فأجيبوا	محمد بن رزق القرطبي	٨/ ٤٩٠
تأديبي		١٢/ ١١٧
تَذْبِيْبِ	الفرزدق	١٤/ ٤٨٣
ذَنبِ	ثعلب	١٣/ ٥٩
ذهاب	أبو العتاهية	١١/ ٤٠٤
الرِّقابِ	عمرو بن الأبهم التغلبي	١٠/ ٦٧

الكلمة	اسم الشاعر	رقم الصفحة
عَجَبِ		٤/ ٤٢٣
فحسبي	أبو نواس	٦/ ٨٤
القُشُبِ	تمام الطائي	٦/ ٣٤٥
كالزَّبِيْبِ	الأعشى	٢/ ٢٥٠، ١٥/ ١٧١
الكتائب	النابغة الذبياني	١٣/ ٣٢
الكواذبِ	عبد الله بن طاهر	٥/ ٥٠٦
الكواعب الذوائبِ		١١/ ٥٧
الكواكب	النابغة الذبياني	٧/ ٥٢٢، ٩/ ١٨٣، ١٣/ ١٩١
لأَربابِها	حميد بن ثور	٢/ ٨٥
للتُّرابِ		١/ ١٤٢
مُحْتَجِبِ	أبو تمام	٦/ ٣١
	(ت)	
خُفُتْ سَبَتْ تمُتْ	أبو العتاهية	١٢/ ٣٥
شُتُتْ	أبو العتاهية	١٠/ ١٨٧
أتيْتَا هَيْتَا		٨/ ٣٦٣
تا	حكيم بن معية	١/ ١٩٥
فاتنا		٨/ ٢٠٦
لهيَّتا		٨/ ٣٦٣
مُقِيتَا	الزبير بن عبد المطلب	٥/ ١٣٥

الكلمة	اسم الشاعر	رقم الصفحة
قوتُ	محمد بن أبي العتاهية	١/ ٢٦٨
تَقَلَّتِ	كثير عزة	٢/ ٣٠٣ ٧/ ٣٧٣ ٨/ ٤٩٧
الثُّبَّتِ	العجاج	٤/ ٤٣
الممات	أبو الحسن المصري الضرير	٢/ ٣٤٣
	(ج)	
تُهَمْلِجُ	النابغة الجعدي	١١/ ٣٩١
	(ح)	
وضَحْ البَلَحْ اجترحْ	أبو الدحداح	٣/ ٢٩٢
رمحا	عبد الله بن الزبعرى	٨/ ١٠٣ ٤/ ٤٣٢
شيحا	يزيد بن الطثرية	١٤/ ٢٤
الرِّياحُ	مالك بن الحارث الهذلي	٣/ ٢٢٩
قبيحُ الصَّبيح الضَّريحُ مُستريحُ	آدم عليه السلام	٥/ ٣٦٨
المتنصِحُ	الرياشي	٦/ ٤١٧
مذبوحُ	أبو ذؤيب	١٠/ ٦٨
ذبائحِ	زياد الأعجم	٥/ ٣٤١
راحِ	جرير	٢/ ٥٢ ٧/ ٦١

الكلمة	اسم الشاعر	رقم الصفحة
النَّصوحِ		١/ ٢٨٥
النَّوابح	أبو جلدة اليشكري	٤/ ٦٤
	(د)	
الجَلَدْ وَرَدْ	هبة الله بن المنهجم	٩/ ٣٢٧
الصَّمَدْ	الأسدي	١٥/ ٥٣٦
مسوَّدْ مُقيَّدْ غَدْ يحصُدْ	علي بن أبي طالب	١٥/ ١٤٤
يجد	أبو الفرج عبد الواحد الببغاء	٧/ ٢٦٨
استَفادَا أَرادَا		٥/ ٣٨٢
بَردًا	عمر بن أبي ربيعة	١٥/ ١٨٨
تَمجَّدا		١/ ٢٨
جُحودا		٧/ ٢٧٤
جَلمَدَا	الأحوص الأنصاري	٢/ ٢٤١
حدًّا	قطرب	١٠/ ٢٤٧
سُجَّدا ممجَّدا		١/ ٢٦
سجوداً		٩/ ٣٩٠
فاعبُدا	الأعشى	٨/ ٣٨٦
مَزَادَه		٦/ ٢٢٩
معبَّداً	حاتم الطائي	١/ ١٢٩
ووُلْداً	الحارث بن حلزة	١٠/ ٧٣

الكلمة	اسم الشاعر	رقم الصفحة
أريدُها	الفرزدق	١٥/ ٣٣٨
بعيدُ		٧/ ١٩١
تَعودُ		٦/ ٦٩
تَعودُ	النابغة الذبياني	١/ ٣٣
تِلادُكَ	عمرو بن الحارث	١/ ٣١
الجاحِدُ واحِدُ شاهِدُ	أبو العتاهية	١٥/ ٢٨١
جَدُّه	أبو نواس	٢/ ٣٥ ٦/ ٢٩٧ ١٥/ ٣٦٥
حامِدُ	المتنبي	٦/ ٨٤
حَدَدُ	ورقة بن نوفل	٣/ ١٠٤
دُ	ذو الرمة	١٤/ ٢٢٨
سَبَدُ	الراعي النميري	٧/ ٣٨٣
سجدوا	سلامة بن جندل	٢/ ٨٥
سعدُ	مختلف النسب	٨/ ٢٩١
العبيدُ		٦/ ٥٢٨
عبيدُها	ذو الرمة	١١/ ٤٨
الفَرْدُ	حسان بن ثابت	١٤/ ٥٣١
مزيد		١١/ ١٧٨
مَعَدُّ	أبو دؤاد الإيادي	١٤/ ١٥٥
منهَّدُ	جرير	٧/ ٢٣٩

الكلمة	اسم الشاعر	رقم الصفحة
مَورِدُ		١١/ ١٦
نَديدُ	جرير	١/ ٤٠٨
نقعدُ	امرؤ القيس	١٠/ ٢٦٩
وَعَدوا		١١/ ١٤٧
يُريد		٦/ ٥١١
الأبد		١/ ١٤٢
أحدٍ	أبو بكر الشبلي	٨/ ٤٦٩ ٩/ ٢٢٢
أحدِ		١٣/ ٢١٦
أنجدِ	دريد بن الصمة	١٤/ ٥٤٤
الأوتادِ	أسود بن يعفر النهشلي	١٢/ ٤٧٢ ١٥/ ٣٣٨
بالمقالِدِ	أبو تمام	١٤/ ٣٨٠
باليَدِ	أبو الهذيل	٩/ ٤٤
بأوحَدِ	طرفة	١٢/ ٢٦
بتوحيدِ		٣/ ٥٠٣
بِسَرْمَدِ	طرفة	٨/ ١٠٤
بمردود	هانئ بن شكيم العدوي	٨/ ٤٨٧
بنجد	الكسائي	٢/ ٤٦٤ ٤/ ٤٥٤
تزوَّدِ	طرفة	١٢/ ٣٧٨
الجرادِ		٣/ ٢١٦
الجَلَدِ	النابغة الذبياني	٢/ ١٠٥
الرُّقاد	أبو عبد الرحمن النيلي	٤/ ٢٩٧

الكلمة	اسم الشاعر	رقم الصفحة
زادِي	عبيد بن الأبرص	٢/ ٥٠١
السَّدادِ التَّنادِ ارتدادِ الأولادِ المعادِ	أبو الدحداح	٣/ ٢٩٢
عُقَدِهْ	أبو تمام	١٥/ ٥٤٩
غادِ		١/ ٣٣٦
الغَدِ	عدي بن زيد	٦/ ١٨١
فؤادِي	كثير عزة	١٢/ ٤٦٣
القرودِ		٦/ ٢٢٧
لخالد		١١/ ٥٩
لِوُرَّادِ	القطامي	٩/ ٢٨٧
المتشدِّد	طرفة بن العبد	١٥/ ٤٥٢
مُخْلِدِي	طرفة	٢/ ٣٠٢
المدَّد	دريد بن الصمة	١٢/ ١٦٢
المُسَرَّدِ	دريد بن صمة	٦/ ٣٩٢ ٨/ ٥١٧
معبَّد	طرفة	١/ ١٢٨
المعبَّدِ	طرفة	١/ ١٢٩
المَلْحَدِ المَولدِ بالسَّرْمدِ		٦/ ٣٧٦
الممتاد	رؤبة	٥/ ٥٢٨

الكلمة	اسم الشاعر	رقم الصفحة
المَنْجُوْدِ	أبو زبيد الطائي	٨/ ٤١٣
مُوقِدِ	الحطيئة	١٣/ ٢٨٣
النَّفَدِ	لبيد	٩/ ٣٨٦
الواحد		١٥/ ٤٩٣
الواحد		١١/ ١٨٢ ١٥/ ٢٧٣
ولد	النابغة الذبياني	١٠/ ٧٣
اليدِ		١/ ٢٧
يهودِ	تبع اليماني	١٠/ ٣٧٥
	(ذ)	
لذيذٍ	الفرزدق	١٤/ ٢٦
	(ر)	
اعْتَذَرْ	لبيد	١/ ٤٨
تامِرْ	الحطيئة	١٢/ ٣٧٠
تنتَظِرِ	امرؤ القيس	١٥/ ٣٦٢
زَهَرْ		١٥/ ١٤٦
مُنهَمِرْ	أوس بن حجر	١٣/ ٢١٥
اسحارا	محمد بن حازم الباهلي	٦/ ٤٣٩
أَضمَرا	الفرزدق	١٢/ ٢٦٠
إمراً	أبو عبيدة	١٠/ ١١٥
أنَارَا	أبو دؤاد	٣/ ١٠٢
أنكَرَنْ	الأعشى	٢/ ٥٢٨

الكلمة	اسم الشاعر	رقم الصفحة
برَّت	كثير عزة	٣/ ٢٢٢ ٥/ ٤٧٥
بقيصرا فنُعذَرا	امرؤ القيس	٤/ ١٣٨
جارا دارا		٦/ ٢١٢
جَرْجَرَا	امرؤ القيس	٣/ ٤٠٤
الزُّورَا	أمية بن أبي الصلت	٥/ ١٤٣
الصِّغارا		٣/ ٣٧٨
الفَقِيرا	عدي بن زيد	٢/ ٢٠٧
القَفَنْدرا	أبو النجم	٦/ ٢٩٨
لأكبرا المزعفرا	المخبل السعدي	٣/ ١٧
المِسْمارَا	الشبلي	٨/ ١٨
مَصْدَرا	الفراء	١٢/ ٢٠٥
مَظْهرا	النابغة الجعدي	٦/ ٣٤٥
منشَّرا	امرؤ القيس	١٢/ ١٩
نزرا		٦/ ٥٢٨
هَجَّرا	امرؤ القيس	٣/ ٨٢
إدبارٌ	الخنساء	٨/ ٢١١
إعصارُها	نافع بن لقيط	١٥/ ١٨٢
أميرُها	جرير	٤/ ٣٩
بحورُ		٦/ ٣٦٠

الكلمة	اسم الشاعر	رقم الصفحة
البَشَرُ	الحطيئة	١٣/ ٦٥
البَصَرُ	لبيد	١٤/ ٢٥٣
بور	ابن الزبعرى	١١/ ٢٠٠
تَذَرُ	زهير بن أبي سلمى	١٥/ ١٢٦
حُضورُ		٧/ ٤١٢
ديَّارُ	سعيد بن زائدة	١٠/ ٢٦١
زورُ	زهير بن أبي سلمى	١١/ ١٠٩
سِتْرُ	أبو نواس	٩/ ٢٢٧
السرار	بشار بن برد	١٤/ ٤٣٢
السُّرور حضورُ		٩/ ٣٣١
صبرُ	أبو تمام	١٠/ ٣٦٩
الصَّدْرُ	حاتم الطائي	١٢/ ٤٩٨
الصُّدورُ	العباس بن مرداس	٣/ ٣٤١
عارُها	أبو ذؤيب الهذلي	٩/ ٧٦
عَامِرُه	عبد الله بن الدمينة	٨/ ٢٢٤
العُذْرُ	حاتم الطائي	١٥/ ١٦٤
العَزْرُ	القطامي	٥/ ٣٣١
فاخِرُ	الفرزدق	٣/ ١٤٢
الفرارُ	بشر بن أبي خازم	٦/ ١٤٧
فمهجِّرُ	عمر بن أبي ربيعة	٤/ ٣٩
قبورُ	أبو بكر الشبلي	٢/ ١٥٩
القبورُ	عدي بن زيد العبادي	١/ ٢٦٨

الكلمة	اسم الشاعر	رقم الصفحة
الكُبارُ	الأعشى	١/ ٣١
المقادِرُ	ذو الرمة	١٠/ ١٣
منظرُ	كثير عزة	١٢/ ٢٤٨
نارُ	الخنساء	١٣/ ٢٤٤
نُسَر	نمر بن تولب	٩/ ٩٩
هَجَروا		١/ ٢٦٧
وزيرُ		١١/ ٥٩
وفرُ	خالد بن الطيفان	٢/ ١٨٣
يَتَنصَّرُ	ذو الرمة	٢/ ٤٧٤
يَجْتهِرُ	الأخطل	٢/ ١٩٠
يزيرُ كثرُ	مختلف النسبة	٨/ ١٨٧
يُساورُه	أبو الفضل الكناني	١٢/ ٤٩٧
القَطْرُ	ذو الرمة	١١/ ٣٤٣
أجرِ	أعشى بن ثعلبة	٢/ ٩١
اختياري	محمد بن وهب	٢/ ٥١
اعْتِصَارِي	أبو زبيد الطائي	٨/ ٤١٤
بأسيارِ	سالم بن دارة	١/ ٢٠٥
بالخبرِ	عبد الله بن رواحة	١١/ ١٤١
بالسُّوَرِ	الراعي النميري	١٤/ ٥٢٦
بأمير		١٤/ ٤٨٤
البَحْرِ	ذو الرمة	٨/ ١١
بكرِ	أراكة بن عبد الله الثقفي	٤/ ١٠

الكلمة	اسم الشاعر	رقم الصفحة
بمقادير البير		٩/ ٤٢٨
تاجر		٤/ ٢١
التفسير النذير الهجير يَسير قصير التوقير التبصير بالتنوير المنير والتقرير غزير غدير كبير التحبير بصير كثير الضمير السعير مجيري	النسفي (المؤلف)	١٥/ ٥٥٨
الجُزْرِ الأُزُرِ	الخرنق بنت بدر بن هفان	٣/ ٧٠ ٥/ ٢٥٩
حاضرِ الخوادرِ العساكرِ قاهرِ مُنافرِ المقابرِ	حسان بن ثابت	١٣/ ٤٩٣

الكلمة	اسم الشاعر	رقم الصفحة
حرٍّ		٧/ ٢٨٥
حميرِ	لبيد	١/ ٢٦٨
الخَمْرِ	المسيَّب بن علس	١٥/ ١٤٩
الدَّهرِ	محمد بن جرير الطبري	٧/ ٢٢٠
الشُّكْرِ		٥/ ٢٣٧
الشَّهْرِ الوَبْرِ الجَمْرِ النَّجْرِ	ابن حبيب	١٤/ ٥٥٩
عَارِ	عمران بن حطان	١٥/ ٢٠١
عَبْقَرِ	لبيد بن ربيعة	١٤/ ٢٢٨
العِذَار	أبو نواس	٤/ ٢٩٧
العُسْرِ اليُسْرِ		٨/ ٢٤٣
عَوَرِي	تميم بن أبي مقبل	٩/ ١٧١
الغارِ بإظهارِ بكفَّارِ النارِ	أبو بكر الصديق	٧/ ٣٥٢
الفاخِرِ	الأعشى	٢/ ٥٧، ٧٨ ١١/ ١٠٥ ١٢/ ٣٥٧
كَفْرِ	حميد بن الأرقط	١/ ١٧٣
للحوافرِ	زيد الخيل	٩/ ٢٧٨

الكلمة	اسم الشاعر	رقم الصفحة
للكاثِرِ		٢/ ١٩
المسحَّر	لبيد	١١/ ٢٩٧
مَعْشَرِ	عبيد بن أيوب	١٤/ ٤٣٢
المقابرِ	حسان بن ثابت	٢/ ٢٨٨ ١٠/ ٥٢١
ممطور		١/ ٢٧٢
مِئزَرِي	الهذلي	١٤/ ٥٤٤
نظيرِ		٨/ ٣١٥

(س)

الكلمة	اسم الشاعر	رقم الصفحة
أُناسَا	النابغة الجعدي	٣/ ٩٨ ٩/ ٣٤٤
أَنْفُسا	امرؤ القيس	١٠/ ١٨٦
بوسَها	بيهس الفزاري	١٠/ ٤٢١
لِباسَا	النابغة الجعدي	٣/ ٩٨
لَمِيسَا	عبد الله بن عباس	٣/ ١٣١
وأبلسا		٣/ ٣٢٨
أَحُسُّه		٦/ ٤٠٢
الأمسُ	ابن الرمي	٨/ ١٠٧
أنيس	جران العود	٥/ ٤٤٢
رأسُ		١٠/ ٤٤١
شَامِسُ		٢/ ٢٢٨
شُوسُ	أبو زبيد الطائي	١٠/ ٣٣٦
الفوارسُ	ذو الرمة	١٠/ ٣٧

الكلمة	اسم الشاعر	رقم الصفحة
لباسُها	المرقش	١٠/ ٦٩
هموسُ	أبو زبيد الطائي	١٠/ ٣٤٣
وطرسوس		٧/ ٣٣٨
نَفْسِي	عمرو بن معدي كرب	٨/ ٤٦٨
نُكْسِهِ	صالح بن عبد القدوس	٥/ ١٢٥
	(ص)	
خمائِصَا	الأعشى	٥/ ٣٠٣
تَبوصُ	امرؤ القيس	١٢/ ٤٦٥
خَميصُ		١/ ٢٩٢
	(ض)	
عرضاً		٣/ ٤٠٥
الحائض		٣/ ٢٢٨
عَرضي	العداد	١٢/ ٦٦
للأغراض	أبو تمام	١٠/ ٣٦٩
	(ط)	
الباسِطِ	الحليل ن أحمد الفراهيدي	١٥/ ١٩٨
نِيَاطِهِ	محمد بن عيينة بن أبي صفرة	١/ ١٢٦
	(ع)	
ممنوع		٢/ ٩٠
انْقِطاعاً	عمير بن شييم القطامي	٩/ ٤١٨ ١٢/ ٣٨٩
تُباعا	القطامي	٥/ ٢٧٦
تَقطّعا		٢/ ١٢٦

الكلمة	اسم الشاعر	رقم الصفحة
الصَّلَعَا	الأعشى	٨/ ٢٣٥
فأَسمعا تا	القيم بن سعد بن مالك	١/ ١٩٥
مدفعا	امرؤ القيس	٩/ ٦٩ ١٤/ ٣٩٤
أبدَعُ توجُّعُ		٨/ ٣٨٤
أتقنَّعُ	غيلان	١٥/ ٨٧
أَركعُ	لبيد	٢/ ١٤٧
الأصابع	لبيد بن ربيعة	١٠/ ١٢٣
أضع	دريد بن الصمة	٧/ ٣٦٣
تابعُ	حسان بن ثابت	٧/ ٤٩ ٨/ ١٠
تُبَعُ	أبو ذؤيب	٨/ ٢٧
تُتَبَعُ يُصْطَنَعُ	حسان بن ثابت	١٣/ ٤٩٢
تَسمعُ		٣/ ٢٨٥
تَقَطَّعُ	أوس بن حجر	٨/ ٤٧٠
تَقَطَّعُ	كثير عزة	١٣/ ٦٠
تقعُ		٧/ ٢٥٧
الخُشَّعُ	جرير	٩/ ١٥٥
دافِعُ	كعب بن مالك	١٣/ ٨٤
راقِعُ	جرير	١٤/ ٥٦٢
رائعُ واقعُ		٥/ ١٨١

الكلمة	اسم الشاعر	رقم الصفحة
الرُّبُعُ القَزَعُ نَرْتَفِعُ		١٣/ ٤٩٢
رُبَعُ فاندفَعوا	مالك بن حريم	١٥/ ١٥٧
الزعازع	الفرزدق	٧/ ١٥
سابعُ	النابغة	٣/ ١٢٧
مُجمَع		١٠/ ٣١٠
مشفَّعُ		٧/ ٣٦١
مُفَجَّعُ المستودُ	سليمان بن يزيد العدوي	٦/ ١٦٤
مقنَّعُ فأربعُ	كعب بن مالك	٧/ ٢٠١
مُهْطِعُ	تبع	١/ ١٣٠
هُجوعُ	عمرو بن معدي كرب	١/ ٣١٢
وَجيعُ	عمرو بن معدي كرب	٣/ ٥٠٧ ٥/ ٢٢٧ ١٠/ ٦٧
الوَدائعُ	لبيد	٦/ ١٦٣
يرتعُ		٧/ ٣٤٢
يُسارِعُ مُتخادِعُ		٧/ ٣٩٤
يُقْلِعُ	أبو ذؤيب	١/ ٣٦٥
الأقرعِ مَجمعِ يُرفعِ أُمنعِ	العباس بن مرداس	٧/ ٣٨٦

الكلمة	اسم الشاعر	رقم الصفحة
بجائع	أم عباس	١٥/ ١٩١
جياع		٥/ ١٠٠
جِيَاعِ		٢/ ١٤٢
الذِّراعِ ضياعِ بانتزاعِ الباعِ	فاطمة بنت النبي	١٥/ ١٤٤
شفيعِ		٢/ ٥٧
فارعِ راجعِ	مقيس	٥/ ١٥٧
القُنوعِ	الشماخ	١٠/ ٥٠٢
واسعِ القاطِعِ ساطعِ القارعِ القادِعِ السَّامعِ الخادِعِ الهاجِعِ الجائعِ ناقِعِ التَّابعِ بالرَّاجعِ	حسان بن ثابت	١٤/ ١٠١

(غ)

الكلمة	اسم الشاعر	رقم الصفحة
صابغُ دابغُ	ثعلب	٢/ ٤٨٢

الكلمة	اسم الشاعر	رقم الصفحة
بالدِّباغِ صِباغِ		١٠/ ٤٥٠
	(ف)	
مختلِفْ	أبو النجم	١/ ١٩٩
الإيجاف		١/ ١٩٦ ١٤/ ٨
تكلُّفا		٥/ ٩٧
التَّلَفا		١٠/ ٢١٤
دَلَفَا	أبو تمام	٣/ ١١٩
السيوفا	كعب بن مالك	٧/ ٤٧٧
الفا	غيلان بن حريث	١٢/ ٢٧٥
فا		١/ ١٩٦
فأَضْعَفت		٦/ ٣٦٠
فَأَضْعَفتْ		٩/ ٤٣٨
أَخْلَفوا		٦/ ٥١٣
أعرِفُ		٥/ ٦٩ ٩/ ١٥٨
أُلوفُ	المتنبي	٢/ ٥٧
توصفُ	ابن الرومي	١٢/ ٨٢
طرفُ	جرير	١٠/ ٤٠٥
المُعَرَّفُ	جرير	٣/ ١٤٢
نأتلِفُ		٥/ ٤٤٣
بخفوفِ	عمير بن الجعد	٦/ ٢٦٣
تَحَنَّفِ	أبو الأخرز الجماني	٢/ ٢٢٨

الكلمة	اسم الشاعر	رقم الصفحة
تَفِي		٦/ ٥٠٣
خلافِ		٤/ ٣٦٣
عفافِ إلافِ		١٥/ ٤٩٦
مَنافِ إكتاف للأضيافِ كالكافي الإيلافِ عجافُ الأصيافِ		١٥/ ٤٩٥

(ق)

الكلمة	اسم الشاعر	رقم الصفحة
البَهَقْ	رؤبة	٢/ ٢٤٨
التَّوَّاقْ		١١/ ٢٧٢
ساقْ	أبو البلاد خليفة بن البلاد	١٤/ ٥٤٣
ذاقا	المتنبي	٤/ ٣٨٦
رَفِيْقَا	شييم بن خويلد	٨/ ٢٥٤
الطَّريق		٤/ ٤٧٥
الأُفُقُ نَخْتَرِقُ	العباس بن عبد المطلب	١٣/ ٧٢
زنديقُ الصِدِّيقُ	نجم الدين	٩/ ٣٦٦
الطريقُ		٧/ ١٧٦
طريقُه		١١/ ١٧٥
طليقُ	يزيد بن مفرغ الحميري	١٠/ ٢٧١

الكلمة	اسم الشاعر	رقم الصفحة
عَلُوقُها	عامر بن سعد النمري	١٣/ ٨٥
فَرُوقُ	حميد بن ثور	١١/ ٣٣٠
مخلوقُ		٣/ ٣٣٠
موفَّقُ	الأعشى	١٥/ ٢٦٦
يَنْعِقُ		٦/ ٥١١
أرزاقها	البلاذري	١١/ ٤٢١
عُراقها		١٤/ ٥٤٤
الحَدَقِ	أبو طالب محمد بن علي بن عبد الله	٨/ ٣٥٥
سَمَلَقِ	زهير بن أبي سلمى	١/ ٩٢
شِقاقِ	بشر بن أبي خازم	٥/ ٤٤٢
الصَّديقِ	علي بن أمية	١٥/ ٧٣
طَبَقِ الفَرَقِ	الأقرع بن حابس	١٥/ ٢٧٤
طريق	كثير عزة	٤/ ٥١١
الطريقِ		١٢/ ٢٢٩
عاقِ		٧/ ٤٧٥
الفلق	رؤبة	٦/ ٣٠٧
مُرَاقِ	عوف بن الأحوص الكلابي	٦/ ١١١
مهراقِ	بعيث	٢/ ٤٢
النَّمارقْ النَّمارق وامقْ	هند بنت طارق بن بياضة الإيادية	٤/ ٢٧٨

(ك)

الكلمة	اسم الشاعر	رقم الصفحة
إيثارَكا	أبو خالد القناني	١/ ٤٧

الكلمة	اسم الشاعر	رقم الصفحة
ثانيكا مَساويكا	محمد بن سماك	١٥/ ٢٤٦
دياركا		٧/ ٤١٢
ذلكا	خفاف بن ندبة	١/ ٢٠٣
عاداكا قُراكا	عبد المطلب	١٥/ ٤٨٣
عزائِكا نسائكا	الأعشى	٣/ ٢٢٩
سَوافِكُ	القشيري	٨/ ٤٤
فَدَكُ	زهير بن أبي سلمى	١/ ١٢٢
الدَّوَالكِ	ذو الرمة	٦/ ١٢٧
	(ل)	
جدلْ	لبيد	٩/ ٤٦٤
سَأَلْ	لبيد	٢/ ٤٧
عَقَلْ	لبيد	١/ ٢٦٨
نَزَلْ		٥/ ٤٥٧
أبوالا	أمية بن أبي الصلت	٦/ ٤٣٣
إهلالا	جرير	٢/ ٥٨
تبلت	الشنفرى	٢/ ١٥٠ ١٠/ ١٨٣
تَعَذَّرا	امرؤ القيس	٤/ ٣٢٩
تموّلا	جرير بن ثعلب الطائي	٨/ ٣١
حللك محالك لك	عبد المطلب	١٥/ ٤٨٢

الكلمة	اسم الشاعر	رقم الصفحة
رجالا	جرير	١٤/ ٤٣٢
طويلاً	جرير	١٠/ ٢١٦
العضائلا	رؤبة	١٠/ ٢٤٧
فَشَلَّتِ	كثير عزة	٣/ ٤٧٨
قليلاً		٦/ ٥١٢
معسولًا	عمرو بن قنان	٦/ ٥٩
مَقالاً	الحطيئة	١/ ١٤٥
يَزولا الوُعولا ثقيلا	أمية بن أبي الصلت	٧/ ٧٧
أُحِلُّه	ضباعة بنت عامر	٦/ ٣٢١
أصيلُها	الأخطل	٤/ ٢٥٨
أطولُ	الفرزدق	١٢/ ٢٧
البَصَلُ	أمية بن الصلت	٢/ ٢١٨
البَطَلُ		١/ ٣٣
تُقبِلُ		٧/ ٤٦
تَنْزِلُ	حسان بن ثابت	٩/ ٧١
الجمل	لبيد بن ربيعة	١٤/ ٣٠١
حالك		١٤/ ١٨٠
حليلُها	فراص بن عتبة الأزدي	١٤/ ٩٢
حَواصِلهُ	الحطيئة	٢/ ٢٤٨
دخيلُ		٦/ ٣٣٤

الكلمة	اسم الشاعر	رقم الصفحة
رجلُ قبِلوا عملوا		١١/ ٣٧١
الزَّلَلُ	عمير بن شييم	١٣/ ١٠٨
سينالُها	الكميت	١/ ٢٠
شمائلُه	الأحوص	٤/ ١٥٢
عَجَلُ	الأعشى	١٤/ ٧٦
القتالُ	يزيد بن الحكم	١/ ٢٠٠
نزلوا		٤/ ١٦٠
نَنتقلُ	الأعشى	٩/ ٤٧٦
نوافلُه	رجل من بني عامر	٢/ ١٦١
الهُجُولُ	جرير	١٥/ ٥٣٧
يَعُولُ	أحيحة بن الجلاح	٧/ ٣١٠
يَنتعِلِ	المتنخل الهذلي	٤/ ٢١٣
أبابيل	زهير بن أبي سلمى	١٥/ ٤٨٧
الأجمالِ	جميل بثينة	٩/ ٢٩٩
الأخطلِ	جرير	١٤/ ٥٣٤
الأغلال	أمية بن الصلت	١/ ٣٥
أفعالك أفضالِك		١٥/ ٢٤٦
أمثالي	امرؤ القيس	٣/ ٢٦٠
الأهْلِ	منخل بن سبيع العنبري	٨/ ٣٢٣
أوصالي	امرؤ القيس	٨/ ٤٧٠

الكلمة	اسم الشاعر	رقم الصفحة
بالأصائلِ	أبو ذؤيب	٩/ ٤٦
بالجمالِ		١٠/ ٢٢٦
بالمَهْل	ذو الرمة	٢/ ٣٥٠ ٥/ ٤٩
برسولِ	كثير عزة	٢/ ٣٦٢ ١١/ ٢٦٠
البَقْلِ		٢/ ٢١٧
بِهَيْضَلِ	أبو كبير الهذلي	٩/ ١٥٨
تُقاتِلِ	عمرو بن لجأ التيمي	٢/ ٥٢٨
تَنْسُلِ	امرؤ القيس	٣/ ١٥١
حابلِ	مختلفا لنسبة	٧/ ٢٩٧، ٥٠٣
الحِيَلِ		٧/ ٣٦١
الرجالِ		٦/ ٦٨
شُغلي		٢/ ٥١٨
صِيَالِ	الأعشى	١/ ١٢٣
عائل	أبو طالب	٤/ ٤٣٣
عقَنْقَلِ	امرؤ القيس	٨/ ٣٤٠
عقيل	نسب للحارث	١٠/ ١٢١
عيالي الجال	فاطمة بنت النبي	١٥/ ١٤٣
فانزل	ابن جرير	١٢/ ٢٢٩
فحَوْملِ	امرؤ القيس	١٤/ ٢٤
فَضْلِ	النجاشي الحارثي	١/ ٣٢٢
القتال		١/ ٧٩

الكلمة	اسم الشاعر	رقم الصفحة
الكمال		٤/ ٤٢٠
للقتالِ	لبيد	٣/ ٤٨٦
مُزَمَّلِ	امرؤ القيس	٥/ ٣١٤
المصطلي	جرير	١٥/ ٤٥٦
المِقيل	مرار بن منقذ التميمي	١١/ ٢٠٦
منزلِ		٧/ ٢٠٠
المنزلِ		٧/ ٣٩٠
مَنْهَلِ	محمد بن أحمد العناني	٩/ ٥١
مؤتَلِ	امرؤ القيس	١١/ ١١٠
نقاتلِ الحلائلِ	أبو طالب	١١/ ٤٤٨
هالِ	لبيد	٢/ ٢٠٨ ٩/ ٢٩٠
يُحْلَلِ		٨/ ١٤
يَخْتِلِي	المتنخل الهذلي	١٥/ ٣٠٠
	(م)	
بالأَكَمْ	الأعشى	١٤/ ٥٦٩
بالذَميمْ رحيمْ الجحيمْ الحميمْ	علي بن أبي طالب	١٥/ ١٤٣
تَمْ	مختلف النسبة	٨/ ٥٠٥
خِضَمْ	بشار بن برد	١٥/ ١٣
ألمَّا	أمية بن أبي الصلت	٧/ ٧٦

الكلمة	اسم الشاعر	رقم الصفحة
تهدَّما	عبدة بن الطيب	٤/ ٣٦٨
حراماً	عمير بن قيس بن جذل الكناني	٧/ ٣٣٦
السُّلَّما	وضاح اليمن	٤/ ٢١
عماعِمَا	لبيد	١/ ٤٠٨
لائما	المرقش الأصغر	٦/ ٣٠٢ ١٠/ ٢١٦، ٣٥٠
لصمَّما	المتلمس الضبعي	١٠/ ٣٠٨
لِمَامَا	الراعي	٦/ ٣١٦
أثامُ	بلعاء بن قيس الكناني	١١/ ٢٣٨
آثامُ		٤/ ٣٠٧
الأدهَمُ	البريق بن عياض	٦/ ١٢٦
ألمُ		٧/ ٣٧٠
أَلُومُ	أحيحة بن الجلاح	٥/ ٩٤
ألومُها	الحارث بن خالد بن العاص	١/ ٢٩٥ ٩/ ١٢٤
إمامُها	لبيد	٤/ ٢٦٩
تَدومُ	أبو فراس الحمداني	٦/ ١٦١
حِمامُها	لبيد	١٣/ ١٠٨
الخواتيمُ	جرير	١٠/ ٦٩، ٤٧٧
راغِمُ	الأعشى	٨/ ١٢٠
سليمُ		٧/ ١٩٧
صَريمُ غيومُ	أبو عمرو بن العلاء	١٤/ ٥٣٦

الكلمة	اسم الشاعر	رقم الصفحة
ظلامُها	لبيد	١/ ٢٧١ ٩/ ٢٨٥ ١٢/ ٤٩٨
الظُّلَمُ	المتنبي	٦/ ١٧٤ ٨/ ١٣٩
عظيمُ	مختلف النسبة	٣/ ١٠٦ ٤/ ٢٩٣
غَمأمُها	لبيد	١/ ٢٧١
القلمُ	زهير الماوردي	٦/ ١٤٣
كاتمُ التَّمائِمُ		٦/ ١٤٩
لَازِمُ	مختلف النسبة	٨/ ٤١٢
اللُّوَّمُ	أبو شيص محمد بن عبد الله بن رزين	٨/ ٤٤٧
مركومُ	أمية بن الصلت	٣/ ١٠٢
مقيمُ		٨/ ٩٢
نسيمُ	أبو العتاهية	٨/ ٤٩٠
نعلمُهْ		١/ ٤٧
هُمُ	أبو خراش الهذلي	٦/ ١٢٦
يقومُها	مختلف النسبة	٩/ ٤٦٤
يَكْتُمُ		١٤/ ١٨٠
يَمَّمُوا		٤/ ١٣٩
أَقْدِمِ	عنترة	١١/ ٤٧٠

الكلمة	اسم الشاعر	رقم الصفحة
الأكارمِ المقاسِمِ بدَارمِ الصَّوارِمِ	حسان بن ثابت	١٣/ ٤٩٤
الأيامِ	جرير	٩/ ٤٠٩
بدارِمِ	الفرزدق	١/ ١٢٩ ١٣/ ٣٠٦
بِسُلَّمِ مُلْجَمِ	الأعشى	٨/ ٣٢٣
بنائِمِ	جرير	٨/ ٩٩ ١٢/ ٢٦٠
تحرم	عنترة	١٢/ ٤٨٨
التَّكلُّمِ	العجاج	٣/ ١٣١
تمامِهِ	أبو الفتح السبتي	٨/ ٤٧
الجُثُومِ	جرير	٦/ ٤١٦
الحليم	أبو تمام	١/ ٣٢٧
خادمِ	حسان بن ثابت	١٣/ ٤٩٤
الخيام		٦/ ٥١٠
الدَّيْلَمِ	عنترة	١٥/ ١٣٧
زَهْدَمِ	سحيم بن وثيل الرياحي	٩/ ٧٠
شِمامِ	الفرزدق	٣/ ١٢٧
الطَّعامِ		١/ ٢٧
غمامِه	يزيد بن مفرغ الحميري	٣/ ٤٧٠
فومِ	أحيحة بن الجلاح	٢/ ٢١٧

الكلمة	اسم الشاعر	رقم الصفحة
لِلَّوائِمِ	أبو تمام	٣/ ٢٢٢
لئيمِ		١٤/ ٥٣٢
مَجْثَمِ	زهير بن أبي سلمى	١١/ ٢٣٤
المكارمِ كَدَارمِ التَّهائِمِ	الأقرع بن حابس	١٣/ ٤٩٤
النجوم	الفرزدق	١٢/ ١٠٢
النَّعامِ	الفرزدق	١٢/ ٤١٠
الهيثمِ	عنترة	٥/ ٤٠٨
يُشتَمِ	زهير بن كعب	٩/ ٤٣٩
	(ن)	
أجمعينْ حنينْ حزينْ رَهِينْ	علي بن أبي طالب	١٥/ ١٤٢
أحسنْ		٢/ ٢٦٨
ثَمنْ غَبنْ الثمن	جعفر الصادق	٧/ ٤٨١
الإحسانا		٩/ ٣٩٤
الأَخِيْنَا	عقيل بن علقمة المري	٢/ ٤٦٨
أردانَها	قيس بن الخطيم	١٠/ ٣٩٧
ألومُهنَّهْ إنهْ	عبيد الله بن قيس الرقيات	١٠/ ٣٠٩

الكلمة	اسم الشاعر	رقم الصفحة
أمينَا دِيْنَا دَفينَا عيونَا	أبو طالب	٦/ ٤٤
آمينا	مجنون بني عامر	١/ ١٧٣
أهانَكْ	خالد بن الوليد	١٤/ ١٢١
الحسنا		٦/ ٣٠٨
سَبْعِيْنَا	لبيد	٨/ ٤٢
شيطاناً	جرير	١/ ٣٤
الظَّالمينا الجَاهِلِينا		١/ ٣٣٩
الظُّنونا	خزيمة بن نهد	٧/ ١٥٤
عُثْمانا	حسان بن ثابت	١٢/ ٤٢٠
عَيْناهَا	الفراء	٨/ ١٠٣ ٩/ ٣٧٧ ١٠/ ٤٨٢ ١٣/ ١٠٢
العُيُوْنا	الراعي النميري	١٤/ ٤٧٢
كانا		٦/ ٤٨٠ ٧/ ٣٥٧
معنى الظَّنَّا عُدْنا أغنى	محمود بن الحسين كشاجم	٨/ ٢٩
مَيناً	عدي بن زيد	٧/ ٢٧٨
نَدِيْنا	عمرو بن كلثوم	٩/ ٩٨

الكلمة	اسم الشاعر	رقم الصفحة
السَّفَنُ	أبو كبير الهذلي	٩/ ٢٧٤
سكونُ يكونُ	ابن هندو	٧/ ٢١٩
العَين المحبِّين		٧/ ٣٤١
ماعونُ	أبو تمام	١٥/ ٥٠١
مَرْعونُ		٢/ ٣٨١
معيون	عباس بن مرداس	١٤/ ٥٥٠
مُقسئنٌّ		١٥/ ٥٢٦
هَجِينُ		٢/ ٤٦٨
اثنينِ		٥/ ٣٥٧
الأذْقان		١٢/ ٤٧٣
باليَمينِ	الشماخ بن ضرار	١٢/ ٤٠٤ ١٣/ ٦٩ ١٤/ ٥٧٥
بإنسان	أشجع السلمي	٢/ ١٠٩
بَطْني	أبو النعجم العجلي	١٣/ ١٥٧ ١٤/ ٢٧
بمؤتَمنِ		٦/ ٢٣٢
تَريانِ		٩/ ١٢١
ثمنِ	عمرو بن أبي ربيعة	٢/ ١٤٤
حِجَّتانِ	نفطويه	٣/ ١٢٧
الحزين	المثقب العبدي	٧/ ٤٩٤
الحسَنِ		٨/ ٤٨

الكلمة	اسم الشاعر	رقم الصفحة
حينِ	ذو الإصبع العدواني	٢/ ١٢١
دِينِ آمينِ		١/ ١٧٤
دِيني يَقِيني	المثقب العبدي	١/ ١٢٤ ١٠/ ١٨٧
ذَنْبان		٧/ ٤٦١
شأنه		١٠/ ٢٦٠
شفَّني	العرجى	٨/ ٤٧١
عيني		٦/ ٣٣٤ ١٣/ ١٠٠
فلان	أبو العتاهية	١١/ ٢٠٩
القرون العيون الملعون	علي بن عباس الرومي	٤/ ١٩٥
كالمساكين		٦/ ٣١٠
الكُثبانِ		١٤/ ٢٤١
المحِنِ يَكُنِ	قتيبة بن سعيد	١٤/ ٣٠٧
مروانِ	الفرزدق	٢/ ٥٢٣
معنِ	نمر بن تولب	١٥/ ٥٠١
مَعونِ	جميل بثينة	٤/ ١٦٤
الملاعين	يزيد بن مهلهل	١٠/ ٢٥٥
اليقين		١٤/ ٢٧٩
يَنساني جِنَانِ		٦/ ٣١٩

الكلمة	اسم الشاعر	رقم الصفحة
	(هـ)	
بالمَيْمَنة		١/ ٢١
بَكَّةْ	عامان بن كعب بن عمرو	٤/ ١٦١
سُمُهْ		١/ ٤٧
واقِيَهْ	عمرو بن ملقط	٥/ ٤٤٦
ذُلِّها	أبو إسحاق الصابي	١/ ١٣٨
وَضاعَةْ مجاعةْ شفاعةْ	فاطمة بنت النبي النبي	١٥/ ١٤٢
تَأَلُّهي		١/ ٢٨
العمَّهِ	رؤبة بن العجاج	١/ ٣٤٤
المُغلَّة		١/ ١٠٠
	(و)	
إيَّانا	حسان بن ثابت	٢/ ١٣ ٦/ ٢٦٠
غدا		٧/ ٣٤٣
قلاها	يزيد بن الصعق	٩/ ٢٤٣
الموْتَى الدُّنيا	مختلف النسب	٥/ ٣٧٧
يَبْلُو	زهير بن أبي سلمى	٢/ ١٧٠
يَحلو	زهير بن أبي سلمى	١٠/ ٥٧
الجوِّ الضَّوِّ		٨/ ١٧٨

الكلمة	اسم الشاعر	رقم الصفحة
	(ي)	
ابْتَناها		١١/ ٥٠٧
أَتَيْناها رَأَيْناها		١/ ٣٠
إلىّ		٦/ ٣٩٤
امْطُلينا الواعِدِينا حينا		٦/ ٥٠٣
أنساك		٨/ ١٣
البالي	امرؤ القيس	٢/ ٢٥٦
برى		٦/ ٤١٤
تباكى	المتنبي	٦/ ١٥٣
تَنْجَلِي	امرؤ القيس	١٠/ ٣٥١
رضاها	قحيف العقيلي	١٢/ ٤٩٧
عليه إليه	بهلول بن عمرو المجنون	١١/ ١١٢
فينا	عمرو بن كلثوم	٢/ ١٦٦
فيها		٧/ ٥٤
لِتَوقِّيهِ فيهِ	أبو فراس الحمداني	٢/ ٣٧٦
لديه إليه		٢/ ١٦٣
لَقيت	جندب بن سفيان	١/ ٣٧٤
مضَى		١٠/ ٢٦٩

الكلمة	اسم الشاعر	رقم الصفحة
يحكيْه		٨/ ٢٣٤
يُداويها		٨/ ٨٢
يدَّعيه		١/ ٣٠١
يعنيني	رجل من بني سلول	٢/ ٣٦٥
يَفري	زهير بن أبي سلمى	١/ ٣٩١ ٤/ ٥٥ ١١/ ١٨
يليني	المثقب العبدي	٩/ ٣١١
الأرْشِيَةْ	سحيم بن وثيل اليربوعي	٨/ ٤٦٢
ثمانيا	سحيم بن عبد بني الحسحاس	٣/ ١٢٧
الخفيَّا مَأْتيّا غَوِيّا شَقِياً فَرِيّا بَرِيّا	أمية بن أبي الصلت	٧/ ٧٥
رَأوكا	رؤبة	٣/ ٤٤٠
رِبِّيًّا	حسان بن ثابت	٤/ ٣٠٣
ورائيا	مساور بن حمئان	١٠/ ١٦٦
وَرائِيَا	سوار بن المضرب السعدي	٩/ ١١٢
العصيُّ	امرؤ القيس	٦/ ٢٤١
وطَيُّ شيِّ		١٠/ ٣٩٦
كِسايا		٦/ ٢٣٠

الكلمة	اسم الشاعر	رقم الصفحة
النَّدِيِّ		٥/ ٣٣١
نقْرِي يسري		٧/ ١٥٦

* * *

فهرس المصادر والمراجع

١ ـ الحماسة المغربية، مختصر كتاب صفوة الأدب ونخبة ديوان العرب، لأبي العباس أحمد بن عبد السلام الجرّاوي التادلي، ت: محمد رضوان الداية، ط: دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٩٩١م.

٢ ـ الأباطيل والمناكير، للجوزقاني، ت: عبد الرحمن بن عبد الجبار الفريوائي، دار الصميعي للنشر والتوزيع، ط٤، ٢٠٠٢م.

٣ ـ الإبانة الكبرى، لابن بطة العكبري، ت: رضا معطي وغيره، دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض.

٤ ـ الإبانة عن معاني القراءات، لمكي بن أبي طالب، ت: الدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبي، ط: دار نهضة مصر للطبع والنشر.

٥ ـ إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة، للبوصيري، ت: دار المشكاة للبحث العلمي بإشراف أبو تميم ياسر بن إبراهيم، ط: دار الوطن للنشر، الرياض ١٩٩٩م.

٦ ـ الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٤م.

٧ ـ إثبات عذاب القبر وسؤال الملكين، لأبي بكر البيهقي، ت: د. شرف محمود القضاة، دار الفرقان، عمان الأردن، ط:٢، ١٤٠٥هـ.

٨ ـ الأجوبة المرضية، للسخاوي، ت: محمد إسحاق محمد إبراهيم، دار الراية للنشر والتوزيع، ط١، ١٤١٨هـ.

٩ ـ الآحاد والمثاني، لابن لأبي عاصم، ت: باسم الجوابرة، دار الراية، ١٩٩١م.

١٠ ـ الأحاديث الطوال، الطبراني، ت: حمدي عبد المجيد السلفي، وزارة الأوقاف العراقية.

١١ ـ الأحاديث المختارة، للضياء المقدسي، ت: عبد الملك بن دهيش، مكتبة النهضة الحديثة، مكة المكرمة ١٩٩٠م.

١٢ ـ الإحسان = صحيح ابن حبان.

١٣ ـ الأحكام الشرعية الكبرى، لابن الخراط، ت: أبو عبد الله حسين بن عكاشة، مكتبة الرشد، السعوديةالرياض، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م.

١٤ ـ أحكام القرآن، لأبي بكر ابن العربي، ت: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الثالثة، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣ م

١٥ ـ أحكام القرآن، للجصاص، ت: عبد السلام محمد علي شاهين، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م.

١٦ ـ أحكام القرآن، للجصاص، ت: محمد صادق القمحاوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ.

١٧ ـ الأحكام الوسطى، لابن الخراط، ت: حمدي السلفي، صبحي السامرائي، ط: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض ـ المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م.

١٨ ـ الإحكام في أصول الأحكام، لابن حزم، ت: الشيخ أحمد محمد شاكر، ط: دار الآفاق الجديدة، بيروت.

١٩ ـ إحياء علوم الدين، للغزالي، ط: دار المعرفة (بيروت).

٢٠ ـ إحياء علوم الدين للغزالي، مكتبة كرباطة فوترا إندونيسيا.

٢١ ـ أخبار أصبهان = ذكر أخبار أصبهان.

٢٢ ـ إخبار العلماء بأخبار الحكماء، للقفطي، ت: إبراهيم شمس الدين، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

٢٣ ـ أخبار المدينة، لابن شبّة، ت: فهيم محمد شلتوت. دار التراث، بيروت، ط١، ١٩٩٠م.

٢٤ ـ أخبار المدينة، لابن شبة، ت: علي محمد دندل وياسين سعد الدين بيان، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.

٢٥ ـ أخبار مكة وما جاء فيها من الأثار، للأزرقي، ت: رشدي الصالح ملحس، دار الأندلس للنشر، بيروت.

٢٦ ـ أخبار مكة، للفاكهي، ت: عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، مطبعة النهضة الحديثة، ١٩٨٦م.

٢٧ ـ أخبار مكة، للفاكهي، ت: رشدي الصالح ملحس، ط: دار الأندلس، بيروت ١٤١٦ ـ ١٩٩٦م.

٢٨ ـ الإخلاص والنية لابن أبي الدنيا، ت: إياد خالد الطباع، ط: دار البشائر دمشق.

٢٩ ـ أخلاق النبي ﷺ، لأبي الشيخ، ت: أحمد مرسي، ط: دار النهضة ١٩٧٢م.

٣٠ ـ أخلاق النبي ﷺ، لأبي الشيخ، ت: صالح بن محمد الونيان، دار المسلم للنشر والتوزيع، ١٩٩٨م.

٣١ ـ الآداب، للبيهقي، ت: أبو عبد الله السعيد المندوه، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط١، ١٩٨٨م.

٣٢ ـ أدب الاملاء والاستملاء، للسمعاني المروزي، أبي سعد، ت: ماكس فايسفايلر، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠١هـ ١٩٨١م.

٣٣ ـ أدب الكاتب، لابن قتيبة، ت: محمد الدالي، ط: مؤسسة الرسالة ١٩٨٢م.

٣٤ ـ الأدب المفرد، للبخاري، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، المطبعة السلفية، القاهرة ١٣٧٥هـ.

٣٥ ـ الأذكار، للنووي، ت: عبد القادر الأرنؤوط، دار الملاح، ١٩٧١م.

٣٦ ـ إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، للقسطلاني، المطبعة الكبرى الأميرية، ط:٧، مصر، ١٣٢٣هـ.

٣٧ ـ إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، للألباني، ط: المكتب الإسلامي، بيروت ١٣٩٩هـ.

٣٨ ـ الأزمنة والأمكنة، للمرزوقي، طبع على نفقة الشيخ علي بن عبد الله آل ثاني ١٩٦٨م.

٣٩ ـ الأزمنة والأمكنة، للمرزوقي، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ.

٤٠ ـ أساس البلاغة، للزمخشري، ط: مكتبة لبنان ناشرون.

٤١ ـ أساس البلاغة للزمخشري، ت: محمد باسل عيون السود، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ.

٤٢ ـ أسباب النزول، للواحدي، ط: دار الكتب العلمية، ١٤٠٠هـ.

٤٣ ـ أسباب النزول، للواحدي، ت: عصام بن عبد المحسن الحميدان، دار الإصلاح، ط: ٢، الدمام، ١٤١٢هـ ١٩٩٢م.

٤٤ ـ أسباب النزول، للواحدي، ت: السيد أحمد صقر، ط: دار الكتاب الجديد، ١٣٨٩هـ.

٤٥ ـ الاستذكار، لابن عبد البر، ت: د. عبد المعطي قلعجي، مؤسسة الرسالة.

٤٦ ـ الاستذكار، لابن عبد البر، ت: سالم محمد عطا، محمد علي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م.

٤٧ ـ الاستيعاب، لابن عبد البر (على هامش الإصابة)، مطبعة دار ابن حزم.

٤٨ ـ الاستيعاب، لابن عبد البر، ت: علي محمد البجاوي، ط: دار الجيل، بيروت، ١٤١٢هـ ١٩٩٢م.

٤٩ ـ أسد الغابة، لابن الأثير، ط: دار الشعب، مصر ١٩٧٠م.

٥٠ ـ أسد الغابة، لابن الأثير، ت: علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، ط: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ ١٩٩٤م.

٥١ ـ الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، لمحمد بن محمد أبو شهبة، مكتبة السنة القاهرة، ط: ٤، ١٤٠٨هـ.

٥٢ ـ أسماء الكتب، لرياض زاده، ت: د. محمد التونجي، دار الفكر، ط:٣، دمشق ـ سورية، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

٥٣ ـ الأسماء والصفات، للبيهقي، ت: عبد الله بن محمد الحاشدي، قدم له: فضيلة الشيخ مقبل بن هادي الوادعي، ط: مكتبة السوادي، جدة ـ المملكة العربية السعودية، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.

٥٤ ـ الإشارات الإلهية، للطوفي، ت: محمد حسن محمد، ط: دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

٥٥ ـ الاشتقاق، لابن دريد، ت: عبد السلام هارون، ط: مكتبة المثنى (بغداد) ١٩٧٩م.

٥٦ ـ الإشراف على مذاهب العلماء، لابن المنذر، ت: صغير أحمد الأنصاري، مكتبة مكة الثقافية، رأس الخيمة، ١٤٢٥هـ.

٥٧ ـ الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر، مطبعة السعادة، مصر ١٣٢٨هـ.

٥٨ ـ الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر، ت: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ.

٥٩ ـ الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر، ت: طه محمد الزيني، ط: مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ١٤١٤هـ.

٦٠ ـ الأصل، لمحمد بن الحسن الشيباني، ت: الدكتور محمّد بوينوكالن، ط: دار ابن حزم، بيروت ـ لبنان، ١٤٣٣هـ ـ ٢٠١٢ م.

٦١ ـ إصلاح المال لابن أبي الدنيا، ت: محمد عبد القادر عطا، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط١، ١٩٩٣م.

٦٢ ـ إصلاح المنطق، لابن السكيت، ت: أحمد شاكر وعبد السلام هارون، ط: دار المعارف بمصر.

٦٣ ـ إصلاح المنطق، لابن السكيت، ت: محمد مرعب، ط: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م.

٦٤ ـ الأصمعيات، للأصمعي، ت: أحمد شاكر وعبد السلام هارون، ط: دار المعارف بمصر.

٦٥ ـ الأصول في النحو، لابن السراج، ت: د. عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٩٩٦م.

٦٦ ـ الأضداد للأصمعي (ضمن ثلاثة كتب في الأضداد)، نشرها: أوغست هفنر، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩١٢م.

٦٧ ـ الأضداد، لأبي بكر الأنباري، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٨٧م.

٦٨ ـ الاعتقاد، للبيهقي، صحّحه: كمال يوسف الحوت، عالم الكتب، ط١، ١٩٨٣م.

٦٩ ـ اعتلال القلوب، للخرائطي، ت: غريد الشيخ، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١م.

٧٠ ـ اعتلال القلوب، للخرائطي، ت: حمدي الدمرداش، طبعة: نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، ط٢، ٢٠٠٠م.

٧١ ـ إعجاز القرآن للباقلاني، ت: السيد أحمد صقر، دار المعارف مصر، ط:٥، ١٩٩٧م.

٧٢ ـ الإعجاز والإيجاز، للثعالبي، ط: مكتبة القرآن، القاهرة.

٧٣ ـ إعراب القرآن، لأبي جعفر النحاس، ت: د. زهير غازي زاهد، ط: عالم الكتب ١٩٨٨م.

٧٤ ـ إعراب القرآن، لأبي جعفر النحاس، ت: عبد المنعم خليل إبراهيم، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١هـ.

٧٥ ـ إعراب القرآن، لجامع العلوم الباقولي، ت: إبراهيم الإبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، ط٤، ١٤٢٠هـ.

٧٦ ـ إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم، لابن خالويه، مكتبة الهلال، بيروت.

٧٧ ـ إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم، لابن خالويه، ط: دار الكتب المصرية، ١٣٦٠هـ ـ ١٩٤١م.

٧٨ ـ أعلام النبوة، للماوردي، ط: دار ومكتبة الهلال ـ بيروت، ١٤٠٩هـ.

٧٩ ـ الأعلام، للزركلي، دار الكتب للملايين، بيروت، ط:٥، ٢٠٠٢م.

٨٠ ـ الأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني، ط: دار الكتب المصرية القاهرة، ١٩٣٦م.

٨١ ـ الاقتضاب في شرح أدب الكتاب، لابن السيّد البطليوسي، ط: دار الجيل (بيروت).

٨٢ ـ الاقتضاب في شرح أدب الكتاب، للبطليوسي، ت: الأستاذ مصطفى السقا والدكتور حامد عبد المجيد، ط: مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة، ١٩٩٦م.

٨٣ ـ الاكتفاء، للكلاعي الأندلسي، ت: مصطفى عبد الواحد، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٦٨م.

٨٤ ـ الأم، للإمام الشافعي، ت: رفعت فوزي عبد المطلب، دار الوفاء، مصر، ١٤٢٢هـ.

٨٥ ـ أمالي ابن الشجري، ت: د. محمود الطناحي، ط: مكتبة الخانجي بالقاهرة.

٨٦ ـ أمالي القالي، مراجعة لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة. ط: دار الآفاق الجديدة (بيروت) ١٩٨٠م.

٨٧ ـ أمالي القالي، ت: محمد عبد الجواد الأصمعي، دار الكتب المصرية، ط: ٢، ١٣٤٤هـ ـ ١٩٢٦م.

٨٨ ـ أمالي المرتضى (غرر الفوائد ودرر القلائد)، للشريف المرتضى علي بن الحسين الموسوي

العلوي، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط: دار إحياء الكتب العربية (عيسى البابي الحلبي وشركاه)، ١٣٧٣هـ ـ ١٩٥٤م.

٨٩ ـ أمالي المرتضى، للشريف المرتضى علي بن الحسين الموسوي، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط: دار الكتاب العربي (بيروت).

٩٠ ـ أمالي السيد المرتضى، ط: مطبعة السعادة مصر، ١٣٢٥هـ.

٩١ ـ إمتاع الأسماع، للمقريزي، ت: محمد عبد الحميد النميسي، ط: دار الكتب العلمية ـ بيروت، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.

٩٢ ـ الأمثال، لأبي عبيد القاسم بن سلام، ت: عبد المجيد قطامش، ط: دار المأمون للتراث، ١٩٨٠م.

٩٣ ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لابن أبي الدنيا، ت: صلاح بن عايض الشلاحي، ط: مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة، ١٤١٨هـ.

٩٤ ـ الإملاء المختصر في شرح غريب السير، للخشني، ت: د. عبد الكريم خليفة، دار البشير ١٩٩١م.

٩٥ ـ الإملاء المختصر في شرح غريب السير، للخشني، ط: دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان.

٩٦ ـ الإملاء، لأبي البقاء العكبري، ط: دار الفكر بهامش الفتوحات الإلهية.

٩٧ ـ الإملاء، لأبي البقاء العكبري، ت: علي محمد البجاوي، ط: عيسى البابي الحلبي وشركاه.

٩٨ ـ الأموال، لابن زنجويه، ت: شاكر ذيب فياض، مركز الملك فيصل للبحوث، السعودية، ط١، ١٩٨٦م.

٩٩ ـ الأموال، لأبي عبيد، ت: محمد حامد الفقي، ط: المطبعة التجارية، القاهرة ١٣٥٣هـ.

١٠٠ ـ إنباه الرواة، للقفطي، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط: دار الكتب المصرية ١٩٥٠م.

١٠١ ـ الانتصار للقرآن، للباقلاني، ت: د. محمد عصام القضاة، ط: دار الفتح ـ عمّان، و ط: دار ابن حزم ـ بيروت، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م.

١٠٢ ـ أنساب الأشراف، للبلاذري، ت: محمود الفردوس العظم، ط: دار اليقظة العربية، دمشق، ١٩٩٧م.

١٠٣ ـ أنساب الأشراف، للبلاذري، ت: سهيل زكار ورياض الزركلي، ط: دار الفكر، بيروت، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.

١٠٤ ـ الأنساب، للسمعاني، ت: المعلمي اليماني، ط: أمين دمج ١٩٨٠م.

١٠٥ ـ الأنساب، للسمعاني، ت: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، مكتبة ابن تيمية القاهرة، ط:٢، ١٤٠٠هـ.

١٠٦ ـ الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين، لعبد الرحمن بن محمد الأنباري، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط: دار الكتب، القاهرة.

١٠٧ ـ الإنصاف في مسائل الخلاف، لابن الأنباري، ط: المكتبة العصرية، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.

١٠٨ ـ الأولياء، لابن أبي الدنيا، محمد السعيد بن بسيوني زغلول، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ.

١٠٩ ـ إيجاز البيان عن معاني القرآن، لأبي القاسم النيسابوري، ت: الدكتور حنيف بن حسن القاسمي، ط: دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤١٥هـ.

١١٠ ـ إيضاح الوقف والابتداء، لابن الأنباري، ت: محيي الدين عبد الرحمن رمضان، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٧١م.

١١١ ـ الإيضاح في علوم البلاغة، للقزويني، دار الكتب العلمية، بيروت.

١١٢ ـ البارع في اللغة، لأبي علي القالي، ت: هشام الطعان، ط: مكتبة النهضة، بغداد، و ط: دار الحضارة العربية، بيروت، ١٩٧٥م.

١١٣ ـ البحر الزخار للبزار (١ ـ ٩)، ت: محفوظ الرحمن زين الله، مؤسسة علوم القرآن، بيروت، ومكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ١٤٠٩هـ. (الأجزاء ١٠ ـ ١٧)، ت: عادل بن سعد.

١١٤ ـ بحر العلوم = تفسير السمرقندي.

١١٥ ـ البحر المحيط، لأبي حيان، ت: ماهر حبوش، رضوان عرقسوسي، معتز كريم الدين، فادي المغربي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٣٥هـ ـ ٢٠١٤م.

١١٦ ـ البحر المحيط، لأبي حيان، ت: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ.

١١٧ ـ البحر المديد في تفسير آيات القرآن المجيد، لابن عجيبة، ت: أحمد عبد الله القرشي رسلان، نشرة: الدكتور حسن عباس زكي، القاهرة، ١٤١٩هـ.

١١٨ ـ البدء والتاريخ، للبلخي المقدسي، باريس ١٨٩٩م.

١١٩ ـ البدء والتاريخ، للمطهر بن طاهر المقدسي، مكتبة الثقافة الدينية القاهرة.

١٢٠ ـ البداية والنهاية، لابن كثير، ت: د. عبد الله التركي، دار هجر، مصر ١٩٩٧م.

١٢١ ـ بدائع الصنائع، للكاساني، ت: علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، ط: دار الكتب العلمية ١٩٩٧م.

١٢٢ ـ البدر المنير، لابن الملقن، ت: مصطفى أبو الغيط وعبد الله بن سليمان وياسر بن كمال، ط: دار الهجرة للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م.

١٢٣ ـ البدع والنهي عنها، لابن وضاح، ت: عمرو عبد المنعم سليم، ط: مكتبة ابن تيمية، القاهرة ـ مصر، و ط: مكتبة العلم، جدة ـ السعودية، ١٤١٦هـ.

١٢٤ ـ البدور الزاهرة، لعبد الفتاح القاضي، دار الكتاب العربي، ط١، ١٩٨١م.

١٢٥ ـ البرهان في علوم القرآن، للزركشي، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط: عيسى البابي الحلبي ١٩٥٧م.

١٢٦ ـ بستان الواعظين ورياض السامعين، لابن الجوزي، ت: أيمن البحيري، مؤسسة الكتب الثقافية، ط:٢، بيروت ـ لبنان، ١٤١٩ ـ ١٩٩٨.

١٢٧ ـ بصائر ذوي التمييز للفيروزآبادي، ت: محمد علي النجار، وزارة الأوقاف لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ط:٣، ١٤١٦هـ.

١٢٨ ـ البصائر والذخائر، لأبي حيان التوحيدي، ت: د. وداد القاضي، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٨٨م.

١٢٩ ـ البعث والنشور، للبيهقي، ت: محمد بسيوني زغلول، ط: مؤسسة الكتب الثقافية ١٤٠٨هـ.

١٣٠ ـ البعث والنشور، للبيهقي، ت: عامر أحمد حيدر، ط: مركز الخدمات والأبحاث الثقافية، بيروت، ١٤٠٦هـ.

١٣١ ـ بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث، لابن أبي أسامة، المنتقي: أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان بن أبي بكر الهيثمي، ت: د. حسين أحمد صالح الباكري، ط: مركز خدمة السنة والسيرة النبوية ـ المدينة المنورة، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م.

١٣٢ ـ بغية الوعاة، للسيوطي، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط: عيسى البابي الحلبي، ١٩٦٤م.

١٣٣ ـ بهجة المجالس، لابن عبد البر، ت: محمد مرسي الخولي، ط: دار الكتب العلمية.

١٣٤ ـ بيان الوهم والإيهام، لابن القطان، ت: د. الحسين سعيد، دار طيبة، الرياض، ١٩٩٧م.

١٣٥ ـ البيان في عدّ آي القرآن، لأبي عمرو الداني، ت: غانم قدوري الحمد، مركز المخطوطات والتراث، الكويت، ط١، ١٩٩٤م.

١٣٦ ـ البيان والتبيين، للجاحظ، ت: عبد السلام هارون، ط: مكتبة الخانجي بمصر ومكتبة المثنى ببغداد ١٩٦٠م.

١٣٧ ـ تاج العروس، للزّبيدي، طبعة وزارة الإرشاد (الكويت) وطبعة دار مكتبة الحياة (بيروت).

١٣٨ ـ تاريخ ابن خلدون، نشر مؤسسة الأعلى للمطبوعات، بيروت.

١٣٩ ـ تاريخ الإسلام، للذهبي، ت: عمر عبد السلام تدمري، ط: دار الكتاب العربي ١٩٨٩م.

١٤٠ ـ التاريخ الأوسط (مطبوع خطأ باسم التاريخ الصغير)، للبخاري، ت: محمود إبراهيم زايد، ط: دار الوعي، حلب، و ط: مكتبة دار التراث، القاهرة، ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م.
١٤١ ـ تاريخ الخلفاء، للسيوطي، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٨م.
١٤٢ ـ تاريخ الرسل والملوك = تاريخ الطبري.
١٤٣ ـ تاريخ الطبري، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط: دار المعارف بمصر.
١٤٤ ـ التاريخ الكبير، للبخاري، ط: دار المعارف العثمانية، الهند ١٣٨٠هـ.
١٤٥ ـ تاريخ اليعقوبي، ط: دار صادر، بيروت.
١٤٦ ـ تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي، ط: القاهرة ١٩٣١م.
١٤٧ ـ تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي، ت: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ٢٠٠٢م.
١٤٨ ـ تاريخ جرجان، للسهمي، ت: المعلمي اليماني، ط: عالم الكتب، بيروت ١٤٠١هـ.
١٤٩ ـ تاريخ خليفة بن خياط، ت: د. أكرم ضياء العمري، ط: مؤسسة الرسالة ودار القلم ١٩٧٧م.
١٥٠ ـ تاريخ دمشق، لابن عساكر، نشر دار البشير (مصورة مخطوط).
١٥١ ـ تاريخ دمشق، لابن عساكر، دار الفكر، ١٩٩٥م.
١٥٢ ـ تأويل مختلف الحديث، لابن قتيبة، ت: محمد النجار، دار الجيل ١٩٧٢م.
١٥٣ ـ تأويل مختلف الحديث، لابن قتيبة، المكتب الإسلامي، ط٢، ١٩٩٩م.
١٥٤ ـ تأويل مشكل القرآن، لابن قتيبة، ت: أحمد صقر، ط: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي.
١٥٥ ـ تأويل مشكل القرآن، لابن قتيبة، ت: إبراهيم شمس الدين، ط: دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان.
١٥٦ ـ تأويلات أهل السنة، للماتريدي، ت: فاطمة يوسف الخيمي، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، ط١، ٢٠٠٤م.
١٥٧ ـ تأويلات أهل السنة، للماتريدي، ت: د. مجدي باسلوم، ط: دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.
١٥٨ ـ تأويلات أهل السنة، للماتريدي، ت: أحمد وانلي أوغلي ومن معه، مراجعة بكر طوبال أوغلي، دار الميزان استانبول ٢٠٠٦م.
١٥٩ ـ التبصير في الدين، للإسفراييني، ت: كمال يوسف الحوت، ط: عالم الكتب، لبنان، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

١٦٠ ـ التبيان في أيمان القرآن، لابن قيم الجوزية، ت: عبد الله بن سالم البطاطي، ط: دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ١٤٢٩هـ.

١٦١ ـ التبيان في تفسير القرآن، للطوسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١٦٢ ـ تثبيت الإمامة وترتيب الخلافة، لأبي نعيم الأصبهاني، ت: علي بن محمد بن ناصر الفقيهي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط١، ١٩٨٧م.

١٦٣ ـ تجريد أسماء الصحابة، للذهبي، ت: صالحة شرف الدين، ط: شرف الدين الكتبي، الكويت ١٩٧٠م.

١٦٤ ـ التجريد، للقدوري، ت: مركز الدراسات الفقهية والاقتصادية، دار السلام، القاهرة، ط:٢، ١٤٢٧هـ.

١٦٥ ـ التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور، دار سحنون، تونس.

١٦٦ ـ التحصيل لفوائد كتاب التفصيل، للمهدوي، ت: مجموعة من المحققين بإشراف محمد يوسف الشربجي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ١٤٣٥هـ.

١٦٧ ـ تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف، للمزي، ت: عبد الصمد شرف الدين، ط: الدار القيمة، الهند ١٩٦٥م.

١٦٨ ـ التحقيق في أحاديث الخلاف، لابن الجوزي، ت: مسعد عبد الحميد محمد السعداني، ط: دار الكتب العلمية ١٩٩٤م.

١٦٩ ـ تخريج أحاديث الإحياء، للحافظ العراقي، (بهامش الإحياء).

١٧٠ ـ تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف، لجمال الدين الزيلعي، ت: عبد الله السعد، دار ابن خزيمة، الرياض، ط١، ١٤١٤هـ.

١٧١ ـ تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف، لجمال الدين الزيلعي، ط: دار ابن حزم، بيروت ـ لبنان، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

١٧٢ ـ التخويف من النار، لابن رجب، ت: بشير محمد عيون، مكتبة المؤيد، السعودية، ومكتبة البيان، دمشق، ط:٢، ١٤٠٩هـ.

١٧٣ ـ التذكرة الحمدونية، لابن حمدون، ت: د. إحسان عباس، ط: دار صادر بيروت.

١٧٤ ـ التذكرة، للقرطبي، ت: الصادق بن محمد بن إبراهيم، ط: مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٢٥هـ.

١٧٥ ـ التذييل والتكميل في شرح التسهيل، لأبي حيان، ت: حسن هنداوي، ط: دار القلم، دمشق.

١٧٦ ـ ترتيب الأمالي الخميسية للشجري، مؤلف الأمالي: يحيى (المرشد بالله) بن الحسين (الموفق) الشجري الجرجاني، رتبها: العبشمي، ت: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، ط: دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م.

١٧٧ ـ الترغيب والترهيب، لقوام السنة، ت: أيمن بن صالح بن شعبان، دار الحديث، القاهرة، ط١، ١٩٩٣م.

١٧٨ ـ الترغيب والترهيب، للمنذري، ت: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ.

١٧٩ ـ تصحيح الفصيح، لابن درستويه، ت: محمد بدوي المختون، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٩٩٨م.

١٨٠ ـ التعازي والمراثي، للمبرد، ت: محمد الديباجي، ط: مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٧٦م.

١٨١ ـ التعازي والمراثي، للمبرد، ت: إبراهيم محمد حسن الجمل، نهضة مصر للطباعة والنشر.

١٨٢ ـ التعرف لمذهب أهل التصوف، للكلاباذي، ط: دار الكتب العلمية، بيروت

١٨٣ ـ التعريف والإعلام، للسهيلي، ت: الأستاذ عبد مهنا، ط: دار الكتب العلمية ١٩٨٧م.

١٨٤ ـ تعظيم قدر الصلاة، للمروزي، ت: عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، مكتبة الدار، المدينة، ط١، ١٤٠٦هـ.

١٨٥ ـ تغليق التعليق، لابن حجر العسقلاني، المكتب الإسلامي، دار عمار، بيروت، عمان، ط١، ١٤٠٥هـ.

١٨٦ ـ تفسير ابن أبي حاتم، ت: أسعد الطيب، مكتبة نزار الباز، مكة والرياض ١٩٩٩م.

١٨٧ ـ تفسير ابن المنذر، ت: سعد بن محمد السعد، ط: دار المآثر، المدينة النبوية، ١٤٢٣هـ.

١٨٨ ـ تفسير ابن فورك، ت: عاطف بن كامل بن صالح بخاري، جامعة أم القرى، السعودية، ط١، ٢٠٠٩م.

١٨٩ ـ تفسير ابن كثير، ت: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٩٩٩م.

١٩٠ ـ تفسير ابن كمال باشا، دار الإرشاد.

١٩١ ـ تفسير أبي الليث السمرقندي، ت: الشيخ علي محمد معوض والشيخ عادل أحمد الموجود ود. زكريا عبد المجيد النوتي، ط: دار الكتب العلمية ١٩٩٣م.

١٩٢ ـ تفسير أبي الليث السمرقندي، ت: محمد مطرجي، ط: دار الفكر.

١٩٣ ـ تفسير أبي حمزة الثمالي، جمع: عبد الرزاق حرز الدين، دار المفيد، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م.

١٩٤ ـ تفسير أسماء الله الحسنى، للزجاج، ت: أحمد يوسف الدقاق، ط: دار الثقافة العربية.

١٩٥ ـ اشتقاق أسماء الله الحسنى، لأبي القاسم الزجاجي، ت: عبد الحسين المبارك ط: مؤسسة الرسالة.

١٩٦ ـ التفسير البسيط، للواحدي، ت: مجموعة من طلبة الدكتوراه، عمادة البحث العلمي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٣٠هـ.

١٩٧ ـ تفسير البغوي = معالم التنزيل.

١٩٨ ـ تفسير البغوي، ت: خالد العك ومروان سوار، دار المعرفة بيروت ١٩٨٦م.

١٩٩ ـ تفسير البغوي، ت: محمد عبد الله النمر، عثمان جمعة ضميرية، سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط: الرابعة، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.

٢٠٠ ـ تفسير البيضاوي، مؤسسة شعبان، بيروت، وبهامشه حاشية الشهاب، دار صادر بيروت.

٢٠١ ـ تفسير التستري، جمعها: أبو بكر محمد البلدي، ت: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ.

٢٠٢ ـ تفسير الثعلبي، ت: أبو محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٢م.

٢٠٣ ـ تفسير الثعلبي، ت: صلاح باعثمان، حسن الغزالي، زيد مهارش، أمين باشة، دار التفسير، جدة، ٢٠١٥م.

٢٠٤ ـ تفسير الجلالين، للمحلي والسيوطي، ط: دار الحديث، القاهرة.

٢٠٥ ـ تفسير الخازن، دار الفكر، دمشق، ١٩٧٩م.

٢٠٦ ـ ـ تفسير الخازن، تصحيح: محمد علي شاهين، ط: دار الكتب العلمية ـ بيروت، ١٤١٥هـ.

٢٠٧ ـ تفسير الرازي، المطبعة البهية بميدان الأزهر بمصر.

٢٠٨ ـ تفسير الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط: الثالثة، ١٤٢٠هـ.

٢٠٩ ـ تفسير الراغب الأصفهاني، جزء ١: المقدمة وتفسير الفاتحة والبقرة، ت: د. محمد عبد العزيز بسيوني، ط: كلية الآداب ـ جامعة طنطا، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.

٢١٠ ـ جزء ٢، ٣: من أول سورة آل عمران ـ وحتى الآية ١١٣ من سورة النساء، ت: د. عادل بن علي الشّدي، دار الوطن ـ الرياض، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.

٢١١ ـ تفسير السلمي، ت: سيد عمران، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.

٢١٢ ـ تفسير السمعاني، ت: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، ط: دار الوطن الرياض ١٩٩٧م.

٢١٣ ـ تفسير الفاتحة، لابن رجب الحنبلي، ت: سامي بن محمد بن جاد الله، ط: دار المحدث للنشر والتوزيع، ١٤٢٧هـ.

٢١٤ ـ تفسير القرآن (وهو اختصار لتفسير الماوردي)، للعز بن عبد السلام، ت: الدكتور عبد الله بن إبراهيم الوهبي، ط: دار ابن حزم ـ بيروت، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.

٢١٥ ـ تفسير القرآن من الجامع لابن وهب، ت: ميكلوش موراني، دار الغرب الإسلامي، ط١، ٢٠٠٣م.

٢١٦ ـ تفسير القرطبي، ت: عدد من الأساتذة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ٢٠٠٦م.

٢١٧ ـ تفسير القرطبي، ت: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٣٥م.

٢١٨ ـ تفسير القشيري، ت: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط٣.

٢١٩ ـ تفسير الماتريدي = تأويلات أهل السنة.

٢٢٠ ـ تفسير ابن أبي زمنين = تفسير القرآن العزيز.

٢٢١ ـ تفسير عبد الرزاق، ت: د. مصطفى مسلم محمد، مكتبة الرشد، الرياض ١٩٨٩م.

٢٢٢ ـ تفسير عبد الرزاق الصنعاني، ت: د. محمود محمد عبده، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ.

٢٢٣ ـ تفسير غريب القرآن، لابن قتيبة، ت: السيد أحمد صقر، ط: دار الكتب العلمية ١٩٧٨م.

٢٢٤ ـ تفسير مجاهد بن جبر، ت: محمد عبد السلام أبو النيل، ط: دار الفكر الإسلامي الحديثة، القاهرة، ١٤١٠هـ ـ ١٩٨٩م.

٢٢٥ ـ تفسير مجاهد، ت: عبد الرحمن الطاهر بن محمد السورتي، المنشورات العلمية، بيروت.

٢٢٦ ـ تفسير مقاتل بن سليمان، ت: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث، بيروت، ١٤٢٣هـ.

٢٢٧ ـ تفسير يحيى بن سلام، ت: هند شلبي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٤م.

٢٢٨ ـ تقريب التهذيب، لابن حجر، ت: عادل مرشد، مؤسسة الرسالة ١٩٩٦م.

٢٢٩ ـ التقفية في اللغة، للبندنيجي، ت: خليل إبراهيم العطية، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٧٦م.

٢٣٠ ـ التكملة والذيل والصلة لكتاب تاج اللغة وصحاح العربية، للصغاني، ت: جمع من المحققين.

٢٣١ ـ تلبيس إبليس، لابن الجوزي، المطبعة المنيرية ١٣٦٨هـ.

٢٣٢ ـ التلخيص الحبير، لابن حجر، ط: المدينة المنورة ١٣٨٤هـ.

٢٣٣ ـ تلخيص المتشابه، للخطيب البغدادي، ت: سكينة الشهابي، طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، ط١، ١٩٨٥م.

٢٣٤ ـ تلخيص المستدرك للذهبي، مطبوع بهامش المستدرك للحاكم.

٢٣٥ ـ التمثيل والمحاضرة، للثعالبي، ت: عبد الفتاح الحلو، ط: الدار العربية للكتاب ١٩٨٣م.

٢٣٦ ـ التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، لابن عبد البر، وزارة الأوقاف المغربية ١٩٦٧م.

٢٣٧ ـ تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين، لأبي الليث السمرقندي، ت: يوسف علي بديوي، دار ابن كثير، ط:٣، دمشق ـ بيروت، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.

٢٣٨ ـ التنبيه والإيضاح عما وقع في الصحاح، لابن بري، ت: مصطفى حجازي ومن معه، ط: مجمع اللغة العربية، القاهرة، ١٩٨٠ ـ ٢٠١٠.

٢٣٩ ـ تنزيه الشريعة المرفوعة، لابن عراق الكناني، ت: عبد الوهاب عبد اللطيف وعبد الله محمد الصديق، ط: دار الكتب العلمية ١٩٧٩م.

٢٤٠ ـ تنقيح التحقيق في أحاديث التعليق، لابن عبد الهادي الحنبلي، ت: سامي بن محمد بن جاد الله وعبد العزيز بن ناصر الخباني، ط: أضواء السلف ـ الرياض، ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م.

٢٤١ ـ تنوير المقباس، للفيروزآبادي، دار الكتب العلمية، لبنان.

٢٤٢ ـ التهجد وقيام الليل، لابن أبي الدنيا، ت: علي أحمد عبد العال الطهطاوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥م.

٢٤٣ ـ تهذيب الآثار، للطبري، ت: محمود شاكر، مطبعة المدني، القاهرة ١٣٧٥هـ.

٢٤٤ ـ تهذيب الأسماء واللغات، للنووي، إدارة الطباعة المنيرية، القاهرة.

٢٤٥ ـ تهذيب التهذيب، لابن حجر، ت: إبراهيم الزيبق وعادل مرشد، مؤسسة الرسالة ١٩٩٦م.

٢٤٦ ـ تهذيب الكمال في أسماء الرجال، للمزي، ت: د. بشار عواد، ط: مؤسسة الرسالة ١٩٨٥م.

٢٤٧ ـ تهذيب اللغة، للأزهري، ت: عبد العظيم محمود ومحمد علي النجار، ط: الدار المصرية للتأليف والترجمة.

٢٤٨ ـ تهذيب اللغة، للأزهري، ت: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠١م.

٢٤٩ ـ تهذيب اللغة، للأزهري، ت: عبد السلام هارون، ط: الدار المصرية للتأليف والترجمة.

٢٥٠ ـ توجيه اللمع، لابن الخباز، ت: أ. د. فايز زكي محمد دياب، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ط:٢، جمهورية مصر العربية، ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م.

٢٥١ ـ التوحيد، لابن منده، ت: علي بن محمد ناصر الفقيهي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة، ط١، ٢٠٠٢م.

٢٥٢ ـ توضيح المشتبه، لابن ناصر الدين الدمشقي، ت: محمد نعيم العرقسوسي، ط: مؤسسة الرسالة ١٩٩٣م.

٢٥٣ ـ التوكل، لابن الفراء، ت: د. يوسف بن علي الطريف، ط: دار الميمان للنشر والتوزيع، الرياض ـ المملكة العربية السعودية، ١٤٣٥هـ ـ ٢٠١٤م.

٢٥٤ ـ التيجان، لابن هشام، نشر: مؤسسة الرسالة ناشرون.

٢٥٥ ـ التيسير في القراءات السبع، لأبي عمرو الداني، ت: أوتو يرتزل ط: دار الكتاب العربي ١٩٨٤م.

٢٥٦ ـ جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري، ت: عبد الله التركي مع دار هجر القاهرة، ١٤٢٢هـ.

٢٥٧ ـ جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري، ت: محمود وأحمد شاكر، مكتبة ابن تيمية القاهرة، ط:٢.

٢٥٨ ـ جامع البيان، أبو عمرو الداني، ت: د. محمد كمال عتيك، مديرية النشر والطباعة والتجارة، أنقرة، ط١، ١٩٩٩م.

٢٥٩ ـ جامع البيان في القراءات السبع، للداني، جامعة الشارقة، رسائل ماجستير، ط١، ٢٠٠٧م.

٢٦٠ ـ جامع البيان في القراءات السبع المشهورة، لأبي عمرو الداني، ت: محمد صدوق الجزائري، دار الكتب العلمية بيروت، ١٤٢٦هـ.

٢٦١ ـ جامع العلوم والحكم، لابن رجب الحنبلي، ت: شعيب أرنؤوط وإبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة ١٩٩١م.

٢٦٢ ـ جامع بيان العلم وفضله، لابن عبد البر، ت: أبو الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي السعودية ١٩٩٨م.

٢٦٣ ـ الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي.

٢٦٤ ـ الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، للخطيب البغدادي، ت: د. محمود الطحان، ط: مكتبة المعارف، الرياض.

٢٦٥ ـ الجامع لمسائل المدونة، لأبي بكر التميمي الصقلي، ت: مجموعة باحثين في رسائل دكتوراه، ط: معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى (سلسلة الرسائل الجامعية الموصى بطبعها)، و ط: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٣٤هـ ـ ٢٠١٣م.

٢٦٦ ـ جامع معمر بن راشد، ت: حبيب الرحمن الأعظمي، المجلس العلمي بباكستان، ط٢، ١٤٠٣هـ.

٢٦٧ ـ جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، للحميدي، الدار المصرية للتأليف والنشر، القاهرة، ١٩٦٦م.

٢٦٨ ـ الجرح والتعديل، لابن أبي حاتم الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٩٥٣م.

٢٦٩ ـ جزء أبي طاهر= من حديث أبي الطاهر محمد بن أحمد بن عبد الله الذهلي، الدارقطني، ت: حمدي عبد المجيد السلفي، ط: دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، الكويت، ١٤٠٦هـ.

٢٧٠ ـ جزء فيه قراءات النبي ﷺ، لأبي عمر حفص القارئ، ت: حكمت بشير ياسين، ط: مكتبة الدار ـ المدينة المنورة ـ السعودية، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

٢٧١ ـ الجليس الصالح الكافي، للمعافى بن زكريا، ت: عبد الكريم سامي الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٥م.

٢٧٢ ـ الجمل في النحو، للخليل بن أحمد الفراهيدي، ت: د. فخر الدين قباوة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٩٨٧م.

٢٧٣ ـ جمهرة أشعار العرب، لأبي زيد، ت: د. محمد علي الهاشمي، ط: دار القلم (دمشق) ١٩٨٦م.

٢٧٤ ـ جمهرة أشعار العرب، لأبي زيد القرشي، ت: علي محمد البجادي، نهضة مصر للطباعة والنشر.

٢٧٥ ـ جمهرة الأمثال، لأبي هلال العسكري، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، المطبعة الأدبية بمصر ١٣١٧هـ.

٢٧٦ ـ جمهرة الأمثال، لأبي هلال العسكري، ضبط: أحمد عبد السلام، تخريج: محمد سعيد بن بسيوني زغلول، ط: دار الكتب العلمية بيروت، ١٤٠٨هـ.

٢٧٧ ـ جمهرة اللغة، لابن دريد، دار صادر، بيروت.

٢٧٨ ـ جمهرة اللغة، لابن دريد، ت: رمزي منير بعلبكي، ط١، ١٩٨٧م.

٢٧٩ ـ جمهرة أنساب العرب، لابن حزم، ت: عبد السلام هارون، ط: دار المعارف (مصر) ١٩٦٢م.

٢٨٠ ـ جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، لأحمد زكي صفوت، ط: المكتبة العلمية بيروت ـ لبنان.

٢٨١ ـ جمهرة نسب قريش وأخبارها، للزبير بن بكار الأسدي المكي، ت: محمود محمد شاكر، ط: مطبعة المدني، ١٣٨١هـ.

٢٨٢ ـ الجهاد، لابن المبارك، ت: د. نزيه حماد، ط: الدار التونسية، تونس، ١٩٧٢م.

٢٨٣ ـ الجواهر المضية في طبقات الحنفية للقرشي، ت: عبد الفتاح الحلو، دار هجر القاهرة، ط:٢، ١٤١٣هـ.

٢٨٤ ـ الجوع، لابن أبي الدنيا، ت: محمد خير رمضان يوسف، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٩٩٧م.

٢٨٥ ـ الجوهر النقي على سنن البيهقي، لابن التركماني، ط: دار الفكر.
٢٨٦ ـ حاشية ابن عابدين = رد المحتار على الدر المختار، لابن عابدين، ط: دار الفكر، ط:٢، بيروت، ١٤١٢هـ ١٩٩٢م.
٢٨٧ ـ حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي، للشهاب الخفاجي، دار صادر، بيروت.
٢٨٨ ـ حاشية الطيبي على الكشاف = فتوح الغيب.
٢٨٩ ـ الحاوي الكبير، للماوردي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٤م.
٢٩٠ ـ حجة القراءات، لابن زنجلة، ت: سعيد الأفغاني، ط: مؤسسة الرسالة ١٩٧٤م.
٢٩١ ـ الحجة في القراءات السبع، لابن خالويه، ت: د. عبد العال سالم مكرم، الأستاذ المساعد بكلية الآداب جامعة الكويت، دار الشروق، ط:٤، بيروت، ١٤٠١هـ.
٢٩٢ ـ الحجة للقراء السبعة، لأبي علي الفارسي، د. بدر الدين قهوجي وبشير جويجاتي، ط: دار المأمون للتراث.
٢٩٣ ـ حديث عباس الترقفي، ط١، ٢٠٠٤.
٢٩٤ ـ حروف المعاني، للزجاجي، ت: علي توفيق الحمد، ط: مؤسسة الرسالة، بيروت.
٢٩٥ ـ حقائق التأويل = تفسير السلمي.
٢٩٦ ـ الحلل، للبطليوسي، ت: د. مصطفى إمام، توزيع مكتبة المتنبي بالقاهرة ١٩٧٩م.
٢٩٧ ـ حلية الأولياء، لأبي نعيم الأصفهاني، مطبعة السعادة ١٩٧٤م.
٢٩٨ ـ حلية الأولياء، لأبي نعيم الأصفهاني، ط: مصورة دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٩هـ.
٢٩٩ ـ الحماسة البصرية، لأبي الحسن البصري، عالم الكتب، بيروت.
٣٠٠ ـ حياة الحيوان الكبرى، للدميري، المكتبة التجارية الكبرى.
٣٠١ ـ الحيدة والاعتذار لابن ميمون الكناني، ت: علي بن محمد بن ناصر الفقهي، مكتبة العلوم والحكم، ط:٢، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م
٣٠٢ ـ الحيوان، للجاحظ، ت: عبد السلام هارون، ط: المجمع العلمي العربي الإسلامي (منشورات محمد الداية).
٣٠٣ ـ الخراج، ليحيى بن آدم الكوفي، المطبعة السلفية، ط٢، ١٣٨٤هـ.
٣٠٤ ـ خزانة الأدب، لعبد القادر البغدادي، ت: عبد السلام هارون، ط: مكتبة الخانجي بمصر ١٩٨١م.
٣٠٥ ـ الخصائص الكبرى، للسيوطي، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.

٣٠٦ـ الخصائص، لابن جني، ت: محمد علي النجار، ط: دار الكتب المصرية ١٩٥٢م.

٣٠٧ـ الخصائص، لابن جني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٤.

٣٠٨ـ خلاصة الأحكام، للنووي، ت: حسين إسماعيل الجمل، ط: مؤسسة الرسالة، لبنان ـ بيروت، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

٣٠٩ـ خلق أفعال العباد، للبخاري، ط: مؤسسة الرسالة ١٤٠٤هـ.

٣١٠ـ الدر الفريد وبيت القصيد، للمستعصمي، ت: الدكتور كامل سلمان الجبوري، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٣٦هـ ـ ٢٠١٥م.

٣١١ـ الدر المصون، للسمين الحلبي، ت: د. أحمد محمد الخراط، ط: دار القلم ١٩٩٣م.

٣١٢ـ الدر المنثور، للسيوطي، دار الفكر، بيروت، ٢٠١١م.

٣١٣ـ الدر المنثور، للسيوطي، ت: عبد الله التركي بالتعاون مع دار هجر القاهرة، ١٤٢٤هـ.

٣١٤ـ الدراية في تخريج أحاديث الهداية، لابن حجر العسقلاني، اعتنى به: عبد الله هاشم اليماني المدني، مطبعة الفجالة الجديدة، القاهرة، ١٩٦٤م.

٣١٥ـ درج الدرر في تفسير الآي والسور، للجرجاني، ت: وليد الحسين وإياد القيسي، مجلة الحكمة بريطانيا، ١٤٢٩هـ.

٣١٦ـ الدرر اللوامع على همع الهوامع، للشنقيطي، ت: د. عبد العال سالم مكرم، دار البحوث العلمية، الكويت، ط١، ١٩٨١م.

٣١٧ـ الدعاء، للطبراني، ت: محمد سعيد البخاري، ط: دار البشائر الإسلامية، بيروت ١٤٠٧هـ.

٣١٨ـ ـ الدعاء، للطبراني، ت: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ.

٣١٩ـ الدعوات الكبير، للبيهقي، ت: بدر بن عبد الله البدر، ط: غراس للنشر والتوزيع، الكويت، ٢٠٠٩م.

٣٢٠ـ دلائل النبوة، لأبي نعيم الأصبهاني، ت: محمد رواس قلعه جي، عبد البر عباس، دار النفائس، بيروت، ط٢، ١٩٨٦م.

٣٢١ـ دلائل النبوة، للبيهقي، ت: عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٥م.

٣٢٢ـ دلائل النبوة، للبيهقي، ت: دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ.

٣٢٣ـ الدلائل في غريب الحديث، لقاسم بن ثابت السرقسطي، ت: د. محمد بن عبد الله القناص، ط: مكتبة العبيكان، الرياض، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م.

٣٢٤ـ ديوان أبي الأسود الدؤلي صنعة أبي سعيد السكري، ت: محمد حسن آل ياسين، ط: دار الهلال، بيروت، ١٤١٨هـ.

٣٢٥ـ ديوان أبي النجم العجلي، جمع وشرح: محمد أديب عبد الواحد جمران، مطبوعات مجمع اللغة العربية دمشق، ١٤٢٧هـ.

٣٢٦ـ ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي ـ ت: محمد عبده عزام ـ ط: دار المعارف مصر ١٩٦٤م.

٣٢٧ـ ديوان أبي دؤاد الإيادي، جمع وتحقيق: أنوار محمود الصالحي وأحمد هاشم السامرائي، ط: دار العصماء، دمشق، ١٤٣١هـ.

٣٢٨ـ ديوان أبي طالب، ت: يحيى سيد الأهل، عالم الكتب، بيروت.

٣٢٩ـ ديوان أبي طالب، جمع: محمد ألتونجي، ط: دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤١٤هـ.

٣٣٠ـ ديوان أبي نواس، ت: ايـڤالد ڤاغنر وغريغور شولر، دار فرانز شتاينر بـڤيسبادن، ١٩٣٢هـ.

٣٣١ـ ديوان أحيحة بن الجلاح، جمع وتحقيق: حسن محمد باجودة، نادي الطائف الأدبي.

٣٣٢ـ ديوان الأحوص، ت: د. سعدي ضناوي، ط: دار صادر ١٩٩٨م.

٣٣٣ـ ديوان الأحوص الأنصاري، جمعه وحقيقه عادل سليمان جمال، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط:٢، ١٤١١هـ.

٣٣٤ـ ديوان الأحوص الأنصاري، جمع وتحقيق: إبراهيم السامرائي، مكتبة الأندلس بغداد، ١٣٨٩هـ.

٣٣٥ـ ديوان الأخطل، طبعة علي بن عبد الله آل ثاني ١٩٦٢م.

٣٣٦ـ ديوان الأخطل صنعة السكري، ت: فخر الدين قباوة، دار الفكر، دمشق، ط:٤، ١٤١٦هـ.

٣٣٧ـ ديوان الأدب، للفارابي، ت: أحمد مختار عمر، مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة، القاهرة، ٢٠٠٣م.

٣٣٨ـ ديوان الأسود بن يعفر النهشلي، ت: نوري حمودي القيسي، مطبعة الجمهورية، ١٩٧٠م.

٣٣٩ـ ديوان الأعشى الكبير، ت: محمد محمد حسين، مكتبة الآداب، القاهرة.

٣٤٠ـ ديوان الأعشى الكبير، ت: محمود الرضواني، ط: وزارة الثقافة والفنون والتراث، قطر، ٢٠١٠م.

٣٤١ـ ديوان الحطيئة بشرح ابن السكيت والسجستاني والسكري، ت: نعمان طه، ط: مصطفى البابي الحلبي ١٩٥٨م.

٣٤٢ـ ديوان الخرنق بنت بدر، ت: د حسين نصار، ط: وزارة الثقافة في الجمهورية العربية المتحدة، ١٩٦٩م.

٣٤٣ـ ديوان الخنساء، ط: دار صادر.

٣٤٤ـ ديوان الشماخ بن ضرار، حققه صلاح الدين الهادي، ط: دار المعارف بمصر.

٣٤٥ـ ديوان العجاج عبد الله بن رؤبة، ت: د. عزة حسن، ط: دار الشرق العربي (بيروت) ١٩٩٥م.

٣٤٦ـ ديوان العجاج رواية الأصمعي وشرحه، ت: عبد الحفيظ السلطلي، مكتبة أطلس، دمشق.

٣٤٧ـ ديوان الفرزدق، ط: دار صادر.

٣٤٨ـ ديوان القطامي، ت: إبراهيم السامرائي وأحمد مطلوب، ط: دار الثقافة، (بيروت) ١٩٦٠م.

٣٤٩ـ ديوان الكميت بن زيد، ت: د. محمد نبيل طريفي، ط: دار صادر ٢٠٠٠م.

٣٥٠ـ ديوان المثقب العبدي، دار صادر.

٣٥١ـ ديوان المعاني، لأبي هلال العسكري، عالم الكتب.

٣٥٢ـ ديوان المعاني، لأبي هلال العسكري، ت: أحمد حسن بسج، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٤هـ.

٣٥٣ـ ديوان النابغة الجعدي، ط: المكتب الإسلامي ١٩٦٤م.

٣٥٤ـ ديوان النابغة الجعدي، جمع وتحقيق: واضح الصمد، ط: دار صادر، بيروت، ١٩٩٨م.

٣٥٥ـ ديوان النابغة الذبياني، ط: دار صادر.

٣٥٦ـ ديوان النابغة الذبياني، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف القاهرة، ط:٢.

٣٥٧ـ ديوان الهذليين، للدكتور أحمد كمال زكي، ط: وزارة الثقافة في الجمهورية العربية المتحدة ١٩٦٩م.

٣٥٨ـ ديوان امرئ القيس، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط: دار المعارف بمصر.

٣٥٩ـ ديوان امرئ القيس، اعتنى به: عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، ط: ٢، ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م.

٣٦٠ـ ديوان أمية بن أبي الصلت، جمعه وحققه د. سجيع الجبيلي، ط: دار صادر ١٩٩٨م.

٣٦١ـ ديوان أمية بن أبي الصلت، صنعة عبد الحفيظ السطلي.

٣٦٢ـ ديوان أوس بن حجر، ت: د. محمد يوسف نجم، ط: دار صادر ١٩٧٩م.

٣٦٣ـ ديوان بشر بن أبي خازم، ت: عزة حسن، طبعة وزارة الثقافة والإرشاد القومي في الإقليم السوري، دمشق، ١٣٧٩هـ.

٣٦٤ـ ديوان جران العود النميري رواية أبي سعيد السكري، دار الكتب المصرية القاهرة، ط:٣، ٢٠٠٠م.

٣٦٥ـ ديوان جرير بشرح محمد بن حبيب، ت: د. نعمان محمد أمين طه، ط: دار المعارف بمصر.
٣٦٦ـ ديوان جميل بن عبد الله (جميل بثينة) جمع وتحقيق د. حسين نصار، ط: مكتبة مصر ١٩٦٧م.
٣٦٧ـ ديوان حاتم الطائي، ط: دار صادر.
٣٦٨ـ ديوان حسان بن ثابت، ضبط وتصحيح عبد الرحمن البرقوقي، ط: دار الأندلس ١٩٩٦م.
٣٦٩ـ ديوان حسان بن ثابت، ت: وليد عرفات، ط: دار صادر، بيروت، ٢٠٠٦م.
٣٧٠ـ ديوان ذي الرمة، ت: د. عبد القدوس أبو صالح، ط: مؤسسة الرسالة ١٩٩٣.
٣٧١ـ ديوان ذي الرمة، ت: عبد القدوس أبو صالح، ط: مؤسسة الإيمان، جدة، ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م.
٣٧٢ـ ديوان رؤبة بن العجاج، اعتنى به وليم بن الورد البروسي، دار ابن قتيبة الكويت.
٣٧٣ـ ديوان زهير بن أبي سلمى، شرح الأعلم الشنتمري، ط: المكتبة التجارية الكبرى.
٣٧٤ـ ديوان زياد الأعجم، جمع وتحقيق د. يوسف بكار، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق ١٩٨٣م.
٣٧٥ـ ديوان طرفة بن العبد، ت: مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، ط: ٣، ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م.
٣٧٦ـ ديوان طرفة بن العبد شرح الأعلم الشنتمري، ت: درية الخطيب ولطفي الصقال، المؤسسة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ط:٢، ٢٠٠٠م.
٣٧٧ـ ديوان عبد الله بن الزبعرى، ت: د. يحيى الجبوري، ط: مؤسسة الرسالة ١٩٨٧م.
٣٧٨ـ ديوان عبيد بن الأبرص، تحقيق وشرح: حسين نصار، ط: مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٧٧هـ.
٣٧٩ـ ديوان عدي بن الرقاع رواية ثعلب، ت: نوري حمود القيسي وحاتم صالح الضامن، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٤٠٧هـ.
٣٨٠ـ ديوان عدي بن زيد، جمع محمد علي الهاشمي، نشر المكتبة العربية بحلب، ١٩٦٧م.
٣٨١ـ ديوان عدي بن زيد، جمع وتحقيق: محمد جبار المعيبد، وزارة الثقافة العراقية، بغداد، ١٣٨٥هـ.
٣٨٢ـ ديوان عمر بن أبي ربيعة، شرح محيي الدين عبد الحميد، ط: المكتبة التجارية (مصر) ١٩٦٠م.
٣٨٣ـ ديوان عمرو بن كلثوم، جمع وتحقيق: إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي بيروت، ط:٢، ١٤١٦هـ.
٣٨٤ـ ديوان عمرو بن معدي كرب، جمع وتحقيق: مطاع الطرابيشي، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق.

٣٨٥ ـ ديوان عنترة، ت: سعيد مولوي، المكتب الإسلامي، بيروت.

٣٨٦ ـ ديوان كثير عزة، شرح قدري مايو، ط: دار الجيل ١٩٩٥م.

٣٨٧ ـ ديوان كثير عزة، جمع وشرح: إحسان عباس، ط: دار الثقافة، بيروت، ١٣٩١هـ.

٣٨٨ ـ ديوان لبيد بن ربيعة، ط: دار صادر.

٣٨٩ ـ ديوان لبيد بن ربيعة، اعتنى به: حمدو طمّاس، ط: دار المعرفة، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م.

٣٩٠ ـ الذرية الطاهرة النبوية، للدولابي، ت: سعد المبارك الحسن، ط: الدار السلفية، الكويت، ١٤٠٧هـ.

٣٩١ ـ ذكر الأقران ورواياتهم، لأبي الشيخ، ت: مسعد السعدني، دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.

٣٩٢ ـ ذم الكلام وأهله، للهروي، ت: عبد الرحمن عبد العزيز الشبل، ط: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة.

٣٩٣ ـ ذم المسكر، لابن أبي الدنيا، ت: نجم عبد الرحمن خلف، دار الراية الرياض.

٣٩٤ ـ ذم الملاهي، لابن أبي الدنيا، ت: عمرو عبد المنعم سليم، ط: مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ١٤١٦هـ.

٣٩٥ ـ ذيل الأمالي والنوادر، أبو علي القالي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨٠م.

٣٩٦ ـ ربيع الأبرار، للزمخشري، ت: عبد الأمير مهنا، ط: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٤١٢هـ.

٣٩٧ ـ الرحيق المختوم للمباركفوري، دار ابن خلدون مصر.

٣٩٨ ـ الرد على الجهمية، للدارمي، ت: بدر بن عبد الله البدر، دار ابن الأثير، الكويت، ط٢، ١٩٩٥م.

٣٩٩ ـ الرسالة القشيرية، لأبي القاسم القشيري، نشر عبد الوكيل الدروبي وياسين عرفة.

٤٠٠ ـ الرسالة القشيرية، للقشيري، ت: الإمام عبد الحليم محمود ود. محمود بن الشريف، مطبعة دار الشعب، القاهرة، ١٤٠٩هـ.

٤٠١ ـ رسالة الملائكة، لأبي العلاء المعري، التنوخي، ت: عبد العزيز الميمني، ط: دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.

٤٠٢ ـ روح البيان، لأبي الفداء، دار الفكر، بيروت.

٤٠٣ ـ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للآلوسي، ت: مكتب التحقيق في مؤسسة الرسالة ٢٠١٠م.

٤٠٤ ـ الروض الأنف، للسهيلي، ت: طه عبد الرؤوف سعد، ط: مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة.

٤٠٥ ـ الروض المعطار، ت: د. إحسان عباس، ط: مكتبة لبنان ١٩٧٥م.

٤٠٦ ـ روضة الطالبين، للإمام النووي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط: ٣، ١٤١٢هـ.

٤٠٧ ـ رياض الصالحين، للنووي، ت: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٩٩٨م.

٤٠٨ ـ زاد المسير، لابن الجوزي، ت: محمد زهير الشاويش وشعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط، ط: المكتب الإسلامي، ١٩٦٨م.

٤٠٩ ـ زاد المسير، لابن الجوزي، ت: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٢٢هـ.

٤١٠ ـ الزاهر في غريب ألفاظ الإمام الشافعي، الأزهري، ت: د. المنعم طوعي بشنّاتي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط١، ١٩٩٨م.

٤١١ ـ الزاهر في معاني كلام الناس، لابن الأنباري، ت: د. حاتم صالح الضامن، ط: مؤسسة الرسالة ١٩٩٢م.

٤١٢ ـ الزهد، لابن المبارك، ت: حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية، بيروت.

٤١٣ ـ الزهد، لأحمد بن حنبل، ط: دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٣هـ.

٤١٤ ـ الزهد، لأحمد بن حنبل، وضع حواشيه: محمد عبد السلام شاهين، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.

٤١٥ ـ الزهد، للمعافى بن عمران، ت: عامر حسن صبري، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٩٩٩م.

٤١٦ ـ الزهد، لهناد بن السري، ت: عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، الكويت، ط١، ١٤٠٦هـ.

٤١٧ ـ زهر الآداب وثمر الألباب، لأبي إسحاق الحصري، ط: دار الجيل، بيروت.

٤١٨ ـ السبعة في القراءات، لابن مجاهد، ت: د. شوقي ضيف، ط: دار المعارف بمصر.

٤١٩ ـ سر صناعة الإعراب، لابن جني، ت: حسن هنداوي، ط: دار القلم، ١٩٨٥م.

٤٢٠ ـ سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، لمحمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ١٩٩٢م.

٤٢١ ـ سلم الوصول إلى طبقات الفحول، لحاجي خليفة، ت: محمود الأناؤوط، مكتبة إرسيكا استانبول، ٢٠١٠م.

٤٢٢ ـ سمط الآلي، للبكري، ت: عبد العزيز الميمني، ط: دار الحديث (بيروت) ١٩٨٤م.

٤٢٣ ـ السنة، لابن أبي عاصم، ت: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٠هـ.

٤٢٤ ـ السنة، للمروزي، ت: سالم أحمد السلفي، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ.

٤٢٥ ـ سنن ابن ماجه، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، ط: دار إحياء الكتب العربية القاهرة، ١٩٥٢م.

٤٢٦ ـ سنن ابن ماجه، ت: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، محمد كامل قره بللي، عبد اللطيف حرز الله، ط: دار الرسالة العالمية، ١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م.

٤٢٧ ـ سنن أبي داود، ت: عزت عبيد دعاس، نشر محمد علي السيد، حمص ١٣٨٩هـ.

٤٢٨ ـ سنن أبي داود، ت: شعيب الأرنؤوط، دار الرسالة العالمية، ط١، ٢٠٠٩م.

٤٢٩ ـ سنن الترمذي، ت: أحمد شاكر، المكتبة الإسلامية.

٤٣٠ ـ سنن الترمذي، ت: أحمد شاكر، فؤاد عبد الباقي، إبراهيم عطوة عوض، مطبعة البابي الحلبي، مصر، ط٢، ١٩٧٥م.

٤٣١ ـ سنن الدارمي، ت: حسين سليم أسد، ط: دار المغني، الرياض، ١٤٢١هـ.

٤٣٢ ـ السنن الكبرى، للبيهقي، ط: الهند ١٣٥٢هـ.

٤٣٣ ـ السنن الكبرى، للبيهقي، ت: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: ٣، ١٤٢٤هـ.

٤٣٤ ـ السنن الكبرى، للنسائي، ت: حسن عبد المنعم شلبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.

٤٣٥ ـ سنن النسائي (المجتبى) بشرح السيوطي، وحاشية السندي، اعتنى به ورقمه: عبد الفتاح أبو غدة، مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب.

٤٣٦ ـ سنن سعيد بن منصور (تفسير)، ت: د. سعد آل حميد، دار الصميعي الرياض ١٩٩٣م.

٤٣٧ ـ سنن سعيد بن منصور، ت: حبيب الرحمن الأعظمي، ط: دار الكتب العلمية بيروت ١٩٨٥م.

٤٣٨ ـ سير أعلام النبلاء، ت: شعيب الأرنؤوط وغيره، مؤسسة الرسالة، ١٤٠١هـ.

٤٣٩ ـ السير والمغازي، لابن إسحاق، ت: د. سهيل زكار، ط: دار الفكر ١٩٧٨م.

٤٤٠ ـ السيرة الحلبية = إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون، لأبي علي بن إبراهيم بن أحمد الحلبي، دار الكتب العلمية، ط:٢، بيروت، ١٤٢٧هـ.

٤٤١ ـ السيرة النبوية وأخبار الخلفاء، لابن حبان، ت: عزيز بك وجماعة من العلماء، الكتب الثقافية، بيروت، ط٣، ١٤١٧هـ.

٤٤٢ ـ السيرة النبوية، لابن هشام، ت: مصطفى السقا وغيره، ط: مصطفى البابي الحلبي ١٩٥٥م.

٤٤٣ ـ شرح أبيات إصلاح المنطق، للسيرافي، ت: ياسين محمد السواس، ط: الدار المتحدة للطباعة والنشر ١٩٩٢م.

٤٤٤ ـ شرح أبيات سيبويه، للسيرافي، ت: د. محمد علي سلطاني، ط: دار المأمون للتراث ١٩٧٩م.

٤٤٥ ـ شرح أبيات مغني اللبيب، للبغدادي، ت: عبد العزيز رباح وأحمد دقاق، دار المأمون للتراث، دمشق، ط، ١٩٧٣م.

٤٤٦ ـ شرح أشعار الهذليين، للسكري، ت: عبد الستار أحمد فرّاج، وراجعه محمود شاكر، ط: مكتبة دار العروبة (القاهرة).

٤٤٧ ـ شرح أشعار الهذليين، للسكري، ترتيب وتعليق: محمد محمود الشنقيطي، ط: الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة ـ ١٣٨٥هـ ١٩٦٥م، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب في السنوات ١٩٦٤، ١٩٦٧، ١٣٦٩هـ.

٤٤٨ ـ شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، للالكائي ت: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، دار طيبة، ط:٨، السعودية ١٤٢٣هـ ٢٠٠٣م.

٤٤٩ ـ شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، ١٢٩٨هـ.

٤٥٠ ـ شرح السنة، للبغوي، ت: شعيب الأرنؤوط ومحمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، ط:٢، دمشق، بيروت، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.

٤٥١ ـ شرح السنة، للبغوي، ت: شعيب الأرنؤوط، المكتب الإسلامي، دمشق ١٣٩٠هـ.

٤٥٢ ـ شرح الشفا، لعلي القاري، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١هـ.

٤٥٣ ـ شرح الشواهد الشعرية، محمد بن محمد حسن شرّاب، ط: مؤسسة الرسالة، بيروت ـ لبنان، ١٤٢٧هـ ٢٠٠٧م.

٤٥٤ ـ شرح الشواهد الكبرى = المقاصد النحوية.

٤٥٥ ـ شرح القصائد التسع، لأبي جعفر النحاس، ت: أحمد خطاب العمر، وزارة الإعلام العراقية، ١٩٧٣م.

٤٥٦ ـ شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، لأبي بكر محمد بن القاسم بن بشار الأنباري (ت ٣٢٨هـ). ت: عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، ط: الخامسة.

٤٥٧ ـ شرح القصائد العشر، للتبريزي، ت: عبد السلام الحوفي، ط: دار الكتب العلمية ١٩٨٥م.

٤٥٨ ـ شرح القصائد العشر، للتبريزي، إدارة الطباعة المنيرية، ١٣٥٢هـ.

٤٥٩ ـ شرح الكافية الشافية، لابن مالك، ت: عبد المنعم أحمد هريدي، ط: جامعة أم القرى مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي كلية الشريعة والدراسات الإسلامية مكة المكرمة، ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م.

٤٦٠ ـ شرح المعلقات السبع، للزوزني، دار صادر، بيروت.

٤٦١ ـ شرح المفصل، لابن يعيش، المطبعة المنيرية.

٤٦٢ ـ شرح أمالي القالي = سمط اللآلي في شرح أمالي القالي، لأبي عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي، ت: عبد العزيز الميمني، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان.

٤٦٣ ـ شرح تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، لابن مالك، ت: أحمد السيد، سيد أحمد علي، المكتبة التوقيفية، القاهرة.

٤٦٤ ـ شرح ديوان الحماسة، لأبي زكريا التبريزي، ط: دار القلم، بيروت.

٤٦٥ ـ شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ت: أحمد أمين وعبد السلام هارون ـ ط: لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٥١م

٤٦٦ ـ شرح ديوان الحماسة، للتبريزي، ط: عالم الكتب (بيروت).

٤٦٧ ـ شرح ديوان الحماسة، للمرزوقي، ت: غريد الشيخ، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.

٤٦٨ ـ شرح ديوان المتنبي، للعكبري، ت: مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شلبي، ط: دار المعرفة ـ بيروت.

٤٦٩ ـ شرح ديوان المتنبي، للمعري، ت: عبد المجيد دياب، دار المعارف، القاهرة، ط:٢، ١٤١٣هـ.

٤٧٠ ـ شرح ديوان زهير بن أبي سلمى صنعة ثعلب، دار الكتب المصرية، ١٣٦٣هـ.

٤٧١ ـ شرح ديوان لبيد، ت: إحسان عباس، دار الإرشاد، الكويت، ١٩٦٢م.

٤٧٢ ـ شرح شافية ابن الحاجب، للأستراباذي، ت: محمد نور الحسن، ومحمد الزخرف، ومحمد محيي الدين عبد الحميد. مطبعة حجازي بالقاهرة.

٤٧٣ ـ شرح شواهد المغني، للسيوطي، لجنة التراث.

٤٧٤ ـ شرح صحيح مسلم للنووي = المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج.

٤٧٥ ـ شرح طيبة النشر في القراءات، لابن الجزري، ت: الشيخ أنس مهرة، دار الكتب العلمية، ط:٢، بيروت، ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م.

٤٧٦ ـ شرح كتاب سيبويه، لابن المرزبان، ت: أحمد حسن مهدلي، علي سيد علي، ط: دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ٢٠٠٨م.

٤٧٧ ـ شرح مختصر الطحاوي، للجصاص، ت: د. عصمت الله عنايت الله محمد، أ. د. سائد بكداش، د محمد عبيد الله خان، د زينب محمد حسن فلاتة، أعد الكتاب للطباعة وراجعه وصححه: أ. د. سائد بكداش، ط: دار البشائر الإسلامية ودار السراج، ١٤٣١هـ ـ ٢٠١٠م.

٤٧٨ ـ شرح مذاهب أهل السنة، لابن شاهين، ت: عادل بن محمد، مؤسسة قرطبة للنشر والتوزيع، ط١، ١٩٩٥م.

٤٧٩ ـ شرح مشكل الآثار، أبو جعفر الطحاوي، ت: شعيب الأرنؤوط، ط: مؤسسة الرسالة، ١٤١٥هـ ١٩٩٤م.

٤٨٠ ـ شرح معاني الآثار، للطحاوي، ت: محمد زهري النجار، دار الكتب العلمية، بيروت ١٣٣٩هـ.

٤٨١ ـ شرح نقائض جرير والفرزدق، لابن المثنى (برواية اليزيدي عن السكري عن ابن حبيب عنه)، ت: محمد إبراهيم حور ـ وليد محمود خالص، المجمع الثقافي، ط:٢، أبو ظبي، الإمارات، ١٩٩٨م.

٤٨٢ ـ شرف المصطفى، لعبد الملك النيسابوري الخركوشي، ت: أبو عاصم نبيل بن هاشم الغمري، ط: دار البشائر، بيروت، ٢٠٠٣.

٤٨٣ ـ الشريعة، للآجري، ت: عبد الله بن عمر الدميجي، دار الوطن، الرياض، ط٢، ١٩٩٩م.

٤٨٤ ـ شعب الإيمان، للبيهقي، ت: محمد السعيد زغلول، ط: دار الكتب العلمية، ١٤١٠هـ.

٤٨٥ ـ شعب الإيمان، للبيهقي، ت: عبد العلي عبد الحميد حامد، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٣م.

٤٨٦ ـ شعب الإيمان، للبيهقي، ت: مختار أحمد الندوي ومن معه، ط: مكتبة الرشد الرياض، ١٤٢٣هـ.

٤٨٧ ـ شعر عبدة بن الطيب، جمعه يحيى الجبوري، دار التربية، بغداد، ١٣٩١هـ.

٤٨٨ ـ الشعر والشعراء، لابن قتيبة الدينوري، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٣هـ.

٤٨٩ ـ الشعر والشعراء، لابن قتيبة الدينوري، ت: أحمد شاكر، دار المعارف، القاهرة.

٤٩٠ ـ الشفا بتعريف حقوق المصطفى، للقاضي عياض، ت: محمد أمين قره علي وأسامة الرفاعي وجمال السيروان ونور الدين قره علي وعبد الفتاح السيد، ط: دار الوفاء (دمشق).

٤٩١ ـ الشفا بتعريف حقوق المصطفى مع حاشية الشمني، للقاضي عياض، دار الفكر، ١٩٨٨م.

٤٩٢ ـ شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، لنشوان بن سعيد الحميري، ت: حسين بن عبد الله العمري ومطهر بن علي الإرياني ويوسف محمد عبد الله، ط: دار الفكر، دمشق، ١٤٢٠هـ.

٤٩٣ ـ شواذ القراءات للكرماني، ت: شمران العجلي، مؤسسة البلاغ، بيروت.

٤٩٤ ـ الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، لابن فارس، ط: محمد علي بيضون، ١٤١٨هـ ـ١٩٩٧م.

٤٩٥ ـ الصحاح، للجوهري، ت: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط٣، ١٩٨٧م.

٤٩٦ ـ صحيح ابن حبان، ت: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٣م.

٤٩٧ ـ صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري، ت: محمد ناصر الدين الألباني، دار الصديق للنشر والتوزيع، ط: ٤، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

٤٩٨ ـ صحيح البخاري، ت: محمد زهير الناصر، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ.

٤٩٩ ـ صحيح البخاري، مع شرحه فتح الباري، ط: المكتبة السلفية.

٥٠٠ ـ صحيح مسلم، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٥٠١ ـ صحيح مسلم، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٧٤هـ.

٥٠٢ ـ صفات رب العالمين، من بداية (باب الرزق)، إلى نهاية (باب نزول الله جلّ ثناؤه يوم القيامة)، لابن المحب الصامت، ت: فواز بن فرحان بن راضي الشمري، رسالة: ماجستير، كلية الدعوة وأصول الدينجامعة أم القرى بمكة المكرمة، إشراف: أ. د/ هشام بن إسماعيل الصيني، ١٤٣٦هـ.

٥٠٣ ـ صفة الجنة وما أعد الله لأهلها من النعيم، لابن أبي الدنيا، ت: عبد الرحيم أحمد عبد الرحيم العساسلة، راجعه: الدكتور نجم عبد الرحمن خلف، ط: دار البشير ـ مؤسسة الرسالة، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.

٥٠٤ ـ صفة الصفوة لابن الجوزي، دار المعرفة بيروت ـ ت: محمود فاخوري ـ محمد رواس قلعجي ـ ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٧م.

٥٠٥ ـ صفة النار، لابن أبي الدنيا، ت: محمد خير رمضان يوسف، دار ابن حزم، بيروت، ١٩٩٧م.

٥٠٦ ـ الصلاة، للفضل بن دكين، ت: صلاح بن عايض الشلاحي، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة، ١٩٩٦م.

٥٠٧ ـ الصناعتين، لأبي الهلال العسكري، ت: علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤١٩هـ.

٥٠٨ ـ ضرائر الشعر، لابن عصفور، ت: السيد إبراهيم محمد، ط: دار الأندلس ١٩٨٠م.

٥٠٩ ـ الضعفاء الكبير، للعقيلي، ت: عبد المعطي أمين قلعجي، ط: دار المكتبة العلمية، بيروت، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.

٥١٠ ـ ضعيف الجامع الصغير وزيادته، للألباني، أشرف على طبعه: زهير الشاويش، ط: المكتب الإسلامي.

٥١١ ـ طبقات الشافعية الكبرى، للسبكي، ت: محمود الطناحي وعبد الفتاح الحلو، ط: عيسى البابي الحلبي ١٩٦٤م.

٥١٢ ـ طبقات الشافعية، لابن قاضي شهبة، اعتنى بتصحيحه: د. عبد العليم خان، دائرة المعارف العثمانية، حيد آباد الدكن، ط٢، ١٩٧٨م.

٥١٣ ـ ـ طبقات الشافعية، لابن الصلاح، هذبه ورتبه واستدرك عليه الإمام النووي، وبيضه المزي، ت: محيي الدين علي نجيب، ط: دار البشار الإسلامية، بيروت، ١٤١٣هـ.

٥١٤ ـ طبقات الشعراء، لابن المعتز، ت: عبد الستار أحمد فراج، دار المعارف مصر.

٥١٥ ـ طبقات الصوفية، لأبي عبد الرحمن السلمي، ت: مصطفى عبد القادر عطا، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

٥١٦ ـ الطبقات الكبرى، لابن سعد، ت: د. إحسان عباس، ط: دار صادر، بيروت ١٩٥٧م، وطبعة الدكتور: علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ٢٠٠١م.

٥١٧ ـ طبقات المحدثين بأصبهان، لأبي الشيخ، ت: عبد الغفور عبد الحق حسين البلوشي، مؤسسة الرسالة، ط:٢، بيروت، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.

٥١٨ ـ طبقات المفسرين، للداودي، ت: علي محمد عمر، نشر مكتبة وهبة (مصر) ١٩٧٢م.

٥١٩ ـ طبقات النحويين واللغويين، للزبيدي، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط: دار المعارف (مصر).

٥٢٠ ـ طبقات خليفة بن خياط، ت: سهيل زكار، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٦٦م.

٥٢١ ـ طبقات فحول الشعراء، لابن سلام، ت: محمود شاكر، ط: مكتبة الخانجي بمصر ١٩٣٢م.

٥٢٢ ـ الطيوريات، لأبي طاهر السلفي، ت: دسمان يحيى معالي، عباس صخر الحسن، ط١، ٢٠٠٤م.

٥٢٣ ـ العبر في خبر من غبر، للذهبي، ت: محمد السعيد بن بسيوني زغلول، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٥هـ.

٥٢٤ ـ العجاب في بيان الأسباب، لابن حجر العسقلاني، ت: عبد الحكيم محمد الأنيس، ط: دار ابن الجوزي ١٩٩٧م.

٥٢٥ ـ عرائس المجالس، للثعلبي، ط: دار الفكر (بيروت) ٢٠٠٠م.

٥٢٦ ـ عرائس المجالس، للثعلبي، ت: القاضي محمد إبراهيم بن نور محمد، ط: مطبعة الحيدر.

٥٢٧ ـ العرش، للذهبي، ت: محمد بن خليفة بن علي التميمي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، ط:٢، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م

٥٢٨ ـ العرش وما روي فيه، لابن أبي شيبة، ت: محمد بن خليفة بن علي التميمي، مكتبة الرشد، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م.

٥٢٩ ـ العزلة، للخطابي، المطبعة السلفية، ط:٢، القاهرة، ١٣٩٩هـ.

٥٣٠ ـ العظمة، لأبي الشيخ، ت: مصطفى عاشور ومجدي إبراهيم، مكتبة القرآن، القاهرة ١٩٩٠م.

٥٣١ ـ العظمة، لأبي الشيخ، ت: رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري، ط: دار العاصمة، الرياض.

٥٣٢ ـ عقد الدرر في أخبار المنتظر وهو المهدي عليه السلام، ليوسف بن يحيى بن علي السلمي الشافعي، ت: الشيخ مهيب بن صالح بن عبد الرحمن البوريني، مكتبة المنار، ط:٢، الزرقاء ـ الأردن، ١٤١٠هـ ـ ١٩٨٩م.

٥٣٣ ـ العقد الفريد، لابن عبد ربه، ت: أحمد أمين وأحمد الزين وإبراهيم الأبياري، ط: لجنة التأليف والترجمة (القاهرة) ١٩٦٥م.

٥٣٤ ـ عقلاء المجانين، لابن حبيب النيسابوري، دار البصائر، دمشق، ط٢، ١٩٨٥م.

٥٣٥ ـ العقوبات، لابن أبي الدنيا، ت: محمد رمضان، ط: دار الصميعي، الرياض.

٥٣٦ ـ العقوبات، لابن أبي الدنيا، ت: محمد خير رمضان يوسف، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٩٩٦م.

٥٣٧ ـ علل الحديث، لابن أبي حاتم الرازي، ط: مكتبة المثنى، بغداد ١٣٤٣هـ.

٥٣٨ ـ العلل الصغير، للترمذي، ت: أحمد محمد شاكر وآخرون، ط: دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

٥٣٩ ـ العلل المتناهية في الأحاديث الواهية، لابن الجوزي، ت: خليل الميس، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٣م.

٥٤٠ ـ العلل المتناهية، لابن الجوزي، ت: إرشاد الحق الأثري، إدارة العلوم الأثرية، فيصل آباد، باكستان، ط٢، ١٩٨١م.

٥٤١ ـ العلل، للدارقطني، ت: محفوظ الرحمن السلفي، محمد بن صالح الدباسي، دار طيبة، الرياض، ط١، ١٩٨٥م، دار ابن الجوزي، ط١، ١٤٢٧هـ.

٥٤٢ ـ عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، للسمين الحلبي، ت: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.

٥٤٣ ـ عمدة القاري، للعيني، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٥٤٤ ـ العمدة في محاسن الشعر وآدابه، للأزدي، ت: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ط:٥، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.

٥٤٥ ـ عمل اليوم والليلة، لابن السني، ت: عبد الرحمن البرني، دار القبلة ومؤسسة علوم القرآن.

٥٤٦ ـ عمل اليوم والليلة، للنسائي، ت: فاروق حمادة، مؤسسة الرسالة ١٤٠٦هـ.

٥٤٧ ـ العين، للخليل، ت: د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي، ط: دار الهجرة (إيران قم) ١٤٠٥هـ.

٥٤٨ ـ عيون الأخبار، لابن قتيبة، ط: دار الكتاب العربي (بيروت) مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية لسنة ١٩٢٥م.

٥٤٩ ـ عيون الأخبار، لابن قتيبة، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ.

٥٥٠ ـ غاية النهاية في طبقات القراء = طبقات القراء لابن الجزري.

٥٥١ ـ غرائب التفسير وعجائب التأويل، لتاج القراء الكرماني، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة.

٥٥٢ ـ غرائب حديث الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه، لأبي الحسين البزاز البغدادي، ت: أبي عبد الباري رضا بن خالد الجزائري، ط: دار السلف، الرياض ـ السعودية، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

٥٥٣ ـ غرر الخصائص الواضحة، للوطواط، ط: دار صعب (بيروت).

٥٥٤ ـ غريب الحديث، لإبراهيم الحربي، ت: سليمان إبراهيم محمد العايد، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط١، ١٤٠٥هـ.

٥٥٥ ـ غريب الحديث، لابن قتيبة، صنع فهارسه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٨م.

٥٥٦ ـ غريب الحديث، لابن قتيبة، ت: د. عبد الله الجبوري، ط: مطبعة العاني، بغداد، ١٣٩٧.

٥٥٧ ـ غريب الحديث، لأبي عبيد، ط: دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٧٦م.

٥٥٨ ـ غريب الحديث، لأبي عبيد، ت: د. محمد عبد المعيد خان، ط: مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٤م.

٥٥٩ ـ غريب الحديث، لأبي عبيد، ت: حسين محمد شرف، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ١٤٠٤هـ.

٥٦٠ ـ غريب الحديث، للخطابي، ت: عبد الكريم إبراهيم الغرباوي، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٢م.

٥٦١ ـ الغريب المصنف، لأبي عبيد الهروي، مكتبة نزار الباز، السعودية، ط١، ١٩٩٧م.

٥٦٢ ـ الغريبين في القرآن والحديث، لأبي عبيد الهروي، ت: أحمد فريد المزيدي، المكتبة العصرية، لبنان.

٥٦٣ ـ الفاضل، للمبرد، ت: عبد العزيز الميمني، ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٥٦٤ ـ الفائق في غريب الحديث، للزمخشري، ت: علي البجاوي، ط: عيسى البابي الحلبي ١٩٧١م.

٥٦٥ ـ الفتاوى الحديثية، للهيتمي، دار الفكر.

٥٦٦ ـ فتاوى النووي، ترتيب تلميذه علاء الدين بن العطار، ت: محمد الحجار، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط:٦، ١٤١٧هـ.

٥٦٧ ـ فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، المكتبة السلفية.

٥٦٨ ـ فتح الباري، لابن حجر العسقلاني، ت: محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.

٥٦٩ ـ فتح البيان في مقاصد القرآن، للقنّوجي، ت: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، ط: المكتبة العصريّة للطباعة والنّشر، صيدا ـ بيروت، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.

٥٧٠ ـ الفتح السماوي، للمناوي، ت: أحمد مجتبى، دار العاصمة، الرياض.

٥٧١ ـ فتح القدير، للشوكاني، ط: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب ـ دمشق، بيروت، ١٤١٤هـ.

٥٧٢ ـ فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب= حاشية الطيبي على الكشاف، للطيبي، ت: د. جميل بني عطا، ط: جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، ١٤٣٤هـ ـ ٢٠١٣ م

٥٧٣ ـ الفردوس بمأثور الخطاب، للديلمي، ت: السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٦م.

٥٧٤ ـ الفروق اللغوية، لابن مهران العسكري، ت: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة ـ مصر.

٥٧٥ ـ الفصل في الملل والأهواء والنحل، لابن حزم الأندلسي دار المعرفة، بيروت، ط٢، ١٩٧٥م.

٥٧٦ ـ فضائل الأوقات، للبيهقي، ت: عدنان عبد الرحمن مجيد القيسي، ط: مكتبة المنارة ـ مكة المكرمة، ١٤١٠هـ.

٥٧٧ ـ فضائل الصحابة، للإمام أحمد بن حنبل، ت: وصي الله محمد عباس، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٨٣م.

٥٧٨ ـ فضائل القرآن، لابن الضريس، ت: غزوة بدير، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٩٨٧م.

٥٧٩ ـ فضائل القرآن، لأبي عبيد، ت: وهبي الغاوجي، دار الكتب العلمية، ١٩٩١م.

٥٨٠ ـ فضائل القرآن، لأبي عبيد، ت: مروان العطية، ومحسن خرابة، ووفاء تقي الدين، دار ابن كثير، (دمشق ـ بيروت)، ط١، ١٩٩٥م.

٥٨١ ـ فضائل القرآن، للمستغفري، ت: أحمد بن فارس السلوم، دار ابن حزم، ط١، ٢٠٠٨م.

٥٨٢ ـ فضائل رمضان، لابن أبي الدنيا، ت: عبد الله بن حمد المنصور، دار السلف، الرياض، ط١، ١٩٩٥م.

٥٨٣ ـ فضل التهليل وثوابه الجزيل، لابن البنا الحنبلي، عبد الله بن يوسف الجديع، دار العاصمة، الرياض، ط١، ١٤٠٩هـ.

٥٨٤ ـ فضيلة العادلين، لأبي نعيم الأصبهاني، ت: مشهور حسن محمود سلمان، دار الوطن، الرياض، ط١، ١٩٩٧م.

٥٨٥ ـ الفقه الأكبر (مطبوع مع الشرح الميسر على الفقهين الأبسط والأكبر لأبي حنيفة تأليف محمد بن عبد الرحمن الخميس)، لأبي حنيفة النعمان، مكتبة الفرقان، الإمارات العربية، ١٤١٩هـ ١٩٩٩م.

٥٨٦ ـ الفقيه و المتفقه، للخطيب البغدادي، ت: أبو عبد الرحمن عادل بن يوسف الغرازي، دار ابن الجوزي، ط:٢، السعودية، ١٤٢١هـ.

٥٨٧ ـ الفقيه والمتفقه، للخطيب البغدادي، صحّحه إسماعيل الأنصاري، دار إحياء السنة النبوية، ١٩٧٥م.

٥٨٨ ـ فنون العجائب، لابن مهدي الأصبهاني، ت: طارق الطنطاوي، ط: مكتبة القرآن، القاهرة.

٥٨٩ ـ الفهرست، لابن النديم، ت: رضا تجدد.

٥٩٠ ـ فهم القرآن، للمحاسبي، ت: حسين القوتلي، دار الكندي، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٨هـ.

٥٩١ ـ فوائد أبي القاسم الحنائي، ت: خالد رزق محمد جبر أبو النجا، أضواء السلف، ط١، ٢٠٠٧م.

٥٩٢ ـ فوائد أبي بكر الشافعي، ت: فاروق بن عبد العليم بن مرسي، ط: دار أضواء السلف، الرياض، ١٤١٦هـ.

٥٩٣ ـ الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة للشوكاني، ت: عبد الرحمن اليماني وعبد الوهاب وعبد اللطيف، ط: مطبعة السنة المحمدية (القاهرة)، ١٩٦٠م.

٥٩٤ ـ فوائد تمام، لتمام بن محمد الرازي، ت: حمدي عبد المجيد السلفي، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤١٢هـ.

٥٩٥ ـ الفوائد والزهد والرقائق والمراثي، للخلدي، ت: مجدي فتحي السيد، ط: دار الصحابة للتراث للنشر والتحقيق والتوزيع، طنطا ـ مصر، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م.

٥٩٦ ـ فيض القدير شرح الجامع الصغير، للمناوي، ط: دار المعرفة، ١٩٣٨م.

٥٩٧ ـ فيض القدير، للمناوي، المكتبة التجارية، مصر، ط١، ١٣٥٦هـ.

٥٩٨ ـ القاموس المحيط، للفيروزآبادي، ت: مكتب التحقيق في مؤسسة الرسالة بدمشق ١٩٨٧م.

٥٩٩ ـ القبس (شرح الموطأ)، لأبي بكر بن العربي، ت: د. محمد عبد الله ولد كريم، ط: دار الغرب الإسلامي ١٩٩٢م.

٦٠٠ ـ القضاء والقدر، للبيهقي، ت: محمد بن عبد الله آل عامر، مكتبة العبيكان، الرياض، ط١، ٢٠٠٠م.

٦٠١ ـ القطع والائتناف، لأبي جعفر النحاس، ت: عبد الرحمن بن إبراهيم المطرودي، دار عالم الكتب، السعودية، ط١، ١٩٩٢م.

٦٠٢ ـ القوانين الفقهية، لابن جزي، ت: محمد بن سيدي محمد مولاي.

٦٠٣ ـ قوت القلوب، لأبي طالب المكي، ت: عاصم إبراهيم الكيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ٢٠٠٥م.

٦٠٤ ـ القول في علم النجوم، للخطيب البغدادي، ت: الدكتور يوسف بن محمد السعيد، دار أطلس للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.

٦٠٥ ـ الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف، لابن حجر، مصورة عن طبعة دار المعرفة (بيروت).

٦٠٦ ـ الكافي في فقه أهل المدينة المالكي، لابن عبد البر، ت: محمد محمد أحيد ولد ماديك الموريتاني، ط: مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، ١٣٩٨هـ.

٦٠٧ ـ الكامل في الضعفاء، لابن عدي: ط: دار الفكر، ١٤٠٤هـ.

٦٠٨ ـ الكامل في الضعفاء، لابن عدي، ت: يحيى مختار غزاوي، دار الفكر، بيروت، ط٣، ١٤٠٩ ـ ١٩٨٨م.

٦٠٩ ـ الكامل في الضعفاء، لابن عدي، ت: عادل عبد الموجود وعلي معوض، ط: دار الكتب العلمية بيروت، ١٤١٨هـ.

٦١٠ ـ الكامل في القراءات، للهذلي، ت: جمال بن السيد بن رفاعي الشايب، مؤسسة سما للتوزيع والنشر، ط١، ٢٠٠٧م.

٦١١ ـ الكامل، للمبرد، ت: محمد الدالي، ط: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٦م.

٦١٢ ـ الكامل، للمبرد، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط: الطبعة الثالثة، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.

٦١٣ ـ كتاب الألفاظ (أقدم معجم في المعاني)، لابن السكيت، ت: د. فخر الدين قباوة، ط: مكتبة لبنان ناشرون، ١٩٩٨م.

٦١٤ ـ كتاب التوحيد، لابن خزيمة، ت: عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان، مكتبة الرشد، ط:٥، الرياض ـ السعودية، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.

٦١٥ ـ التوحيد ومعرفة أسماء الله، لابن منده، ت: الدكتور علي بن محمد ناصر الفقيهي، ط: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، دار العلوم والحكم، سوريا، ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م.

٦١٦ ـ الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد، للمنتجب الهمذاني، ت: محمد نظام الدين الفتيح، دار الزمان، المدينة المنورة، ط١، ٢٠٠٦م.

٦١٧ ـ كتاب سيبويه، ت: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط:٣، ١٤٠٨هـ.

٦١٨ ـ الكشاف، للزمخشري، ط: دار المعرفة، بيروت.

٦١٩ ـ الكشاف، للزمخشري، ط: دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧هـ.

٦٢٠ ـ كشف الأستار عن زوائد البزار، للهيثمي، ت: حبيب الرحمن الأعظمي، مؤسسة الرسالة ١٩٧٩م.

٦٢١ ـ كشف الأسرار عن أصول البزدوي، لعلاء الدين البخاري، ط: دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٧٤م.

٦٢٢ ـ كشف الأسرار عن أصول البزدوي، لعلاء الدين البخاري، ط: دار الكتاب الإسلامي.

٦٢٣ ـ كشف الخفا، للعجلوني، ت: أحمد القلاش، ط: مؤسسة الرسالة ١٩٩٦م.

٦٢٤ ـ كشف الخفا، للعجلوني، وطبعة عبد الحميد بن أحمد الهنداوي، ط: المكتبة العصرية، ٢٠٠٠م.

٦٢٥ ـ كشف الخفا، للعجلوني، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٣٥١هـ.

٦٢٦ ـ كشف الظنون، لحاجي خليفة، ط: مكتبة المثنى (بيروت).

٦٢٧ ـ كشف المشكل من حديث الصحيحين، لابن الجوزي، ت: علي حسين البواب، دار الوطن، الرياض.

٦٢٨ ـ الكشف عن وجوه القراءات السبع، لمكي بن أبي طالب، ت: د. محيي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة ١٩٨١م.

٦٢٩ ـ الكنى والأسماء، للدولابي، ط: دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٣هـ.

٦٣٠ ـ الكنى والأسماء، للدولابي، ت: نظر محمد الفاريابي، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م.

٦٣١ ـ اللآلئ المصنوعة، للسيوطي، دار المعرفة، بيروت.

٦٣٢ ـ اللامع العزيزي شرح ديوان المتنبي، للمعري، ت: محمد سعيد المولوي، ط: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م

٦٣٣ ـ اللباب في تهذيب الأنساب، لابن الأثير، ط: دار صادر.

٦٣٤ ـ اللباب في شرح الكتاب، للغنيمي الميداني، ت: بشار بكري عرابي، المكتبة العمرية، دمشق.

٦٣٥ ـ اللباب، لابن عادل الحنبلي، ت: عادل أحمد عبد الموجود وعلي معوض، ط: دار الكتب العلمية، ١٩٩٨م.

٦٣٦ ـ لسان العرب، لابن منظور، ط: دار صادر، ١٩٩٧م.

٦٣٧ ـ لسان الميزان، لابن حجر، مؤسسة الأعلمي، بيروت ١٣٩٠هـ، مطبعة الشيخ عبد الفتاح أبو غدة، دار البشائر الإسلامية، ط١، ٢٠٠٢م.

٦٣٨ ـ لطائف الإشارات = تفسير القشيري.

٦٣٩ ـ لطائف المعارف، لابن رجب الحنبلي، ط: دار ابن حزم للطبتعة والنشر، ١٤٢٤هـ ٢٠٠٤م.

٦٤٠ ـ لغات القرآن، للفراء، ضبطه: جابر بن عبد الله السريع، منشور على النت، ١٤٣٥هـ.

٦٤١ ـ المبسوط، للسرخسي، ط: دار المعرفة، ١٩٩٣م.

٦٤٢ ـ المثل السائر، لابن الأثير، ت: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، دار نهضة مصر، القاهرة.

٦٤٣ ـ مجاز القرآن، لأبي عبيدة، ت: محمد فؤاد سزكين، ط: مؤسسة الرسالة.

٦٤٤ ـ مجالس ثعلب، ت: عبد السلام هارون، ط: دار المعارف بمصر.

٦٤٥ ـ المجالسة وجواهر العلم، للدينوري، ت: مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن حزم، الرياض، ط١، ١٩٩٨م.

٦٤٦ ـ المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين، لابن حبان، ت: محمود زايد، دار الوعي، حلب ١٩٣٦م.

٦٤٧ ـ مجمع الأمثال، للميداني، ت: محيي الدين عبد الحميد، ط: مطبعة السنة المحمدية.

٦٤٨ ـ مجمع البيان، للطبرسي، ط: دار مكتبة الحياة، بيروت.

٦٤٩ ـ مجمع الزوائد، للهيثمي، ط: مكتبة القدسي، القاهرة ١٣٥٢هـ.

٦٥٠ ـ مجمع الزوائد، للهيثمي، ط: دار الكتاب العربي، بيروت.

٦٥١ ـ مجمع الغرائب ومنبع الرغائب ـ عبد الغافر بن إسماعيل الفارسي ـ تحقيق ماهر أديب حبوش ـ الطبعة الأولى ٢٠١٨، الناشر: جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم.

٦٥٢ ـ مجمل اللغة، لابن فارس، ت: زهير عبد المحسن سلطان، ط: مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٤م.

٦٥٣ ـ مجموع رسائل علي القاري، ت: ماهر أديب حبوش، دار اللباب، إسطنبول، ٢٠١٦م.

٦٥٤ ـ المجموع، للنووي، دار الفكر بيروت.

٦٥٥ ـ المجيد في إعراب القرآن المجيد، للسّفاقسي، ت: حاتم صالح الضامن، ط: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، ١٤٣٠هـ.

٦٥٦ ـ محاسبة النفس، لابن أبي الدنيا، ت: المسعتصم بالله أبي هريرة مصطفى بن علي بن عوض، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

٦٥٧ ـ المحاسن والأضداد، للجاحظ، صححه محمد الأمين الخانجي، ط: مطبعة السعادة، مصر، ١٣٢٤هـ.

٦٥٨ ـ محاضرات الأدباء، للراغب الأصفهاني، ت: د. رياض عبد الحميد مراد، دار صادر، بيروت، ط٢، ٢٠٠٦م.

٦٥٩ ـ محاضرات الأدباء، للراغب الأصفهاني، ط: دار الأرقم، بيروت، ١٤٢٠هـ.

٦٦٠ ـ المحب والمحبوب، للسري الرفاء.

٦٦١ ـ المحتسب، لابن جني، ت: علي النجدي ناصف ود. عبد الفتاح شلبي، ط: لجنة إحياء التراث الإسلامي (القاهرة) ١٩٦٩م.

٦٦٢ ـ المحتسب، لابن جني، وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ١٩٩٩م.

٦٦٣ ـ المحرر الوجيز، لابن عطية، ت: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط: دار الكتب العلمية ١٩٩٣م.

٦٦٤ ـ المحكم والمحيط الأعظم، لابن سيده، ت: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م.

٦٦٥ ـ المحلى، لابن حزم، ت: أحمد شاكر، ط: إدارة الطباعة المنيرية ١٣٤٧هـ.

٦٦٦ ـ المحلى، لابن حزم، ط: دار الفكر، بيروت.

٦٦٧ ـ مختار الصحاح، الرازي، ت: حمزة فتح الله، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٤م.

٦٦٨ ـ مختارات شعراء العرب، لابن الشجري، ت: علي محمد البجاوي، ط: دار الجيل، بيروت، ١٤١٢هـ.

٦٦٩ ـ مختصر المزني في فروع الشافعية، وضع حواشيه: محمد عبد القادر شاهين، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ.

٦٧٠ ـ مختصر تاريخ دمشق، لابن منظور، ت: عدد من الأساتذة، دار الفكر، ط١، ١٩٨٤م.

٦٧١ ـ المختصر في شواذ القراءات ـ ابن خالويه ـ ت: ج برجشتراسر ـ ط: مكتبة المتنبي القاهرة.

٦٧٢ ـ المختصر في شواذ القراءات، لابن خالويه، مكتبة المتنبي، القاهرة.

٦٧٣ ـ مختصر قيام الليل، لأبي عبد الله محمد بن نصر بن الحجاج المروزي، اختصرها: العلامة أحمد بن علي المقريزي، ط: حديث أكادمي، فيصل اباد ـ باكستان، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

٦٧٤ ـ مدارج السالكين، لابن قيم الجوزية، ت: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، ط:٣، بيروت، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.

٦٧٥ ـ مدارك التنزيل وحقائق التأويل، للنسفي، ت: يوسف علي بديوي، ط: دار الكلم الطيب، بيروت، ١٤١٩هـ.

٦٧٦ ـ المدخل إلى كتاب الإكليل، لابن البيع، ت: د. فؤاد عبد المنعم أحمد، دار الدعوة، الإسكندرية.

٦٧٧ ـ المدهش، لابن الجوزي، ت: مروان قباني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:٢، ١٤٠٥هـ.

٦٧٨ ـ المدونة الكبرى، للإمام مالك رواية سحنون، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٥هـ.

٦٧٩ ـ المذكر والمؤنث، للسجستاني، ت: د. عزة حسن، ط: دار الشروق العربي.

٦٨٠ ـ المذكر والمؤنث، لأبي بكر ابن الأنباري، ت: محمد عبد الخالق عضيمة، مطبوعات لجنة إحياء التراث في وزارة الأوقاف المصرية، القاهرة، ١٤٠١هـ.

٦٨١ ـ المراسيل، لابن أبي أحاتم، ت: أحمد الكاتب، دار الكتب العلمية، ت: شكر الله قوجاني، مؤسسة الرسالة ١٩٧٧م.

٦٨٢ ـ المراسيل، لأبي داود، ت: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط:٢، ١٤١٨هـ.

٦٨٣ ـ مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، لملا علي قاري، ط: دار الفكر، بيروت ـ لبنان، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠٢م.

٦٨٤ ـ مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، للعمري، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ط١، ١٤٢٣هـ.

٦٨٥ ـ المسائل البصريات، لأبي علي الفارسي ت: د. محمد الشاطر أحمد محمد أحمد، ط: مطبعة المدني، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥هـ.

٦٨٦ ـ مستخرج أبي عوانة = مسند أبي عوانة.

٦٨٧ ـ المستدرك على الصحيحين، المذيل بترجمة فرنسية، ط: باريس.

٦٨٨ ـ المستدرك على الصحيحين، ت: مصطفى عبد القادر عطا، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م.

٦٨٩ ـ المستقصى في أمثال العرب، للزمخشري، ط: دار الكتب العلمية، ١٩٨٧م.

٦٩٠ ـ المستقصى في أمثال العرب، للزمخشري، ط: دائرة المعارف العثمانية بحيدر أباد الدكن، الهند، ١٣٨١هـ.

٦٩١ ـ مسند أبي حنيفة، لأبي نعيم الأصبهاني، ت: نظر الفاريابي، ط: مكتبة الكوثر، الرياض، ١٤١٥هـ.

٦٩٢ ـ مسند أبي عوانة، ت: أيمن بن عارف الدمشقي، ط: دار المعرفة، بيروت، ١٤١٩هـ.

٦٩٣ ـ مسند أبي يعلى، ت: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، دمشق، ط١، ١٩٨٤م.

٦٩٤ ـ مسند أحمد بن حنبل، ت: شعيب الأرنؤوط وغيره، مؤسسة الرسالة.

٦٩٥ ـ مسند إسحاق بن راهويه، ت: عبد الغفور بن عبد الحق البلوشي، مكتبة الإيمان، المدينة المنورة، ط١، ١٩٩١م.

٦٩٦ ـ مسند البزار = البحر الزخار.

٦٩٧ ـ مسند الحارث (بغية الباحث)، للهيثمي، ت: حسين أحمد صالح الباكري، مركز خدمة السنة والسيرة النبوية، المدينة، ط١، ١٩٩٢م.

٦٩٨ ـ مسند الحميدي، ت: حسن سليم أسد، دار السقا، دمشق، ط١، ١٩٩٦م.

٦٩٩ ـ مسند الروياني، ت: أيمن علي أبو يماني، مؤسسة قرطبة، القاهرة، ط١، ١٤١٦هـ.

٧٠٠ ـ مسند الشافعي ويليه ترتيب مسند الإمام، رتبه سنجر بن عبد الله الناصري، ت: رفعت فوزي عبد المطلب، ط: دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٤٢٦هـ.

٧٠١ ـ مسند الشاميين، للطبراني، ت: حمدي السلفي، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٦م.

٧٠٢ ـ مسند الشهابي، للقضاعي، ت: حمدي السلفي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٦م.

٧٠٣ ـ مسند الطيالسي، ت: محمد بن عبد المحسن التركي، دار هجر، مصر، ط١، ١٩٩٩م.

٧٠٤ ـ مسند الفردوس، للديلمي، ت: السعيد زغلول، ط: دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٦م.

٧٠٥ ـ مسند عبد الله بن عمر، للطرسوسي، ت: أحمد راتب عرموش، دار النفائس ـ بيروت، ١٣٩٣

٧٠٦ ـ مشكل إعراب القرآن، لمكي بن أبي طالب، ت: د. حاتم الضامن، ط: مؤسسة الرسالة ١٩٨٤م.

٧٠٧ ـ مشيخة الفسوي، ت: محمد بن عبد الله السريع، دار العاصمة، الرياض، ١٤٣١ه.

٧٠٨ ـ المصاحف لابن أبي داود، ت: محب الدين واعظ، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ٢٠٠٢م

٧٠٩ ـ المصاحف لابن أبي داود، ت: محمد بن عبده، الفاروق الحديثة، مصر، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م.

٧١٠ ـ مصارع العشاق، للسراج القاري، ط: دار صادر، بيروت.

٧١١ ـ مصاعد النّظر للإشراف على مقاصد السّور= المقصد الأسمى في مطابقة اسم كلّ سورة للمسمّى، لإبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، ط: مكتبة المعارف ـ الرياض، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٧م.

٧١٢ـ مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه، للبوصيري، دراسة وتقديم: كمال يوسف الحوت، دار الجنان، بيروت، ط١، ١٩٨٦م.

٧١٣ـ المصباح المنير، ط: المكتبة العلمية (بيروت).

٧١٤ـ المصباح المنير، للفيومي، مكتبة لبنان، بيروت.

٧١٥ـ المصنف، لابن أبي شيبة، ت: عبد الخالق الأفغاني، ط: الدار السلفية، الهند ١٩٨٠م، وطبعة الشيخ محمد عوامة، شركة دار القبلة، مؤسسة علوم القرآن، ط١، ٢٠٠٦م، وتحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤٠٩هـ.

٧١٦ـ المصنف، لابن أبي شيبة، تحقيق: كمال يوسف الحوت، ط: مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٠٩هـ.

٧١٧ـ المصنف، لعبد الرزاق، ت: حبيب الرحمن الأعظمي، المجلس العلمي، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٧١م.

٧١٨ـ مصنفات ابن الحمامي، ت: نبيل سعد الدين جرار، أضواء السلف، ط١، ٢٠٠٤م.

٧١٩ـ المطالب العالية، لابن حجر، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.

٧٢٠ـ المطالب العالية، لابن حجر العسقلاني، رسائل علمية مقدمة لجامعة الإمام محمد بن سعود، دار العاصمة، السعودية، ط١، ١٤١٩هـ.

٧٢١ـ مطالع الأنوار على صحاح الآثار، لابن قرقول، ت: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، ط: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، دولة قطر، ١٤٣٣هـ ـ ٢٠١٢م.

٧٢٢ـ المعارف، لابن قتيبة، ت: د. ثروت عكاشة، ط: دار المعارف بمصر.

٧٢٣ـ معالم التنزيل، للبغوي، ت: محمد عبد الله النمر، وعثمان ضميرية وسليمان الحرش، دار طيبة، الرياض، ١٤٠٩هـ.

٧٢٤ـ معالم السنن، للخطابي، المكتبة العلمية، حلب.

٧٢٥ـ معاني القراءات، للأزهري، ط: مركز البحوث في كلية الآداب ـ جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩١م.

٧٢٦ـ معاني القرآن، للأخفش، ت: هدى محمود قراعة، ط: مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤١١هـ.

٧٢٧ـ معاني القرآن، للزجاج، ت: د. عبد الجليل عبده سلبي، دار الحديث، القاهرة، ط١، ١٩٩٤م.

٧٢٨ـ معاني القرآن، للفراء، ت: أحمد يوسف النجاتي، محمد علي النجار، عبد الفتاح الشلبي، دار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، ط١.

٧٢٩ـ معاني القرآن، للنحاس، ت: محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى، ١٤٠٨هـ.

٧٣٠ـ المعاني الكبير، لابن قتيبة، ط: دار الكتب العلمية ١٩٨٤م.
٧٣١ـ ـ المعاني الكبير، لابن قتيبة، صححه المستشرق سالم الكرنكوي، ط: دار النهضة الحديثة، بيروت، ١٨٧٢م.
٧٣٢ـ معترك الأقران في إعجاز القرآن = إعجاز القرآن ومعترك الأقران، للسيوطي، ط: دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.
٧٣٣ـ معجم الأدباء، للياقوت الحموي، ط: مصورة دار إحياء التراث العربي (بيروت).
٧٣٤ـ معجم الأدباء، لياقوت الحموي، ت: إحسان عباس، ط: دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤١٤هـ ١٩٩٣م.
٧٣٥ـ المعجم الأوسط، للطبراني، ت: محمود الطحان، ط: دار المعارف، الرياض، ١٩٨٥م.
٧٣٦ـ المعجم الأوسط، للطبراني، ت: طارق بن عوض الله، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة.
٧٣٧ـ معجم البلاغة العربية، لبدوي الطبانة، دار المنارة جدة، ط: ٣، ١٤٠٨هـ.
٧٣٨ـ معجم البلدان، لياقوت الحموي، ط: دار صادر، بيروت ١٩٧٧م.
٧٣٩ـ المعجم الذهبي، د. محمد ألتونجي، دار العلم للملايين بيروت، ط١، ١٩٦٩م.
٧٤٠ـ معجم السفر، لأبي طاهر السّلفي، ت: عبد الله عمر البارودي، ط: المكتبة التجارية، مكة المكرمة.
٧٤١ـ معجم الشعراء، للمرزباني، ت: عبد الستار أحمد فراج، منشورات مكتبة النوري (دمشق).
٧٤٢ـ معجم الشعراء، للمرزباني، ت: الأستاذ الدكتور ف. كرنكو، مكتبة القدسي، دار الكتب العلمية، ط٢، بيروت، ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م.
٧٤٣ـ معجم الصحابة، لابن قانع، ت: صلاح المصراتي، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة، ١٩٩٧م.
٧٤٤ـ معجم الصحابة، لأبي القاسم البغوي، ت: محمد الأمين الجكني، مكبتة دار البيان، الكويت، ١٤٢١هـ.
٧٤٥ـ المعجم الصغير، للطبراني، ت: محمد شكور الحاج امرير، المكتب الإسلامي، بيروت ١٩٨٥م.
٧٤٦ـ المعجم الكبير، للطبراني، ت: حمدي السلفي، نشر وزارة الأوقاف العراقية، ١٩٨٣م.
٧٤٧ـ المعجم الوسيط، أشرف على طبعه: عبد السلام هارون، مكتبة النوري، دمشق، ط٣.

٧٤٨ ـ معجم ما استعجم، لأبي عبيد البكري، ت: مصطفى السقا، القاهرة، ١٣٦٣هـ.

٧٤٩ ـ معجم ما استعجم، للبكري، عالم الكتب، بيروت، ط٣، ١٤٠٣هـ.

٧٥٠ ـ معجم متن اللغة، لأحمد رضا، مكتبة دار الحياة، بيروت، ١٣٧٧هـ.

٧٥١ ـ المعجم، لابن الأعرابي، ت: عبد المحسن بن إبراهيم بن أحمد الحسيني، ط: دار ابن الجوزي، السعودية.

٧٥٢ ـ معرفة السنن والآثار، للبيهقي، ت: عبد المعطي أمين قلعجي، ط: جامعة الدراسات الإسلامية (كراتشي ـ باكستان)، دار قتيبة (دمشق ـ بيروت)، دار الوعي (حلب ـ دمشق)، دار الوفاء (المنصورة ـ القاهرة)، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩١م.

٧٥٣ ـ معرفة الصحابة، لأبي نعيم، ت: عادل بن يوسف العزازي، ط: دار الوطن للنشر، الرياض، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

٧٥٤ ـ معرفة القراء الكبار، للذهبي، ت: د. طيار آلتي قولاج، ط: استانبول ١٩٩٥م.

٧٥٥ ـ المعرفة والتاريخ، ليعقوب بن سفيان الفسوي، ت: د. أكرم ضياء العمري، مؤسسة الرسالة، بيروت١٩٨١م.

٧٥٦ ـ المغازي، للواقدي، ت: مارسدن جونس، دار الأعلمي، ط: ٣، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م.

٧٥٧ ـ المغرب في ترتيب المعرب، للمطرزي، ت: محمود فاخوري، وعبد الحميد مختار، مكتبة أسامة بن زيد، حلب، ط١، ١٩٧٩م.

٧٥٨ ـ المغرب، للمطرّزيّ، ط: دار الكتاب العربي.

٧٥٩ ـ مغني اللبيب، لابن هشام، ت: د. مازن المبارك ود. علي حمد الله، دار الفكر ١٩٩٢م.

٧٦٠ ـ المغني عن حمل الأسفار، للعراقي (بهامش إحياء علوم الدين) ط: دار المعرفة.

٧٦١ ـ المغني عن حمل الأسفار، للعراقي، ط: دار ابن حزم، بيروت، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

٧٦٢ ـ المغني في الضعفاء، للذهبي، ت: الدكتور نور الدين عتر.

٧٦٣ ـ مفاتيح الغيب = تفسير الرازي، للفخر الرازي، دار إحياء التراث العربي، ط:٣ ـ بيروت، ١٤٢٠هـ.

٧٦٤ ـ المفتاح في الصرف، للجرجاني، ت: علي توفيق الحمد، ط: مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٧هـ.

٧٦٥ ـ المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، ت: صفوان عدنان الداودي، ط:دار القلم، الدار الشامية ـ دمشق ـ بيروت، ١٤١٢هـ.

٧٦٦ـ المفضليات، للمفضل الضبي، ت: أحمد شاكر وعبد السلام هارون، ط: دار المعارف، ١٩٦٤م.

٧٦٧ـ المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم، أبو العباس أحمد بن عمر القرطبي، ت: عدد من الأساتذة، ط: دار ابن كثير، ١٩٩٦م.

٧٦٨ـ المقاصد الحسنة، للسخاوي، ت: محمد عثمان الخشت، دار الكتاب العربي، ١٤٠٥هـ.

٧٦٩ـ المقاصد النحوية في شرح شواهد الألفية، للعيني، ت: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت.

٧٧٠ـ المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية، شرح الشواهد الكبرى، للعيني، ت: علي محمد فاخر وأحمد محمد توفيق السوداني وعبد العزيز محمد فاخر، ط: دار السلام، القاهرة، ١٤٣١هـ.

٧٧١ـ مقاييس اللغة، لابن فارس، ت: عبد السلام هارون، دار الفكر، ١٩٧٩م.

٧٧٢ـ المقتضب، للمبرد، ت: محمد عبد الخالق عضيمة، ط: عالم الكتب (بيروت).

٧٧٣ـ المقصور والممدود، للقالي، ت: د. أحمد عبد المجيد هريدي (أبو نهلة)، ط: مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.

٧٧٤ـ المقنع، لأبي عمرو الداني، ت: أحمد دهمان، ط: دار الفكر ١٩٨٣م.

٧٧٥ـ مكارم الأخلاق، للخرائطي، ت: أيمن البحيري، ط: دار الآفاق الجديدية، القاهرة، ١٤١٩هـ.

٧٧٦ـ مكارم الأخلاق، للطبراني، ت: أحمد شمس الدين، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٩هـ(مطبوع مع مكارم الأخلاق، لابن الدنيا).

٧٧٧ـ مكائد الشيطان، لابن أبي الدنيا.

٧٧٨ـ المكتفى في الوقف والابتدا، للداني، ت: محيي الدين عبد الرحمن رمضان، دار عمار، ط١، ٢٠٠١م.

٧٧٩ـ ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، لأبي جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، ت: عبد الغني محمد علي الفاسي، ط: دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان.

٧٨٠ـ الملل والنحل، للشهرستاني، ت: لمحمد سعيد كيلاني، ط: دار المعرفة ١٩٧٥م.

٧٨١ـ الملل والنحل، للشهرستاني، مؤسسة الحلبي.

٧٨٢ـ الممتع في صنعة الشعر، للقيرواني، ت: الدكتور محمد زغلول سلام، ط: منشأة المعارف، الإسكندرية، جمهورية مصر العربية.

٧٨٣ـ المنار المنيف في الصحيح والضعيف، لابن قيم الجوزية، ت: عبد الفتاح أبو غدة، ط: مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب، ١٣٩٠هـ-١٩٧٠م.

٧٨٤ـ منازل السائرين، لأبي إسماعيل الهروي، ط: دار الكتب العلمية ـ بيروت.

٧٨٥ـ المنتخب من غريب كلام العرب، لكراع النمل، ت: د محمد بن أحمد العمري، ط: جامعة أم القرى (معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي)، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.

٧٨٦ـ المنتخب من مسند عبد بن حميد، ت: مصطفى بن العدوي، دار بلنسية، الرياض، ط:٢، ١٤٢٣هـ.

٧٨٧ـ المنتظم، لابن الجوزي، ت: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، ط: دار الكتب العلمية ١٩٩٥م.

٧٨٨ـ المنجّد في اللغة، لكراع النمل، ت: دكتور أحمد مختار عمر، دكتور ضاحي عبد الباقي، عالم الكتب، ط:٢، القاهرة، ١٩٨٨م.

٧٨٩ـ منهاج السنة، لابن تيمية، ط: المطبعة الأميرية ببولاق بمصر ١٣٢١هـ.

٧٩٠ـ منهاج السنة النبوية، لابن تيمية، ت: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود، ١٤٠٦هـ.

٧٩١ـ منهاج الطالبين، للإمام النووي، عني به: محمد محمد طاهر شعبان، ط: دار المنهاج، جدة، ١٤٢٦هـ.

٧٩٢ـ المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للنووي، المطبعة المصرية بالأظهر، ١٣٤٧هـ.

٧٩٣ـ المنهاج في شعب الإيمان، للحليمي، ت: حلمي محمد فوده، ط: دار الفكر ١٩٧٩م.

٧٩٤ـ المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب، للسيوطي، ت: التهامي الراجي الهاشمي، مطبعة فضالة.

٧٩٥ـ الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري، للآمدي، ت المجلد الأول والثاني: السيد أحمد صقر، دار المعارف، ط: الطبعة الرابعة، ت المجلد الثالث: د. عبد الله المحارب (رسالة دكتوراه)، مكتبة الخانجي، ١٩٩٤م.

٧٩٦ـ المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء، للآمدي، ت: ف. كرنكو، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١١هـ-١٩٩١م.

٧٩٧ـ المؤتلف والمختلف، للدارقطني، ت: موفق بن عبد الله، دار الغرب الإسلامي ١٤٠٦هـ.

٧٩٨ـ الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ـ الكويت، دار السلاسل، الكويت، ط:٢، ١٤٠٦هـ.

٧٩٩ـ الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء، المؤلف: للمرزباني.

٨٠٠ـ الموضع لأوهام الجمع والتفريق، للخطيب البغدادي، تصحيح ومراجعة عبد الرحمن بن يحيى المعلمي، دار ا لفكر الإسلامي، ط:٢، ١٤٠٥هـ.

٨٠١ـ الموضوعات، لابن الجوزي، ت: توفيق حمدان، دار الكتب العلمية ١٩٩٥م.

٨٠٢ـ الموضوعات، لابن الجوزي، ت: عبد الرحمن محمد عثمان، ط: المكتبة السلفية، المدينة المنورة، ١٣٨٨هـ.

٨٠٣ـ الموضوعات، لابن الجوزي، ت: عبد الرحمن محمد عثمان، طبعة: محمد عبد المحسن صاحب المكتبة السلفية، المدينة المنورة، ط١، ١٩٦٦م/ ١٩٦٨م.

٨٠٤ـ الموطأ، لمالك (برواية يحيى الليثي) ت: محمد فؤاد عبد الباقي، ط: دار إحياء التراث، بيروت ١٩٨٥م.

٨٠٥ـ المؤلف علي القاري ـ تحقيق ماهر أديب حبوش ـ دار اللباب ـ الطبعة الأولى.

٨٠٦ـ ميزان الاعتدال، للذهبي، ت: رضوان عرقسوسي وغيره، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٩م.

٨٠٧ـ الميسر والقداح، لابن قتيبة، نشر دار المعارف، تونس.

٨٠٨ـ الميسر والقداح، لابن قتيبة، ت: محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية، القاهرة، ط:٢.

٨٠٩ـ ناسخ القرآن ومنسوخه، لابن الجوزي، ت: أبو عبد الله العاملي السلفي الداني، شركة أبناء شريف الأنصاري، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.

٨١٠ـ الناسخ والمنسوخ، لأبي جعفر النحاس، ت: د. سليمان اللاحم، مؤسسة الرسالة ١٩٩١م.

٨١١ـ الناسخ والمنسوخ، لأبي جعفر النحاس، ت: د. محمد عبد السلام محمد، ط: مكتبة الفلاح، الكويت، ١٤٠٨هـ.

٨١٢ـ الناسخ والمنسوخ، لأبي عبيد الهروي، ت: محمد المديفر، مكتبة الرشد الرياض ١٩٩٠م.

٨١٣ـ نزهة الألباء في طبقات الأدباء، لابن الأنباري، ت: محمد أبي الفضل إبراهيم، القاهرة، ١٩٦٧م.

٨١٤ـ نزهة الطرف في علم الصرف، للميداني، مكتبة الجوائب، قسطنطينية، ١٢٩٩هـ.

٨١٥ـ نزهة المجالس ومنتخب النفائس، لعبد الرحمن بن عبد السلام الصفوري، ط: المطبعه الكاستلية، مصر، ١٢٨٣هـ

٨١٦ـ نسب قريش، للزبيري، نشره وعلق عليه: إ. ليفي بروفنسال، دار المعارف، القاهرة.

٨١٧ـ النشر في القراءات العشر، لابن الجزري، ت: علي محمد الضباع، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.

٨١٨ـ نصب الراية لأحاديث الهداية، للزيلعي، تصحيح محمد عوامة، دار القبلة، مؤسسة الريان، ط١، ١٩٩٧م.

٨١٩ـ نظم الدرر، للبقاعي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

٨٢٠ـ النفقة على العيال= العيال، لابن أبي الدنيا، ت: د نجم عبد الرحمن خلف، ط: دار ابن القيم، الدمام، السعودية، ١٤١٠هـ ١٩٩٠م

٨٢١ـ نقائض جرير والأخطل، لأبي تمام، اعتنى به: الأب أنطوان صالحاني اليسوعي، المكتبة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٢٢م.

٨٢٢ـ النكت في القرآن للمجاشعي، ت: إبراهيم الحاج علي، مكتبة الرشد ناشرون، الرياض.

٨٢٣ـ النكت والعيون، للماوردي، ت: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، ط: مؤسسة الكتب الثقافية ودار الكتب العلمية.

٨٢٤ـ نهاية الأرب في فنون الأدب، للنويري، ط: دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ١٤٢٣هـ

٨٢٥ـ نهاية المطلب، للجويني، ت: د. عبد العظيم محمود الديب، ط: دار المنهاج، جدة، ٢٠٠٧م.

٨٢٦ـ النهاية، لابن الأثير، ت: الطناحي والزاوي، ط: عيسى البابي الحلبي ١٩٦٣م.

٨٢٧ـ نوادر الأصول، للحكيم الترمذي، طبعة دار صادر.

٨٢٨ـ نوادر الأصول، للحكيم الترمذي، ت: عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت.

٨٢٩ـ نوادر الأصول، للحكيم الترمذي، اعتنى به: إسماعيل إبراهيم متولي عوض، ط: مكتبة الإمام البخاري، ١٤٢٩هـ.

٨٣٠ـ النوادر في اللغة، لأبي زيد الأنصاري، ت: محمد عبد القادر أحمد، دار الشروق، ط١، ١٤٠١هـ ١٩٨١م.

٨٣١ـ النوادر في اللغة، لأبي زيد الأنصاري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط:٢، ١٣٨٧هـ.

٨٣٢ـ نواسخ القرآن، لابن الجوزي، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٥م.

٨٣٣ـ نواهد الأبكار وشوارد الأفكار = حاشية السيوطي على تفسير البيضاوي، للسيوطي، ط: جامعة أم القرى ـ كلية الدعوة وأصول الدين، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٤هـ ٢٠٠٥ م.

٨٣٤ـ الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، لأبي محمد مكي بن أبي طالب، ت: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي ـ جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، ط: مجموعة بحوث الكتاب والسنة ـ كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ـ جامعة الشارقة.

٨٣٥ ـ الهداية إلى بلوغ النهاية، لمكي بن أبي طالب، أشرف على تحقيقة د. الشاهد البوشيخي، نشر كلية الشريعة في الشارقة.

٨٣٦ ـ هدية العارفين، لإسماعيل باشا البغدادي، دار إحياء التراث العربي بيروت ـ لبنان.

٨٣٧ ـ الوافي بالوفيات، لصلاح الدين الصفدي، ت: هلمويريتر، تصدرها جمعية المستشرقين الألمانية.

٨٣٨ ـ الوافي بالوفيات، للصلاح الدين الصفدي، ت: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٠هـ.

٨٣٩ ـ الوحشيّات وهو الحماسة الصّغرى، لأبي تمام، ت: عبد العزيز الميمني الراجكوتي، وزاد في حواشيه: محمود محمد شاكر، دار المعارف، ط:٣، القاهرة.

٨٤٠ ـ الوساطة بين المتنبي وخصومه، للجرجاني، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، وعلي محمد البجاوي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط٣، ١٩٥١م.

٨٤١ ـ الوسيط، للواحدي، ت: عادل عبد الموجود وعلي معوض وأحمد صيرة وأحمد الجمل، دار الكتب العلمية، ١٩٩٤م.

❊ ❊ ❊

فهرس الموضوعات

الموضوع | الصفحة

المجلد الأول

مقدمة التحقيق 5
الفصل الأول: ترجمة الإمام النسفي 11
الفصل الثاني: دراسة الكتاب 37
صور المخطوطات 145
مقدمة المؤلف ٥
سورة الفاتحة ٦٩
سورة البقرة (١ ـ ٢٥) ١٨١

المجلد الثاني

تتمة سورة البقرة (٢٦ ـ ١٥٢) ٥

المجلد الثالث

تتمة سورة البقرة (١٥٣ ـ ٢٨٦) ٥
سورة آل عمران (١ ـ ٢٩) ٤٤٧

المجلد الرابع

تتمة سورة آل عمران (٣٠ ـ ٢٠٠) ٥

الموضوع	الصفحة

سورة النساء (١ ـ ٣١) ٤١٣

المجلد الخامس

تتمة سورة النساء (٣٢ ـ ١٧٦) ٥
سورة المائدة ٢٨١

المجلد السادس

سورة الأنعام ٥
سورة الأعراف (١ ـ ١٤٩) ٢٧٧

المجلد السابع

تتمة سورة الأعراف (١٥٠ ـ ٢٠٦) ٥
سورة الأنفال ١١٥
سورة التوبة ٢٥٩

المجلد الثامن

سورة يونس ٥
سورة هود ١٤٩
سورة يوسف ٢٩٥

المجلد التاسع

سورة الرعد ٥
سورة إبراهيم ٩١
سورة الحجر ١٦٣

الموضوع	الصفحة
سورة الذاريات	٣٧
سورة الطور	٦٧
سورة النجم	٩٧
سورة القمر	١٤٩
سورة الرحمن	١٧٥
سورة الواقعة	٢٣١
سورة الحديد	٢٨١
سورة المجادلة	٣١٥
سورة الحشر	٣٤٧
سورة الممتحنة	٣٧٧
سورة الصف	٤٠٣
سورة الجمعة	٤١٥
سورة المنافقون	٤٢٧
سورة التغابن	٤٤٣
سورة الطلاق	٤٥٧
سورة التحريم	٤٧٥
سورة الملك	٥٠١
سورة القلم	٥١٩
سورة الحاقة	٥٥٣

الموضوع	الصفحة

المجلد الخامس عشر

سورة المعارج ٥
سورة نوح ٢١
سورة الجن ٣٧
سورة المزمل ٦١
سورة المدثر ٨١
سورة القيامة ١١١
سورة الإنسان ١٢٩
سورة المرسلات ١٦١
سورة النبأ ١٧٧
سورة النازعات ١٩٥
سورة عبس ٢١٣
سورة التكوير ٢٢٧
سورة الانفطار ٢٤١
سورة المطففين ٢٤٩
سورة الانشقاق ٢٦٥
سورة البروج ٢٧٧
سورة الطارق ٢٩٥
سورة الأعلى ٣٠٥
سورة الغاشية ٣١٧

الموضوع	الصفحة

سورة النحل ٢٣٥
سورة الإسراء ٣٥٧

المجلد العاشر

سورة الكهف ٥
سورة مريم ١٥٩
سورة طه ٢٥١
سورة الأنبياء ٣٦٣
سورة الحج ٤٥٧

المجلد الحادي عشر

سورة المؤمنون ٥
سورة النور ٧٩
سورة الفرقان ١٨٥
سورة الشعراء ٢٤٩
سورة النمل ٣١٩
سورة القصص ٣٩٥
سورة العنكبوت ٤٧٥

المجلد الثاني عشر

سورة الروم ٥
سورة لقمان ٥١
سورة السجدة ٩٥

الموضوع	الصفحة

سورة الأحزاب ١٢٥
سورة سبأ ٢١٩
سورة فاطر ٢٨١
سورة يس ٣٢٩
سورة الصافات ٣٨٥
سورة ص ٤٥٩

المجلد الثالث عشر

سورة الزمر ٥
سورة غافر ٧٩
سورة فصلت ١٤٥
سورة الشورى ٢٠٣
سورة الزخرف ٢٦١
سورة الدخان ٣١١
سورة الجاثية ٣٤٣
سورة الأحقاف ٣٦٩
سورة محمد ٤٠٥
سورة الفتح ٤٣٥
سورة الحجرات ٤٨٥

المجلد الرابع عشر

سورة ق ٥

الموضوع	الصفحة
سورة الفجر	٣٢٩
سورة البلد	٣٥٥
سورة الشمس	٣٦٧
سورة الليل	٣٧٥
سورة الضحى	٣٨٣
سورة الشرح	٣٩٥
سورة التين	٤٠١
سورة العلق	٤٠٧
سورة القدر	٤٢١
سورة البينة	٤٣٣
سورة الزلزلة	٤٣٩
سورة العاديات	٤٤٧
سورة القارعة	٤٥٥
سورة التكاثر	٤٦١
سورة العصر	٤٦٩
سورة الهمزة	٤٧٣
سورة الفيل	٤٧٩
سورة قريش	٤٩١
سورة الماعون	٤٩٧
سورة الكوثر	٥٠٣

الموضوع	الصفحة
سورة الكافرون	٥١١
سورة النصر	٥١٥
سورة المسد	٥٢١
سورة الإخلاص	٥٢٩
سورة الفلق	٥٤٣
سورة الناس	٥٥١
فهرس الأحاديث النبوية الشريفة	٥٦٣
فهرس الأعلام	٦٢٥
فهرس الأشعار	٧٢١
فهرس المصادر والمراجع	٧٦١
فهرس الموضوعات	٨٠٩
الفهارس العامة	٥٦١

* * *